

السؤال والعلامة لمعرفة دول الملوك

تأليف
تقي الدين أبي العباس أحمد بن علي بن عبد القادر
البيدي المقرئ
المتوفى سنة ٨٤٥ هـ

تحقيق
محمد عبد القادر عطا

الجزء الأول

سنة ٥٦٨ هـ - ٦٦١ هـ

منشورات
مركز أبي بيهن
دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

جميع الحقوق محفوظة

جميع حقوق الملكية الادبية والفنية محفوظة لدار الكتب العلمية بيروت - لبنان ويحظر طبع أو تصوير أو ترجمة أو إعادة تضيد الكتاب كاملاً أو مجزأً أو تسجيله على أشرطة كاسيت أو إدخاله على الكمبيوتر. أو برمجته على اسطوانات ضوئية إلا بموافقة الناشر خطياً.

Copyright ©
All rights reserved

Exclusive rights by DAR al-KOTOB al-ILMIYAH Beirut - Lebanon. No part of this publication may be translated, reproduced, distributed in any form or by any means, or stored in a data base or retrieval system, without the prior written permission of the publisher.

الطبعة الأولى

١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

العنوان : رمل الظريف، شارع البحري، بناية ملكارت
تلفون وفاكس : ٣٦٤٣٩٨ - ٣٦٦١٢٥ - ٦٠٢١٣٣ (١ ٩٦١) ٠٠
صندوق بريد: ٩٤٢٤ - ١١ بيروت - لبنان

DAR al-KOTOB al-ILMIYAH

Beirut - Lebanon

Address : Ramel al-Zarif, Bohatory st., Melkart bldg., 1st Floore.
Tel. & Fax : 00 (961 1) 60.21.33 - 36.61.35 - 36.43.98
P.O.Box : 11 - 9424 Beirut - Lebanon

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، وصلاة وسلاماً على سيدنا محمد - ﷺ -
النبي الأُمى الذى انطلق من ظلام الأمية ليضىء العالم بهدى من ربه سبحانه وتعالى.
لقد شاءت إرادة الله جلّت قدرته أن تنطلق البشرية من تلك المرحلة التاريخية المظلمة
الشديدة الانحطاط بفضل دينه الخاتم ونبيه المصطفى - ﷺ -.

وقد كانت سيرته - ﷺ - نموذجاً تاريخياً للاتساق الكامل بين الأقوال والأفعال،
وصلنا ذلك من خلال رواة ثقة، نثق فى أمانتهم وقدرتهم على نقل الأحداث الحقيقية
دون زيادة أو نقصان.

على أن الأحداث التاريخية الخاصة بعصر صدر الإسلام - حياة النبي ﷺ والخلفاء
الراشدين - مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالنصوص الدينية والتعاليم المقدسة حيث السيرة الذاتية
لرسول الهدى ليست إلا نصوصاً وأفعالاً راقية تدعو من يتعلمها - فى سهولة ويسر -
للتشبه به ﷺ وبذل الطاقة للسير على هده.

ثم انفصلت الرؤية التاريخية للأحداث عن النظرة الدينية بفعل استحداث سلوكيات
سياسية بعضها تبعد ابتعاداً كاملاً عن جوهر الدين الإسلامى الحنيف.

وكان للعصر الذى تلى عصر الخلفاء الراشدين دوراً كبيراً فى ظهور مدارس متعددة
للتأريخ تتأثر فى المقام الأول بالمذهب السياسى الذى ينتمى إليه صاحب التأريخ، اتضح
ذلك فى نظرتهم التاريخية التى كانت فى غالب الأحيان مشوبة بعدم الحيادة بسبب
ارتباط فكرة تسجيل التاريخ بالدعوة للفرقة أو الجماعة التى ينتمى إليها وهذا شكل من
أشكال إلباس الفكر السياسى عباءة الحقائق التاريخية وهو ما يعنى الانتصار لوجهة نظر
معينة دون النظر إلى الأمانة العلمية ووضع الحيادة محل الاعتبار.

ثم تلى ذلك مرحلة هامة فى تاريخ العالم العربى والإسلامى، ألا وهى مرحلة ظهور
مجموعة من الكتاب الذين يركزون نشاطهم العلمى على تسجيل التاريخ والحرص على
جمع الأحداث التاريخية من عدة مصادر وثيقة تنقل لنا أو تجعل من الميسور تقريب
الصورة الحياتية لفترات زمنية واسعة من التاريخ العربى، ساهمت كتاباتهم التاريخية فى
إلقاء الضوء على أشكال الحياة - بشكل شبه دقيق ويومى - خلال الفترة الزمنية التى
عاشها هؤلاء الكتاب مع عرض غير مخل للأحداث السابقة التى سبقت حياتهم.

وإلى هذه الفئة ينتمى صاحب هذا الكتاب «السلوك لمعرفة دول الملوك» الذى
نعرض له بالتحقيق وهو المؤرخ الكبير أحمد بن على بن عبد القادر أبو العباس الحسينى

العبيدى تقى الدين المقرئى» (٧٦٦ هـ - ٨٤٥ هـ).

وهذا الكتاب هو واحد من أهم الكتب وصاحبه علم من أعلام التأريخ العربى والإسلامى فى فترة العصور الإسلامية الوسطى، والكتاب مرجع تاريخى غاية فى الأهمية والقرب من حياة الحاكم والمحكوم بشكل يوحى للقارئ بملازمته للأحداث ومعايشته لها كاملة غير منقوصة.

كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك

هو كتاب من أبرز كتب المقرئى، ومن أبرز كتب التاريخ المصرى الوسيط. أتم به المقرئى سلسلة التواريخ المصرية بجمع وتسجيل أوسع ما وجد من المعلومات حول عصرى الدولتين الأيوبية والملوكية من سنة ٥٧٧هـ حتى السنة التى سبقت وفاته سنة ٨٤٥هـ.

اعتمد المقرئى عدداً من المصادر السابقة له. ومن عادته ذكر هذه المصادر أو الإشارة إليها. ونستطيع أن نرى لديه بعضاً من ابن الفرات وبعضاً من ابن أيبك وبيبرس ومن الدوادارى والنويرى والجزرى والبرزالى ونصوصاً من ابن واصل وابن عبد الظاهر. على أن المقرئى جمع إلى هذه المصادر براعة طيبة وسداداً فى تخير المعلومات، وعيناً ذكية تعرف كيف تسوقها وتربطها، وحساً تاريخياً مرفها يهديه إلى ما يجب أن يضيف إليها من المعلومات والتفاصيل الضرورية، والمكملة. وربما وصل المقرئى فى هذا الشغف التاريخى حد الثرثرة بأمر يعتبرها معاصروه من المعارف الدارجة التافهة، ولكنها أضحت بالنسبة إلينا اليوم ثروة تاريخية كشفت لنا جوانب كثيرة من مشاكل العصر فى العملة والأسعار مثلاً وفى الأبنية والهدايا والأوبئة والمكوس والحرائق، وفى نقد الحكم أو إحصاء الأنوال أو مشكلة الحجاب...

نظم المقرئى كتابه على منهج مغاير لما شاع فى المؤلفات السابقة له فى تاريخ ابن الفرات أو الدوادار أو النويرى، فقد جعل كتابه حولياً ودوّن حوادث كل عام فى فصل مستقل يحمل عنوان ذلك العام، وختم الحوادث بذكر الوفيات، والترجمة لأصحابها فى شىء من الاختصار المعتمد فى الأرجح. وكثيراً ما يعمد فى النصف الثانى من كتابه خاصة إلى أن يفتح السنة بذكر الوظائف الكبرى ومن يتولاها، وبخاصة إن وافق بدء السنة قيام سلطان جديد، وما يصحب ذلك - فى العادة - من تغيير وتبديل بين موظفى البلاط السلطان وكبار الأمراء. وقد يكفى المقرئى بعبارة افتتاحية فى أصل ذلك السلطان وماضيه، ثم ينتقل إلى ذكر الحوادث والأخبار بترتيبها الزمنى.

وثمة من كتاب السلوك مخطوطات بعضها كامل مثل مخطوط أياصوفيا (فى ٤ مجلدات) رقم ٣٣٧٢، ومخطوط آخر فيها برقم ٣٣٧٣ حتى ٣٣٧٦، ونسخة أخرى فى مكتبة فاتح ٤٣٧٧ حتى ٤٣٧٧ ونسخة أخرى نفيسة برقم ٣٣٨١ حتى ٣٣٨٩، كما أن ثمة قطعاً متفلاقة فى أحمد الثالث وفى جامع (لعلها بخط المقرئ) وكوبرللى وحافظ أحمد وغيرها. ومنه قطعة فى الظاهرية بدمشق رقم ٧٣٠٤، ونسخة فى أكسفورد (فى ٤ مجلدات) عنوانها «واسطة السلوك».

وقد طبع بعض من كتاب السلوك فى عهد مبكر. فقد نشرت أجزاء منه بتحقيق كاترمير الفرنسى بعنوان: «تاريخ السلاطين المماليك بمصر» فى مجلدين (باريس ١٨٣٧ - ١٨٤٥م). وبعد ذلك بقرن - كان نشره فى مصر، فظهر الجزء الأول منه سنة ١٩٣٤ بتحقيق محمد مصطفى زيادة، ثم نشر بجزء الثانى (سنة ١٩٥٨م) الذى انتهى ببعض أحداث سنة ٧٥٥هـ. ثم صدر الجزء الثالث ثم الرابع والأخير بتحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور ما بين سنتى ١٩٧٠ - ١٩٧٣م وكل جزء من هذه الأجزاء فى عدد من الأقسام.

وقد اعتمدنا فى عملنا هذا حين العرض لهذه القيمة التاريخية المتمثلة فى كتاب «السلوك لمعرفة دول الملوك» على اتباع الآتى:

• اعتمدنا فى نسخة التحقيق على نسخة مطبوعة بتحقيق د: محمد مصطفى زيادة ود: سعيد عبد الفتاح عاشور والذى استغرق استكمال طباعتها قرابة الأربعين عاماً.

• قمنا بضبط متن النسخة المطبوعة من خلال مطابقة دقيقة مع مجموعة من المخطوطات الموجودة بدار الكتب المصرية ومعهد المخطوطات العربية. وقد أفادنا هذا فى متابعة الأحداث من خلال عدة مصادر تاريخية دُونت فى فترات تاريخية سابقة ولاحقة للفترة الزمنية التى عاشها المؤرخ الكبير «تقى الدين أحمد بن على بن عبد القادر المقرئ».

• قمنا بترجمة مفصلة للأماكن والأشخاص التى كانت محور الأحداث خلال الفترات الزمنية التى تعرض لها المقرئ فى كتابه بالإيجاز للتيسير على القارئ وإعطائه نظرة أكثر شمولاً للأحداث.

• قمنا بتخريج الآيات القرآنية.

حافظنا قدر الإمكان على الشكل الخطى للأسماء والأماكن التي اختلفت من موضع لآخر كما أوردتها المقریزی ربما كانت له في ذلك وجهة نظر.

وأخيراً: لقد سعدنا بالرحلة الممتعة الشيقة التي كان المقریزی خیر مرشدا لنا للإطلال من نافذة واسعة على حقبة تاريخية غاية في الثراء لما تحمله بين طياتها من أحداث لها عظیم الأثر حتى الآن في صناعة العقل العربی من خلال ما مرت به الأمة من أزمات ومحن وانتصارات كبيرة أدامها الله.

والله من وراء القصد وهو يهدى سواء السبيل.

محمد عبد القادر عطا

المدرسة التاريخية المصرية

تأخرت المدرسة المصرية كثيراً حتى أطلعت مؤرخها الكبير المقریزی، ولم يكن السابقون له من فحول المؤرخين مثله. فبعد النويری، والدواداری، وسبط بن عبد الظاهر، انتظرت مدرسة مصر نصف قرن حتى ظهر فيها ابن الفرات، وابن دقماق، والقلقشندي. لكنها بلغت أوجها دون شك مع المقریزی.

أولاً: المقریزی ومسيرته العلمية

اسمه ونسبه:

أبو العباس تقى الدين أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمد بن إبراهيم البعلی، العبيدي الحسيني. أصله من بعلبك من حارة المقارزة فيها، وإليها ينسب. كما كان يدعى النسب الفاطمي، ومن هنا كان العبيدي في نسبه^(١).

وقد ذكر بعض المؤرخين أن نسب المقریزی يرجع إلى الفاطميين ومنهم صاحبه ابن حجر العسقلاني الذي قال في ترجمته^(٢):

نشأته:

ولد في القاهرة سنة ٧٦٦ هـ / ١٣٥٦ م. وتوفي فيها سنة ٨٤٥ هـ / ١٤٤١ م. وكان جد المقریزی من كبار المحدثين في بعلبك، وقد تحول والده إلى القاهرة حيث ولى بعض وظائف القضاء وكتب التوقيع بديوان الإنشاء. وكان يسكن حارة برجوان، وهي من أكثر حارات القاهرة حيوية وامتلاء بالصخب وضوضاء العمران والحياة، وهناك نشأ ابنه أحمد، ودرس على مشايخ العصر كابن الصائغ، كافله ومربيه بعد أن مات أبوه وهو صغير، وابن رزين، والبرهان الأمدى وزين الدين العراقي وابن أبي المجد والسراج البلقيني والهيثمي وابن خلدون. وقد بلغ عدد شيوخه ستمائة فتوفر له التكوين الثقافي اللازم للبروز في عصره. وكان أكثر شيوخه تأثيراً فيه، أولهم ابن الصائغ في مرحلة النشأة، وآخرهم ابن خلدون الذي عرفه في مرحلة النضج.

وقد برع المقریزی في علوم الدين من فقه وحديث براعته في الأدب من نظم ونثر، وإن أبدى هواية للتاريخ من جهة، وللعمل بالتنجيم والرمل والزيرجة والاصطربالاب من جهة أخرى. واستمرت هذه الهوايات معه طول حياته. على أن مؤهلاته العلمية فتحت له باب العمل الحكومي. فكان موقعا أول الأمر في ديوان الإنشاء سنة ٧٨٨ هـ، ثم تولى

(١) انظر التاريخ والمؤرخون، د. شاكر مصطفى.

(٢) انظر أبناء الغمر بأبناء العمر ١٧١: ١٦٩.

وظائف الوعاظ وتدريس الحديث فى عدد من المساجد. كما تولى حسبة القاهرة غير مرة (اعتباراً من سنة ٨٠١هـ) والخطابة (بجامع عمر ومدرسة السلطان حسن) والإمامة (بجامع الحاكم) وإقراء الحديث (بالمدرسة المؤيدية). وتقلب فى الوقت نفسه فى عدد من وظائف القضاء والإدارة فى مصر والشام. وحج مرات، كما زار دمشق مرات، كانت أولها سنة ٨١٦هـ بصحبة الناصر فرج بن برقوق. وعرض عليه قضاء دمشق فأباه. لكنه تولى فيها فيما بعد أوقاف المدرسة القلانسية والبيمارستان النورى والتدريس ببعض المدارس مدة عشر سنوات قبل أن يعود إلى القاهرة ليعتزل كل عمل رسمى.

ومواهب المقرئى (مع علمه وطرافة اهتماماته) أهلهه للحظوة عند الملك الظاهر برقوق، ثم عند ابنه الملك الناصر فرج من بعده، وكان على صلة طيبة بالأمير يشبك الظاهرى بعض الوقت، ونال فى ظلّه الجاه والمال. فلما بلغ مشارف الستين واجتمع له من الثروة ما يكفى للعيش الهانئ، عاد ليستقر فى القاهرة، ويتوفر على الاشتغال بالعلم والتاريخ والعبادة، ولم يغادرها إلا إلى مكة للحج سنة ٨٣٤هـ حيث بقى خمس سنوات، يدرس ويملى قبل أن يعود.

ويبدو أن هوية التاريخ قد استبدت بالمقرئى قبل ذلك بسنين طويلة جدا فهو يقول فى مقدمة الخطط: «فقيدت بخطى فى الأعوام الكثيرة، وجمعت من ذلك فوائد قلّ ما يجمعها كتاب، أو يحويها لعزتها وغرابتها إهاب..» وكل ما جمعه - على ما يظهر - كان متصلاً بمصر لأنها كما قال «مسقط رأسى وجمع ناسى.. لا زلت منذ شدوت العلم أرغب فى معرفة أخبارها وأهوى مساءلة الركبان عن سكان ديارها..».

وقضى المقرئى ثلاثين سنة بعد الاعتزال يعمل فى التأليف التاريخى خاصة حتى زادت مؤلفاته - حسب ما قرأ السخاوى بخط المؤرخ نفسه - على مائتى مجلد فى الحجم وعلى نيف وثلاثين عنواناً فى التاريخ وحده، بعضها كتيبات ورسائل، وبعضها كتب موسوعية كبيرة فى مجلدات وصلت أحياناً ستة عشر، كما وصلت المائة. ويمكن تقسيمها خمسة أقسام: فقسم يتناول تاريخ مصر والقاهرة فى مختلف عصورها، وقسم يتناول التاريخ الإسلامى، وقسم ثالث يتجه إلى بعض المواضيع الخاصة (النقود، الموازين، حج الملوك، الغناء، الكعبة، النزاع الأموى الهاشمى) وقسم رابع لبعض البلاد المجهولة (الخبشة، حضرموت، المغرب). أما الخامس فيشمل النبذ والمعلومات المتفرقة كالتذكرة وما إليها. على أننا سنستعرض هذا التراث التاريخى إرسالا:

١ - كتاب «المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار»: وهو أثر فريد فى موضوعه وطريقته ومادته الغزيرة يتحدث عن القاهرة وخططها (طبغرافيتها) القديمة، وتطورات الخطط والشوارع والأرض والأسواق والأحياء والمساجد والقصور والدور والمدارس

والرياض والأسوار، ويظهر من نصوص هذا الكتاب أنه استمر تحت يدي المقریزی يیدی فيه ويعید أكثر من خمس وثلاثین سنة. فيه صفحات کتبت سنة ٨٠٦هـ وأخری صممت أو أضيف إليها ما استجد سنة ٨٤٣هـ وإذا كنا نعرف اليوم مدينة القاهرة فی القرون الوسطی أتم المعرفة، فإنما يرجع ذلك إلى هذا الكتاب الذی استوعب ونظم کل المؤلفات التی سبقته فی هذا الموضوع، وأضاف إليها الكثير الكثير.

ولا یخفی المقریزی مصادره فی الخطط وهو ینص فی مطلع کل خیر علی مصدر نقله. وكثیر من هذه المصادر فقد، فلیس لدينا منه سوى ما نقله المقریزی الذی نظم معلوماته علی سبعة أجزاء (ألغی فی النهاية الجزء السابع منها والمتعلق بأسباب خراب مصر). فالجزء الأول جغرافی عامة فی أخبار مصر ونیلها وخراجها وجبالها. والثانی فی المدن وأجناس السكان. والثالث فی أخبار الفسطاط. والرابع فی أخبار القاهرة. والخامس فی أحوال القاهرة فی عصره. والسادس فی ذکر قلعة الجبل وملوكها ویستطرد المؤلف فیتناول ما فی القاهرة من المساجد والمنشآت. ویختم بفصول عن تاریخ اليهود والقبط والأدیار والكنائس... والكتاب بعد هذا منجم تاریخی فیه تسجيل لتاریخ مصر العمرانی والاجتماعی والفنی والاقتصادی لا یجده فی أى مؤلف آخر. والسخاوی یتهم المقریزی بأنه سطا علی مسودة كان الأوحدی قد أعدها لهذا الكتاب، فأخذها بعد موته وزادها زوائد غیر طائفة وقذفها للناس باسمه.

كان كتاب «الخطط» موضع عناية المستشرقین منذ أكثر من قرن، وقد وجدوا منه عددًا من المخطوطات: منها مخطوط الأوقاف فی استانبول، فی مجلدين، ومخطوط أحمد الثالث رقم ٢٩٤٦ (فی مجلد)، و٢٩٤٧ فی ثلاثة مجلدات، وعاشر ریس ٦٩٣، وحکیم أوغلو ٧٤٣ - ٧٤٤، وأیاصوفیا ٣٤٧١ - ٣٤٧٧ مع نسختین أخریین، وفیض الله ١٥٣٧ - ١٥٣٩، ودامار إبراهيم ٩١٤ - ٩١٥، والظاهرية بدمشق رقم ٧٠٠٤ و٥٦٩٦ و٥٦٩٧، وكلها نسخ كاملة عدا القطع المخطوطة من الكتاب وهی متفرقة فی استامبول ومصر والظاهرية وغيرها.

وقد طبع الكتاب مبكرًا طبعات عديدة منها طبعة بولاق القديمة - القاهرة سنة ١٢٧٠هـ / ١٨٥٤م. فی مجلدين كبيرین، ثم أعید طبعه فی مصر (المطبعة الأهلية فی أربعة أجزاء سنة ١٩٠٧م). كما أعید مؤخرًا طبع نسخة بولاق علی الأوفست (مكتبة المثني - بغداد - دون تاریخ) وطبع قسم منه طبعة أوروبية فخمة.

وترجم كتاب الخطط مبكرًا جدًا إلى اللاتينية. فقد طبعت هذه الترجمة سنة ١٧٢٤م، ونقل شيء من الكتاب إلى الفرنسية، وطبع فی باريس سنة ١٨٩٥م وسنة ١٩٠١م، واستخرج منه المستشرق كازانوفنا وصف قلعة القاهرة وتاریخها، وأوضح

ذلك بالرسوم والخرائط، وطبع كتابه بالفرنسية سنة ١٨٩٤م وسنة ١٨٩٧م فى مجلدين. وقام بنحو هذا العمل المستشرق رافيس فتناول خطط القاهرة وأوضحها بالخرائط وطبع ذلك سنة ١٨٨٨م وسنة ١٧٩٩م فى قسمين، وترجم المستشرق وستنفلد القسم الخاص بتاريخ الأقباط فى مصر إلى الألمانية وطبعه مع الأصل العربى فى توبنغن سنة ١٨٤٥م، وترجم أيضاً ما يتعلق بوصف المارستانات فى القاهرة نقلاً عن مسودات غوطا وفينا ونشرها فى مجلة خلاصة العلوم.

وتقوم دار الكتب العلمية ببيروت بإعداد الكتاب وتحقيقه وطباعته فى طبعة جديدة، وسيظهر قريباً.

ومن جهة أخرى فقد حظى كتاب الخطط إلى هذا كله بعناية الكثير من العلماء القدامى، وعمد بعضهم إلى اختصاره، ومن ذلك:

• كتاب «الروضة البهية فى القاهرة المعتزلية» لمحمد بن أحمد بن محمد الحنفى الشبللى العلائى (أواسط القرن الحادى عشر).

• كتاب «قطف الأزهار من الخطط والآثار» لشمس الدين بن أبى السرور البكرى الصديقى المؤرخ (المتوفى سنة ١٠٦٠ هـ / ١٦٥٠ م).

٢ - كتاب «السلوك فى معرفة دول الملوك»: وترجئ الكلام عليه فى موضعه.

٣ - كتاب «اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء»: وهو أوفى مصدر فى التاريخ الفاطمى: يؤرخ أولاً للسلاطة ولمشكلة النسب الفاطمى وقيام الدولة فى المغرب وخلفائها الأربعة هناك، ثم يتحدث عن الفتح لفاطمى لمصر، ويسهب فى قصة الصراع مع القرامطة، ويتناول بعد ذلك خلفاء الفاطميين الواحد بعد الآخر حتى نهاية الدولة. وقد استوعب المقرئزى فى كتابه هذا خلاصة ما أورده جمهرة المؤرخين الذين أرخوا للدولة الفاطمية قبله ممن عاصروها أو جاءوا بعدها، ومعظمهم ممن ضاعت مؤلفاتهم وبقى للمقرئزى الفضل فى حفظ مجموعة واسعة من نصوصها من أمثال ابن زولاق وابن الطوير والأمير ابن شداد، وأخى محسن، وابن المهذب وابن رزاء مما جعل الصورة الفاطمية كاملة.

وكان المعروف حتى الأربعينات من هذا القرن أنه لا توجد من هذا الكتاب سوى نسخة مخطوطة وحيدة ناقصة فى مكتبة غوطا (فى توبنغن بألمانيا رقم ١٦٥٢) وعنهما نشر المستشرق بونز الكتاب (سنة ١٩٠٩م) (طبعة دار الأيتام بالقدس) وقدم لها بمقدمة بالألمانية طبعها فى ليبزيغ، وأثبت أن النص مكتوب بخط المقرئزى نفسه.

وقد أعاد الدكتور جمال الدين الشيال طبع هذا النص بعد تصحيحه وتقيقه بشكل

علمي (القاهرة ١٩٤٨م)، ثم كشف كلود كاهن أن في مكتبة أحمد الثالث باستامبول نسخة كاملة من الكتاب تحت رقم ٣٠١٣، وكشف الدكتور الشيال أن النص السابق ليس أكثر من سدس الكتاب (٣١ ورقة من أصل ١٧٢) فجاء بالنص الكامل ونشر المجلد الأول منه (القاهرة ١٩٦٧م) ثم توفاه الله فأتم النشر محمد حلمي أحمد في مجلدين آخرين (القاهرة ١٩٧١ و ١٩٧٣م). وهو تحت الطبع بدار الكتب العلمية بتحقيقنا.

٤ - «كتاب المقفى في تراجم أهل مصر والواردين إليها»: وهو كتاب حافل في تراجم الملوك والأمراء والعلماء المصريين أو من عرفتهم مصر من جميع الأقطار (على منهاج تاريخ بغداد للخطيب البغدادي وتاريخ دمشق لابن عساكر) كتب منه المقرئ ستة عشر مجلداً. وقد ذكر ابن تغرى بردى كلمة المقرئ الذى قال له عنه: «لو كمل هذا التاريخ على ما اختاره لجاوز الثمانين مجلداً». وقد جعله المقرئ على حروف المعجم.

وقد ضاعت المجلدات المكتوبة من هذا المؤلف ولم يبق منها سوى ثلاثة مجلدات بخط المؤلف، واحد فى ليدن برقم ١٣٦٨ فيه بعض حرف الألف وحرفا الكاف واللام وبعض الميم. ومجلد آخر فى مكتبة برتو باشا فى المكتبة السليمية باستامبول (رقم ٤٩٦) فيه الباء والثاء، ومجلد ثالث فى المكتبة الأهلية بباريس (رقم ٢١٤٤).

٥ - كتاب «شذور العقود فى ذكر النقود»: وهو رسالة نفيسة فى تاريخ النقود العربية الإسلامية. فقد ضربت الدراهم أول مرة زمن عمر بن الخطاب حتى أيام الظاهر برقوق، فيمر المقرئ بالنقود أيام معاوية وعبد الملك والخلفاء العباسيين، ثم يعطف إلى النقود فى مصر فى العهد الأموى والطولونى والفاطمى والأيوبرى حتى المملوكى، فى دقة حسنة. ولعله أول كتاب مفرد كتب فى هذا الموضوع، وقد كان فى الأصل فصلا من كتاب «إغاثة الأمة» ثم أفرده المقرئ بكتاب مستقل وعنوان خاص بعد أن توسع فيه.

وثمة من هذه الرسالة نسخ مخطوطة عديدة فى برلين وليدن واستامبول والأسكوريال، ولكن أهميتها جعلتها تلقى الكثير من العناية والنشر منذ فترة طويلة. فقد نقلت إلى الإيطالية وطبعت سنة ١٧٩٧م، وترجمها المستشرق دوساسى إلى الفرنسية، ونشرها فى باريس سنة ١٧٩٧م أيضاً. ثم نشرت فى القسطنطينية بعناية أحمد ابن فارس الشدياق سنة ١٢٩٨ هـ. / ١٨٨١ م. مطبوعة الجوائب (ضمن مجموعة رسائل لابن الغديم ويقوت المستعصمى). وطبعت فى الإسكندرية سنة ١٩٣٣م بعناية ماير، ثم فى النجف الأشرف سنة ١٩٣٨م بعناية محمد صادق بحر العلوم، ثم طبعت

فى القاهرة (سنة ١٩٣٩م) بعناية أنستاس الكرملى (ضمن عدة رسائل فى موضوعها) وطبعت بعد ذلك أيضا فى النجف سنة ١٩٦٧م مع دراسة موسعة للؤلّف وللوضوع بقلم محمد بحر العلوم. وهو تحت الطبع بدار الكتب العلمية ببيروت بتحقيقنا ضمن مجموعة رسائل المقرىزى.

٦ - كتاب «إغاثة الأمة بكشف الغمة»: وهو كتيب صغير، ولكنه من خير ما كتب المقرىزى عمقا وفهما. استعرض فيه تاريخ الجماعات التى حلت بمصر منذ أقدم العصور حتى جماعة سنة ٨٠٨هـ، السنة التى كتب فيها الكتاب، مع تحليل العوامل الاقتصادية والاجتماعية لهذه الأزمت. ومنه مخطوطات عديدة: فى كمبردج ضمن مجموع برقم Add ٧٤٦ (من ورقة ١٩ ظهر حتى ٥٠ ظهر) وفى باريس بالمكتبة الوطنية وغيرها.

وقد طبع الكتاب فى القاهرة سنة ١٩٤٠م بتحقيق محمد مصطفى زيادة وجمال الدين الشىال، ثم أعيد طبعه سنة ١٩٥٧م، كما طبع طبعات أخرى إحداها فى حمص سنة ١٩٥٦، ثم سنة ١٩٧٠م.

وهو أيضا تحت الطبع بدار الكتب العلمية ببيروت بتحقيقنا ضمن مجموعة الرسائل.

٧ - كتاب «الخبر عن البشر» وهو كتاب فى التاريخ لعله مشروع تاريخ عام كان المقرىزى يود كتابته. والمصادر تذكر أنه جعله كالمدخل لكتابه «إمتاع الأسماع فيما للرسول من الحفدة والأبناح» ويذكر ابن تغرى بردى فى «المنهل الصافى» أنه «فى أربع مجلدات وعمل له مقدمة فى مجلد»، وثمة من هذا الكتاب بعض الأجزاء المخطوطة:

فهنالك ستة أجزاء فى مكتبة أحمد الثالث برقم ١/٢٩٢٦، ٢، ٣، ٤، ٥، ٦، فالأول من أول الخلق (فى ٢٠٣ أوراق) والثانى من التبابعة إلى قريش البطاح (فى ١٩٨ ورقة) والثالث من بنى عدنان حتى أسواق الجاهلية (فى ٢٢٠ ورقة) والرابع من أيام الفجار إلى يوم أواره (فى ١٦٨ ورقة) والخامس (فى ١٨٣ فة) والسادس (فى ٢٤٢ ورقة).

وهناك نسخة فى مكتبة فاتح باستامبول فى ستة أجزاء بخط المؤلف مع فهرس لمحتويات الجزء الأول مصورة فى دار المكتب بمصر (رقم ٩٤٧ تاريخ) فى ستة عشر مجلداً.

ونسخة ثالثة فى الأزهر رقم تاريخ ٤٣٩ (٦٧٣٣) أباطة (الجزء الثانى فقط). ومنه مجلد فى استراسبورغ أيضا نقلت منه مجلة المستشرق فصلا فى تاريخ الكتابة العربية فى الإسلام (السنة العاشرة ٤٧٨ هـ فما بعد).

٨ - كتاب «إمتاع الأسماع فيما للرسول من الحفدة والأتباع»: طالعه ابن تغرى بودى وذكر أنه «نفيس»، وهو يتحدث فى شمائل النبى ﷺ والنبوات وآل الرسول والسيرة النبوية والهجرة والغزوات، ومجموعة من الأخبار عن أحوال الرسول وأحكامه وأعماله ودقائق حياته وحديثه.

ومن هذان الكتاب نسخة مخطوطة فى كوبريللى باستامبول رقم ١٠٠٤ فى ستة مجلدات، ومصورة فى دار الكتب بمصر رقم (٨٨٦ تاريخ) فى تسعة مجلدات.

وهناك نسخة من الإمتاع فى مجموعة حسين باشا رقم ٣٥٤ تاريخ، ونسخة أخرى فى غوطا (غوتنغن).

٩ - «الإمام بمن فى أرض الحبشة من ملوك الإسلام»: كتبه فى مكة سنة ٨٣٩هـ، وحرره فى مصر سنة ١٤١١م بعد تدقيقه. ومنه نسخة مخطوطة ضمن مجموع ٣١٩٥ فى مكتبة ولى الدين باستمبول. وقد طبع فى بتافيا مع ترجمة فرنسية سنة ١٧٩٠م، كما طبع فى مصر سنة ١٨٩٥م. وتحت الطبع ضمن مجموعة رسائل المقرئى بدار الكتب العلمية.

١٠ - «الطرفة الغربية فى أخبار حضرموت العجيبة»: وهى رسالة كتبها وهو مجاور فى مكة سنة ٨٣٩هـ أيضا، ومنها مخطوطة فى كميردج وأخرى فى باريس (ضمن مجموع ٤٦٥٧). وقد طبعت مشروحة مصورة سنة ١٨٦٦م فى بون بعناية المستشرق سكوى باللغتين العربية واللاتينية. وتحت الطبع ضمن مجموعة رسائل المقرئى بدار الكتب العلمية.

١١ - «البيان والإعراب عما فى أرض مصر من الأعراب»: ويبحث فى القبائل العربية التى سكنت مصر، ومنه نسخة مخطوطة فى فيينا، ونسخة فى باريس رقم ١٧٢٥، ونسخة مخطوطة أخرى هناك (ضمن مجموع ٤٦٥٧٤)، ورابعة فى دار الكتب بمصر رقم ١٥٠ تاريخ. وقد ترجمه وستنفلد إلى الألمانية ونشره فى غوتنغن سنة ١٨٤٧ فى ثلاثة أجزاء.

وقد طبع فى مصر بتحقيق عبد الحميد عابدين (طبع عالم الكتب سنة ١٩٦١م)، وكان قد طبع بمصر قبل ذلك بتحقيق إبراهيم رمزى (طبعة المعارف) سنة ١٩١٦م نقلا عن النسخة الألمانية. وتحت الطبع ضمن مجموعة رسائل المقرئى بدار الكتب العلمية.

١٢ - «الذهب المسبوك فى ذكر من حج من الخلفاء والملوك»: كتبه المقرئى سنة ٨٤١ وذكر فيه ستة عشر من هؤلاء الحجاج، بدأهم بالرسول ﷺ ثم الخلفاء الراشدين ومن بعدهم إلى أيامه فى خمسة أجزاء. ومنه مخطوطات فى كميردج، ومخطوط ضمن مجموع ٣١٩٥ فى ولى الدين باستامبول، ورابع فى المكتبة الأهلية فى

باريس ضمن مجموع (رقم ٤٦٥٧). وقد نشره جمال الدين الشيال (القاهرة سنة ١٩٥٤م). وتحت الطبع ضمن مجموعة رسائل المقریزی بدار الكتب العلمية.

١٣ - «النزاع والتخاصم فيما بين بنى أمية وبنى هاشم»: رسالة صغيرة منها مخطوط في فيينا ضمن مجموع وآخر في باريس (ضمن مجموع ٤٦٥٧) وثمة نسخة ثالثة في الظاهرية بدمشق رقمها ٣٧٣١. وقد ترجم إلى الألمانية، ونشر في ليدن سنة ١٨٨٨م، ثم طبع في القاهرة أكثر من مرة كما طبع في النجف (المطبعة الحيدرية سنة ١٩٦٦م). وتحت الطبع ضمن مجموعة رسائل المقریزی بدار الكتب العلمية.

١٤ - «الدرر المضيئة في تاريخ الدول الإسلامية» (أو) «الخلفاء حتى نهاية العباسيين»: وهو من مقتل عثمان بن عفان إلى مقتل المستعصم ونهاية الخلافة العباسية (سنة ٦٥٦هـ). وهو مخطوط في كمبردج في ٢٧٣ ورقة كبيرة كتب بعد عهد المؤلف بقليل دون خاتمة وبه تزيينات.

١٥ - «الضوء السارى في خبر تميم الدارى»: وهو أحد الصحابة الأولين. استقر في أرض الخليل بفلسطين (وتوفى سنة ٤٠ هـ) وله وقف كبير استمر طول التاريخ الإسلامى. ضمن مجموع رقمه ٣١٩٥ في مكتبة ولى الدين باستامبول، ونسخة أخرى ضمن مجموع رقم ٤٦٥٧ في باريس، وثالثة في المتحف البريطانى، ورابعة في ليدن ضمن مجموع رقم ٢٥٠٨.

وقد نشرها شارل د. ماتيوس سنة ١٩٤١ في مجلة. Jour pal oz soc (المجلد ١٩ ص ١٤٧ - ١٧٩ مع المقدمة).

وتحت الطبع ضمن مجموعة رسائل المقریزی بدار الكتب العلمية.

١٦ - «درر العقود الفريدة في تراجم الأعمال المفيدة» (ثلاثة مجلدات): ترجم فيه لأعيان عصره البارزين ومنهم علماء اليمن. وقد نقل عنه السخاوى في الضوء اللامع عددًا من التراجم وبخاصة المتصوفة من أهل اليمن وعدد تراجمه ٥٥٦ ترجمة.

ومن هذا الكتاب نسخة مخطوطة فريدة في مجلدين نقلت عن نسخة بخط المؤلف سنة ٨٧٨هـ وتقع في ٢٩٢ ورقة و١٥٠ ورقة، وهى في مكتبة آل الجليلي الخاصة فى الموصل. وثمة قطعة في حرف الألف وأخرى في حرف العين بخط المؤلف فى مكتبة غوطا.

١٧ - «عقد جواهر الأسفاط فى أخبار مدينة الفسطاط» (أو فى ذكر ملوك مصر والفسطاط): وهو أول كتاب كتبه المقریزی فى تاريخ مصر الإسلامى الأول ثم أتبعه بكتاب «اتعاظ الحنفا» فى تاريخ مصر زمن الفاطميين ليأتى من بعدهما «السلوك»

فيغطي العهدين الأيوبي والمملوكي.

وثمة من هذا الكتاب نسخة مخطوطة فريدة في برلين ضمن مجموعة خطية تحمل رقم ٩٨٤٥.

١٨ - «منتخب التذكرة في التاريخ»: ويصفه المقرئزي بأنه كتاب عديم المثال في جمل التاريخ، انتخبه من كتابه المسمى بـ«التذكرة» وذكر فيه تاريخ الملوك والأعيان ومدة كل منهم ووقت انقضائه وأنسابهم وتلخيص أحوالهم.

وقد بقي من هذا الكتاب مجلد واحد مخطوط هو المجلد الأول من آدم إلى سنة ٢٧٠هـ. في ١٦٦ ورقة مع بعض الأوراق الأخرى وهو في المكتبة الوطنية في باريس برقم ١٥١٤.

١٩ - «نبذ تاريخية»: وهو مجموعة معلومات، أولها نبذة عن الروك الحسامي والروك الناصري، ثم تراجم مختلفة لبعض الأعيان، ثم وزراء الدولة السلجوقية، ثم من ولي حلب من سنة ٣٠٠هـ، ثم من ولي دمشق من الترك. ولعل هذه النبذ لم تكتب بوصفها مؤلفاً ولكنها مما كان المقرئزي يجمعه من المصادر لمؤلفاته التاريخية.

وهذه النبذ موجودة بخط المقرئزي في ٥٢ ورقة، والمخطوط في بلدية الإسكندرية رقم ٢١٢٥ د.

٢٠ - «مختصر الكامل في الضعفاء» وهو الكامل في معرفة ضعفاء المحدثين لعبد الله بن عدى الجرجاني المتوفى سنة ٣٦٥هـ. وقال المقرئزي في مقدمته: «إن ابن عدى شحنه بكثرة الأسانيد فأحببت أن ألخص منه ما قيل في الرواة على سبيل الإيجاز وحذفت علل الحديث والأسانيد إلا أن تدعو الضرورة...» ومن الكتاب نسخة بخط المقرئزي كتبت (سنة ٧٩٥هـ) في مكتبة مراد ملا باستامبول رقم ٥٦٩ في ٣١٥ ورقة.

٢١ - «رسالة في الموازين والمكاييل» (أو الأوزان والأكيال) الشرعية، ومنها مخطوط في ليدن وآخر في دار الكتب في ١٨ صفحة وقد ترجمت إلى الإيطالية وطبعت سنة ١٨٠٠م في روستك بعناية المستشرق رنك.

٢٢ - «تراجم ملوك الغرب»: وقد ذكر فيه أخبار أبي حمو ومن خلفه على تلمسان من بني زيان. ومن هذا الكتاب نسخ مخطوطة عديدة منها واحدة في ليدن، وأخرى في فيينا وكل ضمن مجموعة تحوى بضعة عشر مؤلفاً (رسالة) للمقرئزي.

٢٣ - «ذكر ما ورد في بني أمية وبني العباس من الأقوال»: ومن هذه الرسالة نسخة مخطوطة في فيينا.

٢٤ - «معرفة ما يجب لآل البيت من الحق على من عداهم»: وهى رسالة كتبها (سنة ٨٤١هـ) ومنها مخطوط فى فيينا (ضمن مجموع) وأخرى فى باريس (ضمن مجموع ٤٦٥٧).

٢٥ - رسالة فى الغناء، عنوانها «إزالة التعب والعناء فى معرفة حال الغناء». ومنها مخطوط فى باريس ذكره زيدان ولم أجده فى فهرس المكتبة الوطنية هناك.

٢٦ - «ذكر بناء الكعبة والبيت»: وهو مخطوط فى الظاهرية بدمشق فى ٧٨ ورقة رقمه ٤٨٠٥. وللمقريزى كتابان فى هذا الموضوع مطول ومختصر ذكرهما السخاوى وهذا أحد الكتابين.

٢٧ - كتاب «البيان المفيد فى الفرق بين التوحيد والتلحيد» (وقد يسمى تجريد التوحيد المفيد) ومنه نسخ عديدة فى تيسيرتى رقم ١٤٩٦، وفى ليدن رقم ٤٥١، وفى باريس برقم ٤٦٥٧، وفى دار الكتب بمصر.

وثمة عدا هذه المؤلفات مجموعة أخرى ضاعت أو فقدنا آثارها حتى الآن:

٢٨ - كتاب «مجمع الفوائد ومنبع الفوائد»: وهو كالتذكرة التى تجمع ألوانا من الأخبار والمواضيع، أكمل المقريزى منه كما ذكر ابن تغرى بردى نحو الثمانين مجلدة. وأما السخاوى فيذكر أنه يشتمل على «علمى العقل والنقل المحتوى على فنى الجدل والهزل بلغت مجلداته نحو المائة». ومن الهام أن نلاحظ أن ابن قطلوبغا (المتوفى سنة ٨٧٩) جمع كتابه تاج التراجم فى طبقات الحنفية من تذكرة أستاذه المقريزى ومن الجواهر المضية لابن أبى الوفا (المتوفى سنة ٧٧٥هـ).

٢٩ - «شارع النجاة»: ويشتمل على جميع ما اختلف فيه البشر من أصول ديانتهم وفروعها مع بيان أدلتها ووجه الحق فيها. ذكره السخاوى وانفرد بذكره.

٣٠ - كتاب «ما شاهده وما سمعه مما لم ينقل فى كتاب». ذكره السخاوى أيضا وحده.

٣١ - كتاب «الإشارة والإعلام ببناء الكعبة والبيت الحرام»: وهو الكتاب الآخر الضائع من الكتابين (الأصل والمختصر) اللذين ذكرهما السخاوى.

وهناك بعد هذا أربعة كتب ذات شجون:

٣٢ - «جنى الأزهار من الروض المعطار»: وهو موجز الروض المعطار للحميرى (المتوفى سنة ٩٠٠هـ) وهو منسوب للمقريزى، ويظهر أنه لأحد أحفاده فالنسخة المخطوطة الموجودة منه فى ٥٨ ورقة برقم ٤٥٨ جغرافيا فى دار الكتب المصرية تلقب صاحب الكتاب بشهاب الدين المقريزى لا بتقى الدين. وثمة نسختان مخطوطتان أخريان

من الكتاب فى باريس برقم ٤٧٩٧ و ٥٩١٠.

٣٣ - ذكر السخاوى فى الضوء اللامع أن المقرئزى «قرض سيرة المؤيد» شعراً لمحمد بن ناهض. وقد ذكر الخير نفسه فى ترجمة القلقشندى، فإن لم يكن ذلك سهواً منه، فإن هذا قد يعنى أن السلطان المؤيد شيخ (المتوفى آخر سنة ٨٢٤هـ) بعد سنة أو نحوها من السلطنة أو بعض أمرائه الكبار قد طلب من الاثنين أو أوقع التنافس بينهما فى نظم السيرة التى كتبتها ابن ناهض.

٣٤ - نشر للمقرئزى كتابان عن تاريخ الأقباط، وهما كتاب واحد مستخرج من كتاب المواعظ والاعتبار (الخطط) نشر أولاً بعنوان «دخول قبط مصر فى دين النصرانية» ترجمة لاتينية بعناية المستشرق ونزر فى سالباشى سنة ١٨٢٨م، ونشر باسم أخبار قبط مصر بعناية هماكر فى أمستردام سنة ١٨٢٤م، ثم طبع بعناية وستيفيلد فى غوطا سنة ١٨٤٥م.

٣٥ - «تاريخ الجراكسة» وهو مخطوط فى أكسفورد ينسب للمقرئزى. ذكره زيدان واستظهر أنه قد يكون مقتطفاً من «واسطة السلوك» المخطوط هناك أيضاً.

وأخيراً نذكر للمقرئزى:

٣٦ - كتاب «نحل عبر النحل وما فيه من غرائب الحكمة»: وهو مخطوط فى كمبردج، وقد نشره الشيال فى القاهرة سنة ١٩٤٦م. وهو نموذج لاهتمامات المقرئزى العلمية التى تمثلت فى كتب أخرى مثل: «المقاصد السنوية لمعرفة الأجسام المعدنية» و«الإشارة والأسماء إلى حل لغز الماء». ومنها نسخ خطية موجودة بالإضافة إلى كتب ذات طابع دينى أو ما يشبهه كـ «السير فى سؤال خاتمة الخير» و«الإخبار عن الإعدار»، ومقالة فى حرص النفوس الفاضلة على بقاء الذكر.

٣٧ - لخص كتاب عجائب المقدور فى وقائع (أو أخبار أو نوائب) تيمور لابن عربشاه (المتوفى سنة ٨٥٤هـ) والمقرئزى بهذا التراث كله واحد من ثلاثة أو أربعة رجال كانوا أسياى علم التاريخ فى العصر المملوكى أجمع.

ثانياً: ابن حجر العسقلانى

شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن على بن محمد بن محمد بن على بن أحمد العسقلانى الأصل المصرى المولد والنشأة والدار، وقد اشتهر بابن حجر لقب بعض آباءه: ولد سنة ٧٧٣هـ / ١٣٦١م. وتوفى سنة ٨٥٢هـ / ١٤٤٨م. وهو واحد من أكابر تلك السلسلة الطويلة من المحدثين المؤرخين التى كان منها الطبرى وابن الأثير والبغدادى وابن عساكر والذهبي... وإنما دخل علم التاريخ من باب الحديث، وما

يجب لعلومه من المعرفة بالرجال والأحداث والرواية، فكان مؤرخاً كبيراً بقدر ما كان محدثاً كبيراً.

فقد ابن حجر أبويه وهو طفل فنشأ كالمقريزي يتيمًا فى وصاية أحد كبار التجار من أصدقاء أبيه، وقد صحب هذا الوصى إلى الحج وهو فتى فدرس فى مكة، ثم عاد فدرس فى مصر على أعلام العصر. وكان من شيوخه الزين العراقى، والسراج ابن الملقن، والشهاب البوصيرى، والبدر البشتكى، والعز ابن جماعة، والشمس القطان، والمجد الفيروزآبادى، والشمس الغمارى، والسراج البلقينى، والبرهانه الأبناسى، وغيرهم...

وعن هؤلاء أخذ الفقه وعلوم القرآن واللغة، لكنه انصرف بكليته للحديث منذ كان فى العشرين من عمره. وأكثر من الرحلة فى طلبه فى مصر وفى الشام والحجاز واليمن حتى اجتمع له من الشيوخ ما لم يجتمع لأحد من أهل عصره، «كما بز غيره علوم الحديث مطالعة قراءة وتصنيفاً وإفتاء» فصار فيه المفرد العلم. وبلغت مصنفاته فيه وحده أكثر من مائة وخمسين مصنفاً. «وانتهت إليه الرحلة فى الحديث فى الدنيا بأسرها، فلم يكن فى عصره حافظ سواه» على حد قول السيوطى.

وقد عمل ابن حجر فى التدريس كغيره من العلماء فى العديد من مدارس القاهرة كالصالحية والمنصورية والجمالية والصلاحية والبيرسية والشيخونية والمؤيدية. وتولى أيضا منصب القضاء أكثر من مرة، ولمدة تزيد على إحدى وعشرين سنة (عين وعزل خلالها تسع مرات). فلما زهد فى القضاء، وصرف عنه سنة ٨٥٢هـ كان العمر أيضا قد انتهى به، فقد مات بعد أشهر قليلة!

ترك ابن حجر من التراث العلمى ما تنوء به العصابة أولو العزم. ونستطيع أن نخصى من إنتاجه حوالى سبعين ومائتين كتاباً ورسالة، عدا ثلاثة دواوين من الشعر وثلاث عشرة فتوى جوابية. ولا يدخل فى ذلك خمسة وثلاثين مؤلفاً نسبت أيضا إليه، أو ثمة شك فى نسبتها إليه. وإذا كان ما يهمننا من هذا التراث هو الجانب التاريخى، فإنه بدوره ليس بالجانب الهين ولا القليل. ونستطيع أن نخصى حوالى اثنين وثمانين كتاباً ورسالة ضاع منها النصف (٤١) ومعظم الباقي محفوظ (٢٩) ولم يطبع سوى السبع أو أقل (١٢). وإن كان هذا الذى طبع هو الأضخم فى الحجم والأثقل فى الوزن العلمى. وبعضه تاريخى خالص، وبعض حديثى يتصل خاصة بالحفاظ والرواة. والمجموعة الأولى المطبوعة هى:

١ - «الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة»: هو أكبر معجم للرجال فى القرن الثامن الهجرى (الرابع عشر الميلادى) «وفيات سنة ٧٠١هـ حتى سنة ٨٠٠هـ من

الأعيان والعلماء والملوك والأمراء والكتاب والوزراء والآدباء والشعراء» فى مصر وفى البلاد الإسلامية على السواء. وإن توجت عناية ابن حجر إلى الحفاظ «رواة الحديث النبوى» بصورة خاصة. ولم يهمل النساء فترجم للمحدثات والعبادات وكسب كتابه شأنًا تاريخيًا خاصًا بما أورد من تراجم ملوك المغول وأمراء التتر وسلطين الترك ومن أحداث السياسة فى مصر والشام.

نظم ابن حجر التراجم التى أوردها - وهى فى الغالب قصيرة مركزة - على حروف المعجم، وكان يأمل أن يكون الكتاب فى أربعة مجلدات، ولكن تلميذه السخاوى بيضه فى مجلدين فقط. وقد فرغ المؤلف منه سنة ٨٣٧هـ.

وقد أدرك ابن حجر عددًا من أصحاب التراجم، ولكنه اعتمد فى معظم الكتاب على موارد أخرى ذكرها - وكانت هذه عادته فى مؤلفاته - فى مقدمة الكتاب، ومنها «أعيان العصر» للصفدى، و«مجانى العصر» لأبى حيان، و«ذهبية القصر» لابن فضل الله، و«تاريخ مصر» للقطب الحلبي، و«ذيل سير النبلاء» للذهبي، و«الوفيات» للدمياطي، والذيل عليه للعراقى، و«تاريخ ابن خلدون» و«تاريخ غرناطة» للخطيب، و«الوفيات» لابن رافع، وذيله لابن حجى، وعلى عدد من معاجم الشيوخ.

وليست هذه أول مرة يعتبر فيها القرن وحدة تاريخية للتأليف، فقد سبق ابن حجر فى هذا كل من الأذفوى فى كتابه «البدر السافر» والبرزالي فى «تاريخ مختصر المائة السابعة» والصلاح الصفدى فى «أعيان العصر» الذى بدأه من مطلع القرن الثامن حتى وفاته (سنة ٧٦٤هـ) كما اتبع الطريق نفسه ابن أبى عذبية المعاصر لابن حجر فى كتابه «إنسان العيون فى مشاهير سادس القرون» ولكن كتاب «الدرر» كان أشهرها، وبدأ سلسلة مماثلة استمرت بعده عدة قرون فى السخاوى (القرن التساع) ثم العيدروس والغزى (القرن العاشر) والحجى (القرن الحادى عشر) والمرادى (القرن الثانى عشر) والبيطار (القرن ١٣).

ثمّة عدة نسخ محفوظة من «الدرر» منها نسخة دار الكتب المصرية رقم ١٠٢، ونسخة التيمورية رقم ١٣١٢، ونسخة ولى الدين باستامبول رقم ١٣٤، ونسخة المتحف البريطانى، والأهلية فى باريس، وفيينا، وغيرها. وقد طبع الكتاب لأول مرة فى الهند (سنة ١٩٢٩م) فى أربع مجلدات ضخمة، وطبع فى السنة نفسها فى القاهرة (المطبعة الرحمانية) فى أربعة مجلدات أيضا، ثم طبع فى حيدر آباد بالهند سنة ١٣٤٩م - ١٣٥٠هـ. ثم طبع فى القاهرة سنة ١٩٦٦م فى خمسة أجزاء (تحقيق محمد سيد جاد الحق). وأخيراً ظهرت طبعة مصورة عن طبعة الهند الأخيرة فى بيروت (دار الجيل). وقد اختصر كتاب «الدرر» كل من جلال الدين السيوطى (٩١١هـ) ومعاصره ابن عبد الهادى (٩٠٩هـ).

٢ - «ذيل الدرر الكامنة»: ويتضمن تراجم «الأعيان المختصة بالمائة التاسعة» كما قال صاحبه وقد رتبته على السنين «استجابة لرغبة أصحابه ليتحقق له الاستيعاب، ولم يتبسط في تراجم الشاميين»، ونظم التراجم على سنى الوفاة بالفعل، ولكنه جعلها فى كل سنة على حروف المعجم. واستعان بمؤلفه «إنباء الغمر» فى تأليفه. وقد ذكر السخاوى أنه رأى الكتاب فى دمشق فى مجلد لطيف عند الشهاب اللبودى، وأن ابن حجر وصل به إلى سنة ٨٣٢هـ.

ولم يطبع الذيل. وثمة نسخة مخطوطة منه فى دار الكتب المصرية برقم ٦٤٩ تاريخ تيمورية، وهى مسودة بخط ابن حجر نفسه وفيها شطب وتعديل واستدراك فى ٢٢٢ ورقة تنتهى سنة ٨٣٢هـ. ومع أن المخطوط يحمل عنوان «ذيل الدرر» إلا أنه كما نلاحظ - ليس بذيل عليه، ولا سماه صاحبه ولا تلميذه السخاوى بذلك، ولكنه كتاب خاص بتراجم أعيان المائة التاسعة وإن كان يتابع فيه كتاب «الدرر الكامنة» فى ترجمة رجال العصر.

٣ - «أنباء الغمر بأبناء العمر»: هو مؤلف حافل فى أكثر من ألف صفحة كبيرة. وإذا كان «الدرر» و«ذيله» فى الرجال فهذا فى التاريخ وأحداثه، وهو الصورة المكملة للدرر فى إعطاء صورة العصر الذى عاشه ابن حجر مع رجاله، جمع فيه الأحداث التى أدرکها منذ ولادته سنة ٧٧٣هـ حتى انتهى إلى سنة ٨٥٠هـ نظمه على السنين وأورد فى كل سنة أحوال الدول ووفيات الأعيان مستوعبًا - طبق اهتماماته - لرواة الحديث النبوى خصوصًا - كما قال - لمن لقبه وأجازته.

اعتمد ابن حجر فى «الإنباء» على ما سمعه ورآه فى عصره، كما اعتمد على عدد من المصادر ذكرها - على عادته - فى مقدمة الكتاب، منها: ابن الفرات، وابن دقماق، وابن حجى، والمقرئى، والتقى الفاسى، والبدر العينى، والصلاح الأقفهسى، وابن خطيب الناصرية من مؤرخى مصر والشام الذين سبقوا عصره بقليل أو عاصروه.

ويبدو أن ابن حجر، حين قرر الشروع فى الكتاب، كان فى خاطره أن يجعله إكمالاً لبعض عمل السابقين فى التاريخ والرجال؛ لهذا قال المقدمة: «وهذا الكتاب يحسن من حيث الحوادث أن يكون ذيلًا على تاريخ الحافظ ابن كثير، فإنه انتهى فى ذيل تاريخه «البداية والنهاية» إلى هذه السنة (٧٧٣هـ) ومن حيث الوفيات أن يكون ذيلًا على وفيات ابن رافع (توفى سنة ٧٧٤هـ) فإنها انتهت إلى أوائل هذه السنة». وأثر ابن حجر شديد الدقة فى التسجيل فلم يكف بالتاريخ الحولى، ولكنه كان يقيد الأحداث بالشهور والأيام فى الغالب. ومعظم ما دونّه خاص بتاريخ مصر فى تلك الحقبة، ولكنه دونّ بجانبه أيضا ما وقع فى عدد من الأقطار الإسلامية من تركستان إلى

المغرب الأقصى، ومن مملكة الروم العثمانية إلى اليمن وهو يتبع الحوادث بذكر الوفيات حسب التقليد التاريخي الذي استقر في تلك الفترة. ويسجل وفيات كبريات النساء أيضا. ومقام ابن حجر واتصالاته العليا ودقته العلمية تجعل الكتاب سجلا لتاريخ البلاد الإسلامية على مدى ثلاثة أرباع قرن وبخاصة في مصر.

وقد ذيل على «الإنباء» البرهان البقاعي (المتوفى سنة ٨٨٥هـ) حتى سنة ٨٧٠هـ في «إظهار العصر» كما كتب عليه ذيل آخر بعنوان «أنباء المصر في أنباء العصر» من سنة ٨٥١هـ إلى سنة ٨٨٦هـ. وللسيوطي كتاب «تاريخ العمر» أراه ذيل على «إنباء» ابن حجر.

وثمة من «الإنباء» نسخ عديدة مخطوطة تزيد على عشرين. وأهمها نسخة المؤلف الموجودة في دار الكتب الظاهرية (رقم ٢٤١ تاريخ)، وثمة نسخة في الأزهر (٧١٠ تاريخ) المتحف البريطاني وحيدر آباد واستامبول وفاس والمدينة المنورة (حتى سنة ٨٣٨هـ). وقد طبع الكتاب بتحقيق حسن حبشى في القاهرة سنة ١٩٦٩م - سنة ١٩٧٣م، في ثلاثة أجزاء (حتى سنة ٧٣٨هـ) كما طبع قبيل ذلك سنة ١٩٦٧م في حيدر آباد بتحقيق عبد المعيد خان.

٤ - «رفع الإصر عن قضاء مصر»: وهو في تراجم رجال القضاء الكبار في مصر منذ الفتح الإسلامي حتى بداية القرن التاسع، حتى إنه ترجم فيه لنفسه، فقد كان هو واحداً منهم (إذ ولي وعزل تسع مرات) وقد جمع فيهم مجلداً ضخماً رتبته على الطبقات، غير أن تلميذه العز الحنبلي رتبته بعد وفاته على حروف المعجم، وأجرى عليه بعض التنقيح. وكان اعتماد ابن حجر على من سبقه في هذا الموضوع كالكندى وابن زولاق، وقد اعتبر كتابه ذيلاً على ابن زولاق، كما استقى مادته من تاريخ ابن ميسر والقطب الحلبي وكتب المقرئ. ويذكر ابن حجر في المقدمة أنه وقف على أرجوزة لشمس الدين ابن دانيال نظمها لقاضي القضاة ابن جماعة في من ولي قضاء الديار المصرية، ثم طلب إليه أن يترجم لمن تضمنه الرجز فاستجاب وكان هذا الكتاب.

وقد ذيل عليه السخاوي (في بغية الوعاة في الذيل على شيخه في القضاة) واختصره ابن شاهين سبط ابن حجر في «النجوم الزاهرة بتخليص أخبار قضاة مصر والقاهرة»، كما اختصره أيضا على بن عبد اللطيف المقدسي (توفى سنة ٩٠٠هـ).

وثمة من «رفع الإصر» نسخ مخطوطة عديدة منها في مكتبة فيض الله باستامبول (رقم ١٤٥٥) في ١٤٠ ورقة، وفي دار الكتب المصرية (رقم ١٠٥) وفي الأهلية بباريس (رقم ٥٨٩٣).

طبع قسم من «رفع الإصر» في أعقاب كتاب ولاية وقضاة مصر للكندى (لجنة

جب التذكارية سنة ١٩٠٨م) ثم طبع كاملاً فى قسمين: الأول بتحقيق حامد عبد المجيد وأبى ستة والصاوى (طبعة وزارة التربية - القاهرة ١٩٥٧م) والثانى بتحقيق حامد عبد المجيد أيضاً (وزارة الثقافة - القاهرة ١٩٦١م).

٥ - «الإصابة فى تمييز الصحابة»: وهو أشهر كتب ابن حجر وأهمها فى التاريخ الحديثى، رتب فيه الصحابة على حروف المعجم، ثم داخل كل حرف على أربعة أقسام: من وردت عنه رواية، ومن رأى الرسول ﷺ فقط، ومن لم يره ولكنه من مخضرمى الجاهلية والإسلام، وأخيراً ورد اسمه عن خطأ أو ذهول فى كتب مصنفى الصحابة. وهذا القسم الأخير هو أهم ما فى الكتاب لما فيه من التحقيق التاريخى الذى لم يسبق إلى غالبه. وقدم ابن حجر لكتابه بمقدمة من ثلاثة فصول عرف فيها الصحابى، وطريقة معرفته، وبيان عدالته، وخصص باباً للصحابة المعروفين بالكنى وبأبأ للصحابيات.

وقد سبق ابن حجر كثير من المؤلفين فى الصحابة، بل سبق أيضاً إلى الاسم الذى استخدمه ابن الجوزى والمقدسى والذهبى والخليلى (محمد بن يعقوب) ولكن كتاب ابن حجر احتل مكانه الخاص وصار واحداً من ثلاثة أو أربعة كتب معتمدة مشهورة فى موضوعه رغم قصر ترجماته، لأنه استوعب الكتب التى سبقته، واستدرك عليها، ونفى وأثبت الصحبة وفق أسس منهجية ثابتة.

بدأ ابن حجر فى جمع كتابه سنة ٨٠٩هـ، واستمر فى عمله حوالى أربعين سنة، وأعاد كتابة مسودته ثلاث مرات، وبقيت الثالثة مسودة قيد التصحيح أيضاً. وجموع التراجم فيه (١٢٣٠٤) تراجم بما فى ذلك المكرر، استند فى جمعها إلى ما يزيد على ٩٤٠ مصنفًا وقد جاء الكتاب فى خمسة مجلدات ضخمة.

بلغ من شهرة كتاب «الإصابة» أن انتشرت منه نسخ مخطوطة فى أعداد كبيرة من المكتبات. فى استامبول منه أكثر من اثنى عشر نسخة، وفى مصر بدار الكتب، ودمشق (الظاهرية) وتونس (الأحمدية) وبغداد (الأوقاف) نسخ أخرى متعددة.

كما طبع كتاب «الإصابة» أكثر من ست طبعات: أولها فى الهند (سنة ١٨٥٣م) فى ثمانية مجلدات، ثم فى كلكتوتا (١٨٦٠ - ١٨٧٣م) فى أربعة، ثم فى القاهرة سنة ١٩٠٧م فى ثمان طبعات وتكرر طبعه فى القاهرة بعد ذلك أربع مرات كان آخرها طبعة دار نهضة مصر الطبقات السابقة تصويراً.

٦ - «تهذيب التهذيب»: هو مصنف ضخيم فى رجال الحديث فى مختلف العصور. اختصر فيه ابن حجر كتاب «تهذيب الكمال فى أسماء الرجال» للحافظ المزيى الدمشقى (المتوفى سنة ٧٤٢هـ). وكتاب «الكامل» هو فى الأصل للحافظ عبد الغنى

المقدسى الدمشقى (المتوفى سنة ٦٠٠هـ./١٢٠٤م). لكن ابن حجر أضاف إلى تهذيب المزى ما يعادل ثلث حجمه من المعلومات الإضافية، ومع ذلك فقد أخرجه فى ثلث حجم الكتاب المهدب، أى كتاب المزى. فقد حذف التطويل فى المرويات، واقتصر على أشهر شيوخ الرجال، ولم يحذف التراجم الصغيرة، ولكنه زاد فيها ما يدخل فى شرط الكتاب مما وجدته فى المراجع الأخرى. وانتهى منه سنة ٨٠٧هـ راضياً عنه.

جاء الكتاب فى ثلاثة مجلدات بخط المؤلف (وفى ستة من خط غيره). ثمة نسخة فى خمسة مجلدات فى طوبقابو (من رقم ٦٢١٤٥٣ إلى ٦٣٢٥٤٥٨) ونسخة تشسترى (رقم ٣٢٨٩ و ٣٣٤٥) ومخطوط ولى الدين رقم ٣٢٥ - ٣٢٧، ومخطوط القرويين فى فاس رقم ٦٢٧ - ٦٢٨ وغيرها.

وقد طبع «تهذيب التهذيب» فى دلهى سنة ١٨٩١م، وفى حيدر آباد الدكن سنة ١٣٢٥هـ/١٩٠٧ فى ١٢ مجلداً. وأعيد طبعه مصوراً سنة ١٩٦٨م (دار صادر فى بيروت) عن النسخة الأخيرة.

٧ - «تقريب التهذيب»: هو مختصر الكتاب السابق ولا تزيد الترجمة على سطر فكانه فهرس للتذكرة. ويجوز رجال الكتب الستة مع زيادات كثيرة، منها فصل فى بيان المبهمات من النساء.

ومنه نسخ مخطوطة كثيرة، ومنها نسخة بخط المؤلف فى دار الكتب المصرية - التيمورية رقم ٥٣٣ تاريخ فى ٤٣٠ ورقة، بالإضافة إلى نسخ أخرى فى الدار (أرقام ٣٢، ٣٣، ٣٤، ٣٥)، وفى الأزهرية، ونسخ عديدة فى استامبول (بنى جامع ٤٣ - ٤٤، ولى الدين ٢٧، وعاطف أفندى ١٠٦، وأسعد أفندى ٢٠، وثلاث نسخ فى طوبقابو أرقامها ٤٥٩ ٦٣١٨ فى ٢٥٧ ورقة، و ٤٦٠ ٦٣١٩ فى ٩١٧ ورقة، و ٥٠٥ ٦٣٢٠ فى ٢٢١ ورقة) عدا ما فى بغداد والموصل وغيرها.

وقد طبع «التقريب» بتحقيق وتعليق وتقديم عبد الوهاب عبد اللطيف (دار الكتاب العربى - القاهرة) سنة ١٩٦٠م، وكان قد طبع من قبل فى دلهى سنة ١٨٩١م. وطبع حديثاً بتحقيق مصطفى عبد القادر عطا بدار الكتب العلمية. بيروت.

وعلى كتاب «التقريب» بنة ابن عبد الهادى كتابه «ضبط من غير فى من قيده ابن حجر».

٨ - «لسان الميزان»: وقد بناه ابن حجر على أساس اختصار كتاب «ميزان الاعتدال فى نقد الرجال» للذهبي (وهو فى التعديل والتجريح) ولكنه بجانب الاختصار اقتصر فقط على ذكر التراجم التى وردت فى الميزان، ولم ترد فى تهذيب

الكمال، وأضاف فى الوقت نفسه من عنده زيادات كثيرة جدا سواء فى التراجم نفسها، أو فى تجريح وتعديل المترجمين، مما جعله يقول فيما بعد: «لو استقبلت من أمرى ما استدبرت لم أتقيد بالذهبي وجعلته كتاباً مبتكراً...» وقد بلغ من اهتمام ابن حجر بهذا الكتاب أن ظل يتابعه بعد الفراغ منه بالتعديل والإضافة فى كتب أخرى، وهكذا نجد له:

٩ - «تحرير الميزان» وفيه تصحيح ما وقع له من وهم فيه، وإضافة ما فاته من تراجم.

١٠ - «تقويم اللسان» وفيه أورد من ضعفه الذهبي، ولم يذكر مستنده فى تضعيفه.

١١ - «ذيل الميزان» وقد جمع فيه ابن حجر نحواً من ألفى ترجمة إضافية وبيض قسمًا منه. وثمة من لسان الميزان نسخة كاملة فى ثلاثة أجزاء فى مكتبة أحمد الثالث باستامبول رقم ٢٩٤٤، الأول إلى آخر حرف الزاى، والثانى إلى آخر اللام والثالث حتى نهاية الكتاب. وثمة فى مكتبة «لاله» الجزء الثانى منه فقط رقم ٦٣١. وفى أيا صوفيا نسخة. وقد طبع الكتاب بحيدر آباد سنة ١٩١١م - ١٩١٢م فى ستة أجزاء.

١٢ - «تبصير المنتبه بتحرير المشتبه»: وهو فى المشتبه من أسماء الرجال الرواة، وما يتصل بذلك من المؤلف والمختلف، قصد به ابن حجر التحرير والضبط لكتاب المشتبه للذهبي والاستدراك عليه. وقد بلغت زيادات ابن حجر مرة ونصف المرة من الكتاب الأصيل، وجاء كتاب التبصير فى مجلد كبير فرغ منه سنة ٨١٦هـ وهو مرتب على حروف المعجم.

ومنه نسخة كتبت فى عصر المؤلف وعليها خط ابن الشحنة وولده موجودة فى مكتبة مراد ملا باستامبول رقم ٣٤٣ فى ٢٥٨ ورقة. وثمة نسخة خزائية كتبها البوصيرى (سنة ٨٢٠هـ) وقرأها على المؤلف موجودة فى رضا رامبور رقم ١٠٢٠، وثالثة فى حيدر آباد رقم ١٠ رجال، ورابعة فى خدابخش رقم ٢٤١٢، وخامسة فى شهيد على رقم ٣٧٧ وغيرها. وقد طبع «تبصير المنتبه» بتحقيق على محمد البجاوى فى القاهرة سنة ١٩٦٤ - ١٩٦٥م فى أربعة أقسام.

١٣ - «تعريف أهل التقديس بمراتب الموصوفين بالتدليس»: ألفه ابن حجر سنة ٨١٥هـ، وجعل المدلسين خمس مراتب أو طبقات. وثمة منه نسخ عديدة منها ثلاث فى دار الكتب المصرية أرقامها ١٤٤ مجاميع، ١٧٥ مجاميع، و٥٢ مجاميع، وفى التيمورية مثل ذلك، عدا نسخ الأزهرية وكوبريللى فى استامبول رقم ١٥٩١. وقد طبع الكتاب بمصر سنة ١٩٠٤.

١٤ - «المرحة الغيثة فى الترجمة الليثية» أو «مرحة الغيث بترجمة الليث»: هو

السلوك لمعرفة دول الملوك ٢٥

الليث بن سعد قاضى مصر. وصاحب المذهب الفقهي المعروف باسمه (ولد سنة ٩١ وتوفى سنة ١٧٥هـ).

والمؤلف رسالة كتبها ابن حجر فى يومين (سنة ٨٣٤هـ) فى أوراق، ومنها نسخة فى ١٣ ورقة مخطوطة (خدايخش بتنة رقم ٢٣٨٢).

وقد طبعت الرسالة مرة فى بولاق سنة ١٣٠١هـ./١٨٨٤م. وطبعت مع مجموعة من «الرسائل المنيرية» ببيروت سنة ١٩٧٠ ج ٢٣٥ - ٢٦٥.

١٥ - «توالى التأسيس بمعالى ابن إدريس»: وهو بدوره رسالة فى مناقب الإمام الشافعى مرتبة فى بايين فرغ منها ابن حجر سنة ٨٣٥هـ. وثمة نسخة مخطوطة لها فى الطاهريه بدمشق رقم ٩٢٢٤ عام فى أربع وعشرون ورقة، وأخرى فى أياصوفيا (٣٥٠٨) وقد طبعت الرسالة مع الرسالة السابقة فى بولاق سنة ١٣٠١هـ./١٨٨٤م.

١٦ - «الزهر النضر فى أبناء الخضر»: وقد تتبع ابن حجر فى هذه الرسالة أخبار الخضر فى الأقوال المختلفة، وفحص أسانيدھا جامعاً ما سبقه إليه الباحثون الآخرون فى هذا الموضوع كابن الجوزى، والرواة الباقون كالفشيرى، والماوردى، وأبى نعيم...

ومن الرسالة مخطوط فى دار الكتب المصرية رقم ١٧٥ مجاميع فى ١٥ ورقة. وهى مطبوعة مع مجموعة الرسائل المنيرية فى بيروت سنة ١٩٧٠م.

١٧ - «غبطة الناظر فى ترجمة عبد القادر الكيلانى»: ولعله ملخص عن كتاب «بهجة الأمراء» لابن الملقن فقد ذكر السخاوى فى «الجواهر والدرر» (ورقة ٢٩٦ ظهر) أنه لخصه. ومن «غبطة الناظر» نسخة فى الرباط ذكرها بروكلمان (رقم ٧٥). وقد طبع الكتاب فى كلكتوتا سنة ١٩٠٣م، وله مختصرات بدوره منها مخطوطات فى تونس وغيرها.

وتأتى بعد هذا مجموعة كتب ابن حجر التاريخية الثانية التى ما تزال مخطوطة وقد تقدم بعضها فى مواضعها، ويبقى:

١٨ - «تجريد الوافى بالوفيات للصالح الصفدى»: والمعجم الوافى ضخمة جداً فى أصله (تسعة وعشرين مجلداً) ولكن ابن حجر أوجزه فى مجلد كأنه الفهرس، كتبه قبيل وفاته بقليل بحيث لا تزيد الترجمة عامة على سطر. ومنه نسخة مخطوطة بخط ابن فهد المكى فى مكتبة فيض الله باستامبول رقم ١٤١٣ فى ٢٦٩ ورقة.

١٩ - «المجمع المؤسس للمعجم المفهرس»: وهو يضم تراجم ومرويات حوالى ٤٥٠ شيخاً من شيوخ ابن حجر بالسماع والإجازة والإفادة، وقد رتبهم على حروف المعجم فى قسمين: الأول لمن روى عنه، والثانى للباقيين، وجعلهم من حيث علو

الأستاذ خمس مراتب أو طبقات. بدأ ابن حجر جمع الكتاب فى عدن سنة ٨٠٦، وفرغ منه سنة ٨١٩هـ فى القاهرة، وقد جاء فى ١٦٢ ورقة.

ومسودة هذا الكتاب الأولى ما تزال مخطوطة، وهى فى المكتبة الأزهرية برقم ١٣٦٠/١٧٨ مصطلح الحديث. وهناك فى الأزهرية نسخة أخرى برقم ٩٣٤ حديثة، وفى دار الكتب المصرية نسخة ثالثة برقم ٧٥ مصطلح (فى قسمين من ١٢٧٧ ورقة). وثمة أيضاً نسخة فى الأحمديّة بحلب رقم ٣٤٥ (٣٧٥ ورقة). وفى مكتبة مراد ملا نسخة بخط المؤلف كتبت سنة ٨١٦هـ ورقمها ٦٠٣ (وتمثل مشروع المؤسس قبل استكمالها) وهناك أيضاً نسخ أخرى فى الحرم الشريف واستامبول وغيرهما.

٢٠ - «المعجم الفرس أو تجريد أسانيد الكتب المشهورة والأجزاء المنشورة». ويبدو أنه غير الذى سماه ابن حجر أيضاً - حسب رواية السخاوى - «المقاصد العليا فى فهرست المرويات» أو «المقاصد العليا فى فهرست الكتب والأجزاء المروية»: وهو فى مجلد يحوى ما رواه ابن حجر بالأسانيد من مطولات الكتب والمختصرات والجوامع فيها والمفرقات والشيوخ والمعاجم والمشيخات والتواريخ وفنون الحديث والتصانيف فى القرآن والفضائل والزهد والفقهاء والرقائق والمناقب والنبوءات وغيرها، مع بيان محتوى بعضها وحجمها وطريق قراءتها... فهو عرض للمكتبة الثقافية التى استوعبها قطب من أقطاب العلم فى ذلك العصر. ومن هنا الشأن التاريخى لهذا المعجم بوصفه إطلالة عالية على ثقافة العصر. ومنه نسخة مخطوطة فى دار الكتب المصرية رقم اثنين وثمانين مصطلح وتقع فى ١٨٥ ورقة رويت مباشرة عن ابن حجر. ونسخة أخرى فى المتحف البريطانى رقم ٩٦٧٧.

٢١ - «الإيثار بمعرفة رواة الآثار»: وهو فى رواية كتاب الآثار لمحمد بن الحسن الشيبانى (قاضى الرشيد المعروف المتوفى سنة ١٨٩هـ) وفى ما رواه عن أبى حنيفة. وقد رتب ابن حجر تراجم هؤلاء الرواة على حروف المعجم فى الأسماء والكنى ثم المبهم، وعقد فى النهاية فصلاً فى النساء. وقد فرغ منه أواخر سنة ٨٣٣هـ.

وثمة نسخة مخطوطة بخط ابن حجر فى دار الكتب المصرية رقم ١٥٦ مصطلح.

٢٢ - «تسمية من عرف من أبهم فى العمدة»: (أى عمدة الأحكام لعبد الغنى المقدسى المتوفى سنة ٦٠٠هـ) ويستوفى فيه ابن حجر تراجم أولئك المغمورين المذكورين فى الكتاب بترتيب أبوابه. وهناك نسخة مخطوطة منه فى المكتبة الأزهرية ضمن مجموع (١٠٩ مجاميع).

٢٣ - «تعجيل المنفعة برجال الأئمة الأربعة»: ترجم فيه ابن حجر لمن خرج له فى كتاب من كتب الأئمة الأربعة (دون الكتب الستة) فهو فى تاريخ الرواة الثقات. ومنه

نسخة خطية فى الظاهرية بدمشق ضمن مجموع رقم ١٤٦ حديث (من ورقة ٣١ إلى ١٢٤).

٢٤ - «نزهة الألباب فى الألقاب»: استوعب فيه ابن حجر واختصر الكتب السابقة فى هذا الموضوع، وأضاف واستدرك وصحح الكثير، وجعل الكتاب فى ثلاثة أبواب، ونظم كل باب على حروف المعجم. وللكتاب شأنه الهام فى التاريخ وعلم الرجال والحديث.

ومنه نسخ مخطوطة عديدة: أهمها نسخة بخط ابن حجر فى دار الكتب المصرية برقم ٣٣٦ مصطلح بخط المؤلف. وهناك نسخة أخرى برقم ١٦٦ وثالثة فى فيض الله باستامبول رقم ١٥٤٨ وغيرها. والكتاب مطبوع.

٢٥ - «تحاف إخوان الصفا بنبد من أخبار الخلفاء». وهو مخطوط.

٢٦ - «تاريخ المدينة المنورة»: ذكر بروكلمان أنه مخطوط فى مكتبة رضا رامبور، ومنه نسخة أخرى فى المدينة، وليس فى المصادر القديمة ذكر له.

٢٧ - «رحلة ابن حجر من مصر إلى دمشق»، وتسمى أحياناً: «اتباع الأثر فى رحلة ابن حجر». وثمة شك فى نسبتها لابن حجر. ومنها مخطوط الظاهرية برقم ١٠٢٢٦ وهى مخرومة الأول وتقع فى ١٣ صفحة.

٢٨ - «المعنى فى ضبط الأسماء والأنساب»: وقد ذكر بروكلمان وجود نسخة مخطوطة منه فى رضا رامبور.

٢٩ - «تحفة أهل الحديث عن شيوخ التحديث»: ومنه مخطوطان فى المكتبة المركزية بالموصل رقم ١٩٤ و ٢٣٨ وذكرهما بروكلمان وذكر أن الكتاب فى ثلاث مجلدات.

٣٠ - «منتقى مغازى الواقدي»: (ويسمى أحياناً تعاليق منها أو تلخيصها). وفى دار الكتب المصرية نسخة منها برقم ٥٢٢ تاريخ تضم أيضاً تلخيص البداية والنهاية. (من الورقة ٣٨ حتى ١٥٠) بخط ابن حجر نفسه.

٣١ - «تعليق من تاريخ ابن عساكر (تاريخ دمشق)»: ومنه نسخة فى المخطوط السابق نفسه فى دار الكتب المصرية ٥٢٢ تاريخ من الرقم ١٥٠ إلى ١٩٤ مختارات من تراجم المحدثين بخطه.

٣٢ - «ما ورد من الرواية فى البداية والنهاية لابن كثير»: لخص فيه ابن حجر من هذا الكتاب أخبار الأنبياء وغيرهم، دون الرسول. ونص فى المقدمة على أنه كتبه لنفسه ولن ينتفع به. ولعل هذا حال الكتابين اللذين نجدهما مع هذا الكتاب فى

مخطوطة واحدة بدار الكتب المصرية رقم ٥٢٢ تاريخ بخط ابن حجر. وكتاب ابن كثير من الورقة الأولى حتى ٧٧.

٣٣ - «الخيرات الحسان من مناقب أبي حنيفة النعمان»: ومنه نسخة مخطوطة فى طوبقابو رقم ٢٨٢١ و ٦٥٢٢ (ومعها كتاب الشقائق النعمانية لطاش كبرى زاده).

٣٤ - «ترجمة ابن تيمية»: (التوفى سنة ٧٢٨هـ) ولعلها مستلة من كتاب «الدرر الكامنة» وثمة من هذه الرسالة نسختان مخطوطتان: إحداهما فى دار الكتب المصرية رقم ٢٠٥٤٥ ب (ضمن مجموعة من الورقة ٢٣ إلى ٣١) ونسخة فى مكتبة الأوقاف ببغداد ضمن مجموع (رقم ٦٠١٩) فى ١٣ ورقة.

٣٥ - «الفتح الذهبى فى مناقب الشاطبى»: ومنه نسخة مخطوطة فى أيا صوفيا ضمن مجموع رقم عدد عمومى رقم ٥٩.

٣٦ - «ترجمة السيد أحمد البدوى»: ومنه نسخة فى الظاهرية بدمشق ضمن مجموع رقم ٣٧٥٤ فى ورقة وبعض الورقة ذكر أنها منقولة من خط ابن حجر.

٣٧ - «المعجم للحرة مريم»: (وهى بنت الأذرعى، المحدثه المعمره المتوفاه سنة ٨٠٥هـ) من مشايخ ابن حجر. ومن «المعجم» نسخة مخطوطة بدار الكتب المصرية رقم ١٤٢١ حديث فى ٨٠ ورقة بخط ريطة بن شاهين.

٣٨ - «بذل الماعون فى فصل الطاعون»: وهو مجلد صغير جمع فيه أشياء كثيرة من الأحاديث والأحكام والآداب المتعلقة بالطاعون مع بعض أخباره. فرغ منه سنة ٨٣٣هـ، ويبدو أنه عاد إليه بالإضافة سنة ٨٤٨هـ. ومن هذا الكتاب نسختان فى التيمورية رقم ١٩٨ ورقم ٣١٢ مجاميع ونسخة فى الظاهرية بدمشق رقم ٢٣. وفى مكبات أسعد أفندى وعاشر أفندى وكيريللى وأيا صوفيا فى استامبول نسخ أخورى، وكذلك فى ليدن. وقد اختصر الكتاب كل من الشيخ المناوى (المتوفى سنة ٨٧١هـ) والسيوطى (المتوفى سنة ٩١١هـ) والأنصارى (المتوفى سنة ٩٢٦هـ). وثمة من هذه المختصرات نسخ مخطوطة أيضاً. وفى بلدية الإسكندرية مخطوط لابن حجر عنوانه «خلاصة ما رواه الواعون من الأخبار الواردة فى الطاعون» فيه سرد لحوادث الطاعون حتى سنة ٨٤٨هـ، وقد أكمله بعض العلماء المجهولين حتى سنة ١٠٥٣م.

٣٩ - ويمكن أن نعدّ أخيراً من كتب التاريخ كتاب ابن حجر «أسباب نزول القرآن» فهو متصل بالمناسبات التاريخية أيام الرسالة وهو فى مجلد ضخّم. ومنه نسخ مخطوطة لعلها مسودة المؤلف فى جامع القرويين فى فاس.

وتأتى بعد هذا المجموعة الثالثة من أعمال ابن حجر وهى القسم الضائع أو المفقود

حتى الآن على الأقل. وفيها من الكتب الحديثة:

٤٠ - «ترتيب طبقات الحفاظ للذهبي»: مرتبة على حروف المعجم وقد بيض ابن حجر منه النصف في مجلد.

٤١ - «رونق الألفاظ بمعجم الحفاظ»: جمعة وهياً مادته ابن حجر مختصراً فيه «تذكرة الحفاظ» للذهبي مع الاستدراك، وأعطاه لسبطه يوسف بن شاهين الذى أمته بعد موت جده، ونظمه وبيضه فهو مشترك بينهما ويحسب فى تراث السبط. وثمة نسخة من المجلد الأول من «الرونق» فى مكتبة المدينة رقم ٢٧٢. وهناك نسخة من المجلد الثانى (من حرف الغين حتى آخر الكتاب أثناء فصل النساء) فى المكتبة الخالدية فى القدس (رقم ١١ تراجم) فى ٣٥٠ ورقة وعليه خطوط بعض العلماء المعروفين كابن قطلوبغا والصدفى وغيرهم.

٤٢ - «ثقافات الرجال ممن لم يذكر فى تهذيب الكمال»: فى خمسة أسفار كتب منها ابن حجر نحو ثلاثة ولم يكمل.

٤٣ - «فوائد الاحتفال ببيان أحوال الرجال» (المذكورين فى البخارى): وهو فى مجلد مسودة.

٤٤ - «أسماء رجال الكتب التى عمل أطرافها فى إتخاف المهرة»: ولم يكمله ابن حجر ولو كمل لجاء فى خمسة مجلدات.

٤٥ - «المهمل من شيوخ البخارى».

٤٦ - «ترتيب المهمات على الأبواب» (ولعله الكتاب السابق رقم ٢٢).

٤٧ - «التعريف الأجود بأوهام من جمع رجال المسند».

٤٨ - «ذيل التبيان لمنظومة الحفاظ بديعة الزمان»: وقد ذيل بها ابن حجر على شرح الحافظ ابن ناصر الدين لهذه المنظومة التى تجمع أسماء الحفاظ. واشتمل «الذيل» على ٢٨ حافظاً إضافياً. وفى المجموعة الضائعة من المؤلفات التاريخية العامة ومعظمها رسائل محدودة الحجم.

٤٩ - «أرجوزة فى وفيات الأعيان للذهبي»: وصل فيها إلى سنة ٢٠١.

٥٠ - «الإعلام فى من سمي محمداً قبل الإسلام».

٥١ - «الإعلام بمن ولى مصر فى الإسلام».

٥٢ - «تعريف الفتن فى معرفة من عاش مائة»: ولعله هو الذى يذكر باسم كتاب المعمرين فى الإصابة ويذكره السخاوى باسم كتاب المعمرين والشبان أيضاً.

٥٣ - «إقامة الدلائل على معرفة الأوائل».

٥٤ - «النبأ الأنبي في بناء الكعبة» كتبه ابن حجر بطلب من السلطان المؤيد سنة ٨٢٢هـ.

٥٥ - «القصد الأحمدي في من كنيته أبو الفضل واسمه أحمد»: ظل مسودة.

٥٦ - «الجواب الجليل عن حكم بلد الخليل»: وابن حجر يسميه «البناء الجليل بحكم بلد الخليل».

٥٧ - «جزء في أسماء المدلسين».

٥٨ - «جلب حلب»: وهو صدى رحلته إلى حلب، وما علق من نوادر وفوائد حين رحل إليها سنة ٨٣٦هـ. في حوالي أربعة أجزاء حديثة (٤٠ ورقة).

٥٩ - «الدرة المضية من فوائد الإسكندرية»: وهي صدى رحلته سنة ٧٩٧هـ إلى الإسكندرية وطابعها أدبي.

والجموعة الثالثة المفقودة تتصل بالمشيخات والفهارس وفيها:

٦٠ - «الثبت الحديثي» الذي أثبت فيه شيوخه ومروياته ومسموعه والمشاركين معه وكان في مجلدين في المسودة.

٦١ - «فهرس كتب المحمودية» التي بناها جمال الدين محمود بن علي سنة ٧٩٧هـ في القاهرة واشترى لها مكتبة البرهان ابن جماعة من ورثته، وكانت مكتبة ضخمة تحوى حوالي أربعة آلاف مجلد في مختلف الفنون، وحين كانت المكتبة في عهد ابن حجر كانت تزيد على عشرة آلاف فعمل لها فهرسين: الأول على أبواب العلم، والثاني على الحروف.

٦٢ - فهرس نفسه وكان في مجلداته: ضخم يسمى «المقاصد العليات في فهرست المرويات» ويبدو أنه غرق في رحلته إلى اليمن.

٦٣ - فهرس مرويات جلال الدين البلقيني بالإجازة (توفى سنة ٨٢٤هـ).

٥٤ - فهرس (أخيه) علم الدين البلقيني بالإجازة (توفى سنة ٨٦٨هـ).

٦٥ - فهرس الشرف بن الكويك (محمد بن محمد بن عبد اللطيف الربيعي التكريتي المصري ٧٣٧ - ٨٢١هـ).

٦٦ - مشيخة البرهان الحلبي.

٦٧ - مشيخة ابن أبي المجد.

٦٨ - منتقى من مشيخات ابن عساكر (٥٧١هـ) وابن السرارى والفخر بن البخارى (ت ٦٩٠).

٦٩ - مشيخة الشرف أبى الطاهر بن الكويك.

٧٠ - «معجم التنوخى»: (أو المعجم الكبير للشامى) وكان فى مجلدة ضخمة (٢٤ جزءاً حديثياً) عن أكثر من ٤٠٠ شيخ.

٧١ - «المنتقى من معجم السبكى».

٧٢ - «تعقيب على ابن الجزرى فى مشيخة شيخه الجنيد» (فى جزء).

وتأتى بعد ذلك مجموعة من كتب المناقب:

٧٣ - «الأنوار فى خصائص المختار»: وهو نوع من السيرة النبوية.

٧٤ - «الإيناس بمناب العباس»: وهو نوع من المديح للخليفة العباسى فى القاهرة.

٧٥ - «مناقب الشيخ أبى العباس أحمد الجرار».

٧٦ - «ترجمة الإمام النووى»: (المتوفى سنة ٦٧٧هـ) ولعله برهان الدين إبراهيم (المتوفى سنة ٨٥٥هـ).

وهناك كتب التخليص التاريخى:

٧٧ - «منتقى من تاريخ ابن خلدون».

٧٨ - «تلخيص المتفق والمتفرق» للخطيب البغدادى.

٧٩ - «توضيح المشتبه» (فى الأنساب) للأزدى.

٨٠ - «قصة هاروت وماروت».

٨١ - «منتخب رحلة ابن رشيد».

ونضيف بعد هذا كله أن علم التاريخ أثار فى عصر ابن حجر إشكالاتاً فقهياً يتعلق بتحريمه أو تحليله بوصفه نوعاً من الغيبة. واستفتى كبار العلماء فى ذلك ومنهم ابن حجر الذى دافع عن التاريخ بدقة وسداد. وقد نشر فؤاد سيد خمساً من هذه الفتاوى ومنها فتوى ابن حجر الذى قسم التاريخ قسمين: قسم يقصد ضبط الوقائع ويلزمه التحرى فى النقل، وقسم يتقصر على تراجم الناس. وهنا لا تكشف مساوىء المشهور بالخير والدين لأنه غير معصوم. وأما المجاهر بالفسق فيجوز ذكر ذلك عنه لكى يرتدع. وأما المحدث فالأصل فى فنه بيان الجرح والتعديل ولا يجوز كتمان ذلك. وأما الزعم بأن ذلك غيبة فمفروض وإن أصر الزاعم عليه فليعلم أو يؤدب... ذلك منهج ابن حجر

في تراثه كله.

ثالثاً: البسطامي

زين عبد الرحمن بن علي أحمد بن محمد البسطاي الأنطاكي الحنفي: ولد في أنطاكية. وتوفي بمدينة بروسة (بالأناضول) سنة ٨٥٨ هـ. / ١٤٥٣ م. سنة فتح القسطنطينية. وفيما بين هذا وذاك قضى فترة الدراسة والتكون العلمي في الشام والقاهرة، ورحل إلى المغرب في نشدان الروحانيات، وشارك في أنواع عديدة من علوم الحديث والفقه والتاريخ والتصوف وبرع في اللغتين العربية والتركية. وكان له ولع بالروحانيات والأسرار الغيبية فانصرف لدراستها والتأليف فيها فله في خواص الحروف السحرية وفي علم الجفر (التنبؤ للمستقبل من خلال كتب ذات أسرار خاصة) والمكاشفات الروحانية مجموعة من المؤلفات يمازجها الطابع الصوفي الذي كان سيد الفكر في تلك الحقبة. وطاشكيري زاده يلقبه بالشيخ العارف بالله ويذكر أنه كان له تصرف عظيم بخواص الحروف وتأثير عظيم بالاشتغال بأسماء الله تعالى، وكان له في ذلك حكايات غريبة...

ويبدو أن تألق الدولة العثمانية استهوى البسطامي فهاجر قبل سنة ٨١٦ هـ إلى الأناضول حيث عمل في التدريس في آق شهر، ثم في مدارس بروسة حيث استقر وتوطن وتوفي تاركاً تراثاً من المؤلفات - رأى طاشكيري زاده - أكثرها بخطه الذي كان في غاية الإحكام والإتقان، وعددها يزيد على خمسين كتاباً أكثر من خمسها في التاريخ الذي كان الهواية الثانية له. ولم تحظ أعمال البسطامي بال العناية المناسبة لانقراض الاهتمام بموضوعاتها، فضاع معظمها. والمؤلفات التاريخية منها لا تعد حوالى عشرة كتب، ولكنها مع المؤلفات الأخرى شبه التاريخية تقارب العشرين:

١ - «نظم السلوك في مسامر الملوك»: وهو مختصر من الهجرة إلى سنة ٧٠٠ هـ، أنهى البسطامي سنة ٨٠٦ هـ. ومن هذا الكتاب نسخة مخطوطة في أيا صوفيا رقم ٣٥٠٣، ونسخة أخرى في عاشر رئيس رقم ٧٢١، وثمة نسخة ثالثة في المتحف البريطاني تحمل عنوان «جواهر السلوك في سياسة الخلفاء والملوك». إلا أن تكون هذه المخطوطة كتاباً آخر للبسطامي.

٢ - «مختصر جهينة الأخبار في ملوك الأمصار»: ولعله مختصر كتاب «جهينة الأخبار» لبدر الدين حسن بن عمر بن حبيب الحلبي الشافعي المتوفى سنة ٧٧٩ هـ، والمؤلف بأسلوب السجع.

ومنه نسخة في سوهاج بمصر رقم ١٤٩ تاريخ في ١٤٦ ورقة.

٣ - «صيحة اليوم في حوادث الروم»: وهي منظومة طويلة في كتاب يجمع بين

علم الجفر والتاريخ وينسب الكتاب خطأ لابن عربى. والبسطامى يتنبأ فيه بانهزام الروم البيزنطيين. وقد كتبه سنة ٨١٦هـ بمدرسة فرخ شاه باق شهر.

٤ - «مباهج الأعلام فى مناهج الأعلام»: ولم يتيسر لنا الاطلاع عليه لنعرف موضوعه وإن كان عنوانه (الذى قد يخذع) يوحي بأنه فى التعليم الديوانى وفى التراجم. ومن هذا الكتاب نسخة فى المتحف البريطانى رقم ٧٥٢٨.

٥ - «الفوائح المسكية والفوائح المكية»: وهو هواجس صوفية روحانية أوحاها له الحج، كتبها فى مكة سنة ٨٨٤هـ فى مجلد صغير. ومنه نسخة مخطوطة فى الحرم المكى برقم ١٢٢. وأخرى فى فيض الله باستامبول رقم ١٥٠١ فى ١٩٤ ورقة.

٦ - «درة تاج الرسائل وغرة منهاج الوسائل»: ويبدو أنه يذكر فيه بعض تجاربه. ومخطوطة الدرة موجودة فى مكتبة نور عثمانية رقم ٥٩٠٤.

وله عدا هذا بعض المؤلفات التاريخية، أو التى يرجح أنها من التاريخ وهى ضائعة.

٧ - «روضة العباد فى مناقب الصوفية الزهاد»: والكتاب قد تكون نسخة منه فى بعض مكاتب تركيا. ولكنه فى جمعه بين التاريخ والتصوف والكرامات يمثل الجو الفكرى العام للمؤلف وللعصر الذى عاش فيه.

٨ - «الدرر فى الحوادث والسير»: ويصفه حاجى خليفة بأنه مختصر على ترتيب السنين من وفاة الرسول إلى سنة ٧٠٠هـ. ويذكر أسطراً من مقدمته، وهو غير معروف المصير حتى الآن، ولكنه يماثل كتابه «نظم السلوك» فى الموضوع. ولسنا نستطيع أن نجزم فيما إذا كان الكتابان واحداً أم أن أحدهما مختصر الآخر.

٩ - «التواريخ اللطيفة والآثار العجيبة»: فرغ من تأليفه سنة ٨٣٥هـ ولا يعرف مصيره.

١٠ - «جواهر الدرر وفواخر الغرر».

١١ - «خرائد الملوك فى فوائد السلوك»: ألفه للقاضى خضر بن إلياس، وذكر فيه ما قيل فى الحضرة وفى إلياس.

١٢ - «مصباح السلوك فى مسامرة الملوك»: (وقد ينظر هذا الكتاب إلى المؤلف الأول فى القائمة).

١٣ - «الفوائد السنية فى تهذيب الأسماء النووية»: وهو مختصر تهذيب الأسماء واللغات للإمام محيى الدين بن شرف النووى المتوفى سنة ٦٧٦هـ.

١٤ - «درة من ظهر بالغرائب وأتى من بحر العجائب»: ولعله ليس فى التاريخ، أو

أنه تراجع لمن عملوا بالروحانيات وأتوا فيها بالخوارق.

١٥ - «درة الفوائد وغرر العوائد» وهي رسالة في مناقب الأقطاب من الصوفية.

١٦ - «توضيح مناهج الأنوار وتنقيح مباهج الأسرار»: وهو تاريخ مرموز كتبه سنة ٨٣٩هـ.

١٧ - «مفاتيح الأسرار ومصايح الأكوار»: وهي في خمسة أبواب وفيه تواريخ ووقائع وحكايات.

١٨ - «روضة العباد في مناقب الصوفية والزهاد».

١٩ - «مناهج التوصل في مباهج التوسل» بناه على ٤٦ لطيفة. في كل لطيفة سر مكتوم ثم أورد عقبه نكته وحكاية.

٢٠ - «ترجمة الإمام البخاري» (محمد بن إسماعيل المتوفى سنة ٢٥٦ هـ. / ٨٦٩ م).

ومنه مخطوط الظاهرية رقم ١٠٧٦ في ٢٦ ورقة بخط المؤلف كتبه سنة ٨٤٩هـ.

٢١ - كتاب في موضوعات العلوم يقول حاجي خليفة إنه «أورد فيه عجائب وغرائب... حتى بلغت مائة علم وذكر فيه أقسام العلوم الشرعية والعربية».

ونلاحظ أخيراً أن هذا المؤرخ يمثل بوضوح انحراف الثقافة والعلوم في عصره نحو الغيبات الروحانية والمزج بينها وبين التاريخ. وقد ضاعت معظم مؤلفاته عدا النزر منها.

رابعا: ابن تغرى بردى

أبو الحسام جمال الدين يوسف بن الأمير سيف الدين تغرى بردى (والصحيح تنكرى ويردى والكلمة الثانية تركية تعنى عطا الله) الأتابكي الشيبقاوى الظاهرى: ولد سنة ٨١٣ هـ. / ١٤١٠ م. وتوفى سنة ٨٧٤ هـ. وأبوه مملوك رومى الأصل، صار من كبار الأمراء المماليك لدى الملك الظاهر برقوق، ثم لدى الناصر ابنه، وقد توفى سنة ٨١٥ هـ. م ١٤١٢ م بدمشق، لابنه يوسف ستان وهو أصغر أبنائه. ولما كان الطفل موصول النسب بالسلطان وبأكابر الأمراء عن طريق أخواته المتزوجات، فقد عادوا به إلى القاهرة فتربى لدى إحدى هاته الأخوات هناك. وكانت زوجة لقاضى القضاة ناصر الدين بن العديم. فلما توفى تزوجها قاضى القضاة جلال الدين البلقينى. وعلى يدى هذا الرجل أولاً وعلى كبار مشايخ العصر أمثال ابن حجر العسقلانى وبدر الدين العينى وابن ظهيرة وابن عربشاه نشأ ابن تغرى نشأته العلمية الدينية. ثم لازم مجلس المقرزى فأخذ عنه التاريخ وشغف به حتى أضحى هوايته الكبرى. لكنه درس الثقافة العسكرية أيضا على يدى ممالك أبيه. وهكذا كبر ابن تغرى بردى وهو ينتمى

إلى طبقتى أهل السيف وأهل العمائم فى وقت معا. على أن ابن تغرى بردى كان من أكابر «أولاد الناس» ومعنى ذلك بلغة العصر: أولاد الأمراء المماليك. وقد كان لديه من موارد الرزق ما يسمح له بأن يعيش فى سعة كاملة، واستغناء عن عمل. وإذ اتقن ابن تغرى بردى العربية بجانب التركية وبرع فى الفروسية براعته فى الضرب والإيقاع والنغم وعرف الفقه وقرض الشعر... فإن دراسة التاريخ هى التى استولت عليه... وهذه الهواية مع التفرغ جعلت منه المؤرخ الكبير. ويضاف إلى ذلك ما استطاع الاطلاع عليه من معلومات وأخبار عصره نتيجة صلته الواسعة مع البلاط السلطاني (وقد تولى عليه فى عصره عشرة سلاطين) وعدد من كبار الأمراء وصانعى السياسة.

قدم ابن تغرى بردى فى ميدان التاريخ اثنى عشر مؤلفاً، وقد دخل هذا الميدان من باب التراجم. وكان أول مؤلف له:

١ - «المنهل الصافى والمستوفى بعد الوافى»: وقد سجل تراجم أعيان عصره. وأراده أن يكون تكملة للمعجم الضخم «كتبه لنفسه» وبنفسه «ولم يكن بأمر أو طلب من سلطان أو أمير» وابتدأ فيه من أوائل الدولة التركية (الملوكية) بترجمة المعز أيك أول سلاطين المماليك (وصرح فى بعض المواضع أنه بدأه بسنة ٦٥٠ هـ. / ١٢٥٢م). ولكنه اتبع فيه بعد ذلك طريقة الصفدى وابن خلكان قبله، فجعله على حروف الهجاء، ووصل به إلى أيامه، أواسط القرن التاسع. وقد ضم الكتاب نحواً من ثلاثة آلاف ترجمة فيها ما هو للأمراء والسلاطين وما هو للعلماء والوجهاء، وحتى للمغنين فى مصر والشام، كما تضم بعضاً من مشاهير المشرق والمغرب من المسلمين وغير المسلمين. وقد حرص ابن تغرى بردى فى كتابه على الحيدة والتعفف فى التراجم دون الإسراف فى ذكر المحاسن أو محاولة تسجيل المثالب.

وثمة من هذا الكتاب عدة نسخ خطية بعضها فى ثلاثة مجلدات، وبعض فى خمسة أو ستة، ومن ذلك نسخة دار الكتب الوطنية فى باريس رقم ٢٠٦٨ حتى ٢٠٧٢ وهى منقولة عن خط المؤلف، ونسخة نفيسة فى مكتبة نور عثمانية فى استامبول رقم ٣٤٢٨ - ٣٤٢٩ نقلت عن نسخة أحمد التركمانى تلميذ المؤرخ، وثمة نسخة أخرى فى طوبقابو، وأخرى فى فيينا وفى مكتبة عارف حكمة بالمدينة رقم ٦٣٠ تاريخ وهى فى ٣ مجلدات (١٠٧٦ ورقة) وفى آخرها ترجمة المؤلف بقلم تلميذه التركمانى. وفى الخزانة التيمورية بالقاهرة نسخة برقم ١٢٠٩ تاريخ.

طبع من هذا الكتاب جزء أول بتحقيق أحمد يوسف نجاتى (القاهرة سنة ١٩٥٦م).

٢ - وقد وضع ابن تغرى بردى مختصراً لهذا الكتاب سماه «الدليل الشافى على المنهل الصافى» لا ينقص من التراجم واحدة، ولكنه يختصرها الاختصار الشديد. ومنه

مخطوط قره جلبي في استامبول رقم ٢٦٦ في ١٣٨ ورقة.

٣ - كتاب (منتجات من) «حوادث الدهور في مدى الأيام والشهور»: وهو الخطوة الثانية التي خطاها ابن تغرى بردى في التاريخ أراد أن يذيل به على كتاب «السلوك» للمقريزي. وقد نص في مقدمته على ذلك قائلاً بعد أن امتدح أستاذه: «إنه انتهى فيه إلى أواخر سنة ٨٤٤ هـ. / ١٤٤١ م ولم يأت بعده من نعول عليه في هذا الفن... إلا الشيخ بدر الدين العيني...» ولكن اختلاط ذهنه مع كبر السن جعله غير قادر على ذلك... فلما رأيت ذلك أحيت أن أحى هذه السنة بكتابة تاريخ يعقب موت الشيخ... المقريزي... وجعلته كالذيل وربته على السنين... ولم أسلك فيه طريق الشيخ في تطويل الحوادث وقصر التراجم على الوفيات، بل أطنبت في الحوادث وأوسعت في التراجم لتكثر الفائدة من الطرفين. وما وجدته مختصراً من التراجم في التعليق فراجع فيه كتابنا «المهمل الصافي» فإنى هناك شفيت الغلة...» وقد انتهى المؤلف بحوادث سنة ٨٦٠ هـ. / ١٤٥٦ م.

وثمة من هذا الكتاب مخطوطات عدة، منها مخطوط الجزء الأول في أيا صوفيا رقم ٣١٧٥ في ٤٠٠ ورقة كبيرة، ومخطوط برلين رقم ٩٤٦٢.

٤ - ويأتى بعد هذا تاريخ ابن تغرى بردى الأشهر والأكبر شأنًا وضخامة وهو كتاب «النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة»، وهو سرد لتاريخ مصر منذ الفتح العربى سنة ٢٠ هـ حتى سنة ٨٧٢ هـ قبيل وفاة المؤلف. وبالرغم من أنه نص في مقدمته أنه كتبه لنفسه غير مستدعى من ملك أو سلطان، إلا أنه اعترف في أواخره أنه ألفه من أجل صديقه الأمير محمد بن السلطان جقمق (الذى توفى سنة ٨٤٧ هـ. / ١٤٤٣ م). والذى كان ابن تغرى بردى ينتظر له أن يصل السلطنة، ويأمل أن يختم الكتاب بحكم هذا الأمير وعدله. ولكن الأمير مات قبل ذلك.

انتهج ابن تغرى بردى في تاريخه منهجًا خاصا خالف فيه أستاذه المقريزي، فقد جعل كل فترة من فترات الملوك والسلطين فصلا قائمًا بذاته، ثم ذكر السنين وحوادثها تباعًا داخل الفصل حتى إذا توفى الحاكم أتى على أخباره في مجموعة واحدة بشكل ترجمة منفصلة، ثم أعقب ذلك بترتيب سنوات العهد ترتيبًا عدديًا، وذكر وفيات كل منها في فصل واحد، وربما ذكر بعض الحوادث ضمن التراجم.

وإذا لم يكن في الأقسام الأولى من «النجوم الزاهرة»، وحتى القرن السادس للهجرة من خير لا نجد في المراجع الكبرى الأخرى، فإن ابن تغرى بردى قد توسع حتى الإفاضة في التاريخ الفاطمى ولعله ورث حبه وتقديره والعلم الواسع به عن أستاذه المقريزي. ويبلغ ابن تغرى بردى الغاية في الإفاضة حين يصل العصر المملوكى، وهكذا

حتى يصل عصره، وإذ ذاك يتخذ الكتاب شكل السجل اليومي من عهد الناصر فرج تقريباً إلى عهد الأشرف قايتباي.

أما الميزة التي تجعل من ابن تغرى بردى لامؤرخ مصر، ولكن مؤرخ النيل، أيضاً، فهو العناية التي بذلها لإحصاء تقلبات هذا النهر العظيم وفاء وشحا سنة بعد سنة منذ الفتح العربى حتى عهده، ذكر ذلك فى ختام السنوات. لقد سبقه ابن أيبك إلى ذلك، ولكن سجل ابن تغرى بردى كان أكمل وأتم. وقد عنى إلى هذا بتسجيل النشاط العمرانى فى مصر خلال مختلف عهودها، فلا ينسى ذكر الجوامع والمباني والميادين ومقياس النيل وغيرها أولاً بأول، كما قال: «أذكره فى يوم مبناه، وفى زمان سلطانه، مستوعباً لهذا المعنى ضابطاً لشأنه». إن هذا الوعى فى تسجيل التاريخ الحضارى مع السياسى كان إحدى ميزات هذا المؤرخ.

طبع كتاب «النجوم الزاهرة» كله فى ستة عشر مجلداً (طبعة دار الكتب بالقاهرة) وقد امتد طبعه أكثر من أربعين سنة. بدأ سنة ١٩٣٠م وانتهى سنة ١٩٧٢م. وقبل ذلك كان قد عنى به وبنشر عدة أقسام منه عدد من المستشرقين، ومن هؤلاء جوينيل وماتس (سنة ١٨٥٢م) ثم المستشرق بوبر الذى استأنف عمل سابقه سنة ١٩٠٩م، حتى أتم النشر سنة ١٩٣٠م، مستعيناً بعدد من أعلام الاستشراق (نولدكه، غوتهيل، سيولد) وغيرهم.

٥ - وقد لخص ابن تغرى بردى تاريخه الواسع هذا فى كتاب صغير سماه: «الأنوار الظاهرة والكواكب الباهرة من النجوم الزاهرة».

ومن هذا الكتاب نسختان مخطوطتان فى سراى أحمد الثالث رقم ٢٩٧٦ و٢٩٧٧ وهما فى مجلدين وفى مجلد.

٦ - «مورد اللطافة فيمن ولى السلطنة والخلافة»: وهو تاريخ اقتصر فيه على ذكر الخلفاء والسلاطين إلى آخر أيام الملك المنصور عثمان بن الظاهر حقمق.

ومنه مخطوط فى مكتبة فيض الله فى استامبول رقم ١٤٠٦ فى ١١٠ ورفات، ثلاثة مخطوطات فى أحمد الثالث برقم ٣٠٣٨ فى استامبول أيضاً فى ١٥٠ ورقة وبرقم ٣٠٣٥ ورقم ٣٠٣٦، ومخطوط فى قره جلبى زاده رقم ٢٨٥ تاريخ. وقد طبع فى كميردج ذات مرة سنة ١٧٩٢، نشره كارليل.

٧ - «البحر الزاخر فى علم الأوائل والأواخر»: وهو تاريخ عام واسع من آدم إلى عهده، عارض فيه تاريخ ابن الصيرفى: «نزهة النفوس والأبدان». ومنه مجلد مخطوط فى المكتبة الوطنية فى باريس رقم ١٥٥١. وكان فى العراق منه المجلد الثالث فى مخطوط ضخمة اشترته دار الكتب فى مصر وفيه مباحث هامة حول خطط مصر.

٨ - «نزهة الرأى فى التاريخ»: وهو تاريخ مفصل على السنين والشهور والأيام فى عدة مجلدات تصل العشرة أو تزيد. ومنها الجزء التاسع لحوادث سنة ٦٧٨هـ - سنة ٧٤٧ مخطوط فى أكسفورد.

ولابن تغرى بردى إلى هذا تواريخ أخرى مفقودة حتى الآن إلا أسماءها:

٩ - «منشأ اللطافة فى من ولى الخلافة».

١٠ - «البشارة فى تكميل الإشارة» ذيل به على الذهبى من سنة ٧٠٠هـ إلى سنة ٨٧٠هـ.

١١ - «حلية الصفات فى اختلاف الأسماء والصناعات»: هى مجموعة أدبية تاريخية معظمها شعر.

١٢ - «الأنوار الظاهرة فى الكواكب الطاهرة».

١٣ - «نزهة الألباب فى اختلاف الأسماء والألقاب».

ولابن تغرى بردى بعد هذا كتاب فى الرياضة والموسيقى، وآخر سماه «الانتصار للغة التتار».

خامسا: الكنانى

عز الدين أبو البركات أحمد بن البرهان إبراهيم بن نصر الله القاضى من ولد ناصر الدين الكنانى العسقلانى الأصل القاهرى الصالحى: ولد سنة ٨٠٠هـ/١٣٩٧م فى القاهر، وتوفى فيها سنة ٨٧٦هـ/١٤٧١م. مات أبوه وهو فى سن الرضاع فكلفته أمه وكانت على بعض الغنى، فنشأ يطلب العلوم على كبار عصره من علماء القرآن والفقهاء والنحو واللغة والحديث والفرائض وعلم الوقت. وأخذ التاريخ ونحوه عن المقرئى والعينى، ولازم العز بن عبد السلام، ولبس خرقة التصوف مع تلقين الذكر من الزين أبى بكر الخوافى، ولبسها من خاله الجمال عبد الله وأمه عائشة. وكان ابن حجر يجعله جدًّا. وقد ناب فى القضاء عن شيخه المجد سالم وهو ابن سبع عشرة سنة... واستنابه فى التدريس بمدارس الجمالة والحسنية والحاكم وأم السلطان. وتولى القضاء إنابة وأصالة وهو مرغم، وصار قاضى القضاة ثم ترك القضاء جملة، وحج مرتين سنة ٨١٥هـ وسنة ٨٥٣هـ، وزار القدس والخليل والرملة، ودخل الشام مرتين، لقى فى الأولى ابن ناصر الدين حافظ الشام، وفى الثانية البرهان الباعونى. ودخل دمياط والملحة وغيرهما. «وأكثر من الجمع والتأليف والانتقاء والتصنيف حتى إنه قل فن إلا وصنف فيه إما نظامًا، وإما نثرًا، ولا أعلم الآن من يوازيه فى ذلك... وصار بيته مجتمعًا لكثير من الفضلاء... ولم يتجاوز طريقته فى التواضع... وحدث بالكثير. بيته يجمع

السلوك لمعرفة دول الملوك ٣٩
طائفة من الأراامل ونحوهن... وترجمته تحتل مجلداً... وكان عالم الحنابلة جميعاً فى
عصره.

أورد السيوطى فى معجم شيوخه أسماء مؤلفاته، والكثرة العظمى منها فى الفقه
والحديث والعربية حتى ما كان منها تاريخياً، فإنه لا يبعد عن الظل الدينى. ومن تلك
المؤلفات التاريخية التى أوردتها السيوطى فى معجم شيوخه:

١ - «طبقات الحنابلة الكبرى»: ذكر أنها كانت فى عشرين مجلداً أو ١٤ مجلداً.

٢ - «الطبقات الوسطى»: وهى مختصر الأولى فى ثلاثة مجلدات.

٣ - «الطبقات الصغرى»: وهى مختصر الثانية فى مجلد.

وليس من أثر هذه الطبقات جميعاً ولعلها ضاعت، أو لم يعرف بوجودها بعد.

٤ - «شفاء القلوب فى مناقب بنى أيوب»: ألفه للملك العادل أحد بقايا الأيوبيين
صاحب حصن كيفا (وهو الملك العادل سليمان بن غازى وابنه أحمد) وهو كتاب
تراجم لا حوليات يقسم ملوك بنى أيوب طبقات، ويترجم لهم طبقة طبقة فى عشر
طبقات، ترجم فيها ١٦٧ شخصاً جمع حتى بقاياهم فى حماة وحصن كيفا فى القرنين
الثامن والتاسع. وقد نشر الكتاب بتحقيق ناظم رشيد مع مقدمة (من وزارة الثقافة -
بغداد ١٩٧٨م) ويتبين منه أنه نقل الكثير عن ابن واصل فى «مفرج الكروب» كما
نقل عن العماد الأصفهانى والقادسى وابن شداد وسبط ابن الجوزى وابن الأثير وابن
خلكان والدوادارى واليونينى وأبى الفداء والذهبي، وفصل فى سيرة العادل وابنه أحمد،
ونقل شعراً من دواوينهما. وفى الكتاب وثائق وخطب ورسائل ومراسيم تقليد وقطع
تهانٍ وتعازٍ.

٥ - وله فتوى فى شرعية كتابة التاريخ نشرها فؤاد سيد فى مجلة معهد
المخطوطات العربية فى القاهرة (المجلد ٢ لسنة ١٩٥٦ ص ١٧٣ - ١٧٧).

أما الكتاب الذى يجعله فى طليعة المؤرخين، لو لم يفقد، فهو:

٦ - كتاب «النشر فى التاريخ» وكان فى ٤١ مجلداً جعل فيه لكل قرن تصنيفان:
واحد على الحروف وآخر على السنين. ولو بقى هذا الكتاب لجعل صاحبه فى مقدمة
مؤرخى العصر.

٧ - وله أخيراً أرجوزة فى قضاة مصر ضاعت بدورها.

سادسا: ابن الصيرفى الجوهري

على بن داوود بن إبراهيم الإسرائيلى المصرى الحنفى المعروف بابن الصيرفى وبابن

الخطيب الجوهري: ولد في القاهرة سنة ٨١٩هـ وتوفى فيها سنة ٩٠٠هـ. ولقب الرجل يوحى بعكس واقعه، فقد كسب لقب الصيرفي من أبيه الذي كان صيرفي الدولة وديوان المفردة في فترات متقطعة من أيام المؤيد شيخ، وپرسبای ثم أواخر عهد السلطان جقمق. وكان يتكسب - حين يصرف من الخدمة - بسوق الجوهريين، فكسب الابن اللقبين عن أبيه، وإن لم يكسب معناهما، فقد كانت حياته منذ صغره أقرب إلى الإملاق. ومع أنه مؤرخ وعاش في عصر كثر فيه المؤرخون، إلا أنك لا تدري كيف ضن على نفسه وضن عليه الآخرون بترجمة وافية، إلا بضعة أسطر كتبها عنه السخاوي معاصره في «الضوء اللامع» مليئة بالنقد الميرير، وإلا أسطرًا مثلها في المرارة كتبها ابن إياس، معاصره الآخر. على أن الإشارات والتنف الأخرى التي يذكر بها الرجل في بعض المراجع تكشف عكس ما ذكره الرجلان. فقد كان ابن الصيرفي قليل البضاعة من العلم وقد درس على كبير. ولكنه ظل يجتهد ويجد حتى صار أحد نواب الحكم. وكان إلى هذا من أعيان الحنفية في عصره، ويصفه السيوطي في «نظم العقيان» قائلاً: «انتهت إليه رئاسة الحنفية في عصره مع الدين المتين والصلاح المفرط... والقيام في نصرة الدين، وإبطال المظالم، ومراجعة الملوك، وهم يعظموه ويقبلون قوله...». وقد ذكروا أن ابن حجر - وهو أستاذه - صلى مرة خلفه. أما أستاذه الآخر أبو زكريا الأقصرائي فأجازه وأثنى عليه تأليفه وقال في مؤلفه نزهة الأبدان: (سيرة الرسول الكريم) إنه «نظر في هذا المصنف البديع والعقد الفريد وتبصر واستفاد». وشكر مؤلفه، وكذلك فعل أستاذه الآخر الكافيجي الذي كتب له عن الكتاب نفسه: أنه قد اعترف بفضله وكمالته وبحسن ترتيبه الحاضر والبادي والداني والقاصي، واعترف من بحره العذب الرائع والغادي، وأنه أتى بأمر يحيي ذكره في الآخرين أبد الآبدين. ويبدو أن في انتقاص السخاوي من ابن الصيرفي شيئاً كبيراً من المزاومة بين التلميذين على الأولية عند أستاذهما ابن حجر ومن بعده. كما أن لفقره وكثرة عياله أثرهما في عدم بروزه في المكان اللائق به، فقد فشل - على ما يظهر - في سوق الجواهر بعد أن كسب منها ما ساعده في بناء بعض الدور فترك العمل بها، ثم نفذ غالب ما معه. فانصرف إلى النسخ بالأجرة يعيش عليه باقى حياته.

و لم يذهب اجتهاد ابن الصيرفي عبثاً، فقد زاحم المؤرخين في عصر غص بكبار المؤرخين كالمقرئزي وابن حجر والعيني وابن تغري بردي والسخاوي والسيوطي وابن إياس الذين قلما اجتمع مثلهم في قرن آخر. وما فيهم إلا المؤرخ العلم في كتابة التاريخ. وانتصر الجد الدؤوب، واقتحم ابن الصيرفي المجال ليكتب عدداً من المؤلفات التاريخية، على الرغم من ركافة أسلوبه التي تقترب أحياناً من العامية، والتي كان يعيها عليه الآخرون، وعلى الرغم مما ذكره ابن إياس من أنه «كان يكتب التاريخ

بجازفة لا عن قائل ولا راو... وله فى تاريخه خطابات كثيرة، وجمع من ذلك عدة كتب من تأليفه فكان كما قال فى المعنى:

يا من يقول جمعت فى التاريخ كتباً كامله
لك فى الأباعر نسبة لم تدر ما هى حامله

وهو تهجم مرير من ابن إياس شعر هو نفسه به فأضاف قائلاً: «وكان لا يخلو من فضيلة». ومؤلفات ابن الصيرفى فى التاريخ ليست كثيرة ولكنها - لولا ضعف أسلوبه - لا تقل شأنًا عما كتبه المؤرخون الكبار الآخرون وهى:

١ - «سيرة الملك الأشرف قايتباى»: وقد أشار إليها السخاوى فى «الضوء اللامع» وبها نسخة فى المتحف البريطانى.

٢ - «الدر المنظوم فيما ورد فى مصر موجودًا ومعدوم»: وهو فى فضائل مصر وخطوطه فى باريس.

٣ - «أبناء الهصر فى أبناء العصر»: وقد قلد فيه الصيرفى فى كتاب أستاذه حجر: «أبناء الغمر بأبناء العمر». وهو فى أحداث عصره وتراجم معاصريه فى القرن التاسع. ومن هذا الكتاب جزء مخطوط فى باريس يبدأ من سنة ٧٨٣هـ إلى آخر سنة ٨٧٧هـ وفيه بعض أحداث ووفيات سنتى ٨٥ و٨٦ فى ٢٠٨ ورقات. وهو مصور فى التيمورية فى القاهرة برقم ٢٢٨٥ تاريخ. وقد نشره حسن حبشى فى القاهرة سنة ١٩٧٠م (دار الفكر العربى) فى مجلد.

٤ - أما الكتاب الذى يفخر به ابن الصيرفى والذى كان مشروعًا ضخماً يستغرق التاريخ كله من آدم حتى عصره فهو كتاب: «نزهة النفوس والأبدان فى تواريخ الزمان» وقد أراده صاحبه أن يكون موسوعة تاريخية بخاصة منذ صدر الإسلام إلى زمنه. ويبدو أن الجزء الأول منه كان خاصًا «بأنساب الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام المتصل بنسب آدم الى أن نصل إلى نسب سيد الأنام ومصباح الظلام» كما يقول هو نفسه فى الجزء الثانى من الكتاب المحفوظ بخطه فى مكتبة رضا رامبور بالهند تحت رقم ٣٥٣٧ ويقع فى ٤٠٠ ورقة. وهذا الجزء الثانى هو الذى سماه المؤلف بـ«الجوهريه فى سيرة الرسول».

٥ - وبعض المؤلفين يفرد هذه «السيرة النبوية الشريفة» ويجعلها كتابًا برأسه مختلفًا عن «نزهة النفوس والأبدان». وقد كان ابن الصيرفى يبرزها لوحدها وقد أخذ بها آراء ابن تغرى بردى، والكافيجى، والأقسراى وغيرهم من كبار أهل العصر فقرظوها وامتدحوه عليها. لكن الأرجح أنها جزء من النزهة، وأن عنوان نزهة النفوس كان «العنوان العام الشامل لسلسلة من المؤلفات التاريخية متصلة الحلقات تعطى الفترة

الإسلامية بأكملها». وما السيرة النبوية سوى جزء منها. ويوجد منها نسخة مصورة يذكر ابن الصيرفي في ختامها «كامل الجزء الثاني من كتاب نزهة النفوس والأبدان... على يد مؤلفه عام سبع وستين وثمانمائة من الهجرة النبوية ويتلوه إن شاء الله تعالى في أول الجزء الثالث ذكر الخلافة وأيام الراشدين». ولكن هذا الجزء لم يصلنا، كما لم تصلنا الأجزاء التالية له، ولعل المؤلف لم يكتبها وبقيت مشروعاً في خاطره، ولكن وصلنا منها الجزء الخاص بدولة الجراكسة في مصر. وهو مخطوط في المكتبة الأهلية في باريس بخط المؤلف، وعليه قراءات وتعليقات بالعربية والفارسية. ومنه نسخة مصورة في دار الكتب بالقاهرة (رقم ١٢٨٦١ ح) وأخرى منسوخة حديثاً في الأزهر كثيرة التصحيف. ومخطوطة باريس تبدأ بالورقة ٢ ب بتولية السلطان برقوق سنة ٧٨٤هـ، وتنتهي في الواقع بالورقة ٢٠٧ أ، وفيها أحداث ذى الحجة سنة ٨٤٩هـ. أما الورقة التالية فتحوى سطرًا لا علاقة له بالموضوع مع تعليق لبعض القراء. ويبدو أن بعض أجزاء المخطوط قد ضاع، ولعله كان يصل إلى سنة ٨٥٤ بدليل السطر الموجود في الورقة الأخيرة. وقد كتبه المؤلف على الطريقة الحولية التقليدية ذاكراً لحوادث في كل سنة متبوعة بالوفيات. وقد نشر الكتاب حسن حبشى في القاهرة في ثلاثة مجلدات (١٩٧٠ - ١٩٧٣ م).

ولعل ما يسميه صاحب «هدية العارفين» بتاريخ مصر وينسبه إلى ابن الصيرفي هو هذا الكتاب.

سابعاً: السخاوى

شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان السخاوى المصرى الشافعى: ولد فى القاهرة سنة ٨٣١ هـ. /١٤٢٨ م وتوفى بالمدينة سنة ٩٠٢ هـ. /١٤٩٧ م.

هو محدث كبير ومؤرخ كبير، ولكنه فى هذا وذاك من كبار الأواخر. كان مع معاصره السيوطى آخر الأنوار اللامعة فى علم الحديث وفى التاريخ، كما كانا آخر الشخصيات الفكرية البارزة التى صنعت النهضة الثقافية الثانية فى التاريخ الإسلامى، فى القرنين الثامن والتاسع للهجرة وآخر الممثلين لهذه النهضة.

والسخاوى من القلائل الذين كتبوا فى التاريخ الإسلامى، تراجمهم بأقلامهم. وهو يكشف لنا أن الصدفة وضعت مسكنه، وهو لما يزل فى الرابعة من العمر، بجوار دار ابن حجر العسقلانى علامة العصر فكان ذلك الجوار قدره الذى حدد مصيره، فقد تتلمذ عليه السخاوى الفتى منذ سنة ٨٣٨ هـ (وهو فى السابعة) وظل ملازماً له دون انقطاع ١٤ سنة... إلى أن توفى ابن حجر (سنة ٨٥٢ هـ). وقد تركت هذه السنوات

أعمق الانطباع فى نفس السخاوى بقية عمره، فكان فى الجهد العلمى وفى أوان الاهتمام الثقافى استمراراً لابن حجر على مدى نصف قرن.

قرأ السخاوى على أستاذه ابن حجر الكتب والمتون الكثيرة فى الحديث خاصة، وفى التاريخ والتراجم، ولكنه لم يهمل الأخذ عن شيوخ العصر بعده، فقد أخذ وأكثر عن حوالى أربعمائة شيخ فى مصر نفسها، وفى دمياط ومكة والمدينة والقدس والخليل ونابلس ودمشق وحمص وحماء وحلب... وحصل فى رحلاته التى استمرت عدة أعوام مع الحديث والتاريخ علوم القراءة والنحو والفقه والبلاغة والتصوف... فلما عاد إلى القاهرة كان قد نضج النضج كله فجلس للإقراء والتدريس فى أعظم مدارسها: الكاملية والظاهرية والصرغتمشية والبرقوقية والفاضلية... وخاصة بخانقاه سعيد السعداء، وكانت يومذاك أبرز الدور الصوفية فى مصر.

وقد أكثر السخاوى من الحج حين تقدم به العمر (حج ست مرات وكان ينتهز الحج ليجاور ويقرى ويدرس حتى غدت مكة أشبه بالوطن الثانى له. وقد نأى بنفسه عن الأعمال العامة فى السنوات الأربع الأخيرة من عمره، وإن تكاثر عليه الدارسون والطلاب فى منزله. وحين سافر لحجته السابعة وتنقل على عادته بين مكة والمدينة فى الإقراء والتدريس وافاه الأجل فى المدينة وهو فى الحادية والسبعين.

والسخاوى محدث كبير، فتراثه الغزير ينصب بخاصة فى علوم الحديث. ولكنه ضمن هذا الإطار أيضاً كان المؤرخ الكبير، لأنه فى هذا الميدان الكثير والهام من المؤلفات التاريخية. وقد عدد السخاوى بنفسه مؤلفاته فى ترجمته التى كتبها لنفسه وهى تستغرق عدة صفحات، وتبلغ زهاء المائتين. وبين الكتب والرسائل فى الفنون والعلوم المختلفة نجد فى التاريخ ربعها، أى حوالى خمسين مؤلفاً، منها ما طبع، ومنها ما لا يزال مخطوطاً، ومنها ما هو ضائع. ومجمل الموجود منها لا يكاد يبلغ الثلث، فله:

١ - كتاب «الضوء اللامع فى علماء القرن التاسع» وهو موسوعة حافلة. وقد نهج فيه نهج شيخه ابن حجر فى «الدرر الكامنة»، وإن كان رتبته على الحروف. وهو مطبوع أكثر من مرة منذ سنة ١٣٥٤هـ. / ١٩٣٦م. فى اثنى عشر جزءاً مع الفهارس، ولا نجد ضرورة لذكر مخطوطاته مع وجود المطبوع. ويمكن أن يعتبر دائرة معارف عصره فى علماء هذا القرن.. غير أنه كان شديد الصراحة والقسوة أحياناً فيه، فلم يسلم من نقده سوى شيخه ابن حجر، وأنحى به على مجموع أعلام عصره كالسيوطى والبقاعى والمقرئى وابن تغرى بردى وابن خلدون. وقد اختصم بسبب قلمه المرير مع الكثيرين. وهذا ما دفع السيوطى إلى التشنيع عليه فى مقالة سماها «الكاوى فى تاريخ السخاوى»، ثم عاد عليه كرة أخرى فى كتابه «نظم العقبان» (ص ١٥٢).

وقد انتخب منه مجموعة من التراجم اثنان من رجال القرن العاشر:

• زين الدين عمر بن أحمد الشماع المتوفى سنة ٩٣٦هـ/١٥٣٥م. فى كتاب سماه «القبس الحاوى لغرر ضوء السخاوى».

• شهاب الدين أحمد بن العز الشهير بابن عبد السلام المتوفى سنة ٩٣١هـ وسماه: «البدر الطالع فى الضوء اللامع» وهو مخطوط فى الأحمديّة بتونس تحت رقم ٥٠٣٦ - ف٨.

• ثم اختصر الكتاب الأخير أحمد القسطلانى وسماه «النور الساطع فى مختصر الضوء اللامع».

٢ - «الإعلان بالتويخ لمن ذم (أهل) التاريخ»: وهو الكتاب الوحيد الذى ظهر فى جميع التراث الإسلامى بعدد المؤرخين ويذكر ما ألفوا فى هذا العلم. لكنه كتبه من وجهة نظر دينية، أى كتبه كمحدث لا كمؤرخ فغلب فيه المحدثون الذين عملوا فى التاريخ. كما أنه جعله مختصراً، يكتفى أحياناً باسم الشهرة للرجل ويمضى إلى غيره. وقد أبان فيه عن علم غزير على أى حال، وسد ثغرة ما سدها غيره من قبل إلا بشكل جزئى جداً. ومنه مخطوطات عديدة فى القاهرة وحلب واستامبول وليدن. وقد طبع الكتاب فى مطبعة الترقى بدمشق (سنة ١٣٤٩هـ/١٩٣١م)، ثم طبعه الدكتور صالح أحمد العلى أثناء ترجمته لكتاب روزنتال «علم التاريخ عند المسلمين». وأفرده لوحده كذلك، ذاكرًا الشروح الواسعة التى أتى بها روزنتال عليه.

٣ - «التبر المسبوك فى ذيل السلوك» وقد ذيل فيه على كتاب السلوك للمقريزى فى عدة مجلدات. ومن المجلد الأول نسخة ملكية هامة ومشكلة فى أيا صوفيا باستامبول برقم ٣١١٣ كتبت سنة ٨٨٠هـ/١٤٤٦م. فى منزل السخاوى نفسه، ونقلًا عنه، وتبدأ بحوادث ووفيات سنة ٨٤٥هـ التى توفى فيها المقريزى. والكتاب مطبوع.

٤ - «الجواهر والدرر فى ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر»: ومنه نسخة بخط السخاوى فى مكتبة أحمد برقم ٢٩٩١ فى ٣٤٥ ورقة، ونسخة أخرى فى باريس رقم ٢١٠٥ فى مجلدين، وثمة نسخة مصورة فى دار الكتب بمصر تحت رقم ٤٧٦٨ تاريخ فى مجلدين صورت عن نسخة باريس، وثمة نسخة أخرى فى الأحقاف بترميم (مجموعة الكاف ٣٩٦) فى ٢٥٣ ورقة. وقد نشر قسمًا منها صالح أحمد العلى أثناء ترجمته لكتاب روزنتال. والقطعة ثبت مفصل بالسير وكتابها فى التاريخ الإسلامى.

٥ - «بغية العلماء والرواة فى الدليل على كتاب شيخى فى القضاة، أو «ذيل رفع الإصر» ومنه نسخة خدابخش فى بتنه رقم ٣٠٨٨ وهى مجلدان، وثمة نسخة أخرى

برقم ٩٣٠ تاريخ، ومنه مخطوط المدينة رقم ٥٠٢ فى ١٣٢ ورقة، ومخطوط دار الكتب بمصر رقم ٥٢٨٩ تاريخ وهو مصور عن مخطوط آخر فى سوهاج هو بخط السخاوى نفسه فى مجلد.

٦ - «التحفة اللطيفة فى تاريخ (أو فضلاء) المدينة الشريفة»: منه الجزء الأول (من إبراهيم إلى محمد بن مبارك) فى مخطوط طوبقابو ٥٢٧، ٦٤٨١ كتب سنة ٩٥٢هـ فى ٨٥١ ورقة. ومنه الثلث الثالث والأخير (من محمد بن محمد حتى النهاية) فى المكتبة ذاتها برقم ٦٤٨٢، ٥١٢ فى ٤٠٧ ورقات كتب سنة ٨٨٢هـ وسنة ٩٠٤هـ، ومنه نسخ مخطوطة أخرى فى المدينة تحت رقم ٥٢٧ فى ٨١٥١ ورقة .

وقد نشره حامد الفقى فى ثلاثة أجزاء فى القاهرة ما بين سنتى ١٩٥٧-١٩٥٨، وفى كل فهرس لمن ترجم السخاوى له : الأول ٥٤١ ترجمة، والثانى ٤٨٣، والثالث ٤٨٣ (مطبعة السنة المحمدية).

٧- «الذيل على دول الإسلام» (الذهبي) : ومنه مخطوط فى أكسفورد رقم ٣٤٩، ٦١١ وآخر فى برلين رقم ٦٤٦٣، وعنوانه «وجيز الكلام فى الذيل على الإسلام»، وثالثة فى دار الكتب الوطنية فى تونس فى ٢٧٤ ورقة برقم ٦٨٥٦ (ضمن مجموع من ورقة ٧٨-٣٦١ ورابعة فى مكتبة كوبر يللى باستامبول (رقم ١١٨٩) وعليها خط المؤلف فى مواضع عدة كأنه صححها، وقد كتبت فى حياته فى ٢٢٨ ورقة ونسخة فى العبدلية الصادقية بتونس رقمها ٢٩١٦ فى ٢٨٢ ورقة «باسم الذيل التام على دول الإسلام»، وهو يبدأ من سنة ٧٤٥) باختصار جدا إلا فى السنين المتأخرة.

٨- «تاريخ خلفاء وسلاطين مصر» : ألفه سنة ٩٠٠هـ وهو مختصر منه مخطوط فى أيا صوفيا تحت رقم ٣٢٦٦.

٩- «الشذور فى أسماء الرجال» : وأوله «هذا جزء رتبته فيه أسماء جماعة أجازوا للرضى الطبرى وللصلاح ابن أبى عمر وعائشة ابنة عبد الهادى و... و... غير ملتزم الاستيعاب ولا أن بعضهم لم يسمع عن بعض...» والأسماء مرتبة فيه على حروف المعجم . ومنه مخطوط نقل عن خط المؤلف فى ٢٥ ورقة فى مكتبة خدابخش فى بتنه رقم ٢٨٩٥.

١٠- كتاب «تراجم الشيوخ الذين لقيتهم فى الشام ومصر» : ولعلها طبعة من أحد أئبائه التى دونها فى رحلاته، وهى كثيرة، ذكرها الكنانى فى فهرس الفهارس (٣٣٧/١) ومنه مخطوط رواق الشوام فى الأزهر رقم ٤٨ تاريخ فى تسع ورقات .

١١- «المنهل العذب الروى فى ترجمة قطب الأولياء النووى»: ذكر فيه سيرة

النورى وشيوخه ومصنفاته وتلاميذه . ومنه مخطوط كتب فى حياة المؤلف نقلا عن خطه فى المدرسة النظامية فى حيدر آباد رقم ١٣١ سير (خمسين ورقة).

١٢- «رجحان الكفة فى أخبار أهل الصفة»: ومخطوطته لدى الجمعية الأسيوية فى كلكتا تحت رقم ١٣٢١-٣١٤١ ف.

١٣- «بغية العلماء والرواة فى ذيل الطبقات» لابن الجزرى : مخطوط فى ٦٨ ورقة فى مكتبة فيض الله باستومبول رقم ١٥١٤ .

١٤- «إرشاد الغاوى بل إسعاد الطالب والرواى للإعلام بترجمة السخاوى»: ومنه مخطوط ليدن رقم ١١٠٦ .

١٥- «معجم من حملت عنه (شيوخه)»: ومنه مخطوط فى باريس فى ثلاث مجلدات ضخمة .

١٦- «ما رواه الواعون فى أخبار الطاعون»: وهو مخطوط ضمن رسائل فى مكتبة يحيى باشا فى الموصل تحت رقم ٢٥٦ س س ر .

١٧- «تلخيص تاريخ اليمن»

١٨- «مسيرة الإمام ابن عربى»: وهو حافل لا مزيد عليه . وقد كتب هذه السيرة أيضا كل من النقى الفاسى والعلاء البخارى والكمال إمام الكاملية وبرهان الدين البقاعى وهو يسميه «القول المنبى عن ترجمة ابن عربى» .

١٩- شرح سيرة مغلطاي المنظومة «وتمت عليه وأرجو تحريره وإبرازه» .

٢٠- «التاريخ المحيط» فى نحو ٣٠٠ رزمة .

٢١- كتاب «طبقات المالكية» وقد جرده من المدارك ورتبه ترتيبا معتبرا .

٢٢- «الشفاء (أو الشافى) من الألم فى وفيات الأمم»: (ثبت وفيات فى القرنين الثامن والتاسع مرتب على السنين) ويسميه السخاوى : «الشفاء من الألم فى وفيات القرنين الأخيرين من العرب والعجم» .

٢٣- «منتقى تاريخ مكة» .

٢٤- «ختم السيرة لابن هشام» .

٢٥- «القول النافع فى بيان المساجد والجوامع» .

٢٦- «كتاب الكنى» مجلد .

٢٧- «كتاب الألقاب» مجلد باسم «عمدة الأصحاب» .

- ٢٨- «بهجة الناظر في الحكايات والنوادر».
- ٢٩- «الاهتمام بترجمة الكمال بن همام».
- ٣٠- «أحسن المساعي في إيضاح حوادث البقاعي».
- ٣١- «الاهتمام بترجمة النحوى جمال بن هشام».
- ٣٢- «الإيناس بمناقب بنى العباس».
- ٣٣- «بغية الرواى فى من أخذ عنه السخاوى» (وهو معجم شيوخه) ولعله «معجم من حملت عنه» الموجود فى باريس.
- ٣٤- «التحصيل والبيان فى قصة السيد سليمان».
- ٣٥- «التذكرة» فى مجلدات
- ٣٦- «الجواهر المجموعة والنوادر المسموعة».
- ٣٧- «دفع الالتباس فى ختم سيرة سيد الناس».
- ٣٨- «الرحلة الإسكندرية».
- ٣٩- «الرحلة الحلبية».
- ٤٠- «رفع الشكوك فى مفاخر الملوك».
- ٤١- «رفع القلق والأرق لجمع المبتدعين من الفرق».
- ٤٢- «السيف القاطع فى التاريخ من كتب الوفيات على الأسماء».
- ٤٣- «عمدة الناس فى مناقب سيدنا العباس».
- ٤٤- «العقد الثمين فى مشيخة خطيب المسلمين».
- ٤٥- «فتح القربى فى مشيخة الشهاب القربى».
- ٤٦- «الفخر العلوى فى المولد النبوى».
- ٤٧- «القول المبين فى ترجمة القاضى عضد الدين».
- ٤٨- «القول المرتقى فى ترجمة البيهقى».
- ٤٩- «القول المرتقى فى ختم دلائل النبوة للبيهقى» (ولعله السابق نفسه).
- ٥٠- «القول المعهود فى ما على أهل الذمة من اليهود».

ثامنا: السيوطى

جلال الدين أبو الفضل عبد الرحمن بن أبى بكر بن محمد الخضيرى الأسيوطى المصرى الشافعى : ولد سنة ٨٤٩هـ وتوفى بالقاهرة ٩١١هـ. كان سليل أسرة موسرة، فقد أباه مبكرا ونشأ يتيما. وكان دون الثامنة حين كان يحفظ القرآن، وألفية ابن مالك، والعمدة، ومنهاج الفقه والأصول. وقد شرع فى الاشتغال بالعلم سنة ٨٦٤، فدرس الفقه والنحو والفرائض. كانت سنة فى السابعة عشرة حين وضع أول مؤلف له: «شرح الاستعاذة والبسملة». وقرأ على كبار الشيوخ الفقه والحديث والعربية. ووثق به شيوخه ومنهم تقى الدين الشلى وشرف الدين المناوى وعلم الدين البلقينى وعبى الدين الكافيجى. ولم يكن قد بلغ الخامسة والعشرين حين أفتى وحين جلس لإملاء الحديث. ورزق التجرد فى علوم التفسير والحديث والفقه والنحو والمعانى والبيان والبديع تبجرا ما وقف عليه أحد من شيوخه على حد قوله. كما أحاط بالجدل والتصريف والإنشاء والترسل والفرائض والقراءات والطب واستعصى عليه الحساب!! وكره المنطق!.. وسافر خلال ذلك إلى الشام والحجاز واليمن والهند والمغرب وبلاد التكرور لكنه استقر حين وصل الأربعين فى القاهرة فى بيت على شاطئ النيل محجوب المناظر بالكتب، واشتغل بالتدريس والتأليف، وقد استغرق التأليف حياته. فله فيما يعد الباحثون ما بين ستمائه إلى سبعمائه كتاب ورسالة مما وضعه فى طليعة المكثرين من المؤلفين الذين لم يعرف مثلهم التراث إلا عددا يعد على الأصابع. كان موسوعى الثقافة والاطلاع وانعكس ذلك فى مجموعة تراثه فهو يشمل متنوعات لا تنتهى من جميع المعارف المتاحة فى عصره، فهو خاتمة الأئمة الذى يمثلون الثقافة الإسلامية الشاملة فى عصر غروبها. وكان الإمراء والكبراء يأتون لزيارته ويقدمون له الهدايا فيردها، ويطلبه السلاطين لزيارتهم فيعتذرون، وعبر عن ذلك فى كتاب سماه «ما وراء الأساطين فى عدم التردد إلى السلاطين». وقد أعانه على كثرة المؤلفات انقطاعه الكامل للعلم وكثرة مكتبته وسعة علمه وحفظه وسرعة كتابته. ولو وزع عمره على الأوراق التى كتبها لأصاب اليوم ٤٠ ورقة. على أن القسم الأعظم مما ألف كان جمعا، وتلخيصا وتذييلا على مؤلفات غيره فنصيبه من الإبداع الذاتى جد قليل .

ذكر السيوطى نفسه كتبه فى التاريخ (يوم ألف كتابه حسن المحاضرة وفى هذا الكتاب) فهى تزيد على خمسة وثلاثين كتابا عدا كتبه فى الفنون والعلوم الأخرى من الأدب وفن التفسير والقراءات والحديث الذى يستغرق الكثير، والفقه ومتعلقاته، والعربية ومتعلقاتها، وعدا الأجزاء المفردة فى مسائل مخصوصة وعدا فن الأصول والبيان والتصوف. وتستغرق أسماؤها قرابة ست صفحات من ترجمته لنفسه، غير أنه

زاد فى كتبه التاريخية حتى وفاته، كما زاد الكثير فى غيرها. فعدة كتبه فى التاريخ ومتعلقاته تزيد على مائة مؤلف وإن يكن الكثير منها مما يتصل بالحديث النبوى والتاريخ الدينى. وهذه المؤلفات التاريخية بقى منها:

١- «حسن المحاضرة فى تاريخ مصر والقاهرة»: وهو مؤلف ضخيم فى مجلدين ضمنه بعد ذكر مصر فى القرآن والحديث تاريخها الغابر وفتحها فى الإسلام وخططها، ثم ذكر تراجم من جاءها من الصحابة والتابعين ومن نبغ فيها من الحفاظ والأئمة والقراء والفقهاء والنحويين وأهل الفكر والوعظ والقصص والتاريخ والأدب، وذكر سلاطين مصر وقضاتها وجوامعها ومدارسها والنيل وأحواله، وختم بمختارات من الشعر حول أشجار وفواكه مصر. فهو يشبه فى الخطط المقريزى وإن كان أقل منه بكثير، ويجمع تراجم رجال مصر على الاختصار بشكل شامل. والكتاب مطبوع (بتحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم - بالقاهرة ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م).

٢- «تاريخ الخلفاء» وهو بدوره مؤلف واسع ذكر فيه تراجم الخلفاء وتبسط فى ذكر الخلفاء الراشدين وخلفاء بنى العباس فى بغداد ثم فى مصر. ويختم الكتاب بقصيدة من نظمه. والكتاب مطبوع بتحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد بالقاهرة سنة ١٩٦٤هـ بعد أن طبع فى كلكتا سنة ١٨٩٧هـ وفى لاهور سنة ١٨٨٦هـ وفى القاهرة سنة ١٣٠٥م وفى دلهى سنة ١٣٠٦م وترجم إلى الإنكليزية وطبع سنة ١٨٨١م.

٣- «نظم العقيان فى أعيان الأعيان»: وهو معجم تراجم لرجال عصره، يوازى ويقلد ابن حجر فى «الدرر» والسخاوى فى «الضوء اللامع» والبقاعى فى «عنوان الزمان». ويذكر فى مطلع الشروط التى يجب أن تتوفر فى المؤرخ كأنه يريد التعريض بالسخاوى. وفى الكتاب مائتا ترجمة فحسب لأعلام مختلفين فيهم التتر وفيهم من الشام والعراق وبعض النساء كما أن فيهم ترجمة أقرانه من العلماء. وتناول السخاوى بأقصى النقد. وفى التيمورية مخطوطة منه وأخرى فى ليدن رقم ٢/٤١٦، ٨٧٣ وفى برلين رقم ٤٢/٩٩١٣ وفى الظاهرية بدمشق رقم ٤٥٨٦ وفى الأزهر رقم ٦١٣٥ وعارف حكمة ٩٦ مجاميع. وعلى أساس الأوليين طبع فى نيويورك سنة ١٩٢٧ بتحقيق فيليب حتى فى حوالى مائتى صفحة.

٤- «الشماريخ فى علم التاريخ»: وهى رسالة صغيرة فى ١٥ صفحة جعلها السيوطى من ثلاثة أبواب يتناول فى الأول مبدأ التاريخ، أى مبدأ تاريخ العالم حتى الهجرة، وفى الباب الثانى فوائد التاريخ، وفى الثالث فوائد شتى، منها طريقة احتساب التاريخ بالشهور والأيام. وقد نشر هذه الرسالة المستشرق زايولد (سنة ١٨٩٤م) فى

ليدن وتقع في ١٥ صفحة متوسطة. ثم نشرت في مصر والعراق (سنة ١٩٧١م) ومنها مخطوطات بدار الكتب بمصر وفي برلين والظاهرية ١٤٠ وبرلين وغيرها .

٥- «بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة»: وهو كتاب تراجم لهؤلاء تبلغ ٢٣٠٠ ترجمة فيها إيجاز وتركيز، ومنه مخطوطات عديدة موزعة منها واحدة بخط المؤلف في ليننغراد. لا نجد ضرورة لذكر الباقي بعد أن طبع الكتاب مرات منها في ليدن بعناية المستشرق مرسنجه سنة ١٨٣٩م وأخرى في مصر (الخانجي) سنة ١٣٢٦م ثم في مصر بتحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم سنة ١٩٦٤م. وقد نشره محمد أبو الفضل إبراهيم في القاهرة في سنتي ١٩٦٤ و١٩٦٥م في جزئين ضخمين، وهذا الكتاب هو الموجز الأخير من كتاب ضخيم سماه السيوطي طبقات النحويين وضعه في سبع مجلدات وهو «الطبقات الكبرى» ثم لخصه في مجلد ضخيم هو «الطبقات الوسطى» ثم اختصره ثانية في كتاب «البغية» المطبوع. وقد ضاعت الطبقات والوسطى .

٦- «الحبائك في أخبار الملائك»: منه مخطوط بدار الكتب بمصر وأخرى في الرباط وقد نشره عبد الله الصديق (دار التأليف - القاهرة ١٩٦٤م) في ٢٣٢ صفحة .

٧- «طبقات المفسرين»: وهو مرتب على حروف الهجاء، علقه أبو بكر الداودي تلميذ المصنف (سنة ٩٧٣هـ)، ومنه مخطوط يني جامع في استامبول (رقم ١/٨٧٢) في ٢٢ ورقة وأخرى في الحميدية (١٧٩) في ٧٢ ورقة. وهو غير تام فقد ذكر أن المؤلف لم يتمه. طبع الكتاب في ليدن سنة ١٨٢٩م ثم طبع مصورا بطهران سنة ١٩٦٠م.

٨- «طبقات الحفاظ» لخصه عن الذهبي وذيل عليه من جاء بعده . ومنه مخطوط الحرم المكي في ١٥٠ ورقة (رقم ٨١ تراجم) ومخطوط عارف حكمة في المدينة (رقم ٤٣٣ تاريخ) في ١٣٠ ورقة. وثمة نسخة في دار الكتب بمصر ونسخة رابعة في فيض الله باستامبول رقم ١٤٧٣ في ٢٦٣ ومعها نسخة رقم ١٤٧٤ في ٢٦٩ ورقة. نشره المستشرق وستنفلد (سنة ١٨٣٤م).

٩- «المستظرف من أخبار الجوارى»: وقد نشره صلاح الدين المنجد في بيروت سنة ١٩٦٢ في ثمانين صفحة. ضمن سلسلة رسائل ونصوص الصادرة عن دار الكتاب الجديد ومنه مخطوط في الظاهرية بدمشق وآخر في الأحمديّة بتونس.

١٠- «نزهة الجلساء في أشعار النساء»: نشره المنجد نفسه مع مقدمة وفهارس في ١٣٧ صفحة (دار المكشوف في بيروت ١٩٥٨) ومنه مخطوط في الظاهرية بدمشق رقم ٤٥٦٨ ومخطوط آخر في الخزانة العامة بالرباط.

١١- «تحفة الأريب في نجاة مغنى اللبيب»: ومنه المجلد الثاني مخطوط في فيض الله

فى استامبول رقم ١٤١٣ فى ٣٣٦ ورقة. وبعض منه مخطوط فى الأحمديّة بتونس رقم ٤٧٦٣.

١٢- «المنجم فى المعجم»: وهو معجم شيوخه الذين أخذ عنهم أو أجازوه وقد جعلهم ٣ طبقات ورتبهم على حروف المعجم. ومنه مخطوطة لعلها مسودة المؤلف فى دار الكتب بالقاهرة رقم ٥٢٦ تاريخ .

١٣- «كوكب الروضة فى تاريخ جزيرة الروضة بالقاهرة»: وهو مقامة فيها تاريخ وأشعار وذكر لنهر النيل وما فيه. فرغ منه سنة ٨٩٥هـ ومنه نسخة فى مكتبة الخالدى فى القدس رقم ٢٩٢ فى ٣٠ ورقة وأربع نسخ فى طوبقابو باستامبول منها نسخة قوبلت على نسخة المؤلف (رقمها ٢٤٠٨، ١٦٥٥ فى ٢٤٧ ورقة) والأخرى برقم (٢٩٧٨، ٦١٥٣) والثالثة برقم ١٤٠٢، ٦١٥٤ ورقة والرابعة برقم ٧١٣، ٦١٥٦ فى ٢٨٣ ورقة.

١٤- «لب اللباب فى تحرير الأنساب»: اختصر فيه لباب ابن الأثير وزاد عليه. ومنه مخطوط خدابخش بثنه رقم ٢٤٢٧ فى ٧٠ ورقة ومخطوطات أخرى عديدة فى ليدن (١٣٦-١٣٨) وفى باريس الأول منه رقم ٢٨٠٠ وفى تشيستريتى تحت رقم ٣٩٥٧ فى ١٢٦ ورقة . وفى القاهرة الثانى منه (رقم ٣١٥/٥) وفى سليم آغا باستامبول رقم ١٢١٥، ١١٢٥٢ وفى رضا رامبور الأول (رقم ٦٤٥:٢١٧) وفى بنكيبور (١٧٤٧/١٢) وفى بنته (٣٠٨/٢: ٢٤٢١) ويختصر فيه السيوطى كتاب الأنساب للسمعانى ويذكر حوالى ٩ آلاف اسم مع تفسيرها .

وقد نشره ليدن المستشرق ب.ج. فيث سنة ١٨٣٠-١٨٣٢م والهولندى بطرس فوت سنة ١٨٥١م وأعيد طبعه مصورا فى مكتبة المثنى ببغداد .

١٥- «ذيل على العقود الدرية فى الأمراء المصرية»: للجزار وهى تكملة الأرجوزة وتكملة التكملة . ومنه مخطوط باريس فى المكتبة الأهلية (أول ١٦٠٨). وآخر فى فلورنسا رقم ٣٠١٢ (وهو بشعر الرجز).

١٦- كتاب «الوسائل فى معرفة الأوائل»: وهو مختصر كتاب الأوائل لأبى هلال العسكري (الحسن بن عبد الله المتوفى سنة ٣٩٥هـ/١٠٠٥م). منه ثلاث مخطوطات فى طوبقابو رقم ٥٧٢٦، ٢٣٤٣ فى ٣١ ورقة. ورقم ٥٧٢٧، ٣٠٥٤ ورقم ٥٧٢٨، ٢٤٣٧. ومخطوط بدار الكتب فى مصر وآخر بمكتبة البريدى فى القدس، وقد نشره المستشرق جوخيا سنة ١٨٧٦م ونشره أسعد طلس فى العراق سنة ١٩٥٤م.

١٧- «ما رواه الواعون فى أخبار الطاعون»: ومنه مخطوط كميردج (٨) ١٧٢.

١٨- كتاب «تبييض الصحيفة فى مناقب أبى حنيفة»: ومنه مخطوط الظاهرية بدمشق رقم ٤٧٦٨ فى ٢٦ ورقة. وقد طبع فى حيدر آباد سنة ١٣١٧.

١٩- «در السحابة فى من دخل مصر من الصحابة»: وقد لخص فيه كتاب ابن الربيع الجيزى وزاد عليه ما وجدته فى المصادر الأخرى ورتبه على حروف المعجم. ومنه مخطوط دار الكتب الوطنية بتونس رقم ٣٣١٨ فى ٨٦ ورقة ومخطوط آخر فى دار الكتب بمصر وثالث فى باريس، وقد طبع بمصر ضمن كتاب «حسن المحاضرة» (سنة ١٣٢١م).

٢٠- «أنموذج اللبيب فى خصائص الحبيب (الرسول الأعظم)»: ومنه مخطوطتان فى الظاهرية رقم ١٨٥٧ فى ٢٤ ورقة ورقم ٣٨٦١ فى ١٣ ورقة ومخطوطة فى ليبيا - مكتبة الأوقاف بطرابلس رقم ٢٣ فى ٣١٠ رقات. ومخطوطة فى مكتبة شسترتى رقم ٣١٦١ فى ١١ ورقة، وثمة نسخة فى فيض الله ضمن مجموع.

٢١- «مسالك الحنفا فى والدى المصطفى»: ومنه مخطوط الرباط ١١٩٤ فى مجموع من الورقة ٣٨ب إلى ٦٣ب. وقد اختصره السيوطى فى كتاب أصغر ثم عاد فاختصر الأصغر فى موجز هو:

٢٢- «الدرج المنيفة فى الآباء الشريفة»: يقول فيه إنه ثالث كتاب ألفه فى والدى الرسول ﷺ وهو أخصرهما وأجزهما. ومنه مخطوط الرباط ١٦٣٨ فى مجموع من الورقة ٢٠٣ب إلى ٢٠٧أ.

٢٣- «نسب بعض الصحابة والأشراف وغيرهم من ملوك لتونة والموحدين»: ومنه مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٢٠٢٤ تاريخ فى ٤٠ ورقة. وآخر برقم ٢٠٢٠ ويحمل الاسم نفسه ولكنه ينسب لابن أبى زيد. ونسخة أيضا فى الخزانة العامة بالرباط. ويشك فى نسبة هذا الكتاب للسيوطى.

٢٤- «تزيين الممالك بمناقب الإمام مالك (ابن أنس)»: ومنه مخطوط دار الكتب الوطنية فى تونس رقم ٩٨٣٠ وفى المكتبة التيمورية فى القاهرة.

٢٥- «الأساس فى مناقب بنى العباس»: ومنه مخطوط الأزهرية ٤٠٢٢ تاريخ (٥٣٥٥٥) فى ١١ ورقة. ومخطوط بالتيمورية وثالث فى الخزانة العامة فى الرباط مجموع ١١/١٠٢٧ وعارف حكمت ١٠٨ مجاميع وبرلين ١٥١٨.

٢٦- «التنبئة بمن يبعثه الله على رأس كل مائة»: ومنه مخطوط الرباط رقم ٤٨٦ك فى ١٣ ورقة ومخطوط فى الأسكوريال وثالث فى دار الكتب بمصر.

٢٧- «أسماء المدلسين من رجال الحديث»: ومنه مخطوط الأزهر رقم ٦٠٣

السلوك لمعرفة دول الملوك ٥٣
مصطلح الحديث فى ٥ ورقات .

٢٨- «وثمة من ضمن مجموع واحد فى مكتبة فيض الله رقم ١٤١٣ فى ٣٣٦ ورقة كل من : «العجاجة الزرنبية فى السلالة الزينبية، من ورقة ١٦١ حتى ١٦٨، وهى موجودة أيضا فى عارف حكمت بالمدينة ١٦٢ مجاميع وفى دار الكتب بمصر ٩٢٠٧ ح وفى أسعد أفندى باستامبول مجموع ١٦٩٤ وبرلين ٩٤٠١ وشسترىتى رقم ٥٥٠٠ .

٢٩- «العرض الوردى فى أجمار المهدي، من ورقة ١٧٢ حتى ١٨٣ .

٣٠- «إنباء الأذكىاء بحياة الأنبياء، من ورقة ٢٠٨ حتى ٢١١ .

٣١- «مسالك الحنفا فى والدى المصطفى، من ورقة ٢٣٣-٢٤٧ .

٣٢- «الإعلام بحكم عيسى عليه السلام، من ورقة ٢٠٤ حتى ٢٠٨ (ومنه مخطوط بالتيمورية ٢٤٦٧، ٢٨١٩، ٢٤٦٧ ومخطوطات أخرى فى برلين ٣٥٣٩ وجامع صنعاء مجموع ١٨٧ وأسعد أفندى مجموع ٢٦٠ وشسترىتى ٥١١٢، ٥٥٠٠ وفى الموصل وغيرها) وفى المجموع نفيه، فى آخره نسخة نموذج اللبيب فى خصائص الحبيب .

٣٣- وينسب إليه «إنحاف الأخصا بفضائل المسجد الأقصى»: وهو ينسب أيضا إلى شمس الدين محمد المنهاجى السيوطى (طلس: الكشاف ص ٢٢٠) وحاجى خليفة ينسبه إلى كمال الدين بن أبى شريف. وقد طبع المستشرق لامنغ سنة ١٨١٧ قطعة منه. وهو مخطوط بالحرم المكى رقم ١٩٢ وليدن ١٠٣٢ والمتحف البريطانى (ذيل) ٥٧٢ .

٣٤- وينسب للسيوطى أيضا كتاب «تاريخ السلطان قايتباى» (٨٧٢-٩٠١هـ) والدولة الأيوبية ودول المماليك. ومع أن طريقة الكتاب قريبة من منهاج السيوطى إلا أن أحدا لم يذكر هذا الكتاب له سوى المخطوطة التى تحمل اسمه عليها. وهى فى دار الكتب المصرية بالقاهرة فى ٥٧ لوحة مزدوجة متوسطة ورقمها ٦١ تاريخ .

٣٥- «الرتب النيفة فى فضل السلطنة الشريفة»: وهو مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٢٦٥ مجاميع فى ثلاث ورقات .

٣٦- «التعريف بأداب التأليف»: وهو رسالة صغيرة منها مخطوط دار الكتب بمصر رقم ٣٢ مجاميع فى ٥ ورقات. ومخطوط آخر فى الخزانة العامة بالرباط طبع بعناية إبراهيم السامرائى فى بغداد ثم طبع محققا بعناية عبد الصبور مرزوق سنة ١٩٧٠ .

٣٧- «طبقات الأصوليين»: نسبة لنفسه فى «حسن المحاضرة»، ومنه مخطوط فى

برلين رقم ٤٣/٩٩١٣ .

٥٤ مقدمة التحقيق

٣٨- «طبقات البيانين»: نسبة لنفسه فى «تاريخ الخلفاء» ومنه مخطوط برلين
٢٩/١٠٠٦٣.

٣٩- «طبقات الخطاطين»: نسبة لنفسه فى «تاريخ الخلفاء» ومنه مخطوط برلين
٣٠/١٠٠٦٣

٤٠- «طبقات التابعين».

٤١- «طبقات الشعراء»: نسبة لنفسه فى «حسن المحاضرة».

٤٢- «طبقات الفرضيين»: نسبة لنفسه فى «تاريخ الخلفاء».

٤٣- «ذيل الإنباء عن قبائل الرواة» الأصلى من تأليف ابن عبد البر التمرى
القرطبى المتوفى (سنة ٤٦٣).

٤٤- «الرحلة الفيومية» نسبة لنفسه فى «حسن المحاضرة» ومنها مخطوط فى برلين
رقم ١٥/٦١٥٧.

٤٥- «الرحلة المكية»: نسبة للسيوطى لنفسه فى «حسن المحاضرة» وهى مع
المخطوط السابق فى برلين .

٤٦- «الرحلة الدميائية»: نسبة بدورها لنفسه فى «حسن المحاضرة» ومنها
مخطوط برلين (مع السابقتين) رقم ١٥/٦١٥٧.

٤٧- «رفع الباس عن بنى العباسى»: نسبة للسيوطى لنفسه فى «حسن المحاضرة»
وتحدث عنه .

٤٨- «مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع»: وهو مختصر «معجم البلدان»
لياقوت .

٤٩- «روائد الرجال على تهذيب الكمال»: نسبة لنفسه فى «حسن المحاضرة»
والتهذيب فى الأصل لابن الزكى المتوفى سنة ٦٠٠هـ.

٥٠- «الزوائد على المال فى معرفة الرجال».

٥١- «السماح فى أخبار الرماح»: ومنه مخطوط مصور فى معهد المخطوطات
العربية فى القاهرة رقم ٢٣ فروسية .

٥٢- «إنحاف النبلاء بأخبار الثقلاء»: منه مخطوط بمكتبة الجامع الأزهر وآخر
بالأحمدية بتونس ٤٩٥١، وأوقاف الموصل ٢٤/٨٤ بجامع وبرلين ٥٥٧٩ وليدن
٢٧٧٢، ١٤/٤٧٤.

السلوك لمعرفة دول الملوك ٥٥

٥٣- وإحياء الميت بفضائل أهل البيت: ومنه مخطوطات عديدة فى الظاهرية ١١١٢ حديث، ٥٢٩٦ مجموع وعارف حكمت ١٠٨ مجاميع وخزانة الرباط مجموع ٢/٩٣٦ وجامع صنعاء ٢ تصوف، وكمبردج ٢٠/٢ ودار الكتب بمصر ٢١ مجاميع، و٣٧ مجاميع. وقد طبع فى الهند وفى القاهرة سنة ١٣١٢ وفى فاس.

٥٤- «الازدهار فيما عقد الشعراء من الآثار».

٥٥- «إزهار العروش فى أخبار الجيوش»: وهو مختصر كتابه «رفع شأن الحبشان» ومنه مخطوط التيمورية رقم ٧٢٦ تاريخ وشهيد على بتركيا ٢٨٠٣ وشسترتبى ٤٧١٣ و ٥٤٩١ وثمة مخطوطان آخران أحدهما فى غوطا والثانى فى الأسكوريال ومخطوط فى كوبر يلى ٤٥٨ وفى قورشوتلى رقم ٤/١٤٣.

٥٦- «إسبال الكساء على النساء»: ومنه مخطوط الظاهرية ١١١٧ حديث ومخطوط التيمورية ضمن مجموع.

٥٧- «إسعاف المطا برجال الموطأ»: وقد طبع فى حيدر آباد سنة ١٣١٦هـ. وله مخطوطات بدار الكتب بمصر رقم ٣٤١، ٣٤٢، ٢٣٣ وفى برلين ٩٩٥٨ ومكتبة عارف حكمت بالمدينة ١٩١٩ مجاميع .

٥٨- «أعلام النصر فى إعلام سلطان العصر».

٥٩- «آكام العقيان فى أحكام الحصيان»: ومنه مخطوطات عديدة فى دار الكتب بمصر (٢٧ مجاميع ٥٢١ مجاميع حديث) وفى خضر موت ٣٢٨ وفى الظاهرية ١٠٧ حديث وفى شسترتبى ٥١١٢، ٥٤٩١، ٥٥٠٠ وليدن ٢٧١٦ وبرلين ٤٨١٠/٤٢٦٤ وفى خزانة الرباط .

٦٠- «إنجاز الوعد المنتقى من طبقات ابن سعد»: نسبة إليه صاحب الكشف.

٦١- «إنشأب الكتب فى أنساب الكتب»: ذكر فيه مروياته ومنه مخطوط برلين ٣/٣٠.

٦٢- «الأوج من أخبار عوج»: ومنه نسخة مخطوط آخر فى التيمورية ضمن مجموع، وقد طبع ضمن كتاب السيوطى «الحاوى فى الفتاوى».

٦٣- «الأنوار السنية فى تاريخ الخلفاء والملوك فى مصر السنية»: ومنه مخطوطات برلين ٩٨٢٦، ٩٨٢٥، ٩٨٧٩.

٦٤- «بدائع الزهور فى وقائع الدهور»: وهو تاريخ كبير انتقاه من ٣٢ تاريخا ذكر فيه نوادر الوقائع، ذكره حاجى خليفة فى «كشف الظنون»، من مبدأ الخلق إلى زمانه،

وقد قدم الأنبياء ثم الخفاء ثم الملوك لكنه لم يكمله .

٦٥- «بدل المجهود لخزانة محمود»: نشره فؤاد سيد فى مجلة معهد المخطوطات (المجلد ٤ سنة ١٩٥٨ ص ١٣٤-١٣٦).

٦٦- «بلوغ الأمانة فى الخانقاه الركنية»: نسبه إليه صاحب كشف الظنون .

٦٧- «بهجة الناظر ونزهة الخاطر»: (جمع فيه ما قيل فى مصر ونيلها ومنتزهاتها) من مخطوط دار الكتب المصرية ٣٢ مجاميع .

٦٨- «تحفة الظرفاء بأسماء الخلفاء»: وهى قصيدة رائية نظم فيها أسماء الخلفاء وسنى وفاتهم، ومنها نسخة بدار الكتب فى القاهرة ضمن مجموع يضم «بلبل الروضة» أيضا وطبعت ضمن «تاريخ الخلفاء» للسيوطى.

٦٩- «تحفة الكرام بأخبار الأهرام»: ومنه مخطوط بجامعة بيل فى نيوهافن بالولايات المتحدة وفى برلين ٦١١٢ ودار الكتب بمصر ٧٤٢ مجاميع والأحمدية بتونس/٦١٨٢ وجامعة كمبردج ٢٢٧/١، وخزانة الجليلى بالموصل ٢١/٥ ج ١ ج ٤.

٧٠- «تحفة المذاكر المنتخب من تاريخ ابن عساكر»: نسبه لنفسه فى «حسن المحاضرة». ومنه مخطوط فى برلين ٩٧٨٨/٥.

٧١- «تحفة المهتدين بأسماء المجددين»: وهى أرجوزة فى ٢٧ بيتا منها مخطوط دار الكتب بمصر ضمن مجموع، وقد أكملها الجرجاوى المراغى فى مخطوط بدار الكتب أيضا بخط مؤلفه .

٧٢- «التحفة الظرفية فى السيرة الشريفة»: نسبهإ إليه البغدادى فى «هدية العارفين».

٧٣- «المنهاج السوى فى ترجمة النووى» (الإمام أبى زكريا يحيى بن شرف يحيى الدين المتوفى (سنة ٦٧٦هـ) وقد نشرت فى مصر بتحقيق محمد عيد الخطراوى. ومنها نسخة مخطوطة فى مكتبة توبنغن فى ألمانيا برقم ١٩ فى ٢٣ ورقة ونسخة أخرى فى التيمورية وثالثة فى الأسكوريال .

٧٤- «ترجمة البلقينى» (الإمام قاضى القضاة صالح بن عمر الشافعى المتوفى سنة ٨٦٨هـ): ذكره فى «حسن المحاضرة» .

٧٥- «تبيين الغبى فى تبرئة ابن عربى»: ومنه مخطوط فى رواق الأتراك بالأزهر رقم ٣٦٩٨ وآخر فى دار الكتب فى مصر.

٧٦- «الثغور الباسمة فى مناقب السيدة فاطمة»: ومنه مخطوط ضمن مجموع فى دار الكتب بمصر .

السلوك لمعرفة دول الملوك ٥٧

٧٧- «حاطب ليل وجارف سيل فى معجم الشيوخ»: (وقد ذكرنا برقم ١٢ معجما آخر) ومنه مخطوط عارف حكمت بالمدينة رقم ٢٤٢ تاريخ وعدد صفحاته ٧٢.

٧٨- «الحجج الميينة فى التفضيل بين مكة والمدينة»: من مخطوط فى دار الكتب بمصر وآخر فى الخزانة العامة بالرباط (مجموع ١٠٢٧) وثالث فى برلين ٣/٩٧٥٦ وفى الظاهرية ١١٣٤ حديث عام ٧٦٦٤ فى شستربى رقم ٥١١٢ وفى بلدية الإسكندرية ٣٧٣٥ ح وله طبعة فى الهند .

٧٩- «حلية الأولياء فى طبقاتهم» (أو طبقات الأولياء): نسبه لنفسه فى تاريخ الخلفاء.

٨٠- «الدرارى فى أولاد السرارى (أو النجوم الدرارى)»: ويدافع فيه عن جدته الشركسية. ومنه مخطوط فى دار الكتب بمصر وآخر فى برلين.

٨١- «شد الرحال فى ضبط الرجال»: نسبه إليه صاحب كشف الظنون .

٨٢- «شد المطية للفضل بن غياث وعطية»: نسبه إليه صاحب الكشف .

٨٣- «شرح الإضافة فى منصب الخلافة»: نسبه إليه صاحب الكشف .

٨٤- «العرف الوردى فى أخبار المهدي»: وهو مخطوط فى دار الكتب بمصر ٣٢ مجامع ومطبوع ضمن الحاوى للفتاوى .

٨٥- «عين الإصابة فى مختصر أسد الغابة» (ولعله عين الإصابة فى معرفة الصحابة نفسه).

٨٦- «الفاشوش فى أحكام قراقوش»: ومنه مخطوطان بدار الكتب المصرية كتب أحدهما سنة ١٠٧٧ ضمن مجموع ١٩٤ ومجموع ٤١٦ . وفى برلين ٨٤١١ وفى شستربى ٥٤٩١ وقد طبع فى مصر سنة ١٣١١.

٨٧- «القول المشيد فى وقف المؤيد»: طبع ضمن كتاب الحاوى للفتاوى .

٨٨- «الكاوى فى تاريخ السخاوى»: (وهى إحدى مقاماته).

٨٩- «كشف الصلصة عن وصف الزلزلة»: منه مخطوط بالتيمورية فى مصر وآخر فى المكتبة الأهلية فى باريس (رقم ٤٦٥٩) وثالث فى برلين. ورابع فى غوطا وخامس فى المتحف البريطانى وسادس فى كمبردج وثمة نسخة سابعة فى الخزانة العامة بالرباط. ترجمه شيرانجر إلى الإنكليزية باختصار سنة ١٨٤٣م ثم طبع فى لاهور سنة ١٨٩٠م وترجمه إلى الإنكليزية أيضا أمبراسى سنة ١٩٦١م وحققه وطبعه فى المغرب أخيرا عبيد اللطيف السفدانى .

- ٩٠- «كشف النقاب عن الألقاب»: نسبة لنفسه فى «حسن المحاضرة».
- ٩١- «اللمع فى أسماء من وضع»: نسبة لنفسه فى «حسن المحاضرة».
- ٩٢- «مختصر الأحكام السلطانية»: للماوردى نسبة لنفسه فى «حسن المحاضرة».
- ٩٣- «المضبوط فى أخبار أسيوط»: ومنه مخطوط فى برلين رقم ٥٧/٩٨٤٥.
- ٩٤- «المكنون فى ترجمة ذى النون»: ذكره صاحب كشف الظنون . ومنه مخطوط تشسترى ٤٨٦٥ .
- ٩٥- «الملتقط من الدرر الكامنة»: منه مخطوط عارف حكمت بالمدينة رقم ٢١٧ تاريخ وعدد صفحاته ٢٧٢ فى نسخة جيدة .
- ٩٦- «مسألة أولاد على بن أبى طالب»: وهى مقاله فى ثلاث ورقات مخطوطة برواق الأتراك بالأزهر رقم ٣٦٩٨ .
- ٩٧- «المنى فى الكنى»: وهو تلخيص المرصع لابن الأثير . ومنه مخطوط برلين ٧٠١٨ .
- ٩٨- «نثر الهميان فى وفيات الأعيان»: منه مخطوط فى برلين رقم ٤١/٩٩١٣ .
- ٩٩- «النفحة المسكية والتحفة المكية»: ومنه مخطوط الأوقاف بالموصل بجامع ١٩/٣٢ والظاهرية ٤٢٥٥ وفى الأسكوريال ومكتبة فيينا .
- ١٠٠- «والوجيز فى طبقات الشافعية»: منه مخطوط فى ليدن رقم ٢٦٣٩ .
- ١٠١- «الأخبار المستفادة فى من ولى مكة من آل قتادة»: نسبة إليه صاحب كشف الظنون .
- ١٠٢- «الهيئة السنية فى المئة السنية فى الأخبار»: ومنها نسخ جامعة كمبردج ١٢٤٣/١، برلين ٥٦٩٧، الظاهرية ١١٦٥ حديث مجموع ١٢٦ عام ٦٦١٩ وعارف حكمت ١٠٨ بجامع وتشسترى ٤٢٠٥، ٥٤٩١ وفى خزانة الرباط مجموع ١٠٠١ وبشير آغا باستامبول مجموع ٦٥٥ .
- ١٠٣- «الدليل على المغنى فى الضعفاء»: والكتاب الأصلى للذهبي .
- ١٠٤- «شرح تنوير الغبش فى فضل السودان والحش لابن الجوزى»: ومنه مخطوط فى باريس .
- ١٠٥- «ديوان الحيوان خلاصة حياة الحيوان للدميرى»: ومنها مخطوط فى باريس وآخر فى المكتب الهندى .

١٠٦- «الدرارى فى أبناء السرارى: وفيه أسماء الخلفاء المولدين من الجوارى والمخطوطة فى برلين وفى دار الكتب بمصر فى بضع ورقات .

١٠٧- «تخليد الخواص من أكاذيب القصاص: مخطوط عارف حكمت بالمدينة (وهو الثالث ضمن مجموع رقمه ١٢٠ قديم/١٨٨ جديد من ورقة ١٥٢ إلى ١٩٣) وعلى النسخة تعاليق .

١٠٨- «قصيدة لامية فى من ولى الخلافة والملك منذ كانت الخلافة إلى زمن الأشرف برسباى: منها مخطوطة دار الكتب المصرية رقم ٤٧٦٥ .

١٠٩- «تاريخ الصحابة: نسبه لنفسه فى «حسن المحاضرة» .

١١٠- «عين الإصابة فى معرفة الصحابة»: نسبه لنفسه فى «حسن المحاضرة». وذكر فى «كشف الظنون» أنه يتمه .

١١١- «رفع شأن الحبشان»: ومنه مخطوط فى الخزانة التيمورية وآخر فى الأسكوريال وفى كوبريللى باستامبول رقم ٤٥٨ وفى قورشوتلى هناك أيضا برقم ٤/١٤٣ .

١١٢- «ريح التسرين فىمن عاش من الصحابة مائة وعشرين»: ومنه مخطوط فى الأسكوريال وآخر فى الخزانة العامة فى الرباط. وفى شسترتى رقم ٥١١٢، ٥٤٩١ ودار الكتب المصرية ٥٢١ مجاميع ٥٣٠ مجاميع .

١١٣- «من وافقت كنيته كنية زوجه من الصحابة»: منه مخطوطة ضمن مجموع فى الخزانة العامة بالرباط .

١١٤- «الأقوال المتبعة فى مناقب الأئمة الأربعة»: ومنه مخطوط الخزانة العامة بالرباط .

١١٥- «تحفة النابه بتلخيص المتشابه»: نسبه لنفسه فى «حسن المحاضرة» .

١١٦- «طبقات الكتاب»: نسبه لنفسه فى «حسن المحاضرة» .

١١٧- «حسن التلخيص لتالى التلخيص»: وهو ذيل على التالى والأصل كتاب «وتلخيص المتشابه» للخطيب البغدادى .

١١٨- «تاريخ العمر»: نسبه السيوطى فى «حسن المحاضرة» وهو ذيل على «إنباء الغمر» لابن حجر .

١١٩- «ذيل (حياة) الحيوان للدميرى: فرغ منه السيوطى سنة ٩٠١ .

١٢٠- «الزبرجد فى التاريخ»: نسبه إليه حاجى خليفة فى كشف الظنون .

- ١٢١- «سبل الهدى فى السير»: نسبة إليه حاجى خليفة فى الكشف .
- ١٢٢- «تزيين الممالك بمناقب الإمام مالك»: ومنه مخطوط فى التيمورية وآخر فى الأسكوريال . وقد طبع فى المطبعة الخيرية بمصر سنة ١٣٢٥هـ .
- ١٢٣- «نسب البوصيرى»: ومنه نسخة مخطوطة فى دار الكتب بمصر .
- ١٢٤- «العجائب فى تفضيل المشارق على المغرب»: نسبة إليه حاجى خليفة فى «كشف الظنون» ومنه مخطوط برلين ٤/٦٠٥٨ .
- ١٢٥- «فضائل الشام»: ومنه مخطوط فى مكتبة جامعة برنستون فى الولايات المتحدة .
- ١٢٦- «حسن النية فى الخانقاه البيرونية»: نسبة إليه حاجى خليفة فى الكشف .
- ١٢٧- «المزدهى فى روضة المشتهى»: نسبة إليه حاجى خليفة (ولعله تاريخه للروضة الجزيرة فى النيل) .
- ١٢٨- «طبقات الكتاب»: ومنه مخطوط برلين ٣١/١٠٠٦٣ .
- ١٢٩- «طبقات النحاة الكبرى»: ومنه مخطوط فى مكتبة رئيس الكتاب باستامبول رقم ١١٦١ .
- ١٣٠- «فريدة التبيان ونزهة الحفاظ والإخوان»: وقد طبع فى مصر سنة ١٣٢٢ ونسخته فى دار الكتب رقم ٢١٣٦ .
- ١٣١- «الدر الثمين فى أسماء المصنفين»: ومنه مخطوط برلين ٤/٣٠ .
- ١٣٢- «الأخبار المروية فى سبب وضع العربية»: ومنه مخطوطتان ضمن مجموعين فى الخزانة العامة بالرباط . وهو مطبوع ضمن مجموعة «التحف البهية والطرفة الشهية» الصادرة عن مطبعة الجوائب سنة ١٣٠٢هـ .
- ١٣٣- «دقائق الأخبار المروية فى سبب وضع العربية» (ولعله المؤلف السابق) .
- ١٣٤- «نثر الهميان فى وفيات الأعيان»: ذكره السيوطى فى فهرست مؤلفاته فى التاريخ ذكر ذلك صاحب الكشف .
- ١٣٥- «ورقات الوفيات»: ذكره السيوطى فى فهرست مؤلفاته فى التاريخ .
- ١٣٦- «تحفة العجلان فى فضل عثمان»: وهو أربعون حديثا فى فضل عثمان ومناقبة ومزاياء، منه مخطوط التيمورية ومخطوط أوقاف بغداد .
- ١٣٧- «ساجعة الحرم»: ومنه مخطوط الخزانة فى الرباط (مجموع ١٠٢٧) ودار

السلوك لمعرفة دول الملوك ٦١
الكتب في مصر ٣٦٠ وبرلين ٨٥٦١.

١٣٨- «الدرر في فضل عمر»: وهو أربعون حديثا في فضله ومزاياه منه مخطوط في الخزانة التيمورية بمصر.

١٣٩- «الروض الأنيق في فضل الصديق»: نسبة لنفسه في «حسن المحاصرة».

١٤٠- «القول الجلى في فضل على»: وهو أربعون حديثا في مناقبه، منه مخطوط في التيمورية بمصر.

١٤١- «مقامات السيوطي»: وهي ٣٧ مقامة بعضها بطل على التاريخ كالكاوى في تاريخ السخاوى. ومنها مخطوطات في مكينات عديدة عامة وخاصة. وقد طبع بعضها مفردا وطبعت منها مجموعات غير كاملة في مصر والهند وتركيا.

١٤٢- «طبقات المفسرين» ولم يتمه على ما ذكر صاحب «كشف الظنون».

١٤٣- «بذل الجهود في خزانة محمود»: وقد نشره فؤاد فى مجلة معهد المخطوطات (مجلد ٤ سنة ١٩٥٨ ص ١٣٤).

تاسعا: ابن إياس

أبو البركات زين العابدين (أبو شهاب الدين) محمد بن أحمد بن إياس الجركسى الأصل الناصرى القاهرى: ولد فى القاهرة سنة ٨٥٢هـ. /١٤٤٨م وتوفى بها سنة ٩٣٠هـ/١٥٢٣م. مؤخر عصر الانهيار المملوكى والسنوات الأولى من الحكم العثمانى وهو سليل أسرة من القواد الشراكسة الأمراء (كانوا قديما من أجناد الحلقة) ثم صاروا من «أولاد الناس» ولا نجد أى ترجمة وافية لابن إياس لدى المعاصرين له، ولعلمهم لم يكونوا يعيرونه أى اهتمام. كما أن الأدب التاريخى كان قد أدركه الانحطاط فلم يكن لما كتب ابن إياس أى رونق أدبى، ولم تحظ كتابته الشبيهة بالعامية بأى تقدير. ومعلوماتنا عن أسرته وعنه إنما نأخذها من ثنايا كتبه نفسها والإشارات التى فيها. ومنها أن لابن إياس خمسة وعشرين أخا لم يبق منهم سوى ثلاثة: هو وأخوه وأخته وكان أخوه يشغل وظيفة الزردكاش (خازن الأسلحة). وقد نشأ ابن إياس بهذا الشكل فى أسرة ذات يسار، ودرس على اثنين من كبار علماء عصره: السيوطى وعبد الباسط ابن خليل الحنفى المؤرخ والفقير (توفى سنة ٩٢٠هـ/ ١٥١٤م). وقد اتجه إلى التاريخ لأنه كان على ما يبدو المركب الأسهل الخالى من ضرورات الإسناد كالحديث وتعقيدات الفقه، وقسوة اللغة وفهم أسرارها.

وعلى الرغم من أن ابن إياس لم يكن يملك الحس التاريخى المرهف كسابقه، ولا اللغة الصحيحة اللازمة للكتابة الحسنة المتينة، ولا الثقافة الضرورية للدقة والمتانة، إلا أنه

كان المخطوط الوحيد بين جميع من سبقه فى أن جميع كتبه قد حفظت وبقيت، وفى أنه كان الشاهد المعاصر الوحيد على الانقلاب التاريخى الذى جرى بين انهيار المماليك وبين العصر العثمانى. ولذلك اعتمده المستشرقون كثيرا وأبرزوا اسمه رغم قلة تراثه التاريخى بالنسبة إلى تراث الآخرين ممن سبقوه، ورغم أسلوبه الضعيف المفكك وجوئه إلى تكرار النعوت والأوصاف وإلى العامة أحيانا فى التعبير بسبب ضعفه الأصيل فى البيان واللغة.

كتب ابن إياس خمسة كتب فى التاريخ هى:

١- «بدائع الزهور فى وقائع الدهور» ويبدو أنه كان يخطط فيه لعمل تاريخ عام وإسلامى لمصر حتى عهده، فإننا نجد أنه يذكر فى خطبته أنه لخصه من نحو سبعة وثلاثين كتابا وذكر فيه فضائل مصر وأخبارها منذ البدء حتى سنة ٩٢٨هـ، كما نجد أيضا فى المخطوطات المحفوظة منه فى متحف الأوقاف باستامبول الأجزاء التالية وهى جميعا بخط المؤلف:

المخطوط الاول رقم ٢١٤٩: من مبدأ التاريخ حتى ذكر طرف يسيرة من أخبار ملوك العرب فى الجاهلية، فى ٢٨٢ ورقة .

المخطوط الثانى رقم ٢١٥٠: جزء من أول سيرة النبى إلى أواسط الدولة العبيدية، فى ٢١١ ورقة .

المخطوط الثالث رقم ٢١٥١: جزء من أول حوادث سنة ٧٨٩هـ إلى أول ذكر سلطنة الملك المنصور عز الدين، فى ٢٣٨ ورقة .

المخطوط الرابع رقم ٢١٥٢: الجزء السابع من أول ذكر عود الملك الناصر فرج بن برقوق إلى السلطنة الثانية فى رجب (سنة ٩٠٢) فى ٢١٢ ورقة .

المخطوط الخامس رقم ٢١٥٣: من أول حوادث سنة ٨٩١هـ إلى ١٥ محرم سنة ٩١٤هـ، فى ٢١٨ ورقة .

المخطوط السادس رقم ٢١٥٤: الجزء العاشر من أول حوادث سنة ٩١٣هـ إلى آخر الكتاب فى ٢٣٣ ورقة .

وثمة بخط المؤلف مجلدان فى مكتبة فاتح باستامبول :

الجزء الرابع: وينتهى بآخر سنة ٧٤٢هـ بمكتبة فاتح رقم ٤١٩٧، فى ٢٥٤ ورقة.

الجزء الخامس: ويبدأ بذكر سلطنة علاء الدين بن الناصر محمد بن قلاوون سنة ٧٤٢ إلى آخر سنة ٧٨٨، فى ٢٢١ ورقة برقم ٤٢٠٠.

والعرض التاريخي في الأجزاء الأولى منها سطحي مقتضب، وقد يتبسط أحيانا دون مناسبة، لكنه يظل يتوسع كلما اقترب من عصره دون تعمق، ولكن مع ازدياد في التفاصيل وينقلب إلى الإسهاب منذ بدء القرن التاسع فإذا كانت أواخر هذا القرن - وهو العصر الذي عاش فيه ابن إياس وشهد حوادثه - ألفيته يجعل من التاريخ نوعا من السجل اليومي كأنه صحيفة يومية تجمع الحوادث العامة مع الخاصة. وتملأ مجلدين كبيرين أو أكثر، وفي هذا يتميز ابن إياس عن سابقه من المؤرخين .

وثمة من هذا الكتاب مجلد مخطوط يبدأ بسلطنة الأشرف إينال العلامي (سنة ٧٥٨هـ) وينتهي إلى سنة ٩٠٦هـ في ٢٩٣ ورقة . وهو مخطوط خدأ بنخش ٢٣١٩ . كما أن ثمة المجلد الأخير من نسخة أخرى، مخروم الآخر يبدأ بحوادث سنة ٩٢٢هـ في عهد السلطان الغوري، وينتهي أثناء حوادث ذى العقدة سنة ٩٢٧هـ وهو في الأصفية بحيدر آباد رقم ٣٠٨ تاريخ، في ٢٢٤ ورقة .

وكانت مطبعة بولاق قد أصدرت سنة ١٣١١هـ / ١٨٩٤م طبعة من «بدائع الزهور»، يعالج الجزء الأول منها تاريخ مصر كله حتى (سنة ٨١٥هـ). في حين يعالج الجزء الثاني ما بين سنة ٨١٥ و٩٠٦هـ أي حتى نهاية حكم العادل طومان باي وفي الثالث من سنة ٩٢٢هـ إلى سنة ٩٢٨هـ / ١٥١٦-١٥٢٢م. أي حتى نهاية حكم المملوكي الأخير الأشرف طومان باي. وسقطت من الطبعة فترة السلطان الغوري (٩٠٦-٩٢١هـ / ١٥٠١-١٥١٥م). وظلت هذه الفجوة قائمة حتى تبين بعد ذلك أمران:

الأول - أن ما نشرته بولاق باسم «بدائع الزهور» كان ناقصا ومشوها فكأنه مختصر سيء للكتاب أو موجز له نفسه وضعه ابن إياس نفسه بدليل أنه يشير في هذه الطبعة إلى أن من شاء أن ينظر ما وقع في الديار فينظر إلى الجزء الخامس من تاريخنا بدائع الزهور ...

الثاني - أن الفجوة الناقصة موجودة في مخطوطات أخرى في ليننغراد وباريس تمتد ما بين سنة ٨٧٢ و٩٢٨هـ / ١٤٦٧ حتى ١٥٢٢م أي تضم الفترة التي كان ابن إياس فيها شاهد العصر المباشر. وقد نشرت هذه القطعة من البدائع بعناية جمعية المستشرقين الألمان . نشرها باول كاله، الأستاذ بجامعة بون بمعونة محمد مصطفى مدرس العربية هناك والمستشرق سوهر نهايم في مجلد من ٥٠٠ صفحة كبيرة (استامبول ١٩٣١) وبين في مقدمة له وبمقارنة النصوص أن هذا المجلد هو الجزء المكمل لطبعة بولاق، وهو يستند إلى مخطوط باريس رقم ١٨٢٤ ومخطوط لينغراد رقم ٤٦ في المتحف الآسيوي. ويضم الأول ما بين سنتي ٩١٣-٩٢١هـ، وهو منقول عن نسخة

المؤلف، فى حين يضم الثانى ما بين سنتى ٩٢٢ ونهاية الكتاب .

وقد عاد المستشرق كاله وزميلاه فنشروا فى استامبول سنة ١٩٣٢م نسا جديدا لهذا القسم نفسه وصفوه بأنه الجزء الخامس . وفى النص الجديد فروق عديدة عن السابق سواء من حيث الاستيعاب أو المدى أو الترتيب، ثم قام العلماء أنفسهم بنشر نص آخر يتضمن تاريخ ما بين سنتى ٨٧٢-٩٠٦ أى من السنة التى توقف عندها ابن تغرى بردى إلى مطالع القرن التالى (استامبول ١٩٣٦) وسموا هذا الجزء بالجزء الثانى .

ويلاحظ أنه فى حين كتبت الأحداث فى الجزء الخامس وحتى سنة ٩٢٢هـ بأسلوب مفكك أشبه بالعامى كتب القسم الأخير بعناية وبلغة مزخرفة، مما دعا المستشرق ك. فولرز إلى التشكك فى أن يكون ابن إياس هو كاتب القسم الأخير . ولكن المستشرق سوبر نهائم عزا ذلك إلى امتزاج نصين: أحدهما كتب على أنه صحيفة شخصية، والثانى كنت ليكون النص الرسمى. وهو يتضمن الكثير عن حياة الحكام فى القاهرة والبلاط فى تلك الآونة مما يعطيه قيمة تاريخية كبيرة. ومن الملاحظ أن موقفه من الفتح التركى العثمانى تغير. ففى حين كان يسهب فى مظالم الأتراك حين فتحوا مصر ويصف مذابحهم ونهبهم، يعود فى أواخر كتابه فيهدئ من لهجته إن لم يكن يمدح السلطان ويشربه.

٢- «جواهر السلوك فى أخبار الأمم والملوك»: وهو مختصر الكتاب السابق . ومنه مخطوطات عدة فى : كميردج ٧٤ وهى مخرومة الآخر فى ٤٢٩ ورقة، وفى دار الكتب المصرية ٦٢٠٣/ تاريخ ف ٦٤٨، ومخطوط طوبقباو ٣٠٢٦، ٦١٦٢ فى ١٦٠ ورقة، (فى أحمد الثالث) ومخطوط المتحف البريطانى رقم ٦٨٥٤. وفى الأزهر نسخة كتبت سنة ٩١٦، وأخرى فى باريس رقم ٦٧٣٩. وفى الكتاب تاريخ عام لمصر منذ الفتح الإسلامى حتى سلطنة الظاهر (أبى سعيد قانصوه سنة ٩٠٤هـ) ووفاة المتوكل على الله سنة ٩٠٣هـ، وبلوغ المستمسك بالله (أبى النصر يعقوب بن عبد العزيز بن يعقوب) .

ومن الجدير بالذكر أنه ثمة كتابا بالعنوان نفسه مجهول المؤلف فى المتحف البريطانى رقم ٦٨٥٤.

٣- «نشق الأزهار فى عجائب الأقطار»: يقول فى مطلعته: «... لما طالعت كتب تواريخ الأمم الخالية ورأيت ما فيها من العجائب المتوالية فأجبت أن أجمع كتابا أذكر فيه من أعجب ما سمعته وأغرب ما رأيت قاصدا فيه الاختصار لكى لا يطول التأليف...» ولكنه ذكر فيه عجائب مصر وسير ملوكها، وطلاسم اليرابى فيها، وأخبار النيل والأهرام، وخطط مصر وما قيل فيها وأقاليمها... وله مخطوطات عديدة : فى الرباط تحت رقم ١٢٣د فى ٢٢١ ورقة وفى مكتبة المسجد الأقصى رقم ٥٧٩ عام فى ٣٠٠

ورقة تقريبا . وفي المتحف البريطاني رقم ٧٥٠٣ فى ٢٩٤ ورقة . ومنه فى المكتبة الأهلية بباريس أربع نسخ تحمل الأرقام : ٢٢٠٨ فى ٤١٠ وورقات، و٢٢٠٩ فى ٣٨٠ ورقة، و٢٢١٠ فى ٥٤ ورقة، و٢٢١١ فى ٤٨ ورقة . وقد استخدم هذا الكتاب بشكل واسع فى القرن التاسع عشر فى أوروبا . ومنه فى استامبول أربع نسخ، وفى تركيا:

- نسخة مكتبة رئيس الكتاب رقم ١٠١١ كتبت سنة ١٠٢٤ فى ٣٣٥ ورقة .
- نسخة مكتبة كوتاهية وحيد باشا رقم ٢٢٣٠ متبت سنة ١٠٢٤ فى ٣١٦ ورقة.
- نسخة نور عثمانية رقم ٣٠٣٩ كتبت سنة ١٠١١ فى ٢٤٤ ورقة .
- نسخة حكيم أوغلى رقم ٨١٥ كتبت فى القرن العاشر فى ٣٩٤ ورقة .

٤- «نزهة الأمم فى العجائب والحكم»: وقلما عرفه الباحثون. ومنه نسخة نقلت عن خط المؤلف (سنة ٨٠١هـ) تليها أوراق فى ذكر مدينة الفسطاط، مخطوطة فى أينا صوفيا رقم ٣٥٠٠، فى ٢٨٠ ورقة، ومصور فى جامعة القاهرة تحت رقم ٢٢٩٦٣.

٥- «المنتظم فى بدء الدنيا وتاريخ الأمم»: فى ثلاثة مجلدات كاملة مخطوطة فى أحمد الثالث باستامبول نحن رقم ٢٩٠٩، ويشكك بعض المؤرخين فى نسبتها إليه لأنه مطابق لكتاب البدء والتاريخ وينتهى مثله سنة ٣٥٥.

٦- وثمة كتاب «مرج الزهور فى وقائع الدهور»: وهو تاريخ شعبى للأنبياء والرسل. وقد لا يكون من تأليفه.

عاشرا: ابن أبى السرور البكرى

محمد بن محمد بن أبى السرور شمس الدين البكرى سليل الأسرة البكرية : ولد سنة ١٠٠٥هـ/١٥٩٦م بالقاهرة وتوفى بها سنة ١٠٦٠هـ./١٦٥٠م. وقد كان آخر أضواء المدرسة المصرية المملوكية وإن عاش فى العصر العثمانى وأرخ له. ويبدو أنه درس فى القاهرة، وكان على صلة بأولياء الحكم العثمانى وبالولاية منهم مما سمح له أن يكتب فى تاريخ الفتح العثمانى لمصر، وفى سير الولاية والقضاة.

ذكر حدود أرض مصر وجباتها وأقطارها على سبيل الاختصار

اعلم أن التحديد هو صفة المحدود وهو نهاية الشيء. قال أبو الصلت أمية الأندلسي: إن حد مصر في الطول من مدينة برقة التي في جنوب البحر الرومي إلى آيلة من ساحل الخليج، الخارج من بحر الحبشة والزنج والهند والصين، ومسافة ذلك قريب من أربعين يوماً، وحدها في العرض من مدينة أسوان وأعمالها من الصعيد الأعلى المزاحم لأرض النوبة إلى الرشيد وما حاذها من مسافة النيل في البحر الرومي، ومسافة ذلك من ثلاثين يوماً ويكتنفها في العرض إلى متنهاها جبلان أحدهما في الضفة الشرقية من النيل وهو من المقطمة والآخر من الضفة الغربية وضيعهما من لدن أسوان أن ينتهيا إلى الفسطاط، إلى حين ويمر بسبع مسافة ما بينهما، وينفرج قليلاً تأخذ المقطمة منها شرقاً والآخر مغرباً، ثم يتسع في أرض مصر من الفسطاط إلى ساحل البحر الرومي الذي عليه الفرما وتيس ودمياط ورشيد والإسكندرية، ومن هنا ينقطع في عرضها الذي هو مسافة ما بين أولها في الجنوب وأوغلها في الشمال.

* * *

ذكر اشتقاق مصر ومعناها وتعداد أسماءها

ويقال كان اسمها في الدهر الأول قبل الطوفان «جزله»، ثم سميت «مصر»، وقد اختلف أهل العلم عن المعنى الذي من أجله سميت هذه الأرض بمصر. فقال: قوم سميت بمصر بن مركابيل بن دواييل بن عريان بن آدم عليه السلام، وهو مصر الأول، وقيل: بل سميت بمصر الثاني وهو مصرام بن نقراوش الجبار بن مصريم بن تيصر بن حام بن نوح عليه السلام وذلك بعد الطوفان وهو اسم أعجمي لا ينصرف.

وقال آخرون: هو اسم عربي مشتق فأما من ذهب إلى أن مصر اسم أعجمي فإنه استدل إلى ما رواه أهل العلم بالأخبار من نزول مصريم بن بنيصر بهذه الأرض، وقسمها بين أولاده فعرفت به.

وذكر أبو الحسن السعودي في كتاب أخبار الزمان: أن بنى نوح عليه السلام لما تحاسدوا وبغى بعضهم على بعض، ركب نقراوش في نيف وسبعين من كبار قومه جبابرة، وكلهم يطلبون موضعاً من الأرض يقطنون فيه، فلم يزالوا يمشون حتى وصلوا إلى النيل، فلما طالوا في المشى رأوا سعة البلد وحسنها أعجبهم، قالوا: هذا بلد زرع وعمارة أقاموا فيه واستوطنوه وبنوا فيه الأبنية المحكمة والمصانع العجيبة، وبنى نقراوش مصر، ونزل بها فلم يزل مطلعاً.

وقد كان وقع إليه من العلوم التي كان روامل قد علمها لآدم عليه السلام، فلم يزل يقهر الجبابرة الذين كانوا قبله وملوكهم، ثم أمر أن تبنى له مدينة مكان خيمته، فقطعوا

الصخور من الجبال وآثار معادن الرصاص، وبنوا وزرعوا الأرض، ثم أمر ببناء المدائن والقرى وأسكن كل ناحية من الأرض أقاربه وأصحابه، ثم أمر بجفر النيل حتى أخرجوا ماء إليهم ولم يكن قبل ذلك معتدل مجريانه، وإنما كان ينبطح ويتفرق فى الأرض حتى وجه إلى التوبة، وهندسوه وساقوا منه أنهاراً إلى مواضع كثيرة من المدن.

وقيل أن قليمون الكاهن خرج من مصر وألحق بنوح عليه السلام، وأمن به هو وأهله وولده وتلاميذه، وركب معه فى السفينة وزوج ابنته بنىصر بن حام بن نوح عليه السلام، فلما خرج نوح من السفينة وقسم الأرض بين أولاده وكانت ابنة قليمون قد ولدت لبنىصر ابناً سماه مصرام، فقال قليمون لنوح: ابعث معى يا نبى الله ولد ابنتى حتى أمضى به بلدى «يعنى مصر»، وأظهره على كنوزه وأوقفه على علومه ورموزه، فأرسله نوح عليه السلام مع جماعته من أهل بيته، فلما قرب من مصر بنى له عريشاً من أغصان الشجر وستره بحشيش الأرض، ثم بنى له بعد ذلك فى هذا الموضع مدينة سماها درسان أى الجنة، وزرع وغرس فيها الأشجار فصارت هناك زروع وعمارة، وكان الذى مع مصرام جبابرة فقطعوا الصخور وبنوا المعالم والمصانع وأقاموا أرغد عيش، ويقال أنه لما غرست الأشجار بمصر فكانت ثمارها عظيمة بحيث تشق الأترجة نصفين البعير نصفها، وكان القثاء فى طول أربعة عشر شيراً.

وقيل أن مصرام أول من صنع السفن بالنيل، وأن سفينته كانت طولها ثلاثمائة ذراع فى عرض مائة ذراع، ويقال أن مصرام نكح امرأة من بنات الكهنة فولدت له ولداً، يقال له قبطيم، ونكح قبطيم بعد سبعين سنة من عمره امرأة فولدت له أربعة نفر: قبطيم وأشمون وأتريب وصا، فكثروا وعمروا الأرض وبورك فيها، وقيل إنه كان عدد من وصل معهم ثلاثين رجلاً، فبنوا مدينة سموها ناقة، ومعنى ناقة يعنى مدينة ثلاثون بلغتهم وهى منف، وكشف أصحاب قليمون الكاهن عن كنوز مصر وعلومها وآثار المعادن وعمل الطلسمات وعمل الكيمياء، ثم أن مصرام أمرهم عند موته أن يحفروا له فى الأرض سرباً، وأن يفرشوه بالمرمر الأبيض، ويجعلوا فيه جسده ويدفنوا معه جميع ما فى خزائنه من الذهب والجوهر، وكتبوا عليه أسماء الله المانعة تمنع من أخذه فحفروا سرباً طولها مائة وخمسون ذراعاً، وجعلوا فى وسطه مجلساً مصحفاً بصفائح الذهب، وجعلوا له أربعة أبواب على كل باب منهما تمثال من ذهب، عليه تاج مرصع بالجواهر، وهو يجلس على كرسى من ذهب قوائمه من زبرجد، وكتبوا فى صدر كل تمثال آيات مانعة وجعلوا جسده فى جرن مرمر مصفحة بالذهب، وكتبوا على مجلسه مات مصرام بن حام بن نوح عليه السلام بعد سبعمائة عام مضت من أيام الطوفان، ومات ولم يعبد الأصنام ولم يصل إلى هذا المكان أحداً إلا من يكون ولدته سبعة ملوك تدين بدين الملك الديان وذلك آخر الزمان، وجعلوا معه فى ذلك المجلس ألف قطعة من

الزبرجد المخروط وألف تمثال من الجواهر النفيس وألف برينة مملوءة من الدر الفاخر والصنعة الإلهية، ومن العقاقير والطمسبات العجيبة وسبائك الذهب وسقفوا ذلك الصخور وهالوا فوقها الرمال وذلك عند دير أبي هرمس غربى الأهرام، وهو أول قبر بأرض مصر، وولى ابنه قبطيم الملك.

وقال أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم فى كتاب «فتوح مصر وأخبارها» عن عبد الله بن عباس رضى الله عنه أنه كان لنوح عليه السلام ثلاثة من الولد وهم: سام وحام ويافث وأن نوحاً رغب إلى الله تعالى وسأله أن يرزقه الإجابة فى ولده وذريته حين تكاملوا بالنماء والبركة فوعده بذلك، فنادى نوح ولده فلم يجبه أحد منهم إلا ولده سام فانطلق به معه حتى أتى الجبل فوضع نوح عليه السلام يمينه على سام وشماله على أرفخشذ بن سام وسأل الله تعالى أن تبارك فى سام أفضل البركة وأن يجعل الملك والنبوة فى ولده أرفخشذ، ثم نادى حاماً وتلفت يميناً وشمالاً فلم يجبه ولم يقيم إليه هو ولا أحد من ولده فدعا الله تعالى أن يجعل أولاده أذلاء، وأن يجعلهم عبيد لولد سام، وكان مصر بن بنىصر بن حام نائماً إلى جنب جده، فلما سمع دعاء نوح عليه السلام قام يسعى إليه.

وقال: يا جدى قد أجبك إذ لم يجيبك جدى، ولا أحد من ولده فاجعل لى دعوة من دعائك ففرح نوح بذلك ووضع يده على رأسه، وقال: اللهم أنه قد أجاب دعوتى فبارك فيه وفى ذريته وأسكنه الأرض المباركة التى هى أم البلاد وغوث العباد التى نهرها أفضل الأنهار فيها أفضل البركات وسخر له ولولده الأرض وذلها وقوهم عليها. ثم دعا ولده يافث فلم يجبه ولا أحد من ولده فدعا الله عليهم أن يجعلهم شرار الخلق، وعاش سام مباركاً حتى مات، وكان الملك والنبوة والبركة فى ولده أرفخشذ ابن سام، وكان أكبر ولده.

* * *

ذكر النيل وانبعائه

أعلم أن البحر المحيط بالمعمور إذا خرج منه بحر الهند، افترق قطعاً كما تقدم، وكان منه قطعة تسمى بحر الزنج وهى مما يلي بلاد اليمن وبحر بربر.

وفى هذه القطعة عدة جزائر منها جزيرة القمر بضم القاف وإسكان الميم ثم راء مهملة يقال لهذه الجزيرة أيضاً جزيرة ملاى وطولها أربعة أشهر فى عرض عشرين يوماً إلى أقل من ذلك. وهذه الجزيرة تحاذى جزيرة سرنديب وفيها عدة بلاد كثيرة منها قمرية، وإليها نسب الطائر القمرى، ويقال أن بهذه الجزيرة خشب منحوت من خشب طول ساقه ستون ذراعاً بجذف على ظهر مائة وستون رجلاً، وأن هذه الجزيرة ضاقت

بأهلها فبنوا على الساحل محلات يسكنونها فى سطح جبل يعرف بهم ويقال جبل القمر.

واعلم أن ذلك الجبال متسعة من الجبل بغالب معمور الأرض وهو المسمى بجبل قاف وهو أم الجبال كلها متشعبة منه فتصل فى موضع وتنقطع فى آخر، وهو كالدائرة لا يعرف لها أول إذا كانت الحلقة مستديرة لا يعرف طرفاها، وإن لم تكن استدارته كرية، ولكنها استدارة إحاطة.

وزعم قوم أن أمهات الجبال جبلان: خرج أحدهما من البحر المحيط بالغرب وأخذ جنوبا، وخرج الآخر من البحر الرومى وأخذ شمالا حتى تلاقيا عند السد، وسموا الجنوبي قاف، فيعرف بذلك فى الجنوب ويعرف فى الشمال بجبل قاقونا. ومبدأ هذا الجبل المحيط من كتف السد أخذنا من وراء صنم الخط المسجوج إليه إلى شعبته الخارجة منه المعمول بها باب الصين أخذ على غربى صين الصين ثم يعطف على جنوبه مستقيما فى نهاية المشرق على جانب البحر المحيط مع الفرجة المنفرجة بينه وبين البحر الهندى الداخلة، ثم ينقطع عند مخرج البحر الهندى المحيط مع خط الاستواء حيث الطول مائة وسبعون درجة ثم يتصل مع شعبة البحر الهندى الملاقى لشعبة المحيط الخارجة على بحر الظلمات من المشرق بجنوب كثيرة من وراء مخرج البحر الهندى فى الجنوب، ويبقى الظلمات بين هاتين الشعبتين شعبة المحيط الجائية على جنوب الظلمات شرقا ويخرج البحر الهندى الجائية على الظلمات حتى تلاقيا الشعبتان عند مخرج هذا الجبل كتفصيل السراويل ثم ينفرج برأس البحرين المتلاقين ^٥ - ان على مبدأ هذا الجبل، ويبقى هذا الجبل بينهما كأنه خارج من نفس الماء.

ومبدأ هذا الجبل هنا وراء قبة عن شرقها وبعده منها خمس عشر درجة يقال لهذا الجبل فى أوله المجرد ثم يمتد حتى ينتهى فى القسم الغربى إلى طول خمس وستون درجة من أول المغرب، وهناك يتشعب من الجبل المذكور جبل القمر، وينصب منه النيل وبه أحجار براقه كالفضة تلالاً تسمى ضحكة الباهت، كل من نظرها ضحك والتصق بها حتى يموت، ويسمى حجر مغناطيس الناس ويتشعب منه شعب يسمى أسيفى، أهله كالوحوش ثم ينفرج منه فرجة ويمر منه شعب إلى نهاية المغرب فى البحر المحيط يسمى جبل وحشية به سباع لها قرون طوال الأنفاق ويعطف دون ذلك تلك الفرجة من جبل قاف شعب منها شعبتان إلى خط الاستواء يلتقيان بجرى النيل من المشرق والمغرب، فالشرقى يعرف بجبل قاقول، وينقطع عند خط الاستواء والغرب يعرف بادمرية بجرى عليه نيل السودان المسمى ببحر الدمام وينقطع بتلقاء مجالات الحبشة ما بين مدينتى سمغرة وحيمى وراء هذه الشعبة، ويمتد شعبة منه هى الأم من الموضع المعروف فيه الجبل بأسيفى المذكور إلى خط الاستواء حيث الطول هناك عشرون درجة ويعرف هناك كرسقانة وبه وحوش ضاربة.

ثم ينتهي إلى المحيط وينقطع دونه بفرجة وذلك وراء التكرور عند مدينة قلمتورا ووراء هذا الجبل سودان ناس يقال لهم تمتم يأكلون الناس يتصل الأم من ساحل البحر الشامي في شماله شرقى رومية كبرى مسامتا للشعبة المسماة أدممة المنقطعة بين سمغرة وجيمي لا يكاد يخطها حيث الطول خمس وثلاثون درجة عند أخذها ما بين سردانية وبلنسية وتتناهى وصلة هذه الأم إلى البحر والمحيط على نهاية الشمال قبالة جزيرة بركانية وتبقى منه بقية داخل الجبل ثم تمتد هذه الأم بعد انقطاع لطيف وينعطف مع انعطاف خرجه البحر المحيط في الغرب بشماله على الصقلب المسماة ببحر الأنفلشين ممتداً إلى غاية المشرق ويسمى هناك فاقونا ويبقى وراء البحور الجامدة لشدة البرد، ثم ينعطف من الشمال المشرق جنوباً بتغريب إلى كتف السد الشمالى، فيتلاقى هناك الطوفان وبينهما فى الفرجة المنفرجة سوى ذو القرنين بين الصدفين.

وفى جزيرة القمر ثلاثة أنهار أحدهما فى شرقها أخذ من قنطورا ومعلا، ويأتيها من غربيها، وينصب من جبل فيه قدم آدم عليه السلام. وفى مدينة سبأ ويأخذ ماراً على مدينة فرداً تجرى هناك بحيرة وفى جنوبها مدينة كيما حيث محل السودان الذين يأكلون الناس ويأتيها فى غربيها أيضاً، ويخرج من الجبل المسمى محذوفة الذيل يطوف بمدينة دهما بينه وبين البحر الهندى فى جزيرة بينهما يكون هو محيطاً بها شرقاً وغرباً وجنوباً ويصير لذلك الجزيرة ويتصل شمالها بالبحر الهندى، ويتنفع مدينة قوارة فى غربيه حيث يصب فى البحر الهندى.

ومن جبل القمر يجرج نهر النيل وقد كان يتبدد على وجه الأرض، فلما قدم نقراوش الجبار بن مصرىم الأول بن مركابيل بن دواييل بن غرباب بن آدم عليه السلام إلى أرض مصر ومعه عدة بنى غرباب واستوطنوا بها، وبنوا بها مدينة أمسوس وغيرها من المدائن، حفروا النيل حتى أحرروا ماءه إليهم.

ولم يكن قبل ذلك معتدل الجرى بل ينبطح ويتفرق فى الأرض حتى وجه إلى النوبة الملك نقراوش فهندسوه وساقوا منه أنهار إلى مواضع كثيرة من مدنهم التى بنوها وساقوا منه نهراً إلى مدينة أمسوس ثم لما خربت، ثم خربت أرض مصر بالطوفان وكانت أيام البودشير بن ققط بن مصر بن بيسر بن حام بن نوح عليه السلام، عدل جانبى على النيل تعديلاً ثانياً بعد ما أتلفه الطوفان.

قال الأستاذ إبراهيم بن وصيف شاه فملك البودشير وتجير وهو أول من تكهن وعمل بالسحر واحتجب عن العيون وقد كان أعمامه أشمن وأتريب وصا ملوك على أحيازهم، إلا أنه قهرهم بجبروته وقوته فكان الذكر له كما تجير عليهم أبوه من قبله لأنه كان أكبرهم ولذلك أغضوا عنه.

فيقال أنه أرسل هرمس الكاهن المصرى إلى جبل القمرى الذى يخرج النيل من تحته حتى عمل هناك هيكل التماثيل النحاس وعدل البطيحة التى ينصب فيها ماء النيل. ويقال أنه الذى عدل جانبي النيل وقد كان يقبض وربما انقطع فى مواضع.

وهذا القصر الذى فيه التماثيل النحاس يشتمل على خمس وثمانين صورة، وجعلها هرمس جامعة لما يخرج من ماء النيل بمعاقد مدبرة وقنوات تجرى الماء فيها، وينصب إليها إذا خرج من تحت جبل القمر حتى يدخل من تحت الصورة ويخرج من حلقها، وجعل لها قياسا معلوما بمقاطع وأذرع مقدرة وجعل ما يخرج من هذه الصورة من الماء ينصب إلى الأنهار ثم يصير منها إلى بطيحتين ويخرج منها حتى ينتهى إلى البطيحة الجامعة للماء الذى يخرج من تحت الجبل وعمل لتلك الصورة مقادير بين الماء يكون معه الصلاح بأرض مصر، ويتنفع به أهلها دون الفساد وذلك الانتهاء المصلح ثمانية عشر بالذراع الذى مقداره اثنان وثلاثون إصبعا، وما فضل عن ذلك عدل يبنى تلك الصورة وشمالها إلى مسارب تخرج وتصب فى رمال وغياض لا يتنفع بها من خلف خط الاستواء، ولولا ذلك لغرق ماء النيل البلدان التى يمر بها.

قال: وكان الوليد بن دومع العمليقى قد خرج فى جيش كثيف ينتقل فى البلدان ويقهر ملوكها ليسكن ما يوافقها منها، فلما صار إلى الشام انتهى إليه خبر مصر وعظم قدرها، وأن أمرها قد صار إلى النساء وبأد ملوكها، فوجه غلاما له يقال عون إلى مصر وسار إليها بعده واستباح أهلها وأخذ الأموال وقتل جماعة من كهنتها ثم بدا له أن يخرج ليقف على مصب النيل ويعرف ما بناحيته من الأمم، فأقام ثلاث سنين يستعد لخروجه وخرج فى جيش كثيف، فلم يمر بأمة إلا أبادها ومر على أمم السودان وجاورهم ومر على أرض الذهب فرأى قصابا نابتة من الذهب ولم يزل يسير حتى بلغ البطيحة التى ينصب النيل فيها من الأنهار التى يخرج من تحت جبل القمر، وسار حتى بلغ هيكل الشمس وتجاوزه حتى بلغ جبل القمر وهو جبل عال إنما سمي بجبل القمر، لأن القمر لا يطلع إلا عليه لأنه خارج من تحت خط الاستواء ونظر إلى النيل يخرج من تحته حتى ينتهى إلى خطرتين ثم يخرج منهما إلى نهرين حتى ينتهى إلى خطيرة أخرى، فإذا خط الأستواء مدته يمكن تجرى بناحية نهر مكران بالهند وتلك العين أيضا تخرج من تحت جبل القمر إلى ذلك الوجه، ويقال أن نهر مكران قبل النيل يزيد وينقص وفيه التماسيح والأسماك التى مثل أسماك النيل ووجد الوليد بن دومع العمليقى القصر الذى فيه التماثيل النحاس التى عملها هرمس الأول فى وقت البودشير بن ققطريم بن مصرىم، وقد ذكر قوم من أهل الأثر أن الأنهار الأربعة تخرج من أصل واحد من قبله فى أرض الذهب التى من وراء البحر المظلم وهى سيحون وجيحون والفرات والنيل، وأن تلك الأرض من أرض الجنة، وأن تلك القبة من أزبرجد، وأن الماء قبل أن يسلك

البحر المظلم أحلى من العسل وأطيب رائحة من الكافور وممن وصل إلى هذا المكان رجل من ولد العيص بن إسحاق بن إبراهيم عليهما السلام ووصل إلى تلك القبة وقطع البحر المظلم وكان يقال له حايد.

وقال آخرون: هذه الأنهار تنقسم هذه الأنهار على اثنين وسبعين قسما خذاء اثنين وسبعين لسانا للأمم.

وقال آخرون هذه الأنهار من تلوج تنكاثف ويذيبها الحر فتسيل إلى هذه الأنهار ويشقى من عليها لما يريد الله عز وجل من تدبير خلقه قالوا: ولما بلغ الوليد جبل القمر راق جبلا عظيما عاليا إلى الحلية إلى أن صعد إليه ليرى ما خلفه فأشرف على البحر الأسود الزيتي المنتن، ونظر إلى النيل يجرى عليه كالخيوط الرقاق فأتته من ذلك البحر روائح منتنة، هلك كثيرا من أصحابه من أجلها فأسرع النزول بعد أن كان يهلك.

وذكر قوم أنهم لم يروا هناك شمساً ولا قمراً إلا نوراً أحر كنور الشمس عند غيابها.

وأما ما ذكره عند حايد وقطعة البحر المظلم ماشيا عليه لا يلصق بقدميه منه شيء، وأنه سأل الله تعالى أن يريه منتهى النيل فأعطاه قوة على ذلك فيقال أنه أقام يمشى عليه ثلاثين سنة في عمران، وعشرين سنة في خراب، قالوا: وأقام الوليد في غيبته أربعين سنة وعاد ودخل منف وأقام بمصر واستعبد وأهلها واستباح حرمهم وأموالهم وملكهم مائة وعشرة سنين فابغضوه وسيموه إلى أن ركب في أيامه متصيذا فألقاه فرسه في وهدة فقتله واستراح الناس منه.

وقال قدامة بن جعفر في كتاب الخراج: انبعث النيل من جبل القمر وراء خط الأستواء من عين تجرى منها عشرة أنهار، كل خمسة منها تصب إلى بطيحة ثم يخرج من كل نهران، وتجرى الأنهار الأربعة إلى بطيحة كبيرة في الأقليم الأول، ومن هذه البطيحة يخرج نهر النيل.

وقال في كتاب «نزهة المشتاق في اختراق الأوقاف»، أن هذه البحيرة تسمى بحيرة كورى منسوبة لطائفة من السودان يسكنون حولها متوحشين يأكلون من وقع إليهم من الناس، ومن هذه البحيرة يخرج نهر غانة وبحر الحبشة، فإذا خرج النيل منها يشق بلاد كورى ولهم طائفة من السودان بين كاتم والنوبة، فإذا بلغ دنقلة بمدينة النوبة - عطف من غريبها وانحدر إلى الأقليم الثاني، فيكون على شيطه عمارة النوبة، وفيه هناك جزائر متسعة عامرة بالمدن والقرى، ثم تشرق إلى الجنادل.

وقال المسعودي: رأيت في كتاب جغرافيا: أن النيل مصورا ظاهرا من تحت القمر ومنبعه ومبدأ ظهوره اثني عشر عينا، فتصب تلك المياه إلى بحيرتين هنالك كالبطائح، ثم يجتمع الماء منهما جاريا فيمر برمال هنالك وجبال، ويخرق أرض السودان فيما يلي بلاد

الزنج فيتشعب منه خليخ يصب فى بحر الزنج، ويجرى على وجه الأرض تسعمائة فرسخ فى عامر وغامر من عمران وخراب، حتى يأتى أسوان من صعيد مصر.

وقال فى كتاب هروشيش: أن نهر النيل مخرجه من ريف بحر القلزم ثم يميل إلى ناحية الغرب، فيصير فى وسطه جزيرة، وآخر ذلك يميل إلى ناحية الشمال فيسقى أرض مصر. وقيل أن مخرجه من عين فيما يجاور الجبل ثم يغيب فى الرمال، ثم يخرج غير بعيد فيصير له محبس عظيم، ثم يساير على قفار البشة، ثم يميل على اليسار إلى أرض. قال: ونهر النيل وهو الذى يسمى بأوان مخرجه خفى ولكن ظاهرا إقباله من أرض الحبشة ويصير له هناك محبس عظيم مجراه إليه مائتا ميل. وذكر مخرجه حتى ينتهى إلى البحر.

وقال: وكثيرا ما يوجد فى نهر النيل التماسيح. وإقبال النيل من بحر الحبشة ليس يختلف فيه أحد، وعدة أميال من مخرجه المعروف إلى موقعه مائة ألف وتسعون ألفا وتسعمائة وثلاثون ميلا وماء النيل يجرى على مر كل وهو عذب دفىء والنيل إذا وصل إلى الجنادل كان عند انتهاء مراكب النوبة المنحدار، ومركب الصعيد أقلعا وهناك حجارة مضرسة لمرور المراكب عليها إلا فى أوان زيادة النيل ثم يأخذ على الشمال فيكون على شرقية أسوان من الصعيد الأعلى، ويمر بين الجبلين يكتفيان أعمال مصر. أحدهما شرقى، والآخر غربى، حتى يأتى مدينة فسطاط مصر فيكون بره الشرقى، فإذا تجاوز فسطاط مصر بمسافة يوم صار فرقتين تمر حتى تصب فى بحر الروم عند دمياط وتسمى هذه الفرقة بحر الشرق، والفرقة الأخرى هى عمود النيل ومعظمه يقال لها بحر العرب تمر حتى تصب فى بحر الروم أيضا عند رشيد، وكانت مدينة كبيرة قديم الزمان.

ويقال أن مسافة النيل من منبعه إلى أن يصب فى البحر عند رشيد سبعمائة ومثمانية وأربعون فرسخا، وأنه يجرى فى الخراب أربعة أشهر، وفى بلاد السودان شهرين وفى بلاد الإسلام مسافة شهر.

وذهب بعضهم إلى أن ماء النيل إنما تكون بسبب المد الذى يكون فى البحر، فإذا فاض ماؤه تراجع النيل وفاض على الأراضى، ووضع فى ذلك كتابا حاصله أن حركة البحر التى يقال لها المد والجزر - توجد فى كل يوم وليلة مرتين، وفى كل شهر مرتين، وفى كل سنة مرتين كالمد والجزر اليومى تاع لقرص القمر، ويخرج الشعاع عنه من جنبتي جرم الماء... فإذا كان القمر وسط السماء كان البحر فى غاية المد وإذا كان القمر فى وتد الأرض، فإذا بزغ القمر طالعا من الشرق أو الغرب كان الجزر والمد الشهر يكون عند استقبال القمر للشمس فى نصف الشهر، ويقال له الامتلاء أيضا عند الاجتماع، ويقال له السرار.

والجزر يكون أيضا فى وقتين: عند تربع القمر للشمس فى سابع الشهر، وفى ثامن عشره. والمد السنوى يكون أيضا فى وقتين أحدهما عند حلول الشمس بآخر برج السنبله والأخرى عند حلول الشمس بآخر برج الحوت.

فإن اتفق أن يكون ذلك فى وقت امتلاء أو الاجتماع فإنه حينئذ يجمع الامتلاء الشهرى والسنوى، ويكون عند ذلك البحر فى غاية الفيض، لاسيما أن وقع الاجتماع والامتلاء فى وسط السماء، ووقع مع النيرين أو مع أحدهما أحد الكواكب السيارة فإنه يعظم الفيض.

فإن وقع كوكبان فصاعداً مع أحد النيرين تزايد عظم الفيض، وكانت زيادة النيل تلك السنة عظيمة جداً، وزاد أيضا نهر مهران لا يبلغان غاية زيادتهما لعدم الأنوار التى تثير المياه، ويكون بمصر تلك السنة الغلاء والجزر السنوى يكون حلول الشمس برأسى الجدى والسرطان.

فأما المد اليومى الدافع من البحر المحيط فإنه لا ينتهى فى البحر الخارج من المحيط أكثر من درجة واحدة فلكية، ومساحتها من الأرض نحو من ستين ميلا، ثم ينصرف وانصرافه هو الجزر. وكذلك فى الأودية إذا كانت الأرض.

وهذا المد الشهرى ينتهى إلى أقاصى البحار وهو يمسكها حتى لا تنصب فى البحر المحيط، وحيث المد الشهرى فهناك منتهى ذلك البحر وطره.

وأما المد السنوى فإنه يزيد فى البحار الخارجة عند البحر والمحيط زيادة بينة، وعن هذه الزيادة تكون زيادة النيل وامتلاؤه وامتلاء نهر النيل مهران والديتلو الذى ببلاد السند.

قال: ولما جاء أرسطو إلى مصر مع الإسكندر ورأى مصب النيل، وعلم أنه من المحال أن يكون النيل فى أسوان واديا من الأودية، وما اتحل اتسع حتى أن عرضه فى أسفل ديار مصر لينتهى إلى مائة ميل عند غاية الفيض، وله أفواه كثيرة شارعة فى البحر تسع كل ما يهبط من الميزان فى ذلك الصقع. فرأى محالاً أن يكون الوادى بحيث يضيق أسفله عن حمل ما يأتى به أعلاه مع ضيق أعلاه وسعة أسفله.

فلما رأى ذلك قال: أن ربا ما تستقبل جرية الماء وتردعه فيفيض لذلك قال الإسكندر الأفردوسى: أن المحال أن يكون الريح يردع الماء السائل فى الوادى حتى يفيض أكثر من مائه ميل، ولو كانت الريح تفعل ذلك لكان الماء ينفلت من أسفل الوادى، ويسيل إلى البحر لأن الريح لا تمسك إلا أعلاه ولكن الرياح تقذف الرمل فى أفواه تلك الشوارع التى تقضى إلى البحر، فيعتريها شبه الردم، فيفيض.

قال: وأغفل أن الرمل متخلخل، فالماء يتخلله وينفذه سائلا إلى البحر مع أن الرمل لم يعتل اعتلاء يظهر للحسن، والماء فى كل حين سائل على حلق تيس ودمياط، وحلق رشيد وحلق إسكندرية، ففطنوا لاستحالة كونه سائلا عن سيل حامل ونسبوا توقفه إلى الريح والرمل وهما استقص الهواء واستقص الأرض وأغفلوا الاستقصاء الثالث الذى هو الماء لأنهم لم يعرفوا حركة البحر السنوية لأنها لا تبلغ الغاية إلا فى ثلاثة أشهر، فلا يظهر مقدار صعودها فى يوم للحس وكذلك وضع المقياس بديار مصر.

قال: والمد واحد، وهو أن القمر يقابل الماء، كما تقابل الشمس والأرض فنور القمر إذا قابل كرة الأرض سخنتها كما تسخن الشمس الهواء المحيط بالأرض فيعتري الهواء المحيط بالماء بعض تسخين يذيب الماء، ويتنفس وينمى بخاصته كالمرأة والحرق الملهبة للجو حتى تحرق القطنة الموضوعه بين المرأة والشمس الملهوبة، ما تلقى الشعاع إلى حلقتها فتحترق القطنة أيضا، فالقمر جسم باكتسابه ذلك من الشمس فإذا حال بين الشمس والأرض فيسخن ما قابله فينمى الماء جسم شفاف تخرج عن جانبيه الشعاع كما يخرج عن جانبي الزجاجه فيحدث لها نور يسخن الهواء الذى يحيط بالزجاجه أو الأرض فيعتري الماء شبه تسخين ينمى به ويزيد وذلك قبالة القرص وقبالة مخرج الشعاله من قبالة وتد القمر فهذا هو المد دائما ويستدير باستدارة الفلك، وتدويره لفلك القمر وتدوير فلك القمر للقمر.

والمد الشهرى هو أن يقابل القمر الشمس أو يستتر تحتها، ليس إلا كون القمر قبالة الشمس لكونه فى تربع الشمس أضعف، وفى المقابلة أقوى وكذلك إذا قابلها على وسط كرة الأرض، بحيث الحركه أشد والاكتناف للماء والأرض أعم فذلك هو المد السنوى.

* * *

فصل: فى الرد على من اعتقد أن النيل من سيل يفيض

أما العامة فليس عندهم ما يجيء عليه وجه الأرض إلا سيل. ومن تظن إلى عظمه واتساعه فى أسفله وضيقة فى أعلاه، ولم ينظر إلى ماء ولا أرض ولا هواء، وينسب ذلك إلى الخيال المحض، كما فعل صاحب الكتاب «المسالك والممالك» الذى زعم أن الماء يسافر من كل أرض وموطن إلى النيل تحت الأرض فيمده لأن النيل إنما يفيض فى الخريف، والعيون والآبار فى ذلك الوقت يقل ماؤها، والنيل يكثر فرأوا كثرة وقلة فأضافوا أحدهما إلى الآخر بالخيال.

وقال آخر: إنما ذلك ملك يضع رجله فى الماء فيكثر ويزيلها عن الماء فيقل ومما يدل ذلك أنه ليس على سبيل الخيال أن السيل يكون فى غير وقت فيض البحر فلا يفيض

النيل لكون البحر فى الجزر فيصل السيل نحو البحر فلا يردعه راع، ومنها أن فيض النيل على تدرج مدة ثلاثة أشهر من حلول الشمس برأس السرطان إلى حلولها آخر برج السنبل والناس يحسنون به قبل فيضه بمدة شهرين، ولعامل مصر وسط النيل مقياس موضوع، وهو سارية فيها خطوط يسمونها أذراعا بعا مقدار صعوده فى كل يوم.

ومنها أن فيضه أبدا فى وقت واحد فلو كان بالسيل لاختلف بعض الاختلاف. ومنها أنه قد يجيء السيل فى غير هذا الوقت فلا يفيض. ومنها أن الحذاق بمصر إذا رأوا الحر يزيد علموا أن النيل سيزيد، لأن شدة الحر تذيب الهواء فيذوب الماء ولا يكون إلا عن زيادة كوكب ودنو نور.

ومنها أن موضع مصبه من أسوان إنما هو واد من الأودية وما استحل اتسع حتى يكون عرض اتساعه نحواً من مائة ميل، وأسوان إنما هى منتهى بلوغ الردع فما ظنك بسيل يسيل عرض اتساعه مسيرة نصف شهر لا نسبة بين مصب أعلاه وأسفله كيف كان يكون أعلاه أو كان امتلاء أسفله عن السيل.

ومنها أن أهل أسوان إنما يرقبون بلوغ الردع إليهم مراقبة ويحافظون عليه بالنهار محافظة فإذا جن الليل أخذوا حقه سحاقة خزف، فوضعوا فيها مصباحاً ثم وضعوه على حجر معد عندهم لذلك، وجعلوا يرقبونه فإذا أطفى المصباح طفو الماء عليه، علموا أن الردع قد وصل غاية المعهود عندهم بأخذه فى الجزر، فكتبوا بذلك إلى أمير مصر يعملون أن الدرع قد وصلت غاية المعهود عندهم وأنهم قد أخذوا بقسطهم من الشرب فحيثئذ يأمر بكسر الأسداد التى على أفواه قرص المشارب فيفيض الماء على أرض مصر دفعة واحدة.

ومنها أن جميع تلك المشارب تسد عند ابتداء صعود النيل بالخشب والتراب ليجتمع ما يسيل من المياه العذبة فى النيل ويكثر فيهم بجميع أرضهم ويمنع بجملة دخول الماء الملح عليه فلو كان سيلاً ما احتاج إلى ذلك ولفتح له أفواه قرص المشارب عند ابتداء ظهوره.

ومنها أن الخللجان إذا سدت ولم يكن لها وادع فى البحر، كان السيل يمد من جنبه إلى البحر إذا أسفل النيل واتفع وأخفض من أعلاه.

ومنها أن ماء البحر يصعد أكثر من عشرين ميلاً فى خلف رشيد وتينيس ودمياط كما يفعل فى سائر الأودية التى تدخلها المد والجزر فلو كان النيل خالياً من الماء العذب وصل البحر من أسوان إلى منتهى بلوغ الردع، لأن الماء يطلب بطبعه ما انخفض من الأرض وأن يكون صفحته كرة مستوية الخطوط الخارجة من النقطة إلى المحيط خطوطاً متساوية. ومنها أنها إذا افتحت تلك الأسداد وكسرت الخللجان وفاض ماء

النيل على أرض مصر شعر بذلك أهل أسوان.

وقالوا: في هذه الساعة كسر الخليج بمصر وفاض ماء النيل على أرض مصر لأن ذلك يتبين لهم بجزر الماء دفعة فلو كان سيلا وهم على أعلا المصب، لقالوا: قد ارتفع المطر على الأرض التي يسيل منها السيل ومنها أن القسمة الذي يمر ببلاد الحبشة المنبعث وإياه من جبل القمر لا يفيض كمدة فيض النيل ثلاثة أشهر ولا يقيم على وجه الأرض مدة مقامه لكنه إذا كثر فيه السيل غمر جوانبه على قدر انبساطها فإذا قضيت مدته أردع عليه فلو كان فيض النيل على السيل وهما من شعب واحد لكان شأنهما واحداً.

ولا نقول أن سبب فيض النيل البحر فقط إذ لولا كونه سيل ماء لما دخل ردع البحر إليه ولكان شاطئ ديار مصر كسائر السواحل المجاورة ولولا السيل السائل فيه لردمه البحر إذ عادة البحر ردم السواحل، وإنما دخل الشك على أهل مصر في أمر النيل لأنهم لم يشاهدوا منشأه، ولا عاينوا مبدأه من جبل القمر في موضع لا ساكن ولم يتحققوا المد السنوي الرادع فلم يتحققوا شيء من أمره لأنه بعيد من أذهان العامة أن يعلموا أن ماء البحر يعظم في أيام الصيف لأن المعهود عندهم في البحر أن يعظم في أيام الشتاء وطموا البحر في الشتاء إنما يكون عن الرياح الهابة عليه من أحد جانبيه، فقبض ويخرج إلى الجانب الآخر إلا ما كان من البحر المحيط فإنه يتحرك أبداً من دواخل البحر إلى البر، وهو أن المحيط يطلب بطبعه أن يكون على وجه الأرض ليست بسيطة فهي تمنعه بما فيها من التركيب فهو يطلب أبداً أن يعلوها ويركبها ببردها.

ومن ناظر النيل علم أن سيلاً سأل فيه ولا بد، فإنه لا يزال أيام الشتاء وأوائل الربيع ماؤه صافياً من الكدرة، فإذا قربت أيام زيادته وكان في غاية نقصه تغير طعمه ومال لونه إلى الخضرة، وصار بحيث إذا وضع في إناء يرسب منه شبه أجزاء صغيرة من طحلب. وسبب ذلك أن البطيخة التي في أعالي الجنوب تردها الفيلة ونحوها من الوحوش حتى يتغير ماؤها، فإذا كثرت أمطار الجنوب في فصل الصيف وعظمت السيول الهابطة في هذه البطيخة فاض منها ما تغير من الماء، وجرى إلى أرض مصر، فيقال عند ذلك وتوحم النيل.

ولا يزال الماء كذلك حتى يعقبه ماء متغير ويزداد عكره بزيادة الماء، فإذا فإذا وضع فيه أيام الزيادة في إناء رسب بأسفله طين لم يعهد فيه قبل أيام الزيادة، وهذا الطين هو الذي تحمله السيول التي تنصب في النيل حتى تكون زيادته منها. وفيه يكون الزرع بعد هبوط وإلا فأرض مصر سبخة لا تنبت منها إلا ما مر عليه. قال: والسبب في عظم المد والجزر كثرة الأشعة فإذا زاحمت الشمس والقمر والكواكب السيارة عظيم

فيض البحر، وإذا عظم فيض البحر فاضت الأنهار، وكذلك إذا نهض القمر لمقابلة أحد السيارة ارتفع البخار وصعد إلى كورة الزمهير، ونزل لمطر. فإذا فارق القمر والكواكب ارتفع القمر لكثرة التحليل، كما يكون في نصف النهار عند توسط الشمس لرؤوس الخلق، وكما يكون عند حلول الكواكب الكثيرة على وسط خط أرين... والله أعلم..

قال بعضهم: الذي تحصل من هذا القول أن النيل مخرجه من جبل القمر، وأن زيادته إنما هي من فيض البحر عند المد.

فأما كون مخرجه من جبل القمر فمسلّم إذ لا نزاع في ذلك. وأما كون زيادته لا تكون إلا من ردة البحر له، بما حصل فيه من المد، فليس كذلك. نعم توالى هبوب الرياح الشمالية مغنية على وفور الزيادة وردد البحر له إعانة على الزيادة ماء النيل وركد منه هذا الطين.

وقوله «أن السيل يكون في غير وقت فيض البحر، ولا يفيض النيل لكونه البحر في الجزر، فيصل السيل ويمر نحو البحر فلا يردعه رادع» غير مسلم فإن العادة أن السيول التي عليها زيادة ماء النيل لا يكون إلا عن غزارة ماء الأمطار ببلاد الجنوب، لا يكون إلا في أيام الصيف، ولم يعهد قط زيادة النيل في الشتاء.

وأول دليل على أن كون زيادته عن سيل يسيل فيه إنما يزيد بتدرج على قدر ما يهبط فيه من السيول. وأما استدلاله يصب النيل في أسوان وأتساعه أسفل الأرض، فإنما ذلك يصب من علوى فتخرج بين جبلين يقال لهما الجنادل وينبطح في أراضي حتى يصب في البحر... فاتساعه حيث لا يجد حاجزا يحجزه عن الانبساط.

وأما قوله: «أن الأسداد إذا كثرت فاض الماء على الأرض دفعة» فليس كذلك، بل يصير الماء عند كل سد من الأسداد في كل خليج، ثم يفتح ترع من الخليج إلى الخليج إلى ماجانيبه من الأراضي حتى تروى، فمن تلك الأرض ما يروى سريعاً، ومنها ما يروى بعد أيام. ومنها ما يروى لعلوه.

وأما قوله «أن جميع تلك المشارب تسند عند ابتداء صعود النيل، ليجتمع ما يسيل من الماء في النيل ويكثر، فيعم جميع أرضهم وليمنع بجملته دخول الماء عليه». فغير مسلم أن تكون السداد كما ذكرنا بل أراضي مصر أقسام كثيرة، منها عال لا يصل الماء إلا من زيادة كثيرة، ومنها منخفض يروى من يسير الزيادة، والأراضي متفاوتة في الارتفاع والانخفاض تفاوتاً كثيراً، ولذلك احتيج في بلاد الصعيد إلى حفر الترع، وفي أسفل الأرض إلى عمل الجسور حتى تحبس الماء ليتصرف فيه أهل النواحي على قدر حاجتهم إليه عند الاحتياج وإلا فهو يزيد أولاً في غير وقت سقى الأراضي، حتى إذا

اجتمع من زيادته المقدار الذى هو كفاية الأراضى فى وقت خلو الأرض من الغلال - وذلك غالبا فى أثناء شهر مسرى فيفتح حينئذ الخليج حتى يجرى فيه الماء إلى حد معلوم، ووقف حتى يروى ما تحت ذلك الحد الذى وقف عنده الماء من الأراضى، ثم فتح ذلك الحد فى يوم النيروز حتى يجرى الماء إلى آخر يقف عنده حتى يروى ما تحت هذا الحد الثانى من الأراضى، ثم يفتح هذا الحد فى يوم عيد الصليب بعد النيروز بسبعة عشر يوما حتى يجرى الماء، ويقف على حد ثالث حتى يروى ما تحت هذا الحد من الأراضى، ويصيب فى بحر المالح ... هذا هو الحال فى سدود وأراضى مصر.

وقول «أن ماء البحر يصعد أكثر من عشرين ميلا فى رشيد وتيس ودمياط، فلو كان خاليا من الماء العذب لوصل البحر من أسوان إلى منتهى بلوغ الردع» فيقول: هذا قول من لم يعرف أرض مصر، فإن النيل عندهم مصبه بأعمال أسوان يكون أعلا منه عند كونه أسفل الأرض بقامات عديدة فإذا فاض ماء البحر حبسه أن يتدافع هو وماء النيل فيما بين دمياط وفارسكور. وأما فى أيام زيادة النيل فإنه شوهد مصب النيل فى البحر من دمياط، وكل منهما يدافع الآخر فلا يطيقه، حتى صارا متمانعين وفى منظرهما حينئذ عبره لمن اعتبر.

وقوله «أن الأسداد إذا فتحت علم أهل أسوان بذلك فى الحال» غير مسلم بل لم نزل نشاهد النيل فى الأعوام الكثيرة إذا فتح منه الخليج أو انقطع مقطع فأغرق ماؤه أراضى كثيرة، لا يظهر النقص منه إلا فيما قرب من ذلك الموضع، وأما ما برح المفرد يخرج من قوص ببشارة وفاء النيل، وقد أوفى عندهم ستة عشر ذراعا، فلا يوفى ذلك بمقياس بمصر إلا بعد ثلاثة أيام أو بعدها.

وأما قوله «أن ما كان من النيل يمر ببلاد الحبشة يخالفه» فليس كذلك، بل الزيادة فى أيام زيادته تكون ببلاد النوبة وما وراءها فى الجنوب كما تكون فى أرض مصر، ولا فرق بينهما إلا فى شيئين: أحدهما أنه فى أرض مصر يجرى فى حدود وهناك يتبدد على الأرض. والثانى أن زيادة تعتبر بالقياس فى أرض مصر وهناك لا يمكن قياسه لتبدده ومن عرف أخبار مصر علم أن زيادة ماء النيل تكون عن أمطار الجنوب.

ويقال: أن النيل ينصب من عشرة أنهار من جبل القمر المتقدم ذكره، كل خمسة أنهار من شعبة، ثم تتبحر تلك الأنهار العشرة فى مجريين، كل خمس أنهار تبهر بحيرة بذاتها، ثم يخرج من البحيرة الشرقية بحر لطيف يأخذ شرقا على جبل فاقول، ويمتد إلى مدن هناك ثم يصب فى البحر الهندى ويخرج من البحيرتين أيضا ستة أنهار من كل بحيرة ثلاثة أنهار. وتجتمع الأنهار الستة فى بحيرة متسعة تسمى البطيحة، وفيها جبل يفرق الماء نصفين يخرج أحدهما من غربى البطيحة وهو نيل السودان، ويصير نهرا

يسمى بحر الدمام، يأخذ مغرباً ما بين سمغرة وغانة على جنوبي سمغرة وشمالي غانة، ثم يعطف هنا منه فرقة ترجع جنوباً إلى غانة ثم تمر على مدينة برنسة، ويأخذ تحت جبل في جنوبها خارج خط الاستواء إلى زفيلة ثم تتبحر في بحيرة هناك، وتستمر الفرقة الثانية مغربة إلى بلد مالي والتكرور حتى تنصب في البحر المحيط شمالي مدينة قلبتوب ويخرج النصف متشاملاً أخذاً على الشمال إلى شرقي مدينة جيمي ثم تتشعب منه هناك شعبة تأخذ شرقاً إلى مدينة سحرته بكسر السين والحاء ثم ترجع جنوباً ثم تعطف شرقاً بجنوب إلى مدينة سحرته ثم إلى مدينة مركة، وينتهي إلى خط الاستواء حيث الطول خمس وستون درجة وتتبحر هناك بحيرة ويستمر عمود النيل من قبالة تلك الشعبة شرقي مدينة شيمي متشاملاً أخذاً على أطراف بلاد الحبشة، ثم يشمل على بلاد السودان إلى مدينة دنقلة حتى يرمى على الجنادل إلى أسوان، وينحدر وهو يشق بلاد الصعيد إلى مدينة فسطاط مصر، ويمر حتى يصب في البحر الشامي وقد استقيض ببلاد السودان أن النيل في أصله ينحدر في جبال سوديين على بعد كأن عليها الغمام ثم يتفرق نهرين يصب أحدهما في البحر المحيط إلى جهة بحر الظلمة الجنوبي، والآخر يصل إلى مصر حتى يصب في البحر الشامي ويقال أنه في الجنوب يتفرق سبعة أنهار تدخل في صحراء منقطعة ثم تجتمع الأنهار السبعة ويخرج من تلك الصحراء نهرًا واحدًا في بلاد السودان.

* * *

ذكر مقاييس النيل وزيادته

قال ابن عبد الحكيم: أول من قاس بمصر يوسف عليه السلام. وضع مقياساً بمنف، ثم وضعت العجوز دلوكة ابنة زباء - وهي صاحبة حائط العجوز مقياساً بأنصنا وهو صغير الذراع «ووضع عبد العزيز بن مروان مقياساً بجلوان وهو صغير»، ووضع أسامة ابن زيد التنوخي في خلافة الوليد مقياساً بالجزيرة وهو أكبرها.

قال يحيى بن بكير: أدركت القياس يقاس في مقياس منف ويدخل بزيادته إلى الفسطاط.

وقال القضاعي: كان أول من قاس النيل بمصر يوسف عليه السلام وهو مقياس بمنف، وهو أول مقياس وضعه عليه السلام. وقيل أن النيل يقاس بمصر بأرض علوة كداء إلى أن بنى مقياس منف، وأن القبط كانت تقيس عليه إلى أن بطل.

ومن بعده دلوكة العجوز بنت مقياساً بأنصنا، وهو صغير الذراع ومقياساً آخر بأحميم وهي التي بنت الحائط المحيط بمصر.

وقيل إنهم كانوا يقيسون الماء قبل أن يوضع بالمقياس بالرصاص، فلم يزل المقياس

فيما مضى قبل الفتح بقيسارية الأكسية ومعاملة هناك إلى بنى المسلمون بين الحصين والبحر أبنتهم الباقية الآن.

وكان للروم أيضا مقياسا بالقصر خلف الباب يمنة من يدخل منه من داخل الزقاق أثره قائم إلى اليوم، وقد بنى عليه وحوله، ثم بنى عمرو بن العاص عند فتحه مصر قياسا بأسوان ثم بنى بموضع يقال له دندرة.

ثم بنى فى أيام معاوية مقياس بأصننا، فلم يزل يقاس عليه إلا أن بنى عبد العزيز بن مروان مقياساً بجلوان وكانت منزله، وكان هذا المقياس صغير الذراع.

فأما المقياس القديم الذى بنى فى الجزيرة فالذى وضعه أسامة بن زيد، وقيل أنه كسر فيه ألفى أوقية، وهو الذى بنى بيت المال بمصر ثم كتب أسامة بن زيد التبوخي عامل مصر لسليمان بن عبد الملك ببطلانه وكتب عليه سليمان بأن يبنى مقياساً فى الجزيرة فبناه فى سنة وسبعة وتسعين.

ثم بنى المتوكل فيها مقياسا أول سنة سبع وأربعين ومائتين فى ولاية يزيد بن عبد الله التركي على مصر وهو المقياس الكبير المعروف بالجديد، وأمر بأن يعزل النصرارى عن قياسه، فجعل زيد بن عبد الله على المقياس أبا الرداد المعلم واسمه عبد الله بن عبد السلام بن عبد الله بن أبى الرداد المؤذن كان يقول أصله من البصرة وقدم مصر وأقام بها، وجعل على القياس النيل وأجرى عليه سليمان بن وهب صاحب خراج مصر يومئذ سبعة دنانير فى كل شهر، فلم يزل القياس منذ ذلك الوقت فى يد أبى الرداد وولده إلى اليوم وتوفى أبو الرداد فى سنة ست وستين ومائتين.

ثم ركب أحمد بن طولون فى سنة تسع وخمسين ومعه أبو أيوب صاحب خراجه وبكار بن قتيبة القاضى فنظر إلى المقياس وأمر بإصلاحه وقدر له ألف دينار فعمر بها وبنى الخازن فى الصناعة مقياسا وأثره باق لا يعتمد عليه.

وقال ابن عبد الحكم: ولما فتح عمرو بن العاص مصر أتى أهلها إلى عمرو، حين دخل بؤونة من أشهر القبط، قالوا له: أيها الأمير أن لنيلنا هذا سنة لا يجرى إلا بها. فقال لهم: وما ذاك؟ قالوا: إنه إذا كان لثنتى عشرة ليلة تخلو من هذا الشهر، عمدنا إلى جارية بكر من أبويها وجعلنا عليها من الحلوى والثياب أفضل ما يكون، ثم ألقيناها فى النيل.

قال لهم عمرو: أن هذا لا يكون فى الإسلام، وأن الإسلام يهدم ما قبله، فأقاموا بؤونة وأيبب ومسرى لا يجرى قليلا ولا كثيرا حتى هموا بالجللاء، فلما رأى ذلك عمرو كتب إلى عمر بن الخطاب رضى الله عنه بذلك فكتب إليه عمر: ألم تعلم أن الإسلام يهدم ما قبله وقد بعثت إليك بطاقة فألقها فى داخل النيل.

فلما قدم الكتاب على عمر وفتح البطاقة فإذا فيها: «من عبد الله أمير المؤمنين إلى نيل مصر أما بعد: فإن كنت تجرى من قبلك فلا تجر، وإن كان الله الواحد القهار هو الذى يجريك، فنسأل الله الواحد القهار أن يجريك».

فألقي عمرو البطاقة فى النيل قبل يوم الصليب بيوم، وقد تهيأ أهل مصر للجلاء والخروج منها، لأنه لا يقوم بمصلحتهم فيها إلا النيل، وأصبحوا يوم الصليب وقد أجراه الله تعالى ست عشر ذراعا فى ليلة، وقطع تلك السنة السوء من أهل مصر.

وقال زيد بن أبى حبيب: أن موسى عليه والصلاة والسلام دعا آل فرعون فحبس الله عنهم النيل حتى أرادوا الجلاء، فطلبوا إلى موسى أن يدعو الله، فدعا الله رجاء أن يؤمنوا وذلك فى ليلة الصليب، فأصبحوا وقد أجرى الله فى النيل تلك الساعة ستة عشر ذراعا فاستجاب الله لعمر بن الخطاب، كما استجاب لنبيه موسى عليه السلام.

قال القضاعى: ووجدت فى رسالة منسوبة إلى الحسن بن محمد بن عبد المنعم قال: لما فتحت العرب مصر عرف عمر بن الخطاب ما يلقى أهلها من الغلاء عند وقوف النيل، فضلا عن تقاصره وإن أفرطت الاستشعار يدعوهم إلى الاحتكار، وأن الاحتكار يدعو إلى تصاعد الأسعار للقحط.

فكتب عمر إلى عمرو يسأله عن شرح الحال، فأجابه إنى وجدت ما تروى به مصر حتى لا يقحط أهلها أربع عشر ذراعا، والحد الذى يروى منه سائرها حتى يفضل عن حاجتهم، ويبقى عندهم قوت سنة أخرى ست عشر ذراعا، والنهائيتان والخوفتان فى الزيادة والنقصان وهما الظمأ والاستبحار اثنا عشر ذراعا فى النقصان، وثمان عشر ذراعا فى القبط، وكمال العمارة فيه.

فاستشار أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى ذلك، فأمره أن يكتب إلى عمرو أن يبنى مقياسا وأن ينقص ذارعين على اثنى عشر ذراعا، وأن يقر ما بعدها على الأصل، وأن تنقص من كل ذراع بعد الستة عشر ذراعا إصبعين، ففعل ذلك وبناه بجلوان فاجتمع له بذلك كل ما أراد من حل الإرجاف، وزوال ما منه كان يخاف، بأن جعل الاثنى عشر ذراعا أربعة عشر لأن كل ذراع أربع وعشرون إصبعا، فجعلها ثمانيا وعشرين من أولها إلى الاثنى عشر يكون مبلغ الزيادة على الاثنى عشر ثمانية وأربعين إصبعا، وهى الذراعان وجعل الأربع عشرة ست عشرة، والست عشرة ثمانى عشرة والثمانى عشرة عشرين.

قال القضاعى: وفى هذا الباب نظر فى وقتنا لزيادة الفساد الأنهار وانتقاض الأحوال وشاهد ذلك أن المقاييس القديمة الصعيدية من أولها إلى آخرها أربع وعشرون إصبعا كل ذراع، والمقاييس الإسلامية على ما ذكر منها المقياس الذى بناه أسامة بن

يزيد التنوخى بالجزيرة وهو هدمه الماء، وبنى المأمون آخر بأسفل الأرض بالبروذات، وابن المتوكل آخر بالجزيرة وهو الذى يقاس عليه الماء الآن وقد تقدم ذره.

قال ابن عفير عن القبط المتقدمين: إذا كان الماء فى اثنى عشر يوماً من مسرى اثنتى عشرة ذراعاً، فهى سنة ماؤها ناقص، وإذا تم ستة عشر ذراعاً قبل النوروز، فالماء يتم... فاعلم ذلك.

وقال أبو الصلت: وأما النيل وينبوعه، فهو من وراء خط الاستواء من جبل هناك يعرف بجبل القمر، فإنه يبتدىء فى التزايد فى شهر أبيب. والمصريون يقولون: إذا دخل أبيب كان للماء ديب، وعند ابتدائه فى التزايد يتغير جميع كفياته ويفسد، والسبب فى ذلك مروره بنفائح مياه يخالطها فيجتلبها معه إلى غير ذلك مما يحتمله. فإذا بلغ الماء خمسة عشرة ذراعاً، وزاد فى السادس عشر أصابع، وكسر الخليج والكسر يوم معدود، ومقام مشهود، ويجتمع العام والخاص. فإذا كسر فتحت للترع، وهى فوهات الخلجان ففاض الماء وساح وغمر القيعان والبطاح، وانضم الناس إلى مساكنهم من الضياع والمنازل، وهى على آكام وربى لا ينتهى الماء إليها، ولا يتسلط السيل عليها فتعود أرض مصر بأسرها عند ذلك بحرًا غامرًا لما بين جبلها، ريثما يبلغ الحد المحدود فى مشيئة الله عز وجل وأكثر ذلك يحوم حول ثمانى عشرة ذراعاً.

ثم يأخذ عائداً فى صبه إلى مجرى النيل ومسربه، فينصب أولاً عما كان من الأرض عالياً، ويصير فيما كان منها متطامناً، فيترك كل قرارة كالدراهم، ويغادر كل ملقة كالبرد المسهم.

وقال القاضى أبو الحسن على بن محمد الماوردى فى كتاب «الأحكام السلطانية» وأما الذراع السوداء فهى أطوال من ذراع الدور بإصبع وثلثى إصبع، وأول من وضعها أمير المؤمنين هارون الرشيد، قدرها بذراع خادم أسود كان على رأسه قائماً، وهى التى تتعامل الناس بها فى ذراع البز والتجارة والأبنية وقياس نيل مصر.

وأكثر ما وجد فى القياس من النقصان فى سنة سبع وتسعين ومائة، وجد فى المقياس تسعة أذرع وأحد وعشرون إصبغاً، وأقل ما وجد فيه سنة خمس وستين ومائة فإنه وجد فيه ذراع وأحد عشر إصبغاً. وأكثر ما بلغ فى الزيادة فى سنة تسع وتسعين ومائة فإن بلغ ثمانية عشر ذراعاً وتسعة عشر إصبغاً. وأقل ما كان فى سنة ست وخمسين وثلاثمائة الهلالية فإنه بلغ اثنى عشر ذراعاً وتسع عشر إصبغاً، وهى أيام كافور الأحمشيدى.

والمقياس عمود رخام أبيض مثنى، فى موضع ينحصر فيه الماء عند انسيابه إليه، وهذا العمود مفصل على اثنين وعشرين ذراعاً، كل ذراع مفصل على أربعة وعشرين

قسما متساوية تعرف بالأصابع، ما عدا الاثنى عشر ذراعًا الأولى فإنها مفصلة على ثمان وعشرين إصبعًا كل ذراع.

وقال المسعودى: قالت الهند: زيادة النيل ونقصانه بالسيول، نحن نعرف ذلك بتوالى الأنواء وكثرة الأمطار.

وقالت الروم: لم يزد قط ولم ينقص وإنما زيادته ونقصانه من عيوب كثرت فى شاطئه يراها من سافر ولحق بأعاليه.

وقيل لم يزد قط ولم ينقص وإنما زيادته بريح الشمال، إذا كثرت واتصلت بحبسها فيقبض على وجه الأرض.

وقال قوم: سبب زيادته هبوب ريح تسمى ريح الملتن، وذلك أنها تحمل السحاب الماطر من خلف خط الاستواء، فيمطر ببلاد السودان والحبشة والنوبة، فيأتى مدده إلى أرض مصر، ومع ذلك فإن البحر المالح يقف ماؤه فى وجه النيل، فيتوقف ماؤه حتى تروى البلاد وفى ذلك يقول:

فالنيل ذو فضل ولكنه الشكر فى ذلك للملتن
فاسمع فللسامع أعلى يدًا عندى وأسمى من يد المحسن

ويبتدئ النيل بالتنفس والزيادة بقية بؤونة وأيبب ومسرى فإذا كان الماء زائدًا زاد شهر توت كله إلى انقضائه. فإذا انتهت الزيادة إلى الذراع الثامن عشر ففيه تمام الخراج، وخصب الأرض وهو ضار بالبهايم لعدم الرعى والكلأ.

وآتم الزيادات كلها، العامة النفع للبلد كله، سبعة عشر ذراعًا وفى ذلك كفايتها ورى جميع أراضيها، وإذا زاد على ذلك وبلغ ثمانية عشر ذراعًا استبحر من أرض مصر الربع، وفى ذلك ضرر لبعض الضياع لما ذكرنا فى الاستبحار، وإذا كانت الزيادة على ثمانية عشر ذراعًا وغلقها، وإذا كانت الزيادة على ثمانية عشر ذراعًا، كانت العاقبة فى انصرافه حدوث وباء وأكثر الزيادات ثمانية عشر ذراعًا.

وقد بلغ فى خلافة عمر بن عبد العزيز تسع عشرة ذراعًا، ومساحة الذراع إلى يبلغ اثنى عشر إصبعًا، ومن اثنى عشر ذراعًا إلى ما فوق ذلك يكون الذراع أربعًا وعشرين أذرع، وأقل ما يبقى فى قاع المقياس من الماء ثلاثة أذرع، فى تلك السنة يموت الماء قليلًا.

والأذرع التى يستسقى عليها بمصر هى ذراعان تسمى منكر ونكيرا، وهى الذراع الثالث عشر والذراع الرابع عشر، فإذا انصرف الماء عن هذين الذراعين وزاد نصف الذراع من الخمسة عشر استسقى الناس بمصر، وكان الضرر الشامل لكل البلدان وإذا

تم خمسة عش ذراع ودخل فى الستة عشر ذراعاً كان فيه صلاح لبعض الناس، ولا يستقى فيه، وكان فى ذلك نقص خراج السلطان وأصفى ما يكون ماء النيل فى شهر طوبة بعد الغطاس لعشرة تمضى من طوبة، وأهل مصر يفتخرون بصفاء ماء النيل فى ذلك الوقت، وفيه يخزن الماء أهل تنيس وسائر قرى البحيرة.

وقد كانت مصر كلها تروى فى ستة عشر ذراعاً، لما أحكموا من جسورها وبناء قناطرها وحفر خلجانها، وكانت الماء إذا بلغ فى زيادته تسع أذرع دخل خليجه المنهى خليج الفيوم وخليج سردوس وخليج سخا.

وقد تغير فى زماننا هذا عامة ما تقدم ذكره لفساد حال الجسور والترع والخلجان وقنواته إنه يزيد فى القبط إذا دخلت الشمس برج السرطان وبرج الأسد وبرج السنبله حين تنقص جميع الأنهار، وكذلك أن الأنهار تمده بمائها عند غيضاها فيكون زيادته، فى خامس بؤونة وتظهر الزيادة فى ثانى عشر وأول دفعة فى الزيادة تكون فى ثانى أيب، ومنتهى الزيادة فى الثامن من بابه، ومن هنا يأخذ فى النقصان وذلك فى العشرين من بابه فتكون مدة الزيادة من ابتدائها إلى أن ينقص ثلاثة أشهر وخمسة وعشرون يوماً وهى شهر: أيب ومسرى وتوت وعشرون يوماً من بابه، ومدة مكثفة بعد زياته اثنا عشر يوماً، ثم يأخذ فى النقصان.

ومن العادة أن ينادى عليه دائماً فى السابع والعشرين من بؤونة بعد ما يؤخذ قاعته وهو ما بقى من الماء القديم فى ثالث عشر بؤونة ويفتح الخليج الكبير إذا أكمل الماء ستة عشر ذراعاً.

وكانوا يقولون: نعوذ بالله من إصبع من عشرين، وكان إذا بلغ النيل أصابع من عشرين ذراعاً، فاض ماء النيل، وغرق الضياع والبساتين، وفارت البلاليع، والآن إذا بلغ الماء فى سنة إصبعا من عشرين لا يهيم لما قد فسد من الجسور، وكان إلى بعد الخمسمائة من الهجره قانون النيل ستة عشر ذراعاً فى مقياس الجزيرة، وهى فى الحقيقة ثمانية عشر ذراعاً.

وكانوا يقولون: إذا زاد على ذلك ذراعاً واحداً زاد خراج مصر مائة ألف دينار ولما يروى من الأراضى العالية، فإن بلغ ثمانية عشر ذراعاً كانت الغاية القصوى فإن الثمانية عشر ذراعاً فى مقياس الجزيرة اثنا وعشرون ذراعاً فى الصعيد الأعلى، فإن زاد على الثمانية عشر ذراعاً واحده، نقص من الخراج مائة ألف دينار لما يستجير من الأراضى المنخفضة.

قال ابن ميسر، فى حوادث سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة: وفيها بلغت زيادة ماء النيل تسعة عشر ذراعاً وأربعين وخمسمائة. وفيها بلغت زيادة ماء النيل تسعة عشر

ذراعا وأربعة أصابع، فبلغ الماء الباب الجديد أول الشارع خارج القاهرة، وكان الناس يتوجهون إلى القاهرة في مصر من ناحية المقابر، فلما بلغ الخليفة الحافظ لدين الله أبو الميمون عبد المجيد أن الماء وصل إلى الباب الجديد، أظهر الحزن والانقطاع. فدخل عليه بعض خواصه وسأله عن السبب فأخرج لهم كتابا فإذا فيه «إذا وصل الماء الباب الجديد انتقل الإمام عبد المجيد» ثم قال: فكان الأمر كما ذكر ومرض في آخر السنة، ومات أول سنة أربع وأربعين وخمسمائة.

قال القاضى الفاضل فى متجددات سنة سبع وسبعين وخمسمائة: وفى يوم الإثنين السادس والعشرين من شهر ربيع الأول - وهو السادس عشر من مسرى - وفى النيل على ستة عشر ذراعا، وهو الوفاء، ولا يعرف وفاؤه بهذا التاريخ فى زمن متقدم. وهذا أيضا مما تغير فيه قانون النيل فى زماننا، فإنه صار فى أوائل مسرى، ولقد كان الوفاء فى سنة اثنتى عشرة وثلاثمائة فى اليوم التاسع والعشرين من أيب قبل مسرى بيوم.

وهذا من أعجب ما يؤرخ فى زيادات النيل. واتفق أن فى الحادى عشر من جمادى الأولى سنة تسع وسبعمائة، وفى النيل كان ذلك فى اليوم التاسع عشر من بابه بعد النوروز بتسعة وأربعين.

وقال بعض المفسرين أن يوم وفاء النيل هو اليوم الذى وعد فرعون - موسى عليه السلام - بالاجتماع وذلك قول الله تعالى حاكيا عن فرعون ﴿موعداكم يوم الزينة وأن يحشر الناس ضحى﴾ [سورة طه: ٥٩] وقد جرت العادة أن اجتماع العادة يكون فى هذا الوقت.

ومن أحسن السياسات فى أمر النداء على النيل ما حكاه الفقيه ابن زولاق فى سيرة المعز لدين الله، قال: وفى هذا الشهر يعنى شوال سنة اثنتين وستين وثلاثمائة منع المعز لدين الله من النداء بزيادة النيل، وألا يكتب بذلك إلا إليه وإلى القائد جوهر، فلما أباح النداء - يعنى لما تم ست عشرة ذارعا وكسر الخليج - فانظر وتأمل إلى حسن هذه السياسة، فإن الناس دائما إذا توقف النيل فى أيام زيادته يقلقون من ذلك ويحدثهم أنفسهم بعدم طلوع النيل فى تلك السنة، فيقبضون أيديهم على الغلال ويمتنعون من بيعها، ويجتهد كل من كان معه مال فى اختزان الغلال.

أما لطلب لربح أولاد خار قوت عياله فيحدث بذلك الغلاء فى البلد، فإن زاد المال انحل السعر، وأن توقف ونزل بالعباد بالله وقع الغلاء والقحط فى البلد، فمن أجل ذلك كتم أمر زيادة النيل عن العامة خوفا مما ذكرنا فى اضطراب البلد وتشحط الغلات فكان فى أيامه لإلا يطلع على زياده النيل غيره، وهذا من أعظم فائدة وأجل عائد.

وقال المسيحي قى تاريخ مصر: وخرج الأمر من بعض الملوك مصر إلى ابن حيران بتحرير ما يستفتحون به القياسون فى كلامهم إذا نادوا على النيل فقال ابن حيران: أحسن ما يقولون: نعم لا تحصى من خزائن الله لا تغنى زاد الله فى النيل المبارك كذا وكذا.

وقال القاضى محبى الدين بن عبد الظاهر فى منادى البحر:

قد قلت لما أتى القياس فى يده عود بماء النيل قد عودى وقد نودى
أيام سلطاننا سعد السعود وقد صح القياس يجرى الماء فى العود
وقال المسعودى: ومن عادة نيل مصر إذا كان عند ابتداء زيادة النيل يخضر ماء النيل
فتقول علما أهل مصر قد توحم النيل، ويرون أن الشراب منه حثثذ مضر.

وفى ذلك يقول ابن خطيب داريا:

عجب لنيل ديار مصر لأنه عجب إذا فكرت فيه يعظم
بطاء الأراضى فهى تلعج دائما من مائة وهو الذى تتوحم
والسبب فى اخضراره أن الوحوش ترد البطيحات التى فى أعالى النيل وتستتقع فيها
من كثرة عددها لشدة الحر هناك فيتغير ماء تلك البيطحات من ذلك الوحوش، ولا
سيما الفيلة فإذا وقع فى الجهة الجنوبية فى أوقات معلومة تكاثرت السيول هناك
فيخرج من تلك البطيحات، ما كان فيها من الماء الذى منقطع بها وقد تغير بسبب ما
ذكرناه من الوحوش فيمر إلى أرض مصر وهو مغير اللون والطعم ويحىء عقيه الماء
الجديد من كثرت السيول وهو الزيادة بمصر فحيثذ يكون عمر اللون لما يخالطه من
الطين الحر الذى تاتى به السيول. فإذا تناهت زيادته غشى أرض مصر فتصير القرى
التى فى الأقاليم فوق التلال والروابى قد أحاط بها الماء فلا يوصل إليها إلا فى المراكب
أو على الجسور الممتدة المقدم ذكرها.

وكان للمقياس فى الدولة الفاطمية معلوم منها لكنس مجارى ماء النيل للمقياس فى
كل سنة مائة دينار تصرف من الذخيرة لأبى الرداد، وكان يأتى من مدينة قوص
مركب صغير تسمى المفرد تبشر بوفاء النيل قبل أن يبشر ابن أبى الرداد بثلاثة أيام،
وكان لها على الذخيرة معلوم يسمى المفرد، وكان لها على أرباب الدولة معلوم فى كل
سنة فبطل ذلك من مصر ما بطل، وللشعراء فى ذلك تغزلات كثيرة. فمن ذلك قول
الأديب الفقيسى:

ليهن أحبابى وفى ومفرد وافى به مؤذنا
ما النيل إلا أدمعى بعدكم كلا ولا المفرد إلا أنا

وقال الشيخ زين الدين بن الخراط فى النيل:

يا نيل مصر لك بالوفا أوليتتا بالكسر جبراً دائماً
أوقت قبل الكسر خمس أصابع كرمًا فكانت للوفاء خواتماً
* * *

ذكر الخلجان الذي شقت بأرض مصر من مجرى النيل

اعلم أن النيل إذا انتهت زيادته فتحت منه خلجان وترع يتحرق الماء فيها يمينا وشمالا إلى البلاد البعيدة عن مجرى النيل، وأكثر الخلجان والترع والجسور والأخوار بالوجه البحرى.

أما الوجه القبلى - وهى بلاد الصعيد فإن ذلك قليل فيه، وقد ذهب معاله ودرست رسومه من هنا.

والمشهور من الخلجان: خليج سخا ومنف والنهى وأشموم طنح وسردوس والإسكندرية ودمياط والقاهرة وأبى المنجا والناصرى.

قال ابن عبد الحكم عن أبى رهم السماعى قال: كانت مصر ذات قناطر وجسور بتقدير حتى أن الماء البحرى يجرى تحت منازلها وأقيتها فيحسبونه كيف شاءوا وذلك قول الله تعالى عما حكم عن قوم فرعون ﴿أليس لى ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتى أفلا تبصرون﴾ [سورة الزخرف: ٥١].

قيل لم يكن فى الأرض يومئذ ملك أعظم من ملك مصر، وكانت الجنات بحافتى النيل من أوله إلى آخره فى الجانبين جميعاً - ما بين أسوان إلى رشيد وسبع لجان متصلة لا ينقطع منها شىء عن شىء، والزرع من بين الجبلين من أول مصر إلى آخرها مما يبلغه الماء.

وكان جميع أرض مصر كلها تروى من ستة عشر ذراعا، لما قدروا وديروا من قناطرها وخلجانها وجسورها فذلك قوله عز وجل ﴿كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم﴾ [سورة الدخان: ٢٥، ٢٦] قيل المقام الكريم أن قام بها ألف منبر، وقيل المقام الكريم هو الفيوم.

* * *

خليج سخا

فأما فخليج سخا فقد حفر تدارس بن صاين قبطيم بن مصرايم بن بيسر بن حام بن نوح عليه السلام، وهو آخر ملوك القبط القدماء الذين ملكوا مصر فى الدهر الأول. قال ابن وصيف شاه: تدارس الملك أول من ملك الأحياز كلها بعد أبيه صا، وصفا له ملك مصر وكان تدارس محكما وقوة معرفة بالأمر فأظهر العدل، وأقام الهياكل قياماً حسنا ودبر جميع الأحياز، ويقال أنه الذى حفر خليج سخا، وقرر الأموال على

البلاد وهابته الملوك، وسار إلى بلاد السودان من الزنج والنوبة فى ثلاثة آلاف ووجه فى النيل ثلاثمائة سفينة، فى كل سنة كاهن يعمل أعجوبة من العجائب فهزم الزنج وقتل أكثرهم وأسّر منهم خلقاً كثيرة، ثم اتبعهم بجيوشه حتى وصلوا إلى أرض الفيلة من أعلى بلاد الزنج، فأخذوا منها عدة من النمر والوحوش والفيلة وساقوها إلى أرض مصر، ثم مات بمصر ودفن فى ناوس ونقل إليه شيئاً كثيراً من الذهب والجوهر والصنعة والتمثيل، وكتب على ناوسه باسمه وتاريخ هلاكه وجعل عليه ظلمسان المنيعه وعهد إلى ابنه ماليق بن تدارس.

* * *

خليج سردوس

حفره هامان، قال: بن وصيف شاه: جلس فرعون على سرير الملك، وحاز جميع ما كان فى خزائن من كان قبله من الملوك، وقيل هو الذى يذكر القبط أنه فرعون موسى، فأما أهل الأثر فيزعمون أن اسمه الوليد بن مصعب، وأنه من العمالقة وذكروا أن الفراعنة سبعة وقيل عن فرعون موسى أنه كان قصيراً، طويل اللحية أشهل العين، ضيف العين اليسرى فى جبينه شامة، وكان أعرج.

وزعم قوم أنه القبط ونسب أهل بيته مشهور عنه وذكر آخرون أنه دخل منف لبييع نظرون، وكانوا قد اضطربوا فى تولية الملك فرضوا أن يملكوا عليهم أول من ينظروا من الناس، فلما رأوه ملكوه عليهم لما جلس فى الملك بدل الأموال وأرغب من أطاعه وقتل من خالفه، فاعتدل أمره إلى أن استخلف هامان وكان يقرب منه فى نسبه وأثار له بعض الكنوز وصرفها فى بناء المدائن والعمارات وحفر خلجانا كثيرة، ويقال أنه حفر خليج سردوس وكان عرجه إلى قرية من قرى الجوف، فحمل إليه أهلها مالا، فاجتمع له من ذلك شىء كثير، فأمر برده على أهله.

وقال ابن عبد الحكم بن عبد الله بن عمرو بن عبد العاص رضى الله عنه: إن فرعون استعمل هامان على حفر خليج سردوس فلما ابتداء حفره أتاه أهل كل قرية يسألونه أن يجرى الخليج تحت قريتهم يعطونه مالا، قال: وكان يذهب به إلى هذه القرية من نحو المشرق، ثم يرده إلى أهل القرية من نحو دبر القبلة ثم يرده إلى قرية فى الغرب ويأخذ من أهل كل قرية مالا جزيلاً حتى اجتمع له فى ذلك مائة ألف ألف دينار، فأتى بذلك كله إلى فرعون فسأله عن ذلك فأخبره بما فعل فى حفر الخليج، فقال له فرعون: ويحك أنه ينبغى للسيد أن يعطف على عبيده، ويفيض عليهم الرزق ولا يرغب فيما بأيديهم، فرد كلما أخذت على أهله.

وقيل لا يعلم بمصر خليج أكثر نفعاً منه لما فعل هامان فى حفره.

* * *

خليج الإسكندرية

قال ابن عبد الحكم: يقال أن الذى بنى منارة الإسكندرية الملكة قلبطرة وهى التى ساقطت خليجها حتى أدخلته إلى الإسكندرية، ولم يكن يبلغها الماء قبل ذلك، فحفرته حتى أدخلته إلى الإسكندرية وهى التى بلطت قاعة الرخام.

قال الأسعد بن ممتى فى كتاب قوانين الدواوين: خليج الإسكندرية عليه نزاع وطوله من فم الخليج ثلاثون ألف قصبه وستمائة قصبه وعرضه من قصبتين ونصف إلى ثلاث قصبات ونصف ومقام الماء فيه بالنسبة إلى النيل فإن كان مقصرا قصرت مدة إقامته فيه، وأن كان عاليا أقام فيه ما يزيد عن شهرين، ويقال أنه إذا عملت من قبالة سح إلى سح زلاقة استقر الماء فيه صيفا وشتاء، ورويت البحيرة جميعاً ورزق عليه القصب والقلقاس والنيلة وجرى مجرى بحر الشرق والمحلة وغيره من البلاد، ويقال أنه كان يجرى فيه الماء بطول النسبة وكان السمك فيه غاية الكثرة بحيث تصيده الأطفال بالحرق.

* * *

خليج الفيوم والمنهى

مما حفره نبي الله يوسف عليه السلام عندما عمر الفيوم وهو مشتق من النيل لا ينقطع جريه أبدا وهو الآن يعرف ببحر يوسف لا ينقطع جريانه بطول السنة فيسقى الفيوم دائما ثم يتحصل فاضل ماءه فى بحيرة هناك، ومن العجب أن ينقطع ماءه من فوهبه، ثم يكون له نهراً لطيفا فى وسطه لا ينقطع جريانه بطول السنة، يعم الفيوم وقراه ومزارعه وبساتينه دائما.

* * *

خليج القاهرة

هذا الخليج بظاهر القاهرة من جانبها الغربى، فيما بينها وبين المقسم، عرف فى أول الإسلام بخليج أمير المؤمنين، وتسميه العامة اليوم بالخليج الحاكى وبخليج اللؤلؤ، وهو خليج قديم أول من حفره طوطيس بن ماليا أحد ملوك مصر الذين سكنوا مدينة منف، وهو الذى دخل إبراهيم الخليل عليه السلام، وهب لإبراهيم هاجر أم ولده إسماعيل بعثت هاجر إلى طوطيس تقول له: إنه بمكان مجذب وتطلب منه حنطة فعند ذلك أمر بحفر هذا الخليج وبعث إليها فيه السفن تحمل الحنطة وغيرها من الغلال إلى جده، فأحيا أرض الحجاز ثم اندرومانوس الذى يعرف بايليا أحد ملوك الروم بعد الإسكندر بن فليس المجدوبى جدد حفر هذا الخليج، وسارت فيه السفن وذلك قبل الهجرة بنيف وأربعمائة سنة، ثم إن عمرو بن العاص رضى الله عنه جدد حفره لما فتح مصر وأقام

فى حفرة ستة أشهر ودخلت السفن فسمى خليج أمير المؤمنين - يعنى عمرو بن الخطاب - فإنه الذى أشار بحفره ولم يزل يجرى فيه السفن من فسطاط مصر إلى مدينة القلزم التى كانت على شاطئ البحر الشرقى حيث الموقع الذى يعرف اليوم بالسويس، وكان يصب ماء النيل فى البحر عند مدينة القلزم إلى أن أمر الخليفة أبو جعفر المنصور بطمه فى سنة خمسين ومائة فطم وبقي منه ما هو موجود الآن.

* * *

خليج أبى المنجا

هذا الخليج يسميه العامة بحر أبو المنجا والذى حفره الأفضل ابن أمير الجيوش فى سنة ست وخمسائة، وكان على حفرة أبو المنجا بن شعيا اليهودى فعرف به.

* * *

خليج الناصرى

هذا الخليج فى ظاهر المقسم حفرة الملك الناصر محمد بن قلاوون فى سنة خمس وعشرون وسبعائة.

* * *

صور المخطوطات

الجزء الأول كتاب

التول المعروفة دول الملوك جمع تفسير عموما عبد الله علي بن عبد
الواد بن محمد بن محمد بن محمد بن عبد الصمد بن الحسن بن عبد الصمد
بن عيسى بن عبد الصمد بن محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن
سطره لنفسه فإياه وجامعة
فلعنه ولا يدنا طبعه واسم

الأجودى، الأفضى من معدود ما سنبه ولا ياكل إلا قبض عووض عن جميل
أوليه ولا جعلت له السفلى لركات عليه في العلياء أعادى من عزو منعود
وعشر مجهد وأحياء أكار الحياة الملاكة ونورا إذا أنا لا نوافاة
أصلها لا بعد عوود وسور بعد وخيرا لحسين تملكه في الوجود إلى التملك
وسد فيها من عوودك وأحسن في الأخرى بتفليكا كرسع نرس جواد

الأكراد يسوء الأوزون من مؤرد مع وضعه
عوبه ركة في الأوزون وحين لم يولد في تال منعه
البحرانية سو كوار. والذرية والبشوية
والتعانية والسرغية والنزولية والمهرانية
والرودادية والكنفانية والحما والورا الإبلية
والرودادية والاشتمية والحكامة والتجدية والركية
والمروانية والحلالية والشيشية والجوى وتركة
المردانية الباس في مروان من الخولب التي من
اعتقل لها منه المرض وأرعبه في سنته

الخط من اليمين إلى الشمال
الخط من الشمال إلى الجنوب
الخط من الجنوب إلى الشمال
الخط من الشمال إلى الجنوب

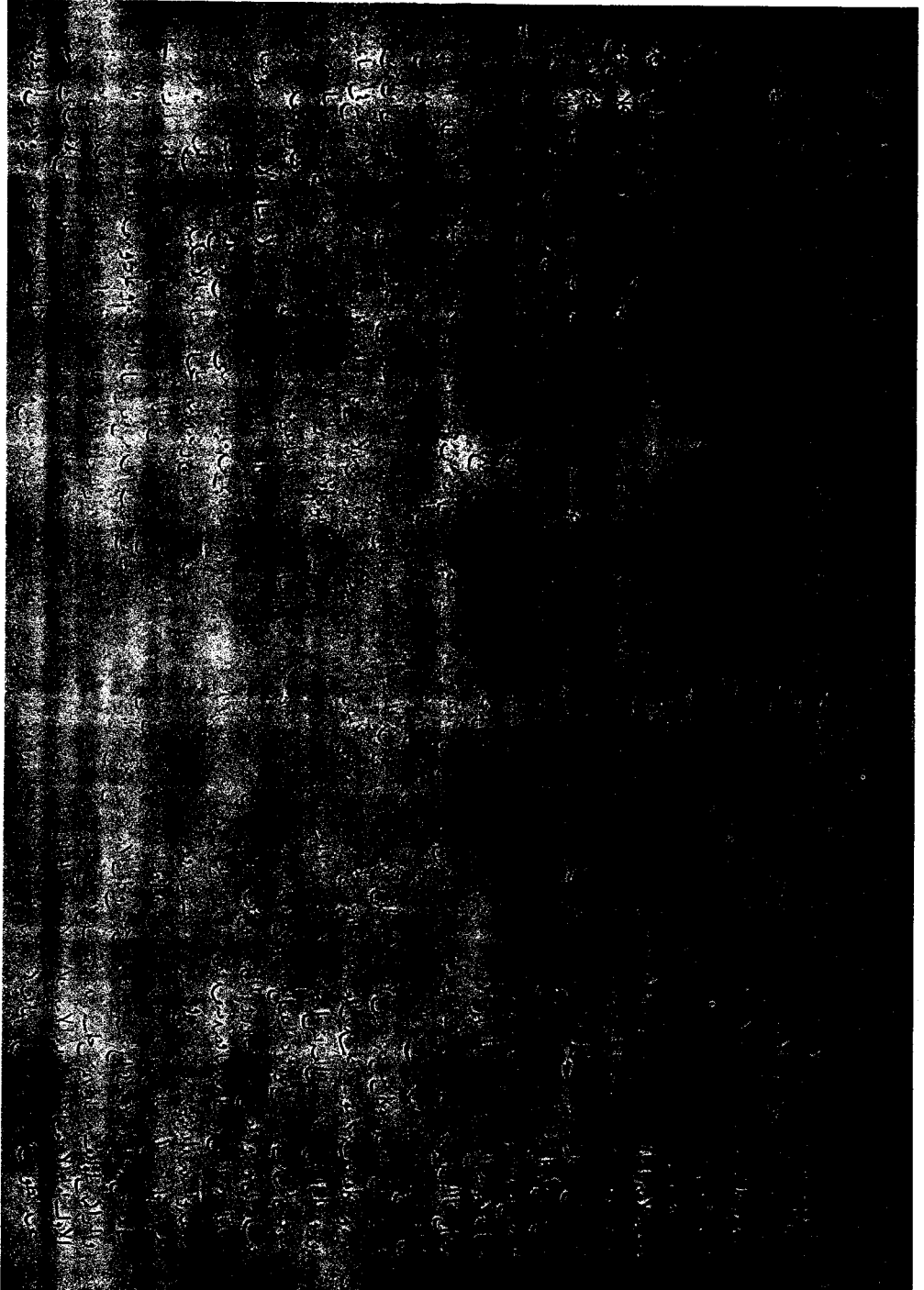
الخط من الشمال إلى الجنوب
الخط من الجنوب إلى الشمال
الخط من الشمال إلى الجنوب
الخط من الجنوب إلى الشمال

الخط من الشمال إلى الجنوب
الخط من الجنوب إلى الشمال
الخط من الشمال إلى الجنوب
الخط من الجنوب إلى الشمال

الخط من الشمال إلى الجنوب
الخط من الجنوب إلى الشمال
الخط من الشمال إلى الجنوب
الخط من الجنوب إلى الشمال

عد

وكان تاليسد وان الذي تقي ولاية الابلية...
 الملك جوسون الذي كان في قبضتيه...
 في سنة ١٠١٢ م...
 من اهل الامم...
 في سنة ١٠١٣ م...
 في سنة ١٠١٤ م...
 في سنة ١٠١٥ م...
 في سنة ١٠١٦ م...
 في سنة ١٠١٧ م...
 في سنة ١٠١٨ م...
 في سنة ١٠١٩ م...
 في سنة ١٠٢٠ م...
 في سنة ١٠٢١ م...
 في سنة ١٠٢٢ م...
 في سنة ١٠٢٣ م...
 في سنة ١٠٢٤ م...
 في سنة ١٠٢٥ م...
 في سنة ١٠٢٦ م...
 في سنة ١٠٢٧ م...
 في سنة ١٠٢٨ م...
 في سنة ١٠٢٩ م...
 في سنة ١٠٣٠ م...
 في سنة ١٠٣١ م...
 في سنة ١٠٣٢ م...
 في سنة ١٠٣٣ م...
 في سنة ١٠٣٤ م...
 في سنة ١٠٣٥ م...
 في سنة ١٠٣٦ م...
 في سنة ١٠٣٧ م...
 في سنة ١٠٣٨ م...
 في سنة ١٠٣٩ م...
 في سنة ١٠٤٠ م...



السلوك لمعرفة دول الملوك
 كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك
 تأليف ابن بطوطة
 مكتبة الخديوي
 رقم الكتاب
 تاريخ النسخة
 هذا الكتاب هو من نسختين من كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك تأليف ابن بطوطة
 الكتاب رقم تاريخ النسخة
 هذا الكتاب هو من نسختين من كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك تأليف ابن بطوطة
 الكتاب رقم تاريخ النسخة

في هذه المقدمة اريد ان اوضح بعض النقاط التي قد تكون محل تساؤل
 عند قارئ هذا الكتاب. اولها ان هذا الكتاب هو نتاج جهد جماعي
 من اعضاء فريق العمل الذين عملوا على جمع المعلومات وتحليلها
 في ضوء منهجية علمية سليمة. وثانيها ان الكتاب لا يهدف الى
 تقديم حقائق جديدة بل الى تجميع الحقائق المتوفرة في مصادر
 مختلفة وتقديمها بطريقة واضحة وسهلة الفهم. وثالثها ان
 الكتاب قد يحتوي على بعض النقصات التي قد يكون من الممكن
 تصحيحها في الطبعة القادمة. رابعها ان الكتاب قد لا يغطي
 جميع الجوانب التي قد تكون محل اهتمام القارئ. وخامسها ان
 الكتاب قد يحتوي على بعض الأخطاء التي قد يكون من الممكن
 تصحيحها في الطبعة القادمة.

اتمنى ان يكون هذا الكتاب قد حقق الغرض الذي كتب له
 وهو تقديم معلومات مفيدة للقارئ. وان يكون قد ساعد في
 فهم بعض القضايا التي قد تكون محل تساؤل. وان يكون قد
 كان مرجعا قيما للقارئ في جميع المجالات التي قد تكون
 محل اهتمامه. وان يكون قد ساعد في تطوير الفكر والبحث
 العلمي في المجالات التي قد تكون محل اهتمامه. وان يكون
 قد ساعد في تحقيق التقدم العلمي والتكنولوجي في المجالات
 التي قد تكون محل اهتمامه. وان يكون قد ساعد في تحقيق
 التنمية الاقتصادية والاجتماعية في المجالات التي قد تكون
 محل اهتمامه. وان يكون قد ساعد في تحقيق السعادة
 والرفاهية في المجالات التي قد تكون محل اهتمامه.

يشرفني ان اعلم ان الكتاب قد تم تصحيحه في الطبعة
 القادمة. وان يكون قد ساعد في تحقيق الغرض الذي كتب له
 وهو تقديم معلومات مفيدة للقارئ. وان يكون قد ساعد في
 فهم بعض القضايا التي قد تكون محل تساؤل. وان يكون قد
 كان مرجعا قيما للقارئ في جميع المجالات التي قد تكون
 محل اهتمامه. وان يكون قد ساعد في تطوير الفكر والبحث
 العلمي في المجالات التي قد تكون محل اهتمامه. وان يكون
 قد ساعد في تحقيق التقدم العلمي والتكنولوجي في المجالات
 التي قد تكون محل اهتمامه. وان يكون قد ساعد في تحقيق
 التنمية الاقتصادية والاجتماعية في المجالات التي قد تكون
 محل اهتمامه. وان يكون قد ساعد في تحقيق السعادة
 والرفاهية في المجالات التي قد تكون محل اهتمامه.

[The page contains dense, highly degraded Arabic script, likely a manuscript or printed text. The characters are extremely faint and often illegible due to the heavy noise and contrast of the scan. The text appears to be organized in vertical columns, typical of traditional Arabic manuscripts. A prominent dark, curved mark is visible in the lower-center portion of the page.]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ اللَّهُ الْمُسْتَعَانُ

مقدمة المؤلف (١)

(١) الجزء الأول مقدمة الناسخ من كتاب «السلوك لمعرفة دول الملوك». جمع فقير عفو الله أحمد ابن علي بن عبد القادر بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن تميم بن عبد الصمد بن أبي الحسن بن عبد الصمد بن تميم، الشهر حده بالمقرئى الشافعى، غفر الله له وتعمد زلله بمنه:

سـ طرهُ لِنفْسِهِ قائله وجامعه
فليعف عمن زلاته ناقله وسامعه

لا أحوجك الله إلى اقتضاء من معروف أسديته، ولا الجأك إلى قبض عوض عن جميل أوليته، ولا جعل يدك السفلى لمن كانت عليه هي العليا، وأعاذك من عز مفقود وعيش مجهود، وأحياك ما كانت الحياة أجمل بك، وتوفاك إذا كانت الوفاة أصلح لك، بعد عمر مديد وسمو بعيد، وختم بالحسنى عملك، وبلغك فى الأولى أملك، وسدد فيها مضطربك، وأحسن فى الأخرى منقلبك، إنه سميع قريب جواد مجيب.

الأكراد ينسبون إلى كرد بن مرد بن عمرو بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن وقيل هم من ولد عمرو مزقياء بن عامر ماء السماء. وقيل إنهم من بنى حميد بن طارق الراجح، إلى حميد بن زهير ابن الحارث بن أسد بن عبد العزى بن قصى بن كلاب وهم قبائل: منهم الكورانية بنوكوران، والهدبانية، والبشونية، والشاهنجانية، والسرجية، والبزولية، والمهرانية، والرززارية، والكيكانية، والجأك، واللؤ، والدنبلية، والروادية، والديسنية، والهكارية، والحמידية، والوركجية، والروانية، والجلالية، والشنبكية، والجوبى.

وتزعم الروانية أنها من بنى مروان بن الحكم بن أبى العاص، وتزعم بعض الهكارية أنهم من ولد عتبة بن أبى سفيان صخر بن حرب.

وأحياء الأكراد تكثر عن الإحصاء، غير أنهم بجميع أحيائهم كانوا مقيمين بفارس، فكانوا يزيدون على خمسمائة ألف بيت شعر، يخرج من البيت الواحد نحو العشرين، وكانوا ينتجعون المراعى فى الشتاء والصيف، وبجبال كوران [...].

أولا - العُمريين بمصر وأعمالها، ينتسبون إلى عبد الله بن عمر بن الخطاب. قال الشريف النسابة محمد بن أسعد الجوانى فى كتاب «الجواهر المكنون فى القبائل والبطون»: وهم يكذبون فى ذلك لأن أنسابهم لا تتصل به، وقد لقيت منهم جماعة وعرفتهم كذبهم بطرائق علمية وغيرها، وعلى قدر اتساع الأوقات.

وقال: وأمر هؤلاء المتتمين إلى ولد عبد الله بن عمر يحتاج إلى دليل، وإلا فهو قول من الأقاويل الداخلة فى الأباطيل.

ثانيا - الحمد لله، وبه أكتفى من عوادى الدهر فى نُوبه، أقل عبيد الله تعالى محمد بن أحمد بن أينال العلائى الدوادار الحنفى، عامله ربه بخفى لطفه الجلى والحنفى.

ثالثا - بليت يحط ما ارتفع إلا اتضع، ولا قام إلا خسر سريعا ووقع، ولا استوى إلا التوى ولا ارتفع إلا انحط وهوى ولا تيسر إلا تعذر، ولا تنبه إلا وعن قليل رقد، ولا نشط إلا تخبط وهبط:

لعمرك ما عدمت لواء مجد ولا كَل الجواد عن السباق
ولكنسى بليت يحفظ سوء كما تبلى المليحة بالطلاق

﴿قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شيء قدير * تولى الليل في النهار وتولى النهار في الليل وتخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي وترزق من تشاء بغير حساب﴾^(١).

فسبحان الله من إله حكيم قادر، ومليك مقتدر قاهر، يعطى العاجز الحقير، ويمنع البطل الأيد الكبير، ويرفع الخامل الذليل، ويضع ذا العز المنيع والمجد الأثيل، ويعز المحقر الطريد الجفو الشريد، ويذل أولى الحد الحديد، والعدِّ العديد، وأرباب الأولوية والبنود، ومالكي أزمّة العساكر والجنود، ويؤتي ملكه من لم يكن شيئاً مذكوراً، ولا عرف له أباً نبياً وجدا مشهوراً، بل نشأ كلاً على مولاه وخادماً لسواه، تجبهه وتشنؤه الناس، ولا يرعاه سائر الأجناس، لا يقدر على نفع نفسه فضلاً عن الغير، ولا يستطيع دفع ما ينزل به من مساءة وضير، عجزاً وشقاء وحمولاً واختفاءً، وينزع نعت الملك ممن تهابه أسد الشرى في غيلها، وتخضع لجلالته عتاة الأبطال بقظها وقظيظها^(٢)، وتخنع لخنزوانة^(٣) سلطانه حماة الكماة بجمعها وجميعها، وتذل لسطوته ملوك الجبابرة وأقيالها، ويأتمر بأوامره العساكر الكثيرة العدد، ويقتدى بعوائده الخلاق مدي الأبد.

والحمد لله على حالتي منعه وعطائه، وابتلائه وبلائه، وسراته وضرائه، ونعمه وبأسائه، أهل الثناء والمجد، ومستحق الشكر والحمد، ﴿لا يسأل عما يفعل وهم يسألون﴾^(٤) ﴿بيده ملكوت كل شيء وإليه ترجعون﴾^(٥) ولا إله إلا الله الواحد الأحد، الفرد الصمد، الذي ﴿لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد﴾^(٦) والله أكبر

= رابعاً - ملكه محمد المقرئ.

خامساً - قيّد شدّد في سنة ١١٣٧ هـ.

سادساً - الحمد لله على نعمه، أنهاه وكذلك ما بعده، مطالعة، داعياً لمؤلفه بالرحمة والرضوان، ولملكه بالسيادة وطول العز، محمد المدعو عمر بن فهد الهاشمي، إلى رابعه سنة ٨٤٦.

(١) آل عمران الآية ٢٦، ٢٧.

(٢) الوارد في معاجم اللغة: قضها وقضيضها بالضاد، والقض الحصى الصغار، والقضيض الكبار، والمعنى أنهم يخضعون جميعاً.

(٣) الخنزوانة. خنز اللحم بالكسر يخنز خنزراً، أي أثن، مثل خنز على القلب. والخنزوانة: التكبير

يقال: هو ذو خنزوانات. قال الشاعر: لئيم نزت في أنفه خنزوانة. انظر الصحاح (خنز).

(٤) الأنبياء الآية ٢٣.

(٥) يس الآية ٨٣.

(٦) الإخلاص الآية ٤/٣.

﴿لَا يَحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾^(١) ولا تدرك من عظمته العقول إلا ما أخبر به عنه الرسل والأنبياء . وصلى الله على نبينا محمد الذى أذهب الشرك من الأكاسرة، ومحا بشريعته عظماء الروم القياصرة، وأزال بملته الأصنام والأوثان، وأحمد بظهوره بيوت النيران، وجمع له أسود العرب وقد كانت فى جزيرتها متفرقة، ولم يبركته شعثها بعدما غيرت زمانا وهى متمزقة، وألف قلوبها على موالاته وطاعته، وحبب إليها المبادرة إلى مبايعته على الموت ومتابعته، فتواصلوا بعد القطيعة والتدابير، وتحابوا فى الله كأن لم ينشئوا على البغضاء والتنافر، حتى صاروا باتباع ملته، والاقتداء بشريعته، من رعاية الشاء والبعير، إلى سياسة الجمل والغفير، وبعد اقتعاد سنام الناقة والقعود، وملازمة بيت الشعر والعمود، وأكل القيصوم^(٢) والشيح، ونزول القفر الفسيح، إلى ارتقاء المنابر والسريير، وتوسد الأرائك على الحرير، وارتباط المسومة الجياد، واقتناء ما لا يحصى من الخدم والعتاد، بما فتح الله عليهم من غنائم ملوك الأرض، الذين أخذوهم بالقوة والقهر، وحووا ممالكهم بتأييد الله لهم والنصر، وأورثوها أبناء أبنائهم، وأحفادهم وأحفاد أحفادهم. فلما خالفوا ما جاءهم به رسولهم من الهدى، أحلهم الرزايا المجيحة والردى، وسلط عليهم من رعاغ الغوغاء وآحاد الدهماء من أحقهم بعد الملك بالهلك، وحطهم بعد الرفعة، وأذلهم بعد المنعة، وصيرهم من رتب الملوك إلى حالة العبد المملوك، جزاء بما اجترحوا من السيئات، واقترفوا من الكبائر الموبقات، واستحلوا من الحرمات، واستهواهم به الشيطان من اتباع الشهوات، وليعتبر أولو البصائر والأفهام، ويخشى أهل النهى مواقع نقم الله العزيز ذى الانتقام، لا إله إلا هو سبحانه.

أما بعد، فإنه لما يسر الله وله الحمد، بإكمال كتاب «عقد جواهر الأسفاط من أخبار مدينة الفسطاط»، وكتاب «اتعاظ الخلفاء بأخبار الخلفاء»، وهما يشتملان على ذكر من ملك مصر من الأمراء والخلفاء، وما كان فى أيامهم من الحوادث والأنباء، منذ فتحت^(٣) إلى أن زالت الدولة الفاطمية^(٤) وانقرضت، أحببت أن أصل ذلك بذكر من ملك مصر بعدهم من الملوك الأكراد الأيوبية^(٥)، والسلاطين المماليك التركية

(١) البقرة الآية ٢٥٥.

(٢) القيصوم القاف والصاد والميم أصل صحيح يدل على الكسر. يقال قصمت الشيء قصما. والقصيمة والقيصوم: نبتان. انظر مقاييس اللغة مادة (قصم).

(٣) كان فتح مصر سنة ٢٠ هـ انظر النجوم الزاهرة ٤/١ نقلا عن الحافظ النهبى .

(٤) زالت الدولة الفاطمية سنة ٥٦٧ هـ انظر النجوم الزاهرة ٦/١ .

(٥) قامت الدولة الأيوبية سنة ٥٦٧ هـ. انظر النجوم الزاهرة ٦/١ .

والجر كسية^(١)، في كتاب يحصر أخبارهم الشائعة، ويستقصى أعلامهم الذائعة، ويحوى أكثر ما فى أيامهم من الحوادث والماجريات، غير معتن فيه بالتراجم والوفيات، لأنى أفردت لها تأليفاً بديع المثال بعيد المنال، فألفت هذا الديوان، وسلكت فيه التوسط بين الإكثار الممل والاختصار المخل، وسميته كتاب «السلوك لمعرفة دول الملوك». وبالله أستعين فهو المعين، وبه أعتضد فيما أريد وأعتمد، فإنه حسبى ونعم الوكيل.

* * *

فصل

ذكر ما كان عليه الكافة قبل قيام ملة الإسلام

اعلم أن الناس كانوا بأجمعهم، قبل مبعث نبينا محمد ﷺ، ما بين عربى وعجمى، سبع أمم كبارهم: الصين وهم فى جنوب مشرق الأرض، والهند وهم فى وسط جنوب الأرض، والسودان وهم جنوب مغرب الأرض، والبربر وهم شمال مغرب الأرض، والروم وهم فى وسط شمال الأرض، والترك وهم فى شمال مشرق الأرض، والفرس وهم فى وسط هذه الممالك، قد أحاطت بهم هذه الأمم الست.

وكانت الأمم كلها فى قديم الدهر، قبل ظهور الشرائع الدينية، صفاً واحداً مُسَمَّينَ باسمين: سمينين وکلدانين، ثم صاروا على خمسة أديان، وهى الصابئة، والمجوس، والذين أشركوا، واليهود، والنصارى.

فأما الصابئة: فإنها التى تعبد الكواكب، وترى أن سائر ما فى العالم السفلى المعبر عنه بالحياة الدنيا ناشئٌ وصادر عن الكواكب، وأن الشمس هى المقيضة على الكل.

وهذا الدين أقدم هذه الأديان، وبه كان يدين أهل بابل من الكلدانيين، وإليهم بعث الله نوحاً وإبراهيم، صلوات الله عليهما. وكانت الصابئة تتخذ التماثيل من الجواهر والمعادن على أسماء الكواكب وتعبدها، فتصلى إليها وتقرب لها القرابين، وتعتقد أنها تجلب النفع وتدفع السوء. وبقيت منهم بقايا بأرض السواد من العراق وبحران^(٢)

(١) كان قيام دولتهم سنة ٦٤٨ هـ انظر النجوم الزاهرة ٧/٣.

(٢) البحرين هكذا يتلفظ بها فى حال الرفع والنصب والجر ولم يسمع على لفظ المرفوع من أحد منهم إلا أن الزحخشري قد حكى أنه بلفظ التثنية فيقولون هذه البحرين ... وهو اسم جامع لبلاد على ساحل بحر الهند بين البصرة وعمان. قيل هى قصبه هجر وقيل هجر قصبه البحرين وقد عدتها قوم من اليمن، وجعلها آخرون قصبه برأسها وفيها عيون ومياه وبلاد واسعة وربما عد بعضهم اليمامة من أعمالها. والصحيح أن اليمامة عمل برأسه روى ابن عباس البحرين من أعمال العراق وحده من عمان ناحية جرفار واليمامة على جبالها. انظر معجم البلدان (بحر).

والرها^(١) أدركوا الإسلام وعُرفوا بالنبط والخرنانيين^(٢) ولم يبق لهم إذ ذاك ملك منذ غلبهم فارس، فلما كانت أيام المأمون^(٣) أسقطوا عن أنفسهم اسم الكلدانيين، وتسموا بالصابئين.

وأما الجوس: فإنهم الذين يقولون بإلهين اثنين، أحدهما فاعل الخير وهو النور، والآخر فاعل الشر وهو الظلام، ويقال لهم الثنوية أيضا، واتخذوا لهم بيوت نيران لا تزال تقد أبدا، وكانت إلى هذه النيران صلواتهم وقرابينهم، ويعتقدون فيها النفع والضر، وعلى هذا الاعتقاد كانت الأكاسرة ملوك فارس بالعراق.

(١) الرُهاء: بضم أوله، والمد، والقصر: مدينة بالجزيرة بين الموصل والشام بينهما ستة فراسخ سميت باسم الذى استحدثها، وهو الراهاء بن البلندی بن مالك بن دعر... وقال قوم: إنها سميت بالرها بن الروم بن لطفى بن سام بن نوح، عليه السلام، قال بطليموس: مدينة الرها طولها اثنتان وسبعون درجة وثلاثون دقيقة، وعرضها سبع وثلاثون درجة وثلاثون دقيقة ... وقال يحيى بن حرير: الرها اسمها بالرومية أذاسا، بنيت فى السنة السادسة من موت الإسكندر، بناها الملك سلوقس. انظر معجم البلدان ١٠٦/٣.

(٢) نسبة إلى بلدة حران، وهى تقع جنوب شرقى الرها.

(٣) المأمون (١٧٠ - ٢١٨ هـ = ٧٨٦ - ٨٣٣ م). عبد الله بن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن أبى جعفر المنصور، أبو العباس سابع الخلفاء من بنى العباس فى العراق، وأحد أعظم الملوك، فى سعة ملكه. نفذ أمره من إفريقية إلى أقصى خراسان وما وراء النهر والسند وعرفه المؤرخ ابن دحية بالإمام العالم المحدث النحوى اللغوى ولى الخلافة بعد خلع أخيه الأمين (سنة ١٩٨ هـ) فتم ما بدأ به جده المنصور من ترجمة كتب العلم والفلسفة و تحف ملوك الروم بالهدايا سائلا أن يصلوه عما لديهم من كتب الفلاسفة فبعثوا إليه بعدد كبير من كتب أفلاطون وأرسطاطاليس وأبقراط وجالينوس وإقليدس وبطليموس وغيرهم، فاختار لها مهرة الترجمة، فترجمت وحث الناس على قراءتها، فقامت دولة الحكمة فى أيامه. وقرب العلماء والفقهاء والمحدثين والمتكلمين وأهل اللغة والأخبار والمعرفة بالشعر والأنساب وأطلق حرية الكلام للباحثين وأهل الجدل والفلاسفة، لولا المحنة بخلق القرآن فى السنة الأخيرة من حياته وكان فصيحاً مفوهاً، واسع العلم، محبا للفقو. من كلامه: «لو عرف الناس حبي العفو لتقربوا إلى الجرائم» وأخباره كثيرة جمع بعضها فى مجلد مطبوع صفحاته ٣٨٤ من تاريخ بغداد لابن أبى طيفوره، وكتاب عصر المأمون - ط لأحمد فريد الرفاعى. وله من التواقيع والكلم ما يطول مدى الإشارة إليه توفى فى بزندون ودفن فى طرسوس. انظر: تاريخ بغداد لابن الخطيب ١٠: ٨٣ والمسعودى ٤: ٢٤٣، ٢٦٩: والنيراس لابن دحية ٤٦ - ٦٣ وابن الأثير ٦: ١٤٤ - ٤٨، والطبرى ٧: ٢٩٣ واليعقوبى ٣: ١٧٢ وتاريخ الخميس ٢: ٣٣٤ وفيه: «كان أبيض ربة حسن الوجه تعلوه صفرة وخطه الشيب أعين طويل اللحية رقيقها ضيق الجبين على خده خال». والبدء والتاريخ ٦: ١١٢ وفيه صفته المتقدمة إلا أنه يقول: «تعلوه حمرة ويزيد» على ذلك: «وأمه بادغيسية تسمى مراحل». وفوات الوفيات ١: ٢٣٩. الأعلام ٤/١٤٢

وولد رسول الله ﷺ في أيام كسرى أنوشروان وأزال العرب ملكهم في خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه، وملكوا منهم المدائن وجلولاء وغيرها، وقتل يزديجرد آخر ملوكهم في خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله عنه، ولم يبق بعده قائم من الأكاسرة، وتمزق الفرس وذهب ملكهم إلى اليوم. وقد تقدم في كتاب عقد جواهر الأسفاط ذكر ملوك الفرس فراجع.

وأما الذين أشركوا فإنهم وإن وافقهم الصائبة والجوس في عبادة التماثيل والنار من دون الله، فإن العرب الذين بعث الله فيهم نبينا محمدا ﷺ يقال لهم المشركون سمة لهم، واسما لهم، وكانوا يعبدون الأصنام والأوثان والطواغيت من دون الله، فيسجدون ويصلون ويذبحون الذبائح لتماثيل عندهم، قد اتخذوها من الحجر والخشب وغيره، ويزعمون أنها تجلب لهم النفع، وتدفع عنهم الضر^(١) ويعتقد المشركون مع ذلك أن الله سبحانه هو الذى خلقهم، وهو الذى أوجدهم ثم يميتهم، وهو الذى يرزقهم^(٢)، وأن عبادتهم للأصنام وسيلة تقربهم إلى الله سبحانه^(٣). وكانوا إذا مسهم الضر فى البحر من شدة هبوب رياحه وعظم أمواجه، وأشرفوا على الهلاك، نسوا عند ذلك الأصنام التى كانوا يعبدونها، ودعوا الله يسألونه النجاة^(٤) وقد مح الله - وله الحمد - بنينا محمد ﷺ الشرك حتى دخلوا فى دين الله أفواجا، وجاهدوا فى الله حق جهاده، إلى أن ظهر دين الإسلام بهم على سائر الأديان، وملكوا مشارق الأرض ومغاربها مما تطؤه الدواب، وتمر فيه السفن. وقد ذكرنا أيضا فى كتاب عقد جواهر الأسفاط قبائل العرب وبطونها ذكرا شافيا فتأمل.

وأما اليهود: فإنهم أتباع نبي الله موسى بن عمران، صلوات الله عليه، وكتابهم التوراة. وكلهم أبناء إبراهيم الخليل، ويعرفون أيضا ببني إسرائيل، وهو يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم، صلوات الله عليهم، وكانوا اثني عشر سبطا، وملكوا الشام بأسره

(١) حكى الله تعالى عنهم ذلك فقال: ﴿ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم﴾ ١٨/يونس.

(٢) قال الله تعالى: ﴿ولكن سألتهم من خلق السماوات والأرض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله﴾ ٦١/العنكبوت.

وقال تعالى: ﴿ولكن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن خلقهن العزيز العليم﴾ ٩/الزخرف.

(٣) حكى الله تعالى عنهم ذلك فقال: ﴿ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى﴾ ٣/الزمر.

(٤) حكى الله تعالى عنهم ذلك فقال: ﴿وإذا مسكم الضر فى البحر ضل من تدعون إلا إياه﴾

إلا قليلا منه إلى أن زالت دولتهم على يد بختنصر، ثم على يد طيطش، وجاء الله بالإسلام وليس لهم ملك ولا دولة، وإنما هم أمم متفرقون فى أقطار الأرض، تحت أيدي النصارى. وقد ذكرنا أيضا جميع ملوكهم فى كتاب عقد جواهر الأسفاط.

وأما النصارى: فإنهم أتباع نبي الله المسيح عيسى ابن مريم، صلوات الله عليه، وكتابهم الإنجيل. وجاء الله بالمسيح إلى بنى إسرائيل فكذبوه إلا طائفة منهم، ثم انتشر دينه بعد رفعه بدهر، فدخل فيه الروم والقبط والحبشة وطائفة من العرب، وما زالوا على ذلك حتى جاء الله بالإسلام، فقاتل المسلمون من الصحابة والتابعين رضى الله عنهم هرقل آخر الملوك القياصرة وأتباعه حتى ملكوا منه بلاد الشام وأرض مصر، وأخرجوه إلى جزائر البحر، ثم قاتل المسلمون القوط والجلالقة، وملكوا منهم إفريقية والأندلس وسائر بلاد المغرب، وتابعوا الحرب والقتال للروم حتى انقضى ملكهم، وقام من بعدهم الإفرنج. وقد ذكرنا فى كتاب عقد جواهر الأسفاط وفى كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، جملة من حروب الروم والفرنج للمسلمين. وإلى وقتنا هذا ملوك الفرنج ورعيّتهم، وملوك أكثر بلاد الحبشة ورعيّتهم، يدينون بدين النصرانية.

فهذه - أعزك الله - ديانات أهل الأرض عند مبعث نبينا محمد ﷺ.

وكانت الممالك يومئذ على خمسة أقسام: مملكة فارس ويقال لمن ملك منهم كسرى، ومملكة الروم ويقال للملكها قيصر، وكانت الحرب لا تزال بين الروم وفارس ويدهما أكثر المعمور، ومملكة الترك وكانت ملوكهم تحارب ملوك الفرس، ولم يكن لهم قط فيما بلغنا من أخبار الخليفة غلبة على الممالك، ومملكة الهند وحسب ملوكهم ضبط ما بيدها فقط، ومملكة الصين. وأما بنوحام من الحبشة والزنج والبربر فلم يكن لهم ملك يعتد به.

* * *

فصل

ذكر القائمين بالملة الإسلامية من الخلفاء

اعلم أن الله بعث نبينا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ﷺ على رأس أربعين سنة من عمره، فدعا قومه من قريش بمكة ثلاث عشرة سنة، وهاجر من مكة إلى المدينة فأقام بها عشر سنين، وتوفاه الله وعمره ثلاث وستون سنة، وقد ذكرنا جملة سيرته فى أول كتاب عقد جواهر الأسفاط. فقام بعد وفاته ﷺ بأمر الإسلام والمسلمين الخلفاء الراشدون مدة ثلاثين سنة، وعدتهم خمسة هم:

أبو بكر الصديق رضى الله عنه^(١) واسمه عبد الله بن عثمان أبى قحافة مدة سنتين وثلاثة أشهر غير خمس ليال، وعمر بن الخطاب بن نفيل العدوى^(٢) مدة عشر سنين وستة أشهر وأربعة أيام وعثمان بن عفان بن أبى العاصى بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف^(٣) مدة اثنتى عشرة سنة إلا اثنتى عشر يوما، وقيل إحدى عشرة سنة وأحد عشر شهرا وأربعة عشر يوما، وقيل ثمانية عشر يوما. وعلى بن أبى طالب بن عبد المطلب ابن هاشم^(٤) مدة أربع سنين وتسعة أشهر وستة أيام، وقيل ثلاثة أيام، وقيل أربعة عشر يوما. والحسن بن على بن أبى طالب^(٥) مدة خمسة أشهر ونحو نصف شهر، وقيل ستة

(١) انظر ترجمته طبقات ابن سعد (انظر فهرس الكتاب)، الإصابة ٤٨٠٨، ابن الأثير ١٦٠/٢، الطبرى ٤٦/٤، اليعقوبى ١٠٦/٢، صفة الصفوة ٨٨/١ الإسلام والحضارة العربية ١٠٧/٢، ٣٥١، حلية الأولياء ٩٣/٤، ذيل المذيل ١١٣ تاريخ الخميس ١٩٩/٢، البدء والتاريخ ٧٦/٥، الرياض النضرة ٤٤ - ١٨٧ منهاج السنة ١١٨/٣ وما بعدها.

(٢) انظر ابن الأثير ١٩/٣، الطبرى ١٨٧/١ - ٢١٧، ٢/٢ - ٨٢، اليعقوبى ١١٧/٢، الإصابة: ٥٧٣٨، صفة الصفوة ١٠١/١، حلية الأولياء ٣٨/١ تاريخ الخميس ٢٥٩/١، ٢٣٩/٢، أخبار القضاة لوكيع ١٠٥/١، البدء والتاريخ ٨٨/٥، ١٦٧، شذور العقود للمقريزى ٥، مورد اللطافة، الكنى والأسماء ٧/١، الإسلام والحضارة العربية ١١/٢، ٣٦٤.

(٣) عثمان بن عفان (٤٧ ق هـ - ٣٥ هـ = ٥٧٧ - ٦٥٦ م). انظر ابن الأثير: حوادث سنة ٣٥/غاية النهاية ٥٠٧/١، شرح نهج البلاغة ٦١/٢ وأماكن أخرى فيه. والبدء والتاريخ ٧٩/٥، ١٩٤ - ٢٠٨، اليعقوبى ١٣٩/٢، حلية الأولياء ٥٥/١، الطبرى ١٤٥/٥، صفة الصفوة ١١٢/١، تاريخ الخميس ٢٥٤/٢ المحبر ٣٧٧، الكنى والأسماء ٨/١، منهاج السنة ١٨٦/٢، الرياض النضرة ٨٢/٢، الإسلام والحضارة العربية ١٣٨/٢، ٢٧٣.

(٤) على بن أبى طالب (٢٣ ق هـ - ٤٠ هـ = ٦٠٠ - ٦٦١ م). انظر ابن الأثير: حوادث سنة ٤٠ هـ والطبرى ٨٣/٦ البدء والتاريخ ٧٣/٥، صفة الصفوة ١١٨/١، اليعقوبى ١٥٤/٢، مقاتل الطالبين ٢١٤ حلية الأولياء ٦١/١، شرح نهج البلاغة ٥٧٩/٢، منهاج السنة ٢/٣ والمسعودى ٢/٢ - ٣٩، الإسلام والحضارة العربية ١٤١/٢، ٣٧٩، الرياض النضرة ١٥٣/٢ - ٢٤٩، الأصالة: الترجمة ٥٦٩٠. الأعلام ٤/٢٩٦.

(٥) الحسن بن على بن أبى طالب الهاشمى القرشى، أبو محمد: خامس الخلفاء الراشدين وآخرهم، وثانى الأئمة الإثنا عشر عند الإمامية ولد فى المدينة المنورة، وأمه فاطمة الزهراء بنت رسول الله (ﷺ) وهو أكبر أولادها وأولهم. كان عاقلا حليما محبا للخير، فصيحاً من أحسن الناس منطقا وبديهة حج عشرين حجة ماشيا. وقال أبو نعيم: دخل أصبهان غازيا مجتازا إلى غزاة جرحان، ومعه عبد الله ابن الزبير وبايعه أهل العراق بالخلافة بعد مقتل أبيه سنة ٤٠ هـ وأشاروا عليه بالمسير إلى الشام لمحاربة معاوية بن أبى سفيان، فأطاعهم وزحف بمن معه. وبلغ معاوية خبره، فقصده بجيشه. وتقارب الجيشان فى موضع يقال له مسكن بناحية من الأنبار، فهال الحسن أن يقتل المسلمون، ولم يستشعر الثقة بمن معه، فكتب إلى معاوية يشترط شروطا للصالح، ورضى معاوية، فخلع الحسن نفسه.

أشهر، وبه تمت أيام الخلفاء الراشدين رضى الله عنهم. وصارت الخلافة ملكا عضوضا، أى فيه عسف وعنف، وانتقل الأمر إلى بنى أمية .

وأول من ولى منهم معاوية بن أبى سفيان،^(١) واسمه صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، ومدته تسع عشرة سنة وثلاثة أشهر، وقيل ثلاثة أشهر إلا أياما. وقام من بعده ابنه يزيد بن معاوية^(٢) مدة ثلاث سنين وستة أشهر، وقيل ثمانية

(١) معاوية بن أبى سفيان (٢٠ ق هـ - ٦٠ هـ = ٦٠٣ - ٦٨٠ م). معاوية بن أبى سفيان بن صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، القرشى الأموى: مؤسس الدولة الأموية فى الشام، وأحد دهاة العرب المتميزين الكبار كان فصيحا حلما وقورا ولد بمكة، وأسلم يوم فتحها سنة ٨ هـ، وتعلم الكتابة والحساب، فجعله رسول الله ﷺ فى كتابه، ولما ولى أبو بكر ولاة قيادة جيش تحت إمرة أخيه يزيد بن أبى سفيان، فكان على مقدمته فى فتح مدينة صيداء وعرقه وجبيل وبيروت، ولما ولى عمر جعله واليا على الأردن، ورأى فيه حزما وعلما فولاه دمشق بعد موت أميرها يزيد أخيه وجاء عثمان فجمع له الديار الشامية كلها وجعل ولاة أمصارها تابعين له وقتل عثمان، فولى على بن أبى طالب، فوجه لفروره بعزل معاوية وعلم معاوية بالأمر قبل وصول البريد، فنادى بنار عثمان واتهم عليا بدمه، ونشبت الحروب الطاحنة بينه وبين على. وانتهى الأمر بإمامة معاوية فى الشام وإمامة على فى العراق ثم قتل على وبويع بعد ابنه الحسن فسلم إلى معاوية سنة ٤١ هـ ودامت لمعاوية الخلافة إلى أن بلغ سن الشيخوخة، فعهد بها إلى ابنه يزيد ومات فى دمشق. له ١٣٠ حديثا، اتفق البخارى ومسلم على أربعة منها وانفرد البخارى بأربعة ومسلم بخمسة، وهو أحد عظماء الفاتحين فى الإسلام، بلغت فتوحاته الخيطة الأتلانطيقى، وافتتح عامله بمصر بلاد السودان (سنة ٤٣ هـ) وهو أول مسلم ركب بحر الروم للغزو، وفى أيامه فتح كثير من جزائر يونان والدردييل وحاصر القسطنطينية برا وبحرا (سنة ٤٨ هـ). وهو أول من جعل دمشق مقر خلافة، وأول من اتخذ المقاصير، وأول من نصب الحرس والحجاب فى الإسلام وأول من نصب المحراب فى المسجد كان يخطب قاعدا، وكان طويلا جسيما أيضا، إذا ضحك انقلبت مشفته العليا، وضربت فى أيامه دنانير عليها صورة أعرابى متقلد سيفا. انظر ابن الأثير ٢/٤، تطهير الجنان، الطبرى ٦/١٨٠، منهاج ٢/٢٠١، اليعقوبى ٢/١٩٢، تاريخ الخميس ٢/٢٩١، البدء والتاريخ ٦/٥، شذرات العقود ٦، المرزبانى ٣٩٢، المسعودى ٢/٤٢، الإسلام والحضارة العربية ٢، ١٤٦ - ١٦١ النهب المسبوك ٢٤، الأعلام ٧/٢٦٢

(٢) يزيد بن معاوية (٢٥ هـ - ٦٤ هـ = ٦٤٥ - ٦٨٣ م). يزيد بن معاوية بن أبى سفيان الأموى: ثانى ملوك الدولة الأموية فى الشام. ولد بالمطرون، ونشأ بدمشق وولى الخلافة بعد وفاة أبيه (سنة ٦٠ هـ) وأبى البيعة له عبد الله بن الزبير والحسين بن على، فانصرف الأول إلى مكة والثانى إلى الكوفة، وفى أيام يزيد هذا كانت فاجعة المسلمين بالسبط الشهيد الحسين بن على سنة ٦١ هـ وخلع أهل المدينة طاعته (سنة ٦٣) فأرسل إليهم مسلم بن عقبة المرى، وأمره أن يستبجحها ثلاثة أيام وأن يباع أهلها على أنهم خول وعبيد ليزيد، ففعل بها مسلم الأناعيل القبيحة، وقتل فيها كثيرا من الصحابة وأبنائهم وخيار التابعين وفى زمن يزيد فتح المغرب الأقصى على يد الأمير عقبة بن نافع

أشهر، وقيل غير ذلك، وليس بشيء، فولى بعده معاوية بن يزيد بن معاوية^(١) ثلاثة أشهر وقيل أربعين يوماً. وقام بعد يزيد أيضا عبد الله بن الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي بالحجاز^(٢) وخالف عليه مروان بالشام، فكانت مدة ابن

وفتح مسلم بن زياد بخارى وخوارزم ويقال إن يزيد أول خدم الكعبة وكساها الديداج الخسرواني = ومدته في الخلافة ثلاث سنين وتسعة أشهر إلا أياما. توفي بخوارين (من أرض حمص) وكان نزوعا إلى اللهو، يروى له شعر رقيق، وإليه ينسب نهر يزيد في دمشق، وكان نهرا صغيرا يسقى ضيعتين، فوسعه فنسب إليه، ولابن تيمية سؤال في يزيد بن معاوية، رسالة نشرها المنجد، ولمحمد بن على بن طولون قيد الشريد من أخبار يزيد. انظر الطبرى: حوادث سنة ٦٤، تاريخ الخميس ٣٠٠/٢، منهاج السنة ٢٣٧/٢ - ٢٥٤، ابن الأثير ٤/٤٩، مختصر تاريخ العرب ٧١ - ٧٦، البدء والتاريخ ٦/٦ - ١٦، اليعقوبى ٢/٢١٥، جمهرة الأنساب ١٠٣، الوسائل إلى مسامرة الأوائل ٣٣، ٣٤، رغبة الأمل ٤/٨٣، ١٢٩/٥، الجهشيارى، تاريخ المانوزى ١٠٥، ١٠٦. الأعلام ١٨٩/٨.

(١) معاوية بن يزيد (٤١ - ٦٤ هـ = ٦٦١ - ٦٨٤ م). معاوية بن يزيد بن معاوية بن أبى سفيان: من خلفاء بنى أمية فى الشام. بويع بدمشق بعد وفاة أبيه (سنة ٦٤ هـ) فمكث أربعين يوما، أو ثلاثة أشهر، وشعر بالضعف وقرب الأحل، فأمر فنودى: الصلاة جامعة، فاجتمع الناس، فوقف خطيبا فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أما بعد فإنى ضعفت عن أمركم فابتغيت لكم مثل عمر بن الخطاب حين استخلفه أبو بكر فلم أجد، فابتغيت ستة مثل ستة الشورى فلم أجد، فأنتم أولى بأمركم فاختراروا له من أحببتهم، وأومى أن يصلى الضحاك بن قيس بالناس حتى يقوم لهم خليفة، ودخل منزله. ومات بعد قليل وهو ابن ٢٣ سنة توفي بدمشق ولا عقب له، وكانت كنيته أبا ليلى. انظر ابن الأثير ٤/٥١، اليعقوبى ٢/٢٢٦، الطبرى ٧/١٧، البدء والتاريخ ٦/١٦، تاريخ الخميس ٢/٣٠١، نسب قريش ١٢٨، المسعودى ٢/٧٧، الخير ٢٢/٤٥، ٥٨، بلغة الظرفاء ١٩. الأعلام ٧/٢٦٣.

(٢) عبد الله بن الزبير (١ - ٧٣ هـ = ٦٢٢ - ٦٩٢ م). عبد الله بن الزبير بن العوام القريشى الأسدى، أبو بكر: فارس قريش فى زمنه، وأول مولود فى المدينة بعد الهجرة. شهد فتح إفريقية زمن عثمان، وبويع له بالخلافة سنة ٦٤ هـ، عقيب موت يزيد بن معاوية فحكم مصر والحجاز واليمن وخرسان والعراق وأكثر الشام، وجعل قاعدة ملكه المدينة. وكانت له مع الأمويين وقائع هائلة، حتى سيروا إليه الحجاج الثقفى، فى أيام عبد الملك بن مروان، فانتقل إلى مكة، وعسكر الحجاج فى الطائف ونشبت بينهما حروب أتى المورخون على تفصيلها انتهت بمقتل ابن الزبير فى مكة، بعد أن خذله عامة أصحابه وقاتل قتال الأبطال، وهو فى عمر الثمانين وكان من خطباء قريش المعدودين، يشبه فى ذلك بأبى بكر. مدة خلافته تسع سنين وكان نقش الدراهم فى أيامه: بأحد الوجهين: محمد رسول الله وبالأخر أمر الله بالوفاء والعدل وهو أول من ضرب الدراهم المستديرة، له فى كتب الحديث ٣٣ حديثا. انظر ابن الأثير ٤/١٣٥، فوات الوفيات ١/٢١٠، تاريخ الخميس ٢/٣٠١ حلية الأولياء ١/٣٢٩، اليعقوبى ٣/٢، صفة الصفوة ١/٣٢٢، الطبرى ٧: ٤٠٢، تهذيب ابن عساكر ٧/٣٩٦، شذور العقود ٦/جمهرة الأنساب ١١٣، ١١٤. الأعلام ٨٧/٤.

الزبير إلى أن قتل بمكة تسع سنين. وقام بعد معاوية بن يزيد بالشام مروان بن الحكم بن أبي العاصي بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف^(١) مدة عشرة أشهر. وقام من بعده ابنه عبد الملك بن مروان، واستعمل الحجاج بن يوسف الثقفي^(٢) على حرب عبد الله

(١) مروان بن الحكم (٢ - ٦٥ هـ = ٦٢٣ - ٦٨٥ م). مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية ابن عبد شمس بن عبد مناف أبو عبد الملك: خليفة أموى، هو أول من ملك من بنى الحكم بن أبي العاصي، وإليه ينسب بنو مروان ودولتهم المروانية ولد بمكة ونشأ بالطائف، وسكن المدينة فلما كانت أيام عثمان خرج مروان إلى البصرة مع طلحة والزبير وعائشة، يطالبون بدمه فقاتل مروان فى وقعة الجمل قتالا شديدا وانهم أصحابه فتواری. وشهد صفين مع معاوية، ثم أمنه على، فأناه فبايعه وانصرف إلى المدينة (سنة ٤٢ - ٤٩ هـ) وأخرجه منها عبد الله بن الزبير، فسكن الشام ولما ولى يزيد ابن معاوية الخلافة وثب أهل المدينة على من فيها من بنى أمية فأجلوهم إلى الشام، وكان فيهم مروان ثم عاد إلى المدينة وحدثت فتن كان من أنصارها، وانتقل إلى الشام مدة ثم سكن تدمر ومات يزيد وتولى ابنه معاوية بن يزيد ثم اعتزل معاوية الخلافة، وكان مروان قد أسن فرحل إلى الجابية (فى شمالى حوران) ودعا إلى نفسه، فبايعه أهل الأردن (سنة ٦٤ هـ، ودخل الشام فأحسن تدبيرها وخرج إلى مصر وقد فشئت فى أهلها البيعة لابن الزبير فصالحوا مروان، فولى عليهم ابنه عبد الملك وعاد إلى دمشق فلم يطل أمره، وتوفى فيها بالطاعون وقيل غطته زوجته «أم خالد» بوسادة وهو نائم، فقتلته. ومدة حكمه تسعة أشهر و ١٨ يوما وهو أول من ضرب الدنانير الشامية وكتب عليها «قل هو الله أحد» وكان يلقب خيط باطل لطول قامته واضطراب خلقه. وكان نقش خاتمته: «العزة لله» قاله الصاحب فى عنوان المعارف ١٤. الإصابة: ت ٨٣٢٠ وأسد الغابة ٤: ٣٤٨ وتهذيب ١٠: ٩١ والجمع ٥٠١ وابن الأثير ٤: ٧٤ والطبرى ٧: ٣٤، ٨٣ والبداء والتاريخ ٦: ١٩. وفيه هو أول من أخذ الخلافة بالسيف وأسماء المعتالين من الأشراف: فى نوارى المخطوطات ٢: ١٧٤ وفيه قصة موته حنقا. السالمى ١: ١٧٣ وتاريخ الخميس ٢: ٣٠٦ وفيه أدرك النبى (ﷺ) وهو حى وولى نيابة المدينة مرات، وهو قاتل طلحة بن عبد الله وكان كاتب السر لعثمان، وبسببه جرى على عثمان ما جرى وفيه أيضا يقال له ابن الطريد لأن النبى (ﷺ) طرد أبا الحكم إلى بطن وج بالطائف إذ كان يغمز عليه ويغشى سره، فقال لا ساكتنى فلم يزل فيها إلى أيام عثمان فرده إلى المدينة وكان ذلك مما نقم على عثمان وفى معجم قبائل العرب ٣: ١٠٧٨ من نسله: المروانية كانوا فى صعيد مصر ومن منازلهم فى الشام دابق إحدى قرى حلب وفى معجم الشعراء للمعربانى ٣٩٦ قطعتان من شعره. انظر الأعلام ص ٧ ص ٢٠٧.

(٢) الحجاج الثقفى (٣٤٠ - ٩٥ هـ - ٦٦٠ - ٧١٤ م). الحجاج بن يوسف بن الحكم الثقفى، أبو محمد: قائد، داهية، سفاك خطيب. ولد ونشأ فى الطائف، وانتقل إلى الشام فلحق بروج بن زبناع نائب عبد الملك بن مروان فكان فى عديد شرطته، ثم مازال يظهر حتى قلده عبد الملك أمر عسكريه، وأمره بقتال عبد الله بن الزبير، فزحف إلى الحجاز بجيش كبير وقتل عبد الله وفرق جموعه، فولاه عبد الملك مكة والمدينة والطائف، ثم أضاف إليها العراق والثورة قائمة فيه، فانصرف إلى بغداد فى ثمانية أو تسعة رجال على النجاح، فقمع الثورة وثبتت له الإمارة عشرين سنة وبنى مدينة واسط بين الكوفة والبصرة وكان سفاكا سفاحا باتفاق معظم المؤرخين. انظر معجم البدان ٨/٣٨٢، وفيات الأعيان ١/١٢٣، المسعودى ٢/١٠٣ - ١١٩، تهذيب التهذيب ٢/٢١٠، تهذيب ابن عساكر

ابن الزبير فقتله، وأقام عبد الملك بعد قتله ثلاث عشرة سنة وأربعة أشهر إلا سبع ليال. وقام بعده ابنه الوليد بن عبد الملك^(١) مدة تسع سنين وسبعة أشهر. وقام بعده أخوه سليمان بن عبد الملك^(٢) سنتين وثمانية أشهر وخمسة أيام، وقيل إلا خمسة أيام. وقام بعده عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم^(٣) سنتين وخمسة أشهر. ثم قام بعده يزيد

٤/٤٨٨، ابن الأثير ٤/٢٢ سير النبلاء، البدء والتاريخ ٦/٢٨. الأعلام ٦٨٨/٢.

(١) الوليد بن عبد الملك (٤٨ - ٩٦ هـ - ٦٦٨ - ٧١٥ م). الوليد بن عبد الملك بن مروان، أبو العباس: من ملوك الدولة الأموية في الشام. ولى بعد وفاة أبيه - سنة ٨٦ هـ فوجه القواد لفتح البلاد، وكان من رجاله موسى بن نصير ومولاه طارق بن زياد، وامتدت في زمنه حدود الدولة العربية إلى بلاد الهند، فتركستان، فأطراف الصين شرقاً، فبلغت مسافتها مسيرة ستة أشهر بين الشرق والغرب والجنوب والشمال وكان ولوعاً بالبناء وال عمران، فكتب إلى والى المدينة يأمره بتسهيل الثنايا وحفر الآبار، وأن يعمل فوارة، فعملها وأجرى ماءها. وكتب إلى البلدان جميعاً بإصلاح الطرق وعمل الآبار. ومنع المجذومين من مخالطة الناس، وأجرى لهم الأرزاق وهو أول من أحدث المستشفيات في الإسلام. وجعل لكل أعمى قائداً يتقاضى نفقاته من بيت المال، وأقام لكل مقعد خادماً ورتب للمقراء أموالاً وأرزاقاً. وأقام منازل يأوى إليها الغرباء وهدم مسجد المدينة والبيوت المحيطة به، ثم بناه بناء حديداً، وصفح الكعبة والميزاب والأساطين في مكة، وبنى المسجد الأقصى في القدس، وبنى مسجد دمشق الكبير، المعروف بالجامع الأموي، فكانت نفقات هذا الجامع (...، ٢٠٠، ١١) دينار، أى نحو ستة ملايين دينار ذهبى من نقود زماننا، بدأ فيه سنة ٨٨ هـ، وأتمه أخوه سليمان، وكانت وفاته بدير مران (من غوطة دمشق) ودفن بدمشق. ومدة خلافته ٩ سنين و٨ أشهر وكان خاتمته ياوليد إنك ميت. انظر ابن التير ٥/٣، الطبرى ٨، ٩٧، بلغة الظرفاء ٢٣، اليعقوبى ٣/٢٧، تاريخ الخميس ٢/٣١١، ٣١٤، المسعودى ٢، ١١٩ - ١٢٧، الذهب المسبوك ٢٩، عنوان المعارف ١٥. الأعلام ٨: ١٢١.

(٢) سليمان بن عبد الملك (الخليفة الأموي): (٥٤ - ٩٦ هـ، ٦٧٤ - ٧١٧ م). سليمان بن عبد الملك بن مروان، أبو أيوب: الخليفة الأموي. ولد في دمشق، وولى الخلافة يوم وفاة أخيه الوليد (سنة ٩٦ هـ) وكان بالرملة، فلم يتخلف عن مبايعته أحد، فأطلق الأسرى وأخلى السجون وعفا عن المجرمين، وأحسن إلى الناس. وكان عاقلاً فصيحاً طموحاً إلى الفتح، جهز جيشاً كبيراً وسيره في السفن بقيادة أخيه مسلمة بن عبد الملك، لحصار القسطنطينية. وفي عهده فتحت جرجان وطبرستان، وكانت في أيدي الترك. وتوفى في دابق (من أرض قنسرين - بين حلب ومعرّة النعمان) وكانت عاصمته دمشق. ومدة خلافته ستان وثمانية أشهر إلا أياماً. انظر: ابن الأثير ٥: ١٤، والطبرى ٨: ١٢٦، وابن شاکر ١: ١٧٧ واليعقوبى ٣: ٣٦، وابن خلدون ٣: ٧٤.

(٣) عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم الأموي القرشى أبو حفص، الخليفة الصالح، والملك العادل، وربما قيل له خامس الخلفاء الراشدين تشبيهاً له بهم، وهو من ملوك الدولة مروانية الأموية بالشام ولد ونشأ بالمدينة، وولى إمارتها للوليد ثم استوزره سليمان بن عبد الملك بالشام وولى الخلافة بعده من سليمان سنة ٩٩ هـ، فبويغ في مسجد دمشق وسكن الناس في أيامه، فمنع سب على بن أبى طالب وكان من تقدمه من الأمويين يسبونه على المنابر، ولم تطل مدته، وقيل: دس له السم =

ابن عبد الملك بن مروان^(١) مدة أربع سنين وشهر وأيام. وقام بعده أخوه هشام بن عبد الملك^(٢) تسع عشرة سنة وتسعة أشهر وواحدًا وعشرين يوماً، وقيل ثمانية أشهر

= وهو بدير سمعان من أرض المسرة، فتوفى به ومدة خلافته ستان ونصف وأخباره فى عدله وحسن سياسته كثيرة وكان يدعى أشج بنى أمية مسحته دابة وهو غلام فشجته وقيل فى وصفه أنه كان نحيف الجسم، غائر العينين بجهته أثر الشحمة، وخطه الشيب، أبيض رقيق الوجه مليحاً وفى كتاب الإسلام والحضارة العربية كانت طريقته فى إدارة ولايته إطلاق الحرية للعامل، لا يشاور الخليفة إلا فى أهم المهمات مما تشكل عليه أمره ورثاه الشريف الرضى بقصيدة مطلعها يا ابن عبد العزيز، لو بكت العين فتى من أمية لبكيتك، ولابن الجوزى سيرة عمر بن عبد العزيز ط ولعبد الله بن عبد الحكم سيرة عمر بن عبد العزيز ط، ولعبد الرؤوف المسناوى سيرة عمر بن عبد العزيز ولأحمد زكى صفوت عمر بن عبد العزيز ط ولعبد العزيز سيد الأهل الخليفة الزاهد ط فى سيرته. انظر فوات الوفيات ٢: ١٠٥، تهذيب ٧. ٤٧٥ وسير النبلاء - خ وحلية الأولياء ٥: ٢٥٣ - ٣٥٣ واليعقوبى ٣: ٤٤، وصفة الصفوة ٥: ٦٣، وابن خلدون ٣: ٧٦ والطبرى ٨: ١٣٧، والأعيان ٩: ٢٥٤، والمعوذى ١٣/٢ - ١٣٧ والنجوم الزاهرة ١: ٢٤٦ وتهذيب الأسماء واللغات ٢: ١٩. انظر الأعلام ص ٥ ص ٥٠

(١) يزيد بن عبد الملك (٧١ - ١٠٥ هـ - ٦٩٠ - ٧٢٤ م). يزيد بن عبد الملك بن مروان، أبو خالد: من ملوك الدولة الأموية فى الشام. ولد فى دمشق، وولى الخلافة بعد وفاة عمر بن عبد العزيز سنة ١٠١ هـ بعهد من أخيه سليمان بن عبد الملك. وكانت فى أيامه غزوات أعظمها حرب الجراح الحكى مع الترك، وانتصاره عليهم، وخرج عليه يزيد بن المهلب، بالبصرة، فوجه إليه أخاه مسلمة فقتله. وكان أبيض الجسم مدور الوجه، مليح، فيه مروءة كاملة، مع إفراط فى الانصراف إلى اللذات. مات فى أربد (من بلاد الأردن) أو بالجلولان، بعد موت قينة له اسمها حبابة بأيام يسيرة، وحمل على أعناق الرجال إلى دمشق، فدفن فيها وكان لحبابة، هذه أثر فى أحكام التولية والعزل، على عهده. انظر ابن الأثير ٥/٤٥، النجوم الزاهرة ١/٢٥٥ اليعقوبى ٣/٥٢ الطبرى ٨/١٧٨، الأغاني (انظر فهرس الكتاب)، تاريخ الخميس ٢/٣١٨ بلغة الظرفاء ٢٥، غاية الأمل ١/٦٠، ١٨١/٦، الوزراء والكتاب ٥٦ - ٥٨ مرآة الجنان ١/٢٢٤، المسعودى ٢/١٣٧، عنوان المعارف ١٧، زبدة الحلب ١/٤٧. الأعلام ١٨٥/٨.

(٢) هشام بن عبد الملك (٧١ - ١٢٥ هـ - ٦٩٠ - ٧٧٣ م). هشام بن عبد الملك بن مروان: من ملوك الدولة الأموية فى الشام. ولد فى دمشق، وبيع فيها بعد وفاة أخيه يزيد (سنة ١٠٥ هـ) وخرج عليه زيد بن على بن الحسين (سنة ١٢٠) بأربعة عشر ألفاً من أهل الكوفة، فوجه إليه من قتله وقل جمعه. ونشبت فى أيامه حرب هائلة مع خاقان الترك فيما وراء النهر، انتهت بمقتل خاقان الترك واستيلاء العرب على بعض بلاده. واجتمع فى خزائنه من المال ما لم يجتمع فى خزائن أحد من ملوك بنى أمية فى الشام وبنى الرصافة وهى غير رصافتى بغداد والبصرة، وكان يسكنها فى الصيف، وتوفى فيها وكان حسن السياسة، يقظاً فى أمره، يباشر العمال بنفسه. انظر ابن الأثير ٥/٩٦، الطبرى ٨/٢٨٣، تاريخ الخميس ٢/٣١٨، اليعقوبى ٣/٥٧، ابن خلدون ٣/٨٠، ١٣٠، المسعودى ٢/١٤٢ - ١٤٥، الذهب المسبوك ٣٤، مرآة الجنان ١/٢٦١ - ٢٦٣، مختصر تاريخ العرب لسيد أمير على ١١٨ - ١٣٥. الأعلام ٨٧: ٨.

ونصف. وكان قد اتخذ طرازاً له قدر، واستكثر منه حتى كان يحمل ما أثر فيه من طرازه على سبعمائة حمل فهذه ثيابه التي لبسها، فكيف بما كان عنده مما لم يلبسه؟ فقام من بعده الوليد بن يزيد بن عبد الملك^(١) ويعرف بيزيد الناقص، وولى مدة سنة وثلاثة أشهر، وقيل وشهرين واثنين وعشرين يوماً. فبويع بعده ابنه يزيد بن الوليد^(٢)، وفي أيامه اضطربت الدولة، وولى مدة خمسة أشهر وأياماً. فقام بعده أخوه إبراهيم بن الوليد^(٣) مدة أربعة أشهر، وقيل سبعين يوماً، ولم يتم له أمر. وقام بعده مروان بن محمد

(١) الوليد بن يزيد (٨٨ هـ - ١٢٦ هـ - ٧٠٧ - ٧٤٤ م). الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان، أبو العباس: من ملوك الدولة مروانية بالشام. كان من فتيان بنى أمية وظرفائهم وشجعانهم وأجوادهم، يعاب بالانهماك في اللهو وسماع الغناء. له شعر رقيق وعلم بالموسيقا .. قال ابن خلدون: ساءت القالة فيه كثيراً، وكثير من الناس نفوا ذلك عنه وقالوا إنها من شناعات الأعداء ألصقوها به، ولى الخلافة (سنة ١٢٠ هـ) بعد وفاه عمه هشام بن عبد الملك فمكث سنة وثلاثة أشهر، ونقم عليه الناس حبه للهو، فبايعوا سراً يزيد بن الوليد بن عبد الملك، انظر ابن الأثير ١٠٣/٥، اليعقوبى ٧١/٣، ابن خلدون ١٠٦/٣، الطبرى ٦٥/٨، ٢٨٨، ٢١٩، الأغاني ١/٧، ٢٧٤/٩، تاريخ خميس ٣٢٠/٢ المسعودى ١٤٥/٢، خزانة البغدادى ٣٢٨/١، تاريخ الإسلام ١٧٣/٥ - ١٧٩، بلغة الظرفاء ٢٧، أعمار الأعيان، الوزراء والكتاب ٦٨ عنوان المعرف ١٨، أمالى المرتضى ١٢٨/١ - ١٣١. الأعلام ٨/١٢٣.

(٢) يزيد الناقص (٨٦ - ١٢٦ هـ - ٧٠٥ - ٤٤ م). يزيد بن الوليد بن عبد الملك بن مروان، أبو خالد: من ملوك الدولة مروانية الأموية بالشام مولده ووفاته في دمشق ثار على ابن عمه الخليفة الوليد بن يزيد بن عبد الملك لسوء سيرته، فبويع بالمزة، واستولى على دمشق وكان الوليد بتدمر، فأرسل إليه يزيد من قاتله في نواحيها وقتل الوليد، فتم ليزيد أمر الخلافة (فى مستهل رجب ١٢٦) ومات فى ذى الحجة بالطاعون، وقيل: مسموماً انظر اليعقوبى ٧٤/٣، ابن خلدون ١٠٦/٣، البداية والنهاية ١١/١٠ ابن الأثير ١١٥/٥، والطبرى: حوادث سنة ١٢٦، تاريخ خميس ٣٢١/٢، ٣٢٢، الحور العين لنشوان ١٩٤، عنوان المعارف ١٩، النجوم الزاهرة ١٢٦/١ - ٣٠٠، بلغة الظرفاء ٢٧، ٢٨، تاريخ الإسلام ١٨٨/٥ - الوزراء والكتاب ٦٩ - ٧٠، مختصر تاريخ العرب لسيد أمير على ١٤٣ الأعلام ٦/١٩١.

(٣) إبراهيم بن الوليد ١٣٢ هـ (٧٤٩ م). إبراهيم بن الوليد بن عبد الملك مروانى الأموى، أبو إسحاق، كان مقيماً فى دمشق ولما مات أخوه يزيد بن الوليد قام بعده بالأمر (سنة ١٢٦ هـ) وكان ضعيفاً مغلوباً على أمره تارة يسلم عليه بالإمارة وتارة بالخلافة، فمكث سبعين يوماً، فثار عليه مروان ابن محمد بن مروان وكان والى أذربيجان ودعا لنفسه بالخلافة وقدم الشام فاختفى إبراهيم فظهر وقد ضاعت خلافته. وقتل مع من قتل من بنى أمية حين زالت دولتهم. وقيل غرق بالزباب. انظر ابن الأثير فى الكامل ١١٤/٥، ١١٥، ١١٩ وما بعدها. واليعقوبى ٧٥/٣ وابن خلدون ١١٢/٣. و الطبرى ٤٦/٩. الأعلام ٧٨/١، ٧٩.

بن مروان بن الحكم^(١) ويعرف بمروان الجعدى ومروان الحمار. وفي أيامه ظهرت دولة بنى العباس، وحاربوه حتى قتلوه بأرض مصر، وله فى الخلافة منذ ببيع خمس سنين وعشرة أشهر وستة عشر يوما. وانقرضت بمقتل مروان دولة بنى أمية.

وقامت من بعدها دولة بنى العباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف^(٢) مدة خمسمائة سنة وثلاث وعشرين سنة وعشرة أشهر وأيام، فيها افتتحت كلمة الإسلام، وسقط اسم العرب من الديوان، وأدخل الأتراك فى الديوان، واستولت على الديلم ثم الأتراك، وصارت لهم دول عظيمة جدا، وانقسمت ممالك الأرض عدة أقسام، وصار

(١) مروان بن محمد بن مروان (مروان الجعدى، مروان الحمار، آخر خلفاء بنى أمية). أبو عبد الملك، القائم بحق الله، ويعرف بالجعدى وبالحمار: آخر ملوك بنى أمية فى الشام ولد بالجزيرة وأبوه متولها، وغزا (سنة ١٠٥ هـ) فافتتح قونية وغيرها وولاه هشام بن عبد الملك على أذربيجان وأرمينية والجزيرة (سنة ١١٤ هـ) فافتتح فتوحات وحاض حروبا كثيرة، ولما قتل الوليد بن يزيد (سنة ١٢٦ هـ) وظهر ضعف الدولة فى الشام، دعا الناس وهو بأرمينية إلى البيعة له، فبايعوه فيها. وزحف بجيش كثيف فى أيام إبراهيم بن الوليد، قاصدا الشام، فخلع إبراهيم واستوى إلى عرش بنى مروان (سنة ١٢٧ هـ) وفى أيامه قويت. الدعوة العباسية، وتقدم جيش قحطبة بن شيى الطائى على طوس يريد الإغارة على الشام، فسار إليه مروان بعسكره، ونزل بالزاب (بين الموصل وإربل)، وتداول الجمعان، فانهزم جيش مروان ففر إلى الموصل، ومنها إلى حران فحمص فدمشق ففلسطين، وانتهى إلى بوسير (من أعمال مصر) فقتل فيها (قتله عامر أو عمرو بن إسماعيل المرادى الجوحانى) وحمل رأسه إلى السفاح العباس وكان مروان حازما مدبرا شجاعا، إلا أن ذلك لم ينفعه عند إديار الملك والنخلال السلطان. ويقال له الحمار أو حمار الجزيرة لجرأته فى الحروب انظر الكامل لابن الأثير ٥: ١١٩ و ١٥٨ واليعقوبى ٣: ٧٦ وابن خلدون ٣: ١١٢ و ١٣٠ والطبرى ٩: ٥٤ و ١٣٣ والخميس ٢: ٣٢٢ والمسعودى ٢: ١٥٥ والأخبار الطوال ٣٥٠ وتاريخ الإسلام للنهضى ٥: ٢٩٨ والنجوم الزاهرة ١: ١٩٦ و ٢٥٤ و ٢٧٣ و ٢٨٦ و ٣٠٢، ٣٢٢ وفى معجم البلدان ٨: ١٩٦ الدينورى الأخبار الطوال ١٧٨. انظر الأعلام ٧/٢٠٨ . ٤٠٩٠.

(٢) العباس جد العباسيين ٥١٦ ق هـ - ٣٢ هـ - ٥٧٣ - ٦٥٣ م. العباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، أبو الفضل: من أكابر قريش فى الجاهلية والإسلام، وجد الخلفاء العباسين قال رسول الله ﷺ فى وصفه: أجدود قريش كفا وأوصلها، هذا بقية آبائى وهو عنه وكان محسنا لقومه، شديد الرأى، واسع العقل، مولعا بإعتاق العبيد، كارها للرق، اشتري سبعين عبدا وأعتقهم وكانت له سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام ولا يقول قبيح أسلم قبل الهجرة وكنم إسلامه، وفاته فى المدينة عن عشرة أولاد ذكور سوى الإناث وله فى كتب الحديث ٣٥ حديثا. انظر: أسد الغاية والجهشيارى. ونكت الهميان ١٧٥ والجمع بن رجال الصحيحين والإصابة. وابن سعد والمبرد وصفة الصفوة ١: ٢٠٣ وذيل المذيل ١٠ وابن عساكر ٧: ٢٢٦ والخميس ١: ١٦٥ والمرربانى ٢٦٢ والمخير ٦٣.

بكل قطر قائم يأخذ الناس بالعسف ويملكهم بالقهر. وكان أول من قام من خلفاء بنى العباس السفاح^(١) واسمه عبد الله بن محمد بن علي عبد الله بن عباس، مدة أربع سنين وثمانية أشهر ويوم، وكان سريعا إلى سفك الدماء، سفك ألف دم فاتبعه عماله فى الشرق والغرب فى فعله، وكان مع ذلك جوادا بالمال، فاقتدى به فى ذلك عماله أيضا. ثم ولى بعده أخوه أبو جعفر المنصور^(٢) واسمه أيضا عبد الله بن علي، فأقام مدة إحدى وعشرين سنة وأحد عشر شهرا، وهو أول من أوقع الفرقة بين ولد العباس وولد علي ابن أبى طالب، وكان قبل ذلك أمرهم واحدا، وهو أول خليفة قرب المنجمين، وعمل بأحكام النجوم، وأول خليفة ترجمت له الكتب من اللغات، وأول خليفة استعمل مواليه

(١) أبو العباس السفاح (١٠٤ - ١٣٦ هـ - ٧٢٢ - ٧٥٤ م). عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس: أول خلفاء الدولة العباسية وأحد الجيارين الدهاة من ملوك العرب ويقال له المرتضى والقائم. ولد ونشأ بالشرية بين الشام والمدينة وقام بدعوته أبو مسلم الخراسانى مقوض عش الدولة الأموية، فبيع له بالخلافة جهرا فى الكوفة سنة ١٣٢ هـ وصفا له الملك بعد مقتل مروان بن محمد (آخر ملوك الأمويين فى الشام) وكافأ أبا مسلم بأن ولاه خراسان وكان شديد العقوبة، عظيم الانتقام تتبع بقايا الأمويين بالقتل والصلب والإحراق حتى لم يبق منهم غير الأطفال والجالين إلى الأندلس ولقب بالسفاح لكثرة ما سفح من دمايهم. وكانت إقامته بالأنبار، حيث بنى مدينة سماها الهاشمية وجعلها مقر خلافته وهو أول من أحدث الوزارة فى الإسلام، وكان سخيا جدا، وهو أول من وصل علميون درهم من خلفاء الإسلام وكان يلبس خاتمه باليمين ويوصف بالفصاحة والعلم والأدب. انظر ابن الأثير ١٥٢/٥، الطبرى ١٥٤/٩، اليعقوبى ٨٦/٣، ابن خلدون ١٨٠/٣ تاريخ الخميس ٣٢٤/٢ والبدء والتاريخ ٨٨/٦، النيراس ١٩ - ٢٣، المسعودى ١٦٥/٢ - ١٨٠، تاريخ بغداد ٤٦/١٠، فوات الوفيات ٢٣٢/١، الخبر ٣٣، ٣٤. الأعلام ٤/١١٦.

(٢) المنصور العباس (٩٥ - ١٥٨ هـ - ٧١٤ - ٧٧٥ م). عبد الله بن محمد بن علي بن العباس، أبو جعفر، المنصور: ثانى خلفاء بنى العباس، أول من عنى بالعلوم من ملوك العرب، وكان عارفا بالفقه والأدب، مقدما فى الفلسفة والفلك، محبا للعلماء ولد فى الحميمة من أرض الشراة (قرب عمان) وولى الخلافة بعد وفاة أخيه السفاح سنة ١٣٦ هـ وهو بانى مدينة بغداد أمر بتخطيطها سنة ١٤٥ هـ وجعلها دار ملكه بدلا من الهاشمية التى بناها السفاح. ومن أثاره مدينة المصيصة والرافقة بالركة، وزيادة فى المسجد الحرام. وفى أيامه شرع العرب يطلبون علوم اليونانيين والفرس، صنعته محمد ابن إبراهيم الفزارى وكان بعيدا عن اللهو والعبث، كثير الجد والتفكير، وله تواقيع غاية فى البلاغة وهو والد الخلفاء العباسيين جميعا. وكان أكثرهم شجاعة وحزما إلا أنه قتل خلقا كثيرا حتى استقام ملكه توفى بيز سمونه (من أرض مكة) محرما بالحج، ودفن فى الحجون (مكة) ومدة خلافته ٢٢ عاما.. وكان نقش خاتمه الله ثقة عبد الله وبه يؤمن. انظر ابن الأثير ١٧٢/٥، ٦/٦، الطبرى ٢٩٢/٩ - ٣٢٢، البدء والتاريخ ٩٠/٦، اليعقوبى ١٠٠/٣، تاريخ الخميس ٣٢٤/٢، النيراس لابن دحية ٢٤ - ٣٠، المسعودى ١٨٠/٢ - ١٩٤، تاريخ بغداد ٥٣/١٠، ابن الساعى ١١ - ٢٣، فوات الوفيات ٢٣٢/١. الأعلام ٤/١١٧.

وغلمانة فى أعماله، وقدمهم على العرب، فاقتدى به من بعده من الخلفاء، حتى سقطت قيادات العرب، وزالت رياستها، وذهبت مراتبها. كان قد نظر فى العلم، فكثرت فى أيامه روايات الناس واتسعت علومهم، فقام بعده ابنه المهدي أبو عبد الله محمد^(١) مدة عشر سنين وشهر ونصف، وكان سخيا جوادا، فسلك الناس فى ذلك مسلكه، واتسعوا فى معاشهم، وأمعن فى قتل الملحدين لظهورهم فى أيامه، وانتشار كتبهم، وهو أول من أمر بتصنيف كتب الجدل فى الرد على الزنادقة والملحدين، فصنفت فى أيامه، وعمر مسجد مكة والمدينة والقدس. ثم ولى بعده ابنه الهادي بالله أبو محمد موسى^(٢) سنة وثلاثة أشهر، وكان جبارا، وهو أول من مشت الرجال بين يديه بالسيوف المرهفة، والأعمدة المشهورة، والقسي الموترة، فاقتدى به عماله، وكثر السلاح فى محضره فقام بعده أخوه هارون بن محمد الرشيد^(٣) مدة ثلاث وعشرين سنة وشهرين وثمانية عشر

(١) المهدي (١٢٧ - ١٦٩ هـ - ٧٤٤ - ٧٨٥ م). محمد بن عبد الله المنصور بن محمد بن على العباسي، أبو عبد الله، المهدي بالله: من خلفاء الدولة العباسية فى العراق ولد بإيذج (من كور الأهواز) وولى بعد وفاة أبيه وبعهد منه (سنة ١٥٨ هـ) وأقام فى الخلافة عشر سنين وشهرا، ومات فى ماسيندان، صريعا عن دابته فى الصيد، وقيل مسموما، كان محمود العهد والسيرة، محببا إلى الرعية، حسن الخلق والخلق، جوادا، وهو أول من مشى بين يديه بالسيوف المتصلة والقسي والنشاب والعمد، وأول من لعب بالصوالة فى الإسلام وهو الذى بنى جامع الرصافة، وترتبه بها، وانحى أثر الجامع والترية بعد ذلك. انظر فوات الوفيات ٢/٢٢٥، دول الإسلام ٧/٨٦، البدء والتاريخ ٦/٩٥ اليقوي ٣/١٢٥، ابن الأثير ٦/٢٧، الطبرى ١٠/١١ - ٢١، النيراس ٣١ - ٣٥ المسعودى ٢/١٩٤ - ٢٠١، تاريخ بغداد ٥/٢٩١، الوافى بالوفيات ٣/٣٠٠. الأعلام ٦/٢٢١.

(٢) الهادي (١٤٤ - ١٧٠ هـ - ٧٦١ - ٧٨٦ م). موسى الهادي بن محمد (المهدي) بن أبى جعفر المنصور، أبو محمد: من خلفاء الدولة العباسية ببغداد ولد بالرى وولى بعد وفاة أبيه (سنة ٢٦٩ هـ) وكان غائبا بجرجان فأقام أخوه الرشيد بيعته واستبدت أمه الخيزران بالأمر وأراد خلع أخيه هارون الرشيد من ولاية العهد وجعلها لابنه جعفر، فلم تر أمه ذلك، فجزها فأمرت حوارياها أن يقتلنه فخنقنه، ودفن فى بستانه بعيس آباد ومدة خلافته سنة وثلاثة أشهر. انظر ابن الأثير ٦/٢٩ - ٣٦، اليقوي ٣/١٣٦، المرزبانى ٣٧٩، الطبرى ١٠/٢١، ٣٣، تاريخ الخميس ٢/٣٣١، بلغة الظرفاء ٤٨، النيراس ٣٥، مروج الذهب ٧/٢٠١، تاريخ بغداد ١٣/١٣، البدء والتاريخ ٦/٩٩، الأعلام ٧/٣٢٧.

(٣) هارون الرشيد (١٤٩ - ١٩٣ هـ - ٧٦٦ - ٨٠٩ م). هارون الرشيد بن محمد المهدي بن المنصور العباسي، أبو جعفر خامس خلفاء الدولة العباسية فى العراق، وأشهرهم، ولد بالرى، لما كان أبوه أميرا عليها وعلى خراسان ونشأ فى دار الخلافة ببغداد وولاه أبوه غزو الروم فى القسطنطينية، فصالحته الملكة: إيرينى. وافتدت منه مملكتها بسبعين ألف دينار تبعت بها إلى خزانة الخليفة فى كل عام. ويوبع بالخلافة بعد وفاة أخيه الهادي (سنة ١٧٠ هـ) فقام بأعبائها، وازدهرت الدولة = فى أيامه

يوما، وقيل وشهر وستة عشر يوما وكان مواظبا على الحج، متابعا للغزو واتخذ المصانع والآبار والبرك والقصور بطريق مكة، وبمكة ومنى وعرفات والمدينة النبوية، وعم الناس إحسانه وعدله، وبنى الثغور ومدن المدن، وحصن فيها الحصون، مثل طرسوس وأذنه، وعمر المصيصة ومرعش وغير ذلك، فاقتدى الناس به، وهو أول خليفة لعب بالصوالمجة في الميدان، ورمى بالنشاب في اليرجاس، ولعب بالشطرنج، وقرب أرباب هذه الأمور، وأجرى لهم الأرزاق، فاقتدى به الناس. وكانت أيامه كأنها من حسناتها أعراس. فبويع بعده ابنه الأمين محمد بن هارون، وأقام أربع سنين وثمانية أشهر وخمسة أيام، فقدم الخدم، ورفع منازلهم، وشغف بهم، فاتخذت له أمه الجوارى الغلاميات، فاتخذ الناس في أيامه ذلك فقام من بعده أخوه المأمون عبد الله بن هارون مدة اثنتين وعشرين سنة منذ سلم عليه بالخلافة، ومدة عشرين سنة وخمسة أشهر وثلاثة أيام، وقيل وخمسة وعشرين يوما، بعد قتل أخيه. وكان أولا ينظر في أحكام النجوم ويعمل بموجبها، ويكثر النظر في كتب القدماء من الحكماء، فلما قدم بغداد أعرض عن ذلك كله، وقال بأقوال المعتزلة، وقرب أرباب العلوم، وطلبهم من الآفاق، وأجرى عليهم الأرزاق، فرغب الناس في العلوم الجدلية، وصنف كل أحد فيها ما ينصر به مذهبه، وكان كريما عفوا، فاقتدى الناس به في أحواله كلها. وقام بعد المأمون أخوه المعتصم بالله أبو إسحاق محمد بن هارون، مدة ثمانى سنين وثمانية أشهر وثمانية أيام، وهو أول من أدخل الأتراك الديوان، وكان أمياً لا يقرأ ولا يكتب، وكان يغلب عليه الفروسية، ويتشبهه بالعجم في عامة أحواله].....^(١) وقام من بعده ابنه الواثق بالله أبو جعفر هارون بن محمد^(٢) مدة

واتصلت المودة بينه وبين ملك فرنسا كارلوس الملقب بشارلمان فكانا يتهاديان التحف وكان الرشيد عالما بالأدب وأخبار العرب والحديث و الفقه، فصيحاً، له شعر أورد صاحب الديارات نماذج منه، وله محاضرات مع علماء عصره، شجاعا كثير الغزوات، يلقب بجبار بنى العباس، حازما كريما متواضعا، يحج سنة ويغزو سنة، لم ير خليفة أجود منه، ولم يجتمع على باب خليفة ما اجتمع على باب من العلماء والشعراء والكتاب والندماء. وكان يطوف أكثر الليالي متنكرا... وهو أول خليفة لعب بالكرة والصولجان ولايته ثلاث وعشرين سنة وشهران وأيام توفي في سنابا من قرى طوس، وبها قبره. انظر البداية والنهاية ٢١٣/١٠، اليعقوبى ١٣٩/٣، الذهب المسبوك ٤٧ - ٥٨، ابن الأثير ٦٩/٦، الطبرى ٤٧/١٠ - ١١٠، تاريخ الخميس ٣٣١/٢ المرزبانى ٤٨٤، البدء والتاريخ ١٠١/٦، ثمار القلوب ٨٨، النيراس ٣٦ - ٤٢، المسعودى ٢٠٧/٢ - ٢٣١، تاريخ بغداد ٥/١٤، تراجم إسلامية ١١/الديارات ١٤٤ - ١٤٦، بلغة الظرفاء ٤٩، هارون الرشيد لقلبي ١، مختصر تاريخ الإسلام ابن على ٢٠٤ - ٢١٧. الأعلام ٨/٦٢ .

(٢) الواثق بالله (٢٠٠ - ٢٣٢ هـ - ٨١٥ - ٨٤٧م). هارون (الواثق بالله) بن محمد المعتصم =

خمس سنين وتسعة أشهر وستة أيام. وفي أيامه كانت الحنة وكان كثير الأكل، واسع الطعام. فقام من بعده المتوكل على الله جعفر بن المعتصم^(١) مدة أربع عشرة سنة وتسعة أشهر وثمانية أيام، وقتله الأتراك، وتحكموا من حينئذ في ممالك الدنيا. وهو الذي رفع الحنة، ونهى عن الجدل وعاقب عليه، وأمر بإظهار رواية الحديث. وأقام بعده ابنه المنتصر محمد بن جعفر^(٢)، فمات بعد ستة أشهر تنقص أياما. وأقيم بعده المستعين بالله أحمد بن محمد المعتصم^(٣) فأقام ثلاث سنين وثمانية أشهر وثمانية وعشرين يوما، وخلعه

= بالله ابن هارون الرشيد العباس، أبو جعفر: من خلفاء الدولة العباسية بالعراق. ولد ببغداد، وولى الخلافة بعد وفاة أبيه (سنة ٢٢٧ هـ) فامتحن الناس في خلق القرآن وسجن جماعة، وقتل في ذلك أحمد بن نصر الخزاعي، بيده (سنة ٢٣١ هـ).. ومات في سامراء، قيل: بعلة الاستسقاء. انظر ابن الأثير ١٠/٧، والطبري ٢٤/١١، اليعقوبي ٢٠٤/٣، الأغاني ٢٧٦/٩ - ٢٠٠، تاريخ الخميس ٣٣٧/٢، المرزباني ٤٨٤، البرزاس ٧٣ - ٨٠٠، مروج الذهب ٢٧٨/٢ - ٢٨٨، تاريخ بغداد ١٤: ١٠٥. الأعلام ٦٢، ٨/٦٣.

(١) المتوكل (٢٠٦ - ٢٤٧ هـ - ٨٢١ - ٨٦١ م). جعفر (المتوكل على الله) بن محمد (المعتصم بالله) بن هارون الرشيد، أبو الفضل: خليفة عباسي. بويع بعد وفاة أخيه الواثق (سنة ٢٣٢ هـ) وكان جوادا محبا للعمران، من آثاره المتوكلية ببغداد، أنفق عليها أموالا كثيرة، وسكنها. ولما استخلف كتب إلى أهل بغداد كتابا قرئ على المنبر بترك الجدل في القرآن، وأن الذمة بريئة ممن يقول بخلقه أو غير خلقه. ونقل مقر الخلافة من بغداد إلى دمشق، فأقام بهذه شهرين، فلم يطب له مناخها، فعاد وأقام في سامراء، إلى أن اغتيل فيها ليلا، بإغراء ابنه (المنتصر) ولبعض الشعراء هجاء في المتوكل لهدمه قبر الحسين وما حوله، سنة ٢٣٦ هـ. انظر الدول الإسلامية ٢٠، تاريخ الخميس ٣٣٧/٢، تاريخ بغداد ١٦٥/٧، النيراس ٨٠ - ٨٥، مزار القلوب ١٤٩، اليعقوبي ٢٠٨/٣، ابن الأثير ١١/٧، ٢٩، الطبري ٢٦/١١، ٦٢، مروج الذهب ٢٨٨/٢. الأعلام ٢/١٢٧.

(٢) المنتصر العباسي (٢٢٣ - ٢٤٨ هـ - ٨٣٨ - ٨٦٢ م). (المنتصر بالله) بن جعفر (المتوكل على الله) بن المعتصم، أبو جعفر: من خلفاء الدولة العباسية ولد في سامراء، وبويع بالخلافة بعد أن قتل أباه (سنة ٢٤٧ هـ) وفي أيامه قويت سلطة الغلمان، فحرضوه على خلع أخويه المعتز والمؤيد (وكان أولى عهده) فخلعهما وهو أول من عدا على أبيه من بنى العباس ولم تطل مدته وكان إذا جلس إلى الناس يتذكر قتله لأبيه فترعد فرائضه. قيل: مات مسموما بمبضع طيب. ووفاته بسامراء. ومدة خلافته ستة أشهر وأيام وهو أول خليفة من بنى العباس عرف قبره، وكانوا لا يخفون بقبور موتاهم، إلا أن أمه طلبت إظهار قبره وكان له خاتمان نقش على أحدهما محمد رسول الله وعلى الثاني المنتصر بالله. انظر ابن الأثير ٣٦/٣٢/٧، النيراس ٨٥، الطبري ١١/٦٩ - ٨١ اليعقوبي ٢١٧/٣، الأغاني ٣٠٠/٩، تاريخ الخميس ٣٣٩/٢، المرزباني ٤٤٦، تاريخ بغداد ١١٩/٢، المسعودي ٣١١/٢ - ٣١٩ فوات الوفيات ١٨٤/٢. الأعلام ٦: ٧٠.

(٣) المستعين بالله (٢١٩ - ٢٥٢ هـ - ٨٣٤ - ٨٦٦ م). أحمد بن محمد بن المعتصم بن هارون الرشيد، أبو العباس، أمير المؤمنين، المستعين بالله من خلفاء الدولة العباسية في العراق ولد بسامراء، وكانت إقامته فيها. بويع بها بعد وفاة المنتصر بن المتوكل (سنة ٢٤٨ هـ) قال اليعقوبي: ولم يكن

الأتراك وعذبوه، ثم قتلوه بعد تسعة أشهر من خلعه. والمستعين أول من أحدث لبس الكمام الواسعة، فجعل عرضها نحو ثلاثة أشبار، وصغر القلائس وكانت قبله طوالاً. وأقيم بعده المعتز بالله محمد بن المتوكل^(١) ثم خلعه الأتراك وعذبوه بالضرب حتى مات، فكانت خلافته مدة ثلاث سنين وستة أشهر وواحد وعشرين يوماً، وقيل وأربعة وعشرين يوماً، وهو أول خليفة أحدث الركوب بحلية الذهب - وكان من قبله من خلفاء بني أمية وبني العباس يركبون بالحلية الخفيفة من الفضة فى المناطق - واتخاذ

يؤهل للخلافة، ولكن لما توفى المنتصر استوحش الأتراك من ولد المتوكل، فبايعوه وأنكر بعض القواد البيعة، ففرق أموالاً كثيرة فاستقامت أموره وكان المتحكم فى الدولة على عهده «أوتامش» التركي ورجاله، فنارت عصبة من الأتراك والموالى على أوتامش بموافقة المستعين - فقتلوه وقتلوا كاتبه شجاع بن القاسم (سنة ٢٤٩ هـ) وكتب المستعين إلى الآفاق بلغته. وفى أيامه ظهر يحيى بن عمر الطالبي بالكوفة وقتل وقامت ثورات فى الأردن وحمص والمعدة والمدينة والروذان بين فارس وكرمان، وانتقل إلى بغداد، فغضب القواد وطلبوا عودته إلى سامراء، فامتنع فنادوا بخلعه، واتصلوا بالمعتز - وكان سجيناً بسامراء - فأطلقوا وبايعوه، وزحفوا لقتال المستعين ببغداد، فانتشرت الفوضى فيها، فخلع نفسه واستسلم للمعتز لقاء مال معلوم يدفع إليه، ورحل إلى واسط بأمه وأهله أوائل سنة ٢٥٤، فأقام ١٠ أشهر، ونقله المعتز إلى القاطول فسلك فيها إلى حاجب يدعى سعيد بن صالح فضربه حتى مات وقال ابن شاکر كان قبل الخلافة حاملاً يرتزق بالنسخ وأورد له نظماً وكان يلشغ بالسين يجعلها ثاء انظر: يعقوبى ٣: ٢١٨ والطبرى ١١: ٨٢ و١٣٧ - ١٤٦ والمسعودى ٢: ٣١٩. ٣٣٠ وابن الأثير ٧: ٣٧ - ٥٦ وتاريخ بغداد ٥: ٨٤ والنجوم الزاهرة ٢: ٣٣٥ والنيراس ٨٦ وشذرات الذهب ٢: ١٢٤ وتاريخ الخميس ٢: ٣٤ وفوات الوفيات ١: ٦٨ والأعلام ١-٢٠٤، ٢٠٥.

(١) المعتز العباسى (٢٣٢ - ٢٥٥ هـ - ٨٤٦ - ٨٦٠ م). محمد (المعتز بالله) بن جعفر (المتوكل على الله) بن المعتصم: خليفة عباسى (هو أخو المنتصر بالله) ولد فى سامراء وعقد له أبوه البيعة بولاية العهد سنة ٢٣٥ هـ، وأقطعه خراسان وطبرستان والرى وأرمينية وأذربيجان وكور فارس، ثم أضاف إليه خزن الأموال فى جميع الآفاق، ودور الضرب، وأمر أن يضرب اسمه على الدراهم، ولما ولى المستعين بالله (سنة ٢٤٨ هـ) سجن المعتز، فاستمر إلى أن أخرج الأتراك بعد ثورتهم على المستعين وبايعوا له (سنة ٢٥١ هـ) فكانت أيامه فتن وشغباً وجاءه قواده فطلبوا منه مالاً لم يكن يملكه، فاعتذر، فلم يقبلوا عذره، ودخلوا عليه فضربوه، فخلع نفسه، فسلموه إلى من يعذبه، فمات بعد أيام شاب قيل اسمه الزبير وقيل طلحة وكان فصيحاً له خطبة ذكرها ابن الأثير فى الكلام على وفاته وما زال يعذب بالضرب حتى مات بسر من رأى، وقيل: أدخل الحمام فأغلق عليه حتى مات مدة خلافته ثلاث سنوات وستة أشهر و ١٤ يوماً. انظر ابن الأثير ٧/٤٥ - ٦٤، يعقوبى ٣/٢٢٢، تاريخ بغداد ٢/١٢١، الديارات ١٠٤: ١٠٩، الطبرى ١١/١٦٢ الأغاني ٩/٣١٨. تاريخ الخميس ٢/٣٤٠، المرزبانى ٤١٦، النيراس ٨٧، المسعودى ٢/٣٣٠ - ٣٣٨، فوات الوفيات ٢/١٨٥.

السيوف والسروج واللُّجَم، فلما ركب المعتز بحلية الذهب تبعه الناس فى فعل ذلك. وأقيم بعده المهتدى بالله محمد بن الواثق^(١) ثم قتله الأتراك بعد أحد عشر شهرا وتسعة عشر يوما. وأقيم بعده المعتمد بالله أحمد بن المتوكل^(٢) فغلبه الأتراك، واستبد عليه أخوه الموفق بالله أبو أحمد طلحة^(٣) وخرج فى أيامه صاحب الزنج^(٤)، فحاربه الموفق أعواما

(١) محمد بن هارون الواثق بن محمد المعتصم بن هارون الرشيد، أبو عبد الله، المهتدى بالله، العباسى: من خلفاء الدولة العباسية ولد فى القاطول (بسامراء) وبويع له بعد خلع المعتز (سنة ٢٥٥هـ) ولم يلبث أن انتقض عليه الترك ببغداد، فخرج لقتالهم ونشبت الحرب ففرق منه من كان معه من جنده (وهم من الترك أيضا) وانضموا إلى صفوف أصحابهم، فبقى المهتدى فى جماعة يسيرة من جنده أيضا فانهمز والسيوف فى يده، ينادى: يامعشر المسلمين، أنا أمير المؤمنين، قاتلوا عن خليفتمكم! فلم يجبه أحد، وأصيب بطعنة مات على أثرها. وكان حميد السيرة، فيه شجاعة، يأخذ مأخذ عمر بن عبد العزيز فى الصلاح مدة خلافته أحد عشر شهرا وأيام. انظر ابن الأثير ٦٤/٧. ٧٧، الفوات ٢٧٠/٢، تاريخ الخميس ٣٤/٢ المرزبانى ٤٤٧، الطبرى ١١/١٦٢ - ٢١٢، اليعقوبى ٢٢٧/٣، الأعلام ٧/١٢٨.

(٢) المعتمد على الله (٤٢٩ - ٢٧٩ هـ = ٨٤٣ - ٨٩٢ م). أحمد بن المتوكل على الله جعفر ابن المعتصم، أبو العباس المعتمد على الله: خليفة عباسى ولد بسامراء، وولى الخلافة سنة ٢٥٦ هـ بعد مقتل المهتدى بالله بيومين وطالت أيام ملكة، وكانت مضطربة كثيرة العزل والتولية، بتدبير الموالى وغلبتهم عليه، فقام ولى عهده أخوه الموفق بالله (طلحة) فضبط الأمور، وصلحت الدولة وانكفت يد المعتمد عن كل عمل حتى أنه احتاج يوما إلى مائه دينار فلم ينلها. وكان من أسمح آل عباس، جيد الفهم، شاعرا، إلا أنه لما غلب على أمره انتقصه الناس، وكان مقام الخلفاء قبلة فى سامراء فانتقل المعتمد منها إلى بغداد، فلم يعد إليها أحد منهم بعده. وكان موته ببغداد، وحمل إلى سامراء فدفن فيها. انظر ابن الأثير ٧٧/٧ - ١٥١، اليعقوبى ٣/٢٢٨، البدء والتاريخ ٦/١٢٤، الطبرى ١١/٢١٤ - ٣٤١، تاريخ الخميس ٢/٣٤٢. تاريخ بغداد ٤/٦٠، النيراس ٨٩/مروج الذهب ٢/٣٤٥، الديارات ٦٣ - ٦٩. الأعلام ١٠٧/١.

(٣) الموفق بالله (... - ٢٧٨ هـ - ... ٨٩١ م). طلحة (الموفق بالله) بن جعفر (المتوكل على الله) بن المعتصم، العباس، أبو أحمد أمير، من رجال السياسة والإدارة والحزم، لم يلب الخلافة اسما، ولكنه تولاها فعلا، ولد ومات فى بغداد. ابتدأت حياته العملية بتولى أخيه المعتمد على الله الخلافة (سنة ٢٥٦ هـ) وآلت إليه ولاية العهد وظهر ضعف المعتمد عن القيام بأعباء الدولة، فنهض بها الموفق، وصد عنه غارات الطامعين بالملك، ثم حجر عليه، حتى كان المعتمد يتمن الشئ اليسير فلا يحصل عليه وكان شجاعا موقفا عادلا، عالما بالأدب والأنساب والقضاء له مواقف محمودة فى الحروب وغيرها، وتوفى فى أيام أخيه المعتمد. انظر الكامل: حوادث سنة ٢٧٨ هـ، الطبرى ٨/١٥٨، تاريخ بغداد ٢/١٢٧، النجوم الزاهرة ٣/٧٩. الأعلام ٣/٢٢٩.

(٤) صاحب الزنج (... ٢٧٠ هـ - ٨٨٣ م). على بن محمد الورزنى العلوى، الملقب صاحب الزنج، من كبار أصحاب الفتن فى العهد العباسى وفتنته معروفة بفتنة الزنج لأن أكثر أنصاره منهم =

كثيرة ثم مات الموفق بعد قتله صاحب الزنج، فاحتلت أمور المعتمد وقتل، وكانت مدته اثنتين وعشرين سنة وأحد عشر شهراً وخمسة عشر يوماً، وهو أول خليفة قهرَ وحجر عليه ووكل به، فقام من بعده المعتضد أحمد بن الموفق طلحة^(١) واستبد بالأمر، وخرجت القرامطة في أيامه، ومات وله في الخلافة مدة عشر سنين وتسعة أشهر وثلاثة أيام، وقيل تسع سنين وسبعة أشهر واثنين وعشرين يوماً ولما مات كفن في ثوبين قيمتهما ستة عشر قيراطاً. فولى بعده ابنه المكتفى بالله على^(٢) وجدَّ في حرب القرامطة وهزمهم، وأزال دولة بنى طولون من مصر والشام، ومات وله مدة ست سنين وستة أشهر وستة عشر يوماً وقيل تسعة عشر يوماً. فأقيم من بعده أخوه المقتدر بالله جعفر بن المعتضد،

= ولد ونشأ في ررزين إحدى قرى الري وظهر في أيام المهدي بالله، العباسي سنة ٢٥٥ هـ، وكان يرى رأى الأزارقة والتف حوله سودان أهل البصرة ورعاها. فامتلكها واستولى على الأبله. وتتابعت لقتاله الجيوش، فكان يظهر عليها ويشتها ونزل البطائح، وامتلك الأهواز، وأغار على واسط، وبلغ عدد جيشه ثلاثمائة ألف مقاتل وجعل مقامه في قصر اتخذه بالمختارة وعجز عن قتاله الخلفاء، حتى ظفر به الموفق بالله في أيام المعتمد، فقتله وبعث برأسه إلى بغداد... وفي نسبه العلوي طعن وخلاف. انظر دول الإسلام ١/١٢٦، المرزبانى ٢٩١، الطبرى ١١/١٧٤ ابن خلدون ٤/١٨. الأعلام ٤/٣٢٤.

(١) المعتضد بالله (٢٤٢ - ٢٨٩ هـ، ٨٥٧ - ٩٠٢ م). أحمد بن طلحة بن جعفر أبو العباس المعتضد بالله بن الموفق بالله بن المتوكل: خليفة عباسي، ولد ونشأ ومات في بغداد كان عون أبيه في حياته أيام خلافة المعتمد، وأظهر بسالة ودراية في حروبه مع الزنج والأعراب وهو فى سن الشباب وبويج له بالخلافة بعد وفاة عمه المعتمد (سنة ٢٧٩ هـ) فحل عن بنى العباس عقده المتغلبين وظهر بمظهر الخلفاء العاملين. ثم جعل يتوجه بنفسه إلى أصحاب الشغب فى البلاد فيجمع ثأرتهم. وجعل أمراء الجند مسئولين عن أعمال أتباعهم وكان شجاعاً ذا عزم، مهيباً عند أصحابه يتقون سطوته ويكفون عن المظالم خوفاً منه ومن المؤرخين من يقول: قامت الدولة بأبى العباس وحددت بأبى العباس. يريدون السفاح والمعتضد. مدة خلافة ٩ سنوات و ٩ أشهر و ١٣ يوماً وكان نقش خاتمه أحمد يؤمن بالله الواحد. انظر النجوم الزاهرة ٣/١٢٨، شذرات الذهب ٢/١٢٩، فوات الوفيات ١/٤٥٠، ابن الأثير ٧/١٤٧ - ١٦٩، والطبرى ١١/٣٧٣، الأغاني ١١/٤١ تاريخ الخميس ٢/٣٤٢، النبراس ٩٠ - ٩٤، المسعودى ٢/٣٦١ - ٣٨٢ تاريخ بغداد ٤/٣٠٤، المنتظم القسم الثانى من ج ١٢٣/٥ - ١٣٨ الأعلام ١/١٤.

(٢) المكتفى العباسى (٢٦٣ - ٢٩٥ هـ ٨٧٦ - ٩٠٨ م). على (المكتفى بالله) بن أحمد المعتضد ابن الموفق بن المتوكل، أبو محمد: من خلفاء الدولة العباسية فى العراق. وكان مقيماً بالرقه، وجاءه نعى أبيه المعتضد (سنة ٢٨٩ هـ) فبويج بها. وانتقل إلى بغداد، فقام بشئون الملك قيماً حسناً. وظفر فى أكثر ما كان من الوقائع بينه وبين الثأرين عليه... وتوفى سائماً ببغداد. انظر ابن الأثير ٨/٣، الطبرى ١١/٤٠٤، الخميس ٢/٣٤٥، النبراس ٩٤، مروج الذهب ٢/٣٨٢، ٣٩٠ تاريخ بغداد ١١/٣١٦، فوات الوفيات ٢/٤١. الأعلام ٤/٢٥٣.

وعمره ثلاث عشرة سنة وشهران وثلاثة أيام، لم يبلغ الحلم، وهو أول من ولي الخلافة من الصبيان، فغلبت على أموره النساء والخصيان، وأكثر من قتل الوزراء ومن قام وبتغييرهم، فاضطربت عليه الأمور، فلم يقيم غير أربعة أشهر، وخلع بعبد الله بن المعتز^(١) ثم قتل ابن المعتز بعد يوم وليلة وأعيد المقتدر، وخرجت القرامطة فى أيامه، وأخذوا الحجر الأسود من الكعبة إلى بلادهم، وخرج عليه أيضا الديلم، وظهر عبيد الله المهدي بإفريقية ودعا لنفسه، وقطع دعوة بنى العباس من بلاد المغرب وبرقة^(٢) ثم إن المقتدر خلع مرة ثانية، وأقيم بدله القاهر بالله محمد بن المعتضد، ثم أعيد المقتدر، وغلب عليه أصحاب الدواوين، ولم يجعلوا له أمرا ينفذ، وصارت تُملّ القهرمانه إحدى جواربه تجلس للمظالم، ويحضرها الوزراء والقضاة والفقهاء، وفى أيامه انقطع الحج، وكثر الهزل والمجون، وآخر أمره أنه قتل بعدما أقام فى الخلافة أربعاً وعشرين سنة وشهرين وعشرة أيام، وقيل وأحد عشر شهراً وأربعة عشر يوماً عندما خرج على الجند وقد شغبوا وهو متشح بالبردة النبوية، فقتل وتلوث بالدم. فقام من بعده القاهر بالله محمد بن المعتضد، ثم خلع وكحل بمسمار، وقد حمى فى النار مرتين، حتى سألت عيناه، بعد سنة وستة أشهر وثمانية أيام. وآل أمره أن كان يقوم يوم الجمعة بالجامع، ويسأل الناس فيقول: يا معاشر الناس، أنا بالأمس كنت خليفتكم، واليوم أسألكم ما فى أيديكم، فيتصدق عليه. وقام من بعده فى الخلافة الراضى بالله محمد بن المقتدر، وفى أيامه استولى الروم على عامة الثغور وكان مغلوباً عليه مع مواليه، لا يقدر على شىء، ومات بعد ست سنين وعشرة أشهر وعشرة أيام، وقيل وتسعة أيام من خلافته. والراضى آخر خليفة خليفة له شعر مدون، وآخر خليفة انفرد بتدبير الجيوش والأموال، وآخر بنى، وآخر خليفة

(١) عبد الله بن محمد المعتز بالله بن المتوكل بن المعتصم بن الرشيد العباسى ٢٤٧ - ٢٩٦ هـ - ٨٦١ - ٩٠٩ م). أبو العباس: الشاعر المبدع، خليفة يوم وليلة ولد فى بغداد، وأولع بالأدب فكان يقصد قصحاء العرب ويأخذ عنهم وجاءته النكية من حيث يسعد الناس: آلت الخلافة فى أيامه إلى المقتدر العباسى واستصغره القواد فخلعوه وأقبلوا على صاحب الترجمة، فلقبوه المرتضى بالله وبايعوه بالخلافة، فأقام يوماً وليلة، ووثب عليه غلمان وعاد المقتدر فقبض عليه وسلمه إلى خادم له اسمه مؤنس، فخنقه وفيه قال مغلقاى مكث فى الخلافة يوماً وليلة، وقتل بعضهم لم يذكره مع الخلفاء وسماه الأمير لا أمير المؤمنين ومذهب بعضهم أنه أمير المؤمنين ولو لم يل الخلافة فإنه كان أهلها تاريخ بغداد ١٠ / ٩٥ وأشعار أولاد الخلفاء ١٠٧ - ٢٩٦ وفيه كثير من شعره. وتمامه من نثره وفوات الوفيات ١: ٢٤١ ومفتاح السعادة: ١: ١٩٩ انظر الأعلام ٤/١١٩.

(٢) برقة. بفتح أوله والقاف اسم صقع كبير يشتمل على مدن وقرى بين الإسكندرية وأفريقية، واسم مدينتها انطابلس وتفسيره الخمس مدن. قال بطليموس طول مدينة برقة ثلاث وستون درجة وعرضها ثلاث وثلاثون درجة وعشر دقائق. انظر معجم البلدان (برقة).

خطب يوم الجمعة، وآخر خليفة جالس الندماء، ووصل إليه العدماء، وآخر خليفة كانت نفقته وجوائزه، وعطاياه وخدمه وجراياته وخزائنه، ومطابجه وشرابه، ومجالسه وحجابه وأموره جارية على ترتيب الخلافة الأول، وآخر خليفة سافر بزى الخلفاء القدماء، وقد سافر بعده المتقى والطائع. ثم قام بعده أخوه المتقى لله إبراهيم بن المقدر، وكان خيراً عابداً، وفي أيامه تغلب بنو حمدان على الجزيرة والشام، وكثر الاختلاف عليه، فنخلعه توزون التركي، وكحله كما كحل القاهر، ثم حبسه مع القاهر وهما مكحولان، فقال القاهر:

صرت وإبراهيم نخى عمى لا بد للنخين من صدر
مادام توزون له إمرة مطاعة فالميل فى الجمر

وكان ذلك بعد ثلاث سنين وأحد عشر شهراً، ومات بعد خلعه بخمس وعشرين سنة. وقام من بعده لما خلع المستكفى بالله عبد الله بن المكتفى، فاستولت الديلم على البلاد، ووقع الاختلاف عليه، فقبض وكحل على يد معز الدولة أحمد بن بويه^(١) فكانت أيامه سنة وأربعة أشهر ويومين. وأقيم من بعده المطيع لله الفضل بن المقدر^(٢) فأقام تسعا وعشرين سنة وأربعة أشهر وواحد وعشرين يوماً، ليس له سوى الاسم، والمدير للأمور معز الدولة، وقد فرض لنفقة المطيع فى كل يوم مائتى دينار، وفى أيامه قدمت عساكر المعز لدين الله أبى تميم^(٣) معد إلى مصر، وانقطعت الدعوة العباسية من

(١) أحمد بن بويه (معز الدولة) (٣٠٣ - ٣٥٦ هـ - ٩١٥ - ٩٦٧ م). أحمد بن بويه بن فناخسرو ابن تمام، من سلالة سابور ذى الأكتاف الساسانى، أبو الحسن معز الدولة: من ملوك بنى بويه فى العراق. فارسى الأصل، مستعرب. كان فى أول أمره يحمل الخطب على رأسه، ثم ملك هو وأخوه عماد الدولة وركن الدولة البلاد. انظر وفيات الأعيان ٢٥٦/١ تجارب الأمم ١٤٦/٦، ٢٣١ الأعلام ١/١٠٥.

(٢) المطيع لله (٣٠١ - ٣٦٤ هـ - ٩١٣ - ٩٧٤ م). الفضل (المطيع لله) بن جعفر (المقدر بالله) ابن المعتض العباسى، أبو القاسم: من خلفاء الدولة العباسية. بويغ بالخلافة بعد خلع المستكفى بالله (سنة ٣٣٤ هـ). انظر بن الأثير ١٤٨/٨ - ٢١٠، فوات الوفيات ١٢٥/٢، تاريخ الخميس ٣٥٣/٢، المسعودى ٤٢٩/٢، التبراس ١٢١ الأعلام ١٤٧، ٥.

(٣) المعز الفاطمى (٢٣١٩ - ٣٦٥ هـ - ٩٣١ - ٩٧٥ م). سعد (المعز لدين الله) بن إسماعيل (المنصور) بن القاسم بن المهدي عبيد الله الفاطمى العبيدى، أبو تميم: صاحب مصر وأفريقية، وأحد الخلفاء فى هذه الدولة ولد بالمهدية وبويغ له بالخلافة فى المنصورية بعد وفاة أبيه ٣٤١ هـ. انظر الخلاصة النقية ٤١، وفيات الأعيان ١٠١/٢، المنتظم ٨٢ مورد اللطافة ١ - ٣، ابن إياس ٤٥/١، أعمال الأعلام ٢٤، اتعاظ الخنفا ١٣٤، ابن خلدون ٤٦/٤، ابن الأثير ١٦٥/٨ - ٢٢٠، البيان المغرب ٢٢١/١ بلغة الظرفاء ٧٠، هدية العارفين ٤٦٥/٢، حلى القاهرة ٣٨ - ٤٥. الأعلام ٧/٢٦٥.

الشام. وأقام المطيع إلى أن خلع نفسه، وأقام ابنه الطائع لله عبد الكريم^(١) فمكث الطائع سبع عشرة سنة وتسعة أشهر وستة أيام محكوما عليه بنى بويه، ثم خلع وحبس فقيرا ذليلا حتى مات. وكان الطائع كثير الانحراف على آل علي بن أبي طالب، وسقطت الهيبة في أيامه حتى هجاه الشعراء وطولوا. وقام من بعده القادر بالله أحمد بن إسحاق ابن المقتدر^(٢) فأقام إحدى وأربعين سنة وثلاثة أشهر، وقيل ثلاثا وأربعين سنة وثلاثة أشهر وأحد عشر يوما، وكان ديننا بارا بأهله وبالطالبيين. وفي أيامه عظمت الديلم والباطنية، واشتهر مذهب الاعتزال، ومذاهب الباطنية والرافضة، وانتشر ذلك في الأرض. وفي أيامه ظهر السلطان يمين الدولة محمود بن سبكتكين^(٣) وغزا الهند. وقام من بعده ابنه القائم بأمر الله عبد الله، فثار عليه أرسلان البساسيري^(٤)، وصار يدعى له

(١) الطائع لله (٣١٧ - ٣٩٣هـ - ٩٢٩ - ١ - ٣٠٣م). عبد الكريم بن الفضل المطيع لله بن المقتدر العباسي، أبو الفضل، الطائع لله: من خلفاء الدولة العباسية بالعراق، أيام ضعفها ولد ببغداد، ونزل له أبوه (المطيع) عن الخلافة (سنة ٣٦٣هـ). انظر فوات الوفيات ٣/٢، تاريخ بغداد ٧٩/١١، نكت الهميان ١٩٦، بن الأثير ٢١٠/٨، ٢٧/٩، ٦١، تاريخ الخميس ٣٥٤/٢، ٣٥٦. النيراس ١٢٤، الأعلام ٤/٥٣.

(٢) القادر بالله (٣٣٦ - ٤٢٢هـ - ٩٤٧ - ١٠٣١م). أحمد بن إسحاق بن المقتدر، أبو العباس، القادر بالله: الخليفة العباسي، أمير المؤمنين ولي الخلافة سنة ٣٨١هـ وطالت أيامه. انظر ابن الأثير ٢٨/٩، ١٤٣، تاريخ الخميس ٣٥٥/٢، تاريخ بغداد ٣٧/٤، النيراسي ١٢٧. الأعلام ٩٥/١.

(٣) محمود الغزنوي (٣٦١ - ٤٢١هـ - ٩٧١ - ١٠٣١م). محمود بن سبكتكين الغزنوي، السلطان يمين الدولة أبو القاسم بن الأمير ناصر الدولة أبي منصور: فاتح الهند، وأحد كبار القارة. امتدت سلطنته من أقاصى الهند إلى نيسابور وكانت عاصمته غزنة بين خراسان والهند، وفيها ولادته ووفاته وقبره في غزنة. وسيرته مدونة. وهو تركي الأصل، مستعرب كان حازما صائب الرأي، يجالس العلماء وينظرهم، وكان من أعيان الفقهاء فصيحاً بليغاً استعان بأهل العلم على تأليف كتب كثيرة في فنون مختلفة، نسبت إليه، انظر. ابن الأثير ١٣٩/٩ وما قبلها و ابن خلكان ٨٤/٢ وفيه: وفاته سنة إحدى وقيل اثنين وعشرين وأربعمائة قلت: عرفه ابن الجوزي في كتاب أعمار الأعيان خ بأمر خراسان، وقال: توفي وهو ابن ثلاث وستين سنة وابن خلدون ٤/٣٦٣ والجواهر المضية ١٥٨/٢ والبداية والنهاية ٢/٢٧. والأعلام ١٧١/٧.

(٤) أرسلان بن عبد الله، أبو الحارث البساسيري، قائد، ناثر، تركي الأصل. كان من مماليك بنى بويه، وخدم القائم العباسي فقدمه على جميع الأتراك في بغداد وقلده الأمور بأسرها، وخطب له على منابر العراق وخرسان، فعظم أمره وهابته الملوك، وتلقب بالمظفر. ثم خرج على القائم وأخرجه من بغداد، وخطب للمستنصر الفاطمي صاحب مصر (سنة ٤٥٠هـ) وأخذ له بيعة القضاة والأشراف ببغداد قسرا ولم يثق به المستنصر فأعمل أمره، فتغلب عليه أعوان القائم من عسكر السلطان طغرليك، وقتلوه. وكانت ببغداد حجة كبيرة تنسب إليه. انظر النجوم الزاهرة ٥/٢ و ٦٤، ووفيات الأعيان

على منابر العراق والأهواز^(١) فكتب القائم إلى السلطان طغرلبيك بن ميكائيل بن سلجوق التركمانى، أول ملوك بنى سلجوق، فقدم بغداد وفر منه البساسيرى. من معه من الأتراك، وانتفى إلى المستنصر بالله معد بن الظاهر الفاطمى صاحب مصر، فأمدته بالأموال حتى أخذ بغداد، وقطع منها دعوة بنى العباس، وخطب للمستنصر بها نحو سنة، والقائم محبوس، ثم قدم طغرلبيك وأعاد القائم إلى الخلافة، وقتل البساسيرى، وتحكم فى سائر الأمور، فلم يزل القائم فى الخلافة حتى مات وله أربع وأربعين سنة وثمانية أشهر وكان ديناً خيراً كثير الصلاة، إلا أنه كان كثير الإصغاء إلى من يشير عليه، فاتفق أن وزر له رجل من سوقة بغداد يعرف بابن السلعة، فحسن له بحجى الغز لأنه كان منحرفاً عن الشيعة، فكاتبهم القائم، فلما جاءوا كان من أمرهم وأمر البساسيرى ما كان. وقام من بعده المقتدى بأمر الله عبد الله بن ذخيرة الدين محمد بن القائم، فلم يكن له سوى الاسم، لا يتعدى حكمه بابه، والتدبير إلى ملك شاه بن عضد الدولة، وأقام على ذلك تسع عشرة سنة وثمانية أشهر غير يومين، وقيل إلا خمسة أيام. وأقيم بعده ابنه المستظهر بالله أحمد^(٢) فأقام محكوماً عليه خمسة وعشرين سنة، وقيل أربعاً وعشرين سنة وثلاثة أشهر وواحد وعشرين يوماً، ومات. وفى أيامه أخذ الفرنجة بيت المقدس من المسلمين، واستمر ملكهم به. وقام من بعده ابنه المسترشد بالله الفضل بن أحمد^(٣) وقتل بعد سبع عشرة سنة وستة أشهر وعشرين يوماً. فقام بعده ابنه الراشد

(١) الأهواز: آخره زاي وهى جمع هوز وأصله حوز فلما كثر استعمال الفرس لهذه اللفظة غيرتها حتى أذهبت أصلها جملة. وكان اسمها فى أيام الفرس خوزستان وفى خوزستان مواضع يقال لكل واحد منها خوز كذا منها خوز بنى أسد وغيرها فالأهواز اسم للكورة بأسرها، وأما البلد الذى يغلب عليه هذا الاسم عند العامة اليوم فإنما هو سوق الأهواز انظر معجم البلدان.

(٢) المستظهر بالله (٤٧٠ - ٥١٢ هـ - ١٠٧٧ - ١١١٨ م). أحمد المستظهر يعبد الله المقتدى، بن محمد بن القائم، أبو العباس، ذخيرة الدين: خليفة عباس ولى الخلافة بعد وفاة أبيه سنة ٤٨٧ هـ واتسق له الأمر على حداثة سنه وكان ممدوح السيرة، قال ابن الأثير: كان المستظهر لين الجانب، كريم الأخلاق يجب اصطناع الناس، ويفعل الخير، لا يرد مكرمة تطلب منه، وقال فى أخلاقه السياسية: كان كثير الوثوق بمن يوليه غير مصغ إلى سعاية ساع أو ملفت إلى قول واش، وله توقعات تدل على فضل غزير. وكانت خلافته ٢٤ سنة و ٣ أشهر و ٢٠ يوماً ومات ببغداد، ودفن فى حجرة له كان يألفها. انظر ابن الأثير ١٠: ٨٠ و ١٨٨ وتاريخ الخميس ٢: ٦٣٠ والنيراس ١٤٠ ومراة الزمان ٨: ٧٣ والأعلام ١/١٥٩.

(٣) المسترشد بالله الفضل بن أحمد (٤٨٥ - ٥٢٩ هـ - ١٠٩٢ - ١١٣٥ م). الفضل المسترشد بالله، بن أحمد المستظهر بالله. بن المقتدى عبد الله بن محمد الهاشمى العباس، أبو منصور: من خلفاء الدولة العباسية، بويغ بالخلافة بعد وفاة أبيه (سنة ٥١٢ هـ) وكان على الهمة شجاعاً، فصيحاً، بليغاً =

بالله منصور^(١) وخلع ثم قتل، فكانت خلافته سنة تنقص عشرة أيام. وبويع بعده المقتضى لأمر الله محمد بن المستظهر^(٢) فصفت له الدنيا، وسعد بوزيره عون الدين يحيى ابن محمد بن هبيرة، وقبض على جماعة من المتغلبين، وخرج بنفسه وحارب من ناءوه، وأقام أربعاً وعشرين سنة وثلاثة أشهر وواحداً وعشرين يوماً. فبويع بعده ابنه المستنجد بالله يوسف^(٣) وأقام إحدى عشرة سنة وشهراً واحداً، ومات. فبويع بعده ابنه المستضىء بأمر الله الحسن^(٤) وفى أيامه أعيدت الخطبة العباسية بالقاهرة ومصر، بعد

=التوقيعات له شعر جيد حديث فى أواخر أيامه فتنة بهمدان ، قام بها أمير أمراءه السلطان مسعود ابن ملكشاه السلجوقى فجرد المسترشد جيشاً لقتاله، ودس له السلطان مسعود جمعاً من رجاله، وأظهروا الطاعة، حتى نشبت الحرب فى موضع يقال له ما بمرج، فانقلبوا على الخليفة، وانهمز عسكره، وثبت وحده فى مقره فاعتقله السلطان مسعود وأخذ معه يريد دخول بغداد به فلما كانوا على باب مراغة دخل عليه جمع من الباطنية أرسلهم السلطان سنجر السلجوقى لقتله، فقتلوه ومثلوا به ودفن فى مراغة. انظر: فوات الوفيات ٢: ١٢٤ وابن الأثير ١٠: ١٨٩ ثم ١١: ١٠ وتواريخ آل سلجوق ١٧٨ وتاريخ الخميس ٢: ٣٧٦١ والنبراس ١٤٥ ومفرج الكروب ١: ٥ - ٦٠ والإعلام لابن قاضى شهبه فى حوادث سنة ٥٢٩ ومراة الزمان ٨: ١٥٦ وانظر الأعلام ١٤٧/٥.

(١) الراشد بالله (٥٠٤ - ٥٣٢ هـ - ١١١٠ - ١١٣٨ م). المنصور الراشد بالله، أو ابن جعفر بن الفضل المسترشد بن المستظهر: من خلفاء الدولة العباسية ببغداد ولى الخلافة بعد وفاة أبيه (سنة ٥٢٩ هـ) وكان حسن السيرة يؤثر العدل ويكره الشر، أديبا شاعرا جوادا، خلف نيفا وعشرين ولدا. انظر: الكامل ١١/١٠ - ٢٤، تواريخ آل سلجوق ١٧٨ - ١٨١، النبراس ١٥٦، مراة الزمان ١٦٧/٨، الأعلام ٧/٣٠٢.

(٢) المقتضى لأمر الله (٤٨٩ - ٥٥٥ هـ - ١٠٩٦ - ١١٦٠ م). محمد بن أحمد، المقتضى بن المستظهر بن المقتدى العباسى: من أعظم الخلفاء العباسيين، بويع سنة ٥٣٠ هـ، ودامت له الخلافة أربعاً وعشرين سنة وثلاثة أشهر، وتوفى ببغداد. انظر: النبراس ١٥٦، ابن الأثير ١١/١٦، ٩٦، تواريخ آل سلجوق ١٨٣ - ١٩٢، مفرج الكروب ١/١٣١ - ١٣٣. الأعلام ٣١٧/٥.

(٣) المستنجد بالله (٥١٠ - ٥٦٦ هـ - ١١٦٠ - ١١٧٠ م) يوسف (المستنجد) بن محمد (المقتضى) بن المستظهر، أبو المظفر العباسى: من خلفاء الدولة العباسية ببغداد، بويع له بعد وفاه أبيه ٥٥٥ هـ فأزال المكوس ورفع الضرائب عن الناس. انظر: ابن الأثير ١١/٩٦ - ١٣٤، تاريخ الخميس ٢/٣٦٣، مراة الجنان ٣، ٣٧٩، النبراس ١٥٨، مراة الزمان ٨/٢٨٤ مفرج الكروب ١/١٣٤، ١٩٣ - ١٩٥ الأعرم ٨/٢٤٧.

(٤) المستضىء بالله (٥٣٦ - ٥٧٥ هـ - ١١٤٢ - ١١٨٠ م). الحسن بن المستنجد بالله يوسف ابن المقتضى العباس الهاشمى، أبو محمد المستضىء بالله: خليفة من العباسيين فى العراق وكان جوادا حليما محبا للعفو، قليل المعاقبة على الذنوب، كريم اليد بويع بعد وفاة أبيه وبعهد منه (سنة ٥٦٦ هـ) وصفت له الخلافة تسع سنين وسبعة أشهر وكانت أيامه مشرقة بالعتاء والعدل. قال ابن شاکر: لما تولى المستضىء بالله نادى برفع المكوس، ورفع المظالم الكبيرة وفرق مالا عظيما، ثم احتجب عن=

انقطاعها مائتين وخمس عشرة سنة، على يد السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب بن شادى الكردى^(١) ومات المستضىء بعد عشر سنين تنقص أربعة أشهر، فقام بعده ابنه الناصر لدين الله أحمد، مدة ست وأربعين سنة وعشرة أشهر وثمانية وعشرين يوماً، وفى أيامه ابتداء ظهور جنكيزخان. ورؤى الناصر مرة وعليه قباء أبيض برسوم ذهب فيه، وعلى رأسه قلنسوة مذهبة مطوقة بوبر أسود من فنك أو نحوه يتشبه بملوك الأتراك. وقام من بعده ابنه الظاهر بأمر الله محمد، فأقام تسعة أشهر وأربعة عشر يوماً، ومات. فقام بعده ابنه المستنصر بالله أبو جعفر المنصور^(٢) مدة سبع عشرة سنة غير شهر، وقيل خمس عشرة سنة وأحد عشر شهراً وخمسة أيام، وفى أيامه قصد التتار بغداد، فاستخدم الخليفة منهم العساكر، حتى بلغت عدتها نحو مائة ألف. وقام من بعده ابنه المستعصم بالله عبد الله، فجمع الأموال، وقطع كثيراً من العساكر، فقدم التتار بغداد، وقتلوه فى سادس

=الناس، ولم يركب إلا مع الخدم، وفى أيامه زالت الدولة العبيدية بمصر، وضربت السكة باسمه، وغلقت الأسواق وعملت القباب، وصنف ابن الجوزى فى ذلك كتاب النصر على مصر وخطب له بمصر وقرها والشام واليمن وبرقة، ودانت الملوك لطاعته. فوات الوفيات ١: ١٣٧ و ابن خلدون ٣: ٥٢٨ وما قبلها. انظر: مرآة الزمان ٨: ٣٥٦ وابن الأثير ١١: ١٧٣ وتاريخ الخميس ٢: ٣٦٦ والنيراس لابن دحية ١٥٩ - ١٦٤، والأعلام ٢/٢٢٧.

(١) انظر وفيات الأعيان ٢/٣٧٦، وتاريخ الخميس ٢/٣٨٧، ابن غياس ١/٦٩، ابن خلدون ٤/٧٩، ٥/٢٥٠ - ٣٣٠، ابن الأثير ١٢/٣٧، الإسلام والحضارة العربية ١/٢٨١، ٢٩٠، ٢/٢٨٩، طبقات لسبكي ٤/٣٢٥، المدارس ٢/١٧٨ - ١٨٨، مرآة الزمان ٨/٤٢٥، مفرج الكروب ١/١٦٨، تزويج المقلوب ٨٧، ٨٨، حلى القاهرة ١٠٧ - الأعلام لابن قاضى سكة، النجوم الزاهرة ٦/٣ - ٦٣ شذرات الذهب ٤/٢٩٨، الفاطميون فى مصر ٣٠٨، مختصر تاريخ العرب والتمدن الإسلامى ٢٠٣ - ٣٢ -، الأعلام ٨/٢٢٠.

(٢) المستنصر بالله (... - ٦٦ - هـ - - ١٢٦٢م). أحمد المستنصر بن محمد الظاهر بن الناصر المستضىء، أبو القاسم العباس: أول الخلفاء العباسيين بمصر دخلها بعد ثلاث سنين من انقراض عباسية العراق فأثبت نسيبه فى مجلس الظاهر بيبرس البندقدارى أمام جمع من العلماء وأركان الدولة، فسر به الظاهر ووجد فيه قوة جديدة للملكه فجمع الناس وأعلن فيهم الأمر وبايعه بالخلافة، ولقبه بالمستنصر، وأمر أن يُخطب باسمه على المنابر وأن ينقش اسمه على النقود وأقيمت له المظاهر وأنزل فى دار فحمة. وكان ذلك سنة ٦٥٩ هـ ولم يكن له ولا لمن ولى بعده عظيم أثر يذكر فى الملك، لأنهم إنما كان لهم من الخلافة اسمها وابنها - ودام لهم ذلك فى مصر مدة ٢٥٥، عاما - ولم تطل مدة أبى القاسم المستنصر، فإن الظاهر سيره فى حبس إلى العراق سنة ٦٥٩ لاسترداد بغداد من أيدي التتار فزحف وحارب التتر وانهمز جيشه، وفقد هو، وقيل: قتل فى المعركة قريبا من هيت. ويعودونه الثامن والثلاثين من خلفاء ابن العباس. انظر: ابن إياس ١: ١٠١ والنجوم ٧: ٢٠٦ والخميس ٢: ٣٧٨. والأعلام ١/٢١٩. ٢٢٠.

صفر سنة ست وخمسين وستمائة، وله في الخلافة خمس عشرة سنة وسبعة أشهر وستة أيام. وانقرضت دولة بنى العباس بزواله، وصار الناس بغير خليفة إلى سنة تسع وخمسين وستمائة، فأقيم في تلك السنة خليفة بمصر قدم إليها من بغداد، لقب بالمستنصر بالله أحمد بن الظاهر بن الناصر، وسار يريد بغداد فحاربه التتار وقتلوه، قبل أن تتم له سنة منذ بويج بمصر، فصار من بعده ملوك مصر الأتراك يقيمون رجلا يسمونه الخليفة، ويلقبونه بلقب الخلفاء، وليس له أمر ولا نهى ولا نفوذ كلمة، بل يتردد إلى أبواب الأمراء وأعيان الكتاب والقضاة، لتهنتهم بالأعياد والشهور، وسيأتى ذكرهم إن شاء الله.

* * *

ذكر دولة بنى بويه الديلم^(١)

ويقال في أصل الديلم إن باسل بن ضبة بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر بن نزار ابن معد بن عدنان خرج مغاضبا لأبيه، فوقع في أرض الديلم، فتزوج امرأة من العجم، فولدت له ديلم بن باسل فهو أبو الديلم كلهم. وهم أفخاذ وعشائر، ومنهم ملوك بنى بويه. وكان سبب ظهورهم أن الحسن بن علي بن الحسن بن زيد بن عمر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب الزيدى الأطروش دخل الديلم، وأقام نحو أربع عشرة سنة يدعوهم إلى الإسلام، ويقتصر منهم على العشر، ويدافع عنهم، فأسلم منهم خلق كثير، وتلقب بالناصر للحق، واجتمعوا عليه، وبنى في بلادهم مساجد، وحثهم على الخروج معه إلى طبرستان حتى أجابوه، وقاتل بهم أبا العباس محمد بن إبراهيم صعلوك وهزمه، وقتل من أصحابه سبعة آلاف، وعاد إلى آمل ظافرا، واستولى على طبرستان في جمادى الآخرة سنة إحدى وثلاثمائة، وعاد إلى بغداد. ومات الناصر - بعد أن ملك طبرستان ثلاث سنين وثلاثة أشهر وأياما - في شعبان سنة أربع وثلاثمائة، وله تسع وسبعون سنة. فبقيت بعده طبرستان في أيدي العلوية اثنتى عشرة سنة، ثم انتقلت عنهم إلى أمراء الديلم. ولما مات الناصر ولى ابنه أبو الحسين، فقدم جرجان^(٢) وأقام بها، وصاحب

(١) الديلم: تسمية للصقيع الجبلى من بلاد جيلان التي تقع في الجنوب الغربى من بحر قزوين، ويجده في شماله جيلان نفسها، وفي شرقه طبرستان، وفي جنوبه جهات قزوين، وفي غربه أذربيجان. انظر ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ٨، ص ٩٧.

(٢) جرجان: بالضم، وآخره نون، قال صاحب الزنج: طول جرجان قانون درجة ونصف وربع، وعرضها ثمان وثلاثون درجة وخمس عشرة دقيقة، في الإقليم الخامس، وروى بعضهم أنها في الإقليم الرابع... وجرجان: مدينة مشهورة عظيمة بين طبرستان وخراسان، فالبعض يعدها من هذه والبعض

جيشه سرخاب بن وهسودان، فكانت له حروب وأنباء مع عساكر السعيد نصر بن أحمد صاحب خراسان إلى أن مات سرخاب. فاستخلف أبو الحسين بن الناصر بعده ماكان بن كالى على أستراباذ^(١) فاجتمع إليه الديلم، وقدموه وأمره على أنفسهم، فكانت له بتلك النواحي أخبار كثيرة إلى أن قوى أبو الحجاج مرداويج بن زيار، وقيل مرداويج بن قافيج الجيلي الديلمي، وملك جرجان وغيرها مما كان، وعاد إلى أصفهان ظافرا، ودامت الحرب بينهما عدة سنين، فقوى مرداويج واستولى على بلد الجبل والرى، وأنته الديلم من كل ناحية، فعظمت جيوشه. وكان من الديلم رجل يقال له بويه، وكنيته أبو شجاع، متوسط الحال، وله ثلاثة أولاد: أبو الحسين على أكبرهم، وأبو على الحسن أوسطهم، وأبو الحسين أحمد أصغرهم، وكان ينتسب إلى الفرس، ويزعم أنه أبو شجاع بويه بن فنا خسرو بن ثمان بن كوهى بن شيرزىل الأصغر بن شيركذة بن شيرزىل الأكبر بن شيران شاه بن شيرويه بن سناذر شاه بن سيس فيروز بن شيرزىل بن سناذر بن بهرام جور الملك بن يزدجرد الملك. فبنو بويه من قبيلة من قبائل الديلم يقال لها شيرزىل أو ندازه. ثم إن أبا شجاع بويه رأى فى منامه كأنه يبول، فخرج من ذكره نار عظيمة استطالت وعلت حتى كادت تبلغ السماء، ثم انفرجت فصارت ثلاث شعب، وتولد من تلك الشعب عدة شعب، فأضاءت الدنيا بتلك النيران، ورأى البلاد والعباد خاضعين لتلك النيران. فقصه على منجم، فقال له: إنه يكون لك ثلاثة أولاد يملكون الأرض ومن عليها، ويعلو ذكركم فى الآفاق كما علت تلك النار، ويولد لهم جماعة ملوك بقدر ما رأيت من تلك الشعب. فقال له أبو شجاع: أتسخر بى وأنا رجل فقير، وأولادى هؤلاء فقراء مساكين يصيرون ملوكا؟ فقال المنجم: أخبرنى بوقت ميلادهم فأخبره، فجعل يحسب، ثم قبض على يد أبى الحسن على الذى لقب بعد ذلك عماد الدولة فقبلها، وقال: هذا والله يملك البلاد، ثم هذا من بعده، وقبض على يد أخيه أبى على الحسن، الذى لقب بعد ذلك ركن الدولة ثم هذا، وقبض على يد أخيهما أبى الحسين أحمد، الذى لقب معز الدولة. فاغتاز منه أبو شجاع وقال لأولاده: اصفعوا هذا

يعدها من هذه. انظر معجم البلدان ١١٩/٢ وما بعدها.

(١) أستراباذ: بالفتح ثم السكون، وفتح التاء المثناة من فوق، وراء، وألف، وباء موحدة، وألف وذال معجمة، بلدة كبيرة مشهورة أخرجت خلقا من أهل العلم فى كل فن، وهى من أعمال طبرستان بين سارية وجرجان فى الإقليم الخامس، طولها تسع وسبعون درجة وخمسون دقيقة، وعرضها ثمان وثلاثون درجة ونصف وربع. انظر معجم البلدان ١٧٤/١، ١٧٥

فقد أفرط في السخرية بنا، فصفعوه وهو يستغيث وهم يضحكون منه، ثم أمسكوا. فقال لهم المنجم: اذكروا لي هذا إذا قصدتكم وأنتم ملوك، وأعطاه أبو شجاع عشرة دراهم، فلما خرج الديلم مع ماكان بن كالى كان أولاد أبى شجاع من جملة قواده، إلى أن استولى مرداويج على ما بيد ماكان من طبرستان وجرجان وانهزم ماكان، قال له على والحسن ابنا أبى الشجاع بُوَيْه، وكانا ضَعْفَةً عجزة: نحن فى جماعة، وقد صرنا ثقلا عليك وعيالا، وأنت مضيق، والأصلح لك أن نفارقك لنخفف عنك متونتنا، فإذا صلح أمرك عدنا إليك. فأذن لهما فسار إلى مرداويج، واقتدى بهما جماعة من قواد ماكان وتبعوهم. فأقبل عليهم مرداويج، وخلع على ابنى بويه، وقلد عماد الدولة على بن بويه كرج^(١)، فأحسن السيرة وافتتح قلاعاً ظفر منها بذخائر كثيرة فاستمال الرجال حتى شاع ذكره وقصده الناس واستوحش منه مرداويج واستدعاه فدافعه ثم سار عماد الدولة من كرج إلى أصبهان^(٢) وقاتل المظفر محمد بن ياقوت وهزمه، وملك أصبهان يوم الأحد الحادى عشر من ذى القعدة سنة إحدى عشرة وثلاثمائة، فعضم فى أعين الناس، لأنه كان فى تسعمائة رجل. هزم بهم ما يقارب عشرة آلاف. وبلغ ذلك الخليفة القاهر بالله محمد بن المعتضد فاستعظمه، وخاف مرداويج عاقبته، فأخذ يتحيل فى أخذه. وأخذ ابن بويه أيضاً أَرَجَانَ^(٣) من أبى بكر بن ياقوت، فى ذى الحجة سنة

(١) كرج: بفتح الكاف والراء المفتوحة وبالجميم المعجمة، أول حصن من معاقل الجبل، فمن همدان إلى نهاوند مرحلتان، ومن نهاوند إلى الكرج مرحلتان، ولم تكن فى أيام الأعاجم مدينة مشهورة، وإنما كانت فى عداد القرى العظام، وهذا الحصن هو حصن أبى دلف القاسم بن عيسى العجلي أحد أكابر قواد المأمون. انظر الروض المعطار ٤٩١، ومعجم البلدان ٤/٤٤٦، وابن حوقل ٣١٣، والمقدسى ٣٩٤، وابن الوردي ٤٩، والمعلومات الإخبارية عن معجم ما استعجم ٤/١١٢٤، وابن خلكان ٤/٧٩.

(٢) أصبهان منهم من يفتح الهمزة وهم الأكثر وكسرهما آخرون منهم السمعانى وأبو عبد البكرى الأندلسى، وهى مدينة عظيمة مشهورة من أعلام المدن وأعيانها ويسرفون فى وصف عظمها حتى يتجاوز أحد الاقتصاد إلى غاية الإسراف. وأصبهان اسم للإقليم بأسره وهى من نواحي الجبل فى آخر الإقليم الرابع طولها ست وثمانون درجة وعرضها ست وثلاثون درجة. انظر معجم البلدان (أصبهان). (٣) أرجان بالفتح أوله وتشديد الراء وحيم وألف ونون وعمامة العجم يسمونها أرغان وقد خففه المتنبى فقال: أرجان أيتها الجياد فإنه عزمى الذى يدع الوشيج مكرًا.... وقال الاصطخرى: أرجان مدينة كبيرة كثيرة الخير بها نخيل كثير وزيتون وفواكه وهى بركة بحرية سهلية جبلية ماؤها يسبح، بينها وبين البحر مرحلة وبينها وبين شيراز ستون فرسخاً وبينها وبين سوق الأهواز ستون فرسخاً، وكان أول من أنشأها فيما حكته الفرس قياد بن فيروز أبو شروان العادل لما استرجع الملك من أخيه جاما سب وغزا الروم ففتح فى ديار بكر مدينتين متيافارقتين وأمد وكانتا فى أيدي الروم وأمر فبنى

إحدى وعشرين وثلاثمائة، وقوى بها. وبعث أخاه ركن الدولة الحسن^(١)، فأخذ كازرون، ثم ملك عماد الدولة شيراز^(٢) في جمادى الآخرة سنة اثنتين وعشرين، فلما ملك شيراز وفارس كتب إلى الخليفة الراضى بالله محمد بن المقتدر، وقد أفضت إليه الخلافة، وإلى وزيره أبى على محمد بن على بن مقله^(٣) يعرفهما أنه على الطاعة، ويطلب أن يقاطع على ما بيده من البلاد، وبذل ألف ألف درهم، فأجيب إلى ذلك، وسيرت له الخلع واللواء، فلبس الخلع ونشر اللواء بين يديه، وغالط الرسول بالمال، فمات الرسول عنده سنة ثلاث وعشرين، وعظم شأنه، وقصده الرجال من الأطراف فقام مرداويج وقعد، فقدر الله قتله على يد غلمانه، يوم الثلاثاء الثالث من ربيع الأول سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة، وسارا أكثر أصحابه إلى ابن بويه، ومضى كثير منهم إلى بُحْكَمَ فقدم بهم بغداد، ثم سار عماد الدولة بن بويه إلى كرمان^(٤) فى سنة أربع وعشرين، وكانت فيما بين حد فارس والأهواز مدينة وسماها أبزقباد وهى التى تدعى أرحان وأسكن فيها سبى هاتين ١٣ البلدان (أرحان).

(١) ركن الدولة (٢٨٤ - ٣٦٦ هـ - ٨٩٧ - ٩٧٦ م). الحسن بن بويه بن فناخسرو الديلمى، ركن الدولة، من كبار الملوك فى الدولة البويهية. كان صاحب أصبهان والرى وهمذان وجميع عاق العمم استوزر أبى الفضل بن العميد، ثم ابنه أبى الفتح. واسمر فى الملك ٤٤ سنة وشهرا و ٩ أيام. وهو والد عضد الدولة فناخسرو ومؤيد الدولة بويه وفخر الدولة على قسم عليهم الممالك فى حياته. وتوفى بالدرى. انظر ابن خلكان ١/١٤١، الأعلام ٢/١٨٥.

(٢) شيراز: بالكسر، وآخره زاي: بلد عظيم مشهورة معروف مذكور، وهو قبضة بلاد فارس فى الإقليم الثالث، طولها ثمان وسبعون درجة ونصف، وعرضها تسع وعشرون درجة ونصف، قال أبو عون: طولها ثمان وسبعون درجة، وعرضها اثنتان وثلاثون درجة. وقيل: سميت بشيراز بن قيل: أول من تولى عمارتها محمد بن القاسم بن أبى عقيل بن عم الحجاج. انظر معجم البلدان ٣/٣٨٠.

(٣) ابن مقله. ٢٧٢ - ٣٢٨ هـ - ٨٦٦ - ٩٤٠ م. محمد بن على بن الحسين بن مقله، أبو على: وزير، من الشعراء الأدباء، يضرب بحسن خطه المثل، ولد فى بغداد، وولى جباية الخراج فى بعض أعمال فارس، ثم استوزره المقتدر العباسى سنة ٣١٦ هـ ولم يلبث أن غضب عليه فصادره ونفاه إلى فارس (سنة ٣١٨) واستوزره القاهر بالله سنة ٣٢٠ هـ فجىء به بلاد فارس فلم يكده يتولى الأعمال حتى اتهمه القاهر بالمؤامرة على الإهمال، فاختبأ (سنة ٣٢٠ هـ) واستوزره الراضى بالله سنة ٣٢٢ هـ ونقم عليه سنة ٣٢٤ فسجنه مدة، وأخلى سبيله ثم علم أنه كتب إلى أحد الخارجين عليه يطمعه بدخول بغداد، فقبض عليه وقطع يده اليمنى، فكان يشد القلم على ساعده ويكتب به، فقطع لسانه (سنة ٣٢٦ هـ) وسجنه، فلحقه فى حبسه شقاء شديد حتى كان يستقى الماء بيده اليسرى ويمسك الحبل بفيه. ومات فى سنة ٣٢٨ هـ. انظر وفيات الأعيان ٢/٦١ ثمار القلوب ١٦٧، الأعلام ٦/٢٧٣.

(٤) كرمان: بالفتح ثم السكون، وآخره نون، وربما كسرت والفتح أشهر بالصحة، وكرمان فى

له بها حروب ظفر فيها، ثم قدم عليه أبو عبد الله أحمد بن محمد اليربدي في سنة ست وعشرين، وأطمعه في العراق والاستيلاء عليه، فسار وملك عدة بلاد، وسير أخاه ركن الدولة على عساكر، وكانت لهما أنباء وقصص. وجرت في بغداد حوادث عظيمة آلت إلى مسير معز الدولة أبي الحسين أحمد بن بويه^(١) إلى بغداد في سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة، فحاربه أمير الأمراء توزون في ذى القعدة، وهزمه عن بغداد فلما مات توزون قدم معز الدولة بغداد، واستولى عليها في يوم السبت حادى عشر جمادى الأولى سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة. قال الوزير أبو علي محمد بن علي بن مقله: «إنتى أزلت دولة بنى العباس وأسلمتها إلى الديلم، لأننى كاتب الديلم وقت إنفاذى إلى أصبهان، وأطمعتهم فى سرير الملك ببغداد، فإن اجتنيت ثمرة ذلك فى حياتى، وإلا فهى تجتنى بعد موتى»، فكان كما قال . ولما ملك معز الدولة بغداد خلع الخليفة المستكفى بالله عبد الله، ونهب الديلم دار الخلافة حتى لم يبق فيها شىء، وأقام المطيع لله الفضل بن المقتدر، ولم يجعل له أمرا ولا نهيا ولا رأيا، ولا مكنه من إقامة وزير، بل صارت الوزارة إليه يستوزر لنفسه من يريد، وشنع هو والديلم على بنى العباس، بأنهم غضبوا الخلافة وأخذوها من مستحقيها، وأراد معز الدولة إبطال دعوة بنى العباس، وإقامة دعوة المعز لدين الله أبى تميم معز الفاطمى، حتى رجعه أصحابه عن ذلك. وبعث نوابه فتسلموا العراق، ولم يبق بيد الخليفة منه شىء ألبتة، إلا ما أقطعه مما لا يقوم ببعض حاجته، وملك البصرة فناخسرو بن ركن الدولة أبى علي الحسن بن بويه، فكانت مدة إمارته ست عشرة سنة،

الإقليم الرابع، طولها تسعون درجة، وعرضها ثلاثون درجة: وهى ولاية مشهورة وناحية كبيرة معمورة ذات بلاد وقرى ومدن واسعة بين فارس ومكران وخراسان، فشرقيها سكران ومفازة ما بين =مكران والبحر من وراء البلدوس، وغربيها أرض فارس، وشمالها مفازة وخراسان، وجنوبيها بحر فارس، ولها فى حد السيرجان دخلة فى حد فارس وهى بلاد كثيرة النخل والزرع والمواشى والضرع تشبه بالبصرة فى كثرة التمور وجودتها وسعة الخيرات. انظر معجم البلدان ٤/٤٥٤

(١) معز الدولة (٣٠٣ - ٣٥٦ هـ - ٩١٥ - ٩٦٧ م). أحمد بن بويه بن فناخسرو بن تمام، من سلالة سابور ذى الأكتاف الساسانى، أو الحسن، معز الدولة: من ملوك بنى بويه فى العراق فارسى الأصل مستعرب. كان أول أمره يحمل الحطب على رأسه، ثم ملك هو وأخوه. عماد الدولة وركن الدولة البلاد وكان أصغر منهما سنا ويقال له الأقطع لأن يده اليسرى قطعت فى معركة مع الأكراد، تولى فى صباه كرمان وسجستان والأهواز، تبع لأخيه عماد الدولة، ثم امتلك بغداد سنة ٣٣٤ هـ فى خلافة المستكفى، ودام ملكه فى العراق ٢٢ سنة إلا شهرا. وتوفى ببغداد. انظر وفيات الأعيان

ولم يترك غير بنت واحدة. وكان عماد الدولة في حياته هو أمير الأمراء فلما مات صار أخوه ركن الدولة أبو علي الحسن بن بويه أمير الأمراء . وكان معز الدولة أبو الحسن أحمد هو المستولى على العراق والخلافة، وهو كالثائب عنهما إلى أن مات ببغداد، لثلاث عشرة بقية من ربيع الآخر سنة ست وخمسين وثلاثمائة، فكانت مدة ملكه لبغداد إحدى وعشرين سنة وأحد عشر شهرا ويومين. وقام من بعده ابنه عز الدولة أبو منصور بختيار^(١) فسار إليه ابن عمه عضد الدولة أبو شجاع فناخسرو بن ركن الدولة في سنة أربع وستين، وقبض عليه ثم أطلقه، وضرب عليه الجند، وعاد من بغداد، فمات ركن الدولة لخمس بقين من المحرم سنة ست وستين وثلاثمائة، واستخلف على مملكته ابنه عضد الدولة^(٢) فسار إلى العراق ثانيا وأخذ بغداد من بختيار، وخطب له بها، ولم يكن قبل ذلك يخطب لأحد سوى الخليفة وضرب عضد الدولة أيضا على بابه الطبول ثلاث نوبات، ولم تجر بذلك عادة من تقدمه، ونعت الملك السيد شاهنشاه الأجل المنصور ولي نعم تاج الملة عضد الدولة أبا شجاع فناخسرو بن ركن الدولة أبي علي الحسن بن أبي شجاع سبويه بن فناخسرو بن ثمان بن كوهي، وقتل بختيار في الحرب لاثنتي عشرة بقية من شوال سنة سبع وستين وثلاثمائة، فكانت مدته إحدى عشرة سنة وستة أشهر، وعظم أمر عضد الدولة إلى أن مات لثمان خلون من شوال سنة اثنتين وسبعين وثلاثمائة، ومدته منذ مات عمه عماد الدولة بفارس أربع وثلاثون سنة، ملك منها ببغداد خمس سنين وستة أشهر وأربعة أيام. فقام من بعده ابنه صمصام الدولة أبو كاليجار المرزيان ببغداد، أربع سنين وخمسة أشهر واثنين وعشرين يوما، وغلبه أخوه شرف الدولة أبو الفوارس شيرزيل^(٣) في رمضان سنة ست وسبعين وثلاثمائة، ثم سَمَلَه وقام

(١) عز الدولة (٣٣١ - ٣٦٧ هـ - ٩٤٣ - ٩٧٨ م). بختيار، ابو منصور، عز الدولة بن معز الدولة أحمد بن بويه: أحد أساطين العراق من بني بويه، ديلمى الأصل، مولده بالأهواز. كان شديد البأس يمسك الثور بقرنيه ويصرعه. تسلطن بعد أبيه (سنة ٣٥٦ هـ). انظر سير النبلاء، يتيمة الدهر ٤/٢، تلخيص جمع الآداب ٤٢/١، الأعلام ٤٤/٢.

(٢) عضد الدولة البويهى (٣٢٤ - ٣٧٢ هـ - ٩٣٦ - ٩٨٣ م). فناخسرو، الملقب ركن الدولة ابن بويه الديلمى، أبو شجاع: أحد المتغلبين على الملك في عهد الدولة العباسية بالعراق. تولى ملك فارس ثم الملك الموصل وبلاد الجزيرة. وهو أول من خطب له على المنابر بعد الخليفة، وأول من لقب في الإسلام شاهنشاه... توفي ببغداد وجمل في تابوت، فدفن في مشهد النجف. انظر ابن الأثير ج ٨، ٩، بغية الوعاة ٣٧٤، سير النبلاء، ابن الوردي ٣٠٥/١، ابن خلكان ٤١٦/١، البداية والنهاية ٢٩٩/١١، امرأة الجنان ٣٩٨/٢، يتيمة الدهر ٢/٢، روض الأخبار المختصر من ربيع الأبرار، الأعلام ١٥٦/٥.

(٣) شرف الدولة (٣٤٥ - ٣٧٩ هـ - ٩٥١ - ٩٨٩ م). شيرويه بن عضد الدولة بن بويه الديلمى، أبو الفوارس، الملقب شرف الدولة: سلطان بغداد وابن سلطانها. تملك، وظفر بأخيه =

بالأمر، فلقبه الخليفة الطائع بشرف الدولة وزين الملة. ومات شرف الدولة بعد سنتين وثمانية أشهر وأيام ببغداد، في ثاني جمادى الآخرة سنة تسع وسبعين وثلاثمائة. فملك بعده أخوه بهاء الدولة أبو نصر خره فيروز^(١) بن عضد الدولة، ولقبه الطائع بهاء الدولة وضيء الملة، ثم زاد القادر في ألقابه غياث الأمة شاهنشاه، ثم زاده قوام الدين ونقله عن مولى أمير المؤمنين إلى صفى أمير المؤمنين، ومات بأرجان في خامس جمادى الآخرة سنة ثلاث وأربعمائة، فكانت مدته اثنتين وأربعين سنة وتسعة أشهر وثمانية عشر يوماً وقام من بعده ابنه سلطان الدولة أبو شجاع فناخسرو، فكانت أيامه ببغداد - سنة واحدة وستة أشهر تنقص ثلاثة أيام - على انزعاج، لكثرة مطالب الأتراك، فخرج منها وقد رتب أخاه مشرف الدولة أبا على الحسن، وسار إلى الأهواز، واستقر مشرف الدولة في ملك العراق خمس سنين وشهرين وأياماً. ومات سلطان الدولة بفارس، لأربع بقين من شوال سنة خمس عشرة وأربعمائة، فكانت إمارته اثنتي عشرة سنة وأربعة أشهر وأياماً. ومات بعده أخوه مشرف الدولة ببغداد، لثمان بقين من ربيع الأول سنة ست عشرة وأربعمائة، فسار أخوهما جلال، الدولة أبو طاهر فيروز خره بن بهاء الدولة من البصرة إلى بغداد، باستدعاء الخليفة القادر، لما حصل في بغداد من مصادرات الأتراك للناس، فلما قدمها تلقاه القادر ولقبه ركن الدين جلال الدولة وفي أيامه انحل أمر الخلافة والسلطنة ببغداد، وانطلقت الأيدي، وعجز جلال الدولة عن إقامة الأمر إلى أن مات، في سنة خمس وثلاثين وأربعمائة، فكانت مدته ست عشرة سنة وأحد عشر شهراً فاستدعى الجند ابنه الملك العزيز أبا منصور خره فيروز، فلم ينتظم له أمر، واستنجد الملوك فلم ينجدوه، فكتب عسكر بغداد عز الملوك أبا كاليجار المرزبان بن سلطان الدولة أبي شجاع فناخسرو بن بهاء الدولة أبي نصر خره فيروز بن عضد الدولة، ولقبه الخليفة القائم بأمر الله شاهنشاه عز الملوك، وحملت إليه الخلع واللواء وخطب له، فسار وقدم ببغداد، ومات سنة أربعين وأربعمائة. وملك بعده ابنه الملك الرحيم أبو نصر خره فيروز بن عز الملوك، وكان عز الملوك قد سار إلى كرمان، فهلك في طريقه لأربع سنين

=صمصام الدولة فحبسه وكان فيه خير وقلة ظلم، أزال المؤامرات واعتل بالاستسقاء، فمات شاباً وكانت أيامه سنتين وثمانية أشهر. انظر سير النبلاء، مرآة الجنان ٢/٤٠٨، النجوم الزاهرة ٤/١٤٨، ١٥٢، ١٥٤، ١٥٦، ابن الأثير: حوادث سنة ٣٧٩. الأعلام ٣/١٨٣.

(١) بهاء الدولة (٣٦٠ - ٤٠٣ هـ - ٩٧١ - ١٠١٢ م). بهاء الدولة بن عضد الدولة بن ركن الدولة أبي على الحسن بن بويه: السلطان أبو نصر. من ملوك الدولة البويهية تولى نحو سنة ٣٨٠ هـ ومات بأرجان. انظر الفتوح الوهبي ٢/٢٠١، شذرات الذهب ٣/١٦٦، ابن خلكان. الأعلام ٧٥/٢.

من ولايته. فقام من بعده ببغداد الملك الرحيم بمبايعة الجند له، وثار فى أيامه الأمير أرسلان البساسيرى وملك بغداد، ثم قدم طغرلبك والسلجوقية، وقبض على الملك الرحيم وسجنه حتى مات. فكانت عدة من ملك بغداد من بنى بويه أحد عشر، ومدتهم ببغداد إلى أن انقضوا على يد السلجوقية مائة وثلاث سنين وثلاثة أشهر وأربعة عشر يوما، أولها يوم وصل معز الدولة إلى بغداد وآخرها يوم وصول طغرلبك إلى بغداد، ومدتهم منذ ملك عماد الدولة بلاد فارس مائة وخمسة عشرة سنة وثلاثة أشهر وستة أيام.

* * *

ذكر دولة السلجوقية

وكان ابتداء أمر السلجوقية أنهم أخلاط من الترك، كانوا يصيفون فى بلاد البلغار^(١) ويشتون فى تركستان^(٢) وينهبون ما طرقوه. وكان من مقدميهم رجل يقال له دقاق، فولد له سلجوق فنجب، وقدمه بيغو ملك الترك، فقوى وكثر جمعه فخافه بيغو، فخرج سلجوق بجموعه مهاجرا من دار الحرب إلى ديار الإسلام وأسلم وأقام بنواحي بخارى^(٣) وصار يغزو الترك، وكان له من الولد أرسلان وميخائيل وموسى. ومات سلجوق بجند وراء بخارى، عن مائة وسبعة أعوام، وبقي ولده على ما كان عليه من غزو الترك، فقتل ميخائيل شهيدا. وخلف ميخائيل بيغو وطغرلبك وينال وجغرى بك داود. ثم إنهم قربوا من بخارى فأساء أميرها جوارهم، فرجعوا إلى بغراخانى ملك تركستان وجاوروه، وتعاهد طغرلبك وأخوه داود ألا يجتمعا عند بغراخان. وحاول على مجتمعهما فلم يطق، فقبض على طغرلبك وأرسل عسكره إلى أخيه داود، فانهزم العسكر وأتبعوه وخلصوا طغرلبك من أسره، وعادوا إلى جند، وأقاموا بها إلى انقراض الدولة السامانية وملك أيلك خان بخارى، فعظم عنده محل أرسلان بن سلجوق.

(١) بلغار : بالضم والغين مدينة الصقالبة ضاربة فى الشمال شديدة البرد لا يكاد الثلج يقلع عن أرضها صيفا ولا شتاء انظر معجم البلدان (بلغار).

(٢) تركستان: هو اسم جامع لجميع بلاد الترك. انظر معجم البلدان ٢/٢٢ وما بعدها.

(٣) بخارى: بالضم من أعظم مدُن ما وراء النهر وأجلها يعبر إليها من أمل الشط وبينها وبين جيحون يومان من هذا الوجه وكانت قاعدة ملك السامانية... وهى مدينة قديمة كثيرة البساتين واسعة الفواكه مهدى بفواكهها تحمل إلى مرو وبينهما اثنتا عشرة مرحلة وإلى خوارزم وبينهما أكثر من خمس عشرة يوما وبينها وبين سمرقند سبعة أياما أو سبعة وثلاثون فرسخا بينهما بلاد القغد. انظر معجم البلدان (بخارى).

ولما رجع إليك خان عن بخارى ولى عليها على تكين فبقى معه أرسلان إلى أن عبر محمود بن سبكتكين^(١) النهر إلى بخارى، وهرب على تكين فدخل أرسلان وقومه المفازة، وكتبه محمود ولاطفه حتى قدم عليه، فقبضه ونهب أحياءه، وأجازهم النهر وفرقهم في نواحي خراسان، ووضع عليهم الخراج، فلحقهم جور العمال. فسار منهم جماعة أرسلان إلى أصبهان، وحاربهم علاء الدين بن كاكويه حروبا كثيرة، إلى أن ساروا إلى أذربيجان^(٢) وكانوا يعرفون بين الترك بالغز. وسار طغرل بك وأخوه داود ويغو من خراسان^(٣) إلى بخارى، وجمع على تكين عسكره وأوقع بهم، فعادوا إلى

(١) السلطان الغزنوي (٣٦١ - ٤٢١ هـ = ٩٧١ - ١٠٣٠ م). محمود بن سبكتكين الغزنوي، السلطان يمين الدولة أبو القاسم بن الأمير ناصر الدولة أبي منصور: فاتح الهند، وأحد كبار القادة. امتدت سلطنته من أقاصي الهند إلى نيسابور وكانت عاصمته غزنة (بين خراسان والهند) وفيها إلى نيسابور وكانت عاصمته غزته (بين خراسان والهند) وفيها ولادته ووفاته. انظر ابن الأثير ١٣٩/٩، ابن خلكان ٨٤/٢، ابن الجوزي أعمال الأعيان، ابن خلدون ٣٦٣/٤، الجواهر المضيئة ١٥٨/٢. البداية والنهاية ٢٧/٢. الأعلام ٧/١٧١.

(٢) أذربيجان: بالفتح ثم السكون وفتح الراء وكسر الباء الموحدة وياء ساكنة وجيم هكذا جاء في شعر الشماخ.

تذكرتها وهنا وقد حال دونها قرى أذربيجان المسالغ وبحال وقد فتح قوم الذال وسكنوا الراء، ومد آخرون الهمزة مع ذلك، وروى عن المهلب.. هذا أذربيجان بمد الهمزة وسكون الذال فيلتقى ساكنان وكسر الراء، ثم ياء ساكنة وباء موحدة مفتوحة وجيم وألف ونون... قال ابن المقفع: أذربيجان مسماة بأذربيا زين إيران بن الأسود بن سام بن نوح وقيل: أذربيجان بيوراس، وقيل: بل أذرا سمر النار بالفهلوية. وبايكان معناه الحافظ والخازن فكان معناه بيت النار أو خازن النار وهذا أشبه بالحق وأجدى، لأن بيوت النار في هذه الناحية كانت كثيرة جدا. وحد أذربيجان من برذعة مشرقا إلى أرزنجان مغربا، ويتصل حلها من جهة الشمال ببلاد الديلم والجيل والطرم وهو إقليم واسع ومن أشهر مدنها تبريز وهي اليوم قصبتهما وأكبر مدنها، وكانت قصبتهما قديما المراغة، ومن مدنها خوى وسلماس وأرمية وأردبيل ومرند وغير ذلك. وهو صقع حليل ومملكة عظيمة الغالب عليها الجبال وفيه خيرات واسعة وفواكه جمّة. انظر معجم البلدان (أذربيجان).

(٣) خراسان: بلاد واسعة، أول حدودها مماليق العراق أزاذا قصبه جوين وبيهي، وآخر حدودها مما يلي الهند طخارستان وغزنة وسجستان وكرمان، وليس ذلك منها إنما هو أطراف حدودها، وتشتمل على أمهات من البلاد منها نيسابور وهزارة ومرو، وهي كانت قصبتهما، وبلخ وطالقان ونيسابور وسرخس وما يتخلل ذلك من المدن التي دون نهر جيحون، ومن الناس من يدخل أعمال خوارزم فيها ويعد ما وراء النهر منها وليس الأمر كذلك، وقد فتحت أكثر هذه البلاد عنوة وصلحا. انظر معجم البلدان ٣٥٠/٢ وما بعدها.

خراسان وخيموا بظاهر خوارزم^(١) فى سنة خمس وعشرين وأربعمائة، واتفقوا مع خوارزم شاه هارون بن التونتاش، ثم غدر بهم وكبسهم، فساروا إلى جهة مرو، فأرسل إليهم مسعود بن محمود بن سبكتكين^(٢) جيشاً فهزمهم، واشتغل أصحابه بالفنائم فرجع الغز وهزموهم ونهبوهم، فاستماهم مسعود بعدها وكان يبلخ، فطلبوا منه إطلاق عمهم أرسلان الذى قبضه محمود بن سبكتكين، فشرط حضورهم فأبوا. وعادت الحرب وهزموا عساكره، وقوى أمرهم واستولوا على غالب خراسان، وفرقوا العمال وخطب لظفرليك فى نيسابور. وسار داود إلى هراة، ففرت عساكر مسعود، وتركوا خراسان حتى أتوا غزنة^(٣) وسار مسعود من غزنة إلى خراسان فى جيوشه، ففروا أمامه وهو

(١) خوارزم: أوله بين الضم والفتحة، والألف مسترقة مختلة ليست بألف صحيحة، هكذا = يتلفظون به، ... قال بطليموس فى كتاب الملحمة: خوارزم طولها مائة وسبع عشرة درجة وثلاثون دقيقة، وعرضها خمس وأربعون درجة، وهى فى الإقليم السادس،... وخوارزم ليس اسماً للمدينة إنما هو اسم للناحية بجملتها، فأما القصة العظمى فقد يقال لها اليوم الجرجانية. انظر معجم البلدان ٣٩٥، ٢ وما بعدها.

(٢) مسعود بن سبكتكين (... ٤٣٢ هـ - ... ١٠٤٠ م). مسعود بن محمود بن سبكتكين من ملوك الدولة الغزنوية. ولد بغرنة (بين خراسان والهند) ونشأ فى بيت سلطنة وجهاد وعدل وولى أصبهان فى أيام أبيه وتوفى أبوه (سنة ٤٢١ هـ). وبويع لأخ له اسمه محمد بغرنة، فأقبل مسعود يريلها، فثار الجند على محمد وقيدوه وخلعوه ونادوا بشعار مسعود وكتبوا إليه بما فعلوا، فدخل غزنة (سنة ٤٢٢) وبايعه الناس وأتته رسل الملوك، واجتمع له ملك خراسان وغرنة وبلاد الهند والسند وسجستان وكرمان ومكران والرى وأصبهان وبلاد الجبل. وعظم سلطانه وفتح قلاعاً فى الهند كانت ممنوعة على أبيه. ودخل السلاجقة خراسان، فقاتلهم وأجلاهم عنها، وعاد إلى غرنة ثم خرج منها يريد أن يستوفى الهند على عادة والده، وأخذ معه أخاه محمداً الذى كان قد بويع قبله وخلع، فلما عبر سجون اتمر به بعض عسكره وأكروهوا أخاه على موافقتهم فقبضوا على مسعود واعتقلوه فى قلعة كيكي ثم قتلوه وكان شجاعاً كريماً، كثير الصدقات، محباً للعلماء، وصنفوا له كتباً كثيرة فى علوم مختلفة، وله آثار فى العمران، وصنف عدة كتب فى سيرته. انظر: ابن الأثير ٩: ١٣٨ - ١٦٨ وأخبار الدولة السلجوقية ١٣ وابن العبري ٣١٥ - ٣٢٠. والأعلام ٧/ ٢٢٠.

(٣) غرنة: بفتح أوله، وسكون ثانيه ثم نون، هكذا يتلفظ بها العامة، والصحيح عند العلماء غزنين ويعربونها فيقولون جزنة، ويقال لمجموع بلادها زابلستان، وغرنة قصبتها، وغزن فى وجوه الستة مهمل فى كرم العرب، وهى مدينة عظيمة وولاية واسعة فى طرف خراسان، وهى الحد بين خراسان والهند فى طريق به خيرات واسعة إلا أن البرد فيها شديد جداً، بلغنى أن بالقرب منها عقبة بينهما مسيرة يوم واحد إذا قطعها القاطع وقع فى أرض دفيئة شديدة الحر، ومن هذا الجانب برد كالزمهير، وقد نسب إلى هذه المدينة من لا يعد ولا يحصى من العلماء، وما زالت أهلة بأهل الدين ولزوم طريق أهل الشريعة والسلف الصالح، وهى كانت منزل بنى محمود بن سبكتكين إلى أن انقرضوا. انظر: معجم البلدان ٤/ ٢٠١.

يتبعهم، حتى قلت الأزواد وطال الأمد، ودخلوا البرية ومسعود في إبتاعهم مدة ثلاث سنين، فانتقض عليه عسكره، ورجع السلجوقية وهزمهم أقبح هزيمة، وولى مسعود وغنموا منه ما لا يحصى، وعادوا إلى خراسان فملكوها، وثبتت أقدامهم بها، وخطب لهم على منابرها، ووصل مسعود إلى غزنة، واختلف عليه أمراؤه حتى قتل وملك طغرلبك جرجان وطبرستان^(١) وملك بعد ذلك خوارزم، ثم سار إلى بلد الجبل واستولى عليها، فأسلم من الترك خمسة آلاف خركاه^(٢) وتفرقوا في بلاد الإسلام، ولم يتأخر عن الإسلام سوى الخطا والتتار بنواحي الصين. وبعث طغرلبك أخاه إبراهيم ينال بن ميخائيل فملك همذان^(٣) والدينور^(٤)، ثم استوحش منه وقتله وأخذه، فبعث ملك الروم يطلب الهدنة من طغرلبك وهاداه، وعمّر مسجد القسطنطينية وأقام فيه الصلاة والخطبة لطغرلبك. ثم سار طغرلبك وحاصر أصبهان حتى أخذها صلحا، ونزلها ونقل إليها ذخائره، وأتاه ملك الأكراد فأقره على بلاده شهرزور^(٥) وغيرها، ثم أنفذ رسوله إلى الخليفة القائم بأمر الله بالهدايا، وسار يريد بغداد، فدخلها خمس بقين من رمضان

(١) طبرستان: بفتح أوله وثانيه، وكسر الراء، والاطر: هو الذي يشقق به الأحطاب وما شاكله بلغة الفرس، واستان: الموضع أو الناحية كأنه يقول: ناحية الطبر... وهي بلدان واسعة كثيرة يشملها هذا الأسم، خرج من نواحيها من لا يحصى كثرة من أهل العلم والأدب والفقه، والغالب على هذه النواحي الجبال، فمن أعيان بلدانها دمستان و جرجان واستراباذ وأمل، وهي قصبته، وسارية، وهي مثلها، وشالوس، وهي مقاربة لها، وربما عدت جدحان من خراسان إلى غير ذلك من البلدان، وطبرستان في البلاد المعروفة بمازندران... انظر معجم البلدان ١٣/٤ وما بعدها.

(٢) كلمة فارسية بمعنى خيمة أو نُجْع. انظر المعجم الفارسي الكبير.

(٣) كانت همذان أكبر مدينة بالجبال وكانت أربعة فراسخ في مثلها، انظر معجم البلدان ٤١٠/٥ وما بعدها.

(٤) الدينور: مدينة من كور الجبل ما بين الموصل وأذربيجان، وهي في قبة همذان، وهي كثيرة الثمار والزروع والبساتين والمياه حصينة، وأهلها أكرم جبلة من أهل همذان، وعلى القرب منها مدينة الصيمرة والشيروان، وابن قتيبة من أهل الدينور، وأبو حنيفة الدينوري اللغوي الإمام صاحب كتاب «النبات». انظر الروض المعطار ٢٤٩، ومعجم البلدان (دينور) ٢/٥٤٥، والكرخي ١١٧، وابن حوقل ٣٠٨، ٣٠٩.

(٥) شهرزور: في جهة حلوان، ومعنى شهرزور نصف الطريق، وكان منتصف طريقهم إلى بيت نار لهم، وكانت شهرزور مضمومة إلى الموصل حتى فرقت في آخر خلافة الرشيد، وبشهرزور توفي الإسكندر بعد أن غزا الهند ومشارك الأرض، وشهرزور مشهورة بالعقارب، ولذلك قال ابن الرومي: فقرطها بعقرب شهرزور ذا غنت وطوقها بأفعى

انظر: الروض المعطار ٣٥٠، ٣٥١، ومعجم البلدان ٣/٣٧٥ وما بعدها،

سنة سبع وأربعين وأربعمائة. ونعت بالسلطان ركن الدين أبي طالب محمد طغرلبك بن ميكائيل بن سلجوق بن قنق بن جبريل بن داود بن أيوب بن دقاق بن إلياس بن بهرام ابن يوسف بن عزيز بن أحمد بن دهقان، وقبض على الملك الرحيم أبي نصر وعلى قواده، وأزال دولة بنى بويه. ثم توجه إلى نصيبين^(١) وديار بكر^(٢) واستولى على الموصل، وترك عليها أخاه ينال إبراهيم، فخالف على طغرلبك، وتوجه إلى همدان، فسار إليه طغرلبك وقتله، ثم عاد إلى بغداد، وقد ملكها أبو الحارث أرسلان البساسيري، فأعاد القائم إلى الخلافة وقتل البساسيري، ثم سار إلى بلاد الجبل فمات بالرّي^(٣) في ثامن شهر رمضان سنة خمس وخمسين وأربعمائة، فكانت مدة ملكه ثمانية وثلاثين سنة تنقص عشرين يوماً، ولم يخلف ولداً، فملك بعده ابن أخيه عضد الدولة أبو شجاع محمد ألب أرسلان بن جغرى بك بن داود ميخائيل بن سلجوق، وسار إلى

(١) نصيبين: مدينة في ديار ربيعة العظمى، وهي من بلاد الجزيرة بين دجلة والفرات، وهي قديمة عظيمة كثيرة الأنهار والجنات والبساتين، ولها نهر عظيم يقال له الهرماس عليه قناطر حجارة، وأهلها قوم من ربيعة من بنى تغلب، وهي في مستو من الأرض، ذات سور حصين وأسواق عامرة، وتجار، وبها مياه كثيرة وعقارب قتالة. وافتتحها غياض بن غنم الفهري في خلافة عمر رضى الله عنه سنة ثمان عشرة، وكانت مدينة رومية، فلما افتتحها غياض أسكنها المسلمين، وهي كبيرة، ومنها إلى دارا خمسة فراسخ، ويمتد أمام نصيبين بسيط أخضر مدّ البصر، وفيها مدرستان ومارستان واحد. انظر الروض المعطار ٥٧٧، ومعجم البلدان ٥/٢٨٨ وما بعدها، واليعقوبى ٣٦٢، ونزهة المشتاق ١٩٩، ورحلة ابن جبير ٢٣٩، والكرخى ٥٢، وابن حوقل ١٩٣، ١٩٤، والمقدسى ١٤٠، وآثار البلاد ٤٦٧، وابن الوردي ٢٨.

(٢) ديار بكر: هي بلاد كبيرة واسعة تنسب إلى بكر بن وائل بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دعمى بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان، وحدها من الغرب من دجلة إلى بلاد الجبل المطل على نصيبين إلى دجلة، ومنه حصن كيفا وأمد وميافوقين، وقد يتجاوز إلى سعرت وحيزان وحينى وما تحلل ذلك من البلاد ولا يتجاوز السهل. انظر معجم البلدان ٤٩٤/٢.

(٣) الرّي: بفتح أوله، وتشديد ثانيه... وهي مدينة مشهورة من أمهات البلاد وأعلام المدن كثيرة الفواكه والخيرات، وهي محط الحاج على طريق السابلة وقصبة بلاد الجبال، بينها وبين نيسابور مائة وستون فرسخاً وإلى قزوین سبعة وعشرون فرسخاً ومن قزوین إلى أبهر اثنا عشر فرسخاً ومن أبهر إلى زنجان خمسة عشر فرسخاً... قال العمرانى: الرّي بلد بناه فيروز بن يزيد جرد وسماه رام فيروز، ثم ذكر الرّي المشهورة بعدها وجمعها بلدين، ولا أعرف الأخرى، فأما الرّي المشهورة فإنّي رأيتها، وهي مدينة عجيبة الحسن مبنية بالأجر المنمق الخكم الملمع بالزرقة مدهون كما تدهن الضفائر في فضاء من الروض، وإلى جانبها مشرق عليها أفرع لا يثبت فيه شيء، وكانت مدينة خرب أكثرها... وقد حكى الاصطخرى: أنها كانت من أكبر أصبهان. انظر معجم البلدان ١١٦/٣ وما بعدها.

حلب وأقر صاحبها محمود بن نصر بن صالح بن مرداس^(١) عليها، ولقى ملك الروم وهزمه، وبعث جيوشه فأخذت القدس والرملة^(٢) من خلفاء مصر الفاطميين وحصرت دمشق. ومات ألب أرسلان بعدما رجع من حلب إلى ما وراء النهر، في ربيع الأول سنة خمس وستين. وملك بعده ابنه السلطان جلال الدولة أبو الفتح محمد ملك شاه بن عضد الدولة أبي شجاع ألب أرسلان بن داود بن ميخائيل بن سلحوق تسع عشرة سنة وشهرا، ومات في نصف شوال سنة خمس وثمانين وأربعمائة، وعمره سبع وثلاثون سنة وخمسة أشهر، وكان يُنظَب له من أقصى بلاد الترك إلى بلاد اليمن، وفي أيامه ملك دمشق أتسز، ثم أخذها منه تُتَشُّ بن ألب أرسلان، فاستمرت بأيدي الترك، وبعث ملك شاه أيضا آقسنقر قسيم الدولة فملك الموصل، وآقسنقر هذا هو والد عماد الدين زنكي^(٣). ثم قدم ملك شاه إلى حلب وسلمها إلى آقسنقر، وعاد إلى بغداد. وملك بعد ملك شاه ابنه محمود^(٤) وعمره أربع سنين، فقامت أمه ترکان خاتون بتدبيره، فثار عليه أخوه بركياروق بن ملكشاه واستبد بالأمر، وكانت له أيضا حروب مع أخويه محمد وسنجر إلى أن مات ثاني شهر ربيع الآخر سنة ثمان وتسعين، عن خمس وعشرين سنة،

(١) ابن شبل الدولة (... - ٤٦٧ هـ - ... - ١٠٧٥ م). محمود بن نصر بن صالح بن مرداس الكلابي، عز الدولة بن شبل الدولة: أحد الأمراء المرداسيين أصحاب حلب. وليها سنة ٤٥٢ هـ وكان شجاعا فيه حزم. انظر دول الإسلام ٢/٢، الإسلام ٢/٢، الأعلام، شذرات الذهب ٣/٣٢٩، المنتظم ٨/٢٠٠، الكامل ١٠/٣٦، المختصر ٢/١٩٢ - ١٩٣ زيادة النصرة ٣٧ - ٣٨. الأعلام ١٨٩/٧

(٢) الرملة: واحدة الرمل: مدينة عظيمة بفلسطين وكانت قصبته قد خربت الآن، وكانت رباطا للمسلمين، وهي في الإقليم الثالث، طولها خمس وخمسون درجة وثلثان، وعرضها اثنتان وثلاثون درجة وثلثان، وقال المهلبى: الرملة في الإقليم الرابع، وقد نسب إليها من أهل العلم. انظر معجم البلدان ٦٩/٣.

(٣) الأتابك زنكي (٤٧٨ - ٥٤١ هـ - ١٠٨٥ - ١١٤٦ م).

زنكي (عماد الدين) بن قسيم الدولة الحاجب آقسنقر: أبو غازي ومردود ومحمود كان من كبار الشجعان. انظر التاريخ الباهر ٣، ٢٦، ٥٥، ٥٦، ٧٤ - ٨٤، العير ٤/٤٩ - ٢١٥، شذرات ٤/١٢٨. الأعلام ٣/٥٠.

(٤) العادل نور الدين (٥١١ - ٥٦٩ هـ - ١١١٨ - ١١٧٤ م). محمود بن زنكي (عماد الدين) ابن آقسنقر، أبو القاسم، نور الدين، الملقب بالملك العادل: ملك الشام وديار الجزيرة ومصر، وهو أعدل ملوك زمانه وأجلهم وأفضلهم. انظر كتاب الروضتين ١/٢٢٧ - ٢٢٩، ابن الأثير ١١/١٥١، ابن خلدون ٥/٢٥٣، ابن الوردي ٢/٨٣، ابن شقدة، ابن خلكان ٢/٨٧، مرآة الزمان ٨/٣٠٥، مفرج الكروب ١/١٠٩، المدارس ٤/٩٩، ٣٣١، ٣٦١، ٤٤٧، ٦٠٧ - ٦١٥، النجوم الزاهرة ٦/٧١، أمراء دمشق ١٤٧. الأعلام ١٧٠/٧.

منها مدة وقوع اسم السلطنة عليه اثنتا عشرة سنة وأربعة أشهر، قاسى فيها من الحروب واختلاف الأمور ما لم يقاسه غيره. وأقيم بعده ابنه ملكشاه بن بركياروق، وعمره أربع سنين وثمانية أشهر، ولقبه جلال الدولة، وقام بأمره الأمير أياز الأتابك إلى أن قتل فى ثالث عشر جمادى الآخرة، بعدما سلم أمر الدولة إلى السلطان محمد بن ملكشاه بن ألب أرسلان. فقام محمد بأمر المملكة إلى أن مات، فى رابع عشرى ذى الحجة سنة إحدى عشرة وخمسمائة، عن ست وثلاثين سنة وأربعة أشهر، منها مدة اجتماع الناس عليه اثنتا عشرة سنة وستة أشهر، ولقى مشاق وأخطارا كثيرة فأقيم بعده ابنه محمود بن ملكشاه^(١) وعمره أربع عشرة سنة، فنازعه عمه السلطان ناصر الدين معز الدولة أبو الحارث سنجر بن ملكشاه بن ألب أرسلان وقاتله، فانهزم منه محمود، خطب لسنجر ببغداد فى سادس عشرى جمادى الأولى سنة ثلاث عشرة وخمسمائة، وقطعت خطبة محمود، ثم اصطلحا وجعل سنجر ابن أخيه محمودا ولى العهد بعده، وكتب إلى جميع الأعمال التى بيده بأن يخطب للسلطان محمود بعده، وأعاد جميع ما أخذ من البلاد، فخطب لهما ببغداد وغيرها. وعاد سنجر إلى ولايته، واستمر محمود فى السلطنة، فتنكر الحال بينه وبين الخليفة المسترشد بالله واقتتلا، ثم اصطلحا فى عاشر شهر ربيع الآخر سنة إحدى وعشرين وسار محمود عن بغداد، وولى عماد الدين زنكى بن أقسنقر شحنكيتهما، ثم نقله إلى الموصل، وأضاف إليه الجزيرة، فاشتدت وطأته بها حتى ملك حلب أول المحرم سنة اثنتين وعشرين، ثم ملك حماة وعدة حصون بالشام. ومات السلطان محمود فى شوال سنة خمس وعشرين وخمسمائة بهمدان عن سبع وعشرين سنة، منها ولايته السلطنة اثنتى عشرة سنة وتسعة أشهر وعشرين يوما، فأقعد بعده فى

(١) محمود بن محمد بن ملكشاه اللجوتى، أبو القاسم، الملقب بمغيث الدنيا والدين، يمين أمير المؤمنين: من سلاطين السلاجقة. خلف أباه فى السلطنة بالرى وهو فى سن الحلم (سنة ٥١١ هـ) وكانت أواخر أيام المستظهر بالله العباس. وتولى المسترشد بالله، فجدد له التقليد بالسلطنة، واتهز وزراؤه فرصة صغر سنه فتصرفوا فى الأمور وأساءوا الساسية وأتوا بمفاسد، وأوقعوا بينه وبين عمه السلطان سنجر (صاحب خراسان) فزحف عليه هذا، فخضع. وكان ينتقل فى الإقامة بين الرى وبغداد. وعاجلته الوفاة وهو شاب. مات بهمدان، وعمره نحو ٢٧ سنة. قال عماد الدين الأصفهاني: كان قوى المعرفة بالعربية، حافظا للأشعار والأمثال، عارفا بالتواريخ والسير. وقال ابن قاضى شهبه: خطب له على منابر بغداد وغيرها وهو أمرد. ومدحه الشاعر «حيص بيص» بقصيدة دالية. انظر الأعلام لابن قاضى شهبه - خ. وأخبار الدولة السلجوقية: انظر فهرسته وتاريخ دولة آل سلجوق ١٠٩ - ١٤٢ والكامل لابن الأثير ١٠/١٨٤ و١٨٧ و١٩٣ و١٩٩ و٢٢٦ و٢٣٣ وابن خلكان ٨٧/٢ وزبدة النصرة: انظر فهرسته، انظر الأعلام ٧/١٨١.

السلطنة ابنة داود بن محمود بن محمد بن ملكشاه، فنازعه عمه السلطان مسعود، وقتله ثم اصطالحا، وطلب مسعود من الخليفة المسترشد أن يخطب له ببغداد، فأجاب بأن الحكم في الخطبة ينبغي أن تكون له وحده، فوافق ذلك غرض سنجر، فاشتد ذلك على مسعود، وعزم على أخذ السلطنة، فسبقه أخوه السلطان سلجوق شاه بن السلطان محمد إلى بغداد، وكانت أمور آلت إلى أن يكون مسعود بن محمد بن السلطان ملكشاه سلطانا، وسلجوق شاه ولي عهده، وقطعت خطبة سنجر من العراق جميعه. وكان عماد الدين زنكي قد قدم نصرة لمسعود، فهزمه أصحاب سلجوق شاه هزيمة قبيحة، فلما وصل تكريت أقام^(١) له نجم الدين أيوب بن شادى الدردار^(٢) بها المعابر حتى خلص إلى بلاده، فشكر ذلك لنجم الدين وقربه، فكان ذلك سببا لاتصال نجم الدين به والمصير في حملته، حتى آل بهم الأمر إلى ملك مصر والشام وغيرهما. واقتتل مسعود وسنجر، فانهزم مسعود وقتل أصحابه، ثم أحضر إلى سنجر فعاتبه، وأعادته إلى كنجة^(٣) وأجلس ابن أخيه الملك طغرل بن السلطان محمد في السلطنة، وخطب له في جميع البلاد، وذلك في ثامن رجب سنة وعشرين فلما كان في رمضان اقتتل الملك طغرل بن محمد هو وابن أخيه الملك داود بن محمود، فانهزم داود، فلما سمع ذلك السلطان مسعود بن محمد سار

(١) تكريت: بفتح التاء والعامه يكسرونها: بلدة مشهورة بين بغداد والموصل، وهى إلى بغداد أقرب، بينها وبين بغداد ثلاثون فرسخا، وهى قلعة حصينة فى طرفها الأعلى راكبة على دجلة، وهى غربى دجلة، وكان أول من بنى هذه القلعة سابورين بن أردشير بن بابك لما نزل المد، وهو بلد قديم مقابل تكريت فى البداية،.. وقيل: سميت بتكريت بنت وائل،... وافتتحها المسلمون فى أيام عمر ابن الخطاب فى سنة ١٦هـ، وأرسل إليها سعد ابن أبى وقاص حيثما عليه عبد الله بن المعتصم فحاربهم حتى فتحها عنوة، وقال فى ذلك:

ونحن قتلنا يوم تكريت جمعها فالله جمع يوم ذاك تتابعوا

انظر معجم البلدان ٣٩، ٣٨/٢

(٢) أيوب بن شادى (... ٦٥٨ هـ = ... ١١٧٣ م). أيوب بن شادى بن مروان، أبو الشكر، الملك الأفضل نجم الدين: والد صلاح الدين الأيوبي، وإليه نسبة الأيوبيين كافة. أصله من دوين وولى أبوه قلعة تكريت، فكان أيوب معه فيها إلى أن مات وولى مكانه، ثم عزل عنها فرحل إلى الموصل، فأقام مدة وولى قلعة بعلبك، ثم انتقل إلى دمشق فأقام فى خدمته نور الدين محمود بن زنكى مات ودفن فى القاهرة ثم نقل إلى المدينة المنورة. انظر وفيات الأعيان ٨٤/١، خطط مبارك ٤٧/٦، كتاب الروضتين ٢٠٩/١، مرآة الزمان ٢٩٥/٨، الأعلام ٣٨/٢.

(٣) كنجة: بالفتح ثم السكون، وحيم: مدينة عظيمة وهى قبة بلاد أران، وأهل الأدب يسمونها جنزة، بالجيم والنون والزاي، وكنجة: من نواحي لرستان بين خوزستان وأصبهان. انظر معجم البلدان ٤٨٢/٤.

إلى بغداد، فلقية داود ودخل معه إليها، في صفر سنة سبع وعشرين، وأعيدت له الخطبة بها ولداود معه، وخلع عليهما الخليفة. ثم سارا لمحاربة طغرل، فحارباه وهزماه في شعبان، فامتدت الحرب بينهم إلى شوال. ثم عاد طغرل بن محمد، وأجلى أخاه مسعودا عن بلاده في رمضان سنة ثمان وعشرين، فقدم بمسعود بغداد في نصف شوال، فأكرمه الخليفة المسترشد وأنزله وأنعم عليه. ثم قدم الخير بوفاة طغرل بن محمد، في المحرم سنة تسع وعشرين، فسار مسعود إلى همدان واستولى عليها، وكان قبل ذلك قد نافر الخليفة، فقطع المسترشد خطبته من بغداد وسار لقتاله، فبرز إليه مسعود وقاتله في عاشر رمضان وأخذة أسيرا، وبعث إلى بغداد فقبض على أملاك الخليفة، وكسر منبره وشباكه. ثم قتل الخليفة بيد الباطنية، وأقيم بعده الراشد خليفة، فسار الملك داود بن السلطان محمود في عسكر أذربيجان إلى بغداد، فقدمها رابع صفر سنة ثلاثين وخمسمائة، وأقام برنقش على شحنكيتها. وقطعت خطبة السلطان مسعود وخطب لداود، فسار مسعود إلى بغداد وحصرها نيفا وخمسين يوما، فكانت أمور آلت إلى عود الملك داود إلى بلاده في ذى القعدة، وإلى تفرق الأمراء الذين كانوا معه، وسار الخليفة الراشد من بغداد إلى الموصل في نفر يسير مع عماد الدين زنكى فلما سمع السلطان مسعود بمفارقة الخليفة وزنكى بغداد سار إليها ودخلها في نصف ذى القعدة، وخلع الراشد وأقام المقتضى لأمر الله أبا عبد الله محمد بن المستظهر في الخلافة، وزوجه أخته فاطمة على مائة ألف دينار صداقا. فسار الراشد بالله من الموصل^(١) إلى مراغة^(٢) فأتاه الملك داود في جماعة ليرده

(١) المَوْصِلُ: بالفتح، وكسر الصاد: المدينة المشهورة العظيمة إحدى قواعد بلاد الإسلام قليلة الظهير كبراً وعظماً خلق وسعة رقعة فهي محط رحال الركبان ومنها يقصد إلى جميع البلدان فهي باب العراق ومفتاح خراسان ومنها يقصد إلى أذربيجان، وكثيراً ما سمعت أن بلاد الدنيا العظام ثلاثة: نيسابور لأنها باب الشرق، ودمشق لأنها باب الغرب، والموصل لأن القاصد إلى الجهتين قل ما لا يمر بها، قالوا: وسميت الموصل لأنها وصلت بين الجزيرة والعراق، وقيل: وصلت بين دجلة والفرات، وقيل: لأنها وصلت بين بلد سنجار والحديثة، وقيل: بل الملك الذي أحدثها كان يسمى الموصل، وهي مدينة قديمة الأس على طرف دجلة ومقابلها من الجانب الشرقي نينوى، وفي وسط مدينة الموصل قبر جرجيس النبي. انظر معجم البلدان ٢٢٣/٥ وما بعدها.

(٢) مَرَاغَةُ: بالفتح، والغين المعجمة، بلدة مشهورة عظيمة أعظم وأشهر بلاد أذربيجان، طولها ثلاث وسبعون درجة وثلث، وعرضها سبع وثلاثون درجة وثلث، قالوا: وكانت المراغة تدعى أفرار مروذ فعسكر مروان بن محمد بن مروان بن الحكم وهو والى إرمينية وأذربيجان منصرفه من غزو موقان وجيلان بالقرب منها وكان فيها سرحين كثير فكانت دوابه ودواب أصحابه تتمرغ فيها فجعلوا يقولون بنوا قرية المراغة، وهذه قرية المراغة، فحذف الناس القرية وقالوا مراغة. انظر معجم البلدان ٩٣/٥ وما بعدها.

إلى الخلافة، فسار السلطان مسعود من بغداد في شعبان سنة اثنتين وثلاثين، وحاربهم وهزمهم، فحمل عليه بعض من انحاز منهم إلى تل فلم يثبت لهم وانهزم، ومازال حتى صار إلى أذربيجان، وقصد داود همذان ومعه الراشد، وسار سلجوق شاه بن محمد إلى بغداد ليملكها فمنع منها، وسار مسعود ليمنع داود من أخذ الراشد ومسيره به إلى العراق، فترك داود الراشد، وعاد إلى فارس، فقتل الراشد بيد الباطنية أيضا. وضاعت الأمور على السلطان مسعود، وكثرت الخوارج عليه وسار عماد الدين زنكي إلى دمشق، وحصرها مرتين وملك بعلبك،^(١) وحارب السلطان سنجر بن ملكشاه خوارزم شاه أتسز بن قطب الدين محمد بن أنوشتكين، فقتل ابن خوارزم شاه، فبعث خوارزم شاه إلى الخطا وهم بما وراء النهر فأطمعهم في البلاد وتزوج منهم، فساروا في ثلاثمائة ألف فارس، فحاربهم سنجر، فقتلوا منه نحو مائة ألف، وهزموه في صفر سنة ست وثلاثين، فأخذ خوارزم شاه مدينة مرو^(٢). فسار السلطان مسعود إلى الري، وقد استقرت دولة الخطا والترك الكفار بما وراء النهر، وأخذ خوارزم شاه نيسابور^(٣) أيضا، وقطع خطبة السلطان سنجر أول ذي القعدة، وخطب باسمه، وعات أصحابه في خراسان وعملوا أعمالا قبيحة. ثم آل أمر أتسز خوارزم شاه إلى مصالحة السلطان سنجر، في سنة ثمان وثلاثين، وأقام بخوارزم على ما كان عليه، وأقام سنجر بمرو.

(١) بَعْلَبُكُ: بالفتح ثم السكون وفتح اللام والباء الموحدة والكاف مشددة مدينة قديمة فيها أبنية عجيبة وآثار عظيمة وقصور على أساطين الرخام لا نظير لها في الدنيا بينها وبين دمشق ثلاثة أيام وقيل: اثنا عشر فرسخا من جهة الساحل... وهو اسم مركب من بَعْلُ اسم صنم بك أصله من بَكَّ عُنُقَهُ أى دقها وتباك القوم أى ازدحموا فأما أن يكون نسب الصنم إلى بك وهو اسم رجل أو جعلوه يك الأعناق هذا إن كان عربيا وإن كان عجميا فلا اشتقاق. انظر معجم البلدان (بعلبك).

(٢) مَرُوُ الشاجان: هذه مرو العظمى أشهر مدن خراسان وقصبتها، نص عليها الحاكم أبو عبد الله في تاريخ نيسابور... وبين مرو ونيسابور سبعون فرسخا ومنها إلى سرخس ثلاثون فرسخا وإلى بلخ مائة واثان وعشرون فرسخا واثان وعشرون منزلا. انظر معجم البلدان ١١٢/٥ وما بعدها.

(٣) نَيْسَابُورُ: يفتح أوله، والعامية يسمونه نَشَاوُورُ: وهى مدينة عظيمة ذات فضائل جسيمة معدن الفضلاء ومنبع العلماء لم أر فيما طوّفت من البلاد مدينة كانت مثلها... وأكثر شرب أهل نيسابور من قنى تجرى بالأرض ينزل إليها فى سراديب مهيأة لذلك فيوجد الماء تحت الأرض ينزل إليها في الخلاوة، وعهدى بها كثيرة الفواكه والخيرات، وبها يابس ليس فى الدنيا مثله تكون الواحدة منه منا وأكثر... وكان المسلمون قد فتحوها فى أيام عثمان بن عفان رضى الله عنه، والأمير عبد الله بن عامر بن كرزى فى سنة ٣١ هـ عقد صلحا وبني بها جامعا، وقيل: إنما فتحت فى أيام عمر، رضى الله عنه، على يد الأحنف بن قيس وإنما انتقضت فى أيام عثمان فأرسل إليها عبد الله بن مرفقتها ثانية. انظر معجم البلدان ٣٣١/٥.

ومات أتابك عماد الدين زنكى أقسنقر صاحب الموصل والشام، قتله بعض مماليكه فى خامس ربيع الآخر سنة إحدى وأربعين وخمسمائة، فسار ابنه نور الدين محمود بن زنكى^(١) إلى حلب فملكها، وملك سيف الدين غازى بن زنكى الموصل. ومات السلطان مسعود بن محمد بن ملكشاه بهمذان، أول رجب سنة سبع وأربعين وخمسمائة، وماتت معه سعادة بنى سلجوق، فلم يبق بعده لهم راية يعتد بها.

فقام بعده ملكشاه بن السلطان محمود، وخطب له، فلما بلغ الخليفة المقتضى لأمر الله موت السلطان مسعود أحاط بداره ودور أصحابه، وأخذ كل ما لهم، وجمع الرجال والعساكر وأكثر من الأجناد، وجهاز إلى الحلة^(٢) والكوفة وواسط العساكر فأخذوها. ثم إن الأمير خاص بك قبض على ملكشاه وبعثه إلى خوزستان^(٣) واستدعى أخاه محمد بن محمود من خوزستان، وأجلسه على تخت السلطنة، فى أوائل صفر سنة ثمان وأربعين، فقتل محمد خاص بك ثانى يوم قدومه. وملك نور الدين محمود بن زنكى دمشق فى صفر سنة تسع وأربعين وخمسمائة، واستولى شملة التركمانى على خوزستان فى سنة خمسين وخمسمائة، وأزاح عنها ملكشاه بن السلطان محمود بن محمد.

(١) العادل نور الدين (٥١١ - ٥٦٩ هـ = ١١١٨ - ١١٧٤ م). محمود بن زنكى (عماد الدين) ابن أقسنقر، أبو القاسم، نور الدين، الملقب بالملك العادل: ملك الشام وديار الجزيرة ومصر، وهو أعدل ملوك زمانه وأجلهم وأفضلهم. كان من المماليك حده من موالى السلجوقيين. ولد فى حلب، وانتقلت إليه إمارتها بعد وفاة أبيه (٥٤١ هـ). انظر الروضتين ١/٢٢٧ - ٢٢٩، ابن الأثير ١١/١٥١، ابن خلدون ٥/٢٥٣، ابن الوردي ٢/٨٣، ابن خلكان ٢/٨٧، مرآة الزمان ٨/٣٥، مفرج الكروب ١/١٠٩، المدارس ١/٩٩، ٣٣١، ٣٥٦١، ٢٤٧، ٦٠٧ - ٦١٥ منتخبات من كتاب التاريخ ٢٦٨، النجوم الزاهرة ٦/٧١، أمراء دمشق ١٤٧ الأعلام ٧/١٧٠.

(٢) الحلة: بالكسر ثم التشديد، وهو فى اللغة القوم النزول وفيهم كثرة الحلة: علم لعدة مواضع، وأشهرها حلة بنى مزيد، مدينة كبيرة بين الكوفة وبغداد كانت تسمى الجامعين، طولها سبع وستون درجة وسلس، وعرضها اثنتان وثلاثون درجة... والحلة أيضا: حلة بنى قيلة بشارع ميسان بين واسط والبصرة. والحلة أيضا: حلة بنى ديبس بن عفيف الأسدى قرب الحويذة من ميسان واسط والبصرة، والأهواز فى موضع آخر. انظر معجم البلدان ٢/٢٩٤، ٢٩٥.

(٣) خوزستان: بضم أوله، وبعد الواو الساكنة زاي، وسين مهملة، وتاء مثناة من فوق، وآخره نون: وهو اسم لجميع الخوز... واستان كالنسبة فى كلام الفرس... قال أبو زيد: وليس بخوزستان جبال ولا رمال إلا شىء يسير وأما أرض خوزستان فأشبهه بأرض العراق وهوائها وصحتها، فإن مياهها طيبة جارية ولا أعرف بجميع خوزستان بلدًا ماؤهم من الآبار لكثرة المياه الجارية بها، وأما تربتها فإن ما بُعِدَ عن دجلة إلى ناحية الشمال أيسر وأصح، وما كان قريبا من دجلة فهو من جنس أرض البصرة فى السبخ وكذلك فى الصحة. انظر معجم البلدان ٢/٤٠٤ وما بعدها.

وضعت يد السلطان سنجر بن ملكشاه بن ألب أرسلان، حتى لم يبق له إلا اسم السلطنة، وأخذ الغز نيسابور بالسيف، ففر منهم سنجر في رمضان سنة إحدى وخمسين إلى ترمذ^(١) ثم إلى جيحون يريد خراسان، ثم عاد إلى دار ملكه بمرو. وسار السلطان محمد شاه بن محمود من همذان، وحصر بغداد في ذي الحجة منها، لامتناع الخليفة من الخطبة له، إلى أن عاد إلى همذان في أخريات ربيع الأول سنة اثنتين وخمسين، ولم ينل طائلا من بغداد. ومات السلطان سنجر بن ملكشاه بن ألب أرسلان في ربيع الأول سنة اثنتين وخمسين، وقد خطب له على أكثر منابر الإسلام بالسلطنة نحو أربعين سنة، وكان قبلها يخاطب بالملك عشرين سنة. واستخلف بعده على خراسان الملك محمود بن محمد بن بغراخان وهو ابن أخته. ومات السلطان محمد شاه ابن محمود بن محمد في ذي الحجة سنة أربع وخمسين بهمذان، عن اثنتين وثلاثين سنة، وترك ولدا صغيرا، فاختلف الأمراء بعده، فمنهم من أراد أن يملك ملكشاه بن محمود، ومنهم من طلب سليمان شاه بن محمد وطلب قوم أرسلان شاه بن طغرل.

فسار ملكشاه من خوزستان إلى أصفهان وملكها، فخالف عليه أهل همذان وطلبوا سليمان شاه، فسار من الموصل أول سنة خمس وخمسين يريد همذان، فقبض عليه بها في شوال سنة ست وخمسين، وخطب لأرسلان شاه بن الملك طغرل بن محمد. ومات ملكشاه بن محمود بن محمد بن ملكشاه بن ألب أرسلان بأصبهان في أثناء السنة، وخطب بعده لأرسلان شاه بن طغرل بن محمد بن ملكشاه بن ألب أرسلان بن جغرى بك داود بن ميخائيل بن سلجوق بهمذان وأعمالها. وطلب أرسلان شاه من الخليفة المستنجد بالله أن يخط له ببغداد، كما كانت العادة في أيام السلطان مسعود، فأهين رسوله وأعيد إليه على أقبح حالة، فكثر الخلاف والقتال بين عساكر السلجوقية، فمات أرسلان في سنة ثلاث وسبعين وخمسائة. وأقيم من بعده ابنه طغرل بن أرسلان آخر السلاطين السلجوقية، وكان تحت أمر قزل أرسلان إيلدكز، ثم استبدت بسلطنته، وفارق قزل أرسلان، فأقام عوضه معز الدين سنجر بن سليمان بن محمد بن ملكشاه، وطرده ثم ظفر به وسجنه، ثم خلص وقتل في محاربة خوارزم شاه قريبا من الري، في رابع عشرى

(١) ترمذ: قال أبو سعد: الناس مختلفون في كيفية هذه النسبة، بعضهم يقول بفتح التاء وبعضهم يضمها وبعضهم يقول بكسرها، والمتداول على لسان أهل تلك المدينة بفتح التاء وكسر الميم، والذي كنا نعرفه قديما بكسر التاء والميم جميعا، والذي يقوله المتأقنون وأهل المعرفة بضم التاء والميم، وكل واحد يقول معنى لما يدعيه. وترمذ: مدينة مشهورة من أمهات المدن، رابطة على نهر جيحون من جانبه الشرقي، متصلة العمل بالطغانيان، يحيد بها سور، وأسواقها مفروشة بالأجر، ولهم شرب من الصفاينيان لأن جيحون يستقل من شراب قواصم. انظر معجم البلدان ٢٦/٢ وما بعدها.

ربيع الأول سنة تسعين وخمسمائة، وحمل رأسه إلى بغداد فكان آخر السلجوقية، وملك بعده خوارزم شاه. فكانت مدتهم، من سنة اثنتين وثلاثين وأربعمائة إلى سنة تسعين وخمسمائة، مائة وثمانية وخمسين سنة. وكان أسد الدين شيركوه بن شادى قد تقدم عند نور الدين محمود بن زنكى، وبعثه أمير الحاج من دمشق، ثم سيره مع شاور بن مجير السعدى وزير الخليفة العاضد الفاطمى على عسكر من الغز إلى مصر.

وكان شيركوه هذا وأخوه نجم الدين من بلد دوين^(١) أحد بلاد أذربيجان، وأصلهما من الأكراد، فخدموا مجاهد الدين بهروز شحنة بغداد، فجعل أيوب مستحفظا لقلعة تكريت، فسار إليها ومعه أخوه شيركوه، وهو أصغر منه سنا، فخدم الشهيد زنكى لما انهزم، فشكر له ذلك. ثم إن شيركوه قتل رجلا بتكريت، فطرد هو وأخوه من القلعة، فسارا إلى زنكى فأحسن إليهما، وأقطعهما إقطاعا حسنا، ثم جعل أيوب مستحفظا لقلعة بعلبك، ثم ترقى وصار من أمراء دمشق. واتصل شيركوه بنور الدين محمود بن زنكى، وخدمه فى أيام أبيه، فلما ملك حلب بعد أبيه، كان لنجم الدين أيوب عمل كبير فى أخذه دمشق، فزادت مكاتهما عنده، ولم ير أحدا يليق به أن يسير مع شاور إلى مصر سوى شيركوه، فبعثه إليها ومعه ابن أخيه صلاح الدين يوسف، فكان من أمره ما ذكر فى أخبار العاضد، فلما مات شيركوه قام من بعده صلاح الدين يوسف، كما سنقف عليه فيما يأتى إن شاء الله تعالى.

* * *

السلطان الملك الناصر صلاح الدين

يوسف بن أيوب بن شادى بن مروان بن أبى على بن عنزة الحسن بن على بن أحمد ابن أبى على بن عبد العزيز بن هدية بن الحصين بن الحارث بن سنان بن عمرو بن مرة ابن عوف. ومن هنا اختلف النسابون: فقيل عوف بن أسامة بن نهش بن الحارثة صاحب الحمالة بن عوف بن أبى حارثة بن مرة بن نشبة بن غيظ بن مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان بن سعد بن قيس بن عيلان بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان. ويقال إن على بن أحمد يعرف بالخراسانى، مدحه المتنبى بقصيد منها:

شرق الجو بالغبار إذا سار على بن أحمد القمقام
وقيل إن مروان من أولاد بنى أمية، زعم ذلك إسماعيل بن طغتكين بن أيوب، وأنكر

(١) دوين: بفتح أوله، وكسر ثانيه، وباء مثناه من تحت ساكنة، وآخره نون: بلدة من نواحي أران فى آخر حدود أذربيجان بقرب من تفليس، منها ملوك الشام بنى أيوب. انظر معجم البلدان ٢/٤٩١.

ذلك عمه العادل أبو بكر. وذكر ابن القادسي أن شادي كان مملوكا لبهروز الخادم. والحق أنه من الأكراد الروادية أحد بطون الهذبانية، من بلد دوين في آخر أذربيجان من جهة أران^(١) وبلاد الكرج. وكان له ابنان، أكبرهما أيوب ثم شيركوه، قدم بهما العراق فخدما عند بهروز، فجعل أيوب على قلعة تكريت وكانت في إقطاعه، وقيل جعله بعد أبيه شادي، فخدم أيوب وشيركوه عماد الدين زنكي لما انهزم إليها، ثم قتل شيركوه رجلا فأخرجه بهروز من تكريت هو وأخاه أيوب، وقد ولد يوسف بن أيوب تلك الليلة. فلحقا بزنكي، واتصل أيوب بولده غازي بن زنكي، وخدم شيركوه محمود بن زنكي. فأقام عماد الدين غازي أيوب بن شادي على قلعة بعلبك، وما زال يترقى حتى صار من أمراء دمشق.

ولد صلاح الدين يوسف بقلعة تكريت في سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة، وكان أبوه نجم الدين أيوب واليا بها، ثم انتقل بابنه يوسف إلى الموصل، وصار منها إلى الشام، فأعطى بعلبك، فأقام بها مدة. ونشأ يوسف وعليه لوائح السعادة، وجالس مشايخ أهل العلم، فجمع له الشيخ الإمام قطب الدين أبو المعالي مسعود بن محمد بن مسعود النيسابوري عقيدة تحوى جميع ما يحتاج إليه، فمن شدة حرصه عليها كان يعلمها صغار أولاده ويأخذها عليهم. وكان يواظب الصلاة مع الجماعة، حتى قال يوما: «لي سنين ما صليت إلا في جماعة». وكان إذا مرض استدعى الإمام وحده، وصلى خلفه. وصار في خدمة نور الدين محمود بن زنكي، فخرج مع عمه أسد الدين شيركوه إلى مصر، في سنة ثمان وخمسين وخمسمائة، وقدمها. ثم عاد إلى الشام، وقدمها ثانيا مع عمه، وحضر وقعة البابين، وحصره الفرنجة بالإسكندرية. ثم خرج مع عمه إلى الشام، وسار معه في الكرة الثالثة على كره منه في المسير إلى مصر، فقدمها في سنة أربع وستين. ولما تقاعد شاور عن إجابة شيركوه، وإعطائه ما تقدم به الوعد لنور الدين وللعسكر، تشاوروا على الإحاطة به والقبض عليه، فلم يجسر عليه أحد منهم إلا صلاح الدين، فإنه لما قدم عليهم شاور على عادته في كل يوم، وساروا معه لقصده أسد الدين، سار صلاح الدين إلى جانبه وأخذ بتلابيبه، وأمر العسكر بأخذ أصحابه، ففروا عن شاور، ونهب الغز ما كان معهم، وسبق شاور إلى المخيم وقتل. فاستقر أسد الدين شيركوه بعده في وزارة

(١) أَرَّان: بالفتح وتشديد الراء وألف ونون: اسم أعجمي لولاية واسعة وبلاد كثيرة، منها حنزة، وهي التي تسميها العامة كنجة، وبرذعة، وسمكور، وبيلقان. وبين أذربيجان وأَرَّان نهر يقال له الرس، كل ما جاوره من ناحية المغرب والشمال، فهو من أَرَّان، وما كان من جهة المشرق فهو من أذربيجان، قال نصر: أَرَّان من أصقاع إرمينية، يذكر مع سيسجان، وهو أيضا اسم حَرَّان، البلد المشهور بين ديار مصر. انظر معجم البلدان ١/١٣٦.

العاضد إلى أن مات، في ثاني عشرى جمادى الآخرة من سنة أربع وستين. ففوض العاضد وزراته إلى صلاح الدين، ونعته بالملك الناصر، فمشتى الأحوال، وبذل الأموال، واستعبد الرجال، وتاب عن الخمر فترك معاقرته، وأعرض عن اللهو ودبر الأمر في نوبة نزول الفرنج على دمياط^(١) أحسن تدبير، حتى رحلوا عنها خائبين، فنهبت آلاتهم، وأحرقت مجانيقهم، وقتل منهم خلق كثير، وتمكن صلاح الدين في مصر، فقدم عليه أبوه نجم الدين أيوب وأخوته وأهله ثم إنه دأب في إزالة الدولة الفاطمية وقطع دابرها ومحو آثارها، فأعانه الله على ذلك، ومات العاضد وقد قطع صلاح الدين خطبته، وأمر الخطباء بالدعاء للمستضىء بنور الله العباسى فاستولى على القصر وما يحويه من عاشر المحرم سنة سبع وستين. وأخذ يتأهب لغزو الفرنجة، وقد انفرد بسلطنة ديار مصر. وكتب العماد الأصفهاني بشارة تقرأ في سائر بلاد الإسلام بإقامة الخطبة العباسية بمصر، وبشارة ثانية تقرأ بحضرة الخليفة المستضىء بنور الله في بغداد، على يد القاضى شهاب الدين المطهر بن شرف الدين بن عصرون، فسار القاضى ولم يترك مدينة ولا قرية إلا وقرأ فيها المنشور، حتى وصل بغداد، فخرج الناس إلى لقائه، ودخل يوم السبت ثاني عشرية، فعلقت أسواق بغداد بالزينة، وخلع عليه.

وفي يوم الجمعة رابع عشره: أخرج الكامل شجاع بن شاور، من المكان الذى قتل فيه بالقصر ودفن فيه، فوجدت الجثة مختلطة بجمتى عمه وأخيه، فجمعوا فى تابوت حمل إلى قبر شاور، فنبش عنه وأخرج منه، وكان فى مكان غامض، وحمل فى تابوت وساروا بالتابوتين إلى تربة طى بن شاور فدفنوا بها.

وفي تاسع عشره: رحل السلطان الملك الناصر من القاهرة، ونزل البئر البيضاء يريد بلاد الشام، فوصل إلى الشوبك^(٢) فواقع الفرنج، وعاد على أيلة^(٣) وهلك منه نحو الخمسة آلاف رأس، ما بين جمل وفرس، فى هذه السفرة.

(١) دِمِيَّاط: مدينة قديمة بين تيبس ومصر على زاوية بين بحر الروم الملح والنيل، مخصوص بالهواء الطيب وعمل ثياب الشرب الفائق، وهى نغر من نغور الإسلام. انظر معجم البلدان ٤٧٢/٢ وما بعدها.
(٢) الشَّوْبُكُ: بالفتح ثم السكون ثم الباء الموحدة المفتوحة، وآخره كاف، إن كان عربياً فهو مرتجل، قلعة حصينة فى أطراف الشام بين عمان وأيلة والقلمزم قرب الكرك. انظر معجم البلدان ٣٧٠/٣.

(٣) أَيْلَة: بالفتح مدينة على ساحل بحر القلزم مما يلى الشام، وقيل: هى آخر الحجاز وأول الشام، قال أبو زيد: أيلة مدينة صغيرة عامرة بها زرعٌ يسيرٌ، وهى مدينة لليهود الذين حرّم الله عليهم صيد السمك يوم السبت فخالقوا فمسخوا قرده وخنازير، وبها فى يد اليهود عهد لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - وقال أبو المنذر: سميت بأيلة بنت مدين بن إبراهيم عليه السلام. انظر معجم البلدان ٢٩٢/١ وما بعدها.

وفيه فرقت الزكوات فى ثالث ربيع الأول على الفقراء والمساكين، وأبناء السبيل والغارمين، ورفع إلى بيت المال سهم العاملين والمؤلفة وفى سبيل الله وفى الرقاب. وأخذت الزكاة من البضائع، وعلى ما اقتدر عليه من المواشى والنخل والخضراوات، وقررت السكة باسم المستضىء بأمر الله، وباسم الملك العادل نور الدين، فنقش اسم كل منهما فى وجه، وذلك فى سابع شهر ربيع الآخر. وفيه قلعت المناطق الفضة التى كانت بمحاريب جوامع القاهرة التى فيها أسماء الخلفاء الفاطميين، وكان وزنها خمسة آلاف درهم فضة نقرة.

وفيه أنزل الغز بالقصر الغربى، وأخرج من كان ساكنا فيه، وورد الخبر بأن الخمرور - بعد تعطيلها، وغلق حاناتها وقطع ذكرها، بالإسكندرية - أعيدت ببذل مال لديوان نجم الدين أيوب، ففتحت مواضعها وظهرت مناكرها.

وفى جمادى الآخرة: قرّر دينار الأسطول بنصف وربع دينار، بعد أن كان بنصف وثمان دينار.

وفى سابعه: ولد عثمان الملك العزيز.

وفى ثالث عشره: كشف حاصل القصر بالخزائن الخاصة، فوجد فيها مائة صندوق كسوة فاخرة، ما بين موشح ومرصع، وعقود ثمينة، وذخائر فخمة، وجواهر نفيسة، وغير ذلك من ذخائر عظيمة. وكان الذى تولى كشفها بهاء الدين قراقوش.

وفيهما كثرت عادية الفار فى أكل ثمار النخل والأقصاب والأشجار، وانتهى الحال إلى أن اعتصر من مائة فدان مزروعة قصباً ستون أبلوجا. ومع هذا بالأسعار رخيصة، والغلة كل ثلاثة أرباب من القمح بدينار، والشعير كل ثمانية أرباب بدينار، والقول كل أربعة عشر أردبا بدينار، والسكر كل قنطار بثلاثة دنانير .

وفى تاسع رجب: وصلت الخلع التى نفذت إلى نور الدين من الخليفة ببغداد، وهى فرجية سوداء وطوق من ذهب، فلبسها نور الدين، وسيرها إلى الملك الناصر ليلبسها، وكانت نفذت له خلعة ذكر أنه استقصرها واستصغرها دون قدره. فبات الواصل بالخلع برأس الطابية، فلما كان العاشر منه خرج قاضى القضاة صدر الدين بن درباس والشهود والمقرئون والخطباء إلى خيمة الواصل بالخلعة، وهو من الأصحاب النجمية، وزينت البلد.

وفيه ضربت نوب الطبلخاناه بالباب الناصرى ثلاث مرات فى كل يوم، وضربت بدمشق خمس مرات كل يوم بالباب النورى.

وفي حادى عشره: ركب السلطان بالخلع، وشق بين القصرين والقاهرة، فلما بلغ باب زويلة^(١) نزعها وأعادها إلى داره، وبرز للعب الكرة.

وفيها عمت بلوى الضائقة بأهل مصر، لأن الذهب والفضة خرجا منها وما رجعا، وعندما فلم يوجد، ولهج الناس بما عمهم من ذلك، وصاروا إذا قيل دينار أحمر فكأنما ذكرت حرمة الغيور له، وإن حصل فى يده فكأنما جاءت بشارة الجنة له. ومقدار ما يحدس أنه خرج من القصر ما بين دينار ودرهم ومصاغ وجوهر ونحاس وطبوس وأثاث وقماش وسلاح ما لا يقفى به ملك الأكاسرة، ولا تتصوره الخواطر، ولا تشتمل على نياله الممالك، ولا يقدر على حسابه إلا من يقدر على حساب الخلق فى الآخرة.

وفيها عرض السلطان العربان الجذاميين، وكانت عدتهم سبعة آلاف فارس، فاستقرت على ألف وثلاثمائة فارس لا غير، وأخذ بهذا الحكم عشر الواجب، وكان أصله ألف ألف دينار، وكُلّف الثعالبية مثل ذلك فامتعضوا، ولوحوا بالتحيز إلى الفرنج.

وفي ثانى عشرى رجب: أقيمت الخطبة فى صلاة الجمعة بمصر والقاهرة، وقد نصبت على المنابر الأعلام السود، ولبس الخطباء ثيابا سودا أرسل بها من بغداد. وجرس فى البلد بالأى يتأخر أحد عن الجمعة وحضورها، والفريضة وأدائها، ومن عثر عليه عومل بالحبس والتقييد واللوم والتفنيذ، فحضر من لا يريد الحضور.

وفي ثالث عشرىه: خلع على الوفد الشامى خلع مذهبات من بقايا ما أخذ من القصر، وأقيمت ضيافاتهم وأدرت أنزلاتهم.

وفي شعبان: وقع برد فى الدقهلية والمرتاحية كأنه الأحجار المدورة، فاستهلك الغلات، وأصاب منها واحد رأس ثور فمات من ساعته. وبلغ وزنها ما بين رطل كل بردة إلى رطلين.

(١) باب زويلة: كان باب زويلة عندما وضع القائد جوهر القاهرة باين متلاصقين بجوار المسجد المعروف اليوم بسام بن نوح، فلما قدم المعز إلى القاهرة دخل من أحدهما، وهو الملاصق للمسجد الذى بقى منه اليوم عقد، ويعرف بباب القوس، فقيم الناس به، وصاروا يكثرون الدخول والخروج منه، وهجروا الباب الجاور له حتى جرى على الألسنة أن من مر به لا تقضى له حاجة. قال المقرئى: وقد زال هذا الباب ولم يبق له أثر اليوم. فلما كانت سنة خمس وثمانين وأربعمائة بنى أمير الجيوش بدر الجمالى باب زويلة الكبير، الذى هو باق إلى الآن، ثم قال: وقد أخبرنى من طاف البلاد ورأى مدن المشرق أنه لم يشاهد فى مدينة من المدائن عظم باب زويلة، ولا يرى مثل بدنيته اللتين عن جانبيه ومن تأمل الأسطر التى كتبت على أعلاه من خارجه فإنه يجد فيها اسم أمير الجيوش والخليفة المستنصر، وتاريخ بنائها وقد كانت البدنتان أكبر مما هما الآن بكثير هدم أعلاه الملك المؤيد لما بنى الجامع داخل باب زويلة، وعمل على البدنتين منارتين. انظر الخطط التوفيقية لمصر ٢٠٢/٣.

وفيه سارت الرسل من القاهرة إلى نور الدين بلبس الخلع، وبتقرير ما أمر به صلاح الدين من المال فى كل سنة.

وفيه أمر السلطان بصرف أهل الذمة والمنع من استخدامهم فى أمر سلطاني ولا شغل ديوانى، فصرف جماعة، ولم ينصرف واحد منهم من كتابة الغز، وأرجف بإخراجهم من البلد وأخذ مساكنهم. فلما كان الخامس عشر منه صرفت جماعة من وجوه أهل الذمة من الأشغال السلطانية، وبقي بعضهم، وكتاب الغز على حالهم، وامتنعوا من صرفهم بأنهم قد دبروا أمرهم، ويخشون بإخراجهم ضياع أمورهم.

وفى حادى عشره: خرج السلطان إلى الإسكندرية، وسبب خروجه إليها كثرة رجاله وقلة أمواله بحيث ضاق به التدبير، فقليل له إن فى بلاد برقة أموالا متسعة، وليس بها إلا عربان غير مانعة، فخرج لذلك. وعقد بالإسكندرية منشورا، حضره أبوه نجم الدين أيوب وشهاب الدين الحارمى وتقى الدين عمر بسبب المسير إلى بلاد الغرب، ومبادرة زرعها قبل حصاده. وكوتب من بمصر والقاهرة من الجنود بالحضور، وتجهيز الأسواق من السقطين والبيطرة وغيرهم، وكوتب العربان بطلب الزكوات والإنكار عليهم فى قطع الطريق على الجلايين. واتضح أنه عدم فى هذه السنة مائة ألف رأس من الغنم. واستقر رأى على أن تقى الدين عمر بن شاهنشاه بن نجم الدين أيوب يتوجه بعسكره ومعه خمسمائة فارس آخر، وتقررت حوالتهم فى النفقة عليهم على كورة البحيرة.

وفى ذى القعدة: كثرت المناسر، وهجموا على الدروب بالسلاح والشموع، وحاربوا الناس، وأخذوا المنازل، وأحرقوا الدور بمصر.

وفى ذى الحجة: وصل رسول متملك الحبشة بهدية وكتاب إلى الخليفة العاضد، فقرأ كتابه وأخذت هديته. ووصل عسكر ملك النوبة إلى القرى المتاخمة لثغر أسوان^(١) وفيها ابتدأت الوحشة والنفرة بين الملك العادل نور الدين محمود وبين السلطان صلاح الدين يوسف وذلك لأن نور الدين بعث إلى صلاح الدين يأمره بجمع العساكر المصرية، والمسير بها إلى بلاد الفرنجة ومحاصرة الكرك، ليجتمع هو وإياه على ذلك. فبرز صلاح الدين وكتب إلى نور الدين بذلك، فخوفه أصحابه من الاجتماع

(١) أسوان: بالضم ثم السكون، وواو، وألف، ونون، ووجدته بخط أبى سعيد السكرى سوانً بغير الهمزة، وهى مدينة كبيرة وكورة فى آخر صعيد مصر وأول بلاد النوبة على النيل فى شرقه، وهى فى الإقليم الثانى، طولها سبع وخمسون درجة، وعرضها اثنتان وعشرون درجة وثلاثون دقيقة. انظر معجم البلدان ١٩١/١ وما بعدها.

بنور الدين. وكان نور الدين قد جمع عساكره، وأقام ينتظر الخير، فلما أتاه الخير بأنه قد برز رحل عن دمشق، ونازل الكرك وهو ينتظر قدوم صلاح الدين، فأتاه كتابه يعتذر عن الوصول باختلال بلاد مصر والخوف عليها، ويعلمه أنه عاد إلى القاهرة، فعظم ذلك على نور الدين، وعزم على دخول مصر وقلع صلاح الدين منها. فبلغ ذلك صلاح الدين، فخاف وجمع أهله وخواصه واستشارهم، فقال تقي الدين عمر بن أخيه^(١): «إذا جاء قابلناه كلنا، وصددناه عن البلاد»، ووافقه جماعة من أهله على ذلك. فسبهم نجم الدين أيوب، وأنكر عليهم، وكان ذا رأى ومكر، وقال لابن ابنه تقي الدين: «اقعد»، وسبه. والتفت إلى ولده السلطان صلاح الدين وقال: «أنا أبوك، وهذا شهاب الدين الحارمي خالك! أتظن في هؤلاء من يجبك ويريد لك الخير أكثر منا؟» قال: «لا». فقال نجم الدين: «والله لو رأيت أنا وخالك هذا السلطان نور الدين لم يمكننا إلا أن نترجل له، ونقبل الأرض بين يديه، ولو أمرنا بضرب عنقك بالسيف لفعلنا. فإذا كنا نحن هكذا فكيف يكون غيرنا؟ وكل من تراه من الأمراء والعساكر، ولو رأى السلطان نور الدين وحده لم يتحاصر على الثبات فى سرجه، وما يسعه إلا النزول وتقبيل الأرض بين يديه، هذه البلاد له، وقد أقامك فيها نائبا عنه، فإن أراد عزلك فأى حاجة إلى الجحى؟ يأمر بك بكتاب مع نجاب حتى تقصد خدمته، ويولى البلاد من يريد». وقال للجماعة كلهم: «قوموا عنا، فنحن ممالك السلطان نور الدين وعبيده، يفعل بنا ما يريد». فتفرقوا على هذا، وكتب أكثرهم إلى نور الدين بهذا الخير. ثم إن نجم الدين خلا بابنه صلاح الدين وقال له: «أنت جاهل قليل المعرفة، تتجمع هذا الجمع الكثير وتطلعهم على ما فى نفسك، فإذا سمع نور الدين أنك عازم على منعه عن البلاد، جعلك أهم أموره وأولاها بالقصد، ولو قصدك لم تر معك أحدا من هذا لعسكر، وأسلموك إليه. وأما بعد هذا المجلس فإنهم سيكتبون إليه بقولى، فاكتب أنت إليه أيضا فى المعنى وقل له: أى حاجة إلى قصدى؟ نجاب يجيء فىأخذنى بجبل يضعه فى عنقى، فإنه إذا سمع هذا عدل عن قصدك، واشتغل بما هو أهم عنده، والأيام تندرج، والله عز وجل كل يوم هو فى شأن». ففعل صلاح الدين ما أشار به أبوه، فانخدع نور الدين وعدل عن قصده، واندرجت الأيام كما قال نجم الدين، ومات نور الدين.

(١) المظفر الأيوبي (٥٨٧ هـ = ١١٩١ م). عمر بن شاهنشاه بن أيوب، تقي الدين، الملقب بالمظفر: أمير كان صاحب حماة، وهو ابن أخى السلطان صلاح الدين. وكان شجاعاً مظفراً، له مواقف مع الإفرنج. انظر وفيات الأعيان ٢٨٣/١، خطط مبارك ١٥/٦، ابن الوردي ١٠٣/٢، النعمي ٢١٦/١، أبو الفداء ٨٠/٣، الأعلام ٤٧/٥

وفيها اتخذ نور الدين محمود بالشام الحمام الهوادي لنقل البطائق.

وفيها ولي أمير الينبع خطابة الجامع العتيق، بعد موت الشريف تاج الشرف حسن ابن أبي الفتوح ناصر في المحرم.

* * *

سنة ثمان وستين وخمسمائة^(١)

فيها خرج السلطان صلاح الدين بعساكره يريد بلاد الكرك والشوبك، فإنه كان كلما بلغه عن قافلة أنها خرجت من الشام تريد مصر خرج إليها ليحميها من الفرنج، فأراد التوسيع في الطريق وتسهيلها، وسار إليها وحاصرها، فلم ينل منها قصدا وعادا.

وفيها جهز صلاح الدين الهدية إلى السلطان نور الدين، وفيها من الأمتعة والآلات الفضية والذهبية والبلور واليشم أشياء يعز وجود مثلها، ومن الجواهر واللائي شيء عظيم القدر، ومن العين ستون ألف دينار، وكثير من الغرائب المستحسنة، وفيل وحمار عتابي، وثلاث قطع بلخش فيها ما وزنه نيف وثلاثون مثقالا، وكان ذلك في شوال .

وفيها خرج العبيد من بلاد النوبة لحصار أسوان، وبها كنز الدولة، فجهز السلطان الشجاع البعلبكي في عسكر كبير فسار إلى أسوان، وقد رحل العبيد عنها، فتبعهم ومعه كنز الدولة، وواقعهم وقتل منهم كثيرا، وعاد إلى القاهرة.

وفيها سار الملك المعظم شمس الدولة فخر الدين تورانشاه بن أيوب^(٢) أخو السلطان صلاح الدين، إلى بلاد النوبة، وفتح قلعة إبريم وسبى وغنم، وعاد إلى أسوان، وأقطع إبريم رجلا يعرف بإبراهيم الكردي، فسار إليها في عدة من الأكراد، وانبتوا يشنون الغارات على بلاد النوبة، حتى امتلأت أيديهم بالأموال والمواشى بعد فقر وجهد فوافى

(١) سنة ٥٦٨ هـ انظر أحداث تلك السنة في النجوم الزاهرة ٢١/٦، الكامل ٣٧/١١ وما بعدها،

تاريخ ابن الوردي ١١٦/٢، ١١٧

(١) تورانشاه بن أيوب بن شادي، شمس الدولة، فخر الدين: أمير، من الأيوبيين، وهو أخو السلطان صلاح الدين لأبيه، نشأ في دمشق وسيره صلاح الدين إلى اليمن ومعه الأمراء «بنو رسول» سنة ٥٦٩ هـ. فأخضع عصاتها، وعاد منها، وصلاح الدين على حصار حلب، فوصل إلى دمشق (سنة ٥٧١ هـ) فاستخلفه صلاح الدين فيها، فأقام مدة وانتقل إلى مصر (سنة ٥٧٤ هـ) فمات فيها. وكان شجاعا فيه كرم وحزم. وذكر سبط ابن الجوزي أنه كان أكبر من صلاح الدين ويرى نفسه أحق بالملك منه، وكانت تبدر منه كلمات في حال سكره، ولذلك أبعده صلاح الدين إلى اليمن فسفك الدماء ولما عاد أعطاه بعلبك ثم أبعده إلى الإسكندرية فعكف بها على اللهو ولم يحضر حروب صلاح الدين، ومات بالإسكندرية، فأرسلت أخته «ست الشام» وكانت شقيقته، فحملته في تابوت إلى دمشق فدنته في تربتها. انظر العقود اللؤلؤية ١: ٢٦ ووفيات الأعيان ١: ٩٩ وبلوغ المرام ٤١ وابن الأثير ١١: ١٤٨ ومرآة الزمان ٨: ٣٦٢.

كتاب ملك النوبة إلى شمس الدولة وهو بقوص^(١) مع هدية، فأكرم رسوله وخلع عليه، وأعطاه زوجين من نشاب، وقال له: «قل للملك مالك عندي جواب إلا هذا» وجهاز معه رسولا ليكشف له خير البلاد، فسار إلى دمقلة^(٢) وعاد إليه، فقال: «وجدت بلاداً ضيقة، ليس بها من الزرع سوى الذرة ونخل صغير منه أدامهم، ويخرج الملك وهو عريان على فرس عرى، وقد التف في ثوب أطلس، وليس على رأسه شعر. فلما قدمت عليه وسلمت ضحك وتغاشى، وأمر بى فكويت على يدي هيئة صليب، وأنعم على بنحو خمسين رطلاً من دقيق وليس فى دمقلة عمارة سوى دار الملك، وباقيةا أخصاص». وفيها عظم همُّ السلطان نور الدين بأمر مصر، وأخذه من استيلاء صلاح الدين عليها المقيم المقعد، وأكثر من مراسلته بحمل الأموال، ثم بعث بوزيره صاحب موقف الدين خالد بن محمد بن نصر بن صغير^(٣) القيسراني إلى مصر، لعمل حساب البلاد، وكشف أحوالها، وتقرير القطيعة على صلاح الدين فى كل سنة، واختيار طاعته، فقدم إلى القاهرة وكان من أمره ما يأتى ذكره إن شاء الله.

(١) قوص: بالضم ثم السكون، وصاد مهملة، وهى قبطية: وهى مدينة كبيرة عظيمة واسعة قسبة سعيد مصر، بينها وبين الفسطاط اثنا عشر يوماً، وأهلها أرباب ثروة واسعة. انظر معجم البلدان ٤/٤١٣، وقال ابن إياس فى ذكر مدينة قوص: أعلم أن قوص من أعظم مدائن الصعيد وهى على شاطئ النيل بنيت أيام شدات بن عديم: قال ابن وصيف شاه: وهو الذى بنى الأهرام الدهشورية وغيرها من البرابى. انظر نزهة الأمام ٢٢٥، وفى الروض المعطار مدينة كبيرة فى البلاد المصرية فى الجهة الشرقية من النيل، وهى كبيرة بها منبر وأسواق جامعة وتجارات ودخل وخرج، وشرب أهلها من ماء النيل، وهى أزلية قديمة فيها آثار كثيرة للأوتل، وبينها وبين أسوان غيران منحوتة فى جبال منها قبور الأموات لا يعلم لها عهد تستخرج منها المومياء الطبية، وهم يجدونها فى رمهم وبين أكفانهم. انظر الروض المعطار ٤٨٤، ٤٨٥، والإدريسى ٤٩، والاستبصار ٨٥.

(٢) دمقلة - وتكتب أيضاً دنقلة -: فى غربى النيل على ضفته، وهى قاعدة ملك النوبة، وأهلها سودان، ومن النيل يشرب أهلها، وبينها وبين مصر مسيرة أربعين يوماً، وتسير من دمقلة فى جبال وشعاب حتى تنتهى إلى صوراً وهو آخر بلادهم. ولما افتتحت مصر أمر عمر رضى الله عنه أن تغزى النوبة فوجدهم المسلمون يرمون الحدق فذهبوا إلى المصالحة فأبى عمرو بن العاص رضى الله عنه من مصالحتهم حتى صرف عن مصر ووليها عبد الله بن سعد بن أبى السرح سنة إحدى وثلاثين فقاتلوه قتالاً شديداً فأصبحت عين معاوية بن حديج رضى الله عنه وعيون جماعته، فحينئذ سموا رماة الحدق. انظر الروض المعطار ٢٣٦، ٢٣٧، ومعجم البلدان ٢/٤٧٠ الإدريسى ١٩، وصبح الأعشى ٥/٢٧٥، والبكرى ٥٩ تورانشاه (شمس الدولة) - (الملك المعظم). (.. - ٥٧٦ هـ = ١١٨٠ م).

(٣) موقف الدين (... ٥٨٨ هـ - ١١٩٢ م). خالد بن محمد بن نصر بن صقر القريشى المخزومى، أبو البقاء، موقف الدين، ابن القيسراني: وزير من أعيان الكتاب، أصله من قيسارية الشام، ومولده مجلب. استوزره نور الدين الشهيد بدمشق ومات بها فى أيام صلاح الدين. انظر البداية والنهاية ١٤/٣١ الأعلام ٢/٢٩٨.

وفيها مات أيوب بن شادى بن مروان بن يعقوب نجم الدين الملقب بالملك الأفضل
أبى سعيد الكردي، والد السلطان صلاح الدين يوسف وذلك أنه خرج من باب
النصر^(١) بالقاهرة، فألقاه الفرس إلى الأرض يوم الثلاثاء ثامن عشر ذى الحجة، فحمل
إلى داره فى تاسع عشره وقيل لثلاث بقين منه، فقبر عند أخيه أسد الدين شيركوه، ثم
نقلا إلى المدينة النبوية فى سنة ثمانين وخمسمائة.

* * *

(١) قال المقرئى: وكان أولا دون موضعه اليوم: قال: وأدركت قطعة من أحد جانبيه كانت
تجاه ركن المدرسة القاصدية الغربى، بحيث تكون الرجعة التى فيما بين المدرسة القاصدية وبين بابى
جامع الحاكم القبليين خارج القاهرة. فلما كان أيام المستنصر، وقدم عليه أمير الجيوش بدر الجمالى
من عكا، وتقلد وزارته، وعمر سور القاهرة، نقل باب النصر من حيث وضعه القائد جوهر إلى حيث
هو الآن، فصار قريبا من مصلى العيد. انظر خطط التوفيقية ١٩٥/٢.

سنة تسع وستين وخمسمائة^(١)

فيها وصل إلى القاهرة موفق الدين أبو البقاء خالد بن محمد بن نصر بن صغير المعروف بابن القيسراني من عند السلطان الملك العادل نور الدين، مطالباً لصلاح الدين بالحساب عن جميع ما أخذ من قصور الخلفاء وحصل من الارتفاع.

فشق ذلك عليه وقال: «إلى هذا الحد وصلنا؟» وأوقفه على ما تحصل له، وعرض عليه الأجناد، وعرفه بمبالغ إقطاعاتهم وجامكياتهم^(٢)، ورواتب نفقاتهم، ثم قال: «وما يضبط هذا الإقليم العظيم إلا بالمال الكبير، وأنت تعرف أكابر الدولة وعظماءها، وأنهم معتادون بالنعمة والسعة، وقد تصرفوا في أماكن لا يمكن انتزاعها منهم، ولا يسمعون بأن ينقص من ارتفاعها»، وأخذ يجمع المال.

وفيها سار الأمير شمس الدولة تورانشاه، أخو السلطان صلاح الدين، إلى اليمن وذلك لشدة خوف صلاح الدين وأهله من الملك العادل نور الدين أن يدخل إلى مصر ويتزعمهم منها، فأحبوا أن يكون لهم مملكة يصيرون إليها. وكان اختيارهم قد وقع على النوبة^(٣)، فلما سار إليها لم تعجبه وعاد. وكان الفقيه عمارة اليماني قد انقطع إلى الأمير شمس الدولة، ومدحه واختص به، وحدثه عن بلاد اليمن وكثرة الأموال بها، وهون أمرها عنده، وأغراه بأن يستبد بملك اليمن، وتعرض لذلك في كلمته التي أولها:

العَلْمُ مذ كان محتاج إلى العَلْمِ وشفرة السيف تستغنى عن القلم

ومنها:

فاخلق لنفسك ملكاً لا تضاف به إلى سواك وأور النار في العلم
هذا ابن تومرت قد كانت بدايته كما يقول الوري لحما على وضم

(١) انظر أحداث تلك السنة في النجوم الزاهرة ٦/٦٣ - ٦٧ الكامل ١١/٣٩٦٦ وما بعدها،

تاريخ بن الوردي ١١٧/٢: ١١٩

(٢) الجامكية: وتجمع على جوامك وجامكيات وهي الرواتب عامة، صبح الأعشى ٣/٤٥٧.

(٣) النوبة: بضم أوله، وسكون ثانيه، وباء موحدة...

وهو في عدة مواضع: النوبة بلاد واسعة عريضة في جنوبي مصر وهم نصارى أهل شدة في العيش، أول بلادهم بعد أسوان يجيئون إلى مصر فيباعون بها... ومدينة النوبة: اسمها دمقلة وهي منزل الملك على ساحل النيل، وطول بلادهم مع النيل ثمانون ليلة. انظر معجم البلدان ٥/٣٠٨: ٣٠٩.

وكان شمس الدولة مع ذلك جوادا كثير الإنفاق، فلم يقنع بما له من الإقطاع بمصر، وأحب الوسع، فأستأذن صلاح الدين فى المسير، فأذن له واستعد لذلك، وجمع وحشد، وسار مستهل رجب. فوصل إلى مكة فزار، ثم خرج منها يريد اليمن، وبها يومئذ أبو الحسن على بن مهدي^(١) ويقال له عبد النبى. فاستولى على زيد^(٢) فى سابع شوال، وقبض على عبد النبى، وأخذ ما سواها من مدائن اليمن، وتلقب بالملك المعظم، وخطب له بذلك بعد الخليفة المستضىء بأمر الله فى جميع ما فتحه، وبعث إلى القاهرة بذلك. فسير السلطان صلاح الدين إلى الملك العادل يعلمه بذلك، فبعث بالخبر إلى الخليفة المستضىء ببغداد.

وفى سادس شعبان: قبض على أولاد العاضد وأقاربه، وأخرجوا من القصر إلى دار المظفر بحارة برجوان، فى العشر الأخير من رمضان .

وفىها اجتمع طائفة من أهل القاهرة على إقامة رجل من أولاد العاضد، وأن يفتكوا بصلاح الدين، وكتبوا الفرنج، منهم القاضى المفضل ضياء الدين نصر الله بن عبد الله ابن كامل القاضى، والشريف الجليس، ونجاح الحمامى، والفقير عمارة بن على اليمانى، وعبد الصمد الكاتب، والقاضى الأعز سلامة العوريس متولى ديوان النظر ثم القضاء، وداعى الدعاة عبد الجبار بن إسماعيل بن عبد القوى^(٣) والواعظ زين الدين بن نجاء،

(١) على بن مهدي (.... - ٥٥٤ هـ = ١١٥٩ م). على بن مهدي بن محمد الحميرى الرعينى: القائم فى اليمن. كان فى بداءة أمره من رجال الصلاح والإرشاد والوعظ من أهل قرية تدعى العنبرة من سواحل زيد وكان يحج كل سنة ولقى بعض علماء العراق والشام والحجاز، فاستمال إليه القلوب واتبعه خلق، فكانت تأتبه الهدايا والصدقات فيردها، إلى أن كانت سنة ٥٤٥ هـ. فبايعه بالإمامة عدد كبير من أهل اليمن. ورقى أمره، فارتفع إلى الجبال وسمى ومن ارتفع معه من المهاجرين وأخذ يغير على قرى تهامة، ويعود إلى بحال، فملك كثيرا من التهائم... واستولى على زيد قبل وفاته بشهرين، ورأيه رأى الخوارج. انظر بلوغ المرام ١٧، بهجة الزمن ٧١، تاريخ اليمن لعمارة ١٢٠، الأعلام ٢٥/٥.

(٢) زيد: بفتح أوله، وكسر ثانيه ثم ياء مثناة من تحت، المراد به مدينة يقال لها الحصيب ثم غلب عليها اسم الوادى فلا تعرف إلا به، وهى مدينة مشهورة باليمن أحدثت فى أيام المأمون.

(٣) ردا على الدعاة (.... - ٥٦٩ هـ - ... - ١١٧٤ م). عبد الجبار بن إسماعيل بن عبد القوى، الملقب بداعى الدعاة، ويقال له الحاج بن عبد القوى من هايا أنصار الفاطميين بمصر، بعد ذهاب دولتهم. اتفق مع جماعة من الباطنية الإسماعيلية، وغيرهم، وبينهم عمارة اليمين، على اغتيال السلطان صلاح الدين الأيوبى، وعلم السلطان بخبرهم، فأحاط بهم، وشنقهم فى أما كن متفرقة بالقاهرة، وعبد الجبار فى جملتهم. انظر النجوم الزاهرة ٧٠/٦. الأعلام ٢٧٤/٣

فوشى ابن نجما بنجرهم إلى السلطان، وسأله فى أن ینعم علیه بجمع ما لابن كامل الداعى من الدور والموجود كله، فأجيب إلى ذلك، فأحيط بهم وشنقوا فى يوم السبت ثانى شهر رمضان بين القصرين، فشنق عمارة وصلب فيما بين بابى الذهب وباب البحر، وابن كامل فى رأس الخروقيين التى تعرف اليوم بسوق أمير الجيوش، والعوريس على درب السلسلة، وعبد الصمد وابن سلامة وابن المظبى ومصطنع الدولة والحاج ابن عبد القوى بالقاهرة، وشنق ابن كامل القاضى بالقاهرة يوم الأربعاء تاسع عشر شوال، وشنق أيضا شيرما وأصحابه وجماعة من الأجناد والعبيد والحاشية وبعض أمراء صلاح الدين. وقبض صلاح الدين سائر ما وجد عندهم من مال وعقار، ولم يمكن ورثتهم من شىء ألبتة، وتتبع من له هوى فى الدولة الفاطمية، فقتل منهم كثيرا وأسر كثيرا، ونودى بأن یرحل كافة الأجناد وحاشية القصر وراجل السودان إلى أقصى بلاد الصعيد. وقبض على رجل يقال له قديد بالإسكندرية، من دعاة الفاطميين، يوم الأحد خامس عشرى رمضان، وقبض على كثير من السودان، وكووا بالنار فى وجوههم وصدورهم.

وفىها جهز السلطان مع الوزير ابن القيسرانى ما تحصل عنده من المال، وأصبحه هدية لنور الدين، وهى خمس ختمات إحداها فى ثلاثين جزءا، مغشاة بأطلس أزرق ومضبية بصفائح ذهب، وعليها أقال من ذهب مكتوبة بخط ذهب، وأخرى فى عشرة أجزاء مغشاة بدياج فستقى، وأخرى فى جلد بخط ابن البواب بقفل ذهب وثلاثة أحجار بلخش، منها حجر زنته اثنان وعشرون مثقالا، وحجر وزنه اثنا عشر مثقالا، وآخر عشرة مثاقيل ونصف وست قصبات زمرد إحداها وزنها ثلاثة مثاقيل، وحجر ياقوت أحمر، وزنه سبعة مثاقيل، وحجر ياقوت أزرق وزنه ستة مثاقيل، ومائة عقد جوهر زنتها ثمانمائة وسبعة وخمسون مثقالا، وخمسون قارورة دهن بلسان، وعشرون قطعة بلور، وأربع عشرة قطعة جزع^(١) ما بين زبادى وسكارج، وإبريق يشم وطشت يشم، وسقرق مينا مذهب، بعروة فيها حبتا لؤلؤ وفى الوسط فص ياقوت أزرق، وصحون وزبادى وسكارج من صينى عدتها أربعون قطعة، وعود قطعتين كبارا، وعنبر منه قطعة زنتها ثلاثون رطلا، وأخرى عشرون رطلا، ومائة ثوب أطلس، وأربعة وعشرون بقيارا مذهباً وأربعة وعشرون ثوبا وشيا حريرية بيضاء، وحلة خلفى مذهب، وحلة مرايش أصفر مذهب، وحلة مرايش أزرق بذهب، وحلة مرايش بقصب أحمر وأبيض، وحلة فستقى بقصب مذهبة، وقماش كثير، قدر قيمتها مائتى ألف دينار وخمسة وعشرين ألف دينار. وساروا بذلك، فبلغهم موت نور الدين، فأعيدت وهلك بعضها.

(١) الخرز اليمانى فيه سواد وبياض.

وفيهما مات السلطان العادل نور الدين محمود بن زنكى، فى يوم الأربعاء حادى عشر شوال، بعلة الخوانيق، وكان قد تجهز لأخذ مصر من صلاح الدين يوسف بن أيوب، وقد خطب له بالشام ومصر والحرمين واليمن. وقام من بعده ابنه الصالح إسماعيل وعمره إحدى عشرة سنة، فخطب له السلطان صلاح الدين بمصر، وضرب السكة باسمه وفيها نزل أسطول الفرنج بصقلية على ثغر الإسكندرية، لأربع بقين من ذى الحجة بغتة، وكان الذى جهز هذا الأسطول غليالم بن غليالم بن رجار متملك صقلية^(١)، ولى ملك صقلية بعد أبيه فى سنة ستين وخمسمائة وهو صغير، فكفلته أمه، وتولى التدبير خادماً اسمه باتر مدة سنة، ثم فر إلى السيد أبى يعقوب يوسف بن عبد المؤمن صاحب البلاد المغربية.

ثم استبد غليالم بتدبير ملكه، واحتفل فى سنة إحدى وسبعين بعمارة هذا الأسطول، فاجتمع له ما لم يجتمع لجدته رجار، وحمل فى الطرائد ألف فارس. وقدم على الأسطول رجلا من دولته يسمى أكيم موزقة، وقصد الإسكندرية، ومات غليالم فى سنة إحدى وعثمانين وخمسمائة. ولما أرسى هذا الأسطول على البر، أنزلوا من طرائدهم ألفا وخمسمائة فارس، وكانت عدتهم ثلاثين ألف مقاتل، ما بين فارس وراجل، وعدة طرائدهم سنا وثلاثين طريدة تحمل الخيل، ومائتى شينى فى كل شينى مائة وخمسون رجلا، وعدة السفن التى تحمل آلات الحرب والحصار ست سفن، والتى تحمل الأزواد والرجال أربعين مركبا، فكانوا نحو الخمسين ألف راجل. ونزلوا على البر مما يلى المنارة، وحملوا على المسلمين حتى أوصلوهم إلى السمور، وقتل من المسلمين سبعة. وزحفت مراكب الفرنجة إلى الميناء، وكان بها مراكب المسلمين فغرقوا منها. وغلبوا على البر وخيموا بها فأصبح لهم على البر ثلاثمائة خيمة، وزحفوا لحصار البلد، ونصبوا ثلاث دبابات بكباشها، وثلاثة مجانيق كبارا تضرب بحجارة سود عظيمة.

وكان السلطان على فاقوس^(٢) فبلغه الخبر ثالث يوم نزول الفرنجة، فشرع فى تجهيز العساكر، والقتال والرمى بالمجانيق مستمر. فوصلت العساكر، وفتحت الأبواب،

(١) صقلية: بثلاث كسرات وتشديد اللام والياء أيضا مشددة، وبعض يقول بالسين، وأكثر أهل صقلية يفتحون الصاد واللام. من جزائر بحر المغرب مقابلة أفريقية، وهى مثلثة الشكل بين كل زاوية والأخرى مسيرة سبعة أيام. انظر معجم البلدان ٤١٦/٣.

(٢) فاقوس: بالقاف، وآخره سين مهملة: اسم مدينة فى حوض مصر الشرقى، من مصر إلى مشتول ثمانية عشر ميلا، ومن مشتول إلى سقط طرايبية ثمانية عشر ميلا، وإلى مدينة فاقوس ثمانية عشر ميلا. انظر معجم البلدان ٢٣٢/٤.

وهاجم المسلمون الفرنجة، وحرقوا الدبابات، وأيدهم الله بنصره، واستمر القتال يوم الأربعاء إلى العصر، وهو الرابع من نزول الفرنجة. ثم حملوا حملة ثانية عند اختلاط الظلام على الخيام، فتسلموها بما فيها، وقتلوا من الرجالة عددا كثيرا ومن الفرسان. فافتحم المسلمون البحر، وأخذوا عدة مراكب خسفوها فغرقت، وولت بقية المراكب منهزمة، وقتل كثير من الفرنجة، وغنم المسلمون من الآلات والأمتعة والأسلحة ما لا يقدر على مثله إلا بعناء وأقلع باقى الفرنجة مستهل سنة سبعين.

وفيها، - أعنى سنة تسع وستين وخمسمائة - وقف السلطان صلاح الدين ناحية نقادة من عمل قوص بناحية الصعيد الأعلى، وثلث ناحية سنديس من القليوبية، على أربعة وعشرين خادما لخدمة الضريح الشريف النبوى، وضمن ذلك كتابا ثابتا تاريخه ثامن عشرى شهر ربيع الآخر منها، فاستمر ذلك إلى اليوم.

وكان قاع النيل ستة أذرع وعشرين أصبعا، وبلغ سبعة عشر ذراعا وعشرين أصبعا.

* * *

[سنة سبعين وخمسمائة^(١)]

وفيهما جمع كنز الدولة والى أسوان العرب والسودان، وقصد القاهرة يريد إعادة الدولة الفاطمية، وأنفق فى جموعه أموالا جزيلة، وانضم إليه جماعة ممن يهوى هواهم، فقتل عدة من أمراء صلاح الدين. وخرج فى قرية طود^(٢) رجل يعرف بعباس بن شادى، وأخذ بلاد قوص، وانتهب أموالها. فجهز السلطان صلاح الدين أخاه الملك العادل فى جيش كثيف، ومعه الخطير مهذب بن ممتى، فسار وأوقع بشادى وبدد جموعه وقتله، ثم سار فلقية كنز الدولة بناحية طود، وكانت بينهما حروب فر منها كنز الدولة، بعدما قتل أكثر عسكره، ثم قتل كنز الدولة فى سابع صفر، وقدم العادل إلى القاهرة فى ثامن عشره.

وفيهما ورد الخير على السلطان بسير الملك الصالح مجير الدين إسماعيل بن نور الدين^(٣) إلى حلب، ومصالحته للسلطان سيف الدين غازى^(٤) صاحب الموصل، فأهمه وخرج يريد المسير إلى الشام فنزل بركة الجب أول صفر، وسار منها فى ثالث عشر ربيع الأول، على صدر وأيلة، فى سبعمائة فارس، واستخلف على ديار مصر أخاه الملك العادل. ونزل بصرى وخرج منها، فنزل الكسوة يوم الأحد تاسع عشرى ربيع الأول، وخرج الناس إلى لقاءه، فدخل إلى دمشق يوم الإثنين أول شهر ربيع الآخر، وملكها من غير مدافع. وأنفق فى الناس مالا جزيلا، وأمر فنودى بإطابة النفوس وإزالة

(١) ٥٧٠ هـ. انظر أحداث تلك السنة فى النجوم الزاهرة ٦٧ - ٦٩/٦، الكامل ٤١٢/١١ وما بعدها، تاريخ بن الوردي ١١٩: ٢/١٢٣.

(٢) طود: بفتح أوله، وسكون ثانية، والبدال: بليدة بالصعيد الأعلى فوق قوص ودون أسوان، لها مناظر وبساتين. انظر معجم البلدان ٤٧/٤.

(٣) الملك الصالح (٥٥٨ - ٥٧٧ هـ = ١١٦٣ - ١١٨١ م). إسماعيل بن محود بن زنكى: من ملوك بنى زنكى فى الشام والجزيرة. بويغ له بدمشق بعد وفاة أبيه (سنة ٥٦٩ هـ) وهو ابن إحدى عشرة سنة. فقام بأمر دولته الأمير شمس الدين محمد بن عبد الملك بن المقدم بن خلدون. مرآة الزمان ٣٦٦، ٨، الأعلام ٣٢٦/١.

(٤) غازى بن زنكى (٤٩٠ - ٥٤٤ هـ = ١٠٩٧ - ١١٤٩ م). غازى بن زنكى بن آق سنقر، سيف الدين، أخو نور الدين الشهيد. أمير، كان صاحب الموصل. أقام فى الملك ثلاث سنين وشهورا. وهو أول من حمل النجق على رأسه من الأتابكية. انظر اللامعات البرقية ١٢، مفرج الكروب ١١٦/١، النجوم الزاهرة ٢٨٦/٥، مرآة الزمان ٢٠٣/٨. الأعلام ١١٢/٥.

المكوس، وإبطال ما أحدث بعد نور الدين محمود من القبائح والمنكرات والضرائب، وأظهر أنه إنما جاء لتزبية الصالح بن نور الدين، وأنه ينوب عنه ويدبر دولته، وكتاب الأطراف بذلك. وتسلم قلعة دمشق بعد امتناع، فأنزل بها أخاه ظهير الإسلام طغتكين ابن أيوب^(١)، وبعث بالبشارة إلى القاهرة، وخرج مستهل جمادى الأولى، فنازل حمص حتى تسلمها في حادى عشره، وامتنعت عليه قلعتها، فأقام على حصارها طائفة، وسار إلى حماة فنزل عليها في ثالث عشره، وبها عز الدين جرديك، فسلمها إليه.

وفي جمادى الأولى: ولى ابن عسرون القضاء بديار مصر.

وسار صلاح الدين إلى حلب، وبعث إلى الصالح إسماعيل فى الصلح مع جرديك، فأبى أصحابه ذلك، وقبضوا على جرديك وقيدوه، فبلغ ذلك صلاح الدين، وقد سار عن حماة^(٢) يريد حلب، فعاد إليها. ثم سار منها إلى حلب، ونزل جبل جوش ثالث جمادى الآخرة، واستعد أهل حلب وخرجوا لقتاله، وقاتلوه قتالا شديدا إلى أول رجب. فرحل صلاح الدين يريد حمص، وقد بلغه مسير القومص ملك الفرنج بطرابلس، بمكاتبة أهل حلب، وأنه منازل لحمص. فلما قرب من حمص عاد القومص إلى بلاده، فنازل صلاح الدين قلعتها، ونصب المجانيق عليها إلى أن تسلمها بالأمان، فى حادى عشرى شعبان، وسار إلى بعلبك، فحاصرها حتى تسلم قلعتها فى رابع رمضان، وعاد إلى حمص. وكانت بينه وبين أصحاب الصالح وقعة على قرون حماة، فى يوم الأحد تاسع عشره، انتصر فيها صلاح الدين، وهزمهم وغنم كل ما معهم، ولم يقتل فيها أكثر من سبع أنفس، وسار حتى نزل على حلب، وقطع الخطبة للصالح، وأزال اسمه عن السكة فى بلاده، فبعث أهل الصالح إليه يلتمسون منه الصلح، فأجاب إليه

(١) طغتكين (٥٩٣ هـ - ١١٩٧ م). طغتكين، سيف الإسلام، بن أيوب بن شاذى: صاحب اليمن، الملقب بالملك العزيز. كان شجاعا أديبا عاقلا بعثه أخوه الناصر صلاح الدين إلى اليمن، فدخل مكة ٥٧٩ هـ، ودخل ويبدأ، فتعز وملك اليمن كله، طوعا وكرما. وكان فقيها. انظر العقود اللؤلؤية ٢٩/١، الوفيات ٢٣٧/١، العبر ٢٨١/٤. الأعلام ٣/٢٢٧.

(٢) حماة: من كور حمص بالشام، وهى مدينة طيبة فى وسطها نهر يسمى العاصى، وفيه قيل:

ولما جرى العاصى وطبع آدمعى لدى الناس قال الناس أيهما النهر

وهذا النهر عظيم عليه جسور يعبر عليها، وعليه نواعير كثيرة تخرج الماء إلى ما على جانبيه من غيطان المدينة، وبينها وبين كفرطاب أربعون ميلا، ومن حمص إلى حماة مثلها، وهى قديمة البناء، وربضها كبير، والعاصى سمى بذلك لأن ظاهرا انحدره من أسفل إلى علو وبجراه من الجنوب إلى الشمال وهو يجتاز على قبلى حمص وبمقربة منها. انظر الروض المعطار ١٩٩، ومعجم البلدان ٢/٣٠٠، وصبح الأعشى ١٤٠/٤.

على أن يكون له ما بيده من بلاد الشام، ولهم ما بأيديهم منها، واستزاد منهم المعرة وكفر طاب، وكتبت نسخة يمين وعليها خط صلاح الدين، بعدما حلف وعاد إلى حماة.

وكان صلاح الدين قد كتب إلى بغداد يعدد فتوحاته وجهاده للفرنج، وإعادته الخطبة العباسية بمصر، واستيلاءه على بلاد كثيرة من أطراف المغرب وعلى بلاد اليمن كلها، وأنه قدم إليه في هذه السنة وفد سبعين راكبا، كلهم يطلب لسلطان بلده تقليدا. وطلب صلاح الدين من الخليفة تقليد مصر واليمن والمغرب والشام، وكل ما يفتحه بسيفه. فوافته بحماة رسل الخليفة المستضيء بأمر الله، بالتشريف والأعلام السود، وتوقيع بسلطنة بلاد مصر والشام وغيرها. فسار ونزل على بعرين ويقال بارين، وحاصر حصنها حتى تسلمه في العشرين منه، ورجع إلى حماة.

وفيها تقرر العماد الأصفهاني نائبا في الكتابة عن القاضي الفاضل^(١) بسعاية نجم الدين محمد بن مصال. وسار صلاح الدين إلى دمشق ثم رحل عنها، فنزل مرج الصفر^(٢) ووافته به رسل الفرنج في طلب الهدنة، فأجابهم إليها بشروط اشترطها. وأذن للعساكر في المسير إلى مصر لجذب الشام فساروا، ورجع هو إلى دمشق في محرم سنة إحدى وسبعين، وفوض أمرها إلى ابن أخيه تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب.

* * *

(١) القاضي الفضل (٥٢٩ - ٥٩٦ هـ = ١١٣٥ - ١٢٠٠ م). عبد الرحيم بن علي بن السعيد اللخمي، المعروف بالقاضي الفاضل: وزير، من أئمة الكتاب. ولد بعسقلان، وانتقل إلى الإسكندرية ثم إلى القاهرة وتوفي فيها، كان من وزراء السلطان صلاح الدين، ومن مقريه، وكان سريع الخاطر في الإنشاء، كثير الرسائل. انظر النجوم الزاهرة ١٥٦/٦، ابن حلكان ٢٨٤/١، خطط مبارك ٦: ١٢ كتاب الروضتين ٢٤١/٢، الكتبخانة ٢٩٠/٤، النعمي ٩٠/١، النويري ١/٨ - ٥١، السبكي ٢٥٣/٤، كشف الظنون ١٠١٦/٢. الأعلام ٣/٣٤٦.

(٢) مرج الصفر: بالضم، وتشديد الفاء: بدمشق.

سنة إحدى وسبعين وخمسمائة (١)

وفيها سار شرف الدين قراقوش - أحد أصحاب تقي الدين عمر - إلى بلاد المغرب في حادى عشر محرم في جيش، فأخذ من صاحب أوجلة^(٢) عشرين ألف دينار فرقها في أصحابه، وعشرة آلاف دينار لنفسه، وسار منها إلى غيرها، ثم بلغه موت صاحب أوجلة، فعاد إليها وحاصر أهلها، وقد امتنعوا عليه حتى أخذها عنوة، وقتل من أهلها سبعمائة رجل، وغنم منها غنيمة عظيمة، وعاد إلى مصر.

وفيها تجهز الحلبيون لقتال صلاح الدين، فاستدعى عساكر مصر، فلما وافته بدمشق في شعبان سار في أول رمضان، فلقبهم في عاشر شوال. وكانت بينهما وقعة تأخر فيها السلطان سيف الدين غازى صاحب الموصل، فظن الناس أنها هزيمة، فوالت عساكرهم، وتبعهم صلاح الدين، فهلك منهم جماعة كثيرة، وملك خيمة غازى، وأسر عالما عظيما، واحتوى على أموال وذخائر وفرش وأطعمة وتحف تجمل عن الوصف. وقدم عليه أخوه الملك المعظم شمس الدولة تورانشاه بن أيوب من اليمن، فأعطاه سرادق السلطان غازى بما فيه من الفرش والآلات، وفرق الإسطبلات والخزائن على من معه، وخلع على الأسرى وأطلقهم. ولحق سيف الدين غازى بمن معه، فالتجأوا جميعا لحلب، ثم سار إلى الموصل وهو لا يصدق أنه ينجو، وظن أن صلاح الدين يعبر الفرات ويقصده بالموصل. ورحل صلاح الدين ونزل على حلب في رابع عشر شوال، فأقام عليها إلى تاسع عشره، ورحل إلى بزاعة، وقاتل أهل الحصن حتى تسلمه. وسار إلى منبج، فنزل عليها يوم الخميس رابع عشره، ولم يزل يحاصرها أياما حتى ملكها، وأخذ من حصنها ثلاثمائة ألف دينار، ومن الفضة والآنية والأسلحة ما يناهز ألفى ألف دينار. ورحل إلى عزاز، وحاصرها من يوم السبت رابع ذى القعدة إلى حادى عشر ذى الحجة، فتسلمها وأقام فيها من يثق به، وعاد إلى حلب.

(١) سنة ٥٧١ هـ انظر أحداث تلك السنة في النجوم الزاهرة ٦٩٠، ٦٩١ - ٦٩٢، الكامل ١١/٤٢٧ وما بعدها، تاريخ ابن الوردي ٢/١٢٣.

(٢) أوجلة: مدينة بينها وبين برقة في البر عشر مراحل، وهي مدينة صغيرة متحضرة، وهي في ناحية البرية يطيف بها نخل وغللات لأهلها، ومنها يدخل إلى كثير من أرض السودان، والوارد عليها والصادر عنها قليل، وأرض أوجلة وبرقة واحدة، وشرب أهلها من المراحل. انظر الروض المعطار ٦٤، ومعجم البلدان، والإدريسى ١٢٣/٩٩.

وفى يوم الثلاثاء رابع عشرة: وثب عدة من الإسماعيلية على السلطان صلاح الدين، فظفر بهم بعدما جرحوا عدة من الأمراء والخواص. ثم سار إلى حلب فنزل عليها فى سادس عشره، وأقطع عسكره ضياعها، وأمر بجباية أموالها، وضيق على أهل حلب من غير قتال، بل كان يمنع أن يدخلها أحد أو يخرج منها.

* * *

[سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة]^(١)

فلما كان رابع المحرم سنة الثنتين وسبعين: ركب العسكران وكانت الحرب، فقتل جماعة من أصحاب صلاح الدين. ثم تقرر الصلح بينه وبين الملك الصالح، على أن يكون للصلح حلب وأعمالها. ورحل صلاح الدين في عاشره، فنازل مصياب، وفيها راشد الدين سنان بن سلمان بن محمد، صاحب قلاع الإسماعيلية ومقدم الباطنية، وإليه تنسب الطائفة السنانية، ونصب عليها المجانيق والعرادات من ثالث عشره إلى أيام، ثم رحل ولم يقدر عليهم، وقد امتلأت أيدي أصحابه بما أخذوه من القرى. وفوض صلاح الدين قضاء دمشق لشرف الدين أبي سعد عبد الله بن أبي عصرون، عوضا عن كمال الدين الشهرزورى بعد وفاته.

وفيه أغار الفرنج على البقاع^(٢) فخرج إليهم الأمير شمس الدين محمد بن عبد الملك ابن المقدم من بعلبك، فأوقع بهم وقتل منهم وأسر. وخرج إليهم المعظم شمس الدولة من دمشق فلقبهم بعين الحر، وأوقع بهم، ثم سار إلى حماة وبها صلاح الدين، فوفاه فى الثانى من صفر. ثم سار السلطان منها ودخل دمشق سابع عشره، فأقام بها إلى رابع شهر ربيع الأول، وخرج منها إلى القاهرة، واستخلف على دمشق أخاه الملك المعظم شمس الدولة تورانشاه بن أيوب، فوصل إليها لأربع بقين منه.

وفيهما أمر السلطان ببناء السور على القاهرة والقلعة ومصر، ودوره تسعة وعشرون ألف ذراع وثلاثمائة وذراعان بذراع العمل. فتولى ذلك الأمير بهاء الدين قراقوش الأسدى، وشرع فى بناء القلعة، وحفر حول السور خندقا عميقا، وحفر واديه وضيق طريقه. وكان فى مكان القلعة عدة مساجد منها مسجد سعد الدولة، فدخلت فى جملة القلعة، وحفر فيها بئرا ينزل إليها بدرج منحوتة فى الحجر إلى الماء.

وفيهما أمر السلطان ببناء المدرسة بجوار قبر الشافعى بالقرافة، وأن تعمل خزانة الأشربة التى كانت للقصر مارستانا للمرضى، فعمل ذلك. وسار السلطان إلى الإسكندرية فى ثانى عشرى شعبان، ومعه ابنه الأفضل على^(٣) والعزیز عثمان، فصام

(١) سنة ٥٧٢ هـ. انظر أحداث تلك السنة فى النجوم الزاهرة ٦/٢٤، ٧١ - ٦/٧٤، الكامل

١١/٤٣٦ وما بعدها، تاريخ ابن الوردى ٢/١٢٤.

(٢) أرض واسعة بين دمشق وبعلبك وحمص، فيها قرى كثيرة انظر معجم البلدان ١/٦٩٩.

(٣) الأفضل الأيوبي (٥٦٦ - ٦٢٢ هـ = ١١٧١ - ١٢٢٥ م). على (الملك الأفضل نور الدين)

ابن يوسف (صلاح الدين) بن أيوب: صاحب الديار الشامية. استقل بمملكة دمشق بعد وفاة أبيه =

بها شهر رمضان، وسمع الحديث على الحافظ أبي الطاهر أحمد السلفي^(١) وأمر بتعمير الأسطول بها، ووقف صادر الفرنج على الفقهاء بالإسكندرية. ثم عاد إلى القاهرة، فصام بها بقية رمضان.

وفيها عاد شرف الدين قراقوش غلام تقي الدين إلى بلاد المغرب، وعاد فأخذ جماعة من الجند، وخرج إلى المغرب، فأمر العادل الأمير خطبنا بن موسى والى القاهرة بالقبض عليه، فسار إلى الفيوم وأخذه محمولا إلى القاهرة.

وفيها أبطل السلطان المكس المأخوذ من الحجاج فى البحر إلى مكة على طريق عيذاب^(٢) وهو سبعة دنانير مصرية ونصف على كل إنسان، وكانوا يؤدون ذلك بعيذاب أو بجدة، ومن لم يؤد ذلك منع من الحج، وعذب بتعليقه بأنتييه، وعض أمير مكة عن هذا المكس بألفى دينار، وألف أردب قمح، سوى إقطاعات بصعيد مصر وباليمن، وقيل إن مبلغ ذلك ثمانية آلاف أردب قمح تحمل إليه إلى جدة.

* * *

= سنة ٥٨٩ هـ. وأخذها منه أخوه العزيز وعمه العادل سنة ٥٩٣ هـ. وأعطياه صرخد ثم دعى إلى مصر بعد وفاة صاحبها العزيز (أخيه) وولاية ابنه المنصور (محمد بن العزيز) وكان صغيرا، فتولى الأفضل شئون مصر سنة ٥٩٥ هـ مساعدا للمنصور إلى أن أخرجها منها العادل وأعطاه سيمساط. فأقام فيها إلى أن توفى. انظر بن الأثير ١٢/١٦٤، وفيات الأعيان ١/٣٧١، حلى القاهرة ١٩٩، الأعلام ٥/٣٣.

(١) السلفي (٤٧٨ - ٥٧٦ هـ = ١٠٨٥ - ١١٨٠ م). أحمد بن محمد بن سلفة (بكسر السين وفتح اللام) الأصبهاني، صدر الدين، أبو طاهر السلفي: حافظ مكث، من أهل أصبهان. رحل فى طلب الحديث، وكتب تعاليق وأمالى كثيرة، وبنى له الأمير العادل (وزير الظاهر العبيدى) مدرسة فى الإسكندرية، سنة ٥٤٦ هـ، فأقام إلى أن توفى فيها له معجم مشيخة أصبهان ومعجم شيوخ بغداد - خ ومعجم أسفاره - خ نشرت منه نسخة كثيرة النقص باسم أخبار وتراجم أندلسية وله الفضائل الباهرة فى مصر والقاهرة - خ فى الخزانة الحميدية بالأستانة وللمعاصر محمد محمود زيتون، الإسكندرية الحافظ السلفي أشهر علماء الزمان.

(٢) عيذاب: مدينة فى أعلى الصحراء المنسوبة إليها فى ضفة البحر الملح، ومنها المجاز إلى جدة، وعرضه مجرى يوم وليلة، ومرسى عيذاب جزيرة ليست بكبيرة وماسكنها من حجارة، والماء العذب يجلب إليها على مسيرة يوم، وهى محط السفن من جدة من التجار وغيرها، وهى تقابل على الصعيد الأعلى مدينة قوص وقفت، وبينها وبين فقط فى البر خمس مراحل لا ماء فيها إلا فى موضعين. انظر الروض المعطار ٤٢٣، ٤٢٤، ومعجم البلدان ٤/١٧١، ونزهة المشتاق ٤٩، وابن الوردي ٣٦.

[سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة^(١)]

وخرج السلطان من القاهرة، لثلاث مضيّن من جمادى الأولى سنة ثلاث وسبعين، لجهاد الفرنج. وسار إلى عسقلان^(٢) فسبى وغنم وقتل وأسر ومضى إلى الرملة، فاعترضه نهر تل الصافية فى يوم الجمعة ثانى جمادى الآخرة، فازدحم الناس بأنقاهم عليه وأشرف الفرنج عليهم، ومقدمهم البرنس أرناط صاحب الكرك فى جموع كثيرة، فانهزم المسلمون وثبت السلطان فى طائفة، فقاتل قتالا شديدا، واستشهد جماعة وأخذ الفرنج أنقال المسلمين، فمر بهم فى مسيرهم إلى القاهرة من العناء ما لا يوصف، ومات منهم ومن دوابهم كثير، وأسر الفرنج جماعة منهم الفقيه ضياء الدين عيسى الهكارى. ودخل السلطان إلى القاهرة منتصف جمادى الآخرة، لا تضرب له نوبة حتى يكسر الفرنج، وقطع أخباز جماعة من الأكراد، من أجل أنهم كانوا السبب فى هذه الكسرة.

وفىها نزل الفرنج على حماة، فقاتلهم الناس أربعة أيام حتى رحلوا عنها، ونزلوا على حارم فحاصروها أربعة أشهر، ثم رحلوا إلى بلادهم.

وفىها أطلق شرف الدين قراقوش التقوى، وسار إلى أوجلة وغيرها من بلاد المغرب.

وخرج السلطان فى سادس عشرى شعبان سنة ثلاث وسبعين من القاهرة يريد الشام، واستخلف بديار مصر أخاه العادل، فلم يزل مقيما على بركة الجب إلى أن صلى صلاة عيد الفطر. فبلغه نزول الفرنج على حماة، فأسرع فى المسير حتى دخل دمشق فى رابع عشرى شوال، فرحل الفرنج عن حماة. ووافته بدمشق رسل الخليفة بالتشريفات.

وفىها سار الفرنج إلى قلعة صدر، وقاتلوا من بها فلم ينالوا قصدا، فساروا يريدون الغارة على ناحية فاقوس، ثم عادوا بنية الحشد والعود.

(١) ٥٧٣ هـ انظر أحداث تلك السنة فى النجوم الزاهرة ٧٤ - ٦/٧٦ الكامل ١١/٤٤٢ وما

بعدها، تاريخ بن الوردى ٢/١٢٥.

(٢) عسقلان: بفتح أوله، وسكون ثانية ثم قاف، وآخره نون وهى مدينة بالشام من أعمال

فلسطين على ساحل البحر بين غزة وبيت حبرين، ويقال لها عروس الشام. انظر معجم البلدان

وفيهما عصى شمس الدين بن المقدم بمدينة بعلبك على السلطان.

وفيهما ولد الملك الزاهد مجير الدين داود، شقيق الظاهر غياث الدين غازى بن السلطان صلاح الدين، لسبع بقين من ذى القعدة.

وفيهما غلت الأسعار ببلاد الشام لكثرة الجذب، واشتد الأمر بحلب.

وفيهما سار الأمير ناصر الدين إبراهيم، سلاح دار تقى الدين عمر فى عسكر إلى بلاد المغرب، فوصل إلى قراقوش التقوى، وسارا إلى مدينة الروحان، فنازلاها أربعين يوما، حتى فتحت وقتل حاكمها، وقررا عليها أربعة عشر ألف دينار، وملكا مدينة غدامس^(١) بغير قتال، وتقرر على أهلها اثنا عشر ألف دينار، وسار إبراهيم إلى جبال نفوسة^(٢)، فملك عدة قلاع، وصار إليه مال كثير ورجال، وسار البعث من عند قراقوش إلى بلاد السودان، فغنموا غنيمة عظيمة.

وفيهما ظهر العمل فى سور القاهرة، وطلع البناء وسلكت به الطرق المؤدية إلى الساحل بالمقس^(٣).

وفيهما مات الأمير شهاب الدين محمود بن تكش الحارمى، خال السلطان صلاح الدين ونائب حماة، فى سابع عشرى جمادى الآخرة بحماة، وحمل إلى حلب فدفن بها، وكان شجاعا عاقلا سيوسا ممدحا.

* * *

(١) غدامس: فى الصحراء على سبعة أيام من جبل نفوسة، وهى مدينة لطيفة قديمة أزلية إليها ينسب الجلد الغدامسى، وبها دواميس وكهوف كانت سجونًا للملكة الكاهنة التى كانت بإفريقية، وهذه الكهوف من بناء الأولين، وفيها غرائب من البناء والآزاج المعقودة تحت الأرض يحار الناظر فيها إذا تأملها، تبين أنها آثار ملوك سالفة وأمم دارسة، وأن تلك الأرض لم تكن صحراء وأنها كانت خصيبة عامرة. وأكثر طعامهم التمر والكمأة، وتعظم الكمأة فى تلك البلاد حتى تتخذ فيها اليرابيع والأرانب أحجارًا، ومن غدامس يدخل إلى بلد تادمكة وغيرها من بلاد السودان، وبينهما أربعون مرحلة، وأهلها بربر مسلمون وملثمون على عادة بربر الصحراء من لمتونة ومسوفة وغيرهم. انظر الروض المعطار ٤٢٦، ٤٢٧، ومعجم البلدان ٤/١٨٧، والاستبصار ١٤٥، والبكرى ١٨٢.

(٢) تقع فى أقصى الشمال الشرقى من غدامس.

(٣) فرصة فى القاهرة منذ عصر الفاطميين. انظر المواعظ ولا اعتبار ١٢١/٢، ١٣٠.

[سنة أربع وسبعين وخمسمائة]^(١)

وفى أوائل شهر ربيع الآخر سنة أربع وسبعين، هجم العدو من الفرنج على مدينة حماة، فنهض إليهم المسلمون وأسروا مقدمهم فى جماعة، وبعثوا بهم إلى السلطان بدمشق، فضرب أعناقهم.

وفىها جهز السلطان أخاه شمس الدولة تورانشاه إلى محاربة شمس الدين بن المقدم بيبعلبك، فى جيش كثيف، فحاصرها مدة، ثم سار إليه السلطان، وأقام على الحصار حتى دخل الشتاء، فوقع الصلح وتسلمها السلطان، وسلمها لأخيه تورانشاه فى شوال، فبنى الفرنج فى مدة اشتغال السلطان بيبعلبك حصنا على مخاضة بيت الأحزان، وهو بيت يعقوب عليه السلام، وبينه وبين دمشق نحو يوم، ومنه إلى طبرية وصفد نصف يوم. فعاد السلطان إلى دمشق، وقدم عليه من الديوان العزيز خدام اسمه فاضل فأصحبه معه للغزو، حتى وقف على الحصن، وتخطف من حوله من الفرنج، ثم عاد إلى دمشق، فتواترت الأخبار باجتماع الفرنج لغزو بلاد المسلمين، فأخرج السلطان ابن أخيه الأمير عز الدين فرخشاه أمامه، فواقعه الفرنج وقعة قتل فيها جماعة من مقدمى الفرنج وغيرهم، منهم الهنفرى وصاحب الناصرة، فانهمزوا وأسروا منهم جماعة. فبرز السلطان من دمشق إلى الكسوة^(٢) لتجدة عز الدين، فوافته الأسرى والرعوس، فسر بذلك وعاد إلى دمشق.

وفىها أغار أبرنس مالك الفرنج بأنطاكية على شيزر، وغدر القومص ملك طرابلس بالتركان.

وفىها سار شمس الدولة إلى مصر بعدة من العسكر لجذب الشام فى سادس عشرى ذى القعدة، وأغار السلطان على حصن بيت الأحزان وعاد بالغنائم والأسرى، ووالى الغارة والبعث إلى بلاد الفرنج.

وفىها قوى قراقوش التقوى وإبراهيم السلاح دار ببلاد المغرب، وأخذوا عدة حصون.

(١) سنة ٥٧٤ هـ. انظر: أحداث تلك السنة فى النجوم الزاهرة ٧٦ - ٦/٧٨. الكامل

١١/٤٥٠ وما بعدها، تاريخ بن الوردى ٢/١٢٦.

(٢) الكسوة: قرية هى أول منزل تنزله القوافل إذا خرجت من دمشق إلى مصر. انظر معجم

البلدان ٤/٤٦١.

ودخلت سنة خمس وسبعين [وخمسمائة]^(١)

والسلطان مواصل الإغارة على بلاد الفرنج، وكان نازلا على بانياس، وسرح العساكر ومقدمها عز الدين فرخشاه بن أيوب، فأكثر من قتلهم وأسرههم. وفتح بيت الأحزان فى رابع عشرى ربيع الآخر، بعد قتال وحصار، فغنم منهم مائة ألف قطعة حديد من أنواع الأسلحة، وشيئا كثيرا من الأقوات وغيرها، وأسر عدة نحو السبعمائة، وخرب الحصن حتى سوى به الأرض، وسد البئر التى كانت به، وعاد بعدما أقام عليه أربعة عشر يوما، فأغار على طبرية^(٢) وصور^(٣) وبيروت ثم رجع إلى دمشق، وقد مرض كثير من العسكر ومات عدة من الأمراء.

وفى يوم الأحد ثامن المحرم: ركب السلطان ومعه صمصام الدين أجك والى بانياس فى عسكره، فلقيه الفرنج فى ألف رمح وعشرة آلاف مقاتل ما بين فارس وراجل، فاقتلوا قتالا كثيرا انهزم فيه الفرنج، وركب المسلمون أقفيتهم يقتلون ويأسرون حتى حال بينهم الليل، وعاد السلطان إلى مخيمه، وقد مضى أكثر الليل، وعرض الأسرى، فقدم أولهم بادين بن بارزان، ثم أود مقدم الداوية، وابن القومصية، وأخو صاحب جبيل فى آخرين، فقيدوا بأجمعهم وهم نحو المائتين وسبعين، وحملوا إلى دمشق فاعتقلوا بها، وعاد السلطان إلى دمشق، ففدى ابن بارزان بعد سنة بمائة وخمسين ألف دينار وألف أسير من المسلمين، وفدى ابن القومصية بخمسة وخمسين ألف دينار صورية، ومات أود فأخذت جيفته بأسير أفرج عنه.

وقدم الخبر بأن الملك المظفر تقى الدين أوقع بعسكر قلعج أرسلان صاحب الروم السلجوقية فهزمهم وأسر منهم جماعة، فكذب السلطان البشائر بظفره بالفرنج على

(١) سنة ٥٧٥ هـ. انظر أحداث تلك السنة فى النجوم الزاهرة ٧٨ - ٦/٧٩ الكامل ١١/٤٥٥ وما بعدها، تاريخ ابن الودى ٢/١٢٧.

(٢) فى الإقليم الثالث، وفتحت طبرية على يد شرحبيل بن حسنة فى سنة ١٣ هـ صلحا على إنصاف منازلهم وكنائسهم. انظر معجم البلدان ٤/١٧.

(٣) صور: بضم أوله، وسكون ثانية، وآخره راء، وهى فى الإقليم الرابع، وهى مدينة مشهورة سكنها خلق من الزهاد والعلماء، وكان من أهلها جماعة من الأئمة، كانت من ثغور المسلمين، وهى مشرفة على بحر الشام داخلية فى البحر مثل الكف على الساعد، يحيط بها البحر من جميع جوانبها. انظر معجم البلدان ٣/٤٣٣.

مرج عيون^(١) وبظفر أخيه بعسكر الروم وسيرها إلى الأقطار فأته تهاى الشعراء من الأمصار، ثم اهتم السلطان بأمر بيت الأحزان، وكتب إلى الفرنج يأمرهم بهدمه فأبوا، فراجعهم مرة ثانية فطلبوا منه ما غرموا عليه، فبذل لهم حتى وصلهم إلى مائة ألف دينار فلم يقبلوا. فكتب حينئذ إلى التركمان وأجناد البلاد يستدعيهم، وحمل إليهم الأموال والخيول والتشاريف، فقدم إليه خلق كثير، وسار الملك المظفر من حماة، فقدم دمشق أول شهر ربيع الآخر، وقد تلقاه السلطان، ثم سار السلطان من دمشق يوم الخميس خامسه، فى عسكر عظيم، ونزل على حصن بيت الأحزان يوم الثلاثاء حادى عشره، وكانت قلعة صمد للداوية، فأمر بقطع كروم ضياع صمد، وحاصر الحصن ونقبه من جهات، وحشاه بالحطب وأحرقه، حتى سقط فى رابع عشره، وأخذة فقتل من فيه وأسره، ووجد فيه مائة أسير من المسلمين، فقتل عدة من أسرى الفرنج، وبعث باقيهم فى الحديد إلى دمشق، وأخرب الحصن حتى سوى به الأرض، فكانت إقامته عليه أربعة عشر يوما وعاد إلى دمشق، فمدحه عدة من الأمراء والشعراء وهنأوه بالفتح.

وفى صفر: ظهر قدام المقياس بمصر وسط النيل الحائط الذى كان فى جوفه قبر يوسف الصديق وتابوته، ولم ينكشف قط منذ نقله موسى عليه السلام إلا حينئذ، عند نقصان الماء فى قاع المقياس، فإن الرمل انكشف عنه وظهر للناس، وأكثر الناس ما علموا ما هو .

وفىها نافق جلدك الشهابى بالواحات، فأخذة العادل بالأمان وسيره إلى دمشق.

وفىها أغار عز الدين فرخشاه على صمد^(٢) فأكثر من القتل والسبى وأحرق الرضى^(٣) فى رابع عشر ذى القعدة، وعاد إلى دمشق.

وفىها مات الخليفة المستضىء بأمر الله أبو المظفر يوسف بن المقتضى لأمر الله محمد، يوم الجمعة لاثنتى عشرة مضت من شوال، وكانت خلافته عشر سنين غير أربعة أشهر. واستخلف من بعده ابنه الناصر لدين الله أبو العباس أحمد، فخرج الشيخ صدر الدين شيخ الشيوخ عبد الرحيم بن إسماعيل من بغداد رسولا إلى الملوك وإلى السلطان صلاح الدين وسار معه إلى مصر شهاب الدين بشير الخاض كما يأتى ذكره.

(١) مرج عيون: بسواحل الشام. انظر معجم البلدان ٥/١٠١.

(٢) صمد: مدينة فى جبال عاملة المطللة على حمص بالشام، وهى من جبال لبنان. انظر معجم

البلدان ٣/٤١٣.

(٣) الرضى: ما المدينة، وقيل: هو الفضاء حول المدينة، قال بعضهم: الرضى بالضم نواحيه،

وجمعها: أرباض. انظر: لسان العرب (ربض).

السلوك لمعرفة دول الملوك ١٨١
وفيهما ختن السلطان ابنه الملك العزيز عثمان، وسلمه إلى صدر الدين بن المجاور معلما
له.

وفيهما فشا الموت بمصر والقاهرة وعامة أعمال مصر ، وتغيرت رائحة الهواء، ومات
بالقاهرة ومصر فى أيام يسيرة سبعة عشر ألف إنسان.

* * *

ودخلت سنة ست وسبعين [وخمسمائة]^(١)

وفيهما سار السلطان إلى حرب عز الدين قلعج أرسلان بن مسعود بن قلعج أرسلان السلجوقى صاحب قونية^(٢) وعاد بغير قتال، فدخل دمشق أول شهر رجب .

وفيهما مات السلطان سيف الدين غازى بن السلطان قطب الدين مودود بن عماد الدين زنكى بن آقسنقر صاحب الموصل فى ثالث صفر، وجلس أخوه عز الدين مسعود مكانه، فكتب السلطان صلاح الدين إلى الخليفة الناصر يسأل أن يفوض إليه، فوصل شيخ الشيوخ صدر الدين أبو القاسم عبد الرحمن وشهاب الدين بشير الخاص، بالتفويض والتقليد والتشريف فى رجب، فتلقاهم السلطان وترجل لهم، ونزلوا له وبلغوه سلام الخليفة، فقبل الأرض، ودخل دمشق بالخلع، وأعاد الجواب مع بشير، وصحبته ضياء الدين الشهرزورى. وسار السلطان إلى بلاد الأرمن لقمع ملكهم، فأوغل فيها وأطاعه ملكهم، ثم عاد بعدما وصل إلى بهسنا وأحرق حصنا وخربه، وخرج من دمشق يريد مصر فى ثامن عشر رجب، ومعه شيخ الشيوخ صدر الدين، فوصل إلى القاهرة ثالث عشر شعبان، وخرج شيخ الشيوخ إلى مكة فى البحر، وعاد منها إلى بغداد.

وفيهما مات الحافظ أبو الطاهر أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم بن سلفة السلفى فى يوم الجمعة خامس ربيع الآخر بالإسكندرية عن نحو مائة سنة.

ومات الملك المعظم شمس الدولة تورانشاه بن أيوب بن شادى فى خامس صفر بالإسكندرية، وحمل إلى دمشق فدفن بها.

وفيهما ولدت امرأة غرابا.

وفيهما كان قاع النيل ثلاثة أذرع وعشرين إصبعا، وبلغت الزيادة ستة عشرة ذراعا وثلاثى ذراع.

* * *

(١) سنة ٥٧٦هـ. انظر أحداث تلك السنة فى النجوم الزاهرة ٦/٢٥، ٧٩ - ٦/٨٠، الكامل ٤٦٢، ١١ وما بعدها، تاريخ ابن الوردى ٢/١٢٩.

(٢) قونية: بالضم ثم السكون، ونون مسكورة، وياء مثناة من تحت خفيفة: من أعظم مدن الإسلام بالروم وبها وبأقصرى سكنى ملوكها. انظر معجم البلدان ٤/٤١٥.

ثم دخلت سنة سبع وسبعين وخمسمائة

فى محرم خرج الأمر بالحوطة على مستغلات العربان بالشرقية، وأمروا بالتعدية إلى البحيرة، ووقعت الحوطة على إقطاع جذام وثلعبية، لكثرة حملهم الغلال إلى بلاد الفرنج، وكثر الفار بالمقائى والغلال بعد حصادها، فأتلف شيئا كثيرا، واحترق النيل حتى صار يخاض، وتشمر الماء عن ساحل المقس ومصر، وربى جزائر رملة خيف منها على المقياس أن يقلص الماء عنه، ويحتاج إلى عمل غيره، وبعد الماء عن السور بالمقس، وصارت قوته من بر الغرب، وخيم السلطان فى بركة الجب للصيد ولعب الأكرة، وعاد بعد ستة أيام وورد الخبر بأن الأبرنس أرناط ملك الفرنج بالكرك جمع وعزم على المسير إلى تيماء^(١) ودخول المدينة النبوية، فخرج عز الدين فرخشاه من دمشق بعساكره إلى الكرك، ونهب وحرق، وعاد إلى أطراف بلاد الإسلام فأقام به، وورد الخبر من نائب قلعة أيلة بشدة الخوف من الفرنج.

وفى صفر: قدم رسول ملك القسطنطينية إلى القاهرة، فوقع الصلح مع صاحبها، وأطلق فى جمادى الآخرة مائة وثمانين أسيرا من المسلمين، وسار صارم الدين خطلبا إلى الفيوم، وقد أضيفت إليه ولايتها، وأفردت برسمه الخاص، ونقل عنها مقطوعها، ثم صرف عن ولاية الفيوم بابن شمس الخلافة، وأحضر خطلبا ليسير إلى اليمن، وكتب إلى دمياط بترتيب المقاتلة على اليرجين، وسد مراكب السلسلة وتسييرها ليقاتل عليها، ويدافع عن الدخول من بين اليرجين بها.

وفى ربيع الأول: طرق الفرنج ساحل تيس وأخذوا مركبا للتجار، ووصلت مراكب من دمياط كانت استدعيت من خمسين مركبا لتكون فى ساحل مصر وكمل بناء برج بالسويس يسع عشرين فارسا، ورتب فيه الفرسان لحفظ طريق الصعيد، التى يجلب منها الشب إلى بلاد الفرنج، وأمر بعمارة قلعة تيس، وورد تجار الكارم من عدن، فطلب منهم زكاة أربع سنين. وكثرت بيوت المزر بالإسكندرية، فهدم منها مائة وعشرون بيتا.

ووصل المفرد فى حادى عشرين ربيع الأول بالوفاء فى سابع عشره، فأوفى النيل بمصر فى سادس عشره الموافق يوم السادس عشر من مسرى، ولا يعرف وفاؤه بهذا

(١) تيماء: بالفتح والمد: بليدة فى أطراف الشام، بين الشام ووادى القرى، على طريق حاج الشام ودمشق. انظر معجم البلدان ٢/٦٧.

التاريخ فى زمن متقدم، فركب السلطان لتخليق المقياس فى غده، وخلع على ابن أبى الرداد فى سلخه، وفتح الخليج فى رابع ربيع الآخر، والماء على خمسة عشر إصبعا من سبعة عشر ذراعا، بمحضر والى القاهرة.

وفيه أنفق السلطان فى الأجناد البطالين وجردهم إلى الثغور، وأنفق فى رجال الشوانى وجردهم للغزو، وورد الخبز بكثرة ولادة الحيوان الناطق والصامت للتوأم، وأن ذلك خرج عن الحد فى الزيادة على المعهود، وأن الغزال فى البرية كله أتأم، وكذلك النسوان أتأمن أكثر من الأفراد، وكذلك الطير فإنه كثر ظهوره كثرة ظهرت.

وفيه ماتت امرأة الصالح بن رزيك عن سن كبيرة وضعف حال وعمى، بعد الدنيا والملك الذى كانت فيه.

وركب السلطان فى أول جمادى الأولى لفتح بحر أبى المنجا، وعاد إلى قلعة الجبل، وركب منها إلى المخيم بالبركة. وسار متسلم الأمير صارم الدين خطلبا إلى اليمن، وانتصب السلطان ليلا ونهارا فى ترتيب أحوال الأجناد، واقتطع من إقطاعات العربان الثلثين، وعوض به مقطعو الفيوم، وصارت أعمال الفيوم كلها للسلطان.

وفيه قرر ديوان الأسطول وفيه الفيوم والحبس الجيوشى والخراجى والنطرون، وضمن الخراج بمئائة آلاف دينار.

وفى هذه السنة: رتب المقاتلة على البرجين بدمياط وجهزت خمسمائة دينار لعمارة سورها والنظر فى السلسلة التى بين البرجين، وعمل تقدير برسم ما يحتاج إليه سور تئيس وإعادته كما كان فى القديم، فجاء ثلاثة آلاف دينار، وكتب إلى قوص بإبطال المكوس التى تستأدى من الحجاج وتجار اليمن.

وورد كتاب إبراهيم السلاح دار من المغرب أنه فتح بلاد هوارة، وزواوة^(١) ولوارة^(٢)، وجبل نفوسة، وغدامس، وأعمالا طولها وعرضها خمسة وعشرون يوما، وأنه خطب على منابرها للسلطان وضربت السكة باسمه، وأنه إذا أنعم عليه بتقوية بلغ أغراضا بعيدة، وسير أموالا عتيدة. وأنشئت أربع حراريق بصناعة مصر برسم من تجرد إلى بلاد اليمن وجردت أمراء العسكر السائرين إلى اليمن، وكبر فى بحر تئيس تعدى العربان على المراكب، وعمرت عليهم حراريق فيها، فلم يظفر بهم لإيوائهم إلى الهيش.

(١) زواوة: بفتح أوله، وبعد الألف واو أخرى: بلد بين إفريقية والمغرب. انظر معجم البلدان

(٢) لوارة: بالفتح، وتاء مثناة: ناحية بالأندلس من أعمال قريش: ولواته قبيلة من البربر. انظر

وفي جمادى الآخرة: قطع الفرنج أكثر نخل العريش وحملوه إلى بلادهم، وسيرت مراكب بالزاد والعلوفات والأسلحة إلى اليمن، وأسند أمر الجسور إلى والى الغربية ووالى الشرقية، ليتوفرا على عمارتها، وكتب إلى الأمير فخر الدين نشر الملك بن فرحون والى البحيرة ومشارفها بذلك.

وفي رجب: استقرت عدة الأجناد ثمانية آلاف وستمائة وأربعين، وأمراء مائة أحد عشر، وطواشية ستة آلاف وتسعمائة وستة وسبعين، وقرا غلامية^(١) ألف وخمسمائة وثلاثة وخمسين. والمستقر لهم من المال ثلاثة آلاف ألف وستمائة ألف وسبعون ألفا وخمسمائة دينار، خارج عن المحلولين وعن العربان المقطعين بالشرقية والبحيرة، والكنانيين والمضريين والفقهاء والقضاة والصوفية والدواوين، ولا يقصر ما معهم عن ألف ألف دينار. ووصل الإبرنس أرناط إلى أيلة، وسار عسكره إلى تبوك^(٢).

وفي شعبان: كثر المطر بأيلة حتى تهدمت قلعتها، وشرع فى بناء سور دمياط، وذرعه أربعة آلاف وستمائة وثلاثون ذراعا، و شرع أيضا فى بناء برج بها.

وفي شوال: مات منكورس الأسدى أحد الأمراء المماليك، وأخذ إقطاعه يازكج الأسدى، وقبض على سيف الدولة مبارك بن منقذ بن كامل الكنانى، نائب شمس الدولة ببلاد اليمن، وأخذ منه ثمانون ألف دينار وأفرج عنه. وسار خطلبا والى مصر واليا على زييد، وصحبته خمسمائة رجل، ومعهم الأمير باخل، وقد بلغت النفقة فيهم عشرين ألف دينار، وكتب للطواشية بنفقة عشرة دنانير لكل منهم على اليمن، إن كان من الإقطاعية، وللبطالين والمرجلة فى الشهر ثلاثة وثلاثون دينارا، وسيرت الحراريق - وهى خمس - وقد شحنت بالرماة.

وفي سابع عشره: سار السلطان إلى الإسكندرية، فدخل خامس عشرى شوال، وشرع فى قراءة الموطأ يوم الخميس - ثانى يوم دخوله - على الفقيه أبى الطاهر بن عوف، وأنشأ بها مارستانا ودارا للمغاربة، ومدرسة على ضريح المعظم توران شاه، وشرع فى عمارة الخليج، ونقل فوهته إلى مكان آخر، وسار منها أول ذى القعدة إلى دمياط، وعاد إلى القاهرة فى سابعه.

وفي تاسعه: أمر بفتح المارستان الصلاحى، وأفرد برسمه من أجرة الرباع الديوانية مشاهرة مبلغها مائتا دينار، وغلات جهتها الفيوم، واستخدم له أطباء وغيرهم.

(١) هى جماعات وعملهم المراقبة أثناء سير الجيوش.

(٢) تبوك: بالفتح ثم الضم، وواو ساكنة، وكاف: موضع بين وادى القرى والشام. انظر معجم

وفي حادى عشره: خرج السلطان إلى بركة الجب، لتجريد العساكر والمسير إلى الشام، وخرج الملك العادل فى ثالث عشره إلى المخيم، ونزل ناحية بركة الجب وسومح برسوم الولاية بمصر والقاهرة، ورسوم الفيوم ورسوم الصعيد الأعلى، وأخرجت منجنيقات إلى الخيام برسم الغزاة.

وفي حادى عشره: سار سيف الإسلام طغتكين أخو السلطان صلاح الدين إلى أحميم، لجباية الجوالى والنظر فى أمر الشعب.

وظفر والى قوص برجلين من أهل إسنا^(١) يدعوان إلى مذهب الباطنية.

وفى ثالث عشره: عقد نكاح بنات العادل على أبناء السلطان صلاح الدين، وهم: غياث الدين غازى، ومظفر الدين خضر، ونجم الدين مسعود، وشرف الدين يعقوب، والصدّاق فى كل كتاب عشرون ألف دينار.

وعقد السلطان الهدنة مع رسول القومص ملك الفرنج بطرابلس، ونودى بمنع أهل الذمة من ركوب الخيل والبغال، من غير استثناء طبيب ولا كاتب.

ومات الملك الصالح مجير الدين إسماعيل بن العادل نور الدين محمود بن زنكى بن آقسنقر الأتابكى صاحب حلب فى يوم الجمعة خامس عشرى رجب، فقام من بعده ابن عمه السلطان عز الدين مسعود بن مودود بن زنكى^(٢). وكان موت الصالح هو المحرك للسلطان صلاح الدين على السفر، وكتب لابن أخيه المظفر تقى الدين عمر صاحب حماة وغيره من النواب بالتأهب، وكاتب الخليفة الناصر يسأل ولاية حلب.

* * *

(١) إسنا بالكسر ثم السكون ونون وألف مقصورة: مدينة بأقصى الصعيد وليس ورائها غير

أسوان ثم بلاد النوبة وهى على شاطئ النيل من الجانب الغربى. انظر معجم البلدان.

(٢) مسعود بن مودود بن عماد الدين زنكى بن آق سنقر، أبو الفتح وأبو المظفر عز الدين

صاحب الموصل وسنجار فى أيام السلطان صلاح الدين الأيوبى ولد ونشأ بالموصل. انظر بن خلكان

٩٤/٢. الإعلام، حوادث سنة ٥٨٩ هـ، والنجوم الزاهرة ١٢٣/٦. الإعلام ٢٢٠، ٢٢١/٧.

[سنة ثمان وسبعين وخمسمائة^(١)]

وأهلت سنة ثمان وسبعين، والسلطان ميرز بظاشر القاهرة، فلما خرج الناس لوداعه، وقد اجتمع عنده من العلماء والفضلاء كثير، وهم يتناشدون ما قيل فى الوداع، فأخرج بعض مؤدبى أولاد السلطان رأسه من الخيمة، وقال:

تمتع من شميم عرار نجد فما بعد العشية من عرار
فتطير الحاضرون من ذلك، وصحت الطيرة، فإن السلطان رحل من ظاهر القاهرة فى خامس المحرم من هذه السنة، ولم يعد بعد ذلك إلى القاهرة، فسلك فى طريقه على أيلة، فأغار على بلاد الفرنج، وسار على سمت الكرك، وبعث أخاه تاج الملوك بالعسكر على الدرب، وخرج عز الدين فرخشاه من دمشق، فأغار على طبرية وعكا، وأخذ الشقيف أرنون، وعاد بألف أسير وعشرين ألف رأس غنم، وأنزل فيه طائفة من المسلمين وألقى الريح بؤسة للفرنج إلى بر دمياط، فأسر منها ألف وستمائة وتسعون نفسا سوى من غرق، فدخل السلطان إلى دمشق، يوم الإثنين لثلاث عشرة بقيت من صفر، فأقام بها يسيرا، ثم أغار على طبرية، واشتد القتال مع الفرنج تحت قلعة كوكب، واستشهد جماعة من المسلمين، وعاد إلى دمشق فى رابع عشر ربيع الأول، وخيم بالفوار من عمل حوران، وأقام به حتى رحل إلى حلب. وخرج سيف الإسلام ظهير الدين طغتكين بن أيوب بن شادى، من القاهرة إلى اليمن، بعد مسير السلطان، ووصل إلى زيد فملكها، وأخذ منها ما قيمته ألف ألف دينار، واحتوى على عدن أيضا.

وخرج السلطان من دمشق يريد حلب، فنزل عليها يوم الأحد ثامن عشر جمادى الأولى، ونازلها ثلاثة أيام، ثم رحل إلى الفرات، فحيم على غربى البيرة، ومد الجسر، وكاتب ملوك الأطراف، ورحل إلى الرها^(٢) فتسلمها، وسار عنها إلى حران^(٣) فرتبها،

(١) سنة ٥٧٨ هـ . انظر أحداث هذه السنة فى النجوم الزاهرة ٨٣ - ٦/٨٦ الكامل ١١/٤٧٨ وما بعدها، تاريخ ابن الوردى ٢/١٣٠ وما بعدها.

(٢) الرها: بضم أوله، والمد، والقصر، مدينة بالجزيرة بين الموصل والشام بينهما ستة فراسخ سميت باسم الذى استحدثها . انظر معجم البلدان ٦/١٠٦ .

(٣) حران: بالضم، تنية الحر، واديان بنجد واديان بالجزيرة أو على أرض الشام . انظر معجم البلدان ٢/٢٣٦ .

وانفصل عنها إلى الرقة^(١) فملكها وما حولها، ونازل نصيبين حتى ملكها وقلعتها، فورد الخبر بقصد الفرنج دمشق ونهبهم القرى، فسار ونازل الموصل فى يوم الخميس حادى عشر رجب، وألح فى القتال فلم ينل غرضاً، ورحل يريد سنجار، فنازلها وضايقها من يوم الأربعاء سادس عشرى شعبان.

ودخل رمضان: فكف عن القتال، ثم تسلمها بالأمان يوم الخميس ثانیه، وأعطاهها ابن أخيه الملك المظفر تقى الدين عمر، ورحل إلى نصيبين فأقام بها لشدة البرد، وسار عنها إلى حران، ثم رحل ونزل على آمد، لثلاث عشرة بقيت من ذى الحجة.

وفيهما قصد الفرنج بلاد الحجاز، وأنشأ البرنس أرناط صاحب الكرك سفناً، وحملها على البر إلى بحر القلزم، وأركب فيها الرجال، وأوقف منها مركبين على حرزة قلعة القلزم، لمنع أهلها من استقاء الماء.

وسارت البقية نحو عيذاب، فقتلوا وأسروا، وأحرقوا فى بحر القلزم نحو ست عشرة مركبا وأخذوا بعيذاب مركبا يأتى بالحجاج من جدة، وأخذوا فى الأسر قافلة كبيرة من الحجاج فيما بين قوص وعيذاب، وقتلوا الجميع، وأخذوا مركبين فيهما بضائع جاءت من اليمن، وأخذوا أطعمة كثيرة من الساحل كانت معدة لميرة الحرمين، وأحدثوا حوادث لم يسمع فى الإسلام. بمثلها، ولا وصل قبلهم رومى إلى ذلك الموضع، فإنه لم يبق بينهم وبين المدينة النبوية سوى مسيرة يوم واحد، ومضوا إلى الحجاز يريدون المدينة النبوية. فجهز الملك العادل، وهو يخلف السلطان بالقاهرة، الحاجب حسام الدين لؤلؤ إلى القلزم فعمر مراكب بمصر والإسكندرية، وسار إلى أيلة، وظفر بمراكب للفرنج، فحرقها وأسر من فيها، وسار إلى عيذاب، وتبع مراكب الفرنج، فوقع بها بعد أيام واستولى عليها، وأطلق من فيها من التجار المأسورين، ورد عليهم ما أخذ لهم، وصعد البر، فركب خيل العرب حتى أدرك من فرّ من الفرنج وأخذهم، فساق منهم اثنين إلى منى ونجرهما بها كما تنحر البدن، وعاد إلى القاهرة بالأسرى فى ذى الحجة، فضربت أعناقهم كلهم. وعاد الأسطول من بحر الروم بعد نكايه أهل الجزائر، ومعه بطسة للفرنج كانت تريد عكا، بها أخشاب ونيف وسبعون رجلاً.

ومات عز الدين فرخشاه الملقب بالملك المنصور فى دمشق فى أول جمادى الآخرة.

ومات الشيخ الزاهد روزبهار بن أبى بكر بن محمد أبى القاسم الفارسى الصوفى، يوم الأربعاء الخامس من ذى القعدة، ودفن بقرافة مصر.

(١) الرقة: بفتح أوله وثانيه وتشديد الثانى، وهى مدينة مشهورة على الفرات الشرقى. انظر

وفيها انقرضت دولة آل سبكتكين، وكان ابتداءؤها سنة ست وستين وثلاثمائة، فملكوا مائتي سنة وثلاث عشرة سنة. وأولهم محمود بن سبكتكين، وآخرهم خسرو شاه بن بهرام بن شاه بن مسعود بن مسعود بن إبراهيم بن محمود بن سبكتكين. وقام بعدهم الغورية وأولهم عز الدين حسن، صاحب بلاد الغور.

وفيها ورد الخبر بأن الماء الذى فى زقاق سبنة قلّ، حتى ظهرت القنطرة التى كما يعبر الناس عليها فى قديم الدهر إلى أن غلب عليها البحر وطمّها، فلما قل الماء فى هذه السنة عنها لم يبق عليها منه سوى قامتين، ورأى الناس آثار بنيانها، وأن مركبا انكسر عليها.

* * *

[سنة تسع وسبعين وخمسمائة]^(١)

وأهلت سنة تسع وسبعين والسلطان على آمد، فتسلمها فى أوئل المحرم، فقدمت عليه رسل ملوك الأطراف يطلبون الأمان. وخرج الفرنج إلى نواحي الداروم ينهبون، فبرز إليهم عدة من المسلمين على طريق صدر وأيلة، فأظفرهم الله، وقتلوا وغنموا وعادوا سالمين.

وفيه سار الأسطول من مصر، فظفر ببطسة فيها ثلاثمائة وخمسة وسبعون علجكنا قدموا بهم فى خامس المحرم إلى القاهرة، وتوجه سعد الدين كمشبه الأسدى وعلم الدين قيصر إلى الداروم، فأوقعوا بالفرنج على ماء، وقتلوهم جميعا، وقدموا بالبرجوس إلى القاهرة فى رابع عشره. ورحل السلطان عن آمد، وعبر الفرات يريد حلب، فملك عين تاب وغيرها، ونزل على حلب - بكرة يوم السبت سادس عشرى المحرم - وتقد خرب السلطان عماد الدين زنكى بن مودود بن زنكى قلعتة فى جمادى من سنة ثمان وسبعين وخمسمائة. وتسلمها صلاح الدين بصلح، يوم السبت ثامن عشر صفر، على أن تكون لعماد الدين منجار.

ومات تاج الملوك بُورى بن أيوب بن شادى^(٢) فى يوم الخميس ثالث عشره بحلب. وسار عماد الدين إلى سنجار، فولى السلطان قضاء حلب محبى الدين محمد بن الزكى على القرشى^(٣) قاضى دمشق، فاستتاب بها زين الدين ندا بن الفضل بن سليمان البانياسى، وولى يازكج قلعتها، وجعل ابنه الملك الظاهر غياث الدين غازى

(١) سنة ٥٧٩ هـ انظر أحداث تلك السنة فى النجوم الزاهرة ٦/٢٦، ٨٦ - ٦/٨٨ ، الكامل ١١/٤٩٣ ، وما بعدها ، تاريخ ابن الوردى ٢/١٣٣ .

(٢) تاج الملوك (٥٥٦ - ٥٧٩ هـ = ١١٦١ - ١١٨٣ م). بورى بن أيوب بن شادى بن مروان، مجد الدين، أبو سعيد: أخو السلطان صلاح الدين: كان أصغر أولاد أبيه. وهو فاضل، له ديوان شعر وفى شعره رقة وكان مع أخيه صلاح الدين لما حاصر حلب، فأصابته طعنة بركبته مات منها بقرب حلب. انظر وفيات الأعيان ١/٩٤، مرآة الزمان ٨/٣٧٨.

(٣) ابن الزكى (٦٤٠ - ٦٨٥ هـ = ١٢٤٣ - ١٢٨٧ م). يوسف بن يحيى بن محمد بن زكى الدين على القرشى الدمشقى: أبو الفضل، بهاء الدين: آخر القضاة من بنى الزكى من فقهاء الشافعية. ولى القضاء بدمشق ٦٨٢ إلى أن توفى. كان أديبا إخباريا، كثير المحفوظ، علامة، مليح الفتاوى. انظر شذرات الذهب ٥/٣٩٤ الطبقات الوسطى للسبكي، الفرق الإسلامية ٨. الأعلام ٨/٢٥٧ .

ملكا بها، ورحل عنها لثمان بقين من ربيع الآخر. فدخل دمشق ثالث جمادى الأولى، وأقام بها إلى سابع عشره، وبرز وسار إلى بيسان، فعبر نهر الأردن فى تاسع جمادى الآخرة، وأغار على بيسان فأحرقها ونهبها وفعل ذلك بعدة قلاع، وأوقع بكثير من الفرنج واجتمع بعين^(١) جالوت من الفرنج خلق كثير، ثم رحلوا، وأسر السلطان منهم كثيرا، وخرب من الحصون حصن بيسان وحصن عفر بلا وزرعين، ومن الأبراج والقرى عشرة، وعاد إلى دمشق لست بقين من جمادى الآخرة، ثم خرج فى يوم السبت ثالث رجب يريد الكرك، فنازله مدة ولم ينل منه غرضا، فسار إلى دمشق، وقد وصل إليه أخوه الملك العادل من مصر فى رابع شعبان. فاجتمع السلطان بأخيه الملك العادل على الكرك، وقد خرج إليه بعسكر مصر.

وفى يوم الخميس خامس عشره: رحل الملك المظفر تقي الدين من الكرك إلى مصر عوضا عن العادل، وارتجع عن العادل إقطاعه بمصر، وهو سبعمائة ألف دينار فى كل سنة، فجهز إليها الملك المظفر تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب ومعه القاضى الفاضل، وأنعم على تقي الدين بالفيوم وأعمالها مع القايات وبوش^(٢) وأبقى عليه مدينة حماة وجميع أعمالها.

ووصل السلطان إلى دمشق لثمان بقين من رمضان، وبعث بالملك العادل إلى حلب فى ثانى رمضان. فقدم الظاهر على أبيه بدمشق ومعه يازكج، وقدم شيخ الشيوخ صدر الدين وشهاب الدين بشير من عند الخليفة الناصر، ليصلحا بين السلطان وبين عز الدين صاحب الموصل، ومعهما القاضى محيى الدين أبو حامد بن كمال الدين الشهرزورى، وبهاء الدين بن شداد^(٣)، فأقاموا مدة ورحلوا بغير طائل، فى سابع ذى الحجة.

(١) عين جالوت: اسم أعجمى لا ينصرف: وهى بليدة لطيفة بين بيسان ونابلس من أعمال فلسطين، كان الروم قد استولوا عليها مدة ثم استنقذها منهم صلاح الدين الملك الناصر يوسف أيوب فى سنة ٥٧٩ هـ. انظر معجم البلدان ٤/١٧٧.

(٢) بوش كورة ومدينة بمصر من نواحي الصعيد الأدنى فى غربى النيل بعيدة عن الشاطئ. انظر معجم البلدان.

(٣) ابن شداد (٥٣٩ - ٦٣٢ هـ = ١١٤٥ - ١٢٣٤ م). يوسف بن رافع بن نعيم بن عتبة الأسدى الموصلى، أبو الخاسن بهاء الدين شداد: مؤرخ، من كبار القضاة ولد بالموصل، ولاه صلاح الدين قضاء العسكر ببيت المقدس والنظر على أوقافه، وله مؤلفات منها: فضل الجهاد، الموجز الباهر وغيرهم. انظر وفيات الأعيان ٣٥٤/٢، طبقات الشفاعة ١١٥/٥ ذيل الروضتين ١٦٣، غاية النهاية ٣٩/٥٢، ابن الوردى ١٦٠/٢ الألسن الجليل ٤٤٧/٢، ٤٦٣، مرآة الجنان ٨٢/٤، مفتاح الكنوز ٥١٦/٢. الأعلام ٨/٢٣٠.

السلوك لمعرفة دول الملوك ١٩٥

وفيهما ظهر بقرية بوصير بيت هرمس، فخرج منه أشياء، منها كباش وقرود وضافدع بازهر ودهنج وأصنام من نحاس.

وفيهما قتل شرف الدين برغش على الكرك في ثاني عشرى رجب، فحمل إلى زرع ودفن فى تربته.

وفى سنة تسع وسبعين هذه وقعت بالوجه البحرى قطع برد كبيض الأوز أخربت ما صادفته من العامر، ودمرت الزروع، وأهلكت كثيرا من الماشية والناس.

* * *

سنة ثمانين وخمسمائة^(١)

فى خامس المحرم: توجهت قافلة بغلات وسلاح وبدل مجرد إلى قلعتى أيلة وصدر، وخرج من الشرقية جماعة يخفرونها مع قيصر والى الشرقية، فأوصلها إلى أيلة وصدر. وعاد فى خامس عشرية، وكان العدو قد نهض إليها وعاد عنها.

وأهلت هذه السنة: والسultan بدمشق، فبعث إلى الأطراف يطلب العساكر، فقدم عليه ابن أخيه تقى الدين بعساكر مصر، ومعه القاضى الفاضل. وخرج السلطان من دمشق يوم الثلاثاء النصف من ربيع الأول إلى جسر الخشب، وقدم الملك العادل من حلب ومعه نور الدين بن قرا أرسلان إلى دمشق يوم الخميس رابع عشرية، وخرجا إلى الكسوة، فرحل السلطان فى ثانى ربيع الآخر من رأس الماء يريد الكرك، وخرج تقى الدين فى عسكر مصر، ومعهم أولاد الملك العادل وأهله، يوم الأربعاء مستهله، فساروا إلى أيلة، ووصلوا إلى السلطان فى تاسع عشره وهو على الكرك.

وسارت أولاد العادل فى حادى عشرية، فلقوا العادل وهو على الفوار فى خامس عشرية ووصل معهم زرافة، فاجتمعوا به وساروا إلى حلب، ومعهم بكمش بن عين الدولة الياروقى، وعلى بن سليمان بن جندر، ونزل العسكر الحلبى على عمّان مدينة البلقاء فى ثامن جمادى الأولى، ورحل عنها فى ثانى عشره إلى الكرك، وقدم العادل وابن قرا أرسلان إلى الكرك فى سابع عشره، وعملت الجانيق إلى ليلة الخميس حادى عشرية ثم رميت تلك الليلة، ورحل العسكر كله لخبر ورد عن اجتماع الفرنج، وساروا إلى اللجون، ونزل الفرنج بالواله. ثم سار العسكر إلى ناحية البلقاء، فنزلوا حسبان تجاه الفرنج، إلى نصف نهار الإثنين سادس عشرية. فرحل الفرنج إلى الكرك، والعسكر وراءهم إلى نابلس، فهاجمها العسكر يوم الجمعة سلخه، وحرقوها ونهبوها، وساروا فأخذوا أربعة حصون، ونزلوا على جينين^(٢) ونقبوا قلعتها حتى وقعت، وقتل تحتها من النقاين عدة، وأخذت عنوة وغنم منها شىء كثير. ورحلوا فى ليلتهم إلى زرعين وعين جالوت، وأحرقوها فى الليل، وعبروا الأردن يوم الأحد ثانى جمادى الآخرة، ونزلوا الفوار رابعه.

(١) سنة ٥٨٠ هـ انظر أحداث تلك السنة فى النجوم الزاهرة ٨٨ - ٦/٩٠. الكامل ١١/٥٠٤

وما بعدها، تاريخ ابن الوردى ٢/١٣٤.

(٢) جينين: بكسر الجيم، وسكون ثانيه، ونون مسكورة أيضا، وياء أخرى ساكنة أيضا، ونون أخرى: بليدة حسنة بين نابلس وبيسان من أرض الأردن، بها عيون ومياه. انظر معجم البلدان

ودخل السلطان دمشق يوم السبت سابعه، ومعه عساكره كلها، وقدم أخوه العادل من حلب، وأتته العساكر المشرقية وعساكر الحصن وأمد، وسار بهم يريد الكرك لأخذها من الفرنج، فنازها في رابع عشر جمادى الأولى ونصب عليها تسعة مجانيق رماها بها.

وقدمت الأمداد من الفرنج، فرحل السلطان إلى نابلس، ونهب كل ما مر به من البلاد، وأحرق نابلس وخربها ونهبها، وقتل وسبى وأسر، واستنقذ عدة من المسلمين كانوا أسرى، وسار إلى جنين، وعاد إلى دمشق، فقدم عليه رسل الخليفة، وهما الشيخ صدر الدين عبد الرحيم بن إسماعيل بن أبي سعد أحمد، وشهاب الدين بشير الخادم، ومعهما خلع للسلطان والملك العادل، فلبسهاها. وطلب الرسولان تقرير الصلح بين السلطان وبين عز الدين صاحب الموصل، فلم يتقرر بينهما صلح، وخرجا من دمشق، فماتا قبل وصولهما إلى بغداد.

وخلع السلطان على جميع العساكر، وأذن لهم في المسير إلى بلادهم، بعدما أعطاهم شيئا كثيرا، فساروا.

وفي نصف شعبان: سار المظفر تقي الدين بعساكر مصر يريد العود إلى القاهرة، وقرئت وصية سلطانية، تضمنت ولاية الملك العزيز عثمان ابن السلطان لمصر بكفالة ابن عمه تقي الدين عمر، وولاية الملك الأفضل أكبر أبناء السلطان على الشام بكفالة عمه العادل صاحب حلب، وأن مدة الكفالة إلى أن يعلم المسلمون باستقلال كل واحد بالأمر، ويستقر الكافلان في خبزيهما وما بأيديهما، ومن عدم من الولدين قام الأمثل من إخوته مقامه، أو من الكافلين قام الباقي منهما مقام الآخر، واستحلف الحاضرون من الأمراء، وولى قراءة العهد بذلك القاضي المرتضى بن قريش. وسومح بهلالى البهسنا^(١)، وهو ألف ومائتا دينار، وسومح بالأتبان، وما تقصر عن ألفى دينار، ومنع من ضمان المزر والخمر والملاهي، وترك ما كان يؤخذ من رسم ذلك للسلطان بديار مصر.

(١) بهسنا بفتحيتين وسكون السين ونون وألف: قلعة حصينة عجبية بقرب مرعش وسميساط ورستاقها. انظر معجم البلدان. قال ابن إياس في ذكر مدينة البهسنا: هذه المدينة بناها ملك من ملوك القبط يقال له مناوش بن منقوش، وقال ابن وصيف شاه: وهو أول من عبد البقر من أهل مصر وكان السبب في ذلك أنه اعتل علة حتى أيس منه فيها رأى في منامه صورة روحاني عظيم يقول له أنه لا يخرجك من علتك إلا عبادتك للبقر ففعل ذلك، فبرئ من علته، فأمر أهل مملكته بعبادة البقر وفي زمانه بنيت البهسنا ويقال إنه عاش ثمانمائة سنة، وكان بالبهسنا من العجائب والحكم ما ليس في غيرها من البلاد. انظر نزهة الأعم ٢٢٦.

وخرج السلطان من دمشق يريد البلاد الشرقية، فأقام بحماة بقية السنة، وكان نزوله عليها. فى عشرى ذى القعدة.

وفى هذه السنة: أقيمت خطبة فى سابع المحرم عند قبر سارية بلحف الجبل، فى غير بنيان وبغير سكان، وتم ذلك بعصيبة جماعة، ثم أحدث جامع عند قبة موسك وبقيت سنين.

وبلغ النيل ثلاث عشرة إصبعا من تسع عشرة ذراعا، فأضر ذلك بالقرى، وخرج أهلها منها لسقوط جدرانهم، وغرقت البساتين والأقصاب، وفاضت الآبار، وانقطعت الترع، وكثر الضرر، كما حصل فى سنة أربع وأربعين وخمسمائة.

وفى هذه السنة: مات السلطان أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن بن على ملك^(١) المغرب، لسبع خلون من رجب.

ومات إيلغازى بن نجم الدين بن ألبى بن تمرناش بن إيلغازى بن أرتق الأرتقى قطب الدين، صاحب ماردين، فى جمادى الآخرة.

وفىها مات آقسنقر الساقى، صهر قراجا الهمام، بحلب فى يوم الجمعة حادى عشر رجب .

وفىها رسم السلطان بتقييد أولاد الخليفة العاضد الفاطمى ومن بقى من أقاربه.

* * *

تتمة سنة ثمانين وخمسمائة

أول المحرم يوم الإثنين: فيه ابتدئ بالتدريس فى المدرسة الفاضلية بدرج ملوخيا من القاهرة.

وفى خامسه: توجهت القافلة بالبدل المحرد إلى قلعتى صدر وأيلة مع قيصر والى الشرقية.

(١) يوسف بن عبد المؤمن (٥٣٣ - ٥٨٠ هـ - ١١٣٨ - ١١٨٤ م).

يوسف بن عبد المؤمن بن على القيسى الكومى، أبو يعقوب، أمير المؤمنين: من ملوك دولة الموحدين بمراكش. وهو الثالث فيهم مولده فى يتنمل، بويج له وهو بإشبيلية بعد وفاة أبيه سنة (٥٨٨ هـ) ثم بويج البيعة العامة فى مراكش، سنة ٥٦٠ هـ. انظر الاستقصا ١/١٥٩ - ١٦٤، أعمال الأعلام ابن خلدون ٦/٢٣٨، الأنيس المطرب ١/١٩، ابن خلكان ٣٧٣/٢ الحلل المشوية ١٣١، ١٣٢. الأعلام ٨/٢٤١.

وفي سابعه: أقيمت الخطبة عند قبر سارية بلحف الجبل في غير بنيان ولا سكان.
وفي ثامننه: وردت كتب السلطان من دمشق، باستدعاء العساكر، وجمع الأموال والأسلحة والأمتعة.

وفي حادى عشره: كانت فتنة بين العرب الجذاميين، فخرج عسكر إلى الشرقية، وعدى الملك المظفر إلى الجيزة بأولاده، لدعوة عملها الطواشى قراقوش عند قناة طرة، وعاد من الغد.

وفي ثامن عشره: وردت كتب السلطان من دمشق، لاستنهاض العساكر لغزاة الكرك، وأن يستصحبوا من الراجل ما قدروا عليه، فبرزت الخيام إلى بركة الجب في عشريه، وخرج من الغد الملك المظفر تقي الدين النائب بمصر.

وفي ثانى عشريه: ورد الخير من ناظر قوص بغرق أربع جلاب، بها ألف وثلاثمائة رجل من الحجاج، هلكوا كلهم.

وفي خامس عشريه: عاد قيصر والى الشرقية من صدر، بعد أن أوصل القافلة إلى أيلة، وعاد بالقافلة العائدة، وكان العدو قد نهض إليها، ثم عاد عنها.

وفي سلخه: ورد الخير بأن المؤيد سيف الإسلام ملك بلاد اليمن، واعتقل خطاب ابن منقذ بزبيد.

وأهل صفر:

فى رابعه: ورد الخير بوصول تابوتى نجم الدين أيوب وأسد الدين شيركوه، إلى المدينة النبوية، ودفنهما بها، وكان قد حمل بهما إلى قوص، وعدى بهما من بحر عيذاب إلى المدينة، وكان سيرهما فى أول السنة الماضية.

وفي سادسه: سار الأسطول، وهو أحد وثلاثون شينيا وحرقة.

وفي سابعه: جرت فتنة بين الأشاعرة والحنابلة، سببها إنكار الحنابلة على الشهاب الطوسى تكلمه فى مسألة من مسائل الكلام فى مجلس وعظه، وترافعوا إلى الملك المظفر بمخيمه، فرسم برفع كراسى وعظ الفريقين، وقد أطلق كل من الفريقين لسانه فى الآخر.

وفي ثامننه: وقع مطر عظيم، ورعد قاصف وريح عاصف، وبرق خاطف وبرد كثير كبار، فحل بالعسكر المبرز بلاء شديد، وعطبت الثمار، وتفسخت الأشجار، وانقعر النخل، وعمت الجائحة الثمار والزررع، التى لم تحصد وما حصد، وتلفت المقائى.

السلوك لمعرفة دول الملوك ٢٠١

وفي عاشره: عقد مجلس لأصحاب الدواوين للمفاضلة ما بين ابن شكر^(١) وابن عثمان، فتسلم ابن عثمان الدواوين، بعد أن أخذ خطه بزيادة خمسة عشر ألف دينار على الارتفاع، ثم صرف بابن شكر في ثالث عشره.

وأهل شهر ربيع الأول:

في ثاني عشره: سار المظفر تقي الدين من بركة الجب، يريد السلطان بدمشق، وعاد ابن السلار إلى القاهرة نائباً عن المظفر.

وعاد ابن شكر ناظر الدواوين إلى القاهرة في خامس عشره، ومعه ولد المظفر، فخرج الناس لتلقيه.

وأهل شهر ربيع الآخر:

في عشريه: قدم المظفر على السلطان صلاح الدين بالقرب من الكرك.

وفي عاشر جمادى الآخرة: أخلت أهل بلبس بلدتهم في ليلة واحدة، وقد سمعوا عسير الفرنج إلى فاقوس، واضطرب الناس بالقاهرة ومصر والحيزة، فسميت الهجة الكذابة.

وقدم الخير بأن سيف الإسلام قتل خطاب بن منقذ ومثل به، واستصفى أمواله باليمن، وقبض على أزمه. وكان العسكر عقيب الهجة خرج إلى بلبس، فنهبا الغلمان، وأخذ الفرنج نحو مائتين وعشرين أسيراً، وساقوا أغناماً لا تدخل تحت حصر.

(١) ابن شكر ٥٤٨ - ٦٢٢ هـ = ١١٥٣ - ١٢٢٥ م. عبد الله بن علي بن الحسين، أبو محمد ، صفي الدين الشيبى الدميرى، المعروف بالصاحب بن شكر: وزير مصرى من الدهاء ولد في دميرة البحرية (من إقليم الغربية بمصر) ونشأ نشأةً سالحة ، فتفقه في القاهرة، وصنف كتاباً في الفقه على مذهب مالك واتصل بالملك العادل أبى بكر بن أيوب فولاه مباشرة ديوانه سنة ٥٨٧ هـ ثم استوزره، فعمد إلى سياسة العنف والمصادرة واستبد بالأعمال، فعزله العادل، فخرج إلى آمد وإقام عند أرق إلى أن مات العادل سنة ٦٥١ هـ فطلبه الكامل محمد بن العادل ، وهو في نوبة قتال مع الإفرنج على دمياط، فجأة، فكاشفه بما هو عليه من الاضطراب بثورة العرب فى مصر ومحاربة الفرنج وعصيان بعض الأبراء، فنهض بن شكر بالأمر عنيفاً على سابق عاداته، فخافه الناس وهابوه، فاستقر الملك، وعظم أمره عند الملك الكامل. واستمر على ذلك إلى أن مات بالقاهرة قال مورخوه: كان طلق الحياء، حلو اللسان، حسن الحينة، صاحب دواء مع هوج، شديد الحقد، منتقماً لا ينام عن محذوه ولا يقبل معذرة أحد. فوات الوفيات ٢١٩/١. الأعلام لابن قاضى شقبة، حطط مبارك ٥٧/١١. الأعلام ٤/١٠٦.

وفى رابع عشرى شعبان: قدم المظفر تقى الدين إلى القاهرة بالعسكر، بعد شدة لحقتهم فى طريقهم.

وفى ذى القعدة: ورد كتاب سيف الإسلام بأنه فتح باليمن مائة وثلاثة وسبعين حصنا، وقدم أهل خطاب بن منقذ وأخوه محمد إلى مصر. وخرج تقى الدين ابن أخى صلاح الدين إلى البحيرة ليكشف أحوالها.

وكان معه كاتبه الرضى بن سلامة، فاستدفع من الدواوين حساباتهم، وسار بها على بغل صحبة تقى الدين، فأرسل الله صاعقة من السماء أحرقت البغل وما عليه من الحساب، وعاد تقى الدين.

* * *

سنة إحدى وثمانين وخمسمائة^(١)

وأهلت سنة إحدى وثمانين فزار السلطان وبلغ حران، في يوم الجمعة ثامن عشرى صفر فقبض على صاحبها مظفر الدين كوكبرى، واستولى عليها. ورحل عنها في ثانى ربيع الأول فوافته رسل الملك قلعج أرسلان بن مسعود السلجوقى صاحب الروم باتفاقات ملوك الشرق بأجمعهم على قصده، إن لم يعد عن الموصل وماردين، فزار يريد الموصل، وكاتب الخليفة بما عزم عليه من حصر الموصل، ونزل عليها وحاصر أهلها وقتلهم. فورد الخبر بموت شاه أرمن بن سقمان الثانى ناصر الدين محمد بن إبراهيم صاحب خلاط فى تاسع ربيع الأول، فرحل صلاح الدين فى آخره يريد خلاط، ثم عاد ولم يملكها، وسار إلى ميافارقين فتسلمها، ثم عاد إلى الموصل، ونزل على دجلة فى شعبان، وأقام إلى رمضان، فمرض مرضا مخوفا، فرحل فى آخر رمضان، وهو لما به وقد آيس منه، فنزل بجران، فتقرر فيها الصلح بينه وبين المواصل فى يوم عرفة، وخطب له بجميع بلاد الموصل، وقطعت خطبة السلجوقية، وخطب له فى ديار بكر وجميع البلاد الأرتقية، وضربت السكة باسمه، وأمر بالصدقات فى جميع مملكه.

وفى يوم الثلاثاء سابع ربيع الأول: حدثت بمصر زلزلة، وفى مثل تلك الساعة كانت زلزلة فى بعلبك أيضا.

وفيه كانت بالإسكندرية فتنة بين العوام، نهبوا فيها المراكب الرومية، فقبض على عدة منهم ومثل بهم.

ومات فى هذه السنة

الملك القاهر ناصر الدين محمد بن أسد الدين شيركوه صاحب حمص، ليلة عيد الأضحى. واتهم السلطان بأنه سمه فإنه لما اشتد مرض السلطان تحدث بأنه يملك من بعده.

ومات فخر الدولة إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن أحمد بن نصر الأسوانى ابن أخت الرشيد والمهذب ابنى الزبير فيها. وهو أول من كتب الإنشاء للسلطان، ثم كتب لأخيه العادل.

ومات سعد الدين بن مسعود بن معين الدين بآمد.

(١) سنة ٥٨١ هـ. انظر أحداث تلك السنة فى النجوم الزاهرة ٩٠ - ٦/٩٢، الكامل

٢٠٤ سنة إحدى وثمانين وخمسمائة

ومات الأمير مالك بن ياروق فى منبج ليلة السبت مستهل رجب، فحمل إلى حلب ودفن بها.

وماتت آمنة خاتون بنت معين الدين أنار التى تزوجها السلطان صلاح الدين بعد نور الدين محمود لما ملك دمشق، وكانت وفاتها يوم الإثنين ثالث ذى القعدة.

وفىها خرج المظفر تقي الدين عمر إلى كشف أحوال الإسكندرية، وشرع فى عمل سور على مدينة مصر بالحجر، فلم يبق فقير ولا ضعيف إلا خط فيه ساحة من درب الصفا إلى المشهد النفيسى، واتصلت العمارة فى خط الخليج إلى درب ملوخيا بمصر حتى بين الكومين وبيجار جامع ابن طولون والكبش، فعمر أكثر من خمسة آلاف موضع بشقاف القنز والخرشتف وتراب الأرض، وتحول الناس لجهة جامع ابن طولون والبركة وجانب القلعة.

وفى شعبان ورمضان: وقع وباء بأرض مصر وفشا موت الفجأة، وكثر الوباء فى الدجاج أيضا.

* * *

سنة اثنتين وثمانين وخمسمائة^(١)

وأهلت سنة اثنتين وثمانين: وقد أبل السلطان من مرضه، فرحل من حران، و نزل حلب فى رابع عشر المحرم، ومر من حلب إلى حمص، فرتب أمورها وأسقط المكوس منها. ودخل إلى دمشق فى ثانى ربيع الأول، واستدعى ابنه الأفضل عليا من مصر، لمنافرة كانت بينه وبين ابن عمه المظفر تقى الدين، فقدم عليه بأهله وحشمه، لسبع بقين من جمادى الأولى، وصرف العادل عن حلب، وتقرر عوضه بها الملك الظاهر غياث الدين غازى ابن السلطان، وعوض العادل الشرقية بديار مصر.

وصرف المظفر تقى الدين عمر من ديار مصر ونيابتها، فغضب لذلك، وعبر بأصحابه إلى الجزيرة يريد اللحاق بغلامه شرف الدين قراقوش التقوى، وأخذ بلاد المغرب، وجعل مملوكه بورى فى مقدمته، فبلغ ذلك السلطان، فكتب إليه يأمره بالقدوم عليه، فقبح الأكاير عليه مشاقته السلطان وحذروه، فأجاب وتوجه إلى دمشق، فوصلها ثالث عشرى شعبان، واستمر على ما بيده من حماة والمعة ومنبج وأضيف إليه ميفارقين، وكتب إلى أصحابه فقدموا عليه من مصر، ماخلا زين الدين بورى مملوكه، فإنه سار إلى المغرب، وملك هناك مواضع كثيرة. ثم قصده صاحب المغرب وأسره، ثم أطلقه وقدمه.

ووصل الأفضل على ابن السلطان من القاهرة إلى دمشق يوم الخميس سابع عشر جمادى الأولى، وهو أول قدومه إليها، وسار الملك العزيز عثمان إلى ملك مصر، ومعه عمه العادل أتابكا.

وكان خروج العادل من حلب ليلة السبت رابع عشرى صفر، فدخل إلى القاهرة فى خامس رمضان.

ووقع الخلف بين الفرنج بطرابلس، فالتجأ القومص إلى السلطان، وصار يناصحه، واستولى الإبرنس ملك الفرنج بالكرك على قافلة عظيمة، فأسر من فيها وامتنع من إجابة السلطان إلى إطلاقهم، فتجهز السلطان لمحاربتة، وكتب الأطراف بالمسير لقتاله.

وفىها مات بمصر عبد الله بن أبى الوحش برى بن عبد الجبار بن برى النحوى، ليلة

(١) سنة ٥٨٢ هـ . انظر أحداث تلك السنة فى النجوم الزاهرة ٩٢ - ٦/٩٥، الكامل

٢٠٦ سنة اثنتين وثمانين وخمسمائة

السبت لثلاث بقين من شوال، ومولده بدمشق في خامس رجب سنة تسع وتسعين وأربعمائة.

* * *

سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة^(١)

وأهلت سنة ثلاث وثمانين وقد برز السلطان من دمشق لجهاد الفرنج يوم السبت أول الحرم، وأقر ابنه الأفضل على رأس الماء، ونزل بصرى، فأقام لحفظ الحاج حتى قدموا فى آخر صفر. فسار إلى الكرك، فى اثنى عشر ألف فارس، ونازلها وقطع أشجارها، ثم قصد الشوبك، ففعل بها مثل ذلك. وخرج الحاجب لؤلؤ على الأسطول من مصر، وهو خمسة عشر شينيا، ليسير إلى الإسكندرية. وخرج العادل من القاهرة فى سابع المحرم إلى بركة الجب، وسار إلى الكرك، فمر على أيلة، والتقى مع السلطان على القريتين، وعادا إلى الكرك، فنازلاها فى ربيع الأول، وضايق السلطان أهلها، ثم رحل عنها، ونازل طبرية، فاجتمع من الفرنج نحو الخمسين ألفا بأرض عكا، ورفعوا صليب الصليوت، فافتتح السلطان طبرية عنوة فى ثالث عشرى ربيع الآخر، وغاظ ذلك الفرنج وتجمعوا، فسار إليهم السلطان، وكانت وقعة حطين، التى نصر الله فيها دينه، فى يوم السبت رابع عشرىه. وانهزم الفرنج بعد عدة وقائع، وأخذ المسلمون صليب الصليوت، وأسروا الإبرنس أرناط صاحب الكرك والشوبك، وعدة ملوك آخرين وقتل وأسر من سائر الفرنج ما لا يعد كثرة.

ثم قدم الإبرنس أرناط، وضرب السلطان عنقه بيده، وقتل جميع من عنده من الفرنج الداوية والإستبارية^(٢) ورحل السلطان إلى عكا، فنازلها سلخ ربيع الآخر، ومعه عالم عظيم.

قال العلامة عبد اللطيف بن يوسف البغدادي^(٣): كان السوق الذى فى عسكر

(١) سنة ٥٨٣ هـ انظر أحداث تلك السنة فى النجوم الزاهرة ٢٧ - ٦/٣٤، ٩٥ - ٦/٩٧، الكامل ١١/٥٢٩ وما بعدها، تاريخ بن الوردي ٢/١٣٨. وما بعدها .

(٢) الاستبار أو الاستبارية، أو استبارية هو تعريب لكلمة LES HOS PITO LIERS الفرنسية. وقد أنشأ الفرنجة فى القدس مشافى يشرف عليها الرهان، ونجم عنها تأسيس ثلاث منظمات رهبانية عسكرية هدفها إيواء ومداواة المرضى والجرحى من الجنود والحجاج المسيحين، وهذه المنظمات هى: منظمة فرسان القديس يوحنا، ومنظمة فرسان الهيكل وهما فرنستيان، ومنظمة الفرسان التوتربين وهم من الألمان. أما منظمة فرسان القديس يوحنا أو فرسان بيك المقدس، وأسماهم العرب الاستبارية، فقد تأسست فى السنة التى استولى فيها الصليبيون على القدس سنة ٤٩٣ هـ/١٠٩٩ م. انظر الموسوعة الفلسطينية: ٢٠٥/١ - ٢٠٦، وهامش النجوم الزاهرة ٦/٢٩.

(٣) عبد اللطيف بن يوسف بن محمد بن على البغدادي ٥٥٧ - ٦٢٩ هـ - ١١٦٢ -

١٢٣١ م). عبد اللطيف بن يوسف بن محمد بن على البغدادي، موفق الدين، ويعرف بابن اللباد =

السلطان على عكا عظيما، ذا مساحة فسيحة، فيه مائة وأربعون دكان بيطار، وعدادت عند طباخ واحد ثمانيا وعشرين قدرا، كل قدر تسع رأس غنم.

و كنت أحفظ عدد الدكاكين، لأنها كانت محفوظة عند شحنة السوق، وأظنها سبعة آلاف دكان، وليست مثل دكاكين المدينة، بل دكان واحد مثل مائة دكان، لأن الحوائج فى الأعدال والجواقات، ويقال إن العسكر أنتنت منزلتهم لطول المقام، فلما ارتحلوا غير بعيد، وزن سمان أجرة نقل متاعه سبعين ديناراً، وأما سوق البز العتيق والجديد، فشىء يبهر العقل. وكان فى العسكر أكثر من ألف حمام، وكان أكثر ما يتولاها المغاربة، يجتمع منهم اثنان أو ثلاثة ويجفرون ذراعين فيطلع الماء، ويأخذون الطين فيعملون منه حوضاً وحائطاً، ويسترونه بحطب وحصير، ويقطعون حطباً من البساتين التى حولهم، ويحمون الماء فى قدور، وصار حماما يغسل الرجل رأسه بدرهم وأكثر.

فلم يزل صلاح الدين على محاصرة عكا إلى أن تسلمها بالأمان، فى ثانى جمادى الأولى، واستولى على ما فيها من الأموال والبضائع، وأطلق من كان بها من المسلمين

=وبابن نقطة: من فسقة الإسلام، وأحد العلماء المكثرين من التصنيف فى الحكمة وعلم النفس والطلب والتاريخ والبلدان والأدب مولده ووفاته ببغداد أقام مدة يجلب، وزار مصر والقدس ودمشق وحران وبلاد الروم وملطية والحجاز وغيرها. وحظى عند الملوك والأمراء وكان دميم الخلفة قليل لحم الوجه، قوى الحافظه من كتبه الإفاده والاعتبار لما فى مصر من الآثار - ط رسالة وقوانين البلاغة والإنصاف بين ابن برى وابن الخشاب، فى كرمها على المقامات، والجامع الكبير فى المنطلق الطبيعى والإلهى، عشر مجلدات، وبلغة الحكيم والكلمة والإهى، عشر مجلدات، وبلغة الحكيم، والكلمة فى الربوبية، والحكمة الكلامية، و تهذيب كلامة أفلاطون، والقياس أربع مجلدات، والسماع الطبيعى، وغريب الحديث، و المعتنى الجلى فى الحساب والتجريد - خ فى اللغة، وملخص مقالات التاج - ح فى الحل البتويه، وذيل الصبح - ط الثعلب و شرح أحاديث بن مساحه المتعلقة بالطلب واختصاصات كثيرة منها الحيوان للجاحط وكتاب فى البنات ، وكتب رحلات وصف بها أسفاره والبلدان التى زارها. وله رسائل صغيرة سماها مقالات منها النفس والعلم الإلهى والماء والحركات وحقيقته الدواء والغذاء والحواس والنفس والصون والكلام، والمدينة الفاضلة، العلوم الضارة، وتزييف ما يعتقد ابن سينا، وإبطال الكمياء، واللغات وكيفية تولدها، والقدر. فوات الرفيات ٢: ٧ وبغية الوعاة ٣١١ والسبكى ٥: ١٣٢ وأداب اللغة ٣: ٩٠، وخزائن الكتب ٨٩ وخطط مبارك ١٥: ٧٩ وطبقات الأطباء ٢: ٢٠١ - ٢١٣ وبن شقده - ح و الشذرات ٥: ١٣٢ ومعجم المطبوعات ١٢٩٢ وإنباه الرواة ٢: ١٩٣، والإعلام لا بن قاضى شهبه - خ - وفى مذكرات اليمينى - ح، ما يفيد اطلاعه على مخطوطة من كتاب المجرى فى غريب الحديث لصاحب الترجمة أوراقها ٧١ كتبت سنة ٦١٦هـ فى خزانه لا له لى - باستتبول الرقم ٤٠٧ - قلت لعلها الوارد ذكرها فى الترجمة باسم غريب الحديث أو هى نسخة أخرى من التجريد. انظر الأعلام ص ٤ ٦١ .

مأسورا، وكانوا أربعة آلاف نفس، ورتب في كنيستها العظمى منبرا، وأقيم فيها الجمعة. وأقطع عكا لابنه الأفضل على، وأعطى جميع ما للدواوية من إقطاع وضياع للفقير ضياء الدين عيسى الهكاري. وسار العادل بعساكر مصر إلى مجدليا^(١) فحصره وفتحها وغنم ما فيه. وافتتحت عدة حصون حول عكا: وهي الناصرة^(٢) وقيسارية وحيفا^(٣) وصفورية^(٤) ومعليا والشقيف والتولع^(٥) والطور^(٦) ونهب ما فيها، وسبيت النساء والأطفال، فقدموا بما سد الفضاء. وأخذت سبسطية ونابلس، وكتب السلطان للخليفة بخير فتح هذه البلاد. ونزل العادل على يافا، حتى ملكها عنوة ونهبها، وسبي الحرير وأسرى الرجال، ونازل المظفر تقي الدين عمر تبين، وأدركه السلطان فوصل إليها في حادي عشر جمادى الأولى ومازال محاصراً لها حتى تسلمها في ثامن عشره بأمان، وجلا أهلها عنها إلى صور، وتسلم السلطان العدد والدواب والخزائن، وسار فأخذ صرخد^(٧) بغير قتال، ثم رحل إلى صيداء، ففر أهلها وتركوها، فتسلمها السلطان في حادي عشره. ونازل بيروت وضايقها ثمانية أيام، إلى أن طلب أهلها الأمان، فأجابهم واستولى عليها في تاسع عشره، وأخذ جبيل^(٨) فكان من استنقذ الله من المسلمين المأسورين عند الفرنج، في هذه السنة، ما يزيد على عشرين ألف إنسان، وأسرى المسلمون من الفرنج مائة ألف أسير.

- (١) مجدليا: بعد اللام ياء مثناة من تحتها، وبعد الألف باء موحدة: قرية قرب الرملة فيها حصن محكم. انظر معجم البلدان ٥/٥٧.
- (٢) الناصرة: فاعلة من النصر: قرية بينها وبين طبرية ثلاثة عشر ميلا، فيما كان مولد المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام ومنها اشتق اسم النصارى. انظر معجم البلدان ٥/٢٥١.
- (٣) حيفا: غير ممدود: حصن على ساحل بحر الشام قرب يافا ولم يزل في أيدي المسلمين إلى ان تغلب عليه كندفرى الذى ملك بيت المقدس فى سنة ٤٩٤ هـ، وبقي فى أيديهم إلى أن فتحه صلاح الدين يوسف بن أيوب فى سنة ٥٧٣ هـ وخربه. انظر معجم البلدان ٢/٣٣٢.
- (٤) صفورية: بفتح أوله، وتشديد ثانية، وواو، وراء مهملة ثم ياء مخففة: كورة وبلدة من نواحي الأردن بالشام وهى قرب طبرية. انظر معجم البلدان.
- (٥) تولع: بالعين المهملة: قرية بالشام فى قول عبد الله بن سليم. لمن الديار بتولع فيجوس. انظر معجم البلدان ٢/٥٩.
- (٦) الطور: جبل بعينه مطل على طبرية الأردن. انظر معجم البلدان ٤/٤٧.
- (٧) صرخد: بالفتح ثم السكون، والحاء معجمة، والدال مهملة بلدل ملاصق لبلاد حوران من أعمال دمشق، وهى قلعة حصينة وولاية حسنة واسعة، ينسب إليها الخمر. انظر معجم البلدان ٣/٤٠١.
- (٨) جبيل: بلد فى سواحل دمشق فى الإقليم الرابع. انظر معجم البلدان ٢/١٠٩.

وهلك فى هذه السنة القومص صاحب طرابلس، وقدم المركيس - أكبر طواغيت الفرنج - إلى صور، وقد اجتمع بها أمم من الفرنج، فملك عليهم، وحصن البلد، فسار السلطان بعد فتح بيروت، وتسلم الرملة والخليل وبيت لحم، واجتمع بأخيه العادل، ونازلا عسقلان، فى سادس عشر جمادى الآخرة، ونصبا المجانيق عليها، ووقع الجد فى القتال، إلى أن تسلم السلطان البلد فى سلخه، وخرج منه الفرنج إلى بيت المقدس، بعد أن ملكوه خمسا وثلاثين سنة. وتسلم السلطان حصون الداوية وهى غزة والنطرون وبيت جبريل^(١) وقدم عليه بظاهر عسقلان ابنه العزيز عثمان من مصر، ووافته الأساطيل وعليها الحاجب لؤلؤ. وكانت الشمس قد كسفت، قبل أخذ عسقلان بيوم، حتى أظلم الجو وظهرت الكواكب فى يوم الجمعة ثامن عشره.

وسار السلطان - وقد اجتمعت إليه العساكر - يريد فتح بيت المقدس، فنازله يوم الأحد خامس عشر رجب، وبه حشود الفرنج وجميعهم، فنصب المجانيق، واقتتل الفريقان أشد قتال، استشهد فيه جماعة من المسلمين، وأيد الله بنصره المسلمين، حتى تمكنوا من السور ونقبوه، وأشرفوا على أخذ البلد فسأل الفرنج حيثئذ الأمان، فأعطوه بعد امتناع كثير من السلطان، على أن يعطى كل رجل من الفرنج عن نفسه عشرة دنانير مصرية، سواء كان غنيا أو فقيرا، وعن المرأة خمسة دنانير، وعن كل طفل من الذكور والإناث دينارين. ثم صولح عن الفقراء بثلاثين ألف دينار وتسلم المسلمون القدس يوم الجمعة سابع عشر رجب، وأخرج من فيه من الفرنج، وكانوا نحو الستين ألفا، بعدما أسر منهم نحو ستة عشر ألفا، ما بين رجل وامرأة وصبي، وهم من لا يقدر على شراء نفسه.

وقبض السلطان من مال المفاداة ثلاثمائة ألف دينار مصرية، سوى ما أخذه الأمراء، وما حصلت فيه الخيانة.

والتحق من كان بالقدس من الفرنج بصور، وتسامع المسلمون بفتح بيت المقدس، فأتوه رجالا وركابنا من كل جهة لزيارته، حتى كان من الجمع ما لا ينحصر، فأقيمت فيه الجمعة يوم الرابع من شعبان، وخطب القاضى محيى الدين بن الزاكي بالسواد خطبة بليغة، دعا فيها للخليفة الناصر والسلطان صلاح الدين، وانتصب بعد الصلاة زين

(١) بيت جبريل: لغة فى جبرين: بليدة بين بيت المقدس وغزة، وبينه وبين القدس مرحلتان وبين غزة أقل من ذلك، وكانت فيه قلعة حصينة خربها صلاح الدين لما استنقذ من الإفرنج وبين بيت جبرين وعسقلان واد يزعمون أنه وادى النمل التى خاطت سليمان بن داود وعليه السلام. انظر معجم البلدان.

الدين بن نجح، فوعظ الناس. وأمر السلطان بترميم المحراب العمري القديم، وحمل منير مليح من حلب، ونصب بالمسجد الأقصى، وأزيل ما هناك من آثار النصرانية، وغسلت الصخرة بعدة أحمال ماء ورد، وبخرت وفرشت، ورتب في المسجد من يقوم بوظائفه، وجعلت به مدرسة للفقهاء الشافعية، وغلقت كنيسة قمامة، ثم فتحت، وقرر على من يرد إليها من الفرنج قطيعة يؤديها. وخرجت البشائر إلى الخليفة بالفتح، وإلى سائر الأطراف. ورحل السلطان عن القدس لخمس بقين من شعبان يريد عكا، وسار العزيز عثمان إلى مصر فكان آخر العهد به. وسار العادل مع السلطان، فنزلا على عكا أول شهر رمضان، ثم رحل السلطان منها، ونزل على صور في تاسعه، وكانت حصينة، وقد استعد الفرنج فيها، فتلاحقت العساكر بالسلطان، ونصب على صور عدة من المجانيق وحاصرها، واستدعى السلطان الأسطول من مصر، فقدم عليه عشر شوانى، وصار القتال في البر والبحر فأخذ الفرنج خمس شوانى ووردت مكاتبة الخليفة على السلطان، وفيها غلظة وإنكار أمور، فأجاب بالاعتذار، ورحل عن صور في آخر شوال. وعادت العساكر إلى بلادها، وأقام السلطان بعكا، وسار العادل إلى مصر، فطرق الفرنج قلعة كوكب، وقتلوا بها جماعة من المسلمين، ونهبوا ما كان بها، وأتته على عكا رسل الملوك بالتهنئة من الروم والعراق وخراسان بفتح بيت المقدس.

وفي هذه السنة: - أعنى سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة - اجتمع الشمس والقمر والمريخ والزهرة وعطارد والمشتري وزحل وأظفار الذئب، في برج الميزان، أربع عشرة ساعة، فاجتمع المنجمون كلهم، وحكموا بكون طوفان الرياح، وأنه كائن وواقع ولا بد، فتنقلب الأرض من أولها إلى آخرها، وأنه لا يبقى من الحيوان شيء إلا مات، ولا شجرة ولا جدار إلا سقط. وكان معظم هذه الحكومة عن بلاد الروم، وأرجفوا بأنها هي القيامة، فاتخذ قوم الكهوف والمغائر في الجبال، وبالغوا في الاعتداد لهول ذلك اليوم. وقال القوم: «كتب القدماء كلها أحالت على هذا الاجتماع، وإن فيه دمار الدنيا». وكان ذلك في مسرى، وفي جمادى الآخرة للسابع والعشرين منه، وهو يوم الثلاثاء مع ليلة الأربعاء إلى يوم الأربعاء. فلم تهب ريح، ولا تحرك نيل مصر، وهو في زيادته في مسرى، ومن العادة أن تهب الرياح من العصر إلى العشاء في وجه الماء، ليقف بإذن الله، فتكون فيه الأمواج، فلم يحدث تلك الليلة، ولا ثانی يوم ولا قبلها بيوم شيء من ذلك، وطلع الناس بالسرج الموقدة على السطوحات لاختبار الهواء، فلم تتحرك نار ألبتة. وكان أشد الناس إرجافا بهذه الكواكب الروم، فأكذبهم الله، وسلط عليهم السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف، فأخذ كبارهم، وملاً الأرض من

٢١٢ سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة

الأسرى شرقا وغربا، وأخذ القدس، وأصاب جماعة ممن كان يرحف بهذه الرياح آفات، ما بين موت بعضهم واعتلال بعضهم.

وفيهما خرج فى سادس عشر جمادى الآخرة قفل شامى إلى مصر، وهو أول قفل سلك بلاد الساحل، بلا حق يدفعه ولا مكس يؤديه.

وفيهما سار قراقوش التقوى، واستولى على القيروان، وحاربه ابن عبد المؤمن سلطان المغرب على ظاهر تونس فانكسر منه، وأقيمت الخطبة فى ربيع الأول بتلك البلاد للسلطان صلاح الدين. فجمع ابن عبد المؤمن، وواقع قراقوش وهزمه، ففر قراقوش فى البرية.

وفيهما أمر السلطان بأن تبطل النقود التى وقع الاختلاف فيها وتضرر العامة بها، وأن يكون ما يضرب من الدينانير ذهباً مصرياً، ومن الدراهم الفضة الخالصة، وأبطل الدراهم السود لاستئقال الناس الميزان، فسر الناس ذلك.

* * *

سنة أربع وثمانين وخمسمائة^(١)

فيها نازل السلطان حصن كوكب أياما، ولم ينل منها شيئا، فأقام الأمير صارم الدين قايماز النجمي في خمسمائة فارس عليها، ووكل بصفد الأمير طغرل الخازندار في خمسمائة فارس، وبعث إلى الكرك والشوبك الأمير سعد الدين كمشبه الأسدي، واستدعى الأمير بهاء الدين قراقوش الأسدي من مصر، فاستخلف على عمارة سور القاهرة، وقدم والسلطان على كوكب، فندبه لعمارة عكا، فشرع في تجديد سورها وتعلية أبراجها، بمن قدم به معه من مصر من الأسرى والأبقار والآلات والدواب، وسار السلطان يريد دمشق، فدخلها سادس ربيع الأول، وقد غاب عنها سنة وشهرين وخمسة أيام، كسر فيها الفرنج، وفتح بيت المقدس، فلازم الجلوس في دار العدل بمحضرة القضاة، وكتب إلى الجهات باستدعاء الأجناد للجهاد، وخرج بعد خمسة أيام على بعلبك، فوفاه عماد الدين زنكي بن مودود صاحب سنجار على أعمال حمص، فنزلا على بحيرة قدس. وبعث السلطان ابنه الظاهر وابن أخيه المظفر صاحب حماة لحفظ طريق أنطاكية، وسار أول ربيع الآخر وشن الغارات على صافيتا وتلك الحصون المجاورة. وسار في رابع جمادى الأولى على تعبئة لقاء العدو، فأخذ أنطرسوس، واستولى على ما بها من المغنم، وخرّب سورها وبيعتها، وكانت من أعظم البيع، ووضع النار في البلد فأحرق جميعه، وسار يريد جبلة، فنازها لاثنتي عشرة بقية منه، وتسلمها بغير حرب، ثم أخذ اللاذقية^(٢) بعد قتال، وغنم الناس منها غنيمة عظيمة. وسار إلى صهيون^(٣)، فقاتل أهلها إلى أن ملكها في ثاني جمادى الآخرة، واستولى على قلعتي الشجر وبكاس وعدة حصون، وأسر من فيها، وغنم شيئا كثيرا.

فلما فتح بغراس^(٤) بعث الإبرنس ملك أنطاكية يسأل الصلح، فأجيب إلى ذلك، على

(١) سنة ٥٨٤ هـ. انظر أحداث تلك السنة في النجوم الزاهرة ٣٥ . ٦/٣٨٠ ، ٩٧ - ٦/٩٩ ، الكامل ١٢/٥ وما بعدها، تاريخ ابن الوردي ٢/١٤٢ وما بعدها .

(٢) اللاذقية: بالذال معجمة مكسورة، وقاف مكسورة، وياء مشددة: مدينة في ساحل بحر الشام تعد في أعمال حمص وهي غربي جبلة بينها وبين حيلة ستة فراسخ. انظر معجم البلدان ٥/٥ .

(٣) صهيون: موضع معروف ببيت المقدس: محلة فيها كنيسة صهيون وصهيون أيضا حصن من أعمال سواحل بحر الشام من أعمال حمص انظر معجم البلدان ٤٣٦/٣ .

(٤) بغراس: بالسين مكان الراء مدينة في لحف. جبل اللكام بينها وبين أنطاكية أربعة فراسخ على يمين القاصد إلى أنطاكية من حلب في البلاد المطلة على نواحي طرسوس. انظر معجم البلدان .

شريطة أن يطلق من عنده من الأسارى المسلمين، وهم ألف إنسان، وعاد صاحب سنجار إلى بلده، وسار السلطان إلى حلب، فأقام بها ثم سار عنها، ودخل إلى دمشق فى آخر شعبان وما زال كمشبه محاصرا للكرك حتى تسلم قلعتها، ومعها الشوبك والسلع، وعدة حصون هناك، فى رمضان. فلما وردت البشرى بذلك على السلطان سار من دمشق، ونازل صفد حتى ملك قلعتها بالأمان فى رابع عشر شوال ولحق من كان فيها من الفرنج بصور ثم سار إلى كوكب^(١) وضايقها حتى تسلمها، فى نصف ذى القعدة بأمان، وأرسل أهلها إلى صور. فكثرت بها جموع الفرنج، وكاتبوا إفرنج صقلية والأندلس، وكتب السلطان إلى الخليفة الناصر بنجر هذه الفتوح، ورحل فنزل فى صحراء بيسان.

وفىها ثار بالقاهرة اثنا عشر رجلا من الشيعة فى الليل، نادوا: «يال على.. يال على». وسلخوا الدروب وهم ينادون كذلك، ظنا منهم أن رعية البلد يلبون دعوتهم، ويقومون فى إعادة الدولة الفاطمية، فيخرجون من فى الحبوس، ويملكون البلد. فلما لم يجيبهم أحد تفرقوا.

وسار السلطان إلى القدس، فحل به فى ثامن ذى الحجة، وسار بعد النحر إلى عسقلان، وجهز أخاه العادل إلى مصر لمعاوضة الملك العزيز، وعوضه بالكرك عن عسقلان، وكان قد وهبها له، ثم نزل بعكا.

* * *

(١) كوكب: اسم قلعة على الجبل المطل على مدينة طرية حصينة رصينة تشرف على الأردن
افتتحها صلاح الدين فيما افتتحه من البلاد ثم خربت بعد. انظر معجم البلدان ٤٩٤/٤.

سنة خمس وثمانين وخمسمائة^(١)

ودخلت سنة خمس وثمانين: فسار السلطان عن عكا، ودخل دمشق أول صفر، فورد عليه في ثانی عشره ضیاء الدین عبد الوهاب بن سکینه، رسول الخلیفة الناصر، بالخطبة لابنه ولی العهد، عدة الدنیا والدین أبی نصر محمد، فأقیمت له. وجهاز الرسول، ومعه ضیاء الدین القاسم بن یحیی الشهرزوری، وبعث معه بهدایا وتحف وأسارى من الفرنج للخلیفة، ومعهم تاج ملک الفرنج والصلیب الذی کان فوق صخرة بیت المقدس، وأشیاء كثيرة. فدفن الصلیب تحت عتبة باب النوبی ببغداد ویدس علیه، وکان من نحاس مطلی بالذهب.

وخرج السلطان من دمشق فی ثالث ربیع الأول ونازل شقیف أرنون^(٢) وهو منزعج، لانقضاء الهدنة مع صاحب أنطاکیة، ولاجتماع الفرنج بصور، واتصال الأمداد بهم. فكانت للمسلمین مع الفرنج فی بلادهم الساحلیة عدة وقائع، قتل فیها من الفریقین عدة، وكثر القتل فی المسلمین، واشتدت نكایة الفرنج فیهم، فرحل السلطان إلى عكا، وقد سبقه الفرنج ونزلوا علیها. ونزل السلطان بمرج عكا وصار محاصرا للفرنج، والفرنج محاصرين للبلد. وتلاحقت به العساكر الإسلامیة، والأمداد تصل إلى الفرنج من البحر. فلم یقدر السلطان علی الوصول إلى البلد، ولا استطاع أهل عكا أن یصلوا إلى السلطان. وشرع السلطان فی قتال الفرنج من أول شعبان، إلى أن تمكن من عكا، ودخلها فی ثانیه، فما زالت الحرب قائمة إلى رابع رمضان. فتحول إلى الخروبة^(٣)، وأغلق من فی عكا من المسلمین أبوابها، وحفر الفرنج خندقا علی معسكرهم حول عكا من البحر إلى البحر، وأداروا حولهم سورا مستورا بالستائر، ورتبوا علیه الرجال، فامتنع وصول المسلمین إلى عكا.

وقدم العادل بعسكر مصر فی نصف شوال، وقدم الأسطول من مصر إلى عكا فی

(١) سنة ٥٨٥ هـ . انظر أحداث تلك السنة فی النجوم الزاهرة ٣٩، ٤٠/٦٩٩ - ١٠١/٦٠٦، الكامل ١٢/٢٧ وما بعدها، تاریخ ابن الوردی ٢/١٤٤.

(٢) شقیف أرنون: بفتح أوله، وكسر ثانیه ثم یاء مثناة من تحت، وفاء، وبعد الراء الساكنة نون ثم واوساكنة، ونون أخرى، وهو قلعة حصينة جدا فی كهف من الجبل قرب بانیاس من أرض دمشق بینها وین الساحل. انظر معجم البلدان ٣/٣٥٦.

(٣) الخروبة: حصن بسواحل بحر الشام مشرف علی عكا. انظر معجم البلدان ٢/٣٦٢.

خمسين قطعة، وعليه الحاجب لؤلؤ في منتصف ذى القعدة، فبدد شمل مراكب الفرنج، وظفر بيطستين للفرنج. فاستظهر المسلمون الذين بعكا، وقوى جأشهم بالأسطول، وكانوا نحو العشرة آلاف.

وبعث السلطان إلى الأطراف يحث الناس على الجهاد، وأرسل إلى أخيه سيف الإسلام طغتكين باليمن، يطلب منه الإعانة بالمال، وإلى مظفر الدين قر أرسلان صاحب العجم، وكتب إلى الخليفة. ووصلت الأمداد إلى الفرنج، وورد الخبر من حلب بخروج ملك الألمان من القسطنطينية، في عدة عظيمة تتجاوز الألف ألف، يريدون البلاد الإسلامية، فاشتد الأمر على السلطان ومن معه من المسلمين.

وتوفى في هذه السنة حسام الدين سنقر الخلاطى ليلة الإثنين سابع عشرى رجب، والأمير حسام الدين طمان يوم الأربعاء ثالث عشر شعبان، والأمير عز الدين موسك ابن جكو في شعبان، وهو ابن خال السلطان صلاح الدين.

ومات شرف الدين أبو سعد عبد الله بن أبى عصرون بدمشق، يوم الثلاثاء حادى عشر رمضان، ومولده أول سنة اثنتين وتسعين وأربعمائة.

ومات ضياء الدين عيسى الهكارى، يوم الثلاثاء تاسع ذى القعدة بمنزلة الخروبة.

* * *

سنة ست وثمانين وخمسمائة^(١)

ودخلت سنة ست وثمانين والسلطان بالخروبة على حصار الفرنج، وقدمت عساكر المسلمين من الشرق ومن بقية البلاد، فرحل من الخروبة لاثنتي عشرة بقية من ربيع الأول إلى تل كيسان^(٢) وتتابع مجيء العساكر. وكملت أبراج الفرنج الثلاثة، التي بنوها تجاه عكا في مدة سبعة أشهر، حتى علت على البلد، وامتألت بالعدد والعدة، وطموا كثيرا من الخندق، وضايقوا البلد. واشتد خوف المسلمين، واشتدت الحرب بين الفريقين، حتى احترقت الأبراج الثلاثة، وخرج أهل عكا منها، فنظفوا الخندق، وسدوا الثغر، وغنموا ما كان في الأبراج من الحديد، فتقووا به.

وكان بين أسطول المصريين وبين مراكب الفرنج عدة معارك، قتل فيها كثير من الفرنج. ودخل ملك الألمان بيجوشه إلى حدود بلاد الإسلام، وقد فنى منهم كثير، فواقعهم الملك عز الدين قلعج بن أرسلان السلجوقي، فانكسر منهم، فلاحق به الفرنج إلى قونية^(٣) وهاجموها، وأحرقوا أسواقها، وساروا إلى طرسوس^(٤) يريدون بيت المقدس، واسترجاع ما أخذ منهم السلطان من البلاد والحصون، فمات بها ملكهم. وقام من بعده ابنه، فسار إلى أنطاكية. وندب السلطان كثيرا ممن كان معه على حرب

(١) سنة ٥٨٦ هـ. انظر أحداث تلك السنة في النجوم الزاهرة ١٠١، ١٠٢، ٦/١٠٢، الكامل ١٢/٤٤ وما بعدها، تاريخ الوردى ٢/١٤٦.

(٢) تل كيسان: الكاف مفتوحة، وياء ساكنة موضع في مرج عكا من سواحل الشام.

(٣) قونية: سبق ترجمتها. انظر الروض المعطار ٤٨٤، ومعجم البلدان ٤/٤١٥، ونزهة المشتاق ٢٦١.

(٤) طرسوس: مدينة بالشام حصينة، عليها سوران بينهما فصيل وخندق، ويجرى الماء حوالها. وفي سنة سبعين ومائة بنى سور طرسوس على يد مسلم فرج الخصى التركي، وجهه مولاه هارون الرشيد لذلك، وأنزلها الناس عام ولى الخلافة، في جيش كثيف وعسكر ضخم إلى الثغور، وأمره أن يبني مدينة طرسوس في المرج الذي في سفح الجبل، ولم يكن هناك بناء قط، وأن يجعل النهر يشق وسطها، فابتداء بنائها في جمادى سنة سبعين ومائة، فأكمل بناؤها في سنة اثنتين وسبعين ومائة، فلما نزل الرشيد طرسوس أفرد الثغور من الجزيرة والشام، وسمى الثغور الشامية والثغور الجزرية، ونهرها يأتي من جبل الروم حتى يشق وسطها، وطرسوس مدينة كبيرة كثيرة المتاجر، والعمارة والخصب الزائد، وبينها وبين البحر اثنا عشر ميلاً. انظر الروض المعطار ٣٨٨، ٣٨٩، ومعجم البلدان ٤/٢٨، وصبح الأعشى ١٣٣/٤. انظر معجم البلدان ٢/٤٣.

عكا إلى جهة أنطاكية، ووقع فيمن بقي معه مرض كثير، وأمر بتخريب سور طبرية ويافا وأرسوف^(١) وقيسارية وصيدا وجبيل فحرب ذلك، ونقل من كان فيها إلى بيروت وطمع الفرنج في السلطان لقلعة من بقي معه، فركبوا لخربه ونهبوا وطاق الملك العادل. وكانت للمسلمين معهم حرب، انكسر فيها الفرنج إلى خيامهم، وقتل منهم آلاف، فوهت قواهم. غير أن المدد أتاهم، ونصبوا المجانيق على عكا، فتحول السلطان إلى الخروبة، فوافى كتاب ملك الروم بقسطنطينية، يخبر بوصول المنير من عند السلطان، وكذلك الخطيب والمؤذنين والقراء، وأن الخطبة أقيمت بالجامع القديم بالقسطنطينية للخليفة الناصر لدين الله.

وسار ابن ملك الألمان عن أنطاكية إلى طرابلس في جيوشه، وركب منها البحر إلى عكا، فوصل إليها سادس رمضان، فأقام عليها إلى أن هلك ثانی عشر ذی الحجة، بعدما حارب المسلمين فلم ينل منهم كبير غرض. ودخل الشتاء وقد طالت مدة البيكار، وضجرت العساكر من كثرة القتال، فرحل صاحب سنجار وصاحب الجزيرة وصاحب الموصل.

وفيهما تولى سيف الدولة أبو الميمون مبارك بن كامل بن منقذ^(٢) شد الدواوين بديار مصر، وياشر الأسعد بن مماتي^(٣) معه الديوان في محرم.

* * *

(١) أرسوف بالفتح ثم السكون وضم السين المهملة وسكون الواو وفاء: مدينة على ساحل بحر الشام بين قيسارية ويافا. انظر معجم البلدان.

(٢) سيف الدولة بن منقذ (٥٢٦ - ٥٨٩ هـ - ١٣٢ - ١١٩٣ م). المبارك بن كامل بن على ابن مقلد بن نصر بن منقذ الكنانى، أبو الميمون، سيف الدولة، مجد الدين من أمراء الدولة الصلاحية بمصر، ومن بيت كبير ولد بقلعة شيزر وذهب مع تورانشاه إلى اليمن، وناب عنه فى زيد سنة ٦٦٩ هـ ثم فارقها، وأتاب عنه أخاه اسمعيل حطان، وذهب إلى دمشق، ومنها إلى مصر، مع تورانشاه. انظر وفيات الأعيان ١/٤٤١، الروضتين ٢/٢٥، النجوم الزاهرة ٦/٨٩. الأعلام ٢٧١/٥.

(٣) ابن مماتي (٥٤٤ - ٦٠٦ هـ - ١١٤٩ - ١٢٠٩ م). أسعد (أبو المكارم) بن مهذب (الملقب بالخطير أبى سعيد) بن مينا بن زكريا، بن مماتي؛ وزير أديب. كان ناظر الدواوين فى الديار المصرية. ومولده بمصر ووفاته بحلب. وكان نصرانيا، فأسلم هو وجماعته فى ابتداء الدولة الصلاحية. انظر معجم البلدان ٢/٢٤٤، وفيات الأعيان ١/٦٨، قوانين الدواوين مقدمته، أداب اللغة ٣/١٠٩، إنباء الرواة ١/٢٣١، جريدة القصر: قسم شعراء مصر ١٠٠، النجوم الزاهرة ٦/١٧٨، كشف الظنون ١٢١٥، مرآة الجنان ٤/١٣، الشذرات ٥/٢٠، حسن المحاضرة ١/٣٢٥. الأعلام ٣٠٢/١.

سنة سبع وثمانين وخمسمائة (١)

ودخلت سنة سبع وثمانين: فسار الظاهر صاحب حلب إليها، وسار المظفر إلى حماة. وبقي السلطان في جمع قليل، والحرب بين أهل عكا وأميرهم بهاء الدين قراقوش وبين الفرنج. ودخل فصل الربيع، فوافقت العساكر السلطان، ووصل إلى الفرنج مددهم، فضايقوا عكا وجدوا في حصارها، ونصبوا عليها الجحانيق. وتوالت الحروب إلى أن ملكها الفرنج، يوم الجمعة سابع عشر جمادى الآخرة، وأسروا من فيها من المسلمين وكانوا ألفوا. وخرجوا يريدون الحرب، فواقعهم السلطان وكسرهم، ووقع كلامه في الصلح وإطلاق الأسرى ولم يتم.

فلما كان في سابع عشر رجب برز الفرنج بخيامهم، وأحضروا أسارى المسلمين، وحملوا عليهم حملة واحدة قتلوا فيها بأجمعهم في سبيل الله صبرا، واليزك الإسلامى ينظر إليهم. فحمل المسلمون عليهم، وجرت بينهما حرب شديدة، قتل فيها عدة من الفريقين.

ولما أهل شعبان: سار الفرنج إلى عسقلان، ورحل السلطان في أثرهم، وواقعهم في رابع عشره بأرسوف، فانهزم المسلمون، وثبت السلطان إلى أن اجتمع عليه المسلمون، وعاد إلى القتال، حتى التجأ الفرنج إلى جدران أرسوف.

ورحل السلطان في تاسع عشره، ونزل على عسقلان يريد تخريبها، لعجزه عن حفظها، ففرق أبراجها على الأمراء، ووقع الضجيج والبكاء في الناس أسفا وغما لخرابها، وكانت من أحسن البلاد بناء، وأحكمها أسوارا، وأطيبها سكنا، فلم يزل التخريب والحريق فيها إلى سلخ شعبان.

قال الحافظ عبد العظيم المنذرى في المعجم المترجم: «سمعت الأمير الأجل أياز بن عبد الله - يعنى أبا المنصور البانياسى الناصرى - يقول: لما هدمنا عسقلان أعطيت أنا برج الداوية، وهدم خطلج برجا وجدنا عليه مكتوبا عمر على يدى خطلج، وهذا من عجيب الاتفاق. وشبيه بذلك ما أخبرنى به القاضى الأجل أبو الحسن على بن يحيى الكاتب قال: رأيت بعسقلان برج الدم، وخطلج المعزى يهدمه يعنى فى شعبان.

(١) سنة ٥٨٧ هـ . انظر أحداث تلك السنة فى النجوم الزاهرة ٤١ - ٤٣/٦، ١٠٢ - ١٠٥/٦، الكامل ١٢/٦٠ وما بعدها ، تاريخ ابن الوردى ٢/١٤٧ وما بعدها

٢٢٠ سنة سبع وثمانين وحمسمائة

ورأيت عليه مكتوبا: مما أمر بعمارته السيد الأجل أمير الجيوش^(١) - يعني بدرا الجمالى - على يد عبده ووليه خطلج فى شعبان فعجبت من هذا الاتفاق، كيف عمر فى شعبان على يد خطلج، وهدم فى شعبان على يد خطلج.

ثم رحل السلطان عن عسقلان وقد خربت فى ثانى رمضان، ونزل على الرملة فحرب حصنها، وهدم كنيسة لُدّ، وركب إلى القدس جريدة، ثم عاد وهدم حصن النطرون.

وكانت بين المسلمين والفرنج عدة وقائع فى البر والبحر، فعاد السلطان إلى القدس فى آخر ذى القعدة. وقدم أبو الهيجاء السمين بعسكر مصر، ووقع الاهتمام فى عمارة سور بيت المقدس وحفر الخندق.

وفىها مات علم الدين سليمان بن جندر^(٢) فى آخر ذى الحجة.

ومات الملك المظفر تقي الدين عمر بن نور الدولة شاهنشاه بن أيوب بن شادى صاحب حماة، وهو الذى أوقف منازل المعز بمصر مدرسة، فى ليلة الجمعة تاسع رمضان، ودفن بحماة.

ومات نجم الدين محمد بن الموفق بن سعيد بن على بن حسن بن عبد الله الخبوشانى^(٣) الفقيه الشافعى الصوفى، يوم الأربعاء ثانى عشرى ذى القعدة، ودفن بالقرافة.

(١) بدر الجمالى (أمير الجيوش) (٤٠٥ - ٤٨٧ هـ - ١٠١٤ - ١٠٩٤ م). بدر بن عبد الله الجمالى، أبو النجم: أمير الجيوش المصرية، ووالد الملك الأفضل شاهنشاه. أصله من أرمينية اشتراه جمال الدولة بن عمارة غلاما، فتربى عنده، ونسب إليه، وتقدم فى الخدمة حتى ولى إمارة دمشق للمستنصر صاحب مصر (سنة ٤٥٥ هـ). ثم استدعاه إلى مصر واستعان به على إطفاء فتنة نشبت، فوطد له أركان الدولة، فقلده وزارة السيف والقلم وأصبح الحاكم فى دولة المستنصر والمرجوع إليه وكان حازما شديدا على المتمردين وافر الحرمة. توفى فى القاهرة. انظر بن الأثير ١٠: ٨١ والنجوم الزاهرة ٥: ١٤١ وما قبلها. وفى شذرات الذهب ٣: ٣٨٣. انظر الأعلام ص ٢/١٣.

(٢) ابن جندر (٥٨٧ هـ - ١١٩٢ م). سليمان بن جندر، علم الدين: أمير من رجال الدولة الصلاحية فى بلاد الشام كان من أكابر أمراء حلب، وعهد السلطان صلاح الدين بالقدس، حتى صار شيخ الدولة وكبيرها وظهيرها ومشيرها وهو الذى أشار بتخريب عسقلان لتتوفر العناية بالقدس. توفى فى قرية عباغب على مرحلة من دمشق، فى طريق من القدس إلى حلب. انظر الروضتين ١٩٥/٢، النجوم لزاهرة ١١٣/٦. الأعلام ٣/١٢٢.

(٣) نجم الدين الخبوشانى (٥١٠ - ٥٨٧ هـ - ١١١٦ - ١١٩١ م). محمد بن الموفق بن سعيد ابن على، أبو البركات نجم الدين الخبوشانى: فقيه شافعى، نسبته إلى خبوشان من نواحي نيسابور، ومولده بقرها، انتقل إلى مصر، وحظى عند السلطان صلاح الدين، وصنف تحقيق المحيط فى الفقه. انظر ابن خلكان ٤٧١/١، اللباب ٣٤٤/١، لب اللباب ٨٨، معجم البلدان ٣/٣٩٨، خطط مبارك ٢٨/٥، مفتاح السعادة ٢/٢١٠. الأعلام ٧/١٢٠.

وفيها سلم أمر الأسطول بمصر للملك العادل، فاستخدم فيه من قبله، وأفرد برسمه الزكاة بمصر والحبس الجيوشى بالبرين والنطرون والخراج وما معه من ثمن القرض وساحل السنط والمراكب الديوانية وإشنين^(١) وطنبذة^(٢) فاستتاب العادل فى مباشرة ذلك، واستخدم فى ديوان الأسطول صفى الدين عبد الله بن على بن شكر. وأحيل الورثة الجيوشية على غير الحبس الذى لهم.

وعظمت زيادة النيل وغرق النواحي، وكثر رخاء الأسعار بمصر، فأبيع القمح كل مائة أردب بثلاثين ديناراً، والخبز البائت ستة أرتال بربع درهم، والرطب الأمهات ستة أرتال بدرهم، والموز ستة أرتال بدرهم، والرمان الجيد مائة حبة بدرهم، وحمل الخيار بدرهمين، والتين ثمانية أرتال بدرهم، والعنب ستة أرتال بدرهم فى شهر بابه بعد انقضاء موسم المعهود بشهرين، والياسمين خمسة أرتال بدرهم، وثمر الحناء عشرة أرتال بدرهم، والبسر الجيد عشرة أرتال بدرهم، وما دونه خمسة عشر رطلا بدرهم. وكثر بمصر والقاهرة التجاهر بمعاصى الله، وظفر الأسطول بمركب فيه اثنتان وعشرون ألف جينة، كل جينة قدر الرحى لا يقلها الراجل. وحصلت بمصر زلزلة، وهبت سموم حارة فيها إعصار ثلاثة أيام، أتلفت الخضروات التى فضلت من الغرق. وانشقت زريبة جامع المقس لقوة الزيادة، وخيف على الجامع أن يسقط، فأمر بعمارتها.

* * *

(١) إشنين بالشين و التون وياء ساكنة ونون أخرى والعامة تقول إشنى قرية بالصعيد إلى جنب طنبدى على غربى للنيل وتسمى هذه وطنبذى العروسين لحسنهما وخصبهما وهما من كورة البهنسى. انظر معجم البلدان

(٢) طنبذة: ثانيه ساكن، والباء مفتوحة موحدة، وآخره ذال معجمة قرية من أعمال بهنسا من صعيد مصر. انظر معجم البلدان ٣/٤٢.

سنة ثمان وثمانين وخمسمائة^(١)

وأهلت سنة ثمان وثمانين: والسلطان بالقدس مجتهد في عمارته.

وفي ثالث المحرم: نزل الفرنج على ظاهر عسقلان، لقصد عمارتها فما مكنوا، وواقعهم جماعة من الأسدية منهم يازكج وغيره، وتوالت الوقائع بينهم.

وفي صفر: سار الملك الأفضل نور الدين على بن السلطان إلى البلاد الشرقية، على ما كان بيد الملك المظفر تقي الدين عمر من البلاد التي هي قاطع الفرات، وأطلق له السلطان عشرين ألف دينار سوى الخلع والتشريفات. ثم نزل الملك العادل أبو بكر عن كل ماله في الشام، ما خلا الكرك والشوبك والصلت والبلقاء ونصف خاصة بديار مصر، وعض البلاد الشرقية.

وسار السلطان من القدس في أوائل جمادى الأولى، وكتب بعود الملك الأفضل، فعاد منكسر القلب إلى السلطان. ولحق العادل بجران والرها وقرر أمرهما، ثم عاد إلى السلطان في آخر جمادى الآخرة.

وفي جمادى الآخرة: ملك الفرنج قلعة الداروم، وخرج العسكر المصري يريدون السلطان، فكبسهم الفرنج وأخذوا جميع ما معهم، وتبدد الناس في البرية. وأسر الفرنج منهم خمسمائة رجل، وأخذوا نحو ثلاثة آلاف جمل، وعادوا إلى خيمهم وقد طمعوا، فقصدوا المسير إلى القدس، ثم اختلفوا ونزلوا بالرملة، وبعثوا رسلهم في طلب الصلح، فبرز السلطان من القدس في عاشر رجب، وسار إلى يافا فحاصرها، ولم يزل يقاتل من فيها من الفرنج إلى أن أخذ البلد عنوة، وغنم الناس منها شيئا عظيما. وتسلم السلطان القلعة، وأخرج من كان فيها من الفرنج، فقدم من الفرنج نجدة كبيرة في خمسين مركبا، فغدر أهل يافا بجماعة من المسلمين، وعاد القتال والمراكب في البحر لم تصل إلى البر، فسارع أهل المراكب إلى البر، وحملوا على السلطان، فرحل إلى يازور^(٢) وأمر بتخريبها، وسار إلى الرملة ومنها إلى القدس، وعزم على لقاء الفرنج، فاختلف عليه أصحابه، وأسمعه بعضهم كلاما جافيا، فانثنى عن ذلك. وقدم عسكر مصر فخرج إلى

(١) سنة ٥٨٨ هـ. انظر أحداث تلك السنة في النجوم الزاهرة ٤٤ - ٦/٤٦، ١٠٦ -

٦/١٠٩ الكامل ١٢/٧٨ وما بعدها، تاريخ ابن الوردي ٢/١٥٠ وما بعدها.

(٢) يازور: بالزاي، والواو ساكنة ثم راء: بليدة بسواحل الرملة من أعمال فلسطين بالشام. انظر

معجم البلدان ٥/٤٢٥.

الرملة، ووقع الصلح بين السلطان والفرنج لثمان بقين من شعبان. وعقدت هدنة عامة في الير والبحر مدة ثلاث سنين وثلاثة أشهر وأولها حادى عشر شعبان - وهو أول شهر أيلول - على أن يكون للفرنج من يافا إلى عكا إلى صور وطرابلس وأنطاكية. ونودى في الوطاقات وأسواق العسكر: ألا إن الصلح قد انتظم، فمن شاء من بلادهم يدخل بلادنا فليفعل، ومن شاء من بلادنا يدخل بلادهم فليفعل. وكان يوم الصلح يوما مشهودا، عم فيه الطائفتين الفرح والسرور، لما نالهم من طول الحرب. فاختلفت عسكر الفرنج بعسكر المسلمين، ورحل جماعة من المسلمين إلى يافا للتجارة، ودخل خلق عظيم من الفرنج إلى القدس بسبب الزيارة، فأكرمهم السلطان ومد لهم الأطعمة وباسطهم. ورحل ملوك الفرنج إلى ناحية عكا، ورحل السلطان إلى القدس، وسار منها إلى دمشق، فلقية الأمير بهاء الدين قراقوش - وقد تخلص من الأسر - على طبرية.

ودخل السلطان إلى دمشق، لخمس بقين من شوال، فكانت غيبته عنها أربع سنين. وأذن للعساكر فى التفرق إلى بلادهم فساروا إليها، وبقي عند السلطان ابنه الأفضل على والقاضى الفاضل.

وفيه انتقل سعر الفول بديار مصر من خمسة عشر دينارا إلى ثلاثين دينارا المائة أردب، بحكم أن المشتري لعلوفة الوسية العاديةية خمسون ألف أردب.

وفيه عثر على رجل اسمه عبد الأحد، من أولاد حسن ابن الخليفة الفاطمى الحافظ لدين الله، وأحضر إلى الملك العزيز بالقاهرة، فقيل له: «أنت تدعى أنك الخليفة؟» قال: «نعم». فقيل له: «أين كنت فى هذه المدة؟» فذكر أن أمه أخرجته من القصر فتاه، ووصل إلى طنبة فاختنى بها، ثم خرج إلى مصر، فأواه رجل وشرع يتحدث له فى الخلافة، وأنه وقع بعدة بلاد وأقطع أناسا ممن بايعه، فسجن. وعثر على بعض أقارب الوزير شاور، وقد ثار بالقاهرة، فسجن هو وجماعته.

وفيه انعقد ارتفاع الديوان الخاص السلطانى على ثلاثمائة ألف وأربعة وخمسين ألف دينار وأربعمائة وأربعة وأربعين دينارا.

ومات فيها جمال الملك موسى بن المأمون البطائحي جامع السيرة المأمونية - وهو بقية بيته - فى سادس عشر جمادى الأولى بالقاهرة.

وفيه وقع الشروع فى حفر الخندق من باب الفتوح إلى المقس.

وكتب بنقل جماعة من أتباع الدولة الفاطمية المحبوسين فى الإيوان ودار المظفر ليلا،

بحيث لا يشعر بهم أحد، حتى يوصلهم المكلف بذلك إلى صرخد.

وفيهما كتب بإخلاء مدينة تيس، ونقل أهلها إلى دمياط، وقطع أشجار بساتين دمياط وإخراج النساء منها. فخلت تيس إلا من المقاتلة، وحفر خندق دمياط^(١) وعمل جسر عند سلسلة البرج بها.

وفيهما كثرت الأراجيف بالقاهرة ومصر، وعظمت الشناعات، وارتفعت الأسعار. وفيها ورد الخبر في كتاب من اليمن بأن ثلاثة أنهار بالحبيشة تغيرت بعدما كانت عذبة، فصار أحدها أجاجا، والآخر لبنا، والآخر دما.

وفيهما مات قلعج أرسلان بن مسعود بن قلعج أرسلان بن سليمان صاحب قونية، وقد تغلب عليه ابنه قطب الدين - صاحب سيواس وأقصر - وزاد في أن حجر عليه. وكان موته في شعبان، فولى قونية بعده ابنه غياث الدين كيخسرو بن قلعج أرسلان، وبقيت أخوته على ولاياتهم من عهد أبيهم، فاختلفوا، وثار عليه أخوه ركن الدين سليمان صاحب ووقاط^(٢) وملك سيواس وأقصر وقيسارية^(٣) وهي أعمال أحييه قطب الدين ثم ملك قونية من غياث الدين، ففر غياث الدين ونزل حلب.

* * *

(١) دمياط: سبق ترجمتها. انظر الروض المعطار ٢٥٧، ٢٥٨، والإدريسى ١٥٧، وابن الأثير ٣٢٠/١٢، ٣٣١، وابن خلكان ٨٠/٥، ٩٠، ٩١، ٢٥٨/٦، وخطط المقرئ ٢١٥/١ وما بعدها. ومعجم البلدان ٤٧٢/.

(٢) لعلها توقات وهي بلدة في أرض الروم بين قونيا وسيواس ذات قلعة حصينة وأبنية مكيئة. انظر معجم البلدان ٢/٥٩.

(٣) قيسارية: بالفتح ثم السكون، وسين مهملة، وبعد الألف راء ثم ياء مشددة: مدينة كبيرة عظيمة في بلاد الروم وهي كرسة ملك بني سلجوق ملوك الروم أولاد قلعج أرسلان. انظر معجم البلدان ٤/٤٢١.

سنة تسع وثمانين وخمسمائة^(١)

أهلت: والسلطان بدمشق، فخرج العادل إلى الكرك، وقدم من اليمن الملك المعز إسماعيل بن سيف الإسلام ظهير الدين طفتكين^(٢) في نصف صفر، فسربه السلطان.

فلما كانت ليلة السبت سادس عشره: نزل بالسلطان مرض، فأمر يوم السبت ولده الفضل أن يجلس على الطعام، فجلس في موضع السلطان. وتزايد به المرض إلى اليوم الحادى عشر من مرضه، فحلف الأفضل الناس، واستمر السلطان فى تزايد من المرض إلى ليلة الأربعاء سابع عشرى صفر - وهى ليلة الثانى عشر من المرض - فاحتضر ومات بعد صلاة الصبح من يوم الأربعاء المذكور. فركب الأفضل، ودار فى الأسواق، وطيب قلوب العامة.

وكان رحمه الله كثير التواضع، قريبا من الناس، كثير الاحتمال، شديد المداراة، محبا للفقهاء وأهل الدين والخير محسنا إليهم، مائلا إلى الفضائل، يستحسن الشعر الجيد ويردده فى مجلسه. ومدحه كثير من الشعراء، وانتجعوه من البلدان. وكان شديد التمسك بالشريعة، سمع الحديث من أبى الحسن على بن إبراهيم بن المسلم بن بنت أبى سعد، وأبى محمد بن برى النحوى، وأبى الفتح محمود بن أحمد الصابونى، وأبى الطاهر السلفى، وابن عوف، وجماعة غيرهم. وكان كريما: أطلق من الخيل بمرج عكا لمن معه اثنى عشر ألف رأس، سوى أثمان الخيل التى أصيبت فى الجهاد. ولم يكن له فرس يركبه إلا وهو موهوب أو موعود به، وصاحبه ملازم فى طلبه، وتأخر عنه الأمير أيوب بن كنان فى بعض سفراته لدين لزمه، فتقبل لغرمائه باثنى عشر ألف دينار مصرية. وكان ورعا، رأى يوما العماد الكاتب يكتب من دواة محلاة بالفضة فأنكرها، وقال هذا حرام، فلم يعد يكتب منها عنده. وكان لا يصلى إلا فى جماعة، وله إمام راتب ملازم، وكان يصلى قبيل الصبح ركعات إذا استيقظ، وكان يسوى فى المحاكمة بين أكبر الناس وبين

(١) سنة ٥٨٩ هـ . انظر أحداث تلك السنة فى النجوم الزاهرة ٤٧ - ٦/٥٧، ١١٩ - ٦/١٢١، الكامل ١٢/٩٥ وما بعدها، تاريخ ابن الوردى ٢/١٥٢.

(٢) المعز فتح الدين أبو الفداء (٥٩٨ هـ - ١٢٠٢ م). إسماعيل بن طفتكين بن أيوب: سلطان اليمن . خرج فى زمان أبيه عن مذهب أهل السنة فى اليمن، واتبع مذهب الإسماعيلية، فطرده أبوه، فخرج من زبيد يريد بغداد فتوفى أبوه عقب خروجه فعاد قبل أن يتعد، ودخل زبيدا فمكث يوما وخرج إلى تعز فأظهر فيها مذهبه، وقويت به الإسماعيلية. انظر تاريخ نجر عدن، بلوغ المرام ٤١ .
الأعلام ١/٣١٦.

خصمه. وكان شجاعا فى الحروب، يجر فى الصفوف وليس معه سوى صبى. وقرئ عليه جزء من الحديث بين الصفيين، وهو على ظهر فرسه، وكان ذا كرا لوقائع العرب وعجائب الدنيا، ومجلسه طاهر من المعايب، رحمه الله وغفر له.

ولما مات جلس الأفضل للعزاء، وكثر بكاء الناس عليه. وغسله الفقيه خطيب دمشق، وأخرج بعد صلاة الظهر، وصلى الناس عليه أرسالا، ودفن بداره التى مرض فيها بالقلعة، ثم نقل فى يوم عاشوراء سنة اثنتين وتسعين وحمسمائة إلى تربة بنيت له بجوار جامع بنى أمية. وكتب بوفاته إلى العزيز بمصر، وإلى العادل بالكرك. وكان عمره يوم مات نحو من سبع وخمسين سنة، منها مدة ملكه بعد موت العاضد اثنتان وعشرون سنة وأيام. وترك من الأولاد سبعة عشر ذكرا وبنتا واحدة صغيرة، ولم يخلف فى خزائنه سوى سبعة وأربعين درهما، ولم يترك دارا ولا عقارا. وكان القاضى الفاضل عبد الرحيم بن على البيسانى صاحب سره، وبمنزلة الوزير منه.

وفىها قتل طغرل بن أرسلان بن طغرل بن السلطان محمد بن ملك شاه بن ألب أرسلان بن جفرى بك داود بن ميكائيل بن سلجوق فى رابع عشرى شهر ربيع الأول، وهو آخر من ملك بلاد العجم من السلاطين السلجوقية، وابتداء دولتهم فى سنة اثنتين وثلاثين وأربعمائة، وأولهم طغرلبك بن ميكائيل بن سلجوق، فتكون مدة دولتهم مائة سنة وثمانيا وخمسين سنة.

* * *

السلطان الملك العزيز عماد الدين

أبو الفتح عثمان ابن السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب، ولد بالقاهرة فى ثامن جمادى الأولى سنة سبع وستين وحمسمائة. ومات أبوه بدمشق وهو على سلطنة ديار مصر مقيم بالقاهرة، وعنده جل العساكر والأمراء من الأسدية والصلاحية والأكراد. فلما بلغه موت أبيه جلس للعزاء وأخذ بالحزم، وقرر أمور دولته، وخلع على الأمراء وأرباب الدولة بعد انقضاء العزاء. فقام أخوه الأفضل نور الدين على بدمشق، وكتب إلى الخليفة الناصر يطالعه بوفاة أبيه، من إنشاء العماد الكاتب. وبعث بذلك مع القاضى ضياء الدين أبى الفضائل القاسم بن يحيى بن عبد الله الشهرزورى، ومعه عدد والده وملابسه وخيله، وهدية نفيسة. وسار العادل من الكرك إلى بلاد المشرق، فأقام بقلعة جعبر^(١) وبعث نوابه إلى حران والرها، واستوزر الأفضل الوزير

(١) قلعة جعبر: على الفرات مقابل صفيين التى كانت فيها الوقعة بين معاوية وأمير المؤمنين على

ضياء الدين نصر الله بن محمد بن الأثير، وفوض إليه أموره كلها، فحسن له إبعاد أمراء أبيه وأكابر أصحابه، وأن يستجد أمراء غيرهم، ففارقه جماعة منهم الأمير فخر الدين جهاركس، وفارس الدين ميمون القصرى، وشمس الدين سنقر الكبير، وكانوا عظماء الدولة، فصاروا إلى الملك العزيز بالقاهرة فأكرمهم، وولى فخر الدين أستاذه، وفوض إليه أمره، وجعل فارس الدين وشمس الدين على صيداء وأعمالها، وكان ذلك لهما، وزادهما نابلس وبلادها، وسار القاضي الفاضل أيضا من دمشق ولحق بالقاهرة، فخرج العزيز إلى لقائه وأجل قدومه وأكرمه، فشرع القوم فى تقرير قواعد ملك العزيز والأفضل فى شغل عنهم، وكانت مدينة القدس مضافة للأفضل، فكتب إلى أخيه العزيز يرغب عنها له. وكان ذلك من تدبير وزيره ابن الأثير، لأنها كانت تحتاج حيثئذ إلى أموال ورجال لمداغة الفرنج، فسر العزيز بذلك، وجهاز عشرة آلاف دينار إلى عز الدين جرديك النورى متولى القدس، لينفقها فى عسكر القدس، فخطب له به. وخشى العزيز من نقض الهدنة بينه وبين الفرنج، فبعث عسكرا إلى القدس احترازا من الفرنج. ثم بدا للأفضل أن يعود فيما رغب عنه لأخيه من القدس، ورجع عن ذلك، فتغير العزيز من هذا، وأخذ الأمراء فى الإغراء بينهما، وحسنوا للعزيز الاستبداد بالملك والقيام مقام أبيه، فبلغ ذلك الأفضل.

* * *

سنة تسعين وخمسمائة

ودخلت سنة تسعين: وقد تنافرت القلوب، وقويت الوحشة بين الأخوين، واجتمعت الأمراء الصلاحية على أن يكون الأمر كله للعزیز، فاضطربت أحوال الأفضل. وخرج العزیز من القاهرة بعساكر مصر، من الصلاحية والأسدية والأكراد وغيرهم، يريد الشام وانتزاعها من أخيه الأفضل، من أجل أمور منها أن جيبيل - وهو من جملة الفتوح الصلاحية - كان مع رجل كردى فقيه أقامه صلاح الدين مستحفظا بها، فأرغبه الفرنج بمال حتى سلمه لهم. وخرج الأفضل من دمشق ليستنقذه من الفرنج، فتعذر عليه، وظهر العجز عن استخلاصه، فامتعض الأمراء لذلك، وخوفوا العزیز من عاقبة أمر الفرنج، فسار فى صفر واستخلف أخاه الملك المؤيد نجم الدين مسعود، وترك بالقاهرة بهاء الدين قراقوش الأسدى وصيرم وسيف الدين يازكج وخطلج فى تسعمائة فارس. واتفق أن الأمير صارم الدين قايمآز نجمى - أحد أكابر الأمراء الصلاحية - استوحش من الأفضل لإعراضه عنه، فخرج من دمشق يريد إقطاعه، ولحق بالعزیز فأكرمه ورفع محله. وهم الأفضل بمراسلة أخيه العزیز واستعطافه، فمنعه من ذلك وزيره ابن الأثير وعدة من أصحابه، وحسنوا له محاربتة، فمال إليهم. وبعث إلى عمه العادل وهو بالشرق، وإلى أخيه الظاهر بجلب، وإلى المنصور بحماة، وإلى الأجد صاحب بعلبك وإلى المجاهد شيركوه صاحب حمص، يستنجدهم على أخيه العزیز. فوردت رسلهم فى جمادى الآخرة، يعدون بالقدوم عليه. ثم إنه برز من دمشق، ونزل برأس الماء. فلما وصل العزیز إلى القصير^(١) من الغور ضاق الأفضل، ورجع من القوار إلى رأس الماء، فأدركت مقدمة العزیز ساقته، وكادوا يكبسونه فانهمز إلى دمشق، ودخلها لخمس ماضين منه. ونزل العزیز فى غده على دمشق فى قوة قوية، ونازل البلد. وكان الأفضل قد استعد لقتاله، فقدم العادل والظاهر والمنصور والمجاهد والأجد إلى دمشق. وبعث العادل إلى ابن أخيه الملك العزیز يشفع فى الأفضل، ويستأذنه فى الاجتماع به، فأذن له. وخرج العادل فاجتمع بالعزیز - وكل منهما راكب - وتحدث معه فى الصلح، وأن ينفس الخناق عن البلد، وكان قد اشتد الحصار، وقطعت الأنهار، ونهبت الثمار، والوقت زمن المشمش. فوافق العزیز عمه، وتأخر إلى

(١) القصير: بلفظ تصغير قصر، فى عدة مواضع، منها: قصير معين الدين بالغور من أعمال

داريا^(١) ونزل على العوج، وسير الأمير فخر الدين جهاركس الأستادار - وهو يومئذ أجل الصلاحية - إلى العادل، فقرر الصلح على شروط، وعاد إلى العزيز. فرحل ونزل مرج الصفر فحدث له مرض شديد، وأرجف بموته، ثم أبل منه. وأمر بعمل نسخة اليمين، وهي جامعة لمقترحات جميع الملوك، وحسم مواد الخلاف، وأن الملك الأجد بهرام شاه بن عز الدين فرخشاه، والملك المجاهد شيركوه، يكونان موازين للملك الأفضل وتابعين له، وأن الملك المنصور صاحب حماة يكون فى حيز الملك الظاهر صاحب حلب ومؤزرا له. وبعث كل من الملوك أميرا من أمرائه ليحضر الحلف، فاجتمعوا يوم السبت ثانى عشر شهر رجب، وجرت أمور آلت إلى الحلف على دخن. وتزوج العزيز بابنة عمه العادل، وقبل العقد عنه القاضى المرتضى محمد بن القاضى الجليس عبد العزيز السعدى. ووكل العادل القاضى محبى الدين محمد بن شرف الدين ابن عصرون فى تزويج ابنته من ابن عمها الملك العزيز، وعقد بينهما قاضى القضاة محبى الدين. وكتب العماد الكاتب الكتاب فى ثوب أطلس، وقرئ بين يدى الملك الظاهر، وعقد العقد عنده.

فلما كان يوم الجمعة أول شعبان: خرج الملك الظاهر غازى صاحب حلب لوداع أخيه، فركب العزيز إلى لقائه وأنزله معه، وأكلا ثم تفرقا، بعد ما أهدى كل منهما لأخيه هدية سنية. ثم خرج العادل لوداع العزيز فى خواصه، ثم خرج الأفضل فودعه أيضا، وهو آخر من ودعه. ورحل العزيز من مرج الصفر فى ثالث شعبان يريد مصر، فلما كان ثالث عشره عمل الأفضل دعوة عظيمة لعمه وبقية الملوك ووادعهم، ثم رحلوا من الغد إلى بلادهم إلا العادل، فإنه أقام إلى تاسع شهر رمضان، ثم رحل إلى بلاده بالشرق.

وقدم العزيز إلى القاهرة فى يوم [.....]^(٢) وأما الأفضل فإنه هم بمكاتبة العزيز بما يؤكد أسباب الصلح، فأماله عن ذلك خواصه، وأغروه بأخيه، ورموا جماعة من أمرائه بأنهم يكتابون العزيز، فاستوحش منهم، وفظنوا بذلك فتفرقوا عنه. وسار الأمير عز الدين أسامة صاحب كوكب وعجلون عن الأفضل، ولحق بالعزيز فأكرمه غاية الإكرام، وأخذ يخرضه على الفضل، ويحثه على المسير إلى دمشق وانتزاعها منه، ويقول له: «إن الأفضل قد غلب على اختياره، وحكم عليه وزيره الضياء ابن الأثير الجزرى، وقد افسد أحوال دولته برأيه الفاسد، ويحمل أخاك على مقاطعتك، ويحسن له نقض اليمين، فإن

(١) داريا: قرية كبيرة مشهورة من قرى دمشق بالغوطة. انظر معجم البلدان ٢/٤٣١.

(٢) ما بين العقوفتين بياض فى الأصل.

من شرطها صفو الوداد وصحة النية، ولم يوجد ذلك، فحثهم فى اليمين قد تحقق، وبرئت أنت من العهدة، فاقصد البلاد فإنها فى يدك، قبل أن يحصل فى الدولة من الفساد ما لا يمكن تلافيه»، وبينما هو فى ذلك إذ فارق الأفضل الأمير شمس الدين أيدمر ابن السلار، وصل إلى العزيز، فساعد الأمير أسامة على قصده، ثم وصل أيضا إلى العزيز القاضى محبى الدين أبو حامد محمد بن الشيخ شرف الدين عبد الله بن هبة الله بن أبى عصرون، فاحترمه وولاه قضاء الديار المصرية، وضم إليه نظر الأوقاف.

وأقبل الأفضل بدمشق على اللعب ليله ونهاره، وتظاهر بلذاته، وفوض الأمور إلى وزيره، ثم ترك اللعب من غير سبب، وتاب وأزال المنكرات وأراق الخمر، وأقبل على العبادة، ولبس الخشن من الثياب، وشرع فى نسخ مصحف بخطه، واتخذ لنفسه مسجدا يخلو فيه بعبادة ربه، وواظب على الصيام، وجالس الفقراء، وبالغ فى التقشف، حتى صار يصوم النهار ويقوم الليل.

وأما العزيز فإنه قطع خبز الفقيه الكمال الكردي من مصر، فأفسد جماعة على السلطان، وخرج إلى العرب فجمع ونهب الإسكندرية، فسار إليه العسكر فلم يظفروا به. وقطع العزيز أيضا خبز الجناح وعلكان ومجد الدين الفقيه وعز الدين صهر الفقيه، فساروا من القاهرة إلى دمشق، فأقطعهم الملك الأفضل الإقطاعات.

وفى شهر رمضان: كسر بحر أبى المنجا بعد عيد الصليب بسبعة أيام، وتجاهر الناس فيه بالمنكرات من غير نكر عليهم.

وفيه وقعت الآفة فى البقر والجمال والحمير، فهلك منها كثير.

وفيه كثر حمل الغلة من البحيرة إلى بلاد المغرب، لشدة الغلاء بها، وكثرت بين الأمراء إشاعة أن إقطاعاتهم تؤخذ منهم، فقصروا فى عمارة البلاد. وارتفع السعر بالإسكندرية، ونقص ماء النيل بعدما بلغ اثنين وعشرين إصبعا من سبعة عشر ذراعا، فرفعت الأسعار، وشرقت البلاد، وبلغ القمح كل أردب دينارا، وأخذ فى الزيادة وتعذر وجود الخبز، وضج الناس، وكثرت المنكرات، وغلا سعر العنب لكثرة من يعصره. وأقيمت طاحون لطحن الحشيش بالمحمودية، وحميت بيوت المزر، وجعل عليها ضرائب، فمنها ما كان عليه فى اليوم ستة عشر دينارا، ومنع من عمل المزر البيوتى، وتجاهر الكافة بكل قبيح، فترقب أهل المعرفة حلول البلاء.

وفىها قدم رسول متملك القسطنطينية يطلب صليب الصليوت، فأحضر من القدس،

٢٣٤ سنة تسعين وخمسمائة

وكان مرصعا بالجوهر، وسلم إليه على أن يعاد ثغر جبيل من الفرنج. وتوجه الأمير شمس الدين جعفر بن شمس الخلافة بذلك.

* * *

تقمة سنة تسعين وخمسمائة^(١)

فى يوم الخميس رابع محرم: عقد مجلس بحضرة السلطان، حضره أصحاب الدواوين. وفى عاشره: قدم الأمير حسام الدين ببشارة من عند الملك العادل وبقية الأولاد الناصرية، فتلقاه السلطان والأمراء، وحمل إليه سباط السلطنة، فطلب الموافقة بين الأهل. وفى سادس عشره: ركب السلطان للصيد بالجيزة، ومر بباب زويلة، فأنكر بروز مصاطب الخوانيت فى الأسواق، ورسم بهدمها، فهدمت بمباشرة محتسب القاهرة. ومر بصناعة العمائر، فرسم بسد طاقات الدور المجاورة للنيل فسدت.

وفى صفر: غيرت ولاية الأعمال.

وفى عاشره: حلف العزيز لعمه العادل.

وفى ثالث عشره: عاد العزيز من الصيد بالجيزة.

وفى هذا الشهر: غلت الأسعار، فبلغ كل مائة أردب ثمانين دينارا.

وفى خامس عشره: قدم فارس الدين ميمون القصرى مقطع صيداء، وسيف الدين سنقر المشطوب، وشمس الدين سنقر الكبير مقطع الشقيف، مفارقين الملك الأفضل، فدفع العزيز لميمون خمسمائة دينار، ولسنقر أربعمائة دينار، وللمشطوب ثلاثمائة دينار.

وفى ربيع الأول: اشتد الأمر فى الزحام على الخبز لقلته فى الأسواق، ووقع الحريق فى عدة مواضع بالقاهرة.

وفى عاشره: أخرجت خيمة السلطان للسفر.

وفى ثالث عشره: انحل السعر قليلا، ووجد الخبز فى الأسواق.

وفى نصفه: ورد كتاب علم الدين قيصر بأنه تسلم القدس من جرديك فى تاسعه، وتسلم صليب الصلبوت، وقرر أيضا إعادة جبيل من الفرنج.

(١) سنة ٥٩٠ هـ. انظر أحداث تلك السنة فى النجوم الزاهرة ١٢١ - ٦/١٢٣ الكامل

١٢/١٠ وما بعدها، تاريخ ابن الوردى ٢/١٥٦ وما بعدها

السلوك لمعرفة دول الملوك ٢٣٥

وفي سادس عشره: قدم بدر الدين لؤلؤ^(١) بكتاب الأفضل بخير جبيل، وسبب قدوم ميمون ورفيقه.

وفيه نزع السعر، وبلغ كل مائه أردب إلى مائة وخمسة وسبعين ديناراً، وعظم ضجيج الناس من الجوع.

وفي سابع عشره: وصل صليب الصليبوت من القدس، وهو خشبة مرصعة بجواهر فى ذهب .

وفي ثامن عشره: ولى زين الدين على بن يوسف الدمشقى قضاء القضاة بديار مصر، عوضاً عن صدر الدين بن درباس، بعناية جماعة من المماليك به، وخلع عليه.

وفي سلخه: قدم رسول الملك العادل.

وفي تاسع ربيع الآخر: هدم المحتسب حوانيت وإصطبلا كان صدر الدين بن درباس أنشأها فى زيادة الجامع الأزهر بجوار داره، ورفع صدر الدين نقض ذلك إلى داره.

وقوى عزم السلطان على السفر، وبعث بهرام يقترض له مالا من تجار الإسكندرية، وطلب من قاضى القضاة زين الدين أن يقرضه مال الأيتام، وكان يبلغ أربعة عشر ألف دينار، فحملت إلى الخزانة. وكتب السلطان خطه بذلك وأشهد عليه، وأحال به على بيت المال، وقرر استخراج منه وأمر بحمله إلى القاضى. هذا وقد تأخر القرض الذى كان السلطان صلاح الدين أقرضه فى نوبة عكا، وهو ثلاثون ألف دينار، فلم يوف منه إلا يسيراً.

وفي سادس عشره: توجه جعفر بن شمس الخلافة إلى الفرنج لإعادة جبيل.

وفي يوم الخميس تاسع عشره: خرج السلطان إلى مخيمه ببركة الحب، واستتاب فى غيبته بهاء الدين قراقوش، ومعه ثلاثة عشر أميراً، ونحو سبعمائة فارس. وتوجه مع السلطان سبعة وعشرون أميراً، فى ألفى فارس وألف من الحلقة.

(١) لؤلؤ الأتابك (الملك الرحيم بدر الدين لؤلؤ). الملك الرحيم (٥٧٠ - ٦٥٧ هـ - ١١٧٤ - ١٢٥٩ م). لؤلؤ بن عبد الله الأتابكى، أبو الفضائل. بدر الدين، الملقب بالملك الرحيم: صاحب الموصل. طالت أيامه بها، وكان من أجل الملوك ومن أعلاهم همة، وأسهرهم على رعاياه. قال ابن تفرى بردى: « ما أحوج الناس إلى ملك مثله، يملك الدنيا بأسرها ». وتوفى بالموصل. النجوم الزاهرة ٧: ٧. انظر الأعلام ١١/٥.

وفي ثالث جمادى الأولى: استقل السلطان بالسير، ونزل على دمشق فى تاسع جمادى الآخرة، ورحل عنها فى ثامن عشره بشفاة عمه الملك العادل.

وفي تاسع رجب: دخل الأفضل دمشق، بعد أن تقرر الصلح بينه وبين أخيه الملك العزيز فى سادسه.

وفي رابع شعبان: دقت البشائر بالقاهرة، فرحا بالصلح بين الأولاد الناصرية، وزينت الأسواق.

وفيه انخط السعر.

وقدم السلطان الملك العزيز إلى القاهرة سلخ شعبان.

وفي سابع رمضان: وصل الملك المعظم توران شاه وإخوته وعايهم من دمشق، والديوان فى ضائقة شديدة، فعجزوا عن إقامة وظائفهم ومطالبهم وجراياتهم، فنزلوا فى الدار العزيزية. ونزعت الأسعار فى المأكولات كلها.

وفي تاسع عشره: وصل عز الدين أسامة مفارقا للأفضل.

* * *

سنة إحدى وتسعين وخمسمائة^(١)

ودخلت سنة إحدى وتسعين، والعزیز علی عزم المسیر إلى الشام، فاستشار الأفضل أصحابه، فمنهم من أشار علیہ بمكاتبة العزیز واسترضائه، وأشار الوزير ابن الأثیر علیہ بالاعتصار بعمه العادل، واستنجاهه علی العزیز، فأصغى إليه، وكثرت الإشاعة بقصد العزیز إقامة الخطبة فی دمشق باسمه، وضرب السكة له. فانزعج الأفضل، وخرج من دمشق فی رابع عشر جمادى الأولى، وسار جريدة إلى عمه العادل، فلقیه بصفین^(٢)، فلما نزلا ألحف الأفضل فی المسألة له أن ينزل عنده بدمشق، لیجیره من أخیه العزیز، فأجابہ وأنزله بقلعة جعبر^(٣)، ثم سار معه إلى دمشق أول جمادى الآخرة، فوصل إليها فی تاسعه، ودخل الأفضل إلى حلب علی البرية، مستصرخا بأخیه الملك الظاهر، فتلقاه وحلف له علی مساعدته، ثم رحل عنه إلى حماة، فتلقاه ابن عمه الملك المنصور محمد ابن المظفر، وحلف له، ثم سار عنه إلى دمشق، فدخلها فی ثالث عشره وبها العادل،

(١) سنة ٥٩١ هـ. انظر أحداث تلك السنة فی النجوم الزاهرة ١٢٣ - ٦/١٢ الكامل ١٢/١١

وما بعدها، تاریخ ابن الوردي ٢/١٥٨.

(٢) صفین: موضع بالعراق معروف علی الفرات، ويقال فيه صفون أيضًا. فهو يقال صفین فی حال الرفع والنصب والجر، ومنهم من يقول صفون فی الرفع، والغالب علی صفین التأنيث. وقيل لأبي وائل شقيق بن سلمة: «أشهدت صفین؟ قال: نعم، وبمست صفون»، وقال أبو الطفيل عامر بن وائلة الكناني:

كما بلغت أيام صفین نفسه تراقیه والشامتى شهود

وهی صحراء ذات كدى وأكمت، وبها كانت الوقعة العظيمة بين علی ومعاوية رضی الله عنهما، وأهل العراق وأهل الشام، والتي جاء فيها الحديث المتفق علی صحته: «لا تقوم الساعة حتى تقتتل فئتان عظيمتان يكون بينهما مقتلة عظيمة دعواهما واحدة»، وكان ذلك فی شهر ربيع الأول سنة سبع وثلاثين، وقيل فی ربيع الآخر، وأقام علی ومعاوية رضی الله عنهما بصفین سبعة أشهر، وكان أهل الشام خمسة وثلاثين ألفًا ومائة ألف، وكان أهل العراق عشرين أو ثلاثين ألفًا ومائة ألف. قال الإمام عبد القاهر فی كتاب «الإمامة» من تأليفه: أجمع فقهاء الحجاز والعراق من فريقی أهل الحديث والرأى، منهم مالك والشافعی وأبو حنيفة والأوزاعي والجمهور الأعظم من المتكلمين أن علیًا رضی الله عنه مصيب فی قتاله لأهل صفین، كما قالوا بإصابته فی قتاله لأهل الجمل، وقالوا أيضًا: إن الذين قاتلوه بغاة ظالمون له، ولكن لا يجوز تكفيرهم بیغيهم. قال إمام الحرمين: كان علی رضی الله عنه إمامًا حقًا ومقاتلوه بغاة وحسن الظن بهم يقتضى أن يظن بهم قصد الخير وإن أخطأوه. انظرت: الروض المعطار ٣٦٣، ٣٦٤، ٣٦٥، ومعجم ما استعجم ٣/٨٣٧.

(٣) قلعة جعبر علی الفرات بين بالر والرقعة قرب صفین.

فأفضى إليه بأسراره. وعلم العادل اختلال أحوال الأفضل، وسوء تدبيره وقبيح سيرته، فانحرف عنه ونهاه فلم ينته إلا أنه مبالغ في كرامة عمه، حتى أنه ترك له السنجق. وصار العادل يركب بالسنجق السلطاني في كل يوم، ويركب الأفضل في خدمته.

فما هو إلا أن استقر ذلك إذ حدث بين الظاهر صاحب حلب وبين أخيه الأفضل وعمه العادل وحشة، من أجل ميل الملك المنصور صاحب حماة إلى العادل. فسير الظاهر إلى أخيه العزيز يحرضه على قصد الشام، ووعده بالمساعدة له على الأفضل، فوافق ذلك غرضه، وخرج من القاهرة بعساكره في [.....] (١).

فلما قارب العزيز دمشق كاتب الملك العادل الأمراء سرا واستمالهم، وكان الأمراء الصلاحية قد وقع بينهم وبين الأمراء الأسدية تنافس، لتقديم العزيز الصلاحية على الأسدية. فعملت حيل العادل حتى وقعت الوحشة بين الطائفتين، ونفرت الأسدية من الملك العزيز. وكاتب العادل العزيز سرا يخوفه من الأسدية، ويحثه على إبعادهم عنه، وكاتب الأسدية، يخوفهم من العزيز ويستميلهم إليه. فحاق ما مكره وتم له ما دبره، وعزموا على مفارقة العزيز، وحسنوا للأكراد والمهرانية موافقتهم، فانقادوا إليهم. وكان مقدم أمراء الأكراد الأمير حسام الدين أبو الهيجاء السمين، فاجتمع بالأكراد مع الأسدية، واتفقوا بأجمعهم على مفارقة العزيز والانضمام إلى العادل والأفضل، ومضايقة العزيز وعقدوا النية على مكاتبة من بقى منهم بمصر، أن يستقبلوا العزيز ويحولوا بينه وبين القاهرة، فيصير بذلك بين الفريقين، ويؤخذ باليد.

فلما كان في عشية الرابع من شوال: رحل الأمير أبو الهيجاء بالأكراد والمهرانية والأسدية، وهم لا يسون لامة الحرب، ولحقوا بالعادل فسر بهم، لأنهم معظم الجيش. فلما أصبح نهار الخامس من شوال رحل العزيز يريد مصر، وهو متخوف من الأسدية المقيمين بالقاهرة. وكان نائبه بها الأمير بهاء الدين قراقوش الأسدى، فلم يتغير على العزيز، ووصل إلى القاهرة في [.....] (٢) فاستقر بها. ثم إن العادل خرج بالأفضل من دمشق، ومعه العساكر يريد أخذ القاهرة، لما داخله من الطمع في العزيز، واتفق مع الأفضل على أن يكون للعادل ثلث البلاد المصرية، ويكون ثلثاها للأفضل. فأجابه إلى ذلك ورحلا من دمشق، وخرج معهم أيضا المنصور صاحب حماة، وعز الدين بن

(١) ما بين المعقوفتين بياض في الأصل.

(٢) ما بين المعقوفتين بياض في الأصل.

المقدم^(١) وسابق الدين عثمان بن الداية صاحب شيزر واستخلف الأفضل بدمشق أخاه الملك الظاهر خضر صاحب بصرى وانضم إليهم عز الدين جرديك النورى نائب القدس، فلما وصلوا تل العجول، أخلع الأفضل على جميع الأسدية، وعلى الأكراد الأفضلية، وأعطاهم الكوسات. وسار الأفضل إلى القدس، وتسلمه من جرديك، وأعطاه بيسان وكوكب والجولان^(٢) والمنيحة^(٣) ثم سار العسكر حتى نزل على بلبيس، وبها جموع الصلاحية والعززية، ومقدمهم فخر الدين جهاركس على الصلاحية، والأمير هكدرى بن يعلى الحميدى على طائفة الأكراد، فنازلهم العادل والأفضل .

وكانت أيام زيادة ماء النيل، والأسعار غالية والعلف متعذر، فبلغ العسكر الواصل الجهد، وندم أكابرهم على ما كان منهم، هذا والعزيز يمد أهل بلبيس بالمراكب المشحونة بالرجال والعدد، فبلغ ذلك الأسدية، فركبوا إلى المراكب، وأخذوا بعضها وغرقوا بعضها، وأسروا خلقا، وسلم ثمانية مراكب عادت إلى القاهرة، واشتد الحصار على بلبيس حتى كادت تؤخذ، وضاق العزيز بالقاهرة، وقلت الأموال عنده، وكان محببا إلى الرعية، لما فيه من حسن السيرة، وكثرة الكرم والرفق، فلما نازل العادل والأفضل بلبيس احتاج إلى استخدام الرجال، فلم يجد عنده مالا، فبذل له الأغنياء جملة أموال، فلم يقبلها، وكان القاضى قد تنزه عن ملابسة الدولة ومخالطة أهلها، واعتزل لما رأى من اختلال الأحوال، وكان عبد الكريم بن على البيسانى يتولى الحكم والإشراف فى البحيرة مدة طويلة، فحصل من ذلك مالا جمعا. ثم حدثت بينه وبين أخيه القاضى الفاضل مشاجرة اقتضت اتضاع حاله عند الناس بعد احترامهم إياه، فصرف عن عمله. وكان متزوجا بامرأة موسرة من بنى ميسر، فسكن بها فى نجر الإسكندرية، وأساء عشرتها، لسوء خلق كان فيه، فسار أبوها إلى الإسكندرية، وأثبت عند قاضيهما ضرر ابنته، فمضى القاضى بنفسه إلى الدار، فلم يقدر على فتح الباب الذى من داخله المرأة،

(١) ابن المقدم (٥٨٣ هـ - ١١٨٨ م). محمد بن عبد الملك، المعروف بابن المقدم، الأمير شمس الدين: قائد من الولاة المقدمين فى العهدين النورى والصلاحى، تلمس على القيادة فى أيام أبيه المقدم مستحفظ سنجار فى أيام نور الدين الشهيد. واستخلفه أبوه على قلعتها قبل أن يدخلها نور الدين سنة ٥٤٤ هـ ثم كان شمس الدين بن المقدم من قادة الجيش النوى. انظر ابن الأثير ٢١٢/١١، كتاب الروضتين ١٢٣/٢. الأعلام ٦/٢٤٩.

(٢) الجولان بالفتح ثم السكون: قرية وقيل جبل من نواحي دمشق ثم من عمل حوران، قال ابن دريد: يقال للجبل حار الجولان. انظر معجم البلدان ٢/١٨٨.

(٣) منيحة: بالفتح ثم الكسر ثم ياء، وحاء مهملة، واحدة المنايح، وهو كالمهبة والعطية، والمنيحة: من قرى دمشق بالقوطة. انظر معجم البلدان ٥/٢١٧.

فأمر بنقب الدار، وأخرج المرأة وسلمها لأبيها وأعاد بناء النقب، فغضب عبد الكريم وسار إلى القاهرة، وبذل للأمر فخر الدين جهار كس خمسة آلاف دينار مصرية، ووعد خزانة الملك العزيز بأربعين ألف دينار على ولاية قضاء الإسكندرية، وحمل ذلك بأجمعه إلى فخر الدين جهار كس. فأحضره جهار كس إلى العزيز، وهو حيثنذ في غاية الضرورة إلى المال، وقال: «هذه خزانة مال قد أتيتك بها من غير طلب ولا تعب»، وعرفه الخير. فأطرق العزيز ملياً، ثم رفع رأسه وقال: «أعد المال إلى صاحبه، وقل له إياك والعود إلى مثلها، فما كل ملك يكون عادلاً، وعرفه أنى إذا قبلت هذا منه أكون قد بعث به أهل الإسكندرية، وهذا لا أفعله أبداً». فلما سمع هذا جهار كس وجسم، وظهر فى وجهه التغير. فقال له العزيز: «أراك واجماً، أظنك أخذت على الوساطة شيئاً». قال: «نعم خمسة آلاف دينار». فأطرق العزيز، ثم قال: «أعطاك ما لا تنتفع به، وأنا أعطيك فى قبالتة ما تنتفع به مرات عديدة»، ثم وقع له بخطة إطلاق جهة طنبدة، ومغلها فى السنة سبعة آلاف دينار، فلامه أصحابه وألحوا عليه فى الاقتراض من القاضى الفاضل، فاستدعاه إلى مجلسه، بمنظرة من دار الوزارة كانت تشرف على الطريق، فعندما عين القاضى الفاضل استحيا منه، ومضى إلى دار الحرم، احتراماً له من مخاطبته فى القرض، فلم يزل الأمراء به حتى أخرجوه من عند الحرم. فلما اجتمع بالفاضل قال له، بعد أن أظنبت فى الشئاء عليه: «قد علمت أن الأمور قد ضاقت على، وقلت الأموال عندى، وليس لى إلا حسن نظرك، وإصلاح الأمر إما بمالك أو برأيك أو بنفسك». فقال القاضى الفاضل: «جميع ما أنا فيه من نعمتكم، ونحن نقدم أولاً الرأى والحيلة، ومتى احتيج إلى المال فهو فى يديك».

واتفق أن العادل - لما اشتد على أصحابه الغلاء والضيق - استدعى القاضى الفاضل برسول قدم منه على العزيز، فسيره إليه. وقد قيل إن العزيز لما جرى على المراكب التى جهزها إلى بلبس ما جرى، خاف على الملك أن يخرج من يده، فسير إلى عمه فى السر يعرفه أنه قد أخطأ، وأنه قد عزم على اللحاق ببلاد المغرب، ويسأله الاحتفاظ بجرمه وأولاده. فرق له العادل، واستدعى القاضى الفاضل، فلما قرب منه ركب إلى لقائه وأكرمه، ومازالا حتى تقرر الأمر على أن الأسدية والأكراد يرجعون إلى خدمة العزيز، من غير أن يؤاخذهم بشيء، ويرد عليهم إقطاعاتهم، ويحلف العزيز لهم ويحلفون له، وأن يكون العادل مقيماً بمصر عند العزيز، ليقرر قواعد ملكه، وأن العزيز والأفضل يصطلحان، ويستقر كل منهما على ما بيده. فعاد القاضى الفاضل، وقد تقرر الأمر على ما ذكر، وحلف كل منهم لصاحبه على الوفاء.

وخرج العزيز من القاهرة إلى بلبس، فالتقاه عمه العادل وأخوه الأفضل، ووقع الصلح التام في الظاهر. ورحل الأفضل يريد الشام، ومعه الأمير أبو الهيجاء السمين، وصار الساحل جميعه مع الأفضل، وعاد العزيز إلى القاهرة، وصحبه عمه العادل، فأنزله في القصر من القاهرة. وأخذ العادل في إصلاح أمور مصر، والنظر في ضياعها ورباعها، وأظهر من محبة العزيز شيئاً زائداً، وصار إليه الأمر والنهي والحكم والتصرف في سائر أمور الدولة، جليلها وحقيرها، وصرف القاضي محيي الدين محمد بن أبي عصرون عن قضاء مصر، وولى زين الدين أبو الحسن على بن يوسف بن عبد الله بن بندار الدمشقي.

وفيها جدد العزيز الصلح بينه وبين الفرنج.

وفيها ورد كتاب ملك الروم، يتضمن أن كلمة الروم اجتمعت عليه، وأنه أحسن إلى المسلمين وأمرهم بإقامة الجامع، فأقيمت الصلاة فيه يوم الجمعة الصلاة مع الخطبة، وأنه عمر جانباً منه كان انهدم من ماله، فتمكن من في القسطنطينية من المسلمين من إقامة الجمعة والجماعة بها. والتمس ملك الروم الوصية بالبطرك والنصارى، وأن يمكنوا من إخراج موتاهم بالشمع الموقد، وإظهار شعائرهم بكنائسهم، وأن يفرج عن أسارى الروم بمصر.

وفيها عزل زين الدين على بن يوسف بن بندار عن القضاء، في حادى عشر جمادى الأولى، بمحيى الدين أبى حامد محمد بن عبد الله بن هبة الله بن عصرون.

* * *

سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة^(١)

وأهلت سنة اثنتين وتسعين:

ففى أولها: وصل الملك الأفضل إلى دمشق، وتفرقت العساكر إلى بلادها، ولزم الأفضل الزهد، وأقبل على العبادة، وصارت أمور الدولة بأسرها مفوضة إلى وزيره ضياء الدين ابن الأثير، فاختلت به الأحوال غاية الاختلال، وكثر شاكوه. وضبط العادل أمور مملكة مصر، وغير الإقطاعات، ووفر الارتفاعات وعمال الأعمال، وثمر الأموال، وقرب إلى العزيز الأمير عز الدين أسامة، فصار صاحب سره وحاجبه، والواسطة بينه وبين عمه. واختص الأمير صارم الدين قايمز النجمى بالعادل، وصار صفوته.

وفى يوم السبت ثانى عشر المحرم: رفعت يد ابن أبى عصرون وأيدى نوابه من الحكم، وأمر أن يعتزل فى بيته، وأن يخرج عن مصر، فأغلق بابه، وشرع فى تجهيز نفسه، وتوسل فى إقامته.

وفى سابع عشره: خلع على زين الدين على بن يوسف بن بندار وأعيد إلى القضاء، عوضا عن ابن أبى عصرون.

وفى أول صفر: حبس الملك العزيز ناحية الخربة^(٢) من المنوفية على زاوية الإمام الشافعى بالجامع العتيق بمصر، وفوض تدريسها إلى البهاء بن الجميزى.

وفى صفر وشهر ربيع الأول: كثرت الطرحة من الأموات على الطرقات، وزادت عدتهم بمصر والقاهرة فى كل يوم عن مائتى نفس، وبقي بمصر من لم يوجد من يكفنه، وأكثرهم يموت جوعا.

وانتهى القمح إلى مائة وثمانين دينارا المائة أردب، والخبز إلى ثلاثة أرطال بدرهم، وعمد الضعفاء إلى شراء الجرار، وغدوا إلى البحر وترددوا إليه، ليستقوا منه فى الجرار، ويبيعوها بثمان درهم الجرة، وقد لا يجدون من يشتريها منهم، فيصيحون: «من يتصدق علينا بثمان هذه الجرة، ومن يشتريها منا بكسرة؟». وزاد السعر، وضاق الخناق، وهلك

(١) سنة ٥٩٢ هـ . انظر أحداث تلك السنة فى النجوم الزاهرة ١٢٥ - ٦/١٢٧، الكامل

١٢/١٢١ وما بعدها، تاريخ ابن الوردي ٢/١٥٩.

(٢) الخربة: بالتحريك وخربة أرض به معدن يقال له معدن خربة. انظر معجم البلدان ٥٧٠/٢.

الضعفاء، وفشا الموت، وأكثره فى الجياع. وصارت الأقفاص التى يحمل فيها الطعام يحمل فيها الأموات، ولا يقدر على التعوش إلا بالنوبة، وامتدت الأيدى إلى خطف ألواح الخبز - ويضرب من يذهب، ويشج رأسه، ويسال دمه، ولا ينتهى ولا يرمى ما فى يده مما خطفه، وعدم القمح إلا من جهة الشريف ابن ثعلب، فإن مراكبه تتواصل وتبيع بشونه.

وورد الخبر فى تاسع صفر بأن تابوت الملك الناصر صلاح الدين نقل فى يوم عاشوراء، من قلعة دمشق إلى تربة عملت له، فكان يوما مشهودا.

وفى تاسع عشره: قدم الملك الزاهر داود مجير الدين صاحب البيرة، وسابق الدين عثمان صاحب شيرز، وبهاء الدين بن شداد قاضى حلب، فخرج العادل لتلقيهم ببركة الجب، وقدم العماد الكاتب أيضا. وورد الخبر بأن عربان الغرب هبطوا إلى البحيرة، واشتروا القمح كل وية بدينار، وأن بلاد الغرب قد عدمت فيها الأقوات فى السنة الخالية، وانقطعت عنها الأمطار السنة الحاضرة، وزاد الجراد بالشام، وعظم خطبه، وكثرت بمصر والقاهرة الأمراض الحادة والحميات المحرقة، وزادت وأفرطت. وغلت الأشربة والسكر وعقاقير العطار، وبيعت بطيخة بأربعة وعشرين درهما، وصار الفروج لا يقدر عليه، وانتهى سعر القمح إلى مائتى دينار كل مائة أردب، وغلظ الأمر فى الغلاء، وعدم القوت، وكثر السؤال، وكثرت الموتى بالجوع. وخطف الخبز متى ظهر، وشوهد من يستف التراب، ومن يأكل الزبل.

وازدحم الناس على الطير الذى يرمى من مطابخ السكر. وكثرت الأموات أيضا بالإسكندرية، وتزايد وجود الطرحى بها على الطرقات، وهدمت المواساة، وعظم هلاك الأغنياء والفقراء وانكشاف الأحوال وشوهد من يبحث المزابل القديمة على قشور الترمس، وعلى نقاضات الموائد وكناسات الآدر، ومن يقفل بابه ويموت، ومن عمى من الجوع ويقف على الحوانيت ويقول: أشموني رائحة الخبز. واستخدم رجل فى ديوان الزكاة، وكتب خطه بمبلغ اثنين وخمسين ألف دينار، لسنة واحدة من مال الزكاة، وجعل الطواشى ببهاء الدين قراقوش الشاد فى هذا المال، وألا يتصرف فيه، وأن يكون فى صندوق مودعا للمهمات التى يؤمر بها. ووقع لابن ثعلب الشريف الجعفرى بخبز مبلغه فى السنة ستون ألف دينار، ودفع له كوس وعلم. وآل الأمر إلى وقوف وظيفة الدار العزيزية عليه من لحم وخبز، وإلى أن يتمحل فى بعض الأوقات لا كلها، لبعض ما يتبلغ به أهلها من خبز، وكثر ضحيجهم وشكواهم، فلم يسمع.

وفي شهر ربيع الآخر: صرف صارم الدين خطلج الغزى عن شد الأموال بالدواوين، وسلم الشد إلى بهاء الدين قراقوش، مضافا إلى شد الزكوات، فكمّل شد المال له.

وفيه كثر الموت، بحيث لم تبسق دار إلا وفيها جنازة أو مناحة أو مريض، واشتد الأمر، وغلت العقاقير، وعدم الطبيب، وصار من يوجد من الأطباء لا يخلص إليه من شدة الزحام، وصار أمر الموتى أكثر أشغال الأحياء، وما ينقضى يوم إلا عن عدة جنائز من كل حارة. وعدم من يحفر، وإذا وجد لم يعمق الحفر، فلا يلبث الميت أن تظهر له رائحة وصارت الجبانات لا يستطيع مقاتلتها، ولا زيارة قبورها، وأخذت الأسعار فى الانحلال.

وفي جمادى الأولى: تواترت الأخبار باختلال الحال بدمشق، فوقع العزم على المسير إلى الشام، ووقع الشروع فى الإنفاق فى الحاشية، فقبضوا شهرا واحدا، وكان قد استحق لهم أربعة عشر شهرا، فإن المادة قصرت عن نفقة ذلك لهم، فأحيل بعضهم على جهات. وامتنع الجاندارية^(١) من قبض شهر، وأنهى ذلك إلى العزيز، فكتب إلى خطلبا بإخراجهم إلى المخيم، ومن تقاعد عن الخروج قيده الطواشى قراقوش، واستخدمه فى السور، فخرجوا بأنفس غير طيبة، وألسنة بالشكوى معلنة، وكان المال الذى أنفق فى الحاشية قد افترض من الأمراء، وأحيل به على الجوالى لسنة ثلاث وتسعين، وخرج العزيز إلى المخيم، وحرك الأمراء تحريكا قويا، وسير الحججات إلى البلاد تحت الأجناد، فقتابع خروج الناس، ووقع الرحيل من بركة الجب فى ثامن، فرحل السلطان العادل والعزيز، وجميع الأسدية والمماليك. وفشت الأمراض الحادة، فما ينقضى وقت إلا عن عدد كثير من الجنائز. وغلت الأدوية، وبلغ الفروج إلى ثلاثين درهما، والبطيخة إلى مائة درهم. وورد الخبر بأن قوص وأعمالها فيها أمراض فاشية، وأموات لا تتلاحق. وكثر الوباء والموت بالإسكندرية.

وفي آخره: انحلت الأسعار، ونزلت الغلة إلى ثمانين دينارا كل مائة أردب، وأبيع الخبز سبعة أرطال بدرهم. وقل السؤال، وارتفع الموتان، بعد أن جلب من قوص فراريج أبيع كل عشرة فراريج بسبعة دنانير، وهذا لم يسمع بمثله فى مصر قبل ذلك. وفيه نودى فى القاهرة ومصر بأن الشريف ابن ثعلب مقدم على الحاج، فليتهجز أرباب النيات.

(١) الجاندارية: ففة من ممالك السلطان أو الأمير، ومثلها الخاصكية، وهى مركبة من لفظين فارسين أحدهما جان ومعناه سلاح، والثانى دار ومعناه ممسك ووظيفة الجاندار أنه يستأذن على دخول الأمراء للخدمة ويدخل أمامهم إلى الديوان (صبح الأعشى: ٢/٤).

وفي جمادى الآخرة: وقف الحال فيما ينفق فى دار السلطان، وفيما يصرف إلى عياله، وفيما يقتات به أولاده، وأفضى الأمر إلى أن يؤخذ من الأسواق ما لا يوزن له ثمن، وما يغصب من أربابه، وأفضى هذا إلى غلاء أسعار المأكولات، فإن المتعيشين من أرباب الدكاكين يزدون فى الأسعار العامة بقدر ما يؤخذ منهم للسلطان، فاقضى ذلك النظر فى المكاسب الخبيثة. وضمن باب المزر والخمر بائنى عشر ألف دينار، وفسح فى إظهاره وبيعه فى القاعات والحوانيت، ولم يقدر أحد على إنكار ذلك، وصار ما يؤخذ من هذا النيحت ينفق فى طعام السلطان وما يحتاج إليه، وصار مال الثغور والجوالى إلى من لا يبالى من أين أخذ المال.

وفيه وصل العادل والعزیز إلى الداروم^(١) وأمر بإخرا ب حصنها، فقسم على الأمراء والجنادرية فشق على الناس تجريبه، لما كان به من الرفق للمسافرين، وانتهى الملكان إلى دمشق - وقد استعد الأفضل للحرب فى أول شهر رجب - فحاصرها إلى أن ملكاها فى العشرين منه، بعد عدة حروب، خان الأفضل فيها أمراء، فلما أخذ المدينة نزل الأفضل من القلعة إليهما، فاستحيا العادل منه، لأنه هو الذى حمل العزیز على ذلك، ليوطى لنفسه، كما يأتى. وأمره العادل أن يعود إلى القلعة، فلم يزل بها أربعة أيام، حتى بعث إليه العزیز أيك فطيس أمير جاندار، وصارم الدين خطلج الأستاذار، فأخرجاه عياله وعيال أبيه.

وأنزل الأفضل فى مكان، وأوفى ما كان عليه من دين، وما للحواشى من الجوامك. فبلغ ذلك نيفا وعشرين ألف دينار، بيع فيها بركه وجماله وبغاله وكتبه ومماليكه وسائر ماله، فلم توف بما عليه، وقسا عليه أخوه وعمه لسوء حظه، ثم بعث إليه عمه العادل يأمره أن يسير إلى صرخد، فلم يجد عنده من يسير بأهله، حتى بعث إليه جمال الدين محاسن عشرة أوصلوه إلى صرخد. وأخذت من الملك الظافر مظفر الدين خضر^(٢) بصرى وأعطيت للملك العادل، وأمر الظافر أن يسير إلى حلب، فلحق بأخيه الظاهر صاحبها. ويقال إن العادل كان قد قرر مع الملك العزیز - وهو بالقاهرة - أن الملك العزیز إذا غلب أخاه الأفضل على دمشق وأخذها منه أن يقيم بها ويعود العادل

(١) الداروم: قلعة بعد غزة للقاصد إلى مصر الواقف فيها يرى البحر. انظر معجم البلدان

(٢) الظافر الأيوبي (٥٦٨ - ٦٢٧ هـ - ١١٧٢ - ١٢٣٠ م). خضر الظافر، مظفر الدين، أبو العباس بن يوسف بن أيوب، من أمراء الدولة الأيوبية ولد وأقام بمصر وروى الحديث وحدث، وسمع الكثير وهو شقيق الأفضل. ترويح القلوب ٩٤/الدارس ١٨٧/٢. الأعلام ٢/٣٠٨.

إلى مصر نائباً عن العزيز فلما ملك العزيز دمشق، وأخرجه أخاه الأفضل منها، انكشفت له مستورات مكائد عمه، فندم على ما قرره معه، وبعث إلى أخيه الأفضل سرا يعتذر إليه، ويقول له: لا تنزل عن ملك دمشق . فظن الأفضل هذا من أخيه خديعة، وأعلم عمه العادل به، فقامت قيامته، وعتب على العزيز وأنبه. فأنكر العزيز أن يكون صدر هذا منه، وحنق على أخيه الأفضل، وأخرجه إلى صرخد على قبح صورة. واختفى الوزير ضياء الدين ابن الأثير الجزرى خوفاً من القتل، ثم لحق بالموصل. واستقر الأمر بدمشق للعزيز فى رابع عشر شعبان، فأظهر العدل، وأبطل عدة مكوس، ومنع من استخدام أهل الذمة فى شىء من الخدم السلطانية، وألزموا لبس الغيار، ثم رحل عنها ليلة التاسع منه يريد القاهرة، واستخلف عمه العادل على دمشق، وسار إلى القدس، فملكها من أبى الهيجاء السمين وسلمها إلى الأمير شمس الدين سنقر الكبير، وسار أبو الهيجاء إلى بغداد. ووصل العزيز إلى القاهرة يوم الخميس رابع شهر رمضان، فصارت دمشق وأعمالها إقطاعاً للملك العادل، وليس للعزيز بها سوى الخطبة والسكة فقط.

وفى ثامن عشره: ركب العزيز إلى مقياس مصر وخلقه، ونودى فيه بزيادة ثلاثة أصابع من الذراع السابعة عشرة.

وفى العشرين منه: فتح سد الخليج، فركب العزيز لذلك، وكثر المتفرجون وازدحم الغوغاء، وحملوا العصى وتراجموا بالحجارة، وقلعت أعين، وخطفت مناديل. وكانت العادة جارية بأن يوقر شهر رمضان من اعتصار الخمر، وألا يجهر بشراء العنب والجرار، ولا يحدث نفسه أحد بفسخ الحرمة وهتك الستر.

وفى هذا الشهر: غلا سعر الأعناب لكثرة العصور منها، وتظاهر به أربابه لتحكير تضمينه السلطانى، واستيفاء رسمه بأيد مستخدميه، وبلغ ضمانه سبعة عشر ألف دينار، وحصل منه شىء حمل إلى العزيز فصنع به آلات الشرب.

وفيه كثر اجتماع النساء والرجال على الخليج - لما فتح - وعلى ساحل مصر، وتلوث النيل بمعاصى قبيحة. واستمر جلوس العزيز للمظالم فى يومى الإثنين والخميس.

وفى ثانى شوال: كان النوروز، فجرى الأمر فيه على العادة من رش الماء، واستجد فيه التراجم بالبيض والتصافع بالأنطاع. وتوالت زيادة النيل، فأفحش الناس فى إظهار المنكرات، ولم ينههم أحد.

وفيه وقفت وجوه المال، وانقطعت جباية الديوان بمصر، وأحيل على الجهات

بأضعاف ما فيها، وبقيت وجوه قصرت الأيدي عن استخراجها، وانتمى العاملون إلى من حماهم، فلم يجسر صاحب الديوان على ذكر من يحميهم، فضلا عن أخذ الحق منهم، ورفع يده عن حماية من حماه. وآل الأمر إلى أن صار ما يقام برسم طوارئ السلطان وراتب داره من ضمان الخمر والمزر.

وكانت هذه سنة ما تقدمها أفحش منها، ولا علم أن همة من الهمم القاصرة انحطت إلى مثلها.

وفي رابع عشره: خرج الشريف ابن ثعلب سائرا بالحاج، وخيم على سقاية ريدان^(١) وكثر القتل بالقاهرة بأيدي السكارى، وأعلن المنكر بها، فلم تنسلخ ليلة إلا عن جراح وقتل بين المعربين. وكثر ذلك حتى خطفت الأمتعة والمآكل من الأسواق، نهارا نادرا وليلا راتبا.

واستقرت المظالم للطواشى قراقوش، يجلس فيها بظاهر الدار السلطانية، وحماية الديوان وشد الأموال لفخر الدين جهار كس، مع انقباضه عنها، وأستادارية الدار لصارم الدين خطلج.

وفي تاسع عشره: كسر بحر أبي المنجا، وباشر العزيز كسره، وزاد النيل فيه إصبعا، وهى الإصبع الثامنة عشرة، من ثمانى عشرة ذراعا، وهذا الحد يسمى عند أهل مصر اللجة الكبرى.

وفي ثانى عشره: رحل الحاج، وتجدد ما كان قد درس ذكره ونسى حكمه فى مصر، منذ عهد الخليفة الحافظ لدين الله^(٢) من سنة أربعين وخمسمائة، من الرفاع التى كان القبط يحتلقونها، ويتوصلون بها إلى المصادرات، وخراب البيوت، وعمارة الجبوس، وإساءة السمعة عن سلطان الوقت، فأجمع ابن وهيب وكاتب نصرانى وغيرهما على أوراق عملت، وانتدب الأسعد بن ممتى والشاد للكشف والرفع إلى فخر الدين جهار كس .

وفى ذى القعدة: كثر وثوب السكارى. بمن يلقونه ليلا، وضربهم إياه بالسكاكين،

(١) سقاية ريدان: بالراء: بمصر بين القاهرة وبلبيس . انظر معجم البلدان ٣/٢٢٦.

(٢) الحافظ لدين الله (٤٦٧ - ٥٤٤ هـ - ١٠٧٤ - ١١٤٩ م). عبد المجيد بن محمد بن المستنصر بالله العبيدى، أبو الميمون الملقب بالحافظ لدين الله: من خلفاء الدولة الفاطمية (العبيدية) بمصر ولد فى عسقلان، وتملك الديار المصرية سنة ٥٢٤ هـ. انظر وفيات الأعيان ٣٠٩/١، شذرات الذهب ٤/١٣٨، ابن الأثير ١١/٥٣، ابن إياس ١/٦٣، ابن خلدون ٤/٧١، اتعاظ الخنفا ٢٨٤، حلى القاهرة ٨٦. الأعلام ٤/١٥٠.

فلا تخلو ليلة من قتييل أو قتييلين، ولم يؤخذ لأحد بشأراً، ولا وقع كشف عن مقتول منهم، ولا تمكن والى القاهرة من منعهم. ووجد فى الخليج ستة نفر قتلى مربوطين، فلم يسأل عنهم، ولا وقع إنكار لأمرهم.

وفى ذى الحجة: عزم العزيز على نقض الأهرام، ونقل حجارتها إلى سور دمياط، فقبل له إن المؤنة تعظم فى هدمها، والفائدة تقل من حجرها. فانتقل رأيه من الهرمين إلى الهرم الصغير - وهو مبنى بالحجارة الصوان - فشرع فى هدمه.

وفيه سار العزيز إلى الإسكندرية، واستخلف بالقاهرة بهاء الدين قراقوش، وفخر الدين جهار كس.

وتوفى فى هذه السنة

القاضى الأشرف أبو المكارم الحسن بن عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله بن الحباب قاضى الإسكندرية، وولى عوضه الفقيه أبو القاسم شرف الدين عبد الرحمن بن سلامة فى سابع عشرى شوال. ومولد بن الحباب سنة سبع وثلاثين وخمسمائة، وأقام حاكماً بالإسكندرية ثمانيا وعشرين سنة. وكان كريم النفس صحيح المودة، وطالت مدته فى الحكم بالإسكندرية، من سنة أربع وستين إلى أن مات بها فى ثالث جمادى الآخرة.

وفى خامس ذى الحجة: مات القاضى الرشيد [.....] ^(١) ابن سناء الملك. قال القاضى الفاضل فيه: «ونعم الصاحب الذى لا تخلفه الأيام، ولا يعرف له نظير من الأقوام: أمانة سميئة، وعقيدة ود متينة، ومحاسن ليست بواحدة، ومساع فى نفع المعارف جاهدة. وكان حافظاً لكتاب الله، مشتغلاً بالعلوم الأدبية، كثير الصدقات، نفعه الله، والأعمال الصالحات، عرفه الله بركاتها».

وفىها حج بالناس الشريف ابن ثعلب، وخرجت المراكب الحربية من مصر، فظفروا ببطس للفرنج، وفىها أموال فغنموها.

وفىها بنى الأمير فخر الدين جهار كس قيسارته بالقاهرة.

وفىها زلزلت مصر. ومات العلم عبد الله بن على بن عثمان بن يوسف المخزومى، يوم الجمعة حادى عشر جمادى الأولى، ومولده فى شهر رمضان سنة تسع وأربعين وخمسمائة وقد قرأ على بن برى، وله شعر.

* * *

(١) ما بين المعقوفين بياض فى الأصل.

[سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة]^(١)

ودخلت سنة ثلاث وتسعين، وفيها أقيمت الخطبة للعزیز بحلب، وضربت السكة باسمه، بصلح وقع بين العزیز وبين أخيه الظاهر وقد تولاه القاضي بهاء الدين أبو المحاسن بن شداد، وغرس الدين قلعج، قدما من حلب إلى العزیز بالقاهرة بهدايا، فانهقد الصلح بين الأخوين على ذلك.

وعادا إلى الظاهر، فخطب للعزیز فى شهر ربيع الأول وضربت السكة باسمه. وفيه تحرك الفرنج على بلاد الإسلام، فخرج العادل من دمشق، وسير جيشا إلى بيروت لهدم ربضها.

وفيها مات الملك العزیز ظهير الدين سيف الإسلام طغتكين بن نجم الدين أيوب ملك اليمن فى شوال، وقام من بعده بمملكة اليمن المعز ابنه الملك فتح الدين أبو الفداء إسماعيل.

وفيها فتح الملك العادل صاحب دمشق يافا عنوة، وغنم وأسر كثيرا، يقال إنهم سبعة آلاف نفس، ما بين ذكر وأنثى.

وفيها سار العادل من يافا إلى صيدا وبيروت فأخربهما، ونهبت بيروت، وفر من كان بها. وبعث العادل إلى الملك العزیز يستنجده، فسير إليه عسكريا خرج من القاهرة أول شوال، وسار إلى بلبيس. ثم بدا للعزیز أمر ففرق العسكر ولم يسر.

* * *

(١) سنة ٥٩٣ هـ. انظر أحداث هذه السنة فى النجوم الزاهرة ١٢٧ - ١٢١ / ٦ الكامل ١٢٥/١٢ وما بعدها، تاريخ ابن الوردي ١٦٠ / ٢.

سنة أربع وتسعين وخمسمائة^(١)

ودخلت سنة أربع وتسعين، فانتشر من وصل في البحر من الفرنج ببلاد الساحل، وملكوا قلعة بيروت، وقتلوا عدة من المسلمين في أطراف بلاد القدس، وأسروا وغنموا شيئا كثيرا، فبعث الملك العادل إلى القاهرة يطلب من العزيز نجدة، فسارت إليه العساكر من مصر، ومن القدس وغيرها. ثم خرج الملك العزيز بنفسه، ومعه سائر عساكر مصر لقتال الفرنج، فنزل على الرملة في سادس عشرى صفر، وقدم الصلاحية والأسدية، وعليهم الأمير شمس الدين سنقر الدوادر، وسرا سنقر وعلاء الدين شقير، وعدة من الأكراد، فلحقوا العادل وهو على تبين. وسار العزيز في أثرهم، فكانت بينهم وبين الفرنج وقائع شهيرة، آلت إلى رحيل الفرنج إلى صور، وركب العادل والعزيز أقفيتهم، فقتلوا منهم. وترك العزيز العساكر عند العادل، ورجع إلى القاهرة فى ثامن جمادى الآخرة، قبل انفصال الحال مع الفرنج، من أجل أن ميمون القصرى، وأسامة وسرا سنقر، والحجاف، وابن المشطوب، كانوا قد عزموا على قتله فلما بلغه ذلك رحل إلى القاهرة فخرج الناس إلى لقائه، وكان يوما مشهودا.

ووقعت الهدنة بين العادل وبين الفرنج لمدة ثلاث سنين، وعاد العادل إلى دمشق.

وفى رجب: تجدد للعادل والعزيز رأى فى تخريب عسقلان، وتعفية جدرانها وهدم بنيانها. فندب من القدس جماعة لتغليقها وحط أبرجة سورها؛ فتلفت مدينة لا مثل لها، وتغر لا نظير له فى الثغور، وعمارة لا تخلف الأيام ما تلف بها، لعجز الملوك عن ممانعة الفرنج بالسلاح، واضطرارهم إلى هدم المدن وتعفية رسومها.

وفى شعبان: ركب قاضى القضاة صدر الدين بن درباس لرقبة الهلال وكلف الشهود ما بين شمعتين كل شاهد إلى شمعة. فخرجوا بالشموع، وقد كثر الجمع والشمع، واحتفل الموكب، وثقلت على الشهود الوطأة.

وفيه أمر الملك العزيز بمنع البناء فى المواضع التى كان الأمراء قد شرعوا فى بنائها على النيل، واستولوا فيها على الساحل، فخرج الجاندارية وألزموا كل من حفر أساسا بردمه، فامتثل الأمر.

(١) سنة ٥٩٤ هـ. انظر أحداث هذه السنة فى النجوم الزاهرة ١٢٩ - ٦ / ١٣١ الكامل

١٢ / ١٣٢ وما بعدها، تاريخ ابن الوردى ٢ / ١٦١.

٢٥٤ سنة أربع وتسعين وخمسمائة

وفي شهر رمضان: أمر العزيز بقطع أشجار بستان البغدادية تجاه قصر اللؤلؤة^(١) وجعله ميदानا.

وفيه كثر التظاهر بعصير العنب واستباحة الحرمان، وعدم المنكر لهذا الأمر، فعلا العنب حتى بلغ أربعة أرتال بدرهم.

وفيه قصر مد النيل، وارتفعت الأسعار، وعمت الأرزاق من جانب الديوان، وتعذرت وجوه المال حتى عم المرتزقة الحرمت. واستبيح ما كان محظورا من فتح أبواب التأويلات، وأخذ ما بأيدي الناس بالمصادرات: فأخذ خط شخص يعرف بابن خالد بمبلغ ألف دينار، وصور جماعة آخرون وصار الإنفاق في السماط السلطاني في هذه الوجوه.

وفي يوم عيد الفطر: أقيمت سنة العيد بظاهر البلد، وحضر العزيز الصلاة والخطبة، وعم الأمراء وأرباب العمائم بخلعه، وقدم سماط توسعت الهمة فيه.

وفي ثالث عشره: وفي النيل ستة عشر ذراعا، فركب العزيز في سادس عشره لتخليق المقياس، وفتح الخليج في ثامن عشره، وتظاهر الناس في هذه الأيام بالمنكرات من غير منكر.

وفي ثالث عشره: كان النوروز، فجرى الرسم في لعبه على العادة.

وفي يوم السبت سابع عشر ذي القعدة: قتل ابن مرزوق بالقاهرة، قتله ابن المنوفى قاضى بليس غيلة، بدار سكنها بالفهادين، وحفر له فيها ودفنه، ومملوكا صغيرا معه، وبلط فوقه، وجعل عليه شعيرا، فشنق ابن المنوفى، بعدما طيف به على حمل مصر والقاهرة.

وفي هذه السنة: توجه العادل من دمشق إلى مدينة ماردين، ونازلها وأخذ ريضها. وفيها خرج الملك الكامل محمد بن العادل من حران، وقاتل عسكر الموصل.

وفيها أغاز الفرنج، ونهبوا وأسروا خلقا، وانتهوا إلى عكا. فعاد العادل إلى دمشق في رمضان، ثم خرج بعد شهر إلى الشرق يريد ماردين.

وفيها ادعى معز الدين إسماعيل بن سيف الإسلام طغتكين ملك اليمن الإلهية نصف نهار، وكتب كتابا وأرخه من مقر الإلهية. ثم رجع عن ذلك، وادعى الخلافة، وزعم

(١) سنة ٥٩٥ هـ. انظر أحداث تلك السنة في النجوم الزاهرة ١٣٧ - ١٣٩ / ٦. الكامل ١٢ / ١٤٠ وما بعدها، تاريخ ابن الوردي ٢ / ١٦٢ وما بعدها.

أنه من بنى أمية، ودعا لنفسه فى سائر مملكته بالخلافة، وقطع الدعاء من الخطبة لبنى العباس، ولبس ثيابا خضرا وعمائم خضرا مذهبة، وأكره من كان فى مملكته من أهل الذمة على الإسلام، وخطب بنفسه، وعزم على قصد مكة، وجهز من بنى له بها دارا، فأسرهم الشريف أبو عزيز قتادة.

سنة خمس وتسعين وخمسمائة^(١)

ودخلت سنة خمس وتسعين وخمسمائة والعاذل مضايق مدينة ماردين، والمعز صاحب اليمن قد تجهز يريد مكة، والعزیز صاحب مصر قد سار إلى الإسكندرية، من آخر ذى الحجة. فتصيد العزیز إلى سابع المحرم، وركض خلف ذئب فسقط عن فرسه، ثم ركب وقد حم، فدخل القاهرة يوم عاشوراء فلم يزل لما به حتى مات، منتصف ليلة السابع والعشرين منه، ودفن بجوار قبر الشافعی، رحمة الله علیه. وكان عمره سبعاً وعشرين سنة وأشهرًا، ومدة ملكه ست سنين تنقص شهراً وستة أيام.

وكان ملكاً كريماً، عادلاً رحيمًا، حسن الأخلاق شجاعاً، سريع الانقياد مفرط السخاء. سمع الحديث من السلفی، وابن عوف، وابن بری، وحدث. وكانت الرعيّة تحبه محبة كثيرة، وكان يعطى العشرة آلاف دينار، ويعمل سباطاً عظيماً يجمع النملين لأكله، فإذا جلسوا للأكل كره منهم أكله، ولا يطيب له ذلك، وهذا من غرائب الأخلاق.

وفيها عظمت الفتنة في عسكر غياث الدين محمد بن بهاء الدين سام^(٢) ملك الغورية، وسببها أن الإمام فخر الدين محمد بن عمر الرازي الفقيه الشافعی المشهور، كان قد بالغ غياث الدين في إكرامه، وبنى له مدرسة بقرب جامع هراة، ومعظم أهلها كرامية. فأجمعوا على مناظرته، وتجمعوا عند غياث الدين معه، وكبيرهم القاضي مجد الدين عبد المجيد بن عمر بن القدوة. فتكلم الإمام فخر الدين مع ابن القدوة، واستطال عليه وبالغ في شتمه، وهو لا يزيد على أن يقول: «لا يفعل مولانا لا آخذك الله استغفر الله». فغضب الملك ضياء الدين له، ونسب الإمام الرازي إلى الزندقة ومذهب الفلاسفة. وقام من الغد ابن عمر بن القدوة بالجامع، وقال في خطبته: «ربنا آمنّا بما أنزلت واتبعنا الرسول، فاكتبنا مع الشاهدين. أيها الناس إنا لا نقول إلا ما صح عندنا

(٢) ابن سام (٥٩٩ هـ - ١٢٠٣ م). محمد بن سام بن الحسين بن الحسن المسعودي، أبو الفتح، السلطان غياث الدين: صاحب غزنة، كان عادلاً، داهية، مظفراً في حروبه، فيه فضل وأدب قرأ شيئاً من الفقه على مذهب الشافعی، ونسخ بخطه عدة مصاحف ووقفها في مدارس أنشأها بخراسان، كما بنى رباطات ومساجد وخانات في الطرق والمفاوز، وكان إذا نزل ببلدة من بلاده عم أهلها بإحسانه ولاسيما الفقهاء والأدباء. ولم يكن يتعصب لمذهب. طالت أيامه ومات بالنقرس، في هراة. انظر الإعلام لابن قاضي شهبة حوادث سنة ٥٩٩، الجامع المختصر ١٠٥. الأعلام ١٣٥/٦.

عن رسول الله، وأما علم أرسطو، وكفريات ابن سينا، وفلسفة الفارابي، فلا نعلمها. فلأى حال يشتم بالأمس شيخ من شيوخ الإسلام، يذب عن دين الله وسنة نبيه؟، وبكى وأبكى، فثار الناس من كل جانب، وامتألت البلد فتنة، فسكنهم السلطان غياث الدين، وتقدم إلى الإمام فخر الدين بالعود إلى هراة، فخرج إليها، ثم فارق غياث الدين ملك الغورية مذهب الكرامية، وتقلد الشافعي رحمه الله.

* * *

السلطان الملك المنصور ناصر الدين

محمد ابن الملك العزيز عماد الدين عثمان ابن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب، ولد بالقاهرة فى [.....] (١) جمادى الأولى، سنة خمس وثمانين وخمسمائة، ومات أبوه وعمره تسع سنين وأشهر. وقد أوصى له أبوه بالملك من بعده، وأن يكون مدير أمره الأمير بهاء الدين قراقوش الأسدى. فأجلس على سرير الملك فى غد وفاة أبيه، يوم الإثنين حادى عشرى المحرم، وجعل قراقوش أتابكا. وحلف له الأمراء كلهم، ماخلا عماء الملك المؤيد نجم الدين مسعود والملك المعز، فإنهما أرادا أن تكون الأتابكية لهما، وجرت منهما منازعة، ثم حلفا. ووقع الخلف بين أمراء الدولة، فطعن عدة منهم فى قراقوش، بأنه مضطرب الرأى ضيق العطن، ولا يصلح لهذا الأمر، وتعصب جماعة معه، ورأوا أنه أطوع من غيره. وكثر النزاع فى ذلك، وصاروا إلى القاضى الفاضل، ليأخذوا رأيه، فامتنع من المشورة عليهم، فتركوه.

وأقاموا ثلاثة أيام بمحسون الرأى، حتى استقر على مكتابة الملك الأفضل، ليحضر أتابكا عوض قراقوش، بشرط ألا يرفع فوق رأسه السنجق، ولا يذكر له اسم فى خطبة ولا سكة، وأن يدبر أمر الملك المنصور مدة سبع سنين، فإذا تم هذا الأجل سلم إليه الأمر والتدبير، وسيروا إليه القصاد بذلك، وأقيم الملك الظافر مظفر الدين خضر ابن السلطان صلاح الدين مباشر نيابة السلطنة، حتى يقدم الأفضل. فخرج الأفضل من صرخد لليلتين بقيتا من صفر، فى تسعة عشره نفسا، متنكرا، خوفا من العادل.

وكان الأمير فخر الدين جهاركس - لما قرر أمراء مصر أمر الأفضل، وكتبوا إليه بالحضور - كره ذلك، وكتب إلى الأمير فارس الدين ميمون القصرى صاحب نابلس، ينهاه عن الموافقة على إقامة الأفضل. فوقع الأفضل على القاصد، وأخذ منه الكتاب، وعلم ما فيه، وقال له: «ارجع فقد قضيت الحاجة»، وسار الأفضل، ومعه ذلك القاصد،

(١) ماين المعرفتين بياض فى الأصل.

حتى وصل بلبيس، وقد خرج الأمراء إلى لقائه، فى خامس شهر ربيع الآخر. فنزل فى خيمة أخيه الملك المؤيد مسعود. وكان فخر الدين جهاركس يؤمل أنه ينزل فى خيمته، فشق ذلك عليه من فعل الأفضل، ولم يجد بدا من الجئء إلى عنده، فأكرمه الأفضل. ثم لما فرغ الأفضل من طعام أخيه، صار إلى خيمة فخر الدين وأكل طعامه، فحانت من فخر الدين التفاتة، فرأى القاصد الذى بعثه إلى نابلس، فدهش وخاف من الأفضل، وأخذ يستأذنه فى التوجه إلى العرب المخالفين ليصلح أمرهم، فأذن له. وللحال قام فخر الدين واجتمع بزین الدين قراجا وأسد الدين سراسنقر، وسار بهما مجدا إلى القدس، فإذا بشجاع الدين طغرل السلاح دار سائر إلى مصر، فألقتوه عن الأفضل، وساروا به إلى القدس، فاتفق معهم الأمير صارم الدين صالح نائب القدس، ووافقهم أيضا الأمير عز الدين أسامة وميمون القصرى، وقدموا إلى القدس، ومع ميمون سبعمائة فارس منتخبة، وكتبوا الملك العادل، يستدعونه لأتابكية الملك المنصور.

وأما الأفضل فإنه سار من بلبيس إلى القاهرة، فخرج المنصور وتلقاه، فى سابع ربيع الآخر وكانت مدته شهرين و[.....]^(١) وتحكم الأفضل. ولما استقرا بالقاهرة كتب الأفضل إلى عمه الملك العادل، يخبره بوصوله إلى مصر، حفظا لدولة ابن أخيه، وأنه لا يخرج عما يأمره به، فورد جوابه بأن «العزیز إن كان مات عن وصية فلا يعدل عنها، وإن كان مات عن غير وصية، فيكتب الأعيان خطوطهم لك بذلك، حتى نرى الرأى». فاستولى الأفضل على أمر مصر كله ولم يبق للمنصور غير مجرد الاسم فقط. وعزم الأفضل على قبض من بقى من الأمراء الصلاحية بمصر ففر منهم جماعة، ولحقوا بفخر الدين جهاركس بالقدس. وقبض الأفضل على جماعة: منهم الأمير علاء الدين شقير، والأمير عز الدين البكى الفارس، والأمير عز الدين أيبك فطيس، وخطلبا، ونهب أموالهم، ثم برز إلى بركة الجب، فأقام أربعة أشهر، وحلف بها الأمراء والأجناد، فبلغه عن أخيه الملك المؤيد مسعود أنه يريد الوثوب عليه، فقبضه وسجنه.

وبعث الملك الظاهر غازى صاحب حلب إلى أخيه الأفضل يخثه على سرعة القدوم من مصر إلى دمشق، واغتنام الفرصة فى أمرها والملك العادل غائب عنها فى حصار ماردين. فقبض الصلاحية بالشام على القاصد، وأهانوه ثم أطلقوه، فسار إلى الأفضل، وبلغه رسالة أخيه الظاهر. فرحل الأفضل من بركة الجب ثالث شهر رجب، ومعه الملك المنصور، فأقام بالعباسة^(٢) خمسة أيام. واستخلف على القاهرة سيف الدين يازكج

(١) ما بين المعقوفتين بياض فى الأصل .

(٢) العباسة: بفتح أوله، وتشديد ثانيه، وبعد اللف سين مهملة؛ وهى بليدة أول ما يلقي القاصد لمصر من الشام من الديار المصرية، ذات نخل طويل . انظر معجم البلدان ٧٥ / ٤، وقال ابن إياس-

الأسدى ثم سار إلى دمشق، فنزل عليها في ثالث عشر شعبان، وقد بلغ العادل خروجه من مصر، وهو على حصار ماردين، فرتب ابنه الكامل محمداً^(١) على حصارها، وسار في مائتي فارس إلى دمشق فقدمها في ثمانية أنفس، لكثرة ما أسرع في السير، قبل منزلة الأفضل لها بيومين وتلاحق به أصحابه. وقدم الأفضل فنزل الشرفين والميدان الأخضر، وهجم بعض أصحابه على البلد وأحرقوا، وصاحوا: «يا أفضل يا منصور». فصاحت العامة معهم بذلك، لميلهم إلى الأفضل، فبرز إليهم العادل، وأخرجهم من البلد، وامتنع بها، ففر من أمراء الأفضل عدة، فتأخر حينئذ عن دمشق إلى نحو الكسوة. فدى العادل إلى جماعة ممن في صحبة الأفضل بكلام منه: «إنى أريد الرجوع إلى الشرق، وأترك الشام ومصر لأولاد أختي»، ففندوا الأفضل عن الحرب. وبذل العادل لهم مالا، فمشى ذلك من مكره عليهم، وخذلوا الأفضل، بأن أشاروا عليه بترك القتال حتى يقدم أخوه الظاهر من حلب. فأمسك الأفضل عن الحرب مدة، والعادل يكتب الأمراء ويستميلهم شيئاً بعد شيء، وهم يأتونه فيبذل لهم المال، ويوسع عليهم، إلى أن قدم الظاهر من حلب في آخر شعبان، فقوى به الأفضل، ورحل إلى مسجد القدم، وحارب العادل وحاصره، حتى غلت الأقوات بدمشق لشدة الحصار. فقدمت الصلاحية من القدس نصرة للعادل، فاشتد عضد العادل بقدمهم، وجهز إلى القدس من يمنع الميرة

=في ذكر العباسية: هذه القرية فيما بين بلييس والصلاحية ولم تزل متنزها للملك مصر، وقيل أنها ولد بها العباس بن أحمد بن طولون فسماه وبذلك أبوه العباس وولد بها أيضاً الملك الأجدد تقي عباس ابن الملك العادل أبي بكر بن أيوب، وكان الملك الكامل محمد يقيم بها كثيراً ويقول هذه أحسن من مصر إذا قمت بها أصطاد الطير من السماء والسماك من الماء والوحش من الفضا ويصل إلينا الخير من القلعة في يومه. وبنى بها مناظر ويساتين ولم تزل العباسية على ذلك حتى إنشاء الملك الصالح مدينة الصلاحية فحينئذ تلاشى فخربت تلك المناظر، فلما كانت دولة الملك الظاهر بيبرس مر عليها فأعجبتة فبنى على فم الوادى قرية، وسمها الظاهرية وأنشأها جامعاً وذلك في سنة ست وستين وستمائة. وقيل إنما سميت العباسية باسم عباسية الست قطر النداء بنت خمارويه بن أحمد بن طولون ولما أمر المعتضد بالله بحملها ليتزوج بها فعند ذلك ضربت خيامها العباسية بتلك الأرض فسميت بها وبنيت قرية على اسمها. والله أعلم. انظر نزهة الأمم ٢٢٢.

(١) الملك الكامل (٥٧٦ - ٦٣٥ هـ - ١١٨٠ - ١٢٣٨ م). محمد الملك الكامل بن محمد العادل بن أيوب، أبو المعالي، ناصر الدين: من سلاطين الدولة الأيوبية كان عارفاً بالأدب، له شعر، وسمع الحديث ورواه ولد بمصر وأعطاه أبوه الديار المصرية، فتولاها مستقلاً بعد وفاته (سنة ٦١٥ هـ) وحسنت سياسته فيها. انظر الوافى ١/ ١٩٣، ابن إياس ١/ ٧٧، ابن الأثير ١٢/ ١٢٦، ١٣٥، ١٨٦، السلوك ١/ ١٩٤ - ٢٦٠، ابن خلكان ٢/ ٥٠، الدارس ٢/ ٢٧٧، مرآة الزمان ٨/ ٧٠٥.

الواصلة من مصر إلى الأفضل، فوجدوا يازكج قد أخرج سبعمائة من عسكر مصر بجدة للأفضل، فقاتلوهم وكسروهم وغنموا ما معهم. وصارت أهل دمشق فى جهد من الغلاء، واحتاج العادل إلى القرض، فأخذ مالا من التجار. وقوى الزحف على البلد حتى أشرف على الأخذ، وهم العادل بالتسليم، فاتفق وقوع الخلف بين الظاهر وبين أخيه الأفضل.

* * *

سنة ست وتسعين وخمسمائة^(١)

وأهلت سنة ست وتسعين والأخوان على حصار عمهما العادل بدمشق، وقد خربت البساتين والدور، وقطعت الأنهار، وأحرقت الغلال، وقلت الأقوات. وعزم العادل على تسليم دمشق، لكثرة من فارقه وخرج عنه إلى الأفضل، فكتب إلى ابنه الكامل يستدعيه، وكتب إلى نائب قلعة جعبر أن يسلمه ما يستدعيه من المال، وكانت أموال العادل بها، فسار إليه الكامل في العسكر الذى معه، وأخذ من قلعة جعبر أربعمئة ألف دينار، وقدم على أبيه فقوى بقدمه قوة عظيمة، ووقع الوهن في عسكر الأفضل والظاهر؛ لكثرة من خامر منهم، ودس العادل مكيدة بين الأخوين، وهى أن الظاهر كان له مملوك يقال له أيك^(٢) وقد شغفه حبا، ففقده وظن أنه دخل دمشق فعلق، وبلغ ذلك العادل، فبعث إليه بكلام فيه: «أن محمود بن الشكرى أفسد مملوكك، وحمله إلى الفضل»، فقبض الظاهر حينئذ على ابن الشكرى، وظهر المملوك عنده، فما شك في صدق ما قاله عمه، ونفر من أخيه وامتنع من لقائه، وكان اليرد قد اشتد، فرحلا إلى الكسوة، وسار إلى مرج الصفر، ثم سارا إلى رأس الماء، فغلت الأسعار، وقوى اليرد، فرحل الظاهر على القريتين، ورحل الأفضل بعساكره يريد مصر، وتركوا من أنقاهم ما عجزوا عن حمله فأحرقوه، وهلك لهم عدة ممالك ودواب، ودخل الأفضل إلى بلييس في خامس عشرى شهر ربيع الأول، فأشير عليه بالإقامة بها.

وورد الخير بأن العادل خرج من دمشق، ونزل تل العجول، وأنه كتب الإقامات للعربان، واستدعى الكنانية، فجمع الأفضل الأمراء، وركب ودار على سور بلييس، وأمر قراقوش بحفظ قلعة الجبل، وأن يهتم بحفر ما بقى من سور مصر والقاهرة، وأنه يعمق الحفر حتى يصل إلى الصخر، ويجعل التراب داخل المدينة على حافة الحفر، ليكون

(١) سنة ٥٩٦ هـ. انظر أحداث تلك السنة فى الكامل ١٥٣ / ١٢. تاريخ ابن السوردي

٢ / ١٦٥.

(٢) أيك المعظمى (٦٤٦ هـ - ١٢٤٨ م). أبو المنصور، عز الدين المعظمى : أمير، من الممالك يعرف بصاحب صرخد. كان مملوكا للملك المعظم شرف الدين عيس الأيوبي فى دمشق، وأقطع مدينة صرخد وما جاورها. وعين أستاذار المعظم ثم أخذ منه الصالح أيوب صرخد وعوضه عنها، فأقام بدمشق. ووشى به أنه يكاتب الصالح إسماعيل، فحجز عليه وعلى أمواله، ثم اعتقل بالقاهرة إلى أن مات، له آثار عمرانية كثيرة. انظر الدرر: ١ / ٥٥١، وفيات الأعيان ١ / ٣٩٧.

الأعلام ٢ / ٣٤.

مثل الباشورة، ويستعمل الأبقار فيه، ويعمل ذلك فيما بين البحر وقلعة المقس، حتى لا يبقى إلى البلد طريق إلا من أبوابها.

وفي ثانی ربيع الآخر: نزل العادل قطية^(١) فهم الفضل بتحريق بليس، فنفرت القلوب منه، وقطع أرزاق المرتزقة من جانب السلطان، ومن الأحباس على مكة والمدينة والفقهاء وأرباب العمائم، ليغلق الذى للجند، فما سد المأخوذ، ولا انقطع الطلب من الأجناد، وثار الضحيج من المساكين. ووصل العادل فواقعه الأفضل، فانكسر منه وانهمز، فتبعهم العادل إلى بركة الجب، فنخيم بها وأقام ثمانية أيام، ولحق الأفضل بالقاهرة، فدخلها يوم الثلاثاء سابع ربيع الآخر، وخامر جماعة عليه، وصاروا إلى العادل، وألجأت الضرورة الأفضل إلى مراسلة العادل، فطلب منه أن يعوضه عن ديار مصر بدمشق، فامتنع العادل، وقال: «لا تحوجنى أن أأحرق ناموس القاهرة، وأخذها بالسيف، اذهب إلى صرخد، وأنت آمن على نفسك» فلم يجد الأفضل بدا من التسليم، لتخاذل أصحابه عنه. فتسلم العادل القاهرة، ودخلها يوم السبت ثامن عشر ربيع الآخر، وخرج منها الفضل منهزما فى ذلك اليوم، وكان الوزير ضياء الدين ابن الأثير قد قدم إلى مصر، وتمكن من الأفضل؛ فلما تسلم العادل القاهرة فر، ولحق بصرخد، وكانت مدة استيلاء الفضل على ديار مصر سنة واحدة وثمانية وثلاثين يوما، وخرج إلى بلاد الشرق فأقام بسميساط، وكان مدة إقامته بالقاهرة لا يقدر أن يخلو بنفسه فى ليل ولا نهار، وكان الأمراء قد حجروا عليه أن يخلو بأحد، وكانت الضرورة ملجئة إلى موافقتهم. وأقام العادل بالقاهرة على أتابكية الملك المنصور، وحلف له الأمراء على مساعدته، ليقوم بأتابكية المنصور إلى أن يتأهل للاستقلال بالقيام بأمر المملكة، فلم يستمر ذلك [.....]^(٢) فانتقض الأمر فى الحادى والعشرين من شوال، وذلك أن الملك العادل أحضر جماعة من الأمراء وقال لهم: «إنه قبيح بى أن أكون أتابك صبى، مع الشيخوخة والتقدم، والملك ليس هو بالإرث، وإنما هو لمن غلب، وإنه كان يجب أن أكون بعد أخى الملك الناصر صلاح الدين، غير أنى تركت ذلك إكراما لأخى، ورعاية لحقه، فلما كان من الاختلاف ما قد علمتم خفت أن يخرج الملك عن يدي ويد أولاد أخى، فسست الأمر إلى آخره، فما رأيت الحال ينصلح إلا بقيامى فيه، ونهوضى بأعبائه، فلما ملكت هذه البلاد، وظنت نفسى على أتابكية هذا الصبى، حتى يبلغ

(١) قطية: كائن تصغير قطة من الطير: وهو ما بين جبلى طىء وتيماء. انظر معجم البلدان

أشده، فرأيت العصبية باقية، والفتن غير زائلة، فلم آمن أن يطرأ على ما طرأ على الملك الأفضل، ولا آمن أن يجتمع جماعة ويطلبون إقامة إنسان آخر، وما يعلم ما يكون عاقبة ذلك، والرأى أن يمضى هذا الصبى إلى الكتاب، وأقيم له من يؤدبه ويعلمه، فإذا تأهل وبلغ أشده نظرت فى أمره، وقمت بمصالحه. هذا والأسدية كلهم مع العادل على هذا الرأى، فلم يجد من عداهم بدا من موافقته، فحلفوا له، وخلعوا المنصور فى يوم الخميس، وخطب للعادل من الغد يوم الجمعة حادى عشرى شوال، فكانت سلطنة المنصور سنة واحدة وثمانية أشهر وعشرين يوما.

* * *

السلطان الملك العادل سيف الدين أبو بكر بن أيوب

ولما حلف له الأمراء استولى على سلطنة مصر فى حادى عشرى شوال، وخطب له بديار مصر وأرض الشام وحران والرها وميفارقين، واستحلف الناس بهذه البلاد، وضربت السكة باسمه واستدعى العادل ابنه الملك الكامل ناصر الدين محمدا، فحضر إلى القاهرة فى يوم الخميس لثمان بقين من رمضان، ونصبه نائبا عنه بديار مصر، وجعل الأعمال الشرقية إقطاعه كما كانت إقطاعا للعادل فى أيام السلطان صلاح الدين، وجعله ولى عهده، وحلف له الأمراء.

وفىها أقيمت الخطبة للعادل بحماسة وحلب، وضربت السكة باسمه.

وفىها توقفت زيادة النيل، فلم يجر إلا ثلاثة عشر ذراعا تنقص ثلاثة أصابع، وشرق معظم أرض مصر فارتفعت الأسعار.

وفىها استناب العادل بدمشق ابنه الملك المعظم شرف الدين عيسى^(١) واستناب ببلاد الشرق ابنه الملك الفائز، وأقر بحلب ابن أخيه الملك الظاهر غازى بن صلاح الدين، وحماة الملك المنصور بن تقي الدين عمر.

(١) الملك المعظم (٥٧٦ - ١٢٤ هـ - ١١٨٠ - ١٢٢٧ م). عيسى الملك المعظم بن محمد الملك العادل أبى بكر بن أيوب، شرف الدين الأيوبي: سلطان الشام من علماء الملوك كان له ما بين بلاد حمص والعريش وكان وافر الحرمة، فارسا شجاعا، كثيرا ما كان يركب وحده لقتال الفرنج ثم تتلاحق به الممالك والجنود وكان عالما بفقهاء الحنفية والعربية. انظر مرآة الزمان ٨ / ٦٤٤ . ٦٥٢، البداية والنهاية ١٣ / ١٢١، ابن خلكان، القلائد الجوهريّة ١٤٣، ذيل الروضتين ١٥٢ / النجوم الزاهرة ٦ / ٢٦٧، ابن الأثير ١٢ / ١٨٣، الجواهر المضية ١ / ٤٠٢، هدية العارفين ١ / ٨٠٨. الأعلام ١٠٧ / ٥.

وفيها أخرج الملك العادل ابن ابن أخيه الملك المنصور محمد بن العزيز عثمان بن صلاح الدين من مصر، ومعه إخوته وأخواته ووالدته فساروا إلى الشام، ثم سيرهم إلى الرها، فهربوا منها إلى حلب وبقي الملك المنصور بمدينة الرها، حتى مات سنة عشرين وستمائة، وكان قد أصبح أميراً عند الظاهر صاحب حلب.

* * *

ومات في هذه السنة

إبراهيم بن منصور بن المسلم أبو إسحاق المعروف بالعراقي، خطيب الجامع العتيق بمصر، في حادى عشرى جمادى الأولى، عن ست وثمانين سنة.

ومات القاضى الفاضل عبد الرحيم بن على الحسن بن الحسن بن أحمد بن الفرغ ابن أحمد اللخمي، العسقلاني مولداً، البيساني، أبو على محيى الدين، فى سابع ربيع الآخر.

ومات الأثير ذو الرياستين أبو الظاهر محمد بن ذى الرياستين أبى الفضل محمد بن محمد بن بنان الأنبارى فى ليلة الثالث من ربيع الآخر، ومولده بالقاهرة سنة سبع وخمسمائة.

وفى هذه السنة: ولد بالقاهرة مولود له جسد واحد، ورأس فيه وجهان، فى كل وجه عينان وأذنان وأنف وحاجب.

وولد أيضا بها مولود له غرة كفرة الفرس، ويده ورجلاه محجلتان، وألتيه ملمعة. وولد بها أيضا مولود أشيب الرأس؛ ونعجة لها أربع أيادى، وأربع أرجل. ووجد فى بطن نعجة ذبجت خروف صدره ووجهه صورة إنسان، وله أظافر آدمى.

* * *

سنة سبع وتسعين وخمسمائة^(١)

فيها قبض الملك العادل على أولاد أخيه صلاح الدين وهما الملك المؤيد مسعود والملك المعز إسحاق، وسجنهما في دار بهاء الدين قراقوش بالقاهرة، وتسلم الأمير فخر الدين جهاركس بانياس من الأمير حسام الدين بشارة بعد حصار وقتال.

وفيها حدثت الوحشة بين الملك العادل وبين الصلاحية من أجل أنه خلع المنصور ابن العزيز، وكتب الأمير فارس الدين ميمون القصرى من نابلس إلى العادل بإنكار خلع المنصور، فأجابه العادل جوابا خشنا، وتكررت المكاتبة بينهما غير مرة، فكتب ميمون إلى الصلاحية يغريهم بالعادل، فلم يجد فيهم نهضة للقيام، وفي أثناء ذلك حدثت وحشة بين الظاهر صاحب حلب وبين عمه العادل، وسير إليه وزيره علم الدين قيصر ونظام الدين، فمنعهما العادل أن يعبرا إلى القاهر، وأمرهما أن يقيما ببلييس، ويُحمَّلا قاضى بلييس ما معهما من الرسالة، فعادا مغضبين، واجتمعا بميمون القصرى فى نابلس، ومازالا به حتى مال إلى الفضل وإلى أخيه الظاهر، فلما وصلا إلى حلب شق على الظاهر ما كان من عمه، وكتب الصلاحية ورغبتهم، وكتب ميمون القصرى، وشرع الأفضل أيضا فى مكاتبتهم وهو بصرخد، وانضوى إلى الأفضل الأمير عز الدين أسامة صاحب عجلون وكوكب، وحلف له، فبلغ ذلك العادل فتيقظ لنفسه، وكتب إلى ابنه المعظم صاحب دمشق بمحاصرة الأفضل فى صرخد، فجمع وخرج من دمشق، فاستخلف الأفضل على صرخد أخاه الملك الظاهر خضر، وسار إلى أخيه الظاهر بحلب فى عاشر جمادى الأولى، فنزل المعظم على بصرى، وكتب فخر الدين جهاركس وميمون القصرى، يأمرهما بالمسير إليه لحصار صرخد، فلم يجيبا، وجمعا من يوافقهما، وصارا إلى الظاهر بصرخد. وكتبوا إلى الظاهر بحلب يحثونه على الحركة وأخذ دمشق، فوافته الكتب وعنده الأفضل، فجمع الناس وعزم على المسير، ثم سار الظاهر، فلم يوافق المنصور صاحب حماة، فحاصره مدة، ثم رحل عنه بغير طائل، فنازل دمشق ومعه الأفضل، وأتته الصلاحية هناك، فخرج العادل من القاهرة بعساكره، واستخلف على القاهرة ابنه الملك الكامل محمدا، وسار حتى نازل نابلس.

وقدم العادل طائفة من العسكر، فساروا إلى دمشق، واستولوا عليها قبل نزول

(١) سنة ٥٩٧ هـ. انظر أحداث هذه السنة فى النجوم الزاهرة ١٥٦ - ١٦١ / ٦. الكامل ١٢ / ١٦٠ وما بعدها، تاريخ ابن الوردى ٢ / ١٦٧ وما بعدها.

الأفضل والظاهر عليها، فقدمنا بعد ذلك، وضايقا دمشق فى رابع عشر ذى القعدة، واشتد القتال حتى كادا يأخذان البلد، فوقع بينهما الاختلاف بمكيدة دبرها العادل، ففترت الهمة عن القتال، وذلك أن العادل كتب إلى كل من الأفضل وإلى الظاهر سرا، بأن: «أحاك لا يريد دمشق إلا لنفسه، وقد اتفق معه العسكر فى الباطن على ذلك» فانفعلا لهذا الخير، وطلب كل منهما من الآخر أن تكون دمشق له فامتنع، فبعث العادل فى السر إلى الأفضل يعده بالبلاد التى عينت له بالشرق، وهى رأس عين^(١) والخابور^(٢) وميافارقين، وغير ذلك، وبذل له مع ذلك مالا من مصر فى كل سنة بمبلغ خمسين ألف دينار، فانخدع الأفضل وقال للأمرء الصلاحية ومن قدم إليه من الأجناد: «إن كنتم جئتم إلى فقد أذنت لكم فى العود إلى الملك العادل، وإن كنتم جئتم إلى أختى فأنتم به أخير». وكانوا يجيئون الفضل من أجل أنه لين العريكة، فقالوا كلهم: «لا نريد سواك، والعادل أحب إلينا من أخيك». فأذن لهم فى العود إلى العادل، فسار إليه الأمير فخر الدين جهاركس، والأمير زين الدين قراجا، وعلاء الدين شقير، والحجاف، وسعد الدين بن علم الدين قيصر، فوقع الوهن والتقصير فى القتال بعدما كانوا قد أشفوا على أخذ دمشق. وانقضت هذه السنة والأفضل والظاهر على منازلة دمشق.

(١) رأس عين: وهى مدينة كبيرة مشهورة من مدن الجزيرة بين حران ونصيبين وديسر، وبينها وبين نصيبين خمسة عشر فرسخا وقريب من ذلك بينها وبين حران، وهى إلى ديسر أقرب، بينهما نحو عشر فراسخ، وفى رأس عين عيون كثيرة عجيبة صافية تجتمع كلها فى موضع فتصير نهر الخابور. انظر معجم البلدان ١٤ / ، وفى الروض المعطار رأس عين: وبعضهم يقول رأس العين، واسمها عين الورد، من كور الجزيرة وعمقبة من نصيبين، وبينها وبين الفرات أربعة فراسخ، وهى كلها بين الجزيرة والشام، وهى مدينة عليها سوران، وهذا الاسم لها صادق جدا، قالوا: وهذه المدينة للبدواة بها اعتناء وللحضارة عنها استغناء، لا سور يحصنها ولا دور أنيقة البناء فيها، وهى مع ذلك كاملة مرافق المدن، وبعين الورد كانت الوقعة بين سليما بن سرد وأصحابه التوابين الخارجين للطلب بدم الحسين رضى الله عنه مع أهل الشام وفيهم عبيد الله بن زياد، فقتل سليمان وأكثر أصحابه، وذلك سنة خمس وخمسين وستين. انظر الروض المعطار ٢٦٤، ٢٦٥، وابن جبير ٢٤٢، ٢٤٤، ومعجم ما استعجم ٢/٦٢٣، وابن حوقل ٢٠٠، والكرخى ٥٣.

(٢) الخابور: بعد الألف باء موحدة، وآخره راء، فهو اسم لنهر كبير بين رأس عين والفرات من أرض الجزيرة ولاية واسعة وبلدان جمة غلب عليها اسمها. انظر معجم البلدان ٣٣٤ / ٢، وفى الروض المعطار الخابور نهر يمر بديار ربيعة حتى يصب فى الفرات بعد مروره على وسط مدينة قرقيسيا، ويسمى الهرماس، وهو المذكور فى قول عدى بن زيد:

أخو الحضرة إذ بناه وإذ دحا — لمة تجبى إليه والخابور

والخابور مدينة لطيفة على شاطئ الفرات لها بساتين وحدائق، وبها مات مسلمة بن عبد الملك، وكان يلقب بالجرادة الصفراء. انظر الروض المعطار ٢١١.

وفيهما تعذرت الأقوات بديار مصر، وتزايدت الأسعار، وعظم الغلاء حتى أكل الناس الميتات، وأكل بعضهم بعضا، وتبع ذلك فناء عظيم، وابتدأ الغلاء من أول العام، فبلغ كل أردب قمح خمسة دنانير، وتمادى الحال ثلاث سنين متوالية، لا يمد النيل فيها إلا مدا يسيرا، حتى عدت الأقوات، وخرج من مصر عالم كبير بأهلهم وأولادهم إلى الشام، فماتوا في الطرقات جوعا. وشنع الموت في الأغنياء والفقراء، فبلغ من كفته العادل من الأموات - في مدة يسيرة - نحو من مائتي ألف إنسان وعشرين ألف إنسان، وأكلت الكلاب بأسرها، وأكل من الأطفال خلق كثير، فكان الصغير يشويه أبواه ويأكلانه بعد موته، وصار هذا الفعل لكثرتة بحيث لا ينكر، ثم صار الناس يحتال بعضهم على بعض، ويؤخذ من قدر عليه فيؤكل، وإذا غلب القوى ضعيفا ذبحه وأكله، وفقد كثير من الأطباء؛ لكثرة من كان يستدعيهم إلى المرضى، فإذا صار الطبيب إلى داره ذبحه وأكله، واتفق أن شخصا استدعى طبيبا، فخافه الطبيب وسار معه على تخوف، فصار ذلك الشخص يكثر في طريقه من ذكر الله تعالى، ولا يكاد يمر بفقرير إلا ويتصدق عليه، حتى وصلا إلى الدار، فإذا هي خربة. فارتاب الطبيب مما رأى، وبينما هو يريد الدخول إليها إذ خرج رجل من الخربة، وقال للشخص الذي قد أحضر الطبيب: «مع هذا البطء جئت لنا بصيد واحد؟». فارتاع الطبيب، وفر على وجهه هاربا. فلولا عناية الله به، وسرعة عدوه، لقبض عليه، وخلت مدينة القاهرة ومصر من أكثر أهلها، وصار من يموت لا يجد من يواريه، فيصير عدة أشهر حتى يؤكل أو ييلى، واتفق أن النيل توقف عن الزيادة في سنة ست وتسعين، فخاف الناس، وقدم إلى القاهرة ومصر من أهل القرى خلق كثير، فلما حلت الشمس برج الحمل تحرك هواء أعقبه وباء، وكثر الجوع، وعدم القوت حتى أكلت صغار بني آدم، فكان الأب يأكل ابنه مشويا ومطبوخا، وكذلك الأم، وظفر الحاكم منهم بجماعة، فعاقبهم حتى أعياهم ذلك، وفشا الأمر: فكانت المرأة توجد وقد خبأت في عباها كتف الصغير أو فخذه، وكذلك الرجل، وكان بعضهم يدخل بيت جاره فيجد القدر على النار، فينتظرها حتى تنزل ليأكل منها، فإذا فيها لحم الأطفال؛ وأكثر ما كان يوجد ذلك في أكابر البيوت، ويوجد النساء والرجال في الأسواق والطرقات، ومعهم لحوم الأطفال، وأحرق في أقل من شهرين ثلاثون امرأة وجد معهن لحوم الأطفال، ثم فشا ذلك حتى اتخذ الناس غذاء وعشاء وألفوه، وقل منعهم منه، فإنهم لم يجدوا شيئا من القوت، لا الحبوب ولا الخضروات.

فلما كان قبل أيام زيادة النيل - في سنة ست وتسعين هذه - احترق الماء في

برمودة، حتى صار فيما بين المقياس والجيزة بغير ماء، وتغير طعم الماء وريحه، وكان القاع ذراعين، وأخذ يزيد زيادة ضعيفة إلى سادس عشر مسرى، فزاد، إصبعاً، ثم وقف، ثم زاد زيادة قوية أكثرها ذراع حتى بلغ خمسة عشر ذراعاً وستة عشره إصبعاً، ثم انحط من يومه فلم ينتفع به، وكان الناس قد فنوا بحيث بقى من أهل القرية الذين كانوا خمسمائة نفر إما نفران أو ثلاثة، فلم تجد الجسور من يقوم بها، ولا القرى من يعمل مصالحها، وعمدت الأبقار بحيث أبيع الرأس بسبعين ديناراً، والهزيل بستين ديناراً. وجافت الطرقات بمصر والقاهرة وقراها، ثم أكلت الدودة ما زرع، فلم يوجد من التقاوى ولا من العقر ما يمكن به رده.

ودخلت سنة سبع وتسعين وخمسمائة: والناس تأكل الأطفال، وقد صار أكلهم طبعا وعادة، وضجر الحكام من تأديبهم، وأبيع القمح - إن وجد - بثمانية دنانير الأردب، والشعير والفول بستة دنانير، وعدم الدجاج من أرض مصر، فجلبه رجل من الشام، وباع كل فروج بمائة درهم، وكل بيضتين بدرهم. هذا وجميع الأفران إنما تقدر بأخشاب المساكن، حتى دخلت سنة ثمان وتسعين، وكان كثير من المساتير يخرجون ليلاً، ويأخذون أخشاب الدور الخالية، ويبيعونها نهاراً، وكانت أزقة القاهرة ومصر لا يوجد بها إلا مساكن قليلة، ولم يبق بمصر عامر إلا شط النيل، وكانت أهل القرى تخرج للحرث فيموت الرجل وهو ماسك المحراث.

وفي هذه السنة: قدم غلام سنه نحو عشر سنين - من عرب الحوف بالشرقية - إلى القاهرة، أسمر حلو السمرة، على بطنه خطوط بيض ناصعة البياض، متساوية القسمة من أعلاه إلى أسفله، كأحسن ما يكون من الخطوط.

وفيها مات الأمير بهاء الدين قراقوش الأسدى، فى غرة شهر رجب بالقاهرة، ودفن بسفح المقطم.

سنة ثمان وتسعين وخمسمائة^(١)

في أول المحرم: رحل الأفضل والظاهر عن دمشق، فصار الظاهر إلى حلب ومعه جماعة من الأمراء الصلاحية، منهم فارس الدين ميمون القصرى، وسرا سنقر، والفارس البكى، فأقطعهم الإقطاعات وأكرمهم، وتوجه الأفضل إلى حمص، وبها أمه وأهله عند الملك المجاهد، وقدم العادل إلى دمشق، ونزل بالقلعة؛ ثم سار منها إلى حماة، ونزل عليها بعساكره، فقام له الملك المنصور بجميع كلفه ونفقاته، وأظهر أنه يريد حلب، فخافه الظاهر واستعد للقائه، وراسل العادل وبعث إليه بهدايا جلييلة ولاطفه، فانتظم الصلح بينهما على أن يكون للعادل مصر ودمشق والسواحل وبيت المقدس وجميع ما هو فى يده ويد أولاده من بلاد الشرق، وأن يكون للظاهر حلب وما معها، وللمنصور حماة وأعمالها، وللمجاهد حمص والرحبة^(٢) وتدمر، وللأمجد بعلبك وأعمالها، وللأفضل سميساط وبلادها لا غير، وأن يكون الملك العادل سلطان البلاد جميعها، وحلفوا على ذلك. فخطب للعادل بحلب فى يوم الجمعة حادى عشر جمادى الآخرة، وأقطع الأفضل قلعة النجم مع سروج^(٣) وسميساط، وجهاز العادل ابنه الأشرف مظفر الدين موسى إلى الجزيرة، ليتسلم حران والرها وما معهما، ويستقر بالجزيرة؛ ويستقر الأوحى أيوب أخوه فى ميفارقين وترتب بقلعة جعبر ابنه الحافظ نور الدين أرسلان. وأقر العادل ابنه الملك المعظم شرف الدين عيسى بدمشق، وعاد العادل من حماة إلى دمشق، وقد اتفقت كلمة بنى أيوب.

(١) سنة ٥٩٨ هـ. انظر أحداث تلك السنة فى النجوم الزاهرة ١٦١ - ١٦٣ / ٦. الكامل ١٢/١٧٣ وما بعدها، تاريخ ابن الوردي ١٧٠ / ٢.

(٢) رحبة مالك بن طوق: بينها وبين دمشق ثمانية أيام ومن حلب خمسة أيام وإلى بغداد مائة فرسخ وإلى الرقاة نيف وعشرون فرسخا، وهى بين الرقة وبغداد على شاطئ الفرات أسفل من قرقيسيا. انظر معجم البلدان ٣/٣٤، وفى الروض المعطار رحبة مالك بن طوق: هى مدينة فى شرقى الفرات حصينة عامرة عليها سور تراب ولها أسواق وعمارات وكثير من التمر، ومنها مع الفرات إلى الخابور مرحلتان. انظر ٢٦٨.

(٣) سروج: بلدة قرية من حران من ديار مضر. انظر معجم البلدان ٣/٢١٦، وفى الروض المعطار: سروج: بلد من أرض الجزيرة وعمقبة من ملطية، وهى رستاق كثير القرى والكروم فى بطن بين جبال، ومن سروج إلى حصن كيفا ستة فراسخ، ثم إلى سميساط سبعة فراسخ، ثم إلى ملطية عشرة فراسخ، ثم إلى زبطرة خمسة فراسخ، وسروج كثيرة الفواكه، وهى التى نسبها الحريرى لأبى زيد تاج الغبراء وفيها البساتين والمياه المطردة. انظر الروض المعطار ٣١٥، ٣١٦، وابن حوقل ٢٠٧، والكرخى ٥٥.

وفيها قتل المعز إسماعيل بن سيف الإسلام ظهير الدين طغتكين بن نجم الديرم أيوب، وذلك أنه لما ملك اليمن - بعد أبيه - خرج عليه الشريف عبد الله الحسنى، ثم خرج عليه نحو ثمانمائة من ممالكيه، وحاربوه وامتنعوا منه بصنعاء، فكسرهم وجلاهم عنها، فادعى الربوية، وأمر أن يكتب عنه ويكتب بذلك، وكتب: «صدرت هذه المكاتبة من مقر الإلهية». ثم خاف المعز إسماعيل من الناس، فادعى الخلافة وانتسب إلى بنى أمية، وجعل شعاره الخضرة، ولبس ثياب الخلافة، وعمل طول كل كم خمسة وعشرين شبرا في سعة ستة أشبار، وقطع من الخطبة الدعاء لبني العباس، وخطب لنفسه على منابر اليمن، وخطب هو بنفسه يوم الجمعة، فلما بلغ ذلك عمه العادل سير بالإنكار عليه، فلم يلتفت إلى قوله، وأضاف إلى ذلك سوء السيرة وقبح العقيدة، فثار عليه ممالك أبيه؛ لهوجه وسفكه الدماء وحاربوه وقتلوه، ونصبوا رأسه على رمح، وداروا به بلاد اليمن، ونهبوا زبيد تسعة أيام، وكان قتله في رابع عشر رجب، من سنة ثمان وتسعين، وقام من بعده أخوه الناصر أيوب - وقيل: محمد -، وترتب سيف الدين سنقر أتابك العساكر، ثم استقل سنقر بالسلطنة.

وفيها كان الغلاء بمصر، فلما طلع النيل رويت البلاد، وانحل السعر.

* * *

سنة تسع وتسعين وخمسمائة^(١)

فيها وصل الفرنج إلى عكا، وتحرك أهل صقلية لقصد ديار مصر، فقدم من حلب خمسمائة فارس ومائة راجل نجدة إلى العادل وهو بدمشق، فورد كتاب ناصر الدين منكورس بن حمارتكين، صاحب صهيون، يخبر بنزول صاحب الأرمن على جسر الحديد لحرب أنطاكية، وأن أكثر الفرنج عادوا من عكا إلى البحر، ولم يبق بها إلا من عجز عن السفر، وأن بها غلاء عظيما.

وفيها نازل الأشرف موسى بن العادل ماردين مدة، ومعه الأفضل، ثم تقرر الصلح على أن يحمل ناصر الدين أرسلان الأرتقى صاحب ماردين للعادل مائة ألف وخمسين ألف دينار سورية، ويخطب له بها، ويضرب السكة باسمه، فعاد الأشرف إلى حران. وفيها جهز العادل الملك المنصور بن العزيز عثمان من صمر إلى الرها بأمه وإخوته، خوفا من شيعته.

وفيها شرع العادل في بناء فصيل دائر على سور دمشق بالحجر والجير، وفي تعميق الخندق وإجراء الماء إليه، وقدم من عند العادل إلى القاهرة خلق لحفظ دمياط من الفرنج.

وفيها قصد الفرنج من طرابلس، ومن حصن الأكراد وغيرها، مدينة حماة، فركب إليهم المنصور في ثالث رمضان، وقاتلهم فهزمهم، وأسر منهم وغنم، وعاد مظفرا، فورد الخبر بوصول الفرنج إلى عكا من البحر في نحو سبعين ألفا، وأنهم يريدون الصلح مع الأرمن على حرب المسلمين، وخرج جمع من الإستار من حصن الأكراد والمرقب، في شهر رمضان أيضا، فخرج إليهم المنصور، وقتل منهم مقتلة عظيمة، وأسر جماعة، وانهزم من بقى.

وفيها بلغ العادل أن الملك الأفضل عليّ ابن أخيه كاتب الأمراء، فأمر ابنه الأشرف موسى أن ينتزع منه رأس عين وسروج، وكتب إلى الظاهر أن يأخذ منه قلعة نجم، ففعلا ذلك، ولم يبق معه سوى سيمساط لا غير، فسير الأفضل أمه إلى العادل لتشفع فيه، فقدمت عليه إلى دمشق، فلم يقبل شفاعتها وأعادها خائبة، وكان هذا عيرة، فإن صلاح الدين لما نازل الموصل خرجت إليه الأتابكيات، ومنهن ابنة نور الدين محمود بن

(١) سنة ٥٩٩ هـ. انظر أحداث تلك السنة في النجوم الزاهرة ٦ / ١٦٣ وما بعدها الكامل

١٢ / ١٧٩ وما بعدها، تاريخ ابن الوردي ١٧١، ٢ وما بعدها.

زنكى، يستغثن إليه فى أن يبقى الموصل على عز الدين مسعود، فلم يجبهن وردهن خائبات، فعوقب صلاح الدين فى ولده الأفضل على بمثل ذلك، وعادت أمه خائبة من عند العادل، ولما بلغ الأفضل امتناع عمه عن إجابة سؤال أمه قطع خطبته، ودعا للسلطان ركن الدين سليمان بن قلع أرسلان السلجوقى، صاحب الروم.

وفىها زاد ماء النيل زيادة كثيرة، ورخصت الأسعار.

وفىها انقضت دولة الهواشم بمكة، وقدم إليها حنظلة بن قتادة بن إدريس بن مطاعن من ينبع، فخرج منها مكتر بن عيسى بن فليته إلى نخلة، فأقام بها ومات سنة ستمائة، ثم وصل محمد بن مكتر إلى مكة، فحاربوه وهزموه، ثم قدم قتادة أبو عزيز بن إدريس، فاستمر بمكة هو وولده من بعده أمراء إلى أعوام كثيرة.

* * *

سنة ستمائة^(١)

فيها تقرر الصلح بين العادل وبين الفرنج، وانعقدت الهدنة بينهما، وتفرقت العساكر.

وفيها نازل ابن لاون أنطاكية حتى هجم عليها، وحصر الإبرنس بقلعتها، فخرج الظاهر من حلب بجدة له، ففر ابن لاون.

وفيها أوقع الأشرف موسى بن العادل بعسكر الموصل، وهزمهم ونازلها وبها السلطان نور الدين أرسلان شاه بن مسعود بن مودود بن عماد الدين زنكي أتابك بن آقسنقر، ونهب الأشرف البلاد نهبا قبيحا، وبعث إلى أبيه العادل بالبشارة، فاستعظم ذلك وما صدقه، وسر به سرورا كثيرا.

وفيها ملك الإفرنج مدينة القسطنطينية من الروم.

وفيها تجمع الإفرنج بعكا من كل جهة يريدون أخذ بيت المقدس، فخرج العادل من دمشق، وكتب إلى سائر الممالك يطلب النجدة، فنزل قريبا من جبل الطور على مسافة يسيرة من عكا، وعسكر الفرنج بمرج عكا، وأغاروا على كفر كنا^(٢) وأسروا من كان هناك، وسبوا ونهبوا، وانقضت هذه السنة والأمر على ذلك.

وفيها مات ركن الدين سليمان بن قلع أرسلان بن مسعود بن قلع أرسلان بن سليمان بن قطلوش بن بيغو أرسلان بن سلجوق صاحب الروم، فى سادس ذى القعدة، وقام من بعده ابنه عز الدين قلع أرسلان، وكان صغيرا، فلم يستتب أمره.

وفيها عاد الأشرف موسى بن العادل إلى حران بأمر أبيه، وهم العادل برحيله إلى مصر، فقدم عليه ابنه الأشرف، ثم عاد إلى حران.

وفيها خرج أسطول الفرنج إلى مصر، وعبر النيل من جهة رشيد، فوصل إلى فوة، وأقام خمسة أيام ينهب، والعسكر تجاهه ليس له إليه وصول لعدم وجود الأسطول العادلي.

(١) سنة ٦٠٠ هـ. انظر أحداث تلك السنة فى النجوم الزاهرة ٦ / ١٦٥ الكامل ١٢ / ١٨٥ وما

بعدها ، تاريخ ابن الوردي ٢ / ١٧٤.

(٢) كفر كنا: بفتح الكاف، وتشديد النون: بلد بفلسطين. انظر معجم البلدان ٤٧٠ / ٤.

وفيها أوقع الأمير شرف الدين قراقوش التقوى المظفرى ببلاد المغرب، فقبض عليه وحمل إلى ابن عبد المؤمن.

وفيها كانت زلزلة عظيمة عمت أكثر أرض مصر والشام، والجزيرة وبلاد الروم، وصقلية وقبرس، والموصل والعراق؛ وبلغت إلى سبتة^(١) ببلاد المغرب.

وفيها ملك الفرنج قسطنطينية من أيدي الروم، فلم يزلوا بها حتى استعادها الروم منهم، في سنة ستين وستمائة.

* * *

(١) سبتة: هي بلدة مشهورة من قواعد بلاد المغرب. انظر معجم البلدان ٣ / ١٨٢، وفي الروض المعطار سبتة: مدينة عظيمة على الخليج الرومي المعروف بالزقاق وهو أول البحر الشامي المنتهى إلى مدينة صور من أرض الشام، وهي تقابل الجزيرة الخضراء، والبحر يحيط بسبتة شرقاً وجوفاً وقلبة، وليس لها على البر غير طريق واحدة من ناحية الغرب لو شاء أهلها أن يقطعوه قطعوه، ولها بابان أحدهما محدث، ولها من جهات البحر أبواب كثيرة، وفي آخر المدينة بشرقيها جبل كبير فيه شعراء كثيفة يسمى جبل المينا، وسبتة سبعة أجبل صغار متصلة بعضها ببعض، معمورة، طولها من المشرق إلى المغرب نحو ميل، ويتصل بها من جهة المغرب وعلى ميلين منها جبل موسى، وهذا الجبل منسوب إلى موسى بن نصير الذي على يديه افتتاح الأندلس في صدر الإسلام. انظر الروض المعطار ٣٠٣، ٣٠٤، والبكري ١٠٢، والاستبصار ١٣٧، ابن الوردي ١٤، وصبح الأعشى ١٧٥ / ٥.

سنة إحدى وستمائة (١)

فيها تم الصلح بين الملك العادل وبين الفرنج، وتقررت الهدنة مدة، وشرطوا أن تكون يافا لهم، مع مناصفات لد والرملة، فأجابهم العادل إلى ذلك، وتفرقت العساكر، وسار العادل إلى القاهرة، فنزل بدار الوزارة، واستمر ابنه الكامل بقلعة الجبل، وشرع فى ترتيب أمور مصر.

وفيها مات الأمير عز الدين إبراهيم بن الجوينى والى القاهرة، فى سلخ جمادى الأولى.

وفيها ورد الخبر بأن الفرنج أخذوا القسطنطينية من الروم.

وفيها غارت الفرنج الإستبارية على حماة فى جمع كبير، لأن هدتهم انقضت، فقتلوا ونهبوا، ثم عادوا.

وفيها قدم الملك المنصور صاحب حماة على عمه الملك العادل بالقاهرة، فسر به وأكرمه، ثم رجع بعد أيام.

وفيها أغار الفرنج على حمص، وقتلوا وأسروا، فخرج العادل من القاهرة إلى بركة الجب، ثم عاد.

وفيها أغار فرنج طرابلس على جبلة واللاذقية، وقتلوا عدة من المسلمين، وغنموا وسبوا شيئا كثيرا.

وفيها أخذ الصاحب صفى الدين عبد الله بن شكر يغرى الملك العادل بأبى محمد مختار بن أبى محمد بن مختار، المعروف بابن قاضى دارا، وزير الملك الكامل، حتى نقم عليه وطلبه، فخاف عليه الكامل، وأخرجه من مصر - ومعه ابنه فخر الدين وشهاب الدين - إلى حلب، فأكرمهم الملك الظاهر، ثم ورد عليه من الكامل كتاب يستدعيه إلى مصر، فخرج ونزل بعين المباركة ظاهر حلب.

فلما كان فى ليلة الرابع والعشرين من ذى القعدة: أحاط به نحو الخمسين فارسا فى أثناء الليل، وأيقظوه وقتلوه، ثم قالوا للغلمانه: «احفظوا أموالكم، فما كان لنا غرض سواه». فبلغ ذلك الظاهر فارتاع له، وركب بنفسه حتى شاهده، وبعث الرجال فى سائر الطرقات، فلم يقف لقتله على خير، فكانت هذه القضية من أعجب ما سمع.

* * *

(١) سنة ٦٠١ هـ. انظر أحداث هذه السنة فى النجوم الزاهرة ١٦٦ / ٦ الكامل ٢٠٠ / ١٢ وما

بعدها، تاريخ ابن الوردى ١٧٥ / ٢.

سنة اثنتين وستمائة^(١)

فيها قبض على السعد أبي المكارم بن مهدي بن ممتى صاحب الديوان في جمادى الآخرة، وعلق برجله.

وفيها قبض على الأمير عبد الكريم أخى القاضى الفاضل، وأخذ خطه بعشرين ألف دينار وأداها، وأخذ من شرف الدين إبراهيم بن عبد الرحمن بن قريش خمسة آلاف دينار.

وفيها باشر التاج[.....]^(٢)بن الكعكى ديوان الجيش.

وفيها ضرب الصاحب صفى الدين عبد الله بن على بن شكر الفقيه نصرا فى وجهه بالدواة، فأدماه.

* * *

(١) سنة ٦٠٢ هـ. انظر أحداث تلك السنة فى النجوم الزاهرة ٦ / ١٦٨ الكامل ٢٠٨ / ١٢ وما بعدها، تاريخ ابن الوردى ١٧٦ / ٢.

(٢) ما بين المعقوفتين سقط فى الأصل.

سنة ثلاث وستمائة^(١)

فيها كثرت الغارات من الفرنج على البلاد، فخرج الملك العادل إلى العباسة، ثم أغدَّ السير إلى دمشق، ثم برز منها إلى حمص، فأتته العساكر من كل ناحية، فاجتمع عنده عشرات آلاف، وأشاع أنه يريد طرابلس، فلما انقضى شهر رمضان توجه إلى ناحية حصن الأكراد فنزل، وأسر خمسمائة رجل وغنم، وافتتح قلعة أخرى. ثم نازل طرابلس، وعانت العساكر في قراها، ولم يزل على ذلك إلى أيام من ذى الحجة، ثم عاد إلى حمص - وقد ضجرت العساكر - فبعث صاحب طرابلس يلتمس الصلح، وسير مالا وثلاثمائة أسير وعدة هدايا، فانعقد الصلح في آخر ذى الحجة.

وفيها حدثت وحشة بين العادل وبين ابن أخيه الملك الظاهر، صاحب حلب، فترددت بينهما الرسل حتى زالت، وحلف كل منهما لصاحبه.

وكرر في هذه السنة تخريب العادل لقلاع الفرنج وحصونهم.

وفيها عزل صاحب ابن شكر البدر بن الأبيض قاضى العسكر، وقرر مكانه نجم الدين خليل بن المصمودى الحموى.

وفيها قدم مانع بن سلمان شيخ آل دعيج من غزيرة^(٢) التي فيما بين بغداد ومكة.

* * *

ومات في هذه السنة

عبد الرحمن بن سلامة قاضى الإسكندرية بها، يوم الأربعاء ثامن صفر.

وفيها نفى الأشرف [...] بن^(٣) عثمان الأعور، واعتقل أخوه علم الملك.

وفيها ماتت أم الملك المعظم بن العادل بدمشق، فى يوم الجمعة عشرين ربيع الأول، ودفنت بسفح قاسيون.

* * *

(١) سنة ٦٠٣ هـ. انظر أحداث تلك السنة فى النجوم الزاهرة ٦/١٧٠ الكامل ١٢/٢٤٤ وما بعدها، تاريخ ابن الوردي ٢/١٧٧.

(٢) غزيرة: بضم الغين، وفتح الزاى، وتشديد الياء، وقيل: بفتح الغين، وكسر الزاى، وقيل: بفتح الراء المهملة: موضع قرب فيد وبينهما مسافة يوم. انظر معجم البلدان ٤/٢٠٣.

(٣) ما بين المعقوفين سقط فى الأصل.

سنة أربع وستمائة (١)

فيها عاد الملك العادل إلى دمشق، بعد انعقاد الصلح بينه وبين ملك الفرنج بطرابلس. وفيها بعث العادل أستاذاره الأمير أَلَذَكْرُ العادلي، وقاضى العسكر نجم الدين خليل المصمودي إلى الخليفة في طلب التشريف والتقليد بولاية مصر والشام والشرق وخلاط، فلما وصلا إلى بغداد أكرمهما الخليفة الناصر لدين الله، وأحسن إليهما وأجابهما، وسير الشيخ شهاب الدين أبا عمر بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عمويه السهروردي (٢) ومعه التشريف الخلفيتي والتقليد، وخلعة للصاحب صفى الدين بن شكر، وخلع لأولاد العادل: وهم الملك المعظم؛ والملك الأشرف؛ والملك الكامل، فعندما قارب بالشيخ أبو حفص حلب خرج الملك الظاهر بعساكره إلى لقائه، وأكرم نزله.

وفى ثالث يوم من قدومه أمر بكرسى فنصب له، وجلس عليه للوعظ، وجلس الظاهر ومعه الأعيان، فصدع بالوعظ حتى وجلت القلوب ودمعت العيون، وأخبر الشيخ في وعظه بأن الخليفة أطلق - فى بغداد وغيرها - من المؤن والضرائب، ما مبلغه ثلاثة آلاف ألف دينار، ثم سار من حلب، ومعه القاضى بهاء الدين بن شداد، وقد دفع إليه الظاهر ثلاثة آلاف دينار، برسم الثنار إذا لبس عمه العادل خلعة الخليفة، وبعث الملك المنصور من حماة أيضا مبلغا للثنار، وخرج العسكر من دمشق إلى لقائه، ثم خرج العادل بابنيه الأشرف موسى والمعظم عيسى، وبرز سائر الناس لمشاهدة ذلك، فكان يوما مشهودا، ولما دخل الشيخ أبو حفص دمشق جلس العادل فى دار رضوان، وأفيضت عليه الخلع، وهى جبة أطلس أسود واسعة الكم بطراز مذهب، وعمامة سوداء بطراز ذهب، وطوق ذهب بجوهر ثقيل، وقلد العادل أيضا بسيف محلى، جميع قرابه من ذهب، وركب حصانا أشهب بركب ذهب، ونُشر على رأسه علم أسود مكتوب فيه بالبياض ألقاب الخليفة، مركب فى قصبه ذهب، وتقدم القاضى ابن شداد فشر الذهب، وقدم له خمسين خلعة؛ ونثرت رسل الملوك بعده، ثم لبس الأشرف والمعظم خلعتيهما،

(١) سنة ٦٠٤ هـ. انظر أحداث تلك السنة فى النجوم الزاهرة ١٧٢ / ٦ والكامل ٢٥٩ / ١٢ وما بعدها، تاريخ ابن الوردي ١٧٨ / ٢.

(٢) نسبه إلى سهرورد: بضم أوله، وسكون ثانيه، وفتح الراء والواو، وسكون الراء، ودال هملة: بلدة قرية من زنجان بالجبال، خرج منها جماعة من الصالحين والعلماء. انظر معجم البلدان ٢٨٩ / ٣، وفى الروض المعطار سهرورد: بلدة بين زنجان وهمذان. انظر الروض المعطار ٣٢٨، ومعجم ما استعجم ٧٦٧ / ٣.

وهما عمامة سوداء، وثوب أسود واسع الكم، ثم خلع على الصاحب صفى الدين بن شكر الوزير كذلك، وركب العادل - ومعه ابناه ووزيره - بالخلع الخليفية، وقد زينت البلد، ثم عادوا إلى القلعة، واستمرت زينة البلد ثمانية أيام، وقرأ التقليد الصاحب صفى الدين على كرسى، وخطب العادل فيه بشاهنشاه، ملك الملوك، خليل أمير المؤمنين، وكان الوزير فى حال قراءته قائما على الكرسى، والعادل وسائر الناس أيضا قياما، إجلالا للخليفة، ثم سار الشهاب السهروردى إلى مصر، فأفاض على الملك الكامل الخلعة الخليفية، وجرى من الرسم كما وقع بدمشق، ثم عاد إلى بغداد.

وفىها أمر العادل بعمارة قلعة دمشق، وفرق أبراجها على الملوك، فعمروها من أموالهم.

وفىها اتسعت مملكه العادل، فلما تمهدت له الأمور قسم مملكته بين أولاده، فأعطى ابنه الملك الكامل ناصر الدين محمدا مملكة مصر، ورتب عنده القاضى الأعز فخر الدين مقدم بن شكر، وأعطى ابنه المعظم شرف الدين عيسى من العريش^(١) إلى حمص، وأدخل فى ولايته بلاد الساحل الإسلامية، وبلاد الغور وأرض فلسطين، والقدس والكرك، والشوبك وصرخد، وأعطى ابنه الملك الأشرف مظفر الدين موسى البلاد الشرقية، وهى الرها وما معها من حران وغيرها، وأعطى ابنه الملك الأوحى نجم الدين أيوب^(٢) خلاط وميفارقين وتلك النواحي، وكان الأوحى قد بعث إليه أهل خلاط ليملكها، فسار من ميفارقين وملكها.

وفىها كمل الملك الكامل محمد بناء قلعة الجبل، وتحول إليها من دار الوزارة بالقاهرة، فكان أول من سكنها من ملوك مصر، ونقل إليها أولاد الخليفة العاضد

(١) العريش: بفتح أوله، وكسر ثانيه، ثم شين معجمة بعد الياء المثناة من تحت: وهى مدينة كانت أول عمل مصر من ناحية الشام على ساحل بحر الروم فى وسط الرمل. انظر معجم البلدان ٤/١١٣، وفى الروض المعطار العريش: من ديار مصر فى أسفل الأرض، وهى أول مسالخ مصر وأعمالها، وهى من سواحل البحر، ومن العريش تفرق الطريق فتصير طريقين: طريق الجفار وهو الرمل، وطريق الساحل على البحر، فأما طريق الجفار فمن العريش إلى الواردة إلى العذينة إلى البقارة إلى الفرما، وأما طريق الساحل فمن العريش إلى الدقهلة إلى القيس إلى الفرما، وكانت مدينة العريش ذات جامعين مفترقى المباني، والغالب على أرضها الرمال، ولها ثمار ونخل وفواكه. انظر الروض المعطار ٤١٠، وصبح الأعشى ٣/٣٨٢.

(٢) الأوحى الأيوبي (٦٠٩ هـ - ١٢١٢ م). أيوب الأوحى بن محمد أبى بكر العادل بن أيوب: من ملوك الدولة الأيوبية. تملك مدينة خلاط بأرمينية خمس سنين وكان ظلوما سفاكا لدماء الأمراء. انظر العبر ٣١/٥، ترويح القلوب ٦٠، الأعلام ٣٨/٢.

الفاطمى وأقاربه فى بيت على صورة حبس، فأقاموا به إلى أن حولوا منه فى سنة إحدى وسبعين وستمائة.

وفىها توفى الأمير داود بن العاضد فى محبسه. وكانت الإسماعيلية تزعم أن العاضد عهد إليه، وأنه الإمام من بعده، فاستأذن أصحابه الملك الكامل أن ينوحوا عليه ويندبوه، فأذن لهم، فبرزت النساء حاسرات، والرجال فى ثياب الصوف والشعر، وأخذوا فى ندبه والنياحة عليه، واجتمع معهم من كان فى الاستار من دعواتهم، فلما تكامل جمعهم أرسل الكامل إليهم طائفة من الأجناد نهبوا ما عليهم، وقبضوا على المعروفين منهم، فملاً بهم السجون، واستصفى أموال ذوى اليسار منهم، ففر من بقى، وزال من حيثئذ أمر الإسماعيلية من ديار مصر، ولم يجسر أحد بعدها أن يتظاهر بمذهبهم.

* * *

سنة خمس وستمائة (١)

فيها سار الكرج ونهبوا أعمال خلاط، وأسروا وغنموا؛ فلم يجسر الأوحاد أن يخرج إليهم من مدينة خلاط، فلما بلغ ذلك الملك العادل أخذ في التجهيز لحرب الكرج، وسار الأشرف من دمشق يريد بلاده بالشرق.

وفيها قتل الملك معز الدين سنجر شاه بن غازي بن مودود بن زنكي بن آقسنقر الأتابكي، صاحب الجزيرة، قتله ابنه محمود، وقام في الملك من بعده.

وفيها بعث الأمير سيف الدين سنقر، أتابك اليمن عشرة آلاف دينار مصرية إلى الملك العادل، عليها اسمه.

وفيها مات القاضي مكين الدين مطهر بن حمدان، بقلعة بصرى في شهر رجب، ومات هلال الدولة وشاب بن رزين، والى القاهرة، وعزل الأمير سيف الدين عليّ بن كهدان عن ولاية مصر، وعزل الأسعد بن حمدان عن الشرقية، وباشرها خشنخاش الوراق.

وفيها توفي قاضي القضاة صدر الدين أبو القاسم عبد الملك بن عيسى بن درباس الماراني، يوم الأربعاء خامس رجب، وكان قد قدم مصر في رابع رجب سنة خمس وستين خمسمائة، فتكون مدة مقامه بديار مصر أربعين سنة.

* * *

(١) سنة ٦٠٥ هـ. انظر أحداث تلك السنة في النجوم الزاهرة ١٧٤ / ٦ الكامل ٢٧٩ / ١٢ وما بعدها، تاريخ ابن الوردي ١٨٠ / ٢.

سنة ست وستمائة (١)

فيها خرج العادل من دمشق يريد محاربة الكرج، ومعه الملوك من بنى أيوب: وهم الملك المنصور صاحب حماة، والملك المجاهد صاحب حمص، والملك الأجد صاحب بعلبك، وأرسل إليه الملك الظاهر غازي صاحب حلب جيشا، فنزل العادل حران، وأتته النجدات مع ولديه الملك الأوحده صاحب خلاط وميفارقين، والملك الأشرف موسى، وغيرهما، فاستولى على نصيبين، ونازل سنجار، وبها الملك قطب الدين محمد ابن زنكي، فكانت بينهما عدة وقائع، بعث في أثنائها صاحب سنجار إلى الخليفة الناصر لدين الله، وإلى الملك الظاهر غازي صاحب حلب، وإلى كيخسرو بن قلج أرسلان صاحب الروم، وغيرهم يستنجد بهم على العادل، فمال إليه عدة من الملوك، عوناً على العادل، ففارقه عدة ممن كان معه على حصار سنجار، ودسوا إلى جماعة من أصحابه الدسائس، ففسدت أحواله، وقدم عليه رسول الخليفة، وهو هبة الله بن المبارك ابن الضحاك يأمره بالرحيل، فقال له عم الإمام الخليفة الناصر: «قال لك بجياتي يا خليلي ارحل». فعاد العادل إلى حران، وتفرقت العساكر عنه.

وفيها حصلت بين العادل وبين وزيره صاحب ابن شكر منافرة أوجبت غضبه وسفره في البرية فركب المنصور صاحب حماة، وفخر الدين جهار كس صاحب بانياس حتى لحقاه في رأس عين، وقدماً به على العادل فرضى عنه، ومن حينئذ انحطت منزلته.

وفيها مات الملك المؤيد نجم الدين مسعود بن صلاح الدين يوسف بن أيوب برأس عين، وقيل إنه سُمِّ، فحمل إلى حلب ليدفن بها.

وفيها عاد الملك العادل إلى دمشق.

وفيها ولي الأمير المكرم بن اللطفي قوص، في ذى القعدة.

* * *

سنة سبع وستمائة^(١)

فيها ظفر الملك الأوحده بن العادل بمملك الكرج، ففدى نفسه منه بمائة ألف دينار وخمسة آلاف أسير من المسلمين، وأن يلتزم الصلح ثلاثين سنة، وأن يزوجه ابنته بشرط ألا تفارق دينها، فأطلقه الأوحده، وردت على المسلمين عدة قلاع.

وفيها مات الأوحده، ومملك خللاط بعده أخوه الأشرف.

وفيها تحرك الفرنج إلى الساحل، واجتمعوا في عكا، فخرج المملك العادل من دمشق، فوقع بينه وبينهم صلح، وأخذ العادل في عمارة قلعة الطور بالقرب من عكا، وسار إلى الكرك، فأقام بها أياما، ثم رحل إلى مصر، فدخل القاهرة، ونزل بدار الوزارة.

وفيها مات الأمير فخر الدين جهار كس.

وفيها تحرك الفرنج ثانيا، فتجهز العادل للسفر إلى الشام.

وفيها كفت يد الصاحب صفى الدين بن شكر عن العمل.

وفيها مات السلطان نور الدين أرسلان شاه بن السلطان مسعود الأتابكى صاحب الموصل، في شهر رجب، وكانت مدة ملكه سبع عشرة سنة وأحد عشر شهرا، وقام من بعده ابنه المملك القاهر عز الدين مسعود، وقام بتدبيره الأمير بدر الدين لؤلؤ الأتابك، مملوك أبيه.

وفيها شرب ملوك الأطراف كأس الفتوة للخليفة الناصر، ولبسوا سراويل الفتوة أيضا، فوردت عليهم الرسل بذلك؛ ليكون اتماؤهم له، وأمر كل مملك أن يسقى رعيته ويلبسهم؛ لتنتمى كل رعية إلى ملكها، ففعلوا ذلك، وأحضر كل مملك قضاة مملكته وفقهاءها وأمرائها وأكابرها، وألبس كلا منهم له، وسقاه كأس الفتوة، وكان الخليفة الناصر مغرما بهذا الأمر، وأمر الملوك أيضا أن تنتسب إليه في رمى البندق، وتجعله قدوتها فيه.

وفيها قدم إلى القاهرة كليام الفرنجى الجنوى تاجرا، فاتصل بالمملك العادل، وأهدى إليه نفائس، فأعجب العادل به، وأمره بملازمته، وكان كليام فى باطن الأمر عينا للفرنج، يطالعهم بالأحوال، فقليل هذا للعادل، فلم يلتفت إلى ما قيل عنه.

(١) سنة ٦٠٧ هـ. الكامل ٢٨٩ / ١٢ وما بعدها، تاريخ ابن الوردى ٢ / ١٨٣.

ومات فيها يوسف بن الأسعد بن مماتي، في الرابع من جمادى الأولى بالقاهرة.

ومات الأمير سياروخ في خامس عشر رجب.

وفيهما قتل غياث الدين كيخسرو بن قلعج أرسلان السلجوقي صاحب قونية، وقد حدث ذلك في أوائل السنة، وهو يواقع الأرمن حلفاء الروم، عند بلده خوننا من أعمال أذربيجان، وكان قد غلبه أخوه ركن الدين سليمان بن قلعج أرسلان على قونية، وأجأه إلى الفرار منها سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة، ثم مات ركن الدين سليمان سنة ستمائة، وقام بعده في قونية ابنه قلعج أرسلان بن ركن الدين، وعند ذلك عاد كيخسرو إلى بلاده بعد فراره إلى حلب وغيرها، وملك كيخسرو قونية ثانيا، بعد خطوب جرت له، وقد قبض أهلها على قلعج أرسلان بن ركن الدين، ثم قتل كيخسرو بعدما استفحل أمره، وولى ابنه عز الدين كيكافوس بن غياث الدين.

وفيهما كانت وقعة بين حاج العراق وبين أهل مكة بمنى، قتل فيها عبد للشريف قتادة اسمه بلال، فقبل لها سنة بلال.

* * *

سنة ثمان وستمائة^(١)

فيها قبض الملك العادل على الأمير عز الدين أسامة الصلاحى، نائب كوكب وعجلون واعتقله وأخذ ماله، وسيره إلى الكرك فاعتقل فيها هو وولده، وتسلم المعظم قلعة كوكب وعجلون، وهدم قلعة كوكب، وعفى أثرها.

وفيها توجه الملك العادل إلى الإسكندرية؛ لكشف أحوالها.

وفيها قدم بهاء الدين بن شداد من حلب إلى القاهرة يخطب صفية خاتون ابنة العادل شقيقة الكامل، لابن عمها الظاهر، فأجيب إلى ذلك، وعاد مكرما.

وفيها ماتت أم الملك الكامل، يوم الأحد خامس عشرى صفر، فدفنت عند قبر الإمام الشافعى، ورتب ابنها عند قبرها القراء والصدقات، وأجرى الماء من بركة الحبش^(٢) إلى قبة الشافعى، ولم يكن قبل ذلك، فنقل الناس أبنية القرافة الكبرى^(٣) إلى هذه القرافة من حيثئذ، وعمروها.

وفيها خرج العادل من القاهرة، فسار إلى دمشق وبرز منها يريد الجزيرة، فوصل إليها ورتب أحوالها، وعاد إلى دمشق، ومعه كليام الفرنجى.

وفيها انقضى أمر الطائفة الصلاحية بانقضاء الأمير قراجا والأمير عز الدين أسامة، والأمير فخر الدين جهاركس، وصفت حصونهم للعادل وابنه المعظم.

وفيها نقل أولاد العاضد الفاطمى وأقاربه إلى قلعة الجبل فى يوم الخميس ثانى عشرى رمضان، وتولى وضع القيود فى أرجلهم الأمير فخر الدين ألتونبا أبو شعرة بن الدويك، والى القاهرة، وكانت عدتهم ثلاثة وستون نفسا.

وفيها كانت بمصر زلزلة شديدة هدمت عدة دور بالقاهرة ومصر، وزلزلت الكرك

(١) سنة ٦٠٨ هـ . انظر أحداث تلك السنة فى النجوم الزاهرة ١٨٠ - ١٨٢ / ٦ الكامل ٢٩٦ / ١٢ وما بعدها، تاريخ بن الوردى ١٨٦ / ٢.

(٢) بركة الحبش أرض فى وهدة من الأرض واسعة طوالها نحو ميل مشرفة على نيل مصر خلف القرافة وقف على الأشراف تزرع فتكون نزهة خضرة لزكاء أرضها وربها وهى من أجل متنزهات مصر. انظر معجم البلدان.

(٣) القرافة: حطة بالفسطاط من مصر كانت لبني غصن بن سيف وأتل بن المعافر، وهو اليوم مقبرة أهل مصر وبها أبنية حليلة ومحال واسعة وسوق قائمة. انظر معجم البلدان ٣١٧ / ٤.

والشوبك، فمات تحت الهدم خلق كثير، وسقط عدة من أبراج قلعتها، ورؤى بدمشق دخان نازل من السماء إلى الأرض، فيما بين المغرب والعشاء عند أرض قصر عاتكة.

وفيهما مات الموفق بن أبي الكرم التنيسى فى يوم الأحد سابع عشر ربيع الأول.

ومات ظافر بن الأرسوفى بمصر فى سلخ رجب.

وفيهما اجتمع بالإسكندرية ثلاثة آلاف تاجر وملكان من الفرنج، فسار العادل وقبض على التجار، وأخذ أموالهم، وسجن الملكين.

وفيهما - أعنى سنة ثمان وستمائة - كانت فتنة بين حاج العراق وبين أهل مكة، سببها أن حشيشيا جاء لقتل الشريف قتادة، فقتل شريفا اسمه أبو هارون عزيز، ظنا منه أنه قتادة، فثارت الفتنة، وانهزم أمير الحاج، ونهب الحاج عن آخره، وفر من مكة من بمكة من نواب الخليفة، ومن المجاورين، فبعث الشريف قتادة ولده راجح بن قتادة^(١) إلى الخليفة يعتذر له عما جرى، فقبل عذره وعفى عنه.

* * *

(١) راجح بن قتادة (٦٥٤ هـ - ١٢٥٦م). راجح بن قتادة بن إدريس بن مطاعن: شريف، ممن تولوا إمارة مكة. انتزعها من عمال مصر سنة ٦٢٧ هـ، واستعادها منه، وتوالى ذلك مرارا حتى وليها ثمانى مرات. انظر خلاصة الكلام ٢٥ - ٢٧ / حوادث الجامعة ٢٧٣. الأعلام ٣ / ١٠.

سنة تسع وستمائة^(١)

فيها نزل العادل بعساكره حول قلعة الطور، وأحضر الصناع من كل بلد، واستعمل جميع أمراء العسكر في البناء ونقل الحجارة، فكان في البناء خمسمائة بناء، سوى الفعلة والنحاتين، ومازال مقيما حتى كملت.

وفيها قدم ابن شداد من حلب إلى دمشق بمال كثير وخلع، برسم عقد نكاح صافية خاتون ابنة العادل على ابن عمها الظاهر صاحب حلب، فخرج إلى لقائه عامة الأمراء والأعيان، وعقد النكاح في المحرم على مبلغ خمسين ألف دينار، ونشر النشار على من حضر بقلعة دمشق، وذلك في المحرم، ثم جهزت إليه بحلب في تجمل عظيم، من جملة قماش وآلات ومصاغ يحمله خمسون بغلا، ومائة بختسى، وثلاثمائة حمل؛ وجوارى في الحامل على مائة حمل، منهن مائة مغنية يلعبن بأنواع الملهى، ومائة جارية يعملن أنواع الصنائع البديعة، فكان دخولها إلى حلب يوما عظيما، وقدم لها الظاهر تقادم: منها خمسة عقود جوهر بمائة وخمسين ألف درهم، وعصابة جوهر لا نظير لها، وعشر قلائد عنبر مذهب، وخمس قلائد بغير ذهب، ومائة وسبعون قطعة من ذهب وفضة، وعشرون تختا من ثياب، وعشرون جارية، وعشرة خدام.

وفيها عزل الهمام بن هلال الدولة من ولاية القاهرة، وولى فخر الدين الطونبا أبو شعرة مملوك المهراني في [.....]^(٢).

وفيها تغير الملك العادل على الوزير صفى الدين بن شكر، ورفع يده من الوزارة، وأبقى عليه ماله وأخرجه إلى آمد، فلم يزل بها حتى مات العادل.

وفيها فوض العادل تدبير مصر، والنظر في أموالها ومصالحها إلى ولده الملك الكامل؛ فرتب الكامل القاضى الأعز فخر الدين مقدم بن شكر ناظر الدولتين.

وفيها خرج العادل من الشام يريد خلاط، فسار إليها ودخلها، وفيها ابنه الأشرف، وقد استولى على ما بها من الأموال.

* * *

(١) سنة ٦٠٩ هـ. انظر أحداث تلك السنة في النجوم الزاهرة ١٨٢ - ١٨٤ / ٦ الكامل ٣٠٠ /

١٢، تاريخ ابن الوردي ٢ / ١٨٨.

(٢) مابين المعقوفتين سقط في الأصل.

سنة عشر وستمائة (١)

فيها تخوف الظاهر صاحب حلب من عمه العادل، وأخذ في الاستعداد، ثم تراسلا حتى سكن الحال.

وفيها ولدت صفية ابنة العادل لابن عمها الظاهر مولودا سماه محمدا ولقبه بالملك العزيز غياث الدين، وذلك في خامس ذى الحجة، فزينت حلب، واحتفل الظاهر احتفالا زائدا، وأمر فصيح له من الذهب والفضة جميع الصور والأشكال ما وزن بالقناطير، وصاغ له عشرة مهُود من ذهب وفضة، سوى ما عمل من الأبنوس والصندل والعود وغيره، ونسج للصبي ثلاث فرجيات من لؤلؤ، في كل فرجية أربعون حبة ياقوت ولؤلؤ وزمرد، ودرعان وخوذتان وبركستوان، كل ذلك من لؤلؤ؛ وثلاثة سروج مجوهرة، في كل سرج عدة قطع من جوهر رائع وياقوت وزمرد؛ وثلاثة سيوف علائقها وقبضاتها من ذهب مرصع بأنواع الجواهر؛ وعدة رماح من ذهب أسنتها جوهر.

وفيها حج الظاهر خضر بن صلاح الدين يوسف بن أيوب من حلب، فلما قارب مكة صده قصاد الملك الكامل محمد بن العادل عن الحج، وقالوا: «إنما جئت لأخذ بلاد اليمن»، فقال الظاهر خضر: «ياقوم! قيدوني، ودعوني أفضى مناسك الحج». فقالوا: «ليس معنا مرسوم إلا بردك». فرد إلى الشام، من غير أن يحج، فتألم الناس لذلك.

وفيها مات الأمير فخر الدين إسماعيل والى مصر بها.

وفيها دخل بنو مرين إحدى قبائل زناتة من القفر، ونهبوا أعمال المغرب، وحادروا الموحدين وهزموهم، وكان أمير بني مرين إذ ذاك عبد الحق بن محيو بن أبي بكر بن حمامة بن محمد بن ورصيص بن فكوس بن كوماط بن مرين.

* * *

تتمة سنة عشر وستمائة

فيها حفر خندق مدينة حلب، فوجد فيه بلاطة صوان عليها أحرف مكتوبة بالقلم

(١) سنة ٦١٠ هـ. انظر أحداث تلك السنة في النجوم الزاهرة ١٨٤ - ١٨٦ / ٦ الكامل ٣٠١ /

السرياني، فترجموه بالعربية، فإذا هو: «لما كان العالم محدثا دل أن له محدثا، لا كهو»، وكتب تحت هذه الأحرف: «لخمسة آلاف من السنين خلصون من الأسطوان الصغير». فقلعت البلاطة، فوجد تحتها تسع عشرة قطعة من ذهب وفضة وصورى على هيئة اللين، فاعتبرت فكان الحاصل منها ذهبا ثلاثة وستين رطلا بالخليبي، وكان منها فضة أربعة وعشرين رطلا، وحلقة ذهب وزنها رطلان ونصف رطل، وصورى عشرة أرتال ونصف، فكان اجمع زنته قنطار واحد بالخليبي.

* * *

سنة إحدى عشر وستمائة^(١)

فيها فرَّ الملك المنصور بن العزيز عثمان بن صلاح الدين يوسف من اعتقال عم أبيه الملك العادل، ولحق بالظاهر صاحب حلب، ولاذ به هو وإخوته، فأكرمهم الظاهر.

وفيها تجمع فرنج قبرس وعكا وطرابلس وأنطاكية، وانضم إليهم عسكر ابن ملك الأرمن، لقصد بلاد المسلمين، فخافهم المسلمون، وكان أول ما بدأوا به بلاد الإسماعيلية، فنزلوا قلعة الخوابي، ثم ساروا عنها إلى أنطاكية.

وفيها ظفر السلطان عز الدين كيكائوس بن كيخسرو بن قلعج أرسلان السلجوقي صاحب بلاد الروم بالأشكري ملك الروم.

وفيها خرج الملك العادل من الشام يريد مصر، فنزل في القاهرة بدار الوزارة، واستمر ابنه الكامل بقلعة الجبل، وأمر العادل أن يقيم معه كليام القرنجي الجنوي بدار الوزارة.

وفيها ورد الخير بموت سنقر أتابك اليمن، واستقر بعده الملك الناصر أيوب صاحب اليمن في ملكه، وقام بأتابكته غازي.

وفيها شرع الملك العادل في تبليط جامع بنى أمية بدمشق، وكانت أرضه حفرا وجورا، وتولى العمل الوزير صفى الدين بن شكر.

وفيها تعامل أهل دمشق وغيرها بالقراطيس السود العادلية، ثم بطلت بعد ذلك وفنيت.

وفيها تولى سهم الدين عيسى القاهرة في شوال، وتولى جمال الدين بن أبي المنصور وكالة بيت المال بها.

ومات سعد بن سعد الدين بن كوجيا في عشر ربيع الآخر.

وفيها حج الملك المعظم عيسى بن العادل من دمشق، وحج معه الشريف سالم بن قاسم بن مهنا الحسيني أمير المدينة النبوية، فعزم الشريف قتادة أمير مكة على مسكه فلم يتمكن منه، فعاد الشريف سالم صحبة الملك المعظم إلى دمشق، فبعثه المعظم على

(١) سنة ٦١١ هـ . انظر أحداث تلك السنة في النجوم الزاهرة ١٨٦ - ١٨٨ / ٦ الكامل ٣٠٣ /

٣٠٠ سنة إحدى عشر وستمائة

عسكر إلى مكة، فمات فى الطريق قبل وصوله مكة فقام حماز بن قاسم - وهو ابن أخيه - بتدبير الجيش، فجمع قتادة، وسار إلى ينبع ولقيه، فهزم قتادة.

* * *

سنة اثنى عشرة وستمائة (١)

فيها نازل الفرنج قلعة الخوابي، وحاربوا الباطنية، ثم صالحوهم. وفيها سير الخليفة الناصر لدين الله كتابه الذى ألفه وسماه «روح العارفين» إلى الشام ومصر وغيرها ليعلم.

وفيها ملك الفرنج أنطالية، وقتلوا من بها من المسلمين، وكانت بيد الملك غياث الدين كيخسرو منذ فتحها سنة ائنتين وستمائة إلى أن أجلاه الفرنج عنها سنة سبع وستمائة، ثم استردها منهم الملك الغالب عز الدين كيكاس سنة ثلاث عشرة وستمائة، بعد أن بقيت بأيدي الفرنج تلك المدة.

وفي هذه السنة أيضا: سار عز الدين إلى بلاد الأرمن، وحاصر قلعة جابان، وهزم عندها جيوش الأرمن، ورجع إلى قيصرية قبل أن يستولى على قلعة جابان، ثم طلب الأرمن الصلح، وأجابهم إليه عز الدين، فأخذ فى مقابل الصلح من بلاد الأرمن قاعة لؤلؤة ولوزاد.

وفيها مات الملك المعظم أبو الحسن على ابن الخليفة الناصر لدين الله، وهو أصغر أولاده، فلما قدم نعيه على ملوك الأطراف جلسوا فى العزاء، لابسين شعار الحزن خدمة للخليفة.

وفيها سير الملك الكامل ابنه الملك المسعود صلاح الدين يوسف إلى اليمن، فخرج فى جيش كثيف من مصر، وسار إلى بلاد اليمن، فاستولى على معقلها، وظفر بصاحبها الملك سليمان شاه بن سعد الدين شاهنشاه ابن الملك المظفر تقى الدين عمر ابن شاهنشاه بن نجم الدين أيوب فسيره تحت الحوطة إلى مصر، فأقام بالقاهرة إلى سنة سبع وأربعين وستمائة، فخرج إلى المنصورة غازيا، فقتل شهيدا، ودانت بلاد اليمن للملك المسعود.

وفيها عاد الملك العادل من الشام إلى القاهرة، فلما قرئ عليه ما أنفق على الملك المسعود فى خروجه إلى اليمن استكثره وأنكر العادل خروجه، فإنه كان بغير أمره، وأمر العادل بالقاضى الأعز ضرب وقيد، واعتقل بقلعة الجزيزة، ثم حملة إلى قلعة بصرى، فسجنه بها.

(١) سنة ٦١٢ هـ. انظر أحداث تلك السنة فى النجوم الزاهرة ١٨٨ - ١٩٠/٦. الكامل ١٢/٣٠٦ وما بعدها، تاريخ ابن الوردي ١٩/٢.

وفيهما نقل العادل أمواله وذخائره وأولاده إلى الكرك.

وفيهما أبطل الملك العادل ضمان الخمر والقيان.

وفيهما مات تقي الدين اللر، شيخ الخانقاه الصلاحية، دار سعيد السعداء، فى المحرم. وفيها مات ابن سوروس بن أبى غالب بطريق اليعاقبة فى يوم الخميس عيد الغطاس سنة اثنتين وثلاثين وسبعمائة للشهداء - وهو الرابع عشر من رمضان - وله فى البطركية مدة ست وعشرين سنة وأحد عشر شهرا وثلاثة عشر يوما، وكان أولا يتجر إلى بلاد اليمن، ففرق مرة، وجاء الخبر بأن لم يسلم سوى بمشاشته، وكان لأولاد الجباب معه مال، فأيسوا منه فلما اجتمع بهم أعلمهم أن ما لهم سلم، فإنه كان قد عمله فى مقايير من خشب، وسمرها فى المراكب، وأحضره إليهم، فتميز عندهم بذلك، حتى مات البترک مرقص بن زرعة، فتحدث ابن سوروس فى البتركية للقس أبى ياسر، وكان مقيما بالعدوية^(١) فحسن له بنو الجباب أن يقوم هو بأمر البتركية، فتحدث فى ذلك، وزكوه فتولى، وكان معه يومئذ سبعة عشر ألف دينار مصرية، فرقها فى مدة بطركيته على الفقراء، وأبطل الديارية، ومنع الشرطونية، ولم يأكل فى ولايته كلها لأحد من النصارى خبزا، ولا قبل لصغير ولا لكبير منهم هدية، وكان القس داود بن يوحنا - المعروف بابن لقلق، من أهل الفيوم - ملازما للشيخ نشىء الخلافة أبى الفتوح بن الميقات، كاتب الجيوش العادلية، وكان يسافر معه ويصلى به، فلما مات ابن سوروس سأل أبو الفتوح الملك العادل أن يولى القس داود البتركية، فأجابته وكتب له توقيعا بذلك، من غير أن يعلم الملك الكامل، فلم يعجب بعض النصارى ولاية داود، وقام منهم رجل يعرف بالأسعد بن صدقة، كاتب دار التفاح بمصر، وجمع كثيرا من النصارى العصارين بمصر، وطلع فى الليلة التى وقع الاتفاق على تقديم القس داود فى صبيحتها، ومعه الجمع إلى تحت قلعة الجبل، واستغاثوا بالملك الكامل، وقالوا: «إن هذا الذى يريد أبو الفتوح يعمل بطركا بغير أمرك ما يصلح، ونحن فى شريعتنا لا يقدم البترک إلا باتفاق الجمهور عليه». فخرج إليهم الأمر من عند الكامل بتطيب قلوبهم، وفى سحر النهار ركب القس داود، ومعه الأساقفة - وعالم كبير من النصارى - ليقدموه بكنيسة المعلقة بمصر، وكان ذلك يوم الأحد عيد الزيتون. فركب الملك الكامل إلى أبيه، وعرفه أن النصارى لم يتفقوا على بطركية داود، ولا يجوز عندهم تقديمه إلا باتفاق جمهورهم. فسير الملك العادل إلى الأساقفة ليحضرهم حتى يتحقق

(١) العدوية: قرية ذات بساتين قرب مصر على شاطئ شرقى النيل تلقاء الصعيد. انظر معجم

السلوك لمعرفة دول الملوك ٣٠٣
الأمير، فوافاهم الرسل مع القس داود، عند زقاق كنيسة الحمراء، فأحضرت الأساقفة
إلى الملك العادل، ودخل داود إلى كنيسة الحمراء، وانحل أمره، وخلا الكرسي من
بطريق تسع عشرة سنة ومائة وستين يوماً.

وفي جمادى الأولى: صرف الملك العادل زكى الدين الطاهر بن محبى الدين محمد بن
على القرشى عن قضاء دمشق، وألزم جمال الدين عبد الصمد بن محمد بن أبى الفضل
الحرستانى^(١) بولاية القضاء بها وله من العمر اثنتان وتسعون سنة.

وفيهما قدم إلى القاهرة من الشرق رجل معه حمار له سنام كسنام الجمل، يرقص
ويدور، ويستجيب له إذا دعاه.

* * *

(١) نسبة إلى حرستا وهي بالتحريك، وسكون السين، وتاء فوقها. نقطتان: قرية كبيرة عامرة
وسط بساتين دمشق على طريق حمص، بينها وبين دمشق أكثر من فرسخ. انظر معجم البلدان
٢/٢٤١.

سنة ثلاث عشرة وستمائة^(١)

فيها ولى بهاء الدين [...] [٢] بن الجميزى خطابة القاهرة فى ثالث عشر المحرم.
وولى أبو الطاهر المحلى خطابة مصر فى ثانى صفر.

وفيهما سار الملك العادل من القاهرة إلى الإسكندرية، فرتب أمورهما وعاد.

وفيهما قدم البهاء بن شداد برسالة الظاهر من حلب إلى العادل، وهو بالقاهرة،
فمرض الظاهر فى خامس عشرى جمادى الأول، ومات فى ليلة الثلاثاء العشرين من
جمادى الآخرة عن أربع وأربعين سنة وأشهر، ومدة تملكه بحلب إحدى وثلاثون سنة،
وكان قد سمع الحديث وأسمعه بحلب، وكان سفاكا للدماء، شهما يقظا صاحب
سياسة، وله شعر حسن، وقام من بعده ابنه الملك العزيز غياث الدين محمد، وعمره
يومئذ سنتان وأشهر، بعهد من أبيه، وكان الملك العادل - عندما مرض الظاهر - رتب
بريدا من مصر إلى حلب يطالعه بخبره، فأتاه نعيه قبل كل أحد، فأحضر الملك العادل
ابن شداد، وقال له: «ياقاضى! صاحبك قد مات فى ساعة كذا من يوم كذا». فعاد
ابن شداد إلى حلب.

وفيهما كان ابتداء خروج التتر من بلادهم الجوانية إلى بلاد العجم.

وفيهما قدم الشريف قاسم من المدينة النبوية، فأغار على جدة، فخرج إليه الشريف
قتادة أمير مكة، وكسره يوم عيد النحر.

* * *

(١) سنة ٦١٣ هـ. انظر أحداث تلك السنة فى النجوم الزاهرة ١٩٠ - ١٩٣ / ٦ الكامل ٣١٣ /

١٢ وما بعدها، تاريخ ابن الوردى ١٩٢ / ٢.

(٢) ما بين المعقوفتين سقط فى الأصل.

سنة أربع عشرة وستمائة^(١)

فيها وصل الشيخ صدر الدين بن حمويه من بغداد، بجواب رسالة الملك العادل إلى الخليفة الناصر لدين الله.

وفيها تابعت أمداد الفرنج في البحر من روما وغيرها إلى عكا، وفيهم عدة من ملوكهم - وقد نقضوا الصلح، وعزموا على أخذ القدس وسائر بلاد الساحل وغيرها - فعظم جمعهم، فخرج العادل من مصر بعساكره، وسار إلى لد، فبرز الفرنج من عكا في خلق عظيم، فرحل العادل على نابلس، ونزل في بيسان، فقال له ابنه المعظم لما رحل: «إلى أين يابه؟». فسبه العادل بالعجمية، وقال: «من أقاتل؟ أقطعت الشام ممالك، وتركت من ينفعني من أبناء الناس الذين يرجعون إلى الأصول» وذكر كلاما في هذا المعنى.

فقصده الفرنج، فلم يطق لقاءهم، لقلّة من معه، فاندفع من بين أيديهم على عقبه فيق، وكتب بتحسين دمشق، ونقل الغلات من داريا إلى القلعة، وإرسال الماء على أراضي داريا وقصر حجاج والشاغور^(٢) ففزع الناس وابتهلوا إلى الله، وكثر ضجيجهم بالجامع، فزحف الفرنج على بيسان - وقد اطمأن أهلها بنزول العادل عليهم - فانتهبوها وسائر أعمالها، وبذلوا في أهلها السيف، وأسروا وغنموا ما يجمل وصفه، وانبتت سراياهم فيما هنالك حتى وصلت إلى نوى ونازلوا بانياس ثلاثة أيام، ثم عادوا إلى مرج عكا، وقد أنكروا في المسلمين أعظم نكايّة، وامتألت أيديهم بالأسر، والسبي والغنائم، وأتلفوا بالقتل والتحريق ما يتجاوز الوصف. فلم يمكثوا بالمرج سوى قليل، ثم أغاروا ثانيا، ونهبوا صيداء والشقيف ورجعوا، وذلك كله من نصف شهر رمضان إلى يوم عيد الفطر، ونزل العادل بمرج الصفر، ورأى في طريقه رجلا يحمل شيئا، وهو يمشي تارة ويقعد أخرى، فقال له: «ياشيخ! لا تعجل، ارفق بنفسك». فقال له: «ياسلطان المسلمين! أنت لا تعجل، أو أنا؟ إذا رأيناك قد سرت من بلادك، وتركتنا مع الأعداء، كيف لا نعجل؟». وعندما استقر بمرج الصفر، كتب إلى ملوك الشرق ليقدموا عليه: فأول من قدم عليه أسد الدين شيركوه صاحب حمص، وهو ابن ناصر

(١) سنة ٦١٤ هـ. انظر أحداث تلك السنة في النجوم الزاهرة ١٩٣ - ١٩٦ / ٦ الكامل

١٢/٣١٢ وما بعدها، تاريخ ابن الوردي ١٩٣ / ٢.

(٢) الشاغور: محلة بالباب الصغير مشهورة وهى في ظاهر المدينة. انظر معجم البلدان ٣/٣١٠.

٣٠٨ سنة أربع عشرة وستمئة

الدين محمد بن أسد الدين شيركوه، عم السلطان صلاح الدين يوسف، ثم إن العادل جهز ابنه المعظم عيسى صاحب دمشق، بطائفة من العسكر إلى نابلس، كي يمنع الفرنج من بيت المقدس، فنازل الفرنج قلعة الطور التي أنشأها العادل، وجدوا في قتال أهلها، حتى تمكنوا من سورها، وأشرفوا على أخذها. فقدّر الله أن بعض ملوكهم قتل، فانصرفوا عنها إلى عكا بعدما أقاموا عليها سبعة عشر يوماً، وانقضت السنة والحال على ذلك، من إقامة الفرنج بمرج عكا، والعادل بمرج الصفر.

وفيها مات القاضي الأجل قاضي قضاة الشام أبو القاسم عبد الصمد بن محمد بن أبي الفضل بن علي بن عبد الواحد الأنصاري الخزرجي العبادي السعدي الدمشقي الشافعي جمال الدين الحرستاني، في رابع ذي الحجة، ومولده بدمشق في أحد الربيعين، سنة عشرين وخمسائة.

ومات الأمير الكبير بدر الدين محمد بن أبي القاسم بن محمد الهكاري^(١) قتله الفرنج على حصن الطور، فنقل إلى القدس، ودفن بترتته.

ومات الشجاع محمود بن الدباغ، مضحك الملك العادل، وترك مالا جزيلا.

* * *

(١) الهكاري (٦١٤ هـ - ١٢١٧ م). محمد بن محمد أبي القاسم الهكاري، أبو عبد الله، بدر الدين: قائد من المجاهدين في حرب الصليبيين. له مواقف مشهورة، كان من أمراء الملك المعظم. انظر مرآة الزمان ٥٩٢/٨، الوافي ٣٥٠/٤. الأعلام ٧/٢٧.

سنة خمس عشرة وستمائة (١)

فيها اجتمع رأى الفرنج على الرحيل من عكا إلى مصر، والاجتهاد فى تملكها، فأقلعوا فى البحر، وأرسوا على دمياط، فى يوم الثلاثاء رابع شهر ربيع الأول - الموافق لثامن حزيران - على بر جيزة دمياط، فصار النيل بينهم وبين البلد، وكان إذ ذاك على النيل برج منيع، فى غاية القوة والامتناع، فيه سلاسل من حديد، عظام القدر والغلظ، تمتد فى النيل لتمنع المراكب الواصلة فى بحر الملح من عبور أرض مصر، وتمتد هذه السلاسل فى برج آخر يقابله، وكانا مشحونين بالمقاتلة، ويعرف اليوم مكانهما فى دمياط بين البرجين. وصار الفرنج فى غربى النيل، فأحاطوا على معسكرهم خندقا، وبنوا بدائره سورا. وأخذوا فى محاربة أهل دمياط، وعملوا آلات ومرمات، وأبراجا متحركة يزحفون بها فى المراكب إلى برج السلسلة ليملكوه، حتى يتمكنوا من البلد، فخرج الكامل بمن بقى عنده من العسكر، فى ثالث يوم من سقوط الطائر، لخمس خلون من ربيع الأول، وتقدم إلى والى الغربية بجمع سائر العربان، وسار فى جمع كثير، وخرج الأسطول، فأقام تحت دمياط، ونزل السلطان الكامل بناحية العادلية، قريبا من دمياط، وسير البعوث ليمنع الفرنج من العبور، وصار يركب فى كل يوم عدة مرار من العادلية إلى دمياط، بتدبير الأمور وإعمال الحيلة فى مكايده الفرنج.

وأخ الفرنج فى مقاتلة أهل البرج، فلم يظفروا بشيء، وكسرت مرماتهم وآلاتهم، وتمادى الأمر على ذلك أربعة أشهر، هذا والملك العادل يجهز عساكر الشام شيئا بعد شيء إلى دمياط، حتى صار عند الكامل من المقاتلة ما لا يكاد ينحصر عدده.

وفى أثناء ذلك ورد الخبر بحركة الملك الغالب عز الدين كيكائوس السلجوقى، سلطان الروم، إلى البلاد الشامية، بموافقة الملك الصالح^(٢) صاحب آمد وغيره من ملوك الشام، وأنه وصل إلى منبج، وأخذ تل باشر^(٣) واتفق كيكائوس مع الملك الأفضل على

(١) سنة ٦١٥ هـ. انظر أحداث تلك السنة فى النجوم الزاهرة ١٩٦ - ٢٠٠ / ٦ الكامل ٣٣٣ /

١٢ وما بعدها، تاريخ ابن الوردي ١٩٣ / ٢.

(٢) الصالح الأيوبي (٦٤٨ هـ - ١٢٥١ م). إسماعيل بن أيوب: من ملوك الدولة الأيوبية تسلطن

بدمشق (٦٣٥ هـ) بعد وفاة صاحبها (أخيه) الأشرف. انظر العبر، شذرات الذهب ٥ / ٢٤١، ترويح

القلوب ٦١ / ٦٧. الأعلام ٣٢٤ / ١.

(٣) تل باشر: قلعة حصينة وكورة واسعة فى شمالى حلب. انظر معجم البلدان ٤٠ / ٢.

ابن صلاح الدين صاحب سميساط أنه يسلمه ما يفتحه من البلاد، فلم يف كيكأوس بما وعد، وسلم ما فتحه لنوابه، فتقاعد عنه كثير من الناس، وأوقع العرب بطائفة من عسكريه، فقتلوا وأسروا منهم كثيرا، ونهبوا لهم شيئا له قدر، فرجع إلى بلاده بغير طائل. هذا والعدل بمرج الصفر، فيينا هو في الاهتمام بأمر الفرنج، إذ ورد عليه الخبر بأخذ الفرنج برج السلسلة بدمياط، فتأوه وأوها شديدا، ودق بيده على صدره أسفا وحزنا، ومرض من ساعته، فرحل من المرج إلى عالقين، وقد اشتد مرضه، فمات في سابع جمادى الآخرة يوم الخميس، فكم أصحابه موته، وقالوا: «قد أشار الطبيب بعبور دمشق ليتداوى، فحمل في محفة، وعنده خادم، والطبيب راكب بجانب المحفة، والشربدار يصلح الأشربة، ويحملها إلى الخادم ليشربها السلطان، يوهم الناس بذلك أنه حي، إلى أن دخل قلعة دمشق، وصارت بها الخزائن والحرم وجميع البيوتات، فأعلم بموته، بعدما استولى ابنه الملك المعظم على جميع أمواله، التي كانت معه، وسائر رخته وثقله، ودفنه بالقلعة، فاختبئ الناس حتى ركب المعظم، وسكن أمر الناس، ونادى في البلد: «ترحموا على السلطان الملك العادل، وادعوا لسلطانكم الملك المعظم» أبقاه الله فبكى الناس بكاء كثيرا، واشتد حزنهم لفقده.

وكان مولده في المحرم سنة أربعين - وقيل سنة ثمان وثلاثين - وخمسماية بدمشق، وسمع من السلفي وابن عوف، وعرفت مواقفه في جهاد العدو بثمر دمياط في سنة خمس وستين وخمسماية، في أيام الخليفة العاضد، وفي مدينة عكا، وملك دمشق في سنة اثنتين وتسعين وخمسماية، وكانت مدة ملكه لها ثلاثا وعشرين سنة، وملك مصر، في سنة ست وتسعين، فكانت مدة ملكه لها تسع عشرة سنة وشهرا واحدا وتسعة عشر يوما، ورزق في أولاده سعادة قلما يتفق مثلها للملك، فبلغوا تسعة عشر ولدا ذكرا، سوى البنات، وهم: الملك الأوحده نجم الدين أيوب صاحب خلاط، وكان قصيرا في الغاية، شهما مقداما سفاكا للدماء، مات في حياة أبيه، والملك الفائر إبراهيم، والملك المغيث عمر - وقد توفيا أيضا في حياته - وترك عمر ابنا سمي بالملك المغيث وشهاب الدين محمود، رباه عمه الملك المعظم عيسى، والملك الجواد شمس الدين مودود، ومات في حياته أيضا - وترك الملك الجواد ولدا اسمه مظفر الدين يونس بن مودود^(١) بقى عند عمه الملك الكامل بمصر، ثم ملك دمشق وغيرها، وكان جوادا شجاعا؛ والملك الكامل

(١) الملك الجواد (٦٤١ هـ - ١٢٤٣ م). يونس (بن مظفر الدين) بن مودود (شمس الدين) بن الملك العادل ومحمد بن أيوب: من أمراء الدولة الأيوبية كان جوادا فيه طيش وحمق، يظلم خدامه للناس ولا يبال. انظر مرآة الزمان ٨ / ٧٠٤ - ٧٣٧، النجوم الزاهرة ٦ / ٢٣٥ - ٣٤٨، أبو الفداء ٣ / ١٦٩. الأعلام ٢٦٣ / ٨.

ناصر الدين محمد، صاحب مصر، والملك المعظم شرف الدين أبو العزائم عيسى صاحب دمشق، وشقيق الملك العزيز عماد الدين عثمان صاحب بانياس - وكان جوادا شهما - والملك الأجدد مجد الدين حسن، ومات في حياة أبيه بالقدس، ودفن في مدرسة بنيت له، ثم نقل إلى الكرك والملك الأشرف مظفر الدين موسى صاحب الشرق وخلاط، بعد أخيه الملك الأوحده، والملك المظفر شهاب الدين غازى صاحب ميافارقين، وشقيقاه الملك المعز مجير الدين يعقوب، والملك القاهر بهاء الدين تاج الملوك إسحاق، والملك الصالح عماد الدين إسماعيل، صاحب بصرى، ثم دمشق، والملك المفضل قطب الدين أحمد، ومات بمصر فى أيام أخيه الكامل بالفيوم، ووصل فى تابوت إلى القاهرة، فى نصف رجب سنة ثمان عشرة وستمائة، والملك الأجدد تقي الدين عباس، وهو أصغرهم، ولد فى سنة ثلاث وستمائة، ومات آخرهم بدمشق، فى سنة تسع وستين وستمائة، فى أيام الملك الظاهر بيبرس، والملك الحافظ نور الدين أرسلان صاحب قلعة جعير، والملك القاهر بهاء الدين خضر، والملك المغيث شهاب الدين محمود؛ والملك الناصر صلاح الدين خليل.

ووزر للملك العادل صنيعه الملك أبو سعيد بن أبى اليمن بن النحال مدة يسيرة، وكان نصرانيا فأسلم على يده بعد عوده مع الأفضل على بن صلاح الدين إلى مصر فى سنة اثنتين وثمانين وخمسائة، فلما مات ابن النحال استوزر العادل الصاحب صفى الدين عبد الله بن شكر الدميرى، فتجبر وسطا، وتمكن من السلطان، واستولى عليه، وعظم قدره. وأوقع ابن شكر بعدة من الأكابر، وصادر أكابر كتاب الدولة، واستصفى أموالهم. ففر منه القاضى الأشرف ابن القاضى الفاضل إلى بغداد، واستشفع بالخليفة الناصر لدين الله، وأحضر كتاب شفاعته إلى العادل، وفر منه علم الدين بن أبى الحجاج، صاحب ديوان الجيش، والأسعد بن ممتى صاحب ديوان المال، إلى حلب، فأكرمهما الملك الظاهر، حتى ماتا عنده، وصادر بنى حمدان وبنى الجباب وبنى الجليس، وأعيان الكتاب المستوفيين، والعادل لا يعارضه فى شىء، هذا وهو يتغضب على السلطان، واستمر على هذا الحال إلى أن غضب على السلطان مرة فى سنة تسع وستمائة، وحلف أنه ما بقى يخدمه، فأخرجه السلطان العادل من مصر، بجميع أمواله وحرمة، فكان ثقله على ثلاثين جملا، وحسن أعداؤه للسلطان أن يأخذ ماله، فامتنع واكتفى بإخراجه إلى آمد. وسار صفى الدين إلى آمد، فأقام عند الصالح بن أرتق، فأقام العادل من بعده القاضى فخر الدين مقدم بن شكر، ثم نقم عليه فى سنة اثنتى عشرة وستمائة، وضربه وقيده، وأخرجه من مصر، ولم يستوزر بعده أحدا.

من أعجب الاتفاقات أن الملك الأفضل على بن صلاح الدين يوسف لم يملك مملكة إلا وأخذها عمه العادل منه: فأول ذلك أن أباه أقطعه حران والرها وميفارقين فى سنة ست وثمانين وخمسائة، فسار إليها، حتى إذا بلغ حلب رده أبوه، وبعث الملك العادل بدله، ثم ملك الأفضل بعد أبيه دمشق، فأخذها العادل منه، ثم ملك مصر بعد ذلك، فأخذها منه العادل، ثم ملك صرخد، فأخذها منه العادل، وعوضه قلعة نجم وسروج، ثم استرجعها منه بعد ذلك.

فلما تمهدت للملك العادل الممالك قسمها بين أولاده، فملك هو وأولاده من خلاط إلى اليمن، ورأى العادل فى أولاده ما يجب، من اتساع الممالك وكثرة الظفر بالأعداء، بحيث لم يسمع عن ملك أنه رأى فى أولاده ما رآه العادل، فإنه اجتمع فى كل منهم من النجابة والنبل، والكفاية والمعرفة، والفضيلة وعلو الهمة، ما لا مزيد عليه، ودانت لهم العباد، وملكوا خيار البلاد، وكان كثيرا ما يتردد العادل فى ممالك أولاده، وأكثر أوقاته يصيف بدمشق، ويشقى بمصر، وكان أكلوا نهما، يأكل خروفا مشويا بمفرده، وله اقتدار زائد على النكاح، ومتع فى دنياه بأرغد عيش، وتمكن من السعادة فى سائر أحواله، وكان حميد السيرة، حسن العقيدة، كثير السياسة، صاحب معرفة بدقائق الأمور، قد حنكته التجارب، فسعدت آراؤه، ونجحت تدبيراته، وكان لا يرى محاربة أعدائه، ويستعمل فى مقاصده المكائد والخدع، فهادنته الفرنج لقوة حزمه وشدة تيقظه، وغزارة عقله وقوة كيده، ومكره ومداومته على المخادعة والمخاتلة، وكثرة صبره وحلمه وأناته، بحيث إنه كان إذا سمع ما يكره يعضى عنه تجاوزا وصفحا، كأنه لم يبلغه، وكان لا يخرج المال إلا عند الاحتياج إلى إخراجه، فيسمح حينئذ ببذل الكثير منه، ولا يتوقف فيما ينفق، فإذا لم يحتج إلى أخرج المال ضن به وأمسكه، فثابت له بذلك أغراضه كما يجب، وانقادت له الأمور مثل ما يختار، وكان يحافظ على أداء الصلوات فى أوقاتها، ويجب السنة، ويكرم العلماء، مع العظمة وقوة المهابة المتمكنة فى القلوب، وله صنف الإمام فخر الدين الرازى كتاب تأسيس التقديس، وبعث به إليه من بلاد خراسان.

ومات الملك العادل عن خمس وسبعين - وقيل ثلاث وسبعين - سنة، وترك مالا كثيرا، منه فى خزائنه - التى استولى عليها ابنه المعظم - سبعمائة ألف دينار مصرية، سوى ما كان له فى الكرك، فاحتوى عليه أيضا الملك المعظم، وكتب المعظم إلى أخوته بموت أبيه، فجلس الملك الكامل للجزء فى معسكره بظاهر دمياط، وارتاع لموت أبيه خوفا من الفرنج.

السلطان الملك الكامل ناصر الدين

أبو المعالي محمد بن الملك العادل أبى بكر بن أيوب، سادس ملوك مصر من الأيوبيين، استقل بمملكة مصر بعد موت أبيه، بعهدته إليه فى حياته، وكانت سلطنته بعد السابع من جمادى الآخرة سنة خمس عشرة وستمائة عندما وصل إليه نعى أبيه، وهو بالمنزلة العادلية على محاربة الفرنج - وقد ملكوا البر الغربى، واستولوا على برج السلسلة، وقطعوا السلاسل المتصلة به، لتعبر مراكبهم فى بحر النيل، ويتمكنوا من أرض مصر، فنصب الملك الكامل عوضا من السلاسل جسرا عظيما، يمنع الفرنج من عبور النيل، فقاتل الفرنج عليه قتالا كثيرا حتى قطعه، وكان قد أنفق على هذا الجسر والجسر ما ينيف على سبعين ألف دينار، فأمر الكامل بتفريق عدة من المراكب فى النيل، منعت الفرنج من سلوكه، فعدل الفرنج إلى خليج هناك يعرف بالأزرق، كان النيل يجرى فيه قديما، فحفروه حفرا عميقا، وأجروا فيه الماء إلى البحر الملح، فجرت سفنهم فيه إلى ناحية بورة^(١) على أرض جيزة دمياط، تجاه المنزلة التى فيها الكامل، ليقاتلوه من هناك، فلما استقروا فى بورة حاذوه، وقاتلوه فى الماء، وزحفوا إليه غير مرة، فلم ينالوا منه غرضا طائلا، ولم يضر أهل دمياط ذلك؛ لتواصل الأمداد والميرة إليهم، وكون النيل يحجز بينهم وبين الفرنج، بحيث كانت أبواب المدينة مفتحة، وليس عليها حصر ولا ضيق ألبتة.

هذا والعربان تخطف الفرنج فى كل ليلة، بحيث منعهم ذلك من الرقاد، خوفا من غاراتهم وفتكالب العرب عليهم حتى صاروا يحتفظونهم نهارا، ويأخذون الخيم بمن فيها، فأكمن لهم الفرنج عدة كمناء، وقتلوا منهم خلقا كثيرا، وأدرك الناس الشتاء، فهاج البحر على معسكر المسلمين، وغرق الخيم، فعظم البلاء، واشتد الكرب، وألح الفرنج فى القتال، ولم يبق إلا أن يملكوا البلاد، فأرسل الله سبحانه ريحا قطعت مراسى مرمة كانت للفرنج من عجائب الدنيا، فمرت تلك المرمة إلى البر الذى فيه المسلمون فملكوها، فإذا هى مصفحة بالحديد، لا تعمل فيها النار، ومساحتها خمسمائة ذراع،

(١) بورة: مدينة على ساحل بحر مصر قرب دمياط تنسب إليها العمائم البورية والسلك البورى. معجم البلدان ١ / ٧٥٥، وفى الروض المعطار بورى - أو بورة -: فى أسفل الديار المصرية، فى سنة عشر وستمائة وصل العدو إليها بشوانية فسباها، وكان خلق رشيد قد حرس بالقطائع المصرية فعدل عنها إلى هذا المكان. انظر الروض المعطار، وخطط المقرئى ١ / ١٨١، ١٨٢، واليعقوبى ٣٣٨، وكذلك الإدريسى ١٥٧، وقاموس رمزى ١ / ١٧٦.

وفيهما من المسامير ما زنة الواحد منها خمسة وعشرون رطلا، وبعث السلطان إلى الآفاق سبعين رسولا، يستنجد أهل الإسلام على قتال الفرنج، ويستحثهم على إنقاذ المسلمين منهم وإغايتهم، ويخوفهم من تغلب الفرنج على مصر، فإنه متى ملكوها لا يمتنع عليهم شيء من الممالك بعدها، فسارت الرسل في شوال، فقدمت النجيدات من حماة وحلب، إلا أنه لما قدم على المعسكر موت العادل وقع الطمع في الملك الكامل، وثار العرب بنواحي أرض مصر، وكثر خلافهم واشتد ضررهم، واتفق مع ذلك قيام الأمير عماد الدين أحمد بن الأمير سيف الدين أبي الحسين على بن أحمد الهكاري، والمعروف بابن المشطوب، وكان أجل الأمراء الأكابر، وله لفيف من الأكراد الهكارية، ينقادون إليه ويطيعونه، مع أنه كان وافر الحرمة عند الملوك، معدودا بينهم كواحد منهم، معروفا بعلو الهمة وكثرة الجود، وسعة الكرم والشجاعة، تهابه الملوك، وله وقائع مشهورة في القيام عليهم، ولما مات أبوه، وكانت نابلس إقطاعا له، أُرصد ثلثها السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب لمصالح القدس، وأقطع ابنه عماد الدين هذا بقيتها، فلم يزل قائم الجاه من الأيام الصلاحية، فاتفق عماد الدين مع جماعة من الأكراد والجند على خلع الملك الكامل، وتمليك أخيه الفائز إبراهيم، ليصير لهم التحكم في المملكة، ووافق على ذلك الأمير عز الدين الحميدى، والأمير أسد الدين الهكاري، والأمير مجاهد الدين، وعدة من الأمراء، فلما بلغ الكامل ذلك دخل عليهم، فإذا هم مجتمعون وبين أيديهم المصحف، وهم يحلفون لأخيه الفائز، فعندما رأوه تفرقوا، فخشى على نفسه منهم، وخرج، فاتفق قدوم الصاحب صفى الدين بن شكر من آمد، فإنه كان قد استدعاه الكامل بعد موت أبيه، فتلقاه الكامل وأكرمه، وأوقفه على ما فيه جماعة الأمراء، فشجعه وضمن له تحصيل المال وتدبير الأمور، فلما كان في الليل ركب الكامل من المنزلة العادلة، في الليل جريده، وسار إلى أشموم طناح^(١) فنزل بها، وأصبح العسكر وقد فقدوا السلطان، فركب كل أحد هواه، ولم يعرج واحد منهم على آخر، وتركوا أثقالهم وخيامهم وأموالهم وأسلحتهم، ولم يأخذ كل أحد إلا ما خف حمله، فبادر الفرنج عند ذلك، وعبروا بر دمياط وهم آمنون، من غير منازع ولا مدافع، وأخذوا كل ما كان في معسكر المسلمين، وكان شيئا لا يقدر قدره، وذلك لوضع عشرة ليلة خلّت من ذى القعدة، فكان نزول الفرنج قبالة دمياط في يوم الثلاثاء ثاني شهر ربيع الأول سنة خمس عشرة وستمائة، ونزولهم في البر الشرقى - حيث مدينة

(١) أشموم بضم الميم وسكون الواو اسم لبلدتين. بمصر يقال لإحدهما أشموم طناح وهى قرب دمياط وهى مدينة الدقهلية، والأخرى أشموم الجريسان بالمنوفية. انظر معجم البلدان.

دمياط - يوم الثلاثاء سادس ذى القعدة سنة ست عشرة، فتزلزل الملك الكامل، وهم بمفارقة أرض مصر، ثم تثبت، فتلاحق به العسكر، وبعد يومين وصل إليه أخوه الملك المعظم عيسى صاحب دمشق - وهو بأشموم - فى ثامن عشر ذى القعدة، فقويت به شوكته، وأعلمه بما كان من أمر ابن المشطوب، فوعده بإزالته عنه. ثم ركب المعظم إلى خيمة ابن المشطوب، واستدعاه للركوب معه للمسايرة، فاستمهله حتى يلبس خفيه وثيابه، فلم يمهله وأعجله، فركب معه وهو آمن، وسأيره حتى خرج به من المعسكر وبعد عنه، فالتفت إليه المعظم، وقال: «يا عماد الدين! هذه البلاد لك، أشتهى أن تهبها لنا». وأعطاه نفقة، وأسلمه إلى جماعة من أصحابه يثق بهم، كان قد أعدهم لهذا الأمر، وأمرهم أن يلازموه إلى أن يخرج من الرمل، ويحتفظوا به إلى أن يدخل إلى الشام، فما وجد ابن المشطوب سبيلا إلى الامتناع، ولا قدر على المدافعة، لأنه بمفرده بينهم، فساروا به على تلك الحالة إلى الشام، فنزل بحماة عند الملك المنصور، ومعه أربعة من خدمه، ولما سار ابن المشطوب رجع المعظم إلى أخيه الكامل، وتقدم إلى أخيه الفائز بأن يمضى إلى الملوك الأيوبية بالشام والشرق رسولا عن الملك الكامل، بسبب إرسال عساكر الإسلام، لاستنقاذ دمياط وأرض مصر من الفرنج، وكتب الكامل إلى أخيه الأشرف موسى شاه أرمن، يستحثه على سرعة الحضور، وصدر المكاتبه بهذه الأبيات:

| | |
|------------------------------|--------------------------------|
| فانهض بغير تلبث وتوقف | يامسعدى إن كنت حقا مسعفى |
| بتجشم فى سيرها وتعسف | واحثث قلوبك مرقلا أو موجفا |
| إلا على باب المليك الأشرف | واطو المنازل ما استطعت ولا تنخ |
| متوقع لقدمه متشوف | واقر السلام عليه من عبد له |
| عنى بحسن توصل وتلطف | وإذا وصلت إلى حماة فقل له |
| ما بين كل مهند ومثقف | إن تأت عبدك عن قليل تلقه |
| بل فى القيامة فى عراض الموقف | أو تبط عن إنجاده فلقاؤه |

فسار الفائز - وكان الغرض إخراجهم من أرض مصر - فمضى إلى دمشق، ورحل إلى حماة، ثم سار إلى الشرق، فانتظم أمر الكامل، وقوى ساعده، وترتبت قواعد ملكه، وسار عنه المعظم، هذا والفرنج قد أحاطوا بدمياط من البحر والبر، وأحذقوا بها وحصروها، وضيقوا على أهلها، ومنعوا الأقوات أن تصل إليهم، وحفروا على معسكرهم المحيط بدمياط خندقا، وبنوا عليه سورا، وأهل دمياط يقاتلونهم أشد قتال، وأنزل الله عليهم الصبر، فثبتوا مع قلة الأقوات عندهم وشدة غلاء الأسعار، وأخذ الكامل فى محاربة الفرنج، وهم قد حالوا بينه وبينها، ولم يصل إليها أحد من عنده

سوى رجل من الجاندارية، وكان هذا الرجل قد قدم إلى القاهرة من بعض قرى حماة، و يسمى شمائل، فتوصل حتى صار يخدم فى الركاب السلطانى جاندار، وكان يخاطر بنفسه، ويسبح فى النيل - ومراكب الفرنج به محطة، والنيل قد امتلأت به شوانى الفرنج - فيدخل إلى مدينة دمياط، ويأتى السلطان بأخبار أهلها، فإذا دخل إليها قوى قلوب أهلها، ووعدهم بقرب وصول النجيدات، فحظى بذلك عند الكامل، وتقدم تقدا كثيرا، وجعله أمير جانداره وسيف نعمته، وولاه القاهرة، وإليه تنسب خزانة شمائل، وكان فى دمياط من أهلها الأمير جمال الدين الكنانى، فكتب هذه الأبيات، وألقاها إلى الملك الكامل فى سهم نشاب، وهى:

الله ضامن أجره وكفيله شرفاته
كادت تجتأ أصوله
كالمسك طاب دقيقه وجليله
حتى كأنك جاره ونزيله
بين الملوك شبيهه وعديله
ما ليس يمكننى لديك أقوله
بجميعه فرسانه وخيوله
والبحر عز لنصره أسطوله
وحنينه وبكاؤه وعويله
لكنه سدت عليه سبيله
دين الإله وخلقه ورسوله
علاته ونحاه عليه نحوله
أن يشتفى لما دعاك عليه
داء لمثلك يرتجى تعليله
ورضاه من هذا الكثير قليله
ماساغ عند المسلمين قبوله
ما إن يحمل من الدموع هموله
جفت نضارته وبان ذبوله
صلبانه وتلى به إنجيله
وخفى على سمع الورى تهليله
حقا وجملتته وذا تفصيله

يا مالكى دمياط ثغر هدمت
يقريك من أزكى السلام تحية
ويقول عن بعد وإنك سامع
يأبها الملك الذى ما إن يرى
هذا كتاب موضح من حالتى
أشكو إليك عدو سوء أهدقت
فالبر قد منعت إليه طريقه
فخضوعه باد على أبراجه
ولو استطاع لأمَّ بابك لا ئذا
ورسوله فى أن تجيب دعاءه
فقد انتهت أداؤه وتحكمت
وبقى له رمق يسير يرتجى
فاحرس حماك بعزيمة تشفى بها
فالله أعطاك الكثير بفضله
فالعذر فى نصر الإله ودينه
والثغر ناظره إليك محدد
ولئن قعدت عن القيام بنصره
ووهت قوى القرآن فيه ورفعت
وعلا صدى الناقوس فى أرجائه
هذا وحقك وصف صورة حاله
وكفاك يابن الأكرمين بأنه

حقق رجاء فيك يا من لم يخب أضحي عليك من الورى تعويله
 واذخر ليوم البعث فعلا صالحا أبدا لراجي جوده تأميله
 فلما وقف السلطان على هذه الأبيات أمر أهل القاهرة ومصر بالنفير للجهاد،
 وخرجت السنة والحال على ذلك.

وفيها استدعى الملك الغالب كيكاس بن كيخسرو بن قلع أرسلان، ملك الروم،
 بالملك الأفضل نور الدين على بن صلاح الدين يوسف^(١) - وكان بسميساط^(٢)،
 ويخطب للملك الغالب، فلما قدم عليه أكرمه، وحمل إليه شيئا كثيرا من المال والخيل
 والسلاح وغيره، وتحالفا على المسير إلى المملكة الحلبية وأخذها، بشرط أن يدفعها
 الملك الغالب، هي وسائر ما يفتحه إلى الملك الأفضل؛ ليقيم له فيها الخطبة والسكة،
 ويصير في طاعته، فإذا تم ذلك سارا إلى الشرق، وأخذ حيران والرها وغيرها، فسارا
 بالعساكر وأخذوا قلعة رعبان^(٣) فتسلمها الأفضل، ومال إليه الناس، واجتمعوا على
 الملك الغالب؛ لمحبتهم في الأفضل، ثم سار إلى قلعة تل باشر، فحصرها حتى ملكاها،
 فلم يسلمها الملك الغالب للأفضل، وأقام نائبا من قبله، فنفر منه الأفضل وفترت همته،
 وعلم أن هذا أول الغدر، وأعرض أهل البلاد أيضا عن الملك الغالب، واستعد أهل
 حلب، واستدعوا الملك الأشرف من بحيرة قدس، وكان نازلا عليها تجاه الفرنج، فقدم
 إليهم بعساكره، وحضرت عرب طيء وغيرها، إلى ظاهر حلب، فحسن الأفضل
 للملك الغالب التوجه إلى منبج، فسارا إليها، فواقع العرب مقدمة الملك الغالب،
 فانهزمت، وأسر العرب وأصحاب الأشرف كثيرا منهم، فرجع عند ذلك الملك الغالب
 إلى بلاده، وسار الأشرف، فاستولى على رعبان وتل باشر.

(١) الأفضل الأيوبي (٥٦٦ - ٦٢٢ هـ = ١١٧١ - ١٢٢٥ م). على الملك الأفضل نور الدين
 ابن يوسف صلاح الدين بن أيوب: صاحب الديار الشامية، استقل بمملكة دمشق بعد وفاة أبيه (سنة
 ٥٨٩ هـ) وأخذها منه أخوه العزيز وعمه العادل سنة ٥٢٩ هـ وأعطاه صرخد. انظر ابن الأثير ١٢/
 ١٦٤، وفيات الأعيان ١/ ٣٧١ حلى القاهرة ١٩٩. الأعلام ٣٣/ ٥.

(٢) سيميساط: مدينة على شاطئ الفرات في طرق بلاد الروم على غربي الفرات ولها قلعة في شق
 منها يسكنها الأرض. انظر معجم البلدان ٣/ ٢٥٨، وفي الروض المعطار: سيميساط: بلد من بلاد
 العجم منها السيميساطى، رجل من العجم كان موصوفاً بالورع والزهد، كان بنى خانقة للصوفية
 بدمشق في موضع الدار التي كانت لعمر بن عبد العزيز رضى الله عنه. انظر الروض المعطار ٣٢٣،
 ٣٢٤، وابن جبير ٢٨٩.

(٣) رعبان: مدينة بالثغور بين حلب وسميساط قرب الفرات معدودة في العواصم. انظر معجم
 البلدان ٥١/ ٣.

وفيه مات الملك القاهر عز الدين مسعود بن أرسلان شاه بن مسعود بن مودود بن عماد الدين زنكى أقسنقر، صاحب الموصل، لثلاث بقين من ربيع الأول، وكانت مدة ملكه سبع سنين وتسعة أشهر، وقام من بعده ابنه نور الدين أرسلان شاه، وعمّه عشر سنين، فدبر أمره الأمير بدر الدين لؤلؤ الأتابك، فأقرهما الخليفة الناصر.

* * *

سنة ست عشرة وستمائة (١)

فيها قدم الملك المظفر تقي الدين محمود بن المنصور محمد بن عمر بن شاهنشاه بن أيوب - صاحب حماة - إلى الملك الكامل، بجدة فى عسكر كثيف، ومعه الطواشى مرشد المنصورى، فتلقيه السلطان وأعظم قدره، وأنزله على مينته، وهى المنزلة التى كانت لأبيه وجده عند السلطان صلاح الدين يوسف، ووصل الفائز إبراهيم بن العادل إلى أخيه الأشرف موسى برسالة أخيها الكامل للاستنجاد على الفرنج، فأكرمه وأمسكه عنده، فإن الغرض إنما كان إخراجه من أرض مصر.

وفيها اشتد قتال الفرنج، وعظمت نكايتهم لأهل دمياط، وكان فيها نحو العشرين ألف مقاتل، فنهكهم الأمراض، وغلت عندهم الأسعار، حتى أبيعت البيضة الواحدة من بيض الدجاج بعدة دنانير، وامتألت الطرقات من الأموات، وعمدت الأقوات، وصار السكر فى عزة الياقوت، وفقدت اللحوم فلم يقدر عليها بوجه، وآلت بالناس الحال إلى أن لم يبق عندهم غير شىء يسير من القمح والشعير فقط، فتسور الفرنج السور، وملكوا منه البلد يوم الثلاثاء خمس بقين من شعبان، فكانت مدة الحصار ستة عشر شهرا واثنين وعشرين يوما، وعندما أخذوا دمياط وضعوا السيف فى الناس، فلم يعرف عدد من قتل لكثرتهم، ورحل السلطان بعد ذلك بيومين، ونزل قبالة طلخا، على رأس بحر أشموم ورأس بحر دمياط، وخيم بالمنزلة التى عرفت بالمنصورة (٢) وحصن

(١) سنة ٦١٦ هـ. انظر أحداث هذه السنة فى النجوم الزاهرة ٢١٦ - ٢١٩ / ٦ ، الكامل ٣٥٤ / ١٢ وما بعدها، تاريخ ابن الودرى ١٩٦ / ٢.

(٢) المنصورة: بلدة أنشأها الملك الكامل بن الملك العادل بن أيوب، بين دمياط والقاهرة، وربط بها فى وجه الإفرنج لما ملكوا دمياط وذلك سنة ٦١٦ هـ. انظر معجم البلدان ٢١٢ / ٥، وقال ابن إياس فى ذكر مدينة المنصورة: هذه البلد على بحر أشموم تجاه ناحية طلخا، بناها الملك الكامل محمد بن الملك العادل أبى بكر بن أيوب فى سنة عشرين وستمائة عندما ملكوا الفرنج مدينة دمياط فنزل فى موضع هذه البلد وبنا بها عدة دور، ودار عليها سور مما يلى البحر وبنا بها الأسواق والحمامات والفنادق وسماها المنصورة لكونه انتصر هناك على الفرنج، ولما انتصر على الفرنج جلس فى قصره الذى أنشأ بها وبين يديه أخويه هما الملك المعظم عيسى صاحب دمشق والملك الأشرف موسى صاحب بلاد الشرق وعدة من خواصه فعند ذلك أحضر الملك الأشرف موسى جارية تغنى على عود فغنت شعر:

ولما طغفا فرعون على بسحره وجاء إلى مصر ليفسد فى الأرض
أتى نحوهم موسى وفى يده العصا فأغرقهم فى اليم بعضا على بعض

الفرنج أسوار دمياط، وجعلوا جامعها كنيسة، وبثوا سراياهم فى القرى يقتلون ويأسرون، فعظم الخطب واشتد البلاء، وندب السلطان الناس وفرقهم فى الأرض، فخرجوا إلى الآفاق يستصرخون الناس لاستنقاذ أرض مصر من أيدي الفرنج، وشرع السلطان فى بناء الدور والفنادق والحمامات والأسواق بمنزلة المنصورة وجهاز الفرنج من حصل فى أيديهم من أسارى المسلمين فى البحر إلى عكا وبرزوا من مدينة دمياط يريدون أخذ مصر والقاهرة، فنازلوا السلطان تجاه المنصورة، وصار بينهم وبين العسكر بحر أشموم وبحر دمياط، وكان الفرنج فى مائتى ألف رجل وعشرة آلاف فارس، فقدم السلطان الشوانى تجاه المنصورة، وهى مائة قطعة، واجتمع الناس من أهل مصر وسائر النواحي ما بين أسوان إلى القاهرة، ووصل الأمير حسام الدين يونس، والفقيه تقى الدين طاهر المحلى، فأخرجوا الناس من القاهرة ومصر؛ ونودى بالنفير العام، وألا يبقى أحد، وذكروا أن ملك الفرنج قد أقطع ديار مصر لأصحابه.

فقال:

يهددوننا بأهل عكا أن يملكونا وأهل يافا
ومن لنا أن يلوا علينا فالروم خير من الريفا

يعنى أهل الريف، فإنه كان قد كثر تسلطهم، وطمعوا فى أمر السلطان، واستخفوا به؛ لشغله بالفرنج عنهم، وخرج الأمير علاء الدين جلدك، والأمير جمال الدين بن صيرم؛ لجمع الناس مما بين القاهرة إلى آخر الحوف الشرقى^(١) فاجتمع من المسلمين عالم لا يقع عليه حصر، وأنزل السلطان على ناحية شار مساح ألفى فارس، فى آلاف من العربان، ليحولوا بين الفرنج وبين دمياط، وسارت الشوانى - ومعها حراقة كبيرة - إلى رأس بحر المحلة، وعليها الأمير بدر الدين بن حسون، فانقطعت الميرة عن الفرنج من البر والبحر، وقدمت النجيدات للملك الكامل من بلاد الشام، وخرجت أمم الفرنج من

=فطرب الأشرف موسى لذلك فشق على أخيه الملك الكامل محمد وأتى بجارية من عنده فأخذت العود وغنت شعر فى المعنى:

يا أهل دين الكفر قوموا لتنظروا لما قد جرى فى وقتنا وتجددًا
إلا أن موسى قد أتانا وقومه وعيسى جميعا ينصرون محمدًا

فطرب الملك الكامل لذلك وأمر لكل بخمسائة دينار. وكانت هذه الليلة بالمنصورة من أحسن ليالى الدهر، وقيل أن الذى نظم هذه الأبيات إنما هو راجح الحللى الشاعر المشهور.

(١) الحوف: بالفتح، وسكون الواو، والفاء؛ والحوف بمصر جوفان: الشرقى والغربى، وهما متصلان، أول الشرقى من جهة الشام وآخر الغربى قرب دمياط، يشتملان على بلدان وقرى كثيرة، انظر معجم البلدان ٣٢٢ / ٢.

داخل البحر تريد مدد الفرنج على دمياط، فوافى دمياط منهم طوائف لا يحصى لهم عدد، فلما تكامل جمعهم بدمياط خرجوا منها، في حدهم وحديدهم، وقد زين لهم سوء عملهم أن يملكوا أرض مصر، ويستولوا منها على ممالك البسيطة كلها، فلما قدمت النجدات كان أولها قدوما الملك الأشرف موسى بن العادل، وآخرها على الساقية الملك المعظم عيسى، وفيما بينهما بقية الملوك: وهم المنصور صاحب حماة، والناصر صلاح الدين قلعج أرسلان، والمجاهد صاحب حمص، والأجد بهرام شاه صاحب بعلبك وغيرهم، فهال الفرنج ما رأوا، وكان قدوم هذه النجدات فى ثالث عشرى جمادى الآخرة سنة ثمان عشرة، وتتابع قدوم النجدات حتى بلغ عدد فرسان المسلمين نحو الأربعين ألفا، فحاربوا الفرنج فى البر والبحر، وأخذوا منهم ست شواتى وجلاسة وبطسة، وأسروا منهم ألفين ومائتى رجل، ثم ظفروا أيضا بثلاث قطائع، فتضعض الفرنج لذلك، وضاق بهم المقام، وبعثوا يسألون فى الصلح، كما سيأتى إن شاء الله.

وفىها مات قطب الدين محمد بن عماد الدين زكى بن مودود، صاحب سنجار، وقام من بعده ابنه عماد الدين شاهنشاه، ثم قتله أخوه الأجد عمر.

ومات نور الدين أرسلان شاه، صاحب الموصل، فقام من بعده الأمير بدر الدين لؤلؤ بأمر أخيه ناصر الدين محمود بن القاهر عز الدين، وعمره ثلاث سنين.

وفىها أمر الملك المعظم عيسى بتخريب القدس، خوفا من استيلاء الفرنج عليها، فخربت أسوار المدينة وأبراجها كلها، إلا برج داود - وكان من غربى البلد - فإنه أبقاه، وخرج معظم من كان فى القدس من الناس، ولم يبق فيه إلا نفر يسير، ونقل المعظم ما كان فى القدس من الأسلحة وآلات القتال، فشق على المسلمين تخريب القدس وأخذ دمياط.

وفىها هدم المعظم أيضا قلعة الطور التى بناها أبوه العادل، وعفى آثارها.

وفىها خرجت كتب الخليفة الناصر لدين الله إلى سائر الممالك، بإنجاد الملك الكامل بدمياط.

وفىها مات عز الدين كيكافوس بن غياث الدين كيخسرو بن قلعج أرسلان بن مسعود بن قلعج أرسلان، ملك قونية، بعدما ملك أرزن الروم^(١) من عمه طغرل شاه

(١) أرزن الروم: مدينة فى تركيا من بلاد أرمينية. انظر بلدان الخلافة الشرقية: ١٤٩، مراصد الاطلاع ١: ٥٥، تقويم البلدان ٣٧٨، وجاء ذكر أرزن فقط فى الروض المعطار بأنها: مدينة بينها =

ابن قلع شاه بن قلع أرسلان، وملك أنكورية من أخيه كيقباد، فصار سلطان الروم، وقام من بعده أخوه علاء الدين كيقباد.

وفيهما ابتداء ظهور التتار - ومساكنهم جبال طمغاج من أرض الصين، بينها وبين بلاد التركستان ما يزيد على ستة أشهر - واستولوا على كثير من بلاد الإسلام، وكانوا لا يدينون بدين، إلا أنهم يعترفون بالله تعالى، من غير اعتقاد شريعة، فملكوا الصين - وكان ملكهم يقال له جنكزخان - ثم ساروا إلى تركستان وكاشغر (١) فملكوا تلك البلاد، وأغاروا على أطراف بلاد السلطان علاء الدين محمد بن خوارزم شاه تكش بن ألب أرسلان محمد بن جغرى بك داود بن ميكائيل بن سلجوق، ثم استولوا على بخارى وغيرها من بلاد العجم.

* * *

= وبين ميافارقين سبعة فراسخ، فتحها عياض بن غنم على مثل صلح الرها، وهى مدينة كبيرة كثيرة الأسواق وال عمران سهلية جبلية. انظر الروض المعطار ٢٦ (أرزن).

(١) كاشغر: بالتقاء الساكنين، والشين معجمة والغين أيضا، وراء: وهى مدينة وقرى ورساتيق يسافر إليها من سمرقند وتلك النواحي، وهى فى وسط بلاد الترك وأهلها مسلمون. انظر معجم البلدان ٤٣٠/٤، وجاء ذكر كاشغر فى الروض المعطار - كاشغرا أو كاشغر أو قاشغر - وهى: مدينة من بلاد الصين عامرة كثيرة الخيرات فيها متاجر وبضائع، وهى على نهر صغير يأتى إليها من جهة شمالها من جبل قيطغورا، وفيه معادن فضة طيبة فاتقة فى الجودة سهلة التخليص من خبثها. انظر الروض المعطار ٤٨٩، ونزهة المشتاق ٦٨، ٦٩، وتقويم البلدان ٥٠٤، وحدود العالم ٩٦، ٢٨٠، وابن الوردي ٣٤.

سنة سبع عشرة وستمائة^(١)

أهلت وانقضت، والحرب قائمة بين المسلمين وبين الفرنج على دمياط، فى منزلة المنصورة.

وفىها استولى التتر على سمرقند^(٢) وهزموا السلطان علاء الدين، وملكوا الرى وهمذان وقزوین، وحاربوا الكرج، وملكوا فرغانة^(٣) والترمز وخوارزم، وخراسان

(١) انظر أحداث تلك السنة فى النجوم الزاهرة ٢١٩ - ٢٢ / ٦، الكامل ٣٥٨ / ١٢ وما بعدها تاريخ ابن الوردي ١٩٩ / ٢ وما بعدها .

(٢) سمرقند: بفتح أوله وثانيه، ويقال لها بالعربية سمران: بلد معروف مشهور، قيل إنه من أبنية ذى القرنين بما وراء النهر . انظر معجم البلدان ٢٤٦ / ٣، وفى الروض المعطار سمرقند: مدينة من خراسان، ويقال: إن شمر بن أفریش غزا أرض الصغد حتى وصل إلى سمرقند فهدمها ثم ابتناها، ويقال إنها بنيت أيام الإسكندر وتولى ذلك شمر فقيلى سمرقند، وعربت فقيلى سمرقند، وإلى ذلك أشار دعبيل فى قوله من قصيدته التى افتخر فيها على الكميت:

هم كتبوا الكتاب بباب مرو باب الصين كانوا الكاتبيننا
هم سموا بشمر سمرقندًا هم غرسوا هناك الثبتينا

وهى مدينة حسنة كبيرة على جنوب وادى الصغد، وقصبة الصغد سمرقند، ولها شوارع ومبان وقصور سامية وفنادق وحمامات، وعليها سور تراب متسع يطيف به خندق، وهى كثيرة الخصب والنعم والفواكه، ولها أربعة أبواب، ويدخل المدينة ماء يجلب إليها، يدخل على باب كبير ويعم أكثر قصورها، وهى فى الأقليم الخامس، وكان طولها فى قديم الدهر اثنا عشر فرسخًا، وقد تهدم وحرب منها كثير، والعمران منها اليوم أربعة فراسخ، ويضم سورها اثني عشر ألف بستان، ويشتمل على سمرقند سور له أربعة أبواب: باب من ناحية المشرق يقال له باب الصين مرتفع عن الأرض ينزل فى عدد درج مطل على وادى الصغد، وبابها مما يلي المغرب يسمى النوبهار وهو على شرف من الأرض أيضًا، ومما يلي الشمال باب بخارى، ومما يلي الجنوب باب كاش، وفى الشمال من سمرقند جبل كبير يخرج من تحته عين حاررة قد صنع لها فى أصل الجبل طيقان وحلب عليها الماء فى قنوات رصاص حتى يصب فى سمرقند. بحرى اسمه بارمس يصب فى البحيرة التى فى أصل بنكث من سمرقند على نحو ثلاثين فرسخًا، ويخرج فى شرقى سمرقند فيصير إلى ماء الصغد وهو موضع درغش ومن مدينة سمرقند على أربعة فراسخ يخرج خليج من هذا الوادى يسمى العريش يسقى الرساتيق. وسمرقند من عمل الصغد وهو كله من خراسان، وحدّ عمل الصغد غربًا ما بين كرمينية والدبوسية، وشمالًا وادى الشاش، ومنبرها الأجل سمرقند، ثم كاش، ثم نسف، ثم الكشانية، ثم أوفر، ثم الدبوسية، ثم درغش. انظر الروض المعطار ٣٢٢، ٣٢٣، وابن الوردي ٣١.

(٣) فرغانة: بالفتح ثم السكون، وغين معجمة، وبعد الألف نون: مدينة وكورة واسعة بما وراء النهر متاحة لبلاد تركستان فى زاوية من ناحية هيطل من جهة مطلع الشمس على يمين القاصد=

ومرو ونيسابور، وطوس^(١) وهراة وغزنة.

وفيهما ملك الأشرف موسى بن العادل ماردين وسنجار.

وفيهما مات الملك المنصور ناصر الدين محمد بن عمر بن شاهنشاه بن أيوب بن شادي^(٢) صاحب حماة - وكان إماما مفتيا في عدة علوم، وله شعر جيد - في ذي القعدة، عن خمسين سنة، منها مدة ملكه ثلاثون سنة، وكان ابنه الأكبر الملك المظفر تقي الدين محمود في معسكر خاله الملك الكامل، بالمنصورة على مقاتلة الفرنج، فقام بمملكة حماة الملك الناصر قلعج أرسلان بن المنصور، وكان عمره سبع عشرة سنة، فشق بذلك على أخيه المظفر، واستأذن الملك الكامل في العود إلى حماة، ظنا منه أنه يملكها، فإنه كان ولي عهد أبيه، فأذن له الملك الكامل، وسار فلقى الملك المعظم في الغور، فخوفه من التعرض إلى أخيه، فأقام بدمشق، ثم رجع المظفر إلى الملك الكامل، فأقطعه إقطاعا، وأقام في خدمته.

وفيهما كثرت مصادرة الصاحب صفى الدين بن شكر أرباب الأموال بمصر والقاهرة، من التجار والكتاب: وقرر التبرع على الأملاك، وهو مال جُبي من الناس، وأحدث ابن شكر حوادث كثيرة، وحصل مالا جما.

وفيهما قوى طمع الفرنج في ملك ديار مصر، وعزموا على التقدم إلى المسلمين؛

=بلاد الترك. انظر معجم البلدان ٢٥٣/٤، وفي الروض المعطار فرغانة: في خراسان، بينها وبين سمرقند ثلاثة وخمسون فرسخا، كان أنوشروان بناها ونقل إليها من كل بيت قوما، وفرغانة اسم الأقليم، وهو عريض على سبع مدائن، واسمها بالعجمية اخشيكت، وقيل إن فرغانة اسم الكورة، واسم قصبها اخشيكت، وهي على شط نهر الشاش على أرض مستوية، بينها وبين الجبل نحو نصف فرسخ، وهي على شمال النهر. انظر الروض المعطار ٤٤٠.

(١) طوس: مدينة من نيسابور على مرحلتين، وقيل على ستة عشر فرسخا، وطوس يقال لها نوقان، وهي مدينة كبيرة حسنة المباني، كثيرة الأسواق شاملة الأرزاق، عامرة الأمكنة راتقة الجهات، ولها مدن بها منابر ولما فتح ابن عامر مدينة نيسابور، قيل صلحا وقيل عنوة، فتح ما حولها طوس وبيورد وحران وسرخس، وقيل بعث إلى سرخس عبد الله بن خازم ففتحها، وبطوس قبر الرشيد أمير المؤمنين، وفيها توفي الرضا بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين. انظر الروض المعطار ٣٩٨، ٣٩٩، ومعجم البلدان ٤/٤٩، ونزهة المشتاق ٢٠٩.

(٢) الملك المنصور (٦١٧ هـ - ١٢٢١ م). محمد بن عمر المظفر بن شاهنشاه، الأيوبي أبو المعالي ناصر الدين، المنصور بن المظفر: صاحب حماة، وأحد العلماء بالتاريخ والأدب، سمع الحديث في الإسكندرية وصار إليه ملك حماة بعد أبيه. انظر تاريخ حماة ٨٤، فوات الوفيات ٢/٢٥٢، وفيات الأعيان ابن الوردي ٢/١٣٩، أبو الفداء ٣/١٢٥، ذيل الروضتين ١٢٤. الأعلام ٦/٣١٣.

ليدفعوهم عن منزلتهم، ويستولوا على البلاد، فانقضت السنة وهم تجاه المسلمين على رأس بحر أشموم ودمياط.

وفيها غلت الأسعار بأرض مصر، فبلغ القمح ثلاثة دنانير كل أردب، فكانت من أشق السنين وأشدها على أهل مصر.

وفيها مات الشريف أبو عزيز قتادة بن أبي مالك إدريس بن مطاعن بن عبد الكريم ابن عيسى بن حسين بن سليمان بن علي بن عبد الله بن محمد بن موسى بن عبد الله ابن موسى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، سلطان مكة، في آخر جمادى الآخرة بمكة، عن تسعين سنة، وله شعر جيد، وقدم مصر غير مرة، ومعه أخوه أبو موسى عيسى، وكانت ولادته ومرباه بالينبع^(١). وملك مكة بعده ابنه حسن بن قتادة^(٢) فسار راجح بن قتادة مغاضبا له، وقطع الطريق في الموسم بين مكة وعرفة، فقبض عليه أقباش أمير الحاج العراقي، فبعث الشريف حسن لأقباش يعده بمال ليسلمه راجحا، فوعده راجح بأكثر من ذلك، فعزم أقباش على أن يسلمه مكة، وتقدم لمقاتلة أميرها، فقتل أقباش، وفر راجح إلى المملك المسعود باليمن.

* * *

(١) ينبع: بالفتح ثم السكون، والباء الموحدة مضمومة، وعين مهملة: هي عن يمين رضوى لمن كان منحدرًا من المدينة إلى البحر على ليلة من رضوى من المدينة على سبع مراحل. انظر معجم البلدان ٤٥٠ / ٥، والروض المعطار ٦٢١، ورحلة الناصري ٢١٦.

(٢) حسن بن قتادة (٦٢٢ هـ = ١٢٢٥ م). الحسن بن قتادة بن إدريس العلوي الحسيني: أمير مكة، وأحد الفتاك العتاة، أرسله أبوه مع عسكر بقيادة عم له، للاستيلاء على المدينة، فقتل عمه في الطريق، وعاد إلى مكة ففتح أباه، وكان له أخ ينوب عن أبيه بقلعة ينبع، فاستحضره وقتله. واستقر في ملك مكة سنة ٦١٨ هـ. ونازعه أخوه راجح. انظر دائرة البستان ٧ / ٤١، ابن الوردي ٢ / ١٤٣، خلاصة الكلام ٢٤. الأعلام ٢١١ / ٢.

سنة ثمان عشرة وستمائة (١)

فيها اشتدت قوة الفرنج، بكثرة من قدم إليهم في البحر، فتابع الملك الكامل الرسل في طلب النجدات، فقدمت عليه الملوك كما تقدم، واشتد القتال بين الفريقين برا وبحرا، وقد اجتمع من الفرنج والمسلمين ما لا يعلم عددهم إلا الله، وكانت العامة تكرر على الفرنج أكثر ما يكر عليهم العسكر، وتقدم جماعة من العسكر إلى خليج من النيل في البر الغربي، يعرف ببحر المحلة، وقاتلوا الفرنج منه، وتقدمت الشوانى الإسلامية فى بحر النيل؛ لتقاتل شوانى الفرنج، فأخذوا منها ثلاث قطع برحالها وأسلحتها.

هذا والرسل تتردد من عند الفرنج فى طلب الصلح بشروط: منها أخذ القدس وعسقلان وطبرية، وجبله واللاذقية، وسائر ما فتحه السلطان صلاح الدين من بلاد الساحل، فأجابهم الملوك إلى ذلك، ما خلا الكرك والشوبك، فأبى الفرنج، وقالوا: «لا نسلم دمياط حتى تسلموا ذلك كله» فرضى الكامل، فامتنع الفرنج، وقالوا: لا بد أن تعطونا خمسمائة ألف دينار؛ لنعمر بها ما خربتم من أسوار القدس، مع أخذ ما ذكر من البلاد، وأخذ الكرك والشوبك أيضا، فاضطر المسلمون إلى قتالهم ومصابرتهم، وعبر جماعة من المسلمين فى بحر المحلة إلى الأرض التى عليها معسكر الفرنج، وفتحوا مكانا عظيما فى النيل، وكان الوقت فى قوة الزيادة، فإنه كان أول ليلة من توت، والفرنج لا معرفة لهم بحال أرض مصر، ولا بأمر النيل، فلم يشعر الفرنج إلا والماء قد غرق أكثر الأرض التى هم عليها، وصار حائلا بينهم وبين دمياط، وأصبحوا وليس لهم جهة يسلكونها، سوى جهة واحدة ضيقة، فأمر السلطان فى الحال بنصب الجسور عند بحر أشموم طناح، فتهيا الفراغ منها، وعبرت العساكر الإسلامية عليها، وملك الطريق التى تسلكها الفرنج إلى دمياط، فانحصروا من سائر الجهات، وقدر الله سبحانه بوصول مرقة عظيمة فى البحر للفرنج، وحولها عدة حراقات تحميها، وسائرها مشحونة بالميرة والسلاح، وسائر ما يحتاج إليه، فأوقع بها شوانى الإسلام، وكانت بينهما حرب، أنزل الله فيها نصره على المسلمين، فظفروا بها وبما معها من الحراقات، ففتت ذلك فى أعضاد الفرنج، وألقى فى قلوبهم الرعب والذلة، بعدما كانوا فى غاية الاستظهار والعنت على المسلمين، وعلموا أنهم مأخوذون لا محالة، وعظمت نكاية المسلمين بهم،

(١) سنة ٦١٨ هـ. انظر أحداث تلك السنة فى النجوم الزاهرة ٢٢ - ٢٢٤ / ٦، الكامل

برميهم إياهم بالسهام، وحملهم على أطرافهم، فأجمعوا أمرهم على مناهضة المسلمين، ظنا منهم أنهم يصلون إلى دمياط، فحربوا خيامهم وبجانيقهم، وعزموا على أن يحطموا حطمة واحدة. فلم يجدوا إلى ذلك سبيلا؛ لكثرة الوحل والمياه التي قد ركبت الأرض من حولهم، فعجزوا عن الإقامة لقلّة الأزواد عندهم، ولاذوا إلى طلب الصلح، وبعثوا يسألون الملك الكامل - وإخوته الأشرف والمعظم - الأمان لأنفسهم، وأنهم يسلمون دمياط بغير عوض، فاقتضى رأى الملك الكامل إجابتهم، واقتضى رأى غيره من إخوته مناهضتهم، واجتثات أصلهم ألبتة، فخاف الملك الكامل إن فعل ذلك أن يمتنع من بقى منهم بدمياط أن يسلمها، ويحتاج الحال إلى منازلها مدة، فإنها كانت ذات أسوار منيعة، وزاد الفرنج عندما استولوا عليها فى تحصينها، ولا يؤمن فى طول محاصرتها أن يفد ملوك الفرنج نجدة لمن فيها، وطلبا لثأر من قتل من أكابره، هذا وقد ضجرت عساكر المسلمين، وملت من طول الحرب، فإنها مقيمة فى محاربة الفرنج ثلاث سنين وأشهر، وما زال الكامل قائما فى تأمين الفرنج إلى أن وافقه بقية الملوك على أن يعث الفرنج برهائن من ملوكهم - لا من أمرائهم - إلى أن يسلموا دمياط، فطلب الفرنج أن يكون ابن الملك الكامل عندهم رهينة، إلى أن تعود إليهم رهائتهم، فتقرر الأمر على ذلك، وحلف كل من ملوك المسلمين والفرنج، فى سابع شهر رجب، وبعث الفرنج بعشرين ملكا من ملوكهم رهنا، منهم يوحنا صاحب عكا، ونائب البابا، وبعث الملك الكامل إليهم بابنه الملك الصالح نجم الدين أيوب^(١) وله من العمر يومئذ خمس عشرة سنة، ومعه جماعة من خواصه، وعندما قدم ملوك الفرنج جلس لهم الملك الكامل مجلسا عظيما، ووقف الملوك من إخوته وأهل بيته بين يديه بظاهر اليرمون، فى يوم الأربعاء التاسع عشر من شهر رجب، فهال الفرنج ما شاهدوا من تلك العظمة وبهاء ذلك الناموس، وقدمت قسوس الفرنج ورهبانهم إلى دمياط؛ ليسلموها إلى المسلمين، فتسلمها المسلمون فى يوم الأربعاء التاسع عشر من شهر رجب، فلما تسلمها المسلمون قدم فى ذلك اليوم من الفرنج نجدة عظيمة، يقال إنها ألف مركب، فعد تأخرهم إلى ما بعد تسليمها من الفرنج صنعا جميلا من الله سبحانه، وشاهد المسلمون عندما تسلموا دمياط من تحصين الفرنج لها ما لا يمكن أخذها بقوة ألبتة، وبعث السلطان بمن كان عنده فى الرهن من الفرنج، وقدم الملك الصالح ومن كان معه،

(١) الملك الصالح (٦٠٣ - ٦٤٧ هـ - ١٢٠٦ - ١٢٤٩ م). أيوب (الملك الصالح) بن محمد (الملك الكامل) بن أبى بكر (العادل) بن أيوب، أبو الفتوح نجم الدين: من كبار الملوك الأيوبيين. معصر. انظر خطط المقرئى ٢/٢٣٦، ابن إياس ١/٨٣، تاريخ الإسحاقى ١٨٩، مرآة الزمان ٧٧٥/٨. الأعلام ٢/٣٨.

وتقررت الهدنة بين الفرنج وبين المسلمين مدة ثمانى سنين، على أن كلا من الفريقين يطلق ما عنده من الأسرى، وحلف السلطان وإخوته، وحلف ملوك الفرنج، على ذلك، وتفرق من كان قد حضر للقتال، فكانت مدة استيلاء الفرنج على دمياط سنة واحدة وعشرة أشهر وأربعة وعشرين يوماً، ثم دخل الملك الكامل إلى دمياط بعساكره وأهله، وكان لدخوله مسرة عظيمة وابتهاج زائد، ثم سار الفرنج إلى بلادهم وعاد السلطان إلى قلعة الجبل، فى يوم الجمعة الثانى عشر شهر رمضان، ودخل الوزير صاحب صفى الدين عبد الله بن على بن شكر فى البحر، وأطلق من كان بمصر من الأسرى، وكان فيهم من أسر من الأيام الصلاحية، وأطلق الفرنج من كان فى بلادهم من أسرى المسلمين، واتفق أنه لما رحل الفرنج اجتمع فى ليلة عند الملك الكامل أخواه المعظم عيسى والأشرف موسى على حالة أنس، فأمر الأشرف جاريته ست الفخر فغنت على عودها:

ولما طغى فرعون عكا بيغيه وجاء إلى مصر ليفسد فى الأرض
أتى نحوهم موسى وفى يده العصا فأغرقهم فى اليم بعضا على بعض
فطرب الأشرف، وقال لها: كررى، فشق ذلك على الملك الكامل، وأمرها
فسكتت، وقال لجاريته: «غن أنت» فغنت على العود:

أيا أهل دين الكفر قوموا لتنظروا لما قد جرى فى وقتنا وتجددا
أعباد عيسى إن عيسى وقومه وموسى جميعا ينصرون محمدا
فأعجب الكامل بها، وأمر لها بخمسمائة دينار، ولجارية أخيه الأشرف بخمسمائة
دينار، فنهض القاضى الأجل هبة الله بن محاسن، قاضى غزة^(١) وكان فى جملةهم،
وأنشد:

حيانا إله الخلق فتحنا لنا بدا ميينا وإنعاما وعزا مجددا
تهلل وجه الدهر بعد قطوبه وأصبح وجه الشرك بالظلم أسودا
ولما طغى البحر الخضم بأهله الـ طغاة وأضحى بالمراكب مزبدا
أقام لهذا الدين من سل عزمه صقيلا كما سل الحسام مجردا
فلم تر الا كل شلو مجدل ثوى منهم أو من تراه مقيدا

(١) غزة: بفتح أوله، وتشديد ثانيه وفتح، مدينة فى أقصى الشام من ناحية مصر، بينها وبين
عسقلان فرسخان أو أقل، وهى من نواحي فلسطين غربى عسقلان، انظر معجم البلدان ٤/٢٠٢،
وفى الروض المعطار: غزة موضع بديار حزام من مشارف الشام على ساحل البحر، وبها قبر هاشم
ابن عبد مناف. انظر الروض المعطار ٤٢٨، ومعجم ما استعجم ٣/٩٩٧.

ونادى لسان الكون فى الأرض رافعا
 عقيرته فى الخافقين ومنشدا
 أعباد عيسى إن عيسى وحزبه
 وموسى جميعا ينصران محمدا
 ويقال إن هذا المجلس كان بالمنصورة، ولما استقر الملك الكامل على تخت ملكه
 سارت الملوك إلى ممالكها، وعمت بشارة أخذ المسلمين دمياط آفاق الأرض، فإن التتار
 كانوا قد دمروا ممالك الشرق، وكادت مصر مع الشام يستأصل شأفة أهلها الفرنج،
 حتى منَّ الله بجميل صنعه وخفى لطفه، ونصر عباده المؤمنين، وأيدهم بجنده، بعدما
 ابتلى المؤمنون، وزلزلوا زلزالا شديدا، وقدمت على الملك الكامل تهانى الشعراء بهذا
 الفتح، فكان أولهم إرسالا شرف الدين بن عنين، بكلمته التى أولها:

سلوا صهوات الخيل يوم الوغى عنا
 إذا جهلت آياتنا والقنا اللدنا
 غداة التقينا دون دمياط جحفلا
 من الروم لا يحصى يقينا ولا ظنا
 قد اجتمعوا رأيا ودينا وهمة
 وعزما وإن كانوا قد اختلفوا سنا
 تداعوا بأنصار الصليب وأقبلت
 جموع كأن الموج كان لهم سفنا
 وأطمعهم فينا غرور فأرقلوا
 إلينا سراعا بالجهاد وأرقلنا
 فما برحت سمر الرماح تنوشهم
 بأطرافها حتى استجاروا بنا منا
 سقيناهم كأسا نفت عنهم الكرى
 وكيف ينام الليل من عدم الأمانا
 لقد صبروا صبرا جميلا ودافعوا
 طويلا فما أجدى دفاع ولا أغنى
 بدا الموت من زرق الأسنة أحمرنا
 فألقوا بأيديهم إلينا فأحسننا
 وما برح الإحسان منا سحبة
 نورثها من صيد آباتنا الإبننا
 وقد جربونا قبلها فى وقائع
 تعلم غمر القوم منا بها الطعنا
 أسود وغى لولا وقائع سمرنا
 لما لبسوا قييدا ولا سكنوا سجننا
 وكم يوم حُر ما وقينا هجيره
 فإن نعيم الملك فى وسطه الشقا
 يسير بنا من آل أيوب ماجد
 كريم الثنا عار عن العار باسل
 سرى نحو دمياط بكل سُميدع
 مآثر مجد خدرتها سيوفه
 وقد عرفت أسيفنا ورقابهم
 منحناهم منا حياة جديدة
 ولو ملكونا لاستباحوا دمائنا
 ولوغا ولكننا ملكنا فأسجحننا

وقال:

قسما بما ضمت أباطح مكة وبمن حواه من الحجيج الموقف
لو لم يقم موسى بنصر محمد لرقى على درج الخطيب الأسقف
لولا ما ذل الصليب وأهله في ثغر دمياط وعز المصحف
ووردت أيضا قصيدة القاضى الأجل بهاء الدين زهير بن محمد بن على^(١) القاضى،
وغيره من الشعراء.

وفيهما ملك التتر مراغة وهمذان وأذربيجان وتبريز^(٢).

وفيهما مات الملك الصالح ناصر الدين محمود بن محمد بن قرا أرسلان بن سقمان بن
أرتق الأرتقى، صاحب حصن كيفا، وقام من بعده ابنه الملك المسعود داود.
وفيهما ركب الملك الكامل من قلعة الجبل إلى منظره الصاحب صفى الدين بن شكر
- التى على الخليج بمصر - فى ذى القعدة، وتحدث معه فى نفى الأمراء الذين وافقوا
الفائز وكانوا فى جيزة دمياط لعمارتها، فكتب لهم بالتوجه من أرض مصر إلى حيث
شاءوا، فمضوا بأجمعهم من الجيزة إلى الشام، ولم يتعرض الملك الكامل لشيء من
موجودهم، وفرق أجزأهم على ممالئكه.

وفيهما مات أمين الدين مرتفع بن الشعار والى مصر، فى يوم الجمعة ثالث محرم.
ومات متولى تونس وبلاد إفريقية الأمير أبو محمد عبد الواحد بن أبى حفص عمر بن
يحيى بن أبى حفص عمر بن ونودين الهنتاتى^(٣) فى يوم الخميس أول المحرم، وكان قد

(١) البهاء زهير (٥٨١ - ٦٥٦ هـ = ١١٨٦ - ١٢٥٨ م). زهير بن محمد بن على المهلبى
العتكى، بهاء الدين: شاعر، كان من الكتاب، يقول الشعر ويرقعه فتعجب به العامة وتستمله الخاصة
ولد بمكة، ونشأ بقوص واتصل بخدمة الملك الصالح أيوب (بمصر) فقربه وجعله من خواص كتابه،
وظل حظيا عنده إلى أن مات الصالح، فانقطع زهير فى داره إلى أن توفى بمصر. له ديوان شعر
مطبوع. انظر وفيات الأعيان ١ / ١٩٤، النجوم الزاهرة ٧ / ٦٢، آداب اللغة ٣ / ١٨، وروض المناظر
١٢ / ١٤٥. الأعلام ٥٢ / ٣

(٢) تبريز: هى أشهر مدن أذربيجان، وهى مدينة عامرة حسناء ذات أسوار محكمة بالآجر
والحص، وفى وسطها عدة أنهار حارية، والبساتين محيطة بها، والفواكه بها رخيصة. انظر معجم
البلدان ١٣ / ٢، واقتصر فى الروض المعطار على ذكرها بأنها فى خراسان من عمل أذربيجان. انظر
الروض المعطار ١٣٠.

(٣) ابن أبى حفص (٦١٨ هـ = ١٢١٢ م). عبد الواحد بن عمر أبى حفص بن يحيى الهنتاتى
الحفصى، أبو محمد: مؤسس دولة الحفصيين فى إفريقية الشمالية، كان أبوه من موطدى دعائم الملك
لعبد المؤمن الكومى، استوزره الناصر لدين الله، ثم ولاه تونس سنة ٦٠٣ هـ. انظر الخلاصة النقية
٥٧ - ٥٩، الاستقصا ١ / ١٩٤، الدولة الحفصية ٣٧ - ٤٢، الأعلام ١٧٦ / ٤.

ولى تونس من قبل الناصر أبى عبد الله محمد بن يعقوب المنصور بن يوسف العسرى بن عبد المؤمن^(١) ملك الموحدين، فى سنة اثنتين وستمائة، وكان أبو محمد قد قدم أكبر بنيه، الشيخ أبى زيد عبد الرحمن بن عبد الواحد، فقام بأمر تونس، حتى قدم أخوه أبو محمد عبد الله بن عبد الواحد، متوليا إفريقية من قبل العادل عبد الله بن المنصور يعقوب ملك الموحدين، فى خامس رمضان منها، فاستمر أبو محمد عبد الله حتى قام أخوه أبو زكريا يحيى بن عبد الواحد^(٢).

هذا والأمير أبو محمد عبد الواحد بن أبى حفص هو أول من قام من الحفصيين بإمرة تونس، وهو جد ملوك تونس الحفصيين.

* * *

(١) الناصر المؤمنى (٦١٠هـ = ١٢١٣م). محمد بن يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن الزناتى الكومى الموحدى، الناصر لدين الله: من خلفاء دولة الموحدين، كان له المغرب الأقصى وإفريقية والأندلس، بويج فى حياة أبيه، وجددت له البيعة بعد وفاته (سنة ٥٩٥ هـ) وكان فى مراكش فانتقل إلى فاس. انظر دول الأعلام ٢ / ٨٥، الأنيس المطرب القرطاس ١٦٤ الاستقصا ١ : ١٨٩ - ١٩٤، ابن خلدون ٦ / ٢٤٦، الحلل المشوية ١٢٢، الذخيرة السنية ٢٢، جذوة الاقتباس ١٢٩. الأعلام ٧ / ١٤٥.

(٢) أبو زكريا الحفصى . (٥٩٨ - ٦٤٧ هـ = ١٢٠٢ - ١٢٤٩م) يحيى بن عبد الواحد بن أبى حفص الهنتاتى الحفصى، أبو زكريا: أول من استقل بالمك ووطد أركانه من ملوك الدولة الحفصية بتونس، ثار على أخيه عبد الله، واستمال إليه الجند، فتغلب على الملك سنة ٦٢٥ هـ، وكانت الخطبة لبنى عبد المؤمن (أصحاب مراكش) فقطعها، واستقل بدولته (سنة ٦٢٦ هـ) وخطب لنفسه، وفى أيامه استفحلت فتنة ابن غانية قتلته (سنة ٦٣١ هـ) ووجه نظره إلى توسيع ملكه، فاستولى على الجزائر وتلمسان وسجلماسة وسبته وطنجة ومكناسة. وخاف فريدريك الثانى، فهادنه عشر سنوات، وخدم العلم، فأنشأ عدة مدارس ومساجد، وجعل لها الأوقاف، وأنشأ دارا للكتب جمع فيها ٣٦٠٠٠ مجلد، وكان كاتبها شاعرا، كثير الإحسان للمستورين، وفيه قال (ابن الأبار) سينيته المشهورة؛ وأنشدها بين يديه، أولها:

أدرك بخيلك خيل الله اندلسا إن السبيل إلى منجاتها درسا

ومنها:

هذى رسائلها تدعوك من كتب وأنت أفضل مرجو لمن يسا

وكانت وفاته ببونة ودفن فى جامعها، ثم نقل إلى قسنطينة . انظر الخلاصة النقية ٦٠، الدول الحفصية ٤٣ - ٥٤، المؤنس ١١٨ - ١٢٠، وفوات الوفيات ٢ / ٣٢١، أزهار الرياض ٣ / ٢٠٨، المنتخب المدرس ١٠٠ - ١٠٢، ابن خلدون ٦ / ٢٨٠ - ٢٨٥، صبح الأعشى ٥ / ١٢٧، دائرة المعارف الإسلامية ٧ / ٤٧٤، التعريف بابن خلدون ١١.

سنة تسع عشرة وستمائة^(١).

فيها قدم الأشرف موسى إلى مصر، فأقام بها عند أخيه السلطان الملك الكامل مدة، ثم عاد في رمضان.

وفيها أوقع التتر بالكرج.

وفيها قدم المظفر موسى على أخيه الكامل بمصر.

وفيها قدم الملك المسعود يوسف بن الكامل من اليمن إلى مكة في ربيع الأول، وقد رحل عنها الشريف حسن بن قتادة، وقدم معه راجح بن قتادة إلى مكة، فرد الملك المسعود على أهل الحجاز أموالهم ونخلهم، وما أخذ لهم من الدور بمكة والوادي، ثم عاد إلى اليمن بعدما حج، ومنع أعلام الخليفة من التقدم، وقدم أعلام أبيه على أعلام الخليفة، وبدا منه بمكة ما لا يحمد من رمى حمام الحرم بالبندق من فوق زمزم، ونحو ذلك، فهم أهل العراق يقتاله، فلم يقدروا على ذلك عجزا عنه، واستتاب الملك المسعود بمكة الأمير نور الدين عمر بن علي بن رسول، ورتب معه ثلاثمائة فارس وكان الشريف حسن بن قتادة قد نزل ينبع، وولى الملك المسعود أيضا راجح بن قتادة السرين وحلى ونصف المخلاف، فجمع الشريف حسن وسار إلى مكة، وكسر ابن رسول، وملك منه مكة.

وفيها مات الأمير عماد الدين أبو العباس أحمد بن الأمير سيف الدين أبي الحسن على بن أحمد الهكاري، المعروف بابن المشطوب، أحد الأمراء الصلاحية، في الاعتقال بجران، في ربيع الآخر.

* * *

(١) سنة ٦١٩ هـ . انظر أحداث تلك السنة في النجوم الزاهرة ٢٢٤ / ٦ ، الكامل ٤٠٦ / ١٢

وما بعدها، تاريخ ابن الوردي ٢ / ٢٠٦

سنة عشرين وستمائة^(١)

فيها أخذ المعظم عيسى المعرة وسليمة^(٢) ونازل حماة، فشق ذلك على أخيه الأشرف - وكان بمصر - وتحدث مع الكامل في إنكار ذلك، فبعث السلطان الكامل إلى المعظم يسأله في الرحيل عن حماة، فتركها وهو حنق.

وفيها حج الملك الجواد والملك الفائز من القاهرة، وقدموا علم الخليفة على علم السلطان الكامل في طلوع عرفة.

وفيها خرج الأشرف من مصر إلى بلاده، ومعه خلع الملك الكامل والتقليد بسلطنة حلب للعزیز ناصر الدين محمد بن الظاهر غازي، فوصل إلى حلب في شوال، وتلقاه العزیز - وعمره عشر سنين - فأفاض عليه الخلع الكاملية، وحمل الغاشية بين يديه، وأقام عنده أياماً، ثم سار إلى حران.

وفيها عمَّ الجراد بلاد العراق والجزيرة، وديار بكر والشام.

وفيها أوقع التتر بالروس.

وفيها شق سهم الدين عيسى والى القاهرة نفسه - وهو معتقل بدار الوزارة - ليلة الخميس سادس شوال.

* * *

(١) سنة ٦٢٠ هـ. انظر أحداث تلك السنة في النجوم الزاهرة ٢٢٥ - ٢٢٨ / ٦، الكامل ٤١٣ / ١٢ وما بعدها، تاريخ ابن الوردي ٢ / ٢٠٧.

(٢) سليمة: قرب الموثفكة، وهي بليدة في ناحية البرية من أعمال حماة. انظر معجم البلدان ٣ / ٢٤٠.

سنة إحدى وعشرين وستمائة^(١)

فيها ملك التتر قم^(٢) وقاشان^(٣) وهمذان .

وفيها اختلف الحال بين المظفر غازي، صاحب إربل وبين أخيه الأشرف، فخرج معظم من دمشق يريد محاربة الأشرف، فبعث إليه الكامل يقول له: «إن تحركت من بلدك سرت وأخذته منك». فخاف وعاد إلى دمشق.

وفيها مات الوزير الأعز أبو العباس أحمد، المعروف بفخر الدين مقدم بن شكر، فسي آخر شعبان بالقاهرة.

وفيها أخذ عسكر مصر ينبع من بنى حسن، وكانوا قد اشتروها بأربعة آلاف مثقال، فلم تزل بيد المصريين إلى سنة ثلاثين.

* * *

(١) سنة ٦٢١ هـ. انظر أحداث تلك السنة فى النجوم الزاهرة ٢٢٨ - ٢٣٠ / ٦ ، الكامل ١٩ / ٤١٢ وما بعدها، تاريخ ابن الوردي ٢ / ٢٠٨ .

(٢) قم: بالضم، وتشديد الميم، وهى كلمة فارسية: مدينة تذكر مع قاشان، وهى مدينة مستحدثة إسلامية لا أثر للأعاجم فيها. انظر معجم البلدان ٣٩٧ / ٤ ، وفى الروض المعطار قم: مدينة من كور الجبل، من همذان إليها خمس مراحل، وهى مدينة كبيرة كثيرة الأهل، عليها سور تراب، وبها فواكه وأشجار، وسورها حصين، ومياهم من الآبار، ومياه بساتينهم تستخرج من الأرض بالسواقي، وعليه زراعاتهم، والغالب على أهلها التشيع، وأكثر أهلها عرب، وحكى أن مدينة قم الكبرى يقال لها منيجان وهى حليلة المقدار، يقال إن فيها درب، وداخل المدينة حصن قديم للعجم، وإلى جانبها مدينة يقال لها كمندان ولها واد يجرى فيه الماء بين المدينتين، عليه قناطر معقودة بحجارة يعبر عليها من مدينة منيجان إلى مدينة كمندان وأهلها قوم من مذحج ثم من الأشعرين، وبها عجم وقوم من الموالي يذكرون أنهم موال لعبد الله بن العباس بن عبد المطلب رضى الله عنهما. انظر الروض المعطار ٤٧٢، ونزهة المشتاق ٢٠٤، والكرخى ١١٨، وابن حوقل ٣١٥، وابن الفقيه ٢٦٣ .

(٣) قاشان: بالشين المعجمة، وآخره نون : مدينة قرب أصبهان تذكر مع قم، ومنها تجلب الغضاقر القاشانى، والعامية تقول القاشى، وأهلها كلهم شيعة إمامية، انظر معجم البلدان ٣٩٦ / ٤ ، وفى الروض المعطار قاشان: أهل قاشان حشوية جهال، والغالب على هذه النواحي الجبال الشاهقة إلا ما بين همذان إلى الرى إلى قم فإن الجبال هناك قليلة، وإنما الجبال الصعبة فيما بين حدود شهرزور إلى آمد، فيما بين حدود أذربيجان والجزيرة ونواحي الموصل، وأكثرها مسكونة بالأكراد. انظر الروض المعطار ٤٤٧ .

سنة اثنتين وعشرين وستمائة^(١)

فيها فرَّ الملك الجواد مظفر الدين يونس بن مودود من مصر في البحر، خوفاً من عمه الملك الكامل، ولحق بعمه المعظم.

وفيها تخوف الكامل من أمراءه، لميلهم إلى أخيه الملك المعظم، فقبض على جماعة، وبعث إلى الطرقات من يحفظها، وبعث عدة رسل إلى الملوك الذين في خدمة أخيه الأشرف يأمرهم بالاتفاق ولا يخالفوه.

وفيها عاد السلطان جلال الدين بن خورازم شاه علاء الدين محمد بن تكش إلى بلاده، وقوى أمره على التتر، واستولى على عراق العجم، وسار إلى ماردين وأخذها، وسار إلى خوزستان، وشاقق جلال الدين الخليفة الناصر لدين الله، وسار حتى وصل بعقوبا، وبينها وبين بغداد سبعة فراسخ، فاستعد الخليفة للحصار، ونهب جلال الدين البلاد، وأخذ منها ما لا يقع عليه حصر، وفعل أشنع ما يفعله التتر، فكاتبه الملك المعظم، واتفق معه معاندة لأخيه الكامل، ولأخيه الملك الأشرف، صاحب البلاد الشرقية، فسير السلطان جلال الدين بن القاضي مجد الدين - قاضي الممالك - في الرسالة إلى الملك الأشرف، ثم إلى الملك المعظم، ثم إلى الملك الكامل، فظاهر بأنواع الفسوق، وسار جلال الدين إلى عراق العجم، فملك همذان وتبريز، وأوقع بالكرج.

وفيها مات الملك الأفضل على بن صلاح الدين يوسف، صاحب سميساط، فجأة بسميساط في صفر، ومولده بمصر يوم عيد الفطر سنة خمس - وقيل ست - وستين وخمسمائة، وهو أكبر أولاد أبيه، وإليه كانت ولاية عهده، وسمع الأفضل من ابن عوف وابن برى، واستقل بمملكة دمشق بعد موت أبيه، فلم ينتظم له أمر لقلته حظه، وأخذها منه أخوه العزيز عثمان، صاحب مصر، ثم صار الأفضل أتابكا للمنصور بن العزيز بمصر، وحصر دمشق، وبها عمه العادل، وأشرف على أخذها منه؛ فقطع عليه سوء الحظ، وعاد إلى مصر، وفي أثره عمه العادل، فانتزع منه مصر، ولم يبق معه سوى صرخد، ثم قصد الأفضل دمشق ثانياً، مع أخيه الظاهر غازي صاحب حلب، فلم يتم أمرهما لاختلافهما، وصار بيده سميساط لا غير. فلما مات أخوه الظاهر طمع في حلب، وخرج إليها مع السلطان عز الدين كيكائوس السلجوقي ملك الروم، فلم يتم

(١) سنة ٦٢٢ هـ. انظر أحداث تلك السنة في النجوم الزاهرة ٢٣٠ - ٢٣٤ / ٦، الكامل

لهما أمر، وعاد الأفضل إلى سميساط، فلم يزل بها يتجرع الغصص حتى مات كمداً، وكان فاضلاً أديباً حليماً، حسن السيرة متجاوزاً، يكتب الخط المليح، جامعاً لعدة مناقب، إلا أنه كان قليل الحظ، وشعره جيد، كتب إلى الخليفة الناصر لدين الله - لما انتزع منه دمشق أخوه عثمان وعمه العادل أبو بكر - فى سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة كتاباً يشكو إليه اغتصابهما ميراثه من أبيه، وأوله:

مولاي إن أبا بكر وصاحبه
فانظر إلى حظ هذا أقسم كيف لقي
عثمان قد أخذ بالسيف إرث على
من الأواخر ما لاقى من الأول
وله أيضاً فى معناه:

أما آن للسعد الذى أنا طالب
ترى هل يرينى الدهر أيدى شيعتى
لإدراكه يوماً يرى وهو طالبى
تمكن يوماً من نواصى النواصب
فأجابه الخليفة بقوله:

وافى كتابك يابن يوسف معلنا
غضبوا عليا حقه إذ لم يكن
بالود يخبر أن أصلك طاهر
عقب النبى له يثرب ناصر
فأبشر فإن غداً يكون حسابهم
واصبر فناصرك الإمام الناصر
ومن شعره:

أيا من يسود شعره بخضابه
ها فاختضب بسواد حظى مرة
لعساه من أهل الشيبية يحصل
ولك اللمان بأنه لا ينصل
وقام من بعده بسميساط أخوه الملك المفضل قطب الدين موسى (١) شقيقه،
فاختلف عليه أولاد الأفضل.

وفىها مات الخليفة الناصر لدين الله أحمد بن المستضىء بأمر الله الحسن بن المستنجد بالله يوسف، فى ثانى شوال، ومولده فى العاشر من شهر رجب سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة، وله فى الخلافة سبع وأربعون سنة، غير ستة وثلاثين يوماً، وكانت أمه أم ولد، يقال لها زمرد، وقيل نرجس، وكان شهماً أبى النفس، حازماً متيقظاً، صاحب فكر صائب، ودهاء ومكر، وكان مهيباً، وله أصحاب أخبار - بالعراق وفى الأطراف - يطالعونه بجزئيات الأمور وكلياتها، فكان لا يخفى عليه أكثر أحوال رعيته، حتى أن أهل العراق يخاف الرجل منهم أن يتحدث مع امرأته، لما يظن أن ذلك يطلع عليه

(١) المفضل الأيوبي (٦٣١ هـ = ١٢٣٤ م). موسى (المفضل، قطب الدين) بن يوسف بن أيوب: من أمراء هذه الدولة، له رواية للحديث، ومعرفة بالنحو. انظر ترويح القلوب ٩٣. الأعلام ٧/٣٣١.

الخليفة فيعاقب عليه، وعمل شخص دعوة ببغداد، وغسل يده قبل أضيافه، فعلم الخليفة بذلك من أصحاب أخباره، فكتب في الجواب: «سوء أدب من صاحب البلد، وفضول من كاتب المطالعة». وكان ردىء السيرة فى رعيتيه، ظالما عسوقا، حرب العراق فى أيامه، وتفرق أهله فى البلاد، فأخذ أملاكهم وأموالهم، وكان يجب جمع المال، ويياشر الأمور بنفسه، ويركب بين الناس ويجمع بهم، مع سفكه للدماء، وفعله للأشياء المتضادة: فيغتصب الأموال ويتصدق، وشغف برمى الطير بالبندق، ولبس سراويلات الفتوة، وحمل أهل الأمصار على ذلك، وعمل سالم بن نصر الله بن واصل الحموى فى ذلك رسالة بديعة، وصنف الناصر لدين الله كتابا فى مروياته، سماه روح العارفين، وأسمعه للفقهاء بمصر والشام، وله شعر، وفى خلافته حرب التتر بلاد المشرق حتى وصلوا إلى همذان، وكان هو السبب فى ذلك، فإنه كتب إليهم بالعبور إلى البلاد، خوفا من السلطان علاء الدين محمد بن خوارزم شاه لما هم بالاستيلاء على بغداد، وأن يجعلها دار ملكه، كما كانت السلجوقية، ولم يمت الخليفة الناصر لدين الله حتى عمى، وقيل كان يبصر بإحدى عينيه، وقام من بعده فى الخلافة ابنه الظاهر بأمر الله أبو نصر محمد - بعهد من أبيه - يوم مات أبوه، وعمره ما ينيف على خمسين سنة، وكان يقول «من يفتح دكانه العصر متى يستفتح؟» ولما ولى أظهر العدل، وأزال عدة مظالم، وأطلق أهل السجون، وظهر للناس، وكان من قبله من الخلفاء لا يظهرون إلا نادرا.

وفىها وصل الملك المسعود من اليمن إلى مكة، ومضى إلى القاهرة من طريق عيذاب، فقدم على أبيه الكامل بقلعة الجبل، ومعه هدايا جلييلة.

وفىها مات الوزير صاحب صفى الدين عبد الله بن أبى الحسن على بن الحسين بن عبد الخالق بن الحسين بن الحسن بن منصور بن إبراهيم بن عمار بن منصور بن على الشيبى، أبو محمد المعروف بابن شكر، الفقيه الدميرى المالكى، فى يوم الجمعة ثامن شعبان - وقيل شوال - بالقاهرة، ودفن برياطه منها، وكان مولده بدميرة^(١) إحدى قرى مصر البحرية، فى تاسع صفر سنة ثمان وأربعين وخمسمائة، وسمع من ابن عوف وغيره، وحدث، وكان جبارا جباها عاتيا، عانيا بتقدمة الأراذل وتأخر الأماثل، أفقر خلقا كثيرا.

وفىها قدم الشريف قاسم الحسينى أمير المدينة، بعسكر إلى مكة، وحصرها نحو شهر، وبها نواب الملك الكامل، فلم يتمكن منها، بل قتل.

(١) دميرة: بفتح أوله، وكسر ثانيه، وباء مثناة من تحت ساكنة وراء مهملة: قرية كبيرة بمصر

سنة ثلاث وعشرين وستمائة^(١)

فيها تأكدت الوحشة بين المعظم وبين أخويه الكامل والأشرف.

وفيها بعث الخليفة الظاهر بأمر الله التشاريف ملوك بنى أيوب، على يد محيي الدين أبي المظفر بن الحافظ جمال الدين أبي الفرج بن الجوزي^(٢): فبدأ بالأشرف موسى صاحب البلاد الشرقية، وأفاض عليه الخلع الخليفية، ثم بالعزیز غياث الدين محمد بن الظاهر صاحب حلب، فأفاض عليه فرجية واسعة الكم سوداء، وعمامة سوداء مذهبة، وثوبا مطرزا بالذهب أيضا، ثم ألبس المعظم عيسى، صاحب دمشق، بدمشق. وسار إلى القاهرة بالتقليد والخلع للملك الكامل، ولأولاده الصالح نجم الدين أيوب والملك المسعود، وللصاحب صفى الدين بن شكر، فبرز الملك الكامل إلى ظاهر القاهرة، ولبس الخلع الخليفية هو وولده. وكان الصاحب صفى الدين قد مات، فألبس الكامل الخلعة التي باسمه للقاضي فخر الدين سليمان بن محمود بن أبى غالب أبى الربيع الدمشقي، كاتب الإنشاء، وعبر الكامل من باب النصر، وشق القاهرة إلى أن صعد قلعة الجبل، فكان يوما مشهودا.

وفيها قبض الملك الكامل على أولاد الصاحب صفى الدين بن شكر، وأحاط بجميع موجوده، واعتقل ابنه تاج الدين يوسف وعز الدين محمد، فى قاعة سهم الدين، بدرب الأسوانى من القاهرة، ولم يستوزر الكامل بعد ابن شكر أحدا.

وفيها سافر الملك المسعود من القاهرة إلى اليمن.

وفيها كثر وهم الملك الكامل من عسكره، فإن المعظم أرسل إليه فى جملة كلام:

(١) انظر أحداث تلك السنة فى النجوم الزاهرة ٢٣٤ - ٢٣٧ / ٦، الكامل ٤٥٠ - ١٢ وما بعدها، تاريخ ابن الوردي ٢ / ٢١١.

(٢) ابن الجوزي (٥٠٨ - ٥٩٧ هـ - ١١١٤ - ١٢٠١ م). عبد الرحمن بن على بن محمد الجوزي القرشي البغدادي، أبو الفرج: علامة عصره فى التاريخ والحديث، كثير التصانيف، مولده وفاته ببغداد، ونسبته إلى مشرعة الجوز من محالها، له نحو ثلاثمائة مصنف منها: تلقيح فهوم أهل الآثار فى مختصر السير والأخبار، الناسخ والمنسوخ، فنون الأفتان، المنتظم، تقويم اللسان، زاد المسير فى علم التفسير. انظر وفيات الأعيان ١ / ٢٧٩، البداية والنهاية ١٣ / ٢٨، مفتاح السعادة ١ / ٢٠٧، ذيل الروضتين ٢١، ابن الوردي ٢ / ١١٨ آداب اللغة ٣ / ٩١، مرآة الزمان ٨ / ٤٨١، الكامل ١٠ / ٢٢٨، الأعلام ٣ / ٣١٧.

«وإن قصدتني لا آخذك إلا بعسكرك». فوق في نفسه الخوف ممن معه، وهم أن يخرج من مصر، فلم يجسر، وخرج المعظم فنازل حمص، وخرب قراها ومزارعها، ولم ينل من قلعتها شيئاً، لامتناعها هي والمدينة عليه، فلما طال مقامه على حمص رحل عنها؛ لما أصاب عسكره ودوابه من الموت، وقدم عليه أخوه الأشرف جريدة، فسر به سرور عظيماً وأكرمه زائداً.

وفيها مات الخليفة الظاهر بأمر الله أبو نصر محمد بن الناصر، فى رابع عشر شهر رجب، فكانت خلافته تسعة أشهر وتسعة أيام، وكان حسن السيرة كثير المعروف، واستقر فى الخلافة من بعده ابنه المستنصر بالله أبو جعفر المنصور، وعمره عشرون سنة، فوردت عليه رسل ملوك الأطراف، وبعث الملك الكامل فى الرسالة معين الدين حسن بن شيخ الشيوخ صدر الدين بن حمويه^(١) فلما قدم بغداد قال نيابة عن الملك الكامل، وهو بين يدى الوزير مؤيد الدين أبى الحسن محمد بن محمد القمى: عبد الدولة المقدسة المستنصرية يقبل العتبات التى يستشفى بتقبيل ثراها، ويستكفى بتمسكه من عبوديتها بأوثق عراها، ويوالى شكر الله تعالى على إمطة ليل العزاء الذى عم مصابه، بصبح الهناء الذى تم نصابه، حتى تزحزح عن شمس الهدى شفق الإشفاق، فجعل كلمتها العليا، وكلمة معادها السفلى، وزادها شرفاً فى الآخرة والأولى.

وفيها قدم رسول علاء الدين كيقباد، ملك الروم، بتقدمة جليلة إلى الملك الكامل.

* * *

(١) ابن حمويه (٥٨٢ - ٦٤٧هـ = ١١٨٦ - ١٢٥٠م). يوسف (فخر الدين) بن محمد (صدر الدين) بن عمر بن على بن محمد بن حمويه الجوينى، الصاحب أبو المظفر: قائد، من الأدباء من أسرة أصلها من جوين بنيسابور. انظر شذرات الذهب ٥ / ٢٣٨ - ٢٣٩، دولة الإسلام ١١٦/٢، النجوم الزاهرة ٦ / ٣٦٣، طبقات السبكي ٥ / ١٥٢، البداية والنهاية ١٣ / ٣، الكامل ١٢ / ١٥٤، الأعلام ٨ / ٢٤٩.

سنة أربع وعشرين وستمائة

فيها سافر الأشرف إلى بلاده من دمشق، بعدما حلف للمعظم أنه يعاضده على أخيه الملك الكامل، وعلى الملك المجاهد صاحب حمص، والناصر صاحب حماة. وفيها سافر رسول علاء الدين كيقيباد ملك الروم، من مصر إلى مخدمه. وفيها تأكدت الوحشة بين الكامل وبين أخويه المعظم والأشرف، وخاف الكامل من انتماء أخيه المعظم إلى السلطان جلال الدين بن خوارزم شاه، فبعث الأمير فخر الدين يوسف بن شيخ الشيوخ صدر الدين بن حمويه إلى ملك الفرنج، يريد منه أن يقدم إلى عكا، ووعد أنه يعطيه بعض ما بيد المسلمين من بلاد الساحل؛ ليشغل سر أخيه المعظم، فتجهز الإمبراطور ملك الفرنج لقصد الساحل، وبلغ ذلك المعظم، فكتب إلى السلطان جلال الدين يسأله النجدة على أخيه الكامل، ووعد أنه يخطب له، ويضرب السكة باسمه، فسير إليه جلال الدين خلعة لبسها، وشق بها دمشق، وقطع الخطبة للملك الكامل، فبلغ ذلك الكامل، فخرج من القاهرة بعساكره، ونزل بلبيس في شهر رمضان فبعث إليه المعظم: «إني نذرت لله تعالى أن كل مرحلة ترحلها لقصدى أتصدق بألف دينار، فإن جميع عسكرك معي، وكتبهم عندي، وأنا آخذك بعسكرك»، وكتب المعظم مكاتبة بهذا في السر، ومعها مكاتبة في الظاهر فيها: «بأني مملوكك، وما خرجت عن محبتك وطاعتك، وحاشاك أن تخرج وتقابلني، وأنا أول من أنجدك، وحضر إلى خدمتك من جميع ملوك الشام والشرق»، فأظهر الكامل هذا بين الأمراء، ورجع من العباسة إلى قلعة الجبل، وقبض على عدة من الأمراء ومماليك أبيه؛ لمكاتبتهم المعظم: منهم فخر أظبنا الحبيشى، وفخر الدين أظن الفيومي - وكان أمير جانداره، وقبض أيضا على عشرة أمراء من البحرية العادلية، واعتقلهم وأخذ سائر موجودهم؛ وأنفق في العسكر ليسير إلى دمشق. وفيها وصل رسول ملك الفرنج بهدية سنية وتحف غريبة إلى الملك الكامل، وكان فيها عدة خيول، منها فرس الملك بمركب ذهب مرصع بجوهر فاخر، فتلقيه الكامل بالإقامات، من الإسكندرية إلى القاهرة، وتلقاه بالقرب من القاهرة بنفسه، وأكرمه إكراما زائدا، وأنزله في دار الوزير صفي الدين بن شكر، واهتم الكامل بتجهيز هدية سنية إلى ملك الفرنج فيها من تحف الهند واليمن، والعراق والشام، ومصر والعجم ما قيمته أضعاف ما سيره، وفيها سرج من ذهب، وفيها جوهر بعشرة ألف دينار مصرية، وعين الكامل للسير بهذه الهدية جمال الدين بن منقذ الشيزري.

وفيهما وصل رسول الأشكرى فى البحر إلى الملك الكامل، فسار المعظم من دمشق لتخريب القدس، فحرب قلاعا وعدة صهاريج بالقدس، لما بلغه من حركة ملك الفرنج. وفيها جهز الملك الكامل كمال الدين ومعين الدين، ولدى شيخ الشيوخ ابن حمويه - ومعهما الشريف شمس الدين الأرموى، قاضى العسكر - إلى المعظم، وأمر السلطان الكامل أن يسير الكامل بجواب المعظم إلى الملك المجاهد أسد الدين شيركوه بجمص، ويعرفه الحال، وأن يتوجه المعين إلى بغداد، برسالة إلى الخليفة، فتوجهها فى شعبان. وفيها اتفق عيد الفطر يوم عيد اليهود وعيد النصارى.

وفيهما ختن الملك العادل أبو بكر بن الملك الكامل فى تاسع شوال.

وفيهما مات الملك المعظم أبو الفتح عيسى بن الملك العادل، صاحب دمشق، يوم الجمعة سلخ ذى القعدة بدمشق، ودفن بقلعتها، ثم نقل إلى الصالحية، ومولده بدمشق، فى سنة ثمان وسبعين وخمسائة، وكان قد خافه الملك الكامل، فسر بموته، وكان كريما شجاعا، أديبا ليئا، فقيها متغاليا فى التعصب لمذهب أبى حنيفة - رحمه الله - وشارك فى النحو وغيره، وقال له أبوه مرة: «كيف اخترت مذهب أبى حنيفة، وأهلك كلهم شافعية؟» فقال: «ياخوندا! أما ترغبون أن يكون فيكم رجل واحد مسلم؟». وصنف كتابا سماه السهم المصيب فى الرد على الخطيب البغدادى أبى بكر أحمد بن ثابت، فيما تكلم به فى حق أبى حنيفة، وفى تاريخ بغداد. وكان مقداما، لا يفكر فى عاقبة، جبارا مطرحا للملابس، وهو الذى أطمع الخوارزمى فى البلاد، وكانت مدة ملكه - بعد أبيه - ثمانى سنين وسبعة أشهر غير ثمانية أيام، فقام من بعده ابنه الملك الناصر داود^(١) وعمره إحدى وعشرون سنة، وسير الناصر كتبه إلى عمه الملك الكامل، فجلس الكامل للعزاء، وسير إليه الأمير علاء الدين بن شجاع الدين جلدك المظفرى التقوى بالخلعة وسنجد السلطنة، وكتب معه بما طيب قلبه، فلبس الناصر خلعة الكامل، وركب بالسنجد، ثم أرسل إليه الكامل يريد منه أن يترك له قلعة الشوبك؛ ليجعلها خزانة له، فامتنع من ذلك، وبهذا وقعت الوحشة بينه وبين عمه الكامل.

(١) الملك الناصر (٦٠٣ - ٦٥٦ هـ = ١٢٠٦ - ١٢٥٨ م). داود بن الملك المعظم عيسى بن محمد بن أيوب، الملك الناصر صلاح الدين: صاحب الكرك، وأحد الشعراء الأدياء. ولد ونشأ فى دمشق، وملكها بعد أبيه (سنة ٦٢٦ هـ) وأخذها منه عمه الأشرف، فتحول إلى الكرك فملكها إحدى عشرة سنة، ثم استخلف عليها ابنه عيسى (سنة ٦٤٧ هـ) فاتزعها منه الصالح (أيوب بن عيسى) فى هذه السنة، فرحل الناصر مشردا فى البلاد، وحبس بقلعة حمص ثلاث سنوات، ثم أقام فى حلة بنى مزيد، وتوفى بقرية البويضاء بالطاعون. انظر صبح الأعشى ٤ / ١٧٥، فوات الوفيات ١ / ١٥٦، والنجوم والزاهرة ٧ / ٣٤، ٦١، شذرات الذهب ٥ / ٢٧٥. الأعلام ٢ / ٣٣٤.

وفيهما أمر الملك الكامل بتخريب مدينة تنيس، فخربت أركانها الحصينة وعمائرهما
المكينة، ولم يكن بديار مصر أحسن منها، واستمرت من حيثئذ خرابا.

وفى شهر رجب من هذه السنة: دعا لنفسه بتونس الأمير أبو زكريا يحيى بن عبد
الواحد بن أبي حفص^(١) وتلقب بالسلطان السعيد فلم ينازعه أحد فى مملكة إفريقية،
وكان قد ضعف أمر بنى عبد المؤمن.

* * *

سنة خمس وعشرين وستمائة (١)

فيها سير الملك الكامل شيخ الشيوخ ابن حمويه بالخلع إلى ابن أخيه الناصر داود ابن المعظم، بدمشق، فحمل الرسول الغاشية بين يديه، ثم حملها عماء: الملك العزيز عثمان صاحب بانياس والملك الصالح عماد الدين إسماعيل صاحب بصرى.

وفيها جهز الملك الكامل أيضا الخلع للمجاهد صاحب حمص.

وفيها استوحش الملك الكامل من أخيه الناصر داود، وعزم على قصده، وأخذ دمشق منه، وعهد الكامل إلى ابنه الملك الصالح نجم الدين أيوب بالسلطنة من بعده بديار مصر، وأركبه بشعار السلطنة - وشق الصالح القاهرة، وحملت الغاشية بين يديه، تداول حملها الأمراء بالنوبة - وأنزله بدار الوزارة، وعمره يومئذ نحو اثنتين وعشرين سنة.

وفيها ظلم الأجد بهرام شاه بن عز الدين فرخشاه - صاحب بعلبك - وتعدى، وأخذ أموال أهل بعلبك وأولادهم، فقام عدة من جنده مع العزيز فخر الدين عثمان بن العادل في تسليمه بعلبك، فسار العزيز إليها ونازلها، فقبض الأجد على أولئك الذين قاموا معه، وقتل بعضهم، واعتقل باقيهم، ثم إن الناصر داود صاحب دمشق، بعث إليه من رحّله عن بعلبك قهرا، فغضب وسار إلى الملك الكامل ملتجئا إليه، فسر به الكامل، ووعدته بانتزاع بعلبك من الأجد وتسليمها إليه.

وفيها ظلم الناصر داود أهل دمشق، وأخذ أموالهم، واشتغل باللهو، وأعرض عن مصالح الدولة، فشق ذلك على الكامل، وجعله سببا يؤاخذ به، وتجهز في شهر رجب للمسير لمحاربتة، واستتاب على مصر ابنه الملك الصالح نجم الدين أيوب، وأقام معه الأمير فخر الدين يوسف بن شيخ الشيوخ؛ ليحصل الأموال ويدبر أمور المملكة، وخرج الكامل من القاهرة يوم الأحد تاسع عشر شعبان - في عساكره المتوافرة - ومعه المظفر تقي الدين محمود بن المنصور، وقد وعده أن يسلمه حماة، وكانت بيد أخيه قلعج أرسلان، والملك الجواد مظفر الدين يونس بن مودود بن العادل، وكان قد رباه عمه الملك الكامل بعد موت أبيه، وأقطعه البحيرة من ديار مصر، فلما بلغ الناصر

(١) سنة ٦٢٥ هـ . انظر أحداث تلك السنة في النجوم الزاهرة ٦ / ٢٤٠ ، الكامل ١٢ / ٤٧٥

وما بعدها، تاريخ ابن الوردي ٢ / ٢١٥ .

خروج عمه لم يمل إلى استعطافه، والتجأ إلى عمه الأشرف، فسار الكامل بالعسكر والعربان إلى تل العجول، وبعث منها إلى نابلس والقدس وأعمالها، وسير الكامل الأمير حسام الدين أبا علي بن محمد بن أبي علي الهذبانى - أحد أصحاب المظفر تقى الدين محمود - إلى القاهرة، فاستخدمه الملك الصالح، وجعله أستاذه، فاستولت أصحاب الملك الكامل على نابلس والقدس، وبلغ ذلك الناصر، فحلف عسكره، واستعد للحرب، وقدم إليه عمه الصالح صاحب بصرى، والأمير عز الدين أيك من صرخد، وأصله مملوك أبيه المعظم، فقويت بهما نفسه، وسير بالناصر يستدعى عمه الأشرف من البلاد الشرقية، مع الأمير عماد الدين بن موسك، وفخر القضاة نصر الله بن بصاقة، وأردفهما بالأشرف بن القاضي الفاضل، فأجاب الأشرف إلى معاونته، واستتاب فى بلاده الملك الحافظ بن العادل، وسار إلى دمشق، فتلقيه قلعج أرسلان صاحب حماة من سليمة بأموال وخيول، وتلقاه أسد الدين شيركوه، صاحب حمص، وأولاده، وقدم الأشرف إلى دمشق، فتلقيه الناصر فى أخريات شهر رمضان، وزين دمشق لقدمه، فدخل القلعة وعليه شاش علم كبير، وهو مشدود الوسط بمنديل، وقد سر الناصر به سرورا كبيرا، وحكمه فى بلاده وأمواله، فأعجب الأشرف بدمشق، وعمل فى الباطن على انتزاعها لنفسه من الناصر، ثم قدم إلى خدمة الأشرف بدمشق المجاهد أسد الدين شيركوه بن محمد، صاحب حمص، وسار العزيز بن العادل إلى خدمة الملك الكامل، وهو فى الطريق، فسر بقدمه، وأعطاه شيئا كثيرا، وسير الأشرف إلى الكامل الأمير سيف الدين علي بن قلعج، يشفع فى الناصر، ويطلب منه إبقاء دمشق عليه، ويقول: «إنا كلنا فى طاعتك، ولم نخرج عن موافقتك» فأكرم الملك الكامل الرسول، ثم سار الأشرف - ومعه الناصر - من دمشق، يريدان ملاقة الملك الكامل والتزامى عليه؛ ليصلح الأشرف الأمر بينهما، فلما بلغ الكامل مسيرهما شق عليه، ورحل من نابلس يريد العود إلى القاهرة فنزل الأشرف والناصر بنابلس، فأقام بها الناصر، ومضى الأشرف والمجاهد إلى الكامل، فبلغه قدوم الأشرف وهو بتل العجول، فقام إلى لقائه، وقدم به إلى معسكره، ونزلا، فكان الاتفاق بينهما على انتزاع دمشق من ابن أخيها الناصر داود، وأن تكون للملك الأشرف وما معها إلى عقبة فيق، ويكون للكامل ما بين عقبة فيق وغزة من البلاد والحصون، وهو الفتح الصلاحى بأسره، ويكون للناصر - عوضا من دمشق - حران والرقعة^(١) وسروج ورأس عين، وهى ما كان مع

(١) الرقعة: مدينة مشهورة على الفرات، انظر معجم البلدان ٣/٥٩، وفى الروض المعطار الرقعة: مدينة بالعراق مما يلى الجزيرة، وكل أرض إلى جانب واد ينبسط عليها الماء عند المد فهى رقعة، وبه سميت المدينة. والرقعة واسطة بلاد مضر، ومن مدنها الرها وسروج وشمشاط ورأس العين وغيرها،

الأشرف، وأن تنزع بعلبك من الأجد بهرام، وتعطى لأخيها العزيز عثمان، وأن تنزع حماة من الملك الناصر قلعج أرسلان بن المنصور، وتعطى للمظفر تقي الدين محمود بن المنصور، وأن تؤخذ من المظفر سليمة، وتضاف إلى المجاهد صاحب حمص.

وفيه مات طاغية المغل والتتر جنكزخان، بالقرب من صارو بالق، وحمل ميتا إلى كرسي ملك الخطا. ورتب بعده ابنه الأصغر عوضه خانا كبيرا، على كرسي مملكة الخطا، وأخذ إخوته الثلاثة بقية الأقاليم.

وفيه خرج التتار إلى بلاد الإسلام، فكانت لهم عدة حروب مع السلطان جلال الدين خوارزم شاه، كسر فيها غير مرة، ثم ظفر أخيرا بهم، وهزمهم، فلما خلا سره منهم سار إلى خلات - من بلاد الأشرف - فنهب وسبى الحريم، واسترق الأولاد، وقتل الرجال، وخرّب القرى، وفعل ما لا يفعله أهل الكفر، ثم عاد إلى بلاده، وقد زلزل بلاد حران والرها وما هنالك، ورحل أهل سروج إلى منبج، وكان قد عزم على قصد بلاد الشام، لكن صرفه الله عنها.

وفيه قدم الإمبراطور ملك الفرنج إلى عكا، باستدعاء الملك الكامل له - كما تقدم - ليشغل سر أخيه المعظم، فاتفق موت المعظم، ولما وصل ملك الفرنج إلى عكا بعث رسوله إلى الملك الكامل، وأمره أن يقول له: «الملك يقول لك كان الجيد والمصلحة للمسلمين أن يبذلوا كل شيء، ولا أجيء إليهم، والآن فقد كنتم بذلتهم لناثبي - فى زمن حصار دمياط - الساحل كله، وإطلاق الحقوق بالإسكندرية، وما فعلنا، وقد فعل الله لكم ما فعل من ظفركم، وإعادتها إليكم. ومن ناثبي إن هو إلا أقل غلماني، فلا أقل من إعطائي ما كنتم بذلتموه له». فتحير الملك الكامل، ولم يمكنه دفعه ولا محاربتة، لما كان تقدم بينهما من الاتفاق؛ فراسله ولاحظه، وسفر بينهما الأمير فخر الدين بن الشيخ، وشرع الفرنج فى عمارة صيداء - وكانت مناصفة بين المسلمين والفرنج، وسورها خراب - فعمروها وأزالوا من فيها من المسلمين، وخرجت السنة والكامل على تل العجول، وملك الفرنج بعكا، والرسل تتردد بينهما.

* * *

والرقة على شارة الفرات فى الشمال منه، وعليها سوران، وهى فى فحص يبعد عن الجبال على مسافة أكثر من يومين، وفى شرقها جبالان يسميان المنخرين. وفتح الرقة عياض بن غنم سنة ثمان عشرة. انظر الروض المعطار ٢٧٠، ٢٧١، ومعجم ما استعجم ٢/٦٦٦.

سنة ست وعشرين وستمائة^(١)

فيها غلت الأسعار بالساحل ودمشق، ووصلت نجدة من حلب إلى الغور.

وفيها قفز الأمير عز الدين أيدير المعظمى إلى الملك الكامل، فأحسن إليه. ففارق الناصر داود من نابلس لما بلغه اتفاق الأشرف مع الكامل عليه، وعاد إلى دمشق، فبلغ الأشرف وهو بتل العجول ذلك، فسار ليدركه، فوافاه بقصير ابن معين الدين من الغور، تحت عقبة فيق، وأعلمه الأشرف - بحضور الملك الصالح إسماعيل، والملك المغيث، والأمير عز الدين أيك المعظمى - أنه اجتمع بالملك الكامل للإصلاح بينهما، وأنه اجتهد وحرص على «أن يرجع عنك، فامتنع وأبى إلا أن يأخذ دمشق، وأنت تعلم أنه سلطان البيت وكبيرهم، وصاحب الديار المصرية، ولا يمكن الخروج عما يأمر به، وقد وقع الاتفاق على أن تسلم إليه دمشق، وتعوض عنها من الشرق كذا» وذكر ما وقع الاتفاق عليه، فلما فرغ الأشرف من كلامه قام الأمير عز الدين أيك وهو أكبر أمير مع الناصر داود وقال: لا كيد ولا كرامة، ولا نسلم من البلاد حجرا واحدا، ونحن قادرون على دفع الجميع ومقاومتهم، ومعنا العساكر المتوافرة، وأمر الملك الناصر بالركوب فركبا، وقوضت الخيام، وسارا إلى دمشق، وتحالف على الناصر عمه الصالح، وابن عمه المغيث، ولما وصل الناصر إلى دمشق استعد للحصار، وقام معه أهل البلد، لمحبتهم في أبيه، وسار الأشرف بمن معه، وحاصر دمشق، وقطع عنها أنهارها - باناس، والقنوات، ويزيد^(٢) وثورا - فخرج إليه العسكر وأهل البلد وحاربوه، وفي أثناء ذلك كثر تردد الأمير فخر الدين بن شيخ الشيوخ، والشريف شمس الدين الأرموى قاضى العسكر، بين الإمبراطور فردريك ملك الفرنج، إلى أن وقع الاتفاق أن ملك الفرنج يأخذ القدس من المسلمين، ويقيها على ما هى من الخراب، ولا يجدد سورها، وأن يكون سائر قوى القدس للمسلمين، لا حكم فيها للفرنج، وأن الحرم - بما حواه من الصخرة والمسجد الأقصى - يكون بأيدي المسلمين، لا يدخله الفرنج إلا للزيارة فقط، ويتولاه قوام من المسلمين، ويقومون فيه شعار الإسلام من الأذان والصلاة، وأن تكون القرى التي فيما بين عكا وبين يافا، وبين القدس، بأيدي الفرنج، دون ما عداها من

(١) ٦٢٦ هـ. انظر أحداث تلك السنة في النجوم الزاهرة ٢٤١ - ٢٤٣ / ٦، الكامل ١٢ / ٤٨٢

وما بعدها، تاريخ ابن الوردي ٢ / ٢١٦.

(٢) نهر يزيد بدمشق مشهور منسوب إلى يزيد بن أبي سفيان، انظر معجم البلدان ٣٢٤ / ٥.

قرى القدس، وذلك أن الكامل تورط مع ملك الفرنج، وخاف من غائلته، عجزا عن مقاومته، فأرضاه بذلك، وصار يقول: «إنا لم نسمح للفرنج إلا بكنائس وأدر خراب، والمسجد على حاله، وشعار الإسلام قائم، ووالى المسلمين متحكّم فى الأعمال والضياع». فلما اتفقا على ذلك عقدت الهدنة بينهما مدة عشر سنين وحمسة أشهر وأربعين يوما، أولها ثامن عشرى شهر ربيع الأول من هذه السنة، واعتذر ملك الفرنج للأمير فخر الدين بأنه لولا يخاف انكسار جاهه، ما كلف السلطان شيئا من ذلك، وأنه ما له غرض فى القدس ولا غيره، وإنما قصد حفظ ناموسه عند الفرنج، وحلف الملك الكامل وملك الفرنج على ما تقرر؛ وبعث السلطان فنودى بالقدس بخروج المسلمين منه، وتسليمه إلى الفرنج، فاشتد البكاء، وعظم الصراخ والعيول، وحضر الأئمة والمؤذنون من القدس إلى نخيم الكامل، وأذنوا على بابه فى غير وقت الأذان، فعز عليه ذلك، وأمر بأخذ ما كان معهم من الستور والقناديل الفضة والآلات، وزجرهم. وقيل لهم: امضوا إلى حيث شئتم، فعظم على أهل الإسلام هذا البلاء، واشتد الإنكار على الملك الكامل، وكثرت الشناعات عليه فى سائر الأقطار، وبعث الإمبراطور بعد ذلك يطلب تبنين وأعمالها، فسلمها الكامل له، فبعث يستأذن فى دخول القدس، فأجابه الكامل إلى ما طلبه، وسير القاضى شمس الدين قاضى نابلس فى خدمته، فسار معه إلى المسجد بالقدس، وطاف معه ما فيه من المزارات، وأعجب الأميراطوار بالمسجد الأقصى وبقبة الصخرة، وصعد درج المنبر، فرأى قسيسا بيده الإنجيل، وقد قصد دخول المسجد الأقصى، فزجره وأنكر بجيئه، وأقسم لئن عاد أحد من الفرنج يدخل هنا بغير إذن ليأخذن ما فيه عيناه، «فإنما نحن ممالك هذا السلطان الملك الكامل وعبيده، وقد تصدق علينا وعليكم بهذه الكنائس، على سبيل الإنعام منه، فلا يتعدى أحد منكم طوره، فانصرف القس وهو يردد خوفا منه». ثم نزل الملك فى دار، وأمر شمس الدين قاضى نابلس المؤذنين ألا يؤذّنوا تلك الليلة، فلم يؤذّنوا ألبتة، لما أصبح قال الملك للقاضى: «لم لم يؤذّن المؤذّنون على المنابر؟» فقال له القاضى: «منعهم المملوك إعظاما للملك واحتراما له». فقال له الإمبراطور: أخطأت فيما فعلت، والله إنه كان أكبر غرضى فى المبيت بالقدس أن أسمع أذان المسلمين وتسييحهم فى الليل».

ثم رحل الإمبراطور إلى عكا، وكان هذا الملك عالما متبحرا فى علم الهندسة والحساب والرياضيات، وبعث إلى الملك الكامل بعدة مسائل مشكّلة فى الهندسة والحكمة والرياضة، فعرضها على الشيخ علم الدين قيصر الحنفى - المعروف بتعاسيف - وغيره، فكتب جوابها، وعاد الإمبراطور من عكا إلى بلاده فى البحر، آخر جمادى

الآخرة، وسير الكامل جمال الدين الكاتب الأشرف إلى البلاد الشرقية وإلى الخليفة، فى تسكين قلوب الناس وتطمين خواطرهم من انزعاجهم لأخذ الفرنج القدس.

وفى خامس جمادى الأولى - وهو يوم الأحد - وقعت الحوطة على دار القاضى الأشرف أحمد بن القاضى الفاضل، وحملت خزائن الكتب، جميعها إلى قلعة الجبل، فى سادس عشره، وجملة الكتب ثمانية وستون ألف مجلدة، وحمل من داره - فى ثالث جمادى الآخرة - خشب خزائن الكتب مفصلة، وحملها تسعة وأربعون جملاً، وكانت الجمال التى حملت الكتب تسعة وخمسون جملاً، ثلاث دفعات.

وفى يوم السبت ثانى عشرى رجب منها: حملت الكتب والخزائن من القلعة إلى دار الفاضل، وقيل إن عدتها أحد عشر ألف كتاب وثمانمائة وثمانية كتب، ومن جملة الكتب المأخوذة كتاب الأيك والغصون لأبى العلاء المعرى، فى ستين مجلداً. وفيها وصل ملك ملطية^(١) فكثرت غاراته وقتله وسببه.

وفىها اشتد تشنيع الملك الناصر داود بدمشق على عمه الملك الكامل تسليمه القدس للفرنج، فنفرت قلوب الرعية، وجلس الحافظ شمس الدين سبط ابن الجوزى^(٢) بجامع دمشق، وذكر فضائل بيت المقدس، وحزن الناس على استيلاء الفرنج عليه، وبشع القول فى هذا الفعل، فاجتمع فى ذلك المجلس ما لا يحصى عدده من الناس، وعلت أصواتهم بالصراخ، واشتد بكأؤهم، وأنشد الحافظ شمس الدين قصيدة، أبياتها ثلاثمائة بيت، منها:

على قبة المعراج والصخرة التى تفاخر ما فى الأض من صخرات

(١) ملطية: بفتح أوله وثانيه، وسكون الطاء، وتخفيف الياء، والعامية تقول به بتشديد الياء وكسر الطاء، هى من بناء الإسكندرية وجامعها من بناء الصحابة: بلدة من بلاد الروم مشهورة مذكورة تتاخم الشام وهى للمسلمين، انظر معجم البلدان ١٩٢ / ٥.

(٢) سبط ابن الجوزى (قر أوغلى) (٥٨١ - ٦٥٤ هـ = ١١٨٥ - ١٢٥٦ م). يوسف بن قز أو غلى - أو قر غلى - بن عبد الله، أبو المظفر، شمس الدين، سبط أبى الفرج بن الفرج بن الجوزى: مؤرخ من الكتاب الوعاظ، ولد ونشأ ببغداد، وانتقل إلى دمشق، فاستوطنها وتوفى فيها، من كتبه مرآة الزمان فى تاريخ الأعيان. انظر مفتاح السعادة ١ / ٢٠٨ والتبر المسبوك ١٧١ والبداية والنهاية ١٣ / ١٩٤ والجواهر المضيئة ٢ / ٢٣٠ وذيل مرآة الزمان ١ / ٣٩ وخيرات الاعتدال ٣ / ٣٣٣ والنعمى ١ / ٤٧٨ وتاريخ علماء بغداد وشذرات الذهب ٥ / ٢٦٦ والنجوم الزاهرة ٧ / ٣٩ وابن حلكان ٢ / ٢٥٠ ومرآة الجنان ٤ / ١٣٦ والفهرس التمهيدى ٤٢٩ وآداب اللغة ٣ / ٨٢ ودائرة المعارف الإسلامية ١ / ١٢٦ والمخطوطات المصورة ١ / ٥١٧ والأعلام ٨ / ٢٤٦.

مدارس آيات خلعت من تلاوة ومنزل وحى مقفر العرصات فلم ير بدمشق أكثر بكاء من ذلك اليوم، وكان الأشرف على منازل دمشق، فبعث إلى الكامل يستحثه، فرحل الكامل من تل العجول بعد طول مقامه بها، فتلقيه فى قرية بيننا^(١) أخوه العزيز عثمان، صاحب بانياس، وابنه الظاهر غازى، فوصل الكامل العزيز بخمسين ألف دينار، وابنه غازى بعشرة آلاف دينار، وقماش وخلع سنوية، وأمر الكامل فضربت له خيمة عظيمة، وحولها بيوتات، وسائر ما يحتاج إليه من الآلات والخيام، برسم أصحابه وماليكه، ثم وصل إليه أيضا الأمير عز الدين أيدير المعظمى، فدفع إليه الكامل عشرة آلاف دينار - وقيل عشرين ألف دينار - وكتب له على الأعمال القوصية بعشرين ألف أردب غلّة، وأعطاه أملاك الصحاب صفى الدين بن شكر، ورباعه وحمامه، وسار الكامل إلى دمشق، فنزل على ظاهرها فى جمادى الأولى، وجدّ هو والأشرف فى حصارها، حتى اشتد عطش الناس فى دمشق، لانقطاع الأنهار عنهم، ومع ذلك فالجرب بينهم قائمة فى كل يوم إلى آخر رجب، فغلت الأسعار، ونفدت أموال الناصر، وفارقه جماعة من أصحابه، وصاروا إلى الكامل والأشرف. فأخذ الناصر فى ضرب أوانيه من الذهب والفضة دنانير ودراهم، وفرقها حتى نفذ أكثر ما كان عنده من الذخائر، وناصحته العامة مناصحة كبيرة، وأبلوا فى عسكر الكامل والأشرف بلاء عظيما.

وفى أثناء ذلك قدم القاضى بهاء الدين بن شداد ومعه أكابر حلب وعدولها، من عند الملك العزيز محمد بن الظاهر غازى صلاح الدين، صاحب حلب، لتزويج ابنة الملك الكامل بالملك العزيز، فخرج الملك الكامل من مخيمه بمسجد القدم إلى لقاءه، وأنزله قريبا منه، ثم أحضره فقدم مقدمة كانت معه من الملك العزيز، وعقد العقد للملك العزيز على الخاتون فاطمة ابنة الملك الكامل الأمير عماد الدين عمر بن شيخ الشيوخ، على صداق مبلغه خمسون ألف دينار، فقبل العقد ابن شداد فى سادس عشر شهر رجب، فضعف قلب الملك الناصر داود، وقلت أمواله، فخرج ليلا من قلعة دمشق فى آخر شهر رجب، ومعه نفر يسير، وألقى نفسه على مخيم الكامل، فخرج إليه الكامل، وأكرمه إكراما زائدا، وباسطه وطيب قلبه، بعد عتب كثير، وأمره أن يعود إلى القلعة، فعاد إليها، ثم بعد يومين بعث الكامل بالأمير فخر الدين بن شيخ الشيوخ إلى القلعة - وكان يوم الجمعة - فصلى بها الجمعة، وخرج ومعه الناصر داود إلى الملك الكامل،

(١) بينا: بالضم ثم السكون، ونون، وألف مقصورة، بلفظ الفعل الذى لم يسم فاعله من بنى

فتحالفوا، وعوضه الكامل عن دمشق بالكرك والشوبك وأعمالهما، مع الصلت والبلقاء والأغوار جميعها، وناבלس وأعمال القدس وبيت جبريل، ثم نزل الناصر عن الشوبك للكامل فقبلها، وصار للكامل مع الشوبك بلد الخليل عليه السلام، وطبرية وغزة، وعسقلان والرملة ولدّ، وما بأيدي المسلمين من الساحل.

وفتحت أبواب دمشق في أول يوم من شعبان، فشق ذلك على أهل دمشق، وتأسفوا على مفارقة الناصر، وكثر بكأؤهم، ثم تسلمها الملك الأشرف، وبعث الكامل قصاده لتسلم بلاد الأشرف، وهم الأمير فخر الدين بن شيخ الشيوخ، والخادم شمس الدين صواب، وجماعة، فتسلما حران والرها وسروج، ورأس عين والرقعة، وغير ذلك، وسافر الناصر داود بأهله إلى الكرك، وسار الكامل إلى حماة، وبها الناصر صلاح الدين قلعج أرسلان بن المنصور محمد بن تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب.

وقدم مع الكامل المظفر تقي الدين محمود بن المنصور محمد بن تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب في جماعة، فنازل حماة حتى سلم صاحبها الناصر قلعج أرسلان، وسبق إلى الملك الكامل وهو بسليمة، فأهانته واعتقله، وتسلم المظفر حماة، فكانت مدة الناصر بحماة تسع سنين تنقص شهرين، وبعث الكامل بالناصر صاحب حماة إلى مصر، فاعتقل بها، ثم سار الكامل يريد البلاد الشرقية، فقطع الفرات، ودخل قلعة جعير، ثم توجه إلى الرقة، وخافه ملوك الشرق، فعيد بالرقعة عيد الفطر، وسار إلى حران والرها، واستخدم بها عسكريا عدته نحو ألفي فارس، فقدمت عليه رسل ماردين وأمد، والموصل وإربل^(١) وحضر إليه أيضا عدة ملوك، وبعث الكامل فخر الدين بن شيخ الشيوخ إلى الخليفة؛ وأطلق ابن أخيه الملك الناصر قلعج أرسلان من اعتقاله، وخلع عليه، وأعطاه بارين، وكتب له بها توقيعا، وأمر أن يحمل إليه ما كان في قلعة حماة - وهو أربعمائة ألف درهم - وكتب إلى المظفر تقي الدين بتسليم ذلك إليه.

فوصل الناصر إلى بارين وتسلمها، ثم ورد الخبر على الكامل بأن جلال الدين خورازم شاه نازل خلاط، ونصب عليها عشرين منجنيقا، وكان وصوله إليها في نصف شوال، وكانت خلاط للملك الأشرف، وبها عسكريه، فأرسلوا إلى الملك الكامل يسألون في نجدة، فلم يرسل الكامل إليهم أحدا، وورد الخبر بإقامة الخطبة في

(١) إربل بالكسر ثم السكون وباء موحدة مكسورة ولام بوزن إئمد، ولا يجوز فتح الهمزة لأنه ليس في أوزانهم، وإربل قلعة حصينة ومدينة كبيرة في فضاء من الأرض واسع بسيط ولقلعتها خندق عميق. انظر معجم البلدان، واقتصر في الروض المعطار على ظنه بأنها من أعمال الشام. انظر الروض المعطار ٢٦، وآثار البلاد ٢٩٠.

ماردين للملك الكامل، وضربت السكة باسمه هناك. ثم توالى الرسل من خلطاء، وكلها تطلب إلى الكامل أن يبعث الأشرف لنجدة البلد، فبعث الكامل يطلب عساكر حلب وحماة ومحض، فخرجت عساكر حلب إلى خلطاء، ومعها الأشرف، ثم ورد الخبر بأن الفرنج قد أغارت على بارين، وأنهم نهبوا ما بها، وأسروا وسبوا.

وفيهما مات الملك المسعود يوسف بن الملك الكامل بمكة، عن ست وعشرين سنة، منها مدة ملكه باليمن أربع عشرة سنة، وهو آخر ملوك بني أيوب ببلاد اليمن، وترك المسعود ابنا يقال له صلاح الدين يوسف، ولقب بالملك المسعود، كلقب أبيه، وبقي يوسف هذا حتى مات في سلطنة عمه الملك الصالح نجم الدين أيوب، صاحب مصر.

ثم ولى ابنه موسى بن يوسف بن يوسف بن الكامل مملكة مصر، ولقب بالأشرف، شركة مع المعز أيك، كما سيأتى إن شاء الله تعالى، فاشتد حزن الملك الكامل على ولده يوسف، وتسلم مملكته وخزائنه وأولاده، ولبس لشدة حزنه البياض، وكان المسعود قد استخلف على اليمن نور الدين على بن رسول التركمانى، فتغلب عليها، وبعث إلى الملك الكامل عدة هدايا، وقال: أنا نائب السلطان على البلاد، فاستمر ملك اليمن فى عقبه بعد ذلك.

* * *

سنة سبع وعشرين وستمائة^(١)

أهلت والملك الكامل بحران، والحوارزى على خلاط، والأشرف محاصر بعلبك. وفيها قدم الأمير فخر الدين بن شيخ الشيوخ من بغداد . وفيها ورد رسول الإمبراطور، ملك الفرنج، بكتابه إلى الملك الكامل بحران، ومعه أيضا كتاب للأمير فخر الدين بن شيخ الشيوخ. وفيها سار الكامل من حران إلى الرقة.

وفيها استولى الأشرف بن العادل على بعلبك، بعدما أقام على حصارها عشرة أشهر، وعض الأجد مجد الدين بهرام شاه بن فرخشاه بن شاهنشاه بن نجم الدين أيوب بن شادى، عوضا من بعلبك وأعمالها، قصير دمشق والزيدانى^(٢)، فكانت مدة ملكه بعلبك تسعا وأربعين سنة، فبعث الكامل الأمير فخر الدين عثمان الأستادار إلى الأشرف، فى مهمات تتعلق به؛ وولى كمال الدين بن شيخ نائبا بالجزيرة.

وفيها قدم رسول السلطان علاء الدين كيقباد السلجوقى - صاحب الروم - على الملك الكامل، وأخبره بأنه جهز خمسة وعشرين ألفا إلى أرزنجان^(٣) وعشرة آلاف إلى ملطية، «وأنا حيث تأمر». فطاب قلب السلطان الكامل بذلك، وكان مهتما من أمر الحوارزى.

وفيها سار الأشرف، صاحب دمشق، من الشام إلى جهة الشرق، فوصل إلى الكامل هو بالرقة، ووصل أيضا مانع بن حديثة أمير العرب.

وفيها ملك الحوارزى مدينة خلاط بعد حصار طويل وقتال شديد، فى ثامن

(١) سنة ٦٢٧ هـ. انظر أحداث تلك السنة فى النجوم الزاهرة ٢٤٣ - ٦ / ٢٤٥، الكامل ٤٨٩ / ١٢ وما بعدها، تاريخ ابن الوردى ٢ / ٢١٩.

(٢) الزيدانى: بفتح أوله وثانيه، ودال مهملة، وبعد الألف نون ثم ياء مشددة كياء النسبة: كورة مشهورة معروفة بين دمشق وبعلبك منها خرج نهر دمشق. انظر معجم البلدان ٣ / ١٣٠.

(٣) أرزنجان بالفتح ثم السكون وفتح الزاى وسكون النون وحيم وألف ونون، وأهلها يقولون أرزنكان بالكاف، وهى بلدة طيبة مشهورة، نزهة، كثيرة الخيرات والأهل، من بلاد أرمينية بين الروم وخلاط قرية من أرزن الروم وغالب أهلها أرمن، وفيها مسلمون، وهم أعيان أهلها، وشرب الخمر والفسق بها ظاهر شائع. انظر معجم البلدان.

عشرى جمادى الأولى فوضع السيف فى الناس، وأسرف فى القتل والنهب، فرحل الملك الكامل يريد مصر؛ لأمر منها أنه بلغه موت ولده الملك المسعود صاحب اليمن، فكتمه وكان قد ورد عليه أيضا من أم ولده العادل كتاب تشكو فيه من ابنه الملك الصالح نجم الدين أيوب، وأنه قد عزم على التوثب على الملك، واشترى جماعة كبيرة من المماليك الأتراك، وأنه أخذ مالا جزيلا من التجار، وأتلف جملة من مال بيت المال؛ ومتى لم تتدارك البلاد وإلا غلب عليها، وأخرجنى أنا وابنك الملك العادل منها، فانزعج الكامل لذلك، وغضب غضبا شديدا، ثم ورد عليه الخبر بأن ابنه الصالح اشترى ألف مملوك، فعزم على الرحيل إلى مصر، فرتب الطواشى شمس الدين صواب العادلى نائبا فى أعمال المشرق، وأعطاه إقطاع أمير مائة فارس، زيادة على ما بيده من الديار المصرية، وهى أعمال أحميم^(١) بكما لها، وقاى والقايات ودجوة^(٢) بإمرة مائتين وخمسين فارسا، فصار أمير ثلاثمائة وخمسين فارسا، ورتب الملك الكامل كمال الدين ابن شيخ الشيوخ وزيرا، وتوجه الكامل إلى مصر، فدخلها فى رجب، وتغير على ابنه الملك الصالح تغيرا كثيرا، وقبض على جماعة من أصحابه وسجنهم، وألزمهم إحضار الأموال التى فرط فيها الملك الصالح، وخلع الملك الصالح من ولاية العهد.

وفىها واقع الملك علاء الدين كيقباد السلطان جلال الدين خوارزم شاه وكسره، وقتل كثيرا ممن كان معه، وخلص جلال الدين فى عدة من أصحابه إلى تبريز، وكان ذلك فى سابع عشرى رمضان، فملك الأشرف - صاحب دمشق - مدينة خلاط.

(١) أحميم: مدينة فى البلاد المصرية فى الجانب الشرقى من النيل لها ساحل، وهى مدينة كبيرة قديمة فيها أسواق وحمامات ومساحد كثيرة وفيها من البرابى وعجائب المباني والآثار ما يعجز الوصف عنه وهى بصعيد مصر. انظر الروض المعطار ١٥، ١٦، ١٨، والاستبصار ٨٤، وقال ابن إياس فى ذكر مدينة أحميم: قال ابن وصف شاه: هذه المدينة من أجل مدن الصعيد، وكان بها من العجائب الكثيرة والبرابى المحكم، وكان بها السحرة الذين استعان بهم فرعون يوم ألقى موسى العصا، وذكر عبد الله محمد بن عبد الرحيم القيسى: أن هذه البربا مربعة من حجارة منحوتة ولها أربعة أبواب يفضى كل باب إلى بيت منها وله أربعة أبواب كلها مظلمة ويصعد منها إلى بيوت كثيرة، ولم تنزل على ذلك حتى سد بعض الولاة بابها خوفا على الناس وكانت تجلب الأنطاع إلى مصر من أحميم وإليها ينسب سيدى ذى النون المصرى الأحميمى، ولم تنزل عامرة محكمة إلى سنة ثمانين وسبعمائة. انظر نزهة الأعم ٢٢٧.

(٢) دُجوة: بضم أوله، وسكون ثانيه: قرية بمصر على شط النيل الشرقى على بحر رشيد، بينها وبين الفسطاط ستة فراسخ من كورة الشرقية، وبعضهم يقولها بكسر الدال. انظر معجم البلدان ٤٤٣ / ٢.

السلوك لمعرفة دول الملوك ٣٦١

وفيها بلغ قاع النيل بمقياس مصر ذراعين، وانتهت زيادة ماء النيل ثلاثة عشر ذراعاً وثلاثة عشر إصبعا لا غير، فارتفعت الأسعار.

وفيها قصد الفرنج حماة، فأوقع بهم المظفر تقي الدين، وقتل عدة منهم، وأسر كثيرا، وذلك في رمضان.

وفيها مات الملك الأجد مجد الدين بهرام شاه بن فرخشاه بن شاهنشاه بن نجم الدين أيوب - صاحب بعلبك - ليلة الأربعاء ثامن عشر شوال، وكانت مدة ملكه تسعا وأربعين سنة، وكان أدبيا شاعرا. ومات الملك الظافر خضر بن صلاح الدين يوسف بن أيوب، وكان يعرف بالمشمر.

* * *

سنة ثمان وعشرين وستمائة^(١)

فيها عاد الأشرف إلى دمشق.

وفيها انفرد العزيز صاحب حلب بالملك، وقد بلغ ثماني عشرة سنة، وتسلم الخزائن من أتابعه شهاب الدين طغريل، فقام بتدبير الملك قيما مشكورا، وسير القاضي بهاء الدين بن شداد إلى الملك الكامل، بسبب إحضار صفية خاتون ابنة الكامل - وهي زوجة العزيز - فأقام بالقاهرة حتى سنة تسع وعشرين وستمائة.

وفيها قدم الأشرف من دمشق على الملك الكامل ومعه الملك المعظم - صاحب الجزيرة - في عاشر جمادى الأولى، فسر السلطان بقدميهما.

وفيها سار الملك الكامل إلى الإسكندرية، وترك الأشرف بالقاهرة، واستصحب معه صاحب الجزيرة بعدما أنعم عليه إنعاما موفورا.

وفيها تحرك التتر.

وفيها قدم الملك مجير الدين بن العادل إلى القاهرة، وكان مأسورا عند الخوارزمي، فسر به الكامل، وأكرمه هو وأخوه تقي الدين عباس.

وفيها مات السلطان جلال الدين خوارزم شاه، بعدما هزمه التتر ببعض قرى ميفارقين؛ قتله بعض الأكراد.

وفيها وصل التتر إلى إربل، وقتلوا من المسلمين ما لا يحصى عددهم إلا خالقهم.

وفيها شرع الملك الكامل في حفر بحر النيل، الذي فيما بين المقياس وبر مصر؛ وعمل فيه بنفسه، واستعمل الملوك والأمراء والجنود، فلما فرغ من الحفر صار في أيام احتراق النيل يمشى من المقياس والروضة إلى بر الجزيرة، واستمر الماء فيما بين مصر والروضة لا ينقطع في زمن الاحتراق ألبتة، وكان السلطان قد قسط حفر هذا البحر على الدور التي بالقاهرة، ومصر والروضة، بالمقياس، واستمر العمل فيه - من مستهل شعبان إلى آخر شوال - مدة ثلاثة أشهر.

(١) ٦٢٨ هـ. انظر أحداث تلك السنة في النجوم الزاهرة ٢٤٥ - ٢٤٧ / ٦، الكامل ١٢ / ٤٩٥

وما بعدها، تاريخ ابن الوردي ٢ / ٢٢٠ وما بعدها.

وفيها قدم رسول الخليفة المستنصر بالله بالخلع والتقليد للملك الكامل، ومُيز بزيادات كثيرة، لم تفعل في حق غيره، من السلجوقية وغيرهم، ووردت خلع للملك الأشرف أيضا.

وفيها تسلطن عمر بن علي بن رسول^(١) باليمن، ونشر دعوته.

* * *

(١) (٦٤٧ هـ - ١٢٥٠ م). عمر بن علي ابن رسول (واسمه محمد) بن هارون بن أبي الفتح الغساني التركماني، نور الدين، الملقب بالملك المنصور: مؤسس الدولة الرسولية في اليمن، وأحد الدهاة الأجواد الشجعان. ولد بمصر ونشأ أديبا فاضلا، حسن الاتصال ببني أيوب. انظر العقود اللؤلؤية ١ / ٤٣ - ٨٨، بغية المستفيد، الذهب المسبوك ٣٩. الأعلام ٥٦ / ٥.

سنة تسع وعشرين وستمائة^(١)

فيها تكمل استيلاء التتر على إقليم أرمينية وخراسان، وسائر ما كان بيد الخوارزمي. فاهتم الخليفة المستنصر بالله غاية الاهتمام، وسير عدة رسل يستنجد الأشرف من مصر، ويستنجد العربان وغيرهم، وأخرج الخليفة الأموال، فوقع الاستخدام في جميع البلاد لحركة التتر.

وفيها خرج الملك الكامل من القاهرة في جمادى الآخرة، واستخلف على مصر ابنه الملك العادل أبا بكر، وأسكنه قلعة الجبل مع أمه، وأخرج الصالح أيوب معه، وقدم الأشرف - والمعظم صاحب الجزيرة - بالعساكر، ومضى الكامل جريدة إلى الشوبك والكرك، وسار إلى دمشق، ومعه الناصر داود صاحب الكرك بعساكره، وقد زوجه بابنته عاشوراء خاتون، وعقد عقده عليها بمنزلة اللجون، وأقام الكامل بدمشق يسرح العساكر، وجعل في مقدمتها ابنه الملك الصالح أيوب، وورد الخبر بدخول التتر بلاد خراسان، فأسرع الكامل في الحركة، وخرج من دمشق، فنزل سليمة - وقد اجتمع بها بعساكر يضيق بها الفضاء - وسار منها في أخريات رمضان على البرية، وتفرقت العساكر في عدة طرق لكثرتها، فهلك منها عدة كثيرة من الناس والدواب، لقلّة الماء، وأتته رسل ملوك الأطراف، وهم عز الدين بيقرا، وفخر الدين بن الدامغانى، رسل الخليفة المستنصر بالله، وألبسوه خلعة السلطنة، فاستدعى الكامل عند ذلك رسل الخوارزمي، ورسول الكرج، ورسول حماة وحمص، ورسول الهند، ورسول الفرنج، ورسول أتابك سعد صاحب شيراز، ورسول صاحب الأندلس ولم يجتمع هذه الرسل عند ملك في يوم واحد قط غيره، وقدم عليه بهاء الدين اليزدى - شيخ رباط الخلاطية - من بغداد، وجماعة من النخاس، يحثونه على الغزاة.

فرحل التتر عن خراسان، بعد منازلها عدة أيام، وجاء الخبر برحيلهم والكامل بجران، فجهز عماد الدين بن شيخ الشيوخ رسولا إلى الخليفة، وسار إلى الرها، وقدم العساكر إلى آمد، وسار بعدهم، فنزل على آمد، ونصب عليها عدة مجانيق، فبعث إليه صاحبها يستعطفه، ويئذله له مائة ألف، وللأشرف عشرين ألف دينار، فلم يقبل، وما زال عليها حتى أخذها، في سادس عشر ذي الحجة، وحضر صاحبها إليه بأمان، فوكل به حتى سلم جميع حصونها، فأعطى السلطان حصن كيفا لابنه الملك الصالح نجم الدين أيوب. وفيها وردت هدية من مازدين.

(١) انظر أحداث تلك السنة في النجوم الزاهرة ٢٤٧ - ٢٤٩ / ٦، تاريخ ابن الوردي ٢٢٦ / ٢.

وفيهما سار ابن شداد من القاهرة بالستر العالى صاحبة غازية خاتون، ابنة الكامل وزوجة الملك المظفر، صاحب حماة؛ والستر العالى صاحبة فاطمة، ابنة الكامل وزوجة الملك العزيز، صاحب حلب، وخرج معها أيضا الأمير فخر الدين البانياسى، والشريف شمس الدين قاضى العسكر.

وفيهما مات الأمير فخر الدين عثمان بن قزل أستاذار الملك الكامل، و صاحب المدوسة الفخرية بالقاهرة، فى ثامن عشر ذى الحجة بجران.

وفيهما بعث الملك المنصور عمر بن على بن رسول، صاحب اليمن، عسكرا إلى مكة، فيه الشريف راجح بن قتادة، فملكها من الأمير شجاع الدين طغتكين، نائب الملك الكامل، فى ربيع الآخر. وفر شجاع الدين إلى نخله ثم إلى ينبع، وكتب يعلم الملك الكامل بذلك، فبعث إليه الكامل عسكرا سار بهم إلى مكة، فقدموها فى شهر رمضان، وملكوها بعدما قتلوا جماعة، وكان مقدم العسكر الأمير فخر الدين يوسف بن الشيخ.

* * *

سنة ثلاثين وستمائة (١)

فيها أنعم الكامل على ابنه الملك الصالح نجم الدين أيوب بحصن كيفا، وسيره إليها، وعاد هو إلى الديار المصرية، ومعه الملك المسعود، صاحب آمد، فلما وصل قلعة الجبل أفرج عنه، وأحسن إليه، وأعطاه إمرة بديار مصر.

وفيها قبض الكامل على جماعة من الأمراء المصرية.

وفيها استولى الملك المظفر، صاحب حماة على حصن بارين، وانتزعه من أخيه الناصر قلعج أرسلان، فسار قلعج أرسلان إلى خاله الكامل، فقبض عليه، واعتقله في قلعة الجبل حتى مات.

وفيها جهز الملك الكامل عسكرياً من الغز والعربان إلى ينبع، من أرض الحجاز - عليهم علاء الدين آق سنقر الزاهدي [.....] (٢) - في شوال وعدتهم سبعمائة، وسبب ذلك ورود الخبر بمسير الشريف راجح من اليمن بعسكر إلى مكة، وأنه قدمها في صفر، وأخرج من بها من المصريين بغير قتال، فقدم الزاهدي في الموسم، وتسلم مكة، وحج بالناس، وترك بمكة ابن محلي، ومعه خمسون فارساً، ورجع إلى مصر.

وفيها توفي الفخر سليمان بن محمود بن أبي غالب الدمشقي، كاتب الإنشاء. فاستحضر الملك الكامل ناسخاً يقال له الأمين الحلبي، كان عند الأمير عز الدين أيك - أستاذار الملك المعظم - في خدمته يكتب له، فلما حضر الأمين ليكتب بين يديه خلع عليه، وأعادته إلى صاحبه، فتزهده استحياء من الناس، وبعث الكامل إلى ميفارقين، فأحضر الجلال بن نباتة ليستكتبه، فلما حضر خلع عليه، وأعادته ولم يستكتبه الأشرف صاحب دمشق.

وفي يوم الثلاثاء ثامن عشر رمضان: سلطن الملك الكامل ولده الملك العادل سيف الدين أبا بكر، وأركبه بشعار السلطنة، وشق به القاهرة، وعمره يومئذ إحدى عشرة سنة، وكان الكامل يحبه، ويحب أمه حبا زائداً.

(١) سنة ٦٣٠ هـ. انظر أحداث تلك السنة في النجوم الزاهرة ٢٤٩ - ٦ / ٢٥١، تاريخ ابن

الوردى ٢٢٧ / ٢.

(٢) مابين المعقوفتين سقط في الأصل.

وفي ذى القعدة: وصل محيي الدين يوسف بن الجوزي^(١) من بغداد، بالتقليد من الخليفة المستنصر بالله للملك الكامل.

وفيها أبطل السلطان المعاملة بالفلوس في القاهرة ومصر، فتلف مال كثير للناس.

وفيها مات الأمير حسام الدين مانع بن حديثة، أمير العربان من آل فضل، فأمر الأشرف بعده ابنه مهنا^(٢).

وفيها قدم الناصر داود صاحب الكرك إلى مصر، فنزل بدار الوزارة من القاهرة، وركب في خدمة عمه الملك الكامل.

وفيها مات العزيز فخر الدين عثمان بن العادل بدمشق، يوم الإثنين عاشر رمضان. وفيها مات الملك المعظم مظفر الدين كوكبرى بن زين الدين على كوجك، ملك إربل، في تاسع عشر شعبان عن أربع وثمانين سنة، وكان يهتم بعمل المولد النبوي في كل سنة اهتماما زائدا، فتسلم إربل من بعده نواب الخليفة، وصارت مضافة إلى مملكة بغداد.

* * *

(١) ابن الجوزي (٥٨٠ - ٦٥٦ = ١١٨٥ - ١٢٥٨ م). يوسف بن عبد الرحمن بن علي بن الجوزي القرشي التيمي البكري البغدادي، محيي الدين، أبو الحسن: أستاذ الخليفة المستنصر، وسفيرها. من أهل بغداد وهو ابن العلامة أبي الفرج (الجوزي) توفي والده وعمره سبع عشرة سنة، فكلفته والده الخليفة الناصر تفقه على أبيه وغيره. وولى الحسبة بجانب بغداد، والنظر في الوقوف العامة. انظر المنهج الأحمد - خ، الدارس ٢/ ٦٢، ذيل مرآة الزمان ١: ٣٣٢، ذيل طبقات الحنابلة ٢/ ٢٥٨، البداية والنهاية ١٣/ ٢٠٣، شذرات الذهب ٥/ ٢٨٦، النجوم الزاهرة ٧/ ٦٦. الأعلام ٢٣٦/ ٨.

(٢) مهنا بن حسام الدين (٦٦٠ هـ - ١٢٦٢ م). مهنا بن مانع بن حديثة بن عقبة (أو عصية) بن فضل بن ربيعة، من طيء، من قطحان: رأس آل مهنا من آل فضل أمراء البادية تولى بعد وفاة أبيه. انظر صبح الأعشى ٤/ ٢٠٥، ٢٠٦ الضوء اللامع ٥/ ١٤٦ ابن خلدون ٢/ ٢٥٥، المختصر ٢/ ٢٠٥. الأعلام ٣١٧/ ٧.

سنة إحدى وثلاثين وستمائة (١)

فيها قصد السلطان علاء الدين كيقباد بن كيخسرو السلجوقي، صاحب بلاد الروم، مدينة خلاط، فخرج الملك الكامل من القاهرة بعسكره، ليلة السبت خامس شعبان، واستتاب ابنه الملك العادل، فوصل إلى دمشق، وكتب إلى ملوك بنى أيوب يأمرهم بالتجهيز، للمسير بعساكرهم إلى بلاد الروم، وخرج الكامل من دمشق، فنزل على سليمة في شهر رمضان، ورتب عساكره، وسار إلى منبج، فقدم عليه عسكر حلب، وغيره من العساكر، فسار وقد صار معه ستة عشر دهليزا، لسته عشر ملكا - وقيل بل كانوا ثمانية عشر ملكا، فعرضهم الكامل على البيرة أطلابا بأسلحتهم، فلكثر ما أعجب بنفسه قال: «هذه العساكر لم تجتمع لأحد من ملوك الإسلام».

وأمر بها فسارت شيئا بعد شيء نحو الدربند، وقد جدَّ السلطان علاء الدين في حفظ طرقاته بالمقاتلة، ونزل الكامل على النهر الأزرق، وهوبأول بلد الروم، ونزل عساكر الروم فيما بينه وبين الدربند، وأخذوا عليه رأس الدربند، وبنوا عليه سورا يمنع العساكر من الطلوع، وقتلوا من أعلاه، فقلَّت الأقوات عند عسكر الكامل، واتفق - مع قلة الأقوات وامتناع الدربند - نفور ملوك بنى أيوب من الملك الكامل، بسبب أنه حُفِظ عنه أنه لما أعجبه كثرة عساكره بالبيرة، قال لخواصه: «إن صار لنا ملك الروم فإننا نعوض ملوك الشام والشرق مملكة الروم، بدل ما بأيديهم، ونجعل الشام والشرق مضافا إلى ملك مصر». فحذر من ذلك المجاهد صاحب حمص، وأعلم به الأشرف موسى صاحب دمشق، فأوجس في نفسه خيفة موسى، وأحضر بنى عمه وأقاربه من الملوك، وأعلمهم ذلك، فاتفقوا على الملك الكامل، وكتبوا إلى السلطان علاء الدين بالميل معه وخذلان الكامل، وسيروا الكتب بذلك، فاتفق وقوعها في يد الملك الكامل، فكتمها ورحل راجعا، فأخذ السلطان علاء الدين طيقباد - ملك الروم - قلعة خرتيرت (٢) وست قلاع آخر كانت مع الملوك الأرتقية، في ذى القعدة، فاشتد حنق الملك الكامل، لما حصل على أمرائه وعساكره من صاحب الروم في قلاع خرتيرت، ونسب ذلك إلى أهله من الملوك، فتنكر ما بينه وبينهم.

(١) ٦٣١ هـ. انظر أحداث تلك السنة في النجوم الزاهرة ٢٥١ - ٢٥٥ / ٦، تاريخ ابن الوردي

٢ / ٢٢٨

(٢) خَرْتِيرْت: بالفتح ثم السكون، وفتح التاء المثناة، وباء موحدة مكسورة، وراء ساكنة، وتاء مثناة من فوقها، هو اسم أرميني: وهو الحصن المعروف بحصن زياد الذي يجيء في أخبار بنى حمدان في أقصى ديار بكر من بلاد الروم. انظر معجم البلدان ٣٥٥ / ٢.

٣٧٠ سنة إحدى وثلاثين وستمائة

وفيهما مات الملك المفضل قطب الدين موسى بن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب، في ذى الحجة.

وفيهما بعث المنصور عمر بن علي بن رسول - ملك اليمن - عسكريا، وخزانة مال إلى الشريف راجح بن قتادة، فأخرج من ممكة من المصريين.

وفيهما حضر الشيخ أبو عبد الله محمد بن عمر القرطبي سماعا، بزقاق الطباخ بمدينة مصر، في أول يوم من شهر رجب، وكان هناك الشيخ أبو عبد الله القرشي، وأبو عباس القسطلاني، وجماعة غيرهما، فلما أنشد القوال صفق أبو يوسف الدهماني بيديه، وارتفع عن الأرض مترعا، إلى أن بلغ إلى أنبدرية المجلس، ودار ثلاث دورات، ثم نزل إلى مكانه، فقام الشيخ القرطبي، وقد ارتفع الأنبدرية، فكان أطول من قامته رافعا يديه.

* * *

سنة اثنتين وثلاثين وستمائة (١)

فيها عاد الملك الكامل إلى قلعة الجبل من بلاد الشرق - فى جمادى الأولى - وقد توحش ما بينه وبين أخيه الأشرف - صاحب دمشق - وغيره من الملوك.

فقبض الكامل على المسعود صاحب آمد، واعتقله فى برج هو وأهله، يوم الإثنين سادس عشر جمادى الأولى، لمالآته لهم، فملك صاحب الروم وحران بالسيف، وعاد إلى بلاده، بعد ما استولى على ما كان بهما من الأموال، فلما بلغ الكامل ذلك أمر العساكر أن تتجهز للمسير إلى الشرق، وأقطع ابن الأمير صلاح الدين الإربلى صنافير بالقلبيوية، وجعل أقارب والده ومماليكه معه، وعدتهم سبعة عشر رجلاً.

وفىها بعث ابن رسول إلى الشريف راجح بن قتادة بخزانة مال؛ ليستخدم عسكراً، فلم يتمكن من ذلك، لأنه بلغه أن السلطان الملك الكامل بعث الأمير أسد الدين جفريل، أحد المماليك الكاملية، إلى مكة بسبعمئة فارس، وحضر جفريل إلى مكة، ففر منه الشريف راجح بن قتادة إلى اليمن، وملك جفريل مكة فى شهر رمضان، وأقام العسكر بها.

وفىها مات الملك الزاهر أبو سليمان مجير الدين داود بن صلاح الدين يوسف بن أيوب - صاحب البيرة - فى سابع صفر، فاستولى العزيز - صاحب حلب - عليها من بعده.

وفىها مات الأمير شمس الدين صواب - الطواشى الكاملى - بجران فى أواخر شهر رمضان.

* * *

(١) انظر أحداث تلك السنة فى النجوم الزاهرة ٢٥٥ - ٢٦٠ / ٦، تاريخ ابن الوردى ٢٣٠ /

سنة ثلاث وثلاثين وستمائة^(١)

فيها استمر وباء كثير بمصر مدة ثلاثة أشهر، فمات بالقاهرة ومصر خلق كثير، بلغت عدتهم زيادة على اثني عشر ألفا، سوى من مات بالريف. وفيها سار التتر إلى جهة الموصل، فقتلوا ونهبوا وسبوا.

وفيها سار الناصر داود - صاحب الكرك - إلى الخليفة المستنصر بالله؛ خوفا من عمه الملك الكامل، فإنه كان قد ألزمه حتى طلق ابنة الكامل، فخشى أن ينتزع منه الكرك، فوصل إلى بغداد، فأكرمه الخليفة، ومنعه من الاجتماع به، رعاية للملك الكامل، ثم اجتمع به سرا، وخلع عليه، وبعث معه رسولا مشربشا، من خواصه إلى الكامل، يشفع فيه، فلما وصل الرسول إلى الكامل تلقاه وقبل الشفاعة.

وفيها سار الملك الكامل من القاهرة بعساكره يريد بلاد الشرق، فنازل الرها حتى أخذها، يوم الأربعاء ثالث عشر جمادى الأولى، وأسر منها زيادة على ثمانمائة من الأمراء، وهدم قلعتها، ونازل حران، وأخذها بعد حصار وقتال في رابع عشر جمادى الآخر، وأسر من كان بها من أجناد السلطان علاء الدين، وأمرائه ومقدميه الصوباشية، وكانوا سبعمائة وخمسة وعشرين رجلا، فمات كثير منهم في الطرقات، ثم نزل الكامل على دنيسر^(٢) وخربها. فورد عليه الخير بأن التتر قد وصلوا إلى سنجار، في مائة طلب، كل طلب خمسمائة فارس، وأخذ الكامل قلعة السويداء عنوة، وأسر من بها في سبع عشر جمادى الآخر، وهدمها؛ وأخذ قطينا، وأسر من بها في رجب.

وفي تاسع عشره: بعث الكامل جميع الأسرى إلى ديار مصر، وعدتهم تزيد على الثلاثة آلاف، وعاد إلى دمشق، وسلم الشرق لابنه الملك الصالح أيوب.

وفيها هدمت دنيسر، وعدة بلاد كثيرة من بلاد صاحب ماردين.

وفيها خرج عسكر الروم، بعد عود الكامل، وحاصر آمد وأخرب

(١) انظر أحداث تلك السنة في النجوم الزاهرة ٢٦٠ - ٢٦٣ / ٦، تاريخ ابن الوردي ٢/٢٣٤.

(٢) دُنَيْسِر: بضم أوله: بلدة عظيمة مشهورة من نواحي الجزيرة قرب ماردين، بينهما فرسخان، ولها اسم آخر يقال: لها قوج حصار. انظر معجم البلدان ٢/٤٧٨.

دارا^(١) في خامس ذى القعدة.

وفيها استولى الفرنج على مدينة قرطبة^(٢) بالأندلس.

وفيها قُدِّمَ أنبا كيرلس داود بن لقلق بطركا على الإسكندرية لليعاقبة، في يوم الأحد ثالث عشرى بؤونة، سنة إحدى وخمسين وتسعمائة للشهداء، الموافق لتاسع عشرى رمضان، فأقام فى البطركية سبع سنين وتسعة أشهر وعشرة أيام، وكان عالماً، محباً للرياسة، وجمع المال، وأخذ الشرطونية، وكانت أرض مصر قد خلست من الأساقفة، قبل اعتلائه كرسى البطركية، فقدم جماعة من الأساقفة بمال كبير، ومرت به شدائد كثيرة، فإن الراهب عماد المرشار كان قد سعى فى ولايته البطركية، وشرط عليه ألا يقدم أسقفاً إلا برأيه، فلم يف له، ولا التفت إليه، فانحرف عنه ورافعه، فوكل عليه وعلى عدة من أقاربه وأزامه، وقام أيضاً عليه الشيخ السنى بن التبعان الراهب، وعانده وذكر مثالبه، وأنه إنما تقدم بالشوة، وأنه أخذ الشرطونية، فلا تصح له كهنوتية، على حكم القوانين، ومال معه جماعة، وعقدوا له مجلساً بحضور الصاحب - معين الدين بن شيخ الشيوخ، فى أيام أيام الملك الصالح نجم الدين أيوب، وأثبتوا عليه أموراً شتى، وعزموا على خلعها، فقام معه الكتاب المستوفون بديار مصر، وتحدثوا مع الصاحب معين الدين، فقرر مالا حملة البطرليك إلى السلطان، واستمر أنبا كيرلس على

(١) دارا: وهى بلدة فى لحف جبل بين نصيبين وماردين . انظر معجم البلدان ٤١٨ / ٢، وفى الروض المعطار دارا: بلد ديار ربيعة بينها وبين نصيبين خمسة فراسخ، صلى بها أبو موسى رضى الله عنه صلاة الخوف، وهى من بلاد الجزيرة، وهى مدينة رومية، وهى بيضاء كبيرة ولها قلعة مشرفة، ويلها بمقدار نصف مرحلة مدينة ماردين، وهى فى سفح جبل فى قنته قلعة لها كبيرة هى من قلاع الدنيا المشهورة، وكلتا المدينتين معمورتان، وفتحها عياض بن غنم، وهى فى سفح جبل عليها سور حجارة، وبها أنهار وكروم وأسواق ومسجد جامع ومنبر، وبينها وبين كفرتوثا سبعة فراسخ. انظر الروض المعطار ٢٣٠، والكرخى ٥٣.

(٢) قرطبة: وهى مدينة عظيمة بالأندلس وسط بلادها، وكانت سريراً للملكها وقصبتها، وبها كانت ملوك بنى أمية. انظر معجم البلدان ٣٢٤ / ٤، وفى الروض المعطار قرطبة: قاعدة الأندلس وأم مدائنها ومستقر خلافة الأمويين بها، وآثارهم بها ظاهرة، فضائل قرطبة ومناقب خلفائها أشهر من أن تذكر، وهم أعلام البلاد وأعيان الناس، اشتهروا بصحة المنهب وطيب المكسب وحسن النزى وعلو الهمة وجميل الأخلاق، وكان فيها أعلام العلماء وسادات الفضلاء، وقرطبة على نهر عظيم عليه قنطرة عظيمة من أجل البنيان قدراً وأعظمه خطراً، وهى من الجامع فى قبلته، وبالقرب منه، فانظم بها الشكل، وبأمر عمر بن عبد العزيز قام على نهر قرطبة الجسر الأعظم الذى لا يعرف فى الدنيا مثله، وحول الأندلس من عمل إفريقية وجرد لها عاملاً من قبله، ووقعت المغامم فيها عن أمره. انظر الروض المعطار ٤٥٦، ٤٥٧، ٤٥٨، والإدريسى ٢٠٨، ٢١٢.

السلوك لمعرفة دول الملوك ٣٧٥

بطركيته حتى مات يوم الثلاثاء رابع عشر برمهاة، سنة تسعمائة وتسع وخمسين للشهداء، الموافق لسابع رمضان سنة أربعين وستمائة وخلا الكرسي بعده سبع سنين وستة أشهر وستة وعشرين يوما.

وفيها بعث الملك المنصور عمر بن على بن رسول - ملك اليمن - عسكريا إلى مكة، مع الشهاب بن عبد الله، ومعه خزانة مال، فقاتله المصريون وأسروه، وحملوه إلى القاهرة مقيدا.

* * *

سنة أربع وثلاثين وستمائة

فيها سار الملك الكامل من دمشق يريد القاهرة، فوصل إليها، وصعد قلعة الجبل فى [.....] (١) ثم خرج إلى دمياط، فقدم عليه محبى الدين يوسف بن الجوزى رسولا من الخليفة، وهو بها، وسافر محبى الدين إلى السلطان علاء الدين كيقباد بن غياث الدين كيخسرو بن قلعج أرسلان - صاحب الروم - ومعه الحافظ زكى الدين عبد العظيم المنذرى، رسولا من جهة الملك الكامل.

وفيها مات الملك العزيز غياث الدين محمد بن الظاهر غازى بن صلاح الدين يوسف بن أيوب - صاحب حلب - يوم الأربعاء رابع عشرى شهر ربيع الأول، عن ثلاث وعشرين سنة وأشهر، وقام من بعده ابنه الناصر صلاح الدين أبو المظفر يوسف، وعمره نحو السبع سنين، وقام بتدبير أمره الأميران لؤلؤ الأمينى، وعز الدين عمر بن محلى، وبينهما وزير الدولة جمال الدين الأكرم، يراجع الستر الرفيع صفية خاتون ابنة الملك العادل، على لسان جمال الدولة إقبال، وحضر الأمير بدر الدين بدر بن أبى الهيحاء، وزين الدين قاضى حلب، إلى الملك الكامل، بزردية العزيز وكُزًا غنَّده، وخوذته ومركوبه، فأظهر الكامل الألم لموته، وقصر فى إكرامهما، وحلف للناصر، وشرط أشياء، وأعاد الرسولين، ثم أرسل خلعة للناصر بغير مركوب، ومعها عدة خلع للأمرء الحليين، وخلعة للصالح صلاح الدين أحمد بن الظاهر غازى، صاحب عيتاب، فاستوحشت أم الظاهر من أخيها الكامل، ولم توافق على لبس أحد من الأمرء الخلع، فلبس الناصر وحده خلعة الكامل، ورد الرسول الوارد إلى الصالح صلاح الدين بخلعته.

وفيها تنكر الأشرف - صاحب دمشق - على الملك الكامل، وراسل أهل حلب، فوافقوه على منع الكامل من بلاد الشام، ومكاتبة السلطان علاء الدين، صاحب الروم، ليكون معهم، فانتظمت كلمة ملوك الشام على مخالفة الملك الكامل، فانزعج الملك الكامل، وعز ذلك عليه، وكان حين بلغه الخبر بالإسكندرية، فخرج منها ليلا، وسار إلى قلعة الجبل، وشرع فى تدبير أمره، فاتفق موت السلطان علاء الدين كيقباد بن غياث الدين كيخسرو بن قلعج أرسلان - ملك الروم - وقيام ولده غياث الدين كيخسرو بن علاء الدين كيقباد من بعده، فى سابع شوال، قبل اجتماعه بالحافظ زكى الدين عبد العظيم المنذرى رسول السلطان فبعث ملوك الشام رسلهم إلى السلطان

(١) ما بين المعقوفتين بياض فى الأصل.

غياث الدين كيخسرو بن علاء الدين كيقباد بن كيخسرو بن قلعج أرسلان السلجوقي - صاحب الروم - يعزونه فى أبيه، ويحلفونه على ما اتفقوا عليه من مخالفة الملك الكامل، وسير الكامل أفضل الدين محمد الخونجى يعزى غياث الدين بأبيه، ومعه ذهب برسم الصدقة عنه، وثياب أطلس برسم أغشية القبر.

وفيهما كان الوباء أشد من السنة الماضية.

وفيهما ضرب الملك الكامل الفلوس.

وفيهما بعث الملك الكامل القاضى الأشرف بن القاضى الفاضل إلى الملك الناصر داود - صاحب الكرك - يدعوهُ إلى موافقته. فرحل الملك الناصر إلى القاهرة مع القاضى الأشرف؛ فسر الكامل بقدمه، وركب إلى لقائه، وأنزله بدار الوزارة، وقدم له أشياء كثيرة، وخلع عليه، وقلده الكامل دمشق، وأمر من عنده من الأمراء والملوك الأيوبية، فحملوا الغاشية بين يديه بالنوبة، فكان أول من حملها الملك العادل أبو بكر بن الكامل، ثم البقية واحدا بعد واحد، إلى أن صعِد قلعة الجبل، وجدد الناصر عقده على مطلقته عاشوراء خاتون ابنة الكامل، فى تاسع عشر ذى الحجة، فلما بلغ الأشرف ذلك أوقع الحوطة على نابلس، وأخذ ما كان فيها للناصر داود.

وفيهما سير الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الكامل، صاحب حصن كيفا، يستأذن أباه فى استخدام من خالف السلطان غياث الدين كيخسرو - صاحب الروم - من الخوارزمية، فأذن له فى ذلك، واستخدمهم عنده بالبلاد الجزرية، فتقوى بهم. وفيها استولى التتار على إربل، وقتلوا كل من فيها، وسبوا ونهبوا، حتى ننت من كثرة القتلى، ثم رحلوا عنها.

وفيهما قدم من جهة ملوك الشام إلى الملك الكامل رسول، فبلغه عنهم أنهم قالوا: «إنا اتفقت كلمتنا عليك، فلا تخرج من مصر إلى الشام، واحلف لنا على ذلك». فاتفق مرض الأشرف بالذرب، فكان لا يستقر بباطنه طعام ألبتة، حتى انقضت السنة وهو مريض، من شهر رجب.

وفيهما قدم عسكر من اليمن إلى مكة، فحاربهم الأمير أسد الدين جفريل، وكسرهم، فقدم الملك المنصور عمر بن رسول، وملك مكة بغير قتال، وتصدق بمال، وترك بها جماعة، فقدم الشريف شبيحة بن قاسم - أمير المدينة - وملك مكة منهم ونهبهم، ولم يقتل أحدا.

سنة خمس وثلاثين وستمائة (١)

فيها مات الأشرف موسى بن العادل أبي بكر بن أيوب - صاحب دمشق بها - يوم الخميس رابع المحرم، وعمره نحو من ستين سنة، ومدة ملكه بدمشق ثمانى سنين وأشهر، ولم يترك سوى ابنة، تزوجها الملك الجواد يونس بن مودود بن الملك العادل، فقام من بعده بدمشق أخوه الملك الصالح عماد الدين على دمشق وبعلي بك؛ وبعث ابنه الملك المنصور محمودا إلى الشرق، ليتسلم سنجار ونصيبين والخابور من نواب الشرق، وبعث إلى المجاهد صاحب حمص، وإلى المظفر صاحب حماة، وإلى الحلبيين أيضا، ليحلفوا له ويتفقوا معه - على القاعدة التى تقررت بينهم وبين الأشرف - على مخالفة الكامل، فأجابوا إلا صاحب حماة، فإنه مال مع الكامل، وبعث إليه يعلمه بميله إليه، فسر الكامل بذلك، ثم إن الملك الصالح عماد الدين صادر جماعة من الدماشقة، الذين قيل عنهم إنهم مع الملك الكامل، منهم العلم تعاسيف، وأولاد مزهر، وحبسهم فى بصرى، فتجهز الكامل، وخرج من قلعة الجبل بعساكره، بكرة يوم الخميس ثالث عشرى صفر، واستتاب على مصر ابنه الملك العادل، وأخذ معه الناصر داود، وهو لا يشك أن الملك الكامل يسلم إليه دمشق، لما كان قد تقرر بينهما. فكاتب الكامل نائب قلعة عجلون حتى سلمها، ونزل على دمشق بمسجد القدم، فى ثالث عشرى ربيع الأول، وقد تحصنت وأتتها النجدات، فحاصرها وقطع عنها المياه، وضايقها حتى غلت بها الأسعار، وأحرق العقبية والطواحين، وألح على أهلها بالقتال، وكان الوقت شتاء فأذن الصالح إسماعيل، وسلم دمشق لأخيه الكامل، فعوضه عنها بعلي بك والبقاع، وبصرى والسواد.

وكان السفير بينهما صاحب محبى الدين أبو المظفر يوسف بن الشيخ أبى الفرج بن الجوزى - رسول الخليفة - الوارد ليوقع الصلح بين ملوك بنى أيوب، فتسلم الكامل دمشق فى عاشر جمادى الأولى، وسار الصالح إسماعيل إلى بعلي بك، لإحدى عشرة بقيت من جمادى الأولى، فنزل الملك الكامل بالقلعة، وأمر بنصب الدهليز بظاهر دمشق، وسير المظفر صاحب حماة إلى حمص، وأطلق الفلك المسيرى من سجن قلعة دمشق - وكان

(١) ٦٣٥هـ انظر أحداث تلك السنة فى النجوم الزاهرة ٢٦٥، ٦٢٦٨، تاريخ ابن الوردى

قد سجنه الملك الأشرف - ونقل الأشرف إلى تربته، وأمر الكامل فى يوم الإثنين سادس جمادى الآخرة ألا يصلى أحد من أئمة الجامع المغرب، سوى الإمام الكبير فقط، لأنه كان يقع بصلاتهم تشويش كبير على المصلين، وورد الخير باستيلاء الصالح نجم الدين أيوب بن الكامل على سنجار ونصيبين والخابور، وقدم رسول الخليفة بمال إلى الملك الكامل؛ ليستخدم به عسكرياً للخليفة، فإنه بلغه توجه التتر إلى بغداد، فقام الملك الكامل لما سلم إليه كتاب الخليفة، ووضعه على رأسه، وكان جملة ما حضر من المال مائة ألف دينار مصرية، فأمر الملك الكامل أن يخرج من بيت المال مائتا ألف دينار؛ ليستخدم بها العساكر، وأن يجرد من عساكر مصر والشام عشرة آلاف؛ نجدة للخليفة، وأن يكون مقدم العساكر الناصر داود، وألا يصرف مما حضر من المال شىء، بل يعاد بكماله إلى خزانة الخليفة، فتولى استخدام الأجناد الأميران ركن الدين الهيجاوى، وعماد الدين بن موسك، وأن يكونا مع الناصر داود فى خدمته، فاستخدم الناصر العسكري، وسار إلى بغداد، وهم نحو ثلاثة آلاف فارس، وشرع الكامل يتجهز لأخذ حلب، فخاف المجاهد صاحب حمص، وبعث ابنه المنصور إبراهيم^(١) فتقرر الأمر على أن يحمل المجاهد كل سنة للملك الكامل ألفى ألف درهم، فعفا عنه.

وكان منذ دخل الكامل إلى قلعة دمشق قد حدث له زكام، فدخل فى ابتدائه إلى الحمام، وصب على رأسه الماء الحار، فاندفعت المواد إلى معدته، فتورم وعرضت له حمى، فنهاه الأطباء عن القيء، وحذروه منه، فاتفق أنه تقياً لوقته، فى آخر نهار الأربعاء حادى عشرى شهر رجب، بقاعة الفضة من قلعة دمشق، فدفن بها بكرة الغد، وعمره نحو من ستين سنة، وذلك بعد موت أخية الأشرف بنحو ستة أشهر، فكانت مدة ملكه دمشق هذه المرة أحداً وسبعين يوماً، ومدة مملكته بمصر - بعد موت أبيه - عشرين سنة وثلاثة وأربعين يوماً - وقيل وخمسة وأربعين يوماً - وكانت فى أيام أبيه نحوها فحكم مصر قريباً من أربعين سنة؛ ومولده فى الخامس والعشرين من ربيع الأول، سنة ست وسبعين وخمسمائة.

وكان يحب أهل العلم، ويؤثر مجالستهم، وشغف بسماع الحديث النبوى، وحدث بالإجازة من أبى محمد بن برى، وأبى القاسم البوصيرى، وعدة من المصريين، وغيرهم، وتقدم عنده أبو الخطاب بن دحية، وبنى له دار الحديث الكاملية بالقاهرة، وجعل عليها

(١) إبراهيم بن شيركوه بن محمد بن أسد الدين شيركوه الأيوبى (٦٢٤ - ٥٦٤٤ = ١٢٢٧ - ١٢٤٦م) أمير يلقب بالملك، كان صاحب حمص، وكان شجاعاً متواضعاً على صغر سنه. انظر روض المناظر، المختصر لأبى الفداء ٣/ ١٧٦ النجوم الزاهرة. ٦/ ٣٥٦. الأعلام ٤٣/ ١.

أوقافا، وكان يناظر العلماء، وعنده مسائل غريبة من فقه ونحو يمتحن بها، فمن أجاب عنها قدمه وحظى عنده، وكانت تبيت عنده بالقلعة جماعة من أهل العلم: كالجمال اليمنى النحوى، والفقير عبد الظاهر، وابن دحية، والأمير صلاح الدين الإربلى - كان أحد الفضلاء - فينصب لهم أسرة ينامون عليها بجانب سريريه؛ ليسامروه، فنفتت العلوم والآداب عنده، وقصده أرباب الفضائل، فكان يطلق لمن يأتيه منهم الأرزاق الوافرة الدارة، فممن قصده التاج بن الأرموى، وأفضل الدين الخونجى، والقاضى الشريف شمس الدين الأرموى - قاضى العسكر - وهؤلاء أئمة وقتهم فى المنقول والمعقول، وكان مهيبا، حازما شديد الآراء، حسن التدبير لماليكه، عفيفا عن الدماء، وبلغ من مهابته أن الرمل - فيما بين العريش ومصر - كان يمر فيه الواحد بالذهب الكثير والأحمال من الثياب، من غير خوف، وسرق مرة فيه بساط، فأحضر الكامل العريان الذين يخرون الطريق، وألزمهم بإحضاره وإحضار سارقه، فبدلوا عوضه شيئا كثيرا، وهو يأبى إلا إحضار السارق، أو إتلاف أنفسهم وأموالهم بدله، فلم يجدوا بدا من إحضار السارق والبساط، وكان يباشر أمور الملك بنفسه، من غير اعتماد على وزير ولا غيره، واستوزر أولا الصاحب صفى الدين بن شكر ست سنين، وانكف بصره وهو يباشر الوزارة حتى مات، وكان الأمير فخر الدين عثمان الأستادار يتردد إليه فى الأشغال، فلما مات الصاحب صفى الدين لم يستوزر الكامل بعده أحدا، بل كان يستنهض من يختار فى تدبير الأشغال: فأقام معين الدين بن شيخ الشيوخ مدة، وسماه نائب الوزارة، ومرة أقام تاج الدين يوسف بن الصاحب صفى الدين، ومرة جمال الدين البورى، وصار يباشر أمور الدولة بنفسه، ويحضر عنده الدواوين، فيحاقهم ويحاسبهم، وإذا ابتدأت زيادة النيل خرج بنفسه وكشف الجسور، ورتب فى كل جسر من الأمراء من يتولاه، ويجمع الرجال لعمله، ثم يشرف على الجسور بعد ذلك، فمتى اختل جسر عاقب متوليه أشد العقوبة، فعمرت أرض مصر فى أيامه عمارة زائدة.

وأخرج الكامل من زكوات الأموال - التى كانت تجبى - سهمى الفقراء والمساكين، وجعلهما مصروفين، ورتب عليهما جامكيات الفقهاء والفقراء والصلحاء، وكان يجعل فى كل ليلة جمعة مجلسا لأهل العلم عنده، ويجلس معهم للمباحثة، وكان كثير السياسة، وأقام فى كل طريق خفراء تحفظ المسافرين، إلا أنه كان مغرى يجمع المال، مجتهدا فى تحصيله وأحدث فى البلاد حوادث سماها الحقوق، لم تكن فى أيام من تقدمه، وله شعر، منه قوله:

إذا تحققت ما عند صاحبكم من الغرام فذاك القدر يكفيه

أنتم سكنتم فؤادى وهو منزلكم وصاحب البيت أدرى بالذى فيه
وفيه يقول البهاء زهير بن محمد، من قصيدة عند فتح دمياط:

هو الكامل المولى الذى إن ذكرته فىا طرب الدنيا وىا فرح العصر
به ارجعت دمياط قهرا من العدى وطهر بالسيف والملة الطهر
لك الله من ملك إذا جاد أوسطا فناهيك من عرف وناهيك من نكر
يقصر عنه المدح من كل مادح ولو جاء بالشمس المنيرة والبدر

وكان أولاد الشيخ صدر الدين بن حمويه هم أكابر دولته وأعيانها، وهم الأمير فخر الدين يوسف، وعماد الدين عمر، وكمال الدين أحمد، ومعين الدين حسن، وكان فخر الدين قد ترك لبس العمامة، ولبس الشربوش والقباء، ونادم السلطان، وكان فاضلا أدبيا، يشارك فى فنون، وإخوته لهم فضائل، وإليهم مشيخة الخانقاه الصلاحية سعيد السعداء، وتدریس المدرسة الناصرية، يجوار قير الشافعى من القرافة، وتدریس المشهد الحسينى بالقاهرة، وما منهم إلا من تقدم على الجيوش، وباشر الحرب، وأرضعت أمهم - وهى ابنة القاضى شهاب الدين ابن عصرون - الملك الكامل، فصاروا إخوته من الرضاع.

فلما مات السلطان الكامل اتفق أولاد الشيخ، والأمير سيف الدين على بن قلعج، وأخوه الأمير عماد الدين، والملك الناصر داود، وأرباب الدولة، على تحليف الأجناد للملك العادل أبى بكر بن الملك الكامل - وهو يومئذ يخلف أباه بقلعة الجبل - على ديار مصر، وأن يرتب الملك الجواد مظفر الدين يونس بن مودود بن العادل أبى بكر بن أيوب، فى نيابة دمشق، وكنموا ذلك الأمر الثانى عن الناصر داود، وحلقوا على ذلك فى يوم الخميس ثانى عشرى رجب، وبعثوا الأمير نور الدين على بن الأمير فخر الدين عثمان الأستادار إلى الناصر داود، فأخرجه من دمشق إلى الكرك، واستقر الجواد بدمشق، نائباً لابن عمه الملك العادل، وسار العسكر من دمشق إلى مصر، وتأخر بدمشق أمراء عدة - فى جمع من عسكر مصر وممالك الأشرف - لحفظها، ومقدمهم عماد الدين عمر بن شيخ الشيوخ، فبذل الجواد الأموال، وطمع فى الاستبداد بملك دمشق، وألزم الخطيب بذكره فى الخطبة بعد العادل.

* * *

السلطان الملك العادل الثانى^(١)

سيف الدين أبو بكر بن الملك الكامل محمد بن الملك العادل أبى بكر بن أيوب. أمه

الست السوداء، المعروفة ببنت الفقيه نصر، ومولده فى سنة سبع عشرة وستمائة. استقر الأمر له بسلطنة مصر و دمشق فى يوم الخميس ثانى عشرى رجب، سنة خمس وثلاثين وستمائة، الموافق لسادس عشر برمهات. وخطب له بالقاهرة ومصر فى رابع شعبان، وهو السلطان السابع من بنى أبوب بديار مصر، فقدمت عليه القصاد من دمشق بوفاة أبيه واستقراره من بعده، فشرع الأمير سيف الدين قلعج فى تخليف الأمراء للملك العادل فى داره، وحط الملك العادل المكوس، ووسع فى العطاء وفى الرزاق على كل أحد.

وفى رابع شعبان: خطب له بمصر، وأعلن بموت الملك الكامل.

وفى رابع عشر شعبان: ضربت السكة باسمه.

وفى ثامن عشر رمضان: نقش الدينار والدرهم باسمه.

وفى عشريه: قرئ توقيعه على المنبر، بإبطال جميع المكوس.

وفى سابع عشرى شوال: وصل محبى الدين أبو محمد يوسف بن الجوزى، رسولا من بغداد، بتعزية الملك العادل، وهنأه بالملك من قبل الخليفة. وكان العادل قد بعث إلى دمشق بالخلع والسنجق، فركب الجواد بالخلع فى تاسع عشر رمضان. وفيها أنفق العادل على العساكر.

وفى ثانى ذى القعدة: استخلف ابن الجوزى الملك العادل للخليفة المستنصر.

وفيه ورد الخبر بأن الناصر داود تحالف هو والجواد، وقد اتفقا وخرجا عن طاعة العادل ووصل الناصر داود إلى غزة، وخطب بها لنفسه، ثم وقع بينه وبين الجواد خلف، فأظهر الجواد أنه عاد إلى طاعة الملك العادل، ولما قربت العساكر الواردة من دمشق إلى القاهرة ركب العادل إلى لقائهم وأكرمهم، وسير إليهم فى منازلهم الأموال والخلع والخيول، فجددوا له الأيمان والعهود؛ فاستقر أمره، وأخرج العادل الأموال، وبذلها فى الأجناد، وأكثر من العطاء والبذل، حتى بدد فى مدة يسيرة ما جمعه أبوه فى مدد متطاولة، وأخذ فى إبعاد أمراء الدولة عنه، وقطع رواتب أرباب الدولة، واختص بمن أنشأه فنفرت قلوب الأكابر منه، واشتغل هو عنهم لانهماك شرب الخمر، وكثرة اللهو والفساد، وسار الناصر وأبو داود من الكرك، واستولى على غزة والسواحل، واستجد عسكريا كبيرا، وبرز عن غزة، وبعث إلى الملك العادل يريد منه المساعدة على أخذ دمشق.

وقوى المجاهد أسد الدين صاحب حمص بعد موت الكامل، وأغار على حماة وحصرها واستعد أهل حلب، واستجدوا عسكرا من الخوارزمية، وعسكرا من التركمان، كان قد صار إليهم عدة من أصحاب الملك الكامل، فأكرمهم، وبعثوا إلى السلطان غياث الدين كيخسرو بن كيقباد، ملك الروم، يسألونه إرسال نجدة، فأمدهم بخيار عسكره، وخرجوا فملكوا المعرة، ونازلوا حماة، وقاتلوا المظفر صاحبها، فثبت لهم، وامتنع عليهم وقتلهم، وكان الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الكامل على الرحبة، منازلها، فلما بلغه موت أبيه الملك الكامل رحل عنها، فطمع فيها من معه من الخوارزمية، وخرجوا عن طاعته، وهموا بالقبض عليه، فقصد سنجار، وامتنع بها مدة، وترك خزائنه وأثقاله، فاتتهبها الخوارزمية، وتحكموا في البلاد الجزرية، وطمع فيه السلطان غياث الدين كيخسرو بن كيقباد - ملك الرومية - وبعث إلى الناصر صلاح الدين أبي المظفر يوسف صاحب حلب توقيعا بالرها وسروج، وكانا مع الصالح نجم الدين أيوب، وأقطع المنصور ناصر الدين الأرتقى، صاحب ماردین، مدينة نجر و مدينة نصيبين، وهما من بلاد الصالح أيضا، وأقطع المجاهد أسد الدين شيركوه، صاحب حمص بلدة عانة^(١) وغيرها من بلاد الخابور؛ وعزم السلطان غياث الدين كيخسرو على أن يأخذ لنفسه من بلاد الصالح أيضا آمد وسميساط، وصار الملك الصالح محصورا بسنجار، فطمع فيه الملك الرحيم بدر الدين لؤلؤ - صاحب الموصل - وحصره بسنجار في ذي القعدة، وأراد حمله إلى بغداد في قفص حديد؛ كراهة فيه، لما كان عنده من التجير والظلم والتكبر، فلما أشرف بدر الدين لؤلؤ على أخذ سنجار بعث الصالح إليه القاضي بدر الدين يوسف بن الحسن الزرزاري قاضي سنجار، بعد ما حلق لحيته، ودلاه من السور.

وكان القاضي الزرزاري متقدما في الدولة الأشرفية، ولاء الملك الأشرف موسى - قضاء بعلبك ثم بعد موت الملك الأشرف ولاء الصالح نجم الدين أيوب قضاء سنجار، وكان كثير التجمل جدا، واسع البر والمعروف، وله مماليك وغللمان وحواشي، لهم من التجمل ما ليس لغيرهم، فصار كأحد الأمراء الأكابر، وصار يقصد لسائر من يرد عليه من أهل العلم وذوى البيوتات، فتوجه القاضي في خفية إلى الخوارزمية، واستماهم وطيب خواطرهم، بكثرة ما وعدهم به فمالوا إليه، بعد ما كانوا قد اتفقوا مع صاحب ماردین، وقصدوا بلاد الملك الصالح نجم الدين أيوب، واستولوا على العمال، ونازلوا

(١) عانة: بلدة مشهورة بين الرقة وهيت تعد في أعمال الجزيرة. انظر معجم البلدان ٧٢ / ٤.

حوران - وكان الملك الصالح قد ترك بها ولده المغيث فتح الدين عمر بن الصالح^(١) فخاف من الخوارزمية، وسار مختفيا حتى فرد إلى قلعة جعير، فساروا خلفه، ونهبوا ما كان معه، وأفلت منهم في شردمة يسيرة إلى منبج، فاستجار بعمه أبيه، الصاحبة ضيفة خاتون، أم الملك العزيز، صاحب حلب، فلم تقبله، فر إلى حوران، وفيها أتاه كتاب أبيه يأمره بموافقة الخوارزمية، والوصول بهم إليه ليدفع بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل، فاجتمع المغيث عمر، والقاضي بدر الدين قاضي سنجار بالخوارزمية، والتزم لهم القاضي أن يقطعوا سنجار وحوران والرها، فطابت قلوبهم، وحلفوا للملك الصالح وقاموا في خدمة ابنه الملك المغيث، وساروا معه إلى سنجار، فأفرج عنها عسكر الموصل، يريدون بلادهم. وأدركهم الخوارزمية، وأوقعوا بهم وقعة عظيمة، فر فيها بدر الدين لؤلؤ بمفرده على فرس سابق، ثم تلاحق به عسكره. واحتوت الخوارزمية على سائر ما كان معه، فاستغنوا بذلك، وقوى الملك الصالح بالخوارزمية وبهذا الفتح قوة زائدة، وعظم شأنه، وسير الخوارزمية إلى آمد، وعليها عسكر السلطان غياث الدين كيخسرو صاحب الروم، وبها المعظم غياث الدين تورانشاه بن الملك الصالح نجم الدين أيوب^(٢) وهو محصور منهم، فأوقعوا بهم ورحلوهم عن آمد، فخرج الصالح من سنجار إلى حسن كيفا، وبعث الملك العادل من مصر إلى أهل حلب يريد منهم أن

(١) المغيث الأيوبي (٦٤٢ هـ = ١٢٤٤ م). عمر المغيث جلال الدين بن أيوب الصالح بن محمد الكامل بن العادل الأيوبي: من أمراء هذه الدولة، كان نائب دمشق وتوفى بها. انظر ترويح القلوب ٨٣، شذرات الذهب ١ / ٥ / ٢١٥، الأعلام ٤٢ / ٥.

(٢) توران شاه (المعظم غياث الدين بن الصالح أيوب). (... - ٦٤٨ هـ - ١٢٥٠ م). تورانشاه ابن الملك الصالح نجم الدين أيوب، بن الملك الكامل محمد: ثامن سلاطين الدولة الأيوبية بمصر، وآخرهم، وثالث من سمي الملك المعظم منهم وجد ملوك حصن كيفا كانت إقامته في حصن كيفا بديار بكر نائبا عن أبيه. ولما توفى أبوه سنة ٦٤٧ هـ وكنمت شجرة الدر خير موته، استدعته، فجاء إلى مصر، والحرب ناشبة بين المصريين والفرنسيين على أبواب المنصورة فلبس خلعة السلطان بعد أربعة أشهر من وفاة أبيه، وقاتل الفرنج، فهزمهم واسترد دمياط ثم تنكر لشجرة الدر، فحرضت عليه المماليك البحرية فقتلوه في فارسكور ومدة سلطته نحو ٤٠ يوما لم يدخل فيها القاهرة ولم يجلس على سرير الملك بقلعة الجبل وبمقتله انقضت دولة بني أيوب بمصر ومدتها نحو ٨٦ سنة. انظر ابن إياس ١ : ٨٥ وابن الوردي ٢ : ١٨١ وابن شاكر ١ : ٩٧ وفيه ما يخالف رواية غيره ما فهو يذكر أن الملك المعظم ساءت سيرته مع المماليك البحرية فقتلوه، ولا يذكر شجرة الدر، ويقول: إن مدة بني أيوب بمصر ٨١ سنة ومرآة الزمان ٨٠٠ : ٧٨١ وفيه : كان إذا سكر يجمع الشموع ويضرب رءوسها بالسيف يقول هكذا أفعل بالبحرية يعني المماليك الذين قتلوه بعد ذلك ومثلوا به: ومجلة انجم العالمى ١٦ : ٣٠٨.

يجروا معه على ما كانوا عليه مع أبيه الملك الكامل - من إقامة الخطبة له على منابر حلب، وأن تضرب له السكة - فلم يجب إلى ذلك، وقدم رسول غياث الدين كيخسرو ملك الروم، فزوج غازية خاتون ابنة العزيز السلطان غياث الدين، وأنكح الملك الناصر - صاحب حلب - أخت السلطان غياث الدين، وتولى العقد صاحب كمال الدين بن أبي جرادة بن العديم، وخرج في الرسالة إلى بلاد الروم، وعقد للملك الناصر صاحب حلب على ملكة خاتون أخت السلطان غياث الدين، فبعث غياث الدين رسولا إلى حلب، فأقيمت له بها الخطبة، وخرج الملك الجواد من دمشق في أول ذى الحجة، يريد محاربة الناصر داود صاحب كرك، بأذنها بالقرب من نابلس فانكسر الناصر كسرة قبيحة، في يوم الأربعاء رابع عشر ذى الحجة، وانهزم إلى الكرك. فغتم الجواد ما كان مه، وعاد إلى دمشق، وفرق ستمائة ألف دينار وخمسة آلاف خلعة، وأبطل المكوس والخمور، ونفى المغاني. وعاد من كان في دمشق من عسكر مصر ومعهم الأمير عماد الدين بن شيخ الشيوخ - إلى القاهرة، بسناجق الناصر، في سادس عشر ذى الحجة، فلم يعجب الملك العادل ذلك، وخاف من تمكن الملك الجواد.

وفيها قصد التتار بغداد، فبعث إليهم الخليفة جيشا، قتل كثيرا منه، وفر من بقى .

وفيها مات قاضى القضاة بدمشق وهو شمس الدين أبو البكرات يحيى بن هبة الله ابن الحسن بن بنى الدولة الشافعى، في خامس ذى القعدة فأعيد فى سابعه قاضى القضاة شمس الدين أحمد بن الخليل الخويى، ورتب مراكز الشهداء - وكانوا أولا بدمشق وراقين يورقون المكاتب وغيرها، فإذا فرغوا من الوراقة مشوا إلى بيوت العدول، فيشهدونهم على ما يريدون؛ واقتدى بعد ذلك أهل القاهرة ومصر بهم.

وفيها تولى الشريف شمس الدين محمد بن الحسين الأرموى قضاء العسكر ونقابة الأشراف بديار مصر، وقرئ سجله بجامع مصر، بحضرة الأمير جمال الدين موسى ابن يغمور والفلك المسيرى.

وفيها بطلت الفلوس.

وفيها سار الملك المنصور نور الدين عمر بن على بن رسول من اليمن يريد مكة، فأحرق الأمير أسد الدين جفريل ما كان معه من الأتقال، وخرج هو ومن معه من مكة فى سابع شهر رجب، قبل وصول ملك اليمن بيومين، فالتقوا بين مكة والسرين، فانهمز العرب أصحاب الشريف راجح، وأسر الأمير شهاب الدين بن عدان من أمراء

اليمن، فقيده الأمير جغريل، وحث به إلى القاهرة، وسار هو إلى المدينة النبوية فبلغه موت السلطان الملك الكامل، فسار بمن معه إلى القاهرة، فدخلوها أثناء شهر شعبان متفرقين، وأقام عسكر اليمن بمكة.

* * *

سنة ست وثلاثين وستمائة (١)

فيها قبض الملك الجواد على صفى الدين بن مرزوق، وأخذ منه أربعمائة ألف دينار، وسجنه بقلعة حمص، فمكث ثلاث سنين لا يرى الضوء، وأقام الجواد بمشق خادما لزوجته يقال له الناصح، فصادر الناس، وأخذ منهم مالا كثيرا، وقبض الملك الجواد على عماد الدين عمر بن شيخ الشيوخ، ثم خاف من أخيه فخر الدين، وقلق من ملك دمشق، وقال: إيش أعمل بالملك باز؟ وكلب أحب إلى من هذا، ثم خرج إلى الصيد، وكتب الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الكامل، على أن يعوضه عن دمشق بحصن كيفا وسنجار، فسر الصالح بذلك وتحرك للمسير إلى دمشق.

وفيها قدم رسول ملك الروم إلى القاهرة بالعزاء للملك العادل.

وفيها أفرج أهل حلب عن حصار حماة، بعد ما ضاق الأمر على المظفر صاحب حماة، عنه رحلوا عنها قلعة بارين وكانت حصينة.

وفيها استوحش الأمراء الأكابر من الملك العادل، لتقريبه الشباب والشرابي، وإعطائهم الأموال والإقطاعات، والافتداء بأرائهم، ولكثرة تحجبه، واشتغاله باللهو عن مصالح الدولة. فطمع الناصر داود صاحب الكرك في ملك مصر، فسار إليها ومعه تقادم فاخرة: ما بين جوارى جنكيات، وعوديات ورقاصات، وأوانى للشرب بديعة، فخرج العادل إلى لقائه في ثامن شوال، وأكرمه، وقدم له الناصر ما انتخبه له من الجوارى والأوانى وغيرها، فصادف منه الغرض، ووضه عنه بأمثاله. ولازم الناصر القيام بخدمة العادل والإقامة في بابه: فتارة يعمل حاجب الباب، وتارة أستاذاراً، وتارة دواداراً؛ ليدخل في كل وقت عليه، ويتوصل متى شاء إليه، وهو يظن أنه يستميل الأمراء عن العادل إلى جهته، فلما تمكن الناصر داود منه أوهمه من الأمير فخر الدين ابن شيخ الشيوخ، بأنه قد اتفق مع الملك المعز مجير الدين يعقوب، وأمال إليه عدة من الأمراء وحسن له القبض عليه، فانخدع له الملك العادل، وقبض على فخر الدين واعتقله بقلعة الجبل، وأخرج عمه الملك المعز من أرض مصر، ومعه أخوه الأجدد تقي الدين عباس، فلما تم للناصر ما أراد خيل العادل من الملك الجواد نائبه على دمشق، بأن الأمراء قد مالت إليه، وقام بأمره الأمير عماد الدين عمر بن شيخ الشيوخ، فبلغ ذلك

(١) ٦٣٦هـ انظر أحداث تلك السنة في النجوم الزاهرة ٢٧٧ - ٢٧٩ / ٦، تاريخ ابن الوردي

العماد، فخاف أن يتفق عليه ما اتفق على أخيه، واجتمع بالملك العادل، والتمزم له بإحضار الملك الجواد إلى طاعته بمصر، فسيره العادل من القاهرة؛ ليحضر الملك الجواد من دمشق؛ فأكرمه الجواد، وأخذ العماد فى التحدث معه فى المسير إلى الملك العادل، فسوّف به وماطله، حتى فطن العماد بامتناعه؛ فأحضر حينئذ الولاة والمشدين والنواب والدواوين بدمشق وأعمالها، وقال لهم: «قد عزل السلطان الملك العادل الجواد عن نيابة دمشق، فلا تدفعوا إليه مالا، ولا تقبلوا له قولا، فعز ذلك على الملك الجواد، ووكل بعماد الدين، وسجنه بقلعة دمشق، وتقرر الأمر بين الملك الجواد وبين المجاهد، صاحب حمص، أن يكونا يدا واخلدة؛ ووافقهما الأمير عماد الدين بن قلعج، نائب الملك الجواد بدمشق، فرأوا أن أمرهم لا يتم إلا قتل العماد بن شيخ الشيوخ فبعثوا إلى نواب الإسماعيلية فى ذلك، ودفعوا إليهم مالا وقربة، فسيروا فدايين قتلاه على باب الجامع، فى سادس عشرى جمادى الأولى، وأشيع أنهما غلطا فى قتله، وإنما كانا يريدان قتل الملك الجواد، فإنه كان كثير الشبه به فبلغ ذلك الملك العادل فشق عليه.

وفى العشرين من شوال: ورد الخبر بوصول عسكر الملك الصالح نجم الدين أيوب، صحبة ولده الملك المغيث جلال الدين عمر، إلى جنين فجمع الملك العادل والملك الناصر الأمراء وتحالفوا على قتال الصالح، وخرج الناصر داود من القاهرة، فى تاسع ذى القعدة؛ لقتال الصالح، وجهاز العادل جماعة من الأمراء، وعدة من العساكر بديار مصر؛ لتأخذ دمشق، وقدم الملك العادل إلى الملك الجواد رسولا بكتاب فيه أنه يعطيه قلعة الشوبك وبلادها، ونغر الإسكندرية، وأعمال البحيرة وقليوب، وعشر قرى من بلاد الجيزة بديار مصر، لينزل عن نيابة السلطنة بدمشق، ويحضر إلى قلعة الجبل، ليعمل برأيه فى أمور الدولة، فلما ورد ذلك أوهمه نائبه عماد الدين قلعج من أنه متى دخل مصر، قبض عليه الملك العادل، وسلبه أولاد عماد الدين بن شيخ الشيوخ بدمه، فامتنع من تسليم دمشق، فبرز الملك العادل من القاهرة يريد دمشق، يوم الثلاثاء سلخ ذى الحجة، ونزل بلبليس، فخاف الجواد، وعلم عجزه عن مقاومة العادل، فبعث كمال الدين عمر بن أحمد بن هبة الله المشهور بابن العديم العقيلى، وابن طلحة خطيب جامع دمشق إلى الملك الصالح نجم الدين أيوب - صاحب حصن كيفا وديار بكر وغيرها من بلاد الشرق - يطلب منه أن يتسلم دمشق، ويعوضه عنها سنجار والرقعة وعانة، فوقع ذلك من الملك الصالح أحسن موقع، وأجابه إليه، وزاده الجديدة، وحلف له على الوفاء، ورتب الملك الصالح ابنه الملك المعظم توران شاه على بلاد الشرق، وألزمه بحصن كيفا، وأقام نوابا بآمد وديار بكر، وسلم حران والرها وجميع البلاد

للخوارزمية الذين في خدمته، وطلب نجدة من الأمير بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل وكان قد صالحه - فبعث إليه بدر الدين نجدة، وسار الملك الصالح من الشرق يريد دمشق، فقطع الجواد اسم الملك العادل من الخطبة، وخطب للملك الصالح نجم الدين أيوب بن الكامل، وضرب السكة باسمه، ودخل الصالح إلى دمشق، في مستهل جمادى الأولى، ومعه الجواد بين يديه بالناشية، وقد ندم الجواد على ما كان منه، وأراد أن يستدرك الفأث فلم يقدر، وخرج من دمشق والناس تلغنه في وجهه، لسوء أثره فيهم، وبعث الصالح إليه برد أموال الناس إليهم، فأبى وسار.

وكان قد وصل مع الصالح أيضا الملك المظفر صاحب حماة، وقد تلقاه الجواد، فكان دخوله يوما مشهودا، فاستقر في قلعة دمشق، وخرج الجواد إلى بلاده، فكانت مدة نيابته دمشق عشرة أشهر وستة عشر يوما، صرف فيها الأموال التي كانت في خزائن الملك الكامل كلها، وكانت تزيد على ستمائة ألف دينار مصرية، سوى القماش وغيره، وسوى ما ظلم فيه الناس من التجار والكتاب، وسوى ما أخذه من صفى الدين ابن مرزوق لما صادره، وكان ينيف على خمسمائة ألف دينار، فلما استقر الملك الصالح بدمشق سار المظفر إلى حماة، وقدمت الخوارزمية، فنازلوا مدينة حمص - وهو معهم - مدة ثم فارقوها بغير طائل، وعادوا إلى بلادهم بالشرق. وقد زوج الملك الصالح أخته من أمه، وأبوها الفارس قليب مملوك أبيه الملك الكامل، لمقدم الخوارزمية الأمير حسام الدين بركة خان، وفي أثناء ذلك تواترت رسل المظفر صاحب حماة إلى الملك الصالح يستحثه على قصد حمص، وكتب الأمر من مصر تستدعيه إلى القاهرة، وتعدّه بالقيام بتصرفه، فبرز الملك الصالح من دمشق إلى البثنية، وكانت الخوارزمية، وصاحب حماة، على حصار حمص، فأرسل المجاهد أسد الدين شيركوه مالا كثيرا فرقه في الخوارزمية، فرحلوا عنه إلى الشرق، ورحل صاحب حماة إلى حماة، وعاد الملك الصالح إلى دمشق طالبا مصر، وخرج منها إلى الخربة وعيّد بها عيد الفطر، وعسكر تحت ثنية العقاب، وقد تحير فلا يدرى أيذهب إلى حمص أم إلى مصر، وما زال بمعسكره إلى أول شهر رمضان فعاد إلى دمشق وتقدم إلى الأمير حسام الدين أبي على بن محمد بن أبي على الهذبانى، أستاذاره بدمشق، أن يرحل بطائفة من العسكر إلى جينين، فرحل، ولم يزل هو تحت عقبة الكرسي، على بحيرة طبرية، إلى آخر رمضان.

فلما وردت الأخبار بحركة الملك الصالح إلى القاهرة، خرج من أمراء مصر سبعة عشر أميراً - منهم الأمير نور الدين على بن فخر الدين عثمان الأستادر، والأمير علاء الدين ابن الشهاب أحمد، والأمير عز الدين أيك الكربدى العادلى، والأمير عز الدين

بليان والأمير حسام الدين لؤلؤ المسعودي، والأمير سيف الدين بشطر الخوارزمي،
والأمير عز الدين قضيف البان العادل، والأمير شمس الدين سنقر الدنيسري - فى عدة
كبيرة من أتباعهم وأجنادهم، وخلق من مقدمى الحلقة والمماليك السلطانية، وساروا
يريدون الملك الصالح بدمشق.

وذلك أن الملك العادل تقدم بتوجه العسكر إلى الساحل، وقدم عليه الركن
الهيجارى وأنفق فيهم، فلما نزلوا ببليس اختلفوا، وخامر جمعة من الأمراء على العادل،
وعزموا على المسير إلى الملك الصالح، فبعث العادل إليهم الأمير فخر الدين بن شيخ
الشيوخ وبهاء الدين مليكيشو، ليطيب خواطرهم، فلم يجيبوا، وخرج من القاهرة عدة
من الحلقة، ومعهم طائفة، ومنعوا من غلق باب النصر، وساروا طائفة بعد طائفة على
حمية، فبطق العادل إلى من بقى معه من الأمراء الأكراد بمحاربة من خامر عليه ببليس،
قبل قدوم هؤلاء عليهم، فاقتتل الأكراد مع الأتراك ببليس، وانكسر الأتراك المخامرون
وأخذ منهم أمير، وانهزم باقيهم وهم فى طلبهم إلى ناحية سُنَيْكْسَة. فلحق بهم من
خرج من الحلقة ومضوا جميعا إلى تل العجول، وعادت الخزانة التى كانت معهم سالمة
إلى القاهرة، ثم بعثوا يطلبون من العادل العفو، فأمنهم وحلف لهم، فلم يرجعوا، وساروا
إلى الملك الصالح، فلما بلغوا غزة أمر الملك الصالح أستاداره بالعود إلى خربة اللصوص،
وخرج هو ببقية عسكره من دمشق، لليلتين بقيتا من شهر رمضان، ونزل الملك الصالح
الخربة، ووصل الأمير نور الدين بن فخر الدين بمن معه، فسر بهم سرورا كثيرا، وأخذوا
فى تقوية عزمه على قصد مصر، فرحل واستولى على نابلس والأغوار. وأعمال القدس
والسواحل، وبعث ابنه الملك المغيث فتح الدين عمر إلى دمشق، وأقطع من قدم عليه من
أمراء مصر نابلس وأعمالها؛ ليتقوا بمغلها، فخرج الناصر داود من مصر، وصار إلى
الكرك، فانزعج الملك العادل وأمه لقدوم الصالح انزعاجا عظيما، وخافاه خوفا كبيرا،
واضطربت مصر اضطرابا زائدا، وخرج فخر القضاة نجم الدين بن بصاقة فى الرسالة إلى
الملك الصالح من الكرك عن الناصر داود بأنه فى نصره الملك الصالح ومعاونته، ويسأله
دمشق وجميع ما كان لأبيه؛ فلم تقع موافقة على ذلك، فسار الناصر إلى الملك العادل،
ونزل بدار الوزراة من القاهرة؛ ليعينه على محاربة أخيه الملك الصالح، فقدم فى ذى
الحجة صاحب محبى الدين بن الجوزى برسالة الخليفة إلى الملك الصالح؛ ليصالح أخاه
الملك العادل فأجل الملك الصالح قدومه إجلالا كثيرا ومع ذلك فإن كتب الأمراء -
وغيرهم - ترد فى كل قليل على الملك الصالح من مصر، تعده بالقيام معه، وأن البلاد
فى يده، لاتفاق الكلمة على سلطنته.

وفيهما مات المنصور ناصر الدين أرتق بن أرسلان التركمانى الأرتقى، صاحب ماردین، قتله ابنه وهو سكران، واستولى بعده على ماردین.

وفيهما وقعت بين جرم وجزام وثلعة بالشرقية حروب قتل فيها كثير منهم، وقتل شيخهم شمش بن نجم فجرد الملك العادل إليهم الأمير بهاء الدين بن ملكيشو؛ ليصلح بينهم، وكان السلطان فى بلييس، قد خرج فى سلخ ذى الحجة من قلعة الجبل، بعساكر مصر.

* * *

سنة سبع وثلاثين وستمائة

أهلت والملك العادل على بلييس بعساكره يريد الشام؛ محاربة أخيه الملك الصالح، فأقام على بلييس، فقصد الأمراء القبض عليه، وعمل بعضهم دعوة، وحضر إليه العادل، ففطن بما هم عليه، فقام ودخل الخريشته لقضاء الحاجة، وخرج من ظهر الخريشته، وركب فرسا وساق إلى القلعة فبعث إليه الأمراء يطلبونه، فأظهر أنه ما دخل القاهرة إلا لكسرة الخليج، وأنه سيعود إليهم ثم ألبأته الضرورة حتى خرج إلى العباسة فى رابع عشرى المحرم، وقبض على جماعة من الأمراء.

وفى نصف صفر: توجه الناصر داود من العباسة إلى الكرك، وصحبته الأمير سيف الدين على بن قلعج، وجماعة من أمراء مصر، فبلغ العادل عن فخر الدين يوسف بن شيخ الشيوخ أنه يكاتب الصالح، فقبض عليه واعتقله، هذا ومحيى الدين أبو المظفر يوسف بن الشيخ جمال الدين أبى الفرج عبد الرحمن بن الجوزى أخذ فى الإصلاح بين الملوك، على أن تكون دمشق للصالح نجم الدين أيوب، ومصر للعادل، وأن يرد إلى الناصر داود ما أخذ من بلاده، وكان محيى الدين بن الجوزى مقيما عند الصالح، وابنه شرف الدين يتردد من نابلس إلى مصر فى السفارة، حتى تقارب الأمر. ثم قدم محيى الدين إلى مصر، ومعه جمال الدين محيى بن مطروح، ناظر ديوان الجيوش للملك الصالح، فأديا الرسالة، وأقاما عند الملك العادل، وكان قد أخذ الصالح يكاتب عمه الملك الصالح عماد الدين إسماعيل فى الوصول إليه بنابلس، وبعث إليه الطيب سعد الدين الدمشقى، ومعه حمام ليسرح إليه بالبطائق على جناحها ما يتحدد فاتفق أمر عجيب: وهو أنه لما وصل سعد الدين إلى قلعة بعلبك أنزل الصالح عماد الدين إسماعيل بدار، وبديل عرض الحمام الذى فى قفص سعد الدين بحمام آخر، من حمام القلعة بعلبك، وأخذ الصالح عماد الدين فى التدبير على أخذ دمشق، وانتزاعها من يد ابن أخيه الملك الصالح نجم الدين أيوب؛ وأرسل جواسيسه سرا إلى ابن أخيه الملك العادل، بما عزم عليه من أخذ دمشق، وأنه متم إليه وفى طاعته، وإذا ملك دمشق خطب له على منابرها، وضرب السكة باسمه، وكتب الصالح عماد الدين إسماعيل أيضا إلى المجاهد - صاحب حمص - فى معاونته، وهو يواصل كتبه مع ذلك إلى الملك الصالح نجم الدين، يعده بالوصول إلى نصرته، وشرع الصالح عماد الدين فى جمع الرجال، ففطن بذلك الطيب سعد الدين، وكتب البطائق على أجنحة الحمام بهذا الأمر إلى الملك

الصالح نجم الدين، فكان كلما سرح سعد الدين منها طائرا وقع فى برج به بقلعة بعلبك، فأتى به البراج إلى الملك الصالح عماد الدين، ثم إن الصالح عماد الدين زور بطاقة عن الطبيب سعد الدين، فيها «إن المولى الملك الصالح عماد الدين فى الاهتمام للمسير إلى المعسكر المنصور، وإنه باق على الطاعة» وسرح هذه البطاقة الزورة على جناح طائرة من الطيور التى وصلت مع الطبيب سعد الدين، فلما وقف عليها الملك الصالح نجم الدين، ظن أنها من عند رسوله، فطاب قلبه، ووالى الصالح عماد الدين إرسال البطائق الزورة، وكلما سرح الطبيب طائرا ببطاقة وقع فى قلعة بعلبك، فيصل إلى الصالح عماد الدين.

واتفق مع ذلك أمر آخر من عجيب ما يجرى: وهو أن المظفر صاحب حماة كان منتميا إلى الصالح نجم الدين، ومهتما بنصرته، ويخطب له فى بلاده، وكان الخليون والمجاهد صاحب حمص معاندين له، ومساعدين عليه فعلم المظفر صاحب حماة ما عليه خاله الصالح عماد الدين - صاحب بعلبك - من قصد دمشق، وموافقة المجاهد صاحب حمص له، وكانت عساكر دمشق مع الصالح نجم الدين أيوب على نابلس، وهم خمسة آلاف، وليس بدمشق من يحفظها؛ فخاف الملك المظفر صاحب حماة على دمشق، وباطن الأمير سيف الدين على بن أبى على الهذبانى على أنه يظهر الحرد عليه وفارقه، ويوهم أكابر البلد بأن المظفر قد عزم على تسليم حماة إلى الفرنج؛ لما حصل عنده من الغين من المجاورين له، وأخذ بلاده منه، وقصد المظفر بهذه الخيلة مكيدة صاحب حمص، وأن الأمير سيف الدين إذا ذهب بالعسكر وأكابر الرعية إلى دمشق أقاموا بها وحفظوها، حتى يتوجه الملك الصالح إلى مصر، أو يعود إلى دمشق، فأظهر سيف الدين الغضب على المظفر، وأخذ قطعة من العسكر، ومن أكابر حماة، وخرج فسار حتى نزل على حمص، عند بحيرة قدس فلم يخف على المجاهد صاحب حمص ما دبره المظفر من مكيدته، وخرج من حمص، وبعث إلى الأمير سيف الدين يريد الاجتماع به، فأتاه سيف الدين منفردا؛ وأعلمه بأنه كره مجاورة المظفر، لما هو عليه من الميل للفرنج، والعزم على تسليمهم حماة، فأظهر له الملك المجاهد البشر ولاطفه، واستدعاه إلى ضيافته بداخل حمص، فلما صار به إلى القلعة، استدعى أصحابه لينزلوا فى البلد، فدخل بعضهم وامتنع بعضهم من الدخول إلى حمص، فلما تمكن المجاهد من الأمير سيف الدين قبض عليه، واعتقله هو ومن دخل من أصحابه، وفر الباقون، فعاقب المجاهد من صار فى قبضته أشد العقوبة، واستصفى أموالهم، ومازال بسيف الدين حتى هلك فضعف المظفر لتلف رجال عسكره.

وسار الصالح عماد الدين - ومعه المجاهد - إلى دمشق فى جمع كبير، وأخذها وأظهرها طاعة الملك العادل صاحب مصر، وكان ذلك فى سابع عشرى صفر، ثم ملكا قلعة دمشق، واعتقلا المغيث بن الصالح نجم الدين، فبلغ ذلك الصالح وهو بنابلس، فكتم الخير، وقدم الأمير حسام الدين محمد بن أبى على الهذبانى أستاذاره فى جماعة، وسار يعده يريد دمشق، فلما وصل ابن أبى على إلى الكسوة علم بأخذ دمشق من يدهم، فرجع إلى الصالح - وقد نزل بيسان - فأعلمه الخير، وسار معه حتى وصل القصر المعينى من النور فاشتهر عند العسكر أخذ دمشق، فورود مكاتبات الصالح عماد الدين إليهم؛ باستمالتهم إليه، ففسدت نياتهم، وطمعوا فى الملك الصالح نجم الدين؛ لتلاشى أمره، وفارقوه، فبقى الصالح نجم الدين فى دون المائة من أمرائه وأجناده، وتركه من كان معه من أهل بيته وأقاربه، وتركه أيضا بدر الدين قاضى سنجار - وكان أخص أصحابه، وصاروا كلهم إلى دمشق، وقد أيسوا من أن يقوم بعدها للصالح (نجم الدين) قائمة، وثبت معه الأمير حسام الدين بن أبى على أستاذراه، وزين الدين أمير جانداره، وشهاب الدين بن سعد الدين كوجبا - وكان أبوه سعد الدين ابن عمه الملك الكامل - والأمير شهاب الدين البواشقى، ونحو الثمانين من مماليكه، وثبت معه أيضا كاتبه بهاء الدين زهير، وهرب الطواشى شهاب الدين فاخر، وأخذ معه شيئا كثيرا من قماش الصالح، وعدة من مماليكه الصغار وغلمانه، وصار مع من لحق بدمشق، فقت فى عضد الصالح مفارقة العسكر له، وأيقن بزوال أمره ورحل فى الليل، فلقبه طائفة من العربان يريدون أخذه، فحاربهم بمن معه، حتى خلص منهم إلى نابلس، فنزل بظاهرها، ولما وصل العسكر المخامر على الصالح نجم الدين إلى دمشق، قبض الملك الصالح عماد الدين على أخويه الملك المعز مجير الدين يعقوب والملك الأجد تقى الدين عباس، واعتقل الأمراء المصريين أيضا: وهم عز الدين أيبك الكردي، وعز الدين قضيبي البان، وسنقر الدينسرى، وبلبان المجاهدى، وتوجه نور الدين بن عثمان إلى بغداد، واتفق تغيير الملك العادل على الناصر داود، فقارقه من بلييس - وصحبته الأمير سيف الدين على بن قلعج - وسار إلى الكرك، وكاتب الصالح نجم الدين ووعد النصره، وكان ذلك خدعة منه ثم سار الناصر إلى نابلس بعساكره، وقبض على الملك الصالح نجم الدين، ويقال بل بعث إليه من أخذه بعد ما صار وحده، وأركبه على بلغة فى إهانة، بغير مهماز ولا مفرعة، فى ليلة السبت ثانى عشر ربيع الأول، وبعث الناصر به إلى الكرك، ولم يترك معه غير ملوك واحد، يقال له ركن الدين بيسرس، وبعث معه جاريتيه شجر الدر^(١) أم ولده

(١) شجرة الدر (.. - ٦٥٥ هـ = ١٢٥٧م). شجرة الدر الصالحية، أم خليل، الملقبة بعصمة الدين ملكة مصر: أهلها من حواري الملك الصالح نجم الدين أيوب: اشتراها فى أيام أبيه وحظيت =

خليل، وأنزله بالقلعة، وقام له بجميع ما يحتاج إليه بحيث لم يختل من حاله سوى أنه فقد الملك فقط، وأقام بهاء الدين زهير عند الناصر داود، هو وجماعة المماليك، بعد ما خيرهم فاختاروا الإقامة عنده وطلب الأمير حسام الدين بن أبي علي، وزين الدين أمير جاندار من الناصر المسير إلى دمشق فسيرهما، وعندما قدما دمشق اعتقلهما الصالح عماد الدين.

وفي سابع عشر ربيع الأول: عاد الملك العادل إلى القاهرة، بعد ما بعث الركن [.....].^(١)

الهبجاي على جماعة؛ لحفظ الساحل، فلما بلغ الملك العادل ما جرى على أخيه - من أخذه ذليلاً، ونهب أحر، وسجنه بالكرك - سره ذلك سروراً كثيراً، وظن أنه قد أمن، ونودي بزينة القاهرة ومصر فزينتا، وعمل سماطاً عظيماً فى الميدان الأسود تحت قلعة الجبل، وعمل قصوراً من حلوى، وأحواضاً من سكر وليمون، وألفاً وخمسمائة رأس شواء، ومثلها طعاماً؛ فكان ما عمل من السكر ألف وخمسمائة أبلوجة، ونادى الملك العادل فى العامة بالحضور إلى السماط، فحضر الجليل والحقير، وبلغ ذلك الصالح نجم الدين، وهو معتقل بالكرك.

ولم يقنع الملك العادل بسجن أخيه، حتى أنه بعث الأمير علاء الدين بن النابلس إلى الناصر داود، يطلب منه أن يبعث إليه بأخيه الصالح فى قفص حديد تحت الاحتفاظ، ويبدل له فى مقابلة إرساله أربعمئة ألف دينار ودمشق؛ وحلف على ذلك أيماناً عظيمة، فلما وصل الكاتب إلى الناصر أوقف عليه الملك الصالح، وأدخل إليه بالقاصد الذى أحضره، ثم كتب الناصر إلى الملك العادل: «وصل كتاب السلطان، وهو يطلب أخاه إلى عنده فى قفص حديد، وأنتك تعطينى أربعمئة ألف دينار مصرية، وتأخذ دمشق ممن هى بيده، وتعطينى إياها، فأما الذهب فهو عندك كثير، وأما دمشق فإذا أخذتها ممن هى معه، وسلمتها إلى، سلمت أخاك إليك، وهذا جوابى والسلام». فلما ورد هذا الجواب على الملك العادل أمر بتجهيز العساكر؛ ليخرج إلى الشام، وخرج محبى الدين بن الجرزى من القاهرة، ومعه جمال الدين بن مطروح رسول الصالح نجم

=عنده، وولدت له ابنة خليلاً فأعتقها وتزوجها، فكانت معه فى البلاد الشامية، لما كان مستولياً على الشام مدة طويلة ثم لما انتقل إلى مصر وتولى السلطنة كانت فى بعض الأحيان تدير أمور الدولة عند غيابه فى الغزوات. انظر دول الإسلام ١٢٢ / ٢ وابن إياس ١ / ٨٩، ٩٢، ٩٣ وخطط مبارك ٥ / ٣٢ وتراجم إسلامية ٦١ ومرآة الزمان ٨ / ٧٧٤، ٧٧٥، ٧٨٢، و ٧٨٣ وشذرات الذهب ٥ / ٢٦٨. والأعلام ٣ / ١٥٨

(١) ما بين العقوفتين سقط فى الأصل.

الدين، وكان قد استجار به بعدما قبض على الصالح نجم الدين وسجن بالكرك، وكتب الناصر داود إلى ابن عمه الملك الصالح نجم الدين أيوب، وهو محبوس عنده بالكرك:

وإذا مسك الزمان بضرر عظمت عنده الخطوب وجلت
وتوالست منه نوائب أخرى سئمت عندها النفوس وملت
فاصطبر وانتظر بلوغ الأمانى فالرزايا إذا توالست تولت

وهذه الأبيات لغيره، فكتب إليه الصالح نجم الدين أيوب يشكره، وكتب فيما كتب أبيات شمس المعالى قابوس وشمكير:

قل للذى بصروف الدهر عيرنا هل حارب الدهر إلا من له خطر
أما ترى البحر تطفو فوقه جيف ويستقر بأقصى قعره الدرر
وإن تكن عبثت أيدي الزمان بنا وما لنا من تمادى يؤسه ضرر
ففى السماء نجوم لا عداد لها وليس يكسف إلا الشمس والقمر

وازداد فيها الرشيد النابلسي:

وكم على الأرض من خضراء مورقة وليس يرجم إلا ما له ثمر
وفى أثناء هذا الاختلاف بين الملوك عمر الفرنج فى القدس قلعة، وجعلوا برج داود أحد أبراجها، وكان قد تُرك لما خرب الملك المعظم أسوار القدس، فلما بلغ الناصر داود عمارة هذه القلعة سار إلى القدس، ورمى عليها بالمجانيق حتى أخذها، بعد أحد وعشرين يوما - فى يوم تاسع جمادى الأولى - عنوة بمن معه من عسكر مصر، وتأخر أخذ برج داود إلى خامس عشره فأخذ من الفرنج صلحا على أنفسهم دون أموالهم، وعمر الناصر برج داود، واستولى على القدس، وأخرج منه الفرنج. فساروا إلى بلادهم، واتفق يوم فتح القدس وصول محيى الدين بن الجوزى إلى الملك الناصر داود، ومعه جمال الدين بن مطروح، فقال جمال الدين بن مطروح يمدح الملك الناصر داود، ويذكر مضاهاته لعمه الناصر صلاح الدين يوسف^(١) فى فتح القدس، مع اشتراكهما

(١) الملك الناصر (٦٢٧ - ٦٥٩ هـ = ١٢٣٠ - ١٢٦١ م). يوسف الناصر، بن محمد العزيز، ابن الظاهر غازى بن الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب: آخر ملوك بنى أيوب ولد بقلعة، ولى الملك بعد وفاة والده (سنة ٦٣٤ هـ) وعمر نحو سبع سنين، فقام وزراء أبيه بتدبير مملكته لايحسون أمرا قبل الرجوع إلى جدته الصاحبة ضيفة خاتون أخت الملك الكامل، إلى أن توفيت (سنة ٦٤٠ هـ) فجلس يوسف فى دار العدل، وأمر ونهى، وعمره ١٣ سنة. وأضاف إلى دولة حلب بلاد الجزيرة وحران والرها والرقه ورأس عين وحمص، ثم دمشق (سنة ٦٤٨ هـ)، وأطاعه صاحب الموصل وماردين. انظر أعلام النبلاء ٢/ ٣٠٧ والنجوم الزاهرة ٧/ ٢٠٣ ومرآة الجنان ٤/ ١٥١ والقلائد الجوهريه ٨٨ وشذرات الذهب ٥/ ٢٩٩ وذيل مرآة الزمان ١/ ٤٦ و ٢/ ١٣٤. والأعلام ٨/ ٢٥٠.

فى اللقب والفعل، وهو معنى لطيف مليح:

المسجد الأقصى له عادة سارت فصارت مثلاً سائراً
إذا غدا بالكفر مستوطننا أن يبعث الله له ناصراً
فناصر طهره أولاً وناصر طهره آخراً

وفى يوم الأحد رابع عشر ربيع الأول: وقع بين الفرنج وبين العسكر المصرى المقيم بالساحل حرب، انكسر فيها الفرنج، وأخذ من الفرنج ملوكهم وأكنادهم، وثمانون فارساً، ومائتان وخمسون راجلاً - وصلوا إلى القاهرة، وقتل منهم ألف وثمانمائة، ولم يقتل من المسلمين غير عشر، ثم سار ابن الجوزى إلى دمشق، وحاول إصلاح الحال بين الصالح عماد الدين وبين الناصر داود وبين الملك العادل، فلم يتأت له ذلك، فعاد إلى القاهرة فى رمضان، وقد وصل الملك ابن سنقر بخلعة الملك العادل وابنه، وأمه وامرأته وكاتبه، ونزل ابن مطروح عند المظفر بحماة، فبعثه فى الرسالة إلى الخوارزمية بالشرق، يستحثهم على القيام بنصرة الملك الصالح نجم الدين، واستصحب معه أيضاً رسالة الناصر داود، ومنه: «إنى لم أترك الملك الصالح بالكرك إلا صيانة لمهجته، خوفاً عليه من أخيه الملك العادل، ومن عمه الملك الصالح عماد الدين، وسأخرجه وأملكه البلاد، فتحركوا على بلاد حلب، وبلاد حمص». فسار إليهم ابن مطروح وقضى الأمر معهم، وعاد إلى حماة، فاتفق موت الملك المجاهد أسد الدين شيركوه بن ناصر الدين محمد بن شيركوه - صاحب حمص - يوم التاسع عشر من شهر رجب، فكانت مدة ملكه بجمص نحواً من ست وخمسين سنة، وقام من بعده ابنه الملك المنصور ناصر الدين إبراهيم، واتفق مع الصالح عماد الدين على المعاوضة، فصار الناصر داود مواحشاً للملك العادل، بسبب أنه لم يوافق على أخذ دمشق، والملك العادل مواحشاً؛ لأنه لم يسلمه الملك الصالح نجم الدين، والناصر أيضاً مواحشاً للصالح عماد الدين، ويهدده بأنه يطلق الملك الصالح نجم الدين، ويقوم معه فى أخذ البلاد، والمظفر صاحب حماة لا يخطب للعادل من حين قطع الخطبة للصالح نجم الدين؛ لميله إلى الصالح نجم الدين.

فلما دخل شهر رمضان: سير المظفر القاضى شهاب الدين إبراهيم بن عبد الله بن عبد المنعم بن أبى الدم - قاضى حماة - رسولا إلى الملك العادل بمصر، وحمله فى الباطن رسالة إلى الناصر داود بالكرك، أن يطلق الصالح نجم الدين، ويساعده على أخذ البلاد، فبلغ القاضى شهاب الدين الملك الناصر ذلك، وتوجه إلى مصر، فأفرج الناصر داود عن الملك الصالح نجم الدين، فى سابع عشر من رمضان، واستدعاه إليه وهو بنابلس، فلما

قدم عليه التقاه وأجله، وضرب له دهليز السلطنة، واجتمع عليه مماليكه وأصحابه الذين كانوا عند الناصر: منهم الأمير شهاب الدين بن كعب كوجبا، وشهاب الدين الغرس، وكتابه بهاء الدين زهير، وتقدم الناصر للخطيب بنابلس فى يوم عيد الفطر، فدعا الملك الصالح، وأشاع ذكره، وسار الناصر داود والصالح نجم الدين إلى القدس وتحالفا على أن تكون ديار مصر للملك الصالح، والشام والشرق للناصر، وأن يعطيه مائتى ألف دينار، فكانت مدة اعتقال الملك الصالح سبعة أشهر و أياما، ثم سارا إلى غزة، فورد الخير بذلك على الملك العادل بمصر، فانزعج وأمر بخروج الدهليز السلطاني والعساكر، وبرز إلى بلييس فى نصف ذى العقدة، وكتب إلى الصالح عماد الدين أن يخرج بعساكر دمشق، فخرج الصالح عماد الدين بعساكره إلى الغوار، فخاف الملك الصالح والملك الناصر من التقاء عساكر مصر والشام عليهما، ورجعا من غزة إلى نابلس؛ ليتحصنا بالكرك، وكان الملك العادل قد شره فى اللعب، وأكثر من تقديم الصبيان والمساخر وأهل اللهو، حتى حسبت نفقاته فى هذا الوجه خاصة، فكانت ستة آلاف ألف وعشرين ألف درهم، وأعطى العادل عبدا أسودا، عمله طشت داره، يعرف بابن كرسون منشورا بخمسين فارسا، فلما خرج به من باب القلة بقلعة الجبل وجدته الأمير ركن الدين الهيجارى، أحد الأمراء الأكابر، فأراه المنشور، فحنق ومكة فى وجهه، وأخذ منه المنشور، وصار بين الأمراء وبين الملك العادل وحشة شديدة، ونفرة عظيمة، واتفق ما تقدم ذكره إلى أن نزل العادل ببلييس، فقام الأمير عز الدين أيك الأسمر - مقدم الأشرقية - وباطن عدة من الأمراء والمماليك الأشرقية على خلع العادل والقبض عليه، ووافقهم على هذا جوهر التوبى وشمس الخواص - وهما من الخدام الكاملية، وجماعة آخر من الكاملية، وهم مسرور الكاملى، وكافور الفائزى، وركبوا ليلا وأحاطوا بدელიز الملك العادل، ورموه وقبضوا عليه، ووكلوا به من يحفظه فى خيمة، فلم يتحرك أحد لنصرتة، إلا أن الأكراد هموا بالقيام له، فمال عليهم الأتراك والخدام ونهبوهم، فانهزم الأكراد إلى القاهرة، ويقال إنه بلغ أيك الأسمر أن الملك العادل سكر مع شبابه وخواصه، وقال لهم: «عن قليل تشربون من دم أيك الأسمر وهؤلاء العبيد السوء فلان وفلان» وسماهم فاجتمعوا على خلعه، لاسيما لما طلب ابن كرسون منه أن يسلمه الأمير شجاع الدين بن بزغش - وإلى قوص - فأمكنه منه وعاقبه أشد عقوبة وتنوع فى عذابه، ولم يقبل فيه شفاعة أحد من الأمراء، وكان الملك العادل قد قربته تقريبا زائدا، حتى كان يقضى عنده الحوائج الجليلة، فأنفقت الأنفس من ذلك، وخلع العادل فى يوم الجمعة تاسع شوال، فكانت مدة ملكه سنتين وشهرين وثمانية عشر يوما،

أولها يوم الخميس، وآخرها يوم الخميس تاسع شوال سنة سبع وثلاثين وستمائة، أسرف فيها إسرافا أفرط فيه، بحيث أن أباه الملك الكامل ترك ما ينيف على ستة آلاف ألف دينار مصرية، وعشرين ألف ألف درهم فرقها كلها، وكان العادل يحمل المال إلى الأمراء وغيرهم على أقفاص الحمالين، ولم يبق أحد في دولته إلا وشمله إنعامه، فكانت أيامه بمصر كلها أفراح ومسرات للين جانبه، وكثرة إحسانه، قال الأديب أبو الحسين الخزار في الملك العادل أبي بكر بن الملك الكامل محمد بن الملك العادل أبي بكر بن أيوب:

هو الليث يخشى بأسه كل مجتر هو الغيث يرجو جوده كل مجتدى
لقد شاد ملكا أسسه جدوده فأصبح ذا ملك أثيل مشيد
وصح به الإسلام حتى لقد غدت بسلطانه أهل الحقائق تقتدى
فقل للذي قد شك في الحق إننا أطعنا أبا بكر بأمر محمد

يشير بذلك إلى أخيه الملك الصالح نجم الدين أيوب، فإن أباهما الكامل محمد أقام العادل هذا بمصر، وبعث الصالح أيوب إلى الشرق، وقال البرهان بن الفقيه نصر، لما استقر العادل في السلطنة بعد أبيه:

قل للذي خاف من مصر وقد أمنت ماذا يؤمله منها وخيفته
إن كان قد مات عن مصر عمدها فقد أقام أبا بكر خليفته

* * *

السلطان الملك الصالح

أبو الفتوح نجم الدين أيوب بن الملك الكامل محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب، لما قبض على أخيه الملك العادل، كان الأمير عز الدين أيوب الأسمري يميل إلى الملك الصالح عماد الدين إسماعيل - صاحب دمشق - وكانت الخدام والماليك الكاملية تميل إلى الملك الصالح نجم الدين - وهم الأكثر - فلم يطق عز الدين مخالفتهم، فاتفقوا كلهم، وكتبوا إلى الملك الصالح نجم الدين يستدعونه فأتته كتبهم، وقد بلغ هو والناصر داود الغاية من الخوف وزلزلا زلزالا شديدا، لضعفهما عن مقاومة عساكر مصر والشام، فأتاهما من الفرج ما لم يسمع بمثله، وقاما لوقتتهما، وسارا إلى مصر، فلما دخلا الرمل لم ينزلا منزلة إلا وقدم عليهما من أمراء مصر طائفة، حتى نزلا بلبيس، يوم الإثنين تاسع [....] (١)

بعدهما خطب له بالقاهرة ومصر يوم الجمعة خامس عشره، ومنذ فارقا غزة تغير الناصر

داود على الملك الصالح نجم الدين أيوب، وتحدث فى قتله، فلما نزلا بلبيس، سكر الملك الناصر، ومضى إلى العادل، وقال له: «كيف رأيت ما أشرت به عليك، ولم تقبل منى؟» فقال له العادل: «ياخوندا التوبة». فقال الناصر: «طيب قلبك، الساعة أطلقك» ثم جاء الناصر، ودخل على الملك الصالح، ووقف فقال له الصالح: «بسم الله اجلس». قال: «ما أجلس حتى تطلق العادل» فقال له: «أعد»، وهو يكرر الحديث، فما زال به حتى نام، فقام من فوره الملك الصالح، وسار فى الليل ومعه العادل فى محفة، ودخل به إلى القاهرة، واستولى على قلعة الجبل، يوم الجمعة ثالث عشرى شوال، بغير تعب، وجلس الملك الصالح نجم الدين أيوب على سرير الملك، واعتقل العادل ببعض دوره، واستحلف الأمراء، وزينت القاهرة ومصر وظواهرهما، وقلعة الجبل زينة عظيمة، وسر الناس به سرورا كثيرا، لنجاته وشهامته، ونزل الناصر داود بدار الوزارة من القاهرة، ولم يركب الملك الصالح يوم عيد النحر؛ لما بلغه من خلف العسكر.

وفى ذى الحجة: أحضر الملك الصالح إليه الملك العادل، وسأله عن أشياء، ثم كشف بيت المال والخزانة السلطانية، فلم يجد سوى دينار واحد وألف درهم. وقيل له عما أتلفه أخوه، فطلب القضاة والأمراء الذيم قاموا فى القبض على أخيه، وقال لهم: «لأى شىء قبضتم على سلطانكم؟» فقالوا: «لأنه كان سفيها» فقال: «ياقضاة السفهه يجوز تصرفه فى بيت مال المسلمين؟» قالوا: «لا» قال: «أقسم بالله متى لم تحضروا ما أخذتم من المال، كانت أرواحكم عوضه». فخرجوا وأحضروا إليه سبعمائة ألف وخمسة وثمانين ألف دينار، وألفى ألف وثلاثمائة ألف درهم، ثم أمهلهم قليلا، وقبض عليهم واحد بعد واحد، واستدعى الملك الصالح بالقاضى شهاب الدين إبراهيم بن عبد الله بن عبد النعم بن على بن محمد، المعروف بابن أبى الدم - وكان بمصر منذ قام من عند المظفر صاحب حماة، وبعث به مكرما إلى حماة وخلع على ابن الجوزى رسول الخليفة، وكتب معه إلى الديوان العزيز يشكو منه، وكانت الخلع الخليفية قد وصلت إلى القاهرة، فلبسها الملك الصالح، ونصب منبرا صعد عليه ابن الجوزى، وقرأ تقليد الملك الصالح، والملك الصالح قائم بين يدى المنبر على قدميه، حتى فرغ من قراءته، وشيع الملك الصالح أيضا صاحب كمال الدين بن العديم رسول حلب، وتخوف السلطان من الناصر داود؛ لكثرة ما بلغه عنه من اجتماعه بالأمراء سرا، ولأنه سأله أن يعطيه قلعة الشوبك، فامتنع السلطان من ذلك، واستوحش الناصر فطلب الإذن بالرحيل إلى الكرك، فخرج من القاهرة وهو متغيظ، وقد بلغه أن الصالح إسماعيل خرج من دمشق، ووافق الفرنج على أن يسلمهم الساحل، ووصل الفرنج إلى نابلس، وتأول

السلطان أنه ما حلف للناصر بالقدس إلا مكرها، لأنه كان إذ ذاك تحت حكمه وفى طاعته، فلما وصل الناصر إلى الكرك طلب من السلطان ما التزم له به من المال، فحملة إليه، وماطله بتجريد العساكر معه لفتح دمشق، مستندا لما تأوله، وفى أثناء ذلك تحدث الأشرفية بالوثوب على السلطان، فخافهم وامتنع من الركوب فى الموكب مدة، واستوزر السلطان صاحب معين الدين الحسن بن الشيخ، وسلم إليه أمور المملكة كلها، وهو بركة الحاج، فى يوم الخميس حادى عشر ذى القعدة قبل الظهر، فشرع صاحب معين الدين فى تدبير المملكة، والنظر فى مصالح البلاد.

وولدت شجر الدر من الملك الصالح ولدا سماه خليلا، ولقبه بالملك المنصور، وعندما نزل الملك الصالح العباسة، فى يوم الحج سابع عشر ذى القعدة، قبض على الركن الهيجارى العادلى فى يوم الإثنين ثامن عشره، وبعثه إلى القاهرة.

وفىها زار الشيخ عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبى القاسم خطابة دمشق، فى يوم الأربعاء ثالث ربيع الآخر، ولاه الصالح عماد الدين إسماعيل بن العادل، وخطب لصاحب الروم.

وفىها قتل عثمان بن عبد الحق بن محيو بن أبى بكر بن حمامة، أمير بنى مرين، وأول من عظم أمره منهم، وغلب على ريف المغرب، ووضع على أهله المغارم، فبايعه أكثر القبائل، وامتدت يده إلى أمصار المغرب، مثل فاس وتازا ومكناسة، وفرض عليها ضرائب تحمل إليه، وقام بعد عثمان أخوه محمد بن عبد الحق.

وفىها قدم الشريف شيحة بن قاسم أمير المدينة إلى مكة، فى ألف فارس من عسكر مصر، فبعث ابن رسول ملك اليمن بالشريف راجح وعسكر، ففر شيحة من مكة، وملكها عسكر اليمن.

سنة ثمان وثلاثين وستمائة^(١)

فيها شرع السلطان الملك الصالح أيوب فى النظر فى مصالح دولته، وتمهيد قواعد مملكته، ونظر فى عمارة أرض مصر، وبعث زين الدين بن أبى زكرى على عسكر إلى الصعيد؛ لقتال العرب، وتتبع من قام فى قبض أخيه الملك العادل، فقبض عليهم، واستصفى أموالهم وقتل عدة منهم، وفر عدة من الأشرفية، وقبض على الأمير عز الدين أيك الأسمر الأشرفى بالإسكندرية، ونودى بالقاهرة وظواهرها: من أخفى أحدا من الأشرفية نهب ماله. وأغلقت أبواب القاهرة كلها ثلاثة أيام، ما خلا باب زويلة. حرصا على أخذ الأشرفية، فأخذوا وأودعوا السجن، وقبض على جوهر النوبى، وشمس الخواص مسرور بدمياط - وكان من الخدام الكاملية، وممن أعلن على خلع العادل، وقبض على شبل الدولة كافور الفائزى بالشرقية، وسجن بقلعة الجبل، وقبض على جماعة من الأتراك، ومن أجناد الحلقة، وعلى عدة من الأمراء الكاملية. وصار السلطان الملك الصالح أيوب كلما قبض على أمير أعطى خيره لملوك من ممالكة وقدمه، فبقى معظم أمراء الدولة ممالكة؛ لثقتهم بهم، واعتماده عليهم، فتمكن أمره وقوى جأشه.

وفى سلخ ربيع الآخر وهو يوم السبت: ولد للملك الصالح نجم الدين أيوب من حظيته ولد ذكر وأحب الصالح أن يبقى له ذكرا، فأمر ببناء قلعة الجزيرة - المعروفة بالروضة - قبالة مصر الفسطاط، وشرع فى حفر أساسها يوم الأربعاء خامس شعبان، وابتدئ بنائها فى آخر الساعة الثالثة من يوم الجمعة سادس عشره.

وفى عاشر ذى القعدة: وقع الهدم فى الدور والقصور والمساجد التى كانت بجزيرة الروضة، وتحول الناس من مساكنهم التى كانت بها، وبنى الملك الصالح فيها الدور السلطانية، وشيد أسورها، وأنفق فيها أموالا تتجاوز الوصف، فلما تكامل بناؤها تحول السلطان من قلعة الجبل إليها، وسكنها بأهله وحرمه وممالكة، وكان مغرى بالعمائر.

وفى عاشر ذى القعدة: قصد المسير إلى اليمن فى رمضان؛ خوفا من الممالكة الأشرفية وأتباعهم، وذلك أنهم كانوا قد عزموا على الخروج من القاهرة، ونهب العسكر بركة الجب فبطل سفرهم، وبعث السلطان منهم ثلاثمائة مملوك إلى مكة؛

(١) ٦٣٨هـ. انظر أحداث تلك السنة فى النجوم الزاهرة ٣٠٠، ٦/٣٠١، تاريخ ابن الوردى

لأخذها من أهل اليمن وعليهم الأمير مجد الدين أحمد بن التركمانى و الأمير مبارز الدين على بن الحسين بن برطاس، وذلك أن الخير ورد بأن ملك اليمن بعث جيشا لأخذ مكة، فساروا آخر شهر رمضان، ودخلوا مكة فى أثناء ذى القعدة، ففر من كان بها من أهل اليمن.

وفىها عاد القاضى بدر الدين قاضى سنجار من بلاد الروم، وكان قد توجه إليها برسالة الملك الصالح عماد الدين صاحب دمشق، فبلغه أن الملك الصالح نجم الدين ملك مصر، فخرج من بلاد الروم، وقد عزم ألا يدخل دمشق، فمضى إلى مصيف من بلاد الإسماعيلية، وأخذ يتحيل فى الوصول إلى مصر، فبلغ ذلك الصالح إسماعيل، فأرسل إليه ليحضر، فامتنع من الحضور واستجار بالإسماعيلية، فأجاروه ومنعوا الصالح إسماعيل منه، وأوصلوه إلى حماة فأكرمه المظفر، وأنزله عنده، وكان قد نزل عنده أيضا جمال الدين بن مطروح، فصارت حماة ملجأ لكل من انتمى للسلطان الصالح نجم الدين، ومنها يرد إليه بمصر كل ما يتجدد بالشام والشرق.

وفىها أيس الناصر داود من إعطاء الملك الصالح نجم الدين له دمشق، فانحرف عنه، ومال إلى الصالح إسماعيل والمنصور صاحب حمص، واتفقوا جميعا على الصالح نجم الدين.

وفىها أغار الخوارزمية على بلاد قلعة جعير وبالس^(١) ونهبوها، وقتلوا كثيرا من الناس، ففر من بقى إلى حلب ومنبج، واستولى بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل على سنجار، وأخرج منها الملك الجواد يونس بن مودود بن العادل بن نجم الدين أيوب، فسار الجواد إلى الشام، حتى صار فى يد الناصر داود، فقبض عليه بغزة يوم الأحد ثامن عشر ذى الحجة، وبعث به إلى الكرك، وانضمت الخوارزمية على صاحب الموصل، فصاروا نحو الاثنى عشر ألفا، وقصدوا حلب، فخرج إليهم من حلب، فانكسر وقتل أكثره، وغنم الخوارزمية ما معهم، فامتنع الناس بمدينة حلب، وانتهت أعمال حلب، وفعل فيها كل قبيح من السبى والقتل والتخريب، ووضعوا السيف فى أهل منبج، وقتلوا فيها ما لا يحصى عدده من الناس، وخربوا وارتكبوا الفواحش بالنساء فى الجامع علانية، وقتلوا الأطفال وعادوا وقد خرب ما حول حلب، وكان الخوارزمية يظهرون للناس أنهم يفعلون ما يفعلون خدمة لصاحب مصر، فإن أهل حلب وحمص ودمشق كانوا حزبا على الصالح صاحب مصر. فسار المنصور إبراهيم ابن الملك المجاهد صاحب حمص، بعساكره وعساكر حلب ودمشق، وقطع الفرات إلى سروج والرها، وأوقع بالخوارزمية،

(١) بالس بلدة بالشام بين حلب والرقعة. انظر معجم البلدان ج ١ / ٤٧٧.

وكسرهم واستولى على ما معهم، ومضوا هارين إلى عانة.

وفيها خاف الصالح عماد الدين من الملك الصالح نجم الدين؛ فكاتب الفرنج، واتفق معهم على معاضدته ومساعدته، ومحاربة صاحب مصر، وأعطاهم قلعة صفد وبلادها، وقلعة الشقيف وبلادهما، ومناصفة صيدا وطبرية وأعمالها، وجبل عاملة وسائر بلاد الساحل، وعزم الصالح عماد الدين على قصد مصر، لما بلغه من القبض على المماليك الأشرفية والخدام ومقدمي الحلقة وبعض الأمراء، وأن من بقى من أمراء مصر خائف على نفسه من السلطان، فتجهز وبعث إلى المنصور صاحب حمص، وإلى الحلبيين وإلى الفرنج يطلب منهم النجدة، وأذن الصالح إسماعيل للفرنج فى دخول دمشق وشراء السلاح، فأكثروا من ابتياع الأسلحة وآلات الحرب من أهل دمشق، فأنكر المسلمون ذلك، ومشى أهل الدين منهم إلى العلماء واستفتوهم، فأفتى الشيخ عز الدين بن عبد السلام بتحريم بيع السلاح للفرنج، وقطع من الخطبة بجامع دمشق الدعاء للصالح إسماعيل، وصار يدعو فى الخطبة بدعاء منه: «اللهم أبرم لهذه الأمة إبرام رشد، تعز فيه أوليائك، وتذل فيه أعدائك، ويعمل فيه بطاعتك، وينهى فيه معصيتك»، والناس يضحون بالدعاء. وكان الصالح غائبا عن دمشق، فكوتب بذلك، فورد كتابه بعزل بن عبد السلام عن الخطابة، واعتقاله هو والشيخ أبى عمرو بن الحاجب؛ لأنه كان قد أنكر، فاعتقلا، ثم لما قدم الصالح أفرج عنهما، وألزم بن عبد السلام بملازمة داره، وألا يفتى، ولا يجتمع بأحد ألبته، فاستأذنه فى صلاة الجمعة، وأن يعبر إليه طبيب أو مزين إذا احتاج إليهما، وأن يعبر الحمام، فأذن له فى ذلك، وولى خطابة دمشق بعد عز الدين بن عبد السلام، علم الدين داود بن عمر بن يوسف بن خطيب بيت الآبار، وبرز الصالح من دمشق، ومعه عساكر حمص وحلب وغيرها، وسار حتى نزل بنهر العوجاء، فبلغه أن الناصر داود قد خيم على البلقاء، فسار إليه، وأوقع به، فانكسر الناصر، وانهزم إلى الكرك وأخذ الصالح أثقاله، وأسر جماعة من أصحابه، وعاد إلى العوجاء، وقد قوى ساعده واشتدت شوكته، فبعث يطلب نجدة الفرنج، على أنه يعطيهم جميع ما فتحه السلطان صلاح الدين يوسف ورحل، ونزل تل العجول فأقام أياما، ولم يستطع عبور مصر، فعاد إلى دمشق، وذلك أن الملك الصالح نجم الدين، لما بلغه حركة الصالح إسماعيل من دمشق ومعه الفرنج، جرد العساكر إلى لقاته، فألقاهم. وعندما تقابل العسكران ساقط عساكر الشام إلى عساكر مصر طائعة، ومالوا جميعا على الفرنج، فهزمهم وأسروا منهم خلقا لا يحصون، وبهؤلاء الأسرى عمر السلطان الملك الصالح نجم الدين قلعة الروضة، والمدارس الصالحية بالقاهرة.

وفيهما تم الصلح مع الفرنج، وأطلق الملك الصالح الأسرى بمصر من الجنود والفرسان والرجالة.

وفي ذى القعدة: كانت وقعة بين أمراء الملك الصالح أيوب المقيمين بغزة، وبين الجواد والناصر، وكسر أصحاب الملك الصالح، وكسر كمال الدين بن الشيخ.

وفيهما استقر الصلح بين الملك الصالح والناصر، ورحل الناصر عن غزة بعد قبضه على الجواد.

وفي ذى القعدة: وصل الجواد إلى العباسة ومعه الصالح بن صاحب حمص، فأنعم عليهما الملك الصالح نجم الدين أيوب، ولم يمكنهما من دخول القاهرة فعاد الجواد؟، ولجأ إلى الناصر، فقبض عليه.

وفيهما عزل القاضي عبد المهيمن عن حسبة القاهرة، ففى تاسع المحرم، واستقر فيها القاضي شرف الدين محمد بن الفقيه عباس، خطيب القلعة.

وفي رابع عشره: شرع السلطان الملك الصالح نجم الدين فى بناء القنطرة التى على الخليج الكبير، المجاور لبستان الخشاب، التى تعرف اليوم بقنطرة السد، خارج مدينة مصر.

وفي سادس عشره: أمر السلطان الملك الصالح أيوب بتجهيز زرد خاناه وشوانى وحراريق إلى بحر القلزم^(١) لقصد اليمن، وجرّد جماعة من الأمراء والأجناد بسبب ذلك.

(١) بحر القلزم: شعبة من بحر الهند، أوله من بلاد البربر والسودان. انظر معجم البلدان، قال ابن إياس فى ذكر بحر القلزم: أعلم أن هذا البحر فيما عرف فى ناحية ديار مصر بالقلزم، لأنه كان بساحله الغربى فى شرقى أرض مصر مدينة تسمى القلزم، وقد حربت فسمى هذا البحر باسم تلك المدينة، وهذا البحر إنما هو خليج من البحر الكبير المحيط بالأرض الذى يقال بحر اقيانس، ويعرف أيضاً بحر الظلمات لتكاثف المياه المتصاعدة منه وضعف الشمس عن ساحله، فيغلظ وتشتد الظلمة فيه وتعظم أمواجه وتكثر أهواله، ولم يقف أحد على خبره سوى على ما عرف من بعض سواحله وما قرب من جزائره، وقد قيل فيه ست جزائر يسكنها قوم متوحشون، وفى جانب هذا البحر الشرقى مما يلى الصين ست جزائر أيضاً تعرف بجزائر السبلى وقد نزل بها بعض العلويين فى أول الإسلام خوفاً على أنفسهم من القتل، ويخرج من هذا البحر المحيط ستة أبحر أعظمها اثنتان وهما اللذان ذكرهما الله تعالى فى القرآن بقوله: ﴿مروج البحرين يلتقيان﴾ وقوله: ﴿وجعل بين البحرين حاجزا﴾ فأحلها من جهة الشرق والأخر من جهة الغرب، فالخارج من جهة الشرق يقال له البحر الصينى والهندي والفارسي واليمنى والحيشى بحسب ما يمر عليه من البلدان، وأما الخارج من الغرب فيقال له البحر الرومى. انظر نزهة الأمام ١٥.

وفي خامس عشرية: نزل خمس نفر فى الليل من الطاقات الزجاج إلى المشهد النفيسى، وأخذوا من فوق القبر ستة عشر قنديلا من فضة، فقبض عليهم من الفيوم، وأحضروا فى رابع صفر، فاعترف أحدهم بأنه هو الذى نزل من طاقات القبة الزجاج وأخذ القناديل، وبرأ بقية أصحابه، فشنق تجاه المشهد فى عاشره، وترك مدة متطاولة على الخشب، حتى صار عظاما.

وفي سابع عشرى ربيع الأولى: ولى الملك الصالح الأمير بدر الدين باخل الإسكندرية، و نقله إليها من ولاية مصر.

وفي شهر ربيع الآخر: رتب السلطان نوبا عنه بدار العدل، يجلسون لإزالة المظالم. فجلس لذلك افتخار الدين ياقوت الجمالى، وشاهدان عدلان، وجماعة من الفقهاء: منهم الشريف شمس الدين الأرموى، نقيب الأشراف وقاضى العسكر ومدرس المدرسة الناصرية بمصر، والقاضى فخر الدين بن السكرى، والفقير عز الدين عباس، فهرع الناس لدار العدل من كل جانب، ورفعوا ظلاماتهم، فكشفت، واستراح السلطان من وقوف الناس إليه، واستمر هذا بمصر.

وفي ذى الحجة: سار القاضى بدر الدين أبو المحاسن يوسف السنجارى على الساحل إلى مصر، فلما قدم على السلطان أكرمه غاية الإكرام، وكان قضاء ديار مصر بيد القاضى شرف الدين ابن عين الدولة الإسكندرى، فصرفه السلطان عن قضاء مصر والوجه القبلى، وفوض ذلك للقاضى بدر الدين السنجارى، وأبقى مع ابن عين الدولة قضاء القاهرة والوجه البحرى.

وفىها ظهر ببلاد الروم رجل ادعى النبوة، يقال له البابا، من التركمان. وصار له أتباع، وحمل أتباعه على أن يقولوا: لا إله إلا الله، البابا رسول الله، فخرج إليه جيش صاحب الروم، فقاتلهم وقتل بينه وبينهم أربعة آلاف نفر، ثم قتل البابا فأنحل أمره.

وفىها وصل رسول التار من ملكهم خاقان إلى الملك المظفر شهاب الدين غارى بن العادل، صاحبميافارقين، ومعه كتاب إليه وإلى ملوك الإسلام، عنوانه: «من نائب رب السماء، سامح وجه الأرض، ملك الشرق والغرب، قاقان». فقال الرسول لشهاب الدين صاحب مياقارفين: «قد جعلك قاقان سلاح داره، وأمرك أن تخرب أسوار بلدك» فقال له شهاب الدين: «أنا من جملة الملوك، وبلادى حقيرة بالنسبة إلى الروم والشام ومصر، فتوجه إليهم، وما فعلوه فعلته».

وفي يوم الجمعة حادى عشر ذى القعدة: رسم الصالح إسماعيل أن يخطب على

٤١٠ سنة ثمان وثلاثين وستمائة

منير دمشق للسلطان غياث الدين كيخسرو بن كيقباد بن كيخسرو، ملك الروم،
فخطب له، ونثر على ذلك الدينار والدارهم، وكان يوما مشهودا، وحضر رسل الروم
وأعيان الدولة، وخطب الملك في جوامع البلد، وأنعم على الرسول وخلع عليه.

* * *

سنة تسع وثلاثين وستمائة^(١)

فيها شرع الملك الصالح فى عمارة المدارس الصالحة بين القصرين.

وفىها غلت الأسعار بمصر، وأبيع القمح كل أردب بدينارين ونصف، وقدم جمال الدين بن مطروح من طرابلس - فى البحر - إلى القاهرة، وكثرت قصاد المظفر صاحب حماة إلى مصر.

وفى يوم الأحد تاسع عشرى ربيع الأول: كسف جميع جرم الشمس، وأظلم الجوى، وظهرت الكواكب، وشغل الناس السرح بالنهار.

وفىها قدم الشيخ عز الدين بن عبد السلام^(٢) إلى مصر، وقد أخرجه الصالح إسماعيل من دمشق، فأكرمه الملك الصالح نجم الدين، وولاه خطابة جامع عمرو بن العاص بمصر، وقلده قضاء مصر والوجه القبلى يوم عرف عوضا عن قاضى القضاة شرف الدين ابن عين الدولة، عندما كتب السلطان بخطه إلى ابن عين الدولة، فى يوم الجمعة عاشر ربيع الآخر ما نصه: «إن القاهرة لما كانت دار المملكة، وأمراء الدولة وأجنادها مقيمون بها، وحاكمها مختص بحضور دار العدل، تقدمنا أن يتوفر القاضى على القاهرة وعملها لا غير. وفوض السلطان قضاء القضاة بمصر وعملها - وهو الوجه القبلى - لبدر الدين أبى المحاسن يوسف السنجارى: المعروف بقاضى سنجار. فلما مات ابن عين الدولة استقر البدر السنجارى فى قضاء القاهرة، وفوض قضاء مصر والوجه القبلى لابن عبد السلام.

(١) سنة ٦٣٩ هـ. انظر أحداث تلك السنة فى النجوم الزاهرة ٣٠٢ - ٣٠٥ / ٦ تاريخ ابن الوردى ٢٤٦ / ٢.

(٢) ابن عبد السلام (٥٧٧ - ٦٦٠ هـ - ١١٨١ ت: ١٢٦٢ م). عبد العزيز بن عبد السلام بن أبى القاسم بن الحسن السلمى الدمشقى، عز الدين الملقب بسلطان العلماء: فقيه شافعى بلغ رتبة الاجتهاد. ولد ونشأ فى دمشق وزار بغداد سنة ٥٩٩ هـ، فأقام شهرا وعاد إلى دمشق فتولى الخطابة والتدريس بزواية الغزالي، ثم الخطابة بالجامع الأموى. ثم جاء إلى مصر، فولاه صاحبها الصالح نجم الدين أيوب القضاء والخطابة ومكثه من الأمر والنهى ثم اعتزل ولزم بيته. انظر فوات الوفيات ١ / ٢٨٧ وطبقات السبكي ٥ / ٨٠، ١٠٧ وغربال الزمان، والمكتبة الأزهرية، والفهرس التمهيدى ٢٠٧ والنجوم الزاهرة ٧ / ٢٠٨ وعلماء بغداد ١٠٤ وذيلى الروضتين ٢١٦ ومفتاح السعادة ٢ / ٢١٢ ومعجم المطبوعات ١٦٤. الأعلام ٤ / ٢١.

وفيها كث تردد الناس إلى فخر الدين يوسف ابن شيخ الشيوخ، بعدما أطلقه السلطان من السجن فكره السلطان ذلك، وأمره أن يلازم داره.

وفيها بلغ السلطان أن الناصر داود صاحب الكرك، قد وافق الصالح إسماعيل صاحب دمشق، والمنصور إبراهيم صاحب حمص، وأهل حلب، علي محاربتة، فسير السلطان كمال الدين بن شيخ الشيوخ على عسكر إلى الشام، فخرج إليه الناصر وقاتله ببلاد القدس، وأسره في عدة من أصحابه، ثم أطلقهم، وعادوا إلى القاهرة. وكان من خير ذلك أنه في يوم الأربعاء ثاني عشر صفر، وقع عسكر الناصر داود على الأمير عز الدين أيك صاحب صرخد، وقد نزل على الغوار، فكسره وأخذ الأتقال، وكان معه الأمير شمس الدين شرف - المعروف بالسبع مجانين - وشمس الدين أبو العلاء الكرديان، وشرف الدين بن الصارم صاحب بنين، وكان مقدم عسكر الناصر سيف الدين بن قليج، وجماعة من الأيوبية من عسكر مصر.

وفيها سار الخوارزمية إلى الموصل، فسالمهم صاحبها بدر الدين لؤلؤ [.....]^(١) نصيين، ووافقهم المظفر شهاب الدين غازي بن العادل، صاحب ميافارقين، ثم ساروا إلى آمد فخرج إليهم عسكر حلب، عليه المعظم فخر الدين توران شاه^(٢) بن صلاح الدين، فدفعوهم عنها، ونهبوا بلاد ميافارقين، وجرت بينهم وبين الخوارزمية وقائع ثم عاد العسكر إلى حلب، فغار الخوارزمية على رساتيق الموصل.

وفيها فلج المظفر صاحب حماة في شعبان وهو جالس بغتة، فأقام أياما ملقى لا يتحرك ولا يتكلم، ثم أفاق وبطل شقه الأيمن فسير إليه الملك الصالح نجم الدين أيوب من مصر بطبيب يعرف بالنفيس بن طليب النصراني، فلم ينجح فيه دواء، واستمر كذلك سنين وشهورا حتى مات.

(١) ما بين المعقوفتين سقط في الأصل.

(٢) توران شاه (المعظم بن الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب بن شاذي، أبو الفاجر. من أمراء الأيوبيين ورابع من تلقب بالملك المعظم منهم، ولم يل السلطنة. ولد بمصر وكان كبير البيت الأيوبي وآخر من بقي من أولاد السلطان صلاح الدين، وتفقه وتلقى الحديث في دمشق وحدث وخرج له الحافظ التونفي جزءا في الحديث وتولى قيادة الجيش الحلبى زمنا. وحضر وقائع، وكان شجاعا عاقل، وأسر الخوارزمية بقرب الفرات، بعد أن أنحن بالجراح، وانهزم عسكره. ولما استولى التتار على حلب، اعتصم بقلعتها وحماها، ثم نزل منها بالأمان، وتوفى على الأثر، ودفن بدهلز داره بحلب. انظر صلة التكملة للحسيني - خ. وأعلام النبلاء ٤: ٤٢٥ وترويح القلوب ١٠٠ والعبير ٥: ٢٤٥.

وفى خامس عشر ذى القعدة: قدم الأمير ركن الدين ألتونبا الهيجارى من القاهرة إلى دمشق، وكان الملك الصالح نجم الدين قد بعثه فى شهر رمضان إلى الناصر داود؛ ليصلح بينه وبين الملك الجواد، حتى يبقى على طاعة الصالح نجم الدين، فلما وصل إلى غزة هرب إلى دمشق، وأخذ معه جماعة من العسكر ولحق الجواد بالفرنج، وأقام عندهم.

وفىها وصل الملك المنصور نور الدين عمر بن على رسول من اليمن فى عسكر كبير إلى مكة، فى شهر رمضان، ففر المصريون بعدما أحرقوا دار الإمارة بمكة، حتى تلف ما كان بها من سلاح وغيره.

* * *

سنة أربعين وستمائة^(١)

فى ربيع الأول: أبطلت خطبة ملك الروم من دمشق، وخطب للملك الصالح نجم الدين أيوب.

وفى يوم الجمعة رابع جمادى الأولى: دخل الفرنج من عكا إلى نابلس، ونهبوا وقتلوا وأسروا، وأخذوا منبر الخطيب، وخرجوا يوم الأحد بعد ما أفسدوا أموالا كثيرة.

وفى يوم السبت ثامن عشر المحرم: وصل إلى القاهرة الشريف علاء الدين عالم بن الأمير السيد على.

وفىها وصل التتار إلى أرزن الروم، وأوقع الملك المظفر غازى، صاحب ميلادقين بالخوارزمية.

وفىها ماتت ضيفة خاتون ابنة العادل أبى بكر بن أيوب، ليلة الجمعة لإحدى عشرة خلعت من جمادى الأولى فاستبد ابن ابنها الناصر يوسف بن الظاهر غازى بمملكة حلب بعدها، وقام بتدييره بعد جدته الأمير شمس الدين لؤلؤ الأتابك، والأمير جمال الدين العادل الأسود [الحسن]^(٢) الخاتون، والوزير الأكرم جمال الدين بن النفطى، وخرج إقبال من حلب بعسكر، وحارب الخوارزمية، ثم عاد.

وفىها مات الخليفة المستنصر بالله جعفر المنصور بن الظاهر بأمر الله أبى نصر محمد ابن الناصر لدين الله أحمد العباس أمير المؤمنين بكرة يوم الجمعة لعشر خلون من جمادى الآخرة، وكان سبب موته أنه فصد بمبضع مسموم. فكانت خلافته سبع عشرة سنة وشهر، وقيل مات فى ثانى عشره، وكانت مدته خمس عشرة سنة وأحد عشر شهرا وخمسة أيام، وله من العمر إحدى وخمسون سنة وأربعة أشهر وسبعة أيام. وكان حازما عادلا، وفى أيامه عمرت بغداد عمارة عظيمة، وبنى بها المدرسة المستنصرية، وفى أيامه قصد التتر بغداد، فاستخدم العساكر حتى قيل إنها زادت عدتها على مائة ألف إنسان. فقام من بعده فى الخلافة ابنه المستعصم بالله أبو أحمد عبد الله، وقام بأمره أهل الدولة، وحسنوا له جمع الأموال، وإسقاط أكثر الأجناد، فقطع كثيرا من العساكر، وسالم التتر، وحمل إليهم المال.

(١) سنة ٦٤٠ هـ. انظر أحداث تلك السنة فى النجوم الزاهرة ٣٠٥ - ٣٠٧ / ٦ تاريخ ابن الوردى ٢٤٧ / ٢.

(٢) ما بين المعوفتين سقط فى الأصل.

وفيهما بنى بعض غلمان الصاحب معين الدين ابن شيخ الشيوخ، وزير الملك الصالح نجم الدين أيوب، بناء بأمر مخدومه على سطح مسجد بمصر، وجعل فيه طبلخاناه عماد الدين ابن شيخ الشيوخ، فأنكر ذلك قاضى القضاة عز الدين بن عبد السلام، ومضى بنفسه وأولاده، حتى هدم البناء، ونقل ما على السطح، ثم أشهد قاضى القضاة على نفسه أنه قد أسقط شهادة الوزير معين الدين، وأنه قد عزل نفسه من القضاء، فلما فعل ذلك ولى الملك الصالح عوضه قضاء مصر صدر الدين أبا منصور موهوب ابن عمر بن موهوب بن إبراهيم الجزرى الفقيه الشافعى، وكان ينوب عن ابن عبد السلام فى الحكم، فى ثالث عشرى ذى القعدة.

وفيهما قدم مكة الحاج من بغداد، بعدما انقطع ركب العراق سبع سنين عن مكة وكان من خير مكة - شرفها الله تعالى - أن السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب بعث ألف فارس عليهم الشريف شيحة بن قاسم أمير المدينة، فى سنة سبع وثلاثين، فبعث الملك المنصور نور الدين عمر بن على بن رسول من اليمن بابن النصيرى، ومعه الشريف راجح، إلى مكة فى عسكر كبير، ففر الشريف شيحة بمن معه، وقدم القاهرة، فجهز السلطان الملك الصالح معه عسكرا قدم بهم مكة، فى سنة ثمان وثلاثين، وحجوا بالناس، فبعث ابن رسول من اليمن عسكرا كبيرا، فطلب عسكر مصر من السلطان الملك الصالح نجدة، فبعث إليهم بالأمير بارز الدين على بن الحسين برطاس، والأمير محمد الدين أحمد بن التركمانى، فى مائة وخمسين فارسا، فلما بلغ ذلك عسكر اليمن أقاموا على السرين، وكتبوا إلى ابن رسول بذلك، فخرج بنفسه فى جمع كبير يريد مكة، ففر المصريون على وجوههم، وأحرقوا ما فى دار السلطان بمكة من سلاح وغيره، فقدم الملك المنصور نور الدين عمر بن على بن رسول مكة، وصام بها شهر رمضان، سنة تسع وثلاثين، واستتاب بمكة مملوكه فخر الدين السلاج.

سنة إحدى وأربعين وستمائة (١)

فيها قدم التتر بلاد الروم، وأوقعوا بالسلطان غياث الدين كيخسرو بن كيقباد بن كيخسرو بن قلعج أرسلان، وهزموه وملكوا بلاد الروم وخلاط وآمد، فدخل غياث الدين في طاعتهم، على مال يحمله إليهم، وملكوا أيضا سيواس وقيسارية بالسيف، وقرروا على صاحبهما في كل سنة أربعمئة ألف دينار ففر غياث الدين منهم إلى القسطنطينية، وقام من بعده ركن الدين ابنه - وهو صغير - إلى أن قتل.

وفيها تكررت المراسلة بين الصالح نجم الدين أيوب، وبين عمه الصالح إسماعيل صاحب دمشق، وبين المنصور صاحب حمص، على أن تكون دمشق وأعمالها للصالح إسماعيل، ومصر للصالح أيوب، وكل من صاحب حمص وحماة وحلب على ما هو عليه، وأن تكون الخطبة والسكة في جميع هذه البلاد للملك الصالح نجم الدين أيوب، وأن يطلق الصالح إسماعيل الملك المغيث فتح الدين عمر بن الملك الصالح نجم الدين من الاعتقال، وأن يخرج الأمير حسام الدين أبو علي بن محمد بن أبي علي باشاك الهذباني، المعروف بابن أبي علي من اعتقاله ببلبك، وأن ينتزع الصالح إسماعيل الكرك من الملك الناصر داود، فلما تقرر هذا خرج من القاهرة الخطيب أصيل الدين الإسعردى - إمام السلطان - في جماعة، وسار إلى دمشق، فخطب للسلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب بجامع دمشق وبحمص، وأفرج عن المغيث ابن السلطان، وأركب ثم أعيد إلى القلعة، حتى يتم بينهما الحلف، وأفرج عن الأمير حسام الدين، وكان قد ضيق عليه وجعل في جب مظلم فلما وصل حسام الدين إلى دمشق خلع عليه الصالح إسماعيل، وسار إلى مصر، ومعه رسول الصالح إسماعيل، ورسول صاحب حمص - وهو القاضي عماد الدين بن القطب قاضي حماة - ورسول صاحب حلب، فقدموا على الملك الصالح نجم الدين، ولم يقع اتفاق، وعادت الفتنة بين الملوك، فاتفق الناصر داود صاحب الكرك، مع الصالح إسماعيل صاحب دمشق، على محاربة الملك الصالح نجم الدين وعاد رسول حلب، وتأخر ابن القطب بالقاهرة، فبعث الناصر داود والصالح إسماعيل، ووافقا الفرنج على أنهم يكونون عوناً لهم على الملك الصالح نجم الدين، ووعداهم أن يسلموا إليهم القدس وسلماهم طبرية وعسقلان أيضاً فعمر الفرنج قلعتيهما وحصونهما،

(١) سنة ٦٤١ هـ. انظر أحداث تلك السنة في النجوم الزاهرة ٣٠٧ - ٣١٠ / ٦ تاريخ ابن

وتمكن الفرنج من الصخرة بالقدس، وجلسوا فوقها بالخمر، وعلقوا الجرس على المسجد الأقصى.

فبرز الملك الصالح نجم الدين أيوب من القاهرة، ونزل بركة الجب وأقام عليها، وكتب إلى الخوارزمية يستدعيهم إلى ديار مصر؛ لمحاربة أهل الشام، فخرجوا من بلاد الشرق.

وفي يوم عيد النحر: صرف الملك الصالح نجم الدين قاضي القضاة صدر الدين موهوب الجزرى، وقلد الأفضل الخونجى قضاء مصر والوجه القبلى .

وفيها هرب الصارم [١]... [المسعودى من قلعة الجبل، وقد صبغ نفسه حتى صار أسودا، على صورة عبد كان يدخل إليه بالطعام، فأخذ من بليس، وأعيد إلى معتقله.

وفيها أنشأ شهاب الدين ریحان - خادم الخليفة - رباط الشرايى بمكة، وعمر بعرفة أيضا.

* * *

سنة اثنتين وأربعين وستمائة

فيها ورد إلى دمشق كتاب بدر الدين لؤلؤ، صاحب الموصل، وفيه يقول: «إني قررت على أهل الشام قطيعة التتر في كل سنة، من الغنى عشرة دراهم، ومن المتوسط خمسة دراهم، ومن الفقير درهم» فقرأ القاضي محيي الدين بن زكي الدين الكتاب على الناس، ووقع الشرع في جباية المال.

وفيها قطع الخوارزمية الفرات، ومقدموهم: الأمير حسام الدين بركة خان، وخان بردى، وصاروخان، وكشلوخان، وهم زيادة على عشرة آلاف مقاتل، فسارت منهم فرقة على بقاع بعلبك، وفرقة على غوطة دمشق، وهم يتهبون ويقتلون ويسبون، فأنجفل الناس من بين أيديهم، وتحصن الصالح إسماعيل بدمشق، وضم عساكره إليه، بعدما كانت قد وصلت غزة وهجم الخوارزمية على القدس، وبذلوا السيف في من كان به من النصارى، حتى أفنوا الرجال، وسبوا النساء والأولاد، وهدموا المباني التي في قمامة، ونبشوا قبور النصارى، وأحرقوا رمهم، وساروا إلى غزة فنزلوها، وسيروا إلى الملك الصالح نجم الدين أيوب - في صفر - يخبرونه بقدموهم، فأمرهم بالإقامة في غزة، ووعدهم ببلاد الشام، بعدما خلع على رسلهم، وسير إليهم الخلع والخيل والأموال، وتوجه في الرسالة إليهم جمال الدين أقوش النجيبى، وجمال الدين بن مطروح، وجهاز الملك الصالح نجم الدين أيوب عسكرا من القاهرة عليه الأمير ركن الدين بيبرس، أحد مماليكه الأخصاء الذين كانوا معه وهو محبوس بالكرك، فسار إلى غزة، وانضم إلى الخوارزمية جماعة من القميرية، كانوا قد قدموا معهم من الشرق، ثم خرج الأمير حسام الدين أبوعلی - بن محمد بن أبى على الهذباني بعسكر، ليقيم على نابلس.

وجهاز الصالح إسماعيل عسكرا من دمشق، عليه الملك المنصور صاحب حمص، فسار المنصور جريدة إلى عكا، وأخذ الفرنج ليحاربوا معه عساكر مصر، وساروا إلى نحو غزة، وأتتهم نجدة الناصر داود صاحب الكرك مع الظهير بن سنقر الحلبي والوزيرى، فالتقى القوم مع الخوارزمية بظاهر غزة، وقد رفع الفرنج الصلبان على عسكر دمشق، وفوق رأس المنصور صاحب حمص، والأقسة تصلب، وبأيديهم أوانى الخمر تسقى الفرسان وكان فى الميمنة الفرنج، وفى الميسرة عسكر الكرك، وفى القلب المنصور صاحب حماة، فساق الخوارزمية وعساكر مصر، ودارت بين الفريقين حرب شديدة،

فانكسر الملك المنصور، وفر الوزيرى، وقبض على الظهير وجرح. وأحاط الخوارزمية بالفرنج، ووضعوا فيهم السيف حتى أتوا عليهم قتلا وأسرا، ولم يفلت منهم إلا من شرد، فكان عدة من أسر منهم ثمانمائة رجل، وقتل منهم ومن أهل الشام زيادة على ثلاثين ألفا، وحاز الخوارزمية من الأموال ما يجبل وصفه، ولحق المنصور بدمشق فى نفر يسير.

وقدمت البشارة إلى الملك الصالح نجم الدين بذلك فى خامس عشر جمادى الأولى، فأمر بزينة القاهرة ومصر وظواهرهما، وقلعتى الجبل والروضة، فبالغ الناس فى الزينة، وضربت البشائر عدة أيام.

وقدمت أسرى الفرنج ورعوس القتلى، ومعهم الظهير بن سنقر وعدة من الأمراء والأعيان؛ وقد أركب الفرنج الجمال، ومن معهم من المقدمين على الخيول، وشقوا القاهرة، فكان دخولهم يوما مشهودا، وعلقت الرعوس على أبواب القاهرة وملئت الحبوس بالأسرى، وسار الأمير بيبرس، والأمير ابن أبى على بعساكرهما إلى عسقلان، ونازلاها فامتنعت عليهم لحصاتها فسار ابن أبى على إلى نابلس، وأقام بيبرس على عسقلان، واستولت نواب الملك الصالح نجم الدين على غزة والسواحل، والقدس والخليل، وبيت جبريل والأغوار، ولم يبق بيد الناصر داود سوى الكرك والبلقاء، والصلت وعجلون.

فورد الخير بموت الملك المظفر تقي الدين محمود بن المنصور بن تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب - صاحب حماة، فى يوم السبت ثامن جمادى الأولى، فاشتد حزن الملك الصالح نجم الدين أيوب عليه، ثم ورد الخير بموت ابنه الملك المغيث عمر بقلعة دمشق، فزاد حزنه، وقوى غضبه على عمه الصالح إسماعيل، وقدم إلى القاهرة الخطيب زين الدين أبو البركات عبد الرحمن بن موهوب من حماة، بسيف الملك المظفر، ومعه مقدمة من عند ابن الملك المنصور ناصر الدين محمد، لتسع مضي من شوال.

وخرج الصاحب معين الدين الحسن بن شيخ الشيوخ على العساكر من القاهرة، ومعه الدهليز السلطاني والحزائن، وأقامه السلطان مقام نفسه، وأذن له أن يجلس على رأس السماط، ويركب كما هى عادة الملوك، وأن يقف الطواشى شهاب الدين رشيد أستاذار السلطان فى خدمته على السماط، ويقف أمير جاندار والحجاب بين يديه، كعادتهم فى خدمة السلطان، وكتب إلى الخوارزمية أن يسيروا فى خدمته. فسار الصاحب معين الدين من القاهرة بالعساكر إلى غزة، وانضاف إليه الخوارزمية والعسكر

إلى غزة، وانضاف إليه الخوارزمية والعسكر، وسار إلى بيسان ، فأقام بها مدة، ثم سار إلى دمشق فنازلها، وقد امتنع بها الصالح إسماعيل والمنصور إبراهيم صاحب حمص، وعانت الخوارزمية فى أعمال دمشق، فبعث الصالح إسماعيل إلى ابن شيخ الشيوخ بسجادة وإبريق وعكاز، وقال له: اشتغالك بهذا أولى من اشتغالك بقتال الملوك.

فلما وصل ذلك إليه جهز إلى الصالح إسماعيل جنكا وزمرا وغلالة حرير، وقال: السجادة والإبريق والعكاز يليقون بى، وأنت أولى بالجنك والزمر والغلالة، واستمر الصاحب معين الدين على محاصرة دمشق، فبعث الخليفة بمحيى الدين بن الجوزى إلى الملك الصالح نجم الدين ومعه خلعة، وهى عمامة سوداء، وفرجية مذهب، وثوبان ذهب، وسيف بذهب، وطوق ذهب ، وعلمان حرير، وحصان وترس ذهب، فلبس الملك الصالح نجم الدين الخلعة على العادة وكانت الأقاويل بمصر قد كثرت لجيئه، وتأخر قدومه، فقال الصلاح [...] [١] بن شعبان الإربلى:

قالوا الرسول أتى قالوا إنه ما رام يوما عن دمشق نزوحا
ذهب الزمان وما ظفرت بمسلم يروى الحديث عن الرسول صحيحا
وفيهما قتل أمير بنى مرين محمد بن عبد الحق محيو بن أبى بكر بن حمامة، فى حربته
مع عسكر الموحدين وولى بعده أخوه أبوه يحيى بن عبد الحق.

وفيهما ورد كتاب بدر الدين لؤلؤ من الموصل بجباية قطيعة^(٢) التتر من دمشق، فقرأ كتاب القاضى محيى الدين من الزكى على العادة.

وفيهما استوزر الخليفة أستاذاره مؤيد الدين محمد بن العلقمى، فى ثامن ربيع الأول، عوضا عن نصير الدين أبى الأزهر أحمد بن محمد بن على بن العاقد.

وفيهما استولى التتر على شهر زور.

وفيهما بلغ الأردب القمح بمصر أربعمائة درهم نقرة.

* * *

(١) ما بين المعقوفتين سقط من الأصل.

(٢) قطيعة: قرية فى طريق مصر فى وسط الرمل قرب الفرما. انظر معجم البلدان ٣٧٨ / ٤.

سنة ثلاث وأربعين وستمائة (١)

فيها كثرت محاربة ابن شيخ الشيوخ لأهل دمشق ومضايقته للبلد، إلى أن أحرق قصر حجاج في ثاني محرم، ورمى بالمجانيق وألح بالقتال.

فأحرق الصالح إسماعيل في ثالثه عدة مواضع، ونهبت أموال الناس، وجرت شدائد، إلى أن أهل شهر ربيع الأول، ففيه خرج المنصور صاحب حمص من دمشق، وتحدث معه بركة خان مقدم الخوارزمية في الصفح، وعاد إلى دمشق فأرسل الوزير أمين الدولة كمال الدين أبو الحسن بن غزال (٢) المعروف بالسامري إلى الصاحب معين الدين بن شيخ الشيوخ، يسأله الأمان ليجتمع به، فبعث إليه بقميص وفرجية وعمامة ومنديل، فلبس ذلك وخرج ليلا، لأيام مضت من جمادى الأولى؛ فتحدثا ورجع إلى دمشق، ثم خرج في ليلة أخرى، وقرر أن الصالح إسماعيل يسلم دمشق، على أن يخرج منها هو والمنصور بأموالهم، ولا يعترض لأحد من أصحابهم ولا لشيء مما معهم، وأن يعوض الصالح عن دمشق ببعلبك وبصرى وأعمالها، وجميع بلاد السواد، وأن يكون للمنصور حمص وتدمر والرحبة، فأجاب أمين الدولة إلى ذلك، وحلف الصاحب معين الدين لهم، فخرج الصالح إسماعيل والمنصور من دمشق.

ودخل الصاحب معين الدين في يوم الإثنين ثامن جمادى الأولى، ومنع الخوارزمية من دخول دمشق ودبر الأمير أحسن تدبير، وأقطع الخوارزمية الساحل. مناشير كتبها لهم، ونزل في البلد، وتسلم الطواشي شهاب الدين رشيد القلعة، وخطب بها وبجامع دمشق وعمامة أعمالها للملك الصالح نجم الدين، وسلم أيضا الأمير سيف الدين على بن قلع قلعة عجلون لأصحاب الملك الصالح، وقدم إلى دمشق، فلما وردت الأخبار بذلك على السلطان أنكروا على الطواشي شهاب الدين والأمراء كيف مكنوا الصالح إسماعيل

(١) سنة ٦٤٣ هـ. انظر أحداث السنة في النجوم الزاهرة ٣١٢ - ٦/٣١٥ تاريخ ابن الوردي

٢/٢٥١

(٢) أمين الدولة (٦٤٨ هـ - ١٢٥٠م). أمين الدولة بن غزال بن أبي سعيد، أبو الحسن: وزير عالم طبيب. كان سامريا وأسلم في دمشق، واستوزره بها الملك الأجد بهرام شاه فلم يزل عنده إلى أن توفي الأجد (سنة ٦٢٨ هـ) فاستوزره الملك الصالح إسماعيل، فأقام إلى أن ملك دمشق نجم الدين أيوب (سنة ٦٢٣ هـ) ونقل الصالح إسماعيل إلى بعلبك واليا عليها، فأراد ابن غزال اللحاق به فاعتقله نائب السلطنة في دمشق، وأرسل إلى مصر فسجن في قلعة القاهرة خمس سنوات، ثم أعدم شنقا. وكان غزير العلم، له المنهج الواضح. طبقات الأطباء ٢/٢٣٤ - ٢٣٩. الأعلام ١٧/٢.

من بعلبك، وقال: إن معين الدين حلف له، و أما أنتم فما خلفتم، وأمر الملك الصالح نجم الدين أن يسير ركن الهيجاوى، والوزير أمين الدولة السامرى، تحت الحوطة إلى قلعة الروضة، فسيرا من دمشق إلى مصر، واعتقلا بقلعة الجبل فاتفق مرض صاحب معين الدين ووفاته بدمشق، فى ثانى عشرى شهر رمضان، فكتب السلطان إلى الأمير حسام بن أبى على الهذبانى، وهو بنابلس، أن يسير إلى دمشق ويتسلمها، فسار إليها وصار نائبا بدمشق، والطواشى رشيد بالقلعة، وأفرج السلطان عن الأمير فخر الدين يوسف بن شيخ الشيوخ - وكان قد لزم بيته - وخلع عليه وأمره وقدمه، وبالغ فى الإحسان إليه، و كان لم يبق من أولاد شيخ الشيوخ غيره.

وأما الخوارزمية، فإنهم ظنوا أن السلطان إذا انتصر على عمه الملك الصالح إسماعيل يقاسمهم البلاد، فلما منعوا من دمشق، وصاروا فى الساحل وغيره من برد الشام، تغيرت نياتهم، واتفقوا على الخروج عن طاعة السلطان، وساروا إلى داريا واتبوها، وكتبوا الأمير ركن الدين بيمرس وهو على غزاة بعسكر جيد من عساكر مصر، وحسنوا له أن يكون معهم يداً واحدة ويزوجه منهم، فمال إليهم، وكتبوا الناصر داود صاحب الكرك، فوافقهم ونزل إليهم واجتمع بهم وتزوج منهم، وعاد إلى الكرك واستولى على ما كان بيد الأمير حسام الدين بن أبى على، من نابلس والقدس والخليل، وبيت جبريل والأغوار.

وخاف الصالح إسماعيل، فكاتب الخوارزمية وقدم إليهم، فحلفوا له على القيام بنصرته، ونازلوا دمشق، فقام الأمير حسام الدين بن أبى على بحفظ البلد أحسن قيام، وألح الخوارزمية - ومعهم الصالح إسماعيل - فى القتال ونهب الأعمال، وضايقوا دمشق، وقطعوا عنها الميرة، فاشتد الغلاء بها، وبلغت الغرارة القمح إلى ألف وثمانمائة درهم فضة، ومات كثير من الناس جوعاً، وباع شخص دارا قيمتها عشرة آلاف درهم، بألف وخمسمائة درهم اشترى بها غرارة قمح، فقامت عليه فى الحقيقة بعشرة آلاف درهم، وأبيع الخبز كل أوقية وربع بدرهم، واللحم كل رطل بسبعة دراهم، ثم عدت الأقوات بالجملة، وأكل الناس القطاط والكلاب والميتات؛ ومات شخص بالسجن، فأكله أهل السجن، وهلك عالم عظيم من الجوع والوباء، واستمر هذا البلاء ثلاثة أشهر، وصار من يمر من الجبل يشتم ريح نتن الموتى، لعجز الناس عن مواراة موتاهم، ولم تنقطع مع هذا الخمر والفسوق من بين الناس.

و أخذ الملك الصالح نجم الدين مع ذلك فى أعمال الخيل والتدبير، وما زال بالمنصور

إبراهيم صاحب حمص حتى مال إليه، واتفق أيضا مع الحلبيين على محاربة الخوارزمية، فخرج الملك الصالح نجم الدين من القاهرة بعساكر مصر، ونزل العباسة؛ فوافاه بها رسل الخليفة، وهما القلك محمد ابن وجه السبع، وجمال الدين عبد الرحمن بن محيي الدين أبي محمد يوسف بن الجوزى فى آخر شوال، ومعهما التقليد والتشريف الأسود: وهو عمامة سوداء، وجبة وطوق ذهب، وفرس بمركوب بحلية ذهب، فنصب المنبر، وصعد عليه جمال الدين عبد الرحمن محيي الدين بن الجوزى الرسول، وقرأ التقليد بالدهليز السلطاني، والسلطان قائم على قدميه، حتى فرغ من القراءة، ثم ركب السلطان بالتشريف الخليفتي، فكان يوما مشهودا. وكان قد حضر أيضا من عند الخليفة تشريف باسم الصاحب معين الدين بن شيخ الشيوخ، فوجد أنه قد مات؛ فأمر السلطان أن يفاض على أخيه الأمير فخر الدين يوسف بن شيخ الشيوخ، فلبسه.

فلما بلغ الخوارزمية مسير السلطان من مصر، ومسير الملك المنصور إبراهيم صاحب حمص بعساكر حلب، رحلوا عن دمشق يريدون لقاء المنصور. فوجد أهل دمشق برحيلهم فرجا، ووصلت إليهم الميرة، وانحل السعر.

* * *

سنة أربع وأربعين وستمائة (١)

فيها أرسل الملك الصالح نجم الدين أيوب القاضي نجم الدين محمد بن سالم النابلسي، المعروف بابن قاضي نابلس - وكان متقدما عنده - إلى مملوكه الأمير ركن الدين بيبرس، فما زال يخدعه ويمنيه، حتى فارق الخوارزمية؛ وقدم معه إلى ديار مصر، فاعتقل بقلعة الجبل، وكان آخر العهد به.

وفيها عظمت مضرة الخوارزمية ببلاد الشام، وكثر نهبهم للبلاد، وسفكهم للدماء وانتهاكهم للحرمات، والتقوا مع الملك المنصور إبراهيم صاحب حمص وعساكر حلب، وقد انضم إليهم عرب كثير وتركمان، نصرة للملك الصالح نجم الدين، وذلك بظاهر حمص أول يوم من المحرم، وقيل ثانيه فكانت بينهم وقعة عظيمة انهزم فيها الخوارزمية هزيمة قبيحة، تبدد منها شملهم، ولم يبق لهم بعدها قائمة وقتل مقدمهم بركة خان وهو سكران، وأسر كثير منهم واتصل من فر منهم بالتار، وفيهم من مضى إلى اللقاء، وخدم الملك الناصر داود صاحب الكرك، فتزوج الناصر منهم، واختص بهم، وقويت شوكتهم وسار بعضهم إلى نابلس، فاستولوا عليها، ووصل بعض من كان معهم ممن انهزم إلى حران، ولحق أيك المعظمى بقلعة صرخد، وامتنع بها، وسار الصالح إسماعيل إلى حلب في عدة من الخوارزمية، فأنزله الملك الناصر صاحب حلب وأكرمه، وقبض على من قدم معه من الخوارزمية ووردت البشرية بهذه الهزيمة إلى السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب في المحرم، فزينت القاهرة ومصر والقلعان.

وسار الأمير حسام الدين بن أبي علي الهذباني من دمشق، واستولى على بعلبك بغير حرب في رجب، وحمل منها الملك المنصور نور الدين محمود بن الملك الصالح إسماعيل، وأخذ الملك السعيد عبد الملك إلى الديار المصرية تحت الاحتياط، فاعتقلوا وزينت القاهرة لفتح بعلبك زينة عظيمة، هي ومصر، وكان أخذ بعلبك عند السلطان أحسن موقعا من أخذه لدمشق، حنقا منه على عمه الصالح إسماعيل، وانصلحت الحال بين السلطان وبين المنصور صاحب حمص والناصر صاحب حلب، واتفقت الكلمة وبعث السلطان إلى حلب يطلب تسليم الصالح إسماعيل، فلم يجب إلى تسليمه وأخرج السلطان عسكريا كبيرا، قدّم عليه الأمير فخر الدين يوسف بن شيخ الشيوخ وسيره

(١) سنة ٦٤٤ هـ. انظر احداث السنة في النجوم الزاهرة ٣١٥ . ٣١٧ / ٦ تاريخ ابن الوردي

لمحاربة الكرك، فسار إلى غزة، وأوقع بالخورازمية، ومعهم الناصر داود صاحب الكرك في ناحية الصلت، وكسرهم وبدد شملهم، وفر الناصر إلى الكرك في عدة.

وكانت الكسرة على الصلت في سابع عشر ربيع الآخر، وسار فخر الدين عنها بعد ما حرقها واحتاط على سائر بلاد الناصر، وولى عليها النواب ونازل فخر الدين الكرك، وخرب ما حولها، واستولى على البلقاء، وأضعف الناصر حتى سأله الأمان، فبعث فخر الدين يطلب منه من عنده من الخورازمية، فسيرهم الناصر إليه، فسار عن الكرك وهم في خدمته ثم نازل فخر الدين بصرى، حتى أشرف على أخذها، فنزل به مرض أشفى منه على الموت وحمل في محفة إلى القاهرة، وبقي العسكر حتى استولوا عليها، وقدم المنصور إبراهيم صاحب حمص إلى دمشق منتميا إلى السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب فنزل به مرض مات به في صفر، فحزن عليه السلطان حزنا كثيرا؛ لأنه كان يتوقع وصوله إليه فقام من بعده بمحمص ابنه الأشرف مظفر الدين موسى.

وفيها تسلم الملك الصالح نجم الدين عجلون، بوصية صاحبها سيف الدين بن قلع عند موته.

وفيها سير صاحب جمال الدين أبو الحسن يحيى بن عيسى بن إبراهيم بن مطروح إلى دمشق وزيرا وأميرا، وأنعم عليه بسبعين فارسا بدمشق، وصرف الأمير حسام الدين بن أبي على الهذبانى عن نيابة دمشق، وولى مكانه الأمير مجاهد الدين إبراهيم، وأقر الطواشى شهاب الدين بالقلعة على حاله، فلما دخل ابن مطروح إلى دمشق خرج منها الأمير حسام الدين، وسار إلى القاهرة، فلما قدم على السلطان، وهو بقلعة الجبل، أقره في نيابة السلطنة بديار مصر، وأنزله بدار الوزارة من القاهرة.

وخرج السلطان بالعساكر في شوال يريد دمشق من قلعة الجبل، واستتاب بديار مصر الأمير حسام الدين بن أبي على، فدخل إلى دمشق في سابع عشر ذى القعدة، وكان دخوله يوما مشهودا، فأحسن إلى الناس، وخلع على الأعيان، وتصدق على أهل المدارس والربط وأرباب البيوت بأربعين ألف درهم، وسار بعد خمسة عشر يوما إلى بعلبك، فرتب أحوالها، وأعطى لأهل المدارس والربط وأرباب البيوت عشرين ألف درهم، وسار إلى بصرى، وقد تسلمها نواب السلطان من الأمير شهاب الدين غازى، نائب الملك الصالح إسماعيل، فتصدق على مدارس بصرى وربطها وأرباب البيوت بعشرين ألف درهم وجهز السلطان الأمير ناصر الدين القيمرى، والصاحب [....] (١)

الدين بن مطروح ، إلى صلخد - وبها الأمير عز الدين أيك المعظمى، فمزالا به حتى سلم صلخد، وسار إلى مصر، وتصدق السلطان فى القدس بألفى دينار مصرية؛ وأمر بذرع سور القدس، فكان ذراعه ستة آلاف ذراع بالهاشمى، فأمر بصرف مغل القدس فى عمارته، وإن احتاج إلى زيادة حملت من مصر.

وفىها سار الأمير فخر الدين بن شيخ الشيوخ بعسكر إلى طبرية، فنازلها حتى أخذها من يد الفرنج، وهدم الحصون.

وفىها مات الملك العادل أبو بكر بن الكامل محمد خنقا، بقلعة الجبل. وقيل كان خنقه قبل هذه السنة، وقيل بل كان فى ستة خمس وأربعين، والقول الثانى أثبت. وسبب قتله أنه كان معتقلا فى برج العافية من قلعة الجبل، فلما عزم السلطان على المسير إلى الشام، بعث يأمره أن يتوجه إلى قلعة الشوبك ليعتقل بها، فامتنع من ذلك، فبعث السلطان إليه من خنقه، وأشاع أنه مات، ثم ظهر أمره وأخرج ابنه المغيث عمر إلى الشوبك، فاعتقل بها، ولما مات العادل دفن خارج باب النصر، ولم يجسر أحد ييكى عليه ولا يذكره، وترك العادل ولدا يقال له الملك المغيث عمر ، أنزل إلى القهرة عند عماته، ثم أخرج إلى الشوبك. وكان عمر العادل يوم مات نحو ثلاثين سنة، وأقام مسجوناً نحو ثمانى سنين.

وفىها وقع الاختلاف بين الفرنج.

* * *

سنة خمس وأربعين وستمائة^(١)

فيها عاد السلطان الملك الصالح من دمشق إلى ديار مصر، بعد ما أخذ عسقلان وخربها في جمادى الآخرة، و بعد أن تسلم أيضا قلعة بارزين من عمل حماة، في رمضان، وفي عوده إلى مصر عرض له - وهو بالرمل - وجع في حلقه، أشفى منه على الموت، ثم عوفى ودخل إلى قلعته سالما، وزينت البلدان والقلعتان فرحًا به وكتب السلطان إلى الأمير فخر الدين بن شيخ الشيوخ أن يسير من بلاد الفرنج بالساحل إلى دمشق، فسار إليهما بمن معه من العسكر، وأنعم على من بها من الأمراء وغيرهم، وخلع عليهم، وأخذت عسقلان، يوم الخميس ثاني عشر جمادى الآخرة بعساكر السلطان.

وفيها تسلم نواب السلطان قلعة الصبية وحضر إلى حلب من حماة الطواشي شجاع الدين مرشد المنصوري، والأمير مجاهد الدين أمير جاندار، لإحضار سيدة الخواتين عصمة الدنيا والدين عائشة خاتون، ابنة الملك العزيز محمد بن الظاهر غازي بن صلاح الدين يوسف بن أيوب فسارت ومعها أمها الستر الرفيع فاطمة خاتون، ابنة الملك الكامل محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب، في رمضان - وهي في تجمل زائد، ومحفتها ملبسة ثوب حرير بذهب مكمل بالجواهر فتلقاها زوجها الملك المنصور صاحب حماة.

وفيها حكر الناس البستان الكافورى بالقاهرة، وعمروا فيه الدور.

وفيها قبض على الأمير عز الدين أيك المعظمى بدمشق، وحمل إلى القاهرة تحت الحوطة، فاعتقل بها في دار صواب ورافعه ولده أن الذي حمله من صلخد، كان مبلغ ثمانين خرجا أودعها، فلما بلغه ذلك سقط إلى الأرض، وقال: هذا آخر العهد بالدنيا، ولم يتكلم بعدها حتى مات.

وفيها سار السلطان من قلعة الجبل، ونزل بقصره في أشموم طناح.

وفيها خنق الملك العادل أبو بكر بن محمد الكامل، في ثاني عشر شوال.

* * *

(١) سنة ٦٤٥ هـ. انظر أحداث السنة في النجوم الزاهرة ٣١٨ / ٦ تاريخ ابن الوردي ٢٠٥٤.

سنة ستة وأربعين وستمائة

فيها كتب السلطان من أشموم طناح^(١) إلى نائبه بديار مصر الأمير حسام الدين بن أبي علي، أن يرسل بالحلقة السلطانية والدهليز السلطاني إلى دمشق؛ وأقام السلطان بدله في نيابة السلطنة بالقاهرة الأمير الجواد جمال الدين، وأبا الفتح موسى بن يغمور بن جلدك. فسار الأمير حسام الدين، ونزل بالقصور التي أنشأها السلطان الملك الصالح أيوب^(٢)، وجعلها مدينة بالسائح في أول الرمل، وجعل فيها سوقا جامعا؛ ليكون مركز العساكر عند خروجهم من الرمل، وسماها الصالحية. وأقام حسام الدين بالصالحية مقام السلطان، وطال مقامه بها نحو أربعة أشهر، ثم سار ليدرك الملك الأشرف صاحب حمص، فإن الأخبار وردت بمسير عساكر حلب مع الأمير شمس الدين لؤلؤ الأسيفي، والملك الصالح إسماعيل^(٣)؛ لأخذ حمص. فلم يدركه حسام الدين، وسلم الأشرف حمص، وصارت للناصر صاحب حلب، وتعوض الأشرف عن حمص تل باشر^(٤).

(١) بلد بمصر قرب دمياط وهي مدينة الدقهلية. انظر معجم البلدان ٣٨٢/١.

(٢) أيوب (الملك الصالح) بن محمد (الملك الكامل) بن أبي بكر (العادل) بن أيوب، أبو الفتح نجم الدين: من كبار الملوك الأيوبيين بمصر. ولد ونشأ بالقاهرة. وولى بعد خلع أخيه (العادل) سنة ٦٣٧هـ. وضبط الدولة بحزم وكان شجاعا مهيبا عفيفا صموتا، عمر بمصر ما لم يعمره أحد من ملوك بني أيوب وفي أواخر أيامه أغار الإفرنج على دمياط (سنة ٦٤٧هـ) واحتلها وأصاب البلاد ضيق شديد، وكان الصالح غائبا في دمشق، فقدم ونزل أمام الفرنج وهو مريض بالسل فمات بناحية المنصورة، ونقل إلى القاهرة. من آثاره قلعة الروضة بالقاهرة. انظر خطط المقرئ ٢: ٢٣٦، وابن إياس ١: ٨٣، تاريخ الإسحاقى ١٨٩، مرآة الزمان ٨: ٧٧٥.

(٣) إسماعيل (الصالح، عماد الدين أبو الخيس) بن محمد بن أبو بكر (العادل) بن أيوب: من ملوك الدولة الأيوبية. قالوا في وصفه: كان ملكا شهما محسنا لحاشيته، كثير التحمل. تسلطن بدمشق (٦٣٥هـ) بعد وفاة صاحبها (أخيه) الأشرف. وجاءه الملك الكامل فأخذها منه بعد حصار. ورحل إسماعيل إلى بعلبك، ثم هاجم دمشق وملكها (في صفر ٦٣٧هـ) وأحرم (٦٣٨هـ) بتسليمه قلعة الشقيف للفرنج. قال الذهبي: لغرض في نفسه... فمقته المسلمون. وأحرقته والخوارزمية من دمشق (٦٤٣هـ) ثم صالحهم ووالوه. وانتهى أمره بالخروج لاحقا إلى حلب (٦٤٤) وفيها الناصر ابن أخيه. وبينما هو في رحلة معه إلى دمشق أسره بعض رجال صاحب مصر وقتلوه. انظر اختصار القديح المعلى ١٣٨ دليل ١: ٢٧١ - ٢٧٢ والأهدية ٦٢ والمشرق ٣٢: ٣٠٥ والأعلام ١/٣٢٤.

(٤) أطلق هذا الاسم على قلعة حصينة وكورة واسعة أيضا في شمالي حلب. انظر: معجم البلدان

فلما بلغ السلطان ذلك عاد من أشموم طناح إلى القاهرة، وخرج منها إلى عسكره بالصالحية، وسار في محفة لما به من المرض، بسب ورم مأبضه^(١) وكان قد اشتدّ به حتى حصل منه ناصور. وحدث قرحة في الصدر؛ إلا أن همته كانت قوية، فلم يُلقِ نفسه وسار السلطان إلى دمشق، ونزل بقلعتها.

وبعث السلطان بالأمير فخر الدين بن شيخ الشيوخ، ومعه الأمراء والعساكر، وفيهم الأمير ابن أبي علي الهذباني، إلى حمص، فنازلها ورمى عليها بمنجنيق زنة حجره مائة وأربعون رطلا، ومعه ثلاثة عشر منجنيقا آخر، وسخر الناس في حمل هذه المجانيق من دمشق، حتى كان يحمل كل عود ثمنه نحو عشرين درهما بألف درهم، فإن الوقت كان شتاء صعبا. وألح الأمير فخر الدين في الحصار إلى أن قدم من بغداد الشيخ نجم الدين البادراني، رسولا من الخليفة المستعصم بالله^(٢)، بالصلح بين الحلبيين وبين السلطان، فقرر الصلح، ورحل العساكر عن حمص، بعدما أشرف على أخذها.

وقدم من حلب الشيخ شمس الدين الخُسْرُو شاهی، فسأل السلطان على لسان الملك الناصر داود^(٣) صاحب الكرك، أن يسلم الكرك إلى السلطان، ويعتاض عنها بالشوبك، فأجيب الناصر داود إلى ذلك، وتوجه من يتسلم منه الكرك، ثم رجع الناصر عن ذلك، لما بلغه من شدة مرض السلطان، وتحرك الفرنج لأخذ ديار مصر فخرج السلطان من

(١) والمأبض: كل ما يثبت عليه فخذك؛ وقيل: المأبضان ما تحت الفخذين في مثنى أسافلها؛ وقيل: المأبضان باطنا الركبتين والمرفقين. التهذيب: ومأبضا الساقين ما بطن من الركبتين، وهما في يدي البعير باطنا المرفقين. الجوهري: المأبض باطن الركبة من كل شيء، والجمع مأبض. انظر (محيط المحيط) مادة أبض، ولسان العرب ٨ مادة (أبض).

(٢) عبد الله (المستعصم) بن منصور (المستنصر) بن محمد (الظاهر) بن أحمد (الناصر) من سلالة هارون الرشيد العباسي، وكنيته أبو أحمد: آخر خلفاء الدولة العباسية في العراق. ولد ببغداد، وولى الخلافة بعد وفاة أبيه (سنة ٦٤٠هـ). وكانت مدة خلافته ١٥ سنة و٨ أشهر وأيام. وبموته انقرضت دولة بني العباس في العراق. انظر ابن خلدون ٥٣٦/٣. وتاريخ الخميس ٣٧٢/٢ وفوات الوفيات ٢٣٧/١ والنجوم الزاهرة ٦٣/٧ والأعلام ١٤٠/٤.

(٣) داود بن الملك المعظم عيسى بن محمد بن أيوب، الملك الناصر صلاح الدين: صاحب الكرك، وأحد الشعراء الأدباء. ولد ونشأ في دمشق. وملكها بعد أبيه (سنة ٦٢٦هـ) وأخذها منه عمه الأشرف، فتحول إلى الكرك، فملكها إحدى عشرة سنة، ثم استخلف عليها ابنه عيسى (سنة ٦٤٧هـ) فانتزعها منه الصالح (أيوب بن عيسى) في هذه السنة، فرحل الناصر مشردا في البلاد، وحبس بقلعة حمص ثلاث سنوات، ثم أقام في حلة بني مؤيد، وتوفى بقرية البويضاء بالطاعون. انظر صبح الأعشى ١٧٥/٤ وفوات الوفيات ١٥٦/١ والوفيات ٣٩٧/١ والنجوم الزاهرة ٥٣٤/٧. وشذرات الذهب ٢٧٥/٥ والفهرس التمهيدى ٢٨٤ والأعلام ٣٣٤/٢.

دمشق في محفة، وسار إلى الغور، وقدم الأمير حسام الدين بن أبى على إلى القاهرة، لينوب عنه بها، واستدعى بالأمير جمال الدين بن يغمور من القاهرة لينوب بدمشق؛ وعزل الصاحب جمال الدين بن مطروح عن دمشق، وعزل الطواشى شهاب الدين رشيد عن قلعة دمشق، وفوض ما كان بيدهما للأمير جمال الدين بن يغمور.

وفيها احترق المشهد الحسينى بالقاهرة، واحترقت المنارة الشرقية بجامع دمشق. وفيها مات قاضى القضاة أفضل الدين الخونجى، فى شهر رمضان، فولى من بعده ابنه قاضى القضاة جمال الدين يحيى.

وفيها مات الملك المظفر شهاب الدين غازى بن العادل أبى بكر بن أيوب^(١)، صاحب الرها؛ وقام من بعده ابنه الكامل محمد فى سلطنة الرها وميفارقين.

وفيها عزل الملك المنصور نور الدين عمر بن على بن رسول^(٢) صاحب اليمن الأمير فخر الدين بن السلاج عن مكة وأعمالها، وولى عوضه محمد بن أحمد بن المسيب، على مال يقوم به، وقود عدده مائة فرس كل سنة فقدم ابن المسيب مكة، وخرج الأمير فخر الدين فسار بنفسه ابن المسيب، وأعاد الجبايات والمكوس بمكة، وأخذ الصدقة الواردة من اليمن، [.....]^(٣) عن مال السلطان وبنى حصنا بنخلة يسمى العطشان وحلف هذيل^(٤) لنفسه، ومنع الجند النفقة فوثب عليه الشريف أبو سعد بن على بن قتادة، وقيدته وأخذ ماله، وقال لأهل الحرم: «إنما فعلت به هذا لأنى تحققت أنه يريد الفرار بالمال إلى العراق، وأنا غلام مولانا السلطان والمال عندى محفوظ

(١) غازى (المظفر) بن أبى بكر (العادل) ابن أيوب: صاحب ميفارقين وخلاط والرها وإربل من ملوك الدولة الأيوبية. كان فارساً مهيباً جواداً، كنيته: شهاب الدين. له أخبار مع أخيه الملك الأشرف موسى، وغيره. انظر الرحلة العباسية ٣٤٤/١ وشذرات الذهب ٢٣٣/٥ ومرآة الزمان ٧٦٨/٨ - ٧٧٠، والنجوم الزاهرة ٢٥٥/٦ - ٢٥٧ والأعلام ١٢/٥.

(٢) عمر بن على بن رسول (واسمه محمد) بن هارون بن أبى الفتح الغسانى التركمانى نور الدين، الملقب بالملك المنصور: مؤسس الدولة الرسولية فى اليمن. ولد بمصر، وأحسن الاتصال بينى أيوب: ولما دخل الأيوبيون اليمن كان الرسولى مع أحدهم الملك المسعود بن الملك الكامل، فقلده المسعود أعمالاً كثيرة ظهرت كفائته، ولما توجه إلى مصر جعله نائباً عنه فى اليمن. ثم لما سار المسعود إلى مكة وتوفى فيها (سنة ٦٢٦ هـ) استولى الرسولى على اليمن وأظهر النيابة عن الأيوبيين إلى أن أعد جيشاً ضخماً حارب به عساكرهم واستقل بالملك، وتلقب بالملك المنصور. انظر العقود اللؤلؤية ٤٣/١ - ٨٨، وبغية المستفيد، والذهب المسبوك ٣٩، والأعلام ٥/٥٦.

(٣) ما بين المعقوفتين بياض فى الأصل.

(٤) كانت هذيل هذه قبيلة صغيرة، مساكنها شرقى مكة. انظر العقود اللؤلؤية ٦٤/٣.

٤٣٦ سنة ستة وأربعين وستمائة

والخيل والعدد، إلى أن يصل مرسومه» فلم يكن غير أيام، وورد الخبر بموت السلطان نور الدين عمر بن رسول.

* * *

سنة سبع وأربعين وستمائة

فيها قدم السلطان من دمشق، وهو مريض فى محفة، لما بلغه من حركة الفرنج. فنزل بأشوم طنّاح فى المحرم، وجمع فى دمياط من الأقوات والأسلحة شيئا كثيرا، وبعث إلى الأمير حسام الدين بن أبى على نائبه بالقاهرة، أن يجهز الشوانى من صناعة مصر؛ فشرع فى تجهيزها، وسيرها شيئا بعد شىء. وأمر السلطان الأمير فخر الدين بن شيخ الشيوخ أن ينزل على جيزة دمياط بالعساكر؛ ليصير فى مقابلة الفرنج إذا قدموا فتحول الأمير فخر الدين بالعساكر، فنزل بالجيزة تجاه دمياط، وصار النيل بينه وبينها، ولم يقدر السلطان على الحركة لمرضه، ونودى فى مصر: «من كان له على السلطان أو عنده له شىء، فليحضر ليأخذ حقه»، فطلع الناس وأخذوا ما كان لهم.

وفى الساعة الثانية من يوم الجمعة لتسع بقين من صفر: وصلت مراكب الفرنج البحرية، وفيها جمعهم العظيمة صحبة ريدأفرنس - ويقال له الفرنسيس، واسمه لويس ابن لويس. وريدأفرنس لقب بلغة الفرنج، معناه ملك أفرنس - وقد انضم إليهم فرنج الساحل كله، فأرسوا فى البحر بإزاء المسلمين. وسير ملك الفرنج إلى السلطان كتابا، نصه بعد كلمة كفرهم: «أما بعد فإنه لم يخف عنك أنى أمين الأمة العيسوية، كما أنى أقول إنك أمين الأمة المحمدية. وإنه غير خاف عنك أن أهل جزائر الأندلس يحملون إلينا الأموال والهدايا، ونحن نسوقهم سوق البقر ونقتل منهم الرجل ونرمل النساء، ونستأسر البنات والصبيان، ونخلى منهم الديار، وقد أبديت لك ما فيه الكفاية، وبذلت لك النصح إلى النهاية، فلو حلفت لى بكل الأيمان، ودخلت على القسوس والرهبان، وحملت قدامى الشمع طاعة للصليان، ما ردنى ذلك عن الوصول إليك، وقتلك فى أعز البقاع عليك، فإن كانت البلاد لى، فيا هدية حصلت فى يدي، وإن كانت البلاد لك والغلبة علىّ، فيدك العليا ممتدة إلىّ. وقد عرفتك وحذرتك من عساكر قد حضرت فى طاعتى، تملأ السهل والجبل، وعددهم كعدد الحصى، وهم مرسلون إليك بأسياف القضا».

فلما وصل الكتاب إلى السلطان وقرئ عليه، اغرورقت عيناه بالدموع واسترجع. فكتب الجواب بخط القاضى بهاء الدين زهير بن محمد، كاتب الإنشاء، ونسخته بعد البسملة وصلواته على سيدنا محمد رسول الله وآله وصحبه أجمعين: «أما بعد فإنه وصل كتابك، وأنت تهدد فيه بكثرة جيوشك وعدد أبطالك. فنحن أرباب السيوف،

وما قتل منا قرن إلا جددناه، ولا بغى علينا باغ إلا دمرناه. فلو رأيت عيناك - أيها المغرور - حد سيوفنا وعظم حروبنا، وفتحنا منكم الحصون والسواحل، وإخرابتنا منكم ديار الأواخر والأوائل، لكان لك أن تعض على أناملك بالندم، ولا بد أن تنزل بك القدم، في يوم أوله لنا وآخره عليك. فهناك تسيء بك الظنون، ﴿وَسَيَعْلَمَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾. فإذا قرأت كتابي هذا، فكن فيه على أول سورة النحل: ﴿آتَى أَمْرًا لِّلَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾؛ وكن على آخر سورة ص: ﴿وَلَتَعْلَمَنَّ نَبَأَ بَعْدِ حِينٍ﴾^(١). ونعود إلى قول الله تبارك وتعالى، وهو أصدق القائلين: ﴿كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً يَأْذَنُ اللَّهُ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾^(٢)، وإلى قول الحكماء: «إن الباغى له مصرع» وبغيك يصرعك، وإلى البلاء يقلبك، والسلام».

وفي يوم السبت: نزل الفرنج في البر الذي عسكر المسلمون فيه، وضربت للملك ريدافرنس خيمة حمراء. فناوشهم المسلمون الحرب، واستشهد يومئذ الأمير نجم الدين ابن شيخ الإسلام - وكان رجلا صالحا، ورتبه الملك داود مع الملك الصالح نجم الدين لما سجن بالكرك، لمؤانسته، ومن استشهد أيضا الأمير صارم الدين إزبك الوزيرى. فلما أمسى الليل رحل الأمير فخر الدين يوسف بن شيخ الشيوخ بمن معه من عساكر المسلمين، وقطع بهم الجسر إلى الجانب الشرقي، الذى فيه مدينة دمياط. وخلا البر الغربى للفرنج، وسار فخر الدين بالعسكر يريد أشموم طناح.

فلما رأى أهل دمياط رحيل العسكر، خرجوا كأنما يسحبون على وجوههم طول الليل، ولم يبق بالمدينة أحد ألبتة، وصارت دمياط فارغة من الناس جملة. وفروا إلى أشموم مع العسكر، وهم حفاة عراة جياع فقراء، حيارى بمن معهم من الأطفال والنساء، وساروا إلى القاهرة، فنهبهم الناس فى الطريق، ولم يبق لهم ما يعيشون به فعدت هذه الفعلة من الأمير فخر الدين من أقبح ما يشنع به. وقد كانت دمياط فى أيام الملك الكامل، لما نازها الفرنج، أقل ذخائر وعددا منها فى هذه النوبة، ومع ذلك لم يقدر الفرنج على أخذها إلا بعد سنة، عندما فنى أهلها بالبوء والجوع، وكان فيها هذه المرة أيضا جماعة من شجعان بنى كنانة، فلم يغن ذلك شيئا.

وأصبح الفرنج يوم الأحد، لسبع بقين من صفر، سائرين إلى مدينة دمياط. فعندما رأوا أبوابها مفتحة ولا أحد يحميها، خشوا أن تكون مكيدة، فتمهلوا حتى ظهر أن الناس قد فروا وتركوها. فدخلوا المدينة بغير كلفة ولا مؤنة حصار، واستولوا على ما

(١) سورة ص آية ٨٨.

(٢) سورة البقرة آية ٢٤٩.

فيها من الآلات الحربية، والأسلحة العظيمة والعدد الكثيرة، والأقوات والأزواد والذخائر، والأموال والأمتعة وغير ذلك، صفوا عفوًا.

وبلغ ذلك أهل القاهرة ومصر، فانزعج الناس انزعاجا عظيما، ويسوا من بقاء كلمة الإسلام بديار مصر. لتملك الفرنج مدينة دمياط، وهزيمة العساكر، وقوة الفرنج بما صار إليهم من الأموال والأزواد والأسلحة، والحصن الجليل الذي لا يُقدر على أخذه بقوة، مع شدة مرض السلطان، وعدم حركته.

وعندما وصلت العساكر إلى أشموم طناح، ومعهم أهل دمياط، اشتدّ حنق السلطان على الكنانيين، وأمر بشنقهم، فقالوا: «وما ذنبنا إذا كانت عساكره جميعهم وأمراؤه هربوا، وأحرقوا الزردخاناه، فأى شيء نعمل نحن؟» فشنقوا لكونهم خرجوا من المدينة بغير إذن، حتى تسلمها الفرنج، فكانت عدّة من شنق زيادة على خمسين أميرا من الكنانيين. وكان فيهم أمير حشيم، وله ابن جميل الصورة. فقال أبوه: «يا لله اشنقوني قبل ابني». فقال السلطان: «لا! بل اشنقه قبل أبيه». فشنق الابن، ثم شنق الأب من بعده، بعد أن استفتى السلطان الفقهاء فأفتوا بقتلهم.

وتغير السلطان على الأمير فخر الدين بن شيخ الشيوخ، وقال: «أما قدرتم تقفون ساعة بين يدي الفرنج؟ هذا وما قتل منكم إلا هذا الضيف الشيخ نجم الدين». وكان الوقت لا يسع إلا الصبر والتغاضي، وقامت الشناعة من كل أحد على الأمير فخر الدين، فخاف كثير من الأمراء وغيرهم سطوة السلطان، وهموا بقتله، فأشار عليهم فخر الدين بالصبر، حتى يتبين أمر السلطان: «فإنه على خطّة، وإن مات كانت الراحة منه، وإلا فهو بين أيديكم».

ولما وقع ما ذكر السلطان بالرحيل إلى المنصورة، وحمل في حراقة حتى أنزل بقصر المنصورة على بحر النيل في يوم الثلاثاء لخمس بقين من صفر، فشرع كل أحد من العسكر في تجديد الأبنية للسكنى بالمنصورة، ونصبت [...] (١) [...] بالأسواق، وأبراج السور الذي على البحر وستر بالستائر. وقدمت الشوانى المصرية بالعدد الكاملة والرجالة، وجاءت الغزاة والرجال من عوام الناس الذين يريدون الجهاد، من كل النواحي، ووصلت عربان كثيرة جدا، وأخذوا فى الغارة على الفرنج ومناوشتهم. وحصن الفرنج أسوار دمياط، وشحنوها بالمقاتلة.

فلما كان يوم الإثنين سلخ شهر ربيع الأوّل: وصل إلى القاهرة من أسرى الفرنج

(١) ما بين المعقوفين بياض فى الأصل.

الذين تخطفهم العرب ستة وثلاثون أسيرا، منهم فارسان، وفي خامس شهر ربيع الآخر وصل سبعة وثلاثون أسيرا، وفي سابعه وصل اثنان وعشرون أسيرا، وفي سادس عشره وصل خمسة وأربعون أسيرا، منهم ثلاثة من الخيالة. ولما بلغ أهل دمشق أخذ الفرنج لمدينة دمياط ساروا منها، وأخذوا صيذاء من الفرنج، بعد حصار وقتال فورد الخير بذلك لخمس بقين من شهر ربيع الآخر، فسر الناس بذلك.

هذا والأسرى من الفرنج تصل في كل قليل إلى القاهرة، ووصل في ثامن عشر جمادى الأولى خمسون أسيرا. ومع ذلك والمرض يتزايد بالسلطان، وقواه تنحط، حتى وقع بأمر الأطباء من برئه وعافيته، لاجتماع مرضين عظيمين، هما الجراحة الناصورية في مابضه والسل.

وأما الناصر داود صاحب الكرك، فإنه لما ضاقت به الأمور استخلف ابنه الملك المعظم شرف الدين عيسى، وأخذ معه جواهره، وسار في البر إلى حلب مستجيرا بالملك الناصر يوسف بن الملك العزيز فأنزله وأكرمه وسير الناصر بجواهره إلى الخليفة المستعصم بالله؛ لتكون عنده وديعة، فقبض الخليفة ذلك، وسير إليه الخط بقبضه وأراد الناصر بذلك أن يكون الجوهر في مأمن، فإذا احتاج إليه طلبه، وكانت قيمته ماينيف على مائة ألف دينار. فحنق ولدا الناصر - وهما الملك الظاهر شادى والملك الأجد حسن^(١) - على أبيهما، لكونه قدم عليهما المعظم، وقبضا على المعظم، واستوليا على الكرك، وأقام الملك - الظاهر شادى وهو أسن إخوته - بالكرك، وسار الملك الأجد حسن إلى الملك الصالح نجم الدين، فوصل إلى المعسكر بالمنصورة، يوم السبت لتسع مضين من جمادى الآخرة، وبشره بأنه هو وأخوه الظاهر أخذوا الكرك له، وسأله فى خبز بديار مصر يقوم بهما. فأكرمه السلطان، وأعطاه مالا كثيرا، وسير الطواشى بدر الدين الصوابى إلى الكرك نائبا بها والشوبك، فتسلمها بدر الدين، وسير أولاد الناصر داود جميعهم، وأخويه الملك القاهر عبد الملك، والملك المغيث [عبد العزيز]^(٢)،

(١) الحسن بن داود الناصر بن الملك المعظم عيسى. من بنى أيوب، أبو محمد، مجد الدين، الملقب بالملك الأجد: صاحب الكرك، من أمراء الدولة الأيوبية. كان من الفضلاء له معرفة جيدة بالأدب ومشاركة فى كثير من العلوم. انظر النجوم الزاهرة ٧/ ٢٣٦، ٢٣٨ وترويح القلوب ٧٦ ودار الكتب ٣/ ٢٧٤ والأعلام ٢/ ١٩٠.

(٢) عبد العزيز (المغيث شهاب الدين) بن عيسى بن العادل بن الكامل: من أمراء الدولة الأيوبية كان صاحب الكرك والشوبك. وتحيل عليه الملك الظاهر حتى دخل الشام (٦٦١هـ) حتى نزل إليه فكان آخر العهد به. انظر العبد ٥/ ٢٠١، ٢٢١، ٢٦٣ وشذرات الذهب ٥/ ٣٠٥ وفى الذيل على الروضتين ١٦١ النجوم ٧/ ٢٧٨ والأعلام ٤/ ٢٤.

ونساءهم وعبالاتهم كلها. إلى المعسكر بالمنصورة، فأقطعهم السلطان إقطاعا جليلا، ورتب لهم الرواتب، وأنزل أولاد الناصر في الجانب الغربي قبالة المنصورة.

وكان استيلاء نائب السلطان على الكرك يوم الإثنين، لاثنتى عشرة بقية من جمادى الآخرة؛ وسر السلطان بأخذ الكرك سرورا عظيما، وأمر فزينة القاهرة ومصر، وضربت البشائر بالقلعتين، وجهز السلطان إلى الكرك ألف ألف دينار مصرية، وجواهر وذخائر وأسلحة، وشيئا كثيرا مما يعز عليه.

وفي ثالث عشر شهر رجب: وصل إلى القاهرة سبعة وأربعون أسيرا من الفرنج، وأحد عشر فارسا منهم؛ وظفر المسلمون بعد أيام بمُسَطَّح^(١) للفرنج في البحر، فيه مقاتلة، بالقرب من نَسْتَرَاوَة^(٢).

فلما كان ليلة الإثنين نصف شعبان: مات السلطان الملك الصالح بالمنصورة، وهو في مقابلة الفرنج، عن أربع وأربعين سنة، بعدما عهد لولده الملك المعظم تورانشاه، وحلف له فخر الدين بن الشيخ ومحسن الطواشي، ومن يثق به، وبعدهما علم قبل موته عشرة آلاف علامة. يستعان بها في المكاتبات على كتمان موته، حتى يقدم ابنه تورانشاه من حصن كيفا وكانت أم السلطان الملك الصالح أم ولد، اسمها ورد المنى. وكانت مدة ملكه بمصر عشر سنين إلا خمسين يوما، فغسله أحد الحكماء الذين تولوا علاجه، لكي يخفى موته. وحمل في تابوت إلى قلعة الروضة، وأخفى موته، فلم يشتهر إلى ثاني عشرى رمضان، ثم نقل بعد ذلك بمدة إلى تربته بجوار المدارس الصالحية بالقاهرة.

والملك الصالح هو الذى أنشأ المماليك البحرية بديار مصر: وذلك أنه لما مر به ما تقدم ذكره، في الليلة التي زال عنه ملكه، بتفرق الأكراد وغيرهم من العسكر عنه حتى لم يثبت معه سوى مماليكه، رعى لهم ذلك. فلما استولى على مملكة مصر أكثر من شراء المماليك وجعلهم معظم عسكره، وقبض على الأمراء الذين كانوا عند أبيه وأخيه، واعتقلهم وقطع أجزأهم؛ وأعطى مماليكه الإمريات، فصاروا بطانته والمحيطين بدهليزه، وسماهم بالبحرية لسكناهم معه في قلعة الروضة على بحر النيل.

(١) على هامش ط: نوع من السفن، جمعه مسطحات، والغالب أنه سمي بذلك لأنه كان له

سطح.

(٢) على هامش ط: وتسمى أيضا نسترو، وكانت تطلق في تلك العصور على بلدة البرلس

الحالية، وعلى بحيرة البرلس أيضا.

وكان ملكا شجاعا حازما مهيبا، لشدة سطوته وفخامة [.....] (١)، مع عزة النفس وعلو الهمة، وكثرة الحياء والعفة وطهارة الذليل عن الخنا، وصيانة اللسان من الفحش في القول، والإعراض عن الهزل والعبث بالكلية، وشدة الوقار ولزوم الصمت، حتى إنه كان إذا خرج من عند حرمة إلى مماليكه، أخذتهم الرعدة عندما يشاهدونه - خوفا منه - ولا يبقى أحد منهم مع أحد. وكان إذا جلس مع ندمائه كان صامتا، لا يستفزه الطرب ولا يتحرك، وجلساؤه كأنما على رءوسهم الطير. وإذا تكلم مع أحد من خواصه، كان ما يقوله كلمات نزره وهو فى غاية الوقار، وتلك الكلمات لا تكون إلا فى مهم عظيم، من استشارة أو تقدّم بأمر من الأمور المهمة، لا يعدو حديثه قط هذا النحو، ولا يجسر أحد يتكلم بين يديه إلا جوابا. وما عُرف أبدا عن أحد من خواصه أن تكلم فى مجلسه ابتداءً ألبتة، ولا أنه جسر على شفاعته ولا مشورة ولا ذكر نصيحة، ما لم يكن ذلك بابتداء من السلطان، فإذا انفرد بنفسه لا يدنو منه أحد. وكانت القصص ترد إليه مع الخدام فيوقع عليها، ويخرج بها الخدام إلى كاتب الإنشاء، ولا يستقل أحد من أرباب الدولة بانفراد بأمر، بل يراجع القصص مع الخدام. ومع هذه الشهامة والمهابة لا يرفع بصره إلى من يحدثه؛ حياء منه وخفرا، ولم يُسمع منه قط فى حق أحد من خدمه لفظة فحش، وأكثر ما يقول إذا شتم أحدا: «متخلف»، ولا يزيد على هذه الكلمة، ولا عَرَف قط من النكاح سوى زوجته وجواريه.

وكانت البلاد فى أيامه آمنة مطمئنة والطرق سابلة، إلا أنه كان عظيم الكبر زائد الترفع بلغ من كبره وترفعه أن ابنه الملك المغيث عمر (٢)، لما حبسه الملك الصالح إسماعيل عنده، لم يسأله فيه ولا طلبه منه، حتى مات فى حبسه. وكان يجب جمع المال، بحيث أنه عاقب عليه أم أخيه الملك العادل، إلى أن أخذ منها مالا عظيما وجواهر نفيسة.

وقَتَلَ السلطان الملك الصالح أيوب أخاه الملك العادل، ومن حين قتله ما انتفع بالحياة ولا تهنى بها: فنزل به المرض، وطرقه الفرنج، وقبض على جميع أمراء الدولة، وأخذ أموالهم وذخائرهم. ومات فى حبوسه ما ينيف على خمسة آلاف نفس، سوى من قتل وغرق من الأشرفية فى البحر ولم يكن له مع ذلك ميل إلى العلم ولا مطالعة الكتب، إلا أنه كان يجرى على أهل العلم والصلاح المعاليم والجرايات، من غير أن يخالطهم. ولم يخالط غيرهم. لمحبتته فى العزلة ورغبته فى الانفراد، وملازمته للصمت ومدوامته على الوقار والسكون.

(١) ما بين المعقوفين بياض فى الأصل.

(٢) عمر (المغيث، جلال الدين بن أيوب الصالح) بن محمد (الكامل). كان نائب دمشق وتوفى

بها. انظر ترويح القلوب ٨٣ وشذرات الذهب ٢١٥/٥ والأعلام ٤٢/٥.

وكان يجب العمارة وبياشر الأبنية بنفسه، وعمر بمصر ما لم يعمره أحد من ملوك بنى أيوب: فأنشأ قلعة الروضة تجاه مدينة فسطاط مصر، وأنفق فيها أموالا جمّة، وهدم كنيسة كانت هناك لليعاقبة من النصارى، وأسكن بهذه القلعة ألف مملوك من الترك - وقيل ثمانمائة - سماهم البحرية وكان الماء حيثنذ لا يحيط بها. فلم يزل يُغرقُ السفن، ويرمى الحجارة فيما بين الجزيرة والروضة، إلى أن صار الماء فى طول السنة محيطا الروضة وأقام جسرا من مصر إلى الروضة، يمرّ عليه الأمراء. وغيرهم إذا جاءوا إلى الخدمة، ولم يكن أحد يمرّ على هذا الجسر راكبا، احتراماً للسلطان فجاءت هذه القلعة من أجل مباني الملوك وبنى أيضا على النيل بناحية اللوق^(١) قصورا بلغت الغاية فى الحسن، جعلها إلى جانب ميدانه الذى يلعب فيه بالكرة، وكان مغرم بلعبها وبنى قصرا عظيما فيما بين القاهرة ومصر، سماه الكباش، على الجبل بجوار جامع ابن طولون. وبنى قصرا بالقرب من العلامّة^(٢) فى أرض السانح، وجعل حوله مدينة سماها الصالحية، فيها جامع وسوق، لتكون مركزا للعساكر بأول الرمل الذى بين الشام ومصر.

وكان له من الأولاد الملك المغيث فتح الدين عمر، وهو أكبر أولاده، مات فى سجن قلعة دمشق، والملك المعظم غياث الدين تورانشاه، وملك مصر بعده، والملك القاهر، ومات فى حياته أيضا وولد له أيضا من شجر الدر ولد سماه خليلا، مات صغيرا.

ولما طال مرضه من الجراحة الناصورية - وفسد مخرجه، وامتد الجرح إلى فخذه اليمين، وأكل جسمه - اجتهد فى مداواتها، وحدث له مرض السل من غير أن يفطن به. فورد كتابه إلى الأمير حسام الدين بن أبى على بالقاهرة: «إن الجراحة قد صلحت وجفت رطوباتها، ولم يبق إلا ركوبى ولعبى بالصولجة، فتأخذ حَظُّك من هذه البشرى». وفى الحقيقة لم تجف الجراحة إلا لفراغ المواد، وتزايد عليه بعد ذلك المرض حتى مات.

وقيل إنه لم يعهد إلى أحد بالملك، بل قال للأمير حسام الدين بن أبى على: «إذا مت لا تسلم البلاد إلا للخليفة المستعصم بالله، ليرى فيها رأيه»؛ فإنه كان يعرف ما فى

(١) أطلق اسم ناحية اللوق فى الأصل - ومعنى اللوق الأرض اللينة - على الجهة التى انحسر عنها ماء النيل، من ساحل المقسى إلى منشأة المهرانى بالقاهرة. وعرفت تلك الناحية باسم باب اللوق. انظر خطط المقرئى ١٣٧/٢، ١٣٨.

(٢) هى بلدة من دون بليس. انظر معجم البلدان ٧١/٢. والخطط التوفيقية ٥٣/٤، ٥٤، أن هذه البلدة كانت فى زمنه إحدى مراكز مديرية الشرقية.

ولده المعظم تورانشاه من الهوج فلما مات السلطان أحضرت زوجته شجر الدر الأمير فخر الدين بن شيخ الشيوخ، والطواشي جمال الدين محسن - وكان أقرب الناس إلى السلطان، وإليه القيام بأمر مماليكه وحاشيته - وأعلمتهما بموت السلطان، ووصتهما بكتمان موته؛ خوفا من الفرنج. وكان الأمير فخر الدين عاقلا مدبرا، خليقا بالملك، جوادا محبوبا إلى الناس، فاتفقا مع شجر الدر على القيام بتدبير المملكة، إلى أن يقدم الملك المعظم تورانشاه. فأحضرت شجر الدر الأمراء الذين بالمعسكر، وقالت لهم: «إن السلطان قد رسم بأن تحلفوا له، ولابنه الملك المعظم غياث الدين تورانشاه صاحب حصن كيفا أن يكون سلطانا بعده، وللأمير فخر الدين يوسف بن شيخ الشيوخ بالتقدمة على العساكر والقيام بالأتابكية وتدبير المملكة» فقالوا كلهم سمعا وطاعة؛ ظنا أن السلطان حي، وحلفوا بأسرهم، وحلفوا سائر الأجناد والمماليك السلطانية.

وكتب على لسان السلطان إلى الأمير حسام الدين بن أبي على الهذباني بالقاهرة، أن يحلف أكابر الدولة وأجنادها بالقاهرة، فحضر إلى دار الوزارة قاضي القضاء بدر الدين يوسف بن الحسن قاضي سنجار، والقاضي بهاء الدين زهير بن محمد^(١) كاتب الإنشاء - وكان الملك الصالح قد أبعده لأمر نقمه عليه -، وحلفا من حضر من الأعيان على ما تقدم ذكره، وكان ذلك في يوم الخميس ثامن عشر شعبان. واستدعى القاضي بهاء الدين زهير من القاهرة إلى المعسكر بالمنصورة.

وقام الأمير فخر الدين بتدبير المملكة، وأقطع البلاد مناشيره، وأعاد إليها زهيرا إلى منصبه فكانت الكتب ترد من المعسكر وعليها علامة^(٢) السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب، فقبل إنها كانت بخط خادم يقال له سهيل، ولا يشك من رآه أنه خط السلطان ومشى هذا على الأمير حسام الدين نائب السلطنة مدة، إلى أن أوقفه بعض أصحابه على اضطراب في العلامة، يخالف علامة السلطان ففحص عن خير السلطان من بعض خواصه الذين بالمعسكر حتى عرف موته، فاشتد خوفه من الأمير فخر الدين، وخشى أن يتغلب على الملك، فاحتاط لنفسه.

(١) زهير بن محمد بن علي المهلبى العتكى، بهاء الدين. شاعر، كان من الكتاب. ولد بمكة، ونشأ بقوص. واتصل بخدمة الملك الصالح أيوب (بمصر) فقربه وجعله من خواص كتابه، وظل حظيا عنده إلى أن مات الصالح، فانقطع زهير في داره إلى أن توفي بمصر. انظر: وفيات الأعيان ١٩٤/١ والنجوم الزاهرة ٦٢/٧ وآداب اللغة ١٨/٣ وروض المناظر ١٤٥/١٢ والأعلام ٥٢/٣.

(٢) العلامة السلطانية هي ما يكتب السلطان بخطه على صورة اصطلاحية خاصة، وكانت صورة علامة الملك الصالح نجم الدين أيوب «أيوب بن محمد أبي بكر بن أيوب». انظر ابن واصل ٣٦٢.

وأخذ الأمير فخر الدين يطلق المسجونين، ويتصرف فى إطلاق الأموال والخلع على خواص الأمراء، وأطلق السكر والكتان إلى الشام فعلم الناس بموت السلطان من حيثئذ، غير أن أحدا لا يجسر أن يتفوه به.

وسار من المعسكر الفارس أقطاى، وهو يومئذ رأس المماليك البحرية، لإحضار الملك المعظم من حصن كيفا، وبعث الأمير حسام الدين محمد بن أبى على، نائب السلطنة بالقاهرة، من عنده قاصدا من قبله أيضا. فلما كان يوم الإثنين لثمان بقين من شعبان، أمر الأمير حسام الدين الخطباء بأن يدعوا يوم الجمعة للملك المعظم، بعد الدعاء لأبيه، وأن ينقش اسمه على السكة، بعد اسم أبيه وتوهم الأمير حسام الدين من الأمير فخر الدين أن يقيم الملك المغيث عمر بن العادل أبى بكر بن الكامل، ويستولى على الأمر، فنقله من عند عمات أبيه بنات الملك العادل أبى بكر بن أيوب، من القاهرة إلى قلعة الجبل، ووكل به من يحتاط عليه، ولا يسلمه لأحد.

هذا والمكاتبات ترد من الأمير فخر الدين، وعنوانها «من فخر الدين الخادم يوسف» فيجيب عنها الأمير حسام الدين، ويجعل العنوان «الملوك أبو على»، فيتجاملان فى ظاهر الأمر، وأما فى الباطن فإن الأمير فخر الدين أخذ فى الاستبداد والاستقلال بالملكة، واختص بالصاحب جمال بن مطروح، وبالقاضى بهاء الدين زهير؛ وصار يركب فى موكب عظيم، وجميع الأمراء فى خدمته، ويترجلون له عند النزول ويحضرون سماطه.

ووصل قاصد الأمير حسام الدين إلى حصن كيفا، وطالع الملك المعظم بأن المصلحة فى السرعة، ومتى تأخر فوات القوات، وتغلب الأمير فخر الدين على البلاد، ثم وصل إليه بعد ذلك قُصَّادُ فخر الدين وشجر الدر. فخرج المعظم من حصن كيفا ليلة السبت لإحدى عشرة ليلة مضت من شهر رمضان فى خمسين فارسا من أزمه. وقص عانة^(١) ليعدى الفرات، وقد أقام له بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل جماعة، وأقام له الخليليون أيضا جماعة، يقبضون عليه فنجاه الله منهم وعدى الفرات من عانة، وسلك البرية، فخطر بنفسه وكاد يهلك من العطش.

هذا وشجر الدر تدبر الأمور حتى لم يتغير شىء، وصار الدهليز السلطانى على حاله، والسماط فى كل يوم يمد، والأمراء تحضر الخدمة، وهى تقول: «السلطان مريض، ما يصل إليه أحد».

(١) بلد مشهور بين الرقة وهيت يعد فى أعمال الجزيرة. انظر معجم البلدان ٧٢/٤.

وأما الفرنج فما هم إلا أن فهموا أن السلطان قد مات حتى خرجوا من دمياط، فارسهم وراجلهم، ونزلوا على فارسكور^(١)، وشوانيهم في بحر النيل تحاذيهم؛ ورحلوا من فارسكور يوم الخميس لخمس بقين من شعبان فورد في يوم الجمعة إلى القاهرة من المعسكر كتاب، فيه حضّ الناس على الجهاد، أوله: ﴿انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا، وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ، ذَلِكَُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾^(٢) وكان كتابا بليغا فيه مواظظة جمّة، فقرئ على الناس فوق منبر جامع القاهرة وحصل عند قراءته من البكاء والتحيب وارتفاع الأصوات بالضجيج ما لا يوصف. وارتجت القاهرة ومصر؛ لكثرة انزعاج الناس وحركتهم للمسير، فخرج من البلاد والنواحي لجهاد الفرنج عالم عظيم، وقد اشتدّ كرب الخلائق من تمكن الفرنج وقوتهم وأخذهم البلاد، مع موت السلطان.

فلما كان يوم الثلاثاء أول يوم من شهر رمضان: واقع الفرنج المسلمين، فاستشهد العلامى أمير مجلس، وجماعة من الأجناد، وقتل من الفرنج عدّة ونزل الفرنج بشارمساح^(٣).

وفى يوم الإثنين سابعه: نزلوا البرمّون، فاشتدّ الكرب وعظم الخطب، لدنوّهم وقربهم من المعسكر. وفى يوم الأحد ثالث عشره وصلوا إلى طرف بر دمياط، ونزلوا تجاه المنصورة، وصار بينهم وبين المسلمين بحر أشموم. وكان معظم عسكر المسلمين فى المنصورة بالبر الشرقى، وفى البر الغربى أولاد الملك الناصر داود صاحب الكرك: وهم الملك الأجمد، والملك الناصر، والملك المعظم، والملك الأوحّد، وفى عدّة من العسكر وكان أولاد الملك الناصر داود، الأكابر منهم والأصاغر الذين قدموا القاهرة، اثنى عشر ولدا ذكرا. وكان بالبر الغربى أيضا أخو الملك الناصر داود: وهما الملك القاهر عبيد الملك، والملك الغيث عبد العزيز، فاستقرّ الفرنج بمنزلتهم هذه، وخذقوا عليهم خندقا، وأداروا أسوارا وستروه بالاستائر، ونصبوا المجانيق ليرموا بها على معسكر المسلمين، ونزلت شوانيهم بإزائهم فى بحر النيل، ووقفت شوانى المسلمين بإزاء المنصورة، ووقع القتال بين الفريقين برا وبحرا.

وفى يوم الأربعاء سادس عشره: قفز إلى عند المسلمين ستة خيالة، وأخبروا بضائقة الفرنج.

(١) من قرى مصر قرب دمياط من كورة الدقهلية. انظر معجم البلدان ٢٢٨/٤.

(٢) سورة التوبة آية ٤١.

(٣) قرية كبيرة بمصر، بينها وبين بورة أربعة فراسخ، وبينها وبين دمياط خمسة فراسخ من كورة

الدقهلية. انظر معجم البلدان ٣٠٨/٣.

وفي يوم عيد الفطر: أسر كُنْدٌ كبير من الفرنج، له قرابة من الملك ريدافرنس. واستمر القتال، وما من يوم إلا ويقتل من الفرنج ويؤسر، وقد لقوا من عامة المسلمين وسواهم نكايه عظيمة، ونخطفوا منهم وقتلوا كثيرا وكانوا إذا شعروا بالفرنج ألقوا أنفسهم في الماء، وسبحوا إلى أن يصيروا في بر المسلمين. وكانوا يتحيلون في خطفهم بكل حيلة حتى أن شخصا أخذ بطيخة أدخل فيها رأسه، وغطس في الماء إلى أن قرب من الفرنج فظنوه بطيخة، فما هو إلا أن نزل أحدهم في الماء ليتناولها إذ اختطفه المسلم، وعام به حتى قدم به إلى المسلمين.

وفي يوم الأربعاء سابع شوال: أخذ المسلمون شينيا، فيه نحو مائتي رجل من الفرنج وكند كبير.

وفي يوم الخميس النصف منه: ركب الفرنج والمسلمون، فدخل المسلمون إليهم البر الذي هم فيه، وقتلوهم قتالا شديدا، قتل فيه من الفرنج أربعون فارسا، وقتلت خيولهم.

وفي يوم الجمعة تاليه: وصل القاهرة سبعة وستون أسير من الفرنج، منهم ثلاثة من أكابر الداوية.

وفي يوم الخميس ثاني عشره: أحرقت للفرنج مرمة عظيمة في البحر، واستظهر عليهم استظهارا عظيما.

وما زال الأمر على ذلك إلى أن كان يوم الثلاثاء خامس ذي القعدة، دلَّ بعض منافقي أهل الإسلام الفرنج على مخاض في بحر أشمون، فلم يشعر الناس إلا والفرنج معهم في المعسكر، وكان الأمير فخر الدين في الحمام، فأتاه الصريخ بأن الفرنج قد هجموا على المعسكر؛ فخرج مدهوشا وركب فرسه في غير اعتداد ولا تحفظ، وساق لينظر الخبر ويأمر الناس بالركوب، وليس معه سوى بعض مماليكه وأجناده فلقبه طلبُ الفرنج الداوية^(١) وحملوا عليه، ففر من كان معه وتركوه وهو يدافع عن نفسه؛ فطعنه واحد برمح في جنبه، واعتورته السيوف من كل ناحية. فمات رحمه الله ونزل الفرنج على جديلة^(٢)، وكانوا ألفا وأربعمائة فارس ومقدمهم أخو الملك ريدافرنس.

وما هو إلا أن قتل الأمير فخر الدين، وإذا بالفرنج اقتحموا على المنصورة فتفرق

(١) على هامش ط: كان ملك فرنسا قد رتب الجيوش على أن تكون ففة الداوية لطليعة وأن تليها الفرقة التي يقودها أخوه.

(٢) على هامش ط: هي تل مطل على الشاطئ الجنوبي لبحر أشمون.

الناس وانهزموا يمينا وشمالا، وكانت الكسرة أن تكون، فإن الملك ريدافرنس وصل بنفسه إلى باب قصر السلطان إلا أن الله تدارك بلطفه، وأخرج إلى الفرنج الطائفة التركية، التي تعرف بالبحرية والجمدارية، وفيهم ركن الدين بيبرس البندقدارى الذى تسلطن بعد هذه الأيام فحملوا على الفرنج حملة زعزعوهم بها، وأزاحوهم عن باب القصر فلما ولوا أخذتهم السيوف والدبابيس، حتى قتل منهم فى هذه النوبة نحو ألف وخمسمائة من أعيانهم وشجعانهم. وكانت رجالة الفرنج قد أتوا الجسر ليعدوا منه، فلولا لطف الله لكان الأمر يتم لهم بتعديتهم الجسر. وكانت المعركة بين أزقة المنصورة، فانهزموا إلى جديلة منزلتهم، وقد حال بين الفريقين الليل، وأداروا عليهم سورا وخندقوا خندقا. وصارت منهم طائفة فى البر الشرقى، ومعظمهم فى الجزيرة المتصلة بدمياط فكانت هذه الواقعة أول ابتداء النصر على الفرنج.

وعندما هجم الفرنج على المعسكر سرح الطائر بذلك إلى القاهرة، فانزعج الناس انزعاجا عظيما، وقدم المنهزمون من السوقة والعسكر، فلم تغلق أبواب القاهرة فى ليلة الأربعاء لتوارد المنهزمين.

وفى صبيحة يوم الأربعاء: وقعت البطاقة تبشر بالنصرة على الفرنج، فزينت القاهرة وضربت البشائر بقلعة الجبل، وكثر فرح الناس وسرورهم وبقي العسكر يدبر أمره شجر الدر، فكانت مدة تدبير الأمير فخر الدين يوسف بن شيخ الشيوخ، بعد موت الملك الصالح لمملكة مصر خمسة وسبعين يوما، وفى يوم قتله نهب مماليكه وبعض الأمراء داره، وكسروا صناديقه وخزائنه، وأخذوا أمواله وخيوله وأحرقوا داره.

* * *

السلطان الملك المعظم غياث الدين تورانشاه

ابن الصالح نجم الدين أيوب بن الكامل محمد بن العادل أبى بكر بن أيوب بن شادى ابن مروان، سار من حصن كيفا^(١) إلى دمشق، لإحدى عشرة ليلة مضت من شهر رمضان؛ فنزل عانة فى خمسين فارسا من أصحابه، يوم الخميس النصف من شهر رمضان سنة سبع وأربعين؛ وخرج منها يوم الأحد يريد دمشق على طريق السماوة^(٢)

(١) هى بلدة وقلعة عظيمة مشرفة على دجلة بين آمد وجزيرة ابن عمر من ديار بكر. انظر معجم البلدان ٢٦٥/٢.

(٢) السماوة: مفازة بين الكوفة والشام، وقيل: بين الموصل والشام، وهى من أرض كلب، وكانت باسم ابن عمليق بن لاوذ بن ارم من العماليق صارت إلى أرض السماوة وهى بين العراق =

فى البرية فنزل القصير فى دهليز ضربه له الأمير جمال الدين موسى بن يغمور نائب دمشق يوم الجمعة لليلتين بقيتا من شهر رمضان.

ودخل المعظم تورانشاه من الغد - وهو يوم السبت سلخه - إلى دمشق، ونزل بقلعتها، فكان يوما مشهودا وقام الأمير جمال الدين بخدمته، وحلف له الأمراء، وتسلمن فى يومئذ. وخلع المعظم على الأمراء وأعطاهم أموالا جزيلة، بحيث أنه أنفق ما كان فى قلعة دمشق، وهو ثلاثمائة ألف دينار. واستدعى من الكرك مالا آخر حتى أنفقه، وأفرج عن من كان بدمشق فى حبس أبيه، وأتته الرسل من حماة وحلب تهتهه بالقدوم.

ولأربع مضمين من شوال: سقطت البطائق إلى العسكر والقاهرة، بوصول الملك المعظم إلى دمشق وسلطنته بها فضربت البشائر بالعسكر والقاهرة.

وسار السلطان من دمشق يوم الأربعاء سابع عشره يريد مصر، بعدما خلع على الأمير جمال الدين، وأقره على نيابة السلطنة بدمشق. وقدم معه القاضى الأسعد شرق الدين هبة الله بن صاعد الفائزى^(١)، وكان مقيما بدمشق عند الأمير جمال الدين. وقدم معه أيضا هبة الله بن أبى الزهر بن حشيش الكاتب النصرانى وقد وعده السلطان بوزارة مصر، فأسلم وتلقب بالقاضى معين الدين. وسيره السلطان أول يوم من ذى القعدة إلى قلعة الكرك؛ ليحاط على خزائنها، فأنهى أشغاله بها ولحقه فى الرمل، وأسلم على يده هناك.

وعندما تواترت الأخبار فى القاهرة بقدوم السلطان، خرج قاضى القضاة بدر الدين السنجارى، فلقبه بغزة وقدم معه وخرج الأمير حسام الدين بن أبى على نائب السلطان إلى الصاحية، فلقبه بها يوم السبت لأربع عشرة ليلة بقيت من ذى القعدة، ونزل السلطان المعظم تورانشاه فى قصر أبيه، ومن يومئذ أعلن بموت الملك الصالح نجم الدين أيوب ولم يكن أحد قبل هذا اليوم ينطق بموته، بل كانت الأمور على حالها - والدهليز الصالحى والسماط ومجىء الأمراء للخدمة، على ما كان عليه الحال فى أيام حياته؛ وشجر الدر تدبر أمور الدولة كلها، وتقول: «السلطان مريض، ما إليه وصول» - فلم يتغير عليها شىء، إلى أن استقرّ الملك المعظم بالصاحية.

= والشام، فأهلكها الله تعالى بالريح السوداء لإفسادها فلم يبق به منهم باقية. انظر معجم البلدان ١٣١/٣، والروض المعطار ٣٢٢.

(١) هبة الله بن صاعد الفائزى، شرف الدين: من وزراء دولة المماليك البحرية بمصر. خدم «الفائز» إبراهيم بن أبى بكر، ونسب إليه وخدم بعده «الكامل» ثم ولده «الصالح». انظر ذيل مرآة الزمان ١/ ٨٣٥٨٠ والنجوم الزاهرة ٥٨/٧ والأعلام ٧٢/٨.

فتسلم السلطان المعظم مملكة مصر، وخلع على الأمير حسام الدين بن أبى على خلعة سنية، ومنطقة وسيفا فيهما ثلاثة آلاف دينار مصرية، وأنشده الشعراء عدّة تهاني، وجرت بين يديه مباحثات ومناظرات فى أنواع من العلوم وكان السلطان المعظم قد مهر فى العلوم، وعرف الخلاف والفقه والأصول، وكان جده الملك الكامل يحبه ليله إلى العلم، ويلقى عليه من صغره المسائل المشكّلة، ويأمره بعرضها وامتحان الفقهاء بها فى مجلسه. ولازم المعظم الاشتغال إلى أن برع، إلا أنه فيه هوج وخفة، مع غرامه بمجالسة أهل العلم من الفقهاء والشعراء.

ثم إنه رحل من الصالحية ونزل تَلْبَانَة (١)، ثم نزل بعدها منزلة الثالثة، وسار منها إلى المنصورة. وقد تلقاه الأمراء المماليك، فنزل فى قصر أبيه وجده يوم الخميس لتسع بقين من ذى القعدة. فأول ما بدأ أن أخذ مماليك الأمير فخر الدين بن شيخ الشيوخ الصغار، وكثيرا من مُخَلَّفِهِ، بدون القيمة، ولم يعط ورثته شيئا، وكان ذلك بنحو الخمسة عشرة ألف دينار. وأخذ يسب فخر الدين ويقول: «أطلق السكر والكتان، وأنفق المال وأطلق المحاييس إيش ترك لى؟».

وكانت الميرة ترد إلى الفرنج فى منزلتهم من دمياط فى بحر النيل، فصنع المسلمون عدة مراكب، وحملوها وهى مفصلة على الجمال إلى بحر المحلة، وطرحوها فيه وشحنوها بالمقاتلة؛ وكانت أيام زيادة النيل، فلما جاءت مراكب الفرنج لبحر المحلة، وهذه المراكب مكمّنة فيه، خرجت عليها بغتة وقتلتها وللحال قدم أسطول المسلمين من جهة المنصورة، فأخذت مراكب الفرنج أخذًا وبيلًا، وكانت اثنتين وخمسين مركبا، وقتل منها وأسر نحو ألف إفرنجى، وغنم سائر ما فيها من الأزواد والأقوات، وحملت الأسرى على الجمال إلى العسكر. فانقطع المدد من دمياط عن الفرنج، ووقع الغلاء عندهم، وصاروا محصورين لا يطبقون المقام ولا يقدرّون على الذهاب، واستضرى المسلمون عليهم وطمعوا فيهم.

وفى أوّل ذى الحجة: أخذ الفرنج من المراكب التى فى بحر المحلة سبع حراريق، ونجا من كان فيها من المسلمين. وفى ثانى ذى الحجة تقدّم أمر السلطان إلى الأمير حسام الدين بن أبى على بالسير إلى القاهرة، والإقامة بدار الوزارة على عادته فى نيابة السلطنة. وفيه وصل إلى السلطان جماعة من الفقهاء: منهم الشيخ عز الدين بن عبد السلام، وبهاء الدين بن الجميزى، والشريف عماد الدين، والقاضى عماد الدين القاسم

(١) هى قرية صغيرة بمركز منية القمح من مديرية الشرقية، واسمها أيضا تلبانة دبرى. انظر الخطط

ابن إبراهيم بن هبة الله بن إسماعيل بن نبهان بن محمد بن المقنشح الحموى - قاضى مصر، وكان قد ولى القضاء بعد موت الجمال يحيى، فى جمادى الأولى -، وسراج الدين الأرموى^(١) فجلس السلطان المعظم معهم وناظرهم.

وفى يوم عرفة: وصلت مراكب فيها الميرة للفرنج، فالتقت بها شوانى المسلمين عند مسجد النصر، فأخذت شوانى المسلمين منها اثنتين وثلاثين مركبا، منها تسع شوانى. فاشتد الغلاء عند الفرنج، وشرعوا فى مراسلة السلطان يطلبون منه الهدنة، فاجتمع برسلمهم الأمير زين الدين أمير جاندار، وقاضى القضاة بدر الدين السنجارى؛ فسألوا أن يسلموا دمياط، ويأخذوا عوضا عنها مدينة القدس وبعض الساحل، فلم يجابوا إلى ذلك.

وفى يوم الجمعة، لثلاث بقين من ذى الحجة: أحرق الفرنج ما عندهم من الخشب، وأتلفوا مراكبهم ليفروا إلى دمياط، وخرجت السنة وهم فى منزلتهم.

وفى هذه السنة: قدم إلى بغداد طائفة من التتر على حين غفلة، فقتلوا ونهبوا وجفل منهم الناس.

وفىها استولى على بن قتادة على مكة، فى ذى القعدة.

وفىها قتل الشريف شيخة أمير المدينة النبوية، وقام من بعده ابنه عيسى.

وفىها قتل المنصور نور الدين عمر بن على بن رسول صاحب اليمن، وملك بعده ابنه المنصور شمس الدين يوسف.

وفىها مات متملك تونس أبو زكريا يحيى بن عبد الواحد بن أبى حفص، فى آخر جمادى الآخرة، عن تسع وأربعين سنة. وكان أبو زكريا يحيى قد قام وملك تونس، واستبدّ بأمرها ودعا لنفسه، وقد ضعف أمر ملوك الموحديين من بنى عبد المؤمن بن على. فأقام أبو زكريا يحيى على مملكة إفريقية ثلاثا وعشرين سنة، وامتدت مملكته إلى

(١) محمود بن أبى بكر بن أحمد، أبو الثناء، سراج الدين الأرموى: عالم بالأصول والمنطق، من الشافعية. أصله من أرمية من بلاد أذربيجان. قرأ بالموصل وسكن دمشق. وتوفى بمدينة قونية، له تصانيف، منها مطالع الأنوار فى المنطق، شرحه كثيرون والتحصيل من المحصول فى الأصول، ولطائف الحكمة وشرح الإشارات لابن سينا، وشرح الوجيز للغزالي فى فروع الفقه، وبيان الحق منطق وحكمة، ولباب الأربعين فى أصول الدين. انظر السبكي فى الطبقات ١٥٥/٥، والوسطى والصغرى، وكشف الظنون ٢٦١، ١٧١٥ معجم المطبوعات ٤٢٧/١، وهدية العارفين ٢/٤٠٦. الأعلام ٧/١٦٦.

تلمسان وسجلمامة وسبته، وبايعه أهل إشبيلية^(١) وشاطبة^(٢) والمرية^(٣) ومالقة^(٤)

(١) إشبيلية: مدينة بالأندلس جليلة بينها وبين قرطبة مسيرة ثمانية أيام ومن الأميال ثمانون، وهى مدينة قديمة أزلية يذكرها أهل العلم باللسان اللطینی أن أصل تسميتها إشبالی معناه المدينة المنبسطة. ويقال إن الذى بناها يوليش القيصر وإنه أول من تسمى قيصر، وكان سبب بنيانه إياها أنه لما دخل الأندلس ووصل إلى مكانها أعجبه كرم ساحته وطيب أرضه وجبله المعروف بالشرف، فقدم على النهار الأكبر مكاناً وأقام فيه المدينة وأحرق عليها بسور من صخر، وبنى فى وسط المدينة قصبين متقتين عجيبتي الشأن تعرفان بالأخوين، وجعلها أم قواعد الأندلس واشتق لها اسماً من اسمه ومن اسم رومية فسمها رومية يوليش. ويقال إن إشبانية اسم خاص ببلد إشبيلية الذى كان ينزله إشبان ابن طيطش وباسمه سميت الأندلس إشبانية، ولم تزل معظمة عند العجم من ذلك الوقت، وقد كان فيها رجال ولوا قيادة العجم العظمى والمملكة بمدينة رومية، وروى أن المرأة التى قتلت يحيى بن زكريا عليه السلام من إشبيلية من قرية طالقة. وهى كبيرة عامرة لها أسوار حصينة وسوقها عامرة وحلقها كثير وأهلها مياسير، وكان سور إشبيلية من بناء الإمام عبد الرحمن بن الحكم بناه بعد غلبة الجوس عليها بالحجر، وأحكم بناءها وكذلك جامعها من بنائه، وهو من عجيب البنيان وجليها، وصومعته بديعة الصناعة غريبة العمل، وإشبيلية آثار للأول كثيرة، وبها أساطين عظام تدل على هياكل كانت بها. وإشبيلية من الكور الجندة، نزها جند حمص ولواؤهم فى الميمنة بعد لواء جند دمشق، وهى من أمصار الأندلس الجليلة الكثيرة المنافع العظيمة الفوائد. وفى سنة سبع وتسعين وخمسائة فى جهادها الآخر كان السيل العظيم الجارف بإشبيلية، وفى سنة ست وأربعين وستمائة تغلب العدو على مدينة إشبيلية فى شعبان منها بعد أن حوصرت أشهراً حتى ساءت أحوال أهلها وخافوا ويثسوا من الإعانة، فاتفق رأيهم على إسلامها للعدو والخروج عنها فكان ذلك، وأجلهم الفنش ريثما يستوفون احتمال ما استطاعوا حمله من أموالهم ثم خرجوا عنها وأقامت خالية ثلاثة أيام وسرح معهم الطاغية خيلاً توصلهم إلى مأمهم وكان صاحب أناة وسياسة، ويقال إنه لما مات دفن فى قبلة جامعها الأعظم. انظر معجم البلدان ١/ ٣٧، والروض المعطار ٥٩، ٦٠.

(٢) شاطبة: بالأندلس، مدينة جليلة متقنة حصينة لها قصبان ممتعتان، وهى كريمة البقعة كثيرة الثمرة عظيمة الفائدة طيبة الهواء، وهى قرية من جزيرة شقر، ويعمل بها كاغد لا نظير له بمعمور الأرض يعم المشرق والمغرب، وفيها بنيان قديم من عمل الأول يقولون له الصنم، وهى حاضرة أهله بها جامع ومساجد وفنادق وأسواق، وقد أحاط بها الوادى. انظر معجم البلدان ٣/ ٣٠٩، والروض المعطار ٣٣٧.

(٣) مدينة كبيرة من كورة البيرة من أعمال الأندلس. انظر معجم البلدان ٥/ ١١٩.

(٤) مالقة: بالأندلس، مدينة على شاطئ البحر، عليها سور صخر، والبحر فى قبليها، وهى حسنة عامرة أهلة كثيرة الديار، وفيما استندار بها من جميع جهاتها شجر التين المنسوب إليها، وهو يحمل إلى مصر والشام والعراق وربما وصل إلى الهند، وهو من أحسن التين طيباً وعذوبة، ولها رمضان كبيران، وشرب أهلها من الآبار، ولها واد يجرى فى زمان الشتاء وليس بدائم الجرى. وهى من تأسيس الأول، وأكثر المدينة على جسرين من بناء الأول، والجسر فى البحيرتين هناك، قد بنى بصخر كأنوف الجبال، وقصبتها فى شرقى مدينتها عليها سور صخر، وهى فى غاية الحصانة والمنعة، وفى =

وَعَرْنَاطَةَ^(١)، وخلف مالا جمعا، فبويع بعده ابنه محمد المستنصر. وأبو زكريا هذا هو أول من ملك تونس من الملوك الحفصيين، وأما من كان قبله منهم فإنما كانوا عمالا لبني عبد المؤمن.

وفيها قبض الشريف أبو سعد بن علي بن قتادة علي الأمير أحمد بن محمد بن المسيب بمكة في آخر شوال، كما تقدّم في السنة الخالية، وقام هو بإمرة مكة.

* * *

= هذه القصبة مسجد بناه الفقيه المحدث معاوية بن صالحى الحمصى، وكان ممن حضر وقعة مروان بن محمد ليلة بوضير فأجناه ولجأ إلى الأندلس فرقا من المسودة، ومات بها، وله روايات وتقدم في السنة والعلم. وجامع مدينة مالقة بالمدينة، وهو خمس بلاطات، ولها خمسة أبواب: بابان منها إلى البحر، وباب شرقى يعرف بباب القصبة، وباب غربى يعرف بباب الوادى، وباب جوفى يعرف بباب الخوخة. وبها مبان فخمة وحمامات حسنة وأسواق جامعة كثيرة فى الرىض والمدينة. ومن مالقة إلى أرشذونة ثمانية وعشرون ميلا، ومرسى مالقة صيفى يكنى بالغربى وبازائه مما يلى المدينة الجسر الذى ذكرناه، ينكسر عليه الموج. انظر معجم البلدان ٤٣/٥، والروض المعطار ٥١٧، ٥١٨.

(١) غرناطة - أو أغرناطة - : مدينة بالأندلس بينها وبين وادى آش أربعون ميلا وهى من مدن البيرة، وهى محدثة من أيام الثوار بالأندلس وإنما كانت المدينة المقصودة لبيرة فحلت وانتقل أهلها إلى أغرناطة؛ ومدنها وحسن أسوارها وبنى قصبتها حبوس الصنهاجى ثم خلفه ابنه باديس بن حبوس، فكملت فى أيامه وعمرت إلى الآن، ويشققها نهر يسمى حدره وبينها وبين البيرة ستة أميال، وتعرف بأغرناطة اليهود لأن نازلتها كانوا يهودا، وهى اليوم مدينة كبيرة قد لحقت بأمصار الأندلس المشهورة. انظر معجم البلدان ١٩٥/٤، والروض المعطار ٤٥، ٤٦.

سنة ثمان وأربعين وستمائة

فى ليلة الأربعاء ثالث المحرم: رحل الفرنج بأسرهم من منزلتهم يريدون مدينة دمياط، وانحدرت مراكبهم فى البحر قبالتهم. فركب المسلمون أقفيتهم، بعد أن عدوا برهم وأتبعوهم. فطلع صباح نهار يوم الأربعاء، وقد أحاط بهم المسلمون، وبذلوا فيهم سيوفهم، واستولوا عليهم قتلا وأسرا، وكان معظم الحرب فى فارسكور، فبلغت عدّة القتلى عشرة آلاف فى قول المقل، وثلاثين ألفا فى قول المكث. وأسر من خيالة الفرنج ورجالتهم المقاتلة، وصناعهم وسوقتهم، ما يناهز مائة ألف إنسان؛ وغنم المسلمون من الخيل والبغال والأموال ما لا يحصى كثرة، واستشهد من المسلمين نحو مائة رجل، وأبّلت الطائفة البحرية - لاسيما بيبرس البندقدارى - فى هذه النوبة بلاء حسنا، وبان لهم أثر جميل.

والتجأ الملك ريدافرنس - وعدة من أكابر قومه - إلى تل [المنية]^(١)، وطلبوا الأمان فأمنهم الطواشى جمال الدين محسن الصالحى، ونزلوا على أمانه. وأخذوا إلى المنصورة، فقيد الملك ريدافرنس بقيد من حديد، واعتقل فى دار القاضى فخر الدين إبراهيم ابن لقمان^(٢) - كاتب الإنشاء، التى كان ينزل بها من المنصورة ووكل بحفظه الطواشى صبيح المعظمى واعتقل معه أخوه، وأجرى عليه راتب فى كل يوم. وتقدّم أمر الملك المعظم لسيف الدين يوسف بن الطودى - أحد من وصل معه من بلاد الشرق - بقتل الأسرى من الفرنج، وكان سيف الدين يُخرج كل ليلة منهم ما بين الثلاثمائة والأربعمائة ويضرب أعناقهم ويرميهم فى البحر، حتى فنوا بأجمعهم.

ورحل السلطان من المنصورة، ونزل بفارسكور وضرب بها الدهليز السلطانى، وعمل فيه برجا من خشب، وأقام على هوه. وكتب إلى الأمير جمال الدين بن يغمور نائب دمشق كتابا بخطه نصه: «من ولده تورانشاه الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن،

(١) المقصود هنا منية عبد الله، القرية من ناحية شرمساح. انظر العنقى، عقد الحمان ٢١٠.

(٢) إبراهيم بن لقمان بن أحمد بن محمد الشيبانى الإسعردى ثم المصرى، أبو العباس فخر الدين وزير، من الكتاب له شعر. أصله من إسعرد وتلمذ للبهاء زهير بمصر. وولى ديوان الإنشاء بها للأيوبيين وكان رئيس الموقعين. ولى الوزارة مرتين. وهو الذى حبس فى داره سنة ٦٤٨ هـ لويس التاسع ملك فرنسا. توفى ابن لقمان بالقاهرة. انظر النجوم الزاهرة ٦/٣٦٦ ثم ٨/٥١،٥٠٠ والبداية والنهاية ١٣/٣٣٧ ومجلة الزهراء ٢/٥ ومرآة الزمان ٨/٧٧٨-٧٧٩ والأعلام ١/٥٨.

﴿وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾^(١) ﴿وَيَوْمَئِذٍ يُفْرِحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللَّهِ﴾^(٢)، ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾^(٣)، ﴿وَإِنْ تَعَدَّوْا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا﴾^(٤)، نبشّر المجلس السّاميّ الجمالي، بل نبشّر المسلمين كافة، بما من الله به على المسلمين من الظفر بعدو الدين، فإنه استفحل أمره واستحكم شره، ويثس العباد من البلاد والأهل والأولاد، فنودوا لا تياسوا من روح الله. ولما كان يوم الإثنين مستهل السنة المباركة، تمّ الله على الإسلام بركتها، فتحنا الخزائن وبذلنا الأموال وفرّقنا السلاح، وجمعنا العربان والمطوعة وخلقنا لا يعلمهم إلا الله، فجاءوا من كل فج عميق ومكان سحيق. فلما كان ليلة الأربعاء تركوا خيامهم وأموالهم وأثقالهم، وقصدوا دمياط هارين. وما زال السيف يعمل في أدبارهم عامة الليل، فيوحلّ بهم الخزي والويل. فلما أصبحنا يوم الأربعاء، قتلنا منهم ثلاثين ألفاً، غير من ألقى نفسه في اللجج، وأما الأسرى فحدث عن البحر ولا حرج. والتجأ الفرنسيس إلى المنية، وطلب الأمان فأمناه وأخذناه وأكرمناه، وتسلمنا دمياط بعون الله وقوته، وجلاله وعظّمته، وذكر كلاماً طويلاً. وبعث معظم مع الكتاب غفارة^(٥) الملك الفرنسيس، فلبسها الأمير جمال الدين بن يغمور وهي أشكر لاط^(٦) أحمر بفرو سنجاب، فيها بكتلة ذهب فقال الشيخ نجم الدين بن إسرائيل:

إن غفارة الفرنسيس التي جاءت جباء لسيد الأمراء
كبياض القرطاس لونا ولكن صبغتها سيوفنا بالدماء

(١) سورة الأنفال آية ١٠.

(٢) سورة الروم آية ٤.

(٣) سورة الضحى ١١.

(٤) سورة النحل ١٨.

(٥) الغفارة: والمِغْفَرُ وَالْمِغْفَرَةُ وَالْغَفَارَةُ: زرد ينسج من الدرود على قدر الرأس يلبس تحت القلنسوة، وقيل: هو رفرق البيضة، وقيل هو حلق يتقنع به المتسلح. قال ابن شميل: المغفر حلق يجعلها الرجل أسفل البيضة تسبخ على العنق فتقيه، قال: وربما كان المغفر مثل القلنسوة غير أنها أوسع يلقبها الرجل على رأسه فتبلغ الدرع، ثم يلبس البيضة فوقها، فذلك المغفر يرفل على العاتقين، وربما جعل المغفر من ديباج وخز أسفل البيضة، وفي حديث الحديدية: والمغفرة بن شعبة عليه المغفر؛ وما يلبسه الدارع على رأسه من الزرد ونحوه. والغفارة، بالكسر: خرقة تلبسها المرأة فتغطي رأسها ما قبل منه وما دبر غير وسط رأسها، وقيل: الغفارة خرقة تكون دون المقنعة توفى بها المرأة الخمار من الدهن، والغفارة الرقعة التي تكون على حز القوس الذي يجرى عليه الوتر، وقيل: الغفارة جلدة تكون على رأس القوس يجرى عليها الوتر، والغفارة السحابة فوق السحابة، وفي التهذيب سحابة تراها كأنها فوق سحابة، والغفارة رأس الجبل. والغفر البطن. انظر لسان العرب ٣٢٧٤.

(٦) على هامش ط: نوع من القماش، كان يرد من بلاد إيرلندا. لونه قرمذى.

وقال آخر:

أَسَيْدَ أَمْلَاكِ الزَّمَنِ بِأَسْرِهِمْ تَنَحَّزْتَ مِنْ نَصْرِ الْإِلَهِ وَوَعْدِهِ
فَلَا زَالَ مَوْلَانَا بِبَيْحِ حِمَى الْعَدَى وَيُلْبِسُ أَسْلَابَ الْمُلُوكِ عَيْدِهِ

وأخذ الملك المعظم في إبعاد رجال الدولة، فأخرج الملك المغيث فتح الدين عمر بن العادل أبي بكر بن الكامل من قلعة الجبل إلى الشوبك، واعتقله بها. وأخرج الملك السعيد فخر الدين حسن بن الملك العزيز عثمان بن العادل أبي بكر بن أيوب^(١) من مصر إلى دمشق، فلما وصل دمشق قبض عليه ابن يغمور واعتقله.

وفي يوم الجمعة لخمس من المحرم: ورد إلى القاهرة كتاب السلطان إلى الأمير حسام الدين أبي على نائب السلطنة بالقدوم عليه، وأقام بدله في نيابة السلطنة بالقاهرة الأمير جمال الدين أقوش النجيبى ووصل الأمير أبو على إلى المعسكر، فنزل به مُطَّرَحَ الجانب، بعدما كان عدّة الملك الصالح وعمدته، وبعث المعظم إلى شجر الدر يتهددها، ويطلبها بمال أبيه وما تحت يدها من الجواهر فداخلها منه خوف كثير، لما بدا منه الهوج والخفة، وكاتب الممالك البحرية بما فعلته في حقه، من تمهيد الدولة وضبط الأمور حتى حضر وتسلم المملكة، وما جازاها به من التهديد والمطالبة بما ليس عندها. فأنفوا لها، وحنقوا من أفعال السلطان. وكان السلطان المعظم قد وعد الفارس أقطاي لما أتاه في حصن كيفا بأن يُؤمّره، فلم يف له بذلك، فتنكر له أقطاي وكتم الشر، فحرك كتاب شجر الدر منه ساكنًا.

وانضاف إلى هذه الأمور، أن السلطان المعظم أعرض عن ممالك أبيه الذين كانوا عنده لمهامته، وأطرح الأمراء والأكابر أهل الحل والعقد، وأبعد غلمان أبيه، واختص بجماعته الذين قدموا معه، وولّاهم الوظائف السلطانية. وقدّم الأراذل: وجعل الطواشى مسرورًا - هو خادمه - أستاذار السلطان، وأقام صبيحًا - وكان عبدا حبشيًا فحلًا - أمير جاندار، وأنعم عليه بأموال كثيرة وإقطاعات جليّة، وأمر أن يُصاغ له عصا من ذهب. وأساء السلطان إلى الممالك وتوعّدهم، وصار إذا سكر في الليل جمع ما بين يديه من الشمع، وضرب رعوسها بالسيف حتى تتقطع، ويقول: «هكذا أفعل بالبحرية»، ويسمى كل واحد منهم باسمه. واحتجب أكثر من أبيه، مع الانهماك على الفساد بممالك أبيه، ولم يكونوا يألّفون هذا الفعل من أبيه وكذلك فعل بحظايا أبيه.

(١) حسن (السعيد) بن عثمان (العزيز) بن محمد (العادل الأيوب) كان صاحب الصبية وبانياس قرب دمشق تملك سنة ٦٤١ وأخذ الصبية منه الملك الصالح (أيوب) حوالي ٦٤٠ وأعطاه إمرة في مصر، فلما قبل المعظم بن الصالح (٦٤٨) عاد إلى الصبية. انظر العبد ٢٤٥/٥، ٢٤٦ وترويح القلوب ٧١ والذيل على الروضتين ٢٠٧ والشذرات ٢٤٠/٥ والأعلام ١٩٨/٢.

وصار مع هذا جميعُ الحل والعقد، والأمر والنهي لأصحابه الذين قدموا معه، فنفرت قلوب البحرية منه، واتفقوا على قتله، وما هو إلا أن مذ السمامط بعد نزوله بفارسكور، فى يوم الإثنين سادس عشرى المحرم، وجلس السلطان على عادته، تقدم إليه واحد من البحرية - وهو بيبرس البندقدارى، الذى صار إليه مُلك مصر - وضربه بالسيف: فتلغاه المعظم بيده فبانت أصابعه، والتجأ إلى البرج الخشب الذى نصب له بفارسكور وهو يصيح: «من جرحنى؟» قالوا: «الحشيشة»، فقال: «لا والله إلا البحرية! والله لا أبقيت منهم بقية!» واستدعى المزين ليداوى يده. فقال البحرية بعضهم لبعض: «تمموه وإلا أبادكم»، فدخلوا عليه بالسيوف. ففر المعظم إلى أعلى البرج وأغلق بابه، والدم يسيل من يده، فأضرموا النار فى البرج، ورموه بالنشاب فألقى نفسه من البرج، وتعلق بأذيال الفارس أقطاى، واستجار به فلم يجره، وفر المعظم هاربا إلى البحر، وهو يقول: «ما أريد ملكا، دعونى أرجع إلى الحصن يا مسلمين! ما فيكم من يسطنعى ويجرئنى؟». هذا وجميع العسكر واقفون، فلم يجبه أحد، والنشاب يأخذه من كل ناحية. وسبحوا خلفه فى الماء، وقطعوه بالسيوف قطعاً، حتى مات جريحا حريقا غريقا؛ وفر أصحابه واختفوا.

وترك المعظم على جانب البحر ثلاثة أيام منتفخا، لا يقدر أحد أن يتجاسر على دفنه، إلى أن شفع فيه رسول الخليفة، فحمل إلى ذلك الجانب ودفن، فكانت مدة ملكه أحداً وسبعين يوماً. وقيل مرة لأبيه فى الإرسال إليه، ليحضر من حصن كيفا إلى مصر، فأبى، وألح عليه الأمير حسام الدين أبو على فى طلب حضوره، فقال: «متى حضر إلى هنا قتلته». وكان المباشر لقتله أربعة من مماليك أبيه، وكان الملك الصالح نجم الدين لما أراد أن يقتل أخاه العادل، قال الطواشى محسن: «اذهب إلى أخى العادل فى الحبس، وخذ معك من المماليك من يخنقه»، فعرض محسن ذلك على جماعة من المماليك، وكلهم يمتنع إلا أربعة منهم، فمضى بهم حتى خنقوا العادل. فقدر الله أن هؤلاء الأربعة هم الذين باشروا قتل ابنه المعظم أقبح قتلة. ورؤى فى النوم الملك الصالح نجم الدين بعد قتل ابنه الملك المعظم تورانشاه، وهو يقول:

قتلوه شرّ قتله صار للعالم مثله
لم يراعوا فيه إلا لا ولا من كان قبله
ستراهم عن قريب لأقل الناس أكّله

فكان ما يأتى ذكره من الواقعة بين المصريين والشاميين، بين المعز أيك^(١) والناصر

(١) أيك بن عبد الله الصالحى النجمى، عز الدين التركمانى: أول سلاطين المماليك البحرية =

صلاح الدين يوسف بن عبد العزيز محمد بن الظاهر غازى بن صلاح الدين يوسف، وهو صاحب حلب وعدم فيها عدّة من الأعيان. وبقتل المعظم انقضت دولة بنى أيوب من أرض مصر، وكانت مدتهم إحدى وثمانين سنة، وعدّة ملوكهم ثمانية، كما مرّ ذكرهم. فسبحان الباقي، وما سواه يزول.

* * *

الملكة عصمة الدين أم خليل شجر الدر

كانت تركية الجنس، وقيل بل أرمنية، اشتراها الملك الصالح نجم الدين أيوب، وحظيت عنده بحيث كان لا يفارقها سفرا ولا حضرا. وولدت منه ابنا اسمه خليل، مات وهو صغير. وهذه المرأة شجر الدر، هى أوّل من ملك مصر من ملوك الترك المماليك، وذلك أنه لما قتل الملك المعظم غياث الدين تورانشاه ابن الملك الصالح نجم الدين أيوب، كما تقدّم ذكره، اجتمع الأمراء المماليك البحرية، وأعيان الدولة وأهل المشورة، بالدهليز السلطاني؛ واتفقوا على إقامة شجر الدر أم خليل زوجة الملك الصالح نجم الدين أيوب فى مملكة مصر، وأن تكون العلامات السلطانية على التوقيع^(١) تبرز من قبلها، وأن يكون مقدّم العسكر الأمير عز الدين أيك التركمانى الصالحى أحد البحرية. وحلفوا على ذلك فى عاشر صفر، وخرج عز الدين الرومى من المعسكر إلى قلعة الجبل، وأنهى إلى شجر الدر ما جرى من الاتفاق، فأعجبها، وصارت الأمور كلها معقودة بها، والتواقيع تبرز من قلعة الجبل، وعلامتها عليها «والدة خليل». وخطب لها على منابر مصر والقاهرة، ونقش اسمها على السكة، ومثاله «المستعصمة الصالحة، ملكة المسلمين، والدة الملك المنصور خليل أمير المؤمنين»، وكان الخطباء يقولون فى الدعاء: «اللهم أدم سلطان الستر الرفيع، والحجاب المنيع، ملكة المسلمين، والدة الملك الخليل»، وبعضهم يقول، بعد الدعاء للخليفة: «واحفظ اللهم الجبة الصالحة، ملكة المسلمين، عصمة الدنيا والدين، أم خليل المستعصمية صاحبة الملك الصالح».

= فى مصر والشام. كان مملوكًا للصالح نجم الدين أيوبى، وأعتقه فصار فى جملة الأمراء عنده. وجعله مقدما للعساكر بعد مقتل الملك المعظم تورانشاه وقيام زوجة أبيه شجرة الدر بالأمر، وتزوج بشجرة الدر، فنزلت له عن الملك، وتولاه بمصر سنة ٦٤٨هـ، وتلقب بالملك المعز. انظر ابن إياس ٩٠/١ والنجوم الزاهرة ٣/٧-٤١ والأعلام ٣٣/٢.

(١) التواقيع جمع توقيع، ومعناه هنا نسخة الأمر بتعيين شخص على إقطاع. انظر: صبح الأعشى

ولما حلف الأمراء والأجناد واستقرت القاعدة، ندب الأمير حسام الدين محمد بن أبى على للكلام مع الملك ريدافرنس فى تسليم دمياط، فجرى بينه وبين الملك مفاوضات ومحاورات ومراجعات، آلت إلى أن وقع الاتفاق على تسليمها من الفرنج، وأن يتخلى عنه ليذهب إلى بلاده، بعدما يؤدى نصف ما عليه من المال المقرر. فبعث الملك ريدافرنس إلى من بها من الفرنج يأمرهم بتسليمها، فأبوا وعاودهم مراراً، إلى أن دخل العلم الإسلامى إليها، فى يوم الجمعة لثلاث مضيّن من صفر، ورفع على السور وأعلن بكلمة الإسلام وشهادة الحق. فكانت مدة استيلاء الفرنج عليها أحد عشر شهراً وتسعة أيام.

وأفرج عن الملك ريدافرنس، بعدما فدى نفسه بأربعمائة ألف دينار، وأفرج عن أخيه وزوجته ومن بقى من أصحابه، وسائر الأسرى الذين بمصر والقاهرة، ممن أسر فى هذه الواقعة، ومن أيام العادل والكامل والصالح وكانت عدتهم اثنى عشر ألف أسير ومائة أسير وعشر أسارى، وساروا إلى البر الغربى، ثم ركبوا البحر فى يوم السبت تاليه، وأقلعوا إلى جهة عكا. فقال صاحب جمال الدين بن مطروح فى ذلك:

| | |
|--------------------------|-------------------------|
| مقال نصح من قوول فصيح | قل للفرنسيس إذا جتته |
| من قتل عبّاد يسوع المسيح | أجرك الله على ما جرى |
| تحسب أن الزمر ياطبل ريح | أتيت مصرأ تبتغى ملكها |
| ضاق به عن ناظرتك الفسيح | فساقتك الحسين إلى أذهم |
| بحسن تدبيرك بطن الصريح | وكل أصحابك أودعتهم |
| إلا قتيل أو أسير جريح | سبعون ألفا لا يرى منهم |
| لعل عيسى منكم يستريح | ألممك الله إلى مثلها |
| فرب غش قد أتى من نصيح | إن يكن الباب بذا راضيا |
| أنصح من شيق لكم أو سطيح | فاتخذوه كاهنا إنه |
| لأخذ ثأر أو لفعل قبيح | وقل لهم إن أزمعوا عودة |
| والقيد باق والطواشى صبيح | دار ابن لقمان على حالها |

واتفق أن الفرنسيس هذا بعد خلاصه من أيدي المسلمين، عزم على الحركة إلى تونس من بلاد إفريقية، لما كان فيها من الجماعة والموتان. وأرسل يستنفر ملوك النصارى، وبعث إلى البابة (١) خليفة المسيح بزعمهم. فكتب البابة إلى ملوك النصارى بالمشير معه، وأطلق يده فى أموال الكنائس يأخذ منها ما شاء. فأتاه من الملوك

(١) على هامش ط: المقصود البابا.

الإتكتار^(١)، وملك اسكوسنا، وملك ثورل، وملك برشلونة واسمه ريداركون، وجماعة آخر من ملوك النصارى، فاستعد له السلطان أبو عبد الله محمد المستنصر بالله بن الأمير أبي زكريا يحيى بن الشيخ أبي محمد عبد الواحد بن الشيخ أبي حفص عمر^(٢)، ملك تونس، وبعث إليه رسله فى طلب الصلح، ومعهم ثمانون ألف دينار، فأخذها الفرنسيس ولم يصالحهم، وسار إلى تونس آخر ذى القعدة سنة ثمان وستين وستمائة، ونزل بساحل قُرطاجنة^(٣) فى ستة آلاف فارس وثلاثين ألف راجل. وأقام الفرنسيس

(١) على هامش ط: أطلق مورخى المسلمين هذا الاسم على ملك إنجلترا فى العصور الوسطى.

(٢) محمد بن يحيى الواثق بالله بن محمد المستنصر الأول، أبو عصيدة أمير المؤمنين المستنصر بالله. من ملوك الدولة الحفصية بتونس بويوع له بعد وفاة المستنصر الثانى أبى حفص عمر بن يحيى (سنة ٦٩٤ هـ) وكان مهيباً حميد السيرة، فيه دماء وأيامه أيام هدنة ورخاء. استمر إلى أن توفى. انظر الخلاصة النقية ٦٨ - الدرر الكامنة ٤ / ٢٨٥ - الدولة الحفصية ٩٥ - خلاصة تاريخ تونس ١١١ الأعلام ٧ / ١٣٨.

(٣) قرطاجنة إفريقية: وهى أهلها وأشهرها، حتى قال المسعودى: لما ذكرت البيوت المعظمة عند أوائل الروم، قال: كان بيت معظم قبل ظهور دين النصرانية ببلاد المغرب بقرطاجنة، وهى تونس وراء بلاد القيروان، وهى من أرض الإفريقية، وبين قرطاجنة وتونس عشرة أميال أو نحوها، ومرسأهما واحد، وقرطاجنة من المدن المشهورة، وفيها من الآثار وعجائب البنيان ما ليس فى بلد شرقاً ولا غرباً، ولو دخلها إنسان ومشى فيها عمره يتأمل آثارها لرأى كل يوم فيها أعجوبة لم يرها قبل ذلك. وهى الآن خراب لأن المسلمين لما غزوها فى صدر الإسلام هرب أهلها من باب يقال له باب النساء، فمنهم من فر إلى الأندلس، ومنهم من فر إلى جزيرة صقلية، ويقال إن حسان بن النعمان لما غزاها فى سلطان عبد الملك أو غيره خربها وكسر قناتها. ومن غريب مباني قرطاجنة الدواميس التى عددها أربعة وعشرون فى سطر واحد، طول كل داموس منها مائة وثلاثون خطوة فى عرض ست وعشرين، فى أعلاها أقباء، بين كل داموسين منها خوخات يصل منها الماء إلى جميعها بهندسة وحكمة، وبقرطاجنة دار الطياطر وهو كله أقباء معقودة على سوارى رخام وعليها مثلها نحو أربع مرات قد أحاطت بالدار، والدار دائرة، من أغرب ما يكون من البناء، وبها من أبواب كثيرة قد صور على كل باب منها صورة نوع من الحيوان وقد صور على الحيطان صور جميع الصناعات بأيديهم الآتهم، وفى هذه الدار من الرخام ما لو أجمع أهل إفريقية على نقله ما قَدَرُوا عليه لكثرت، وكان فيها قصران يعرفان بالأختين ليس فيهما حجر سوى الرخام، وداخل المدينة ميناة تدخله المراكب بشرعها؛ وفيها مواجل كثيرة للماء، وبعضها يسمى بالجرير، وآخر فيها يعرف بمواجل الشياطين بسبب أن من يقرب منها يسمع لها دويًا والناس يتنافسون فى الدخول فيها، فمن جسر على دخولها لبيلاً علم أنه جرىء القلب ثبت الجنان، وفى وسط المدينة صهريج كبير حوله نحو ألف وسبعمائة حنية سوى ما تهدم منها، كان يقع فيها الماء الجلوب فى هذه القناة ويخرج من هذا الصهريج إلى بعض تلك المواجل، وفى بعض أرجل القناطر كتابة فى حجر قيل إن ترجمتها: هذا من أعمال سمرقند، وقيل إن ذلك الماء جلب فى أربعين سنة، ولو قيل فى أربعمائة سنة لكان أعجب. انظر معجم البلدان ٤ / ٥٧، ٥٨، والروض المعطار ٤٦٣، ٤٦٤.

هناك ستة أشهر، فقاتله المسلمون - للنصف من محرم سنة تسع وستين - قتالا شديدا قتل فيه من الفريقين عالم عظيمة وكاد المسلمون أن يغلبوا، فأتاهم الله بالفرج وأصبح ملك الفرنجة ميتا، فجرت أمور آلت إلى عقد الصلح ومسير النصارى. ومن الغريب أن رجلا من أهل تونس اسمه أحمد بن إسماعيل الزيات، قال:

يا فرنسيس هذه أخت مصر فأهَّب لما إليه تصير
لك فيها دار ابن لقمان قبراً وطواشيك منكر ونكير
فكان هذا فألا عليه ومات [.....] (١)؛ وكان ريدافرنس هذا عاقلا داهيا خبيثا
مُفكراً.

ولما استولى المسلمون على دمياط، سارت البشائر إلى القاهرة ومصر وسائر الأعمال، فضربت البشائر وأعلن الناس بالسرور والفرح، وعادت العساكر إلى القاهرة فى يوم الخميس تاسع صفر.

فلما كان يوم الإثنين ثالث عشره: خلعت شجر الدر على الأمراء وأرباب الدولة، وأنفقت فيهم الأموال وفى سائر العسكر.

ووصل خير قتل الملك المعظم وإقامة شجر الدر فى السلطنة إلى دمشق، بمسير الخطيب أصيل الدين محمد بن إبراهيم بن عمر الإسعردى؛ لاستخلاف الأمراء بها. وكان فيها الأمير جمال الدين بن يغمور نائب السلطنة، والأمراء القيصرية، فلم يجيبوه وأخذوا فى مغالطته. واستولى الملك السعيد حسن بن العزيز عثمان بن العادل أبى بكر ابن أيوب على مال مدينة غزة، وصار إلى قلعة الصيبيّة فملكها. فلما ورد الخبر بذلك إلى قلعة الجبل، فى يوم الإثنين لثلاث ليلة خلت من صفر، أحيط بداره من القاهرة، وأخذ ما كان له بها. وثار الطواشى بدر الدين لؤلؤ الصوابى الصالحى - نائب الكرك والشوبك، وركب إلى الشوبك، وأخرج الملك المغيث عمر بن العادل بن الكامل الصغير من الحبس، وملّكه الكرك والشوبك وأعمالها وحلّف له الناس، وقام يدبر أمره لصفر سنه.

وكتب الأمراء القيصرية من دمشق إلى الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن العزيز محمد بن الظاهر غازى بن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب - صاحب حلب، يخبرونه بامتناعهم من الخلف لشجر الدر، ويحثونه على المسير إليهم حتى يملك دمشق. فخرج من حلب فى عساكره مستهل شهر ربيع الآخر، ووصل إلى دمشق يوم السبت

(١) ما بين المعقوفين بياض فى الأصل.

ثامنه، ونازها إلى أن كان يوم الإثنين عاشره زحف عليها. ففتح الأمراء القيمرية له أبواب البلد، وكان القائم بذلك من القيمرية الأمير ناصر الدين أبو المعالي حسين بن عزيز بن أبي الفوارس القيمرى الكردى. فدخلها الناصر صلاح الدين هو وأصحابه بغير قتال، وخلع على الأمراء القيمرية، وعلى الأمير جمال الدين بن يغمور، وقبض على عدّة من الأمراء المماليك الصالحية وسجنهم. وملك الناصر صلاح الدين قلعة دمشق، وكان بها مجاهد الدين إبراهيم أخو زين الدين أمير جندار، فسلمها إلى الناصر، وبها من المال مائة ألف دينار وأربعمائة ألف درهم سوى الأثاث. ففرق الناصر جميع ذلك على الملوك والأمراء، وأعطى شمس الدين لؤلؤ من خزائنه عشرة آلاف دينار، وخلعة وفرسا وثلاثمائة ثوب، فرد شمس الدين ذلك، إلا الخلعة والفرس.

وكان الخبز قد ورد إلى قلعة الجبل - فى سادس ربيع الآخر - بخروج الناصر من حلب، فجدّد الأمراء والمماليك وغيرهم الأيمان لشجر الدر، ولعز الدين أيك بالتقدمة على العساكر، ودارت النقباء على الأجناد، وأمروهم بالسفر إلى الشام. وفى يوم الأربعاء ثانى عشره رُسم أن يسير الأمير أبو على بالعسكر. وفى رابع عشره ورد الخبز بمنزلة الناصر لدمشق، فوقع الحث على خروج العسكر. وفى حادى عشره ورد الخبز بأن الناصر مَلَك دمشق، بتسليم القيمرية البلد له، فقبض على عدّة من أمراء مصر الذين ليسوا من الترك، ووقع اضطراب كثير فى القاهرة، وقبض على القاضى نجم الدين ابن قاضى نابلس، وعدة ممن يتهم بالميل إلى الناصر وتزوج الأمير عز الدين أيك بشجر الدر، فى تاسع عشرى شهر ربيع الآخر، وخلعت شجر الدر نفسها من مملكة مصر، ونزلت له عن الملك، فكانت مدّة دولتها ثمانين يوما.

* * *

الملك المعز عز الدين أيك^(١) الجاشنكير التركمانى الصالحى

كان تركى الأصل والجنس، فانتقل إلى ملك السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب من بعض أولاد التركمانى، فعرف بين البحرية بأبيك التركمانى؛ وترقى عنده فى الخدم، حتى صار أحد الأمراء الصالحية، وعمله جاشنكير، إلى أن مات الملك الصالح، وقتل بعده ابنه الملك المعظم. فصار أيك أتابك العساكر، مع شجر الدر؛ ووصل الخبز بذلك إلى بغداد، فبعث الخليفة المستعصم بالله من بغداد كتابا إلى مصر، وهو ينكر

(١) على هامش ط: هذا الاسم مركب من لفظين مركبين، وهما أى بك. ومعنى أولهما القمر، ومرادف ثانيهما فى العربية لفظ الأمير.

على الأمراء ويقول لهم: «إن كانت الرجال قد عدمت عندكم، فأعلمونا حتى نسير إليكم رجلاً».

واتفق ورود الخيزر باستيلاء الملك الناصر على دمشق، فاجتمع الأمراء والبحرية للمشور^(١)، واتفقوا على إقامة الأمير عز الدين أيك مقدم العسكر فى السلطنة، ولقوه بالملك المعز؛ وكان مشهورا بينهم بدين وكرم وجودة رأى.

فأركبوه فى يوم السبت آخر شهر ربيع الآخر، وحمل الأمراء بين يديه الفاشية نوبا واحدا بعد آخر إلى قلعة الجبل، وجلسوا معه على السماط؛ ونودى بالزينة فزينت القاهر ومصر.

فورد الخيزر فى يوم الأحد تاليه تسليم الملك المغيث عمر الكرك والشوبك، وبتسلم الملك السعيد قلعة الصبية فلما كان بعد ذلك تجمع الأمراء، وقالوا: «لا بد من إقامة شخص من بيت الملك مع المعز أيك ليجمع الكل على طاعته ويطيعه الملوك من أهله».

قاتفقوا على إقامة الملك شرف مظفر الدين موسى بن الملك المسعود - ويقال له الناصر صلاح الدين - يوسف بن الملك المسعود يوسف - المعروف باسم القسيس - ابن الكامل محمد بن العادل أبى بكر بن أيوب، وله من العمر نحو ست سنين، شريكا لملك المعز أيك، وأن يقوم الملك المعز بتدير الدولة.

فأقاموه سلطانا فى ثالث جمادى الأولى، وجلس على السماط وحضر الأمراء فى خدمه يوم الخميس خامس جمادى الأولى. فكانت المراسيم والمناشير تخرج عن الملكين الأشرف والمعز، إلا أن الأشرف ليس له سوى الاسم فى الشركة لا غير ذلك، وجميع الأمور بيد المعز أيك.

وكان بغزة جماعة من العسكر، عليهم الأمير ركن الدين خاص ترك، فرجعوا إلى الصالحية واتفقوا مع عدة من الأمراء على إقامة الملك المغيث عمر بن العادل الصغير، صاحب الكرك وخطبوا له بالصالحية، يوم الجمعة رابع جمادى الآخرة.

فلما ورد الخيزر بذلك نودى فى القاهرة ومصر أن البلاد للخليفة المستعصم بالله العباسى، وأن الملك المعز عز الدين أيك نائبه بها، وذلك فى يوم الأحد سادسه.

ووقع الحث فى يوم الإثنين على خروج العساكر، وجددت الأيمان للملك الأشرف موسى والملك المعز أيك، وأن يبرز اسمهما على التواقيع والمراسيم، وينقش اسمهما على

(١) المشور صيغة عامية للفظ المشورة. انظر محيط المحيط.

السكة، ويخطب لهما على المنابر، وأقيم شرف الدين أبو سعيد هبة الله بن ساعد الفائزى المنعوت بالأسد فى الوزارة.

وتسحب من الصالحية الطواشيان شهاب الدين رشيد الكبير، وشهاب الدين الصغير، وركن الدين خاص ترك، وأقش المشرف فقبض على الطواشى شهاب الدين رشيد الصغير، وأحضر إلى القاهرة فاعتقل بها، ونجا الباقون.

وسارت الخلع لمن بقى بالصالحية، وعفى عنهم وأمنوا، وأرسل إليهم بنفقة.

وفى يوم الخميس عاشره: ركب الملك الأشرف والمعز بالصناجق السلطانية، وشقا القاهرة، والمعز يحجب (١) الأشرف، والأمراء تتناوب فى حمل الغاشية واحدا بعد واحد. وقدمت عساكر الملك الناصر إلى غزة، فخرج الأمير فارس الدين أقطاى الجمدار - وكانت إليه مقدمة المماليك البحرية - من القاهرة، فى يوم الخميس خامس شهر رجب، بألفى فارس وسار إلى غزة، وقاتل أصحاب الناصر وهزمهم.

وفى يوم الخميس خمس بقين من رجب: اتفق أهل الدولة على نقل تابوت الملك الصالح نجم الدين أيوب من قلعة جزيرة الروضة، إلى تربته التى بنيت له بجوار مدارسه الصالحية من بين القصرين. فخرج الناس يوم الجمعة إلى قلعة الروضة، وحملوا السلطان منها، وصلوا عليه بعد صلاة الجمعة وجميع العسكر قد لبسوا البيضاء، وقطع المماليك شعورهم، وأقيم عزاءه ودفن ليلا. ونزل الملك الأشرف والمعز من قلعة الجبل إلى التربة الصالحية فى يوم السبت، ومعهما سائر المماليك البحرية والجمدارية، والأمراء والقضاء والأعيان. وغلقت الأسواق بالقاهرة ومصر، وأقيم المأتم بالدخوف بين القصرين، واستمر الحضور للعزاء إلى يوم الإثنين. وجعل عند القبر سناجق السلطان وبقجه (٢) وقوسه وتركاشه (٣)، وترتبت القراء يقرعون عند قبره.

وفى هذه السنة: عزل بدر الدين أبو المحاسن يوسف بن الحسن السنجارى عن قضاء القاهرة، وولى بعده عماد الدين أبو القاسم بن المقنشق بن القطب الحموى. فلما مات أفضل الدين الخونجى، ولى ابن القطب الحموى بعده قضاء مصر. ثم ولى صدر الدين موهوب الجزرى قضاء مصر، عند انتقال ابن القطب إلى قضاء القاهرة.

(١) المقصود هنا أن المعز أيك كان يودى وظيفة الحاجب فى ذلك المركب، أى أنه كان راكبا أمامه بعضا فى يده. انظر صبح الأعش ٤٥١/٥.

(٢) البقجة الصرة من القماش، توضع بها الثياب أو النقود أو الأوراق الخاصة، وهى فارسية الأصل، وتجمع على بقج. انظر محيط المحيط.

(٣) التركاش لفظ فارسى الأصل، معناه الكنانة أو اللعبة التى توضع فيها النشاب.

وفي آخر شهر رجب: أعيد البدر السنجاري إلى قضاء القاهرة، وابن القطب إلى قضاء مصر. ثم جمع قضاء مصر والقاهرة للسنجاري، وصرف ابن القطب عن مصر. وعاد الفارس أقطاي من غزة إلى القاهرة، في رابع شعبان. وفي خامسه قبض على الأمير زين الدين أمير جاندار الصالحى، وعلى القاضى صدر الدين قاضى آمد - وكان من كبراء الدولة الصالحية، واعتقلا.

ولانتهى عشرة بقيت من شعبان: وقع الهدم فى مدينة دمياط، باتفاق أهل الدولة على ذلك، وخرج الحجارون والصناع والفعلة من القاهرة، فأزيلت أسوارها وحيت آثارها، ولم يبق منها سوى الجامع. وسكن طائفة من ضعفاء الناس فى أخصاص على شاطئ النيل من قبليها، وسموها المنشية وهو موضع دمياط الآن. ولست بقين قبض على الأمير جمال الدين النجيبى واعتقل وبعده بيوم قبض على أقش العجمى.

وأخذ الملك الناصر صاحب الشام فى الحركة لأخذ مصر، بتحريض الأمير شمس الدين لؤلؤ الأمينى له على ذلك. وخرج الناصر من دمشق بعساكره، يوم الأحد النصف من شهر رمضان، ومعه الملك الصالح عماد الدين إسماعيل بن العادل أبى بكر بن أيوب والملك الأشرف موسى بن المنصور إبراهيم بن شيركوه^(١)، والملك المعظم تورانشاه بن السلطان صلاح الدين الكبير^(٢) وأخوه نصره الدين الظاهر شادى بن الناصر داود وأخوه الملك الأجد حسن، والملك الأجد تقي الدين عباس بن العادل، وعدة ملوك.

فلما ورد الخبر بذلك اضطربت الدولة، ورُسم يجمع العربان من الصعيد، وقبض على جماعة من الأمراء اتهموا بالميل مع الملك الناصر فى ثانى شوال، عندما ورد الخبر بوصوله إلى غزة. وفى غده كثر الإرجاف ووقع التهيو للحرب، وأحضرت الخيول من الربيع^(٣).

(١) موسى (الأشرف) بن إبراهيم (المنصور) بن الملك المجاهد أسد الدين شيركوه بن ناصر الدين محمد بن أسد الدين شيركوه الكبير: ملك حمص والرحبة. يلقب مظفر الدين وكانت ولايته سنة ٦٤٤هـ. انظر مرآة الجنان ١٦٠/٤ والشذرات ٣١١/٥ والبداية والنهاية ٢٤٣/١٣ والأعلام ٣١٩/٧.

(٢) تورانشاه (المعظم) بن الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب بن شادى، أبو المفاخر: من أمراء الأيوبيين ورابع من تلقب بالملك المعظم منهم. ولم يل السلطنة. ولد بمصر وتفقّه وتلقى الحديث فى دمشق. وتولى قيادة الجيش الحلبى زمنا. انظر صلة التكملة للحسينى. وأعلام النبلاء ٤٥٢/٤ وترويح القلوب ١٠٠ والعبر ٢٤٥/٥ والأعلام ٩٠/٢.

(٣) الربيع هنا مكان الرعى.

وفي يوم الإثنين ثامنهنه: برز الأمير حسام الدين أبو على من القاهرة، وكان الوقت شتاء. وفي تاسعه برز الأمير فارس الدين أقطاي الجمدار - مقدم البحرية - فى جمهور العسكر من الترك. وسارت العساكر فى حادى عشره، واجتمعت بالصالحية.

وفي يوم السبت ثالث عشره: استتاب الملك المعز أيك بديار مصر الأمير علاء الدين البندقدار، فواظب الجلوس بالمدارس الصالحية مع نواب دار العدل، لترتيب الأمور وكشف المظالم ونودى يوم السبت العشرين منه بإبطال الخمر، والجهة^(١) المفردة. وفيه كثر الإرجاف بوصول الناصر الدارؤم.

وفي تاسع عشره: خلع الملك المعز على الملك المنصور محمود، وعلى أخيه الملك السعيد عبد الملك، ولدى الملك الصالح إسماعيل عماد الدين - وكانا فى حبس الملك الصالح نجم الدين أيوب - وأركبهما فى القاهرة، ليوهم الناس أن الملك الصالح أباهما مباطن له على الملك الناصر، حتى يقع بينهما.

وفي يوم الثلاثاء أول ذى القعدة: نودى بالقاهرة أن الصلح انتظم بين الملك المعز والبحرية، وبين الملك المغيث عمر بن العادل صاحب الكرك ولم يكن لما نودى به حقيقة، وإنما قصد بذلك أن يقف الملك الناصر عن الحركة.

وفي يوم الخميس ثالثه: نزل الملك المعز من قلعة الجبل فيمن بقى عنده من العساكر، وسار إلى الصالحية وبها العساكر التى خرجت قبله، وترك بقلعة الجبل الملك الأشرف موسى فاستقرت عساكر مصر بالصالحية إلى يوم الإثنين سابعه، فوصل الملك الناصر بعساكره إلى كُراع^(٢) - وهى قرية من العباسية، فتقارب ما بين العسكرين وكان فى ظن كل أحد أن النصره إنما تكون للملك الناصر على البحرية، لكثرة عساكره ولليل أكثر عسكر مصر إليه. فاتفق أنه كان مع الناصر جمع كبير من ممالك أيه الملك العزيز، وهم أتراك يميلون إلى البحرية لعلة الجنسية، ولكراهتهم فى الأمير شمس الدين لؤلؤ مدير المملكة.

فعندما نزل الناصر بمنزلة الكراع، قريبا من الخشبي^(٣) بالرمل، رحل المعز أيك بعساكر مصر من الصالحية، ونزل اتجاهه بسموط^(٤) إلى يوم الخميس عاشره. فركب

(١) الجهة هنا الضرية.

(٢) واقعة بين العباسية والدير.

(٣) الخشبي يعرف اليوم بالسعيدية، فيما بين بليس والصالحية. انظر معجم البلدان ٢ / ٤٤٥.

(٤) وهى موضع بين الخشبي والعباسية. انظر أبو شامة: كتاب الروضتين ٢٠١.

الملك الناصر فى العساكر، ورتب ميمنة وميسرة وقلبا، وركب المعز، ورتب أيضا عساكره. وكانت الوقعة فى الساعة الرابعة، فاتفق فيها أمر عجيب قلَّ ما اتفق مثله، فإن الكرة كانت أولا على عساكر مصر، ثم صارت على الشاميين: وذلك أن ميمنة عسكر الشام حملت هى والميسرة على من يباؤها حملة شديدة، فانكسرت ميسرة المصريين وولوا منهزمين، وزحف أبطال الشاميين وراءهم، وما لهم علم بما جرى خلفهم. وانكسرت ميمنة أهل الشام، وثبت كل من القلبين واقتتلوا. ومر المنهزمون من عسكر مصر إلى بلاد الصعيد، وقد نهبت أنقاهم. وعندما مروا على القاهرة خطب بها للملك الناصر، وخطب له بقلعة الجبل ومصر، وبات الأمير جمال الدين بن يغمور بالعباسية، وأحمى الحمام للملك الناصر وجهز له الإقامة. هذا والناصر على منزلة كراع ليس عنده خير، وإنما هو واقف بسناجقه وخزائنه وأصحابه. وأما ميمنة أهل الشام فإنها لما كُسرت قُتل منهم عسكر مصر خلقا كثيرا فى الرمل، وأسروا أكثر مما قتلوا.

وتعين الظفر للناصر وهو ثابت فى القلب، واتجاهه المعز أيك أيضا فى القلب فخاف أمراء الناصر منه أن يفنيهم إذا تم له الأمر، وخامروا عليه وفروا بأطلابهم إلى الملك المعز وهم، الأمير جمال الدين أيدغدى العزىزى، والأمير جمال الدين أقوش الحامى، والأمير بدر الدين بكتوت الظاهرى، والأمير سليمان العزىزى، وجماعة غيرهم. فخارت قوى الناصر من ذهاب المذكورين إلى الملك المعز، فحمل المعز بمن معه على سناجق الناصر، ظنا منه أن الناصر تحتها. وكان الناصر - لما فارقه الأمراء إلى عند المعز - قد خرج من تحت السناجق فى شرذمة قليلة، فخاب ما أمّله المعز أيك، وعاد إلى مركزه خائبا وقد قوى الشاميون بذلك، وتبعوه يقتلون منه وينهبون.

وسرَّ الأمراء القيمرية بذلك، وقصدوا الحملة على المعز ليأخذوه، فوجدوا أصحابهم قد تفرقوا فى طلب الكسب والنهب. فحمل المعز عليهم وثبتوا له، ثم انحاز إلى جانب يريد الفرار إلى جهة الشوبك. ووقف الناصر فى جمع من العزىزية وغيرهم تحت سناجقه وقد اطمأن، فخرج عليهم المعز - ومعه الفارس أقطاى - فى ثلاثمائة من البحرية، وقرب منه فخامر عدَّة ممن كان مع الناصر عليه، ومالوا مع المعز والبحرية، فولى الناصر فارا يريد الشام فى خاصته وغلماينه. واستولى البحرية على سناجقه، وكسروا صنائيقه ونهبوا أمواله.

وساق المعز يريد الأطلاب، فوقع بطلب الأمير شمس الدين لؤلؤ، والأمير حسام الدين القيمرى، والأمير ضياء الدين القيمرى، وتاج الملوك بن المعظم، والأمير شمس

الدين الحميدى، والأمير بدر الدين الزرزارى، وجماعة غيرهم. فبَدَدَ الملك المعز شملهم، وأَسَرَ المعظمَ تورانشاه بن صلاح الدين، وأخاه نصرة الدين محمد، والملك الصالح عماد الدين إسماعيل بن العادل، والملك الأشرف صاحب حمص، والملك الزاهر، والأمير شهاب الدين القيمرى، والأمير حسام الدين طرنطاي العيزى، والأمير ضياء الدين القيمرى، والأمير شمس الدين لؤلؤ مدبر المملكة الحلبية، وأعيان الحلبيين وخلقا كثيرا وقُتِلَ الأمير شمس الدين الحميدى، والأمير بدر الدين الزرزارى، وجماعة غيرهم.

وكان الأمير حسام الدين أبو على الهذباني على ميسرة عسكر المصريين، فلما وقعت الكسرة على الميسرة تفرق عنه أصحابه، وتقنطر عن فرسه وكاد يؤخذ، لولا أنه وقف معه من أركبه، فلحق بالمعز أيك، فأمر الملك بضرب عنق الأمير شمس الدين لؤلؤ، فأخذته السيوف حتى قطع؛ وضربت عنق الأمير ضياء الدين القيمرى وأتى بالملك الصالح إسماعيل وهو راكب، فسلم عليه الملك المعز وأوقفه إلى جانبه، وقال للأمير حسام الدين أبى على: «ما تُسَلِّم على المولى الصالح»، فدنا منه الأمير حسام الدين وعانقه وسلم عليه. وجرح الملك المعظم، وابنه تاج الملوك، وضرب الشريف المرتضى فى وجهه ضربة عظيمة، وهموا بقتله ثم تركوه.

وتمزق أهل الشام كل ممزق، ومشوا فى الرمل أياما، وصار الملك الناصر ومعه نوفل الزبيدى وعلى السعدى إلى دمشق. وأما العسكر الشامى الذى كَسَرَ ميسرة المصريين، فإنه وصل إلى العباسية ونزل بها، وضرب الدهليز الناصرى هناك، وفيهم الأمير جمال الدين بن يغمور نائب السلطنة بدمشق وعدة من أمراء الناصر، وهم لا يشكُّون أن أمر المصريين قد بطل وزال، وأن الملك الناصر مُقَدِّمٌ عليهم ليسيروا فى خدمته إلى القاهرة. فبينما هم كذلك إذ وصل إليهم الخبر بهروب الملك الناصر، وقتل الأمراء وأسر الملوك وغيرهم. فهم طائفة منهم أن يسيروا إلى القاهرة ويستولوا عليها، ومنهم من رأى الرجوع إلى الشام، ثم اتفقوا على الرجوع.

وأما من انهزم من عسكر مصر أولا، فإنهم وصلوا إلى القاهرة فى يوم الجمعة حادى عشره، غد يوم الوقعة، فما شك فى أن الأمر تم للملك الناصر، وأن أمر البحرية قد زال. وكان بقلعة الجبل الأمير ناصر إسماعيل [...] (١) [...] بن يغمور، أستاذار الملك الصالح عماد الدين إسماعيل، فى جب وهو أمين الدولة أبو الحسن بن غزال - المتطبيب المعروف بالسامرى وزير الصالح المذكور، والأمير سيف الدين القيمرى، وجماعة غيرهم

(١) ما بين المعقوفتين بياض فى الأصل.

أيضا، لهم من أيام الملك الصالح نجم الدين أيوب فى الاعتقال. فلما بلغهم ذلك خرجوا من الجب، وأظهروا الفرحة والاستبشار، وأرادوا أخذ القلعة. فلم يوافق الأمير سيف الدين القيمرى على ذلك، وتركهم وقعد على باب دار الملك المعز أيك التى فيها عياله، وحماها وصدّ الناس عنها. وصاح البقية: «الملك الناصر يا منصور!».

وخطب للناصر بالقلعة ومصر، وسائر البلاد التى بلغها خير نصرته. وكان بجامع القاهرة الشيخ عز الدين بن عبد السلام، فقام على قدميه وخطب خطبتين خفيفتين، وصلى بجماعة الجمعة، وصلى قوم صلاة الظهر. فما هو إلا أن انقضت صلاة الجمعة، حتى وردت البشارة بانتصار الملك المعز وهزيمة الناصر، فدُقت البشائر. وقدم جماعة ومعهم نصره الدين بن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب، فاعتقلوه بقلعة الجبل. وقبض على الأمير ناصر الدين بن يغمور، والوزير أمين الدولة أبى الحسن بن غزال، ومن كان معهما، وأعيدوا إلى الجب. ونودى آخر النهار فى القاهرة ومصر بالزينة.

وأما الملك المعز فإنه ساق - بعدما تقدم ذكر من قتله الأمراء - إلى العباسية، فلما رأى دهليز الملك الناصر توهم، وعرج عن الطريق على العلاقمة إلى بلبيس^(١)، ظنا أن واقعة وقعت بالقاهرة. فبلغ من كان بالدهليز الخير فهدموه فى الليل، وساروا إلى الشام. فبلغ ذلك الملك المعز وهو فى بلبيس، فرحل يريد القاهرة وقد اطمأن، ودخلها يوم السبت ثانى عشر ذى القعدة بالأسرى بين يديه، وسناجقهم مقلبة وطبوهم مشققة، وحيوهم وأمواهم بين يديه، إلى أن وصل إلى بين القصرين، فلعبت المماليك بالرماح وتطاردوا، والملك المعز فى الموكب، وإلى جانبه الأمير حسام الدين أبى على، وقدامه الملك الصالح إسماعيل تحت الاحتياط، فعندما وصل إلى تربة الملك الصالح نجم الدين أهدق المماليك البحرية بالصالح إسماعيل، وصاحوا: «يا خوند أين عينك ترى عدوك إسماعيل» ثم ساروا إلى قلعة الجبل، واعتقل الصالح إسماعيل بها وبقيه الملوك، وألقى الأسرى من الشاميين فى الجباب. وعندما دخل الملك المعز إلى القلعة، تلقاه الملك الأشرف موسى وهنأه بالظفر؛ فقال الأمير فارس الدين أقطاي للأشرف: «كلنا حصل بسعادتك، وما سعينا إلا فى تقرير ملكك»، وكان يؤثر بقاء الأشرف خوفا من استبداد المعز أيك وكان هذا اليوم من أعظم أيام القاهرة، واستمرت الزينة بالقاهرة ومصر وقلعة الجبل وقلعة الروضة عدّة أيام.

وفى يوم الإثنين رابع عشره: شُق الأمير ناصر الدين إسماعيل بن يغمور، أستاذار

(١) مدينة بينها وبين فسطاط مصر عشرة فراسخ على طريق الشام. انظر معجم البلدان ١/٩١٢.

الصلاح إسماعيل، وشنق بكجا ملك الخوارزمي وأمين الدولة أبو الحسن السامري الوزير، على باب قلعة الجبل، ومعهم المجير بن حمدان من أهل دمشق. وظهر لأمين الدولة من الأموال والتحف والجواهر ما لا يوجد مثله إلا عند الخلفاء، بلغت قيمة ما ظهر له سوى ما كان مودوعا ثلاثة آلاف ألف دينار، ووجد له عشرة آلاف مجلدة، كلها بخطوط منسوبة، وكتب نفيسة.

وفي ليلة الأحد السابع والعشرين من ذى القعدة: قُتل الملك الصالح عماد الدين إسماعيل بن الملك العادل أبي بكر بن أيوب بقلعة الجبل؛ وعمره نحو الخمسين سنة. قال ابن واصل: من أعجب ما مرّ بي أن الملك الجواد مودودا، لما كان في حبس الملك الصالح إسماعيل، سير إليه الملك الصالح إسماعيل من خنقه، وفارقه ظنا أنه قد مات، فأفاق فرأته امرأة هناك، فأخبرتهم أنه قد أفاق، فعادوا إليه وخنقوه حتى مات. وفي هذه الليلة لما أخرجوا لذلك الصالح إسماعيل بأمر المعز أيك إلى ظاهر القلعة، وكان معهم ضوء فأطفأوه، وخنقوه وفارقوه ظنا أنه قد مات، فأفاق فرأته امرأة هناك، فأخبرتهم أنه أفاق، فعادوا إليه وخنقوه حتى مات. فانظر ما أعجب هذه الواقعة! ودفن هناك؛ وكانت أمه رومية، وكان رئيس النفس نبيل القدر، مطاعا، له حرمة وافرة، وفيه شجاعة.

وفي ثامن عشره: أخرج الملك المعز كل من دخل القاهرة من عسكر الملك الناصر، إلى دمشق على حمير، هُم وأتباعهم، ولم يمكن أحدا منهم أن يركب فرسا، إلا نحو الستة أنفس فقط، وكانوا نحو الثلاثة آلاف رجل.

وفيها وصل إلى الملك الناصر من قبل القان^(١) ملك التتر طمغا^(٢) صورة أمان، فصار يحملها في حياصته^(٣)، وسير إلى القان هدايا كثيرة، فلما خرج هولاء واستولى على الممالك، تغافل الناصر عنه ولم يبعث إليه شيئا؛ فعز ذلك عليه، وصار في كل قليل ينكر تأخر تقديمه الناصر الهدايا والتحف إليه.

وفيها كثر ضرر المماليك البحرية بمصر، ومالوا على الناس وقتلوا ونهبوا الأموال، وسبوا الحرير وبالغوا في الفساد، حتى لو ملك الفرنج ما فعلوا فعلهم.

(١) على هامش ط: كان قان - أو خاقان - التتر في تلك السنة كيوك.

(٢) الطمغا كلمة تركية، معناها هنا البراءة التي تصدر من قبل السلطان أو الملك بالعفو عن مجرم

أو تأمين خائف. والطمغا أيضا شعار السلطان أو الأمير.

(٣) على هامش ط: الحياصة هنا الخزام أو المنطقة.

وفي سابع عشر ذى الحجة: سار الأمير فارس الدين أقطاي من القاهرة فى ثلاثة آلاف إلى غزة، واستولى عليها.

وفي هذه السنة: قُدِّمَ البطرك أثنامبوس^(١) بن القس أبى المكارم، فى يوم الأحد رابع شهر رجب، الموافق الخامس بابه سنة سبع وستين وتسعمائة للشهداء. فأقام فى البطركية إحدى عشرة سنة وخمسة وخمسين يوماً، ومات يوم الأحد أول كيهك سنة ثمان وسبعين وتسعمائة للشهداء، الموافق لثالث المحرم سنة ستين وستمائة هجرية، وخلا الكرسي بعده خمسة وثلاثين يوماً. وفيها مات الإمبراطور ملك الفرنج الألمانية بصقلية^(٢)، وقام من بعده ابنه.

وخرجت هذه السنة والناصر يوسف بدمشق، وبیده ملك الشام والشرق؛ ومملكة مصر بيد الملك المعز عز الدين أيبك التركمانى، ويخطب معه للأشرف موسى، والمعتمد عليه فى أمور الدولة من البحرية ثلاثة أمراء: وهم الأمير فارس الدين أقطاي، وركن الدين بيبرس البندقدارى، وسيف الدين بلبان الرشيدى.

* * *

ومات فى هذه السنة من الأعيان

الملك المعظم غياث الدين تورانشاه بن الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الملك الكامل محمد بن الملك العادل أبى بكر بن أيوب بن شادى، قتيلاً فى يوم الإثنين تاسع عشرى المحرم. ومات الملك الصالح عماد الدين إسماعيل بن العادل أبى بكر بن أيوب بن شادى، قتيلاً فى ليلة الأحد سابع عشرى ذى القعدة، عن نحو خمسين سنة. ومات

(١) اسم هذا البطريق أثنامبوس وهو السادس والسبعون من بطارقة الأقباط بالإسكندرية.

(٢) جزيرة صقلية فى قطعة من البحر الشامى بينها وبين أقرب برّ من مالطة ثمانون ميلاً؛ افتتحها المسلمون فى صدر الإسلام وغزاها أسد بن الفرات الفقيه أميراً وقاضياً سنة اثنتى عشرة ومائتين، ففرغ فيه البطريق النصرانى قائد صاحب صقلية إلى زيادة الله فعرض عليه أمر صقلية والظفر بها، وصقلية اسم لإحدى مدنها فنسبت الجزيرة كلها إليها، وفيها مدن كثيرة، وهى جزيرة عظيمة ضخمة حصينة خطيرة قيل إن فيها مائة بلد وثلاثين بلدًا بين مدينة وقلعة غير ما بها من الضياع والمنازل. وطول هذه الجزيرة سبعة أيام وعرضها خمسة أيام، وفتحت فى سنة اثنتى عشرة ومائتين، فتحها زيادة الله بن إبراهيم بن الأغلب أمير القيروان، بعث إليها أسد بن الفرات، كما قدمناه، فمشى فى مراكبه إلى سرقوسة، مدينة من مدن الجزيرة، فنزل بمرساها، وقاتل البطريق الذى كان بها حتى قتله. قالوا: ومعنى صقلية باللسان القديم: تين وزيتون. انظر معجم البلدان ٣/ ٤١٦، والروض المعطار ٣٦٦،

الأمير شمس لؤلؤ الأميني، مقدم عسكر حلب، قتيلا في يوم الخميس عاشر ذي القعدة. وتوفى رشيد الدين أبو محمد عبد الوهاب بن طاهر بن علي بن فتوح بن رواج الإسكندري المالكي، عن أربع وتسعين سنة، في [...^(١)...] وتوفى الحافظ شمس الدين أبو الحجاج يوسف بن خليل بن قراجا بن عبد الله الدمشقي بحلب^(٢)، عن ثلاث وتسعين سنة.

* * *

(١) ما بين المعقوفتين بياض في الأصل.

(٢) يوسف بن خليل بن قراجا بن عبد الله، أبو الحجاج، شمس الدين الدمشقي ثم الحلبي: محدث، حنبلي. ولد وتفقّه بدمشق. وقام برحلة إلى بغداد وأصبهان ومصر، وتفرد في وقته بأشياء كثيرة عن الأصبهانيين، فكان أوسع معاصريه رحلة وأكثرهم كتابة. وجمع لنفسه «معجما» عن أزيد من خمسمائة شيخ باسم «الفوائد العوالي الصحاح». انظر الذيل على طبقات الحنابلة، طبعة الفقي ٢/ ٢٤٤ وشذرات الذهب ٥/ ٢٤٣ والتبيان لابن ناصر الدين ودار الكتب ١/ ١٣٦ والأعلام ٨/ ٢٢٩.

سنة تسع وأربعين وستمائة

فيها استولى الأمير فارس الدين أقطاي على الساحل ونابلس إلى نهر الشريعة^(١)، وعباد إلى القاهرة. فسير الملك الناصر عسكرياً من دمشق إلى غزة ليكون بها، فأقاموا على تل العجول. فخرج المعز أيك، ومعه الأشرف موسى والفارس أقطاي وسائر البحرية، ونزل بالصالحية. فأقام العسكر المصري بأرض السانح قريباً من العباسة، والعسكر الشامي قريباً من سنتين، وترددت بينهما الرسل. وأحدث الوزير الأسعد الفائزى ظلمات عديدة على الرعية.

وفيها أمر الملك المعز أيك بإخلاء قلعة الروضة، فتحول من كان فيها من الممالك والحرسية^(٢) وغيرهم. وفيها عزل قاضي القضاة عماد الدين أبو القاسم بن أبي إسحاق ابن المفتش - المعروف بابن القطب الحموي، عن قضاء مصر؛ وأضيف ذلك إلى قاضي القضاة بدر الدين السنجاري. وسافر الأمير حسام الدين أبو علي إلى الحجاز - وترك طلبه بالسانح وفيه من ينوب عنه - من البحر إلى قوص، ثم ركب البحر الملح إلى مكة. وفيها أشيع وصول البادرائي رسول الخليفة، ليصلح بين الناصر والمعز. فلما أبطأ قدمه، وكثرت الأقاويل، قال الأمير شهاب الدين غازي ابن آيار المعروف بابن المعمار - أحد المجردين صحبة الأمير جمال الدين موسى بن يغمور: -

يذكرنا زماناً الزهد ذكرى زمان اللهوقى تل العجول
ونطلب مسلماً يروى حديثاً صحيحاً من أحاديث الرسول
وفيها وقع بمكة غلاء عظيم.

* * *

ومات في هذه السنة من الأعيان

قاضي القضاة ببغداد، واسمه كمال الدين أبو الفضل عبد الرحمن بن عبد السلام بن إسماعيل بن عبد الرحمن بن إبراهيم اللمفاني الحنفي.

وفيها توفي بهاء الدين أبو الحسن علي بن هبة الله بن سلامة الجميزي الشافعي،

(١) أطلق هذا الاسم على نهر الأردن، بعد زمن الحروب الصليبية، وخصوصاً جزؤه الواقع بين بحيرة طبرية إلى مصبه في البحر الميت.

(٢) على هامش ط: جمع حرس، وهو الجندي الموكل بحراسة مكان من الأمكنة.

٤٧٦ سنة تسع وأربعين وستمائة

خطيب القاهرة - وقد انتهت إليه مشيخة العلم - عن تسعين سنة، فى يوم [.....] (١).

وفىها توفى الصاحب جمال الدين أبو الحسين يحيى بن عيسى بن إبراهيم بن مطروح - الوزير بالشام، و الشاعر أيضاً - عن سبع وخمسين سنة، فى [.....] (٢).

وفىها توفى رشيد الدين أبو محمد عبد الظاهر بن نشوان بن عبد الظاهر السعدى شيخ القراءات [.....] (٣).

وفىها توفى علم الدين قيصر بن أبى القاسم بن عبد الغنى بن مسافر - المعروف بتعاسيف، الفقيه الحنفى، بدمشق فى [.....] (٤) رجب، ومولده بأصفون من صعيد مصر سنة أربع وسبعين وخمسائة، وهو أحد الأئمة فى العلوم الرياضية.

* * *

(١) ما بين المعقوفتين بياض فى الأصل.

(٢) ما بين المعقوفتين بياض فى الأصل.

(٣) ما بين المعقوفتين بياض فى الأصل.

(٤) ما بين المعقوفتين بياض فى الأصل.

سنة خمسين وستمائة

فيها قدم الأمير حسام الدين أبو علي من الحجاز، فنزل في المعسكر من أرض السانح بالصالحية، وقدم من بغداد الشيخ نجم الدين عبد الله بن محمد بن الحسن أبي سعد البادراني، رسولا من الخليفة للإصلاح بين الملك المعز أيك والملك الناصر. فتلقاه القاضي بدر الدين الخضر بن الحسن السنجاري من قطيا، ومعه جماعة، وتحدث معه في ذلك. فأراد الناصر أن تقام له الخطبة بديار مصر، فلم يرض الملك المعز، وزاد بأن طلب أن يكون بيده - مع مصر - من غزة إلى عقبة فيق.

وفيها وردت الأخبار بأن منكوخان ملك التتر سير أخاه هولاكو لأخذ العراق فسار وأباد أهل بلاد الإسماعيلية قتلا ونهبا، وأسرا وسييا، ووصلت غاراته إلى ديار بكر وميافارقين، وجاءوا إلى رأس عين وسروج، وقتلوا ما ينيف على آلاف، وأسروا مثل ذلك، وصادفوا قافلة سارت من حران تريد بغداد، فأخذوا منها أموالا عظيمة، من جملتها ستمائة حمل سكر من عمل مصر، وستمائة ألف دينار. وقتلوا الشيوخ والعجائز، وساقوا النساء والصبيان معهم فقطع أهل الشرق الفرات، وفرّوا خائفين.

فعند ذلك أزال الملك المعز اسم الملك الأشرف موسى من الخطبة، وانفرد باسم السلطنة، وسجن الأشرف، واستولى على الخزائن، وشرع في تحصيل الأموال فأحدث الوزير الأسعد شرف الدين هبة الله بن صاعد بن وهيب الفائزي حوادث، وقرر على التجار وعلى أصحاب العقار أموالا، ورتب مكوسا وضمانات سماها الحقوق السلطانية والمعاملات الديوانية، وأخذ الجوالي^(١) من الذمة مضاعفة، وأحدث التصقيع والتقويم^(٢) وعدة أنواع من المظالم، ورتب الملك المعز مملوكه الأمير سيف الدين قطز نائب السلطة بديار مصر، وأمر عدة من مماليكه فقويت شوكة البحرية وزاد شرهم، وصار كبيرهم، الأمير فارس الدين أقطاي الجمدار الصالحى ملجأ لهم، يسألونه في حوائجهم، ويكون هو المتحدث مع الملك المعز.

(١) الجوالي جمع جالية، ولفظ جالية يطلق على أهل الذمة، وقد قيل لهم ذلك لأن الإمام عمر أجلاهم عن جزيرة العرب، ثم لزم هذا الاسم كل من لزمته الجزية من أهل الذمة... وإن لم يجلبوا من أوطانهم. انظر محيط الخيط.

(٢) التصقيع هنا إحصاء البيوت والعقارات، لأجل فرص ضريبة عليها. والتقويم: تقدير قيمة كل من البيوت الخاصة، من أجل الغرض نفسه.

وفيها أقطع الفارس أقطاي ثغر الإسكندرية، وكتب له به منشور. وتعدى شر البحرية، وكثر تمردهم وطغيانهم.

وخرجت السنة والملك المعز والعساكر بالسانح، وعساكر الشام بغزة، والملك الناصر مقيم بدمشق، والملك المغيث عمر بالكرك. وكان النيل عاليا: بلغ ثمانية عشر ذراعا وسبعة عشر إصبعا، وسدّ باب البحر عند المقس.

وفيها وقع بمدينة حلب حريق عظيم ظهر أنه من الفرنج، و تلف فيه أموال لا تحصى، واحترقت ستمائة دار.

وحج في هذه السنة ركب العراق.

* * *

ومات في هذه السنة من الأعيان

العلامة رضى الدين أبو الفضائل الحسن بن محمد الحسن بن حيدر العمري الهندي الصنعاني الحنفي اللغوى، مات ببغداد، ودفن بمكة عن ثلاث وسبعين سنة.

وتوفى فخر القضاة أبو الفتح نصر الله بن هبة الله بن عبد الباقي بن هبة الله بن الحسينى بن يحيى بن بصاقة الكنانى، الكاتب الوزير للناصر داود، و الأديب المنشى، فى [.....]^(١).

وتوفى شمس الدين أبو عبد الله بن سعد الله بن عبد الله بن سعد الأنصارى القدسى، الفقيه الشافعى المحدث المقرئ، النحوى الأديب الكاتب الجوّد؛ مات بدمشق عن تسع وسبعين سنة.

وتوفى مُسنَدُ العراق المؤتمن أبو القاسم يحيى بن نصر بن أبى القاسم بن الحسن بن قميرة التميمى، التاجر السفار، عن خمس وثمانين سنة، حدّث بمصر وغيرها.

وتوفى نقيب الأشراف - وقاضى العسكر، ومدرّس المدرسة الشريفة بمصر - الشريف شمس الدين أبو عبد الله محمد بن الحسين بن محمد العلوى الحسينى الأرموى، على ما حدّثنا الأشراف، فى ثالث عشر شوال خمسين وستمائة. وكان إماما فى الفقه والأصول مناظرا، تفقّه على الصدر بن حمويه، وشرح المحصول، ومات عن نيف وسبعين سنة.

* * *

(١) ما بين المعقوفين بياض فى الأصل.

سنة إحدى وخمسين وستمائة

فيها تقرّر الصلح بين الملك المعز أيك وبين الملك الناصر صاحب دمشق، بسفارة نجم الدين البادرائي. وقد قدم نجم الدين إلى القاهرة، وصحبته عز الدين أزدمر، وكاتب الإنشاء مجلب نظام الدين أبو عبد الله محمد بن المولى الحلبي، لتمهيد القواعد، فلم يرحا إلى أن انفصلت القضية: على أن يكون للمصريين إلى الأردن، وللناصر ما وراء ذلك؛ وأن يدخل فيها للمصريين غزة والقدس ونابلس والساحل كله؛ وأن المعز يطلق جميع من أسره من أصحاب الملك الناصر. وحلف كل منهما على ذلك، وكتبت به العهود، وعاد الملك المعز وعسكره إلى قلعة الجبل في يوم الثلاثاء سابع صفر، ونزل البادرائي بالقاهرة، وأطلق الملك المعز الملك المعظم تورانشاه بن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب، وأخاه نصرة الدين، وسائر أولاد الملوك والأمراء، وأحضرهم دار الوزارة ليشهدوا حلفه للملك الناصر. ثم قدّم الملك المعز أيك للملك المعظم مقدمة سنية، وأعطى نظام الدين بن المولى، ورفيقه عز الدين أزدمر، عشرة آلاف دينار.

وفيها قويت البحرية - وكبيرهم فارس الدين أقطاي - على المعز، وكثر قبضتهم واستطالتهم وتوثبهم على الملك المعز، وهموا بقتله.

وفيها تسلم المصريون قلعة الشويك، فلم يبق مع الملك المغيث سوى الكرك والبلقاء وبعض الغور. وفيها قطع المعز خبز الأمير حسام الدين بن أبي على، فلزم داره، ثم خرج إلى بلاد الشام بإذن الملك المعز له، فأكرمه الملك الناصر وأقامه في خدمته بمائة فارس.

وفيها ثارت العربان ببلاد الصعيد وأرض بحري، وقطعوا الطريق برا وبحرا، فامتنع التجار وغيرهم من السفر. وقام الشريف حصن الدين ثعلب بن الأمير الكبير نجم الدين علي بن الأمير الشريف فخر الدين إسماعيل بن حصن الدولة مجد العرب ثعلب بن يعقوب بن مُسليم بن أبي جميل الجمدي، وقال: «نحن أصحاب البلاد»، ومنع الأجناد من تناول الخراج، وصرّح هم وأصحابه: «بأننا أحق بالملك من المماليك وقد كفى أنا خدمنا بنى أيوب، وهم خوارج خرجوا على البلاد». وأنفوا من خدمة الترك، وقالوا إنما هم عبيد للخوارج؛ وكتبوا إلى الملك الناصر صاحب دمشق يستحثونه على القدوم إلى مصر.

واجتمع العرب - وهم يومئذ في كثرة من المال والخيل والرجال، إلى الأمير حصن الدين ثعلب، وهو بناحية دَهْرُوط^(١) صَرَبَان؛ وأتوه من أقصى الصعيد، وأطراف بلاد البحيرة والجيزة والفيوم، وحلقوا له كلهم. فبلغ عدّة الفرسان اثني عشر ألف فارس، وتجاوزت عدّة الرجالة الإحصاء لكثرتهم. فجهز إليهم الملك المعز أيبك الأمير فارس الدين أقطاي الجمدار، والأمير فارس الدين أقطاي المستعرب، في خمسة آلاف فارس. فساروا إلى ناحية ذَرَوَة^(٢)، وبرز إليهم الأمير حصن الدين ثعلب، فاقتل الفريقان من بكرة النهار إلى الظهر. فقدر الله أن الأمير حصن الدين تقنطر عن فرسه، فأحاط به أصحابه وأتت الأتراك إليه، فقتل حوله من العرب والعبيد أربعمائة رجل، حتى أركبوه. فوجد العرب قد تفرقوا عنه، فولى منهزما. وركب الترك أديبارهم، يقتلون ويأسرون حتى حال بينهم الليل، فحَوُوا من الأسلاب والنسوان والأولاد والخيول والجمال والمواشي، ما عجزوا عن ضبطه، وعادوا إلى المخيم ببلييس. ثم عدوا إلى عرب الغريبة والمنوفية من قبيلتي سِنِيس^(٣) ولَوَاة^(٤)، وقد تجمعوا بناحية سخا وسنهور، فأوقعوا بهم وسبوا حریمهم وقتلوا الرجال، وتبدد شمل عرب مصر وحمدت جَمْرَتُهُمْ من حيثئذ.

ولحق الشريف حصن الدين من بقى من أصحابه، وبعث يطلب من الملك المعز الأمان، فأمنه ووعده بإقطاعات له ولأصحابه، ليصيروا من جملة العسكر وعونا له على أعدائه. فانخدع الشريف حصن الدين، وظن أن الترك لا تستغنى عنه في محاربة الملك الناصر، وقدم في أصحابه وهو مطمئن إلى بلييس. فلما قرب من الدهليز نزل عن فرسه ليحضر مجلس السلطان، فقبض عليه وعلى سائر من حضر معه، وكانت عدتهم نحو ألفي فارس وستمائة راجل. وأمر الملك المعز فنصبت الأخشاب من بلييس إلى القاهرة وشُنق الجميع، وبعث بالشريف حصن إلى ثغر الإسكندرية، فحبس بها وسلّم لواليتها الأمير شمس الدين محمد بن باخل. وأمر المعز بزيادة القطعية^(٥) على العرب، وبزيادة

(١) تسمى تلك الناحية دروت سريام، ودروط سريان، وذروة سريام، ودروط الشريف، وديروط الشريف. ودهروط هي ديروط الحالية إحدى مراكز مديرية أسيوط. انظر الخطط التوفيقية ٦٠٣/١١.

(٢) توجد قرنتان بهذا الاسم إحداهما بمديرية المنوفية، والثانية في المراحية من قسم نوسة الغيط. انظر الخطط التوفيقية ٧٣/١١.

(٣) كان مقر تلك القبيلة مدينة سخا بالغربية. انظر مبارك، الخطط التوفيقية ٤/١١.

(٤) كانت لواتة بالمنوفية. انظر الخطط التوفيقية ٤/١١.

(٥) على هامش ط: القطعية ما يفرضه السلطان على ولاية أو ناحية من المال سنويا.

القَوْدُ^(١) المأخوذ منهم، ومعاملتهم بالعنف والقهر. فذَلُّوا وقلَّوا، حتى صار أمرهم على ما هو عليه الحال في وقتنا.

وفيه صاهر الأمير فارس الدين أقطاي الملك المظفر صاحب حماة، وسير إليه فخر الدين محمد بن صاحب بهاء الدين علي بن حنا - قبل أن يتقلد أبوه الوزارة، وإنما كان قد ترشح لها - لإحضار ابنة المظفر من حماة، فحملها إلى دمشق في تحمل عظيم. فطلب أقطاي من الملك المعز أن يسكن قلعة الجبل بالعروس، فشق ذلك عليه وأخذ يتحيل في قتله، وكان قد ثقل عليه، وصار ليس له مع البحرية أمر ولا نهى ولا حل ولا عقد، ولا يسمع أحد منهم له قولا فإن رسم لأحد بشيء لا يُمكن من إعداده وإن أمر لأحد منهم بشيء أخذ أضعاف ما رسم له به. واجتمع الكل على باب الأمير فارس الدين أقطاي، وقد استولى على الأمور كلها. وبقيت الكتب إنما ترد من الملك الناصر وغيره إليه، ولا يقدر أحد يفتح كتابا، ولا يتكلم بشيء ولا يبرم أمرا، إلا بحضور أقطاي لكثرة خُشْدَاشِيَّتِهِ^(٢).

وفي هذه السنة: حج من البر والبحر عالم كبير، فإنها كانت وقفة الجمعة، وفيها أخذ الشريف جماز بن حسن مكة، وأقام بها إلى آخر ذى الحجة.

* * *

ومات في هذه السنة من الأعيان

الشريف أبو سعد الحسن بن علي بن قتادة بن إدريس الحسيني أمير مكة، واستقر بعده في الإمارة ابنه أبو نغمي، وأخوه إدريس بن علي.

ومات الصالح أحمد بن الظاهر غازي بن الناصر يوسف بن أيوب بن شادي بن مروان، صاحب عينتاب، عن إحدى وخمسين سنة.

وتوفي كمال الدين أبو محمد عبد الواحد بن عبد الكريم بن خلف بن نبهان الأنصاري الزمِّلَكَانيّ الدمشقي الشافعي، بدمشق.

وتوفي جمال الدين أبو القاسم عبد الرحمن بن مكى بن عبد الرحمن الإسكندري، سبط الخافظ أبي الطاهر السلفي، وقد انتهى إليه علو الإسناد.

* * *

(١) القود ما يبعث من قبائل العرب إلى السلاطين من الهدايا.

(٢) علي هامش ط: جمع خشدشاش وهو معرب. اللفظ الفارسي خواجاتاش، أي الزميل في

سنة اثنتين وخمسين وستمائة

فيها استفحل أمر الفارس أقطاي الجمدار وانحازت إليه البحرية، بحيث كان أقطاي إذا ركب من داره إلى القلعة شَعَلَ بين يديه جماعة بأمره، ولا يُنْكِر هو ذلك منهم وكانت أصحابه تأخذ أموال الناس ونساءهم وأولادهم بأيديهم، فلا يقدر أحد على منعهم، وكانوا يدخلون الحمامات ويأخذون النساء منها غصبا، وكثر ضررهم.

هذا المعز يحصل الأموال، وقد ثقل عليه أقطاي، فواعد طائفة من مماليكه على قتله: وبعث المعز إليه وقت القائلة من يوم الأربعاء ثالث شعبان، ليحضر إليه بقلعة الجبل في مَشَوْر يأخذ رأيه فيه. فركب أقطاي على غير أهبة ولا اكتراث فعندما دخل من باب القلعة، وصار في قاعة العواميد^(١)، أغلق باب القلعة، ومُنِع مماليكه من العبور معه. فخرج عليه جماعة بالدلهيز قد أعدوا لقتله: وهم قُطز وبَهَاذُر وسَنْجَر الغنمى، فَهَبَرُوهُ بالسيوف حتى مات. فوقع الصريخ في القلعة والقاهرة بقتله، فركب في الحال من أصحابه نحو السبعمائة فارس ووقفوا تحت القلعة، وفي ظنهم أنه لم يقتل وإنما قبض عليه، وأنهم يأخذونه من المعز، وكان أعيانهم بيبرس البندقدارى، وقلاوون والألفى، وسنقر الأشقر، وبَيْسَرى، وسِكِز، وبرامق. فلم يشعروا إلا ورأس أقطاي قد رَمَى بها المعز إليهم، فسُقِط في أيديهم وتفرقوا بأجمعهم. وخرجوا في الليل من القاهرة وحرقوا باب القراطين فعرف بعد ذلك بالباب المحروق إلى اليوم^(٢) فمنهم من قصد الملك المغيث بالكرك، ومنهم من سار إلى الملك الناصر بدمشق، ومنهم من أقام ببلاد الغور والبلقاء والكرك والشوبك والقدس، يقطع الطريق ويأكل بقائم سيفه.

واتفق أن اثني عشر من البحرية مرّوا في تيه بنسى إسرائيل^(٣)، فأقام به خمسة أيام حائرين، فلاح لهم في اليوم السادس سواد على بعد فقصدوه، فإذا مدينة عظيمة، ذات أسور وأبواب حصينة، كلها من رخام أخضر. فطافوا بداخل المدينة، وقد غلب عليها الرمل في أسواقها ودورها، وصارت أوانيهم وملابسهم إذا أخذت تتفتت وتبقى هباء. فوجدوا في صوانى بعض البزارين تسعة دنانير، قد نقش عليها صورة غزال حوله كتابة

(١) كان بالقلعة عدة قاعات، وكلها مخصصة لحاجات السلطان المنزلية. انظر ابن شاهين، زبدة الممالك ٧٧٢٧٦.

(٢) المقصود باب القاهرة الشرقى.

(٣) بين أيلة ومصر وبحر القلزم وحبال السراة من أرض الشام. انظر ومعجم البلدان ١/٩١٢.

عبرانية. وحفروا مكانا، فإذا بلاطة، فلما رفعوها وجدوا صهريجيا فيه ماءً أبرد من الثلج، فشربوا وساروا ليلتهم. فإذا بفريق عرب فحملوهم إلى الكرج، فعرضوا تلك الدنانير على الصيارف، فقال بعضهم هذه ضربت في أيام موسى عليه السلام. وسألوا عن المدينة، فقيل هذه المدينة الخضراء، بنيت لما كان بنو إسرائيل في التيه، ولها طوفان من رمل يزيد تارة وينقص أخرى، ولا يقع عليها إلا تائه. وصرفوا كل دينار بمائة درهم.

وسار منهم قشتمر العجمي، وشارياش العجمي، وسنجر الحاروك، والركن الفارقاني وسنقر الجبيلي، وسنقر الحبيشي الكبير، والحبيشي الصغير الحاجب، والصقلي، والغتمى وبلبان النجمي، وبكمش المسعودي، وأبو عيبة، والنميسي، وفخر الدين ماما، وأيدمر، الجمدار الرومي، وسنقر الركني، والحسام قريب سكر، وإيدغدى الفارسي، وبلبان الزهيري، وسنجر البدرى، وإزدمر السيفي وإزدمر البواشقى مملوك الرشيدى الكبير، والعتابى، والمستعربى وسنقر البديوى، وأبيك الشقارى، وإيدغدى فتنة، وسيف الدين الأشل، والخولانى، وسنجر الشكارى، والمطروحي، وأبيك الفارسي، وأياس المقرى، فى جماعة كبيرة من المماليك الصغار الجمدارية الصالحة. وكان الحاكم المقدم على هؤلاء الأمير علم الدين سنجر الباشقردى - وهو أعقلهم وأعرفهم -، والأمير شمس الدين سنقر الجبلى - وهو أفرسهم وأشهرهم بالشرطة. فمضى هؤلاء إلى السلطان علاء الدين ملك السلاجقة الروم. فلما أصبح الملك المعز أليك، وعلم بخروج الجماعة من القاهرة، قبض على من بقى منهم، وقتل بعضهم وحبس باقيهم، وأوقع الخوطة على أملاكهم وأموالهم ونسائهم وأتباعهم، واستصفى أموالهم وذخائرهم وشونهم. وظفر للفارس أقطاي بأموال عظيمة. ونودى فى القاهرة ومصر بتهديد من أحفى أحد من البحرية، وتمكن عند ذلك الملك المعز، وارتجع الإسكندرية إلى الخاص السلطاني، وخفف بعض ما أحدث من المصادرات والجبايات.

فلما وصل البحرية إلى غزة، وفيهم ركن الدين بيبرس البندقدارى، وسيف الدين بلبان الرشيدى وعز الدين أزدمر السيفي، وشمس الدين سنقر الأشقر، وسيف الدين سكر، وسيف الدين قلاوون، وبدر الدين بيبرس - كتبوا إلى الملك الناصر بأنهم قد وصلوا إلى خدمته، فأذن لهم وعروا^(١) على بلاد الفرنج بالساحل، فقتلوا ونهبوا حتى قاربوا دمشق. فخرج إلى لقائهم الملك الناصر، وخلع عليهم وأعطاهم. هذا وهم يحنونه على قصد مصر وهو يدافعهم.

(١) عراة معربه، أى ألم به وأتاه طالبا معروفا. وهو فعل متعد. انظر محيط المحيط.

فخاف المعز غائلتهم، وكتب إلى الناصر يوهمه منهم، ويخوفه عاقبة شرهم وطلب منه الناصر البلاد التي كان قد أخذها بالساحل لأجل البحرية، وأنها فى إقطاعتهم. فأعادها المعز إلى الملك الناصر، فأقر كل إقطاع منها بيد من كان له، وكتب مناشيرها عنه للبحرية.

وكتب الملك المعز إلى سلطان الروم بأن «البحرية قوم منحيس أطراف^(١)، لا يقفون عند الأيمان، ولا يرجعون إلى كلام من هو أكبر منهم، وإن استأمتهم خانوا، وإن استحلقتهم كذبوا، وإن وثقت بهم غدروا. فتحررَّ منهم على نفسك، فإنهم غدارون مكارون خوانون، ولا آمن أن يمكروا عليك». فخاف سلطان الروم منهم، وكانوا مائة وثلاثين فارساً، فاستدعاهم وقال: «يا أمراء ما لكم ولأستاذكم؟»، فتقدم الأمير علم الدين سنجر الباشقردى، وقال: «يا مولانا من هو أستاذنا؟»، قال: «الملك المعز صاحب مصر»، فقال الباشقردى: «يحفظ الله مولانا السلطان! إن كان الملك المعز قال فى كتابه أنه أستاذنا فقد أخطأ، إنما هو خوشداشنا ونحن وليناه علينا، وكان فينا من هو أكبر منه سناً وقدرًا وأفرس وأحق بالمملكة، فقتل بعضنا وحبس بعضنا وغرق بعضنا، فمر بنا منه وتشتنا فى البلاد، ونحن التجأنا إليك» فأعجب سلطان الروم بهم، واستخدمهم عنده.

وفىها وقع الصلح بين الملك الناصر وبين الفرنج أصحاب عكا، لمدة عشر سنين وستة أشهر وأربعين يوماً أولها مستهل الحرم، على أن يكون للفرنج من نهر الشريعة مغرباً، وحلف الفريقان على ذلك.

وفىها أقطع الملك المعز أيك الأمير علاء الدين إيدغدى العزيزى دمياط، زيادة على إقطاعه، وارتفاعها يومئذ ثلاثون ألف دينار، وفىها خرج الملك المعز من قلعة الجبل بالعساكر وخيم بالباردة^(٢) قرب العباسية خوفاً من البحرية لنزولهم بالموجاء.

وفىها سَفَر الملك المعز أيك الأشرف موسى بن الناصر يوسف بن الملك المسعود إلى بلاد الأشكرى منفياً، وفىها درَّس الشيخ عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بالمدرسة الصالحية بين القصرين. وفىها وصل الشريف عز الدين أبو الفتوح مرتضى ابن أبى طالب أحمد بن محمد بن جعفر الحسينى إلى دمشق، ومعه الخوننده ملكة خاتون بنت السلطان علاء الدين كيقباد ملك السلاجقة الروم، وزوجة الملك الناصر يوسف. فزفت إليه، وقد احتفل بقدموها، وبالغ فى عمل الوليمة لها.

(١) جمع طرف، وهو هنا الرجل الذى لا يثبت على صحبة أحد. انظر محيط المحيط.

(٢) الباردة يقال لها السعيدية وهى التى سميت فيما بعد باسم الخشبى.

وفيها ظهرت نار بعدن روعت القلوب. وفيها ولّى المنصور قضاء حماة شمس الدين إبراهيم بن هبة الله البارزى، بعد المحبى حمزة بن محمد.

وفيها مات ملك التتر طرطق خان بن دوشى خان بن جنكز خان، فكانت مدته سنة وشهوراً. فقام بعده بركة خان بن جوشى خان بن جنكز خان، وأسلم وأظهر شعائر الإسلام فى مملكته واتخذ المدارس وأكرم الفقهاء. وأسلمت زوجته ججك، واتخذت لها مسجداً من الخيم، وذلك على يد الشيخ نجم الدين كبراً.

وفيها توفى مجد الدين أبو البركات عبد السلام بن عبد الله بن أبى القاسم بن محمد ابن تيمية الحرانى الحنبلى^(١) عن اثنتين وستين سنة.

وتوفى كمال الدين أبو سالم محمد بن أحمد بن هبة الله بن طلحة النصيبى الشافعى خطيب دمشق بحلب، وقد قدم القاهرة.

وفيها أخذ مكة الشريف راجح بن قتادة من الشريف حماز بن حسن، بغير قتال؛ ثم أخذها ابنه غانم بن راجح فى ربيع الأول بغير قتال؛ فقام عليه الشريف أبو نمى بن أبى سعيد بن على بن قتادة فى شوال ومعه الشريف إدريس، وحارباه وملكا مكة. فقدم فى خامس عشرى ذى القعدة مبارز الدين الحسين بن على بن برطاس من اليمن، وقتلها وغلبها، وحج بالناس.

* * *

(١) أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبى القاسم النميرى الحرانى الدمشقى الحنبلى، أبو العباس، تقى الدين بن تيمية الإمام، شيخ الإسلام. ولد فى حران وتحول به أبوه إلى دمشق فذيع واشتهر. وطلب إلى مصر من أجل فتوى أفتى بها، فقصدتها، فعصب عليه جماعة من أهلها فسجن مدة، ونقل إلى الإسكندرية. ثم أطلق فسافر إلى دمشق سنة ٧١٢ هـ، واعتقل بها سنة ٧٢٠ هـ وأطلق، ثم أعيد، ومات معتقلاً بقلعة دمشق، فخرجت دمشق كلها فى جنازته. كان كثير البحث فى فنون الحكمة داعية إصلاح فى الدين. آية فى التفسير والأصول، فصيح اللسان قلمه ولسانه متقاربان. وفى الدرر الكامنة: أنه ناظر العلماء واستدل وبرع فى العلم والتفسير وأفتى ودرس وهو دون العشرين. أما تصانيفه فى الدرر أنها ربما تزيد على أربعة آلاف كراسة، وفى فوات الوفيات: أنها تبلغ ثلاثمائة مجلد، منها «بجوامع» فى السياسة الإلهية والآيات النبوية، ويسمى «السياسية الشرعية» و«الفتاوى» و«الإيمان» و«يجمع بين النقل والعقل» و«منهاج السنة» و«الفرقان بين أولياء الله وأولياء الشيطان» و«الواسطة بين الحق والخلق» و«الصارم المسلول على شاتم الرسول» و«مجموع الرسائل» فيه ٢٩ رسالة، و«نظرية العقد» وغير ذلك. انظر فوات الوفيات ١١/٣٥-٤٥، والمنهج الأحمد، والدرر الكامنة ١/١٤٤ و«البداية والنهاية» ١٤/١٣٥، وابن الوردي ٢/٢٨٤، وآداب اللغة ٣/٢٤٣، والنجوم الزاهرة ٩/٢٧١، ودائرة المعارف الإسلامية ١/١٠٩ والأعلام ١/١٤٤.

سنة ثلاث وخمسين وستمائة

فيها سار الأمير عز الدين أيك الأفرم الصالحى إلى بلاد الصعيد، وأظهر الخروج عن طاعة الملك المعز، وجمّع العربان. فسير إليه الملك المعز الوزير صاحب الأسعد شرف الدين الفائزى، ومعه طائفة من العسكر، حتى سكّن الأمور. وأخرج الملك الناصر عسكرًا إلى جهة ديار مصر، ومعهم البحرية: وهم الأمير سيف الدين بلبان الرشيد، وعز الدين أزدمر، وشمس الدين سنقر الرومى، وشمس الدين سنقر الأشقر، وبدر الدين بيسرى، وسيف الدين قلاوون، وسيف الدين بلبان المسعودى، وركن الدين بيبرس البندقدارى، وعدة من مماليك الفارس أقطاى.

وفيها قتل الملك المعز الأمير علاء الدين إيدغدى العزىزى، بعدما قبض عليه؛ وكان قد قبض أيضًا على الفارس أقطاى العزىزى، والفارسى أقطاى الأتابك، وهرب منه أقش الركنى، وأمر الملك المعز ألا تخرج امرأة من بيتها، ولا يمشى رجل بلا سراويل. فقال أبو الحسين الجزار فى ذلك:

حنا الملك المعز على الرعايا وألزمهم قوانين المروّة
وصان حریمهم من كل عار وألبسهم سراويل الفتوة

وفيها توجه الناصر داود بن المعظم عيسى إلى بغداد، يطلب ما أودعه عند الخليفة من الجواهر، وقيمته مائة ألف دينار. فمِطل مدة، فتوجه إلى الحجاز، واستشفع إلى الخليفة فى ردّ وداعته، وعاد إلى العراق. فعوض عن جوهره بما لا يذكر، وردّ إلى الشام، وفيها قدم مكة أبو نُمى وإدریس، ومعهما جماز بن شيحة أمير المدينة، فقاتلوا المبارز بن برطاس، وأخذوا مكة.

* * *

ومات فى هذه السنة من الأعيان

الأمير شرف الدين يوسف بن أبى الفوارس بن موسك القيمرى بنابلس، ودفن بدمشق. وتوفى نقيب الأشراف بحلب، وهو الشريف عز الدين أبو الفتوح مرتضى بن أبى طالب أحمد بن أحمد بن أبى الحسن محمد بن جعفر بن زيد بن جعفر بن إبراهيم محمد بن ممدوح أبى العلاء، عن أربع وسبعين سنة بحلب.

٤٨٨ سنة ثلاث وخمسين وستمائة

وتوفى نظام الدين أبو عبد الله محمد بن محمد بن محمد بن عثمان البلخي الحنفي
البغدادي، بحلب عن تسع وسبعين سنة.

وتوفى ضياء الدين أبو محمد جعفر بن يحيى بن سالم بن يحيى بن عيسى بن صقر
المحلي الشافعي، عن نيف وتسعين سنة بحلب، قدم مصر وحدث بها.

* * *

سنة أربع وخمسين وستمائة

فيها ورد الشيخ نجم الدين علم عبد الله بن محمد بن الحسن البادرائي، من قبل الخليفة المستعصم بالله؛ ليجدد الصلح بين الأول وبين الملك الناصر والملك المعز، فبعث السلطان إلى القائد برهان الدين خضر السنجاري، فسار إلى قطبا، ومعه جماعة من أعيان الفقهاء، حتى قدم به. فقرّر الصلح على أن يكون للملك المعز ما كان للملك الصالح نجم الدين أيوب من الساحل ببلاد الشام، مع مُلك مصر، وأن الملك الناصر لا يأوى عنده أحدا من البحرية، فمضوا إلى المغيث بالكرك. وتولى الصلح قاضي القضاة بدر الدين السنجاري؛ فلما تم الصلح عاد البادرائي، ورحل الملك الناصر عن تل العجول إلى دمشق، وعاد المعز من العباسية - بعد إقامته عليها ثلاث سنين - إلى قلعة الجبل.

وسار الأمير شمس الدين سنقر الأقرع رسولا إلى الخليفة ببغداد، وصحبه الشيخ نجم الدين البادرائي، يلتمس تشرفه بالتقلد والخلع والأولوية للملك المعز، أسوة من تقدمه من ملوك مصر؛ فسار إلى بغداد. وبعث الملك المعز إلى الملك المنصور بن المظفر صاحب حماة^(١) وإلى الملك الرحيم بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل، يخطب ابنتيهما لنفسه. فشق ذلك على زوجته شجر الدر وتغيرت عليه، فتنكر لها وفسد ما بينهما، فأخذت تدبر في قتله.

وفي خامس جمادى الآخرة: ظهرت نار بأرض الحجاز، واستمرت شهرا في شرقي المدينة النبوية، بناحية وادي شظا^(٢) تلقاء جبل أحد^(٣)، حتى امتلأت تلك الأودية منها وصار يخرج منها شرر يأكل الحجارة، وزلزلت المدينة بسببها. وسمع الناس أصواتا مزعجة قبل ظهورها بخمسة أيام، أولها يوم الإثنين أوّل الشهر، فلم تنزل الأصوات ليلا ونهارا، حتى ظهرت النار يوم الجمعة. وقد انبجست الأرض عن نار عظيمة عند وادي شظا، وامتدت أربعة فراسخ في عرض أربعة أميال وعمق قامة ونصف، وسال الصخر

(١) محمد بن محمود المنصور بن عمر المظفر بن شاهنشاه، تقي الدين، الملك المظفر: صاحب حماة. مولده ووفاته فيها. كان شجاعا كريما ذكيا محبا للعلماء. ولي حماة سنة ٦٢٦ هـ إلى أن توفى.
انظر روض المناظر وتاريخ ابن الوردي ١٧٤ / ٢ وأبو الفداء ١٤٤ / ٣ والأعلام ١٨٢ / ٧.
(٢) هو جبل بمكة. انظر معجم البلدان ٢٩٢ / ٣.
(٣) هو جبل بشمالى المدينة بينه وبينها قرابة ميل. انظر معجم البلدان ١٤٤ / ١.

منها، ثم صار فحماً أسود. وأضاءت بيوت المدينة منها فى الليل، حتى كأن فى كل بيت مصباحاً، ورأى الناس سناها بمكة، فالتجأ أهل المدينة إلى قبر رسول الله ﷺ، ودَعَوْا واستغفروا الله تعالى، وأعتقوا عبيدهم وتصدقوا، وقال بعضهم:

يا كاشف الضر صفحاً عن جرائمنا
نشكو إليك خطوباً لا نطبق لها
زلازلاً تخشع الصم الصلاب لها
بحراً من النار تجرى فوقه سفن
ترى لها شرراً كالقصر طائشة
تُحدِّث النيراتِ السبعِ ألسنها
منها تكاثف فى الجوّ الدخان إلى
فيها آية من معجزات رسول
فاسمُحْ وهبْ وتفضلْ وامحُ واعفُ وجدُ
وذكر غير واحد من الأعراب الذين كانوا بحاضرة بلدة بُصْرَى من أرض الشام، أنهم رأوا صفحات أعتاق إبّلهم فى ضوء هذه النار. وفى ليلة الجمعة مستهل شهر رمضان، احترق مسجد محمد رسول الله - ﷺ - من مسرّجه القيم، وذهبت سائر صفوفه، وبعض عمدته، واحترق سقف الحجرة الشريفة.

وفىها غرقت بغداد وهلك بها عالم عظيم، وسارت السفن فى أزقتها. وفىها قوى أمر هولاءكو بن طولو خان بن جنكز خان، وظهر اسمه، وفتح عدّة قلاع بالشرق وفىها دخل مُقَدِّم من التتار إلى أرض الروم السلاجقة، ففر منه السلطان غياث الدين كيخسرو ومات فى فراره، فقام من بعده أولاده الثلاثة، وأخذ التتار قيسارية وما حولها، فصار لهم من بلاد الروم مسافة شهر.

وفىها وصلت جواسيس هولاءكو إلى الوزير مؤيد الدين محمد بن العلقمى (١) ببغداد،

(١) محمد بن أحمد (أو محمد بن محمد بن أحمد) بن على، أبو طالب، مؤيد الدين الأسدى البغدادى المعروف بابن العلقمى: وزير المستعصم العباسى وصاحب الجريمة النكراء، فى ممالأة هولاءكو على غزو بغداد. ارتقى إلى رتبة الوزارة (سنة ٦٤٢) فولىها أربعة عشر عاماً. ووثق به والمستعصم، فألقى إليه زمام أموره، وولى له الوزارة مدة قصيرة ومات ودفن فى شهد موسى بن جعفر (الكاظمية) ببغداد. انظر الحوادث الجامعة لابن الفوطى ٢٠٨: ٣٣٦، والفخرى لابن الطقطقى، والبداية والنهاية ٢١٢/١٣ وشذرات الذهب ٢٧٢/٥، والوافى بالوفيات ١٨٥/١ والنجوم الزاهرة ٢٠/٧.

وتحدثوا معه ووعدوا جماعة من أمراء بغداد مواعيد، والخليفة في لوه لا يعبأ بشيء من ذلك.

وفيها ولى تاج الدين أبو محمد عبد الوهاب بن خلف بن أبي القاسم ابن بنت الأعرز^(١) قضاء القضاة، عوضاً عن بدر الدين يوسف السنجاري. وفيها سار إدريس إلى راجح، وأخذ مكة أبو نمى، فحاء راجح مع إدريس وأصلح بينه وبين أبي نمى. وفيها قدم مكة ركب الحاج من العراق، ولم يحج بعدها ركب من العراق.

* * *

ومات في هذه السنة من الأعيان

شمس الدين يوسف بن قزغلى بن عبد الله أبو المظفر - هو سبط الحافظ أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزى - الفقيه الحنفى الواعظ.

وتوفى شرف الدين أبو محمد عبد العزيز بن عبد الرحمن بن هبة الله بن قرناص الخزاعى الحموى الفقيه الشافعى الأديب.

وتوفى زكى الدين أبو محمد عبد العظيم بن عبد الواحد بن ظافر بن أبى الأصبع^(٢) الفقيه الشافعى النحوى الأديب، عن خمس وستين سنة.

وتوفى الشيخ أبو الروح عيسى بن أحمد بن إلياس البونينى ببعلبك.

ومات ملك الروم غياث الدين كيخسرو بن علاء الدين كيقباد بن غياث الدين كيخسرو بن قلج أرسلان بن مسعود بن قلج أرسلان بن سليمان بن قتلмыш، وقد ملك التتر قيصرية وميسرة معها، فقام بعده ابنه عز الدين كيقباد بن كيخسرو.

* * *

(١) عبد الرحمن بن عبد الوهاب بن خليفة العلامى المصرى الشافعى: وزير، فقيه، له نظم حسن. ولى الوزارة مع القضاء بمصر، ثم استعفى وتولى التدريس بالمدرسة الجاوررة لضريح الشافعى. انظر فوات الوفيات ٢٥٦/١ وابن كثير ٣٤٦/١٣ والنجوم الزاهرة ٨٢/٨ الأعلام ٣١٥/٤.

(٢) عبد العظيم بن عبد الواحد بن ظافر بن أبى الأصبع العدوانى، البغدادى ثم المصرى: شاعر، من العلماء بالأدب. مولده ووفاته حسنة، منها «بديع القرآن» فى أنواع البديع الواردة فى الآيات الكريمة وتحرير التحبير. انظر فوات الوفيات ٢٩٤/١ والنجوم الزاهرة ٣٧/٧ ومعاهد التنصيص ١٨٠/٤ والفهرس التمهيدى ٢٣٨ والخزانة التيمورية ١٦٦١/١ والأعلام ٣٠/٤.

سنة خمس وخمسين وستمائة

فيها تزايدت الوحشة بين الملك المعز أيك وبين شجر الدر، فعزم على قتلها. وكان له منحجم قد أخبره أن سبب قتله امرأة، فكانت هي شجر الدر. وذلك أنه كان قد تغير عليها، وبعث يخطب ابنة صاحب الموصل.

واتفق أن المعز قبض على عدّة من البحرية، وهو على أم البادر، وسيرهم ليعتقلوا بقلعة الجبل، وفيهم أيديكين الصالحى. فلما وصلوا تحت الشباك الذى تجلس فيه شجر الدر علم أيديكين أنها هناك، فخدم برأسه وقال التركى؛ «المملوك أيديكين بشمقدار والله يا خوند ما علمنا ذنبا يوجب مسكنا! إلا أنه لما سير يخطب بنت صاحب الموصل، ما هان علينا لأجلك، فإننا تربية نعمتك ونعمة الشهيد المرحوم، فلما عتبناه تغير علينا وفعل بنا ما ترين، فأومات شجر الدر إليه بمنديل، يعنى: «قد سمعت كلامك، فلما نزلوا بهم إلى الجب قال أيديكين: «إن كان حبسنا فقد قتلناه».

وكانت شجر الدر قد بعثت نصرًا العزيزى بهدية إلى الملك الناصر يوسف، وأعلمته أنها قد عزمت على قتل المعز، والتزوج به وتمليكه مصر. فحشى الملك الناصر يوسف أن يكون هذا خديعة، فلم يجبهها بشيء.

وبعث بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل يحذر الملك المعز من شجر الدر وأنها باطنت الملك الناصر يوسف، فتباعد ما بينهما، وعزم على إنزائها من القلعة إلى دار الوزارة. وكانت شجر الدر قد استبدت بأمور المملكة ولا تطلعه عليها، وتمنعه من الاجتماع بأم ابنه وألزمته بطلاقها، ولم تطلعه على ذخائر الملك الصالح.

فأقام الملك المعز بمنابر اللوق أياما، حتى بعثت شجر الدر من حلف عليه. فطلع القلعة وقد أعدت له شجر الدر خمسة ليقتلوه: منهم محسن الجوجرى، وخادم يعرف بنصر العزيزى، ومملوك يسمى سنجر. فلما كان يوم الثلاثاء رابع عشرى شهر ربيع الأوّل، ركب الملك المعز من الميدان بأرض اللوق، وصعد إلى قلعة الجبل آخر النهار. ودخل إلى الحمام ليلا، فأغلق عليه الباب محسن الجوجرى، وغلام كان عنده شديد القوة ومعهما جماعة. وقتلوه بأن أخذ بعضهم بأثنيه وبخناقاه، فاستغاث المعز بشجرة الدر فقالت اتركوه، فأغلق لها محسن الجوجرى فى القول، وقال لها: «متى تركناه لا يبقى علينا ولا عليك»، ثم قتلوه.

وبعثت شجر الدر فى تلك الليلة أصبغ المعز وخاتمة إلى الأمير عز الدين أيك الحلبى الكبير، وقالت له: «قم بالأمر؛ فلم يجسر وأشيح أن المعز مات فجأة فى الليل، وأقاموا الصائح فى القلعة، فلم تصدق مماليكه بذلك: وقام الأمير علم الدين سنجر الغتمى - وهو يومئذ شوكة البحرية وشديدهم -، وبادر هو والممالك إلى الدور السلطانية، وقبضوا على الخدام والحريم وعاقبوهم، فأقروا بما جرى. وعند ذلك قبضوا على شجر الدر، ومحسن الجوجرى، ناصر الدين حلاوة، وصدر الباز؛ وفرّ العزيزى إلى الشام.

فأراد ممالك المعز قتل شجر الدر، فحماها الصالحية، ونقلت إلى البرج الأحمر^(١) بالقلعة ثم لما أقيم ابن المعز فى السلطنة، حُملت شجر الدر إلى أمه فى يوم الجمعة سابع عشره فضربها الجوارى بالقباقيب إلى أن ماتت فى يوم السبت. وألقوها من سور القلعة إلى الخندق، وليس عليها سراويل وقميص، فبيت فى الخندق أياما، وأخذ بعض أراذل العامة تكته سراويلها. ثم دفنت بعد أيام - وقد نتنت، وحملت فى قفة - بترتها قريب الشهد النفيسى. وكانت من قوة نفسها، لما علمت أنها قد أحيط بها، أتلفت شيئا كثيرا من الجواهر والآلى، كسرتة فى الهاون.

وصلب محسن الجوجرى على باب القلعة، ووَسَطَ^(٢) تحت القلعة أربعون طواشيا وصلبوا من القلعة إلى باب زويلة. وقبض على الصاحب بهاء الدين بن حنا؛ لكونه وزير شجر الدر، وأخذ خطة بستين ألف دينار.

فكانت مدّة سلطنة الملك المعز سبع سنين تنقص ثلاثة وثلاثين يوما، وعمره نحو ستين سنة وكان ملكا حازما شجاعا سفاكا للدماء: قتل خلقا كثيرا، وشنق عالما من الناس بغير ذنب ليوقع فى القلوب مهايته، وأحدث مظالم ومصادرات عمل بها من بعده ووزر له الصاحب تاج الدين عبد الوهاب ابن بنت الأعرز، ثم صرفه، واستوزر القاضى الأسعد شرف الدين هبة الله بن صاعد الفائزى، فتمكن منه تمكنا زائدا. وأحدث القاضى الأسعد حوادث شنيعة من المظالم، واستناب فى الوزارة القاضى زين الدين يعقوب بن الزبير - كان يعرف اللسان التركى -؛ ليحفظ له مجالس أمراء الدولة، ويظالعه بما يقال عنه.

* * *

(١) على هامش ط: كان بقلعة الجبل عدة أبراج، وفيها هذا البرج الذى بناه السلطان الملك الكامل.

(٢) على هامش ط: معنى وسط هنا قطع نصفين.

الملك المنصور نور الدين على بن الملك المعز أيك^(١)

أقامه أمراء الدولة سلطانا بقلعة الجبل، يوم الخميس سادس عشرى شهر ربيع الأول، سنة خمس وخمسين وستمائة، وعمره خمس عشرة سنة تقريبا، وحلفوا له واستحلفوا العسكر، ماخلا الأمير عز الدين أيك الحلبي المعروف بأبيك الكبير، فإنه توقف وأراد الأمر لنفسه، ثم وافق خوفا على نفسه. فركب الأمير قطز - هو والأمراء - وقبض على الأمير سنجر الحلبي، يوم الجمعة عاشر ربيع الآخر، واعتقله فركب الأمير أيك الحلبي الكبير فى الأمراء الصالحية فلم يُوفَّق، وتقنطر عن فرسه خارج باب زويلة، فأدخل إلى القاهرة ميتا.

وأقيم الأمير سيف الدين قطز نائب السلطنة على عادته، وصار مدبر الدولة الملك المنصور على.

وأقيم الأمير فارس الدين أقطاي المستعرب الصالحى أتايك العساكر، عوضا عن الأمير علم الدين سنجر الحلبي واستمر الوزير شرف الدين الفائزى على عادته فنقل عنه الأمير سابق الدين بوزيا الصيرفى، والأمير ناصر الدين محمد بن الأطروش الكردي أمير جاندار، أنه قال: «الملكمة ما تمشى بالصبيان، والرأى أن يكون الملك الناصر». فتوهمت أم المنصور من أنه يرسل إلى الملك الناصر، وقبضت عليه وأدخلته إلى الدور، وأخذ خطة بمائة ألف دينار. واستقر فى الوزارة بعده قاضى القضاة بدر الدين يوسف بن الحسن السنجارى، مضافا إلى القضاء وقد أعيد إليه. وأحيط بأموال الفائزى، وقبض على جماعة بسببه. ثم إن السنجارى استعفى من الوزارة وتركها فى ربيع الآخر، فتقلد الوزارة قاضى القضاة تاج الدين عبد الوهاب بن خلف العلامى، المعروف بابن بنت الأعز، بعد السنجارى.

وفى ليلة الخامس عشر من جمادى الآخرة: خسف القمر بجمرة شديدة؛ وأصبحت الشمس حمراء، فأقامت كذلك أياما وهى ضعيفة اللون متغيرة.

وفىها بلغ البحرية الذين كانوا ببلاد السلاجقة الروم موت الملك المعز، فساروا فى البر والبحر، ووصلوا إلى القاهرة. فلم تطل مدتهم حتى كرهوا المنصور بن المعز، لكثرة لعبه بالحمام ومناقرتة بالديوك، ومعالجته بالحجارة وركوبه الحمير الفرء فى القلعة، ومناطحته بالكباش.

(١) انظر ابن إياس ٩٣/١ والأعلام ٤/ ٢٦٥.

وفيهما دخل الصارم أحمد عينه الصالحى بجماعة، فقتلوا الوزير الفائزى فى جمادى الأولى. وأخرج فى نخ^(١). قال ابن واصل: حكى القاضى برهان الدين أخو الصاحب بهاء الدين بن حنا قال: «دخلتُ على شرف الدين الفائزى وهو معتقل، فسألنى أن أتحدّث فى إطلاقه، بحكم أنه يحمل فى كل يوم ألف دينار علينا. فقلت له: وكيف تقدر على ذلك. فقال: أقدر عليه إلى تمام السنة، وإلى أن تمضى سنة يفرج الله تعالى». فلم يلتفت بمالك الملك المعز إلى ذلك وعجلوا بهلاكه وخنقوه، وحمل إلى القرافة ودفن بها.

وفيهما وقعت الوحشة بين الملك الناصر وبين من عنده من البحرية، ففارقوه فى شوال، وقصدوا الملك المغيث صاحب الكرك. فأخرج الأمير سيف الدين قطز العسكر الصالحية، فواقعوهم فى يوم السبت خامس عشر ذى القعدة، وأسروا الأمير سيف الدين قلاوون^(٢)، والأمير سيف الدين بلبان الرشيدى؛ وقُتِل الأمير سيف الدين بلغان الأشرفى. وانهزم عسكر الكرك، وفيهم بييرس البندقدارى الذى ملك مصر. وعاد العسكر إلى القاهرة، فضمّن الأمير شرف الدين قيران - المعزى وهو أستاذار السلطان - الأمير قلاوون وأطلقه. فأقام قلاوون بالقاهرة قليلا، ثم اختفى بالحسينية عند سيف الدين قطليجا الرومى، فزوّده وسار إلى الكرك.

وفيهما بعث الخليفة إلى الناصر يوسف بدمشق خلعة وتقليدا وطوقا. وفيها حسّن البحرية للملك المغيث أخذ ملك مصر، فكتب عدّة من الأمراء ووعدهم. وفيها قوى هولاكو بن طولو بن جنكزخان، وقصد بغداد وبعث يطلب الضيافة من الخليفة فكثرت الإرجاف ببغداد، وخرج الناس منها إلى الأقطار. ونزل هولاكو تجاه دار الخلافة وملك ظاهر بغداد، وقُتِل من الناس عالما كبيرا.

وفيهما قدم إلى دمشق الفقراء الحيدريّة، وعلى رءوسهم طراوير، ولحاهم مقصوصة وشواربهم بغير قص. وذلك أن شيخهم حيدر، لما أسره الملاحدة قصوا لحيته وتركوا شاربه. فاقتدوا به فى ذلك، وبنوا لهم زاوية خارج دمشق، ومنها وصلوا إلى مصر.

* * *

(١) غطاء، والنخ البساط الطويل، وجمعه أنخاخ. انظر محيط المحيط.

(٢) قلاوون الألفى العلاهى الصالحى الغيمى، أبو المعالى، سيف الدين، السلطان الملك المنصور: أول ملوك الدولة القلاوونية بمصر والشام، والسابع من ملوك الترك وأولادهم بمصر. كان من المماليك، قبحاقى الأصل، أعتقه الملك الصالح نجم الدين أيوب سنة ٦٤٧ هـ. وتولى سلطنة مصر سنة ٦٧٨ هـ مدة ملكه إحدى عشرة سنة وثلاثة أشهر. انظر مورد اللطافة، لابن تغرى بردى ٤٤، ٤٢، ٤٤، وابن إياس ١١٤/١ وخطط المقرئى ٢٣٨/٢ ووليم موير ٥٥ والنجوم الزاهرة ٢٩٢/٧ وفوات الوفيات ١٣٣/٢ والنهج السديد ٤٧٥ وما بعدها والأعلام ٥/٢٠٣.

ومات في هذه السنة من الأعيان

نجم الدين أبو محمد عبد الله بن محمد بن الحسن بن أبي سعد البادراني البغدادي الشافعي، رسول الخلافة وقاضي بغداد، عن إحدى وستين سنة.

وتوفى الوزير صاحب الأسعد شرف الدين أبو سعيد هبة الله بن صاعد الفائزي.

وتوفى عز الدين أبو حامد عبد الحميد بن هبة الله بن محمد بن أبي الحديد المدائني، مؤلف كتاب الفلك الدائر على المثل السائر.

ومات متملك الروم علاء الدين كيقباد بن غياث الدين كيسرو بن علاء الدين كيقباد بن غياث الدين كيخسرو بن قلع أرسلان. وقام بعده أخوه عز الدين كيكاوس ابن غياث كيخسرو، فملك الططر قونية منه، قفز منها إلى العاليا^(١).

* * *

(١) على هامش ط: هو نغر بجنوبي آسيا الصغرى على شاطئ البحر الأبيض المتوسط.

سنة ست وخمسين وستمائة

فيها وقع الغلاء بسائر البلاد، وارتفعت الأسعار بدمشق وحلب وأرض مصر، وأبيع المكوك^(١) القمح بحلب بمائة درهم، والشعير بستين درهما، والبطيخة الخضراء بثلاثين درهما، وبقية الأسعار من هذه النسبة.

وفي رابع شهر رمضان: سقطت إحدى مسانّ فرعون التي بعين شمس، فوُجد فيها نحو المائتي قنطار نحاس، وأخذ من رأسها عشرة آلاف دينار.

وفيها ملك هولاءكو بغداد، وقتل الخليفة المستعصم بالله عبد الله في سادس صفر، فكانت خلافته خمس عشرة سنة وسبعة أشهر وستة أيام. وانقرضت بمهلكه دولة بني العباس من بغداد، وصار الناس بغير خليفة إلى سنة تسع وخمسين وستمائة؛ فصَحَّ حديث حبيب بن أبي ثابت، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة^(٢)، أن رسول الله قام فقال: «يا معشر قريش! إن هذا الأمر لا يزال فيكم، وأنتم ولاته حتى تحدثوا أعمالا تخرجكم منه. فإذا فعلتم ذلك سلط الله عليكم شر خلقه، فالتحوكم كما يلتحي القضيب».

وقُتل الناس ببغداد وتمزقوا في الأقطار، وخرب التتر الجوامع والمساجد والمشاهد، وسفكوا الدماء حتى جرت في الطرقات، واستمروا على ذلك أربعين يوما. وأمر هولاءكو بَعْدُ القتلى، فبلغت نحو الألفي ألف قتيل، وتلاشت الأحوال بها. وملك التتار أربل^(٣)، ودخل بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل في طاعتهم.

وفيها كثر الوباء ببلاد الشام، فكان يموت من حلب في كل يوم ألف ومائتا إنسان. ومات من أهل دمشق خلق كثير، وبلغ الرطل التمر هندي ستين درهما.

(١) المكوك جمعه - مكاكيك - مكيال للحبوب يسع صاعا ونصفا، والصاع قدر نصف وية، والوية ثلاث كيلات. انظر محيط المحيط.

(٢) عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود الهذلي، أبو عبد الله: مفتى المدينة، وأحد الفقهاء السبعة فيها. من أعلام التابعين. وهو مودب عمر بن عبد العزيز. وقد ذهب بصره. مات بالمدينة. انظر تذكرة الحفاظ ٧٤/١ وسمط اللآلي ٧٨١ والوفيات ٢٧١/١ وتهذيب ٢٣/٧ وسير النبلاء المجلد الرابع، والجمع ٣٠١ وصفوة الصفوة ٥٧/٢ وحلية ١٨٨ /٢ والأغانى ١٣٩/٩ وأمالى المرتضى ٦٠/٢، ٦٣، ونكت الهميان ١٩٧ والتبريزي ٦٧/٣ والأعلام ١٩٥/٤.

(٣) قلعة حصينة ومدينة كبيرة في طرف من المدينة. انظر معجم البلدان ٢٨٩/١.

وفيهما أنفذ الملك الناصر صاحب دمشق ابنه الملك العزيز إلى هولاءكو، ومعه تقادم وعدة من الأمراء فلما وصل الملك العزيز إلى هولاءكو قدم إليه ما معه، وسأله على لسان أبيه في نجدة ليأخذ مصر من المماليك، فأمر هولاءكو أن يُتَوَجَّهَ إليه بعسكر فيه قدر العشرين ألف فارس. فطار هذا الخبر إلى دمشق، فرحل من كان بها من المماليك البحرية، وصاروا إلى الملك المغيـث عمر بالكرك وحرَّضوه على أخذ مصر، فَجَمَعَ الملكُ المغيـث وسار.

فتجهز الأمير قطز، وخرج من القلعة بالعساكر في [...] (١) ... فلما وصل الصالحية تسلل إلى الملك المغيـث من كان كاتبه من الأمراء وصاروا إليه، فلقبهم قطز وقتلهم. فانهزم الملك المغيـث في شردمة إلى الكرك، ومضى البحرية نحو الطور (٢)، واتفقوا مع الشهرزوريَّة من الشرق. واستولى المصريون على من بقى من عساكر المغيـث وأثقاله، وأسروا جماعة، وعادوا إلى قلعة الجبل. وقد تغير قطز على عدَّة من الأمراء، لميلهم إلى الملك المغيـث: فقبض على الأمير عز الدين أيك الرومي الصالحى، والأمير سيف الدين بلبان الكافورى الصالحى الأشرفى، والأمير بدر الدين بكتوت الأشرفى، والأمير بدر الدين بلغان الأشرفى، وجماعة غيرهم، وضرب أعناقهم فى سادس عشرى ربيع الأوّل، وأخذ أموالهم كلها.

وفيهما فر طائفة من الأكراد من وجه عسكر هولاءكو، يقال لهم الشهرزورية، وقدموا دمشق وعدتتهم نحو ثلاثة آلاف، ومعهم أولادهم ونساؤهم. فسر بهم الملك الناصر واستخدمهم ليتقوى بهم، فزاد عنتهم وكثر طلبهم حتى خافهم، وأخذ يداريهم وما يزيدهم ذلك إلا تمردًا عليه، إلى أن تركوه وساروا إلى الملك المغيـث بالكرك، فسر بهم وتاقت نفسه إلى أخذ دمشق، فخاف الناصر وتخيّل من الأمراء القيمرية اللذين فى دمشق فاضطرب وتخير.

وفيهما مات أمير بنى مرِّين أبو يحيى بن عبد الحق بن محيو بن أبى بكر بن حمامة (٣)،

(١) ما بين المعقوفتين بياض فى الأصل.

(٢) المقصود هنا طور سيناء.

(٣) أبو بكر بن عبد الحق محيو بن أبى بكر بن حمامة الزناتى المدينى، وكنيته أبو يحيى: أول من نهض بينى مرين إلى مرتبة المغرب الأقصى. بايعه قومه بعد مصرع أخيه الأمير محمد سنة (٦٤٢ هـ). توفى بقصره فى قاس. انظر الاستقصا ٦/٢ والذخيرة السنية ٦٧-٩١ وجزوة الاقتباس ١٠١ وتاريخ ابن الوردى ٢٢١/٢ وصاحب السلوك ٧٦ والأعلام ٦٥/٢.

فى رجب. وقام من بعده ابنه عمر^(١)، ونازعه عمه يعقوب بن عبد الحق^(٢) وأبو يحيى هو الذى فتح الأمصار، وأقام رسوم المملكة، وقسم بلاد المغرب بين عشائر بنى مريس، وقام بدعوة الأمير أبى زكريا بن أبى حفص صاحب تونس. وأبو يحيى أول من اتخذ الموكب الملكى منهم، وملك مدينة فاس. وقد استبد أبو يحيى بملك المغرب الأقصى، وبنو عبد الواحد بملك المغرب الأوسط، وبنو أبى حفص بإفريقية. وهذا وقد أشرفت دولة الموحدين بنى عبد المؤمن على الزوال.

وفى سنة ست خمسين هذه: قدم أولاد حسن مكة، وقبضوا على إدريس وأقاموا ستة أيام، فجاء أبو نمى وأخرجهم ولم يُقتل بينهم أحد.

* * *

ومات فى هذه السنة من الأعيان

الخليفة العباسى المستعصم با لله أبو أحمد عبد الله بن المستنصر با لله أبى جعفر منصور ابن الظاهر با لله أبى نصر محمد بن الناصر لدين الله أبى العباس أحمد، آخر خلافت بنى العباس مقتولا فى سادس صفر، بعدما أتلّف عساكر بغداد لنهمته فى جمع المال فدّهى الإسلام وأهله بليته وإسناده الأمر إلى وزيره ابن العلقمى، فإنه قطع أرزاق الأجناد، واستجر التتار حتى كان ما كان ومات الملك الناصر داود بن المعظم عيسى ابن العادل أبى بكر بن أيوب بن شنادى، صاحب دمشق والكرك، بعدما مرت به خطوب كثيرة، عن ثلاث وخمسين سنة خارج دمشق. وله شعر بديع.

(١) عمر بن أبى بكر (وكنيته أبو يحيى) بن عبد الحق المرىنى، أبو حفص من أمراء الدولة المرىنية فى المغرب الأقصى. بويج نجاس بعد وفاة أبيه (سنة ٦٥٦) ولم يلبث أن تغلب عليه عمه يعقوب بن عبد الحق فنزل عن الإمارة. وأقطعه عمه مدينة مكناسة فرحل إليها وتولاها وقتله بعض أقربائه اغتيالاً. انظر الاستقصا ١٠/٢ أو الذخيرة السنية ٩٢، ٩٨ وحنوة الاقتباس ٢٨٤ والأعلام ٤٣/٥.

(٢) يعقوب بن عبد الحق بن محيو بن أبى بكر بن حماسة المرىنى الزناتى، أبو يوسف السلطان المنصور با لله: سيد بنى مريس على الإطلاق من بربرى، من أصل عربى كانت له فى عهد أخيه «أبى بكر» إمارة بلاد تازاو بطوية وملوية (فى المغرب الأقصى) ولما مات أخوه (سنة ٦٥٦هـ) وولى ابنه (عمر ابن أبى بكر بن يعقوب كان فى رباط نازا). فأقبل إلى فاس، فجاءه الناس يابعونه، فقاتل عمر (ابن أخيه) فنزل له هذا عن الأمر. وحددت البيعة ليعقوب. انظر الاستقصا ١٠/٢، ٣٢١ والذخيرة السنية ٩٢ وحنوة الاقتباس ٣٤٩ واللحة البدرية ٤٢، وروضة السرىن ١٢-١٦ والأنيس المطرب القرطاس ٥ والحلل الموشية ١٤٣-١٤٨ ونظم السلوك ٧٧-١٤٥ والأعلام ٢٠٠/٨.

وتوفى الحافظ زكى الدين أبو عبد الله عبد العظيم بن عبد القوى بن عبد الله بن سلامة المنذرى الشافعى الإمام الحجة^(١) عن خمس وسبعين سنة.

ومات محبى الدين أبو المظفر يوسف بن الحافظ جمال الدين أبى الفرج عبد الرحمن ابن محمد بن على بن محمد بن جعفر بن الجوزى البكرى البغدادى الحنبلى، محتسب بغداد ورسول الخلافة، عن ست وسبعين سنة.

وتوفى الصاحب محبى الدين أبو عبد الله محمد بن نجم الدين أبى الحسن أحمد بن هبة الله بن محمد بن هبة الله بن أحمد بن يحيى بن زيد بن هارون بن موسى بن عيسى ابن عبد الله بن محمد بن عامر أبى جرادة العقيلى بن العديم الحنفى، عن ست وستين سنة بحلب.

وتوفى نظام الدين أبو عبد الله محمد بن محمد بن محمد بن عبد الحميد بن المولى الأنصارى الحلبي، صاحب الإنشاء بحلب.

وتوفى ناظر الجيش بحلب، واسمه عون الدين أو المظفر بن البهاء أبى القاسم عبد الحميد بن الحسن بن عبد الله بن الحسن بن العجمى الحلبي، عن خمسين سنة وتوفى الصاحب عز الدين أبو حامد محمد بن محمد بن خالد بن محمد نصر بن القيسرانى الحلبي، ناظر الدواوين بدمشق.

وتوفى الصاحب بهاء الدين زهير بن محمد بن على بن يحيى الأزدي المكي^(٢) الكاتب الشاعر الماهر، صاحب الإنشاء بديار مصر، عن خمس وسبعين سنة.

(١) عبد العظيم بن عبد القوى بن عبد الله، أبو محمد، زكى الدين المنذرى: عالم بالحديث والعربية، من الحفاظ المؤرخين. له «الترغيب والترهيب» و«التكملة لوفيات النقلة»، أصله من الشام، تولى مشيخة دار الحديث الكاملية (بالقاهرة) وانقطع بها نحو عشرين سنة، عاكفا على التصنيف والتخريج والإفادة والتحديث. مولده ووفاته بمصر. انظر البداية والنهاية ٢١٢/١٣ والتبيين وفوات الوفيات ٢٩٦/١ وطبقات الشافعية ١٠٨/٥ وصلة التكملة للحسينى وخزانة القرويين ونوادرها والأعلام ٦١/٤.

(٢) زهير بن محمد بن على المهلبى العتكى، بهاء الدين: شاعر، كان من الكتاب، يقول الشعر ويرفقه فتعجب به العامة وتستملحه الخاصة. ولد بمكة، ونشأ بقوص. واتصل بخدمة الملك الصالح أيوب بمصر، فقربه وجعله من خواص كتابه، وظل حظيا عنده إلى أن مات الصالح، فانقطع زهير فى داره إلى أن توفى بمصر. انظر وفيات الأعيان ١٩٤/١ والنجوم الزاهرة ٦٢/٧ وآداب اللغة ١٨/٣ وروض المناظر ١٤٥/١٢ والأعلام ٥٢/٣.

وتوفى الأمير سيف الدين علي بن سابق الدين عمر بن قزل^(١) - المعروف بالمشد، عن أربع وخمسين سنة، وشعره غاية في الجودة.

وتوفى شاعر بغداد جمال الدين أبو زكريا يحيى بن يوسف بن يحيى بن منصور الصرصري^(٢) الحنبلي شهيدا، عن ثمان وستين سنة.

وتوفى الأديب شرف الدين أبو الطيب أحمد بن محمد بن أبي الوفاء بن الحلاوي^(٣) الموصل، عن ثلاث وخمسين سنة بالموصل.

وتوفى الأديب سعد الدين أبو سعد محمد بن يحيى الدين محمد بن علي بن عربي، بدمشق^(٤).

وتوفى الأديب نور الدين أبو بكر محمد عبد العزيز بن عبد الرحيم بن رستم الإسعردى، بدمشق.

(١) علي بن عمر بن قزل التركمانى الباروقى المصرى، سيف الدين، المشد شاعر، من أمراء الديوان كان مشد الديوان، بدمشق. ولد بمصر. وتقلب فى دواوين الإنشاء، وتوفى بدمشق. انظر دايون الإسلام وفوات الوفيات ٦٣/٢ والنجوم الزاهرة ٦٤/٧ والبداية والنهاية ١٣/١٣٩٧ وآداب اللغة ٣/١٨ والأعلام ٤/٣١٥.

(٢) يحيى بن يوسف بن يحيى الأنصارى، أبو زكريا، جمال الدين الصرصرى شاعر، من أهل صرصر على مقربة من بغداد، سكن بغداد. وكان ضريرا. له ديوان شعر صغير ومنظومات فى الفقه وغيره. قتله التتار يوم دخلوا بغداد. انظر المنهج الأحمد والبداية والنهاية ١٣/٢١١ وذيل مرآة الزمان ١/٢٥٧، ٢٢٢ وكشف الظنون ١٣٤٠ ودار الكعب ٣/١٣٦ والنجوم الزاهرة ٧/٦٦، ومرآة الجنان ٤/٤٧ أو الفهرس التمهيدى ٣٠٣ وجولة فى دور الكتب الأمريكية ٧٤ وانظر هدية العارفين ٢/٥٢٣ والأعلام ٨/١٧٧.

(٣) أحمد بن محمد بن أبي الوفاء بن الخطاب الربعى الموصل، أبو الطيب شرف الدين بن الحلاوى: شاعر، من أهل الموصل، فيه ظرف ولطف، وفى شعره رقة وجزالة. رحل فى البلاد ومدح الخلفاء والملوك، ودخل فى خدمة الملك الرحيم بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل، ولبس زى الجنند، وتوجه معه إلى بلاد العجم للاجتماع بهولاكو، فمرض ومات فى الطريق. انظر فوات الوفيات ١/٦٩، ١٨٢ والنجوم الزاهرة ٧/٦٠ والأعلام ١/٢١٩.

(٤) محمد بن محمد بن علي بن عربى الطائر الحاتمى، سعد الدين بن الشيخ يحيى الدين ابن عربى: شاعر. ولد فى ملطية، وسمع الحديث ودرس وناب فى دمشق وتوفى بها، ودفن بقرب أبيه. له ديوان شعره ووزاد المسافر وأدب الحاضر. انظر الوافى بالوفيات ١/١٨٦ ونفح الطيب ١/٤٠١ وشذرات الذهب ٥/٢٨٣ ومنتخبات التواريخ ١١٠٥ وفوات الوفيات ٢/١٥٨ بمجلة المورد المجلد ٢ العدد ٢ ٢٥٥ والأعلام ٧/٣٩.

وتوفى الشيخ أبو الحسن علي بن عبد الله بن عبد الحق بن يوسف الشاذلي^(١)
الزاهد، بصحراء عيذاب.

وتوفى أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن أحمد بن أبي الفتح، خطيب مرّدا، التركي
الحنبلي عن سبعين سنة، بمردا من عمل دمشق، وكان قد حدّث بالقاهرة.

* * *

(١) علي بن عبد الله بن عبد الجبار بن يوسف بن هرمز الشاذلي المغربي، أبو الحسن: رأس
الطائفة الشاذلية، من المتصوفة ولد في بلاد «غمارة» بريف المغرب، ونشأ في بني زرويل أقرب
شفشاون، وتفقه وتصوف بتونس، وسكن «شاذلية» قرب تونس، فنسب: لها ورحل إلى بلاد المشرق
فحج ودخل العراق ثم سكن الإسكندرية. وتوفى بصحراء عيذاب في طريقه إلى الحج. وكان
ضريرا. انظر نكت الهميان ٢١٣ وطبقات الشعرائي ٤/٢: ونور الأبصار ٢٣٤ وفهرست الكتبخانة
١١٢/٢، وخطط مبارك ٥٧/١٤ والرحلة العياشية ٢٥٩/٢ والتاج للزبيدي ٣٨٨/٧ والأعلام
٣٠٥/٤.

سنة سبع وخمسين وستمائة

فيها نازل التتار ماردين فلم ينالوا منها شيئاً، فرحلوا عنها إلى ميفارقين وحاصروا أهلها، حت أكلوا من عدم الأقوات جلود النعال التي تلبس في الرجلين.

وفيها خرج الملك المغيث من الكرك بعساكره يريد دمشق، فخرج الملك الناصر من دمشق إلى محاربتة، ولقيه بأريحا^(١) وحاربه، فانهزم المغيث إلى الكرك. وسار الناصر إلى القدس فأقام بعد أياما، ثم رحل إلى زبراء^(٢) فخيم على بركتها. وأقام هناك مدة ستة أشهر، والرسل تتردد بينه وبين المغيث إلى أن وقع الاتفاق بينهما، على أن الناصر يتسلم الطائفة من المغيث البحرية جميعهم، وأن المغيث يبعد عنه الشهرزورية، صارت الشهرزورية من بلاد الكرك إلى الأعمال الساحلية.

وسير الأمير ركن الدين بيبرس البندقدارى إلى الملك الناصر يلمس منه الأمان، فحلف له وحضر ركن الدين بيبرس إليه على بركة زيزاء، ومعه بدر الدين بيسرى، وإيتمش المسعودى، وطيرس الوزيرى^(٣)، وبلباى الرومى الدوادار، وأقوش الرومى ولاجين الدر فيل الدوادار، وكشتغدى المشرف، وأيدغمش الشبخى، وأبيك الشبخى، وبلبان المهرانى، وخاص ترك الكبير، وسنجر المسعودى، وأياز الناصرى، وسنجر الهمامى، وأبيك العلامى، وطمان الشقىرى، ولاجين الشقىرى، وسلطان الإلذكزى، وبلبان الإقسيسى، وعز الدين بيبرس. فأكرمه الملك الناصر، وأقطعه نصف نابلس وجنين وأعمالها، بمائة وعشرين فارساً. وبعث المغيث سائر البحرية إلى الملك الناصر، فرحل عن زيزاء إلى دمشق، وقبض على البحرية واعتقلهم.

(١) مدينة من أحل بلاد الغور بالشام، وفي الخبر أن عمر رضى الله عنه أحلى اليهود إلى أريحا وكانوا طلبوا إلى النبي ﷺ حين غلب عليهم أن يقرهم على أن لهم نصف الثمر، فقال: «نقركم متى شئنا»، فبقوا كذلك خلافة أبى بكر رضى الله عنه وصدراً من خلافة عمر رضى الله عنه ثم أجلاهم إلى أريحا، ذكره مسلم بن الحجاج. انظر معجم البلدان ١/٢٢٧، ٢٢٨، والروض المعطار ٢٥.

(٢) وهى قرية كبيرة تابعة للبلقاء، وتطل على بركة واسعة. انظر معجم البلدان ٢/٩٦٦.

(٣) طيرس بن عبد الله الجندى علاء الدين: أديب نحوى، من المماليك اشتراه أحد الأمراء فى البيرة وعلمه القرآن والخط، وأعتقه، فتقدم دمشق، فتفقه ومهر فى الأدب. ونظم ألفية ابن مالك ومقدمة ابن الحاجب، جامعاً بينهما فى أرجوزه سماها «الطريقة» تسعمائة بيت، وشرحها، ومات بالطاعون فى صالحة دمشق. انظر الكامنة ٢/٢٢٩ وشذرات الذهب ٦: ١٦١ وبغية الوعاة ٢٧٣. انظر الأعلام ٣/ ٢٣٥.

وفيهما قدم الملك العزيز بن الملك الناصر من عند هولاءكو، وعلى يده كتابه ونصه: «الذى يعلم به الملك الناصر صاحب حلب أنا نحن قد فتحنا بغداد بسيف الله تعالى، وقتلنا فرسانها وهدمنا بنيانها وأسرننا سكانها، كما قال الله تعالى فى كتابه العزيز: ﴿قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾^(١) واستحضرنا خليفها^(٢) وسألناه عن كلمات فكذب، فواقعه الندم واستوجب منا العدم. وكان قد جمع ذخائر نفيسة، وكانت نفسه خسيصة فجمع المال ولم يعبأ بالرجال. وكان قد نعى ذكره وعظم قدره، ونحن نعوذ بالله من التمام والكمال.

إذا تم أمر دننا نقصه تروق زوالا إذا قيل تم
إذا كنت فى نعمة فارعها فإن المعاصى تزيل النعم
وكم من فتى بات فى نعمة فلم يدر بالموت حتى هجم

إذا وقفت على كتابى هذا، فسارع برجالك وأموالك وفرسانك إلى طاعة سلطان الأرض شاهنشاه روى زمين^(٣)، تأمن شره وتتل خيره، كما قال الله تعالى فى كتابه العزيز: ﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى وَأَنْ سَعْيُهُ سَوْفَ يُرَى ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجِزَاءَ الْأَوْفَى﴾^(٤) ولا تعوق رسلنا عندك كما عوقت رسلنا من قبل، فإمسك بمعروف أو تسريح بإحسان، وقد بلغنا أن تجار الشام وغيرهم انهزموا بأموالهم وحریمهم إلى كروان سراى^(٥) فإن كانوا فى الجبال نسفناها، وإن كانوا فى الأرض خسفناها.

أين النجاة ولا مناص لهارب ولى البسيطان الثرى والماء
ذلت لهيتنا الأسود وأصبحت فى قبضتى الأمراء والوزراء

فانزعج الناصر وسير حریمه إلى الكرك، وخاف الناس بدمشق خوفا كثيرا لعلمهم أن التتر قد قطعوا الفرات، وسار كثير منهم إلى جهة مصر، وكان الوقت شتاء فمات خلائق بالطريق، ونهب أكثرهم. وبعث الناصر، عندما بلغه توجه هولاءكو نحو الشام بالصاحب كمال الدين عمر بن العديم^(٦) إلى مصر، يستنجد بعسكرها.

(١) سورة النمل آية ٣٤.

(٢) صيغة تحقير وتصغير على غير قياس.

(٣) معنى شاهنشاه روى زمين: ملك الملوك على وجه الأرض.

(٤) سورة النجم آيتا ٣٩، ٤٠.

(٥) كانت مصر تعرف فى بلاد التتر باسم كروان سراى.

(٦) عمر بن أحمد بن هبة بن أبى حراة العقيلي، كمال الدين بن العديم مؤرخ، محدث، من الكتاب. ولد بحلب، ورحل إلى دمشق وفلسطين والحجاز والعراق، وتوفى بالقاهرة. من كتبه «بغية الطلب فى تاريخ حلب». انظر فوات الوفيات ١٠١/٢ وإرشاد الأريب ١٨/٦ والجواهر المضيئة =

فلما قدم ابن العديم إلى القاهرة، فى يوم [.....] (١) عُقد مجلس بالقلعة عند الملك المنصور، وحضر قاضى القضاة بدر الدين حسن السنجارى، والشىخ عز الدين بن عبد السلام: وسُئلا فى أخذ أموال العامة ونفقتها فى العساكر، فقال ابن عبد السلام: «إذا لم يبق فى بيت المال شىء أو أنفقتم الحوائض الذهب ونحوها من الزينة، وساو يتم العامة فى الملابس سوى آلات الحرب، ولم يبق للجندى إلا فرسه التى يركبها، ساغ أخذ شىء من أموال الناس فى دفع الأعداء. إلا أنه إذا دهم العدو، وجب على الناس كافة دَفْعُهُ بأموالهم وأنفسهم» وانفضوا. فوجد الأمير سيف الدين قطز سبيلا إلى القول، وأخذ ينكر على الملك المنصور وقال: «لابد من سلطان ماهر قاهر يقاتل هذا العدو، والملك المنصور صبى صغير لا يعرف تدبير المملكة». وكانت قد كثرت مفاسد الملك المنصور على بن المعز أيبك، واستهتر فى اللعب وتحكمت أمه فاضطربت الأمور. وطمع الأمير يوسف الدين قطز فى أخذ السلطنة لنفسه، وانتظر خروج الأمراء للصيد: فلما خرج الأمير علم الدين سنجر الغتمى، والأمير سيف الدين بهادر، وغيره من المعزية لرمى البندق - وكان يوم السبت رابع عشرى ذى القعدة - قبض قطز على المنصور وعلى أخيه قاقان وعلى أمهما، واعتقلهم فى برج بقلعة الجبل. فكانت مدة المنصور سنتين وثمانية أشهر وثلاثة أيام.

* * *

الملك المظفر سيف الدين قطز (٢)

جلس على سرير بقلعة الجبل يوم السبت، الرابع والعشرين من ذى القعدة، سنة سبع وخمسين وستمائة. وهو ثالث ملوك الترك بمصر.

وفى خامسه: وكى الوزراء زين الدين يعقوب بن عبد الرفيح بن يزيد بن الزبير، وصُرف تاج الدين عبد الوهاب ابن بنت الأعز، فبلغ ذلك الأمراء فقدموا إلى قلعة الجبل، وأنكروا ما كان من قبض قطز على الملك المنصور، وتوثبه على الملك. فخافهم واعتذر إليهم بحركة التتار إلى جهة الشام ومصر، والتخوف مع هذا من الملك الناصر

= ٣٨٦/١ وإعلام النبلاء ٣١٣/٢، ٤٦٤/٤ مجلة المجمع العربى ٢٣/ ٢٥١ والفهرس التمهيدى ٥٦٤ والنجوم الزاهرة ٢٠٨/٧ وتاج التراجم وابن الوردى ٢١٥/٢ ومرآة الجنان ١٥٨/٤ وشذرات الذهب ٣٠٣/٥ وزبدة الحلب مقدمة الناشر. صاحب آداب اللغة ٣/ ١٧٠ والأعلام ٤٠/٥.

(١) ما بين المعقوفتين بياض فى الأصل.

(٢) انظر مورد اللطافة لابن تغرى بردى ٣٥، ٣٨ وابن إياس ١/ ٩٦ والنجوم الزاهرة ٧٢/٧ وفوات الوفيات ١٣٢٢/٢. وذيل الروضتين ٢١٠ والأعلام ٢٠١/٥.

صاحب دمشق، وقال: «وإني ما قصدت إلا أن نجتمع على قتال التتر، ولا يتأتى ذلك بغير مَلِك. فإذا خرجنا وكسرنا هذا العدو فالأمر لكم، أقيموا في السلطنة من شئتم» فتفرقوا عنه، وأخذ يرضيهم حتى تمكَّن. فبعث بالمنصور وأخيه وأمه إلى دمياط، واعتقلهم في برج عمره وسماه برج السلسلة، ثم سيرهم إلى بلاد الأشكري^(١) وقبض على الأمير علم الدين سنجر الغنمي المعظمي، والأمير عز الدين أيدير النجيسي الصغير، والأمير شرف الدين قيران المعزى، والأمير سيف الدين بهادر، والأمير شمس الدين قراسنقر، والأمير عز الدين أييك النجمي الصغير، والأمير سيف الدين الدود خال الملك المنصور على بن المعز، والطواشي شقيل الدولة كافور لالا الملك المنصور، والطواشي حسام الدين بلال المغيبي الجمدار. واعتقلهم وحلَّف الأمراء والعسكر لنفسه، واستوزر الصاحب زين الدين يعقوب بن عبد الرفيع بن الزبير في خامس ذى القعدة، واستمر بالأمير فارس الدين أقطاي الصغير الصالحى المعروف بالمستغرب أتابكا، وفوض إليه وإلى الصاحب زين الدين؟ تدبير العساكر واستخدام الأجناد وسائر أمور الدولة، واحتفل باستخدام الجنود والاستعداد للجهاد.

وورد الخبر بقدم نجدة من عند هولاءكو إلى الملك الناصر بدمشق، فكتب إليه الملك المظفر قطز وقد خافه كتابا يترقق فيه، ويقسم بالأيمان أنه لا ينازعه في الملك ولا يقاومه، وأنه نائب عنه بديار مصر، ومتى حلَّ بها أقعده على الكرسي، وقال فيه أيضاً: «وإن اخترتني خدمتك، وإن اخترت قدمتُ ومن معي من العسكر نجدة لك على القادم عليك، فإن كنت لا تأمن حضوري سيرت إليك العساكر صحبة من تختاره». فلما قدم على الملك الناصر كتاب قطز اطمأن.

وفيها سار هولاءكو من بغداد بنفسه إلى ديار بكر، ونزل على آمد يريد حلب، ونازل حران ونصب عليها الجانيق - وكانت في مملكة الناصر يوسف - حتى أخذها. وقطع بعض جيشه الفرات وعاثوا في البلاد، فأجمع أهل حلب على الرحلة منها، وخرجوا جافلين. فاحتز نائبها المعظم تورانشاه بن الناصر يوسف، وجمع أهل الأطراف. وتقدم التتار حتى دنوا من حلب، فقتلوا كثيراً من عسكرها الذين خرجوا إليهم، ثم رحلوا عنها عاجلاً. فاضطرب الناصر وعزم على لقاء هولاءكو، وخيَّم على بَرَزَة^(٢). وكتب إلى الملك المغيبي صاحب الكرك، وإلى الملك المظفر قطز، يطلب منهما نجدة. ومع هذا فكانت نفس الناصر قد ضعفت وخارت، وعظم خوف الأمراء

(١) على هامش ط: المقصود ببلاد الأشكري هي الإمبراطورية البيزنطية بنيقته.

(٢) برزة: مدينة بالشام من عمل القوطة. انظر معجم البلدان ٥٦٢/١، والروض المعطار ٨٧.

والعساكر من هولاء: فأخذ الأمير زين الدين الحافظي يعظم شأن هولاء، ويشير بألا يقاتل وأن يدارى بالدخول فى طاعته. فصاح به الأمير ركن الدين بيبرس البندقدارى، وضربه وسبه وقال: «أنتم سبب هلاك المسلمين» وفارقه إلى خيمته فمضى زين الدين الحافظي إلى الملك الناصر، وشكا إليه ما كان من الأمير بيبرس. فلما كان الليل هجم طائفة من المماليك على الملك الناصر، ليقتلوه ويملكوا غيره، وكان فى بستان، ففر هو وأخوه الملك الظاهر إلى قلعة دمشق. فبادر الأمراء القيمرية جمال الدين ابن يغمور والأكابر إلى القلعة، وأشاروا على الناصر بأن يخرج إلى المخيم، فخرج. وعندما خرج ركب بيبرس وسار إلى غزة، وبها الأمير نور الدين بدلان كبير الشهرزورية، فتلقيه وأنزله. وسير بيبرس إلى الملك المظفر قطز علاء الدين طيبرس الوزيرى ليحلّفه، فكتب إليه الملك المظفر أن يقدم عليه. ووعده الوعود الجميلة. ففارق بيبرس الناصرية، ووصل فى جماعة إلى مصر، فأنزله الملك المظفر بدار الوزارة، وأقبل عليه وأقطعه قلوب وأعمالها.

وبلغ الناصر أن هولاء أخذ قلعة حران وسائر تلك النواحي، وأنه عزم على أخذ حلب، فاشتد جزعه وسير زوجته وولده وأمواله إلى مصر، وخرج معهم نساء الأمراء وجمهور الناس. ففرقت العساكر، وبقي الناصر فى طائفة من الأمراء. ونزل هولاء على البيرة وأخذ قلعتها - وأخذ منها الملك السعيد بن العزيز عثمان بن العادل، وله بها تسع سنين فى الاعتقال، وولاه الصبيبة وبانياس -، ونزل على حلب.

ففر أهل دمشق وغيرها، وباعوا أموالهم بأبخس ثمن وساروا وكان الوقت شتاء، فهلك منهم خلق كثير، وسير الملك المغيث من بقى عنده من البحرية مقيدىن على الجمال، وهم نحو الخمسين: منهم الأمير سنقر الأشقر. وسار أربعة من البحرية إلى مصر: وهم قلاوون الألفى، وبكتاش الفخرى أمير سلاح، وبكتاش النجمى، والحاج طيبرس الوزيرى.

وفىها كثرت الزلازل بأرض مصر.

وفى ثانى عشر جمادى الآخرة: جُبي التصفيح من أملاك القاهرة ومصر.

وفى شعبان: قبض على رجل يعرف بالكورانى. وضرب ضربا مبرحا بسبب بدع ظهرت منه، وجدّد إسلامه الشيخ عز الدين بن عبد السلام، وأطلق من الاعتقال فأقام بالجبل الأحمر.

٥١٠ سنة سبع وخمسين وستمائة

وفيهما بنى هولاء الرصد بمدينة مراغة^(١)، بإشارة الخواجا^(٢) نصير الدين محمد الطوسي، وهو دار للفقهاء والفلاسفة والأطباء، بها من كتب بغداد شيء كثير وعليها أوقاف لخدامها.

وفيهما استقل يعقوب بن عبد الحق بن محيو بن أبي بكر بن حمامة، ملك بنى مرين، مملك فاس وعامة المغرب الأقصى.

وفيهما سار عز الدين كيكائوس وركن الدين قلج أرسلان ابنا كيخسرو بن كيقباد من قونية إلى هولاء، فأقاما عنده مدة ثم عادا إلى بلادهما.

* * *

ومات في هذه السنة من الأعيان

الملك الرحيم بدر الدين لؤلؤ الأتابكي صاحب الموصل، في ثالث عشر شعبان عن ثمانين سنة، دبر فيها الموصل نحو خمسين سنة. وقام من بعده ابنه الصالح إسماعيل، وسار ابنه علاء الدين عليّ مفارقاً لأخيه إسماعيل إلى الشام.

وتوفى الشريف منيف بن شبيحة الحسيني أمير المدينة النبوية.

وتوفى صدر الدين أبو الفتوح أسعد بن المنجا التنوخي الدمشقي الحنبلي، ناظر الجامع الأموي، عن ستين سنة بها.

وتوفى نجم الدين أبو الفتح مظفر بن محمد بن إلياس بن السيرجي الأنصاري الدمشقي الشافعي، محتسب دمشق ووكيل بيت المال بها.

وتوفى الأديب بهاء الدين أبو عبد الله محمد بن مكى بن محمد بن الحسين بن الدجاجية القرشي الدمشقي^(٣) بها عن ست وستين سنة.

* * *

(١) هي من بلاد أذربيجان. انظر معجم البلدان ٤/٤٧٦، والروض المعطار ٥٣٥.

(٢) الخواجا هو المعلم من معانيه الكاتب والتاجر.

(٣) محمد بن مكى بن محمد القرشي بهاء الدين: أديب، له شعر فيه رقة. من أهل دمشق يقال له

«ابن الدجاجية». انظر فوات الوفيات ٢/٢٦٦ وصلة التكملة والأعلام ٧/١٠٨.

سنة ثمان وخمسين وستمائة

فى المحرم: نزل هولاءكو على مدينة حلب وراسل متوليها الملك المعظم تورانشاه بن الملك الناصر يوسف، على أن يسلمه البلد ويؤمنه ورعيته، فلم يجبه إلى طلبه وأبى إلا محاربه. فحصرها التار سبعة أيام وأخذوها بالسيف، وقتلوا خلقا كثيرا وأسروا النساء والذرية ونهبوا الأموال مدة خمسة أيام، استباحوا فيها دماء الخلق حتى امتلأت الطرقات من القتلى. وصارت عساكر التتر تمشى على جيف من قتل، فيقال إنه أسر منها زيادة على مائة ألف من النساء والصبيان. وامتنت قلعة حلب، فنازها هولاءكو حتى أخذها فى عاشر صفر، وخربها وخرب جميع سور البلد وجوامعها ومساجدها وبساتينها، حتى عادت موحشة. وخرج إليه الملك المعظم توران شاه بن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب، فلم يعترضه بسوء لكبر سنه، فمات بعد أيام. ووجد هولاءكو من البحرية تسعة أنفس فى حبس الملك الناصر، فأطلقهم وأكرمهم: منهم سنقر الأشقر، وسيف الدين سكر، وسيف الدين يرامق، وبدر الدين بكمش المسعودى، ولاجين الجمدار الصالحى، وكندغدى الصغير.

فلما وصل الخبر إلى دمشق بأخذ قلعة حلب اضطربت بأهلها. وكان الملك الناصر قد صادر الناس، واستخدم لقتال التتر، فاجتمع معه ما يناهز مائة ألف ما بين عرب وعجم فتمزق حيثئذ الناس، وزهدوا فى أمتعتهم وباعوها بأبخس الأثمان، وخرجوا على وجوههم. ورحل الملك الناصر عن برزة، يوم الجمعة منتصف صفر، بمن بقى معه يريد غزة، وترك دمشق خالية، وبها عامتها قد أحاطت بالأسوار، وبلغت أجرة الجمل سبعمائة درهم فضة، وكان الوقت شتاء. فلم يثبت الناس عند خروج الناصر، ووقعت فيهم الجفلات حتى كأن القيامة قامت، وكانت مدة مملكة الناصر بحلب ودمشق ثلاثا وعشرين سنة وسبعة أشهر، منها مدة تملكه لدمشق عشر سنين تنقص خمسين يوما.

ولحق الملك الأشرف موسى بن المنصور صاحب حمص بهولاءكو، وسار الملك المنصور بن المظفر صاحب حماة إلى مصر بجريده وأولاده، وجفل أهل حمص وحماة.

وصار هولاءكو إلى دمشق، بعد أخذ حلب بستة عشر يوما، فقام الأمير زين الدين سليمان بن المؤيد بن عامر العقربانى المعروف بالزين الحافظى، وأغلق أبواب دمشق، وجمع من بقى بها وقرر معهم تسليم المدينة إلى هولاءكو فتسلمها منه فخر الدين مردفائى وابن صاحب أرزن، والشريف على - وكان هؤلاء قد بعث بهم هولاءكو إلى

الملك الناصر وهو على برزة. فكتبوا بذلك إلى هولاءكو، فسير طائفة من التتر وأوصاهم بأهل دمشق، ونهاهم أن يأخذوا لأحد درهما فما فوقه.

فلما كان ليلة الإثنين تاسع عشر صفر: وصل رسل هولاءكو صحبة القاضي محيي الدين بن الزكي، - وكان قد توجه من دمشق إلى هولاءكو بجلب، فخلع عليه وولاه قضاء الشام، وسيره إلى دمشق ومعه الوالي. فسكن الناس، وجمّعوا من الغد بالجامع، فلبس ابن الزكي خلعة هولاءكو وجمّع الفقهاء وغيرهم وقرأ عليهم تقليد هولاءكو. وقرئت فرمانات هولاءكو بأمان أهل دمشق، فكثرت اضطراب الناس واشتدّت خوفهم.

وفي سادس عشر ربيع الأوّل: وصل نواب هولاءكو، فى جمع من التتر صحبة كتبغا^(١) نُؤين^(٢) فقرئ فرمان بالأمان. وورد فرمان على القاضي كمال الدين عمر التفليسي، نائب الحكم عن قاضى القضاة صدر الدين أحمد بن سنى الدولة، بأن يكون قاضى القضاة بمدائن الشام والموصل وماردين وميافارقين، وفيه تفويض نظر الأوقاف إليه من جامع وغيره، فقرئ بالميدان الأخضر.

وغارت جماعات التتر على بلاد الشام، حتى وصلت أطراف بلاد غزة وبيت جبريل والخليل وبركة زيزاء والصلت، فقتلوا وسبوا وأخذوا ما قدروا عليه، وعادوا إلى دمشق فباعوا بها المواشى وغيرها.

واستطال النصرارى بدمشق على المسلمين، وأحضروا فرمانا من هولاءكو بالاعتناء بأمرهم وإقامة دينهم: فتظاهروا بالخمير فى نهار رمضان، ورشّوه على ثياب المسلمين فى الطرقات، وصبّوه على أبواب المساجد، وألزموا أرباب الحوانيت بالقيام إذا مروا بالصليب عليهم، وأهانوا من امتنع من القيام للصليب وصاروا يرمون به فى الشوارع إلى كنيسة مريم^(٣)، ويقفون به ويخطبون فى الثناء على دينهم، وقالوا جهرا: «ظهر الدين الصحيح دين المسيح». فقلق المسلمون من ذلك، وشكوا أمرهم لنائب هولاءكو وهو كتبغا فأهانهم وضرب بعضهم، وعظّم قدر قسوس النصرارى، ونزل إلى كنائسهم وأقام شعارهم. وجمع الزين الحافظى من الناس أموالا جزيلة، واشترى بها ثيابا وقدمها لكتبغا نائب هولاءكو، وليبيدرا وسائر الأمراء والمقدمين من التتر، وواصل حمل الضيافات إليهم فى كل يوم، ثم خرج كتبغا ويبيدرا إلى مَرَج بَرغوث^(٤).

(١) على هامش ط: هو صهر هولاءكو.

(٢) على هامش ط: هو لفظ فارسى معناه مقدم ألف.

(٣) كانت تلك الكنيسة تابعة للطوائف اليونانية المسيحية.

(٤) هو على مسافة يوم من دمشق.

ووصل الملك الأشرف صاحب حمص من عند هولانكو، ويده مرسوم أن يكون نائب السلطنة بدمشق والشام، فامتثل ذلك كتبغا، وصارت الدواوين وغيرها تحضر إلى الأشرف. ثم بعد أيام ثار الأمير بدر الدين محمد بن قَرَمَجَاه والى قلعة دمشق، هو والأمير جمال الدين بن الصيرفي، وأغلقت أبوابها. فحضر كتبغا بمن معه من عساكر التتار، وحصروا القلعة فى ليلة السادس من ربيع الآخر. فبعث الله مطرا وبردا، مع ريح شديدة ورعود وبروق وزلزلة، سقط منها عدّة أماكن، وبات الناس بين خوف أرضى وخوف سمائى، فلم ينالوا من القلعة شيئا، واستمرّ الحصار عليها بالمجانيق - وكانت تزيد على عشرين منجنيقا - إلى ثانى عشرى جمادى الأولى. عند ذلك اشتدّ الرمى، وخرّب من القلعة مواضع، فطلب من فيها الأمان ودخلها التتر فنهبوا سائر ما كان فيها، وحرّقوا مواضع كثيرة، وهدموا من أبراجها عدّة، وأتلفوا سائر ما كان فيها من الآلات والعدد. وساروا إلى بعلبك فحربوا قلعتها، وسارت طائفة منهم إلى غزة، وخرّبوا بانياس وأسعروا البلاد خربا وملأوها قتلا ونهبًا.

وفى يوم السبت ثانى عشرى شهر ربيع الأول: قدم الأمير ركن الدين بيبرس البندقدارى إلى القاهرة، فركب الملك المظفر قطز إلى لقائه، وأنزله فى دار الوزارة بالقاهرة، وأقطعه قصبه قلوب الخاصة.

وفىها ملك هولانكو مارددين، وقتل أمراءها وخرّب أسوار قلعتها.

وفىها وصل الملك الناصر إلى قطيا، فخافه قطز وبرز بالعسكر إلى الصالحية. ففارق الناصر عدة من أمرائه ومن الشهرزورية، ولحقوا بقطز وأقاموا ببليبيس: منهم حسام الدين طرنطاي، وبدر الدين طيدمر الأخوث، وبدر الدين أيذمر الدوادار، وإيدغدى الحاجى. فعاد الناصر من قطيا وقد تمزق ملكه وتفرق الناس عنه، فنزل باللقاء.

ورجع قطز إلى قلعة الجبل، وقبض على الأمير جمال الدين موسى بن يغمور، وأعتقه بقلعة الجبل وصادر كل من وصل إليه من غلمان الملك الناصر وكتابه وأخذ أموالهم، وألزم زوجة الملك الناصر بإحضار ما عندها من الجواهر، فأخذ منها جوهرًا كثيرًا، وأخذ من نساء الأمراء القيمرية أموالًا جمّة، وعاقب بعضهن، وأما الملك الناصر، فإن شخصًا من غلمانه - يعرف بحسين الكردي الطبرّادار^(١) - قبض عليه وعلى ولده الملك العزيز، وعلى أخيه غازى، وإسماعيل بن شادى ومن معه، وبعث بهم إلى هولانكو.

(١) الطبرادر هو الذى يحمل طير - أى فأس - السلطان، عند ركوبه فى المراكب وغيرها.

وفيها رحل هولاء عن حلب يريد الرجوع إلى الشرق، وجعل كتبغا نوبن نائبا عنه بحلب، وبيدرا نائبا بدمشق. وأخذ هولاء معه من البحرية سبعة منهم: سنقر الأشقر، وسكز، وبرامق، وبكمش المسعودي.

وفيها وصلت رسل هولاء إلى مصر بكتاب نصه: «من ملك الملوك شرقا وغربا، القان الأعظم، باسمك اللهم باسط الأرض ورافع السماء يعلم الملك المظفر قطز، الذي هو من جنس الماليك الذين هربوا من سيوفنا إلى هذا الإقليم، يتنعمون بأنعامه، ويقتلون من كان بسلطانه بعد ذلك. يعلم الملك المظفر قطز، وسار أمراء دولته وأهل مملكته، بالديار المصرية وما حولها من الأعمال، أنا نحن جند الله في أرضه، خلقنا من سخطه، وسلطنا على من حل به غضبه. فلکم بجميع البلاد معتبر، وعن عزمنا مزدجر، فاتعظوا بغيركم، وأسلموا إلينا أمركم، قبل أن ينكشف الغطاء، فتندموا ويعود عليكم الخطأ. فنحن ما نرحم من بكى، ولا نرق لمن شكى، وقد سمعتم أننا قد فتحنا البلاد، وطهرنا الأرض من الفساد، وقتلنا معظم البلاد، فعليكم بالهرب، وعلينا بالطلب. فأى أرض تأويكم، وأى طريق تنجيكم، وأى بلاد تحميكم؟ فما من سيوفنا خلاص، ولا من مهابتنا مناص. فخيولنا سوابق، وسهامنا خوارق، وسيوفنا صواعق، وقلوبنا كالجبال، وعددنا كالرمال. فالحصون لدينا لا تمنع، والعساكر لقتالنا لا تنفع، ومطركم علينا لا يُسمع فإنكم أكلتم الحرام، ولا تعفون عند الكلام، وختتم العهود والأيمان، وفشا فيكم العقوق والعصيان. فأبشروا بالمذلة والهوان، ﴿فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ﴾^(١) ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾^(٢) فمن طلب حربنا ندم، ومن قصد أماننا سلم. فإن أنتم لشرطنا ولأمرنا أطعتم، فلکم ما لنا وعليكم ما علينا، وإن خالفتكم هلكتكم، فلا تهلكوا نفوسكم بأيديكم. فقد حذر من أنذر، وقد ثبت عندكم أن نحن الكفرة، وقد ثبت عندنا أنكم الفجرة، وقد سلطنا عليكم من له الأمور المقدرّة والأحكام المدبرة، فكثيركم عندنا قليل، وعزيزكم عندنا ذليل، وبغير الأهنة للموكم عندنا سبيل. فلا تطيلوا الخطاب، وأسرعوا برد الجواب، قيل أن تضرم الحرب نارها، وترمي نحوكم شيرارها، فلا تجدون منا جاها ولا عزا، ولا كافيا ولا حرزا. وتذهبون منا بأعظم داهية، وتصبح بلادكم منكم خالية. فقد أنصفنا إذ راسلناكم، وأيقظناكم إذ حذرناكم، فما بقى لنا مقصد سواكم. والسلام علينا وعليكم، وعلى من أطاع الهدى، وخشى عواقب الردى، وأطاع الملك الأعلى.

(١) سورة الأحقاف آية ٢٠.

(٢) سورة الشعراء آية ٢٣٧.

ألا قل لمصرها هلاؤن^(١) قد أتى
يَصير أعز القوم منا أذلة ويُلحق أطفالا لهم بالأكابر
فجمع قطز الأمراء، واتفقوا على قتل الرسل والمسير إلى الصالحية: فقبض على
الرسل واعتقلوا وشرع في تحليف من نخبه من الأمراء، وأمر بالمسير، والأمراء غير
راضين بالخروج كراهة في لقاء التتر.

فلما كان يوم الإثنين خامس عشر شعبان: خرج الملك المظفر بجميع عسكر مصر،
ومن انضم إليه من عساكر الشام ومن العرب والتركمان وغيرهم، من قلعة الجبل يريد
الصالحية.

وفيه أحضر قطز رسل التتر، وكانوا أربعة، فوسط واحدا بسوق الخيل تحت قلعة
الجبل، ووسط آخر بظاهر باب زويلة، ووسط الثالث ظاهر باب النصر، ووسط الرابع
بالريدانية. وعلقت رعوسهم على باب زويلة، وهذه الرعوس أول رعوس علقت على
باب زويلة من التتار. وأبقى الملك المظفر على صبي من الرسل، وجعله من جملة
مماليكه.

ونودي في القاهرة ومصر، وسائر إقليم مصر، بالخروج إلى الجهاد في سبيل الله،
ونصرة لدين رسول الله ﷺ.

وتقدّم الملك المظفر لسائر الولاة بإزعاج الأجناد في الخروج للسفر، ومن وجد
منهم قد اختفى يضرب بالمقارع^(٢). وسار حتى نزل بالصالحية وتكامل عنده العسكر،
فطلب الأمراء وتكلم معهم في الرحيل، فأبوا كلهم عليه وامتنعوا من الرحيل. فقال
لهم: «يا أمراء المسلمين! لكم زمان تأكلون أموال بيت المال، وأنتم للغزاة كارهون،
وأنا متوجه فمن اختار الجهاد يصحبنى، ومن لم يختز ذلك يرجع إلى بيته. فإن الله
مطلع عليه، وخطيئة حريم المسلمين في رقاب المتأخرين». فتكلم الأمراء الذين تحيرهم
وحلفهم في موافقته على المسير، فلم يسع البقية إلا الموافقة، وانفضّ الجمع.

فلما كان في الليل ركب السلطان، وحرك كوساته وقال: «أنا ألقى التتار بنفسى»
فلما رأى الأمراء مسير السلطان ساروا على كره. وأمر الملك قطز الأمير ركن الدين
بيبرس البندقدارى أن يتقدّم في عسكر ليعرف أخبار التتر، فسار بيبرس إلى غزة وبها
جموع التتر، فرحلوا عند نزوله، وملك هو غزة.

(١) على هامش ط: صيغة لاسم هولاكو.

(٢) مفردا مِقْرَعَةً: وهي خشبة يضرب بها. انظر المعجم الوسيط ٢/٧٣٥.

ثم نزل السلطان بالعساكر إلى غزة وأقام بها يوماً، ثم رحل من طريق الساحل على مدينة عكا وبها يومئذ الفرنج، فخرجوا إليه بتقادم وأرادوا أن يسيروا معه نجدة فشكرهم وأخلع عليهم، واستحلفهم أن يكونوا لاله ولا عليه، وأقسم لهم أنه متى تبعه منهم فارس أو راجل يريد أذى عسكر المسلمين رَجَعَ وقَاتَلَهُمْ قبل أن يلقى التتر.

وأمر الملك المظفر بالأمراء فجمعوا وحضَّهم على قتال التتر، وذكَّروهم بما وقع بأهل الأقاليم من القتل والسبي والحريق، وخوفهم وقوع مثل ذلك، وحثهم على استنقاذ الشام من التتر ونصرة الإسلام والمسلمين، وحذرهم عقوبة الله. فضجوا بالبكاء، وتحالفوا على الاجتهاد في قتال التتر ودفعهم عن البلاد. فأمر السلطان حينئذ أن يسير الأمير ركن الدين بيبرس البندقدارى بقطعة من العسكر، فسار حتى لقي طليعة التتر. فكتب إلى السلطان يعلمه بذلك. وأخذ في مناوشتهم، فتارة يقدم وتارة يحجم، إلى أن وافاه السلطان على عين جالوت^(١).

وكان كتبغا وبيدرا نائباً هولاًكو، لما بلغهما مسير العساكر المصرية، جمعا من تفرق من التتر في بلاد الشام، وسارا يريدان محاربة المسلمين، فالتقت طليعة عسكر المسلمين بطليعة التتر وكسرتها.

فلما كان يوم الجمعة خامس عشرى شهر رمضان: التقى الجمعان، وفي قلوب المسلمين وهمُّ عظيم من التتر، وذلك بعد طلوع الشمس. وقد امتلأ الوادى وكثر صياح أهل القرى من الفلاحين، وتتابع ضرب كوسات السلطان والأمرء، فتحيز التتر إلى الجبل. فعندما اصطدم العسكران اضطرب جناح عسكر السلطان وانتفض طرف منه، فألقى الملك المظفر عند ذلك خودته على رأسه إلى الأرض، وصرخ بأعلى صوته: «وا إسلاماه!»، وحمل بنفسه وبمن معه حملة صادقة، فأيده الله بنصره وقتل كتبغا مقدم التتر، وقتل بعده الملك السعيد حسن بن العزيز - وكان مع التتر. وانهزم باقيهم، ومنح الله ظهورهم المسلمين يقتلون ويأسرون، وأبلى الأمير بيبرس أيضاً بلاء حسناً بين يدي السلطان.

ومما اتفق في هذه الواقعة، أن الصبى الذى أبقاه السلطان من رسل التتر وأضافه إلى مماليكه، كان راكباً وراءه حال اللقاء. فلما التحم القتال فوق سهمه نحو السلطان، فبصر به بعض من كان حوله فأمسك وقُتل مكانه. وقيل بل رمى الصبى السلطان بسهمه فلم يخطئ فرسه وصرعه إلى الأرض، وصار السلطان على قدميه، فنزل إليه فخر الدين ماما وأركبه فرسه، حتى حضرت الجنائب^(٢) فركب فخر الدين منها.

(١) هي بلدة بين بيسان ونابلس من أعمال فلسطين. انظر معجم البلدان ٣ / ٧٦٩.

(٢) جمع جنب، وهي الخيول التي كانت تسير وراء السلطان في الحروب لاحتمال الحاجة إليها.

ومر العسكر فى أثر التتر إلى قرب بيسان^(١)، فرجع التتر وصافوا مصافا ثانيا أعظم من الأول، فهزمهم الله وقتل أكابره وعدة منهم. وكان قد تزلزل المسلمون زلزالا شديداً فصرخ السلطان صرخة عظيمة، سمعه معظم العسكر وهو يقول: «وا إسلاماه!» ثلاث مرات، «يا لله! انصر عبدك قطز على التتار». فلما انكسر التتار الكسرة الثانية، نزل السلطان عن فرسه ومرغ وجهه على الأرض وقبلها، وصلى ركعتين شكراً لله تعالى ثم ركب، فأقبل العسكر وقد امتلأت أيديهم بالمغانم.

فورد الخبر بانهزام التتر إلى دمشق ليلة الأحد سابع عشره، وحملت رأس كتبغا مقدم التتار إلى القاهرة، ففرّ الزين الحافظى ونواب التتار من دمشق، وتبعهم أصحابهم فامتدت أيدي أهل الضياع إليهم ونهبوهم، فكانت مدة استيلاء التتر على دمشق سبعة أشهر وعشرة أيام.

وفى يوم الأحد المذكور: نزل السلطان على طبرية، وكتب إلى دمشق يبشر الناس بفتح الله له وخذلانه التتر، وهو أوّل كتاب ورد منه إلى دمشق، فلما ورد الكتاب سر الناس به سرورا كثيرا، وبادروا إلى دور النصارى فنهبوها وأخربوا ما قدروا على تخريبه، وهدموا كنيسة اليعاقبة وكنيسة مريم وأحرقوها حتى بقيتا كوما، وقتلوا عدة من النصارى، واستتر باقيهم. وذلك أنهم فى مدّة استيلاء التتر هموا مرارا بالثورة على المسلمين، وخربوا مساجد وماذن كانت بجوار كنائسهم، وأعلنوا بضرب الناقوس وركبوا بالصليب، وشربوا الخمر فى الطرقات ورشوه على المسلمين.

وفى ثامن عشره: نهب المسلمون اليهود بدمشق حتى لم يتركوا لهم شيئا، وأصبحت حوانيتهم بالأسواق دكا، فقام طائفة من الأجناد حتى كفوا الناس عن حريق كنائسهم وبيوتهم. وفيه نار أهل دمشق بجماعة من المسلمين كانوا من أعوان التتار وقتلوهم، وخربوا الدور المجاورة للكنائس، وقتلوا جماعة من المغل، فكان أمرا مهولا.

وفى تاسع عشره: وصل بكرة النهار الأمير جمال الدين الحممدى الصالحى بمرسوم الملك المظفر قطز، فنزل بدار السعادة، وأمن الناس ووطنهم.

وفى يوم الأربعاء آخر شهر رمضان: وصل الملك المظفر إلى ظاهر دمشق، فخيم هناك وأقام إلى ثانى شوال، فدخل إلى دمشق ونزل بالقلعة وجرّد الأمير ركن الدين بيبرس إلى حمص، فقتل من التتر وأسّر كثيرا، وعاد إلى دمشق.

(١) بيسان: مدينة بالشام صغيرة جداً وتنسب الخمر الطيبة إليها، ويقال إن الموضع الذى قتل فيه حاولت كان بيسان من أرض الغور من بلاد الأردن. انظر معجم البلدان ٧٨٨/١، والروض المعطار

واستولى الملك المظفر على سائر بلاد الشام كلها من الفرات إلى حد مصر، وأقطع الأمراء الصالحية والمعزية وأصحابه إقطاعات الشام، واستتاب الأمير علم الدين سنجر الحلبي في دمشق، ومعه الأمير مجير الدين أبو الهيجاء بن عيسى بن خشتز الأركشي الكردي. وبعث إليه الملك الأشرف موسى - صاحب حمص، ونائب هولاءكو ببلاد الشام - يطلب الأمان فأمنه. وبعث السلطان أيضا بالملك المظفر علاء الدين علي بن بدر الدين لؤلؤ صاحب سنجار إلى حلب نائبا بها، وأقطع أعمالها بمناشيره. وأقر الملك المنصور على حماة^(١) وبارين، وأعاد عليه المعرة - وكانت بيد الحلبيين من سنة خمس وثلاثين وستمائة، وأخذ سليمة منه وأعطاهها الأمير شرف الدين عيسى بن مهنا بن مانع أمير العرب. ورتب الأمير شمس الدين أقوش البُركلي العزيزي أميراً بالساحل وغزة، ومعه عدة من العزيزية - وكان قد فارق الناصر يوسف وسار إلى القاهرة فأكرمه السلطان، وخرج معه فشهد وقعة عين جالوت، وأمر بشنق حسين الكردي الطرادار، فشنق من أجل أنه دل على الملك الناصر.

وثار عدة من الأوشاقية^(٢) بمالك السلطان بالنصارى ونهبوا دورهم، وكان معهم عدة من عوام دمشق، فشنق منهم نحو الثلاثين نفسا. وأمر السلطان أن يقرر على نصارى دمشق مائة وخمسون ألف درهم، فجمعوها وحملت إلى السلطان، بسفارة الأمير فارس الدين أقطاي المستعرب أتابك العسكر.

وأما التتر فإنهم لما لحقهم الطلب إلى أرض حمص، ألقوا ما كان معهم من متاع وغيره وأطلقوا الأسرى، وعرجوا نحو طريق الساحل. فتخطف المسلمون منهم وقتلوا خلقا كثيرا، وأسروا أكثر. فلما بلغ هولاءكو كسرة عسكره وقتل نائبه كتبغا عظم عليه، فإنه لم يكسر له عسكر قبل ذلك، ورحل من يومه.

وكان هولاءكو لما قدم عليه الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن الملك العزيز

(١) حماة: من كور حمص بالشام، وهي مدينة طيبة في وسطها نهر يسمى العاصي، وهذا النهر عظيم عليه حسور يعبر عليها، وعليه نواعير كثيرة تخرج الماء إلى ما على جانبيه من غيطان المدينة، وبينها وبين كفر طاب أربعون ميلاً، ومن حمص إلى حماة مثلها، وهي قديمة البناء، وريضاها كبير وفيه الحمامات والديار، وبها جامعان وثلاث مدارس ومارستان على شط النهر بإزاء الجامع الصغير وبخارج البلد بسيط فسيح عريض فيه شجر الأعناب والمزارع والمحارث والبساتين على شطي النهر، وهو العاصي لأن ظاهر انحداره من أسفل إلى علو ويجراه من الجنوب إلى الشمال وهو يجتاز على قبلي حمص وعمقبة منها. انظر معجم البلدان ٣٠٠/٢، والروض المعطار ١٩٩.

(٢) مفردها أوشاقي، وهو الذي يتولى ركوب الخيل للتسيير والرياضة. انظر صبح الأعشى

صاحب الشام أكرمه وأجرى له راتباً، واختص به وأجلسه على كرسى قريباً منه، وشرب معه، ثم كتب له فرماناً وقلده مملكتى الشام ومصر، وأخلع عليه وأعطاه خيولاً كثيرة وأموراً، وسيره إلى جهة الشام. فأمر هولاًكو لما ورد عليه خبير الكسرة برده، فأحضر وقتل بجمبال سلماس^(١) فى ثامن عشر شوال؛ وقتل معه أخوه الملك الظاهر غازى، والملك الصالح ابن شيركوه، وعدة من أولاد الملوك، وشفعت طُقز خاتون زوجة هولاًكو فى الملك العزيز بن الناصر، فلم يسلم من القتل غيره، ورجع هولاًكو إلى بلاده.

وتراجع الناس إلى دمشق، وسارت الأسعار بها غالية جداً لقلّة الأوقات. وعدمت الفلوس فيها، وتضرر الناس فى المعاملة بسبب الدراهم وعزّ كل ما كان قد هان. فلما رتب السلطان أحوال النواب والولاة والشادين ببلاد الشام، خرج من دمشق يوم الثلاثاء سادس عشرى شوال يريد مصر بعدما كان قد عزم على المسير إلى حلب، فثناه عن ذلك ما بلغه من تنكر الأمير بيبرس وغيره عليه، فإنه قد عزم على القيام بمحاربتة؛ وسبب ذلك أن الأمير بيبرس سأل السلطان أن يوليه نيابة حلب فلم يرض فتنكر عليه؛ ليقضى الله أمراً كان مفعولاً. فخافه السلطان وأضر له السوء، وسار إلى جهة مصر. وبلغ بيبرس، فاحترس كل منهما من الآخر، وعمل فى القبض عليه. وحدث بيبرس جماعة من الأمراء فى قتل السلطان: منهم الأمير سيف الدين بلبان الرشيدى، والأمير سيف الدين بهادر المعزى، والأمير بدر الدين بكتوت الجوكندار^(٢) المعزى، والأمير بيدغان الركنى، والأمير بلبان الهارونى، والأمير بدر الدين أنس الأصبهانى.

فلم يزل السلطان سائراً إلى أن خرج من الغرابى وقارب الصالحية، وانحرف فى مسيره عن الدرب للصيد ومعه الأمراء. فلما فرغ من صيده وعاد يريد الدهليز السلطانى، طلب منه الأمير بيبرس امرأة من سبى التتر، فأنعم بها عليه. فأخذ بيبرس يد السلطان ليقبلها، وكانت إشارة بينه وبين الأمراء: فبدره الأمير بدر الدين بكتوت بالسيف و ضرب به عانقه، واختطفه الأمير أنس وألقاه عن فرسه، ورماه الأمير بهادر المعزى بسهم أتى على روحه، وذلك يوم السبت خامس عشر ذى القعدة، ودفن بالقصير^(٣) فكانت مدة ملكه أحد عشر شهراً وسبعة عشر يوماً.

(١) سلماس مدينة فى أذربيجان، بينها وبين أرمية يومان، وبينها وبين تبريز ثلاثة أيام. انظر معجم البلدان ١٢٠/٣، والروض المعطار ٣٢١.

(٢) على هامش ط: الجوكندار هو الذى يحمل جوكان السلطان أثناء لعبة الكرة.

(٣) على هامش ط: هو بلد بمصر.

وحمل قطز بعد ذلك إلى القاهرة، فدفن بالقرب من زاوية الشيخ تقى الدين قبل أن تعمّر، ثم نقله الحاج قطز الظاهري إلى القرافة ودفن قريبا من زاوية ابن عبود. ويقال إن اسمه محمود بن ممدود، وإن أمه أخت السلطان جلال الدين خوارزم شاه، وإن أباه ابن عم السلطان جلال الدين، وإنما سبى عند غلبة التتار، فبيع بدمشق ثم انتقل إلى القاهرة.

* * *

الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقداري

كان بيبرس تركي الجنس، فاشتره الملك الصالح نجم الدين أيوب، وترقى في خدمته واستفاد من أخلاقه. فلما مات الملك الصالح، قام بيبرس في خدمة ابنه الملك المعظم تورانشاه إلى أن قتل، فلم يزل يترقى إلى أن قُتل الفارس أقطاي، فخرج من القاهرة وتنقل في بلاد الشام. ثم عاد إلى مصر، وخرج مع الملك المظفر قطز إلى قتال التتر. فلما قتل قطز، سار الأمراء الذين قتلوه إلى الدهليز السلطاني بالصاحية، واتفقوا على سلطنة الأمير بيبرس. فقام الأمير أقطاي المستعرب الأتابك - وكان بالدهليز - وقال للأمراء عند حضورهم: «من قتله منكم؟» فقال الأمير بيبرس: «أنا قتلته». فقال الأمير أقطاي: «يا خوندا! اجلس في مرتبة السلطنة مكانه». فجلس بيبرس، وبايعه أقطاي وحلف له، ثم تلاه الأمير بلبان الرشيدى، والأمير بدر الدين بيسرى، والأمير سيف الدين قلاوون، والأمير بَيْبِيك الخازندار، ثم بقية الأمراء على طبقاتهم.

وتلقب بيبرس بالملك القاهر، وذلك في يوم السبت سابع عشر ذى القعدة المذكور. فقال له الأمير أقطاي الأتابك: «لا تتم السلطنة إلا بدخولك إلى قلعة الجبل». فركب بيبرس لوقته، ومعه الأمير أقطاي، والأمير قلاوون، والأمير بيسرى، والأمير بلبان، والأمير بَيْبِيك، ومماليكه. وتوجه إلى قلعة الجبل، فلقية الأمير عز الدين أيدير الحلبي نائب السلطنة بديار مصر، وكان قد خرج إلى لقاء الملك المظفر قطز. فأعلمه بيبرس بما جرى فحلف له الحلبي وتقدمه إلى القلعة، ووعد من فيها من الأمراء بمواعيد جيدة عن بيبرس، فلم يخالف منهم أحد. وجلس الأمير عز الدين أيدير الحلبي على باب القلعة حتى قدم بيبرس والأمراء في الليل، فتسلم القلعة ليلة الإثنين تاسع عشر ذى القعدة سنة ثمان وخمسين وستمائة، وحضر إليه صاحب الوزير زين الدين يعقوب بن الزبير، وأشار عليه أن يغير اللقب بالملك القاهر، فإنه ما تلقب به أحد فأفلح، فاستقر لقبه الملك الظاهر.

وكانت القاهرة قد زينت لقدم الملك المظفر قطز، والناس فى فرح ومسرات بقتل التتر. فلما طلع النهار نادى المنادى فى الناس: «ترحموا على الملك المظفر، وادعوا لسلطانكم الملك القاهر ركن الدين بيبرس». ثم فى آخر النهار أمر بالدعاء للملك الظاهر. فغمّ الناس ذلك، وخافوا من عودة دولة المماليك البحرية، وسوء مملكتهم وجورهم.

وكان قطز قد أحدث فى هذه السنة حوادث كثيرة عند حركته لقتال التتر: منها تصقيع الأملاك وتقويمها، وأخذ زكاتها من أربابها، وأخذ من كل واحد من الناس من جميع أهل إقليم مصر ديناراً، وأخذ من الترك الأهلية^(١) ثلثها. فأبطل الملك الظاهر جميع ما أحدثه قطز، وكتب به توقيعاً قرئ على المنابر، فكان جملة ما أبطله ستمائة ألف دينار. فسر الناس ذلك، وزادوا فى الزينة.

وفى يوم الإثنين: صبيحة قدوم السلطان، جلس الملك الظاهر بيبرس بالإيوان من القلعة، وحلف العساكر، واستناب الأمير بدر الدين بيليك الخازندار، واستقر الأمير فارس الدين أقطاي المستعرب أتابكا على عادته، والأمير جمال الدين أقوش النجيبى الصالحى أستاذاراً، والأمير عز الدين الأقرم الصالحى أمير جاندار، والأمير صيام الدين لاجين الدرڤيل والأمير سيف الدين بلبان الرومى دوادارية، والأمير بهاء الدين أمير آخور^(٢) على عادته. ورتب فى الوزارة الصاحب زين الدين يعقوب ابن الزبير، والأمير ركن الدين إياجى والأمير سيف الدين بكجرى حاجين. وكتب بإحضار البحرية البطالين من البلاد؛ وكتب إلى الملوك والنواب يخبرهم بسلطنته، فأجابوا كلهم بالسمع والطاعة، خلا الأمير سنجر الحلبي نائب دمشق؛ فإنه لما استقر فى نيابة دمشق كان قد عمر سورها وحصنها، فورد عليه الخير بقتل قطز وسلطنة بيبرس فى أوائل ذى الحجة، فامتعض لذلك وأنف من طاعة بيبرس. ودعا لنفسه وحلف الأمراء وتلقب بالملك المجاهد، وخطب له يوم الجمعة سادس ذى الحجة، فدعا الخطيب للملك الظاهر أولاً ثم للملك المجاهد ثانياً، وضربت السكة باسمهما. ثم ارتفع المجاهد عن هذا، وركب بشعار السلطنة والغاشية بين يديه، وشرع فى عمارة قلعة دمشق، وجمع لها الصناع وكبراء الدولة والناس، وعملوا فيها حتى عملت النساء أيضاً، وكان عند الناس بذلك سرور

(١) هى التركات التى مات عنها أصحابها من غير المماليك.

(٢) وهى التى يتحدث متوليها على إصطبل السلطان أو الأمير، ويتولى أمر ما فيه من الخيل والإبل. وهذا أو أمير آخور مركب من لفظين، أحدهما عربى وهو أمير، والثانى فارسى وهو آخور ومعناه الملقف.

كبير. فقدم رسول الملك الظاهر بيبرس بكتابه بعد يومين، فوجد الأمير سنجر قد تسلطن، فعاد إلى مصر. فكتب الملك الظاهر إليه يعنفه ويقبح فعله، فغالطه في الجواب.

فولى دمشق فى هذه السنة - من أولها إلى نصف صفر - الملك الناصر، ثم ملكها هولاءكو إلى أن سار إلى الشرق، فاستتاب بها كتبغا وييدرا، فحكم فيها التتر إلى خامس عشرى رمضان، ثم صارت فى مملكة قطز إلى أن قتل فى خامس عشرى ذى القعدة، فملكها الملك المجاهد علم الدين سنجر الحلبي بقية السنة. وكان القضاء بها أولا بيد القاضى صدر الدين أحمد بن يحيى بن هبة الله بن سنى الدولة، ثم ولى التتر القاضى كمال الدين عمر بن بندار التفليسى، ثم بعده القاضى محيى الدين بن الزكى، ثم القاضى صدر الدين أبو القاسم. ثم ولى القاضى صدر الدين بعلبك، فاستقل ابن الزكى بالقضاء بدمشق إلى أن صرفه قطز بنجم الدين أبى بكر محمد بن صدر الدين أحمد بن سنى الدولة.

وفىها نار بحلب العزيزية والناصرية على الملك السعيد علاء الدين بن بدر الدين صاحب الموصل، وقبضوا عليه ونهبوا وطاقه، وقدموا عليهم الأمير حسام الدين لاجين العزىزى الجوكندار. وكان الأمير حسام الدين المذكور قد أخذ إذنًا من الملك المظفر قطز - رحمه الله تعالى - وتوجه لاستخلاص ما بقى له من الإقطاع والودائع التى كانت له من أيام الملك الناصر. فلما أنفق ما اتفق وهو بحلب أجمع الحلبيون على تقديمه، فكتب إليه الملك المجاهد علم الدين سنجر الحلبي بأن يخطب له فى حلب وأن يكون نائبًا له، وأن يزيد على إقطاعه زيادات كثيرة. فامتنع لاجين من إجابة الملك المجاهد سنجر، وقال: «أنا نائب ملك مصر»، وأقام على طاعة الظاهر بيبرس، فبعث إليه الظاهر بالتقليد بنياية حلب.

وفىها نار جماعة من السودان والركبديارية^(١) والغلمان^(٢)، وشنقوا بالقاهرة وهم ينادون «يأل على!»، وفتحوا دكاكين السيوفيين بين القصرين وأخذوا ما فيها من السلاح، واقتحموا اصطبلات الأجناد وأخذوا منها الخيول وكان الحامل لهم على هذا رجل يعرف بالكوراني، أظهر الزهد بيده سبحة وسكن قبة بالجبل، وتردد إليه الغلمان فحدثهم فى القيام على أهل الدولة، وأقطعهم الإقطاعات وكتب لهم بها رقاعا. فلما ثاروا فى الليل ركب العسكر وأحاطوا بهم وربطوهم، فأصبحوا مصلبين خارج باب

(١) الريبديارية هم الذين يحملون الغاشية بين يدى السلطان فى المواكب الحفلة. انظر صبح

الأعشى ١٢٢٧/٤.

(٢) هو من يقوم بخدمة الخيل.

السلوك لمعرفة دول الملوك ٥٢٣
زويلة، وسكنت النائرة. وخرجت السنة ولم يركب الملك الظاهر بيبرس بشعار السلطنة
على العادة.

* * *

ومات في هذه السنة من الأعيان

الملك المعظم تورانشاه بن الناصر يوسف بن العزيز شادى بن الظاهر غازى بن
صلاح الدين يوسف بن أيوب كبير البيت الأيوبي، ونائب حلب، عن ثمانين سنة.

ومات الملك الكامل محمد بن المظفر غازى بن العادل أبى بكر بن أيوب بن
شادى^(١) صاحب ميافارقين، وكان عالما عادلا محسنا، قتله التتار وحملوا رأسه إلى
دمشق.

وتوفى الملك السعيد حسن بن العزيز عثمان بن العادل أبى بكر بن أيوب بن
شادى، صاحب قلعة الصبيبة وبانياس، بعد ما أخذنا منه وسار إلى البيرة، فأعاد التتار
إلى ولايتهما، وحضر معهم عين جالوت، فأسير وضرب عنقه.

ومات الملك السعيد إيلغازى بن المنصور أرتق بن إيلغازى بن ألبى بن تمركاش بن
إيلغازى بن أرتق، صاحب ماردين بها؛ وقام من بعده ابنه المظفر قرا أرسلان.

وتوفى قاضى القضاة بدمشق صدر الدين أبو العباس أحمد بن أبى البركات يحيى بن
هبة الله بن الحسن بن يحيى بن سنى الدولة التغلبى الدمشقى الشافعى ببعلبك، عن ثمان
وستين سنة.

وتوفى شيخ الإسلام تقى الدين أبو عبد الله محمد بن أبى الحسين أحمد بن عبد الله
ابن عيسى اليونينى الحنبلى^(٢)، عن ست وثمانين سنة ببعلبك.

(١) محمد بن غازى (المظفر) بن محمد (العادل): صاحب ميافارقين، الملقب بالملك الكامل. كان
شجاعا صبر زما على حرب التتار، وحاصروه أكثر من سنة ونصف، وهو ظاهر عليهم، إلى أن فنى
أهل البلد؛ لفناء زادهم، ودخلها التتار فوجده مع من بقى من أصحابه موتى أو مرضى، فقطعوا رأسه
وحملوه إلى البلاد وطافوا به فى دمشق على رمح قصير، علق عليه بشعره فوق قطعة شبكة. انظر ذيل
الروضتين ٢٠٥ وشذرات الذهب ٥ / ٢٩٥ والأعلام ٦ / ٣٢٤.

(٢) محمد بن أحمد بن عبد الله من سلالة جعفر الصادق، أبو عبد الله تقى الدين اليونينى: من
حفاظ الحديث. حنبلى. ولد فى يونين، واشتهر وتوفى فى بعلبك. وكان مقربا من ملوك عصره.
انظر البداية والنهاية ١٣ / ٢٢٧ وذيل طبقات الحنابلة ٢ / ٢٦٩ - ٢٧٣ وشذرات الذهب ٥ / ٢٩٤
والأعلام ٦ / ٣٢٢.

وتوفى صاحب مؤيد الدين أبو إسحاق إبراهيم بن يوسف بن إبراهيم القفطى الشيباني، وزير حلب، بها عن أربع وستين سنة.

وتوفى الأديب مخلص الدين أبو عبد الله المبارك يحيى بن المبارك بن فضيل الغساني الحمصي، بها فى الجفلة.

وتوفى الأديب جلال الدين أبو الحسن على بن يوسف بن محمد بن عبد الله الصفار الماردىنى الشاعر^(١)، بها قتيلا عن ثلاث وثمانين سنة.

وتوفى الشيخ أبو بكر بن قوام بن على بن قوام البالىسى^(٢) الصالحى الزاهد، ببلاد حلب عن أربع وسبعين سنة.

* * *

(١) على بن يوسف بن شيبان الماردىنى، جلال الدين بن الصفار: كاتب شاعر. مولده ووفاته بماردىن. كان كاتب الإنشاء لصاحبها الملك المنصور ناصر الدين «أرتق» وكتب لأشراف بنى ديبس ثمانية عشر عاما. وصنف «أنس الملوك» فى الأدب وقتله التتر يوم دخلوا ماردىن. انظر فوات الوفيات ٩٧/٢ والنجوم الزاهرة ٢٥٢/٧ والأعلام ٣٣/٥، ٣٤.

(٢) أبو بكر بن قوام بن على بن قوام بن منصور الهلالى البالىس: زاهد شافعى المذهب أشعري العقيدة. كانت له زاوية وأتباع. ولد بمشهد صفين (غربى الفرات) ونشأ ببالس، على مقربة منها. ومات قرب حلب ثم نقل تابوته إلى دمشق ودفن ببجل فاسيون أسفل عقبة دمر. انظر الشذرات ٢٩٥/٥ وقلادة النحر وفوات الوفيات ١/ ٢٢٤ ومخطوطات الظاهرية ١٩٣ وفى دار الكتب ٣٦١/٥ و٢٥١/٨ والأعلام ٦٨/٢.

سنة تسع وخمسين وستمائة

فيها عظم الفأر في^(١) أرض حوران^(٢) أيام البيادر^(٣) حتى أكل معظم الغلال، فيقال إنه أكل ثلاثمائة ألف غرارة قمح.

وفيها اجتمع من التار ستة آلاف فارس، وقاموا بحمص. فبرز إليهم الملك الأشرف موسى شيركوه صاحب حمص، والملك المنصور صاحب حماة، واجتمع إليهما قدر ألف ورابعمئة فارس. وقدم زامل بن علي أمير العرب في عدة من العربان وواقعوا التار يوم الجمعة خامس المحرم على الرستن^(٤)، فأفنوهم قتلا وأسرا، ووردت البشارة إلى مصر بذلك. وكانت التار في ستة آلاف، والمسلمون ألف وأربعمئة، وحُملت رعوس القتلى إلى دمشق وفيها اشتد الغلاء بدمشق.

وفي يوم الإثنين سابع صفر: ركب الملك الظاهر بيبرس من قلعة الجبل بشعار السلطنة^(٥) إلى خارج القاهرة، ودخل من باب النصر، فترجل الأمراء ومشوا بين يديه إلى باب زويلة، ثم ركبوا إلى القلعة، وقد زينت القاهرة، ونثرت الدنانير والدراهم على السلطان، وخلع على الأمراء والمقدمين وسائر أرباب الدولة، وكان هذا أول ركوبه، ومن حيثئذ تابع الركوب إلى اللعب بالأكرة^(٦). وكتب إلى ملوك الغرب واليمن والشام والثغور بقيامه في سلطنة مصر والشام.

وفيها بعث السلطان الملك الظاهر بيبرس الأمير جمال الدين المحمدي إلى دمشق، ومعه مائة ألف درهم وحوائص وخلع بألفي دينار عينا، ليستميل الناس على المجاهد سنجر.

(١) الفاء والألف والراء أصل، ويسمون الألف فيه همزة، الفأر معروف ويقال منه: مكان فئر أى: كثير الفأر. انظر مقاييس اللغة مادة الفأر فأر.

(٢) حوران: جبال بالشام، وحوران أيضا من أعمال دمشق، ومدينتها بصرى، تسير في صحراء حوران عشرة فراسخ في منازل ومزارع حتى تصل إلى مدينة بصرى، وهى مدينة حوران، وفى شرقى هذه المدينة بحيرة فيها تجتمع مياه دمشق وتسير منها فى صحراء ورمال مقدار خمسة عشر فرسخا فتدخل دمشق. انظر معجم البلدان ٢/٣٥٧، ٣٥٨، والروض المعطار ٢٠٦.

(٣) جمع بيدر، وهو الموضع الذى تدرس فيه الغلال. انظر محيط المحيط.

(٤) وهى فى نصف الطريق بين حماة وحمص. انظر معجم البلدان ٢/٧٧٨.

(٥) المقصود بشعار السلطنة أنواع الملابس والأدوات والتزيينات التى كان السلطان يظهر بها فى

المواكب الحفلة. انظر صبح الأعشى ٤/٨٠٧.

(٦) على هامش ط: الأكرة لُقبة من الكرة، والمراد بلعب الأكرة.

فقدم دمشق ثالث صفر وعَمِل ما أمر به، فأجابه الأمراء القيمرية وخرجوا عن دمشق: ومعهم الأمير علاء الدين إيدكين البندقدار الصالحى، والأمير بهاء الدين بُغْدَى الأشرفى، والأمير قراسنقر الوزيرى، وعدة من الأمراء. ونادوا باسم الملك الظاهر بيبرس، فارتجت دمشق.

وبعث المجاهد سنجر إليهم بعسكر فانهزم، فخرج بنفسه وحمل بأصحابه، ففروا عنه ثم عادوا عليه، فخرج وقتل عدة من جماعته، والتجأ هو إلى القلعة فامتنع بها يوم السبت حادى عشر صفر. فدخل الأمير إيدكين البندقدار - أستاذ الملك الظاهر - إلى المدينة وملكها، وحلّف الناس للملك الظاهر وقام بأمرها. وخاف المجاهد على نفسه ففر من قلعة دمشق إلى بعلبك، فأرسل إليه الأمير إيدكين وأحضره محتفظا به. فلما بلغ الملك الظاهر بيبرس ذلك قرر الأمير علاء الدين طيبرس الحاج الوزيرى فى القلعة، وجعل إليه التحدث فى الأموال، واستدعى الأمير سنجر الحلبي، وأقام إيدكين مدة شهر فى نيابة دمشق، ثم صرفه عنها بالأمير طيبرس الوزيرى، وسار الأمير سنجر مع الأمير بدر الدين ابن رحال، وأحضر فى سادس عشر صفر وهو مقيد إلى مصر. فندب الملك الظاهر إلى لقائه الأمير بيسرى، وأدخله ليلا من باب القرافة على خفية واعتقله بالقلعة، من غير أن يعلم به أحد من الناس.

وفىها جهز الملك الظاهر بيبرس الأموال والأصناف صحبة الأمير علم الدين اليعمرى لعمارة الحرم النبوى بالمدينة، وبعث الصناع والآلات لعمارة قبة الصخرة بالقدس، وكانت وهت. وأخرج ما كان فى إقطاعات الأمراء من أوقاف الخليل عليه السلام، ووقف عليه قرية تعرف باذنا. ورسم للأمير جمال الدين بن يغمور بعمارة ما تهدم من قلعة الروضة، فرمّ ما فسد منها ورتب بها الجندارية وأعاد لها حرمتها، وفرق أبراجها على الأمراء: وهم الأمير قلاوون، والأمير عز الدين الحلبي والأمير عز الدين أوغان، والأمير بيسرى، وغيرهم - لكل أمير منهم برج، وأمرهم أن تكون اصطبلاتهم وبيوتهم فيها، وسلمهم مفاتيح القلعة. وأمر بعمارة القناطر بجسر شيرامنت^(١) من الجيزية؛ لكثرة ما كان يشرق من الأراضى فى كل سنة، فانتفعت البلاد بهذه القناطر. وأمر بعمارة أسوار الإسكندرية، ورتب لذلك جملة من المال فى كل شهر. وبنى بغير رشيد مرقبا لكشف البحر. وأمر بردم فم بحر دمياط، فخرج جماعة الحجارين وألقوا فيه القراييص^(٢)، حتى تمتنع السفن الكبار من دخوله، واستمر ذلك إلى اليوم.

(١) وهى قرية من مديرية الجيزة، وتقع شمالى بوصير، وفى قبليها جسر ممتد من النيل إلى الجبل.

انظر الخطط التوفيقية ١٢ / ١٣٤، ١٣٥.

(٢) على هامش ط: القراييص مفردا قرباص، وهى الحجارة.

وأمر السلطان بإخراج الأمير سيف الدين الرشيدى إلى بحر أشموم، فتوجه إليه وأحضر الولاة وحفر هذا البحر، وأزال منه ما تربي به من الأطيان، وغرق عدة مراكب حتى رد إليه الماء. وأمر بعمارة ما خربه التتر من قلاع الشام: وهى قلعة دمشق، وقلعة الضلت، وقلعة عجلون، وقلعة صرخد^(١)، وقلعة بصرى^(٢) وقلعة شيرز، وقلعة الصبيبة، وقلعة شُمَيْمِيش^(٣) وقلعة حمص. فعمرت كلها ونظفت خنادقها، ووسعت أبراجها وشحنت بالعدد، وجرّد إليها المماليك والأجناد، وخزنت بها الغلات والأزواد. وحملت كثيرة إلى دمشق، وفرقت فى البلاد لتصير تقاوى الفلاحين. ورتب السلطان بدمشق بعدل، وبنى مشهدا فى عين جالوت عرف بمشهد النصر.

ورتب السلطان البريد فى سائر الطرقات، حتى صار الخبر يصل من قلعة الجبل إلى دمشق فى أربعة أيام ويعود فى مثلها. فصارت أخبار الممالك ترد إليه فى كل جمعة مرتين، ويتحكم فى سائر الممالك من العزل وهو مقيم بقلعة الجبل، وأنفق فى ذلك مالا عظيما حتى تمّ ترتيبه. ونظر فى أمر الشوانى الحربية، وكان قد أهمل أمر الأسطول بمصر وأخذ الأمراء رجاله واستعملوهم فى الحرايق وغيرها، فأعادهم إلى ما كانوا عليه فى أيام الملك الصالح نجم الدين أيوب. وأنشأ عدة شوانى بثغرى دميّاط والإسكندرية، ونزل بنفسه إلى دار الصناعة ورتب ما يجب ترتيبه، وتكامل عنده ببرّ مصر ما ينيف على أربعين قطعة وعدة كثيرة من الحرايق والطرائد ونحوها.

فلما كان ذات يوم حضر إليه رجل من أجناد الأمير الصقلى، وأخبره أن أستاذه فرق مالا على جماعة من المعزية وقرر معهم قتل السلطان: منهم الأمير علم الدين الغتمى، والأمير بهادر المعزى، والأمير شجاع الدين بكتوت، فقبض على الجميع فى ثامن ربيع الأول.

و فيها قبض على صاحب زين الدين يعقوب بن الزبير، وعوق فى قاعة الوزارة؛ فشفع فيه الأمير سيف الدين أنس، فخلع فى يومه. ولم يبق سوى أيام وقبض السلطان على الأمير أنس، فقبض على صاحب زين الدين بن الزبير فى صبيحة مسكه. ثم طلب قاضى القضاة تاج الدين عبد الوهاب ليلى الوزارة فأبى، وأقام الأمير فارس

(١) بلد ملاصق لبلاد حوران من أعمال دمشق. وهى قلعة حصينة. انظر معجم البلدان ٤٠١/٣.

(٢) بصرى: من أرض الشام من أعمال دمشق وهى مدينة حوران وفى شرقى هذه المدينة بحيرة تجتمع فيها مياه دمشق وتسير منها فى صحراء ورمال مقدار خمسة عشر فرسخا فتدخل دمشق. انظر معجم البلدان ٣٥٤/١، والروض المعطار ١٠٩.

(٣) هى إحدى بلاد كورة حمص.

الدين أقطاي يراوده زمانا وهو لا يقبل، ثم نزل إلى داره، فطلب السلطان بهاء الدين على سديد الدين محمد بن سليم بن حنا، فولى الوزارة، وفُوض إليه تدبير المملكة وأمور الدولة بأسرها، وخلع عليه. فركب معه جميع الأعيان والأكابر، وعدة من الأمراء منهم سيف الدين بلبان الرومي الدوادار.

وورد الخبر عن عكا أن سبع جزائر من جزائر الفرنج في البحر خسف بها وبأهلها، بعدما نزل عليهم دم عشرة أيام، فهلك بها خلق كثير، وصار أهل عكا في خوف واستغفار وبكاء.

وجهز السلطان الأمير بدر الدين ييليك الأيدمرى في جماعة، ولم يعرف مقصده في ذلك أحد ممن جرده ولا غيرهم، فساروا إلى الشوبك وتسلموها من نواب الملك المغيث فتح الدين عمر في سادس عشرى ربيع الآخر، واستقر في نيابتها الأمير سيف الدين بلبان المختصى واستخدم فيها النقباء والجنادرة، وأفرد بخاص القلعة ما كان في الأيام الصالحة.

وفيه قبض على الأمير بهاء الدين بغدى، وحبس بقلعة الجبل حتى مات.

وفي يوم الثلاثاء عاشر جمادى الأولى: فوُض قضاء القضاة بديار مصر للقاضى تاج الدين عبد الوهاب بن القاضى الأعز خلف، المعروف بابن بنت الأعز، عوضا عن بدر الدين السنجارى، بعد عدة شروط اشترطها على السلطان أغلظ فيها. وقصد القاضى تاج الدين بكثرة الشروط أن يعفى من ولاية القضاء، فأجاب السلطان إلى قبول ما اشترط عليه رغبة فيه وثقة به، وصلى بالسلطان صلاة الظهر، وحكم بعد ذلك. وقبض السلطان على البدر السنجارى وعوقه عشرة أيام، ثم أفرج عنه.

وفيها سار الأمير أبو القاسم أحمد^(١) بن الخليفة الظاهر أبى نصر محمد بن الناصر لدين الله أحمد بن المستضىء بالله العباسى^(٢) - الذى يقال له الزراتيقي لقب لقيه به

(١) أحمد (المستنصر) بن محمد الظاهر بن الناصر المستضىء، أبو القاسم العباس أول الخلفاء العباسيين بمصر. دخلها بعد ثلاث سنين من انقراض عباسية العراق، فأثبت نسبه فى مجلس الملك الظاهر بيبرس البندقدارى أمام جمع من العلماء وأركان الدولة، فسر به الظاهر ووجد فيه قوة جديدة للملكه فجمع الناس وأعلن فيهم الأمر وبايعه بالخلافة، ولقبه بالمستنصر، ولم تطل مدة أبى القاسم (المستنصر) فإن الظاهر سيره فى جيش إلى العراق لاسترداد بغداد من أيدي التتار فزحف وحارب التتار وانهزم جيشه، وفقد. انظر ابن إياس ١٠١/١ والنجوم ٢٠٦/٧ والخميس ٣٧٨/٢ والأعلام ١/٢١٩.

(٢) محمد بن أحمد، أبو نصر، الظاهر بن الناصر بن المستضىء العباسى: من خلفاء الدولة=

العامّة - مع جماعة من العرب بنى مهتا، يريد دمشق. وكان قد فرّ من بغداد لما قتل هولاء الخليفة المستعصم بالله، ونزل عند عرب العراق فى هذه المدة، ثم أراد أن يلحق بالملك الظاهر بيبرس بمصر. فوردت مكاتبة الأمير علاء الدين أيدكين البندقدار، والأمير علاء الدين طيرس الوزيرى نائب دمشق: بأنه ورد إلى الغوطة رجل ادعى أنه أبو القاسم أحمد الأسمر بن الإمام الظاهر بن الإمام الناصر، وهو عم المستعصم وأخو المستنصر، ومع جماعة من عرب خفاجة فى قريب الخمسين فارسا، وأن الأمير سيف الدين قلع البغدادى عرف أمراء العرب المذكورين، وقال: «بهؤلاء يحصل المقصود». فكتب السلطان إلى النواب بالقيام فى خدمته وتعظيم حرمة، وأن يسير معه حجاب من دمشق فسار من دمشق بأوفر حرمة إلى جهة مصر. فخرج السلطان من قلعة الجبل يوم الخميس تاسع شهر رجب إلى لقائه، ومع الوزيرى صاحب بهاء الدين بن حنا، وقاضى القضاة تاج الدين ابن بنت الأعز، وسائر الأمراء وجميع العسكر، وجمهور أعيان القاهرة ومصر، ومعظم الناس من اليهود والمؤذنين. وخرجت اليهود بالتوراة، والنصارى بالإنجيل. فسار السلطان به إلى باب النصر، ودخل إلى القاهرة وقد لبس الشعار العباسى، وخرج الناس إلى رؤيته، وكان من أعظم أيام القاهرة. وشق القصبه إلى باب زويلة، وصعد قلعة الجبل وهو راكب، فأنزل فى مكان جليل قد هبىء له بها، وبالغ السلطان فى إكرامه وإقامة ناموسه.

فلما كان يوم الإثنين ثالث عشره: حضر قاضى القضاة ونواب الحكم، وعلماء البلد وفقهاؤها وأكابر المشايخ وأعيان الصوفية، والأمراء ومقدمو العساكر، والتجار ووجوه الناس، وحضر أيضا الشيخ عز الدين بن عبد السلام، فمثلوا كلهم بحضرة الأمير أحمد، وجلس السلطان متأدبا بغير كرسى ولا طرّاحة^(١) ولا مسند. وشهد العربان وخادم من البغاددة بأن الأمير أحمد هو ابن الإمام الظاهر أمير المؤمنين بن الإمام الناصر أمير المؤمنين، وشهد بالاستفاضة القاضى جمال الدين يحيى بن عبد المنعم بن حسن المعروف بالجمال يحيى نائب الحكم بمصر، والفقيه علم الدين محمد بن الحسين ابن عيسى بن عبد الله بن رشيق، والقاضى صدر الدين موهوب الجزرى، ونجيب الدين الحرّانى، وسديد الدين عثمان بن عبد الكريم بن أحمد بن خليفة، وأبو عمرو بن أبى =العباسية فى العراق. ببيع بعد وفاة أبيه (سنة ٦٢٢ هـ). وكانت خلافته تسعة أشهر وأياما. انظر الكامل لابن الأثير ١٢ / ٦٦٩، ١٤٧ والأعلام لابن قاضى شهبة ونكت الهميان ٢٣٨ وتاريخ الخميس ٢ / ٣٦٩ وابن العبرى ٤٢٢ والبداية والنهاية ١٣ / ١١٢ ومرآة الزمان ٨ / ٦٤٢ والأعلام ٣٢٠/٥.

(١) على هامش ط: الطراحة وجمعها طراريج. مرتبة يفتريها السلطان إذا جلس.

محمد الصنهاجى التَّزْمَنِيّ، أنه أحمد بن الإمام الظاهر بن الإمام الناصر. فقبل قاضى القضاة تاج الدين شهادات القوم، وأسجل على نفسه بالثبوت، وهو قائم على قدميه فى ذلك المحفل العظيم حتى تم الإسجال والحكم.

فلما تم ذلك كان أول من بايعه القاضى تاج الدين، ثم بعده قام السلطان وبايع أمير المؤمنين المستنصر بالله أبا القاسم أحمد بن الإمام الظاهر، على العمل بكتاب الله تعالى وسنة رسول الله ﷺ، وعلى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والجهاد فى سبيل الله، وأخذ أموال الله بحققها وصرفها فى مستحقها. ثم بايعه بعد السلطان الشيخ عز الدين بن عبد السلام، ثم الأمراء وكبار الدولة. فلما تمت البيعة قلد الإمام المستنصر بالله السلطان الملك الظاهر البلاد الإسلامية وما ينضاف إليها، وما سيفتحه الله على يديه من بلاد الكفار، ثم قام الناس فبايعوا الخليفة المستنصر بالله على اختلاف طبقاتهم. وكتب فى الوقت إلى الملوك والنواب بسائر الممالك أن يأخذوا البيعة على من قبلهم للخليفة المستنصر بالله أبى القاسم أحمد بن الإمام الظاهر، وأن يدعى له على المنابر ثم يدعى للسلطان بعده، وأن تنقش السكة باسمهما.

فلما كان يوم الجمعة سابع عشرة: خطب الخليفة المستنصر بالله فى جامع القلعة، فاستفتح بقراءة صدر سورة الأنعام، ثم صلى على النبى ﷺ، وترضى عن الصحابة وذكر شرف بنى العباس، ودعا للملك الظاهر، وقضى الخطبة، فاستحسن الناس ذلك منه، واهتم السلطان بأمره، ونثر عليه جملا مستكثرة من الذهب والفضة. فلما شرع فى الخطبة تلكأ فيها، ثم نزل بعد تمامها وصلى بالناس الجمعة.

وكان منصب الخلافة شاغرا ثلاث سنين ونصف سنة، منذ قتل الخليفة المستعصم فى صفر سنة ست وخمسين، فكان الخليفة المستنصر بالله هو الثامن والثلاثون من خلفاء بنى العباس، وبينه وبين العباس أربعة وعشرون أبا. وكان أسمر اللون وسيمًا، شديد القوى على الهمة، له شجاعة وإقدام. واتفق له ما لم يتفق لغيره، وهو أنه لقب بالمستنصر لقب أخيه باني المدرسة المستنصرية ببغداد، ولم يقع لغيره أن الخليفة لقب بلقب أخيه سواه.

فى يوم الأحد تاسع عشره: ركب الخليفة والسلطان من قلعة الجبل إلى مدينة مصر، وركبا فى الحراريق وسارا فى النيل إلى قلعة الجزيرة، وجلسا فيها، وأحضرت الشوانى الحربية، فلعبت فى النيل على هيئة محاربتها العدو فى البحر، ثم ركبا إلى البر وسار إلى قلعة الجبل، وقد خرج الناس لمشاهدتهما، فكان من الأيام المشهودة.

وفيه قلد السلطان الأمير علم الدين سنجر الحلبي - الذي ثار قبلا بدمشق - نيابة حلب، وجهاز معه أمراء لكل منهم وظيفة وهم: الأمير شرف الدين قيران الفخرى أستاذار، والأمير بدر الدين جماق أمير جاندار، والأمير علاء الدين أيديكين الشهابي شاد الدواوين. وسار الأمير علم الدين من القاهرة كما تسافر الملوك، فدخل حلب في ثالث شعبان فحضر إليه جماعة من العزيزية والناصرية وسألوا الأمان - كانت العزيزية والناصرية قد اختلفوا وخرجوا إلى الساحل، فأقطعهم السلطان إقطاعات، وأحضر منهم عدة إلى مصر.

وفي يوم الإثنين رابع شعبان: ركب السلطان إلى خيمة ضربت له في البستان الكبير خارج القاهرة، ومعه أهل الدولة. وحملت الخلع صحبة الأمير مظهر الدين وشاح الخفاجي، وخادم الخليفة المستنصر بالله. فدخل السلطان إلى خيمة أخرى. وأفيضت عليه الخلع الخليفية وخرَجَ بها وهي: عمامة سوداء مذهبة مزركشة، ودُرَاعَةٌ^(١) بنفسجية اللون، وطوق ذهب، وقيد من ذهب عمل في رجليه، وعدة سيوف تقلد منها واحدا - وحملت البقية خلفه، ولواءان منشوران على رأسه، وسهمان كبيران وترس. فقدم له فرس أشهب، في عنقه مِشْدَةٌ^(٢) سوداء وعليه كُتُبُوش^(٣) أسود. وطلب الأمراء واحداً بعد واحد وخلع عليهم، وخلع على قاضي القضاة تاج الدين، وعلى الصاحب بهاء الدين، وعلى فخر الدين بن لقمان صاحب ديوان الإنشاء. ونصب منبر، فصعد عليه ابن لقمان بعدما جليل بثوب حرير أطلس أصفر، وقرأ تقليد الخليفة للسلطان، وهو من إنشائه، ونصه بعد البسملة: «الحمد لله الذي اصطفى الإسلام بملايس الشرف، وأظهر بهجة درره وكانت خافية بما استحکم عليها من الصدف، وشيئها وهي من غلامته حتى أنسى ذكر ما سلف، وقيد لنصره ملوكا اتفق على طاعتهم من اختلف. أحمدته على نعمه التي رعت الأعين منها في الروض الأنف، وألطافه التي وقف الشكر عليها فليس عنها منصرف. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة توجب من المخاوف أمنا، وتسهل من الأمور ما كان حزنا. وأشهد أن محمدا عبده الذي جبر من الدين وهنا، ورسوله الذي أظهر من المكارم فنونا لا فنا، صلى الله عليه وعلى آله الذين أضححت مناقبهم باقية لا تفنى، وأصحابه الذين أحسنوا في الدنيا فاستحقوا الزيادة من الحسنى».

(١) الدراعة جبة مشقوفة المقدم، ولا تكون إلا من صوف. انظر محيط المحيط.

(٢) المشدة مرادفة للفظ الرقية. انظر القلقشندي، صبح الأعشى ٨/٤.

(٣) على هامش ط: هي الرذعة تجعل تحت سرج الفرس.

«وبعد فإن أولى الأولياء بتقديم ذكره، وأحقهم أن يصبح القلم راعيا وساجدا فى تسطير مناقبه وبره، من سعى فأضحى بسعيه الحميد متقدما، ودعا إلى طاعته فأجاب من كان مُنجدا ومُتهدما، وما بدت يد من المكرمات إلا كان لها زندا ومعصما، ولا استباح بسيفه حمى وغى إلا أضرمه نارا وأجراه دما. ولما كانت هذه المناقب الشريفة مختصة بالمقام^(١) العالى المولوى^(٢) السلطانى الملكى الظاهرى الركنى شرفه الله وأعلاه، ذكره الديوان العزيز النبوى الإمامى المستنصرى أعز الله سلطانه، تنويها بشريف قدره، واعترافا بصنعه الذى تنفذ العبارة المسهبة ولا تقوم بشكره. وكيف لا وقد أقام الدولة العباسية، بعد أن أقعدتها زمانة الزمان، وأذهبت ما كان من محاسن وإحسان، وأعتب دهرها المسىء لها فأعتب، وأرضى عنها زمنها وقد كان صال عليها صولة مغضب. فأعادها لها سلما بعد أن كان عليها حربا، وصرف إليها اهتمامه فرجع كل متضايق من أمورها واسعا رحبا، ومنح أمير المؤمنين عند القدوم عليه حنوا وعطفا، وأظهر من الولاء رغبة فى ثواب الله ما لا يخفى، وأبدى من الاهتمام بأمر الشريعة والبيعة أمر لو رامه غيره لامتنع عليهن ولو تمسك بجبله متمسك لانقطع به قبل الوصول إليه. لكن الله تعالى ادخر هذه الحسنة ليثقل بها ميزان ثوابه، ويخفف بها يوم القيامة حسابه، والسعيد من خفف من حسابه. فهذه منقبة أبى الله إلا أن يخلدها فى صحيفة صنعه، ومكرمة قضت لهذا البيت الشريف بجمعه بعد أن حصل الإياس من جمعه».

«وأمير المؤمنين يشكر لك هذه الصنائع، ويعترف أنه لولا اهتمامك لاتسع الخرق على الراقع. وقد قلدك الديار المصرية والبلاد الشامية والديار البكرية والحجازية واليمينية والفراتية، وما يتجدد من الفتوحات غورا ونجداء، وفوض أمر جندها ورعاياها إليك حين أصبحت بالمكانم فردا، ولا جعل منها بلدا من البلاد ولا حصنا من الحصون يستثنى، ولا جهة من الجهات تعد فى الأعلى ولا فى الأدنى».

«فلاحظ أمور الأمة فقد أصبحت لها حاملا، وخلص نفسك من التبعات اليوم ففى غد تكون مسئولاً لا سائلا، ودع الاغترار بأمر الدنيا فما نال أحد منها طائلا، وما رآها أحد بعين الحق إلا رآها خيالا زائلا، فالسعيد من قطع منها آماله الموصولة، وقدم لنفسه زاد التقوى فتقدمة غير التقوى مردودة لا مقبولة. وابسط يدك بالإحسان والعدل، فقد أمر الله بالعدل وحث على الإحسان، وكرّر ذكره فى مواضع من

(١) لفظ المقام كان من الألقاب الخاصة بالملوك والسلاطين، وأنه كان يستعمل فى المكاتبات

السلطانية للكتابة عن السلطان تعظيما له من التفوه باسمه.

(٢) نسبة للمبالغة من كلمة مولى.

القرآن، وكَفَّرَ به عن المرء ذنوبا كتبت عليه وآثاما، وجعل يوما واحدا منها كعبادة العابد ستين عاما. وما سلك أحد سبيل العدل إلا واجتنبت ثماره من أفنان، ورجع الأمر به بعد بُعْدُ تداعى أركانه وهو مشيد الأركان، وتحصن به من حوادث زمانه والسعيد من تحصن من حوادث الزمان، وكانت أيامه فى الأيام أبهى من الأعياد، وأحسن فى العيون من الغرر فى أوجه الجياد، وأحلى من العقود إذا حلى بها عاطل الأجياد».

«وهذه الأقاليم المنوطة بك تحتاج إلى نواب وحكام. وأصحاب رأى من أصحاب السيوف والأقلام، فإذا استعنت بأحد منهم فى أمورك فنقب عليه تنقيا، واجعل عليه فى تصرفاته رقبيا. وسل عن أحواله فى يوم القيامة تكون عنه مستولا وبما أجرم مطلوباً، ولا تول إلا من تكون مساعيه حسنات لك لا ذنوبا. وأمرهم بالأناة فى الأمور والرفق، ومخالفة الهوى إذا ظهرت أدلة الحق، وأن يقابلوا الضعفاء فى حوائجهم بالثغر الباسم والوجه الطلق، وألا يعاملوا أحدا على الإحسان والإساءة إلا بما يستحق، وأن يكونوا لمن تحت أيديهم من الرعايا إخوانا، وأن يوسعوهم براً وإحسانا، وألا يستحلوا حرماتهم إذا استحل الزمان لهم حرمانا، فالمسلم أخو المسلم ولو كان أميرا عليه وسلطانا. والسعيد من نسج ولاته فى الخير على منواله، واستنوا بسنته فى تصرفاته وأحواله، وتحملوا عنه ما تعجز قدرته عن حمل أنقاله».

«ومما تؤمرون به أن يحى ما أحدث من سبى السنن، وجدد من المظالم التى هى من أعظم المحن، وأن يشتري بإبطاها المحامد فإن المحامد رخيصة بأعلى ثمن. ومهما جبى منها من الأموال فإنما هى باقية فى الذمم حاصله، وأجساد الخزائن وإن أضحت بها حالية فإنما هى على الحقيقة منها عاطلة، وهل أشق ممن احتقب إثمًا، واكتسب بالمساعى الذميمة ذما، وجعل السواد الأعظم له يوم القيامة خصما، وتحمل ظلم الناس فيما صدر عنه من أعماله وقد خاب من حمل ظلما. وحقيق بالمقام الشريف المولوى السلطانى الملكى الظاهرى الركنى أن تكون ظلامات الأنام مردودة بعده، وعزائمه تخفف ثقلا لا طاقة لهم بحمله، فقد أضحى على الإحسان قادرا، وصنعت له الأيام ما لم تصنع لغيره ممن تقدم للملوك وإن جاء آخرًا. فأحمد الله على أن وصل إلى جانبك إمام هدى أوجب لك مزية التعظيم، ونبه الخلائق على ما خصك الله به من هذا الفضل العظيم. وهذه أمور يجب أن تلاحظ وترعى، وأن توالى عليها حمد الله فإن الحمد يجب عليه عقلا وشرعا، وقد تبين أنك صرت فى الأمور أصلا وصار غيرك فرعاً».

«ومما يجب أيضا تقديم ذكره أمر الجهاد الذي أضحى على الأمة فرضا، وهو العمل الذي يرجع به مسود الصحائف مبيضا. وقد وعد الله المجاهدين بالأجر العظيم، وأعد لهم عنده المقام الكريم، وخصّهم بالجنة التي لا لغو فيها ولا تأثيم. وقد تقدمت لك فى الجهاد بيضاء أسرع فى سواد الحُساد، وعرفت منك عزيمة هى أمضى مما تجننه ضمائر الأعماد، وأشهى إلى القلوب من الأعياد. وبك صان الله حمى الإسلام من أن يتبدّل، وبعزك حفظ على المسلمين نظام هذه الدول، وسيُفك أثر فى قلوب الكافرين قروحا لا تندمل، وبك يرجى أن يرجع مقر الخلافة إلى ما كان عليه فى الأيام الأولى. فأيقظ لنصرة الإسلام جفنا ما كان غافيا ولا حاجعا، وكن فى مجاهدة أعداء الله إماما متبوعا لا تابعا، وأيد كلمة التوحيد فما تجد فى تأييدها إلا مطيعا سامعا».

«ولا تخل الثغور من اهتمام بأمرها تبسم له الثغور، واحتفال بيدّل ما دجى من ظلماتها بالنور. واجعل أمرها على الأمور مقدما، وشيّد منها كل ما غادره العدو منهما، فهذه حصون بها يحصل الانتفاع، وهى على العدو داعية افتراق لا اجتماع. وأولاها بالاهتمام ما كان البحر له مجاورا، والعدو له ملتفتا ناظرا، لاسيما الديار المصرية، فإن العدو وصل إليها راجحا وراح خاسرا، واستأصلهم الله فيها ما أقال منهم عاترا».

«وكذلك أمر الأسطول الذى تزجى خيله كالأهلة، وركائبه سابقة بغير سائق مستقلة. وهو أخو الجيش السليمانى، فإن ذاك غدت الرياح له حاملة، وهذا تكلفت بحمله المياه السائلة. وإذا لحظها جارية فى البحر كانت كالأعلام، وإذا شبهها قال هذه ليال تقلع بالأيام».

«وقد سنى الله لك من السعادة كل مطلب، وأتاك من أصالة الرأى الذى يريك المغيب، وبسط بعد القبض منك الأمل، ونشط بالسعادة ما كان من كسل، وهداك إلى مناهج الحق ومازلت مهتديا إليها، وأزملك المرشد ولا تحتاج إلى تنبيه عليها. والله يمدك بأسباب نصره، ويوزعك شكر نعمه، فإن النعمة ستم بشكره».

ولما فرغ من قراءته، ركب السلطان بالخلعة والطوق الذهب والقيد الذهب، وكان الطالع برج السنبله. وحمل التقليد الأمير جمال الدين التحيبى أستاذار السلطان، ثم حمله الصاحب بهاء الدين وسار به بين يدى السلطان وسائر الأمراء ومن دونهم مشاة سوى الوزير. ودخل السلطان من باب النصر وشق القاهرة، وقد زُينت وبُسط أكثر الطريق بثياب فاخرة مشى عليها فرس السلطان. وضح الخلق بالدعاء. بإعزاز أيامه وإعزاز

نصره وأن يُخلَعها خلع الرضى، إلى أن خرج من باب زويلة وسار إلى القلعة، فكان يوماً مشهوداً تقصر الألسنة عن وصفه.

وشرع السلطان فى تجهيز الخليفة للسفر، واستخدم له عساكر، وكتب للأمير سابق الدين بوزنا أتاك العسكر الخليفى بألف فارس، وجعل الطواشى بهاء الدين سنندل الشرايى الصالحى شراييا بجمسمائة فارس، والأمير ناصر الدين بن صيرم خازندارا بمائتى فارس، والأمير الشريف نجم الدين أستادارا بجمسمائة فارس، وسيف الدين بلبان الشمسى دوادارا بجمسمائة فارس، والأمير فارس الدين أحمد بن أزدمر اليغمورى دوادارا أيضاً، والقاضى كمال الدين محمد بن عز الدين السنجارى وزيراً، وشرف الدين أبا حامد كاتباً، وأقام عدة من العربان أمراء، وحمل السلطان إلى الجميع الخزائن والسلاح وغيره من الصناجق والطبلخاناه، وانفق أموالاً كثيرة واشترى مائة ملوك كباراً وصغاراً، ورتبهم سلاح دارية وجامدراية، وأعطى كلاً منهم ثلاثة رؤس من الخيل وجمالاً لعدته، ورتب سائر ما يحتاج إليه الخليفة: من صاحب ديوان و كاتب إنشاء ودواوين وأئمة، وغلمان وجرائحية وحكاه وبيوتات، وكملها كلها مما تحتاج إليه، ورتب الجنائب وخيول الإصطبلات، واستخدم الأجناد، وعين لخاص الخليفة مائة فرس وعشر قَطْرَ بغال وعشر قَطْرَ جمال، وطشتخاناه وحوائج خاناه، وكتب لمن وفد معه من العراق تواقيع ومناشير بالإقطاعات.

فلما تهيأ ذلك كله برز الدهليز الخليفى والدهليز السلطانى إلى البركة ظاهر القاهرة، وركب الخليفة والسلطان من قلعة الجبل فى السادسة من نهار الأربعاء تاسع عشر شهر رمضان، وسار إلى البركة فنزل كل منهما فى دهليزه، واستمرت النفقة فى أجناد الخليفة، وفى يوم عيد الفطر ركب السلطان مع الخليفة تحت المظلة، وصليا صلاة العيد، وحضر الخليفة إلى خيمة السلطان بالمنزلة وألبسه سراويل الفتوة بحضرة الأكابر، ورتب السلطان الأمير عز الدين أيدمر الحلى نائب السلطنة بديار مصر، وأقام معه الصاحب بهاء الدين بن حنا.

وفى يوم السبت سادس شوال: رحل الخليفة وصحبته الملك الظاهر بجميع العساكر، فساروا إلى الكسوة ظاهر دمشق، وخرج إلى لقاءهم عسكر دمشق فى يوم الإثنين سابع ذى القعدة، فنزل الخليفة بالتربة الصالحية فى سفح قاسيُون^(١)، ونزل السلطان بقلعة دمشق.

(١) هو جبل مطل على الشمال الغربى من دمشق.

وفي يوم الجمعة عاشره: دخل الخليفة الجامع الأموي بدمشق من باب البريد^(١)، وجاء السلطان من باب الزيادة، واجتمعا بمقصورة الجامع حتى فرغا من صلاة الجمعة، وخرجا إلى باب الزيادة فمضى الخليفة وعاد السلطان.

وكان قد قدم إلى السلطان وهو بقلعة الجبل الملك الصالح ركن الدين إسماعيل بن الملك الرحيم بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل، وولده الملك السعيد علاء الملك وأهله، في شعبان إلى القاهرة فأقبل السلطان عليه وأحسن إليه، وأمر له ولمن معه بالإقامات والأموال من دمشق إلى القاهرة، وتلقاه وأنزله بدار تليق به. ثم وصل أخوه الملك المجاهد سيف الدين إسحاق صاحب الجزيرة، فتلقاه السلطان كما تلقى أخاه. وكان أخوهما الملك السعيد علاء الدين عليّ صاحب سنجار قد رتبته الملك المظفر قطز في نيابة حلب، فقبضه العزيزية واعتقلوه، فسأل إخوته الملك الظاهر فيه فأفرج عنه، وبالغ في إكرامهم وعطائهم. وكان السلطان لما نزل بالبركة خارج القاهرة، قد جهز إليهم خيل^(٢) النوبة والعصائب والجمدارية والخلع، وكتب لهم التقاليد ببلادهم التي فوضت إليه من الخليفة، فكتب للملك الصالح بالموصل ونصيبين وعقر^(٣) وشوش^(٤) ودارا والقلاع العمادية^(٥)، وكتب للمجاهد بالجزيرة، وكتب للمظفر بسنجار. فقبلوا الأرض عند لبس الخلع، وسير السلطان إليهم الكوسات والسناجق والأموال، وأعفوا من الحضور والخدمة. فساروا إلى دمشق، وحضروا مجلس الشام بقلعة دمشق، ولبسوا الخلع وقبلوا الأرض، وخرجوا والأتابك في خدمتهم بشعار السلطنة؛ وأعطاهم السلطان في لعب الكرة شيئا كثيرا.

ووصل إلى دمشق الملك الأشرف مظفر الدين موسى صاحب حمص، والملك المنصور صاحب حماة. فوصل السلطان كلا منهما بثمانين ألف درهم وحملين من الثياب وخيول، وركب كل منهما بدمشق والأمراء مشاة في خدمته بشعائر السلطنة. وكتب السلطان لهما التقاليد باستقرارهما على ما بأيديهما وزادهما، ثم عادا إلى بلادهم.

(١) على هامش ط: باب البريد أحد الأبواب الأربعة التي لجامع دمشق، وهي باب البريد، وباب حيرون، وباب الزيات، وباب الساعات.

(٢) خيل النوبة هي التي تربط قرب قصر السلطان ليركب منها حين يريد الركوب.

(٣) هي قلعة في الجبال الواقعة شرقي الموصل. انظر معجم البلدان ٦٩٦/٣.

(٤) هي قلعة عالية جدا قرب عقر الحميدية.

(٥) هي قلعة في شمالي الموصل.

وكان السلطان قد عزم أن يبعث مع الخليفة عشرة آلاف فارس حتى يستقر ببغداد ويكون أولاد صاحب الموصل في خدمته. فخلا أحدهم بالسلطان وأشار عليه ألا يفعل: «فإن الخليفة إذا استقر أمره ببغداد نازعك وأخرجك من مصر». فرجع إليه الوسواس، ولم يبعث مع الخليفة سوى ثلاثمائة فارس. وجرّد السلطان الأمير سيف الدين بلبان الرشيدى، والأمير شمس الدين سنقر الرومى إلى حلب، وأمرهما بالمسير إلى الفرات، وإذا ورد عليهما كتاب الخليفة بأن يسير أحدهما إليه سار.

وركب السلطان لوداع الخليفة، وسافر الخليفة فى ثالث عشر ذى القعدة، ومعه أولاد صاحب الموصل الثلاثة ففارقوه فى أثناء الطريق وتوجه كل منهم إلى مملكته. فوصل الخليفة إلى الرحبة^(١)، وأتاه الأمير على بن حذيفة من آل فضل بأربعمائة فارس من العرب، وانضاف إليه من ممالك المواصلة نحو الستين مملوكا، ولحق به الأمير عز الدين بركة من حماة فى ثلاثين فارسا ورحل الخليفة من الرحبة إلى مشهد على، فوجد رجلا ادّعى أنه من بنى العباس قد اجتمع إليه سبعمائة فارس من التركمان، كان الأمير شمس الدين أقوش البرلى قد جهزهم من حلب. فبعث الخليفة إلى التركمان واستمالهم ففارقوه وأتوا الخليفة، فبعث إليه الخليفة يستدعيه وأمنه ورغبه فى اجتماع الكلمة على إقامة الدولة العباسية، ولاطفه حتى أحاب وقدم إليه، فوفى له وأنزله معه. وسار الخليفة إلى عانة ثم إلى الحنيشة، وخرج يريد هيت^(٢)؛ وكتب إلى الملك الظاهر بيبرس بذلك.

وأما حلب فإن الأمير سنجر الحلبي فارقتها وسار إلى دمشق، فاستولى عليها الأمير شمس الدين أقوش البرلى وبعث بالطاعة إلى السلطان، فأبى إلا حضوره، فلما سار الأمير سيف الدين الرشيدى والأمير سنقر الرومى من دمشق رحل أقوش عن حلب، فدخلها، وسارا منها إلى الفرات، وأغارا على بلاد أنطاكية، وكسب العسكر وغنم، وحرق غلال الفرنج ومراكبهم وعاد. فولى السلطان الأمير علاء الدين بندقدار نيابة حلب، فأقام بها فى شدة من غلاء الأسعار وعدم القوات، ثم رحل عنها.

(١) الرحبة: هى مدينة فى شرقى الفرات حصينة عامرة عليها سور تراب ولها أسواق وعمارات وكثير من التمر، ومنها مع الفرات إلى الخابورى مرحلتان. انظر معجم البلدان ٢/٧٦٤، والروض المعطار ٢٦٨.

(٢) هيت: مدينة بين الرحبة وبغداد، وهى على شاطئ الفرات، والهيت الهوة، وسميت لأنها فى هوة، وهى الأرض المنخفضة، وقيل سميت باسم بانيها هيت بن البلندى ملك من ولد مدين بن إبراهيم عليه السلام. وهى فى غربى الفرات، وعليها حصن، وهى من أعمار البلاد. وبأرض هيت عيون تسيل بالقار. انظر معجم البلدان ٥/٤٢١، والروض المعطار ٥٩٧.

وقدمت الإقامات من الفرنج إلى السلطان، وسألوا الصلح فتوقف وطلب منهم أمورا لم يجيبوا إليها، فأهانهم. وكان العسكر قد خرج للغارة على بلادهم من جهة بعلبك، فسألوا رجوعه. واتفق الغلاء ببلاد الشام، فتقرر الصلح على ما كان الأمر عليه إلى آخر أيام الملك الناصر، وإطلاق الأسارى من حين انقضت الأيام الناصرية. فسارت رسل الفرنج لأخذ العهود وتقرير الهدنة لصاحب يافا ومتملك بيروت، فكاسر الفرنج في أمر الأسارى، فأمر السلطان بنقل أسرى الفرنج من نابلس إلى دمشق واستعملهم في العمائر. فتعلل الفرنج بالعوض عن زرعين، فأجيبوا: «بأنكم أخذتم العوض عنها في الأيام الناصرية مرج عيون، وقايضتم صاحب تينين^(١) والمقايضة في أيديكم. فكيف تطلبون العوض مرتين؟ فإن بقيتم على العهد وإلا فما لنا شغل إلا الجهاد». وخرج الأمير جمال الدين المحمدي في عسكر، وأغار على بلاد الفرنج وعاد غانما سالما.

وسارت عدة من العسكر فأوقعوا بعرب زبيد^(٢) لكثرة فسادهم، وقتلوا منهم جماعة وعادوا غانمين. وأحضر السلطان أمراء العربان، وأعطاهم وأقطعهم الإقطاعات، وسلمهم درك^(٣) البلاد وألزمهم حفظ الدروب إلى حدود العراق؛ وكتب منشور الإمرة على جميع العربان للأمير شرف الدين عيسى بن مهنا.

وفوض السلطان إلى الأمير علاء الدين الحاج طيرس الوزيري نيابة دمشق، وفوض قضاءها للقاضي شمس الدين أبي العباس أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان^(٤) - وكان قد خرج معه من مصر - عوضا عن نجم الدين أبي بكر محمد بن أحمد بن يحيى ابن السنى، ووكل به وسفّره إلى القاهرة. وقرئ تقليد ابن خلكان يوم الجمعة تاسع

(١) بلدة في جبال بني عامر مطلة على بلد بانياس بين دمشق وصور. انظر معجم البلدان

٨٣٤/١.

(٢) اسم لقبيلة كانت مساكنها حول دمشق. انظر صبح الأعشى ٤/٢١٣، ٢١٤.

(٣) الدرك التبعة، فيقال درك السلطان أمراء العربان بالبلاد أى جعلها تحت دركهم. انظر محيط

المحيط.

(٤) أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر بن خلكان البرمكى الإربلى أبو العباس المؤرخ الحجة، والأديب الماهر صاحب «وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان» وهو أشهر كتب التراجم ومن أحسنها ضبطا وإحكاما. ولد في إربل بالقرب من الموصل على شاطئ دجلة الشرقى، وانتقل إلى مصر فأقام فيها مدة، وتولى نيابة قضائها وسافر إلى دمشق، فولاه الملك الظاهر قضاء الشام، وعزل بعد عشر سنين، فعاد إلى التدريس في كثير من مدارس دمشق. وتوفى فيها فدفن في سفح قاسون. انظر وفيات الأعيان ٢/٤٢٠، ٤٢١ وفوات الوفيات ١/٥٥ والنعمى ١/١٩١ والنجوم الزاهرة ٧/٣٥٣ وبروكلمان في دائرة المعارف الإسلامية ١/٥٧ والأعلام ١/٢٢٠.

ذى الحجة، وفُوِّض إليه الحكم من العريش إلى الفرات، والنظر فى جميع أوقاف الشام من الجامع والمارستان والمدارس والأحباس وتدریس سبع مدارس.

وخرج السلطان من دمشق يوم السبت سابع عشره يريد مصر. وصُرف قاضى القضاة تاج الدين ابن بنت الأعز فى سلخ شوال عن قضاء مصر والوجه القبلى، واستقر مكانه قاضى القضاة برهان الدين السنجارى، وبقي قضاء القاهرة والوجه البحرى بيد ابن بنت الأعز. وأمر السلطان ببناء مشهد على عين جالوت.

وفيهما كتب السلطان إلى الملك بركة خان يغريه بقتال هولاکو ويرغبه فى ذلك، وسببه تواتر الأخبار بإسلام بركة.

وفيهما أغار التتار الذين تَحَلَّفوا على أعمال حلب وعاثوا، ونزل مقدمهم بيدرا على حلب، وضايقها حتى غلت أسعارها وتعذَّر وجود القوت، فلما بلغهم توجه عسكر السلطان إليهم رحلوا.

وفيهما استولى الأمير شمس الدين أقوش البُرلى العزیزى على حلب، وجمع معه التترکمان والعرب، فأقام نحو أربعة أشهر. ثم توجه إلى البيرة وأخذها ومضى إلى حران فأقام بها، وصار يقرب من حلب ويبعد عنها خوفا من السلطان وفيها عدى بنو مرین العَدُوَّة^(١) لقتال الفرنج فظفروا. وفيها حج الملك المظفر يوسف بن عمر رسول ملك اليمن، وكسا الكعبة وتصدق بمال.

* * *

ومات فى هذه السنة من الأعيان

الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن العزیز محمد بن الظاهر غازى بن الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب بن شادى، صاحب حلب ودمشق - وهو آخر ملوك بنى أيوب -، بعد أربعة وعشرين عاما من ملكه، واثنتين وثلاثين سنة من عمره، مقتولا بأمر هولاکو.

ومات الملك الصالح إسماعيل بن المجاهد شيركوه بن القاهر محمد بن المنصور أسد الدين شيركوه بن شادى، صاحب حمص، مقتولا بأمر هولاکو أيضا.

وتوفى الأديب مخلص الدين أبو العرب إسماعيل بن عمر بن يوسف بن قرناص الحموى.

* * *

(١) المقصود الشاطئ المراكشى لبوغاز جبل طارق.

سنة ستين وستمائة

فى ثانى المحرم: وصل السلطان من دمشق. واشتد الغلاء بدمشق، فبلغت الغرارة القمح أربعمائة وخمسين درهما فضة، وهلك خلق كثير من الجوع.

وفيه سار قرأبغا مقدم التتار من بغداد - وكان قد استخلفه هولاءكو عليها عند عوده إلى بلاد الشرق - يريد لقاء الخليفة المستنصر بالله ومحاربتة، فنهب الأنبار وقتل جميع من فيها، وتلاحقت به بقية التتار من بغداد. ولقيهم الخليفة وقد رتب عسكره: فجعل التركمان والعرب جناحى العسكر، واختص جماعة جعلهم فى القلب، وحمل بنفسه على التتار فكسر مقدمتهم، وخذله العرب والتركمان فلم يقاتلوا، وخرج كمين للتتار ففر العرب والتركمان، وأحاط التتار بمن بقى معه فلم يفلت منهم سوى الأمير أبى العباس أحمد الذى قدم إلى مصر وتلقب بالحاكم بالله، والأمير ناصر الدين بن مهنا، والأمير ناصر الدين بن صيرم، والأمير سابق الدين بوزبا الصيرفى، والأمير أسد الدين محمود، فى نحو الخمسين من الأجناد. ولم يعرف للخليفة خير: فيقال قتل بالمعركة فى ثالث المحرم، ويقال بل نبأ مجروحا فى طائفة من العرب فمات عندهم. وكانت هذه الواقعة فى العشر الأول من المحرم، فكانت خلافته دون السنة، وبلغت نفقة الملك الظاهر على الخليفة والملوك الموصلة ألف دينار وستين ألف دينار عينا.

واستقر الملك الصالح عماد الدين إسماعيل بن بدر الدين لؤلؤ فى مملكته بالموصل، وسار أخواه إسحاق وعلى إلى الشام خوفا من التتار، وقدا على السلطان بقلعة الجبل فأبرأ مقدمهما، وسألاه فى تجهيز نجدة لأخيهما، فرسم السلطان بتجريد الأمير شمس الدين سنقر الرومى فى جماعة من البحرية والحلقة، وساروا من القاهرة فى رابع جمادى الأولى. وكتب إلى دمشق بخروج عسكرها صحبة الأمير علاء الدين الحاج طيرس، فسار العسكران من دمشق فى عاشر جمادى الآخرة.

وفوض السلطان وزارة دمشق لعز الدين عبد العزيز بن وداعة. وتسلم نواب السلطان قلعة البيرة. ووقع الصلح بين السلطان وبين الملك المغيث صاحب الكرك. وياشر السلطان عرض عساكر مصر بنفسه، وحلفهم لولى عهده الملك السعيد ناصر الدين خاقان بركة خان.

وفى يوم الأحد ثانى عشرى صفر: وصل الأمير أبو العباس أحمد الذى تلقب

بالحاكم بأمر الله^(١) إلى دمشق، وخرج يريد مصر يوم الخميس سادس عشرية فوصل إلى ظاهر القاهرة فى سابع عشرى شهر ربيع الأول، فاحتفل السلطان للقائه، وأنزله فى الراج الكبير داخل قلعة الجبل، ورتب له ما يحتاج إليه.

وفى نصف رجب: قدم جماعة من البغاددة ممالك الخليفة المستعصم، الذين تأخروا بالعراق بعد قتل الخليفة، ومقدمهم الأمير سيف الدين سلار. فأكرمهم السلطان، وأعطى الأمير سلار إمرة خمسين فى الشام ونصف مدينة نابلس، ثم نقله إلى إمرة طبلخاناه بمصر. وفيها أطلق السلطان الأمير سيف الدين قلعج البغدادى المستنصرى من الاعتقال، وكان قد اعتقله، فمنّ عليه وأذن له فى لعب الكرة معه.

وفى شعبان: قدم الأمير سيف الدين الكرزى، والقاضى أصيل الدين خواجه إمام، من عند الأنيرو ملك الفرنج بكتابه. ثم قدم رسوله بهدية ومعه نفران من البحرية، فاعتقلا بقلعة الجزيرة تجاه مصر. وقدم الأمير شرف الدين الجاكى، والشريف عماد الدين الهاشمى، من عند صاحب الروم - وهو السلطان عز الدين كيكاس بن كيوخسرو، ومعهما رسل المذكور وهما الأمير ناصر الدين نصر الله بن كوح رسلان أمير حاجب، والصدر صدر الدين الأخلاطى، وكتابه المتضمن أنه نزل عن نصف بلاده للسلطان، وسير دُرُوجًا^(٢) فيها علام بما يُقطع من البلاد لمن يختاره السلطان ويؤمره، وسأل أن يكتب له السلطان منشورا قرين منشوره^(٣). فأكرمهم السلطان، وشرع فى تجهيز جيش نجدة لصاحب الروم، وأمر بكتابة المناشير^(٤). وعين السلطان الأمير ناصر الدين أعلمش السلاح دار الصالحى لتقديمه العسكر ومعه ثلاثمائة فارس، وأقطعه إقطاعا ببلاد الروم منه آمد وبلادها.

(١) أحمد بن على بن أحمد بن المسترشد بن المستظهر، أبو العباس، الحاكم بأمر الله: ثانى خلفاء الدولة العباسية فى الديار المصرية. نشأ ببغداد واختفى فى واقعتها، وتوجه إلى حسين بن فلاح أمير خفاجة وقاتل التتر، وتوجه إلى مصر عن طريق دمشق، فاتصل بالظاهر بيبرس بعد فقدان المستنصر، فأثبت نسبه أمام بيبرس سنة ٦٦٠ هـ فبايعه وجعل له ما كان لسلفه (المستنصر) من الخطبة باسمه على المنابر. فأقام فى القاهرة إلى أن توفى. انظر بدائع الزهور ١٠٢/١ وابن الوردى ١١٤/٢ وأبو الفداء ٢١٥/٣ والبداية والنهاية ١٩/١٤ والدرر الكامنة ١١٩/١ وتاريخ الخميس ٣٧٩/٢ وشذرات الذهب ٢/٦ والأعلام ١/١٧٥.

(٢) جمع درج وهى الورق المستطيل المركب منه عدة أوصال. انظر صبح الأعشى ١٣٨/١.

(٣) لفظ المنشور هو كل ما يصدر عن سلطان أو ملك من المكاتبات مما لا يحتاج إلى ختم. انظر

صبح الأعشى ١٣/١٥٧.

(٤) المناشير جمع منشور وهو ما يكتب فى الإقطاعات خاصة. انظر صبح الأعشى ١٣/١١٨-

وفى شهر رجب: قدم الأمير عماد الدين بن مظفر الدين صاحب صهيون، رسولا من جهة أخيه الأمير سيف الدين، وصحبته هدية. فأكرمه السلطان وكتب له منشورا بإمرة ثلاثين فى حلب، ومنشورا آخر بإمرة مائة فى بلاد الروم. وفى هذا التاريخ ورد كتاب ملك الروم، بأن العدو هولاكو لما بلغه اتفاق الروم مع السلطان خاف من هيئته وولى هاربا، وأنه سير إلى قونية يحاصرها ليأخذها من أخيه.

وفى هذا التاريخ قدم كتاب الملك المنصور صاحب حماة، وصحبته قصاد من التتار معهم فرمان^(١) له، فشكره السلطان على ذلك، واعتقل التتار.

وفى هذا التاريخ سار الأمير عز الدين الأقرم أمير جاندار بعسكر إلى بلاد الصعيد، وأوقع بالعربان وبدد شملهم، وذلك أنهم كثر طمعهم وهموا بتغيير الممالك، ووثبوا على الأمير عز الدين الهواش والى قوص وقتلوه.

وفى شعبان: كثر قدوم العزيزية والناصرية الذين كانوا صحبة الأمير البرلى: فأكرمهم السلطان وعفا عنهم.

وفى هذه المدة وصل الأمير فارس الدين أقوش المسعودى الذى كان قد توجه رسولا إلى الأشكرى. وكان الأشكرى قد بعث يطلب من السلطان بطركا النصرى الملكية، فعين الرشيد الكحال لذلك، وسيره إليه مع الأمير فارس الدين أقوش المسعودى فى عدة من الأساقفة. فلما وصلوا إليه أكرمهم وأعطاهم، ووأوقف الأمير أقوش على جامع. بناه بالقسطنطينية ليكون فى صحيفة السلطان ثوابه. وعاد الأمير أقوش وصحبته البطرك المذكور، فقدم البطرك ما ورد على يده من هدية الأشكرى للسلطان، وقدم أيضا ما حصل له من المال، فرد السلطان ذلك عليه. وجهاز السلطان برسم جامع قسطنطينية الحصر العبدانى، والقناديل المذبة والستور المرقومة، والمباخر والسجادات إلى غير ذلك من البسط الرومية، والعود والعنبر والمسك وماء الورد.

وفىها أغار الأمير شمس الدين سنقر الرومى على أنطاكية، ونازل صاحبها البرنس وأحرق الميناء بما فيها من المراكب، وكان معه الملك الأشرف موسى صاحب حمص، والملك المنصور صاحب حماة. ثم حاصر السويداء، واستولى عليها وقتل وأسر وعاد، فوصل إلى القاهرة يوم الخميس لليلة بقيت من شهر رمضان، وصحبته من الأسرى نحو مائتين وخمسين أسيرا. فأكرمه السلطان، وأحسن إلى الأمراء، وسير الخلع إلى الملكين المذكورين.

(١) فرمان فى اللغة ما يصدره السلطان أو الملك من الكتب للولاة والوكلاء والقضاة، يعلن فيها تنصيبهم وأموريتهم، والجمع فرمانات وفرامين وفرامنه. انظر محيط المحيط.

وفي ثالث شهر رمضان: عزل السلطان قاضى القضاة برهان الدين السنجارى عن قضاء مصر والوجه القبلى، وأعاد قاضى القضاة تاج الدين عبد الوهاب ابن بنت الأعز، فصار بيده قضاء القضاة بديار مصر كلها. وكان متشددا فى أحكامه، فرسم له فى ذى القعدة أن يستناب عنه مدرسى المدرسة الصالحية من الحنفية والمالكية والحنابلة، فاستنابهم فى الحكم عنه، ولم يعرف ذلك بمصر قبل هذا الوقت: فجلس القاضى صدر الدين سليمان الحنفى، والقاضى شرف الدين عمر السبكى المالكى، والقاضى شمس الدين محمد بن إبراهيم الخنبلى، فى أول ذى القعدة وحكموا بين الناس بمذاهبهم.

وفى رابعه: قبض على الأمير علاء الدين الحاج طيرس الوزيرى نائب الشام، وحمل إلى مصر فاعتقل بقلعة الجبل، وكانت مدّة نيابته سنة وشهرا. وحكم فى دمشق بعده الأمير علاء الدين إيدغدى الحاج الركنى إلى أن يحضر نائب.

وفىها كثر الإرجاف فى دمشق بحركة التتار، فكذب السلطان برجيل أهل الشام بأهليهم إلى مصر. فحضر من تلك البلاد خلق كثير، بعدما كتب السلطان إلى الولاية بتخفيرهم، وألا يؤخذ منهم مكس ولا زكاة، ولا يُتعرض لما معهم من متجر ولا غيره، ولا تُغش تجارة، فاعتمد ذلك. وكتب السلطان إلى حلب بتحريق الأعشاب، فسيرت جماعة إلى بلاد آمد وغيرها وحرقت الأعشاب التى كانت بالمروج التى جرت عادة هولاء أن ينزلها. فعمت النار مسيرة عشرة أيام حتى صارت كلها رمادا، وهم الحريق بلاد خلاط، وقُطع السبيل وهو أخضر.

وفىها خرجت الكشافة^(١) من دمشق وغيرها، فظفروا بكثير من التتار يريدون القدوم إلى مصر مستأمنين. وقد كان الملك بركة بعثهم بجدة إلى هولاء، فلما وقع بينهما كتب يستدعيهم إليه، ويأمرهم إن تعذر عليهم اللحاق به أن يصيروا إلى عساكر مصر. وكان سبب عداوة بركة وهولاء أن وقعة كانت بينهما، قُتل فيها ولد هولاء وكُسر عسكره وتمزقوا فى البلاد، وصار هولاء إلى قلعة بوسط بحيرة أذربيجان محصورا بها. فلما بلغ ذلك السلطان سرّ به، وفرح الناس باشتغال هولاء عن قصد بلاد الشام. وكتب السلطان إلى النواب بإكرام الوافية من التتار، والإقامة لهم بما يحتاجون إليه من العليق والغنم وغيره، وسيرت إليهم الخلع والإنعامات والسكر ونحوه. وساروا إلى القاهرة، فخرج السلطان إلى لقائهم فى سادس عشرى ذى الحجة ولم يتأخر أحد عن مشاهدتهم، فلتقاهم وأنزلهم فى دور بنت لهم فى اللوق ظاهر

(١) الكشافة جمع كشاف. ومعناها هنا ففة معينة من العسكر وكان عملها الخروج لكشف أخبار

القاهرة، وعمل لهم دعوة عظيمة هناك، وبعث إليهم الخلع والخيول والأموال. وأمر السلطان أكابرهم، ونزل باقيهم في جملة البحرية، وكانوا مائتي فارس بأهاليهم، فحسنت حالهم، ودخلوا في الإسلام. وكتب السلطان إلى الملك بركة كتابا، وسيره مع الفقيه مجد الدين والأمير سيف الدين كسريك.

وفيها سار صندغون مقدم التتار إلى الموصل، ونصب عليها خمسة وعشرين منجنيقا، ولم يكن بها سلاح ولا قوت فاشتد الغلاء. وحاصرها صندغون حتى خرج إليه الملك الصالح إسماعيل بن الملك الرحيم بدر الدين لؤلؤ الأتابكي، في يوم الجمعة النصف من شعبان، فقبض عليه وعلى من معه. ووقع التخريب في سور المدينة وقد اطمأن أهلها، ثم اقتحموها ووضعوا السيف في الناس تسعة أيام، ووسطوا علاء الدين ابن الملك الصالح، ونهبوا المدينة وقتلوا الرجال وأسروا النساء والذرية، وهدموا المباني وتركوها بلاقع، ورحلوا بالملك الصالح إسماعيل، ثم قتلوه وهم في طريقهم إلى هولاءكو. وفيها خرج الأمير شمس الدين أقوش البترلي من حلب نجدة للملك الصالح، فأدركه التتار بسنحار وواقعه، فانهزم منهم إلى البيرة في رابع عشر جمادى الآخرة. ثم استأذن الأمير شمس الدين السلطان في العبور إلى مصر، فأذن له وسار إلى القاهرة فدخلها أول ذى القعدة، فأنعم عليه السلطان وأقطعه إمرة سبعين فارسا. وولى السلطان بعده نيابة حلب الأمير عز الدين أيدير الشهابي، فواقع أهل سيس وأخذ منهم جماعة، وبعثهم إلى مصر فوسطوا.

وفيها وفد على السلطان بعيد كسرة المستنصر شيوخ عبادة وخفاجة، من هيت والأنبار إلى الحلة والكوفة، وكبيرهم خضر بن بدران بن مقلد بن سليمان بن مهارش العبادي، وشهري بن أحمد الخفاجي، ومقبل بن سالم، وعياش بن حديشة، ووشاح وغيرهم. فأنعم السلطان عليهم وكانوا له عينا على التتار.

* * *

ومات في هذه السنة من الأعيان

الخليفة أمير المؤمنين المستنصر بالله أبو القاسم أحمد بن الظاهر بالله أبي نصر محمد ابن الناصر لدين الله أبي العباس أحمد العباسي، قتيلا في المعركة قريبا من هيت. وتوفي شيخ الإسلام عز الدين أبو محمد عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم ابن الحسن المهدب السلبى الشافعي، عن اثنتين وستين سنة في [.....] (١).

(١) ما بين المعقوفتين بياض في الأصل.

وتوفى الصاحب كمال الدين أبو القاسم عمر بن نجم الدين أبي الحسن أحمد بن هبة الله بن محمد بن هبة الله بن أحمد بن يحيى بن العديم الحنفى بالقاهرة^(١). عن نيف وستين سنة.

وتوفى الأديب محيى الدين أبو العز يوسف بن يوسف بن شيرمة بن زبلاق^(٢) الهاشمى الموصلى الأديب الشاعر الكاتب، قتيلا بالموصل، عن سبع وخمسين سنة.

* * *

(١) جاء فى أن الصاحب كمال الدين بن العديم، وهو مؤلف كتاب تاريخ حلب المشهور، كان قد هرب مع الناصر صاحب حلب من وجه التتر إلى القاهرة استدعاه هولاءكو إلى الشام ليوليه قضاء القضاة بها، غير أنه ظل مقيما بالقاهرة حتى مات.

(٢) يوسف بن يوسف بن سلامة بن إبراهيم بن موسى الهاشمى العباسى، أبو المحاسن، محيى الدين الموصلى، المعروف بابن زبلاق: شاعر مجيد، من الفضلاء كان كاتب الإنشاء بالموصل. وقتله بها التتار، لما استولوا عليها. انظر البداية والنهاية ٢٣٦/١٣ وذيل مرآة الزمان ٥١٣/١ و١٨١/٢ وفوات الوفيات ٣٢٧، ٣٢١/٢ والحوادث الجامعة ٣٤٨ شذرات الذهب ٣٠٤/٥ والأعلام ٢٥٩/٨.

سنة إحدى وستين وستمائة

في الخميس ثامن المحرم: جلس الملك الظاهر مجلسًا عامًا جمع فيه الناس. وحضره التتار الذين وفدوا من العراق والرسل المتوجهون إلى الملك بركة. وجاء الأمير أبو العباس أحمد بن أبي بكر علي بن أبي بكر بن أحمد بن المسترشد بالله العباسي، وهو راكب إلى الإيوان الكبير بقلعة الجبل، وجلس إلى جانب السلطان، وقُرئ نسبه على الناس بعدما ثبت على قاضي القضاة تاج الدين عبد الوهاب ابن بنت الأعز، ولقب بالإمام الحاكم بأمر الله أمير المؤمنين، وتولى قراءة نسبه القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر كاتب السر. فلما ثبت ذلك مدَّ السلطان يده وبايعه على العمل بكتاب الله وسنة رسوله، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وجهاد أعداء الله وأخذ أموال الله بحققها وصرفها في مستحقها، والوفاء بالعهود وإقامة الحدود، وما يجب على الأمير فعله في أمور الدين وحراسة المسلمين. فلما تمت البيعة أقبل الخليفة على السلطان وقلده أمور البلاد والعباد، وجعل إليه تدبير الخلق، وأقامه قَسِيمه في القيام بالحق، وفوض إليه سائر الأمور، وعلّق به صلاح الجمهور. ثم أخذ الناس على اختلاف طبقاتهم في مبايعته، فلم يبق ملك ولا أمير ولا وزير ولا قاض ولا مشير ولا جندي ولا فقيه إلا وبايعه. فلما تمت البيعة تحدث السلطان معه في إنفاذ الرسل إلى الملك بركة، وانفض الناس.

فلما كان يوم الجمعة ثاني هذا اليوم: اجتمع الناس وحضر الرسل المذكورون، وبرز الخليفة الحاكم بأمر الله وعليه سواده، وصعد المنبر لخطبة الجمعة فقال: «الحمد لله الذي أقام لكل العباس ركنًا وظهيرًا، وجعل لهم من لديه سلطانًا ونصيرًا. أحمدته على السراء والضراء، وأستنصره على دفع الأعداء، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ﷺ، وعلى آله وصحبه نجوم الهدى وأئمة الاقتداء الأربعة الخلفاء، وعلى العباس عمه وكاشف غمه أبي السادة الخلفاء الراشدين والأئمة المهتدين، وعلى بقية الصحابة التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين. أيها الناس! اعلموا أن الإمامة فرض من فروض الإسلام، والجهاد محتوم على جميع الأنعام، ولا يقوم عَلمُ الجهاد إلا باجتماع كلمة العباد، ولا سُببُ الحُرْم إلا بانتهاك المحارم، ولا سفكت الدماء إلا بارتكاب المآثم. فلو شاهدتم أعداء الإسلام حين دخلوا دار السلام^(١)،

(١) المقصود بها بغداد.

واستباحوا الدماء والأموال، وقتلوا الرجال والأبطال والأطفال، وهتكوا حرم الخليفة والحريم، وأذاقوا من استبقوا العذاب الأليم، فارتفعت الأصوات بالبكاء والعيويل، وعلت الضجّات من هول ذلك اليوم الطويل. فكم من شيخ خضبت شيبته بدمائه، وكم طفل بكاء فلم يرحم لبيكائه. فشمروا عن ساق الاجتهاد فى إحياء فرض الجهاد ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَأَسْمِعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِّأَنْفُسِكُمْ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾^(١) فلم تبق معذرة عن أعداء الدين، والحاماة عن المسلمين.

«وهذا السلطان الملك الظاهر، السيد الأجل العالم العادل المجاهد الرابط ركن الدنيا والدين، قد قام بنصر الإمامة عند قلة الأنصار، وشرّد جيوش الكفر بعد أن جاسوا خلال الديار. فأصبحت البيعة باهتمامه منتظمة العقود، والدولة العباسية به متكاثرة الجنود. فبادروا عباد الله إلى شكر هذه النعمة، وأخلصوا نياتكم تنتصروا، وقتلوا أولياء الشيطان تظفروا ولا يُروّعنكم ما جرى، فالجرب سجال والعاقبة للمتقين، والدهر يومان والأخرى للمؤمنين. جمع الله على التقوى أمركم، وأعز بالإيمان نصركم، وأستغفر الله العظيم لى ولكم ولسائر المسلمين، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم».

وجلس الخليفة جلسة الاستراحة، ثم قام للخطبة الثانية وقال: «الحمد لله حمدا يقوم بشكر نعمائه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له عدة للاقائه، وأشهد أن محمدا سيد رسله وأنبياؤه، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه عدد ما خلق فى أرضه وسمائه. أوصيكم عباد الله بتقوى الله، إن أحسن ما وعظ به الإنسان كلام الديان: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ، فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِمَا لِلَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾^(٢) نفعنا الله وإياكم بكتابه، وأجزل لنا ولكم من ثوابه، وغفر لى ولكم وللمسلمين أجمعين، والحمد لله رب العالمين». ثم نزل الخليفة وصلى بالناس صلاة الجمعة، وانصرف.

وفى هذا اليوم خطب على منابر القاهرة ومصر بالدعاء للخليفة الحاكم بأمر الله، وكتب إلى الأعمال بذلك، فخطب له بدمشق فى يوم الجمعة سادس عشره. وقد قيل فى نسبه إنه أبو العباس أحمد بن الأمير محمد بن الحسن بن أبى بكر بن الحسن بن على القبى بن الحسن بن أمير المؤمنين الراشد بن المسترشد، وهو الخليفة التاسع والثلاثون من

(١) سورة التغابن آية ١٦

(٢) سورة النساء آية ٥٩.

خلفاء بنى العباس، وليس فيهم بعد السفاح^(١) والمنصور^(٢) من ليس أبوه وجده خليفة غيره، وأما من ليس أبوه خليفة فكثير.

وتجهز الفقيه مجد الدين والأمير سيف الدين كاش تك، وكتب على يدهما كتب بأحوال الإسلام ومبايعة الخليفة، واستمالة الملك بركة وحته على الجهاد، ووصف عساكر المسلمين وكثرتهم وعدة أجناسهم، وما فيها من خيل وتركان وعشائر وأكراد، ومن وافقها وهادها وهادنها، وأنها كلها سامعة مطيعة لإشارته، إلى غير ذلك من الإغراء بهلاون وتهون أمره والإشلاء عليه وتقبيح فعله، ونحو ذلك. وجهاز السلطان معهما أيضا نسخة نسبة الخليفة إلى رسول الله ﷺ، وأُذهِبَتْ وكتب فيها الإسجال بثبوتها. وجمعت الأمراء والمفاردة^(٣) وغيرهم وقرئت عليهم الكتب، وسلمت إلى الرسل. وسُيِّرَ معهما نفران من التتر أصحاب الملك بركة ليعرفاهما بالطرق، وساروا في الطرائد ومعهم زوادة أشهر. فوصلوا إلى الأشكري فقام بخدمتهم، واتفق وصول رَسَلِ^(٤) الملك بركة إليه فسيّرهم صحبته وعاد الفقيه مجد الدين لمرض نزل به، ومعهم كتاب الأشكري بمسير الأمير سيف الدين ورفقته. وسار الأمير جمال الدين أقوش النجيبى الصالحى إلى نياية دمشق، ومعهم الصاحب عز الدين عبد العزيز بن وداعة وزير دمشق، وعلى يده تذاكر^(٥) شريفة بعدما خلع عليهما.

(١) عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب، أبو العباس، أول خلفاء الدولة العباسية، وأحد الجبارين الدهاء من ملوك العرب. ولد ونشأ بالشرأة (بين الشام والمدينة) بويح له بالخلافة جهرا في الكوفة سنة ١٣٢ هـ لقب بالسفاح لكثرة ما سفح من دماء بنى أمية. كانت إقامته بالأنبار، حيث بنى مدينة سماها (الهاشمية) وجعلها مقر خلافته. انظر ابن الأثير ١٥٢/٥ والطبرى ١٥٤/٩ واليعقوبى ٣/٨٦ وابن خلدون ٣/١٨٠ تاريخ الخميس ٢/٣٢٤ والبدء والتاريخ ٦/٨٨ والنيراس ١٩، ٢٣، والمسعودى ٢/١٦٥-١٨٠ وتاريخ بغداد ١٠/٤٦ وفوات الوفيات ١/٢٣٢ والأعلام ٤/١١٦.

(٢) عبد الله بن محمد بن علي بن العباس، أبو جعفر، المنصور: ثانى خلفاء بنى العباس، وأول من عنى بالعلوم من ملوك العرب. ولد فى الحميمة من أرض الشراة (قرب معان) وولى الخلافة بعد وفاة أخيه السفاح سنة ١٣٦ هـ. وهو بانى مدينة بغداد أمر بتخطيطها سنة ١٤٥ هـ وجعلها دار ملكه بدلا من الهاشمية التى بناها السفاح. انظر ابن الأثير ٥/١٧٢ والطبرى ٩/٢٩٢-٣٢٢ والبدء والتاريخ ٦/٩٠ واليعقوبى ٣/١٠٠ وتاريخ الخميس ٢/٣٢٤ والنيراس لابن بجة ٢٤-٣٠ والمسعودى ٢/١٨٠-١٩٤ وتاريخ بغداد ١٠/٥٣ وابن السامى ١١/٢٣ وفوات الوفيات ١/٢٣٢ والأعلام ٤/١١٧.

(٣) جمع مفردى، والمفاردة نوع من عساكر السلطان. ويظهر أنهم أفردوا بهذه النسبة لتبعيتهم مباشرة لديوان المفرد.

(٤) الرسل هم الجماعة والقطيع من كل شىء وجمعه أرسال. انظر محيط المحيط.

(٥) التذاكر جمع تذكرة وهى كما يدل معناها اللفظى: كل مكتوب يصدر من السلطان إلى نوابه بالأقاليم المصرية ونيابات الشام، أو إلى قصاده الذين يرسلهم فى مهام الدولة.

وفى سابع ربيع الآخر: سار السلطان من قلعة الجبل إلى بلاد الشام، ونزل خارج القاهرة. ورحل في حادى عشره، ودام الصيد إلى أن دخل غزة، بعدما ضرب حلقة بثلاث آلاف فارس فى العريش، فوقع فيها صيد كثير جدا، وتقنطر الأمير شمس الدين سنقر الرومى عن فرسه، فسار السلطان إليه ونزل عنده، وجعل رأسه على ركبته وأخرج من خريطته المومياء^(١) وسقاه، وأخذه معه إلى خيمته. وتقنطر الأمير سيف الدين قلاوون، فاعتمد السلطان معه مثل ذلك.

وقدم عليه فى غزة جماعة منهم أم الملك المغيث عمر بن العادل أبى بكر بن الكامل محمد بن العادل أبى بكر بن أيوب صاحب الكرك، فأنعم عليها إنعاما كثيرا وأعطى سائر من كان معها، وحصل الحديث فى حضور ولدها إلى السلطان، وعادت إلى ابنها بالكرك. من جملة ما زودها به السلطان من صيده خمسة عشر حملا، وسار معها الأمير شرف الدين الجاكي المهندار، برسم تجهيز الإقامات للملك المغيث إذا حضر. ونظر السلطان فى أمر التركمان، وخلع على أمرائهم وعلى أمراء العربان من العابد وجرم وتعلبة، وضمنهم البلاد وألزمهم القيام بالعداد، وشرط عليهم خدمة البريد وإحضار الخيل برسمه وكتب إلى ملك شيراز وأهل تلك الديار، وإلى عرب خفاجة، يستحثهم على قتال هولاءكو ملك التتار، وأن الأخبار قد وردت من البحر بكسر الملك بركة له غير مرة.

ثم رحل السلطان من غزة إلى جهة الساحل، ونزل الطور فى ثانى عشر جمادى الأولى، وقدم إليه هناك الملك الأشرف صاحب حمص فى خامس عشره بإذن منه فتلقيه السلطان وأكرمه، وبعث إليه سبعين غزالا فى دفعة واحدة، وقال: «هذا صيد يومنا هذا، جعلته لك». وخرج إليه المغيث من الكرك، بعدما كاتبه الملك الظاهر يستدعيه وهو يسوّف به. فأظهر السلطان من الاحتفال له شيئا كثيرا، وخذعه أعظم خديعة، وكنم أمره عن كل أحد. فلما وصل المغيث بيسان ركب السلطان إلى لقائه فى سادس عشرى جمادى الأولى، وافاه فى أحسن زى. فعندما التقيا ساق الملك المغيث إلى جانب السلطان، فسار به إلى الدهليز السلطاني، ودخلا إلى خركاه، وللوقت قبض عليه. وأحضر السلطان الملوک والأمرء، وقاضى القضاة شمس الدين أحمد بن خلكان - وكان قد استدعاه من دمشق، والشهود والأجناد ورسل الفرنج. وأخرج السلطان إليهم كتب الملك المغيث إلى التتار وكتب التتار إليه، وأخرج أيضا فتاوى الفقهاء بقتاله، وأحضر أيضا القصاد الذين كانوا يسفرون بينه وبين هولاءكو. ثم قال الأمير الأتابك لمن حضر:

(١) على هامش ط: الموميا - وهى لفظة يونانية الأصل - مادة دواء يستعمل شربا وضامادا، ويستخدم كثيرا لجير العظام للكسورة.

«السلطان الملك الظاهر يسلم عليكم، ويقول ما أخذتُ الملك المغيث إلا بهذا السبب»، وقرئت الكتب المذكورة عليهم. فكتب بصورة الحال، وأثبت القضاة خطوطهم فى المكتوب، وانفض الجمع. وجلس السلطان وأمر فكتب إلى من بالكرك يعدهم ويحذرهم، وسير الأمير بدر الدين بيسرى، والأمير عز الدين الأستادار، بالكرب والخلع والأموال إلى الكرك. وأرسل الملك المغيث عشاءً إلى مصر مع الأمير شمس الدين آقسنقر الفارقانى السلاح دار، فسار به إلى قلعة الجبل وسجنه بها، وأطلق السلطان حواشيه، وبعث بحريمه إلى مصر، وأطلق لهم الرواتب.

ولما خلا بال السلطان من هم الملك المغيث، توجه بكلّيته إلى الفرنج: فإنهم كانوا قد شرعوا فى التعلل وطلبوا زرعين، فأجابهم السلطان «بأنكم تعوضتم عنها فى الأيام الناصرية ضياعاً من مرج عيون»، وهم لا يزدادون إلا شكوى. وآخر الحال طلب الفرنج من والى غزة كتاباً بتمكين رسلهم إذا حضروا، فكتب لهم الكتاب، وتواصلت بعد ذلك كتبهم. ووردت كتب النواب بشكواهم، وأنهم اعتمدوا أموراً تفسخ الهدنة فلما صار السلطان فى وسط بلادهم وردت عليه كتبهم، وفيها: «ما عرفنا بوصول السلطان». فكتب إليهم: «من يريد أن يتولى أمراً ينبغى أن يكون فيه يقظة، ومن خفى عنه خروج هذه العساكر، وجهل ما علمته الوحوش فى الفلاة والحيتان فى المياه، من كثرتها التى لعل بيوتكم ما فيها موضع إلا ويكنسُ منه التراب الذى أثارته خيل هذه العساكر، ولعل وقع سنابكها قد أصمّ أسمع من وراء البحر من الفرنج، ومن فى مُوتان^(١) من التتار. فإذا كانت هذه العساكر تصل جميعها إلى أبواب بيوتكم ولا تدرن، فأى شىء تعلمون؟ وماذا تحطون به علماً؟ ولم لا أعطيتم لوالى غزة الكتاب الذى كنا سيرناه لكم بتمكين رسولكم إذا حضر؟» قال الرسول: «نسينا، وما علمنا كيف عُدم». فكان الجواب: «إذا نسيتم هذا فأى شىء تذكرون؟ وإذا ضيَعتموه فأى شىء تحفظون؟» وانفعل الحال على هذا. ووصلت نواب يافا ونواب أرسوف بهدية، فأخذت منهم تظميناً لقلوبهم، وتسكيناً لهم. هذا وقد أمر السلطان ألا ينزل أحد فى زرع الفرنج ولا يسيب فرساً، ولا يؤذى لهم ورقة خضراء، ولا يتعرض إلى شىء من مواشيهم ولا إلى أحد من فلاحهم.

وكانت كتبهم أولاً ترد بندمهم على الهدنة وطلبهم فسخها، فلما قرب السلطان منهم صارت ترد بأنهم باقون على العهد متمسكون بأذيال المواثيق.

وفى اليوم الذى قبض فيه على الملك المغيث، أمر السلطان بإحضار بيوت الفرنجية وقال: «ما تقولون؟» قالوا: نتمسك بالهدنة التى بيننا. فقال السلطان: «لم لا كان هذا

(١) هى إحدى أقسام آذربيجان. انظر ومعجم البلدان ٤/٦٨٦.

قبل حضورنا إلى هذا المكان، وإنفاق الأموال التي لو جرت لكانت بحارا؟ ونحن لما حضرنا إلى ها هنا ما آذيناكم زرعا ولا غيره، ولا نهب لكم مال ولا ماشية، ولا أسر لكم أسير. وأنتم منعمم الجلب^(١) والميرة عن العسكر، وحرمتم خروج شيء من الغلات والأغنام وغير ذلك، ومن انفرد من غلمان العسكر أسرتموه. إلينا بدمشق نسخة يمين حلفنا عليها، وسيرنا نسخة يمين من عندنا لم تحلفوا عليها، وعلمتم أنتم نسخة حلفتم عليها، وشرط اليمين الأولى تتعلق بالثانية. وسيرنا الأسارى إلى نابلس ومنها إلى دمشق، وما سيرتم أنتم أحد، وكل بيت يجبل على الآخر، وما سيرنا الأسارى إلا وفاء بالعهد وإقامة الحجة عليكم وسيرنا كمال الدين بن شيث رسولا يعلمكم بوصول الأسرى، فلم تبعثوا أحدا، ولم ترحموا أهل ملتكم الأسرى وقد وصلوا إلى أبواب بيوتكم، كل ذلك حتى لا تبطل أشغالكم من أسرى المسلمين عندكم. وأموال التجار شَرَطْتُم القيام بما أخذتموه منها، ثم قلت ما أخذت من بلادنا وإنما أخذت في أنطرسوس^(٢) وحمل المال إلى خزانة بيت الديوية والأسرى في بيت الديوية، فإن كانت أنطرسوس ما هى لكم فالله يحقق ذلك. ثم إنا سيرنا رسلا إلى بلاد السلاجقة الروم، وكتبنا إليكم بتسفيرهم في البحر فأشترتم عليهم بالسفر إلى قبرص فسافروا بكتابكم وأمانكم، فأخذوا وقيدوا وضيق عليهم، وأتلف أحدهم على ما ذكر. فإن كان هذا برضاكم فقيح أن يعتمدوا هذا الاعتماد. هذا مع إحساننا إلى رسلكم وتجاركم، والوفاء أحد أركان الملك. وجرت عادة الرسل أنها لا تؤذى، وما زالت الحرب قائمة والرسل تتردد، وما القدرة على الرسول بشيء يسكن غيظا. فإن كان هذا بغير رضاكم فإنه نقص فى حرمتكم، وإذا كان صاحب جزيرة قبرص من أهل ملتكم، يخرق حرمتكم ولا يفى بعهدكم ولا يحفظ ذمامكم ولا يقبل شفاعتكم، فأى حرمة تبقى لكم وأى ذمام يوثق به منكم، وأى شفاعة تقبل عند المسلمين والفرنجية؟ وهل كانت الملوك الماضية تقى النفوس والرجال والأموال إلا يحفظ الحرمة؟ وما صاحب جزيرة قبرص ملك عظيم، ولا صاحب حصن منيع، ولا قائد جيش كثير، ولا هو خارج عنكم. بل أكثر تعلقاته فى عكا والساحل، وله عندكم المراكب والتجار والأموال والرسل، وليس هو منفرد بنفسه، وعنده الديوية وجميع البيوت والنواب مقيمون عنده، وعنده كند يافا وغيره. فلو كنتم لا تؤثرون ذلك كنتم قمتم جميعكم عليه، وأحظتم على كل ما يتعلق به وأصحابه، واسترحتم من هذه

(١) الجلب هنا ما تجلبه البلاد من الأطعمة للجيوش النازلة بقربها. انظر ابن أبى الفضائل، النهج

السديد ١٠٨.

(٢) بلد من سواحل بحر الشام وهى آخر أعمال دمشق من البلاد الساحلية وأول أعمال حمص.

انظر معجم البلدان ٣٨٨/١.

الفضيحة، وكتبتم إلى ملوك الفرنجية وإلى البابا بما فعله. وإذا قلت صاحب قبرص لا يسمع منكم ولا يعطيكم، فإذا لم يسمع منكم صاحب قبرص وهو من أهل ملتكم، فمن يسمع منكم؟ وهل هذه التقدمة إلى الأمر والنهي؟ ولا سيما أنتم تقولون أن أموركم دينية، ومن ردّها عصى العبود، ويفضّب عليه المسيح. فكيف لا يعصى العبود ويفضّب المسيح على صاحب قبرص، وقد ردّ أمركم وأغرى بكم وقبح قولكم؟ وكنا لو اشتبهنا أخذنا حقنا منه، وإنما الحق عندكم نحن نطلب منكم، وأنتم تطلبون منه. وأنتم فى أيام الملك الصالح إسماعيل أخذتم صغد والشقيف^(١)، على أنكم تنجدونه على السلطان الشهيد الملك الصالح نجم الدين أيوب. وخرجتم جميعكم فى خدمته ونجدته، وجرى ما جرى من خذلانه، وقتلكم وأسركم وأسروا ملوككم وأسروا مقدميكم، وكل أحد يتحقق ما جرى عليكم من ذهاب الأرواح والأموال. وقد انتقضت تلك الدولة، ولم يؤاخذكم السلطان الشهيد عن فتوحه البلاد، وأحسن إليكم فقابلتم ذلك بأن رحتم إلى الريدافرنس، وساعدتموه وأتيتم صحبته إلى مصر، حتى جرى ما جرى من القتل والأسر. فأى مرة وفيتم فيها لمملكة مصر، أم أى حركة أفلحتم فيها؟ وبالجملة فأنتم أخذتم هذه البلاد من الملك الصالح إسماعيل لإعانة مملكة الشام، وطاعة ملكها ونصرته والخروج فى خدمته، وإنفاق الأموال فى نجدته. وقد صارت بحمد الله مملكة الشام وغيرها لى، وما أنا محتاج إلى نصرتكم ولا إلى نجدتكم، ولم يبق لى عدو أخافه. فردّوا ما أخذتموه من البلاد، وفكّوا أسرى المسلمين جميعهم، فإنى لا أقبل غير ذلك».

فلما سمع رسل الفرنج هذه المقالة بهتوا، وقالوا: «نحن لا ننقض الهدنة، وإنما نطلب مراحم السلطان فى استدامتها، ونحن نزيل شكوى النوّاب، ونخرج من جميع الدعاوى ونفك الأسرى، ونستأنف الخدمة». فقال السلطان: «كان هذا قبل خروجى من مصر، فى هذا الشتاء وهذه الأمطار، ووصول العساكر إلى هنا». وانفصلوا على هذه الأمور، فأمر السلطان بإخراجهم وألا يبيتوا فى الوطاق. ووجّه الأمير علاء الدين طيرس إلى كنيسة الناصرة، وكانت أجل مواطن عباداتهم ويزعمون أن دين النصرانية ظهر منها، فسار إليها وهدمها، فلم يتحاصر أحد من الفرنج أن يتحرّك. ثم وجه السلطان الأمير بدر الدين الأيدمرى فى عسكر إلى عكا، فساروا إليها واقحموا أبوابها وعادوا. ثم ساروا ثانياً، وأغاروا على مواشى الفرنج، وأحضرها منها شيئاً كثيراً إلى المخيم.

واستمر جلوس السلطان كل يوم على باب الدهليز بصفّة^(٢) عمرها، من غير

(١) حصن بالقرب من صور، أو قلعة من نواحي حلب قبلى حارم أو قلعة صغيرة قرب أنطاكية.

انظر معجم البلدان ٣/٣٥٦.

(٢) الصفة هنا مسطبة مرتفعة تستعمل للجلوس عليها. انظر محيط المحيط.

احتجاب عن أحد، فمن وقف له أحضره وأخذ قصته^(١) وأنصفه، وهو فى أمر ونهى وعطاء وتدبير، واستحلاب قلوب أهل الكرك. وقدمت رسل دار الدعوة^(٢) بالهدايا، فأحسن إليهم وعادوا. وأمّر جماعة فى الشام والساحل، وأعطى الأمير علاء الدين أيديكن البندقدار إقطاعا جيدا بمصر. وطلب أهل بلاد الساحل من الفلاحين، وقرر عليهم أموالا سماها جنائيات^(٣)، وألزمهم بحملها إلى بيت المال، عن ديات من قتل وليس له وارث وهم ما نهبوه من مال جهل مالكة. فحملت من ذلك أموال كثيرة جدا من بلاد نابلس وبلاد الساحل، وانكسرت شوكة أهل العيث والفساد بذلك بعدما كان الضرر عظيما بهم، من تسلطهم على الرعية ونقلهم الأخبار للفرنج. فرأى السلطان عقوبتهم بهذا الفعل أولى من قتلهم، فإنهم أصحاب زرع وضرع.

ركب السلطان وجرّد من كل عشرة فارسا، واستتاب الأمير شجاع الدين الشبلى المهمندار فى الدهليز السلطاني، وساق من منزلة الطور نصف الليل. فصبح عكا وأطاف بها من جهة البر، وندب جماعة لحصار برج كان قريبا منه فشرعوا فى نفيه، وأقام السلطان على ذلك إلى قريب المغرب وعاد. وكان قصده بذلك كشف مدينة عكا، فإن الفرنج كانوا يزعمون أن أحدا لا يجسر أن يقرب منها، فصاروا ينظرون من أبواب المدينة ولا يستطيعون حركة. ولما عاد السلطان إلى الدهليز ركب لما أصبح، وأركب الناس معه، وساق إلى عكا. فإذا الفرنج قد حفروا خندقا حول تل الفضول، وجعلوا معائر^(٤) فى الطريق، ووقفوا صفوفًا على التل، فلما أشرف السلطان عليهم رتب العسكر بنفسه، وشرع الجمع فى ذكر الله وتهليله وتكبيره، والسلطان يخطبهم على ذلك حتى ارتفعت أصواتهم. وللوقت رُدمت الخنادق بأيدي غلمان العساكر وبمن حضر من الفقراء المجاهدين، وصعد المسلمون فوق تل الفضول، وقد انهزم الفرنج إلى المدينة.

وامتدت الأيدي إلى ما حول عكا من الأبراج فهدمت، وحرقت الأشجار حتى انعقد الجو من دخانها. وساق العسكر إلى أبواب عكا، وقتلوا وأسروا عدّة من الفرنج فى ساعة واحدة، والسلطان قائم على رأس التل يعمل فى أخذ رأى المدينة، والأمراء تحمل على الأبواب واحدا بعد واحد. ثم حملوا حملة واحدة ألقوا فيها الفرنج فى

(١) على هامش ط: القصة هى الطلب والائتماس، ويرفعها صاحب الحاجة أو الشكوى إلى حضرة السلطان عن طريق موظف خاص اسمه قصته دار.

(٢) على هامش ط: المقصود بدار الدعوة مركز الإسماعيلية بالشام.

(٣) على هامش ط: الجنائيات جمع جناية، وهو ما يفرضه السلطان من الضرائب والغرامات

التأديبية على رعيته.

(٤) المعائر جمع العائور، وهو ما يعد فى الأرض من حفرة ونحوها ليقع فيه أحد. انظر محيط المحيط.

الخنادق، وهلك منهم جماعة فى الأبواب. فلما كان آخر النهار ساق السلطان إلى البرج الذى نُقِب، وقد تَعَلَّق حتى رُمى بين يديه، وأخذ منه أربعة من الفرسان ونيف وثلاثون راجلا، وبات السلطان على ذلك. فلما أصبح عاد على بلاد الفرنج وكشفها مكانا مكانا، وعبر على الناصرة^(١) حتى شاهد خراب كنيستها وقُد سُوى بها الأرض، وصار إلى الصفة التى بناها قبالة الطور، فوافاها ليلا وجلس عليها. وأحضر الشموع^(٢) التى بالمنجنيقات ونصب عليها خمسة، وأحضر الصاحب فخر الدين محمد بن حنا وزير الصبجة. وجماعة كتاب الدرّج^(٣) وهم سبعة: الصاحب فخر الدين بن لقمان، والصدر بدر الدين حسن الموصلى، والصدر كمال الدين أحمد بن العجمى، والصدر فتح الدين ابن القيسرانى، والصدر شهاب الدين أحمد بن عبيد الله، والصدر برهان الدين. وأحضر كتاب الجيش، وأمر الأمير سيف الدين الزينى أمير علم^(٤) أن يجلس مع كتاب الجيش، لأجل كتابة المناشير وتجهيز الطبلخانا، وأن يكون الأتابك بين يدى السلطان. واستدعى من الجُشرات^(٥) بخمسمائة فرس لأجل الطبلخاناه وخيول الأمراء، وأحضرت خلع كثيرة، وأمر السلاح دارية أن يستريحوا بالنوبة ويحضرُوا. فلم تزل المثالات^(٦) والمناشير تكتب وهو يعلم، فكُتب بين يديه تلك الليلة ستة وخمسون منشورا كبارا يخطب لأمرء كبار. وظل الصاحب فخر الدين يعلم، وفتح الدين بن سناء الملك صاحب ديوان الجيش وصاحب ديوان الخزائن يعلم، والأمير بدر الدين الخازندار واقف، والمستوفى ينزل، حتى كملت بين يديه. وأصبح السلطان فخلا بنفسه، وجهاز الطبلخاناه والسناجق والخيل والخلع إلى الأمراء، وجعل الأمير ناصر الدين القيمرى^(٧) نائب السلطنة بالفتوحات الساحلية.

(١) قرية بينها وبين طبرية ثلاثة عشر ميلا. انظر معجم البلدان ٢٥١/٥.

(٢) الشموع جمع شمعة أو معناها هنا الأعمدة الخشبية الدقيقة.

(٣) كان كتاب الدرج من موظفى ديوان الإنشاء. انظر صبح الأعشى ١٣٧/١.

(٤) كان صاحب هذه الوظيفة هو الذى يتولى أمر الأعلام السلطانية والطبلخاناه. انظر صبح

الأعشى ٢٢/٤.

(٥) الجُشرات جمع حشار، وهو مكان رعى الماشية من خيل وغيرها.

(٦) المثالات جمع مثال، وهو أول ما كان يكتب من الأوراق الرسمية إذانا بإعطاء أحد الممالك

إقطاعا من الإقطاعات الخالية. انظر صبح الأعشى ١٥٣/١٣.

(٧) الحسين بن على القيمرى، ناصر الدين: أمير، كردى الأصل، مستعرب. كان صاحب

القيمريّة الجوانية فى دمشق. كان شجاعا موفقا، أقطعه الظاهر إقطاعا جيدا وجعله مقدم العسكر

بالساحل، فمات فيه. نسبته إلى قيصر ببلاد الأكراد. انظر المجموعة التاجية والأعلام ٢٤٦، ٢٤٧، ٣.

ورحل السلطان من الطور يوم الإثنين ثالث عشر جمادى الآخرة، وسار إلى القدس فوافاه يوم الجمعة عشرة، وكشف أحوال البلد وما يحتاج إليه المسجد من العمارة، ونظر في الأوقاف وكتب بحمايتها، ورتب برسم مصالح المسجد فى كل سنة خمسة آلاف درهم وأمر ببناء خان خارج البلد، ونقل إليه من القاهرة باب القصر المعروف باب العيد^(١)، ونادى بالقدس ألا ينزل أحد فى زرع.

ثم سار السلطان إلى الكرك فنزله يوم الخميس ثالث عشر به عساكره، وأحضر السلام الخشب من الصلت وغيره، والحجارين والبنائين والنجارين والصناع من مصر ودمشق. وكتب إلى من فى الكرك فخافوا، وترددت الرسل بينهم وبينه، حتى استقر الحال على أنه يعطى الملك العزيز عثمان بن الملك المغيث إمرة مائة فارس، فأنعم بذلك. ونزل أولاد المغيث، وقاضى المدينة وخطيبها وعدة من أهلها ومعهم مفاتيح المدينة والقلعة، فحلف لهم السلطان وأرضاهم، وسير الأمير عز الدين أيدمر الأستادار، والصاحب فخر الدين محمد بن الصاحب بهاء الدين على بن محمد بن سليم بن حنا^(٢) فى ليلة الجمعة رابع عشر به عساكره، فتسلما القلعة. وفى بكرة الجمعة دُعى للسلطان على الأسوار، ونصبت سناجقه على الأبراج، وركب فى الساعة الثالثة وطلع إلى القلعة ورتب أمر جيش الكرك، وأنفق فيهم ثلاثة أشهر من خزائنه واهتم السلطان ببلادها وعين لها خاصا، وزاد جماعة، وأنعم على أولاد الملك المغيث بجميع ما كان فى القلعة من مال وقماش وأثاث. وصلى بها صلاة الجمعة، ونزل قريب المغرب، ولم يتعرض أحد من العسكر لأهلها بسوء. وأصبح السلطان فبعث إلى العزيز بن المغيث الخلع والقماش، وإلى الطواشى بهاء الدين صندل، والأمير شهاب الدين صعلوك أتابكة. وكتب بالبشارة إلى مصر والشام بأخذ الكرك، وأن تحمل إليه الغلات والأصناف وطلع السلطان إليها يوم الإثنين، وأحضر الدواوين ورتب الإقطاعات للعربان والأجناد، فكتب بين يديه زيادة على ثلاثمائة منشور، وسلمت لأربابها بعدما حلفوا بين يدي السلطان، وكتبت أيضا تواقيع لأهل الكرك بمناصب دينية ودوانية. وجرّد السلطان بها عدة من البحرية والظاهرية، وحلف مقدمى الكرك وأنصارها، وقال لأهل الكرك: «اعلموا أنكم قد أسأتم إلى فى الأيام الماضية، وقد اغتفرت لكم ذلك لكونكم

(١) كان ذلك الباب أحد أبواب القصر الكبير الفاطمى. انظر خطط المقرئى.

(٢) على بن محمد بن سليم المصرى المعروف بهاء الدين بن حنا: وزير كان من أكابر الرجال فى عصره، حزما وعزما ذو رأى ودهاء وخبرة، مولده ووفاته بمصر. استوزره الظاهر، وفوض إليه الأمور. انظر فوات الوفيات ٧٦/٢ وابن الفرات ١٢٥/٧ والأعلام ٣٣٣/٤.

ما خامرتم على صاحبكم. وقد ازددت فيكم محبة فتناسوا الحقوق. وأحضر الأمير عبية وغيره عن هرب من بنى مهدى، وألزمهم أدراك البلاد وخفرهم إلى أرض الحجاز. وأمر بعمارة ما يحتاج إليه في السور وحصنه وحفر الخندق وأحاطه بالحصن، ولم يكن قبل ذلك كذلك. وأشحن الحصن بالأسلحة والغالل وآلات الحرب والأقوات، ووضع فيه مبلغ سبعين ألف دينار عينا ومائة وخمسين درهم نقرة. واستتاب بالكرك الأمير عز الدين أيدير من مماليكه، وأضاف إليه الشوبك وأعطاه ثلاثين ألف درهم وكثيرا من القماش.

ورحل السلطان إلى مصر، ومعه أولاد الملك المغيث وحرمة، في يوم الأربعاء تاسع عشرية. فدخل القاهرة في سابع عشر رجب وقد زينت أحسن زينة، فشق القصبه إلى قلعة الجبل على شقق الحرير الأطلس والعتابي، وخلع على الأمراء والمفاردة والمقدمين وجميع حاشيته وغلماؤه ومباشرية، وأعطى العزيز بن الملك المغيث إمرة مائة فارس وخلع عليه وأعطاه طبلخاناه، وأطلق لأخويه وحرم أبيه سائر ما يحتاجون إليه هم وغلماؤهم، وأنزلهم بدار القطبية بين القصرين من القاهرة.

وأصبح السلطان قبض على الأمير سيف الدين الرشيدى واعتقله. وفي تاسع عشره قبض على الأمير عز الدين أيك الديماطى والأمير شمس الدين أقوش البرلى واعتقلهما، فكان آخر العهد بأقوش البرلى. ولما قبض السلطان عليهما أحسن إلى مماليكهما وحواشيها، ولم يفر على أحد منهم ولا تعرض إلى بيوت الأمراء. وكان سبب تنكره على هذه الأمراء أنه كان قد فوّض إلى الرشيدى أمر المملكة حتى تصرفت يده فى كل شىء، وأطلق له فى كل جمعة خيوانين من عنده يُمدّان له حتى ماء الورد، ورتب له كل شهر كلوتين^(١) زركش قيمة كل منهما مبلغ خمسين دينارا عينا وقيمة كلبندها^(٢) مبلغ أربعين دينارا ورتب له برسم مشروبه اثني عشر ألف دينار فى كل سنة. هذا سوى ما له من الإقطاعات الجليلة والمرتبات الكثيرة، وسوى الإنعامات وجوامك البزدارية^(٣) والفهادة^(٤) وعليق الخيل. فأقبل الرشيدى على اللهو وشرب الخمر، وحميت حواشيه عدّة بلاد، وحدثت منه أمور لا تسر، فأغضى عنه السلطان. فلما كان بالطور بلغه أن الرشيدى قد فسدت نيته، فأقام عليه عيوننا تحفظ كل ما يجرى منه: فبلغه عنه

(١) هذا اللفظ مثنى كلونة، وهى غطاء الرأس تلبس وحدها أو بعمامة.

(٢) على هامش ط: الكلبنده جزء من غطاء الرأس سواء أكان عمامة أو كلونة.

(٣) البزدارية جمع بزدار - أو بازدار -

(٤) الفهادة هم الأشخاص الموكول إليهم حراسة الفهود.

أنه كان يكتب المغيث بالكرك ويجذره من القدوم على السلطان ويشير عليه ألا يسلم نفسه، وأنه كتب إلى أهل الكرك أيضًا بعد القبض على المغيث يأمرهم بألا يسلموا الكرك، فأسر السلطان ذلك في نفسه إلى أن سار إلى الكرك، فبلغه عنه أنه يريد المبادرة إلى أخذ الكرك، فسارع إليه ولاطفه وركب معه إلى الكرك وأخذها. وبلغ السلطان عنه أيضا عدة أمور من هذا النحو.

وقدمت رسل الملك بركة تطلب النجدة على هولاءكو - وهم الأمير جلال الدين ابن القاضي، والشيخ نور الدين على، في عدة - ويخبرون بإسلامه وإسلام قومه، وعلى يدهم كتاب مؤرخ بأول رجب سنة إحدى وستين وستمائة. وقدم أيضا رسول الأشكري، ورسول مقدم الجنوية^(١)، ورسول صاحب الروم السلاجقة، فأحسن السلطان إلى الرسل وعمل لهم دعوة بأراضى اللوق، وواصل الإنعام عليهم في يومى الثلاثاء والسبت عند اللعب فى الميدان.

وفى يوم الجمعة ثامن عشرى شعبان: خطب الخليفة الحاكم بأمر الله بحضور رسل الملك بركة، ودعا للسلطان وللملك بركة فى الخطبة، وصلى بالناس صلاة الجمعة، واجتمع بالسلطان وبالرسل فى مهمات أمور الإسلام.

وفى ليلة الأربعاء ثالث شهر رمضان: سأل السلطان الملك الظاهر الخليفة الحاكم بأمر الله: «هل لبس الفتوة من أحد من أهل بيته الطاهرين أو من أوليائهم المتقين؟» فقال: «لا»، والتمس من السلطان أن يصل سببه بهذا المقصود. فلم يمكن السلطان إلا طاعته المفترضة، وأن يمنحه ما كان ابن عمه رضى الله عنه قد افترضه. ولبس الخليفة فى الليلة المذكورة بحضور من يُعتبر حضوره فى مثل ذلك، وباشر اللبس الأتابك فارس الدين أقطاي بطريق الوكالة عن السلطان، بحق لبسه عن الإمام المستنصر با الله أمير المؤمنين ولد الإمام الظاهر - وأبوه جده الناصر لدين الله - والناصر لعبد الجبار، لعلى ابن دُغيم لعبد الله بن القير، لعمر بن الرصاص، لأبى بكر بن الجحيش، لحسن بن الساريار، لبقاء بن الطباخ، لنفيس العلوى، لأبى هاشم بن أبى حية، لعمر بن ألبس، لأبى على الصوفى، لمهنا العلوى، للقائد عيسى، لأمير وهران، لرؤية الفارسى، للملك أبى كاليجار، لأبى الحسن النجار، لفضل القرقاشى، للقائد شبل بن المكدم، لأبى الفضل القرشى، للأمير حسان، لجوشن الفزارى، للأمير هلال النبهانى، لأبى مسلم الخراسانى^(٢)، لأبى العز النقيب، لعوف الغسانى، لحافظ الكندى، لأبى على النوبى،

(١) أهل مدينة حنوة. انظر صبح الأعشى ٤٠٥/٥.

(٢) عبد الرحمن بن مسلم: مؤسس الدولة العباسية، وأحد كبار القادة. ولد فى حماة البصرة-

لسلمان الفارسي^(١)، للإمام الطاهر النقى التقى على بن أبى طالب رضى الله عنه وحمل السلطان إلى الخليفة من الملابس لأجل ذلك ما يليق بجلاله.

وفي الليلة الثانية: حضر رسل الملك بركة إلى قلعة الجبل، وألبسهم الخليفة بتفويض الوكالة للأتابك، وحمل إليهم من الملابس ما يليق بمثلهم. وجهز السلطان هدية جلييلة للملك بركة، وكتب جواب كتابه فى قَطْع النصف فى سبعين ورقة بغداية^(٢) بخط محيى الدين بن عبد الظاهر، وهو الذى قرأه على السلطان بحضور الأمراء. وسُلِّمَت الهدية للأمير فارس الدين أقوش المسعودى، والشريف عماد الدين الهاشمى، فسارا فى يده طريدة فيها عدة رماة وجرَّحِيَّة^(٣) وزراقين^(٤)، وأشحنت الأزودة لمدة سنة، وسارا سابع عشره. وخرجت النجابه إلى مكة والمدينة بأن يدعى للملك بركة ويعتمو عنه، وأمر الخطباء أن يدعوا له على المنابر بمكة والمدينة والقدس وبمصر والقاهرة، وبعد الدعاء للسلطان الملك الظاهر.

وفي سادس شوال: توجه السلطان إلى جهة الإسكندرية، فأقام بترؤجَة^(٥) أيام ودخل البرية وضرب حلقة فوق فيها كثير من الصيد. واهتم السلطان بأمر المياه وولى

= (مما يلى أصبهان) عند عيسى ومقل بن إدريس العجلى، قرياه إلى أن شب. انظر ابن خلكان ١/ ٢٨٠ وابن الأثير ١٧٥/٥ والطبرى ١٥٩/٩ والروض المطار والبدء والتاريخ ٩٥، ٧٨/٦ وميزان الاعتدال ١١٧/٢ ولسان الميزان ٤٣٦/٣ وتاريخ بغداد ٢٠٧/١٠ والذريعة ٣١٨/١ وفى المعارف لابن قتيبة ١٨٥ والأعلام ٣/٣٣٧.

(١) سلمان الفارسي: صحابي: من مقدميهم. كان يسمى نفسه سلمان الإسلام. أصله من مجوس أصبهان. عاش عمراً طويلاً، واختلفوا فيما كان يسمى به فى بلاده. وقالوا: نشأ فى قرية حيان، ورحل إلى الشام، فالموصل، فنصيبين، فعمورية، وقرأ كتب الفرس والروم واليهود، وقصد بلاد العرب، فلقبه ركب من بنى كلب فاستخدموه، ثم استعبده وباعوه، فاشتره رجل من بنى قريظة فحماه به إلى المدينة. وعلم سلمان بخير الإسلام، فقصد النبي صلى الله عليه وسلم بقاء وسمع كلامه، ولازمه أياماً. وأبى أن يتحرر بالإسلام، فأعانه المسلمون على شراء نفسه من صاحبه. فأظهر إسلامه. وكان قوى الجسم، صحيح الرأى، عالماً بالشرع وغيرها. وهو الذى دلَّ المسلمين على حفر الخندق، فى غزو الأحزاب. وله فى كتب الحديث ٦٠ حديثاً. ولابن بابوى القمى كتاب وأخبار سلمان وزهده وفضائله، ومثله للجلودى. انظر: طبقات ابن سعد ٤: ٥٣، وتهذيب ابن عساكر ٦/ ٨٨ والأصابة، وحلية الأولياء ١: ١٨٥ وصفة الصفوة ١: ٢١٠.

(٢) كان الورق البغدادى أجدود أنواع الورق وأكبره سعة، وكان مخصوصاً لكتابة المصاحف، ولا يستعمل فيما عدا ذلك سوى لمكاتبة كبار الملوك.

(٣) الجرَّحِيَّة جمع جرَّحى أى رامى الجرح.

(٤) على هامش ط: جمع زراق، ومعناه هنا رامى النفط من الزرارة.

(٥) هى قرية من كورة البحيرة. انظر معجم البلدان ١/ ٨٤٥.

أمرها الأخير شجاع الدين الزاهدي أحد الحجاب، وأحضر من الإسكندرية الرجال لحفر الآبار. ثم سار السلطان من تروجة إلى الإسكندرية، وكان الصاحب بهاء الدين ابن حنا قد سبق إليها وحصل جملا كثيرة من المال: منها حمل بلغ خمسة وتسعين لفة من القماش السكندري، ولم يعامل أحد من أهلها بغير العدل، ولم يضرب بها أحدا بمقرعة. فضرب السلطان خيامه ظاهر المدينة، ونادى ألا يقيم بالثغر جندي ولا ينزل أحد في دار. وفي يوم الخميس مستهل ذي القعدة: دخل السلطان إلى المدينة من باب رشيد، فتلقاه الناس بالسرور والفرح والدعاء. واستدعى السلطان بالخزائن والأمتعة، وشرع في تعبئة ما يعيبه للأمرء على قدر مراتبهم، ورسم بمكاتب يرد مال السهمين وصله أرزاق الفقراء، وسامح بما كان يؤخذ من أهل الإسكندرية وهو ربع دينار عن كل قنطار يباع من [...] (١) [...] ولعب بالكرة وخلع على الأمراء، وأعطى الأتابك ثلاثة آلاف دينار وأعطى الأمراء على حسب مراتبهم، وركب لزيارة الشيخ المعتقد محمد بن منصور بن يحيى أبي القاسم القباري، فلم يمكنه من الطلوع إليه ولم يكلمه إلا وهو في البستان والشيخ في عليته، ثم مضى لزيارة الشيخ الشاطبي (٢).

وحضر إلى السلطان رجلان من أهل الثغر: أحدهما يقال له ابن البورى والآخر يعرف بالمكرم بن الزيات، ومعهما أوراق تتضمن استخراج أموال ضائعة فاستدعى السلطان في يوم الثلاثاء سادسه الأتابك والصاحب والقضاة والفقهاء وأمرت فقرئت وصار كلما ذكر له باب مظلمة سده ويعود على المذكورين بالإنكار، حتى انتهت القراءة. فقال: «اعلموا أنى تركت لله تعالى ستمائة ألف دينار من التصحيح والتقويم والراجل والعبد والجارية وتقويم النخل فعوضنى الله من الحلال أكثر من ذلك، وطلبت جرائد الحساب فزادت بعد حط المظالم جملة، ومن ترك شيئا لله عوضه الله خيرا» وأمر بإشهار ابن البورى.

وفي سابعه: قدم البريد من البيرة وحلب بأن جماعة مستأمنة وردت إلى الباب العزيز، عدتها فوق الألف وثلاثمائة فارس من المغل والبهادرية، فكتب بالإحسان إليهم. وفي يوم الخميس ثامننه: جلس السلطان بدار العدل، وأمر بتطهير الثغر من الخواطي (٣) الفرنجيات.

(١) ما بين المعقوفتين بياض فى الأصل.

(٢) محمد بن سليمان بن محمد المعافى أبوى عبد الله الشاطبي، ويقال له ابن أبى الربيع: عالم بالقراءات. مولده شاطبة، تفقه وروى الحديث فى الأندلس والشام والحجاز ومصر وانقطع للعبادة فى الإسكندرية فتوفى بها. انظر: نفع الطيب ١/٣٩٤ والنجوم الزاهرة ٧/٢٤٣، ٢٤٥، والواقى للوفيات ١٢٨ / ٣ والأعلام ١٥٠ / ٦

(٣) على هامش ط: جمع خاطبة، وهى المرأة الداعرة.

وفي ثامن عشره: سار السلطان من الإسكندرية يريد القاهرة، فنزل تروجة وأمر عربانها بالسباق بين يديه، فاجتمه ألف فارس من عرب تروجة، وانضم إليها جملة من خيل العسكر. وعين السلطان لهم المدى، ووقف على تل، وأوقف الرماح وعليها الثياب الأطلس والعتابي وفيها المال. فأقبلت الخيل، وأخذ كل راكب سبق ما فرض له. ثم سار السلطان إلى قلعة الجبل، فلما وصل فوض قضاء الثغر للفقير برهان الدين إبراهيم بن محمد على البوشى المالكي، وكان زاهدا عابدا يأوى إلى مسجد بمصر؛ وفوض الخطابة لمقاضي زين الدين أبي الفرج محمد بن القاضي الموفق بن أبي الفرج الإسكندري الذي كان حاكما بالثغر.

وفي آخر ذى العقدة: نزل السلطان إلى القاهرة، وعاد الأمير سيف الدين قلاوون الألفي، والأمير علاء الدين الحاج أيدغدى الركني، والأمير حسام الدين بن بركة خان. وفي ليلة الأربعاء خامس ذى الحجة: توفي الأمير حسام الدين بن بركة خان، فحضر السلطان جنازته ومشى فيها مع الناس.

وفي سادسه: وصلت التتار المستأمنة، وأعيانهم كرمون وأمطغية ونركيه وجبرك وقيان وناسيسة وطيشور ونبتو وصبحي وجرجلان واجقرقا وارقرق وكراى وصلاغيه ومتقدم وصراغان. فركب السلطان إلى تلقيهم فنزلوا عند مشاهدته عن خيولهم وقبلوا الأرض وهو راكب فأكرمهم وعادوا إلى القلعة.

وفي ثامنه: خلع عليهم السلطان، ونزل إلى تربة ابن بركة خان. ثم وردت الكعب بقدم طائفة أخرى، فأحتفل بهم وركب لتلقيهم. ثم وردت طائفة ثالثة، فاعتمد معهم مثل ذلك وأمر أكابره، وعرض عليهم الإسلام فأسلموا وختنوا بأجمعهم.

واتفق أن الأمير بهاء الدين أمير آخور ضرب بعض دلالى سوق الخيل، فمات قلاوون واستتر عنده فدخل قلاوون على الأتابك فى أمره، وأخرج لأولاد الميت من ماله خمسة آلاف درهم ومائة أردب غلة وكسوة، فأبرؤه وأقروا أن أباهم مات بقضاء الله وقدره.

ودخل الأتابك إلى السلطان وحدثه فى ذلك، فاشتد غضبه، فقال له الأتابك: «تغضب والشرع معنا! فإن كان قد قتله عمداً أو خطأ فقد أبرأ الأولياء». وتحدث الأمراء فى العفو عنه فغفه، وأمر بعمل جامع من الثياب المفصلة بضرب على يمين الخيمة السلطانية فعمل ونصبت؟ وأبرايه وعملت فيه مقصورة برسم السلطان.

وفي هذه السنة: جدت دار العدل تحت قلعة الجبل، وجلس بها السلطان فى يومى الخميس والإثنين لعرض العساكر. وفيها وردت هدية من بلاد اليمن.

وفيهما أمر بتنصيب أربعة قضاه نوابا لقاضى القضاة تاج الدين ابن بنت الأعز، فاستتاب حنفيا ومالكيا وشافعيًا ولم يجد من يستنيه من الحنابلة فولى نائبًا حنبليًا.

وفيهما جهز السلطان عرب خفاجة بالخلع إلى أكابر أهل العراق، وكتب إلى صاحب شيراز وغيره يغويهم بهولاكو، وألبس عدة من أمراء خفاجة الفتوة، وجهز معهم الأمير عز الدين إلى شيراز.

وفيهما جهز السلطان فى البحر جماعة من البنائين والنجارين والنشارين والعتالين، وعدة أخشاب وغيرها من الآلات، برسم عمارة الحرم النبوى. وعُملت كسوة الكعبة على العادة، وحملت على البغال وطيف بها فى القاهرة ومصر، وركب معها الخواص وأرباب الدولة والقضاة، والفقهاء والقراء والصوفية والخطباء والأئمة. وسفرت إلى مكة فى العشر الأوسط من شوال، وفوضت عمارة الحرم لزين بن البوزى.

وفيهما جمع الفرنسيس ملك الفرنج عساكره يريد أخذ دمياط، فأشار عليه أصحابه يقصد تونس أولاً، ليسهل أخذ دمياط بعدها. فسار إلى تونس ونازها حتى أشرف على أخذها، فبعث الله فى عسكره وباء هلك فيه هو وعدة من أكابر أصحابه، وعاد من بقى منهم.

* * *

ومات فى هذه السنة

الأمير الكبير مجير الدين أبو الهيجاء بن عيسى بن خشتزين الأركسى الكردى بدمشق.

وتوفى عز الدين أبو محمد عبد الرزاق بن رزق الله بن أبى بكر بن خلف الرسغى الحنبلى، شيخ البلاد الجزائرية، بسنجار عن اثنتين وسبعين.

وتوفى علم الدين أبو محمد بن أحمد بن موفق جعفر المرسى اللورى بدمشق، وقد انتهت إليه مشخية الإقراء، عن ستين سنة.

* * *

المحتويات

| | |
|-----|--|
| ٣ | مقدمة التصحيح..... |
| ١٠٤ | فصل ذكر ما كان عليه الكافة قبل قيام ملة الإسلام..... |
| ١٠٤ | فصل ذكر القائمين بالملة الإسلامية من الخلفاء..... |
| ١٠٤ | فصل ذكر ما كان عليه الكافة قبل قيام ملة الإسلام..... |
| ١٠٧ | فصل ذكر القائمين بالملة الإسلامية من الخلفاء..... |
| ١٢٩ | ذكر دولة بنى بويه الديلم..... |
| ١٣٦ | ذكر دولة السلجوقية..... |
| ١٤٨ | السلطان الملك الناصر صلاح الدين..... |
| ١٥٧ | سنة ثمان وستين وخمسمائة..... |
| ١٦١ | سنة تسع وستين وخمسمائة..... |
| ١٦٧ | سنة سبعين وخمسمائة..... |
| ١٧١ | سنة إحدى وسبعين وخمسمائة..... |
| ١٧٣ | سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة..... |
| ١٧٥ | سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة..... |
| ١٧٧ | سنة أربع وسبعين وخمسمائة..... |
| ١٧٩ | ودخلت سنة خمس وسبعين وخمسمائة..... |
| ١٨٣ | ودخلت سنة ست وسبعين وخمسمائة..... |
| ١٨٥ | ثم دخلت سنة سبع وسبعين وخمسمائة..... |
| ١٨٩ | سنة ثمان وسبعين وخمسمائة..... |
| ١٩٣ | سنة تسع وسبعين وخمسمائة..... |
| ١٩٧ | سنة ثمانين وخمسمائة..... |
| ١٩٩ | تمت سنة ثمانين وخمسمائة..... |
| ٢٠٣ | سنة إحدى وثمانين وخمسمائة..... |
| ٢٠٥ | سنة اثنتين وثمانين وخمسمائة..... |
| ٢٠٧ | سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة..... |

| | |
|----------|---|
| ٢١٣..... | سنة أربع وثمانين وخمسمائة..... |
| ٢١٥..... | سنة خمس وثمانين وخمسمائة..... |
| ٢١٧..... | سنة ست وثمانين وخمسمائة..... |
| ٢١٩..... | سنة سبع وثمانين وخمسمائة..... |
| ٢٢٣..... | سنة ثمان وثمانين وخمسمائة..... |
| ٢٢٧..... | سنة تسع وثمانين وخمسمائة..... |
| ٢٢٨..... | السلطان الملك العزيز عماد الدين..... |
| ٢٣١..... | سنة تسعين وخمسمائة..... |
| ٢٣٧..... | سنة إحدى وتسعين وخمسمائة..... |
| ٢٤٣..... | سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة..... |
| ٢٥١..... | سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة..... |
| ٢٥٣..... | سنة أربع وتسعين وخمسمائة..... |
| ٢٥٧..... | سنة خمس وتسعين وخمسمائة..... |
| ٢٥٨..... | السلطان الملك المنصور ناصر الدين..... |
| ٢٦٣..... | سنة ست وتسعين وخمسمائة..... |
| ٢٦٥..... | السلطان الملك العادل سيف الدين أبو بكر بن أيوب..... |
| ٢٦٧..... | سنة سبع وتسعين وخمسمائة..... |
| ٢٧١..... | سنة ثمان وتسعين وخمسمائة..... |
| ٢٧٣..... | سنة تسع وتسعين وخمسمائة..... |
| ٢٧٥..... | سنة ستمائة..... |
| ٢٧٧..... | سنة إحدى وستمائة..... |
| ٢٧٩..... | سنة اثنتين وستمائة..... |
| ٢٨١..... | سنة ثلاث وستمائة..... |
| ٢٨٣..... | سنة أربع وستمائة..... |
| ٢٨٧..... | سنة خمس وستمائة..... |
| ٢٨٩..... | سنة ست وستمائة..... |
| ٢٩١..... | سنة سبع وستمائة..... |
| ٢٩٣..... | سنة ثمان وستمائة..... |
| ٢٩٥..... | سنة تسع وستمائة..... |
| ٢٩٧..... | سنة عشر وستمائة..... |

| | |
|----------|--------------------------------------|
| ٢٩٧..... | تتمة سنة عشر وستمائة..... |
| ٢٩٩..... | سنة إحدى عشر وستمائة..... |
| ٣٠١..... | سنة اثنتى عشرة وستمائة..... |
| ٣٠٥..... | سنة ثلاث عشرة وستمائة..... |
| ٣٠٧..... | سنة أربع عشرة وستمائة..... |
| ٣٠٩..... | سنة خمس عشرة وستمائة..... |
| ٣١٣..... | السلطان الملك الكامل ناصر الدين..... |
| ٣١٩..... | سنة ست عشرة وستمائة..... |
| ٣٢٣..... | سنة سبع عشرة وستمائة..... |
| ٣٢٧..... | سنة ثمان عشرة وستمائة..... |
| ٣٣٣..... | سنة تسع عشرة وستمائة..... |
| ٣٣٥..... | سنة عشرين وستمائة..... |
| ٣٣٧..... | سنة إحدى وعشرين وستمائة..... |
| ٣٣٩..... | سنة اثنتين وعشرين وستمائة..... |
| ٣٤٣..... | سنة ثلاث وعشرين وستمائة..... |
| ٣٤٥..... | سنة أربع وعشرين وستمائة..... |
| ٣٤٩..... | سنة خمس وعشرين وستمائة..... |
| ٣٥٣..... | سنة ست وعشرين وستمائة..... |
| ٣٥٩..... | سنة سبع وعشرين وستمائة..... |
| ٣٦٣..... | سنة ثمان وعشرين وستمائة..... |
| ٣٦٥..... | سنة تسع وعشرين وستمائة..... |
| ٣٦٧..... | سنة ثلاثين وستمائة..... |
| ٣٦٩..... | سنة إحدى وثلاثين وستمائة..... |
| ٣٧١..... | سنة اثنتين وثلاثين وستمائة..... |
| ٣٧٧..... | سنة أربع وثلاثين وستمائة..... |
| ٣٧٩..... | سنة خمس وثلاثين وستمائة..... |
| ٣٨٩..... | سنة ست وثلاثين وستمائة..... |
| ٣٩٥..... | سنة سبع وثلاثين وستمائة..... |
| ٤٠٥..... | سنة ثمان وثلاثين وستمائة..... |
| ٤١١..... | سنة تسع وثلاثين وستمائة..... |

| | |
|-----|--|
| ٤١٥ | سنة أربعين وستمائة |
| ٤١٧ | سنة إحدى وأربعين وستمائة |
| ٤١٩ | سنة اثنتين وأربعين وستمائة |
| ٤٢٣ | سنة ثلاث وأربعين وستمائة |
| ٤٢٧ | سنة أربع وأربعين وستمائة |
| ٤٣١ | سنة خمس وأربعين وستمائة |
| ٤٣٣ | سنة ستة وأربعين وستمائة |
| ٤٣٣ | سنة ستة وأربعين وستمائة |
| ٤٣٧ | سنة سبع وأربعين وستمائة |
| ٤٤٨ | السلطان الملك المعظم غياث الدين تورانشاه |
| ٤٥٥ | سنة ثمان وأربعين وستمائة |
| ٤٥٩ | الملكة عصمة الدين أم خليل شجر الدر |
| ٤٦٣ | الملك المعز عز الدين أيك الجاشنكير التركمانى الصالحى |
| ٤٧٥ | سنة تسع وأربعين وستمائة |
| ٤٧٧ | سنة خمسين وستمائة |
| ٤٧٩ | سنة إحدى وخمسين وستمائة |
| ٤٨٣ | سنة اثنتين وخمسين وستمائة |
| ٤٨٧ | سنة ثلاث وخمسين وستمائة |
| ٤٨٩ | سنة أربع وخمسين وستمائة |
| ٤٩٣ | سنة خمس وخمسين وستمائة |
| ٤٩٥ | الملك المنصور نور الدين على بن الملك المعز أيك |
| ٤٩٩ | سنة ست وخمسين وستمائة |
| ٥٠٥ | سنة سبع وخمسين وستمائة |
| ٥٠٧ | الملك المظفر سيف الدين قطز |
| ٥١١ | سنة ثمان وخمسين وستمائة |
| ٥٢٠ | الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقدارى |
| ٥٢٥ | سنة تسع وخمسين وستمائة |
| ٥٤١ | سنة ستين وستمائة |
| ٥٤٧ | سنة إحدى وستين وستمائة |

السؤال والى

لمعرفة دول الملوك

تأليف
تقي الدين أبي العباس أحمد بن علي بن عبد القادر
البيدي المقرئ
المتوفى سنة ٨٤٥ هـ

تحقيق
محمد عبد القادر عطا

الجزء الثاني

سنة ١٦٦٢ هـ - ١٧١٧ هـ

منشورات

محرر إلى بيضون

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

جميع الحقوق محفوظة

جميع حقوق الملكية الادبية والفنية محفوظة لدار الكتب العلمية بيروت - لبنان ويحظر طبع أو تصوير أو ترجمة أو إعادة تفهيد الكتاب كاملاً أو جزءاً أو تسجيله على أشرطة كاسيت أو إدخاله على الكمبيوتر. أو برمجته على اسطوانات ضوئية إلا بموافقة الناشر خطياً.

Copyright ©
All rights reserved

Exclusive rights by DAR al-KOTOB al-ILMIYAH Beirut - Lebanon. No part of this publication may be translated, reproduced, distributed in any form or by any means, or stored in a data base or retrieval system, without the prior written permission of the publisher.

الطبعة الأولى

١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م

دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

العنوان : رمل الظريف، شارع البحتري، بناية ملكارت
تلفون وفاكس : ٣٦٤٣٩٨ - ٣٦١١٢٥ - ٦٠٢١٣٣ (١ ٩٦١) ٠٠
صندوق بريد : ٩٤٢٤ - ١١ بيروت - لبنان

DAR al-KOTOB al-ILMIYAH
Beirut - Lebanon

Address : Ramel al-Zarif, Bohtory st., Melkart bldg., 1st Floor.
Tel. & Fax : 00 (961 1) 60.21.33 - 36.61.35 - 36.43.98
P.O.Box : 11 - 9424 Beirut - Lebanon

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سنة اثنتين وستين وستمائة

استفتح السلطان هذه السنة بالجلوس في دار العدل فأحضرت إليه ورقة مختومة مع خادماً أسود تتضمن مرافعة في شمس الدين شيخ الحنابلة، أنه يبغض السلطان ويتمنى زوال دولته، لأنه ما جعل للحنابلة نصيباً في المدرسة التي أنشأها بجوار قبة الملك الصالح، ولا ولي حنبلياً قاضياً، وذكر أشياء فادحة فيه. فبعث السلطان بها إلى الشيخ، فأقسم أنه ما جرى منه شيء، «وإنما هذا الخادم طرده من خدمتي». فقال السلطان: «ولو شتمتني أنت في حل» وأمر فضرب الخادم مائة عصا.

وفي المحرم: نودي بالقاهرة ومصر أن امرأة لا تتعمم بعمامة ولا تتزيا بزى الرجال، ومن فعلت ذلك بعد ثلاثة أيام سلبت ما عليها من الكسوة وطلب الطواشي شجاع الدين مرشد الحموى إلى قلعة الجبل، وأنكر عليه السلطان اشتغال مخدومه صاحب حماة باللهو، وقرّر معه إلزام الأجناد بإقامة البزك وتكميل العدد، وكتب له تقليداً وسافر إلى حماة. وقدم للأمير جلال الدين يشكر ابن الدوادار المجاهد دوادار الخليفة ببغداد - وكان قد تأخر حضوره فأحسن إليه السلطان وأعطاه إمرة طبلخاناه.

وفي يوم الأحد الخامس من صفر: اجتمع أهل العلم بالمدرسة الظاهرية بين القصرين عند تمام عمارتها، وحضر القراء وجلس أهل كل مذهب في إيوانهم. وقوّض تدريس الحنفية للصدر مجد الدين عبد الرحمن بن الصاحب كمال الدين بن العديم، وتدرّس الشافعية للشيخ تقي الدين محمد بن الحسن بن رزين، والتصدير لإقراء القرآن للفقهاء كمال الدين المحلى، والتصدير لإفادة الحديث النبوي للشيخ شرف الدين عبد المؤمن بن خلف الدمياطي.

وذكروا الدروس ومدّت الأسمطة، وأنشد جمال الدين أبو الحسين الجزار يومئذ:-

| | |
|------------------------------|-----------------------------------|
| ألا هكذا بينى المدارس من بنى | ومن يتغالى فى الثواب وفى الثنا |
| لقد ظهرت الظاهر الملك همة | بها اليوم فى الدارين قد بلغ المنى |
| تجمع فيها كل حسن مفرّق | فراقت قلوباً للأنام وأعيننا |
| ومد جاورت قبر الشهيد فنفسه | النفيسة منها فى سرور وفى هنا |
| وما هى إلا جنة الخلد أزلفت | له فى غد فاختار تعجيلها هنا |

وأُشِدَّ عِدَّةٌ مِنَ الشُّعْرَاءِ أَيْضًا وَمِنْهُمْ السَّرَاجُ الْوَرَّاقُ^(١)، وَالشَّيْخُ جَمَالُ الدِّينِ يَوْسُفُ ابْنَ الْخَشَّابِ، فَخَلَعَ عَلَيْهِمْ وَكَانَ يَوْمًا مَشْهُودًا. وَجَعَلَ السُّلْطَانُ بِهَذِهِ الْمَدْرَسَةِ خَزَانَةَ كُتُبِ جَلِيلَةَ، وَبَنَى بِجَانِبِهَا مَكْتَبًا لِلسَّبِيلِ، وَقَرَّرَ لِمَنْ فِيهِ مِنْ أَيْتَامِ الْمُسْلِمِينَ الْخُبْزَ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَالْكَسْوَةَ فِي فَصْلِ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ.

وَفِيهِ وَرَدَ الْخَبْرُ مَعَ الْحَاجِّ بِأَنَّهُ خُطِبَ لِلسُّلْطَانِ بِمَكَّةَ، وَأَنَّ الصِّدْرَ جَمَالُ الدِّينِ حُسَيْنُ ابْنِ الْمُوصِلِيِّ، كَاتِبُ الْإِنْشَاءِ الْمَتَوَجِّهِ إِلَى مَكَّةَ، تَسَلَّمَ مِفْتَاحَ الْكَعْبَةِ وَقَفَّلَهُ بِالْقَفْلِ الْمَسِيرِ صَحْبَتَهُ، وَأَبَاحَ الْكَعْبَةَ لِلنَّاسِ مَدَّةَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ بِغَيْرِ شَيْءٍ يُؤْخَذُ مِنْهُمْ. وَفِيهِ قُرِئَ كِتَابُ وَقْفِ الْخَانَ بِمَدِينَةِ الْقُدْسِ فِي مَجْلِسِ السُّلْطَانِ بِقَلْعَةِ الْجَبَلِ، وَحَضَرَ قَاضِي الْقَضَاةِ تَاجُ الدِّينِ ابْنُ بَنْتِ الْأَعْزِ قَرَأَتْهُ، وَكُتِبَ بِهِ عِدَّةُ نَسَخٍ. وَوَقَّفَ السُّلْطَانُ أَيْضًا اصْطِبَالَيْنِ تَحْتَ الْقَلْعَةِ، يَعْرِفُ أَحَدَهُمَا بِجَوْهَرِ النَّوْبِيِّ، عَلَى وَجْهِهِ الرِّبْرِ.

وَفِيهِ وَرَدَ الْخَبْرُ بِأَنَّهُ رُتِبَ بِمَدِينَةِ الْخَلِيلِ السَّمَاطُ وَالرُّوَاتِبُ لِلْمَقِيمِينَ وَالْوَارِدِينَ، وَكَانَ قَدْ بَطَلَ ذَلِكَ مِنْ مَدَّةِ أَعْوَامٍ كَثِيرَةٍ.

وَفِيهِ سَارَ السُّلْطَانُ إِلَى وَسِيمٍ^(٢) وَمَضَى إِلَى الْغَرْبِيَّةِ، فَصَارَ يَسِيرُ مَنفَرِدًا فِي خَفِيَّةٍ وَيَسْأَلُ عَنِ الْوَالِيِ الْغَرْبِيَّةِ الْأَمِيرِ بِنِ الْهَمَامِ وَعَنِ سِيرَةِ نَوَابِهِ وَغُلْمَانِهِ وَمُبَاشَرِيهِ، فَذَكَرَتْ لَهُ عَنْهُ سِيرَةٌ سَيِّئَةٌ، فَقَبِضَ عَلَيْهِ وَأَدَبَهُ وَأَقَامَ غَيْرَهُ، وَشُكِيَ إِلَيْهِ مِنْ ظَلَمِ بَعْضِ الْمُبَاشَرِينَ النَّصَارِيِّ، فَأَمَرَ بِهِ فَشُنِقَ مِنْ أَجْلِ أَنَّهُ تَكَلَّمَ بِمَا يَوْجِبُ ذَلِكَ. وَدَخَلَ السُّلْطَانُ دِمْيَاطَ، ثُمَّ عَادَ إِلَى أَشْمُومَ، وَسَارَ مِنَ الْمَنْزَلَةِ إِلَى الشَّرْقِيَّةِ. وَفِيهِ سَأَلَ الْفَرَنْجُ أَنْ يُؤْذَنَ لَهُمْ فِي زِرَاعَةِ مَا بِيَدِهِمْ مِنْ بِلَادِ الشَّامِ وَتَقْوِيَّتِهَا بِجَمَلَةٍ مِنَ الْغَلَالِ، فَتَقَرَّرَتْ الْهَدَنَةُ مَعَهُمْ إِلَى أَيَّامٍ، وَأُذِنَ لَهُمْ ذَلِكَ فَزَرَعُوا.

وَفِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ حَادِي عَشْرِيهِ: مَاتَ الْمَلِكُ الْأَشْرَفُ مَظْفَرُ الدِّينِ مُوسَى بِنِ الْمَلِكِ الْمَنْصُورِ أَبُو إِبْرَاهِيمَ بِنِ الْمَلِكِ الْجَاهِدِ شِيرْكُوهِ بِنِ الْأَمِيرِ نَاصِرِ الدِّينِ مُحَمَّدِ بِنِ أَسَدِ الدِّينِ شِيرْكُوهِ بِنِ شَادِي بِنِ مَرْوَانَ صَاحِبِ حَمَصَ، عَنْ غَيْرِ وَلَدٍ وَلَا أَخٍ وَلَا وَلِيٍّ عَبْدًا. فَبِعِثَ السُّلْطَانُ إِلَى الْأَمِيرِ عَزِ الدِّينِ بِيَلِيكِ الْعِلَاقِيِّ أَحَدِ الْأَمْرَاءِ، فَتَسَلَّمَهَا فِي سَابِعِ عَشْرِيهِ وَحَلَّفَ النَّاسَ بِهَا لِلْمَلِكِ الظَّاهِرِ، وَتَسَلَّمَ الرَّحْبَةَ أَيْضًا، وَبِعِثَ السُّلْطَانُ إِلَيْهَا عَشْرِينَ أَلْفَ دِينَارٍ عَيْنًا، وَوَلَّى مَدِينَةَ حِرَانَ الْأَمِيرَ جَمَالَ الدِّينِ الْجَاكِي، وَوَلَّى مَدِينَةَ الرَّقَّةِ أَمِيرًا

(١) عمر بن محمد بن حسن، أبو حفص، سراج الدين الوراق: شاعر مصر في عصره. كان كاتباً لواليتها الأمير يوسف بن سباسلار. له ديوان شعر الكبير، في سبعة مجلدات، اختار منه الصفيدي و«مع السراج - خ» وله «نظم درة الغواص - خ». و«شرح - خ» في أوقاف بغداد. توفي بالقاهرة. انظر: فوات الوفيات ٢: ١٠٧، والنجوم الزاهرة ٨: ٨٣ وآداب اللغة ٣: ١٠ والأعلام ٥/ ٦٣.

(٢) هي بلدة من مديرية الجيزة غربى ناحية إمبابة. انظر معجم البلدان ٤/ ٩٢٩.

آخر. وورد الخبر بأن متملك جزيرة دَهْلَك^(١) ومتملك جزيرة مَوَاكِن^(٢)، يتعرضان إلى أموال من مات من التجار فسير السلطان إليها أحد رجال الحلقة رسولا، ينكر عليهما. وفي هذه السنة: بلغ ثمن القرط^(٣) الذى قضمته الخيول السلطانية وجمال المناخات^(٤) بأرض مصر، ما مبلغه خمسون ألف دينار.

وفي هذه السنة: ارتفعت الأسعار بمصر، فبلغ الأردب القمح نحو المائة درهم نقرة، فأمر السلطان بالتسعير فاشتد الحال وعدم الخبز.

وبلغ القمح مائة درهم وخمسة دراهم الأردب، والشعير إلى سبعين درهما الأردب، والخبز ثلاثة أرتال بدرهم، واللحم كل رطل بدرهم وثلث، وبلغ بالإسكندرية الأردب القمح ثلاثمائة وعشرين درهما من الورق.

ثم اشتد الحال بالناس حتى أكلوا ورق اللفت والكرنب ونحوه، وخرجوا إلى الريف فأكلوا عروق الفول الأخضر.

فلما كان يوم الخميس سابع ربيع الآخر: نزل السلطان إلى دار العدل وأبطل التسعير، وكتب إلى الأهراء^(٥) ببيع خمسمائة أردب كل يوم لضعاء الناس، ويكون البيع

(١) جزيرة بينها وبين بلاد الحبشة نصف يوم فى البحر، وطول هذه الجزيرة مسيرة يومين، وحواليها ثلاثمائة جزيرة معمورة أهلها مسلمون، وإذا أتت الحبشة لمناجزتهم صعبدوا جبلا عاليا يقابل جزيرة دهلك وأوقدوا فيه نارا فيخرج المسلمون إليهم فى السفن، وإلى ساحل جزيرة دهلك هاجر أصحاب النبى ﷺ إلى النجاشى، وفى هذه الجزيرة مساجد جامعة وأحكام عادلة، وقد ولى القضاء فيها بعد الأربعمائة محمد بن يونس، مالكى من أهل الأندلس، ومن هذه الجزيرة يحمل العبيد والإماء من الحبشة إلى سائر الآفاق وأهل اليمن والحجاز ومكة يستحسنون اتخاذ السراى منهم ويفضلونهم على جميع ما يتخذون، وفى هذه الجزيرة فعاصى اللؤلؤ الجيد. انظر: الروض المعطار فى خير الأقطار ص ٢٤٤ وابن خلكان ٦ / ٣٠٠ وتقويم البلدان ٣٧١ ومعجم البلدان.

(٢) هى سواكن الحالية وتقع على الساحل البحر الأحمر وسواكن هذه بقرب جزيرة عيذاب وهى ذات مرسى ومنها تسير السفن إلى مدينة سواكن وهى مدينة عامرة فى ساحل بلاد البجاة وبلاد الحبشة ويخرج منها رقيق البجاة والحبشة واللؤلؤ الجيد، وفيها قطاط برية فى عظم الكلب الكبير تؤذى الناس، وأهلها مسلمون. انظر: معجم البلدان ٣ / ١٨٢ الروض المعطار فى خير الأقطار ص ٣٣٢ وتقويم البلدان ٣٧ ونخبة الدر ١٥١.

(٣) القرط هو: الذى تُعَلَّفُه الدوابُّ، وهو شبيه بالرُّطبة. انظر: لسان العرب (قرط).

(٤) المناخات جمع مناخ، وهى الأمكنة المخصصة لأنواع الجمال السلطانية.

(٥) فى اللسان الأهراء متاع البيت ووقع فى صبح الأعش: الأهراء السلطانية هى الأماكن التى

تخزن بها الغلال والأتيان الخاصة بالسلطان وهى مثل الشون، غير أنها توضع بها الغلال للطوارئ الاقتصادية أما الشون فيوضع فيها ما يستهلك. انظر: صبح الأعش ٤ / ٣٣.

من ويبتين إلى ما دون ذلك حتى لا يشتري من يخزن.

ونودى للفقراء فاجتمعوا تحت القلعة، ونزل الحجاب إليهم فكتبوا أسماءهم، ومضى إلى كل جهة حاجب فكتب ما بقى فى القاهرة ومصر من الفقراء، وأحضروا عدّتهم فبلغت ألوفا.

فقال السلطان: «والله لو كانت عندى غلة تكفى هذا العالم لفرقتها».

ثم أخذ ألوفا منهم، وأعطى لنواب ابنه الملك السعيد مثل ذلك، وأمر ديوان الجيش فكتب باسم كل أمير جماعة على قدر عدته، وأعطى الأجناد والمفاردة من الحلقة والمقدمين والبحرية، وعزل التركمان ناحية والأكراد ناحية. وأمر أن يعطى كل فقير كفايته مدّة ثلاثة أشهر، وأعطى للتجار طائفة من الفقراء، وأعطى الأغنياء على اختلاف طبقاتهم كل أحد بقدر حاله. وأمر أن يُفرّق من الشون السلطانية على أرباب الزوايا فى كل يوم مائة أردب، بعد ما يعمل خبزاً بجامع ابن طولون.

ثم قال السلطان: «هؤلاء المساكين قد جمعناهم اليوم وانقضى نصف النهار، فادفعوا لكل منهم نصف درهم يتقوت به خبزاً، ومن غدٍ يتقرر الحال» ففرّق فيهم جملة كبيرة.

وأخذ الصاحب بهاء الدين طائفة العميان، وأخذ الأتابك جماعة التركمان، فلم يبق أحد من الخواص ولا من الطاشى ولا من الحجاب، ولا من الولاة وأرباب المناصب وذوى المراتب وأصحاب المال، حتى أخذ جماعة من المساكين. وقال السلطان للأمير صارم الدين المسعودى والى القاهرة: «خذ مائة فقير أطعمهم لله». فقال الأمير: «قد فعلت ذلك، وأخذتهم دائماً». فقال السلطان: «ذلك فعلته ابتداء من نفسك، وهذه المائة خذها لأجلى» فأخذ مائة مسكين أخرى.

وشرع الناس فى فتح المخازن وتفرقة الصدقات، فانحط السعر عشرين درهما الأردب، وقلت الفقراء. واستمرّ الحال إلى شهر رمضان، فدخل المغل الجديد وانحل السعر فى يوم واحد أربعين درهما الأردب.

وفى اليوم الذى جلس فيه السلطان بدار العدل، رُفعت إليه قصة ضُمان دار الضرب فيها بوقف الدراهم، وسألوا إبطال الدراهم الناصرية، وأن ضُمانهم مبلغ مائتى ألف وخمسين ألف درهم، فأمر السلطان أن يحط من ضمانهم مبلغ خمسين ألف درهم، وقال: «لا تؤذى الناس فى أموالهم».

وفى العشرين من ربيع الآخر: كانت زلزلة عظيمة هدمت عدّة أماكن.

وفي ثالث عشره: رُسم بمساحة بنات الأمير حسام الدين لاجين الجوكندار العزيزي بما وجب للديوان في تركة أبيهن - وكان قد مات بدمشق في رابع عشر الحرم - وهو مبلغ أربعمئة ألف درهم نقرة، خارجا عن ماله من الأملاك والغلال والخيل. وكتب السلطان بذلك إلى الشام، وقصد بذلك أن يفهم أمراءه أن من مات في خدمته وحفظ ميمنه، ينظر في أمر ورثته ويبقى عليهم ما يخلفه.

ومات الأمير شهاب الدين القيمري نائب السلطنة بالفتوحات الساحلية، فأعطى ابنه إقطاعه وهو مائة طواش.

ولما أسر الفرنج الأمير شجاع الدين والى سَرْمِين^(١) أبقى السلطان إقطاعه بيد إخوته وغلمانه، كل ذلك استجلابا للقلوب.

وفيه ورد الخبر أن هيتوم ملك الأرمن جمع وسار إلى هرقله، ونزل على قلعة صرّخذ. فخرج اليريد من قلعة الجبل إلى حماة وحمص بالمسير إلى حلب، فخرجوا وأغاروا على عسكر الأرمن، وقتلوا منهم وأسروا. فانهزم الأرمن واستجدوا بالتتار، فقدم منهم من كان في بلاد الروم - وهم سبعمئة فارس - فلما وصلوا إلى حارم رجعوا من كثرة الثلج، وقد هلك منهم كثير.

ورود الخبر بأن خليج الإسكندرية قد انسدت وامتألت فوهته بالطين، وقل الماء في نغر الإسكندرية بهذا السبب، فسير السلطان الأمير عز الدين أمير جاندار فحفره، وبعث الأمير جمال الدين موسى بن يغمور الأستاذار لحفر بحر جزيرة بنى نصر عند قلة ريبها.

وفي جمادى الأولى: سافر الأمير سيف الدين بلبان الزينى أمير علم إلى الشام برسم تجهيز مهمات القلاع، وعرض عساكر حماة وحلب ورجال الثغور، وإلزام الأمراء بتكميل العُدّة والعُدّة، وإزاحة الأعذار بسبب الجهاد. وكتب على يده عدة تذاكر بما يعتمده، وأن يحمل من دمشق خزانة كبيرة إلى البيرة برسم نفقاتها. ورحلت جماعة من عرب خفاجة كانوا قد وردوا بكتب من جماعتهم بالعراق، يخبرون فيها بأنهم أغاروا على التتار حتى وصلت غاراتهم باب مدينة بغداد، ويخبرون بأحوال مدينة شيراز، فأجيبوا وأحسن إليهم. وفيه توجه قصاد إلى الملك بركة، وأسلم عالم كبير على يد السلطان من التتار الواصلين ومن الفرنج المستأمنين والأسرى ومن التوبة القادمين من عند ملكها، ففرّق فيهم في يوم واحد الأمير بدر الدين الخازندار مائة وثمانين فرسا.

(١) هي بلدة من أعمال حلب. انظر: معجم البلدان ٨٣/٣.

وفي جمادى الآخرة: قبض على جاسوسين من التتار. وتنجز اليرج الذى بناه السلطان فى قارة^(١)، وشرع فى بناء برج أكبر منه لحفظ الطرقات من عادية الفرنج.

واهتم ملك الأرمن بالمسير إلى بلاد الشام، وأعد ألف قياة تترى وألف سراقوج^(٢)، ألبسها الأرمن ليوهم أنهم نجدة من التتر ولما ورد الخبر بذلك خرج البريد إلى دمشق بخروج عسكرها إلى حمص، وخروج عسكر حماة، وألا يخرج عربان الشام فى هذه السنة إلى البرية. فخرجت العساكر، ووالت الغارات من كل جهة، فانهزم الأرمن، ونزل العسكر على أنطاكية فقتل وأسر وغنم، وأغار العسكر أيضا ببلاد الساحل على الفرنج حتى وصل إلى أبواب عكا.

وشرع السلطان البناء فى شقيف تيرون، وكان قد خرب من سنة ثمان وخمسين وستمائة، فلما تم بناؤه حمل إليه زردخاناه وذخائره، وبعث إلى عسكر الساحل مائتى ألف درهم فرقت فيهم. وورد البريد بأن جماعة من شيراز، ومن أمراء العراق وأمراء خفاجة، وصلوا وافدين إلى الأبواب السلطانية.

وفى أول رجب: رفعت قصة بأن على باب المشهد الحسينى مسجدا إلى جانبه موضع من حقوق القصر قد بيع بستة آلاف درهم حملت إلى الديوان. فأمر السلطان بردها وعمّل الجميع مسجدا، وأمر بعمارته، ووقف أحد الجنديين معه ذكر أنه وصيه، فقال السلطان لقاضى القضاة: «إن الأجناد إذا مات أحدهم استولى خشداشيته على موجوده، ويجعل اليتيم من الأوصياء، فإذا مات اليتيم أخذ الوصى موجوده، أو يكبر اليتيم فلا يجد شيئا ولا تقوم له حجة على موجوده، أو يموت الوصى فيذهب مال اليتيم فى ماله، والرأى أن أحدا من الأوصياء لا ينفرد بوصية، وليكن نظر الشرع شاملا، وأمواال اليتامى مضبوطة، وأمناء الحكم يحاققون على المضروف». وطلب السلطان نواب الأمراء ونقباء العساكر وأمرهم بذلك، فاستمر الحال عليه

وفى ثلثة: قدم الوافدون من شيراز، ومقدمهم الأمير سيف الدين بكلك، ومعهم سيف الدين اقتبار الخوارزمى جمدار جلال الدين خوارزم شاه، وغلمان أتاك سعد، وهم شمس الدين سنقرجاه ورفقته. ووصل صحبتهم مظهر الدين وشاح بن شهرى، والأمير حسام الدين حسين بن ملاح أمير العراق، وكثير من أمراء خفاجة. فتلقاهم السلطان بنفسه، وأعطى سيف الدين بكلك إمرة طبلخاناه، وأحسن إلى سائرهم.

(١) هى قرية جنوب حمص، على مسافة ستة وثلاثين ميلا منها، وتقع على الطريق بين حمص

ودمشق. انظر: معجم البلدان ١٢/٤، ١٣.

(٢) على هامش ط: هى قلنسوة تترية.

وفي شعبان: أمر السلطان الأمراء والأجناد والماليك بعمل العدد الكاملة، فوقع الاهتمام من كل أحد بعمل ذلك، وكثر الازدحام بسوق السلاح، وارتفع سعر الحديد وأجر الحدادين وصناع آلات السلاح، ولم يبق لأحد شغل إلا ذلك، حتى صار العسكر لا ينفق متحصله فى شىء سوى السلاح، ولا يشتغل أحد منهم إلا بنوع من أنواع الحرب كالرمح ونحوه، وتفننوا فى أنواع الفروسية. وورد كتاب أمير المدينة النبوية أنه سار مع كسوة الكعبة حتى علقها فى البيت.

وفى شهر رمضان: تنجزت كسوة قبر النبي ﷺ، وتعين سفرها مع الطواشى جمال الدين محسن الصالحى. ووقع الشروع فى تجهيز الشمع والبخور والزيت والطيب.

وخرج البريد إلى الأمير ناصر الدين القيمرى بالغارة على قيسارية^(١) وعثليث^(٢) فساق إلى باب عثليث ونهب وقتل وأسر، ثم ساق إلى قيسارية ففعل مثل ذلك بالفرنج. وكان الفرنج قد قصدوا يافا، فخافوا ورجعوا عنها.

وفيه جرى السلطان على عادته فى إجراء الصدقات مطابخ القاهرة ومصر برسم الفقراء، فكان يصرف فى كل ليلة من ليالى رمضان جملة كبيرة من الخبز واللحم المطبوخ، وجرى أيضاً على عادته فى عتق ثلاثين نسمة على عادة ملوك الماضين، سوى من أعتقه من مملكته. وورد الخبر بأن الفرنج أخذوا أخيدة كبيرة للمسلمين، فكتب إلى نواب الشام بالاجتهاد فى ردّها، فورد كتاب الأمير ناصر الدين القيسرى بأن الفرنج ردّوها، وكانت تشتمل على عالم كبير من الناس وجملة من المواشى. فسمع فى ساعة ردها من اختلاف الأصوات بدعاء الرجال والنساء وبكاء الأطفال، ما تكاد ترق له الحجارة.

وقدم البريد من البيرة أن صارم الدين بكتاش الزاهدى أغار على باب قلعة الروم مرارا.

وورد كتاب الملك شارل أخى الفرنسييس ملك الفرنج، ومعه هدية وكتاب

(١) مدينة بالشام على ساحل البحر كبيرة عظيمة لها ربع عامر وحصن منيع، بينها وبين يافا ثلاثون ميلا، وكانت من أمنع مدن فلسطين، افتتحها معاوية فى خلافة عمر بن الخطاب، فيها الكروم والبساتين وماؤها من العيون، ومنها تسقى كرومهم، وفى سنة سبع ومائة هـ افتتح مسلمة بن عبد الملك مدينة قيسارية عنوة، وتخرج منها فتسير فى رمال مقدار ثمانية فراسخ حتى تنتهى إلى مدينة صور. انظر: الروض المعطار فى خبر الأقطار ص ٤٨٦، نزهة المشتاق ١١٥ والمقدسى ١٤٧ واليعقوبى ٣٢٩ وعن فتحها على يد معاوية انظر فتوح البلدان ١٦٧. معجم البلد ٢١٤/٤.

(٢) حصن بساحل الشام بين حيفا وقيسارية. انظر: معجم البلدان ٦١٦/٣.

أستاداره: «بأن مندوبه أمره أن يكون أمرُ الملك الظاهر نافذاً في بلاده، وأن أكون نائب الملك الظاهر كما أنا نائبه».

وفي يوم الجمعة خامس عشره: قرئ مكتوب في جامع مصر بإبطال ما قرّر على ولاية مصر من الرسوم، وهي مائة ألف درهم وأربعة آلاف درهم نقرة. وورد الخبر بأن الأشكري عوّق الرسل إلى الملك بركة بالهدية عن المسير إليه، حتى هلك أكثر ما معهم من الحيوان، فأحضر السلطان البطاركة والأساقفة، وسألهم عن خالف الأيمان وما كتب به الأشكري، فأجابوا بأنه يستحق أن يحرم من دينه، فأخذ السلطان خطوطهم بذلك، وأخرج لهم حينئذ نسخ أيمان الأشكري، وقال: «إنه قد نكث بإمساك رسلي، ومال إلى جهة هولاءكو». ثم جهز إليه الراهب الفيلسوف اليوناني، ومعه قسيس وأسقف، بحرمانه من دينه، وكتب له كتاباً أغلظ فيه. وكتب السلطان أيضاً إلى الملك بركة كتاباً وسيره إلى الأمير فارس الدين أقوش المسعودي المتوجه بالهدية إلى الملك بركة. فلما وصلوا إلى الأشكري أطلقهم لوقت، فساروا إلى الملك بركة.

وقدم البريد من البلاد الشامية بأن عدّة من التتار ومن الأتراك والبغاددة قد قصدوا البلاد مستأمنين، فأمر السلطان بجمع الأمراء وأعلمهم بذلك، وقال: «أخشى أن يكون في مجيئهم من كل جهة ما يستراب منه، والرأى أن نخرج إليهم، فإن كانوا طائعين عاملناهم بما ينبغى، وإلا فنكون على أهبة. ومن احتاج من العسكر إلى شيء أعطيته، وما أنا إلا كأحدكم يكفيني فرس واحد، وجميع ما عندي من خيل وجمال ومال كله لكم ولمن يجاهد في سبيل الله».

فأشار الأمراء عليه بسلطنة ولده، ليكون مقيماً بديار مصر في غيبته.

فلما كان يوم الخميس ثالث عشر شوال: أركب السلطان ابنه الملك السعيد بشعار السلطنة، وخرج بنفسه في ركابه وحمل الغاشية راجلاً بين يديه، فأخذها منه الأمراء، ورجع إلى مقر ملكه ولم تزل الأمراء والعساكر في خدمته إلى باب النصر، ودخلوا به من القاهرة رجالة يحملون الغاشية، وقد زينت المدينة أحسن زينة، واهتم الأمراء بنصب القباب: فسار الملك السعيد، والأمير عز الدين أيدير الحلبي راكباً إلى جانبه وقد تقرّر أن يكون أتاكبه، والنياب الأطلس والعتابي تفرش تحت فرسه، حتى عاد إلى قلعة الجبل ولم يبق أمير حتى فرش من جهته الثياب الحرير، فاجتمع من ذلك أحمال تفرّقها المماليك السلطانية. وكتب القاضي محبى الدين بن عبد الظاهر تقليد الملك السعيد، بتفويض عهد السلطنة له.

وفي يوم الإثنين سابع عشره: اجتمع الأمراء والقضاة والفقهاء، وقرئ التقليد المذكور، وشُرع في ختان الملك السعيد، فأمر السلطان الناس بالتأهب للعرض عليه بالأسلحة وآلات الحرب. وقدمت طائفة من جهة التتار المستأمنة، فكذب السلطان إلى أمراء خفاجة بخدمتهم. وظهر كوكب الذؤابة بالشرق وذؤابته نحو الغرب. وصار يطلع قبيل الفجر، ويتقدم قليلا قليلا حتى صار يطلع مرتفعا، وأضاء ذنبه كثيرا ولم يتغير عن منزلة الهقمة وبعده منها إلى جهة المشرق نحو رمح طويل. واستمر من آخر رمضان إلى أول ذي القعدة، وكان يظهر له قبل بروزه شعاع عظيم في الجو، وظهر أيضا في الغرب مما يلي الشمال، بعد عشاء الآخرة في ليال عديدة من أخريات رمضان وأوائل شوال، خطوط مضيئة شبه الأصابع مرتفعة في جو السماء. واحمرّت الشمس في رابع شوال قبيل الغروب، وذهب ضوءها حتى صارت كأنها منكسفة إلى أن غربت، فلما كان بعد عشاء الآخرة أصاب القمر مثل ذلك.

وأحضر من المقس ظاهر القاهرة طفل ميت، له رأسان وأربع أعين وأربع أرجل وأربع أيدي، وُجد بساحل المقس.

وفيه قتل الملك المغيث فتح الدين عمر بن الملك العادل صاحب الكرك، وورد الخبر بوصول الرسل إلى الملك بركة، وإكرامه إياهم وتجهيزه لهم.

وفي أول ذي القعدة: جلس السلطان لعرض العساكر عند طلوع الشمس، وقد ملأوا الدنيا، فساق كل أمير في طلبه وهو لايس لامة حربه، وجرّوا الجنائب وعليها عدد الحرب، وأمر السلطان ألا يلبس أحد في هذا اليوم إلا شعار الحرب. فما زال السلطان جالسا على الصفة التي بجانب دار العدل، والعساكر تسوق وهي لابسة، وديوان الجيش بين يديه، والعساكر تعبر خمسة، ثم عبرت عشرة عشرة. وكاد الناس يهلكون من الزحام وحُمّ الحديد، فعبروا بغير حساب. وهلك عدة من الناس في الزحام، منهم أيك مملوك الأمير عز الدين أيدمر الحلبي، فدفن ثم نبش ودفن في قبر آخر. فقال في ذلك القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر:

ما نقلوا أيك من قبره لحادث كلاً ولا عن ثبور
لكبه في يوم عرض قضى والعرض لا بد له من نشور
وأراد السلطان بركوب العسكر في يوم واحد حتى لا يقال إن أحدا استعار شيئا، فكان من يعرض يدخل من باب القرافة، ويخرج من جهة الجبل إلى باب النصر إلى

الدهليز المضروب هناك. فلما قرب غروب الشمس ركب السلطان بقباء أبيض لا غير، وساق في وسط العساكر اللابسة - ومعه يسيرٌ من سلاح داريته وخواصه - إلى الدهليز، فنزل به ورتب المنازل، ثم عاد إلى القلعة وقت المغرب. ثم إن الناس اهتموا باللعب، ولَبَسُوا خيولهم النَّشَاهِيرَ^(١) والبرلسم^(٢) البحرية، والمراوات^(٣) والأهلة الذهب والفضة، والأطلس الخطابي^(٤).

ونزل السلطان وجانبه تجر، فكان منظرا يبهر العيون حسنه. وكان الذى دخل فى المراوات من البنود الأطلس الأصفر قيمته عشرة آلاف دينار، وما تجدد بعد ذلك لا يحصى. وساق السلطان إلى ميدان العيد وقُدَّامه جنائبه، وشَرَطَ لكل أمير يصيب القَبْقُ^(٥) فرسا من الجنائب بما عليه من التشاهير، وخلعة لكل مفردى أو مملوك أو جندى. وساق هو والأمراء، ثم المفاردة والبحرية والظاهرية والحلقة والأجناد، ودخل الناس بالرماح بكره النهار. ونزل السلطان وقت الصلاة للصلاة وإطعام الطعام، ثم ركب الناس ولبسوا، وركب السلطان لرمى الشباب وأعطى وخلع.

وفي هذا اليوم: حضر رسل الملك بركة، فشاهدوا من كثرة العساكر وحسن زيهم واهتمام السلطان وبهجة الخيول وجلالة الفرسان ما بهر عقولهم، ووقفوا بجانب السلطان يشاهدون حركات العساكر وإصابة رميها. واستمر ذلك أياما.

وفي تاسعه: خلع السلطان على الملوك والأمراء والبحرية والحجاب والحلقة، وأرباب العمائم والوزراء والقضاة وذوى البيوت، وحضروا بالخلع، واستمر اللعب بقية النهار. فسألت الرسل عن العساكر، هل هى عساكر مصر والشام، فقبل لهم: «هذا عسكر مصر فقط، غير من فى الثغور مثل إسكندرية ودمياط ورشيد وقوص، والمجردين والذين سافروا فى إقطاعاتهم». فكثرت تعجبهم من ذلك.

وفي عاشره: عمل السباط بقلعة الجبل، وحضر الملك السعيد وفى خدمته أولاد الملوك وأولاد الأمراء. فختن الملك السعيد، ثم ختن ابن الأمير عز الدين الحلبي الأتابك، وابن الأمير شمس الدين سنقر الأشقر الرومى، وابن الأمير سيف الدين سكر، وابن حسام الدين ابن بركة خان، وابن الملك المجاهد ابن صاحب الموصل، ثم أولاد الملك المغيث صاحب الكرك الثلاثة، وابن فخر الدين الحمصى، وعدة من أولاد الأمراء.

(١) هى الأشرطة التى توضع حول صدر الحصان.

(٢) هى السروج الحربية.

(٣) هى قطع المعدن التى يزان بها سرج الحصان.

(٤) هى نوع من أنواع الحرير يصنع فى تيريز. انظر: معجم البلدان ١ / ٨١٢.

(٥) وصف المصنف فى خطظه هذه اللعبة ٢ / ١١١ بأنها من ألعاب الرماية.

وكان ذلك بعدما عمل لعدة من الأيتام وأبناء الفقراء بمصر والقاهرة كسوة، فأحضرُوا في هذا اليوم وختنوا. ومنع السلطان الأمراء والخواص من التقدمة التي جرت العادة بها للملوك في مثل هذا المهم، فلم يقدم أحد من الخاصة شيئاً ألبتة.

ولما انقضى هذا المهم خرج السلطان إلى الطرَّانة^(١) وسار إلى وادي هُيب^(٢) ونزل الأديرة التي هناك، ومضى إلى تروجة وسار منها إلى الحمامات، وسلك إلى العقبة وضرب الحلقة برسم الصيد، وأدركه عيد النحر هناك. ووجد جماعة لأخذ عربان بلغه كثرة فسادهم، وأحضر هوارة وعرب سليم، وألزمهم بإشهاد كتب عليهم بعمارة البلاد، وألا يؤوا أحداً من أهل الفساد. ثم عاد إلى ثغر الإسكندرية، وعمّ المفاردة والأمراء والخواص بتفرقة المال والقماش، ولعب الكرة بالميدان، وزار الشاطبي. ثم سار إلى القاهرة، فنزل تروجة، ورسم بتقديم سيف الدين عطا الله بن عزار على عرب برقة، وألزمه بجباية زكاة المواشى وأخذ عُشر الزروع والثمار بفريضة الله، فالتزم بذلك. وأنعم عليه بسنجد ونقارات، وتوجه لحفظ البلاد واستخرج الزكاة والعشور من العربان ببرقة.

ووصل السلطان إلى قلعة الجبل، فقدم شحنة تكريت بجماعة. وجهاز السلطان الأمير أمين الدين موسى بن التركمانى، ومعه عدة من الرماة والمقاتلة. وخزانة مال وعدة خلع، وكثير من أمراء عربان الكرك وبحريتها، ومبلغ من الغلال والذخائر. فساروا إلى خيبر واستولوا على قلعتها.

وكثر في هذه السنة قتل الناس في الخليج، وفقد جماعة، والتبس الأمر في ذلك. ثم ظهر بعد شهر أن امرأة جميلة يقال لها غازية كانت تخرج بزيتها ومعها عجوز، فإذا تعرض لها أحد قالت له العجوز: «لا يمكنها المصير إلى أحد، ولكن من أرادها فليأت منزلنا»، فإذا وافى الرجل إليها خرج إليه رجال فقتلوه وأخذوا ما معه. وكانت المرأة في كل قليل تنتقل من منزل إلى منزل، حتى سكنت خارج باب الشعيرة على الخليج. فأتت العجوز إلى ماشطة مشهورة بالقاهرة واستدعتها إلى فرح، فسارت الماشطة معها بالحللى على العادة ومعها جاريتها، ودخلت الماشطة وانصرفت جاريتها، فقتل الجماعة الماشطة وأخذوا ما كان معها. وجاءت جاريتها إلى الدار تطلب مولاتها فأنكروها، فمضت إلى الوالى وعرفته الخير، فركب إلى الدار وهجمها فإذا بالصبية والعجوز، فقبض عليهما وعرضهما على العذاب، فأقرتا فحبسهما. واتفق أن رجلاً خارجاً لفقده

(١) هي بلدة واقعة على الشاطئ الغربى لفرع رشيد. انظر: الخطط التوفيقية ١٣/٣٤.

(٢) هو وادى النطرون. انظر: الخطط التوفيقية ٤٨/١٧.

أحواهما، فقبض عليه وعوقب فدل على رفيقه، فإذا هو صاحب أقمنة طوب فعوقب أيضا. فوجد أنهم كانوا إذا قتلوا أحدا ألقوه في القمين حتى تحترق عظامه، وأظهروا من الدار حفائر قد ملئت بالقتلى، فسُمروا جميعا. ثم انطلقت المرأة بعد يومين، فأقامت قليلا وماتت، ثم عملت الدار التي كانوا بها مسجدا، وهو المعروف بمسجد الخنّاقه.

وفي هذه السنة: وقف السلطان عدّة قرى بأعمال الشام والقدس، لصرف ريعها في خبز ونعال لمن يرد إلى القدس من المشاة، ومبلغ فلوس. وأنشأ خاننا وفرنا وطاحونا، وجعل النظر في ذلك للأمير جمال الدين محمد بن نهار.

وفيها قبض الأشكري صاحب قسطنطينية على عز الدين كيكاس بن كيخسرو بن كيقباد صاحب بلاد الروم. وسبب وجود عز الدين عند الأشكري هو اختلافه مع أخيه ركن الدين قليج أرسلان، حتى غلبه أخوه ففر منه، وملك أخوه ركن الدين قليج أرسلان بلاد الروم. فمضى عز الدين إلى الأشكري، فأواه وأنزله ومن معه من الأمراء، وقام بأمرهم مدة، حتى بلغه أنهم قصدوا قتله وأخذ الملكة منه، فقبض عليهم واعتقل عز الدين، وكحل أصحابه كلهم فأعماهم.

وفيها ولي محيي الدين أبو المكارم محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن علوان بن الأستاذ الأسدي الشافعي قضاء حلب، عوضا عن ابن عمه كمال الدين أبي بكر أحمد المتوفى.

* * *

ومات في هذه السنة من الأعيان

الملك المغيث عمر بن العادل أبي بكر بن الكامل محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب ابن شادي صاحب الكرك، مقتولا بقلعة الجبل، عن ثلاثين سنة.

ومات الملك الأشرف موسى بن المنصور بن إبراهيم بن الجاهد شيركوه بن القاهر محمد بن المنصور بن شيركوه بن شادي صاحب حمص، عن خمس وثلاثين سنة بها، وهو آخر من ملك حمص من أولاد شيركوه.

ومات الأمير حسام الدين لاجين العزيزي الجوكندار بدمشق، عن نحو خمسين سنة.

وتوفى قاضي قضاة دمشق عماد الدين أبو الفضائل عبد الكريم بن جمال الدين أبي القاسم عبد الصمد بن محمد بن الفضل بن الحرستاني الدمشقي الشافعي، وهو معزول ويده خطابة الجامع وتدريس الحديث بالأشرفية، عن خمس وخمسين سنة بدمشق.

السلوك لمعرفة دول الملوك ١٥

وتوفى قاضى القضاة بحلب كمال الدين أبو بكر أحمد بن زين الدين أبى محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن علوان الأسدى الشافعى، المعروف بابن الأستاذ، عن إحدى وخمسين سنة.

وتوفى شيخ الشيوخ بحماة شرف الدين أبو محمد عبد العزيز بن محمد بن عبد المحسن الأنصارى^(١) عن ست وسبعين سنة، فى ثامن رمضان، ومولده فى جمادى الأولى سنة ست وثمانين وخمسمائة.

وتوفى الرجل الصالح أبو القاسم بن منصور بن يحيى القبارى بالإسكندرية، عن خمس وسبعين سنة.

* * *

(١) عبد العزيز بن محمد بن عبد المحسن الأنصارى الأوسى، شرف الدين، المعروف بابن قاضى حماة: شاعر، فقيه. ولد فى دمشق وسكن حماة. وتوفى بها. انظر: فوات الوفيات ١/٢٨٩ - ٢٩٤ والنجوم الزاهرة ٧/٢١٤ وصلة التكملة للحسينى وتعليقات عبيد، والأعلام ٤/٢٥، ٢٦.

سنة ثلاث وستين وستمائة

فى المحرم توجه الملك الظاهر من قلعة الجبل إلى الصيد فأقام برسيم، ثم صار إلى العباسية ورمى البندق، وأدعى له جماعة منهم الأمير فخر الدين عثمان ابن الملك المغيـث صاحب الكرك. فورد الخبر بنزول التتر على البيرة، فجهز السلطان من فوره الأمير بدر الدين الخازندار على البريد، ليخرج أربعة آلاف فارس من بلاد الشام.

وركب السلطان من موضعه وساق إلى القلعة، وكانت الخيول على الربيع، فلم يقم بقلعة الجبل بعد عوده من الصيد غير ليلة. وعين الأمير عز الدين إيغان المعروف بسم الموت لتقدمة العساكر، ومعه من الأمراء فخر الدين الحمصى، والأمير بدر الدين بيلىك الأيدمرى، والأمير علاء الدين كشتغاي الشمسى، وعدة من الأمراء والحلقة تبلغ أربعة آلاف فارس، فخرجوا من القاهرة جرائد فى رابع شهر ربيع الأول. ثم عين الأمير جمال الدين المحمدى، والأمير جمال الدين أيدغدى الحاجى، ومعهما أربعة آلاف أخرى، فبرزوا ثانى يوم خروج الأمير عز الدين إيغان إلى ظاهر القاهرة، وساروا فى عاشره.

وفى يوم السبت رابع ربيع الآخر: شرع السلطان فى السفر، وخرج بنفسه فى خامس شهر ربيع الآخر ومعه عساكر كثيرة، فوقع فناء فى الدواب هلك منها عدد كثير، وصارت الأموال مطروحة، والسلطان لا يقصر فى المسير. فلما شكى إليه قلة الظهر قال: «ما أنا فى قيد الجمال، أنا فى قيد نصرة الإسلام».

ونزل السلطان غزة فى العشرين منه، فورد الخبر بأن العدو نصب على البيرة سبعة عشر منجنيقا، فحكم ذلك ولم يعلم به سوى الأمير شمس الدين سنقر الرومى والأمير سيف الدين قلاوون فقط.

وكتب السلطان للأمير إيغان: «متى لم تدركوا قلعة البيرة؟ وإلا سقت إليها بنفسى جريدة»، فساق الأمير إيغان العسكر، ورحل السلطان من غزة، ونزل قريبا من صيداء، فركب للصيد فتقطر عن فرسه وتهشم وجهه، فتجلد ورحل، وأتاه قسطنطين يافا بتقادم.

ونزل السلطان بيئى فى سادس عشره، فورد البريد من دمشق وهو فى الحمام

بالدهليز، فلم يمهل وقرئ عليه الكتاب وهو عريان: فإذا هو يتضمن بأن بطاقة الملك المنصور صاحب حماة سقطت بأنه وصل إلى البيرة بالعساكر، صحبة الأمير عز الدين إيغان وجماعة الأمراء - يوم الإثنين، وأن التار عندما شاهدوهم هربوا، ورموا مجانيقهم وغرقوا مراكبهم، وكان من حين كتابتها بالبيرة إلى حين وصولها يبنى أربعة أيام، ثم توالت كتب الأمراء بالبشارة، فكتب بذلك إلى القاهرة وغيرها. واستشهد على البيرة الأمير صارم الدين بكناش الزاهدى، وترك موجودا كبيرا وبتنا واحدة، فرسم السلطان أن يكون جميع الإرث لها لا يشاركها فيه أحد وكتب السلطان بعمارة ما خرب من البيرة، وحمل آلات القتال والأسلحة إليها من مصر والشام، وأن يعبأ فيها كل ما يحتاج إليه أهلها فى الحصار لمدة عشر سنين. وكتب للأمراء ولصاحب حماة بالإقامة على البيرة، حتى ينظف الخندق من الحجارة التى ردمها العدو فيه، فكانت الأمراء تنقل الحجارة على أكتافها مدة. وبعثوا بخير ذلك إلى السلطان وهو واقف على سور قيسارية ليهدمه بنفسه، وفى يده القطاعة وقد تجرحت يده. فكتب جوابهم: «إنا بحمد الله ما تخصصنا عنكم براحة ولا دعة، ولا أنتم فى ضيق ونحن فى سعة. ما هنا إلا من هو مباشر الحروب الليل والنهار، وناقل الأحجار ومرابط الكفار. وقد تساوينا فى هذه الأمور، وما تم ما تضيق به الصدور».

وكتب السلطان إلى القاهرة باستدعاء مائتى ألف درهم ومائتى تشريف، وإلى دمشق بتجهيز مائة ألف درهم ومائة تشريف، وحمل جميع ذلك إلى البيرة. وكتب إلى الأمير إيغان بأن يحضر أهل قلعة البيرة ويخلع على سائر من فيها من أمير وأمور وجندى وعامى، وينفق فيهم المال حتى الحراس وأرباب الضوء، فاعتمد ذلك كله وكتب إلى الديار المصرية بتبديل المزر، وأن تعفى آثاره وتخرب بيوته وتكسر مواعينه، وأن يسقط ارتفاعه من الديوان، «ومن كان له على هذه الجهة شىء نعوضه من مال الله الحلال»، فاعتمد ذلك، وعوض المقطعون بدل ما كان لهم على جهة المزر.

ثم ركب السلطان من العوجاء بعد ركوب الأطلاب للتصيد فى غابة أرسوف، ورسم للأمراء من أراد منهم الصيد فليحضر، فإن الغابة كثيرة السباع وساق إلى أرسوف وقيسارية، فشاهدهما وعاد إلى الدهليز، فوجد أخشاب المنجنقات قد أحضرت بصحبة زرد خاناه، فأمر بنصب عدة مجانيق وعملها. وجلس السلطان مع الصناع يستحثهم، فعمل فى يوم واحد أربع منجنقات كبار سوى الصغار. وكتب إلى القلاع بطلب المجانيق والصناع والحجارين، ورسم للعسكر بعمل سلام. ورحل

السلطان إلى قريب عيون الأساور^(١) من وادي عارة وعَرَعرَة، فلما كان بعد عشاء الآخر أمر العسكر كله فلبسوا آلة الحرب، وركب آخر الليل وساق إلى قيسارية، فوافها بكرة نهار الخميس تاسع جمادى الأولى على حين غفلة من أهلها، وضرب عليها بعساكره. وللوقت ألقى الناس أنفسهم في خندقها، وأخذوا السكك^(٢) الحديد التي برسم الخيول - مع المقارود والشبج^(٣)، وتعلقوا فيها من كل جانب حتى صعّدوا، وقد نصبت المجانيق ورمى بها. فحرقوا أبواب المدينة واقتحموها، ففر أهلها إلى قلعتها، وكانت من أحصن القلاع وأحسنها وتعرف بالخضراء وكان قد حمل عليها الفرنج العمُد الصوان، وأتقنوها بتصليب العمد في بنيانها، حتى لا تعمل فيها النقوب ولا تقع إذا عُلقَت، فاستمر الزحف والقتال عليها بالمجانيق والدبابات والزحافات ورمى النشاب. وخرجت تجريدة من عسكر السلطان إلى بيسان مع الأمير شهاب الدين القيمري، فسير جماعة من التركمان والعربان إلى أبواب عكا، فأسروا جماعة من الفرنج.

هذا والقتال مُلِحٌ على قلعة قيسارية، والسلطان مقيم بأعلى كنسية تجاه القلعة ليمنع الفرنج من الصعود إلى علو القلعة، وتارة يركب في بعض الدبابات ذوات العجل التي تجرى حتى يصل إلى السور ليرى النقوب بنفسه. وأخذ السلطان في يده يوما من الأيام ترسا وقاتل، فلم يرجع إلا وفي ترسه عدة سهام.

فلما كان في ليلة الخميس النصف من جمادى الأولى: سلم الفرنج القلعة بما فيها، فتسلق المسلمون من الأسوار، وحرقوا الأبواب ودخلوها من أعلاها وأسفلها، وأذن بالصبح عليها. وطلع السلطان ومعه الأمراء إليها، وقسم المدينة على الأمراء والماليك والحلقة، وشرع في الهدم ونزل وأخذ بيده قطعة وهدم بنفسه. فلما قارب الفراغ من هدم قيسارية بعث السلطان الأمير سنقر الرومي والأمير سيف الدين المستعرب في جماعة، فهدموا قلعة كانت للفرنج عند الملوحة^(٤) قريب دمشق - وكانت عاتية - حتى دكوها دكا.

(١) هي منزلة قرب قيمون والرملة من أعمال فلسطين. انظر: معجم البلدان ٤/ ٢١٨.
(٢) السكك جمع سكة، وهي الوتد الذي يربط به مقود الحصان، وكل سمار عند العرب سَكٌّ.
انظر: محيط المحيط ولسان العرب (سك).

(٣) جمع شبعة، هي مدك الشيء بين أوتاد، أو الرجل بين شيعين وهي السلسلة التي يربط بها قدم الحصان في أحد طرفيها عروة وترزر في القدم، وفي طرفها الآخر زرة تدق في الأرض انظر: محيط المحيط (شبح).

(٤) قرية كبيرة من قرى حلب، وتقع في الجنوب الشرقي منها. انظر: معجم البلدان ٤/ ٣٦٨.

وفي سادس عشره: سار السلطان جربذة إلى عثليث، وسير الأمير سنقرا السلاح دار، والأمير عز الدين الحموي، والأمير سنقرا الألفى إلى حيفا. فوصلوا إليها، ففرّ الفرنج إلى المراكب وتركوا قلعتها، فدخلها الأمراء بعد ما قتلوا عدّة من الفرنج وبعد ما أسروا كثيرا، وخرّبوا المدينة والقلعة وأحرقوا أبوابها في يوم واحد، وعادوا بالأسرى والرءوس والغنائم سالمين. ووصل السلطان إلى عثليث فأمر بتشعيثها وقطع أشجارها، فقطعت كلها وخرّبت أبنيتها في يوم واحد. وعاد إلى الدهليز بقيسارية، وكملّ هدمها حتى لم يدع لها أثرا، وقدمت منجنيقات من الصببية وزرد خاناه من دمشق، وورد عدّة من الفرنج للخدمة، فأكرمهم السلطان وأقطعهم الإقطاعات.

وفي تاسع عشره: رحل السلطان من قيسارية، وسار من غير أن يعرف أحد قصده فنزل على أرسوف مستهل جمادى الآخرة، ونقل إليها من الأحطاب ما صارت حول المدينة كالجبال الشاهقة وعمل منها ستائر، وحفر سريين من خندق المدينة إلى خندق القلعة وسقّفه بالأخشاب. وسلم أحدهما للأمير سنقر الرومي، والأمير بدر الدين بيسرى، والأمير بدر الدين الخازندار، والأمير شمس الدين الذكر الكركي، وجماعة غيرهم. وسلم الآخر للأمير سيف الدين قلاوون، والأمير علم الدين الحلبي الكبير، والأمير سيف الدين كرمون، وجماعة غيرهم. وعمل السلطان طريقا من الخندقين إلى القلعة، وردمت الأحطاب في الخندق، فتحيل الفرنج وأحرقوها كلها. فأمر السلطان بالحفر من باب السريين إلى البحر، وعمل سروبا تحت الأرض يكون حائط خندق العدو ساترا لها، وعمل في الحائط أبوابا يرمى التراب منها وينزل في السروب حتى تساوى أرضها أرض الخندق. وأحضر المهندسين حتى تقرر ذلك، وولى أمره للأمير عز الدين أيك الفخرى. فاستمر العمل، والسلطان بنفسه ملازم العمل بيده في الحفر وفي جر المنجنيقات ورمى التراب ونقل الأحجار، أسوة لغيره من الناس. وكان يمشى بمفرده وفي يده ترس، تارة في السرب وتارة في الأبواب التي تفتح، وتارة على حافة البحر يرامى مراكب الفرنج. وكان يجر في المجانيق، ويطلع فوق الستائر يرمى من فوقها، ورمى في يوم واحد ثلاثمائة سهم بيده. وحضر في يوم إلى السرب وقد في رأسه خلف طاقة يرمى منها، فخرج الفرنج بالرماح وفيها خطاطيف ليجذبوه^(١) فقام وقاتلهم يدا بيد - وكان معه الأمير سنقر الرومي، والأمير بيسرى، والأمير بدر الدين الخازندار، فكان سنقر يناوله الحجارة - حتى قتل فارسين من الفرنج، ورجعوا على أسوأ حال. وكان

(١) الجبذ لغة في الجذب عند البصريين، ونحاة الكوفة يعدونه من القلب المكاني. ينظر: المنهر

للسيوطي (باب القلب المكاني).

يطوف بين العساكر في الحصار بمفرده، ولا يجسر أحد ينظر إليه ولا يشير إليه بأصبعه. وحضر في هذه الغزاة جمع كبير من العباد والزهاد والفقهاء وأصناف الناس، ولم يعهد فيها حمر ولا شيء من الفواحش. بل كانت النساء الصالحات يسقين الماء في وسط القتال، ويعملن في جرّ المجانيق. وأطلق السلطان الرواتب من الأغنام وغيرها لجماعة من الصلحاء، وأعطى الشيخ على البكا جملة مال. ولا سُمع عن أحد من خواص السلطان أنه اشتغل عن الجهاد في نوبته بشغل، ولا سير أمير غلمانه في نوبته واستراح. بل كان الناس فيها سواء في العمل، حتى أثرت المجانيق في هدم الأسوار، وفرغ من عمل الأسربة التي يجانبى الخندق، وفتحت فيها أبواب متسعة. فلما تهيأ ذلك وقع الزحف على أرسوف في يوم الخميس ثامن رجب، ففتحها الله في ذلك اليوم عندما وقعت الباشورة. فلم يشعر الفرنج إلا بالمسلمين قد تسلّقوا وطلعوا القلعة، ورُفعت الأعلام الإسلامية على الباشورة، وحفّت بها المقاتلة وطرّحت النيران في أبوابها.

هذا والفرنج تقاتل، فدفع السلطان سنجقه للأمير سنقر الرومي وأمره أن يؤمن الفرنج من القتل، فلما رآه الفرنج تركوا القتال. وسلّم السنجق للأمير علم الدين سنجر المسروري المعروف بالخياط الحاجب، ودلّيت له الحبال من القلعة فربطها في وسطه والسنجق معه، ورُفع إليها فدخلها وأخذ جميع سيوف الفرنج وربطهم بالحبال وساقهم إلى السلطان والأمراء صفوف وهم ألوف.

وأباح السلطان القلعة للناس، وكان بها من الغلال والذخائر والمال شيء كثير، وكان فيها جملة من الخيول والبغال لم يتعرض السلطان لشيء منه، إلا ما اشتراه ممن أخذه بالمال ووجد فيها عدّة من أسرى المسلمين في القيود فأطلقوا، وقيد الفرنج بقيودهم، وعين السلطان جماعة مع الأسرى من الفرنج ليسيروا بهم، وقسم أبراج أرسوف على الأمراء، وأمر أن يكون أسرى الفرنج يتولون هدم السور، فهدمت بأيديهم.

وأمر السلطان بكشف بلاد قيسارية وعمَل متحصلها، فعملت بذلك أوراق، وطلب قاضي دمشق وعدوله ووكيل بيت المال، وتقدم بأن يُملّك الأمراء المجاهدون من البلاد التي فتحها الله عليه ما يأتي ذكره. وكتبت توابع كل منهم من غير أن يطلعوا على ذلك، فلما فرغت التوابع فرّقت على أربابها، وكتب بذلك مکتوب جامع بالتمليك، ونسخته:

«أما بعد حمد الله على نصرته المتناسقة العقود، وتمكينه الذى رفلت به الملة الإسلامية فى أقصى البرود، وفتحته الذى إذا شاهدت العيون مواقع نفعه وعظيم وقعه علمت لأمر ما يسود من يسود، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذى جاهد الكفار بالسيف البتار، وأعلمهم لمن عقبى الدار، وعلى آله وصحبه صلاة تتواصل بالعشى والإبكار، فإن خير النعمة وردت بعد اليأس، وأقبلت على فترة من تحاذل الملوك وتهاون الناس، فأكرم بها نعمة وصلت للأمة المحمدية أسبابا، وفتحت للفتوحات الإسلامية أبوابا، وهزمت من التتار والفرنج العدوين، وربطت من الملح الأجاج والعذب الفرات بالبرين والبحرين، وجعلت عساكر الإسلام تذلل الفرنج بغزوهم فى عقر الدار، وتجوس من حصونهم المانعة خلال الديار والأمصار، وتقود من فضل عن شبيب سيف الساعب إلى حلقات الإسار، وفرقة منها تقتلع للفرنج قلاعاً وتهدم حصوناً، وفرقة تبقى ما هدم للتتار بالمشرق وتعليه تحصينا، وفرقة تتسلم بالحجاز قلاعاً شاهقة وتقسم هضاباً سامقة. فهى بحمد الله البانية الهادمة، والقاسمة الراحمة. كل ذلك بمن أقامه الله وجرده سيفاً ففردى، وحملت رباح النصره ركابه تسخيراً فسار إلى مواطن الظفر وسرى، وكوته السعادة ملكاً إذا رآته فى دستها قالت تعظيماً له ما هذا بشراً. وهو السلطان الملك الظاهر ركن الدنيا والدين أبو الفتح بيبرس، جعل الله سيوفه مفاتيح البلاد، وأعلامه أعلاماً من الأسنة على رأسها نار بهداية العباد، فإنه آخذ البلاد ومعطيها، وواهبها بما فيها. وإذا عامله الله بلطفه شكراً، وإذا قدر عفى وأصلح فوافقه القدر، وإذا أهدت إليه النصره فتوحات قسمها فى حاضرها لديه متكرماً وقال لمن حضر، وإذا حوَّله الله تخويلاً وفتح على يديه قلاعاً جعل الهدم للأسوار، والدماء للبتار، والرقاب للإسار، والبلاد المزروعة للأولياء والأنصار. ولم يجعل لنفسه إلا ما تسطره الملائكة فى الصحائف لصيفه^(١) من الأجور، وما تطوى عليه طربات السير التى غدت بما فتحه الله من الثغور باسمه باسمه الثغور».

فتى جعل البلاد من العطا فأعطى المدن واحتقر الضياعا
سمعنا بالكرام وقد أراننا عيانا ضعف ما فعلوا سماعا
إذا فعل الكرام على قياس جميلاً كان ما فعل ابتداعا

ولما كان بهذه المثابة، وقد فتح الفتوحات التى أجزل الله بها أجره وضاعف ثوابه، وله أولياء النجوم ضياء، وكالأقدار مضاء، وكالعقود تناسقا، وكالوئبل تلاحقا إلى

(١) صفح الشىء عرَضٌ وجهه، وصفح السيف وصفحُهُ: عرَضُهُ. انظر: لسان العرب (صفح).

الطاعة وتسابقا، رأى ألا ينفرد عنهم بنعمة، ولا يتخصص ولا يستأثر بمنحة غدت بسيوفهم تستنقذ، وبعزائمهم تستخلص، وأن يؤثرهم على نفسه، ويقسم عليهم الأشعة من أنوار شمس، ويبقى للولد منهم وولد الولد، ما يدوم إلى آخر الدهر ويبقى على الأبد، ويعيش الأبناء في نعمته كما عاش الآباء، وخير الإحسان ما شمل وأحسنه ما خلد. فخرج العالی لازال يشمل الأعقاب والذرائع، وينير إنارة الأنجم الدرارى، أن يملك أمراؤه وخواصه الذين يذكرون، وفي هذا المكتوب يُسطرون، ما يُعین من البلاد والضياع، على ما يُشرح ويبين من الأوضاع، وهو الأتابك فارس الدين أقطای الصالحی عتيل بكماها، الأمير جمال الدين إبدغدى العزیزی النصف من زيتا، الأمير بدر الدين بيسرى الشمسى الصالحی نصف طور كرم، الأمير بدر الدين بيليك الخازندار نصف طور كرم، الأمير شمس الدين الذكر الكركى ربع زيتا، الأمير سيف الدين قلعج البغدادى ربع زيتا، الأمير ركن الدين بيبرس خاص ترك الكبير الصالحی أفراسين بكماها، الأمير علاء الدين أيدكين البندقدار الصالحی باقة الشرقية بكماها، الأمير عز الدين أيدمر الحلبى الصالحی نصف قلنسوة، الأمير شمس الدين سنقر الرومى نصف قلنسوة، الأمير سيف الدين قلاوون الألفى الصالحی نصف طيبة الاسم، الأمير عز الدين إيفان سم الموت نصف طيبة الاسم، الأمير جمال الدين أقوش النجيبى نائب سلطنة الشام أم الفحم بكماها من قيسارية، الأمير علم الدين سنجر الحلبى الصالحی بتان بكماها، الأمير جمال الدين أقوش المحمدى نصف بُورين، الأمير فخر الدين أطنبا الحمصى نصف بورين، الأمير جمال الدين أيدغدى الحاجبى الناصرى نصف بيزين، الأمير بدر الدين بيليك الأيدمرى الصالحی نصف بيزين، الأمير فخر الدين عثمان ابن الملك المغيث ثلث حلبه، الأمير شمس الدين سلار البغدادى ثلث حلبه، الأمير صارم الدين صراغان ثلث حلبه، الأمير ناصر الدين القيمرى نصف البرج الأحمر، الأمير سيف الدين بلبان الزبى الصالحی نصف البرج الأحمر، الأمير سيف الدين إبتامش السعدى نصف يما، الأمير شمس الدين أقسنقر السلاح دار نصف يما، الملك المجاهد سيف الدين إسحاق صاحب الجزيرة نصف دنابة، الملك المظفر صاحب سنجار نصف دنابة، الأمير بدر الدين محمد بى ولد الأمير حسام الدين بركة خان دير القُصون بكماها، الأمير عز الدين أيلك الأفرم أمير جاندار نصف الشويكة، الأمير سيف الدين كرمون أغا التترى نصف الشويكة، الأمير بدر الدين الوزيرى نصف طبرس، الأمير ركن الدين منكورس الديدارى نصف طبرس، الأمير سيف الدين قشتمر العجمى عَلاَر بكماها، الأمير علاء الدين أخو الدويدار نصف عَرَءَا، الأمير سيف الدين قَفَجَق البغدادى نصف عرعرأ، الأمير سيف الدين دكجل

البغدادى نصف فرعون، الأمير علم الدين سنجر الأزكشى نصف فرعون، الأمير علم الدين طرطج الأسدى أقتابى بكماها، الأمير حسام الدين إيمتش بن أطلس خان سيدا بكماها، الأمير علاء الدين كندغدى الظاهرى أمير مجلس الصُفُرا بكماها، الأمير عز الدين أيبك الحموى الظاهرى نصف أرقاح، الأمير شمس الدين سنقر الألفى نصف أرقاح، الأمير علم الدين طيرس الظاهرى نصف باقة الغربية، الأمير علاء الدين التنكرى نصف باقة الغربية، الأمير عز الدين الأتابك الفخرى القصير بكماها، الأمير علم الدين سنجر الصيرفى الظاهرى أخصاص بكماها، الأمير ركن الدين بيرس المغربى نصف قفين، الأمير شجاع الدين طغرل الشبلى أمير مهمندار نصف كفر راعى، الأمير علاء الدين كندغدى الحبيشى مقدم الأمراء البحرية نصف كفر راعى، الأمير شرف الدين بن أبى القاسم نصف كسفا، الأمير بهاء الدين يعقوب الشهرزورى نصف كسفا، الأمير جمال الدين موسى بن يغمور أستاذار العالية نصف برنيكية، الأمير علم الدين سنجر الحلى الغزاوى نصف برنيكية، الأمير علم الدين سنجر نائب أمير جاندار نصف حانوتنا من أرسوف، الأمير سيف الدين بيدغان الركنى فرديسيا بكماها من قيسارية، الأمير عز الدين أيدمر الظاهرى نائب الكرك ثلث حبله من أرسوف، الأمير جمال الدين أقوش السلاح دار الرومى ثلث حبله، الأمير شمس الدين سنقر جاه الظاهرى ثلث حبله، الأمير بدر الدين بكتاش الفخرى أمير سلاح ثلث جلجولية، الأمير علاء الدين كشتغدى الشمسى ثلث جلجولية، الأمير بدر الدين بكتوت بجكا الرومى ثلث جلجولية.

وكتب من كتاب التملك الشرعى الجامع نسخ، وفرقت على كل أمير نسخة، وخلع على قاضى دمشق وعاد إلى بلده. ونقلت المنجنيقات إلى القلاع، وهى الكرك وعجلون ونحوهما.

ورحل السلطان من أرسوف بعد استكمال هدمها فى يوم الثلاثاء ثالث عشرى شهر رجب إلى غزة وسار منها إلى مصر، فخرج الملك السعيد والأتابك عز الدين الحلى نائب السلطنة إلى لقائه بركة الحجاج، فلقوه هناك. ودخل السلطان من القاهرة فى يوم الخميس حادى عشر شعبان والأسرى بين يديه حتى خرج من باب زويلة، وصمد إلى قلعة الجبل فاستراح. وعرض ما حصله الأمير عز الدين الحلى، والصاحب بهاء الدين بن حنا من الخزائن، ولم يترك أحدا من أمير ولا وزير ولا مقدم ولا مفردى، ولا أحدا من خواصه ولا بزداريته، وبردداريته وسائر حواشيه، حتى عم الجميع بالخلع وأحسن إلى رسل الملك بركة، وكتب إلى اليمن وإلى الأنبرور بالبشارة، وأخرج جملة من الدراهم والغلة والكساوى تصدق بها على الفقراء.

وكان قد كثر الحريق بالقاهرة ومصر في مدة سفر السلطان، وأشيع أن ذلك من النصارى. ونزل بالناس من الحريق في كل مكان شدة عظيمة، ووجد في بعض المواضع التي احترقت نطف وكبريت. فأمر السلطان بجمع النصارى واليهود، وأنكر عليهم هذه الأمور التي تفسخ عهدهم وأمر بإحراقهم. فجمع منهم عالم عظيم في القلعة، وأحضرت الأحطاب والخلفاء، وأمر بإلقائهم في النار، فلاذوا بعفوه وسألوا المنّ عليهم. وتقدم الأمير فارس الدين أقطاي أتاكب العساكر فشفع فيهم، على أن يلتزموا بالأموال التي احترقت، وأن يحملوا إلى بيت المال خمسين ألف دينار. فأفرج عنهم السلطان، وتولى البطرك توزيع المال، والتزموا ألا يعودوا إلى شيء من المنكرات، ولا يخرجوا عما هو مرتّب على أهل الذمة، وأطلقوا.

وكان الأمير زامل بن على لا تزال الفتنة بينه وبين الأمير عيسى بن مهنا بن مانع بن حديثة بن غضبة بن فضل بن ربيعة. فلما طلعت العساكر إلى الشام مع الأمير طيبرس قبضوا على زامل بالبلاد الحلبية، وحُمل إلى قلعة عجلون. ثم نُقل إلى القاهرة واعتقل، ثم أفرج عنه وصار يلعب مع السلطان في الميدان، وحضر الأمير شرف الدين عيسى ابن مهنا وأحمد بن حجي^(١) والأمير هارون، وأصلح السلطان بينهم وبين زامل، وردّ على زامل إقطاعه وإمرته، وأذن لهم في السفر. فساروا حتى دخلوا إلى الرمل، فساق زامل وهجم على بيوت عيسى وأفسد، وقبض على قصّاد السلطان المتوجهين إلى شيراز، وأخذ منهم الكتب وسار بها إلى هولاءكو وأطعمه في البلاد، فأعطاه هولاءكو إقطاعا بالعراق.

وسافر زامل إلى الحجاز فنهب وقتل، وعاد إلى الشام، وكان السلطان قد أعطى إقطاعه لأخيه أبي بكر، فضاقت عليه الأرض، وكتب يطلب من السلطان العفو، فقرر السلطان معه الحضور إلى مدة عيّنها له، وأنه متى تأخر عنها فلا عهد له ولا إيمان فلما تأخر عن المدة المعينة وحضر بعدها قبض عليه، واعتقل بقلعة الجبل.

وفي خامس عشرية: جلس السلطان بدار العدل، وطلب تاج الدين بن القرطبي، فلما حضر قال السلطان له: «أضجرتني مما تقول. عندي مصالح لبيت مال المسلمين، فتحدث الآن بما عندك». فتكلم القرطبي في حق قاضي القضاة، وفي حق صاحب سواكن، وقال: إن الأمراء الذين ماتوا أخذ ورثتهم أكثر من حقوقهم. فأمر السلطان

(١) أحمد بن حجي بن بريد البرمكي، شهاب الدين، أمير آل مري في بادية الشام. توفى في بصرى بالشام. انظر: النجوم الزاهرة ٣٥٧/٧ والبداية والنهاية ١٣/٣٠٣ والأعلام ١/١١٠.

بإحضار زيار^(١)، وأراه لمن حضر وقال: «من يصبر على هذا الزيار يُستكثر عليه إقطاع، أو يستكثر على ورثته موجود يخلفه لهم؟»، وأنكر عليه وأمر به فحبس وتحدث السلطان في أمر الجند، وأنهم إذا كانوا في البيكار وفي مواطن الجهاد لا يصل إليهم شاهد، فيشهد أحدهم أصحابه عند موته، فإذا حضروا لا تقبل شهادتهم، وتضيع أموال الناس بهذا السبب. وقال: «الرأى أن كل أمير يعين من جماعته من فيه دين وخير لسمع قوله، وكل مقدم وكل جماعة من الجند يعين من فيها ممن هو من أهل الخير والصلاح، لتسمع أقوالهم، حتى تحفظ أموال الناس». فسرّ الأمراء بذلك، وشرع قاضى القضاة في اختيار الناس الجياد من الجند لذلك.

وجلس السلطان فى تاسع عشره بدار العدل، فوقف شخص وشكا أن من سكن فى شىء من الأملاك الديوانية لا يُمكن من الخلو، فأنكر السلطان ذلك وأمر بتمكين الساكن من الخلو عند انقضاء الإجارة. ووردت رسل الأنبرور، ورسَل الملك الأشكرى، بالهدايا.

وفى سابع شهر رمضان: قدمت العساكر من البيرة، مع الأمير جمال الدين المحمدى، والأمير عز الدين إيغان. وقدمت هدية ملك الكرج. وورد الخبر باستيلاء عز الدين الكندرى نائب الرحبة على قرقيسيا^(٢)، وقتلوا من كان فيها من التتر والكرج، وأسروا نيفا وثمانين رجلا فى نصف شهر رمضان.

وفيه رسم بتحصيل المراكب لتفرق فى بحر أشموم، فلما كان ثانى شوال سار السلطان إلى أشموم بنفسه، وقسم عمل البحر على الأمراء، وعمل بنفسه وحمل القفة مملوءة بالتراب على كتفه، والناس تشاهده فوق الاجتهاد فى الحفر، واستمر السلطان على العمل بنفسه فى كل يوم، وصار يركب فى المراكب وتُفرق المراكب قدامه. فتنجّز العمل فى ثمانية أيام، وتكامل الحفر فى بحر أشموم، وفى الجهة التى من ناحية جوجر^(٣) وسار السلطان إلى منزلة ابن حسون، وعاد إلى قلعة الجبل فى حادى عشره.

(١) شىء يجعل فى فم الدابة إذا استصعبت لتنقاد وتدل، وهى - أيضا - آلة حرية تشبه القوس الذى يرمى به البندق. انظر: لسان العرب.

(٢) كورة من كور ديار ربيعة بين الحيرة والشام، وفى الجانب الشرقى من الفرات، فتحها عنوة عمرو بن مالك بن عتبة بن نوفل بن عبد مناف، وإلى قرقيسيا فر زفر بن الحارث العامرى ثم الكلابى بعد وقعة مرج راهط وكان مع الضحاك بن قيس الضهرى. انظر: الروض المعطار فى خبر الأقطار ٤٥٥ - معجم ما استعجم ٣/ ١٠٦٦.

(٣) بلدة بمصر من جهة دمياط فى كورة السمنودية. انظر: معجم البلدان ٢/ ١٧٨.

ورسم بإبطال حراسة النهار بالقاهرة ومصر وكانت جملة كبيرة، وكتب توقيع بإبطالها، وكتب أيضا بمساحة الأعمال الدقهلية والمرتاحية أربعة وعشرين ألف درهم نقرة عن رسوم الولاية والمال المستخرج برسم النقيدي^(١) وتوجه شجاع الدين بن الداية الحاجب إلى الملك بركة رسولا، ومعه ثلاث عُمَر اعتمر بها عنه بمكة، عُمِلت في أوراق مذهبة، وشيء من ماء زمزم ودهن بلسان وغيره.

وفي آخره: نزل بالسلطان وعك، فدارى بالصدقة وأعطى الفقراء مالا جزيلًا.

وفي ذى القعدة: قدم الراهب كرنانوس بكتاب الملك الأشكري. وكان الأمير جمال الدين أيدغدى العزيزى يكره قاضى القضاة تاج الدين عبد الوهاب ابن بنت الأعرز ويضع من قدره ويحطّ عليه عند السلطان، بسبب تشدّده فى الأحكام وتوقّفه فى القضايا التى لا توافق مذهبه. فاتفق جلوس السلطان بدار العدل فى يوم الإثنين ثانى عشر ذى الحجة، فرفع إليه بنات الملك الناصر قصة فيها أن ورثة الناصر اشتروا دار قاضى القضاة بدر الدين السنجارى فى حياته، فلما مات ذكر ورثته أنها وقف. فعندما قرئت أخذ الأمير أيدغدى يحط على الفقهاء وينقصهم، فقال السلطان للقاضى تاج الدين: «يا قاض! هكذا تكون القضاة؟». فقال تاج الدين: «يا مولانا! كل شاة معلقة بعُرقوبها». قال: «فكيف الحال فى هذا؟» قال: «إذا ثبت الوقف يعاد الثمن من الورثة». فقال السلطان: «فإذا لم يكن مع الورثة شيء؟» قال القاضى: «يرجع الوقف إلى أصله، ولا يستعاد الثمن». فغضب السلطان من ذلك، وما تمّ الكلام حتى تقدم رسول أمير المدينة النبوية وقال: «يا مولانا السلطان! سألتُ هذا القاضى أن يسلم إلى مبلغ ربع الوقف الذى تحت يده، لينفقه صاحب المدينة فى فقراء أهلها، فلم يفعل». فسأل السلطان القاضى عما قاله، فقال: «نعم». قال السلطان: «أنا أمرته بذلك فكيف رددت أمرى؟» قال: «يا مولانا! هذا المال أنا متسلمه وهذا الرجل لا أعرفه، ولا يمكننى أن أسلمه لمن لا أعرفه، ولا يتسلمه إلا من أعرف أنه موثوق بدينه وأمانته، فإن كان السلطان يتسلمه منى أحضرته إليه». فقال السلطان: «تنزعه من عنقك وتجعله فى عنقى؟» قال: «نعم». قال السلطان: «لا تدفعه إلا لمن تختاره». ثم تقدم بعض الأمراء وقال: «شهدت عند القاضى فلم تسمع شهادتى فى ثبوت الملك وصحته»، فسأل السلطان القاضى عن ذلك فقال: «ما شهد أحد عندى حتى أثبتته»، فقال الأمير: «إذا لم تسمع قولى فمن تريد؟» قال السلطان: «لم لا سمعت قوله؟» فقال: «لا حاجة فى ذكر ذلك». فقال الأمير أيدغدى: «يا قاضى! مذهب الشافعى لك، ونولى من كل مذهب

(١) اسم موضع قرب فم خليج الإسكندرية.

قاضيا». فصغى السلطان لقول أيدغددي وانقضى المجلس، إلى أن كان يوم الإثنين تاسع عشره، ولى السلطان القاضى صدر الدين سليمان بن أبى العز بن وهيب الأذرعى الحنفى^(١) مدرس المدرسة الصالحية، والقاضى شرف الدين عمر بن عبد الله بن صالح ابن عيسى بن عبد الملك بن موسى بن خالد بن على بن عمر بن عبد الله بن إدريس ابن إدريس بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب السبكي المالكي، والقاضى شمس الدين محمد بن إبراهيم الحنبلى^(٢) ليكونوا قضاة القضاة بديار مصر، وجعل السلطان لهم أن يولوا فى سائر الأعمال المصرية، مضافا لقاضى القضاة تاج الدين ابن بنت الأعز، وأبقى على ابن بنت الأعز النظر فى مال الأيتام والمحاکمات المختصة ببيت المال، وكتب لكل منهم تقليدا وخلع عليهم. فصار بديار مصر قضاة القضاة من حيثئذ أربعة، يحكم كل منهم بمذهبه، ويلبس كل منهم الطرحات^(٣) فى أيام الخدمة السلطانية. ورسم السلطان أيضا لمجد الدين عبد الرحمن بن الصاحب كمال الدين عمر ابن العديم بخطابة القاهرة.

وفى رابع عشرى ذى الحجة: قبض السلطان على الأمير شمس الدين سنقر الرومى واعتقل، وتقدم إلى الخليفة الحاكم بأمر الله ألا يجتمع بأحد، فاحتجب عن الاجتماع بالناس، وفيها تولى الأمير نور الدين على بن مجلى المكارى نيابة حلب، عوضا عن أيدكين الشهايبى.

وفىها نزل السلطان من قلعة الجبل بالليل متنكرا، وطاف بالقاهرة ليعرف أحوال الناس، فرأى بعض المقدمين وقد أمسك امرأة وعراها سرواها بيده، ولم يجسر أحد ينكر عليه. فلما أصبح السلطان قطع أيدي جماعة من نواب الولاة والمقدمين، والخفراء وأصحاب الرباع بالقاهرة.

(١) سليمان بن وهيب بن عطاء، أبو الربيع بن أبى العز، صدر الدين الأذرعى: شيخ الحنفية فى زمانه وعالمهم. من أهل أذرعاع (يقرب دمشق) أقام فى دمشق يدرس ويفتى، وانتقل إلى القاهرة فولى قضاء القضاة فى أيام الظاهر بيبرس. ثم استعفاه من القضاء بالقاهرة، وعاد إلى دمشق. فدرس بالظاهرية. وولى القضاء قبل وفاته. فباشر مدة ثلاثة أشهر. ومات بدمشق. انظر: المدارس ٥٤٣/١ والبداية والنهاية ١٣ / ٢٨١ وشذرات الذهب ٥ / ٣٥٧ و مرآة الجنان ٤ / ١٨٨ وفهرست الكتبخانة ٣ / ١٤٨ والفوائد البهية ٨٠ والأعلام ٤ / ١٣٨.

(٢) محمد بن إبراهيم بن عبد الواحد بن على، أبو عبد الله شمس الدين بن أبى السرور المقدسى الحنبلى، نزيل مصر: وأول من ولى قضاء القضاة بالديار المصرية. ولد وتفقه بدمشق. وأقام مدة ببغداد وسكن مصر إلى أن مات. انظر: الشذرات ٥ / ٣٥٣ والأعلام ٥ / ٢٩٦، ٢٩٧.

(٣) جمع طرحة، وهى من مميزات لباس قضاة القضاة فى عصر المماليك بمصر.

وفيهما ولي السلطان إمرة عرب آل فضل لعيسى بن مهنا، فسار وطرده التار عن البيرة وحران^(١)، وفيها هلك القان هولأكو بن طولوخان بن جنكيزخان - فى تاسع عشر شهر ربيع الأول بالقرب من كورة مراغة - بالصرع، عن نيف وستين سنة، منها مدة سلطته عشر سنين. وقام من بعده ابنه أباغا، وجهاز جيشا لحرب الملك بركة خان، فانهزم هزيمة قبيحة.

* * *

ومات فى هذه السنة من الأعيان

الأمير جمال الدين موسى بن يغمور الباروقى، نائب السلطنة بديار مصر ودمشق، وهو معزول بالقصير^(٢) من عمل مصر، عن أربع وستين سنة.

وتوفى قاضى القضاة بدر الدين أبو المحاسن يوسف بن الحسن بن على السنجارى الشافعى، وهو معروف، بالقاهرة عن نيف وستين سنة.

وتوفى نجم الدين أبو المظفر فتح بن موسى بن حماد القصرى المغربى، قاضى سيوط بها.

* * *

(١) مدينة من ديار مصر، قديمة عتيقة لا يدري متى بنيت ويقال بناها هيران أخو إبراهيم عليه السلام وهو أبو لوط عليه السلام ويقال هارن وإليه تنسب حران. وهى من غر البلاد لكنها قليلة الماء والشجر ولها رساتيق وعمارات وموضعها فى مستوى من الأرض يحيط بها جبل شامخ مسافة يومين. انظر: الروض المعطار فى خبر الأقطار ١٩١، ١٩٢ ونزهة المشتاق ٢٠٠ وابن حوقل ٢٠٤ والكرخى ٥٤ والمقدسى ١٤١، وابن جبير ٢٤٤: ٢٤٧.

(٢) موضع قرب عيذاب. انظر: معجم البلدان ٣٦٧/٤.

سنة أربع وستين وستمائة

في الحرم: عقد الأمير سيف الدين قلاوون عنده على ابنة الأمير سيف الدين كرمون التتري الوافد. فنزل السلطان من قلعة الجبل، وضرب الدهليز بسوق الخيل، عندما دخل الأمير قلاوون عليها. وقام السلطان بكل ما يتعلق بالأسمطة، وجلس على الخوان، ولم يبق أحد من الأمراء حتى بعث إلى قلاوون الخيل وبقع الثياب، وأرسل إليه السلطان تعابى^(١) قماش وخيلا وعشرة ممالك، فقبل قلاوون المتقدمة واستعفى من الممالك، وقال: «هؤلاء خوشداشيتي في خدمة السلطان»، فأعفى.

وفيه كتب إلى دمشق بثلاثة تقاليد: أحدها بتقليد شمس الدين عبد الله محمد بن عطا الحنفي قاضي القضاة، والآخر بتقليد زين الدين أبي محمد عبد السلام بن علي بن عمر الزواوي^(٢) المالكي قاضي القضاة المالكية، والثالث بتقليد شمس الدين عبد الرحمن بن الشيخ أبي عمر محمد بن أحمد بن محمد بن قدامة الحنبلي^(٣) قاضي القضاة الحنابلة. فصار بدمشق أربعة قضاة، وكان قاضي القضاة الشافعي شمس الدين أحمد بن خلكان، فصار الحال كما هو بديار مصر، واستمر ذلك. واتفق أنه لما قدمت عهدود القضاة الثلاثة لم يقبل المالكي ولا الحنبلي، وقبل الحنفي فورده مرسوم السلطان بإلزامهما بذلك، وأخذ ما بأيديهما من الوظائف إن لم يفعلا، فأجابا. ثم أصبح المالكي وعزل نفسه عن القضاء والوظائف، فورده المرسوم بإلزامه فأجاب، وامتنع هو والحنبلي من تناول جامكية على القضاء. وقال بعض أدباء دمشق لما رأى اجتماع قضاة كل واحد منهم لقبه شمس الدين:

أهل دمشق استرابوا من كثرة الحكماء

(١) هي جمع تعبية ويقصد بها قطع من قماش. انظر: صبح الأعش ٤/ ٤٢.

(٢) عبد السلام بن علي بن عمر بن سيد الناس، أبو محمد الزواوي المالكي: أول من ولي قضاء المالكية بدمشق، لما صار القضاة أربعة. وانتهت إليه رئاسة الإقراء فيها. ولد بباجة، وانتقل شابا إلى مصر، ثم استقر بدمشق سنة ٦١٧ هـ. وتوفى بها. انظر: غاية النهاية ٣٨٦/١ والأعلام ٤/ ٦.

(٣) عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن قدامة المقدسي الجماعيلي الحنبلي، أبو الفرج شمس الدين: فقيه، من أعيان الحنابلة. ولد وتوفى في دمشق. وهو أول من ولي قضاء الحنابلة. استمر فيه نحو ١٢ عاما ولم يتناول عليه «معلوما» ثم عزل نفسه. انظر: المقصد الأرشد والنجوم الزاهرة ٣٥٨/٧ وفوات الوفيات ١/ ٢٦٢ والذيل على طبقات الحنابلة ٢/ ٣٠٤ والأعلام ٣/ ٣٢٩.

إذ هم جميعاً شمس وحالهم فى ظلام
وقال الآخر:

بدمشق آية قد ظهرت للناس عام
كلما ولى شمس قاضيا زادت ظلاما

وكان استقلالهم بالقضاء فى سادس جمادى الأولى.

وفيه وردت رسل الأنبرور، ورسل الفنش، ورسل ملوك الفرنج، ورسل ملك اليمن، ومعهم هدايا إلى صاحب قلاع الإسماعيلية. فأخذت منهم الحقوق الديوانية عن الهدية، إفسادا لنواميس الإسماعيلية، وتعجيزا لمن اكتفى شرهم بالهدية.

وفى ثامن صفر: كانت وقعة بين الأمير علم الدين سنجر الباشقردى نائب حمص، وبين البرنس بيمند بن بيمند ملك الفرنج بطرابلس، انهزم فيها الفرنج. وفيه كتب إلى دمشق بعمل مراكب، فعملت وحملت إلى البيرة. وفيه توجه السلطان إلى الإسكندرية، واهتم بحفر خليجها وبأشر الحفر بنفسه، فعمل فيه الأمراء وسائر الناس، حتى زالت الرمال التى كانت على الساحل بين النقيدى وفم الخليج، ثم عدى السلطان إلى بر أبيار^(١)، وغرق هناك عدة مراكب، وألقى فوقها الحجارة، ثم عاد إلى قلعة الجبل، وحفر بحر مصر بنفسه وعسكره، ما بين الروضة والمنشأة بجوار جرف الروضة، وجهز المحمل وخلع على المتوجه به إلى الحجاز، وهو الأمير جمال الدين [...] نائب دار العدل، وسيّر معه مبلغ عشرة آلاف درهم لعمارة حرم رسول الله ﷺ، وسيّرت الغلال لجرايات الصناع.

وفى جمادى الأولى: قدم فخر الدين بن جلبان من بلاد الفرنج بعدة من الأسرى، قد أفتكهم بمال الوقف المسير من جهة الأمير جمال الدين النجيبى نائب دمشق. فحضر عدة من النساء والأطفال، فسيّرت النساء إلى دمشق ليزوجهن القاضى من أكفائهن. وفيه سافر الأمير جمال الدين بن نهار المهمندار الصالحى لبناء جسر على نهر الشريعة، ورسم لنائب دمشق بحمل كل ما يحتاج إليه من الأصناف. وفيه كل بناء الدار الجديدة عند باب السر المطل على سوق الخيل من قلعة الجبل، فعمل بها دعوة للأمراء.

وفى جمادى الآخرة: سار الأمير أقوش السفيرى، ومعه أربعون ديوانا لاستخراج زكاة عرب بلاد المغرب، فوصل إليهم وأخذ منهم الزكاة التى فرضها الله وأخذ منهم الحقوق.

(١) هى بلدة من مديرية الغربية بقسم محلة منوف. انظر: الخطط التوفيقية ٨ / ٢٨.

(٢) ما بين المعقوفتين بياض فى الأصل.

وفي ثالث رجب: اهتم السلطان بأمر الغزو، وسير إلى أعمال مصر بإحضار الجند من إقطاعاتهم، فتأخروا. فأرسل سلاح داريته إلى سائر الأعمال، فعلقوا الولاة بأيديهم ثلاثة أيام تأديبا، لكونهم ما سارعوا إلى إحضار الأجناد، فحضروا بأجمعهم.

وخرج السلطان في مستهل شعبان، ورحل في ثالثه وسار إلى غزة. وقدم الأمير أيدغدى العزيزي، والأمير قلاوون، في عدة من العسكر إلى العوجاء. ومضى السلطان إلى الخليل ثم إلى القدس، ومنع أهل الذمة من دخول مقام الخليل، وكانوا قبل ذلك يدخلون ويؤخذ منهم مال على ذلك، فأبطله واستمر منعهم. وسار السلطان إلى عين جالوت ووصل العسكر إلى حمص، وأغاروا على الفرنج ونزلوا على حصن الأكراد، وأخذوا قلعة عرقة^(١) وحلباء والقليعات^(٢) وهدموها، فلما ورد الخبر بذلك جرّد السلطان الأمير علاء الدين البندقدار، والأمير عز الدين أوغان، في عدة من العسكر إلى صور فأغاروا على الفرنج، وغنموا وأسروا كثيرا. وتوجه الأمير إيتامش إلى صيدا، وصار السلطان إلى مدينة عكا، وبعث الأمير بدر الدين الأيدمرى، والأمير بدر الدين بيسرى إلى جهة القرن^(٣)، وأرسل الأمير فخر الدين الحمصى إلى جبل عامل. فأغارت العساكر على الفرنج من كل جهة، وكثرة المغنم بأيديهم حتى لم يوجد من يشتري البقر والجاموس وصارت الغارات من بلاد طرابلس إلى أرسوف. ونزل عسكر السلطان على صور، وأقام السلطان في جهة عكا، والأمير ناصر الدين القيمرى في عثليث، فطلب أهل عكا من الأتابك التحدث في الصلح. فاهتم السلطان بأمر صفا، وأحضر العساكر المجردة، ورحل الأمير بكتاش الفخرى أمير سلاح بالدهليز السلطاني ونزل على صفا، وتبعه الأمير البندقدار والأمير عز الدين أوغان في جماعة، وحاصروها.

هذا والسلطان مقيم على عكا حتى وافته العساكر، وعمل عدة مجانيق. ثم رحل والعساكر لابسة، وساق إلى قرب باب عكا، ووقف على تل الفضول. ثم سار إلى عين جالوت، ونزل على صفا يوم الإثنين ثامن شهر رمضان وحاصرها، فقدم عليه رسول متملك صور ورسول الفداوية، ورسول صاحب بيروت، ورسول صاحب يافا، ورسول صاحب صهيون. وصار السلطان يباشر الحصار بنفسه، وقدمت المجانيق من

(١) بكسر أوله موضع من ثغور مرجس من بلاد الروم. انظر: الروض المعطار في خبر الأقطار ٤٠٩ ومعجم ما استعجم ٣/ ٩٣٤، ومعجم البلدان عرقة: بلد من العواصم بين ريفية وطرابلس وعرقة بفتح العين وهى من نواحي الروم.

(٢) اسم حصن قرب طرابلس.

(٣) إحدى قرى دمشق.

دمشق إلى جسر يعقوب وهو منزلة من صفد - وقد عجزت الجمال عن حملها، فسار إليها الرجال من الأجناد والأمراء، لحملها على الرقاب من جسر يعقوب، وسار السلطان بنفسه وخواصه، وجرّ الأخشاب مع البقر هو وخواصه، فكان غيره من الناس إذا تعب استراح ثم يعود إلى الجرّ، وهو لا يسأم من الجرّ ولا يبطله، إلى أن نصبت المجانيق رُمى بها في سادس عشره، وصار السلطان يلزم الوقوف عندها وهي ترمى.

وأنت العساكر من مصر والشام، فنزلوا على منازلهم إلى أن كانت ليلة عيد الفطر فخرج الأمير بدر الدين الأيدمرى للتهنئة بالعيد، فوقع حجر على رأسه، فرسم السلطان بالألا يجتمع أحد لسلام العيد، ولا يبرح أحد من مكانه خشية انتهاز العدو غيرة العسكر ونودي يوم عيد الفطر في الناس: «من شرب حمرا أو جلبها شق».

وفي ثانيه: وقع الزحف على صفد، ودفع الزرّاقون النفط. ووعد السلطان الحجارين أنه من أخذ أول حجر كان له مائة دينار، وكذلك الثاني والثالث إلى العشرة. وأمر حاشيته بالألا يشتغلوا بخدمته. فكان بين الفريقين قتال عظيم استشهد فيه جماعة، وكان الواحد من المسلمين إذا قتل جرّه رفيقه ووقف موضعه، وتكاثرت النقوب ودخل النقبون إليها، ودخل السلطان معهم، وبذل السلطان في هذا اليوم من المال والخلع كثيرا، ونصب خيمة فيها حكماء وجرائحية وأشربة ومآكل، فصار من يُجرح من العربان والفقهاء والفقراء وغيرهم يحضر إليها.

وفي ثامنه: كانت بين الفريقين أيضا مقاتل.

وفي ليلة رابع عشره: اشتد الزحف من الليل إلى وقت القائلة، فنفرك الناس من شدة التعب، فغضب السلطان من ذلك وأمر خواصه بالسوق إلى الصاواوين وإقامة الأمراء والأجداد بالدبايس، وقال: «المسلمون عل هذه الصورة، وأتم تستريحون؟»، فأقيموا، وقبض السلطان على نيف وأربعين أميرا، وقيدهم وسجنهم بالزردخانا، ثم شفع فيهم فأطلقهم وأمرهم بملازمة مواضعهم، وضربت الطبلخانا واشتد الأمر إلى أن طلب الفرنج الأمان، فأمنهم السلطان على ألا يخرجوا بسلاح ولا لامة حرب ولا شيء من الفِضيات، ولا يتلفوا شيئا من ذخائر القلعة بنار ولا هدم، وأن يفتشوا عند خروجهم، فإن وُجد مع أحد منهم شيء من ذلك انتقض العهد.

ولم تزل الرسل تتردد بينهم إلى يوم الجمعة ثامن عشره، ثم طلعت السناجق الإسلامية، وكان لطلوعها سبب منسوبة. هذا والسلطان راكب على باب جهنم حتى نزل الفرنج كلهم، ووقفوا بين يديه فرسم بتفتيشهم، فوجد معهم ما يناقض الأمان من

السلاح والفضيات، ووجد معهم عدّة من أسرى مسلمين أخرجوهم على أنهم نصارى. فأخذ ما وُجد معهم وأنزلوا عن خيولهم، وجعلوا فى خيمة ومعهم من يحفظهم. وتسلم المسلمون صفد، وولى السلطان قلعتها الأمير مجد الدين الطورى، وجعل الأمير عز الدين العلائى نائب صفد، فلما أصبح حضر إليه الناس، فشكر اجتهادهم واعتذر إليهم مما كان منه إلى بعضهم، وأنه ما قصد إلا حثهم على هذا الفتح العظيم، وقال: «من هذا الوقت نتحالف»، وأمرهم فركبوا. وأحضرت خيالة الفرنج وجميع من صفد، فضربت أعناقهم على تل قرب صفد حتى لم يبق منهم سوى نفرين: أحدهما الرسول، فإنه اختار أن يقم عند السلطان ويسلم، فأسلم وأقطعاه السلطان إقطاعا وقربه، والآخر ترك حتى يخبر الفرنج بما شاهده. وصعد السلطان إلى قلعة صفد، وفرق على الأمراء العدد الفرنجية والجوارى والمماليك، ونقل إليها زردخاناه من عنده، وحمل السلطان على كفه من السلاح إلى داخل القلعة، فتشبه به الناس ونقلوا الزردخاناه فى ساعة واحدة. واستدعى السلطان الرجال من دمشق للإقامة بصفد، وقرّر نفقة رجال القلعة فى الشهر مبلغ ثمانين ألف درهم نقرة واستخدام على سائر بلاد صفد، وعمل بها جامعا فى القلعة وجامعا بالربض ووقف على المجنون نصف وربع الحباب^(١)، وللربع الآخر على الشيخ إلياس، ووقف قرية منها على قبر خالد بن الوليد بجمص.

وفى سابع عشره: رحل السلطان من صفد إلى دمشق، فنزل الجسورة وأمر ألا يدخل أحد من العسكر إلى دمشق، بل يبقى العسكر على حاله حتى يسير إلى سيس^(٢) ودخل السلطان إلى دمشق جريدة، فبلغه أن جماعة من العسكر قد دخلوا إلى دمشق، فأخرجهم مكّفين بالحبال. وأقام الملك المنصور صاحب حماة مقدّما على العساكر وسيرهم معه، وفيهم الأمير عز الدين أوغان، والأمير قلاوون، فساروا فى خامس ذى القعدة إلى سيس.

وفى ثالث ذى القعدة: مات كرمون أغا.

وفى ثامنه: أنعم السلطان على أمراء دمشق وقضاتها وأرباب مناصبها بالتشريف، ونظر فى أمر جامع دمشق، ومنع الفقراء من المبيت فيه، وأخرج ما كان به من الصناديق التى كانت للناس.

وفى عاشره: جلس الأتابك - هو والأمير جمال الدين النجيبى نائب دمشق - لكشف ظلمات الناس والتوقيع على القصص، بدار السعادة. وخرج السلطان للصيد

(١) هى إحدى بلاد وادى القرى، بين دمشق والمدينة. انظر: معجم البلدان ٨١/٤.

(٢) هى عاصمة أرمينية الصغرى، موقعها بين أنطاكية وطرسوس. انظر: معجم البلدان ٢١٧/٣.

فضرب عدّة حلق، وسار إلى جرود^(١) ثم إلى أفامية^(٢)، وجّهز السلطان إلى مصر شخصا كان قد حضر إلى دمشق وادّعى أنه مبارك بن الإمام المستعصم وصحبه جماعة من أمراء العربان، فلم يعرفه جلال الدين بن الدوادار ولا الطواشي مختار، وتبين كذبه فسير إلى مصر تحت الاحتياط، وجّهز السلطان بعده شخصا آخر أسود إلى مصر، ذكر أنه من أولاد الخلفاء، فسُير إلى مصر أيضا، وكان قد وصل إلى دمشق في ذي القعدة.

وفيه استولى السلطان على هُونَيْن^(٣) وتَبْنين وعلى مدينة الرملة، فعمرها وصير لها عملا وولّى فيها. وفيه أبطل السلطان ضمان الحشيشة الخبيثة، وأمر بتأديب من أكلها، وقدم رسول الاستتار ملك الفرنج، يسأل استقرار الصلح على بلادهم من جهة حمص وبلاد الدعوة، فقال السلطان: «لا أجيب إلا بشرط إبطال ما لكم من القطائع على مملكة حماة وهي أربعة آلاف دينار، وما لكم من القطيعة على بلاد أبى قبيس^(٤) وهي ثمانمائة دينار، وقطيعتكم على بلاد الدعوة وهي ألف ومائتا دينار ومائة مدّ حنطة وشعير نصفين». فأجابوا إلى إبطال ذلك، وكتبت الهدنة وشُروط فيها الفسخ للسلطان متى أراد، ويعلمهم قبلُ بمدة. وورد الخبر بأن فرنج عكا وجدوا أربعة من المسلمين في طين^(٥) شيحا فشنقوهم، فرسم السلطان بالإغارة على بلاد الفرنج، فقتلت العساكر منهم فوق المائتين، وساقوا جملة من الأبقار والجواميس وعادوا. وورد كتاب والى قوص^(٦) أنه وصل إلى عيذاب، وبعث عسكريا إلى سواكن، ففر صاحب سواكن، ففر صاحب سواكن، وعادوا إلى قوص وقد تمهدت البلاد، وصارت رجال السلطان بسواكن.

وفي يوم الإثنين النصف من ذي الحجة: جلس الأمير عز الدين الحلبي نائب السلطنة بديار مصر، ومعه صاحب بهاء الدين والقضاة، بدار العدل على العادة: وإذا بإنسان يخرق الصنوف - ويبيده قصة - حتى وقف قدام الأمير، ووثب عليه بسكين

(١) إقليم من أعمال غوطة دمشق. انظر: معجم البلدان ١٣٠/٢.

(٢) هي إحدى بلاد حمص. انظر: معجم البلدان ٣٢٣/١.

(٣) هي بلد في جبال عاملة قرب بانياس. انظر: معجم البلدان ٩٩٦/٤.

(٤) حصن في مقابلة شيزر. انظر: معجم البلدان ١٠٣/١.

(٥) المقصود هنا الأرض الزراعية الواقعة قرب جبل شيحان.

(٦) مدينة مصرية كبيرة في البلاد المصرية في الجهة الشرقية من النيل، وهي أزلية قديمة فيها آثار كثيرة للأوائل وبينها وبين أسوان غيران منحوتة في جبال. انظر: الروض المعطار في خبر الأقطار

أخرجها من تحت ثيابه، وطعنه فى حلقه. فأمسك الأمير بيده فجرحها، ورفسه برجله ونام على ظهره، فوقع المحرم وقصد أن يضرب الأمير ضربة أخرى، أو يضرب الصاحب، فرجعت السكين فى فؤاد الأمير صارم الدين المسعودى، فمات من ساعته، فقام الأمير فخر الدين والى الجيزة وقبض عليه ورماه، فوقع على قاضى القضاة، وأخذته السيوف حتى هلك. وحُمل الأمير عز الدين الحللى إلى داره بالقلعة، وحضر المزينون إليه فوجدوا الجرح بين البلعوم والمنحر، وكان الذى ضربه جنداراً به شعبة من جنون، وتعاطى أكل السمينة فقوى جنه وكتب بهذا الحادث إلى السلطان، فوفاه الخير وهو راجع من أفامية، فشق عليه ذلك وقال: «والله يهون على موت ولدى بركة، ولا يموت الحللى». فقال له الأتابك: «يا خوندا! والله طيبت قلوبنا إذا كنت تشتهى لو فديت غلاما من غلمانك بولدك وولى عهدك». ثم ورد الخير بعافية الحللى مع مملوكه، فخلع عليه السلطان وأعطاه ألف دينار، وأعطى رفيقه ثلاثة آلاف درهم نقرة، وأحسن إلى ورثة الصارم المسعودى.

وأما الملك المنصور ومن معه، فإنهم ساروا إلى حصن دَيْرِ بساك^(١) ودخلوا الدَّرْبَنْد^(٢)، وقد بنى التَّكْفُور^(٣) هيتوم بن قسطنطين بن باساک ملك الأرمن على رعوس الجبال أبراجا - وهو الذى تزهد فيما بعد، وترك الملك لولده ليفون - فاستعدت ووقف فى عسكره، فعندما التقى الفريقان أسير ليفون ابن ملك سيس، وقتل أخوه وعمه، وانهزم عمه الآخر، وقتل ابنه الآخر، وتمزق الباقي من الملوك - وكانوا اثنى عشر ملكا - وقتلت أبطالهم وجنودهم. وركب العسكر أقفيتهم وهو يقتل ويأسر ويحرق، وأخذ العسكر قلعة حصينة للديوية^(٤)، فقتلت الرجال وشيبت النساء وفرقت على العسكر وحرقت القلعة بما فيها من الخواصل. ودخلوا سيس فأخرجوها وجعلوا عاليها سافلها، وأقاموا أياما يحرقون ويقتلون ويأسرون. وسار الأمير أوغان إلى جهة الروم، والأمير قلاوون إلى المصيصة وأذنة^(٥) وأياس وطرسوس، فقتلوا وأسروا وهدموا عدة قلاع وحرقوا هذا وصاحب حماة مقيم بسيس، ثم عادوا إليه وقد اجتمع معهم من الغنائم ما لا يعد ولا يحصى، حتى أبيع رأس البقر بدرهمين ولم يوجد من يشتريه.

(١) موقع قرب أنطاكية. انظر: معجم البلدان ٦٤٦/٢.

(٢) لفظ فارسى ومن معانيه المضايق والطرق والمعاير الضيقة.

(٣) لفظ أرمنى معناه الملك المتوج.

(٤) لعلها قلعة العامدين وهى حصن بأرمينية الصغرى.

(٥) واد من أودية القبلية. انظر: معجم البلدان ٢٨٠/١.

فورد الخير بذلك والسلطان فى الصيد بجرود، فأعطى المبشر ألف دينار وإمرة طبلخاناه. ودخل السلطان إلى دمشق، وتجهز وخرج للقاء العسكر فى ثالث عشر ذى الحجة فشكى إليه وهو بقارا^(١) من أهلها وهم نصارى: أنهم يتعدون على أهل الضياع، ويبيعون من يقع إليهم إلى الفرنج بحسن عكا، فأمر العسكر بنهبهم فنهبوا، وقتل كبارهم وسبى النساء والأولاد، وقدم عليه العسكر المجهز إلى سيس، وقدموا له نصيبه من الغنائم ففرق الجميع على عساكره، وأحسن إلى متملك سيس ومن معه من الأسرى. وعاد السلطان إلى دمشق فى رابع عشره - ومتملك سيس بين يديه - وخلع على الأمراء والملوك والأجناد، فامتلات بالمكاسب، وأبيع من الجواهر والحلى والدقيق والحريز ما لا يحصى كثرة، ولم يتعرض السلطان لشيء من ذلك، وعاد صاحب حماة إلى مملكته، بعد ما أنعم عليه السلطان بكثير من الخيول والأموال والخلع.

وفىها قدمت رسل الملك أبغا بن هولانكو بهدايا وطلب الصلح وفىها أمر السلطان بجمع أصحاب العاهات، فجمعوا بخان السبيل ظاهر باب الفتوح من القاهرة، ونقلوا إلى مدينة الفيوم وأفردت لهم بلدة تغل عليهم ما يكفيهم، فلم يستقرّوا بها وتفرقوا ورجع كثير منهم إلى القاهرة وفىها اشتد إنكار السلطان للمنكر، وأراق الخمر وعفى آثار المنكرات، ومنع الحانات والخواطى بجميع أقطار مملكته. بمصر والشام، فظهرت البقاع من ذلك. وقال القاضى ناصر الدين أحمد بن محمد بن منصور بن أبى بكر بن قاسم بن مختار بن المنير^(٢) قاضى الإسكندرية، لما وردت إليه المراسيم بالإسكندرية وعفى متوليها أثر المحرمات:

ليس لإبليس عندنا أرب غير بلاد الأمير مأواه
حرّمته الخمر والحشيش معا حرّمته ماء ومرعاه
وقال أبو الحسين الجزار:

قد غطّل الكوب من حبابه وأخلى الثغر من رضابه
وأصبح الشيخ وهو ييكى على الذى فات من شبابه
وفىها قدم على بن الخليفة المستعصم من الأسر عند التتار.

* * *

(١) تقع هذه البلدة على الطريق من دمشق إلى حمص. انظر: معجم البلدان. ١٣، ١٢/٤.

(٢) ابن المنير السكندرى (٦٢٠ - ٦٨٣ هـ = ١٢٢٣ - ١٢٨٤ م) أحمد بن محمد بن منصور من علماء الإسكندرية وأدبائها. ولى قضاها وخطابها مرتين. انظر: فوات الوفيات ٧٢/١ والأعلام ٢٢٠/١.

ومات في هذه السنة من الأعيان

الأمير جمال الدين أيدغدى العزىزى، بعد فتح صفد.

وتوفى الصاحب شرف الدين أبو محمد عبد الرحمن بن أمين الدين أبى الغنائم سالم
ابن الحسن بن هبة الله بن محفوظ بن صبرى التغلبى الدمشقى، ناظر الدواوين بها،
عن تسع وستين سنة.

وتوفى جمال الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الجليل بن عبد الكرىم الموقانى
المقدسى الشافعى، المحدث الأديب.

* * *

سنة خمس وستين وستمائة

فى المحرم: بعث السلطان الأمير سيف الدين بكتمر الساقى، والأمير شهاب الدين بوزيا، فى عدّة من العسكر ورجال جبليّة^(١) فقطعوا أقصاب الفرنج، وعادوا إلى صغد. وفيه قدمت نجدة للفرنج من قبرص، وعدّتها نحو ألف ومائة فارس، وأغاروا على بلد طبرية، فخرج العسكر إلى عكا، وواقع الفرنج فقتلوا منهم كثيرا، وانهزم الباقي إلى عكا وعمل فيها عزاء من قتل.

وفى ثمانية: خرج السلطان من دمشق بعساكره إلى الفوار يريد الديار المصرية، وسار منه جريدة إلى الكرك ونزل بركة زيزاء، وركب ليتصيد فتقطر عن فرسه فى ثامنه، وتأخر هناك أياما حتى صلح مزاجه، وأكثر من الإنعام على جميع عساكره وأمرائه بجميع كلفهم من غلات الكرك، وعمّ بذلك الخواص والكتاب، وفرّق فيهم جملا كثيرة من المال. واستدعى السلطان أمراء غزة وأحسن إليهم، وطلب الأمير عز الدين أيدمر نائب الكرك وأعطاه ألف دينار وخلع عليه، وسير الخلع إلى أهل الكرك ثم سار فى محفة على أعناق الأمراء والخواص إلى غزة، وسار منها إلى بلبس، فتلّقه ابنه بركة فى ثالث صفر ومعه الأمير عز الدين الحلبي، وزينت القاهرة، فلم يزل السلطان موعوكا إلى غرة شهر ربيع الأوّل، فركب الفرس وضربت البشائر لعافيته، وسار إلى باب النصر فأقام هناك إلى خامسه.

وصعد السلطان إلى القلعة، وقدم عليه رسول التكفور هيتوم صاحب سيس يشفع فى ولده للسلطان، ففكّ قيده فى ثانى عشرية وكتب له مؤادعة^(٢) على بلاده إلى سنة، وركب مع السلطان لرماية البندق فى بركة الحب.

وفى آخر ربيع الأوّل: بعث السلطان الأتابك فارس الدين أقطاي المستعرب، والصاحب فخر الدين محمد بن صاحب بهاء الدين بن حنا، لكشف مكان يعمله جامعا بالحسينية. فسارا واتفقا على مناخ الجمال السلطانية، فلما عادا قال السلطان: «لا والله! لا جعلت الجامع مكان الجمال، وأولى ما جعلت ميداني الذي ألعب فيه الكرة

(١) المقصود بهذا الوصف أهل البلاد الجبلية بالشام.

(٢) يقال الوديع: الرجل الهادي الساكن ذو الدعة، ويقال: ذو وداعة، ودع يودع دعة ووداعة،

والمقصود بالموادعة أى المهادنة. ينظر: لسان العرب (ودع).

- وهو نزهتي - جامعاً - وركب السلطان فى ثامن ربيع الآخر ومعه صاحب بهاء الدين والقضاة إلى ميدان قراقوش، ورتب بناءها جامعاً، وأن يكون بقية الميدان وقفاً عليه. عاد إلى المدرسة التى أنشأها بين القصرين، وقد اجتمع بها الفقهاء والقراء، فقال: «هذا مكان جعلته لله تعالى، فإذا ميتٌ لا تدفونى هنا، ولا تغيروا معالم هذا المكان». وصعد إلى القلعة.

وفيه وردت مكاتبة المنصور صاحب حماة، يستأذن فى الحضور إلى مصر ليشاهد عافية السلطان، فأجيب إلى ذلك وقدم فى سابع عشره. فخرج السلطان إلى لقائه بالعباسية، وبعث إليه وإلى من معه التشاريف، وعاد إلى القلعة. فسأل المنصور الإذن بالمسير إلى الإسكندرية فأذن له، وسار معه الأمير سنقرجاه الظاهرى، وحملت له الإقامة حتى عاد.

وفى يوم الجمعة ثامن عشر ربيع الآخر: أقيمت الجمعة بالجامع الأزهر من القاهرة، وكانت قد بطلت منه منذ ولى قضاء مصر صدر الدين عبد الملك بن درباس، عن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب وقد ظل كذلك إلى أن سكن الأمير عز الدين أيدمر الحلى بجواره، فانتزع كثيراً من أوقاف الجامع كانت مغصوبة بيد جماعة، وتبرع له بمال جزيل، واستطلق له من السلطان مالا، وعمر الواهى من أركانه وجدرانها وبَيَّضه وبلطه ورمّ سقوفه، وفرشه واستجد به مقصورة وعمل فيه منبراً، فتنازع الناس فيه هل تصح إقامة الجمعة فيه أم لا، فأجاز ذلك جماعة من الفقهاء، ومنع منه قاضى القضاة تاج الدين ابن بنت الأعز وغيره، فشكى الحلى ذلك إلى السلطان، فكلّم فيه قاضى القضاة فصمّم على المنع، فعمل الحلى بفتوى من أجاز ذلك وأقام فيه الجمعة. وسأل السلطان أن يحضر فامتنع من الحضور ما لم يحضر قاضى القضاة، فحضر الأتابك والصاحب بهاء الدين وعدّة من الأمراء والفقهاء، ولم يحضر السلطان ولا قاضى القضاة تاج الدين. وعمل الأمير بدر الدين بيليك الخازندار بالجامع مقصورة، ورتب فيها مدرسا وجماعة من الفقهاء على مذهب الشافعى، ورتب محدثاً يسمع بالحديث النبوى والرقائق، ورتب سبعة لقراءة القرآن العظيم، وعمل على ذلك أوقافاً تكفيه.

وفى جمادى الآخرة: وصلت رسل الدعوة بجملة من الذهب، وقالوا: «هذا المال الذى كنا نحمله قطيعة للفرنج قد حملناه لبيت مال المسلمين، لينفق فى المجاهدين». وقد كان أصحاب بيت الدعوة فيما مضى من الزمان يَقْطَعُونَ مصانعات^(١) الملوك، ويجبون

(١) يقصد بها المدارة للحكام والملوك.

القطيعة من الخلفاء، ويأخذون من مملكة مصر القطيعة فى كل سنة، فصاروا يحملون القطيعة لذلك الظاهر لقبامه بالجهاد فى سبيل الله.

وفيه عمرت قلعة قاقون عوضا عن قيسارية وأرسوف، وعمرت الكنيسة التى كانت للنصارى هناك جامعا. وسكن هناك جماعة فصارت بلدة عامرة بالأسواق، وفيه أمر السلطان باستخراج الزكاة من سائر الجهات: فاستخرج من بلاد المغرب زكاة مواشيهم وزكاة زروعهم، واستخرج من جهات سواكن وجزائرها الزكاة. وبعث السلطان إلى الحجاز الأمير شكال بن محمد، فطلب العداة من الأمير جماز أمير المدينة النبوية، فدافعه فمضى إلى بنى خالد يستعين بهم على عرب جماز، ثم خاف وبعث إلى السلطان يطلب إرسال من يستخلفه على استخراج حقوق الله.

وفى سابع عشره: توجه السلطان فى جماعة من أمرائه إلى الشام، وترك أكثر العساكر بالديار المصرية. و كان معه المنصور صاحب حماة، فنزل السلطان غزة، ومضى صاحب حماة إلى مملكته بعد زيارة القدس فقدمت رسل الفرنج على السلطان بغزة، ومعهم الهدايا وعدة من أسرى المسلمين، فكسا الأسرى وأطلقهم. ورحل السلطان إلى صفد، فورد الخبر عليه هناك بتوجه التتار إلى الرحبة، فسار إلى دمشق مسرعا فدخلها فى رابع عشر رجب، وجاء الخبر بقدم التتار إلى الرحبة، وأن أهلها قتلوا وأسروا منهم كثيرا وهزموهم، فأقام بدمشق خمسة أيام، وعاد إلى صفد فى رابع عشره. ورتب السلطان أمر عمارة صفد، وقسم خندقها على الأمراء، وأخذ لنفسه نصيبا وافرا عمل فيه بنفسه، فتبعه الأمراء والناس فى العمل ونقل الحجارة ورمى التراب وصاروا يتسابقون، فوردت عليه رسل الفرنج يطلبون الصلح، فرأوا الاهتمام فى العمارة.

ثم إنه بلغه فى بعض تلك الأيام أن جماعة من الفرنج بعكا تخرج منها غدوة وتبقى ظاهرها إلى صحوة، فسرى ليلة ببعض عسكره وأمر بالركوب خفية فركب وقد اطمأن الفرنج، فلم يشعروا به إلا وهو على باب عكا، ووضع السيف فى الفرنج، وصارت الرعوس تحمل إليه من كل جهة، وكان الحر، فعملت عباءة على رمح ليستظل بها، وبات تلك الليلة وأصبح على حاله، ثم عاد إلى صفد، وقدمت رسل سيس بالهدية، فرأوا رسل الفرنج ورأوا رعوس القتلى على الرماح. وقدمت الأسرى من هذه الغارة فضربت أعناقهم، وطلب السلطان رسل الفرنج وقال لهم: «هذه الغارة فى مقابلة غارتكم على بلاد الشقيف» وردهم من غير إجابتهم إلى الصلح.

ثم ركب السلطان فى حادى عشرى شعبان وساق من صفد إلى عكا، فلما علم به الفرنج حتى وقف على أبوابها، فقسم البنائين والحجارين والناس على البساتين والأبنية والآبار لهدمها، فاقسموا ذلك وشرعوا فى الهدم وقطع الأشجار. وعمل السلطان اليزك بنفسه على باب عكا، وصار واقفا على فرسه ويده رمح مدّة أربعة أيام، حتى تكامل الإحراق والهدم وقطع الأشجار. ثم رجع إلى صفد، فوردت رسل سيسى ورسل بيروت فأجيبوا عن مقاصدهم.

وفى شهر رمضان: وردت رسل صور يطلبون استمرار الهدنة، فأجيبوا إلى الصلح، وكُتبت هدنة لمدة عشر سنين لصور وبلادها - وهى مائة قرية إلا قرية - بعد ما أحضروا دية السابق شاهين الذى قتلوه لأولاده - وهى خمسة عشر ألف دينار صورية، قاموا بنصفها وأمهلوا بالباقي - وأحضروا أيضا عدّة أسرى مغاربة. وقدمت رسل بيت الاستار من الفرنج يطلبون الصلح على حصن الأكراد والمرقب، فأجيبوا وتقررت الهدنة لعشر سنين وعشرة أشهر وعشرة أيام وعشر ساعات، وبطلت القطائع عن بلاد الدعوة وعن حماة وشييزر وأفامية وعن أبى قبيس، وقد تقدم ذلك، وبطل أيضا ما كان على عيّناب، وهو خمسمائة دينار صورية وعن كل فدان مكوكان غلة وستة دراهم.

وقدم الشريف بدر الدين ملك بن منيف بن شيحة من المدينة النبوية يشكو من الشريف جهاز أمير المدينة، وأن الإمرة كانت نصفين بين أبيه ووالده جهاز. فكُتب لجهاز أن يسلمه نصف الإمرة، وكُتب له تقليد بذلك وبنصف أوقاف المدينة النبوية التى بالشام ومصر وسُلمت إليه، فامثل جهاز ما رُسم به.

وفى ذى الحجة: نزحت بئر السقاية التى بالقدس حتى اشتد عطش الناس بها، فنزل شخص إلى البئر فإذا قناة مسدودة، فأعلم الأمير علاء الدين الحاج الركنى نائب القدس، فأحضر الأمير بنائين وكشف البناء، فأفضى بهم فى قناة إلى تحت الصخرة، فوجدا هناك باباً مقنطراً قد سُدَّ، ففتحوه فخرج منه ماء كاد يفرقهم، فكُتب بذلك إلى السلطان، وأنه لما نقص ماء السقاية دخل الصناع فوجدوا سدّاً نقب فيه الحجارون قدر عشرين يوماً، ووُجد سقف مُقلّط^(١) فنُقِب فيه قدر مائة وعشرين ذراعاً بالعمَل^(٢)، فخرج الماء وملاً القناة.

(١) اسم مفعول من قلفط، يقال قلفط السفينة: حدر ألواحها بالليف وجعل فى خللها الفار. انظر: لسان العرب.

(٢) المقصود الذراع المعمارى، الذى تقاس به أرض البنيان، وقياسه ثلاثة أشبار بشير الرجل المعتدل. انظر: القلقشندى، صبح الأعشى ٤٤٦/٣.

وفي هذه السنة: أنشأ السلطان قنطرة على بحر أبي المنجا بناحية بيسوس^(١) وتولى عملها الأمير عز الدين أيك الأفرم، فجاءت من أعظم القناطر. وفيها أنشأ السلطان القصر الأبلق بدمشق بالميدان الأخضر على نهر بردى، فتولى عمل ذلك الأمير أقوش النجيبى نائب دمشق، فعمره بالرخام الأبيض والأسود، وجعل جانباً عظيماً منه تحف به البساتين والأنهار من كل ناحية، ولم يعمل بدمشق قبله مثله. وما زال عامراً تنزله الملوك إلى أن هدمه تيمورلنك فى سنة ثلاث وثمانمائة، عند حريق دمشق وخرابها.

وفىها جلس منكوتمر بن طغان بن باتوتان بن دوشى خان بن جنكيزخان على كرسى مملكة القفجاق صراى، عوضاً عن الملك بركة خان بن دوشى خان بن جنكيزخان، بعد وفاته هذه السنة. وكان بركة خان قد مال إلى دين الإسلام، وهو أعظم ملوك التتر، وكرسى مملكته مدينة صراى.

وفىها مات قاضى القضاة تاج الدين أبو محمد عبد الوهاب بن خلف بن أبى القاسم العلامى الشافعى، المعروف بابن بنت الأعز، فى سابع عشرى شهر رجب، من إحدى وخمسين سنة، فولى قضاء القاهرة والوجه البحرى تقى الدين محمد بن الحسين بن رزين الشافعى، وولى قضاء مصر محبى الدين عبد الله بن شرف الدين محمد بن عبد الله بن الحسن بن عبد الله بن على بن صدقة بن حفص، المعروف بابن عين الدولة، فى يوم الخميس تاسع شعبان، بمرسوم ورد عليه عقيب وفاة تاج الدين ابن بنت الأعز، بأن يتولى قضاء مصر والوجه القبلى. وفىها حج الأمير الحلى، وتصدق بمال بعثه به السلطان الملك الظاهر، وحج الصحاب محبى الدين بن الصحاب بهاء الدين بن حنا. ومات فى هذه السنة الأمير ناصر الدين حسن بن عزيز القيمرى، نائب السلطنة بالساحل.

وتوفى شهاب الدين أبو القاسم عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم بن عثمان - المعروف بأبى شامة^(٢) - المقدسى الشافعى، بدمشق عن ست وستين سنة.

* * *

(١) وهى قرية صغيرة بمديرية القليوبية الحالية، وموقعها على الشاطئ الشرقى لفرع دمياط. انظر: الخطط التوفيقية ٢٥/١٠.

(٢) عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسى الدمشقى، أبو القاسم شهاب الدين، أبو شامة: مؤرخ، محدث، باحث، أصله من القلس، ومولده فى دمشق، وبها منشأه ووفاته. ولى بها مشيخة دار الحديث الأشرفية، ودخل عليه اثنان فى صورة مستفتين فضرباه، فمرض ومات. وقد لقب أبو شامة لشامة كبيرة كانت فوق حاجبه الأيسر. انظر: فوات الوفيات ٢٥٢/١ وبغية الوعاة ٢٩٧ وابن شقدة وغربال الزمان والبداية والنهاية ٣٦٥/١ والنعمى ٢٣/١ وطبقات الشافعية ٦٧٥ والأعلام ٢٩٩/٣.

سنة ست وستين وستمائة

فى صفر: وردت الزكاة والعشر من المدينة النبوية، وعدتها مائة وثمانون جملا ومبلغ عشرة آلاف درهم، فاستقل السلطان ذلك وأمر برده، فورد بنو صخر وبنو لام وبنو عنزة من عرب الحجاز، والتزموا بزكاة الغنم والإبل، فبعث السلطان معهم شادين لاستخراج ذلك. وفيه قسّمت عمارة صنفد على الأمراء، وأخذ السلطان لنفسه نصيبا وافرا، وأقيم فى عمارة القلعة وأبراجها الأمير سيف الدين الزينى، وعُمل لها أبواب سرّ إلى الخندق، فلما كملت كتب على أسوارها: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾^(١)، ﴿أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾^(٢) أمر بتجديد هذه القلعة وتحسينها، وتكميل عمارتها، وبعد ما خلصها من أسر الفرج الملاعين، وردّها إلى يد المسلمين ونقلها من حوزة الدنيوية إلى حوزة المؤمنين، وأعادها إلى الإيمان كما بدأ بها أول مرّة، وجعلها للكفار خسارة وحسرة، واجتهد وجاهد حتى بدّل الكفر بالإيمان والناقوس بالأذان والإنجيل بالقرآن، ووقف بنفسه حتى حمل تراب خنادقها وحجارتها منه بنفسه وبخواصه على الرعوس، السلطان الملك الظاهر أبو الفتح بيبرس، فمن صارت إليه هذه القلعة من ملوك الإسلام، ومن سكنها من المجاهدين، فليجعل له نصيبا من أجره، ولا يخله من الترحم فى سرّه وجهره، فقد صار يقال عمر الله صرحها، بعد ما كان يقال عجل الله فتحها، والعاقبة للمتقين إلى يوم الدين».

وفيه كتب السلطان إلى الملك منكوتر القائم مقام الملك بركة، بالتعزية والإغراء بولد هولاكو. وفيه رسم السلطان بعمارة مسجد الخليل عليه السلام، فتوجه الأمير جمال الدين بن نهار لعمل ذلك، حتى أنهى عمارته. وفيه سار السلطان من صنفد إلى القاهرة، فدخل قلعة الجبل سالما فى [...] ^(٣)...] وقدمت رسل السلطان المظفر شمس الدين يوسف بن عمر بن رسول^(٤) الملك اليمنى، بعشرين فرسا عليها لامة الحرب،

(١) سورة الأنبياء آية ١٠٥.

(٢) سورة المجادلة آية ٢٢.

(٣) ما بين المعقوفتين سقط فى الأصل.

(٤) يوسف (المظفر) بن عمر (المنصور نور الدين) بن على بن رسول التركمانى اليمنى شمس الدين: ثانى ملوك الدولة الرسولية فى اليمن. ولد بمكة وولى بعد مقتل أبيه (سنة ٦٤٧هـ) بصنعاء طالت مدته. واستمر إلى أن توفى بقلعة تعز. انظر: العقود اللؤلؤية ١/٥٠، ٨٥، ٨٨ - ٢٨٤ وابن =

وفيلة وحمارة وحشية عنايية اللون وعدة تحف وطرف، فجهزت له خلعة وسنحق، وهدية فيها قميص من ملابس السلطان كان قد سأل فيه ليكون له أمانا، وسُير إليه أيضا جَوْشَن^(١) وغيره من آلة الحرب، وقيل له: «قد سيرنا إليك آلة السلم وآلة الحرب مما لاصق جسدنا في مواطن الجهاد» وكتب له المقام العالى المولوى السلطانى، وكتب له السلطان بخطه المملوك.

وفيه اجتاز السلطان على السدِير^(٢) قرب العباسية، فأعجبه فاختر منه مكانا بنى فيه قرية سماها الظاهرية، وعمر بها جامعا. وبينما هو فى الصيد هناك إذ بلغه حركة التتار على حلب، فعاد إلى القلعة وأمر بخروج الخيام. فلم يعجبه خيام جماعة فأدبهم وجرسهم. وخرج البريد إلى الشام بتجهيز العساكر، فلما خرجوا وساروا إلى بانياس أخرج البريدى كتبا مختومة باسم الأمير علم الدين الحصنى والأمير بدر الدين الأتابكى، وفيها منازلهم للشقيف، فلم يشعر الفرنج إلا بالعساكر على قلعة الشقيف.

وسار السلطان من مخيمه بباب النصر فى ثالث جمادى الآخرة إلى غزة، فبلغه عن جماعة من الجمالين أنهم تعرّضوا إلى زرع فقطع أنوفهم، وبلغه عن الأمير علم الدين سنجر الحموى أنه ساق فى زرع، فأنزله عن فرسه وأعطاه بما عليه من السرج واللحام لصاحب الزرع ثم رحل السلطان إلى العوجاء.

فلما كان يوم العشرين منه: ساق السلطان من العوجاء إلى يافا، وحاصرها حتى ملكها من يومه، وأخذ قلعتها وأخرج من كان فيها، وهدمها كلها وجمع أخشابها ورخامها وحمله فى البحر إلى القاهرة، فعمل من الخشب مقصورة الجامع الظاهرى بالحسينية، ومن الرخام بجرايه. وأمر السلطان ببناء الجوامع بتلك البلاد، وأزال منها ومن قرية المنكرات^(٣)، ورتب الخفراء على السواحل وألزمهم بدركها. ورسم أن المال المتحصل من هذه البلاد لا يخلط بغيره، وجعله لما كله ومشربه. وأعطى الأمير علاء

=الوردى ٢ / ٢٤٠ وابن الفرات ٨ / ٢٠٢ وأنباء الزمن والبداية والنهاية ١٣ / ٣٤١ والنجوم الزاهرة ٨ / ٧١ والفهرس التمهيدى ٥٣٤ والكتبخانة ٦ / ٤١ ومعجم المطبوعات ١٤١٧ والأعلام ٨ / ٢٤٣، ٢٤٤.

(١) الجوشن: الصدر، والدرع، وجمع جواشن. انظر المعجم الوسيط ١ / ١٥٣.

(٢) بالعراق وهو سودا النخل، وقيل السدير النهر الذى هناك وقيل هو قصر عظيم من إنشاء ملوك لخم فى القديم وسمى سديرا لأن العرب لما نظرت إلى سواد نخله سدرت أعينهم. انظر: الروض

المعطار فى خير الأقطار ص ٣٠٨ ومعجم ما استعجم (الخورنق) ٣ / ٧٢٩، معجم البلدان ٣ / ٦١

(٣) قرية قرب بيت المقدس. انظر: معجم البلدان ٤ / ٣٥٤.

الدين الحاج طيرس منها قرية، وأعطى الأمير علم الدين سنجر الحموى قرية، وملكهما إياهما وأنزل التركمان بالبلاد الساحلية لحمايتها، وقرر عليهم خيلاً وعدة، فتجدد له عسكر بغير كلفة، وفيه رسم بتجديد عمارة الخليل عليه السلام، ورسم أن يكون عمل الخوان الذى يُمَدُّ ناصيةً عن مسجد الخليل.

وجهاز السلطان عسكراً إلى الشقيف، ثم سار إليها بنفسه فنزل عليها فى يوم الأربعاء تاسع عشر شهر رجب، وقَدِمَ الفقهاء للجهاد، ونصب السلطان عليها ستة وعشرين منجنيقاً، وألح عليها حتى أخذها يوم الأحد سلخ رجب، وأخرج منها نساء الفرنج وأولادهم إلى صور، وقيد الرجال كلهم وسَلَّمهم للعساكر. وهدم السلطان قلعة استجدها الفرنج هناك، واستتاب على القلعة الأخرى الأمير صارم الدين قايماز الكافرى، ورتب بها الأجناد والرجال، وقرّر فيها قاضياً وخطيباً، وولى أمر عمارتها الأمير سيف الدين بلبان الزينى. وفيه وردت كتب من الكرج.

وفى شعبان: وصل رسول صاحب بيروت بهدية وتجار كانوا قد أخذوهم فى البحر من سنين، فما زال السلطان حتى خلّصهم وخلّص أموالهم.

وفى عاشره: رحل السلطان من الثقيف إلى قرب بانياس، وبعث الأنتقال إلى دمشق وجهز الأمير عز الدين أوغان بجماعة لجهة، وجهاز الأمير بدر الدين الأيدمرى فى جماعة إلى جهة أخرى، فحفظت العساكر الطرقات.

ثم سار السلطان إلى طرابلس وخيم عليها فى النصف منه، وناوش أهلها القتال وأخذ برجاً كان هناك، وضرب أعناق من كان من الفرنج، وأغارت العساكر على من فى تلك الجبال، وغنموا شيئاً كثيراً وأخذوا عدة مغاير بالسيف، وأحضروا المغنم والأسرى إلى السلطان ف ضرب أعناق الأسرى، وقطع الأشجار وهدم الكنائس، وقسّم الغنائم فى العسكر.

ودخل السلطان عن طرابلس فى رابع عشره، فتلقيه صاحب صافيتا وأنطرسوس بالخدمة، وأحضر ثلاثمائة أسير كانوا عنده، فشكره السلطان ولم يتعرض لبلاده، ونزل السلطان على حمص، وأمر بإبطال الخمر والمنكرات. ثم دخل إلى حماة ولا يعرف أحد أى جهة يقصد، فرتب العسكر ثلاث فرق: فرقة صحبة الأمير بدر الدين الخازندار، وفرقة مع الأمير عز الدين إيغان، وفرقة مع السلطان، فتوجه الخازندار إلى السُوَيْدِيَّة^(١)،

(١) هى مدينة أنطاكية على البحر وبها يقع نهر أنطاكية المسمى بالعاصى. انظر: الروض المعطار

وتوجه إيغان إلى درب بساك، فقتلوا وأسروا، ونزل السلطان أفامية، ووافاه الجميع على أنطاكية.

وأصبح أول شهر رمضان: والسلطان مغير على أنطاكية، وأطقت العساكر بها من كل جانب، فتكلموا بخيامهم في ثلثه. وبعث السلطان إلى الفرنج يدعوهم وينذرهم بالزحف عليهم، وفاوضهم في ذلك مدة ثلاثة أيام وهم لا يجيبون، فزحف عليها وقاتل أهلها قتالا شديدا، وتسور المسلمون الأسوار من جهة الجبل بالقرب من القلعة، ونزلوا المدينة ففر أهلها إلى القلعة، ووقع النهب والقتل والأسر في المدينة، فلم يُرفع السيف عن أحد من الرجال وكان بها فوق المائة ألف، وأحاط الأمراء بأبواب المدينة حتى لا يفرّ منها أحد، واجتمع بالقلعة من المقاتلة ثمانية آلاف سوى النساء والأولاد، فبعثوا يطلبون الأمان فأمّنوا، وصعد السلطان إليهم ومعه الحبال، فكتفوا وفرقوا على الأمراء، والكتاب بين يدي السلطان ينزلون الأسماء.

وكانت أنطاكية للبرنس بيموند بن بيموند، وله معها طرابلس، وهو مقيم بطرابلس وكتبت البشائر بالفتح إلى الأقطار الشامية والمصرية والفرنجية، وفي الجملة كتاب إلى صاحب أنطاكية - وهو يومئذ مقيم بطرابلس - وهو من إنشاء ابن عبد الظاهر رحمه الله تعالى.

وسلم السلطان القلعة إلى الأمير بدر الدين بيليك الخازندار والأمير بدر الدين بيسرى الشمسى، وأمر بإحضار المغنم لتقتسم، وركب وأبعد عن الخيام وحمل ما غنمه وما غنمته مماليكه وخواصه، وقال: «والله ما خبأت شيئا مما حمل إلى ولا خليت مماليكى يخبئون شيئا، ولقد بلغنى أن غلاما لأحد مماليكى خبأ شيئا لا قيمة له فأدبته الأدب البالغ، ويتبقى لكل أحد منكم أن يخلص ذمته، وأنا أحلف الأمراء والمقدمين، وهم يخلصون أجنادهم ومضافيهم». فأحضر الناس الأموال والمصاغ الذهب والفضة حتى صارت تلاً بها، وقسمت في الناس، وطال الوزن فقسمت النقود بالطاسات، وقسمت الغلمان على الناس، فلم يبق غلام إلا وله غلام، وتقاسم النساء والبنات والأطفال، وأبيع الصغير باثنى عشر درهما والجارية بخمسة دراهم، وأقام السلطان يومين وهو يياشر القسمة بنفسه، وقصر الناس في إحضار الغنائم فعاد السلطان مغضبا، فلم تزل الأمراء به يلتزمون بالاجتهاد والاحتراز ويعتذرون إليه، حتى وقف على فرسه وما ترك شيئا حتى قسمه.

ثم ركب السلطان إلى القلعة وأحرقها، وعم بالحريق أنطاكية، فأخذ الناس من

حديد أبوابها ورمصاص كنائسها ما لا يوصف كثرة، وأقيمت الأسواق خارج المدينة، فقدم التجار من كل جهة. وكان بالقرب من أنطاكية عدة حصون، فطلب أهلها الأمان، فتوجه إليهم الأمير بيليك الأشرفي و تسلمها في حادى عشره، وأسر من فيها من الرجال.

وكان التكفور هيتوم ملك سيس لم يزل يسأل فى إطلاق ولده ليفون، ويعرض فى فدائه الأموال والقلاع، وكان التتر قد أسروا الأمير شمس الدين سنقر الأشقر من حلب، لما ملكوها من الملك الناصر، فاقترح السلطان على سيس إحضار سنقر عوضا عن ولده ورد القلاع التى أخذها من مملكة حلب، وهى بهسنا ودريساك ومرزبان ورعبان وشيخ الحديد، فسأل هيتوم المهلة سنة إلى أن يعث إلى الأردو^(١) فلما كان فى هذه الأيام، بعث هيتوم إلى السلطان بأنه وجد سنقر، وأنه أجيب إلى إطلاقه، فكتب إليه بإحضاره. فأحضر هيتوم كتاب سنقر إلى السلطان بأماير^(٢)، إلا أنه غير قوله فى تسليم القلاع، فكتب إليه. «إذا كنت تقسو على ولدك وولى عهدك، فأنا أقسو على صديق ما بينى وبينه نسب، ويكون الرجوع منك لا منى. ونحن خلف كتابنا، فمهما شئت افعل بسنقر الأشقر» فلما وصلت إليه الكتب من أنطاكية خاف، وتقرر الصلح على تسليم قلعة بهسنا^(٣) ودر بساك وكل ما أخذه من بلاد الإسلام، وأن يرد الجميع بجواصلها كما تسلمها، ويطلق سنقر الأشقر، ويطلق السلطان ولده وابن أخيه وغلمانها، وأنه يحضر رهينة حتى يتسلم السلطان القلاع، فكتبت الهدنة بأنطاكية، وتوجه الأمير بلبان الرومى للودادار، والصدر فتح الدين بن القيسرانى كاتب الدرج. لاستحلافه، وتوجه الأمير بدر الدين يحكا الرومى لإحضار الملك ليفون من مصر على الريد فى ليلة الثالث عشر من رمضان، فوصل إلى القاهرة وخرج منها ثانى يوم دخوله بالملك ليفون، فوصل إلى دمشق ليلة الإثنين سادس عشره، فكان بين خروجه من أنطاكية وعوده إلى دمشق ثلاثة عشر يوما، وحلف التكفور هيتوم صاحب سيس فى سابع عشره، فانتظم الصلح.

ورحل السلطان من أنطاكية إلى شيزر، وسار منها على البرية إلى حمص وهو يتصيد

(١) الأردو لفظ مغولى معناه المعسكر. انظر: ابن أبى الفضائل، المنهج السديد ١١٦، ١١٧.
 (٢) الأماير جمع أمارة، ومعناها العلامة المكتوبة أو الشفوية التى تتخذها اللهجات الرسمية وغيرها بمثابة علامة سرية متفق عليها، للاطمئنان على صحة ما يتبادل من مراسلات أو مشافهات بين طرفين.

(٣) هى قلعة بين مرعش وسميساط. انظر: معجم البلدان ١/٧٧.

فدخل حماة في ثلاثة نفر: وهم الأمير بيسرى، والأمير بدر الدين الخازندار، والأمير حسام الدين الدوادار، ونزل العسكر حماة. ثم سار السلطان من حمص إلى دمشق، فدخلها في سادس عشره، والأسرى بين يديه وليفون ابن صاحب سيس في خدمته، فأحسن إليه، وحلف ليفون للسلطان في ثالث شوال على النسخة التي حلف عليها أبوه، وهو قائم مكشوف الرأس، وسار إلى بلاده في حادى عشره صحبة الأمير بجكا على البريد، حتى قرّره في مملكته. ووصلت الرهائن فأحسن السلطان إليهم وأكرمهم، وما زالوا إلى أن تسلم نواب السلطان القلاع من أهل سيس، فأعيدت الرهائن إليهم بما أعم عليهم، وعندما وصل ليفون إلى سيس أطلق سنقر الأشقر، وبعث به إلى السلطان فتلقاها السلطان وهو فى الصيد من غير أن يعرف أحد بقدمه، وقدم به وهو مختف وأنزله عنده فى الدهليز، وبات معه. فلما أصبح، واجتمع الناس فى الخدمة، خرج السلطان ومعه سنقر الأشقر، فبهت الناس لرؤيته، وأخرج له السلطان المال والخلع والحوائص، والخيل والبغال والجمال والماليك، وسائر ما يحتاج إليه، وحمل إليه الأمراء التقادم، وبالغ السلطان فى الإحسان إليه، وبنى له دارا بقلعة الجبل ولما حضر سنقر إلى القاهرة أعطاه السلطان إمرة، وعمّله من خواصه.

وفى ثالث عشره: تسلم الأمير شمس الدين آقسنقر الفارقانى أستاذار السلطان حصن بفراس من الفرنج الداوية و كانوا قد فروا عنها وتركوا الحصن خاليا حتى لم يبق بها سوى عجوز واحد، فوجدها الأمير شمس الدين عامرة بالحواصل والذخائر، وفيه وردت رسل صاحب عكا بهدية، فحصل الاتفاق على أن تكون حيفا للفرنج ولها ثلاث ضياع، وأن تكون مدينة عكا وبقية بلادها مناصفة هى وبلاد الكرمل^(١)، وأن بلاد صيدا الوطاة للفرنج والجلبليات للسلطان، وأن الهدنة لعشر سنين، وأن الرهائن تطلق وبعث السلطان لصاحب عكا هدية فيها عشرون نفسا من أسرى أنطاكية، وتوجه القاضى محبى الدين عبد الظاهر والأمير كمال الدين بن شيت لاستحلافه، فدخل عكا فى عشرى شوال، وقد وصّاهما السلطان ألا يتواضعا له فى جلوس ولا مخاطبة، فلما دخلا كان الملك على كرسى، فلم يجلسا حتى وضع لهما كرستين جلسا عليهما قبالته، ومدّ الوزير يده ليأخذ الكتاب فلم يرضيا حتى مدّ الملك يده وأخذه، ولم يوافق على أشياء فتركوه ولم يحلف.

وفى ثامن عشر ذى القعدة: خرج السلطان من دمشق وسار إلى القاهرة، فخرج

(١) حصن من حصون أوغة من بلاد الإفرنج الساحلية مشرفا. انظر: الروض المعطار فى خبر

الملك السعيد إلى أم الباردة وهي السعيدية، وعيّد مع السلطان بها. وسارا إلى قلعة الجبل في حادى عشر ذى الحجة، وحمل السلطان عن الناس كلفة الزينة. وفيها مات السلطان ركن الدين قلعج أرسلان بن كيخسرو بن قلعج أرسلان بن مسعود بن قلعج أرسلان بن سليمان قطلومش بن أرسلان بيغو بن سلجوق، ملك الروم. وقام من بعده ابنه غياث الدين كيخسرو وعمره أربع سنين، فقام بأمر المملكة معين الدين سليمان البرواناه^(١) وكان موت ركن الدين خنقا بالوتر، وذلك أن معين الدين البرواناه اتفق مع التتر المقيمين معه على قتل ركن الدين فخنقوه.

* * *

ومات في هذه السنة من الأعيان

كمال الدين أبو العباس أحمد بن عبد العزيز بن محمد بن الشهيد أبى صالح عبد الرحيم بن عبد الرحمن بن الحسن بن العجمى الحلبي كاتب الإنشاء، ظاهر صور من الساحل.

وتوفى صاحب عز الدين أبو محمد عبد العزيز بن منصور بن محمد بن وداعة الحلبي وزير دمشق، بالقاهرة.

وتوفى الأديب عفيف الدين أبو الحسن على بن عدلان بن حماد بن على الموصلى^(٢) بدمشق، عن ثلاث وثمانين سنة. ومات الأمير عماد الدين أبو حفص عمر بن هبة الله ابن صديق الخلاطى الأديب الفاضل بحماة، عن ثمان وستين سنة.

وتوفى الشيخ المعتقد أبو داود مُسَلَّم السُّلَمى شيخ الطائفة المسلمية، فى يوم الجمعة ثالث شهر ربيع الأول، ودفن بالقرافة، وكان فى ابتداء أمره قاطع طريق، وأخذ عن الشيخ مروان أحد أصحاب الشيخ مرزوق، وقدم القاهرة، وعنى به صاحب بهاء الدين محمد بن على بن حنا.

* * *

(١) البرواناه لفظ فارسى معناه الحاجب.

(٢) على بن عدلان بن حماد بن على الربعى الموصلى: فاضل انفرد بمعرفة الألفاظ. وكان من أذكىاء العالم. ولد بالموصل. وتصدر بجامع الصالح (ظاهر القاهرة) وكانت له اليد الطولى فى حل النزاحم والألفاظ. ومات بالقاهرة. انظر: فوات الوفيات ٢ / ٥٩ وبغية الوعاة ٣٤٣ وصلة التكملة والمخطوطات المصورة ١ / ٣٧٩ والأعلام ٤ / ٣٦٢.

سنة سبع وستين وستمائة

فى أول المحرم: ركب السلطان حتى شاهد جامعه بظاهر القاهرة، وسار لفتح بحر أبى المنجا، وعاد إلى القلعة. وفيه احتفل السلطان برمى النشاب وأمور الحرب، وبنى مسطبة بميدان العيد خارج باب النصر من القاهرة، وصار ينزل كل يوم من الظهر ويرمى النشاب، فلا يعود من الميدان إلى عشاء الآخرة، وأخذ السلطان يحرّض الناس على الرمي والرهان، فما بقى أمير ولا مملوك إلا وهذا شغله تحريض الناس على لعب الرمح ورمى النشاب.

وفيه قدمت الرسل من جميع الأقطار تهنئى السلطان بما فتحه الله عليه.

وفى يوم الخميس تاسع صفر: جلس الملك بركة فى مرتبة الملك، وحضر الأمير فقّبوا الأرض، وجلس الأمير عز الدين الحلى والأمير فارس الدين الأتابك بين يديه، والصاحب بهاء الدين وكتاب الإنشاء والقضاة والشهود، وحلف له الأمراء وسائر العساكر.

وفى ثالث عشره: ركب الملك السعيد الموكب كما يركب والده وجلس فى الإيوان وقرئت عليه القصص.

وفى العشرين منه: قرئ بالإيوان تقليده بتفويض السلطنة إليه، واستمر جلوسه فى الإيوان مكان والده لقضاء الأشغال، وصار يوقع ويطلق ويركب فى الموكب، وأقام السلطان الأمير بدر الدين بيليك الخازن دار نائبا عنه، عوضا عن الأمير عز الدين الحلى.

وفى ثانى عشر جمادى الآخرة: خرج السلطان، ومعه الأمير عز الدين الحلى وأكابر الأمراء فى عدّة من العسكر يريد بلاد الشام، وترك أكثر العسكر عند الملك السعيد، فلما وصل إلى غزة أنفق فى العسكر، ونزل أرسوف لكثرة مراعيها، فقدم عليه كتاب متملك سيس بأن رسول رسول أبغا بن هولاءكو قدم ليحضر إلى السلطان، فبعث إليه الأمير ناصر الدين بن صيرم مشدّ حلب ليتسلمه من سيس، ويحترز عليه بحيث لا يمكنه أن يتحدّث مع أحد فسار به إلى دمشق، ولم يحتفل به عند وصوله إلى دمشق، وأنزل فى قلعتها، فورد الخبر بذلك، فركب السلطان من أرسوف وترك الأنتقال بها، وأخذ معه الأمراء ودخل إلى دمشق، وأحضر الرسول إليه، فكان من جملة كتابه: «إن الملك أبغا لما

خرج من الشرق تملك جميع العالم وما خالفه أحد، ومن خالفه هلك وقتل. فأنت لو صعدت إلى السماء أو هبطت إلى الأرض ما تخلّصت منا، فالمصلحة أن تجعل بيننا صلحا».

وكان في المشافهة: «أنت مملوك وأبعت في سيواس، فكيف تشاقق الملوك ملوك الأرض؟» فأجيب وأعيد الرسول.

وفي أول شعبان: مات الأمير عز الدين الحلبي بدمشق.

وفيه خرج السلطان من دمشق، وودّع الأمراء كلهم وسيرهم إلى مصر، ولم يتأخر عنده من الأمراء الكبار سوى الأمير الأتابك، والمحمدي، والأيدمرى، وابن أطلس خان، وأقوش الرومي. فسار بهم إلى قلعة الصبيبة ثم إلى الشقيف وصدق، وكتب بحضور الأتقال إلى خربة اللصوص من أرسوف، فأحضرها الأمير أقسنقر الفارقاني الأستادار، وقدم السلطان إليها فأقام بها أياما، وخطر للسلطان أن يتوجه إلى ديار مصر خفية، فكتم ذلك وكتب إلى الثواب بمكاتبة الملك السعيد والاعتماد على أجوبته، ورتب أنه كلما جاء يريد يقرأ عليه وتخرج علام على بياض تكتب عليها الأجوبة.

فلما كان في رابع عشره: أظهر السلطان أنه تشوش في بدنه، واستدعى الحكماء إلى الخيمة، ووقع احتفال في الظاهر بتوعكه، وأصبح الأمراء فدخلوا عليه وشاهدوه مجتمعاً على هيئة متألم، وكتب إلى دمشق باستدعاء الأشربة. وتقدم السلطان إلى الأمير بدر الدين الأيدمرى، والأمير سيف الدين بكتوت جرمك الناصري، بالتوجه إلى حلب على خيل البريد وصحبتهم بريدي، فتوجهوا ليلة السبت سادس عشره، و كان السلطان قد أوصاهم أنهم إذا ركبوا يأتوا خلف الدهليز، حتى يتحدث معهم مشافهة، وجهاز السلطان الأمير أقسنقر الساقى على البريد إلى مصر، وأعطاه تركاشه وأمره أن يقف خلف خيمة الجمدارية من وراء الدهليز، فوقف حيث أمر، ولبس السلطان جوخة مقطّعة، وتعمت بشاش دخاني عتيق، وقصد أن يخرج به الحراس، فوجد قماش نوم لبعض المماليك، فاستدعى خادما من خواصه وقال: «أنا خارج بهذا القماش، احمله وامش قدّامى فإن سألك أحد فقل هذا بعض معه قماش بعض الصبيان، حصل له مرض وما يقدر يحضر الخدمة الليلة، وخارج إليه بقماشه». فخرج السلطان بهذه الليلة ولم يفتن به أحد، وكان قد أسرّ إلى الأمير شمس الدين الفارقاني أنه يغيب مدة أيام عيّنها.

ولما خرج السلطان من الدهليز مشى إلى الجهة التي واعد آقسنقر الساقى إليها، وكان قبل ذلك قد أقام هناك أربعة أرؤس من الخيل سببها مع الأمير بهاء الدين أمير آخور، وأمره أن يقف بها في مكان فأخذ آقسنقر الخيل، وسبب بهاء الدين أمير آخور إلى التل، فوجد الأيدمرى ورفقته، فصار إليهم السلطان واختلط بهم في السوق وهم لا يعرفونه، فلما طال سوتهم قال السلطان للأيدمرى: «تعرفنى» فقال: «إى والله!» وأراد أن ينزل عن فرسه ليقبل الأرض، فمنعه. وقال السلطان لجرمك: «تعرفنى؟» فقال: «إيش هذا يا خونند؟» فقال له: «لا تتكلم». وكان معهم الأمير علم الدين شقير مقدم البريدية، فصارت جملتهم خمسة أنفس، ومعهم أربعة جنائب من خيل السلطان الخاص، فساقوا إلى القصير المعينى ووافوه نصف الليل، فدخل السلطان إلى الوالى ليأخذ فرسه، فقام إليه بنحو خمسين راجلا ليهوشه وقال: «الضيعة ملك السلطان، ما يقدر أحد يأخذ منها فرسا، تروحوا وإلا قتلناكم». فتركوه وساقوا إلى بيسان، وأتوا دار الوالى وقالوا: «نريد خيلا للبريد»، فأنزلهم وقعد السلطان عند رجلى الوالى وهو نائم، ثم التفت إلى الأيدمرى وقال: «الخلايق على بابى، وأنا على باب هذا الوالى لا يلتفت إلى، ولكن الدنيا نوبات». وطلب السلطان من الوالى كوزا، فقال: «ما عندنا كوز إن كنت عطشان اخرج واشرب من برأ»، فأحضر إليه الأيدمرى كرازا^(١) شرب منه. وركبوا وصبحوا بيجينين، فوجدوا بها خيلا للبريد عُرجًا مُعقَّرًا^(٢)، فركب السلطان منها فرسا لم يكذب عليه من راتحة عقوره. وساروا فلما نزلوا تل العجول بقى كل منهم ماسكا فرسه، فلما وصلوا إلى العريش قام السلطان والأمير جرمك ونقيا الشعير، وقال السلطان لجرمك: «ابن السلطنة والأستادار وأمير جاندار، وأين الخلق الوقوف فى الخدمة؟ هكذا تخرج للملوك من ملكهم، وما يدوم إلا الله سبحانه».

ولم يبق معهم من الجنائب الأربعة إلا الذى على يد السلطان يقوده، ووصل معه إلى الصالحية، وصعدوا إلى القلعة ليلة الثلاثاء الثالث الأول من الليل، فأوقفهم الحراس حتى شاوروا الوالى، ونزل السلطان فى باب الإسطبل وطلب أمير آخور، وكان قد رتب مع زمام الأمر ألا يبيت إلا خلف باب السر، فدق السلطان باب السر وذكر للزمام العلام التى بينه وبينه، ففتح الباب ودخل السلطان ورفقته. وأقاموا يوم الثلاثاء والأربعاء، وليلة الخميس الحادى والعشرين من شعبان، ولا يعلم بالسلطان أحد إلا الزمام فقط، وصار

(١) الكراز. القارورة، قال ابن دريد: لا أدرى أعربى أم عجمى، غير أنهم قد تكلموا بها: والجمع كرزان، وكرز وكرز وكارز ومكرز وكريز وكريز وكراز: أسماء، وكراز فرس حصين بز علقمة. انظر: لسان العرب ٣٨٥٣. يقصد به كوز ضيق الرأس.

(٢) المراد وصف خيل البريد بأنها كانت مجرحة الظهر.

السلطان يتفرج في الأمراء بسوق الخيل، فلما قدّم الفرس للملك السعيد يوم الخميس على العادة قدّم أمير آخور للسلطان فرسا آخر، وعندما خرج الملك السعيد ليركب ما أحسّ إلا والسلم قد خرج إليه، فرعب وقبّل له الأرض، وركب السلطان وخرج على غفلة و].....[^(١) بغلس، فأنكر الأمراء ذلك وأمسكوا قبضات سيوفهم، ونظروا في وجه السلطان حتى تحقّقوه، فقبّلوا له الأرض، وساق السلطان إلى ميدان العيد، وعاد إلى القلعة وأقام بقية يوم الخميس ويوم الجمعة ولعب بالكرة يوم السبت. وتوجه يوم الأحد إلى مصر، ورمى الرجال بالشوانى قدّامه، وركب في الحراريق وعاد إلى القلعة، فلما كان ليلة الإثنين خامس عشرى شعبان، ركب السلطان خيل البريد من القلعة، وعاد إلى معسكره بخربة اللصوص.

وأما ما جرى في معسكر السلطان بالخربة، فإن الأمير شمس الدين الفارقاني لما أصبح، وقد فارق السلطان الدهليز، أظهر الأمراء أن السلطان منقطع لضعف حصل له، واستدعى الأطباء وسألهم عما يصلح للمتوعك الذى يشكو صداعا وخَدْرًا^(٢) وعطشا، وأوهمهم أن السلطان يشكو ذلك، فوضعوا له ما يوافق. وأمر الأمير شمس الدين الشراب دارية فأحضروا الشراب، ودخل إلى الدهليز بنفسه ليوهم العسكر صحة ذلك، إلى أن وصل ليلة الجمعة تاسع عشره إلى قرب الدهليز، فأمر السلطان الأيدمرى وجرمك بالتوجه إلى خيامهما، وأخذ على يده جراب البريد وفى كَفّه فُوْطَة^(٣)، ومشى على قدميه إلى جهة الحراس، فمانعه حارس وأمسك طوقه، فانجذب منه السلطان ودخل باب الدهليز. وبات السلطان، فلما أصبح أحضر الأمراء وأعلمهم أنه كان متغير المزاج، وركب فضربت البشائر لعافية السلطان، ومشى كل ما وقع على العسكر، ولم يعلم به سوى الأتابك والأستادار والودادار وخوّاص الجامدارية وكانت فى هذه المدة ترد المكاتبات وتكتب أجوبتها كما رتب السلطان، والأحوال جميعها ماشية كأنه حاضر لم يختل شيء من الأمور، وقصد بما فعل أن يكشف حال مملكته ويعرف أحوال ابنه الملك السعيد فى مصر، فتم له ما أراد.

(١) ما بين المعقوفتين سقط فى الأصل.

(٢) الخدر: الدلال يغشى الأعضاء: الرجل واليد والجسد، وقد خدرت الرجل تخدر، والخدر من الشراب والدواء: فتور يعتزى الشارب وضعف، ابن الأعرابى الخدرة ثقل الرجل خدر، وأخدره ذلك، والخدر فى العين: فتورها، وقيل هو ثقل فيها من قذى يصيبها، وعين خدرا: خدرة والخدر: الكسل والفتور وخدرت عظامه. انظر لسان العرب ١١١٩، (خدر).

(٣) ثوب قصير علف يكون متزراً يجلب من السدق، والفوطة هى مرادف الفوطة، وهى قطعة من قماش من الحرير السكندرى، تحمل فيها الأوراق الرسمية. انظر: لسان العرب (فوط).

وكتب السلطان بإزالة الخمر وإبطال الفساد والخواطئ من القاهرة ومصر وجميع أعمال مصر فظهرت كلها من المنكر، ونهبت الخانات التي جرت عادة أهل الفساد الإقامة بها، وسلبت جميع أحوال^(١) المفسدات وحسن حتى يتزوجن، وفي كثير من المفسدين، وكتب السلطان إلى جميع البلاد بمثل ذلك، وحطّ المقرر على هذه الجهة من المال، وعرّض المقطعين جهات حلالا.

وورد الخبر بحصول زلزلة في بلاد سبب خرب منها قلعة سرفقد وعدة قلاع، وهلك كثير من الناس حتى سال النهر دما، وتلفت عدة جهات. وورد الخبر بأن الفرنج شنعوا بموت السلطان، وحضر رسوهم يطلب المهادنة: وكان قد هرب من المماليك السلطانية أربعة وصاروا إلى عكا، فبعث السلطان بإحضارهم فامتنع الفرنج من إحضارهم إلا بعوض، فأنكر السلطان ذلك وأغلظ عليهم، فسيروا المماليك وقد نصّروهم، فعند ذلك قبض السلطان على رسل الفرنج وقيدهم، وكتب إلى النواب بوقوع الفسخ، وأغار عليهم الأمير أقوش الشمسي وقتل وأسر منهم جماعة. وركب السلطان في العشرين من رمضان وساق إلى صور، وقتل وأسر جماعة، وعاد إلى المخيم وأمهل مدة، ثم جرد طائفة لأخذ المغلّ وقطع الميرة عن صور.

وفي سادس عشرية: تسلم نواب السلطان بلاطنس^(٢) من عز الدين عثمان صاحب صهيون، وهي حصن عظيم، وفيه سارت العساكر من البيرة إلى كركر^(٣) فأحرقوا وغنموا، وأخذوا قلعة كانت بينها وبين كختا^(٤)، وقتلوا رجالها وغنموا كثيرا، وأخرجوا منه الخمس للديوان.

وفيه كان خلف في مكة بين الشريف نجم الدين أبي ندى وبين عمه الشريف بهاء الدين إدريس أميرى مكة، ثم اتفقا فرتّب لهما السلطان عشرين ألف درهم نقرة في كل سنة، ألا يؤخذ بمكة من أحد مكس، ولا يمنع أحد من زيارة البيت ولا يتعرض لتاجر، وأن يخطب باسم السلطان في الحرم والشارع، وتضرب السكة باسمه، وكتب لهما تقليد بالإمارة، وسلّمت أوقاف الحرم التي بمصر والشام لنوابهما.

وفيه سلم السلطان للشريف شمس الدين قاضى المدينة النبوية وخطيبها ووزيرها - وقد حضر فى رسالة الأمير عز الدين جمّاز أمير المدينة - الجمال التي نهبها أحمد بن

(١) الأحوال جمع محال، ومعناها هنا الأموال.

(٢) حصن بساحل الشام مقابل اللاذقية. انظر: معجم البلدان ١ / ٧١٠.

(٣) على هامش ط: حصن على الفرات بين آمد وملطية.

(٤) هي قلعة قديمة على نهر كختاسو.

حَجَّي (١) لأشرف المدينة، وهى نحو الثلاثة آلاف حمل، وأمره أن يوصلها لأربابها وفيها قدم الطواشى جمال الدين محسن الصالحى شيخ خدام الحجرة النبوية، فأكرمه السلطان وضرب له خيمة بشقّة (٢) على باب الدهليز، وناله زيادة على مائتى ألف درهم نقرة، وسافر صحبة القاضى والجمال مع الراكب الشامى، وجهاز من الكسوة لمكة والمدينة.

وفيه قدم رسول الفرنج من بيروت بهدية وأسارى مسلمين، فأطلقوا بباب الدهليز، وكتبت لهم هدنة. وفيه وصل الأمير شرف الدين عيسى بن مهنا إلى الدهليز ومعه جماعة من أمراء العرب، فأوهمه السلطان أنه يريد الحركة إلى العراق، وأمره بالتأهب ليركب إذا دعى، وأمره فانصرف إلى بلاده، وكان السلطان فى الباطن إنما يريد بحركته الحجاز.

وفيه أعطى السلطان ناصر الدين محمد ولد الأمير عز الدين أيدمر الحللى إمرة أربعين فارسا، ورسم للأمير قلاوون والأمير أوغان والأمير بيسرى والأمير بككاش الفخرى أمير سلاح أن يباشروا الحوطة على رمال الحللى لورثته، ولم يتعرض السلطان لشىء من موجوده مع كثرته.

ودخل شوال: والسلطان على عزم الحركة للحجاز، فأنفق فى العساكر جميعها، وجرّد عدة مع الأمير أقوش الرومى السلاح دار ليسيروا مع السلطان، وجرّد البقية مع الأمير آقسنقر الفارقانى الأستاذار إلى دمشق، فنزلوا بظاهرها وأقاموا بها، ثم توجه السلطان إلى الحج ومعه الأمير بدر الدين الخازندار، وقاضى القضاة صدر الدين سليمان الحنفى، وفخرالدين بن لقمان، وتاج الدين بن الأثير، ونحو ثلاثمائة مملوك وأجناد من الحلقة إلى الحجاز، وذلك أن الأمير جمال الدين ابن الداية الحاجب كتب إلى السلطان: «إنى أشتهى التوجه بصحبة السلطان إلى الحجاز» فأمر بقطع لسانه، فما تقوّه أحد بعدها بذلك.

وسار السلطان من الفوّار يوم الخميس خامس عشره، ووصل إلى الكرك مستهل

(١) أحمد بن حجى بن بريد البرمكى، شهاب الدين: أمير آل مرى (بكسر الميم وفتح الراء) فى بادية الشام. عرفه ابن كثير بملك عرب آل مرى وقال ابن تفرى بردى: من فرسان العرب المشهورين، كانت سراياه تغير إلى أقصى نجد وبلاد الحجاز ويودون له الخفر، وكذلك صاحب المدينة الشريفة، وكانت له المنزلة العالية عند الظاهر والمنصور قلاوون وغيرهما من الملوك، كانوا يدارونه ويتقون شره. وكان يزعم أنه من نسل الوزير جعفر بن يحيى البرمكى من أخت الخليفة هارون الرشيد التى قتل جعفر بسببها. وكانت بينه وبين عيسى بن مهنا أمير آل فضل منافسة. توفى فى بصرى الشام. انظر: النجوم الزاهرة ٣٥٧/٧، البداية والنهاية ٣٠٣/١٣، الأعلام ١/١١٠.

(٢) على هامش ط: الشقة جنس من الثياب وتصغيرها شقيقة.

ذى القعدة، وكان قد دبر أمور خفية من غير أن يطلع أحد على ذلك، حتى أنه جهز البشماط^(١) والدقيق والروايا والقرب والأشربة، والعربان المتوجهين معه والمرتبين فى المنازل، ولا يشعر الناس بشيء من ذلك، فلما وصل الكرك وجد الأمور كلها مجهزة، فأعطى المجردين معه بقدر الشعر كفايتهم. وسار الثقل فى رابعه، وتبعهم السلطان فى سادسه ومعه المجردون، فنزل الشوبك ورسم بإخفاء خبره، وتوجه فى حادى عشره، وسار البريد إلى مصر، فجهزت الكتب إليه مع العربان من جهة الكرك فكتبت أجوبتها من هناك.

ووصل السلطان إلى المدينة النبوية فى خامس عشره، فلم يقابله جماز ولا مالك أميرا المدينة وفرأ منه، ورحل منها فى سابع عشره، وأحرم فدخل مكة فى خامس ذى الحجة، وأعطى خواصه جملة من المال ليفرقوها سرا، وفرق كساوى على أهل الحرمين وصار كواحد من الناس، لا يحجبه أحد ولا يجرسه إلا الله، وهو منفرد يصلى ويطوف ويسعى، وغسل البيت، وصار فى وسط الخلائق، وكل من رمى إليه إحرامه غسله وناوله إياه. وجلس على باب البيت، وأخذ بأيدى الناس ليطلعهم إلى البيت، فتعلق بعض العامة بإحرامه ليطلع فقطعه، وكاد يرمى السلطان إلى الأرض، وهو مستبشر بجميع ذلك، وعلق كسوة البيت بيده وخواصه، وتردد إلى من بالحرمين من الصالحين.

هذا وقاضى القضاة صدر الدين سليمان بن عبد الحق الحنفى مرافقه طول الطريق، يستفتيه ويتفهم منه أمر دينه، ولم يقفل السلطان مع ذلك تدبير الممالك، وكتاب الإنشاء تكتب عنه فى المهمات، وكتب إلى صاحب اليمن كتابا ينكر عليه أمورا، ويقول فيه: «سطرته من مكة المشرفة، وقد أخذت طريقها فى سبع عشرة خطوة» - يعنى بالخطوة المغزلة ويقول له: «الملك هو الذى يجاهد فى الله حق جهاده، ويبدل نفسه فى الذب عن حوزة الدين، فإن كنت ملكا فأخرج التار».

وأحسن السلطان إلى أميرى مكة، وهما الأمير نجم الدين أبى نعى والأمير إدريس بن قتادة، وإلى أمير ينبع وأمير خُلَيْص^(٢) وأكابر الحجاز وكتب منشورين لأميرى مكة، فطلبا منه نائبا تقوى به أنفسهما، فرتب الأمير شمس الدين مروان نائب أمير جاندار بمكة، يرجع أمرهما إليه ويكون الحل والعقد على يديه، وزاد أميرى مكة مالا وغلالا فى كل سنة بسبب تسهيل البيت للناس، وزاد أمراء الحجاز إلا جماز ومالك أميرا المدينة، فإنهما انتزحا من بين يديه.

(١) على هامش ط: يقصد به البشماط.

(٢) حصن بين مكة والمدينة. انظر: معجم البلدان ٣/٤٦٧.

وقضى السلطان مناسك الحج وسار من مكة في ثالث عشره، فوصل إلى المدينة في العشرين منه، فبات بها وسار من الغد، فجدّ في السير ومعه عدّة يسيرة حتى وصل إلى الكرك بكرة يوم الخميس سلخه، ولم يعلم أحد بوصوله إلا عند قبر جعفر الطيارة بمؤتة، فالتقوه هناك. ودخل السلطان مدينة الكرك وهو لابس عباءة، وقد ركب راحلة، فبات بها ورحل من الغد.

* * *

ومات في هذه السنة من الأعيان

الأمير عز الدين أيدير الحلبي الصالحى نائب السلطنة، عن نيف وستين سنة، بدمشق في أوّل شعبان. ومات الأمير أسد الدين سليمان بن داود بن موسك الهذباني، بعد ما ترك الخدمة تعففاً، وله فضل ونظم جيد.

وتوفى مجد الدين أبو محمد عبد المجيد بن أبي الفرج بن محمد الرؤذراورى بدمشق.

وتوفى نور الدين أبو الحسن على بن عبد الله بن إبراهيم، الشهر بسببويه المغربى النحوى، عن سبع وستين سنة بالقاهرة، وله شعر جيد.

وتوفى شيخ الأطباء بدمشق شرف الدين أبو الحسن على بن يوسف بن حيدرة الرحبى^(١) وله شعر جيد.

* * *

(١) على بن يوسف بن حيدرة الرحبى، شرف الدين: طبيب، من العلماء الشعراء، مولده ووفاته في دمشق. خدم في البيمارستان الكبير، وتولى تدريس الطب مدة وصنف كتباً. انظر: طبقات الأطباء ٢/١٩٥، ٢٠١. والبداية والنهاية ١٣/٢٥٥ والدارس ٢/١٣٠ وأخبار التراث العربى ٦٥/٢٥ والأعلام ٥/٣٤.

سنة ثمان وستين وستمائة

فيها صلى الملك الظاهر صلاة الجمعة غرة المحرم بالكرك، وركب في مائة فرس ويبد كل فارس فرس، وساق إلى دمشق. هذا والناس بمصر والشام لا يعرفون شيئاً من خير السلطان: هل هو في الشام أو الحجاز أو غيره، ولا يستطيع من مهابته والخوف منه أحد أن يتكلم، فلما قارب السلطان دمشق سير أحد خواصه على البريد بكتب إلى دمشق، وفيها البشارة بسلامته وقضاء الحج، فأحضر الأمير جمال الدين النجيبى نائب دمشق الناس لسماع كتب البشارة، فبينما هم فى القراءة إذ بلغهم أن السلطان فى الميدان، فساروا إليه فإذا هو بمفرده، وقد أعطى فرسه لبعض منادية سوق الخيل، فقبل النائب له الأرض وحضر الأمير آقسنقر الأستادار والأمراء المصريون، فأكل السلطان شيئاً وقام يستريح، وانصرف الناس، فركب السلطان فى نفر يسير وتوجه إلى حلب، وحضر أمراء دمشق للخدمة فلم يجدوا السلطان، ودخل السلطان إلى حلب والأمراء فى الموكب، فساق إليهم وبقي ساعة ولا يعرفه أحد، حتى فطن به بعضهم فنزلوا وقبلوا الأرض. ودخل السلطان دار نائب السلطنة وكشف القلعة، وخرج من حلب ولم يعرف به أحد، فوصل دمشق فى ثالث عشره، ولعب فيها بالكرة، وركب فى الليل وسار إلى القدس، وزار الخليل وتصدق. وكان العسكر المصرى قد صار به الأمير آقسنقر الفارقانى من دمشق ونزل بتل العجول، فخرج السلطان من القدس إلى تل العجول. وكل ذلك فى عشرين يوماً، ما غير السلطان فيها عباة التى حج فيها.

ثم سار السلطان من تل العجول بالعساكر فى حادى عشره إلى القاهرة، فخرج الملك السعيد إلى لقائه بالصاحبة، وعاد معه إلى قلعة الجبل، فأقام السلطان بها إلى ثانى عشر صفر، ثم خرج منها ومعها الأمراء والمقدمون، فركب فى الحراريق إلى الطرانة، ودخل السلطان البرية وضرب حلقة، فأحضر إلى الدهليز ثلاثمائة غزال وخمس عشرة نعامة: أعطى عن كل غزال بَغْلَطَاق^(١) بسنجاب، وعن كل نعامة فرساً ثميناً بسرجه ولجامه.

ووصل السلطان إلى الإسكندرية فى حادى عشره، وكان الصاحب بهاء الدين بين

(١) على هامش ط: البغلقاق لفظ فارسى، وهو قباء بلا أكمام أو بأكمام قصيرة جداً يلبس

حنا قد سبق إليها وحصل الأموال والقماش، فخلع السلطان على الأمراء، وحمل إليهم التعابي والنفقة، ولعب الكرة ظاهر الإسكندرية، وتوجه إلى الحمامات ونزل بالليونة^(١) وابتاعها من وكيل بيت المال، فبلغه هناك حركة التتار، وأنهم واعدوا فرنج الساحل، فعاد إلى قلعة الجبل، فورد الخبز بغارة التتار على الساجور^(٢) بالقرب من حلب، فجرد السلطان الأمير علاء الدين البندقدار في جماعة من العسكر، وأمره أن يقيم في أوائل البلاد الشامية على أهبة.

وسار السلطان من قلعة الجبل في ليلة الإثنين حادى عشرى ربيع الأول ومعه نفر يسير فوصل إلى غزة، ثم دخل دمشق في سابع ربيع الآخر، ولحق الناس في الطريق مشقة عظيمة من البرد، فخيم على ظاهر دمشق. ووردت الأخبار بانهزام التتار عندما بلغهم حركة السلطان، وكان قد ألقى الله في أنفس الناس أن السلطان وحده يقوم مقام العساكر الكثيرة في هزيمة الأعداء، وأن اسمه يرد الأعداء من كل جانب، فورد الخبز بأن جماعة من الفرنج خرجوا من الغرب، وبعثوا إلى أبغا بن هولاكو بأنهم واصلون لمواعده من جهة سيس في سفن كثيرة، فبعث الله على تلك السفن ريحا أتلقت عدة منها، ولم يسمع بعدها لمن بقى في الأخرى خير. وورد الخبز أنه قد خرج فرنج عكا وخيموا بظاهرها، وركبوا وأعجبتهم أنفسهم عن قدم إليهم من فرنج الغرب، وتوجهت طائفة منهم إلى عسكر جينين وعسكر صفد، فخرج السلطان من دمشق على أنه يتصيد في مرج برغوث^(٣) وبعث من أحضر إليه العدد ومن أخرج العساكر كلها من الشام، فتكاملوا عنده بكرة يوم الثلاثاء حادى عشرىه بمرج برغوث، وساق بهم إلى حسر يعقوب فوصل آخر النهار، وساق بهم في الليل فأصبح في أول المرج.

وكان السلطان قد سير إلى عساكر عين جالوت وعساكر صفد بالإغارة في ثانى عشرىه، فإذا خرج إليهم الفرنج انهزموا منهم، فاعتمدوا ذلك، ودخل السلطان الكمين، فعندما خرج جماعة من الفرنج لقتال عسكر صفد تقدم إليهم الأمير إيغان، ثم بعده الأمير جمال الدين الحاجبي، ومعهما أمراء الشام. ثم ساق الأمير أيتمش السعدى، والأمير كندغدى أمير مجلس، ومعهما مقدمو الحلقة، فقاتل الأمراء الشاميون أحسن قتال، وتبع السلطان مقدمى الحلقة، فما أدركهم إلا والعدو قد انكسر، وصارت الخيالة بجيها مطرحة في المرج. وأسر السلطان كثيرا من أكابرههم، ولم يعدم من المسلمين سوى الأمير فخر الدين ألتونبا الفائزى، فسارت البشائر إلى البلاد.

(١) هي بلدة من أعمال مريوط. انظر: ابن دقماق، كتاب الانتصار ١٢٩/٥.

(٢) هو نهر بججات منبج. انظر: معجم البلدان ٨/٣.

(٣) جهة على الطريق بين دمشق وحسر يعقوب. انظر: أبا شامة، كتاب الروضتين ٣٨٤.

وعاد السلطان إلى صفد والرءوس بين يديه، وتوجه منها إلى دمشق فدخلها في سادس عشره، والأسرى ورءوس القتلى قدامه، وخلع على الأمراء، ثم سار إلى حماة وخرج منها إلى كفر طاب، ولم يعلم أحد قصده، وفرق العساكر وترك النقل، وأخذ خيَّار عسكره وساق إلى جهة المرقب (١) فأصابته مشقة زائدة من كثرة الأمطار، فعاد إلى حماة وأقام بظاهاها تسعة عشر يوما، وتوجه على جهة المرقب، فأنتهى إلى قريب بلاد الإسماعيلية، وعاقته الأمطار والثلوج فعاد.

ثم ركب السلطان في ثالث جمادى الآخرة بمائتي فارس من غير سلاح، وأغار على حصن الأكراد (٢) وصعد الجبل الذي عليه حصن الأكراد ومعه قدر أربعين فارسا، فخرج عليه عدة من الفرنج ملبسين، فحمل عليهم وقتل منهم جماعة، وكسر باقيهم وتبعهم حتى وصل إلى خنادقهم، وقال يستخف بهم: «خلوا الفرنج يخرجوا، فما نحن أكثر من أربعين فارسا بأتية بيض»، وعاد إلى مخيمه، ورعى الخيول مروجها وزروعها.

وفى أثناء ذلك حضر إلى خدمة السلطان كثير من أصحاب البلاد المجاورة، فلم يبق أحد إلا وقدم على السلطان مثل: صاحب حماة، وصاحب صهيون، إلا نجم الدين حسن بن الشعراني صاحب قلاع الإسماعيلية، فإنه لم يحضر بل بعث يطلب تنقيض القطيعة التي حملوها لبيت المال، بدلا مما كانوا يحملونه إلى الفرنج. وكان صارم الدين مبارك بن الرضى - صاحب العُليقة (٣) - قد تغير السلطان عليه من مدّة، فدخل صاحب صهيون بينه وبين السلطان في الصلح، وأحضره إلى الخدمة، فقلده السلطان بلاد الدعوة استقلالا، وأعطاه طبلخاناه، وعزل نجم الدين حسن بن الشعراني وولده من نيابة الدعوة، وتوجه صارم الدين إلى مصيف كرسى بلاد الإسماعيلية في سابع عشرى جمادى الآخرة، وصحبته جماعة لتقرير أمره.

ويقال: بل الذي قام في حقه الملك المنصور صاحب حماة، وإنه شفع فيه إلى أن عفى عنه السلطان، وحضر بهدية فأكرمه السلطان، وكتب له منشورا بالحصون كلها: وهي قلعة الكهف وقلعة الخوايى والمينقة والعليقة والقدموس والرصافة (٤)، ليكون نائبا

(١) هو بلد وحصن بساحل الشام، بينه وبين سوس ثمانية أميال. انظر: معجم البلدان ٤/ ٥٠٠.

(٢) يقع هذا الحصن على الجبل الذى يقابل حمص جهة الغرب، بين بعلبك وحمص. انظر: معجم البلدان ٢/ ٢٧٦ وروض المعطار فى خبر الأقطار ٢٠٢ وانظر تفصيلا مفصلا له فى الأملاق الخطيرة (الجزء الخاص ببلبنان والأردن وفلسطين) ١٥.

(٣) هى إحدى حصون الإسماعيلية بالشام.

(٤) تقع فى غربى الرقة. انظر: معجم البلدان ٣/ ١١٢.

عن السلطان، وكتب له بأملاكه التي كانت بالشام على أن تكون مصيفاً وبلادها خاصاً للسلطان. وبعث السلطان معه نائباً بمصيف، وهو الأمير بدر الدين العديبي أحد مفاردة الشام، وجرّد معه جماعة من شيزر وغيرها، فلما وصلوا إلى مصيف امتنع أهلها من تسليمها لصارم الدين، وقالوا: «لا نسلمها إلا لنائب السلطان»، فقال العديبي: «أنا نائب السلطان». فلما فتحوا هجم صارم الدين عليهم وقتل منهم جماعة، وتسلم الحصن في نصف رجب، فلم يجد نجم الدين وولده بدءاً من الدخول في الطاعة، فسألوا في الحضور فأجيبوا، وحضر نجم الدين حسن وعمره تسعون سنة، فرق له السلطان وولاه النيابة شريكا لصارم الدين بن الرضى، وقرر عليه حمل مائة وعشرين ألف درهم نقرة في كل سنة، وتوجه نجم الدين وترك ابنه شمس الدين في الخدمة. وتقرر على صارم الدين بن مبارك بن الرضى في كل سنة ألفا دينار، فصارت الإسماعيلية يؤدون المال بعد ما كانوا يجبون من ملوك الأرض القطائع.

ثم رحل السلطان من حصن الأكراد إلى دمشق، فدخلها في ثامن عشره وقدم الخبر بأن الفرنسيين وعدة من ملوك الفرنج قد ركبوا البحر ولا يُعلم قصدهم، فاهتم السلطان بالثغور والشوانى، وسار إلى مصر فدخلها في ثاني شوال. وفيه تمت عمارة الجامع الظاهري بالحسينية خارج القاهرة، فرتب السلطان أوقافه، وجعل خطيبه حنفى المذهب، ووقف عليه حكر ما بقى من الميدان. وفيه بعث السلطان عدة رسل بهدايا إلى بلاد الفرنج.

وفي هذه السنة: قتل الشريف إدريس بن قتادة بخليص، بعد أن ولى مكة منفردا أربعين يوما، فاستبد ابن أخيه أبو نعيم بإمرة مكة وحده.

وفيه مات الطواشى جمال الدين محسن الصالحى النجمى، شيخ الخدام بالمسجد النبوى.

وفيه تنكر الخان منكوتمر بن طغان، ملك التتر ببلاد الشمال، على الأشكرى ملك قسطنطينية، فبعث الخان جيشا من التتر حتى أغاروا على بلاده، وحملوا عز الدين كيقباد بن كيخسرو - وكان محبوسا كما تقدم فى القلعة - وساروا به وبأهله إلى منكوتمر، فأكرمه وزوجه وأقام معه حتى مات فى سنة سبع وسبعين، فسار ابنه مسعود ابن عز الدين وملك بلاد الروم، كما سيأتى ذكره إن شاء الله.

وفيه انقضت دولة بنى عبد المؤمن بقتل الواثق أبى العلاء إدريسى - المعروف بأبى دبوس - بن عبد الله بن يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن بن على^(١)، فى محرم

(١) إدريسى بن محمد بن عمر بن عبد الله المؤمن الكومى، أبو العلاء، ويقال له أبو دبوس، =

على يد بنى مرين. وبنو مرين قبيلة من البربر - يقال لهم حمامة - كان مقامهم قبلى تازا^(١)، فخرجوا عن طاعة الموحدين بنى عبد المؤمن، وتابعوا الغارات حتى ملكوا مدينة فاس، سنة بضع وثلاثين وستمائة: وأول من اشتهر منهم أبو بكر بن عبد الحق ابن محبوب بن حمامة، ومات سنة ثلاث وخمسين. فملك بعده يعقوب بن عبد الحق، وقوى أمره وحصر مراكش وبها أبو دبوس، وملكها وأزال ملك بنى عبد المؤمن فى أول سنة ثمان وستين هذه، وملك مراكش.

* * *

ومات فى هذه السنة من الأعيان

قاضى القضاة بدمشق محبى الدين أبو الفضل يحيى بن محبى الدين أبى المعالى محمد ابن زكى الدين أبى الحسن على بن المجد أبى المعالى محمد بن زكى الدين أبى الفضل يحيى بن على بن عبد العزيز العثمانى المعروف بابن الزكى القرشى الأموى الشافعى، عن اثنتين وسبعين سنة بالقاهرة.

وتوفى الوزير صاحب زين الدين أبو يوسف يعقوب بن عبد الرافع بن بكر بن مالك القرشى الزبيرى، عن اثنتين وثمانين سنة بالقاهرة، بعد عزله ومحتته، وله شعر جيد. وتوفى زين الدين أبو العباس أحمد بن عبد الدائم بن نعمة المقدسى الخنبلى^(٢) وقد انتهى إليه علو الإسناد، عن ثلاث وتسعين سنة بدمشق.

وتوفى الولى العارف داود الأعزب بناحية تفهنا^(٣)، فى ليلة الجمعة سابع عشرى جمادى الآخرة، وبها دفن، وقبره مشهور يتبرك الناس بزيارته، ومناقبه وكراماته شهيرة قد جمعت فى مجلد.

=الملقب بالواثق بالله المعتمد عليه: آخر ملوك دولة الموحدين، بالمغرب، ولى مراكش بعد مقتل المرتضى المؤمنى (سنة ٦٦٥هـ) واستقر سنتين وأحد عشر شهرا وعشرة أيام. وكانت أيامه نكدية، كثر الخارجون عليه، وقوى أمر المرينيين، فقتلوه فى معركة بظاهر مراكش. وبموته انقرضت دولة الموحدين». انظر: جذوة الاقتباس ٩٦، والاستقصاء ٢٠٨/١، والنجوم الزاهرة ٢٣٠/٧، وشذرات الذهب ٣٢٧/٥، والحلل المشوية ١٢٧، والأعلام ٢٨٠/١.

(١) موضع بالشام. انظر: معجم البلدان ٨١١/١.

(٢) أحمد بن عبد الدائم بن نعمة المقدسى، أبو العباس، زين الدين: نساخ، من شيوخ الخنابلة، عالم بالحديث. ولد بفندق الشيوخ (من أرض نابلس) وانتقل إلى دمشق، وتوفى بها. انظر: المنهج الأحمد والمقصد الأرشد وفوات الوفيات ٤٦ / ١ ونكت الهميان ٩٩ والأعلام ١٤٥/١.

(٣) هى قرية بمركز زفتى من مديرية الغربية، وتقع على طريق السكة الحديدية بين بنها وزفتى.

انظر: الخطط التوفيقية ٣٩ / ١٠.

وتوفى الولي العارف تقي الدين أبو المكارم عبد السلام بن سلطان بن [...] (١) [...] [...]
الماجرى من هوارة، في يوم الأحد ثامن ذي الحجة، بناحية قلب (٢). وله كرامات
كثيرة، وأخذ الطريق عن الشيخ أبي الفتح الواسطي عن الشيخ أحمد بن أبي الحسن
الرفاعي، وقبره يُزار بقلب ويتبرك به.

* * *

(١) ما بين المعقوفتين سقط في الأصل.

(٢) هضبة القلب جبل الشربة انظر: معجم البلدان ٤ / ٣٤٤.

سنة تسع وستين وستمائة

فى المحرم: ورد كتاب بيسو نوغاي قريب الملك بركة ملك التتار، وهو أكبر مقدمى جيوشه، يخبر فيه أنه دخل فى دين الإسلام، فأجيب بالشكر والثناء عليه. وفيه ورد الخبر بمسير الفرنسييس وملوك الفرنج إلى تونس ومحاربة أهلها، فكذب السلطان إلى صاحب تونس بوصول العساكر إليه بجدة له على الفرنج، وكتب إلى عربان برقة وبلاد الغرب بالمسير إلى نجدته، وأمرهم بحفر الآبار فى الطرقات برسم العساكر، وشرع فى تجريد العساكر، فورد الخبر بموت الفرنسييس وابنه وجماعة من عسكره، ووصول نجدات العربان إلى تونس وحفر الآبار، وأن الفرنج رحلوا عن تونس فى خامس صفر.

وفى سابعة: توجه السلطان إلى عسقلان؛ ليهدم ما بقى منها خوفا من مجيء الفرنج إليها، فنزل عليها وهدم بنفسه ما تأخر من قلعتها وأسوار المدينة حتى سوى بها الأرض وعاد إلى قلعة الجبل فى ثامن ربيع الأول.

وفى حادى عشرية: هلك الملك المجر هيتوم بن قنسطنطين متملك سيس.

وفى عاشر جمادى الآخرة: سار السلطان من القاهرة - ومعه ابنه الملك السعيد - إلى الشام، فدخل دمشق فى ثامن رجب، وخرج إلى طرابلس فقتل وأسر. واتصلت الغارات إلى صافيتا وتسلم السلطان صافيتا من الفرنج الديوية وأنزلهم منها، وعدتهم سبعمائة رجل سوى النساء والأطفال، وتسلم الحصون والأبراج المجاورة لحصن الأكراد مثل تل خليفة وغيره.

وفى تاسع رجب: نازل السلطان حصن الأكراد، وقدم عليه صاحب حماة وصاحب صهيون، وصاحب دعوة الإسماعيلية صاحب نجم الدين.

وفى آخره: نصب السلطان عدة مجانيق على الحصن، إلى أن أخذ القلعة عنوة فى سادس عشر شعبان فطلب أهلها الأمان فأمنهم السلطان على أن يتوجهوا إلى بلادهم، فخرج الفرنج منها فى رابع عشرية، ورتب السلطان الأمير صارم الدين الكافرى نائبا بحصن الأكراد، وأمر بعمارته.

وبعث صاحب أنطرسوس - وهو مقدم بيت الداوية يطلب الصلح من السلطان، فصولح على أنطرسوس خاصة، خارجا عن صافيتا وبلادها. واسترجع السلطان منهم

جميع ما أخذوه فى الأيام الناصيرية، وعلى أن جميع ما لهم من المناصفت والحقوق على بلاد الإسلام يتركونه، وعلى أن تكون بلاد المرقب ووجوه أمواله مناصفة بين السلطان وبين الإسبتار، وعلى ألا تجدد عمارة فى المرقب، فتمّ الصلح، وأخلى الفرنج عدة حصون تسلمها السلطان.

وفى سابع عشر رمضان: نازل السلطان حصن عكار^(١) ونصب عليه المجانيق، وجدّ أهله فى المناضلة وقاتلهم السلطان قتالا شديدا، فقتل الأمير ركن الدين منكورس الدوادارى وهو يصلى فى خيمته بحجر منحنيق أصابه.

ولما كان فى تاسع عشره: سأل الفرنج الأمان، ورفعت السناجق السلطانية على الأبراج، وخرجوا منه فى سلخه، وعيّد السلطان بالحصن، ورحل إلى مخيمه بالمرج، وكتب إلى متملك طرابلس يحذره وينذره.

وفى رابع شوال: ركب السلطان بجميع عساكره جريدة من غير ثقل يريد طرابلس، وساق إليها، فبينا هو عازم على ذلك، إذ ورد عليه الخبر بأن ملك الإنكثار وصل إلى عكا فى أواخر رمضان، بثلاثمائة فارس وثمانى بطس وشوانى ومراكب تكملة ثلاثين مركبا، غير ما سبقه صحبة أستاذاره، وأنه يقصد الحج إلى القدس، فغيّر السلطان عزمه ونزل قريبا من طرابلس، وبعث إليهم الأتابك والأمير الدوادار فاجتمعا بصاحبها، وجرت أمور آخرها أنهم سألوا السلطان الصلح فكتبت الهدنة لمدة عشر سنين، وجهز الأمير فخر الدين بن جليان، والقاضى شمس الدين الإخنائى شاهد الخزانة، بثلاثة آلاف دينار مصرية لفكك الأسرى، وعاد السلطان إلى مخيمه، وسار إلى حصن الأكراد فدبر أمر عمارته، ورتب أحوال تلك الجهات.

وفى حادى عشره: استولى السلطان على حصن العليقة من حصون الإسماعيلية، واستخدم به الرجال، ورحل إلى دمشق فدخلها للنصف منه، ورحل منها فى رابع عشره، فنزل صفد وحمل منها المجانيق إلى القرين^(٢) وساق إليه ونازله حتى أخذه فى ثانى ذى القعدة، وركب منه فما أصبح إلا على أبواب عكا مَطْلِبًا، فما تحرك أحد من الفرنج، فعاد إلى مخيمه بالقرين، وهدم القلعة فى رابع عشرى ذى القعدة، ورحل منه إلى قريب عكا، ونزل اللجون^(٣).

(١) حصن على جبل موقعه شمالى طرابلس.

(٢) هو حصن فى أرض معليا قرب صفد.

(٣) بلد بالأردن، بينه وبين طبرية عشرون ميلا. انظر: معجم البلدان ٤ / ٣٥١.

وكان السلطان قد كتب إلى مصر بتفسير الشوانى لقصد قبرص، فسارت فى شوال حتى قاربت قبرص، فانكسرت كلها. وشعر بهم أهل قبرص فأسروا جميع من كان فيها من الرجال، وبعث صاحب قبرص كتابا إلى السلطان يقرّعه فيه بأن شوانى مصر - وهى أحد عشر شينيا - خرجت إلى قبرص فكسرهما الريح، وأخذتها وأسرت من فيها فلما قرأه السلطان قال: «الحمد لله! منذ ملكنى الله تعالى الملك ما خذلت لى راية، وكنت أخاف من إصابة عين، فهذا ولا غيره» وكتب إلى القاهرة بإنشاء عشرين شينيا، وإحضار خمس شوانى كانت بقوص، وكتب إلى قبرص جوابا أرعد فيه وأبرق.

وقدمت رسل صاحب صور تطلب الصلح، فوقع الاتفاق على أن يكون للفرنج من بلاد صور عشرة بلاد فقط، ويكون للسلطان خمسة بلاد يختارها، وبقية البلاد تكون مناصفة، ووقع الحلف على ذلك. وسار السلطان إلى القاهرة، ودخل قلعة الجبل فى ثانى عشر ذى الحجة، فبلغه أن الشهرزورية قد عزموا على سلطنة الملك العزيز عثمان بن صاحب الكرك الملك المغيث عمر بن العادل أبى بكر بن الكامل محمد بن العادل أبى بكر بن أيوب، وكان السلطان قد جعله أحد أمراء مصر، فقبض عليه وعلى عدة أمراء منهم الأمير بهاء الدين يعقوبا، وقبض أيضا على عدة أمراء كانوا قد اتفقوا على قتله وهو بالشقيف: منهم الأمير علم الدين سنجر الحلبي، والأمير أقوش الحمدي، والأمير أيدغدى الحاجبى، والأمير إيغان سم الموت، والأمير سنقر المساح، والأمير بيدغان الركنى، والأمير طرطح الآمدى وسجنهم بقعة الجبل.

وفيه جهز السلطان الأمير آقسنقر الفارقانى بعسكر إلى الشام، وفيه وردت هدية صاحب اليمن، وفيها تحف ودب أسود وفيل. وفيه أكثر السلطان من الركوب إلى مصر لمباشرة عمل الشوانى، حتى كملت ضعفى ما انكسر.

وفى سابع عشره: أمر السلطان بإهراق الخمر، وأبطل ضمانها وكان فى كل سنة ألف دينار، وكتب بذلك ترقىما قرئ على المنابر.

وفيه خلع السلطان بالميدان، وفرّق على ألف وسبعمائة شخص لثمان خيل، وفرّق ألفا وثمانمائة فرس، كل ذلك وهو جالس حتى فرغ وفيه لازم السلطان الصناعة بمصر عدّة أيام لرمى الشباب. وفيه ورد الخبر بأن الفرنج أغاروا على جهة الشاغور، وأخذوا غلة وخربوا وأحرقوا غلالا.

وفيه عزل شمس الدين أحمد بن محمد بن خلكان عن قضاء الشافعية بدمشق، وأعيد عز الدين أبو المفاخر محمد بن عبد القادر بن عبد الباقي بن خليل بن مقلد بن جابر،

الشهير بابن الصائغ.

وفيها وصل سيل عظيم إلى دمشق، فأخذ كثيرا من الناس والدواب، وقلع الأشجار وردد الأنهار، وخرب الدور وارتفع حتى نزل مرامى السور، وذلك زمن الصيف.

وفيها ولي قضاء المالكية بمصر نفيس الدين أبو البركات محمد المخلص ضياء الدين أبي الفخر هبة الله بن كمال الدين أبي السعادات أحمد بن شكر المالكي. ولم ينج أحد في هذا العام من مصر، لا في البر ولا في البحر. وهجم مكة سيل عظيم في شعبان حتى دخل الكعبة.

* * *

ومات في هذه السنة من الأعيان

الأمير علم الدين سنجر الصيرفي، في سادس صفر بدمشق.

وتوفى قاضي القضاة المالكي شرف الدين عمر بن عبد الله بن صالح بن عيسى بن عبد الملك بن موسى بن خالد بن علي بن عمر بن عبد الله بن إدريس بن إدريس بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب السبكي، في ليلة الخامس والعشرين من ذي القعدة، عن أربع وثمانين سنة. وولى بعده قضاء المالكية بالقاهرة نفيس الدين أبو البركات محمد بن القاضي المخلص ضياء الدين هبة الله أبو الفخر بن كمال الدين أبي السعادات أحمد بن شكر.

وتوفى الشريف إدريس بن علي بن قتادة بن إدريس الحسني أمير مكة، قتيلا بظاهر مكة، فانفرد بعده أبو نمى بن أبي سعد.

وتوفى قاضي حماة شمس الدين أبو الظاهر إبراهيم بن المسلم بن هبة الله بن حسان ابن محمد بن منصور البارزي الجهنى الحموى الشافعي، عن تسع وثمانين سنة بحماة.

وتوفى الأديب تاج الدين أبو المكارم محمد بن عبد المنعم بن نصر الله بن جعفر بن شقير المغربي الحنفي^(١) بدمشق، عن ثلاث وستين سنة.

(١) محمد عبد المنعم بن نصر الله التنوخي، أبو المكارم، المعروف بابن شقير: شاعر، دمشقي المولد والوفاة. له اشتغال بفقهاء الحنفية والحديث. أصله من معرة النعمان (بسورية) كان يلقب بالهدهد. انظر: فوات الوفيات ٢/ ٢٢٩ والجواهر المضية ٢/ ٨٥ والنجوم الزاهرة ٧/ ٢٢٣ وصلة

وتوفى قطب الدين أبو محمد عبد الحق بن إبراهيم بن محمد بن نصر بن سبعين^(١)
المرسى الصوفى بمكة، عن نحو خمسين سنة.

* * *

التكملة والأعلام ٦ / ٢٥٠.

(١) عبد الحق بن إبراهيم بن محمد بن نصر بن سبعين الإشبيلي المرسى الرقوطى، قطب الدين،
أبو محمد: من زهاد الفلاسفة. درس العربية والآداب فى الأندلس، وانتقل إلى سبتة، وحج، واشتهر
أمره. وصنف كتاب «الحروف الوضعية فى الصور الفلكية». كفره كثير من الناس. له مریدون وأتباع
يعرفون بالسبعينية. انظر: جلاء العينين ٥١ وفوات الوفيات ١ / ٢٤٧ ونفح الطيب ١ / ٤٢١
وشذرات الذهب ٥ / ٣٢٩ والنجوم الزاهرة ٧ / ٢٣٢ والبداية والنهاية ١٣ / ٢٦١ ولسان الميزان ٢ /
٣٢٩ ودائرة المعارف الإسلامية ١ / ١٨٨ ودار الكتب ١ / ٢٤٤ والأعلام ٣ / ٢٨٠.

سنة سبعين وستمائة

أهلت والسلطان متشدّد فى إراقة الخمر وإزالة المنكرات، فكان لذلك يوما مشهودا. وفيه أفرج السلطان عن الأمير سيف الدين بيدغان الركنى، وأعطاه إقطاعا بالشام، ثم أحضره بعد قليل، هو وسيف الدين ملاجا الركنى، واشتراهما وربتهما سلاح دارية وورد الخبر باختلاف الحال بين عيسى بن مهنا وبين العربان، وأنه يريد التوجه إلى التتار. فخشى السلطان أنه إن استدعاهم لا يحضروا، وإن توجه إلى الشام تسحبوا، فحكم أمره.

ونزل السلطان إلى الميدان فى سابعه، وفرّق فى خواصه مبلغ أربعمائة ألف درهم نقرة، واثنى عشر ألف دينار عينا، ونيفا وستين حياضة، وأمر بتجهيز العساكر إلى عكا بعد الربيع، ولازم النزول إلى الصناعة فى كل يوم حتى تنجزت الشوانى، ونزل الأمير آقسنقر الفارقانى بمن معه من العسكر على جينين.

فلما كان ليلة السابع عشر: منه توجه السلطان بعد المغرب، ومعه جماعة يسيرة من خواصه، وأخفى حركته ورسم بأن أحدا من المجردين معه لا يشتري عليقا ولا مأكولا، وقرر لهم ما يحتاجون إليه. وسار إلى الزّعقة^(١)، ثم عرج منها فى البرية إلى الكرك، ودخلها من غير أن يعلم به أحد فى سادس صفر، ونزل قلعتها. وقرّر السلطان فى نيابة الكرك علاء الدين أيديكين الفخرى، ونقل الأمير عز الدين أيديمر نائب الكرك إلى نيابة الشام، ولم يظهر السلطان ذلك حتى نسلم أيديكين نيابة الكرك فى ثامنه، واستدعى عز الدين أيديمر وأفهمه أنه طلبه لنيابة حصن الأكراد.

وسار السلطان إلى دمشق فدخلها فى ثالث عشره من غير أن يعلم أحد بحضوره، وكان قبل دخوله إلى دمشق قد كتب القاضى فتح الدين بن عبد الظاهر بين يديه ثمانين كتابا فى يوم وليلة، إلى النواب والأمراء بتفويض نيابة الشام لعز الدين أيديمر الظاهرى، عوضا عن أقوش النجيبى، وسير السلطان تشريفا للنجيبى نائب دمشق، وأمره أن يتوجه إلى مصر ويسلم الأمر لعز الدين أيديمر، فاعتمد ذلك.

وأنفق السلطان فيمن خرج معه مالا وافرا وخيولا، وركب بهم فى ليلة السادس

(١) هى بلدة واقعة قرب الحدود بين مصر والشام.

عشر منه، ونزل خارج حماة بالجوسق^(١)، ونزل صاحب حماة فى خيمة. ورتب السلطان أستاذارا وأمير جاندار وحاشية السلطنة، فإنه كان قد خرج من مصر جريدة، وقام له صاحب حماة بالأسمطة، وقدم عليه وهو بحماة جماعة من أكابر العرب فأكرمهم، وكنم عنهم أمره وما أظهر لهم شيئا، وكتب إلى عيسى بن مهنا يطلب منه خيولا عينها له ليطمئنه، وكتب إليه: «إنك بعثت وأنا بمصر تطلب الحضور، فكبت إليك لا تحضر حتى أطلبك، وقد حضرت إلى حماة فإن أردت الحضور فاحضر». فحضر عيسى وسأله السلطان عما نقل عنه، فقال: «نعم! والصدق أنجى من الكذب» فأحسن السلطان إليه وإلى أكابر العرب.

وفى سادس عشرية: قدم شمس الدين بن نجم الدين صاحب الدعوة الإسماعيلية، فقبض عليه وعلى أصحابه وسيروا إلى مصر، واستمرت مضايقة حصونهم حتى تسلم نواب السلطان حصن الخوانى وحصن العليقة.

وفى أول شهر ربيع الأول: ركب السلطان من ظاهر حماة بعد عشاء الآخرة، من غير أن يعلم أحد قصده، وسار على طريق حلب، ثم عرج من شيزر وأصبح على حمص، وتوجه إلى حصن الأكراد وحصن عكار وكشف أمرهما، وسار إلى دمشق، وكتب إلى مصر كتابا يقول فيه لأكابر الأمراء: «ولدكم» - ولبقيتهم أخوكم - والدمك يسلم عليكم ويتشوق إليكم، وإيثاره ألا يفارقكم. وإنما قدما راحتكم على راحتنا، فطالما تعبوا واسترحنا ونعلمهم بالمتجددات ليكونوا لها كالمشاهدين وكمشاركينا فى أكثر المجاهدين: فمنها حديث الإسماعيلية وحديث العريان، وقد ورد الخبر بحركة التتار، ولو عدنا لجفلت أهل البلاد. وأما الفرنج فعملوا سلام من حديد، وعزموا على مهاجمة صفد ووردوا بيروت، فلما وصلنا البلاد انعكست آمالهم ومما يدل على التمكين تارة بالسيف وتارة بالسكين، أن صاحب مرقية^(٢) الذى أخذنا بلاده توجه إلى التتار مستصرخا، وسيرنا وراءه فداوية، وقد وصل أحدهم وذكر أنهم قد قفروا عليه وقتلوه، وبلغتنا حركة التتار وأنا والله لا أبيت إلا وخيلى مشدودة، وأنا لا بس قماشى حتى المهماز.

وورد الخبر بأن التتار أغاروا على عين تاب، وتوجهوا على العمق فى نصف ربيع الأول، فكتب إلى مصر بتجريد الأمير بيسرى بثلاثة آلاف فارس. وخرج البريد من دمشق فى الثالثة من يوم الأحد ثامن عشره، فدخل القاهرة الثالثة من ليلة الأربعاء

(١) معرب اللفظ الفارسى كوسك، ومعناه القصر، ويجمع على جواسق. انظر: محيط المحيط.

(٢) هى قلعة بساحل الشام قرب حمص. انظر: معجم البلدان ٤ / ٥٠١.

حادى عشره، فخرج بيسرى والعسكر بكرة يوم الأربعاء المذكور. وقدم التتار إلى حارم وقتلوه جماعة، وتأخر العسكر الحلبي إلى حماة، ووصل آقسنقر بالعسكر من جينين، فحفل أهل دمشق، وبلغ ثمن الجمل ألف درهم، وأجرته إلى مصر مائتى درهم. ودخل الأمير بيسرى بالعسكر المصرى إلى دمشق فى رابع ربيع الآخر، فخرج السلطان بالعساكر إلى حلب، وجرّد الأمير آقسنقر ومعه عدة من العربان إلى مرعش، وجرّد الحاج طيرس الوزيرى والأمير عيسى بن مهنا إلى حرّان والرّها. فوصل العسكر إلى حرّان وقتل من فيها من التتار، وهزم باقيهم.

فورد الخبر بأن الفرنج قد أغاروا على قاقون^(١) بمواعدة التتار، وقتل الأمير حسام الدين الأستاذار، وجرح الأمير ركن الدين الجالقي، ورحل بيككا العلائى والى قاقون، فخرج السلطان من حلب، ومنع أحدا أن يتقدم حتى لا يعلم الفرنج خيره، ودخل إلى دمشق وبين يديه عدة من التتار المأسورين من حران، وسار الأمير أقوش الشمسى بعسكر عين جالوت، فولى الفرنج منهزمين من قاقون، وتبعهم العسكر فاسترجعوا منهم عدّة من التركمان، وقتلوا كثيراً حتى أنه عدّد ما تلف من خيل الفرنج وبغالهم فكان خمسمائة رأس.

وخرج السلطان من دمشق فى ثالث جمادى الأولى، ومعه عساكر مصر والشام للغلوة على عكا، فتكاثرت الأمطار عليه فى مرج برغوث، وزاد الأمر عن الوصف، فكاد الناس يهلكون لعدم ما يستظلون به، فرد السلطان عسكر الشام وسار إلى مصر، فدخل قلعة الجبل فى ثالث عشره.

وقدمت هدية صاحب تونس، وفى مكاتبته تقصير فى المخاطبة، ففرقت هديته على الأمراء، وكتب إليه بالإنكار عليه فى التظاهر بالمنكرات واستخدام الفرنج، وكونه لم يخرج لما نازلوه، وكان مستخفياً، وقيل له: «مثلك لا يصلح أن يلى أمور المسلمين»، وخوف وأندر، وقدمت رسل رجار وهو يشفع فى صاحب عكا، والسلطان فى الصناعة جالس بين الأخشاب والصناع، والأمراء تحمل بأنفسهم آلات الشوانى وهى تمدّ فراعهم ما شاهدوا.

وفى رجب: خرج السلطان متصيّداً بجهة الصالحية، فورد الخبر بجرعة التتار فعاد إلى القلعة، وخرج فى ثالث شعبان إلى الشام، وأتته رسل الفرنج بعكا - وهو بالسواد^(٢) -

(١) حصن بفلسطين قرب الرملة. انظر: معجم البلدان ٤ / ٢٩٩.

(٢) موضع بنواحي البلقاء. انظر: معجم البلدان ٣ / ١٧٤.

تطلب الهدنة، فسار وبعث إليهم الأمير فخر الدين أغار القرى، والصدر فتح الدين ابن القيسراني كاتب الدرج، في حادى عشرى رمضان، ونزل السلطان بمروج قيسارية فعقد الهدنة مع الفرنج لمدة عشر سنين وعشرة أشهر وعشرة ساعات من التاريخ المذكور وخرج أهل عكا لمشاهدة العسكر، فركب السلطان ولعب هو وجميع العسكر بالرمح.

ورحل السلطان إلى دمشق فدخلها ثانى شوال، وحضرت رسل التتار فى طلب الصلح. فجهز السلطان إليهم الأمير مبارز الدين الطورى أمير طبر، والأمير فخر الدين القرى الحاجب، ومعهما الرسل وهدية لأبغا بن هولاکو وغيره، فساروا فى خامس عشره، فلما قدما على أبغا أكرمهما وأخلع عليهما وأعادهما.

وفيه كثر اشتغال السلطان بعمل النشاب بيده، فاقتدى به جميع الأمراء والخواص، وكتب إلى الملك السعيد وسائر النواب بذلك، فلم يبق أحد إلا وهو متوفر على العمل. وعمل السلطان جملة نشاب بيده، نحتها وريشها ونصلها.

فلما صحى السلطان توجه إلى حصن الأكراد، ووصل إليه فى حادى عشرى ذى الحجة، وشاهد العمارة به، وأمر جميع من معه من الأمراء بنقل حجارة المنجنيق إلى داخل القلعة، ونقل معهم بنفسه، ثم نزل وعمل بيده فى مرثة مكان بالخذندق، وحفر بنفسه، ثم سار إلى حصن عكار، وعمل فى عمارته بيده أيضا، وأمر برمى المنجنوقات ليعرف مواضع سقوط أحجارها، وعاد إلى حصن الأكراد، وخلع على من به من الأمراء وأرباب الوظائف، وخرج يتصيد، فكان الذى خلعه خمسمائة تشريف على من أحضر إليه الصيد.

وفى هذه السنة: امتحن قاضى القضاة شمس الدين محمد بن إبراهيم بن عبد الواحد ابن على بن سرور بن واقع بن حسن بن جعفر^(١) المقدسى الحنبلى: وذلك أن القضاة الأربعة الذين ولّاهم السلطان الملك الظاهر بديار مصر، كان كل منهم يستتیب قضاة عنه فى النواحي، وكان لتقى الدين شبيب الحرائى أخ ينوب عن قاضى القضاة شمس الدين الحنبلى بالحلة فعزله، فغضب شبيب لذلك، وكتب ورقة للسلطان بأن عند القاضى القضاة شمس الدين الحنبلى ودائع للتجار من أهل بغداد وحران والشام، بجملة

(١) محمد بن إبراهيم بن عبد الواحد بن على، أبو عبد الله شمس الدين بن أبى السرور المقدسى الحنبلى، نزيل مصر: وأول من ولى قضاء القضاة بالديار المصرية. ولد وتفقّه بدمشق. وأقام مدة ببغداد وسكن مصر إلى أن مات. انظر: الشذرات ٥/ ٣٥٣ والأعلام ٥/ ٢٩٦، ٢٩٧.

كبيرة وقد ماتوا، فاستدعاه السلطان وسأله عن ذلك، فأنكر وحلف وورى فى يمينه، فأمر السلطان بالهجم على داره، فوجد فيها كثير مما ادعاه شيب: بعضه قد مات أهله، وبعضه لقوم أحياء فأخذ السلطان مما وجد لمدة الزكاة سنين، وسلم لمن كان حيا وداعته وغضب السلطان عليه واعتقله، وأوقع الحوطة على داره فى يوم الجمعة ثانى شعبان.

وسار السلطان إلى الشام قاضى شمس الدين الحنبلى فى الاعتقال بمصر، فتسلط شيب عليه وادعى أنه حَشَوَى^(١)، وأنه يقدح فى السلطان، وكتب بذلك محضراً، فأمر الأمير بدر الدين بيليك نائب السلطنة بعقد مجلس، فعقد فى يوم الإثنين حادى عشره، وحضر الشهود، فنكل بعضهم وأقام بعضهم على شهادته فأحرق النائب بمن شهد وجرسهم^(٢)، وذلك أنه تبين له تحامل تقى الدين شيب على القاضى، واعتقل شيب ووقعت الحوطة على موجوده، وأعيد القاضى إلى اعتقاله بقلعة الجبل، فأقام معتقلاً سنتين، ولم يول السلطان بعده قضاء الحنابلة أحدًا.

وفىها قدم الشريفان جهاز وغانم بن إدريس مكة، وملكها أربعين يوماً، ثم قدم أبو نى فملكها منهما. وفىها ولدت زرافة بقلعة الجبل فى جمادى الآخرة، فأرضتها بقرة، وفىها ولدت امرأة بدمشق فى بطن واحد سبعة بنين وأربع بنات، وكانت مدة حملها أربعة أشهر وعشرة أيام، فماتوا كلهم وعاشت الأم.

* * *

ومات فى هذه السنة من الأعيان

تاج الدين أبو القاسم عبد الرحمن بن رضى الدين أبى عبد الله محمد بن عماد الدين أبى حامد محمد بن يونس الموصل الشافعى، عن اثنتين وسبعين سنة ببغداد.

وتوفى كمال الدين أبو الفضل سلالر بن الحسن بن عمر بن سعيد الإربلى الشافعى، بدمشق عن سبعين سنة.

وتوفى عماد الدين أبو عبد الله محمد بن سنى الدين أبى الغنائم سالم بن الحسن بن هبة الله بن محفوظ بن صصرى التغلبى الدمشقى، بها عن سبعين سنة.

(١) كانت أحد التهم التى توجه إلى من يثبت صفات الله كاليد والساق والعين، فأهل السنة والجماعة يثبتون تلك الصفات بلا تحريف ولا تكيف ولا تعطيل ولا تشبيه، وأدعيائهم يعتبرون ذلك من التجسيم والحشو.

(٢) جرس القوم وسمع بهم وأشهر عيوبهم. انظر: محيط المحيط.

وتوفى أمين الدين أبو الحسن علي بن عثمان بن علي بن سليمان الإربلي الأديب
الشاعر، وقد ترك الجندية وتنتك، عن ثمان وستين سنة، بطريق القيوم.
ومات ببلد الخيل عليه السلام الشيخ علي البكا، الرجل الصالح، في أول شهر
رجب، وله كرامات كثيرة.

* * *

سنة إحدى وسبعين وستمائة

في خامس المحرم: دخل السلطان إلى دمشق، وقد تواترت الأخبار بحركة التتار، فركب خيل البريد من دمشق في ليلة سادسه بعد عشاء الآخرة، ومعه الأمير بيسرى، والأمير أقوش الرومي، وجرمك السلاح دار، وجرمك الناصري، وسنقر الألفى السلاح دار، وعلم الدين شقير مقدم البريد. وساق فدخل قلعة الجبل في يوم السبت ثالث عشره على حين غفلة، ولم يشعر الناس إلا وقد دخل باب القلعة راكباً، ثم ركب إلى الميدان ولعب بالكرة، وأمر بتجهيز العساكر إلى الشام. وكتب السلطان إلى الأمراء المقيمين بدمشق، وذكر في الكتب أنه سطرها من البيرة بحكم أنه توجه لتدبير أمورها، وسير علامم بخطه ليكتب عليها من دمشق أجوبة البريد للأطراف، وكان الأمير سيف الدين الدوادار قد أقام بقلعة دمشق ليجهز الكتب والبريدية.

وفي يوم الإثنين خامس عشره: ركب السلطان إلى مصر، وركب في البحر ولعبت الشواني قدّامه.

وفي ليلة الأربعاء سابع عشره: جهّز العسكر المجرّد إلى الشام.

وفي ليلة تاسع عشره: توجه السلطان إلى الشام بمن حضر معه على البريد، فدخل قلعة دمشق ليلاً.

وفي صفر: قدمت رسل الملك أبغا ورسل الروم، فلم يُحتفل بهم، وأمروا أن يضربوا جُوكا قدّام نائب حلب وقدّام صاحب حماة. وكان مجيؤهم بأن يحضر سنقر الأشقر حتى يمشى في الصلح، ثم غيّرُوا كلامهم وقالوا: «يمشى السلطان أو من يكون بعده في المنزلة إلى أبغا لأجل الصلح» فقال السلطان للرسل: «بل أبغا إذا قصد الصلح يمشى هو فيه أو أحد من إخوته» وأمر السلطان بلبس العساكر فلبسوا عُدد الحرب ولعبوا في الميدان خارج دمشق، والرسل تشاهد ذلك، ثم سُفّروا في رابع ربيع الأوّل. وفيه تسلم السلطان سهيرن من سابق للدين وفخر الدين ولدى سيف الدين أحمد بن مظفر الدين عثمان بن منكيسر بعد موته، وكان هذا بوصيته لهما بذلك، فأمرهما السلطان وأحسن إليهما، وقدم أهلهما إلى دمشق.

وفي خامس جمادى الأولى: ورد الخبر بنزول التتار على البيرة ونصيبهم المجانيق عليها

وأَنهم قد حفظوا محاض الفرات ونزلوا عليها، ليعوقوا من يصل إليهم. فجهز السلطان الأمير فخر الدين الحمصي بعدة من عسكر مصر والشام إلى جهة حارم، وجهز الأمير علاء الدين الحاج طيبرس الرزبرى فى جماعة، ورحل هو من ظاهر دمشق فى ثامن عشر جمادى الأولى، ومعه مراكب مفصلة محمولة. وجدَّ للسلطان فى المسير حق وصل إلى الفرات، فوجد التار على الشط، فألقى المراكب التى حملها معه فى الفرات وأشحنها بالمقاتلة، فتراموهم والتار. واقتحم الأمير قلاوون الألفى الصالحى الفرات، فحاض ومعه عدَّة وافرة، وصدَم التار صدمة فرَّقهم بها ومزَّقهم، فألقت الأطلاب أنفُسها فى الفرات، وساقوا فيها عوما الفارس إلى جانب الفارس، وهم متماسكون بالأعنة ومجاديفهم ورماحهم، وعليهم وعلى خيولهم الحديد، وازدحموا فى الماء، فكان لقعقعة السلاح وأمواج الماء هول مفزع وطلع السلطان فى أولهم، وصلى فى منزلة العدو ركعتين شكراً لله تعالى، وبث العساكر يمينا وشمالا، فقتلوا وأسروا عدداً كثيراً.

وبات العسكر ليلة الإثنين، فورد الخبر بهزيمة التار من البيرة مع مقدمهم درباى، وترَكهم الأنتقال والأزواد، وأن أهل البيرة أخذوا ذلك فتقووا به وأقام السلطان ينتظر من يلاقيه من التار فلم يأت أحد، فعدى بجميع عساكره فى الفرات كما فعلوا أول مرة ونزل بهم فى ذلك ما لا يوصف من كثرة المشقة، وعظَّم الهول حتى طلعت العساكر إلى البر وسار السلطان إلى البيرة، وخلع على نائبها وأعطاه ألف دينار، وعم بالتشاريف والأنعام أهل البيرة، وفرق فيهم مائة ألف درهم فضة، وجرد هناك عدَّة من العسكر زيادة على من كان فيها، وسار إلى دمشق فدخلها فى ثالث جمادى الآخر والأسرى بين يديه.

وخرج السلطان إلى مصر، فوصل قلعة الجبل فى خامس عشره، وأفرج عن الأمير عز الدين الدمياطى، وأنزله بدار الوزارة وأجرى عليه الرواتب، ثم استدعاه وشرب معه القَمِير^(١)، وقد حضر أكابر الأمراء لذلك، فلما ناوله السلطان الهَنَاب^(٢) بيده وهو مملوء قال عز الدين: «يا خوند لقد شينا وشاب نبيذنا». وعمَّ السلطان بالخلع الأمراء والوزراء والقضاة والمقدمين، وجهز رسل الملك منكوتر ورسل الملك الأشكرى ورسل الدعوة، فساروا فى شعبان.

وفى ثانى عشر شوال: قبض على الشيخ خضر بن أبى بكر بن موسى شيخ السلطان، وكان السلطان قد استدعاه إلى القلعة، وأحضر جماعة ليحاققوه على أشياء كبيرة بدت منه كاللواط والزنا وغيره، فأمر السلطان باعتقاله، وسجن بقلعة الجبل.

(١) القمزة هى كتلة من التمر، جمع قمز، وهو نوع من النبيذ الذى يصنع منه. انظر لسان

العرب.

(٢) على هامش ط: قدح الشراب.

وفى ثانی عشری ذی الحجة: استولى السلطان على بقية حصون الدعوة الإسماعيلية: وهى المينقة والقُدْمُوس^(١) والكهف، وأقيمت هناك الجمعة وتُرُضَّى عن الصحابة بها، وعُفِّيت المنكرات منها، وأظهرت شرائع الإسلام وشعائره.

وفى هذه السنة: سار والى قوص من أسوان حتى قارب دنقلة من بلاد النوبة، وقتل وأسر ثم عاد. وفيها استولى السلطان على عامة مدن برقة وحصونها. وفيها حصل الاحتفال بأمر الشوانى ونصب المجانيق على أسوار الإسكندرية، فكمل هناك نصب مائة منجنيق، وذلك لكثرة الإشاعة بحركة الفرنج لقصد ثغور ديار مصر. وفيها فتحت قلعة كينوك من بلاد الأرمن، على يد الأمير حسام الدين لاجين العنتابى. وفيها تنحزت عمارة صخرة بيت المقدس. وفيها نزل السلطان يعوم فى النيل وهو لابس زردية مُسَبَّلَة^(٢)، وعمل بسطا كبيرة، وأركب فوقها الأمير حسام الدين الدوادار، والأمير علاء الدين أيدغدى الأستاذار، وجرها وجر فرسين - وهو يعوم لابس الزردية - من البر إلى البر.

* * *

ومات فى هذه السنة من الأعيان

شهاب الدين أبو صالح عبد الرحيم بن عبد الرحمن بن الحسن بن العجمى الحلبى، بها عن اثنتين وستين سنة.

وتوفى فخر الدين أبو محمد عبد القاهر بن عبد الغنى بن محمد بن أبى القاسم بن محمد بن تيمية الحرانى الحنبلى، عن نحو ستين سنة بدمشق.

وتوفى الأديب مخلص الدين أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن هبة الله بن قرناص الحموى^(٣).

وتوفى الشريف شرف الدين أبو عبد الله محمد بن رضوان الحسينى، الناسخ الكاتب المجدود المؤرخ، عن تسع وستين سنة.

* * *

(١) تقع بين ملطية وسميساط. انظر: يا قوت، معجم البلدان ٢ / ٢١٨.

(٢) على هامش ط: أى أن زردية السلطان كانت واسعة مرخاة وتطفو على الماء.

(٣) إبراهيم بن محمد بن هبة الله بن أحمد بن قرناص الخزاعى الحموى، مخلص الدين، أبو إسحاق: شاعر أديب، من أهل حماة. له «ديوان شعر». انظر: النجوم الزاهرة ٧ / ٢٣٧ وهدية العارفين ١ / ١٢ والأعلام ١ / ٦٣.

سنة اثنتين وسبعين وستمائة

فى المحرم: نُقِضَ باب القصر المعروف بباب البحر تجاه المدرسة الكاملة بين القصرين لأجل نقل عمد منه لبعض العمائر السلطانية، فوجد فيه صندوق فى داخله صورة من نحاس أصفر، مُفَرَّغٌ على كرسى شكل هرم ارتفاعه قدر شبر بأرجل نحاس، والصنم جالس عليه ويده مرتفعتان تحملان صفحة دورها ثلاثة أشبار مكتوبة بالقبطى، وإلى جانب الكتابة فى الصحيفة شكل له قرنان يشبه شكل السنبله، وإلى الجانب شكل ثان وعلى رأسه صليب، وشكل ثالث فى يده عكاز وعلى رأسه صليب. ووجد مع هذا الصنم فى الصندوق لوح من ألواح الصبيان، قد تكشط أكثر ما فيه من الكتابة وبقي فيه بيبرس، فُتَعُجِبَ من ذلك.

وفيه وردت الأخبار بحركة الملك أبغا، فخرج السلطان من قلعة الجبل فى ليلة سادس عشره، ومعه الأمير سنقر الأشقر، والأمير بيسرى، والأمير أنامش السعدى. فلما وصل السلطان عسقلان كتب إلى القاهرة بخروج العساكر جميعها والعربان من ديار مصر، صحبه الأمير بيليك الخازندار، ورسم بأن كل من فى سائر مملكته له فرس فإنه يخرج إلى الغزاة، وأن تخرج كل قرية من قرى الشام رجالة يركبون الخيل على قدر حالهم، ويقوم من بالقرية بكلفة من يتوجه، ودخل السلطان إلى دمشق فى سابع عشر صفر.

فخرج من عساكر مصر فى حادى عشره عدة أربعة آلاف فارس، صحبة مقدميهم: وهم الأمير علاء الدين طيرس الوزيرى، وجمال الدين أقوش الرومى، وعلاء الدين قطلبيجا، وعلم الدين ططح. ثم خرج فى ثامن عشره الأمير بيليك الخازندار بطائفة، فورد مرسوم السلطان على الأمير بيليك بالنزول قريبا من يافا، وعندما قارب عسكر مصر دمشق ركب السلطان من دمشق فى نحو أربعين نفسا جرائد بغير ركيدار، وقد طلب العسكر وقارب المنزلة فاعترض السلطان العسكر، وكان قد تلثم هو وجماعته، فظنهم حجاب من بعض التركمان، فأمرهم بالترجل فأبوا، وساق السلطان بمفرده، وجاء خلف سناجق وحسر لثامه عن وجهه، فعرفه السلاح دارية، ودخل السلطان وساق فى ركبه، فنزل الناس وقبلوا الأرض، وسار حتى نزل ورتب العسكر. وأصبح السلطان فركب فى موكبه، وقضى أشغال الناس إلى أن أمسى، ثم

ركب بمن حضر معه إلى دمشق، وأصبح راكبا في موكبه. وفي مدة غيبته كان الأمير سيف الدين الدوادار يرتب الأمور بدمشق، ويكتب الأجوبة على علامم فوق أوراق بيض.

وفيه فرّ الأمير شمس الدين بهادر بن الملك فرج من التتار إلى السلطان بيبرس. وكان الملك فرج في أول أمره أمير طشت السلطان جلال الدين خوارزم شاه، وكان له سميساط، وبعد وفاة جلال الدين سلّك قلعة كِيرَان^(١) وعدّة قلاع بناحية تَقْجَوَان^(٢) ثم وصل الملك فرج هذا إلى بلاد السلاجقة الروم، ففُطِع بها ناحية أَفْصَرَا. وكان بهادر قد كاتب السلطان بيبرس وراسله وتقرب إليه بإعلامه بحقيقة أخبار العدو فعلم به التتار فأمسكوه وحملوه إلى الأردو، فهرب وحضر إلى البيرة، ووصل إلى دمشق وبها الملك الظاهر، فأكرمه وأعطاه بمصر إمرة عشرين فارسا. وخرج السلطان من دمشق إلى مصر، فدخل قلعة الجبل في رابع عشرى جمادى الآخرة. فتواترت الأخبار بحركة التتار، فرسم للأمير عيسى بن مهنا أمير العرب بالغارة، فأغار ووصل إلى الأنبار في ثامن عشر شعبان، فظن التتار أن السلطان قد قدم، فانهزموا إلى أبعغا، فرجع إلى بلاده.

وفي نصف شعبان: أفرج عن قاضى القضاة شمس الدين الحنبلى.

وفي شهر رمضان: رسم للعسكر بالتأهب للعب القبق ورمى النشاب، فركب من كل عشرة فارسان فى أحسن زيهم وقت الحرب، وركب السلطان فى مماليكه ودخلوا فى الطعن بالرماح، ثم أخذ السلطان الحلقة ورمى النشاب، وجعل لمن أصاب من الأمراء فرسا من خيله الخاص بتشاهيره، وقلسقة والبحرية بغلطاق. فاستمر ذلك أياما، تارة يكون اللعب فيها بالرمح وتارة بالنشاب وتارة بالدبابيس، وفرّق السلطان فيها من الخيل والبيغالطيق جملة. وساق السلطان يوما عادته فى اللعب، وسل سيفه فسلت مماليكه سيوفها، وحمل هو ومماليكه الخواص حملة وحمل واحد واصطدموا، فكان منظرا مهولا، وأطلق السلطان من التشاريف ما عمّ به سائر من فى خدمته: من ملك وأمير ووزير، ومقدمى الحلقة والبحرية، ومقدمى المماليك والمفردية، ومقدمى البيوتات السلطانية، وكل صاحب شغل وجميع الكتاب والقضاة، وسائر أرباب الوظائف.

وفي يوم عيد الفطر: ختن الأمير نجم الدين خضر ابن السلطان وعدّة من أولاد الأمراء، وجرى السلطان على عادته فى عدم تكليف الناس، فلم يقبل من أحد هدية

(١) هى مدينة بأذربيجان بين تبريز وبيلقان. انظر: معجم البلدان ٤/٣٣٢.

(٢) هى بلدة من نواحى إيران.

ولا تقدمه، ولم يبق من لا شمله إحسانه من سائر الطوائف، إلا المغاني وأرباب الملاهى فإنه لم تنفق لهم فى طول أيامه سلعة، ولا نالهم منه رزق ألبتة.

وفى ثمانى عشر شهر رمضان: سار الملك السعيد من قلعة الجبل فى عدّة من الأمراء جريدة إلى الشام، من غير أن يعلم به أحد، فدخل دمشق فى سادس عشره على حين غفلة من النائب، بحيث لم يشعر به العسكر إلا وهو بينهم فى سوق الخيل، فقبلوا له الأرض، ودخل الملك السعيد إلى القلعة وأراد لعب القبق خارج دمشق، فمنعته كثرة الأمطار.

وفى ليلة عيد الفطر: خلع الملك السعيد على أمراء الشام والمعكمين والمفاردة والأكابر، وخرج يتصيد بالمرج، وسار إلى الشقيف وصفد، وتوجه إلى القاهرة فوصل قلعة الجبل فى حادى عشرى شوال.

وفى هذه السنة: كان بمصر وأريافها وباء، هلك فيه خلق كثير أكثرهم النساء والأطفال. وحصل فى بلاد الرملة وبلاد القدس مرض وحميات، فقدم رجل نصرانى إلى الأمير غرس الدين بن شاور والى الرملة، وقال له: «هذه الآبار قد حاضت، كما جرى فى السنة التى جاء فيها التتار فيها إلى الشام. وإن الفرنج بعثوا إلى قرية عابود^(١) فى الجبل، وأخذوا من مائها وصبوه فى الآبار فزال الوخم»، وأشار بعمل ذلك فبعث والى الرملة إلى القرية المذكورة، وأخذ من مائها وصبه فى الآبار التى يبافا، وكان الماء قد كثر فيها فنقصت إلى حدّها المتعارف، وكُتب إلى السلطان بذلك وقيل له: «إن هذه الآبار إناث تحيض، وآبار الجبل ذكور ومنها آبار قرية عابود المذكورة».

وفىها ولى تقى الدين أبو عبد الله محمد بن [.....]^(٢) بن يحيى الرقى قضاء الشافعية بحلب، بعد وفاة محيى الدين محمد بن الأستاذ.

* * *

ومات فى هذه السنة من الأعيان

الأمير فارس الدين أقطاي الصغير المستعرب الصالحى النجمى، أتائبك العساكر بديار مصر، عن سبعين سنة فى تاسع جمادى الأولى.

ومات الأمير حسام الدين لاجين الأيدمرى المعروف بالدرفيل، داوَدَار السلطان. وتوفى قاضى حلب محيى الدين أبو المكارم محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن علوان بن الأستاذ الشافعى بها، وقد قدم القاهرة ودرّس بالمسؤولية^(٣).

(١) هى قرية جبلية بنواحي بيت المقدس. انظر: معجم البلدان ٣/ ١٨٣.

(٢) ما بين المعوفتين سقط فى الأصل.

(٣) اسم مدرسة كانت فى الأصل دار الشمس الخواص مسرور. انظر: المواعظ والاعتبار

وتوفى قاضى قضاة دمشق كمال الدين أبو الفتح عمر بن شدّاد بن على التقايسى الشافعى، عن سبعين سنة بالقاهرة.

وتوفى مؤيد الدين أبو المعالى أسعد بن المظفر بن أسعد بن حمزة بن القلانسى التميمى، خارج دمشق عن ثلاث وسبعين سنة، بعد ما قدم القاهرة.

وتوفى النحوى جمال الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن مالك الطائى الجياني بدمشق، عن بضع وسبعين سنة.

وتوفى تقى الدين أبو إسماعيل بن إبراهيم بن شاکر بن أبى اليسر التنوخى المعوى، المحدث الأديب كاتب الإنشاء، عن ثلاث وثمانين سنة بدمشق.

وتوفى المسند نجيب الدين أبو الفرج عبد اللطيف بن عبد المنعم بن على بن نصر الحرانى، مدرس دار الحديث الكاملية، عن خمس وثمانين سنة بالقاهرة.

وتوفى جمال الدين أبو عيسى عبد الله بن عبد الواحد بن محمد بن عبد الواحد بن علاقة الأنصارى، عن ست وثمانين سنة.

وتوفى أبو عبد الله محمد بن سليمان الشاطبى بالإسكندرية، عن بضع وثمانين سنة.

ومات ببغداد العلامة نصير الدين محمد بن محمد بن الحسن الطوسى^(١) الإمام المشهور، فى ذى الحجة. وقد خدم أولا صاحب الألو، ثم خدم هولاءكو وحظى عنده، وعمل له رسدا بمراغة، وصنّف كتباً عديدة. وقد توفى فى جمادى الأولى سنة سبع وسبعين وخمسائة.

* * *

(١) محمد بن محمد بن الحسن، أبو جعفر، نصير الدين الطوسى: فيلسوف. كان رأساً فى العلوم العقلية، وعلامة بالأرصاد والرياضيات. علت منزله عند هولاءكو، فكان يطيعه فيما يشير به عليه. ولد بطوس (قرب نيسابور) وابتنى بمراغة قبة ورسدا عظيماً، واتخذ خزانة مألها من الكتب التى نهبت من بغداد والشام والجزيرة، اجتمع فيها نحو أربعمائة ألف مجلد، وقرر منجمين لرصد الكواكب وجعل لهم أوقافاً تقوم بمعاشهم. وكان هولاءكو، عمده بالأموال، وصنّف كتباً حليلة. وله شعر كثير بالفارسية. وتوفى ببغداد. انظر: فوات الوفيات ٢ / ١٤٩ والوفى ١ / ١٧٩ وابن الوردى ٢ / ٢٢٣ وشذرات الذهب ٥ / ٣٣٩ ومفتاح السعادة ١ / ٢٦١ ونشر دار الكتب ١ / ٥١ والبداية والنهاية ١٣ / ٢٦٧ والفهرس التمهيدى ٤٧٢ و ٤٨٧ و ٥١٦ وآداب اللغة ٣ / ٢٣٤ والذريعة ١ / ٢٦ ثم ٤ / ٥٠ ومعجم المطبوعات ١٢٥٠ وإغاثة اللهفان لابن قيم الجوزية ٢ / ٢٦٧ والأعلام ٧ / ٣٠.

سنة ثلاث وسبعين وستمائة

في الحرم: قدم الملك المنصور محمد صاحب حماة إلى قلعة الجبل، ومعه أخوه الملك الأفضل على، وولده المظفر تقي الدين محمود فأنزل بمناظر الكيش، وعندما حل بها وصل إليه الأمير آقسنقر الفارقاني الأستاذار بالسماط، فمدّه بين يديه ووقف كما يقف بين يدي السلطان فلم يدعه الملك المنصور يقف وما زال به حتى جلس، فلما فرغ السماط قُدِّمت الخلع والتعابى وغيرها.

وفي ثامن صفر: توجه السلطان من قلعة الجبل، وسار إلى الكرك فأقام بها ثلاثة عشر يوما، وكشف أحوال الشوبك، وعاد إلى قلعة الجبل ثانی عشرى ربيع الأول. ثم توجه إلى العباسية ومعه الملك السعيد، فصرع الملك أوزة خبية. وقيل له: «لمن تدعى؟» فقال: «لمن أدعو بحياته، ومن أتقرب إلى الله بدعواته، الذى حسبى افتخارا أن أقول والدى، ومن يتمرن لصرع أعدائه ساعدى»، فقبله السلطان ووهبه من كل شىء.

وفيهما تحيل السلطان على استخلاص رؤساء الشوانى الذين أسروا بقبرص ميناء نمسون، وكان الفرنج لما كسرت الشوانى على قبرص وأسروا من فيها، السلطان الأمير فخر الدين المقرئ الحاجب إلى صور لابتیاع الأسرى، فتغالى الفرنج الرؤساء وباعوا القواد والرماة لطائفة منهم، فغادوا بهم أسرى أطلقهم السلطان، وبقي الاحتفاظ على الرؤساء وهم ستة: منهم رئيس الإسكندرية ورئيس دمياط، فحبسوهم بعكا فى قلعتها. فبعث السلطان إلى الأمير سيف الدين خطابا - وهو بصفد - يأمره بالتحيل فى سرقتهم، فأرغب الموكلين بهم بالمال حتى وصل إليهم بمبارد ومناشير، وسُرقوا من جبّ قلعة عكا، وساروا فى مركب إلى خييل قد أعدت لهم، فركبوا ووصلوا إلى القاهرة. ولم يشعر بهم الفرنج حتى قدموا على السلطان، فكانت بعكا لأجلهم فتنة بين الفرنج.

وقدم كتاب متملك الحبشة وهو الخطى يعنى الخليفة، يخاطب السلطان فيه بعبارة: «أقل الممالك يقبل الأرض وينهى»، وسأل فيه أن يُجهَّز له مِطْران من عند البطرك، فأجيب. وسار السلطان إلى الإسكندرية، وأمر ببناء ما تهدم من المنار، وعاد إلى قلعته. وكتب السلطان بأن تخرج عساكر حلب للغارة، فخرجت وأغارت على بلاد سيس، وغنموا وقلعوا أبواب ربض مرعش.

وفي ثالث شعبان: توجه السلطان من قلعة الجبل إلى الشام، فدخل دمشق في سلخه، وخرج منها في سابع رمضان فدخل حماة، ثم صار منها بالعساكر والعربان. وجرّد السلطان عيسى بن مهنا، والأمير حسام الدين العنتابي، بعسكر إلى البيرة، وجهّز الأمير قلاوون الألفى والأمير بيليك الخازندار، بعسكر إلى بلاد سيس، فساروا وهجموا النصيصة^(١) على الأرمن، وقتلوا من بها، وكانت المراكب قد حُملت معهم على البغال وهي مفصلة، ليعدوا فيها من نهر جهّان^(٢) والنهر^(٣) الأسود، فلم يحتج إليها.

ووصل السلطان على الأثر بعد ما قطع بعساكره النهر الأسود وقاسوا مشقة، وملكوا الجبال وغنموا عنها ما لا يحصى كثرة، ما بين أبقار وجواميس وأغنام. فدخل السلطان إلى سيس وهو مُطلب في تاسع عشره وعيّد بها، وانتهبها وهدم قصور التكفور ومناظره وبساتينه، وبعث إلى دربند^(٤) الروم، فأحضر إليه من سبايا التتار عدّة نساء وأولاد، وسير إلى طرسوس، فأحضر إليه منها ثلاثمائة رأس من الخيل والبغال، وبعث إلى البحر عسكرا فأخذ مراكب، وقتل من كان فيها. واثبت الغارات في الجبال، فقتلوا وأسروا وغنموا. وبعث السلطان إلى آياس^(٥) بالعساكر، وكانت قد أخليت، فنهبوا وحرقوا وقتلوا جماعة، وكان قد فرّ من أهلها نحو الألفين - ما بين فرنج وأرمن - في مراكب، فغرقوا بأجمعهم في البحر، واجتمع من الغنائم ما لا يحصره قلم لكثرتة، ووصلت العربان والعسكر إلى البيرة وساروا إلى عين تاب وغنموا، فانهزم التتار منهم وعادوا. فرحل السلطان من سيس إلى المصيصة من الدرند، فلما قطعه جعل الغنائم بمرج أنطاكية حتى ملأته طولاً وعرضاً، ووقف بنفسه حتى فرّقها، ولم يترك صاحب سيف ولا قلم حتى أعطاه، ولم يأخذ لنفسه منها شيئاً. فلما فرغ من القسمة سار إلى دمشق، فدخلها في النصف من ذي الحجة.

وفيهما ولي قضاء الحنفية بدمشق مجد الدين أبو محمد عبد الرحمن بن الصاحب كمال الدين عمر بن العديم، بعد وفاة شمس الدين عبد الله بن محمد بن عطاء الأذرعى.

* * *

(١) مدينة على شاطئ نهر جيحان وتقارب طرسوس. انظر: معجم البلدان ٤ / ٥٥٧.

(٢) يخرج هذا النهر من بلاد الروم عند زبطرة. انظر: معجم البلدان ١ / ١٧٠.

(٣) منبعه في بلاد الروم، ويجراه غربى بلاد المصيصة وطرسوس. انظر: معجم البلدان ٤ / ٨٣٤.

(٤) باب من الأبواب. انظر: معجم البلدان ٢ / ٤٤٩.

(٥) هي نغر بأرمينية الصغرى على شاطئ البحر الأبيض المتوسط.

ومات فيها من الأعيان

قاضي القضاة الحنفى بدمشق شمس الدين أبو محمد عبد الله بن محمد بن عطاء بن الحسن بن عطاء الأذرعى، عن ثمان وسبعين سنة.

وتوفى أمين الدين أبو بكر محمد بن على بن موسى بن عبد الرحمن الخزرجى^(١) المحلى النحوى الأديب.

وتوفى الحافظ جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن أحمد بن محمود بن أحمد الأسدى الدمشقى المعروف باليغمورى^(٢)، بالمحلة من أعمال القاهرة، عن نيف وسبعين سنة.

وتوفى الحافظ وجيه الدين أبو المظفر منصور بن مسلم بن منصور بن فتوح بن العماد الهمداني، الإسكندرى الملكى المؤرخ، عن ست وستين سنة بالإسكندرية.

* * *

(١) محمد بن على بن موسى، أبو بكر، أمين الدولة، الأنصارى المحلى، نحوى، من أهل المحلة (مصر) درس النحو وتوفى بالقاهرة. له شعر حسن وكتب. انظر: مفتاح السعادة ١ / ١٥٧ ومخطوطات الظاهرية ٢٩٦ ودار الكتب ٢ / ٢٣١ والمخطوطات المصورة ١ / ٩، ٤١٥ وصلة التكملة والأعلام ٦ / ٢٨٢.

(٢) يوسف بن أحمد بن محمود، أبو المحاسن اليغمورى: باحث دمشقى يعرف بالحافظ اليغمورى. له كتاب «نور القبس». انظر مجمع اللغة العربية ٤٦ / ٨٠٧ والأعلام ٨ / ٢١٤.

سنة أربع وسبعين وستمائة

فى ثامن الحرم: وصل الأمير سيف الدين بلبان الدوادار إلى طرابلس فى تجمل كبير، ومعه كتاب السلطان إلى ممتلكها، فما زال حتى قرّر عليه فى كل سنة عشرين ألف دينار صورية وعشرين أسيراً.

وفى رابع عشره: خرج الأمير بدر الدين الخازندار من دمشق لإحضار الملك السعيد، ومعه أولاد الأمراء، فوصل إلى قلعة الجبل وخرج بالملك السعيد على خيل الريد فى سلحه، فوصل إلى دمشق فى سادس صفر، وتلقاه السلطان ودخل به إلى قلعة دمشق.

وفى صفر: هذا توجه السلطان أبو يوسف بن عبد الحق ملك المغرب لجهاد الفرنج، فقتل الطاغية فى المعركة فى نحو ستة آلاف، ولم يقتل من المسلمين إلا نحو ثلاثين رجلاً وبلغت الغنائم من البقر مائة ألف وأربعة وعشرين ألفاً، وبلغ الأسرى سبعة آلاف أسير، وعجزت القدرة عن إحصاء الغنم، حتى أبيعت الشاة بدرهم، وحمل الكراع^(١) على أربعة عشر ألف وستمائة جمل.

وفىها نبش عمال بنى مرين قبور خلفاء الموحدين، وأخرجوا عبد المؤمن بن على وابنه يعقوب المنصور من قبريهما، وقطعت رأسهما، وضربت أعناق من كان يجبل تَيْتَمِل^(٢) وصلبوا بمراكش وأخذت أمواهم. وفىها بنيت فاس الجديد^(٣) وصارت دار ملك بنى مرين.

وفى ثالث عشرى جمادى الأولى: أخذ السلطان القُصَيْر^(٤) حصن أنطاكية، وحمل أهله إلى الجهات التى قصدوها. وقدم الخبر بورود التتار إلى البيرة، فجمع السلطان للعساكر وأنفق، وخرج من دمشق إلى حمص، فجاء الخبر برجوع التتار فعاد إلى دمشق. وفى هذه الأيام: اختلفت أمراء الروم على البرواناه، ففارقه جماعة من قيسارية، وقدم

(١) ذخيرة الحرب من الأطعمة والمؤونة.

(٢) بلد بجبال مراكش فى الجنوب الغربى من مدينة مراكش نفسها.

(٣) تتكون مدينة فاس المعروفة من بلدين فاس البالى، وفاس الجديد.

(٤) من أعمال الأردن جنوب أنطاكية. انظر: يا قوت، معجم البلدان ٤/ ٣٦٧.

منهم إلى السلطان الأمير ضياء الدين محمود بن الخطير، والأمير سنان الدين موسى بن طرنطاي، ونظام الدين أخو مجد الدين الأتابك بعيالاتهم؛ يريدون الانتماء إليه، فجهزهم السلطان إلى القاهرة، ثم إن محمود بن الخطير سعى بهم، فاعتقلوا بقلعة الجبل مدة ثم أطلقوا.

وفي مستهل رجب: توجه السلطان من دمشق إلى مصر، فدخل قلعة الجبل في ثامن عشره، وقدمت هدية صاحب اليمن، ومن جملة كَرَكْدَن وفيل وحمار وحش عتابي، فسير السلطان إليه هدية مع رسله، وجهاز السلطان هدية للملك منكوتر مع الأمير عز الدين أيبك الفخري، وجهاز رسل الأشكري، ورسل الملك الفنش ورسل جنوة.

وفيها حضر ابن أخت ملك النوبة واسمه مشكد متظلما من داود ملك النوبة، فجرد السلطان معه الأمير آقسنقر الفارقاني، بعدة من العسكر وأجناد الولاية والعربان، ومعه الزرّاقون والرماة ورجال الحراريق والزردخاناه، فخرج في مستهل شعبان حتى عدى أسوان، وقاتل الملك داود ومن معه من السودان، فقاتلوه على النُجُب، وهزمهم وأسر منهم كثيراً. وبث الأمير آقسنقر الأمير عز الدين الأفرم، فأغار على قلعة الدقم، وقتل وسبي، ثم توجه الأمير سنقر في أثره يقتل ويأسر حتى وصل إلى جزيرة ميكائيل - وهي رأس جنادل النوبة - فقتل وأسر وأقر الأمير آقسنقر قمر الدولة صاحب الجبل - ويده نصف بلاد النوبة - على ما بيده، ثم واقع الملك داود حتى أفنى معظم رجاله قتلا وأسرا، وفرّ داود بنفسه في البحر وأسر أخوه شنكو، فساق العسكر خلفه ثلاثة أيام، والسيف يعمل فيمن هناك حتى دخلوا كلهم في الطاعة، وأسرت أم الملك داود وأخته.

وأقيم مشكد في المملكة، وألبس التاج وأجلس في مكان داود، وقررت عليه القطيعة في كل سنة وهي فيلة ثلاثة، وزرافات ثلاث، وفهود إناث خمس، و صهب جياذ مائة، و أبقار جياذ منتخبة مائة وقرّر أن تكون البلاد مشاطرة، نصفها للسلطان ونصفها لعمارة البلاد وحفظها، وأن تكون بلاد العلى وبلاد الجبل للسلطان - وهي قدر ربع بلاد النوبة - لقربها من أسوان، وأن يحمل القطن والتمر مع الحقوق الجاري بها العادة من القديم وعرض عليهم الإسلام أو الجزية أو القتل فاختراروا الجزية، وأن يقوم كل منهم بدينار عينا في كل سنة. وعملت نسخة يمين بهذه الشروط، وحلف عليها مشكر وأكابر النوبة، وعملت أيضاً نسخة للرجبة بأنهم يطيعون نائب السلطان

مادام طائعا، ويقومون بدينار عن كل بالغ. وخربت كنيسة سرس، التي كان يزعم داود أنها تحدّته بما يؤدّيه، وأخذ ما فيها من الصليبان الذهب وغيرها، فجاءت مبلغ أربعة آلاف وستمائة وأربعين دينارا ونصف، وبلغت الأواني الفضة ثمانية آلاف وستمائة وستين دينارا. وكان داود قد عمرها على أكتاف المسلمين الذين أسرهم من عيذاب وأسوان، وقُرّر على أقارب داود حمل ما خلفه من رقيق وقماش إلى السلطان، وأطلقت الأسرى الذين كانوا بالنوبة من أهل عيذاب وأسوان، وردّوا إلى أوطانهم. من العسكر من الرقيق شيئا كثيرا، حتى أبيع كل رأس بثلاثة دراهم، وفضل بعد القتل والبيع عشرة آلاف نفس، وأقام العسكر بمدينة دمقلة سبعة عشر يوما، وعادوا إلى القاهرة في خامس ذى الحجة بالأسرى والغنائم، فرسم السلطان للصاحب بهاء الدين بن حنا أن يستخدم عمالا على ما يستخرج من النوبة من الخراج والجزية بدمقلة وأعمالها، فعُمل لذلك ديوان.

وفي ثاني عشره: اجتمع القضاة والأمراء والأعيان بقلعة الجبل، وعُقد للملك السعيد على غازية خاتون ابنه الأمير قلاوون الألفى، بوكالة الأمير بدر الدين بيلىك الخازندار نائب السلطنة عن الملك السعيد. فقبل العقد عن الأمير قلاوون الأمير أقسنقر الفارقانى، على صداق مبلغه خمسة آلاف دينار، المعجّل منها ألفا دينار، وكتب الصداق بخط القاضى محبى الدين بن عبد الظاهر، وإنشائه، ومن جملة: «هذا كتاب تحاسدت رماح الخط وأقلام الخط على تحريره، وتنافست مطالع الأنوار ومشارك الأنوار على تسطيره، وأضاء نوره بالجلالة وأشرق، وهطل نوره بالإحسان وأغدق، وتناسبت فيه أجناس تجنيس لفظ الفضل فقال الاعتراف هذا ما تصدق، وقال العرف هذا ما أصدق».

وفيه شتى السلطان الطواشى شجاع الدين عنبر المعروف بصدر الباز - وكان قد تمكن منه تمكنا عظيما - من أجل أنه شرب الخمر، وعلقه تحت قلعة الجبل.

وعندما انقضى أمر العقد، ركب السلطان من يومه على الهجن فى نفر يسير، وسار إلى الكرك فدخلها فى ثالث عشره، وهو يريد القبض على الأمير سابق الدين عبية، فلما بلغه حضور السلطان قدم عليه، فرعى له ذلك وزاد إقطاعه، ونظر السلطان فى أمر أهل الكرك، وقطع أيدى ستة منهم اتهموا بأنهم قد عزموا على إثارة فتنة، ورتب رجالا بها عوضا عنمن كان فيها. وفيها أقام حجاج مصر بمكة ثمانية عشر يوما، وبالمدينة النبوية عشرة أيام، وهذا لم يعهد مثله.

ومات في هذه السنة من الأعيان

الأمير ركن الدين خاص ترك الكبير، أحد الأمراء الأكابر بدمشق، في ثالث عشر ربيع الأول.

ومات الأمير حسام الدين قيماز الكافرى، نائب حصن الأكراد والسواحل والفتوحات.

وتوفى سعد الدين أبو العباس الخضر بن التاج أبى محمد عبد الله بن العماد أبى الفتح عمر بن على بن محمد بن حمويه الجوينى^(١) شيخ الشيوخ بدمشق، بها عن نيف وثمانين سنة.

وتوفى تاج الدين أبو الثناء محمود بن عابدين الحسين بن محمد بن على التميمى الصرخدى الحنفى، بدمشق عن ست وتسعين سنة.

وتوفى زين الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن جبريل، الإنشاء بقلعة الجبل فى [.....]^(٢).

وتوفى كمال الدين أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الرحيم بن على بن إسحاق بن على شيت الأموى [.....]^(٣).

وتوفى الأديب أبو الحسن على بن أحمد بن العُقَيْب العامرى بيبعلبك.

* * *

(١) عبد الله بن عمر بن على بن محمد بن حمويه الجوينى السرخسى ويسمى بعبد السلام أبو محمد، تاج الدين: مورخ باحث، خراسانى الأصل. كان شيخ الشيوخ بدمشق، ومولده ووفاته فيها. زار المغرب سنة ٥٩٣هـ فأقام إلى سنة ٦٠٠هـ: وعاد إلى دمشق مارا بمصر. انظر: مرآة الزمان ٧٤٨/٨ ونفح الطيب ٧٣٧/٢ وشذرات الذهب ٥/٢١٤ والأعلام ٤/١١٠.

(٢) ما بين المعقوفتين بياض فى الأصل.

(٣) ما بين المعقوفتين بياض فى الأصل.

سنة خمس وسبعين وستمائة.

في المحرم: سار السلطان من الكرك، فدخل إلى دمشق في رابع عشره، وقدم عليه عدة من أمراء الروم مغاضبين للبرواناه، وهو معين الدين سليمان بن علي بن محمد بن حسن، وكان منهم الأمير حسام الدين بينجار الرومي، وبهادر ولده، وأحمد بن بهادر، واثنان عشر من أمراء الروم بأولادهم ونسائهم، من حملتهم قرمشى وسكتاي ابنا قراجين بن جيفان نوين، فأحسن السلطان إليهم، وبعث حريمهم إلى القاهرة، وأجرى عليهم الأرزاق، ثم وصل الأمير سيف الدين جندر بك صاحب الأبلستين^(١)، والأمير مبلرز الدين سوار بن الجاشنكير، في كثير من أمراء الروم، فتلقاهم السلطان بنفسه وأكرمهم، ثم كتب السلطان إلى الأمراء بمصر يستشيرهم في بعث عسكر إلى الروم، وأن يحضر الأمير بيسرى والأمير أقتش بما يتفق الرأي عليه، فحضرا على الريد، ووصل أيضا الأمير سنقر الأشقر، وتتابع وصول حريم أمراء الروم، فأكرمهم السلطان وجهّزهم إلى القاهرة، وسار السلطان إلى حلب، وجرّد منها الأمير سيف الدين بلبان الزيني الصالحى في عسكر، فوصلوا إلى عين تاب.

وعاد السلطان من حلب إلى مصر، فدخل قلعة الجبل في رابع عشر ربيع الأول، ورسم بتجهيز مهمات العرض، فأخذ الناس في التجهيز، وغلت الخيول والأسلحة، وعدم صنّاع صقل العدد من القاهرة لاشتغالهم بالعمل عند الأمراء، وعزّ وجود صنّاع النشاب ومقوّمى الرماح.

وفي خامس جمادى الأولى: وقع العرض، فركبت العساكر بكما لها في يوم واحد وقد لبسوا أحمل العدد، وقصد السلطان بركوبهم في يوم واحد حتى لا يستعير أحد من أحد شيئا، وفرّق السلطان على مماليكه العدد الجليلة، وركب الأمراء الروميون ومن حضر من الرسل، وعرض الجميع على السلطان، ونزلوا من الغد في الوطاقات للعب، وقد لبس المماليك السلطانية الجواشن والخوذ، وعملت الأبرجة الخشب على الفيلة، ودخلوا في الحلقة وساقوا. ثم نصب القبق بالميدان الأسود تحت القلعة ورموا النشاب، وأنعم السلطان على كل من أصاب القبق من الأمراء بفرس من الجنائب الخاص، بسرجه ولجامه وتشاهيره بالراوات الفضة وغيرها، وأنعم على من أصاب من المماليك

(١) هي مدينة بيلاد الروم قرية من أفسوس. انظر: معجم البلدان ١ / ٩٤.

والأجناد بالخلع. كل ذلك والسلطان يسعى، وقد تنوع فى لامات حربه، وصار يأخذ بقلوب الناس ويحسن إليهم وساق السلطان بالرمح أحسن سَوْق حتى تعجبوا من فروسيته، إلى أن انقضى النهار على هذا.

وفى اليوم الثالث: ركب السلطان، ولعب الناس ورموا فى القبق، والسلطان يطاعن بالرمح. وفى الغد ترتب العسكر من جهتين، واصطدما وتطاعنت الفرسان، وكان السلطان بينا يراه الناس آخرًا قد شاهده أولًا، وهو لا يسأم من الكر والفر، وشاهد الناس منه ومن الملك السعيد ما يبهر العقول، وتواصل الطعن بغير جراح، والسلطان بين تلك الصفوف لا يخاف.

وكان قفجاقى الأصل، طويل القامة أسمر اللون، فى عينيه زرقة وبإحدى عينيه نقطة صغيرة، صوته جهوريًا، وكان شجاعًا عسوفًا عجولًا. وكان قد حضر من البلاد مع تاجر إلى حماة ومعه مملوك آخر، فلما عرضا على الملك المنصور محمد صاحب حماة لم يعجبه، وأبيع بدمشق بثمانمائة درهم، فرّد مشتره لبياض فى إحدى عينيه، فاشتراه الأمير علاء الدين أيدكين البندقدار مملوك الملك الصالح نجم الدين أيوب، وهو بحماة معتقل بها، وأقام فى خدمته مدة ثم أخذ منه الملك الصالح، فترقى فى الخلع، وتنقلت به الأحوال إلى ملك مصر والشام.

وكانت الأمراء تخافة تخافة شديدة، حتى إنه لما مرض لم يدخل أحد منهم عليه إلا بإذن. وكان مقدما خفيف الركاب طول أيامه يسير على الهجن وخيول البريد؛ لكشف القلاع والنظر فى الممالك، فركب للعب الكرة فى الأسبوع يومين بمصر ويوما بدمشق، وفى ذلك يقول سيف الدولة المهْمَنْدَار^(١) من أبيات يمدحه بها:

يوما بمصر ويوما بالحجاز وبالشام يوما ويوما فى قرى حلب
وكانت عدّة عسكره اثنى عشر ألفا، ثلثها بمصر وثلثها بدمشق وثلثها بحلب. وكان هؤلاء خاصته، فإذا غزا خرج معه أربعة آلاف يقال لهم جيش الزحف، فإن احتاج استدعى أربعة أخرى، فإن اشتد به الأمر استدعى الأربعة آلاف الثالثة. وافتتح من البلاد قيسارية وأرسوف وهدمها، وفتح صفد وعمرها، وفتح طبرية ويافا والشقيف وأنطاكية وخربها. واستولى على بغراس والقصير وحصن الأكراد والقريين وحصن عكار وصافيتا ومرقية وحلبا، وناصف الفرنج المرقب وبانياس وأنطرسوس، وأخذ من

(١) صاحب هذه الوظيفة هو الذى يتصدى لتلقى الرسل والعربان الواردين على السلطان. انظر:

متملك سبب دريساك ودر كوش وتلميش وكفر دين وربعان ومرزبان، ومَلِك دمشق وعجلون وبصرى، وصرخد والصّلت وحمص، وتدمر الرحبة وتل باشر، وصهيون وبلاطنس، وقلعة الكهف والقدموس والمينقة والعليقة والخوابى والرصافة ومصيف، والكرك والشوبك وبلاد الحلب وشيزر وبلاد النوبة وبرقة، وسائر إقليم مصر والشام، ومَلِك قيسارية من بلاد الروم. وقد قال فيه بعض الأدباء:

تدبر الملك من مصر إلى يمن إلى العراق وأرض الروم والنوبى

وله عدة أوقاف بمصر: منها وقف الطرحاء لتغسيل فقراء المسلمين وتكفينهم ودفنهم، وهو من أكثر الأوقاف نفعا، ومنها تربة الظاهرية بالقرافة، والمدرسة الظاهر بخط بين القصرين من القاهرة، والجامع الظاهرى خارج باب الفتوح من القاهرة. وعمر السلطان بيبرس الجسر الذى يسلك عليه إلى دمياط، وأنشأ عليه ست عشرة قنطرة، وعمر قنطرة بحر انصباب السيل، ووقفوا وقفه رجل واحد. وقدّم السلطان عدة من مماليكه وخواصه، فقاتلوا قتالا شديدا، ثم ردفهم بنفسه، وحمل وحملت العساكر معه حملة شديدة. فترجل التتار عن خيولهم، وقاتلوا قتال من يطلب الموت حتى عظم القتل فيهم، فولى طائفة منهم وأدركهم العسكر فأحاط بهم. ونجا معين الدين سليمان البرواناه زعيم الروم، فانهزم أصحابه، وصار هو إلى قيسارية فوصلها بكره يوم الأحد ثانى عشر ذى القعدة، وأشار على سلطانها غياث الدين كيكاسوس بن كيخسرو وجماعة الأمراء بالخروج منها، فإن التتار المنهزمين متى دخلوا قيسارية قتلوا كل من فيها حنقا على المسلمين، ثم أخذ البرواناه السلطان غياث الدين كيكاسوس بن كيخسرون صاحب الروم، وجماعة من أعيان البلد، وصار بهم إلى توقّات، وبينها وبين قيسارية مسيرة ثلاثة أيام.

وأما السلطان فإنه نزل بعد هزيمة التتار فى منزلتهم، وأحضر إليه من أسر من أمراء المغول، ففعا عنهم وأطلقهم. وقتل فى المعركة الأمير ضياء الدين بن الخطير، والأمير سيف الدين قيران العلائى أحد مقدمى الحلقة، وسيف الدين قفجاف الجاشنكير، وعدة من العسكر، وجرح جماعة. وقتل قتاوون مقدم التتار فى المعركة، وأمر السلطان بقتل من أسر من التتار، وأبقى من أسر من أمراء الروم وأعيانهم معه، وفيهم أم البرواناه، وابنه مهذب الدين علىّ وابن ابنته.

وجرد السلطان الأمير سنقر الأشقر فى جماعة؛ لإدراك المنهزمين من التتار وللتوجه إلى قيسارية، وكتب معه كتابا إلى أهل قيسارية بالأمان وإخراج الأسواق والتعامل بالدراهم الظاهرية، فمرّ الأمير سنقر بفرقة من التتار معهم البيوت، فأخذ منهم جانبا،

وأدركه الليل فتفرق من بقى منهم.

ورحل السلطان فى يوم السبت حادى عشره يريد قيسارية الروم، فاستولى فى طريقه على عدّة بلاد. وفى يوم الأربعاء خامس عشرة تلقاه أهل قيسارية من العلماء والأكابر والنساء والأطفال، واحتف به الفقراء الصوفية وتواجدوا، إلى أن قرب من دهليز السلطان غياث الدين صاحب الروم وخيامه، وقد نصبت فى وطاة بالقرب من المناظر التى كانت للملك الروم، فترجل وجوه العساكر المصرية والشامية على طبقاتهم، ومشوا بين يديه إلى أن وصلها، وارتفعت الأصوات بالتكبير والتهليل، وأقبل الروم من كل جهة، وضربت نوبة آل سلجوق على عاداتها، وحضر أصحاب الملاهى كما هى عادة الروم، فنّهوا عن الضرب بالألآت وعن الغناء أيضا، وقيل لهم: «هذه الهيئة لا تنفق عندنا، وما هذا موضع الغناء، بل موضع الشكر». وشرع السلطان فى إنفاق المال، وعيّن لكل جهة شخصان وكتب إلى أولاد قرمان^(١) أمراء التركمان، وأكد عليهم فى الحضور، واستمال التازحين، فما خرج البرواناخ عن المطاولة إلى أن علم السلطان منه أنه لا يحضر.

وركب السلطان فى يوم الجمعة سابع عشره وعلى رأسه جتر بنى سلجوق، ودخل قيسارية دار السلطنة، وعبر القصور وجلس على آل سلجوق، وأقبل الناس للهناء وقبلوا الأرض، وحضر القضاء والفقهاء والوعاظ والقراء والصوفية وأعيان قيسارية وذوو المراتب، على عادة الملوك السلجوقية فى أيام الجمع، ووقف أمير المحفل - وهو عندهم ذو حرمة ومكانة، ويلبس أكبر ثوب وعمامة - فرتب المحفل على قدر الأقدار، وانتصب قائما بين يدى السلطان منتظرا ما يشير به. وقرأ القراء أحسن قراءة، ورفعوا أصواتهم بالتلحين العجيب إلى أن فرغوا، فأنشد أمير المحفل بالعربية والعجمية مدائح فى السلطان، ومدّ سماط الطعام فأكل من حضر، ثم أحضرت دراهم عليها السكة الظاهرية. وتهيأ السلطان لصلاة الجمعة، وقام السلطان إلى الجامع، وخطب الخطيب بنعوته وصلّى، وخطب له الخطباء بجوامع قيسارية وهى سبعة، فلما قضى السلطان صلاة الجمعة، حُمِل إليه ما تركته كُرْجى خاتون امرأة البرواناه من الأموال التى لم تقدر على حملها معها، وما خلفه سواها ممن انتزح معها، وظهر لها ولزوجها معين الدين البرواناه موجود نفيس، فأخذ السلطان ذلك.

وبعث البرواناه يهنئ السلطان ببيرس بجلوسه على تخت الملك، فكتب إليه أن يفد

(١) تأسست دولة بنى قرمان بجهات أرمناك وقسطمونى بجنوبى آسيا الصغرى، فى أواسط القرن

عليه ليقره مكانه، فبعث يسأل النظرة إلى خمسة عشر يوما. ورجا البرواناه بذلك أن يصل الملك أيضا - وكان قد أرسل يستحثه على القدوم بنفسه - ليدرك الملك الظاهر وهو ببلاد الروم، فلما بلغ السلطان ذلك خرج من قيسارية فى ثمانى عشرية، بعد ما أعطى الأمراء والخواص الخيول والأموال. ولما وصل السلطان إلى خان كيقباد بعث إلى الأرمن بجهة الرمانه لأمير طيرس الوزيرى، فحرق وقتل وسبى من بها من الأرمن وعاد، وسبب ذلك أنهم كانوا قد أخفوا جماعة من التتر، فسار السلطان إلى الأبلستين، ومرّ على مكان المعركة ليرى رمم القتلى من التتار، فذكر أهل الأبلستين أنهم عدّوا من القتلى ستة آلاف وسبعمائة وستين، وضاع الحساب بعد ذلك، فأمر السلطان بجمع من قُتل من عساكره ودفنوا، وترك منهم قليلا بغير دفن، وقصد بذلك نكاية التتار فى إظهار كثرة من قُتل منهم وقلة من قُتل من عسكره، ثم رحل.

ودخل السلطان إلى الدربند فى رابع ذى الحجة، وأصاب الناس فيه مشقة عظيمة، ونزل يحارم فى سادسه وعيّد هناك، فورد كتاب الأمير شمس الدين محمد بن قرمان أمير التركمان، يتضمّن أنه جمع التركمان وحضر فى عشرين ألف فارس وثلاثين ألف راجل متركشة^(١) للخدمة، فوجد السلطان قد عاد، وحضر أيضا أمراء بنى كلاب، ووفود التركمان، ثم رحل السلطان طالبا دمشق.

وقدم الملك أبغا بن هولوكو بالتتار لمحاربة السلطان، فوفاه البرواناه فى الطريق. وكان السلطان قد رحل فتبعه أبغا، وسار إلى الأبلستين حتى عاين القتلى بالمعركة وليس فيهم من الروم ولا من عساكر السلطان إلا القليل، مع كثرة رمم التتار التى هناك فشق عليه ذلك، وكان قد وشى إليه بالبرواناه أنه هو الذى كاتب الملك الظاهر حتى أقدمه إلى بلاد الروم، فخنق لقله عدد قتلى الروم. وعاد أبغا إلى قيسارية، فنهبا وقتل من ببلاد الروم من المسلمين، وأغار التتار مسيرة سبعة أيام، فيقال إنه قتل من الفقهاء والقضاة والرعايا ما يزيد على مائتى ألف نفس، ولم يقتل أحدا من النصرارى. وشمل القتل من أرزن الروم إلى قيسارية، فيقال إن عدة القتلى كانت خمسمائة ألف، ثم سار أبغا ومعه السلطان غياث الدين صاحب الروم، ووكل بالبرواناه من يحفظه. وسار السلطان بيبرس من حارم إلى أنطاكية، ونزل بمروجها.

* * *

ومات فى هذه السنة من الأعيان

الأمير عز الدين إيغان المعروف بسم الموت، أحد أمراء مصر، وهو بقلعة الجبل

(١) الجنود المتركشة هى التى تكون حاملة تركاشها، والتركاش جعبة النشاب.

مسجوناً، فدفن خارج باب النصر. وفيها حج الصحاب تاج الدين حنا، وكان بمكة غلاء عظيم.

وتوفى شمس الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الوهاب بن منصور الحرّاني الحنفي بدمشق، بعد ما أقام بالقاهرة عينا، وكان قد ولي قضاء بعض الأعمال.

وتوفى بدر أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن القُويرة، الحنفي الفقيه الأديب، نحو أربعين سنة بدمشق.

وتوفى فخر الدين أبو الوليد محمد بن سعيد بن محمد بن هشام بن عبد الحق الكناني الشاطبي، الحنفي النحوي الأديب، عن ستين سنة بدمشق.

وتوفى قطب الدين أبو المعالي أحمد بن عبد السلام بن المطهر بن أبي سعد عبد الله ابن محمد بن هبة الله بن علي بن المطهر بن أبي عُصْرُون التميمي الموصلي الشافعي، عن ثلاث وثمانين سنة بحلب.

وتوفى الأديب شهاب الدين أبو المكارم محمد بن يوسف بن مسعود بن بركة الشيباني التلمغري^(١)، عن اثنتين وثمانين سنة بحماة.

ومات الشيخ العباس خضر بن أبي بكر بن موسى المهراني العَدَوِي الكردي، في محبسه بقلعة الجبل، في يوم الخميس سادس المحرم عن نيف وخمسين سنة، ودفن بزوايته خارج باب الفتوح.

ومات متملك تونس أبو عبد الله محمد المستنصر بن السعيد أبي زكريا يحيى بن عبد الواحد بن أبي حفص^(٢)، في عاشر ذو الحجة، فكانت مدته ثمانيا وعشرين سنة وخمسة أشهر وعشرة أيام، وبويع بعده ابنه أبو زكريا يحيى الواثق.

* * *

(١) محمد بن يوسف بن مسعود الشيباني، شهاب الدين، أبو عبد الله، التعفري: شاعر. نسبته إلى «تل أعفر» بين سنجار والموصل. ولد وقرأ بالموصل وسافر إلى دمشق ثم طرده الأشرف موسى إلى حلب فضاقت عليه الأرض فيها، فعاد إلى دمشق فساءت حاله، فقصد حماة، وتوفى فيها. انظر: فوات الوفيات ٢/ ٢٧٧ ومعجم البلدان ٢/ ٤٠٢ والنجوم الزاهرة ٧/ ٢٥٥ وابن الفرات ٧/ ٩٦ - ٧٩ والأعلام ٧/ ١٥١.

(٢) المستنصر الأول (٦٢٥ - ٦٧٥هـ = ١٢٢٨ - ١٢٧٧م). محمد بن يحيى بن عبد الواحد ابن أبي حفص الهنتاتي، أبو عبد الله، أمير المؤمنين المستنصر بن السعيد: من ملوك الدولة الحفصية بتونس بويع له فيها بعد وفاة أبيه (سنة ٦٤٧هـ). وكان شجاعا حازما خبيرا بسياسية الملك فيه شدة وعنق. انظر: دول الإسلام النهبي ٢/ ١٣٦ والدولة الحفصية ٥٥، ٦٨ والخلاصة النقية ٦٢ وابن خلدون ٦/ ٢٨٠ وخلاصة تاريخ تونس ١٠٨ وشذرات الذهب ٥/ ٣٤٩ والأعلام ٧/ ١٣٨.

سنة ست وسبعين وستمائة

في خامس المحرم: دخل السلطان من أنطاكية إلى دمشق بعساكره، ونزل بالقصر الأبلق، فكثرت الأخبار بقدم أباغا إلى الأبلستين وأنه يريد بلاد الشام، فضرب الدهليز على القصر ليخرج السلطان إلى لقائه، فورد الخبر برجوع أباغا إلى بلاده فردّ الدهليز إلى دمشق.

ولما كان في يوم الخميس رابع عشره: جلس السلطان لشرب القمز، وقد عظم سروره وفرحه وتناهى سعه، فأكثر من الشرب، وانقضى المجلس فتوعك بدنه، وأصبح يشكو فتقياً، وركب بعد الصلاة إلى الميدان، ثم عاد إلى القصر الأبلق آخر النهار وبات فيه، فلما أصبح وهو يشكو حرارة في باطنه، استعمل دواء لم يكن عن رأى طبيب، فلم ينجح وتزايد ألمه، فاستدعى الأطباء، فأنكروا استعماله الدواء، واتفقوا على أخذ مسهل وسقوه فلم يقد، فحركوه بدواء آخر فأفرط به الإسهال، وتضاعفت الحمى ورمى دما يقال إنه كبده، فعولج بجواهر ومات.

وقال الشيخ قطب الدين اليونيني^(١) في تاريخه: إن الظاهر كان مولعا بعلم النجوم، فقبل له أنه يموت بدمشق في سنة ست وسبعين هذه ملك بالسم، فاهتم من ذلك ويقال إنه كان فيه حد، فلما دخل معه إلى بلاد الروم الملك القاهر بهاء الدين عبد الملك بن الملك المعظم عيسى بن العادل أبى بكر بن أيوب، أبلى فى المصاف بلاءً عظيماً أنكى به العدو، وتعجب الناس لعظم شجاعته، فأثر ذلك عند السلطان. واتفق أن السلطان كان منه ذلك اليوم فتور، وظهر عليه الخوف والندم على ما فعله من تورط نفسه وعساكره ببلاد الروم، فأنكر عليه الملك القاهر وقبح فعله، فأسرّ له السلطان ذلك إلى أن قدم دمشق، فسمع السلطان الناس تلهج بما فعله الملك القاهر فى وقت المصاف، فاشتد حنقه وأخذ يتحيل فى سمه، ليصح فيه ما دلت عليه النجوم من موت ملك بالشام، فإنه يطلق عليه اسم الملك؛ فعمل دعوة لشرب القمز حضرها الملك

(١) موسى بن محمد بن أبى الحسين أحمد اليونيني البعلبكي، قطب الدين أبو الفتح: مورخ، أصله من بعلبك. ولد وتوفى بدمشق. وصار شيخ بعلبك بعد وفاة أخيه على وكان فاضلاً مليح المحاضرة، معظماً حليلاً. له «مختصر مرآة الزمان». انظر: المقصد الأرشد والدرر الكامنة ٤/ ٣٨٢ والبداية والنهاية ١٤/ ١٢٦ والفهرس التمهيدى ٣٩٣ والأعلام ٧/ ٣٣٨.

القاهر، وقد أعدّ السلطان سماً من غير أن يشعر به أحد. وكان له ثلاث هنابات تختص به مع ثلاثة سقاة لا يشرب فيها غيره، أو من يكرمه فيناوله أحدها بيده، فلما قام الملك القاهر لقضاء حاجته، جعل السلطان السم الذى أعده فى هناب وأمسكه بيده، فلما عاد الملك القاهر ناوله إياه، فقبل الأرض وشرب جميع ما فيه وقام السلطان لقضاء حاجة، وأخذ الساقى المناب من يد الملك القاهر، وملاه على العادة من غير أن يشعر بما عمله السلطان من السم فيه، وأمسكه بيده ووقف مع السقاة، فلما عاد السلطان من الخلاء تناول ذلك المناب بعينه، وشرب ما فيه وهو لا يعلم أنه المناب المسموم، فعندما شربه أحس بالتغير، وعلم أنه قد شرب بقايا السم الذى كان فى المناب، فتقيأ فلم يقد، وما زال به حتى مات.

وذكر ركن الدين بيبرس المنصورى المؤرخ^(١) أن القمر خسف جميع جرمه، ودلّ على موت رجل جليل القدر، فلما بلغ الملك الظاهر هذا خاف، وقصد صرف ذلك إلى غيره، فسم الملك القاهر فى كأس قمز، وأحسّ الملك القاهر بالشر فقام، وغلظ الساقى فملاً الكأس وسقاه السلطان، فأحس بالنيران وأقام أياما يشكو ولا يعلم الأطباء، حتى تمكن منه ومات.

وكانت وفاته يوم الخميس سابع عشرى المحرم بعد الزوال، فكانت مدة مرضه ثلاثة عشر يوماً، وقد تجاوز الخمسين سنة ومدة ملكه سبع عشرة سنة وشهران واثنا عشر يوماً.

وفى يوم الثلاثاء: أنعم السلطان على جميع الأمراء والمقدمين والقضاة والمتعممين بالتشريف، ولبس السلطان تشريفا كاملا بشربوش، ثم أنعم به على الأمير سيف الدين قلاوون الألقى، ولعبوا على عادتهم. وحصل الاهتمام بأمر السماط، ونقل له من أصناف الحوائج ما لا يعد، وسبق من الأغنام ألوف كثيرة. ومُدّت الأسمطة، وحضر السلطان والناس فى خدمته إلى أن أخذوا حاجتهم من الطعام والحلاوات، ثم نُقل جميع ذلك وأخذ. وحضرت التقادم، فقبل السلطان منها اليسير مثل تقصيلة أو رمح أو شىء لطيف، وما قام من مجلسه حتى أنعم بذلك فى وقته، ودخل الملك السعيد على ابنة الأمير قلاوون.

(١) بيبرس المنصورى الخطائى الدوادار، ركن الدين: مؤرخ من الأمراء بمصر. ولد وتوفى بها عن نحو ٨٠ عاما. وكان من مماليك المنصور قلاوون، له تصانيف منها «زبدة الفكر فى تاريخ الحجر» و«التحفة المملوكية فى الدولة التركية». انظر: ديوان الإسلام ٨ / ٢٣٢ - ٢٧٦ والأعلام ٢ / ٨٠.

وشرع السلطان فى السفر لأخذ بلاد الروم وبعث إلى الأمراء الروميين الخيول والخيام وكل ما يصلح من أمور السفر. وتقرر الأمير آقسنقر الفارقانى نائب الغيبة بقلعة الجبل، ومعه صاحب بهاء الدين بن حنا، ليكونا فى خدمة الملك السعيد. وتعين صاحب زين الدين أحمد بن صاحب فخر الدين محمد بن صاحب بهاء الدين لوزارة الصحبة^(١).

وخرج السلطان من قلعة الجبل يوم الخميس العشرين من رمضان، ورحل فى يوم السبت ثانى عشره ومعه الأمراء والعساكر الإسلامية يريد البلاد الشامية، فدخل دمشق يوم الأربعاء سابع عشر شوال، وخرج منها إلى حلب فى العشرين منه، فوصل إلى حلب مستهل ذى القعدة، وخرج منها يوم الخميس ثانیه إلى حیلان^(٢) وجرّد السلطان الأمير نور الدين على بن محلى نائب حلب ليقیم على الفرات بعسكر حلب ويحفظ معابر الفرات، لتلا يدخل أحد من التتار إلى بلاد الشام، ووصل إلى الأمير نور الدين الأمير شرف الدين عيسى بن مهنا.

وكان السلطان منذ خرج من مصر إلى أن وصل إلى حلب، لم يمر بمملكة إلا أخذ معه عسكرها وخزائنها وأسلحتها، فترك بعض الثقل بجيلان، وصار منها يوم الجمعة ثالثه إلى عين تاب، وقطع الدر بندربات فى وطأة^(٣). وتوجهت العساكر جرائد على الأمر المعهود، وخففوا كل شىء وتقدم الأمير سنقر الأشقر جاليشا^(٤) فى عدة من العسكر، فوقع على ثلاثة آلاف فارس من التتار ومقدمهم يسمى كراى، فانهزموا قدامه وأسر منهم جماعة، وكان ذلك يوم الخميس تاسع الشهر. وبلغ ذلك الملك أبغا، فجهز جماعة من عرب خفاجة لينازلوا عسكر حلب على غرة، فبلغ ذلك نائب حلب وهو على الفرات، فركب إليهم وقاتلهم وهزمهم، وأخذ منهم ألفا ومائتى جمل.

وورد الخبر على السلطان بأن عسكر التتار ومقدمهم تتارون وعسكر الروم ومقدمهم معين الدين البرواناه، قد اتفقوا جميعا على لقاءه، فرتب عساكره وتأهب للقاء، وطلع بعساكره على جبال تشرف على صحراء هوتى من بلد أبلستين. وترتب المغول أحد عشر طلبا، كل طلب يزيد على ألف فارس، وعزلوا عسكر الروم عنهم

(١) صاحب هذا المنصب وزيراً منتقلاً، يرافق السلطان فى أسفاره وحروبه ليقوم بوظيفة الوزير ويصرف شؤونها معه.

(٢) هى من قرى حلب. انظر: معجم البلدان ٢ / ٣٨٢.

(٣) يقال: وطىء الشىء يطوؤه وطأاً: داسه. انظر: لسان العرب (وطء).

(٤) على هامش ط: الطليعة.

وجعلوه طلبا بمفرده لتلا يكون محاصرا عليهم، وأقبلوا فانصبت الخيول الإسلامية عليهم من جبل أبي المنجا، وهى أجل قناطر أرض مصر. وعمل قناطر السباع بين القاهرة ومصر على الخليج الكبير، وحفر خليج الإسكندرية وبحر طنّاح وبحر الصصاصم بالقليوبية، وحفر خليج سردوس^(١)، وأصلح بحر دميّاط وردم فمه بالصخور.

ومن غريب أمره أنه أوّل ما فتح من البلاد قيسارية من بلاد الساحل وآخر ما فتح مدينة قيسارية من بلاد الروم. وأول جلوسه على مرتبه الملك يوم الجمعة سابع عشرى ذى القعدة، وآخر جلوسه على تخت الملك بسلطنة آل سلجوق فى قيسارية الروم يوم الجمعة سابع عشرى ذى القعدة، وأوّل من بنى مدينة أنطاكية اسمه بالعربية الملك الظاهر، والذى أخربها الملك الظاهر. وأول من قام بدولة الترك السلجوقية ركن الدين طغرلبك، والملك الظاهر ركن الدين بيبرس هو القائم فى الحقيقة بدولة الترك من يوم وقعة المنصورة. وركن الدين طغرلبك هو الذى ردّ الخلافة على بنى العباس فى نوبة البساسيرى، وركن الدين بيبرس هو الذى ردّ الخلافة على بنى العباس فى نوبة هولاكو. والخطبة بديار مصر كانت بعد الخليفة الحاكم بأمر الله الفاطمى للظاهر لإعزاز دين الله^(٢) وكذا وقع له، فقد كانت الخطبة بعد الخليفة الحاكم بأمر الله العباسى للملك الظاهر بيبرس.

وكان راتب مخازنة وعليقة لخاصة نفسه ومماليكه، فى كل سنة مائة ألف وعشرين ألف أردب، وكان يطعم فى كل ليلة من ليالى شهر رمضان خمسة آلاف نفس، ويكسو فى كل سنة ستمائة كسوة خارجا عما يطلقه من يده من الكساوى، وكان له من الخبز ألفا قنطار وخمسمائة فى كل يوم. إلا أنه كان كثير المصادرات للدواوين، كثير الجباية للأموال من الرعية. وأحدث وزيره ابن حنا فى أيامه حوادث جلييلة، وقاس أملاك الناس بمصر والقاهرة، وصادر أرباب الأموال حتى هلك كثير منهم تحت العقوبة، وأخذ جوالى الذمة مضاعفة، وأمر بإحراقهم كلهم، وجمع لهم الأحطاب وحفر لهم حفرة عظيمة قدام دار النيابة بقلعة الجبل، ثم عفى عنهم وقرر عليهم أموالا

(١) أحد فروع النيل، ومخرجه من سردوس بين باسوس وقليوب. انظر: المقرئى، المواعظ والاعتبار ٧/١.

(٢) على (الظاهر لإعزاز دين الله) بن منصور (الحاكم بأمر الله) بن العزيز ابن الفاطمى العبيدى، أبو الحسن: من ملوك الدولة الفاطمية. كانت له مصر والشام وخطبة إفريقية. ولى بعد وفاة أبيه (سنة ٤١١ هـ) ودامت دولة الظاهر قرابة ستة عشر عاما. مولده ووفاته بالقاهرة. انظر: اتعاط الحنفا ٢٧١ وابن خلدون ٤ / ٦١ وابن الأثير ٩ / ١١٠ و١٥٤ وابن إياس ١ / ٥٨ وابن خلكان ١ / ٣٦٦ والأعلام ٥ / ٢٥.

أخذت منهم بالمقارع، ومات أكثرهم فى العقوبة. ولما توجه السلطان بيبرس إلى بلاد الروم كلف أهل دمشق جباية مال لإقامة الخيل، وفرض عليهم ألف ألف درهم نقرة تجبى من المدينة ومن الضياع.

ولم يل الوزارة له سوى صاحب بهاء الدين على بن محمد بن حنا، وقضاته بمصر قاضى القضاة تاج الدين عبد الوهاب، بن بنت الأعز إلى أن أحدث القضاة الأربعة، واستمر ذلك من بعده. ورؤى السلطان بيبرس بعد موته فى النوم، فقيل له: «ما فعل الله بك؟» فقال: «ما رأيت شيئاً أشد على من ولاة قضاة أربعة، وقيل لى فرقت الكلمة». وكان كل من ولاه بيبرس فى مملكة أو عمل أبقاه، ولم يغير عليه ولا يعزله. وتزوج بيبرس من النساء - وهو ببلاد غزة، قبل أن يلى الملك - امرأة من طائفة الشهر زورية، ثم طلقها بالقاهرة. وتزوج ابنه حسام الدين بركة خان بن دولة خان التترى، وابنة الأمير سيف الدين نوكلى التترى، وابنة الأمير سيف الدين كراى بن تماجى التترى، وابنة الأمير سيف الدين [.....^(١)] التترى. وولد له من الأولاد عشرة، الذكور منهم ثلاثة - وهم الملك السعيد ناصر الدين محمد بركة خان، ووُلد فى صفر سنة ثمان وخمسين وستمائة بمنزلة العُش^(٢)، من بنت حسام الدين بركة خان الخوارزمى، والملك العادل بدر الدين سلامش، والملك المسعود نجم الدين خضر - والإناث سبع.

ولما مات السلطان بيبرس كتم الأمير بدر الدين بيليك الخازندار نائب السلطنة موته عن العساكر، وحمله فى محفة من القصر الأبلق خارج دمشق إلى القلعة فى الليل، وجعله فى تابوت وعلقه فى بيت، وأشاع أنه مريض ورتب الأطباء على العادة، ثم أخذ العساكر والخزائن، ومعه محفة محمولة وأوهم أن السلطان فيها مريض، وخرج من دمشق يريد مصر، فلم يجسر أحد أن يتفوه بموت السلطان. واستمر الحال على ذلك حتى وصلت العساكر إلى القاهرة، وصعدت الخزائن والمحفة إلى قلعة الجبل، فأشيع حينئذ موته. والجملة فلقد كان من خير ملوك الإسلام.

* * *

السلطان الملك السعيد ناصر الدين

محمد بركة خان بن الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقدارى الصالحى النجمى. لما

(١) ما بين المعقوفين بياض فى الأصل.

(٢) من ضواحي القاهرة. انظر: ابن أبى الفضائل، النهج السديد ٢٩١.

مات الملك الظاهر بدمشق، كتب الأمير بدر الدين بيليك اخازندار إلى الملك السعيد وهو بقلعة الجبل كتابا بموت أبيه، فأظهر الملك السعيد عند ورود الكتاب فرحا كبيرا، وأخلع على من أحضره، وأشاع أن الكتاب يتضمن البشارة بعود الملك الظاهر إلى ديار مصر، وأصبح فركب الأمراء على العادة تحت القلعة، من غير أن يظهر عليهم شيء من الحزن.

وسار الأمير بيليك بالحنة والأطلاب، حتى قدم إلى القاهرة يوم الخميس سادس عشر بفر وهو تحت السناجق الظاهرية، وصعد قلعة الجبل. وجلس الملك السعيد بالإيوان، وسلم إليه الأمير بيليك الخزائن والعساكر ووقف بين يديه، فصاح الحجاب حيثنذ. «يا أمراء ترحموا على السلطان الملك الظاهر». فارتفع الضجيج والعيويل، ووقع الأمراء إلى الأرض يقبلونها للملك السعيد، فجددت الأيمان، وحلف له سائر العسكر والقضاة والمدرسين والأعيان، وتولى تحليفهم الأمير بدر الدين بيليك اخازندار بمحضرة القضاة. فأقر الملك السعيد الأمير بدر الدين بيليك على نيابة السلطنة، وأقرّ الصاحب بهاء الدين ابن حنا على وزارته، وخلع عليهما وعلى الأمراء والمقدمين والقضاة وأرباب الوظائف.

وفى يوم الجمعة سابع عشره: دعا الخطباء على منابر الجوامع بمصر والقاهرة للملك السعيد، وصلى بها على الملك الظاهر صلاة الغائب. وخرج البريد إلى دمشق بموت الملك الظاهر، وتحليف العساكر للملك السعيد فحلفوا.

وفى يوم الأربعاء سادس عشر ربيع الأول: ركب الملك السعيد بالعصائب على عادة أبيه، ومعه الأمراء والأعيان وعليهم الخلع، وسيّر إلى تحت الجبل الأحمر، وعاد إلى القلعة من غير أن يشق القاهرة، وكان يوما مشهودًا.

وفى سادس ربيع الآخر: مات الأمير بدر الدين بيليك النائب، واتهم أن الملك السعيد سمّه - وذلك أنه اختص بجماعة من المماليك الأحداث، فأوهموه من الأمير بيليك، وكانت جنازته حفلة، ومن بعده اضطربت أمور الملك السعيد. وأقام الملك السعيد بعده فى نيابة السلطنة الأمير شمس الدين آقسنقر الفارقانى، وكان حازما، فضم إليه جماعة منهم شمس الدين أقوش، وقطليجا الرومى، وسيف الدين قلع البغدادى، وسيف الدين بيجو البغدادى، وعز الدين ميغان أمير شكار^(١)، وسيف الدين بكتمر السلاح. دار فتقل الأمير آقسنقر على خاصكية^(٢) السلطان، وحدثوا السلطان فى أمره،

(١) صاحب هذه الوظيفة يتحدث على الجوارح السلطانية من الطيور وغيرها، وعلى سائر أمور الصيد. انظر: القلشندي، صبح الأعشى ٤ / ٢٢.

(٢) قسم من المماليك السلطانية، يختارهم السلطان من الأجلاب الذين دخلوا خدمته صفارا =

واستعانوا بالأمير سيف الدين كوندك الساقى - وكان الملك السعيد قد قدمه وعظمه، لأنه ربي معه فى المكتب، فقبض على آقسنقر وهو جالس فى باب القلعة، وسجن وأهين وتنتفت لحيته وضرب، ثم أخرج بعد أيام يسيرة ميت. فاستقر بعده فى النيابة الأمير شمس الدين سنقر الألفى المظفرى، فكرهه الخاصكية وقالوا: «هذا ما هو من الظاهرية»، وخيلوا الملك السعيد منه أنه يريد أن يثور بخشداشيته ممالك الملك المظفر قطز، فعزله سريعاً. وولى الأمير سيف الدين كوندك الساقى نيابة السلطنة - وهو شاب، فعضده الأمير سيف الدين قلاوون الألفى ومال إليه.

وكان من جملة الممالك السلطانية الخاصكية شخص يعرف بلاجين الزينى، وقد غلب على الملك السعيد فى سائر أحواله، وضم إليه عدّة من الخاصكية، وأخذ لاجين لهم الإقطاعات والأموال الجزيلة، وصار كلما انحل خبز أخذ من يختار، وتناقر النائب والمذكور، فتورغرت بينهما الصدور، ودبت بينهما عقارب الشرور، وأعمل كل منهما مكره فى أذية الآخر، وضم النائب إليه جماعة من الأمراء الكبار، وصار العسكر حزين، فأل الأمير إلى ما آل إليه من الفساد.

وتغير السلطان على الأمراء، وقبض فى سبع عشره على الأمير جودى القيمرى الكردى فنفرت منه قلوب الأمراء لا سيما الصالحية: مثل الأمير سيف الدين قلاوون، والأمير شمس الدين سنقر الأشقر، والأمير علم الدين سنجر الحلبي، والأمير بدر الدين بيسرى، وأقرانهم فإنهم كانوا يأتفون من تملك الملك الظاهر عليهم، ويرون أنهم أحق منه بالملك، فصار ابنه الملك السعيد يضع من أقدارهم، ويقدم عليهم ممالك الأصاغر، ويخلو بهم وكانوا صباح الوجوه، ويعطيهم مع ذلك الأموال الكثيرة، ويسمع من رأيهم ويبعد الأمراء الكبار.

واستمر الحال على هذا إلى أن كان يوم الجمعة خامس عشره، وفيه قبض السلطان على الأمير شمس الدين سنقر الأشقر، والأمير بدر الدين بيسرى، وسجنهما بالقلعة ثلاثة وعشرين يوماً، فزادت الوحشة بينه وبين الأمراء، ودخل خاله الأمير بدر الدين محمد بركة خان إلى أخته أم السلطان، وقال لها: «قد أساء ابنك التدبير بقبضه على مثل هؤلاء الأمراء الأكابر، والمصلحة أن ترديه إلى الصواب، لتلا يفسد نظامه وتقصر أيامه». فلما بلغ الملك السعيد ذلك قبض عليه. واعتقله، فلم تزل به أمه تعنفه وتلطف به، حتى أطلقهم وخلع عليهم وأعادهم إلى ما كانوا عليه، وقد تمسكت عداوته من قلوبهم.

وتوهم منه بقية الأمراء، وخشوا أن يعاملهم كما عامل الأمير بيليك الخازندار، مع حفظة له الملك وتسليم الخزائن والعساكر إليه، فلم يكافئه إلا بأن قتله بالسم. فاجتمع الأمراء وهموا أن يخرجوا عنه إلى بلاد الشام، ثم اتفقوا وصعدوا إلى قلعة الجبل، ومعهم ممالئهم وأزمامهم وأجنادهم وأتباعهم، ومن انضم إليهم من العساكر، فامتأ منهم الإيوان ورحبة القصر، وبعثوا إلى الملك السعيد: «بأنك قد أفسدت الخواطر، وتعرضت إلى أكابر الأمراء، فإما أن ترجع عما أنت عليه: وإلا كان لنا ولك شأن». فلاحظهم فى الجواب، وتنصل مما كان منه، وبعث إليهم التشاريف فلم يلبسوها، وترددت الأجوبة بينهم وبينه إلى أن تقرر الصلح، وحلف لهم أنه لا يريد بهم سوءا، وتولى تحليفه الأمير بدر الدين الأيدمرى وفرضوا وانصرفوا.

وكتب السلطان الملك السعيد إلى دمشق أن يدفن الملك الظاهر داخل المدينة فاشترى الأمير عز الدين أيدمر نائب الشام دار العقيقى داخل باب الفرج تجاه المدرسة العادلية بستين ألف درهم، وجعلها مدرسة وبنى بها قبة، وابتدأ بالعمارة فى يوم الأربعاء خامس جمادى الأولى، وفرغ منها فى آخر جمادى الآخرة. وخرج من القاهرة الأمير علم الدين سنجر المعروف بأبى خرص، والطواشى صفى الدين جوهر الهندى، وسار إلى دمشق فدخلها فى ثالث رجب فلما كان فى ليلة الجمعة خامسه، حمل الملك الظاهر من قلعة دمشق ليلا على أعناق الرجال، ووضع فى جامع بنى أمية وصلى عليه، وحمل حتى دفن بالقبة من المدرسة التى بنيت له، بحضور نائب الشام، وألحده قاضى القضاة عز الدين محمد بن عبد القادر بن عبد الخالق بن خليل بن مقلد أبو المفاخر المعروف باب الصائغ، وترتب القراء من ثانى يوم، ثم وقف عز الدين بن شداد وكيل الملك السعيد هذه المدرسة، ووقف عليها قرية من شعرا بانياس، وغير ذلك.

وفى ثامن عشر ذى القعدة: صرف قاضى القضاة محيى الدين عبد الله بن عين الدولة عن قضاء مصر والوجه القبلى، وأضيف إلى قاضى القضاة تقى الدين محمد بن الحسين بن رزين، فأكمل له قضاء القضاة بديار مصر، وأعيد قاضى القضاة شمس الدين أحمد بن خلكان إلى قضاء دمشق فى سابع عشر ذى الحجة، فكانت مدة عزله سبع سنين.

وفىها ولى شهاب الدين أبو عبد الله محمد بن شمس الدين أبى المعالى أحمد بن الخليل ابن سعادة الخوى قضاء القضاة الشافعية بحلب، بعد وفاة تقى الدين محمد بن حياة الرقى.

وفى هذه السنة عمّ ماء النيل أرض مصر كلها، ورخص سعر الغلة حتى أبيع الأردب القمح بخمسة دراهم، والأردب الشعير بثلاثة دراهم، والأردب من بقية الحبوب بدرهمين.

وفىها قتل الملك أبغا البرواناه فى صفر، واسمه معين الدين سليمان بن على بن محمد ابن حسن، ومعنى البرواناه الحاجب، وكان شجاعا حازما كريما عارفا، فيه دهاء ومكر.

وفىها عزل نفسه قاضى القضاة صدر الدين سليمان بن أبى العز الحنفى من القضاء فى سلخ الحرم، فشغر منصب قضاء الحنفية بعده.

* * *

ومات فى هذه السنة من الأعيان

الأمير بدر الدين بيليك الخازندار نائب السلطنة، فى سادس شهر ربيع الآخر، وكان جوادا عارفا بالتاريخ جيد الكتابة.

وتوفى قاضى القضاة شمس الدين أبو بكر محمد بن عماد الدين أبى إسحاق إبراهيم ابن عبد الواحد بن على بن سرور المقدسى الحنبلى وهو مصروف، فى يوم السبت ثانى عشرى الحرم، ودفن بالقرافة، وله من العمر ثلاث وسبعون سنة.

وتوفى قاضى القضاة مجلب تقى الدين أبو عبد الله محمد بن حياة بن يحيى بن محمد الرقى الشافعى بتبوك، وهو عائد من الحج.

وتوفى الشيخ محيى الدين أبو زكريا يحيى بن شرف بن مرى بن الحسن بن الحسين ابن جمعة بن حرام النوى^(١) الشافعى، عن نيف وأربعين سنة، بقرية نوى.

وتوفى الواعظ نجم الدين أبو الحسن على بن على بن أسفنديار البغدادى بدمشق، عن ستين سنة.

وتوفى الشريف شهاب الدين أحمد بن أبى محمد الحسينى الواسطى الغرافى،

(١) يحيى بن شرف بن مرى بن حسن الحزامى الحورانى، النوى: الشافعى أبو زكريا، محيى الدين: علامة بالفقة والحديث. مولده ووفاته فى نوا (من قرى حوران، بسورية)، وإليها نسبته. تعلم فى دمشق، وأقام بها زما طويلا. انظر: طبقات الشافعية للسبكي ١٦٥ / ٥ وطبقات الشافعية لابن قاضى شهبة والنعمى ١ / ٢٤ والنجوم الزاهرة ٧ / ٢٧٨ ومفتاح السعادة ١ / ٣٩٨ والأعلام ٨ / ١٤٩، ١٥٠.

بالإسكندرية.

وتوفى الشيخ نظام الدين أبو عمرو عثمان بن أبي القاسم عبد الرحمن بن رشيق
المالكي.

وتوفى أبو الحسن علي بن عدلان بن حماد بن علي الربيعي الموصلى النحوى المترجم،
بالقاهرة.

* * *

سنة سبع وسبعين وستمائة

فى سبع عشرى المحرم: عمل عزاء الملك الظاهر، عند تمام سنة من وفاته، بالأندلس من قرافة مصر، ومدت هناك الأسمطة فى الخيام للقراء والفقهاء، وفرقت الأطعمة على أهل الزوايا، وكان من الأرقام العظيمة، لكثرة من اجتمع فيه من الناس على اختلاف طبقاتهم، وعُمل مجمع آخر بجامع ابن طولون، وفى الجامع الظاهرى، والمدرسة الظاهرية، والمدرسة الصالحية، ودار الحديث الكاملية، والخابقاه الصلاحية سعيد السعداء، والجامع الحاكى وعمل للثكارزة^(١) والفقراء خوان حضره كثير من أهل الخير.

وفى عاشر جمادى الأولى ولى قاضى القضاة صدر الدين سليمان بن أبى العز بن وهيب الحنفى قضاء الحنفية بدمشق، عوضا عن مجد الدين عبد الرحمن بن عمر بن العديم بحكم وفاته. فلما مات صدر الدين بعد أربعة أشهر، ولى عوضا عنه فى تاسع عشرى رمضان حسام الدين حسن بن أحمد بن حسن الرازى. قاضى الروم الواصل من قيسارية.

[وفى^(٢)] شوال خرج الملك السعيد من قلعة الجبل يريد التفرج فى دمشق، ومعه أخوه نجم الدين خضر، وأمه وأمرأه وعساكره، فدخل إلى دمشق فى خامس ذى الحجة.

وفى سلخ ذى القعدة مات الصاحب بهاء الدين على بن محمد بن سليم بن حنا، فكتب من دمشق بالحوطة على وجوده. وقبض الملك السعيد على الصاحب زين الدين أحمد بن الصاحب فخر الدين محمد بن الصاحب بهاء الدين، وأخذ خطه بمائة ألف دينار، وسيره على البريد إلى مصر، ليستخرج منه ومن أخيه تاج الدين محمد وابن عمه عز الدين محمد بن أحمد بن على تكملة ثلاثمائة ألف دينار واستقر فى الوزارة عوضا عن الصاحب بهاء الدين بن حنا قاضى القضاة وعز الدين الخضر بن الحسن السنجارى، وكان بينه وبين ابن حنا عداوة ظاهرة وجفون كامنة، فبلغ من التمكن فى أولاده وأمواله ما كان يؤمله. وساعده على ذلك عدة من الأمراء: منهم عز الدين الأقرم، وبدر الدين بيسرى، الحاقى قومهم من بهاء الدين بن حنا. وولى وزارة الصحبة فخر الدين بن لقمان، عوضا عن تاج الدين محمد بن حنا.

(١) التكاردة أهل بلاد التكرور، وهى أحد الأقاليم الإفريقية الواقعة فى الجهة الجنوبية الغربية من

مصر. انظر: صبح الأعشى ٥ / ١١٠.

(٢) ما بين المعقوفين بياض فى الأصل.

وفى سادس عشرى ذى الحجة: جلس الملك السعيد بدار العدل فى دمشق، وأسقط عن أهل الشام ما كان قد قرره الملك الظاهر عند سفره إلى بلاد الروم على البساتين فى كل سنة، وفيه أشار خاصكية السلطان عليه بإبعاد الأمراء الأكابر عنه، فجهز الأمير قلاوون الألفى بعسكر، وجهز الأمير بيسرى بعسكر، وأنفق فيهم الأموال، فساروا إلى جهة سيس، وفى نفوسهم من ذلك إحن.

وفىها ولى الأمير علاء الدين أيدغدى الكبكي نيابة حلب، عوضاً عن الأمير نور الدين على بن مجلى الهكارى. وفىها كثر الرخاء بمصر حتى أبيع ثلاثمائة أردب فولاً بمبلغ تسعمائة درهم، انصرف منها حمولة ومكوس، بحيث لم يتأخر منها غير خمسة وثمانين درهماً.

وفىها مات عز الدين كيكأوس ملك الروم، بعد ما جرت له خطوب. فملك أبغا ابن هولأكو من بعده ابنه مسعود بن كيكأوس سبواس وأرزن الروم وأرزنكان^(١). وفىها حصلت زحمة عظيمة بباب العمرة من المسجد الحرام بين الحجاج عند خروجهم إلى العمرة بعد صلاة الصبح، فمات منهم ستة وثلاثون إنساناً، وذلك فى ثالث عشر ذى الحجة.

ومات فى هذه السنة من الأعيان

الأمير جمال الدين أقوش النجيسى الصالحى نائب الشام، فى خامس ربيع الأول بالقاهرة، عن نحو سبعين سنة. ومات الأمير شمس الدين آقسبقر القارقانى الصالحى قائد السلطنة، عن نحو خمسين سنة. ومات الأمير علاء الدين أيدكين الشهابى نائب حلب، وهو مصروف، عن نحو خمسين سنة بدمشق.

وتوفى قاضى القضاة الحنفية بدمشق مجد الدين أبو محمد عبد الرحمن بن الصاحب كمال الدين عمر بن أحمد بن هبة الله بن هبة الله بن أحمد بن يحيى بن العديم، عن أربع وستين سنة. ومات قاضى القضاة الحنفية بدمشق صدر الدين أبو الفضل سليمان ابن أبى العز ابن وهيب الأذرعى^(٢)، بعد ثلاثة أشهر من ولايته، عن ثلاث وثمانين سنة. ومات الوزير الصاحب بهاء الدين أبو الحسن على بن محمد بن سليم بن حنا،

(١) اسم هذا البلدان أرزنجان وهى بلدة من أرمنية. انظر: معجم البلدان ١ / ٢٠٥.

(٢) سليمان بن وهيب بن عطاء، أبو الربيع بن أبى العز، صدر الدين الأذرعى: شيخ الحنفية فى زمانه وعالمهم من أهل أذرعات (بقرب دمشق) أقام فى دمشق يدرس ويفتى، وانتقل إلى القاهرة فولى قضاء القضاة. مات بدمشق. انظر: الدارس ١ / ٥٤٣ والبداية والنهاية ١٣ / ٢٨١ وشذرات الذهب ٥ / ٣٥٧ ومرآة الجنان ٤ / ١٨٨ وفهرست الكتبخانة ٣ / ١٤٨ والأعلام ٣ / ١٣٨.

سلخ ذى القعدة. وتوفى مجد الدين أبو عبد الله

وتوفى نجم الدين أبو المعالي محمد بن سوار بن إسرائيل بن الخضر بن إسرائيل الشيباني الدمشقي^(١) الصوفي الأديب، عن أربع وسبعين سنة بدمشق.

وتوفى الأديب جمال الدين عمر بن إبراهيم بن أبي بكر الهذباني الإربلي، بالقاهرة.

وتوفى الأديب موفق الدين أبو محمد عبد الله بن عمر بن نصر الله الأنصاري البعلبكي، بالقاهرة .

* * *

(١) محمد بن سوار بن إسرائيل بن الخضر، أبو المعالي، نجم الدين الشيباني شاعر غزل. مولده ووفاته في دمشق. انظر: فوات الوفيات ٢ / ٢١٦ - ٢٢٠ والوفى بالوفيات ٣ / ١٤٢ وابن الفرات ٧ / ١٣١ وشذرات الذهب ٥ / ٣٥٩ والأعلام ٦ / ١٥٣.

سنة ثمان وسبعين وستمائة

فى المحرم: قرر الخاصكية مع الملك السعيد القبض على الأمراء عند عودهم من سيس، وعينوا إقطاعتهم لأناس منهم، وكان الأمير كوندك النائب مطلع على ذلك. واستغرق السلطان فى لذاته، وبسط يده بعبء الأموال الكثيرة لخاصكيته، وخرج عن طريقة أبيه، وفى أثناء ذلك حدث بين الأمير كوندك النائب وبين الخاصكية منافرة، بسبب أن السلطان أطلق لبعض السكة ألف دينار فتوقف النائب فى إطلاقها، فاجتمع الخاصكية عند النائب وقاضوه فى أمر المبلغ، وأسمعوه ما يكره، وقاموا على حرد، وتكلموا مع السلطان فى عزله عن النيابة، فامتنع، وأخذ الخاصكية فى الإلحاح عليه بعزل كوندك، وعجز عن تلافى أمرهم معه.

وأما الأمراء فإنهم غزوا سيس وقتلوا وسبوا، وسار الأمير بيسرى إلى قلعة الروم، وعاد هو والأمراء إلى دمشق ونزلوا بالمرج، فخرج الأمير كوندك إلى لقائهم على العادة، وأخبرهم بما وقع من الخاصكية فى حقهم وحقه، فحرك قوله ما عندهم من كوامن الغضب، وتحالفوا على الاتفاق والتعاون، وبعثوا من المرج إلى السلطان يعلمونه أنهم مقيمون بالمرج، وأن الأمير كوندك شكى إليهم من لاجين الزينى شكاوى كثيرة، «ولابد لنا من الكشف عنها»، وسألوا السلطان أن يحضر إليهم حتى يسمعوا كلامه وكلام كوندك.

فلما بلغ بذلك السلطان ذلك لم يعبأ بقولهم، وكتب إلى من معهم من الأمراء الظاهرية يأمرهم بمفارقة الصاحية ودخول دمشق. فوقع القاصد الذى معه الكتب فى يد أصحاب كوندك، فأحضر إلى الأمراء ووقفوا على الكتب التى معه، فرحلوا من فورهم ونزلوا على الجورة من جهة داريا، وأظهروا الخلاف، ورموا الملك السعيد بأنه قد أسرف وأفرط فى سوء الرأى وأفسد التدبير.

فخاف السلطان عند ذلك سوء العاقبة، وبعث إليهم الأمير سنقر الأشقر، والأمير سنقر التكريتى الأستاذار، ليلطفا بهم ويعملا الحيلة فى إحضارهم، فلم يوافقوا على ذلك. وعادا إلى السلطان فزاد قلقه، وترددت الرسل بينه وبين الأمراء، فاقترحوا عليه إبعاد الخاصكية، فلم يوافق، وبعث السلطان بوالدته مع الأمير سنقر الأشقر لتسترضيهم، فحدثهم وخضعت لهم فما أفاد فيهم ذلك شيئا، وعادت بالخيبة.

فرحل الأمراء بمن معهم من العساكر إلى مصر، وتبعهم الملك السعيد ليلحقهم ويتلافى أمرهم فلم يدر بهم، فقاد إلى دمشق وبات بها. وأصبح الملك السعيد فجهز أمه وخزائنه إلى الكرك، وجمع من بقى من عساكر مصر والشام، واستدعى العربان وأنفق فيهم. وسار من دمشق بالعساكر يريد مصر، فنزل بلبيس في نصف ربيع الأول، وكان قد سبقه الأمير قلاوون بمن معه إلى القاهرة، ونزلوا تحت الجبل الأحمر.

فبلغ ذلك الأمراء الذين بقلعة الجبل، وهم الأمير عز الدين أيك الأقرم أمير جاندار، والأمير أفظوان الساقى، والأمير بلبان الزريقى، فامتنعوا بها وحصنوها، وتقدموا إلى متولى القاهرة فسد أبوابها، فراسلهم قلاوون والأمراء فى فتح أبواب القاهرة، ليدخل العسكر إلى بيوتهم ويصبروا أولادهم، فإن عهدهم بعد بهم. ونزل الأمير لاجين البركخاى وأيك الأقرم وأفظوان إلى الأمراء لمعرفة الخير، فقبضوا عليهم وبعثوا إلى القاهرة ففتحت أبوابها، ودخل كل أحد إلى داره، وسجن الثلاثة الأمراء فى دار الأمير قلاوون بالقاهرة، وزحفوا إلى القلعة وحاصروها، وقد امتنع بها بلبان الزريقى.

وأما السلطان فإنه لما نزل بلبيس وبلغه خبر الأمراء، خامر عليه من كان معه من عسكر الشام وتركوه فى بلبيس، وعادوا إلى دمشق وبها الأمير عز الدين أيدير نائب الشام، فصاروا إليه، ولم يسق مع السلطان إلا مماليكه، ومنهم الأمير لاجين الزينى، ومغلطاي الدمشقى، ومغلطاي الجاكى، وسنقر التكريتى، وأيدغدى الحرانى، والبكى الساقى، وبكتوت الحمصى، وصلاح الدين يوسف بن بركة خان، ومن يجرى مجراهم، ولم يبق معه من الأمراء الكبار إلا الأمير سنقر الأشقر فقط، فسار السلطان من بلبيس، ففارقه سنقر الأشقر من المَطْرِية^(١) وأقام بموضعه.

وبلغ الأمراء أن السلطان جاء من خلف الجبل الأحمر، فركبوا ليحولوا بينه وبين القلعة، وكان الضباب كثيرا فنجنا منهم، واستتر عن رؤيتهم وطلع إلى القلعة، فلما انكشف الضباب بلغ الأمراء أن السلطان بالقلعة، فعادوا إلى حصارها، وعندما استقر السلطان بالقلعة تشاجر لاجين الزينى مع الزريقى، فنزل الزريقى إلى الأمراء وصار معهم، وتبعه المماليك شيئا بعد شىء. وصار السلطان يشرف من برج الرِّفْرِفِ المطل على الإسطبل، ويصيح بهم: «يا أمراء! أرجع إلى رأيكم، ولا أعمل إلا ما تقولونه»، فليجبه أحد منهم، وأظهروا كتباً عنه يطلب فيها جماعة من الفداوية لقتلهم، وأحاطوا

(١) قرية بقرب عين شمس القديمة بالشمال الشرقى من القاهرة. انظر: معجم البلدان ٥/٥٦٠.

بالقلعة وحصوره، وكان الأمير سنجر الحلبي معتقلا بالقلعة، فأخرجه السلطان وصار معه، فاستمر الحصار مدة أسبوع.

وكان الذى قام فى خَلْع السلطان جماعة كثيرة من الأمراء، وهم الأمير بيسرى، والأمير قلاوون، والأمير أيتمش السعدى، والأمير أيدكين البندقدار، والأمير بكتاش الفخرى أمير سلاح، والأمير بيليك الأيدمرى، والأمير سنقر البكتوتى، والأمير سنجر طردج، والأمير بلبان الحبيشى، والأمير بكتاش النجمى، والأمير كشتغدى الشمسى، والأمير بلبان الهارونى، والأمير بجكا العلائى، والأمير بيسرى الرشيدى، والأمير كندغدى الوزيرى، والأمير يعقوبا الشهرزورى، والأمير أيتمش بن أطلس خان، والأمير بيدغان الركنى، والأمير بكتوت بن أتايك، والأمير كندغدى أمير مجلس، والأمير بكتوت جرمك، والأمير بيسرى طقصور، والأمير كوندك النائب، والأمير أيك الحموى، والأمير سنقر الألفى، والأمير سنقر جاه الظاهرى، والأمير قلنج الظاهرى، والأمير ساظمس، والأمير قحقار الحموى، ومن انضاف إليهم من الأمراء الصغار ومقدمى الحلقة، وأعيان المفاردة والبحرية^(١) ولما طال الحصار بعث السلطان الخليفة الحاكم بأمر الله أحمد، يقول: «يا أمراء! إيش غرضكم؟» فقالوا: «يخلع الملك السعيد نفسه من الملك ونعطيه الكرك»، فأذعن السعيد لذلك، وحلف له الأمراء، وحضر الخليفة والقضاة، الأعيان، وأنزل بالملك السعيد، وأشهد عليه أنه لا يصلح للملك.

وخلع السعيد نفسه، وحلف أنه لا يتطرق إلى غير الكرك، ولا يكتب أحدًا من النواب، ولا يستميل أحد من الجنود، وسُفر من وقته إلى الكرك مع الأمير بيدغان الركنى، وذلك فى سابع شهر ربيع الآخر، فكانت مدة ملكه من حين وفاة أبيه إلى يوم خلعه سنتين وشهرين وثمانية أيام، فوصل إلى الكرك وسَلَمَها فى خامس عشرى جمادى الآخرة، واحتوى على ما فيها من الأموال وكانت شيئًا كثيرًا.

ولم يقتل فى هذه الحركة سيف الدين بكتوت الخمصى، فإنه كان بينه وبين سنقرجاه الظاهرى مشاجرة، فلما طلع الملك السعيد إلى قلعة الجبل يوم وصوله من بلبس صادفه سنقرجاه - وهو من حزب الأمير قلاوون ومن معه - فطعنه فى حلقه فحمل إلى قبة القلندرية^(٢)، فمات من يومه ودفن بها، وكانت أيامه رخية الأسعار.

* * *

(١) طائفة من الأجناد السلطانية، وكان عملهم المبيت بالقلعة وحول دهاليز السلطان فى السفر كالحرس. انظر: القلقشندى، صبح الأعشى ١٦ / ٤.

(٢) زاوية خارج باب النصر من الجهة التى فيها التراب والمقابر بالقاهرة. انظر: المقرئى، المواعظ والاعتبار ٤٣١ / ٢.

السلطان الملك العادل بدر الدين سُلَامِش (١)

وهو ابن الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقدارى الصالحى النجمى. لما تم خلع الملك السعيد وسافر إلى الكرك، عرض الأمراء السلطنة على الأمير سيف الدين قلاوون الألفى فامتنع وقال: «أنا ما خلعتُ الملك السعيد طمعا فى السلطنة، والأولى ألا يخرج الأمر عن ذرية الملك الظاهر». فاستُحْسِنَ ذلك منه، لأن الفتنة سكنت فإن الظاهرية كانوا معظم العسكر، وكانت القلاع بيد نواب الملك السعيد، وقصد قلاوون بهذا القول أن يتحكم حتى يغير النواب ويتمكن مما يريد، فمال الجميع إلى قوله وصوبوا رأيه، واستدعوا سلامش، واتفقوا أن يكون الأمير قلاوون أتابكته، وأن يكون إليه أمر العساكر وتدير الممالك، فحضر سلامش وله من العمر سبع سنين وأشهر، وحلف العسكر جميعه على إقامته سلطانا، وإقامة الأمير قلاوون أتابك العساكر، ولقبوه الملك العادل بدر الدين، فاستقر الأمر على ذلك. وأقيم الأمير عز الدين أيبك الأفرم فى نيابة السلطنة، واستقر قاضى القضاة برهان الدين خضر بن الحسن السنجارى فى الوزارة.

وأما عسكر الشام فإنه لما سار من بلييس ودخل إلى دمشق، وكان يجلب الأمير عز الدين إزدمر العلائى، والأمير قراسنقر المعزى، والأمير أقوش الشمسى، والأمير برلغو، فى نحو ألفى فارس، فساروا إلى دمشق ولقوا العسكر القادم من بلييس، فاتفقوا مع الأمراء الذين بدمشق على إقامة الأمير أقوش الشمسى مقدما على الجيوش، والقبض على الأمير عز الدين أيدمر نائب دمشق، لأنه ترك ابن أستاذه وخامر عليه ورجع من بلييس، فأخذ الأمير أقوش إلى داره، فجاء الأمير أزدمر العلائى وركن الدين الجالق إلى دار أقوش، وأخذ الأمير أيدمر وصعدا به إلى قلعة دمشق، وسلماه إلى الأمير علم الدين سنجر الدوادارى نائب القلعة.

فلما تقرّر الحال على إقامة الملك العادل سلامش والأمير قلاوون كُتِبَ إلى الشام بذلك، وسار الأمير جمال الدين أقوش الباخلى وشمس الدين سنقرجاه الكنجى بنسخة الأيمان، فحلف الناس بدمشق كما وقع الحلف بمصر.

وفى النصف من جمادى الأولى: استقر قاضى القضاة صدر الدين عمر ابن قاضى القضاة تاج الدين عبد الوهاب ابن بنت الأعز، فى قضاء القضاة بديار مصر، عوضا عن قاضى القضاة تقى الدين محمد بن رزين بحكم عزله. و صُرف أيضا قاضى القضاة

(١) انظر: ابن إياس ١ / ١١٤ والنجوم الزاهرة ٧ / ٢٨٦ والنهج السديد ٤٧١ والأعلام

معز الدين النعمان الحسن بن يوسف الخطيبى الحنفى، وقاضى القضاة نفيس الدين أبو البركات محمد بن مخلص الدين هبة الله بن كمال الدين أبى السعادات أحمد بن شكر المالكى، ثم أعيدا، وولى عز الدين عمر بن عبد الله بن عمر بن عوض المقدس الحنبلى^(١) قاضى القضاة الحنابلة، واستقر الأمير شمس الدين سنقر الأشقر فى نيابة السلطنة بدمشق، فدخلها فى ثامن جمادى الآخرة ومعه جماعة من الأمراء والعسكر، فعامله الناس معاملة الملوك، وأنزل الأمير سنجر الدوادارى من القلعة لمباشرة الشد، وقرئ تقليد النيابة يوم الجمعة بمقصورة الخطابة، ولم يحضر النائب قراءته.

وفى تاسع رجب: قبض على فتح الدين عبد الله بن محمد بن القيسرانى، وزير دمشق. وفيه استقر الأمير جمال الدين أقوش الشمسى فى نيابة السلطنة بحلب، عوضا عن أيدغدى الكبكى.

وشرع الأمير قلاوون فى القبض على الأمراء الظاهرية، فقبض على أعيانهم وبلغهم إلى الثغور فسحنوا بها، وأمسك أيضا كثيرا من الظاهرية وملا الجبوس بهم، وأعطى قلاوون ومنع وقطع، ووصل واستخدم وعزل، فكان صورة أتاكب وتصرفه تصرف الملوك. واشتغل الأمير بيسرى باللهو والشرب، فانفرد الأتابك قلاوون بالملكة وأجد فى تدبير أحواله وفرق قلاوون على المماليك واستمالهم، وقرب الصاحية وأعطاهم الإقطاعات، وكبر منهم جماعة كانوا قد نسوا وأهملوا، وسير عدة منهم إلى البلاد الشامية واستتابهم فى القلاع، وتبع ذراريهم وأخذ كثيرا منهم كانوا قد تصنفوا بالصنائع والحرف، فرتب طائفة منهم فى البحرية، وقرر لجماعة منهم جامكية، فعادت لهم السعادة، وقوى بهم جانبه وتمكنت أسبابه، ثم جمع قلاوون الأمراء فى العشرين من رجب وتحدث معهم فى صغر سن الملك العادل، وقال لهم: «قد علمتم أن المملكة لا تقوم إلا برجل كامل»، إلى أن اتفقوا على خلع سلامش فخلعوه، وبعثوا به إلى الكرك وكانت مدة ملكه مائة يوم، ولم يكن حظه من الملك سوى الاسم فقط، وجميع الأمور إلى الأتابك قلاوون.

* * *

(١) عمر بن عبد الله بن عمر بن عوض، أبو حفص، عز الدين الشامى المقدسى الحنبلى المعروف بابن عوض: قاضى القضاة بالديار المصرية. أفتى ودرس توفى بالقاهرة. انظر: شذرات الذهب ٥ / ٤٣٦، ومجلة الكتاب ٤ / ١٣٠١ والأعلام ٥ / ٥٢.

السلطان الملك المنصور سيف الدين قلاوون الألفى الصالحى النجمى العلاتى

كان من جنس القبجاق، ومن قبيلة برج أغلى، فحلب إلى مصر وهو صغير، واشتره الأمير علاء الدين آقسنقر الساقى العادلى أحد ممالك الملك العادل أبى بكر بن أيوب بألف دينار، فعرف من أجل ذلك بالألفى.

فلما مات أستاذه الأمير علاء الدين صار إلى الملك الصالح نجم الدين أيوب فى عدة من الممالك، فعرفوا بالعلانية، وذلك فى سنة سبع وأربعين وستمائة. وجعل الملك الصالح قلاوون من جملة الممالك البحرية، وما زال حتى كانت وفاة الملك الصالح، ثم إقامة شجر الدر بعد الملك توران شاه بن الصالح. فلما قام المعز أيك فى سلطنة مصر، وقتل الفارس أقطاى، خرج قلاوون من مصر فيمن خرج من البحرية. وتنقلت به الأحوال حتى صار أتاكب العساكر بديار مصر فى سلطنة الملك العادل سلامش بن الظاهر، فى سابع شهر ربيع الآخر، وصار يذكر اسمه مع اسم العادل على المنابر وتصرف تصرف الملوك مدة ثلاثة أشهر، إلى أن وقع الاتفاق على خلع العادل وإقامة قلاوون.

فأجلس قلاوون على تخت الملك فى يوم الأحد العشرين من رجب، وحلف له الأمراء وأرباب الدولة، وتلقب بالملك المنصور، وأمر أن يكتب فى صدر المناشير والتواقيع والمكاتبات لفظ «الصالحى»، فكتب بذلك فى كل ما يكتب عن السلطان، وجعل عن يمين البسملة تحتها بشىء لطيف جدًا. وخرج البريد بالبشائر إلى الأعمال، وجهزت نسخة اليمين إلى دمشق وغيرها، وزينت القاهرة ومصر وظواهرهما وقلعة الجبل، وأقيمت له الخطبة بأعمال مصر.

وأول ما بدأ به السلطان قلاوون إبطال زكاة الدولة^(١)، وكانت مما أجمعت بالرعية، وأبطل مقرر^(٢) النصارى، وكان له منذ أحدث ثمان عشرة سنة، وانحطت الأسعار.

ووصل البريد إلى دمشق، وعليه لاجين الصغير والأمير ركن الدين بيبرس الجالوق، فى ثامن عشره، بعد يومين وسبع ساعات من مفارقة قلعة الجبل، ولم يعهد مثل هذا. فحلفت عساكر دمشق، وأقيمت الخطبة بها فى يوم الجمعة ثانى شعبان، وزينت المدينة سبعة أيام.

(١) زكاة الدولة هذه كانت تفرض على كل مستخدم للدوايب أى العجلان.

(٢) قال المقرئى بأن هذا المقرر كان يجيبى من أهل الذمة وهو دينار. انظر خطط المقرئى.

وأفرج السلطان عن الأمير عز الدين أيك الأفرم الصالحى، وأقامه فى نيابة السلطنة بديار مصر، وأقر صاحب برهان الدين السنجارى على وزارته، ولازم الجلوس بدار العدل فى يومى الإثنين والخميس.

وفى يوم السبت ثالث شعبان: ركب السلطان الملك المنصور قلاوون بشعار السلطنة وأبهة المملكة، وشق القاهرة وهى مزينة، فكان يوماً مشهوداً، لأنه أول ركوبه. وكتب السلطان إلى الأمير شمس الدين سنقر الأشقر كتاباً، بخط القاضى عماد الدين إسماعيل بن تاج الدين أحمد بن سعيد بن الأثير، ويخبره فيه بركوبه، وخاطبه بالملوك. وأعفى تقى الدين التكريتى مما عليه من البواقي^(١)، وفوض إليه نظر الخزانة بدمشق. وصام الناس شهر رمضان يوم الجمعة، على اختلاف شديد وشك كبير.

وفى ثالثه: استقر الأمير جمال الدين أقش الشريفى أمير جاندار، فى نيابة السلطنة بالصلت والبقاء.

وفى ثامنه: أفرج عن فتح الدين عبد الله بن القيسرانى وزير دمشق، بعد ما اعتقل بقلعة الجبل زيادة على ثلاثين يوماً.

وفى عاشره: استقر الأمير فخر الدين الطنبا فى نيابة السلطنة بالقصر الذى بالقرب من أنطاكية، واستقر الأمير علم الدين سنجر المنصورى فى نيابة السلطنة ببلاطنس، واستقر الأمير فخر الدين أياز الملوحي فى ولاية الأعمال الغربية، عوضاً عن الأمير ناصر الدين بيليك بن المحسنى الجزرى.

وفى رابع عشره: استقر الأمير حسام الدين طرنطاي المنصورى فى نيابة السلطنة بديار مصر، عوضاً عن الأمير عز الدين أيك الأفرم، بحكم رغبته عن ذلك وسعيه فى استقرار حسام الدين طرنطاي. وذلك أنه تمارض، فلما عزم السلطان على عيادته صنع له طبيبه شيئاً تهيج به وجهه واصفر، ودخل عليه السلطان فتألم له وسأله عن حوائجه، فأشار عليه أن يقدم مماليكه وأثنى عليهم، ثم قال: «وتعفينى من النيابة»، وأظهر العجز عنها. فلم يوافق السلطان على ذلك، فأخذ يلح عليه، فقال له السلطان: «فأشر على بمن يصلح لها، فقال: طرنطاي»، فوافق قوله غرض السلطان.

(١) لفظ اصطلاحى كان يطلق على ما يتأخر كل سنة عند الضمان والمتقبلين من مال الخراج. انظر المواعظ والاعتبار.

وفي سابع عشره: قبض على الأمير نور الدين على بن الملك الناصر صلاح الدين يوسف صاحب الشام، وعلى عدة من الناصرية.

وفي سادس عشره: صرف الصاحب برهان الدين خضر السنجاري عن الوزارة، وقبض عليه وعلى ولده شمس الدين عيسى، وأخذت خيولهما وخيول أتباعهما. وسجنا بدار الأمير علم الدين سنجر الشجاعى، وأحيط بسائر أتباعهما، وألزموا بمائتى ألف وستة وثلاثين ألفاً.

وفي ثانى شوال: استقر القاضى فخر الدين إبراهيم بن لقمان صاحب ديوان الإنشاء فى الوزارة، بعد ما حمل إليه الأمير علاء الدين كندغدى الشمسى الأستاذار خلع الوزارة إلى بيته بقلعة الجبل، وامتنع امتناعاً شديداً فلم يسمع منه وألبسه الخلع، وباشر عوضاً عن الصاحب برهان الدين السنجاري. وأفرج عن السنجاري، فلزم مدرسة أخيه بالقرافة.

وفيه استقر القاضى فتح الدين محمد بن محيى الدين عبد الله بن عبد الظاهر فى قراءة البريد وتلقى الأجوبة، عوضاً عن ابن لقمان.

وفيه قبض على جماعة من الأمراء: منهم الأمير علاء الدين مغلطاي الدمشقى، وسيف الدين بكتمر الأمير آخورى قرطاي المنصورى، وصارم الدين الحاجب، واعتقلوا. وفوضت وزارة دمشق لتقى الدين توبه ناظر الخزانة، وخلع عليه الوزراء وتلقب بالصاحب.

وفي تاسعه: خرج الأمير بدر الدين بيلىك الأيدمرى على عسكر من القاهرة إلى جهة الشوبك وكان قد بعث إليها الملك السعيد بركة قان بن الظاهر وهو بالكرك الأمير حسام الدين لاجين رأس نوبة الجمدارية السعيدية، وتغلب عليها، وبعث السعيد إلى النواب أيضاً يدعوهم إلى القيام معه، فسار الأمير بدر الدين الأيدمرى ونزل على الشوبك، وضايقها حتى تسلمها فى عاشر ذى القعدة، بعد ما فر منها الملك نجم الدين خضر بن الظاهر، ولحق بأخيه السعيد فى الكرك.

وقدمت رسل الفونش بكتب للملك السعيد وهدية، فقبض على هديتهم وكتبهم، وأعيدوا فى خامس عشر شوال.

وفي حادى عشره: قبض على الملك الأوحده[....] (١) وأخيه شهاب الدين محمد، ولدى الملك الناصر صلاح الدين داود صاحب الكرك، واعتقلا.

وفيه استقر الأمير بدر الدين بيليك الطيارى فى نيابة السلطنة بقلعة صفة، ونقل الأمير علم الدين سنجر الكرجى إلى الولاية، ونقل الأمير سيف الدين بلبان الجوادى إلى خزندارية القلعة.

وفي ثالث عشره: استقر شرف الدين أبو طالب بن علاء الدين[....] (٢) بن النابلسى ناظر النظار بديار مصر، عوضاً عن نجم الدين بن الأصفونى فى الوجه القبلى، وعن تاج الدين بن السنهورى فى الوجه البحرى.

وفي رابع عشره: صرف النصارى من ديوان الجيوش، وأقيم بدلهم كتاب مسلمون، فاستقر أمين الدين شاهد صندوق النفقات فى كتابة الجيش، عوضاً عن الأسعد إبراهيم النصرانى.

وفيه هدم دير الخندق (٣) خرج باب الفتوح من القاهرة، واجتمع لهدمه عالم كثير، وكان يوماً مشهوداً.

وفي خامس عشره: وصل الملك المنصور ناصر الدين محمد بن محمود صاحب حماة إلى ظاهر القاهرة، فركب السلطان إلى لقائه، وأنزله بمنظر الكباش، واهتم به اهتماماً زائداً. ورسم بتضمين الخمر، فظهر شرب الخمر، وكثرت السكارى وزال الاعتراض عليهم، فلم يقم ذلك غير أيام قلائل حتى رسم فى سادس عشره بإراقة الخمر وإبطال ضمانها، ومنع من التظاهر بشيء من المسكرات.

وفي يوم الجمعة سابع عشره: كتبت تقاليد القضاة الأربعة، واستقر الحال على أن يكون قاضى القضاة صدر الدين عمر، ابن قاضى القضاة تاج الدين عبد الوهاب ابن بنت الأعز الشافعى، هو الذى بولى فى أعمال مصر قضاة ينوبون عنه فى الأحكام، وأن قاضى القضاة معز الدين الحنفى، وقاضى القضاة المالكى، وقاضى القضاة عز الدين الحنبلى، يحكمون بالقاهرة ومصر خاصة، بغير نواب فى الأعمال، فاستمر الأمر على ذلك إلى اليوم.

(١) ما بين المعقوفين بياض فى الأصل.

(٢) ما بين المعقوفين بياض فى الأصل.

(٣) دير الخندق ظاهر القاهرة من بحريها، عمره القائد جوهر الصقلى عوضاً عن دير هدمه فى

وأمر السلطان بإحضار الأمير عز الدين أيدير الظاهري من دمشق تحت الحوطة، فلما وصل اعتقل بقلعة الجبل.

وفي ثاني ذى القعدة: ركب السلطان إلى الميدان ولعب بالكرة، وهو أول ما ركب إليه. وفرق السلطان فيه مائة وبضعاً وثلاثين فرساً بسروج مخللة، وخلع على الأمراء خلعةً سنية.

وفي خامسه: حمل إلى المنصور صاحب حماة تقليد باستقراره بحماة، وسير السلطان له السناجق، وأربعة صناديق ذهباً وفضة، وأربعة صناديق ثياباً من الإسكندرية والعتايي، وعدة من الخيل، وخلع عليه وعلى من يلوذ به، وأذن له فى العود فسافر فى تاسعه. وخرج السلطان معه لوداعه، وأقام نهاره بناحية بهتيت^(١)، ثم عاد إلى القلعة.

وفي حادى عشره: مات الملك السعيد بركة قان بن الظاهر بيبرس بالكرك، وكان قد ركب فى الميدان فتقنطر عن فرسه وهو يلعب بالكرة، فصدع وحم أياماً، ومات وعمره نيف وعشرون سنة، فاتهم أنه سم.

وورد الخير بوفاته فى العشرين منه، فعمل له السلطان عزاء بالإيوان من قلعة الجبل، وجلس كثيراً ببياض، وقد حضر العلماء والقضاة والأمراء والوعاظ والأعيان، فكان يوماً مشهوداً.

وأقام القراء شهراً يقرأون القرآن، وكتب إلى أعمال مصر والشام بأن يصلى عليه صلاة الغائب. وعندما مات السعيد أقام الأمير علاء الدين أيدغدى الحرانى نائب الكرك نجم الدين خضر بن الظاهر ملكاً مكان أخيه بالكرك، ولقبه الملك المسعود. فتحكم عليه مماليكه وأساءوا التدبير، وفرقوا الأموال ليستجلبوا الناس، فصار إليهم من قطع رزقه، وحضر إليهم طائفة من البطالين فساروا إلى الصلت واستولوا عليها، وبعثوا إلى صرخد فلم يتمكنوا منها، وأتهم العربان وتقربوا إليهم بالنصيحة، وأخذوا مالا كثيراً من المسعود ثم تسللوا عنه.

ولم يزل المسعود فى إنفاق المال حتى فنيت ذخائر الكرك التى كان الملك الظاهر قد أعدها لوقت الشدة، وبعث المسعود إلى الأمير سنقر الأشقر نائب دمشق يستدعيه، فجرد السلطان الأمير عز الدين أيك الأفرم إلى الكرك.

وفيه استقر شهاب الدين غازى بن الواسطى فى نظر حلب، وقرر له فى الشهر

(١) هى قرية من قرى مديرية القليوبية بضواحي القاهرة.

أربعمائة درهم وستة مكاكى قمع ومكوكان شعير، وأضيف معه جلال الدين بن الخطير فى الاستيفاء.

واستقر الطواشى افتخار الدين فى خزندارية حلب، وبدر الدين بكتوت القطزى شاد الدواوين بها، واستقر جمال الدين إبراهيم بن صصرى فى نظر دمشق، بعد وفاة علم الدين محمد بن العادلى. واستقر الأمير سيف الدين بلبان الطباخى فى نيابة حصن الأكراد.

وفى رابع ذى الحجة: استقر الأمير عماد الدين داود بن أبى القاسم فى ولاية نابلس.

وفى سابعه: سار الأمير عز الدين أيبك الأفرم بالعساكر من القاهرة إلى جهة الكرك.

وفى تاسعه: أفرج عن الأمير غرس بن شاور من الاعتقال، واستقر فى ولاية الرملة.

وفى ثامن عشره: تسلم الأمير بدر الدين بيليك الأيدمرى قلعة الشوبك من نواب الملك السعيد بالأمان، ووردت كتبه بذلك فى ثالث عشره، فسيرت الخلع لمن بها، ودقت البشائر بقلعة الجبل، وكتب بالبشارة إلى الأقطار.

وفيه استقر مجد الدين عيسى بن الخشاب محتسباً بالقاهرة.

وفيه استقر الأمير حسام الدين لاجين السلاح دار المنصورى، المعروف بلاجين الصغير، فى نيابة قلعة دمشق. فلما وصل إليها كما تقدم، وحلف سنقر الأشقر وخلع عليه، تحيل منه الأمير سنقر الأشقر نائب الشام، وجمع الأمراء وأوهمهم أن السلطان قد قتل وهو يشرب القمزم، ودعاهم إلى طاعته وحلفهم على موافقته. وتلقب بالملك الكامل، وركب بشعار السلطنة فى يوم الجمعة رابع عشره.

وقبض على الأمير ركن الدين بيبرس العجمى المعروف بالجالق المنصورى لامتناعه من الخلف، وقبض على الأمير حسام الدين لاجين نائب القلعة، وعلى الصاحب تقى الدين توبة التكريتى. وبعث الأمير سيف الدين بلبان الحبيشى إلى المماليك، ليحلف أهلها ويقم فى القلاع من يختاره. وكتب إلى مهنا وإلى أحمد بن حجى يعلمهما، فقدا عليه واستوزر مجد الدين إسماعيل بن كسيرات الموصلى، وأقر فى وزارة الصحبة عز الدين أحمد بن ميسر المصرى.

وانتقل بأهله من دار السعادة التى يسكنها النواب إلى القلعة، وأمر بغلق باب النصر، وفتح باب سر القلعة المقابل لدار السعادة بجوار باب النصر. فتطير الناس من ذلك،

وقالوا: «أغلق باب النصر، وانتقل من دار السعادة، واستوزر ابن كسيرات؟، فهذا أمر لا يتم»، وكان كذلك.

وكان وفاء النيل بمصر ستة عشر ذراعًا، فى ثالث ربيع الآخر. وحج بالناس من مصر الأمير جمال الدين أقدس الباخلى، وسار الركب فى سابع عشر شوال، وقاضيه فخر الدين عثمان ابن بنت أبى سعيد.

وفىها ولى نجم الدين أبو بكر محمد بن أحمد بن يحيى بن هبة الله بن الحسن بن يحيى ابن سنى الدولة قضاء حلب، عوضًا عن شهاب الدين محمد بن أحمد الخوى.

وفىها أنعم السلطان على أربعين من مماليكه بإمريات: منهم كنبغا، وسنجر الشجاعى، وأبيك الخازندار، وقبجق، ولاجين، وبلبان الطباخى، وكراى، وسنقر جركس، وأقوش الموصلى، وطقصوا، وأزدرم العلامى، وبهادر أص رأس نوبة، وبكوت بكجا، وتغريل السلحدار، وسنقر السلحدار. وأنعم على جماعة من عدته أيضًا بإمريات: منهم كشكل، وأيدمر الجناحى، وقيران الشهابى، ومحمد الكورانى، وإبراهيم الجاكى وإخواته. وأنعم على عدة من المماليك الظاهرية بإمريات: منهم الحاج بهادر، وسنجر المسورى.

وفىها ترك السلطان ركوبه مدة، وسبب ذلك تغير قلوب الصالحية والظاهرية ومكاتبتهم سنقر الأشقر. فلما بلغ السلطان هذا عنهم خشى من اغتيالهم إياه، وأخذ فى التدبير عليهم، فكثرت قالة العامة، وجهروا بقولهم فى الليل تحت القلعة بأصوات عالية «يابو عيشه اركب وكن طيب، يابوعيشه» وصاروا يلطخون رنك^(١) السلطان فى الليل بالقذر، فيتغافل عنهم، وهو يسمع صياحهم فى الليل ويبلغه فعلهم برنكه. وزادوا حتى شافهوا أمراءه بالسب، وهم يعرضون عنهم.

وفىها ظهر بالقاهرة ومصر رجلا من بزدارية الأمير جمال الدين أقوش الملقب بهيظلية، عرف أحدهما بالجاموس لسواد لونه، وعرف الآخر بالحوجب. وأفسدا فسادًا كثيرًا، وشغفا بشرب الخمر، وصارا يكتبان الأوراق للأعيان بطلب شىء من إحسانهم ويوصلونها إليهم، فإن لم يبعث لهم المكتوب إليه بشىء، وإلا أتوه ليلا. وشنع أمرهما، حتى إنهما ليمشيان فى مواضع النزه وسيوفهما على أكتافهما فلا يجسر أحد عليهما. ورتب لهما الأمير علم الدين سنجر الخياط والى القاهرة جماعة لتقبض عليهما، فكانا يجملان فى مائة رجل، ويحوط عنهم. وهجما القاهرة فى الليل، وأخذوا والى الطوف وعلقاه بذراعه، وقطعا أنف المقدم وأذنيه، وتتبعوا كل من أرصده الوالى لأخذهما.

(١) الرنك - لفظ فارسى معناه اللون.

فذعر الناس منهما، إلى أن كانا ليلة بيستان في المطرية وخرجا منه يريدان القاهرة، فصدفهما مملوك الوالى وهو سائر إلى بلييس ومعه غلامه، وقد عرفهما. فضرب بسهمه وأصاب رجلى أحدهما فسقط، وهم الآخر بصعود حائط البساتين فوق و انكسرت رجله، ووقع الصوت فى البيستان. فنزل غلام المملوك وكتف الجاموس، وأخرج الناس المحوجب من البيستان، وساروا بهما مربوطين إلى القاهرة. فطلع بهما الوالى إلى السلطان ومعه مملوكه، وكان زريا قصيراً لا يؤبه إليه، فعجب السلطان من ذلك، وسألها على لسان الحاجب: «كيف مسككما هذا بمفرده وأتما لا تهابان رجالا كثيرة؟» فقالا: «إذا نزل القضاء قلت الحيلة، والله لقد كنا إذا رأينا عشرين فارساً أو مائة راجل خرجنا عنهم سالمين بعدما ننال منهم، فلما فرغ الأجل عندما وقع نظرنا على هذا ارتعدت فرائصنا حتى ما قدرنا على الحركة» فرسم بتسميرهما فسمرا عند باب زويلة، وشهرا عدة أيام، وخلع على المملوك وأنعم عليه بألف درهم وإقطاع فى الحلقة، وهو أول من أخذ من ممالك الأمراء إقطاعا فى الحلقة.

وفىها خلع متملك تونس الأمير أبو زكريا يحيى الواصل بن أبى عبد الله محمد المستنصر بن السعيد أبى زكريا يحيى بن عبد الواحد بن أبى حفص فى غرة ربيع الآخر، فكانت مدته سنتين وثلاثة أشهر وثلاثة وعشرين يوماً، وقام بعده عمه أبو إسحاق إبراهيم بن يحيى بن عبد الواحد^(١).

* * *

ومات فى هذه السنة

الأمير أقتش الشهابى أحد أمراء الطبلخاناه.

ومات الأمير الطنبا فخر الدين الحمصى، فى سادس عشر رمضان.

ومات علم الدين إسحاق بن العادلى ناظر دمشق، فى خامس عشرى شوال.

ومات الأمير عز الدين أيلك الشيخ، فى ذى الحجة.

(١) أبو إسحاق (٦٨٢هـ=١٢٨٣م) إبراهيم بن يحيى بن عبد الواحد الحفصى المهنتاتى، أبو إسحاق: أمير المؤمنين بتونس وبلاد إفريقية. كان قبل تملكه مقيماً فى الأندلس فبلغه موت أخيه المستنصر (محمد بن يحيى) أمير تونس وما يليها، فركب البحر ولحق بتمسان فامتلك بجاية ثم تغلب على حامية تونس وكانت قد بايعت ليحيى بن المستنصر، ولقب بالواصل بالله، فلما علم باستفحال أمر إبراهيم خلع نفسه، فدخل إبراهيم تونس وتمت له البيعة سنة ٦٧٨هـ. انظر الخلاصة النقية ٦٥، وابن خلدون ٢٩٧/٦ الأعلام ٨٠/١.

ومات الأمير ناصر الدين بلبان النوفلى أحد الطبلخاناه.

ومات الأمير علم الدين بلبان المشرفى أحد الطبلخاناه.

ومات الأمير سيف الدين جمق أحد الطبلخاناه.

ومات شرف الدين أبو بكر عبد الله بن تاج الدين أبى محمد عبد السلام ابن شيخ الشيوخ عماد الدين عمر بن على بن محمد بن حمويه الحموى الجوينى، شيخ الشيوخ بدمشق، فى ثامن شوال، دفن بقاسيون.

ومات الأمير بدر الدين محمد بن الأمير حسام الدين بركة خان الخوارزمى، خال الملك السعيد بن الظاهر، فى تاسع ربيع الأول بدمشق.

ومات الأمير نور الدين على ابن الأمير عز الدين مجلى الهكارى نائب حلب بها، عن سبع وتسعين سنة.

وتوفى قاضى القضاة محبى الدين أبو الصلاح عبد الله بن شرف الدين أبى المكارم محمد بن عين الدولة الشافعى، فى خامس رجب وهو مصروف، وقد أناف على ثمانين سنة.

* * *

سنة تسع وسبعين وستمائة

فى يوم الخميس أول المحرم: ركب الملك الكامل سنقر الأشقر بشعار السلطنة من قلعة دمشق إلى الميدان الأخضر، وبين يديه الأمراء مشاة بالخلع، ثم عاد.

وفى يوم الجمعة ثانيه: خطب له على منبر الجامع بدمشق، وكتب إلى الأمير عز الدين الأفرم وهو بالكرك يعتذر عن قيامه، وأتبع الكتاب بعسكر. فلما ورد كتابه جهزه الأفرم إلى السلطان بمصر، فكتب السلطان عند وروده إلى الأشقر يقبح فعله، وكتب أمراء مصر إليه بذلك، ويحثونه على الإذغان وترك الفتنة. وسار بالكتب بلبان الكرىمى، فوصل دمشق فى ثامنه، وخرج سنقر الأشقر إلى لقائه وأكرمه، ولم يرجع عما هو فيه.

واستقر الأفرم بغزة، فوفاه عسكر سنقر الأشقر بها، فاندفع من قدامهم إلى الرمل، وملك العسكر غزة واطمأنوا، فطرقهم الأفرم وأوقع بهم فانهزموا إلى الرملة، وأسر منهم الأمير بدر الدين كنجك الخوارزمى، الأمير بدر الدين بيليك الحلبي، وبهاء الدين يملك الناصرى، وناصر الدين باشقرد الناصرى، وعلم الدين سنجر التكرىتى، وسنجر البدرى، وسابق الدين سليمان صاحب صهيون، وغنم منهم مالا وخيولا وأثقالا كثيرة. وبعث الأفرم بالبشارة على يد ناصر الدين محمد ولد الأمير بكتاش الفخرى، فقدم فى خامس عشره بالأمراء المأسورين، فعفا السلطان عنهم وأحسن إليهم، وأعادهم على أخبازهم وجعلهم فى العسكر.

وفى رابع عشره: مات الأمير علاء الدين كندغدى الحيشى من ضربة بسكين، ضربه بها سنقر الغتمى الأشقر الأستاذار، وقبض عليه وسم على باب زويلة.

ولما بلغ سنقر الأشقر كسرة عسكره، جمع وحشد وبعث إلى الأمراء بغزة يعدهم ويستميلهم، فقدم عليه شهاب الدين أحمد بن حجى أمير العربان بالبلاد القبلية، والأمير شرف الدين عيسى بن مهنا أمير العربان بالبلاد الشرقية والشمالية، وأتته النجيدات من حلب وحماة ومن جبال بعلبك، واستخدم عدة كبيرة وبذل فيهم المال، وكثرت عنده بدمشق الأرجاف أن عسكر مصر قد سار إليه، فاشتد استعداداه. وجرى السلطان من القاهرة الأمير بدر الدين بكتاش الفخرى أمير سلاح، ومعه الأمير بدر الدين الأيدمرى

والأمير حسام الدين أيتمش بن أطلس خان فى أربعة آلاف فارس. فسار إلى غزة، واجتمعوا مع الأمير عز الدين الأفرم والأمير بدر الدين الأيدمرى، وساروا جميعاً والمقدم عليهم علم الدين سنجر الحلبي، فرحل عسكر سنقر الأشقر من الرملة إلى دمشق. فخرج سنقر الأشقر فى ثانى عشر صفر بعساكره وخيم بالجزيرة خارج دمشق، ونزل عسكر مصر الكسوة والعقوة فى يوم الإثنين سابع عشره بالجزيرة. فوقعت الحرب فى تاسع عشره، وثبت سنقر الأشقر وأبلى بلاء عظيماً، ثم خامر من عسكره طائفة كبيرة إلى عسكر مصر، وانهزم كثير منهم، ورجع عسكر حلب وحماة عنه إلى بلادهم، وتخاذل عنه عسكر دمشق، وحمل عليه الأمير سنجر الحلبي فانهزم منه. وهرب سنقر الأشقر وتبعه من خواصه الأمير عز الدين أزدمر الحاج، والأمير علاء الدين السبكي، والأمير شمس الدين قراسنقر المعزى، والأمير سيف الدين بلبان الحبيشى، وساروا معه هم والأمير عيسى بن مهنا إلى بركة الرحبة وأقاموا بها أياماً، وتوجهوا إلى الرحبة، وكان سنقر قبل ذلك قد بعث حرمه وأمواله إلى صهيون. وأسر يومئذ أحد عشر أميراً: منهم بدر الدين سنقر البغدادي، وبدر الدين بيليك الحلبي، وعلم الدين سنجر التكريتي، وبهاء الدين تملك الناصري، وباشقر الناصري، ونوديه الناصري.

ولما انهزم سنقر الأشقر تفرق عسكره فى سائر الجهات، وغلقت أبواب دمشق، وزحف عسكر مصر إليها وأحاطوا بها، ونزلوا فى الخيام ولم يتعرضوا لشيء. وأقام الأمير سنجر الحلبي بالقصر الأبلق فى الميدان الأخضر خارج دمشق، فلما أصبح أمر فنودى بالأمان. وكان بقلعة دمشق الأمير سيف الدين الجكندار، وهو متولها من جهة سنقر الأشقر، فأفرج عن الأمير ركن الدين بيبرس العجمي الجالق، والأمير حسام الدين لاجين المنصورى، والصاحب تقى الدين توبه، وحلفهم ألا يؤذوه إذا أطلقهم. ثم فتح باب القلعة، ونزل لاجين إلى باب الفرج فوقف عليه، ومنع العسكر من دخول المدينة.

ونودى بإطابة قلوب الناس وزينة البلد، فوقف البشائر بالقلعة. وقدم كثير ممن كان مع سنقر الأشقر فأنهم الأمير سنجر الحلبي، وحضر أحمد بن حجي بأمان. وقتل فى هذه الوقعة الأمير ناصر الدين محمد بن الأتابك وكان شجاعاً، ونور الدين على بن الطورى، وكان شجاعاً، وثمانية من جند دمشق، واثنان من عسكر مصر، وجرح الأمير بكتاش الفخرى...^(١) وكتب إلى السلطان بذلك على يد ناصر الدين محمد ابن الأمير بكتاش الفخرى أمير سلاح، فلما قدم على السلطان فى أول ربيع الأول أنعم عليه بإمرة عشرة، وهو أول من تأمر من أولاد الأمراء فى الدولة المنصورية.

(١) ما بين المعقوفتين بياض فى الأصل.

واستقر فى نيابة الأمير بدر الدين بكتوت العلامى، واستقر الوزير تقى الدين توبه على حاله، واستقر الأمير علم الدين سنجر الباشقردى فى نيابة حلب، بعد الأمير جمال الدين أقش الشمسى نائب حلب.

وفى خامس عشرى أيب وهو فى صفر: أخذ قاع النيل، فكان خمسة أذرع وعشرين إصبعاً.

وفى رابع عشرى صفر: سار الأمير حسام الدين أيتمش بن أطلس خان فى عدة من الأمراء ومعه ثلاثة آلاف فارس من دمشق، فى طلب شمس الدين سنقر الأشقر، وتبعهم فى أول ربيع الأول الأمير عز الدين الأفرم على عسكر آخر. وكان سنقر الأشقر قد أقام عند الأمير شرف الدين عيسى بن مهنا، ثم فارقه وسار إلى الرحبة، وقد تركه كثير ممن كان معه، فامتنع الأمير موفق الدين خضر الرحبى نائب القلعة بالرحبة من تسليمها إلى سنقر الأشقر. فلما أيس منه سنقر كتب إلى الملك أبغا بن هولاكوي يحثه على الحضور لأخذ البلاد الشامية، وكتب معه أيضاً الأمير عيسى بمثل ذلك^(١). فبلغهما خير توجه العساكر من دمشق، فسار سنقر فى البرية إلى صهيون فتحصن بها، ولحق به الأمير عز الدين الحاج أزدمر فى طائفة، فبعثه إلى قلعة شيزر فأقام بها، وبلغ ذلك العساكر المتوجهة من دمشق فتازلت شيزر.

وفى هذه المدة أوقعت الحوطة بدمشق على الصاحب مجد الدين إسماعيل بن كسيرات وزير سنقر الأشقر، وعلى جمال الدين بن صصرى ناظر دواوين دمشق، واعتقلا على مال ألزما به.

وضرب الزين وكيل بيت المال، ورسم على قاضى القضاة شمس الدين أحمد بن خلكان، واتهم بأنه أفتى سنقر الأشقر بجواز قتال السلطان، وورد كتاب السلطان من مصر بشنقه.

ثم ورد بريد من مصر إلى الشام بأمان أهل دمشق، فقام فى حق قاضى القضاة شمس الدين الأمير علم الدين الحلبي، وقال: «قد ورد كتاب السلطان بأمان من سمعه من أهل دمشق، وقد سمعه ابن خلكان فهو آمن من القتل».

وصرف ابن خلكان عن قضاة دمشق فى حادى عشرى من صفر، وعرض القضاء على قاضى القضاة عز الدين محمد بن عبد القادر بن عبد الخالق بن خليل بن مقلد بن

(١) انظر بيبس المنصورى زبدة الفكر ١٠٤/٩ والنويرى نهاية الإرب ٢٧٠/٢٩.

الصائغ، فامتنع من ذلك، ففوض لنجم الدين أبي بكر بن صدر الدين بن أحمد بن يحيى ابن سنى الدولة.

واعقل ابن خلكان فى رابع عشره بالخانقاه النجيبية، ثم أفرج عنه فى تاسع ربيع الأولى بكتاب السلطان. فثار عليه ابن سنى الدولة، وألزمه أن يخرج من المدرسة العادلية، ورسم عليه فى يوم الأربعاء تاسع عشر ربيع الأول حتى ينتقل عنها، وشدد عليه بسبب ذلك ولم يمهل، فشرع ابن خلكان فى نقل كتبه وأمتعه فى الرابعة من النهار، وإذا بالطلب قد أتاه فظن أنه من جهة الاستحثاث فى النقلة، فأراهم الاهتمام بذلك، فقيل له قد حضر البريد من مصر، فخاف من حلول البلاء به، وتوجه إلى نائب دمشق، فإذا بكتاب السلطان يتضمن إنكار ولاية ابن سنى لما به من الصَّمَم، ويقول: «إنا قد عفونا عن الخاص والعام، وما يليق أن نخص بالسخط أحداً على انفراد، وغير خاف ما يتعلق بحقوق القاضى شمس الدين بن خلكان وقديم صحبته، وأنه من بقايا الدولة الصالحية، وقد رسمنا بإعادته إلى ما كان عليه من القضاء»، فخلع عليه الأمير علم الدين الحلبي، وركب ابن خلكان من ساعته إلى المدرسة العادلية، ونزلها وقت الظهر وباشر الحكم، فعُدّ ذلك من الفرج بعد الشدة، وكانت مدة ابن سنى الدولة عشرين يوماً.

وفى حادى عشر شهر ربيع الأول: فوضت نيابة دمشق إلى الأمير حسام الدين لاجين الصغير المنصورى، وقد كتب تقليده وتوجه به بكتوت العلامى، وولى الأمير بدر الدين بكتوت العلامى شد الدواوين بدمشق، والصاحب تقى الدين توبة التكريتى وزارة الشام، وأقطع الأمير فخر الدين عثمان بن مانع بن هبة، والأمير شمس الدين محمد بن أبى بكر، إقطاع الأمير شرف الدين عيسى بن مهنا، واستقرا فى إمرة آل فضل وآل على على أن ينزل فخر الدين من الرستن إلى الملوحة، وتكون منزلة شمس الدين من الملوحة إلى الفرات، وأعطى أيضاً الأمير حسام الدين دراج إمرة آل عامر، وتكون منزلته من الرستن إلى العقاييات.

وتوجه شمس الدين سنقر الغتمى وسيف الدين بلبان الخاص تركى من القاهرة إلى الملك منكوتر فى البحر، ومعهما كتاب السلطان إلى الملك غياث الدين كيخسرو بن ركن الدين قليج أرسلان السلجوقى. وتوجه الأمير ناصر الدين بن المحسنى الجزرى والبطرك أنباسيوس، فى الرسالة إلى الملك الأشكرى.

وفى ثالث ربيع الآخر: ورد رسول صاحب تونس بكتابه.

وفى سابعه: قدم الأمير عز الدين أزدمر العلامى إلى قلعة الجبل، فأنعم عليه بخبز

الأمير قيران البندقدارى، المنتقل إليه عن علم الدين سنجر الدوادارى.

وفى النصف منه: قدم الأمير بدر الدين بكتوت ابن الأتابك.

وفى ثامن عشره: كسر الخليج الذى بظاهر المقس، وورد المفرد فى ثالث عشره.

وفى سادس عشره وهو أول أيام النسيء: وفى النيل ستة عشر ذراعاً، فركب السلطان إلى القياس وخلق العمود، ثم ركب فى الحراقة وكسر الخليج الكبير، فكان يوماً مشهوداً.

ونودى فى نهاره إصبغان من ستة عشر ذراعاً، وكتبت البشائر بالوفاء على العادة.

وفيه صرف الأمير علم الدين أقبش البدرى والى قلعة الشوبك، وقرر عوضه الأمير علم الدين سنجر الإيغانى.

وفى سابع عشره: مات الأمير سيف الدين أبو بكر بن أسباسلار^(١) والى مصر، وأحيط بتركته، وقرر عوضه الأمير عز الدين أيك الفخرى.

وفى أول جمادى الأولى: كان يوم النوروز بمصر.

وفى تاسعه: وصل الأمير سيف الدين الحبيشى إلى قلعة الجبل.

وفى خامس عشره: انتهت زيادة ماء النيل إلى ثلاثة وعشرين إصبغاً من سبعة عشر ذراعاً، وأعطى الأمير بدر الدين بيليك الأيدمرى تكملة مائة فارس، ورسم بإيقاع الخوطة على تقى الدين توبة وزير الشام: فقبض على موجوده وسجن.

وفى ثالث جمادى الآخرة: وصل الأمير علم الدين سنجر الحلبي من بلاد الشام، فركب السلطان إلى لقائه وخلع عليه وعلى من كان معه من الأمراء، وأنعم على كل منهم بألف دينار.

وفى سادسه: خلع على الأمير سيف الدين بلبان الرومى، وجعل دوادار العلامة لا غير، مع القاضى فتح الدين بن عبد الظاهر.

وورد الخبر بمسير التتار إلى البلاد الشامية، وأنهم قد افترقوا ثلاث فرق: فرقة سارت من جهة بلاد الروم ومقدمهم صمغار وتنجى وطرنجى، وفرقة من جهة الشرق ومقدمهم بيدو بن طوغاى بن هولاکو وصحبته صاحب ماردین، وفرقة فيها معظم العسكر وشرار المغل منکوتمر بن هولاکو. فخرج من دمشق الأمير رکن الدين إياجى

(١) لفظ لوظيفة معروفة فى الأنظمة الحكومية.

على عسكر، وانضم مع العسكر المحاصر لشيزر، وخرج من القاهرة الأمير بدر الدين بكتاش النجمي على عسكر. واجتمع الجميع على حماة، وراسلوا الأمير سنقر الأشقر في إخماد الفتنة والاجتماع على قتال التتر، فبعث إليهم عسكرا من صهيون أقام حول صهيون، ونزل الحاج أذدير من شيزر وخيم تحت قلعتهما.

ووقعت الجفلة في البلاد الحلبية، فسار منها خلق كثير إلى دمشق في النصف من جمادى الآخرة، وكثر الاضطراب في دمشق وأعمالها، وعزم الناس على تركها والمسير إلى ديار مصر.

فلما كان في حادى عشرية: هجمت طوائف التتار على أعمال حلب، وملكوا عين تاب وبغراض ودربساك، ودخلوا حلب وقد خلت من العسكر، فقتلوا ونهبوا وسبوا، وأحرقوا الجامع والمدارس ودار السلطنة ودور الأمراء. وأقاموا بها يومين يكثرون الفساد بحيث لم يسلم منهم إلا من اختفى في المغائر والأسرية، ثم رحلوا عنها فى يوم الأحد ثالث عشرية عاتدين إلى بلادهم بما أخذوه، وتفرقوا فى مشاتهم.

وفى يوم الإثنين سابع عشرية: أركب السلطان ولده علاء الدين أبا الفتح عليا بشعار السلطنة، ولقبه بالملك الصالح وجعله ولى عهده، فشق القاهرة من باب النصر إلى قلعة الجبل. وكتب له تقليد بخط القاضى محيى الدين بن عبد الظاهر من إنشائه، أجاد فيه وأبلغ، وخطب للملك الصالح بعد ذلك على منابر مصر كلها بعد والده، وكتب إلى البلاد الشامية بذلك.

وفى آخره: عزل السلطان صاحب فخر الدين إبراهيم بن لقمان عن وزارة الديار المصرية، فعاد إلى ديوان الإنشاء، وكتب مع كتاب الإنشاء، وتصرف بأمر صاحب ديوان الإنشاء، وفوضت الوزارة بعده إلى صاحب برهان الدين الخضر بن الحسن السنجارى.

وتوجه السلطان من مصر بالعساكر إلى البلاد الشامية يريد لقاء التتار، بعد ما أنفق فى كل أمير ألف دينار، وفى كل جندى خمسمائة درهم، واستخلف على مصر بقلعة الجبل ابنه الملك الصالح عليا. فسار السلطان إلى غزة، وقدم عليه بغزة من كان فى البلاد الشامية من عساكر مصر، وقدم عليه أيضاً طائفة من أمراء سنقر الأشقر فأكرمهم. ولم ينزل السلطان بغزة إلى عاشر شعبان، فرحل منها عائداً إلى مصر، بعد أن بلغه رجوع التتر، وكانت غيبته خمسين يوماً. وولى الأمير بدر الدين درباس ولاية جينين ومرج بنى عامر.

وفيها ولى الأمير نجم الدين إبراهيم بن نور الدين على بن السديد ولاية مصر، عوضاً عن الأمير عز الدين أيك الفخرى. وسفر الأمير سيف الدين باسطى نائباً بقلعة صرخد، والأمير عز الدين أيك الفخرى والياً بالقلعة المذكورة.

وفي يوم السبت سادس عشرى شهر رمضان: صرف قاضى القضاة صدر الدين عمر بن تاج الدين عبد الوهاب ابن بنت الأعز عن قضاء القضاة بديار مصر، وكان قد سلك فى ولايته طريق الخير والصلاح، وتحرى الحق والعدل وتصلب فى الأحكام، واستقر عوضاً عنه قاضى القضاة تقى الدين محمد بن الحسين بن رزين الحموى.

وفيه خرج الأمير بدر الدين بكتاش النجمى إلى حمص مجرداً، وخرج الأمير علاء الدين أيديكين البندقدارى الصالحى لحفظ الساحل من الفرنج. وكتب السلطان إلى الأمير سيف الدين بلبان الطباخى نائب حصن الأكراد بغزو الفرنج بالمرقب، لمساعدتهم التتار عند وصولهم حلب، فجمع التركمان وغيرهم، وحمل المجانيق والآلات، ونازل المرقب، فانهزم المسلمون ونهبهم الفرنج، وعدم من المسلمين مقدار مائتى فارس وراجل. فكبر ذلك على السلطان، وتحرك للسفر وخرج فى أول ذى الحجة، واستخلف ابنه الملك الصالح، وخيم بمسجد تير. ورتب السلطان الأمير علم الدين سنجر الشجاعى. فى استخراج الأموال وتديبر أمور المملكة، وجعله فى خدمة الملك الصالح مع الوزير برهان الدين السنجارى. وأقام القاضى محبى الدين بن عبد الظاهر بالقاهرة لقراءة البريد وتنفيذ الأشغال، وأقر فى نيابة السلطنة بديار مصر الأمير زين الدين كتبغا المنصورى.

وقدم الأمير شرف الدين عيسى بن مهنا من العراق، وترامى على السلطان، فعفا عنه وأكرمه، وركب إلى لقائه وأحسن إليه.

* * *

ومات فى هذه السنة

الشيخ الصالح المعمر طير الجنة، ودفن بقرافة مصر.
ومات الأديب الشاعر جمال الدين أبو الحسن يحيى بن عبد العظيم بن يحيى بن محمد ابن على الجزار، فى ثانى عشر شوال.

ومات الأمير الكبير جمال الدين أقوش الشمسى نائب حلب بها، فى خامس المحرم، وهو الذى قتل كتبغا نوبين مقدم التتار يوم عين جالوت، وهو الذى أمسك الأمير عز الدين أيدمر الظاهرى، وولى نيابة حلب بعده علم الدين سنجر الباشقردى.

١٣٨ سنة تسع وسبعين وستمائة

ومات الأمير على بن عمر الطورى، وقد أناف على تسعين سنة، وكان أحد أبطال المسلمين، وله شهرة عند الفرنج، وتنقل فى ولايات عديدة.

ومات الأمير سيف الدين أبو بكر بن أسباسلار والى مصر فى ربيع الأول، بعد ما ولى مصر عدة سنين، وكان خبيراً عظيماً السمن.

وتوفى شمس الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن النسن البغدادى الشافعى بالإسكندرية، عن ثمانين سنة.

وتوفى الأمير ناصر الدين محمد بن بركة خان خال الملك السعيد، وهو بدمشق.

* * *

سنة ثمانين وستمائة

فيها سار السلطان قلاوون من ظاهر القاهرة، فأتته رسل الفرنج وهو بمنزلة الروحا في تقرير الهدنة، فتقررت بين مقدم بيت الإسمتار وسائر الإسمتارية بعكا، وبين السلطان وولده الملك الصالح لمدة عشر سنين وعشرة أشهر وعشرة أيام وعشر ساعات، أولها يوم السبت ثاني عشرى المحرم.

وتقررت الهدنة أيضاً مع متملك طرابلس الشام بيتند بن بيمند لمدة عشر سنين، أولها سابع عشرى شهر ربيع الأولى. وعادت الرسل، وتوجه الأمير فخر الدين أياز المقرى الحاجب لتحليف الفرنج ومقدم الإسمتار على ذلك، فخلفهم.^(١)

(١) ذكر ما تقرر من المهادنات مع الفرنج على ما نذكر. وفيها تقرر الهدنة بين السلطان وولده معا، وبين مقدم بيت الإسمتار وجميع الإخوة الإسمتارية لمدة عشر سنين كوامل متتابعات وعشرة شهور وعشرة أيام وعشر ساعات، أول ذلك يوم السبت ثاني عشر محرم سنة ثمانين وستمائة، الموافق الثالث من شهر إيار سنة ألف وخمسائة واثنين وتسعين للإسكندر بن فيلبس اليونانى، على جميع بلاد السلطان وما اشتملت عليه من الأقاليم والممالك والقلاع، والمدن والحصون والبلاد والقرى، والمزارع والأراضى والموانى والبحور، والمراسى والثغور، وسائر البلاد من الفرات إلى النوبة، وعلى التجار والمسافرين فى البر والبحر والسهل والجبل، فى الليل والنهار، وعلى قلعة المرقب وريض المرقب بحقوقه وحدوده. وتقررت الهدنة مع متملك طرابلس بيمند بن بيمند، لمدة عشر سنين كوامل متواليات متتابعات يتبع بعضها بعضاً، أولها يوم السبت السابع والعشرين من ربيع الأول سنة ثمانين وستمائة. الموافق للخامس من عموز سنة ألف وخمسائة واثنين وتسعين للإسكندر، وآخرها سابع عشر ربيع الأول سنة تسعين وستمائة للهجرة النبوية. وذلك على بلاد السلطان الملك المنصور وبلاد ولده السلطان الملك الصالح أعز الله نصرهما، قريها وبعيها، سهلها وجبلها، غورها ونجدها، قديمها ومستجدها، وما هو مجاور لطرابلس ومحدد لها من المملكة البلبيكية جميعها، وجبالها وقراها الرحلية والجبلية، وجبال الضنين والغضيين وما هو من جملتها وحقوقها، وعلى الفتوحات المستجدة: وهى حصن الأكراد وبلادها وأفليس وبلادها، والقليعات وبلادها، وصافيتا وبلادها، وميعار وبلادها، وأطليعا وبلادها، وحصن عكا وبلادها، ومرافية ومدينتها وبلادها، ومناصقاتها: وهى بلاد الكمة وجميع بلاد هذه الجهات التى ذكرناها، ومناصقات المرقب التى دخلت فى الصلح مع بيت الإسمتار وبلده ومدينته وبلادها، وما هو محسوب منها ومعروف بها من حصون وقرى، وبلاد الست وبلادنس وبلادها، وقرقيص وبلادها، وجبله وبلاد اللاذقية وأنطاكية وبلادها، والسويدية وميناؤها، وحصن بغراس وبلادها، وحصن ديركوش وبلادها وشقيف تاميس وبلادها، وكفر دنين وبلادها، والدريساك وبلادها، وثغرى الشغر وبكاس وبلادهما، والقصير وبلادها، وصهيون وبلادها، وبرزية=

وفيه بلغ الأمير بدر الدين بيسرى الشمسى أن الأمير سيف الدين كوندك الظاهري السعيدى قد وافق عدة من الظاهرية والسعيدية على الفتك بالسلطان عند المخاضة بنهر الشريعة، بعد الرحيل من بيسان، فأعلم السلطان بذلك. واتفق ورود كتب من عكا تتضمن أن السلطان يحترز على نفسه، فإن عنده جماعة من الأمراء قد اتفقوا على قتله، وكتبوا الفرنج بأنهم لا يصلحون، فإن الأمر لا يبطئ، فاحترز السلطان على نفسه.

وهم كوندك بأن يقتال السلطان وهو بمنزلة الروحا، فوجده قد تحفظ واستعد. ثم إن السلطان رحل من الروحا، ولاطف الأمر حتى اجتمع الأمراء عنده فى حمراء

=وأعمالها، والقلعية وأعمالها، وعيدوا وأعمالها، ومصيف وبلادهما، وحصون الدعوة وما اشتملت عليه من البلاد والقلاع: وهى القدموس والكهف والمينقة والخوابى والرصافى والقلعية والعلقية، والمملكة الحلبية وحصونها ومدنها وبلادها، وشيزر وأبو قبيس وبلادها، والمملكة الحموية وبلادها، والمملكة الحمصية وبلادها، وجميع ما لمولانا السلطان من ممالك وحصون وبلاده، وقلاع وتغور وأبراج، وموان وسواحل وبرور وأنهار، وبساتين ومصايد وملاحات، وسهل وجبل وعامر ودائر، وجميع الأمطار مصريها وشامها وساحليها وحجازيها وغربيها وشرقيها وما سيفتحه الله على يده ويد ولده ويد عساكره وجنودهما من الممالك والحصون وعلى بلاد الإبرنس: وهى طرابلس وما هو داخل بها ومحسوب منها، وجميل وبلادها، ومدينة البثرن وأعمالها، وصنم جبيل وبلاده وعرقا وبلادها المعينة فى الهدنة وعدتها إحدى وخمسون ناحية، وما هو للخبيالة والكنيس وعدتها أحد وعشرون بلدًا، وما هو للفارس رجار دلالولاي من قبلى طرابلس يكون مناصفة، وعلى أن يستقر برج اللازقية وما تجدد فيه الخاص الإبرنس. ويستقر النواب من الجهتين بمدينة اللاذقية على حكم شروط الهدنة الظاهرية ببيرس. وكذلك فى رعايا مدينة اللاذقية وبلادها، على ما تضمنته الهدنة الظاهرية ببيرس، وعلى أن يكون على جسر أرتوسية من غلمان السلطان لحفظ الحقوق والغلات ستة عشر نفرًا: وهم المشد وغلماه، والشاهد وغلماه، والكاتب وغلماه، وعشرة أنفار رجالة فى خدمة المشد، ويكون لهم فى الجسر بيوت يسكنون فيها على العادة، ولا يحصل منهم مضرة لرعية الإبرنس، وأن يمنعوا ما يجب منعه من المنوعات، وألا يمنعوا ما يكون من عرقا وبلادها، وما يعبر من غلالها ومن أراضيها، مما يستغل منها ومن بلادها على ما تشهد به الهدنة، من الصيفى والشتوى، وغير ذلك مما يتعلق بعرقا وبلادها، ولا يعارضهم المشد فيه وما خلا ذلك مما يعبر من بلاد مولانا السلطان تؤخذ عليه الحقوق، ولا تدخل إلى طرابلس غلة محمية باسم الإبرنس ولا أصحابه إلا وتؤخذ الحقوق عليها، وعلى أن الإبرنس لا يستجد خارج مدينته، ولا فى البلاد التى وقعت الهدنة عليها بناء يمنع ويدفع، وعلى الشوانى من الجهتين أن تكون آمنة من الأخرى. وكذلك مولانا السلطان لا يستجد بناء قلعة ينشئها من الأصل مجاورة للبلاد التى وقعت الهدنة عليها، ولا ينتقض ذلك بموت أحد من الجهتين ولا بتغيره، ولا برجل غريبة من الفرنج أو التتار بل تكون هذه الهدنة باقية، ومتى جاءت رجل غريبة يداريهم عن بلاده وعن نفسه، ولا يدخل فى مشورة تودى إلى اعتماد سوء أو مكروه ولا يحسن لأحد من أعداء مولانا السلطان، ولا يتفق عليه برمز ولا حط، ولا مراسلة ولا مكاتبة ولا مشافهة. فتقرر الحال على ذلك، وعادت رسل كل جهة إليها.

بيسان، فونج كوندك ومن معه وذكر لهم ما اعتمدوه من مكاتبة الفرنج، فلم ينكروا وسألوا العفو.

فأمر السلطان بهم فقبض عليهم وهم: كوندك، وأيدغمش الحكيمى، وبيرس الرشيدى، وساطلمش السلاح دار الظاهرى، وعلى ثلاثة وثلاثين من الأمراء البرانية^(١) والممالك الجوانية، وفر عشرة أمراء وماتنا فارس فأخذوا من بعلبك وصرخد، وأخذ كوندك الأمير حسام الدين طرنطاي نائب السلطنة، ومضى به إلى بحيرة طبرية، وضرب عنقه ثم غرقه بها هو والبقية. فركب الأمير سيف الدين أيتامش السعيدى والأمير سيف الدين بلبان الهارونى، فى نحو ثلاثمائة من البحرية الظاهرية والتار الوافية، وتوجهوا إلى سنقر الأشقر بصهيون. فخرج الأمير بدر الدين بكشاش الفخرى والأمير ركن الدين طقصوا الناصرى فى أثرهم، فلم يدر بهم، وأوقعت الحوطة على موجود من قتل ومن هرب.

وسار السلطان إلى دمشق فدخلها فى تاسع عشر المحرم، وهو أول قدمه إليها فى سلطنته، فكان يوماً مشهوداً، وقد اجتمع له عسكر عدته خمسون ألفاً.

وفى ثانى عشرى المحرم: صرف ابن خلجان عن قضاء دمشق، وأعيد عز الدين محمد بن الصائغ. واستقر فى قضاء الحنابلة بدمشق نجم الدين أحمد بن شمس الدين عبد الرحمن الحنبلى، وكان قضاء الحنابلة قد شغل من دمشق منذ عزل نفسه قاضى القضاة شمس الدين، فاستقر ابنه نجم الدين بتعيين والده.

وفى عاشر المحرم: مات قاضى القضاة صدر الدين عمر بن تاج الدين عبد الوهاب ابن بنت الأعز الشافعى بمصر، فاستقر عوضه فى نظر التربة الصالحية بخط بين القصرين الطواشى حسام الدين بلال المغيى اللالا.

واستقر فى نظر المشهد الحسينى بالقاهرة القاضى برهان الدين...^(٢) [بن الطرائفى كاتب الإنشاء، فورد مرسوم السلطان من دمشق بولاية الأمير علاء الدين كشتغدى الشمسى الأستاذار نظر المشهد الحسينى، وولاية القاضى تقى الدين عبد الرحمن بن عبد الوهاب ابن بنت الأعز المدرسة الصالحية والتربة الصالحية عوضاً عن أخيه، مضافاً لما بيده من نظر الخزائن المعمورة، وأن يكفى بمعلوم المدرسة والتربة والمناصب التى كانت بيد أخيه، وتوفر معلومه عن نظر الخزائن.

(١) يطلق هذا اللفظ على الممالك والأمراء الذين ليسوا من الخاصكية.

(٢) ما بين المعقوفين بياض فى الأصل.

وفي ربيع الأول: صرف الصحاب برهان الدين الخضر السنجاري عن الوزارة بمصر، وقبض عليه وعلى ولده واعتقلا بقلعة الجبل.

وفي صفر: جرد السلطان من دمشق الأمير عز الدين أيك الأفرم والأمير علاء الدين كشتغدي الشمسى فى عدة من الأجناد، فساروا إلى شيزر، فبعث سنقر الأشقر يطلب الصلح على أن يسلم شيزر، ويعوض عنها الشجر وبكاس وكانتا قد أخذتا منه ومعهما فامية وكفر طلب وأنطاكية وعدة ضياع، مع ما بيده من صهيون وبلاطنس ونرزية واللاذقية، وشرط أيضاً أن يكون أميراً بستمائة فارس، ويؤمر من عنده من الأمراء، فأجيب إلى ذلك.

وحضر فى ربيع الأول الأمير علم الدين سنجر الدوادارى، ومعه رسول سنقر الأشقر بنسخة يمينه على ما تقرر، فحلف له السلطان وكتب له تقليداً بالبلاد المذكورة، ونعت فيه بالأمير وخوطب فى مكاتباته بالمقر العالى المولوى السيدى العالى العادلى الشمسى، ونودى فى دمشق باجتماع الكلمة. وجهزت رسل سنقر الأشقر، ومعهم الأمير فخر الدين أياز المقرى الحاجب والأمير شمس الدين قراسنقر المنصورى، فحلفاه وعادا فى ثانى عشره، فضربت البشائر.

وبعث السلطان إلى سنقر الأشقر من الأقمشة والأوانى وغيرها شيئاً كثيراً، وعادت العساكر من شيزر إلى دمشق.

وفي يوم الخميس أول شهر ربيع الأول وهو خامس عشرى بؤونة: كان قاع النيل بمصر ستة أذرع وثمانية عشر إصبعاً.

وقدمت رسل الملك المسعود خضر بن الظاهر صاحب الكرك فى طلب الصلح والزيادة على الكرك، ليكون له ما كان للناصر صلاح الدين داود. فلم يجب السلطان إلى ذلك، فترددت الرسل بينهما إلى أن تقرر أن يكون له من حد الموجب إلى الحساء، وأن تجهز إليه إخوته الذكور والإناث، وترد عليهم الأملاك الظاهرية.

وتوجه الأمير بدر الدين بيليك المحسنى السلاح دار والقاضى عماد الدين بن الأثير ليحلفاه، فانبرم الصلح فى أوائل شهر ربيع الأول، وشهر النداء بذلك فى دمشق.

وفي هذا الشهر: دارت الجهة المفردة بدمشق وأعمالها وضمنت بألفى ألف درهم فى كل سنة.

فلما كان يوم الأحد خامس عشرية: خرج مرسوم بإقامة الخمر وإبطال هذه الجهة الخبيثة، فبطل ذلك.

وفيه عزل برهان الدين الخضر السنجارى عن الوزارة وصدور وأهين.

وفى يوم الأربعاء تاسع عشره: وصلت أم الملك السعيد ناصر الدين محمد بن بركة قان ابن الملك الظاهر بيبرس وهو معها فى تابوت إلى ظاهر دمشق، فرفع فى ليلة الخميس العشرين منه بجبال إلى أعلى السور، وأرختى وحمل إلى تربة والده الملك الظاهر، وألحده مع أبيه قاضى القضاة عز الدين بن الصائغ.

فلما كان بكرة يوم الخميس: حضر السلطان والأمراء وسائر الأعيان وكثير من القراء والوعاظ إلى القبر، فكان وقتاً مشهوداً.

وفى هذا اليوم: أوفى النيل بمصر ستة عشر ذراعاً وثلاثة أصابع، ووافق رابع عشر مسرى، فكتب إلى السلطان بذلك.

وفى شهر ربيع الآخر: ولى نظر الإسكندرية كمال الدين بن سلامة، بعد وفاة رشيد الدين [١] بن بصاقة.

وفى جمادى الأولى: شنت بالقاهرة رجلان: أحدهما مر به سقاء فزحمه بحمله حتى أتلف ثيابه فضره بسكين قتله، فشنق، والآخر جندى طالب خياطاً بمتاع له عنده، فلما مطله ضربه فمات، فشنق أيضاً.

وفيه مات رسول ملك الفرنج، فأحيط بموجوده. وفيه قبض على شخص يعرف بالكريدى فى طريق مصر كان يقطع الطريق على الناس، فسمر على جمل وأقام أياماً يطاف به أسواق مصر والقاهرة، فقطع عنه الموكل به الأكل والشرب، فلما طالب بذلك قال له الموكل به: «إنما أردت أن أهون عليك لتموت سريعاً، حتى تستريح مما أنت فيه»، فقال له: «لا تقل كذا، فإن شر الحياة خير من الموت»، فناوله ما أكله وسقاه. فاتفق أنه وقعت فيه شفاعة فأطلق وسجن، فعاش أياماً ثم مات فى السجن.

وفى عاشر جمادى الآخرة وهو تاسع عشرى توت: انتهت زيادة ماء النيل إلى ثمانية عشر ذراعاً وأربعة أصابع.

(١) ما بين المعقوفتين بياض فى الأصل.

وفى هذا الشهر: ثار العشير ونهبوا مدينة غزة، وقتلوا خلقاً كثيراً وأفسدوا، فبعث السلطان الأمير علاء الدين أيدكين الفخرى على عسكر من دمشق، وخرج من القاهرة الأمير شمس الدين سنقر البدوى على عسكر.

وفيه ورد الخبر بدخول منكوتر أخى أبغا بن هولاکو بن طُلوى بن جنكزخان إلى بلاد الروم بعساكر المغل، وأنه نزل بين قيسارية والأبلستين. فبعث السلطان الكشافة، فلقوا طائفة من التتر أسروا منهم شخصاً وبعثوا به إلى السلطان، فقدم إلى دمشق فى العشرين من جمادى الأولى، فاتاه السلطان ولم ينزل به حتى أعلمه أن التتر فى نحو ثمانين ألفاً، وأنهم يريدون بلاد الشام فى أول رجب.

فشرع السلطان فى عرض العساكر، واستدعى الناس، فحضر الأمير أحمد بن ححى من العراق فى جماعة كبيرة من آل مراتكون زهاء أربعة آلاف فارس، شاركين فى السلاح على الخيول المسومة، وعليهم القزغندات الحمر من الأطلس المعدنى والديياج الرومى، وعلى رءوسهم البيض^(١) مقلدين سيوفهم وبأيديهم الرماح، وأمامهم العبيد تميل على الركائب وترقص بتراقص المهارى^(٢) وبأيديهم الجنائب ووراءهم الطعائن^(٣) والحمول^(٤) ومعهم مغنية تعرف بالحضرية سافرة فى الهودج، وهى تغنى:

(١) البيض جمع بيضة وهى الخوذة من الحديد يلبسها الجندى لوقاية الرأس. سميت بذلك لأنه على شكل بيضة النعام. وابتاض الرجل: لبس البيضة. انظر: محيط المحيط. لسان العرب ٣٩٨.

(٢) إبل مهريّة: منسوبة إلى مهرة ابن حيدان - أبو قبيلة - وهم حى عظيم. والجمع مَهَارَى ومَهَار ومَهَارَى، مخففة الباء. انظر: لسان العرب.

(٣) الطعائن: والطعينة: الجمل يظعن عليه، والطعينة: الهودج تكون فيه المرأة، وقيل: هو الهودج، كانت فيه أو لم تكن، والطعينة: المرأة فى الهودج، سميت به على حد تسمية الشىء باسم الشىء لقربه منه، وقيل: سميت المرأة طعينة لأنها تظعن مع زوجها وتقيم بإقامته كالجليسة، ولا تسمى طعينة إلا وهى فى هودج، وعن ابن السكيت: كل امرأة طعينة فى هودج أو غيره، والجمع طعائن وظعن وظعن وأظعان وظعنات، (الأخيرتان جمع الجمع)، قال بشر بن أبى خازم:

لهم ظعنات يهتدين براية كما يستقل الطائر المتقلب

وقيل: كل بعير يوطأ للنساء فهو طعينة، وإنما سميت النساء طعائن لأنهن يكن فى الهودج، يقال: هى طعينة وزوجه وقعيدته وعرسه، وقال الليث: الطعينة الجمل الذى يركب، وتسمى المرأة طعينة لأنها تركبه، وقال أبو زيد: لا يقال حمول ولا ظعن إلا للإبل التى عليها هودج، كان فيها نساء أو لم يكن، فيه فليست بطعينة؟ قال عمرو بن كلثوم:

قفى قبل التفرق يا طعينا نخبرك اليقين وتخبرينا

قال ابن الأنبارى: الأصل فى الطعينة المرأة تكون هودجا، ثم كثر ذلك حتى سموا زوجة الرجل طعينة، وقال غيره: أكثر ما يقال الطعينة للمرأة الراكبة. انظر: لسان العرب ٢٧٤٨.

(٤) الحمول جمع حمل وهو كالطعينة الجمل الذى يحمل عليه الهودج أو الهودج نفسه.

| | |
|------------------------------|------------------------------|
| وكنا حسبنا كل بيضاء شحمة | ليالى لاقينا جذام وحميرا |
| ولما لقينا عصابة تغلبية | يقودون جرذاً للمنية ضمرا |
| فلما قرعنا النبع بالنبع بعضه | يبعض أبت عيدانه أن تنكسرا |
| سقيناهم كأسا سقونا بمثلها | ولكنهم كانوا على الموت أصيرا |

فقال رجل: «هكذا يكون ورب الكعبة». فكان كما قال، فإن الكسرة كانت أولاً على المسلمين، ثم كانت النصره لهم، واستحر القتل بالتار كما ستراه. وقدمت نجدة من الملك المسعود خضر، وقدمت عساكر مصر وسائر العربان والتركمان وغيرهم. فوردت الأخبار بمسير التتر، وأنهم انقسموا فسارت فرقة مع الملك أبغا بن هولكو إلى الرحبة ومعه صاحب ماردين، وفرقة أخرى من جانب آخر، فخرج يجكا العلائى فى طائفة من الكشافة إلى جهة الرحبة. وجفل الناس من حلف إلى حماة وحمص حتى خلت من أهلها، وعظم الإرجاف. وتتابع خروج العساكر من دمشق إلى يوم الأحد سادس عشرى جمادى الآخرة، فخرج السلطان إلى المرح بمن بقى من العساكر وأقام به إلى سلخ الشهر، ثم رحل يريد حمص فنزل عليها فى حادى عشر رجب ومعه سائر العساكر، وحضر الأمير سنقر الأشقر من صهيون ومعه أيتمش السعدى، وأزدمر الحاج، وسنجر الدوادارى، وبيجق البغدادى، وكراى، وشمس الدين الطنطاش، ومن معهم من الظاهرية، فسر السلطان بذلك وأكرمهم وأنعم عليهم، وكان ذلك فى ثانى عشره فنزل سنقر الأشقر على الميسرة، وقويت الأراجيف بقرب العدو.

وفى ثالث عشره: اجتمع الناس بأسرهم فى جامع دمشق، وتضرعوا إلى الله وضجوا وبكوا، وحملوا المصحف العثمانى على الرعوس، وخرجوا من الجامع إلى المصلى خارج البلد وهم يسألون الله النصر على الأعداء.

ووصل التتار إلى أطراف بلاد حلب، وقدم منكوتمر إلى عين تاب، ونازل الملك أبغا قلعة الرحبة فى سادس عشرى جمادى الآخرة، ومعه نحو ثلاثة آلاف فارس. وتقدم منكوتمر قليلاً قليلاً حتى وصل حماة، وأفسد نواحيها وخرب جواسق الملك المنصور صاحب حماة وبستانه فورد الخيزر إلى السلطان بذلك وهو على حمص، وأن منكوتمر فى خمسين ألفاً من المغل وثلاثين ألفاً من الكرج والروم والأرمن والفرنجية، وأنه قد قفز إليه مملوك الأمير ركن الدين بيبرس العجمى الجالق ودله على عورات المسلمين.

ثم ورد الخبر بأن منكوتر قد عزم أن يرحل عن حماة^(١)، ويكون اللقاء فى يوم الخميس رابع عشر رجب. واتفق عند رحيله أن يدخل رجل منهم إلى حماة وقال للنائب: «اكتب الساعة إلى السلطان على جناح الطائر بأن القوم ثمانون ألف مقاتل، فى القلب منهم أربعة وأربعون ألفاً من المغل وهم طالبون القلب، وميمنتهم قوية جداً، فيقوى ميسرة المسلمين، ويحترز على السناجق». فسقط الطائر بذلك وعلم بمقتضاه، وبات المسلمون على ظهور خيولهم.

وعند إسفار الصباح من يوم الخميس رابع عشر شهر رجب: ركب السلطان ورتب العساكر: فجعل فى الميمنة الملك المنصور صاحب حماة، والأمير بدر الدين بيسرى، والأمير علاء الدين طيرس الوزيرى، والأمير عز الدين أيك الأفرم، والأمير علاء الدين كشتغدى الشمسى، ومضافيهم، وجعل فى رأس الميمنة الأمير شرف الدين عيسى بن مهنا، وآل فضل وآل مرا وعربان الشام، ومن انضم إليهم، وجعل فى الميسرة الأمير سنقر الأشقر ومن معه من الأمراء، والأمير بدر الدين بيليك الأيدمرى، والأمير بدر الدين بكتاش أمير سلاح، والأمير علم الدين سنجر الحلبى، والأمير بجكا العلائى، والأمير بدر الدين بكتوت العلائى، والأمير سيف الدين حيرك التترى، ومضافيهم، وجعل فى رأس الميسرة التركمان بمجموعهم، وعسكر حصن الأكراد، وجعل فى الجاليش وهو مقدمة القلب الأمير حسام الدين طرنطاي نائب السلطنة بديار مصر، ومن معه من مضافيه، والأمير ركن الدين أياجى الحاجب والأمير بدر الدين بكتاش بن كرمون، والمماليك السلطانية. ووقف السلطان تحت الصناجق، ومعه خاصته وألزاه وأرباب الوظائف، فكانت عمدة حلقتة أربعة آلاف فارس وهى أقوى وأشد، وعدة مماليك السلطان ثمانمائة مملوك. وكان فى العسكر حشو كثير من الأمراء الأكراد والتركمان سوى أمراء مصر والشام. ثم اختار السلطان من مماليكه مائتى فارس، وانفرد عن العصائب ووقف على تل، فكان إذا رأى طلباً قد اختلّ أردفه بثلاثمائة من مماليكه.

فأشرفت كراديس التتار وهم مثلاً عساكر المسلمين، ولم يعتدوا منذ عشرين سنة مثل هذه العدة، ولا جمعوا مثل جمعهم هذا، فإن أبغوا عرض من سيره صحبة أخيه منكوتر فكانوا خمسة وعشرين ألف فارس منتخبة. فالتحم القتال بين الفريقين بوطاة حمص، قريباً من مشهد خالد بن الوليد، ويوم الخميس رابع عشر رجب، من ضحوة النهار إلى آخره، وقيل من الساعة الرابعة. فصدمت ميسرة التتار ميمنة المسلمين صدمة شديدة ثبتوا لها ثباتاً عظيماً، وحملوا على ميسرة التتار فانكسرت وانتهت إلى القلب وبه

منكوتمر. وصدمت ميمنة التتر ميسرة المسلمين، فانكسرت الميسرة وانهزم من كان فيها، وانكسر جناح القلب الأيسر. وساق التتر خلف المسلمين حتى انتهوا إلى تحت حمص وقد غلقت أبوابها، ووقعوا في السوق والعامرة والرجالة والمجاهدين والغلمان بظاهر حمص، فقتلوا منهم خلقاً كثيراً وأشرف الناس على التلاف.

ولم يعلم المسلمون من أهل الميسرة بما جرى للمسلمين أهل الميمنة من النصر ولا علم التتار الذين ساقوا خلف المسلمون ما نزل بميسرتهم من الكسرة، ووصل إلى بعض المنهزمين إلى صفد، وكثير منهم دخل دمشق، ومر بعضهم إلى غزة، فاضطرب الناس بهذه البلاد وانزعجوا انزعاجاً عظيماً.

وأما التتر الذين ساقوا خلف المنهزمين من المسلمين أصحاب الميسرة، فإنهم نزلوا عن خيولهم وأيقنوا بالنصر، وأرسلوا خيولهم ترعى في مرج حمص، وأكلوا ونهبوا الأثقال والوطاقت والخزانة وهم يحسبون أن أصحابهم ستدركهم، فلما أبطأوا عليهم بعثوا من يكشف الخبر، فعادت كشافتهم وأخبرتهم أن منكوتمر هرب، فركبوا وردوا راجعين. هذا ما كان من أمر ميمنة التتار وميسرة المسلمين.

وأما ميمنة المسلمين فإنها ثبتت وهزمت ميسرة التتار حتى انتهت إلى القلب، إلا الملك المنصور قلاوون فإنه ثبت تحت الصناجق، ولم يبق معه غير ثلاثمائة فارس، والكوسات تضرب. وتقدم سنقر الأشقر، وبيسرى، وطيرس الوزيرى، وأمير سلاح، وأيتمش السعدى، ولاجين نائب دمشق، وطرنطاي نائب مصر، والدوادارى، وأمثالهم من أعيان الأمراء، إلى التتار، وأتاهم عيسى بن مهنا فيمن معه، فقتلوا من التتار مقتلة عظيمة.

وكان منكوتمر مقدم التتار قائماً في جيشه، فلما أراد الله من هزيمته نزل عن فرسه ونظر من تحت أرجل الخيل، فرأى الأثقال والدواب فاعتقد أنها عساكر، ولم يكن الأمر كذلك، بل كان السلطان قد تفرقت عنه عساكره ما بين منهزم ومن تقدم القتال، حتى بقى معه نحو الثلاثمائة فارس لا غير. فنهض منكوتمر من الأرض ليركب فتقنطر عن فرسه، فنزل التتر كلهم لأجله وأخذوه. فعندما رآهم المسلمون قد ترجلوا حملوا عليهم واحدة كان الله معهم فيها، فانتصروا على التتار.

وقيل إن الأمير عز الدين أزدمر الحاج حمل في عسكر التتار وأظهر أنه من المنهزمين، فقدمهم وسأل أن يوصل إلى منكوتمر، فلما قرب منه حمل عليه وألقاه عن فرسه إلى الأرض، فلما سقط نزل التتار إليه من أجل أنه وقع، فحمل المسلمون عليهم عند ذلك،

فلم يثبت منكوتمر وانهزم وهو مجروح، فتبعه جيشه وقد افتزقوا فرقتين: فرقة أخذت نحو سلمية والبرية، وفرقة أخذت جهة حلب والفرات.

وأما ميمنة التتار التي كسرت ميسرة المسلمين، فإنها لما رجعت من تحت حمص كان السلطان قد أمر أن تلف الصناجق ويبطل ضرب الكوسات، فإنه لم يبق معه إلا نحو الألف، فمرت به التتار ولم تعرض له، فلما تقدموه قليلاً ساق عليهم، فانهزموا هزيمة قبيحة لا يلوون على شيء. وكان ذلك تمام النصر، وهو عند غروب الشمس من يوم الخميس. ومر هؤلاء المنهزمون من التتار نحو الجبل يريدون منكوتمر، فكان ذلك من تمام نعمة الله على المسلمين، وإلا لو قدر الله أنهم رجعوا على المسلمين لما وجدوا فيهم قوة، ولكن الله نصر دينه، وهزم عدوه مع قوتهم وكثرتهم. وانجلت هذه الواقعة عن قتلى كثيرة من التتار لا يحصى عددهم.

وعاد السلطان في بقية يومه إلى منزلته بعد انقضاء الحرب، وكتب البطائق بالنصرة ولم يفقد كثير شيء من ماله، فإنه كان قد فرق ما في الخزائن على مماليكه أكياساً في كل كيس ألف دينار ليحملوه على أوساطهم فسلم له المال. وبات ليلة الجمعة إلى السحر في منزلته، فثار صياح لم يشك الناس في عود التتار، فبادر السلطان وركب وسائر العساكر، فإذا العسكر الذي تبع التتار وقت الهزيمة قد عاد.

وقتل من التتار في الهزيمة أكثر ممن قتل في المصاف، واختفى كثير منهم بجانب الفرات. فأمر السلطان أن تضرم النيران بالأزوار التي على الفرات، فاحترق منهم طائفة عظيمة، وهلك كثير منهم في الطريق التي سلكوها من سلمية.

وفي يوم الجمعة: خرج من العسكر طائفة في تتبع التتار، مقدمهم الأمير بدر الدين بيليك الأيدمرى، ورحل السلطان من ظاهر حمص إلى البحيرة^(١) ليعبد عن الجيف. وقتل من التتار صمغار، وهو من أكبر مقدميهم وعظمائهم، وكانت له إلى الشام غارات عديدة.

واستشهد من المسلمين زيادة على مائتي رجل: منهم الأمير عز الدين أزدمر الحاج وهو الذي جرح منكوتمر مقدم التتار وألقاه عن فرسه وكان سبب هزيمتهم، وكان من أعيان الأمراء، وتحذته نفسه أنه يملك فعوضه الله الشهادة، والأمير سيف الدين بلبان الرومى الدوادار الظاهرى، وعلم الدين سنجر الإربلى، وبدر الدين بكنوت الخازندار،

(١) البحيرة: موضع من أعمال الطاييف قرب لية من قرى البحرين لعبد القيس. انظر معجم

وشمس الدين سنقر العرسى، وشهاب الدين توتل الشهرزورى، وسيف الدين بلبان الحمصى، وناصر الدين محمد بن جمال الدين صيرم الكاملى، وعلاء الدين على ابن الأمير سيف الدين بكتمر الساقى العزىزى، وناصر الدين محمد بن أيك الفخرى، وبدر الدين بيليك الشرفى، وشرف الدين بن علكان، وصاحب الموصل، والقاضى شمس الدين بن قريش كاتب الدرج وقد عدم فلم يعرف له خير، وهو آخر من مات من كتاب الملك الكامل محمد بن العادل، وكان قد كتب له ولابنيه العادل والصالح ولمن بعدهما من المملوك.

وأما أهل دمشق فإنه لما كان بعد صلاة الجمعة، فى اليوم الثانى من الوقعة، سقط الطائر بالنصرة، ودقت البشائر بقلعة دمشق وسر الناس سرورًا كبيرًا، وزينت القلعة والمدينة. فلما كان بعد نصف الليل من ليلة السبت وصل جماعة كثيرة من المنهزمين وأخبروا بما شاهدوا من الكسرة، ولم يكن عندهم علم بما تجدد بعدهم من النصر، فارتجت دمشق واضطرب الناس، وأخذوا فى أسباب الرحيل، وفتحت أبواب دمشق، ولم يبق إلا خروج الناس منها على وجوههم هارين فورى بعد ساعة البريد يخبر النصر، وكانت موافاته عند أذان الفجر، فقرأ كتابه بالجامع فاطمآن الناس.

وورد الخبر إلى مصر فى يوم الخميس حادى عشرى شهر رجب، على جناح الطائر فى بطاقة من قاقون، بأن جماعة من ميسرة العساكر المنصورة وصلوا منهزمين من العدو المخذول، ووصل بعض الأمراء إلى قطيا منهم ابن الأيدمرى.

وقد كان أهل حصر صاروا يقتتون فى صلواتهم، وكثرت قراءة صحيح البخارى، وأقبل الناس على تلاوة القرآن، وتجمعوا فى المشهد الحسينى وفى الجوامع والمساجد، وكثر ضجيجهم ودعاؤهم. فاشتد القلق عند ورود هذا الخبر، وجرى الملك الصالح فى الحال عسكريًا عليه الأمير صارم الدين أربك الفخرى فى كثير من العريان إلى قطيا، لرد المنهزمين وإعادتهم إلى السلطان، ومنع أحد منهم أن يعبر إلى القاهرة، فاعتمد ذلك.

ولم يستمر قلق الناس غير ساعات من النهار، وإذا بالطيور قد وقعت محلقة تحمل البطائق المخلقة، وتخبر فيها بالبشائر العظمى من كسر التتار.

وقدمت البريدية بكتب البشائر أيضًا، فدقت البشائر وزينت القاهرة ومصر وقلعة الجبل، وكتب إلى أعمال مصر بالزينة. وكتب الملك الصالح إلى السلطان والده يشفع فى المنهزمين ويسأل العفو عنهم، وكتب أيضًا إلى الأمير بدر الدين بيسرى يؤكد عليه فى الشفاعة فيهم.

واتفق أن الأمير طرنطاي النائب وقع على جماعة من أصحاب منكوتمر، فأسرهم وفيهم حامل حرمدانة، فوجد في الحرمدان كتباً من الأمراء مثل سنقر الأشقر، وأيتمش السعدى، وغيرهم ممن كان مع سنقر الأشقر إلى التتار، يجرسونهم على دخول الشام، ويعدونهم بالمساعدة على أخذها فشاور طرنطاي السلطانَ عليها، فأمر بغسلها فغسلت، ولم يطلع عليها أحد.

وأما السلطان فإنه وادع الأمير سنقر الأشقر، وردّه ومن حمص إلى عمله بصهيون على عادته، ورد معه من كان عنده من الأمراء: وهم أيتمش السعدى، وسنجر الدوادارى، وكراى التترى، وغيرهم.

ورحل السلطان إلى دمشق، فقدمها يوم الجمعة ثمانى عشرى رجب، فكان يوماً عظيماً إلى الغاية عظم فيه سرور الناس وكثر فرحهم، وقال فيه الشعراء عدة قصائد.

وفى سابع: ورد الخبر إلى القاهرة. يعود السلطان إلى دمشق، وأنه عندما استقر بها جرد العسكر مع الأمير بدر الدين الأيدمرى إلى الرحبة، ليدفع من عليها من التتار.

وأما أبغا بن هولاکو ملك التتار فإنه لم يشعر وهو على الرحبة إلا وقد وقعت بطاقة من السلطان إلى نائب الرحبة، بما من الله به من النصر وكسرة التتار. فعندما بلغه ذلك بدقّ بشائر القلعة رحل إلى بغداد.

ووصل الأمير بدر الدين الأيدمرى إلى حلب، وبعث فى طلب التتار إلى الفرات، ففروا من الطلب وغرق منهم خلق كثير. وعبرت طائفة منهم على قلعة البيرة، فأتلهم أهلها وقتلوا منهم خمسمائة، وأسروا مائة وخمسين. وتوجه منهم ألف وخمسمائة فارس إلى بغراس، وفيهم أكابر أصحاب سيبس وأقاربهم فخرج عليهم الأمير شجاع الدين السينانى. بمن معه، فقتلهم وأسره عن آخرهم بحيث لم يفلت منهم إلا دون العشرين. وتوجه منهم على سلمية نحو أربعة آلاف، فأخذ عليهم نواب الرحبة الطرقات والمعابر، فساروا فى البرية فماتوا عطشاً وجوعاً، ولم يسلم منهم إلا نحو ستمائة فارس.

فخرج إليهم أهل الرحبة فقتلوا أكثرهم، وأحضروا عدة منهم إلى الرحبة ضربت أعناقهم بها. وأدرك بقية التتار الملك أبغا، وفيهم أخوه منكوتمر وهو مجروح، فغضب عليه وقال: «لَمْ لَا مُتَّ أَنْتَ وَالْجَيْشُ وَلَا انْهَزِمْتَ» وغضب أيضاً على المقدمين. فلما دخل أبغا بغداد سار منها إلى جهة همدان وتوجه منكوتمر إلى بلاد الجزيرة فنزل بجزيرة ابن عمر، وكانت الجزيرة لأمه قد أعطاها إياها أبوه هولاکو لما أخذها.

وفي يوم الإثنين حادى عشره: قدم الأمير بدر الدين الأيدمرى بمن معه من العسكر، بعدما أنكى فى التتار. ورسم السلطان أن تكون البشائر إنعاماً على من ذكر: وهى القاهرة ومصر على يد الأمير حسام الدين لاجين السلاح دار الرومى، وقوض والوجه القبلى خلا الفيوم على يد الأمير بدر الدين بيدر المنصورى أمير مجلس، والفيوم على يد الأمير علم الدين سنجر أمير خور، والإسكندرية على يد الأمير علم الدين سنجر أمير جاندار، ودمياط على يد الأمير بدر الدين بيليك أبو شامة المحسنى، والغربية على يد الأمير أيك السلاح دار المنصورى، وأشموم على يد الأمير شمس محمد بن الجمقذار نائب أمير جاندار.

وورد كتاب السلطان إلى قلعة الجبل ليجهز إلى الملك المظفر شمس الدين بن رسول باليمن. بما من الله به من النصر على التتار، فكتب قريه الملك الصالح كتابا من إنشاء محبى الدين بن عبد الظاهر، خوطب فيه: أعز الله أنصار المقام العالى المظفرى الشمسى.

وفي شهر رجب: رتب السلطان غرس الدين بن شاور فى ولاية لد والرملة، عوضاً عن سعد الدين بن قلج، بحكم انتقاله منها إلى ولاية بلد الخليل عليه السلام. ورتب تقى الدين توبة فى نظر النظار بالشام، شريكا للقاضى تاج الدين عبد الرحيم بن تقى الدين عبد الوهاب بن الفضل بن يحيى السنهورى. ورتب الأمير علم الدين سنجر الدوادارى شاداً ومدبراً من غزة إلى الفرات.

وفيه ثارت العشران ونهبوا نابلسى، وقتلوا مقتلة عظيمة، فركب الأمير علاء الدين أيدكين الفخرى من غزة وقبض على جماعة منهم، وشنق اثنين وثلاثين من أكابره، وسجن كثيراً منهم بصفد، ورتب الأمير علاء الدين أيدغدى الصرخدى نائباً بالبلاد الغزاوية والساحلية لردع العشرين.

وفيه قرّر الشيخ تقى الدين محمد بن دقيق العيد فى تدريس المدرسة بجوار قبة الشافعى من قرافة مصر، على عادة القاضى تقى الدين بن رزين بعد وفاته.

واستقر الشيخ علم الدين [.....] (١) ابن بنت العراقى فى تدريس المشهد الحسينى بالقاهرة.

وفيه وصل الأمير شهاب الدين أحمد ابن والى القلعة أمير شكار من دمشق لتخريج الجوارح وإصلاحها.

وفيه استقر الأمير سيف الدين بازى المنصورى نائباً بجمص، ومعه الأمير صارم الدين الحمصى مساعداً له.

(١) ما بين المعقوفتين بياض فى الأصل.

واستقر الأمير جمال الدين أقش الحمصى نائباً فى مدينة نابلس، عوضاً عن زين الدين قراجا البدرى.

وفيه أفرج عن الأمير سيف الدين قطز المنصورى، والأمير سنجر الحموى أبو خرص. وفيه كانت وقعة فى صحراء عيذاب بين عرب جهينة^(١) ورفاعة^(٢) قتل فيها جماعة، فكتب إلى الشريف علم الدين صاحب سواكن بأن يوفق بينهم ولا يُعين طائفة على أخرى، خوفاً على فساد الطريق.

وفيه ولى زين الدين بن القماح نظر البحيرة، عوضاً عن موفق الدين بن الشماع. واستقر شمس الدين محمد بن القاضى علم الدين بن القماح فى الإعادة بمدرسة الشافعى من القرافة، بتوقيع شريف.

وفى شعبان: افترق بنو صورة بناحية المنوفية من أعمال مصر فرقتين، وحشدوا وركبوا بآلات الحرب، فخرج إليهم عدة من أجناد الحلقة، ورُسم بأخذ خيلهم وسلاحهم، فسكن ما كان بينهم.

وفى يوم الأحد ثانى شعبان: سار السلطان من دمشق، وكتب إلى مصر بتجهيز الزينة ونصب القلاع، وأن يتقدم إلى نواب الأمراء بالشروع فى تقسيم المواضع لقلاعهم والاهتمام بالزينة. فرتبت الإقامات فى عاشره على يد الأمير علم الدين سنجر الشجاعى، وجعل فى كل منزلة من الدقيق ستين قطعة، وشعيراً أربعمائة أردب، وأغناماً مائة رأس، ودجاجاً مائتى طائر، وحمماً خمسين طائراً، وأتباناً مائة حمل، وحطب سنط مائة قنطار. وخرج السلطان من غزة بكرة يوم الخميس ثالث عشره، ووصل قطياً يوم الإثنين سابع عشره، وقد تأخرت العساكر وراءه، ونزل غَيْفَةَ يوم الخميس العشرين منه وخيم بها.

(١) جهينة بن زيد بن ليث، من قضاة: جد جاهلى. السنية إليه «جهنى» نزل كثيرون من بنيه بعد الإسلام بالكوفة والبصرة وصعيد مصر، وبعضهم فى بلاد إخميم وحلب وغربها من البلاد الشامية. ولا يزال منهم كثيرون الآن على شاطئ البحر الأحمر، من جنوبى ديرة «بلى» إلى جنوبى ينبع. وفى جنوبى سنار، بالسودان، قبيلة تدعى جهينة، قد تكون من جهينة قضاة، كان لها ذكر فى حروب المهدي والتعايش بالسودان. انظر سبائك الذهب ٢٣ واللباب ١: ٢٥٩. وقلب جزيرة العرب ١٣٧ ٢: ١١٢.

(٢) نسبة إلى رفاعة جد جاهلى، من جهينة. وهو رفاعة بن نصر مالك بن غطفان بن قيس بن جهينة، مازالت منازل بنيه بين ينبع والوجه، فى الحجاز. ومن نسله عمرو بن مرة الصحابى. وينسب إليه الرفاعيون فى «الكاملين» على النيل الأزرق بالسودان. انظر: اللباب ١: ٤٧٢، ومعجم قبائل العرب ٢: ٤٣٩.

ودخل الأمير شرف الدين الجاكي المهمندار من الدهليز السلطاني لترتيب رسل الملوك الذين بالقاهرة، وخروجهم إلى لقاء السلطان.

وخرج الملك الصالح والأمير زين الدين كتبغا^(١) نائب السلطنة إلى المتلقى، واستمر الأمير علم الدين سنجر المنصوري بقلعة الجبل.

فصعد السلطان إلى قلعته في يوم السبت ثاني عشره تحت صناعقه، وأسرى التتار بين يديه، وقد حمل بعضهم الصناجق التترية وهي مكسورة. فبعث السلطان بالأسرى وطبول التتار وحتر منكوتمر من جهة باب النصر حتى شقوا القاهرة إلى باب زويلة، وساروا إلى القلعة، ولم يشق السلطان القاهرة، وكان يوماً مشهوداً اجتمع الناس فيه من الأقطار، وكثر فرحهم وسرورهم.

وفي يوم الأحد ثالث عشرى شعبان: أفرج السلطان عن الأمير ركن الدين منكورس الناصر الفارقاني.

وفيه دخل السلطان إلى الخزانة الشريفة، ورتب الخلع لسائر الأمراء والخواص والكتاب بالدرد الذين كانوا في الخدمة.

وفي يوم الخميس سابع عشره: جلس السلطان، وأحضرت هدية الملك المظفر شمس الدين يوسف بن عمر بن علي بن رسول صاحب اليمن على يد رسله: وهم مجد الدين بن أبي القاسم، والقاضي محيي الدين يحيى بن البيلقاني. فقبل السلطان هديته، وكانت من طرائف اليمن، من العود والعنبر والصيني ورماح القنا وغير ذلك.

وفي تاسع عشره: أعيد إقطاع الأمير سيف الدين أيتمش السعدى إليه، وهوناي وطان وإمرة مائة فارس، وكان قد أخذه عند توجهه إلى سنقر الأشقر الأمير عز الدين

(١) كتبغا بن عبد الله المنصوري، زين الدين، الملقب بالملك العادل: من ملوك الماليك البحرية. في مصر والشام. أصله من سبي التتار من عسكر «هولاكو» أخذه الملك «المنصور» قلاوون في وقعة حمص الأولى (سنة ٦٥٩هـ) وجعله من مماليكه، فنسب إليه (المنصوري) وتقدم في الخدمة إلى أن ولي السلطنة محمد بن قلاوون فجعله «نائب السلطنة» وخلع محمد لصغر سنه، فتسلطن كتبغا (سنة ٦٩٤هـ) وتلقب بالملك العادل. ثم قصد الشام فخلفه الأمير لاجين بمصر، واستولى على كرسي السلطنة وأرسل إليه يأمره بخلع نفسه، فأذعن كتبغا وأشهد على نفسه بالخلع، وهو في دمشق سنة ٦٩٦هـ) ومدته سنتان و٥١ يوماً. ثم أوعز إليه بالسفر إلى «صرخد» فأقام بها معززاً مكرماً إلى سنة ٦٩٩هـ وعاد محمد بن قلاوون إلى السلطنة فأنعم على العادل كتبغا بمملكة حماة وأعمالها فانتقل إليها (سنة ٦٩٩هـ) واستمر إلى أن توفي بها. ثم نقلت جثته إلى دمشق. وكان شجاعاً ديناً. ابن إياس ١٣: ١١ والنجوم الزاهرة ٨: ٥٥ وفوات الوفيات ٢: ١٣٨. الأعلام ٥ - ٢١٩.

أيك الأفرم، وأعيد على الأفرم إقطاعه القديم من أخذه.

وفيه أقر الأمير سيف الدين قطز.

وفيه فوض قضاء الشافعية إلى وجيه الدين عبد الوهاب بن حسين المهلبى الهنسى فى
سابع شعبان، عوضًا عن تقي الدين محمد بن رزين بحكم وفاته.

وفيه قبض على الأمير ركن الدين بيبرس الحلبي المعروف بأياجي الحاجبي، من أجل
أنه انهزم على حمص.

وفى يوم السبت سادس رمضان: حضرت رسل الملك المظفر شمس الدين يوسف
ابن عمر بن على بن رسول متملك اليمن، وسألوا أن يكسب لمرسلهم أمان على
قميص، وتعلم عليه العلامة السلطانية، فأجيبوا إلى ذلك. وجهزت إليه هدايا وتحف
فيها قطعة زمرد، وعدة من أكاديش التتار وشيء من عددهم.

وفيه عملت نسخة حلف السلطان للملك الأشكرى صاحب القسطنطينية، وكانت
رسله قد وصلت بنسخة يمينه فى تاريخ موافق آخر الحرم سنة ثمانين وستمائة.

وفيه ولى الأمير بهاء الدين قراقوش قوص وأحميم، عوضًا عن الأمير بيبرس مملوك
علاء الدين حرب دار.

وفى شوال: سار الحمل إلى الحجاز على العادة.

وفى يوم الخميس أول ذى القعدة: استقر عز الدين أيك الفخرى واليا بقوص
وأحميم، عوضًا عن قراقوش.

وفى خامسه: قبض على الأمير أيتمش السعدى وعلى عدة من الأمراء واعتقلوا،
وقبض أيضًا بدمشق على الأمير سيف الدين بلبان الهارونى وسيقران الكردى وغيرهما،
وذلك لأنهم كانوا ممن كان مع سنقر الأشقر.

وفيه سافر الأمير ناصر الدين محمد بن المحسنى الجزرى الحاجب والقاضى شرف
الدين إبراهيم بن فرج كاتب الدرج، إلى اليمن من جهة عيذاب، فى الرسالة عن
السلطان.

وفى ذى القعدة: أخرج السلطان جميع نساء الملك الظاهر بيبرس وخدامه من
القاهرة، وبعثهم إلى الكرك.

وفى أول ذى الحجة: فوض قضاء المالكية بديار مصر إلى تقي الدين أبى على

الحسين ابن الفقيه شرف الدين أبي الفضل عبد الرحيم بن الفقيه الإمام مفتى الفرق جلال الدين أبي محمد بن عبد الله بن شاس الجذامى السعدى المالكى، عوضاً عن قاضى القضاة نفيس الدين محمد بن سكر، بحكم وفاته.

* * *

ومات فى هذه السنة من الأعيان

القان أبغا بن هولاکو بن طولوى بن جنکزخان بنواحى هَمْدَان عن نحو خمسين سنة، منها مدة ملكه سبع عشرة سنة، وقام فى الملك بعده أخوه تَكْدَار بن هولاکو. ومات الأمير عز الدين أيبك الشجاعى بدمشق عن خمس وثمانين سنة. ومات الأمير شمس الدين سنقر الألفى نائب السلطنة بديار مصر، فى السجن بالإسكندرية عن نحو أربعين سنة.

وتوفى قاضى القضاة تقى الدين أبو عبد الله محمد بن الحسين بن رزين بن موسى ابن عيسى بن موسى بن نصر الله العامرى الحموى الشافعى، عن سبع وسبعين سنة: وتوفى قاضى دمشق نجم الدين أبو بكر محمد بن أحمد بن يحيى بن هبة الله بن الحسن بن يحيى بن سنى الدولة الشافعى، عن أربع وستين سنة بدمشق. وتوفى قاضى القضاة صدر الدين أبو حفص عمر بن تاج الدين أبى محمد عبد الوهاب بن خلف بن أبى القاسم ابن بنت الأعز العلامى الشافعى، عن خمس وخمسين سنة.

وتوفى موفق الدين أبو العباس أحمد بن يوسف بن الحسن بن رافع الشيبانى الموصلى الكَوَاشِيّ، عن تسعين سنة بالموصل.

وتوفى الحافظ شمس الدين أبو حامد محمد بن على بن محمود بن أحمد بن على بن الصابونى المحمودى^(١)، بدمشق عن ست وسبعين سنة.

وتوفى المسند شمس الدين أبو الغنائم مُسَلَّم بن محمد بن مسلم بن مكى بن خلف بن علان القيسى الدمشقى ناظر الدواوين بدمشق، عن ست وثمانين سنة بها.

وتوفى الشريف شهاب الدين أبو جعفر أحمد بن على بن محمد بن على بن محمد بن

(١) ابن الصابونى (٦٠٤-٦٨١هـ-١٢٠٧-١٢٨٢م) محمد بن على بن محمود، أبو حامد، جمال الدين المحمودى، بن الصابونى من حفاظ الحديث العارفين برجاله. من أهل دمشق. له كتاب تكملة إكمال الإكمال فى رجال الحديث جعله ذيلاً لكتاب ابن نقطة الذى ذيل به «الإكمال» لابن ماكولا. قال ابن ناصر الدين. اختلط قبل موته بسببة أو أكثر. انظر المتسطرة ٨٨، والشذرات ٣٦٩/٥ والتبيين الوافى ١٨٨/٤ وتعليقات عبيد. الأعلام ٢٨٢/٦.

عبد الله بن جعفر بن زيد بن جعفر بن أبي إبراهيم محمد المدوح الحسنى، كاتب الإنشاء بحلب، عن خمس وثلاثين سنة بها.

وتوفى الأديب الكاتب الحاسب علاء الدين أبو الحسن علي بن محمود بن الحسن بن نبهان اليشكري، عن خمس وثمانين سنة بدمشق.

وتوفى الأديب شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن مكتوم البعلبكي، فى وقعة حمص شهيدا.

وتوفى الأديب بدر الدين أبو الحاسن بن يوسف بن لؤلؤ بن عبد الله الذهبى الدمشقى، عن ثلاث وسبعين سنة بدمشق.

ومات منكوتر بن هولكو بن طلوى بن جنكزخان، بجزيرة ابن عمر مكموداً عقب كسرتة على حمص.

ومات علاء الدين عطا ملك بن محمد الجوينى صاحب الديوان ببغداد، بعدما نقم عليه الملك أبغا ونسبه إلى مواطأة المسلمين، فقبض عليه وأخذ أمواله. وكان صدراً كبيراً فاضلاً، وله شعر حسن، وولى بعده بغداد ابن أخيه هارون بن محمد الجوينى.

* * *

سنة إحدى وثمانين وستمائة

فى مستهل صفر: قبض على الأمير بدر الدين بيسرى الشمسى، والأمير كشتغدى الشمسى. فأغلق باب زويلة وعامة الأسواق، وارتجت القاهرة حتى نودى: «من أغلق دكانه شنق»، ففتحت الأسواق.

وفى ربيع الأول: وصلت رسل الأشكرى ورسل ألفونس بهدية.

وفى حادى عشر ربيع الآخر: استقر فى الوزارة نجم الدين حمزة بن محمد الأصفونى.

وفى آخر جمادى الآخرة: استعفى قاضى القضاة وجيه الدين عبد الوهاب بن حسن البهنسى من قضاء القاهرة والوجه البحرى، وذكر أنه يضعف عن الجمع بين قضاء المدينتين مصر والقاهرة والوجهين القبلى والبحرى، فأعفى من قضاء القاهرة والوجه البحرى. وفوض السلطان ذلك فى أول رجب لشهاب الدين محمد الخوى، وكان يلى أولاً قضاء الغربية من أعمال مصر، فنقل منها إلى قضاء القاهرة، وانفرد للبهنسى قضاء مصر والوجه القبلى.

وفى شعبان: حُلف الشريف أبو نى أمير مكة للسلطان وولده بالطاعة لهما، وأنه التزم تعليق الكسوة الواصلة من مصر على الكعبة فى كل موسم، وأنه لا يعلق عليها كسوة غيرها، وأن يقدم عَلم الملك المنصور على كل علم فى كل موسم، وألا يتقدمه علم غيره، وأن يسبل زيارة البيت الحرام أيام مواسم الحج وغيرها للزائرين والطائفين والبادين والعاكفين والآمين، وأن يحرس الحاج ويؤمنهم فى سربهم، وأن يستمر بإفراد الخطبة والسكة بالاسم الشريف المنصورى، وأن يفعل الخدمة فى فعل المخلص الولى للسلطان، ويمثل مراسمه امتثال النائب للمستتيب.

وفيه وصلت رسل الملك أحمد آغا سلطان بن هولاكو، وهم الشيخ قطب الدين محمود بن مسعود بن مصلح الشيرازى قاضى سيواس، والأمير بهاء الدين أتابك السلطان مسعود صاحب الروم، والصاحب شمس الدين محمد بن الصاحب شرف الدين بن التتّى، وزير ماردين. وكانوا عند قدمهم إلى البيرة قد سار إليهم الأمير حسام الدين لاجين الرومى والأمير سيف الدين كبك الحاجبان، وقد أمرا أن يبالغا فى

الاحتراز على الرسل وإخفائهم عن كل أحد. واحترزا عليهم حتى لم يشاهدهم أحد، وسارا بهم في الليل حتى قدموا قلعة الجبل بكتاب الملك أحمد: وفيه أنه مسلم، وأنه أمر ببناء المساجد والمدارس والأوقاف، وأمر بتجهيز الحجاج.

وسأل اجتماع الكلمة وإحماد الفتنة والحرب، وأنه ظفر بجاسوس وعادة مثله أن يقتل فجهزه إلى الأبواب السلطانية، وقال إنه لا حاجة إلى الجواسيس ولا غيرهم بعد الاتفاق واجتماع الكلمة، وبالع في استجلاب خاطر السلطان. وتاريخ الكتاب في جمادى الأولى، وأنه كتب بواسطة.

فأجيب بتهنته بالإسلام، والرضى بالصلح^(١)، وأعيدت الرسل وقد أكرموا من غير

(١) نسخة الكتاب الواصل من جهة المذكور، ومخيرا بانتقاله إلى ملة الإسلام، هو ومن معه من التتار: «بسم الله الرحمن الرحيم، بقوة الله تعالى، بإقبال قاآن كذا قرمان أحمد إلى سلطان مصر. أما بعد فإن الله سبحانه وتعالى، بسابق عنايته ونور هدايته، قد كان أرشدنا في عنفوان الصبا وربعان الحدائة إلى الإقرار بربوبيته، والاعتراف بوحدانيته، والشهادة بمحمد عليه أفضل الصلوات والسلام بصدق نبوته، وحسن الاعتقاد في أوليائه الصالحين من عباده في بريته، ﴿فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام﴾. فلم نزل نميل إلى إعلاء كلمة الدين، وإصلاح أمور المسلمين، إلى أن أفضت بعد أبيننا الجيد وأحيننا الكبير نوبة الملك إلينا، فأفاض علينا من جلايب أطافه ولطائفه ما حقق به آمالنا في جزيل آلائه وعوارفه، وجلاهدى المملكة على يدنا، وأهدى عقيلتها إلينا، فيجتمع عندنا في قوريلتاي المبارك - وهو المجمع الذى تنقدح فيه الآراء - جميع الإخوان والأولاد، والأمراء الكبار ومقدمى العساكر وزعماء البلاد. واتفقت كلمتهم على تنفيذ ما سبق به حكم أحيننا الكبير في إنقاذ الجرم الغفير من عساكرنا التى ضاقت الأرض برحبها من كثرتها، وامتلأت الأرض رعبا لعظم صوتها وشديد بطشتها إلى تلك الجهة بهمة تخضع لها شم الأطواد وعزمة تلين لها صم الصلاد. ففكرنا فيما تمخضت زبده عزائمهم عنه، واجتمعت أهواؤهم وآراؤهم عليه، فوجدناه مخالفا لما كان فى ضميرنا من اقتناء الخير العام، الذى هو عبارة عن تقوية شعار الإسلام، وألا يصدر عن أوامرننا ما أمكننا إلا ما يوجب حقن الدماء وتسكين الدهماء، وتجري به فى الأقطار رخاء نسايمهم الأمن والأمان، وتستريح به المسلمون فى سائر الأمصار فى مهاد الشفقة والإحسان، تعظيما لأمر الله وشفقة على خلق الله. فألمنا الله تعالى إطفاء تلك النائرة، وتسكين الفتن النائرة، وإعلام من أشار بذلك الرأى بما أرشدنا إليه من تقديم ما يرحى به شفاء مزاج العالم من الأدواء وتأخير ما يجب أن يكون آخر الدواء، وإننا لا نحب المسارعة إلى هز النضال للنضال إلا بعد إيضاح الحجة، ولا نأذن لها إلا بعد تبين الحق ووضوح الحجة. وقوى عزمنا على ما رأيناه من دواعى الإصلاح، وتنفيذ ما ظهر لنا به وجه النجاح، أذكار شيخ الإسلام قدوة العارفين كمال الدين عبد الرحمن، الذى هو نعم العون لنا فى أمور الدين، فأصدرناه رحمة من الله لمن دعاه، ونقمة على من أعرض عنه وعصاه. وأنفذنا أقصى القضاة وقطب الملة والدين، والأتابك بهاء الدين، اللذين هما من ثقات هذه الدولة الزاهرة، ليعرفاهم طريقتنا ويتحقق عندهم ما ينطوى عليه لعموم المسلمين جميل نيتنا، وبيننا لهم من الله على =

= بصيرة، وأن الإسلام يجب ما قبله، وأنه تعالى ألقى في قلبنا أن نتبع الحق وأهله، ويشاهدون عظيم نعمة الله على الكافة بما دعانا إليه من تقديم أسباب الإحسان، ولا يجرموها بالنظر إلى سالف الأحوال فكل يوم هو في شأن، فإن تطلعت نفوسهم إلى دليل يستحكم بسببه دواعي الاعتماد، وحجة يثقون بها من بلوغ المراد، فليظنوا إلى ما ظهر من أثرنا مما اشتهر خيره، وعم أثره. فإنا ابتدأنا بتوفيق الله تعالى بإعلاء أعلام الدين، وإظهاره في إيراد كل أمر وإصداره تقديمًا، وإقامة نواميس الشرع المحمدي على مقتضى قانون العدل الأحمدي إحلالًا وتعظيمًا. وأدخلنا السرور على قلوب الجمهور، وعفونا عن كل من اجترح سيئة أو اقترف، وقابلناه بالصفح وقلنا عفى الله عما سلف، وتقدمنا بإصلاح أمور أوقاف المسلمين، من المشاهد والمساجد والمدارس، وعمارة بقاع البر والربط الدوارس، وإيصال حاصلها بموجب عوائدها القديمة إلى مستحقها لشروط واقفها، ومنعنا أن يلتبس شيء مما استحدث عليها، وألا يغير أحد مما قرر أولًا فيها. وأمرنا بتعظيم أمر الحاج وتجهيز وفدها، وتأمين سبلها وتسيير قوافلها. وإنا أطلقنا سبيل التجار المترددين إلى تلك البلاد، ليسافروا بحسب اختيارهم على أحسن قواعدهم، وحرمنا على العساكر والقراغول والشحاني في الأطراف التعرض بهم مصادرهم ومواردهم. وقد كان صادف قراغولنا حاسوسًا في زى الفقراء كان سبيل مثله أن يهلك، فلم يهرق دمه لحرمة الله تعالى، وأعدناه إليهم. ولا يخفى عليهم من ما كان في إنقاذ الجواسيس من الضرر العام للمسلمين، فإن عساكرنا طالما رأوهم في زى الفقراء والنسك وأهل الصلاح، فساءت ظنونهم في تلك الطوائف، فقتلوا منهم من قتلوا وفعلوا بهم ما فعلوا، وارتفعت الحاجة بحمد الله إلى ذلك، بما صدر إذنا به من فتح الطريق وتردد التجار وغيرهم. فإذا أمعنوا الفكر في هذه الأمور وأمثالها لا يخفى عليهم أنها أخلاق جبلية طبيعية، وعن شوائب التكلف والتصنع عرية، وإذا كانت الحال على ذلك فقد ارتفعت دواعي المضرة التي كانت موجبة المخالفة، فإنها كانت بطريق الدين والذب عن حوزة المسلمين، فقد ظفر بفضل الله تعالى في دولتنا النور المبين، وإن كان لما سبق من الأسباب، فمن تحرى الآن طريق الصواب، فإن له عندنا لزلفى وحسن مآب وقد رفعنا الحجاب، وأتينا بفضل الخطاب وعرفناهم ما عزمنا عليه بنية خالصة لله تعالى على استئنافها، وحرمنا على جميع عساكرنا العمل بخلافها، لنرضى بها الله والرسول وتلوح على صفحاتها آثار الإقبال والقبول، وتستريح من اختلاف الكلمة هذه الأمة، وتتجلى بنور الائتلاف ظلمة الاختلاف والغمة، فيسكن في سابغ ظلمها البوادي والحواضر، وتقر القلوب التي بلغت من الجهد الحناجر. ويعفى عن سالف الهنات والجرائر. فإن وفق الله سلطان مصر لاختيار ما فيه صلاح العالم، وانتظام أمور بني آدم. فقد وجب عليه التمسك بالعروة الوثقى، وسلوك الطريقة المثلى، بفتح أبواب الطاعة والاتحاد، وبذل الإخلاص بحيث تنعمر تلك المدائن والبلاد، وتسكن الفتنة الشائرة، وتغمد السيوف الباترة، وتحل الكافة أرض الهوينى وروض الهدون، وتخلص رقاب المسلمين من أغلال الذل والهون، وإن غلب سوء الظن بما تفضل به واهب الرحمة، ومنع عن معرفة قدر هذه النعمة، فقد شكر الله مساعينا، وأبلى عذرنا، ﴿وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً﴾، والله الموفق للرشاد والسداد، وهو المهيم على البلاد والعباد، وحسبنا الله وحده». كتب في (مدينة) واسط. (في شهر) جمادى الأولى سنة إحدى وثمانين وستمائة، بمقام الأوطاق.

أما نسخة جواب السلطان الصادر إليه: «بسم الله الرحمن الرحيم، بقوة الله تعالى، بإقبال دولة السلطان الملك المنصور، كلام قلارون إلى السلطان أحمد، أما بعد حمد الله الذى أوضح بنا ولنا الحق منهاجا، وجاء بناء فجاء نصر الله والفتح ودخل الناس فى دين الله أفواجا، والصلوة على سيدنا ونبينا محمد الذى فضله الله على كل نبي نجي به أمته وعلى كل نبي ناجي، صلاة تنير ما دجا وتحير من داجي فقد وصل الكتاب الكريم، الملقى بالتكريم، المشتمل على النبأ العظيم، من دخوله فى الدين، وخروجه عن خلف من العشيرة والأقربين. ولما فتح هذا الكتاب فاتح بهذا الخير المعلم، والحديث الذى صحح عند أهل الإسلام، وأصح الحديث ما روى عن مسلم، وتوجهت الوجوه بالدعاء إلى الله سبحانه فى أن يثبت على ذلك بالقول الثابت، وأن يثبت حَبَّ حَبِّ هذا الدين فى قلبه كما أنبته أحسن النبت من أحسن المنابت. وحصل التأمل للفصل المبتدأ بذكره من حديث إخلاصه النية، فى أول العمر وعنفوان الصبا والإقرار بالوحدانية، ودخوله فى الملة المحمدية، بالقول والعمل والنية، فالحمد لله على أن شرح صدره للإسلام، وألهمه شريف هذا الإلهام، كحمدنا الله على أن جعلنا من السابقين الأولين إلى هذا المقال والمقام، وثبت أقدامنا فى كل موقف اجتهاد وجهاد تنزلزل دونه الأقدام، وأما إفشاء النوبة فى الملك وميراثه بعد والده وأخيه الكبير إليه، وإفاضة حلايب هذه المواهب العظيمة عليه، وتوقله الأسرة التى طهرها إيمانه، وأظهرها سلطانه، فقد أورثها الله من اصطفاها من عباده، وصدق المبشرات له من كرامة أولياء الله وعباده. وأما حكاية اجتماع الإخوان والأولاد، والأمراء الكبار ومقدمى العساكر وزعماء البلاد فى مجمع قوريلتاي الذى تنقدح فيه زند الآراء وأن كلمتهم اتفقت على ما سبقت به كلمة أخيه الكبير فى إنفاذ العساكر إلى هذا الجانب، وأنه فكر فيما اجتمعت عليه آراؤهم، وانتهت إليه أهواؤهم، فوجده مخالفا لما فى ضميره، إذ قصده الصلاح، ورأيه الإصلاح، وأنه أطفأ تلك النائرة، وسكن تلك النائرة، فهذا فعل الملك المتقى، المشفق من قومه على من بقى، المفكر فى العواقب بالرأى الشاقب، وإلا فلو تركوا وآراؤهم حتى تحملهم العزة، لكانت هذه الكرة هى الكرة، لكن هو كمن خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى، ولم يوافق قول من ضل ولا فعل من غوى. وأما القول منه بأنه لا يجب المسارعة إلى المقارعة، إلا بعد إيضاح الحججة، وتركيب الحججة، فباتتظامه فى سلك الإيمان صارت حجتنا المترتبة، على من غدت طواغيته عن سلوك هذه الحججة متنكبة، فإن الله تعالى والناس كافة قد علموا أن قيامنا إنما هو لنصر هذه الملة، وجهادنا واجتهادنا إنما هو على الحقيقة لله. وحيث قد دخل معنا فى الدين هذا الدخول، فقد ذهب الأحقاد وزالت الذحول، وبارتفاع المنافرة، تحصل المظافرة، فالإيمان كالبنيان يشد بعضه ببعض، ومن أقام مناره فله أهل بأهل فى كل مكان وجيران بجيران فى كل أرض. وأما ترتيب هذه القواعد الجملة على أذكار شيخ الإسلام قدوة العارفين كمال الدين عبد الرحمن، أعاد الله من بركاته، فلم تر لولى قبله كرامة كهذه الكرامة، والرجاء ببركاته وبركة الصالحين أن تصبح كل دار للإسلام دار إقامة، حتى تتم شرائط الإيمان، ويعود شمل الإسلام مجتمعا كأحسن ما كان، ولا ينكر لمن لكرامته ابتداء هذا التمكّن فى الوجود، أن كل حق بيركته إلى نصابه يعود. وأما إنفاذ أقصى القضاة قطب الملة والدين، والآتابك بهاء الدين الموثوق بنقلها فى إبلاغ رسائل هذه البلاغة، فقد حضروا وأعادوا كل قول حسن من حوالى أحواله وخطرات خاطره، ومنتظرات ناظره، ومن كل ما يشكر =

ويحمد، ويعتقن حديثهما فيه عن مسند أحمد. وأما الإشارة إلى أن النفوس إن كان لها تطلع إلى إقامة دليل، تستحكم به دواعي الود الجميل، فلينظر إلى ما ظهر من مآثره في موارد الأمر ومصادره، ومن العدل والإحسان بالقلب واللسان، والتقدم بإصلاح الأوقاف والمساجد والربط وتسهيل السبل للحج إلى غير ذلك. فهذه صفات من يريد للملكه الدوام، فلما ملك عدل، ولم يعل إلى لوم من عدى ولا لوم من عدل، على أنها وإن كانت من الأفعال الحسنة، والثوبات التي تستنتق بالدعاء الألسنة، فهي واجبات تؤدي وقربات بمنحها يدي، وهو أكثر من أنه بإجراء أجر غيره يفتخر، أو عليه يقتصر أو له يدخر. بل إنما يفخر الملوك الأكابر برد ممالك على ملوكها، ونظم ما كانت عليه فسي سلوكها، وقد كان والده فعل شيئاً مع الملوك السلجوقية وغيرهم، وما كان أحد منهم بدينه يدين، ولا دخل معه في دين وأقرهم في ملكهم وما زحزحهم عن ملكهم. ويجب عليه ألا يرى حقاً مقتصبا ويأتى إلا ربه، ولا باعاً ممتدا بالظلم ويرضى إلا صده، حتى أن أسباب ملكه تقوى، وأيامه تتزين بأفعال التقوى. وأما تحريمه على العساكر والقراغولات والشحاني بالأطراف التعرض إلى أحد بالأذى، وإصفاء موارد الواردين والصادرين من شوائب القذى، فمن حين بلغنا تقدمه بمثل ذلك تقدمنا أيضاً بمثله إلى سائر نوابنا بالرحبة والبيرة وعينتاب، وإلى مقدمى العساكر بأطراف تلك الممالك، وإذا اتحد الإيمان، وانعقدت الأيمان، تحتم هذا الإحكام وترتب عليه جميع الأحكام. وأما الجاسوس الفقير الذى أمسك وأطلق، وأن بسبب من يتزيا من الجواسيس بزي الفقراء قتل جماعة من الفقراء الصالحاء رجماً بالطين، فهذا باب من تلقاء ذلك الجانب كان فتحه، وزند من ذلك الطرف كان قدحه، وكمن من متزى بفقير من ذلك الجانب سيروه وإلى الاطلاع على الأمور سوروه، وأظفر الله منهم بجماعة كبيرة فرفع عنهم السيف، ولم يكشف ما غصوه بخرقة الفقر بلم ولا كيف. وأما الإشارة إلى أن باتفاق الكلمة تنجلي ظلم الاختلاف. وتدر بها من الخيرات الأخلاف. ويكون بها صلاح العالم، وانتظام شمل بنى آدم، فلا راد لمن فتح أبواب الاتحاد، وجنح إلى السلم فما حاد ولا حاد، ومن ثنى عنانه عن المكافحة، كان كمن مد يد المصالحة للمصافحة، والصلح وإن كان سيد الأحكام، فلا بد من أمور تبني عليها قواعده، ويعلم من مدلولها فوائده، فالأمور المسطورة فى كتابه هى كليات لازمة يعمر بها كل معنى ومعلم، إت تهيأ صلح أو لم، وثم أمور لا بد وأن تحكم، وفى سلوكها عقود العهود تنظم، قد تحملها بلسان المشافهة التى إذا أوردت أقبلت إن شاء الله عليها وأحرزتها صدور الرسائل كأحسن ما تحوزه سطور الطروس. وأما الإشارة إلى الاستشهاد بقوله تعالى: ﴿وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا﴾، فما عن هذا النسق من الود ينسج، ولا على هذا السبيل ينهج، بل الفضل للمتقدم فى الدين، ونصره عهود ترعى. وإفادات تستدعى، وما برح الفصل للأولوية وإن تنهى العدد للواحد الأول، ولو تأمل مورد هذه الآية فى غير مكانها لتزوى وتأول. وعندما انتهينا إلى جواب ما لعله بحث عنه الجواب من فصول المكاتب، سمعنا المشافهة التى على لسان أفضى القضاة قطب الدين فكان منها ما يناسب ما فى هذا الكتاب من دخوله فى الدين وانتظام عقده بسلك المؤمنين، وما بسطه من معدلة وإحسان، مشكورة بلسان كل إنسان، فالمنة لله عليه فى ذلك فلا يشينها منه بامتنان، وقد أنزل الله على رسوله فى حق من آمن بإسلامه ﴿قل لا تمنوا على إسلامكم بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان﴾. ومن المشافهة أن الله قد أعطاه من العطاء، ما أغناه عن امتداد الطرف إلى ما فى يد غيره من أرض وماء،=

أن يعلم الناس بدخولهم ولا خروجهم. وساروا سرًا كما قدموا سرًا ليلة السبت ثاني رمضان صحبة الحاجبين، فوصلوا إلى حلب في سادس شوال وعبروا إلى بلادهم.
وفي رمضان: وصل الأمير شمس الدين سنقر الغُتمى ورفقته، الذين خرجوا إلى بيت بركة في الرسالة.

وفيه قبض على الأمير بدر الدين بكنوت الشمسى وعلاء الدين أقطوان الساقى، وشهاب الدين قرطاي، واعتقلوا.

وفيه استقر الأمير شمس الدين قراسنقر الجوكندار المنصوري في نيابة السلطنة بحلب، عوضاً عن علم الدين سنجر الباشقردى، وعمرًا جامعها وقلعتها وكانا قد خربهما التتار.
وفيه قدم الشيخ على الإبرانى، وكان قد أسلم وخدم الفقراء، وسلك طريق الله وظهرت على يده كرامات، وتبعه جماعة من أولاد المغل، فسار بهم إلى الشام ومصر، ومثل بحضرة السلطان من قلعة الجبل في ثامن عشر ذى القعدة، ومعه إخوته الأقوش وعمر وطوخى وجوبان، وجماعة غيرهم. فأحسن السلطان إليه وإلى مَنْ معه، ورتب بعضهم في جملة الخاصكية، ثم نقل إلى الإمارات منهم الأقوش وتمر وعمر وهم إخوة.
ثم ظهر من الشيخ على ما أوجب أن يسجن، فسجن هو والأقوش، ومات تمر وعمر في الخدمة.

=فإن حصلت الرغبة في الاتفاق على ذلك فالأمر حاصل، فالجواب أن ثم أموراً متى حصلت عليها الموافقة ابتنى على ذلك حكم المصاحبة والمصادفة، ورأى الله والناس كيف يكون تصافينا، وإذلال عدونا وإعزاز مصافينا، فكم من صاحب وجد حيث لا يوجد الأب والأخ والقراية، وما ثم أمر هذا الدين واستحكم في صدر الإسلام إلا بمضافرة الصحابة. فإن كانت له رغبة إلى الاتحاد، وحسن الوداد، وجميل الاعتضاد، والاستناد إلى من يشتد الأزر به عند الاستناد، فالرأى إليه في ذلك. ومن المشافهة أنه إن كانت الرغبة ممتدة الأمل إلى ما في يده من أرض وماء، فلا حاجة إلى إنفاذ المغيرين الذين يؤذون المسلمين بغير فائدة تعود، فالجواب عن ذلك، أنه إذا كف كف العدوان وترك المسلمين وما لهم من ممالك، وسكنت الدهماء، وحققت الدماء، وما أحفه بأن لا ينه عن خلق ويأتى مثله، ولا يأمر ببر وينسى فعله، وبلاد قنعرطاي بالروم وهى بلاد فى أيديكم، وخراجها يجبى إليكم وقد سفك فيها وقتك، وسبى وهتك، وباع الأحرار، وأبى إلا التمدادى على الإصرار والإضرار. ومن المشافهة أنه إن حصل التصميم على أن لا تبطل هذه الغارات، ولا يفتر عن هذه الإثارات، فعين مكاناً يكون فيه اللقاء، ويعطى الله النصر لمن يشاء، فالجواب عن ذلك أن الأماكن التى اتفق فيها ملتقى الجمعين مرة ومرة، قد عاف مواردها من سلم من أولئك القوم، وخاف أن يعاودها فيعاوده مصرع ذلك اليوم، فوقت اللقاء علمه عند الله فلا يقدر، وما النصر إلا من عند الله لمن أقدر لا لمن قدر، ولا نحن ممن ينتظر فلتة، ولا له إلى غير ذلك لفتة، وما أمر ساعة النصر إلا كساعة لا يتأتى إلا بفته، والله الموفق لما فيه صلاح هذه الأمة، والقادر على إتمام كل خير ونعمة.

وفى حادى عشرية: وقعت نار بدمشق أقامت ثلاثة أيام، فاحترق فيها شىء كثير، منها سوق الكبيين، واحترق لشمس الدين إبراهيم الجزرى الكبى خمسة عشر ألف مجلد سوى الكرايس.

وفى يوم عرفة: قبض بدمشق على الأمير عز الدين أيبك كرجى أمير علم، والأمير ناصر الدين محمد بن عز الدين أيدمر النائب بدمشق، وعلى زين الدين بن الشيخ على، واعتقلوا، وفيه تزوج السلطان الملك المنصور قلاوون بخوند أشلُون ابنة الأمير سكتناى ابن قراجين بن جنغان نوبن القادم إلى القاهرة فى الدولة الظاهرية، وهى أم الملك الناصر محمد.

وتزوج الملك الصالح على ابن السلطان بخوند منكبك ابنة الأمير سيف الدين نوكيه، وكانت تحت الأمير زين الدين كتبغا المنصورى، فرآها الملك الصالح يوم حضرت مع نساء الأمراء مُهَمَّ أشلون يوم زُفَّتْ إلى السلطان، ففتنه حسننها حتى كاد يهلك، فمزال السلطان بطرنتاى النائب حتى ألزم كتبغا بطلاقها فطلقها.

وأفرج السلطان عن أبيها نوكيه من سجن الإسكندرية، وأحضر إلى القاهرة وأنعم عليه بإمرة، وعقد العقد على خمسة آلاف عينا عَجَّلَ منها ألف دينار.

وفيه بلغ السلطان أن ملك الكرج توماسوفا بن كليارى خرج من بلاده، ومعه رفيق له اسمه طبيغا بن انكواد يريد زيارة القدس سرا، فحفظت عليه الطرقات من كل جهة، فلم يصل إلى موضع منذ خرج من بلده إلى أن قدم القدس إلا ويصل خبره وهيئة حاله إلى السلطان. فقبض عليه بالقدس، وأحضر إلى قلعة الجبل هو ورفيقه واعتقلا.

وانتهت زيادة النيل فى هذه السنة إلى سبعة عشر ذراعا وثمانية عشر إصبعا. وخرج من القاهرة بالحمل الأمير ناصر الدين الطنبغا الخوارزمى، ومعه كسوة الكعبة، وسار بالسبيل حسام الدين مظفر أستاذار الفارقانى. وحج الأمير علاء الدين البندقدارى فى ركب كبير.

وفيهما ولى نجم الدين أبو حفص عمر بن العفيف أبى المظفر نصر بن منصور الشيبانى قضاة الشافعية بحلب، عوضاً عن تاج الدين أبى المعالى عبد القادر بن محمد بن عبد الرحمن بن علوى السنجارى.

وفيهما فى آخر شوال خلع متملك تونس أبو إسحاق إبراهيم بن يحيى بن عبد الواحد بن أبى حفص، وكانت مدته ثلاث سنين وسبعة أشهر. وقام من بعده الدعى

١٦٤ سنة إحدى ثمانين وستمائة

أحمد بن مرزوق بن عمار المسبلي الخياط، وزعم أنه الواثق أبو زكريا يحيى بن المستنصر.
وفيها أقيم في الملك تكدار بن هولاءكو، بعد موت أخيه أبغا بن هولاءكو في المحرم،
فأظهر أنه أسلم وتسمى أحمد سلطان. ترك أبغا ولدين هما أرغون وكيختو.

* * *

ومات في هذه السنة من الأعيان

شمس الدين أبو العباس أحمد بن بهاء الدين أبى بكر بن خلكان اليرمكى الإبلى
الشافعى، المؤرخ قاضى دمشق فى رجب.

وتوفى قاضى المالكية بدمشق زين الدين أبو محمد عبد الكريم بن على بن عمر
الزواوى المالكى، بعد ما عزل نفسه، عن اثنتين وتسعين سنة بدمشق.

وتوفى برهان الدين أبو الثناء محمود بن عبد الله بن عبد الرحمن بن عمر بن عيسى
المراغى الفقيه الشافعى، وقد أناف على خمس وسبعين سنة بدمشق.

ومات الصاحب علاء الدين عطا ملك ابن الصاحب بهاء الدين محمد بن محمد
الجوينى مدير دول العراق، بناحية أران. وله فضل وشعر جيد.

وتوفى المسند برهان الدين أبو إسحاق إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن يحيى بن
علوى بن الدرعى القرشى الدمشقى الحنفى، عن اثنتين وثمانين سنة.

ومات الأمير حسام الدين بشار الرومى وهو أحد من قدم فى الأيام الظاهرية ببيرس
من بلاد الروم بعد ما بلغ مائة وعشرين سنة، وناب وحج وترك الإمرة وعوض عنها
براتب أجرى عليه.

وتوفى زين الدين إدريس خطيب الجامع الأزهر.

وتوفى السيد عبد الله الماعز. وقد باشر ديوان المرتجع فى الأيام الظاهرية، فنقله
المنصور قلاوون إلى ديوانه.

ومات أيضاً منكوتمر بن طوغان بن باطو بن دوشى خان بن جنكزخان، ملك التتر
ببلاد الشمال. وملك بعده أخوه تدان منكو، وجلس على كرسى الملك بمدينة صراى.

* * *

سنة اثنين وثمانين وستمائة

فى المحرم: وصل الملك المنصور صاحب حماة، فركب السلطان إلى لقاءه، وأنزله بمناظر الكبش وأقيم بواجبه.

وفيه استخرجت الجوالى من الذمة، وكانت العادة أن تستخرج فى شهر رمضان، فأخر استخراجها إلى المحرم رفقا بهم، وحضر الصاحب نجم الدين الأصفونى بدار العدل تحت القلعة لاستخراجها.

وفيه رسم أن تكون جوالى الذمة بالقدس وبلد الخليل، وبيت لحم وبيت جالا، مرصدة لعمارة بركة فى بلد الخليل.

وفى سادسه: توجه السلطان إلى بر الجزيرة، وسار إلى البحيرة لحفر الخليج المعروف بالطيرية، ومعه صاحب حماة.

وأقام الأمير علم الدين سنجر الشجاعى بالقلعة، ومعه الأمير قراسنقر الجركندار، وعلاء الدين أيدغدى السلاح دار، وعز الدين أيك الخازندار، ورتب مع الأمير علم الدين الخياط والى القاهرة عدة من أصحاب الأمراء، يطوفون كل ليلة من بعد العصر حول القلعة وفى ظواهر القاهرة. ونودى على الأجناد فى القاهرة بالخروج لحفر الخليج، ووقع العمل فيه فكان طوله ستة آلاف وخمسمائة قصبه فى عرض ثلاث قصبات وعمق أربع قصبات بالقصبه الحاكمة، وفرغ من عمله فى عشرة أيام. فحصل بسببه نفع كبير، وروى منه ما لم يكن قبل ذلك يروى. وفيه وصل من الشروق تسعة عشر وافداً بأولادهم.

وفى رابع عشره: وصلت رسل صاحب بلاد سيلان من أرض الهند واسمه أبو نكيه بكتابه. وهو صحيفة ذهب عرض ثلاثة أصابع فى طول نصف ذراع بداخلها شىء أخضر يشبه الخوص، مكتوب فيه بقلم لم يوجد فى القاهرة من يحسن قراءته، فسئل الرسل عنه فقالوا «إنه يتضمن السلام والمحبة وإنه ترك صحبة صاحب اليمن وتعلق بمحبة السلطان، ويريد أن يتوجه إليه رسول، وذكر أن عنده أشياء عدها من الجواهر والفيلة والتحف ونحوها، وأنه عبأ مقدمة إلى أبواب السلطان، وأن فى مملكة سيلان سبعا وعشرين قلعة، وبها معادن الجواهر والياقوت، وأن خزائنه ملائة من الجواهر».

وفى رابع صفر: عاد المنصور صاحب حماة بلده، وخرج السلطان معه لوداعه.
وفى خامس ربيع الأول: جرت الهدنة بين السلطان وبين الفرنج بعكا مدة عشر سنين، أولها خامس المحرم من هذه السنة^(١).

(١) وفى يوم الخميس خامس شهر ربيع الأول من هذه السنة جرت الهدنة بين السلطان الملك المنصور قلاوون وبين الحكام بعكا، على ما تقرر بينه وبينهم فى شرحها، نصها: استقرت الهدنة بين مولانا السلطان الملك المنصور سيف الدين أبى الفتح قلاوون الملكى الصالحى وولده السلطان الملك الصالح علاء الدين على، تخلص الله سلطانهما، وبين الحكام بمملكة عكا وصيدا وعتليت وبلادها التى انعقدت عليه هذه الهدنة، وهم: السنجال كفيل المملكة بعكا، وحضرة المقدم عبد الجليل إفرير كليام ديباجوك مقدم بيت الديوية، والمقدم إفرير نيكول للورن مقدم بيت الاستبار، والمرشان الأجل إفرير كورات نائب مقدم بيت الإستبار الأمن، لمدة عشر سنين كوامل وعشرة أشهر وعشرة أيام وعشر ساعات، أولها يوم الخميس خامس شهر ربيع الأول، سنة اثنين وثمانين وستمائة للهجرة النبوية، صلوات الله على صاحبها وسلامه، الموافق للثالث من حزيران سنة ألف وخمسمائة وأربعة وتسعين للإسكندر بن فيليبس اليونانى، على جميع بلاد السلطان الملك المنصور وولده، وهى التى فى تملكهما وتحت حكمهما وطاعتهما، وتحويه يدهما يومئذ من جميع الأقاليم والممالك والقلاع والحصون، والأعمال والمدن والقرى والمزارع والأراضى، وهى مملكة الديار المصرية حرسها الله تعالى، وما بها من الثغور والقلاع والحصون الإسلامية، وثمر دمياط وثمر الإسكندرية الخروسين، ونستروه ونستريه، وما ينسب إليها من الموانئ والسواحل والبرور، وثمر فوة وثمر رشيد، والبلاد الحجازية، وثمر غزة الخروس، وما معها من الموانئ والبلاد، والمملكة الكركية والشوبكية وأعمالها، والصلت وأعمالها، وبصرى وأعمالها، ومملكة بلاد الخليل صلوات الله عليه وسلامه، ومملكة القدس الشريف وأعمالها، والأردن وبيت لحم وأعماله وبلادها، وعسقلان وأعمالها وموانئها وسواحلها، ومملكة يافا والرملة وميناؤها وأعمالها، وقيسارية وجميع ما هو داخل فيها ومحسوب منها، وبيت جبيل، ومملكة نابلس وأعمالها، ومملكة الأطرون وأعمالها وميناؤها وسواحلها وأعمالها، وأرسوف وأعمالها، وقلعة قاقون وأعمالها وبلادها، ولد وأعمالها وأعمال العوجاء وما معها من الملاحة، وبلاد الفتوح السعيد وأعمالها ومزارعها، وبيسان وأعمالها وبلادها، والطور وأعمالها، واللجون وأعمالها. وعين جالوت وأعمالها، والقسمون كذا وأعماله، وما ينسب إليه، وطبرية وبحيراتها وأعمالها وما معها، والمملكة الصفدية وما ينسب إليها، وتبين وهونين وما معها من البلاد والأعمال، والشقيف المعروف بشقيف أرنون وما معه من البلاد والأعمال وما هو منسوب إليه، وبلاد القرون وما معها خارجًا عما عين فى هذه الهدنة، ونصف مدينة إسكندرونة، ونصف ضيعة مارن، بقراها وكرومها وبساتينها وحقولها، وما عدا ذلك من أعمال إسكندرونة المذكورة يكون جميعه بحدوده وبلادها لمولانا السلطان ولولده، والنصف لمملكة عكا. والبقاع العزيزى وأعماله، ومشغر وأعمالها، وشقيف ترون وأعمالها، والمغاير جميعها - زلايا وغيرها، وبانياس وأعمالها وقلعة الصبيبة وما معها من البحيرات وأعمالها، وكوكب وأعمالها وما معها، وقلعة عجلون وأعمالها، ودمشق والمملكة الدمشقية وما لها من القلاع والبلاد والممالك والأعمال، وقلعة بعلبك وما معها وأعمالها، ومملكة حمص وما لها من الأعمال والحدود، ومملكة حماة ومدنتها وقلعتها وبلادها وحدودها، وبلاطنس وأعمالها، وفتوحات حصن الأكراد وأعماله، =

=وصافينا وأعمالها، وميعار وأعمالها، والعريضة وأعمالها، ومرقية وأعمالها، وحلب وحصن عكار وأعماله وبلاده، والقليعات وأعمالها، وقلعة شيزر وأعمالها، وأفامية وأعمالها، وجبله وأعمالها، وأبو قبيس وأعماله، والمملكة الحلبية وما هو مضاف إليها من القلاع والمدن والبلاد والحصون، وأنطاكية وأعمالها وما دخل منها في الفتوحات المباركة، وبغراس وأعمالها، والدريساك وأعماله، والراوندان وأعمالها، وحارم وأعمالها، وعينتاب وأعمالها، وتيزين وأعمالها، وشيخ الحديد وأعماله، وقلعة نجم وأعمالها، وشقيف دير كوش وأعمالها، والشغر وأعمالها، وبكاس وأعماله، والسويداء وأعمالها، والباب وبزاعا وأعمالها، والبيرة وأعمالها، والرحبة وأعمالها، وسلمية وأعمالها، وشميميس وأعمالها، وتدمر وأعمالها، وما هو منسوب إلى جميع ذلك ما عين وما لم يعين، وجميع ما هو لمولانا السلطان ولولده من البلاد التي عينت في هذه الهدنة المباركة، والتي لم تعين. وعلى جميع العساكر وعلى جميع الرعايا، من سائر الناس أجمعين، على اختلافهم وتغاير أنفارهم وأجناسهم وأديانهم القاطنين فيها والمترددن إليها ومنها ومن سائر بلاد المسلمين، وعلى جميع التجار والسفار والمترددن في البر والبحر، والسهل والجبل، في الليل والنهار، يكونون آمنين مطمئنين في حالتهم صدورهم ورودهم، وعلى أنفسهم وأموالهم وأولادهم، وحرمتهم وبضائعهم وغلماهم، وأتباعهم ومواشيهم ودوابهم، وعلى جميع ما يتعلق بهم، وكل ما تحوى أيديهم من سائر الأشياء على اختلافها من الحكام بمملكة عكا: وهم كفيل المملكة، والمقدم إفيرير كليام ديباجوك مقدم بيت الديوية، والمقدم إفيرير نيكول الورن مقدم بيت اسبتار الأمن، والمرشان إفيرير كورات نائب مقدم بين اسبتار الأمن، ومن جميع الفرنج الإخوة، والفرسان الداخلين في طاعتهم وتخوية مملكتهم الساحلية، ومن جميع الفرنج على اختلافهم، الذين يستوطنون عكا والبلاد الساحلية الداخلة في الهدنة، وكل واصل إليها في بر وبحر، على اختلاف أجناسهم وأنفارهم، ولا ينال بلاد مولانا السلطان الملك المنصور قلاوون ولولده الملك الصالح، ولا حصونها ولا قلاعها، ولا بلادها ولا ضياعها، ولا عساكرها ولا جيوشها، ولا عربها، ولا تركمانها، ولا أكرادها ولا رعاياها، على اختلاف الأجناس والأنفار، ولا ما تحويه أيديهم من المواشي والأموال والغلال وسائر الأشياء منهم بغدر ولا سوء، ولا يخشون من جهتهم أمراً مكروهاً ولا إغارة ولا تعرضاً ولا أذية، وكذلك كل ما سيفتحه ويضيفه مولانا السلطان الملك المنصور ولولده الملك الصالح، على يدهما وعلى يد نوابهما وعساكرهما، من بلاد وحصون وقلاع وملك وأعمال وولايات، براً وبحراً، سهلاً ووعراً. وكذلك جميع بلاد الفرنج التي استقرت الآن عليها هذه الهدنة المباركة، وهي: مدينة عكا وبساتينها وأراضيها وطواحينها، وما يختص بها من كرومها، وما لها من حقوق حولها، وما تقرر لها من بلاد في هذه الهدنة، وعدتها بما فيها من مزارع ثلاث وسبعون ناحية خاصة للفرنج، وكذلك حيفا والكروم والبساتين، المارة بحيفا سبع نواحي، وكذلك مارينا بأرضها المعروفة بها تكون للفرنج، وكذلك دير السياج ودير مار إلياس يكون للفرنج. ويكون لمولانا السلطان من بلاد الكرمل خاصة عفا والمنصورة، وباقي بلاد الكرمل ثلاث عشرة ناحية للفرنج، وعثليث القلعة والمدينة والبساتين التي قطعت والكروم وفلاحتها وأراضيها تكون لها ويكون لها من البلاد ست عشرة ناحية، ويكون خاصاً لمولانا السلطان ما يذكر: وهو قرية الهراميس بكماها وحقوقها ومزارعها، وبقية بلاد عثليث تكون مناصفة خارجاً عما للخاص الشريف وعما للخاص عثليث يكون مناصفة: وهي ثمانى نواحي، وفلاحة الإسبتار بعمل قيسارية تكون خاصاً للفرنج بمسا=

فيها، ونصف إسكندرونة، ونصف قرية مارن بما فيها للفرنج، وما عدا ذلك يكون خاصاً لمولانا السلطان. مهما كان في إسكندرونة وقرية مارن من الحقوق والغلة يكون مناصفة، وصيدا القلعة والمدينة والكروم وضواحيها وجميع ما ينسب إليها خاصاً للفرنج، ويكون لها من البلاد خاصاً خمس عشرة ناحية، وما في الوطاة من أنهار ومياه وعيون، وبساتين وطواحين وقنى، ومياه جاربية وسكور لهم بها عادة قديمة تسقى أراضيهم، يكون خاصاً لهم، وما عدا ذلك من البلاد الجبلية جميعها تكون لمولانا السلطان ولولده بأكملها. وتكون جميع هذه البلاد العكاوية، وما عين في هذه الهدنة المباركة من البلاد الساحلية، آمنة من السلطان الملك المنصور وولده الملك الصالح، وآمنة من عساكرهما وجنودهما ومن في خدمتهما. وتكون هذه البلاد المشروحة الداخلة في هذه الهدنة المباركة، الخاص منها وما هو مناصفة، مطمئنة هي ورعاياها وسائر أجناس الناس فيها، والقاطنين بها والمترددن إليها، على اختلاف أجناسهم وأديانهم، والمترددن إليها من جميع بلاد الفرنجة والتجار والسفار، والمترددن منها وإليها في بر وبحر، في ليل أو نهار، وسهل وجبل، آمنين على النفوس والأموال والأولاد، والمراكب والدواب وجميع ما يتعلق بهم، وكل ما تحويه أيديهم من الأشياء على اختلافها، من السلطان وولده، ومن جميع من هو يجب عليه طاعتها، لا يتألم ولا ينال هذه البلاد المذكورة التي انعقدت الهدنة عليها سوء ولا ضرر ولا إغارة، ولا ينال إحدى الجهتين المذكورتين الإسلامية والفرنجية من الأخرى ضرر ولا أذية، ويكون ما تقرر أنه يكون خاصاً للفرنج حسبما بين أعلاه لهم، وما تقرر أن يكون للسلطان وولده يكون خاصاً لهما، والمناصفات تكون كما شرح، ولا يكون للفرنج من البلاد والمناصفات إلا ما شرح في هذه وعين فيها من البلاد. وعلى أن الفرنج لا يحددون في غير عكا وعثليث وصيدا، مما هو خارج عن أسوار هذه الجهات الثلاث المذكورات سوراً، ولا قلعة ولا برجاً ولا حصناً قديماً ولا مستجداً. وعلى أنه متى هرب أحد كائناً من كان من بلاد السلطان وولده إلى عكا البلاد الساحلية المعينة في هذه الهدنة، وقصد الدخول في دين النصرانية وتنصر بإرادته، يرد جميع ما يروح معه ويبقى عريانا، وإن كان يقصد الدخول في دين النصرانية ولا يتنصر، رد إلى أبوابها العالية بجمع ما يروح معه، بعد أن يعطى الأمان. وكذلك إذا حضر أحد من عكا والبلاد الساحلية الداخلة في هذه الهدنة. ويقصد الدخول في دين الإسلام، وأسلم بإرادته، يرد جميع ما معه ويبقى عريانا، وإن كان ما يقصد الدخول في دين الإسلام ولا يسلم، يرد إلى الحكم بعكا، وهم كفيل المملكة والمقدمون، بجمع ما يروح معه بشفاعة، بعد أن يعطى الأمان. وعلى أن المنوعات المعروف منها قديماً تستقر على قاعدة المنع من الجهتين، ومتى وجد صحبة أحد من تجار بلاد السلطان وولده من المسلمين وغيرهم، على اختلاف أديانهم وأجناسهم، شىء من المنوعات بعكا والبلاد الساحلية الداخلة في هذه الهدنة، مثل عدة السلاح وغيره، تعاد على صاحبه الذي اشتراه منه، ويعاد إليه ثمنه، ويؤخذ ماله استهلاكاً، ولا يؤذى بسبب ذلك، لا هو ولا ماله. وكذلك إذا طلع تجار الفرنج من عكا والبلاد الساحلية الداخلة في هذه الهدنة، إلى البلاد الإسلامية الداخلة في هذه الهدنة، على اختلاف أجناسهم وأديانهم، ووجد معهم شىء من المنوعات مثل عدة سلاح وغيره، يعاد على صاحبه الذي اشتراه منه، ويعاد إليه ثمنه ويرد، ولا يؤخذ ماله استهلاكاً، ولا يؤذى. وللسلطان ولولده أن يفصلاً فيمن يخرج من بلادها من رعيتهما، على اختلاف أديانهم وأجناسهم، بشىء من المنوعات. وكذلك كفيل المملكة بعكا والمقدمون لهم أن يفصلوا في رعيتهما الذين =

= يخرجون بالمنوعات من بلادهم الداخلة فى هذه الهدنة. ومتى أخذت أحيضة من الجانيين، أو قتل قتيل من الجانيين، على أى وجه كان - والعياذ بالله - ردت الأحيضة بعينها إن كانت موجودة، أو قيمتها إن كانت مفقودة. والقتيل يكون العوض عنه بنظيره من حسنه: فارس بفارس، وبركيل ببركيل، وتاجر بتلاجر، وراجل براجل، وفلاح بفلاح، فإن خفى أمر القتل والأحيضة كانت المهلة فى الكشف أربعين يوما، فإن ظهرت الأحيضة أو تعين أمر المقتول ردت الأحيضة بعينها. ويكون العوض عن القتل بنظيره، وإن لم تظهر كانت اليمين على والى المكان المدعى عليه، وثلاثة نفر يقع اختيار المدعى عليهم من تلك الولاية. وإن امتنع الوالى عن اليمين حلف من الجهة المدعية ثلاثة نفر تختارهم الجهة الأخرى، وأخذت قيمتها. وإن لم ينصف الوالى ولا رد المال أنهى المدعى أمره إلى الحكام من الجهتين، وتكون المهلة بعد الإنهاء أربعين يوما. ويلزم الولاة من الجهتين بالوفاء بهذا الشرط، ومتى أخفوا قتيلًا أو أحيضة، أو قدروا على أخذ حق ولم يأخذ كل واحد فى ولايته، ويتعين على الذى يوليه من ملوك الجهتين إقامة السياسة فيه: من أخذ الروح والمال، والسبق والإنكار العام على من يتعين عليه الإنكار، إذا فعل ذلك فى ولايته وأرضه. وإن هرب أحد بمال واعترف ببعضه، وأنكر ما ادعى به عليه، لزمه أن يحلف أنه لم يأخذ سوى ما رده، فإن لم يقتنع المدعى بيمين الهارب حلف والى تلك الولاية أنه لم يطلع على أنه وصل معه غير ما رده، وإن أنكر أنه لم يصل إليه شىء أصلا يستحلف الهارب أنه لم يصل معه للمدعى شىء، ويحلف والى تلك الجهات على أنه لم يصل شىء. على أنه إذا انكسر مركب من مراكب تجار السلطان وولده، التى انعقدت عليها الهدنة، ورعيتها من المسلمين وغيرهم، على اختلاف أجناسهم وأديانهم، فى ميناء عكا وسواحلها والبلاد الساحلية التى انعقدت عليها الهدنة، كان كل من فيها آمنًا على الأنفس والأموال والأمتعة والمتاجر، فإن وجد أصحاب هذه المراكب التى تنكسر تسلم مراكبهم وأموالهم إليها، وإن عدموا بموت أو غرق أو غيبة فيحتفظ بموجودهم، ويسلم لنواب السلطان وولده. وكذلك المراكب المتوجهة من هذه البلاد الساحلية المنعقدة عليها الهدنة للفرنج يجرى لها مثل ذلك فى بلاد السلطان وولده، ويحتفظ بموجودها إن يكن صاحبها حاضرا، إلى أن يسلم لكفيل المملكة بعكا والمقدمين. ومتى توفى أحد من التجار المترددين، الصادرين والواردين، على اختلاف أجناسهم وأديانهم، من بلاد السلطان وولده، فى عكا وصيدا وعثليث والبلاد الساحلية الداخلة فى هذه الهدنة، يحتفظ على ماله إلى أن يوصل إلى نوابها. وكذلك التجار الصادرين والواردين، المترددين من عكا وصيدا وعثليث، والبلاد الساحلية الداخلة فى هذه الهدنة، على اختلاف أجناسهم وأديانهم، إذا توفى أحد فى البلاد الإسلامية الداخلة فى هذه الهدنة يحتفظ على المال إلى حين يسلم، إلى كفيل المملكة بعكا والمقدمين. وعلى أن شوانى السلطان وولده إذا عمرت وخرجت لا تتعرض لأذية من البلاد الساحلية التى انعقدت عليها هذه الهدنة، ومتى قصدت هذه المذكورة جهة غير هذه الجهات، وكان صاحب تلك الجهات معاهدا للحكام بمملكة عكا، فلا تدخل إلى البلاد التى انعقدت عليها هذه الهدنة ولا تنزود منها. وإن لم يكن صاحب تلك الجهة التى تقصدها الشوانى المنصورة معاهدا للحكام بمملكة عكا والبلاد التى انعقدت عليها الهدنة، فلها أن تدخل إلى بلادها وتنزود منها. وإذا تكسر شىء من هذه الشوانى والعياذ بالله، فى ميناء من موانى البلاد التى انعقدت عليها الهدنة وسواحلها، فإن كانت قاصدة من له مع مملكة عكا ومقدمى مونها عهد، ولم يكن لهم معهم عهد، فيلزم. كفيل المملكة بعكا ومقدمى البيوت حفظها، ويمكن =

رجالها من الزوادة وإصلاح ما انكسر منها والعود إلى البلاد الإسلامية، ويطل حركة ما ينكسر منها - والعياذ بالله - أو يرميه البحر. هذا إذا كانت قاصدة بلاد من له مع مملكة عكا ومقدميها عهد، فإن لم يكن لها معهم عهد فلها أن تنزود وتعمر رجالها من البلاد المنعقدة عليها الهدنة، وتتوجه إلى الجهة المرسوم لها بقصدها، ويعتمد هذا الفضل من الجهتين. وعلى أنه متى تحرك أحد من ملوك الفرنجية وغيرهم من حوا البحر، بقصد الحضور لمضرة السلطان وولده في بلادها المنعقدة عليها هذه الهدنة، فيلزم نائب المملكة والمقدمين بعكا أن يعرفوا السلطان وولده بجرحتهم قبل وصولهم إلى البلاد الإسلامية الداخلة في الهدنة بمدة شهرين. وإن وصلوا بعد انقضاء مدة شهرين، فيكون كقبيل المملكة بعكا والمقدمين بريئين من عهدة اليمين في هذا الفصل. ومتى تحرك عدد من جهة البر من التتار وغيرهم، فأى من سبق الخير إليه من الجهتين يعرف الجهة الأخرى بما سبق الخير إليه من أمرهم. وعلى أنه إن قصد البلاد الشامية - والعياذ بالله - عدو من التتار وغيرهم فى البر، وانحازت العساكر الإسلامية من قدام العدو، ووصل العدو إلى القرب من البلاد الساحلية الداخلة فى هذه الهدنة وقصدوها بمضرة، فلكتيل المملكة بعكا والمقدمين بها أن يدروا عن نفوسهم ورعيتههم وبلادهم بما تصل قدرتهم إليه. وإن حصل - والعياذ بالله - حقل من البلاد الإسلامية إلى البلاد الساحلية الداخلة فى هذه الهدنة، فيلزم كقبيل المملكة بعكا والمقدمين بها حفظهم والدفع عنهم ومنع من يقصدهم بضرر، ويكونون آمنين مطمئنين بما معهم. وعلى أن النائب بمملكة عكا والمقدمين يوصون فى سائر البلاد الساحلية التى وقعت الهدنة عليها، أنهم لا يمكنون حرامية البحر من الزوادة من عندهم، ولا من حمل ماء، وإن ظفروا بأحد منهم بمسكوه، وإن كانوا يبيعون عندهم بضائع فيمسكهم كقبيل المملكة بعكا والمقدمون حتى يظهر صاحبها وتسلم إليه. وكذلك يعتمد مولانا السلطان وولده، ويعتمد فى أمر الحرامية هذا الاعتماد من الجهتين. وعلى أن الرهائن بعكا والبلاد الساحلية الداخلة فى هذه الهدنة، كل من عليه مبلغ أو غلة، فيحلف إلى المكان الذى منه الرهينة، ويحلف المباشر والكاتب فى وقت واحد هذا الشخص رهينة أن عليه كذا وكذا من دراهم أو غلة أو بقر أو غيره. فإذا حلف الوالى والمباشر والكاتب قدم نائب السلطان وولده على ذلك يقوم أهل الرهينة عنه بما للفرنج عليه ويطلقونه. وأما الرهائن الذين أخذوا منسوباً إلى الجفل والاختشاء أنهم لا يهربون إلى الإسلام، ويمتنع الولاية والمباشر من اليمن عليهم، فأولئك يطلقون. وعلى أنه لا يجدد على التجار المسافرين، الصادرين والواردين، من الجهتين حق لم تجر به عادة، ويجرون على عوائدهم المستمرة إلى آخر وقت، وتتوخذ منهم الحقوق على العادة المستقرة، ولا يجدد عليهم رسم ولا حق لم تجر به عادة، وكل مكان عرف باستخدام الحق فيه استخرج بذلك المكان من غير زيادة من الجهتين. ويكون التجار والسفار والمترددون آمنين مطمئنين مخفرين من الجهتين، فى حالتى سفرهم وإقامتهم، وصدورهم وورودهم، بما فى صحبتهم من الأصناف والبضائع التى هى غير المنوعة. وعلى أن ينادى فى البلاد الإسلامية والبلاد الفرنجية الداخلة فى هذه الهدنة، أنه من كان من فلاحى بلاد الإسلام يعود إلى بلاد المسلمين مسلماً كان أو نصرانياً، وكذلك من كان من فلاحى بلاد الفرنج يعود إلى بلاد الفرنج مسلماً كان أو نصرانياً، مغروقاً قرارياً من الجهتين، ومن لم يعد بعد المناذاة يطرد عن الجهتين. ولا يمكن فلاحو بلاد المسلمين من المقام فى بلاد الفرنج المنعقدة عليها هذه الهدنة، ولا فلاحو بلاد الفرنج من المقام فى بلاد المسلمين التى انعقدت عليها هذه الهدنة، ويكون عود الفلاح من الجهة إلى الجهة الأخرى بأمان.

وعلى أن تكون كنيسة الناصرية، وأربع بيوت من أقرب البيوت إليها، لزيارة الحجاج وغيرهم من دين الصليب، كبيرهم وصغيرهم، على اختلاف أجناسهم وأنفارهم، من عكا والبلاد الساحلية الداخلة في هذه الهدنة. ويصلى بالكنيسة الأقساء والرهبان، وتكون البيوت المذكورة لزوار كنيسة الناصرة خاصة، ويكونون آمنين مطمئنين في توجههم وحضورهم إلى حدود البلاد الداخلة في هذه الهدنة. وإذا نقتب الحجارة التي بالكنيسة المذكورة ترمى برا، ولا يحط منها حجر على حجر لأجل بنائته، ولا يتعرض إلى الأقساء ولا الرهبان، وذلك على وجه الهبة لأجل زوار دين الصليب بغير حق. ويلزم السلطان وولده حفظ هذه البلاد المشروحة التي انعقدت عليها الهدنة، من نفسها وعساكرهما وجنودهما، ومن جميع المتجرمة والمتلصصين والمفسدين، ممن هو داخل تحت حكمهما وطاعتها. ويلزم كفيل المملكة بعكا والمقدمين بها حفظ هذه البلاد الإسلامية المشروحة التي انعقدت عليها الهدنة، من نفسها وعساكرهم وجنودهم، ومن جميع المتجرمة والمتلصصين، ممن هو داخل تحت حكمهم وطاعتهم، بمملكته الساحلية الداخلة في هذه الهدنة. ويلزم كفيل المملكة بعكا ومقدمى البيوت بها، الحكام بعكا والبلاد الساحلية الداخلة في هذه الهدنة، القيام بما تضمنته هذه الهدنة من الشروط جميعها، شرطا شرطا وفصلا فصلا، والعمل بأحكامها والوقوف عند شروطها إلى انقضاء مدتها، ويفى كل منهم بما حلف به من الأيمان المؤكدة من أنه يفى بجميع ما في هذه الهدنة على ما حلفوا به. تستمر هذه الهدنة المباركة بين السلطان وولده وأولادها وأولاد أولادهم، وبين الحكام بمملكة عكا وصيدا وعثليث، وهم السنجال أود، والمقدمون المذكورون فلان وفلان إلى آخرها، لا تتغير بموت أحد ملوك الجهتين، ولا بتغير مقدم وتولية غيره، بل تستمر على حالها إلى آخرها وانقضائها، بشروطها المحررة وقواعدها المقررة كاملة تامة. ومتى انقضت هذه الهدنة المباركة، أو وقع - والعياذ بالله - فسوخ، كانت المهلة في ذلك أربعون يوما من الجهتين، وينادى برجوع كل أحد إلى وطنه بعد الإشهار، ليعود الناس إلى مواطنهم آمنين مطمئنين، ولا يمنعوا من السفر من الجهتين، ولا تبطل بعزل أحد من الجهتين، وتستمر أحكامها متتابعة متوالية بالسنين والشهور والأيام إلى انقضائها. ويلزم المعزول والمتولى حفظها والعمل بشروطها إلى آخر مدتها المعينة، وتستمر هذه الهدنة بشروطها وفصولها وفروعها وأصولها، ويجرى الحال فيها على أجمل الحالات إلى آخرها، وعلى جميع وقع الرضا والصلح والاتفاق، وحلف عليها من الجانبين.

والله الموفق. نسخة اليمين التي حلف السلطان الملك المنصور عليها في هذه الهدنة المباركة: «أقول وأنا... والله والله والله وبالله وبالله وتالله وتالله وتالله والله العظيم الطالب الغالب، والضار النافع، والمدرك المهلك، عالم ما بدا وما خفا، عالم السر والعلانية، الرحمن الرحيم. وحق القرآن ومن أنزله، ومن أنزل عليه وهو محمد بن عبد الله ﷺ، وما يقال فيه من سورة سورة وآية آية، وحق شهر رمضان، إننى أفى بحفظ الهدنة المباركة، التي استقرت بيني وبين مملكة عكا والمقدمين بها، على عكا وعثليث وصيدا وبلادهم، التي تضمنتها هذه الهدنة، التي مدتها عشر سنين وعشرة أشهر وعشرة أيام وعشر ساعات، أولها أن يوم الخميس خامس شهر ربيع الأول سنة اثنين وثمانين وستمائة للهجرة، من أولها إلى آخرها، وأحفظها وألتزم بجميع شروطها المشروحة فيها، وأجرى على أحكامها إلى القضاء مدتها، ولا أتاول فيها ولا فى شىء منها، ولا أستفتى فيها طلبا لنقضها، مادام الحاكمون بمدينة عكا وصيدا وعثليث، وهم كافل المملكة بعكة، ومقدم بيت الديوانية، ومقدم بيت =

وفي عاشره: ولي الصاحب برهان الدين السنجاري تدريس المدرسة بجوار الشافعي من القرافة.

=الإسبتار، ونائب مقدم بيت إسبتار الأمن الآن، ومن يتولى بعلمهم فى كفالة مملكة، أو مقدم بيت عنهم، بهذه المملكة المذكورة، وافين باليمين التى يحلفون بها لى ولولدى الملك الصالح ولأولادى، على استقرار هذه الهدنة المحررة الآن، عاملين بها وبشروطها المشروحة فيها، إلى انقضاء مدتها، ملتزمين بأحكامها. وإن نكثت فى هذه اليمين فيلزمى الحج إلى بيت الله الحرام بمكة المشرفة، حافيا حاسراً ثلاثين حجة، ويلزمى صوم الدهر كله إلا الأيام المنهى عنها، ويذكر بقية شروط اليمين، والله على نقول وكيل». نسخة يمين الفرنج التى حلفوا بها فى هذه الهدنة: والله والله والله وبالله وبالله وبالله وتالله وتالله وتالله وحق المسيح وحق المسيح وحق الصليب وحق الصليب وحق الصليب وحق الأقانيم الثلاثة من جوهر واحد، المكنتى بها عن الأب والإبن والروح القدس إله واحد. وحق اللاهوت المكرم الحال فى الناسوت العظم، وحق الإنجيل المطهر وما فيه، وحق الأناجيل الأربعة التى نقلها متى ومرقس ولوقا ويحنا، وحق صلواتهم وتقديساتهم، وحق التلاميذ الاثنى عشر، والاثنين وسبعين، والثلاثمائة وثمانية عشر المجتمعين بالبيعة، وحق الصوت الذى نزل من السماء على نهر الأردن فزجره، وحق الله منزل الإنجيل على عيسى بن مريم روح الله وكلمته، وحق الست مارية أم النور مارت مريم، ويوحنا العمودين ومرتمان ومرتماني، وحق الصوم الكبير، وحق دينى ومعبودى وما أعتقده من النصرانية، وما تلقته من الآباء والأقسام المعمودية، إننى من وقتى هذا وساعتى هذه، قد أخلصت نيتى، وأصفيت طوبتى، فى الوفاء للسلطان المنصور ولولده الملك الصالح ولأولادهما، بجميع ما تضمنته هذه الهدنة المباركة التى انعقد الصلح عليها، على مملكة عكا وصيدا وعثليث وبلادها الداخلة فى هذه الهدنة المسماة فيها، التى مدتها عشر سنين كوامل وعشرة أشهر وعشر أيام وعشر ساعات، أولها يوم الخميس ثالث حزيران سنة ألف وخمسمائة وأربعة وتسعين للإسكندر بن فيليس اليونانى، وأعمل بجميع شروطها شرطاً شرطاً، وألتزم الوفاء بكل فصل فى هذه الهدنة المذكورة إلى انقضاء مدتها. وإنى والله والله وحق المسيح وحق الصليب وحق دينى لا أتعرض إلى بلاد السلطان وولده، ولا إلى من حوته وتحويه من سائر الناس أجمعين، ولا إلى من يتردد منها إلى البلاد الداخلة فى هذه الهدنة، بأذى ولا ضرر، فى نفس ولا فى مال. وإنى والله وحق دينى ومعبودى أسلك فى المعاهدة والمهادنة، والمصافاة والمصادقة، وحفظ الرعية الإسلامية والمترددين من البلاد السلطانية، والصادرين منها وإليها، طريق المعاهدين المتصادقين، كف الأذى والعدوان عن النفوس والأموال، وألتزم الوفاء بجميع شروط هذه الهدنة إلى انقضائها، مادام الملك المنصور وافيا باليمين التى حلف بها على الهدنة، ولا أنقض هذه اليمين ولا شيئاً منها، ولا أستثنى فيها ولا فى شىء منها طلباً لنقضها. ومتى خالفها أو نقضتها فأكون بريئاً من دينى واعتقادى ومعبودى، وأكون مخالفاً للكنيسة، ويكون على الحج إلى القدس الشريف ثلاثين حجة، حافياً حاسراً، ويكون على فك ألف أسير مسلمين من أسر الفرنج وإطلاقهم، وأكون بريئاً من اللاهوت الحال فى الناسوت، واليمين يمينى، وأنا فلان، والنية فيها بأسرها نية السلطان الملك المنصور، ونية ولده الملك الصالح، ونية مستحلفى لها بها على الإنجيل المكرم، لا نية غيرها، والله والمسيح على ما نقول وكيل.

وفى [.....] (١) مات الصاحب نجم الدين حمزة الأصفونى، وولى شرف الدين أبو طالب بن النابلسى نظر الوجه القبلى، ونقل القاضى عز الدين بن شكر من نظر ديوان الجيش إلى نظر الوجه البحرى، وخلع عليهما. وبقي الأمير علم الدين سنجر الشجاعى مدير الممالىك، وهما بين يديه يصرفان المهمات.

وفىها خرجت تجريدة من قلعة كركر إلى حصار قلعة قطيبا إحدى قلاع آمد، فأخذوها من أيدي التتار، وأقيم فيها الرجال وعملت بها الأسلحة والغلال، فصارت من حصون الإسلام المنيعة.

وأخذت أيضاً قلعة كختا من النصارى بسؤال أهلها، فتسلمها أمراء السلطان بمدينة حلب، وشحنت بالأسلحة وغيرها، وصارت مسلطة على الأرمن.

وفى جمادى الأولى: خرج أرغون بن أبغا على عمه تكدار المسمى أحمد سلطان بخراسان، فسار إليه وقتله وهزمه ثم أسره، فقامت الخواتين مع أرغون، وسألن الملك تكدار أحمد فى الإفراج عنه وتوليته خراسان، فلم يرض بذلك.

وكانت المغل قد تغيرت على تكدار؛ لكونه دخل فى دين الإسلام وإلزامه لهم بالإسلام، فثاروا وأخرجوا أرغون من الاعتقال، وطرقوا ألقاب نائب تكدار ليقتلوه ففر منهم فأدركوه وقتلوا تكدار أيضاً، وأقاموا أرغون بن أبغا ملكاً. فولى أرغون وزارته سعد الدولة اليهودى، وولى ولديه خرابندا وقازان خراسان، وعمل أتبعهما الأمير نوروز.

ومات الأشكرى متملك قسطنطينية واسمه ميخائيل، وملك بعده ابنه الدوقش.

وفى النصف من جمادى الأولى: توجه السلطان من قلعة الجبل إلى بلاد الشام، فنزل غزة فى سابع جمادى الآخرة، وقبض على غرس الدين بن شاور متولى رملة ولد، وولى عوضه الأمير علم الدين سنجر الصالحى، وعزل عماد الدين بن أبى القاسم عن القلس، بنجم الدين السونجى.

ودخل السلطان دمشق يوم الجمعة ثامن شهر رجب، فرسم أن كل من استخدم ترد جامكيته على ما كانت عليه فى الدولة الظاهرية وتستعاد منه الزيادة، فاستخرج من ذلك مال كبير.

وفى يوم الجمعة حادى عشرى رجب: عوق قاضى القضاة عز الدين محمد بن عبد

(١) ما بين المعقوفتين بياض فى الأصل.

القادر بن عبد الخالق بن خليل الأنصارى المعروف بابن الصائغ، ثم صرف عن القضاء بدمشق، وطولب بثمانية آلاف دينار أودعها عنده الطواشى ریحان الخليفة وأوصاه عيلاها، وطولب بعدة ودائع أخرى، فقام فى حقه الأمير حسام الدين لاجين نائب الشام والأمير حسام الدين طرنطای نائب مصر، ومازالا حتى أفرج عنه فى ثامن عشرى شعبان، ولزم داره.

واستقر عوضه فى قضاء دمشق بهاء الدين يوسف بن محيى الدين يحيى بن محمد بن على بن محمد بن على الزكى^(١).

وفيه استقر شرف الدين بن مزهر فى نظر الشام ثالثاً للناظرين.

واستقر قراسنقر نائباً بجلب، عوضاً عن سنجر الباشقردى وقيل بل كان ذلك فى سنة إحدى وثمانين كما تقدم، وأنعم على الباشقردى بإقطاع بدر الدين الأزدرم بمصر. واستقر بدر الدين بكتوت السعدى نائباً بمحص.

وفى ثانى رمضان: خرج السلطان من دمشق، ودخل قلعة الجبل يوم الخميس رابع عشره، وخرج الحمل على العادة.

وفى هذه السنة: غارت العساكر على بلاد الأرمن، ووصلوا إلى مدينة آياس وقتلوا ونهبوا وحرقوا، واقتلوا مع الأرمن عند باب إسكندرونة^(٢) وهزموهم إلى تل حمدون، وعادوا سالمين ظافرين بالغنائم.

وفيهما كانت وقعة ببلاد بيروت مع فرج قبرس حين قصدهم بلاد الساحل، قتل فيها عدة من الفرنج، وأسر منهم زيادة على ثمانين رجلاً، وأخذت منهم غنائم كثيرة.

وفيهما وصلت رسل تدان منكو بن طوغان بن باطو بن دوشى بن جنكزخان ملك القبحاق، بكتاب خطه بالقلم المغلى: يتضمن أنه أسلم، ويريد أن ينعت نعتاً من نعوت

(١) ابن الزكى (٦٤٠-٦٨٥هـ=١٢٤٣-١٢٨٧م) يوسف بن يحيى بن محمد بن زكى الدين على القرشى الدمشقى، أبو الفضل، بهاء الدين: آخر القطان من بنى الزكى من فقهاء الشافعية. ولى القضاء بدمشق سنة ٦٨٢هـ إلى أن توفى. قال العمارة: هو ذكى بيت الزكى، كان أديبا إخباريا كثير المحفوظ، علامة، مליح الفتاوى. انظر شذرات الذهب ٢٩٤/٥، الطبقات الوسطى للسبكي، الفرق الإسلامية، الأعلام ٢٥٧/٨.

(٢) إسكندرونة: مدينة أو حصن بينه وبين أنطاكية خمسة وأربعون ميلاً، وهو حصن على ساحل البحر فيه نخيل وزروع كثيرة وغلات، وبينها وبين المصيصة أربعون ميلاً. انظر معجم البلدان، والروض المعطار ٥٦، ونزهة المشتاق ١٩٥.

أهل الإسلام، ويجهز له علم خليفتي وعلم سلطاني يقاتل بهما أعداء الدين. فجهزت الرسل إلى الحجاز، ثم عادوا وساروا إلى بلادهم بما سألوا فيه.

وفيها اشترت الدار القطبية بخط بين القصرين من القاهرة، من خالص مال السلطان، و عوض سكانها عنها قصر الزمرد بركة باب العيد، فى ثامن عشرى شهر ربيع الأول.

وقام الأمير علم الدين سنجر الشجاعى فى عمارتها مارستاناً^(١) وقبة ومدرسة باسم

(١) ذكر عمارة التربة المنصورية والمدرسة والبيمارستان ومكتب السبيل. قال: ولما رأى السلطان الملك المنصور التربة الصالحة أمر بإنشاء تربة ومدرسة وبيمارستان ومكتب سبيل فاشترت الدار القطبية وما يجاورها - وهى بين القصرين - من خالص مال السلطان، و عوض سكان الدار القطبية بالقصر المعروف بقص الزمرد. وكان انتقال سكان القطبية منها إلى قصر الزمرد ثانى عشر ربيع الأول من السنة ، ورتب الأمير علم الدين الشجاعى مشدا على العمارة، فأظهر من الاهتمام بالعمارة والاحتفال ما لم يسمع بمثله، فعمرت فى أيسر مدة، ونجزت العمارة فى شهور سنة ثلاث وثمانين وستمائة. وإذا شاهد الرائي هذه العمارة العظيمة وسمع أنها عمرت هذه المدة القريية، ربما أنكر ذلك. ولما كملت العمارة وقف السلطان من أملاكه القياسر والرباع ، والحوانيت والحمامات، والفنادق والأحكار، وغير ذلك، والضياح بالشام، ما يحصل من أجل ذلك وريعه وغلته فى كل شهر جملة كثيرة. وجعل أكثر ذلك على البيمارستان ثم القبة، ورتب وقف المدرسة إلا أنه يقصر عن كفايتها، ورتب لمكتب السبيل من الوقف بالشام ما يكفيه. ولما تكامل ذلك ركب السلطان وشاهده، وجلس بالبيمارستان ومعه الأمراء والقضاة والعلماء. فأخبرنى بعض من شهد السلطان وشهد عليه، أنه استدعى قدحاً من الشراب فشربه، وقال: «قد وقفت هذا على مثلى فمن دونى». أوقفه السلطان على الملك والمملوك، والكبير والصغير، والحر والعبد، والذكر والأنثى، وجعل لمن يخرج منه من المرضى عند برئه كسوة، ومن مات جهز وكفن ودفن. رتب فيه الحكماء الطبائعية والكحالين، والجراحية. والمجبرين لمعالجة الرمدي والمرضى والمجروحين والمكسورين من الرجال والنساء، ورتب به الفراشين والفراشات والقومة، لخدمة المرضى وإصلاح أماكنهم وتنظيفها وغسل ثيابهم وخدمتهم فى الحمام، وقرر لهم على ذلك الجامكيات الوفرة. عملت التخوت والفرش والطراريح، والأنطاع والمخدرات واللحف والملاوات، لكل مريض فرش كامل. أفرد لكل طائفة من المرضى أمكنة تخص بهم: فجعلت الأواوين الأربعة المتقابلة للمرضى بالحميات وغيرها، وجعلت قاعة للرمدي، وقاعة للجرحاء، وقاعة لمن أفرط به الإسهال، وقاعة للنساء، ومكان حسن للممرورين من الرجال، ومثله للنساء. والمياه تجرى فى أكثر هذه الأماكن. أفردت أماكن لطبخ الطعام والأشربة والأدوية والمعاجين، وتركيب الأكحال والشيافات والسفوفات، وعمل المراهم والأدهان، وتركيب الدرياقات ، وأماكن لحواصل العقاقير وغيرها من هذه الأصناف المذكورة، ومكان يفرق منه الشراب وغير ذلك من جميع ما يحتاج إليه. رتب فيه مكان يجلس فيه رئيس الأطباء، لإلقاء درس طب ينتفع به الطلبة، ولم يحضر السلطان - أتابه الله - هذا المكان المبارك بعده فى المرضى، يقف عندها المباشر ويمنع من عداها، بل جعله سبيلا لكل -

=من يصل إليه فى سائر الأوقات، غنى وفقير. لم يقتصر أيضاً فيه على من يقيم به للمرضى ، بل يرتب لمن يطلب وهو فى منزله ما يحتاج إليه من الأشربة والأغذية والأدوية، حتى أن هؤلاء زادوا فى وقت من الأوقات على مائتين، غير من هو مقيم بالبيمارستان. لقد باشرته فى شوال سنة ثلاث وسبعمائة، وإلى آخر رمضان سنة سبع وسبعمائة، فكان يصرف منه فى بعض الأيام من الشراب المطبوخ خاصة ما يزيد على خمسة قناطير بالمصرى فى اليوم الواحد، للمرتين والطوارئ، غير السكر والمطايخ من الأدوية، وغير ذلك من الأغذية والأدهان والدريات وغيرها. رتب فى البيمارستان من المباشرين والأمناء من يقوم بوظائفهن وابتياح ما يحتاج إليه من الأصناف، وضبط ما يدخل إلى المكان وما يخرج منه خاصة، من غير أن يكون لهم تعلق فى استخراج الأموال، وإنما يتعاون الأصناف ويحيلون بثمنها على ديوان صندوق المستخرج، ويكتبون فى كل شهر عمل استحقاق لسائر أرباب الجامكيات والجرابات من سائر أرباب الوظائف والمباشرين ، يكتبه العامل ويكتب عليه الشهود، ويأمر الناظر بصرفه، ويخلد ديوان الصندوق، ويصرف على حكمه. هذه الطائفة من المباشرين بالبيمارستان هم مباشرو الإدارة. أما مباشرو الصندوق والرباع، فإليهم يرجع تحرير جهات الأوقات فى الخلق والسكون والمعطل، واستخراج الأموال ومحاسبات المستأجرين، وصرف الأموال بمقتضى حوالة مباشرة الإدارة، ومباشرة العمارة، وعمل الاستحقاق، لا يتصرفون فى غير ذلك، كما لا يتصرف مباشرو الإدارة فى صرف الأموال إلا حوالة بأوراقهم. أما العمارة فلها مباشرون يتفردون بها، من ابتياعه الأصناف واستعمال الصنائع ومرمة الأوقاف، وغير ذلك مما يدخل فى وظيفتهم، وهم يحيلون بثمن الأصناف على الصندوق، كما يفعل فى الإدارة، وينقل عليهم من الصندوق من المال ما يصرفونه لأرباب الأجر خاصة، ويكتبون فى كل شهر عمل استحقاق بثمن الأصناف وأرباب الأجر، ويخصمون بما أحالوا به على الصندوق، وما وصل إليهم من المال، ويسوقونه إلى قابض أو متأخر، وترفع كل طائفة من هؤلاء المباشرين حساباتهم، مياومة ومشاهرة ومساناة، إلى الناظر والمستوفى. هذا ما بالبيمارستان. أما القبة المباركة المنصورية وهى التربة، فإنه رتب فيها خمسون مقرناً يقرعون كتاب الله تعالى ليلاً ونهاراً بالنوب، وجعل لكل منهم فى كل شهر عشرون درهماً. رتب بها إمام على مذهب الإمام أبى حنيفة رحمه الله تعالى، وله فى كل شهر ثمانون درهماً من أصل الوقف، وفى كل سنة فى ليلة ختم صلاة قيام رمضان خلعة من خزانة السلطان كاملة مسخية مقتدرة. رتب بها رئيس ومؤذنون يعلنون الأذان بالمعذنة الكبرى، ويقيمون الصلاة، ويبلغون خلف الإمام، وهم سبعة نفر: الرئيس وله فى كل شهر أربعون درهماً، والمؤذنون ستة لكل منهم فى كل شهر ثلاثون درهماً. رتب بها درس تفسير لكتاب الله تعالى، فيه درس يلقىه مدرس، رتب له فى كل شهر أربعون درهماً. طلبة عدتهم ثلاثون، لهم فى كل شهر ثلاثمائة درهم، ودرس حديث يذكر فيه حديث رسول الله ﷺ، له مدرس وطلبة، لهم فى كل شهر نظير ما للمدرس التفسير ومعينه وطلبته، وزيادة على ذلك قارئ يقرأ الحديث بين يدى المدرس فى أوقات الدروس، ويقرأ ميعاداً للعوام بين يديه أيضاً فى صبيحة كل يوم أربعا، رتب له فى كل شهر ثلاثون درهماً. رتب لخازن كتبها فى كل شهر أربعون درهماً ، وخزانة كتبها من الختمات الشريفة والربعات المنسوبة الخط، وكتب التفسير والحديث والفقهاء واللغة والطب والأدبيات ودواوين الشعراء، شئء كثير. رتب بها الخدام اللازمة، يقيمون بالقبة لحفظ حواصلها ومنع من يعبر إليها فى غير أوقات الصلوات، وهم ستة لكل =

السلطان الملك المنصور قلاوون، فأظهر من الاهتمام فى العمارة ما لم يسمع بمثله. وفيها قدم الشيخ عبد الرحمن فى الرسالة من الملك أحمد أغا سلطان إلى البيرة، وعلى رأسه الجِتر كما هى عادته فى بلاد التتر، فتلقاه الأمير جمال الدين أقش الفارسى أحد أمراء حلب، ومنعه من حمل الجِتر والسلاح، وعدل به عن الطريق السلوك إلى أن أدخله حلب ثم إلى دمشق، فوصلها ليلة الثلاثاء ثانى عشر ذى الحجة، من غير أن يُمكنَ أحدًا من الاجتماع به ولا من رؤيته. ولما وصل إلى دمشق أنزل بقلعتها، فأقام بقاعة رضوان من القلعة إلى أن وصل السلطان إلى دمشق فى سنة ثلاث وثمانين. وأجرى عليه فى كل يوم ألف درهم، ومأكل وحلوى وفاكهة بألف أخرى.

وفىها استدعى تاج الدين السهنورى من دمشق، واستقر فى نظر الدواوين بديار مصر، عوضًا عن عز الدين إبراهيم بن مقلد بن أحمد بن شكر، رفيقًا لشرف الدين بن التابلسى.

وتزوج الملك الأشرف صلاح الدين خليل ابن السلطان باردين ابنة الأمير سيف الدين نوكيه، أخت زوجة أخيه الملك الصالح على.

وفىها ولى مجد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عبد الرحمن بن مكى قضاء الحنفية بحلب، عوضًا عن نجم الدين أبى حفص عمر بن نصر بن منصور الأنصارى البيسانى، مدة يسيرة ثم عزل.

=منهم فى كل شهر خمسون درهماً، وغير هؤلاء من القومة والفراشين والبوايين. أما المدرسة المباركة المنصورية، فإنه رتب بها إمام شافعى المذهب، له فى كل شهر ثمانون درهماً، ورئيس ومؤذنون يعلنون بالأذان بالمأذنة الكبرى المذكورة، هم ومؤذنون القبة بالترية، وهم رئيس وأربعة مؤذنون، لهم فى كل شهر نظير ما لمؤذنى القبة. رتب بها متصدر لإقراء كتاب الله عز وجل، ورتب له فى كل شهر أربعون درهماً. رتب بها دروس للمذاهب الأربعة: الشافعية والمالكية والحنيفية والحنابلة، لكل طائفة مدرس له فى كل شهر مائتا درهم، وثلاثة معيدين لكل منهم خمسة وسبعون درهماً. خمسون طالبًا، لجميعهم فى كل شهر سبعمائة وخمسون درهماً، وغير هؤلاء من القومة والفراشين وبواب واحد. أما مكتب السبيل، فإنه رتب فيه فقيهان يعلمان من كان صغيرًا من أيتام المسلمين كتاب الله تعالى، ورتب لها جامكية فى كل شهر وجرية فى كل يوم، وهى لكل منهما فى كل شهر ثلاثون درهماً، وفى كل يوم من الخبز ثلاثة أرتال، وكسوة فى الشتاء، وكسوة فى الصيف، ورتب للأيتام لكل منهم فى كل يوم رطلان خبزًا، وكسوة فى الشتاء، وكسوة فى الصيف. تنوع السلطان أحزل الله ثوابه فى وجوه البر والقربات، وهذه الجهات المباركة المبرورة باقية مستمرة، يزيد وقفها وينمو لحسن نية واقفها. قدس الله روحه، ونور ضريحه.

وفي أوائل هذه السنة: تحرك سعر الغلّة حتى بلغ الأردب القمح خمسة وثلاثين درهماً، فكرة السلطان ذلك وتوجه بالعسكر إلى الشام تخفيفاً عن الناس، فلم ينحط السعر، فجمع الأمراء وأراد أن يكتب بفتح أمراء مصر أدخله حلب ثم إلى دمشق، فواصلها ليلة الثلاثاء وبيع الغلّة منها بسعر خمسة وعشرين درهماً الأردب، فقال له الأيدمرى: «قلوب الناس متعلقة بما في الأهراء، فإنها خزانة المسلمين، كلما نظروا إليها ملآنة شبت نفوسهم، وما يؤمن ارتفاع السعر أيضاً. والرأى أن الأمراء بأسرهم يكتبون بفتح شونهم وبيع القمح بخمسة وعشرين درهماً الأردب، فإذا وقع البيع منها دفعة واحدة مع بقاء الأهراء ملآنة رجى انحطاط السعر، والأمراء لا يضرهم إذا نقصت شونهم نصف ما فيها». فأعجب السلطان ذلك، وكتب الأمراء بفتح شونهم ففتحت، وبيع القمح منها بخمسة وعشرين درهماً الأردب، فانحط السعر إلى عشرين ثم إلى ثمانية عشر، واستمر كذلك حتى قدم الجديد من المغل.

وفيها قتل متملك الروم غياث الدين كيخسرو بن ركن الدين قلج أرسلان بن كيخسرو بن كيقباد، وأقيم بعده مسعود بن عز الدين كيكاس بن كيخسرو بن كيقباد بن كيخسرو بن قلج أرسلان بن مسعود بن قلج أرسلان بن سليمان بن قطلومش بن أرسلان بيغو بن سلجوق، وهو آخر من سمي بالسلطان من السلجوقية ببلاد الروم، وقد افتقر وانكشف حاله ومات قريب سنة ثمان عشرة وسبعمائة.

وفيها كانت وفاة الشيخ الإمام عماد الدين بن الفضل محمد ابن قاضى القضاة شمس الدين أبى نصر محمد بن هبة الله الشيرازى، ببستانه بالمزة^(١) فى يوم الإثنين سابع عشر صفر، وصلى عليه بعد صلاة العصر بجامع الجبل، ودفن بترية فيها قبر أخيه علاء الدين، رحمهما الله تعالى. وكان شيخ الكتابة أتقن الخط المنسوب، وبلغ فيه مبلغاً عظيماً حتى أتقن قلم المحقق، وكتبه أجود من شيخ الصناعة ابن البواب.

وفيها توفى الصاحب مجد الدين أبو الفداء إسماعيل بن إبراهيم بن أبى القاسم بن أبى طالب بن كسيرات الموصلى، وكانت وفاته فى سابع عشرى رمضان بداره بجبل الصالحية، وكان رحمه الله تعالى كثير المروءة واسع الصدر، كثير الهيبة والوقار جميل الصورة حسن المنظر والشكل، كثير التعصب لمن يقصده محافظاً على مودة أصدقائه وقضاء حوائجهم، كثير التفقد لهم. وأصله من الموصل من بيت الوزارة، كان والده

(١) المزة: بالكسر ثم التشديد: وهى قرية كبيرة غناء فى وسط بساتين دمشق. انظر معجم

وزير الملك المنصور عماد الدين زنكى ابن الملك العادل نور الدين أرسلان شاه بن عز الدين مسعود بن مودود بن زنكى بن آقسنقر، ثم باشر نظر الخزانة للملك الرحيم بدر الدين لؤلؤ، ثم نقله إلى نظر الجزيرة العُمريّة لما فتحها، ووصل إلى الشام صحبة الملك المجاهد سيف الدين إسحاق لما وصل في الدولة الظاهرية، وسكن دمشق وولى نظر البر بها، ثم نقل إلى نظر نابلس، ثم أعيد إلى دمشق فباشر نظر الزكاة بها، ثم انتقل إلى صحابة الديوان بالشام إلى أن ملك سنقر الأشقر دمشق، فاستوزره كما تقدم، وبطل بعد ذلك عن المباشرة، وسكن داره التي أنشأها بجبل قاسيون جوار البيمارستان، فكان بها إلى أن مات.

قال شمس الدين الجزرى: قلت له يوما وقد أضرت به البطالة: «يا مولانا لو ذكّرتَ أحدًا من أصحابك الأمراء حتى يذكر بك السلطان أو نائب السلطنة، فكاتبَ فى أمرك، فإن لك خدما وتفضلاً على الناس، فنظر إلى وأنشد:

لذَّ خُمُولِي وَحَلَا مُرَّهٖ وصاننى عن كل مخلوق
نفسى معشوقى ولى غيرَهٗ تمنعنى عن بذل معشوقى

وفيها فى يوم الخميس عاشر شهر رمضان: توفى الملك العادل سيف الدين أبى بكر ابن الملك الناصر صلاح الدين دواد ابن الملك المعظم شرف الدين عيسى ابن السلطان الملك العادل سيف الدين أبى بكر محمد بن أيوب، وكانت وفاته بدمشق، وصلى عليه بعد صلاة الجمعة، ودفن بالتربة المعظمية. وكان - رحمه الله تعالى - قد جمع بين الرياسة والفضيلة والعقل الوافر والخصال الجميلة، وكان بجانب الناس محبوب الصورة، رحمه الله تعالى.

وفيها فى سادس عشرى شعبان: توفى القاضى عز الدين إبراهيم بن الصاحب الوزير الأعز فخر الدين أبى الفوارس مقدم ابن القاضى كمال الدين أبى السعادات أحمد بن شكر. وكان قد ولى نظر الجيوش بالديار المصرية فى شهر رمضان سنة خمس وسبعين وستمائة، كما تقدم. رحمه الله تعالى.

وفيها توفى الشيخ الإمام العلامة العابد الزاهد شمس الدين أبو محمد عبد الرحمن ابن شيخ الإسلام أبى عمر محمد بن أحمد بن محمد بن قدامة بن مقدم بن نصر القدسى شيخ الخنابلة بالشام. وكان قد ولى قضاء القضاة على كره منه سنة أربع وستين وستمائة كما تقدم، ثم ترك الحكم وتوفّر على العبادة والتدريس وأشغال الطلبة والتصنيف. ويقال إنه قطب بالشام، واستدلى على ذلك بمراء توافقت عليها جماعة

تعرفه فى سنة سبع وسبعين وستمائة أنه قُطب، وكان أوحد زمانه. وكانت وفاته فى يوم الإثنين سلخ ربيع الآخر منها، ودفن بقاسيون بترية والده قدس الله روحه. ومولده فى السابع والعشرين من المحرم سنة سبع وتسعين وخمسمائة. ولما مات رثاه المولى الفاضل شهاب الدين محمود كاتب الإنشاء بقصيدة أولها:

ما للوجود وقد علاه ظلام أعراه خطبٌ أم عَداه مرام؟
أم قد أصيبَ بشمسه فغدا وقد لبست عليه حدادها الأيام

وجاء منها:

لكم الكرامات الجليلات التى لا تستطيع جحودها الأقوام

وهى قصيدة تزيد على ستين بيتاً. ورثاه جماعة رحمه الله تعالى.

وفىها توفى الأمير علاء الدين كندغدى المشرقى الظاهرى المعروف بأمر مجلس، كان من أعيان الأمير بالديار المصرية، وظَهَرَ قبل وفاته بمدّة يسيرة أنه باق على الرق، فاشتراه السلطان الملك المنصور بجملة وأعتقه وقرّبه لديه، وكان شجاعاً بطلاً مقدماً. وكانت وفاته بالقاهرة فى يوم الجمعة مستهل صفر، ودفن بمقابر بيباب النصر، رحمه الله تعالى.

وفىها توفى الأمير شهاب الدين أحمد بن حجى بن يزيد البرمكى أمير آل مرا، وكانت وفاته ببُصْرَى. وكانت غرته تنتهى إلى أقصى نجد والحجاز، وأكثرهم يؤدون إليه أتاوة فى كل سنة، فمن قطعها منهم أغار عليه، وكان يدعى أنه من نسل جعفر البرمكى (١) من العباسة (٢) أخت الرشيد، ويقول إنه تزوّجها ورزق منها أولاداً، ولما

(١) جعفر البرمكى. (١٥٠ - ١٨٧هـ = ٧٦٧-٨٠٣م) جعفر بن يحيى بن خالد البرمكى، أبو الفضل: وزير الرشيد العباسى، وأحد مشهورى البرامكة ومقدمهم. لد ونشأ فى بغداد، واستوزره هارون الرشيد، ملقياً إليه أزمة الملك، وكان يدعو: أحنى. انقادت له الدولة، يحكم بما يشاء فلا ترد أحكامه، إلى أن نقم الرشيد على البرامكة، نقمته المشهورة، فقتله فى مقدمتهم، ثم أحرق جثته بعد سنة. وكانت لجعفر توقعات جميلة. وهو أحد الموصوفين بفصاحة المنطق وبلاغته القول وكرم اليد والنفس، قالوا فى وصف حديثه: «جمع الهدوء والتهمل والجزالة والحلاوة، وإفهاماً يغنيه عن الإعادة» وكان كاتباً بليغاً، يحتفظ الكتاب بتوقعاته يتدارسونها. والبرامكة يرجعون فى أنسابهم إلى الفرس. انظر تاريخ الطبرى: حوادث سنة ١٨٧ والبيان والتبيين ١: ٥٨ والجهمشيارى ٢٠٤ ومواضع أخرى منه. والبداية والنهاية ١٠: ١٨٩، ١٩٤، وابن خلكان ١: ١٠٥ وتاريخ بغداد ٧: ١٥٢ والنجوم الزاهرة ٢: ١٢٣.

(٢) العباسة على بنت المهدي بن المنصور، من بنى العباس: أخت هارون الرشيد: أديبة شاعرة، =

جرى على البرامكة ما جرى هرب أولاده منها إلى البادية، فأخذهم جده، والله أعلم. وكان يقول للقاضي شمس الدين ابن خلكان «أنت ابن عمي» وكان بينهما مهادة، وانتفع ابن خلكان به وباعته عند السلطان.

وفيها في سابع عشرى المحرم: كانت وفاة شمس الدين عيسى بن صاحب برهان الخضرى السنجارى، كان ينوب عن والده فى الوزارة الأولى فى سنة ثمان وسبعين وستمائة، وولى نظر الأحباس ونظر خانقاه سعيد السعداء، ثم ولى بعد ذلك تدريس المدرسة الصلاحية المعروفة بزين التجار، ثم قبض عليه مع والده بعد انفصاله من الوزارة الثانية كما تقدم. فلما أفرج عنه سكن المدرسة المعزية بمصر، وكان بها إلى أن توفى، وكان حسن الصورة والشكل، رحمه الله تعالى.

وفيها فى سادس شوال: توفيت زوجة السلطان الملك المنصور والدة ولده الملك الصالح علاء الدين على، رحمهما الله تعالى.

وفيها فى يوم الأحد ثانى عشر جمادى الأولى: توفى الشيخ ظهير الدين جعفر بن يحيى بت جعفر القرشى التزمى الشافعى، مدرس المدرسة القطبية بالقاهرة، وأحد المعيدى بمدرسة الشافعى. رحمه الله تعالى.

وفيها فى يوم السبت ثانى عشرى رجب: توفى الأمير علم الدين سنجر أمير جاندار أعاى عأحد الأمراء بالديار المصرية، وكانت وفاته بدمشق لما كان السلطان بها، ودفن بظاهرها عند قباب التركمان بميدان الحصا، رحمه الله تعالى.

* * *

=تحسن صناعة الغناء. من أجمل النساء وأطرفهن وأكملهن فضلاً وعقلاً وصيانه. كان أخوها إبراهيم ابن المهدي يأخذ الغناء. كان فى جبهتها يشين وجهها فاتخذت عصابة مكللة بالجواهر لتستر وجهها وهى أول من اتخذها. قال الصولى: لا أعرف لخلفاء بنى العباس بنتا مثلها. كانت أكثر أيام ظهرها مشغولة بالصلاة ودرس القرآن ولزوم الحراب، فإذا لم تصل اشتغلت بلهوها. وكان أخوها الرشيد يبلغ فى إكرامها ويجلسها معه على سريره وهى تأبى ذلك وتوفيه حقه - تزوجها موسى بن عيسى العباس.

سنة ثلاث وثمانين وستمائة

فى المحرم: توجه عسكر إلى الكرك، وعليه الأمير بدر الدين بكتاش الفخرى والأمير طقصوا، فضايقوا الكرك ورعت خيولهم مزارعها.

وفى ثانى عشره: ولى الشيخ معز الدين النعمان الحنفى تدريس المدرسة الصالحية بين القصرين، بعد موت عز الدين الماردينى.

واستقر سيف الدين [...] (١) فى ولاية قوص، عوضاً عن بهاء الدين قراقوش.

واستقر مجد الدين عمر بن عيسى الحرّامى فى ولاية سيوط، عوضاً عن سيف الدين.

استقر عز الدين أيدمرى الكوجى فى ولاية أحميم، عوضاً عن بلبان الفارسى.

واستقر شهاب الدين قرطاي الجاكى فى ولاية قليوب، عوضاً عن حسان الدين لؤلؤ الكهارى.

وفى ثانى عشره: استقر الأمير شمس الدين إبراهيم بن خليل الطورى فى ولاية الروحا والطرق السالكة إلى الفرنج وإلى عثليث وحيفا وعكا، عوضاً عن الأمير نور الدين، وأقطع إمرة عشرة.

وفى أول صفر: توجه الأمير سيف الدين المهرانى إلى ولاية البهنسا والأشمونين، عوضاً عن كيكلدى والى البهنسا، وعن فخر الدين بن التركمانى والى الأشمونين.

وورد الخبر بقتل القان نكدار ويدعى أحمد أغا سلطان بن هولاکو، وتملك أرغون ابن أبغا بن هولاکو من بعده.

وفى أول ربيع الآخر: ورد الخبر بحركة الفرنج لأخذ الشام، فتجهز السلطان للسفر وركب بعساكره فى يوم الأحد ثامن جمادى الأولى، وتوجه من قلعة الجبل إلى دمشق.

وفى يوم الأربعاء حادى عشره: حضر الموفق أحمد بن الرشيد أبى حليقة إلى الدهليز السلكانى، وأسلم وتسمى بأحمد.

فخلع السلطان عليه، ورسم له بمساواة أخويه فى العلوم لما أسلما، وكتب له بذلك.

وفى رابع عشره: كتب بولاية الأمير عماد الدين أحمد بن قباخل البحرية.

وفى يوم السبت ثانى عشر جمادى الآخرة: دخل السلطان إلى دمشق، فقدم القصاد من بلاد التتار بقتل أحمد أغا وولاية أرغون.

وفى تلك الليلة: ألبس السلطان ألفاً وخمسمائة من ممالكة أقيبه أطلس أحمر بطرُزٍ وكلفتات زركش وحوائص ذهب، وأشعل بين يديه ألفاً وخمسمائة شمعة مع كل مملوك شمعة. واستدعى عبد الرحمن الموصلى فى السنة الماضية من بلاد التتار، فحضر ومعه رفقته الأمير صمداغو التترى والصاحب شمس الدين محمد ابن الصاحب شرف الدين التبتى المعروف بابن الصاحب وزير ماردين. فقدموا للسلطان تحفاً منها نحو ستين جبل لؤلؤ كباراً، وحجر ياقوت أصفر زنته ما ينيف على مائتى مثقال، وحجر ياقوت أحمر، وقطعة بلخش زنتها اثنان وعشرون درهما، وأدوا رسالة الملك أحمد أغا، فلما فرغوا ردهم السلطان إلى مكانهم، ثم استدعاهم واستعادهم كلامهم، ثم ردهم إلى مكانهم، وأحضرهم مرة ثالثة وسأهم، عن أشياء، فلما علم ما عندهم أخبرهم أن مرسلهم الذى بعثهم قد قتل، وتملك بعده أرغون بن أبغا. ثم ردهم إلى قاعة بقلعة دمشق، ونقلهم من قاعة رضوان التى كانوا بها منذ وصلوا إلى دمشق، واقتصر من راتبهم على قدر الكفاية، وطولبوا بما معهم من المال لأحمد أغا، فأنكروا أن يكون معهم مال فتوجه إليهم الأمير شمس الدين سنقر الأعسر الأستادار، وقال: «قد رسم السلطان بانتقالكم إلى غير هذا المكان، فليجمع كل أحد قماشه» فقاموا يحملون أمتعتهم وخرجوا فأوقفهم فى دهليز الدار وفتشهم، وأخذ منهم جملة كبيرة من الذهب واللؤلؤ ونحوه، منها سبحة لؤلؤ كانت للشيخ عبد الرحمن قومت بمائة ألف درهم، واعتقلوا فمات عبد الرحمن فى ثامن عشرى رمضان بالسجن، وضيق على البقية ثم أطلقوا، ما خلا الأمير شمس الدين محمد ابن الصاحب فإنه نقل إلى قلعة الجبل بمصر واعتقل بها.

وفيه عزل الأمير علم الدين سنجر الدويدارى من شد الدواوين بدمشق، وأضيف إلى الأمير شمس الدين سنقر الأعسر الأستادار بدمشق.

ونقل ناصر الدين الحرّانى من ولاية مدينة دمشق إلى نيابة حمص، وأضيفت ولاية دمشق إلى الأمير طوغان والى البر.

وفيه خرج السلطان من دمشق يريد مصر، بظاهر دمشق.

فلما كانت ساعات من يوم الأربعاء حادى عشرى شعبان: حَظَم سيل بعد مطر عظيم، فحمل أثقال الأمراء والأجناد وحيولهم وجمالهم، فعدم للأمير بدر الدين بكصاص ما تزيد قيمته على أربعمئة ألف وخمسين ألف درهم، وانهى السيل إلى باب الفراديس، فكسر أبقاله وما خلفه من المتاريس. ودخل الماء إلى إلى المدرسة المقدمية، وبقي كذلك حتى ارتفع النهار.

ثم حدث بعد يومين: مطر شديد هدم عدة مساكن بدمشق وظواهرها، فتلف للناس ما لا يحصى، فأنعم السلطان على الأجناد كل واحد بأربعمئة درهم.

ورحل السلطان من دمشق فى رابع عشره، فوصل قلعة الجبل فى يوم الثلاثاء ثامن عشر رمضان. فقدم الخير من مكة بأن الشريف أبا نعى طرد جند اليمن واستبد بها، وكان من خبره أن مكة كانت بينه وبين قتادة، وكان يؤخذ من حاج اليمن على كل جمل مبلغ ثلاثين درهما، ومن حاج مصر على الجمل مبلغ خمسين درهما مع كثرة النهب والعسف فى جباية ما ذكر، فمازال الظاهر يبىرس حتى صار يؤخذ من حاج مصر مبلغ ثلاثين درهما على كل جمل. فجرد المظفر صاحب اليمن إلى مكة عسكريا عليه أسد الدين جفريل، فملكها بعد حرب، فجمع قتادة وأبو نعى العربَ لحربه، فوقع الاتفاق بينهما أن تكون مكة بينهما نصفين. ثم اختلفا بعد مدة، وانفرد أبو نعى وقوى وأخرج عسكري اليمن، واشتد على الحجاج فى الجباية. فرسم السلطان بسفر ثلاثمئة فارس صحبة الأمير علاء الدين سنجر الباشقردى، وأنفق فى كل فارس ثلاثمئة درهم، وكتب بخروج مائتى فارس من الشام فتوجهوا صحبة الحجاج. فكانت بينهم وبين أبى نعى وقعة، وأخربوا الدرب. وكان الحجاج كثيراً، فإنها كانت وقعة الجمعة.

وورد الخير بموت الملك المنصور محمد ابن المظفر تقى الدين محمود ابن المنصور محمد ابن المظفر تقى الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب، صاحب حماة، وكانت وفاته فى حادى عشر شوال، فقوّضت حماة لولده الملك المظفر تقى الدين محمود، وجهاز إليه التقليد والتشريف صحبة الأمير جمال الدين أقش الموصى الحاجب، ومعه عدة تشاريف لجماعة من أهل بيته.

وفى ذى القعدة: قبض على الأمير علم الدين سنجر الحلبى، واعتقل بقلعة الجبل.

وورد الخير بوفاة الأمير شرف الدين عيسى بن مهنا بن مانع بن حديثة بن عضبة بن

فضل بن ربيعة، وكانت وفاته فى تاسع ربيع الأول، فاستقر فى إمرة العرب ابنه حسام الدين مهنا بن عيسى.

وفى هذه السنة: نجزت عمارة المدارس الكبير المنصوري والمدرسة والقبعة.

وفى النصف من ذى الحجة: توجه السلطان إلى دمشق.

وفى هذه السنة: سرح الملك الصالح على ومعه أخوه خليل إلى العباسية، ومعهما الأمير بيبرس الفارقاني وإليه يومئذ أمر رماة البندق، فأقاموا أياماً فى الصيد، ومعهم جماعة كثيرة من الرماة. فصرع الصالح طيراً خطته الرماة، وصرع أخوه خليل بعده طيراً آخر. فبعث الفارقاني يبشر السلطان بذلك، ويستأذنه لمن يدعى فى الرمى الملك الصالح، فرسم أن يدعى للمنصور صاحب حماة.

فسفر طير الصالح إلى حماة، ومعه هدية سنوية وكتاب السلطان وكتاب ابنه الصالح. فخلع المنصور على البريدى القادم بذلك، ووضع الطير على رأسه، وبعث هدية فيها عشرة أندان بندق ذهب كل ندب خمس بندقات، زنة كل بندقة عشرة دنانير، وعشرون ندب فضة زنة البندقة مائة درهم، وبدلة حرير غيار زرکش فيها ألف دينار، وحياسة مكللة، وجرارة زرکش فيها البندق المذكور، وعشرون قوساً، وعدة تحف بلغت قيمة ذلك ثلاثين ألف دينار.

وفىها كانت حرب بمكة سببها أن أبانمى بلغه توجه العسكر، فلم يخرج إلى لقاء الحاج وبعث قواده فقط، فلم يرض الباشقردى إلا بحضوره واستعد للحرب، وقد وقف أبانمى بمن معه ليمنع من دخول مكة، وروموا بالحجارة فرماهم الترك بالنشاب، وأحرق الباب ودخل العسكر. فقام البرهان خضر السنجارى حتى أحمد الفتنة، وحملت خلعة أبى نمى إليه، وقضى الناس حجهم.

* * *

ومات فى هذه السنة من الأعيان

صاحب حماة الملك المنصور محمد ابن المظفر محمود بن المنصور محمد ابن المظفر عمر بن شاهنشاه بن أيوب بن شادى، عن إحدى وخمسين سنة.

ومات الأمير عيسى بن مهنا بن مانع بن حديثة بن عضبة بن فضل بن البيعة، بعد عشرين سنة من إمارته.

ومات القان تكدار ويدعى أحمد سلطان بن هولاکو بن طلوی بن جنکزخان، عن سبع وثلاثين سنة بالأردو، منها مدة ملكه سنة وأشهر.

وتوفى قاضى دمشق عز الدين أبو المفاخر محمد بن عبد القادر بن عبد الخالق بن خليل بن مقلد بن جابر بن الصائغ الأنصارى الشافعى، وهو معزول، عن خمس وخمسين سنة.

وتوفى قاضى حلب نجم الدين أبو حفص عمر بن العفيف أبى المظفر نصر بن منصور الأنصارى البيسانى الشافعى وهو معزول، عن نيف وثمانين سنة بدمشق.

وتوفى قاضى حماة شمس الدين أبو الطاهر إبراهيم بن المسلم بن هبة الله بن حسان ابن محمد بن منصور بن أحمد بن البارزى الجهنى الحموى الشافعى، قريئاً من المدينة النبوية، ودفن بالبقيع^(١)، عن خمس وسبعين سنة.

وتوفى قاضى الإسكندرية ناصر الدين أحمد بن وجيه الدين أبى المعالى محمد بن منصور بن أبى بكر بن القاسم بن المنير الجذامى الإسكندرية المالكى بها، عن ثلاث وستين سنة.

وتوفى الشيخ أبو عبد الله محمد بن موسى بن النعمان التلمسانى بمصر، عن سبع وسبعين سنة.

وقتل الدعى أحمد بن مرزوق بن ابى عماد المسيلى^(٢) الخياط، متملك تونس، وكان

(١) البقيع: مقبرة أهل المدينة وهى داخل المدينة. انظر معجم البلدان.

(٢) المسيلى (٦٨٣هـ=١٢٨٤م) أحمد بن مرزوق: متسلط فى المغرب أصله من بجاية (بإفريقية) ولحق بصحراء سحلماسة فادعى أنه من آل البيت وإنه الفاطمى المنتظر فأعرض البدو عنه، فرحل إلى أطراف طرابلس الغرب فالتقى بفتى اسمه «نصير» كان مولى للوائق الحفصى يحيى بن محمد فأعلمه نصير بأنه قريب الشبه من الفضل بن الوائق وكان الفضل قد قتل مع أبيه قتلها إبراهيم بن يحيى وأراه أنه إذا تسمى بالفضل وادعى أنه ابن الوائق أفلح. فوافقه ابن أبى عمار وأظهر أنه «الفضل» وأنه لم يقتل، فصدقه أهل تلك النواحي وبايعوه بالخلافة. كثر جمعه فاستولى على طرابلس، وزحف إلى قابس سنة ٦٧١هـ، فبايع له عاملها عبد الملك بن مكى، واستولى على عدة إيالات وعظم شأنه. بلغ خيره أبا إسحاق إبراهيم بن يحيى (أمير المؤمنين بتونس) فجهز جيشاً لمقاتلته فلم يفده، ونزل ابن أبى عمار بالقيروان فبايع له أهلها وهم لا يرتابون فى أنه الفضل بن الوائق، واقتدى بهم أهل المهديّة وصفاقس، وكثر الإرجاف بتونس فارتحل إبراهيم بن يحيى بجيشه إلى ظاهر البلد، فقصده الدعى (ابن أبى عمار) وقرب من تونس، فلحق به معظم جيش إبراهيم. خاف إبراهيم على نفسه ففر إلى بجاية. ودخل الدعى تونس ثم سير إلى إبراهيم جيشاً قتله فى بجاية. أقام الدعى بتونس سلطاناً على المغرب=

١٨٨ سنة ثلاث ثمانين وستمائة

قد قدم من أطرابلس، وزعم أنه الواثق أبو زكريا يحيى بن المستنصر، وقتل إبراهيم بن يحيى، فمشى أمره على الناس مدة سنة وستة أشهر.

وبويع بعده الأمير أبو حفص عمر بن يحيى بن عبد الواحد فى رابع عشرى ربيع الآخر.

* * *

=مدة ثلاث سنوات، ثم ضعف أمره بظهور أخ لإبراهيم يعرف بأبى حفص المستنصر بالله - عمر بن يحيى فاتخذل الدعى واختفى فأخرجه أبو حفص ومثل به وقتله. انظر الخلاصة النقية ٦٥، ابن خلدون ٣٠٢/٦، الأعلام ٢٥٦/١.

سنة أربع وثمانين وستمائة

فى يوم السبت سادس عشر المحرم: ولد الملك الناصر محمد بن قلاوون، فى الساعة السابعة بطالع برج السرطان، وكان مولده بقلعة الجبل، فقدمت البشارة بذلك على أبيه وهو بمنزلة خربة اللصوص قبل قدومه إلى دمشق.

وقدم السلطان دمشق فى ثانى عشره، ثم سار منها ونازل حصن المرقب وهو حصن الإستار ثمانية وثلاثين يوماً، حتى أخذه من الفرنج عنوة يوم الجمعة تاسع عشر ربيع الأول، وأخرج من فيه إلى طرابلس.

وبعث السلطان إلى سنقر الأشقر بتاج الدين أحمد بن سعيد بن الأثير، يلومه على مكاتبة التتار والاستنجد بهم ويدعوه إلى الحضور، فوبخه تاج الدين ولامه حتى أناب وواعد بإرسال ولده.

وفى ثامن ربيع الآخر: استقر الشيخ المهذب أبو الحسن بن الموفق بن النجم بن المهذب أبى الحسن بن شمويل الطيب فى رئاسة اليهود، وكتب له توقيع برئاسة سائر طوائف اليهود من الربانيين والقرائين والسامرة، بالقاهرة ومصر وسائر ديار مصر.

وفى سابع جمادى الأولى: قدم السلطان إلى دمشق، وفوض وزارة دمشق للقاضى محبى محمد بن النحاس ناظر الخزانة، عوضاً عن تقى الدين توبة التكريتى.

وفى خامس عشره: عزل طوغان عن ولاية دمشق، وبقي على ولاية البر، واستقر فى ولاية دمشق عز الدين محمد بن أبى الهيجاء.

وسار السلطان من دمشق يوم الإثنين ثامن عشره، فوصل قلعة الجبل، يوم الثلاثاء تاسع عشرى شعبان، وكان قد أقام فى تل العجول مدة أيام.

وفى سابع رمضان: قدمت رسل الفرنج بتقاد من عند الأنبرور، ومن عند الجنوية، ومن عند الأشكرى.

وفى حادى عشره: استقر القاضى مهذب الدين محمد بن أبى الوحش المعروف بابن أبى حليقة فى رئاسة الأطباء، ومعه أخواه علم الدين إبراهيم وموفق الدين أحمد، وكتب بذلك توقيع سلطانى، واستقر مهذب الدين فى تدريس الطب بالمارستان.

١٩٠..... سنة أربع ثمانين وستمائة

وفي خامس عشره: استقر القاضي تقي الدين أبي الحسن على ابن القاضي شرف الدين أبي الفضل عبد الرحيم ابن الشيخ جلال الدين أبي محمد عبد الله بن شامس المالكي السعدي^(١)، في تدريس المدرسة المنصورية.

وفي أول ذى القعدة: وصلت رسل صاحب اليمن بتقادمه: وهي ثلاثة عشر طواشياً، وعشرة أفراس وفيل وكركدن وثمانى نعاج، وثمانية طيور ببغاء، وثلاث قطع عود تحمل كل قطعة على رجلين، وحمل رماح قنا، وبهار حمل سبعين جملاً، وقماش حمل على مائة قفص، ومن تحف اليمن مائة طبق. فقبل ذلك، وأنعم على رسله وعليه كالعادة.

وفي سادس ذى الحجة: احترقت الخزانة السلطانية والقاعة الصالحية من قلعة الجبل.

وفيه استقر الشيخ شمس الدين محمد بن أبي بكر محمد الأيكي الفارسي فى مشيخة الشيوخ بمخانقاه سعيد العداء، بعد وفاة الشيخ صاين الدين حسن البخارى.

وفيه استقر شمس الدين أبو عبد الله محمد بن محمد بن بهرام الشافعى فى قضاء الشافعية بحلب، عوضاً عن مجد الدين إسماعيل بن عبد الرحمن بن مكى الماردينى.

* * *

ومات فى هذه السنة من الأعيان

الأمير علاء الدين أيدكين البندقدار الصالحى نائب حلب، وهو من جملة أمراء مصر بالقاهرة.

وتوفى رشيد الدين أبو محمد شعبان بن على بن سعيد البصراوى الحنفى، بدمشق عن نحو ستين سنة.

وتوفى رضى الدين أبو عبد الله محمد بن على بن يوسف الشاطبى الأنصارى النحوى اللغوى الأديب المؤرخ، وقد أناف على الثمانين بالقاهرة.

(١) ابن شامس (٦١٦هـ-١٢١٩م) عبد الله بن محمد بن نجم بن شامس بن نزار، الجذامى السعدي المصرى، جلال الدين أبو محمد: شيخ المالكية فى عصره بمصر. من أهل دمياط. مات فيها مجاهداً، والإفرنج محاصرون لها، من كتبه «الجواهر الثمينة» فى فقه المالكية. انظر خطط مبارك ٥٣/١١، وشذرات الذهب ٦٩/٥، شجرة النور ١٦٥. كشف الظنون ٦١٣، الأعلام ٤/١٢٤.

وتوفى الحافظ علاء الدين أبو القاسم على بن بلبان الناصري^(١) عن اثنتين وسبعين سنة بدمشق، قدم القاهرة.

وتوفى الواعظ زين الدين أبو العباس أحمد بن الأشبيلي بالقاهرة.

وتوفى الأمير مجيد الدين أبو عبد الله محمد بن يعقوب بن تميم الدمشقي بحماة.

* * *

(١) ابن بلبان (٦٧٥-٧٣٩هـ=١٢٢٦-١٣٣٩م) على بن بلبان بن عبد الله، علاء الدين الفارسي، المنعوت بالأمير: فقيه حنفي، سكن القاهرة وتوفى بها. من كتبه «المقاصد السننية في الأحاديث الإلهية»، و«الأحاديث العوالي»، و«شرح تلخيص الجامع الكبير للخلاطى» و«السيرة النبوية» مختصر، و«المناسك» و«الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان» و«تحفة الصديق في فضائل أبي بكر الصديق». انظر الفوائد البهية ١١٨، الجواهر المضية ١/٣٥٤، والدرر الكامنة ٣/٣٢، وبغية الوعاة ٣٣١. مخطوطات الظاهرية ٨٩. الأعلام ٤/٢٦٧، ٢٦٨.

سنة خمس وثمانين وستمائة

فى ثانى المحرم: سار الأمير حسام الدين طرنطاي نائب السلطنة بعسكر كثيف إلى الكرك، فلقاه عسكر دمشق صحبة الأمير بدر الدين الصوابى، فتوجه معه إليها، وضايقها وقطع الميرة عنها حتى بعث الملك المسعود خضر ابن الظاهر ببيرس يطلب الأمان. فبعث إليه السلطان الأمير ركن الدين ببيرس الدوادار من قلعة الجبل بالأمان فنزل الملك المسعود وأخوه بدر الدين سلامش إلى الأمير طرنطاي فى خامس صفر. واستقر الأمير عز الدين أيك الموصلى نائب الشوبك فى نيابة الكرك.

ووردت البشارة بأخذ الكرك إلى قلعة الجبل فى ثامن. وقدم الأمير طرنطاي بأولاد الظاهر إلى القاهرة، فخرج السلطان إلى لقائه فى ثانى عشر ربيع الأول.

وأكرم السلطان الملك المسعود وسلامش، وأمر كل منهما إمرة مائة فارس، وصاروا يركبان فى الموكب والميادين، ورتبا يركبان مع الملك الصالح على.

وفيه قدم راجح وزير أبى نعى يشكو من الباشقردى، وبتعذر عن تأخر حضوره فقبل السلطان عذره وطلب منه خجرة وضربا للسلطان، ووعد بإرسال ثمنها إليه.

وفى يوم الخميس رابع عشر صفر: حصل وقت العصر بناحية الغسولة من معاملة مدينة حمص أمر غريب: وهو أن سحابة سوداء أرعدت رعداً شديداً، وخرج منها دخان أسود اتصل بالأرض على هيئة ثعبان فى ثخن العمود الكبير الذى لا يحضنه إلا عدة من الرجال، رأسه فى عنان السماء وذنبه يلعب فى الأرض، شبه الزوبعة الهائلة. وصار يحمل الأحجار الكبار ويرفعها فى السماء مثل رمية سهم وأزيد، فتقع على الأرض وتصدم بعضها بعضاً، فيسمع لها أصوات مرعبة وتبلغ من هو عنها ببعيد.

واتصل ذلك بأطراف العسكر المجرى بجمص، وعليه الأمير بدر الدين بكتوت العلائى وهم زيادة على ألفى فارس، فما مرَّ بشيء إلا رفعه فى الهواء كرمية سهم وأكثر: فحمل السروج والجواشن وآلات الحرب وسائر الثياب، وحمل خرجا من آدم فيه تطابق نعال للخيل من حديد حتى علا رمية سهم، ورفع الجمال بأحمالها حتى ارتفعت قدر رمح عن الأرض، وحمل كثيرا من الجند والغلمان، قتلف شىء كثير جدا.

ثم غاب الثعبان وقد توجه فى البرية نحو المشرق، ووقع بعده مطر.

وفي سلخه: عزل محيي الدين محمد بن يعقوب بن إبراهيم بن النحاس عن وزارة دمشق، وأعيد تقى الدين توبة.

وفي سابع رجب: توجه السلطان إلى الكرك، فوصلها وعرض حواصلها ورجاها وشحن بها ألفى غرارة قمح، وقرر بها بحرية ورتب أمورها، ونظف البركة، وجعل في نيابة الكرك الأمير ركن الدين بيبرس الدوادار، ونقل عز الدين أيك إلى نيابة غزة، ثم نقله إلى نيابة صفد.

وانتهت زيادة ماء النيل في حادى عشرى شعبان إلى سبعة عشر ذراعاً وإصبعين.

وسار السلطان من الكرك وأقام في غاية أرسوف حتى وقع الشتاء وأمن حركة العدو، ثم عاد إلى مصر فوصل قلعة الجبل في رابع عشر شوال، فأفرج عن الأمير بدر الدين بكتوت الشمسى والأمير جمال الدين أقش الفارسى.

وفي يوم الأربعاء خامس عشر جمادى الأولى: استقر تقى الدين عبد الرحمن ابن بنت الأعز قضاء مصر والوجه القبلى بعد وفاة وجيه الدين البهنسى. واستمر شهاب الدين محمد الخولى على قضاء القاهرة واستقر في قضاء القضاة المالكية زين الدين على ابن مخلوف ناظر الخزانة، عوضاً عن تقى الدين حسين بن عبد الرحيم بن شاس.

وفي ذى الحجة: استقر الأمير علم الدين أبو حرص الحموى نائباً بحماة. وفيها كانت وقعة بين الأمير بلبان الطباخى نائب حصن الأكراد وبين أهل حصن المرقب، بسبب أخذهم قافلة تجارة قتلة فيها عدة من مماليكه وجرح هو فى كتفه، فكتب بمنازلة، فخرج إليه عاكر الشام، ولم تزل عليه حتى أخذته بعد حروب شديدة فى يوم الجمعة تاسع عشر ربيع الأول، واستقر الطباخى نائباً به.

وفيها شنع موت الأبقار بأرض مصر، حتى إن شخصاً كان له ثلاثمائة وأربعين رأساً ماتوا بأجمعهم فى نحو شهر، وارتفع سعر البقر بزيادة ثلث أثمانها.

* * *

ومات فى هذه السنة من الأعيان

قاضى دمشق بهاء الدين أبو الفضل يوسف بن محيي الدين يحيى بن محمد بن على ابن محمد بن على بن عبد العزيز بن الزكى الأموى الشافعى، عن ست وأربعين سنة بدمشق.

وتوفى قاضى القضاة وجيه الدين أبو محمد عبد الوهاب بن سديد الدين أبى عبد الله الحسينى المهلبى البهنسى الشافعى، فى مستهل جمادى الآخرة.

وتوفى جمال الدين أبو بكر محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله البكرى الوائلى الشريشى^(١) المالكى بدمشق، عن أربع وثمانين سنة، قدم القاهرة.

وتوفى ناصر الدين أبو محمد عبد الله ابن إمام الدين أبى حفص عمر بن على الشيرازى البيضاوى الشافعى قاضى شيراز، بمدينة تبريز.

وتوفى قاضى القضاة تقى الدين أبو على الحسين بن شرف الدين أبى الفضل عبد الرحيم بن عبد الله شاس السعدى المالكى، عن ثمانين سنة.

وتوفى المسند بدر الدين أبو العباس أحمد بن شيبان بن تغلب بن حيدرة الشيبانى الصالحى، عن ثمان وثمانين سنة بدمشق، قدم القاهرة.

وتوفى الأديب معين الدين أبو عمرو عثمان بن سعيد بن عبد الرحمن بن أحمد القهرى، عن ثمانين سنة بالقاهرة.

وتوفى الأديب شهاب الدين أبو عبد الله محمد بن عبد المنعم بن محمد بن الخيمى الأنصارى، وقد أناف على الثمانين بالقاهرة.

وفيهامات ملك المغرب أبو يوسف يعقوب بن عبد الحق بن محيو بن أبى بكر حمامة المرينى، فى آخر المحرم. وقام من بعده ابنه أبو يعقوب يوسف بن يعقوب^(٢). وكانت مدة ملكه ثمانيا وعشرين سنة.

* * *

(١) الشريشى (٦٠١-٥٢٨٥هـ=١٢٠٤-١٢٨٦م) محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن سبحان الوائلى البكرى الشريشى المالكى، أبو بكر، جمال الدين: فقيه، نحوى: ولد فى شريش، ورحل إلى المشرق، فسمع بالإسكندرية ودمشق وحلب وإربل وبغداد وأقام بدمشق، يفتى ويدرس. طلب للقضاء فيها فامتنع وتوفى بها. له (شرح ألفية ابن معطى) فى النحو، مجلدان، وكتاب فى الاشتقاق. انظر نفع الطيب ٤٣٢/١، بغية الوعاة ١٨، شذرات الذهب ٣٩٢/٥ ابن الفرات ٤٦/٨، الكتبخانة ٣١/٤. الأعلام ٣٢٣/٥.

(٢) ابن يعقوب ملك المغرب (٦٣٨-٧٠٦هـ=١٢٤٠-١٣٠٧م) يوسف بن يعقوب بن عبد الحق المرينى، السلطان الناصر لدين الله، أبو يعقوب من ملوك الدولة المرينية فى المغرب الأقصى. بويع له بعد وفاة أبيه (سنة ٦٨٥هـ) بعهد منه، وكان فى الجزيرة الخضراء، فرحل إلى فارس. بعث إلى (ابن الأحمر) فاجتمع به فى ظاهر (مربالة) ونزل له عن جميع ثغور الأندلس التى كانت فى حوزة أبيه، محتفظاً بالجزيرة ورندة وطريف وافترقا على صفاء. وعاد إلى فاس. انظر الاستقصا ٣٢٢/٢-٤٣، جذوة الاقباس ٣٤٤، الحلل الموشية ١٣٣، روضة النسرين ١٦ الأنييس المطرب القرطاس ٢٧٥. الأعلام ٢٥٩/٨.

سنة ست وثمانين وستمائة

فى يوم الأحد نصف المحرم: استقر برهان الدين خضر السنجارى فى قضاء القاهرة والوجه البحرى، عوضاً عن قاضى القضاة شهاب الدين محمد بن أحمد الخوبى.

ونقل الخوبى عن قضاة القاهرة إلى قضاة دمشق، عوضاً عن بهاء الدين يوسف بن محبى الدين محبى بن محمد بن على بن الزكى. فنزل قاضى القضاة برهان الدين السنجارى من القلعة، وجلس للحكم فى المدرسة المنصورية بين القصرين، ورسم له أن يجلس فى دار العدل فوق قاضى القضاة تقى الدين ابن بنت الأعز. فشق ذلك على ابن الأعز، وسعى أن يعفى من حضور دار العدل، فلم يشعر إلا وقد مات البرهان السنجارى فى تاسع صفر فجأة عن سبعين سنة، فكانت مدة ولايته أربعة وعشرين يوماً.

فاستقر ابن بنت الأعز فى قضاء القاهرة، وجمع له بين قضاء البلدين، ونزل فصلى على السنجارى وهو بالشرىف.

وفى هذه السنة: توجه الأمير حسام الدين طرنطای نائب السلطنة على عسكر كثير؛ لقتال الأمير شمس الدين سنقر الأشقر بصهيون.

وسبب ذلك أن السلطان لما نازل المرقب وهى بالقرب من صهيون، لم يحضر إليه سنقر الأشقر وبعث إليه ابنه ناصر الدين صمغار، فأسرهما السلطان فى نفسه، ولم يمكن صمغار من العود إلى أبيه وحمله معه إلى مصر، واستمر الحال على ذلك حتى هذه السنة فسار طرنطای ونازل صهيون حتى بعث الأشقر يطلب الأمان فأمنه، ونزل سنقر إليه ليسلم الحصن، فخرج طرنطای إلى لقائه ماشياً، فنزل سنقر عندما رآه وتعانقا.

وسار سنقر إلى مخيم طرنطای، وقد خلع طرنطای قباؤه وفرشه على الأرض ليمشى عليه سنقر، فرفع سنقر القباؤه عن الأرض وقبله ثم لبسه، فأعظم طرنطای ذلك من فعل سنقر وشق عليه وخجل، وأخذ يعامل سنقر من الخدمة بأتم ما يكون.

وتسلم طرنطای حصن صهيون، ورتب فيه نائباً ووالياً وأقام به رجالاته، بعد ما أنفق فى تلك المدة أربعمائة ألف درهم فى العسكر الذى معه، فعتب عليه السلطان بسبب ذلك.

ثم سار طرنطاي إلى مصر ومعه سنقر الأشقر حتى قرب من القاهرة، فنزل السلطان من قلعة الجبل، وهو وابنه الملك الصالح على، وابنه الملك الأشرف خليل، وأولاد الملك الظاهر، في جميع العساكر إلى لقاء سنقر الأشقر. وعاد به إلى القلعة، وبعث إليه الخلع والثياب والحوائص الذهب والتحف والخيول، وأنعم عليه بإمرة مائة فارس وقدمه على ألف، فلأزم سنقر الخدمة مع الأمراء إلى سابع عشرى شهر رجب.

وخرج السلطان من قلعة الجبل سائراً إلى الشام، فأقام بتل العجول ظاهر غزة.

وفي ثاني عشرى شعبان: انتهت زيادة ماء النيل إلى سبعة عشر ذراعاً وثلاثة وعشرين إصبعا.

وفي هذه السنة: وصل من دمشق إلى القاهرة ناصر الدين محمد ابن الشيخ عبد الرحمن المقدسى، ليرافع قاضى القضاة بدمشق بهاء الدين بن الزكى، فوردت وفاته فعدل عنه إلى غيره.

واجتمع ناصر الدين بالأمير علم الدين سنجر الشجاعى مدبر الدولة، وقرر معه أن ملكة خاتون ابنة الأشرف موسى ابن العادل أبى بكر بن أيوب باعت أملاكها بدمشق، وأنه يثبت سفهها، وأن عمها الصالح عماد الدين إسماعيل كان قد حجر عليها وذلك حتى يسترجع الأملاك ممن اشتراها، ويرجع عليهم بما أخذوه من ريعها، ثم يشتري الأملاك للخاص. فأعجب ذلك الشجاعى، وكتب يطلب سيف الدين أحمد السامرى من دمشق، فإنه ابتاع قرية حرزما، فوصل إلى القاهرة فى رمضان، وطولب بالقرية المذكورة فادعى أنه وقفها، فأخذ ابن الشيخ عبد الرحمن فى عمل محضر بأن ابنة الأشرف حال بيع حرزما وغيرها كانت سفية من تاريخ كذا إلى تاريخ كذا، ثم إنها صلحت واستحقت رفع الحجر عنها من مدة كذا، ولفق بينة شهدت عند بعض القضاة، وأثبت ذلك. فبطل البيع من أصله، وألزم السامرى بما استأداه من ريع حرزما عن عشرين سنة، وهو مبلغ مائتى ألف وعشرة آلاف درهم من فضة، واعتد له بنظير الثمن الذى دفعه، واشترى منه أيضاً سبعة عشرة سهماً من قرية الزنبقية بمبلغ تسعين ألف درهم، وحمل بعد ذلك مبلغ مائة ألف وأربعين ألف درهم إلى بيت المال.

واستقر ابن الشيخ عبد الرحمن وكيل السلطان، فشرع فى فتح أبواب البلاء على أهل الشام، وعمل عيد الفطر يوم الأحد من رؤية. وإنما ثبت عند الملك الصالح على أن السلطان صام شهر رمضان فى مدينة غزة يوم الجمعة على الرؤية، فأثبت القاضى

المالكي أن أول شوال يوم الأحد، فأمسك كثير من الناس عن الفطر، وأفطروا يوم الإثنين. وأما السلطان فإنه عاد من تل العجول، ووصل قلعة الجبل فى ثالث عشرى شوال.

وفى سادس ذى الحجة: توجه الأمير علم الدين سنجر المسورى المعروف بالخياط متولى القاهرة، والأمير عز الدين الكوراني، إلى غزو بلاد النوبة. ووجد السلطان معهما طائفة من أجناد الولايات بالوجه القبلى والقراغلامية، وكتب إلى الأمير عز الدين أيدير السيفى السلاح درا متولى قوص أن يسير معهما بعدته ومن عنده من المماليك السلطانية المركزين بالأعمال القوصية، وأجناد مركز قوص، وعربان الإقليم: وهم أولاد أبى بكر وأولاد عمر، وأولاد شيبان، وأولاد الكنز وبنى هلال، وغيرهم. فسار الخياط فى البر الغربى بنصف العسكر، وسار أيدير بالنصف الثانى من البر الشرقى، وهو الجانب الذى فيه مدينة دمقلة.

فلما وصل العسكر أطراف بلاد النوبة أدخلى ملك النوبة سمamon البلاد، وكان صاحب مكر ودهاء وعنده بأس. وأرسل سمamon إلى نائبة بجواتز ميكائيل وعمل الدو واسمه جريس ويعرف صاحب هذه الولاية عند النوبة بصاحب الجبل يأمره بإخلاء البلاد التى تحت يده أمام الجيش الزاحف، فكانوا يرحلون والعسكر وراءهم منزلة بمنزلة حتى وصلوا إلى ملك النوبة بدمقلة، فخرج سمamon وقاتل الأمير عز الدين أيدير قتالاً شديداً، فانهزم ملك النوبة وقتل كثير ممن معه واستشهد عدة من المسلمين. فتبع العسكر ملك النوبة مسيرة خمسة عشر يوماً من رواء دمقلة إلى أن أدركوا جريس وأسروه، وأسروا أيضاً ابن خالة الملك وكان من عظمائهم، فرتب الأمير عز الدين فى مملكة النوبة ابن أخت الملك، وجعل جريس نائباً عنه، ووجد معهما عسكراً، وقرر عليهما قطيعة يحملاها فى كل سنة، ورجع بغنائم كثيرة ما بين رقيق وخيول وجمال وأبقار وأكسية.

وفى هذه السنة: أمطرت المدينة النبوية فى ليلة الرابع من المحرم مطراً عظيماً فوكفت سقوف المسجد النبوى والحجرة الشريفة، وخربت عدة دور وتلف نخل كثير من السيول ثم عقب ذلك جراد عظيم صار له دوى كالرعد، فأتلف التمر وجريد النخل وغيره من المزارع، وكانت الأعين قد أتلفها السيل، وخرب عين الأزرق حتى

عادت ملحقًا أجاجا، فكتب بذلك إلى السلطان، وأن الحجر الشريفة عادت أن تكسى في زمن الخلفاء إذا ولي الخليفة، فلا تزال حتى يقوم خليفة آخر فيكسوها، وأن المنبر والروضة يبعث بكسوتها في كل سنة، وأنهما يحتاجان إلى كسوة.

وفيها جهز السلطان هدية سنوية إلى بر بركة، ومبلغ ألفى دينار برسم عمارة جامع قرم، وأن تكتب عليه ألقاب السلطان، وجهز حجار لنقش ذلك وكتابتها بالأصباغ وفيها نزل تدان منكو بن طغان بن باطو بن دوشى بن جنكزخان عن مملكة التتر ببلاد الشمال. وأظهر التزهد والانقطاع إلى الصلحاء، وأشار أن يملكوا ابن أخيه تلابغا ابن منكوتمر بن طغان، فملكوه عوض تدان.

* * *

ومات في هذه السنة من الأعيان

قاضى القضاة برهان الدين أبو محمد الخضر بن الحسن بن على السنجارى الشافعى، فى تاسع صفر، عن سبعين سنة.

وتوفى قطب الدين أبو بكر محمد بن أحمد بن على بن محمد بن الحسن بن القسطلاتى التوزرى المالكى، شيخ دار الحديث الكاملية بالقاهرة، وقد أناف على السبعين.

وتوفى عز الدين أبو العزيز بن عبد المنعم بن على بن نصر بن الصقلى الحرانى المسند المعمر، وقد أناف على التسعين، بالقاهرة.

وتوفى الأديب ضياء الدين أبو الحسن على بن يوسف بن عفيف الأنصارى الغرناطى بالإسكندرية، وقد أناف على التسعين.

وتوفى أبو العباس أحمد بن عمر الأنصارى المرسى المالكى^(١)، بالإسكندرية.

(١) الربعى (٧٢٥-٧٩٥هـ=١٣٢٥-١٣٩٣م) أحمد بن عمر بن على بن هلال، أبو العباس شهاب الدين الربعى: فقيه مالكى من المفتين. عرف نفسه بقوله «الربعى نسباً - من ربيعة الفرس بن نزار» المالكى منهباً، الإسكندرى مولداً، القاهرى داراً، نزىل دمشق المحروسة ووفاته بها. كان ماهراً فى الأصول، حسن الخط. له «شرح جامع الأمهات» لابن الحاجب فى الفقه ثمانية أسفار كبار و«ناصرة العين - خ». انظر مخطوطة الفتح المقدس. والدباج ٨٢، وشذرات الذهب ٣٣٧/٦، والأزهرية ٤٤٦/٣، والدرر الكامنة ٢٣٢/١، وكشف الظنون ١٩٢١، وأخبار التراث، العدد: ٦٤ص٣٦، وشجرة ٢٢٣ الرقم ٧٩٧. والأعلام ١٨٧/١.

السلوك لمعرفة دول الملوك ٢٠١

وتوفى بدر الدين أبو الفضل محمد بن جمال الدين أبي عبد الله محمد بن مالك الأنصاري الجياني النحوي بدمشق، وقد أناف على الأربعين.

وتوفى الأديب شرف الدين أبو الربيع سليمان بن بنيمان بن أبي الجيش بن عبد الجبار بن سليمان الإربلي الحلبي الشاعر بدمشق، عن تسعين سنة.

وتوفى أبو الحسن فضل بن علي بن نصر بن عبد الله بن الحسين بن راحة الأنصاري الحموي ببلييس.

وتوفى الطبيب عماد الدين أبو عبد الله محمد بن عباس بن أحمد بن عبيد الربيعي الدنيسري بدمشق، عن إحدى وثمانين سنة.

وتوفى الشيخ إبراهيم بن أبي المجد الدسوقي، بناحية دسوق من الغربية، ومولده سنة أربع وأربعين وستمائة تخميناً، وقبره إحدى المزارات التي تحمل إليها التذور ويترك بها.

* * *

سنة سبع وثمانين وستمائة

فى المحرم: استدعى ناصر الدين محمد ابن الشيخ شمس الدين عبد الرحمن بن نوح بن محمد بن موسى أبو المكارم، المعروف بابن المقدسى، جماعة من أهل دمشق إلى القاهرة، فحضر عز الدين حمزة بن القلانسى، ونصير الدين بن سوند، وشمس الدين محمد بن يمن، والجمال بن صصرى، وقاضى القضاة حسام الدين الحنفى، والصاحب تقى الدين توبة، وشمس الدين بن غانم، وغيره.

فألزم القلانسى بمائة وخمسين ألف درهم، وابن سويد بثلاثين ألف درهم، وابن يمن عن قيمة أملاك مائة ألف درهم وتسعين ألف درهم، وابن صصرى بثلاثمائة ألف درهم، وحسام الدين بثلاثة آلاف درهم، وابن غانم بخمسة آلاف درهم.

فاعتذروا أنهم قد حضروا على البريد، وأن أموالهم بدمشق، وسألوا أن يقرر عليهم ما يحملونه. فخافه الشجاعى أنهم إذا دخلوا دمشق تشفعوا فسوحوا بما عليهم، فطلب تجار الكارم بمصر وأمرهم أن يقرضوا الدماشقة مالا، ففعلوا ذلك.

وكتبت على الدماشقة مساطر بما اقترضوه من تجار الكارم، وحملوا ما أخذوه إلى بيت المال، وأذن لهم فى العود إلى دمشق، فلم يجدوا بدا من وفاء التجار.

ثم استقر ابن صصرى ناظر الدواوين بدمشق، فانتدب النجيب كاتب بكجى أحد مستوفىى الدولة لمرافعة الشجاعى، وبرز له بمرافقة القاضى تقى الدين نصر الله بن فخر الدين الجوجرى، وأنهى إلى السلطان عنه أموراً وحاqqه بحضرته السلطان.

ومما قاله إنه باع جملة من السلاح ما بين رماح ونحوها مما كان فى الذخائر السلطانية للفرنج، فلم ينكر الشجاعى ذلك، وقال: «بعته بالغبطة الوافرة والمصلحة الظاهرة، فالغبطة أنى بعتهم من الرماح والسلاح ما عتق وفسد وقل الانتفاع به، وأخذت منهم أضعاف ثمنه، والمصلحة أن تعلم الفرنج أنا نبيعهم السلاح هوانا بهم، واحتقاراً بأمرهم وعدم مبالاة بشأنهم». فمال السلطان لذلك وقبله.

فقال النجيب: «يا مكثل الذى خفى عنك أعظم مما لحت. هذا الكلام أنت صورتَه بخاطرك لتعده جواباً، وأما الفرنج وسائر الأعداء فلا يحملون بيع السلاح لهم على ما زعمت أنت، ولكنهم يشيعون فيما بينهم، ويتناقله الأعداء إلى أمثالهم، بأن صاحب مصر والشام قد احتاج حتى باع سلاحه لأعدائه».

فلم يحتفل السلطان هذا، وغضب على الشجاعى وعزله فى يوم الخميس ثانى شهر ربيع الأول، وأمر بمصادرته على جملة كثيرة من الذهب، وألزمه ألا يبيع فى ذلك شيئاً من خيله ولا سلاحه ولا رخته، بل يحمل المطلوب ذهباً، وعصره بالمعاصير بين يديه حتى حمل ما طلب منه.

فبلغه الناس ما اعتمده الشجاعى من الظلم فى مصادرة جماعة، وأن فى سجنه كثيراً من المظلومين قد مرت عليهم سنون وهم فى السجن، وباعوا موجودهم حتى أعطوه فى التراسيم، وفيهم من استعطى وسأل بالأوراق. فرسم السلطان للأمير بهاء الدين بغدى الدودارى بالكشف عن أمر المصادرين ومطالعتهم بحالهم، فخرج لذلك وسأل، فكثرت القالة بما فيه أهل السجن من الفاقة والضرورة، ففوض أمرهم إلى الأمير طرنطاي، فكشف عنهم وأفرج عن سائرهم.

وفى ليلة الإثنين سادس عشره: وقع الحريق بخزائن السلاح والمشهد الحسينى بالقاهرة. فطفئ.

وفى يوم الثلاثاء سابع عشره: استقر فى الوزارة بديار مصر الأمير بدر الدين بيدرا، عوضاً عن سنجر الشجاعى، بعدما عرضت على قاضى القضاة تقى الدين عبد الرحمن ابن بنت الأعز فامتنع، وشرط على الأمير بيدرا أنه يشاور ابن بنت الأعز، ويعتمد ما يشير به. وكان ابن بنت الأعز إذا دخل على السلطان، وهو يومئذ ناظر الخزانة، ويقول له: «يا قاضى إيش حال ولدك بيدرا فى وزارته؟» فيقول: «يا خونند ولد صالح دخلت بولايته الجنة، وأزلت الظلم، واستجلبت لك الدعاء، والذى كان يحصل بالعسف حصل باللطف».

وصار ابن بنت الأعز كل يوم أربعاء يدخل على بيدرا ويقرر معه ما يفعل، ثم استتاب بيدرا ضياء الدين عبد الله النشائى وصار يجلس معه.

واستقر تقى الدين نصر الله فى نظر الدواوين شريكاً لثلاثة، وهم: تاج الدين بن السنهورى، وكمال الدين الحرابى، وفخر الدين بن الحلبي صاحب ديوان الصالح على، وخلع عليه.

وفى أول ربيع الآخر: استقر الجمال بن مصرى فى نظر الدواوين بدمشق، وخلع عليه وسافر من القاهرة هو والقاضى تاج الدين [.....] (١) بن النصيينى كاتب الدرج بحلب، بعدما أفرج عنه.

وفيه أيضاً استقر ركن الدين بيبرس أمير جاندار بدمشق، وسافر هو وشمس الدين... [١] بن غانم، وقد سومح بما كان قد قرر عليه.

واستقر تقي الدين توبة في نظر الدواوين بدمشق أيضاً. وتوجه ناصر الدين محمد بن الشيخ شمس الدين عبد الرحمن المقدسي إلى دمشق، متحدثاً في وكالة السلطان ونظر سائر الأوقاف الشامية، ونظر الجامع الأموي والمارستان النوري وبقية المارستانات، ونظر الأشراف والأيتام والأسرى والصدقات والخوانك والربط والأسود وغير ذلك.

وسافر معه شمس الدين القشتمري، وصارم الدين الأيدمرى؛ ليكونا مشدين.

فقدم دمشق وتتبع عوارت الناس، وتصدى لإثبات سفه من باع شيئاً من الأملاك كما فعل في أمر ابنة الأشراف، فلم يوافقها القضاة بدمشق ولا النائب، وشرع في مناكدة الناس.

وفي تاسعه: أفرج عن الأمير علم الدين سنجر الشجاعى، بعد ما أخذ منه خمسة وستون ألف دينار عيناً، سوى ما أخذ السلطان وغيره من موجوده.

وعزل بيدرا عن الوزارة في تاسع عشره، واستدعى قاضى القضاة تقي الدين عبد الرحمن ابن بنت الأعز، وخلعت عليه خلع الوزارة ونزل. فتعفف عن التصرف والكتابة في أشياء، وياشر الوزارة مع قضاء القضاة ونظر الخزانة، وصار يجلس في اليوم الواحد تارة في دست الوزارة وتارة في مجلس الحكم وتارة في ديوان الحكم، ولم يوف منصب الوزارة حقه لتمسكه بظاهر الأمور الشرعية. ثم ثقلت عليه الوزارة فتوفر منها، وأعيد الأمير بدر الدين بيدرا إليها فى [٢] وكان حينئذ أمير مجلس، ثم نقل إلى الأستادارية مع الوزارة، واستقر كذلك إلى آخر الدولة المنصورية.

وفيه كتب إلى الأكابر ببلاد السند والهند والصين واليمن صورة أمان لمن اختار الحضور إلى ديار مصر وبلاد الشام، من إنشاء فتح الدين بن عبد الظاهر، وسُير مع التجار.

وفي أول جمادى الأولى: وردت كتب الأمير علم الدين سنجر المسرورى الخياط من دمقلة، بفتحها والاستيلاء عليها وأسر ملوكها، وأخذ تيجانهم ونسائهم. وكان الكتاب على يد ركن الدين منكورس الفاقانى، فخلع عليه وكتب معه الجواب بإقامة

(١) بياض فى الأصل.

(٢) بياض فى الأصل.

الأمير عز الدين أيدير والى قوص بدمقلة، ومعه من رسم لهم من المماليك والجنود والرجال، وأن يحضر الأمير علم الدين ببقية العسكر. وجهاز من قلعة الجبل سعد ابن أخت داود، ليكون مع الأمير أيدير لخبرته بالبلاد وأهلها، فسار وقد أعطى سيفاً محلى، فأقام بقوص.

وفيه استقر زين الدين [.....^(١)] بن رشيق فى قضاء الإسكندرية، عوضاً عن زين الدين بن المنير.

وفى سابع عشره وهو خامس عشر بؤونة من أشهر القبط: أخذ قاع النيل بمقياس الروضة، فكان أربعة أذرع وستة وعشرين أصبعاً. فيه فوضت حسبة دمشق لشرف الدين أحمد بن عيسى السيرحى.

وفى تاسع رجب: وصل الأمير علم الدين سنجر المسرورى من بلاد النوبة، ببقية العسكر المخلف بدمقلة مع عز الدين أيدير، ووصل معه ملوك النوبة ونساؤهم وتيجانهم وعدة أسرى كثيرة، فكان يوماً مشهوداً.

وفرق السلطان الأسرى على الأمراء وغيرهم، فتهاداهم الناس، وبيعوا بالثمن اليسير لكثرتهم.

وخلع على الأمير علم الدين وعمل مهنداراً عوضاً عن الأمير شرف الدين الجاكى، بحكم استقراره فى ولاية الإسكندرية عوضاً عن حسام الدين بن شمس الدين ابن باخل، بحكم عزله والقبض عليه ومصادرته.

وأما النوبة فإنه سمّاهم ملكها رجع بعد خروج العسكر إلى دمقلة، وحارب من بها وهزمهم، وفر منه الملك وجرتس والعسكر المجرد، وساروا إلى القاهرة، فغضب السلطان وأمر بتجهيز العسكر لغزو النوبة.

وفى يوم الأحد خامس عشره: خرج السلطان ميرزاً بظاهر القاهرة يريد الشام، فركب معه ابنه الملك الصالح وحضر السباط، ثم عاد الصالح إلى قلعة الجبل آخر النهار، فتحرك عليه فواده فى الليل وكثر إسهاله الدموى وأفرط، فعاد السلطان لعيادته فى يوم الأربعاء ثامن عشره ولم يفد فيه العلاج، فعاد السلطان إلى الدهليز من يومه، فأتاه الخبر بشدة مرض الملك الصالح، فعاد إلى القلعة.

وصعدت الخزائن فى يوم الثلاثاء أول شعبان، وطلعت السناجق والطلب فى يوم

الأربعاء ثانيه. فمات الصالح بكرة يوم الجمعة رابعه من دوسنطاريا كبدية، وتحدثت طائفة بأن أخاه الملك الأشرف خليلا سمه.

فحضر الناس للصلاة عليه، وصلى عليه بالقلعة قاضى القضاة تقى الدين ابن بنت الأعرز إماماً، والسلطان خلفه فى بقيه الأمراء والملك الأشرف خليل. ثم حملت جنازته، وصلى عليه ثانيًا قاضى القضاة معز الدين نعمان بن الحسن بن يوسف الخطيبى الحنفى خارج القلعة، ودفن بتربة أمه قريبًا من المشهد النفيسى.

وترك الصالح ابنًا يقال له الأمير مظفر الدين موسى، من زوجته منكبك ابنة نوكاى. واشتد حزن السلطان عليه، وجلس للعزاء فى يوم الأحد ثالث يوم وفاته بالإيوان الكبير. وأنشئت كتب العزاء إلى النواب بالممالك، ورسم فيها ألا يقطع أحد شعرًا ولا يلبس ثوب حداد ولا يغير زيّه.

وفى مدة مرض الملك الصالح جاد السلطان بالمال وأكثر من الصدقات، واستدعى الفقراء والصالحين ليدعوا له، وبعث إلى الشيخ محمد المرجانى يدعوه فأبى أن يجتمع به، فحل إليه مع الطواشى مرشد خمسة آلاف درهم ليعمل بها وقتًا للفقراء، حتى يطلبوا ولد السلطان من الله تعالى، فقال له: «سلم على السلطان، وقل له متى رأيت فقيرًا يطلب أحدًا من الله؟ فإن فرغ أجله فوالله ما ينفعه أحد، وإن كانت فيه بقية فهو يعيش». ورد المال فلم يقبل منه شيئًا.

وطلع الشيخ عمر خليفة الشيخ أبى السعود إلى السلطان، وقد دعاه ليدعو للصالح، فقال له: «أنت رجل بخيل ما يهون عليك شىء، ولو خرجت للفقراء عن شىء له صورة لعملوا وقتًا، وتوسلوا إلى الله أن يهبهم ولدك لكان يتعافى». فأعطاه السلطان خمسة آلاف درهم عمل بها سماعًا، ثم عاد إلى السلطان وقال: «طيب خاطرک، الفقراء كلهم سألوا الله ولدك، وقد وهبه لهم». فلم يكن غير قليل حتى مات الصالح.

ف رأى السلطان فى صبيحته الشيخ عمر هذا، فقال له: «يا شيخ عمر أنت قلت إن الفقراء طلبوا ولدى من الله وهبه لهم»، فقال على الفور: «نعم الفقراء طلبوه، وهبههم إياه ألا يدخل جهنم، ويدخله الجنة»، فسكت السلطان.

وفى حادى عشر شعبان: فوض السلطان ولاية العهد لابنه الملك الأشرف صلاح الدين خليل، فركب بشعار السلطنة من قلعة الجبل إلى باب النصر، وعبر إلى القاهرة وخرج من باب زويلة، وصعد إلى القلعة وسائر الأمراء وغيرهم فى خدمته، ودقت البشائر. وحلف القضاة له جميع العسكر، وخلع على سائر أهل الدولة، وخطب له

بولاية العهد واستقر على قاعدة أخيه الصالح على، وكتب بذلك إلى سائر البلاد، وكتب له تقليد فتوقف السلطان من الكتابة عليه.

وفي ثاني شهر رمضان: استقر في حسبة دمشق شمس الدين محمد بن السلموس، عوضاً عن ابن السيرجي.

وفي رابع شوال: استقر بدر الدين محمد بن جماعة^(١) خطيباً بالقدس، عوضاً عن الشيخ قطب الدين عبد المنعم بن يحيى بن إبراهيم القرشي القدسى، بحكم وفاته، وكانت ذلك بعناية الأمير علم الدين سنجر الدوادارى، لصحة بينهما.

واستقر في تدريس القيمرية بدمشق عوضاً عن ابن جماعة علاء الدين أحمد بن تاج الدين عبد الوهاب ابن بنت الأعز في سابع عشره.

وفي ذى الحجة: استقر علم الدين سنجر المسرورى في ولاية البهنسا، وولى معه عز الدين مقدم نظرها، واستقر قاضى القضاة جمال الدين [...] ^(٢) الزواوى فى قضاء الملكية بدمشق.

وفي هذه السنة: ورد كتاب نائب الشام بأن الفرنج بطرابلس نقضوا الهدنة، وأخذوا جماعة من التجار وغيرهم، وصار بأيديهم عدة أسرى. وكانوا لما ملك السلطان قلعة المرقب قد بعثوا إليه هدية، وصالحوه على ألا يتركوا عندهم أسيراً، ولا يتعرضوا لتاجر ولا يقطعوا الطريق على مسافر، فتجهز السلطان لأخذ طرابلس.

وفيها قدم الشريف جواز بن شيحة من المدينة النبوية وملك مكة، فجاء الشريف أبو نمى فى آخر السنة وملكها منه.

* * *

ومات فى هذه السنة من الأعيان

الملك الصالح على ابن السلطان الملك المنصور قلاوون، وقد أناف على الثلاثين، فى رابع شعبان.

(١) ابن جماعة (٨٣٣- بعد ٩٠١هـ = ١٤٢٩- بعد ١٤٩٦م) محمد بن إبراهيم بن عبد الله، أبو البقاء، نجم الدين بن جماعة المقدسى الشافعى. فقيه، تزايد شيوخه على (٣٠٠) استقر فى مشيخة الصلاحية ببيت المقدس. وخطب بالأقصى وحدث وأفتى وصنف كتباً، منها «الدر النظيم فى أخبار موسى الكليم»، و«النجم اللامع»، «شرح جمع الجوامع» لابن السبكى. نظر الضوء ٢٥٥/٦، الكواكب ٢٥/١ الأعلام ٣٠١/٥.

(٢) بياض فى الأصل.

وتوفى تقي الدين أبو إسحاق إبراهيم بن معضاد بن شداد بن ماجد الجعبري الشافعي، عن سبع وثمانين سنة بالقاهرة.

وتوفى المجد أبو المعالي محمد بن خالد بن حمدون الهذباني الحموي الزاهد المحدث، عن ثمانين سنة بجلب، قدم القاهرة.

وتوفى خطيب القدس قطب الدين أبو الذكاء عبد المنعم بن يحيى بن إبراهيم بن علي بن جعفر القرشي الزهري، وقد أناف على الثمانين.

وتوفى البرهان أبو عبد الله محمد بن محمد النسفي الحنفي، ببغداد عن نحو تسعين سنة.

وتوفى أمين الدين أبو اليمن عبد الصمد بن عبد الوهاب بن الحسن بن محمد بن الحسن بن هبة الله بن عساكر الدمشقي الشافعي المحدث، عن ثلاث وسبعين سنة بالمدينة النبوية.

وتوفى الأديب الشاعر ناصر الدين أبو محمد الحسن بن شاور بن طرخان بن النقيب الكناني^(١)، وقد أناف على سبعين سنة، بالقاهرة.

وتوفى الحكم علاء الدين أبو الحسن علي بن أبي الحزم ابن النفيس القرشي الدمشقي رئيس الأطباء، عن نحو ثمانين سنة بالقاهرة.

* * *

(١) ابن النقيب (٦٨٧هـ=١٢٨٨م) أحسن بن شاور بن طرخان بن الحسن بن النقيب الكناني، ناصر الدين، المعروف بالنفيسي: شاعر، من أفاضل مصر. له «ديوان مقاطيع» في مجلدين، وكتاب «منازل الأحباب ومنارة الألباب» مجلدان وشعره عذب. انظر فوات الوفيات ١/١١٨. الأعلام ٢/١٩٣.

سنة ثمان وثمانين وستمائة

فى يوم الخميس عاشر المحرم: خيم السلطان بظاهر القاهرة، ورحل فى خامس عشره. واستخلف ابنه الملك الأشرف خليلًا بالقلعة، والأمير بيدرا نائبًا عنه ووزيرًا، وكتب عند الرحيل إلى سائر ممالك الشام بتجهيز العساكر لقتال طرابلس.

وسار إلى دمشق فدخلها فى ثالث عشر صفر، وخرج منها فى العشرين منه إلى طرابلس فنانزلها، وقد قدم لنجدة أهلها أربعة شوان من جهة متملك قبرص.

فوالى السلطان الرمى بالمجانيق عليها والزحف والنقوب فى الأسوار، حتى افتتحها عنوة فى السلعة السابعة من يوم الثلاثاء رابع ربيع الآخر، بعدما أقام عليها أربعة وثلاثين يومًا، ونصب عليها تسعة عشر منجنيقًا، وعمل فيها ألف وخمسمائة نفس من الحجارين والزرافين. وفر أهلها إلى جزيرة تجاه طرابلس، فخاض الناس فرسانًا ورجالا وأسروهما وقتلوهم وغنموا ما معهم، وظفر الغلمان والأوشاقية بكثير منهم كانوا قد ركبوا البحر فألقاهم الريح بالساحل، وكثرت الأسرى حتى صار إلى زردخاناه السلطان ألف ومائتا أسير.

واستشهد من المسلمين الأمير عز الدين معن، والأمير ركن الدين منكورس الفارقانى، وخمسة وخمسون من رجال الحلقة.

وأمر السلطان بمدينة طرابلس فهدمت، وكان عرض سورها يمر عليه ثلاثة فرسان بالخيل، ولأهلها سعادات جليلة منها أربعة آلاف نول قزازة.

وأقر السلطان بلدة جبيل مع صاحبها على مال أخذه منه، وأخذ بيروت وجبله وما حولها من الحصون.

وعاد السلطان إلى دمشق فى نصف جمادى الأولى، واستقر العسكر على عادته بحصن الأكراد مع نائبه الأمير سيف الدين بلبان الطباخى.

ونزل البزك إلى طرابلس من حصن الأكراد وأضيف إلى الطباخى، واستقر معه خمسمائة جندي وعشرة أمراء طبلخاناه، وخمسة عشر أمراء عشرات، وأقطعوا إقطاعات. ثم عمر المسلمون مدينة بجوار النهر فصارت مدينة جليلة، وهى التى تعرف اليوم بطرابلس.

وقدم على السلطان وهو بطرابلس رسل سيس يسألون مراحمه، فطلب منهم مرعش وبهنا والقيام بالقطيعة على العادة، وأعادهم وقد خلع عليهم.

وخرج الأمير طرنطاي نائب السلطنة إلى حلب. وأقام الأمير سنجر الشجاعى متحدثاً فى الأموال بدمشق، فأوقع الحوطة على تقى الدين توبة، وأخذ حواصله وباعها على الناس بأعلى الأثمان حتى جمع من ذلك خمسمائة ألف درهم، فخاف منه الناس وفر كثير. منهم وعاد طرنطاي فى سابع رجب.

وورد على السلطان كتاب ولده الأشرف بأن سلامش وخضرا ابنى السلطان الظاهر بيبرس قد راسلا الظاهرية، وأنه يخشى عاقبة ذلك. فكتب السلطان بأن يخرجها وأمهما إلى نغر الإسكندرية، ويحملوا فى البحر إلى بلاد الأشكرى، فأخرجوا ليلا.

وكان فى ذلك أعظم عبرة: فإن الظاهر بيبرس أخرج قاقان وعليها ابنى المعز أيك إلى بلاد الأشكرى ومعهما أمهما، فعوقب بمثل ذلك وأخرج ولداه وأمهما ليجزى الله كل نفس بما كسبت.

وخرج السلطان من دمشق فى ثانى شعبان، ومعه تقى الدين توبة مقيداً، وقد نال أهل دمشق ضرر كبير.

فدخل السلطان قلعة الجبل فى آخر شعبان، وجرى الأمير عز الدين أيك الأفرم أمير جاندر إلى بلاد النوبة، ومعه من الأمراء قبجاق المنصورى وبكتمر الجوكندار وأيدمر والى قوص، وأطلاب كثير من الأمراء، وسائر أجناد المراكز بالوجه القبلى ونواب الولاية، ومن عربان الوجهين القبلى والبحرى عدة أربعين ألف راجل، ومعهم متملك النوبة وجريس فساروا فى ثامن شوال، وصحبتهم خمسمائة مركب ما بين حراريق ومراكب كبار وصغار تحمل الزاد والسلاح والأثقال. فلما وصلوا نغر أسوان مات متملك النوبة، فدفن بأسوان. فطالع الأمير عز الدين الأفرم السلطان بموته، فجهز إليه من أولاد أخت الملك داود رجلا كان بالقاهرة ليملكه، فأدرك العسكر على خيل البريد بأسوان وسار معه. وقد انقسموا نصفين: أحدهما الأمير عز الدين الأفرم وقبجاق فى نصف العسكر من الترك والعرب فى البر الغربى، وسار الأمير أيدمر والى قوص والأمير بكتمر بالبقية على البر الشرقى، وتقدمهم جريش نائب ملك النوبة ومعه أولاد الكنز ليؤمن أهل البلاد ويجهز الإقامات. فكان العسكر إذا قدم إلى بلد خرج إليه المشايخ والأعيان، وقبلوا الأرض وأخذوا الأمان وعادوا، وذلك من بلد الدو إلى جزائر ميكائيل، وهى ولاية جريس وأما ما عدا ذلك من البلاد التى لم يكن لجريس عليها

ولاية، من جزائر ميكائيل إلى دمقلة، فإن أهلها جلوا عنها طاعة لتملك النوبة. فنهبها العسكر وقتلوا من وجدوه بها، ورعوا الزروع وخربوا السواقي إلى أن وصلوا مدينة دمقلة، فوجدوا الملك قد أخلاها حتى لم يسبق بها سوى شيخ واحد عجوز، فأخيرا أن الملك نزل بجزيرة فى بحر النيل بعدها عن دمقلة خمسة عشر يوماً. فتبعه والى قوص، ولم يقدر مركب على سلوك النيل هناك لتوعر النيل بالأحجار. وقال فى ذلك الأديب ناصر الدين بن النقيب، وكان ممن جرد إليها:

يا يوم دمقلة ويوم عبيدها من كل ناحية وكل مكان
من كل نوبى يقول لأخته نوحى فقد سكوا قفا السودان

* * *

ومات فى هذه السنة من الأعيان

كاتب الإنشاء بحماة نجم الدين أبو محمد عبد الغفار بن محمد بن محمد بن نصر الله ابن المغيزل العبدى الحموى بها، عن أربع وستين سنة.

وتوفى العلامة شمس الدين أبو عبد الله محمد بن محمود بن عباد الأصبهاني، عن اثنين وسبعين سنة بالقاهرة.

وتوفى الأديب شمس الدين محمد بن العفيف أبي الربيع سليمان بن على بن عبد الله ابن على بن ياسين العابدى التلمساني.

وتوفى علم الدين أبو العباس أحمد بن يوسف عبد الله بن على الشهير بابن الصاحب صفى الدين بن شكر، بعدما تغير عقله، وقد أناف على الستين.

* * *

سنة تسع وثمانين وستمائة

فى المحرم: سار الأمير طرنطاي النائب إلى بلاد الصعيد ومعه عسكر كبير، فوصل إلى طوخ تجاه قوص، وقتل جماعة من العربان، وحرق كثيراً منهم بالنار، وأخذ خيولاً كثيرة وسلاحاً ورهائن من أكابريهم. وعاد بمائة ألف رأس من الغنم وألف ومائتى فرس وألف جمل، وسلاح لا يقع عليه حصر.

وفيه توجه الأمير سيف الدين التقوى ومعه ستمائة فارس لينزل بطرابلس وهو أول جيش استخدم بطرابلس بعد فتحها، وكان العسكر قبل ذلك بالحصون.

وفى ربيع الأول استدعى الأمير سنقر الأعسر شاد الدواوين بدمشق إلى القاهرة على البريد، فلما حضر أكرمه السلطان وأكد عليه فى تحصيل الأموال، وأضاف إليه الحصون بسائر الممالك الشامية والساحل وديوان الجيش، وخلع عليه. فعاد إلى دمشق فى العشرين من ربيع الآخر، وقد زاد تجيره وكثر تعاظمه.

وفى جمادى الأولى: قبض على الأمير سيف الدين جرمك الناصرى لمطاوصة جرت بينه وبين الأمير طرنطاي النائب، أغلظ عليه فيها بحضرة الأمراء.

وفى أول جمادى الآخرة: استقر شرف الدين حسن بن أحمد بن أبى عمر بن قدامه المقدسى فى قضاة الخنابلة بدمشق، بعد وفاة قاضى القضاة نجم الدين أحمد بن عبد الرحمن القدسى الحنبلى، بأمر السلطان. وكتب توقيعه عن الأمير حسام الدين نائب الشام، فى تاسع الشهر.

وفيه وصل والى قوص بمن معه إلى تجاه الجزيرة التى بها سمامون ملك النوبة، فرأوا بها عدة من مراكب النوبة، فبعثوا إليه فى الدخول فى الطاعة وأمنوه فلم يقبل. فأقام العسكر تجاهه ثلاثة أيام، فخاف من مجىء الحراريق والمراكب إليه، فانهزم إلى جهة الأبواب، وهى خارجة عن مملكته وبينها وبين الجزيرة التى كان فيها ثلاثة أيام. ففارقة السواكرة وهم الأمراء وفارقه الأسقف والقسوس، ومعهم الصليب الفضة الذى كان يحمل على رأس الملك وتاج الملك، وسألوا الأمان فأمنهم والى قوص وخلع على أكابريهم، وعادوا إلى مدينة دمقلة وهم جمع كبير.

فعند وصولهم عدى الأمير عز الدين الأفرم وقبحاق إلى البر الشرقى، وأقام العسكر

مكانه. واجتمع الأمراء بدمقلة، ولبس العسكر آلة الحرب وطلبوا من الجانيين، وزينت الحرايق في البحر ولعب الزرقون بالنفلط. ومد الأمراء السماط في كنيسة أسوس أكبر كنائس دمقلة وأكلوا، ثم ملكوا الرجل الذى بعثه السلطان قلاوون وألبسوه التاج، وحلفوا وسائر الأكابر، وقرروا البقط المستقر أولاً، وعينوا طائفة من العسكر تقيم عندهم وعليها بيبرس العزى مملوك الأمير عز الدين والى قوص. وعاد العسكر إلى أسوان بعدما غاب عنها ستة أشهر، وساروا إلى القاهرة فى آخر جمادى الأولى بغنائم كثيرة. وأما سمamon فإنه عاد بعد رجوع العسكر إلى دمقلة مختفياً، وصار بطريق باب كل واحد من السواكرة ويستدعيه، فإذا خرج ورآه قبل له الأرض وحلف له، فما طلع الفجر حتى ركب معه سائر عسكره. وزحف سمamon بعسكره على دار الملك، وأخرج بيبرس العزى ومن معه إلى قوص، وقبض على الذى تملك موضعه وعراه من ثيابه، وألبسه جلد ثور كما ذبح بعدما قدّه سيوراً ولفها عليه، ثم أقامه مع خشبة وتركه حتى مات، وقتل جريس أيضاً. وكتب سمamon إلى السلطان يسأله العفو، وأنه يقوم بالبقط المقرر وزيادة، وبعث رقيقاً وغيره تقديماً فقبل منه، وأقره السلطان بعد ذلك بالنوبة.

وفي ثانى عشرى جمادى الآخرة: كتب بالكشف على ناصر الدين بن المقدسى وكيل السلطان بالشام، فظهرت له أفعال منكرة، وقبض عليه فى تاسع رجب وضرب بالقارح وألزم بمال. ثم رسم بحمله إلى القاهرة، فوجد فى يوم الجمعة ثالث شعبان وقد شنق نفسه، فحضر أولياء والقضاء والشهود وشاهدوه على تلك الصورة، وكتبوا محضراً بذلك، ودفن واستراح الناس من شره.

وفي رابع رجب: استقر الأمير عز الدين أيك الموصلى فى مقدمة العسكر بغزة والساحل، عوضاً عن الأمير آقسنقر كرتيه.

وفي شعبان: خرج مرسوم السلطان ألا يستخدم أحد من أهل الذمة اليهود والنصارى فى شىء من المباشرات الديوانية، فصرفوا عنها.

وفيه ثار أهل عكا بتجار المسلمين وقتلوهم، فغضب السلطان وكتب إلى البلاد الشامية بعمل مجانيق وتجهيز زردخانة لحصار عكا. وذلك أن الظاهر بيبرس هادنهم، فحملوا إليه وإلى الملك المنصور هديتهم فى كل سنة، ثم كثر طمعهم وفسادهم وقطعهم الطريق على التجار، فأخرج لهم السلطان الأمير شمس الدين سنقر المساح على عسكر، ونزلوا اللجون على العادة فى كل سنة، فإذا بفرسان من الفرنج بعكا قد خرجت

فحاربوهم، واستمرت الحرب بينهم وبين أهل عكا مدة أيام. وكتب إلى السلطان بذلك، فأخذ في الاستعداد لحربهم. فشرع الأمير شمس الدين سنقر الأعسر في عمل ذلك، وقرر على ضياع المرج وغوطة. دمشق مالا على كل رجل ما بين ألفى درهم إلى خمسمائة درهم، وجبى أيضا من ضياع بعلبك والبقاع. وسار إلى واد بين جبال عكا وبعلبك لقطع أخشاب المجانيق، فسقط عليه ثلج عظيم كاد أن يهلكه، فركب وساق وترك أتقاله وخيامه لينجو بنفسه، فطمها الثلج تحته إلى زمن الصيف، فتلّف أكثرها.

وفي سادس شوال: أفرج عن الأمير الكبير علم الدين سنجر الحلبي، فكانت مدة اعتقاله خمس سنين وتسعة أشهر وأيامًا.

وفي آخر شوال: برز السلطان بظاهر القاهرة، ونزل بمخيمه بمسجد تبر، يريد فتح عكا. فأصابه وعك في أول ليلة وأقام يومين بغير ركوب، ثم اشتد مرضه وصار الأشرف ينزل إليه كل يوم من القلعة ويقيم عنده إلى بعد العصر ويعود. فكثرت القالة وانتشرت حتى ورد الخير بحركة العرب ببلاد الصعيد، فأخرج النائب طرنطاي قراقوش الظاهري والأمير^(١) [..] أبا شامة لتدارك ذلك. واشتد مرض السلطان إلى أن مات بمخيمه تجاه مسجد تبر خارج القاهرة في ليلة السبت سادس ذى القعدة، فحمل إلى القلعة ليلاً، وعادت الأمراء إلى بيوتها. وكانت مدة سلطنته إحدى عشرة سنة وشهرين وأربعة وعشرين يومًا، وعمره نحو سبعين سنة. وترك ثلاثة أولاد ذكورًا أشهر وأيامًا: وهم الملك الأشرف خليل الذى ملك بعده، والملك الناصر محمد وملك أيضًا، والأمير أحمد وقد مات في سلطنة أخيه الأشرف. وترك من البنات ابنتين: وهما ألتطمش وتعرف بدار مختار وأختها دار عنبر، وزوجة واحدة وهى أم الناصر محمد. وناب عنه بمصر الأمير عز الدين أيك الأفرم ثم استعفى، فاستقر بعده حسام الدين طرنطاي حتى مات السلطان. وكان نائبة بدمشق بعد سنقر الأشقر الأمير حسام الدين لاجين السلاح دار المعروف بالصغير، ونوابه بحلب الأمير جمال الدين أقش الشمسى، فلما مات جمال الدين استقر الأمير علم الدين سنجر الباشقردى، وصرف بالأمير قراسنقر الجوكندار. وناب عنه بمحصن الأكراد بلبان الطباخى، وبصند علاء الدين الكبكى، وبالكرك أيك الموصلى ثم بيبرس الدودار. ووزر له الصاحب برهان الدين خضر السنجارى مرتين، وفخر الدين إبراهيم بن لقمان، ونجم الدين حمزة الأصفونى، وقاضى القضاة تقى الدين عبد الرحمن ابن بنت الأعز، ثم الأمير علم الدين سنجر الشجاعى وكان يلى شد الدواوين. فإذا لم يكن فى الدولة وزير تحدث فى الوزارة، ثم استقل بالوزارة بعد

(١) ما بين المعقوفين بياض فى الأصل.

الأصفهاني، وكان جباراً عسوقاً مهيباً يجمع المال من غير وجهه، فكرهه كل أحد وتمنوا زوال دولة المنصور من أجله ثم الأمير بدر الدين بيدرا، ومات المنصور وبيدرا وزير. وبلغت عدة مملكته اثنا عشر ألف مملوك، وقيل سبعة آلاف وهو الصحيح. تأمر منهم كثير، وتسلطت جماعة. وكان قد أفرد من مملكته ثلاثة آلاف وسبعمائة من الأصب، والجركس، وجعلهم في أبراج القلعة وسماهم البرجية. وكان جميل الصورة مهيباً، عريض المنكبين قصير العنق، فصيحاً بلغة الترك والقبحاق، قليل المعرفة بالعربية.

* * *

السلطان الملك الأشرف صلاح الدين خليل ابن الملك المنصور

سيف الدين قلاوون الألفي الصالحى النجمى

جلس على تخت الملك بقلعة الجبل يوم الأحد سابع ذى القعدة سنة تسع وثمانين وستمائة، وحدد العسكر له الحلف فى يوم الإثنين ثامنه.

وطلب السلطان الملك الأشرف من القاضى فتح الدين بن عبد الظاهر تقليده بولاية العهد، فأخرجه إليه مكتوباً بغير علامة الملك المنصور. وكان ابن عبد الظاهر قد قدمه إليه ليعلم عليه فلم يرض، وتكرر طلب الأشرف له، وابن عبد الظاهر يقدمه والمنصور يمتنع إلى أن قال له: «يا فتح الدين أنا ما أولى خليلاً على المسلمين» فلما رأى الأشرف التقليد بغير علامة قال: «يا فتح الدين إن السلطان امتنع أن يعطينى، وقد أعطانى الله»، ورمى إليه التقليد، فمازال عند ابن عبد الظاهر.

ثم إن الأشرف خلع على سائر أرباب الدولة، وركب بشعار السلطنة فى يوم الجمعة ثانى عشره بعد الصلاة، وسير إلى الميدان الأسود تحت القلعة بالقرب من سوق الخيل والأمراء والعساكر فى خدمته. وعاد إلى القلعة قبل العصر مسرعاً، فإنه بلغه أن الأمير حسام الدين طرنطاي يريد الفتك به إذا قرب من باب الإصطبل. فلما سير أربعة ميادين، وقد وقف طرنطاي ومن وافقه عند باب سارية، وحاذى السلطان باب الإصطبل، وفى الظن أنه يعطف إلى نحو باب سارية ليكمل التيسير على العادة، حرك فرسه يريد القلعة وعبر من باب الإصطبل، فساق طرنطاي بمن معه سوقاً حثيثاً ليدركه فقاته. وبادر الأشرف بطلب طرنطاي، فمنعه الأمير زين الدين كتبغا أن يدخل إليه وحذره منه، فقال: «والله لو كنت نائماً ما جسر خليل ينبهنى»، وغره إعجاب به بنفسه وكثرة أيام سلامته، ودخل ومعه الأمير زين الدين كتبغا. فعندما وصل إلى حضرة الأشرف قبض عليه وعلى كتبغا وسجنوا، وقتل طرنطاي فى يوم الإثنين خامس عشره

وقيل يوم الخميس ثامن عشره بعد عقوبة شديدة، وترك بعد قتله فى مجلسه ثمانية أيام، ثم أخرج ليلة الجمعة سادس عشره فى حصر على جنوبية إلى القرافة، فغسل بزواية أبى السعود وكفنه شيخنا صدقة عنه، ودفنه بظاهر الزاوية ليلا. فلما تسلطن كتبغا نقله إلى مدرسته بالقاهرة ودفنه بها، وهو إلى اليوم هناك.

وكان سبب قتله كراهة الأشرف له من أيام أبيه، فإن طرنطاي كان يطرح جانب الشرف، ويهين نوابه ومن ينسب إليه، ويرجح أخاه الملك الصالح عليه. ولم يتلاف ذلك بعد موت الصالح، بل جرى على عادته فى إهانة من ينسب إليه، وأغرى الملك المنصور بشمس الدين السلعوس ناظر ديوان الملك الأشرف حتى ضربه وصرفه. ثم وشى به إلى الأشرف أنه يريد القبض عليه عند ركوبه إلى الميدان، ويقال إنه لما دخل عليه وجد لابساً عدة الحرب، وعندما قبض على طرنطاي نزل الشجاعى - وكان عدوه - إلى داره، وأوقع الحوطة على موجوده، فوجد له من الذهب العين ألف ألف وستمائة ألف دينار مصرية، ومن الفضة سبعة عشر ألف رطل ومائة رطل بالمصرى، ومن العدد والقماش والخيول والمماليك والبغال والجمال والغلال، والآلات والأماك والنحاس المكفّت والمطعم والزردخاناه والسروج واللحم، وقماش الطشتخاناه والركاب خاناه والفراش خاناه، والحوائص والبضائع والمقارضات والودائع، والقنود والأعسال ما لا يحصر.

ولما حملت أموال طرنطاي إلى الأشرف قال: «من عاش بعد عدوه يوما فقد بلغ المنى»، وبعد أيام من مقتل طرنطاي سئل ولده الحضور، فلما وقف بين يدي الأشرف إذا هو أعمى، فبكى ومد يده كهيئة السؤال وقال: «شىء» وذكر أن لأهله أياما ما عندهم ما يأكلون، فرق له السلطان، وأفرج عن أملاك طرنطاي، وقال: «تبلغوا بريعها».

وفيه ولى شرف الدين الحسين بن قدامة فى قضاء الحنابلة بدمشق، بعد موت نجم الدين أحمد بن قدامة، وتحدث الأمير علم الدين سنجر الشجاعى فى النيابة بعد طرنطاي، من غير أن يخلع عليه، ولا كتب له تقليد النيابة، ثم استقر فى نيابة السلطنة الأمير بدر الدين بيدرا، وخلع عليه.

وفى تاسع عشر ذى القعدة: طلب الأمير سنقر الأعسر شاد الدواوين بالشام، فحضر فى ذى الحجة، فأمر الأشرف بضربه فعوقب مراراً. واستقر عوضه سيف الدين طوغان المنصورى، وأعيد تقى الدين توبة إلى وزارة الشام، فأوقع الحوطة على موجود سنقر الأعسر.

٢٢٠..... سنة تسع وثمانين وستمائة

وفيه أحضر الأمير بدر الدين بكتوت العلامى من حمص إلى القاهرة، وتوجه الأمير حسام الدين سنقر الحسامى بتقليد الأمير حسام الدين لاجين نائب الشام واستمراره على عادته، فوصل فى ثامن عشره.

وفى هذه السنة: أكثر السلطان من تفرقة الأموال، وأبطل عدة حوادث، ومنها ما كان قد تجدد على الغلة ببلاد الشام، وسامح ما تأخر من البواقي بأرض مصر والشام.

* * *

ومات فيها من الأعيان

قاضى الحنابلة بدمشق نجم الدين أبو العباس أحمد بن عبد الرحمن بن الشيخ أبى عمر محمد بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسى، عن نحو أربعين سنة بدمشق.

وتوفى قاضى الشافعية بحلب مجد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عبد الرحمن بن مكى، عن أربع وستين سنة بدمشق.

وتوفى رشيد الدين أبو حفص عمر بن إسماعيل ابن مسعود الفارقانى الشافعى، عن تسعين سنة، خارج دمشق مخنوقاً.

وتوفى عز الدين أبو محمد عبد العزيز بن أحمد بن سعيد الدميرى الديرينى الشافعى.

وتوفى فخر الدين أبو الطاهر إسماعيل بن على بن محمد بن عبد الواحد بن عز القضاة، بدمشق عن ستين سنة.

وتوفى المحدث شمس الدين محمد بن عبد الرزاق بن أبى بكر بن المحدث الرسعنى الحنبلى، غريباً بنهر الأردن، وهو عائد من مصر لدمشق، عن ثمان وستين سنة.

وفيهما كانت حرب بين أمير الركب الفارقانى وبين أهل مكة عند ورود الثنية، قتل فيه رجل من بنى حسن، ثم قدم أبو خرص يبشر بسلطة الأشرف خليل، فكانت وقعة أخرى بعد الحج، فبادر الحجاج إلى الرحيل وخرجوا سالمين.

* * *

سنة تسعين وستمائة

فى سادس المحرم: أفرج عن الملك العزيز فخر الدين عثمان بن المغيث فتح الدين عمر بن العادل أبى بكر بن الملك الكامل محمد بن العادل أبى بكر بن أيوب، وكان قد اعتقله الملك الظاهر بيبرس فى رابع عشر ربيع الأول سنة تسع وستين، فأقام فى الاعتقال عشرين سنة وتسعة أشهر واثنين وعشرين يوماً، ورتب الأشرف له ما يقوم بحاله، ولزم داره واشتغل بالمطالعة والنسخ، وانقطع عن السعى إلا للجمعة أو الحمام أو ضرورة لا بد منها.

وفيه كتب الأشرف إلى شمس الدين محمد بن السلغوس وهو بالحجاز كتاباً، وكتب بخطه بين الأسطر: «يا شقى يا وجه الخير عجل السير فقد ملكنا»، فلما أتاه الكتاب وهو عائد من الحج انضم الناس إليه، وتوددوا له وبالغوا فى إكرامه، حتى وصل قلعة الجبل يوم عاشوراء.

وكان الأمير سنجر الشجاعى قد تحدث فى الوزارة منذ تسلطن الأشرف، من غير أن يخلع عليه ولا كتب له تقليداً، فلما كان يوم الخميس ثانى عشره استقر ابن السلغوس فى الوزارة، وخلع عليه وفوض إليه سائر أمور الدولة، وجرّد معه عدة من الممالىك السلطانية يركبون فى خدمته ويترجلون فى ركابه، ويقفون بين يديه ويمثلون أمره فتمكن تمكناً لم يتمكنه وزير قبله فى الدولة التركية، وصار إذا أراد الركوب إلى القلعة اجتمع ببابه نظار الدولة ومشد الدواوين ووالى القاهرة ومصر، ومستوفو الدولة ونظار الجهات ومشدو المعاملات، ونحوهم من الأعيان، ثم يحضر قضاة القضاة الأربعة وأتباعهم فإذا تكامل الجميع ببابه دخل إليه حاجبه وقال: «أعز الله مولانا الصاحب، قد تكمل الموكب»، كان علامة تكملة الموكب ببابه حضور القضاة الأربعة، فيخرج حينئذ ويركب والناس سائرون بين يديه على طبقاتهم ومقربهم إليه قاضى القضاة الشافعى وقاضى القضاة المالكى، ومسيرهما معاً بين يديه أمام فرسه، وقدام المذكورين قاضى القضاة الحنفى وقاضى القضاة الحنبلى، ثم نظار الدولة ثم المستوفون بالدولة ثم نظار الجهات على قدر مراتبهم، فلا يزالون حتى يستقر بمجلسه من قلعة الجبل فيصرف القضاة، ثم يعودون عشية النهار إلى القلعة، ويركبون معه إلى أن يصل داره.

واتفق ليلة أنه تأخر فى القلعة إلى عشاء الآخرة وأغلق باب القلعة، فانقلب الموكب إلى جهة باب الإسطبل، ووقف القضاة على بغلاتهم بظاهر باب الإسطبل حتى خرج

وساروا في خدمته إلى داره ولم يجسر أحد أن يتأخر قط عن الركوب في موكبه، وكان مع ذلك لا ينتصب قائماً لأحد، ولما عظم موكبه وصار الأكابر يزدحمون في طول الشارع بالقاهرة، ويضيق بهم لكثرة من معه، وتزدحم الغلمان أيضاً، تحول من القاهرة وسكن بالقرافة، وتعاضم في نفسه واستخف بالناس، وتعدي طور الوزراء، فكان أكابر الأمراء يدخلون إلى مجلسه فلا يستكمل قائماً لأحد منهم، ومنهم من لا يلتفت إليه، وإذا استدعى أميراً قال: «فلان أمير جاندار، أو فلان الأستاذار» باسمه من غير نعته، ثم ترقى حتى استخف بنائب السلطنة الأمير بيدرا، وعارضه وتحدث فيما يتحدث فيه، فلم يقدر على إظهار الغضب لما يعلم من ميل السلطان إليه.

واتفق أنه قام يوماً من مجلس الوزارة بالقلعة يريد الدخول إلى الخزانة، فصادف خروج الأمراء من الخدمة مع النائب بيدرا، فبادر الأمراء الأكابر إليه وخدموه وقبل بعضهم يده، وفسحوا بأجمعهم له وهموا بالمشى قدامه، فأشار إليهم أن ينصرفوا، فلما وطئ عتبة باب القلعة برجله وافى هناك الأمير بيدرا، وسلم كل منهما على الآخر وأوماً بالخدمة، إلا أن النائب بيدرا خدم الوزير أكثر مما خدمه الوزير، فرجع بيدرا معه ولم يكن يسامته في المشى، بل كان النائب يتقدم قليلاً ويميل بوجهه إليه إذا حدثه الوزير، حتى انتهيا إلى باب الخزانة، فأمسك ابن السلعوس بيد بيدرا النائب، وأشار إليه بالرجوع، وقال: «بسم الله يا أمير بدر الدين» ولم يزده على ذلك.

وفي هذا الشهر: قدمت رسل عكا يسألون العفو، فلم يقبل منهم ما اعتذروا به، وقدم أمراء العربان من كل جهة: فقدم الأمير مهنا بن عيسى أمير آل فضل^(١) وسابق الدين عبية أمير بنى عقبة، وقدموا التقدام، فأنعم عليهم جميعاً وأعيدوا، وقدم الملك المظفر صاحب حماة، فحمل إليه ما جرت به العادة، وكتب تقليده.

وفي يوم الجمعة سابع صفر: قبض على الأمير شمس الدين سنقر الأشقر، والأمير جرمك الناصري، وعُدَّ على سنقر الأشقر أنه أفشى سر طرنتاي حتى قبض عليه، بعدما أحسن إليه طرنتاي غاية الإحسان، ومنع الملك المنتصور من القبض عليه مراراً، فلم يرع له ذلك.

وفيه أفرج عن الأمير كتبغا وأعيد إلى إمرته، وأنعم عليه إنعاماً زائداً.

(١) مهنا الثاني: بن عيسى بن مهنا بن مانع الطائي، حسام الدين، من آل فضل ويلقب بسلطان العرب: أمير بادية الشام، وصاحب «تدمر» توفي سنة ٧٣٥هـ. انظر ابن خلدون ٤٣٨/٥. وصبح الأعشى ٢٠٦/٤. والدرر الكامنة ٣٦٨/٤، ٣٧٠. والبداية والنهاية ١٧٢/١٤. وغربال الزمان وعشائر الشام ١٠٤، ١٠١/١. والأعلام ٣١٦/٧، ٣١٧.

وفي هذا الشهر: شرع السلطان فى الاهتمام بفتح عكا، وبعث الأمير عز الدين أيك الأفرم أمير جاندار إلى الشام لتجهيز أعواد الجمانيق، فقدم دمشق فى سلخه وجهزت أعواد الجمانيق من دمشق، وبرزت فى أول ربيع الأول وتكاملت فى ثانى عشره، وسار بها الأمير علم الدين سنجر الدوادارى أحد أمراء الشام، ثم فرقت على الأمراء مقدمى الألو، فتوجه كل أمير ومضافيه بما أمر بنقله منها، وتوجه الأمير حسام الدين لاجين نائب الشام بالجيش من دمشق فى العشرين منه، وخرج من القاهرة الأمير سيف الدين طغريل الأيغاني إلى استنفار الناس من الحصون بممالك الشام: فوصل المظفر صاحب حماة إلى دمشق فى ثالث عشره، بعسكره وبمجانيق وزردخاناه، ووصل الأمير سيف الدين بلبان الطباخى نائب الفتوحات بعساكر الحصون وطرابلس، وبالمجانيق والزردخاناه فى رابع عشره، وسار جميع النواب بالعساكر إلى عكا.

وأما السلطان الملك الأشرف، فإنه لما عزم على التوجه إلى عكا، أمر فجمع العلماء والقضاة والأعيان والقراء بالقبة المنصورية، بين القصرين من القاهرة عند قبر أبيه، فى ليلة الجمعة ثامن عشرى صفر، فباتوا هناك وعمل مهم عظيم، وحضر الأشرف بكرة يوم الجمعة إلى القبة المنصورية، وتصدق بجملة كبيرة من المال والكساوى، وفرق على القراء والفقراء مالاً كثيراً، وفرق فى أهل المدارس والزوايا والخوانك والربط مالاً وثياباً، وعاد إلى القلعة.

وفى يوم الثلاثاء ثالث ربيع الأول: توجه السلطان بالعساكر يريد أخذ عكا، وسير حريمه إلى دمشق فوصلوا إليها فى سابع ربيع الآخر، وسار السلطان فنزل عكا فى يوم الخميس ثالث ربيع الآخر، ووصلت الجمانيق يوم ثانى وصوله وعدتها اثنان وتسعون منجنيقاً، فتكامل نصبها فى أربعة أيام، وأقيمت الستائر ووقع الحصار، وقد أتت جمائع الفرنج إلى عكا أرسلالاً من البحر، صار بها عالم كبير، فاستمر الحصار إلى سادس عشر جمادى الأولى، وكثرت النقوب بأسوار عكا، فلما كان يوم الجمعة سابع عشره عزم السلطان على الزحف، فرتب كوساته على ثلاثمائة جمل، وأمر أن تضرب كلها دفعة واحدة، وركب السلطان وضربت فهال ذلك أهل عكا، وزحف بعساكره ومن اجتمع معه قبل شروق الشمس، فلم ترتفع الشمس حتى علت الصناجق الإسلامية على أسوار عكا، وهرب الفرنج فى البحر وهلك منهم خلق كثير فى الازدحام، والمسلمون يقتلون ويأسرون وينهبون فقتلوا ما لا يحصى عدّه كثرة، وأخذوا من النساء والصبيان ما يتجاوز الوصف، وكان عند فتحها أن أقبل من الفرنج نحو عشرة آلاف فى هيئة مستأمنين، ففرقهم السلطان على الأمراء فقتلوهم عن آخرهم.

وكانت مدة حصار عكا أربعة وأربعين يوماً، واستشهد من المسلمين الأمير علاء الدين كشتغدى الشمسى ودفن بجلجولية، وعز الدين أيك العزى نقيب العساكر، وسيف الدين أقش الغتمى، وبدر الدين بيليك المسعودى، وشرف الدين قيران السكزى، وأربعة من مقدمى الحلقة وجماعة من العسكر.

وفى يوم السبت ثامن عشره: وقع الهدم فى مدينة عكا، فهدمت الأسوار والكنائس وغيرها وحرقت، وحمل كثير من الأسرى بها إلى الحصون الإسلامية.

وفتحت صور^(١) وحيفا^(٢) وعثليث^(٣) وبعض صيدا بغير قتال، و فر أهلها خوفاً على أنفسهم، فتسلمها الأمير علم الدين سنجر الشجاعى فى بقية جمادى الأولى، فقدمت البشائر بتسليم مدينة صور فى تاسع عشره، وبتسليم صيدا^(٤) فى العشرين منه، وأن طائفة من الفرنج عصوا فى برج منها، فأمر السلطان بهدم صور وصيدا وعثليث وحيفا، فتوجه الأمير شمس الدين نبا الجمقدار ابن الجمقدار فى حادى عشره لهدم صور، واتفق أمر عجيب: وهو أن الفرنج لما قدموا إلى صور كان بها عز الدين نبا واليا عليها من قبل المصريين، فباع صور للفرنج بمال، وصار إلى دمشق، فقدر الله خرابها على يد الأمير شمس الدين نبا بن الجمقدار^(٥) واتفق أيضاً أن الشيخ [شرف الدين]^(٦) البوصيرى رأى فى منامه قبل أن يخرج الأشرف إلى عكا قائلاً ينشده:

| | |
|----------------------|----------------------|
| قد أخذ المسلمون عكا | وأشبعوا الكافرين صكا |
| وساق سلطاننا إليهم | خيلا تدك الجبال دكا |
| وأقسم الترك منذ سارت | لا تركوا للفرنج ملكا |

فأخبر بذلك جماعة، ثم سار الأشرف بعد ذلك وفتح عكا وخربها، لم يدع فى بقية الساحل أحدًا من الفرنج، وقال محبى الدين بن عبد الظاهر فى ذلك:

(١) مدينة مشهورة على بحر الشام. انظر، معجم البلدان ٤٣٣/٣.

(٢) حصن على ساحل بحر الشام قرب يافا. انظر، معجم البلدان ٣٣٢/٢.

(٣) اسم حصن بسواحل الشام ويعرف بالحصن الأحمر. انظر، معجم البلدان ٨٥/٤.

(٤) مدينة على ساحل بحر الشام من أعمال دمشق شرقى صور بينهما ستة فراسخ. انظر، معجم

البلدان ٤٣٧/٣.

(٥) الجمقدار: هو الشخص الذى يمشى فى المواكب السلطانية عن يمين السلطان ويحمل دبوسا له

رأس ضخم مذهب.

(٦) ما بين المعقوفتين سقط من الأصل.

يا بنى الأصفر^(١) قد حل بكم
نقمة الله التى لا تنفصل
قد نزل الأشرف فى ساحلكم
فأبشروا منه بصفع متصل

وقد أكثر الشعراء فى ذكر هذا الفتح، وقال الشهاب محمود الحلبي كاتب الإنشاء لما عاين فى جوانب عكا، وقد تساقطت أركانها:

مررت بعكا بعد تخريب سورها
وزند أوار النار فى وسطها وارى
وعايتها بعد التنصر قد غدت
مجوسية الأبراج تسجد للنار
وقال ابن ضامن الضبع بعكا:

أدمى الكنائس إن تكن عبث بكم
شم الأنوف ججاجح أبطال
فلطالما سجدت لكن فوارض
الليالى أو تغير حال
فعزاء عن هذا المصاب فإنه
يوم بيوم والحروب سجال
هذا بذاك ولا نعير دهرنا
ولكل دهر دولة ورجال

وفى هذه المدة وشى الأمير علم الدين سنجر الحموى المعروف بأبى خرص إلى السلطان بالأمير حسام الدين لاجين نائب الشام، ثم أوهم لاجين بأن السلطان يريد القبض عليه، فركب لاجين من الوطاق بعكا ليلا يريد الفرار، فساق خلفه الأمير علم الدين سنجر الدوادارى وأدركه، وقال له: «بالله لا تكن السبب فى هلاك المسلمين، فإن الناس قد أشرفوا على أخذ عكا، وإن بلغ الفرنج فرارك، وأن العسكر قد ركب خلفك قويت نفوسهم وفترو الحصار» فرجع معه وظن أن الأمر لا يبلغ السلطان، وكان ذلك فى ثامن جمادى الأولى، فلما كان فى صبيحة هذه الليلة خلع السلطان عليه وطيب خاطره، ثم قبض عليه فى ثانى يوم الخلعة، وبعثه إلى قلعة صفد ثم حمل إلى قلعة الجبل بمصر.

ورحل السلطان إلى دمشق، فدخلها فى ثانى عشر جمادى الآخرة، وقد زينت دمشق منذ فتحت عكا فكان يوما عظيما.

وفيه استقر الأمير علم الدين سنجر الشجاعى فى نيابة دمشق، وزاد السلطان فى إقطاعه وراتبه عما كان لنواب الشام، وأذن له أن يطلق من الخزائن ما أراد من غير مشاورة، وجعل له فى كل يوم ثلاثمائة درهم على دار الطعم^(٢)، واستقر أيضا الأمير

(١) يقصد بهم الدولتين الرومانية والبيزنطية.

(٢) كانت هذه الدار بدمشق بمثابة الوكالة بالديار المصرية. وكان لها مشد يوليه نائب دمشق من-

جمال الدين أقرش الأشرفى فى نيابة الكرك، عوضاً عن ركن الدين بيبرس، ونقل بيبرس إلى إمرة بمصر، وقبض أيضاً على الأمير علم الدين سنجر أرجواش نائب قلعة دمشق، وضرب بحضرة السلطان ضرباً كثيراً، وألبس عباءة^(١) واستعمل مع الأسرى فى العمل، وأحرق به وأهين إلى الغاية، ووقعت الحوطة على موجوده، ثم حبس بالقلعة، ثم حمل على البريد إلى مصر، ثم رد من أثناء الطريق بشفاعة بعض الأمراء وأفرج عنه، ثم أعيد لنيابة القلعة، وسبب هذا أن الأمير شرف الدين بن الخطير كان يمزح بحضرة السلطان مع الأمراء، ويومئ إليه السلطان بذلك فيحتمل منه ما يتكلم به، وكان أرجواش على النمط الأول من البعد عن الجون، فقال له ابن الخطير وهو واقف بين يدي الأشرف: «يا مولانا السلطان! كان عند والدك الملوك ببلاد الروم حمار أشهب أعور، أشبه شىء بهذا الأمير علم الدين أرجواش» فضحك الأشرف، وغضب أرجواش وقال: «هذه صبيانية» فحنق منه الأشرف وعمل ما ذكر.

وفى ثامن عشره: عزل طوغان عن شد الدواوين بدمشق، وعيد إلى ولاية البر، واستقر سنقر الأعسر فى شد الدواوين بدمشق.

وفى ثانى رجب: عزل تقى الدين توبة عن وزارة دمشق، واستقر فيها محبى الدين ابن النحاس، ومنع أن يقال له وزير ولكن ناظر الشام.

وفى ثامن عشره: استقر شرف الدين أحمد بن عيسى بن السيرجى فى حسبة دمشق، وعزل تاج الدين بن الشيرازى.

وفى يوم الأربعاء تاسع عشره: سار السلطان من دمشق إلى مصر، فدخل إلى القاهرة من باب النصر فى بكرة يوم الإثنين تاسع شعبان، وخرج من باب زويلة إلى القلعة وقد زينت قبل وصوله بأيام، فكانت زينة لم يسمع بمثلها، وكثر سرور الناس ولعبهم.

وكان الأمير سنجر الشجاعى نائب الشام قد سار فى رابع رجب إلى صيدا، وحاصر البرج حتى فتحه فى خامس عشره، وعاد إلى دمشق يوم رحيل السلطان منها، ثم توجه إلى بيروت، فتلقاها أهلها طائعين فنزل بقلعتها، وقبض على الرجال وقيدهم وألقاهم فى الخندق، وافتتحها فى ثالث عشرى رجب، وعاد إلى دمشق فى سابع عشرى رمضان، ولم يبق فى جميع الساحل من الفرنج أحد.

= بين أمراء العشرات. انظر القلقشندى، صبح الأعشى ٤/١٨٧.

(١) العباءة: كساء واسع بلا كمين يلبس فوق الثياب.

وفي شعبان: أوقف الملك الأشرف على القبة المنصورية بين القصرين من قرى عكا الكابرة وتل الميشوح وكردانة، ومن ساحل صور معركة وصريفين، وأوقف أيضاً على المدرسة الأشرفية بجوار السيدة نفيسة قرية الفرخ من عكا، وقرية شعر عمر وقرية الحمراء منها، ومن ساحل صور قرية طرية.

وفي ثامن عشره: أفرج السلطان عن الأمير بدر الدين بيسرى الشمسى الصالحى، وكان السلطان الملك المنصور قلاوون قد اعتقله فى أوائل دولته كما تقدم ذكره، فأفرج الأشرف عنه، وكتب إفراجه وجعل فى كيس حرير أصفر، وختم عليه بخاتم السلطان، وتوجه به إلى الجب^(١) الأمير بدر الدين بيدرا النائب والأمير زين الدين كتبغا وعدة من الأمراء، وأخرجوه وقرعوا عليه الإفراج، وأحضروا تشريفة وهموا بكسر قيده، فقال: «لا يفك القيد من رجلى، ولا ألبس التشريف، إلا بعد أن أتمثل بين يدي السلطان» وصمم على ذلك فأعلم السلطان به، فأمر بإحضاره بعد فك قيده وهو ملبوسه الذى عليه فى الجب، فكسر حينئذ قيده ومشى إلى السلطان، فلما عاينه قام إليه وأكرمه وألبسه التشريف وأجلسه بجانبه، وأنعم عليه بالأموال وأنواع الثياب، وأعطاه فى مجلسه إمرة مائة فارس، وعين له إقطاعا وافرا: منه منية بنى خصيب^(٢) دربستا^(٣) بجواليها ومواريتها الحشرية^(٤) ونزل إلى داره، فصار ينتسب إلى الملك الأشرف ويكتب بيسرى الأشرفى، بعدما كان يكتب الشمسى.

وفي رابع رمضان: أفرج عن الأمير الدين شمس سنقر الأشقر، والأمير حسام الدين لاجين الصغير نائب الشام، والأمير ركن الدين بيبرس طقصوا، والأمير شمس الدين سنقر الطويل، وأمروا على عاداتهم، وقبض على الأمير علم الدين سنجر الدوادارى بدمشق، وحمل إلى قلعة الجبل مقيدا، فوصل فى سابع عشره.

وفي هذا الشهر: عزم السلطان على صرف قاضى القضاة تقى الدين عبد الرحمن ابن بنت الأعز عن وظيفة القضاء وسائر ما بيده من المناصب، بكثرة حط الوزير ابن السلعوس عليه.

وخرج البريد فى يوم تاسع رمضان بطلب بدر الدين محمد بن إبراهيم بن سعد الله

(١) بحر بقلعة الجبل.

(٢) مدينة كبيرة على شاطئ النيل فى الصعيد الأدنى. انظر، معجم البلدان ٥/٢١٨.

(٣) لفظ ديوانى فارسى معناه كاملا.

(٤) هى ما يتركه من يموت ولا وارث له.

ابن جماعة^(١) خطيب القدس، ليلى القضاء بمصر وكان السبب فى طلبه أن ابن بنت الأعز لما عزل استدعى السلطان أعيان الفقهاء الشافعية بمصر والقاهرة، وجعل كل واحد فى مكان فلم يعلم واحد منهم بالبقية، وأحضرهم واحدا واحدا وسأله عن الجماعة من يصلح فيهم لولاية القضاء، فما منهم إلا من أساء القول فى أصحابه ورماه بما لا يليق، فانصرفوا وقد انكف السلطان عن ولايتهم، وأعلم وزيره ابن السلعوس بما قال بعضهم فى حق بعض من الفحش، فأشار السلعوس عليه بولاية ابن جماعة خطيب القدس لصحبة تقدمت له معه، فوصل إلى القاهرة فى يوم الإثنين رابع عشره، وأفطر عند الوزير، وبالغ الوزير فى خدمته، وسار فى موكبه يوم الخميس سابع عشره إلى القلعة، ودخل به على السلطان، فعزل ابن بنت الأعز، وولى ابن جماعة قضاء القضاة، وفوض إليه تدريس المدرسة الصالحية بين القصرين وخطابة الجامع الأزهر، فكتم ابن جماعة الولاية، وأفطر ليلة الجمعة عند الوزير، فصار يخاطبه بقاضى القضاة، وأعلن بعزل ابن بنت الأعز، فهنأ الناس ابن جماعة، وعندما خرج ابن جماعة من دار الوزير وصل إليه التقليد مع ابن عز الدين الحنبلى، فلما أصبح يوم الجمعة ثامن عشره لبس الخلعة، ومشى الشهود فى خدمته، فركب بالخلعة إلى دار الوزير وخدمه، ثم سار إلى منزله، وركب إلى الجامع الأزهر بالخلعة، فخطب وصلى بالناس وعاد إلى منزله، ثم تحول إلى الصالحية يوم الجمعة خامس عشره، ودرس بالصالحية فى يوم الأحد ثانى عشرى شوال، وكان درسًا حفلا ويومًا مشهودًا.

وأما ابن بنت الأعز، فإن الأمير علم الدين سنجر الشجاعى دخل به إلى السلطان وقرر معه أن يوليه قضاء الشام، فلما شعر بذلك ابن السلعوس خشى أن يبقى له حاله فيتمكن بها فى الدولة، فرتب له عدة من الناس ليثوروا به. فلما جلس السلطان بدار العدل رسم لابن السلعوس أن يجهز ابن بنت الأعز قاضيًا بدمشق، ويعنى بتشريفه ويكتب تقليده، فما انفصل مجلس دار العدل حتى أحضر الشريف ابن ثعلب وادعى على ابن بنت الأعز بما قرره معه الوزير ابن السلعوس قبل ذلك، وكان قد جهز آخر إلى أن يفتى بتعزيره، وآخر ليشهد بفسقه. فانتدب السلطان لمرافعته جماعة، ورموه بعظائم بغيًا منهم وعدوانا: منها أنه يشد الزنار من تحت ثيابه، وأنه نصرانى ومازال،

(١) محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة الكنانى الحموى الشافعى، بدر الدين، أبو عبد الله. قاض من العلماء بالحديث وسائر علوم الدين ولد فى حماة، ولى القضاء بمصر، ثم قضاء الشام ثم قضاء مصر إلى أن شاخ وعمى. كان من خيار القضاة. وتوفى بمصر. انظر فوات الوفيات ١٧٤/٢ ونكت الهميان ٢٣٥. والأنس الجليل ٤٨٠/٢. والبداية والنهاية ١٦٣/١٤ والفهرس التمهيدى ٥٥٥ والنجوم الزاهرة ٢٩٨/٩ ودائرة المعارف الإسلامية ١/١٢١. والدرر الكامنة والأعلام ٢٩٨/٥.

حتى رسم السلطان أن يركب حماراً ويشهر. فقبض عليه الوزير ونكل به ورسم عليه وطلبه بمال كثير، وشنع في إهانتته، وأراد ضربه فحماه الله منه.

وما زال ابن بنت الأعز في الإهانة إلى أن أخذ يوماً بالترسيم إلى القلعة وهو ماش والأعوان تحتاطه، فرأى ثلاثة من خواص الأمراء نازلين من القلعة، فقال لهم: «يا أمراء أما تنظرون في حالى وأما أنا فيه من الإهانة مع هؤلاء الرسل؟» فسأهم ذلك وجردوا دبايسهم وحطموا يريدون ضرب الرسل، وقالوا: «قاضى القضاة ماش، وأتم ركاب؟» فقالوا: «الصاحب أمرنا بهذا، ما لنا ذنب ولا نريد هذا الفعل» فشق عليهم ما رأوا وعادوا إلى السلطان، وألقوا سيوفهم وقالوا: «يا خوند قد بلغ الأمر من حال قاضى القضاة أن يمشى والرسل ركاب» وذكروا ما هو فيه من الإهانة، فقال لهم السلطان: يستأهل أكثر من هذا، لأنهم قالوا عنه إنه كافر يشهد الزنار من تحت ثيابه. فقالوا: ياخوند إن كان قاضى القضاة كافراً فابن السلعوس مسلم، إما تهبه لنا، وإما تمكنا من ابن السلعوس، وإما أن تنفينا».

وكان الأمير بدر الدين بكتاش الفخرى أمير سلاح له عناية به أيضاً، فتحدث مع الأمير بيدرا النائب، وكان بيدرا بينه وبين ابن بنت الأعز شحناء، فقال بيدرا لبكتاش: «تحدث مع السلطان فى أمر سنجر الحموى أبى خرص أن يطلقه، وأنا أشفع فى ابن بنت الأعز» فاتفقا على ذلك، وشفع بيدرا فى ابن بنت الأعز، وشفع بكتاش فى أبى خرص، فأفرج السلطان عنهما معاً.

ولزم ابن بنت الأعز داره، ولم يترك بيده شىء من الوظائف، وكان بيده سبعة عشر منصباً وهى قضاء القضاة بديار مصر كلها وخطابة الجامع الأزهر، ونظر الخزانة، ونظر الأحباس، ومشیخة الشيوخ، ونظر التركة الظاهرية ببيرس وأولاده وأوقافه وأملاكه، وعدة تداريس، وكان عندما عزل قد رُسم عليه فى شوال، وألزم بالإقامة فى زواية الشيخ نصر المنبجى خارج القاهرة حتى قام بما قرر عليه من المال، بعدما باع ورهن واقترض، ثم انتقل إلى القرافة إلى أن تحدث له الأمير بدر الدين بيدرا فى تدريس المدرسة الناصرية بجوار ضريح الإمام الشافعى، فوليه وتحول إلى المدرسة المذكورة، فكان هذا سبباً لمحتته الثانية، ويقال إنه حمل من جهته مبلغ ثمانية وثلاثين ألفاً.

وفى خامس عشرى رمضان: أفرج السلطان عن الخليفة الحاكم بأمر الله أحمد بن الأمير أبى على القتى بن الأمير أبى بكر بن الإمام المسترشد بالله العباسى، ورسم له أن يخطب فى يوم الجمعة، فخطب يوم الجمعة رابع عشر شوال، فخرج بسواده وهو متقلد

سيفاً محلي، وخطب بجامع القلعة وذكر الخطبة التي خطب بها في أيام الملك الظاهر بيبرس وهي من إنشاء شرف الدين وإلا أنه ذكر فيها الملك الأشرف، وكان بين الخطبتين مدة ثلاثين سنة وتسعة أشهر وثلاثة وعشرين يوماً، فلما فرغ من الخطبة لم يصل بالناس، وقدم قاضي القضاة بدر الدين محمد بن جماعة فصلى بهم صلاة الجمعة، واستمر الخليفة يخطب بجامع القلعة، واستتاب عنه بالجامع الأزهر صدر الدين عبد البر بن قاضي القضاة تقي الدين محمد بن رزين.

وفي تاسع شوال: قبض على الأمير سيف الدين قرا رسلان المنصوري والأمير جمال الدين أقوش الأفرم بدمشق، واعتقلا بقلعتها، وأقطع عز الدين أزدمر العلاني إقطاع قرا رسلان، وسنقر المساح إقطاع الأفرم.

وفي ليلة الإثنين رابع ذي القعدة: عمل ختم بالقبة المنصورية، حضره الأمير بيدرا النائب والوزير شمس الدين بن السلعوس، ونزل إليه السلطان والخليفة بكرة يوم الإثنين، فخطب وعليه سواده خطبة بليغة حرض فيها على أخذ العراق، وكان يوماً مشهوداً، فرقت فيه صدقات جمّة، وكتب إلى نائب الشام بعمل ختم، فاجتمع الناس في ليلة الثلاثاء حادى عشره بالميدان الأخضر خارج دمشق وختموا القرآن، وحضر الوعاظ والأعيان.

وفي هذا الشهر: قبض بدمشق على الشيخ سيف الدين [....] ^(١) الرجيجي وهو من أولاد الشيخ يونس، وحمل إلى قلعة الجبل على البريد.

وفي هذه السنة: كملت عمارة قلعة حلب، وكتب عليها اسم الملك الأشرف. وفيها أخرج بولدى الملك الظاهر بيبرس، وهما المسعود نجم الدين خضر والعاذل بدر الدين سلامش ^(٢) من الاعتقال، ونفيا إلى ملك الفرنج فسار بهما - ومعهما والدتهما - الأمير عز الدين أيك الموصلي الأستاذار إلى الإسكندرية، وحملهم في البحر إلى القسطنطينية، فلما وصلوا أكرمهم الأشكري متملكها وأجرى عليهم ما يقوم بهم، وكانت حرهم معهم.

(١) ما بين المعقوفتين سقط من الأصل.

(١) سلامش بن بيبرس البندقداري، سيف الدين: الملقب بالعاذل ابن الملك الظاهر: من ملوك دولة المماليك بمصر والشام. بويغ بالسلطنة بمصر بعد خلع أخيه الملك السعيد سنة ٦٧٨هـ وكان عمره لما تسلطن سبع سنوات ونصفا. ويعرف بابن البدوية. وضربت السكة باسمه وقام بتدبير مملكته قلاوون الألفي. وكانت مدة سلطنته الاسمية خمسة أشهر وأياما توفى في القسطنطينية، وصيرته أمه في تابوت وحملته معها إلى القاهرة. ودفن بالقرافة. انظر ابن إياس ١١٤/١ والنجوم الزاهرة ٧/٢٨٦ والنهج السديد ٤٧١ والأعلام ٣/١٠٦.

وفيها كملت عمارة قلعة حلب، وكان الأمير قرا سنقر نائب حلب قد شرع فى عمارة حلب، فأحكم بنيانها وأدار سورها وأقام شعائر جامعها، وكان لها منذ حربها هولاًكو ثلاث وثلاثين سنة خراباً. ووقع الشروع فى عمارة دمشق من شوال، فبنيت بها الأدر السلطانية والطارمة^(١) والقبة الزرقاء، وتولى ذلك الأمير علم الدين سنجر الشجاعى وبالغ فى تحسينها، فكانت جملة ما عمل فى سقفها أربعة آلاف مثقال ذهب.

وفيها لم يحج الشريف أبو نعى خوفاً من المصريين.

وفى شهر ربيع الأول منها: مات ملك الططر بفارس، وهو أرغون بن أبغا بن هولاًكو بن طلو بن جنكر خان، وملك بعده أخوه كيختو بن أبغا، وترك أرغون ولدين وهما قازان وخريندا، وكانا بخراسان فأفحش كيختو فى الفسق بنسوان المغل واللواط بولدانهم، حتى أبغضته رعيته.

وفيها مات قتيلا تلابغا بن منكوتمر بن طوغان، قتله نغيه بن مغل بن ططر بن دوشى خان بن جنكر خان. وقام بعده فى الملك طقطغا بن منكوتمر بن طوغان، وهو ابن عم تلابغا، فرتب نغيه إخوة طقطغا معه، وهم بزلك وصرای بغا وتدان.

* * *

ومات فى هذه السنة من الأعيان

السلطان الملك العادل سلامش بن الظاهر بيبرس، ببلد اسطنبول^(٢) عن اثنتين وعشرين سنة.

ومات القان أرغون بن أبغا بن هولاًكو بن طلوى بن جنكرخان، ملك التتار بفارس فى ربيع الأول، عن نحو سبع سنين من ملكه، وقام من بعده أخوه كيختو بن أبغا.

وتوفى تاج الدين أبو محمد عبد الرحمن بن إبراهيم بن سباع الفزارى الشافعى^(٣) فقيه الشام، عن ست وستين سنة بدمشق.

(١) هو بيت من خشب كالقبة وهى تعريب طارم بالفارسية. انظر المعجم الوسيط (طرم).

(٢) هى القسطنطينية.

(٣) عبد الرحمن بن إبراهيم بن سباع الفزارى البدرى، أبو محمد، تاج الدين الفركاح مؤرخ، من علماء الشافعية. مصرى الأصل، دمشقى الإقامة والشهرة والوفاة. انظر النعمى ١/١٠٨، وفوات الوفيات ١/٢٥٠، والسبكى ٥/٦٠، والأعلام ٣/٢٩٣.

٢٣٢ سنة تسعين وستمائة

وتوفى المسند فخر الدين أبو الحسن علي بن أحمد بن عبد الواحد بن أحمد بن عبد الرحمن بن إسماعيل بن منصور المعروف ابن البخاري المقدسي السعدي^(١) عن أربع وتسعين سنة بدمشق، وقد انفرد بعلو الإسناد.

وتوفى خطيب حلب شمس الدين أبو العباس أحمد بن عبد الله بن الزبير بن أحمد بن سليمان الشيباني الخابوري الشافعي، عن تسعين سنة بحلب.

وتوفى خطيب حماة وفتيها بدر الدين أبو محمد عبد اللطيف بن محمد بن محمد بن نصر الله بن المغيزل العبدى الحموى بها، عن سبعين سنة، قدم القاهرة.

وتوفى علاء الدين أبو الحسن علي بن الكمال أبي محمد عبد الواحد بن عبد الكريم ابن خلف بن نبهان بن الزملكاني الأنصاري الشافعي، بدمشق عن نيف وخمسين سنة.

وتوفى محيي الدين أبو يعلى محمد بن عمر بن عبد المنعم بن عبد الله بن محمد بن عبد الباقي بن أمين الدولة الرعباني الحلبي الحنفي، عن نيف وثمانين سنة بحلب.

وتوفى العفيف أبو الربيع سليمان علي بن عبد الله بن علي بن ياسين التلمساني العابدی^(٢) عن ثمانين سنة بدمشق.

وتوفى طيب الشام عز الدين أبو إسحاق إبراهيم بن نجم بن طرخان الأنصاري الدمشقي، عن تسعين سنة.

وتوفى الأديب شرف الدين عيسى بن فخر الدين أياز بن عبد الله الوالي.

* * *

(١) علي بن أحمد بن عبد الواحد السعدي المقدسي الصالحى الحنبلى، فخر الدين أبو الحسن، المعروف بابن البخاري: علامة بالحديث. حدث نحو من ستين سنة ببلاد كثيرة بدمشق ومصر وبغداد وغيرها. وله شعر جيد. توفى بدمشق. انظر شذرات الذهب ٤/٥١٤. وكشف الظنون ٢/١٦٩٦ والمخطوطات المصورة ٢/١٤٢. والمشخة الفخرية ٥٣٧٠. والأعلام ٤/٢٥٧.

(٢) سليمان بن علي بن عبد الله بن علي الكومى التلمساني، عفيف الدين: شاعر كومى الأصل من قبيلة كومة تنقل فى بلاد الروم وسكن دمشق، فباشر فيها بعض الأعمال. وكان يتصوف. مات فى دمشق. انظر غربال الزمان. والنجوم الزاهرة ٨/٢٩. والبداية والنهاية ١٣/٣٢٦. آداب اللغة ٣/١١٩. وشذرات الذهب ٥/٤١٢. وفوات الوفيات ٩/١٧٨. والأعلام ٣/١٣٠.

سنة إحدى وتسعين وستمائة.

فى رابع عشر صفر: وقع حريق فى بعض خزائن قلعة الجبل، تلف فيه كثير من الكتب وغيرها.

وفى حادى عشر ربيع الأول: ختم بالقبة المنصورية. ونزل السلطان وتصدق بمال كثير.

وفى يوم الجمعة تاسع عشره: خطب الخليفة الحاكم بأمر الله بجامع قلعة الجبل خطبة بليغة حث فيها على الجهاد، وصلى بالناس صلاة الجمعة.

وفيه نودى بالنفير للجهاد، وخرج السلطان فى الثامنة من يوم السبت ثامن ربيع الآخر بجميع عساكره فورد البريد بأن التتار أغاروا على الرحبة^(١) واستاقوا مواشى كثيرة، وخرجت إليهم تجريدة من دمشق.

وفى يوم السبت سادس جمادى الأولى: دخل السلطان إلى دمشق، وأنفق فى العساكر يوم الإثنين ثامنه.

وفى نصفه: تزوج الأمير سنقر الأعسر بابنة الصاحب شمس الدين بن السلعوس، على صداق جملة ألف وخمسمائة دينار، المعجل مبلغ خمسمائة دينار.

وفيه وصل الملك المظفر صاحب حماة، وعرض السلطان عساكره، وقدم جيش الشام فسار إلى حلب.

ثم خرج السلطان من دمشق فى الخامسة من يوم الإثنين سادس عشره، فدخل حلب فى ثامن عشره، وخرج منها فى رابع جمادى الآخرة يريد قلعة الروم^(٢) فنزل عليها يوم الثلاثاء ثامنه، ونصب عشرين منجنيقا ورمى عليها، وعملت النقب^(٣) وعمل الأمير سنجر الشجاعى نائب دمشق سلسلة وشبكها فى شراريف القلعة وأوثق طرفها بالأرض، فصعد الأجناد فيها وقاتلوا قتالا شديداً. ففتح الله القلعة يوم السبت حادى

(١) قرية بجذاء القادسية على مرحلة بين الكوفة. انظر، معجم البلدان ٣/٣٣.

(٢) قلعة غربى الفرات مقابل البيرة، تقع بينها وبين سميساط. انظر، معجم البلدان ٤/١٦٤.

(٣) النون والقاف والباء أصل صحيح يدل على فتح شىء. ونقب الحائط ينقبه نقبا. انظر

عشر رجب عنوة، وقتل من بها من المقاتلة، وسبى الحرير والصبيان، وأخذ بترك الأرمن وكان بها فأسر. وكانت مدة حصارها ثلاثة وثلاثين يوماً، وقد سماها السلطان قلعة المسلمين فعرفت بذلك، وحمل إليها زردخاناه وألفا ومائتي أسير، واستشهد عليها الأمير شرف الدين بن الخطير. فلما وردت البشائر إلى دمشق بفتح قلعة الروم زينت البلد ودقت البشائر، ورتب السلطان الأمير سنجر الشجاعى نائب الشام لعمارة قلعة المسلمين، فعمر ما هدمته المجانيق والنقوب، وخرّب ربيضا.

وعاد السلطان راجعاً في يوم السبت ثامن عشره، فأقام بحلب إلى نصف شعبان، وعزل قرا سنقر عن نيابة حلب، وولى عوضه الأمير سيف الدين بلبان الطباخى المنصورى، ورتب بها الأمير عز الدين أيك الموصلى شاد الدواوين ورحل السلطان إلى دمشق، فدخلها في الثانية من يوم الثلاثاء عشرى شعبان، وبين يديه بترك الأرمن صاحب قلعة الروم وعدة من الأسرى.

وفيه خرج الأمير بدر الدين بيدرا نائب السلطنة بديار مصر ومعه معظم العسكر إلى جبال كسروان^(١) من جهة الساحل، فلقيهم أهل الجبال وعاد بيدرا شبه المهزوم، واضطرب العسكر اضطراباً عظيماً، فطمع أهل الجبال فيهم، وتشوش الأمراء من ذلك وحقدوا على بيدرا ونسبوه أنه أخذ منهم الرشوة. فلما عاد إلى دمشق تلقاه السلطان وترجل له عند السلام عليه، وعاتبه سرا فيما كان منه، فمرض بيدرا حتى أشفى على الموت، وتحدث أنه سقى السم، ثم عوفى وتصدق في رمضان بصدقات حجة، ورد أملاكاً اغتصبها لأربابها، وأطلق عدة من سجونته، وجمع الناس في عاشره بجامع بنى أمية وعمل مهماً لقراءة ختمة كريمة.

وفي خامس عشر شهر رمضان: توفى محيى الدين محمد بن عبد الله بن عبد الظاهر^(٢) صاحب ديوان الإنشاء، وهو بدمشق، فأجرى السلطان معلومه على ولده علاء الدين على، وجعله من جملة كتاب الإنشاء. وأقر السلطان في ديوان الإنشاء تاج الدين أحمد بن سعيد بن محمد بن الأثير التنوخى الحلبى، عوضاً عن ابن عبد الظاهر.

وفيه كثر موتان الجمال حتى حمل الأمراء أنقاهم على الخيل، فأذن السلطان لضعفاء العسكر فى العود إلى القاهرة، فساروا من دمشق فى ثانى عشره. وحضر الأمير علم الدين سنجر الدوادارى من قلعة الجبل بعدما أفرج عنه، فأنعم عليه بإمرة فى ديار مصر.

(١) هى جبال الدرزية - الدرروز - بلبنان.

(٢) محمد بن عبد الله بن عبد الظاهر بن نشوان، فتح الدين: أول من سمى بكاتب السرفى الديار المصرية. كان صاحب ديوان الإنشاء فيها. مولده بالقاهرة، ووفاته بدمشق. انظر حسن المحاضرة ٥٧٤/٢ والوفى بالوفيات ٣/٣٦٦. وشذرات الذهب ٥/٤١٩. والأعلام ٦/٢٣٤.

وفي ليلة عيد الفطر: فر الأمير حسام الدين لاجين الصغير من داره بدمشق، خوفاً من السلطان لما بلغه من أنه يريد القبض عليه، فنودى بدمشق من أظهر لاجين فله ألف دينار ومن أخفاه شتى، وركب السلطان في خاصته وترك سباط العيد، وساق في طلب لاجين وأخذ عليه الطريق، ثم عاد بعد العصر في أسوأ حال من التعب، ولم يجد له أثراً فقلق. واتفق أن لاجين نزل على طائفة من العرب، فقبضوه وأحضره إلى السلطان فاعتقله. وقبض السلطان على الأمير ركن الدين بيبرس طقصوا حمى لاجين، وحمل هو ولاجين إلى قلعة الجبل بمصر.

وفي سادسه: استقر الأمير عز الدين أيك الحموى في نيابة دمشق، عوضاً عن الشجاعى واستقر الأمير سيف الدين طغريل الإيغانى نائباً بالفتوحات، عوضاً عن بلبان الطباخى بحكم انتقاله إلى نيابة حلب.

وفيه قدم الشجاعى من قلعة المسلمين بعدما عمّر ما هدم منها، فشق عليه عزله عن دمشق.

وفي الثلث الآخر من ليلة الثلاثاء تاسعه: خرج السلطان من دمشق عائداً إلى مصر، بعدما رسم لجميع أهل الأسواق أن يخرج كل واحد منهم ويده شمعة موقودة عند ركوب السلطان، فخرجوا بأجمعهم ورتبوا من باب النصر إلى مسجد القدم، فعندما ركب السلطان أشعلت تلك الشموع دفعة واحدة، فسار بينها حتى نزل مخيمه. ونقل محبى الدين بن النحاس من نظر دواوين دمشق إلى نظر الخزانة، عوضاً عن أمين الدين بن هلال، وأقيم في نظر دواوين دمشق جمال الدين بن إبراهيم بن صصرى، واستقر الأمير شمس الدين قرا سنقر الجوكندار المنصورى مقدم المماليك السلطانية.

وقدم السلطان إلى القاهرة يوم الأربعاء ثانى ذى القعدة، ودخل من باب النصر، وصعد إلى القلعة من باب زويلة. وقد عمل من الزينة والقلاع والتهانى شىء كثير، وأوقد من الشموع ما يجلب وصفه، فإن الناس احتفلوا لذلك احتفالاً عظيماً فاق جميع ما تقدم في معناه. وولى صحابه ديوان الإنشاء عماد الدين إسماعيل بن أحمد بن سعيد ابن محمد بن الأثير^(١) بعد وفاة والده، فإن والده لم يقم في كتابة السر إلا نحو شهر، ومات بغزة عند عوده من دمشق في تاسع عشر شوال.

(١) إسماعيل بن أحمد بن سعيد، عماد الدين بن تاج الدين بن الأثير: كاتب من العلماء بالأدب، شافعى، حلبى الأصل، ولى كتابة الدرج بالديار المصرية بعد أبيه مدة وتركها تورعاً وقتل بظاهر حمص فى رقعة مع التتار. انظر إحكام الأحكام ٤٣/١. والنجوم الزاهرة ١٩٠/٨. وطبقات الشافعية وكشف الظنون ١١٢٣، ١١٦٥، ١٣٢٩، ١٥١٤، والأعلام ٣٠٩/١.

وفي ذى القعدة: ندب الوزير ابن السلعوس العلم ابن بنت العراقي لمرافعة تقى الدين ابن بنت الأعز، وعقد له مجلس وادعى عليه العلم المذكور بعظائم، فاستمر في المحنة بقية السنة.

وفي آخر ذى الحجة: قبض على الأمير شمس الدين سنقر الأشقر، والأمير سيف الدين جرمك الناصري، والأمير سيف الدين الهاروني، والأمير بدر الدين بكتوت، واعتقلوا[.....]^(١).

* * *

ومات فيها من الأعيان

الملك المظفر قرا أرسلان بن السعيد غازي بن المنصور أرتق بن إيلغازي بن ألبى بن تمرتاش بن إيلغازي بن أرتق، صاحب مارددين^(٢) بعدما ملك ثلاثا وثلاثين سنة.

ومات الأمير سنقر الأشقر عن سبعين سنة.

وتوفى كاتب السر فتح الدين أبو عبد الله محمد بن محيي الدين أبي الفضل عبد الله بن عبد الظاهر، عن أربع وخمسين سنة بدمشق.

وتوفى كاتب السر تاج الدين أبو العباس أحمد بن شرف الدين أبي الفضل سعيد ابن محمد بن سعيد بن الأثير الحلبي، بغزة.

ومات مجد الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الطبري المكي الشافعي بالقدس، عن اثنين وستين سنة، قدم القاهرة.

وتوفى كاتب الإنشاء بدمشق سعد الدين أبو الفضل سعد الله بن مروان أبي عبد الله الفارقي، وهو في عشر الستين.

وتوفى كمال الدين أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الله بن عبد المنعم بن هبة الله بن محمد بن هبة الله بن محمد بن عبد الباقي بن أمين الدولة الحلبي بالقاهرة عن سبعين سنة.

وتوفى فخر الدين أبو عمرو عثمان بن خضر بن غزى عامر الأنصاري المصري المؤدب، في جمادى الآخرة وهو في عشر الثمانين، وقد حدث عن ابن باقا ومكرم الفارسي.

(١) ما بين المعقوفتين سقط في الأصل.

(٢) قلعة على قمة جبل الجزيرة مشرفة على دنيسر ودارا ونصيبين. انظر، معجم البلدان ٣٩/٥.

وفيهما قبض الأمير بكتوت على الشريف راجح بن إدريس من ينبع^(١) وحمله إلى مصر وكانت الخطبة بمكة للأشرف خليل إلى آخر ربيع الأول، ثم انقطعت لانقطاع أخبار مصر، فلما قدم الحجاج وهم قليل حج أبو نسي، وقدم حاج الشام فى ركبين وكانت جفلة بعرفة وعز الماء، فأبيعت الراوية بأربعة دنانير مكية.

* * *

سنة اثنين وتسعين وستمائة

فى ليلة أول المحرم: أخرج من فى الجب من الأمراء: وهم سنقر الأشقر وجرمك والهارونى وبكتوت وبيرس وطقصوا ولاجين، وأمر بخنقهم قدام السلطان، فخنقوا بأجمعهم حتى ماتوا. وتولى خنق لاجين الأمير قرا سنقر، فلما وضع الوتر فى عنقه انقطع، فقال: «ياخوند مالى ذنب إلا حمى طقصوا وقد هلك، وأنا أطلق ابنته». وكان قرا سنقر له به عناية، فتلطف به ولم يعجل عليه، لما أراد الله من أن لاجين يقتل الأشرف ويملك موضعه، وانتظر أن تقع به شفاعا. فشفع الأمير بدر الدين بيدرا فى لاجين، وساعده من حضر من الأمراء، فعفى عنه ظنا أنه لا يعيش، فحمل وكان من أمره ما سيذكره إن شاء الله.

وفى أول المحرم: استقر الأمير عز الدين أيك الخازندار المنصورى فى نيابة طرابلس والحصون، عوضًا عن طغريل الإيغانى، فسار من القاهرة.

وفى رابعه: سار السلطان من قلعة الجبل إلى الصعيد، واستخلف الأمير بيدرا النائب بقلعة الجبل وهو مريض. فانتهى السلطان إلى مدينة قوص^(١) ونادى هناك بالتجهيز لغزو اليمن. وكشف الوزير السلعوس الوجه القبلى، فوجد الجارى فى ديوان الأمير بيدرا من الجهات عما هو فى إقطاعاته، وما اشتراه وما حماة أكثر مما هو جار فى الخاص السلطانى، ووجد الشون السلطانية بالوجه القبلى خالية من الغلال وشون بيدرا مملوءة. فأبلغ ذلك إلى السلطان وأغراه بيدرا حتى تغير عليه، فبلغ الخبر بيدرا فخاف وأخذ يتلافى الأمر، وجهاز مقدمة جليلة منها خيمة أطلس أحمر بأطناب حرير وأعمدة صندل محلاة ومفصلة بفضة مذهبة وبسطها من حرير، وضربها بناحية العدوية^(٢) مع ما أعده. فلما عاد السلطان نزل بها ولم يكثرث بالتقدمة، وطلع إلى القلعة، فارتجع عدة من جهات بيدرا للخاص السلطانى.

وفى صفر: وقع بغزة والرملة^(٣) ولد^(٤) والكرك زلازل عظيمة هدمت ثلاثة أبراج

(١) مدينة كبيرة عظيمة واسعة قصبه صعيد مصر، بينها وبين الفسطاط اثنا عشر يوما. انظر، معجم البلدان ٤/٤١٣.

(٢) بلد صغيرة خارج القاهرة. انظر ابن دقماق، الانتصار ٥/٤٣.

(٣) مدينة عظيمة بفلسطين. انظر، معجم البلدان ٣/٦٩.

(٤) قرية قرب بيت المقدس من نواحي فلسطين. انظر، معجم البلدان ٥/١٥.

من قلعة الكرك، وتوالت الأمطار والسيول حتى خربت طواحين العوجاء^(١) وتكسرت أحجارها، ووجد في السيل أحد عشر أسداً موتى، وزلزلت أيضاً البلاد الساحلية فانهدمت عدة أماكن، فلما ورد الخير بذلك خرج الأمير علاء الدين أيدغدى الشجاعى من دمشق لعجارة ما تهدم بمرسوم شريف. وورد كتاب الأمير عز الدين أيبك الرومى من قلعة المسلمين بطلب ثلاثين سراقوجا، حتى إذا وجه لكشف أخبار العدو لبسها من بيعته فلا يعرف من هم.

وفيه عيى السلطان يرسم الأمير حسام الدين مهنا بن عيسى ملك العرب تعبئة قماش حرير بسبب زواج ابنته، وأمر بعمل تعبئة لوالدته أيضاً، وجهز ذلك على يد حاجبه من الخزانة. ورسم السلطان بيناء بئر فى العريش^(٢) وأخرج لها عدة من الفواصين، فلما تم بناؤها ركب عليها ساقية.

وفيه قتل علاء الدين [...] البريدى والى الأشمونين^(٤) نفسه، فاستقر عوضه بكممر الموسيقى. وقبض على الأمير عز الدين أزدمر العلائى أحد أمراء دمشق، وحمل إلى القاهرة فقدم أول ربيع الأول.

وفيه رسم بتجهيز العساكر إلى دمشق، فسار بها الأمير بيدرا، ثم سار الوزير بالخزائن. وركب السلطان على الهجن فى أول جمادى الأولى ومعه جماعة من أمراءه وخواصه، وسار إلى الكرك من غير الدرب الذى يسلك منه إلى الشام، فرتب أحوالها. وترجه إلى دمشق، فقدمها فى تاسع جمادى الآخرة بعد وصول الأمير بيدرا والوزير بثلاثة أيام، فأمر بالتجهيز إلى بهسنا وأخذها من الأرمن أهل سيس. فقدم رسل سيس يطلبون العفو، فاتفق الحال معهم على تسليم بهسنا^(٥) ومرعش^(٦) وتل حمدون، فسار الأمير طوغان والى البر بدمشق معهم ليتسلما، وقدم البريد إلى دمشق بتسليمها فى أول رجب، فدقت البشائر.

(١) اسم لنهر بين أرسوف والرملة بفلسطين. انظر، معجم البلدان ٧٤٤/٣.

(٢) مدينة فى مصر تقع على ناحية الشام على ساحل بحر الروم. انظر، معجم البلدان ١١٣/٤.

(٣) ما بين المعقوفين سقط فى الأصل.

(٤) هى خامس أعمال الوجه القبلى، وموقعها بين عمل البهنس والمنفلوطية. انظر القلقشندى،

صبح الأعشى ٣/٣٩٨.

(٥) مدينة فى الثغور بين الشام وبلاد الروم. انظر، معجم البلدان ١٠٧/٥.

(٦) هى بليدة فى ناحية البرية من أعمال حماة بينهما مسيرة يومين. انظر، معجم البلدان ٢٤٠/٣.

واستقر الأمير بدر الدين بكناش الزردكاش في نيابة بهسنا، وعين لها قاض وخطيب، واستخدم لها رجال وحفظة. وقدم الأمير طوغان ومعه رسل سيس بالحمل والتقادام إلى دمشق في ثاني عشره بعد توجه السلطان، فتبعوه.

وكان السلطان قد خرج في ثاني رجب إلى حمص ومعه جماعة من العسكر، وقد سير ضعفة العسكر إلى القاهرة، ثم سار من حمص إلى سلمية، وطرق مهنا بن عيسى بن مهنا بن مانع بن حديثة بن ضية بن فضل بن ربيعة أمير آل فضل، وقبض عليه وعلى إخواته محمد وفضل ووهبة، وبعثهم مع الأمير حسام الدين لاجين إلى دمشق، فقدمها لاجين في سابعه. وقدم السلطان في يومه أيضًا، فأقام في إمرة العرب الأمير شمس الدين محمد بن أبي بكر بن علي بن حُدَيْثَه بن غضية بن فضل بن ربيعة أمير آل علي. وبعث السلطان الأمير عز الدين أيك الأفرم، أمير جاندار إلى الشوبك، فهدم قلعتها ولم يبق منها إلا قلنتها فقط.

وفي شهر رجب: وقع بيبلك أطار وسيول خارجة عن الحد، ففد من كرومها ومزارعها ومساكنها ما تزيد قيمته على مائة ألف دينار.

وفي حادى عشره: سار الأمير بيدرا بالعساكر والوزير ابن السلعوس بالخزائن من دمشق، ثم ركب السلطان في خواصه يوم السبت ثالث عشره، فقدم غزة بكرة الأربعاء سابع عشره، ودخل قلعة الجبل في ثامن عشره، وقدم الأمير بيدرا. بمن معه أول شعبان. وفيه ولي طوغان والى البر بدمشق نيابة قلعة المسلمين، وولى أسندمر كرجى برّ دمشق.

وفي شعبان: استقر شمس الدين أحمد السروجي الحنفي في قضاء القضاة الحنفية بالقاهرة، بعد وفاة قاضى القضاة معز الدين نعمان بن الحسن بن يوسف الخطيبى الأرزنكانى.

وفي أول شهر رمضان: أفرج عن تقي الدين ابن بنت الأعز، بعدما اشتد به البلاء واعتقل في سجن الحكم وتوعد بالقتل، فعاد إلى بيته بالشافعى من القرافة، ومدح ابن السلعوس بقصدة أراد إنشادها بنفسه فحلف الوزير عليه، فأنشدها أخوه علاء الدين. ثم إنه ثبتت براءته مما رمى به، وتوجه إلى الحج مع الركب.

وفي يوم السبت ثاني شوال: قبض على الأمير عز الدين أيك الأفرم أمير جاندار، وأحيط على جميع موجوده بمصر والشام.

وفي ذى الحجة: رسم بعمل المهم لختان الأمير ناصر الدين محمد أخى السلطان، فنصب القبق تحت القلعة مما يلي باب النصر فى العشرين منه، وفرقت الأموال والخلع على من أصاب فى رمية، وكان قد رسم بعرض العساكر بحضور الأمير بيدرا، فأقامت فى العرض أياماً، فرمى بيدرا بتغاضيه، وأن بعض العسكر يستعير العدة، فرسم بعرض الجميع جملة واحدة فى الميدان، فكان يوماً مشهوداً. ومن أصاب فى رمى القبق الأمير بيسرى، فأنعم عليه بخمسة وثلاثين ألف دينار عيناً سوى الخلع وغيرها، وختن الأمير محمد وأولاد الأمراء فى يوم الإثنين فى ثانى عشره، ونثر الأمراء الذهب حتى امتلأت الطشوت منه.

وفي آخر ذى الحجة: استقر فى كتابة السر القاضى شرف الدين عبد الوهاب بن فضل الله العمري^(١) عوضاً عن عماد الدين إسماعيل بن الأثير.

وفي هذه السنة: خطب الشريف أبو نى بمكة للملك الأشرف، بعدما كان يخطب فيها لصاحب اليمن، ونقش السكة أيضاً باسمه، وجهز بذلك محاضر مع [.....^(٢)] ابن القسطلانى.

وفىها قدم رسل كيختوا ملك التتار بكتابه يتضمن أنه يريد الإقامة بحلب، فإنها مما فتحه أبوه هولوكو، وإن لم يسمح له بذلك أخذ بلاد الشام. فأجابه السلطان بأنه «قد وافق القان ما كان فى نفسى، فإنى كنت على عزم من أخذ بغداد، وقتل رجاله، فإنى أرجو أن أردّها دار إسلام كم كانت، وسيظهر أينا يسبق إلى بلاد صاحبه» وكتب إلى بلاد الشام بتجهيز الإقامات وعرض العساكر.

وفىها وقف الحجاج يوم الإثنين والثلاثاء، ولم يصلوا الجمعة من خوف العطش لقلّة الماء. وحلف أمير الركب الشريف أبا نى يميناً أنه يتوجه إلى السلطان، وكان قد أعطاه ألف دينار عيناً، بعث بها إليه السلطان من مصر.

وفىها تلف فى البحر ستة عشر مركباً من جلاب اليمن، أكثرها من عدن.

* * *

(١) عبد الوهاب بن فضل الله العمري القرشى، شرف الدين: كاتب مترسل مصرى. خدم الملك الأشرف، والملك الناصر، وسيف الدين تنكز، ونقله الملك الناصر إلى كتابة السر، فى دمشق فتوفى بها. انظر فوات الوفيات ٢٢٢/٢. والدرر الكامنة ٤٢٨/٢. والنجوم الزاهرة ٢٤٠/٩. والأعلام ١٨٥/٤.

(٢) ما بين المعقوفين سقط فى الأصل.

ومات فى هذه السنة من الأعيان

الملك الأفضل على بن المظفر محمود بن المنصور محمد بن المظفر عمر بن شاهنشاه ابن أيوب بن شادى^(١) صاحب حماة، وهو متوجه إلى القاهرة، عن سبع وخمسين سنة. ومات الأمير علم الدين سنجر الحلبي الثائر بدمشق، وهو من أبناء الثمانين بالقاهرة. وتوفى قاضى القضاة الحنفى معز الدين أبو عبد الله النعمان بن الحسن بن يوسف الخطيبى، بالقاهرة.

وتوفى محيى الدين أبو الفضل عبد الله بن رشيد الدين محمد عبد الظاهر بن نشوان ابن عبد الظاهر السعدى^(٢) الكاتب، لسان ديوان الإنشاء، عن اثنتين وسبعين سنة بالقاهرة.

وتوفى شهاب الدين أبو المعالى أحمد بن الحافظ جمال الدين أبو حامد محمد بن على ابن محمود بن أحمد بن على بن الصابونى المحمودى، بالقاهرة عن اثنتين وستين سنة.

وتوفى كمال الدين أبو عباس أحمد بن زيد الدين أبى عبد الله محمد بن رضى الدين أبى محمد عبد القادر بن هبة الله بن عبد القادر بن عبد الواحد بن طاهر بن يوسف بن النصيبى الحلبي بها، عن ثلاث وثمانين سنة، له رحلة.

وتوفى قدوة الشام أبو إسحاق إبراهيم بن قدوة الشام يوسف المدعو عبد الله بن يونس بن إبراهيم بن سلمان الأرموى الزاهد، عن سبع وسبعين سنة بدمشق.

وتوفى الأديب كمال الدين أبو الحسن على بن على بن محمد بن المبارك بن سالم ابن الأعمى^(٣) الدمشقى بها، عن اثنتين وثمانين سنة.

* * *

(١) على بن محمود المظفر بن محمد المنصور بن تقى الدين عمر المظفر بن شاهنشاه بن أيوب، نور الدين. انظر ابن الوردى ٢٣٨. والأعلام ٣٠/٥.

(٢) عبد الله عبد الظاهر بن نشوان الجذامى السعدى، محيى الدين، أبو الفضل بن رشيد الدين: قاضٍ أديب مؤرخ. من أهل مصر مولد ووفاة، كان كاتب الإنشاء فى الديار المصرية. انظر بغية الوعاة ٢٨٥، والأعلام ٩٨/٤.

(٣) على بن محمد بن المبارك، كمال الدين ابن الأعمى: شاعر من أهل القاهرة له فى ذم داره قصيدة مشهورة. انظر فوات الوفيات ٨١/٢، وشذرات الذهب ٤٢١/٥، والأعلام ٣٣٤/٤.

سنة ثلاث وتسعين وستمائة

فى ثالث المحرم: عدى السلطان النيل إلى بر الجيزة يريد البحيرة للصيد، ومعه الأمير بيدرا والوزير ابن السلعوس. واستخلف بقلعة الجبل الأمير على الدين سنجر الشجاعى، وقد اشتدت العداوة بين الأمير بيدرا وبين ابن السلعوس. فوصل السلطان إلى تروجة^(١) ونزل بها، وتوجه الوزير إلى الإسكندرية ليعبى القماش ويحصل الأموال، بعدما خلع السلطان عليه طرد وحش^(٢). فوجد الوزير أن نواب بيدرا قد استولوا على المتاجر والاستعمالات^(٣) فكتب يعرف السلطان ذلك ويغريه ببيدرا، وأنه لم يجد بالثغر ما يكفى الإطلاقات^(٤) على جارى العادة. فاشتد غضب السلطان، وطلب بيدرا وسبه بحضرة الأمراء، وتوعده بأنه لا بد أن يمكن ابن السلعوس من ضربه بما لا يذكر. فتلطف بيدرا حتى خرج إلى مخيمه وقد اشتد خوفه، فجمع أعيان الأمراء من خشداشيته ومنهم الأمير لاجين والأمير قرا سنقر ومن يوافقه، وقرر معهم قتل السلطان، فإنه كان قد أذن للأمراء الأكابر أن يخرجوا إلى إقطاعاتهم فساروا إليها وبقي فى خواصه إلى يوم تاسوعاء. فتوصل الأمير بيدرا إلى أن أشير على السلطان بتقدم العسكر إلى القاهرة، فبعث الأمير سيف الدين أبا بكر بن الجمقدار نائب أمير جاندار إلى بيدرا يأمره أن يسير تحت الصناجق بالأمراء والعسكر فلما بلغه نائب أمير جاندار الرسالة نفر فيه، ثم قال له السمع والطاعة، وقد تبين الغضب فى وجهه، فرجع ابن أمير جاندار وحمل الزردخاناه وسار، ورحل الدهليز والعسكر.

وأصبح السلطان يوم عاشوراء، فبلغه أن بتروجة طيراً كثيراً، فساق وضرب حلقة صيد، وعاد إلى مخيمه آخر النهار. ثم لما كان الحادى عشر توجه الناس إلى القاهرة، وحضر بيدرا ومن قرر معه قتل السلطان إلى الدهليز، فلم يخرج السلطان وأعطاهم دستوراً^(٥) فتوجهوا إلى خيامهم.

(١) قرية بمصر من كورة البحيرة من أعمال الإسكندرية. انظر معجم البلدان ٢٧/٢.

(٢) هذان اللفظان على نوع من قماش حرير منقوش بمناظر الصيد والطرود.

(٣) يعنى الأقمشة.

(٤) جمع إطلاق، وهو تقرير عدل لما قرره أحد الملوك السالفة.

(٥) المقصود بالدستور الإذن.

وركب السلطان جريدة وليس معه سوى الأمير شهاب الدين أحمد بن الأشل أمير شكار، وأراد أن يسبق الخاصكية، فرأى طيراً فصرع منه بالبندق شيئاً كثيراً ثم التفت إلى أمير شكار وقال: «أنا جيعان، فهل معك ما أكل؟» فقال: «والله ما معي غير رغيف واحد فرُج في صولقي^(١) ادخرته لنفسى» فقال: «ناولنيه» فناوله ذلك فأكله كله. ثم قال له: «أمسك فرسى حتى أنزل أبول» وكان الأمير شهاب الدين ينسبط مع السلطان، فقال: «ما فيها حيلة، السلطان ركب حصانا وأنا ركب حجر وما يتفقان». فقال له السلطان: «أنزل أنت واركب خلفي حتى أنزل أنا» فنزل وناول السلطان عنان فرسه وركب خلفه، فنزل السلطان وقضى حاجته، ثم قام وركب حصانه، ومسك فرس أمير شكار حتى ركب، وأخذوا يتحدثان.

فلما كان وقت العصر: بعث بيدرا من كشف له خبر السلطان، فقبل له ليس معه أحد، كشف بمن وافقه. فلم يشعر السلطان إلا بغبار عظيم قد ثار، فقال لأمر شكار: «اكشف خبر هذا الغبار». فساق إليه فوجد الأمير بيدرا وجماعة من الأمراء، فسأطهم فلم يجيبوه. ومروا في سوقهم حتى وصلوا إلى السلطان وهو وحده، فابتدرا بالسيف وضربه أبان يده، ثم ضربه ثانياً هد كتفه. فتقدم الأمير لاجين إليه وقال له: «يا بيدرا من يريد ملك مصر والشام تكون هذه ضربته» وضرب السلطان على كتفه حله، فسقط إلى الأرض، فجاء بهادر رأس نوبة وأدخل السيف في دبره، واتكا عليه إلى أن أخرجه من حلقه. وتناوب الأمراء ضربه بالسيوف: وهم قرا سنقر، وأقسنقر الحسامي، ونوغاي، ومحمد خواجا، وطرنطاي الساقى، وألطنبغا رأس نوبة، وذلك في يوم الإثنين ثاني عشر المحرم [.....]^(٢).

فبقى الملك الأشرف ملقى في المكان الذي قتل به يومين، ثم جاء الأمير عز الدين أيدمر العجمي وإلى تروجة، فوجده في موضعه عريانا بادي العورة، فحمله على جمل إلى دار الولاية، وغسله في الحمام وكفنه، وجعله في بيت المال بدار الولاية إلى أن قدم الأمير سعد الدين كوجبا الناصرى من القاهرة، وحمله في تابوته الذي كان فيه إلى تربته بالقرب من المشهد النفيسى ظاهر مصر، ودفنه بها سحر يوم الجمعة ثاني عشرى صفر.

فكانت مدة سلطنته ثلاث سنين وشهرين وأربعة أيام، وعمره نحو ثلاثين سنة ومات عن ابنتين، ولم يترك ولداً ذكراً. وكان ملكاً كريماً شجاعاً مقداماً، سريع الحركة مظفراً

(١) هو حراب - أو كيس - من جلد يربط على الجانب الأيمن من الحياصة، وتوضع به حاجات السفر من الزاد، وجمعه صولق.

(٢) ما بين المعقوفتين سقط في الأصل.

فى حروبه: فتح عكا وصور وبيروت وبهسنا وقلعة الروم. وكان مع ما فيه من شدة البادرة حسن النادرة، يطرح الأدباء بذهن رائق وذكاء مفرط، لا يُعَلِّم على مكتوب حتى يقرأه كله، ولا بد أن يستدرج على الكتاب فيه ما يتبين لهم فيه الصواب. إلا أنه تعاضم فى آخر أيامه وصار لا يكتب اسمه وإنما يكتب «خ» إشارة إلى أول حروف اسمه، ومنع أن يكتب لأحد الزعيمى، وقال: «من زعيم الجيوش غيرى؟» وأبطل من دمشق مكسا^(١) كان يؤخذ فى باب الجابية على كل حمل قمح خمسة دراهم، وكتب بخطه الذى يكتب به العلامة بين أسطر المسموح الذى كتب بإبطال ذلك ما نصه: «ولنكشف عن رعايانا هذه الظلامه، ونستجلب الدعاء لنا من الخاصة والعامة».

وأما الأمراء، فإن الأمير زين الدين كتبغا المنصورى كان قد انفرد ومعه جماعة من الأمراء عن الملك الأشرف وساروا للصيد، وبقي فى الدهليز السلطانى من الأمراء سيف الدين برغلى، وركن الدين بيبرس الجاشنكير، وحسام الدين لاجين الأستاذار، وبدر الدين بكتوت العلامى، وجماعة من المماليك السلطانية. فلما قتل بيدرا السلطان عاد بمن معه من الأمراء، ونزل بالدهليز وجلس فى دست السلطنة، وقام الأمراء فقبلوا الأرض بين يديه وحلفوا له، وتلقب بالملك الأورحد وقيل المعظم، وقيل الملك القاهر. ثم قبض بيدرا على الأمير بيسرى والأمير بكتمر السلاح دار أمير جاندار، وقصد قتلهما ثم تركهما تحت الاحتياط لشفاعة الأمراء فيهما، وركب إلى الطرانة فبات بها.

وقد سار الأمراء والمماليك السلطانية ومعهم الأمير برغلى، وهم الذين كانوا بالدهليز والوطاق، وركبوا فى آثار بيدرا ومن معه يريدون القبض عليه. فبلغ الأمير كتبغا ومن معه مقتل السلطان وسلطنة بيدرا، فلحق بمن معه الأمير برغلى ومن معه من الأمراء والمماليك، وجدوا بأجمعهم فى طلب بيدرا ومن معه، وساقوا فى تلك الليلة إلى الطرانة وقد لحق بيدرا بسيف الدين أبى بكر بن الجمقदार نائب أمير جاندار، والأمير صارم الدين [...] ^(٢) الفخرى، والأمير ركن الدين بيبرس أمير جاندار، ومعهم الزرد خاناه، عند المساء من يوم السبت الذى قتل فيه السلطان، فعندما أدركهم تقدم إليه بيبرس أمير جاندار وقال له: «يا خوند هذا الذى فعلته كان بمشورة الأمراء؟» فقال: «نعم أنا قتلته بمشورتهم وحضورهم، وما هم كلهم حاضرون». ثم شرع يعدد مساوى الأشرف ومخازيه واستهتاره بالأمراء ومماليك أبيه، إهماله لأمر المسلمين، ووزارته ابن السلعوس، ونفور الأمراء منه لمسكه عز الدين الأفرم وقتل سنقر الأشقر وطقصوا وغيره،

(١) المقصود ضريبة.

(٢) ما بين المعقوفتين سقط فى الأصل.

وتأميره مماليكه، وقلة دينه وشربه الخمر فى شهر رمضان وفسقه بالمردان. ثم سأل بيدرا عن الأمير كتبغا فلم يره فقيل له: «هل كان عند كتبغا من هذه القضية علم؟» قال: «نعم هو أول من أشار بها».

فلما كان يوم الأحد ثانى يوم قتلة الأشرف: وافى الأمير كتبغا فى طلب كبير من المماليك السلطانية عدته نحو الألفى فارس، وجماعة من الحلقة والعسكر ومعهم الأمير حسام الدين لاجين الأستاذار الطرانة وبها بيدرا يريدون قتاله. وميز كتبغا أصحابه بعلائم حتى يعرفوا من جماعة بيدرا، وهم أنهم جعلوا مناديل من رقابهم إلى تحت آباطهم. فأطلق بيدرا حينئذ الأميرين بيسرى وبكتمر السلاح دار، ليكونا عوناً له فكانا عوناً عليه. ورتب كتبغا جماعة ترمى بالنشاب، وتقدم بمن معه وحملوا على بيدرا حملة منكراً، وقصد الأمير كتبغا بيدرا وقد فوق سهمه، وقال: «يا بيدرا أين السلطان؟» ورماه بسهم وتبعه البقية بسهامهم، فولى بيدرا بمن معه وكتبغا فى طلبه حتى أدركه. وقتل بيدرا بعدما قطعت يده ثم كتفه كما فعل بالأشرف، وحملت رأسه على رمح وبعث بها إلى قلعة الجبل فطيف بها القاهرة ومصر. ووجد فى جيب بيدرا ورقة فيها: «ما يقول السادة الفقهاء فى رجل يشرب الخمر فى شهر رمضان، ويفسق بالمردان ولا يصلى فهل على قاتله ذنب أو لا؟» فكتب جوابها: «يقتل ولا إثم على قاتله». وعندما انهزم بيدرا هرب لاجين وقرأ سنقر، ودخلا القاهرة فاخفتيا.

وكان الذى وصل إلى قلعة الجبل بخبر مقتل السلطان سيف الدين سنكو الدوادار. ولما بلغ الأمير علم الدين سنجر الشجاعى قتل السلطان ضم الحارريق والمعادى وسائر المراكب إلى بر مصر والقاهرة، وأمر ألا يعدى بأحد من الأمراء والمماليك إلا بإذنه، فوصل الأمير زين الدين كتبغا ومن معه من الأمراء والمماليك، بعد قتل بيدرا وهزيمة أصحابه، فلم يجدوا مركباً يعدون به النيل. فأشار على من معه من الأمراء وهم حسام الدين لاجين الأستاذار، وركن الدين بيسرس الجاشنكير، وسيف الدين برلغى وسيف الدين طغجى، وعز الدين طقطاى، وسيف الدين قطيبة، وغيرهم أن ينزلوا فى بر الجزيرة بالخيام حتى يرأسوا الأمير سنجر الشجاعى، فوافقوه وضربوا الخيام وأقاموا بها، وبعثوا إلى الشجاعى فلم يمكنهم من التعديّة. وما زالت الرسل بينهم وبينه حتى وقع الاتفاق على إقامة الملك الناصر محمد بن قلاوون، فبعث عند ذلك الحارريق والمراكب إليهم بالجزيرة، وعدوا بأجمعهم وصاروا إلى قلعة الجبل فى رابع عشر الحرم.

السلطان الملك الناصر ناصر الدين محمد بن السلطان

الملك المنصور سيف الدين قلاوون الألفى العلائى الصالحى^(١)

أمه أشلون خاتون ابنة الأمير سكتناى بن قراجين بن جنكاي نوين. ولد يوم السبت النصف من المحرم سنة أربع وثمانين وستمائة بقلعة الجبل من مصر، فلما قتل أخوه الملك الأشرف صلاح الدين خليل بالقرب من تروجة، وعدى الأمير زين الدين كتبغا والأمراء، اجتمع بهم الأمير علم الدين سنجر الشجاعى ومن كان بالقااهرة والقلعة من الأمراء الصالحية والمنصورية، وقرروا سلطنة الناصر محمد وأحضره وعمره تسع سنين سوا فى يوم السبت سادس عشر المحرم سنة ثلاث وتسعين وستمائة، وأجلسوه على سرير السلطنة. ورتبوا الأمير زين الدين كتبغا نائب السلطنة عوضاً عن بيدرا، والأمير علم الدين سنجر الشجاعى وزيراً ومدبراً عوضاً عن ابن السلعوس، والأمير حسام الدين لاجين الرومى الأستاذار أطابك العساكر، والأمير ركن الدين بيبرس الجاشنكير أستاذاراً، والأمير ركن الدين بيبرس الدوادار دواداراً، وأعطى إمرة مائة فارس وتقدمة ألف، وجعل إليه أمر ديوان الإنشاء فى المكاتب والأجوبة والبريد. وأنفق فى العسكر وحلفوا فصار كتبغا هو القائم بجميع أمور الدولة، وليس للملك الناصر من السلطنة إلا اسم الملك من غير زيادة على ذلك، وسكن كتبغا بدار النيابة من القلعة، وجعل الخوان يمد بين يديه.

وأما الشام فإنه كتب إلى دمشق كتاب على لسان الملك الأشرف، ومضمونه: «إنا قد استتبنا أخاننا الملك الناصر محمدًا، وجعلناه ولى عهدنا حتى إذا توجهنا إلى لقاء عدو يكون لنا من يخلفنا» ورسم فيه بتحليف الناس للملك الناصر محمد، وأن يقرن اسمه باسم الأشرف فى الخطبة. وتوجه بالكتاب الأمير سيف الدين ساظمش وسيف الدين بهادر التترى، فدخلوا دمشق يوم الجمعة رابع عشره، وجمع الأمير عز الدين أيبك الحموى نائب دمشق الأمراء والمقدمين والقضاة والأعيان وحلفهم، وخطب باسم الملك الأشرف والملك الناصر ولى عهده، وكان ذلك من تدبير الشجاعى. فقدم من الغد البريد إلى دمشق بالحوطة^(٢) على موجود بيدرا ولاجين وقرأ سنقر، وطرنطاي الساقى وسنقرشاه وبهادر رأس نوبة، فظهر قتل الأشرف وإقامة أخيه الناصر بعده.

فاستمر الأمر فى الخطبة بالشام على ذلك إلى حادى عشر ربيع الأول، حتى ورد

(١) انظر المخطوطات المصورة والأعلام ١٠/٧.

(٢) الحاء والواو والطاء كلمة واحدة، وهو الشىء يطيف بالشىء. انظر مقاييس اللغة ١٢٠/٢.

مرسوم ناصرى بالخطبة للملك الناصر وحده بالسلطنة، فخطب له كذلك فى يوم الجمعة حادى عشر ربيع الأول، وتُرْحَم على أبيه المنصور وأخيه الأشرف.

ثم كتب إلى [.....] (١) ووقع الطلب على الأمراء الذين كانوا مع بيدرا فى قتل الأشرف، فأول من وجد منهم الأمير سيف الدين بهادر رأس نوبة، والأمير جمال الدين أقرش الموصلى الحاجب، فضربت أعناقهما وأحرقت أبدانهما فى المحابر (٢) ثامن يوم سلطنة الناصر. ثم أخذ بعدهما سبعة أمراء: وهم حسام الدين طرنتاى الساقى، ونوغاى السلاح دار، وسيف الدين الناق الساقى السلاح دار، وسيف الدين أروس الحسامى السلاح دار، وعلاء الدين أطنبغا الجمدار، وأقسنقر الحسامى، وناصر الدين محمد بن خوجا ثم قبض على قوش قرا السلاح دار، وذلك فى العشرين من المحرم فسجنوا بمخزانة البنود من القاهرة، وتولى بيبرس الجاشنكير عقوبتهم ليقروا على من كان معهم، ثم أخرجوا يوم الإثنين ثامن عشره، وقطعت أيديهم بالساطور على قرم خشب بباب القلعة، وسمروا على الجمال وأيديهم معلقة، وشقوا بهم ورأس بيدرا على رمح قدامهم القاهرة ومصر. واجتمع لرؤيتهم من العالم ما لا يمكن حصره، بحيث كادت القاهرة ومصر أن تنهبا. ومروا بهم على أبواب دورهم، فلما جازوا على دار علاء الدين الطنبغا خرجت جواريه حاسرات يلظمن، ومعهن أولاده وغلمانه قد شقوا الثياب وعظم صياحهم. وكانت زوجته بأعلى الدار، فألقت نفسها لتقع عليه فأمسكها جواربها، وهى تقول: «ليتنى فداك، وقطعت شعرها ورمته عليه» فهالك الناس من كثرة البكاء رحمة لهم واستمروا على ذلك أياماً: فمنهم من مات على ظهور الجمال، ومنهم من فكت مساميره وحمل إلى أهله ثم أخذ مرة ثانية وأعيد تسميره فمات.

هذا وجوارى الملك الأشرف وسيال حواشيه قد لبسن الحداد وتذرعن السخام، وطفن فى الشوارع بالنواحات يقمن المآتم، فلم ير بمصر أشنع من تلك الأيام. ثم أخذ بعد ذلك الأمير سيف الدين قجقار الساقى فشنق بسوق الخيل، ولم يوقف لقرا سنقر ولا للاجين على خبر ألبتة.

وبلغ الوزير ابن السلعوس وهو بالإسكندرية مقتل الملك الأشرف، فخرج ليلا وسار إلى القاهرة فنزل بزواية الشيخ جمال الدين أحمد بن محمد بن عبد الله الظاهرى خارج القاهرة وبات عنده. ثم ركب منها بكرة بهيئته ودسته إلى داره، فأثاه القضاة والأعيان

(١) ما بين المعقوفين سقط فى الأصل.

(٢) جمع حيارة، وهى الفرن التى يحرق بها الجير.

وسلموا عليه، فجرى معهم على عادته من الترفع والكبر، ولم يقيم لأحد ولا احتفل بكبير. فقال له بعض أصدقائه: «الراى أن تختفى حتى تسكن الفتنة» فقال: «هذا لا نفعه ولا نرضاه لعامل من عمالنا، فكيف نختاره لأنفسنا؟» واستمر فى بيته والناس تتردد إليه خمسة أيام، وذلك من أجل أن حرم الملك الأشرف بعثن إلى الأمير كتبغا النائب يشفعن فيه، فإنه من أحباب السلطان وأخصائه. فشق ذلك على الشجاعى وتحدث مع كتبغا وغيره من الأمراء، وحرصهم عليه وأغراهم به، فاستدعاه كتبغا فى اليوم السادس وهو ثانى عشرى الحرم، فركب فى دسسته على عادته، فعندما دخل إليه قبض عليه وأسلمه للشجاعى فأحاط به، وأنزله من القلعة ماشياً إلى داره والأعوان محيطة به، فلم يمكن من العبور إليها. وأخذة أعدى أعاديه الأمير بهاء الدين قراقوش الظاهرى شاد الصحبة ليطالبه بالأموال، فضربه ضرباً شديداً بلغ فى مرة واحدة ألفاً ومائة ضربة بالمقارع، فأنكر عليه الشجاعى ذلك ونقل ابن السلعوس إلى الأمير بدر الدين لؤلؤ السعودى شاد الدواوين، فعاقبه بأنواع العقوبات وعذبه أشد عذاب، واستخرج منه مالا كثيراً: منه مبلغ تسعة آلاف دينار تحت يد شخص بالشام، فكذب التذاكر إلى الشام، وأخذ المبلغ المذكور.

وكانت عقوبة ابن السلعوس فى المدرسة الصحابية^(١) بسوق الصاحب من القاهرة، وفى كل يوم يضربه لؤلؤ بالمقارع ويخرجه من الصحابية إلى القلعة وهو على حمار، فيقف له أراذل الناس فى طول الطريق ومعهم المداسات المقطعة ويقولون له: «يا صاحب علم لنا على هذه» ويسمعونه كل مكروه، فينزل به من الخزى والنكال ما لا يعبر عنه. وكان لؤلؤ هذا ممن أنشأه ابن السلعوس، فإنه كان قد طلب من دمشق لما قتل مخدومه الأمير طرنطاي النائب وكان يلى ديوانه بالشام فأحسن إليه ابن السلعوس وولاه شد الدواوين بمصر، وصار يقف فى خدمته كأنه بعض النقباء، فلا يسميه إلا لؤلؤ، فقدر الله أنه وقع فى يده، فبالغ فى إهائته وصارت العقوبة فى كل يوم تتزايد عليه والشدائد تتضاعف، ويتولى عقوبته شر الظلمة وأبعدهم من الشفقة، إلى أن مات فى يوم السبت عاشر صفر، وقيل خامس عشره، وقيل سابع عشره، وضرب بعد موته ثلاث عشرة مقرعة، ودفن بالقرافة.

وفى تاسع عشر صفر: عزل قاضى القضاة بدر الدين محمد بن جماعة عن وظيفة القضاء، وأعيد قاضى القضاة تقى الدين عبد الرحمن ابن بنت الأعز إلى سائر ما كان

(١) تنسب هذه المدرسة إلى الصاحب صفى الدين عبد الله بن شكر، وزير السلطان العادل.

بيده من المناصب واستقر ابن جماعة فى تدريس المدرسة الناصرية بجوار قبة الشافعى من القرافة، وتدرّس المشهد الحسينى بالقاهرة.

وفى هذه المدة: أحكم الشجاعى أمر الوزارة، فاشتدت مهابة الناس له وقويت نفسه، وأحب أن يستبد بالأمور، فشرع فى إعمال التدبير على الأمير كتبغا ليقبض عليه، واستمال الأمراء البرجية والماليك السلطانية، وفرق فيهم نحو الثمانين ألف دينار سرا، وقرر معهم أن من أتاه برأس أمير من الأمراء الذين مع كتبغا فإنه يعطيه إقطاعه، وأن الأمير علم الدين سنجر البندقدارى يقبض على كتبغا إذا جلس على السماط. وكان ممن اطلع على هذا الأمير سيف الدين قنغر التترى الوافد فى الدولة الظاهرية وهو من جنس كتبغا، فأعلمه الخبر، فاحتز كتبغا على نفسه وأعلم أصحابه من الأمراء وغيرهم، فلما كان يوم الخميس ثانى عشرى صفر اجتمع الأمراء بمساطب باب القلعة من قلعة الجبل على العادة، ينتظرون فتح باب القلعة ليركبوا فى خدمة الأمير كتبغا فى الموكب كما جرت به العادة، فلم يشعروا إلا برسالة قد خرجت على لسان أمير جاندار بطلب جماعة من الأمراء: وهم سيف الدين قبچق، وبدر الدين عبد الله السلاح دار حامل الجتر، وسيف الدين قبلاى، وركن الدين عمر السلاح دار أخو ثمر، وسيف الدين كرجى، وسيف الدين طرنجى، وقرمشى السلاح دار، وبورى السلاح دار، ولاجين جركس، ومغلطاي المسعودى، وكرد الساقى، فدخلوا إلى الخدمة السلطانية. وقام بقية الأمراء للركوب، فبينما هم يسيرون تحت القلعة بالميدان الأسود، جاء الأمير قنغر ومعه ابنه جاورجى، فأخبرا النائب كتبغا أن الأمراء الذين استدعوا اعتقلوا، وأن الشجاعى قد دبر «أنك إذا طلعت قبض عليك وعلى من معك وقت الجلوس على السماط». فعرف كتبغا الأمراء الذين معه بما قال قنغر وولده، فتوقفوا عن الطلوع إلى القلعة.

واستعجل الأمير علم الدين البندقدارى، وعمل ما لا كان ينبغى، وذلك أنه كان فى الموكب سيف الدين برلغى أمير مجلس، وركن الدين بييرس الجاشنكير الأستاذار، فلم يشعر بييرس إلا وضربة دبوس جاءت فى رأسه أثرت فيه أثراً بقى فيه بعد ذلك، وقبض عليه وعلى برلغى وبعث بهما إلى الإسكندرية. وعند قبضهما قال سنجر البندقدارى لكتبغا النائب فى جملة كلام فاوضه به: «أين لاجين؟ أحضره» فقال كتبغا: «ما هو عندى» فقال سنجر: «والله هو عندك» وجرّد سيفه ليضرب به كتبغا، فبادره من ورائه بكتوت الأزرق مملوك كتبغا وضربه بسيف حل كتفه، ونزل إليه بقية مماليك كتبغا وذبحوه.

وساق كتبغا ومن معه من الأمراء: وهم بيسرى وبكناش الفخرى أمير سلاح وبكتوت العلامى وبهاء الدين يعقوب ونوكاى وأبيك الموصلى والحاج بهادر وأقسنقر كرتيه وبلبان إلى باب المحروق وخرجوا منه، فنزلوا بظاهر السور ولبسوا عدة الحرب. وبعث كتبغا نقباء الحلقة فى طلب المقدمين وأجناد الحلقة والتز والأكراد الشهرزورية، فحضروا إليه. وركب الشجاعى وخرج إلى باب القلعة، وحرك الكوسات ليحضر إليه الأمراء وأجناد الحلقة، فإنه كان قد صر^(١) عدة صرر من ذهب، وراسل المقدمين وأجناد الحلقة يعدهم إذا وافقوا وقاموا معه، فصار من يحضر إليه يعطيه صرة ذهب على قدره، فلم يحضر إليه هذا اليوم إلا من لا يغنى ولا يجدى بجيئه شيئاً. ثم إن كتبغا بعث إلى السلطان يطلب الشجاعى، وقال له: «قد انفرد هذا برأيه فى القبض على الأمراء ولا بد من حضوره، فإنه بلغنا عنه ما أنكرناه». فأرسل السلطان يعرف الشجاعى بذلك، فامتنع أن يحضر إليه، ورجف كتبغا وأخذ يحاصر القلعة وقطع عنها الماء وباتوا على ذلك. فلما كان يوم الجمعة نزل الأمراء البرجية من القلعة على حمية، وقاتلوا كتبغا ومن معه من العساكر، وهزموهم وساقوا خلفهم إلى البئر البيضاء، ومر كتبغا إلى ناحية بلبيس.

وكان بيسرى وبكناش فى عدة من الأمراء لم يركبوا مع كتبغا فى هذا اليوم، فلما سمعوا بكسرتة شق عليهم ذلك وركبوا إلى البرجية وقاتلوهم، وكسروهم حتى ردوا إلى القلعة. فقدم كتبغا بعد كسرتة وانضم مع بيسرى وبكناش، وتلاحق بهم الناس. فجدوا فى حصار القلعة حتى طلع الملك الناصر على البرج الأحمر وتراءى لهم، فنزل الأمراء عن خيولهم إلى الأرض وقبلوا له الأرض، وقالوا: «نحن مماليك السلطان، ولم نخلع يدا من طاعته، وما قصدنا إلا حفظ نظام الدولة واتفاق الكلمة وإزالة الفساد».

واستمر الحصار سبعة أيام، وفى كل يوم ينزل الشجاعى ومعه الأمير سيف الدين بكتمر السلاح دار والأمير سيف الدين طغجى فى عدة من المماليك السلطانية، فيكون بينه وبين كتبغا وأصحابه قتال، إلا أنه يتسلل من معه فى كل يوم عدة ويصيرون إلى كتبغا. فلما اشتد الحصار طلعت أم السلطان على سور القلعة، وسألت الأمراء عن غرضهم حتى تعمل، فقالوا: «ما لنا غرض إلا القبض على الشجاعى وإخماد الفتنة، ولو بقى من بيت أستاذنا بنت عمياء كنا مماليكها، لاسيما وولده الملك الناصر حاضر وفيه كفاية». فانخدعت لقولهم، واتفقت مع الأمراء حسام الدين الأتابك وغلقوا باب القلعة

(١) الصاد والراء أصول، الأول قولهم: يصير الدراهم يصرها صرا، وتلك الخرقه صرة. انظر

من القلعة، وصار الشجاعى بداره من القلعة محصورا. فعند ذلك تفرق عنه أصحابه ونزلوا إلى كتبغا، فلم يجد بدا من طلب الأمان فلم تجبه الأمراء، فتحير وقال: «إن كنت أنا الغريم فأنا أتوجه إلى الحبس طوعا منى، وأبرأ مما قيل عنى» وخرج إلى باب الستارة السلطانية وحل سيفه بيده، وذهب نحو البرج ومعه الأمير بهاء الدين الأقوش والأمير سيف الدين صمغار.

وقيل إن الشجاعى لما أبى الأمراء أن يؤمنوه بعثوا آخر النهار عند العصر جماعة فيهم الأقوش إلى عند أم السلطان، وطلبوا الشجاعى ليستشيره فيما يفعل، فلما حضر تكاثرت عليه الممالك، ووثب عليه منهم أحد مماليك الأقوش وضربه من ورائه بسيف أطار يده، وثنى بأخرى أسقطت رأسه عن بدنه، ورفعت فى الحال على السور. وكان عمره نحو خمسين سنة.

ويقال إنه لما حضر قال له السلطان: «يا عمى لأى شىء هذا الذى أنتم فيه؟» فقال: «لأجلك يا خوند» فقال: «خلونى أعمل شيئا تبقوا مطمئنين وأنا معكم، وهو أنك تروح يا أمير علم الدين تقعد فى مكان بالقلعة وترسل ورائه الأمراء ليطلعوا، وبعد أيام نوفق بينكم، ونعطيك قلعة بالشام تروح إليها ونستريح منهم». فقام الأمراء الحاضرون وقبضوا عليه، وقيدوه وأخرجوه إلى مكان يسجن فيه، فتوجه به الأقوش نحو البرج الجوانى.

فلما كان فى أثناء الطريق قتله، وقطع رأسه ويده وأخذها فى ذيل قرظيته^(١) ونزل إلى سوق الخيل والبرجية والممالك السلطانية محيطة بباب القلعة، فقالوا له: «ما معك» فقال: «خبز سخن أرسله السلطان إلى الأمراء، ليعلموا أن عندنا الشىء بكثرة» يريد بذلك النجاة منهم. فظنوه صادقا وتركوه، ولو علموا بأنه معه رأس الشجاعى لما خلص منهم. فصار إلى الأمراء وناولهم الرأس، فبعثوا فى الحال من حلف السلطان والأمراء الذين عنده.

وفتح باب القلعة، وطلع كتبغا والأمراء إلى القلعة وهم راكبون إلى باب القلعة، ثانى يوم، ودقت البشائر، وذلك يوم الثلاثاء سابع عشره. فنودى بعد ذلك بالأمان، ففتحت أبواب القاهرة وكانت كلها مغلقة إلا باب زويلة، وكذلك الأسواق كانت معطلة فى هذه المدة.

ثم رفع رأس الشجاعى على رمح وطيف بها القاهرة ومصر، ولم يدعوا زقاقا حتى

(١) المقصود أن الأقوش أحضر رأس الشجاعى وقد لفه فى بقجة. انظر نهاية الأرب ٣٠٧/٢٩.

طافوا بالرأس فيه، وجبوا عليه مالا كثيراً. وفي الناس من كان يضرب الرأس بالمداسات، ومنهم من يصفعه ويسبهه، وصاروا يقولون: «هذه رأس الملعون الشجاعى». وسرَّ كثير من الناس لموته، فإنه أكثر من المصادرات، ونوع الظلم والعسف أنواعاً.

وفيه أفرج عن الأمراء المعتقلين، وأعيدت لهم إقطاعاتهم وأموالهم، وجددت الأيمان للسلطان ولنائبه الأمير كتبغا. وأنزل من كان ساكناً في الأبراج والطباق بقلعة الجبل من المماليك السلطانية الذين رموا بأنهم أثاروا هذه الفتنة، وأسكنت طائفة منهم فى مناظر الكيش بجوار الجامع الطولونى، وطائفة فى دار الوزارة برحبة باب العيد من القاهرة، وطائفة فى مناظر الميدان الصالحى بأرض اللوق، واعتقلت طائفة.

وفى يوم الخميس تاسع عشره: استقر فى الوزارة الصاحب تاج الدين محمد بن الصاحب بهاء الدين محمد بن الصاحب بهاء الدين على بن حنا، واستقر ابن عمه عز الدين الصاحب محبى الدين بهاء الدين فى وزارة الصحبة، وصارا يجلسان جميعاً فى شبك الوزارة بقلعة الجبل، والصاحب تاج الدين هو الذى يوقع.

وفى سلخه: (١) أفرج عن الأمير عز الدين أيك الأفرم.

وفى ثالث ربيع الأول: أوقعت الحوطة بدمشق على موجود الأمير علم الدين سنجر الشجاعى، وقبض على نوابه.

وفى العشرين من رجب: حلف نائب دمشق والأمراء بها للسلطان ونائبه وولى عهده الأمير كتبغا، ودعى له معه فى الخطبة.

وفى خامس عشره: ركب الملك الناصر فى أبهة الملك، وشق القاهرة من باب النصر حتى خرج من باب زويلة عائداً إلى القلعة، وكتبغا والأمراء يمشون فى ركابه، فكان يوماً مشهوداً، ودقت البشائر بالقلعة.

وفى يوم عيد الفطر: ظهر الأمير حسام الدين لاجين الصغير والأمير شمس الدين قرا سنقر المنصورىان من الاستتار: وكانا وقت فرارهما عند وقعة بيدرا قد أطلعا الأمير سيف الدين بتخاص الزينى مملوك الأمير كتبغا بحالهما، فتلطف مع أستاذه كتبغا فى أمرهما حتى صار يتحدث مع السلطان إلى أن عفا عنهما، ثم تحدث كتبغا مع الأمير بكتاش فى أمرهما، وانتدبه لإصلاح حالهما مع الأمراء، فركب ودار على الأمراء وأعيان المماليك، وأزال ما كان فى نفوسهم من الوحشة. وقرر الحال على أنهما

(١) السين واللام والخاء أصل واحد، وسلخت الشهر إذا صرت فى آخر يومه. انظر مقاييس

يصعدان إلى القلعة يوم العيد، فأتيا سرّاً إلى بيت الأمير كتبغا بقلعة الجبل، فأخذهما معه ودخل إلى السماط، فقبلا الأرض للسلطان على العادة، فأكرمهما وخلع عليهما وأمرهما كما كانا، ونزلا فحمل الأمراء إليهما من التقادم ما يجيل وصفه. وكانت هذه الفعلة من كتبغا مع لاجين كعزز السوء بحثت عن حتفها بظلفها، كما ستره قريباً من خيرهما إن شاء الله.

وفيه أفرج عن الأمير حسام الدين مهنا بن عيسى وأخوته وأولاده. وفي هذه السنة: قصر مد النيل ولم يوف، بل كانت نهايته خمسة عشر ذراعاً وثلاث ذراع، فغلت الأسعار.

وفيهما استقر في قضاء دمشق قاضى القضاة بدر الدين محمد بن جماعة، عوضاً عن قاضى القضاة شهاب الدين محمد الخويى بحكم وفاته.

وفيهما سار الشريف أبو ندى أمير مكة يريد مصر حتى يلقي السلطان الملك الأشرف، لأنه حلف على ذلك، فلما نزل ينبع رد إليه الشريف راجح بن إدريس ينبع، وجاءه الخبر بقتل السلطان الملك الأشرف، فرجع من ينبع إلى مكة.

وغلت الأسعار بمكة، فأبيع المد الملح بستة دنانير مكية، وغلت بها المياه فى شعبان ورمضان. وقدم حاج اليمن فى كثرة، فبلغت الراوية أربعة دنانير، وحمل الماء من عرفة إلى مكة. ثم أغاث الله بالأمطار وكانت بمنى قبله فى يوم الأحد، فسار الناس منها يوم الأربعاء ومضوا إلى بلادهم.

وفيهما قتل الملك كيخنتو بن أبغا بن هولوكو. وولى بعده بيدو بن طوغاى بن هولوكو.

* * *

ومات فى هذه السنة من الأعيان

قاضى قضاة الشام شهاب الدين أبو عبد الله محمد بن قاضى القضاة شمس الدين أبى العباس أحمد بن الخليل بن سعادة بن جعفر بن عيسى المهلبى الشهير بابن الخويى الشافعى^(١) بدمشق عن سبع وستين سنة، ولى قضاء حلب ودمشق ومصر، ولم يبرح مشكور السيرة.

(١) محمد بن خليل بن سعادة الخويى، شهاب الدين، أبو عبد الله قاضى دمشق، وابن قاضيهما. مولده ووفاته فيها. ولى قضاء القدس سنة ٦٥٧، ثم قضاء حلب، فقضاء الديار المصرية، ونقل إلى قضاء الشام. وكان فقيهاً شافعيًا باحثًا. والخويى نسبة إلى خوى من أعمال أذربيجان. انظر الأنس الجليل ٤٦٦/٢، وفوات الوفيات ١٨٢/٢، والبداية والنهاية ٣٣٧/١٣، وبغية الوعاة ١٠، والدارس ٢٣٧/١، والفهرس التمهيدى ٥٦١، والشذرات ٤٢٣/٥، والأعلام ٣٢٤/٥.

وتوفى الوزير صاحب فخر الدين أبو إسحاق إبراهيم بن لقمان بن أحمد بن محمد الشيباني الإسعردى^(١) عن إحدى وثمانين سنة، وزر مرتين.

وتوفى الوزير صاحب شمس الدين أبو عبد الله محمد بن عثمان بن أبي الرجا بن السلعوس التنوخي، عن خمسين سنة مقتولا.

وتوفى الزاهد المعتقد تقي الدين أبو محمد عبد الله بن علي بن محمد بن منجد السروجي^(٢) بالقاهرة.

وتوفى المحدث شرف الدين أبو علي الحسن بن علي بن عيسى بن الحسن بن علي ابن الصيرفي اللخمي^(٣) عن نحو سبع وستين سنة.

ومات قبلاى خانة بن طلوى بن جنكزخان ملك الصين، وهو أكبر الخانات والحاكم على كرسى مملكة جنكزخان. وكانت مدته قد طالت، فقام فى مملكة الصين بعده ابنه شبردون بن قبلاى.

* * *

(١) إبراهيم بن لقمان بن أحمد بن محمد الشيباني الإسعردى ثم المصرى، أبو العباس فخر الدين: وزير، من الكتاب. له شعر. أصله من إسعرد، وتلمذ للبهاء زهير بمصر. ولى ديوان الإنشاء بها للأيوبيين وكان رئيس الموقعين. وولى الوزارة مرتين. توفى بالقاهرة. انظر النجوم الزاهرة ٦/٣٦٦، البداية والنهاية ١٣/٢٣٧، ومرآة الزمان ٨/٧٧٨، ٧٧٩، والأعلام ١/٥٨.

(٢) عبد الله بن علي بن منجد السروجى، تقي الدين: شاعر، فيه فضل وأدب، ولد فى سروج وتوفى بالقاهرة. انظر العقود اللؤلؤية ١/٣٠٠ والأعلام ٤/١٦٠.

(٣) الحسن بن علي بن عيسى اللخمي، أبو محمد شرف الدين بن الصيرفي، محدث مصرى، ولى مشيخة الفارقانية. انظر العبر ٥/٣٩٧، والشذرات ٥/٤٤٧، والتذكرة ٤/٢٨٧، والأعلام ٢/٢٤.

سنة أربع وتسعين وستمائة

فى المحرم: ورد الخبر بأن كيختو بن أبغا بن هولاكو، الذى تسلطن بعد أخيه أرغون فى سنة تسعين، قتل فى سنة ثلاث وتسعين. وملك بعده ابن عمه بيدو، وهو ابن طرفغاي بن هولاكو، فخرج عليه غازان بن أرغون بن أبغا نائب خراسان، وكسره وأخذ الملك منه، ويقال إنه أسلم على يد الشيخ صدر الدين بن حمويه الجوينى.

وفى ليلة الأربعاء حادى عشره: اجتمع المالك الأشرفية الذين بالكبش وخرجوا إلى الإسطبلات التى تحت القلعة، وركبوا الخيول ونهبوا ما قدروا عليه. وداروا على خوشداسيتهم فأركبهم ومضوا إلى باب سعادة من أبواب القاهرة فأحرقوه، ودخلوا إلى دار الوزارة ليخرجوا من فيها من الممالك، فلم يوافقهم على ذلك فتركهم، وقصدوا سوق السلاح بالقاهرة، وفتحوا الحوانيت وأخذوا السلاح، ومضوا إلى خزانة البنود وأخرجوا من فيها من الممالك، وساروا إلى إسطنبول السلطان ووقفوا تحت القلعة. فركب الأمراء الذين بالقلعة وقتلوهم، فلم يثبتوا وانهمزوا وتفرقوا. فقبض عليهم من القاهرة وضواحيها ولم يفلت منهم أحد، فضربت رقاب بعضهم بباب القلعة، وقطعت أيدى جماعة وأرجلهم، وغرق كثير منهم، وفيهم من أكحل، وفيهم من قطعت ألسنتهم، ومنهم من صلب على باب زويلة، ومنهم من بقى، وفرق بعضهم على الأمراء وكانوا زيادة على ثلاثمائة مملوك.

وفى يوم الأربعاء حادى عشره: خلع الملك الناصر ابن قلاوون، وكانت أيامه سنة واحدة تنقص ثلاثة أيام، لم يكن له فيها أمر ولا نهى.

السلطان الملك العادل زين الدين كتبغا المنصورى

كان فى مدة سلطنة الملك الناصر هو القائم بجميع أمور الدولة، وليس للناصر معه تصرف ألبتة. ثم إنه أخذ فى أسباب السلطنة بعد قتل الشجاعى. ولما دخل المحرم انقطع فى دار النيابة وأظهر أنه ضعيف البدن، وباطن أمره أنه يريد أن يقرر أموره فى السلطنة فخرج إليه الناصر وعاده. فلما كانت فتنة الممالك جلس فى صباح تلك الليلة بدار النيابة وجمع الأمراء وقال لهم: «قد انخرق ناموس المملكة، والحرمة لا تتم بسلطنة الناصر لصغر سنه». فاتفقوا على خلعه وإقامة كتبغا مكانه، وحلفوا له على ذلك، وقدم إليه

٢٦٠ سنة أربع وتسعين وستمائة

فرس النوبة بالرقبة الملوكية، وركب من دار النيابة قبل أذان العصر من يوم أيامه سنة واحدة تنقض ثلاثة أيام الأربعاء حادى عشر المحرم، ودخل من باب القلة إلى الأدر السلطانية، والأمراء مشاة بين يديه حتى جلس على التخت بأهبة الملك، وتلقب بالملك العادل، فكانت أيامه شر أيام من الغلاء والوباء وكثرة الموتان.

ومن عجيب الاتفاق أن مشرف^(١) المطبخ السلطاني بالقلعة ضرب بعض المرقدارية^(٢) فبلغه ركوب كتبغا بشعار السلطنة، فنهض المشرف وصبيان المطبخ لرؤية السلطان وفيهم المضروب وهو يقول: «يا نهار الشوم! إن هذا نهار نحس» فجرى هذا الكلام فى هذا اليوم على السنة جميع الناس.

وفيه نقل الملك الناصر محمد من القصر، وأسكن هو وأمه فى بعض قاعات القلعة.

وفى ثانى عشره: مد العادل سماطا عظيما وجلس عليه، فدخل إليه الأمراء وقبلوا يده، وهنتوه بالسلطنة وأكلوا معه. فلما انقضى الأكل خلع على الأمير حسام الدين لاجين الصغير، واستقر فى نيابة السلطنة بديار مصر، وخلع على الأمير عز الدين أيك الأفرم الصالحى، وجعل أمير جاندار، وخلع على الأمير سيف الدين الحاج بهادر، واستقر أمير حاجب.

وفى رابع عشره: خرج البريد بالكتب إلى البلاد الشامية بسلطنة العادل كتبغا، وخرجت كتب دمشق على يد الأمير ساطلمش المنصورى، فقدم دمشق فى سابع عشره وحلف النائب والأمراء، ودقت البشائر.

وفى يوم الخميس تاسع عشره: خلع على سائر الأمراء وأرباب الدولة، وأنعم على المماليك المقيمين بدار الوزارة من أجل أنهم امتنعوا من إقامة الفتنة.

وفى يوم الأربعاء أول شهر ربيع الأول: ركب السلطان على عادة الملوك واللواء الخليفة على رأسه والتقليد بين يديه، وكتبت البشائر بذلك لسائر النواب من إنشاء القاضى جمال الدين محمد بن المكرم بن أبى الحسن بن أحمد الأنصارى.

وشرع السلطان يؤمر مماليكه فأمر أربعة: وهم بتخاص وقد جعله أستادارا، وأغرلو

(١) أطلق اسم المشرف على الذى يتولى أمر المطبخ السلطاني ويقف على مراقبة الأطبحة به حسب إرشاد أستادار الصحة. انظر القلقشندى، صبح الأعشى ٤٥٤/٥.

(٢) المرقدار أحد صبيان المطبخ السلطاني، وهو الذى يتصدى لخدمة ما يحوز المطبخ وحفظه. انظر القلقشندى، صبح الأعشى ٤٥٤/٥.

وبكتوت الأزرق^(١) وقطلو بك، فركبوا بالإمرة في يوم واحد. وفوض السلطان وزارة دمشق للصاحب تقي الدين توبة التكريتي^(٢) على عادته في أيام المنصور قلاوون وكتب له برد ما أخذ منه في الدولة الأشرفية، وسار من القاهرة.

وفي يوم الثلاثاء خامس عشرى جمادى الأولى: عزل الصاحب تاج الدين محمد ابن حنا من الوزارة، واستقر بالقاضى فخر الدين عمر بن الشيخ مجد الدين عبد العزيز الخليلي الدارى وكان ناظر ديوانه وناظر الدواوين في الوزارة.

وفي هذا الشهر: استسقى الناس بدمشق لتوقف نزول الغيث، وخرج النائب وسائر الناس مشاة. وتزايد الغلاء بديار مصر بعدما أقامت خيول السلطان يؤخذ لها العلف من دكاكين العلافين، وكانت التقاوى المخلدة^(٣) قد آكلت. ولم يكن بالأهراء السلطانية غلال، فإن الأشرف كان قد فرق الغلال وأطلقها للأهراء وغيرهم حتى نفذ ما فى الأهراء. وقصر مد النيل كما تقدم، فصار الوزير يشتري الغلال للمثونة بدور السلطان وللعليق، فتزايد الغلاء حتى بلغ تسعين درهما الأردب.

ووقع فى شهر ربيع الأول من هذه السنة: بديار مصر كلها وباء، وعظم فى القاهرة ومصر، وتزايد حتى كان يموت فيهما كل يوم ألفوف، ويبقى الميت مطروحا فى الأزقة والشوارع ملقى فى الممرات والقوارع اليوم واليومين لا يوجد من يدفنه، لاشتغال الأصحاء بأمواتهم والسقماء بأمراضهم.

وفي سادس عشرى رمضان: استقر نجم الدين أحمد بن صصرى فى قضاء العسكر بدمشق وسافر من القاهرة، وأنعم على الملك الأوحى شادى بن الزاهر مجير الدين دودار بن المجاهد أسد الدين شيركوه بن ناصر الدين محمد بن أسد الدين شيركوه الأيوبي بإمرة فى دمشق، فاستقر من جملة أمراء الطبلخاناه بها، وهو أول من أمر طبلخاناه من بنى أيوب فى دولة التركية. فقدم الخير بموت الملك المظفر شمس الدين أبى المظفر يوسف بن الملك المنصور نور الدين عمر بن على بن رسول^(٤) التركمانى

(١) سُمى الأمير بكتوت بهذا الاسم، لأنه كان أخيف العينين، والأخيف هو الذى تكون إحدى مقلتيه سوداء والأخرى زرقاء. انظر محيط المحيط.

(٢) نسبة إلى تكريت.

(٣) هى التقاوى المحفوظة لأغراض الزراعة.

(٤) يوسف المظفر بن عمر المنصور نور الدين بن على بن رسول التركمانى اليمنى، شمس الدين: ثانى ملوك الدولة الرسولية فى اليمن. وقاعدتها صنعاء. ولد بمكة. وولى بعد مقتل أبيه سنة ٦٤٧هـ بصنعاء. وأحسن صيانة الملك وسياسته. انظر العقود اللؤلؤية ١/٥٠٠، ٨٥، ٠٨٨، ٢٨٤. وابن=

صاحب اليمن فى شهر رمضان فكانت مدته نحو خمس وأربعين سنة، وكانت سيرته جيدة. وملك بعده ابنه الملك الأشرف ممد الدين عمر^(١) ولى عهده أيون، فنازعه أخوه الملك المؤيد هزبر الدين داود^(٢) وجمع لقتاله، وحاصر عدن ثلاثة عشر يوماً وملكها وأخذ الأموال بغير حق، وسار يريد تعز فبعث إليه الأشرف جيشاً قاتله وأسره وحمله إليه، فاعتقله.

وفىها استقر قاضى القضاة بدر الدين محمد بن جماعة من خطابة الجامع الأموى بدمشق، زيادة على ما بيده من قضائها، فخطب وصلى بالناس يوم الجمعة سادس شوال، وهو أول من جمع له بين القضاء والخطابة بدمشق.

وفىها قبض على الأمير عز الدين أيك الخازندار المنصورى نائب البلاد الطرابلسية، وحمل إلى القاهرة، فقدمها فى حادى عشر ذى القعدة واعتقل، وأقيم بدله الأمير عز الدين أيك الموصلى المنصورى.

وفىها قصر مد النيل وبلغ ستة عشر ذراعاً وسبع عشر إصبعا، ثم هبط من ليلته ولم يعد، فتزايد الغلاء واشتد البلاء. وأجدبت بلاد برقة أيضاً، وعم الغلاء والقحط ممالك المشرق والمغرب والحجاز، وبلغ سعر الأردب القمح بمصر مائة وخمسين درهماً فضة. وتزايد موت الناس حتى بلغت عدة من أطلق من الديوان فى شهر ذى الحجة سبعة عشر ألفاً وخمسمائة، سوى الغرباء والفقراء وهم أضعاف ذلك. وأكل الناس من شدة الجوع الميتات والكلاب والقطاط والحمير، وأكل بعضهم لحم بعض. وأناف عدد من عرف بموته فى كل يوم ألف نفس، سوى من لم يثبت اسمه فى الديوان. فلما اشتد

=الوردى ٢٤٠/٢ وابن الفرات ٢٠٢/٨ وأبناء الزمن والبداية والنهاية ٣٤١/١٣ والنجوم الزاهرة ٧١/٨ والفهرس التمهيدى ٥٣٤ والكتبخانة ٤١/٦ ومعجم المطبوعات ١٤١٧. انظر مورد اللطافة، لابن تغرى بدرى ٤٩ وابن إياس ١٣٦/١ والنجوم الزاهرة ٨٥/٨ والأعلام ٢٣٨/٥.

(١) عمر بن يوسف بن عمر بن على بن رسول، أبو حفص، ممد الدين، الملك الأشرف: ثالث ملوك الدولة الرسولية فى اليمن. كان عالماً فاضلاً حسن السيرة. انتدبه أبوه الملك المظفر للمهمات، ثم نزل له عن الملك قبيل وفاته سنة ٦٩٤هـ فاستمر قرابة سنتين، وتوفى بتعز. انظر العقود اللؤلؤية ٢٨٤/١، و٢٩٧، ومجلة المجمع ٢٢٣/٢٦ وطرفة الأصحاب ٣٦ والأعلام ٦٩/٥.

(٢) داود بن يوسف بن عمر بن على بن رسول، صاحب اليمن، السلطان المؤيد، هزبر الدين ابن الملك المظفر، التركمانى الأصل. مولده ونشأته ووفاته باليمن. ولى الملك بعد وفاة أخيه الأشرف سنة ٦٩٥هـ واتسقت له الأمور. وتوفى فى قصر الشجرة ودفن فى تعز. انظر العقود اللؤلؤية ٤٤٠/١، وفوات الوفيات ١٥٨/١، وابن خلدون ٥١١/٥، وغربال الزمان ومرآة الجنان ٢٦٦/٤، والنجوم الزاهرة ٢٥٣/٩، وأبو الفداء ٩١/٤، والدرر الكامنة ٩٩/٢، والأعلام ٣٣٦/٢.

الأمر فرق السلطان الفقراء على أرباب الأموال بحسب حالهم.

وفيهما كثرت الفلوس، فعلمت كل أوقية بسدس درهم.

وفيهما مات ملك تونس الأمير أبو حفص عمر بن يحيى بن عبد الواحد بن أبي حفص^(١) ليلة الجمعة رابع عشرى ذى الحجة، فكانت مدته إحدى عشرة سنة وثمانية أشهر. وبويع أبو عبد الله محمد المعروف بأبي عصيدة بن يحيى بن محمد بن يحيى بن عبد الواحد^(٢).

* * *

ومات فى هذه السنة من الأعيان

القان كيختو بن أبغا بن هولاکو بن طلو بن جنكرخان ملك التتار قتيلا، فكانت مدة ملكه نحو أربع سنين.

ومات القان بيدو بن طرغاي بن هولاکو القائم بعد كيختو مقتولا، فكانت مدة ملكه نحو ثمانية أشهر، وقام بعده غازان بن أرغون بن أبغا بن هولاکو. ومات الملك المظفر محمد بن المنصور عمر بن على بن رسول ملك اليمن بقلعة تعز^(٣) وقد تجاوز ثمانين سنة، منها مدة ملكه نحو سبع وأربعين سنة.

ومات الملك السعيد داود بن المظفر قرا أرسلان بن السعيد غازى بن المنصور أرتق ابن إيلغازى بن ألبى تمرتاش بن إيلغازى بن أرتق صاحب ماردین، وقام بعده أخوه المنصور غازى.

وتوفى شرف الدين أبو العباس أحمد بن أحمد بن نعمة بن أحمد بن جعفر بن الحسين ابن حماد القدسى الشافعى، عن ثلاث وسبعين سنة بدمشق، وقد انتهت إليه رئاسة الفتوى وولى خطابة الجامع الأموى. وتوفى عز الدين أبو العباس أحمد بن إبراهيم بن

(١) عمر بن يحيى بن عبد الواحد الحفصى الهنتانى، أبو حفص، المستنصر الثانى صاحب تونس، من ملوك الدولة الحفصية. تلقب بالمستنصر بالله توفى بتونس. انظر الخلاصة النقية ٦٧ والدولة الحفصية ٨٧-٩٢ وخلاصة تاريخ تونس ١١١ والأعلام ٦٩/٥.

(٢) محمد بن يحيى الوائى بالله بن محمد المستنصر الأول، أبو عصيدة، أمير المؤمنين المستنصر الثانى أبو حفص عمر بن يحيى سنة ٦٩٤هـ، استمر إلى أن توفى. انظر الخلاصة النقية ٦٨ والدرر الكامنة ٤/٢٨٥ خلاصة تاريخ تونس ١١١ والأعلام ٧/١٣٨.

(٣) قلعة عظيمة من قلاع اليمن المشهورات. انظر، معجم البلدان ٣/٣٤٤.

٢٦٤..... سنة أربع وتسعين وستمائة

عمر بن فرج بن أحمد بن سابور الفاروثي^(١) الواسطي الشافعي، عن ثمانين سنة بواسط، وكان قد ولي الخطابة بعد ابن المرحل، وكان إماماً في عدة فنون.

وتوفي محب الدين أبو العباس أحمد بن عبد الله بن محمد بن أبي بكر بن محمد بن إبراهيم الطبري المكي الشافعي^(٢) فقيه الحجاز، بمكة عن تسع وسبعين سنة.

وتوفي شمس الدين أبو عبد الله محمد بن علي بن محمد بن الساكن الطوسي المشهدى، بالقاهرة.

* * *

(١) أحمد بن إبراهيم بن عمر، أبو العباس، عز الدين الواسطي الفاروثي مقرئ شافعي كان شيخ العراق في عصره، ووفاته بواسط، ونسبته إلى فاروث قرية على دجلة. انظر الشذرات ٤٢٥/٥ والأزهرية ٥٣٦/٣ والأعلام ٨٦/١.

(٢) أحمد بن عبد الله بن محمد الطبري، أبو العباس، محب الدين: حافظ فقيه شافعي، متقن، من أهل مكة مولداً ووفاته وكان شيخ الحرم فيها. له تصانيف منها «السمط الثمين في مناقب أمهات المؤمنين». انظر النجوم الزاهرة ٧٤/٨ وشذرات الذهب ٤٢٥/٥ وطبقات الشافعية ٨/٥ والأعلام ١٥٩/١.

سنة خمس وتسعين وستمائة

فى المحرم: حدث بقرية جبة عسال^(١) من قرى دمشق أمر عجيب: وهو أن شاباً من أهلها خرج بثور له يسقيه الماء، فلما فرغ الثور من شربه حمد الله، فتعجب الصبي من ذلك، وحكاه فلم يصدق. فلما كان فى اليوم الثانى خرج صاحب الثور به ليسقيه، فشرب وحمد الله بعد فراغه، فمضى به، وكثر ذكر ذلك بالقرية. فخرج به فى اليوم الثالث وقد حضر أهل القرية، فعندما فرغ الثور من شربه سمعه الجميع وهو يحمد الله. فتقدم بعضهم وسأله، فقال الثور بكلام سمعه من حضر: إن الله عز وجل كان قد كتب على الأمة سبع سنين جدباً، ولكن بشفاعة النبى ﷺ أبدلها الله تعال بالخصب. وذكر أن النبى ﷺ أمره بتبليغ ذلك إلى الناس. قال الثور فقلت: «يا رسول الله ما علامة صدقى عندهم؟» قال: «أن تموت عقيب الإخبار» ثم مضى الثور إلى موضع مرتفع وسقط ميتاً، فتقاسم أهل القرية شعره للتبرك به، وكفونوه ودفنوه وحضر إلى قلعة الجبل محضر ثابت على قاضى الولاية بهذه الحادثة.

وفى ربيع الأول: قدم البريد بوصول طائفة الأويراتية من التتار ومقدمهم طرغاي زوج بنت هولوكو، وأنهم نحو الثمانية عشر ألف بيت، وقد فروا من غازان ملك التتار وعبروا الفرات يريدون الشام. فكتب إلى نائب الشام أن يبعث إليهم الأمير علم الدين سنجر الدوادارى إلى الرحبة ليلقاهم، فخرج من دمشق، ثم توجه بعده الأمير سنقر الأعسر شاد الدواوين بدمشق، وخرج الأمير قرا سنقر المنصورى من القاهرة أيضاً، فوصل دمشق فى ثانى عشره، ثم تبعه الأمير سيف الدين الحاج بهادر الحلبي الحاجب، فأقام بدمشق حتى وصلت أعيان الأويراتية صحبة سنقر الأعسر فى ثالث عشره. وكانت عدتهم مائة وثلاثة عشر رجلاً، ومقدمهم طرغاي، ومن أكابرهم الوص وككبای، فتلقاهم النائب والأمراء واحتفل لقدمهم احتفالاً زائداً.

ثم سار بهم الأمير قرا سنقر إلى القاهرة يوم الإثنين سابع ربيع الآخر، فلما وصلوا بالغ السلطان فى إكرامهم والإحسان إليهم، وأمر عدة منهم. وبقوا على كفرهم، ودخل شهر رمضان فلم يصم منهم أحد، وصاروا يأكلون الخيل من غير ذبحها، بل يربط الفرس ويضرب على وجهه حتى يموت فيؤكل. فأنف الأمراء من جلوسهم معهم

(١) هى ناحية تشمل عدة قرى بين دمشق وبعلبك. انظر، معجم البلدان ٢/٣١.

بباب القلة فى الخدمة، وعظم على الناس إكرامهم، وتزايد بعضهم فى السلطان، وانطلقت الألسنة بذمه حتى أوجب ذلك خلع السلطان فيما بعد.

وأما بقية الأويراتية فإنه كتب إلى سنجر الدوادارى أن ينزلهم ببلاد الساحل، فمر بهم على مرج دمشق، وأخرجت الأسواق إليهم فنصبت بالمرج وبمنزلة الصنمين وفى الكسوة، ولم يمكن أحد من الأويراتية أن يدخل مدينة دمشق. وأنزلوا من أراضى عتليت ممتدين فى بلاد الساحل، وأقام الأمير سنجر عندهم إلى أن حضر السلطان إلى الشام.

وقد هلك منهم عالم كبير، وأخذ الأمراء أولادهم الشباب للخدمة، وكثرت الرغبة فيهم لجمالهم، وتزوج الناس بيناتهم، وتناسف الأمراء والأجناد وغيرهم فى صبيانهم وبناتهم، ثم انغمس من بقى منهم فى العساكر، فتفرقوا فى الممالك، ودخلوا فى الإسلام واختلطوا بأهل البلاد.

وفى يوم السبت ثامن عشر جمادى الأولى: استقر فى قضاء القضاة بديار مصر تقى الدين محمد بن مجد الدين على بن وهب بن مطيع القشبرى المعروف بابن دقيق العيد^(١) الشافعى، بعد وفاة قاضى القضاة ذى الرياستين تقى الدين عبد الرحمن بن قاضى القضاة ذى الرياستين تاج الدين عبد الوهاب بن خلف بن بدر العلامى المعروف بابن بنت الأعز.

وفى هذه السنة: اشتد الغلاء، وبلغ سعر الأردب القمح المصرى إلى مائة وثمانين درهما، والشعير تعدى الأردب منه مائة درهم، والفول بنحو تسعين درهما الأردب. وبلغ الترمس ستين درهما الأردب بعد خمسة دراهم، وأبيع الخبز كل رطل بدرهم نقرة، وأبيع الفروج بعشرين درهما بعد ثلاثة دراهم. وذبحت فرايج للمرضى ثم وزن لحمها فوقف كل وزن درهم منها بدرهم فضة، وأبيعت بطيخة صيفية للمرضى بمائة درهم فضة، وأبيع الرطل منه بأربعة دراهم. وأبيعت سفرجلة بثلاثين درهما، وكل رطل لحم بسبعة دراهم، وكل سبع حبات من بيض الدجاج بدرهم، ولم يزد سعر القمح فى بلاد الصعيد الأعلى على خمسة وسبعين درهما الأردب.

(١) محمد بن على بن وهب بن مطيع أبو الفتح، تقى الدين القشبرى، المعروف كأبيه وحده بابن دقيق العيد: قاض من أكابر العلماء بالأصول. مجتهد. أصل أبيه من منفلسوط بمصر انتقل إلى قوص، وولد له صاحب الترجمة فى ينبع فنشأ بقوص، وتعلم بدمشق والإسكندرية ثم بالقاهرة. وولى قضاء الديار المصرية سنة ٦٩٥هـ، فاستمر إلى أن توفى بالقاهرة. انظر الدرر الكامنة ٩١/٤ ومفتاح السعادة ٢١٩/٢ وفوات الوفيات ٢٤٤/٢ خطط مبارك ١٣٥/١٤ والظالع السعيد ٣١٧ وإحكام الأحكام ١٤/١ وشذرات الذهب ٥/٦ والأعلام ٢٨٣/٥.

وهلك معظم الدواب لعدم العلف حتى لم توجد دابة للكراء، وهلكت الكلاب والقطاط من الجوع. وانكشف حال كثير من الناس، وشحت الأنفس حتى صار أكابر الأمراء يمنعون من يدخل عليهم من الأعيان عند مد أسمطتهم. وكثر تعزيز محتسب القاهرة ومصر لبياعى لحوم الكلاب والميتات، ثم تفاقم الأمر فأكل الناس الميتة من الكلاب والمواشى وبني آدم، وأكل النساء أولادهن الموتى. ورأى بعض الأمراء بباب داره امرأة لها هيئة حسنة وهى تستعطى، فرق لها وأدخلها داره فإذا هى جميلة، فأحضر لها رغيفا وإناء مملوءاً طعاماً أكلته كله ولم تشبع، فقدم إليها مثله فأكلته وشكت الجوع، فما زال يقدم لها وهى تأكل حتى اكتفت، ثم استندت إلى الحائط ونامت، فلما حركوها وجدت ميتة، فأخذوا من كتفيها جراباً فلقوا فيه يد إنسان صغير ورجله، فأخذ الأمير ذلك وصعد به القلعة وأراه السلطان والأمراء.

ثم إن الأسعار انحلت فى شهر رجب، حتى أبيع الأردب القمح بخمسة وثلاثين درهماً، والشعير بخمسة وعشرين درهماً الأردب.

وأما النيل فإنه توقف، ثم وفى ستة عشر ذراعاً وكسر الخليج، فنقص فى يوم عيد الفطر بعد الكسر نقصاً فاحشاً ثم زاد. فتزايد السعر وساءت ظنون الناس، وكثر الشح وضائق الأرزاق ووقفت الأحوال، واشتد البكاء وعظم ضجيج الناس فى الأسواق من شدة الغلاء.

وتزايد الوباء بحيث كان يخرج من كل باب من أبواب القاهرة فى كل يوم ما يزيد على سبعمائة ميت، ويغسل فى الميضاة من الغرباء الطرحاء فى كل يوم نحو المائة والخمسين ميتاً، ولا يكاد يوجد باب أحد من المستورين بالقاهرة ومصر إلا ويصبح على بابه عدة أموات قد طرحوا حتى يكفنههم، فيشتغل نهاره بهم. ثم تزايد الأمر فصارت الأموات تدفن بغير غسل ولا كفن، فإنه يدفن الواحد فى ثوب ثم ساعة ما يوضع فى حفرته يؤخذ ثوبه حتى يلبس لميت آخر، فيكفن فى الثوب الواحد عدة أموات.

وعجز الناس عن مواراة الأموات فى القبور لكثرتهم وقلة من يحفر لهم، فعملت حفائر كبار ألقىت فيها الأموات من الرجال والنساء والصبيان حتى تمتلئ الحفرة، ثم تطم بالتراب. وانتدب أناس لحمل الأموات ورميهم فى الحفر، فكانوا يأخذون عن كل ميت نصف درهم، فيحمله الواحد منهم ويلقيه إما فى حفرة أو فى النيل إن كان قريباً منه. وصارت الولاة بالقاهرة ومصر تحمل الأموات فى شباك على الجمال، ويعلقون

الميت بيديه ورجليه من الجانبيين، ويرمى فى الحفر بالكيمان من غير غسل ولا كفن، ورمى كثير من الأموات فى الآبار حتى تملأ ثم تردم.

ومات كثير من الناس بأطراف البلاد فبقى على الطرقات حتى أكلته الكلاب، وأكل كثيراً منها بنو آدم أيضاً وحصر فى شهر واحد من هذه السنة عدة من مات ممن قدر على معرفته، فبلغت العدة مائة ألف وسبعة وعشرين ألف إنسان، وعظم الموتان فى أعمال مصر كلها حتى خلت القرى.

وتأخر المطر ببلاد الشام حتى دخل فصل الشتاء ليلة الخميس سادس صفر وهو سادس عشر كانون الأول ولم يقع المطر، فتزايدت الأسعار فى سائر بلاد الشام. وجفت المياه، فكانت الدابة تسقى بدرهم شربة واحدة، ويشرب الرجل بربع درهم شربة واحدة، ولم يسق عشب ولا مرعى. وبلغ القمح كل غرارة فى دمشق بمائة وسبعين درهماً، والخبز كل رطل وأوقيتين بدرهم، واللحم كل رطل بأربعة دراهم ونصف. ثم إن الشيخ شرف الدين أحمد بن إبراهيم بن سباع الفزارى قرأ صحيح البخارى تحت قبة النسر بالجامع الأموى بدمشق فى يوم الأحد تاسع صفر، فسقط المطر فى تلك الليلة واستمر عدة أيام وعقبه تلج، فسر الناس، إلا أن الأسعار تزايدت، ثم انحطت. واشتد الغلاء بالحجاز، حتى أبيعت الغرارة القمح فى مكة بألف ومائتى درهم.

وفى رجب: وقعت صاعقة على قبة زمزم، فقتلت الشيخ على بن محمد بن عبد السلام مؤذن الحرم وهو يؤذن على سطح القبة.

وفىها قدمت أم الملك العادل سلامش بن السلطان الملك الظاهر بيبرس من بلاد القسطنطينية إلى دمشق فى حادى عشر رمضان، وسارت إلى القاهرة فى ثامن عشره.

وفىها مات الملك السعيد إيلغازى بن المظفر فخر الدين قرا أرسلان الأرتقى صاحب ماردين، فكانت أيامه قريباً من ثلاث سنين، وقام من بعده أخوه الملك المنصور نجم الدين غازى.

وفى يوم السبت سابع عشر شوال: خرج السلطان من قلعة الجبل بعساكر مصر يريد الشام، واستخلف الأمير شمس الدين كرتيه فى نيابة السلطنة، وولده الملك الجاهد أنص. فدخل دمشق فى يوم السبت خامس عشر ذى القعدة، وحمل الأمير بيسرى الجتر على رأسه.

وفيه استقر تقي الدين سليمان فى قضاء الحنابلة بدمشق، عوضاً عن شرف الدين حسن بن عبد الله بن محمد بن قدامة المقدسى بحكم وفاته فى ثانى عشرى شوال.

ولما استقر السلطان بدمشق خلع فى سادس عشره على الأمراء وأهل الدولة، وشرع الصاحب فخر الدين الخليلى فى مصادرات أهل دمشق من الولاة والشادين ورسم على سنقر الأعسر شاد الدواوين، وعزل أسندمركرجى والى البر، وولى عوضه علاء الدين ابن الجاكى، وألزم الأعسر وسائر المباشرين بأموال جزيلة.

وفى رابع عشرية: قدم الملك المظفر صاحب حماة إلى دمشق، فتلقاه السلطان وأكرمه وخرج عسكر كبير إلى حلب.

وفى يوم الجمعة ثامن عشرية: صلى السلطان بالجامع الأموى، وخلع على خطيبه قاضى القضاة بدر الدين محمد بن جماعة.

وفى يوم الإثنين ثانى ذى الحجة: عزل الأمير عز الدين أيك الحموى عن نيابة دمشق، ووقعت الحوطة على خيوله وأمواله، واستقر فى نيابة دمشق الأمير سيف الدين أغرلو العادلى، وعمره نحو الثلاثين سنة، واستقر أيك الحموى نائب دمشق على إقطاع أغرلو بديار مصر، وخلع عليه.

وفى ثامننه: استقر فى وزارة دمشق عوضاً عن تقي الدين توبة وكيل السلطان شهاب الدين أحمد بن أحمد بن عطاء الأذرعى الحنفى محتسب دمشق.

وفى ثانى عشره: خرج السلطان إلى حمص ليتصيد، فدخلها فى تاسع عشره، وحضر إليه نائب حلب وبقية النواب. وانسلخت هذه السنة والسلطان على جوسية^(١) من قرى حمص بمخيمه، وكان قد اشتراها.

وفىها ولى الشريف شمس الدين محمد بن شهاب الدين الحسين بن شمس الدين محمد قاضى العسكر نقابة الأشراف بديار مصر، بعد وفاة الشريف عز الدين أحمد بن محمد ابن عبد الرحمن الحلبي^(٢) واستقر فى قضاء الحنابلة بدمشق تقي الدين أبو الفضل سليمان بن حمزة^(٣) بعد موت شرف الدين حسن بن عبد الله بن الشيخ أبى عمر.

(١) هى قرية على مسافة ستة فراسخ من حلب، وموقعها بين جبل لبنان وجبل سنير. انظر، معجم البلدان ١٥٤/٢.

(٢) أحمد بن محمد بن عبد الرحمن، الشريف أبو العباس عز الدين الحسينى مؤرخ من الحفاظ. كان نقيب الأشراف بالديار المصرية. أصله من حلب ومولده ووفاته بمصر. ويقال له ابن الحلبي. انظر المنهل الصافي وشذرات الذهب ٤٣٠/٥ والتبيان وكشف الظنون ٢٠٢ والأعلام ١/٢٢١.

(٣) سليمان بن حمزة بن أحمد بن عمر، تقي الدين. ابن قدامة، المقدسى: فقيه حنبلى، مقدسى الأصل، دمشقى المولد والوفاة كان مسند الشام فى وقته. وله مشاركة فى العربية والفرائض =

٢٧٠..... سنة خمس وتسعين وستمائة

وفيها استقر الملك المؤيد هزبر الدين داود بن المظفر محمد بن عمر بن علي في مملكة اليمن، بعد موت أخيه الأشرف مهد الدين عمر.

* * *

ومات في هذه السنة من الأعيان

الملك الأشرف عمر بن المظفر محمد بن المنصور عمر بن علي بن رسول ممتلك اليمن، وقد قارب سبعين سنة.

وتوفي قاضي القضاة ذو الرياستين تقي الدين أبو القاسم عبد الرحمن بن تاج الدين أبي محمد عبد الوهاب بن خلف بن أبي القاسم ابن بنت الأعز العلوي الشامي بالقاهرة عن [.....^(١)].

وتوفي قاضي الحنابلة بدمشق شرف الدين أبو الفضائل الحسن بن عبد الله بن الشيخ أبي عمر محمد بن الحسن بن محمد بن قدامة المقدسي بدمشق، عن سبع وخمسين سنة.

وتوفي العلامة زين الدين أبو البركات المنجا بن عثمان بن أسعد بن المنجا التنوخي الدمشقي الحنبلي، عن نحو خمس وستين سنة بدمشق.

وتوفي صاحب محيي الدين أبو عبد الله محمد بن يعقوب بن إبراهيم بن هبة الله ابن طارق بن سلامة بن النحاس الأمدى الحلبي الحنفي، بدمشق عن إحدى وثمانين سنة، وكانت قد انتهت إليه مشيخة فقه الحنفية، وولى قضاء حلب ثم وزارة دمشق.

وتوفي تاج الدين أبو عبد الله محمد بن عبد السلام بن المطهر بن أبي سعد عبد الله ابن محمد بن هبة الله بن علي بن المطهر بن أبي عصرون التميمي الموصلی الشافعي، بدمشق عن خمس وثمانين سنة.

وتوفي المقرئ الزاهد شرف الدين أبو الثناء محمد بن أحمد بن مبادر بن ضحاك التاذفي^(٢) بدمشق عن إحدى وسبعين سنة.

=والحساب، ولى القضاء عشرين سنة. انظر تاريخ الصالحية ٩٨ والدرر الكامنة ١٤٦/٢ والبدایة والنهائة ٧٥/١٤ ودول الإسلام ١٧١/٢ والدارس ٥٢/١ والأعلام ١٢٤/٣.

(١) ما بين المعقوفتين سقط في الأصل.

(٢) نسبة إلى تاذف، وهي قرية من ناحية بزاعة بالشام، بينها وبين حلب أربعة فراسخ. انظر،

معجم البلدان ٨١١/١.

السلوك لمعرفة دول الملوك ٢٧١

وتوفى السراج أبو حفص عمر بن محمد بن الحسن الوراق الشاعر، عن نحو سبعين سنة.

وتوفى أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الوهاب بن خلف بن محمود الشافعي الفقيه الأديب، بمصر.

* * *

سنة ست وتسعين وستمائة

فى ثانى المحرم قدم السلطان من حمص إلى دمشق.

وفى يوم الجمعة رابعه: صلى صلاة الجمعة بالجامع الأموى، وأخذ قصصًا كثيرة رفعت إليه، ورأى بيد رجل قصة فتقدم إليه بنفسه ومشى عدة خطوات حتى أخذ القصة منه بيده.

وفى سابع عشره: أنعم على الملك الكامل ناصر الدين محمد بن الملك السعيد بن الصالح عماد الدين إسماعيل بن العادل أبى بكر بن أيوب بإمرة طبلخاناه بدمشق.

وفى حادى عشره: قبض على الأمير أسندمر كرجى، واعتقل بقلعة دمشق، وعزل سنقر الأعسر عن شد الدواوين بدمشق، واستقر عوضه الأمير فتح الدين عمر بن محمد ابن صيرة.

وفى بكرة يوم الثلاثاء ثانى عشره: رحل السلطان من دمشق بعساكره يريد القاهرة، وقد توغرت صدور الأمراء وتواعدوا على الفتك به. فسار إلى أن نزل بالعوجاء قريبًا من الرملة، وحضر الأمراء عنده بالدلهيز، فأمر بإحضار الأمير بيسرى فطلب طلبًا حثيثًا، فلما حضر لم يقم له على عادته، وأغلظ له فى الكلام ونسبه إلى أنه كاتب التتار، فكانت بينهما مفاوضة، ثم نهض السلطان، وانفض الأمراء وقد حرك منهم ما كان عندهم كامنًا.

فاجتمعوا عند الأمير حسام لاجين النائب وفيهم بيسرى، وسألوه عما كان من السلطان فى حق بيسرى، فقال: «إن ممالك السلطان كتبوا عنك كتبًا إلى التتار، وأحضروها إليه وقالوا إنك كتبتها، ونيتة القبض عليك إذا وصل إلى مصر، وأن يقبض على أيضًا وعلى أكابر الأمراء، ويقدم ممالكه». فأجمعوا عند ذلك على مبادرة السلطان، فركبوا يوم الثلاثاء سابع عشرى المحرم وقت الظهر: وهم لاجين بيسرى وقرا سنقر وقبجاق والحاج بهادر الحاجب فى آخرين، واستصحبوا معهم حمل نقارات^(١) وساقوا ملبسين إلى باب الدهليز، وحركت النقارات حربيًا. فركب عدة من العادلية

(١) النقارات من الآلات الملكية المختصة بالموابك العظيمة، وكانت تستخدم فى إصدار الأوامر وفى الإيذان ببدء القتال.

واقتلوا، فتقدم تكلان العادلي فضربه الأمير لاجين فى وجهه ضربة أخذت منه جانباً كبيراً، وجرح تكلان فرس لاجين وقتل الأمير بدر الدين بكتوت الأزرق العادلي فى خيمته، وقتل الأمير سيف الدين بتخاص العادلي، وقد فر إلى الدهليز فأدركه بباب الدهليز فقتلوه، وجرحوا عدة من المماليك العادلية. فلم يثبت العادل، وخرج من ظهر الدهليز، وركب فرس النوبة ببغلقاق صدر، وعبر على قنطرة العوجاء يريد دمشق من غير أن يفظن به أحد، ولم يدركه سوى خمسة من مماليكه. وهجم لاجين على الدهليز فلم يجد العادل وبلغه أنه فر، فساق خلفه فلم يدركه ورجع إلى الدهليز، فلما عاينه الأمراء ترجلوا له ومشوا فى ركابه حتى نزل. فكانت مدة كتبغا، منذ جلس على التخت بقلعة الجبل فى يوم الأربعاء حادى عشر المحرم سنة أربع وتسعين وستمائة، وإلى أن فارق الدهليز بمنزلة العوجاء فى يوم الثلاثاء سابع عشرى المحرم سنة ست وتسعين وستمائة، ستين وسبعة عشر يوماً.

* * *

السلطان الملك المنصور حسام الدين لاجين المنصورى

المعروف بالصغير^(١)

كان أولاً من جملة مماليك الملك المنصور على بن الملك المعز أيك، فلما خلع اشتراه الأمير سيف الدين قلاوون وهو أمير بسبعمائة وخمسين درهما، من غير مالك شرعى، فلما تبين له أنه من مماليك المنصور اشتراه مرة ثانية، بحكم بيع قاضى القضاة تاج الدين عبد الوهاب ابن بنت الأعز له عن المنصور وهو غائب ببلاد الأشكرى. وعرف حين يبعه بشقى، فربى عند قلاوون وقيل له لاجين الصغير، وترقى فى خدمته من الأوشاقية إلى السلاح دارية. ثم أمره قلاوون واستنابه بدمشق لما ملك، وهو لا يعرف إلا بلاجين الصغير، فشكرت سيرته فى النيابة، وأحبته الرعية لعفته عما فى أيديهم، فلما ملك الأشرف خليل بن قلاوون قبض عليه وعزله عن نيابة دمشق، ثم أفرج عنه وولاه إمرة السلاح دار كما كان قبل استنابته على دمشق. ثم بلغه أن الأشرف يريد القبض عليه ثانياً، ففر من داره بدمشق، فقبض عليه وحمل إلى قلعة الجبل، وأمر بخنقه قدام السلطان. ثم نجا من القتل بشفاعة الأمير بدر الدين بيدرا، وأعيد إلى الخدمة على عادته، واشترك مع بيدرا فى قتل الأشرف خليل^(٢)، كما تقدم ذكره. ثم اختفى خبره

(١) انظر مورد اللطافة لابن تغرى بردى ٤٩، وابن إياس ١٣٦/١، والنجوم الزاهرة ٨/٨٥،

والأعلام ٥/٢٣٨.

(٢) خليل بن قلاوون الصالحى: الملك الأشرف صلاح الدين ابن السلطان الملك المنصور من =

مدة، وتنقل في المدن إلى أن تحدث الأمير زين الدين كتبغا في أمره، فعفى عنه وأعيد إلى إمرته كما كان. فلما صار زين الدين كتبغا سلطانا، استقر لاجين في نيابة السلطنة بديار مصر، إلى أن ركب على كتبغا وفر منه، فنزل بالدهليز من العوجاء وقيل من اللجون.

واجتمع الأمراء عنده، وهم بدر الدين بيسرى الشمسى، وشمس الدين قرا سنقر المنصوري، وسيف الدين قبجاق، وسيف الدين بهادر الحاج أمير حاجب، وسيف الدين كرد، وحسام الدين لاجين السلاح دار الرومى أستاذار، وبدر الدين بكتاش الفخرى أمير سلاح، وعز الدين أيك الخازندار، وجمال الدين أقوش الموصلى، ومبارز الدين أمير شكار، وسيف الدين بكتمر السلاح دار، وسيف الدين سلار، وسيف الدين طغى، وسيف الدين كرجى، وعز الدين طقطاى، وسيف الدين برلطاي فى آخرين، حتى حملت الخزائن على البغال ورمى الدهليز. وساروا فى خدمة لاجين إلى قريب المغرب، ونزلوا قريباً من يازور^(١) وحضروا بأجمعهم بين يدى لاجين واتفقوا على سلطنته، وشرطوا عليه أن يكون معهم كأحدهم، ولا ينفرد برأى دونهم، ولا ييسط أيدي ممالك ولا يقدمهم، وحلفوه على ذلك. فلما حلف قال له الأمير قبجاق المنصوري: «نخشى أنك إذا جلست فى منصب السلطنة تنسى هذا الذى تقرر بيننا وبينك، وتقدم ممالك وتخول مملوكك منكوتر علينا، فيصينا منه ما أصابنا من ممالك كتبغا». وكان منكوتر مملوك لاجين، وكان يوده ويؤثره، وله عنده مكانة متمكنة من قلبه. فحلف لاجين مرة ثانية أنه لا يفعل ذلك، ولا يخرج عما التزمه وشرطوه عليه، فحلف له الأمراء وأرباب الدولة. وتلقب بالملك المنصور، وركب بشعار السلطنة فى يوم الثلاثاء سابع عشرى المحرم، وبات تلك الليلة ورحل إلى سكرير ومنها إلى غزة يريد الديار المصرية، فلما دخل غزة حمل الأمير بيسرى الجتر على رأسه، فخطب له بغزة والقدس وصفد والكرك ونابلس، وضربت بها البشائر.

وهذا وقد ركب البريد من غزة، وساق الأمير سيف الدين سلار البريد إلى قلعة الجبل ليحلف من بها من الأمراء. ورسم السلطان لاجين فى غزة بمساحة أهل مصر والشام بالبواقي، ثم سار منها فى يوم الخميس أول صفر. ونزل ظاهر بلبيس فى ثامن،

ملوك مصر ولى بعد وفاة أبيه سنة ٦٨٩هـ واستفتح الملك بالجهاد. قتله بعض الممالك غيلة بمصر.
انظر فوات الوفيات ١٥١/١ ودائرة البستانى وابن الوردى ٢٣٨/٢ والنجوم الزاهرة ٣/٨ وابن
يأس ٢٢١/١ ووليم موير ٦٢ والأعلام ٣٢١/٢.

(١) هى بلدة بسواحل الرملة بفلسطين. انظر، معجم البلدان ١٠٢/٤.

وقد خرج إليه أمراء مصر وحلقوا له، ثم سار منها ضحوة وبات مسجد تبر، وركب بكرة يوم الجمعة تاسعه إلى قلعة الجبل. ثم ركب إلى الميدان السلطاني بشعار السلطنة على العادة، وشق القاهرة من باب النصر إلى باب زويلة، وعليه الخلعة الخليفية وهي جبة سوداء بزيق^(١) وأكمام واسعة والتقليد محمول بين يديه، حتى عاد إلى القلعة والخليفة إلى جانبه، وذلك في يوم الخميس خامس عشرة.

وفي يوم قدومه انحطت الأسعار إلى نصف ما هي عليه، فسر الناس به، فإن القمح كان أربعين درهما الأردب إلى ما دونها، فأبيع بعشرين، وكان الشعير بثلاثين درهما الأردب، فأبيع بعشرة، وكان الرطل اللحم بدرهم ونصف، فأبيع بدرهم وربع، ودرت الأرزاق وكثر الخير.

وفوض السلطان لاجين نيابة السلطنة بديار مصر إلى الأمير شمس الدين قرا سنقر المنصوري، واستمر بالصاحب فخر الدين بن الخليلي في الوزارة، وجعل الأمير سيف الدين سلار أستاذارا، والأمير سيف الدين بكنمر السلاح دار أمير جاندار، والأمير سيف الدين بهادر الحاج حاجبا، والأمير سيف الدين قبجاق المنصوري نائب الشام، ومنع الوزير من الظلم وأخذ المواريث بغير حق، وألا يطرح البضائع على التجار، فكثر الدعاء له.

وأما كتبغا فإنه قدم قبله إلى دمشق أمير شكاره وهو مجروح، ليعلم الأمير أغرلو نائب دمشق بما وقع، فوصل في يوم الأربعاء سلخ الحرم، فكثر بدمشق القال والقييل، وألبس أغرلو العسكر السلاح ووقفوا خارج باب النصر. فوصل كتبغا في أربعة أنفس قبل الغروب وصعد القلعة، وحضر إليه الأمراء والقضاة وجددت له الأيمان، ثم أوقع الحوطة على أموال لاجين. وقدم في أول صفر الأمير زين الدين غلبك العادلي بطائفة من المماليك العادلية، وجلس شهاب الدين الخنفي وزير الملك العادل كتبغا في الوزارة بالقلعة، ورتب الأمور وأحوال السلطنة. فاشتهرت بدمشق سلطنة لاجين في يوم ثالث عشره، وأن البشائر دقت بصفد ونابلس والكرك. فصار كتبغا مقيما بقلعة دمشق لا ينزل منها، وبعث الأمير سيف الدين طقصبا الناصري في جماعة لكشف الخير، فعادوا وأخبروا بصحة سلطنة لاجين. فأمر كتبغا جماعة من دمشق، وأبطل عدة مكوس في يوم الجمعة سادس عشره، وكتب بذلك توقيعا قرى بالجامع.

(١) الزيق: ما يُكف به حيب القميص، يقال: عمل للحيب زيقا: خاطه به لتقويته، جمع أزياق،

وزيقة انظر المعجم الوسيط (زيق).

فبعث الملك المنصور لاجين من مصر الأمير سنقر الأعسر وكان فى خدمته بمصر فوصل إلى ظاهر دمشق فى رابع عشره، وأقام ثلاثة أيام، وفرق عدة كتب على الأمراء وغيرهم وأخذ الأجوبة عنها، وحلف الأمراء. وسار إلى قارا^(١) وكان بها عدة أمراء مجردين فحلفهم وحلف عدة من الناس، وكتب بذلك كله إلى مصر. وسار إلى لدّ، فأقام بها فى جماعة كبيرة لحفظ البلاد، ولم يعلم كتبغا بشيء من ذلك.

فلما كان يوم السبت رابع عشره: وصل الأمير سيف الدين كجكن وعدة من الأمراء كانوا مجردين بالرحبة، فلم يدخلوا دمشق، ونزلوا بميدان الحصا قريباً من مسجد القدم، فأعلنوا باسم السلطان الملك المنصور لاجين، وراسلوا الأمراء بدمشق فخرجوا إليهم طائفة بعد طائفة. وانحل أمر كتبغا، فتدارك نفسه وقال للأمراء: «السلطان الملك المنصور خوشداشى، وأنا فى خدمته وطاعته، وأنا أكون فى بعض القاعات بالقلعة إلى أن يكتب السلطان ويرد جوابه بما يقتضيه فى أمرى» فأدخله الأمير جاغان الحسامى مكاناً من القلعة. واجتمع الأمراء بباب الميدان، وحلفوا للملك المنصور وكتبوا إليه بذلك، وحفظ جاغان القلعة ورتب بها من يحفظ كتبغا، وغلقت أبواب دمشق كلها إلا باب النصر، وركب العسكر بالسلاح ظاهر دمشق، وأحاط جماعة بالقلعة خوفاً من خروج كتبغا وتحيزه فى جهة أخرج. وكثر كلام الناس واختلفت أقوالهم، وعظم اجتماعهم بظاهر دمشق حتى أنه سقط فى الخندق جماعة لشدة الزحام فيما بين باب النصر وباب القلعة، فمات نحو العشرة.

واستمر الحال على هذا يوم السبت المذكور، ثم دقت البشائر بعد العصر على القلعة وأعلن بالدعاء للملك المنصور، ودعى له على المآذن فى ليلة الأحد، وضربت البشائر على أبواب الأمراء. وفتحت الأبواب فى يوم الأحد، وحضر الأمراء والقضاة بدار السعادة وحلفوا الأمراء بحضور الأمير أغرلو نائب الشام، وحلف هو وأظهر السرور. وركب أغرلو والأمير جاغان اليريد إلى مصر، وبلغ ذلك الأمير سنقر الأعسر بلدّ، فنهض إلى دمشق ودخلها يوم الخميس تاسع عشره، وقد تلقاه الناس وأشعلوا له الشموع، وآتاه الأعيان، ونودى من له مظلمة فعليه بباب الأمير شمس الدين سنقر الأعسر.

وفى يوم الجمعة أول شهر ربيع الأول: خطب بدمشق للملك المنصور.

فلما كان يوم الجمعة ثامنه: وصل الأمير حسام الدين الأستاذار بعسكر مصر

(١) قرية كبيرة على الطريق من حمص إلى دمشق. انظر، معجم البلدان ٤/١٢، ١٣.

ليحلف الأمراء، فحلفوا بدار السعادة فى يوم السبت تاسعه، وقرئ عليهم كتاب الملك المنصور باستقراره فى الملك وجلوسه على تحت الملك بقلعة الجبل، واجتماع الكلمة عليه وركوبه بالتشريف الخليفية والتقليد بين يديه من أمير المؤمنين الحاكم بأمر الله أبى العباس أحمد.

وفى يوم الإثنين حادى عشره: وصل الأمير جاغان الحسامى من مصر، وحلف كتبغا يمينا مستوفاة مغلظة بحضرة الأمير حسام الدين الأستاذار، والأمير سيف الدين كجكن، وقاضى القضاة بدر الدين محمد بن جماعة على أنه فى طاعة الملك المنصور وموافقته، وقد أخلص النية له ورضى بالمكان الذى عينه له وهو قلعة صرخد^(١) وأنه لا يكاتب ولا يشاور ولا يستفسد أحداً.

وفيه استقر تقى الدين توبة فى وزارة دمشق، واستقر أمين الدين بن هلال فى نظر الخزانة، عوضاً عن تقى الدين توبة، واستقر الشيخ أمين الدين يوسف الرومى فى حسبة دمشق.

وفى سادس عشره: وصل الأمير سيف الدين قبجق المنصورى نائب دمشق من مصر، ونزل بدار السعادة على عادة النواب.

وفى ليلة الثلاثاء تاسع عشره: خرج كتبغا من قلعة دمشق إلى قلعة صرخد ومعه مماليكه، وجرّد من دمشق معه نحو المائتى فارس ساروا به حتى عبر قلعة صرخد ثم رجعوا، فكانت مدة مفارقتهم الدهليز من العوجاء إلى أن خلع نفسه بدمشق فى يوم السبت رابع عشرى صفر أربعة وثلاثين يوماً، وجهاز إليه ابنه أنص وأهله.

ووصل إلى دمشق نحو ستمائة تشريف فرقت على الأمراء والقضاة والأعيان، ولبسوها يوم الإثنين ثانى شهر ربيع الآخر.

وأفرج الملك المنصور عن الأمير ركن الدين بيبرس الجاشنكير وجعله أحد الأمراء، وعن الأمير سيف الدين برلغى وبعثه إلى دمشق على إمرة بها، وعن الأمير سيف الدين اللقماني، وعن جماعة من المماليك السلطانية الذين كانوا بدمياط والإسكندرية وبخزانة البنود من القاهرة وبخزانة شمائل. فكان لهم يوم مشهود، فإنه كان فيهم خمسة وعشرون أميراً، أنعم على جميعهم وخلق عليهم.

وفىها أمر السلطان لاجين جماعة من مماليكه، فأعطى مملوكه سيف الدين منكوتمر إمرة، ومملوكه علاء الدين أيدغدى شقير إمرة، ومملوكه سيف الدين جاغان إمرة، ومملوكه سيف الدين بهادر المعزى إمرة.

وتقدم السلطان إلى الأمير علم الدين الدوادارى بعمارة الجامع الطولونى، وعين لذلك عشرين ألف دينار عينا، فعمَّره وعمَّر أوقافه، وأوقف منية أندونة^(١) من الأعمال الجيزية عليه، ورتب فيه درس تفسير ودرس حديث نبوى، وأربعة دروس فقه على المذاهب الأربعة، ودرساً للطب وشيخ ميعاد^(٢) ومكتب سبيل لقراءة الأيتام القرآن.

وسبب ذلك أنه لما هرب فى وقعة بيدرا من بر الجيزة^(٣) واختفى بمنارة الجامع الطولونى وكان إذ ذاك مهدوراً لا يوقد به سوى سراج واحد فى الليل، ولا يؤذن أحد بمنارته، وإنما يقف شخص على بابه ويؤذن فأقام به مدة لم يظهر خيره، فأراد أن يكون من شكر نعمة الله عليه عمارة هذا الجامع فعمَّره، وهو الآن بمحمد الله عامر بعمارته له.

وفيهما كتب السلطان لاجين إلى الأشكرى بالقسطنطينية أن يجhez أولاد الملك الظاهر بيبرس إلى القاهرة مكرمين، فجهز الملك المسعود نجم الدين خضر ووالدته وحرمه، وكان الملك العادل بدر الدين سلامش قد مات بالقسطنطينية سنة تسعين وستمائة، فأحضر فى تابوت مصبراً، فدفن بقرافة مصر. وقدم الملك السعيد خضر إلى السلطان، وسأل الإذن بالحج، فأذن له وسافر مع الركب.

وفيهما نقل الخليفة الحاكم بأمر الله من السرج بقلعة الجبل إلى مناظر الكباش بجوار الجامع الطولونى، وأجرى له ما يكفيه. وبعث إليه الملك المنصور بمال سنى، وصار يركب مع السلطان فى الموكب.

وفيهما قدم من قضاة دمشق وأعيانها جماعة، منهم قاضى القضاة حسام الدين أبو الفضائل الحسن بن قاضى القضاة تاج الدين أبى المفاخر أحمد بن الحسن بن أنوشروان الرازى الحنفى الرومى، فولاه السلطان قضاء القضاة الحنفية بديار مصر، عوضاً عن قاضى القضاة شمس الدين أحمد السروجى، وعامله من الإكرام بما لم يعامل به أحدًا، وأقر ولده جلال الدين أبا المفاخر على قضاء القضاة الحنفية بدمشق. وقدم أيضا قاضى القضاة إمام الدين عمر بن عبد الرحمن بن عمر بن أحمد بن عبد الكريم القزوينى الشامى - أنوشروان^(٤) فعرض السلطان عليه قضاء القضاة بديار مصر، فلم يقبل واختار

(١) تقع تلك القرية بمديرية الجيزة بمصر. انظر مبارك، الخطط التوفيقية ٥٩/١٦.

(٢) الميعاد درس دينى للوعظ والإرشاد، والحث على التقوى. انظر القلقشندى، صبح الأعشى

٣٨٠/٣.

(٣) بلدة فى غربى فسطاط مصر قبالتها. وهى من أفضل كور مصر. انظر، معجم البلدان

٢٠٠/٢.

(٤) عمر بن عبد الرحمن بن عمر بن أحمد، إمام الدين، أبو القاسم الكرخى التميمى القزوينى =

دمشق، فولاه قضاء القضاة بدمشق في رابع جمادى الأولى، عوضاً عن قاضى القضاة بدر الدين محمد بن جماعة، واستقر ابن جماعة فى خطابة جامع دمشق وتدرىس القىمىرية بها. وقدم أيضاً قاضى القضاة جمال الدين يوسف الزواوى المالكى، فأعيد إلى ولايته بدمشق، وخلع عليه وعلى إمام الدين القزوينى، فعادا إلى دمشق فى ثامن شهر رجب. وقدم أيضاً عز الدين حمزة بن القلانسى، فأكرمه السلطان وخلع عليه، واستعاد له من ورثة الملك المنصور قلاوون، ما كان قد أخذ منه، وعاد إلى دمشق فى خامس عشرى رمضان.

وفىها ظهر بأرض مصر فأر كثير أتلف الزروع، حتى لم يؤخذ منه إلا اليسىر. وعزل الأمير فتح الدين عمر بن صيرة عن شد الدواوين بدمشق، واستقر عوضه الأمير سيف الدين جاغان الحسامى فى ثامن عشر رجب.

وفى هذه السنة: طلب السلطان الأمير سنقر الأعسر من دمشق فى شهر رجب، فركب البرىد إلى القاهرة. ولما حضر أكرمه السلطان وجعله من أمراء مصر، ثم ولاه الوزارة بديار مصر فى سادس عشرىه، وسلمه الصاحب فخر الدين بن الخلىلى، فألزمه بمائة ألف دىنار وقبض على أتباعه. واشتدت حرمة وعظمت مهابته، فلا ىراجع ولا ىخاطب إلا جواباً.

وفىها توقف النيل عن الزىادة قبل الوفاء، فتزايد السعر، وبلغ فى ذى القعدة الأردب القمح خمسة وأربعىن درهماً، ثم انحل السعر.

وفى يوم الثلاثاء النصف من ذى القعدة: قبض على الأمير شمس الدين قرا سنقر نائب السلطنة، وعلى جماعة من الأمراء واعتقلوا، وأحىط بموجود قرا سنقر الذى بمصر والشام، وضرب كتابه شرف الدين يعقوب حتى مات تحت الضرب، وضىِّق على نوابه ودواوينه. وأراد السلطان إقامة مملوكه الأمير سيف الدين منكوتمر الحسامى فى نيابة السلطنة، فعارضه الأمراء وغضبوا من منكوتمر، فشق ذلك عليه وأراد تفريقهم، فبعث طغرىل الإىغانى إلى الكشف بالشرقىة. وسنقر المساح إلى كشف الغربىة، وبرىسرى إلى كشف الحىزة، ثم قبض على قرا سنقر النائب والحاج بهادر وعز الدين أىىك الحموى وسنقر شاه الظاهرى والأقوش وعبد الله وكورى والشىخ على، وقيدوا. وولى منكوتمر النىابة من غد مسكهم فى عشرى ذى القعدة واستقر فى نيابة السلطنة.

= الشافعى: فقىه من العلماء، تتعت بقاضى القضاة. ولد ببرىز ثم جاء إلى مصر. فتألم فى الطرىق، وتوفى بالقاهرة بعد أسبوع. انظر شذرات الذهب ٤٥١/٥ وهدىة العارفىن ٧٨٨/١ والأعلام ٤٩/٥.

وفيه ركب السلطان إلى الميدان ولعب بالكرة، فتقنطر عن الفرس وانكسر أحد جانبي يده اليمنى، وتهشم بعض أضلاعه وانصدعت رجله. وخيف عليه، فكسر المجرىون عظم الجانب الآخر من يده حتى يتم لهم الجبر، فإنه قصر عن الجانب الآخر، وكان قد توقف السلطان عن موافقتهم، فقال له الوزير سنقر الأعسر: «أنا حصل لي مثل هذا، فلما احتجت إلى كسر النصف الآخر ضربته بدقماق حديد، فانكسر ثم جبر» وكلمه بجفاء وغلظة واستخفاف من غير أدب. فاحتمل السلطان ذلك منه، وأجاب المجرىين لما قصدوه، وأسر لسنقر الأعسر في نفسه.

فلما كان في يوم السبت ثالث عشرى ذى الحجة: قبض عليه، ولم يول أحدا غيره.

وفي هذه السنة: كان الأردب القمح من أربعين درهماً إلى خمسين، والأردب الشعير بثلاثين، واللحم بدرهمين ونصف الرطل. فنزل القمح إلى عشرين، والشعير إلى عشرة دراهم، واللحم إلى درهم وربع.

وفيها كتب بمساحة أهل النواحي بما عليهم من بواقي الخراج المنكسرة.

وفي هذه السنة: منع السلطان من لبس الكلفناه^(١) الزركش والطرز الزركش والأقبية الحرير العظيمة الثمن، واقتصد هو وخواصه فى الملبس. وجلس بدار العدل يومين فى الأسبوع لسماع شكوى المتظلمين، وأعرض عن اللهو جملة ومقت من يعانيه، وصام شهرى رجب وشعبان، وتصدق فى السر.

* * *

ومات فى هذه السنة من الأعيان

قاضى القضاة الحنبلى عز الدين أبو حفص عمر بن عبد الله بن عمر بن عوض المقدسى^(٢) عن خمس وستين سنة بالقاهرة فى صفر.

وتوفى قاضى الحنفية بجلب تاج الدين أبو المعالى عبد القادر بن عز الدين أبى عبد الله محمد بن أبى الكرم بن عبد الرحمن علوى السنجارى، عن ثلاث وسبعين سنة بجلب، وهو معزول.

(١) غطاء للرأس.

(٢) عمر بن عبد الله بن عمر بن عوض، أبو حفص، عز الدين الشامى المقدسى الحنبلى المعروف بابن عوض: قاض القضاة بالديار المصرية. أفتى ودرس. توفى بالقاهرة. انظر شذرات الذهب ٤٣٦/٥ ومجلة الكتاب ١٣٠١/٤ والأعلام ٥٢/٥.

٢٨٢ سنة ست وتسعين وستمائة

وتوفى ضياء الدين أبو المعالي محمد بن محمد بن عبد القاهر بن هبة الله بن عبد القاهر بن عبد الواحد بن هبة الله بن طاهر بن يوسف بن النصيبى الحلبى وزير حماة، عن ثمان وسبعين سنة بحلب.

وتوفى جمال الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن عبد الله بن الظاهرى الحلبى الحنفى^(١) شيخ الحديث، عن سبعين سنة، بزايوته خارج القاهرة فى ربيع الأول.

وتوفى عفيف الدين أبو محمد عبد السلام بن محمد بن مزروع البصرى الحنبلى، بالمدينة النبوية عن إحدى وسبعين سنة، بعدما جاور بها خمسين سنة.

وتوفى الأديب سيف الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن على بن جعفر السامرى^(٢) بدمشق عن ست وسبعين سنة، وكان هجاء.

وتوفى الشريف الحافظ عز الدين أبو القاسم أحمد بن محمد بن عبد الرحمن بن على ابن محمد بن محمد الحسينى، المعروف بابن الحلبى، نقيب الأشراف بديار مصر، فى [.....^(٣)] ومولده سنة ست وثلاثين.

* * *

(١) أحمد بن محمد بن عبد الله، أبو العباس، جمال الدين بن الظاهرى: من حفاظ الحديث، حلبى المولد والمنشأ كتب عن ٧٠٠ شيخ، بالشام والجزيرة ومصر. وكان ثقة. توفى بظاهر القاهرة. انظر كشف الظنون ١٦٩٦/٢ وشذرات الذهب ٤٣٥/٥ ودارالكتاب ٨٣/١ والأعلام ٢٢١/١.

(٢) أحمد بن محمد بن على بن جعفر: أديب له شعر أجوده هجوه. أصله من سامراء ونسبته إليها. انتقل إلى الشام بأمواله، فسكنها وحظى عند صاحبها الملك الناصر وامتدحه. انظر فوات الوفيات ٦٨، ٦٥/١ والأعلام ٢٢١/١.

(٣) ما بين المعقوفتين سقط فى الأصل.

سنة سبع وتسعين وستمائة

فيها قدم الملك المسعود نجم الدين خضر بن الملك الظاهر بيبرس من بلاد الأشكري إلى القاهرة، بشفاة أخته امرأة السلطان الملك المنصور لاجين، ومعه أمه وأخوه الملك العادل سلامش وقد مات وصبر، فدفن سلامش بالقرافة. وكان السلطان قد احتفل لقدمهم، وأخرج الأمراء إلى لقائهم وبالغ في إكرامهم، وأجرى على الملك المسعود الرواتب وجهزه للحج.

وفيه توجه الأمير سيف الدين سلار أستاذار إلى الكرك، وأحضر ما كان بها من الأموال، وقدم معه الأمير جمال الدين أقش نائب الكرك، فخلع عليه وأعيد إلى نيابته.

وفي حادى عشرى صفر: ركب السلطان، بعدما انقطع لما به من كسر يده نحو الشهرين، ونزل إلى الميدان، ودقت البشائر، وزينت القاهرة ومصر، وكتب بالبشائر إلى الأعمال بذلك. وكان يوم ركوبه من الأيام المشهودة، اجتمع الناس لرؤيته من كل مكان، وأخذ أصحاب الحوانيت من كل شخص أجرة جلوسه نصف درهم فضة، واستأجر الناس البيوت بأموال جزيلة فرحا به، فإنه كان محبباً إلى الناس. وعاد السلطان من الميدان، فألبس الأمراء، وفرق الصدقات فى الفقراء، وأفرج عن المحاييس.

وفي هذا الشهر: استدعى السلطان قاضى القضاة زين الدين على بن مخلوف المالكي، وصى الملك الناصر محمد بن قلاوون، وقال له: «الملك الناصر ابن أستاذى، وأنا قائم فى السلطنة كالنائب عنه إلى أن يحسن القيام بأمرها، والرأى أن يتوجه إلى الكرك» وأمره بتجهيزه. ثم قال السلطان للملك الناصر محمد بن قلاوون: «لو علمت أنهم يخلوك سلطانا والله تركت الملك لك، لكنهم لا يخلونه لك. وأنا مملوكك ومملوك والدك، أحفظ لك الملك، وأنت الآن تروح إلى الكرك إلى أن تترعرع وترتجل وتتخرج وتجرب الأمور وتعود إلى ملكك، بشرط أنك تعطيني دمشق وأكون بها مثل صاحب حماة فيها». فقال له الناصر: «فاحلف لى أن تبقى على نفسى وأنا أروح» فحلف كل منهما على ما أراداه الآخر. فخرج الناصر فى أواخر صفر، ومعه الأمير سيف الدين سلار أمير مجلس، والأمير سيف الدين بهادر الحموى، والأمير أرغون الدوادار، وطيدمر جوباش رأس نوبة الجمدارية، فوصل إلى الكرك فى رابع ربيع الأول، فقام لخدمته الأمير جمال الدين أفوش الأشرف نائب الكرك.

وفى يوم الإثنين سادسه: قبض على الأمير بدر الدين بيسرى الشمسى، وعلى الأمير شمس الدين الحاج بهادر الحلبي الحاجب، والأمير شمس الدين سنقر شاه الظاهري، وسبب ذلك أن منكوتمر فى مدة ضعف السلطان كان هو الذى يعلم عنه على التواقيع والكتب، وصار يخشى أن يموت السلطان ولم يكن له ولد ذكر، فيجعل بعده فى السلطنة بيسرى، وكان يكره منكوتمر. فحسن منكوتمر لمن خيل السلطان من ذلك وأن يعهد لأحد، فاقضى رأيه أن يجعل الأمير منكوتمر ولى عهده، ويقرن اسمه باسمه فى الخطبة والسكة، واستشار فى ذلك الأمير بيسرى فرده ردًا خشناً، وقال: «منكوتمر لا يجيء منه جندى، وقد أمرته وجعلته نائب السلطنة، ومشيئت الأمراء والجوش فى خدمته فامثلوه رضاء لك، مع ما تقدم من حلفك ألا تقدم مماليكك على الأمراء ولا تمكنهم منهم، فما قنعت بهذا حتى تريد أن تجعله سلطاناً، وهذا لا يوافقك أحد عليه» ونهاه أن يذكر هذا لغيره وخوفه العاقبة، وانصرف عنه، فلشدة محبة السلطان فى منكوتمر أعلمه بما كان من بيسرى، فأسرهما فى نفسه وعاداه وأخذ يدبر عليه وعلى الأمراء، ويغرى السلطان به وبهم.

واتفق بجىء الخبز بالحلف بين المغل، وخروج التجريدة إلى سيس، فلما تفرق الأمراء ولم يبق من يخافه منكوتمر توجه إلى الأمير بيسرى. واستمال أستاذاره بهاء الدين أرسلان بن بيليك حتى صار من خواصه، ورتبه فيما يقوله. ثم حسن منكوتمر للسلطان أن ينتدب بيسرى لكشف جسور الجزيرة، فتقدم له بذلك مع أنها غض منه، إذ محله أجل من ذلك، فلم يأب وخرج إلى الجزيرة بماليكه وأتباعه، وصار يحضر الخدمة السلطانية بالقلعة فى يومى الإثنين والخميس، ويجلس رأس الميمنة تحت الطواشى حسام الدين بلال المغيثنى لأجل تقدمه، ويعود إلى الجزيرة حتى أتقن عمل الجسور.

فلما تكامل إتقان الجسور استأذن بيسرى السلطان فى عمل ضيافة له، فإذن فى ذلك، فاهتم لها اهتماماً زائداً ليحضر إليه السلطان بالجزيرة. فأمكنت الفرصة منكوتمر ووجد سيلاً إلى بيسرى، فخدع أرسلان أستاذار بيسرى ورتبه فى كلام يقوله السلطان، ووعده بإمرة طبلخاناه. فانخدع أرسلان ودخل مع منكوتمر إلى السلطان، وقال له بأن «بيسرى رتب أنه يقبض عليك إذا حضرت لضيافته» فتخيل السلطان من قوله.

واتفق أن بيسرى بعث إلى منكوتمر يطلب منه الدهليز السلطاني، لينصبه السلطان فى مكان المهم، فبعثه إليه من غير أن يعلم السلطان. فلما مر الدهليز على الجمال من تحت القلعة ليتوجهوا به إلى الجزيرة رآه السلطان، فأنكر ذلك وبعث إلى منكوتمر يسأل منه.

فأنكر أن يكون له علم به، وقال: إنما بيسرى استدعى به من مقدم الفراشين، وأخذته مماليكه من الفرش خاناه بغير إذن، وشرع يحتج لصدق ما قاله أرسلان بهذا. فرد السلطان الدهليز إلى الفرش خاناه، وغلب على ظنه صدق ما نقل له عن بيسرى.

ولما وقع ذلك أطلع عليه بعض الأمراء الأكابر، فبعث أحدهم وهو الأمير سيف الدين طقجي الأشرفي يعلم بيسرى بما جرى، ويعدة بأنه معه هو جماعة من الأمراء، فلم يلتفت إلى قوله. فبعث أرغون أحد مماليك السلطان إلى بيسرى بالخبر على جليته، وحذره من الحضور إلى خدمة السلطان، وأنه إن حضر أن يكون على استعداد. فلما أراد الله حضر بيسرى يوم الإثنين المذكور إلى الخدمة على العادة، فقام له السلطان على عادته وأجلسه بجانبه. فلما قدم السماط لم يأكل بيسرى واعتذر بأنه صائم، فأمر السلطان برفع مجمع من الطعام برسم فطوره فرفع له، وأخذ يحادثه حتى رفع السماط. وخرج الأمراء وقام الأمير بيسرى معهم، فلما مشى عدة خطوات استدعاه السلطان إليه وحدته طويلا، وكان الحجاب والنقبا يستحثون الأمراء على الخروج. ثم قام بيسرى من عند السلطان ومشى خطوات، فاستدعاه السلطان ثانيا فعاد، وحدته أيضا حتى علم أن المجلس والدهاليز لم يبق بها أحد سوى ممالك السلطان فقط، فتركه. فقام بيسرى ومشى، فاعترضه سيف الدين طقجي وعلاء الدين أيدغدى شقير، وعدلا به إلى جهة أخرى، وقبض أيدغدى شقير على سيفه وأخذته من وسطه، فنظر إليه طقجي وبكى، وجبذاه إلى القاعة الصاحية فاعتقل بها. فارتجت القلعة، وطار الخبر إلى القاهرة فأغلقت باب زويلة وماج الناس، ثم فتح باب زويلة. ووقعت الحوطة على جميع موجوده، وقبض على جماعة من مماليكه ثم أفرج عنهم وأقام بيسرى في القاعة مكرما، وحملت إليه امرأته وهي والدة أحمد بن السلطان الملك المنصور. فما زال معتقلا حتى مات. ومن العجب أن كلا من السلطان وبيسرى أتى عليه في هذه من أخص أصحابه: فإن أرسلان ابن بدر الدين بيبيك أمير مجلس، وكان بدر الدين هذا مملوما للأمير بيسرى، ورباه بيسرى كالولد حتى كبر، وقدمه على أكابر مماليكه وعمله أستاذاره، وبالغ في الإحسان إليه حتى أنه أعطاه في يوم واحد سبعين فرسا، وكان هو السبب في سلب نعمته كما ذكر. وأرغون كان أخص ممالك السلطان وأقربهم إليه، فأفشى سره إلى بيسرى من حنقه لأن غيره من الممالك أخذ إمرة طبلخاناه وأعطى هو إمرة عشرة، فبقى في نفسه لذلك إحنة.

ولما قبض على بيسرى والأمراء نفرت القلوب، وأكدت الوحشة موت عشرة أمراء في خمسة أيام، فاتهم السلطان بأنه سمهم.

وفى يوم الجمعة عاشر ربيع الآخر: أقيمت الخطبة بالمدرسة المعظمية، بفسخ قاسيون خارج دمشق.

وفى سابع عشرة: أعيد الصاحب فخر الدين عمر بن الشيخ مجد الدين عبد العزيز الخليلي إلى الوزارة بديار مصر، فقتبع أزام الأمير سنقر الأعسر، وأحض أستاداره سيف الدين كيكلدى من دمشق وأحاط بموجوده.

وفى جمادى الأولى: قبض السلطان على جماعة من أمراء مصر. وصرف بهاء الدين [....] ^(١) الحلبي عن نظر الجيش، وأخذ خطه بألف ألف درهم، واستدعى عماد الدين [....] ^(٢) بن المنذر ناظر الجيش بحلب، واستكتب إلى أن حضر أمين الدين [....] ^(٣) بن الرقاعي. وسبب ذلك أن ابن الحلبي كان قد استشاره السلطان في تولية منكوتمر النيابة، فقال له: «إن دولة السعيد ما أخرجها إلا كونك، ودولة الأشرف أخرجها بيدرا، ودولة العادل تلفت بسبب مماليكه، ومنكوتمر شاب كبير النفس لا يرجع لأحد، ويخاف من تحكمه وقوع فساد كبير». فسكت عنه السلطان وأعلم منكوتمر بذلك، فأخذ منكوتمر يعاديه حتى أنه لما ولى النيابة ودخل عليه قال له: «يا قاضى! هذا بركة وعظك للسلطان» فأطرق. وأخذ منكوتمر يغرى السلطان به، ويذكر سعة أمواله بمصر والشام، وأنه كثير اللعب. وكان ابن الحلبي يحب بعض المماليك الخاصكية، فترصده منكوتمر حتى علم أنه عنده فأعلم بذلك السلطان، فأرسل إليه الطواشى المقدم فى عدة نقباء، فهجموا على بستانه بالقرب من الميدان وأخذوه والمملوك، فسلم إلى الأمير أقوش الرومى، وقبض على حواشيه وأحيط بموجوده مصرًا وشامًا.

وفيه قدم البريد بأن رجل من قرية جينين بالساحل ماتت امرأته، فلما دفنها وعاد إلى منزله تذكر أنه نسى فى القبر منديلا فيه مبلغ دراهم، فأخذ فقيه القرية ونبش القبر ليأخذ المال، والفقيه على شفير القبر، فإذا بالمرأة جالسة مكتوفة بشعرها ورجلاها أيضًا قد ربطا بشعرها، فحاول حلّ كتفها فلم يقدر، فأخذ يجهد نفسه فى ذلك، فحسف به وبالمرأة إلى حيث لم يعلم لهما خير؛ فغشى على فقيه القرية مدة يوم وليلة. فبعث السلطان بخير هذه الحادثة وما قد كتب به من الشام فيها إلى الشيخ تقى الدين محمد بن دقيق العيد، فوقف عليه وأراه الناس ليعتبروا بذلك.

(١) ما بين المعقوفتين سقط فى الأصل.

(٢) ما بين المعقوفتين سقط فى الأصل.

(٣) ما بين المعقوفتين سقط فى الأصل.

وفيه قدم البريد من حلب بوقوع الخلف بين طقطاي وطائفة نغية حتى قتل منهم كثير من المغل، وانكسر الملك طقطاي، وأن غازان قتل وزيره نيروز وعدة ممن يلوذ به. فاتفق الرأي على أخذ سيس ما دام الخلف بين المغل، وأن يخرج الأمير بدر الدين بكتاش أمير سلاح ومعه ثلاثة أمراء وعشرة آلاف فارس؛ وكتب لنائب الشام بتجريد الأمير بيبرس الجالقي وغيره من أمراء دمشق وصفد وطرابلس، وعرض الجيش في [...] (١) جمادى الأولى. فلما تجهزوا سار الأمير بدر الدين بكتاش الفخري إلى غزاة سيس، ومعه من الأمراء حسام الدين لاجين الرومي الأستاذار وشمس الدين أقسنقر كرتاي ومضافيهم، فدخلوا دمشق في خامس جمادى الآخرة، وخرج معهم منها الأمير بيبرس الجالقي العجمي والأمير سيف الدين كجكن والأمير بهاء الدين قرا أرسلان ومضافيهم في ثامن، وساروا بعسكر صفد وحمص وبلاد الساحل وطرابلس والملك المظفر تقي الدين محمود صاحب حماة. فلما بلغ مسيرهم متملك سيس بعث إلى السلطان يسأله العفو، فلم يجبه.

ووصلت هذه العساكر إلى حلب، وجهاز السلطان الأمير علم الدين سنجر الدواداري بمضافيه من القاهرة ليلحق بهم، فأدرك العساكر بحلب. وخرجوا منها بعسكر حلب إلى العمق، وهو عشرة آلاف فارس، فتوجه الأمير بدر الدين بكتاش في طائفة من عقبة بغراس إلى إسكندرونة، ونزلوا تل حمدون، وتوجه الملك المظفر (٢) صاحب حماة والأمير علم الدين سنجر الدواداري والأمير شمس الدين أقسنقر كرتاي في بقية الجيش إلى نهر جهان، ودخلوا جميعاً دربند سيس في يوم الخميس رابع رجب. وهناك اختلفوا، فأشار الأمير بكتاش بالحصار ومنازلة القلاع، وأشار سنجر الدواداري بالغارة فقط، وأراد أن يكون مقدم العسكر، ومنع الأمير بكتاش من الحصار ومنازلة القلاع فلم ينازعه. فوافقه بكتاش وقطعوا نهر جهان للغارة، ونزل صاحب حماة على مدينة سيس، وسار الأمير بكتاش إلى أذنة، واجتمعت العساكر جميعها عليها بعد أن قتلوا من ظفروا به من الأرمن وساقوا الأبقار والجواميس. ثم عادوا من أذنة إلى المصيصة بعد الغارة، وأقاموا عليها ثلاثة أيام حتى نصبوا جسراً مرت عليه العساكر إلى

(١) ما بين المعقوفتين سقط في الأصل.

(٢) محمود المظفر بن محمد المنصور بن محمود بن عمر بن شاهنشاه بن أيوب، صاحب حماة، تولاه بعد وفاة أبيه سنة ٦٨٣هـ وجاءه التقليد بها وبالمرعة وبارين من السلطان المنصور قلاوون في أوائل سنة ٦٨٤هـ واستمر إلى أن توفي. انظر النجوم الزاهرة ٥٨/٨ وأبو الفداء ٤١/٤ وابن الوردي ٢٣٢/٢ والبداية والنهاية ٥/١٤ وشنذرات الذهب ٤٤٢/٥ ومرآة الجنان ٢٢٩/٤ والأعلام ٢٢٩/٧.

بغراس، ونزلوا بمرج أنطاكية ثلاثة أيام، ثم رحلوا إلى جسر الحديد يريدون العود إلى مصر.

وكان الأمير بكتاش لما نازعه الدوادارى فى التقدمة على العساكر، ومنعه من الحصار، قد كتب إلى الأمير بلبان الطباخى نائب حلب بذلك ليطلع به السلطان، فكتب بالخبر إلى السلطان. فورد الجواب إلى الأمراء بالإنكار على الدوادارى فى تقدمه على الأمير بكتاش، وكونه اقتصر على الغارة، وأنه لم يخرج إلا على مضافيه، وأن التقدمة على سائر العساكر للأمير بكتاش وأن العساكر لا ترجع إلا بعد فتح تل حمدون، وإن عادت من غير فتحها فلا إقطاع لهم بالديار المصرية.

فعدت العساكر من الروج^(١) إلى حلب وأقاموا بها ثمانية أيام، وتوجهوا إلى سيس من عقبة بغراس. وسار كجكن وقرأ أرسلان إلى آياس وعادا شبه المنهزم، فإن الأرمن أكنوا فى البساتين، فأنكر عليهما الأمير بكتاش، فاعتزرا بضيق المسلك والتفاف الأشجار وعدم التمكن من العدو. ثم رحل بكتاش بجميع العساكر إلى تل حمدون، فوجدوها خالية وقد نزع من كان فيها من الأرمن إلى قلعة نجيمة^(٢) فتسلمها فى سابع رمضان وأقام بها من يحفظها، وسير الأمير بلبان الطباخى نائب حلب عسكرياً فملكوا قلعة مرعش فى رمضان أيضاً. وجاء الخبر إلى الأمير بكتاش وهو على تل حمدون بأن وادياً تحت قلعة نجيمة وحميص^(٣) قد امتلأ بالأرمن، وأن أهل قلعة نجيمة تحميمهم، فبعث طائفة من العسكر إليهم فلم ينالوا غرضاً، فسير طائفة ثانية فعدت بغير طائل. فسار الأمراء فى عدة وافرة وقاتلوا أهل نجيمة حتى ردوهم إلى القلعة، وزحفوا على الوادى وقتلوا وأسروا من فيه، ونازلوا قلعة نجيمة ليلة واحدة، وسار العسكر إلى الوطأة، وبقي الأمير بكتاش والملك المظفر فى مقابلة من بالقلعة خشية أن يخرج أهل نجيمة فينالوا من أطراف العسكر، حتى صار العسكر بالوطأة، ثم اجتمعوا بها.

فقدم البريد من السلطان بمنزلة قلعة نجيمة حتى تفتح فعدوا إلى حصارها، واختلف الأمير بكتاش والأمير سنجر الدوادارى على قتالها، فقال الدوادارى: متى نازلها الجيش بأسره لا يعلم من قاتل ممن عجز وتخاذل، والرأى أن يقاتل كل يوم أميراً بألفه. وأخذ يدلّ بشجاعته، ويصغر شأن القلعة، وقال: «أنا أخذها فى حجرى» فسلموا له واتفقوا على تقديمه لقتالها قبل كل أحد. فتقدم الدوادارى إليها بألفه حتى لاحف السور،

(١) قرية من قرى حلب فى غربها، وتقع بين حلب والمرة. انظر، معجم البلدان ٢/٣٢٨.

(٢) نجيمة: من قرى عثر من جهة اليمن. انظر، معجم البلدان ٥/٢٧٤.

(٣) تقع شرقى تل حمدانة.

فأصابه حجر المنجنيق فقطع مشط رجله، وسقط عن فرسه إلى الأرض، وكاد الأرمن يأخذونه، إلا أن الجماعة بادرت وحملته على جنوبه إلى وطاقه، ولزم الفراش، فعاد إلى حلب، وسار منها إلى القاهرة، وقتل في هذه النوبة الأمير علم الدين سنجر طقصبا الناصرى. وزحف في هذا اليوم الأمير كرتاى ونقب سور القلعة وخلص منه ثلاثة أحجار، واستشهد معه ثلاثة عشر رجلا. ثم زحف الأمير بككاش وصاحب حماة ببقية الجيش طائفة بعد طائفة، وكلُّ منهم يردف الآخر حتى وصلوا إلى السور وعليهم الجنويات، وأخذوا فى النقب وأقاموا الستائر، وتابعوا الحصار أحدا وأربعين يوماً.

وكان قد اجتمع بها من الفلاحين ونساء القرى وأولادهم خلق كثير، فلما قل للماء عندهم أخرجوا مرة مائتى رجل وثلاثمائة امرأة ومائة وخمسين صبيا، فقتل العسكر الرجال واقتسموا النساء والصبيا. ثم أخرجوا مرة أخرى مائة وخمسين رجلا ومائتى امرأة وخمسة وسبعين صبيا، ففعلوا بهم مثل ما فعلوا بمن تقدم. ثم أخرجوا مرة ثالثة طائفة أخرى، فأتوا على جميعهم بالقتل والسبى، حتى لم يتأخر بالقلعة إلا المقاتلة. وقلت المياه عندهم حتى اقتتلوا بالسيوف على الماء، فسألوا الأمان فأمنوا، وأخذت القلعة فى ذى القعدة، وسار من فيها إلى حيث أراد. وأخذ أيضاً أحد عشر حصنا من الأرمن، ومنها التقير^(١) وحجر شغلان وسرفندكار وزنجفرة وحميص، وسلم ذلك كله الأمير بككاش إلى الأمير سيف الدين أسندمر كرجى من إمراء دمشق، وعينه نائبا بها، فلم يزل أسندمر بها حتى قدم التتار، فباع ما فيها أنا أخذعمن الحواصل ونزح عنها، فأخذها الأرمن.

ولما تم هذا الفتح عادت العساكر إلى حلب وكان الشتاء شديدا، فأقاموا بها. وبعث السلطان إليهم الأمير سيف الدين بكتمر السلاح دار، والأمير عز الدين طقطاى، والأمير مبارز الدين أوليا بن قرمان، والأمير علاء الدين أيدغدى شقير الحسامى، فى ثلاثة آلاف فارس من عساكر مصر، فدخلوا دمشق يوم الثلاثاء سابع عشر ذى القعدة، وساروا منها إلى حلب فى عشريه، وأقاموا بها مع العسكر. وبعث متملك سيسى إلى السلطان يسأل العفو.

وفى هذه السنة: كان الروك^(٢) الحسامى، وذلك أن أرض مصر قد قسمت على أربعة وعشرين قيراطا، وأفرد منها للسلطان أربعة قراريط، وجعل للأمراء وبرسم

(١) موضع بين هجر والبصرة. انظر، معجم البلدان ٣٠١/٥.

(٢) مصدر الفعل الثلاثى راك، ومعناه مسح أرض الزراعة فى بلد من البلاد، لتقدير الخراج

المستحق عليه لبيت المال.

الإطلاقات والزيادات عشرة قراريط، وجعل لأجناد الحلقة عشرة قراريط، فأراد السلطان الملك المنصور تغيير ذلك، وأن يجعل للأمراء وأجناد الحلقة أحد عشر قيراطا، ويستجد عسكريا بتسعة قراريط. فندب لروك أراضى مصر الأمير بدر الدين بيليك الفارسى الحاجب، والأمير بهاء الدين قراقوش الظاهرى المعروف باليريدى، وانتصب لهذا العمل جماعة من الكتاب، وكان المشار إليه فيهم تاج الدين عبد الرحمن الطويل مستوفى الدولة، وهو من مسالمة^(١) القبط، ومن يشار إليه فى معرفة صناعة الكتابة، ويعتمد على قوله ويرجع إليه. فخرج الأمراء للروك، ومعهم الكتاب وولاية الأقاليم فى سادس عشر جمادى الأولى.

وتقدم الأمير منكوتمر نائب السلطنة إلى التاج الطويل بأن يفرد للأمراء والأجناد عشرة قراريط، وأن يجعل القيراط الحادى عشر برسم من يتضرر من قلة عيرة خبزه. وأفرد لخاص السلطان الأعمال الجيزية^(٢) والإطفيحية^(٣) والإسكندرية ودمياط^(٤) ومنفلوط^(٥) وكفورها، وهو^(٦) والكوم الأحمر من أعمال القوصية، وغير ذلك، وأفرد للنائب منكوتمر إقطاع عظيم من جملة مرج بنى هميم وكفور، وسمهود^(٧) وكفورها، وحرجة قوص، ومدينة أدفو^(٨) وما فى هذه النواحي من الدواليب، وكان متحصلها ينيف على مائة ألف أردب وعشرة آلاف أردب من الغلة، خارجا عن المال العين والقنود والأعسال، والتمر والأغنام والأحطاب. وكان فى خاصه سبعة وعشرون معصرة لقصب السكر، سوى ما له من المشتريات والمتاجر، وما له ببلاد الشام من الضياع والعقار، وما يرد إليه من التقدام.

(١) المسالمة: مفردة مسلمة وهو لفظ يطلق على كل من دخل فى الإسلام حديثا، من النصارى وغيرهم من أبناء الديانات الأخرى بالبلاد الإسلامية.

(٢) الجيزية أول أعمال الصعيد بالديار المصرية. انظر القلقشندى، صبح الأعشى ٣/٣٨٠.

(٣) بلد بالصعيد الأدنى من أرض مصر على شاطئ النيل فى شرقه. انظر، معجم البلدان ٢١٨/١.

(٤) مدينة قديمة بين تيس ومصر على زواية بين بحر الروم الملح والنيل. انظر، معجم البلدان ٤٧٢/٢.

(٥) بلدة بالصعيد فى غربى النيل بينها وبين شاطئ النيل بعد. انظر، معجم البلدان ٥/٢١٤.

(٦) اسم قرية بصعيد مصر الأعلى، بين أسوان وقوص. انظر، معجم البلدان ١/١٢٦.

(٧) بلدة بالصعيد الأعلى، من عمل قوص. انظر مبارك، الخطط التوفيقية ١٧/٢٥.

(٨) بلدة قرية من فرشوط بمركز نجح حمادى بمديرية قنا الحالية. انظر مبارك، الخطط التوفيقية

فلما انتهى الروك في ثامن رجب فرقت مثالات^(١) الأمراء.

وفي تاسعه: فرقت مثالات مقدمى الحلقة.

وفي عاشره: فرقت مثالات أجناد الحلقة. وأقطعت البلاد للأمراء والأجناد دريستا، لم يستثن منها سوى الجوالى والمواريث الحشرية فإنها من جملة الخاص السلطاني، وسوى الرزق الأحباسية، وما عدا ذلك فإنه داخل فى الإقطاع وحولت سنة ست وتسعين إلى سنة سبع وتسعين على العادة.

وتولى تفرقة المثالات على الأمراء والمقدمين السلطان، فبان له فى وجوههم التغيير لقلة العيرة، وهم بزيادتهم. فمنعه منكوتمر من فتح هذا الباب، وحذره أنه متى فتح باب الزيادة تعب، ولكن من تضرر من إقطاعه يحمله على منكوتمر، ففعل السلطان ذلك. وتولى تفرقة مثالات الأجناد منكوتمر، فجلس بشباك دار النيابة ووقف الحجاب بين يديه، وأعطى لكل مقدمة مثالا بها، فلم يجسر أحد أن يتكلم خوفا منه، فاستمر على ذلك أياما.

وكانت الإقطاعات قد تناقصت عما كانت عليه فى الدولة المنصورية قلاوون، فإن أقلها كان يتحصل منه عشرة آلاف درهم، وأكثرها ينيف على ثلاثين ألفا، فصار أكثرها يبلغ عشرين ألفا، فعمل فى هذا الروك أكثر الإقطاعات يتحصل منه عشرة آلاف، فشق ذلك على الأجناد، وتجمعت طائفة منهم ورموا مثالاتهم، وقالوا: «إنا لم نعتد بمثل هذا، فإما أن تعطونا ما يقوم بكفائتنا، وإلا فخذوا أخبازكم، وإما نخدم الأمراء، أو نقيم بطالين». فحقيق منهم منكوتمر وأمر الحجاب فضربوهم، وأخذ سيوفهم وسجنهم، وبالغ فى الفحش، وصار ينظر إلى الأمراء ويقول: «أبما قواد يجيء يشتكى من خبزه ويقول أعرف السلطان، فإنى أعرف إيش يقول السلطان، فإما أن يرضى بخدم وإلا فألى لعنة الله». فعرف الأمراء أنه يعينهم، فسكتوا على ضغن وبلغ السلطان ذلك عن منكوتمر فأنكر عليه، وأمره الزيادة فى الإقطاعات فلم يفعل، وأقام الأجناد فى السجن مدة أيام ثم أفرج عنهم. فكان هذا الروك أكبر الأسباب فى زوال الدولة.

وفىها أنعم بطلبخاناه الأمير سيف الدين بلبان الفاخرى نقيب الجيش بعد موته على الأمير سيف الدين بكتمر الحسامى أمير آخور، وكان السلطان قبل ذلك قد أعطاه إمرة عشرة. واستقر سيف الدين كرت أمير آخور فى نيابة طرابلس، بعد وفاة عز الدين أيك الموصلى.

(١) جمع مثال، وهو أول ما يكتب من الوثائق اللازمة لتقرير إقطاع لشخص حديد على

وفيها عدم الثلج بدمشق، وغارت العيون، وهلك أكثر الزرع وجفت أشجار البساتين.

وفيها بلغ سيف الدين جاغان شاد الدواوين بدمشق أن للأمير عز الدين [.....] (١) الجناحي نائب غزة وديعة عند رجل، فاستدعى به بعد موت الجناحي وطالبه فقال: «قد أخذ الوديعة قبل موته». فلما أراد عقوبته حضر إليه فخر الدين [....] (٢) الإعزازي أحد تجار دمشق، وقال: «إن هذه الوديعة أخذها الجناحي من هذا الرجل وجعلها تحت يدي» وأحضر صندوقاً، فوجد الأمير جاغان فيه اثنين وثلاثين ألف دينار ومائتي وأربعة وثلاثين ديناراً عيناً، وحوادث وطرزا قيمتها خمسون ألف دينار.

وفيها خرج الأمير سيف الدين حمدان بن صلغاي إلى بلاد الشام في صورة أنه يستحث العساكر على أخذ سيس، وقد لقنه الأمير منكوتر أموراً مكتومة، كان فيها زوال الدولة ومنها أنه يفرج عن الأمير كرجي من قلعة دمشق ويسفره إلى سيس، ويتفق هو وأيدغدي شقير المتوجه قبله صحبة بكمم السلاح دار مع جماعة من خشداشيته على ما يأتي ذكره.

وفيما أنعم على صمغار بن سنقر بإمرة، وأنعم على كل من [....] (٣) بن أيتمش السعدى وسيف الدين طقصبا الظاهري بإمرة.

وفيها قدم الأمير حسام الدين مهنا بن عيسى أمير العرب، فأكرمه السلطان وألبسه خلعة طرد وحش، وهو أول من ألبس ذلك لآل مهنا، وإنما كانت خلعهم مسمطاً (٤) أو كنجياً (٥). واستأذن مهنا السلطان في الحج فأذن له.

وفيها قوى أمر منكوتر، وتحكم تحكمة الملوك في جميع أمور المملكة، وقصد إخراج طفجى أيضاً من مصر، ففطن طفجى لذلك، فسأل الإذن في السفر إلى الحج فأذن له، وعمل أمير الركب.

وفيها بعث منكوتر إلى قاضى القضاة تقى الدين محمد بن دقيق العيد يعلمه أن تاجراً قد مات وترك أخاً ولم يخلف غيره ممن يرثه، وأراد أن يثبت استحقاقه الإرث بمجرد

(١) ما بين المعقوفتين سقط في الأصل.

(٢) ما بين المعقوفتين سقط في الأصل.

(٣) ما بين المعقوفتين سقط في الأصل.

(٤) هو القماش من الحرير الأصفر والأحمر، يكون مزينا بنقش بارز.

(٥) هو قماش منسوج من قطن وحرير.

هذا الإخبار عنه. فلم يوافق قاضى القضاة على ذلك، وترددت الرسل بينهما، فخرج منكوتمر من ذلك، وبعث إليه الأمير كرت الحاجب، فلما دخل كرت وقف بعدما سلم، فقام له القاضى نصف قومة ورد عليه السلام وأجلسه. وأخذ كرت يتلطف به فى إثبات أخوة التاجر بشهادة منكوتمر، فقال له قاضى القضاة: «وماذا ينبى على شهادة منكوتمر؟» قال له: «يا سيدى ما هو عندكم عدل؟» فقال: «سبحان الله» ثم أنشد:

يقولون هذا عندنا غير جائز ومن أنتم حتى يكون لكم عند

وكرر ذلك ثلاث مرات، ثم قال: «والله متى لم تقم عندى بينة شرعية ثبتت عندى، وإلا فلا حكمت له بشيء باسم الله». فقام كرت وهو يقول: «والله هذا هو الإسلام» وعاد إلى منكوتمر واعتذر إليه بأن «هذا الأمر لا بد فيه من اجتماعك بالقاضى إذا جاء إلى دار العدل».

فلما كان يوم الخدمة، ومر القاضى على دار النيابة بالقلعة ومنكوتمر جالس فى الشباك، تسارعت الحجاب واحدا بعد آخر إلى القاضى وهم يقولون: «يا سيدى الأمير ولدك يختار الاجتماع بك لخدمتك». فلم يلتفت إلى أحد منهم، فلما ألخوا عليه قال لهم: «قولوا له ما وجبت طاعتك على» و التفت إلى من معه من القضاة، وقال: «أشهدكم أنى عزلت نفسى باسم الله، قولوا له يول غيرى». وعاد إلى داره وأغلق باب، وبعث نقباءه إلى النواب فى الحكم وعقاد الأنكحة بمنعهم من الحكم وعقد الأنكحة.

فلما بلغ السلطان ذلك أنكر على منكوتمر، وبعث إلى القاضى يعتذر إليه ويستدعيه، فأبى واعتذر عن طلوعه، فبعث إليه الشيخ نجم الدين حسين بن محمد بن عبود والطواشى مرشدًا، فما زالوا به حتى صعدا به إلى القلعة. فقام إليه السلطان وتلقاه، وعزم عليه أن يجلس فى مرتبته، فبسط منديله وكان خرقة كتان خلقة فوق الحرير قبل أن يجلس، كراهة أن ينظر إليه، ولم يجلس عليه. وما برح السلطان يتلطف به حتى قبل الولاية ثم قال له: «يا سيدى هذا ولدك منكوتمر خاطرك معه، ادعوا له» وكان منكوتمر ممن حضر، فنظر إليه قاضى القضاة ساعة، وصار يفتح يده ويقبضها وهو يقول: «منكوتمر لا يجيء منه شيء» وكررها ثلاث مرات، وقام. فأخذ السلطان الخرقة التى وضعها على المرتبة تركا بها، وتفرقها الأمراء قطعة قطعة ليدخروها عندهم رجاء بركتها.

وأما حمدان بن صلغاي، فإنه قدم إلى دمشق وعرف الأمير جاغان ما ندب إليه من

مسك الأمير بكتمر السلاح دار والأمير فارس الدين ألبكى نائب صفد وعز الدين طقطاي والأمير بزلار والأمير عزاز، وكان الأمير قبجق نائب الشام قد خرج بالعساكر إلى مساعدة الأمراء على أخذ سيس، ثم سار حمدان إلى حمص، والتقى هناك بالأمير قبجق وهو عائد إلى دمشق، فتلقاه وأكرمه. ثم توجه إلى حلب، وأوقف النائب على ما جاء فيه من قبض الأمراء الذين عينهم منكوتمر، فبلغهم ذلك فاحتزوا على أنفسهم، ولحقوا بجمص يريدون الأمير قبجق والاتفاق معه.

وفيها أفرج عن ابن الحلبي، بعد أن بالغ أقوش الرومي في عقوبته، فاختفى.

وفيها استقر الأمير بكتمر الحسامي أمير آخور كبيراً، واستقر علاء الدين طبرس الخازنداري نقيب الجيش، عوضاً عن بلبان الفاخري.

وفيها رسم بعمل استيمار^(١) يجمع أرباب الرواتب والرزق، ليحضروا بتواقيعهم للعرض على منكوتمر، ويقطع من يختار منهم، فلما شرعوا في الكتابة اشتد قلق الناس، وبلغ السلطان ذلك فمنع منكوتمر منه.

* * *

ومات في هذه السنة ممن له ذكر

صدر الدين إبراهيم بن محيي الدين أحمد بن عقبة بن هبة الله بن عطاء البصراوي الدمشقي الفقيه الحنفي، ولد في سنة تسع وستمائة، وبرع في الفقه والنحو، وأفتى ودرس وولى قضاء حلب، وقدم بعد عزله إلى القاهرة وأقام بها، ثم ولى حلب ثانياً، فمات بدمشق في رمضان. ومات شهاب الدين أحمد بن عبد الرحمن بن عبد المنعم بن نعمة المقرئ الفقيه الحنبلي^(٢) عابر الرؤيا، كانت له عجائب في عبارة الرؤيا وصنف فيها، ومات آخر ذى القعدة.

ومات الأمير عز الدين أيك الموصلى أحد المماليك المنصورية، وقد تنقلت به الخدم حتى ولى نيابة طرابلس إلى أن مات في [.....]^(٣).

ومات الأمير سيف الدين بلبان الفاخري نقيب الجيش، في رابع عشر ربيع الآخر.

(١) أى: مجلس.

(٢) أحمد بن عبد الرحمن بن عبد المنعم، أبو العباس شهاب الدين، ابن نعمة النابلسي. الحنبلي: فقيه اشتهر بعلم تعبير الرؤيا، تعلم بنابلس ومصر ودمشق وتوفى بهذه. انظر شذرات ٤٣٧/٥ والأعلام ١٤٧/١.

(٣) ما بين المعقوفتين سقط في الأصل.

ومات الأمير علم الدين سنجر طقصبيا، استشهد فى محاصرة قلعة نجيمة فى
[.....] (١).

ومات الأمير علم الدين سنجر أحد الأمراء الناصرية بدمشق فى سابع عشرى
جمادى الأولى، وكان شجاعا مقداما، سمع الحديث وعرف بالخير وحدث.

وتوفى شيخ الشيوخ بجلب نجم الدين أبو محمد عبد اللطيف بن أبى الفتوح نصر بن
سعيد بن سعد بن محمد بن ناصر الميهنى، عن ثمان وثمانين سنة.

ومات الأمير سعد الدين كوجبا نائب دار العدل، فى يوم الإثنين حادى عشر
جمادى الأولى.

ومات موفق الدين محمد بن الحسين بن ثعلب الأدفوى (٢) خطيب أدفو، وله نظم
ونثر، وفيه كرم وعنده إغضاء وحلم، ومات فى [.....] (٣).

ومات جمال الدين محمد بن سالم بن نصر الله بن سالم بن واصل الحموى (٤) قاضى
حماة، وهو أحد الأئمة الأعلام، قدم القاهرة، ومات بحماة فى ثانى عشرى شوال، عن
ثلاث وتسعين سنة. ومات الشيخ شمس الدين أبو المعالى محمد بن بكر بن محمد الأيكى
الفارسى الشافعى، شيخ الخانكاه الصلاحية سعيد السعداء، مات بدمشق فى رابع
رمضان عن ست وستين سنة.

ومات الأمير شمس الدين سنقر التكريتى، أستاذار الملك السعيد.

ومات الأمير علم الدين طرطج الصالحى، وهو كاتب له مكارم، وفيه غقدام
وشجاعة، وله آثار حميدة.

ومات الأمير طقطاي الأشرفى أحد الأمراء والأكابري.

ومات الأمير شمس الدين سنقر التكريتى، عرف بالمساح، وكان مشهوراً بالشجاعة،

(١) ما بين المعقوفين سقط فى الأصل.

(٢) محمد بن الحسين بن ثعلب، موفق الدين الثعلبى الأدفوى: طبيب له نظم ونثر وخطب، مولده
ووفاته بأدفو. انظر الطالع السعيد ٢٨٦، والوفى بالوفيات ١٢/٣، وخطط مبارك ٥٠/٨، والأعلام
١٠٢/٦.

(٣) ما بين المعقوفين سقط فى الأصل.

(٤) محمد بن سالم بن نصر الله بن سالم بن واصل، أبو عبد الله المازنى التيمى الحموى، جمال
الدين: مؤرخ، من فقهاء الشافعية. مولده ووفاته فى حماة. انظر نكت الهميان ٢٥٠، وبغية الوعاة
٤٤، وابن الوردى ٢٤٤/٢، والوفى بالوفيات ٨٥/٣، ومفرج الكروب، والأعلام ١٣٣/٦.

يخرج كل سنة إلى عكا فتكون له وقائع مع أهلها، وكان يركب بجانب المنصور قلاوون في المواكب، وكان قلاوون يستشيريه في المهمات، وكان من دون أمراء مصر يركب بالزنارى^(١) على فرسه بمفرده، وفيه مكارم.

ومات الفقيه تقي الدين أبو العباس أحمد بن الفقيه علم الدين أبي عبد الله محمد بن رشيق، يوم الخميس رابع عشر جمادى الآخرة.

وتوفي الشيخ زين الدين أبو المحاسن يوسف بن محمد بن الحسن بن الحسن عدى بمصر، وله تربة جليلة بالقرافة.

* * *

(١) هو في مصطلح الفروسية في مصر نوع من الأجلال - المفرد جل - يكون مفتوحا فوق صدر الحصان ومسدولا على الكفل بحيث لا يرى الذيل.

سنة ثمان وتسعين وستمائة

فى أول المحرم: قدم الخيز بأن التتر على عزم الحركة إلى الشام، فخرجت العساكر، ثم خرج الأمير أقش الأفرم. وتوجه حمدان بن صلغاي وعلاء الدين أيدغدى شقير على البريد لإخراج الأمير قبجق نائب الشام بالعسكر إلى حلب، فوصلا إلى دمشق فى سابعه، فشرع قبجق فى الاهتمام للسفر، وخرج بعسكرها وبالبحرية فى يوم الأربعاء رابع عشره، وتأخر جاغان بدمشق. وعلم قبجق أن الأمر بخلاف ما أشيع من حركة التتار، وإنما القصد عمل مكيدة به وبغيره من الأمراء، فكان ذلك سببا لفراره إلى بلاد التتر.

وملخص ذلك أن الأمير منكوتمر نائب السلطنة نقلت عليه وطأة الأمراء بديار مصر والشام، فأراد إزاحتهم عنه وإقامة غيرهم من ممالك السلطان ليتمكن من مراده، فما زال بالسلطان حتى قبض على أمراء مصر، ثم أخذ فى التدبير على من ببلاد الشام من الأمراء، فبعث أيدغدى شقير، ثم أردفه بحمدان بن صلغاي وعلى يده ملطفات^(١) إلى بلبان الطباخى نائب حلب بالقبض على الأمير بكتمر السلاح دار وهو مجرد على حلب، وعلى الأمير فارس الدين الألبكى الساقى نائب صفد والأمير عز الدين طقطاى والأمير سيف الدين بزلار والأمير سيف الدين عزاز، ومن عجز عن القبض عليه سقاه، وأن يبحث الحسام الأستاذار بمفرده على البريد إلى مصر.

وقدم حمدان دمشق وأوقف الأمير جاغان شاد الدواوين على ما جاء فيه، وأمره ألا يمكن قبجق نائب دمشق من الدخول إليها إلا بمرسوم. وخرج حمدان يريد حلب، فصادف الأمير قبجق بالقرب من حمص واجتمع به، فتخيل قبجق من قدمه، وبعث إلى بكتمر السلاح دار وغيره من الأمراء يوصيهم بالاحتراز، وبعث نجابا إلى أصحابه بمصر يستعلم منهم الخيز. فلما قدم حمدان حلب وأوقف الأمير بلبان الطباخى على أمره توقف فيه، فأخذ حمدان وأيدغدى شقير يستحثانه على قبض الأمراء. فاتفق موت الأمير طقطاى، واتهم حمدان بسقيه. فبعث حمدان وأيدغدى إلى منكوتمر بتوقف نائب حلب فى مسك الأمراء، فغضب من ذلك وأراد عزل بلبان عن حلب وتولية أيدغدى شقير عوضه، فخوف من ذلك حتى كف منه. وكتب منكوتمر إلى الأمير بلبان الطباخى نائب

حلب يستحثه فى مسك الأمراء، وكتب إلى الأمير بكتمر نيابة طرابلس، وكان ذلك خديعة من منكوثر قصد بها أنه إذا حضر بكتمر بلبس التشريف يقبض عليه وعلى الأمراء، وقدم الأمير الحسام الأستادارى إلى مصر، فعزم منكوثر على مسكه، ثم انتظر ما يرد عن الأمراء بحلب.

وبلغ بلبان الطباخى أن أيدغدى شقير قد عين لنيابة حلب، وبلغ قبجق نائب الشام أن خروجه من دمشق إنما كان حيلة عليه، وأن جاغان يستقر فى نيابة دمشق عوضه، فكتما كل منهما ذلك، وأخذ الحسامية فى الإلحاح على نائب حلب فى قبض الأمراء عند حضورهم السماط يوم الموكب، فبعث سرّاً إلى الأمراء يعلمهم ذلك فاستعدوا لأنفسهم، وركبوا فى يوم الموكب على العادة إلا الأمير بكتمر السلاح دار فإنه تأخر واعتذر بعراض فلم يمكن الحسامية القبض على من حضر خوفاً من فوات الأمر فيمن تأخروا، واتفقوا على أن ذلك يكون فى موكب الآخر، فبعث الطباخى نائب حلب يعرفهم ذلك، فكتب بكتمر السلاح دار إلى قبجق نائب دمشق وقد بلغه خروجه إلى حمص يعرفه بما هم فيه، فلما كان الموكب الثانى ركب الأمراء ليقرأ عليهم كتاب السلطان باستقرار الأمير بكتمر فى نيابة طرابلس، وقد احتزوا على أنفسهم، وتأخر بكتمر أيضاً عن الركوب واعتذر بوجع فؤاده، فعزموا على مسك من حضر، ثم أخذ بكتمر من خيمته.

وكانت العادة أنهم يقفون تحت القلعة على خيولهم، فإذا قرئ الكتاب نزلوا وقبلوا الأرض، فبيت الحسامية أن الأمراء إذا نزلوا لتقبيل الأرض داسوهم وأخذوهم باليد. فعندما قرئ الكتاب ترجل نائب حلب على العادة، وتبعه بقية الأمراء وقد أوقفوا بماليتهم على خيولهم ليحموهم، ونزل كل منهم وعنان فرسه فى يده ومماليكه محيطة به، وقبل الأرض ووثب سريعاً على فرسه، ومضوا يداً واحدة.

فانخرم الأمر على الحسامية، وأخذوا يلومون نائب حلب فى كونه لم يقبض عليهم، وهو يهول الأمر عليهم، إلى أن اتفقوا على الإرسال إلى الأمراء ليجتمعوا بدار النيابة فى الليل، وأن يبدعوا بالإرسال إلى بكتمر أمير سلاح. فلما كان بعد عشاء الآخرة توجه الحاجب إلى أمير سلاح يعلمه بأن قصاداً قد قدموا من البلاد، فيحضر للمشهورة مع الأمراء، فلم يمكن الحاجب من الاجتماع به، واعتذر بوجع رجله، فمضى الحاجب إلى الأمير كرتاى وابن قرمان، وبلغهما الرسالة، فضحكا وقال كل منهما: «ما أبرد ذقن الأبعد، وذقن من أرسله متى سمعت مشورة تكون ثلث الليل؟ إلى غد نحضر مع الأمراء».

ثم إن الأمير سيف الدين بكتمر السلاح دار والأمير فارس الدين البكى والأمير سيف الدين عزاز اجتمعوا، وركبوا من ليلتهم يريدون حمص ولقاء الأمير قبجق، فخرج قبجق إلى لقائهم، واتفقوا على العبور إلى بلاد غازان، فأهلهم قبجق حتى يرد عليه جواب الأمراء من مصر، فنزلوا معه. وقدم جواب قبجق من كرجى وطغجى أنهم عن قريب يقضون الشغل، فليقم بموضعه حتى الخير، فلم يوافقهم الأمراء على الإقامة خوفاً من مجيء العساكر إليهم، وساروا ليلة الثلاثاء من ربيع الآخر وقصدوا سلمية.

وكان الأمير قبجق لما قدم عليه الأمراء من حلب قد بعث على البريد الأمير سيف الدين بلغاق بن كونجك الخوارزمي إلى السلطان يعلمه حضور الأمراء إليه، ويسأل الأمان لهم وتطبيب خواطريهم. ثم سار الأمير قبجق من حمص ليلة السبت خامس ربيع الأول، وبعث علاء الدين بن الجاكي إلى دمشق يستدعي من الأمير جاغان مالا وخيلًا من الخزانة للنفقة على الأمراء وتطبيب خواطريهم، فامتنع جاغان من ذلك، وكتب يلومه على إغفاله القبض عليهم، وكتب إليه أيضًا أيدغدى شقير وسيف الدين كجكن بالإنكار، وأنه إن لم يقبض عليهم ركبوا عليه وقبضوه، فزاده ذلك نفورًا. وتبين لعسكر دمشق مخالفة قبجق، فتسللوا عنه طائفة بعد طائفة، وعادوا من حمص إلى دمشق، فشكرهم جاغان على مفارقتهم إياه، فبقى قبجق في قلة من المال والرجال.

وأما أهل حلب، فإن الأمراء لما ساروا في الليل ركب من بكرة النهار أيدغدى شقير وحمدان بن صلغان والأمراء الحسامية إلى نائب حلب، وبتقوا إلى الأعمال بالقبض على الأمراء، وتوجه أيدغدى شقير في عسكر إلى جهة الفرات، وسار عسكر إلى جهة حماة، ونهت أنقال الأمراء. فورد الخير بوصولهم إلى قبجق نائب دمشق، وأنهم ساروا على طريق سلمية، فقام العزاء والنواح بحلب. وخرج العسكر في طلبهم نحو الفرات، وأوقع جاغان الحوطة بدمشق على بيت قبجق في خامس عشره، وتكامل مجيء العسكر الذي كان مع قبجق في سابع عشره.

وانتهى سيف الدين كجكن وأيدغدى شقير إلى الفرات، فوجدا الأمراء قد قطعوا الفرات إلى رأس عين^(١) فورد الخير إلى حلب بقتل السلطان ونائبه منكومر، فركب سيف الدين بلبان البريدي ولحق الأمير قبجق برأس عين وأعلمه بذلك، فظن أنها حيلة عليه ولم يرجع.

(١) مدينة كبيرة مشهورة من مدن الجزيرة بين حران ونصيبين وديس. انظر معجم البلدان

وأما السلطان فإن منكوتمر لم يزل يدبر بشؤم رأيه حتى قتل، وذلك أن الأمير طغجى قدم من الحجاز أول صفر، وقد قرر منكوتمر خروجه إلى نيابة طرابلس، فلما استراح من تعب السفر استدعاه السلطان، وتلطف به فى الخروج إلى طرابلس، فاعتذر بأنه لا يصلح للنيابة. وقام الأمير طغجى فأعلم كرجى وبيرس الجاشنكير بذلك، فاتفقوا على التحدث مع السلطان فى صرفه عن تسفيره، ودخلوا عليه وما زالوا به حتى أعفاه. فشق ذلك على منكوتمر، وأنكر على كرجى وتجهم له، وتكلم فيه وفى من تحدث معه فى إعفاء طغجى من السفر، وبالغ فى إهانتهم، فحرك ذلك من كرجى كوامن كانت فى نفسه من منكوتمر. وانقطع منكوتمر من الخدمة حنقاً من إعفاء طغجى، فداراه السلطان وبعث إليه قاضى القضاة حسام الدين الحسن بن أحمد بن الحسن الرومى ليحضره، فما زال به حتى حضر بشرىطة أن يخرج طغجى من مصر ويمسك كرجى أن يخرج أيضاً.

واتفق مع ذلك وصول قاصد الأمير قبجق نائب دمشق فى السر إلى طغجى وكرجى بما تقدم ذكره، فأوقفوا بييرس وسلار وغيره ممن يتقون به على ذلك، واتفقوا على الفتك بالسلطان. وشرعوا فى السعى بين الأمراء المماليك المنصورية والأشرفية يستميلونهم، وأخذ كرجى يستميل المماليك أرباب النوب فإنه كان مقدما عليهم، حتى أحكموا أمرهم. هذا ومنكوتمر مقيم على إخراج طغجى، وبعث يأمره أن يتجهز للسفر، وتمادى الحال إلى يوم الخميس عاشر ربيع الآخر.

ففى ذلك اليوم: أصبح السلطان صائماً، وأفطر ثم جلس يلعب بالشطرنج وعنده إمامه نجم الدين [...] (١) بن العسال وقاضى القضاة حسام الدين، فدخل الأمير كرجى على عادته وأعلمه بأنه قد بيت البرجية وغيرهم من المماليك فى أماكنهم وغلق عليهم الأبواب وكان قد رتب قبل دخوله جماعة فى أماكن بالدهاليز فشكره السلطان وأثنى عليه، وقال لقاضى القضاة: «لولا الأمير سيف الدين كرجى ما وصلت إلى السلطنة». فقبل كرجى الأرض وجلس على عادته، ثم قام ليصلح الشمعة فأصلحها، وألقى فوطة خدمة كانت بيده على نمجاء (٢) السلطان ليستزها عنه، وكان سلاح دار النوبة تلك الليلة الأمير سيف الدين نغاي الكرمونى السلاح دار قد وافق كرجى على ما هو فيه. ثم قال كرجى للسلطان: «ما يصلى مولانا السلطان العشاء؟» فقال: «نعم» وقام يريد الصلاة، فأخذ السلاح دار النمجاه من تحت الفوطة، وعند ذلك جرد كرجى سيفه

(١) ما بين المعقوفتين سقط فى الأصل.

(٢) خنجر مقوس شبه السيف القصير.

وضرب السلطان على كتفه. فالتفت السلطان يريد بالمنجاء فلم يجدها فقبض على كرجي وألقاه إلى الأرض، فضرب نوغاي رجل السلطان بالمنجاء فقطع رجله. وانقلب السلطان على ظهره، فأخذته السيوف من كل جانب حتى صار كوم لحم، وفر ابن العسال إلى خزانة، وصرخ القاضي حسام الدين: «لا يحمل هذا لكم» فهمَّ به كرجي ثم كفه الله عنه.

وخرج كرجي وأغلق الباب على المقتول والقاضي، فإذا بالأمير طغجي قد استعد وقعد في عدة من البرجية بداركاه^(١) القلعة ينتظر ما يكون من كرجي. فعندما رآه طغجي قال: «قضيت الشغل؟» قال: «نعم» وأعلمه الخبر. فوقع الصوت في القلعة بقتل السلطان، وطار من وقته إلى المدينة. فركب الأمير جمال الدين قتال السبع في عدة من الأمراء إلى خارج المدينة، ووقعت الصرخة تحت القلعة فركب أكثر العسكر.

وأما طغجي فإنه استدعى بقية الأمراء المقيمين بالقلعة، وبسط باب القلعة. فلم يشعر منكوتمر وهو بدار النيابة إلا بالصرخة قد قامت، وباب القلعة قد فتح، والأمراء قد اجتمعت، والشموع توقد، والضجيج يزداد. ففطن منكوتمر بقتل السلطان، وأغلق الأبواب، وألبس مماليكه فصار في أربعمئة ضارب سيف وأزيد، ولكن الله خذله فجاءه الحسام أستاذار وعرفه من تحت الشباك بقتل السلطان، وتلطف به حتى خرج إليه وسار معه إلى باب القلعة، فقبل يد طغجي. فقام إليه طغجي وأجلسه، ثم أمر به أن يمضي إلى الجب فأخذ وأرخی فيه، فقام إليه الأمير شمس الدين سنقر الأعسر والأمير عز الدين أيك الحموي نائب الشام وغيرهما ممن كان بالجب، ولما عاينوه أنكروا ذلك، فقال منكوتمر: «قد غضب على السلطان وحلف أن يجسنى» وقصد بذلك دفعهم عنه لئلا يقتلوه.

فلم يكن غير بعض ساعة إلا وقد أرخيت القفة من رأس الجب، وصاحوا على منكوتمر فقام وجلس بها، وفي ظن أهل الجب أن السلطان قد رضى عنه. فعندما صار برأس الجب وجد كرجي واقفاً في طائفة من المماليك، فضربه كرجي بلت من حديد صرعه، وذبحه عند الجب وانصرف، وذلك أنه لما حضر منكوتمر إلى طغجي لم يكن كرجي حاضراً، فلما بلغه مجيئه أقبل يريده فأعلم أنه في الجب، فصاح على الأمراء، فقال: «إيش عمل بي السلطان حتى قتلته؟ والله لقد أحسن إلى وكبرني وأنشأني، ولو علمت أني إذا قتلت منكوتمر يبقيني بعده والله ما قتلته. وما أحوجنى أقتله إلا ما كان يقع من منكوتمر» ومضى مسرعاً إلى الجب حتى قتله، ونهبت داره.

(١) لفظ فارسي معناه الساحة.

وكان منكومر عفيفاً عن الأموال، ضابطاً لناموس المملكة متيقظاً، وهو أول من نزل عن إقطاعات الجند التي كانت في ديوان النيابة، ومتحصلها في السنة مائة ألف أردب غلة، فتركها لله تعالى. وكان بعيداً عن اللهو مهيباً مصمماً، لم يسمع منه قط أنه شتم أحداً، ولا جرى على لسانه فحش، مع كثرة التحرى ورفع المظالم. إلا أنه كان صبي العقل عظيم الكبر محتقراً للأمرء، فمقتوه وعلّموا أنهم لا يصلون إلى إزاحته إلا بقتل السلطان، فاجتمعوا على قتله حتى كان ما كان.

وكان الذين اتفقوا على قتل السلطان من الأمرء سيف الدين كرجي، وسيف الدين نوغاي، وقرا طرنطاي، وحجك، وأرسلان، وأقوش، وبيليك الرسولي.

وكانت مدة سلطنة لاجين منذ فارق الملك العادل كتبغا الدهليز بمنزلة العوجاء، وحلف الأمرء في يوم الإثنين ثامن عشرى المحرم سنة ست وتسعين، وإلى أن قتل سنتين وشهرين وثلاثة عشر يوماً، ومنذ خلّع كتبغا نفسه بدمشق، واجتمعت الكلمة بمصر والشام على لاجين في يوم السبت رابع عشرى صفر منها، وإلى أن قتل، سنتين وشهرين غير ثلاثة عشر يوماً، وقتل السلطان لاجين وله من العمر نحو الخمسين سنة، وكان أشقر أزرق العين معرق الوجه، طوالاً مهيباً شجاعاً مقداماً، عاقلاً متديناً يحب العدل، ويميل إلى الخير ويحب أهله، جميل العشرة مع تقشف وقلة أذى. وأبطل عدة مكوس، وقال: «إن عشت لا تركت مكسا ألبتة». وكان يحب مجالسة الفقهاء والعامّة ويأكل طعامهم، وكان أكوّلاً. ولم يُعب بشيء سوى انقياده إلى مملوكه ونائبه الأمير منكومر، ورجوعه إلى رأيه وموافقته له واتباعه لكل ما يهواه من شدة حبه له، حتى أدى ذلك إلى قتلها، ثم إلى خراب البلاد بمجىء غازان، فإن قبجق ومن معه من الأمرء حملهم بغضهم في منكومر وخوفهم منه على اللحاق بغازان وتحريضه على المسير إلى الشام، حتى كان منه ما يأتي ذكره إن شاء الله.

وكان لاجين منذ قتل الملك الأشرف يستشعر أنه لا بد أن يقتل، حتى أنه في يوم الخميس الذي قتل في مسائه أحضر إليه بعد العصر بندق فارس ميداني من السلاح خائنه، فجعل يفتل فردة بعد فردة وهو يقول: «من قتل قُتل» ويكرّر هذا مراراً، فكان الفأل موكلًا بالمنطق، إذ قتل بعد أربع ساعات من كلامه.

ونظير هذا أن الملك الأشرف وقف في حلقة صيد، والنوبة يومئذ في حمل السلاح خلفه للاجين هذا فجاء لاجين إلى بدر الدين بكتوت العلامي وله أيضاً النوبة في حمل السلاح، وقد تقدم إلى مكانه من الحلقة وأعطاه سلاح السلطان، وأمره بالتوجه إلى

السلطان فإنه أمر بذلك. فأخذ بكتوت السلاح وتوجه به إلى الخدمة، ووقف لاجين حيث كان بكتوت واقفاً. فلما جاء بكتوت وجد الأشرف على فرسه، وقد جعل طرف عصاة مقرعته تحت جبهته، واتكأ برأسه عليها وهي ثابتة بحذاء سرجه، وكأنه في غيبة من شدة الفكر. ثم التفت الأشرف وقال: «يا بكتوت والله لقد التفت فرأيت لاجين خلفي وهو يحمل السلاح والسيف في يده، فتخيلت أنه يضربني به، فنظرت إليه وقلت يا شقير أعط السلاح لبكتوت يحمله، وقِفْ أنت مكانه». فقال بكتوت: «أعيذ مولانا السلطان بالله أن يخطر هذا بباله، ولاجين أقل من هذا وأضعف نفساً أن يقع هذا بباله، فضلاً عن أن يقدم عليه. وهو مملوك السلطان، ومملوك مولانا السلطان الشهيد وتربية بيته الشريف». فقال الأشرف: «والله ما عرفتك إلا ما خطر لي وتصورته». قال بكتوت: «فخشيت على لاجين كون السلطان تخيل هذا فيه وأردت نصحه، فقلت له في تلك الليلة: بالله تجنب السلطان ولا تكثر حمل السلاح ولا تنفرد معه» وأخبرته الخير، فضحك ضحكا كثيراً وتعجب. فقلت: «والله هذا يبكي منه» فقال: «ما ضحكى إلا من إحساسه. والله لما نظر إلى وقال يا شقير، كنت على عزم من تجريد سيفه وقتله به». قال بكتوت: «فعجب من ذلك غاية العجب» ومن العجب أيضاً أن الضرب الذي كان في الملك الأشرف عند قتله وجد مثله سواء في لاجين لما قتل.

وكان لاجين في سلطنته كثيراً ما يقف إذا أراد أن يصلى، ويكشف رأسه ويسأل أن يمد في عمره حتى يلقي غازان، ثم يقول: «لكن أنا خائف أن يدركني الأجل قبل لقائه» فكان كذلك.

وكان في شبابه منهمكا على الخمر، حتى صار وهو بدمشق يعاقر أعيان أهلها وينعم في مجالس اللهو عليهم، بحيث لما أفرط في اللهو قال الشجاعى للملك المنصور قلاوون^(١) إنه قد أبخس حرمة السلطان بمعاشرته عامة دمشق وانهماكه في الشرب. فبعث إليه قلاوون على لسان الأمير طرناى نائب السلطنة ينهاه ويهدده، وكتب إليه أيضاً بذلك. وكان لاجين كثير الحركة، بحيث يغيب في الصيد الشهر والشهرين ومعه أرباب الملاحى، فلما تسلطن أعرض عن اللهو، وسار أحسن سيرة من العدل

(١) المنصور قلاوون، هو أبو بكر محمد سيف الدين، الملك المنصور ابن الملك الناصر، من سلاطين الدولة القلاوونية بمصر والشام، وهو أول من ولى من أبناء الملك الناصر محمد بن قلاوون، وكان أبوه قد عهد إليه بالسلطنة. انظر بدائع الزهور ١/١٦٧، والبداية والنهاية ١/١٩٠، ١٩١، والنجوم الزاهرة ١٠/٣٠، والأعلام ٢/٦٨.

والإنصاف والعطاء والإنعام، وأحبه الأمراء والأجناد والعامّة، فأفسد ذلك مملوكه منكوتمر بسوء تدبيره.

واتفق أن لاجين لما اختفى هو وقرا سنقر بعد قتل الملك الأشرف، رأى قرا سنقر رؤيا فبعث إلى لاجين ليحضر إليه بسببها، وكان كل منهما يعرف موضع الآخر. فجاءه لاجين في صندوق حمل إلى دار قرا سنقر بحارة بهاء الدين من القاهرة حيث كان مخفياً، فتحدثا، ثم قال له قرا سنقر: «يا شقير رأيت رؤيا أنا خائف أن أقصّها فتطمع نفسك وتتغير نيتك وتغدر بى» فحلف له أنه لا يخونه. فقال قرا سنقر: «رأيت كأنك قد ركبت وبين يديك خيول معقودة الأذنان مضمورة المعارف مجللة بالرقاب الذهب على عادة ركوب الملوك، ثم نزلت وجلست على منبر وأنت لابس خلعة الخلافة، واستدعيتنى وأجلستنى على ثالث درجة من المنبر وتحدثت معى قليلا. ثم دفعتنى برجلك فسقطت من المنبر، وانتبهت عند سقوطى. وهذا يدل على قربى منك ورميك لى وأنا والله يا شقير نحس قد خلّفتك، وما أدرى هل تصدق أو لا؟» فضحك لاجين. وكان كذلك، فإنه استتاب قرا سنقر لما تسلطن قليلا، ثم كان من أمره ما تقدم ذكره من سجنه له. فكان قرا سنقر كل قليل يبعث إليه برسول وهو سجين، ويقول: «يا أخى اجعل فى نظير بشارتى بما آتاك الله أن تفرج عنى وتنفينى حيث أردت» فيبتسم لاجين، ويقول للرسول: «سلم عليه وقل له إن شاء الله بقى القليل».

واتفق أن لاجين رأى فى المنام كأنه بباب القلة من القلعة وقد جلس فى موضع النائب، والنائب قدامه وقف وشد وسطه، فلما قام من مكانه صعد درجا، وإذا برجل وهر كرجى وقد طعنه برمح فصار كوم رماد. فاستدعى لاجين^(١) علاء الدين [...]»^(٢) ابن الأنصارى عابر الرؤيا، وقص رؤياه عليه، فقال: «تدل هذه الرؤيا على أن السلطان يستشهد على يد كرجى». فقال لاجين: «الله المستعان» وأوصاه بكممان ذلك، وأعطاه خمسين دينارا وانصرف ابن الأنصارى فإذا قاصد الأمير منكوتمر ينتظره، فلما دخل عليه سأله عن رؤيا السلطان فكتمها عنه، وقال: «شىء يتعلق بالحریم». فقال منكوتمر: «قد رأيت أنا أيضا كأنى خرجت من الخدمة إلى دار النيابة،

(١) المنصور لاجين حسام الدين بن عبد الله المنصورى، من ملوك دولة المماليك البحرية بمصر والشام، وهو الحادى عشر من ملوك الترك، ويسمى الرك الحسامى، كان مملوكا للمنصور قلاوون وإليه نسبتة. انظر مورد اللطافة لابن تغرى بردى ٤٩، وابن إياس ١٣٦/١، والنجوم الزاهرة ٨٥/٨، والأعلام ٢٣٨/٥.

(٢) ما بين المعقوفين سقط فى الأصل.

فإذا بالدلهيز عمود رخام فوقه قاعدة، فحذبت سيفى وضربت رأس العمود فألقيته، ففار من العمود دم عظيم ملاً الدلهيز». فعمى ابن الأنصارى عليه، وقال: «قد انقطع الكلام برؤية الدم» خوفاً من شره، وانصرف متعجباً من اتفاق تأويل المنامين فلما كان بعد أحد عشر يوماً من رؤياهما، حضر إليه خدام بورقة فيها أن امرأة السلطان وهى ابنة الملك الظاهر رأت السلطان جالساً، وإذا بطائر كالعقاب انقض عليه واختطف فحذه الأيسر وطار إلى أعلى الدار، فإذا غراب قد أشرف على الدار وصاح كرجى ثلاث مرات. فقال ابن النصارى: «هذا منام لا يفسر حتى تمضى ثلاث جمع» وأراد بذلك الدفع عن نفسه، فقُتِلَ لاجين فى الجمعة الثانية من هذا المنام على يد كرجى.

وبعث الأمير علم الدين سنجر الدوادارى وراء ابن الأنصارى، واستحكاه عن تأويل رؤيا لاجين، فإنه كان حاضرًا عندما قصها عليه، ثم قام حتى لا يسمع تأويله. فأخبره ابن الأنصارى بما قاله له، وبمنامى منكوتر وامرأة لاجين. فقال له الأمير علم الدين: «لما قمت من عند السلطان لاجين استدعانى وأخبرنى بما قال لك، وقال عرفت من الذى طعننى بالرمح؟ قلت لا، فأشار إلى كرجى. ثم استدعانى بعد أيام وذكر لى أنه أعلم منكوتر بأن خاطره ينفر من كرجى، فقال له منكوتر بحق: والله لا تبرح تتهاون فى أمرك حتى يقتلوك ويقتلونى وتموت ممالكك فى الحبس، وما لهذا القواد إلا قتله يعنى كرجى وحلف أنه كلما رأى كرجى يود لو ضربه بسيفه، ونهض وهو مصمم على قتله. فحال الله بينهما وبين كرجى، حتى أمضى فيهما على يده ما قدره من قتلهما».

وذلك أن الاتفاق كان قد وقع بين السلطان وبين منكوتر على مسك كرجى وطفجى وشاورشى فى جماعة من الأمراء وقت الخدمة يوم الإثنين، فعرف منكوتر ثقافته بذلك. واشتد فكر السلطان واضطراب رأيه فيما قرره مع منكوتر، فتارة يعزم على إمضائه، وتارة يرجع عنه حتى يرد عليه خبر الأمراء المجردين وهل قبض عليهم أو لا. فلما أصبح استدعى الأمير سيف الدين سلار أمير مجلس، وبعثه إلى منكوتر بأمره ألا يفعل شيئاً مما قرره مع السلطان حتى يعرفه، فإنه خطر فى نفسه شىء أوجب تأخيره فلما ذكر سلار هذا لمنكوتر ظن أن السلطان أعلمه بالأمر على وجهه، وأخذ ينكر على السلطان تأخيره ما اتفقا عليه، وشرح له الحال كله ولم يكتمه شيئاً فسكن سلار من حنقه، وأعاد الجواب على السلطان بالسمع والطاعة، وكتب ما أطلعه منكوتر عليه، ومضى إلى كرجى وطفجى ومن معهم، وأعلمهم بالأمر كله، فشمروا للحرب، وكان ما كان.

واتفق أيضاً أن فى الليلة التى قتل فيها لاجين ظهر فى السماء نجم له ذنب، يخيل لمن رآه أنه قد وصل إلى الأرض. فلما رآه لاجين تعجب منه، وتمعر^(١) وجهه، وقال لقاضى القضاة حسام الدين، وهو معه: «ترى ما يدل عليه هذا النجم؟»، فقال: «ما يكون إلا خير». فسكت لاجين، ثم قال له: «يا قاضى حديث كل قاتل مقتول صحيح» وتغير تغيراً زائداً. فشرع الحسام يبسطه ويطيب خاطره، وهو يقول: ﴿إنا لله وإنا إليه راجعون﴾^(٢) وجلس وكررها، فقتل فى مجلسه ذلك.

واتفق أيضاً أنه أحضر إليه فى تلك الليلة بعض السلاح دارية سيفاً من الخزانة، فقلبه وأعجب به، فأخذ كرجى يشكر منه، فقال له لاجين: «كأنك تريد» قال: «نعم والله يا خوند» فقال لاجين: «هذا ما يصلح لك» والتفت إلى طغاي وناولته إياه وقال: «خذ هذا اقتل به عدوك» فكان أول ما ضرب به لاجين بعد ساعة فأطار يده.

واتفق أيضاً أن لاجين دفن فى تربة بجانب تربة العادل كتبغا^(٣) من القرافة، فكان أولاد كتبغا يأتون قبره ويضربونه بالعمال ويسبونونه، وأقاموا على هذا مدة يشفون أنفسهم بذلك.

وكان لاجين معظماً للشرع وأهله منفذاً لأوامره، ومن ذلك أنه طلب أموال الأيتام من الأمراء وكانت تحت أيديهم، ونقلها إلى مودع جديد لمال الأيتام استجده، وكتب توقيعاً بأن من مات وله ورثة صغار ينقل ميراثهم إلى مودع الحكم ويتحدث فيه قاضى القضاة الشافعى، فإن كان للميت وصى فيقيم القاضى الشافعى معه عدولاً من جهته ورد لاجين عدة أملاك كانت قد أخذت بغير حق إلى ملاكها، منها قرية ضمير من عمل دمشق، وكانت وقف الملك الزاهر على أولاده. ورد على عز الدين بن القلانسى ما أخذ منه فى الأيام المنصورية قلاوون من المال بغير طريق شرعى. ووضع عن أهل بلقس الأشراف ما كان عليهم من المظالم، وهو يبلغ ثلاثين ألف درهم فى كل سنة،

(١) غضب فلان فتمعر لونه ووجهه: تغيرٌ وعلته صفرة. وفى الحديث: «تمعر وجهه» أى تغير، وأصله قلة النضارة وعدم إشراق اللون، من قولهم: مكان أضر، وهو الجذب الذى لا خصب فيه. ومعر وجهه: تغير. والمعور: المقطب غضباً لله تعالى، وأورد ابن الأثير فى هذه الترجمة قول عمر، رضى الله عنه: «المعرة الأذى» والميم زائدة. انظر: ابن منظور، لسان العرب (معر).

(٢) سورة البقرة آية ١٥٦.

(٣) العادل كتبغا بن عبد الله المنصورى زين الدين الملقب بالملك العادل، من ملوك المماليك البحرية فى مصر والشام. أصله من سيس التتار من عسكر هولوكو. انظر ابن إياس ١٣٣/٨، والنجوم الزاهرة ٥٥/٨، وفوات الوفيات ١٣٨/٢، والأعلام ٢١٩/٥.

وعوض مقطعيه بدل ذلك. ورد وقف قراقوش على الفقراء، وكان قد أقطع منذ سنين، فتسلمه القاضى الشافعى وبلغه فى السنة عشرة آلاف درهم، وعوض مقطعيه عنه ورد الدار القطبية إلى من وقفت عليه من جهة الملك الكامل، وكانت بيد أحد مقدمى الحلقة وورثته من نحو ستين سنة. وكانت عدة من الإقطاعات بيد الأمراء فردها إلى أربابها، وكانت العساكر من ذلك فى مضرة، لأنهم لا يحصل لهم من دواوين الأمراء كبير شىء، ويبقى الإقطاع فى حِمى الأمير يأوى إليه كل مفسد وقاطع طريق.

وكان لاجين شجاعا مقدّما على أقرانه فى الفروسية وأعمالها، كثير الوفاء لمعارفه وخدامه، ومنع من لبس الكلفته الزركش والطرزكش وملابس الذهب، وشدّد فى المنع من المحرمات كلها، وحد فى الخمر بعض أولاد الأمراء، وكان يصوم رجب وشعبان، ويقوم الليل، ويكثر من الصدقات، مع لين الجانب وخفض الجناح.

* * *

تدبير الأمراء بعد قتل الملك المنصور لاجين الأمراء

ولما قتل الملك المنصور لاجين ونائبه الأمير منكوتر اتفق من كان بالقلعة من الأمراء وهم عز الدين أيك الخازندار المنصورى، وركن الدين بيبرس الجاشنكير^(١) وسيف الدين سلار الأستاذار، وحسام الدين لاجين الرومى الأستاذار الواصل من حلب، وجمال الدين أقبش الأفرم، وبدر الدين عبد الله السلاح دار، والأمير كرت الحاجب مع الأمير طغجى وكرجى على مكاتبة الملك الناصر محمد بن قلاوون^(٢) وإحضاره من الكرك^(٣) وإقامته فى السلطنة، وأن يكون طغجى نائب السلطنة، وألا يقع أمر من الأمور إلا بموافقة الأمراء عليه وتحالفوا على ذلك فى ليلة الجمعة. فلما طلع النهار فتح باب القلعة، وركب الأمير جمال الدين أقوش قتال السبع وبقية الأمراء إلى القلعة، وكتبوا إلى الأمير قبجق نائب الشام والأمير بلبان الطباخى نائب حلب بما وقع، وطلبوا

(١) بيبرس الجاشنكير المنصورى ركن الدين الملك المظفر: من سلاطين المماليك. عصر والشام، شركسى الأصل على الأرجح. كان من مماليك المنصور قلاوون ونسبته إليه، وتأمّر فى أتباعه وصار من كبار الأمراء فى دولة الأشرف خليل بن قلاوون، ولما تسلطن الناصر محمد بن قلاوون بعد مقتل الأشرف صار بيبرس أستاذارا، وتقلبت به الأحوال. انظر النجوم الزاهرة ٣٣٢/٨، والأعلام ٨٠/٢.

(٢) الملك الناصر محمد بن قلاوون بن عبد الله الصالحى أبو الفتح، من ملوك الدولة القلاوونية، له آثار عمرانية ضخمة وتاريخ حافل بجملة الأعمال. انظر مورد اللطافة لابن تغرى بردى، وابن الوردى ٣٣٠/٢، وفوات الوفيات ٢٦٣/٢، وابن إياس ١٢٩/١، والدرر الكامنة ١٤٤/٤، ووليم موير ٦٥، والنجوم الزاهرة ١١٥/٨، وديوان صفى الدين الحلى ٢٤٢، ٦٢، ٥٥، والأعلام ١١/٧.

(٣) قلعة حصينة جدا فى طرف الشام من نواحي اللقاء فى جبالها بين أيلة وبحر القلزم وبيت المقدس. انظر معجم البلدان ٤٥٣/٤.

منهما القبض على أيدغددي شقير وجاغان وحمدان بن صلغاي والأمراء الحسامية. وسار البريد بذلك على يد الأمير بلغاق من أمراء دمشق، وكان قد حضر بكتاب الأمير قبجق في يوم السبت ثاني عشره بعد قتل لاجين، فأخذ طغجي منه الكتاب.

وجلس طغجي مكان النيابة وبقية الأمراء يمنا ويسرة، ومد السماط السلطاني على العادة. ودار الكلام في الإرسال إلى الملك الناصر، فقام كرجي وقال: «يا أمراء أنا الذي قتلت السلطان لاجين وأخذت نار أستاذي، والملك الناصر صغير ما يصلح، ولا يكون السلطان إلا هذا وأشار لطغجي وأنا أكون نائبه، ومن خالف فدونه» فسكت الأمراء كلهم إلا كرت الحاجب فإنه قال: «يا خوندي الذي فعلته أنت قد علمه الأمراء، ومهما رسمت ما ثم من يخالف» وانفضوا، وتأخر الإرسال إلى الملك الناصر.

فبعث طغجي إلى التاج عبد الرحمن الطويل مستوفى الدولة وسأله عن إقطاع النيابة فذكره له، فقال طغجي: «هذا كثير، أنا لا أعطيه لنائب» ورسم أن توفر منه جملة تستقر للخاص. فلما خرج التاج عبد الرحمن الطويل من عنده استدعاه كرجي وسأله عن إقطاع النيابة، فلما ذكره له استقله وقال: «هذا ما يكفيني ولا أرضى به» وعين بلادا يطلبها زيادة على إقطاع منكوتمر، فأخذ التاج يتعجب منهما في استعجالهما بذلك قبل انعقاد الأمر لهما.

وفي ليلة الأحد: وقع الطائر بنزول الأمير بدر الدين بكتاش الفخري أمير سلاح بيليس بالعسكر الجرد إلى سيس^(١) فسر الأمراء بذلك، وكتبوا إليه وإلى من معه بجميع ما وقع واتفاق طغجي وكرجي مفصلاً. وصار أهل الدولة قسمين: الأمراء ورأيهم معدوق بما يشير به الأمير بكتاش إذا حضر، وأما طغجي وكرجي وشاورشي والماليك الأشرفية فإنهم يد واحدة على سلطنة طغجي ونياية كرجي، وأنهم لا ينزلون إلى لقاء الأمير بكتاش، بل يقيمون مع طغجي بالقلعة حتى يحضر بكتاش. بمن معه وكان رأى الأمراء النزول إلى لقاءهم.

فلما كان يوم الأحد ثالث عشره: نزل الأمير بكتاش بركة الحاج، وشرع الأمراء بالقلعة في التجهيز إلى لقاءه. فامتنع كرجي من أن ينزل إليه أحد، بل أشار أن ينزل كل أحد إلى بيته، ويطلع الجميع من الغد القلعة، فيلبس طغجي خلعة السلطنة، وانفضوا على ذلك. فعلم الأمراء أنهم ما لم ينزلوا إلى لقاء الأمير بكتاش فاتهم ما دبروه، فلما اجتمعوا بعد العصر أخذوا مع طغجي وكرجي في تحسين النزول للقاء،

(١) أعظم مدن الثغور الشامية بين أنطاكية وطرسوس على عين زرية. انظر معجم البلدان

فإن الأمير بكتاش قديم هجرة وأتابك العساكر، وقد أثر في سبيل الله آثاراً جميلة وملك إحدى عشرة قلعة، وله غائب بالعسكر نحو سنة ونصف، فإن لم يتلقَّهم الأمراء صعب عليهم، ولو كان السلطان حياً لخرج إلى لقائهم. هذا وطفجى وكرجى يقولان: «لا نزول، وأما أنتم فانزلوا إن اخترتم؟» فلما طال تحاورهم استحيا طفجى من الأمراء وقال لكرجى: «الصواب فيما قاله الأمراء، والرأى أن أركب معهم ومعى مماليك السلطان ونلقى الأمير بكتاش، وتقيم أنت بالقلعة فى طائفة من المماليك، فاتفقوا على ذلك. وعرض طفجى المماليك ومعه كرجى، وعيَّننا أربعمائة تركيب مع طفجى، وأخرجت لهم الخيول من الاسطبل، وأن يقيم مع كرجى بقيتهم بالقلعة، وباتوا على ذلك.

وأما دمشق فإن بلغاق قدم إليها يوم السبت تاسع عشره، وقد بلغه تسحب الأمير قبجق بمن معه إلى جهة الفرات فأخفى أمره وتوجه إلى حلب وأوقف الأمير بلبان الطباخى على الخير، فقبض الأمير بلبان من وقته على حمدان صلغاي وسجنه بالقلعة، وبعث البريد فى طلب قبجق ومن معه، وكتب يعرفه بقتل لاجين ومنكوتمر. فصدف اليريدى أيدغدى شقىر وكجكن وبالوج فى الطائفة الحسامية، وقد خرجوا فى طلب قبجق ومن معه، فأنكروا أمره وفتشوه، فإذا فى الكتب التى معه شرح ما وقع بمصر، فخاف أيدغدى شقىر من نائب حلب لسوء ما عامله به، ودفع الكتب إلى اليريدى وخلاه لسييله، فمضى إلى قبجق، وتخير أيدغدى فى أمره، ثم قوى عليه كجكن حتى سار به إلى حلب، فلم يتعرض إليه الأمير بلبان النائب بل عزاه وتوجع له.

وقام بدمشق الأمير بهاء الدين قرا أرسلان المنصورى، وقبض على الأمير سيف الدين جاغان الحسامى الشاد، وعلى الأمير حسام الدين لاجين الحسامى والى البر، وقدم الأمير كجكن من حلب فقبض عليه أيضاً، وسلمهم جميعاً لأرجواش نائب القلعة. وتحدث الأمير بهاء الدين قرا أرسلان المنصورى حديث نواب السلطنة، وصار يركب بالعصائب والجاويش، ويجلس بدار السعادة وترفع له القصص على هيئة النواب، وأوقع الحوطة على أبواب الأمراء المقتولين وحواصلهم، وحلف العسكر للملك الناصر. فلم تطل مدته، ومات فى ثانى جمادى الأولى بقولنج^(١) وصارت دمشق بغير نائب ولا مشد ولا محتسب.

وكان خير قيام قرا أرسلان قد ورد إلى الأمراء بمصر، فخرج اليريد فى سادس

(١) القولنج: مرض معوى مؤلم يكون فى المعى الغليظة ويعسر معه خروج النفل والريح. انظر محيط الخيط.

عشرى ربيع الآخر باستقرار سيف الدين قطوبك المنصوري فى الشد عوضًا عن جاغان، فعاشر ذلك يوم الأحد خامس جمادى الأولى، عند قدوم البريد إلى دمشق.

وأما قبجق نائب دمشق، فإنه توجه ومعه الأمير بكتمر السلاح دار وفارس الدين ألبكى وسيف الدين عزاز وسيف الدين بزلاز يريدون غازان، فمات بزلاز قريبًا من سنجار. وتسامع بهم المغل، فركب جنكلى بن البابا أمير ديار بكر من قبل غازان وبالغ فى إكرامهم، وتلقاهم صاحب ماردين وقام بأمرهم. فلحقه بريد نائب حلب بها، وأوقفه على الكتب المتضمنة لقتل لاجين ومنكوتر، فبكى قبجق والأمراء نادما على سرعة مفارقتهم بلاد الشام، ولم يعجبهم العود، فكتبوا الجواب بالاعتذار.

وكان غازان قد بلغه مجيئهم إليه، فبعث أميرًا يتلقاهم، وسار بهم إلى الأردوا فركب غازان فى موكبه وتلقاهم وأكرمهم، وضرب لهم الخراكوات وأمر لهم بما يصلح لهم. ثم استدعاهم وباسطهم، فلما انصرفوا حمل إلى قبجق عشرة آلاف دينار ولبكتمر مثلها، ولعزاز والألبكى ستة آلاف دينار لكل منهما. وأنعم غازان عليهم وعلى من معهم بالخيل وغيرها، وتقدم إلى أمراءه بأن يعمل كل منهم لهم ضيافة، فأقامت الأفراح فى الأردوا بسبب ضيافتهم عدة أيام، وصار قبجق قى غاية المسرة، فإنه أتاه طائفة من أهله وأقاربه، وأما بكتمر فإنه لم تطب نفسه بالإقامة.

ومن غريب الاتفاق أن السلطان الملك المنصور قلاوون جرى مرة عنده أمر تجريد عسكر إلى حلب، فذكر له قبجق هذا أن بُجَرَّد، فقال: «أعوذ بالله أن أجرد قبجق إلى نحو الشام، فإننى ما آمنه أن يدخل البلاد، ويظهر لى من وجهه الميل إلى المغل». ثم التفت قلاوون إلى سنقر المساح، وقال: «إن عشت يا أمير، وخرج قبجق إلى الشام، فستذكر قولى لك، فكان كذلك».

ويقال إنه كان مدة نيابته لدمشق يكتب غازان، وعندما عزم على اللحاق به استدعى منه طمغا البريد التى يركب بها الأمراء عندهم، فبعثها غازان إليه، وصارت عنده حتى ركب من ماردين فحملها إليه، وكان هو أكبر أسباب قدوم غازان إلى دمشق، كما يأتى ذكره إن شاء الله.

* * *

سلطنة الملك الناصر محمد بن قلاوون ثانيًا

وكان من خير ذلك أن الأمير سيف الدين الحاج آل ملك الجوكندار والأمير علم الدين سنجر الجاولى قدما إلى الكرك، فوجد الملك الناصر يتصيد بالغور، فوجَّها إليه. ودخل الأمير جمال الدين أقوش الأفرم نائب الكرك إلى أم السلطان ليشرها، فخافت

أن تكون مكيدة من لاجين، وتوقفت فى المسير وابنها إلى مصر، فما زال بها حتى أجات. ووصل الأميران إلى الملك الناصر فقبلا الأرض بين يديه وأعلماه الخير، فأتى إلى المدينة وأخذ فى تجهيز أحواله، والبريد يتواتر من مصر باستحثاته على القدوم إليها، إلى أن هياً له نائب الكرك ما يليق به، وسار به إلى القاهرة فخرج الأمراء والعساكر إلى لقائه، وكادت القاهرة ومصر ألا يتأخر بها أحد من الناس فرحاً بقدومه، وخرجوا إليه عامة فى يوم السبت رابع جمادى الأولى.

وجلس السلطان الملك الناصر على سرير الملك فى يوم الإثنين سادسه، وجددت له البيعة، وكتب شرف الدين محمد بن فتح الدين القيسرانى عهده عن الخليفة الحاكم بأمر الله أبى العباس أحمد.

وفيه استقر الأمير سيف الدين سلار فى نيابة السلطنة بديار مصر، والأمير ركن الدين بيبرس الجاشنكير أستاذار، والأمير جمال الدين أقوش الأفرم الداودارى المنصورى نائب دمشق عوضاً عن الأمير قبجق المنصورى، والأمير سيف الدين كرت الحاجب فى نيابة طرابلس، واستقر عوضه حاجباً سيف الدين قطلوبك وأفرج عن الأمير قرا سنقر، والأمير عز الدين أيك الحموى، والوزير شمس الدين سنقر الأعسر، واستقر قرا سنقر فى نيابة قلعة الصبيبة، وخلع على سائر أهل الدولة، وكتب إلى الأعمال بذلك، ودقت البشائر وزينت الممالك على العادة.

وفى ثامنه: ركب السلطان بخلعة الخلافة والتقليد بين يديه، وعمره أربع عشرة سنة، وأقر الوزير فخر الدين عمر بن الخليلى فى الوزارة. وسار الأمير أقش الأفرم على البريد إلى دمشق، فقدمها فى ثانى عشره، ولبس من الغد التشريف، وقبل عتبة باب القلعة على العادة، ومد السماط بدار السعادة، وأخرج الأمير سيف الدين قطلوبك إلى مصر.

وفى تاسع عشره: أفرج الأمير أقش الفرم عن جاغان الحسامى وبعثه على البريد إلى مصر، فرده السلطان من طريقه، وجعله أحد أمراء دمشق. وقدم البريد من حلب بدخول قبجق ومن معه إلى بلاد المغل. ووقع بالقاهرة مطر، وسال المقطم إلى القرافة فأفسد عدة ترب، ووصل الماء إلى باب النصر من القاهرة، وأفسد السيل هناك عدة ترب أيضاً.

وصار الأمراء يجتمعون بقلعة الجبل فى يوم الموكب عند السلطان، ويقررون الأمور مع بيبرس وسلار فتصدر الأحوال عنهما، وشرعا فى تقديم حواشيئهما وألزماهما.

واستقر الأمير سيف الدين بكتمر أمير جاندار، وأنعم على أمير موسى بن الصالح على ابن قلاوون بإمرة، وعلى كل من عز الدين أيدير الخطيرى وبدر الدين بكتوت الفتاح وعلم الدين سنجر الجاولى وسيف الدين تمر وعز الدين أيدير النقيب بإمرة. وأنعم على ناصر الدين محمد بن الشيخى والى القاهرة بإمرة، واستقر والياً بالجيزة وأعمالها مع ولاية القاهرة، وأنعم على كل من لاجين أخى سلار وأقطاي الجمدار وبكتوت القرمانى بإمرة وقبض على الأمير [....] (١) العمرى والأقوش وقراقوش الظاهرى ومحمد شاه الأعرج وعد على قراقوش ومحمد شاه من الذنوب قتلها طغى وكرجى.

وفى يوم الخميس خامس عشر جمادى الآخرة: ألبس الأمير أقش الأفرم نائب دمشق الأمراء والأعيان الخلع، وفيه قدم طلبه وأثقاله من مصر، فتلقاها والأمراء فى خدمته وعليه التشاريف، ودخل دخولا حسنا.

وفيه كتب عن السلطان تقليد الملك المظفر تقى الدين محمود بناية حماة.

وفى شهر رجب: توجه الأمير كرت الحاجب إلى نيابة طرابلس.

وفى ثانى عشره: قبض بدمشق على الأمير سيف الدين كجكن واعتقل بالقلعة وورد البريد من حلب بمحاربة نغاي وطقطاي، وأنه قتل بينهما من الغل خلق كثير، وأن غازان بن أرغون بن أبغا بن هولانكو بن طولو بن جنكزخان قتل وزيره نوروز، وأنه تأهب لعبور الشام وبعث فى جمع الغل، وأنه بعث سلامش بن أفال بن بيجو التترى إلى بلاد الروم، على عسكر يبلغ نحو الخمسة وعشرين ألف فارس. فاهتم الأمراء بتجريد العسكر، واتفقوا على تجهيز الأمير سيف الدين بلبان الحبيشى، والأمير جمال الدين عبد الله السلاح دار، والأمير مبارز الدين سوار الرومى أمير شكار، ومقدمهم الأمير جمال الدين أقش قتال السبع، وصحبته من أمراء الطبلخاناه عشرون أميراً. وكتب إلى دمشق بتجريد أربعة أمراء مقدمين، فساروا وقدموها فى سابع رجب.

وقدم البريد من دمشق بورود نحو ثلاثين بطسة فى البحر إلى ساحل بيروت، فى كل بطسة (٢) منها نحو سبعمائة، وقصدوا أن يطلعوا من مراكبهم إلى البر، وتحصل إغارتهم على الساحل. فاجتمع الناس لقتالهم، فبعث الله رجلاً كسرت المراكب وألقته بالشاطئ، فأخذ أهل بيروت منها ما بقى من الغرق، وأسروا ثمانين إفرنجياً، وذلك أحرىات شعبان.

(١) ما بين المعرفتين سقط فى الأصل.

(٢) بطسة: والمقصود هنا اتساع البطسة لهذا العدد الكبير من الجند مما يساعد على تصور حجم

ذلك النوع من السفن الحربية.

وقويت شوكة البرجية بديار مصر، وصارت لهم الحماية^(١) الكبيرة، وتردد الناس إليهم فى الأشغال. وقام بأمرهم الأمير بيبرس الجاشنكير وأمر منهم عدة، وصار فى قبالته الأمير سيف الدين الدين سلار ومعه الصالحية والمنصورية، إلا أن البرجية أكثر وأقوى، وشروها جميعاً إلى أخذ الإقطاعات، ووقع الحسد بين الطائفتين، وصار بيبرس إذا أمر أحداً من البرجية وقفت أصحاب سلار وطلبت منه أن يؤمر منهم واحداً. وأخذ الأمير سيف الدين برلقى يشارك بيبرس وسلار فى الأمر والنهى، وقويت شوكته والتف عليه المماليك الأشرفية.

وفى يوم الخميس ثانى عشر شعبان: وصل سلامش بن أقال نائب الروم إلى دمشق، مع الأمير عز الدين [.....]^(٢) الزردكاش نائب بهسنا، فى عشرين من أصحابه. فتلقاها عسكر دمشق وأهلها مع النائب وقد اهتم للقاءه وبالغ فى التجمل الزائد، فكان يوماً بهجاً. وأنزله على الميدان وقام بما يليق به، وأحضر فى ليلة النصف ليرى الوعيد بجامع بنى أمية.

وفى ليلة الإثنين سادس عشره: أركبه الريد هو وأخوه قطقطوا، فقدموا إلى قلعة الجبل ومعهما مخلص الدين [.....]^(٣) الرومى فأكرمهم الأمراء وقاموا بواجبهم.

وكان من خير سلامش أن غازان لما بعثه لأخذ بلاد الروم خرج عن طاعته، وحسن فى رأيه الاستبداد بملك الروم فاستخدم عشرة آلاف، وكتب ابن قرمان أمير التركمان، وكتب إلى الملك المنصور لاجين سلطان مصر يطلب نجدة على قتال غازان على يد مخلص الدين الرومى. فأجيب فى شهر رجب بالشكر والثناء، وكتب إلى دمشق بخروج العسكر لنصرته.

وكان غازان قد وصل إلى بغداد، فبلغه خروج سلامش عن طاعته، فأعرض عن المسير إلى الشام، وجهاز العساكر إلى بلاد الروم، وأخرجهم أول جمادى الآخرة وعدتهم نحو الخمسة وثلاثين ألفاً وعليهم بولاي وعاد غازان إلى تبريز، ومعه الأمير قبجق وبكتمر السلاح دار والألبكى وبزلار، وسار بولاي إلى سنجار ونزل على رأس عين، ثم توجه إلى آمد.

(١) الحماية جمع حماية، مكس يفرضه الأمير أو السلطان على بعض الأراضى والمتاجر والمراكب والأرزاق، وقد أطلق عليها هذا الاسم لقيام الأمير بحماية الشخص الذى يدفع المكس.

(٢) ما بين المعقوفتين سقط فى الأصل.

(٣) ما بين المعقوفتين سقط فى الأصل.

وجمع سلامش نحو الستين ألفاً، وامتنع عليه أهل سيواس وهو يحاصرهم، فلما قرب منه بولاي بعساكر غازان فرَّ عنه من كان معه من التتار إلى بولاي في أول ليلة من رجب، ثم التحق به أيضاً عسكر الروم، وفر التركمان إلى الجبال. ولم يبق مع سلامش إلا نحو الخمسمائة، فانهزم عن سيواس إلى جهة سيس، ووصل بهسنا آخر رجب. فورد خبره إلى دمشق في خامس شعبان والأمراء بها على عزم الخروج لنجدته، فتوقفت الحركة عن تسيير العساكر. فما كان بعض أيام إلا وسلامش قد وصل إلى دمشق، فخرج إليه عساكر دمشق والثقوه في موكب عظيم، ووصل صحبته من بهسنا الأمير بدر الدين الزردكاش نائب السلطنة بها.

ثم توجه سلامش وأخوه قطقطوا إلى الأبواب السلطانية، في يوم الأحد خامس عشر شعبان على خيل البريد، فلما قدم إلى قلعة الجبل أنعم على أخيه قطقطوا بإقطاع، ورتب لمخلص الدين الرومي جارٍ، وخير سلامش بين المقام بالديار المصرية أو الشام أو أن يعود إلى بلاده، فسأل أن يجرد معه جيش ليعود إلى بلاده ويحضر بعياله، ويرجع إلى خدمة السلطان. فوافقه السلطان على ذلك، فركب البريد إلى حلب، ورسم أن يخرج معه الأمير بكتمر الجلمى. فقدم سلامش دمشق في حادى عشر رمضان، وخرج من الغد ومع الأمير بدر الدين الزردكاش، ولما وصل إلى حلب جرد معه الأمير بكتمر حسب المرسوم إلى جهة سيس، بعدما مر بحلب وخرج منها بعسكر. ففطن به التتار فقاتلوه، فقتل الأمير بكتمر، وفر سلامش إلى بعض القلاع فقبض عليه وحمل إلى غازان فقتله.

وكان سلامش هذا من أكبر الأسباب في حركة غازان إلى بلاد الشام: وذلك أنه نهب بعسكر حلب ماردين^(١) في شهر رمضان حتى أخذ ما كان بجامعها، وفعل أفعالاً قبيحة، فحرك فعله ما عند غازان وجعله حجة لسيره.

وفى شعبان: أنعم على الأمير قرا سنقر بنبابة الصبيبة وبانياس، فسار إليهما وتسلمهما فيه.

وفى رمضان: قدم الأمير علاء الدين كجكن إلى القاهرة مقيداً، هو وحمدان بن صلغاي، وقد وكل بهما مائة فارس من عسكر الشام. فأرسل بحمدان إلى صفد، فكان آخر العهد به. وقدمت رسل صاحب سيس وصاحب القسطنطينية بهدايا في سادسه.

واستقر الأمير شمس الدين سنقر الأعسر في الوزارة عوضاً عن صاحب فخر الدين

(١) ماردين: مدينة من ديار ربيعة بعمل الموصل، بينها وبين مدينة دارا نصف مرحلة، وهى فى سفح جبل فى قفته قلعة لها كبيرة، وهى من قلاع الدنيا المشهورة. انظر معجم البلدان ٣٩/٥، والروض المعطار ٥١٨، والكرخى ٥٣، ونزهة المشتاق ١٩٩، ٢٠٠، وآثار البلاد ٢٥٩.

عمر بن الخليلي، فضرب التاج بن سعيد الدولة بالمقارع فأسلم، وكان مستوفيا. واستقر شمس الدين أحمد السروجي في قضاء القضاة الخفية بالقاهرة ومصر، عوضاً عن حسام الدين حسن بن أحمد بن الحسن الرومي، في أول ذى الحجة. ونقل الحسام إلى قضاء الخفية بدمشق، عوضاً عن والده جلال الدين أحمد بن الحسن.

وفي آخر ذى القعدة: نقل الأمير قرا سنقر من نيابة الصببية إلى نيابة حماة، بعد وفاة الملك المظفر تقي الدين. واستتاب الأمير بيبرس الجاشنكير في الأستادارية الأمير علم الدين سنجر الجاولي، وحكمه في سائر أمورها، فترك الملك الناصر الاستدعاء لما يريده من مأكّل أو مشرب لشدة الحجر عليه، وصار ليس له من المملكة سوى الاسم. وذلك أنهم يجلسونه في يومى الخميس والإثنين، وتحضر الأمراء الأكابر ويقف الأمير سلار النائب والأمير بيبرس الأستادار، ويعرض سلار عليه ما يريده، ثم يشاور فيه الأمراء ويقول: السلطان قد رسم بكذا، فيمضى ذلك. ثم يخرج الجمع، فيجلس سلار وبيبرس ويتصرفان في سائر أمور المملكة، ويتفقان على قلة مصروف السلطان.

وقدم البريد بتحريك غازان وجمعه على السير إلى الشام، فكُتب إلى الأمير كزناى والأمير قطلوبك الحاجب بالخروج واللحاق بالأمراء المجردين، فقدموا دمشق في رابع عشرى ذى الحجة. ووقع العزم على سفر السلطان والأمراء، واستدعيت الجند من بلاد مصر، وألزم الوزير سنقر الأعسر بتجهيز الأموال، فتحسن سعر الخيل والجمال والسلاح وآلات السفر. وانتظر العسكر النفقة فيهم، فاجتمع الأمراء لذلك، فلم يوافق بيبرس وسلار على النفقة خوفاً من تلاف المال، وقصداً تأخيرها إلى غزوة، فلم ترض بقية الأمراء بذلك، وانفضوا على غير رضى. وخرج السلطان في رابع عشرى ذى الحجة بالعساكر ونزل خارج القاهرة، واستتاب في غيبته الأمير ركن الدين بيبرس المنصورى الدوادار.

ووقع في هذه السنة بأرض مصر آفة عظيمة من الفار.

* * *

ومات في هذه السنة ممن له ذكر

الأمير عز الدين أيك الموصلى نائب طرابلس، في صفر.

ومات نجم الدين أيوب ابن الملك الأفضل نور الدين على ابن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب^(١)، في رابع عشر ذى الحجة بدمشق.

(١) الملك الأفضل نور الدين بن يوسف صلاح الدين بن أيوب صاحب الديار الشامية استقل بمملكة دمشق بعد وفاة أبيه سنة ٥٨٩هـ وأخذها منه أخوه العزيز وعمه العادل سنة ٥٩٢هـ. انظر =

ومات الأمير جمال الدين أفش المغيبي نائب البيرة بها. وقد أقام فى نيابتها أربعين سنة.

ومات الأمير سيف الدين بكتمر الجلمى، قتل على سيس.

ومات الأمير بدر الدين بدر الصوافى أحد أمراء الدوادار. أصله من الغرب، فولاه المنصور لاجين دوادارا، وأقامه على تجديد عمارة جامع ابن طولون. واتفق أن شرف الدين عبد الوهاب بن فضل الله كاتب السر مرض، فبعث إليه السلطان بدر الدين وقال: «ما بقى ييجىء منه شىء»، فبعد أسبوع مات بدر الدين، وطلع كاتب السر إلى الخدمة وقد عوفى، وعزى السلطان فى الدوادار، فقال السلطان: «لا إله إلا الله كان فى ظن الدوادار أنه يعزينا فى كاتب السر عزانا كاتب السر فيه».

ومات الأمير سيف الدين تمر بغا، وله مسجد بالقرب من الميدان التحتانى بين القاهرة ومصر، وكان كريما. وكان قد توجه مع الملك الناصر إلى الكرك، ثم نقل إلى طرابلس فمات بها.

ومات بحلب من المجردين الأمير سيف الدين البسطى، وأحمد شاه، ومحمد بن سنقر الأقرع، وعين الغزال، وكيكلدى بن السرية ومات بناحية سمنود - وكان قد توجه إليها - الأمير سيف الدين طقطاى.

ومات شهاب الدين يوسف بن الصاحب محبى الدين محمد بن يعقوب بن إبراهيم ابن هبة الله سالم بن طارق النحاس بن الأسدى الحلبى، فى ثالث عشر ذى الحجة بدمشق، وقد قدم القاهرة مرارا.

ومات أمين الدين سالم بن محمد بن سالم بن الحسن بن هبة الله بن محفوظ بن صصرى التغلبى، ناظر الدواوين بدمشق، فى ثامن عشرى ذى الحجة، وهو مصروف.

ومات الأمير علم الدين سنجر المسرورى والى القاهرة، وهو المعروف بالخياط.

* * *

سنة تسع وتسعين وستمائة

أهلت والسلطان متوجه بعساكر مصر إلى الشام، والإرجاف يقوى بمسير غازان إلى الشام. فرحل السلطان بالعساكر من الريدانية أول يوم من المحرم، والأمراء قد كثر تحاسدهم وتنافسوا بكثرة سعادتهم، فلما وصلوا غزاة أقبلوا على الصيد والاجتماع والنزه. فاشتد حنق الطائفة الأويراتية الذين قدموا في أيام العادل كتبغا، من أجل قتلى من قتل من أمرائهم في أيام المنصور لاجين، ومن خلع كتبغا وإخراجه إلى صرخد، ومن استبداد البرجية بالأمور. وعزموا على إثارة الفتنة، وصاروا إلى الأمير علاء الدين قطلو برس العادلي وأقاموه كبيراً لهم، واتفقوا على أن برنطاي أحد المماليك السلطانية وألوص أحد كبراء الأويراتية يهجم كل منهما على الأميرين بيبرس وسلار ويقتله، ويعيدون دولة كتبغا.

فلما رحل السلطان بالعسكر من غزاة ونزل تل العجول، ركب الأمراء للخدمة على العادة، وكان بيبرس يتأدب مع سلار ويركب بين يديه، فعندما ترجل الأمراء ولم يبق على فرسه سوى بيبرس وسلار، شهر برنطاي سيفه - وكان ماشياً في ركاب بيبرس - وضربه، فوقعت الضربة على كفل الفرس فحلت ظهره، وضرب برنطاي ثانياً، فوقعت الضربة على الكلفة فقطعتها وجرحت الوجه، فتبادرته السيوف حتى قُتل.

ووقعت الصرخة في العسكر فركب الجميع، وقصد الأويراتية الدهليز السلطاني يريدون الهجمة على السلطان حتى صاروا في داخله، وقد ركب الأمراء في طلبهم، فركب الأمير سيف الدين بكمتر الجوكندار والمماليك السلطانية وفي ظنهم أن القصد قتل السلطان، ونشروا العصائب ووقفوا. وعاد بيبرس وسلار إلى مخيمهما، وأمرا الحجاب والنقباء يجمع العسكر إلى نخيم سلار النائب، فكان العسكر إذا أتوا ورأوا سنجق السلطان وعصائبه منشورة مضوا إليه وتركوا سلار، فيردهم الحجاب فلا يلتفت منهم أحد، ولا يعود حتى يقف تحت السنجق السلطاني.

فبعث سلار إلى أمير جاندار يقول: «ما هذه الفتنة التي تريدون إثارتها في هذا الوقت ونحن على لقاء العدو؟ وقد بلغنا أن الأويراتية قد وافقت المماليك السلطانية على قتلنا، وكان هذا برأيك ورأى السلطان، وقد دفع الله عنا. فإن كان الأمراء كذلك فنحن مماليك السلطان ومماليك أبيه الشهيد، ونحن نكون فداء المسلمين، وإن لم يكن الأمر كذلك فابعثوا إلينا غرماءنا».

فلما سمع السلطان هذا بكى، وحلف أنه لم يكن عنده علم بما ذكر، وحلف أمير

جاندار أيضاً وقال: «ولكن لما وقع ما وقع ظنوا أنهم يريدون قتل السلطان وإقامة غيره» ثم قال أمير جاندار: «إنما يريد الأمراء بهذا القول أن تقبض على ممالك السلطان طائفة بعد أخرى حتى تتمكن من مرادها، وإن كان السلطان ومماليكه قد شوشوا على الأمراء فأنا آخذ السلطان ومماليكه وأسير إلى الكرك».

فلما بلغ الأمراء ذلك عزموا أن يركبوا على أمير جاندار، ثم توقفوا حتى بعثوا إلى الأمير بدر الدين بكتاش أمير سلاح الأتابك. وكان على الجاليش وبينهما مرحلة، فلم يدخل في شيء من ذلك، وأوصى ألا يتعرض للسلطان بسوء. فرجع سلار إلى المدارة، وركب حتى أصلح بين أمير جاندار والأمراء البرجية، وقبلوا جميعهم الأرض للسلطان وقبضوا على الأويراتية وعاقبهم، فأقروا بما عزموا عليه من قتل بيبرس وسلار وإعادة دولة العادل كتبغا، فزال ما كان في أنفس البرجية من موافقة السلطان وأمير جاندار للأويراتية.

وشنق من الغد نحو الخمسين من الأويراتية بشياهم وكلفاتهم، ونودي عليهم: «هذا جزاء من يقصد إقامة الفتن بين المسلمين ويتحاصر على الملوك». وطلب الأمير قطلوبرس فلم يوجد، وكان قد فر إلى غزة واختفى بها، فنهبت أنقاله كلها، وأنزل بالمصلوبين في اليوم الرابع فأخذت البرجية تغرى بيبرس، وتوحش بينه وبين سلار بأنه متفق عليه مع ممالك السلطان. فلما بلغ ذلك سلار تلتف مع بيبرس، واتفقا على إرسال طائفة من الممالك السلطانية إلى الكرك فلم يخالفهما السلطان، فأخذنا منهم عدة من اتهماهم بموافقة الأويراتية وحبساهم بالكرك.

ثم رحل السلطان بعد عدة أيام إلى قرتية^(١)، ورسم بالإقامة عليها حتى يعود الرسل بأخبار العدو، وبعثوا القصاد للكشف عن ذلك، وفي هذه المنزلة سالت الأودية، وأتلف السيل كثيراً من أنقال العسكر، وافتقر عدة منهم لذهاب جماهم وأنقالهم، وتشاءموا به وتطيروا منه، فكان الأمر كذلك. وعقب هذا السيل خرج جراد سد الأفق بحيث حجز الأبصار عن السماء فزاد تطير العسكر، وخشوا أن يكون منذراً بقدم العدو وكسرة العسكر، وتحدث بذلك كل أحد حتى السوقة. ثم وقع الرحيل في أول ربيع الأول إلى جهة دمشق، فدخلها السلطان يوم الجمعة ثامن.

ففي يوم السبت تاسعه: قدم الجفل من حلب وغيرها إلى دمشق، وقدم البريد من

(١) بلد قرب بيت جبرين من نواحي فلسطين من أعمال بيت المقدس. انظر: معجم البلدان

حلب وغيرها بنزول غازان على الفرات، وأنه في عسكر عظيم إلى الغاية، فأنفق في العساكر لكل فارس ما بين ثلاثين ديناراً وأربعين ديناراً. وقد كثر الإرجاف وتتابع وصول الناس في الجفلة، وشحت أنفس الجند بإخراج النفقة في شراء ما يحتاجون إليه لغلاء كل ما يباع من ذلك، ولكثرة ما أجرى الله على الألسنة بكسرة العسكر، ولتمكن بعض الجند في الأمراء البرجية.

وقدم البريد من حلب بمسير جاليش غازان من الفرات وعبوره، وأن أهل الضياع قد جفلوا عن آخرهم، وقدم الأمير أسندمر كرجى متولى فتوحات سيس بعدما أخذ حاصل تل حمدون، وأحضر معه صاحب سيس. فخرج عسكر دمشق، وخرج السلطان بعده بعساكر مصر وقت الزوال من يوم الأحد سابع عشره، وسار إلى حمص فنزل عليها، وبعث العربان لكشف الأخبار. وقد نزل التتر بالقرب من سلمية^(١)، ولهج كل أحد بأن العسكر مسكور، وأقام العسكر لابس السلاح ثلاثة أيام، وقد غلت الأسعار.

فلما كان سحر يوم الأربعاء ثامن عشره: ركب السلطان بالعساكر، وجد في السير إلى الرابعة من النهار، فظهرت طوابع التتر، فنودي عند ذلك في العساكر: «أن ارموا الرماح واعتمدوا على ضرب السيف والديوس»، فألقوا رماحهم كلهم على الأرض. ومشوا ساعة، ورتبوا العساكر بمجمع المروج - ويعرف اليوم بوادى الخزنندار - وعدتهم بضعة وعشرون ألف فارس، والتار في نحو مائة ألف. فوقف الأمير عيسى بن مهنا وسائر العربان رأس الميمنة، ويليهم الأمير بلبان الطباخي نائب حلب بعساكر حلب وحماة، ووقف في الميسرة الأمير بدر الدين بكتاش أمير سلاح والأمير أقش قتال السبع وعلم الدين سنجر وطغريل الإيغاني والحاج كرت نائب طرابلس، في عدة من الأمراء، وكان في القلب بيبرس وسلار وبرلغى وقطلوبك الحاجب وأبيك الخازندار، في عدة من الأمراء، وقد جعلوا جناحهم المماليك السلطانية، ووقف حسام الدين لاجين الأستاذار مع السلطان على بعد من اللقاء حتى لا يعرف فيقصد، وقدموا خمسمائة مملوك من الزرايين في مقدمة العساكر.

وفي وقت الترتيب عرض للأمير بيبرس الجاشنكير حدة وإسهال مفرط لم يتمكن منه أن يثبت على الفرس، فركب الحفة واعتزل القتال، وأخذ الأمير سلار النائب معه الحجاب والأمراء والفقهاء، ودار على العساكر كلها والفقهاء تعظ الناس وتقوى

(١) سلمية: هي بلدة في ناحية البرية من أعمال حماة بينهما مسيرة يومين. انظر: معجم البلدان

عزائمهم على الثبات حتى كثر البكاء.

هذا وغازان ثابت لم يتحرك، وقد تقدم إلى أصحابه كلهم ألا يتحرك أحد منهم حتى يحمل هو بنفسه، فيتحركون عند ذلك يداً واحدة، فبادر عساكر المسلمين للحركة، وأشعل الزراقون النفط، وحملوا على غازان فلم يتحرك، وكان في الظن أن غازان أيضاً يتحرك إلى لقائهم. فمرت خيول العساكر بقوة شوطها في العدو، ثم لما طال المدى قصرت في عدوها، وحمد نار النفط. فحمل عند ذلك غازان بمن معه حملة واحدة حتى اختلط بالعساكر، بعدما قدم عشرة آلاف مشاة يرمون بالنشاب حتى أصابت سهامهم خيولا كثيرة، وألقى الفرسان عنها. وكثرت نكاية العرب بالسهم، فولى العرب أولاً وتبعهم جيش حلب وحماة، فتمت هزيمة الميمنة من ميسرة غازان. وصدمت الميسرة ميمنة غازان صدمة فرقت جمعها وهزمتها عن آخرها، وقتلت منها نحو الخمسة آلاف، وكتب بذلك للسلطان - وهو معتزل في طائفة مع حسام الأستادار - فسر بذلك.

وكاد غازان أن يولى الإديبار، واستدعى قبجق نائب دمشق فشجعه قبجق وثبته حتى تلاحق به من انهزم وعاد له أمره، فحمل حملة واحدة على القلب فلم يثبت له، وولى سلاز وبكتمر الجوكندار وبرلغى وسائر الأمراء الرجعية، وركب غازان أفقيتهم حتى كانت سهامه تصيب خوذة الفارس فتقدح ناراً.

هذا والسلطان معتزل ومعه الحسام، وهو ييكي ويتهل ويقول: «يا رب لا تجعلني كعباً نحساً على المسلمين»، ويهم أن يفر مع القوم، فيمنعه الحسام ويقول: «ما هي كسرة، لكن المسلمين قد تأخروا»، ولم يبق معه من الممالك غير اثني عشر مملوكاً. وعادت الميسرة الإسلامية بعد كسرة ميمنة غازان إلى حمص بعد العصر ومعهم الغنائم، فإذا الأمراء الرجعية أهل القلب قد انكسروا والمغل في أعقابهم فبهتوا. وخشى غازان من الكمناء فكف عن اتباع العساكر، وكان ذلك من لطف الله بهم، فلو قد مر في طلبهم لهلكوا من عند آخرهم.

ووصل المنهزمون إلى حمص وقت الغروب، وقد غنم التتر سائر ما كان معهم مما لا يدخل تحت الحصر، وألقوا عن أنفسهم السلاح طلباً للنجاة، فاشتد صراخ أهل حمص، وصاحوا بالعسكر: «الله الله في المسلمين!» وقد كلت الخيول، فمروا إلى بعلبك^(١) ونزلوا عليها بكرة يوم الجمعة وقد غلقت أبوابها، فامتاروا منها ومروا في سيرهم إلى

(١) بعلبك: مدينة بالشام بينها وبين دمشق في جهة الشرق مرحلتان، وهي حصينة في سفح جبل وعليها سور حصين بالحجارة سعته عشرون شبراً. انظر معجم البلدان ٤٥٣/١، والروض المعطار ١٠٩، نزهة المشتاق ١١٦، وصبح الأعشى ١٠٩/٤.

دمشق فدخلوها يوم السبت أول ربيع الآخر، وقد توجه أكثرهم على الساحل إلى مصر. فما هو إلا أن دخلوا دمشق حتى وقع الصارخ بمجىء غازان، فخرجوا بعد نحو ساعة من قدومهم وتركوا سائر ما لهم، وجعل أهل دمشق فتشتوا فى سائر الجهات، ومر بالعسكر من العشير والعربان أهوال، وأخذوا أكثر ما معهم نهياً وسرقة.

وقتل فى هذه الواقعة الأمير كرت نائب طرابلس، والأمير ناصر الدين محمد ابن الأمير أيدير الحلبي، وبلبان التقوى من أمراء طرابلس، وبيبرس الغتمى نائب قلعة المرقب، وأزبك نائب بلاطنس، وبيليك الطيار من أمراء دمشق، ونوكاى التترى، وأفش كرجى الحاجب، وأفش الطروحي حاجب دمشق، ونحو الألف من الأجناد والمماليك وعدم قاضى القضاة حسام الدين بن أحمد الرومى الحنفى قاضى الحنفية بدمشق، وعماد الدين إسماعيل بن أحمد بن سعيد بن محمد بن سعيد بن الأثير الموقع. وقتل من التتار نحو أربعة عشر ألفاً.

وأما غازان فإنه نزل بعد هزيمة العسكر إلى حمص - وقت عشاء الآخرة - وبها الخزائن السلطانية وأثقال العسكر، فأخذها من الأمير ناصر الدين محمد بن الصارم، وسار إلى دمشق بعدما امتلأت أيدي أصحابه بأموال جليلة القدر.

هذا وأهل دمشق قد وقع بينهم فى وقت الظهر من يوم السبت أول ربيع الآخر ضجة عظيمة، فخرجت النساء باديات الوجوه، وترك الناس حوانيتهم وأموالهم، وخرجوا من المدينة. فمات من الزحام فى الأبواب خلق كثير، وانتشر الناس برعوس الجبال وفى القرى، وتوجه كثير منهم إلى جهة مصر.

وفى ليلة الأحد: خرج أرباب السجون، وامتدت الأيدي لعدم من يحمى البلد.

وأصبح من بقى بالمدينة وقد اجتمعوا بمشهد على من الجامع الأموى وبعثوا إلى غازان يسألون الأمان لأهل البلد، فتوجه قاضى القضاة بدر الدين محمد بن جماعة وشيخ الإسلام تقى الدين أحمد بن تيمية والشريف زين الدين [.....] (١) بن عدنان والصاحب فخر الدين [.....] (٢) بن الشيرجى وعز الدين حمزة بن القلانسى فى جمع كبير من الأعيان والفقهاء والقراء إلى غازان فى يوم الإثنين ثالثه بعد الظهر، فلقوه بالنبك وهو سائر، فنزلوا عن دوابهم ومنهم من قبل له الأرض. فوقف غازان بفرسه لهم، ونزل جماعة من التتار عن خيولهم، ووقف الترجمان وتكلم بينهم وبين غازان،

(١) ما بين المعقوفتين بياض فى الأصل.

(٢) ما بين المعقوفتين بياض فى الأصل.

٣٢٢ سنة تسع وتسعين وستمائة

فسألوا الأمان لأهل دمشق، وقدموا له ما كل كانت معهم فلم يلتفت إليها، وقال: «قد بعثت إليكم الأمان»، وصرفهم، فعادوا إلى المدينة بعد العصر من الجمعة سابع الشهر، ولم يخطب بها في هذه الجمعة لأحد من الملوك.

وكان قد وصل إلى دمشق في يوم الخميس سادس الشهر أربعة من التار من جهة غازان، ومعهم الشريف القمى، وكان قد توجه قبل توجه الجماعة هو وثلاثة من أهل دمشق إلى غازان، فعاد ويده أمان لأهل دمشق. ثم قدم فى يوم الجمعة سابعه بعد صلاة الجمعة الأمير إسماعيل التترى بجماعة من التتر، ودخل المدينة يوم السبت ليقرأ فرمان بالجامع فاجتمع الناس، وقرأ بعض العجم الواصلين مع الأمير إسماعيل فرمان بتأمين الكافة، وعاد إسماعيل إلى منزله بعدما صلى العصر.

وفى يوم الأحد: أخذ أهل دمشق فى جمع الخيل والبغال والأموال، فنزل غازان على دمشق يوم الإثنين عاشره، وعاشت عساكره فى الغوطة وظاهر المدينة تهب وتفسد، ونزل قبجق وبكتمر السلاح دار بمن معهما فى الميدان الأخضر، وامتدت التتر إلى القدس والكرك تنهب وتأسر.

وامتنع الأمير علم الدين سنجر المنصورى المعروف باسم أرجواش بقلعة دمشق، وسب قبجق وبكتمر سبا قبيحاً، وكانا قد تقدما إليه وأشارا عليه بالتسليم.

وفى بكرة يوم الثلاثاء حادى عشره: تقدم الأمير إسماعيل التترى إلى القضاة والأعيان بالحديث مع أرجواش فى تسليم القلعة، وأنه إن امتنع نهب المدينة ووضع السيف فى الكافة. فاجتمع عالم كبير وبعثوا إلى أرجواش فى ذلك فلم يجب، وتكررت الرسل بينهم وبينه إلى أن سبهم وجبهم، وقال: «قد وقعت إلى بطاقة بأن السلطان قد جمع الجيوش بغزة، وهو واصل عن قريب»، فانصرفوا عنه.

وفى ثانى عشره: دخل الأمير قبجق إلى المدينة، وبعث إلى أرجواش فى التسليم فلم يجب.

وفيه كتبت عدة فرمانات إلى أرجواش من قبجق، ومن مقدم من مقدمى التار ذكر أنه رضيع الملك غازان، ومن شيخ الشيوخ نظام الدين محمود بن على الشيبانى وغيره، فلم يجب، وأخذ الناس فى تحصين الدروب وقد اشتد خوفهم.

وفى يوم الجمعة رابع عشره: خطب لغازان على منبر دمشق بألقابه، وهى: «السلطان الأعظم سلطان الإسلام والمسلمين مظفر الدنيا والدين محمود غازان»، وصلى

جماعة من المغل الجمعة. فلما انقضت الجمعة صعد الأمير قبجق والأمير إسماعيل سدة المؤذنين، وقرئ على الناس تقليد قبجق ببلاد الشام كلها وهى مدينة دمشق وحلب وحماة وحمص وسائر الأعمال، وجعل إليه ولاية القضاة والخطباء وغيرهم. فنشرت على الناس الدنانير والدراهم، وفرحوا بذلك فرحا كثيراً وجلس شيخ الشيوخ نظام الدين بالمدرسة العادية، وعتب الناس لعدم تردهم إليه، ووعد بالدخول فى صلح أمورهم مع غازان، وطلب الأموال وتعاضم إلى الغاية، واستخف بقبجق وقال: «خمسمائة من قبجق ما يكونون فى خاتمي». وصار نظام الدين يضع من قلعة دمشق ويستهن بها، ويقول: «لو أردنا أخذها أخذناها من أول يوم»، وكان لا يزال الدبوس على كتفه، ولم يكن فيه من أخلاق المشايخ ما يمدح به، بل أخذ نحو الثلاثين ألف دينار برطيلًا، حتى قال فيه علاء الدين بن مظفر بن الكندى الوداعى:

شيخ غازان ما خلا أحد ممن تجرده
وغدا الكل لابسى خرقه الفقير من يده

وفى خامس عشره: بدأ التتر فى نهب الصالحية^(١)، حتى أخذوا ما بالجامع والمدارس والتراب من البسط والقناديل، ونبشوا على الخبايا، فظهر لهم منها شىء كثير حتى كأنهم كانوا يعلمون أماكنها فمضى ابن تيمية فى جمع كبير إلى شيخ الشيوخ وشكوا ذلك، فخرج معهم إلى حى الصالحية فى ثامن عشره ليتبين حقيقة الأمر ففر التتر لما رأوه، والتجأ أهل الصالحية إلى دمشق فى أسوأ حال.

وكان سبب نهب الصالحية أن متملك سيس بذل فيها مالاً عظيماً، وكان قد قصد خراب دمشق عوضاً عن بلاده، فتعصب الأمير قبجق ولم يمكنه من المدينة ورسم له بالصالحية، فتسلمها متملك سيس وأحرق المساجد والمدارس، وسبى وقتل وأخرب الصالحية، فبلغت عدة من قتل وأسر منها تسعة آلاف وتسعمائة نفس.

ولما فرغوا من الصالحية صار التتر إلى المزة^(٢) وداريا^(٣)، ونهبوها وقتلوا جماعة من أهلها فخرج ابن تيمية فى يوم الخميس عشريه إلى غازان بتل راهط ليشكو له ما جرى من التتار بعد أمانه، فلم يمكنه الاجتماع به لشغله بالسكر، فاجتمع بالوزيرين سعد الدين ورشيد الدين، فقالا: «لابد من المال»، فانصرف. واشتد الطلب للمال على أهل دمشق، واستمر الحصار، وتعين نصب المنجنيق على القلعة بالجامع، وهيئوا أخشابها

(١) قرية كبيرة مطلة على دمشق، فى خلف جبل قاسون، انظر: معجم البلدان ٣/٢١٨.

(٢) قرية كبيرة بينها وبين دمشق نصف فرسخ. انظر: معجم البلدان ٥/٨٨.

(٣) قرية كبيرة مشهورة من قرى دمشق بالغوطة. انظر: معجم البلدان ٢/٤٣١، ٤٣٢.

و لم يبق إلا نصبه.

فبلغ ذلك أرجواش، فبعث طائفة هجمت على الجامع على حمية وأفسدت ما تهيأ فيه، فأقام التتر منجنيقًا آخر بالجامع واحتزوا عليه. واتخذوا الجامع حانة يزنون ويلوطون ويشربون الخمر فيه، ولم تقم به صلاة العشاء في بعض الليالي، ونهب التتر ما حول الجامع من السوق. فانتدب رجل من أهل القلعة لقتل المنجنيقى، ودخل الجامع والمنجنيقى في ترتيب المنجنيق والمغل حوله، فهجم عليه وضربه بسكين فقتله. وكان معه جماعة تفرقوا في المغل يريدون قتلهم ففروا، وخلص الرجل بمن معه إلى القلعة سالمًا.

وأخذ أرجواش في هدم ما حول القلعة من العمائر والبيوت، وصيروها دكا لتلا يستتر العدو في المنازل بمجدرانها، فأحرق ذلك كله وهدمه من باب النصر إلى باب الفرج، وشمل الحرق دار الحديث الأشرفية وعدة مدارس إلى العادلية، وأحرق أيضًا بظاهر البلد شيء كثير، وأحرق جامع التوبة بالعقيبة وعدة قصور وجواسق وبساتين.

واشتد الأمر في طلب المال، وغلت الأسعار حتى أبيع القمح بثلاثمائة وستين درهما الغرارة، والشعير بمائة وثمانين درهما، والرطل الخبز بدرهمين، والرطل اللحم باثني عشر درهما، والرطل الجبن باثني عشر درهما، والرطل الزيت بستة دراهم، وكل أربع بيضات بدرهم، ووزعت الأموال، فقرر على سوق الخواصين مائة وثلاثون ألف درهم، وعلى سوق الرماحين مائة ألف درهم، وعلى سوق على مائة ألف درهم، وعلى سوق النحاسين ستون ألف درهم، وعلى قيسارية الشرب مائة ألف درهم، وعلى سوق الذهبين ألف وخمسمائة دينار وقرر على أعيان البلد تكملة ثلاثمائة ألف دينار، جبيت من حساب أربعمائة ألف، ورسم على كل طائفة جماعة من المغل، فضربوا الناس وعصروهم، وأذاقوهم الخزي والذل. وكثر مع ذلك القتل والنهب في ضواحي دمشق، حتى يقال إنه قتل من الجنود والفلاحين والعامه نحو المائة ألف إنسان، فقال في ذلك كمال الدين [.....] ^(١) ابن قاضي شهبه:

رمتنا صروف الدهر منها بسبع

فما أحد منا من السبع سالم

غلاء، وغازان، وغزرو، وغارة

وغدر، وإغبان، وغم ملازم

وقال الشيخ كمال الدين محمد بن علي الزملكاني أيضًا:

لهفى على جلق يا سوء ما لقيت

من كل عالج له فى كفره فن

بالطم والرم جاءوا لا عديد لهم

فالجن بعضهم والحن والسبن

(١) ما بين العقوفتين بياض فى الأصل.

وكان ما حمل لخزانة غازان وحده على يد وجيه الدين بن المنجا مبلغ ثلاثة آلاف وستمائة ألف درهم، سوى السلاح والثياب والدواب والغلال، وسوى ما نهبته التتار، فإنه كان يخرج إليهم من باب شرقي كل يوم أربعمائة غرارة. ورسم غازان بأخذ الخيول والجمال، فأخرج من المدينة زيادة على عشرين ألف حيوان، وأخذ الأصيل بن النصير الطوسي، منجم غازان وناظر أوقاف التتار، عن أجرة النظر بدمشق مائتي ألف درهم، وأخذ الصفي السنجاري، الذي تولى الاستخراج لنفسه، مائة ألف درهم، وهذا سوى ما استخرج للأمير قبجق والأمراء المغل، وسوى المرتب لغازان في كل يوم.

فلما انتهت الجباية أقر غازان في نيابة دمشق الأمير قبجق، وفي نيابة حلب وحمص والألبكي. وجعل مع كل واحد عدة من المغل، وأقام مقدماً عليهم لحماية الشام قتلوشاه، ووجد عشرين ألفاً من عسكره مع أربعة من المغل بالأغوار.

ورحل غازان في يوم الجمعة ثاني عشر جمادى الأولى، وترك على دمشق نائبه قتلوشاه نازلاً بالقصر، وأخذ وزيره من أعيان دمشق بدر الدين محمد بن فضل الله، وعلاء الدين علي بن شرف الدين محمد بن القلاتسي، وشرف الدين محمد بن شمس الدين سعيد بن محمد سعيد بن الأثير.

فلما كان يوم السبت ثالث عشره: بعد رحيل غازان، أمر التتار الذين بدمشق أن يخرج من كان في المدرسة العادلية، فكان إذا خرج أحد أخذوا منه ما يقع اختيارهم عليه بعد التفتيش، ثم دخلوا فكسروا أبواب البيوت ونهبوا ما فيها، ووقع النهب في المدينة فأخذوا نحواً مما استخرج من الأموال أولاً، وأحرقوا كثيراً من الدور والمدارس: فاحترقت دار الحديث الأشرفية وما حولها، ودار الحديث النورية، والعادلية الصغرى وما جاورها والقيمرية وما جاورها إلى دار السعادة وإلى المارستان النوري، ومن المدرسة الدماغية إلى باب الفرج. وأخذوا ما حول القلعة، وركبوا الأسطحة ليرموا بالنشاب على القلعة، فأحرق عند ذلك أرجواش ما حول القلعة وخربه كما تقدم، واستمر قتلوشاه مقدم التتار يحاصر القلعة.

وفي تاسع عشره: قرئ بالجامع كتاب تولية قبجق نيابة الشام، وكتاب بتولية الأمير ناصر الدين يحيى بن جلال الدين الختني^(٢) الوزارة. وفي حادى عشره: احترقت المدرسة العادلية.

(١) مدينة في جبال عاملة المطلة على حمص بالشام، وهي من جبال لبنان. انظر: معجم البلدان

(٢) نسبة إلى بلدة ختن القريبة من كاشغر بالتركستان انظر: معجم البلدان ٣١٤/٢.

فلما عدى غازان الفرات أشار قبجق وبكتمر السلاح دار على قتلوشاه أن يتحول عن دمشق إلى حلب بمن معه من التتار، وجمع قبجق له مالا من الناس، وسار قتلوشاه في يوم الإثنين ثانی عشرى جمادى الأولى، وترك طائفة من التتار بدمشق، وخرج قبجق لوداعه، وعاد فى خامس عشریه ونزل بالقصر.

الأبلىق ونودى فى سادس عشریه ألا يخرج أحد إلى الجبل والغوطة ولا يغرر بنفسه، ثم نودى بخروج أهل الضیاع إلى ضیاعهم.

وفى تاسع عشریه: تحول الأمير قبجق إلى المدينة وأقام بها.

وفى يوم الثلاثاء أول جمادى الآخرة: نودى بخروج الناس إلى الصالحية وغيرها، فخرجوا إلى أماكنهم وفتحت الأسواق وأبواب المدينة.

وفى يوم الجمعة رابعه: دقت البشائر بالقلعة.

وفى سابعه: أمر قبجق جماعة من أصحابه، وأمر بإدارة الخمارة بدار ابن جرادة، فظهرت الخمر والفواحش، وضمنت فى كل يوم بألف درهم.

هذا وقد نهبت التتار الأغوار حتى بلغوا إلى القدس، وعبروا غزوة وقتلوا بجامعها خمسة عشر رجلا وعادوا إلى دمشق وقد أسروا خلقاً كثيراً، فخرج إليهم ابن تيمية، وما زال يحدثهم حتى أفرجوا عن الأسرى، ورحلوا عن دمشق يريدون بلادهم فى ثانی رجب.

وأما السلطان الملك الناصر، فإن العساكر تفرقت عنه وقت الهزيمة، ولم يبق معه إلا بعض خواصه والأميرين زين الدين قراجا وسيف الدين بكتمر الحسامى أمير أخور فى نفر يسير. وبالغ بكتمر مدة السفر إلى مصر فى خدمة السلطان بنفسه وماله، فكان يركبه وينزله، ويشد خيله ويشترى لها العليق ويسقيها، إلى غير ذلك من أنواع الخدمة، حتى قدم إلى قلعة الجبل يوم الأربعاء ثانی عشر ربيع الآخر.

ثم ترادفت العساكر إلى الديار المصرية شيئاً بعد شىء فى أسوأ حال، وكان ممن قدم معهم الملك العادل كتبغا، وصار يمشى فى خدمة الأمير سلار نائب السلطنة، ويجلس بين يديه ويرمل عليه إذا علم على المناشير وغيرها. واتفق مع ذلك أنه لما كان كتبغا سلطاناً نودى على جوسن^(١) للبيع، فبلغ ثمنه على بيبرس الجاشنكير أربعة آلاف درهم، ثم عرض على كتبغا وقيل له إنه على بيبرس بكذا، فقال: «وهذا يصلح لذلك الخرياطى؟» وأخذ الجوسن بثمنه. فلما زالت أيامه صار الجوسن لبيبرس بعد لاجين،

(١) على هامش ط: لفظ فارسى، ويعنى درع من الجلد الذى يلبس حول الجزء الأوسط من

فأراد نكايه كتبغا وأحضر الجوسن وكتبغا عنده، ولبسه وقال له: «يا أمير إيش تقول؟ يصلح هذا لي؟» فلم يفتن كتبغا لما أراد، وقال له: «والله يا أمير هذا كأنه فصل لك» فنظر بيبرس إلى الأمراء يشير إليهم، فاشتد عجبهم من تغير الأحوال، فلم يشاهد أعجب من ذلك. وأقيم العزاء في الناس لمن فقد وكانوا خلقًا كثيرًا.

ثم أخذ السلطان الناصر في التجهيز للمسير إلى الشام ثانيًا، وشرع الأمراء في الاهتمام بأمر السفر، وجمعوا صناعات السلاح للعمل. وأخذ الوزير في جمع الأموال للنفقة، وكتب إلى أعمال مصر بطلب الخيل والرماح والسيوف من سائر الوجهين القبلي والبحري، فبلغ القوس الذي كان يساوي ثلاثمائة درهم إلى ألف درهم، وأخذت خيول الطواحين وبغالها بالأثمان الغالية، وطلبت الجمال والهجن والسلاح ونحو ذلك. فأبيع ما كان بمائة بسبعمائة وبألف، ونودي بحضور الأجناد البطالين، فحضر خلق كثير من الصنائعية، ونزلوا أسماءهم في البطالين. وفرقت أخباز المفقودين، ورسم لكل من أمراء الألوف بعشرة من البطالين يقوم بأمرهم، ولكل من الطبلخاناه بخمسة، ولكل من العشراوات برجلين. واستخدم جماعة من الأمراء الغزاة المطوعة احتسابًا.

واستدعى مجدى الدين عيسى بن الخشاب نائب الحسبة ليأخذ فتوى الفقهاء بأخذ المال من الرعية للنفقة على العساكر، فأحضر فتوى الشيخ عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام للملك المظفر قطز، بأن يؤخذ من كل إنسان دينار، فرسم له سلار بأخذ خط الشيخ تقي الدين محمد بن دقيق العيد، فأبى أن يكتب بذلك، فشق هذا على سلار واستدعاه وقد حضر عنده الأمراء، وشكا إليه قلة المال وأن الضرورة دعت إلى أخذ مال الرعية لأجل دفع العدو، وأراد منه أن يكتب على الفتوى بجواز ذلك فامتنع، فاحتج عليه ابن الخشاب بفتوى ابن عبد السلام، فقال: «لم يكتب ابن عبد السلام للملك المظفر قطز حتى أحضر سائر الأمراء ما في ملكهم من ذهب وفضة وحلى نسائهم وأولادهم ورآه، وحلف كلا منهم أنه لا يملك سوى هذا، كان ذلك غير كاف، فعند ذلك كتب بأخذ الدينار من كل واحد. وأما الآن فيبلغنى أن كلا من الأمراء له مال جزيل، وفيهم من يجهز بناته بالجواهر واللآلئ، ويعمل الإناء الذى يستنجى منه فى الخلاء من فضة، ويرصع مداس زوجته بأصناف الجواهر»، وقام عنهم فطلب ناصر الدين محمد بن الشيخى متولى القاهرة، ورسم له بالنظر فى أموال التجار ومياسير الناس، وأخذ ما يقدر عليه من كل منهم بحسب حاله.

فما أهل جمادى الأولى حتى استجد عسكر كبير، وغصت القاهرة ومعه وما بينهما بكثرة من ورد من البلاد الشامية حتى ضاقت بهم المساكن، ونزلوا بالقرافة

وحول جامع ابن طولون وطرف الحسينية. وكان مع ذلك الرخاء فى الحبوب وسائر المأكولات، حتى أن القمح كان يباع فى غيبة العسكر كل أردب من ستة عشر درهما إلى ثمانية عشر، والشعير بعشرة دراهم الأردب، والفول بثمانية دراهم. فانخط ذلك كله حتى أبيع القمح من عشرة دراهم إلى ثلاثة عشر درهما الأردب، والشعير من ثمانية دراهم إلى عشرة، والفول ما بين ستة دراهم وسبعة دراهم الأردب.

وأراد ابن الشيخى أن يجيبى من الناس كلهم بالقاهرة وظواهرها، ويبعث إلى ولاة الأقاليم بالجباية من كل أحد، ويسمى ما يجيبى من المال مقرر الخيالة. فاستشنع الأمراء ذلك، فقرر على كل أردب يباع من الغلال خروبة^(١) تؤخذ من المشترى، وأحدث نصف السمسة: وهى عبارة عن أن المنادى إذا باع شيئاً من القماش أو غيره، وأخذ دلالته عن كل مائة درهم درهمين، فإنه يحمل الدرهم الواحد للديوان، فجبى ذلك واستخدم منه نحو مائتى فارس. واعتبر حال التجار وأرباب الأموال، وفرض على كل واحد من مائة دينار إلى عشرة دنانير، فلم يدع تاجراً ولا متسبباً ولا من يعرف بغنى إلا وأخذ منه، وطلب من تجار الكارم وأعيان التجار مالاً على سبيل القرض، فاجتمع من ذلك مال عظيم، وصار لكل فارس أربعون ديناراً.

وبعثوا إلى كل مقدم ألف نفقة مضافيه، وإلى كل من نواب الشام نفقة عسكره. فانخط سعر الذهب، حتى صرف الدينار بسبعة عشر درهما، بعد خمسة وعشرين درهما ونصف.

وبينا هم فى ذلك إذ ورد الخبر برحيل غازان عن دمشق، وإقامة قبجق نائباً عنه بها، فسر الناس بذلك. وكان السلطان عند قدومه إلى مصر قد بعث إلى نواب القلاع اللطفات يأمرهم بحفظها، ويعلمهم بما هو فيه من الاهتمام وسرعة الحركة للسفر، فلم يتمكن أصحاب غازان من شىء منها، وكتب السلطان أيضاً إلى قبجق وبكتمر السلاح دار وغيرها يدعوها إلى الطاعة، فعادت أجوبة قبجق وأصحابه بالامتنال.

وبلغ من تأخر فى بلاد الشام من التتار حركة السلطان، فاشتد خوفهم، وخرج قبجق بمن معه يريد مصر فى نصف رجب، فسار التتار من دمشق. واستولى الأمير أرجواش على المدينة مع القلعة، وأعاد الخطبة باسم السلطان فى يوم الجمعة سابع عشره بعد انقطاعها مائة يوم، وأبطل فيه ما تجدد من المنكرات، وأغلق الخمارات وأراق

(١) على هامش ط: جمع ضرايب: وهى قطعة صغيرة من النقود النحاسية وهى فى اصطلاح

الصاغة: حى حبة الخروب يوزن بها.

الخمور وشق ظروفها على يد ابن تيمية.

وعندما تكملت النفقة على العساكر نودى بالقاهرة ومصر بالسفر، ومن تأخر شقق، ورسم أن يكون سعر الدينار عشرين درهما. وخرج السلطان في تاسع رجب فسار إلى الصالحية، وقدمت إليه كتب الأمير قبجق وبكتمر السلاح دار والألبكى بقدمهم صحبة عز الدين حمزة بن القلانسي والشريف ابن عدنان، فأقام السلطان بالصالحية.

وسار الأميران سلاار نائب السلطنة وبيبرس الجاشنكير الأستاذار بالعساكر إلى دمشق في ثاني عشرى رجب، فلقوا الأمير قبجق ومن معه بين غزة وعسقلان^(١)، فترجل كل منهم لصاحبه وتباركوا وأنزلوا، ورتب لهم ما يليق بهم، وأمروا بالتوجه إلى السلطان، وسار الأمراء بالعساكر إلى دمشق. فقدم قبجق بمن معه إلى الصالحية في عاشر شعبان، فركب السلطان إلى لقائهم، وبالغ في إكرامهم والإحسان إليهم، وأنزلهم، ثم سار بهم إلى قلعة الجبل فقدمها في رابع عشره.

ودخل الأمير جمال الدين أقمش الأفرم إلى دمشق في يوم السبت عاشر شعبان.

وفي حادى عشره: قدم إليها الأمير قرا سنقر المنصوري نائب حلب بعساكرها، وقد استقر عوضا عن بلبان الطباخى، واستقر الطباخى من أمراء مصر بالخدمة السلطانية على إقطاع آقسنقر كرتاى بعد موته. ودخل الأمير أسندمر كرجى نائب الفتوحات الطرابلسية بعساكرها، وقد استقر عوضا عن الأمير قطلوبك.

وفي ثاني عشره: قدمت ميسرة العساكر المصرية، ومقدمها الأمير بدر الدين بكتاش الفخرى أمير سلاح.

وفي ثالث عشره: قدمت ميمنة العساكر المصرية، مع الأمير حسام الدين لاجين أستاذار.

وفي رابع عشره: قدم الأمير سلاار النائب والمماليك السلطانية، والملك العادل كنيغا - وقد استقر فى نيابة حماة عوضا عن قرا سنقر المنتقل لنيابة حلب - والأمير كراى المنصورى المستقر فى نيابة صغد.

ونزل الأمير سلاار بالميدان، وجلس فى دار العدل بحضور الأمراء والقضاة، وخلع

(١) عسقلان: مدينة بالشام بينها وبين فلسطين مرحلة، وهى الآن عامرة بأيدي الروم، وهى على ساحل البحر، فتحها معاوية على صلح سنة ثلاث وعشرين، وعسقلان بينها وبين الرملة ستة فراسخ، وبينها وبين غزة أربعة فراسخ. انظر معجم البلدان ٤/١٢٢، والروض المعطار ٤٢٠، وابن الوردى

على الصحاب عز الدين حمزة بن القلانسي.

وفي خامس عشره: ولى سلار قاضي القضاة بدر الدين محمد بن جماعة قضاء دمشق، عوضا عن إمام الدين عمر بن سعد الدين الكرجي القزويني القنوني بعد وفاته.

وفي حادى عشره: ولى قاضي القضاة شمس الدين محمد بن صفى الدين الحريرى قضاء الحنفية، وولى الأمير سيف الدين أقبجا المنصوري شد الدواوين، وولى عز الدين أيك النجيبى بر دمشق، وولى أمين الدين يوسف الرومى، إمام المنصور لاجين، حسبة دمشق، وولى تاج الدين]....^(١) بن الشيرازى نظر الدواوين.

وسير سلار عسكرياً إلى حلب، فطرقها على غفلة، وأوقع بمن فيها من أصحاب غازان وقتلهم، فلم يفلت منهم إلا القليل، ولحقوا بغازان وعرفوه غدر قبجق بهم.

وتوجه الملك العادل كتبغا إلى حماة، بعدما كان يركب فى دمشق بخدمة الأمير سلار، ويجلس بين يديه كما كان يفعل بالقاهرة، فشاهد الناس من ذلك ما فيه أعظم عبرة، وقدم كتبغا حماة فى رابع عشرى شعبان، واستقر كل نائب فى مملكته.

وكان السعر بدمشق غاليا فانحطت الغرارة القمح من ثلاثمائة درهم إلى مائة وخمسين، وأبيع اللحم الضأن بدرهمين الرطل الدمشقى. وتبع الأمير جمال الدين أقش الأفرم نائب السلطنة بالشام من كان بدمشق من المفسدين، الذين تولوا استخراج المال فى أيام غازان من الناس، والذين دلوا على عورات الناس. فسمر بعضهم، وشنق بعضهم وقطع أيدي جماعة وأرجلهم، ومن المفسدين من قطع لسانه وكحل فمات من يومه.

وخلع سلار على الأمير أرجواش نائب القلعة، وأنعم عليه بعشرة آلاف درهم وطلبت مشايخ قيس وبعن من العشير والعربان، وألزموا بإحضار ما أخذ من العسكر وأهل البلاد فى توجههم إلى مصر وقت الجفلة.

وكان غازان لما أخذ البلاد وعاد إلى الشرق طمع الأرمن فى البلاد التى افتتحها المسلمون، وأخذوا تل حمدون وغيرها.

فلما استقرت الأحوال ببلاد الشام خرج الأميران بيبرس وسلار بعسكر مصر من دمشق يوم السبت ثامن شهر رمضان يريدان مصر، فوصلا قلعة الجبل فى يوم الثلاثاء ثالث شوال بعدما ركب السلطان إلى لقاءهم، وكان يوما مشهوداً.

(١) ما بين المعقوفين بياض فى الأصل.

وعندما استقر الأمراء، سأل الأمير قبجق أن ينعم عليه بنبابة الشوبك^(١)، فأجيب إلى ذلك وخلع عليه. وأنعم على الأمير بكنتمر السلاح دار بإمرة مائة بديار مصر، وعلى الأمير فارس الدين ألبكى الساقى بإمرة مائة بدمشق.

وفي عشري شوال: توجه الأمير أقش الأفرم من دمشق لغزو الدرزية^(٢) أهل جبال كسروان، فإن ضررهم اشتد، ونال العسكر عند انهزامها من غازان إلى مصر منهم شدائد ولقيه نائب صفد بعسكره، ونائب حماة ونائب حمص ونائب طرابلس بعساكرهم. فاستعدوا لقتالهم، وامتنعوا بجلهم وهو صعب المرتقى، وصاروا فى نحو اثنى عشر ألف رام. فزحفت العساكر السلطانية عليهم، فلم تطقهم وجرح كثير منهم، فافترت العساكر عليهم من عدة جهات، وقاتلوهم ستة أيام قتالا شديداً إلى الغاية، فلم يثبت أهل الجبال وانهزموا. وصعد العسكر الجبل بعدما قتل منهم وأسر خلقا كثيرا، ووضع السيف فيهم، فألقوا السلاح ونادوا «الأمان»، فكفوا عن قتالهم. واستدعوا مشايخهم وألزموهم بإحضار جميع ما أخذ من العسكر وقت الهزيمة، فأحضروا من السلاح والقماش شيئا كثيرا، وحلفوا أنهم لم يخفوا شيئا فقرر عليهم الأمير أقش الأفرم مبلغ مائة ألف درهم جبوها، وأخذ عدة من مشايخهم وأكابريهم، وعاد إلى دمشق يوم الأحد ثالث ذى القعدة، وبعث البريد بالخير إلى السلطان.

وألزم الأمير أقش الأفرم أهل دمشق بتعليق السلاح فى الحوانيت وملازمة الرمى بالنشاب، ونودى بذلك. وألزم قاضى القضاة بدر الدين محمد بن جماعة فقهاء دمشق بذلك، وجلس لعرض الناس فى حادى عشره، وعرض الكافة طائفة بعد طائفة من الأشرف والفقهاء وأهل الأسواق، وقدم على أهل الأسواق رجالا يلى كل رجل سوقا. وتبع الناس بديار بكر التتر، فقتلوا منهم خلقا كثيرا.

ولم تخرج هذه السنة إلا وأهل دمشق فى فقر مدقع، وفى ذلك يقول علاء الدين على بن مظفر الوداعى:

أما دمشق فأهلها قد أصب بكرة جعلوا التسنن مذهبا
سراً وجهراً أنفقوا أموالهم حتى تجلل كل شخص بالعبا

وقال:

(١) الشوبك: قلعة حصينة فى أطراف الشام بين عمان وأيلة والقلازم قرب الكرك. انظر: معجم البلدان ٣/٣٧٠.

(٢) أحد الفرق المغالية من الشيعة.

ما لبست الصوف من عبث لا ولا الخلقان بجانبنا
 إنه زى لمن هو من فقراء الشيخ غازنا
 وذهب لأهل مصر مال كثير فى حركة غازان، إلا أنهم لسعة أحوالهم لم يبالوا
 بذلك.

* * *

ومات فى هذه السنة من له ذكر

علاء الدين أحمد بن تاج الدين عبد الوهاب بن خلف بن محمود بن بدر العلامى
 المعروف بابن بنت الأعز الشافعى، درس بالكهارية والقبطية من القاهرة، وولى الحسبة،
 وكان أديباً فصيحاً جميلاً فيه مكارم ومروءة، لطيف المزاج بساماً شهماً جزلاً، حج
 ودخل اليمن مراراً، ومن شعره فى ملىح سيج فى النيل وتلطخ بالتراب:

ومترب لولا التراب يجسمه لم تبصر الأبصار منه منظرا
 فكأنه بدر عليه سحابة والتراب ليل من سناه أقمرا

وقال:

فى السمر معان لا ترى فى البيض تا لله لقد نصحت فى تعريض
 ما الشهد إذا أطعمته كاللبن يكفى فطنا محاسن التعريض

ومات شهاب الدين أحمد بن الفرج بن أحمد اللخمى الإشبلى، ولد سنة خمس
 وعشرين وستمئة. وتفقه على ابن عبد السلام بدمشق، وكان شافعيًا، وله قصيدة فى
 علم الحديث.

ومات الأمير صارم الدين أزيك نائب قلعة بلاطنس، واستشهد فى نوبة غازان على
 حمص، فى ثامن عشرى ربيع الأول.

ومات الأمير أقش كرجى المطروحي الحاجب.

ومات آقسنقر كرتاى أحد أمراء الألوفا.

ومات الأمير بلبان التقوى، أحد أمراء طرابلس.

وتوفى كاتب السر عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن التاج أحمد بن سعيد بن محمد
 ابن الأثير الحلبي، بعدما صرف.

ومات الفقير المعتقد بدر الدين أبو علي الحسن بن عضد الدولة أبي الحسن علي أخي المتوكل علي الله أبي عبد الله محمد بن يوسف بن هود في شعبان، ومولده بمصرية سنة ثلاث وثلاثين وستمائة. كان أبوه نائب السلطنة بها عن المتوكل، فتزهد هو وحج وسكن دمشق، وكانت له أحوال عجيبة.

ومات بيبرس الغنمي، نائب حصن المرقب.

ومات بكتاش المنصوري الطيار، أحد أمراء دمشق.

ومات ناصر الدين محمد بن أيذر الحلبي، أحد أمراء مصر.

ومات نوكاى بن بيان التترى أبو خوند منكبك امرأة الصالح علي بن قلاوون، وأبو خوند أردكين امرأة الأشرف خليل.

ومات علاء الدين علي ابن الشيخ إبراهيم بن معضاد الجعري.

ومات الأمير ناصر الدين محمد بن الحلبي. وهؤلاء استشهدوا بوقعة حمص، ما بين قتيل في المعركة وبجروح مات من جراحته بعد ذلك.

ومات الطواشي حسام الدين بلال المغيشي الجلالى، بمنزلة السوادة في تاسع ربيع الآخر، فدفن بقطيا، ثم نقل إلى تربته بالقرافة، وكان خيراً ديناً.

ومات الأمير سيف الدين جاغان الحسامى، بأرض البلقان.

ومات الأمير علم الدين سنجر الدوادارى بحصن الأكراد، في ثالث رجب.

وتوفى قاضى القضاة إمام الدين عمر بن سعد الدين عبد الرحمن بن عمر بن أحمد بن محمد القزوينى الشافعى، قاضى قضاة دمشق، بالقاهرة في يوم الثلاثاء خامس عشر ربيع الآخر.

ومات تاج الدين أبو محمد عبد الوهاب بن أبى عبد الله محمد بن عبد الدائم بن منجا بن علي البكرى التيمى القرشى النويرى، في يوم الخميس ثانى عشرى ذى الحجة، وهو والد الشهاب أحمد النويرى المؤرخ الكاتب.

ومات شمس الدين محمد بن صدر الدين سليمان بن أبى العز وهيب الدمشقى الحنفى، بدمشق فى [.....] (١).

ومات حسام الدين أبو الفضائل حسن بن تاج الدين أبى المفاخر أحمد بن حسن بن أنو شروان الرومى، قاضى القضاة الحنفية بالقاهرة ومصر ودمشق، فقد من الصف على

(١) ما بين المعقوفين بياض فى الأصل.

٣٣٤..... سنة تسع وتسعين وستمائة

حمص يوم الأربعاء سابع عشر ربيع الأول، فلم يعرف له خير، وعمره نحو السبعين سنة.

ومات الأمير علاء الدين قطلوبرس العادلى مشنوقا بدمشق، ظفر به بعد هروبه.

ومات شرف الدين أبو محمد الحسن بن على بن عيسى بن الحسن اللخمى، عرف بابن الصيرفى، فى خامس عشرى ذى الحجة، وهو فى عشر التسعين.

* * *

سنة سبعمائة

أهلت هذه السنة وقد ورد الخير بحركة غازان إلى بلاد الشام، فوقع الاهتمام بالسفر. واستدعى السلطان الوزير شمس الدين سنقر الأعسر والأمير ناصر الدين محمد ابن الشيخى والى القاهرة وأمرا باستخراج الأموال من الناس، وكتب إلى الشام بذلك. فشرعا فى الاستخراج، وألزم أرباب العقارات، والأغنياء. عمال تقرر على كل منهم، وجلسا بدار العدل تحت القلعة حيث الطبلخاناه الآن، والناس تحمل المال أولا بأول، حتى أخذوا مائة ألف دينار جيبت من القاهرة ومصر والوجهين القبلى والبحرى، فنزل بالناس ضرر عظيم. وطلب من شهود القاهرة ومصر الجالسين بالخوانيت مبلغ أربعين ديناراً من كل عائد، وعشرين ديناراً من كل شاهد، فقام فى أمرهم قاضى القضاة زين الدين على بن مخلوف المالكى حتى أعفوا منه. وانطلقت الألسن بالشام ومصر فى حق أهل الدولة، واستخف العامة بالأجناد، وأكثروا من قولهم للجند: «بالأمس كنتم هارين واليوم تريدون أخذ أموالنا»، فإن أجابهم الجندى قالوا له: «لم لا كانت هذه الحرمة فى المغل الذين فعلوا بكم كيت وكيت، وهريتم منهم؟» فلما فحش أمر العامة فى تجرئهم على الأجناد، نودى فى القاهرة ومصر: «أى عامى تكلم مع جندى كانت روحه وماله للسلطان».

واستخرج من دمشق أجرة الأملاك والأوقاف لأربعة أشهر، فأخذ ذلك من سائر ما فى المدينة وضواحيها، وأخذ من الضياع عن كل مدى ستة دراهم وثلثا درهم، والمد أربعون ذراعاً فى مثلها، وتكسيه^(١) ألف وستمائة ذراع بذراع^(٢) العمل، وطلب من الفلاحين نظير مغل سنة ثمان وتسعين، وأخذ من الأغنياء ثلث أموالهم.

فنزلت بالناس شدائد، وقطعوا الأشجار المثمرة وباعوها حطباً، حتى أبيع القنطار الحطب الدمشقى بثلاثة دراهم، يخرج منها فى أجرة قطعه درهم ونصف. فخربت الغوطة من ذلك، وفر كثير من الناس إلى مصر.

فلما جيبت الأموال بدمشق استخدم السلطان عدة ثمانمائة من التركمان والأكراد،

(١) تكسيه: عملية الضرب فى الحساب. وقد ذكر فى باب مقاييس الأرض الزراعية وغيرها أن كل أربعمائة قصبه فى التكسيير يعبر عنها بفدان وهو أربعة وعشرون.

(٢) المقصود بذراع العمل مقياس معين وقد ذكر فى أرض السواد بالعراق وطوله ثلاثة أشبار.

ودفع لكل واحد ستمائة درهم، فهرب أكثرهم لما علموا بوصول التتار الفرات،
 وذهب المال ولم يجد نفعاً.

واستخدم السلطان بمصر عدة كبيرة من أهل الصنائع ونحوهم. ونزل الأمراء فى
 الخيم بميدان القبق لعرض العسكر بخيولهم ورماحهم حتى تعتير أحوالهم، وعرضوا فى
 كل يوم عشرة مقدمين من الحلقة بمضافيهم فقطعوا يسيراً منهم، ثم أبقوا الجميع لما
 داجى عليهم المقدمون فى أمر الجند حتى أقروا من هو دخيل فيهم. وأنهوا العرض فى
 عشرين يوماً، ورميت الإقامات. وهذا وقد امتلأت أرض مصر بالجلفلى من البلاد
 الشامية، ورخصت الأسعار عند قدومهم حتى أبيع القمح بعد عشرين درهما الأردب
 بخمسة عشر.

وخرج السلطان من القلعة يوم السبت ثالث عشر صفر إلى الريدانية خارج القاهرة،
 وتلاحقت به الأمراء والعساكر، فسار إلى غزة وأقام بها يومين.

فورد الخبز بمسير غازان بعد عبوره من الفرات إلى نحو أنطاكية، وقد جفل الناس بين
 يديه. وخلت بلاد حلب وفرقاً سنقر نائبها إلى حماة، وبرز كتبغا نائب حماة ظاهرها
 فى ثانى عشرى ربيع الأول، ووصل إليهم عساكر مصر والشام فأقاموا خارج حماة.

وأمر السلطان الجيوش بالمسير من غزة، فوقع الرحيل إلى العوجاء^(١). وأصاب
 العسكر فيها شدائد من الأمطار التى توالى أهداً وأربعين يوماً حتى عدم فيها الواصل
 واشتد الغلاء. وأضعف البرد الدواب والغلمان، وبلغ الحمل التبن إلى أربعين درهما
 وأعلية الشعير ثلاثة دراهم، والخبز كل ثلاثة أرغفة بدرهم، واللحم كل رطل بثلاثة
 دراهم. وعقب المطر سيل عظيم أتلغ معظم الأتقال، ومات جماعة من الغلمان وأربعة
 من الجند لشدة البرد. ثم وقع الرحيل فى الأوحال العظيمة.

فقدم البريد من حلب بأن غازان توجه من جبال أنطاكية إلى جبال السماق^(٢) وأنه
 عاد على قرون^(٣) حماة وشيزر^(٤)، فذهب وسبى عالماً عظيماً، وأخذ مالا كبيراً من

(١) العوجاء: نهر بين أرسوف والرملة من أرض فلسطين من السواحل. انظر معجم البلدان

١٦٧/٤.

(٢) جبل السماق: هو جبل عظيم من أعمال حلب الغربية، يشتمل على مدن كثيرة وقرى

وقلاع. انظر: معجم البلدان ١٠٢/٢.

(٣) قرون: انظر معجم البلدان ٣٣٥/٤.

(٤) شيرز: مدينة بالشام من أعمال حمص. انظر معجم البلدان ٣٨٢/٣، والروض المعطار ٣٥٢.

المواشى وغيرها، وأنه قصد التوجه إلى دمشق، فأرسل الله عليه ثلوجا وأمطاراً لم يعهد مثلها، ووقع فى خيول عساكره وجماهم الموتان حتى كانت عدة جشار غازان اثنى عشر ألف فرس فلم يبق منها إلا نحو الألفى فرس، وبقي معظم عساكره بغير خيول، فرجع وأكثرهم مرتدفون بعضهم بعضاً، وأن غازان خاض الفرات فى حادى عشر جمادى الأولى، فسر الناس سروراً عظيماً.

وسار الأمير سيف الدين بكتمر السلاح دار بمضافيه، والأمير بهاء الدين يعقوبا بمضافيه، إلى حلب فى ألقى فارس، لتكون السمعة وتطمئن أهل البلاد، وعاد السلطان ببقية العساكر إلى مصر سلخ ربيع الآخر. واستقر الأمير سيف الدين بدخاص فى نيابة صغد، عوضاً عن كراى لاستعفائه منها، وأنعم على كراى بإقطاع الأمير بلبان الطباخى بعد موته، واستقر بلبان الجوكندار حاجب دمشق شاد الدواوين بها. فقدم العسكر إلى دمشق فى سابع جمادى الأولى، وقدم السلطان قلعة الجبل فى يوم الإثنين حادى عشره.

وكان الناس لما بلغهم بدمشق عود السلطان إلى مصر اشتد خوفهم، وخرج معظمهم يريدون القاهرة، ونودى بدمشق فى تاسع جمادى الأولى: «من أقام بدمشق بعد هذا النداء قدمه فى عنقه، ومن عجز عن السفر فليتحصن بقلعة دمشق»، فخرج بقية الناس على وحوهم. وغلّت الأسعار بدمشق حتى أبيعت الغرارة القمح بثلاثمائة درهم، والرطل اللحم بتسعة دراهم، فلما خرج الجفل نزلت الغرارة إلى مائتى درهم.

وفى جمادى الآخرة: كثر الإرجاف بعود التتر، وقد خلت البلاد الشامية من أهلها ونزحوا إلى مصر.

وفى رجب: كانت وقعة أهل الذمة: وهى أنهم كانوا قد تزايد ترفهم بالقاهرة ومصر، وتفننوا فى ركوب الخيل المسومة والبغلات الرائعة بالحللى الفاخرة، ولبسوا الثياب السرية، وولوا الأعمال الجلييلة. فاتفق قدوم وزير ملك المغرب يريد الحج، واجتمع بالسلطان والأمراء، وبينما هو تحت القلعة إذا برجل راكب فرسا وحوله عدة من الناس مشاة فى ركابه، يتضرعون له ويسألونه ويقبلون رجليه، وهو معرض عنهم لا يعبا بهم بل ينهرهم ويصيح فى غلمانهم بطردهم. فقيل للمغربى إن هذا الراكب نصرانى فشق عليه، واجتمع بالأميرين بيبرس وسلار وحدثهما بما رآه، وأنكر ذلك وبكى بكاء كثيراً، وشنع فى أمر النصرارى وقال: «كيف ترجون النصر والنصارى تتركب عندكم الخيول وتلبس العمائم البيض، وتذل المسلمين وتشبههم فى خدمتكم؟»

وأطال القول في الإنكار وما يلزم ولاية الأمور من إهانة أهل الذمة وتغيير زيهم. فأثر كلامه في نفوس الأمراء، فرسم أن يعقد مجلس بحضور الحكام، واستدعيت القضاة والفقهاء، وطلب بطرك النصارى، وبرز مرسوم السلطان بحمل أهل الذمة على ما يقتضيه الشرع المحمدى. فاجتمع القضاة بالمدرسة الصالحية بين القصرين، وندب لذلك من بينهم قاضى القضاة شمس الدين أحمد السروجى الحنفى، وطلب بطرك النصارى، وجماعة من أساقفتهم وأكابر قسيسيهم وأعيان ملتهم، وديان اليهود وأكابر ملتهم، وستلوا عما أقروا عليه فى خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه من عقد الذمة، فلم يأتوا عن ذلك بجواب. وطال الكلام معهم إلى أن استقر الحال على أن النصارى تتميز بلبس العمائم الزرق، واليهود بلبس العمائم الصفرة، ومنعوا من ركوب الخيل والبغال، ومن كل ما منعهم منه الشارع ﷺ، وألزموا بما شرطه عليهم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه. فالتزموا ذلك وأشهد عليه البطرك أنه حرم على جميع النصرانية مخالفة ذلك والعدول عنه، وقال رئيس اليهود ودانهم: «أوقعت الكلمة على سائر اليهود فى مخالفة ذلك والخروج عنه» وانفض المجلس، وطولع السلطان والأمراء بما وقع، فكتب إلى أعمال مصر والشام به.

ولما كان يوم خميس العهد وهو العشرون من شهر رجب: جمع النصارى واليهود بالقاهرة ومصر وظواهرها، ورسم ألا يستخدم أحد منهم بديوان السلطان ولا بدواوين الأمراء، وألا يركبوا خيلاً ولا بغلاً، وأن يلتزموا سائر ما شرط عليهم. ونودى بذلك فى القاهرة ومصر، وهدد من خالفه بسفك دمه. فانحصر النصارى من ذلك، وسعوا بالأموال فى إبطال ما تقرر، فقام الأمير بيبرس الجاشنكير فى إمضاء ما ذكر قيما محموداً، وصمم تصميمًا زائداً. فاضطر الحال بالنصارى إلى الإذعان، وأسلم أمين الملك عبد الله بن العناب مستوفى الصحبة وخلق كثير، حرصاً منهم على بقاء رياستهم، وأنفـة من لبس العمائم الزرق وركوب الحمير. وخرج البريد بحمل النصارى واليهود فيما بين دمقلة^(١) من النوبة^(٢) والفرات على ما تقدم ذكره.

وامتدت أيدي العامة إلى كنائس اليهود والنصارى، فهدموها بفتوى الشيخ الفقيه

(١) دمقلة: فى غربى النيل على ضفته، وهى قاعدة ملك النوبة، وأهلها سودان، ومن النيل يشرب أهلها، وبين دمقلة وعمل مصر أربعون يوماً، وتسير من دمقلة فى جبال وشعاب حتى تنتهى إلى صوراً وهو آخر بلادهم. انظر معجم البلدان ٤٧٠/٢، والروض العطار ٢٣٦، والإدريسى ١٩، وصبح الأعشى ٢٧٥/٥، والبكرى ٥٩.

(٢) النوبة: بلاد واسعة عريضة فى جنوبى مصر. انظر: معجم البلدان ٣٠٩/٥.

نجم الدين أحمد بن محمد بن الرفعة. فطلب الأمراء القضاة والفقهاء للنظر فى أمر الكنائس، فصرح ابن الرفعة بوجوب هدمها، وامتنع من ذلك قاضى القضاة تقى الدين محمد بن دقيق العيد، واحتج بأنه إذا قامت البينة بأنها أحدثت فى الإسلام تهدم، وإلا فلا يتعرض لها، ووافقه البقية على هذا وانفضوا.

وكان أهل الإسكندرية لما ورد عليهم مرسوم السلطان فى أمر الذمة ثاروا بالنصارى وهدموا لهم كنيسةتين، وهدموا دور اليهود والنصارى التى تعلو على دور جيرانهم المسلمين، وحطوا مساطب حوائيتهم حتى صارت أسفل من حوائيت المسلمين. وهدم بالفيوم أيضًا كنيسةستان.

وقدم البريد فى أمر الذمة إلى دمشق يوم الإثنين سابع شعبان، فاجتمع القضاة والأعيان عند الأمير أقش الأفرم وقرئ عليهم مرسوم السلطان بذلك، فنودى فى خامس عشره أن يلبس النصارى العمائم الزرق واليهود العمائم الصفرة والسامرة العمائم الحمر، وهددوا على المخالفة. فالتزم النصارى واليهود بسائر مملكة مصر والشام ما أمروا به، وصبغوا عمائمهم إلا أهل الكرك، فإن الأمير جمال الدين أقش الأفرم الأشرفى النائب بها رأى إبقاءهم على حالتهم، واعتذر بأن أكثر أهل الكرك نصارى، فلم يغير أهل الكرك والشوبك من النصارى العمائم البيض.

وبقيت الكنائس بأرض مصر مدة سنة مغلقة حتى قدمت رسل الأشكرى ملك الفرنج تشفع فى فتحها، ففتحت كنيسة المعلقة بمدينة مصر، وكنيسة ميكائيل الملكية ثم قدمت رسل ملوك آخر، ففتحت كنيسة حارة^(١) وزويلة، وكنيسة نقولا^(٢).

وفيهما فنيت أبقار أرض مصر: وذلك أنه وقع فيها وباء من أخريات السنة الماضية، وتزايد الأمر حتى تعطلت الدوايب ووقفت أحوال السواقى، وتضرر الناس من ذلك. وكان لرجل من أهل أشمون طناح ألف وأحد وعشرون رأسا من البقر، مات منها ألف وثلاثة رؤس وبقي له ثمانية عشر رأسا لا غير. واضطر الناس لتعويض البقر بالجمال والحمير، وبلغ الثور ألف درهم.

وفيهما استقر الأمير أسندمر كرجى فى نيابة طرابلس، لاستعفاء الأمير قطلوبك المنصورى.

وفيهما اختلف عربان البحيرة، واقتلت طائفتا جابر وبرديس^(٣) حتى فنى بينهما بشر كثير، واستظهرت برديس.

(١) كنيسة حارة: حارة زويلة بالقاهرة كنيسة عظيمة عند النصارى اليعاقبة.

(٢) إحدى الكنائس الخمس التى كانت للمسيحين الملكانيين.

(٣) باب من أبواب أمراء العربان.

فخرج الأمير بيبرس الدوادار فى عشرين أميراً من الطبلخاناه إلى تروجة، فانهزم العرب منهم، فتبعوهم إلى الليونة^(١) وأخذوا جمالمهم وأغنمامهم، واستدعوا أكابرههم ووقفوا بينهم وعادوا.

وفىها خرج الوزير شمس الدين سنقر الأعسر فى عدة مائة من الممالىك السلطانية إلى الوجه القبلى لحسم العربان، وقد كان كثر عيئهم وفسادهم، ومنع كثر منهم الخراج لما كان من الاشتغال بحركات غازان. فأوقع الوزير شمس الدين بكثير من بلاد الصعيد الكبسات، وقتل جماعات من المفسدين، وأخذ سائر الخيول التى ببلاد الصعيد، فلم يدع بها فرسا لفلاح ولا بدوى ولا قاض ولا فقيه ولا كاتب، وتبع السلاح الذى مع الفلاحين والعربان فأخذة عن آخره، وأخذ الجمال. وعاد من قوص إلى القاهرة، ومعه ألف وستون فرسا، ومئتمائة وسبعون جملا، وألف وستمائة رمح، وألف ومائتا سيف، وسبعمائة درقة، وستة آلاف رأس من الغنم، فسكن ما كان بالبلاد من الشر، وذلت الفلاحون، وأعطوا الخراج.

واتفق أن بعض النصارى فتح كنيسة، فاجتمع العامة ووقفوا إلى الأمير سلاى النائب، وشكوا النصارى أنهم فتحوا كنيسة بغير إذن، وأن فىهم من امتنع من لبس العمامة الزرقاء واحتمى بالأمراء. فنودى بالقاهرة ومصر أن من امتنع من النصارى من لبس العمامة الزرقاء نهب وحل ماله وجرمه، وألا يستخدم نصرانى عند أمير ولا فى شىء من الأشغال السلطانية ولا فىما فىه نفع. فامتدت أيدي العامة إلى اليهود والنصارى، وكادوا يقتلونهم من كثرة الصفع فى رقابهم بالأكف والنعال، فامتنع الكثير منهم من المشى فى الأسواق خوفا على نفسه.

وقدمت رسل غازان إلى الفرات، فورد البريد بذلك، فخرج إليهم الأمير سيف الدين كراى على البريد لإحضارهم، فقدموا دمشق يوم الثلاثاء ثالث عشرى ذى القعدة، وهم نحو العشرين رجلا، فأنزلوا بقلعتها. وحمل ثلاثة منهم إلى مصر فى ثامن عشرىه، وهم كمال الدين موسى بن يونس^(٢) قاضى الموصل وناصر الدين على خواجه ورفيقه،

(١) وهى من قرى مريوط.

(٢) موسى بن يونس بن محمد بن معنة بن مالك العقلى، كمال الدين، أبو الفتح الموصلى: فيلسوف، علامة بالرياضيات والحكمة والأصول، عارف بالموسيقى والأدب والسير. مولده ووفاته بالموصل. تعلم بها وبالمدرسة النظامية ببغداد. من كتبه «كشف المشكلات» فى تفسير القرآن وكتاب «مفردات ألفاظ القانون» لابن سينا. انظر وفيات الأعيان ١٣٢/٢ ومفتاح السعادة ٢١٤/٢ وطبقات السبكي ١٥٨/٥-١٦٢، وروض المناظر ١٣٥/١٢، وشذرات الذهب ٢٠٦/٥، والبداية والنهاية ١٥٨/١٣، ومرآت الجنان ١٠١/٤، والأعلام ٣٣٢/٧.

فوصلوا إلى القاهرة ليلة الإثنين خامس ذى الحجة، وأكرموا غاية الإكرام.

فلما كان وقت العصر من يوم الثلاثاء سادس عشره: واجتمع الأمراء والعسكر بقلعة الجبل، وألبست المماليك السلطانية الكلفيات الزركش والطرز الزركش على أفخر الملابس، وجلس السلطان بعد العشاء الآخرة وبين يديه ألف شمعة تعد، وقد وقفت المماليك من باب القلعة من باب الإيوان صفيين. وأحضرت الرسل فسلموا وقام قاضى الموصل وعلى رأسه طرحة، فخطب خطبة بليغة وجيزة فى معنى الصلح، ودعا للسلطان ولغازان وللأمراء وأخرج كتابا من غازان مختوما فلم يفتح.

وأخرج بالرسل إلى مكانهم إلى ليلة الخميس، ففتح الكتاب الذى من عند غازان وهو فى قطع نصف البغدادى، فإذا هو بالخط المغلى، فغرب وقرئ من الغد بحضرة أهل الدولة فإذا هو يتضمن أن عساكر مصر دخلت فى العام الماضى أطراف بلاده وأفسدت، فأنف من ذلك وقدم إلى الشام وهزم العساكر، ثم عاد فلم يخرج إليه أحد، فرجع إبقاء على البلاد لتلا تخرب، وأنه مستعد للحرب، ودعا إلى الصلح، فكذب جوابه، وجهز الأمير شمس الدين محمد بن التيتى وعماد الدين على بن عبد العزيز بن عبد الرحمن بن عبد العلى بن السكرى خطيب جامع الحاكم والأمير حسام الدين أزدمر الجحبرى، للسفر بالجواب مع الرسل الواصلين من عند غازان.

وكان فى هذا العام: سائر أقطار الأرض مشتغلة بالحرب، فكان الملك المسعود علاء الدين سنجر - عتيق شمس الدين أيتامش، عتيق السلطان غياث الدين - وهو ملك دله بالهند، قد حارب قوما فى السنة الماضية، فأتوا فى هذه السنة إلى دله ونهبوا وأسروا، وخرج عليه طائفة التتر فحاربهم حروبا عظيمة وهزمهم. وقام بأرض الحبشة فى السنة الماضية رجل يقال له أبو عبد الله محمد يدعو إلى الإسلام، فاجتمع عليه نحو المائتى ألف رجل. وحارب الأحرى فى هذه السنة حروبا كثيرة. وكان ببلاد اليمن بين ملكها الملك المؤيد هزبر الدين وبين الزيدية عدة حروب.

وفىها ثقلت وطأة الأمير الوزير سنقر الأعسر على الأمراء، لشدة تعاظمه وكثرة شمعه وتزايد كبره ووفور حرمة وقوة مهابته، ولما كان من ضربه للتاج بن سعيد الدولة مستوفى الدولة بالمقارع حتى أسلم، وتغريمه مالا كبيرا، وكان من ألزام الأمير الجاشنكير وفيه حمق ورقاعة زائدة. فلما فعل به الوزير ما فعل تخلى عن المباشرة وانقطع بزواية الشيخ نصر المنبجى خارج باب النصر، حتى تحدث الشيخ نصر مع الأمير بيبرس فى إعفائه من المباشر فأجاب، وكان له فيه اعتقاد ولكلامه عنده قبول.

فأحب الأمراء إخراج الوزير من الوزارة، وكانت في الناس بقايا من حشمة، فأحبوا مراعاته والتجمل معه، وعينوه لكشف القلاع الشامية وإصلاح أمرها وترتيب سائر أحوالها وتفقد حواصلها، وكانت حيثئذ عامرة بالرجال والأموال والسلاح، فسار لذلك.

وفيها تزوج السلطان بخوند أردكين بنت نو كاي امرأة أخيه الملك الأشرف، وعمل له مهم عظيم أنعم فيه على سائر أهل الدولة بالخلع وغيرها.

وبلغ النيل في هذه السنة سبعة عشر ذراعاً وخمسة عشر أصبعاً، وكانت سنة مقبلة رخية الأسعار.

وحج فيها الأمير بكتمر الجوكندار، وأنفق في حجته خمسة وثمانين ألف دينار، وصنع معروفاً كثيراً: من جملة أنه جهز سبعة مراكب في بحر القلزم قد شحنها بالغلل والدقيق وأنواع الإدام من العسل والسكر والزيت والحلوى ونحو ذلك، فوجد بالينبع أنه قد وصل منها ثلاثة مراكب، فعمل ما فيها أكواماً ونادى في الحج من كان محتاجاً إلى متونة أو حلوى فليحضر، فاتاه المحتاجون فلم يرد منهم أحداً، وفرق ما بقى على الناس ممن لم يحضر لغناه، وأعطى أهل الينبع، ووصلت بقية المراكب إلى جدة، ففعل بمكة كذلك، وفرق على سائر أهلها والفقراء بها وعلى حاج الشام.

وفي هذه السنة أيضاً كانت ملوك الأقطار كلها شباب لم يبلغوا الثلاثين سنة.

* * *

ومات في هذه السنة ممن له ذكر

الأمير عز الدين أيدير الظاهري، وهو أحد من ولي نيابة دمشق في الأيام الظاهرية، وقد استقر بها أميراً حتى مات في يوم الأربعاء ثاني ربيع الأول.

ومات الأمير عز الدين أييسك كرجي الظاهري، أحد أمراء الألف بدمشق، في عاشر ذي القعدة.

ومات الأمير سيف الدين بلبان الطباخي، نائب حلب في غرة صفر بغزة، وهو عائد من التجريدة.

ومات الأمير جمال الدين أقوش الشريفي نائب قلعة الصلت وبرز الكرك والشوبك، وكان مهيباً.

ومات الأمير عز الدين محمد بن أبي الهيجاء الهمداني الأربلي، متولى نظر دمشق، بطريق مصر وهو عائد منها، عن ثمانين سنة، وكان عالما بالأدب والتاريخ مشكور السيرة.

ومات الشيخ شمس الدين محمود بن أبي بكر أبي العلاء الكلاباذى البخارى الفرضى^(١) الحنفى، فى أول ربيع الأول بدمشق، وقد قدم القاهرة، وكان فاضلا.

ومات تاج الدين محمد بن أحمد بن هبة الله بن قلس الأرمنى، إمام المدرسة الظاهرية بين القصرين، وله شعر منه:

احفظ لسانك لا أقول فإن أقل
وأعيذ نفسى من هجائك فالذى
فنصيحة تحفى على الجلاس
يهجى يكون معظما فى الناس
وقال:

قد قلت إذ لج فى معاتبتى
خدك ذا الأشعرى حنفتى
وظن أن الملل من قبلى
وكان من أحمد المذاهب لى
يا مالكى كيف صرت معتزلى
حسنك مازال شافعى أبداً

وكان مقربا فاضلا

* * *

(١) محمود بن أبي بكر بن أبي العلاء بن على البخارى ثم الكلاباذى، أبو العلاء، شمس الدين: فرضى، من المفتين العلماء بالحديث. ولد وتعلم ببخارى وبغداد والشام ومصر، وتوفى بماردين. من كتبه «ضوء السراج» فى شرح الفرائض السراجية. نسبته إلى كلاباذ محلة فى بخارى. انظر تاريخ علماء بغداد ٢١٣-٢١٥ وكشف الظنون ١٢٤٩ وشذرات الذهب ٥/٤٥٧ الجواهر المضية ٢/١٦٣، ٣٤٣. والأعلام ١٦٦/٧.

سنة إحدى وسبعمائة

فى المحرم: عادت رسل غازان مع الرسل السلطان بجوابه.

وفى عاشره: استقر فى الوزارة الأمير عز الدين أيبك البغدادى المنصورى، عوضا عن سنقر الأعسر وهو غائب بالشام. واستقر الأمير بيبرس التاجى أحد الأمراء البرجية فى ولاية القاهرة، عوضا عن ناصر الدين محمد بن الشيخى، ونقل ابن الشيخى إلى ولاية الجيزة فى عشره.

وفيه توجه السلطان إلى الصيد فى هذا اليوم.

وفيه توجه الأمير أسنمدر كرجى إلى نيابة طرابلس، عوضا عن الأمير قطلوبك بحكم استعفائه، فقدم دمشق فى حادى عشر المحرم.

وفى شهر المحرم: أيضا استقر الأمير سيف الدين بلبان الجوكندار شاد الدواوين بدمشق، عوضا عن الأمير سيف الدين أقجبا، ونقل أقجبا إلى نيابة السلطنة بدمشق، عوضا عن الأمير ركن الدين بيبرس الموقفى. وظهر بالقاهرة رجل ادعى أنه المهدي، فعزر ثم خلى عنه.

وفىها مات الخليفة الإمام الحاكم بأمر الله أبو العباس أحمد^(١) فى ثامن عشر جمادى الأولى، بمناظر الكبش، فغسله الشيخ كريم الدين عبد الكريم الأبلى شيخ الشيوخ بخانقاه سعيد السعداء، وحضر الأمراء والناس جنازته، وصلى عليه بجامع ابن طولون، ودفن بجوار المشهد النفيسى. وكانت خلافته بمصر أربعين سنة. وترك من الأولاد أبا الربيع سليمان ولى عهده، وإبراهيم بن أبى عبد الله محمد المستمسك بن الحاكم أحمد. فأقيم بعده أبو الربيع وعمره عشرون سنة، ولقب المستكفى بالله، وكتب تقيده وقرئ بحضرة السلطان فى يوم الأحد عشرى جمادى الأولى، وكان يوما شهودًا. وخطب له على

(١) سليمان بن أحمد بن على، أبو الربيع الخليفة المستكفى بالله، ابن الحاكم بأمر الله من خلفاء الدولة العباسية الثانية بمصر. ولد ببغداد، وخطب له بمصر بعد وفاة أبيه سنة ٧٠١هـ بعهد منه. استمرت خلافته ٣٩ سنة وشهرين و١٣ يوما، ولم يكن له منها غير مراسمها. انظر: المختصر لأبى الفداء ١٣٢/٤ والبداية والنهاية ١٤/١٨٧ وابن إياس ١٤٤/١ وابن الوردى ٣١٧/٢ والدرر الكامنة ١٤١/٢، والنجوم الزاهرة ١٠/١٦٩، والأعلام ٣/١٢١.

عادة أبيه، واستمر يركب مع السلطان فى اللعب بالكرة ويخرج معه للصيد، وصارا كأخوين، وكان الحاكم قد عهد بالخلافة إلى ابنه الأمير أبى عبد الله محمد ولقبه المستمسك بالله، وجعل أبى الربيع من بعده. فمات المستمسك، واشتد حزن أبى الحاكم عليه، فعهد لابنه إبراهيم بن محمد المستمسك من بعده. فلما مات الحاكم لم يقدم بعده إلا أبى الربيع، وترك إبراهيم.

وفىها كثر فساد العربان بالوجه القبلى، وتعدى شرمهم فى قطع الطريق إلى أن فرضوا على التجار وأرباب المعاش بأسيوط^(١) ومنفلوط^(٢) فرائض جبوها شبه الجالية. واستخفوا بالولاة ومنعوا الخراج، وتسموا بأسماء الأمراء، وجعلوا لهم كبيرين أحدهما سموه بيبرس والآخر سلار، ولبسوا الأسلحة وأخرجوا أهل السجون بأيديهم. فاستدعى الأمراء القضاة والفقهاء، واستفتوهم فى قتالهم، فأفتوهم بجواز ذلك. فاتفق الأمراء على الخروج لقتالهم وأخذ الطرق عليهم، لئلا يمتنعوا بالجبال والمفاوز فيفوت الغرض فيهم، فاستدعوا الأمير ناصر محمد بن الشيخى متولى الجزية - وغيره من ولاة العمل، وتقدموا إليه بمنع الناس بأسرهم من السفر إلى الصعيد فى البر والبحر، ومن ظهر أنه سافر كانت أرواح الولاة قبالة ذلك، فاشتد حرصهم.

وأشاع الأمراء أنهم يريدون السفر إلى الشام، وكتبت أوراق الأمراء المسافرين، وهم عشرون مقدماً بمضافيهم، وعينوا أربعة أقسام: قسم يتوجه فى البر الغربى من النيل، وقسم فى البر الشرقى، وقسم يركب النيل، وقسم يمشى فى الطريق السالكة. وتوجه الأمير شمس الدين سنقر الأعسر - وقد قدم من الشام بعد عزله من الوزارة، واستقراره فى جملة الأمراء المقدمين - إلى جهة الواح فى خمسة أمراء، وقرر أن يتأخر مع السلطان أربعة أمراء من المقدمين، وتقدم إلى كل من تعين لجهة أن يضع السيف فى الكبير والصغير والجليل والحقير، ولا يبقوا شيخاً ولا صبيّاً، ويحتاطوا على سائر الأموال.

وسار الأمير سلار فى رابع جمادى الآخرة ومع جماعة من الأمراء فى البر الغربى، وسار الأمير بيبرس بمن معه فى الحاجر فى البر الغربى على طريق الواحات، وسار الأمير بكتاش أمير سلاح بمن معه إلى الفيوم^(٣) وسار الأمير بكتامر الجوكندار بمن معه فى البر

(١) أسيوط: مدينة على الضفة الغربية من نيل مصر وهى كبيرة عامرة أهلة جامعة لضروب الخاسن كثيرة الجنات والبساتين واسعة الأرضين جميلة حسنة بينها وبين أحميم صاعداً من النيل نصف مجرى. انظر معجم البلدان ١/١٩٣، والروض المعطار ٥٨، والإدرىسى ٤٨.

(٢) منفلوط: بلدة بالصعيد فى غربى النيل بينها وبين شاطئ النيل بعد. انظر: معجم البلدان

(٣) الفيوم: فى البلاد المصرية، وهو نظر كبير فيه قرى كثيرة، يقال إن فيه من القرى عدد ما فى -

الشرقى، وسار قتال السبع ويبرس الدوادار وبلبان الغلشى وعرب الشرقية إلى السويس والطور، وسار الأمير قبجق ومن معه إلى عقبة السيل، وسار طقصبا والى قوص بعرب الطاعة وأخذ عليهم المفازات.

وضرب الأمراء على الوجه القبلى حلقة كحلقة الصيد، وقد عميت أخبارهم على أهل الصعيد، فطرقوا البلاد على حين غفلة من أهلها، ووضعوا السيف فى الجيزية بالير الغربى والإطفيحية من الشرق، فلم يتركوأ أحدًا حتى قتلوه، ووسطوا نحو عشرة آلاف رجل، وما منهم إلا من أخذوا ماله وسبوا حريمه، فإذا ادعى أحد أنه حضرى قيل له قل: «دقيق»، فإن قال بقاف العرب قتل.

ووقع الرعب فى قلوب العربان حتى طبق عليهم الأمراء، وأخذوهم من كل جهة فرؤا إليها، وأخرجوهم من مخابثهم حتى قتلوا من بجانبى النيل إلى قوص، وجافت الأرض بالقتلى. واختفى كثير منهم بمغائر الجبال، فأوقدت عليم النيران حتى هلكوا عن آخرهم، وأسر منهم نحو ألف وستمائة لهم فلاحات وزروع، وحصل من أموالهم شىء عظيم جدًا تفرقته الأيدى. وأحضر منه للديوان ستة عشر ألف رأس من الغنم، من جملة ثمانين ألف رأس ما بين ضأن وماعز، ونحو أربعة آلاف فرس واثنين وثلاثين ألف جمل، وثمانية آلاف رأس من البقر، غير ما أرصد فى المعاصر، ومن السلاح نحو مائتين وستين حملا ما بين سيوف ورماح، ومن الأموال على بغال محملة مائتين وثمانين بغلاً. وصار لكثرة ما حصل للأجناد والغلمان والفقراء الذين اتبعوا العسكر يباع الكبش السمين من ثلاثة دراهم إلى درهمين، والمعز بدرهم الرأس، والجزء الصوف بنصف درهم، والكساء بخمسة دراهم، والرطل السمن بربع درهم، ولم يوجد من يشتري الغلال من كثرتها، فإن البلاد طرقت وأهلها آمنون، وقد كسروا الخراج.

ثم عاد العسكر فى سادس عشر رجب، وقد خلت البلاد بحيث كان الرجل يمشى فلا يجد فى طريقه أحدًا، وينزل بالقرية فلا يرى إلا النساء والصبيان والصغار، فأفرجوا عن المأسورين وأعادوهم لحفظ البلاد. وكان الزرع فى هذه السنة بالوجه القبلى عظيما إلى الغاية، تحصل منه ما لم يقدر قدره كثرة.

وفىها قدم اليريد بحضور علاء الدين بن شرف الدين محمد بن القلانسى إلى دمشق،

=قطر مصر كلها من القرى، وقيل سميت الفيوم لأن خراجها ألف دينار كل يوم، والفيوم فى وسط بلاد مصر، فلا يوتى إلى كورة الفيوم من ناحية من النواحي لا من صحراء ولا مفازة. انظر معجم البلدان ٤/١٨٤، والروض المعطار ٤٤٥، الاستبصار ٩٠، والإدريسى ١٤٦، وخطط المقرئى ٢٤٥/١، وابن الوردى ٢٣.

وصحبه شرف الدين [...] (١) بن الأثير، في تاسع عشرى جمادى الأولى من بلاد التتر، وكانا قد أخذوا لما دخل التتر إلى بلاد الشام، ففرا ولقيا مشقة زائدة في طريقهما. وفيها ورد البريد من حلب بأن تكفور متملك سيس منع الحمل وخرج عن الطاعة وانتفى لغازان، فرسم بخروج العسكر لمحاربتة، وخرج الأمير بدر الدين بكتاش الفخري أمير سلاح والأمير عز الدين أيك الخازندار بمضافيهما من الأمراء والمفاردة [...] (٢) في رمضان وساروا إلى حماة، فتوجه معهم العادل كتبغا في خامس عشرى شوال، وقدموا حلب في أول ذى القعدة ورحلوا منها في ثالثه، ودخلوا دربند بغراس في سابعه. وانتشروا في بلاد سيس، فحرقوا المزرورع وانتهبوا ما قدروا عليه، وحاصروا مدينة سيس وغنموا من سفح قلعتها شيئا كثيرا من جُفَّال الأرمن، وعادوا من الدربند إلى مرج أنطاكية. فقدموا حلب في تاسع عشره، ونزلوا حماة في سابع عشره، وقد ابتدأ بالعادل كتبغا مرض.

وفيها قدم البريد من طرابلس بأن الفرنج أنشئوا جزيرة تجاه طرابلس تعرف بجزيرة أرؤاد، وعمروها بالعدد والآلات وكثر فيها جمعهم، وصاروا يركبون البحر ويأخذون المراكب، فرُسم للوزير بعمارة أربعة شوانى حربية، فشرع في ذلك. وفيها ضرب عنق فتح الدين أحمد البقعى الحموى على الزندقة، في يوم الإثنين رابع عشر ربيع الأول، وكانت البينة قد قامت عليه قبل ذلك بما يوجب قتله، من النقض بالقرآن وبالرسول، وتحليل الحرمات والاستهانة بالعلماء والقدح فيهم، وغير ذلك. وفيها أخرج الأمير بكتمر الحسامى من الأمير أخورية من حنق الأمراء عليه، فإنه أكثر الكلام مع السلطان، وكان غرضهم أن السلطان لا يتعرّف به أحد. فأقام الأمير بكتمر معطلاً مدة حتى وفاة مُغلطاي التقوى، أحد أمراء دمشق بها، فأخرج على إقطاعه واستقر عوضه أمير أخور علم الدين سنجر الصالحى.

وفيها قدم البريد من حماة بوقوع مطر فيما بينها وبين حصن الأكراد، عقبه قطع بردي كبار في صورة الآدميين من ذكر وأنثى، وفيه شبه صورة القرود، وعمل بذلك مشروح. وكثر بدمشق الجراد، وأكل أوراق الأشجار وفواكهها.

وفيها أضيف إلى بدر الدين محمد بن جماعة (٣) قاضى القضاة بدمشق مشيخة الشيوخ

(١) ما بين المعقوفين بياض فى الأصل.

(٢) ما بين المعقوفين بياض فى الأصل.

(٣) محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة الكنانى الحموى الشافعى، بدر الدين، أبو عبد الله: قاض من العلماء بالحديث وعلوم الدين. ولد فى حماة. وولى الحكم والخطابة بالقلس ثم القضاة بمصر فقضاة الشام، ثم قضاة مصر إلى أن شاخ وعمى. كان من خيار القضاة. توفى بمصر. انظر فوات =

بها، بعد موت الفخر يوسف بن حمويه.

وفيها حجَّ الأمير بيبرس الجاشنكير ومعه ثلاثون أميراً ساروا ركباً بمفردهم، ومن ورائهم بقية الحاجِّ في ركبين، وأمير الحاج الأمير بيبرس المنصوري الدوادار. وخرج بيبرس الجاشنكير من القاهرة أول ذى القعدة، فحضر إليه بمكة الشريفان عطيفة^(١) وأبو الغيث من أولاد أبي نغمي، وشكياً من أخيهما أسد الدين رميثة^(٢) وأخيه عز الدين حميضة^(٣) أنهما وثبا بعد وفاة أبيهم عليهما، واعتقلاهما ففرّاً من الاعتقال. فقبض على رميثة وحميضة، وحُملا إلى القاهرة، واستقر عوضهما في إمارة مكة عطيفة وأبو الغيث.

* * *

ومات في هذه السنة من الأعيان

مسند العصر شهاب الدين أحمد بن رفيع الدين إسحاق بن محمد المؤيد الأبرقوهي^(٤)، بمكة في العشرين من ذى الحجة، عن سبع وثمانين سنة، ومولده سنة خمس عشرة وستمائة بأبرقوه من شيراز.

ومات الحافظ شرف الدين أبو الحسين علي ابن الإمام عبد الله محمد بن أبي

=الوفيات ١٧٤/٢ ونكت الهميان ٢٣٥ والأنس الجليل ٤٨٠/٢ والبداية والنهاية ١٦٣/١٤ والنجوم الزاهرة ١٦٣/١٤ والدرر الكامنة ٢٨٠/٣ والأعلام ٢٩٧/٥، ٢٩٨.

(١) عطيفة بن أبي نغمي محمد بن علي الحسن بن الحسن: من أمراء مكة. ولاه بيبرس الجاشنكير سنة ٧٠١هـ وعزله سنة ٧٠٤هـ وأعيد سنة ٧١٩هـ واستمر إلى سنة ٧٣٨هـ فقبض عليه وحمل إلى مصر فسجن بالإسكندرية إلى أن توفي. انظر الدرر الكامنة ٤٥٥/٢ والجداول المرضية ١٤٥ والأعلام ٢٣٧/٤.

(٢) رميثة بن أبي نغمي محمد بن الحسن بن علي الحسن بن علي، أبو عرادة، ويلقب أسد الدين وقيل اسمه منجد: شريف من أمراء مكة. وليها مشتركاً مع أخيه حميضة ثم اختلفا فاقتتلا. انفرد بالأمر سنة ٧٣٨-٧٤٥. ونزل عن الإمارة لأولاده، وتوفي بمكة. انظر شذرات الذهب ١٤٩/٦ والدرر الكامنة ١١١/٢ والنجوم الزاهرة ١٠٤٤/١، والأعلام ٣٣/٣.

(٣) حميضة بن أبي نغمي محمد بن الحسن بن علي الحسن بن علي الهاشمي: شريف من أمراء مكة وليها سنة ٧٠١هـ مشتركاً هو وأخوه رميثة، ثم قامت بينهما الفتن واستمرت طويلاً إلى أن قتل حميضة غيلة. انظر الدرر الكامنة ٧٨/٢ وابن الوردي ٢٦٩/٢، والأعلام ٢٨٥/٢.

(٤) أحمد بن إسحاق بن محمد بن المؤيد، أبو المعاني شهاب الدين، الأبرقوهي: عالم بالحديث والقراءات من أهل أبرقوه بأصبهان ولد بها، ونشأ في همدان وعاش بمصر، وتوفي بمكة. له «معجم شيوخه» مرتب على الحروف. انظر شذرات ٤/٦ وتاريخ علماء بغداد ٢٠ والأعلام ٩٦/١.

الحسين أحمد بن عبد الله بن عيسى بن أحمد بن اليونيني، في يوم الخميس حادى عشرى رمضان بيبعلبك، ومولده في حادى عشر رجب سنة إحدى وعشرين وستمائة بيبعلبك.

ومات الأمير علم الدين سنجر أرجواش المنصورى نائبُ قلعة دمشق، في ثانى عشرى ذى الحجة.

ومات ضياء الدين أحمد بن الحسين بن شيخ السلامة بدمشق، في يوم الثلاثاء عشرى ذى القعدة، وهو أبو قطب الدين موسى وفخر الدين...^(١).

ومات فتح الدين أحمد بن محمد...^(٢) البقى الحموى مقتولا بسيف الشرع، في رابع عشرى ربيع الأول، ورفع رأسه على رمح، وسحب بدنه إلى باب زويلة فُصِّلب هناك، وسبب ذلك أنه كان ذكياً حاداً الخاطر له معرفة بالأدب والعلوم القديمة، فحفظت عنه سقطات: منها أنه قال: «لو كان لصاحب مقامات الحريرى حظٌ لتليت مقاماته في المحاريب»، وأنه كان ينكر على من يصوم شهر رمضان ولا يصوم هو، وأنه كان إذا تناول حاجة من الرّف صعد بقدميه على الربعة، وكان مع ذلك جريئاً بلسانه، مستخفاً بالقضاة يطنز بهم ويستجهلهم، حتى أنه بحث مع قاضى القضاة تقى الدين محمد بن دقيق العيد مرة وكأنه لم يجبه، فقام وهو يقول: «وقف الهوى» يريد قول أبى الشيص الخزاعى:

وقف الهوى بى حيث أنت فليس لى متأخرٌ عنه ولا متقدمٌ

يعنى أن القاضى انقطع. فقال ابن دقيق العيد للفتح بن سيد الناس: «يا فتح الدين عقبى هذا الرجل إلى التلف»، فلم يتأخر ذلك سوى عشرين يوماً، وقتل فى الحادى والعشرين منه. وذلك أنه أكثر من الوقيعة فى حقّ زين الدين على بن مخلوف قاضى قضاة المالكية وتنقصه وسبّه، فلما بلغه ذلك عنه اشتدّ حنقه وقام فى أمره، فتقرّب الناس إليه بالشهادة على ابن البقى، فاستدعاه وأحضر الشهود فشهدوا وحُكم بقتله، وأراد من ابن دقيق العيد تنفيذ ما حكم به فتوقف. وقام فى مساعدة ابن البقى ناصر الدين محمد بن الشيخى وجماعة من الكتاب، وأرادوا إثبات جته ليعفى من القتل، فصمم ابن مخلوف على قتله، واجتمع بالسلطان ومعه قاضى القضاة شمس الدين السروجى الحنفى، ومازالا به حتى أذن فى قتله. فنزلا إلى المدرسة الصالحية بين

(١) ما بين المعقوفين بياض فى الأصل.

(٢) ما بين المعقوفين بياض فى الأصل.

القصيرين ومعهما ابن الشيخى والحاجب، وأحضر ابن البقعى من السجن فى الحديد ليقتل، فصار يصيح ويقول: «أتقتلون رجلاً أن يقول ربى الله ويتشهد؟»، فلم يلتفتوا إلى ذلك، وضرب عنقه وطيف برأسه على رمح، وعُلّق جسده على باب زويلة. وفيه يقول شهاب الدين أحمد بن عبد الملك الأعزازى يجرّض على قتله، وكتب بها إلى ابن دقيق العيد:

قل للإمام العادل المرتضى وكاشف المشكل والمبهم
لا تمهل الكافر واعمل بما قد جاء فى الكافر عن مسلم
ومن شعر ابن البقعى ما كتب به إلى القاضى المالكى من السجن، وهو من جملة حماقاته:

يا لابسًا لى حلةً من مكره بسلاسة نعمت كلمس الأرقم^(١)
اعتدّ لى زردًا تَضايق نسجه وعلى خرق عيونها بالأسهم
فلما وقف عليهما القاضى المالكى، قال: «نرجو أن الله لا يمهل لذلك». ومن شعره أيضًا:

جبلت على حبى لها وألفته ولا بد أن ألقى به الله معلنا
ولم يخل قلبى من هواها بقدر ما أقول وقلبى خاليًا فتمكّنا
ومات جمال الدين عثمان بن أحمد بن عثمان بن هبة الله بن أبى الحوافز رئيس الأطباء فى مستهل صفر، ومولده سنة تسع وعشرين وستمائة.
ومات الأمير علاء الدين على التقوى، أحد أمراء دمشق بها.

ومات الشريف أبو نعى محمد بن أبى سعد حسن بن على بن قتادة بن إدريس بن مطاعن بن عبد الكريم بن عيسى بن حسين بن سليمان بن على بن الحسن بن على بن أبى طالب، أمير مكة، فى يوم الأحد رابع صفر، وقد أقام فى الإمارة أربعين سنة، وقدم القاهرة مرارًا، وكان يقال لولا أنه زيدى لصلح للخلافة لحسن صفاته.

ومات مجد الدين يوسف بن محمد بن على بن القباقيبى الأنصارى، موقع طرابلس، وله شعر وترسل.

ومات الأمير عز الدين النجيبى والى البرّ بدمشق، فى سادس عشر ربيع الأول بدمشق.

(١) الأرقم: ذكر الحيات أو أحببها. جمعها أرقام. انظر المعجم الوجيز ٢٧٤.

ومات شمس الدين سعيد بن محمد بن سعيد بن الأثير، فى سابع عشر ذى القعدة بدمشق، وكان يكتب الإنشاء بها.

ومات بدمشق شيخ الخانكاة السميساطية، وهو شيخ الشيوخ شرف الدين أبى بكر عبد الله بن تاج الدين أبى محمد [...] (١) ابن حمويه، فى يوم الإثنين سابع عشر ربيع الأول، واستقرَّ عوضه قاضى القضاة بدرُ الدين محمد بن جماعة باتفاق الصوفية.

ومات الأمير علاء الدين مغلطاي التقوى المنصورى أحدُ أمراء دمشق بها، فى رابع عشرى رجب، فأنعم بخبزه على الأمير سيف الدين بكتمر الحسامى أمير أحرور.

* * *

سنة اثنتين وسبعمائة

فى أول المحرم: قدم الأمير بيسرس الجاشنكير من الحجاز، ومعه الشريفان حميضة ورميثة فى الحديد، فسجنا.

وفى ثامنه: قدمت رسل غازان بكتابه، فأعيدوا بالجواب. وجهز الأمير حسام الدين أزدمر الجيرى، شمس الدين محمد التيتى، وعماد الدين على بن عبد العزيز بن السكرى، إلى غازان فى عاشر ربيع الأول. فمضوا واجتمعوا به، فمنعهم من العود بسبب الوقعة الآتى ذكرها، ولازالوا مقيمين حتى هلك غازان، فعادوا فى أيام خدا بندا.

وفى محرم: تنجزت عمارة الشوانى، وجهزت بالمقاتلة والآلات مع الأمير جمال الدين أقوش القارى العلامى والى البهنسا. واجتمع الناس لمشاهدة لعبهم فى البحر، فركب أقوش فى الشينى الكبير وانحدر تجاه المقياس، فانقلب بمن فيه يوم السبت ثانى عشره.

وكان قد نزل السلطان والأمراء لمشاهدة ذلك، واجتمع من العالم ما لا يحصيهم إلا الله تعالى، وبلغ كراء المركب الذى يحمل عشرة أنفس إلى مائة درهم، امتلأ البران من بولاق إلى الصناعة بالناس، حتى لم يوجد موضع قدم خال.

ووقف العسكر على بر بستان الخشاب، وركب الأمراء الحراريق إلى الروضة. وبرزت الشوانى للعب كأنها فى الحرب، فلعب الأول والثانى والثالث، وأعجب الناس بذلك إعجاباً زائداً، لكثرة ما كان فيها من المقاتلة والنفوط وآلات الحرب. ثم تقدم الرابع وفيه أقوش، فما هو إلا أن خرج من منية الصناعة بمصر وتوسط النيل، إذا بالريح حركه، فمال به ميلاً واحداً انقلب وصار أعلاه أسفله، فصرخ الناس صرخة واحدة كادت تسقط منها ذات الأحمال، وتكدر ما كانوا فيه من الصفو، وتلاحق الناس بالشينى وأخرجوا ما سقط منه فى الماء، فلم يعد منه سوى أقوش، وسلم الجميع، وعاد السلطان والأمراء إلى القلعة، وانفض الجمع.

وبعد ثلاثة أيام أخرج الشينى، فإذا امرأة الرئيس وابنها وهى ترضعه فى قيد الحياة، فاشتد العجب من سلامتها طول هذه الأيام، ووقع العمل فى إعادته حتى تنجز، وندب الأمير سيف الدين كهرداش الزراق المنصورى للسفر عوضاً عن أقوش القارى فسار إلى طرابلس بالشوانى، واستجد منها ستين مقاتلاً من المماليك سوى البحرية والمطوعة.

وتوجه كهرداش إلى جزيرة أرواد، وهى بقرب أنطرسوس، وصبحهم فى غفلة وأحاط بهم وقتلهم ساعة، فنصره الله عليهم وقتل منهم كثيرا، وسألوا الأمان فأخذوا أسرى فى يوم الجمعة ثامن عشرى صفر. واستولى كهرداش على سائر ما عندهم، وعاد إلى طرابلس وأخرج الخمس من الغنائم لتحمل إلى السلطان، وقسم ما بقى فكانت عدة الأسرى مائتين وثمانين. فلما قدم البريد من طرابلس بذلك دقت البشائر بالقلعة، وفى يوم دق البشائر قدم الأمير بدر الدين بككاش من غزاة سيس.

وفى هذه السنة: توفى قاضى القضاة تقي الدين أبو محمد بن على بن وهب بن مطيع ابن أبى الطاعة القشيرى المنفلوطى المالكى المصرى بن دقيق العيد، وكان مولده فى شعبان سنة خمس وعشرين وستمائة.

ولما مات تقي الدين محمد بن دقيق العيد، خرج البريد إلى دمشق بطلب قاضى القضاة بدر الدين محمد بن جماعة، فقدمها فى سابع عشر صفر، وخرج به منها فى تاسع عشره. فوصل ابن جماعة إلى القاهرة وخلع عليه يوم السبت رابع ربيع الأول، واستقر فى قضاء القضاة، وولى قضاء دمشق نجم الدين أبو العباس أحمد بن [.....]^(١) ابن مصرى، واستقر بلبان الجوكندار نائب قلعة دمشق، عوضا عن أرجواش، واستقر عوضه فى شد الدواوين بدمشق الأمير بيبرس التلاوى.

وفى رابع جمادى الآخرة: ظهر فى النيل دابة لونها كلون الجاموس بغير شعر، وأذناها كأذن الجمل، وعيناها وفرجها مثل الناقة، ويغضى فرجها ذنب طولها شبر ونصف طرفه كذنب السمك، ورقبتها مثل ثخن التليس المحشو تبنا، وفمها وشفتاها مثل الكربال^(٢)، ولها أربعة أنياب، اثنان فوق اثنين، فى طول نحو شبر وعرض أصبعين، وفى فمها ثمانية وأربعون ضرسا وسنا مثل ييادق الشطرنج، وطول يديها من باطنها شبران ونصف، ومن ركبتيها إلى حافرها مثل أطافر الجمل، وعرض ظهرها قدر ذراعين ونصف، ومن فمها إلى ذنبها خمسة عشر قدما، وفى بطنها ثلاثة كروش، ولحمها أحمر له زفرة السمك، وطعمه مثل لحم الجمل، وثخانة جلدها أربعة أصابع لا تعمل فيه السيوف، وحمل جلدها على خمسة جمال فى مقدار ساعة من ثقله، فكان ينقل من الجمل إلى جمل وقد حشى تبنا حتى وصل إلى قلعة الجبل.

وقدم البريد من حلب بأن غازان على عزم الحركة إلى الشام، فوقع الاتفاق على

(١) ما بين المعقوفين بياض فى الأصل.

(٢) الكربال مندق، جمع كراييل. انظر: المعجم الوسيط (كربل).

خروج العسكر، وعين من الأمراء بيبرس الجاشنكير وطغريل الإيغاني وكرای المنصوري وبيبرس الدوادار وسنقر شاه المنصوري وحسام الدين لاجين الرومي أستاذار، بمضافيهم وثلاثة آلاف من الأجناد، فساروا في ثامن عشر رجب.

وتواترت الأخبار بنزول غازان على الفرات، ووصل عسكره الرحبة وأراد منازلها بنفسه. وكان النائب بها الأمير علم الدين سنجر الغتمى، فلاطفه وخرج إليه بالإقامات، وقال له: «هذا المكان قريب المأخذ، والملك يقصد المدن الكبائر، فإذا ملكت البلاد التي هي أمامك فنحن لا نمتنع عليك»، حتى كف عنه ورجع عابراً الفرات، بعد أن أخذ ولده ومملوكه رهنا على الوفاء. وبعث غازان قتلوه شاه من أصحابه على عساكر عظيمة إلى الشام تبلغ ثمانين ألفاً، وكتب إلى الأمير عز الدين أيك الأفرم نائب دمشق يرغبه في طاعته.

وأما العسكر السلطاني فقد دخل الأمير بيبرس الجاشنكير إلى دمشق بمن معه في نصف شعبان، وكتب يستحث السلطان على الخروج. وأقبل الناس من حلب وحماة إلى دمشق خائفين من التتر، فاستعد أهل دمشق للفرار ولم يبق إلا خروجهم، فنودي بها من خرج حل ماله ودمه. وخرج الأمير بهادرآص والأمير قطوبك المنصوري وأنص الجمدار على عسكر إلى حماة، ولحق بهم عسكر طرابلس وحمص، فاجتمعوا على حماة عند العادل كتيفاً.

وبلغ التتر ذلك، فبعثوا طائفة كبيرة إلى القريتين فأوقعوا بالتركان، فتوجه إليهم أسندمر كرجي نائب طرابلس وبهادرآص وكجكن وغرلوا العادلي وتمر الساقى وأنص الجمدار ومحمد بن قرا سنقر، في ألف وخمسة فارس. فطرقوهم بمنزلة عرض في حادي عشر شعبان على غفلة، وافترقوا عليهم أربع فرق، وقتلوهم قتالاً شديداً من نصف النهار إلى العصر حتى أفنوهم، وكانوا فيما يقال نحو أربعة آلاف. وأنقذوا التراكمين بجرمهم وأولادهم، وهم نحو ستة آلاف أسير، ولم يفقد من العسكر إلا الأمير أنص الجمدار المنصوري، ومحمد بن باشقرد الناصري، وستة وخمسين من الأجناد. وعاد من انهزم إلى قتلوشاه، وقد أسر العسكر مائة وثمانين من التتر. وكتب إلى السلطان بذلك، ودقت البشائر بدمشق، وكان قد خرج السلطان من قلعة الجبل في ثالث شعبان، ومعه الخليفة المستكفي بالله أبو الربيع سليمان في عسكر كثير، واستتاب بديار مصر عز الدين أيك البغدادي.

وكان التتر الذين عادوا منهزمين إلى قتلوشاه قد أخبروا أن السلطان لم يخرج من

الديار المصرية، وأن ليس بالشام غير العسكر الشامي، فجد قطلوشاه فى السير بجموع التتر حتى نزل على قرون حماة فى ثالث عشره، فاندفعت العساكر بين يديه إلى دمشق، وركب العادل كتبغا فى محفة لضعفه، فاجتمع الكل بدمشق. واختلف رأيهم فى الخروج إلى لقاء العدو أو انتظار قدوم السلطان، ثم خشوا من مفاجأة العدو، فنادوا بالرحيل وركبوا أول رمضان. فاضطربت دمشق بأهلها، وأخذوا فى الرحيل منها على وجوههم، واشتروا الحمار بستمائة درهم والجمل بألف درهم، وترك كثير منهم حرمه وأولاده ونجا بنفسه إلى القلعة فلم يأت الليل إلا والنوادر فى سائر نواحي المدينة. وسار العسكر مخفاً إلى لقاء العدو، وبات الناس بدمشق فى الجامع يضحون بالدعاء إلى الله، فلما أصبحوا رحل التتر عن دمشق بعد أن نزلوا بالغوطة.

وبلغ الأمراء قدوم السلطان فتوجهوا إليه من مرج راهط، فلقوه على عقبة شجورا فى يوم السبت ثانى رمضان، وقبلوا له الأرض. فورد عند لقائهم به الخير بوصول التتر فى خمسين ألفا مع قطلوشاه نائب غازان. فلبس العسكر بأجمعه السلاح، واتفقوا على المحاربة بشقحب تحت جبل غباغب^(١)، وكان قطلوشاه قد وقف على أعلى النهر. فوقف فى القلب السلطان وبجانبه الخليفة والأمير سلار النائب والأمير بيبرس الجاشنكير، وعز الدين أيك الحازندار وسيف الدين بكتمر أمير جاندار وجمال الدين أقوش الأفرم نائب الشام وبرغى وأييك الحموى، وبكتمر البوبكرى وقطلوبك ونوغاى السلاح دار وأغرلوا الزينى، وفى الميمنة الحسام لاجين أستاذار ومبارز الدين سوار[...]^(٢) أمير شكار، ويعقوبا الشهرزورى ومبارز الدين أوليا بن قرمان، وفى الجناح الأيمن الأمير قبجق بعساكر حماة والعربان، وفى الميسرة الأمير بدر الدين بككاش الفخرى أمير السلاح والأمير قرا سنقر بعساكر حلب والأمير بدخاص نائب صفد، وطغريل الإيغانى وبكتمر السلاح دار وبيبرس الدوادار، بمضافيهم.

ومشى السلطان والخليفة بجانبه، ومعهما القراء يتلون القرآن، ويحشون على الجهاد ويشوقون إلى الجنة، وصار السلطان يقف، ويقول الخليفة: «يا مجاهدون لا تنظروا لسلطانكم، قاتلوا عن حريمكم وعلى دين نبيكم ﷺ، والناس فى بكاء شديد، ومنهم من سقط عن فرسه إلى الأرض، وتواصى بيبرس وسلار على الثبات فى الجهاد. وعاد السلطان إلى موقفه، ووقف الغلمان والجمال وراء العسكر صفا واحدا، وقيل لهم: «من خرج من الأجناد عن المصاف فاقتلوه، ولكم سلاحه وفرسه».

(١) جبل غباغب وهى قرية فى أول عمل حوران من نواحي دمشق بينهما ست فراسخ انظر:

معجم البلدان ج ٣/٨٧١.

(٢) ما بين المعقوفتين بياض فى الأصل.

فلما تم الترتيب زحفت كراديس التتار كقطع الليل، بعد الظهر من يوم السبت المذكور، وأقبل قطلوشاه بمن معه من التوامين^(١) وحملوا على الميمنة وقاتلوا، فثبتت لهم وقاتلتهم قتالا شديدا، وقتل الحسام لاجين أستاذار وأوليا بن قرمان وسنقر الكافرى، وأيدمر الشمسى القشاش وأقوش الشمسى الحاجب والحسام على بن باخل، نحو الألف فارس. فأدركهم الأمراء من القلب ومن الميسرة، وصاح سلار: «هلك والله أهل الإسلام»، وصرخ فى بيبرس والبرجية فأتوه وصددم بهم قطلوشاه، وأبلى ذلك اليوم هو وبيبرس بلاء عظيمًا، إلى أن كشف التتار عن المسلمين.

وكان جويان بن تداون وقرمجي بن الناق، وهما من توامين التتار، قد ساقا تقوية لبولاي وهو خلف المسلمين، فلما عاينا الكسرة على قطلوشاه أتياه ووقفوا فى وجه سلار وبيبرس. فخرج من أمراء السلطان أسندمر وقطلوبك وقبجق والماليك السلطانية إعانة لبيبرس وسلار، فتمكنوا من العدو وهزموه، فمال التتر على برلغى حتى مزقوه واستمر الحرب بين سلار ومن معه وبين قطلوشاه، وكل منهما ثابت لقرنه.

وكانت الأمراء لما قتلت بالميمنة انهزم من كان معهم، ومرت التتر خلفهم، فحفل الناس وظنوا أنها كسرة. وأقبل السراد الأعظم على الخزائن السلطانية فكسروها، ونهبوا ما بها من الأموال، وجفل النساء والأطفال، وكانوا قد خرجوا من دمشق عند خروج الأمراء منها وكشف النساء عن وجوههن وأسبلن الشعور، وضع ذلك الجمع العظيم بالدعاء، وقد كادت العقول أن تطيش وتذهب عند مشاهدة الهزيمة، فلم ير شيء أعظم منظرًا من ذلك الوقت إلى أن وقف كل من الطائفتين عن القتال.

ومال قطلوشاه بمن معه إلى جبل قريب منه، وصعد عليه وفى نفسه أنه انتصر، وأن بولاي فى أثر المنهزمين يطلبهم. فلما صعد الجبل نظر السهل والوعر كله عساكر، والميسرة السلطانية ثابتة وأعلامها تخفق، فبهت وتحير واستمر بموضعه حتى كمل معه جمعه، وأتاه من كان خلف المنهزمين من الميمنة السلطانية، ومعهم عدة من المسلمين قد أسروهم، منهم الأمير عز الدين أيدير نقيب الماليك السلطانية. فأحضره قطلوشاه وسأله: «من أين أنت؟»، فقال: «من أمراء مصر»، وأخبره بقدم السلطان، ولم يعلم قطلوشاه بقدم السلطان بعساكر مصر إلا منه. فجمع قطلوشاه أصحابه وشاورهم فيما يفعل، وإذا بكوسات السلطان والأمراء والبوقات قد رجفت بحسها الأرض وأزعجت القلوب، فلم يثبت بولاي أحد مقدمى التتر، وخرج من تجاه قطلوشاه فى نحو العشرين ألفًا، ونزل من الجبل بعد المغرب وفر هاربا.

(١) على هامش ط: المراد الفرقة التى تبلغ عددها عشرة آلاف مقاتل.

وبات السلطان وسائر العساكر على ظهور خيولها والطبول تضرب، وتلاحق به من انهزم شيئاً بعد شيء، وهم يقصدون ضرب الطبول السلطانية والكوسات الحربية. وأحاط عسكر السلطان بالجبل الذى بات عليه التتار، وصار يبئرس وسلاح وقبحق والأمراء الأكابر فى طول الليل دائرين على الأمراء والأجناد يرصونهم ويرتبونهم، ويكثرون من التأكيد عليهم فى التيقظ وأخذ الأهبة. فما طلع الفجر يوم الأحد إلا وقد اجتمع شمل عساكر السلطان، ووقف كل أحد فى مصافه مع أصحابه، والجفل والأثقال قد وقفوا على بعد، وكانت رؤيتهم تذهل، وثبتوا على ذلك حتى ارتفعت الشمس.

وشرع قطلوشاه فى ترتيب من معه، ونزلوا مشاة وفرسان وقاتلوا العساكر. فبرزت الممالك السلطانية بمقدميها إلى قطلوشاه وجوبان، وعملوا فيهم عملاً عظيماً: تارة يرمونهم بالسهام، وتارة يهاجمونهم، واشتغل الأمراء بقتال من فى جهتهم، وصاروا يتناولون القتال أميراً بعد أمير. وألحت الممالك السلطانية فى القتال واستقتلوا، حتى أن فيهم من قتل تحته الثلاثة أرؤس من الخيل. وما زال الأمراء على ذلك حتى انتصف نهار يوم الأحد، وصعد قطلوشاه الجبل، وقد قتل منه نحو ثمانين رجلاً، وجرح الكثير واشتد عطشهم.

واتفق أن بعض من أسروه نزل إلى السلطان وعرفه أن التتار قد أجمعوا على النزول فى السحر ومصادمة الجيش، وأنهم فى شدة من العطش. فاقترضى الرأى أن يفرج لهم عند نزولهم، ثم يركب الجيش أقيمتهم.

فلما باتوا على ذلك وأصبح نهار يوم الإثنين، ركب التتار فى الرابعة ونزلوا من الجبل، فلم يتعرض لهم أحد. وساروا إلى النهر فاقتحموه، وعند ذلك ركبهم بلاء الله من المسلمين، وأيدهم بنصره حتى حصدوا رعوس التتار عن أبدانهم، ومروا فى أثرهم إلى وقت العصر وعادوا إلى السلطان. فسرحت الطيور بالنصر إلى غزة ومنع المنهزمون من التوجه إلى مصر، وتبع من نهب الخزائن السلطانية والاحتفاظ به. وعين الأمير بدر الدين بكتوت الفتاح للمسير بالبشارة إلى مصر، وسار من وقته، وكتب إلى دمشق وسائر القلاع بالبشارة.

ثم ركب السلطان فى يوم الإثنين من مكان الواقعة، وبات ليلته بالكسوة، وأصبح يوم الثلاثاء خامس الشهر وقد خرج إليه أهل دمشق، فسار إليها - ومعه الخليفة - فى عالم من الفرسان والعامّة والأعيان والنساء والصبيان، لا يحصيهم إلا من خلقهم

سبحانه، وهم يضحون بالدعاء والهناء. وتساقطت عبرات الناس، ودقت البشائر، وكان يوماً لم يشاهد مثله، إلى أن نزل السلطان بالقصر الأبلق، ونزل الخليفة بالترية الناصرية، وقد زينت المدينة.

واستمر الأمراء فى أثر التتار إلى القريتين، وقد كلت خيول التتار وضعفت نفوسهم وألقوا أسلحتهم، واستسلموا للقتل والعساكر تقتلهم بغير مدافعة، حتى إن أراذل العامة والغلمان قتلوا منهم خلقاً كثيراً، وغنموا عدة غنائم، وقتل الواحد من العسكر العشرين من التتار فما فوقها. وأدركت عربان البلاد التتار وأخذوا فى كيدهم: فيجىء منهم الاثنان والثلاثة إلى العدة الكثيرة من التتار كأنهم يسيرون بهم فى السير من طريق قرية إلى الليل، ثم يدعونهم وينصرفون، فتتحير التتار فى البرية وتصبح قتموت عطشا. وفيهم من فر إلى غوطة دمشق، فتبعتهم الناس وقتلوا منهم خلقاً كثيراً.

وخرج إلى البر حتى جمع من استشهد من المسلمين، ودفنهم فى موضع واحد بغير غسل ولا كفن، وبنى عليهم قبة. وتبع نائب غزوة من انهزم من العسكر وأخذهم وقتشهم، فظفر منهم بجماعة معهم الأكياس المال بختمها. ووقف الأمير علم الدين سنجر الجوالى بطريق دمشق ومعه الخزان وشهود الخزانة، وأخذ الغلمان فظفر منهم بشيء كثير مما نهبوه، وعوقب جماعة بسبب ذلك. وما زال الأمر يشتد فى الطلب، حتى تحصل أكثر ما نهب من الخزائن، ولم يفقد منه إلا القليل.

وشمل السلطان الأمراء بالخلع والأنعام، وحضر الأمير سيف الدين برلقى - وقد انهزم فيمن انهزم - فلم يأذن له السلطان فى الدخول عليه، وقال: «بأى وجه يدخل على أو ينظر فى وجهى؟»، فما زال به الأمراء حتى رضى عنه وأذن فى دخوله، فقبل الأرض. وقُبض على رجل من أمراء حلب كان قد اتمى إلى التتار وصار يدهم على الطرقات، فسمر على جمل وشهر بدمشق وضواحيها. واستمر الناس طول شهر رمضان فى مسرات تتجدد، وصلى السلطان صلاة عيد الفطر، وخرج من دمشق فى ثالث شوال يريد مصر.

وأما التتار فإنه قتل أكثرهم، حتى لم يعبر قطلوشاه الفرات إلا فى قليل من أصحابه. ووصل خير كسرتة إلى همذان فووقت الصرخات فى بلادهم، وخرج أهل توريذ وغيرها إلى القدس، واستعلام خبر من فقد منهم، فأقامت النياحة فى توريذ شهرين على القتلى. وبلغ الخبر غازان فاغتم غمًا عظيمًا - وخرج من منخريه دم كثير حتى أشفى على الموت، واحتجب حتى عن الخواتين - فإنه لم يصل إليه من كل عشرة

واحد، فارتج الأردوا بمن فيه. ثم جلس غازان وأوقف قطلوشاه وجوبان وسوتاي ومن كان معهم من الأمراء، وأنكر على قطلوشاه وأمر بقتله، فمازالوا به حتى عفى عنه من القتل، وأبعده من قدمه حتى صار على مسافة كبيرة بحيث يراه، وقام إليه - وقد مسكه الحجاب - سائر من حضر وهم خلق كثير جدا، وصار كل منهم يبصق في وجهه حتى بصق الجميع، ثم أبعده عنه إلى كيلان. وضرب غازان بولاي عدة عصي، وأهانته. وقد ذكر الشعراء وقعة التتر هذه فأكثرها.

وسار السلطان من دمشق في يوم الثلاثاء من شوال، ووصل إلى القاهرة ودخلها في ثالث والعشرين منه. وكان قد قدم بكتوت الفتاح إلى القاهرة يوم الإثنين ثامن شهر رمضان، فرسم بزينة القاهرة من باب النصر إلى باب السلسلة من القلعة، وكتب بإحصار سائر مغاني العرب من أعمال مصر كلها.

واستمرت الزينة من بعد وصول الأمير بكتوت الفتاح بكتاب البشارة إلى أن قدم السلطان، وبعد ذلك بأيام، وكان قبل قدوم بكتوت الفتاح قد وقعت بطاقة من قطيا بخبر البشارة، وتأخر الفتاح لوجع يده، فقلق الناس وغلقت الأسواق، وأبيع الخبز أربعة أرطال بدرهم، والراوية الماء بأربعة درهم. فلما قدم خرج الناس إلى لقائه، وكان يوما عظيما وتفاخر الناس في الزينة ونصبوا القلاع، واقتسمت أستاذارية الأمراء شارع القاهرة إلى القلعة، ورتبوا ما يخص كل واحد منهم وعملوا به قلعة، بحيث نودي من استعمل صنعا في غير عمل القلاع كانت عليه جناية للسلطان، وتحسن سعر الخشب والقصب وآلات النجارة.

وتفاخروا في تزيين القلاع، وأقبل أهل الريف إلى القاهرة للفرجة على قدوم السلطان وعلى الزينة، فإن الناس أخرجوا الحلوى والجواهر والآلات وأنواع الحرير فزينوا بذلك. ولم ينسوخ شهر رمضان حتى تهيأ أمر القلاع، وعمل ناصر الدين محمد بن الشيخى الوالى قلعة بباب النصر فيها سائر أنواع الجدد والهزل، ونصب عدة أحواض ملاءها بالسكر والليمون، وأوقف مماليكه بشربات حتى يسقوا العسكر.

فقدم السلطان في يوم الثلاثاء ثالث عشرى شوال، وقد خرج الناس إلى لقائه، وبلغ كراء البيت الذى يمر عليه من خمسين درهما إلى مائة درهم. فلما وصل السلطان باب النصر ترجل سائر الأمراء، وأول من ترجل منهم الأمير بدر الدين بكتاش أمير سلاح، وأخذ سلاح السلطان. فأمره السلطان أن يركب لكبر سنه ويحمل السلاح خلفه، فامتنع ومشى، وحمل الأمير مبارز الدين سوار الرومى أمير شكار القبة والطير، وحمل

الأمير بكتمر أمير جاندار العصى، والأمير سنجر الجمقدار الدبوس. ومشى كل أمير فى منزلته، وفرش كل منهم الشقق من قلعته إلى قلعة غيره، فكان السلطان إذا تجاوز قلعة فرشت القلعة المجاورة لها الشقق حتى يمشى عليها بفرسه مشيا هينا، لأجل مشى الأمراء بين يديه، وكلما رأى قلعة أمير أمسك عن المشى حتى يعاينها ويعرف ما اشتملت عليه هو والأمراء. هذا والأسرى من التتار بين يديه مقيدون، ورعوس من قتل منهم معلقة فى رقابهم، وألف رأس على ألف رمح، وعدة الأسرى ألف وستمئة فى أعناقها ألف وستمئة رأس، وطبولهم قدامهم مخرقة.

وكانت القلاع التى نصبت قلعة الأمير ناصر الدين محمد بن الشيخى بجوار باب النصر، وتليها قلعة الأمير علاء الدين مغلطاي بن أمير مجلس، وبعده [١] ابن أيتمش السعدى، ثم الأمير علم الدين سنجر الجاولى، وبعده الأمير طغريل الإيغانى، ثم بهادر اليوسفى، ثم سودى، ثم بيليك الخطيرى، ثم برلغى، ثم مبارز الدين أمير شكار، ثم أيك الخازندار، ثم سنقر الأعسر، ثم بيبرس الدوادار، ثم سنقر الكمالى، ثم موسى بن الملك الصالح، ثم سيف الدين آل ملك، ثم علم الدين الصوابى، ثم جمال الدين الطشلاقى، ثم سيف الدين آدم، ثم الأمير سلار النائب، ثم بيبرس الجاشنكير، ثم بكتاش أمير سلاح، ثم الطواشى مرشد الخازندار - وقلعته على باب المدرسة المنصورية - وبعده بكتمر أمير جندار، ثم أيك البغدادى نائب الغيبة، ثم ابن أمير سلاح، ثم بكتوت الفتاحى، ثم تباكر التغريلى، ثم قلى السلحدار، ثم بكتمر السلاح دار، ثم لاجين زيرباج الجاشنكير، ثم طيبرس الخازندارى نقيب الجيش، ثم بلبان طرنا، وبعده سنقر العلائى، ثم بهاء الدين يعقوبا، ثم أبو بكرى، ثم بهادر العزى، وكوكاى بعده، ثم قرا لاجين، ثم كراى المنصورى، ثم جمال الدين أقوش قتال السبع - وقلعته على باب زويلة. واتصلت القلاع من باب زويلة إلى باب السلسلة، وإلى باب القلعة وباب القلة، فكانت عدتها سبعين قلعة.

وعندما وصل السلطان إلى باب المارستان نزل وصعد إلى قبر أبيه، وقرأ القراء قدامه. ثم ركب إلى باب زويلة، ووقف حتى أركب الأمير بدر الدين بكتاش أمير سلاح خلفه ويده السلاح. وسار على الشقق الحريز إلى داخل القلعة، والتهانى فى دور السلطان والأمراء وغيرهم، وكان يوماً عظيماً إلى الغاية.

فلما استقر السلطان بالقلعة أنعم على الأمير برلغى بثلاثين ألف درهم واستقر أمير

الركب، وقدم له الأمراء شيئاً كثيراً وكتب على يده: «إلى أبي الغيث وأخيه أميرى مكة ألا يمكنوا من الأذان بحى على خير العمل، ولا يتقدم فى الحرم إمام زيدى، وألا يربط الحاج حتى يقبضوا على ما كان فى الكعبة مما سموه العروة الوثقى، ولا يمكن أحد من مس المسمار الذى كان فى الكعبة». وكان يحصل من التعلق بالعروة الوثقى ومن التسلق إلى المسمار عدة مفاسد قبيحة، فترك ذلك كله بسفارة الأمير بيبرس، وترك الأذان بحى على خير العمل من مكة، ولم يتقدم من حينئذ إمام زيدى للصلاة بالحرم.

وفى هذه السنة: بنابلس صام الحنابلة شهر رمضان على عادتهم بالاحتياط، واستكمل الشافعية وغيرهم شعبان وصاموا. فلما أتم الحنابلة ثلاثين يوماً أفطروا، وعيدوا وصلوا صلاة العيد ولم ير الهلال. فصام الشافعية والجمهور ذلك النهار، وأصبحوا فأفطروا وعيدوا وصلوا صلاة العيد. فأنكر نائب الشام على متولى نابلس كيف لم يجتمع الناس على يوم واحد، ولم يسمع بمثل هذه الواقعة.

واتفق أيضاً أن أهل مدينة غرناطة بالأندلس صاموا شهر رمضان ستة وعشرين يوماً، وذلك أن الغيوم تراكمت عندهم عدة أشهر قبل رمضان، فلما كانت ليلة السابع والعشرين طلعت المأذنة ليقدها على العادة، فإذا الغيوم قد أفلعت وظهر الهلال، فأفطروا.

وفىها سخط الأمير بيبرس الجاشنكير على كاتبه المعلم المناوى من أجل فراره إلى غزة فى وقت الواقعة، وطلب أبا الفضائل أكرم النصرانى كاتب الحوائج خاناه وألزمه حتى أسلم، وخلع عليه وأقره فى ديوانه، فزادت رتبته حتى صار إلى ما يأتى ذكره إن شاء الله، وعرف بكريم الدين الكبير.

وفىها قام الأمير بيبرس الجاشنكير فى إبطال عيد الشهيد بمصر: وذلك أن النصرانى كان عندهم تابوت فيه أصعب يزعمون أنه أصعب بعض شهدائهم، وأن النيل لا يزيد ما لم يرم فيه التابوت، فاجتمع نصرارى أرض مصر من سائر الجهات إلى ناحية شبرا، ويخرج أهل القاهرة ومصر، وتركب النصرارى الخيول للعب، ويمتلئ البر بالخيم، والبحر بالمراكب المشحونة بالناس، ولا يبقى صاحب غناء ولا هو حتى يحضر، وتسير زوانى سائر البلاد. ويباع فى ذلك اليوم من الخمر بنحو مائة ألف درهم، حتى إنه فى سنة باع رجل نصرانى بمائتين وعشرين ألف درهم خمراً، فكان أهل شبرا يوفون الخراج من ثمن الخمر، وتثور فى هذا اليوم الفتن ويقتل عدة قتلى، فأمر الأمير بيبرس بإبطال ذلك، وألا يرمى التابوت فى النيل، وأخرج الحجاب والوالى حتى منعوا الناس من الاجتماع، بعد

أن كتب إلى جميع الولاة بالنداء ألا يخرج أحد إلى عمل عيد الشهيد. فشق ذلك على النصارى، واجتمعوا مع الأقباط الذين أظهروا الإسلام، وصاروا إلى التاج بن سعيد الدولة لتمكنه من الأمير بيبرس، فصار إليه وخيَّله من انكسار الخراج بإبطال العيد ومن عدم طلوع النيل، فلم يلتفت إليه وصمم على إبطاله، فبطل.

وفيهما جهز صاحب سيس مراكب إلى نحو قبرص فيها بضائع قيمتها قريب من مائة ألف دينار، فألقاها الريح على مينة دمياط، فأخذت برمتها.

وفيهما قدم الخبر بقحط بلاد تقطاي^(١) مدة ثلاث سنين، ثم أعقبه موتان في الخيل والغنم حتى فئيت ولم يبق عندهم ما يؤكل، فباعوا أولادهم وأقاربهم للتجار، فقدموا بهم إلى مصر وغيرها.

وفيهما كانت الزلزلة العظيمة: وذلك أنه حصل بالقاهرة ومصر في مدة نصب القلاع والزينة من الفساد في الحريم وشرب الخمر ما لا يمكن وصفه، من خامس شهر رمضان إلى أن قلعت في أواخر شوال.

فلما كان يوم الخميس ثالث عشر ذي الحجة: عند صلاة الصبح اهتزت الأرض كلها، وسمع للحيطان قعقة وللسقوف أصوات شديدة، وصار الماشى يميل والراكب يسقط حتى تخيل الناس أن السماء أطبقت على الأرض، فخرجوا في الطرقات رجلا ونساء، قد أعجلهم الخوف والفرع عن ستر النساء وجوههن واشتد الصراخ وعظم الضجيج والعيول، وتساقطت الدور وتشققت الجدران، وتهدمت مآذن الجوامع والمدارس، ووضع كثير من النساء الحوامل ما في بطونهن، وخرجت رياح عاصفة، ففاض ماء النيل حتى ألقى المراكب التي كانت بالشاطئ قدر رمية سهم، وعاد الماء عنها فصارت على اليبس وتقطعت مراسيها، واقتلع الريح المراكب السائرة في وسط الماء، وحذفها إلى الشاطئ.

وفقد للناس من الأموال شيء كثير: فإنهم لما خرجوا من دورهم فزعين تركوها من غير أن يعوا على شيء مما فيها، فدخلها أهل الدعارة وأخذوا ما أحبوا. وصار الناس إلى خارج القاهرة، وبات أكثرهم خارج باب البحر، ونصبوا الخيم من بولاق إلى الروضة. ولم تكد دار بالقاهرة ومصر تسلم من الهدم، أو تشعت بعضها، وسقطت الزروب^(٢) التي بأعلى الدور، ولم تبق دار إلا وعلى بابها التراب والطوب ونحوه. وبات الناس ليلة الجمعة بالجوامع والمساجد، يدعون الله إلى وقت صلاة الجمعة.

(١) بلاد تقطاي والمقصود هنا مملكة القفجاق التتية وكان على عرشها تقطاي بن نلايقا.

(٢) زرب الماء ونحوه زربا: سال، الزرب المدخل، وهو حظيرة الغنم، والحفرة يكمن فيها العبائد

جمع زروب. انظر: المعجم الوسيط (زرب).

وتواترت الأخبار من الغربية بسقوط جميع دور مدينة سخا، حتى لم يبق بها جدار قائم وصارت كوما، وأن ضيعتين بالشرقية خربتتا حتى صارتا كوما.

وقدم الخير من الإسكندرية بأن المنار انشق وسقط من أعلاه نحو الأربعين شرفة، وأن البحر هاج وألقى الريح العاصف موجه حتى وصل باب البحر وصعد بالمراكب الإفريقية على البر، وسقط جانب كبير من السور، وهلك خلق كثير.

وقدم الخير من الوجه القبلي بأن في اليوم المذكور هبت ريح سوداء مظلمة حتى لم ير أحد أحدًا قدر ساعة، ثم ماجت الأرض وتشققت وظهر من تحتها رمل أبيض، وفي بعض المواضع رمل أحمر، وكشطت الريح مواضع من الأرض فظهرت عمائر قد ركبها السافي، وخربت مدينة قوص، وأن رجلا كان يحلب بقرة فارتفع في وقت الزلزلة ويده المقلب، وارتفعت البقرة حتى سكنت الزلزلة، ثم انحط إلى مكانه من غير أن يتبدد شيء من اللبن الذي في المقلب.

وقدم الخير من البحيرة أن دمنهور لوحش لم يبق بها بيت عامر.

وخرب من المواضع المشهورة جامع عمرو بن العاص بمصر، فالتزم الأمير سلار النائب بعمارته. وخربت أكثر سوارى^(١) الجامع الحاكي بالقاهرة وسقطت مأذنتاه، فالتزم الأمير بيبرس الجاشنكير بعمارته وخرب الجامع الأزهر، فالتزم الأمير سلار بعمارته أيضًا، وشاركه فيه الأمير سنقر الأعسر. وخرب جامع الصالح خارج باب زويلة فعمر من الخاص السلطاني، وتولى عمارته الأمير علم الدين سنجر. وخربت مأذنة المنصورية، فعمرت من الوقف على يد الأمير سيف الدين كهرداش الزراق. وسقطت مأذنة جامع الفكاكين. وكتب بعمارة ما تهدم بالإسكندرية، فوجد قد انهدم من السور ست وأربعون بدنة، وسبعة عشر برجًا فعمرت.

وقدم البريد من صفد^(٢) أنه في يوم الزلزلة سقط جانب كبير من قلعة صفد، وأن البحر من جهة عكا انحسر قدر فرسخين وانتقل عن موضعه إلى البر، فظهر في موضع الماء أشياء كثيرة في قعر البحر من أصناف التجارة، وتشققت جدر جامع بنى أمية بدمشق.

(١) سوارى: الجمع سوار وهي عند الملاحين: عمود من الخشب ينصب عليه الشراع. انظر المعجم الوسيط (سور).

(٢) صفد: مدينة في جبال عاملة مطلة على حمص بالشام وهي من جبال لبنان. انظر: معجم البلدان ٤١٢/٣.

واستمرت الزلزلة خمس درج، إلا أن الأرض أقامت عشرين يوماً ترجف، وهلك تحت الردم خلائق لا تحصى. وكان الزمان صيفاً، فتولى بعد ذلك سموم شديدة الحر عدة أيام. واشتغل الناس بالقاهرة ومصر مدة في رمّ ما تشعث وبنى ما هدم، وغلت أصناف العمارة لكثرة طلبها، فإن القاهرة ومصر صارت بحيث إذا رآها الإنسان يتخيل أن العدو أغار عليها وخربها، فكان في ذلك لطف من الله بعباده، فإنهم رجعوا عن بعض ما كانوا عليه من اللهو والفساد أيام الزينة، وفيهم من أقلع عن ذلك لكثرة توارد الأخبار من بلاد الفرنج وسائر الأقطار بما كان من هذه الزلزلة.

واتفق فيها من الأمر العجيب أن الأمير بيبرس الجاشنكير لما رم ما تشعث من الزلزلة بالجامع الحاكمي، وجد في ركن من المأذنة كف إنسان بزنده قد لف في قطن وعليه أسطر مكتوبة لم يدر ما هي، والكف طرى. ونبشت دكان لبان مما سقط في الزلزلة، فإذا أخشابها قد تصلبت على اللبان وهو حي، وعنده جرة لبن يتقوت منها مدة أيام، فأخرج حياً لم يمسه سوء.

وفي هذه السنة: استقر في نيابة صفد الأمير سنقر شاه المنصوري، عوضاً عن بدخاص، وأنعم على بدخاص بإمرة بديار مصر. ونقل قبجق من نيابة الشوبك إلى نيابة حماة، عوضاً عن العادل كتبغا بعد موته. واستقر بلبان الجوكندار في نيابة حمص، بعد موت سيف الدين البكي. ثم استعفى بلبان، فولى عز الدين أييك الحموي نائب قلعة دمشق عوضه، واستقر عوضه في نيابة قلعة دمشق بيبرس التلاوي. وبلغ النيل ثمانية عشر ذراعاً.

* * *

ومات في هذه السنة ممن له ذكر

برهان الدين إبراهيم بن فلاح بن محمد بن حاتم السكندري الشافعي، في رابع عشرى شوال بدمشق، ومولده بالإسكندرية سنة ست وثلاثين وستمائة، وكان مشهوراً بالعلم والديانة، ناب في خطابة جامع بنى أمية، وباشر الحكم مدة بدمشق ودرس بها، وأفاد زماناً.

ومات كمال الدين أحمد بن أبي الفتح بن محمود بن أبي الوحش أسد بن سلامة بن سلمان بن فتيان المعروف بابن العطار، أحد كتاب الدرج بدمشق، في رابع عشرى ذى القعدة، ومولده سنة ست وعشرين وستمائة، وكان كثير التلاوة للقرآن محباً لسماع

الحديث وحدث، وكان صدرًا كبيرًا فاضلا له نظم ونثر، وأقام يكتب الدرج أربعين سنة.

ومات الشيخ شهاب الدين أحمد بن برهان الدين إبراهيم بن معضاد الجعبري، بالقاهرة في [.....] (١).

ومات الأمير فارس الدين البكي الساقى، أحد ممالك الظاهر بيبرس، تنقل فى الخدم حتى صار من أمراء مصر، ثم اعتقل إلى أن أفرج عنه المنصور قلاوون وأنعم عليه بإمرة، ثم ولاه نيابة صفد فأقام بها عشر سنين، وفر مع قبجق إلى غازان وتزوج أخته، ثم قدم مع غازان ولحق بالسلطان، فولاه نيابة حمص (٢) حتى مات بها يوم الثلاثاء ثامن ذى القعدة. وكان مليح الشكل، ما جلس قط بغير خف، وإذا ركب ونزل حل جمداره شاشه، فإذا أراد الركوب لفه مرة واحدة كيف جاءت ويركب ولا يعيد لفة الشاش مرتين أبداً.

واستشهد بوقعة شقحب عز الدين أيدير العزى نقيب الممالك السلطانية، وهو من ممالك عز الدين أيدير نائب دمشق، وكان كثير الهزل، وإليه تنسب سويقة العزى خارج القاهرة.

ومات الأمير أيدير الشمسى القشاش، وكان قد ولى الغربية والشرقية جميعاً، واشتدت مهابته، وكان يعذب أهل الفساد بأنواع قبيحة من العذاب منها أنه كان يغرس خازوقاً ويجعل محده قائماً، ويجانبه صار كبير يعلق فيه الرجل، ثم يرسله فيسقط على الخازوق فيدخل فيه ويخرج من بدنه، ولم يجرؤ أحد من الفلاحين بالغربية والشرقية فى أيامه أن بلبس متزراً أسود، ولا يركب فرساً ولا يتقلد سيفاً، ولا يحمل عصا محلية بجديد، وعمل بها الجسور والترع وأتقنها، وأنشأ جسراً بين ملقة صندفا وأرض سمند (٣) عرف بالشقى، فرآه بعد أن استشهد بمدة قاضى المحلة فى النوم، فقال له: «سأحنى الله وغفر لى بعمارة حسر الشقى»، وكان قد فلج واستعفى من الولاية

(١) ما بين المعقوفين بياض فى الأصل.

(٢) حمص: مدينة بالشام من أوسع مدنها، سميت برجل من العمالق يسمى حمص، ويقال رجل من عاملة، هو أول من نزلها، ولها نهر عظيم يشرب منه أهلها. وافتتحها أبو عبيدة الجراح صلحاً سنة أربع عشرة فى خلافة عمر رضى الله عنه. انظر معجم البلدان ٣/٣٠٢، والروض المعطار ١٩٨، ١٩٠.

(٣) سمند بلد من نواحي مصر جهة دمياط مدينة أزلية على ضفة النيل بينها وبين المحلة ميدان تضاف إليها كورة فيقال كورة السمندية. انظر: معجم البلدان ٣/٢٥٤.

ولزم بيته، وخرج لغزوة شقحب فى محفة إلى وقت القتال، فلبس سلاحه وركب وهو فى غابة الأمل، فقيل له: «إنك لا تقدر»، فقال: «والله لمثل هذا اليوم أنتظر، وإلا إيش بتخلص القشاش من ربه بغير هذا؟» وحمل على العدو وقاتل فقتل، ورئى فيه ست جراحات.

ومات الأمير حسام الدين أوليا بن قرمان، أحد الأمراء الظاهرية، وهو ابن أخت قرمان - وعرف بابن قرمان - وكان شجاعاً.

ومات الأمير عز الدين أيك أستاذار.

ومات الأمير عز الدين أيدير الرفا المنصورى.

ومات الأمير جمال الدين أقوش الشمسى الحاجب.

ومات الأمير سيف الدين بهادر الدكاجكى، أحد الأمراء بحمة.

ومات صلاح الدين بن الكامل.

ومات علاء الدين بن الجاكى.

ومات الشيخ نجم الدين أيوب الكردى، وكان قد قدم إلى دمشق سنة سبع وثمانين وستمائة فى طائفة من الأكراد^(١)، واعتقده الأمراء وحملوا إليه المال فكان يتصدق به، ثم قدم إلى القاهرة، وخرج مع السلطان وقاتل بشقحب حتى قتل.

ومات الأمير شمس الدين سنقر الشمسى الحاجب.

ومات سنقر الكافرى، أحد الأمراء.

ومات سنقر شاه أستاذار الجانق.

ومات حسام الدين على بن باخل، أحد أمراء العشراوات.

ومات لاجين الرومى المنصورى أستاذار المنصور قلاوون، ويعرف بالحسام أستاذار، وكان دينا خيراً حشماً، سمع الحديث.

ومات الأمير شمس الدين سنقر العنتابى بدمشق، ليلة الجمعة ثانى عشر ذى القعدة.

ومات العادل كتبغا بحمة ليلة الجمعة يوم عيد الأضحى وهو فى سن الكهولة، وكان دينا خيراً، أسمر اللون قصيراً دقيق الصوت قصير العنق، شجاعاً سليم الباطن

(١) كرد بلفظ واحد الأكراد اسم لقبيلة. انظر: معجم البلدان ٤/٤٥٠.

٣٦٨..... سنة اثنتين وسبعمائة

متواضعاً، وهو من جنس المغل، وكان قد طال مرضه واسترخى حتى لم يقدر على حركة يديه ورجليه، وترك أولاداً. فولى نيابة حماة بعده الأمير سيف الدين قبحاق المنصوري، وقد نقل إليها من نيابة الشوبك.

ومات الشيخ تقي الدين محمد بن مجد الدين علي بن وهب بن مطيع بن أبي الطاعة القشيري المعروف بابن دقيق العيد في يوم الجمعة حادى عشر صفر، عن سبع وسبعين سنة، وهو على قضاء القضاة، ومولده في خامس عشرى شعبان سنة خمس وعشرين وستمائة.

* * *

سنة ثلاث وسبعمائة

فيها انتدب الأمراء لعمارة ما خرب من الجوامع بالزلزلة، وأنفقوا فيها مالا جزيلًا.

وقدم الأمير برلغى الأشرفى من الحجاز، وشكى من قلة مهابة الشريفين أبى الغيث وعطيفة وكثرة طمع العبيد فى المجاورين بمكة. فأفرج عن الشريفين حميضة ورميثة من السجن، وأحضرا إلى المجلس السلطاني وخلع عليهما بكلفتان زرکش، فلم يلبسها حميضة إلا بعد التمتع والتهديد بالعود إلى الحبس. وأجلسا فوق جميع الأمراء، ونزلا إلى منازلهما وحمل إليهما سائر ما يحتاجان إليه، وهادهما الأمراء، وأجريت لهما الرواتب والجرایات والكسوات، وركبا مع السلطان فى الميدان، ولعب حميضة مع السلطان بالكرة.

وفيها سارت العساكر من القاهرة للغارة على بلاد سيس، وعليهم الأمير بدر الدين بكتاش أمير سلاح، ومعه الأمير علم الدين سنجر الصوابى والأمير شمس الدين سنقر شاه المنصورى ومضافيهم، وكتب إلى طرابلس وحماة وصفد وحلب بخروج العساكر إليها. فوصل الأمير بدر الدين بكتاش إلى دمشق فى ثانى عشر رمضان، وخرج منها بعسكر دمشق، فسار إلى حلب وأتته عساكر البلاد، فمرض وأقام بحلب، وسار ابنه بالعساكر، وحرقوا مزارع سيس وخربوا الضياع وأسروا أهلها، ونازلوا تل حمدون وقد امتنع بقلعتها جماعة كثيرة من الأرمن، فقاتلهم حتى فتحت بالأمان، وأخذوا منها ستة ملوك من ملوك الأرمن. فشق ذلك على تكفور ملك سيس، وقصد نكاية الملوك على تسليمهم قلعة تل حمدون بالأمان، وكتب إلى نائب حلب بأن ملوك القلاع هم الذين كانوا يمنعون من حمل الخراج، فلا تفرجوا عن أحد منهم، فليس عندى من يزن المال سواهم. فأمر النائب بقتلهم، فضربت رقاب الملوك الخمسة، وأسلم منهم صاحب قلعة نجيمة والتزم بأخذ سيس، فحمل إلى مصر وكتب صحبته بعود العساكر بالغنائم، فسر الأمراء والسلطان بذلك، وأكرم صاحب قلعة نجيمة، وكتب بعود العساكر.

وقدم البريد بموت الأمير عز الدين أيك الحموى نائب حمص، فكتب بلبان الجوكندار نائب قلعة دمشق باستقراره فى نيابة حمص، وتوجه إليها فى ثامن عشرى جمادى الأولى، وولى عوضه نيابة قلعة دمشق بهادر السنجرى.

وفيهما وقع موتان فى الخيول ببلاد الشام، فمات من حلب ودمشق نحو الثمانين ألف فرس، وفشا الموتان فى خيول مصر أيضاً، فهلك كثير منها. ووقع ببلاد الساحل جراد كثير، وفيها ارتفعت أسعار الغلال بمصر، وبلغ الأردب القمح أربعين درهما لتقاصر زيادة النيل، ثم انحط السعر عن قليل وأبيع بخمسة وعشرين درهما.

وفيهما سار الأمير بدر الدين جنغلى بن شمس الدين البابا أحد مقدمى التتار وافداً إلى الأبواب السلطانية بأهله وأتباعه، فلما قدم الريد بمسيره كتب إلى نائب حلب، فتلقيه وبالغ فى إكرامه، وتلقاه نائب دمشق ودخل به فى حادى عشر ذى القعدة. وما زالت الإقامات تتلقاه حتى قدم إلى القاهرة، فخرج الأمير بيبرس الجاشنكير إلى لقائه ومعه الأمراء إلى قبة النصر، وصعد به إلى أن قبل الأرض بين يدى السلطان فى ثالث ذى الحجة، وأنزل فى دار بقلعة الجبل.

وفيهما أخرج الأمير بهاء الدين قراقوش الظاهرى على إمرة بصفد، وأنعم على جنغلى بإمرته - وهى طبلخاناه، وكتب له بزيادة مائة ألف درهم. ثم نقل إلى إمرة مائة، وأنعم على أمير على من أزمه بإمرة عشرة، وعلى نيروز من أزمه بتقدمة ألف، وبعث الأمراء إليه بالهدايا.

وفيهما قدم رسول ملك الفرنج الريدراكون البرشلونى بهدية جليلة القدر للسلطان وللأمراء، وسأل فتح كنائس النصارى فأجيب إلى ذلك، وفتحت كنيسة اليعاقبة بحارة زويلة وكنيسة الملكيين بالبندقانيين. وجهز جوابه مع فخر الدين عثمان أستاذار الأمير عز الدين الأفرم، فاقترض نحو الستين ألف درهم، وبالغ فى التجمل. فلما كان وقت السفر دفع الرسل ملطفاً من ملكهم إلى السلطان يسأل فى فك رجل ممن أسر بجزيرة أرواد، فأفرج عنه وسار معهم إلى الإسكندرية، فبعث بعض الأسرى يعرف السلطان بأن: «هذا الذى أفرج عنه ابن ملك كبير، ولو أردتم فيه مركبا ملآن بالذهب لحمله إليكم فى فكه»، فكتب برده فعاد من الإسكندرية وقيد على ما كان. وركب الرسل البحر، حتى إذا أبعدهوا عن الإسكندرية أنزلوا الأمير فخر الدين عثمان فى قارب وأمروه بالعود، وأخذوا كل ما معه. فألقاه الريح على ساحل الإسكندرية، وحمل إلى مصر، فشكا إلى الأمراء أن الذى أخذ له دين عليه، فلم يلتفت أحد إليه، وكتب إلى الإسكندرية بإيقاع الحوطة على من يرد من فرنج برشلونة.

وفيهما كملت عمارة المدرسة الناصرية بين القصرين.

وفيهما نقل السلطان أمه من التربة المجاورة للمشهد النفيسى إلى التربة الناصرية بين

القصرين، وموضع هذه المدرسة الناصرية كان داراً عرفت أخيراً بالأمير سيف الدين بلبان الرشيدى، فاشترها الملك العادل كتبغا وشرع فى بنائها مدرسة، وعمل بوابتها من أنقاض مدينة عكا، وهى بوابة كنيسة بها. فلما حضرت هذه البوابة إلى القاهرة - مع الأمير علم الدين الدوادارى، متولى تخريب عكا وصور وعثليت وغيرها من القلاع التى فتحها الملك الأشرف خليل بن قلاوون - أخذها الأمير بيدرا، وقتل وهى على حالها، فعملها كتبغا على هذه المدرسة. وخلع كتبغا قبل أن تكمل، فاشترها السلطان على يد قاضى القضاة زين الدين على بن مخلوف وأتمها، وعمل لها الأوقاف الجليلة: ومن جملتها قيسارية^(١) أمير على بخط الشرايشيين^(٢)، والربع المعروف بالدهشة^(٣) قريبا من باب زويلة، وحوانيت بباب الزهومة^(٤)، والحمام المعروفة بالفخرية بجوار المدرسة السيفية^(٥)، ودار أم السلطان، وحمامى الشيخ خضر بظاهر القاهرة، بخط بستان ابن صيرم والجامع الظاهرى، ودار الطعم خارج مدينة دمشق. ورتب بها قاضى القضاة زين الدين على بن مخلوف مدرس المالكية، وقاضى القضاة شمس الدين أحمد السروجى مدرس الحنفية، وقاضى القضاة شرف الدين عبد الغنى الحرانى مدرس الحنابلة، وصدر الدين محمد بن المرحل مدرس الشافعية.

وفىها ولد للسلطان من زوجته أردكين الأشرفية ابن سماه عليا، ولقبه بالملك المنصور، وعمل له مهما أراد أن يستمر سبعة أيام، فلم يوافقه الأمراء على ذلك وعمل يوما واحداً وفىها شرع الأمير سلار النائب فى التحضير إلى الحجاز.

وفىها تشاجر الوزير عز الدين أيك البغدادى وناصر الدين محمد بن الشيخى متولى الجيزة، وسببها تعاضم ابن الشيخى على الوزير، وانحصار الأقباط منه لوفور حرمة

(١) قيسارية عرفت هذه القيسارة بذلك الاسم نسبة إلى الأمير على ابن السلطان المنصور قلاوون. انظر المواعظ والاعتبار.

(٢) الشرايشيين عرف هذا الموضع نسبة إلى بائع الشرايش فى السوق الذى عرف بسوق الشرايش. انظر المواعظ والاعتبار ٩٩/٢.

(٣) الدهشة هذا الموضع غير الموضع المعروف باسم الدهشة الذى عمره السلطان الملك الصالح عماد الدين إسماعيل بن قلاوون. انظر المواعظ والاعتبار ٢١٢/٢.

(٤) الزهومة يطلق هذا الوصف على كثير من الموضع بالقاهرة منها خط باب الزهومة وسوق باب الزهومة وهو نفسه أحد أبواب القصر الكبير الشرقى فى عهد الفاطميين. انظر المواعظ والاعتبار ٤٣٥/١، ٩٧، ٣٥/٢.

(٥) مدرسة السيفية سميت هذه المدرسة، حسبما جاء فى خطط المقرئى إلى سيف الإسلام طغتكين أحد أخوة السلطان صلاح الدين الأيوبى وهو الذى فتح اليمن فى عهد أخيه سنة ٥٧٧هـ.

وشدة ضبطه، فاتفقوا مع الوزير على أن يحققوا في جهته وجهات مماليكه من الأموال الديوانية مبلغاً كثيراً، فتحدث الوزير في ذلك مع الأمير سلار النائب، لعلمه بكرهته في ابن الشيخى. فطلب ابن الشيخى والدواوين وحضر الأمراء، وانتدب لمحاqqته التاج الطويل مستوفى الدولة. وأفحش التاج الطويل فى مخاطبته، وهو يخرج مما يلزم به بحجج يظهرها، ثم اشتد حنقه وقام على قدميه وقال: «وحق نعمة مولانا السلطان! هؤلاء الأقباط أكلوا الأموال، وإن تسلمتهم لآخذن منهم للسلطان ثلاثمائة ألف دينار أكتب بها خطى». فقال له التاج: «صرت أنت تأمر وتنهى يا ناصر الدين، ولو طلعت رأسك إلى السماء كنت عندى ضامنا بتقارير مكتبة عليك كسائر الضمّان». فغضب الأمير بيبرس الجاشنكير، وقال للتاج: «والك ما كفى كذبكم حتى تجعل أميراً مثل ضامن؟ والله ما يأكل مال السلطان غيركم»، وأمر بإقامته من المجلس. وقال الأمير بيبرس لابن الشيخى: «إيش قلت؟ تحمل من جهة هؤلاء ما قلت؟»، قال: «نعم!»، فرسم للوزير والحجاب بجمع الدواوين وتسليمهم له وانفضوا، فلم يبت أحد من الكتاب عنده، فاخلا ناظرى الدولة وهما تاج الدين عبد الرحيم بن السنهورى، وشهاب الدين غازى بن الواسطى، وألزمهم بعمل حساب الدولة لثلاث سنين وضيق عليهم، وأهان التاج الطويل ونكل به. وأخذ التاج بن سعيد الدولة فى مساعدة ابن الشيخى، وصار يأتيه فى الليل ويرتبته، فظهر فى جهة الكتاب شىء كثير، فشكره بيبرس وعرف الأمراء بذلك، فرسموا له بعقوبة الكتاب واستخراج المال منهم، فقام الشهاب بن الواسطى فى الخط على ابن الشيخى قيما زائداً، وقال: «يا أمراء! هذا ما يحل، وما بلغ قدر هذا الرجل بالأمس وهو فى دكان يخيظ الأقباع^(١)، ثم فقير دائر يستعطى، ثم ضامن فى ساحل الغلة، قد صار فى حفدة ومماليك، وعمل ولاية القاهرة بأقبح سيرة». فبلغ ذلك ابن الشيخى فأوقع الحوطة عليه، وسأل الأمير بيبرس فيه فسلمه له، فلما دخل عليه مع الرسل أخرج به وأمر أن يعرى من ثيابه، فمازال به الحاضرون حتى عفا عنه من خلع ثيابه، وضربه تحت رجليه ثلاث ضربات. ثم خاف العاقبة فأكرم ابن الواسطى وتلطف به وبالكتاب، وحمل منهم ثلاثمائة ألف درهم، وأفرج عنهم بعد مشاورة الأمير بيبرس. فشق ذلك على الوزير، وسعى فى السفر إلى الحجاز مع الأمير سلار، فأجيب إلى ذلك.

وسعى ابن الشيخى بالأمير بكتمر أمير جندار والأمير برلغى وينجار، ووعدهم أنه يؤجرهم البلاد والدوايب ويقوم عنهم بكلفها، وأهدى إليهم حتى ملاً أعين أعدائه

(١) جمع قبع، وهو ما يغطى به الرأس من الثوب.

وأصدقائه، وعمل للأمير سلار من آلات السفر شيئا كثيرا، وما زال يسعى بحاشية سلار، وهو يتمتع من إجابتهم، ويردهم أقبح رد لبغضه فيه حتى خدعوه وأجاب. فاستقر ابن الشيخى فى الوزارة يوم الإثنين تاسع عشر شوال، بغير رضا سلار، إلا أنه لم يجد بدا من ولايته. ونزل فى موكب عظيم إلى داره بجوار المشهد الحسينى من القاهرة، وتعاضم على الناس تعاضما زائداً.

وفىها سار الأمير سلار النائب إلى الحجاز، ومعه نحو الثلاثين أميراً: منهم سنقر الكمالى الحاجب، وعلم الدين سنجر الجاولى، وسنقر الأعسر، وكورى، وسودى، وبكتوت القرماني، وبكتوت الشجاعى، والطواشى شهاب الدين مرشد. وتأخر الأمير سلار، بعد خروج الركب مع الأمير سيف الدين أناق الحسامى أمير الركب، وبعث إلى الحجاز فى البحر عشرة آلاف أردب غلة وبعث سنقر الأعسر ألف أردب، وبعث سائر الأمراء القمح للترفة فى أهل الحرمين، فعم النفع بهم.

وفىها ورد الخير بموت غازان بن أرغون بن أبغا بن هولاكو ملك المغل، فى ثالث عشر شوال بنواحي الرى، من مرض حاد، وكانت مدته ثمان سنين وعشرة أشهر. وقام بعده أخوه خدا بندا بن أرغون، وجلس على تخت الملك فى ثالث عشرى ذى الحجة، وتلقب بغيث الدين محمد، وكتب إلى السلطان بجلوسه، وطلبه للصلح وإخماد الفتنة، وسير إليه رسله. وفىها توجه الوزير ناصر الدين محمد بن الشيخى إلى الإسكندرية، وأكزم المباشرين بعمل الحساب. وكان متحصل الإسكندرية لا ينال ديوان السلطان منه إلا القليل، فإن الأمراء بيبرس وسلار وبرلقى والجوكندار ما منهم إلا من له بها نائب يتحدث فى المتجر. فقام نائب الإسكندرية، ومنع الوزير من التحدث حتى يحضر الأمير سلار من الحجاز، فاتفق وصول مركب بمتجر للفرنج بلغ موجه أربعين ألف دينار.

وفىها خرج السلطان إلى البحيرة للصيد، وقد عبأ له الوزير الإقامات. ونزل السلطان بتروجة، واستدعى شهاب الدين أحمد بن عبادة، الذى أقامه قاضى القضاة زين الدين على بن مخلوف وصى السلطان وكيلا على جباية أموال أملاك السلطان ونائبا عنه لاشتغاله بوظيفة القضاء. وطلب السلطان منه دراهم يشتري بها هدية من الإسكندرية، فلم يجد عنده من مال السلطان ما يكفيه، فبعثه ليقترض من تجار الإسكندرية مبلغا. فاجتمع ابن عبادة بالوزير، وشكا له ما فيه السلطان من الضيق والحاجة، وأنه حضر ليقترض له من التجار ما يشتري به هدية لجواريه ونسائه. فقال له ابن الشيخى: «ارجع، وأنا غدا عند السلطان بألفى دينار». فعاد ابن عبادة، وأعلم

السلطان بذلك، فسر سرورًا كبيرًا. وقدم الوزير بالمبلغ وقدمه للسلطان. فاستروح السلطان معه بالكلام، وشكا إليه ما هو فيه من ضيق مع الأمراء، فوعده بأن مصير الأمر إليه، وقوى قلبه وشجعه على الفتك بالأمراء، وهون عليه أمرهم، وقام وقد حفظ عليه الجمدارية ما قاله في حق الأمراء. وعاد السلطان إلى القلعة، وقدم الوزير من الإسكندرية بمال كثير وكساو جليلة، وشكا إلى الأمير بيبرس نائب الإسكندرية.

وقدم الخير من الأردنو بأنه قد جرد مقدم اسمه قبرتو ليقيم بديار بكر، عوض جنكلى ابن البابا المهاجر إلى الإسلام. فكتب نائب الشام مطالعة بذلك، وفيها:

أتى من بلاد المشركين مقدم تعالن لما أن دعوه قبرتوا
وإنى لأرجو أن يجيء عقيها بشير لنا أن اللعين قبرتوا

وبلغ النيل ستة عشر ذراعا وستة عشر أصبعا، بعدما توقف، وتحسنت الغلال.

* * *

ومات في هذه السنة

عز الدين أيك الحموى، وكان من مماليك المنصور نائب حماة، فطلبه منه الملك الظاهر بيبرس هو وأبو خرص فيسرهما إليه فأمرهما، ثم ولى الأشرف خليل أيك هذا نيابة دمشق بعد سنجر الشجاعى، وعزله العادل كتبغا بغرلوا. ولى صرخد^(١) ثم حمص، وبها مات فى تاسع عشر شهر ربيع الآخر.

ومات الأمير بيبرس التلاوى فى تاسع شهر رجب، وكان يلى شد دمشق - وفيه ظلم وعسف - مدة سنة وسبعة وأربعين يوماً، منها أيام مرضه حتى هلك سبعة أشهر، واستقر عوضه فى وظيفة الشد قيران الدوادارى.

ومات القان إبل خان معز الدين غازان بن أرغون بن أبغا بن هولاكو بن طولوى ابن جنكزخان، ببلاد قزوين^(٢) فى ثانى عشر شوال، وحمل إلى تربته خارج توريز. وكان جلوسه على تحت الملك فى سنة ثلاث وتسعين وستمائة، وأسلم فى سنة أربع وتسعين وستمائة، ونثر الذهب والفضة واللؤلؤ على رعوس الناس، ففشا الإسلام بذلك

(١) صرخد بلد ملاصق لبلاد حوران من أعمال دمشق وهى قلعة حصينة وولاية حسنة واسعة. انظر معجم البلدان ٤٠١/٣.

(٢) بلاد قزوين: مدينة مشهورة بينها وبين الرى سبعة وعشرون فرسخاً وحصن قزوين كثيرين بالفارسية وبينه وبين الديلم جبل. انظر معجم البلدان ٣٤٢/٤، والروض المعطار ٤٦٥.

فى التتار، وأظهر غازان العدل، وتسمى بمحمود، وملك العراقين وخراسان وفارس والجزيرة والروم، وتسمى بالقان، وأفرد نفسه بالذكر فى الخطبة، وضرب السكة باسمه دون القان الأكبر، وطرد نائبه من بلاده، ولم يسبقه أحد من آبائه إلى هذا، فاقضى به من جاء بعده، وكان أجل ملوك بيت هولاكو، إلا أنه كان ييخل بالنسبة إليهم.

ومات شمس الدين سلمان إبراهيم بن إسماعيل الملقى الدمشقى الحنفى أحد نواب الحكم بدمشق والقاهرة، وكان ديناً مباركا.

ومات علاء الدين على بن عبد الرحيم بن مراحل الدمشقى، والد الصاحب تقى الدين سليمان بن مراحل، فى سادس عشر ذى القعدة بدمشق، وقدم إلى القاهرة سنة إحدى وسبعمائة، وكان ماهراً فى الحساب، أديباً فاضلاً.

ومات زين الدين عبد الله بن مروان بن عبد الله بن فيع بن الحسن الفارقى الشافعى، فى حادى عشرى صفر بدمشق، ومولده سنة ثلاث وثلاثين وستمائة، وقد درس الفقه، وخطب بجامع بنى أمية قبل موته بتسعة أشهر، فولى الخطابة بعده صدر الدين محمد بن الوكيل المعروف بابن المرحل، فلم ترض الناس به، فولى شرف الدين [.....] (١) القزارى.

ومات فتح الدين أبو محمد عبد الله بن الصاحب عز الدين محمد بن أحمد بن خالد ابن محمد القيسرانى (٢) بالقاهرة يوم الجمعة خامس عشرى شهر ربيع الآخر، ومولده فى سنة ثلاث وعشرين وستمائة، وقد وزر جده الموفق خالد للملك العادل نور الدين محمود بن زنكى (٣) وولى الفتح هذا وزارة دمشق، ثم صرف عنها، وقدم إلى القاهرة، وياشر توقيع الدست بقلعة الجبل، وعنى بالعلم، وله تصانيف ونظم حسن.

(١) ما بين المعقوفتين بياض فى الأصل.

(٢) عبد الله بن محمد بن أحمد بن خالد القرشى المخزومى، أبو محمد فتح الدين بن القيسرانى: من علماء الوزراء شاعر أديب من بيت رياسة. أصله من قيسارية الشام. ولد فى دمشق وولى بها الوزارة فى أيام السعيد بن الظاهر ستة أشهر وانتقل إلى مصر فتوفى بالقاهرة. له كتاب فى «الصحابة» و«أربعون حديثاً» أخرجها لنفسه وله نظم فى «ديوان». انظر البداية والنهاية ١٤: ٣١ والدرر الكامنة ٢: ٢٨٤، والنجوم الزاهرة ٨: ٢١٣ والأعلام ٤: ١٢٥.

(٣) محمود بن زنكى [عماد الدين] بن أفسنقر، أبو القاسم، نور الدين الملقب بالملك العادل: ملك الشام وديار الجزيرة ومصر وهو أعدل ملوك زمانه وأجلهم وأفضلهم. كان من الماليك [جده من موالى السلجوقيين]. ولد فى حلب. انظر ابن الأثير ١١/ ١٥١ وابن خلدون ٥/ ٢٥٣ وابن خلكان ٢/ ٨٧، والإسلام والحضارة العربية ١/ ٢٨٩، ومرآة الزمان ٨/ ٣٠٥، والنجوم الزاهرة ٦/ ٧١، وكتاب الروضتين ١/ ٢٢٧، والأعلام ٧/ ١٧٠.

ومات نصير بن أحمد بن علي المناوي المعروف بالنصير الحمامي، الأديب البارع، في
[.....]^(١).

ومات الشريف أبو فارس عبد العزيز بن عبد الغنى بن سرور بن سلامة المنوفى،
أحد أصحاب الشيخ أبي الحجاج الأقصرى - ويقال إنه شريف حسنى - فى ليلة الإثنين
خامس عشر ذى الحجة بمصر، عن مائة وعشرين سنة، وهو صحيح الأعضاء سليم
الحواس رصين العقل، وله ديوان شعر.

ومات الأمير بكتمر السلاح دار الظاهرى فى [.....]^(٢).

* * *

(١) ما بين المعقوفتين بياض فى الأصل.

(٢) ما بين المعقوفتين بياض فى الأصل.

سنة أربع وسبعمائة

فى مستهل الحرم: قدم البريد بوصول الأمير سيف الدين قَطَايا بن سيفرا أمير بنى كلاب فى عدة من مشايخ العرب، ثم قدم فأكرمه السلطان والأمراء، وأعيدوا إلى حلب. وكان من خير قطايا أنه لما خرج عن طاعة السلطان، وعاث فى أعمال حلب وأفسد، طلبه عساكر حلب، ففر إلى بلاد الشرق، وأقام مع المغل، فأكرموه مدة حياة الملك محمود غازان حتى مات، فلم يجد بعدئذ ما كان يعهده، فترامى على نائب حلب، ومازال يستعطفه فى أن يأذن له فى العود بعد الشفاعة له إلى السلطان، فأجاب سؤاله وكتب فيه، فعفى عن ذنبه وأعيدت له إقطاعاته بحلب.

وقدم البريد بوقوع الفتنة بين الأمراء أسند مركزى نائب طرابلس، والأمير بالوج الحسامى من أمرائها، من أجل أن أسندم استخدم فى ديوانه سامريًا كاتبًا يقال له أبو السرور، فزاد تحكمه، وأخذ يتجر لمخدومه فى عدة بضائع، وركب الخيول المسومة بالسروج المحلاة بالذهب والفضة، وتصرف فى عامة الأمور بطرابلس حتى كثرت أمواله وسَعَاداته، وتزايد شره وضرره، وكثرت شكاية الناس منه. فقام الأمير بالوج فى ذلك وتحدث مع أمراء طرابلس فى إزالته عن المسلمين، وَوَعَدَهُمْ على نصرته ومعاونته إياهم. ثم قام فى يوم الموكب للنائب أسندم، وذكر له ما أصاب الناس من كاتبه السامرى، وما هم فيه من الضرر، فرد عليه ردًا غير جيد، وجبهه بالتكذيب فيما نقله، وأغلظ عليه حتى اشتد غضب الأمير بالوج منه - وكان قوى النفس شرس الأخلاق - وحلف بالإيمان المغلظة ليضربن رقبة السامرى، وقام من مجلس النائب. فكتب فيه النائب أسندم يشكو منه شكوى طويلة عريضة، فأعيد جوابه بالقبض على الأمير بالوج وحبسه، فأخذ سيفه وسجنه، فاشتدت عند ذلك وطأة السامرى على الناس، فتجردوا له وكتبوا فيه محاضر بقوادح حفظت عنه، وأثبتوها بدمشق. فكتب الأمير جمال الدين آقوش الأفرم نائب الشام فيه، فقام الأمير بييرس الجاشنكير فى ذلك. وكتب بحمل السامره إلى دمشق وتسليمه للقاضى المالكى. والإفراج عن بالوج، فأفرج عنه وأنعم عليه، وقيد السامرى وسلمه للبريد، فسار به إلى حمص، فاتفق قتله بها، واتهم أسندم أنه دس عليه من ضرب عنقه حتى لا يتمكن منه، فحملت رأسه إلى دمشق.

وفيهما حكم قاضى المالكية بإقامة دم شمس الدين محمد بن الباجريقى^(١) ففر من دمشق وقدم الأمير سلار من الحجاز فى نصف صفر، وقد فعل فى الحجاز أفعالا جميلة منها: أنه كتب أسماء المجاورين بمكة وأوفى عنهم جميع ما كان عليم من الديون لأربابها، وأعطى لكل منهم بعد وفاء دينه مئونة سنة، ووصلت مراكبه إلى جدة سالمة، ففرق ما فيها على سائر أهل مكة جليلهم وحقيرهم، وكتب سائر الفقراء وجميع الأشراف، وحمل إليهم الدنانير والدراهم والغلة بقدر كفاية كل منهم سنة، فلم تبق بمكة امرأة ولا رجل ولا صغير ولا كبير ولا غنى ولا فقير عبد أو حر شريف أو غير شريف إلا وعمه ذلك، ثم استدعى الزيلع^(٢) وفرق فيهم الذهب والفضة والغلال والسكر والحلوى حتى عم سائرهم، وبعث مباشره إلى جدة، ففعلوا فيها كما فعل هو بمكة. وحمل ما بقى إلى المدينة النبوية، فما بلغ وادى بنى سالم وجد العرب قد أخذوا عدة جمال من الحجاج، فتبعهم وأخذ منهم خمسين رجلا، فأفتاه الفقهاء بأنهم معاربون، فقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف، وعم أهل المدينة بالعطايا كما عم أهل مكة، فكان الناس بالحرمين يقولون: «يا سلار! كفاك الله هم النار»، ولم يسمع عن أحد فعل من الخير كما فعل.

وقدم البريد من حلب بحضور جماعة من المغل وافدين إلى بلاد الإسلام، نحو مائتى فارس بنسائهم وأولادهم، وفيهم عدة من أقارب غازان وبعض أولاد سنقر الأشقر، فكتب بإكرامهم، فقدموا إلى القاهرة فى جمادى الأولى وقدم معهم أحوا سلار، وهما فخر الدين داود، وسيف الدين جبا، وقدمت أيضا أم سلار. فرتبت لهم الرواتب، وأعطوا الإقطاعات، وفرق جماعة منهم على الأمراء. وأنشأ سلار لأمه دارا بإسطنبول الجوق الذى عمله العادل كتبغا ميدانا، ثم عرف بحكر الخازن، ورقى أخويه وأعطاهم الإمريات وقدم الأمير حسام الدين أزدُمُر المَجرى، وعماد الدين على بن عبد العزيز بن عبد الرحمن بن عبد العلى بن معرف بن السكرى، من بلاد الشرق إلى دمشق فى رابع عشرى شعبان، ودخلا القاهرة أول رمضان، ومعهما كتاب خر بندا وهديته، فتضمن كتابه جلوسه على تخت الملك بعد أخيه محمود غازان، وخاطب السلطان بالأخوة،

(١) الباجريقى: نسبة إلى بلدة باجريق بالعراق الأعلى، بين البقعاء ونصيبين. انظر معجم البلدان ٤٥٣/١، والباجريقى هذا كان فى الأصل فقيها بالمدارس، ثم تزهد وصحب الفقراء، وصار له أتباع، وقد ظل يعانى من أنواع النفى والتشريد بسبب أقواله وآرائه حتى وفاته سنة ٧٢٤ هـ. انظر الدرر الكامنة ٤/١٢، ١٤.

(٢) الزيلعى: نسبة إلى زيلع قرية على البحر بناحية الحبشة. انظر معجم البلدان ٩٦٦/٢، ٩٦٧. ولب اللباب ١٢٩.

وسأل إحماد الفتن، وطلب الصلح، وقال فى آخر كلامه: عفا الله عما سلف ومن عاد فينتقم الله منه. فأجيب وجهزت له الهدية، وأكرم رسوله، وسفر معه علاء الدين على ابن الأمير سيف الدين بلبان القلنجقى أحد مقدمى الحلقة، والصدر سليمان المالكى المرتقى أحد العدول^(١)، فتوجهوا فى أول ذى القعدة، وعاد علاء الدين وسليمان المالكى فى رمضان سنة خمس وسبعمائة. وقدم بدر الدين محمد بن فضل الله بن مجلى من بلاد غازان إلى دمشق فى ثالث عشرى جمادى الآخرة.

وقدم رسل الملك طقطاي صاحب سراى وبر القبجاق فى أول ربيع الأول، وأنزلوا بمنابر الكبش، وأجريت لهم الرواتب. ثم حضروا بهديتهم وكتاب ملكهم، وهو يتضمن الركوب لحرب غازان ليكون فى المساعدة عليه، فأجيب بأن الله قد كفاهم أمر غازان، وأن أخاه خربندا قد أذعن للصلح، وجهزت له هدية خرج بها مع الرسل الأمير سيف الدين بلبان الصرخدى إلى الإسكندرية، وساروا فى البحر.

وقدم عدة من التجار وشكوا من المؤيد هزبر الدين داود بن يوسف بن عمر بن على ابن رسول ملك اليمن، وكان مع ذلك قد قطع الهدية التى كانت تحمل من اليمن ومبلغها ستة آلاف دينار، يشتري بها أصناف وتسير إلى قلعة الإسماعيلية مع هدية تختص بالسلطان. وكان المظفر يوسف بن المنصور عمر بن على بن رسول حملها مدة أربعين سنة، ثم حملها ابنه الأشرف، فلما خرج عليه هزبر الدين داود بن المظفر يوسف بن المنصور بن على رسول قطع الجهتين^(٢) واستخف بسلطان مصر، فكتب إليه بالإنكار والتهديد، وسير إليه مع ناصر الدين الطورى وشمس الدين ومحمد بن عدلان، ومعهما كتاب الخليفة أيضا بالإنكار عليه والتهديد، وأمره أن يحمل المقرر على العادة.

وقدم أباى ملك دمقلة^(٣) من بلاد النوبة بهدية ما بين جمال وأبقار ورقيق وشب وسنبادج^(٤)، وطلب عسكرياً، فأنزل بدار الضيافة وعين معه الأمير سيف الدين طقصبدا والى قوص وجماعة الوافدية^(٥)، وعدة من أجناده الحلقة نحو ثلاثمائة فارس، ومن أجناد

(١) العدول: جمع عدل، والعدل: ما قام فى النفس أنه مستقيم، وهو ضد الجور. عدل الحاكم فى الحكم يعدل عدلا وهو عادل من قوم عدول وعدل. وهو فى مصطلح الفقهاء والمحدثين الرجل صحيح الرواية. انظر لسان العرب. عدل.

(٢) على هامش ط: الجهة هى الضريبة أو الجزية المقررة.

(٣) دمقلة: مدينة كبيرة فى بلاد النوبة. انظر معجم البلدان ٢/٤٧٠.

(٤) على هامش ط: هى مادة حجرية للجلاء.

(٥) الوفد: الركبان المكرمون. قال الأصمعى وافد فلا يفد وافدة إذا خرج إلى ملك أو أمير. قال ابن سيده وافد عليه وإليه يفد وافدا ووفودا ووفاد وأفاد. الوافدية: والمراد هنا الغريب الوافد إلى جديد. انظر: لسان العرب ٤٨٨١.

الولاية بالوجه القبلى ومن العربان جماعة كبيرة. فاجتمعوا من البر والبحر بقوص، وسار بهم طقصبا مع أياى ملك النوبة.

وفيهما بعث الأمير ركن الدين بيبرس الدوادار^(١) إلى القاضى شرف الدين عبد الوهاب بن فضل الله^(٢) كاتب السر أن يكتب نائب الشام كتاباً، فقال: «لابد من مشاورة السلطان أو النائب»، فغضب بيبرس واستدعاه، فلما جاءه لم يكثر به، وقال له: «كيف أقول لك - والك - اكتب ما تكتب؟» فقال: «تأدب يا أمير ولا تقول والك» فقام بيبرس وضربه على رأسه ثلاث ضربات، فخرج من عنده إلى الأمير سلار النائب، وعرفه ما جرى عليه، فأقره عنده. واجتمع بالأمرء وقت الخدمة، وعرف الأمير بيبرس الجششكير الخير فشق عليه وعلى بقية الأمراء ذلك، واتفقوا على بيبرس الدوادار فأخذ سيفه وعوق من بكرة النهار إلى الظهر، وعنف تعنيفاً زائداً، وعزل من الدوادارية، واستقر عوضه الأمير أيد مر.

وقدم البريد من دمشق بأن تقي الدين أحمد بن تيمية تنازع مع أهل دمشق فى الصخرة التى بمسجد النارنج. بجوار مصلى دمشق، وأن الأثر الذى بها هو قدم النبى ﷺ، وأن ما يفعله الناس من التبرك به وتقبيله لا يجوز، وأنه مضى بالحجارين وقطع الصخرة فى سادس عشر رجب، وقد أنكر عليه الناس ما فعله فأجيب إن كان الأمر على ما زعم فقد فعل الخير وأزال بدعة، وإن كان الأمر بخلاف ما قال فإذا تبين صحته يقابل على ما فعله. وقدم أيدغدى الشهرزورى رسولا من جهة أبى يعقوب يوسف بن يعقوب بن عبد الحق بن محيو بن أبى بكر بن جماعة المرىنى ملك المغرب، بهدية جلييلة، وقدم معه ركب المغاربة يريدون الحج، وكان قد انقطع من بلاد المغرب منذ سنين.

(١) بيبرس المنصورى الخطائى الدوادار، ركن الدين: مؤرخ من الأمراء بمصر. ولد وتوفى بها عن نحو ٨٠ عاماً. وكان من ممالك المنصور قلاوون، واستنابه بالكرك، ثم صار «دوادار» السلطان وناظر الأعباس، فتأبى للسلطنة فى الديار المصرية، ولاه ذلك الناصر محمد بن قلاوون، وكان يجله، ثم غضب عليه فحبسه إلى أن مات. وقيل: أطلقه بعد حبسه مدة. له تصانيف، منها «زبدة الفكرة فى تاريخ الهجره - خ» أجزاء منه، وهو كبير مرتب على السنين يقع فى ١١ مجلداً، و«التحفة المملوكية فى الدولة التركية - خ» فى تاريخ السلاطين المماليك من سنة ٦٤٧ إلى ٧٢١ هـ. انظر: ديوان الإسلام - خ - والنجوم الزاهرة ٩: ٢٦٣، والدرر الكامنة ١: ٥٠٩ وآداب اللغة ٣: ١٨٦ ودائرة المعارف الإسلامية ٤: ٣٦٩ والفهرس التمهيدى ٣٦٤ و ٣٩٩.

(٢) عبد الوهاب بن فضل الله العمرى القرشى، شرف الدين: كاتب مترسل مصرى. خدم الملك الأشرف، والملك الناصر، وسيف الدين تنكز. ونقله الملك الناصر إل كتابة السر فى دمشق، فتوفى بها. انظر فوات الوفيات ٢/ ٢٢٢ والدرر الكامنة ٢/ ٤٢٨ والنجوم الزاهرة ٩/ ٢٤٠ والأعلام ٤/

فجهزهم أبو يعقوب، وبعث معهم مصحفا جليلا غشاه بالذهب المرصع بالجواهر الرائع، ووقفه في الحرم. فأكرم أيدغدى وأنزل بالميدان، وأجريت عليه الرواتب، وكان أيدغدى هذا لما قبض على يعقوب فى الأيام الظاهرية فر فى جماعة من الأكراد إلى برقة^(١)، وقدم على أبى يعقوب بهدية. فقربه وقدمه حتى صار فى منزلة وزير، وحسنت سيرته عندهم إلى أن بعثه أبو يعقوب بالهدية ليحج.

وفىها بنى الأمير موسى بن الصالح على بن قلاون على ابنة الأمير سلار النائب مملوك أبىه الصالح. وعمل مهم عظيم جدا، وجهزت ابنة سلار بمائة وستين ألف دينار، ومشى فى زفته الأمير بيبرس الجاشنكير وسائر الأمراء، وحمل كل منهم التقدام من الشمع وغيره. فحمل الأمراء إليه ثلاثمائة وثلاثين قنطارا من الشمع.

وفىها أوقع بالوزير ناصر الدين محمد بن الشيخى: وسببه أن الأمير سلار النائب لما قدم من الحجاز عرفه الجمدارية اجتماعه بالسلطان على تروجة ومسارته له وحمله مبلغ ألفى دينار، وأنه فاضه فى أمر الأمراء، وشجعه عليهم، وأن السلطان كلما احتاج إلى شىء استدعى به منه، فيحمله إليه. فشق ذلك على سلار، وحرك منه ما فى نفسه من كراهته له. وكان الأمير بيبرس الجاشنكير قد عزم على الحج فأراد مبادرة ابن الشيخى قبل سفر بيبرس لثلا يوقع به فى غيبته، فشق ذلك عليه، فاستشار الأمير علم الدين

(١) برقة: مدينة كبيرة قديمة بين الإسكندرية وإفريقية بينها وبين البحر ستة أميال وهى مرج أفيح وتربة حمراء افتتحها عمرو بن العاص رضى الله عنه سنة إحدى وعشرين، وفىها آثار للأول كثيرة، ومن حمرة تربتها تحمر ثياب ساكنيها والمتصرفين فيها، وعلى ستة أميال منها جبل كثير الخصب والفواكه والمياه السائحة، وتصلح السائمة فى نواحيها، وأكثر ذبائح أهل مصر والإسكندرية من أغنامها لعظم خلقها وكثرة شحمها ولذة لحمها، وبرقة أول منبر ينزلها القادم من ديار مصر إلى القيروان، ولها كور عامرة، وهى فى بقعة فسيحة وأرضها حمراء خلوقية كما تقدم وبجمرة ثياب أهلها يعرف أهلها، والصادر عنها والوارد عليها كثير، وهى برية بحرية، وكان من غلاتها فيما سلف القطن الطيب، وبها ديار لديباغ الجلود البقرية والنمور الواصلة إليها من أوحلة، وتجهز منها المراكب إلى الإسكندرية وأهل مصر بالصوف والعسل، ويخرج منها التربة المنسوبة إليها يتعالج الناس بها مع الزيت للحرب والحكمة ولها رائحة كريهة كرائحة الكبريت. ويذكر أن فى بعض جوانب برقة وآثارها القديمة داراً منقورة فى حجر صلد عليها باب من حجر صلد وذلك من أغرب ما يكون فى الدنيا لا تدخل الذرة بين العضادة والباب ولا يفتح الباب إلا للدخل ولا يقدر أحد على الخروج منه إلا أن يدخل عليه آخر، ويقال إنه كان مفتحا لا قفل له ودخلها رجل ليراها فرأى داراً منقورة فى حجر صلد وفىها من عظام الناس كثير فهاله ذلك، فلما أراد الخروج وجد الباب قد انغلق فلم يقدر على فتحه فأيقن بالهلكة حتى طلبه بعض أصحابه فجاء إلى ذلك الباب فسمع صوته يستغيث ففتح الباب فخرج الرجل انظر: معجم البلدان ٢ / ٣٨٨، والروض المعطار ٩١. والاستبصار ١٤٣ والإدريسى ٩٨/٣١، والبكرى ٤.

سنجر الجاولى فى أمره، فاتفقا على إقامة شخص من الأقباط يرافعه ويحقق فى جهته مال السلطان. وندب لذلك من وقع الاختيار عليه. فكتب أوراقا، وجلس الأمراء فى الخدمة، فعرفهم سلار ما بلغه عن الوزير ومماليكه وحط عليه. فقال الأمراء بأجمعهم: «متى ظهر فى قبله شىء قطع جلده بالمقارع»، واستدعى. فلما حضر قال له سلار: «اسمع ما يقول هذا الرجل من أنك أخذت مال السلطان وختته، وقد عرفت الشرط»، وأشار للرجل بمحافقته. فقال ابن الشيخى لشوم بخته: «ومن هذا القطعة^(١) النحاس حتى أتكلم معه، أو يسمع منه فى حق مثلى ما يقوله». فاشتد عند ذلك غضب سلار، وقال له: «يا قواد يا قطعة نحس إيش أنت حتى تكبر نفسك وإذا حضر واحد يعرفنا خياتتك تحرق به قدامنا، أما لنا حرمة عندك؟» وأمر الحاجب فضربه على رأسه إلى أن حارب شاشه. وسلمه إلى شاد الدواوين وأمره بمعاقبته ومعاقبته بمماليكه كبك وبكتوت وغيره، فأخذ سيفه فى آخر يوم من شعبان ومضى به هو ومماليكه وشاور عليه من الغد، فأمر بمطالبتة بالحمل، فأخذ فى تحصيل المال ولا يمر به يوم إلا ويحرق به عز الدين أيك الشجاعى شاد الدواوين وينكل به، لما كان نفسه من تكبره عليه ومشيه فى ركابه هو ووالى القاهرة عند قربه من داره. ثم إنه جلس بالصناعة^(٢) فى مصر، واستدعاه من القلعة، فنزل راكبا حماراً وشق به أسواق مصر إلى الصناعة، فثار به أهل مصر يريدون رجمه، وسبوه. ثم أعاده، ولم يزل على ذلك إلى يوم الأربعاء ثانى عشر رمضان فاستدعى سعد الدين محمد بن عطايا ناظر البيوت واستقر فى الوزارة.

وجلس والأمير علم الدين سنجر الجاولى قائم بين يديه يؤخر ما يوقع عليه من الأوراق، وكان ابن عطايا قبل هذا بثلاثة أيام قد رؤى قائما بين يدى الجاولى يقرأ عليه ورقة حساب. واستمر ابن الشيخى إلى ليلة عيد الفطر، وبييرس الجاشنكير لا يتحدث فى أمره بشىء، وإذا عرض عليه شاد الدواوين شيئا من أموره قال له: «مهما رسم نائب السلطان افعله». هذا وقد ثقل عليه فى أمر ابن الشيخى زوجته بنت بهادر رأس نوبة وولداها جر كتمر وأمير على وأخوهما خليل، وكانوا من خواص الأمير بييرس، وهو يعدهم بخلاصه إلى أن اجتمع والأمراء عند النائب، فتحدث معه فى خلاصه، فعرفه ما كان منه مع السلطان على تروجة، فأمسك عنه وقام.

وفىها توجه الأمير بييرس الجاشنكير إلى الحجاز مرة ثانية فى أول ذى القعدة، ومعه علاء الدين أيدغدى الشهرزورى رسول ملك المغرب، والأمير بييرس المنصورى

(١) على هامش ط: القطعة هنا الرجل المختقر.

(٢) المقصود بالصناعة إحدى دور صناعة السفن المعروفة بالقاهرة فى العصور الوسطى. انظر:

الدوادار، والأمير بهاء الدين يعقوب فى جماعة كثيرة من الأمراء. وكان قد خرج الركب فى عالم كثير من الناس مع الأمير عز الدين أيك الخازندار زوج ابنة الملك الظاهر بيبرس إلى البركة، فكثرت الحجاج، وقسموا ثلاث ركوب: ركب مع الأمير بيبرس المنصورى، وركب مع الأمير يعقوب، وركب مع أيك؛ وعندما سار الأمير بيبرس الجاشنكير رسم النائب سلال لشاد الدواوين فضرب ابن الشيخى فى يومه بالمقارع، واستمر يعاقبه حتى مات من العقوبة فى سابعه.

وفىها سار الشريفان حميضة^(١) ورميثة^(٢) من القاهرة مع الأمير عز الدين أيك الكوكندى إلى مكة، فقبض الأمير بيبرس الجاشنكير على الشريفين أبى الغيث وعطيفة^(٣)، وولى مكانهما حميضة ورميثة.

وفىها: وجد الحاج عدة مشاق: منها قلة الماء وغلاء السعر وهبوب سمائم محرقة هلك منها خلق كثير من جفاف قرب الماء. وأخذوا الحاج من وادى النار على طريق أخرى، فتأهوا وهلك منهم عالم كبير. وبلغ الشعير كل وية بأربعين درهما، والدقيق كل وية بستين.

وفىها: قدم الأمير بكتاش الفخرى أمير سلاح بمن معه من غزاة سيس وفىها أجذب الشام من الغور^(٤) إلى العريش، وجفت المياه، ونزح الناس عن أوطانهم من العطش

(١) حميضة بن أبى نعى محمد بن الحسن بن على الحسنى العلوى الهاشمى شريف من أمراء مكة، ولها سنة ٧٠١ هـ مشتركاً هو وأخوه رميثة ثم قامت بينهما الفتن واستمرت طويلاً إلى أن كتلت حميضة غيلة فى وادى نخلة. انظر: الدرر الكامنة ٧٨/٢ وغربال الزمان وابن الوردى ٢٦٩/٢ والبدر الطالع ٢٣٨/١ والأعلام ٣٨٥/٢.

(٢) رميثة بن أبى نعى محمد بن الحسن بن على الحسنى، أبو عرادة، ويلقب أسد: شريف من أمراء مكة. ولها مشتركاً مع أخيه حميضة، ثم اختلفا فافتتلا ونشبت بينهما وقائع، وانفرد بالأمر سنة ٧٣٨ - ٧٤٥ هـ ونزل عن الإمارة لأولاده، وتوفى بمكة. انظر: شذرات الذهب ١٤٩/٦ والدرر الكامنة ١١١/٢ وخلاصة الكلام ٢٨ - ٣٠ والنجوم الزاهرة ١٠/١٤٤ والأعلام ٣٣/٣.

(٣) عطيفة بن أبى نعى محمد بن الحسن بن على الحسنى: من أمراء مكة، ولاه بيبرس الجاشنكير سنة ٧٠١ هـ، وعزله سنة ٧٠٤ وأعيد سنة ٧١٩ فأحسن السيرة ولم يتعرض لأموال الناس، واستمر إلى سنة ٧٣٨ فقبض عليه وحمل إلى مصر. فسجن بالإسكندرية إلى أن توفى. انظر: الدرر الكامنة ٤٥٥/٢ والجداول المرضية ١٤٥ وخلاصة الكلام ٣٠، ٣١ والأعلام ٢٣٧/٤.

(٤) غور الأردن بالشام بين بيت المقدس ودمشق، وهو منخفض عن أرض دمشق وأرض بيت المقدس ولذلك سمي الغور. وفى الروض الغور: غور تهامة. وهو أيضاً قرية عظيمة بينها وبين بلخ ثلاثة فراسخ. ومن بيسان إلى طبرية يسمى الغور لأنها بقعة بين جبلين، وسائر مياه الشام تنحدر =

وخلًا من الصفقة^(١) القبلية ألفان وثمانمائة قرية.

وفيها: ظهر في معدن الزمرد قطعة زنتها مائة وخمسة وسبعون مثقالا، فأخفاها الضامن وحملها إلى بعض الملوك، فدفع له فيها مائة وعشرين ألف درهم فأبى بيعها، فأخذها منه وبعث بها إلى السلطان، فمات الضامن غما.

وفيها: توجه شيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن تيمية في ذى الحجة من دمشق ومعه

= ويجتمع فتكون بحراً زاحراً أوله من بحيرة طبرية، وجميع الأنهار تنصب إليه مثل نهر اليرموك وأنهار بيسان وما ينصب من جبال بيت المقدس وجبل قير إبراهيم عليه السلام، وجميع ما ينصب أيضاً من نابلس يجتمع الكل حتى يقع في بحيرة زغر وتسمى بحيرة سادوم وعامورا، وهما كانتا مدينتي قوم لوط عليه السلام ففرقهما الله تعالى، ومكانهما بحيرة ميتة لأنها ما فيها شيء له روح ولا حوت ولا دابة، وماؤها حارّ كريه الرائحة، وفيه سفن صغار تحمل الغلات وصنوف الثمر إلى أريحا وسائر أعمال الغور، وطول هذه البحيرة ستون ميلاً في عرض اثني عشر ميلاً، وهذه البحيرة الميتة تُرى من أعلى بيت المقدس، وإليها ينتهي ماء بحيرة طبرية، وهو الأردن، فإذا انتهى إلى البحيرة الميتة حرقها وانتهى إلى وسطها، وهو نهر عظيم لا يدرى أين غوصه من غير أن يزيد في البحيرة الميتة. ومن البحيرة الميتة تخرج الأحجار التي تستعمل لوضع الحصى، وهو نوعان ذكر وأنثى: فالذكر للرجال والأنثى للنساء، وأكثر نبات بلاد الغور النيل وأهلها سمر إلى السواد. انظر: معجم البلدان ٢١٧/٤، والروض المعطار ٤٣١.

(١) الصفقة: والصَّفْقُ والصَّفْقُ: الجانِبُ والناحية. قال:

لا يَكْذَحُ النَّاسُ لَهِنَّ صَفْقًا وَجَاءَ أَهْلَ ذَلِكَ الصَّفْقِ، أَي أَهْلَ ذَلِكَ الْجَانِبِ. وَصَفَّقَ الْجِبِل: صفحه وناحيته، قال أبو صَعْتَرَةَ البَوْلَانِي:

وَمَا نَطْفَةٌ فِي رَأْسِ نَيْقٍ تَمْنَعُتْ بِعَنْقَاءِ مِ صَعْبِ حَمْتِهَا صُفُوقُهَا
وَصَفَّقَ عَيْنَهُ أَي ردها وغمضها

وصافقت الناقة: نامت على جانب مرة وعلى جانب أخرى، فاعلت من الصَّفْقِ الذي هو الجانب. وَصَفَّقَ الرَّجُل: تقلب وتردد من جانب إلى جانب، قال الفُطَيْمِيُّ:

وَأَبْيَسَنَ شَيْمَتَهُنَّ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَأَبَى تَقَلُّبَ دَهْرِكِ الْمُصَفَّقِ

وتصفقت الناقة إذا انقلبت ظهرها لبطن عند المحاض. وتصفق فلان للأمر أي تعرض له، قال رؤبة:

لَمَّا رَأَيْتُ الشَّرَّ قَدْ تَأَلَّقَا وَفِتْنَةً تَرْمِي بِمَنْ تَصَفَّقَا

هَذَا وَهَذَا عَنْ قِذَابِ أَخْلَقَا

قال شَمِيرٌ: تَصَفَّقَ أَي تعرض وتردد. والمُصَفَّقُ مِنَ الإِبِل: الذي ينام على جنبه مرة وعلى الآخر

مرة، وإذا مخضت الناقة صافقت، قال الشاعر يصف الدجاجة وبيضها:

وَخَامِلَةٌ وَكَيْسَتْ بِحَيَّةٍ إِذَا مَخَضَتْ يَوْمًا بِهِ لَمْ تُصَافِقِ

صفق الفرس: خداه. وصفح الجبل: وجهه في أعلاه. وهو فوق الحضيض. انظر لسان العرب (صفح)

الأمير بهاء الدين قراقوش المنصوري، إلى أهل جبل كسروان يدعوهم إلى الطاعة فلم يجيبوا. فجمعت العساكر لقتالهم.

وفيها: قام بأمر المدينة النبوية الشريف ناصر الدين أبو عامر منصور، بعد موت أبيه الأمير عز الدين أبي سفر جماز بن شيحة في ربيع الآخر. وبلغ النيل سبعة عشر ذراعاً. وثمانية عشر إصبعا.

* * *

ومات في هذه السنة

زين الدين أحمد بن الصاحب فخر الدين محمد بن الصاحب بهاء الدين علي بن محمد بن سليم بن حنا، في ليلة الخميس ثامن صفر، وكان فقيهاً شافعيًا فاضلاً متديناً، رئيساً وافر الحرمة محباً لأهل الخير و مات فتح الدين أحمد بن محمد بن سلطان القوصي الشافعي، وكيل بيت المال بقوص وأحد أعيانها، في حادي عشر المحرم.

ومات شمس الدين أحمد بن علي بن هبة الله بن السديد الإسناي، خطيب إسنا ونائب الحكم بها وبأدفو وبقوص، في رجب؛ وكان قد انتهت إليه رئاسة الصعيد، وبنى بقوص مدرسة؛ وكان قوى النفس كثير العطاء مهيباً ممدوحاً، يئذل في بقاء رياسته الآلاف، فيقال إنه بذل في نيابة الحكم بقوص ثمانين ألف درهم، فسار إلى مصر و مات بها.

ومات الأمير بيبرس الموقفي المنصوري أحد أمراء دمشق بها، في يوم الأربعاء ثالث عشرى جمادى الآخرة، مخنوقاً وهو سكران.

ومات الأمير الشريف عز الدين جماز بن شيحة أمير المدينة النبوية وقد أضر، وقام بالإمرة الأمير ناصر الدين منصور بن جماز.

ومات بهاء الدين عبد الحسن بن الصاحب محيى الدين محمد بن أحمد بن هبة الله، ويعرف بأبي جرادة، مات بالقاهرة، وكان سخياً مباركاً فاضلاً، حدث عن يوسف بن خليل^(١) وغيره.

ومات علم الدين عبد الكريم بن علي بن سمر الانصارى المعروف بالعلم

(١) يوسف بن خليل بن قراخا بن عبد الله، أبو الحجاج، شمس الدين الدمشقي ثم الحلبي: محدث، حنبلي. ولد وتفقّه بدمشق. وقام برحلة إلى بغداد وأصبهان ومصر، وتفرّد في وقته بأشياء كثيرة عن الأصبهانيين. انظر: الذيل على طبقات الخنابلة ٢/٢٤٤ وشذرات الذهب ٥/٢٤٣ ودار الكتب ١٣٦/٨ والأعلام ٨/٢٢٩.

العراقي^(١) الفقيه الشافعي، مدرس التفسير بالقبة المنصورية، يوم الثلاثاء سادس صفر عن بضع وثمانين سنة، وكان عالم مصر.

ومات تاج الدين على بن أحمد بن عبد المحسن الحسيني العراقي الإسكندراني شيخ الإسكندرية، الإمام المحدث، في ذى الحجة، تفرد بالرواية عن جماعة، ورحل الناس إليه، وكان فقيها عالما.

ومات نجم الدين عمر بن أبي القاسم بن عبد المنعم بن محمد بن الحسن بن الكاتب بن أبي الطيب الدمشقي، ناظر المارستان النوري بدمشق وناظر الخزانة ووكيل بيت المال بها، ليلة الثلاثاء نصف جمادى الآخرة، وكان فقيها مدرسا مشكورا في ولاياته.

ومات أمين الدين محمد بن الشيخ قطب الدين محمد بن أحمد بمكة في المحرم، وسمع الحديث بمكة، وانتهت إليه مشيخة الحديث بها.

ومات شمس الدين محمد بن صاحب شرف الدين إسماعيل بن أبي سعيد بن التيتي الأمدى، أحد الأمراء ونائب دار العدل بقلعة الجبل.

ومات الأمير مبارز الدين سوار الرومي أمير شكار، أحد الوافدية من الروم في الأيام الظاهرية، وكان كريما شجاعا متدينا.

ومات الأمير سيف الدين بهادر سمر مقتولا بأيدي عرب الشام.

ومات الأمير الوزير ناصر الدين محمد - ويقال ديباي - الشيخى تحت العقوبة في سابع ذى القعدة، وأخرج على جنوية إلى القرافة، فدفن بها، وكان فيه مكارم وعصبة ومروءة ويكتب الخط المليح، ويعرف صناعة الحساب، مع الظلم والعسف والتكبر، وأحدث مظالم عديدة، وأصله من بلاد ماردين، وقدم مع شمس الدين محمد بن التيتي إلى دمشق، وسار منها إلى القاهرة مجردا فقيرا يمشى على قدميه، وتعيش في خياطة الأقباع ببعض أسواق القاهرة مدة، ثم تزيا بزى الأجناد وخدم مع الشادين، ولازم الوقوف في خدمة الحسام برناق شاد الكيالة زمانا حتى عرف دخل المباشرة وخرجها، فتلطف مع بعض مقطعي الكيالة وأوعدهم حتى ضمن ساحل الغلة ببولاقي، فشدد فيه حتى فاض معه جملة، وخدم صاحب فخر الدين بن الخليلي، وهادى الأمراء إلى أن

(١) عبد الكريم بن علي بن عمر الأنصاري، علم الدين ابن بنت العراقي: مفسر فقيه كف بصره في أواخر عمره أصله من وادي آش بالأندلس ومولده ووفاته بمصر. له مختصر في أصول الفقه ومختصر في تفسير القرآن. انظر: مفتاح السعادة ٢٢١/٢ ونكت الهميان ١٩٥ والدرر الكامنة ٣٩٩/٢ وكشف الظنون ١٤٧٧ والأعلام ٥٣/٤.

ولى شد الدواوين بإمرة عشرة، وانتقل منها إلى شد الجزيرة وولاية القاهرة وجمع بينهما، فصار من أمراء الطبلخاناه، وولى الوزارة، فكان فيها حتفه.

ومات الشريف شمس الدين أبو عبد الله محمد بن الشهاب أبي على الحسين بن شمس الدين أبي عبد الله محمد الأرموى نقيب الأشراف فى تاسع عشر شوال، وولى نقابة الأشراف بعده الشريف بدر الدين بن عز الدين، وقتله بدمشق أبو السرور السامرى كاتب الأمير سيف الدين أسندمر كرجى نائب طرابلس.

* * *

سنة خمس وسبعمائة

فى أول المحرم: باشر جلال الدين محمد بن عبد الرحمن بن عمر القزوينى^(١) نيابة الحكم بدمشق، عن نجم الدين أحمد بن صصرى.

وفى ثانيه: سار الأمير جمال الدين أقوش الأفرم نائب الشام من دمشق فى عساكرها لقتال أهل جبال كسروان، ونادى بالمدينة من تأخر من الأجناد والرجالة شتى. فاجتمع له نحو الخمسين ألف راجل، وزحف بهم لمهاجمة أهل تلك الجبال، ونازلهم وحرب ضياعهم وقطع كرومهم، ومزقهم بعدما قاتلهم أحد عشر يوماً، قتل فيها الملك الأوحى شادى بن الملك الزاهر داود^(٢) وأربعة من الجنود، وملك الجبل عنوة، ووضع فيهم السيف وأسر ستمائة رجل، وغنمت العساكر منهم مالا عظيماً، وعاد إلى دمشق فى رابع عشر صفر.

وقدم الأمير بيبرس الجاشنكير من الحجاز ومعه الشريفان أبو الغيث وعطيفة، فرتب لهما ما يكفيهما وصارا يركبان مع الأمراء وقدم الحاج، ورُسم بتجهيز الهدية إلى ملك الغرب، وصحبها عشرون إكديشاً من أكاديش التتر، وعشرون أسيراً منهم وشيء من طبولهم وقسيهم، وخرج بها - مع أيدغدى الشهرزورى - علاء الدين أيدغدى التسليلى الشمسى مملوك سنقر الأشقر، والأمير علاء الدين أيدغدى الخوارزمى. واستقر أمين الدين أبو بكر بن وجيه الدين عبد العظيم بن يوسف بن الرقائى فى نظر الشام، عوضاً عن شهاب الدين بن ميسر. وعزل شمس الدين محمد بن عثمان بن الحريرى عن قضاء الحنفية بدمشق، وكتب باستقرار شمس الدين الأذرعى عوضاً عنه وسبب عزل

(١) محمد بن عبد الرحمن بن عمر، أبو المعالى، جلال الدين القزوينى الشافعى المعروف بخطيب دمشق. من أحفاد أبى دلف العجلى: قاض، من أدباء الفقهاء أصله من قروين، ومولده بالموصل. ولى القضاء فى ناحية بالروم ثم قضاء دمشق سنة ٧٢٤م، فقضاء القضاة بمصر سنة ٧٢٧هـ. ونفاه السلطان الملك الناصر إلى دمشق سنة ٧٣٨هـ. ثم ولاه القضاء بها فاستمر إلى أن توفى. من كتبه تلخيص المفتاح. انظر: مفتاح السعادة ١٦٨/١ وبغية الوعاة ٦٦ وابن الوردى ٣٢٤/٢ والبدر الطالع ١٨٣/٢ والبداءة والنهاية ١٨٥/١٤ وكشف الظنون ٤٧٣ والنجوم الزاهرة ٣١٨/٩ ومرآة الجنان ٣٠١/٤ والوفائى بالوفيات ٢٤٢/٣ والدرر الكامنة ٣/٤ والأعلام ١٩٢/٦.

(٢) داود بن يوسف بن أيوب، أبو سليمان، الملقب بالملك الزاهر: أمير من الأيوبيين، وهو ابن السلطان صلاح الدين، كان صاحب قلعة البيرة مولده فى القاهرة، ووفاته فى البيرة. انظر: وفيات الأعيان ١٧٦/١ والأعلام ٣٣٦/٢.

الحريرى أنه وجد بخطه أن الشيخ تقي الدين أحمد بن تيمية لم ير الناس بعد السلف الصالح مثله، فاتفق أن البريدى لما توجه بتقليد الأذرعى ظن أنه للحريرى، وقدم دمشق والنائب قد خرج إلى الصيد، فأعطى التقليد للحريرى، فقام إلى المدرسة الظاهرية وحكم، وكان ابن الأذرعى يظنها له، فبئس واغتم لذلك. ثم قرئ التقليد بحضرة الناس، فإذا هو باسم الأذرعى، فقام الحريرى خجلاً، واستدعى الأذرعى فجلس وحكم.

وفيها: أظهر ابن تيمية الإنكار على الفقراء الأحمديّة فيما يفعلونه: من دخولهم فى النيران المشتعلة، وأكلهم الحيات ولبسهم الأطواق الحديد فى أعناقهم، وتقلدهم بالسلاسل على مناكبهم، وعمل الأساور الحديد فى أيديهم، ولفهم شعورهم وتلييدها. وقام فى ذلك قياماً عظيماً بدمشق، وحضر فى جماعة إلى النائب، وعرفه أن هذه الطائفة مبتدعة، فجمع له ولهم، الناس من أهل العلم، فكان يوماً مشهوداً كادت أن تقوم فيه فتنة، واستقر الأمر على العمل بحكم الشرع ونزعهم هذه الهيات.

وفيها أقطع السلطان فى جمادى الآخرة جبال كسروان بعد فتحها للأمير علاء الدين بن معبد البعلبكي، وسيف الدين بكمصر عتيق بكتاش الفخرى. وحسام الدين لاجين، وعز الدين خطاب العراقى، فركبوا بالشربوش وخرجوا إليها، فزرعها لهم الجبلية، ورفعت أيدي الرفضة عنها.

وفيها آخر متملك سيس الحمل الجارى به العادة، فبعث إليه نائب حلب أستاذاره قشتمر الشمسى أحد مقدمى حلب على عسكر نحو الألفين، وفيهم الأمير شمس الدين آقسنقر الفارسى والأمير فتح الدين صيرة المهمندار، والأمير قشتمر النجيبى، وقشتمر المظفرى، فى ذى الحجة من السنة الماضية. فشنوا الغارات على بلاد سيس، ونهبوا وحرقوا كثيراً من الضياع، وسبوا النساء والأطفال فى الحرم. وكان قد وصل إلى سيس طائفة من التتار فى طلب المال، فركب التتار مع صاحب سيس، وملكوا رأس الدربند، فركب العسكر لقتالهم وقد انحصروا، فرمى التتار عليهم بالنشاب والأرمن بالحجارة، فقتل جماعة وأسر من الأمراء ابن صيرة، وقشتمر النجيبى، وقشتمر المظفرى، فى آخرين من أهل حلب، وخلص قشتمر مقدم العسكر، وآقسنقر الفارسى. وتوجه التتار بالأسرى إلى خربندا بالأردن، فرسم عليهم: وبلغ نائب حلب خير الكسرة، فكتب بذلك إلى السلطان والأمراء، فرسم بخروج الأمير بكتاش أمير سلاح، ويبيرس الدوادار وأقوش الموصلى قتال السبع، والدكن السلاح دار، فساروا من القاهرة فى نصف شعبان على أربعة آلاف فارس. فبعث متملك سيس الحمل، واعتذر بأن القتال لم يكن

منه وإنما كان من التتر، ووعده بالتحيل فى إحضار الأمراء المأسورين، فرجع الأمير بككاش بمن معه من غزة.

وفىها أفرج عن الأمير سيف الدين الحاج بهادر الحكمى الظاهرى، وأخرج إلى دمشق على إقطاع قيران مشد الدواوين، واستقر حاجبا بدمشق عوضاً عن الأمير بككمر الحسامى، ونقل بككمر من الحجوبية إلى شد الدواوين، وقبض على قيران وصادر.

وفىها قدم رسول ملك قسطنطينية^(١)، ومعه رسول الكرج^(٢)، بهدايا وكتاب يتضمن الشفاعة فى فتح الكنيسة المصلبة بالقدس لزيارة الكرج لها، وأن الكرج تكون فى طاعة السلطان وعونا له متى احتاج إليهم. فكتب بفتح الكنيسة ففتحت، وأعيد الرسول بالجواب.

وفىها توقفت الأحوال بالقاهرة، لكثرة الفلوس وما دخل فيها من الخفاف الوزن، وارتفع سعر القمح من عشرين درهما الأردب إلى أربعين. فرسم بضرب فلوس جدد، وعملت الفلوس الخفاف بدرهمين ونصف الرطل، فمشت الأحوال.

وفىها قام شمس الدين محمد بن عدلان بالقاهرة، وأنكر على تقى الدين أحمد بن

(١) على هامش ط: كان إمبراطور الدولة البيزنطية تلك السنة الموافقة لعام ١٣٠٥ ميلادية أندرونيق الثانى.

(٢) الكرج: بفتح الكاف والراء المفتوحة وبالجم المعجمة، أول حصن من معاقل الجبل، فمن همدان إلى نهاوند مرحلتان، ومن نهاوند إلى الكرج مرحلتان، ولم تكن فى أيام الأعاجم مدينة مشهورة، وإنما كانت فى عداد القرى العظام، وهذا الحصن هو حصن أبى دلف القاسم بن عيسى العجلي أحد أكابر قواد المأمون وهو الذى فيه مادحه:

| | | | |
|----------------------|----------------------|----------------------|----------------------|
| بـين باديـه ومحتضـره | بـين باديـه ومحتضـره | بـين باديـه ومحتضـره | بـين باديـه ومحتضـره |
| بـين باديـه ومحتضـره | بـين باديـه ومحتضـره | بـين باديـه ومحتضـره | بـين باديـه ومحتضـره |
| بـين باديـه ومحتضـره | بـين باديـه ومحتضـره | بـين باديـه ومحتضـره | بـين باديـه ومحتضـره |
| بـين باديـه ومحتضـره | بـين باديـه ومحتضـره | بـين باديـه ومحتضـره | بـين باديـه ومحتضـره |

فقال له المأمون: قد جعلنا نستعير المكارم منك، فقال: يا أمير المؤمنين قول زور وكلام غرور، أصدق منه ابن أخت لى حيث يقول:

دعيتى أحوب الأرض فى طلب الغنى فما الكرج الدنيا ولا الناس قاسم

انظر: معجم البلدان ٤/٤٤٦، والروض المعطار، قارن بابن حوقل: ٣١٣ وفيه تفصيلات هامة، والمقدسى: ٣٩٤، وابن الوردي: ٤٩، والمعلومات الإخبارية عن معجم ما استعجم ٤: ١١٢٤، وانظر ضبط اللفظة ابن خلكان ٤: ٧٩.

تيمية (١) فتوى رآها في مسألة الاستواء (٢) ومسألة خلق القرآن (٣)، واجتمع بالقضاة في

(١) أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن عبد الله أبی القسم الخضر بن علی بن عبد الله، شیخ الإسلام تقی الدین أبو العباس بن أبی المحاسن شهاب الدین بن أبی البرکات مجد الدین الحرانی الأصل والمولد، الدمشقی الدار والوفاة، الحنبلی، المعروف بابن تيمية، الإمام العلامة، الحافظ الحجة، فريد دهره، ووحيد عصره. مولده بحران في يوم الإثنين عاشر شهر ربيع الأول سنة إحدى وستين وستمائة، وقدم دمشق مع والده سنة تسع وستين، وسمع الحديث من أحمد بن عبدة الدائم، ومجد الدين بن عساكر، وابن أبی اليسر، وأكثر عن أصحاب حنبل، وأبى حفص بن طبرزد، وغيرهم. وقرأ واشتغل وانتفى، وبرع في علوم الحديث، وانتهت إليه الرئاسة في مذهب الإمام أحمد بن حنبل رضی الله عنه. ودرس وأفتى، وتصدر للإقراء والإفادة عدة سنين، وفسر، وصنف التصانيف المفيدة. وكان صحيح الذهن، ذكياً، إماماً متبحراً في علوم الديانة، موصوفاً بالكرم، مقتصداً في المآكل والملبس، وكان عارفاً بالفقه، واختلافات العلماء، والأصوليين، والنحو، إماماً في التفسير وما يتعلق به، عارفاً باللغة، إماماً في المعقول والمنقول، حافظاً للحديث، مميّزاً بين صحيحه وسقيم. أننى عليه جماعة من أعيان علماء عصره، مثل الشيخ تقی الدین بن دقيق العيد، والقاضی شهاب الدین الخويى، والشيخ شهاب الدین بن النحاس. قال القاضی كمال الدین بن الزملكانی: اجتمعت فيه شروط الاجتهاد على وجهها، ثم جرت له محن في مسألة الطلاق الثلاث، وشد الرحال إلى قبور الأنبياء والصالحين، وجب للناس القيام عليه، وحبس مرات بالقاهرة والإسكندرية ودمشق، وعقد له مجالس بالقاهرة ودمشق، مع أنه حصل له في تعظيم من الملك الناصر محمد بن قلاوون، وأطلق وتوجه إلى دمشق فأقام بها إلى أن ورد مرسوم شريف من السلطان في شعبان سنة ست وعشرين وسبعمائة بأن يجعل في قلعة دمشق في قاعة حسنة، فأقام فيها مدة مشغولاً بالتصنيف، ثم بعد مدة منع من الكتابة والمطالعة، وأخرجوا ما عنده من الكتب، ولم يتركوا عنده دواة ولا قلم ولا ورقة. ومما وقع له قبل حبسه أنه بحث مع بعض الفقهاء، فكتب عليه محضر بأنه قال: أنا أشعري، ثم أخذ خطه بما نصه: أنا أعتقد أن القرآن معنى قائم بذات الله، وهو صفة من صفات ذاته القديمة، وهو غير مخلوق، وليس بحرف ولا صوت، وأن قوله: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ ليس على ظاهره، ولا أعلم ظنه المراد به، بل لا يعلمه إلا الله، والقول في النزول كالقول في الاستواء، وكتبه أحمد بن تيمية، ثم أشهدوا عليه جماعة أنه تاب مما ينافي ذلك مختاراً، وشهد عليه بذلك جمع من العلماء وغيرهم. انتهى. ولم يزل الشيخ تقی الدین - المذكور - محتفظاً به في قلعة دمشق إلى أن توفى بها في ليلة الإثنين العشرين من ذى القعدة سنة ثمان وعشرين وسبعمائة، ودفن من الغد بمقابر الصوفية، وحضر جنازته خلق كثير. قال الحافظ أبو عبد الله الذهبي: شيعه نحو من خمسين ألفاً، وحمل على الرؤوس، انتهى. ومصنفاته تزيد على مائتي مصنف، استوعبها الشيخ صلاح الدين خليل بن أيبك في تاريخه الوافي بالوفيات، رحمه الله تعالى. وانظر أيضاً: فوات الوفيات ١/٧٥، ٨٠، هدية العارفين ١/١٠٥ والمنهل الصافي ٣٥٨/١.

(٢) المقصود بذلك استواء الله على العرش.

(٣) كلام الله صفة أزلية قديمة قائمة بذاته عز وجل منافية للسكوت والآنة كما في الحواس ليست من جنس الأصوات والحروف بل بها هو سبحانه أمرناه يدل عليها بالعبارات أو الكتابة أو =

=الإشارة. فتلك الصفة واحدة في ذاتها، وإن اختلفت العبارات الدالة عليها، كما إذا ذكر الله عز وجل بألسنة مختلفة، فالصفة: هي الأمر القائم بالغير، فهو جنس في التعريف أو كالجنس بناء على النزاع في المفهومات الاصطلاحية هل هي حدود أو رسوم. الأول: مبني على أنه وإن كان أمرا اصطلاحيا طارئا على المعنى اللغوي للكلام، حيث أن الكلام في اللغة القول. يقال: أتى بكلام طيب، أي قول، إلا أنه ليس وراء ما اصطلاح عليه المصطلح أمر آخر. فذلك الذي ذكر في تعريف تلك الصفة هو ذاتياتها بحسب الاصطلاح. الثاني: مبني على أن قبل المعنى الاصطلاحى معنى وضع الواضع اللفظ ليدل عليه. فذلك المعنى ثان بعد أول، فهو عارض والتعريف بالعوارض رسم. أما بعض المحققين فقد فقد بأنها رسوم، لأن الاطلاع على ذاتيات، أو تلك الصفات غير ممكن. والحد ما تركب من الذاتيات: الجنس والفصل. وحيث إن الذاتيات لم يطالع عليها فلا تكون إلا رسوما، لأنها بخواص هذه الصفات فحسب وذلك لأن الخواص مأخوذة في تعريف الصفات: حيث أخذ في تعريف صفة الكلام أنها تتعلق دلالة. وفي تعريف صفة القدرة أنها تتعلق تعلق تأثير. وعلى ذلك: فصفة يشمل الصفة القديمة والحادثة. قديمة: فصل أو لا كالفصل مخرج لغير الصفة القديمة. وهو الصفة الحادثة. أما الأقوال في القديم والأزلى فهي ثلاثة: الأول: القديم الذى لا ابتداء لوجوده. والأزلى ما لا أول له عدميا أو وجوديا. فكل قديم أزلى ولا عكس. الثاني: القديم هو القائم بنفسه الذى لا أول لوجوده والأزلى ما لا أول له عدميا كان أو وجوديا، قائما بنفسه أو غيره. الثالث: القديم والأزلى: ما لا أول له، عدميا كان أو وجوديا قائما بنفسه أو لا. فعلى الأولى: الصفات السلبية لا توصف بالقدم وتوصف بالأزلية: وذلك بخلاف ذات الله عز وجل والصفات الثبوتية فإنها توصف بالقدم والأزلية. وعلى الثانى: الصفات مطلقا لا توصف بالقدم وتوصف بالأزلية بخلاف ذاته فإنها توصف بكل منهما. وعلى الثالث: كل من الذات والصفات مطلقا يوصف بالقدم والأزلية. فالقديم في التعريف صحيح على رأى الأول والثالث وذلك بخلافه على الثانى قائمة بذاته. وأيضا فللقيام معنيين: قيام: بمعنى التبعية في التميز كما في العرض بالنسبة لجوهره وليس قيام صفة الله عز وجل بذاته على هذا النحو حيث لا تخير للذات حتى تتبعها الصفة فيه. وقيام: بمعنى آخر هو اختصاص الناعت بالمنعوت وهو المراد بقيام الصفة بذاته عز وجل. ليس بحرف ولا صوت، لأنه معنى نفسى، وتلك أعراض مشروط حدوث بعضها بانقضاء البعض، إذ امتنع المتكلم بالحرف الثانى بدون انقضاء الحرف الأول بهى، خلافا لمذهب الحنابلة والحشوية والكرامية القائلين بأن كلامه منتظم من كلمات قائمة بذاته عز وجل قديم عند الحنابلة حادث عند الكرامية. منافية للسكوت والآفة، السكوت: عدم التكلم مع القدرة عليه. والآفة: عدم مطاوعة الآلة، إما بحسب الفطرة كما فى الخرس، أو من جهة ضعفها كما فى الطفولية. ولقائل أن يقول: هذا إنما يصدق على الكلام اللفظى دون النفسى، حيث السكوت والخرس إنما ينافيان التلفظ ويجاب بأن المراد بالسكوت والآفة الباطنيان، بالأى يريد فى نفسه الكلام، أو لا يقدر عليه. ويتلخص فى أنه كما أن الكلام لفظى ونفسى، كذلك ضده وهو السكوت والخرس: لفظى وباطنى، والمراد الثانى منهما حيث. أريد بالكلام الكلام النفسى، فالله منزه عن الاتصاف بالخرس والآفة. هو بها أمر ناه، فهو صفة واحدة تتكرر بحسب التعلقات. فالكلام باعتبار تعلقه بشيء خيرا، وبآخر أمرا أو نهيا. وبهذا=

=يخرج العلم والقدرة. وهكذا سائر الصفات الوجودية غير الكلام لأنه لا أمر ولا نهى بوحدة منها. أما غير الأشاعرة فيقولون: الكلام هو اللفظ المنتظم من الحروف والأصوات وينفون الصفة النفسية. وهم في ذلك قد انقسموا إلى فريقين. الفريق الأول: كلامه ألفاظ قائمة بذاته وهي قديمة. وهم بعض الحنابلة أو حادثة وهم الكرامية. والفريق الثاني: يقول كلام الله ألفاظ قائمة بالغير وهم المعتزلة فالحنابلة يعرفونه: بأنه المؤلف من الكلمات القديمة القائمة بذاته تعالى. والكرامية يعرفونه: بأنه هو المؤلف من الكلمات الحادثة القائمة بذاته تعالى. وحيث إن المعتزلة لم يعرفوه بالصفة النفسية فليس عندهم سوى الألفاظ وهي حادثة، لأنها مرتبة، ويستحيل قيام الحادث بالقديم. فهم يقولون: إن كلامه عز وجل ألفاظ قائمة بغيره. فهم يتحوزون بمتكلم عن موجد وخالق للكلام. وعليه فالمعتزلة لا يثبتون كلاما لله، لا نفسيا - كما أثبتته الأشاعرة - ولا لفظيا قديما لأن الألفاظ مرتبة والترتيب حادث. ولا لفظيا حادثا كما قالت الكرامية، بل يثبتون كلاما لا على أنه متصف به، بل على أنه مخلوق قائم بغيره. فالكلام عند المعتزلة هو المؤلف من الكلمات المسموعة الحادثة القائمة بغير الذات وهم بذلك مخالفوا جميع الفرق. أما أدلة الأشاعرة: استدلت الأشاعرة على قدم كلام الله عز وجل، وكونه نفسيا بوجوه: الدليل الأول من جهة اللغة: من أن الكلام عندهم صفة نفسية قديمة قائمة بذاته تعالى. فالتكلم في اللغة من قام به الكلام، ولا من أوجده في غيره - كما قالت المعتزلة - لامتناع إثبات المشتق للشيء من غير قيام مأخذ الاشتقاق به: إذ من أوجد الحركة في جسم لا يسمى متحركا لغة، فلا يسمى الله متكلما يخلق الكلام في غيره كما قالت المعتزلة: من أن المتكلم من أوجد الكلام في غيره. أما باقى الفرق: من حنابلة وحشوية وأشاعرة وكرامية، لا يتنافى مدعاهم مع مدلول متكلم في اللغة على رأى العضد: لأنهم جميعا يقولون: المتكلم من قام به الكلام، فلهذا نحتاج فى إثبات مدعى الأشاعرة الخاص وهو الصفة النفسية. إلى إبطال قدم اللفظ وقيامه بذاته عز وجل وهو ظاهر البطلان. لأنه جعل المرتب الذى تقدم بعض أجزائه وتأخر البعض قديما، فعرض إلى التناقض لاستدعاء الترتيب أولية وحدوثا. واستدعاء الوصف بالقدم عدم أوليته. وأما بطلان قيام الحادث بذات الله عز وجل فظاهر أيضا. فلم يبق لكونه متكلما - مع ملاحظة اللغة، وبطلان قيام لفظ قديم أو حادث بذاته عز وجل - سوى أن له صفة نفسية. وهو مدعى الأشاعرة. فإن قيل: من جهة المعتزلة: لو كان المتكلم من قام به الكلام لما صح إطلاقه حقيقة على المتكلم الألفاظ قائمة بغيره. فهم ألفا بالكلام الحسى: لأنه لا بقاء له، ولا اجتماع لأجزائه حتى يقوم بشيء قلنا: صحة الإطلاق مبنية على أن المعتبر فى اسم الفاعل وجود المعنى لا بقاءه، لاسيما فى الأعراض السيالة، كالمتحرك والمتكلم. وإن قيل من جهة الحنابلة ومن تابعهم: إن المنتظم من الحروف قد لا يكون مرتب الأجزاء بل دفعيا كالقائم بنفس الحافظ. كالحاصل على الورقة من طابع فيه نقش. قلنا: الكلام فى المنتظم من الحروف المسموعة لا فى الصورة المرسومة أو المنقوشة بأشكال الكتابة، لأنها ليست كلاما على الحقيقة. والترتيب المستدعى للحدوث لازم للمنتظم من الحروف المسموعة.

الثانى من ناحية العقل: لو لم يتصف الله عز وجل بالكلام لاتصف بضده وهو محال فبطل ما أدى إليه وهو عدم الاتصاف، وإذا بطل هذا ثبت نقيضه وهو الاتصاف. أما الملازمة: فدليلها أن =

= القابل للشئ إما يتصف به أو بعده، والله عز وجل قابل لأنه حي وأما بطلان التالى: فلأن ضد هذه الصفة نقص وكل نقص عليه محال لأنه يستلزم احتياجه عز وجل إلى من يكلمه، بأن يدفع هذا النقص عنه، وهو بين البطلان. وأيضاً: لو اتصف بالنقص لكان بعض المخلوقين أكمل منه لسلامة كثير منهم عن تلك النقائص. وقد اعترض على هذا الدليل من ناحيتين على الملازمة: بأن اتصاف الذات بصفة أو ضدها متوقف على تصور تلك الذات بالكنه، وحقيقة ذات الله عز وجل ليست معلومة لنا بالكنه حتى نعلم ما تقبله مما لا تقبله. وعلى بطلان التالى بإبطال دليله وهو ألا نسلم أن الضد نقص لأنكم بنيتموه على الكمال والنقص فى الشاهد ولا يلزم من كون الصفة نقصاً فى حق الشاهد، أن يكون كذلك فى حق الغائب، لأنه قياس مع الفارق، لأن الزوجة والولد كمال فى حق الشاهد، نقص فى حق الغائب. الثالث: كلام المتكلم إما أن يكون اسماً للمنتظم من الحروف والأصوات الدالة بالوضع، وإما أن يكون اسماً للمعنى القائم بالنفس، فإن كان الأول فلا يخلو إما أن يكون لكلام الله عز وجل معنى فى نفسه أم لا، فإن لم يكن له معنى فلا يكون أمراً ولا ناهياً، لأن من قال لغيره: افعل كذا، ولا تفعل كذا، ولم يكن لعبادته معنى فى نفسه لا يكون أمراً ولا ناهياً، بل يكون عابثاً. وإن كان له معنى فى نفسه فذلك هو الذى يراد ثبوته ويعتبر عنه بكلام النفس. وإن كان الثانى وهو أن الكلام اسم للمعنى القائم بالنفس فذلك هو المطلوب، غير أنه لا يخرج عن كونه قديماً أو حادثاً، لا حائز أن يكون حادثاً، وإلا كان الله عز وجل محل للحوادث، وهو محال للأدلة التى أقيمت على ذلك. فلم يبق إلا أن يكون قديماً. وهذا الدليل وإن أثبت معنى نفسياً وأبطل كون الكلام ألفاظاً قائمة بذاته عز وجل فلم يثبت به أن هذا المعنى النفسى غير العلم والإرادة، فلمعتزلة أن يعترضوا عليه من هذه الجهة. الكلام على أدلة المعتزلة». وقبل أن نشرع فيها نعهد لذلك فنقول: إن ما تقوله المعتزلة فى كلام الله عز وجل. وهو خلق الأصوات والحروف الدالة على المعانى المقصودة، وكونها حادثة قائمة بغير ذاته عز وجل، نقول به نحن، ولا خلاف بيننا وبينهم فى ذلك فأمر، وما نقوله نحن ونثبتة من كلام النفس المغاير لسائر الصفات هم ينكرون ثبوته، ولو سلموا، لم ينفوا قدمه الذى تدعيه فى كلامه عز وجل فصار محل النزاع بيننا وبينهم إثبات المعنى النفسى ونفيه. وإذا فالأدلة الدالة على حدوث الألفاظ إنما تفيدهم بالنسبة للحنابله القائلين بقديم الألفاظ. وأما بالنسبة إلينا فيكون نصبا للدليل فى غير محل الخلاف وأما ما دل على حدوث القرآن مطلقاً بلا تقييد باللفظى أو النفسى فحيث يمكن حمله على حدوث الألفاظ، لا يكون لهم فيه حجة علينا، ولا يعطيهم فائدة وحدوى بالقياس إلينا، إلا أن يدللوا على عدم المعنى الزائد على العلم والإرادة، وحينئذ يفيدهم هذا لأنه على هذا التقدير ينحصر القرآن فى هذه الألفاظ والعبارات، ولا سبيل لهم إلى هذا البرهان، فلا تكون لهم أيضاً فى تلك الأدلة المطلقة. لكننا نذكر أدلتهم ثم نجيب عنها فنقول: لقد ذهب هذه الطائفة على نفس الكلام النفسى القديم واستدلّت بأدلة معقولة ومنقولة. أما أدلتهم المعقولة فدليلان: الدليل الأول: لو كان كلامه عز وجل نفسياً قديماً للزم وجود أمر بلا مأمور ونهى بدون منهى، وهكذا بقية الأنواع، والتالى باطل فبطل المقدم. أما دليل الملازمة: هو أن للكلام النفسى أنواعاً: أمراً ونهياً، وأخبار، وغير ذلك، وهى قديمة، إذ الأنواع كالجنس فى القدم والحدوث. والقطعى بأنه لا مأمور ولا منهى فى الأزل. وأما بطلان التالى-

فواضح لما يلزم عليه من الصفة وهو محال على الله والجواب عن هذا الدليل: هو أنكم بنيتموه على أن للكلام القديم فى الأزل أنواعا وهو غير مجمع عليه من الأشاعرة، فقد خالف ابن سعيد فى ذلك وقال إنه فى الأزل واحد، وإنما يصير متصفا بالأنواع المذكورة فيما لا يزال. فإن قيل: عدم تنوعه فى الأزال إلى الخمسة يستدعى وجود الجنس بدون واحد من أنواعه، وذلك محال: لأنه لا وجود للجنس إلا فى واحد منها. قلنا: ذلك مسلم فى أنواع حقيقته لا تكون باعتبار التعلق، أما الأنواع التى تكون بحسب التعلق فغير مسلم. وما معنا من هذا القبيل، فهى أنواع اعتبارية تحصل بحسب تعلقه بالأشياء فجاز أن يوجد جنسها بدونها أو معها. وعليه فالكلام الأزلى ليس جنسا حقيقيا، بل هو أمر واحد تعرض له الإضافات، وله أسماء بحسب كل إضافة نوعية. فإذا تعلق بالفعل على وجه يثاب عليه الفاعل ويعاقب عليه التارك يسمى إقرار. وهكذا الأربعة الباقية. فليست له أنواع وليس هو جنسا على الحقيقة. وهناك جواب آخر عن الدليل: وهو إما ذكر من استدعاء الأمر والنهى مخاطبا وإن سلم فى الأمر والنهى اللفظيتين إلا أنه غير مسلم فى الأمر والنهى التفسيريتين إذ يكفى فيهما مخاطب ولو تزيلا. وأيضا يجاب عن هذا الدليل بجواب ثالث: وهو إما يلزم السنة لو خوطب المعلوم وأمر فى عدمه، أما على تقدير وجوده بأن يكون الطلب ممن سيوجد كما فى طلب الرجل تعلم ولده الذى لم يوجد، وكما فى خطاب النبى ﷺ إلى كل مكلف يولد إلى يوم القيامة فلا سنة. فحاصل هذا الدليل أنه مبنى عند الخصم على التنوع، ومن الأشاعرة من لا يسلمه كابن سعيد. وعلى فرض التسليم فاستدعاء المأمور فى اللفظى دون النفسى. وعلى تسليم استدعاء النفسى مخاطبا فإن أريد وجود المخاطب بالفعل فى الأزل فذلك لاستدعاء غير مسلم. وإن أريد وجود المخاطب وجودا عقليا على معنى أنه يتعلق بالمعدوم فى حال عدم خطاب يفهمه بالامتثال به بعد وجوده مستجمعا لشروط التكلف فالاستدعاء مسلم والعبث ممنوع. الدليل الثانى: لو كان كلامه عز وجل قديما لاستوت نسبتته إلى جميع التعلقات ولكن استواء نسبتته إلى جميع التعلقات باطل. فبطل ما أدى إليه. يبان الملازمة: أن الكلام كالعلم فى أن تعلقه بمتعلقاته يكون لذاته، وكما أن علمه يتعلق بجميع ما يصح تعلقه به فكذلك كلامه يتعلق بكل ما يصح تعلقه به حيث أن الأشاعرة القائلين بالكلام النفسى نفوا أن يكون للفعل فى ذاته حسن أو قبح بل حسنه وقبحه من الشرع فلو أمر بما نهى عنه. أو نهى عما أمر به. لا تقلب الحسن قبيحا والقبيح حسنا، وعلى ما ذكر يلزم تعلق أمر، ونهيه بالأفعال كلها. وأما بطلان التالى فواضح لما يلزم عليه من كون الفعل مأمورا به منها عنه وهو محال لأن الأمر يستدعى تحصيل الفعل ليثاب عليه. والنهى يقتضى ترك الفعل ليثاب على الترك. فنتيجة الأمر الإثابة على الفعل. ونتيجة النهى عدم الإثابة على الفعل بل العقاب عليه وبين الإثابة والإثابة تناقض. وبين الإثابة والعقاب تناقض أيضا. لأنه جمع بين الشئ والأخص من نقيضه وكلاهما محال والجواب عن هذا الدليل أن الشئ القديم الصالح للأمور المتعددة قد يتعلق ببعض من تلك الأمور دون بعض. كالقدرة فإنها تتعلق ببعض ما يتعلق به الإرادة دون ما لم يتعلق به. فإن قيل مخصص القدرة هو الإرادة. فلا بد للكلام أيضا من مخصص. ويعود الكلام إليه فيلزم التسلسل. قلنا: تعلق الكلام ببعض دون بعض آخر كتعلق الإرادة لذاتها ببعض ما يصلح تعلقها به دون بعض فلا تسلسل. أما الأدلة الثقلية فمن وجوه: الوجه الأول: القرآن ذكر وهو محدث=

= لقوله عز وجل ﴿وهذا ذكر مبارك﴾ وقوله عز وجل ﴿وانه لذكر لك ولقومك﴾ مع قوله ﴿ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث﴾ فإنهما يدلان على أن الذكر محدث وهو القرآن فيكون محدثا ويكون معنى الإتيان ما يأتيهم من طائفة من القرآن نازلة تذكروهم أكمل تذكير وتبين لهم أمم تبين. وقوله عز وجل: من ربهم لا ابتداء الغاية متعلقة بيأتيهم أو محذوف هو صفة لذكر وآيا ما كان فيه دلالة على فضله وشرفه. وهو عربي لقوله تعالى ﴿إنا جعلناه قرآنا عربيا﴾ والعربي هو اللفظ لاشتراك اللغات في المعنى ومنزل على النبي عليه الصلاة والسلام بشهادة النص والإجماع ولا خفاء في امتناع نزول المعنى القديم القائم بذات الله عز وجل بخلاف اللفظ فإنه وإن كان عرضا لا يزول عن عمله لكن قد ينزل بنزول الجسم الحاصل له، وقد روى أن الله عز وجل أنزل القرآن دفعة واحدة إلى سماء الدنيا فحفظته الحفظة ثم نزل منها بلسان جبريل عليه السلام إلى المصطفى عليه الصلاة والسلام شيئا فشيئا بحسب المصالح، فإن قيل: المكتوب في المصحف هو الصور والأشكال لا اللفظ ولا المعنى. قلنا: بل اللفظ لأن الكتابة تصويرا للفظ بحروف هجائية. نعم الثابت في المصحف هو الصور والأشكال. فإن قيل: القديم دائم فيكون مقارنا للتحدى ضرورة فلا يكون ذلك من خواص الحوادث. قلنا: معناه أن يدعو العرب إلى المعارضة والإتيان بالمثل وذلك لا يتصور في الصفة القديمة. الوجه الثاني: قوله عز وجل: ﴿إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون﴾ إذ معناه إذا أردنا شيئا قلنا له كن فيكون. فقوله كن وهو قسم من أقسام الكلام متأخر عن الإرادة الواقعة في الاستقبال لكونه جزءا له. فيكون حاصله قبل وجود الشيء بقرينة الفاء الدالة على الترتيب بلا مهلة وكلاهما يوجب الحدوث. وبخاصة إذا كان ذلك الشيء حادثا واقعا في الاستقبال. وأما التقدم على الكائن الحادث. عمدة يسيرة فظاهر أيضا دلالة على الحدوث فإن قيل: وقوع كلمة كن عقيب إرادة تكوين الأشياء على ما تعطيه كلمة الجزء وإن دل على حدوثها لكن عموم لفظ شيئا من حيث وقوعه في سياق النفي معنى أى ليس لشيء مما نقصد إيجاد وإحداثه كما في قوله: ﴿وإنما لكل امرئ ما نوى﴾ يقتضى قدمها إذ لو كانت حادثة لوقعت بكلمة كن أخرى سابقة ويتسلسل. وإن جعلتم هذا الكلام لا على حقيقته بل مجازا عن سرعة الإيجاز فلا دلالة فيه على حدوث كن. قلنا: حقيقته أن ليس قولنا لشيء من الأشياء عن تكوينه إلا هذا القول وهو لا يقتضى ثبوت هذا القول كل شيء. الوجه الثالث: قوله عز وجل ﴿وإذ قال ربك للملائكة﴾ وإذ ظرف زمان ماض فيكون قوله الواقع في هذا الظرف مختصا بزمان معين محدث أما المختص بالحال والاستقبال فظاهر وأما المختص بالماضي فلأن الانتقال في الحال أو الاستقبال ينافي القدم لأن ما ثبت قدمه استحالة عدمه. الوجه الرابع: قوله عز وجل: ﴿كتاب أحكم آياته ثم فصلت﴾ فإنه يدل على أن القرآن مركب من الآيات التي هي أجزاء متعاقبة فيكون حادثا. وقال ابن عباس رضوان الله عنه: «أحكمت» أى لم ينسخ بكتاب كما نسخت والشرائع به «ثم فصلت» بينت بالأحكام والحلال والحرام. وكذا قوله عز وجل ﴿إنا أنزلناه قرآنا عربيا﴾ يدل على أن كلامه عز وجل قد يكون عربيا تارة وعربيا أخرى، وذلك دليل حدوثه. ودلالة الآية الكريمة على أن كلام الله تعالى قد لا يكون عربيا ظاهرة: فإن الذوق السليم يفهم من التخصيص ذلك. وأما دلالة على أنه قد يكون عربيا تارة أخرى فيضم إليه أن التوراة أيضا كلامه بالاتفاق على أن المراد قد يكون عربيا فإن المقصود ههنا مجرد الدلالة على التغير =

=الوجه الخامس: قوله عز وجل: ﴿حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ﴾ فإنه يدل على أن كلامه مسموع فيكون حادثا: لأن المسموع لا يكون إلا حرفا وصوتا. الوجه السادس: أن القرآن معجز إجماعا ويجب مقارنة المعجز للدعوى حتى يكون تصديقا للمدعى في دعواه فيكون حادثا مع حدوثها. وإن لم يكن مقارنة لها حادثا معها، بل يكون قديما سابقا عليها. فلا اختصاص له به وتصديقه. الوجه السابع: أن القرآن موصوف بكونه منزلا وتنزيلا، وذلك يوجب حدوثه: لاستحالة الانتقال بالإتزال والتنزيل على صفاته القديمة القائمة بذاته تعالى، إذ لا خفاء في امتناع نزول المعنى القديم القائم بذاته عز وجل بخلاف اللفظ فإنه وإن كان عرضا لا يزول عن محله، لكن قد ينزل الجسم الحامل له فيوصف اللفظ بذلك بالنزول ولو مجازا. الوجه الثامن: قوله ﷺ في دعائه «يا رب القرآن العظيم يا رب طه ويس» فالقرآن مربوب كلا وبعضا والمربوب محدث اتفاقا. الوجه التاسع: أنه عز وجل أخير بلفظ الماضي نحو «وإنا أنزلنا» «وإنا أرسلنا» ولا شك أنه لا إرسال ولا إتزال في الأزل، فلو كان كلامه قديما لكان كذبا: لأنه إخبار بالواقع في الماضي ولا يصور ما هو ماض بالقياس إلى الأزل. لوجه العاشر: النسخ حق بإجماع الأمة ووقع في القرآن وهو رفع أو انتهاء ولا شيء منهما يتصور في القديم لأن ما ثبت قدمه استحالة عدمه وللحنابلة أن يقولوا معنى نسخ القرآن رفع حكمه لا ذاته فلا يلزم حدوث ذاته وقد جعل الإمام الرازى هذين الدليلين في الأربعين من الأدلة العقلية. واختار السيد الشريف أنهما من الأدلة العقلية، والحق وما اختاره. قد أجاب الأشاعرة: عن جميع هذه الأدلة بأنها إن دلت على شيء من الحدوث. فإنما تدل على حدوث اللفظ. ونحن في تحرير محل الخلاف أوضحنا أن لا نزاع بين الأشاعرة وغيرهم من الطوائف في حدوث اللفظ وإنما النزاع بينهم في الكلام النفسى القديم فيجمع الأدلة التي ذكرت أدلة في غير محل النزاع على أن هذه الأدلة وإن أثبتت حدوث الكلام اللفظي فهي ترد دعوى الحنابلة والحشوية. والعضد، حيث ذهبوا إلى قدم اللفظ مع قيامه بذات الله عز وجل. الأشاعرة يوافقون المعتزلة في إقامة الأدلة المذكورة في وجه هؤلاء ومن الوجوه التي استدلت بها المعتزلة على أن كلام الله عز وجل ليس بأزلى قولهم لو كان أزليا للزم الكذب في أخباره. والكذب في أخباره محال لأن الأخبار بطريق المضى كثير في كلام الله عز وجل كقوله: ﴿إنا أرسلنا نوحا﴾ وقال ﴿وعصى فرعون الرسول﴾ وصدقه تقتضى سبق وقوع النسبة. ولا يتصور السبق على الأزلى فتعين الكذب. ودليل بطلان الثاني لإجماع العقلاء على أن الكذب نقص لما فيه من العجز والعبث. الجواب عن هذا الدليل: بأن أخبار الله عز وجل لا تتصف في الأزل بالماضى والحال والمستقبل لعدم الزمان. وإنما تتصف بذلك فيما لا يزال بحسب التعلقات. فيقال قام بذات الله عز وجل إخبار عن إرسال نوح مطلقا، وذلك الإخبار موجود أزلا باق أبدا. قبل الإرسال كانت العبارة الدالة عليه «إنا نرسل» وبعد الإرسال «إنا أرسلنا» فالتعبير في لفظ الخير في الإخبار القائم بالذات. كما تقول في علمه عز وجل: أنه قائم بذاته أزلا، العلم بأن نوحا مرسل. وهذا العلم باق أبدا فقبل وجوده عرف أنه سيوجد ويرسل. وبعد وجوده علم أنه وجد وأرسل والتغير في المعلوم لا في العلم. أقوى دليل استدلت به المعتزلة قولهم قد اتفق على أن القرآن الكريم اسم لما نقل إلينا بين دفتي المصحف تواترا. فهو مكتوب في المصحف مقروء بالألسن مسموع بالأذان ولا شك أن هذه أمور تدل =

على حدوثة. الجواب عن هذا الدليل: أن القرآن الذي هو كلام الله عز وجل المكتوب فى المصاحف بأشكال الكتابة وصور الحروف الدالة عليه المحفوظ فى القلوب المسموع بحروف ملفوظة غير حال فى المصاحف والقلوب والألسنة والآذان بل هو معنى قديم قائم بذاته عز وجل يلفظ ويسمع بالنظم الدال عليه ويحفظ بالنظم المخيل ويكتب بنقوش وصور وأشكال. فالمرسوم بسمة الحوادث: إنما هو اللفظ الدال على المعنى القديم. ويقرب ما ذكرناه ما يقال: النار جوهر محرق يذكر باللفظ ويكتب بالقلم. ولا يلزم من ذلك كون حقيقة النار صوتا وحرفا، وذلك لأن للشئ وجود فى الأعيان ووجودا فى الأذهان والمراد به الوجود العلمى. بحيث لا يقول المعتزلة بالوجود النهنى. ووجودا فى العبارة ووجودا فى الكتابة والكتابة تدل على العبارة وتدلى على ما فى الأذهان وما فى الأذهان يدل على ما فى الأعيان. فحيث يوصف القرآن بما هو من لوازم القديم، نحو القرآن غير مخلوق. فالمراد حقيقته الموجودة فى الخارج، والمراد بحقيقته الموجودة فى الخارج، أن اللفظ فى هذه الصورة ذاته من غير ملاحظة ما يدل عليه، إذ هو من قبيل وصف الشئ بما هو حاله حقيقة. ذلك بخلاف ما يوصف بما هو من لوازم الحادث لأنه لا بد فيه من ملاحظة ما يزال عليه حتى يظهر صحة الوصف به لعلاقة الدالية والمدلولية. حيث يوصف بما هو من لوازم المحدثات، فالمراد به الألفاظ المنظومة وذلك كما فى قولنا قرأت نصف القرآن الكريم أو المخيلة كما فى قولنا حفظت القرآن الكريم، أو الأشكال المنقوشة كما يقال: يحرم المحدث مس القرآن قد يعترض على ما ذكر. بأنه مناف لما ذكره علماء الأصول من أن القرآن الكريم هو المكتوب فى المصاحف، وأنه اسم للنظم والمعنى جميعا. الجواب عن غرضهم لما لم يكن متعلقا بالمعنى الأزلى بل هو متعلق بالألفاظ لأنها أدلة الأحكام الشرعية. عرفوه بأنه المكتوب فى المصاحف. المنقول بالتواتر وجعلوه اسما للنظم من حيث الدلالة على المعنى لا مجرد المعنى. ينظر نص كلام شيخنا عبد الفضيل طلبة فى الرؤية. قد اختلف المتكلمون فى وصف كلام الله تعالى فى الأزلى بكونه أمرا ونهيا، وخيرا واستخبارا. فذهب الشيخ أبو الحسن الأشعري إلى انقسامه فى الأزلى بحسب الاعتبار إلى هذه الأقسام الخمسة بسبب المتعلقات، بناء على أن التعلق أزلى عنده، وإن كان واحداً فى ذاته فباعتبار تعلقه بشئ على وجه مخصوص يكون خيرا، وباعتبار تعلقه بوجه مخصوص بشئ آخر يكون أمرا وهكذا باقى الأقسام، فإن اعترض بأن كلام الله تعالى على هذه الصفة إذا كان واحداً يكون غير معقول فإن قوله تعالى: ﴿اقموا الصلاة﴾ مع قوله: ﴿ولا تقربوا الزنا﴾، كيف يتحدان فى الأزلى لفظا أو معنى حتى يتكرر بالاعتبارات. فالحق أن الأمر مشكل إذا كان الكلام النفسى عين المدلول الوضعى للكلام اللفظى. وأما إذا كان التعبير اللفظى عن النفسى من قبيل التعبير بالأثر عن المؤثر فلا إشكال. وذهب ابن سعيد القطان من الأشاعرة، وطائفة من المتقدمين إلى أنه يوصف بهذه الأقسام فيما لا يزال حيث إن التعلق عندهم حادث. وقد اعترض عليه بأنها أنواع لا أقسامه فلا يوجد بدونها، إذ الجنس لا يوجد إلا فى ضمن شئ من أنواعه. وأجيب: يمنع ذلك فى أنواع تحصل بحسب التعلق. ومعنى ذلك أنها ليست أنواعا حقيقية له متى يلزم ما ذكرتم، بل هى أنواع اعتبارية حاصله له بحسب التعلق، وعلى ذلك يجوز أن يوجد الجنس بدون تلك الأنواع ومعها أيضا. وعليه فلا إشكال. وبعض الأصحاب ذهب إلى القول بأن لكلام الله القائم بذاته تعالى خمس صفات مختلفة. وذهب جماعة إلى =

أن الكلام حقيقة فى المعنى القديم مجاز فى النظم المخصوص. واعترض عليه: بأنه لو كان حقيقة فى المعنى القديم مجازاً فى النظم المخصوص - يصح نفيه عنه؛ بأن يقال: النظم المعجز كلام الله تعالى؛ إذ من أمارات الجواز صحة نفي إطلاق اللفظ على هذا المعنى المجازى. والإجماع على خلافه: بل النفسى كفر اتفاقاً فيما عدا البسمة فى أوائل السور. فإن نافيها لا يكفر لقوة الشبهة فى جانب كل من الثبت والنافية؛ ولذلك قال ابن الحاجب «فى مختصره»: وقوة الشبه من الجانبين منعت التكفير. والحق فى الإطلاق أن كلام الله تعالى اسم مشترك بين الكلام النفسى القديم وبين اللفظى الحادث. ومعنى الإضافة لله تعالى على المعنى الأول كونه صفة له. وعلى الثانى، كونه من تأليفاته فلا يصح النفى أصلاً؛ لأنه حقيقة فيها. ولقد رأى بعض المتكلمين أن يكون ذلك المشترك لفظياً اتحد لفظه وتعدد معناه ووصفه. وعليه، فاسم الكلام موضوع للنفسى بوضع، واللفظى بوضع آخره، ورأى بعض آخر كونه مشتركاً معنوياً مشككاً اتحد لفظه ومعناه ووصفه وتعددت أفراده، فهو مع وحدة لفظه موضوع لقدر مشترك، وهو متعلق التكلم أعم من كون ذلك التعلق لفظياً أو تقيساً. وأما كونه مشككاً؛ فلأنه فى اللفظى. فثبت أنه مشترك، وانتفى كونه مجازاً. واختلف أهل السنة فى جواز سماع كلام الله تعالى. فذهب الأشعرى إلى أن ذات الكلام النفسى يسمع. وهذا ما اختاره كثير من المحققين؛ كالإمام الغزالى وغيره. وذهب الشيخ أبو منصور الماترىدى، وأبو إسحق الإسفرايينى إلى عدم سماعه، فلا يسمع إلا ما يدل عليه من الأصوات والحروف، وقد أقام كل واحد من الطرفين دليلاً على مدعاه.

أما دليل الأشعرى: فهو قياس سماع الكلام النفسى الذى ليس بحرف ولا صوت على رؤية ما ليس بلون ولا فى جهة. وهذا القياس أُلزم به مخالفه من أهل السنة؛ لاتفاقهم جميعاً على جواز الرؤية، ووقوعها فى الآخرة، وتبعه فى ذلك القاضى أبو بكر الباقلانى. وأما دليل الماترىدى وأبو إسحاق الإسفرايينى: فهو أن العادة تحيل سماع ما ليس بصوت، ويشهد لهما ظاهر قوله تعالى: ﴿نودى من شاطئ الوادى الأيمن فى البقعة المباركة من الشجرة أن يا موسى إني أنا الله رب العالمين﴾، إلا أنه لا يتحقق ما يصلح أن يكون محلاً للخلاف بينهما وبين الأشعرى؛ لأنه إما أن يفرض الكلام فى الاستحالة عقلاً، فلا يتأتى إنكار إمكان أن يخلق للقوة السامعة إدراك الكلام النفسى، أو يفرض فى الاستحالة عادة، ولا يتأتى إنكار إمكان ذلك خرقاً للعادة. بل قد ساق صاحب التبصرة من عبارة الماترىدى فى كتاب التوحيد ما يقتضى جواز سماع ما ليس بصوت. فحقيقة الخلاف؛ إنما هو فى الواقع لموسى - عليه السلام - فأنكر الماترىدى سماعه الكلام النفسى. والذى سمعه - عليه السلام - إنما هو اللفظ الدال على كلامه تعالى. وعند الأشعرى: أن موسى - عليه السلام - سمع الكلام النفسى الذى ليس بصوت ولا حرف؛ ولذلك اختص باسم الكليم، بدليل قوله تعالى: ﴿وكلم الله موسى تكليماً﴾، والحمل على الإسناد الحقيقى ممكن، ولا موجب للعدول عنه. وبأن الخصم قائل برؤية ذاته من غير كيف ولا انحصار. فهو لا محالة يقول بإمكان سماع كلامه من غير لفظ يدل عليه. وعلى هذا يظهر وجه اختصاص موسى - عليه السلام - باسم الكليم؛ لأنه لو كان موسى - عليه السلام - قد سمع لفظاً كغيره لم يكن لتسميته بالكليم وجه. وقال الماترىدى: إن الذى سمعه موسى - عليه الصلاة والسلام - صوتاً دالاً على كلام الله تعالى، واختص باسم الكليم؛ لأن سماعه الصوت على وجه فيه خرق للعادة؛ لأنه سماع بغير واسطة الكتاب والملك. ولقد أخرج أحمد وغيره عن وهب: أن موسى - عليه الصلاة والسلام - لما اشتد عليه الهول نودى من الشجرة قفيل: «يا موسى» -

النائب آل الأمر فيه إلى أن كتب ابن تيمية خطه وأشهد عليه أنه شافعي المذهب يعتقد ما يعتقد الإمام الشافعي، وأنه أشعري الاعتقاد. فنودي بدمشق من ذكر عقيدة ابن تيمية شق، فاشتد حينئذ ابن عدلان، وقام معه قاضي القضاة زين الدين علي بن مخلوف المالكي. وحرص الأمراء عليه. وما زال بهم حتى خرج الأمير ركن الدين العمري الحاجب على اليريد بحمله وحمل أخيه شرف الدين عبد الرحمن إلى القاهرة. وطلب الأمير ركن الدين نجم الدين أحمد بن صصرى، ووجيه الدين بن المنجا، وتقى الدين شقير، وأولاد ابن الصائغ؛ فأحضرهم يوم الخميس ثاني عشر رمضان، فاجتمع القضاة والفقهاء بقلعة الجبل، وحضر الأمراء، فادعى ابن عدلان على ابن تيمية، فلم يجبه وقام يخطب، فصاح عليه القاضي زين الدين بن مخلوف المالكي: «نحن أحضرناك للدعوى عليك، ما أحضرناك خطيباً» وألزمه بالجواب. فقال له: «أنت عدوى لا يجوز حكمك علي» فأمر باعتقاله، فأخذ وسجن بحارة الديلم من القاهرة هو وأخوه.

وخلع علي ابن صصرى، وأعيد إلى دمشق، ومعه كتاب ليقرأ على الجامع بالمنع من الكلام في العقائد والنهي عن اعتقاد شيء من فتاوى ابن تيمية، وأن يكتب علي الحنابلة محاضر بالرجوع عن ذلك، وتثبت علي قضاة الممالك، وتقرأ على المنابر، ففعل ذلك بدمشق.

وفيها قطع خير الأمير الكبير بكتاش الفخرى أمير سلاح الصالحى النجمى: وسبب ذلك أنه مرض وقد أناف على الثمانين «فخاف أستاذاره بكتمر الفارسي من موته، وأن يطالب من ديوان^(١) السلطان بتفاوت الإقطاع في مدة إمرته وهى ستون سنة، وأن يلزم بالتقاوى السلطانية^(٢)، وحسن لولده ناصر الدين محمد أن يمضى إلى الأمير بيبرس وسلا على لسان أبيه، بأن يتحدثنا مع السلطان بأنه قديم هجرة وله خدمة فى البيت المنصورى، وقد أسن وعجز عن الركوب، ولا يحل له أكل هذا الإقطاع بغير استحقاق، ويسألاه فى إخراجة عنه وكتابة مسموح^(٣) لأولاده ومباشره بما يخص السلطان من تفاوت الإقطاعات والانتقالات من تاريخ إمرته إلى خروج الإقطاع عنه، وخيله أنه متى لم يفعل ذلك حتى يموت والده لم يبق لهم من بعده وجود، ويحتاج إلى الاستدانة ليوفى الديوان السلطانى مستحقه. فانفعل لذلك، وبلغ ما رتبته الأستادار عن أبيه إلى بيبرس

(١) على هامش ط: كانت وظيفة هذا الديوان محاسبة الأمير المعزول أو المنقول عن إقطاعه - أو ورثته من بعده عند وفاته - على ما تحصل من ذلك الإقطاع من مال خراجى.

(٢) المقصود بالتقاوى السلطانية هنا ما كان يجمع للسلطان من مختلف الأقاليم برسم التقاوى. انظر: خطط المقرئى ٩١/١.

(٣) على هامش ط: المقصود به ما يسمح به السلطان لورثة أحد أمرائه بعد وفاته.

وسلار، فتألما وبكيا، ودخلا به إلى السلطان، فأعاد ناصر الدين محمد له الرسالة بمحضور الأمراء، فأجيب، وكتب المسموح، ونصه: «رسم بالأمر الشريف شرفه الله وعظمه أن يسامح المقر العالی المولوى الأميرى البدرى بكتاش الفخرى الصالحى أمير سلاح بجميع ما عليه من تفاوت الإقطاعات المنتقل إليها والمنتقل عنها، من غير طلب تفاوت ولا تقاو، ولا ما يخص الديوان الشريف من هلالى وخراجى وغيره، مسامحة وإنعاماً عليه، لما سلف له من الخدمة وتقادم الهجرة، مسامحة لا رد فيها ولا رجوع عنها بحيث لا يطالب بشىء قتل ولا جل، لما مضى من الزمان وإلى يوم تاريخه، لنزوله عن إقطاعه حسب سؤاله». وتوجه إليه الأمير شمس الدين سنقر الكمالى الحاجب، والأمير بدر الدين محمد بن الوزيرى (بذلك). وسبق ولده ودخل عليه ومعه بكتمر أستاذاره، وحدثاه فى أنه قد ضعف عن الحركة، وأن الإقطاع يستكثر عليه، فقال: «أرجو أن يمن الله بالعافية، وأن أموت على ظهر فرسى فى الجهاد» فذكرا له ما يتخوفانه بعد موته من المغرم، فلم يلتفت لكلامهما. وقدم الحاجب وابن الوزيرى بالمسموح، فقال لهما: «لا تطيلا فى الكلام، فإنه اختلط وفسد عقله» فدخلا وعرفاه ما قاله عنه ولده من طلب الإعفاء من الخدمة، فإنه نزل عن الإقطاع، وقدم له المسموح، وبلغاه سلام السلطان والأمراء، وأنه لم يفعل هذا إلا حسب سؤاله، وقد رتب له خمسة آلاف درهم فى الشهر. فغضب عند ذلك وقال: «قطع السلطان خبزى؟» قالوا: «نعم!» وعرفاه ما كان من ولده، فالتفت إليه وقال: «أنت سألت فى ذلك؟» قال: «نعم!»، فسبه، وقال للأميرين: «قولا للسلطان والأمراء ما كنت أستحق أن يقطع خبزى قبل الموت، وهم يعلمون ما فعلته معهم، وكنت أؤمل أن أموت فى الغزاة، وما برحت أخرج كل سنة لعل أن يدركنى أجلى، فما قدر الله». ثم أعرض عنهم، وقاموا عنه، فمات من مرضه هذا. واستقر إقطاعه فى الخاص السلطانى، وأضيفت أجناده إلى الحلقة، وذلك فى ذى الحجة.

وفىها قدمت هدية الملك المؤيد هزبر الدين دواد صاحب اليمن، فوجدت قيمتها أقل من العادة، فكتب بالإنكار عليه والتهديد، وسير مع بدر الدين محمد الطورى أحد مقدمى الحلقة، فلم يعبأ به الملك المؤيد، ولا أجاب عن الكتاب بشىء.

وفىها استسقى أهل دمشق لقلة الغيث، فسقوا بعد ذلك..

* * *

ومات فى هذه السنة

خطيب دمشق شرف الدين أحمد بن إبراهيم بن سباع الفزارى الفقيه الشافعى المقرئ النحوى المحدث، فى شوال عن خمس وسبعين سنة.

ومات مجد الدين سالم بن أبي الهيجاء بن جميل الأذرعى قاضى نابلس، بالقاهرة فى ثانى عشر صفر، بعدما باشر قضاء نابلس أربعين سنة، وصرف عنها وقدم بأهله إلى القاهرة فمات بها.

ومات الحافظ شرف الدين أبو محمد عبد المؤمن بن خلف بن أبي الحسن بن شرف ابن الخضر بن موسى الدمياطى^(١) الفقيه الشافعى المحدث آخر الحفاظ، فى خامس عشر ذى القعدة، من غير مرض، عن اثنتين وتسعين سنة.

ومات قاضى القضاة بجلب شمس الدين محمد بن محمد بن بهرام الشافعى بها، فى أولئل جمادى الأولى، وكان فاضلا مشكور السيرة.

ومات محمد بن عبد المنعم بن شهاب الدين بن المؤدب بمصر، حدث عن ابن باقا.

ومات الفقيه العابد المسند أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن أبى بكر بن محمد الحرانى الحنبلى، ومولده بجران سنة ثمانى عشرة وستمائة، سمع من ابن روزبة والمؤمن ابن قميرة، وسمع بمصر من ابن الجميزى وغيره، وتفرد بأشياء، وكان فيه دعاية، وتلا بمكة ألف ختمة.

ومات شرف الدين يحيى بن أحمد بن عبد العزيز الجذامى الإسكندرانى.

ومات الأوحد تقى الدين بن الملك الزاهر مجير الدين داود بن المجاهد أسد الدين شيركوه بن ناصر الدين محمد بن أسد الدين شيركوه بن شادى بن مروان، أحد أمراء دمشق، فى ثانى صفر على قتال الكسرويين، وكان فاضلا خبيراً بالأمر.

ومات المعمر أم الفضل زينب بنت سليمان بن إبراهيم بن هبة الله بن رحمة الإسعردية بمصر فى ذى القعدة، حدثت عن ابن الزبيدى وأحمد بن عبد الواحد البخارى وغيره، وتفردت بأشياء.

* * *

(١) عبد المؤمن بن خلف الدمياطى، أبو محمد، شرف الدين: حافظ للحديث، من أكابر الشافعية. ولد بدمياط. وتنقل فى البلاد، وتوفى فجأة فى القاهرة. انظر: فوات الوفيات ١٧/٢ والرسالة المستظرفة ١٠٣ والبداية والنهاية ٤٠/١٤ وطبقات الشافعية ١٠/٤ وشذرات الذهب ١٢/٦ والدرر الكامنة ٤١٧/٢ والتيمورية ١٠١/٣ والأعلام ١٧٠/٤.

سنة ست وسبعمئة

فيها توحش ما بين الأميرين علم الدين سنجر البروانى وسيف الدين الطشلاقى على باب القلة من القلعة بحضرة الأمراء، من أجل استحقاقهما فى الإقطاعات، فإنهما تباعلا^(١)، ونزل الطشلاقى على إقطاع البروانى.

وكان كل منهما فيه كبير وظلم وعسف، والبروانى من خواص الأمير ركن الدين بييرس الجاشنكير، والطشلاقى من أئزام الأمير سلار النائب لأنه خشداشه، وكلاهما مملوك الصالح على بن قلاوون. فاشتد الطشلاقى على البروانى وسفه عليه، فقام البروانى إلى الأمير بييرس فشكا منه، فاستدعى به وعنفه، فأساء فى الرد وأفحش فى حق البروانى، وقال: «أنت واحد منفى وافدى، تجعل نفسك مثل ممالك السلطان؟». فاستشاط بييرس غضباً، وقام ليضربه، فجرد سيفه يريد ضرب بييرس، فقامت قيامة بييرس، وأخذ سيفه وأوماً ليضربه، فترامى عليه من حضره وأمسكه عنه، وأخرجوا الطشلاقى بعدما كادت ممالك بييرس أن تقتله. وللوقت طلب بييرس الأمير سنقر الكمالى الحاجب، وأمره بإخراج الطشلاقى إلى دمشق، فخشى من النائب سلار ودخل عليه وأخبره الخير فوجد العلم عنده، وأمره بالعود إلى بييرس وملاطفته فى العفو عن الطشلاقى، وأنه يلزم داره حتى يرضى عنه. فعاد إلى بييرس، وعندما أخذ يبلغه رسالة سلار صرخ فيه، وحلف إن بات الطشلاقى الليلة فى القاهرة عملت فتنة كبيرة. فعاد الحاجب وبلغ سلار ذلك، فلم يسعه إلا السكوت، وأخرج الطشلاقى من وقته، وأمر الحاجب بتأخيره فى بلبس ليراجع بييرس فيه. وعندما اجتمعا من الغد فى الخدمة بدأه بييرس بما كان من الطشلاقى فى حقه من الإساءة، وسلار يسكن غضبه فلا يسكن بل يشتد، فأمسك على حقد، وتوجه الطشلاقى إلى الشام.

وفىها قدم البريد من حماة بمحضر ثابت على القاضى أن ضيعة تعرف بيارين بين جبليين، فسمع للجبلين فى الليل قعقة عظيمة، فتسارع الناس فى الصباح إليها، فإذا أحد الجبلين قد قطع الوادى وانتقل منه قدر نصفه إلى الجبل الآخر، والمياه فيما بين الجبلين تجرى فى الوادى، فلم يسقط من الجبل المنتقل شيء من الحجارة، ومقدار النصف الذى انتقل من الجبل مائة ذراع وعشرة أذرع، ومسافة الوادى الذى قطعه هذا الجبل مائة ذراع؛ وأن قاضى حماة خرج بالشهود حتى عاين ذلك، وكتب به محضراً فكان هذا من غرائب الاتفاق.

(١) تباعلا: المعنى أنهما تجالسا للحديث فيما بينهما من أمر. انظر: لسان العرب.

وفيهما قدم الخير من بلاد المغرب بقتل السلطان أبى يعقوب يوسف بن يعقوب المرينى صاحب تلمسان فى ذى القعدة من السنة الخالية على يد خدمه، وأن ابنه أبا سالم قام من بعده، فثاروا به بعد أسبوع، وأقاموا عوضه حفيده أبا عامر ثابت.

وفيهما ابتدأت الوحشة بين الأميرين بيبرس وسلار: وسببها أن التاج بن سعيد الدولة الكاتب كان متمكناً من بيبرس مستولياً على سائر أموره، فمكّنه من الدولة حتى صارت أمور الأموال الديوانية المتعلقة بالوزارة والأستادارية لا يلتفت فيها إلى كلام غيره، واستعان معه أكرم بن بشير أحد أقاربه، فتقربا إلى بيبرس بتحصيل الأموال من المشتروات، وأضافا له جهة النظرون. وكان التاج صديقاً لابن الشيخى، وهو الذى قدمه إلى الوزارة، فلما قتل شق عليه، واتهم الأمير علم الدين سنجر الجاولى بأنه السبب فى ذلك، وأنه الذى أغرى به الأمير سلار، لما كان يعلم من عداوة الجاولى لابن الشيخى ومصادقته للصاحب سعد الدين محمد بن محمد بن عطايا، وهو الذى عينه للوزارة بقصد إنكاء التاج بن سعيد الدولة. فأخذ التاج فى العمل على الجاولى، وهو يومئذ ينوب عن بيبرس الجاشنكير فى الأستادارية، وندب لمرافقته رجل من الأقباط، وصار كل قليل يقول عنه لبيبرس إنه نهب الأموال، وأخذ رواتب كثيرة لنفسه وحواشيه، وقد وقت أحوال الدولة من ذلك، والوزير ابن عطايا لا يدرى صناعة الكتابة، وإنما أشار الجاولى على سلار بوزارته ليتمكن من أغراضه، وإن بعض كتاب الحوائج خاناه كتب أوراقا بمال كبير فى جهة الجاولى، وأكثر من هذا القول وما أشبهه، إلى أن تقرر ذلك فى نفس بيبرس وتغير على الجاولى، وحدث سلار فى أمره، وأنه أخذ جملة مال مستكثرة. وكان سلار صديقاً للجاولى شديد المحبة له من قديم؛ حتى أن كلا منهما عمر مدرسة على جبل يشكر بجوار مناظر الكبش مجاورة لمدرسة الآخر، وعمل لنفسه مدفناً بجذاء مدفن الآخر. فدافع سلار عن الجاولى، وقال لبيبرس: «يا لله لا تسمع للديوان! فإنهم مناحيس يريدون الفتنة». فتمادى بيبرس فى الخط على الجاولى وسبه، وقال: «لا بد أن أخلص منه المال». فلما افترقا أعلم سلار الجاولى بتغير بيبرس عليه، فقال له: «هذا من التاج بن سعيد الدولة»، فأشار عليه بالدخول إلى بيبرس ومخادعته بلين القول له، عساه ينخدع ويمسك عما يريده. فامتثل ذلك وصار إليه وخضع له وتذلل، فاشتد فى الحرج وبالغ فى السب والتهديد، ولم يلتفت إلى قوله، فقام يتعثر فى أذياله إلى سلار وأخيره، فغضب من ذلك. وعند خروج الجاولى من عند بيبرس دخل عليه ابن سعيد الدولة بأوراق قد رتبها بما فى جهة الجاولى، وقرأها عليه، وأحضر معه أكرم بن بشير ليحاقق الجاولى على ما فى الأوراق، فقوى بيبرس قلب بن بشير على المحافظة. ولما كان الغد، وخرج الأمراء من الخدمة السلطانية، وجلسوا عند

النائب سلاار، وفيهم الجاولى والوزير، أمر بييرس بإحضار ابن بشير الكاتب، فلما جاء قال له: «أنت قلت إن مال السلطان ضائع، وإن هذا - يعنى الجاولى - أخذ منه أشياء، وإن الوزير وافقه على ذلك، وإن أحوال الدولة قد وقفت، وإنك ترافعهما وتحقق مال السلطان فى جهتهما فتكلم الآن معهما، ولا تقل إلا الصحيح». فنهض عند ذلك قائما، وأخرج الأوراق، وحاقق الوزير على فصول تلزم الجاولى، فأجاب الجاولى عنها فضلا . . فضلا، وابن بشير يرد عليه. وقال فى كلامه: «أنت أمير» ما تدرى فصول الكتابة؛ وطال الكلام، وانفض المجلس على أقبح صورة، وقد وقع التنافر بين بييرس وسلاار بسبب قيام كل منهما فى نصره صاحبه.

وكان من عادة بييرس أن يركب لسلاار عند ركوبه وينزل عند نزوله، فمن يومئذ لم يركب معه، وبقي كل منهما يركب فى حاشيته وحده، وتوقع الناس الفتنة. فبعث الأمير سلاار بسنقر الكمالى الحاجب إلى بييرس ليتلطف به ويعرفه «إن الجاولى قد علمت ما بينى وبينه من الأخوة بحيث أن كلا منا عمل الآخر وصيه على أولاده بعد موته»، ويتضرع له حتى يعفو عنه. فمضى إليه وبالغ معه فى الكلام، وهو يشتد إلى أن قال: «لا أرجع عنه حتى أخذ منه مال السلطان وأضره بالمقارع». وبعث إليه: «إن لم تحمل المال ضربتك بالمقارع حتى تموت مثل الغير» يعنى ابن الشينخى، وبعث إلى الوزير بذلك أيضاً، ورسم عليهما حتى يحملا المال. فلما بلغ الكمالى ذلك لسلاار قامت قيامته، إلا أنه كان كثير المداراة عاقلا. وأخذ الجاولى فى بيع خيله وقماشه وأمتعته بباب القلة على الأمراء، فشق عليهم ما نزل به وشروا مبيعه بأضعاف ثمنه، ليردوه إليه إذا صلح حاله مع الأمير بييرس، تقرّباً لخاطر الأمير سلاار.

وتمادى الحال عدة أيام وبييرس وسلاار لا يجتمعان، واستعد الأمراء البرجية الزمام بييرس، وصاروا يركبون بالسلاح من تحت ثيابهم خوفا من وقوع الفتنة، وترقب الناس الشر فى كل يوم، وتحدثوا به. فركب الأمراء الأكابر: أقوش قتال السبع، وبييرس الدودار، وبرلغى، وأبيك الخازندار، وسنقر الكمالى، وبكسوت الفتاح، فى آخرين إلى الأمير بييرس الجاشنكير، وتحدثوا معه فى تسكين الشر وإخماد الفتنة. ومازالوا به حتى رفع الترسيم عن الجاولى بشرط أن يخرج إلى الشام بطالا، وقاموا من عنده إلى الأمير سلاار، ومازالوا به حتى وافق على سفر الجاولى، فسافر من يومه بعد ما قطع خبزه، ثم أنعم عليه بعد وصوله إلى دمشق بإمرة طبلخاناه.

وفىها أفرج عن صاحب سعد الدين محمد بن عطايا بعدما حمل نحو الثمانين ألف درهم، واصطلح بييرس وسلاار، ثم تحدثا فى أمر الوزارة ومن يصلح لها، فعين سلاار

التاج بن سعيد الدولة، فقال بيبرس: «إنه لا يوافق، فقد عرضتها عليه وامتنع منها»، فقال سلار: «دعني وإياه»، فقال: «دونك»، وتفرقا. فبعث سلار إلى التاج أحضره، فلما دخل عليه عبس في وجهه وصاح بانزعاج: «هاتوا خلعة الوزارة»، فأحضرها، وأشار إلى التاج بلبسها فتمنع، وصرخ فيه وحلف لئن لم يلبسها ضرب عنقه. فخاف الإخراق به لما يعلمه من بغض سلار له، ولبس التشریف في يوم الخميس خامس عشر الحرم، وقبل يد الأمير سلار فبش له ووصاه، وخرج من دار النيابة بالقلعة إلى قاعة صاحب بها، وبين يديه النقباء والحجاب، وأخرجت له دواة الوزارة والبلغلة، فعلم على الأوراق وصرف الأمور إلى بعد العصر، ونزل إلى داره. وبلغ ذلك الأمير بيبرس فسر به، لأنه كان من غرضه.

وأصبح الناس يوم الجمعة إلى دار الوزير تاج الدين أبي الفتوح بن سعيد الدولة ينتظرون ركوبه، فلم يخرج إلى أن علا النهار، وخرج غلامه وقال: «يا جماعة! القاضي عزل نفسه وتوجه إلى زاوية الشيخ نصر المنبجي»، فتفرقوا، وكان لما نزل إلى داره توجه ليلا إلى الشيخ نصر، وكان خصيصا به، وله مكانة عند الأمير بيبرس؛ وبعث بتشريف الوزارة إلى الخزانة السلطانية بالقلعة، وأقام عند الشيخ نصر مستجيرا به، فكتب الشيخ نصر إلى بيبرس يشفع فيه، ويقول له إنه قد استعفى من الوزارة وقال إنه لا يباشرها أبداً، ويقصد أن يقيم في الزاوية مع الفقراء يعبد الله فأخذ بيبرس الورقة ودخل على سلار، فلما وقف عليها قال: «قد أعفيناه، فأحضره حتى نستشيره فيمن يلي الوزارة»، فأحضره بيبرس إليه فاعتذر، وأشار بوزارة ضياء الدين أبي بكر بن عبد الله بن أحمد النسائي ناظر الدواوين، فاستدعى وخلع عليه في يوم الإثنين تاسع عشره. فباشر ضياء الدين الوزارة، وليس له منها سوى الاسم، وصار التاج يدبر الأمور، ولا يصرف شيء إلا بخطه، ولا يفعل أمر إلا بحكمه.

وفي سادس صفر: خلع على التاج بن سعيد الدولة، واستقر مشيراً وناظرا على الوزارة وسائر النظار مصرًا وشاما، ومنفردًا بنظر البيوتات والأشغال المتعلقة بالأسنادارية ونظر الصحبة ونظر الجيوش، وكتب له توقيع لم يكتب لتمعم مثله. وصار يجلس بجانب الأمير سلار نائب السلطنة، فوق كل متعمم من الكتاب، ونفذ حكمه ومضى قلمه في سائر أمور الدولة، فألان الوزير جانبه له وخفض جناحه بكل ممكن. واستقر عز الدين أيدير الخطيرى أستاذارا عوضًا عن سنجر الجاولي.

وفيها قدم الرسل الذين توجهوا إلى الملك طقطاي صاحب بلاد الشمال: وهم الأمير بلبان الصرخدى ورفقته، ومعهم نامون رسول طقطاي بهدية سنوية، وكتاب

يتضمن أن عسكر مصر تسير إلى بر الفرات ليسير معهم ويأخذ بلاد غازان، ويكون لكل منهما ما يصل إليه من البلاد. فأكرم الرسول وجهزت له الهدايا، وأجيب بأن الصلح قد وقع مع خربندا ولا يليق نقضه، فإن حدث غير ذلك عمل بمقتضاه، وسير إليه الأمير بدر الدين بكмыш الظاهري، وفخر الدين أياز الشمسى أمير آخور، وسنقر الأشقر، وأحد مقدمى الحلقة.

وفيها نقل شهاب الدين غازى بن أحمد بن الواسطى من نظر الدولة، ومعه تاج الدين عبد الرحيم بن السنهورى، إلى نظر حلب. وسبب ذلك أنه كان يعادى التاج بن سعيد الدولة، بحيث إنه كان سبباً فى ضرب سنقر الأعسر له بالمقارع أيام وزارته حتى أسلم. وكان طويل اللسان، يعرف بالتركى، ويداخل الأمراء، فإذا دخل ابن سعيد الدولة إلى بيت أمير وهو هناك لا يقوم له ولا يلتفت إليه. فلما تحدث ابن سعيد الدولة فى أمور المملكة نقل عليه ابن الواسطى، وما زال بالأمير ييسر إلى أن كتب توقيعه بنظر حلب، وبعث إليه. فقام لما جاءه التوقيع. وقال: «والله لقد كنت قانعاً بجهنم عوضاً عن موافقة ابن تعيين الدولة»، وسار إليها.

وفيها نقل الأمير سيف الدين بكتمر الحسامى من شد الدواوين بدمشق إلى الحجوبية، على عادته فى ثامن ذى الحجة، واستقر عوضه فى الشد الأمير جمال الدين أقوش الرستمى والى القاهرة بالصفة القبلية، بعدما التزم بثمانى مائة ألف درهم فى أربع سنين.

وفيها قدم البريد من دمشق بقدم رجل من بلاد التتر يقال له الشيخ براق، فى تاسع جمادى الأولى، ومعه جماعة من الفقراء نحو المائة: لهم هيئة عجبية، وعلى رؤوسهم كلالوت لباد مقصصة بعمائم فوقها، وفيها قرون من لباد شبه قرون الجاموس فيها أجراس، ولحاهم حلقة دون شواربهم، ولبسهم لبايد بيضاء، وقد تقلدوا بحبال منظومة بكعاب البقر، وكل منهم مكسور الثنية العليا، وشيخهم من أبناء الأربعين سنة، وفيه إقدام وجرأة وقوة نفس وله صولة، ومعه طبلخاناه تدق له نوبة، وله محتسب على جماعته يؤدب كل من ترك شيئاً من سنته بضرب عشرين عصا تحت رجليه، وهو ومن معه ملازمون التبعيد والصلاة، وأنه قيل له عن زيه، فقال: «أردت أن أكون مسخرة الفقراء» وذكر أن غازان لما بلغه خبره استدعاه وألقى عليه سبغاً ضارياً، فركب على ظهر السبع ومشى به، فجل فى عين غازان ونثر عليه عشرة آلاف دينار، وأنه عندما قدم دمشق كان النائب بالميدان الأخضر فدخل عليه، وكان هناك نعاماً قد تفاقم شرها ولم يقدر أحد على الدنو منها، فأمر النائب بإرسالها عليه، فتوجهت نحوه

فوثب عليها وركبها، فطارت به في الميدان قدر خمسين ذرعاً في الهواء حتى دنا من النائب فقال له: «أطير بها إلى فوق شيئاً آخر؟»، قال: «لا!» وأنه أنعم عليه وهاداه الناس. فكتب بمنعه من القدوم إلى مصر، فسار إلى القدس ورجع إلى بلاده؛ وفيهم يقول السراج من موشحة طويلة أولها:

جتنا عجم من جوا الروم صور تحير فيها الأفكار
لهم قرون مثل الثيران إبليس يصيح منهم زنهار
وفيه عاد الأمير طقصبا ومعه العسكر من بلاد النوبة إلى قوص، بعد غيبتهم تسعة أشهر، ومقاساة أهوال في محاربة السودان وقلة الزاد.

وفيه منع الأميران بيبرس وسلار المراكب من عبور الخليج المعروف بالحماكي خارج القاهرة، لكثرة ما كان يحصل من الفساد والتظاهر بالمنكرات، وترج النساء في المراكب وجلسهن مع الرجال مكشوفات الوجوه بكوافي الذهب على رءوسهن، وتعاطيهن الخمر، وكانت تثور الفتن بسبب ذلك، وتقتل القتلى العديدة. فلم يدخل الخليج إلا مركب فيها متجر، وأما مراكب النزهة فامتنعت، وعد ذلك من أحسن الأفعال.

وفيهما كملت عمارة الجامع الذي أنشأه الأمير جمال الدين أقوش الأفرم بسفح جبل قاسبون^(١)، وخطب به القاضي شمس الدين بن العز الحنفي، يوم الجمعة رابع عشر شوال.

وفيهما ولي قضاء الحنفية بدمشق صدر الدين أبو الحسن علي بن الشيخ صفى الدين أبي القاسم محمد البصروي، في تاسع عشر ذى القعدة، عوضاً عن شهاب الدين أحمد الأذرعى.

وفيهما قدمت رسل صاحب سيس بالحمل، بعدما أطلق مائتين وسبعين أسيراً من المسلمين، قدموا حلب.

وفيهما ولي جلال الدين محمد القزوينى خطابة دمشق، بعد وفاة شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الخلاطى في شوال.

وفيهما أفرج الأمير سلار عن شيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن تيمية في آخر يوم من رمضان، بعدما جمع القضاة والفقهاء، وبعثوا إليه ليحضر من الاعتقال فامتنع، وترددت إليه الرسل مراراً فلم يحضر، وانفضوا من عند سلار. فاستدعى بأخويه شرف الدين عبد

الله وزين الدين عبد الرحمن، وجرى بينهما وبين القاضي زين الدين بن مخلوف المالكي كلام كثير. ثم اجتمع شرف الدين والمالكي ثانيًا عند الأمير سلا، وحضر ابن عدلان، وتفرقوا عن غير شيء.

* * *

ومات في هذه السنة ممن له ذكر

شهاب الدين أحمد بن عبد الكافي بن عبد الوهاب البليني^(١) الشافعي، أحد نواب القضاة الشافعية خارج القاهرة، وكان صالحًا دينًا فاضلاً.

ومات صاحب شهاب الدين أحمد بن أحمد بن عطا الأذرعى الحنفى الدمشقى، محتسب دمشق ووزيرها.

ومات الأمير عز الدين أيك الطويل الخازندار المنصوري، فى حادى عشر ربيع الأول بدمشق، وكان كثير البر دينًا.

ومات الأمير بدر الدين بكتاش الفخرى أمير سلاح الصالحى النجمى، أصله من ممالك الأمير فخر الدين يوسف بن شيخ الشيوخ، وصار إلى الملك الصالح نجم الدين أيوب، فترقى فى الخدم حتى صار من أكبر الأمراء، وخرج إلى الغزاة غير مرة، وعرف بالخير وعلو الهمة وسداد الرأى وكثرة المعروف، ولما قتل المنصور لاجين أجمعوا على سلطنته فأبى، زوأشار بعود الناصر محمد بن قلاوون فأعيد، ومات بعدما استرجع إقطاعه بالقاهرة فى ربيع الأول، عن ثمانين سنة، وهو آخر الصالحية، وإليه ينسب قصر أمير سلاح بالقاهرة.

ومات الأمير سيف الدين بلبان الجوكندار المنصوري، ولى نيابة قلعة صغد وشد الدواوين بدمشق ثم نيابة قلعتها، ومات وهو نائب حمص بها وكان خيرا.

ومات الشيخ سيف الدين الرجىحى بن سابق بن هلال ابن الشيخ يونس اليونسى شيخ الفقراء اليونسية^(٢) قدم من العراق، فصارت له حرمة وافرّة فى الأيام المنصورية قلاوون حتى مات، وله أتباع كثيرة، فخلفه ابنه حسام الدين فضل.

ومات الطواشى شمس الدين صواب السهيلي بالكرك عن مائة سنة، وكان له بر ومعروف.

(١) البلينى: نسبة إلى بلدة البلينا التابعة لمديرية جرجا الحالية. انظر: الخطط التوفيقية ٨٢/٩.

(٢) هذه الطائفة من الروافض، وموسسها هو يونس بن عبد الرحمن القمى. انظر: خطط المقرئى

ومات ضياء الدين عبد العزيز محمد بن علي الطوسي^(١) الشافعي، بدمشق في تاسع
عشرى جمادى الأولى، وله شرح الحاوى في الفقه، وشرح مختصر ابن الحاجب، ودرس
مدة بدمشق.

ومات بدر الدين محمد بن فضل الله بن مجلى العمري، أخو كاتبى السر شرف الدين
عبد الوهاب ومحيى الدين يحيى، وقد جاوز سبعين سنة.

ومات شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الخلاطى خطيب دمشق، فجأة في ثامن
شوال، وكان صالحا معتقداً.

ومات محمد بن عبد العظيم بن على بن سالم القاضى جمال الدين أبو بكر بن
السفطى الشافعي، ولد سنة ثمان عشرة وستمائة، وناب فى الحكم بالقاهرة أربعين
سنة، ثم تعفف عن الحكم، ومات بالقاهرة ليلة الإثنين جمادى عشر شعبان.

ومات الأمير فارس الدين أصلم الردادى فى رابع ذى القعدة بدمشق. وفى نصف
ذى القعدة مات الأمير سيف الدين كاوركا المنصورى.

ومات الأمير بهاء الدين يعقوبا الشهرزورى بالقاهرة، فى سابع عشر ذى الحجة.
ومات الطواشى عز الدين دينار العزيزى الخازندار الظاهرى، يوم الثلاثاء سابع ربيع
الأول، وكان خيراً دينار محبا لأهل الخير، وكان دوادار الملك الناصر وناظر أوقاف
الملك الظاهر.

ومات ملك المغرب أبو يعقوب يوسف بن يعقوب بن عبد الحق بن محيو بن أبى
بكر بن حمامة، وثب عليه سعادة الخصى أحد مواليه فى بعض حجره، وقد خضب
رجليه بالحناء وهو مستلق على قفاه، فطعنه طعنات قطع بها أمعاءه، وخرج فأدرك
وقتل، فمات السلطان آخر يوم الأربعاء سابع ذى القعدة، وأقيم بعده أبو ثابت عامر
ابن الأمير أبى عامر بن السلطان أبى يعقوب يوسف بن يعقوب بن عبد الحق^(٢)،
فكانت مدته إحدى وعشرين سنة.

* * *

(١) عبد العزيز بن محمد بن علي الطوسي، ضياء الدين، أبو محمد: من فقهاء الشافعية. أصله من
طوس. سكن دمشق، ودرس وتوفى بها. له «مصباح الحاوى ومفتاح الفتاوى». انظر: السبكي ٦/
١٢٥ والدارس ١/٤٧١ والكتبخانه ٢/٢٥٦ والأعلام ٤/٢٦.

(٢) عامر بن عبد الله بن يوسف بن يعقوب المريني، السلطان أبو ثابت: من ملوك الدولة المرينية
بالمغرب الأقصى. أقام بطنجة، فمرض ومات بها. ودفن فى رباط الفتاح. انظر: الاستقصا ٤٤ والحلل
الموشية ١٣٣ وجذوة الاقتباس ٢٧٥ والدرر الكامنة ٢/٢٣٥ والأعلام ٣/٢٥٣.

سنة سبع وسبعمائة

فيها ورد الخبر بأن الملك المؤيد هزبر الدين داود ملك اليمن كثر ظلمه للتجار، وأخذ أموالهم، وترك إرسال الهدية إلى مصر على العادة بعد أن عزم على تجهيزها، وقصد أن يبعث الأموال إلى مكة ليقدم اسمه على اسم سلطان مصر في الدعاء. فكتب إليه من قبل السلطان ومن قبل الخليفة أبي الربيع سليمان بالإنذار والإرهاب، وجهزا على يد نجاب ورسوم لكل من الأمراء المقدمين بعمارة مركب يقال لها جلبة، وعمارة قياسية^(١) لطيفة يقال لها فلوقة برسم حمل الأزواد وغيرها، وتفسير ذلك إلى الطور على الظهر ليرمى على بحر القلزم، لغزو بلاد اليمن. فاشترك كل أمير مقدم ألف ومضاهيه في عمل جلبة وفلوقة، وندب لعملها الأمير عز الدين أيك الشجاعى الأشقر شاد الدواوين، وسافر إلى قوص.

وفيها ضجر السلطان من تحكم الأميرين بيبرس وسلار عليه، ومنعه من التصرف، وضيق يده؛ وشكا ذلك لخاصكيته. واستدعى الأمير بكمتر الجوكندار أمير جاندار فى خفية، وأعلمه بما عزم عليه من القيام على الأميرين، فقرر الأمير أن القلعة إذا أغلقت فى الليل، وحملت مفاتيحها إلى السلطان على العادة، ولبست ممالك السلطان السلاح، وركبت الخيول من الإسطبل، وسارت إلى إسطبلات الأمراء، ودقت كوسات السلطان بالقلعة دقا حريبا ليجتمع تحت القلعة من هو فى طاعة السلطان، ويجهم بكمتر الجوكندار فى عدة على بيتى بيبرس وسلار بالقلعة، ويأخذونهما. وكان لكل من بيبرس وسلار أعين عند السلطان، فبلغهما ذلك فاحترسا، وأمرا الأمير سيف الدين بلبان الدمشقى والى القلعة - وكان حصيصا بهما - أن يوهم أنه أغلق باب القلعة، ويطرف أبقالها، ويعبر بالمفاتيح على العادة، ففعل ذلك. وظن السلطان ومماليكه أنهم قد حصلوا على غرضهم، وانتظروا بكمتر الجوكندار أن يحضر إليهم فلم يحضر، وبعثوا إليه فإذا هو مع بيبرس وسلار، قد حلف لها على القيام معهما. فلما طلع النهار ظن السلطان أن بكمتر قد غدر به، وترقب المكروه من الأمراء.

وأما بكمتر فإن بيبرس وسلار لما بلغهما الخبر خرجا إلى دار النيابة بالقلعة، وعزم بيبرس أن يهجم على بكمتر ويقتله، فمنعه سلار لما كان عنده من الثبوت والتؤدة، وأشار بالإرسال إليه ليحضر حتى تبطل حركة السلطان. فلما أتاه الرسول تحير وقصد

(١) على هامش ط: القياسة - والجمع قيايس - سفينة تستعمل للإبحار فى المياه القليلة العمق،

كشواطئ البحار، وتكون عادة عريضة المساحة، قليلة الارتفاع، بطيئة السير.

الامتناع، وليس مماليكه السلاح، ثم منعهم وخرج، فعنفه سلار ولامه على ما قصد. فأنكر وحلف لهم على أنه معهم، وأقام إلى الصباح، ودخل مع الأمراء إلى الخدمة عند الأمير سلار. ووقف ألتزام بيبرس وسلار على خيولهم بباب الإسطبل مترقبين خروج الممالك السلطانية، ولم يدخل أحد من الأمراء إلى خدمة السلطان، وتشاوروا. وقد أشيع في القاهرة أن الأمراء يريدون قتل السلطان، أو إخراجه إلى الكرك، فلم تفتح الأسواق، وخرج العامة والأجناد إلى تحت القلعة، وبقي الأمراء نهارهم مجتمعين، وبعثوا بالاحتراس على السلطان خوفاً من نزوله من باب السر. وألبسوا عدة ممالك، وأوقفوهم مع الأمير سيف الدين سمك أخی سلار على باب الإسطبل.

فلما كان نصف الليل وقع بداخل الإسطبل حس وحركة من قيام الممالك السلطانية ولبسهم السلاح، لينزلوا بالسلطان على حمية من الإسطبل، وتوقعوا الحرب، فمنعهم السلطان من ذلك، وأراد سمك إقامة الحرمة، فرمى بالنشاب وضرب الطبل، فوقع سهم بالررف (١) السلطاني. واستمر الحال على ذلك إلى آذان العصر من الغد، فبعث السلطان إلى الأمراء يقول: «ما سبب الركوب على باب إسطبلي؟ إن كان غرضكم في الملك فهل أنا متطلع إليه؟ فخذوه وابعثوني أى موضع أردتم». فردوا الجواب مع الأمير بيبرس الدوادر والأمير عز الدين أيك الخازندار والأمير برلغى الأشرفى، بأن «السبب هو من عند السلطان من الممالك الذين يجرؤونه على الأمراء»، فعتبهم على ما هو فيه، وأنكر أن يكون أحد من مماليكه ذكر له شيئاً عن الأمراء.

وفي عودهم من عند السلطان وقعت ضجة بالقلعة سببها أن العامة كان جمعهم قد كثر، فلما رأوا السلطان قد وقف بالررف، وحواشى بيبرس وسلار قد وقفوا على باب الإسطبل محاصرين، حنقوا من هذا وصرخوا، ثم حملوا يداً واحدة على الأمراء بباب الإسطبل، وهم يقولون: «يا ناصر! يا منصور!». فأراد سمك قتالهم، فمنعه من معه من الأمراء. وبلغ ذلك بيبرس وسلار، فأرسل الأمير سيف الدين تخاص المنصوري في عدة ممالك إلى العامة فضربوهم بالدبابيس ليتفرقوا؛ فاشتد صياحهم، «يا ناصر! يا منصور!»، وتكاثر جمعهم ودعاؤهم للسلطان، وصاروا يقولون: «الله يخون من يخون ابن قلاوون»، وحملت طائفة منهم على بتخاص ورجمته طائفة أخرى، فجرد السيف ليضعه فيهم، ثم خشى العاقبة وأخذ يلاطفهم، وقال: «طيبوا خواطركم، فإن السلطان قد طاب خاطره على الأمراء»، وما زال بهم حتى تفرقوا وعاد.

فبعث الأمراء ثانياً إلى السلطان بأنهم مماليكه وفي طاعته، ولا بد من إخراج الشباب

(١) الررف السلطاني موضع بطرف القلعة الجنوبي. انظر: خطط المقرئى، ٢/٢١٢.

الذين يرمون الفتن، فامتنع من ذلك واشتد، فمازال به يبئس الدوادار وبرلغى حتى أخرج بهم إلى الأمراء، وهم ييلغا التزجماني وأيدمر المرتد وخاص ترك. فهددهم يبئس وسلار ووبخاهم وقصدا تقييدهم، فلم توافق الأمراء على ذلك رعاية لخاطر السلطان، وأخرجوا إلى القدس من وقتهم على البريد. ودخل جميع الأمراء على السلطان وقبلوا الأرض، ثم قبلوا يده، فأفيضت عليهم الخلع، وعلى الأمير يبئس وسلار فى ثالثه.

ثم سأل الأمراء السلطان أن يركب فى أمرائه إلى الجبل الأحمر: حتى تطمئن قلوب العامة ويعلموا أن الفتنة حمدت، فأجاب وخرجوا. وبات السلطان فى قلق زائد وكرب عظيم لإخراج مماليكه، وركب من الغد بالأمراء إلى قبة النصر تحت الجبل الأحمر، وعاد بعدما قال يبئس وسلار: «إن سبب الفتنة إنما كان من بكتمر الجوكندار» وذلك أنه رآه قد ركب بجانب الأمير يبئس وحادثه، فتذكر غدره به، وشق عليه ذلك. فتلطفوا به فى أمره فقال: «والله ما بقيت لى عين تنظر إليه، ومتى أقام فى مصر لا جلست على كرسي الملك أبداً»؛ فأخرج من وقته إلى قلعة الصيبية فى خامس عشره، واستقر عوضه أمير جاندار بدر الدين بكنوت الفتاح، فلما مات سنقر شاه نائب صفد استقر عوضه بكتمر الجوكندار. وتوجه الأمير كراى المنصورى إلى بلدة أدفو بالصعيد، وهو حنق على الأمير يبئس الجاشنكير.

وفىها عمر الأمير يبئس الجاشنكير الخانكاه الركنية موضع دار الوزارة برحبة باب العيد من القاهرة، ووقف عليها أوقافا جلييلة، فمات قبل فتحها، وأغلقها الملك الناصر مدة، ثم أمر بفتحها ففتحت، ورتب فيها عدة من الصوفية. وبنى يبئس أيضاً تربة بها، فاستمرت مغلقة إلى آخر سنة خمس وعشرين وسبعمائة. وأنشأ الأمير عز الدين أيك الأفرم نائب دمشق جامعاً بصالحية دمشق، وبعث يسأل فى أرض يوقفها عليه، فأجيب بأنه يعين ما يختار.

وقدم البريد من حلب بوصول الأمير فتح الدين بن صيرة، وقد خلص من بلاد التتار، ومعه جماعة ممن أسر من الأجناد فى نوبة سيس؛ فأعيد له إقطاعه على عادته.

وورد كتاب الأمير كراى المنصورى بالشكوى من والى قوص، ومن غده قدم كتاب متولى قوص بأن كراى ظلم فلاحيه بأدفو^(١)، وأخذ دوابهم، وعمل زاداً كبيراً ليتوجه إلى بلاد السودان؛ فكتب لكراى بالحضور سريعاً، وكتب لوالى قوص بالاحتراس على كراى وأخذ الطرقات من كل جانب.

وفىها أحضرت خاصكية السلطان من القدس، وذلك أن الأمير أقوش الأفرم نائب

(١) اسم قرية بصعيد مصر الأعلى؛ بين أسوان وقوص. انظر: معجم البلدان ٢١٨/١.

الشام بعث إلى الأميرين بيبرس وسلار يلومهما على ما وقع من نفى خاصكية السلطان ويشير بردهم، وأنه متى لم يرسم بردهم حضر بنفسه وأعادهم. فلم يسعهما إلا إحضارهم، وأنعم على كل من يلبغا التركمانى وألطنبغا الصالحى ولبان الزراق بإمرة عشرة. واستقر شهاب الدين أحمد بن على بن عبادة فى نظر المارستان المنصورى. وقدم الأمير كراى من الصعيد فتمارض فى بيته، ولم يطلع إلى القلعة، ثم سأل الإغفاء من الإمرة، وأن يقيم بالقدس بطالا^(١)، واعتذر بكثرة أمراضه، فأجيب إلى ذلك، وولى نظر القدس والخيل بحار يقوم بكفائته، وتوجه من القاهرة؛ فأنعم بإقطاعه على الأمير سيف الدين بتخاص المنصورى.

وفىها وقع الاهتمام بالسفر إلى اليمن، وعول الأمير سلار على أن يتوجه إليها بنفسه: وذلك أنه خشى من أن السلطان يدبر عليه حيلة أخرى، وقد لا يتهيأ له إفسادها فيؤخذ، ومع ذلك فإنه شق عليه ما صار فيه الأمير بيبرس الجاشنكير من القوة والاستظهار عليه بكثرة خواشداشيته الرجعية، وأنهم قد صاروا معظم الأمراء، واشتدت شوكة بيبرس بهم، وعظمت مهابته وانبسدت يده فى التحكم، بحيث إنه أخرج الجاولى بغير اختيار سلار، وانفرد بالركوب فى جمع عظيم. وقد قصد الرجعية فى نوبة بكمم الجوكندار أن يخرج السلطان إلى الكرك، ويسلطن بيبرس لولا ما كان من صنع سلار بسياسة وتدبير حتى وقع الصلح مع السلطان. فخاف سلار عواقب الأمور مع السلطان ومع بيبرس، وتحيل فى الخلاص من ذلك بأنه يحج فى جماعة من أزمته وأتباعه، ثم يسير إلى اليمن ويتملكها ويتمنع^(٢) بها. ففطن بيبرس بهذا، ودس إليه من الأمراء من ثنى عزمه عن ذلك. وشرع فى الاهتمام بعمل المراكب حتى تنجزت، وجهزت الأسلحة والأمتعة؛ ثم اقتضى رأى تأخير السفر حتى يعود جواب صاحب اليمن، فكتب بحضور شاد الدواوين فقدم وهو مريض، ومازال منقطعاً بداره حتى مات، وعين الأمير سيف الدين نوغاي القبحاقى أمير الركب، وخرج بالحاج على العادة.

وقدم البريد من حلب بقتل هيتوم متملك سيبس على يد بعض أمراء المغل: وذلك أن هيتوم كان يحمل القطعية إلى المغل كما يحملها إلى مصر، ويحضر إليه كل سنة أمير من أمرائهم حتى يتسلم الحمل؛ فحضر إليه من أمراء المغل برلغوا، وقد أسلم وحسن إسلامه، فعزم على بناء جامع بسيبس يعلن فيه بالآذان، كما تجهر هناك النصارى بضرب النواقيس. فشق ذلك على هيتوم، وكتب إلى خربندا بأن برلغوا يريد اللحاق بأهل مصر،

(١) على هامش ط: البطال معناه الأمير الذى يزول عنه إقطاعه بعزله عن وظيفته ونفيه.

(٢) المراد يجتمى بها. انظر: محيط الخيط.

وبناء جامع بسيس. فبعث خربندا بالإنكار على برلغوا، وتهدهه وألزمه بالحضور، فغضب برلغوا من هيتوم، وصنع طعاماً ودعاه، ولم يكن عنده علم بأن برلغوا اطلع على شكواه منه لخربندا، فحضر وهو آمن في جماعة من أكابر الأرمن وإخوان له. فعندما مدوا أيديهم إلى الطعام أخذتهم السيوف من كل جانب، فقتلوا عن آخرهم، ولم ينج سوى أخوه ليفون في نفر قليل، فلحق بخربندا وأعلمه بقتل برلغوا لأخيه هيتوم وأمرائه، وقدم عليه أيضاً برلغوا، فقتله بقتله هيتوم، وولى ليفون مملكة سيس وسيرة إليها.

وفيها بعث الأمير عز الدين أيلك الأفرم نائب الشام عدة عسكر إلى الرحبة^(١)، مع الأمير علاء الدين أيدغدى شقير مملوك منكوتمر، وردفه بالأمير قطلوبك الكبير، ثم بالأمير بهادر آص.

وفيها انتهت زيادة النيل إلى ثمانية عشر ذراعاً وإحدى وعشرين إصبغاً: وهب في برمهاث الموافق لشوال من جهة الغرب ريح عند إدراك الغلال، فهافت وجف أكثره، فلم يحصل منها عند الحصاد إلا اليسير، ومنها ما كان أقل من بذاره. فتميز سعر الغلقة، وأبيع الأردب القمح بخمسين درهماً، ثم انحط.

وفيها استقر الأمير بيبرس العلامى الحاجب فى نياية غزة، عوضاً عن الأمير أقجبار.

وفيها سار من دمشق إلى الرحبة عسكر عليه الأمير علاء الدين أيدغدى الشقيرى، والأمير سيف قطلوبك والأمير بهادر آص.

وفى العشرين من رجب: توجه الأمير جمال الدين أقوش نائب الشام لزيارة القدس، ومعه جماعة من أعيان دمشق، وعاد فى تاسع شعبان.

وفى سابع عشرين رجب: توجه ركب العمار إلى مكة، صحبة الأمير عز الدين الكوكندى، وكان معهم الشيخ نجم الدين بن عبود، والشيخ نجم الدين بن الرفعة.

وفيها خرج الأمير شرف الدين أحمد بن قيصر التركمانى والأمير بدر الدين بيلىك المحسنى برقا^(٢) فى شوال.

وفيها قدم الأمير مهنا بن عيسى، فأكرمه السلطان وأخلع عليه، فتحدث فى خلاص شيخ الإسلام تقى الدين أحمد بن تيمية فأجيب، وخرج بنفسه إلى الجب بالقلعة وأخرجه منه. ونزل ابن تيمية بدار الأمير سلار النائب، وعقد له مجلس حضره ابن الرفعة والتاجى وابن عدلان والنمراوى وجماعة الفقهاء، ولم تحضره القضاة، وناظروا

(١) قرية بجذاء القادسية على مرحلة من الكوفة. انظر: معجم البلدان ٣/٣٣٣.

(٢) المقصود إقليم برقة المعروف. انظر: معجم البلدان ١/٥٦٩.

ابن تيمية ثم انفضوا، ثم عقد له بعد سفر مهنا بن عيسى مجلس آخر بالصالحية. ثم قام تاج الدين أحمد بن محمد بن عبد الكريم بن عطاء^(١)، وشيخ سعيد السعداء، وجمعوا فوق الخمسمائة رجل، وساروا إلى القلعة وتبعهم العامة، وشكوا من ابن تيمية أنه يتكلم في مشايخ الطريقة؛ فرد أمرهم إلى القاضي الشافعي، فدفعه إلى تقي الدين علي ابن الزواوي المالكي، فحكم بسفر ابن تيمية إلى الشام، فسار على البريد وحبس بها.

وفيهما بنى الأمير أسندمر نائب طرابلس قلعة مكان حصن صنجيل، وبنى الأمير قراسنقر نائب حلب قلعة حارم التي خربها هولاءكو.

* * *

ومات في هذه السنة

الأمير عز الدين أيذر السناني بدمشق، وله شعر جيد ومعرفة بتعبير المنامات، ومن شعره:

تَحِذُ النَّسِيمَ الْحَبِيبَ رَسُولًا دَنَفَ حَكَاةَ رَقَّةٍ وَنَحُولًا
تَجْرَى الْعَيُونَ مِنَ الْعَيُونَ صَبَابَةً فَيْسِيلٌ فِي أَثَرِ الْغَرِيقِ سَيُولًا
ويقول من حسد له يا ليتني كنت اتخذت مع الرسول سبيلا
ومات الأمير سيف الدين ببيغا الناصري في شعبان، وترك مالا كبيرا.

ومات الأمير ركن الدين بيبرس الجالقي^(٢) العجمي أحد البرجية الصالحية^(٣)، و كبير الأمراء بدمشق، عن نحو الثمانين سنة، في نصف جمادى الأولى بمدينة الرملة^(٤)، وكان

(١) أحمد بن محمد بن عبد الكريم، أبو الفضل تاج الدين، ابن عطاء الله الإسكندري متصوف شاذلي، من العلماء. له تصانيف منها (الحكم العطائية) توفي بالقاهرة. انظر: الدرر الكامنة ٢٧٣/١ والرحلة العياشيبة ٣٥٧/١ وكشف الظنون ٦٧٥ وخطط مبارك ٦٩/٧ والفهرس التمهيدى والأعلام ٢٢٢/١.

(٢) على هامش ط: الجالقي لفظ تركي معناه الفرس الحاد المزاج الكثير اللعب.

(٣) نسبة إلى الملك الصالح أيوب.

(٤) الرملة: بالشام، سميت الرملة لما غلب عليها الرمل، وهى من كور فلسطين، وبينها وبين القدس ثمانية عشر ميلا، ومدينة الرملة واسطة بلاد فلسطين، وهى مدينة مسورة ولها اثنا عشر بابا: باب القدس، وباب عسقلان، وباب يافا، وباب يازور، وباب نابلس، ولها أربعة أسواق متصلة من هذه الأبواب إلى وسطها وهناك مسجد جامعها، فمن باب يافا يدخل فى سوق القماحين حتى يتصل بمسجد جامعها، وهى سوق حسنة يباع فيها أنواع السلع، ويتصل بباب القدس سوق القطانين إلى سوق المشاطين الكبار إلى العطارين إلى المسجد الجامع، ويتصل سوق الخشابين من باب يازور ثم سوق الجزارين ثم السقائين إلى المسجد الجامع، ويتصل سوق الخشابين من باب يازور بآخر من=

دينا له ثروة وفيه خير: كان يقرض الأجناد عند تجردهم، ويمهلهم حتى يتيسر لهم، فعدم له في ذلك مال كبير.

ومات شمس الدين خضر بن الحلبي المعروف بشلحونة والى القاهرة، وكان أبوه خازن دار السلطان صلاح الدين يوسف صاحب حلب ودمشق، وقدم الخضر إلى القاهرة، واستقر فى ولايتها فى الأيام الظاهرية ببيرس والأيام المنصورية قلاوون، ثم نقله الأشرف خليل بن قلاوون إلى شد الدواوين، وكان ناهضاً أميناً فى جميع ما يليه، مع المعرفة والديانة والمروءة، وكان إذا أراد أن يضرب أحداً قال «شلحونه»، فعرف بذلك.

ومات خطلو شاه نائب التتر؛ وكان مقدمهم يوم شقحب؛ وكان كافراً فاجراً.

ومات الأمير علاء الدين مغلطاي البيسرى، أحد أمراء دمشق، ليلة الإثنين ثانى جمادى الأولى، وكانت له مروءة وشجاعة.

ومات الطواشى شهاب الدين فاخر المنصورى مقدم الممالك، وكانت له سطوة ومهابة.

ومات الشيخ عمر بن يعقوب بن أحمد السعودى، فى يوم الأربعاء ثانى رجب، وكان رجلاً صالحاً معتقداً.

ومات الصاحب تاج الدين محمد بن الصاحب فخر الدين محمد بن الصاحب بهاء الدين على بن محمد بن سليم بن حنا - ومولده فى تاسع شعبان سنة أربعين وستمائة، وجده لأمه الوزير شرف الدين صاعد الفائزى - فى يوم السبت خامس جمادى الآخرة.

ومات شرف الدين محمد بن فتح عبد الله بن فتح الدين عبد الله بن محمد بن محمد ابن أحمد بن خالد القيسرانى، أحد موقعى الإنشاء بالقاهرة، فى أول شعبان.

ومات أبو عبد الله بن مطرف الأندلسى، بمكة فى رمضان عن نيف وتسعين سنة، وقد جاور بها ستين سنة، وصار شيخ الحرم، فحمل الشريف حميضة نعشه.

ومات الشيخ عثمان بن جوشن السعودى.

=أسواقها: سوق الأكافين وسوق الصيافلة ثم سوق السراجين إلى المسجد الجامع، ويقال إن الرملة أربعة آلاف ضيعة، وبين الرملة وإيليا ثمانية عشر ميلاً فى صحار ووهاد. ومدينة الرملة نزل صالح النبى عليه السلام ومن آمن معه بعد أن أهلك قومه حين عقروا الناقة، وقيل لما رأى أنها دار قد سخط الله عليها ارتحل هو ومن معه وأهلوا بالحج حتى وردوا مكة، فلم يزالوا بها حتى ماتوا، فقبورهم فى غربى الكعبة بين دار الندوة والحجر. انظر: معجم البلدان ٦٩/٣، والروض المعطار ٢٦٨، وصبح الأعشى ٩٩/٤، والمقدسى ١٦٤، ١٦٥.

٤٢٠.....سنة سبع وسبعائة

ومات الشيخ عز الدين أبو محمد عبد العزيز بن عبد الرحمن بن عبد العزيز بن ظافر الشيرازى المصرى، فى خامس ربيع الأول، ومولده فى ذى الحجة سنة ثمان عشرة وستمائة.

ومات قاضى القضاة جمال الدين أبو بكر محمد بن العظيم بن على بن سالم بن السقطى الشافعى، فى ليلة الإثنين حادى عشر شعبان؛ ومولده سنة ثلاث وعشرين وستمائة، وأخرج له التقى الأسعدى مشيخة.

* * *

سنة ثمان وسبعمائة

في أولها قدم مبشرو الحاج بأن الأمير نوغاي حارب العبيد بمكة: وذلك أنهم كثر تخطفهم أموال التجار، وأخذهم من الناس بالغصب ما أرادوا، فلما وقف بعضهم على تاجر ليأخذ قماشه منه، فضربه ضرباً مبرحاً، فثار الناس وتصايحوا. فبعث نوغاي مماليكه إلى العبيد، فأمسكوا بعضهم وفر باقيهم بعدما جرحوا، فركب الشريف حميضة بالأشراف والعبيد للحرب، وركب نوغاي بمن معه، ونادى ألا يخرج أحد من الحاج وليحفظ متاعه، وساق فإذا طائفة من السرويين^(١) قد فروا من الخوف إلى الجبل. فقتل منهم جماعة ظنا أنهم من العبيد، فكف حميضة عن القتال، وما زال الناس بنوغاي حتى أمسك عن الشر.

وقدم البريد من حلب بأن داتفة من المغل قدموا إلى الفرات، فخرج العسكر إليهم، فلما ساروا سقط الطائر من قلعة كر كركر بنزول المغل عليها ونهب التركمان وأخذهم، فكتب إلى العسكر المحرد بنجدتهم، فكسبوا المغل في الليل وقتلوهم، واستردوا ما أخذوه من كر كركر، وأسروا منهم ستين رجلاً، وغنموا عدة خيول.

وفيها أفرج عن الملك المسعود نجم الدين خضر بن الملك الظاهر بيبرس من البرج بالقلعة، وأسكن بدار الأمير عز الدين الأفرم بمصر، في ربيع الأول.

وفي ثالث ربيع الآخر: فوضيت الخطابة بجامع قلعة الجبل لقاضي القضاة بدر الدين محمد بن جماعة، عوضاً عن الشيخ شمس الدين محمد الجزري.

وفيها وصلت رسل سيس بالحمل على العادة، ومن جملته طشت ذهب مرصع بالجواهر.

وفيها عدى السلطان إلى بير الجيزة، وأقام يتصدى نحو عشرين يوماً، وعاد وقد ضاق صدره واشتد حنقه، وصار في غاية الحصر من تحكم بيبرس وسلار عليه، وعدم تصرفه ومنعه من كل ما يريد حتى إنه ما يصل إلى ما يشتهي أكله لقلعة المرتب، فلولا ما كان يتحصل له من أوقاف أبيه لما وجد سبيلاً إلى بلوغ بعض أغراضه. فأخذ في العمل لنفسه. وأظهر أنه يريد الحج بعياله، وحدث بيبرس وسلار في ذلك يوم النصف

(١) السروي: من أهل رية سرو، وهي قرية كبيرة مما يلي مكة. انظر معجم البلدان ٨٦/٣،

من رمضان، فوافقاه عليه. وأعجب البرجية سفره لينالوا أغراضهم، وشرعوا فى تجهيزه، وكتبوا إلى دمشق والكرك وغيره برمى الإقامة، وألزم عرب الشرقية بحمل الشعير، فنهياً ذلك. وأحضر الأمراء تقادمهم وتأنقوا فيها، فقلبها السلطان وشكرهم على ذلك؛ وركب فى خامس عشرى رمضان يريد السفر، ونزل من القلعة ومعه الأمراء؛ وخرج العامة وتباكوا حوله، وتأسفوا على فراقه، ودعوا له إلى أن نزل بركة الحاج. وتعين للسفر معه من الأمراء عز الدين أيدير الخطيرى الأستاذار عوضاً عن الجاولى، وسيف الدين آل ملك الجوكندار. وحسام الدين قرا لاجين أمير مجلس، وسيف الدين بلبان أمير جاندار، وعز الدين أييسك الرومى السلاح دار، وركن الدين بييرس الأحمدي، وعلم الدين سنجر الجمقدار، وسيف الدين يقطاي الساقى، وشمس الدين سنقر السعدى النقيب، ومن المماليك خمسة وسبعون نفرأ. وودعه بييرس وسلاح فيمن معهم من الأمراء وهم على خيولهم من غير أن يترجلوا له، وعاد الأمراء. ورحل السلطان من ليلته، وعرج إلى جهة الصالحية وعيد بها، وسار إلى الكرك ومعه رحل الخاص مائة وخمسون فرساً، فقدمها يوم الأحد عاشر شوال. فاحتفل الأمير جمال الدين أقوش الأشرفى المعروف بنائب الكرك بقدمه، وقام بما يليق به، وزين القلعة والمدينة، وفتح باب السر ومد الجسر، وكان له مدة لم يمد، وقد سار خشبه، فلما عبرت الدواب عليه، وأتى السلطان فى آخرهم انكسر الجسر تحت رجلى فرسه بعد ما تعدى يديه الجسر، فكاد يسقط إلى الخندق لولا أنهم جبدوا العنان حتى خرج من الجسر وهو سالم؛ وسقط الأمير بلبان طرنا أمير جاندار، وجماعة لم يمت منهم سوى رجل واحد.

وعندما استقر السلطان بقلعة الكرك عرف الأمراء أنه قد انثنى عزمه عن الحج، واختار الإقامة بالكرك، وترك السلطنة ليستريح خاطره؛ فشق عليهم ذلك، وبكوا وقبلوا له الأرض يتضرعون إليه فى ترك هذا الخاطر، وكشفوا رءوسهم فلم يرجع إليهم، وقال السلطان للخطيرى: «قد أخذ بييرس الجاشنكير السلطنة ولايد»، ثم استدعى علاء الدين على بن أحمد بن سعيد بن الأثير، وكان قد توجه معه، وكتب إلى الأمراء بالسلام عليهم، وأنه رجع عن الحج وأقام بالكرك وترك السلطنة، ويسأل الإنعام عليه بالكرك والشوبك، وأعطاه للأمراء وأمرهم بالعود، وأعطاهم الهجن - وعدتها خمسمائة هجين - والجمال والمال الذى قدمه له الأمراء، فساروا إلى القاهرة.

واستولى السلطان على ما كان فى الكرك من المال، وهو ستمائة ألف درهم فضة وعشرون ألف دينار، وقيل بل وجد سبعة وعشرين ألف دينار وسبعماية ألف درهم. واستدعى أهل الكرك، فحلفهم له الأمير جمال الدين نائب الكرك، وأمرهم فحملوا له أحجارا كثيرة إلى القلعة، فلم يبق أحد حتى حمل إليه الحجارة من الوادى. فلما حصل

نائب الكرك والناس في الوادى لنقل الحجارة، بعث السلطان إلى النائب أن يتوجه إلى مصر وينقل ماله بالكرك، وبين له أن أهل القلعة لا سبيل إلى مجاورتهم له بها ولا إقامتهم بالمدينة، «فإنى أعلم كيف باعوا الملك السعيد بن الظاهر بالمال لطرنتاى، وقد مكنت حریمهم وأولادهم من النزول إليهم». فامثل النائب الأمر وأخذ حریمه، وقدم للسلطان ما كان له من الغلال وهى شىء كثير فقبلها، وأخذ أهل القلعة حریمهم وتفرقوا فى البلاد.

وأقام السلطان الأمير سيف الدين أیتمش المحمدى فى نيابة قلعة الكرك، فصار هو وأخوه الحاج أرقطای وأرغون الدوادار مقيمين على علو القلعة، وبعث إلى العرب الشوبك بأن يكونوا فى الخدمة برسم الصيد. وكان حریم السلطان قد توجه إلى الحجاز من القاهرة فى سابع عشر شوال، فلما دخل السلطان إلى الكرك بعث فى طلبهم، فأدرکهم وهم على عقبة أيلة مع الأمير جمال الدين خضر بن نوكيه، فقد بهم إلى الكرك.

ووصل الأمراء إلى قلعة الجبل فى يوم الجمعة ثانى عشرى شوال، واجتمعوا عند الأمير سلار النائب بدار النيابة من القلعة، وقرئ كتاب السلطان عليهم فبهتوا، ثم اشتوروا فيمن يقوم بالملك، فاختر أكابر الأمراء سلار لقلعة وتودده، واختار البرجية بييرس؛ فلم يجب سلار إلى ذلك، وخاف البرجية لئلا يجيب، فقاموا وانفض المجلس. وخلا كل من أصحاب بييرس وسلار بصاحبه، وحسن له القيام بالسلطنة، وخوفه عاقبة تركها، وأنه متى ولى غيره لا يوافقوه بل يقاتلوه. وبات البرجية تغلى مراحلهم خوفا من ولاية سلار، وسعى بعضهم إلى بعض، وكانوا أكثر جمعا من أصحاب سلار، وأعدوا السلاح وتأهبوا للحرب، فبلغ ذلك سلار فخشى سوء العاقبة، واستدعى الأمراء إخوته وحفدته ومن ينتمى إليه، وقرر مع عقلائهم سرا موافقته على ما يشير به - وكان مطاعا فيهم - فأجابوه، ثم خرج إلى شباك النيابة.

* * *

السلطان الملك المظفر

رکن الدين بييرس الجاشنكير المنصورى^(١)

جلس على تخت الملك فى يوم السبت ثالث عشرى شوال سنة ثمان وسبعمائة، وذلك أنه لما أصبح يوم السبت جلس الأمير سلار النائب بشباك دار النيابة، وحضر

(١) بييرس الجاشنكير المنصورى رکن الدين الملك المظفر من سلاطين المماليك بمصر قار الشام شرکسى الأصل على الأرجح كان من ممالیک المنصور قلاوون ونسبته إليه انظر: النجوم الزاهرة ٢٣٢/٨، ٢٧٦، والأعلام ٧٩/٢، ٨٠.

بيبرس الجاشنكير وسائر الأمراء واشتوروا فيمن يلي السلطنة. فقال الأمير أقوش قتال السبع والأمير بيبرس الدوادارى والأمير أيك الخازندار، وهم أكابر المنصورية: «ينبغي استدعاء الخليفة والقضاة وإعلامهم بما وقع» فخرج الطلب لهم وحضروا، فقرأ عليهم كتاب السلطان، وشهد عند قاضى القضاة زين الدين على بن مخلوف المالكي الأميران عز الدين الخطيرى والحاج آل ملك، ومن كان معهم من الأمراء، بنزول الملك الناصر عن المملكة وترك سلطنة مصر والشام، فأثبت ذلك. وأعيد الكلام فيمن يصلح، فأشار الأمراء الأكابر بالأمير سلا، فقال: «نعم! على شرط أن كل ما أشير به لا تخالفوه» وأحضر المصحف وحلفهم على موافقته، وألا يخالفوه فى شىء. فقلق البرجية ولم تبق إلا إقامتهم الفتنة، فكفهم الله عن ذلك وانقضى الحلف. فقال سلا: «والله يا أمراء أنا ما أصلح للملك، ولا يصلح له إلا أخى هذا» وأشار إلى بيبرس الجاشنكير، ونهض قائما إليه؛ فتسارع البرجية وقالوا بأجمعهم: «صدق الأمير» وأخذوا بيد بيبرس وأقاموه كرها، وصاحوا بالجاوشية فصرخوا باسمه. وكان فرس النوبة عند الشباك. فألبسوه تشرىف الخلافة: وهى فرجية أطلس أسود وطرحة، وتقلد بسيفين على العادة. ومشى سلا والناس بين يديه من دار النيابة بعد العصر حتى ركب، وعبر باب القلعة إلى الإيوان؛ وجلس على التخت، ولقب بالملك المظفر، وصار ييكي بحيث يراه الناس. ثم قام إلى القصر، وتفرق الناس بعدما ظنوا كل ظن من وقوع الحرب بين السلارية والبيبرسية. فكانت مدة سلطنة الملك الناصر هذه عشر سنين وخمسة أشهر وسبعة عشر يوما.

ولما استقر الملك المظفر فى مملكة مصر اجتمع الأمراء بالخدمة على العادة فى يوم الإثنين خامس عشره؛ فأظهر التغم بما صار إليه، وخلع على الأمير سلا خلعة النيابة على عادته، بعدما استعفى وطلب أن يكون من جملة الأمراء، حتى قال له: «إن لم تكن أنت نائباً فلا أعمل أنا السلطنة»، وقامت عليه الأمراء. ثم كتب إلى الأعمال باستقرار الملك المظفر فى السلطنة، وتوجه الأمير بيبرس الأحمدى إلى حلب، والأمير بلاط إلى حماة، والأمير عز الدين أيك البيغدادى وزير بغداد وسيف الدين ساطى إلى دمشق على البريد.

وطلب التاج بن سعيد الدولة، وعرضت عليه الوزارة، فامتنع منها وصمم، وأشار باستمرار الصاحب ضياء الدين النشائى، فخلع عليه وعلى التاج. واستمر ابن سعيد الدولة فى نظر الجيش، والإشارة فى أمر الوزارة والتوقيع، ونزلا. وقد عظم أمر التاج حتى كانت تعرض عليه أجوبة النواب، ولا يكتب السلطان على شىء ما لم ير خطه،

فشق ذلك على شرف الدين عبد الوهاب بن فضل الله كاتب السر، وخيل السلطان من حدوث الفساد بسبب ذلك، فمنعه من الوقوف على الأجوبة والكتابة عليها، وأمضى له ماعدا ذلك.

وكتب للملك الناصر تقليد بناية الكرك ومنشور بإقطاع مائة فارس، وجهاز إليه وقرن بهما كتاب الملك المظفر: «بأنى أجبت سؤالك فيما اخترته، وقد حكم الأمراء على فلم تمكن مخالفتهم، وأنا نائبيك» وخرج بها الأمير الحاج آل ملك فلما وصل إليه أظهر البشر، وأمر الحراس أن يصيحوا باسم الملك المظفر، وخطب له يوم الجمعة أيضاً على منبر الكرك، وأنعم على البريدى وأعادته؛ فسر المظفر بذلك.

وقدم البريد من ممالك الشام بالطاعة وحلفهم، ماعدا الأفرم نائب دمشق. فإنه لما قدم عليه وزير بغداد بالخبر قال: «بئس والله ما فعله الملك الناصر بنفسه!، وبئس ما فعله بيبرس! وأنا لا أحلف لبيبرس - وقد حلفت الملك الناصر - حتى أبعث إلى الناصر»، ثم سير جماعة إلى الكرك على البريد بكتابه، فأعاد الناصر الجواب بالشكر والثناء، وأنه قد ترك الملك، فليحلف لمن يولونه، وقدم البريدى بذلك إلى دمشق في يوم الخميس خامس عشر ذى القعدة، فاجتمع الناس من الغد بالجامع وقرئ تقليد الأمير جمال الدين أقوش الأفرم نائب الشام على عاداته، وخلع على محيي الدين يحيى بن فضل الله كاتب السر، وأنعم على الأمير برلغى بإقطاع السلطان قبل سلطنته، وأنعم بإقطاع برلغى على بتخاص، وإياقطاع بتخاص على الأمير جمال الدين أقوش نائب الكرك. وخطب للملك المظفر، ونودي بدمشق فزينت، وعاد وزير بغداد وساطى إلى القاهرة.

فركب الملك المظفر بشعار السلطنة بعدما جددت له الولاية بالسلطنة من الخليفة، وخلع على أرباب الدولة ما بين صاحب سيفٍ ورب قلم، فبلغت عدة الخلع إلى ألف ومائتى خلعة. وكتب له تقليد السلطنة من إنشاء علاء الدين على بن عبد الظاهر، ونزل من قلعة الجبل بكرة يوم السبت سابع عشره، وسير بالميدان الأسود ومعه الأمراء وعليه التشريف: وهو فرجية سوداء بطرز ذهب وشاش أسود ملمع بقطع ذهب ولفته مدمورة، والسيفان على عاتقيه، والوزير ضياء الدين قدامه على فرس، والتقليد على رأسه في كيس حرير أسود، بعدما قرئ بالقلعة على الأمراء.

وورد الخبر بأن متملك قبرس^(١) اتفق مع جماعة من ملوك الفرنج على عمارة ستين قطعة لغزو دمياط، فجمع السلطان الأمراء وشاورهم، فاتفقوا على عمل جسر ماد من القاهرة إلى دمياط خوفاً من نزول الفرنج أيام النيل، وندب لذلك الأمير جمال الدين

(١) على هامش ط: كان ملك قبرس تلك السنة هذى لوسيجنان.

أقوش الرومى الحسامى، وأمر ألا يراعى أحدًا من الأمراء فى تأخير رجال بلاده، ورسم للأمرء أن يخرج كل منهم الرجال والأبقار، وكتب إلى الولاة بالمساعدة والعمل، وأن يخرج كل وال برجاله. وكان أقوش مهابا عبوسا قليل الكلام، له حرمة فى قلوب الناس؛ فلم يصل إلى فارس كور حتى وجد ولاة العمل قد نصبوا الخيم وأحضروا الرجال، فاستدعى المهندسين ورتب العمل. فاستقر الحال على ثلاثمائة جرافة بستمائة رأس بقر وثلاثين ألف رجل، وأحضر إليه نواب جميع الأمراء. فكان يركب دائما لتفقد العمل واستحثاث الرجال، بحيث إنه فقد بعض الأيام شاد الأمير بدر الدين الفتاح ورجاله، فلما أتاه بعد طلبه ضربه نحو الخمسمائة عصاة. فلم يغب عنه بعد ذلك أحد، ونكل بكثير من مشايخ العربان. وضربهم بالمقارع وخزم أنافهم وقطع أذانهم، ولم يكذ يسلم منه أحد من أجناد الأمراء ومشدى البلاد، وما زال يجتهد فى العمل حتى نجح فى أقل من شهر، وكان ابتداءه من قلوب وآخره بدمياط، يسير عليه الراكب يومين، وعرضه من أعلاه أربع قصبات، ومن أسفله ست قصبات، يمشى ستة فرساي صفار واحدا. وعم النفع به، فإن النيل كان فى أيام الزيادة يعلو حتى تنقطع الطرقات ويمتنع الوصول إلى دمياط. وحضر بعد فراغه الأمير أقوش إلى القاهرة، وخلع عليه وشكرت همته.

ووقع الاتفاق على عمل جسر آخر بطريق الإسكندرية، وندب لعمله الأمير سيف الدين الحرمكى، فعمر قناطر الجيزة إلى آخر الرمل تحت الهرمين، وكانت تهدمت، فعم النفع بعمارتها.

وورد الخبر بأن الخوارزمى والتليلى عادا من بلاد المغرب بهدية جليلة، وركب معهم الحاج، فخرج عليهم العربان وأخذوا سائر ما معهم حتى صاروا عراة. فخرج جماعة من الأجناد والمماليك إلى الإسكندرية ليتلقوا الرسل والحجاج، وساروا معهم نائب الإسكندرية إلى سوسة^(١) فلقوهم بها وأحسنوا إليهم وإلى الحاج. وساروا بهم إلى القاهرة.

(١) سوسة: من بلاد إفريقية، وإليها تنسب الثياب الريقة السوسية، ويقال لها البيضاء، ومنها ركب أسد بن الفرات البحر غازيا إلى صقلية فى الزمان الأول. وهى مدينة قديمة فيها آثار للأول، وهى على ساحل البحر، وفيها بنيان عظيم يسمى الملعب، وهو من أغرب البنيان، فيه أقباء معقودة بحجر النشف الذى يطفو فوق الماء الجلوب من بركان صقلية، وداخل المدينة هيكل عظيم يسميه البحريون الفنتاس، وهو أول ما يرون من البحر إذا قصدوا من صقلية وغيرها. وبين سوسة وحصن هرقلية ثمانية عشر ميلا، وسوسة عامرة بالناس كثيرة المساجد، والمسافرون إليها قاصدون وعنهما صادرون وبها المتاع الذى لا يوجد فى غيرها وأسواقها عامرة، ومياهم من المواحل، وعليها سور من حجر حصين. وكان بين أهلها وبين أهل المهديّة فى القديم مشاحنة مشهورة، ومن المداعبات كان =

وفيهما كثر مرافعة أهل الخانكاه الصلاحية سعيد السعداء فى شيخهم كريم الدين عبد الكريم الآملى، فقام عليه الشيخ نصر المنجنى قياما عظيما حتى صرف بقاضى القضاة بدر الدين محمد بن جماعة.

وفيهما أطلقت حماة لنائبها الأمير سيف الدين قبحق، فعزل وولى.

وفيهما صرف أمين الدين أبو بكر بن الرقاقى من نظر دمشق، وعاد إلى القاهرة.

* * *

ومات فى هذه السنة

علم الدين إبراهيم بن الرشيد بن أبى الوحش بن أبى حليقة، رئيس الأطباء بمصر والشام، وترك مائى ألف دينار، وقيل ثلاثمائة ألف.

ومات برهان الدين إبراهيم بن أحمد بن ظافر اليرلسى ناظر بيت المال، فى خامس صفر بالقاهرة، وولى نظر بيت المال عوضه نور الدين الزواوى النائب المالكى.

ومات محبى الدين أحمد بن أبى الفتح بن باتكين، وكان يعانى الخدم الديوانية، وله شعر حسن وفضيلة، وعنده مفاكهة ومحاضرة جميلة، ومولده سنة أربع عشرة وستمائة، وعمى قبل موته، وومات بالقاهرة.

ومات الشهاب أحمد بن صادق القوصى، فى حادى عشر صفر بقوص، وكان فقيها شافعيًا يوقع عن قاضى، وفيه تحرز وعنده يقظة.

ومات الشيخ عبد الغفار بن نوح القوصى، فى ليلة الجمعة سابع ذى القعدة، وقد حمل من قوص إلى القاهرة، بسبب قيامه فى هدم الكنائس حتى هدم العامة من قوص ثلاثة عشرة كنيسة، فعوق بالمسجد أياما ثم خلى عنه، فأقام بجامع عمرو بن العاص حتى مات، وبيعت ثيابه التى مات فيها بخمسين دينارًا، تفرقها أهل الزوايا.

ومات عثمان الحلبونى الصعيدي ببرزة خارج دمشق، وكانت له أحوال ومكاشفات.

ومات شمس الدين محمد بن عبد الرحمن بن شامة الطائى السوادى، فى يوم الثلاثاء

لا تلمنى على الدناءة إنى تونسى وجزت يومًا بسوسة
فيقال له: أى البلدين أعظم دناءة؟ والبيت المشهور إنما هو: وقد سكنت الجزيرة. وبالصين أيضا
مدينة سوسة، وهى مشهورة مذكورة. انظر: معجم البلدان ٣/١٩٠. والروض المعطار ٣٣١.

رابع عشرى ذى القعدة عن سبع وأربعين سنة، ودفن بالقرافة.

ومات ظهير الدين أبو نصر بن الرشيد أبي السرور بن أبي النصر السامري الدمشقى، أسلم فى الأيام المنصورية قلاوون، وتنقل فى الخدم الديوانية ولى نظر الجيش بدمشق، ثم انقطع فى داره حتى مات فى حادى عشرى رمضان، ومولده اثنتين وعشرين وستمائة، وكان جميلاً لينا متواضعاً محباً لأهل الخير، مواظباً على الصلوات بجماع بنى أمية، فيه بر وصدقات مع العفة.

ومات شهاب الدين بن على الحسينى، حدث بمصر عن ابن المقير وابن رواج والشاوى، وومات بها.

ومات الأمير عز الدين أيك الشجاعى الأشقر شاد الدواوين، فى محرم بمصر. وومات الأمير علاء الدين الطبرس المنصورى والى باب القلعة الملقب بالجنون، والمنسوب إليه العمارة فوق قنطرة الجنونة على الخليج الكبير خارج القاهرة، وكان عفيفاً دينياً، له أحكام قراقوشية مع تسلط على النساء، وكان يخرج أيام المواسم إلى القرافة وينكل بهن، فامتنعن من الخروج فى زمانه إلا لأمر مهم، مثل الحمام وغيره.

ومات الملك المسعود نجم الدين خضر بن الملك الظاهر بيبرس، فى خامس رجب بمصر، وومات ولده قبله بيوم.

ومات الشيخ المعتقد أحمد بن أبى القاسم المراغى، فى ليلة السبت ثانى المحرم بمصر.

ومات الأمير عز الدين أيدمر الرشيدى أستاذار النائب سلار، فى تاسع عشر شوال، وكان عاقلاً له ثراء واسع وجاه عريض.

ومات ملك المغرب أبو ثابت عامر بن الأمير أبى عامر بن السلطان يوسف بن يعقوب بن عبد الحق المرينى، فى ثامن صفر، فبويع أخوه الربيع بن أبى عامر.

* * *

سنة تسع وسبعمائة

فيها قدم علاء الدين التليلى وأيدغدى من بلاد المغرب، ومعهما الشيخ أبو زكريا الليحاني متولى طرابلس الغرب وأبو إدريس عبد الحق المريني يريدان الحج، فكانت غيبة التليلى ورفيقه ثلاث سنين وثلاثة أشهر فنزل الليحاني بمناظر الكيش ورتب له ما يليق به.

وفيها بنى الأمير برغلى على ابنة السلطان، وعمل مهم عظيم خلع فيه على سائر الأمراء. وعزل الأمير بييرس العلائى من نيابة عزة، واستقر عوضه بلبان البدرى. وكتب إلى دمشق بإبطال المقرر على الخمرور بساحل الشام، وإراقتها وتعويض الجند بدلها. وقدم شمس الدين محمد بن عدلان من اليمن، وقد مات رفيقه سنقر السعدى.

وقدم الخير بأن الملك الناصر كثير الركوب للصيد ببلاد الكرك فى مماليكه، فتخيل الملك المظفر من ذلك وخشى عاقبته. واتفق أنه قدم الخير أيضًا بحركة خربندا للسير إلى بلاد الشام، فكتب إلى الملك الناصر بحركة خربندا، وقد دعت الحاجة إلى المال فيرسل ما أخذه معه من مال مصر، وما استولى عليه من حاصل الكرك، ومن عنده من المماليك ولا يدع عنده منهم سوى عشرة برسم الخدمة، ويرسل الخيول التى قادها من مصر، ومتى لم يفعل خرجت إليه العساكر حتى تخرب الكرك عليه. ورأى الناصر أن المغالطة أولى، وكتب الجواب: «الملوك محمد بن قلاوون يقبل الأرض، وينهى أنه ما قصد الإقامة إلا ظلها للسلامة، وإن مولانا السلطان هو الذى ربانى، وما أعرف لى والدًا غيره، وكل ما أنا فيه فمته وعلى يديه، والقدر الذى أخذته من الكرك لأجل ما لا بد لى فيه من الكلف والنفقة. وقد امتثلت المرسوم الشريف وأرسلت نصف المبلغ الذى تأخر عندى امتثالاً لأمر مولانا السلطان، وأما الخيل فقد مات بعضها، ولم يبق إلا ما أكبه؛ والمماليك فلم أترك عندى إلا من اختار أن يقيم معى، ممن هو مقطوع العلائق من الأهل والولد، فكيف يحل لى أن أخرجهم؟ وما بقى إلا إحسان مولانا السلطان». وكتب الناصر بأعلى الكتاب: «الملكى المظفرى»، وخلع على مغلطى ودفع إليه الكتاب، وحمل معه مائتى ألف درهم، وأعاده وقد حملة مشافهة بمعنى جوابه، فقنع السلطان المظفر بييرس بذلك.

وفيها قدم السلطان البرجية وأمر منهم جماعة كبيرة، وأراد أن يؤمر جماعة الأمير سلار فلم يوافق على ذلك، وحلف بإيمان مغلظة أنه لا يمكن أحدًا منهم أن يتأمر.

وفيها تفاوض كاتب السر شرف الدين عبد الوهاب بن فضل الله والتاج بن سعيد الدولة: وسبب ذلك أن التاج تزايد تحكمه في الدولة، بحيث إنه لم يكتب لأحد توقيع برزقه أو براتب أو استخدم في وظيفة حتى يكتب عليه، ثم شارك كاتب السر في معرفة أجوبة النواب وغيرهم، فامتنع ابن فضل الله من ذلك، ورد عليه الجواب، وفيه «ولا كرامة أن يكون مطلعاً على أسرار المملكة». ثم حدث ابن فضل الله الأمير سلار النائب في ذلك، وقبح عنده أن يطلع رجل قبلي على أسرار المملكة وأخبار العدو وأنه لا يوافق على ذلك بوجه. فشق على سلار ما قصد التاج، وقام في مساعدة ابن فضل الله، وما زال بالسلطان إلى أن منع التاج من الاطلاع على شيء من أمر ديوان الإنشاء، فاشتد غضبه وباين ابن فضل الله.

وقد قام البريد بإبطال سائر الخمارات، فسر السلطان بهذا، وعزم على أن يفعل مثل ذلك بديار مصر. وندب لذلك الأمير سيف الدين الشيخى أحد البرجية، وتقدم إليه ألا يراعى أحداً من خشداشيته، ولا يدع بيتاً بمصر والقاهرة من بيوت أعلى الناس وأدناهم يبلغه أن فيه حمراً إلا ويكبسه ويكسر ما فيه. وكان الشيخى فيه شدة وقوة نفس، فطلب إلى القاهرة ومقدميها وأصحاب الأرباع^(١)، وسألهم عن مواضع الخمر فلم يجيبوه، وأخفوا سائر المواضع، وضرب جماعة منهم بالمقارع حتى دلوه على عصر العنب أو من عنده حمراً، وكتب أسماءهم، فكان فيهم عدة من الأمراء والكتاب والأجناد والتجار، وأخذ في كبس البيوت: فكان الرجل لا يشعر إلا به في مماليكه، وقد هجم عليه ومعه التجارون والبناءون لتفقد مطامير^(٢) الخمر وإخراجها، فإذا ظفر بها كسر سائر ما فيها. فنزل بالناس من ذلك بلاء شديد، وافتضح كثير من المستورين، ونهب من بيوتهم أشياء، لكثرة ما كان يجتمع من العامة، ولفرار صاحب البيت خوفاً على نفسه، وأخذ الأجناد وغيرهم من ذلك ما أغناهم. وأخذ الناس يدل بعضهم على بعض، وتشفى جماعة من أعاديهم بذلك. وكبست أيضاً دور اليهود والنصارى، وأريق ما فيها من الخمر وتعدى الأمر دون الأمراء، فكبست دور من عرف بشرب الخمر منهم، ومنها دار الأمير علاء الدين مغلطاي المسعودى أحد أمراء الألوفا من البرجية. فأزال

(١) على هامش ط: الأرباع جمع ربع، والمقصود بأصحاب الأرباع خفراء الليل في أقسام البلد الأهلة بالسكان.

(٢) المطامير: حفر تحفر في الأرض توسع أسافلها نجياً فيها الجيوب، والمطمورة: وهي حفيرة تحت الأرض، أو مكان تحت الأرض قد هيئ خفياً يطمر فيها الطعام والمال، أى نجياً، وقد طمرتها أى مالتها. وطمر في الأرض طمورا: ذهب. وطمر إذا تغيب واستخفى، وطمر الفرس والأخيل يطمر في طيرانه. انظر: قاموس المحيط، ولسان العرب ٢٧٠٢.

الله بذلك فسادا كبيرا، ووقع أيضا بسببه من نهب الأموال فساد كبير؛ فلما اشتد الأمر تجمع الأمراء وحدثوا السلطان فيه فكف عنه.

وفي ربيع الأول: خسف جميع جرم القمر. وفيه كثر الإرجاف بحركة التتر، فبرز الدهليز السلطاني إلى الريدانية.

وفيها استقر سعد الدين مسعود بن أحمد بن مسعود الحارثي^(١) في قضاء الحنابلة بالقاهرة، بعد موت القاضي شرف الدين عبد الغنى بن عبد الله الحراني، في ثالث ربيع الآخر.

وفيها فشا بالناس أمراض حادة، وعم الوباء، وطلبت الأدوية والأطباء، وعز سائر ما يحتاج إليه المرضى، حتى أبيع السكر وأبيع الفروج بخمسة دراهم، والرطل البطيخ بدرهم، وكان الرجل الواحد من العطارين يبيع في كل يوم بثلاثمائة درهم إلى مائتي درهم.

وفيها توقفت زيادة النيل إلى أن دخل شهر مسرى، وارتفع سعر القمح حتى أبيع الأردب بخمسين درهما، والأردب الشعير والبقول بعشرين درهما. ومنع الأمراء البيع من شونهم إلا الأمير عز الدين أيدير الخطيرى الأستاذار، فإنه تقدم إلى مباشره ألا يتركوا عنده مباشرة سنة، وباع ما عداه قليلا قليلا. وخاف الناس من وقوع نظير غلاء كتبغا، وخرج بهم الخطيب نور الدين على بن محمد بن الحسن بن على القسطلاني فاستسقى، وكان يوما مشهودا، فنودى من الغد بثلاثة أصابع، ثم توقف. وانتهت زيادة النيل في سابع عشرى توت إلى خمسة عشر ذراعا وسبعة عشر إصبعا. واتفق أنه نقص في أيام النسبى، وجاء النوروز ولم يوف النيل ستة عشر ذراعا، وفتح الخليج يوم الجمعة ثامن توت، وهو ثامن عشرى ربيع الأول. وذكر بعضهم أنه لم يوف إلى تاسع عشر باب، وهو يوم الخميس حادى عشر جمادى الأولى، وذلك بعد اليأس منه. وانحط مع ذلك السعر بعد الوفاء، وغنت عامة مصر: «سلطاننا ركين^(٢)، ونائبنا دقين^(٣)، يجينا الماء منين. جيبوا لنا الأعرج^(٤)، يجي الما ويدحرج».

(١) مسعود بن أحمد بن مسعود بن زيد الحارثي، سعد الدين العراقي ثم المصرى: فقيه حنبلى. نسبته إلى (الحارثية) من قرى غربى بغداد. ولد ونشأ بمصر، وسكن دمشق فولى بها مشيخة الحديث النورية، ثم عاد إلى مصر، فدرس بجامع طولون، وولى القضاء سنة ٧٠٩ إلى أن توفى. انظر: الدرر الكامنة ٣٤٧/٤ وحسن المحاضرة ٢٠٢/١ والكتبخانة ٢٩٥/٣ وشذرات الذهب ٢٨/٦ والأعلام ٢١٦/٧.

(٢) المقصود بلفظ ركين، السلطان ركن الدين بيبرس الجاشنكير.

(٣) المقصود بلفظ دقين الأمير سلال النائب.

(٤) المقصود بالأعرج الناصر محمد بن قلاوون.

وفيهما قدم اليريد من حلب بأن الأمير سرتاي استتابه الملك خربندا بديار بكر، وأنه حارب طقطاي، فقتل طقطاي، وعزم على المسير إلى حلب. فخرج الأمير جمال الدين أقوش قتال السبع والأمير حسام الدين لاجين الجاشنكير وعدة الطبلخاناه والعشراوات في ألفى فارس، وساروا في جماد الأولى إلى حلب. وكتب الأمير سلار للأمير جمال الدين أقوش بأربعة آلاف غرارة من القمح وثمانين ألف درهم من ماله بدمشق، معونة له ولجن معه.

وفيهما ابتداء اضطراب دولة السلطان الملك المظفر: وذلك أنه كثر توهمه من الملك الناصر، وخيله الأمراء وحذروا السلطان منه. وحسنوا له القبض عليه، فحين يبئرس عن ذلك؛ ثم مازالوا به حتى بعث الأمير مغلطاي إلى الملك الناصر، ليأخذ منه الخيل والماليك التي عنده. وتغلظ مغلطاي في القول، فغضب الملك الناصر من ذلك غضباً شديداً، وقال له: «أنا خلعت ملك مصر والشام لبئرس، وما يكفيه حتى ضاقت عينه على فارس عندي أو مملوك لي، ويكرر الطلب؟ ارجع إليه، وقل له والله لئن لم يتركني وإلا دخلت بلاد التتر، وأعلمتهم أنني قد تركت ملك أبي وأخى وملكى لمملوكي، وهو يتبعني ويطلب مني ما أخذته». فجافاه مغلطاي وخشن في القول، بحيث اشتد غضب الملك الناصر وصاح به: «ويلك! وصلنا إلى هنا؟» وأمر أن يجر ويرمى من سور القلعة. فثار به المماليك يسبونه ويلعنونه، وأخرجوه إلى السور، فلم يزل الأمير أرغون الدوادار والأمير طغاي إلى أن عفا عنه الناصر وحبسه، ثم أخرجه ماشياً إلى الغور، وامتعض مغلطاي عند ذلك مما حل به.

وكتب الناصر ملطفات إلى نواب الشام بحلب وحماة وطرابلس وصفد، وإلى أمراء مصر ممن يثق به، بما كان فيه من ضيق اليد وقلّة الحرمة، وأنه لأجل هذا ترك ملك مصر، وقنع بالإقامة في الكرك، وأن السلطان الملك المظفر في كل قليل يرسل يطالبه بالمال ثم بالخيال ثم بالماليك، وقال لهم: «أنتم مماليك أبي وربيتموني. فإذا أن تردوه عنى وإلا أسير إلى بلاد التتار». وتلطف في مخاطبتهم غاية التلطف، وسير إليهم العريان بها فأوصلوها إلى أربابها. وكتب الأمير قبيح المنصوري نائب حماة الجواب: «بأني مع الأمير قرا سنقر نائب حلب» وكتب الأمير قرا سنقر الجواب: «بأني مملوك السلطان في كل ما يرسم به». وسأل أن يتوجه إليه أحد المماليك السلطانية، فبعث الناصر مملوكه أيتمش الحمدي، وكتب معه ملطفاً إلى الأمير سيف الدين قطلوبك المنصوري، والأمير بكتمر الحسامي الحاجب، بدمشق. وأما بكتمر الجوكندار نائب صفد فإنه طرد القاصد ولم يجتمع له.

وقدم أيتمش دمشق في خفية، ونزل عند بعض مماليك الأمير قطلوبك، ودفع إليه اللطيف. فلما أوصله إلى قطلوبك أنكر عليه، وأمره بالاحتفاظ على أيتمش ليوصله إلى الأفرم نائب الشام، ويتقرب إليه بذلك. فترك أيتمش راحلته التي قدم عليها عندما بلغه ذلك، ومضى إلى دار الأمير سيف الدين بهادر آص في الليل واستأذن عليه فأذن له، فعرّفه ما كان من الأمير قطلوبك، فظمن خاطره وأنزله عنده وقام بحقه، وأركبه من الغد معه إلى الموكب. وقد سبق قطلوبك وعرف النائب قدوم مملوك الملك الناصر إليه وهربه ليلا، فقلق الأفرم من ذلك، وألزم والى المدينة بتحصيل المملوك، فقال بهادر آص: «هذا المملوك عندي»، وأشار إليه، فنزل عن الفرس وسلم على الأفرم وسار معه في الموكب إلى دار السعادة، وقال بحضرة الأمراء: السلطان الملك الناصر يسلم عليكم، ويقول ما منكم أحد إلا وأكل خبز الشهيد والده وخبزه، وما منكم إلا من إنعامه عليه. وأنتم تربية الشهيد والده، وأنه قاصد الدخول إلى دمشق والإقامة فيها. فإن كان فيكم من يقاتله ويمنعه العبور فعرّفوه». فلم يتم هذا القول حتى صاح عز الدين أيدير الكوكندي الزراق أحد أمراء دمشق «وابن أستاذاه!، وبكى. فغضب الأفرم نائب الشام عليه وأخرجه، ثم قال لأيتمش: «قل له - يعني الملك الناصر - كيف تجيء إلى الشام، أو إلى غير الشام، كأن الشام ومصر الآن تحت حكمك؟ أنا لما أرسل إلينا السلطان الملك أن أحلف له ما حلفت حتى سirt أقول له: كيف يكون ذلك وابن أستاذا باق؟ فأرسل يقول: أنا ما تقدمت عليه حتى خلع ابن أستاذا نفسه، وكتب خطه وأشهد عليه بنزول عن الملك، فعند ذلك حلفت له. ثم في هذا الوقت تقول من يردني عن الشام؟» وأمر به فسلم إلى أستاذه الطنقش. فلما كان الليل استدعاه، ودفع إليه خمسين ديناراً وقال له: «قل له لا يذكر الخروج من الكرك، وأنا أكتب إلى الملك المظفر وأرجعه عن طلب الخيل والمماليك»، وخلقى عنه ليعود إلى الكرك. فقدم أيتمش على الملك الناصر وحدثه بما جرى له فأعادته على البرية ومعه أركتمر وعثمان الهجان، ليجتمع بقرا سنقر نائب حلب، ويواعده على المسير إلى دمشق. وسار الملك الناصر من الكرك إلى بركة زيزاء.

وأما الملك المظفر فإنه لما بلغه أن الملك الناصر حبس الأمير علاء الدين مغلطاي أيتعلى المقدم ذكره قلق، واستدعى الأمير سلار النائب، وعرّفه ذلك. وكانت البرجية قد أغروا المظفر بسلار، واتهموه بأنه قد باطن الملك الناصر، وأشاروا عليه بقبضه وخوفوه منه. فبلغ ذلك سلار، فخاف من البرجية لكثرتهم وقوتهم، وأخذ في مداراتهم. وكان أشدهم عليه الأمير سيف الدين بيكور، فبعث إليه - وكان قد شكاه له من انكسار خراجة - ستة آلاف أردب غلة وألف دينار مصرية، فكف عنه، وهادى خواص السلطان، وأنعم عليهم إنعامات كثيرة طلباً للسلامة منهم. ثم حضر سلار عند المظفر

وتكلما فيما هم فيه، فاقتضى الرأى تجهيز قاصد للملك الناصر بتهديده ليفرج عن أيتغلى. وبينما هم فى ذلك قدم الريد من عند نائب دمشق بأن الملك الناصر سار من الكرك إلى البرج الأبيض^(١)، ولم يعرف مقصده، فكتب إليه بالكشف عن مقصده، وحفظ الطرقات عليه.

هذا وقد اشتهر بالقاهرة حركة الملك الناصر وخروجه من الكرك، فتحرك الأمير سيف الدين نوغاي القبحاقى - وكان شجاعا مقداما حاد المزاج قوى النفس، ومن أزام الأمير سلار النائب - وواعده جماعة من المماليك السلطانية أن يهجم بهم على السلطان الملك المظفر بيبرس إذا ركب ويقتله. فلما نزل إلى بركة الجب استجمع نوغاي بمن وافقه يريدون الفتك بالسلطان فى عوده من البركة، وتقرب نوغاي من السلطان قليلا قليلا، وقد تغير وجهه وظهر فيه أمارات الشر؛ ففطن به خواص السلطان وتحلقوا حوله، فلم يجد نوغاي سبيلا إلى ما عزم عليه.

وعاد السلطان إلى القلعة، فعرفه أزمه ما فهموه عن نوغاي، وحسنوا له القبض عليه وتقديره على من معه. فاستدعى السلطان الأمير سلار وأعلمه الخبر - وكان قد باطن نوغاي أيضا - فحذره من ذلك، وخوفه عاقبة الأخذ بالظن، وأن فيه فساد قلوب الجميع، وليس إلا الإغضاء فقط، وقام عنه، فأخذ الرجية فى الإغراء بسلار، وأنه ولا بد قد باطن نوغاي، ومتى لم يقبض عليه فسد الحال. فبلغ نوغاي ما هم فيه من الحديث فى القبض عليه، فواعد أصحابه على اللحاق بالملك الناصر؛ وخرج هو والأمير علاء الدين مغلطاي القازانى، والأمير سيف الدين طقطاي الساقى، ونحو ستين مملوكا، وقت المغرب عند باب القلعة من ليلة الخميس خامس عشرى جمادى الآخرة.

وعرف السلطان بذلك من الإسطنبول، ففتح باب القلعة، وطلب الأمير سلار وشاوره، فأشار بتجهيز الأمراء فى طلبهم، وعين أخاه علاء الدين سمك وقطز بن الفارقانى فى عدة من حاشيته وخمسمائة مملوك، وساروا من وقتهم غير مجدين فى طلبهم، وصار بين الفريقين مرحلة واحدة، إذا رحل هؤلاء نزل هؤلاء. فلما وصل نوغاي إلى قطيا وجد الحمل قد تجهز إلى القاهرة، وهو مبلغ عشرين ألف درهم، فأخذه وأخذ خيل الوالى وخيول العرب، وسار إلى غزة ومضى إلى الكرك، فنزل الأمراء بعده غزة، وعادوا إلى القاهرة. وقد اشتد خوف الملك المظفر وكثر خياله^(٢)، فقبض على جماعة تزيد عدتهم على ثلاثمائة مملوك، وأخرج أخيازهم وأخباز المتوجهين إلى الكرك لمماليكه.

(١) هو مركز من مراكز الطريق الريدى بين غزة ودمشق. انظر: القلقشندى، صبح الأعشى

وبلغ الملك الناصر قدوم نوغاي ومن معه وهو في الصيد، فأمر بإحضارهم فأتوه، وقبلوا له الأرض وهنأوه بالعافية، فسر بهم. وساروا معه إلى زيزاء، ومضى إلى زرع^(١) يريد دمشق، ثم رجع إلى الكرك. فشق على الملك المظفر ذلك، ودار به البرجية وشوشوا فكره بكثرة إيهامهم وتخليهم له بمخاطرة العسكر عليه، وما زالوا به حتى أخرج الأمير بينجار، والأمير صارم الدين الجرمكي، في عدة من الأمراء مجردين؛ وأخرج الأمير أقوش الرومي بجماعته إلى طريق السويس، ليمنع من عسائه يتوجه من الأمراء والمماليك إلى الملك الناصر، وقبض على أحد عشر مملوكا، وقصد أن يقبض على آخرين فاستوحش الأمير سيف الدين أيطرا وفر، فأدركه الأمير جرگمتر بن بهادر رأس نوبة، وأحضره فحبس، وعند إحضاره طلع الأمير سيف الدين الدكز السلاح دار علف من الملك الناصر استجلا به إليه، فكثرت قلق الملك المظفر، وزاد توهمه ونفرت مع ذلك قلوب جماعة من الأمراء والمماليك، وخشوا على أنفسهم، واجتمع كثير من المنصورية والأشرفية والأويرانية، وتواعدوا على الحرب، وخرج منهم مائة وعشرون فارسا بالسلاح، وساروا إلى الملك الناصر. فخرج إليهم الأمير بينجار والصارم الجرمكي، فقاتلهم المماليك، وجرح الجرمكي بسيف في فخذه سقط إلى الأرض، ومضى المماليك على حمية إلى الكرك. فعظم الخطب على السلطان، واجتمع إليه البرجية، وقالوا له: «هذا الفساد كله من الأمير سلا، ومتى لم تقبض عليه خرج الأمر من يدك»، فلم يوافق على ذلك، واتفق الرأي على تجريد العساكر.

وفي يوم السبت ثاني رجب: مات التاج بن سعيد الدولة، واستقر ابن أخته كريم الدين أكرم الكبير في وظائفه، وتكبر على الأمراء واستقرت فيه الأحوال، حتى كتب على ما يعرف وما لا يعرف.

وأما أيتمش المحمدي فإنه سار إلى حماة، واجتمع بالأمر قبجق نائبها، فأحال قبجق الأمر على الأمير قرا سنقر نائب حلب، وأنه معه حيث كان. فسار أيتمش إلى حلب، واجتمع بقرا سنقر، فأكرمه ووافق على قيام الملك الناصر، ودخل في طاعته، ووعدته على السير إلى دمشق أول شعبان. وكتب قرا سنقر إلى الأفرم نائب يحنه دمشق على طاعة الملك الناصر ويرغبه، وأشار بمكاتبة الملك الناصر للأمير بكنمر الجوكندار نائب صفد، والأمير كراي المنصوري بالقدس، ونائب طرابلس، وأعاد أيتمش ومن معه إلى الملك الناصر، فسر بذلك. وكان نوغاي منذ قدم لا يبرح يحرضه على المسير إلى دمشق، فلما قدم عليه خير قرا سنقر اشتد بأسه وقوى عزمه على الحركة، إلا أنه ثقل عليه أمر

نوغاي من مخاشنته له فى المخاطبة، وجفاه القول بحيث إنه قال له: «ليس لى بك حاجة! ارجع إلى حيث شئت!» فترك نوغاي الخدمة وانقطع إلى أن قدم أيتمش من حلب، فدخل بينه وبين السلطان حتى أزال ما بينهما، وأسر له السلطان ذلك حتى قتله بعد عوده إلى الملك كما سيأتى ذكره إن شاء الله تعالى.

ثم إن الملك الناصر بعث أيتمش أيضاً إلى صفد، فتلطف حتى اجتمع بناصر الدين محمد بن بكتمر الجوكندار نائب صفد، وجمع بينه وبين أبيه ليلا فى مقابر صفد، فعتبه أيتمش على ما كان من رده قاصد الملك الناصر، فاعتذر بالخوف من بيبرس وسلار، وأنه لولا ثقته به لما اجتمع به قط. فلما عرفه أيتمش طاعة الأمير قرا سنقر والأمير قبجق أجاب بالسمع والطاعة، وأنه على ميعاد النواب إلى المضى إلى الشام، فأعاد أيتمش جوابه على الملك الناصر فسر به.

وسار من القاهرة عشرة من الأمراء المقدمين فى يوم السبت تاسع رجب منهم: الأمير سيف الدين برلغى الأشرفى. والأمير جمال الدين أقوش الأشرفى نائب الكرك، والأمير عز الدين أيك البغدادى، والأمير سيف الدين طغريل الإيغانى، والأمير سيف الدين تناكر، ومعهم نحو ثلاثين أميراً من الطبلخاناه، بعدما أنفق فيهم السلطان الملك المظفر، فأخذ برلغى عشرة آلاف دينار، وكل من المقدمين ألفى دينار، وكل من الطبلخاناه ألف دينار، وكل من مقدمى الحلقة ألف درهم، وكل من أجناد الكرك خمسمائة درهم، ونزلوا تجاه مسجد تبر خارج القاهرة، ثم عادوا بعد أربعة أيام إلى القاهرة، ولورود الخير يعود الملك الناصر إلى الكرك. ثم ورد الخير ثانياً بمسيره، فتجهز العسكر فى أربعة آلاف فارس، وخرج برلغى ونائب الكرك ومن تقدم ذكره، وساروا فى العشرين من شعبان إلى العباسة. فورد البريد من عند الأفرم نائب دمشق بقدم أيتمش المحمدى عليه من قبل الملك الناصر، وبما شافهه به من الجواب، وأنه بعث الأمير علاء الدين أيدغدى الحسامى والأمير سيف الدين جوبان لكشف الأخبار، وأشار بتأخير العسكر، فكتب بإقامتهم على العباسة. فقدم أيدغدى شقير وجوبان على الملك الناصر، وعرفاه أنهما قدما لكشف حاله، وحلفا له على القيام بنصرته، ورجعا إلى دمشق، فعرفا الأفرم أن الناصر مقيم ليتصيد، فخاف أن يطرق دمشق بغته، فجرد إليه ثمانية أمراء بمضافيهم: منهم الأمير سيف الدين قطلوبك المنصورى، والأمير سيف الدين الحاج بهادر الحلبي الحاجب، والأمير سيف الدين جوبان، والأمير كجكن، والأمير علم الدين الجاولى، ليقيموا على الطرقات لحفظها على من يخرج إلى الملك الناصر. وكتب الأفرم إلى الملك المظفر يحثه على إخراج العسكر المصرى، ليجتمع مع عسكر دمشق على قتال الملك الناصر، وأنه قد جدد اليمين له، وحلف أمراء دمشق أنهم لا

يخونون الملك المظفر ولا ينصرون الملك الناصر، وأن نائب حلب وغيره من النواب قد دخلوا في طاعة الملك الناصر. فلما قرأ الملك المظفر كتاب نائب الشام اضطرب وزاد قلقه.

فورد كتاب الأمير برلغى من العباسة بأن ممالك الأمير جمال الدين أقوش الرومى تجمعوا عليه وقتلوه، وساروا ومعهم خزائنه إلى الملك الناصر، وأنهم لحق بهم بعض أمراء الطبلخاناه فى جماعة من ممالك الأمراء، وقد فسد الحال، والرأى أن يخرج السلطان بنفسه. فأخرج المظفر تجريدة أخرى فيها عدة من الأمراء، وهم بشاش وبكوت الفتاح وكثير من البرجية، وبعث إلى برلغى ألفى دينار، ووعد به بأنه عازم على التوجه إليه بنفسه. فلما ورد كتاب الملك المظفر بذلك، وبقدوم التجريدة إليه عزم على الرحيل من الغد إلى جهة الكرك. فلما كان الليل رحل كثير ممن معه يريدون الملك الناصر، فكتب إلى السلطان بأن نصف العسكر قد صار عليه، وحرصه على الخروج بنفسه. فلم يطلع الفجر إلا والأمير سيف الدين بهادر حكى قد وصل بكتاب الأمير برلغى على البريد إلى السلطان، فلما قضى صلاة الصبح تقدم إليه وأعلمه برحيل أكثر العسكر إلى الملك الناصر، وناول الكتاب، فلما قرأه تبسم وقال: «سلم على برلغى، وقل له لا تخش من شىء، فإن الخليفة أمير المؤمنين قد عقد لنا بيعة ثانية، وجدد لنا عهداً، وقد قرئ على المنابر، وجددنا اليمين على الأمراء، وما بقى أحد يجسر أن يخالف ما كتب به أمير المؤمنين، فإنه قد أكد فى كتابة العقد». ثم دفع المظفر إليه العهد الخليفى، وقال: «امض به إليه حتى يقرأه على الأمراء والجند، ثم يرسله لى، فإذا فرغ من قراءته يرحل بالعساكر إلى الشام»، وجهز له أيضا ألفى دينار أخرى، وكتب جوابه بنظير المشافهة. فعاد بهادر إلى برلغى، فلما قرئ عليه الكتاب وانتهى إلى قوله: «وإن أمير المؤمنين ولانى تولية جديدة، وكتب لى عهداً، وجدد لى بيعة ثانية»، فتح برلغى العهد فإذا أوله: «إنه من سليمان»، فقال: «ولسليمان الريح»، ثم التفت إلى بهادر وقال له: «قل له يا بادر الذقن! والله ما معى أحد يلتفت إلى الخليفة»، ثم قام وهو مغضب.

وكان سبب تجديد العهد أن نائب دمشق لما ورد كتابه بأنه حلف أمراء الشام ثانيًا، وبعث صدر الدين محمد بن عمر بن مكى بن عبد الصمد الشهير بابن المرحل^(١) برسالة إلى السلطان، صار صدر الدين يجتمع عنده هو وابن عدلان، ويشغل السلطان وقته

(١) محمد بن عمر بن مكى، أبو عبد الله صدر الدين «ابن المرحل» المعروف بابن الوكيل: شاعر، من العلماء بالفقه. ولد بدمياط، وانتقل مع أبيه إلى دمشق، فنشأ فيها. وأقام مدة فى حلب. وتوفى بالقاهرة. انظر فوات الوفيات ٢٥٣/٢ والدرر الكامنة ١١٥/٤ والنجوم الزاهرة ٢٣٣/٩ والنعمى ٢٧/١ والبداية والنهاية ٨٠/١٤ والفهرس التمهيدى ١٩١ والأعلام ٣١٤/٦.

بهما. فأشارا عليه بتجديد البيعة، وكتابة عهد يقرأ على المنابر، وتحليف الأمراء، فإن ذلك يثبت قواعد الملك، ففعل ذلك وحلف الأمراء بمحضرة الخليفة، وكتب له عهد جديد عن الخليفة أبي الربيع، ونسخته: «إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم. من عبد الله وخليفة رسول الله ﷺ على المسلمين أبي الربيع سليمان بن أحمد العباسي^(١) لأمراء المسلمين وجيوشها. ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾^(٢) وإنى رضيت لكم بعبد الله تعالى الملك المظفر ركن الدين نائباً عنى لملك الديار المصرية والبلاد الشامية، وأقمته مقام نفسى لدينه وكفايته وأهليته، ورضيته للمؤمنين، وعزلت من كان قبله بعد علمى بنزوله عن الملك، ورأيت ذلك متعيناً على، وحمى بذلك الحاكم الأربعة. واعلموا رحمكم الله أن الملك عقيم ليس بالوراثة لأحد خالف عن سالف ولا كابر عن كابر. وقد استخرتُ الله تعالى؛ ووليت عليكم الملك المظفر، فمن أطاعه فقد أطاعنى، ومن عصاه فقد عصانى، ومن شق العصا على المسلمين، وفرق كلمتهم وشتت شملهم، وأطمع عدوهم فيهم، وعرض البلاد الشامية والمصرية إلى سبى الحریم والأولاد وسفك الدماء، وتلك دماء قد صانها الله من ذلك. وأنا خارج إليه ومحاربه إن استمر على ذلك، وأدفع عن حریم المسلمين وأنفسهم وأولادهم هذا الأمر العظيم، وأقاتله حتى يفىء إلى أمر الله تعالى. وقد أوجبت عليكم يا معاشر المسلمين كافة الخروج تحت لوائى - اللواء الشريف فقد اجتمعت الحكام على وجوب دفعة وقاتله إن استمر على ذلك، وأنا مستصحب معى لذلك السلطان الملك المظفر، فجهزوا أرواحكم والسلام». وقد قرئ على منابر الجوامع بالقاهرة فى الجامع الأزهر وجامع الحاكم، وقت الخطبة فى يوم الجمعة، فلما بلغ القارئ إلى ذكر الملك الناصر صاحوا: «لا! ما نزيده!»، ووقع فى القاهرة ضجة وحركة بسبب ذلك.

وفيه قدم الأمير بهادر آص من دمشق على اليريد يحث السلطان على الخروج بنفسه، فإن الثواب قد مالوا كلهم مع الملك الناصر، فأجاب بأنه لا يخرج، واحتج بكرهيته للفتنة وسفك الدماء، وأن الخليفة قد كتب بولايته وعزل الملك الناصر، فإن قبلوا وإلا

(١) سليمان بن أحمد بن على، أبو الربيع، الخليفة المستكفى بالله، ابن الحاكم بأمر الله: من خلفاء الدولة العباسية الثانية بمصر. ولد ببغداد، وخطب له بمصر بعد وفاة أبيه سنة ٧٠١ هـ، بعهد منه، أقام فى قوص إلى أن توفى بها. استمرت خلافته ٣٩ سنة وشهرين و١٣ يوماً، ولم يكن له منها غير مراسمها. انظر المختصر لأبى الفداء ٤/١٣٢ والبداية والنهاية ١٤/١٨٧ وابن إياس ١/١٤٤ والدرر الكامنة ١٤١١٢ والنجوم الزاهرة ١٠/١٦٩ والأعلام ٣/١٢١.

ترك الملك. ثم قدم الأمير بلاط بكتاب الأمير برلغى أن جميع من خرج من أمراء الطبلخاناه لحقوا بالملك الناصر، وتبعهم خلق كثير، ولم يتأخر غير برلغى وجمال الدين أقوش نائب الكرك وأيسك البغدادي وتناكر والفتاح لا غير، وذلك لأنهم خواص السلطان.

وأما الملك الناصر فإنه سار في أول شعبان بمن معه يريد دمشق، فدخل في طاعته الأمير قطلوبك الحاج بهادر الحلبي وبكتمر الحاجب والجاولي، وكتبوا إليه بذلك، وأنه يتأني في المسير إلى دمشق من غير سرعة حتى يتبين ما عند بقية أمراء دمشق. ثم كتبوا إلى الأفرم نائب دمشق بأنه لا سبيل إلى محاربة الملك الناصر، وأرادوا بذلك إما أن يخرج الأفرم إليهم فيقبضوه، أو يسير عن دمشق إلى جهة أخرى فتأتيهم بقية الجيش. وكان كذلك: فإنه لما قدم كتابهم عليه بدمشق شاع بين الناس سير الملك الناصر من الكرك، فثارت العوام وصاحوا: «نصره الله». وركب الأجناد إلى النائب، فاستدعى من بقى من الأمراء والقضاة، ونادى: «معاشر أهل الشام! ما لكم سلطان إلا الملك المظفر» فصرخ الناس بأسرهم: «لا! لا! ما لنا سلطان إلا الملك الناصر».

وتسلل العسكر من دمشق طائفة بعد طائفة إلى الملك الناصر، وانفرط الأمر من الأفرم. فاجتمع الأمير بيبرس العلائمي والأمير بيبرس المجنون بمن معهما على الوثوب بالأفرم وقبضه، فلم يثبت عندما بلغه ذلك، واستدعى علاء الدين بن صبح وكان من خواصه، وتوجه ليلا إلى جهة الشقيف. فركب الأمير قطلوبك والأمير الحاج بهادر عندما سمعا الخبر، وتوجها إلى الملك الناصر فسر بهما، وأنعم على كل منهما بعشرة آلاف درهم. ثم قدم إليه أيضا الجاولي وجوبان، وسار بمن معه حتى نزل الكسوة، فخرج إليه بقية الأمراء والأبيضاد، وقد عمل له سائر شعائر السلطنة من الصناجق الخليفية والسلطانية والعصائب والجزر والغاشية. فحلف العساكر، وسار في يوم الثلاثاء ثاني عشر شعبان من الكسوة يريد المدينة، فدخلها بعدما زينت زينة عظيمة. وخرج جميع الناس إلى لقائه على اختلاف طبقاتهم حتى صغار المكاتب، فبلغ كراء البيت من البيوت التي من ميدان الحصا إلى القلعة للتفرج على السلطان من خمسمائة درهم إلى مائة درهم. وفرشت الأرض بشقاق الحرير الملونة، وحمل الأمير سيف الدين قطلوبك المنصوري الغاشية، وحمل الأمير الحاج بهادر الجزر. وترجل الأمراء والعساكر بأجمعهم، حتى إذا وصل باب القلعة خرج متولى القلعة وقبل الأرض، فتوجه السلطان حتى نزل بالقصر الأبلق من الميدان. وكان عليه عند دخوله عباءة بيضاء فيها خطوط سود، تحتها فرو سنجاب.

سنة تسع وسبعمائة.....

وفى وقت نزوله قدم مملوك قرا سنقر من حلب لكشف الخسر، وذكر أن قرا سنقر خرج من حلب، وقبجق خرج من حماة؛ فخلع عليه، وكتب إليهما بسرعة القدوم. وكتب إلى الأفرام أمان، وتوجه به علم الدين الجاولي، فلم يثق بذلك، وطلب يمين السلطان له، فحلف السلطان وبعث إليه بنسخة الحلف صحبة الأمير الحاج أرقطاي الجمدار، فما زال به حتى قدم معه هو وابن صبح، فركب السلطان إلى لقائه، حتى إذا قرب منه نزل كل منهما عن فرسه. فأعظم الأفرم نزول السلطان له، وقبل الأرض، وكان قد لبس كاملية^(١) وشد وسطه وتوشح بنصفية^(٢)، يعنى أنه حضر بهيئة البطلان من الإمرة، وكفنه تحت إبطه وعندما شاهده الناس على هذه الحالة صرخوا بصوت واحد: «يا مولانا السلطان! بترية والدك الشهيد لا تؤذيه، ولا تغير عليه!»، فبكى سائر من حضر. وبالع السلطان فى إكرامه، وخلع عليه وأركبه، وأقره على نيابة دمشق، فكثر الدعاء له؛ وسار الناصر إلى القصر. فلما كان الغد أحضر الأفرم خيلا وجمالا وثيابا بمائتى ألف درهم، تقدمه للسلطان.

وفى يوم الجمعة ثانى عشرية: خطب بدمشق للملك الناصر، وصليت الجمعة بالميدان، فكان يوما مشهودا.

وفيه قدم الأمير قرا سنقر نائب حلب، والأمير قبجق نائب حماة والأمير أسندمر كرجى نائب طرابلس، وتمر الساقى نائب حمص. فركب السلطان إلى لقائهم فى ثامن عشرية، وترحل لقرا سنقر وعانقه، وشكر الأمراء وأثنى عليهم. ثم قدم الأمير كراى المنصورى من القدس، وبكتمر الجوكندار نائب صفد. وقدم كل من النواب والأمراء تقدمه على قدر حاله، ما بين ثياب أطلس وحوادث ذهب وكلفتاه زركش، وخيول مسرجة، وأصناف الجواهر والخلع والأقبية والتشارييف. وكان أجلهم تقدمه الأمير قطلوبك المنصورى، فإنه قدم عشرة أرؤس خيل مسرجة ملجمة، عنق كل فرس كيس فيه ألف دينار وعليه مملوك، وأربع قطر بغال، وعدة بخاتي، وغير ذلك.

وشرع الملك الناصر فى النفقة على الأمراء والعساكر الواردة مع النواب، فلما انتهى أمر النفقة قدم السلطان بين يديه الأمير كراى المنصورى على عسكر ليسير إلى غزة، فسار إليها، وصار كراى يعد فى كل يوم سماطا عظيما للمقيمين والواردين، وأنفق فى ذلك أموالا جزيلة من حصاله. واجتمع عليه بغزة عالم كبير، وهو يقوم بكلفهم ويعدهم عن السلطان بما يرضيهم.

(١) على هامش ط: نوع من الملابس الخارجية كالعباءة.

(٢) على هامش ط: النصفية جمعها نصافى. قماش من نسيج الحرير والكتان.

وقم الخير إلى القاهرة في خامس عشرى شعبان باستيلاء الملك الناصر على دمشق بغير قتال، فقلق الملك المظفر، واضطربت الدولة، وخرجت عساكر مصر شيئاً بعد شىء تريد اللحاق بالملك الناصر، حتى لم يتأخر عند الملك المظفر بديار مصر إلا خواصه وأزواجه. ولم يتأخر عند الأمير برلقى من الأمراء والأجناد سوى خواص الملك المظفر، فتشاور مع جماعته، فاقتضى رأيه ورأى الأمير أقوش نائب الكرك اللحاق بالملك الناصر أيضاً؛ فلم يوافق على ذلك البرجية، وعاد الأمير أيك البغدادى وبكتوت الفتحا وقحمار وبقية البرجية إلى القاهرة، وصاروا مع الملك المظفر. وسار برلقى ونائب الكرك إلى الملك الناصر فيمن بقى من الأمراء والعساكر، فاضطربت القاهرة.

وكان الملك المظفر قد أمر في مستهل رمضان سبعة وعشرين أميراً، ما بين طبلخاناه وعشراوات: منهم من مماليكه صنقيجى وصديق وطومان، وقرمان، وغرلوا وبهادر وطرنتاي المحمدى، وبكتمر الساقى وقراجا الحسامى وبهادر قبجق، ولاجين أيتغلى وانكبار وطاشتمر أخو بتخاص، ومن أزمه جر كتمر بن بهادر رأس نوبة وحسن بن الردادى، وشقوا القاهرة على العادة، فصاحت بهم العامة: «يا فرحة لا تمت».

أخرج المظفر أيضاً عدة من المماليك إلى بلاد الصعيد، وظن أن ينشئ له دولة. فلما بلغه مسير برلقى ونائب الكرك إلى الملك الناصر سقط فى يده، وعلم زوال أمره، فإن برلقى كان زوج ابنته ومن خواصه، بحيث أنعم عليه فى هذه الحركة بنيف وأربعين ألف دينار. وقيل سبعين ألف دينار. وظهر عليه اختلال الحال، وأخذ خواصه فى تعنيفه على إبقاء سلار النائب، وأن جميع هذا الفساد منه. وكان كذلك: فإنه لما فاتته السلطنة، وقام فيها بيبرس، حسده ودبر عليه، وبيبرس فى غفلة عنه، وكان سليم الباطن لا يظن أنه يخونه.

وقبض فى ليلة الجمعة ثانى عشره على جماعة من العوام، وضربوا وشهروا لإعلانهم بسبب الملك المظفر، فما زادهم ذلك إلا طغياناً؛ وفى كل ذلك تنسب البرجية فساد الأمور إلى الأمير سلار. فلما أكثر البرجية من الإغراء بسلار قال لهم المظفر: «إن كان فى خاطركم شىء فدونكم وإياه إذا جاء إلى الخدمة، وأما أنا فلا أتعرض له بسوء قط. فأجمعوا على قبض سلار إذا عبر يوم الإثنين خامس عشره إلى الخدمة. فبلغه ذلك فتأخر عن حضور الخدمة، واحتس على نفسه وأظهر أنه قد وعك، فبعث الملك المظفر يسلم عليه ويستدعيه ليأخذ رأيه، فاعتذر بأنه لا يطيق الحركة لعجزه عنها.

فلما كان من الغد يوم الثلاثاء سادس عشر رمضان، استدعى الملك المظفر الأمراء كلهم، واستشارهم فيما يفعل. فأشار الأمير بيبرس الدودار والأمير بهادر آص بنزوله

عن الملك، والإشهاد بذلك كما فعل الملك الناصر، «وتسير إليه تستعطفه، وتخرج إلى الإطفيحية بمن تثق به، وتقيم هناك حتى يرد جواب الملك الناصر». فأعجبه ذلك، وقام ليجهز أمره وبعث ركن الدين بيبرس الدوادرى إلى الملك الناصر يسأله إحذى ثلاث: إما الكرك وأعمالها، أو حماة وبلادها، أو صهيون ومضافاتها.

ثم اضطرب المظفر آخر النهار، ودخل الخزائن، فأخذ من المال والخيل والهجن ما أحب، وخرج فى يومه من باب الإسطبل فى مماليكه وعدتهم سبعمائة فارس، ومعه الأمير عز الدين أيدمر الخطير الأستاذار، والأمير بدر الدين بكتوت الفتاح. والأمير سيف الدين قجماس، والأمير سيف الدين تناكر، فى بقية أكرامه من البرجية. وكأنا نودى فى الناس بأنه قد خرج هاربا، فاجتمع الناس وقد برز من باب الإسطبل، وصاحوا به وتبعوه وهم يصيحون عليه، وزادوا فى الصياح حتى خرجوا عن الحد، ورماه بعضهم بالحجارة. فشق ذلك على مماليكه، وهموا بالرجوع إليهم ووضع السيف فىهم، فمنعهم من ذلك، وأمرهم بنثر المال عليهم ليشتغلوا بجمعه عنهم، فأخرج كل من الممالك حفنة مال ونثرها. فلم تلتفت العامة لذلك وتركوه، وأخذوا فى العدو خلف العسكر، وهم يسبون ويصيحون، فشهر الممالك حيثئذ سيوفهم، ورجعوا إلى العوام فانهزموا عنهم. وأصبح الحراس بقلعة الجبل يوم الأربعاء سابع عشره يصيحون باسم الملك الناصر. بإشارة الأمير سلار، فإنه أقام بالقلعة.

وفى يوم الجمعة تاسع عشره: خطب على منابر القاهرة ومصر باسم الملك الناصر، وأسقط اسم الملك المظفر، فكانت أيامه فى السلطنة عشرة أشهر وأربعة وعشرين يوما، فكان كما قيل:

أعجلتها النوى فما نلت منها طائلا غير نظرة من بعيد

* * *

عود السلطان الملك الناصر ناصر الدين أبى المعالى محمد بن الملك المنصور

قلاوون إلى الملك مرة ثالثة

وذلك أنه لما عزم على المسير إلى ديارمصر، خرج من دمشق فى الثانية من نهار يوم الثلاثاء سادس عشر رمضان - وهى الساعة التى خلع فيها الملك المظفر بيبرس نفسه من الملك - وسار يريد مصر.

وعندما فر المظفر بيبرس جلس الأمير سلار فى شبك النيابة، وجمع من بقى من الأمراء، واهتم بحفظ القلعة، وأفرج عن المحابيس بها. وركب سلار ونادى فى الناس: «ادعوا لسلطانكم الملك الناصر»، وكتب إلى الملك الناصر بنزول بيبرس عن السلطنة

وفراره، وسير بذلك أصلم الدوادار وبهادر آص إلى الملك الناصر برسالة المظفر أنه قد نزل عن السلطنة، ويسأل إما الكرك أو حماة أو صهيون. فاتفق يوم وصولهما إلى غزة قدوم الملك الناصر أيضا، وقدوم الأمير سيف الدين ساطى السلاح دار فى طائفة من الأمراء، وقدوم العربان والترکمان. وقدم الأمير مهنا بجماعة من عرب آل فضل، فركب السلطان إلى لقائه، وقدم برلغى ونائب الكرك، فسر السلطان بذلك سرورا كبيرا. وكتب الناصر إلى المظفر أمانا مع بيبرس الدوادار وبهادر آص، وقدا فى حادى عشرى رمضان إلى الأمير سلا، فجهز الأمان إلى المظفر.

ولما تكاملت العساكر بغزة سار الناصر يريد مصر، فقدم أصلم مملوك سلا بالتمحاة، ووصل أرسلان الدوادار، فسر بذلك. ولم ينزل الناصر سائرا إلى أن نزل بركة الحاج، وقد جهز إليه الأمير سلا الطلب السلطانى والأمراء والعساكر سلخ رمضان، وخرج الأمير سلا إلى لقائه. وصلى السلطان صلاة العيد بالدهليز فى يوم الأربعاء مستهل شوال، وأنشده الشعرا مدائحهم، فمن ذلك ما أنشده شمس الدين محمد بن على بن موسى الراعى أبياتا منها:

| | |
|---------------------------|----------------------------|
| و محمد بالنصر سر محمد | الملك عاد إلى حماه كما بدا |
| ومعاده كالورد عاوده الندى | وإبابه كالسيف عاد لغمده |
| من كف غاصبه وإن طال المدا | الحق مرتجع إلى أربابه |

وعمل الأمير سلا سماطا عظيما بلغت النفقة عليه اثنى عشر ألف درهم، جلس عليه السلطان: فلما انقضى السماط عزم السلطان على المبيت والركوب بكرة يوم الخميس. فبلغه أن الأمير برلغى والأمير أقوش نائب الكرك قد اتفقا مع البرجية على الهجوم عليه وقتله، فبعث إلى الأمراء يعلمهم بما بلغه، ويأمرهم بالركوب فركبوا، وركب فى مملكه ودقت الكوسات. وسار الناصر وقت الظهر من يوم الأربعاء، وقد احتفت به مماله كى لا يصل إليه أحد من الأمراء، وسار إلى القلعة، وخرج الناس بأجمعهم لمشاهدته. فلما بلغ بين العروستين ترجل سلا وسائر الأمراء، ومشوا إلى باب السر من القلعة، وقد وقف جماعة من الأمراء بمماليكهم وعليهم السلاح حتى عبر السلطان من الباب إلى القلعة، وأمر الأمراء بالانصراف إلى منازلهم، وعين جماعة من الأمراء الذين يثق بهم أن يستمروا على ظهور خيولهم حول القلعة طول الليل، فباتوا على ذلك.

وأصبح الناصر من الغد يوم الخميس ثانىه جالسا على تخت الملك وسرير السلطنة، وحضر الخليفة أبو الربيع والأمراء والقضاة وسائر أهل الدولة للهناء، فقرأ محمد بن على

ابن موسى الراعى: ﴿قل اللهم مالك الملك توتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شىء قدير﴾^(١)، ثم دعا. ولما تقدم الخليفة وسلم، نظر إليه السلطان وقال له: «كيف تحضر تسلم على خارجى، هل كنت أنا خارجيا ويبرس كان من سلالة بنى العباس؟»، فتغير وجه الخليفة ولم ينطق. ثم التفت السلطان إلى القاضى علاء الدين على بن عبد الظاهر الموقع، وكان هو الذى كتب عهد المظفر عن الخليفة، وقال له: «يا أسود الوجه»، فقال ابن عبد الظاهر من غير توقف: «يا خوندا! أبلق خير من أسود؟»، فقال السلطان: «ويلك! حتى ألا تترك رنكه أيضا، يعنى أن ابن عبد الظاهر ممن ينتمى إلى الأمير سلار، وكان رنك سلار أبيض وأسود» ثم التفت السلطان إلى قاضى القضاة بدر الدين محمد ابن جماعة، وقال: «يا قاضى! كنت تفتى المسلمين بقتالى؟»، فقال: «معاذ الله! إنما تكون الفتوى على مقتضى كلام المستفتى». ثم حضر صدر الدين محمد بن عمر بن المرحل، وقبل يد السلطان فقال له كنت تقول «ما للصبى وما للملك يكلفه؟». فحلف بالله ما قال هذا، وإنما الأعداء أرادوا إتلافه فزادوا فى قصيدته هذا البيت. والعفو من شيم الملوك، فعفا عنه؛ وكان ابن المرحل قد مدح المظفر بيبرس بقصيدة عرض فيها بالناصر، من جملتها:

ما للصبى وما للملك يكلفه شأن الصبى لغير الملك مألوف
ثم استأذن شمس الدين محمد بن عدلان، فقال السلطان للدوادار: «قل له أنت أفتيت أنه خارجى وقتاله جائز، مالك عنده دخول؛ ولكن عرفه هو وابن المرحل أنه يكفيهما ما قال الشارمساحى فيهما». وكان من خير ذلك أن الأديب شهاب الدين أحمد ابن عبد الدائم الشارمساحى مدح السلطان الملك الناصر بقصيدة عرض فيها بهجو الملك المظفر بيبرس وصحته لابن عدلان وابن المرحل، منها:

ولى المظفر لما فاته الظفر وناصر الحق وافى وهو منتصر
وقد طوى الله من بين الورى فتنا كادت على عصبة الإسلام تنتشر
فقل ليبرس إن الدهر ألبسه أثواب عارية فى طولها قصر
لما تولى الخير عن أمم لم يحمدوا أمرهم فيها ولا شكروا
وكيف تمشى به الأحوال فى زمن لا النيل وفى ولا وافاهم مطر
ومن يقوم ابن عدلان بنصرته وابن المرحل قل لى كيف ينتصر

وكان المطر لم يقع فى هذه السنة، وقصر النيل، وارتفع السعر.

واتفق فى يوم جلوس السلطان، أن الأمراء لما اجتمعوا قبل خروج السلطان إليهم بالإيوان أشار الأفرم نائب الشام لمنشر يقال له مسعود أحضره معه من دمشق، فقام وأنشد أبياتا لبعض عوام القاهرة، قالها عند توجه الملك الناصر من مصر إلى الكرك، منها:

أحبة قلبى إننى لو حيد وأريد لقاكم والمزار بعيد
كفى حزنا أنسى مقيم ببلدة ومن شف قلبى بالفراق فريد
أجول بطرفى فى الديار فلا أرى وجوه أحبائى الذين أريد

نق فتواجد الأفرم وبكى، وحسر عن رأسه، ووضع الكلفتاه على الأرض، فأنكر الأمراء ذلك، وتناول الأمير قرا سنقر الكلفتاه بيده ووضعها على رأسه. وخرج السلطان فقام الجميع، وصرخت الجاويشية، فقبل الحاضرون الأرض.

وفيه قدم الأمير سلار من الممالك والخيول وتعابى القماش ما قيمته مائتا ألف درهم، فقبل السلطان شيئا ورد الباقي. وسأل سلار الإغفاء من نيابة السلطنة، وأن ينعم عليه بالشوبك؛ فأجيب إلى ذلك. وحلف سلار أنه متى طلب حضر، وخلع عليه، وخرج عصر يوم الجمعة ثالثه مسافرا، فكانت ثيابه إحدى عشرة سنة، وتوجه معه الأمير نظام الدين آدم، واستقر ابنه على بالقاهرة، وأنعم عليه بإمرة عشرة.

وفى خامسه: قدم رسول المظفر بيبرس بكتابه يسأل الأمان. وفيه استقر قرا سنقر فى نيابة دمشق عوضا عن الأفرم، وقبحق فى نيابة حلب. والحاج بهادر الخليلي فى نيابة طرابلس عوضا عن أسندمر كرجي، وقطلوبك المنصوري فى نيابة صغد عوضا عن بكممر الجوكندار، وأسندمر كرجي فى نيابة حلب حماة عوضا عن قبحق، وسنقر الكمالى حاجب الحجاب بديار مصر على عادته، وقرا لاجين أمير مجلس على عادته، وبيبرس الدودار على عادته - وأضيف إليه نيابة دار العدل ونظر الأحباس - فى خامس ذى القعدة؛ واستقر الأفرم فى نيابة صرخد بمائة فارس. وطلب شهاب الدين بن عبادة، ورسم له بتجهيز الخلع والتشريف لسائر أمراء الشام ومصر فجهزت، وخلع عليهم كلهم فى يوم الإثنين سادسه، وركبوا فكان يوما مشهودا.

وفى يوم الأحد ثانى عشره: استقر فخر الدين عمر بن الخليلي فى الوزارة، وصرف ضياء الدين أبو بكر النشائي، وعوق بالقلعة أياما، ثم أفرج عنه ولم يحمل مالا.

وفى يوم الخميس سادس عشره: حضر الأمراء الخدمة على العادة، وقد قرر السلطان مع مماليكه القبض على الأمراء، وأن كل عشرة يقبضون أميرا ممن عينه لهم، بحيث تكون العشرة عند دخول الأمير محتفة به، فإذا رفع السماط واستدعى السلطان

أمير جاندار قبض كل جماعة على من عين لهم. فلما حصل الأمراء فى الخدمة أحاط بهم الماليك، ففهموا القصد، وجلسوا على السماط، فلم يتناول أحد منهم لقمة. وعندما نهضوا أشار السلطان إلى أمير جاندار، فتقدم إليه وقبض الماليك على الأمراء المعينين، وعدتهم اثنان وعشرون أميراً، فلم يتحرك أحد لقبضهم من خشداشيتهم، وبهت الجميع. ولم يفلت ممن عير سوى جر كتمر بن بهادر رأس نوبة، فإنه لما فهم القصد وضع يده على أنفه كأمة رعف، وخرج من غير أن يشعر به أحد، واختفى عند الأمير قرا سنقر وكان زوج ابنته، فشفع فيه حتى عفى السلطان عنه. وكان الأمراء المقبوض عليهم: تناكر، وأبيك البغدادي، والعتابي؛ وبلبان التقوى، وقجماس، وصاروجا، وبيرس عبد الله، وييدر، ومنكوبرس. وأشقتمر، والسيواسى، والكمالى الصغير، وحسن الردادى، وبلاط، وتمرثغا، وقيران، ونوغاى الحموى، والحاج بيليك المظفرى، وفطقطوا، والغتمى، وأكبار، وتمة الاثنتين وعشرين.

وجرد عدد من الأمراء إلى دمشق، فأول من سافر علاء الدين مغلطاي المسعودى، وجبا أخو سلار، وطرنطاي البغدادي، وأيدغدى التليلى، وبهادر الحموى، وبلبان الدمشقى، وأيدغدى الزراق، وكهرداهش الزراق، وبكتمر الأستاذار، وأيدمر الإسماعيلى، وأقطاي الجمدار، وبوزبا الساقى وبيرس الشجاعى، وكورى السلاح دار، وأقطوان الأشرافى، وبهادر الجوكندار، وبلبان الشمسى، وعدة من أمراء الشعراوات، فلما وصلوا إلى حلب رسم بإقامة ستة من أمراء الطبلخاناه وعود البقية.

وفى ثالث عشره: استقر الأمير سيف الدين بكتمر الجوكندار المنصورى فى نيابة السلطنة بديار مصر، عوضاً عن سلار.

وفى خامس عشره: أحضر الأمير بييرس الدودار الأموال من عند الملك المظفر بييرس. وفيه أمر السلطان اثنان وثلاثين أميراً من مماليكه منهم تنكز الحسامى، وطغاي، وكستاي، وقجليس، وخاص ترك، وخلط قرا، وأر كتمر، وأيدمر الشىخى، وأيدمر الساقى، وبييرس أمير آخور، وطاجار، وخضر بن نوكاى، وبهادر قبجق، والحاج رقطاي، وأخوه أيتمس المحمدى، وأرغون الدوادار الذى صار بعد ذلك نائب السلطنة بمصر، وسنقر المرزوقى، وبلبان الجاشنكير، وأسنبغا، وبييغا الملكى، وأمير على بن قطلوبك، ونوروز أخو جنكلى، والجاي الحسامى، وطبيغا حاجى، ومغلطاي العزى صهر نوغاي، وقرمشى الزينى، وبكتمر قبجق، وبيير الصالحى، ومغلطاي البهائى، وسنقر السلاح دار، ومنكلى بغا. وركبوا جميعاً بالشرابيش، وشقوا القاهرة، وقد أوقدت الحوانيت كلها إلى الرملة وسوق الخيل، وركبت المغانى وأرباب الملاهى فى

عدة أماكن، ونثرت عليهم الدراهم، فكان يوماً مشهوداً. وكان المذكورون منهم أمراء طبلخاناه، ومنهم أمراء عشراوات.

وفيه قبض على الأمير عز الدين أيدير الخطيرى الأستاذار، والأمير بدر الدين بكتوت الفتاح أمير جاندار، بعدما حضرا من عند الملك المظفر وخلع عليهما. وفيه كتب إلى ولاية الأعمال بالحوطة على موجود الأمراء المقبوض عليهم، وطلب السلطان مباشرةهم.

وفيه سفر الأمراء المقبوض عليهم إلى حبس الإسكندرية، وكتب بالإفراج عن المعتقلين بها، وهم: الأقوش المنصوري قاتل الشجاعى، والشيخ على التترى، ومنكلى التترى، وشاورشى بن قنغر الذى أثار فتنة الشجاعى، وكتبغا، وغازى وموسى أخوا حمدان بن صلغاي، فلما حضروا خلع عليهم، وأنعم عليهم بإمريات فى الشام وأحضر شيخ الإسلام تقى الدين أحمد بن تيمية من سجن الإسكندرية إلى السلطان، فبالغ فى إكرامه.

وأما المظفر بيبرس فإنه لما فارق قلعة الجبل أقام بإطفيح^(١) يومين، واتفق رأيه ورأى أيدير الخطيرى وبكتوت الفتاح على المسير إلى برقة والإقامة بها، فلما بلغ الممالك هذا عزموا على مفارقتهم، فلما رحلوا من إطفيح رجع الممالك شيئاً بعد شيء إلى القاهرة، فما بلغ الملك المظفر إلى إهميم حتى فارقه أكثر من كان معه، فانتفى رأيه عن برقة. وتركه الخطيرى والفتاح وعادا إلى القاهرة، فتبعهما كثير من الممالك المظفرية وهو يراهم. وبينما هو سائر قدم عليه الأميران بيبرس الدوادار وبهادر آص من عند الملك الناصر ليتوجه إلى صهيون، بعد أن يدفع ما أخذه من المال بأجمعه إلى بيبرس، فسار به بيبرس فى النيل، وقدم بهادر آص فى البر بالمظفر ومعه كاتبه كريم الدين أكرم. وسأل المظفر يمين السلطان مع من يثق به، فحلف له السلطان بحضرة الأمراء، وبعث إليه بذلك مع أيتمش الحمدي، فلما قدم عليه أيتمش بالغ فى إكرامه، وتحير فيما يفعله، وكتب الجواب بالطاعة، وأنه يتوجه إليه ناحية السويس^(٢)، وأن كريم الدين يحضره بالخزانة والحواصل التى أخذها فلم يعجب السلطان ذلك، وعزم على إخراج تجريدة إلى غزة ليردوه، وأطلع على ذلك بكتومر الجوكندار النائب وقرا سنقر نائب دمشق والحاج بهادر نائب طرابلس.

(١) بلد بالصعيد الأدنى من أرض مصر على شاطئ النيل فى شرقه. انظر معجم البلدان

٢١٨/١.

(٢) بلدة على ساحل بحر القلزم من نواحي مصر، وهو ميناء أهل مصر اليوم إلى مكة والمدينة.

فلما كان يوم الخميس الذى قبض فيه على الأمراء جلس بعض المماليك الأشرفية، فلما خرج الأمراء من الخدمة قال أولئك الأشرفية: «أى ذنب لهؤلاء الأمراء الذين قبض عليهم، وهذا الذى قتل أستاذنا الملك الأشرف، ودمه إلى الآن على سيفه ما خرج أثره، قد صار اليوم حاكم المملكة» - يعنى قرا سنقر. فنقل هذا لقرا سنقر، فخاف على نفسه، وأخذ فى العمل على الخلاص من مصر، والتزم للسلطان أنه يتوجه ويحصل المظفر بيبرس هو والحاج بهادر نائب طرابلس من غير إخراج التجريدة، فإن فى بعث الأمراء لذلك شناعة، فمشى ذلك على السلطان، ورسم بسفرهما. فخرج قرا سنقر هو وسائر النواب إلى ممالكهم، فعوق السلطان أسندمر كرجى نائب حماة عن السفر، وسار البقية.

ثم جهز السلطان أسندمر كرجى لإحضار المظفر مقيداً، فاتفق دخول قرا سنقر والأمراء إلى غزة قبل المظفر، فلما بلغهم قربه ركب قرا سنقر وسائر النواب والأمراء ولقوة شرقى غزة، وقد تقى معه عدة من ممالিকে وقد تأهبوا للحرب، فلبس الأمراء السلاح ليقاتلوهم. فأنكر المظفر على ممالিকে تأهبهم للقتال، وقال: «أنا كنت ملكاً وحولى أضعافكم، ولى عصبة كثيرة من الأمراء، وما اخترت سفك الدماء»، وما زال حتى كفوا عن القتال، وساق بنفسه حتى صار مع الأمراء، وأسلم نفسه إليهم، فسلموا عليه وساروا به إلى معسكرهم وأنزلوه بخيمة، وأخذوا سلاح ممالিকে واكلوا بهم من يحفظهم، وأصبحوا من الغد عائدين به معهم إلى مصر. فأدر كهم أسندمر كرجى بالخطارة^(١)، فأنزل فى الوقت المظفر عن فرسه وقيده بقيد أحضره معه، فبكى وتحدرت دموعه على شيبته. فشق ذلك على قرا سنقر وألقى الكلفتاه عن رأسه إلى الأرض، وقال: «لعن الله الدنيا! فياليتنا متنا ولا رأينا هذا اليوم». فترجلت الأمراء، وأخذوا كلوتته ووضعوها على رأسه. هذا مع أن قرا سنقر كان أكبر الأسباب فى زوال دولة المظفر، وهو الذى حسن للملك الناصر حتى كان ما كان.

ثم عاد قرا سنقر والحاج بهادر إلى جهة الشام، وأخذ بهادر يلوم قرا سنقر على مخالفة رأيه، فإنه كان قد أشار على قرا سنقر فى الليل بعد القبض على المظفر بأن يخلى عنه حتى يصل إلى صهيون، ويتوجه كل منهما إلى محل ولايته، ويخيف الناصر بأنه متى تغير عما كان قد وافق الأمراء عليه بدمشق قاموا بنصرة المظفر وإعادته إلى الملك. فلم يوافق قرا سنقر على ذلك، وظن أن الملك الناصر لا يستحيل عليه ولا على المظفر، فلما رأى ما حل بالمظفر ندم على مخالفة بهادر. وبينما هما فى ذلك إذ بعث أسندمر كرجى

(١) الخطارة إحدى مراكز البريد بين مصر والشام فى العصور الوسطى، وموقعها بين السعيدية والصالحية الحالية. انظر صبح الأعشى ٣٧٧/١٤.

إلى قراسنقر بمرسوم السلطان أن يحضر صحبة المظفر إلى القلعة، وكان عزمه أن يقبض عليه أيضاً، ففطن قراسنقر بذلك وامتنع من التوجه إلى مصر، واعتذر بأن العشير قد جمعوا ويخاف على دمشق منهم، وجد في المسير، وعرف أنه ترك الرأي في مخالفة بهادر.

وقدم أسندمر بالملك المظفر في ليلة الأربعاء الرابع عشر من ذي القعدة، فلما مثل المظفر بين يدي السلطان قبل الأرض، فأجلسه وعنفه بما فعل به، وذكره بما كان منه وعدد ذنوبه، وقال: «تذكر وقد صحت على وقت كذا بسبب فلان، ورددت شفاعتى في حق فلان، واستدعيت نفقة في وقت كذا من الخزانة فمنعتها، وطلبت في وقت حلوى بلوز وسكر فمنعتنى. ويلك! وزدت في أمرى حتى منعتنى شهوة نفسى» والمظفر ساكت. فلما فرغ كلام السلطان قال له: «يا مولانا السلطان كل ما قلت فعلته، ولم تبق إلا مراحم السلطان. وإيش يقول المملوك لأستاذه». فقال له: «يا ركين الدين أنا اليوم أستاذك، وأمس تقول لما طلبت أوز مشوى إيش يعمل بالأوز، الأكل هو عشرون مرة في النهار». ثم أمر السلطان به إلى مكان، وكان ذلك ليلة الخميس، فاستدعى بوضوء وصلى العشاء الآخرة. ثم جاء السلطان وأمر به فقتل، وأنزل على جنوية إلى الإسطبل، وغسل به في ليلة الجمعة خامس عشرة، ودفن خلف القلعة.

وقدم كريم الدين أكرم بن العلم بن السديد كاتب الملك المظفر بالمال والحواصل، فقربه السلطان وأدناه وأثنى عليه، ووعد به بكل جميل إن أظهره على ذخائر بيبرس، ونزل إلى داره. فبذل كريم الدين جهده في تتبع أموال بيبرس، وخدم طغاي وكستاي وأرغون اللوادار، وبذل لهم مالا كثيرا حتى صاروا أكبر أعوانه وأنصاره، لا يرحون في الثناء عليه مع السلطان. وقدم من كان مع بيبرس من المماليك وعدتهم ثلاثمائة، ومعهم الخيل والهجن والسلاح، ومبلغ مائتى ألف درهم وعشرين ألف دينار، وستون بقجة من أنواع الثياب. فقبض السلطان الجميع. وفرق المماليك على الأمراء، واختص منهم بكثر الساقى الآتى ذكره وما صار إليه، واختص أيضا طوغان الساقى وقباقر وبلك في آخرين. واستدعى السلطان القضاة، وأقام عندهم البينة بأن جمع مماليك بيبرس وسلار وسائر ما وقفاه من الضياع والأملاك اشترى من مال بيت المال. فلما ثبت ذلك ندب السلطان الأمير جمال الدين أقوش نائب الكرك وكريم الدين أكرم لبيع تركة بيبرس، وإحضار نصف ما يتحصل فإنه للسلطان، ودفن النصف الآخر لابنة بيبرس - امرأة الأمير برلغى الأشرفى - فإنه لم يترك سواها. فشدد كريم الدين الطلب على امرأة بيبرس حتى أخذ منها جواهر عظيمة القدر وذخائر نفيسة جدا، وحمل منها

إلى السلطان، وأهدى إلى الأمراء الخاصكية^(١) القائمين بأمره والعناية به، وادخر لنفسه. وباع موجود بييرس، وكان شيئاً كثيراً: فوجد له ثمانين بذله ثياب، ما بين أقبية وبغالطيق للبس، وستين سروالا، وثمانين قميصا. وضار كريم الدين يتردد إلى بيت الشهاب الدين أحمد بن عبادة وكيل السلطان المتحدث فى أملاكه، وهو حينئذ عظيم الدولة المتحدث فى سائر أمور المملكة، ويقرب إليه بما يحب. وطلب الصاحب فخر الدين عمر بن الخليلى مباشرة الأمراء المقبوض عليهم، وطلبهم بالأموال.

وأما قرا سنقر والنواب فإنه سقط فى أيديهم، وداخل كلا منهم الخوف على نفسه من السلطان، واتفقوا على ألا يحضر أحد منهم إلى السلطان إن استدعاه، فلم يفدهم ذلك. وكان من خيرهم ما يأتى ذكره إن شاء الله تعالى.

ولما فات السلطان قرا سنقر لم ير القبض على أستدر كرجى، وخلع عليه وولاه نيابة حماة، وسار إليها. وندب الأمير علم الدين سنجر الخازن لمساعدة الصاحب فخر الدين على حوطات الأمراء.

ثم ركب السلطان إلى الميدان فى موكب عظيم، واجتمع الناس لرؤيته، واستأجروا الحوانيت والدور بمال كبير، فكان يوما مشهودا.

وفى أول ذى الحجة: دخل الأمير قرا سنقر دمشق. وفيه سار الأمير أرغون الدوادار على اليريد إلى الشوبك بتشريف سلار، وأنعم عليه بمائة فارس، وأخرجت له بلاد من خاص الكرك زيادة على ما بيده من الشوبك، وكتب له به منشور.

وفيه وسط تحت القلعة سبعة من ممالك أقوش الرومى، بسبب أنهم تولوا قتله وأخذوا ماله، وصاروا إلى الكرك كما تقدم.

وفيه منع الأويراتية من الدخول إلى الخدمة السلطانية: وسببه أنهم كانوا مستخدمين عند الأمراء، فلما خامروا على أستاديزهم وفروا إلى السلطان بالكرك ظنوا أنهم قد اتخذوا عنده بذلك يدا، فصاروا بعد عوده إلى السلطنة يمشون فى خدمة السلطان ويقفون فوق الممالك السلطانية، فشق ذلك على الممالك، وأغروا السلطان بهم حتى تنكر لهم، وأكثروا من ذمهم والعيب عليهم بكونهم خامروا على أستاديزهم وأنهم لا خير فيهم، إلى أن منعهم السلطان.

وفيه كتب لقرا سنقر نائب دمشق بمحاربة العشير وقتلهم، وكاتت بنو هلال وبنو أسد قد كثرت حروبهم وعظم فسادهم لاختلال أمر الدولة، فبعث إليهم قرا سنقر

(١) هى إحدى فرق الممالك السلطانية.

تجريدة أحضرت روءساءهم، وقرر عليهم ثلاثمائة ألف درهم، وحبس رهائتهم، وبعث يسأل الإنعام عليه بمبلغ، فأنعم عليه. وأعيد الشيخ كريم الدين عبد الكريم الآملى إلى مشيخة سعيد السعداء، وعزل عنها بدر الدين محمد بن جماعة، واستقر عوضه جمال الدين محمد بن تقي الدين محمد بن مجد الدين حسن بن تاج الدين على بن القسطلانى فى خطابة القلعة، وكان قد عزل منها ابن جماعة أيضا لتغير السلطان عليه. وأنعم على الأمير نوغاي القبحاقى بإمرة دمشق عوضا عن قطلوبك، وسار إليها. وكتب بقطع خبز الأمير قطلوبك الأوشاقى والطنقش أستاذار الأفرم وعلاء الدين على بن صبيح مقدمى الجبلية وحملهم إلى مصر.

وفيه قبض على الأمير برلقى الأشرفى وطغلق السلاح دار ومغلطاي الفارقانى، وكتب لقرا سنقر بالقبض على نوغاي وييرس العلمى، فقبض عليهما وسجنا بقلعة دمشق. وأحيط بسائر ما لهما.

وفىها كانت حرب بالمدينة النبوية: وذلك أن الشريف مقبل بن جماز بن شيحة أمير المدينة تنافس مع أخيه منصور، فتركه وقدم إلى القاهرة، فولاه الملك المظفر نصف الإمرة بنجد، واستخلف ابنه كبيشة. ففر كبيشة عنها وملكها مقبل، فعاد كبيشة يجمع كبير وحراره وقتله، واستقر منصور بمفرده.

* * *

ومات فى هذه السنة

ممن له ذكر ضياء الدين أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن عمر بن يوسف بن عبد المنعم الأنصارى البخارى، القرطبى المتحد، القنائى المولد والوفاء، فى رابع ذى القعدة، وكان رئيسا ببلده.

ومات الشيخ الصالح المعمر أبو العباس أحمد بن أبى طالب الحمامى البغدادى، بمكة فى جمادى الآخرة.

ومات نبيه الدين حسن ابن حسين بن جبريل ابن نصر الأنصارى الأسعردى، بالقاهرة فى أول جمادى الآخرة، ولى حسة القاهرة، لما استقر ضياء الدين أبو بكر النشائى وزيرا تولى هو نظر الدولة، مات بمصر عن سبع وسبعين سنة.

ومات شمس الدين محمد بن أبى الفتح البعلى الفقيه الحنبلى، فى المحرم بمصر، وكان بارعا فى الفقه والنحو.

ومات الأمير الوزير شمس الدين سنقر الأعسر المنصوري فى ربيع الأول؛ ودفن خارج باب النصر، بعدما استعفى من الإمرة ولزم داره حتى مات ومات الشيخ نجم الدين محمد بن إدريس القمولى^(١) الشافعى، بقوص فى جمادى الأولى؛ وكان صالحا عالما بالفقه والتفسير والحديث.

ومات قاضى القضاة شرف الدين عبد الغنى بن يحيى بن محمد بن عبد الله بن نصر بن عبد الله بن نصر بن أبى بكر الحرانى الحنبلى، ليلة الجمعة رابع عشرى ربيع الأول، ودفن بالقرافة، ومولده بجران^(٢) سنة خمس وأربعين وستماية.

ومات الأمير سيف الدين طغرل الإيغانى، بالقاهرة فى عاشر رمضان.

ومات الأمير عز الدين أيبك الخازندار، بالقاهرة فى سابع رمضان.

ومات الأمير عز الدين عبد العزيز بن شرف الدين محمد القيسرانى، كاتب الدرج ومدرس المدرسة الفخرية بالقاهرة، يوم الخميس عاشر صفر.

ومات الأمير سيف الدين قيران شاد الدواوين بدمشق، بعد عزله.

ومات الأمير علاء الدين أقطوان الدوادارى بدمشق أيضا.

ومات الأمير علاء الدين على بن معين الدين سليمان البرواناه نائب دار العدل، بقلعة الجليل، وقدمت أخته بعد موته فشاهدته ميتا، ثم دفن.

ومات الأمير جمال الدين أقوش الرستمى شاد الدواودين، بدمشق فى يوم الأحد ثانى عشرى جمادى الأولى.

ومات متملك تونس الأمير أبو عبد الله المعروف بأبى عصيدة ابن يحيى الواصل بن محمد المستنصر بن يحيى بن عبد الواحد بن أبى حفص، فى عاشر ربيع الآخر، وكانت مدته أربع عشرة سنة وأربعة أشهر، وولى بعده الأمير أبو بكر بن أبى زيد عبد الرحمن ابن أبى بكر بن يحيى بن عبد الواحد المدعو بالشهيد، لأنه قتل ظلما بعد ستة عشر يوما، وبويع بعده أيضا الأمير أبو البقاء خالد بن يحيى بن إبراهيم^(٣).

(١) نسبة إلى بلدة قمولة وهى: قرية بأرض مصر كالمدينة جامعة متحضرة مكثفة بكل نعمة، وفيها أنواع من الفواكه وضروب من الثمر والعنب، قال بعضهم: وزنت منه حبة فوجدت زنتها اثنى عشر درهما، وفيها من الدلاع وأنواع الموز ما يجلب عن المقدار المعهود، وكذلك الرمان والسفرجل والاحباص وسائر الفواكه، وكل شىء من ذلك كثير يباع بأيسر الأثمان، وبشمال هذه المدينة جبل يقال إن فيه كنوزًا ومطالب وطلابًا إلى الآن. انظر: الروض المعمار ٤٧٣.

(٢) هى مدينة عظيمة مشهورة من جزيرة أقور، وهى قصبة ديار مصر، بينها وبين الرها وبين الرقة يومان، وهى على طريق الموصل والشام والروم. انظر معجم البلدان ٢٣٥/٢.

(٣) خالد بن يحيى بن إبراهيم بن يحيى بن عبد الواحد، أبو البقاء: أمير من آل حفص =

ومات التاج أبو الفرج بن سعيد الدولة، في يوم السبت ثاني رجب، وكان عند المظفر بيبرس بمكانة عظيمة قرره مشيرا، فكانت تحمل إليه فوط العلامة، فيمضى منها ما يختاره ويكتب عليه عرض، فإذا رأى السلطان خطه علم وإلا فلا؛ وكذلك كتب البريد، ولم يزل على ذلك حتى بعث إليه الأفرم نائب الشام يهدده بقطع رأسه، فامتنع، وكان مشهورا بالأمانة والعفة، مهيبا له حرمة، لا يخالط أحدا ولا يقبل هدية.

* * *

سنة عشر وسبعمائة

أهل الحرم: فوردت رسل سيس بهدية، منها طشت ذهب وإبريق بلور مرصع بالجواهر، وكتاب يتضمن الهدايا بالعود إلى الملك، فأجيب بالشكر.

وصرف قاضى القضاء بدر الدين محمد بن إبراهيم بن سعد الدين بن جماعة الشافعى، وولى بعده القضاء بديار مصر جمال الدين أبو الربيع سليمان بن مجد الدين أبى حفص عمر بن شرف الدين أبى الغنائم سالم بن عمرو بن عثمان الأذرعى الشهير بالزرعى الشافعى^(١)، فى يوم الثلاثاء تاسع عشرى صفر.

وعزل قاضى القضاة شمس الدين أحمد بن إبراهيم بن عبد الغنى السروجى^(٢) الحنفى فى رابع ربيع الأول، فأقام بعد عزله ستة أيام ومات واستدعى شمس الدين محمد بن عثمان بن أبى الحسن بن عبد الوهاب بن أبى عمر الأنصارى الدمشقى المعروف بابن الحريرى الحنفى من دمشق إلى القاهرة، واستقر فى قضاء الحنفية بالقاهرة ومصر فى رابع ربيع الآخر.

وعزل الأمير علاء الدين كشتغدى البهادرى من شد الدواوين، واستقر عوضه بلبان المحسنى، ثم عزل بلبان بعد أيام بعلم الدين سنجر الخازن. واستقر شمس الدين غريبال فى نظر الدواوين، وعزل شاورشى بن قنغر من ولاية القاهرة.

وفى ربيع الأول قبض السلطان على إخوة سلار وحاشيته، فقبض علاء الدين سمك

(١) سليمان بن عمر بن سالم الزرعى، جمال الدين، أبو الربيع: قاضى القضاة. من فقهاء الشافعية. أصله من المغرب ولد بأذرعات (قرب دمشق) وتعلم بدمشق وولى قضاء أزرع ثلاث عشرة سنة، فنسب إليها ثم ناب فى الحكم بدمشق سبع سنين. وانتقل إلى مصر فتاب فى الحكم سبعا أيضا ثم ولى القضاء استقلالاً نحو سنة. وعاد إلى دمشق، فولى القضاء ومشيخة الشيوخ مدة وعزل من القضاء لخصومة بينه وبين قاضى الحنابلة فتوجه إلى مصر فولى بها التدريس وقضاء العسكر، وتوفى بها. انظر الدرر الكامنة ١٥٩/٢ وطبقات السبكي ١٠٥/٦ والبداية والنهاية ١٦٧/١٤ وشذرات الذهب ١٠٧/٦ أو النجوم الزاهرة ٣٠٤/٩ والأعلام ١٣٠/٣.

(٢) أحمد بن إبراهيم بن عبد الغنى السروجى، أبو العباس، شمس الدين فقيه، كان حنبلياً وتحول حنفياً. وأشخص من دمشق إلى مصر، فولى الحكم الشرعى فيها مدة ونعت بقاضى القضاة. وعزل قبل موته بأيام. وأسئء إليه فمات قهراً. ودفن بقرب الشافعى، بالقاهرة. انظر: البداية والنهاية ٦٠/١٤ والجواهر المضيئة ٥٣/١ والدرر الكامنة ٩١ / ١ والطبقات السنينة ٣٠٠/١ والأعلام ٨٦/١.

وجبا وداود وأمير على وساطي. وقبض على الأمير طشتمر الجوكندار. وكورى السلاح دار وسيف الدين الطشلاقي وقلغاي، وتمتة ستة عشر أميرا. وكتب إلى نائب دمشق ونائب طرابلس بالقبض على الأمراء الذين أفرج عنهم عندما قدم السلطان من الكرك: وهم الطنبغا وأشقتمر وعبد الله والأقوش المنصوري والشيخ على التزى وبينجار التزى وموسى وغازى وأخواهم حمدان بن صلغاي وطرنطاي المحمدى وأقطوان الأشرفى، فقبض عليهم خوفا من شرهم وإقامتهم الفتن. وكتب إلى نائب حلب بالقبض على فخر الدين أياز نائب قلعة الروم، فقبض عليه، وأخذ ماله فكان ألف ألف درهم، حملت إلى السلطان.

واستقر نجم الدين محمد بن عثمان البصرى فى وزارة دمشق، وسار من القاهرة فى سابع صفر. واستقر الأمير بكتمر الحسامى الحاجب فى نيابة غزة، عوضا عن بلبان البدرى، وسار فى سابع عشرى المحرم. وندب الأمير بدر الدين القرمانى لكشف القلاع الشامية، فسار ومعه أمين الدين عبد الله بن الغنام. وقبض السلطان على قطقطوا، والشيخ على وضروط ممالك سلار، وأمر جماعة من الممالك منهم ببيغا الأشرفى وسيف الدين جفظاي وطبيغا الشمسى وبكتمر قبجق وبهادر السعيدى الكركرى وطشتمر أخو بتخاص والعمرى وقطلوبغا وأزدمر وملكتمر الشمسى وفررز الكمالى وبيدوا وقرا وأيدمر الدوادار وبهادر النقيب.

وفىها قدم الأمير حسام الدين مهنا ملك العرب فى جمادى الأولى، فأكرمه السلطان وخلع عليه، فسأل فى أشياء منها: ولاية حماة للملك المؤيد عماد الدين إسماعيل ابن الملك الأفضل على، فأجابته السلطان إلى ذلك، ووعدته بحماة عوضا عن أسندمر كرجى، ومنها الشفاعة فى عز الدين أيدمر الشيخى، فغفا عنه السلطان وأخرجه إلى قوص، ومنها الشفاعة فى الأمير برلقى الأشرفى - وكان فى الأصل قد كسبه مهنا من التتر، وأهداه للملك المنصور قلاوون، فرتبه عند ابنه الملك الأشرف خليل - فعدده السلطان ذنوبه، وما زال به مهنا حتى خفف عن برلقى، وأذن للناس فى الدخول عليه، ووعدته بالإفراج عنه بعد شهر، فرضى منها بذلك، وعاد إلى بلاده وهو كثير الشكر والثناء.

ولما فرغ السلطان من أمر المظفر بيبرس لم يبق عنده أهم من سلار، فندب إليه الأمير ناصر الدين محمد بن أمير سلاح بكشاش الفخرى، وكتب على يده كتابا بحضوره، فاعتذر عن الحضور بوجع فى فؤاده، وأنه يحضر إذا زال عنه. فتخيل السلطان من تأخيره، وخاف أن يتوجه إلى التتر؛ فكتب إلى قرا سنقر نائب الشام وإلى أسندمر نائب

طرابلس بأخذ الطريق على سلاز لثلاثا يتوجه إلى التتار، وبعث الأمير بيبرس الدوادار وعلم الدين سنجر الجاولى إلى سلاز، وأكد عليهما فى إحضاره، وأن يضمنا له على السلطان أنه يريد إقامته عنده ليستشيره فى أمور المملكة؛ فقدا عليه وبلغاه عن السلطان ما قال، فوعد بأنه يجضر، وكتب الجواب بذلك، فلما رجعا اشتد قلق السلطان وكثر خياله.

وأما سلاز فإنه تحير فى أمره، واستشار أصحابه فاختلفوا عليه فمنهم من أشار بتوجهه إلى السلطان، ومنهم من أشار بتوجهه إلى قطر من الأقطار، إما إلى التتار أو إلى اليمن أو بركة. فعول سلاز على المسير إلى اليمن، ثم أجمع على الحضور إلى السلطان، وخرج من الشوبك وعنده ممن سافر معه من مصر أربعمئة وستون فارسا، وسار إلى القاهرة، فقدم وقبض عليه فى سلخ ربيع الآخر، وسجن بالقعة.

وفىها عزل صدر الدين محمد بن عمر بن المرهل من وظائفه بدمشق، من أجل أنه قبض عليه بصالحية دمشق وعنده جماعة يعاقرونه الخمر.

وفىها ضيق على الأمير برلقى بعد سفر الأمير مهنا، وأخرج حريمه من عنده ومنع من الوصول إليه، ومن أن يدخل إليه بأكل أو شرب فلما أشفى برلقى على الموت قتل، بعدما ييست أعضاؤه وخرس لسانه من شدة الجوع، ومات ليلة الأربعاء ثانى رجب.

وفىها قتل الأمير سلاز أيضا بقلعة الجبل، فى رابع عشرى جمادى الأولى، وأحيط بماله وكان شيئا كثيرا. ولما وصل طلبه فرقه السلطان على الأمراء، ثم ماتت أمه بعد أيام. وكان سلاز عاقلا له رأى وحزم، وأصله لما كسبه المنصور قلاوون من التتار

وقدم البريد بموت الأمير قبجق نائب حلب، وأن عماد الدين إسماعيل لما ورد عليه التقليد بنياية حماة سار إليها من دمشق. فمنعه أسندمر كرجى، فأقام بين حماة وحمص ينتظر مرسوم السلطان. فاتفق موت قبجق، فسار أسندمر من حماة إلى حلب، وكتب يسأل السلطان نيايتها، فغضب السلطان من أسندمر، وأسر ذلك فى نفسه.

وفىها عزل الأمير بكمر الحاجب عن نياية غزة، وأحضر إلى القاهرة، وولى نياية غزة الأمير قطلقتمر.

وفىها عزل الصاحب فخر الدين عمر بن الخليلسى من الوزارة، والأمير علم الدين سنجر الخازن من شد الدواوين، واستقر الأمير بكمر الحاجب فى الوزارة فى حادى عشر رمضان، واستقر فخر الدين أياز أستاذار سنقر الأعسر فى شد الدواوين. واتفق أن أياز هذا استخدمه الأمير سلاز النائب أستاذاره بعد موت عز الدين أيدمر الرشيدى، فلم

يزل حتى قبض على سلاز وأحيط بماله، ورسم على أياز مع سائر مباشريه، وسلموا لعلم الدين سنجر الخازن مشد الدواوين فى المصادر، ليستخرج منهم المال؛ فحمل أياز للخازن ألف دينار، وللصاحب فخر الدين ألف دينار، فرد الخازن المال وقبلة الصاحب. فلم يمض سوى أيام حتى عزل الصاحب والخازن، وسلموا لأياز ليستخرج المال منهما؛ فبعث إليه الخازن ألف دينار فردها، وقال لقاصده: «سلم عليه، وقل له ما لنا عنده شىء، وطيب خاطره»، وبعث إليه الصاحب فخر الدين ألف دينار فأخذها، وقال لقاصده: «عرفه أنى أخذت وديعتى التى كان أخذها منى، ثم إن الأمير يكتمر الجوكندار شفع فيهما، فأفرج السلطان عنهما.

وفيها قدم مملوك عماد الدين إسماعيل بن الأفضل بأنه دخل حماة بعد خروج أسندمر منها. وقدم رسول الأشكرى ورسل ملك الكرج بهدايا سنوية فى رجب، وسألوا فتح الكنيسة المصلبة بالقدس. فكتب الجواب بأن هذه الكنيسة غلقت من الأيام الظاهرية على يد الشيخ خضر، وبنى فيها مسجد، ولا يمكن نقض ذلك، وزسم أن تفتح لهم كنيسة الملكية بمصر وكنيسة اليعاقبة التى بالقاهرة وكنيسة اليهود، وأذن لهم أن يركبوا على الاستواء.

وفيها كتب بعزل نجم الدين البصرى عن وزارة دمشق، وولاية شرف الدين حمزة القلانسى عوضه. وقدم البريد بوفاة الحاج بهادر الحلى نائب طرابلس، فكتب بنقل الأمير جمال الدين أقوش الأفرم من صرخد إلى نيابة طرابلس، فسار إليها. وفرح السلطان بموت الحاج بهادر فرحا زائدا، فإنه كان يخشاه ويخشى شره.

والتفت السلطان إلى أسندمر كرجى نائب حلب، وأخرج تجريدة من القاهرة فيها من الأمراء كراى المنصورى وهو مقدم العسكر، وسنقر الكمالى حاجب الحجاب، وأبيك الرومى، وبينجار، وكجكن، وبهادر آص، وفى عدة من مضافيهم أمراء الطبلخاناه والعشراوات ومقدمى الحلقة، وأظهر أنهم قد توجهوا لغزو سيس. وكتب السلطان لأسندمر كرجى بتجهيز آلات الحصار على العادة، والاهتمام فى هذا الأمر حتى يصل العسكر المجرى من مصر، وكتب إلى عماد الدين صاحب حماة بالمسير مع العسكر. وسار الأمير كراى من القاهرة مستهل ذى القعدة، بعدما أخلع عليه، وأسر إليه السلطان ما يعتمده فى أمر كرجى.

وفيها عدى السلطان النيل إلى الجيزة، ونزل تحت الأهرام ليتصيد. فمات ولده على ابن الخاتون أردوكين ابنة نوكيه، وله من العمر ست سنين، فى ليلة الأحد حادى عشر رجب، ودفن بالقبة الناصرية بين القصرين، بعدما حضر الأمير علم الدين سنجر الجنازى

لتجهيزه. واشتد حزن أمه عليه، ووقفت على القبة ماخصها من إرث الملك الأشرف خليل، ورتبت عند قبره القراء.

وفيها عظم شأن شهاب الدين أحمد بن عبادة وكيل السلطان، وضرب أكابر العنبر^(١) بالمقارع، مثل عز الدين بن حالومة وشمس الدين بن الحكيم؛ وسبب ذلك أن السلطان كان قد وهبه قبل توجهه إلى الكرك مملوكا جميل الصورة، فصار يشتمل على المذكورين ويعاشرهم على ما لا ينبغي، فحنق ابن عبادة من ذلك وأوقع بهم. وضرب ابن عبادة أيضا شهاب الدين أحمد النويرى صاحب التاريخ بالمقارع؛ وذلك أنه كان استنابه فى المدرسة الناصرية والمنصورية وغيرهما، وجعله يدخل على السلطان ويظالعه بالأمر، فاغتر بذلك وبسط القول فى ابن عبادة. فلم يعجب السلطان منه وقيعته فى ابن عبادة، وعرف ابن عبادة ما قاله فى حقه، وسلمه إليه ومكنه منه، فضربه بالمقارع ضربا مبرحا وصادره، فلم يشكر النويرى أحد على ما كان منه.

وفيها توحش خاطر الأمير بكتمر الجوكندار نائب السلطنة بمصر من السلطان، وخاف منه، واتفق بكتمر مع الأمير بتخاص المنصورى على إقامة الأمير مظفر الدين موسى ابن الملك الصالح على بن قلاوون فى السلطنة، والاستعانة بالمظفرية، وبعثوا إليه بذلك فوافقهم. وشرع النائب فى استمالة الأمراء، ومواعدة المماليك المظفرية الذين بخدمة الأمراء، على أن كل طائفة تقبض على الأمير التى هى بخدمته فى يوم عينه لهم، ثم يسوق الجميع إلى قبة النصر خارج القاهرة، وقد نزل هناك الأمير موسى. فدبروا ذلك حتى انتظم الأمر، ولم يبق إلا وقوعه؛ فأراد بيبرس الجمдар أحد المظفرية الذين انتظموا فى سلك هذا العقد أن يتخذ يدا عند السلطان، وعرف خوشدأشيته قيامه الخاصكى بما وقع الاتفاق عليه، فبلغ الخبر إلى السلطان، وكان فى الليل، فلم يتمهل السلطان، وطلب أمير موسى إلى عنده، وكان يسكن بالقاهرة، فلما نزل إليه الطلب هرب. واستدعى السلطان الأمير بكتمر النائب، وبعث أيضا فى طلب بتخاص، وكانوا إذ ذاك يسكنون بالقلعة، فلما دخل إليه بكتمر أكرمه وأجلسه وأخذ يحادثه حتى أتاه المماليك بالأمير بتخاص؛ فسقط فى يد بكتمر، وعلم بأنه قد هلك، فقيده بتخاص وسجن، وأقام السلطان فى انتظار أمير موسى، فعاد إليه الجاولى ونائب الكرك وأخبراه بفراره، فاشتد غضبه عليهما. وما طلع النهار حتى أحضر السلطان الأمراء، وعرفهم ما كان قد تقرر من إقامة أمير موسى وموافقة بتخاص له، ولم يذكر بكتمر النائب. وألزم السلطان الأمير كشتغدى البهادرى والى القاهرة بالنداء عليه، ومن أحضره من الجند فله إمرته، وإن كان من العامة أخذ ألف دينار. فنزل كشتغدى ومعه الأمير فخر الدين أياز

(١) المقصود بالعنبريين تجار العنبر المستعمل فى الحلى. انظر خطط المقرئى ١٠٢/٢.

شاد الدواوين وأيدغدى شقير وسودى وعدة من المماليك، وألزم سائر الأمراء بالإقامة بالقاعة الأشرفية حتى يظهر أمير موسى، وقبض على حواشى موسى وجماعته وعاقب كثيراً منهم. فلم يزل الأمر على ذلك من ليلة الأربعاء إلى يوم الجمعة، ثم قبض عليه من بيت أستاذار الفارقانى من حارة الوزيرية بالقاهرة، وحمل إلى القلعة فسجن بها. ونزل الأمراء إلى دورهم، وخلي عن الأمير بكتمر النائب أيضاً، ورسم بشمير أستاذار الفارقانى، ثم عفى عنه وسار إلى داره.

وتبع السلطان المماليك المظفرية فقبض عليهم، وفيهم بيبرس الذى تم عليهم وعملوا في الحديد. وأنزلوا ليسمروا تحت القلعة، وقد حضر نساؤهم وأولادهم، وجاء الناس من كل موضع، فكثر البكاء والصراخ عليهم رحمة لهم، والسلطان ينظر، فأخذته الرحمة وعفا عنهم، فتركوا ولم يقتل أحد منهم.

وأما العسكر فإنه لما وصل إلى حمص أقام بها على ما قرره السلطان مع الأمير كراى، حتى قدم عليه الأمير منكوتر الطباخى بكتب السلطان لكراى ولكرجى نائب حلب بما يتعمدانه من المراسيم. وقد كتب السلطان معه أيضاً مطلقات^(١) إلى أمراء حلب بقبض كرجى، وحمله مشافهات لكراى وغيره، فقضى منكوتر شغله من كراى بحمص، وسار إلى حلب. فرحل كراى فى أثره، وجد فى السير إلى حلب جريدة من غير أنقال، فقطع من حمص إلى حلب فى يوم ونصف، ووقف بمن معه تحت قلعتها عند ثلث الليل الأخير، وصاح «يال على»، وهى الإشارة التى رتبها السلطان بينه وبين نائب القلعة فنزل النائب عند ذلك من القلعة بجميع رجالها، وقد استعدوا للحرب، وزحف ومعه الأمير كراى على دار النيابة، ولحق بهم أمراء حلب وعسكرها. فسلم كرجى ولم يقاتل، فأخذ وقيد وسجن بالقلعة، وأحيط بموجوده، وسار منكوتر الطباخى على البريد بذلك إلى السلطان. ثم حمل أسندم كرجى إلى السلطان صحبة الأمير بينجار وأبيك الرومى، فخاف قرا سنقر عند ذلك على نفسه، وسأل أن ينقل من دمشق إلى نياحة حلب، ليبعد عن السلطان، فأجيب إلى ذلك، وكتب تقليده وجهرز إليه فى أخريات ذى الحجة.

وفىها استقر كريم الدين وأبو الفضائل عبد الكريم بن العلم هبة الله بن السديد ابن أخت التاج بن سعيد الدولة فى نظر الخاص ووكالة السلطان، بعد موت شهاب الدين أحمد بن عبادة، فى يوم الإثنين سابع عشر جمادى الأولى.

(١) المطلقات جمع مطلق، وهى ما يرسله السلطان من رسائل عامة إلى نوابه بمصر ونيابات

وفيهما قدم أسندمر كرجى، فاعتقل بالقلعة، وبعث يسأل عن ذنبه عنده، فأعاد جوابه: «ما لك ذنب إلا أنك قلت لما ودعتك عند سفرك، أو صيكت يا خوند لا تترك فى دولتك كبشا كبيراً، وأنشى ممالكك، ولم يبق عندى كبش كبير غيرك».

وفيهما قبض على طوغان نائب البيرة، وحمل إلى السلطان فحبسه أياماً، ثم ولاه شد الدواوين بدمشق. وخرج الأمير أرغون الدوادار على البريد بتقليد قرا سنقر حلب، وأسر إليه القبض عليه إن أمكن ذلك.

وفيهما قدم الشريف منصور أحمد بن جماز من المدينة النبوية بتقاد، فأنعم عليه بإعادة ما خرج لأخيه مقبل.

وفيهما استعفى الطواشى شهاب الدين مرشد الخازندار من الإمرة، فأعفى.

واتفق فى هذه السنة أمر غريب قلما عهد مثله: وهو موت سلطان مصر، وقاضيهما إمام الحنفية فى عصره، ومفسرها، والمتكلم على القلوب، وواعظها، وشيخ شيوخها وإمام الشافعية وعالمهم، ومحتسبها، وناظر جيوشها، وأديبها فقتل السلطان الملك المظفر بيبرس فى ذى القعدة. وتوفى القضاة إمام الحنفية فى عصره شمس الدين أحمد بن إبراهيم بن عبد الغنى السروجى المصرى، عن ثلاث وسبعين سنة، فى يوم الخميس ثالث عشرى رجب، ومولده سنة سبع - وقيل سنة تسع - وثلاثين وستمائة، وأخذ الفقه عن صدر الدين سليمان بن أبى العز بن وهيب^(١) وغيره، ودفن بالقرافة، وله على كتاب الهداية شرح جليل لكنه لم يكمل، وله اعتراضات على التقى ابن تيمية.

ومات الشيخ نجم الدين أحمد بن محمد بن على^(٢) بن الشيخ الرفعة مرتفع بن حازم ابن إبراهيم بن عباس الأنصارى البخارى المعروف بابن الرفعة الفقيه الشافعى المصرى، فى ليلة الجمعة ثامن عشر رجب، ومولده سنة خمس وأربعين وستمائة. وتوفى الإمام عز الدين عبد العزيز بن عبد الجليل التمرأوى، فى تاسع ذى القعدة.

ومات الشيخ تاج الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن عطا الله صاحب الكلام الراقى الفائق، فى ثالث عشر جمادى الآخرة.

ومات شيخ الوعاظ نجم الدين العنبرى، فى سادس شعبان، ومات شيخ الشيوخ

(١) سليمان بن وهيب بن عطاء، أبو الربيع بن أبى العز، صدر الدين الأذرعى شيخ الحنفية فى زمانه وعالمهم. انظر الدارس ٥٤٣/١ والبداية والنهاية ٢٨١/١٣ وشذرات الذهب ٣٥٧/٥ ومرآة الجنان ١٨٨/٤ والأعلام ١٣٨/٣.

(٢) أحمد بن محمد بن على الأنصارى، أبو العباس، نجم الدين، المعروف بابن الرفعة: فقيه شافعى من فضلاء مصر. كان محتسب القاهرة وناب فى الحكم. انظر البدر الطالع ١١٥/١ وطبقات الشافعية ١٧٧/٥ والدرر الكامنة ٢٨٤/١، وحسن المحاضرة ١٧٦/١ والأعلام ٢٢٢/١

خانكاه السعداء كريم الدين أبو القاسم عبد الكريم بن الحسين أبي بكر الأملى الطبرى،
فى تاسع شوال، وولى بعده علاء الدين على بن إسماعيل القونوى^(١).

ومات القاضى بدر الدين حسن بن نصر الأسعدى المحتسب، فى مستهل جمادى
الآخرة.

ومات القاضى بهاء الدين أبو محمد عبد الله بن أحمد بن على بن المظفر بن الحلى
ناظر الجيوش، فى ليلة العاشر من شوال.

ومات الأديب البارع شمس الدين محمد بن دانيال بن يوسف بن معتوق الخزاعى^(٢)
الموصلى فى ثامن عشرى جمادى الآخرة، ومولده بالموصل سنة سبع وأربعين وستمائة،
وكان كثير المجون والشعر البديع، وله كتاب طيف الخيال، لم يصنف مثله فى معناه.

ومات ملك المغرب صاحب فاس أبو الربيع بن أبى عامر بن السلطان أبى يعقوب بن
يوسف بن يعقوب بن عبد الحق بن محيو بن أبى بكر بن عبد الحق المرىنى، فى آخر
جمادى الآخرة، وبويع بعده أبو سعيد عثمان بن يعقوب بن عبد الحق.

ومات شهاب الدين أحمد بن عبد الملك بن عبد المنعم بن عبد العزيز بن جامع بن
راضى العزازى^(٣) التاجر، عن بضع وسبعين بالقاهرة فى تاسع عشرى الحرم، وله ديوان
شعر كبير وومات فخر الدين إسماعيل بن عبد القوى بن الحسن حيدرة الحميرى
الإسنائى المعروف بالإمام الفقيه الشافعى، بعدما كف بصره، بمدينة قوص.

ومات شهاب الدين أحمد بن على بن عبادة وكيل الخاص، فى ليلة الأحد سادس
عشر جمادى الأولى بالقاهرة؛ ودفن بالقرافة؛ وولى بعده كريم الدين أكرم.

(١) على بن إسماعيل بن يوسف القونوى، أبو الحسن، علاء الدين: فقيه، من الشافعية. ولد
بقونية، ونزل بدمشق سنة ٦٩٣ هـ. وانتقل إلى القاهرة، فتصوف، وتلقى علوم الأدب والفقه. ثم ولى
قضاء الشام سنة ٧٢٧ هـ، فأقام بدمشق إلى أن توفى. انظر: بغية الوعاة ٣٢٩ والبداية والنهاية
١٤٧/١٤ والدرر الكامنة ٢٤/٣ ودار الكتب ٥٢١/١ والأعلام ٢٦٤/٤

(٢) محمد بن دانيال بن يوسف الخزاعى الموصلى، شمس الدين: طبيب رمدى (كحال) من
الشعراء. أصله من الموصل، ومولده بها. نشأ وتوفى فى القاهرة. وكانت له دكان كحل فى داخل
باب الفتوح. له كتب منها «طيف الخيال». فى أرجوزة خيال الظل. انظر فوات الوفيات ١٩٠/٢
والفهرس التمهيدي ٢٨٢ والدرر الكامنة ٤٣٤/٣ وآداب اللغة ١٢١/٣ والنجوم الزاهرة ٢١٥/٩
والوافى بالوفيات ٥١/٣ والأعلام ١٢٠/٦.

(٣) أحمد بن عبد الملك بن عبد المنعم بن عبد العزيز، شهاب الدين العزازى شاعر مصرى. كان
بزازا فى القاهرة، بقبسارية حركس. له موشحات وألغاز و«ديوان شعر». غير كامل. انظر آداب
اللغة ١٢١/٣ وفوات الوفيات ٤٨/١ والدرر الكامنة ١٩٣/١ والفهرس التمهيدي ٣٠٣ والأعلام

ومات أمين الدين أبو بكر بن وجيه الدين عبد العظيم بن يوسف بن الرقاعي ناظر الدواوين بديار مصر، ليلة الأحد ثالث عشرى جمادى الأولى؛ ودفن بالقرافة؛ وكان ديناً خيراً كثيراً الإحسان، ولى نظر بيت المال ونظر البيوت ونظر الدولة بمصر والشام.

ومات عز الدين الحسن بن الحارث بن الحسين بن يحيى بن خليفة بن نجح بن حسن ابن محمد من ولد الحارث بن مسكين، أحد أعيان الفقهاء الشافعية بمصر ليلة السبت ثامن جمادى الأولى.

ومات الشريف أبو عبد الله محمد بن على بن أبى طالب، عرف بالشريف عطوف الحسينى الموسى العطار، ليلة الخميس خامس جمادى الآخرة، ودفن خارج باب النصر، وقل حديثه.

ومات الأمير سيف الدين بلبان البيدغانى نائب بغراس، متقولا بيد مماليكه.

ومات الأمير سيف الدين الحاج بهادر الحلبي نائب طرابلس، فى ربيع الآخر.

ومات الشيخ الصالح عبد الله بن ریحان التقوى السمسار^(١) بمصر، حدث عن ابن المقير وابن رواح وغيره.

ومات بهاء الدين على بن الفقيه عيسى بن سليمان بن رمضان الثعلبى المصرى، الصدر المعمر المعروف بابن القيم، فى ذى القعدة؛ وقد تعين للنوزارة، ومولده سنة ثلاث عشرة وستمائة، وكان سليم العقل والحواس.

ومات الأمير سيف الدين قبجق المنصورى نائب حلب، فى جمادى الأولى.

ومات الشيخ علاء الدين أبو الحسن على بن محمد بن عبد الرحمن بن خطاب التاجى، فى سادس ذى القعدة.

ومات بدر الدين أبو البركات عبد اللطيف ابن قاضى القضاة تقى الدين محمد بن الحسين بن رزين الشافعى^(٢)، يوم الأحد ثامن عشرى جمادى الآخرة بالقاهرة؛ ومولده بدمشق سنة تسع وأربعين وستمائة، وولى قضاء العسكر.

ومات الخطيب بهاء الدين عبد الرحمن بن عماد الدين على بن السكرى فى حياة أبيه، ليلة السبت حادى عشر رجب بمصر.

(١) السمسار: بالسين الوسيط بين البائع والمشتري. انظر محيط المحيط.

(٢) عبد اللطيف بن محمد بن الحسين بن رزين، أبو البركات بدر الدين العامرى الحموى ثم المصرى: فقيه شافعى من المشتغلين بالحديث. حموى الأصل. سمع بمصر والشام، وناب فى القضاء وأفتى، وخطب بالأزهر ودرس. وتوفى بالقاهرة انظر شذرات الذهب ٢٦/٦ والتيمورية ٢٤١/٢ والدرر ٤٠٩/٢ والأعلام ٦٠/٤.

ومات الأمير سيف الدين قشتمر الشمسى، بدمشق.

ومات الطواشى شهاب الدين مرشد الخازندار المنصورى، بالقاهرة فى ليلة الخميس ثالث ذى القعدة، وكان خيرًا، وانفرد بالرواية عن جماعة، وولد سنة ثلاث عشر وستمائة، ومات ولم تتغير حواسه.

ومات الأمير جمال الدين أقوش قتال السبع الموصلى أمير علم، بمصر فى تاسع رجب. ومات خضر بن الخليفة أبى الربيع سليمان، فى ثالث عشر جمادى الأولى.

ومات الأمير برلقى الأشرفى فى سجن القلعة، بعدما ييست أعضاؤه وجف لسانه من الجوع فى ليلة الأربعاء ثامن رجب.

ومات الأمير حسام الدين طرنطاي البغدادى.

ومات الأمير علاء الدين الطنبغا الجمदार.

ومات الأمير سيف الدين أرغون الجمقدار.

ومات قطب الدين محمود بن مسعود بن مفلح الشيرازى^(١) صاحب التصانيف، رمضان.

ومات الأمير سيف سلار فى ليلة الرابع والعشرين من جمادى الأولى، وكان من التتار الأويراتية، وصار إلى الملك الصالح على بن قلاوون، وبقي بعد موته فى خدمة الملك المنصور قلاوون حتى مات، ثم دخل فى خدمة الملك الأشرف خليل بن قلاوون، وحظى عنده، فلما قتل حظى عند لاجين لمودة كانت بينهما، وترقى إلى أن صار نائب السلطنة بديار مصر، وكان من أخباره ما تقدم ذكره، إلى أن قدم من الشوبك، فترك فى السجن حتى مات جوعا، وتولى الأمير علم الدين سنجر الجاولى دفنه بترتبه على جبل يشكر بجوار مناظر الكبش، وكان سلار أسمر، لطيف القد أسيل الخد، لحيته فى حنكه سوداء، ظريفا فى لبسه، اقترح أشياء نسبت إليه إلى يوم، وبلغ من السعادة إلى مبلغ عظيم: فكان يدخل إليه من أجر أملاكه فى كل يوم ألف دينار مصرية، ومن إقطاعاته وضمائنه وحمائنه تممة مائة ألف درهم فى اليوم، عنها حيثذ زيادة على خمسة

(١) محمود بن مسعود بن مصلح الفارسى، قطب الدين الشيرازى: قاض، عالم بالعقليات، ولد بشيراز، وكان أبوه طبيبا فيها، فقرا عليه، ثم قصد نصير الدين الطوسى وقرأ عليه. ودخل الروم فولى قضاء سيواس وملطية. وزار الشام. ثم سكن تبريز، وتوفى بها. انظر بغية الوعاة ٣٨٩ والدرر الكامنة ٣٣٩/٤ وابن الوردى ٢/٢٥٩ ومفتاح السعادة ١/١٦٤ وتاريخ علماء بغداد ٢١٩ وفهرست الكتبخانة ١/١٨٦ والفهرس التمهيدى ٥٠٩، ٥٢٩ والأعلام ٧/١٨٧، ١٨٨.

آلاف دينار مصرية، وكان إقطاعه أربعين إمرة طبلخاناه، وكان عاقلا متأنيا داهيا قليل الظلم، واشتملت تركته على ثلاثمائة ألف ألف دينار وزيادة: فوجد له فى يوم ياقوت أحمر زنة رطلين ونصف، وبلخش زنة رطلين ونصف، وزمرد تسعة عشر رطلا، وستة صناديق فيها جواهر، ومن الماس وعين الهر ثلاثمائة قطعة، ولؤلؤ زنة ما بين مثقال كل حبة إلى درهم عدة ألف ومائة وخمسين حبة، عين مصرى مبلغ مائى ألف وأربعة وأربعين ألف دينار، وفضة دراهم مبلغ أربع مائة ألف وأحد وسبعين ألف درهم، ووجد له أيضا فى يوم فصوص مختلفة زنة رطلين، وذهب عين مصرى مبلغ خمسة وخمسين ألف دينار، ودراهم فضة ألف ألف درهم، وحلى ذهب أربع قناطير، وآلات ما بين طاسات ونحوها ستة قناطير فضة، ووجد فى يوم ذهب مصرى مبلغ خمسة وأربعين ألف دينار، ودراهم فضة مبلغ ثلاثمائة ألف وثلاثين ألف درهم، وفضيات ثلاثة قناطير، ووجد فى يوم ذهب عين ألف دينار، وفضة ثلاثمائة ألف درهم، ووجد له ثلاثمائة قباء من حرير بفرو قاقم^(١)، وثلاثمائة قباء حرير بسنجاب^(٢)، وأربعمائة قباء بغير فرو، وسروج ذهب مائة سرج، ووجد له ثمانية صناديق لم يعلم فيها، حملت مع ما تقدم إلى السلطان، ووجد له ألف تفصيلة ما بين طرد وحش وعمل الدار^(٣)، ووجد له خام ست عشر نوبة، ووصل معه من الشوبك مبلغ خمسين ألف دينار ذهبًا، وأربعمائة ألف درهم وسبعين ألف درهم، وثلاثمائة خلعة ملونة وخرمكاه بغشاء حرير أحمر معدنى مبطن بجرير أزرق مَرَوى^(٤)، وسِتْرَ بابها زركش، ووجد له ثلاثمائة فرس ومائة وعشرون قطار بغال، وعشرون قطار جمال، ومن الغنم والبقر والحوارى والمماليك والعقار شئ كثير جدا، ووجد له فى موضع بين حائطين عدة أكياس لم يدر ما فيها ولا كم عدتها، ووجد له فى المرحاض شبه فسقية، كُشف عنها فإذا هى مملوءة ذهبًا؛ ووجد له من القمح والشعير والبقول ونحوها ثلاثمائة ألف أردب، وذلك سوى ما أخذ من أخوته ومباشره وحواشيه وأسبابه^(٥)، فإنهم صودروا جميعا حتى مُقَدِّم شونه وجباة أملاكه، فاجتمع من ذلك ما لا يدخل تحت حصر لكثرتة، والله يؤتى ملكه من يشاء.

* * *

(١) القاقم حيوان برى يشبه الفأرة، إلا أنه أطول منها، وموطنه بلاد الشمال، وله فروة تكون ناصعة البياض فى الشتاء.

(٢) السنجاب حيوان يشبه اليربوع.

(٣) على هامش ط: المقصود بالدار هنا دار الطراز.

(٤) الحرير المروى: هو المصنوع بمدينة مرو عاصمة خراسان، وكان يطلق على جميع الأقمشة الخراسانية أيضا.

(٥) على هامش ط: الأسباب جمع سبب، ومعناها الخلصاء والأصدقاء من المحيطين بشخص من

سنة إحدى عشر وسبعمئة

في مستهل الحرم: وصل الأمير أرغون الدوادار إلى دمشق، فاحتس منه الأمير قرا سنقر على نفسه، وبعث إليه عدة من مماليكه يتلقونه ويمنعون أحداً ممن قدم معه أن ينفرد. مخافة أن يكون معه من اللطفات للأمراء ما فيه ضرر. ثم ركب إليه قرا سنقر ولقيه بميدان الحصا ظاهر المدينة، وأنزله عنده بدار السعادة، ووكل بخدمته من ثقاته جماعة. فلما كان الغد أخرج له أرغون تقليد نيابة حلب، فقبله وقبل الأرض على العادة، وأخذ في التهيؤ للسفر، ولم يدع أرغون ينفرد عنه، بحيث إنه أراد زيارة أماكن بدمشق فركب معه بنفسه حتى قضى أربه وعاد.

وكرر تحدت الناس بدمشق في مجيء أرغون، وأنه يريد قبض قرا سنقر، وأن قرا سنقر قد حضره، فهم الأمراء بالركوب على قرا سنقر وأخذوه، ثم خشوا العاقبة، وأنه لم يصل إليهم مرسوم السلطان بذلك، فكفوا عنه. وصار الأمير بيبرس العلائى يركب بمماليكه في الليل، ويطوف حول القلعة على هيئة الحرس. وبلغ ذلك قرا سنقر، فاستدعى الأمراء كلهم إلى عند الأمير أرغون، وقال لهم: «إنه قد بلغنى أن بعض الأمراء يركب في الليل، ويطوف بالقلعة خشية أن أخرج هارباً، وما فعل هذا إلا برأيكم ولا بد أن يكون علمه عندك يا أمير أرغون. فإن كان قد حضر معك مرسوم بالقبض علىّ فما يحتاج إلى فتنة، فأنى طائع للسلطان وهذا سيفى خذّه، وحلّ سيفه. فقال له أرغون: «لم أحضر إلا بتقليد الأمير نيابة حلب حسب سؤالك، وحاش لله أن يكون السلطان يرى الأمير بهذه العين»، وأبكر أرغون أيضاً أن يكون عنده علم بركوب الأمير بيبرس العلائى في الليل حول السور، فوعده قرا سنقر أنه يتوجه غداً إلى حلب، وانفض المجلس.

ثم إن قرا سنقر بعث إلى الأمراء ألا يركب أحد منهم لوداعه ولا يخرج من بيته، واستعد وقدم أبقاله أولاً في الليل. فلما أصبح ركب يوم الرابع من الحرم في مماليكه وعدتهم ستمائة فارس، وركب أرغون بجانبه وبهادر أص في جماعة قليلة. وسار قرا سنقر، فقدم عليه الخير أن الأمير سنقر الكمالى الحاجب قد تأخر في حلب بجماعة من عسكر مصر، فعرج عن الطريق حتى إذا قارب حلب نزل، وقال لأرغون: «لا أدخل حلب وبها أحد من عسكر مصر»، فبعث أرغون إلى سنقر الكمالى يأمره بالخروج من حلب فلما رحل عنها سنقر الكمالى دخل إليها قرا سنقر في نصف الحرم،

ولبس التشريف وقرئ تقليده على العادة، وأعاد الأمير أرغون وقد أنعم عليه. فوصل أرغون إلى دمشق، وقلد الأمير سيف الدين كراى المنصورى نيابة دمشق فى يوم الخميس حادى عشرىه، وألبه التشريف على العادة، وقرئ تقليده، وركب الموكب. ثم أنعم كراى على أرغون بألف دينار سوى الخيل والخلعة وغير ذلك، وأعاده إلى مصر، فشكره السلطان على ما كان من حسن تأنيه وإحماد الفتنة. وقدم الأمير سنقر الكمالى بالعسكر أيضا، فخلع عليه وأجلس بالإيوان.

وفى صفر: توجه الأمير طوغان المنصورى إلى دمشق متوليا شاد الدواوين، عوضا عن فخر الدين أياز، فقدمها فى ثامن عشره، وقبض على أياز وألزمه بثلاثمائة ألف درهم. وولى الأمير ركن الدين بيبرس العلائى نيابة حمص.

وفىها عزل صاحب عز الدين حمزة القلانسى^(١) وزير دمشق، وعوق حتى حمل أربعين ألفا انسأقت باقيا على ضمان الجهات، ثم أفرج عنه وقدم القاهرة، فأنعم عليه ورسم بإعادة ما حمله إلى دمشق واستعاده.

وفىها عزل الأمير بكتمر الحسامى عن الوزارة، واستقر أمين الدين عبد الله بن الغنام ناظر الدواوين عوضه فى الوزارة. وأنعم على الأمير بكتمر بإمرة، عوضا عن سنقر الكمالى، وولى حاجبا، وذلك فى سادس ربيع الآخر.

وفى يوم الإثنين حادى عشرىه: أعيد قاضى القضاة بدر الدين محمد بن جماعة إلى قضاء القضاة بديار مصر، وصرف جمال الدين سليمان بن عمر الزرعى واستقر الزرعى فى قضاء العسكر وتدرىس الجامع الحاكمى، ورسم له أن يجلس بين الحنفى والحنبلى بدار العدل.

وفى مستهل جمادى الأولى: استقر الأمير علم الدين سنجر الجاولى فى نيابة غزة، وقبض على الأمير قطلو قتمر نائب غزة.

وقدم الخبر من سىس بأن فرنج جزيرة المصطكى^(٢) أسروا رسل السلطان إلى الملك طقطاى، ومن معهم من رسل طقطاى وعدتهم ستون رجلا، وأنه بعث فى فدائهم

(١) حمزة بن أسعد بن مظفر بن أسعد بن حمزة التميمى الدمشقى، صاحب عز الدين أبو يعلى ابن القلاسنى: رئيس الشام فى عصره. مولده ووفاته بدمشق. ولى وكالة السلطان والوزارة بها. أعرض عن المناصب تنزها. وصوردر. انظر القلائد الجوهريه ٨٥ والدرر الكامنة ٧٥/٢ والدارس ٩٦/١ والأعلام ٢٧٧/٢.

(٢) هذه الجزيرة واقعة فى بحر الأرخبيل اليونانى، وهى على مسافة قريبة من جزيرة التقربنت.

انظر صبح الأعشى ٣٧٢/٥.

ستين ألف دينار ليتخذ بذلك يدا عند السلطان، فلم يمكنه منهم. فكتب إلى الإسكندرية ودمياط بالحوطة على تجار الفرنج واعتقلهم كلهم، فأحيط بحواصلهم وحبسوا بأجمعهم. وحضر أحد تجار الجنوبية فضمن إحضار الرسل وما معهم، فمكّن من السفر.

وفيها عزم السلطان على إنشاء جامع، فاستشار الفخر ناظر الجيش فأشار بعمارته على ساحل مصر، وعين موضع الجامع الجديد، وكان يستانا يعرف بالحاج طيرس وشونا وغير ذلك، فاستبدل بالأرض على رأى الخنايلة، فإنها كانت وقفاً. ونزل السلطان حتى رتبته، وأقام الفخر على عمارته.

وفيها قبض على الأمير بكمتر^(١) الجوكندار نائب السلطنة بديار مصر، فى يوم الجمعة سابع عشر جمادى الأولى، وقبض معه على عدة أمراء، منهم صهره ألكتمر الجمدار، وأيدغدى العثمانى، ومنكوتر الطباخى، وبدر الدين أيدمر الشمسى، وأيدمر الشيخى، وسجنوا إلا الطباخى، فإنه قتل فى وقته. ثم استدعى السلطان الأمير ركن الدين بيبرس الدوادار المنصورى، وخلع عليه وولاه النيابة عوضاً عن بكمتر الجوكندار فى يوم السبت ثامن عشره.

وفيها أمر أن يجدد السلطان الجلوس بدار العدل فى كل ثنين، فدار النقباء على القضاة وغيرهم من أهل الدولة. وجلس السلطان فى يوم الإثنين عشريه، ونودى فى الناس من له ظلامة فليرفع قصته بدار العدل، فخاف الأمراء وغيرهم، وأدوا ما عليهم من الحقوق من غير شكوى، ورفع الناس قصصهم فقرأها الموقعون على السلطان بدار العدل، ووقع عليها بين يديه، وحكم بين الناس، وأنصف المظلوم، واستمر الجلوس فى كل يوم إثنين.

وفيها صرف السلطان قاضى القضاة زين الدين أبا الحسن على بن مخلوف، بسبب مفاوضة فى مكتوب، ثم أعاده بعد أيام فى سادس رجب، وخلع عليه.

وفيها استدعى السلطان القضاة، وولى كريم الدين أكرم عبد الكريم الكبير وكالته وجميع ما يتعلق به وبأمر السلطنة بحضورهم، وخلع عليه. فكان أول سعادته أن السلطان اشترى من الفرنج جواهر وغيرها، فبلغ ثمنها ستة عشر ألف دينار، وأحاطهم بها على كريم الدين، فذكر الفرنج أنهم بعد ثلاثة أيام يسافرون فحلفه السلطان ألا يؤخرهم عن الثلاثة أيام، فنزل إلى داره وهو محصور لعدم المال عنده، واستشار الأمير

(١) على هامش ط: كان سبب القبض على الأمير بكمتر أنه شرع فى التدبير لخلع السلطان الناصر، وأنه أراد السلطنة لنفسه.

علاء الدين بن هلال الدولة والصلاح الشرايشي، فحسب له أخذ حاصل المارستان المنصوري والاقتراض من تجار الكارم بقية المبلغ - وكانت تجار الكارم بمصر حينئذ في عدة وافرة، ولهم أموال عظيمة. ومضى من الأجل يومان، وأصبح في اليوم الثالث آخر الأجل فاتاه الفرنج وقت الظهر لقبض المال، فاشتد قلقه وأبطأ عليه حضور الكارم. وبينما هو في ذلك إذ أتاه تجار الكارم، فنظر بعضهم إلى واحد من الفرنج له عنده مبلغ عشرين ألف دينار قراضاً، فسأل التجار الفرنج عن سبب جلوسهم على باب كريم الدين، فقالوا: «لنا عليه حوالة من قبل السلطان بمال، وقد وعدنا بقبضه اليوم». فطالبهم الكارمي بماله من مبلغ القراض، فوعده بأدائه. وبلغ ذلك كريم الدين، فسر به سرورا زائدا وكتمه، وأمر بالكارم والفرنج فدخلوا عليه، فلم يعرف الكارم بشيء من أمره، ولا أنه طلبهم ليقترض منهم مالا، بل قال: ما بالكم من الفرنج؟، فعرّفه أمر القراض الذي عند الإفرنجي، فقال لهم: «مهما كان عند الإفرنجي هو عندي». ففرح الفرنج بذلك، وأحالوا الكارمي على كريم الدين بستة عشر ألف دينار، وهي التي وجبت عليه بحوالة السلطان، ودفعوا أربعة آلاف تنمة عشرين ألف دينار للكارمي. وقام الفرنج وقد خلص كريم الدين من تبعهم بغير مال، والتزم للكارمي بالمبلغ، فمضى هو وبقيّة التجار من غير أن يقترض منهم شيئا، فعد هذا من غرائب الاتفاق.

وفيها قبض على الأمير قطلوبك نائب صفد. وأنعم على صاحب نجم الدين البصروي بإمرة.

وفيها قرر على أملاك دمشق وأوقافها ألف وخمسمائة فارس، وهي التي كانت تسمى مقرر الخيالة، فلما ورد المرسوم بذلك على الأمير كراي نائب دمشق أعسف بالناس في الطلب، وضرب جماعة وأخذ مالا كبيرا، فتجمع الناس مع الخطيب جلال الدين محمد القزويني، وكبروا ورفعوا المصاحف والأعلام، ووقفوا للنائب، فأمله بهم فضربوا وطردوا طردا قبيحا، فكثر عليه الدعاء، فلم يمهل بعدها غير تسعة أيام.

وقدم أرغون الدوادار من مصر إلى دمشق يوم الأربعاء ثاني عشر جمادى الأولى على البريد، وعلى يده مراسيم للأمراء بالقبض على الأمير سيف الدين كراي، ووصل أيضا في هذا اليوم مملوك كراي، وصحبته تشريف وحياسة وسيف لمخدومه، واتفق قدوم رسل التتر. فأوصل الأمير أرغون الكتب إلى الأمراء، وأصبح كراي يوم الخميس فركب الموكب، ونزل وقد احتفل لأجل لبس التشريف، ولقدوم الرسل. فلما فرغ الأكل، وانصرفت الرسل، أحاط الأمراء بكراي وأخرجوا مرسوم السلطان بمسكه،

فقبض عليه وهو بتشريفه^(١)، وحمل مقيداً إلى الكرك، فسجن بها. وكان القبض عليه فى يوم الخميس ثالث عشرى جمادى الأولى، وقبض فى غده على قطلوبك نائب صفد، وسجن بالكرك. واستقر فى نيابة دمشق عوض الأمير كراى الكبير جمال الدين أقوش نائب الكرك، وخلع عليه فى مستهل جمادى الآخرة، فقدمها فى رابع عشره.

وفيه استقر الأمير سيف الدين بهادر آص فى نيابة صفد، وأرسل تشريفه صحبة الأمير جمال الدين أقوش، وقد توجه إليها. ورسم للأمير بدر الدين بكتوت القرماني بشد الدواوين بدمشق، وكتب على يده مساحة بما قرره كراى. وتوجه بكتوت مع الأمير جمال الدين أقوش إلى دمشق، فقدمها فى رابع عشر جمادى الآخرة، وقرئت المساحة على منبر الجامع، فسر الناس بذلك. وقبض بدمشق على الأمير بكتوت الشجاعى، وسيف الدين جنقار الساقى، وحملا إلى الكرك.

وفىها نقل الأمير بكتومر الجوكندار النائب والأمير أسندمر كرجى من سجن الإسكندرية إلى سجن الكرك؛ فاجتمع بالكرك من الأمراء المعتقلين بكتومر الجوكندار، وأسندمر كرجى، وكراى المنصورى، وقطلوبك المنصورى نائب صفد، وبيبرس العلائى، فى آخرين.

وفىها استقر الأمير سيف الدين بيىغا الأشرفى فى نيابة الكرك، عوضاً عن الأمير أيتمش المحمدى، وكان السلطان قد استتابه بها لما خرج منها إلى دمشق.

وفىها وصل الأمير سليمان بن مهنا إلى القاهرة، ومعه عدة من التتر مقيدىن، أسرههم فى الغارة على التتر، فأنعم عليه بمائة ألف درهم.

وفىها قدم البريد من حلب بأن خربندا ملك التتر قتل جماعة من خواصه، وقتل خواصه.

وفىها أقيمت الخطبة للملك الناصر بطرابلس الغرب، أقامها له الشيخ أبو يحيى زكريا ابن أحمد بن محمد بن يحيى بن عبد الواحد بن حفص عمر اللحيانى^(٢)، لما جهزه السلطان إليها بالصناجق وبعده من الأجناد، وكان ذلك فى شهر رجب، وكان الأجناد قد قدموا مع بيبرس، بعدما قدمها أبو يحيى من مصر فى جمادى الأولى.

(١) ملابس التشريفه، هى الشاس والكلوته. انظر: النهج السديد ٢٠٣/٣.

(٢) زكريا بن أحمد بن محمد بن يحيى بن عبد الواحد بن أبى حفص اللحيانى الهنتانفى، أبو يحيى الحفصى: من ملوك الدولة الحفصية فى إفريقية. ولد بتونسى. وصار إلى الملك سنة ٦٨٠. ثم رحل من تونس إلى الإسكندرية وزار القاهرة واستمر فى البلاد المصرية إلى أن توفى بالإسكندرية. انظر الخلاصة النقية ٦٩ والنجوم الزاهرة ٢٦٨/٩ وابن خلدون ٣٢٥/٦ والدرر الكامنة ١١٣/٢ والبداية والنهاية ١٢٩/١٤ والأعلام ٤٦/٣.

وفي ثامن عشر رمضان: كتب باستقرار الأمير بلبان في نيابة قلعة دمشق، عوضاً عن بهادر السنجرلى. ورسم لبهادر بنيابة قلعة البيرة.

وفي سادس شوال: قبض على الصاحب أمين الدين عبد الله بن الغنام، وعلى التاج عبد الرحمن الطويل، وقرر عليهما مال، فحملاه وهما معوقان بالقلعة، من غير أن يلى أحد. ثم أفرج عنهما يوم الخميس حادى عشرية، وخلع عليهما، واستقرا على عادتهما. فمات التاج فى ذى القعدة، واستقر عوضه فى نظر الدولة تقى الدين أسعد ابن أمين الملك المعروف بكاتب برلقى، وولى التاج إسحاق والموفق هبة الله وظيفة مستوفى الدولة، وكانا كتابا لسلار.

وفىها توجه السلطان إلى بلاد الصعيد. ورسم بنقص الإيوان الأشرفى بقلعة الجبل، فنقض وجرده، فلما عاد السلطان جلس فيه على العادة.

وفىها وصل كرئيس ملك النوبة بالقود المقرر عليه، بعد قتل أخيه. وقدمت رسل الملك المؤيد هزبر الدين دواد ملك اليمن، بهدية ومائتى جمل ومائتى جمال وخيول ووحوش وطيور، ففرق ذلك على الأمراء الأكابر والأصاغر.

وفىها استقر علاء الدين على بن تاج الدين أحمد بن سعيد بن الأثير فى كتاب السر، عوضاً عن شرف الدين عبد الوهاب بن فضل الله العمرى، فى يوم الأحد سابع ذى الحجة؛ ونقل شرف الدين إلى كتابة السر بدمشق، عوضاً عن أخيه محبى الدين محبى. وكان ابن الأثير قد توجه من مصر مع السلطان، هو وجمال الدين إبراهيم بن المغربى، فلما أقام بالكرك خيرهما، فاختارا الإقامة عنده، فلما عاد إلى ملك مصر رعى لهما ذلك، وأقر ابن الأثير فى كتابة السر، وابن المغربى فى رياسة الأطباء.

وفىها أخذ الأمير قرا سنقر فى التدبير لنفسه، خوفاً من القبض عليه كما قبض على غيره؛ واصطنع العربان وهاداهم، وصحب سليمان بن مهنا وأخاه، وأنعم عليه وعلى أخيه موسى، حتى صار الجميع من أنصاره، وقدم عليه الأمير مهنا إلى حلب، وأقام عنده أياماً، وأقضى إليه بسره، وأنه خائف من السلطان، وأوقفه على كتاب السلطان بالقبض على مهنا، وأنه لم يوافق على ذلك، فغضب الأمير مهنا، وأخذ يسكن ما بقرا سنقر، وانصرف وقد اشتد غضبه. وبعث قرا سنقر يحال السلطان فى الإذن له بالسفر إلى الحج، فأذن له فى الحج، وقد سر أنه بخروجه من حلب يقدر على أخذه، وبعث إليه بألفى دينار وخلعة. وكتب السلطان إلى الأمير مهنا يطلب منه فرسا عينه، وأن يحضر إلى مصر لزيارته - وكان قد بلغه اجتماع مهنا بقرا سنقر. فدبر أمرا يعمله معه أيضا - ، فبعث مهنا الفرس وأعاد الجواب. وجهز قرا سنقر حاله. وخرج من حلب

فى نصف شوال، ومعه أربعمائة مملوك، واستتاب الأمير شهاب الدين قرطای، وترك عدة من ممالیکه بحلب لحفظ حواصله.

فلما قدم البرید بمسیره من حلب كتب لقرطای بالاحتراس، وألا یمكن قرا سنقر من حلب إذا عاد، ویحتج علیه بإحضار مرسوم السلطان بتمکینه من ذلك، وكتب إلى نائب دمشق ونائب غزة ونائب الكرك وإلى بنى عقبه بأخذ الطريق على قرا سنقر؛ فقدم البرید بأنه سلك البرية على صرخد إلى زيزاء. ثم كثر وهمه واشتد خوفه من السلطان، لورود الخیر من ثقاته بمصر بما عزم علیه السلطان، وما كتب به، فعاد من غیر الطريق التى سلكها. ففات أهل الكرك القبض علیه، وكتبوا بالخیر إلى السلطان، فشق علیه ذلك، وكتب بكتشف أخباره، وكتب إلى حلب بمنعه منها ومنع ممالیکه من الخروج إليه، «وإن وجدت فرصة تقبض علیه».

فقدم قرا سنقر ظاهر حلب قبل قدوم ما كتب به السلطان. فمنعه قرطای من الدخول، وعوق من بحلب من ممالیکه عن الخروج إليه، فسقط فى يده ورحل، وكتب إلى الأمير مهنا بما جرى له، فكتب مهنا إلى قرطای بأن یخرج حواصل قرا سنقر إليه، وإلا هجم على مدينة حلب وأخذ ماله قهراً. فخاف قرطای من ذلك، وجهاز كتابه إلى السلطان فى طى كتابه، وبعث بشيء من حواصل قرا سنقر إليه مع الأمير عز الدين فرج بن قرا سنقر. وانصرف قرا سنقر عن حلب وقصد البرية، ثم جهاز ولده فرج ونائبه عبدون إلى الديار المصرية، وكذلك جملة من أمواله، فقدم فرج وأخر ذى الحجة، وأنعم السلطان علیه بإمرة عشرة، وأقام بالقاهرة مع أخيه علاء الدين على بن قرا سنقر.

وقدم سليمان بن مهنا إلى قرا سنقر، وأخذته حتى أنزله فى بيت أمه، واستجار بها من السلطان فأجارته. وأتاه الأمير مهنا وأولاده، وقام له بما یلیق به، وكتب یعرف السلطان بنزول قرا سنقر فى آبیاته، وأنه استجار بأمر سليمان فأجارته، وسأل العفو عنه، وبعث بذلك أحد أولاده. فأجاب السلطان سؤاله، وكتب إليه أن یخیر قرا سنقر فى بلد من البلاد حتى یولیه.

فلما سافر ابن مهنا من مصر أخرج السلطان تجريدة فیها من الأمراء حسام الدين قرا لاجين الأستاذار، حسام الدين لاجين الجاشنكير، وعلاء الدين مغلطای المسعودى، وشمس الدين الدکز الأشرفى، ولاجين العمري، فى مضافیهم من الطبلخاناه والعشراوات. ثم أردفهم السلطان بتجريدة أخرى، فیها الأمير سیف الدين قلى السلاح دار، وسيف الدين وآل ملك، وجنكلى بن البابا، وأمیر حسین بن جندر، فى جماعة

من الخاصكية مثل أرغون الدوادار، وأرقطاي، وأيتمش، وجقطاي، والجاي الساقى، وطقطاي الساقى. وكتب السلطان لنائب دمشق بتجريد كحكن وكتبغا الحاجب بمضافيهما، وجعل مقدم هذه العساكر قرا لاجين الأستاذار، وصاحب السر والمشورة أرغون الدوادار؛ فساروا من دمشق يريدون جهة مهنا.

فاستعد قرا سنقر، وكتب إلى الأمير جمال الدين أقوش الأفرم نائب طرابلس يستدعيه إليه، فأجابه بالموافقة، ووعده بالحضور إليه. وكتب الأفرم إلى صهره الأمير عز الدين أيدير الزردكاش بدمشق يأمره باستفساد من قدر عليه ولحاقه به وبقرا سنقر، وجهد إليه خمسة آلاف دينار ليفرقها فيمن يستميله، ونزل العسكر السلطاني حمص.

فأرادا قرا سنقر مخادعة السلطان ليتسع له المجال، وكتب إليه مع مملوكه، وكتب إليه مهنا مع ولده بالدعاء والشكر، وأن قرا سنقر قد اختار صرخد، وسألا يمين السلطان بالوفاء، وإخراج ما لقرا سنقر بحلب من المال وتمكينه منه. فمر ابن مهنا ومملوك قرا سنقر على حمص، وعرفا الأمير قرا لاجين وأرغون الدوادار بدخول قرا سنقر فى الطاعة، وأنه عين صرخد. فمشى ذلك عليهما، وكتبا معهما إلى السلطان. بمعنى ذلك. فانخدع السلطان أيضا، وكتب تقليد قرا سنقر بنبابة صرخد، ورسم أن يتوجه به إليه أيتمش الحمدي، وكتب لأيتمش بأن يوصل الملقف إلى مهنا سرا، وأن طقطاي يتوجه إلى حلب، ويخرج ما لقرا سنقر بها من المال، ويسيره إليه. وأنعم السلطان على مملوك قرا سنقر بألف دينار، ووعده أنه متى قام على أستاذه حتى يعود إلى الطاعة أنعم عليه بإمرة، وأخرجه على البريد هو وابن مهنا. فسارا إلى حمص، ودفعا كتب السلطان إلى الأمراء، وسارا بأيتمش إلى قرا سنقر فسر به وأنزله، واحتج بأنه لا يتوجه إلى صرخد حتى يأتيه ما له فى حلب، فتحيل أيتمش حتى أوصل ملطف السلطان إلى مهنا، فأطلع عليه قرا سنقر.

وبيناهم فى ذلك إذ قدمت أموال قرا سنقر التى كانت بحلب إليه، فإن طقطاي توجه إليها وبعث إلى قرا سقر بما كان له فيها. فما هو إلا أن وصل ماله بحلب، إذا بالأفرم قد قدم عليه أيضا من الغد، ومعه خمسة أمراء طبلخاناه وستة عشراوات فى جماعة من التركمان. وقدم الزردكاش، ومعه الأمير بلبان الدمشقى والى القلعة، وبييرس الحسامى، فسر قرا سنقر بقدمهم. ولما استقر بهم المنزل استدعوا أيتمش، وعددوا عليه من قتله السلطان من الأمراء، وأنهم قد خافوا على أنفسهم، وعزموا على الدخول إلى بلاد التتر، وركبوا بأجمعهم. فعاد أيتمش إلى الأمراء بجمص، وعرفهم الخير، فركبوا عائدين إلى مصر بغير طائل، ووقعت الحوطة على أموال الأفرم ومن تبعه.

وفيها أفرج عن الأمير عز الدين أيدير الخطيرى، وأنعم عليه بنخب الجاوىلى.

وفيها ولى شمس الدين غيريال كاتب قرا سنقر نظر الجامع الأموى بدمشق والأوقاف، عوضا عن شرف الدين ابن صصرى، وكان غيريال لما خرج قرا سنقر من حلب قدم إلى مصر وسعى حتى ولى ذلك.

وفى ثالث ذى الحجة: قدمت مقدمة اليمن على العادة، فقبلت.

* * *

ومات فى هذه السنة ممن له ذكر

الأمير بدر الدين بكتوت الخازندارى - عرف بأمر شكار - نائب الإسكندرية، وكانت وفاته بعد عزله، فى ثامن عشرى رجب بالقاهرة، وأصله من ممالك الأمير بيليك الخازندار نائب السلطنة بمصر فى الأيام الظاهرية، وتنقل حتى اشتهر فى الأيام العادية كتبغا وصار أمير شكار، ثم ولى الإسكندرية وكثر ماله، واختص ببيرس وسلار، فلما عاد الملك الناصر إلى السلطنة حضر وحسن للسلطان حفر خليج الإسكندرية ليستمر الماء فيه دائما، فندب معه الأمير بدر الدين محمد بن كيدغوى المعروف بابن الوزيرى، وفرض العمل على سائر الأمراء، فأخرج كل منهم أستاذاره ورجاله، وركب ولاة الأقاليم. ووقع العمل من رجب سنة عشر وسبعمائة، فكان فيه نحو الأربعين ألف راجل تعمل، وقد قسم بالأقصاب على الأمراء والولاة، وحفر كل أحظ ما حد له، فكان قياس العمل من فم البحر إلى شنبار^(١) ثمانية آلاف قصبه، ومثلها إلى الإسكندرية. وكان الخليج الأصلى من حد شنبار يدخل الماء، فجعل فم هذا البحر يرمى إليه، وعمل عمقه ست قصبات فى عرض ثمانى قصبات. فلما وصل الحفر إلى حد الخليج الأول حفر بمقدار الخليج المستجد، وجعل بجرأ واحدا، وركب عليه القناطر. ووجد فى الخليج من الرصاص المبنى تحت الصهاريج شىء كثير، فأنعم به على بكتوت هذا. فلما فرغ أنشأ الناس عليه أراضى وسواقى، واستجدت عليه قرية عرفت بالناصرية، فبلغ ما أنشئ عليه زيادة على مائة ألف فدان ونحو ستمائة ساقية وأربعين قرية، وسارت فيه المراكب الكبار، واستغنى أهل الثغر عن خزن الماء فى الصهاريج، وعمر عليه نحو ألف غيط، وعمرت به عدة بلاد. وتحول الناس حتى سكنوا ما عمر من الأراضى على الخليج، فصار بعدما كان سباخا سواقى القصب والقلقاس والسمسم وغيره. فلما تم ذلك أنشأ بكتوت من ماله جسرا، أقام فيه نحو ثلاثة أشهر حتى بناه رصيفا واحدا نحو

(١) موقع هذا البلد بمنتصف المسافة بين فوهة هذه القناة الكبرى عند العطف الحالية ومنتهاها عند

ثلاثة أشهر حتى بناه رصيفا واحدا نحو الثلاثين قنطرة بناها بالحجارة والكلس، وعمل أساسه رصاصا، وأنشأ بجانبه خاناً وحانوتاً، وعمل فيه خفراء، وأجرى لهم رزقة، فبلغت النفقة عليه نحو شتين ألف دينار. وأعانه على ذلك أنه هدم قصرا قديما خارج الإسكندرية وأخذ حجره، ووجد فى أساسه سربا من رصاص مشوا فيه إلى قرب البحر المالح، فحصل منه جملة عظيمة من الرصاص. ثم إنه شجر ما بينه وبين صهره، فسعى به إلى السلطان وأغراه بأمواله، وكتب أمين الدين عبد الله بن الغنم - وهو مستوفى الدولة - عليه أوقافا بمبلغ مائة ألف دينار، فطلب إلى القاهرة. ولما قرئت عليه الأوراق قال: «قبلوا الأرض بين يد السلطان وعرفوه عن مملوكه أنه إن كان راضيا عنه فكل ما كتب كذب، وإن كان غير راض فكل ما كتب صحيح». وكان قد وعك فى سفره من الإسكندرية، فمات بعد ليال فى ثامن عشر رجب وأخذ، له مال عظيم جدا، وكان من أعيان الأمراء وكرمائمهم وشجعانهم مع الذكاء والمروءة والعصية، وله مسجد خارج باب زويلة، وله عدة أوقاف على جهات بر.

ومات الأمير شمس الدين سنقر شاه الظاهري، مات بدمشق.

ومات الوزير فخر الدين عمر بن عبد العزيز الحسين بن الحنبلى التميمى، وهو معزول، ليلة عيد الفطر، ودفن بالقرافة، ومولد، فى سنة أربعين وستمائة، وكان كريما جوادا.

ومات مجد الدين عيسى بن عمر بن خالد بن الخشاب المخزومى الشافعى، وكيل بيت المال، فى ثامن ربيع الأول بالقاهرة، دفن بالقرافة، وكان من أعيان الفقهاء، وولى الحسبة فى الأيام المنصورية قلاوون، وصحب الشجاعى، وأضاف له قلاوون وكالة بيت المال ووكالة السلطان وعدة مباشرات، فعظمت مهابته، وعيب عليه مجونه وعزله وكثرة اجتماعه بالشجاعى ومعاشرته له، وكان الوزير ابن الخليلى يكرهه بذلك، وكان لا يكتب فى آخر كتبه سوى: «حسبنا الله» فقط، من غير «ونعم الوكيل»، وسئل أن يكتب «ونعم الوكيل» فأبى.

ومات قاضى القضاة سعد الدين مسعود بن أحمد بن مسعود بن زيد الحارثى الحنبلى، فى يوم الأربعاء رابع عشر ذى الحجة، ودفن بالقرافة، وسمع وخرج وصنف، وصار من الأئمة الحفاظ، وكتب على سنن أبى دادو قطعة.

ومات الشيخ صالح محمد العربان، فى ثامن عشر رجب.

ومات شرف الدين أبو عبد الله محمد بن شريف بن يوسف بن الوحيد الزرعى، فى

يوم الثلاثاء سادس عشر شعبان بالقاهرة، وكان يكتب فى التوقيع، وله معرفة بالإنشاء، ويبلغ الغاية فى جودة الكتابة، وانتفع الناس بالكتابة عليه، وكان فاضلا شجاعا مقداما لسنا متكلمنا، يرمى فى دينه بالعظائم، ويعرف عدة لغات، وله نظم ونثر.

ومات الطيب شرف الدين عبد الله بن أحمد بن أبى الحوافر رئيس الأطباء، فى ليلة الجمعة ثالث عشرى شوال، ودفن بالقرافة، وكان دينا فاضلا رضى الأخلاق ماهرا فى علم الطب.

ومات التاج عبد الرحمن الطويل القبطى الأسلمى، ناظر الدواوين، فى ثانى عشرى ذى القعدة، وقد انتهت إليه معرفة الكتابة الديوانية، وكان إسلامه فى الأيام الأشرفية، وله صدقات كثيرة.

ومات القاضى محيى الدين محمد بن قاضى القضاة زين الدين على بن مخلوف المالكى، ليلة الخميس حادى عشر ذى الحجة، وكان ينوب عن أخيه بالقاهر فى الحكم، ورسم له باستقلال بوظيفة القضاء بعد أبيه، فمات فى حياته، وكان من النجباء.

ومات جمال الدين أبو الفضل محمد بن الشيخ جلال الدين المكرم بن على، فى ثالث عشرى المحرم، عن بضع وثمانين سنة، ودفن بالقرافة، وكان من أعيان الفقهاء الشافعية وروءساء القاهرة وأمائل كتاب الإنشاء، ومن رواة الحديث. ومات شمس الدين محمد ابن يوسف الجزرى^(١) الشافعى خطيب جامع ابن طولون، وكان يعرف بالمحوجب، وكان عارفا بالفقه والأصول، ودرس بالمعزية بمصر.

وفىها قتل متملك تونس الأمير أبو البقاء خالد بن يحيى بن إبراهيم بن يحيى بن عبد الواحد بن أبى حفص، فى جمادى الأولى، فكانت مدته نحو عامين، وقدم الأمير أبو يحيى زكريا اللحيانى من طرابلس، فملك تونس بعده.

* * *

(١) محمد بن يوسف بن عبد الله بن محمود، أبو عبد الله شمس الدين الجزرى: خطيب من فقهاء الشافعية. كان أبوه صيرفيا بالجزيرة، فولد ونشأ بها. وسافر إلى مصر، فأقام بقوص ثم بالقاهرة وتوفى فيها. انظر: الدرر الكامنة ٢٩٩/٤ وبغية الوعاة ١٢٠ وشذرات الذهب ٤٢/٦ والكتبخانة ٢٥١/٢ والأعلام ١٥١/٧.

سنة اثنتى عشر وسبعمائة

فيها انتهت عمارة الجامع الجديد الناصرى بساحل مصر، فنزل السلطان إليه، ورتب فيه قاضى القضاة بدر الدين محمد بن جماعة الشافعية خطيبا، ورتب فيه أربعين صوفيا فى سطحه، وأربعين صوفيا بداخله ورتب لكل منهم الخبز واللحم فى اليوم. ومبلغ خمسة عشر درهما فى الشهر، وجعل شيخهم قوام الدين الشيرازى ووقف السلطان عليه قيسارية العنبر بالقاهرة، وعمر له ربعا وحماما، وأقام له خطيبا. وأول صلاة صليت به ظهر يوم الخميس ثامن صفر، بإمامة الفقيه تاج الدين أبى عبد الله محمد بن الشيخ مرهف، وخطب فيه من الغد يوم الجمعة تاسعه قاضى القضاة بدر الدين محمد بن جماعة. فحكر الناس حوله، وبنوا الدور وغيرها.

وقدم البريد من حلب بعبور قرا سنقر ومن معه من الأمراء إلى بلاد التتر، وأنهم بعثوا بأولادهم وحرهم إلى مصر. وكان من خيرهم أنهم لما وصلوا إلى الرحبة انقطع كثير ممن تبعهم من المماليك والتركماني، فبعث قرا سنقر ولده الأمير فرج، وبعث الأفرم ولده موسى مع بعض من يوثق به، وأمرا بتقبيل الأرض بين يدي السلطان، وأن يبلغاه أن الأمراء ما حملهم على دخول بلاد العدو إلا الخوف، وأن الأولاد والحريم وداعه، فليفعل السلطان معهم ما يليق به، فقدموا إلى القاهرة، وبقيا فى الخدمة. وسار الأمراء إلى ماردين، وكتبوا إلى خربندا بقدمهم، فبعث أكابر المغل إلى لقائهم، وتقدم إلى ولاية الأعمال بخدمتهم والقيام لهم بما يليق بهم. فلما قاربوا الأردن وركب خربندا وتلقاهم، وترجل لهم لما ترجلوا له، وبالع فى إكرامهم وسار بهم إلى مخيمه، وأجلسهم معه على التخت، وضرب لكل منهم خركاه، ورتب لهم الرواتب السنوية. ثم استدعاهم بعد يومين، واختلا بقرا سنقر، فحسن له عبور الشام، وضمن له تسليم البلاد بغير قتال، ثم خلا بالأفرم فحسن له أيضا أخذ الشام، إلا أنه خيله من قوة السلطان وكثرة عساكره. فأقطع خربندا مراغة^(١) لقرا سنقر، وأقطع همذان للأفرم، واستمروا هكذا.

وفى يوم الأحد عاشر ربيع الأول: قبض السلطان على القاضى فخر الدين محمد ابن فضل الله ناظر الجيش، وعلى ولده شمس الدين: وسبب ذلك مفاوضة حصلت بينه وبين

(١) مراغة: تقع بلدة مراغة بإقليم آذربيجان نزل عليها التتر سنة ثمان عشرة وستمائة وحاصروها أياما وقتلوا أهلها وفتحوها عنوة ووضعوا السيف فى أهلها وقتلوا منها ما يخرج عن الأحصاء وسبوا وحرقوا وفعلوا من المنكرات ما يطول ذكره. انظر: معجم البلدان ٤/٤٧٦، الروض المعطار ٥٣٥.

وبين فخر الدين أياز الشمسى مشد الدواوين، اشتط فيها القاضى على الفخر أياز الشمسى وأهانه، فاجتمع أياز بالدواوين وعرفهم ماله من الأموال والدوايب^(١) فى أعمال مصر، واجتمع بالسلطان وأغراه به، والتزم له أن يستخلص منه ألف درهم فأعجبه ذلك ومكنه منه، فاشتد بأسه حينئذ، وجلس على باب القلعة، وفتح مع الفخر باب شر، وأغلظ فى القول بمحضرة الأمراء إلى أن قال له: «أنت كسرت معاملات^(٢) السلطان وخربت بلاده، وأخذت أراضى الخاص عملتها لك رزقا»؛ ثم نهض وقال: «أنا بالله وبالسلطان»، ودخل والفخر خلفه حتى وقفا بين يدى السلطان، فبسط أياز لسانه، وحانق الفخر على عدة فصول حتى غضب السلطان، قال له: «تسلمه وخذ مالى منه»، فأخذه إلى قاعة الصاحب^(٣) وكتب أياز إلى الأعمال بالحوطة على مواشيه وزراعاته وسواقى أقصابه وغير ذلك وأحيط بموجوده فى القاهرة ومصر، وتبعت حواشيه، فلم يطق الفخر ما هو فيه من البلاء مع أياز، وبعث إلى طغاي وكستاي وإلى الأمير ركن الدين بيبرس الأحمدي أمير جاندار، فتحدثوا فى أمره مع السلطان على أن ينقل إلى بيبرس الأحمدي، وأنه يحمل جميع ماله ولا يدع منه شيئا، فتسلمه بيبرس أمير جاندار من أياز.

وفىها كتب بطلب قطب الدين موسى بن أحمد بن الحسين بن شيخى السلامية ناظر الجيش بدمشق على البريد، فحضر واستقر عوضا عن الفخر فى نظر الجيش. وتمكن أياز من حاشية الفخر، وضرب جماعة منهم بالمقارع، وأخذ سائر موجودهم، وحمل الفخر نحو الخمسمائة ألف درهم. ثم أفرج السلطان عنه وعن ولده وخلع عليهما، فى يوم الأربعاء خامس عشر ربيع الآخر، واستقر الفخر عوضا عن معين الدين هبة الله ابن حشيش صاحب ديوان الجيش. ولم يوفق ابن شيخى السلامية وارتيك فى المباشرة، بحيث إن السلطان كان إذا سأله عن كشف بلد ليعرف حالها يتأخر قدر ساعة، ثم يجيب بغير الغرض، فتبين جهله بمعرفة جيش مصر.

وفى حادى عشرى ربيع الأول: ولى قضاء القضاة الحنابلة بالقاهرة ومصر تقى الدين أحمد بن عز الدين عمر بن عبد الله المقدسى، عوضا عن سعد الدين مسعود الحارثى.

(١) على هامش ط: الدوايب جمع دولاب، ومعناها معاصر قصب السكر وأشباهاها من الصناعات التى تحتاج إلى الأدوات العجلية، كمصانع غزل الحرير والسواقى المائية.

(٢) المقصود بالمعاملات الأشغال التجارية الخاصة بالسلطان وبالمعاملات أيضا المكوس والضرائب المستحقة، وكانت تسمى الحقوق. انظر: نهاية الأرب ٩١/٣٠.

(٣) المقصود بقاعة الصاحب دار الوزارة. انظر: خطط المقرئى ٢٢٣/٢.

وفي سادس ربيع الآخر: أمر السلطان ممن مماليكه ستة وأربعين أميرا منهم طبلخاناه تسعة، وعشراوات سبعة عشر، وألوف عشرون؛ وشقوا القاهرة بالشرابيش، وكان يوما عظيما.

وفيهما قدم العسكر المجرى إلى الشام فى يوم الإثنين ثانى ربيع الآخر، وطلع الأمراء إلى القلعة، فقبض على عدة من الأمراء لميلهم إلى قرا سنقر: منهم جمال الدين أقوش نائب الكرك - وكان قد حضر من دمشق، وخلع عليه - وبييرس المنصورى نائب السلطنة بمصر، وسنقر الكمالى، ولاجين الجاشنكير، وبينجار، والدكز الأشرفى، ومغلطاي المسعودى، وسجنوا.

وفيهما استقر سودون الجمدار نائبا بحلب فى ربيع الأول، وتمر الساقى المنصورى فى نيابة طرابلس فى ربيع الآخر.

وفيهما كتب بطلب فضل أخى مهنا وولده أبى بكر، وسير إليه تقليد الإمرة عوضا عن مهنا، وأن مهنا لا يقيم بالبلاد، وخرج بذلك الأمير بهاء الدين أرسلان الدوادار.

وفيهما قبض أيضا فى رابع ربيع الأول على بييرس العلمى بمحص، وعلى الأمير بييرس المجنون. والأمير علم الدين سنجر البروانى، والأمير طوغان المنصورى، وبييرس التاجى، وقيدوا وحملوا من دمشق إلى الكرك، فسجنوا بها لميلهم مع قرا سنقر.

وفيهما استقر الأمير تنكر الناصرى فى نيابة دمشق، عوضا عن الأمير جمال الدين نائب الكرك، مستهل ربيع الآخر، وسار على اليريد يوم الجمعة سابعه، فدخلها يوم الخميس عشرى ربيع الآخر؛ ورسم له ألا يستبد بشيء إلا بعد الاتفاق مع الأمير سيف الدين أرقطاي، والأمير حسام الدين طرنطاي البشمقدار.

وفي سادس عشر ربيع الآخر: أمر السلطان فى يوم واحد ستة وأربعين أمير منهم طبلخاناه تسعة وعشرون، وعشراوات سبعة عشر، وشقوا القاهرة بالشرابيش والخلع.

وفى يوم الاثنين أول جمادى الأولى: استقر الأمير سيف الدين أرغون الدوادار الناصرى نائب السلطنة، عوضا عن بييرس الدوادار المنصورى. ورسم بنيابة صفد لبلبان طرنا أمير جاندار، عوضا عن بهادر آص، وأن يرجع بهادر إلى دمشق أميرا على عادته، فسافر إليها.

وفيه ركب السلطان إلى بر الجزيرة، وأمر طقتمر الدمشقى، وقطلوبغا الفخرى المعروف بالفول المقشر، وطشتمر البدرى حمص أخضر.

وفيهما هدم السلطان الرفرف الذى أنشأه أخوه الأشرف خليل على يد الشجاعى.

وفيهما ورد الخبر فى أول رجب بحركة خربندا وسبب ذلك رحيل مهنا إليه عند إخراج خبزه لأخيه، وإقامته عنده، وتقوية عزمه على أخذ الشام. وكان السلطان تحت الأهرام بالجيزة، فقوى عزمه على تجريد العساكر، ولم يزل هناك إلى عاشر شعبان، فعاد إلى القلعة، وكتب إلى نواب الشام بتجهيز الإقامات. وعرض السلطان العسكر، وقطع جماعة من الشيوخ العاجزين عن الركوب، وأنفق فيهم الأموال. وابتدأ العرض من خامس ربيع الآخر، وكمل فى أول جمادى الأولى، فكان السلطان يعرض فى كل يوم أميرين بنفسه من مقدمى الألوف، ويخرجان بمن معهما من الأمراء ومقدمى الحلقة والأجناد، وترحلوا شيئاً بعد شيء. من أول رمضان إلى ثامن عشره، حتى لم يبق بمصر أحد من العسكر.

وخرج السلطان فى ثانى شوال، ونزل مسجد تبر خارج القاهرة، ورحل فى يوم الثلاثاء ثالثه، ورتب بالقلعة سيف الدين أيتمش المحمدى. فلما كان ثامن قدم البريد برحيل التار ليلة سادس عشرى رمضان من الرحبة، وعودهم إلى بلادهم بعدما أقاموا عليها من أول رمضان، ففرق السلطان العساكر فى قانون^(١) وعسقلان^(٢)، وعزم على الحج. ودخل السلطان دمشق فى تاسع عشره، وخرج منها ثانى ذى القعدة إلى الكرك، وكان قد أقام بدمشق أرغون النائب للنفقة على العساكر وغير ذلك من الأعمال، وكلف الصحاب أمين الدين بن الغنم بجمع المال اللازم. ودخل السلطان الكرك فى ثامن ذى القعدة، وتوجه إلى الحجاز فى أربعين أميراً.

وفيهما خرج الصحاب أمين الدين عبد الله بن الغنم من القاهرة يوم الثلاثاء ثالث عشرى شوال، ودخل دمشق وأقام بها بعد توجه السلطان ليحصل الأموال، فأوقع الخوطة على الوزير والمباشرين، وطالب محبى الدين بن فضل الله بمال كبير عمل به أوراقا، وأغلظ عليه وأحاط بموجوده، وتتبع حواشيه؛ وصادر أمين الدين أكثر الناس. وأما القاهرة فإن الأمير علم الدين سنجر الخازن نقل من لاية البهسنا إلى لاية القاهرة، وأقام الأمير أيتمش المحمدى نائب الغيبة الحرمه، ومنع الأكابر من الهجرة وأنصف الضعفاء منهم. وحج بالركب المصرى الأمير مظفر الدين قيدان الرومى.

(١) منزل بين دمشق وبعليك. انظر: معجم البلدان ٣٠١/٤.

(٢) عسقلان: هى مدينة بالشام، بينها وبين فلسطين مرحلة، وهى الآن عامرة بأيدى الروم، وهى على ساحل البحر، فتحها معاوية على صلح سنة ثلاث وعشرين. وعسقلان بينها وبين الرملة ستة فراسخ، وأسواقها مفروشة بالرخام، وفيها عين ماء لإبراهيم عليه السلام، وبينها وبين غزة أربعة فراسخ. وعسقلان مدينة حسنة ذات سورين وليس لها من خارجها بساتين ولا شجر بها، وتغلب عليها الروم سنة ثمان وأربعين وخمسماية، وهى معدودة فى أرض فلسطين. انظر: معجم البلدان ١٢٢/٤، والروض المعطار ٤٢٠.

وفيهما استقر في نيابة قلعة دمشق عز الدين أيك الجمالي، عوضا عن بلبان البدرى، ثم كتب بأن يكون بلبان شريكا له، فباشرا جميعا. وفيها قدمت هدية الأشكرى.

* * *

ومات في هذه السنة ممن له ذكر

ضياء الدين أحمد بن عبد القوى بن عبد الرحمن القرشى الإسنائى المعروف بابن الخطيب. الفقيه الشافعى، وكانت وفاته ببلدة أدفو^(١) في شوال، وهو فى الطريق إلى الحج، فحمل إلى إسنا فدفن بها.

ومات تاج الدين أحمد بن محمد بن أبى نصر الشيرازى، محتسب دمشق وناظر الدواوين بها، فى رجب عن بضع وخمسين سنة.

ومات عماد الدين أبو العباس أحمد بن قاضى القضاة شمس الدين محمد بن إبراهيم بن عبد الواحد بن سرور المقدسى الفقيه الحنبلى، فى جمادى الآخرة بمصر، ومولده ببغداد سنة سبع وثلاثين وستمائة.

ومات زين الدين حسن بن عبد الكريم بن عبد السلام الغمارى الفقيه أبو محمد المالكى، سبط زيادة بن عمران، وكانت وفاته فى شوال بمصر، قرأ القرآن، وكان خيرا فاضلا.

ومات نور الدين على بن نصر الله بن عمر القرشى - المعروف بابن الصواف - الخطيب الفقيه الشافعى، فى رجب بمصر. وومات أبو الحسن على بن محمد بن هارون ابن محمد بن هارون الثعلبى الدمشقى - قارئ المواعيد - الفاضل الصالح، فى ربيع الآخر بمصر عن ست وثمانين سنة، وومات نور الدين أحمد بن الشيخ شهاب الدين عبد الرحيم ابن عبد عز الدين بن عبد الله بن رواحة الأنصارى الحموى بحماة، وكان فاضلا دينيا، وومات الملك المنصور نجم الدين غازى بن المنصور ناصر الدين أرتق بن إيلغازى بن ألبى بن تمر تاس بن إيلغازى بن أرتق الأرتقى، صاحب مارددين، فى تاسع رجب، وكانت إمرته نحو عشرين سنة، وكان مهابا، فقام بعده ابنه الملك العادل على، وأقام سبعة عشر يوما، ثم ملك أخو الملك الصالح شمس الدين بن الملك المنصور.

ومات الملك المظفر شهاب الدين غازى بن الناصر صلاح الدين داود بن المعظم عيسى بن العادل أبى بكر بن أيوب، يوم الإثنين ثانى عشر رجب بالقاهرة، عن نيف

(١) اسم قرية بصعيد مصر الأعلى، بين أسوان وقوص. انظر: معجم البلدان ١/١٢٦.

وسبعين سنة، وقد حدث، وماتت أصرأته ابنة عمه الملك المغيث بعده، فخرجت الجنازتان معا، وكان قد حج، وقدم القاهرة من طريق القدس بعدما زاره، ومولده بالكرك فى عاشر جمادى الأولى سنة تسع وثلاثين وستمائة، وكان دينا متواضعا فاضلا. ومات الأمير علم الدين سنجر الصالحى أمير آخور بدمشق، عن مال كبير جدا، ومات شرف الدين محمد بن موسى بن محمد بن خليل القدسى فى خامس عشر شعبان بالقاهرة، وكان يياشر التوقيع فى الإنشاء، ويكتب الخط المليح، ويقول الشعر، ويغلب عليه الهجاء، مع تفننه فى علوم كثيرة.

ومات تاج الدين عبد الرحيم بن تقى الدين عبد الوهاب بن الفضل بن يحيى السنهورى، فى يوم الثلاثاء، سابع عشر ربيع الآخر، وبأشر نظر النظار بديار مصر ستين سنة، وعرضت عليه الوزارة غير مرة فأبأها، وكان أمينا كثير الخير، ولم ينكب قط، وعاش مائة وتسع سنين، وعزل قبل موته.

ومات قاضى القضاة شمس الدين أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن داود بن حازم الأذرعى الحنفى بدمشق، وهو معزول.

ومات الشيخ عمر بن الشيخ أبى عبد الله بن النعمان، بمصر يوم الأربعاء خامس عشرى رمضان.

ومات شهاب الدين غازى بن أحمد الواسطى بحلب، فى ثامن عشر ربيع الآخر، وولى نظر الدواوين بمصر مدة، ثم نقل إلى نظر حلب، وولى نظر دمشق ونظر الصحبة، ركتب بديوان الإنشاء مدة.

ومات الفقيه نجم الدين أبو عبد الله محمد بن الفقيه جمال الدين عبد العزيز بن أحمد ابن عمر بن جعفر بن الهيب، فى خامس عشر جمادى الآخرة.

ومات بطر ابلس الأمير علاء الدين مغلطاي البهائى، وقد رسم بالقبض عليه، فمات قبل وصول البريد بيوم.

سنة ثلاث عشرة وسبعمائة

فى أول المحرم: قدم الأمير سيف الدين قجلىس من الحجاز إلى القاهرة مباشرة بعود السلطان.

وفى يوم الثلاثاء حادى عشره: قدم السلطان من الحجاز إلى دمشق، بعد دخوله إلى المدينة النبوية، وتوجهه على الكرك وكان دخوله إلى دمشق يوما مشهودا، بلغت فيه أجر البيوت مبلغا زائدا، حتى إن بيتا أخذت أجرته للنظر إلى السلطان فى مدة من بكرة النهار إلى الظهر ستمائة درهم. وعبر السلطان وهو على ناقه وعليه لشت^(١) من ملابس العرب بلثام، وبيده حربة، ولعب يوم السبت فى الميدان بالكرة. ثم أخذ فى الإنعام على بعض رجال دولته، فولى شمس الدين عبد الله بن غريال بن سعيد نظر دمشق على قاعدة الوزراء، وكان ناظر البيوت؛ ونقل الأمير بدر الدين بكوت القرمانى من شد الدواوين بدمشق إلى نيابة الرحبة، عوضا عن بدر الدين موسى الأزكشى. وخلع السلطان على الأمراء الذين كانوا صحبتته بالحجاز، وعدتهم نحو الأربعين أميرا، وأفرج عن المصادرين، وأعاد الفخر إلى نظر الجيش بديار مصر، وأعاد قطب الدين موسى بن شيخ السلامة إلى نظر الجيش بدمشق.

وصار السلطان إلى مصر فى سابع عشره، بعد أن أقام بدمشق خمسة عشر يوما، وصلى بالجامع الأموى الجمعة مرتين. وقدم قلعة الجبل فى يوم الجمعة ثانى عشر صفر، وكان يوما مشهودا.

وفىها نقل الأمير بدر الدين محمد بن فخر الدين عيسى التركمانى^(٢) من ولاية الجيزة إلى شد الدواوين، واستقر فخر الدين أياز الشمسى فى شد الدواوين بدمشق، عوضا عن القرمانى؛ واستقر كريم الدين أكرم بن الخطيرى - كاتب الحميدى - المعروف بكريم الدين الصغير، فى نظر الدواوين، رفيقا لتقى الدين أسعد كاتب يرلقى ابن أمين الملك مستوفى الحاشية.

(١) على هامش ط: البشت والبشت وجمعه بشوت. العباءة من الصوف بلونه الطبيعى.

(٢) محمد بن عيسى، بدر الدين، بن التركمانى: باني جامع المقياس بمصر. كان وزيرا بها. وزحف إلى مكة للقبض على الشريف حميضة، فنزلها وطرد العبيد، ونادى بالعدل. ونقل أميرا إلى الشام، ومنها إلى شد الدواوين بطرابلس سنة ٧٢٦هـ ثم عاد إلى القاهرة وتوفى بها. انظر: البداية والنهاية ١٨١/١٤ والدرر الكامنة ١٣٢/٤ والأعلام ٣٢٣/٦.

وفيها ابتدأ السلطان بعمارة الميدان تحت القلعة، فاختطه من باب الإسطبل إلى نحو باب القرافة، ووزع عمله على الأمراء، فنقلت جماهم الطين إليه حتى امتلأ، وغرس فيه النخل والأشجار، وحفرت فيه الآبار، وركبت عليها السواقي، وأدير عليه سور من حجر، وبني خارجه حوض ماء للسييل. فلما فرغت عمارته لعب السلطان فيه مع الأمراء بالكرة، وخلع عليهم وشملهم الإنعام الكثير.

وفيها اجتمع القضاة فى حادى عشر ربيع الآخر بالمدارس الصالحية بين القصرين للنظر فى الشهود، وأقيم منهم جماعة.

وفيها عمل السلطان أيضا أربع سواقي على النيل تنقل الماء وترميمه على الماء الجارى من النيل إلى السور حتى يصل إلى القلعة، ورم السور وأزال شعثه، فكثر الماء بقلعة الجبل، وزاد البئر الظاهرى المجاور لزاوية تقى الدين رجب. بأن عمل عليه نقالة إلى بئر الإسطبل، واهتم بعمل مصالح الجسور التى بالنواحي والترع.

وفيها قبض على صاحب أمين الدين عبد الله بن الغنام فى يوم الخميس سابع عشرى جمادى الأولى، وألزم بحمل ثلاثمائة ألف درهم، وذلك بسعى كريم الدين الكبير وبدر الدين بن التركمانى. وأغرق السلطان به، وقيل له إنه أخذ مالا كثيرا من المصادرين. بمصر والشام.

وفيها أبطلت الوزارة، فلم يل أحد بعد أمين الدين، ونقل كريم الدين أكرم الصغير من ديوان الجيش إلى نظر الدولة، شريكا للتنقى أسعد بن أمين الملك كاتب برلغى كما تقدم، واستقر شرف الدين الخيرى كاتب سلا، والتاج إسحاق، الموقف أخو الخيرى، مستوفى الدولة. فانفرد كريم الدين الكبير بالتمكن من السلطان، وصارت الأمور كلها منوطة به، وركب بجييين^(١)، وخلع عليه أطلس بطرز زركش، وأشهد على السلطان أنه ولاه جميع ما ولاه الله تعالى، وكاتبه الملوك المجاورة مثل ما كاتبوا السلطان.

وفيها أخذ كريم الدين الكبير مع السلطان فى العمل على الوزير، وأغراه بالأسعد غيريال كاتب نائب السلطنة، وأنه كثير الظلم، وأنه نقل إلى أستاذه أمورا تضرر الدولة، وأغراه بالعلم كبيبه كاتب منكلى بغا. وما زال كريم الدين الكبير بالسلطان حتى سلم الأسعد إلى الأمير علم الدين سنجر الخازن متولى القاهرة، ليخلص منه المال، وسلم العلم كبيبه إليه أيضا، وضربا قدام السلطان، وضرب معهما أمين الدين بن الغنام بالعصى، إلا غيريال فإنه ضرب بالمقارع. وأوقعت الحوطة على موجود غيريال، وسلم

(١) على هامش ط: مفرد هذا اللفظ حنيب. والجمع جنائب وهى الخيول المسرحة التى كان من

اللازم قيادتها وراء السلاطين خاصة فى المواقب والحروب، لاحتمال الحاجة إليها.

هو وأمين الدين إلى شاد الدواوين، ورسم لمجد الدين سالم أن يتولى بيع موجودهما وحمله إلى بيت المال، فأقام البيع نحو شهر. وحمل من أمين الدين نحو ثلاثمائة ألف درهم من ثمن المبيع، ولم يوجد له نقد ألته؛ ثم أفرج عنه. وأما غريبال فإن الخازن وإلى القاهرة عاقبه حتى هلك بعد أسبوع. وما زال أمين الدين ملازما لداره إلى يوم السبت تاسع عشرى ذى الحجة، فاستدعى وأخلع عليه، واستقر ناظر النظار عوضا عن الصاحب ضياء الدين النشائي، ونقل النشائي إلى نظر الخزانة، عوضا عن سعد الدين الحسن بن عبد الرحمن الأقفهسى بعد وفاته.

ولما استقر أمين الدين فى نظر النظار، ودخل عليه مجد الدين سالم ليهنه، والجلس غاص بالناس، نظر أمين الدين إلى الحاضرين، وقال: «هذا القاضى مجد الدين تفصل فى حقى. حيث كان يتولى أمرى فى بيع حواصلى، وباع حتى زبادى المطبخ». فالتفت إليه المجد على الفور، وكان مقدما جريشا، وقال له: «يا مولانا إنى والله تفضلت عليك، وأحسنك إليك غاية الإحسان، وخدمتك أتم خدمة، وبعث من زبادى ونحاس وفرش بمبلغ ثلاثمائة ألف درهم، وما تحدثنا فى ظهور درهم ولا دينار، بل سكتنا، ونحن سكوت إلى الآن». فلم يجب أمين الدين سوى بقول «حسبنا الله».

وفىها ولى السلطان الأمير بدر الدين محمد بن كندغدى بن الوزيرى نيابة دار العدل وشد الأوقاف، بسبب قصة رفعت فى الأوقاف. وكان ابن الوزيرى أمينا حاد الخلق عارفا بالأموار. فباشر الأوقاف فى داره يوم الثامن من ربيع الأول.

وجلس ابن الوزيرى بدار العدل فى يوم السبت خامس عشرى ربيع الأول، وجلس القضاة الأربعة بين يديه بدار العدل، ورفعت إليه القصص، وصرف الأمور، وطلب سائر مباشرى الأوقاف وأزمهم بعمل الحساب مدة عشرين سنة بالأوقاف، وطلب موادع الحكم وتشدد عليهم. فقلق القضاة من ذلك، وسألوه الإغضاء عن ذلك؛ فتمادى فى الطلب، وأحرق بعدة من المباشرين، وضربهم لفساد حسابهم. فقام قاضى بدر الدين محمد بن جماعة فى العمل عليه - وكان عارفا بالسعى، وله فى ذلك أيد وتراتب - ووافق رفاقه وصار إلى القاضى كريم الدين الكبير بنفسه، وترامى عليه، ثم اجتمع بالفخر ناظر الجيش، وبعلاء الدين كاتب السر، وبعدة من الخاصكية، وما زال بهم حتى خيلوا السلطان من ابن الوزيرى أنه شرس الأخلاق، وله أغراض فاسدة، وقصده إهانة القضاة، وأهل العلم وخط أقدارهم، وقد كثر الدعاء على السلطان بسببه. فلما تكاثر ذكر ذلك لدى السلطان، وبلغه عدة حكايات عنه، ومنعه من التحدث فى الأوقاف، ومن حيثئذ بدت عداوة ابن جماعة لفتح الدين محمد بن سيد

الناس، واشتد الأمر بينهما إلى أن بلغ السلطان ذلك وتسلط الشهاب أحمد بن عبد الدائم الشارمساحى الشاعر على ابن جماعة، وهجاه بعدة قصائد بعثها إليه، ورتب هو وابن سيد الناس القصيدة التى أولها:

«ترى يسمع السلطان شكوى المدارس»، وعدتها ستون بيتا، فحبسه ابن جماعة بسببها، لأنه أذع فيها، وشهرها فى الناس إلى أن قرئت على السلطان، فقام أيدغدى شقير فى حقه، وأخرجه من السجن.

وفى يوم السبت ثانى جمادى الأولى: استقر صدر الدين بن المرحل فى تدريس الزاوية المجدية بالجامع العتيق، عوضا عن جلالى الدين على بن عبد الله العسلوجى بحكم عزله.

وفى يوم الثلاثاء رابعة: أوفى النيل، وهو آخر أيام النسيء قبل المفرد^(١) ثم قدم المفرد بعد الوفاء فى يوم الخميس سادسه.

وفىها عمل الروك بالبلاد الشامية، وندب له الأمير علم الدين سنجر الجاولى نائب غزة، وابن معبد، ومعين الدين هبة الله بن حشيش ناظر الجيش بالشام، مع مباشرى ديوان الجيوش بمصر. فتوجه الجاولى إلى دمشق، وأمام مع الأمير تنكر النائب إلى أن عملت أوراق بعيرة البلاد ومنحصلها، وما فيها من إقطاع ووقف وملك. وكمل ذلك فى ذى الحجة، ونقلت سنة اثنتى عشرة إلى سنة ثلاث عشرة، وجهزت الأوراق إلى السلطان فقرئت عليه؛ فكتب السلطان مثالات جديدة لأمرء دمشق وأجنادها، ووفر عدة إقطاعات وبلاد أدخلها فى ديوان الخاص، وزاد إقطاع النيا، وكتب بلك مناشير سار بها على اليريد الأمير سيف الدين قجلىس حتى فرقها على أربابها وعاد.

وفىها توجهت تجريدة إلى مكة صحبة الأمير سيف الدين طقصاى الناصرى والى قوص، وسيف الدين بيدوا، وعلاء الدين أيدغدى الخوارزمى، وصاروجا الحسامى، وتوجه دمشق سيف الدين بلبان البدرى مع الركب، وأضيف إليهم عدة من الأجناد، وذلك بسبب حميضة بن أبى نعى، فإنه كثر ظلمه.

وفىها قبض على الأميرين عز الدين أيبك الرومى المنصورى، وركن الدين بييرس الأحمدى أمير جاندار، فى رابع عشرى رمضان. وبسبب ذلك مفاوضة جرت بين الأمير علاء الدين أيدغدى شقير وبين أيبك الرومى بمحضرة الأمرء على باب القلعة، فى انتقال إقطاعات بينهما خرجا فيها عن الحد. فخرج الأمير طغاي وهما فى ذلك -

(١) على هامش ط: المقصود بلفظ المفرد غاية ارتفاع النيل.

وكان يعنى بأيدغدى حتى قربه من السلطان - فشق عليه استطالة أيسك من أجل أنه من أمراء البرجية وشجعانهم، وممن عرف بالعفة. فلما كانت خدمة العصر بلغ السلطان ما كان بينهما، فرسم بحملهما إلى ديوان السلطان، ومن تعين عليه شيء قام به، وأسر ما أغراه به طغاي فى نفسه. ثم قبض السلطان عليه وعلى الأحمدي، وبعث إلى الأحمدي مع قجليس «بأنك وحشداشك اتفتتما على أنه يتسلطن»، فبكى وسأل الله إن كان ما نقل عنهما حقا أنى يقسى قلب السلطان عليهما، وإن كان كذبا أن يحننه عليهما. فلما أعاد قجليس هذا على السلطان رق له، وأمر به فك قيده، وأحضر وأعطى سيفه، وخلع عليه من ساعته، وذلك فى رابع عشرى شوال.

وفىها أرسل السلطان صدر الدين محمد بن عمر بن المرحل على البريد إلى الأمير مهنا ليرده إلى الطاعة، فإنه حصل منه حيف على التجار، وقطع أولاده وعربانه الطرقات فاجتمع به ابن المرحل قريبا من العراق، وما زال به يعده برد إقطاعه ويرغبه إلى أن أذعن، وبعث معه بابنه موسى، وجهاز القود على العادة صحبة ولده سليم. فقدم ابن المرحل بموسى بن مهنا فى ربيع الآخر، وأنزل موسى فى القاعة الأشرفية بالقلعة وأكرم إكراما زائدا، ثم قدم القود، وأعيدت الإمرة لمهنا، وزيد إقطاعه مبلغ مائى ألف درهم؛ وأعيد إقطاع فضل إليه على عاداته قبل الإمرة.

وفىها توجه السلطان إلى الصيد فى ثامن عشرى رجب، ونزل تحت الأهرام بالجيزة، وأظهر أنه يريد الصيد والقصد أحد العربان، فإنه كثر قطعهم الطريق، وكسروا الخراج. وبعث السلطان عدة من الأمراء حتى أمسكوا طريق السويس وطريق الواحات، فضبط البرين على العربان، ثم رحل من منزلة الأهرام بالجيزة، وسار إلى فرجوط^(١). وعاد السلطان إلى القلعة فى يوم السبت عاشر رمضان، وقد أخذ كثيرا من العربان؛ وبعثهم مقيدى فى المراكب إلى القاهرة، فسجنوا واستعملوا فى الجسور، وقبض على مقدار بن شماس - وكان قد عظم ماله حتى بلغ عدد جواريه أربعمائة جارية، وعدة أولاده ثمانون ولدا - وقتل عدة كثيرة من العربان، وعاد. فحبس (السلطان) مقدادا مدة ثم أفرج عنه، وأنعم عليه بمال وغلل، وكتب برد أهله وأولاده وعبده إليه، وأنزله بالناصرية التى أنشأها خليج الإسكندرية، فأقام مقدار هناك، وأنشأ للبيوت والسواقي والدواليب، وعمر تلك الجهات، وبقي عقبه من بعده بها.

وفىها ابتدئ بعمل القصر الأبلق على الإسطبل فى أول السنة، فكمل فى سابع عشر

(١) الراجح أنها بلدة فرشوط - أو برشوط - التابعة لمركز نجع حمادى بمديرية قنا الحالية. انظر:

رجب. وقصد السلطان أن يحاكي به قصر الملك الظاهر بيبرس بظاهر دمشق، واستدعى له الصناع من دمشق، وجمع صناع مصر، فكمل، وأنشأ بجانبه جنينة. وعمل السلطان عنده سماطا للأمرء، وخلع عليهم، وحمل إلى كل أمير مائة ألف دينار، وإلى كل أمير طبلخاناه عشرة آلاف درهم، ولكل مقدم حلقة خمسمائة درهم فكان جملة ما فرق في هذا المهم خمسمائة ألف ألف وخمسمائة ألف درهم. وصار السلطان يجلس فيه سائر الأيام، ما عدا يومى الإثنين والخميس فإنه يجلس فيهما بالإيوان.

وفيها أخرج السلطان مناظر اللوق بالميدان الظاهري، وعملها بستانا، وأحضر إليه سائر أصناف الزراعات، واستدعى حولة الشام والمطعمين، فجاء من أبداع البساتين، وعرف أهل جزيرة الفيل منه صناعة تطعيم الشجر، واغتنوا بها.

وفيها ركب السلطان إلى الجيزة، وندب بدر الدين بن التركمانى لعمل جسورها وقناطرها، واستدعى المهندسين. فأنشأ ابن التركمانى لكل بلد جسرا متقنا وعمل جسرا من البحر إلى أمدنيار، وخرج العسكر جميعه والأمراء بمضافهم للعمل فى ذلك، فكان مهما عظيما، وصار السلطان يركب إليه كل قليل حتى كمل، وعمرت القناطر من حجارة الهرم الصغير، ومن حجارة القناطر الظاهرة^(١) التى تعرف بالأربعين قنطرة.

وأكثر السلطان من العمائر، وولى آقسنقر أمير آخور شاد العمائر، وأحضر العتالين من سائر البلاد الشامية، وأفرد للعمائر ديوانا بلغ مصروفه فى كل يوم اثنى عشر ألف درهم إلى ثمانية آلاف، وهى أقل ما كان يصرف فى اليوم الواحد. وأنشأ السلطان دار البقر التى كانت برسم بقر السواقى السلطانية، بباب القلعة بجوار إسطنبول الطويل، وندب لذلك كريم الدين الكبير، فأنفق عليها ما ينيف على ألف ألف درهم وأنشأ دارا للأمير سيف الدين طاش تمر «حمص أخضر» بحجرة اليقر، واشترى له بستان ابن المغربى بجزيرة الفيل بتسعين ألف درهم. فامتدت أيدي الناس إلى العمارة، وكأنا نودى فى الناس ألا يبقى أحد حتى يعمر، وذلك أن الناس على دين ملكهم. وأنعم السلطان على الأمير سيف الدين طغاي بدار الملك المنصور قلاوون بالقاهرة.

وفيها ابتداء الناس بعمارة ناحية اللوق خارج المقس، وعمارة أراضى بستان الخشاب فيما بين اللوق ومنشأة المهراى على النيل.

وفيها قدم البريد بإجراء الأمير علم الدين سنجر الجاولى عين ماء إلى الخليل، وأنه عمر بمسجد إبراهيم الخليل عليه السلام عمائر حسنة وجعل عليها أوقافا.

وفيها تسحب علاء الدين على بن الأمير بدر الدين بن المحسنى إلى بلاد الغرب فى نحو المائتين، وخرج الطلب خلفهم خمسة أيام فلم يدر كوا.

وفيها قدم البريد من حلب بقلة الماء بها، وقد عين أهلها مواضع يساق فيها الماء حتى يرمى إلى نهر الساجور^(١) فيصير نهرا يجرى فى المدينة، وأن قياسه من نهر قويق^(٢) إلى الساجور أربعة وأربعون ألف ذراع طولاً فى عمق ذراعين، وأنه كتب تقدير المصروف على ذلك ثلاثمائة ألف درهم، فأنعم من مال السلطان الخاص بمبلغ مائة وخمسين ألف درهم، ورسم لنائب حلب سيف الدين سودى أن يقوم من ماله بمبلغ مائة وخمسين ألف درهم؛ فوق العمل فى ذلك.

وفيها قدم البريد أيضا بامتناع مهنا من الحضور. وذلك أن السلطان لما حضر ولداه سليمان وموسى أنعم عليهما إنعاما كثيرا، وبعث إليه بعد مجيء القود بهدية، واستدعاه وحلفه. وضمن سليمان وموسى إحضار أبيهما إلى مصر، وسافرا، ثم خرج بعدهما الأمير بهاء الدين أرسلان الدوادار بكتاب ليحلفه ويعدده ويتلطف به ليحضر، فأوصله الكتاب ورغبه فى الحضور، فامتنع من اليمين والحضور. فاشتد حنق السلطان منه، ورسم أن يخرج من عسكر مصر ألفا فارس مع الأمير قجليس، ومن عسكر دمشق ألف فارس مع الأمير سيف الدين أرقطاي. واستدعى السلطان فضل بن عيسى، وأعاد إليه الإمرة عوضا عن مهنا، وكتب إلى عرب بنى كلاب وآل مرى وآل فضل وآل على بالركوب مع العساكر، وأخذ مهنا وأولاده وإخراجهم من البلاد، فوقع الشرع فى التجهز للسفر.

وفيها سمل السلطان عينى علاء الدين على بن سعد الدين الفارقى الموقع، وكحلا بسبب التزوير فى المراسيم وأخذه على ذلك جملة من المال.

وفى سادس عشرى ذى القعدة: قدمت رسل الملك أزيك صاحب سراى، ورسلا الأشكرى^(٣)، فأنزلوا بمنابر الكيش.

* * *

ومات فى هذه السنة

ممن له ذكر أبو بكر بن محمد - وقيل عمر - بن تقي الدين المشيع المقصاتى الجزرى؛

(١) اسم نهر. بمنج. انظر: معجم البلدان ٣/١٧٠.

(٢) نهر مدينة حلب مخرجه من قرية تدعى سبتات. انظر: معجم البلدان ٤/٤١٧.

(٣) على هامش ط: المقصود بالأشكرى إمبراطور الدولة البيزنطية وكان الإمبراطور فى

هذه السنة أندرنيق الثانى بالبولوج.

ولد مجزيرة ابن عمر، وعمل صناعة المقصات، ثم ولى وظائف بدمشق، ومات بدمشق عن بضع وثمانين سنة، فى ليلة السبت حادى عشرى جمادى الآخرة؛ وقرأ الناس القراءات بمصر والشام نحو خمسين سنة، وقرأ على الشيخ عبد الصمد وغيره، وروى عن ابن الكواشى تفسيره، وكان عارفاً بالقراءات ديناً.

ومات الأمير ركن الدين بيبرس المحمدى العدينى، فى ذى القعدة بحلب؛ حدث عن جماعة.

ومات عز الدين عبد العزيز بن منصور التاجى الكولسى، بالإسكندرية فى رمضان؛ كان أبوه يهودياً من حلب يعرف بالحموى، فأسلم وسافر ابنه عبد العزيز هذا بماله وهو نحو خمسمائة ألف درهم إلى بغداد، وعبر الهند، وقدم مصر سنة أربع وسبعمئة ببضاعة قيمتها أربعمئة ألف دينار؛ وكان فيه خير وبر، وله صدقات.

ومات فخر الدين أبو عمرو عثمان بن محمد بن عثمان التوزرى الحافظ، بمكة فى ربيع الآخر، وكان إماماً فى الحديث والقراءات، وجاوز عدة سنين.

ومات عماد الدين أبو الحسين على بن فخر الدين عبد العزيز بن قاضى القضاة عماد الدين عبد الرحمن بن السكرى الشافعى، خطيب الجامع الحاكمى بالقاهرة، ودرس المشهد الحسينى بها، فى سادس عشرى صفر يوم الجمعة، ومولده فى خامس عشرى المحرم سنة ثمان وثلاثين وستمئة، وهو الذى توجه فى الرسالة إلى غازان، فولى خطابة الجامع الحاكمى وتدرىس منازل العز بعده القاضى تاج الدين المناوى الشافعى، وولى تدرىس المشهد الحسينى صدر الدين محمد بن عمر بن المرهل.

ومات مجد الدين محمد بن حمزة بن معد الفرجوطى بمدينة فرجوط، وله شعر.

ومات قطب الدين يوسف بن أصيل الدين محمد بن إبراهيم بن عمر العوفى الأسفردى، خطيب جامع الصالح خارج باب زويلة، فجأة ليلة السبت عشرى رجب، واستقر عوضه الشيخ زين الدين عمر بن يونس الكتانى.

ومات الشيخ تاج الدين محمد بن على بن همام العسقلانى، إمام جامع الصالح، ليلة السبت حادى عشرى شعبان، ومولده فى رابع عشرى ربيع الآخر سنة سبع وأربعين وستمئة، واستقر عوضه ابنه تقى الدين محمد.

ومات الأمير جمال الدين آقوش الكنجى متولى قلاع الإسماعيلية بقلعة مصياب^(١)،

(١) حصن حصين مشهور للإسماعيلية بالساحل الشامى قرب طرابلس. انظر: معجم البلدان

وكان قد وليها من الأيام الظاهرية، وعزل في الأيام المنصورية، ثم أعيد وعزل في الأيام الأشرفية، ثم أعيد، وكان مطاعا فيهم بحيث إنه إذا أمر بقتل نفسه يبادر لذلك.

ومات صدر الدين محمد بن البارنبارى يوم الإثنين عشرى شعبان.

ومات الشيخ نجم الدين أبو عبد الله محمد بن عماد الدين يحيى بن الرفعة، مرتفع يوم الإثنين ثامن عشرى ربيع الآخر.

ومات جمال الدين بن المجد مستوفى ديوان الماليك فى حادى عشر ذى الحجة، واستقر عوضه أمين الدين بن الخطاب.

ومات الشيخ أمين الدين بن الصعبى، يوم الأحد عشرى ذى الحجة.

ومات الفقيه زكى الدين البهنسى، فى شهر رمضان.

ومات الشيخ الرشيد، فى سلخ رجب برباط الأفرم، وكان يلى مشيخته

* * *

سنة أربع عشر وسبعمائة

مستههل المحرم: وافقه حادى عشرى برمودة.

فيه اخضر ماء النيل، وتغير لونه تغيرا زائدا عن العادة، وتغير طعمه وريحه أيضا، وجرت العادة أن يكون فى هذه الأيام فى غاية الصفاء.

وفى نصف المحرم: اتفق أنه كان للنصارى مجتمع بالكنيسة المعلقة بمصر، واستعاروا من قناديل الجامع العتيق جملة. فقام فى إنكار ذلك الشيخ نور الدين على بن عبد الوارث البكرى، وجمع من البكرية وغيرهم خلائق، وتوجه إلى المعلقة وهجم على النصارى وهم فى مجتمعهم وقناديلهم وشموعهم تزهروا، فأحرق بهم وأطفأ الشموع وأنزل القناديل. وعاد البكرى إلى الجامع، وقصد القومة، فاحتجوا أن الخطيب القسطلانى هو الذى أمر بإرسال القناديل إلى الكنيسة، فأنكر على الخطيب فعله. وجمع البكرى الناس معه على ذلك، وقصد الإخراق بالخطيب، فاختلفى منه وتوجه إلى الفخر ناظر الجيش وعرفه بما وقع، وأن كريم الدين أكرم هو الذى أشار بعارية القناديل فلم يسعه إلا موافقته. فلما كان الغد عرف الفخر السلطان بما كان، وعلم البكرى أن ذلك قد كان بإشارة كريم الدين، فسار بجمعه إلى القلعة واجتمع بالنائب وأكابر الأمراء، وشنع فى القول وبالع فى الإنكار، وطلب الاجتماع بالسلطان. فأحضر السلطان القضاة والفقهاء وطلب البكرى، فذكر البكرى من الآيات والأحاديث التى تتضمن معادة النصارى، وأخذ يحط عليهم، ثم أشار إلى السلطان بكلام فيه جفاء وغلظة حتى غضب منه عند قوله: «أفضل المعروف كلمة حق عند سلطان جائر. وأنت وليت القبط المسألة، وحكمتهم فى دولتك وفى المسلمين، وأضعت أموال المسلمين فى العمائر والإطلاقات التى لا تجوز»، إلى غير ذلك، فقال السلطان له: «ويلك! أنا جائر؟». فقال: «نعم! أنت سلطت الأقباط على المسلمين، وقويت دينهم». فلم يملك السلطان نفسه عند ذلك، وأخذ السيف وهم بضربه. فأمسك الأمير طغاي يده، فالتفت السلطان إلى قاضى القضاة زين الدين بن مخلوف، وقال: «هكذا يا قاضى يتجرأ على؟ إيش يجب أفعل به؟ قل لى!»، وصاح به. فقال له ابن مخلوف: «ما قال شيئا ينكر عليه فيه، ولا يجب عليه شىء، فإنه نقل حديثا صحيحا». فصرخ السلطان فيه وقال: «قم عنى!». فقام من فورهِ وخرج. فقال صدر الدين بن المرحل - وكان حاضرا - لقاضى القضاة بدر الدين محمد بن جماعة الشافعى: «يا مولانا! هذا الرجل تجرأ على السلطان، وقد

قال الله تعالى أمرا لموسى وهارون حين بعثهما إلى فرعون ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيْنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾^(١). فقال ابن جماعة للسلطان: «قد تجرأ ولم تبق إلا مراحم مولانا السلطان». فانزعج السلطان انزعاجا عظيما، ونهض عن الكرسي، وقصد ضرب البكرى بالسيف، فتقدم إليه طغاي وأرغون في بقية الأمراء، وما زالوا به حتى أمسك عنه، وأمر بقطع لسانه. فأخرج البكرى إلى الرحبة، وطرح إلى الأرض، والأمير طغاي يشير إليه أن يستغيث، فصرخ البكرى وقال: «إنا في جيرة رسول الله»، وكررها مرارا حتى رق له الأمراء، فأشار إليهم طغاي بالشفاعة فيه، فتهضوا بأجمعهم وما زالوا بالسلطان حتى رسم بإطلاقه وخروجه من مصر. وأنكر الأمير أيدير الخطيرى كون البكرى قوى نفسه أولا في مخاطبة السلطان، ثم إنه ذل بعد ذلك، ونسب إلى أنه لم يكن قيامه خالصا لله.

وفيه قدم الركب من الحجاز، وقد كثرت الشكوى من الأمير بلبان الشمسى أمير الركب، وأنه كثير الطمع مفرط في أمر الحاج سبيع السيرة، فقبض عليه. وفيه أفرج عن الأمير برلغى صهر المظفر بيبرس.

وفيه قدم البريد من دمشق بأنه قد اجتمع على الناس بواق كثيرة من ضمانات ومقررات على أهل البلاد، وقد تضرروا منها. فكتب مثال بمساحة أهل الشام بالبواقي لاستقبال سنة ثمان وتسعين وستمائة وإلى آخر سنة ثلاث عشرة وسبعمائة، وسير إلى دمشق فقري بها على منبر الجامع في يوم الجمعة عاشر المحرم، وتلاه مثال آخر بإبطال المقرر على السجون، وإعفاء الفلاحين من السخر، وإبطال مقرر الأقباب، ومقرر ضمان القواسين، ورسوم الشد والولاية. فأبطل ذلك كله من جميع ممالك البلاد الشامية بأسرها.

وفيه كتب لنواب حلب وحماة وحمص وطرابلس وصفد بأن أحدا منهم لا يكتب السلطان، وإنما يكتب الأمير تنكر نائب الشام، ويكون هو المكاتب في أمرهم للسلطان. فشق ذلك على النواب، وأخذ الأمير سيف الدين بلبان نائب صفد ينكر ذلك، فكتب فيه تنكر السلطان حتى عزل في صفر، واستقر عوضه الأمير بلبان البدرى، وحمل طرنا في القيد إلى مصر، وسجن بالقلعة.

وفيه استقر الأمير علاء الدين أطنبغا الحاجب في نيابة حلب، بعد وفاة الأمير سيف الدين سودى في نصف رجب. وقدم زين الدين قراجا الخزندارى والخاص ترك من بلاد طقطاي، وأخيرا بموته، وهو طقطاي بن منكوتر بن طغان بن باطو بن جوجى

ابن جنكز خان ملك التتار ببلاد الشمال، أقام فى الملك مدة ثلاث وعشرين سنة، وكان يعبد الأصنام على دين البخشية^(١)، وملك بعده أزبك خان بن طغرل بن منكوتر بن طغان.

وفىها اهتم السلطان بعمارة جسور نواحي أرض مصر وترعها وندب الأمير عز الدين أيدير الخطيرى إلى الشرقية، والأمير علاء الدين أيغدوى شقير إلى البهنساوية، والأمير شرف الدين حسين بن حيدر إلى أسبوط ومنلفوط والأمير سيف الدين آقول الحاجب إلى الغربية، والأمير سيف الدين قلى أمير سلاح إلى الطحاوية^(٢) وبلاد الأشمونين^(٣)، والأمير بدر الدين جنكلى بن البابا إلى القليوبية، والأمير علاء الدين التليلى إلى البحيرة^(٤)، والأمير بدر الدين بكتوت الشمسى إلى الفيوم^(٥)، والأمير سيف الدين بهادر المعزى إلى إهميم، والأمير بهاء الدين أصلم إلى قوص.

وفىها قدم الأمراء المجردون إلى الحجاز: وكان من خيرهم أنهم لما وصلوا صحبة الحاج من السنة الماضية فر الشريف حميضة نحو اليمن، وأقام بحلى بنى يعقوب: فلما انقضى الموسم وخرج الحاج أقام الأمير طقصبا المغربى بالمعسكر حتى رتب الشريف أبا الغيث فى إمارة مكة، ولم يزل مقيما معه مدة شهرين بعد انقضاء الحج. ولم تمطر تلك السنة بمكة، وقل الجلب، فكثرت كلف العسكر، واحتاج طقصبا إلى السفر. فأشهد عليه أبو الغيث أنه أذن له فى السفر، وكتب بذلك إلى السلطان. فلم يكن بعد توجه العسكر من مكة غير قليل حتى جمع حميضة وقدم، ففر منه أبو الغيث إلى هذيل بوادى نخلة، وملك (حميضة) منه مكة، وبعث حميضة إلى السلطان القود اثنى عشر فرسا وكتابا، وهو يترفق ويبدل الطاعة ويعتذر؛ فلم يقبل منه العذر، وحبس رسوله.

وفىها توجه الأمير قجلس لقبض مال سودى نائب حلب وكشف أخبار مهنا، فأشار تنكز نائب الشام بإخراج مهنا من البلاد وأن عسكر الشام يكفيه، فبطل أمر التجريدة من مصر. وجرى من الشام الحاج أرقطاي وكجكن، ومن حماة ألف فارس مع عسكر طرابلس وحلب، وخرج طلب قجلس من القاهرة ليكون مقدم العساكر، فاجتمعت عنده العساكر والعربان بحلب. وبلغ ذلك مهنا فأجمع على الرحيل، وسارت إليه

(١) على هامش ط: البخشية لفظ مغولى، ومعناه الكهنة البوذيون، والمقصود به هنا طائفة تدين

بالرهبانية والفقر والسحر.

(٢) هى كورة من كورة الصعيد. انظر: صبح الأعشى ٣/٣٩٤.

(٣) هى قصبه كورة من كور الصعيد الأدنى غربى النيل. انظر: معجم البلدان ١/٢٠٠.

(٤) البحيرة: كورة معروفة من نواحي الإسكندرية بمصر. انظر: معجم البلدان ١/٣٥١.

(٥) ولاية غربية بمصر بينها وبين القسطنط أربعة أيام. انظر: معجم البلدان ٤/٢٨٦.

العساكر، فلما قاربته رحل وهي في إثره إلى عانة والحديثة^(١) من العراق، فحفلت أهل البلاد. وبلغ ذلك جويان نائب خربندا ملك التار، فظن أن السلطان قد نقض الصلح ويريد أخذ العراق، فانزعج لذلك إلى أن بلغه مجيء العسكر بسبب العرب، وأنه لم يتعد عانة ولا تعرض لزراع البلاد ولا كرومها، فسكن ما به. ورجع العسكر عن عانة إلى ضيعة تعرف بالعنقاء^(٢) من ضياع مهنا، وأخذ ما كان بها من المغل، وسار كذلك إلى ضياع مهنا حتى وصل الرحبة، وقد حمل الغلال إليها. فبعث السلطان إلى قجليس بعود العساكر إلى بلادها، وإقامته على سلمية^(٣) إلى أن يخزن مغلها بقلعة حلب، فاعتمد ذلك وأقام حتى استغل سلمية، وعاد قجليس إلى القاهرة فأخلع عليه.

وفيهما خرج عسكر من القاهرة في أول ذى القعدة: فيه من الأمراء سيف الدين بكتمر البوبكري السلاح دار وإليه تقدمه العسكر وقلى السلاح دار، وعلم الدين سنجر الجمقدار، وركن الدين بيبرس الحاجب، وبكتمر البوبكري الجمدار، وبدر الدين محمد بن الوزيري، وأيتمش الحمدي، بمضافيهم من الأمراء ومقدمى الحلقة والأجناد. وكتب لنائب الشام الأمير تنكز بالمسير معهم بعسكر دمشق، وأن يكون المقدم على جميع العساكر، وكتب بخروج عساكر حماة وحلب وطرابلس، وأشيع أن ذلك لغزو سويس. فوصل عسكر مصر إلى دمشق في عشره، وأقام بها حتى انقضت السنة.

واتفقت حادثة غريبة بالقاهرة: وهو أن رجلا من سكان الحسينية يقال له على بن السارق ركب في يوم الجمعة فرسا وبه سيفه، وشق القاهرة فما وجد بها يهوديا ولا نصرانيا إلا ضربه، فجرح جماعة، وقطع أيدي جماعة، وشج جماعة، ثم أمسك خارج باب زويلة، وضرب عنقه.

* * *

ومات فيها ممن له ذكر

رشيد الدين إسماعيل بن عثمان الدمشقي الخنفي، بمصر في رجب عن إحدى

(١) الحديثة: كورة من كور الموصل، قال اليعقوبي: الحديثة مدينة عامرة أهلة على شاطئ دجلة لها فرض وأسواق، وهي كورة من كور النوصل لها عمارات وقرى، وأهلها أخلاط من العرب والعجم، ولها غلات واسعة وخصب وهي شرقي دجلة، وبها مصب نهر الزاب الكبير، ومنها إلى الموصل مرحلة. وكان محمد بن مروان بن الحكم لما ولي الجزيرة أيام عبد الملك بن مروان بناها وصير فيها جنداً ونقل إليها قوماً من العرب من البصرة وغيرها، والأزد أكثرهم، وكان بنائها سنة اثنتين وسبعين. ولما اختط هزيمة الموصل وأسكنها العرب أتى الحديثة وكانت قرية بها بيعتان وأبيات للنصارى ففصرها وأسكنها قوماً من العرب، فسميت الحديثة لأنها بعد الموصل. انظر: معجم البلدان ٢٣٠/٢، والروض المعطار ١٨٩، ١٩٠.

(٢) العنقاء: موضع بناحي البحرين. انظر: معجم البلدان ١٠٦٢/٤.

(٣) سلمية: هي بلدة في ناحية البرية من أعمال حماة. بينهما مسيرة يومين. انظر: معجم البلدان

٢٤٠/١، واليعقوبي ٣٢٤، ونزهة المشتاق ١٩٦، والروض المعطار ٣٢٠.

وتسعين سنة، أخذ القراءات عن السخاوى، وأفتى ودرس، وقدم القاهرة من سنة سبعمائة فى الجفل.

ومات بدمشق العدل نجم الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الرحيم بن أحمد - عرف جده بالقابونى - السعدى الأنصارى الدمشقى، فى ليلة الجمعة أول محرم، ومولده سنة ستين وستمائة، وسمع من أبى اليسر فى آخرين، وحدث عن أبى عبد الله ابن أمين الدين سليمان الموصلى، و روى عنه شيخنا العماد بن كثير، وقال كان رجلا جيدا يشهد على القضاة، وباشر استيفاء الأوقاف.

ومات الشريف أمين الدين أبو الفضل جعفر بن محمد بن عدلان بن الحسن الحسينى، نقيب الأشراف بدمشق، فى ليلة الخميس ثالث رجب، ومولده أول رجب سنة خمس وخمسين وستمائة، وكان حسن السيرة عفيفا، وولى نظر الدواوين بدمشق أيضا.

ومات الأمير سoudى نائب حلب فى نصف رجب، ووجد له من الذهب العين مبلغ أربعين ألف دينار، واشتملت تركته على ألف ألف درهم، حملت إلى القاهرة، وكان كريما حشما مشكور السيرة.

ومات الشيخ علاء الدين على بن محمد بن خطاب الباجى^(١)، بمصر ليلة الجمعة سادس ذى القعدة، عن ثلاث وثمانين سنة، وكان من أئمة الفقهاء الشافعية، درس وصنف وأفتى.

ومات جمال الدين عطية بن إسماعيل بن عبد الوهاب بن محمد بن عطية اللخمى الإسكندرانى، عن ثمانين سنة بالإسكندرية، ومات شرف الدين يعقوب بن فخر الدين مظفر بن أحمد مزهر الحلى، ناظر حلب ودمشق، فى ثامن عشرى شعبان، عن ست وثمانين سنة بحلب، ومولده سنة ثمان وعشرين وستمائة، ولم تبق مملكة بالشام إلا باشرها، وكانت له مروءة.

ومات الأمير سيف الدين كهرداش المنصورى بدمشق.

ومات عماد الدين إسماعيل بن الملك المغيث شهاب الدين عبد العزيز بن المعظم

(١) على بن محمد بن عبد الرحمن بن خطاب، علاء الدين الباجى: عالم بالأصول والمنطق والحساب. من أهل مصر. مغربى الأصل. ولى وكالة بيت المال بالكرك، وناب فى الحكم بالقاهرة، ونسبت إليه مقالة فاختنى مدة. وتكشف فى أواخر حياته. له كتب فى الفرائض. انظر: مفتاح السعادة ٢٢٤/٢ وفوات الوفيات ٧٥/٢ والدر الكامنة ١٠١/٣ والكتبخانه ٢٥٨/٧ والشافعية ٢٢٧/٦ والأعلام ٤/ ٣٣٤.

عيسى بن العادل أبى بكر بن أيوب، بحماة فى ثامن عشرى ربيع الآخر.

ومات الأمير سيف الدين ملكتمر الناصرى المعروف بالدم الأسود بدمشق، وكان ظالما.

ومات الأمير فخر الدين أقبجا الظاهرى بدمشق، وكان خيرا، و مات الشيخ تقى الدين رجب بن أشترك العجمى، صاحب زاوية تقى الدين تحت قلعة الجبل، فى ثامن رجب، وكان له أتباع ومريدون، وله حرمة ووجاهة عند أهل الدولة، و مات الشيخ شرف الدين أبو الهدى أحمد بن قطب الدين محمد بن أحمد بن القسطلانى بالقاهرة، ومولده بمكة فى جمادى الآخرة سنة ثمان وأربعين وستماية، وكان ورعا دينيا، و مات الشيخ المعمر محمد بن محمود بن الحسين بن الحسن المعروف بجياك الله الموصلى، فى يوم الخميس تاسع ربيع الأول، بزايوته من سويفة الريش خارج القاهرة، عن مائة وستين سنة، وكان قد سئل عن مولده، فقال إنه قدم إلى القاهرة فى أيام المعز أيبك، وعمره يومئذ خمس وثمانون سنة، و مات سليم الحواس جيد القوة. و مات صدر الدين أحمد بن مجد الدين عيسى بن الخشاب، وكيل بيت المال، يوم الإثنين تاسع شعبان، وولى عوضه مجد الدين حرمى، و مات القاضى سعد الدين محمد بن فخر الدين عبد الجيد بن صفى الدين عبد الله الأفهسى، ناظر الخزانة، يوم الجمعة ثامن عشرى ذى الحجة فجأة، واستقر عوضه صاحب ضياء الدين النشائى. و مات القاضى شمس الدين عبد الله بن الفخر ناظر الجيش يوم السبت ثالث عشر شعبان، وكان ناظر ديوان المماليك وأبوه غائب بالقدس، فقدم بعد موته ليلة رابع عشرى، فقررت جامكيتها باسم ابنه، واستناب عنه، و مات القاضى تقى الدين بن الفائزى، ليلة الجمعة ثانى عشرى صفر. و مات الشيخ عمر الدمامينى فى ثانى عشرى ذى القعدة. و قتل بدمشق فى يوم الجمعة تاسع عشرى رجب موسى بن سمعان النصرانى، كاتب الأمير قطلوبك الجاشنكير بجران، وذلك أنه نصر مسلما، وكواه على يده مثال صليب، فحكم قاضى القضاة جمال الدين المالكى بقتله، فقتله.

سنة خمس عشر وسبعمائة

في أول المحرم: سار العسكر من دمشق إلى حلب، وعليه الأمير سيف الدين تنكز نائب الشام، وقد استصحب معه قاضي القضاة نجم الدين بن صصرى وشرف الدين ابن فضل الله، وجماعة من الموقعين، وكان تنكز يزى الملوك من العصائب والكوسات، ولم تجر عادة نائب قبله بذلك، وتبعه عسكر صنف وحمص حماة وطرابلس. فلما مر الأمير تنكز بحماة أعرض عن صاحبها لكونه لم يتلقه من بعد، ولم يأكل ما أعده له من الطعام، وسار تنكز إلى حلب فجرد منها الأمير قرطاي والأمير ملكتمر الجمدار إلى ملطية^(١)، وكان في الظن أن المسير إلى سيس.

وسبب غزو ملطية أن السلطان بعث فداوية من أهل مصياب لقتل قرا سنقر، فصار هناك رجل من الأكراد يقال له مندوه يدل على قصاد السلطان أخذ منهم جماعة، فشق

(١) ملطية: من الثغور الجزرية بالشام، وهي المدينة العظمى وكانت قديمة، فأخربتها الروم فبناها أبو جعفر المنصور سنة تسع وثلاثين ومائة وحصل عليها سوراً محكماً، وعلى نحو ثلاثة أيام من ملطية يخرج سيحان وهو نهر أذنة من الثغر الشامي ويجرى في بلاد الروم وليس للمسلمين عليه إلا مدينة أذنة بين طرسوس والمصيصة. وكان فتح ملطية عنوة حبيب بن مسلمة الفهري، وجهه إليها عياض بن غنم من سمساط، ففتحها ورتب فيها رابطة من المسلمين، ثم شحنها معاوية، فكانت في طريق الصوائف، ثم انتقل عنها أهلها أيام ابن الزبير فقصدتها الروم ثم تركتها فنزلها قوم من الأرمن والنبط ثم أناخ الروم عليها، فلما كانت سنة ثلاث وثلاثين ومائة قصدتها الطاغية، والجزيرة يومئذ مفتونة فأناخ عليها، فلما جهد أهلها سأله الأمان فوثق لهم، فرحلوا وحملوا ما تيسر لهم وألقوا كثيراً مما ثقل عليهم في الآبار والجارى، ثم خرجوا وشيعهم الروم حتى بلغوا مأمنهم، وتوجوا نحو الجزيرة، وهدم الروم ملطية، فلم تزل كذلك حتى وجه أبو جعفر المنصور عبد الوهاب بن إبراهيم الإمام على الجزيرة وثغورها، ومعه الحسن بن قحطبة، ومعهم سبعون ألفاً، فعسكروا على ملطية وأتموا بناءها، وكان للحسن في ذلك أثر جميل، وبنى مسجدها وبنى للحنيد الساكنين بها لكل عرافة بيتين سفليين وغرفتين فوقهما وإصطبلًا، والعرافة عشرة نفر إلى خمسة عشر رجلاً، وبنها مسلحة على ثلاثين ميلاً منها، ومسلحة على نهر يدعى ثاقب يدفع في الفرات، ورتب المنصور فيها أربعة آلاف مقاتل من أهل الجزيرة، وزاد في أعطياتهم عشرة دنانير لكل رجل ومعونة مائة دينار، وغزتها الروم أيام الرشيد فلم يقدرها عليها. وفي سنة ثلاث وثلاثين ومائة أقبل طاغية الروم قسطنطين بن الليون فنزل على ملطية فقاتلوه قتالاً شديداً، فألح عليهم حتى نزلوا على أمان، فهدم المدينة والمسجد الجامع ودار الإمارة، وغزتها الروم أيام الرشيد فلم يقدرها عليها. انظر: معجم البلدان ١٩٢/٥، والروض المعطار

ذلك على السلطان، وأخذ في العمل عليه. فبلغه أنه صار يجنى خراج مطلية، وكان نائبها من جهة جوبان يقال له بدر الدين ميزامير بن نور الدين، فخاف من مندوه أن يأخذ منه نيابة مطلية، فما زال السلطان يتحيل حتى كاتبه ميزامير. وقرر معه أن يسلم البلد لعساكره. فجهز السلطان العساكر، وروى أنها تقصد سيس حتى نزلت بحلب، وسارت العساكر منها مع الأمير تنكرز على عينتاب إلى أن وصل الدرنبند، فألبس الجميع السلاح وسلك الدرنبند إلى أن نزل على مطلية يوم الثلاثاء ثالث عشره، وحاصرها ثلاثة أيام. فاتفق الأمير ميزامير مع أعيان مطلية على تسليمها، وخرج في عدة من الأعيان إلى الأمير تنكرز، فأمنهم وألبسهم التشاريف السلطانية المجهزة من القاهرة، وأعطى الأمير ميزامير سنجقا سلطانيا، ونودي في العسكر ألا يدخل أحد إلى المدينة. وسار الأمير ميزامير ومعه الأمير بيبرس الحاجب والأمير أركتمر حتى نزل بداره، وقبض على مندوه الكردي وسلم إلى الأمير قلى، وتكاثر العسكر ودخلوا إلى المدينة ونهبوها. وقتلوا عدة من أهلها. فشق ذلك على الأمير تنكرز، وركب معه الأمراء، ووقف على الأبواب وأخذ النهوب من العسكر، ورحل من الغد وهو رابع عشرى المحرم بالعسكر، وترك نائب حلب مقيما عليها لهدم أسوارها. ففر مندوه قبل الدخول إلى الدرنبند. وفات أمره. فلما قطعوا الدرنبند أحضرت الأموال التي نهبت والأسرى، فسلم من فيهم من المسلمين إلى أهله، وأفرد الأرمن.

فلما فتحت مطلية سار الأمير قجليس إلى مصر بالبشارة، فقدم يوم الخميس ثالث صفر، ودقت البشائر بذلك. وتبعه الأمير تنكرز بالعساكر - ومعه الأمير ميزامير وولده - حتى نزل عينتاب ثم دابق^(١)، فوجد بها تسعة عشر ألف نول تعمل الصوف، وتجلب كلها إلى حلب. ثم سار تنكرز، فقدم دمشق في سادس عشر ربيع الأول، وسير ميزامير وابنه في ثلاثين رجلا مع العسكر المصرى إلى القاهرة فقدموا في خامس ربيع الآخر.

وفيها قبض على الأميرين علاء الدين أيدغدى شقير، وجمال الدين بكمتر الحسامى الحاجب، فى أول ربيع الآخر، فقتل شقير من يومه لأنه اتهم بأنه يريد الفتك بالسلطان، وأخذ لبكمتر الحاجب مائة ألف دينار، وسجن. وكان قد قبض على الأمير بهادر المعزى فى عاشر المحرم، وقبض أيضا بعد القبض على شقير على الأمير طغاي، وقبض على تمر الساقى نائب طرابلس وحمل إلى قلعة الجبل، وقبض على الأمير بهادر آص وحمل إلى الكرك. واستقر الأمير سيف الدين كستاي الناصرى فى نيابة طرابلس.

(١) دابق: مدينة فى أقاصى فارس يذكر ويونث، وهو مذكور فى حديث مسلم بن الحجاج: ينزل الروم بدابق أو الأعماق، أو ما هذا معناه قال عياض: بفتح الباء جاء فى كتاب مسلم. انظر:

وأفرج فى مستهل ربيع الآخر عن داود وجبا أخوى الأمير سلار، وأفرج عن الأمير سيف الدين قجماس المنصورى أحد البرجية. وأخرج الأمير بدر الدين محمد الوزيرى عن مصر ليقيم بدمشق، فى يوم السبت سلخ ربيع الآخر، وأنعم عليه بما خص السلطان من خمس ملطية، وهو نحو الخمسين ألف درهم.

وفى ثامن عشرى رجب: أفرج عن الأمير جمال الدين أقوش نائب الكرك، وخلع عليه، وأمر فى ثامن عشرى شهر رجب، ثم أنعم عليه فى ثالث عشر شعبان بإقطاع الأمير حسام الدين لاجين أستاذار بعد موته.

وفيه قدم محمد بن عيسى^(١) أخو الأمير مهنا، واعتذر عن أخيه مهنا، وقدم فرسا أصيلا للسلطان، فقدمت الفرس للسلطان فى شعبان، وعرفت بينت الكزتا، بلغ ثمنها وكلفتها ستمائة ألف درهم. فكتب السلطان إلى مهنا بالرجوع إلى البلاد، وخلع على محمد بن عيسى، ثم بعث إلى مهنا باثنى عشر ألف دينار، وأنعم عليه بمائتى ألف درهم، وكتب له بضیعة من الخاص على سبيل الملك.

وفى يوم الجمعة عشرى جمادى الأولى: - وتاسع عشرى مسرى: كان وفاء النيل، وفتح الخليج على العادة.

وفى ثانى عشریه: عزل علاء الدين القظزى من ولاية مصر، وولى بعده ابن أمير حاجب، نقل إليها من ولاية الشرقية.

وفى ثالث جمادى الآخرة: حضر الشريف أسد الدين أبو غرارة رميثة ابن أبى نعى، من مكة فارا من أخيه حميضة، وأخبر أنه قطع اسم السلطان من الخطبة بمكة، وخطب لصاحب اليمن. فجرد السلطان معه الأمير سيف الدين طيدمر، والأمير نجم الدين ذمرخان بن قرمان، وثلاثمائة فارس من أجناد الحلقة وأجناد الأمراء.

وفيهما قدم الأمير سيف الدين الخاص تركى وزين الدين قراجا الخازندار من بلاد طقطاى، ومعهم رسل الملك أزيك القائم بعد طقطاى، وأخبروا بإسلامه ومعهم هدية. فأكرم السلطان الرسل، وكتب جوابه، وسفرهم، وبعث معهم الأمير علاء الدين أيدغدى الخوارزمى بهدية.

وفيهما قدم اليريد من حلب بقدوم والدة صاحب ماردين تريد الحج، فرسم للنواب بخدمتها والقيام بما يليق بها.

(١) محمد بن عيسى بن مهنا، شمس الدين: أمير العرب فى بادية الشام، ورئيس آل فضل. مات فى سلمية عن نيف وستين سنة. انظر: النجوم الزاهرة ٢٦١/٩ والدرر الكامنة ١٣١/٤ والأعلام ٣٢٣/٦.

وفيهما قدم البريد بخروج سليمان بن مهنا عن الطاعة، ونهبه القريتين، وتوجهه نحو العراق من أجل خروج إقطاعه عنه. فكتب إلى مهنا في ذلك، فأجاب بأنه خارج عن طاعته.

وفيهما قدمت رسل صاحب اليمن، وهما بدر الدين حسن بن أبي المنجاء، والطوشي جمال الدين فيروز؛ وقد خرج عليهما عرب صحراء عيذاب^(١)، وأخذوا منهما الهدية. فجرد السلطان من الأمراء علاء الدين مغلطاي بن أمير مجلس، وسيف الدين ساطي السلاح دار، وصارم الدين أزيك الجرمكي، وعز الدين أيدير الدوادار، علاء الدين علي بن قرا سنقر، وعلم الدين سنجر الدنيسري، في عدة من الأجناد ومقدمي الحلقة، وأمروا بالتوجه إلى دمقلة بالنوبة، فساروا في أول شوال.

وفي العشر الأخير من شعبان: وقع الشروع في روك^(٢) أرض مصر وسبب ذلك أن السلطان استكثر أحجاز المسالك أصحاب بييرس الجاشنكير وسلار النائب وبقية البرجية، وكان الخبز الواحد ما بين ألف مثقال في السنة إلى ثمانمائة مثقال، وخشى السلطان من وقوع الفتنة بأخذ أحجازهم. فقرر السلطان مع الفخر محمد بن فضل الله ناظر الجيش روك البلاد وإخراج الأمراء إلى الأعمال فتعين الأمير بدر الدين جنكلي ابن البابا للغربية، ومعه أقول الحاجب ومكين الدين إبراهيم بن قروينة؛ وللشرقية الأمير عز الدين أيدير الخطيرى، ومعه أيتمش الحمدي وأمين الدين قرموط، وللمنوفية

(١) عيذاب: مدينة في أعلى الصحراء المنسوبة إليها في ضفة البحر الملح، ومنها الجواز إلى حدة، وعرضه مجرى يوم وليلة. ومرسى عيذاب جزيرة ليست بكبيرة ومساكنها من حجارة، والماء العذب إليها مسيرة يوم، وهي محط السفن من حدة من التجار وغيرها، وهي تقابل من الصعيد الأعلى مدينة قوص وقفت، وبينها وبين فقط في البر خمس مراحل لا ماء فيها إلا في موضعين. ومرسى عيذاب مأوى لجماعة بني يونس، والفجور فيهم فاش لا ينكره منهم منكر، ولا يكثرى منه بيت إلا يشترط نفقة صاحبة البيت وإجراء الخلوة بها، وهم يأخذون من التجار عَشُورًا، وفيها قبالة الكلب، وهو كلب كان هناك للأمير في القديم. ومن عيذاب تسير القوافل إلى مدينة سواكن. ولأهل عيذاب في الحجاج ظلم الطواغيت فإنهم يشحنون مراكبهم حتى يجلس بعضهم على بعض وتعود بهم كأنها أبقاص الدجاج، يحمل أهلها على ذلك الحرص والرغبة في الكراء حتى يستوفى صاحب المركب حقه في طريق واحد، ولا يبالي بما يصنع البحر ويقولون: علينا بالألواح وعلى الحجاج بالأرواح، وهذا مثل متعارف عندهم. قالوا: والأولى لمن يمكنه ألا يراها، وأن يكون طريقه على الشام إلى العراق. انظر: معجم البلدان ١٧١/٤، ونزهة المشتاق ٤٩، وابن الوردي ٣٦، والروض المعطار ٤٢٣، ٤٢٤.

(٢) على هامش ط: الروك لفظ جرى في مصطلح الإدارة المالية في مصر والشام في العصور الوسطى، للدلالة على عملية قياس الأراضي ومسحها وتقويم العقارات وغيرها من الأملاك الثابتة ومتعلقاتها مرة كل ثلاثين سنة تقريباً.

والبحيرة بلبان الصرخدى والقلنجى وابن طرنطای وبيرس الجمدار، وللصعيد التليلى والمرتينى.

وفيهما توجه السلطان فى شعبان إلى بلاد الصعيد، وقدم فى يوم الخميس ثامن عشر شوال.

وفيهما توجه من حلب ستمائة فارس عليهم الأمير شهاب الدين قرطای للغارة على بلاد ماردين^(١) ودينسر^(٢) لقلعة مراعاة صاحب ماردين لما يرسم به. فشن قرطای الغارة على بلاد ماردين يومين، فصادف قراوول التار قد قدم إلى ماردين على عادته كل سنة لجباية القطيعة، وهم فى ألقى فارس، فحاربهم قرطای وقتل منهم ستمائة رجل، وأسر مائتين وستين، وقدم بالرعوس والأسرى إلى حلب، ومعهم عدة خيول. فلما قدم البريد سر السلطان سرورا زائدا، وبعث بالتشريف لئائب حلب ولقرطای.

وقدم الخبر من مكة بقتل أبى الغيث فى حرب مع أخيه حميضة، وأن العسكر المجرى إلى مكة واقع حميضة وقتل عدة من أصحابه، فانهزم حميضة وسار يريد بلاد خربندا، فتلقاه خربندا وأكرمه، وأقام حميضة عنده شهرا، وحسن له إرسال طائفة من المغل إلى بلاد الحجاز ليملكها، ويخطب له على منابرها. وقدم العسكر المجرى إلى الحجاز فى ثامن عشرى رجب، وكان السلطان قد أنعم على محمد بن مانع بإمرة مهنا، فشن الغارات وأخذ جمال مهنا وطرده. فسار مهنا أيضا إلى خربندا، فسار به وأنعم عليه. وجرى خربندا مع الشريف حميضة من عسكر خراسان أربعة آلاف فارس، وسار حميضة بهم فى رجب يريد مكة. وأخذ خربندا فى جمع العساكر لعبور بلاد الشام، فقدر الله موته، فخاف مهنا من الإقامة بالعراق، فسار من بغداد وبلغ محمد بن عيسى أحبا مهنا سير الشريف حميضة بعسكر المغل إلى مكة، فشق عليه استيلاؤهم على الحجاز، فلما علم بموت خربندا، وخروج أخيه مهنا من بغداد، سار فى عربانه وكبس سكر حميضة ليلا ووضع فيهم السيف، وهو يصيح باسم الملك الناصر، فقتل أكثرهم. ونجا حميضة، ووقع فى الأسر من المغل أربعمائة رجل، وغنم العرب منهم مالا كثيرا وخيولا وجمالا. وكتب

(١) ما ردين: مدينة من ديار ربيعة بعمل الموصل، بينها وبين مدينة دارا نصف مرحلة، وهى فى سفح جبل فى قمته قلعة لها كبيرة، وهى من قلاع الدنيا الشهيرة.

(٢) بلدة عظيمة من نواحي الجزيرة قرب ماردين بينهما فرسخان. انظر: معجم البلدان ٤٧٨/٢. وجاءت فى الروض المعطار دنيصر: من الموصل إلى نصيبين إلى مدينة دنيصر، وهى مدينة فى بسط من الأرض فسيح وحوها باستين الرياحين والخضر تسقى بالسوانى، وكأنها بادية ولا سور لها، وهى مشحونة بشرا، ولها أسواق حافلة والأرزاق بها واسعة، وهى مختر لأهل بلاد الشام وبلاد الروم التى لطاعة الأمير مسعود، وبها المرافق الكثيرة. انظر: الروض المعطار ٢٥٠.

وخيولا وجمالا. وكتب بذلك إلى السلطان فسر به، وأعاد الإمرة إلى مهنا، واستدعى محمد بن عيسى، فقدم إلى مصر وشمله من إنعام السلطان شيء كثير.

وفيها وصل إلى السلطان مهرة تعرف ببنت الكرتا، كان قد بذل فيها نحو مائتي ألف وتسعين ألف درهم، وضيعة من بلاد حماة، ويقال إنها بلغت كلفها على السلطان ستمائة ألف درهم.

وفيها وعك السلطان أياما، فلما عوفى ودخل الحمام حلق رأسه كله، فلم يبق أحد من الأمراء والمماليك الناصرية حتى حلق رأسه. ومن يومئذ بطل إرخاء العسكر ذوايب الشعر، واستمر إلى اليوم وجلس السلطان يوم عيد النحر بعد عاقبته، وأفرج عن أهل السجون، وطلع الناس للهناء، ونودي بزينة القاهرة ومصر، فكان يوما مشهودا.

وفيه فرغ العمل من بناء الإيوان، وذلك أن السلطان هدم الإيوان الذى بناه أبوه الملك المنصور، وجدده أخوه الملك الأشرف، ثم أنشأ إيوانا جليلا، وعمل به قبة عالية متسعة ورخمه رخاما عظيما، وجعل قدامه دركاة^(١) فسيحة، فجاء من أجل المباني الملوكية وأعظمها.

وأما الأمراء الذين توجهوا إلى روك أعمال مصر، فإن كلا منهم لما نزل بأول عمله استدعى مشايخ البلاد ودلاءها^(٢) وقياسيها وعدوها وسجلات كل بلد. وعرف متحصلها ومقدار فندنها ومبلغ عبرتها وما يتحصل للجندى من العين والغلة والدجاج والخراف والبرسيم، والكشك والعدس والكعك، ثم قاس تلك الناحية، وكتب بذلك عدة نسخ، ولا يزال يعمل ذلك حتى انتهى أمر عمله. وعادوا بعد خمسة وسبعين يوما بالأوراق، فتسلمها الفخر ناظر الجيش، ثم طلب السلطان الفخر ناظر الجيش والتقى الأسعد بن أمين الملك - المعروف بكتاب برلقى - وسائر مستوفى الدولة، وألزمهم بعمل أوراق تشتمل على بلاد الخصاص السلطاني التي عينها لهم، وعلى إقطاعات الأمراء، وأضاف على عبرة كل بلد ما كان فلاحيتها من الضيافة المقررة، وما فى كل بلد من الجوالى وكانت الجوالى قبل ذلك إلى وقت الروك ديوانا مفردا يختص بالسلطان، فأضيف جوالى كل بلد إلى متحصل خراجها.

(١) على هامش ط: الدركاة. وجمعه دركاوات - لفظ فارسى معناه الفضاء أو العمر المؤدى لدخل بناء من الأبنية الكبرى.

(٢) على هامش ط: مفرد هذا اللفظ دليل وهو الشخص من أهل الناحية يقوم بتعيين أسماء المزارعين للأراضى المزروعة. وفى لسان العرب: الدليل ما يستدل به. والدليل الدلال. وقد دله على الطريق يدلّه دللتهن ودللتهن ودللوتهن، والفتح أعلاه. والدليل والدليلى الذى يدلّك. لسان العرب

وأبطلت عدة جهات من المكوس منها ساحل الغلة، وكانت هذه الجهة مقطعة لأربعمائة من أجناد الحلقة سوى الأمراء، ومتحصلها فى السنة أربعة آلاف ألف وستمائة ألف درهم، وإقطاع الجندى منها من عشرة آلاف درهم فى السنة إلى ثلاثة آلاف، وللأمراء من أربعين ألف إلى عشرة آلاف، واقتنى منها المباشرون أموالا عظيمة، فإنها أعظم الجهات الديوانية، وأجل معاملات مصر، وكان الناس منها فى أنواع من الشدائد لكثرة المغارم والتعب والظلم، فإن أمرها كان يدور ما بين ظلم نوابه المراكب والكيالين والمشددين والكتاب، وكان المقرر على كل أردب مبلغ درهمين للسلطان، ويلحقه نصف درهم آخر سوى ما ينهب وكان له ديوان فى بولاق خارج المقس، وقبله كان خص يعرف بخص الكيالة، فلما ولى ابن الشيخى شد هذه الجهة - قبل أن يلى الوزارة - عمر مكان الخص مقعدا وجلس فيه، وكان فى هذه الجهة نحو الستين رجلا ما بين نظار ومستوفين وكتاب وثلاثين جنديا، وكانت غلال الأقاليم لا تباع إلا فيه.

ومن المكوس التى أبطلها السلطان الناصر أيضا نصف السمسرة الذى أحدثه ابن الشيخى فى وزارته، وهو أن من باع شيئا فإن دلالة على كل مائة درهم درهمين، يؤخذ منهما درهم للسلطان، فصار الدلال يحسب حسابه، ويخلص درهمه قبل درهم السلطان. ومنها رسوم الولايات والمقدمين والنواب والشرطية، وكانت جهة تتعلق بالولاية والمقدمين، فيجيبها المذكورون من عرفاء الأسواق وبيوت الفواحش، وعليها جند مستقطعة وأمراء، وكان فيها من الظلم والعسف والفساد وهتك الحرم وهجم البيوت ما لا يوصف. ومنها مقرر الحوائص والبغال، وهى تجبى من المدينة وسائر معاملات مصر كلها من الوجهين القبلى والبحرى، فكان على كل من الولاية والمقدمين مقرر يحمل فى كل قسط من أقساط السنة إلى بيت المال عن ثمن حياصة ثلاثمائة درهم، وعن ثمن بغل خمسمائة درهم، وكان عليها عدة مقطعين سوى ما يحمل، وكان فيها من الظلم بلاء عظيم. ومنها مقرر السجون، وهو على كل من يسجن ولو لحظة واحدة مبلغ ستة دراهم سوى ما يفرمه، وعلى هذه الجهة عدة من المقطعين ولها ضمان، وكانت تجبى من سائر السجون. ومنها مقرر طرح الفراريج، ولها ضمان فى سائر نواحي الإقليم، فتطرح على الناس فى النواحي الفراريج وكان فيها من الظلم والعسف وأخذ الأموال من الأراامل والفقراء والأيتام ما لا يمكن شرحه، وعليها عدة مقطعين ومرتبات، ولكل إقليم ضامن مفرد، ولا يقدر أحد أن يشتري فروجا فما فوقه إلا من الضامن. ومنها مقرر الفرسان، وهى شىء يستهديه الولاية والمقدمون من سائر الأقاليم، فيجىء من ذلك مال عظيم، ويؤخذ فيه الدرهم ثلاثة دراهم لكثرة الظالم. ومنها مقرر

الأقصاب والمعاصر، وهو ما يجبي من مزارعى الأقصاب وأرباب المعاصر ورجال المعصرة. ومنها رسم الأفراح، هى تجبى من سائر البلاد، وهى جهة بذاتها لا يعرف لها أصل. ومنها حماية المراكب، وهى تجبى من سائر المراكب التى فى النيل بتقرير معين على كل مركب يقال له مقرر الحماية، ويجبى من المسافرين فى المراكب سواء إن كانوا أغنياء أو فقراء. ومنها حقوق القينات، وهى ما كان يأخذه مهتار الطشتخاناه من البغايا ويجمعه من المنكرات والفواحش من أوباش مصر وضمان تجيب^(١). بمصر. و منها شد الرعاء وحقوق السودان وكشف مراكب النوبة، فيؤخذ من كل عبد وجارية مقرر معلوم عند نزولهم فى الخانات، وكانت جهة قبيحة شنعاء. ومنها متوفر الجراريف، و تجبى من المهندسين والولاة بسائر الأقاليم، وعليها عدة من الأجناد. ومنها مقرر المشاعلية، وهى ما يؤخذ عن تنظيف أسربة البيوت والحمامات والمسامط وغيرها، وحمل ما يخرج منها من الوسخ إلى الكيمان، فإذا امتلأ سرب مدرسة أو مسجد أو بيت لا يمكن شيله حتى يحضر الضامن ويقرر أجرته بما يختار، فمتى لم يوافقه صاحب البيت تركه حتى يحتاج إليه ويبدل له ما طلب. ومنها ثمن العبي^(٢) التى كانت تستأدى من البلاد. ومنها مقرر الأتبان التى كانت تؤخذ لمعاصر الأقصاب بغير ثمن. ومنها زكاة الرجال بالديار المصرية. وأبطل السلطان أيضا وظيفتى النظر والاستيفاء من سائر الأعمال فى كل بلد ناظر ومستوف وعدة مباشرين، فرسم ألا يستخدم أحد فى إقليم لا يكون للسلطان فيه مال، وما كان للسلطان فيه مال يكون فى كل إقليم ناظر وأمين حكم لا غير. ورفع السلطان سائر المباشرين. ورسم بالمساحة بالبواقي الديوانية والإقطاعية من سائر النواحي إلى آخر سنة أربع وسبعمائة. وجعل المال الهلالى لاستقبال صفر سنة ست عشرة، والمال الخراجى لاستقبال ثلث مغل سنة خمس عشرة وسبعمائة.

وأفرد السلطان الخاصة الجيزية وأعمالها وبلاد هورالكوم الأحمر ومنفلوط والمرج والخصوص وعدة بلاد. وأخرجت الجوالى من الخاص، و فرقنت فى البلاد. وأفردت جهات المكس كلها، وأضيف للوزارة. وأفردت للحاشية بلاد، ولجوامك المباشرين بلاد، ولأرباب الرواتب جهات. وارتجعت عدة بلاد كانت اشترت، وأدخلت فى الإقطاعات. واعتد فى سائر البلاد بما كان يهديه الفلاح، وحسب من جملة الإقطاع.

(١) المقصود بهذا اللفظ خطة من خطط الفسطاط كانت تسكنها سلالة قبيلة تجب. انظر: خطط

المقرىزى ٢٩٧/١.

(٢) العبي: جمع عامى للفظ عباءة - أو عباية - والصحيح عباءات. انظر: محيط المحيط. والعبايه

ضرب من الأكسية واسع فى خطوط سود كبار، والجمع عباء. وفى الحديث: ولبساهم العباء. لسان

العرب ٢٧٩١.

فلما فرغ العمل من ذلك نودى فى الناس بالقاهرة ومصر وسائر الأعمال بإبطال ما أبطل من الجهات، وكتبت المراسيم إلى النواحي به، فسر الناس سرورا كبيرا.

وجلس السلطان بالإيوان الذى أنشأه لتفرقة المثالات فى يوم الخميس ثانى عشرى ذى الحجة، بعدما دارت النقباء على جميع الأجناد وحضروا ورسم أن يفرق كل يوم على أميرين من المقدمين بمضافيهما. فكان المقدم يقف بمضافيه، ويستدعى السلطان المقدمين كل أحد باسمه، فإذا تقدم المطلوب سأله السلطان: «من أين أنت؟ ومملوك من؟»، حتى لا يخفى عليه شىء من أمره، ثم يعطيه مثالا على ما قسم له من غير تأمل، وأنبأ السلطان فى العرض عن معرفة تامة بأحوال الأجناد وأمراء الجيش.

وكان الأمراء عند العرض قد جلس أكابرههم بمخدمته على العادة، وإذا أخذوا فى شكر جندى عاكسهم وأعطاه دون ما كان فى أملهم له، وأراد بذلك ألا يتكلم أحد فى المجلس. فلما فطنوا لذلك أمسكوا عن الكلام والشكر، بحيث لم يتكلم أحد بعدها إلا جوابا له عما يسأل السلطان عنه منهم. وفعل فى عرض المماليك مثل عرض الأجناد، فكان المملوك إذا تقدم إليه سأله عن اسم تاجره وعن أصله وفرعه، وكم حضر من مصاف^(١)، وكم رأى بيكارا، وأى قطعة حاصر، فإن أجابه بصدق أنصفه. وكان السلطان يخبر الشيخ المسن بين الإقطاع والرواتب، فيعطيه ما يختار، ولم يقطع فى العرض العاجز عن الحركة، بل كان يرتب له ما يقوم به عوضا عن إقطاعه.

واتفق له فى العرض أشياء: منها أنه تقدم إليه شاب تام الخلق فى وجهه أثر شبه ضربة سيف، فأعجبه وناوله مثالا بإقطاع جيد، وقال له: «فى أى مصف وقع فى وجهك هذا السيف؟». فقال لقله سعادته: «يا خوندا! هذا ما هو أثر سيف، وإنما وقعت من سلم. فصار فى وجهى هذا الأثر»، فتبسم وتركه. فقال الفخر ناظر الجيش: «يا خوندا! ما بقى يصلح له هذا الخبز!». فقال السلطان «لا! قد صدقنى وقال الحق، وأخذ رزقه، فلو قال أصبت فى المصف الفلانى من الذى يكذبه؟»، فدعت الأمراء له، وانصرف الشاب بالمثال. وتقدم إليه رجل ذميم الشكل، وله إقطاع ثقيل عبء ثمانمائة دينار. فأعطاه مثالا وانصرف. فإذا به عبء نصف ما كان معه. فعاد وقبل الأرض. فسأله السلطان عن حاجته. فقال: «الله يحفظ السلطان! فإنه غلط فى حقى، فإن إقطاعى كانت عبئته ثمانمائة دينار، وهذا أربعمائة». فقال السلطان: «بل الغلط كان فى إقطاعك الأول»، فمضى بما قسم له. فلما انتهت تفرقة المثالات فى آخر المحرم سنة ست عشرة توفرت منها نحو مائتى مثال.

(١) المصاف جمع مصف، وهو الموقف فى الحرب وموضع الصف فى القتال. انظر: محيط المحيط.

ثم أخذ السلطان فى عرض طباق^(١) الممالك، ووفر جوامك عدة منهم ورواتبهم، وأعطاهم الإقطاعات. وأفرد جهة قطيا للعاجزين من الأجناد، وقرر لكل ثلاثة آلاف درهم فى السنة. وارتجع السلطان ما كانت البرجية قد اشترته من أراضى الجيزة وغيرها، وارتجع ما كان لبيبرس وبرلغى والجوكنندار وغيرهم من المتاجر، وأضاف ذلك للنخاص.

وبالغ السلطان فى إقامة أيام العرض. وعرف النائب وأكابر الأمراء أنه «من رد مثالا أو تضرر أو شكاً ضرب وحبس وقطع خبزه، وأن أحدا من الأمراء لا يتكلم مع السلطان فى أمر جندى ولا مملوك»، فلم يجسر أحد أن يخالف ما رسم به.

وعين فى هذا العرض أكثر الأجناد، فإنهم أخذوا إقطاعات دون التى كانت معهم، وقصد الأمراء التحدث فى ذلك مع السلطان، والنائب أرغون ينهاهم عنه. فقدر الله أن السلطان نزل إلى البركة لصيد الكركى، وجلس فى البستان المنصورى ليستريح، فدخل بعض المرقدارية - وكان يقال له عزيز - ومن عاداته الهزل قدام السلطان والمزح معه، فأخذ يهزل على عادته قدام السلطان والأمراء جلوس، وهناك ساقية والسلطان ينظر إليها. فتمادى عزيز لشؤم بخته فى الهزل إلى أن قال: «وجدت جندى من جند الروك الناصرى وهو راكب إكديش، وخرجه ومخللة فرسه ورمحه على كتفه»، وأراد أن يتم الكلام. فاشتد غضب السلطان. وصاح فى الممالك: «عروه ثيابه»، فللحال خلعت عنه الثياب، وربط مع قواديس الساقية، وضربت الأبقار حتى أسرع فى الدوران، وعزيز تارة ينغمر فى الماء وتارة يظهر، وهو يستغيث وقد عاين الموت، والسلطان يزداد غضبا. فلم تجسر الأمراء على الشفاعة فيه حتى مضى نحو ساعتين، وانقطع حسه، فتقدم إليه الأمير طغاي والأمير قطلوبغا الفخرى وقالوا: «ياخوندا! هذا المسكين لم يرد إلا أن يضحك السلطان، ويطيب خاطره، ولم يرد غير ذلك»، وما زال به حتى أخرج الرجل وقد أشفى على الموت، ورسم بنفيه من أرض مصر، فحمد الله سبحانه وتعالى الأمراء على سكوتهم وتركهم الشفاعة فى تغيير مثالات الأجناد.

وفى هذه السنة: ظهر ببلاد الصعيد فأر عظيم يخرج عن الإحصاء، بحيث إن مباشرة ناحية أم القصور من بلاد منفلوط قتلوا فى أيام قلائل من الفأر مبلغ ثلاثمائة وسبعة عشر أردبا ينقص ثلث أردب، واعتبروا أردبا فجاء عدة ثمانية آلاف وأربعمائة فأر، وكل وية ألف وأربعمائة فأر.

(١) الطباق جمع طبقة، وهى ثكنات الجيش المملوكى بالقلعة حيث كانت كل طبقة تضم أبناء الجنس الواحد من الممالك.. انظر: خطط المقرئى ٢/٢١٣.

وفيهما وقعت نار في البرج المنصوري من قلعة الجبل وطباق الجمدارية، فأحرقت شيئا كثيرا، وذلك في تاسع عشرى شعبان.

وفيهما غلقت كنائس اليهود والنصارى بأجمعها في مصر والقاهرة، في يوم السبت سابع عشرى شوال فلما كان يوم الثلاثاء العشرين من ذى الحجة فتحت الكنيسة المعلقة وخلع على بطرك النصارى.

وفيهما حج الأمير سيف الدين أرغون النائب، وقاضى القضاة بدر الدين محمد بن جماعة، مع الרכب، وكان أمير الרכب عز الدين أيدير الكوكندى.

* * *

ومات في هذه السنة من له ذكر

شهاب الدين أحمد بن حسين بن عبد الرحمن الأرمتمى المعروف بابن الأسعد، يوم الجمعة رابع عشرى رمضان، وكان فقيها شافعيًا مشكور السيرة.

ومات جلال الدين إسماعيل بن أحمد بن إسماعيل بن بريق بن برعس أبو الطاهر القوصى الفقيه الحنفى، كان متصدرا بجامع أحمد بن طولون، وله فضيلة فى الفقه والقراءات والعربية، و صنف وحدث، وله شعر منه:

أقول له ودمعى ليس يرقا ولى من عبرتى إحدى الوسائل
حرمت الطيف منك ففاض دمعى وطرفى فيك محرم وسائل

ومات تقى الدين سليمان بن حمزة بن عمر بن أبى عمر محمد بن أحمد بن قدامة المقدسى الحنبلى^(١)، قاضى الحنابلة، بدمشق فى حادى عشرى ذى القعدة، ومولده سنة ثمان وعشرين وستمائة، وكان فاضلا واسع الرواية، له معجم فى مجلدين، وتخرج به جماعة من الفقهاء، مع الدين والتواضع.

ومات شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبى القاسم بن عبد السلام بن جميل التونسى المالكى، بالقاهرة ليلة الحادى والعشرين من صفر، عن ست وتسعين سنة، ودفن بالقرافة، ومولده سنة تسع وثلاثين وستمائة، وناب فى الحكم بالحسينية خارج القاهرة، ثم ولى قضاء الإسكندرية، وهو أول من درس بالمدرسة المنكوتيرية بالقاهرة.

ومات السيد الإمام العلامة ركن الدين أبو محمد الحسين بن شرف الدين شاه

(١) سليمان بن حمزة بن أحمد بن عمر، تقى الدين، ابن قدامة، المقدسى: فقيه حنبلى، مقدسى الأصل، دمشقى المولد والوفاة. كان مسند الشام فى وقته. ولى القضاء عشرين سنة. انظر: الكامل لابن الأثير ١٣٥/٤ والأعلام ١٢٤/٣.

الحسينى العلوى الأستراىذى، عالم الموصل ومدرس الشافعية، وشارح المختصر لابن الحاجب ومقدمى ابن الحاجب والحاوى فى المذهب، وله سبعون سنة، وأخذ عن النصير الطوسى، وتقدم عند التتار وتوفرت حرمته، وبرع فى علوم المعقولات، وكان يجيد الفقه وغيره.

ومات شرف الدين محمد بن نصر الله القلانسى التميمى الدمشقى، فى ثانى عشر المحرم بدمشق ومولده بها سنة ست وأربعين وستمائة، وكان أحد الأعيان الأخيار.

ومات الشيخ صفى الدين محمد بن عبد الرحيم بن محمد الأرموى - المعروف بالهندي الأرموى - الفقيه الشافعى، فى تاسع عشرى صفر بدمشق، ومولده ثالث ربيع الآخر سنة أربع وتسعين وستمائة، وله تصانيف مفيدة، وقدم من الهند إلى مصر بعد حجه، وسار إلى الروم فأقام بها إحدى عشرة سنة، وسكن دمشق من سنة خمس وثمانين وستمائة وسمع بها ودرس، وكان إماما عالما دينا.

ومات شرف الدين محمد بن تميم الإسكندرانى كاتب الملك المؤيد هزبر الدين صاحب اليمن بها، وكان إماما فى الإنشاء، وله نظم.

ومات عز الدين موسى بن على بن أبى طالب الشريف أبو الفتح الموسوى الحنفى العدل، فى سابع ذى الحجة بمصر، وانفرد بالرواية عن ابن الصلاح والسخاوى، ورحل الناس إليه.

ومات الأمير عز الدين حسين بن عمر بن محمد بن صيرة، فى تاسع عشر رجب بطرابلس، وولى حاجبا بدمشق مدة، وكان مشكورا.

ومات الشريف أبو الغيث بن أبى نعى.

ومات الأمير علاء الدين أيدغدى شقىر الحسامى، أحد ممالك الملك المنصور حسام الدين لاجين، وكان شجاعا مقداما عجولا، أحقق متكبرا واسطة سوء، قتل فى أول ربيع الأول.

ومات حسام الدين قرا لاجين المنصورى الأستادار، ليلة الأربعاء ثالث عشر شعبان، وكان جوادا خيرا سليم الباطن، وأنعم بإقطاعه على الأمير جمال الدين أقوش الأشرفى، وتوفرت الأستادارية ومات الأمير سيف الدين جيرجين الخازن تحت العقوبة، يوم السبت عاشر ربيع الآخر.

ومات الأمير بدر الدين موسى بن الأمير سيف الدين أبى بكر محمد الأزكشى، بدمشق فى ثامن شعبان، وكان شجاعا شهما.

ومات الملك خريندا بن أبغا بن أرغون فى سادس شوال، وتسمى بمحمد، وكان رافضيا، قتل أهل السنة، وكان منهمكا فى شرب الخمر متشاغلا باللهو، وقام بعده ابنه أبو سعيد بعهدة إليه، وكان محولا بإحدى عينيه، عادلا فى رعيته، ملك ثلاث عشرة سنة وأشهرها.

ومات الأمير سيف الدين كستاي الناصرى نائب طرابلس بها، وكان جسورا قوى النفس معجبا بنفسه شديد الكبر، إلا أنه باشر طرابلس بعفة وحرمة مدة شهرين، ثم طلب من الناس التقادم وأخذها.

ومات الأمير بدر الدين بن الملك المغيث، فى ثانى شعبان.

ومات بهاء الدين بن المحلى، فى خامس شعبان.

ومات الشيخ جمال الدين محمد بن المهدي المالكى بمصر.

ومات الفقيه شرف الدين بن محيى الدين بن الفقيه نجيب الدين، فى تاسع رجب.

ومات الشيخ ناصر الدين أبو عبد الله محمد بن أبى الفضل يوسف بن محمد بن عبد الله بن المهتار الكاتب، بدمشق فى سادس عشرى ذى الحجة، انفرد برواية علوم الحديث بسماعه من مؤلفه ابن الصلاح، ورواية الزهد لأحمد بن حنبل، وشيوخه كثيرة، ومولده فى رجب سنة سبع وثلاثين وستمائة.

ومات الشيخ تاج الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن الشيخ مرهف، إمام الجامع الجديد الناصرى خارج مصر، ليلة الأربعاء خامس عشر رجب.

ومات الشيخ المقرئ أمين الدين بن الصواف، المتصدر بجامع عمرو، بمصر ليلة الجمعة ثانى عشرى شعبان.

ومات الشيخ ابن أبى مفصلة، ليلة الأحد سادس عشر رمضان.

ومات الشيخ زين الدين المهدي، يوم الخميس تاسع رجب.

ومات الطواشى شبل الدولة كافرر الأقطوانى الصالحى، شاد الخزانة السلطانية، ليلة الإثنين رابع عشر ذى القعدة.

ومات فتح الدين بن زين الدين بن وجيه الدين بن عبد السلام، فى سابع عشرى ذى القعدة.

سنة ست عشر وسبعمائة

فى الحرم: قدم البريد من حلب بموت خربندا، وجلوس ولده أبى سعيد بعده.

وفى يوم السبت ثالث عشرية: سمع بالقاهرة هدة عظيمة شبه الصاعقة، وتبعها رعد ومطر كثير وبرد، وغرقت بلبيس^(١) لكثرة المطر.

وفى ثامن صفر: استقر شمس الدين محمد بن مسلم بن مالك بن مسزوع فى قضاء الخنابلة بدمشق، وجهز له توقيعه من القاهرة، فلم يغير زيه، واستمر يحمل ما يشتره من السوق بنفسه، ويجلس على ثوب يبسطه بيده فى مجلس الحكم، ويحمل نعله بيده.

وفى أول ربيع الأول: فوضت إمرة العرب بالشام إلى الأمير شجاع الدين فضل بن عيسى بن مهنا.

وفيه قدم البريد بوقوع المطر فى قارا وحمص وبلبك، وفى بلاد حلب وإعزاز وحارم، بخلاف المعهود، وعقبه برد قدر النارج، فيها ما زنته ثلاث أواق دمشقية، هلك بها من الناس والأغنام والدواب شىء كثير. وخربت عدة ضياع، وتلف من التركمان وأهل الضياع خلق كثير. وعقب هذا المطر نزول سمك كثير ما بين صغار وكبار بالحياة، تناوله أهل الضياع واشتووه وأكلوه. وسقط بالمرعة وسرمن عقيب هذا المطر ضفادع كثيرة فى غاية الكبر، منها ميت ومنها بالحياة ثم نزل ثلج عظيم طم القرى وسد الطرقات والأودية، وامتنع السفر حتى بعث النواب الرجال من البلاد والجبال مع الولاة بالمساحى^(٢)، وعملوا فيها حتى فتحت الطرقات.

وفى سادس عشرى جمادى الأولى: استقر قاضى القضاة نجم الدين بن صصرى فى مشيخة الشيوخ بدمشق، عوضا عن شهاب الدين محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله البكاشغرى.

ففى رأى السلطان أن يقدم برشنبو النوبى، وهو ابن أخت داود ملك النوبة، فجهز

(١) مدينة بينها وبين فسطاط مصر عشرة فراسخ على طريق الشام. انظر: معجم البلدان

(٢) المساحى: جمع مسحة وهى المغراف من الحديد والميم زائدة لأنه من السحو الكشف والإزالة وفى حديث خير: فخرجوا بمساحهم ومكاتلهم المقصود هنا: آلة تستعمل فى سحى الطين وحرفه وإزالته من الطريق. انظر: القاموس المحيط، ولسان العرب (مسح).

صحبه الأمير عز الدين أيك على عسكر. فلما بلغ ذلك كرئيس ملك النوبة بعث ابن أخته كنز الدولة بن شجاع الدين نصر بن فخر الدين مالك بن الكنز يسأل السلطان في أمره، فاعتقل كنز الدولة. ووصل العسكر إلى دمقلة، وقد فر كرئيس وأخوه أبرام، فقبض عليهما وحملهما إلى القاهرة، فاعتقلا. وملك عبد الله برشنبو دمقلة، ورجع العسكر في جمادى الأولى سنة سبع عشرة. وأفرج عن كنز الدولة، فسار إلى دمقلة وجمع الناس وحارب برشنبو، فخذله جماعته حتى قتل، وملك كنز الدولة. فلما بلغ السلطان ذلك أطلق أبرام وبعثه إلى النوبة، ووعدته إن بعث إليه بكنز الدولة مقيدا أفرج عن أخيه كرئيس. فلما وصل أبرام خرج إليه كنز الدولة طائعا، فقبض عليه ليرسله، فمات أبرام بعد ثلاثة أيام من قبضه، فاجتمع أهل النوبة على كنز الدولة وملكوه البلاد.

وفيهما أخذ عرب برية عيذاب رسل صاحب اليمن وعدة من التجار وجميع ما معهم، فبعث السلطان العسكر وهم خمسمائة فارس، عليهم الأمير علاء الدين مغلطاي بن أمير مجلس، في العشرين من شوال، فساروا إلى قوص، ومضوا منها في أوائل المحرم سنة سبع عشرة إلى صحراء عيذاب، ومضوا إلى سواكن^(١) حتى التقوا بطائفة يقال لها حى الهلبكسة، وهم نحو الألفى راكب على الهجن بحراب ومزاريق، في خلق من المشاة عرايا الأبدان، فلم يثبتوا لدق الطبول وومي الشباب، وانهمزوا بعد ما قتل منهم عدد كبير. وسار العسكر إلى ناحية الأبواب، ثم مضوا إلى دمقلة، وعادوا إلى القاهرة تاسع جمادى الآخرة سنة سبع عشرة، وكانت غيبتهم ثمانية أشهر. وكثرة الشكاية من الأمير علاء الدين مغلطاي بن أمير مجلس مقدم عسكرهم، فأخرج إلى دمشق.

وفيهما أغار من الططر نحو ألف فارس على أطراف بلاد حلب، ونهبوا إلى قرب قلعة كمختا فقاتلهم التركمان وقتلوا كثيرا منهم، وأسروا ستة وخمسين من أعيانهم، وغنموا ما كان معهم، فقدمت الأسرى إلى القاهرة في صفر سنة سبع عشرة.

وفيهما هبت ريح سوداء مظلمة بأرض أسوان وسود وإسنا وأرمنت^(٢)، وقد حثت لشدة حرها نار عظيمة أحرقت عدة أجران من الغلال. ثم أمطرت السماء، فعقب ذلك وباء هلك فيه بأسوان وغيرها عالم كبير، ودب الوباء إلى الأشمونين.

وفيهما أفرج عن الأمير بكتمر الحسامي الحاجب. وخلع عليه في يوم الخميس ثالث عشر شوال بنيابة صفد، وأنعم عليه بمائتي ألف درهم، فسار على البريد ودخلها في آخر ذى الحجة. وكان بكتمر في مدة اعتقاله مكرما لم يفقد غير ركوب الخيل، وبعث إليه السلطان بجمارية حبلت منه في الاعتقال، وولدت ولدا سماه ناصر الدين محمداً،

(١) بلد مشهور على ساحل بحر الجار قرب عيذاب. انظر: معجم البلدان ٢/٢٧٦.

(٢) كورة بصعيد مصر بينها وبين قوص مرحلتان. انظر: معجم البلدان ١/١٥٩.

فكانت مدة سجنه سنة وسبعة أشهر وأياما.

وفيهما ولى الأمير سيف الدين أرقطاي نيابة حمص فى تاسع رجب، عوضا عن شهاب الدين قرطاي بحكم انتقاله إلى نيابة طرابلس فى جمادى الآخرة.

وفيهما أخرجت قطيا عن الأجناد، وأضيفت إلى الخاص، وأخرج إليها ناظر وشاد. وعوض الأجناد بجهاث فى القاهرة بعد عرضهم على السلطان، وأعطى كل منهم نظير ما كان له.

وفيهما توجه الأمير بهاء الدين أرسلان الدوادار إلى الأمير مهنا وعاد.

وفيهما أفرج عن الأمير كراى المنصورى والأمير سنقر الكمالى من سجن الكرك، وقدا إلى القاهرة فسجنا بالقلعة ومعهما نساؤهما.

وفيهما قدمت رسل أذربك، ورسل ملك الكرج، ورسل طغاي قريب أذربك بهدايا؛ فأجيبوا وسيرت إليهم الهدايا. فاجتمع هذه السنة ثمانية رسل وهم رسل جوبان، وأبى سعيد، وأذربك، وطغاي، وصاحب برشلونة، وصاحب إسطنبول، وصاحب النوبة، وملك الكرج، وكلهم يبذل الطاعة، ولم يتفق فى الدولة التركية مثل ذلك، وأكثر ما اجتمع فى الأيام الظاهرية خمسة رسل.

وفيهما سافر فى الرسلية إلى بلاد أذربك الأمير علاء الدين أيدعدى الخوارزمى مملوك يازى، ومعه حسين بن صاروا أحد مقدمى الحلقة، بالهدية فى آخر المحرم وهى مائتا عدة كاملة، ما بين جوشن وخوذة وبركستوان، وخلعة كاملة التحتانى أطلس أحمر مزركش، وشاش كافورى^(١) وبلغطاق فوقانى مفرج مقصب محقق^(٢) بطرز ذهب، وكلفتهاه ذهب، وحياصة ذهب، وفرس مسرجة ملجمة بذهب مرصع، وجتر، وسيف مجلية ذهب، وسار معهم بطرك الملكية.

وفيهما قدمت أم الأمير بكنمر الساقى.

وفيهما تغير السلطان على الأمير سيف الدين طغاي، وضربه بيده بالمقرعة على رأسه، ثم رضى عنه وخلع عليه.

وفيهما صرف بهادر الإبراهيمى من نقابة المماليك، وبقى على إمرته وولى عوضه دقماق نقابة المماليك.

وفيهما مرضت زوجة الأمير طغاي، فعادها السلطان مراراً، فلما ماتت نزل الأمراء كلهم للصلاة عليها، وعمل كريم الدين لها مهما عظيما.

(١) على هامش ط: المقصود بالكافور كل ما يشبه فى بياضه خشب الكافور.

(٢) على هامش ط: المقصود به القماش المزدهم بالتحلية من خيوط الذهب أو الفضة.

وفيهما سار السلطان إلى الصيد فى يوم الجمعة سابع شعبان، وتوجه إلى بلاد الصعيد. وعاد إلى قلعة الجبل يوم الإثنين تاسع عشر رمضان، وأعطى الأمراء دستورا، ونزل تحت الأهرام.

وفيهما توجه كريم الدين إلى الإسكندرية وعاد وهو متوعك، فخلع السلطان عليه فرجية أطلس أبيض بطراز، وأنعم عليه بعشرة آلاف درهم.

وكان وفاء النيل يوم الأربعاء حادى عشرى جمادى الأولى - فى ثامن عشر مسرى - بعد أن بلغ فى يوم الثلاثاء أربع عشرة إصبعا من ستة عشر ذراعا. فانقطع الجسر المجاور للقناطر الأربعين بالجيزة، فنقص عدة أصابع، وجمع لسده خلق كثير، غرق منهم نحو ثلاثين رجلا فى ساعة واحدة انطبق عليهم الجسر. ثم جمع من مصر رجال كثيرة، وكتفوا وأنزلوا فى مركب وعدتهم سبعون رجلا، فانقلبت بهم المركب فغرقوا بأجمعهم فى يوم السبت سابع عشره. ثم زاد النيل حتى أوفى.

وفيهما قطعت أرزاق المرتزفة من أرباب الرواتب لاستقبال المحرم، وعوضوا على جهات أجودها نسترواة، فصارت سنتهم ثمانية أشهر. وتولى ذلك الصاحب سعد الدين محمد بن عطايا، والسعيد مستوفى الرواتب. ومنع شهر المحرم، وصولح من له راتب بثلث المدة - وهى شهران وثلثا شهر - ، وأحيلوا على المطابخ، وتمنت عليهم قطارة^(١)، فحصل من كل دينار سدسه. ونزل بالناس من ذلك شدة، وحصلت ذلة للحرم والأيتام، وسماهما الناس سعد الذابح وسعد بلع، وشافهوهما بكل مكروه.

وفيهما قدم الملك المؤيد عماد الدين إسماعيل صاحب حماة فى تاسع عشر جمادى الأولى، ونزل بمنابر الكبش؛ وحمل تقدمته فى غده، وسار فى تاسع عشر جمادى الآخرة.

وفيهما لعب السلطان بالميدان الجديد تحت القلعة فى يوم السبت ثامن جمادى الآخرة، وخلع على الأمراء وعلى الملك المؤيد صاحب حماة.

وفيهما استقر الصاحب أمين الدين بن الغنام ناظر الدواوين بمفرده فى خامس عشر رجب، بعد موت التقي أسعد كاتب برلقى.

وفيهما سافر الفخر ناظر الجيش وقاضى القضاة بدر الدين محمد بن جماعة إلى القدس؛ وقدم ابن جماعة فى تاسع عشرى رمضان.

وفيه استقر العلم أبو شاکر بن سعيد الدولة فى نظر البيوت، واستقر كريم الدين

(١) على هامش ط: المقصود جمال متتابعة فى نسق واحد.

أكرم الصغير فى نظر الدواوين، شريكا لأمين الدين، فى يوم الأحد أول ذى القعدة. وفيه توجه الأمير أرغون النائب إلى الحجاز.

* * *

ومات فى هذه السنة ممن له ذكر

عز الدين أحمد بن جمال الدين محمد بن أحمد بن ميسر المصرى، بدمشق فى ليلة الإثنين أول رجب، ومولده بمصر فى حادى عشرى رمضان سنة تسع وثلاثين وستمائة، وكان قاضيا جليل القدر ولى نظر الدواوين بمصر، وولى نظر الشام وطرابلس وإسكندرية، ثم تغيرت حالته وانحطت رتبته، واستقر فى نظر أوقاف دمشق مع الحسبة، وكان عاقلا خبيراً بالولايات، وفيه لين وسكون ومروءة وسماح لمن تحت يده من المباشرين. ومال صدر الدين أبو الفداء إسماعيل بن يوسف بن أبى اليسر مكتوم بن أحمد القيسى السويدي الدمشقى، فى ليلة السبت ثالث عشرى شوال بدمشق، كان فقيها مقرئاً محدثاً، درس وانفرد بالرواية عن جماعة.

ومات الأمير جمال الدين أقوش الأقرم أحد مماليك المنصور قلاوون، وكان نائب دمشق، فى ثالث عشرى المحرم بهمدان.

ومات الشيخ نجم الدين سليمان بن عبد القوى بن عبد الكريم الطوفى^(١) البغدادى الحنبلى، فى رجب ببلد الخليل عليه السلام، أقام بالقاهرة مدة، وامتنح بها.

ومات شمس الدين عبد القادر بن يوسف بن مظفر الخطيرى الدمشقى، فى جمادى الأولى عن إحدى وثمانين سنة، حدث، وولى نظر الخزانة بدمشق وكذلك نظر الجامع الأموى والمارستان النووى بها، وكان ديناً صينياً.

ومات الكاتب علاء الدين على بن مظفر بن إبراهيم الكندى^(٢) - عرف بكاتب ابن

(١) سليمان بن عبد القوى بن عبد الكريم الطوفى الصرصرى، أبو الربيع، نجم الدين: فقيه حنبلى، من العلماء. ولد بقرية طوف - أو طوفا - من أعمال صرصر: فى العراق ودخل بغداد سنة ٦٩١هـ. ورحل إلى دمشق سنة ٧٠٤هـ. وزار مصر، وجاور بالحرمين، وتوفى فى بلد الخليل بفلسطين. له بغية السائل فى أمهات المسائل فى أصول الدين. انظر: الكتيبخانة ٤١١/١ وشذرات الذهب ٣٩/٦ والدرر الكامنة ١٥٤/٢ ومخطوطات الدار ٤٩/١ والأعلام ١٢٨/٣.

(٢) على بن مظفر بن إبراهيم الكندى الوداعى، علاء الدين، ويقال له ابن عرفة: أديب متفنن شاعر، عارف بالحديث والقراءات من أهل الإسكندرية أقام بدمشق وتوفى فيها. له «التذكرة الكندية» همسون جزء، و«ديوان شعر». فى ثلاثة مجلدات. انظر: فوات الوفيات ٨٧/٢ والبيدابة والنهاية ١٤ / ٧٨ ولسان الميزان ٢٦٣/٤ والدرر الكامنة ١٣٠/٣ والنجوم الزاهرة ٢٣٥/٩ والأعلام ٢٣/٥.

ابن وداعة - الأديب البارع المقرئ ومات الشيخ صدر الدين محمد بن عمر بن مكى - المعروف بابن المرحل، وبابن الوكيل - فى يوم الأربعاء رابع عشرى ذى الحجة بالقاهرة، ومولده بدمياط فى شوال سنة خمس وستين وستمئة، واستقر بعده فى تدريس الزاوية بجامع عمرو شهاب الدين بن الأنصارى، وفى تدريس المجدية شمس الدين محمد بن اللبان. وقتل بالكرك من الأمراء سيف الدين أسندمر كرجى، وسيف الدين بينجار المنصورى، وبكتوت الشجاعى، وبيرس العلمى، وبيرس الجنون، وقطلوبك الكبير، وبكتمر الجوكندار نائب السلطنة، وبلبان طرنا، خنقوا فى ليلة واحدة.

ومات بطرابلس نائبها الأمير سيف الدين كستاي الناصرى، فى تاسع جمادى الآخرة، واستقر عوضه الأمير شهاب الدين قرطاي الصالحى نائب حمص، وولى حمص أرقطاي الجمدار.

ومات الأمير سيف الدين طقتمر الدمشقى طنبغا الشمسى، أحد أمراء مصر، وكان حشما عاقلا.

ومات الصاحب ضياء الدين أبو بكر بن عبد الله بن أحمد بن منصور بن شهاب النشائى، وزير مصر، فى يوم الإثنين تاسع عشرى رمضان؛ وكان قد ولى التدريس بالمدرسة التى بجوار الشافعى بالقرافة، ومشىحه الميعاد بالجامع الطولونى، ونظر الأحباس ونظر الخزانة؛ وكان مشكور السيرة، فقيها فاضلا إماما فى الفرائض مشاركا فى علم الحديث، كثير الصدقة، وقال بعض الشعراء يرثيه

إن بكى الناس بالمدام حمرا فهو شىء يقال من حناء
فاختم الدست بالنشائى فىانى لأرى الختم دائما بالنشاء

وكان فى وزارته غير نافذ الأمر، وقال فيه أحمد بن عبد الدائم الشارمساحى من أبيات:

زقوا منصب الوزارة حتى لزقوها وقتنا بالنشاء

وولى بعده نظر الخزانة تقى الدين أحمد بن قاضى القضاة عز الدين عمر بن عبد الله الحنبلى.

ومات تقى الدين أسعد الأحوال بن أمين الملك - المعروف بكاتب برلقى - ناظر الدواوين، فى ليلة الإثنين ثامن شهر رجب، فاستقر بعده الصاحب أمين الدين بن الغنام، والتقى هذا هو الذى كان سبب الروك، بتحسينه عمل ذلك للسلطان، وهو

الذى أدخل جهات المكوس فى ديوان الوزارة وجعلها برسم المطبخ، وفرق جوالى الذمة فى الإقطاعات بعدما كانت قلما مفردا، فما زال رجال الدولة بالسلطان حتى تنكر عليه وسبه ولعنه وهدده بالقتل، فأثر فيه الخوف ولزم فراشه حتى مات، وكان من الظلمة اللثام، واستسلمه الأمير برلغى، ولم يوجد له بعد موته، شىء سوى دواة وأثاث لم تبلغ قيمته مائتى درهم.

ومات ناصر الدين أبو بكر بن عمر بن السلار - بتشديد اللام بعد السين المهملة - فى ليلة الثلاثاء ثانى عشر المحرم، ومولده ليلة الإثنين تاسع عشر رمضان سنة اثنتين وخمسين وستمائة بدمشق، وكان أدبيا بارعا بديع الكتابة، وتفطن فى عدة فضائل، وهو من بيت إمارة، ومن شعره:

لعمرك ما مصر بمصر وإنما هى الجنة الدنيا لمن يتبصر
فأولادها الولدان من نسل آدم وروضتها الفردوس والنيل كوثر

ومات الطواشى ظهير الدين مختار المنصورى - المعروف بالبليسى - الخازندار، بدمشق فى عاشر شعبان، وكان يقرأ القرآن، وفيه شجاعة وشهامة، وفرق ماله على عتقائه قبل موته، ووقف أملاكه على تربته.

ومات الأمير بدر الدين محمد بن كيدغدى بن الوزيرى، بدمشق فى سادس عشر شعبان.

وماتت المسندة المعمرة ست الوزراء أم محمد، وتدعى وزيرة، ابنة عمر بن أسعد بن المنجا التنوخية، بدمشق فى ثامن عشر شعبان، ومولدها فى سنة أربع وعشرين وستمائة، وحدثت بصحيح البخارى فى القاهرة ومصر وقلعة الجبل، سنة خمس وسبعمائة.

ومات القاضى فخر الدين على ابن قاضى القضاة تقى الدين محمد بن دقيق العيد، فى يوم الثلاثاء عشرى رمضان، ومولده بقوص سنة تسع وخمسين وستمائة، وانقطع بعد أبيه للاشغال، ودرس بالكهاربة^(١) من القاهرة.

ومات الكاتب الجود نجم الدين موسى بن على بن محمد بن البصير^(٢) الدمشقى، بها

(١) كانت مدرسة الكهاربة هذه بجوار حارة الجودرية والقماحين. انظر: المقرئى، المواظ والاعتبار ٤١/٢.

(٢) موسى بن على بن محمد الحلبي أصلا، الحموى مولدا، ثم الدمشقى، نجم الدين المعروف بابن البصيص: شيخ الخطاطين فى زمانه بدمشق. ووفاته فيها. له شعر على طريقة الصوفية. أقام يعلم الناس الكتابة خمسين سنة. انظر البداية والنهاية ٧٩/١٤ والنجوم الزاهرة ٢٣٣/٩ والدرر الكامنة ٣٧٦/٤ والأعلام ٣٢٥/٧.

٥٢٢ سنة ست عشر وسبعمائة

فى عاشر ذى القعدة، وولد سنة إحدى وخمسين وستمائة، وكان شيخ الكتابة بدمشق.
ومات نجاد بن أحمد بن حجى أمير آل مرا، وحضر ثابت بن عساف بن أحمد بن
حجى إلى القاهرة، واستقر عوضه. وقتل سيف الدين خاص بك، فى يوم السبت سابع
عشر جمادى الأولى، ضربت عنقه، وكان ممن فر إلى بلاد المغرب وقبض عليه.
ومات الشيخ نور الدين الكنانى المقرئ، ليلة الأربعاء عشري جمادة الأولى بروضة
مصر.

ومات سراج الدين عمر الأسعدى، فى يوم الأربعاء ثالث رجب.

ومات الطواشى شبل الدولة كافور الطيرسى - الشهر بالعاجى - يوم الخميس
ثامن عشر رجب.

ومات جمال الدين عبد الله بن قاضى القضاة بدر الدين محمد بن جماعة، يوم الثلاثاء
رابع عشري رجب.

ومات شهاب الدين أحمد بن العسقلانى، إمام جامع المنشأة، يوم الأربعاء سلخ
رجب.

ومات شرف الدين محمد بن عبد الحميد - المتصدر بجامع عمرو - بمصر يوم الأحد
تاسع عشر شعبان، ومولده سنة أربع وعشرين وستمائة، وكان معتقدا.

* * *

سنة سبع عشر وسبعمئة

أول المحرم: قدم طييفا الحموى مبشرا ببسلامة الحاج، ووصل القاضى كريم الدين ناظر الخاص من القدس يوم الإثنين سادسه. وقدم الأمير سيف الدين أرغون النائب من الحجاز يوم الثلاثاء سابعه.

وفيه مرضت امرأة الأمير سيف الدين طغاي وماتت، فأكثر زوجها من الصدقة، وفرق بداره التى كانت للملك المنصور قلاوون بالقاهرة مالا على الفقراء، و هلك فى الزحام اثنا عشر شخصا وبهيمة كانت تحت أحدهم.

وفى حادى عشرى صفر: شنع الناس بموت القاضى كريم الدين، فركب فى سادس عشره وصعد إلى مصر، فزينت له وأوقدت الشموع.

وفيه قدم البريد بمحضر ثابت على قاضى بعلبك بنزول مطر فى يوم الثلاثاء سابع صفر ببعليك، عقبه سيل عظيم أتلف شيئا كثيرا، وهدم قطعة من السور، وغرق المدينة، وتلف بها شىء كثير، ومات ألف وخمسمائة إنسان سوى من مات تحت الردم، وانهدم منه بستانا، وثلاثة عشر جامعا ومدرسة ومسجداً، وسبعة عشر فرنا، وأحد عشر طاحونا، وهدم برجاً من السور ارتفاعه ثمانية وثلاثون ذراعاً ودوره من أسفله ثلاثة عشر ذراعاً، ذهب جميعه.

وفى ثالث عشر جمادى الأولى - وهو يوم السبت تاسع عشرى أبيب - قدم المفرد إلى مصر وعلق الستر، فنقص النيل فى ليلة الأحد ثلاثة أصابع، فخلق المقياس يوم الأحد، وفتح الخليج مع النقص، ثم رد النيل وزاد إصبعين نودى بهما يوم الأربعاء ثالث مسرى. واستمرت الزيادة، فكان ينادى فى اليوم بتسعة أصابع وما دونها حتى بلغت الزيادة فى يوم الأحد رابع عشرى توت - وهو ثالث رجب - ثمانية عشر ذراعاً وستة أصابع، وفسد من ذلك عدة مواضع لقلة الاعتناء بالجسور.

وفى بكرة يوم الخميس رابع جمادى الأولى: سار السلطان ومعه خمسون أميراً، وكريم الدين الكبير ناظر الخاص. والفخر ناظر الجيش، وعلاء الدين بن الأثير كاتب السر، بعدما فرق فى كل واحد فرسا مسرجاً وهجينين، وبعضهم ثلاثة هجن. وكب السلطان إلى الأمير تنكز نائب الشام أن يلقاه بالإقامات لزيارة القدس، فتوجه إلى القدس، ودخل إلى الكرك، وعاد فى رابع جمادى الآخرة، فكانت غيبته أربعين يوماً.

وفي ثامن عشره: قدم الأمير علاء الدين مغلطاى الجمالى ومعه الأمير سيف الدين بهادر آص، والأمير ركن الدين بيبرس الدوادار، من سجن الكرك، فنخلع السلطان عليهما، وأنعم على بهادر بإمرة فى دمشق، ولزم بيبرس داره، ثم أنعم عليه بتقدمه ألف على عادته.

وفيه صرف أمين الدين عبد الله بن الغنم من نظر الدواوين، ونزل بترتته من القرافة، واستقر التاج إسحاق بن القماط والموفق هبة الله مستوفى الأمير سلار فى نظر الدواوين عوضه نقلا من استيفاء الدولة؛ واستقر كريم الدين أكرم الصغير فى نظر الكارم ودار القند^(١) فى ثالث عشره، وخلع على الثلاثة فى يوم السبت خامس عشره.

وفى رابع رجب: تقطعت جسور منية الشرج وقلوب، وغرقت ليلة خامسه، وفر أهلها وتلفت أموالهم وغلالهم. فركب متولى القاهرة وغلق سائر الحوانيت والأسواق، وأخذ الناس والعسكر والأمراء لتدارك ما بقى من الجسور.

وفيه قدم الأمير محمد بن عيسى ومعه ابن أخيه موسى بن مهنا، فأنعم عليهما.

وفى يوم الإثنين ثامن عشره: صرف قاضى القضاة شمس الدين الحريرى الحنفى عن قضاء مصر خاصة، واستقر عوضه سراج الدين عمر بن محمود بن أبى بكر الحنفى قاضى الحسينية، فجلس سراج الدين للحكم فى يوم الثلاثاء تاسع عشره، ومات ليلة الثانى والعشرين من رمضان، وعاد ابن الحريرى إلى قضاء مصر. وكان سبب عزله أنه بالغ فى الحط على الكتاب من النصارى والمسألة، وأخرق بجماعة منهم وضربهم؛ وكان إذا رأى نصرايا راكبا أنزله وأهانته وإذا رأى عليه ثيابا سرية نكل به، فضاقت ذرعهم به، وشكوا أمرهم إلى كريم الدين الكبير.

فلما أخذ السلطان دار الأمير سلار ودور أخوته وقطعتة من الميدان، وأنشأ الأمير سيف الدين بكنمر الساقى المظفرى قصرا فى موضع ذلك على بركة الفيل. أراد السلطان أن يدخل فيه قطعة من أرض بركة الفيل، وهى فى أوقاف الملك الظاهر بيبرس على أولاده، فأراد استبدال ما يحتاج إليه منها بموضع آخر، وأراد من ابن الحريرى الحكم بذلك كما هو مذهبه فأبى، وجرت بينه وبين السلطان مفاوضة قال فيها: «لا سبيل إلى هذا، ولا يجوز الاستبدال فى مذهبي»، ونهض قائما، وقد اشتد حنق السلطان

(١) القند والقنطرة والقنند كله: عصارات قصب السكر إذا جامدا. قال ابن مقبل:

أشاقك ركبى ذو بنات ونسوة بكرمان يعتفن السوق المقنادا

والقند غسل قصب السكر. انظر محيط المحيط. ولسان العرب. مادة (قند).

منه. فسعى السراج عند كريم الدين الكبير فى قضاء مصر. ووعده بأنه يحكم بذلك، فأجيب وحكم بالاستبدال وصار ابن الحريرى على قضاء الخنفة بالقاهرة فقط، فمرض السراج عقيها إلى أن مات فى ثالث عشرى رمضان، فعده ذلك من بركة الحريرى، وأعيد إليه قضاء مصر.

وفى أواخر شعبان: عدى جماعة من الططر الفرات، وقدم دمشق فى سادس رمضان منهم أمير كبير اسمه طاطاى فى مائة فارس بنسائهم وأولادهم، ودخلوا القاهرة فى شوال.

وفى رمضان: عادت الرسل من عند أزيك، وهم أيدغدى الخوارزمى ومن معه، وصحبته رسل إزيك.

وفيه قدم البريد بأنه ظهر فى سابع عشر ذى القعدة رجل من أهل قرية قرطياوس من أعمال جبلة^(١) زعم أنه محمد بن الحسن المهدي، وأنه بينا هو قائم يحرق إذ جاءه طائر أبيض فنقب جنبه وأخرج روحه وأدخل فى جسده روح محمد بن الحسن، فاجتمع عليه من النصيرية القائلين بإلهية على بن أبى طالب نحو الخمسة آلاف، وأمرهم بالسجود له فسجدوا، وأباح لهم الخمر وترك الصلوات وصرح بأن لا إله إلا على ولا حجاب إلا محمد، ورفع الرايات الحمر، وشمعة كبيرة تقعد بالهار ويحملها شاب أمرد زعم أنه إبراهيم بن أدهم، وأنه أحياه، وسمى أخاه المقداد بن الأسود الكندى^(٢)، وسمى آخر جبريل، وصار يقول له: «اطلع إليه وقل كذا وكذا»، يشير إلى البارى سبحانه وتعالى، وهو بزعمه على بن أبى طالب، فيخرج المسمى جبريل ويفيب قليلا، ثم يأتى ويقول: «افعل رأيك». ثم جمع هذا الدعى أصحابه و هجم على جبلة يوم الجمعة العشرين منه، فقتل وسبى وأعلن بكفره، وسب أبا بكر وعمر رضى الله عنهما. فجرد إليه نائب طرابلس الأمير شهاب الدين قرطاي الأمير بدر الدين بيليك العثماني المنصورى على ألف فارس فقاتلهم إلى أن قتل الدعى، وكانت مدة خروجه إلى قتله خمسة أيام.

وفيه قدم كتاب المجد إسماعيل بن محمد بن ياقوت السلامى بإذعان الملك أبى سعيد

(١) انظر معجم البلدان ١٠٤/٢.

(٢) هو المقداد بن عمرو، ويعرف بابن الأسود، الكندى البهراني الحضري، من الأبطال. هو أحد السبعة الذين كانوا أول من أظهر الإسلام. وهو أول من قاتل على فرس فى سبيل الله. انظر تهذيب ٢٨٥/١٠ وصفة الصفوة ١٦٧/١ وحيلة ١٧٢/١ وذيل الميزل ١٠ ومجمع الزوائد ٣٠٦/٩ والأعلام

ابن خربندا، ووزيره خواخا على شاه، والأمير جوبان، والأمراء أكابر المغل للصلح، ومعه هدية من جهة خواجا رشيد الدين، فجهزت إلى أبي سعيد هدية جليلة من حملتها فرس وسيف وقرفل.

وفيه أفرج عن الشريف منصور بن حجاز أمير المدينة النبوية، وكان قد قبض عليه وحضر مع أمير الركب، وأعيد إلى ولايته عوضاً عن أخيه ودي بن حجاز، وسار منصور إلى المدينة ومعه عز الدين أيدير الكوندكى.

وفيه قدم اليريد من حلب بخروج ريح في يوم الأربعاء ثالث عشر ربيع الأول وقت العصر سوداء مظلمة تبادت تلك الليلة، ومن الغد عقبها برق ورعد عظيم ومطر غزير وبرد كبار، وجاء سيل لم يعهد مثله، فأخذ كل ما مر به من شجر وغيره، وتكون عمود من نار متصل اقتلع كنيسة كبيرة من عهد الروم، ومشى بها رمية سهم، ثم فرقها الريح حجراً.

وفيه قدم الخير بعود حميضة من العراق إلى مكة، ومعه نحو الخمسين من المغل، فمنعه أخوه رميثة من الدخول إلا بإذن السلطان، فكذب بمنعه من ذلك ما لم يقدم إلى مصر.

وفيه قبض على الأمير أقبغا الحسنى، وضرب وأخرج إلى دمشق على إمرة، من أجل أنه شرب الخمر، ووسط خازن داره، وقطعت السنة جماعة من أصحابه، وكحل جماعة منهم.

وفيه قدم الشريف رميثة أمير مكة فاراً من أخيه حميضة. وأنه ملك مكة وخطب لأبى سعيد بن خربندا وأخذ أموال التجار، فرسم بتجريد الأمير صارم الدين أزيك الجرمكى، والأمير سيف الدين بهادر الإبراهيمى فى ثلاثمائة فارس من أجناد الأمراء، مع الركب إلى مكة.

وفيه عزل الأمير ركن الدين بييرس أمير آخور من الحجووية، واستقر عوضه الأمير سيف الدين ألماس، وكان ألماس تركياً غتمياً لا يعرف باللسان العربى.

وفيهما أخرج إلى الشام الأمير عز الدين أيدير الدوادر، وعلاء الدين على الساقى، وعلاء الدين مغلطاي السنجرى، وطغاي الطباخى، وشرف الدين قيران الحسامى أمير علم. وأنعم عليهم بإمريات وإقطاعات بها.

وفيه قدم مندوه الكردي الفار من أسره بمطية بعدما أمن، فأنعم عليه بإمرة فى دمشق.

وفيه حاصر الأمير سنجر الجاولى غزة قلعة سلع^(١) - ومعه نحو العشرة آلاف فارس - مدة عشرين يوما إلى أن أخذها، وقتل من أهلها ستين رجلا من العرب المفسدين، وغنم العسكر منها شيئا كثيرا، ورتب الجاولى بها رجالا وعاد إلى غزة.

وفى جمادى الأول استقر فخر الدين أحمد بن تاج الدين سلامة السكندرى المالكي فى قضاء المالكية بدمشق، عوضا عن جمال الدين محمد بن سليمان بن سومر الزواوى بعد موته، فسار فخر الدين إليها من القاهرة، وقدمها فى عشره.

وفيه كان روك المملكة الطرابلسية على يد شرف الدين يعقوب ناظر حلب، فاستقر أمرها لاستقبال رمضان سنة عشر وسبعمائة الهلالي، ومن الخراجى لاستقبال مغل سنة سبع عشرة. وتو بهذا الروك إقطاعات ستة أمراء طبلخاناه، وثلاثة إقطاعات أمراء عشروات، وأبطل منها رسوم الأفراح، ورسوم السجون، وغير ذلك من المكوس التى كان مبلغها فى كل سنة مائة ألف درهم وعشرة آلاف درهم، وقدم شرف الدين بأوراق الروك إلى القاهرة.

وفيه قدم الأمير علاء الدين أيدغدى الخوارزمى وحسين بن صاروا وبطرك الملكية من بلاد أذربك، ومعهم عدة من رسل أذربك: وهم شرنك وبغرطاي وقرطقا وعمر القرمى، ورسل الأشكرى صاحب قسطنطينية، وهم خادمه وكبير بيته ميخائيل وكاشمانوس وتادروس، ومعهم الهدايا: فدية أذربك ثلاث سناقر وستة ممالك وزردية وخوذة فولاذ وسيف، فأكرموا وأعيدوا مع الأمير سيف الدين أطرغى والأمير سيف الدين بيرم خجا، بهدية قيمتها عشرة آلاف دينار.

وفيه سافر السلطان إلى الصيد بالبحيرة، وأقام أياما وعاد. وفيه أعطى السلطان زين الدين قراجا التركمانى النازل بالبركة إمرة.

وفيه استقر الشهاب محمود بن سليمان بن فهد الحلبي فى كتابة السر بدمشق، بعد موت شرف الدين عبد الوهاب بن فضل الله العمري. واستقر الأمير سيف الدين ألبجى دَوَادَرًا، بعد موت بهاء الدين أرسلان.

وفيه طلق السلطان زوجته خوندا أردركين ابنة الأمير سيف الدين نوكاى. وفيه أنعم على الأمير بدر الدين جنكلى بن البابا بإقطاع الأمير سيف الدين قلى السلاح دار، بعد موته. وحج بالركب الأمير سيف الدين مجلس، ومعه من الأمراء شرف الدين أمير بن جندر وعزلوا الجوكندار، وسيف الدين ألبجى الساقى، وسيف الدين طقصبا

(١) حصن بوادى موسى عليه السلام، قرب بيت المقدس.

الظاهرى، وشمس الدين سنقر المرزوقى، وحج أيضا الأمير شرف الدين عيسى بن مهنا وأخوه محمد، فى عدة من عرب آل فضل، بلغت عدتهم نحو اثنى عشر ألف راحلة.

وفيه تمزقت جماعة الثائر بجيلة، وكان قد قام فى النصيرية^(١) وادعى أنه المهدي، وأن دين النصيرية حق، وأن الملائكة تنصره. فركب العسكر وقتلوه فقتل، ورسم أن يبنى بقرى النصيرية فى كل قرية مسجد، وتعمل له أرض لعمل مصالحه، وأن يمنع النصيرية من الخطاب - وهو أن الصبى إذا بلغ الحلم عملت له وليمة، فإذا اجتمع الناس وأكلوا وشربوا حلفوا الصبى أربعين يمينا على كتمان ما يودع من الذهب، ثم يعلمونه مذهبهم وهو إلهية على بن أبى طالب، وأن الخمر حلال، وأن تناسخ الأرواح حق، وأن العالم قديم، والبعث بعد الموت باطل، وإنكار الجنة والنار، وأن الصلوات خمس وهى إسماعيل وحسن وحسين ومحسن وفاطمة، ولا غسل من جنابة، بل ذكر هذه الخمسة يغنى عن الغسل وعن الوضوء، وأن الصيام عبارة عن ثلاثين رجلا وثلاثين امرأة ذكروهم فى كتبهم، وأن إلههم على بن أبى طالب خلق السموات والأرض، وهو الرب، وأن محمداً هو الحجاب وسلمان هو الباب.

* * *

ومات فى هذه السنة

من له ذكر شمس الدين أبو العباس أحمد بن يعقوب بن إبراهيم الأسدى الطيبى، بطرابلس فى سادس عشرى رمضان، عن تسع وستين سنة، كان أديبا فاضلا؛ باشر الإنشاء مدة، ونقل إلى طرابلس فى توقيعها إلى أن مات، ومن شعره:

هجرت الخمر لما صح عندى بأن الخمر آفة كل طاعة

ولم تر مقلتى فى الخمر شيئا سوى أن تجمع الأحباب ساعة

ومات الأمير بهاء الدين أرسلان الدوادار الناصرى، يوم الثلاثاء ثالث عشرى رمضان، فوجد له مال جزيل: منه أربعون حياصة ذهبا، وأربعون كلفته زركش، ومبلغ ثلاثين ألف دينار، وإليه تنسب خانكاه بهاء الدين بمنشأة المهرانى.

ومات شرف الدين عبد الوهاب بن فضل الله العمري كاتب السر، يوم الثلاثاء ثالث رمضان بدمشق، ومولده سابع ذى الحجة سنة ثلاث وعشرين وستمائة، حدث عن ابن عبد السلام، وبرع فى الأدب، وكان دينا عاقلا وقورا، ناهضا ثقة أمينا مشكورا. مليح الخط جيد الإنشاء، فولى بعده شهاب الدين أبو الثناء محمود بن سليمان

(١) فرقة من غلاة الشيعة، وتنسب إلى مؤسسها محمد بن نصر النيمرى البعدى.

الخلبي أحد كتاب الدرج بديار مصر، نقل إليها من القاهرة، فقدم دمشق ثامن عشرى شوال.

ومات فخر الدين عثمان بن بلبان بن مقاتل^(١) معيد المدرسة المنصورية بين القصرين، وكان فاضلا، حدث وروى وحصل وكتب وخرج، ومات عن اثنتين وخمسين سنة.

ومات علاء الدين على بن فتح الدين محمد بن محيي الدين عبد الله بن عبد الظاهر السعدى^(٢)، أحد أعيان كتاب الإنشاء، يوم الخميس رابع رمضان، وكان على الهمة صاحب مكارم، وتمكن من الأمير سلار أيام نيابته، فإنه كان موقعه.

ومات زين الدين محمد بن سليمان بن أحمد ابن يوسف الصنهاجى المراكشى الإسكندرنى، فى أول يوم من ذى الحجة.

ومات جمال الدين أبو عبد الله محمد بن أبى الربيع سليمان بن سومر الزواوى المالكى قاضى دمشق، فى تاسع جمادى الأولى بها، ومولده سنة تسع وعشرين وستمائة، وقدم الإسكندرية وهو شاب، وتفقه بها حتى برع فى مذهب مالك، وأكثر من سماع الحديث، فسمع من ابن رواج والسيوط وأبى عبد الله المرينى وأبى العباس القرطبى وابن عبد السلام وأبى محمد بن برطلة، وولى قضاء المالكية بدمشق ثلاثين سنة، بصرامة وقوة فى الأحكام وشدة فى إراقة دماء الملحدى والزنادقة والمخالفين، إلى أن اعتل بالعرشة نحو عشرين سنة، ومازال إلى يعلته أن عجز عن الكلام، فصرف. ومات بعد عزله بعشرين يوما، وبعد أن علم بالعزل بسبعة أيام.

ومات الصدر شرف الدين محمد بن الجمال إبراهيم بن الشرف عبد الرحمن بن بصرى الدمشقى، يوم الجمعة سابع ذى الحجة بمكة، وعمره خمس وثلاثون سنة، فدفن بالمعلاة، وكان حسن الأخلاق.

ومات بطرابلس عماد الدين محمد بن صفى الدين محمد بن شرف الدين يعقوب النويرى، صاحب ديوان طرابلس.

(١) عثمان بن بلبان بن عبد الله الرومى فخر الدين المقاتلى، الكفتى الدمشقى: محدث من شيوخ النهبى. مولده بدمشق، ووفاته بالقاهرة له جزء فى خمسة أحاديث. انظر: الدرر الكامنة ٤٣٩/٢ وتذكرة الحفاظ ٢٨٩/٤ ومخطوطات الدار ٢١٢/١ والشذرات ٦ م ٤٦ والأعلام ٢٠٤/٤.

(٢) على بن محمد بن عبد الظاهر، علاء الدين السعدى. فاضل، من القضاة. له «مراتب الغزلان» و«تشرىف الأيام والعصور» فى سيرة الملك المنصور قلاوون. انظر: كشف الظنون ١٦٥٠ و١٧٥٨ والأعلام ٣٣٤/٤.

ومات الأمير سيف الدين قلنى السلاح دار.

ومات الأمير شمس الدين الذكر السلاح دار - صهر علم الدين سنجر الشجاعى - وهو فى الحبس.

ومات الأمير سيف الدين ألكتمر - صهر الجوكندار - بالحبس أيضاً.

ومات الخطيب عماد الدين ابن بنت المخلص، فى حادى عشرى المحرم.

ومات قاضى القضاة نجم الدين الحنفى الملقى، يوم الإثنين رابع ربيع الأول.

وفيه خلع نفسه الأمير أبو يحيى زكريا اللحيانى بن أحمد بن محمد بن عبد الواحد بن أبى حفص ملك تونس، وولى ابنه أبا عبد الله محمد المعروف بأبى ضربة فى آخر ربيع الآخر، وكانت مدته ست سنين.

* * *

المحتويات

| | |
|-----|--|
| ٣ | سنة اثنتين وستين وستمائة |
| ١٧ | سنة ثلاث وستين وستمائة |
| ٣١ | سنة أربع وستين وستمائة |
| ٤١ | سنة خمس وستين وستمائة |
| ٤٧ | سنة ست وستين وستمائة |
| ٥٥ | سنة سبع وستين وستمائة |
| ٦٣ | سنة ثمان وستين وستمائة |
| ٦٩ | سنة تسع وستين وستمائة |
| ٧٥ | سنة سبعين وستمائة |
| ٨١ | سنة إحدى وسبعين وستمائة |
| ٨٥ | سنة اثنتين وسبعين وستمائة |
| ٨٩ | سنة ثلاث وسبعين وستمائة |
| ٩٣ | سنة أربع وسبعين وستمائة |
| ٩٧ | سنة خمس وسبعين وستمائة |
| ١٠٣ | سنة ست وسبعين وستمائة |
| ١٠٧ | السلطان الملك السعيد ناصر الدين |
| ١١٣ | سنة سبع وسبعين وستمائة |
| ١١٧ | سنة ثمان وسبعين وستمائة |
| ١٢٠ | السلطان الملك العادل بدر الدين سُلامش |
| ١٢٢ | السلطان الملك المنصور سيف الدين قلاوون |
| ١٣١ | سنة تسع وسبعين وستمائة |
| ١٣١ | سنة تسع وسبعين وستمائة |
| ١٣٩ | سنة ثمانين وستمائة |
| ١٥٧ | سنة إحدى وثمانين وستمائة |
| ١٦٥ | سنة اثنين وثمانين وستمائة |

| | |
|----------|--|
| ١٨٣..... | سنة ثلاث وثمانين وستمائة..... |
| ١٨٩..... | سنة أربع وثمانين وستمائة..... |
| ١٩٣..... | سنة خمس وثمانين وستمائة..... |
| ١٩٧..... | سنة ست وثمانين وستمائة..... |
| ٢٠٣..... | سنة سبع وثمانين وستمائة..... |
| ٢١١..... | سنة ثمان وثمانين وستمائة..... |
| ٢١٥..... | سنة تسع وثمانين وستمائة..... |
| ٢١٨..... | السلطان الملك الأشرف صلاح الدين خليل بن الملك المنصور..... |
| ٢٢١..... | سنة تسعين وستمائة..... |
| ٢٣٣..... | سنة إحدى وتسعين وستمائة..... |
| ٢٣٩..... | سنة اثنين وتسعين وستمائة..... |
| ٢٤٥..... | سنة ثلاث وتسعين وستمائة..... |
| ٢٤٩..... | السلطان الملك الناصر ناصر الدين محمد بن السلطان..... |
| ٢٥٩..... | سنة أربع وتسعين وستمائة..... |
| ٢٥٩..... | السلطان الملك العادل زين الدين كتبغا المنصوري..... |
| ٢٦٥..... | سنة خمس وتسعين وستمائة..... |
| ٢٧٣..... | سنة ست وتسعين وستمائة..... |
| ٢٧٤..... | السلطان الملك المنصور حسام الدين لاجين المنصوري..... |
| ٢٨٣..... | سنة سبع وتسعين وستمائة..... |
| ٢٩٧..... | سنة ثمان وتسعين وستمائة..... |
| ٣٠٧..... | تدبير الأمراء بعد قتل الملك المنصور لاجين الأمر..... |
| ٣١٠..... | سلطنة الملك الناصر محمد بن قلاوون ثانيًا..... |
| ٣١٧..... | سنة تسع وتسعين وستمائة..... |
| ٣٣٥..... | سنة سبعمائة..... |
| ٣٤٥..... | سنة إحدى وسبعمائة..... |
| ٣٥٣..... | سنة اثنتين وسبعمائة..... |
| ٣٦٩..... | سنة ثلاث وسبعمائة..... |
| ٣٧٧..... | سنة أربع وسبعمائة..... |
| ٣٨٩..... | سنة خمس وسبعمائة..... |
| ٤٥٥..... | سنة ست وسبعمائة..... |

| | |
|-----|---|
| ٥٣٣ | السلوك لمعرفة دول الملوك |
| ٤٦٣ | سنة سبع وسبعمائة |
| ٤٧١ | سنة ثمان وسبعمائة |
| ٤٧٣ | السلطان الملك المظفر |
| ٤٧٩ | سنة تسع وسبعمائة |
| | عود السلطان الملك الناصر ناصر الدين أبى المعالى محمد بن الملك المنصور |
| ٤٩٢ | قلاوون إلى الملك مرة ثالثة |
| ٥٠٥ | سنة عشر وسبعمائة |
| ٥١٧ | سنة إحدى عشرة وسبعمائة |
| ٥٢٩ | سنة اثنتى عشرة وسبعمائة |
| ٥٣٥ | سنة ثلاث عشرة وسبعمائة |
| ٥٤٥ | سنة أربع عشرة وسبعمائة |
| ٥٥١ | سنة خمس عشرة وسبعمائة |
| ٥٦٥ | سنة ست عشرة وسبعمائة |
| ٥٧٣ | سنة سبع عشرة وسبعمائة |
| ٥٣١ | المحتويات |

السُّلُوكُ لمعرفة دول الملوك

تأليف
تقي الدين أبي العباس أحمد بن علي بن عبد القادر
العبيدي المقرئ
المتوفى سنة ٨٤٥ هـ

تحقيق
محمد عبد القادر عطا

الجزء الثالث

سنة ٧١٨ هـ - ٧٤٥ هـ

منشورات

محمد علي بيضون

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

جميع الحقوق محفوظة

جميع حقوق الملكية الادبية والفنية محفوظة لدار الكتب العلمية بيروت - لبنان ويحظر طبع أو تصوير أو ترجمة أو إعادة تفهيد الكتاب كاملاً أو جزءاً أو تسجيله على أشرطة كاسيت أو إدخاله على الكمبيوتر. أو برمجته على اسطوانات ضوئية إلا بموافقة الناشر خطياً.

Copyright ©
All rights reserved

Exclusive rights by DAR al-KOTOB al-ILMIYAH Beirut - Lebanon. No part of this publication may be translated, reproduced, distributed in any form or by any means, or stored in a data base or retrieval system, without the prior written permission of the publisher.

الطبعة الأولى

١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

العنوان : رمل الزريف، شارع البحري، بناية ملكارت
تلفون وفاكس : ٣٤٢٩٨ - ٣٦٦١٢٥ - ٦٠٢١٢٣ (١ ٩٦١) ٠٠
صندوق بريد: ٩٤٢٤ - ١١ بيروت - لبنان

DAR al-KOTOB al-ILMIYAH

Beirut - Lebanon

Address : Ramel al-Zarif, Bohtory st., Melkart bldg, 1st Floor.

Tel. & Fax : 00 (961 1) 60.21.33 - 36.61.35 - 36.43.98

P.O.Box : 11 - 9424 Beirut - Lebanon

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سنة ثمان عشرة وسبعمائة

فى المحرم: قدم الركب من الحجاز على العادة، وصحبته المجردون، فشكى الصارم أزيدك الجرملكى من بهادر الإبراهيمى، وأنه منعه من أخذ الشريف حميضة، وأنه تعاطى الخمر، فقبض عليه وعلى رمضان المقدم وأقربا وجماعة، وسجنوا بالإسكندرية، وأنعم على الأمير مغلطاي الجمالى بخبز الإبراهيمى.

وفيه قدم البريد من حلب بغلاء الأسعار بديار بكر والموصل وبغداد وتوريز، وكثرة الوباء والموت بها. وأن جزيرة ابن عمر خلت من الساكن؛ وميافارقين لم يوجد من يخطب بها فى جامعها.

وفى أول صفر: توجه القاضى كريم الدين الكبير إلى دمشق، فدخلها فى سابعه؛ وتلقاه الأمير تنكز النائب وأنزله بدار السعادة، وقدم إليه هدية سنوية فلم يقبل منها غير فرس واحد ورد البقية، وأمر بإنشاء جامع خارج ميدان الحصا، وعاد إلى القاهرة بعد أربعة أيام.

وفى سابعه: استقر كريم الدين أكرم الصغير فى نظر الدواوين.

وفى سادس عشره: وصل الأمير جمال الدين بكتمر الحسامى نائب صفد، وأنعم عليه بتقدمة ألف فى سادس عشره.

وفى سابع عشره: سافر الصحاب أمين الدين بن الغنام على البريد إلى طرابلس ناظراً. وسبب ذلك أنه لما طال عطلته اجتمع بالأمر سيف الدين البوبكرى وحط على كريم الكبير. وأنه قد استولى على الأموال وأنفقها على ممالك السلطان ليصانع بها عن نفسه. فعرف البوبكرى السلطان عنه ما قال، فأعلم به كريم الدين فقال: «هو يا خوند معذور، فإنه قد بطل، ولايد له من شغل يأكل فيه صدقة السلطان». وعينه لنظر طرابلس. فبعث السلطان إليه فى الحال بخلعة وبريدى، وخرج لوقته.

وفى حادى عشره: عزل الأمير بدر الدين محمد بن التركمانى من شد الدواوين، ونزل إلى داره.

وفيه عوفى قاضى القضاة بدر الدين محمد بن جماعة، وركب إلى القلعة، وترك معلوم القضاة تنزهاً عنه، فخلع عليه وباشر بغير معلوم.

وفى يوم الثلاثاء ثانى عشره: خلع على الأمير سيف الدين طغاي الحسامى الكبير، وسفر على خيل البريد لنيابة صفد عوضاً عن بكتمر الحاجب. وسبب ذلك كثرة دالته على السلطان، وتحكمه فى الأمراء والمماليك، وقوة حرمته، وتعرضه على السلطان فيما يفعله من ملاذه. وخرج معه مغلطاي الجمالى، فوصل صفد فى تاسع عشر ربيع الأول؛ وقدم الأمير بكتمر الحاجب إلى القاهرة.

وفيه قدم البريد بأنه فى يوم الأربعاء ثانى صفر هبت ريح شديدة بأرض طرابلس، ومرت على أبيات مقدم التركمان بالجون فكسرتها، وصارت عموداً أغبر هيئة تنين متصل بالسحاب، ومر ذلك العمود على أبيات علاء الدين طوالى بن اليكى مقدم التركمان، وتلوى يميناً وشمالاً، فلم يترك هناك شيئاً حتى أهلكه، وطوالى يصيح: «يا رب قد أخذت الرزق، وتركت العيال بغير رزق، فإيش أطعمهم؟»، فعاد ذلك التنين إليه بعد ما كان خرج عنه، وأهلكه وامراته وأولاده وثلاثة عشر نفساً. وحملت الريح جملين حتى ارتفعا فى السماء قدر عشرة أرماع، وأتلفت القدر الحديد. ومرت على عربان هناك فاحتملت لهم أربعة جمال حتى غابت عنهم فى اليوم، ثم نزلت مقطعة. وعقب هذا الريح مطر وبرد زنة البردة الواحدة منه ثلاث أواق دمشقية.

وفيه أجلس السلطان جماعة من مقدمى الحلقة الشيوخ فى أوقات المشورة مع الأمراء، وسمع كلامهم.

وفيه سأل النصارى فى رم جدران كنيسة بربارة بحارة الروم، فأذن لهم السلطان فى رمها. فاجتمع لعمارتها جماعة كثيرة من النصارى، وأحضر الأقباط لهم الآلات، وأقاموا على عملها عدة من المسلمين شادين ومستحئين، فجاءت كأحسن المباني. فشق ذلك على جيران الكنيسة من المسلمين، وشكوا أمرها إلى الأمير أرغون النائب والفخر ناظر الجيش، وأن ذلك وقع بجاه كريم الدين الكبير وكريم الدين الصغير، ورفعوا عدة قصص إلى السلطان بدار العدل. فساعد النائب والفخر عند قراءة القصص فى الإنكار على بناء الكنيسة، إلى أن رسم لمتولى القاهرة على علم الدين سنجر الخازن بخراب ما جدد فيها من البناء؛ فنزل إليها علم الدين، واجتمع إليه من الناس عدد لا يحصىه إلا الله، وهدم ما جدد فيها، ومضى لسبيله. فقامت طائفة من المسلمين وبنوا الجانب الذى هدم محراباً، وأذّنوا فيه أوقات الصلوات، وصلوا وقرأوا هناك القرآن، ولزموا الإقامة فيه. فحنق النصارى من ذلك، وشكوا أمرهم إلى كريم الدين؛ فرفع كريم الدين ذلك للسلطان، وأغراه بمن فعل ذلك، وأنه يريد نهب النصارى وأخذ أموالهم، وشنع القول. فرسم السلطان للخازن بهدم

السلوك لمعرفة دول الملوك ٥

المحراب وإعادة البناء، وقبض أهل حارة الروم وعملهم فى الحديد؛ فلما توجه الخازن لذلك اجتمع الناس وصاحوا به، فساس الأمير وتركهم، وأهمل ذلك الموضوع حتى صار كوم تراب.

وفيه تجهز السلطان لركوب الميدان، وفرق الخيول على جميع الأمراء واستجد بركوب الأوشاقية بكوافى زركش على صفة الطاسات، وهم الذين عرفوا باسم الجفتاوات. واستجد النداء فى البحر على أرباب المراكب ألا يركبوا أحدًا من ممالك السلطان فى مركب يوم الميدان، وشدد الإنكار على الطواشى المقدم فى غفلته عن الممالك.

وفيه شدد على الأمراء المسجونين ببرج السباع من قلعة الجبل، وهم: طوغان نائب البيرة، وعلم الدين سنجر البروانى، وبيبرس الجنون، وفخر الدين أياز نائب قلعة الروم، والحاج بيليك، وسيف الدين طاجا، والشيوخ على مملوك سلار، ومنع حريمهم من الإقامة عندهم.

وفيه خرج الأمير مغلطاي الجمالى على البريد إلى صفد بتقليد الأمير طغاي نيابة حلب، وكتب إلى الأمير سيف الدين أقطاي نائب حمص بنيابة صفد عوضًا عن طغاي، واستقرار الأمير بدر الدين بكتوت القرمانى فى نيابة حمص. وأسر السلطان إلى الأمير مغلطاي القبض على طغاي. فتوجه مغلطاي إلى صفد للقبض على طغاي. فتوجه مغلطاي إلى صفد^(١) بعد اجتماعه بالأمير تنكز نائب الشام، وهو على طغاي، وأحضره إلى قبة النصر خارج القاهرة، فخرج إليه الأمير قجليس، وصعد إلى القلعة وهو مقيد فى خامس عشر جمادى الأولى، وأخرج به فى ليلة الأربعاء تاسع جمادى الأولى إلى الإسكندرية، فكان آخر العهد به. وأخرج بهادر أيضا إلى سجن الإسكندرية، ووقعت الخوطة فى يوم الخميس عشريه على موجوده وفرقت ممالكه على الأمراء.

وفيه توجه الأمير قجليس إلى الشام.

وفيه ابتدئ فى صفر بهدم المطبخ وهدم الحوائج خاناه والطشت خاناه والفرش وجامع القلعة؛ وبنى الجميع جامعًا، فجاء على ما هو عليه الآن من أحسن المباني. تم بناؤه ورخامه جلس فيه السلطان، واستدعى سائر مؤذنى القاهرة ومصر وقراءها وخطباءها وعرضوا عليه، فاختار عشرين مؤذناً رتبهم فيه، وقرر به درسًا وقارئ مصحح وأوقف عليه الأوقاف الكثيرة.

(١) مدينة فى جبال عاملة المطلة على حمص بالشام، وهى من جبال لبنان. انظر معجم البلدان

وفيه تجدد بدمشق ثلاثة جوامع بظاھرھا: وهى جامع الأمير تنكز، والأمير كريم الدين، وجامع شمس الدين غريال بن سعد.

وفيه غرقت مركب فى بحر الملح وهى متوجهة إلى اليمن، وكان فيها لكريم الدين متجر بمبلغ مائة ألف دينار سوى ما لغيره، فلم يسلم منها سوى سبعة أنفس، وغرق الجميع.

وفيه وقعت الفتنة بين المغل، فقتل فيها نحو الثلاثين أميراً سوى الأجناد والآتابك وقتل من الخواتين سبع نسوة مع عالم عظيم؛ وانتصر أبو سعيد. فسر السلطان بذلك لما فيه من وقوع الوهن فى المغل.

وفىها قبض على الأمير بدر الدين ميزامير ابن الأمير نور الدين صاحب ملطية^(١)؛ من أنه كتب إلى جويان القائم بدولة أبى سعيد بن خربندا بالأردو أن يطلبه من السلطان. وقبض أيضا على مندوه الكردي بغزة^(٢).

وفيه حبس شيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن تيمية^(٣)، بسبب مسألة الطلاق؛ وكان ذلك بسعى قاضى القضاة شمس الدين بن الحريرى الحنفى عليه، وإغرائه السلطان به.

وفيه أنعم على الأمير ركن الدين بيبرس الدوادار المنصورى^(٤) بإقطاع مغلطاي ابن أمير مجلس، بإمرة ثمانين فارساً؛ وخلع عليه وجلس رأس الميسرة؛ ونقل مغلطاي إلى الشام.

(١) بلدة من بلاد الروم مشهورة مذكورة تتاخم الشام. انظر معجم البلدان ٥ / ١٩٢، ١٩٣.

(٢) مدينة فى أقصى الشام من ناحية مصر، وبينها وبين عسقلان فرسخان. انظر معجم البلدان

٤ / ٢٠٢.

(٣) أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبى القاسم الخضر النميرى تقي الدين بن تيمية: الإمام، شيخ الإسلام. ولد فى حران وتحول به أبوه إلى دمشق فنبغ واشتهر. وطلب إلى مصر من أجل فتوى أفتى بها، فقضى فيها، فتعصب عليه جماعة من أهلها فسجن مدة، ونقل إلى الإسكندرية. ثم أطلق فسافر إلى دمشق سنة ٧٢١ هـ، واعتقل بها سنة ٧٢٠ وأطلق، ثم أعيد، ومات معتقلاً بقلعة دمشق. انظر فوات الوفيات ١ / ٣٥ - ٤٥ والدرر الكامنة ١ / ١٤٤ والبدایة والنهایة ١٤ / ١٣٥ وابن الوردي ٢ / ٢٨٤ وأداب اللغة ٣ / ٢٤٣ والنجوم الزاهرة ٩ / ٢٧١ والأعلام ١ / ١٤٤.

(٤) بيبرس المنصورى الخطائى الدوادار، ركن الدين: مؤرخ من الأمراء بمصر. ولد وتوفى بها عن نحو ٨٠ عاما. كان من ممالیک المنصور قلاوون واستنابه بالكرك، ثم صار دوادار السلطان وناظر الأحباس، فنائباً للسلطنة فى الديار المصرية. له تصانيف منها «زبدة الفكرة فى تاريخ الهجرة» و«التحفة الملوكية فى الدولة التركية». انظر النجوم الزاهرة ٩ / ٢٦٣ والدرر الكامنة ٤ / ٣٦٩ ودائرة المعارف الإسلامية ٤ / ٣٦٩ والأعلام ٢ / ٨٠.

وفيه قدم صاحب خرتبرت^(١)، فأنعم بإمرية.
 وفيه استقر في نيابة الكرك^(٢) الأمير عز الدين أيك الجمالى نائب قلعة دمشق، واستقر
 عوضه في نيابة قلعة دمشق الأمير عز الدين أيك الدميترى.
 وفيه خرج الأمير بدر الدين بن عيسى بن التركمانى^(٣) بطائفة من العسكر مجردين إلى
 الحجاز، في طلب الشريفين حميضة^(٤) ورميثة^(٥).
 وفيه أفرج عن الأمير سيف الدين أقبغا الحسنى، وأنعم عليه بإمرة في دمشق.
 وفي شعبان: قدم حمل سيس^(٦) على العادة.
 وفيه ولي قضاء القضاة المالكية بالقاهرة ومصر تقي الدين محمد بن أبى بكر بن عيسى
 ابن بدران الأحنائى^(٧)، بعد موت زين الدين على بن مخلوف فى ثانى عشر جمادى
 الآخرة.

وفيه حج بالركب المصرى الأمير علاء الدين مغلطاي الجمالى، وقبض على الشريف
 رميثة، وفر حميضة، وقدم رميثة مقيداً إلى قلعة الجبل، فسجن بها.
 وفيه قدمت رسل ابن قرمان بدراهم ضربت باسم السلطان، وأنه خطب هناك

(١) هو حصن فى أقصى ديار بكر من بلاد الروم، بينه وبين ملطية مسيرة يومين، وبينهما الفرات.
 انظر معجم البلدان ٢ / ٣٥٥.

(٢) اسم لقلعة حصينة جدا فى طرف الشام من نواحي البلقاء فى جبالها بين أيلة وبحر القلزم وبيت
 المقدس. انظر معجم البلدان ٤ / ٤٥٣.

(٣) محمد بن عيسى، بدر الدين، بن التركمانى: بانى «جامع المقياس» بمصر. كان زيرا بها.
 وزحف إلى مكة للقبض على الشريف حميضة، فنزلها وطرده العبيد، ونادى بالعدل. ونقل أميراً إلى
 الشام. ومنها إلى شد الدواوين بطرابلس سنة ٧٢٦ هـ ثم عاد إلى القاهرة وتوفى بها. انظر البداية
 والنهاية ١٤ / ١٨١ والدرر الكامنة ٤ / ١٣٢ والأعلام ٦ / ٣٢٣.

(٤) حميضة بن أبى محمد بن الحسن بن على بن الحسن العلوى الهاشمى: شريف، من أمراء مكة.
 وليها سنة ٧٠١ هـ مشتركاً هو وأخوه رميثة، ثم قامت بينهما الفتن واستمرت طويلاً إلى أن قتل
 حميضة، وقضى عليه فى وادى النخلة. انظر الدرر الكامنة ٢ / ٧٨ وابن الوردى ٢ / ٢٦٩ والبدر
 الطالع ١ / ٢٣٨ والأعلام ٢ / ٢٨٥.

(٥) رميثة بن أبى نعى محمد بن الحسن بن على بن الحسن، أبو عرادة، ويلقب أسد الدين: شريف
 أمراء مكة. وليها مشتركاً مع أخيه حميضة ثم اختلفا فافتتلا ونشبت بينهما وقائع إلى أن انفرد بالأمر
 سنة ٧٣٨ - ٧٤٥ هـ ونزل عن الإمارة لأولاده. وتوفى بمكة. انظر شذرات الذهب ٦ / ١٤٩ والدرر
 الكامنة ٢ / ١١١ والنجوم الزاهرة ١٠ / ١٤٤ والأعلام ٣ / ٣٣.

(٦) بلد هو اليوم أعظم مدن الثغور الشامية بين أنطاكية وطرسوس. انظر معجم البلدان ٣ / ٢٩٧.
 (٧) محمد بن أبى بكر بن عيسى بن بدران. شيخ المالكية بمصر. له تأليف. انظر الدياجج ٣٢٧
 والأعلام ٦ / ٥٦.

للسلطان، وهى أطراف بلاد الروم؛ فكتب له تقليد، وسيرت إليه هدية جلييلة.

وفيه خلع أبو عبد الله محمد - المعروف بأبى ضربة - ابن الأمير أبى زكريا اللحيانى ابن حمد بن محمد بن عبد الواحد بن أبى حفص^(١)، فى آخر شهر ربيع الآخر. وكانت سنة واحدة، وقام بعده بتونس الأمير أبو بكر بن يحيى بن إبراهيم بن يحيى بن عبد الواحد بن أبى حفص^(٢).

وفى هذه السنة: انقضت دولة بنى قظلمش^(٣) ملوك قونية. وذلك أن عز الدين بيكوس بن كيخسرو لما مات سبع وسبعين وستمئة ترك ابنه مسعوداً، فولاه أبغا بن هولاكو سيواس وغيرها. واستبد معين الدين سليمان بروانه على ركن الدين قلعج أرسلان ابن كيخسرو بقيصرية ثم قتله، ونصب ابنه غياث الدين كيخسرو، فعزله أرغون بن أبغا، وولى ابن عمه مسعود بن كيكوس، فأقام مسعود حتى انحل أمره وافتقر، وبقي الملك بالروم للتر إلا ملك بنى أرتنا، فإنه بقى بسيواس.

* * *

ومات فى هذه السنة ممن له ذكر

كمال الدين أحمد بن جمال الدين أبى بكر محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن سحمان الكيرى الوائلى الشريشى^(٤) الفقيه الشافعى. قدم مصر وسمع بها وبالإسكندرية، وبرع فى الأصول والنحو، وناب بدمشق فى الحكم عن البدر محمد بن جماعة^(٥)، وولى

(١) محمد بن زكرياء بن أحمد بن محمد اللحيانى الحفصى، الملقب بأبى ضربة. من ملوك الدولة الحفصية فى تونس. كان فى عهد استقرار أبيه بتونس معتقلاً فيها. ولما خرج أبوه نفض يده من الخلافة ولكن رجال الدولة بايعوه سنة ٧١٧هـ ونشبت حروب طاحنة بينه وبين المتوكل الحفصى خرج أبو ضربة فى خلالها من تونس، بعد تسعة أشهر ونصف من بيعة أهلها له. ثم استقر فى تلمسان منهزماً ومات فيها. انظر الخلاصة النقيه ٧٠ والأعلام ٦ / ١٣١.

(٢) أبو بكر بن يحيى إبراهيم الحفصى، المتوكل على الله: من ملوك الحفصيين فى تونس. نشبت بينه وبين محمد بن زكرياء حروب انتهت بفوزه. ثم ثار عليه آخرون ولم تصف له الخلافة إلا عام ٧٣٠هـ. توفى بتونس. انظر الخلاصة النقيه ٧٠ والأعلام ٢ / ٧١.

(٣) المقصود هنا دولة السلاجقة بأسيا الصغرى (دولة السلاجقة الروم) ومؤسسها سليمان بن قظلمش بن أرسلان - أو إسرائيل - بن سلجوق، سنة ٤٧٠هـ - ١٠٧٧هـ.

(٤) نسبة إلى بلدة شريشى، وهى مدينة كبيرة من كورة شذونة، وهى قاعدة هذه الكورة، واليوم يسمونها شريشى. انظر معجم البلدان ٣ / ٣٤٠.

(٥) محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة الكنانى الحموى الشافعى، بدر الدين، أبو عبد الله: قاضى، من العلماء بالحديث وعلوم الدين. ولد فى حماة. وولى الحكم والخطابة بالقلس، فقضاء-

وكالة بيت المال مرتين، ومشيخة دار الحديث الأشرفية بدمشق، وعلق تعاليق^(١)، وقال الشعر. ومولده في رمضان سنة ثلاث وخمسين وستمائة بسنجار، وتوفي بمنزلة الحسا^(٢) من طريق الحجاز عن ست وستين سنة، في سلخ شوال.

ومات جمال الدين أبو بكر بن إبراهيم بن حيدرة بن علي بن عقيل الفقيه الشافعي المعروف بابن القماح، في سابع عشر ذى الحجة، وهو عم القاضي شمس الدين محمد بن أحمد بن القماح^(٣).

ومات شرف الدين أبو الفتح أحمد بن سليمان بن أحمد بن أبي بكر محمد بن عبد الوهاب بن عبد الله السيرجي الأنصارى الدمشقى، في سابع عشر ربيع الأول. وهو من بيت جليل، وولى عدة مناصب، وكان ديناً صاحب مروءة وسعة، ومات يوم الإثنين سابع عشر ربيع الأول.

ومات فخر الدين أحمد بن تاج الدين بن أبي الخير سلامة بن أبي العباس أحمد بن سلامة السكندرى المالكى، قاضى القضاة المالكية بدمشق، ولد سنة إحدى وأربعين وستمائة، ومات مستهل ذى الحجة، وكان مشكور السيرة، بصيراً بالعلم ماهراً فى الأصول حشماً.

ومات أحمد بن المغربى الإشبلى، كان يهودياً يقال له سليمان، فأسلم فى أيام الملك الأشرف خليل بن قلاوون^(٤)، سنة تسعين وستمائة، وتسمى أحمد، ومات فى ليلة العشرين من صفر. وكان بارعاً فى عدة علوم، إماماً فى الفلسفة والنجامة، ولى رئاسة الأطباء بديار مصر.

=الشام، ثم قضاء مصر، وتوفى بمصر. انظر فوات الوفيات ٢ / ١٧٤ ونكت الهميان ٢٣٥ والبداية والنهاية ١٤ / ١٦٣ والنجوم الزاهرة ٩ / ٢٩٨ والدرر الكامنة ٣ / ٢٨٠ ودار الكتب ٥ / ٥٣٥ والأعلام ٥ / ٢٩٧.

(١) جمع تعليق، والمقصود بها هنا ما يوضع من الحواشى والتفسيرات على المسائل الغامضة فى مختلف العلوم.

(٢) واد بأرض الشربة من ديار عبس وغطفان. انظر معجم البلدان ٢ / ٢٥٨.

(٣) محمد بن أحمد بن إبراهيم بن حيدرة، أبو عبد الله، بن القماح القرشى الشافعى المصرى: مفسر، من فقهاء الشافعية ناب فى الحكم بجامع الصالح بالقاهرة. أقبل على تدريس الفقه قبل أن مات. انظر الدرر الكامنة ٣ / ٣٠٣ والأعلام ٥ / ٣٢٥.

(٤) خليل بن قلاوون الصالحى: الملك الأشرف صلاح الدين ابن السلطان الملك المنصور. من ملوك مصر. ولى بعد وفاة أبيه سنة ٦٨٩هـ. قتله بعض المماليك غيلة بمصر. انظر فوات الوفيات ١ / ١٥١ وابن الوردى ٢ / ٢٣٨ والنجوم الزاهرة ٨ / ٣ وابن إياس ١ / ١٢١ والأعلام ٢ / ٢٣١.

ومات مجد الدين أبو بكر بن محمد بن قاسم التونسي المقرئ المالكي النحوي. قدم في صباه إلى القاهرة، وأخذ بها القراءات والنحو حتى برع فيهما، وسكن دمشق وأقرأ بها، واشتغل في عدة علوم من أصول وفقه وغير ذلك، وكان دينا رصينا مفرط الذكاء، فيه تودد ويحب الانفراد، وتخرج به الفضلاء. ومات يوم السبت سادس عشرى ذى القعدة بدمشق، عن اثنتين وستين سنة.

ومات مسند الوقت زين الدين أبو بكر أحمد بن عبد الدايم بن نعمة المقدسى الصالحى^(١)، سمع سنة ثلاثين وستمائة على الفخر الإربلى، وسمع الصحيح كله على ابن الزبيدى، وسمع من الناصح ابن الحنبلى وسالم بن صصرى وجعفر الهمداني وجماعة، وأضر قبل موته بثلاثة أعوام، وثقل سمعه، وكان له همة وجلادة وفهم، وحدث وعاش ثلاثاً وتسعين سنة. ومات ليلة الجمعة تاسع عشرى رمضان، ومولده فى سنة خمس - أو ست - وستمائة.

ومات زين الدين أبو الحسن على بن مخلوف بن ناهض بن مسلم بن منعم بن خلف النويرى الجزولى المالكى، قاضى القضاة المالكية بالقاهرة ومصر، فى ليلة الأربعاء ثانى عشر جمادى الآخرة، وأقام قاضياً نحواً من أربع وثلاثين سنة، ومولده سنة عشرين وستمائة. وكان مشكور السيرة، خبيراً بتدبير أمورهِ الدنيوية، كثير المداراة سيوساً، محباً لقضاء الحوائج، وولى بعده نائبه تقي الدين محمد بن أبى بكر بن عتيق الأحنائى^(٢).

ومات محمد بن قاضى الجماعة أبى القاسم - وقيل أبى عمر - أحمد ابن القاضى أبى الوليد محمد بن محمد بن الحاج - وقيل أحمد بن محمد بن عبد الله ابن القاضى أبى جعفر بن الحاج - أبو الوليد التجيبى الأندلسى القرطبى الإشبلى^(٣)، ولد سنة ثمان وثلاثين وستمائة، ومات أبوه وجده فى سنة إحدى وأربعين وستمائة، وورث مالا

(١) أحمد بن عبد الدائم بن نعمة المقدسى، أبو العباس، زين الدين: نساخ، من شيوخ الحنابلة. عالم بالحديث. ولد بفندق الشيوخ من أرض نابلس، وانتقل إلى دمشق، وتوفى بها. له كتاب «مشيخة». انظر فوات الوفيات ٤٦/١ ونكت الهميان ٩٩ والأعلام ١٤٥/١.

(٢) محمد بن أبى بكر بن عيسى بن بدران السعدى المصرى، أبو عبد الله، تقي الدين الأحنائى: قاضى قضاة المالكية بمصر. له تأليف، انتقد الإمام ابن تيمية فى مؤلفات أحدها بكتاب «الرد على الأحنائى» فى زيارة القبور. انظر الديباج ٣٢٧ والأعلام ٥٦/٦.

(٣) محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد، أبو الوليد، بن الحاج التجيبى القرطبى ثم الإشبلى: إمام محراب المالكية بدمشق ووالد إمامه. اشتغل بالفقه والأدب واللغة. انتقل إلى شرشى فغرناطة ورحل إلى المشرق، فسكن دمشق سنة ٦٨٤هـ. وتوفى بها. انظر الدرر الكامنة ٣/٣٥٠ والبداية والنهاية ٩١/١٤ والدارس ٦/٢ والشذرات ٥١/٦ والأعلام ٣٢٤/٥.

كثيراً، فصادره ابن الأحمر^(١)، وأخذ منه عشرين ألف دينار، ونشأ يتيماً في حجر أمه، ونقلته إلى شريش ثم إلى غرناطة، فلما شب قدم تونس، ثم رحل منها بابنيه إلى القاهرة، وسكن دمشق حتى مات بها في رجب. وكان فاضلاً ديناً، أم بمحراب الجامع، وامتنع من ولاية الحكم.

ومات الأمير شمس الدين سنقر الكمالى الحاجب، بمحبسه من القلعة، فى ربيع الآخر، وكان فى ولايته مشكوراً حشماً صين اللسان.

ومات الأمير علاء الدين أقطوان الظاهرى، بدمشق فى عاشر رمضان، وقد تجاوز الثمانين سنة.

ومات الأمير سيف الدين طغاي، بمحبسه بالإسكندرية أول شعبان.

ومات الأمير شمس الدين الدكر الأشرفى، أحد المماليك المنصورية قلاوون، بمحبسه بالقلعة.

ومات الأمير سيف الدين منكوتمر الطباخى.

ومات أركتمر بالجب من القلعة.

وأشيع موت الأمير موسى ابن الملك الصالح على بن قلاوون بقوص^(٢).

ومات الأمير عز الدين طقطاي نائب الكرك.

ومات ركن الدين بيبرس نائب عجلون.

وفيه قدم الخير بموت الوزير رشيد الدولة أبو الفضل فضل الله بن أبى الخير بن على الهمذانى الطيب، فى تاسع رمضان. وكان قد علت منزلته عند غازان، وقدم معه الشام، وتقدم فى أيام خربندا. فلما مات خربندا عزل عن وظائفه، فصانع عن نفسه بمال كبير، فلم يغنه شيئاً، واتهم أنه قتل خربندا بالسم، وشهد عليه الأطباخى، وقتل وحمل رأسه إلى تبريز^(٣)، ثم قطعت أعضاؤه وحمل إلى كل بلد عضو.

ومات الأمير سيف الدين بهادر الشمسى، بقلعة دمشق فى ذى الحجة.

(١) على هامش ط: المقصود بذلك ملك غرناطة من بنى نصر، واسمه أبو الوليد إسماعيل بن فرج.

(٢) هى مدينة كبيرة عظيمة واسعة قصبة صعيد مصر، بينها وبين الفسطاط اثنا عشر يوماً. انظر

معجم البلدان ٤/ ٤١٣.

(٣) من أشهر مدن أذربيجان. انظر معجم البلدان ١٣/٢.

وفيه قدم من العراق محمل إلى مكة وكسوة للكعبة، فلم يمكنوا من الكسوة، وكان القان أبو سعيد قد جهز الراكب، وقدم عليهم رجلاً شجاعاً، فلم يمكن العربان أن يأخذ شيئاً من الحاج. فلما كان العام القابل خرجت العيون على الراكب ونهبوه، وأخذوا من الحاج شيئاً كثيراً، فسأل أبو سعيد كم قدر ما أخذوا من الراكب، ف قيل له نحو الثلاثين ألف دينار، فرتب لهم ستين ألف دينار، فمات من سنته.

* * *

سنة تسع عشرة وسبعمئة

فى خامس المحرم: قدم مبشر الحاج بسلامة الحاج والقبض على الشريف رميثة بن أبى نعى، وأنه استقر عوضه فى إمرة مكة أخوه الشريف عطيفة^(١). و قدم الحاج مع مغلطاي الجمالى، وصحبته الشريف رميثة، فسجن من سابع عشره إلى أن دخل المحمل فى ثانى عشره. فشق الجمالى على الناس بكثرة عجلته فى السير - وكانت العادة أولاً بقدوم المحمل فى ثامن عشرى المحرم، ثم استقر دخوله فى الأيام الناصرية يوم الخامس أو الرابع والعشرين منه - ، فأنكر عليه السلطان ما فعله، وجهاز محمد بن الردينى بمائتى جمل عليها الزاد والماء يرسم حمل من انقطع من الحاج، فسافر من يومه.

وفيه قدم كتاب الأمير بدر الدين محمد بن عيسى بن التركمانى من مكة بأنه منع العبيد من حمل السلاح بمكة، وأنه أخرج المفسدين ونادى بالعدل، وأنه مقيم لأخذ الشريف حميضة.

وفيه جهاز الأمير أيتمش المحمدى على عسكر إلى برقة^(٢)، ومعه فايد وسليمان أمراء العربان لجباية زكاة الأغنام على العادة، فسار فى ثلاثمائة فارس من أجناد الحلقة - ومعه من الأمراء بلبان الخاص تركى، و بلبان الحسنى، وسنقر المرزوقى، وصمغار بن سنقر الأشقر، ومنكلى الحمدار، وغرلوا الجوكندار، ونوغاى - ، آخر يوم من المحرم، ونزل بالإسكندرية.

ثم سار أيتمش يريد بلاد جعفر بن عمر من برقة، ومسافتها من الإسكندرية على الجادة نحو شهرين. فدلّه بعض العرب على طريق مسافتها ثلاثة عشر يوماً يفضى به إلى القوم من غير أن يعلموا به، وطلب فى نظير دلالته على هذه الطريق مائة دينار وإقطاعات من السلطان بعد عود العسكر إلى القاهرة، فعجل له أيتمش المائة، والتزم له

(١) عطيفة بن أبى نعى محمد بن على الحسنى: من أمراء مكة. ولاه بييرس الجاشنكير سنة ٧٠١هـ. وعزله سنة ٧٠٤هـ وأعيد سنة ٧١٩هـ واستمر إلى أن قبض عليه وحمل إلى مصر. فسجن بالإسكندرية إلى أن توفى. انظر الدرر الكامنة ٤٥٥/٢ والدول المرضية ١٤٥ وخلاصة الكلام ٣٠، ٣١ والأعلام ٤ / ٢٣٧.

(٢) اسم صقع كبير يشتمل على مدن وقرى بين الإسكندرية وإفريقية. انظر معجم البلدان ٢ /

بالإقطاع من السلطان، وكتب له بعشرة أراذب قمحاً لعياله، وأركبه ناقه، وكتب ذلك كله عن العسكر من الأمراء والأجناد والعربان، وسار بمسيره. فأنكر سليمان وفايد على أيتمش مسيره في غير الجادة، وخوفوه العطش وهلاك العسكر، فلم يعبأ بكلامهما، فمضيا إلى الأمراء وشنعا القول وأكثرنا من الإرجاف^(١)، فاجتمعوا بأيتمش ليردوه إلى الجادة فلم يفعل ومضى، فلم يجدوا بدا من اتباعه حتى إذا مضت ثلاث عشرة ليلة أشرف على منازل جعفر بن عمر وعربانه، فدهشوا لرؤية العسكر. وأرسل إليهم أيتمش بسليمان وفايد يدعوهم إلى الطاعة، فأجابوا مع رسلهم: «إنا على الطاعة! ولكن ما سبب قدوم هذا العسكر على غفلة من غير أن يتقدم لنا به علم؟». فقال لهم أيتمش: «حتى يحضر الأمير جعفر ويسمع مرسوم السلطان»، وأعادهم. وتقدم أيتمش إلى جميع من معه ألا ينزل أحد عن فرسه طول ليلته، فباتوا على ظهور الخيل.

فلما كان الصباح حضر أخو جعفر ليسمع المرسوم، فنهزه أيتمش وقال له ولمن معه: «ارجعوا إلى جعفر فإن كان طائعا فليحضر، وإلا فليعرفنى!»، وبعث معه ثلاثة من مقدمى الحلقة، فامتنع جعفر من الحضور. فللحال لبس العسكر السلاح وترتب، وأفرد سليمان وفايد بمن معهما من العسكر ناحية، واستعد جعفر أيضا وجمع قومه وحمل بهم على العسكر. فرموهم بالنشاب فلم يبالوا به، ودقوا العسكر برماحهم، وصرعوا الأمير شجاع الدين غرلوا الجوكندار بعدما جرحوه ثلاث جراحات، فتداركه أصحابه وأركبوه. وحملوا على العرب فكانت بين الفريقين تسع عشرة وقعة آخرها انهزم العرب إلى بيوتهم، فقاتلهم العسكر عند البيوت ساعة وهزمهم إليها، - وكانت تلك البيوت في غاية قصب. فكف العسكر عن الدخول إليهم، ومنعهم أيتمش عن التعرض إلى البيوت وحماها، وأباح لهم ما عداها، فامتدت الأيدي، وأخذت من الجمال والأغنام ما لا ينحصر عدده. وبات العسكر محترسين، وقد أسروا نحو الستمائة رجل سوى من قتل. فلما أصبح الصبح من أيتمش على الأسرى وأطلقهم، وتفقد العسكر فوجد فيه اثني عشر جريحاً، ولم يقتل غير جندي واحد، فرحل عائداً عن البيوت بأنعام تسد الفضاء، وأبيع معهم فيما بينهم الرأس الغنم بدرهم، والجمال ما بين عشرين إلى ثلاثين درهماً، وسار أيتمش ستة أيام في الطريق التي سلكها والعسكر بالسلاح، خشية من عود العرب إليهم.

وبعث أيتمش بالبطارية إلى السلطان، فبعث الأمير سيف الدين ألبغاى الساقى لتلقى العسكر بالإسكندرية وإخراج الخمس مما معهم للسلطان، وتفرقة ما بقى فيهم، فخص

الجندي ما بين أربعة جمال وخمسة، ومن الغنم ما بين العشرين إلى الثلاثين. وحضروا إلى القاهرة، فخلع السلطان على أيتمش، وبعد حضورهم بأسبوع قدم جعفر بن عمر إلى القاهرة، ونزل عند الأمير بكتمر الساقى مستجيراً، فأكرمه ودخل به على السلطان، فاعترف بالخطأ، وسأل العفو، وأن يقرر عليه ما يقوم به، فقبل السلطان قوله وعفا عنه، وخلع عليه ومضى، وصار يحمل القود فى كل سنة.

وفى ليلة أول المحرم: هبت ريح بدمشق شديدة رمت عدة منازل وخربت كثيراً من البيوت، فهلك تحت الردم^(١) خلق كثير، وقلعت أشجار كثيرة من أصولها. ثم سكنت الريح، ثم ثارت ليلة التاسع عشر منه، ولم تبلغ شدة الأولى.

وفى صفر: استقر الأمير سيف الدين بهادر البدرى نائب السلطنة بجمص، عوضاً عن بدر الدين بكتوت القرمانى، فتوجه إليها فى رابع ربيع الأول، واستقر القرمانى من جملة أمراء دمشق. واستقر شرف الدين محمد بن معين الدين أبى بكر ظافر بن عبد الوهاب الهمذانى المالكى ابن خطيب الفيوم^(٢) فى قضاء المالكية بدمشق، عوضاً عن فخر الدين أحمد بن سلامة، فى تاسع عشرى ربيع الأول. واستقر تاج الدين أحمد بن القلانسى فى وكالة بيت المال بدمشق، وكسب بمنع ابن تيمية من الفتوى بالكفارة فى اليمين بالطلاق.

وفيه قل المطر ببلاد الشام حتى آيس^(٣) الناس، واستسقوا بدمشق فسقوا، ومر دمشق سيل عظيم قل ما عهد مثله.

وفيه استجد السلطان القيام فوق الكرسي للأمرين جمال الدين آقوش نائب الكرك وسيف الدين بكتمر البوبكرى السلاح دار، إذا دخل عليه. وكان نائب الكرك يتقدم على البوبكرى عند تقبيل يد السلطان، فعتب الأمراء على البوبكرى. وسئل السلطان عن تقليده نائب الكرك وتأخيره البوبكرى، فإن العادة جرت أن يتأخر الكبير فى تقبيل اليد ويتقدم الصغير قبله، فقال لأنه أكبر. فكشف عن ذلك، فوجد أن نائب الكرك قد أمره الملك المنصور قلاوون إمرة عشرة، وجعله أستاذار ابنه الملك الأشرف فى سنة خمس وثمانين وستمائة، ووجد أن البوبكرى تأمر بعد مسك سنقر الطويل، عندما طلب من مماليك الريح هو والخطيرى وسنجر الجمقدار وطشتمر الجمقدار، فى سنة تسعين وستمائة.

(١) ما يسقط من الجدار المتهدم. انظر المعجم الوجيز ٢٦١.

(٢) مصر، وهى ولاية غربية بينها وبين القسطنطينية أربعة أيام بينهما مفازة لا ماء بها ولا مرعى

مسيرة يومين وهى فى منخفض الأرض كالدارة. انظر معجم البلدان ٤ / ٢٨٦.

(٣) آيس منه - آيسا وإياسا: يئس وانقطع رجاؤه. فهو آيس، وآيس. انظر معجم الوجيز ٣١.

وفي يوم الخميس عاشر ربيع الآخر: قدم شمس الدين غبريال على البريد من دمشق باستدعاء، وخلع عليه بنظر الشام.

وفي يوم الإثنين رابع عشر ربيع الآخر: فر الشريف رميثة آخر النهار، فبعث السلطان فى طلبه الأمير قطلوبغا المغربى والأمير أقبغا آص الجاشنكير على الهجن السلطانية، فى ليلة الخميس سابع عشره، فقبض عليه بمنزلة حقل^(١) فى يوم الإثنين حادى عشره، وقدم فى خامس عشره، فسجن فى الجب من القلعة.

وفي يوم الخميس سابع عشرى رجب: قدم الأمير بدر الدين محمد بن التركمانى من مكة بكتاب الشريف عطيفة، وأخبر بأن القواد فى طاعته، وأن حميضة نزع إلى اليمن، وذلك بعد أن فارقه بنو شعبة وغيرهم.

وفيه قدم الخبر بإفساد العرب بئغر عيذاب^(٢) وقتلهم الشاد المقيم بها. فجرد إليهم السلطان من الأمراء آقوش المنصورى - وهو المقدم، ومحمد بن الشمسى، وعلى بن قراسنقر، وطقصبای الحسامى، وبيرس الكرىمى، وآقوش العترىس؛ وأنعم على آقوش المنصورى بإمرة طبلخاناه، وأقطع نغر أسوان ليقم بعذاب.

وفي جمادى الآخرة: قدم سليمان بن مهنا^(٣) طائعاً، بعد دخوله إلى الأردن ملتجئاً إلى المغل، فأكرمه السلطان، وأنعم عليه بمائتى ألف درهم من دمشق، وأعطاه قماشاً بثلاثين ألف درهم، وعاد.

وفيه استقر فى نقابة الجيوش أحمد بن آقوش العزىزى المهمندار، بعد وفاة الأمير طيرس الخزندارى.

وفيه قدم كتاب أبى يحيى زكريا بن أحمد بن محمد اللحيانى الزاهد بن عبد الواحد ابن أبى حفص المعروف باللحيانى^(٤)، يسأل الإسعاف بتجرىد طائفة من العسكر إليه

(١) مكان على ساحل تيماء، دون أربعة عشر ميلاً. انظر معجم البلدان ٢ / ٢٧٨.

(٢) بلدة على ضفة بحر القلزم هى مرسى المراكب، التى تقدم من عدن إلى الصعيد. انظر معجم

البلدان ٤، ١٧١.

(٣) سليمان بن مهنا بن عيسى بن مهنا من آل الفضل بن ربيعة، ويلقب الدين: أمير عرب الفضل، فى بادية حمص والفرات. استمر فى الإمارة إلى أن مات بسلمية. انظر الدرر الكامنة ١٦٣/٢ والنجوم الزاهرة ١٠ / ١٠٣ وابن خلدون ٥ / ٤٣٩ والقلقشندى ٤ / ٢٠٧ وإعلام النبلاء ٢ / ٤٠٦ والأعلام ٣ / ١٣٥.

(٤) زكريا بن أحمد بن محمد بن يحيى بن عبد الواحد بن أبى حفص اللحيانى النهثاف أبو يحيى الحفصى: من ملوك الدولة الحفصية فى إفريقية. ولد بتونس. انظر الخلاصة النقية ٦٩ والنجوم الزاهرة-

ليحضر معهم إلى مصر. فخرج إليه الأمير طقصبای الحسامی والأمير بدر الدين بيليك المحسنی فی طائفة من الأجناد، وأحضره بجرمه.

وفیه أنزلت خوند أردو کین بنت نوکای من القلعة إلى القاهرة، بعدما أخذ السلطان منها كثيراً من الجواهر، ورتب لها عدة رواتب.

وفیه عمل إبرنجی خال القان أبی سعید علی قتل جوبان، وواعد قرمشی ودقماق وغيرهما من المقدمین علی ذلك. فنقل الخبر لجوبان، ففر ونهبت أثقاله، وقتل له نحو ثلاثمائة رجل. ولحق جوبان بتبريز، وقدم ومعه علی شاه إلى بوسعيد، فتبرأ مما جرى علیه. وجهز له بوسعيد عسكرياً وركب معه حتى لقوا إبرنجی ومن معه، فقاتلوهم وأخذوا إبرنجی وقرمشی ودقماق، فقتلوا وأمسك أمراؤهم. وتمكن جوبان من أعدائه، وقتل خلائق من المغل، واتهم القان بوسعيد بأنه كان أمر إبرنجی بقتل جوبان لكثرة تحكمه علیه.

وفیه اهتم السلطان بالحركة إلى الحجاز ليحج، وتقدم إلى كريم الدين الكبير بتجهيزه والسفر إلى الإسكندرية لعمل ثياب أطلس برسم كسوة الكعبة. فطلب كريم الدين أكرم الصغير وغيره من المباشرين، وأمرهم بتجهيز الإقامات والمعلوات والحوائج خاناه، وكتب لنائب الشام ونائب غزة^(١) بتجهيز ما يحتاج إليه. فتوالت تقادم الأمراء والنواب من سائر البلاد الشامية. وكانت أول مقدمة وصلت من الأمير تنكز نائب الشام، وفيها الخيل والهجن بأكوار^(٢) ذهب، وسلاسل ذهب وفضة، ومقاود حرير، ثم مقدمة الملك المؤيد صاحب حماة. وتولى كريم الدين بنفسه تجهيز ما يحتاج إليه، وعمل عدة قدور من ذهب وفضة ونحاس تحمل على البختى ويطبخ فيها، وأحضر الخولة لعمل مباقل^(٣) ورياحين فى أحواض من خشب تحمل على الجمال، فتصير مزروعة وتستقى ويحصد منها ما تدعو الحاجة إليه، فيها من البقل والكرات والكزيرة والنعناع والريحان وأنواع المشمومات شىء كثير، ورتب لها الخولة لتعهداها، وجهزت الأفران وصناع الكماج^(٤)

٩ = ٦٢٨ / ٦ وابن خلدون ٣٢٥ / ٢ والدرر الكامنة ١١٣ / ٢ والبداية والنهاية ١٤ / ١٢٩ والأعلام ٣ / ٤٥، ٤٦.

(١) مدينة فى أقصى الشام من ناحية مصر، وبينها وبين عسقلان فرسخان. انظر معجم البلدان

٢٠٢/٤.

(٢) الأكوار جمع كور وهو الرحل يوضع على ظهر الإبل.

(٣) على هامش: المباقل مبقلة، وهى هنا أنواع البقول.

(٤) على هامش: الكماج جمع كماج، وهى كلمة فارسية الأصل، ومعناها الخبز الشديد البياض.

والجبن المقلّى وغيره. ودفع كريم الدين إلى العربان أجرة الأحمال من الشعير والدقيق والبقسماط، وجهاز في بحر الملح مركبين إلى ينبع ومركبين إلى جدة، وكتب أوراق العليق للسلطان والأمراء وعدتهم اثنان وخمسون أميراً، لكل أمير ما بين مائة عليقة في كل يوم إلى خمسين عليقة إلى عشرين عليقة، فكانت جملة العليق في مدة الغيبة مائة ألف وثلاثين ألف أردب من الشعير. وحمل من دمشق خمسمائة حمل على الجمال، ما بين حلوى وسكردانات^(١) وفواكه، ومائة وثمانون حمل حب رمان ولوز وما يحتاج إليه من أصناف المطبخ. وجهاز كريم الدين من الأوز ألف طائر، ومن الدجاج ثلاثة آلاف طائر.

وعين السلطان الأمير أرغون النائب بديار مصر للإقامة بقلعة الجبل، ومعه الأمير أيتمش وغيره، ورسم لمن تأخر من الأمراء أن يتوجهوا إلى نواحي إقطاعهم، فيكون كل منهم ببلاد إقطاعه إلى حين عود السلطان، ولا يجتمع أمير بأمير في غيبته. وكتب إلى النواب بالشام أن يستقر كل نائب بمقر مملكته، ولا يتوجه إلى صيد إلى حين عوده، فامتثلت أوامره.

وفيه قدم الملك المؤيد من حماة، فتوجه المحمل على العادة في يوم الأحد ثامن عشر شوال، مع الأمير سيف الدين طرحي أمير مجلس. وركب السلطان من القلعة في أول ذى القعدة، وسار من بركة الحاج في سادسه، ومعه صاحب حماة والأمراء وقاضي القضاة بدر الدين محمد بن جماعة وأهل الدولة.

وقدم السلطان مكة بتواضع وذلة، بحيث قال الأمير بدر الدين جنكلى بن البابا: «لازلت أعظم نفسى إلى أن رأيت الكعبة، وذكرت بوس^(٢) الناس الأرض لى، فدخلت في قلبى مهابة عظيمة مازالت حتى سجدت لله تعالى». وحسن له بدر الدين محمد بن جماعة أن طوف ركباً، كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم، فقال له: «ومن أنا حتى أشبهه بالنبي صلى الله عليه وسلم!! والله لا طفت إلا كما يطوف الناس». ومنع السلطان الحجاب من منع الناس أن يطوفوا معه، وصاروا يزاحمونه وهو يزاحمهم كواحد من الناس، فى مدة طوافه وفى تقبيله الحجر. وبلغه أن جماعة من المغل ممن حج قد اختفى خوفاً منه، فأحضرهم وأنعم عليهم وبالغ فى إكرامهم. وغسل الكعبة بيده، وأخذ أزر إحرام وغسلها لهم بنفسه. وأبطل سائر المكوس من الحرمين، وعوض أميرى

(١) على هامش ط: السكردانات جمع سكردان، وهى لفظ فارسى مركب، ومعناه الوعاء المستعمل لحفظ الحلوى المحفوظة، أو هو الوعاء عامة.

(٢) بوس: باسه - بوسا: قبله. انظر المعجم الوجيز ٦٧.

مكة والمدينة عنها إقطاعات بمصر والشام. وأحسن إلى أهل الحرمين، وأكثر من الصدقات.

وفي يوم الثلاثاء ثالث ذى الحجة: ظهر بعد الظهر القمر فى السماء مقارنا لكوكب، وأقاما ظاهرين إلى بعد العصر. وفيه مهد السلطان ما كان فى عقبه أيلة^(١) من الصخور، ووسع طريقها حتى أمكن سلوكها بغير مشقة.

وفيه اتفقت موعظة: وهى أن السلطان بالغ فى تواضعه بمكة، فلما أخرجت الكسوة لتعمل على البيت صعد كريم الدين الكبير إلى أعلا الكعبة بعدما صلى بجوفها، ثم جلس على العتبة ينظر إلى الخياطين، فأنكر الناس استعلاءه على الطائفتين، فبعث الله عليه نعاساً سقط منه على أم رأسه من علو البيت، فلو لم يتداركوه من تحته لهلك. وصرخ الناس فى الطواف تعجباً من ظهور قدرة الله فى إذلال المتكبرين، وانقطع ظفر كريم الدين، وعلم بذنبه فتصدق بمال جزيل.

وفى هذه السنة: حشد الفرنج، وأقبلوا يريدون استئصال المسلمين من الأندلس فى عدد لا يحصى، فيه خمسة وعشرون ملكاً، فقلق المسلمون بغرناطة، واستنجدوا بالمرينى ملك فاس فلم ينجدهم، فلجؤا إلى الله وحاربوهم وهم نحو ألف وخمسمائة فارس وأربعة آلاف راجل، فقتلوا الفرنج بأجمعهم. وأقل ما قيل إنه قتل منهم خمسون ألفاً، وأكثر ما قيل ثمانون ألفاً، ولم يقتل من المسلمين سوى ثلاثة عشر فارساً، وغنم المسلمون ما لا يدخل تحت حصر، وسلخ الملك دون بتروا^(٢) وحشى قطناً، وعلق على باب غرناطة، فطلب الفرنج الهدنة فعقدت، وبقي دون بتروا معلقاً عدة سنين.

* * *

ومات فى هذه السنة من الأعيان

الأمير سيف الدين كراى المنصورى، فى سادس عشر المحرم بسجن القلعة، وكان مقدماً قليل السياسة.

ومات الأمير شجاع الدين أغرلوا العادلى، أحد ممالك العادل كتيغاً^(٣)، بدمشق سلخ جمادى الأولى، وكان شجاعاً كريماً.

(١) مدينة على ساحل بحر القلزم مما يلى الشام. انظر معجم البلدان ١ / ٢٩٢، ٢٩٣، ٢٩٤.

(٢) على هامش: المقصود به أحد أوصياء ألفونسو الحادى عشر ملك قشتاله.

(٣) كتيغاً بن عبد الله المنصورى، زين الدين، الملقب بالملك العادل: من ملوك الممالك البحرية فى مصر والشام ولى السلطنة سنة ٦٩٤هـ وتلقب بالملك العادل. انظر ابن إياس ١ / ١٣٣ والنجوم الزاهرة ٨ / ٥٥ وفوات الوفيات ٢ / ١٣٨ والأعلام ٥ / ٢١٩.

٢٠ سنة تسع عشرة وسبعمائة

ومات الأمير علاء الدين طبرس الخزندارى، نقيب الجيش وأحد أمراء الطبلخاناه، فى عشرى ربيع الآخر، ودفن بمدرسه المجاورة للجامع الأزهر، وكان قد أقام فى نقابة الجيش نحو أربع وعشرين سنة، لم يقبل فيها لأحد هدية، وكان ديناً صاحب مال كبير، وهو أول من عمر فى أرض مصر بستان الخشاب والجامع والخانكاه على النيل، وبنى المدرسة المجاورة للجامع الأزهر، وعمل لذلك أوقافاً كثيرة، ولما كملت وجاءه مباشره بحساب مصروفها لم ينظر فيه وغسله بالماء، وقال: «شئ خرجنا عنه الله لا نحاسب عليه».

ومات الأمير ملكم السليمانى الجمدار، فجأة.

ومات الشيخ أبو الفتح نصر بن سليمان بن عمر المنبجى، ليلة السابع والعشرين من جمادى الآخرة، ومولده فى سنة ثمان وثلاثين وستمائة، وكان معتقداً عارفاً بالقراءات، محدثاً فقيهاً حنفياً، وأقام عدة سنين لا يأكل اللحم، وحصل له حظ وافر فى الدولة المظفرية ببيرس.

ومات القاضى فخر الدين أبو عمرو عثمان بن على بن يحيى بن هبة الله الأنصارى الشافعى - عرف بابن بنت أبى سعد - ، فى ليلة الرابع والعشرين من جمادى الآخرة، ومولده فى حادى عشرى رجب سنة تسع وعشرين وستمائة بداريا ظاهر دمشق، واستقر عوضه فى تدريس الجامع الطولونى عز الدين عبد العزيز ابن قاضى القضاة بدر الدين محمد بن جماعة^(١).

ومات الملك المعظم شرف الدين عيسى ابن الملك الزاهر مجير الدين داود ابن المجاهد أسد الدين شيركوه ابن القاهر محمد ابن المنصور أسد الدين شيركوه بن شادى، بالقاهرة فى ثانى ذى القعدة، وقد حضر من دمشق فى طلب إمرة، فأنعم عليه بإمرة طبلخاناه بدمشق، فمات قبل عوده إليها. ومولده بدمشق فى سنة خمس وخمسين وستمائة.

ومات بدمشق شهاب الدين أحمد بن صلاح الدين محمد ابن الملك الأجد مجد الدين حسن ابن الناصر داود ابن المعظم عيسى ابن العادل أبى بكر بن أيوب، فى رجب يوم الإثنين لسبب بقين منه.

ومات الصدر بدر الدين محمد بن ناصر الدين منصور بن الجوهرى الحلبى، بدمشق

(١) عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم بن جماعة الكنانى، الحموى الأصل، الدمشقى المولد. ثم المصرى عز الدين الحافظ، قاضى القضاة. ولى قضاء مصر سنة ٧٣٩هـ. وجاور بالحجاز فمات بمكة. انظر الدرر الكامنة ٢ / ٣٧٨ والكتبخانه ٧ / ١٨١ وكشف الظنون ١٩٤٠ والأعلام ٥ / ٢٦.

فى سادس عشر جمادى الآخرة، ومولده بجلب فى ثالث عشر صفر سنة اثنى عشر وخمسين وستمائة، وكان من رؤساء الدولة العادلية كتبغا، وعرضت عليه وزارة دمشق فأبى.

* * *

سنة عشرين وسبعمائة

فيها عاد السلطان من الحجاز بعدما منَّ بخليص^(١)، وقد جرى الماء إليها. وكان قد ذكر له وهو بمكة أن العادة كانت جارية بحمل مال إلى خليص، ليجرى الماء من عين بها إلى بركة يردها الحاج، وقد انقطع ذلك منذ سنين، وصار الحاج يجد شدة من قلة الماء بخليص، فرسم بمبلغ خمسة آلاف درهم لإجراء الماء من العين إلى البركة، وجعلها مقررة في كل سنة لصاحب خليص. فأجرى صاحب خليص الماء قبل وصول السلطان إليها، واستمر حمل المال إليه في كل سنة، ووجد الماء في البركة دائماً.

ولقى السلطان في هذه السفارة جميع العربان: من بنى مهدي وأمرائها، وشطى وأخيه عساف وأولاده، وأشرف مكة من الأمراء وغيرهم، وأشرف المدينة والينبع^(٢) وخليص، وبنى لام وعربان حوران، وأولاد مهنا موسى^(٣) وسليمان وفياض^(٤)، وأحمد وجبار، بعربهم، ولم يتفق اجتماع هؤلاء للملك قبله. وأكثروا من الدالة على السلطان، وجرّوا على عوائدهم العربية من غير مراعاة الآداب الملوكية وهو يحتملهم، بحيث أن موسى بن مهنا كان ولد صغير، فقام في بعض الأيام ومد يده إلى لحية السلطان وقال له: «يا أبا علي! بحياة هذي! - ومسك منها شعرات - إلا ما أعطيتني الضيعة الفلانية إنعاماً علي؟». فصرخ فيه الفخر ناظر الجيش وقال له: «شيل يدك! قطع يدك! والك! تمد يدك إلى السلطان؟»، فتبسم له السلطان وقال: «يا قاضي! هذه عادة العرب، إذا قصدوا كبيراً في شيء فيكون عظمتهم عندهم مسك لحيته، يريدون أنهم قد استجاروا بذلك الشيء، فهو سنة عندهم». فغضب الفخر، وقام وهو يقول: «والله إن هؤلاء مناحيس، وستهم أنحس».

(١) حصن بين مكة والمدينة. انظر معجم البلدان ٢ / ٣٨٧.

(٢) بين مكة والمدينة. انظر معجم البلدان ٥ / ٤٤٩، ٤٥٠.

(٣) موسى بن مهنا بن عيسى بن مهنا بن مانع الطائي: رئيس آل فضل من أمراء بادية الشام. يلقب مظفر الدين. ولى الإمارة بعد موت أبيه سنة ٧٣٤هـ واستمر إلى أن توفى بتدمير. انظر ابن خلدون ٥ / ٤٣٩ والبداية والنهاية ١٤ / ١٩٣ والنجوم الزاهرة ١٠ / ٧٦ والأعلام ٧ / ٣٢٩.

(٤) فياض بن مهنا بن عيسى بن مهنا المفضلي: أمير العرب في بادية ما بين سورية والعراق، من آل فضل ولى الإمارة بعد أخيه أحمد سنة ٧٤٩هـ. انظر الدرر الكامنة ٣ / ٢٣٤ وصبح الأعشى ٤ / ٢٠٧ وابن خلدون ٥ / ٤٣٩ والأعلام ٥ / ١٦٤.

وفيهما قدم الأمير ناصر الدين محمد بن أرغون النائب مبشراً إلى القاهرة، ومعه الأمير قطلوبغا المغربي. وقدم الأمير بدر الدين بدرجك إلى دمشق مبشراً.

وقدم السلطان في يوم السبت ثانياً عشر المحرم، فخرج الأمراء إلى لقائه ببركة الحاج، وركب بعد انقضاء أمر السمات في موكب جليل، وقد خرج سائر الناس لرؤيته، وسار إلى القلعة، فكان يوماً مشهوداً، وزينت القاهرة ومصر زينة عظيمة.

وفي يوم الخميس خامس عشره: جلس السلطان، وخلع على سائر الأمراء والقضاة وأرباب الدولة، وعلى الأمير شطى بن عيبة وحسن بن دريني، وألبس كريم الدين الكبير أطلسين، ولم يتفق ذلك لتعمم قبله.

وفيه بعث السلطان بالجمال والزاد لتلقى المنقطعين من الحاج، فتواصل قدوم الحاج إلى أن وصل المحمل يوم الأحد سابع عشره، وصحبه قاضي القضاة بدر الدين وغيره، فاتفق فيه مطر عظيم قل ما عهد مثله بمصر. وكانت الأسعار قد تزايدت، فانحطت منذ قدم السلطان.

وفيه خلع على الملك المؤيد عماد الدين إسماعيل صاحب حماة، وركب بشعار السلطنة من المدرسة المنصورية بين القصرين، وحمل وراءه الأمير قجليس السلاح، والأمير ألقاى الدواة، ورتب معه الأمير بيبرس الأحمدي أمير جندار وأمير طبر، وسار بالغاشية والعصائب وسائر دست السلطنة - وهم بالخلع معه - إلى أن صعد القلعة، فكانت عدة التشاريف مائة وثلاثين تشریفاً: فيها ثلاثة عشر أطلس، والبقية كنجى وعمل الدار وطرد وحش. وجلس صاحب حماة رأس الميمنة، ولقبه السلطان بالملك المؤيد، وسافر من يومه بعدما جهزه السلطان بسائر ما يحتاج إليه.

وفي يوم الثلاثاء ثالث عشر صفر: أفرج عن الأمير علم الدين سنجر البيرواني، والأمير علاء الدين أيتغلى الشيخى، وصارم الدين العيتابى، وعز الدين أيدير الشيخى، وعلاء الدين مغلطاى السيواسى، والحاج بدر الدين بيليك، وشمس الدين سنقر الكمالى الصغير، والشيخ على التبريزى^(١)، وسيف الدين منكجار، وسيف الدين طوغان، نائب البيرة^(٢)، وناصر الدين منكلى، وطاشار، وموسى وغازى أخوى حمدان بن صلغناى، وعن الشريف رميثة بن أبى ندى.

(١) نسبة إلى تبريز، وهى من أشهر مدن أذربيجان. انظر معجم البلدان ١/ ٥١٦، ٥١٧.

(٢) بلد قرب سميساط بين حلب والثغور الرومية، وهى قلعة حصينة. انظر معجم البلدان

وفيه هرب من سجن الإسكندرية الأمير سيف الدين بهادر الإبراهيمى النقيب، - ويقال له زيرامو - ، وبهادر التقوى الزراق، فأدر كهما الطلب، وأخذوا وحملوا إلى القلعة بعد ما خرج الأمير أيتمش الحمدي والأمير أصلم للقبض عليهما. فلما أحضرا كتب بعود الأميرين أيتمش الحمدي وأصلم، فرجعا ثالث يوم سفرهما، وأنزل بالأميرين الهارين ليوسطا^(١) تحت القلعة، فشفع فيهما الأمراء، فأعفى السلطان عنهما من القتل، وكحلهما بالحديد الحمي مرتين حتى فقدا البصر.

وفيه رسم بالإفراج عمن فى سجن الإسكندرية، فقدموا القاهرة وأنعم عليهم بالإقطاعات، من أجل أنهم لم يوافقوا على الهروب.

وفيه كتب بإعفاء الصاحب أمين الدين عبد الله بن الغنام من نظر طرابلس، وأن يقيم بالقدس، ورتب له فى كل شهر ألف درهم، وبعث إليه كريم الدين الكبير هدية حسنة.

وفى يوم الأربعاء سادس ربيع الأول: سار الأمير بيبرس الحاجب بطائفة من الأجناد إلى مكة؛ ليقيم بها بدل الأمير آقسنقر شاد العمائر الذى استخلفه السلطان بمكة، ومعه عدة أجناد تخوفا من هجوم الشريف حميضة على مكة.

وفيه كتب بخروج عساكر الشام إلى غزو بلاد متملك سيس^(٢)، لمنعه الحمل.

وفيه أبطل مكس الملح بديار مصر، فأبيع الأردب الملح بثلاثة دراهم بعدما كان بعشرة، فإنه كتب إلى الأعمال ألا يمنع أحد من شيل الملح من الملاحات، وأبيحت لكل أحد، فبادر الناس إليها وجلبوا الملح.

وفيه وصلت الستر الرفيع الخاتونى طلنباى - ويقال دلنبيه، ويقال طولونية - بنت طغاي بن هندو بن باطو بن دوشى خان بن جنكزخان. وسبب ذلك أن السلطان كان قد بعث إلى أذربك يخطب بعض الجهات الجنكرية، فاشتط به أذربك فى طلب المهر وطول المدة وكثرة الشروط، فأعرض السلطان عن الخطبة وسير إليه الهدية كما تقدم. وكان أذربك قد عين المذكورة، فاستدعى التجار واقترض منهم ثلاثين ألف دينار بمعاملتهم، صرف كل دينار ستة دراهم، وجهزها مع بعض أمرائه فى مائة وخمسين رجلا وستين جارية وقاضى سراى، ومعهم هدية سنية، فقدموا فى البحر إلى الإسكندرية فى عشرى ربيع الأول. وخرج الأمير أقبغا عبد الواحد فى عدة من الأمراء

(١) التوسيط إحدى العقوبات الكبرى بمصر فى العصور الوسطى.

(٢) بلد هو اليوم أعظم مدن الثغور الشامية بين أنطاكية وطرسوس. انظر معجم البلدان

ومعه الحراريق إلى لقائها، وخرج كريم الدين الكبير ومعه عربان وبخاتى وبغال، وضرب الخيام الحرير الأطلس بالميدان. فحملت الخاتون فى الحراريق إلى ساحل مصر، وركبت فى العربة إلى الميدان، والحجاب تمشى قدام العربة، فأقامت بالخيام ثلاثة أيام. ثم حملت إلى القلعة ليلة السبت سلخه فى عربة تجرها العجل، وهى كالقبة مغطاة بالديساج، وفى خدمتها الأمير أرغون النائب، والأمير بكتمر الساقى، والقاضى كريم الدين الكبير.

وفى يوم الإثنين ثانى ربيع الآخر: جلس السلطان للرسل، وحضر كبيرهم باينجار، وكان مقعداً لا يقدر على القيام ولا المشى وإنما يحمل، ودخل معه إيتغلى وطقبغا، ومنغوش، وطرجى، وعثمان خجا، والشيخ برهان الدين إمام القان، ورسل الأشكرى. فأجلس باينجار، وأخذ منه كتاب أزيك، فبلغ السلام وقال: «أخوك أزيك، أنت سيرت طلبت من عظم القان بنتا، فلما لم يسيرها لم يطب خاطرک، وقد سيرنا لك من بيت كبير، فإن أعجبتك خذها بحيث لا تخلى عندك أكبر منها، وإن لم تعجبك فاعمل بقول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُوَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾^(١). فقال السلطان: «نحن ما نريد الحسن، وإنما نريد كبر البيت والقرب من أختى، ونكون نحن وإياه شيئاً واحداً». وبلغه أيضاً برهان الدين مشافهة من قبل أزيك. فتولى قاضى القضاة بدر الدين محمد بن جماعة العقد على ثلاثين ألف دينار، الحال منها عشرون ألفاً، والمؤجل عشرة آلاف، وقبله السلطان بنفسه. وكتب علاء الدين على بن الأثير كاتب السر العقد بخطه، وصورته بعد البسملة: «هذا ما أصدق مولانا السلطان الأجل الملك الناصر على الخاتون الجليلة بنت أختى السلطان أزيك خان طولو ابنة طغاي بن بكر بن دوشى خان بن جنكزخان». وخلع السلطان يومئذ خمسمائة خلعة، وكان يوماً مشهوداً. وبنى عليها من ليلتها، فلم تلق بخاطره. وأصبح السلطان فتقدم إلى كريم الدين أكرم الصغير بالتوجه إلى الصعيد وتعبية الإقامات إلى قوص، وجهاز الرسل بالهدايا والإنعامات وسفرهم، وركب للصيد.

وفىها توقف حال الناس بسبب الفلوس وما كثر فيها من الزغل^(٢)، وكانت المعاملة بها عدداً عن كل درهم فضة عدة ثمانية وأربعين فلساً من ضرب السلطان، فعملها الزغلية، وخفوا وزنها حتى صار الفلوس زنته سلس درهم. وكانت معاملة دمشق بالفلوس التى يقال لها القراطيس^(٣)، والقرطاس ستة فلوس، ويعد فى الدرهم الفضة

(١) سورة النساء آية ٥٨.

(٢) على هامش ط: الزغل النقود المزيفة عامة، ويسمى مزيفوها باسم الزغلية.

(٣) على هامش ط: القراطيس نوع من الفلوس النحاسية، وهى دراهم ملفوفة على شكل إصبع.

أربعة وعشرون قرطاسا، فأبطل السلطان القراطيس من دمشق، وضرب بها كل فلس زنته درهم، وصار الدرهم بثمانية وأربعين فلساً مثل معاملة مصر، فنقلت هذه الفلوس الخفاف القراطيس إلى مصر، وخلطت بفلوس المعاملة^(١) حتى كثرت، وقلت الجياد^(٢). فتعبت الناس فيها، وزادت الأسعار كلها، حتى غلقت الباعة الحوانيت عندما نودى أن يكون الفلوس بالميزان، على أن كل رطل منها بثلاثة دراهم فضة. فركب والى القاهرة، وضرب كثيراً من أرباب المعاش بالمقارع، وشهرهم ولم يرجعوا، فنودى أن الفلس الذى عليه بقجة^(٣) من ضرب دار الضرب يؤخذ، والفلس الخفيف يرد، فلم يفد ذلك شيئاً. وعمل الزغلية فلوساً خفافاً عليها بقجة، فنودى أن يؤخذ الجميع بحساب درهمين ونصف الرطل، فمشى الحال قليلاً، واستمر عنت العامة، وكثر تعطيلهم الحوانيت وغلقتها.

وكان السلطان غائباً، فلما نزل بالجيزة وخرج كريم الدين إلى لقائه صاحته به العامة وفاجأوه بما لا يليق، وتكاثروا عليه من كل جهة، وشكوا ما بهم من أمر الفلوس ورد الباعة لها وقلة الخبز وغيره، فوعدهم بخير، وعرف كريم الدين السلطان ذلك. فاستدعى السلطان الأمراء، وأنكر عليهم رد مباشرهم الفلوس وعدم بيعهم القمح من الشون للطحائين والموانة^(٤)، وقرر ضرب فلوس جدد زنة الفلس منها درهم، وعلى أحد وجهيه لا إله إلا الله محمد رسول الله، وعلى الآخر اسم السلطان، فضرب منها نحو ثمانين ألف رطل. واستقر الفلوس العتق^(٥) كل رطل بثلاثة دراهم إلى أن تخرج الفلوس الجدد من دار الضرب. فاستمر ذلك، ومشت الأحوال، إلا أنه صار فيها غبن زائد، وذلك أن الرطل من العتق يبلغ سبعة دراهم بالعدد.

وفيهما قدمت رسل ممتلك اليمن بالهدية، وأحضروا بالقلعة يوم الإثنين ثالث عشر جمادى الآخرة.

وفي ليلته: خسف القمر.

وفيهما بعث السلطان ثلاثين فداويا من أهل قلعة مصياف^(٦) للفتك بالأمير قراسنقر،

(١) الفلوس المعاملة المضروبة حسب قوانين الدولة القائمة.

(٢) المقصود بذلك الجيدة.

(٣) مفرد بقج، وهى علامة سلطانية خاصة بدار الضرب.

(٤) الموانة، مفردا موان - وهم المشتغلون بتموين الناس بما يحتاج إلى جون من غلال أو دقيق.

(٥) الفلوس العتق هى التى تكون أقدم من غيرها من الفلوس فى التداول بين الناس.

(٦) حصن حصين مشهور للإسماعيلية بالساحل الشامى قرب طرابلس، وبعضهم يقول مصياف.

فنعدا وصلوا إلى تبريز ثم بعضهم لقراسنقر عليهم، فتبعهم وقبض على جماعة منهم، وقتلهم. وانفرد به بعضهم وقد ركب من الأردن، فقفز عليه فلم يتمكن منه، وقتل. واشتهر في الأردنو خير الفداوية، وأنهم حضروا لقتل السلطان أبى سعيد وجوبان والوزير على شاه وقراسنقر وأمراء المغل، فاحترسوا على أنفسهم، وقبضوا عدة فداوية. فتحيل بعضهم وعمل حمالا، وتبع قراسنقر ليقفز عليه فلم يلحقه، ووقع على كفل الفرس فقتل، فاحتجب أبو سعيد بالخركاة^(١) أحد عشر يوما خوفا على نفسه. وطلب المجد إسماعيل، وأنكر عليه جوبان وأحرق به، وقال له: «والك! أنت كل قليل تحضر إلينا هدية، وتريد منا أن نكون متفقين مع صاحب مصر، لتمكر بنا حتى تقتلنا الفداوية والإسماعيلية»، وهدده أنه يقتله شرقتة، ورسم عليه، فقام معه الوزير على شاه حتى أفرج عنه.

ثم قدم الخير من بغداد بأن بعض الإسماعيلية قفز على النائب بها ومعه سكين فلم يتمكن منه، ووقعت الضربة في أحد أمراء المغل، وأن الإسماعيلي فر، فلما أدركه الطلب قتل نفسه. فتنكر جوبان لذلك، وجهد المجد السلامى إلى مصر ليكشف الخير، وبعثوا فى أثره رسولا بهدية.

وفيهما عادت العساكر من غارة سيس^(٢) إلى أبيات مهنا، وطرده من مكانه، وفرقوا جمعه فى نواحي العراق.

وفيهما كثرت كتابة الأوراق للسلطان فى أمراءه وأهل دولته، وإلقائها من غير أن يعلم من أين هى، أو ربطها بجناح طائر حمام وحذفه خارج حائط الميدان تحت القلعة إلى داخله، فتأذى بذلك جماعة كثيرة. فاتفق أن السلطان ركب إلى مطعم الطيور بالمسطبة التى أنشأها قريبا من بركة الحبش، فوجد ورقة محتومة فقرأها ولم يعلم أحداً فيها، وعاد إلى القلعة وقد اشتد حنقه، ووقف عند دار النيابة وأمر بهدم المساطب والرفرف وغلق الشباك. ثم بعث السلطان أمير جاندار الأمير سيف الدين البوبكرى أن يتحول من داره بالقلعة ويسكن بالقاهرة، فنزل من يومه وسكن بدار كراى المنصورى، وهدمت الدار التى كان البوبكرى يسكنها، وعمرت قاعات وطباق للخاصكية. وامتنع السلطان من ركوبه إلى المطعم المذكور، وصار يركب إلى ميدان القبق. وكانت الورقة تتضمن سب السلطان وسوء تصرفه، وتسليطه الكتاب النصارى على المسلمين، وصلحه مع المغل.

(١) الخركاه بيت من خشب مصنوع على هيئة مخصوصة، ويغش بالجوخ ونحوه، تحمل فى السفر لتكون فى الخيمة للمبيت فى الشتاء لوقاية البرد.

(٢) بلد هو اليوم أعظم مدن الثغور الشامية بين أنطاكية وطرسوس. انظر معجم البلدان ١/ ٧٥.

واتفق أن بعض العامة أخبر عن شخص غريب، فأفضى الأمر إلى حملهما إلى الخازن وإلى القاهرة، فقال العاصي: «هذا الغريب قاصد ومعه فداوية»، فقررته الوالي فاعترف أن معه أربعة من جهة قراسنقر بعثهم لقتل السلطان؛ فقبض منهم على رجلين، وفر الآخران. وحمل الوالي إلى السلطان، فأقرا بأنهما من جهة قراسنقر؛ فأمر بهما فقتلا. وأخذ السلطان يحترس على نفسه، ومنع عند ركوبه إلى الميدان المتفرجين من الجلوس في الطرقات، وألزم الناس بغلق طاقات البيوت.

وفيها قبض على الأمير علم الدين سنجر الجاولي نائب غزوة^(١)، وسجن بالإسكندرية، ووقعت الحوطة على موجوده يوم الجمعة ثامن عشرى رمضان. وكان ذلك لقله اكتراثه بالأمر نائب الشام، وموافقة بعض مماليكه على ما قيل فيه أنه يريد التوجه إلى اليمن.

وفيها قدم الخبر من الأمير بيبرس الحاجب بقتل الشريف حميضة بن أبي نعي؛ ثم قدم الأمير بيبرس الحجاز ومعه المماليك الذين اتفقوا على قتل الشريف حميضة، فقتل السلطان قاتله.

وفيها قدم المجد السلامي على البريد من عند الملك أبي سعيد بن خربندا في طلب الصلح، فخرج القاضي كريم الدين الكبير إلى لقائه، وصعد به إلى القلعة، فأخبر المجد السلامي برغبة جوبان وأعيان دولة أبي سعيد في الصلح، وأن الهدية تصل مع الرسل، فكتب إلى نائبى حلب ودمشق بتلقى الرسل وإكرامهم. فقدم البريد بأن سليمان بن مهنا عارض الرسل، وأخذ جميع ما معهم من الهدية، وقد خرج عن الطاعة لإخراج أبيه مهنا من البلاد وإقامة غيره في إمرة العرب. ثم قدمت الرسل بعد ذلك بالكتب، وفيها طلب الصلح بشروط: منها ألا تدخل الفداوية إليهم، وأن من حضر من مصر إليهم لا يطلب، ومن حضر منهم إلى مصر لا يعود إليهم إلا برضاه، وألا يبعث إليهم بغارة من عرب ولا تركمان، وأن تكون الطريق بين المملكتين مفسوحة تسير تجار كل مملكة إلى الأخرى، وأن يسير الركب من العراق إلى الحجاز في كل عام بمحمل ومعه سنجق فيه اسم صاحب مصر مع سنجق أبي سعيد ليتحمل بالسنجق السلطاني، وألا يطلب الأمير قراسنقر. فجمع السلطان الأمراء، واستشارهم في ذلك، بعد ما قرأ عليهم الكتاب، فاتفق الرأي على إمضاء الصلح بهذه الشروط، وجهزت الهدايا لأبي سعيد: وفيها خلعة

(١) مدينة في أقصى الشام من ناحية مصر، بينها وبين عسقلان فرسخان. انظر معجم

أطلس بدابير باولى زركش، وبقاء تترى وقرقلاط وغير ذلك، مما بلغت قيمته أربعين ألف دينار. وأعيد الرسل بالجواب، وفيه ألا يمكن عرب آل عيسى من الدخول إلى العراق، فإن العسكر واصل لقتالهم، وسافر السلامى على البريد يبشر بعود الرسل بالهدية.

وفيها أنشأ السلطان ميدان المهار^(١) بجوار قناطر السباع فيما بين القاهرة ومصر، ونقل إليه الطين، وزرع فيه النخل، ولعب فيه بالكرة مع الأمراء، ورتب فيه الحجورة^(٢) للتناج، فاستمر ذلك، وصار يتردد إليه، ثم أنشأ السلطان بجوار جامع الأمير علاء الدين طيرس زريبة^(٣) على النيل، ليبرز بمناظر الميدان الكبير إلى قرب شاطئ النيل، وكان قد أخرج عمل ذلك بسبب قرب سفره إلى الصعيد.

وفيها مرض كريم الدين الكبير نحو أسبوعين، فكان يحضر عليه فى كل يوم جمدار فيخلع عليه بكرة النهار، ويعود فيأتيه آخر العصر فيخلع عليه، وكلما أتاه مملوك من جهة أحد الأمراء للسلام عليه خلع عليه، فلما عوفى وركب زينت القاهرة، وأوقدت فيها الشموع، وجلست المغانى، واجتمع الناس لرؤيته، فكان يوماً مشوداً. ولما قدم إلى المدرسة المنصورية بين القصرين بمال، فتصدق فمات فى الازدحام ستة أنفس، وصعد كريم الدين إلى القلعة، ثم ركب من الغد إلى مدينة مصر، فزينت لركوبه أيضاً، وزينت الحراريق ولعبت فى النيل، فخلع على رؤساء الحراريق، وفرق فى رجالها مالا، وعمل لهم مائة خروف شواء، وكان عدة الشموع التى اشتعلت له فى مصر ألفاً وستمئة شمعة، ونثر الناس على رأسه الذهب والدراهم، وعمل له الفخر ناظر الجيش ضيافة عظيمة، فكانت تلك الأيام من الأيام المشهودة.

وفيها قدم الخبير بأن أبا سعيد أراق الخمر فى سائر مملكته، وأبطل منها بيوت الفواحش، وأبعد أرباب الملاهى، وأغلق الخانات، وأبطل المكوس^(٤) التى تجبى من التجارة الواردة إليهم من البلاد، وهدم كنائس بالقرب من توريز، ورفع شهادة الإسلام، ونشر العدل، وعمر المساجد والجوامع، وقتل من وجد عنده الخمر بعد إراقتة، فكتب السلطان لسائر نواب الشام بإبطال ضمان الخمارات وإراقة الخمر، وغلق الخانات واستنابة أهل الفواحش، فعمل ذلك فى سائر مدن البلاد الشامية وضياعها وجبالها،

(١) المهار - جمع مهر وهو ولد الفرس - وقد أنشأ السلطان الناصر محمد هذا الميدان ليكون به جميع حيوله.

(٢) الحجورة جمع حجر، وهى الأنتى من الخيل.

(٣) الزريبة حظيرة الغنم، وهى عبارة عن كوخ يصنع حيطانه من جرائد النخل السلطان أو

الأمير ليأوى إليه طلباً للراحة.

(٤) المقصود بها الضرائب.

واجتهد النواب في إزالة المناكير حتى طهر الله منها ومن أهلها البلاد.

وفيها قدم مملوك الجحد السلامي ورسول أبي سعيد وجوبان، وأخبروا بوصول الهدية السلطانية، وسألوا تجهيز السنجق السلطاني ليسيير مع الركب إلى الحجاز، فسير سنجق حرير أصفر بطلعة ذهب، وكتب لصاحب مكة بإكرام حاج العراق.

وفيها قدم البريد من حلب بأن أبا سعيد قد نادى في مملكته بالحج، فتجهز عالم عظيم، وأن فياضا وسليمان ابني مهنا قد كثر فسادهما وقطعهما الطريق على التجار، ويخاف على الراكب العراقي من عرب مهنا. فاقتضى رأى السلطان أن استدعى سيف ابن فضل^(١) أخى مهنا من البلاد، وقرر معه أن أباه فضلا يمنع مهنا وأولاده من التعرض لركب العراق، فقام في ذلك فضل، وخدع أخاه مهنا حتى كف عنهم، ولم يتعرض لأحد منهم، وبعث مهنا بابنه موسى إلى السلطان بأنه لم يتعرض للركب، فأكرمه السلطان وخلع عليه وعلى من معه.

وفيها أخرج الأمير بدر الدين محمد بن التركمانى^(٢) إلى الشام على إمرة لتغير كريم الدين الكبير منه.

وفي ثانى عشرى رجب: عقد بدار السعادة بدمشق مجلس لابن تيمية، ومنع من الإفتاء بمسألة الطلاق، ثم اعتقل بالقلعة إلى يوم عاشوراء سنة إحدى وعشرين، فأفرج عنه.

* * *

ومات في هذه السنة من الأعيان

قاضى القضاة شمس الدين أبو العباس أحمد بن إبراهيم بن عبد الغنى بن أبى إسحاق قاضى شمس الدين أبو العباس أحمد بن إبراهيم بن عبد الغنى بن أبى إسحاق السروجى الحنفى^(٣)، فى يوم الخميس ثانى عشرى رجب، بعد عزله فى رابع ربيع الآخر بشمس

(١) سيف بن فضل بن عيسى بن مهنا أمير عرب الفضل، فى بادية الشام. ولى إمرة قومه عدة مرات بعد موت أخيه عيسى سنة ٧٤٤هـ، ومات قتيلا. انظر ابن خلدون ٤٣٩/٥ والنجوم الزاهرة ٣٣٠/١ وصبح الأعشى ٢٠٧/٤. والدرر الكامنة ١٨٣/٢ والأعلام ١٥٠/٣.

(٢) محمد بن عيسى، بدر الدين التركمانى: باني «جامع المقياس» بمصر. كان وزيرا بها. وزحف إلى مكة للقبض على الشريف حميضة، فنزلها وطرد العبيد، ونادى بالعدل. ونقل أميرا إلى الشام. ومنها إلى شد الدواوين بطرابلس سنة ٧٢٦هـ ثم عاد إلى القاهرة وتوقف بها. انظر البداية والنهاية ١٨١/١٤ والدرر الكامنة ١٣٢/٤ والأعلام ٣٢٣/٦.

(٣) أحمد بن إبراهيم بن عبد الغنى السروجى، أبو العباس، شمس الدين. فقيه، كان حنبليا وتحول-

الدين محمد بن عثمان الحريري، ومولده سنة سبع وثمانين وستمائة، وكان من أئمة الحنفية، ولم يسمع عنه ما يشينه، ولا راعى صاحب جاه قط، مع السماح والوجود.

ومات الشيخ أبو العباس أحمد بن أبي بكر بن عرام بن إبراهيم بن ياسين بن أبي القاسم بن محمد بن إسماعيل الشيخ بهاء الدين أبي العباس بن أبي الفضائل بن أبي المجد ابن أبي إسحاق الربعي الشافعي، سبط أبي الحسن علي الشاذلي، في ليلة سابع شوال، ومولده سنة أربع وستين وستمائة. سمع الحديث وقرأ النحو وتصوف، وتصدر بالإسكندرية لإقراء العربية، وولى نظر الأحباس بها، وصنف في الفقه وغيره.

ومات الصاحب قوام الدين الحسن بن محمد بن جعفر بن عبد الكريم بن أبي سعيد - المعروف بابن الطراح^(١) - ، في أول المحرم ببغداد، ومولده في ربيع الأول سنة خمسين وستمائة، وهو من بيت علم ورياسة، وكان يعرف النحو واللغة والحساب والنجوم والأدب.

ومات الصدر فخر الدين أبو الهدى أحمد بن إسماعيل بن علي بن الحباب الكاتب، يوم الخميس تاسع رمضان، عن سبع وتسعين سنة.

وقتل إسماعيل بن سعيد الكردي على الزندقة، يوم الإثنين سادس عشرى صفر، وكان عارفا بالقراءات والفقه والنحو والتصريف، ويحفظ كثيراً من التوراة والإنجيل، ويحل في الفقه، ويحفظ العمدة في الحديث، غير أنه حفظت عنه عظام في حق الأنبياء، وكان يتجاهر بالمعاصي، فاجتمع القضاة وضربوا عنقه بين القصرين.

ومات الحسن بن عمر بن عيسى بن الخليل الكردي الدمشقي، بناحية الجيزة تجاه مصر في ثالث ربيع الآخر، وقد أناف على التسعين، قرأ على السخاوي، وسمع الحديث.

ومات كمال الدين عبد الرحيم بن عبد المحسن بن ضرغام الكنانى الحنبلى، خطيب جامع المنشأة فيما بين القاهرة ومصر، في ربيع الآخر عن ثلاث وتسعين سنة.

=حنفياً. وأشخص من دمشق إلى مصر، فولى الحكم الشرعى فيها مدة ونعت بقاضى القضاة. وعزل قبل موته بأيام. انظر البداية والنهاية ٦٠/١٤ والدرر الكامنة ٩١/١ والطبقات السنوية ٣٠٠/١ الأعلام ٨٦/١.

(١) حسن بن محمد بن جعفر بن عبد الكريم، قوام الدين، بن الطراح الشيبانى الصاحب: أديب عراقي. كانت له نيابة عن السلطنة فى بعض البلدان. انظر الدرر الكامنة ٣٤/٢ الأعلام ٣٤/٢ والأعلام ٢١٥/٢.

ومات كمال الدين أبو الحفص عمر بن عز الدين أبي البركات عبد العزيز بن يحيى الدين أبي عبد الله بن محمد بن نجم الدين أبي الحسن أحمد بن جمال الدين هبة الله أبي الفضل بن مجد الدين أبي غانم محمد بن هبة الله بن أحمد بن يحيى بن أبي جرادة العقيلي الحلبي الحنفي، قاضي القضاة الحنفية بحلب، وكان مشكوراً.

ومات زين الدين أبو القاسم محمد بن العلم محمد بن الحسين بن عتيق بن رشيقي الإسكندري الفقيه المعمر المالكي، بمصر في ليلة الجمعة حادي عشر المحرم، عن اثنتين وتسعين سنة، ولى قضاء الإسكندرية مدة اثنتي عشرة سنة، وعرض عليه قضاء دمشق فامتنع، وله نظم.

ومات شرف الدين يعقوب بن أحمد بن الصابوني الحلبي، بالقاهرة في يوم الخميس تاسع عشر رجب، كان محدثاً عدلاً، ودرس بالمنكوتيرية من القاهرة، وتميز في كتابة السجلات.

ومات القاضي زين الدين أبو بكر بن نصر بن حسين بن حسن بن حسين الأسعردى، محتسب القاهرة ووكيل بيت المال، في يوم الإثنين سادس عشر رمضان، واستقر في الوكالة بعده قطب الدين محمد بن علي بن عبد الصمد السنباطي، وفي حسبة القاهرة ابن عمه نجم الدين محمد بن الحسين.

ومات علي بن عبد الصمد الأسعردى، في سابع شوال.

ومات الشيخ نجم الدين أبو الحسن علي بن الأسيوطي المقرئ الواعظ، في يوم الجمعة سادس عشر ذي الحجة.

وقتل أقبحا مملوك ركن الدين بيبرس التاجي بدمشق؛ لدعواه النبوة، في خامس عشر ربيع الأول.

ومات بهاء الدين السنجاري محتسب مصر، يوم الثلاثاء حادي عشر ذي القعدة، فولى بعد نجم الدين أحمد بن محمد بن أبي الحزم القمولى خليفة الحكم، في ثامن ذي الحجة.

ومات صاحب غرناطة من بلاد الأندلس الغالب بالله أبو الوليد إسماعيل بن فرج بن

٣٤ سنة عشرين وسبعمائة

إسماعيل بن يوسف بن نصر^(١)، في ذى القعدة، وأقيم بعده ابنه أبو عبد الله محمد^(٢)، فكانت مدته ثلاث عشرة سنة.

* * *

(١) إسماعيل بن فرج بن إسماعيل بن يوسف بن نصر بن الأحمر، أبو الوليد السلطان الغالب = بالله: أمير المؤمنين، خامس ملوك دولة بنى نصر بن الأحمر. انظر الإحاطة ٢٢١/١ والنجوم الزاهرة ٢٥٠/٩ والدرر الكامنة ٣٧٥/١ والأعلام ٣٢١/١.

(٢) محمد بن إسماعيل بن فرج، من بنى نصر بن الأحمر، أبو عبد الله: أحد ملوك بنى الأحمر فى الأندلس وهو سادسهم. انظر اللمحة البدرية ٣٩٠/٣ والأعلام ٣٦/٦

سنة إحدى وعشرين وسبعمائة

فى يوم الإثنين ثالث المحرم: قدم الفخر ناظر الجيش من الحجاز، وكان قد سافر إلى مكة فى مدة اثنى عشر يوماً، وغاب - حتى قدم - نحو شهر، وتصديق فى الحرمین باثنى عشر ألف دينار.

وفى يوم الثلاثاء حادى عشره: قدم الأمير أرغون النائب من الحجاز، وكان قد سافر أول ذى القعدة، ومشى من مكة إلى عرفات على قدميه بهيئة الفقراء. ثم قدم الأمير بهاء الدين أصلم أمير الركب بالحاج، ولم ير فيما تقدم مثل كثرة الحاج فى موسم الحالية. وكانت الوقفة يوم الجمعة. وكان حاج مصر سبعة ركوب: ركب فى شهر رجب، وأربعة فى شوال أولها رحل فى يوم الإثنين سادس عشره، ورحل آخرها يوم الجمعة تاسع عشره. وسار الأمير أرغون النائب أول ذى القعدة فى جماعة، ثم توجه الفخر فى جماعة، وركب البحر خلائق، واجتمع بعرفة ما يزيد على ثلاثين ركبا. ووقف محمل العراق خلف محمل مصر، ومن خلفه محمل اليمن.

واعتنى أبو سعيد بأمر حاج العراق عناية تامة، وغشى المحمل بالحريير ورضعه باللؤلؤ والياقوت وأنواع الجواهر، وجعل له جترًا ينصب عليه إذا وضع. فلما مر ركب العراق بعرب البحرين خرج عليهم ألف فارس يريدون أخذهم، فتوسط الناس بينهم على أن يأخذوا من أمير الركب ثلاثة آلاف دينار، فلما قيل لهم إنما جئنا من العراق بأمر الملك الناصر صاحب مصر وكتابه إلينا بالمسير إلى الحجاز أعادوا المال، وقالوا: «لأجل الملك الناصر نخفركم بغير شىء»، ومكنوهم من المسير. فبلغ ذلك السلطان فسر به، وبالغ فى الإنعام على العربان. وكان السلطان قد بعث إلى أمراء المغل وأعيانهم الخلع، فلما انقضى الحج خلع عليهم الأمير أرغون النائب، ودعا لأبى سعيد بعد الدعاء للسلطان بمكة.

وفيه قدم كتاب نائب الشام فى الشفاعة فى ابن تيمية^(١)، وكان قد سجن فى السنة

(١) أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبى القاسم الخضر النميرى، تقى الدين ابن تيمية: الإمام، شيخ الإسلام. ولد فى حران وتحول به أبوه إلى دمشق فنبغ واشتهر. وطلب إلى مصر من أجل فتوى أفتى بها فقصدها، فتعصب عليه جماعة من أهلها فسجن مدة، ونقل إلى الإسكندرية. ثم أطلق فسافر إلى دمشق سنة ٧١٢هـ، واعتقل بها سنة ٧٢٠هـ وأطلق، ثم أعيد، =

الماضية، فأفرج عنه بعدما سجن خمسة أشهر، وشرط عليه ألا يفتى بمسألة الطلاق.

وفيه استقر كريم الدين الكبير في نظر الجامع الطولوني، فتمت أوقافه.

وفيه قدم البريد من دمشق بهدم كنيسة لليهود بدمشق، على يد العامة.

وفيها أخرج الأمير شرف الدين أمير حسين بن جندر إلى دمشق. وسببه أنه لما أنشأ جامعه المعروف بجامع أمير حسين بجوار داره في بر الخليج الغربي، وعمل القنطرة، أراد أن يفتح في سور القاهرة خوخة^(١) تنتهي إلى حارة الوزيرية، فأذن له السلطان في فتحها، فخرق باباً كبيراً وعمل عليه رنكه^(٢)، فسعى به علم الدين سنجر الخياط متولى القاهرة أنه فتح باباً قدر باب زويلة وعمل عليه رنكه، فشق عليه ذلك وأخرجه من يومه على إقطاع الأمير جوبان، ونقل جوبان إلى الإمرة بديار مصر.

وفيه قدم الأمير سيف الدين طقصبای من بلاد أذربك. وقدم من الأردو الأمير باورر ابن براجوا أحد أعيان المغل، فأنعم عليه بإمرة طبلخاناه بمصر.

وفيه قدم أبو يحيى اللحياني^(٣) من الغرب، ولم يمكن من البلاد، فرتب له بالإسكندرية ما يكفيه، وأقام بها. وفيه أخرج الأمير علاء الدين أيدغدى الخوارزمي حاجباً بالشام.

وفي يوم الجمعة تاسع ربيع الآخر: ثارت العامة يداً واحدة، وهدموا كنيستين متقابلتين بالزهري، وكنيسة بستان السكرى - وتعرف بالكنيسة الحمراء - ، وبعض كنيستين بمصر. وكان ذلك من غرائب الاتفاق ونوادير الحوادث: والخير عنه أن السلطان لما عزم على إنشاء الزرية بجوار جامع الطيرسى على النيل احتاج إلى طين كثير، فنزل بنفسه وعين مكاناً من أرض بستان الزهري قريباً من ميدان المهارة ليأخذ منه الطين، ولينشئ في هذا المكان بركة^(٤)، وعوض مستحقى وقفه بدله، وكتب أوراقاً

—مومات معتقلا بقلعة دمشق. انظر فوات الوفيات ١/٤٥٠٣٥ والدرر الكامنة ١/١٤٤١ والبداية والنهاية ١٣٥/١٤ وابن الوردي ٢/٢٨٤ وآداب اللغة ٣/٢٤٣ والنجوم الزاهرة ٩/٢٧١ والأعلام ١/١٤٤١.

(١) الخوخة باب صغير في بوابة كبرى لسور أو حصن أو فندق.

(٢) الرنك: شعار للملوك والأمراء الأتراك والمماليك بمصر. انظر المعجم الوجيز ٢٢٧٩٩.

(٣) زكريا بن أحمد بن محمد بن يحيى بن عبد الواحد بن أبي حفص اللحياني الهنتاني. أبو يحيى الحفصي: من ملوك الدولة الحفصية في إفريقية. ولد بتونس. انظر الخلاصة النقية ٦٩ والنجوم الزاهرة ٩/٦٢٨ وابن خلدون ٦/٣٢٥ والدرر الكامنة ٢/١١٣ والبداية والنهاية ١٤/١٢٩ والأعلام ٣/٤٦،٤٥.

(٤) هذه البركة هي بركة الناصرية التي جعل السلطان الناصر مساحتها سبعة أفدنة.

بأسماء الأمراء، وأفزرت لكل منهم قياساً معلوماً، فتولى قياس ذلك عدة من المهندسين مع الأمير بيبرس الحاجب. وابتدأ الأمراء فى الحفر يوم الثلاثاء تاسع عشرى ربيع الأول، ورفعوا الطين على بغالهم ودوابهم إلى شاطئ النيل حيث عمل الزريبة. فلم يزل الحفر مستمرا إلى أن قرب من كنيسة الزهرى، وأحاط بها الحفر من دابرها وصارت فى الوسط، بحيث تمتع من اتساع البركة. فعرف الأمير آقسنقر شاد العمائر السلطان بذلك، فأمره أن يبالح فى الحفر حولها حتى تتعلق، وإذا دخل الليل فيدع الأمراء تهدمها، ويشيع أنها سقطت على غفلة منهم، فاعتمد الحفر فيما حولها، وكنم ما يريد، وصارت غلمان الأمراء تصرخ وتريد هد الكنيسة، وآقسنقر بمنعهم من ذلك.

فلما كان يوم الجمعة تاسع ربيع الآخر: بطل العمل وقت الصلاة لاشتغال الأمراء بالصلاة، فاجتمع من الغلمان والعامه طائفة كبيرة، وصرخوا صوتاً واحداً الله أكبر، ووقعوا فى أركان الكنيسة بالمساحى والفوس حتى صارت كوما، ووقع من فيها من النصرارى، وانتهب العامة ما كان بها. والتفتوا إلى كنيسة الحمراء المجاورة لها، وكانت من أعظم كنائس النصرارى، وفيها مال كبير، وعدة من النصرارى ما بين رجال ونساء مترهبات، فصعدت العامة فوقها، وفتحوا أبوابها ونهبوا أموالها وحمورها. وانتقلوا إلى كنيسة بومنا بجوار السبع سقايات، وكانت معبداً جليلا من معابد النصرارى، فكسروا بابها ونهبوا ما فيها، وقتلوا منها جماعة، وسبوا بنات كانوا بها تزيد عدتهن على ستين بكرا. فما انقضت الصلاة حتى ماجت الأرض، فلما خرج الناس من الجامع رأوا غباراً ودخان الحريق قد ارتفعا إلى السماء، وما فى العامة إلا من بيده بنت قد سبها أو جرة خمر أو ثوب أو شىء من النهب، فدهشوا وظنوا أنها الساعة قد قامت.

وانتشر الخبز من السبع سقايات إلى تحت القلعة، فأنكر السلطان ارتفاع الأصوات بالضجيج، وأمر الأمير أيدغمش بكشف الخبز. فلما بلغه ما وقع انزعج لذلك انزعاجاً زائداً، وتقدم إلى أيدغمش أمير آخور، فركب بالوشاقية ليقبض على العامة ويشهرهم. فما هو إلا أن ركب أيدغمش إذا بملوك الأمير علم الدين سنجر الخازن متولى القاهرة حضر وأخبر بأن العامة ثارت بالقاهرة، وأخربوا كنيسة بحارة الروم وكنيسة بحارة زويلة، وأنه ركب خوفاً على القاهرة من النهب. وقدم مملوك والى مصر وأخبر بأن عامتها قد تجمعت لهدم كنيسة المعلقة حيث مسكن البترك وأمواال النصرارى، ويطلب نجدة. فلشدة ما نزل بالسلطان من الغضب هم أن يركب بنفسه، ثم أردف أيدغمش بأربعة أمراء ساروا إلى مصر، وبعث بيبرس الحاجب، وألماس الحاجب إلى موضع الحفر، وبعث طينال إلى القاهرة؛ ليضعوا السيف فيمن وجدوه. فقامت القاهرة ومصر على

ساق، وفرت النهاية، فلم تدرك الأمراء منهم إلا من غلب على نفسه بالسكر من الخمر. وأدرك الأمير أيدغمش والى مصر وقد هزمته العامة من زقاق المعلقة، وأنكوا مماليكه بالرمل عليهم، ولم يبق إلا أن يحرقوا أبواب الكنيسة، فجرد هو ومن معه السيوف ليفتك بهم، فرأى عالماً عظيماً لا يحصيهم إلا خالقهم، فكف عنهم خوف اتساع الخرق، ونادى من وقف قدمه حلال، فخافت العامة أيضاً وتفرقوا. ووقف أيدغمش يحرس المعلقة إلى أن أذن العصر، فصلى بجامع عمرو، وعين خمسين أو شاقيا للمبيت مع الوالى على باب الكنيسة، وعاد.

وكان كأنما نودى فى إقليم مصر بهدم الكنائس، وأول ما وقع الصوت بجامع قلعة الجبل: وذلك أنه لما انقضت صلاة الجمعة صرخ رجل موله^(١) فى وسط الجامع: «اهدموا الكنيسة التى فى القلعة»، وخرج فى صراخه عن الحد واضطرب. فتعجب السلطان والأمراء منه، وندب نقيب الجيش والحاجب لتفتيش سائر بيوت القلعة، فوجدوا كنيسة فى خرائب التتر قد أخفيت، فهدموها. وما هو إلا أن فرغوا من هدمها والسلطان يتعجب إذ وقع الصراخ تحت القلعة، وبلغه هدم العامة للكنائس كما تقدم، وطلب الرجل الموله فلم يوجد.

وعندما خرج الناس من صلاة الجمعة بالجامع الأزهر من القاهرة رأوا العامة فى هرج عظيم، ومعهم الأخشاب والصلبان والثياب وغيرها، وهم يقولون: «السلطان نادى بخراب الكنائس»، فظنوا الأمر كذلك. وكان قد خرب من كنائس القاهرة سوى كنيسة حارة الروم وحارة زويلة وكنيسة بالبندقانيين كنائس كثيرة، ثم تبين أن ذلك كان من العامة بغير أمر السلطان.

فلما كان يوم الأحد حادى عشره: سقط الطائر من الإسكندرية بأنه لما كان الناس فى صلاة الجمعة تجمع العامة وصاحوا هدمت الكنائس، فركب الأمير بدر الدين المحسنى متولى الثغر بعد الصلاة ليدرك الكنائس، فإذا بها قد صارت كوماً، وكانت عدتها أربع كنائس. ووقعت بطاقة من والى البحيرة بأن العامة هدمت كنيسة فى مدينة دمنهور^(٢)، والناس فى صلاة الجمعة. ثم ورد مملوك والى قوص فى يوم الجمعة سابع عشره، وأخبر بأنه لما كان يوم الجمعة هدم العامة ست كنائس بقوص فى نحو نصف ساعة. وتواترت الأخبار من الوجه القبلى والوجه البحرى بهدم الكنائس وقت صلاة الجمعة، فكثرت التعجب من وقوع هذا الاتفاق فى ساعة واحدة بسائر الأقاليم.

(١) المقصود بالموله الذى ذهب عقله.

(٢) بلدة بينها وبين الإسكندرية يوم واحد فى طريق مصر. انظر معجم البلدان ٤٧٢/٢.

وصار السلطان يشتد غضبه من العامة، والأمراء تسكن غضبه وتقول: «يا مولانا! هذا إنما هو من فعل الله. وإلا فمن يقدر من الناس على هدم كنائس الإسكندرية ودمياط^(١) والقاهرة ومصر وبلاد الصعيد في ساعة واحدة؟»، وهو يشتد على العامة ويزيد البطش بهم، فهرب كثير منهم.

وكان الذى هدم فى هذه الساعة من الكنائس ستون كنيسة: وهى كنيسة بقلعة الجبل، وكنيسة بأرض الزهرى موضع البركة الناصرية، وكنيسة بالحمرء، وكنيسة بجوار السبع سقايات، وكنيسة أبى المنا بجوارها، وكنيسة الفهادين بحارة الحكر، وكنيسة بحارة الروم من القاهرة، وكنيسة البندقانيين منها، وكنيسة بحارة زويلة، وكنيسة بخزانة البنود، وكنيسة بالخنديق خارج القاهرة، وأربع كنائس بالإسكندرية، وكنيستين بدمنهور الوحش، وأربع كنائس بالغربية، وثلاث كنائس بالشرقية، وست كنائس بالبهنساوية^(٢)، وبسيوط^(٣) ومنفلوط^(٤) ومنية بن خصيب^(٥) ثماني كنائس، وقوص^(٦) وأسوان^(٧) إحدى عشرة كنيسة، والإطفيحية^(٨) كنيستين، وبمدينة مصر بخط المصاصة^(٩) وسوق وردان وقصر الشمع ثماني كنائس، ومن الأديرة شىء كثير.

وكان عقيب هدم الكنائس وقوع الحريق بالقاهرة ومصر، فابتدأ يوم السبت خامس عشر جمادى الأولى، وتواتر إلى سلخه. وكان من خبره أن الميدان الكبير المطل على النيل

(١) مدينة قديمة بين تيس و مصر على زاوية بين بحر الروم والملح والنيل. انظر معجم البلدان ٤٧٢/٢ - ٤٧٣.

(٢) مدينة بمصر من الصعيد الأدنى غربى النيل، وتضاف إليها كورة كبيرة. انظر معجم البلدان ٥١٦/١ - ٥١٧.

(٣) مدينة فى غربى النيل نواحي صعيد مصر. انظر معجم البلدان ١٩٣/١، ١٩٤.
(٤) بلدة بالصعيد فى غربى النيل بينها وبين شاطئ النيل بعد. انظر معجم البلدان ٢١٤/٥، ٢١٥

(٥) مدينة كبيرة حسنة كثيرة الأهل والسكن على شاطئ النيل فى الصعيد الأدنى. انظر معجم البلدان ٢١٨/٥.

(٦) هى مدينة كبيرة عظيمة واسعة قصبه صعيد مصر، بينها وبين القسطنطينة اثنا عشر يوما. انظر معجم البلدان ٤/٤١٣٣.

(٧) مدينة كبيرة وكورة فى آخر صعيد مصر، وأول بلاد النوبة على النيل فى شرقه. انظر معجم البلدان ١٩١/١.

(٨) بلد بالصعيد الأدنى من أرض مصر على شاطئ النيل فى شرقه. انظر معجم البلدان ٢١٨/١.

(٩) من أكبر خطوط القسطنطينة - أى مصر، وموقعه بجوار خط تجيب.

لما فرغ العمل فيه ركب السلطان إليه فى يوم السبت المذكور، وكان أول لبعبه فيه بالأكرة، فبلغه الخبر بعد عوده إلى القلعة بأن الحريق وقع فى ربع من أوقاف المارستان المنصورى، بخط الشوايين^(١) من القاهرة. واشتد الأمر، والأمراء تطفئه إلى عصر يوم الأحد، فوقع الصوت قبل المغرب بالحريق فى حارة الديلم بزقاق العريسة، قريب من دار كريم الدين الكبير. ودخل الليل واشتد هبوب الرياح، فسرت النار فى عدة أماكن. وبعث كريم الدين بولده علم الدين عبد الله إلى السلطان يعرفه، فبعث عدة من الأمراء والمماليك لإطفائه خوفاً على الحواصل السلطانية. ثم تفاقم الأمر، واحتاج آقسنقر شاد العمائر إلى جمع سائر السائقين والأمراء، ونزلت الحجاب وغيرهم، والنار تعظم طول نهار الأحد، وخرجت النساء مسبيات من دورهن. وباتوا على ذلك، وأصبحوا يوم الإثنين والنار تتلف ما تمر به، والهد واقع فى الدور التى تجاور الحريق خشية من تعلق النار فيها وسريانها فى جميع دور القاهرة.

فلما كانت ليلة الثلاثاء خرج أمر الحريق عن القدرة البشرية، وخرجت ريح عاصفة ألفت النخيل وغرقت المراكب، ونشرت النار، فما شك الناس فى أن القيامة قد قامت. وعظم شرر النيران، وصارت تسقط فى عدة مواضع بعيدة، فخرج الناس وتعلقوا بالمآذن، واجتمعوا فى الجوامع والزوايا، وضجوا بالدعاء والتضرع إلى الله تعالى، وصعد السلطان إلى أعلا القصر، فهاله ما شاهد.

وأصبح الناس يوم الثلاثاء فى أسوأ حال، فنزل النائب بسائر الأمراء وجميع من فى القلعة وجميع أهل القاهرة، ونقل الماء على جمال الأمراء، ولحقه الأمير بكتمر الساقى. وأخرجت جمال القرى السلطانية، ومنعت أبواب القاهرة أن يخرج منها سقاء، ونقلت المياه من المدارس والحمامات والآبار. وجمعت سائر البنائين والنجارين، فهدت الدور من أسفلها والنار تحرق فى سقوفها. وعمل الأمراء الألوف - وعدتهم أربعة وعشرون أميراً - بأنفسهم فى طفى الحريق، ومعهم سائر أمراء الطبلخاناه والعشراوات، وتناولوا الماء بالقرب من السقائين، بحيث صار من باب زويلة إلى حارة الروم بحراً، وحضر كريم الدين أكرم الصغير بمائتى رجل. فكان يوماً لم ير أشنع منه، بحيث لم يبق أحد إلا وهو فى شغل. ورؤى سائر الأمراء وهى تأخذ القرب من ممالكها، وتطفئ النار بأنفسها، وتدوس الوحل بأخفافها. ووقف الأمير بكتمر الساقى والأمير أرغون النائب حتى نقلت الحواصل السلطانية من بيت كريم الدين إلى بيت ولده علم الدين عبد الله بدرج الرصاصى، وهدم لأجل نقل الحواصل ستة عشر داراً. وهدمت النار وعاد الأمراء.

فوقع الصباح فى ليلسة الأربعاء بربع الملك الظاهر خارج باب زويلة وبقيسارية الفقراء، وهبت الرياح مع ذلك. فركب الحجاب والوالى وعملوا فى طفيها إلى بعد الظهر من يوم الأربعاء وهدموا دوراً كثيرة مما حوله. فما كاد أن يفرغ العمل من إطفاء النار حتى وقعت النار فى بيت الأمير سلار بخط القصرين، فأقبلوا إليه وإذا بالنار ابتدأت من أعلا البادهنج^(١) - وكان ارتفاعه من الأرض زيادة على مائة ذراع بذراع العمل - ورأوا فيه نطقاً قد عمل فيه فتيلة كبيرة، فمزالوا بالنار حتى أطفئت، من غير أن يكون لها أثر كبير. ونودى بأن يعمل بجانب كل حانوت بالقاهرة ومصر زير وذن ملآن ماء، وكذلك بسائر الحارات والأزقة، فبلغ ثمن كل دن من ثلاثة دراهم إلى خمسة، وكل زير إلى ثمانية دراهم؛ لكثرة طلبها.

فلما كانت ليلة الخميس: وقع الحريق بحارة الروم وبخارج القاهرة، وتمادى الحال كذلك، ولا تخلو ساعة من وقوع الحريق بموضع من القاهرة ومصر، وامتنع والى القاهرة والأمير بيبرس الحاجب من النوم. فشاع بين الناس أن الحريق من جهة النصارى لما أنكاهم هدم الكنائس ونهبها، وصارت النيران توجد تارة فى منابر الجوامع وتارة فى حيطان المدارس والمساجد. ووجدت النار بالمدرسة المنصورية، فزاد قلق الناس وكثر خوفهم، وزاد استعدادهم بادخار الآلات المملوءة ماء فى أسطحة الدور وغيرها. وأكثر ما كانت النار توجد فى العلو، فتقع فى زروب الأسطحة والبادهنجانات، ويوجد النفط قد لف فى [الخرق]^(٢) المبللة بالزيت والقطران.

فلما كانت ليلة الجمعة حادى عشره: قبض على راهبين خرجا من المدرسة الكهارية بالقاهرة، وقد أرميا النار، وأحضرا إلى الأمير علم الدين سنجر الخازن والى القاهرة، فشم منهما رائحة الكبريت والزيت، فأحضرهما من الغد إلى السلطان، فأمر بعقوبتهما حتى يعترفا. فلما نزل الأمير علم الدين بهما وجد العامة قد قهضت على نصرانى من داخل باب جامع الظاهر بالحسينية، ومعه كهكة خرق بها نطف وقطران، وقد وضعها بجانب المنبر، فلما فاح الدخان وأنكروه وجد النصرانى وهو خارج والأثر فى يديه، فعوقب قبل صاحبيه. فاعترف النصرانى أن جماعة من النصارى قد اجتمعوا وعملوا النفط، وفرقوه على جماعة ليدوروا به على المواضع. ثم عاقب الأمير علم الدين الراهبين، فأقرا أنهما من دير البغل^(٣)، وأنهما هما اللذان أحرقا سائر الأماكن التى تقدم

(١) على هامش ط: البادهنج - منفذ للتهوية فى البيوت.

(٢) ما بين المعقوفتين ساقط فى الأصل.

(٣) موضع هذا الدير بأعلى جبل المقطم شرقى طرا وحلوان.

ذكرها. وذلك أنه لما مر بالكنايس ما كان، حنق النصارى من ذلك وأقاموا النياحة عليها، واتفقوا على نكاية المسلمين، وعملوا النفط وحشوه بالفتائل وعملوها فى سهام ورموا بها، فكانت الفتيلة إذا خرجت من السهم تقع على مسافة مائة ذراع. فلما أنفقوا ذلك فرقوه فى جماعة، فصاروا يدورون فى القاهرة بالليل، وحيث وجدوا فرصة انتهزوها وألقوا الفتيلة، حتى كان ما كان. فطالع الأمير علم الدين السلطان بذلك.

واتفق وصول كريم الدين الكبير ناظر الخاص من الإسكندرية، فعرفه السلطان ما وقع من القبض على النصارى، فقال كريم الدين: «النصارى لهم بطرك يرجعون إليه، وهو الذى يعرف أحوالهم». فأمر السلطان كريم الدين بطلب البطرك إلى بيته واستعلام الخير منه، فأتاه ليلا فى حماية إلى القاهرة خوفا من العامة، فبالغ كريم الدين فى إجلاله، وأعلمه بما ذكر الرهبان وأحضرهم إليه، فذكروا له كما ذكروا للوالى، فيكا وقال: «هؤلاء سفهاء قد فعلوا كما فعلوا سفهاؤكم، والحكم للسلطان. ومن أكل الحامض ضرس، والحمار العثور يلقى الأرض بأسنانه». وأقام البطرك ساعة، وقام فركب بغلة كان قد رسم له منذ أيام بركوبها، فشق ذلك على الناس، وهموا به لولا الخوف من حوله من المماليك.

فلما ركب كريم الدين من الغد صاحت العامة به: «ما يحل لك يا قاضى تحامى للنصارى، وقد أخرجوا بيوت المسلمين، وتركبهم البغال»، فأتكى كريم الدين منهم نكاية بالغة، وأخذ يهون من أمر النصارى المسوكين ويذكر أنهم سفهاء، وعرف السلطان ما كان من أمر البطرك، وأنه اعتنى به. فأمر السلطان الوالى بعقوبة النصارى، فأقروا على أربعة عشر راهبا بدير البغل، فقبض عليهم من الدير. وعملت حفيرة كبيرة بشارع الصليبية، وأحرق فيها أربعة منهم فى يوم الجمعة، وقد اجتمع من الناس عالم عظيم. فاشتدت العامة عند ذلك على النصارى، وأهانوهم وسلبوهم ثيابهم، وألقوهم من الدواب إلى الأرض.

وركب السلطان إلى الميدان يوم السبت ثانى عشره، وقد اجتمع عالم عظيم، وصاحوا: «نصر الله الإسلام، انصر دين محمد بن عبد الله». فلما استقر السلطان بالميدان حتى أحضر له الخازن إلى القاهرة نصرانيين قد قبض عليهما، فأحرقا خارج الميدان. وخرج كريم الدين الكبير من الميدان وعليه التشريف، فصاحت به العامة: «كم تحامى للنصارى؟»، وسبوه ورموه بالحجارة، فعاد إلى الميدان. فشق ذلك على السلطان،

واستشار الأمراء فى أمر العامة، فأشار عليه الأمير جمال الدين أقوش نائب الكرك^(١) بعزل الكتاب النصارى، فإن الناس قد أبغضوهم، فلم يرضه ذلك. وتقدم السلطان إلى أماس الحاجب أن يخرج فى أربعة أمراء ويضع السيف فى العامة حتى ينتهى إلى باب زويلة، ويمر إلى باب النصر وهو كذلك، ولا يرفع السيف عن أحد، وأمر إلى القاهرة أن يتوجه إلى باب اللوق والبحر، ويقبض من وجده، ويحملهم إلى القلعة، وعين لذلك ممالك تخرج من الميدان. فبادر كريم الدين وسأل السلطان العفو، فقبل شفاعته، ورسم بالقبض على العامة من غير قتلهم.

وكان الخير قد طار، ففرت العامة حتى الغلمان، وصار الأمير لا يجد من يركبه. وانتشر ذلك، فغلقت جميع أسواق القاهرة، فما وصل الأمر إلى باب زويلة حتى لم يجدوا أحداً، وشقوا القاهرة إلى باب النصر، فكانت ساعة لم يمر بالناس أعظم منها. ومر الوالى إلى باب اللوق وبولاق وباب البحر، وقبض كثيراً من الكلابزة^(٢) والنواتية وأراذل العامة، بحيث صار كل من رآه أخذه. وجفل الناس من الخوف، وعدوا فى المراكب إلى بر الجيزة.

فلما عاد السلطان إلى القلعة لم يجد أحداً فى طريقه، وأحضر إليه الوالى بمن قبض عليه وهم نحو المائتين، فرسم أن يصلبوا، وأفرد جماعة للشنق وجماعة للتوسيط وجماعة لقطع الأيدى. فصاحوا: «يا خوندا! ما يحل لك! فما نحن الغرماء!»، وتباكوا. فرق لهم بكتمر الساقى، وقام معه الأمراء، وما زالوا بالسلطان حتى رسم بصلب جماعة منهم على الخشب من باب زويلة إلى سوق الخيل، وأن يعلقوا بأيديهم. فأصبحوا يوم الأحد صفا واحداً من باب زويلة إلى سوق الخيل تحت القلعة، فتوجع لهم الناس، وكان منهم كثير من بياض^(٣) الناس؛ ولم تفتح القاهرة.

وخاف كريم الدين على نفسه، ولم يسلك من باب زويلة، وصعد القلعة من خارج السور، فإذا السلطان قد قدم الكلابزة وأخذ فى قطع أيديهم. فكشف كريم الدين رأسه وقبل الأرض، وباس رجل السلطان، وسأله العفو. فأجابته السلطان بمساعدة الأمير بكتمر، وأمر بهم فقيدوا وأخرجوا للعمل فى الحفير بالجيزة. ومات ممن قطع يده رجالان، وأمر بحط من علق على الخشب.

(١) اسم لقلعة حصينة جدا فى طرف الشام من نواحي اللقاء فى جبالها بين أيلة وبحر القلزم وبيت المقدس. انظر معجم البلدان ٤/٤٥٣.

(٢) على هامش ط: الكلابزة جمع كلابزى، وهو الشخص الذى يركب بكلاب الصيد عند سلطان أو أمير من الأمراء.

(٣) المقصود ببياض الناس كرمائهم وأنقيائهم.

فللحال وقع الصوت بحريق أماكن بجوار جامع ابن طولون، وبوقوع الحريق في القلعة وفي بيت الأحمدي بجارة بهاء الدين من القاهرة، وبفندق طرنطاي خارج باب البحر؛ فدهش السلطان. وكان هذا الفندق يرسم تجار الزيت الوارد من الشام، فعمت النار كل ما فيه حتى العمدة الرخام، وكانت ستة عشر عموداً، طول كل منها ستة أذرع باعمل، ودوره نحو ذراعين، فصارت كلها جيراً، وتلف فيه لتاجر واحد ما قيمته تسعون ألف درهم، وقبض فيه على ثلاثة نصارى معهم فتائل النفط، اعترفوا أنهم فعلوا ذلك.

فلما كان يوم السبت تاسع عشره: ركب السلطان إلى الميدان، فوجد نحو العشرين ألفاً من العامة قد صبغوا خرقاً بالأزرق والأصفر، وعملوا في الأزرق صلباناً بيضاء، ورفعوها على الجريد، وصاحوا عليه صيحة واحدة: «لا دين إلا دين الإسلام! نصر الله دين محمد بن عبد الله! يا ملك الناصر يا سلطان الإسلام، انصرتنا على أهل الكفر، ولا تنصر النصارى». فخشع السلطان والأمراء، ومر إلى الميدان وقد اشتغل سره. وركبت العامة أسوار الميدان، ورفعت الخرق وهي تصيح: «لا دين إلا دين الإسلام». فخاف السلطان الفتنة ورجع إلى مداراتهم، وتقدم إلى الحاجب بأن يخرج وينادي: «من وجد نصرانياً قدمه وماله حلال». فلما سمعوا النداء صرخوا صوتاً واحداً: «نصرك الله يا ناصر دين الإسلام»، فارتجت الأرض.

ونودي عقيب ذلك بالقاهرة ومصر: «من وجد من النصارى بعمامة بيضاء حل دمه. ومن وجد من النصارى راكباً باستواء حل دمه». وكتب مرسوم بلبس النصارى العمائم الزرق، وألا يركبوا فرسا ولا بغلاً، وأن يركبوا الحمير عرضاً، ولا يدخلوا الحمام إلا يجرس في أعناقهم، ولا يتزيا بزى المسلمين هم ونساؤهم وأولادهم. ورسم للأمرء بإخراج النصارى من دواوينهم ومن دواوين السلطان، وكتب بذلك إلى سائر الأعمال، وغلفت الكنائس والأديرة، وطلب السنن ابن ست بهجة، والشمس بن كثير فلم يوجدوا.

وتجرات العامة على النصارى، بحيث إذا وجدوهم ضربوهم وعروهم ثيابهم، فلم يتجاسر نصراني أن يخرج من بيته. ولم يتحدث في أمر اليهود، فكان النصراني إذا طرأ له أمر يتزيا بزى اليهود، ويلبس عمامة صفراء يكتريها من يهودى ليخرج في حاجته. واتفق أن بعض كتاب النصارى حضر إلى يهودى له عليه مبلغ ألف درهم ليأخذ منه شيئاً، فأمسكه اليهودى وصاح: «أنا بالله وبالمسلمين»، فخاف النصراني، وقال له:

«أبرأت ذمتك»، وكتب له خطه بالبراءة وفر. واحتاج عدة من النصارى إلى إظهارهم الإسلام، فأسلم السنى ابن ست بهجة فى يوم الثلاثاء سابع عشر جمادى الآخرة، وخلع عليه، وأسلم كثير منهم، واعترف بعضهم على راهب بدير الخندق أنه كان ينفق المال فى عمل النفط للحريق ومعه أربعة، فأخذوا وسمروا.

وانبسطت ألسنة الأمراء بسبب كريم الدين أكرم الصغير، وحصلت مفاوضة بين الأمير قطلوبغا الفخرى والأمير بكتمر الساقى بسبب كريم الدين الكبير، فإن بكتمر كان يعتنى به وبالداواوين، والفخرى يضع منه ومنهم، وصار مع كل من الأميرين جماعة، وبلغ السلطان ذلك، وأن الأمراء تترب وقوع الفتنة.

وصار السلطان إذا ركب إلى الميدان لا يرى أحدًا فى طريقه من العامة لكثرة خوفهم من أن يبطش بهم، فلم يعجبه ذلك، ونودى بخروج الناس للفرجة على الميدان، فخرجوا على عادتهم. فلما كانت ليلة الأحد ثانى عشره وقع الحريق بالقلعة، وعظم أمره حتى اشتد القلق إلى أن طفى.

وفى رابع عشره: توجه كريم الدين الكبير إلى الإسكندرية، ونادى فيها بلبس النصارى العمائم الزرق، ومنعهم من المباشرة فى الديوان. فوردت مراكب تحصل منها للديوان نحو الخمسين ألف دينار، فسر كريم الدين بذلك. وعاد كريم الدين إلى القاهرة، فشفع فى إطلاق المقيدين الذين قبض عليهم فأطلقوا، وأعطى كل واحد منهم عشرة دراهم فضة وعشرة فلوسا وقميصا، وفرق ألف قميص، ثم استدعى المسجونين على الديوان، وصالح غمائمهم عنهم، وخلى سبيلهم بحيث لم يبق أحد بسجن القضاة وأغلق.

وفىها ألقى ورقة فى جناح طائر وجد بالإسطبل تتضمن الإنكار على السلطان، وأنه فرط فى ملكه ومماليكه، والعسكر قد تلف، وقد باع أولاد الناس الإقطاعات التى بأسمائهم، وصاروا يسألون الناس من الحاجة. فغضب السلطان من ذلك، وتقدم إلى نقيب الجيش بكتابة أسماء من باع خبزه، وكشف حال الأجناد ومعرفة من فيهم بغير فرس، وعرض ممالك السلطان، وأخرج منهم مائة إلى الكرك.

وفيه سافر كريم الدين الكبير إلى دمشق على البريد، فتلقيه النائب على العادة، وقدم الناس إليه تقادم جليلة، فلم يقبل منها لأحد منهم شيئًا، بل عمهم بالإنعامات والصدقات، وعاد إلى القاهرة.

وفىها جلس السلطان لعرض أجناد الحلقة، فضرب جماعة وحبس جماعة، وقطع

أحباز أربعة عشر من أولاد الأمراء، ثم أفرج عن المحبوسين بعد شهرين، وبعثهم إلى الشام.

وفيه قدم عرب البحرين بأربعين فرساً، فقومت بخمسمائة ألف درهم فضة، وأنعم عليهم بعشرة آلاف دينار مصرية زيادة على ذلك، وخلع على الجميع.

وفيهما خرج الأمير جمال الدين أقوش الأشرفي نائب الكرك بعسكر إلى آياس، وخرجت معه عساكر الشام وحبب بالآلات، فنازلوها ونصبوا عليها المجانيق، وقاتلوا الأرمن حتى ملكوها، وغنموا منها مالا كثيراً وقتلوا عدة كثيرة منهم، وفر من بقى فى البحر، وذلك فى حادى عشرى ربيع الآخر. وعادت العساكر فأغارت على بلاد تكفور^(١)، وأخذت مالا كبيراً، وقدم الأمير جمال الدين أقوش إلى القاهرة. فبلغ الأمير الطنبغا نائب حلب أن أهل آياس قد عادوا إليها، فأمسك إلى أن كانت أيام عيد لهم، وركب بعسكر حلب وطرقهم على غفلة، وقتل منهم نحو ألفى رجل وأسّر ثلاثمائة، وغنم مالا جزيلاً وعاد.

وفيه تنكرت المماليك السلطانية على كريم الدين الكبير، لتأخر جوامكهم شهرين، ثم تجمعوا فى يوم الخميس ثامن عشرى صفر قبل الظهر، ووقفوا بباب القصر. وكان السلطان وقتذاك عند الحرم، فلما بلغه ذلك خشى منهم، وبعث بخروج الأمير بكنمر الساقى إليهم، فلم يرضوه، فخرج إليهم السلطان وقد صاروا ألفاً وخمسمائة، فعندما رآهم سبهم وأهانهم، وأخذ العصا من المقدم وضرب بها رؤوسهم وأكتافهم، وصاح فيهم: «اطلعوا مكانكم»، فعادوا بأجمعهم إلى الطبايق، فعدت سلامته من العجائب. ثم إنه أمر النائب بعرضهم، فعرضهم فى يوم السبت آخر صفر، وأخرج منهم مائة وثمانين إلى البلاد الشامية، وأخرج بعد ذلك منهم جماعة من الطبايق إلى خرائب تتر، وضرب واحداً منهم بالمقارع هو وغلأمه؛ لكونه شرب الخمر، فمات بعد يومين من ضربه، وأخرج جماعة من الخدام وقطع جوامكهم، وأنزلهم من القلعة.

وفيه قدم رسول جوبان من الأردنو يسأل أن يعطى ضيعة من ضياع مصر الخراب؛ ليعمرها ويقفها على الحرم، فأعيد رسوله بأنه يسير إليه مكاتيب ضيعة بعد ذلك.

وفيه أنعم السلطان على جماعة من المماليك بإمريات: منهم علاء الدين أيدغدى التليلى الشمسى أحد مماليك سنقر الأشقر، وكان قد أمر فى أيام المنصور لاجين^(٢)،

(١) المقصود بذلك بلاد أرمينية الصغرى قليقية.

(٢) لاجين المنصور حسام الدين بن عبد الله المنصورى: من ملوك دولة المماليك البحرية بمصر=

وأنعم على كل من بيبرس الكرعى، وقطلوبغا طاز الناصرى، وعبد الملك المنصورى والى القلعة، وأبو بكر ابن الأمير أرغون النائب، وملكتمر السرجوانى، وطيبغا القاسمى، وطقبغا، وييدمر، وطغاي ثمر من الخاصكية، بإمرة. ونزلوا إلى المدرسة المنصورية بين القصرين، وقد أشعلت لهم القاهرة، وجلس المغانى بالخوانيت فى عدة أماكن، وعمل لهم كريم الدين سماطا جليلا وفواكه ومشارب بالمدرسة، فكان يوما مشهودا.

وفيه نزل السلطان لصيد الكراكى من بركة الحاج، وتقدم لكريم الدين الكبير أن يعمل بها أحواشا للخيل والجمال وميداناً، وبينى الأمير بكنمر الساقى مثل ذلك. فجمع كريم الدين من الرجال للعمل نحو ألفى رجل ومائة زوج من البقر حتى فرغ فى أيام يسيرة، وجعل فى الميدان عدة من الحجورة المستولدة، وركب السلطان لمشاهدة ذلك، واستمر يتعاهد الركوب إليها.

وفيه شكّا طائفة من أجناد الحلقة من زايد القانون^(١) فى البلاد، فرسم للفخر ناظر الجيش ألا يتحدث فى ذلك. وزايد القانون شىء حدث فى الأيام الناصرية: وذلك أن السلطان لما عمل الجسور، واتفق أمرها، وأنشأ عليها القناطر، صار الماء إذا أروى بلاد البحيرة يجد ما يمنعه من الخروج إلى البحر فيترجع، ثم حرق من موضع حرقاً كالمجرة، واتسع حتى صار خليجاً صغيراً يمر على أراض لم يكن من عاداتها أن يعلوها الماء. فطالع الأمير ركن الدين القلنجقى كاشف البحيرة السلطان بأن عدة من الأراضى التى فى بلاد المقطعين قد شملها الرى، وسأل أن يقتطع ولده منها خبزاً بعشرة أرماع^(٢)، فإنها زايدة عن قانون المقطعين. فندب السلطان الأمير أيتمش الحممدى والموفق مستوفى الدولة لكشف هذه الأراضى وقياسها، فتوجهها إلى البحيرة^(٣) وكشفا عنها، فبلغت خمسة وعشرين ألف فدان، فكتبت مشاريحها^(٤)، ولم يذكر منها غير خمسة عشر ألف فدان

=والشام. وهو الحادى عشر من ملوك الترك. ويسمى الروك الحسامى. كان مملوكاً للمنصور قلاوون، وإليه نسبته. وتقدم إلى أن ولى نيابة السلطنة فى أيام العادل كنبغا ثم خلع العادل وولى السلطنة سنة ٦٩٥هـ وتلقب بالملك المنصور. ثم قتل فى قصره. كانت مدته سنتان وأحد عشر شهراً. انظر مورد اللطافة ٤٩ وابن إياس ١٣٦/١ والنجوم الزاهرة ٨/٨٥ والأعلام ٥/٢٣٨.

(١) المقصود بذلك ما زاد من الأرض عن المساحة الأصلية للإقطاع المقرر بمكاتيبه.

(٢) الأرماع جمع رمح، والمقصود هنا أن تكون المساحة قدر رمية الرمح عشر مرات.

(٣) كورة معروفة من نواحي الإسكندرية بمصر، تشتمل على قرى كثيرة ودخل واسع. انظر

معجم البلدان ٢/٣٥١.

(٤) المشاريح جمع مشروح، والمقصود به هنا ما يكتبه الموظف المكلف بعمل من الأعمال بمثابة

تقرير وشرح لما كلف به من عمل.

فقط، فإنها كانت أراضي متفرقة في بلاد المقطعين. فكتب السلطان بها مثالات ما بين ثلاثمائة دينار وأربعمائة دينار، وفرقها على أرباب الجوامك من الممالك، فشق هذا على الأجناد، فإنها كانت من أراضي إقطاعاتهم.

وفي نصف جمادى الآخرة: ولد للسلطان من خوند^(١) طغاي ولدًا أسماه آنوك. وكانت طغاي هذه جارية تركية اشتراها تنكز نائب الشام من دمشق بتسعين ألف درهم، وبعثها إلى السلطان. فشق على سيدها ذلك لشغفه بها، وحضر إلى السلطان، فأنعم عليه بألفي دينار مصرية، وكتب له مسموحا بألفي دينار. وحظيت الخاتون طغاي عند السلطان، وكانت بارعة الجمال، فعمل السلطان عند ولادتها مهما عظيمًا إلى الغاية، وأنعم لها بالسفر إلى الحجاز للحج، فشرع كريم الدين في تجهيزها، وبعث الأمير تنكز أيضًا يستأذن في الحج، فأذن له.

وفيها قبض على الأمير صلاح الدين بن البيسرى، وأرخصى في الجب مقيدًا، ثم أخرج بعد يومين إلى الإسكندرية. وسببه أنه كان يتورع عن الأكل من سماط السلطان، وكانت أخته تحت الحاج آل ملك، فشكا منه أنه قد أكل ماها، فقال السلطان: «متورع عن الأكل من السماط، ويأكل مال اليتيم!»، وأمر به فقيد.

وفيها قدم البريد من حلب بمسير جوبان بعساكر المغل لحرب الملك أزيك. وفيها أنشأ السلطان على بركة الفيل دارًا بجوار دار الأمير بدر الدين جنكلى بن البابا، وأقام أفسنقر شاد العمائر على عملها، وأدخل فيها كثيرًا من دور الناس وأراضي ملاكها، ورسم بنقل كريم الدين الكبير إليها.

وفيها قدمت تقادم نواب الشام برسم سفر الخاتون^(٢) طغاي إلى الحجاز، وعمل الأمير أرغون النائب برسمها ثمانى عربات كعادة بلاد الترك لتسافر فيها، وجرها إلى الإسطبل، فأعجب بها السلطان وخلع عليه. وعين للسفر مع الخاتون الأمير قجليس والقاضى كريم الدين الكبير، وخرج النائب والحجاب في خدمتها إلى بركة الحاج حتى رحلت في يوم الأربعاء سابع عشرى شوال، ومعها من النقباء صاروجا وبكناش، ورفعت عليها العصائب السلطانية، ودقت الكوسات وراءها، وحملت الخضراوات والبقول والرياحين في المحابر^(٣) مزروعة في الطين، ولم يعهد سفر امرأة من نساء الملوك مثل سفرها.

(١) على هامش ط: كان هذا اللفظ يستعمل لقبًا للملوك فقط.

(٢) على هامش ط: كان هذا اللفظ يطلق على الملكات والأميرات.

(٣) المحابر جمع محبرة، وهو صندوقان يشدان إلى جانبي الرحل.

وفيهما خرج السلطان إلى الصيد، وقد توقف حال الناس في أمر الفلوس لكثرة الزغل فيها، وتحسنت البضائع. فلما قدم السلطان من الصيد رسم أن تكون الفلوس بالميزان، بعدما ضرب كثيراً من الباعة.

وفيهما سقط نجم عظيم بعد العصر، فطبق شعاعه الأرض، ورآه كل أحد.

وفيهما ولدت كلبة بالقاهرة ثلاثين جرواً، وأحضرت بجراها إلى السلطان.

وفي يوم الإثنين سادس عشرى رمضان: شكا طلبة زاوية الشافعى بجامع عمرو من مدرسهم شهاب الدين الأنصارى، وأبدوا فيه قوادح، فصرف عنهم، وولى عوضه قاضى القضاة بدر الدين محمد بن جماعة^(١)، ونزلت إليه الخلعة يوم الجمعة سلخه، فلبسها يوم العيد.

* * *

ومات فى هذه السنة ممن له ذكر

نور الدين إبراهيم بن هبة الله بن على الحميرى الإسناى^(٢) الفقيه الشافعى، قاضى قوص^(٣)، بالقاهرة يوم الثلاثاء سادس عشرى صفر، أخذ الفقه عن الشيخ بهاء الدين هبة الله بن عبد الله القفطى^(٤)، والأصول عن الشيخ شمس الدين محمد بن محمود

(١) محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة الكنانى الحموى الشافعى، بدر الدين، أبو عبد الله: قاض، من العلماء بالحديث وسائر علوم الدين. ولد فى حماة. وولى الحكم والخطابة بالقدس، ثم القضاة. عصر، فقضاء الشام، وتوفى. عصر. انظر فوات الوفيات ١٧٤/٢ ونكت الهميان ٢٣٥ والبداية والنهاية ١٦٣/١٤ والنجوم الزاهرة ٢٩٨/٩ والدرر الكامنة ٢٨٠/٣ ودار الكتب ٥٣٥/٥ والأعلام ٢٩٧/٥.

(٢) إبراهيم بن هبة الله بن على الحميرى، نور الدين الإسناوى: قاض، شافعى، من أهل إسنا بصعيد مصر ويقال له الإسناى أيضاً نسبة إليها. تنقل فى القضاء، وتوفى بالقاهرة معزولاً. له «شرح المنتخب» فى أصول الفقه، و«نثر ألفية ابن مالك» فى النحو. انظر طبقات الشافعية ٨٣/٦ والدرر الكامنة ٧٤/١ وبغية الوعاة ١٨٩ والأعلام ٧٨/١.

(٣) هى مدينة كبيرة عظيمة واسعة قسبة صعيد مصر، بينها وبين القسوطا اثنا عشر يوماً. انظر معجم البلدان ٤٣/٤.

(٤) هبة الله بن عبد الله بن سيد الكل، أبو القاسم، بهاء الدين القفطى: باحث مصرى. عارف بالتفسير والحديث، من فقهاء الشافعية. ولد بقط فى الصعيد المصرى وتفقه بقوص وولى فيها أمانة الحكم وتوجه إلى إسنا حاكماً وسعيداً بالمدرسة الغزية، فمدرسا. وترك القضاء أخيراً، فعكف على العبادة والعلم، إلى أن توفى بإسنا. انظر الطالع السعيد ٣٩٦ - ٤٠١ وطبقات السبكي ١٦٣/٥ والكتبخانة ٤٤٣/١ وبغية الوعاة ٤٠٨ وطبقات المفسرين والأعلام ٧٣/٨.

الأصبهاني^(١)، والنحو عن ابن النحاس^(٢). وبرع في ذلك وصنف.

ومات تاج الدين أبو الهدى أحمد بن محمد بن الكمال أبي الحسن على بن شجاع القرشي العباسي، بمنشأة المهراني خارج مدينة مصر، عن تسع وسبعين سنة، في سابع جمادى الأولى.

ومات مجد الدين أحمد بن معين الدين أبي بكر الهمداني المالكي، خطيب الفيوم^(٣)، يوم الثلاثاء ثامن ربيع الأول، وكان يضرب به المثل في المكارم والسودد، وهو أخو قاضي القضاة شرف الدين المالكي، وصهر صاحب تاج الدين محمد بن حنا^(٤).

ومات بمكة الشيخ نجم الدين عبد الله بن محمد بن محمد الأصبهاني، في جمادى الآخرة.

ومات الأمير زين الدين كتبغا العادلي حاجب دمشق بها، في يوم الجمعة ثامن عشرى شوال، واستقر عوضه الأمير علاء الدين أيدغدى الخوارزمي، وكان شجاعا كريما.

ومات تقي الدين محمد بن عبد الحميد بن عبد الغفار الهمداني الحلبي الضرير بمصر، وجد ميتا في حادى عشر ذى الحجة، وقد أناف على السبعين، وحدث بأشياء.

(١) محمد بن محمود بن محمد بن عياد السلماني، أبو عبد الله، شمس الدين الأصبهاني: قاض، من فقهاء الشافعية بأصبهان. ولد وتعلم بها. رحل إلى بغداد ثم إلى الروم ودخل الشام بعد سنة ٦٥٠هـ فولى قضاء «منبج» ثم توجه إلى مصر. وولى قضاء قوص. فقضاء الكرك واستقر آخر أمره في القاهرة، مدرسا، وتوفى بها. له كتب منها «شرح الحصول للرازي» في أصول الفقه. انظر فوات الوفيات ٢٦٥/٢ والبداية والنهاية ٣١٥/١٣ وبغية الوعاة ١٠٣ وطبقات الشافعية ٤١/٥ وحسن المحاضرة ٣١٣/١ والأعلام ٨٧/٧.

(٢) محمد بن إبراهيم بن محمد، بهاء الدين، بن النحاس الحلبي: شيخ العربية بالديار المصرية في عصره. ولد في حلب، وسكن القاهرة وتوفى بها. له «إملاء على كتاب المقرب» لابن عصفور، و«هدى أمهات المؤمنين» و«التعليقة». انظر فوات الوفيات ١٧٢/٢ وبغية الوعاة ٦ وغاية النهاية ٤٦/٢ أعلام النبلاء ٥٣٣/٤ والوافي ١٠/٢ والأعلام ٢٩٧/٥.

(٣) بمصر، وهي ولاية غربية بينها وبين القسطنطين أربعة أيام بينهما مفازة لا ماء بها ولا مرعى مسيرة يومين وهي في منخفض الأرض كالدارة. انظر معجم البلدان ٢٨٦/٤.

(٤) محمد بن محمد بن على بن محمد بن سليم، أبو عبد الله، تاج الدين، ويلقب بالصاحب كأبيه فخر الدين ابن الوزير بهاء الدين، من آل حنا: وجيه مصرى. انتهت إليه رئاسة عصره في بلده. اشتغل بالحديث والأدب ونظم الشعر والتوشيح وحدث بمصر ودمشق. انظر الوافي ٢١٧/١ والدرر ٢٠١/٤ والفوات ١٥٣/٢ والضوء اللامع ٢٤٤/١١ والأعلام ٣٢/٧.

ومات الملك المؤيد هزبر الدين داود ابن المظفر شمس الدين يوسف ابن المنصور نور الدين عمر بن على بن رسول التركمانى^(١) ملك اليمن، فى مستهل ذى الحجة، وكانت مدته خمساً وعشرين سنة، وقام من بعده ابنه الملك المجاهد سيف الدين على^(٢).

ومات كمال الدين محمد بن عماد الدين إسماعيل بن أحمد بن سعيد بن الأثير كاتب الدست، يوم الإثنين خامس عشر ذى الحجة بالقاهرة، وكان حشماً رئيساً عاقلاً.

ومات الطواشى صفى الدين جوهر مقدم المماليك السلطانية، فاستقر بعده الطواشى صفى الدين صواب الركنى، وكان صواب الركنى هذا يلى مقدمة المماليك فى الأيام الركنية ببيرس، فلما قدم السلطان من الكرك عزله، ثم أعاده بعد موت جوهر.

ومات حميد الدين أبو الثناء محمود بن محمد بن محمود بن نصر النيسابورى، شيخ الخانكاه الركنية ببيرس، فى تاسع عشر جمادى الآخرة، ومولده سنة خمس وأربعين وستمائة.

ومات الشيخ تاج الدين يحيى بن عبد الوهاب بن عبد الرحيم الدمنهورى الشافعى، فى ثالث عشر جمادى الأولى. كان يتصدر لإقراء النحو، وصنف.

ومات بمكة الإمام المقرئ عفيف الدين أبو محمد عبد الله بن عبد الحق بن عبد الله ابن عبد الأحد المخزومى الدلاصى، فى ليلة رابع عشر المحرم.

* * *

(١) داود بن يوسف بن عمر بن على بن رسول: صاحب اليمن، السلطان الملك المؤيد، هزبر الدين ابن الملك المظفر، التركمانى الأصل. مولده ونشأته ووفاته باليمن. ولى الملك بعد وفاة أخيه الأشرف سنة ٦٩٥هـ واتسقت له الأمور. توفى فى قصر الشجرة ودفن فى تعز. انظر العقود اللؤلؤية ٤٤٠/١ وفوات الوفيات ١٥٨/١ وابن خلدون ٥١١/٥ ومرآة الجنان ٢٦٦/٤ والنجوم الزاهرة ٢٥٣/٩ وأبو الفداء ٩١/٤ والدرر الكامنة ٩٩/٢ والأعلام ٣٣٦/٣.

(٢) على بن داود المؤيد بن يوسف المظفر: من ملوك الدولة الرسولية فى اليمن. ولد فى زبيد، وولى الملك بعد وفاة أبيه سنة ٧٢١هـ فأقام سنة، وخلعه الأمراء والمماليك، فمكث أشهراً. ثم عاد إلى الحكم. توفى بعدن ونقل إلى تعز. انظر العقود اللؤلؤية ٢/٢، ٨٣، ١٢٣ والدرر الكامنة ٣/٣ ٤٩ والبدر الطالع ١/٤٤٤ وابن خلدون ٥١٣/٥ والبداية والنهاية ٢٣٧/١٤، ٢٤٠ والأعلام ٤/٢٨٦،

سنة اثنتين وعشرين وسبعمئة

أهل المحرم يوم الأربعاء:

وفى يوم الأربعاء خامس عشره: وصل أوائل الحجاج.

وفى يوم الثلاثاء حادى عشره: وصل القاضى كريم الدين الكبير، والأمير قجليس صحبة الخاتون طغاي. وخرج السلطان إلى لقائها بركة الحاج، ومد سماطاً عظيماً، وخلع على سائر الأمراء وأرباب الوظائف وجميع القهرمانات: مثل الست حدق^(١) المعروفة بالست مسكة، ونساء الأمراء، ودخل الجميع إلى منازلهم، فكان يوماً مشهوداً. ولم يسمع بمثل هذه الحجة فى كثرة خيرها وسعة العطاء، ويقال إن السلطان أنفق على حجة طغاي مبلغ ثمانين ألف دينار وستمئة وثمانين ألف درهم، سوى كرى الحمول وثمان الجمال ومصروف الجوامك، وسوى ما حمل من أمراء الشام وأمراء مصر.

وفى تاسع عشره: قدم الحمل ببقية الحاج.

وفى يوم السبت ثانى صفر: خرج الأمير جمال الدين أقوش نائب الكرك، والأمير علم الدين سنجر الجمقدار، والأمير سيف الدين ألماس الحاجب، والأمير سيف الدين طرجى أمير مجلس، والأمير بهاء الدين أصلم السلاح دار، بمضافهم وطائفة من أجناد الحلقة، إلى غزو بلاد متملك سيس^(٢)، لمنعه الحمل. ولم يكن الأمر كذلك، بل مسيرهم إنما كان لأجل توجه الملك أزيك إلى بلاد أبى سعيد. وكتب بخروج عساكر الشام أيضاً.

وفيه هدم موضع دار العدل الذى أنشأه الملك الظاهر بيبرس^(٣)، وعمل طبلخاناه، فى

(١) الست حدق هى قهرمانية ناصرية، كان الناصر يجعل إليها أمور نسائه، فتحكمت فى داره تحكما عظيماً، حتى صارت لا يقال لها إلا الست حدق، وحجت مرة ففرض المثل بما فعلته من الخيرات، وعمرت جامعاً ظاهر القاهرة.

(٢) بلد هو اليوم أعظم مدن التغير الشامية بين أنطاكية وطرسوس. انظر معجم البلدان

.٢٩٧/٣

(٣) بيبرس العلماى البندقدارى الصالحى، ركن الدين، الملك الظاهر: صاحب الفتوحات ومولده بأرض البقجاق. وأسرف بيع فى سيواس ثم نقل إلى حلب، ومنها إلى القاهرة. فاشتره الأمير علاء الدين أيدكين البندقدار. وبقي عنه ثم أخذه للملك الصالح ثم أعتقه، ولم تزل همته تصعد به حتى تولى سلطنة مصر والشام سنة ٦٥٨هـ. انظر فوات اللوفيلت ٨٥/١ والنجوم الزاهرة ٩٤/٧ وابن إياس ٩٨/١ وابن الوردي ٢٢٤/٢ والتعيمي ٣٤٩/١ والأعلام ٧٩/٢.

شهر رمضان، فاستمر موضع الطبلخاناه إلى اليوم، ولما هدم وجد في أساسه أربعة قبور، فلما نبشت وجد بها رمم أناس طوال عراض، وإحداها مغطاة بملاءة ديبقى ملونة إذا مس منها شيء تطاير، وعليهم عدة القتال، وبهم جراحات، وفي وجه أحدهم ضربة سيف بين عينيه عليها قطن، فلما رفع القطن نبع من تحته دم، وشوهد الجرح كأنه جديد، فنقلوا إلى العروستين، وعمل عليهم مسجد.

وفي مستهل ربيع الآخر: قدم الأمير سيف الدين طقصبا الظاهري، ومعه رسل الملك أزيك بكتابه، فأحضروا، ولم يعبأ السلطان بهم لكثرة شكوى طقصبا من تغير أزيك عليه وإطراحه له، وأعيد الرسل بالجواب.

وفيه قدم عرب البحرين^(١) مائة وثلاثين فرسا، فقومت بأثمان غالية ما بين عشرة آلاف درهم الفرس إلى خمسين ألفا، فلما أخذت أثمانها أنعم السلطان عليهم بخلع وتفاصيل وغير ذلك، وسفروا إلى بلادهم.

وفيه عوض السلطان أمير مكة عن نظير ما كان يستأديه من مكس^(٢) الغلال، وأقطعه ثلثي دمامين^(٣) بالوجه القبلي.

وفيه قدم البريد من دمشق بحضور أخت الأمير بدر الدين جنكلي بن البابا من الشرق، وصحبها جماعة كثيرة إلى دمشق، وأنها ماتت بعد قدومها بثلاثة أيام، فاستدعى من حضر معها إلى مصر، فلما وصلوا أنعم عليهم السلطان بالإقطاعات وغيرها.

وفي مستهل جمادى الأولى: قدم البريد بأن العسكر أغار على بلاد سيس، وأخرب وغنم وقتل جماعة، وأن أوشرين متملك سيس هلك، وقام من بعده ابنه ليفون، وله من العمر نحو اثنتي عشرة سنة، وأن العساكر نازلت أياس وأخذوها عنوة بعد حصار، وقتلوا أهلها وخربوها، وعادوا على الأرمن فغنموا وأسروا منهم كثيراً، وتوجهوا عائدين. فقدم الأمير جمال الدين أقوش بالعسكر إلى القاهرة في سبع عشر جمادى الآخرة، وخلع عليه.

وفي يوم الأربعاء تاسع رجب: قدم الأمير تنكز نائب الشام باستئذان، فأنعم عليه

(١) اسم جامع لبلاد على ساحل بحر الهند بين البصرة وعمان. انظر معجم البلدان ١/٣٤٦،

٣٤٩.

(٢) ضريبة.

(٣) مركز الأقصر بمدينة قنا، وموقعها على الشاطئ الغربي للنيل.

السلطان إنعامات جليلة بلغت قيمتها نحو ثمانين ألف دينار؛ ورسم لسائر الأمراء بحمل تقادهمم إليه، وأن من أحضر مقدمة يخلع على محضرها من الخزانة السلطانية، فحملت إليه تقادم جليلة، منها أربعون سلسلة ما بين ذهب وفضة، وحمل كريم الدين الكبير مقدمة بعشرة آلاف دينار. وعاد تنكز - بعد إقامته خمسة أيام - على البريد، فى يوم الإثنين رابع عشره، ودخل دمشق أول شعبان.

وفيه توجه الأمير سيف الدين أيتمش المحمدى إلى السلطان أبى سعيد بن خربندا لعقد الصلح، وعلى يده هدية سنوية، وسفر بألفى دينار.

وفى ثانى شعبان: عقد على الأمير أبى بكر بن الأمير أرغون النائب عقد خوند بنت السلطان، وتولى العقد قاضى القضاة شمس الدين الحريرى الحنفى، على أربعة آلاف دينار. وختن السلطان أولاد ثلاثة من الأمراء: وهم بكتمر الساقى، وطشتمر حمص أخضر، ومنكلى بغا الفخرى، وعمل لهم مهماً عظيماً مدة أربعة أيام. ورمى الأمراء الذهب فى الطشت، فبلغ ما فى طشت ابن الأمير بكتمر الساقى أربعة آلاف وثلاثمائة وثمانين ديناراً، وفى طشت ابن طشتمر حمص أخضر ثلاثة آلاف دينار ونيّف، وفى طشت ابن منكلى بغا ألف دينار وثمانمائة دينار.

وفى يوم الخميس عاشر رمضان: قبض على الأمير سيف الدين بكتمر البوبكرى وولديه، ثم وقعت الشفاعة فى ولديه فأطلقا. وسبب ذلك كثرة معارضته للسلطان، فعينه السلطان لنيابة صفد^(١)، فاستعفى من ذلك، فبعث إليه كريم الدين الكبير بألفى دينار وتشريف نيابة صفد ومثالين بإمرتين لولديه بها، فلم يعبأ بكريم الدين وفارقه وهو متغير. فركب الأمير بكتمر وسأل السلطان الإعفاء، فغضب وقبضه وولديه، وسجنهم بالبرج إلى ليلة عيد الفطر، ثم أفرج عن الولدين.

وفيه قدم الشريف عطيفة بن أبى نعى^(٢) صاحب الحجاز، وأخبر بقحط مكة لعدم المطر، وأنهم استسقوا ثلاثاً فلم يسقوا، ووصل القمح إلى مائتين وخمسين درهماً الأردب. فرسم السلطان أن يحمل إلى مكة ألفاً أردب، وحمل النائب ألف أردب، والحاج آل ملك ألف أردب. فلما وصلت الغلال تصدق بها، فأنحل السعر، وأبيع الأردب القمح بمائة درهم، وأغيث أهل مكة عقيب ذلك.

(١) مدينة فى جبال عاملة المطللة على حمص بالشام، وهى من جبال لبنان. انظر معجم البلدان

(٢) عطيفة بن أبى نعى محمد بن الحسن بن على الحسنى: من أمراء مكة. ولاءه بيرس الجاشنكير سنة ٧٧٠١هـ. وعزله سنة ٧٠٤هـ وأعيد سنة ٧١٩هـ واستمر إلى أن قبض عليه وحمل إلى مصر. انظر الدرر الكامنة ٤٥٥/٢ والجداول المرضية ١٤٥ وخلاصة الكلام ٣٠، ٣١ والأعلام ٢٣٧/٤.

وفيه قدم الملك المؤيد صاحب حماة^(١)، وسار مع السلطان إلى قوص.

وفيه نقل البوبكرى إلى الإسكندرية عند سفر السلطان إلى بلاد الصعيد، فسجن بها.

وفيه ورد الخبر بخلع الملك المجاهد على صاحب اليمن، وإقامة الناصر جلال الدين.

* * *

ومات في هذه السنة من له ذكر

الشيخ نجم الدين الحسين بن محمد بن عبد، ليلة الجمعة ثالث عشرى شوال. وكان قد عظم قدره في الدولة المنصورية لاجين، وعمر زاويته بالقرافة، وقصده الناس لقضاء حوائجهم.

ومات الشيخ جلال الدين إبراهيم بن محمد بن أحمد بن محمود القلانسي، بالقدس في ذى القعدة. وكان قدم إلى مصر في سنة تسع وتسعين وستمئة، وأقام بها وحصل له بها رياسة، واعتقده الأمراء وأهل الدولة، وترددوا إلى زاويته على بركة الفيل، ثم أخرج إلى القدس، وكان كاتبًا فاضلا معتقدًا.

ومات الشيخ حسن الجوالقى القلندرى، صاحب زاوية القلندرية، خارج باب النصر من القاهرة، في يوم الثلاثاء ثانى عشر جمادى الآخرة بدمشق. وكان قد تقدم في دولة العادل كتبغا.

ومات الرئيس الكاتب زين الدين عبد الرحمن بن أبى صالح رواحة بن على بن الحسين بن مظفر بن نصر بن رواحة الأنصارى الحموى، بسبوط من بلاد الصعيد، في ذى القعدة من أربع وتسعين سنة، ورحل إليه الناس لسماع الحديث.

ومات محبى الدين عبد الرحمن بن مخلوف بن جماعة بن رجاء الربعى الإسكندراني المالكى مسند الإسكندرية، بها في يوم الثامن من ذى الحجة عن ثلاث وتسعين سنة.

ومات تقى الدين عتيق بن عبد الرحمن بن أبى الفتح العمري المحدث الزاهد، في ذى القعدة بمصر.

ومات أبو عبد الله محمد بن على بن حريث القرشى البلسنى السبتي، بمكة في

(١) مدينة كبيرة من أعمال حمص، بينها وبين شيزر نصف يوم، وبينها وبين دمشق خمسة أيام للقوافل، وبينها وبين حلب أربعة أيام. انظر معجم البلدان ٢/٣٠٠، ٣٠١.

جمادى الآخرة عن إحدى وثمانين سنة، وأقام بها مجاوراً سبع سنين، وكان خطيباً بسببته ثلاثين سنة، وبرع فى فنون.

ومات شمس الدين محمد بن الحسن بن سباع^(١) - المعروف بابن الصائغ - بدمشق، وقدم إلى مصر، وبرع فى الأدب، وصنف.

ومات أمين الدين محمد بن حمزة بن عبد المؤمن الأصفونى الشافعى، بسيوط.
ومات تاج الدين محمد بن الجلال أحمد بن عبد الرحمن بن محمد الدشناوى الشافعى بقوص.

ومات زينب بنت أحمد بن عمر بن أبى بكر بن شكر أم محمد المقدسية المعمرة الرحلة، فى ذى الحجة بالقدس، عن أربع وتسعين سنة، حدثت بمصر والمدينة النبوية.
ومات بدمشق الأمير غلبك العادلى، والأمير فخر الدين أياز شاد الدواوين، والأمير أيدمر الساقى - المعروف بوجه الخشب.

ومات أقجبا البدرى والى الفيوم.

ومات بدر الدين والى قوص.

ومات الأمير عز الدين أيبك البغدادى بمحبسه من قلعة الجبل، فى سابع عشر جمادى الآخرة.

ومات بمصر القاضى شهاب الدين أحمد بن محمد بن المكين بن رابعة، فى ثالث عشرى المحرم.

ومات أفضى القضاة نور الدين أبو الحسين على بن إسماعيل بن يعقوب الزواوى المالكى، يوم الأربعاء سابع عشرى صفر.

ومات القاضى سعد الدين مسعود بن نفيس الدين موسى بن عبد الملك القمنى الشافعى، يوم الثلاثاء ثالث عشرى شعبان.

ومات أفضى القضاة قطب الدين محمد بن عبد الصمد بن عبد القادر السنباطى، خليفة الحكم الشافعى ووكيل بيت المال بالقاهرة، سحر يوم الجمعة رابع عشرى ذى الحجة.

* * *

(١) محمد بن حسن بن سباع بن أبى بكر الجذامى، أبو عبد الله شمس الدين، المعروف بابن الصائغ: أديب، عالم بالعربية مصرى الأصل، دمشقى المولد والوفاء. وكان له حانوت بالصاغة. له «المقامة الشهائية» و«شرح ملححة الإعراب». انظر النجوم الزاهرة ٢٢٤٨/٩ والدرر الكامنة ٤١٩/٣ وفوات الوفيات ١٨٨/٢ وبغية الوعاة ٣٤ وابن الوردى ٢٧٠/٢ والبداية والنهاية ٩٨/١٤ والأعلام ٨٦/٦.

سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة

أهل المحرم بيوم الأحد الموافق له رابع عشر طوبة: سقط بالدقهلية^(١) والمرتاحية^(٢) من بلاد الغربية - بعد مطر عظيم وريح قوية جداً - برد وزن الحبة منه ما ينيف على خمسين درهماً، أتلف كثيراً من الزرع ومن الغنم والبقر، ووجد فيه حجارة منها ما وزنه من سبعة أرتال إلى ثلاثين رطلاً، وتلف من البلاد أحد وسبعون بلداً بالغربية، واثنان وثلاثون بلداً بالبحيرة.

وفيها نزل السلطان بالجيزة عائداً من بلاد الصعيد، وخلع على نائب حماة، ورسم له بالعود إلى بلده. واستدعى السلطان بالحريم من القلعة إلى عنده، وكان الوقت شتاءً، فطرده سائر الناس من الطرقات، وغلقت الخوانيت، ونزلت خوند طغاي، والأمير أيدغمش أمير آخور ماش يقود عنان فرسها بيده، وحوها سائر الخدام مشاة منذ ركبت من القلعة إلى أن وصلت إلى النيل، فعدت في الحرقاة. واستدعى الأمير بكتمر الساقى وغيره من الأمراء الخاصكية حرمتهم، وأقاموا في أهنأ عيش وأرغده.

وفيها قدم من عند صاحب ماردين^(٣) الجارية التي طلبت: وكان المجد السلامى قد بعث بأنه أراد شراء جارية جنكية من الأردوا، فبذل صاحب ماردين فيها الرغائب لصاحبها حتى اشتراها، وأن المجد سير يعلمه بأنه قد عينها للسلطان، فلم يعبأ بقوله وشغف بها. فكتب السلطان لصاحب ماردين بالإنكار عليه، وأن يحملها إلى مصر، فسير جارية غيرها من مملوكين، فلم يخف ذلك على السلطان، ورد الثلاثة، وقال لقاصده شفاهاً: «متى لم يبعث بالجارية، وإلا أخربت ماردين على رأسه»، فلم يجد بداً من إرسالها، فلما حضرت أنعم السلطان عليه بإنعامات جليلة.

وفيه عاد السلطان من الجيزة إلى القلعة، وقد توعدك كريم الدين الكبير.

وفي خامس عشره: قدمت بوادر الحجاج، وقدم الحمل ببقية الحاج فى يوم الخميس سادس عشره.

(١) بلدة بمصر على شعبة من النيل، بينها وبين دمياط أربعة فراسخ. انظر معجم البلدان ٤٥/٢.

(٢) من كور مصر البحرية. انظر معجم البلدان ١٠٠/٥.

(٣) قلعة مشهورة على قنة جبل الجزيرة مشرفة على دنيسر ودارا ونصيبين. انظر معجم البلدان

وفيه تكرر إرسال السلطان الأمراء وغيرهم لتفقد حال كريم الدين، فلم ينزل إليه أحد إلا وخلع عليه أطلس بطراز وكلفته زركش وحياسة ذهب، حتى استعظم الناس ذلك. وبالع السلطان في كثرة الإنعام على الأمراء والحكماء إلى يوم الخميس ثالث ربيع الأول. ثم ركب كريم الدين إلى القلعة، وتوجه بعد اجتماعه بالسلطان إلى القرافة، فكان يوماً مشهوداً، زينت فيه القاهرة زينة عظيمة، وصفت بها المغاني، وأشعلت الشموع، واجتمع الناس بالمدرسة المنصورية بين القصرين لأخذ الصدقات، فمات في الزحمة أربعة عشر إنساناً، وتأذى أناس كثيرة، ولم يفرق فيهم شيء. وخلع على جميع الأطباء، أخرج أهل السجون، وتصدق بأموال جزيلة.

وفيه قدم الخير باجتماع الأمير أيتمش بالسلطان أبي سعيد، وأنه أكرم غاية الإكرامة، وعاد إلى ماردين.

وفي عشرينه: قتل الشيخ ضياء الدين عبد الله الدربندي الصوفي. وكان قد قدم من دمشق في أوائل هذه السنة على هيئة الفقراء اليونسية، ولا يزال في يده طبر، وشهر بدين وعلم. فلما كان هذا اليوم تحزم وقال: «أنا رايح أجاهد في سبيل الله وأموت شهيداً»، وسار من خانكاه سعيد السعداء إلى قلعة الجبل، والأمراء جلوس على باب القلعة، فرأى رجلاً من المسلمين قد تبع بعض الكتاب النصاري وقبل يده والنصراني لا يعبأ به، فحرق منه وضرب النصراني بالطير فهدل كتفه وثنى عليه. فارتجت القلعة، واجتمع الناس وقبضوه، فاشتد غضب السلطان، وأمر به فضرب عنقه على باب القلعة.

وفي ثالث عشرينه: قدم البريد بوفاة نجم الدين أحمد بن محمد بن صصري^(١) قاضي القضاة الشافعية بدمشق، فاستقر عوضه قاضي القضاة جمال الدين سليمان بن عمر الزرعي^(٢)، واستقر عوضه في تدريس المدرسة المنصورية القاضي تقي الدين السبكي،

(١) أحمد بن محمد بن سالم، أبو المواهب، نجم الدين بن صصري: قاض من الكتاب له نظم. وكان من العلماء بالحديث. من أهل دمشق. عمل في دار الإنشاء وولى قضاء القضاة سنة ٧٠٢هـ إلى أن مات بحماة. انظر فوات الوفيات ٦٢/١ والدرر الكامنة ٢٦٣/١ والبدر الطالع ١٠٦/١ والأعلام ٢٢٢/١.

(٢) سليمان بن عمر بن سالم الزرعي، جمال الدين، أبو الربيع: قاض القضاة. من فقهاء الشافعية. أصله من المغرب. ولد بأذرعات وتعلم بدمشق وولى قضاء أدرع ثلاث عشرة سنة. ثم ناب في الحكم بدمشق سبع سنين وانتقل إلى مصر فناب في الحكم سبعا أيضاً، ثم ولى القضاء استقلالاً، نحو سنة، وعاد إلى دمشق فولى القضاء ومشيخة الشيوخ مدة ثم عزل فتوجه إلى مصر فولى بها التدريس وقضاء العسكر، وتوفى بها. انظر الدرر الكامنة ١٥٩/٢ والبدية والنهاية ١٦٧/١ والنجوم الزاهرة ٣٠٤/٩ والأعلام ١٣١/٣.

وفى تدريس الجامع الحاكمى الشيخ شمس الدين محمد بن عدلان (١).

وفيه قدم الأمير أيتمش الحمدي من عند أبى سعيد، وقد عقد الصلح بينه وبين السلطان، وخطب بذلك فى يوم الجمعة بمدينة توريز على منبر الجامع، وقد حمل الأمير أيتمش معه نسخة الأيمان التى تتضمن حلف أبى سعيد وجوبان والوزير، وما أنعم به عليه أبو سعيد: وهو ما قيمته نحو المائتى ألف درهم، ولؤلؤاً اشتراه بأربعين ألف درهم قوم بمائة ألف. وقدم أيتمش ذلك كله للسلطان، وحلف ألا يدخل فى ملكه، فقبله منه وأنعم عليه بمائة ألف درهم، وحمل له كريم الدين عشرين ألف درهم من عنده.

وفى يوم الخميس سلخ ربيع الأول: قبل الظهر ولد للسلطان ولد ذكر من حظيته طغاي سماه آنوك.

وفيه وقف بعض بزدارية السلطان وشكا أن أحد أجناد الأمير بكتمر الحاجب تزوج بامرأته من غير أن يكون قد طلقها، وأنه رشا الشهود حتى فعلوا له ذلك. فكشف علم الدين الخازن والى القاهرة عن قوله فتبين كذبه، وأنه طلق المرأة وانقضت عدتها ثم تزوجت بالجندي. فتعصب الأمير بكتمر على البازدار لظهور كذبه، فحنق السلطان وأمر الوالى بتعزيز (٢) الشهود ومنعهم من تحمل الشهادة، وإلزام الجندي بطلاق المرأة وردھا إلى البازدار، فكان هذا من الأمور الشنيعة.

وفيه قبض على القاضى كريم الدين عبد الكريم بن العلم بن هبة الله بن السديد (٣) ناظر الخاص ووكيل السلطان، فى يوم الخميس رابع عشره ربيع الآخر، بعدما تجهز ليسافر فى يوم الجمعة خامس عشره إلى الشام. فعندما طلع إلى القلعة على العادة، ووصل إلى الدرگاه، منع من الدخول إلى السلطان، وعوّق بدار النيابة هو وولده علم الدين عبد الله وكريم الدين أكرم الصغير ناظر الدولة. ووقعت الحوطة على دور كريم

(١) محمد بن أحمد بن عثمان بن إبراهيم بن عدلان بن محمود بن لاحق بن داود، شمس الدين الكنانى: فقيه شافعى مصرى. ناب فى الحكم عن ابن دقيق العيد، وأرسل إلى اليمن فى أيام الناصر محمد بن قلاوون. وتوفى بالطاعون بمصر. له «شرح مختصر المزنى، فى فقه الشافعية».

(٢) التعزيز تأديب المذنب على ذنب لم تشرع فيه الحدود بعقوبة ثابتة.

(٣) عبد الكريم بن هبة الله بن السديد المصرى، كريم الدين، أبو الفضائل: مدير دولة الناصر القلاوونى. قبضى الأصل، كان اسمه «أكرم» وأسلم كهلا فتسمى «عبد الكريم» وقرره الناصر فى نظر شؤونه الخاصة، وهو أول من سمي «ناظر الخاص» وأطلقت يده فى جميع أعمال الدولة، فتجاوز حده، وانتهى أمره بالنفى إلى «أسوان» وشنق فيها بعمامته، وقد قارب السبعين. انظر الدرر الكامنة ٤٠١/١ وفوات الوفيات ٤/٢ والأعلام ٥٧/٤.

الدين الكبير خاصة التي بالقاهرة وبركة الفيل، ونزل شهود الخزانة بولده إلى داره ببركة الفيل، وحملوا ما فيها إلى القلعة. وتوالت مصادرتة، فوجد له شيء كثير جداً: من ذلك قماش وبرد وطرز وحوايص قيمتها زيادة على ستين ألف دينار، وقند وسكر زنته ثمانون ألف قنطار، وعسل عدة ثلاثة وخمسين ألف مطر^(١)، وصناديق بها مسك وزعفران وعنبر وعود ولبان وغير ذلك عدة أحد وأربعين صندوقاً. وأبيعت داره التي على بركة الفيل للأمير سيف الدين طقتمر بثلاثة عشر ألف دينار. وحمل ماله في الإسكندرية، وكان خمسين ألف دينار، ومن أصناف المتجر شيء كثير جداً، ومنه ثمانون ألف قطعة خشب، ومائة وستون ألف قنطار رصاص، وبلغت قيمة الأصناف التي له في الإسكندرية خمسمائة ألف دينار. ووجد له بدمشق ألف ألف وستمائة ألف درهم، وخمسة وعشرون ألف دينار. وبلغت قيمة أوقافه ستة آلاف ألف درهم.

وفي يوم السبت سلخه: قبض على كريم الدين الصغير، وسبب أنه امتنع من أن يتحدث في الخاص والمتجر ويدبر الأمور كلها بعد القبض على خاله كريم الدين الكبير.

وفيه نقل كريم الدين الكبير وولده علم الدين إلى البرج المرسوم للمصادردين بباب القرافة من القلعة، وطولب بالحمل. وعوق بالقلعة ناصر الدين شاد الخاص، والمهذب العامل^(٢)، وغيره لعمل حساب كريم الدين. وكان سبب نكبتة حسد الأمراء وغيرهم له على تمكنه من السلطان وسعة ماله وكثرة عطائه، فوشوا به إلى السلطان أنه يتلف الأموال السلطانية بتفريقها؛ ليقال عنه إنه كريم. واتفق مع ذلك أن كريم الدين أكرم الصغير كان له اختصاص بالأمير أرغون النائب، فأكثر من شكاية كريم الدين الكبير، وأنه يمنع من تحصيل الأموال. وكان أكرم الصغير ظلوماً غشوماً، يريد أن يمد يده إلى ظلم الناس، فيمنعه كريم الدين. فبلغ النائب السلطان شكوى أكرم الصغير مراراً، فأثر في نفسه ذلك. وصار السلطان يرى عند الخاصكية من الملابس الفاخرة والطرز الزركش، وعند نسائهم من الملابس والحلى ما يستكثره، فإذا سأل عنه قيل له هذا من كريم الدين، فتصغر نفسه عندهم لأنه لا يعطيهم قط مثل ذلك. ولما حضر عرب البحرين بالخييل قومت بألف ألف ومائتي ألف درهم، سلمها كريم الدين إليهم بجملتها فيما بين بكرة النهار إلى الظهر، وعادوا إلى السلطان وقد دهشوا، فإنه كان أخرج إليهم

(١) على هامش ط: المطر - مكيال للسوائل عامة.

(٢) العامل هو الذي ينظم الحسنات ويكتبها.

شكائر^(١) ما بين ذهب وفضة. فلما قال لهم السلطان: «قبضتم». قالوا: «نعم!»، قال: «لعله تأخر لكم شئىء؟»، فقالوا: «وحياتك! عند كريم الدين مال فى خزانة إذا أخرج منه مدة شهر ما يفرغ». فتحرك السلطان لذلك، وقال لبكمر الساقى: «سمعت قول العرب أنه دفع هذا القدر فى يوم واحد، والخزانة ملائنة ذهباً وفضة؟ وأنا أطلب منه ألفى دينار فيقول ما تم حاصل!». وتبين الغضب فى وجه السلطان، فأخذ بكمر يتلطف به وهو يجتد إلى أن قبض عليه.

وفى يوم السبت سابع جمادى الآخرة: نقل تاج الدين بن عماد الدين بن السكرى من شهادة الخزانة إلى نظر بيت المال، وخلع عليه بطرحة. وفيه نقل علاء الدين بن البرهان اليرلسى من نظر بيت المال إلى نظر خزائن السلاح، وخلع عليه.

وفى رابع عشره: قدمت رسل أبى سعيد لتحليف السلطان على الصلح، ومعهم هدية ما بين بخاتى وأكاديش وتحف، فقرأ كتابه بوقوع الصلح، ثم سفروا بهدية سنوية - بعدما غمرهم إحسان السلطان - فى ثمانى عشرية.

وفيه قدم الحمل من عند متملك سيسى صحبة رسوله، ومعه جواهر ثمينة، واعتذر الرسول عما كان من متملك سيسى، واستأذن فى عمارة أياس، على أن يحمل فى كل سنة مائة ألف درهم، فأجيب إلى ذلك.

وفيه قدم موسى بن مهنا^(٢) وعمه محمد بالقوقد على العادة، وخيول كان السلطان استدعى بها. وسبب ذلك وقوع الصلح مع أبى سعيد، فضاقت بهم البلاد، فأكرمهما السلطان وأنعم عليهما، وأعادهما إلى بلادهما.

وفيه وقعت مرافعة بين فرج وعلى ولدى قراستقر، بسبب دخيرة لأمهما تبلغ نحو المائتى ألف درهم، فأخذها السلطان منهما.

وفيه قدم الجحد السلامى من الشرق، وقدم مقدمة جلييلة، فرتبت له الرواتب السنوية، وكتب له مسموح بمبلغ خمسين ألف درهم فى السنة، ومرسوم بمساححة نصف المكس عن تجارته، وعاد إلى تورييز.

(١) على هامش ط: جمع شكاراة وهى كيس النقود.

(٢) موسى بن مهنا بن عيسى بن مهنا بن مانع الطائى: رئيس آل فضل من أمراء بادية الشام ويلقب مظفر الدين. ولى الإمارة بعد موت أبيه واستمر إلى أن توفى بتدمر. قال: بن تغرى بردى: كان من أهل ملوك القرب. انظر ابن خلدون ٤٣٩/٥ والبداية والنهاية ١٩٣/١٤ والنجوم الزاهرة ٧٦/١٠ والأعلام ٣٢٩/٧.

وفيه قبض على جماعة من المماليك، ووعقوا بسبب ورقة وجدت تحت كرسي السلطان فيها سبه وتوبيخه، وأخرج منهم عدة إلى بلاد، وسجن منهم جماعة.

وفي سادس عشره: استقر الأمير علاء الدين مغلطاي الجمالي أستاذاراً، عوضاً عن الأمير سيف الدين بكتمر العلائي، وخرج بكتمر إلى دمشق. وكان ذلك بسبب أنه استخدم طباح كريم الدين الكبير في مطبخ السلطان، فأنكر عليه السلطان ذلك وقال له: «تستخدم طباح رجل قد عزلته وصادرتة في مطبخي؟» وأخرج أيضاً الأمير سنقر السعدى نقيب المماليك إلى طرابلس^(١).

وفيه أفرج عن كريم الدين أكرم الصغير، ورسم له أن يتحدث في الأموال السلطانية كلها بغير مشارك، فامتنع من ذلك، فعزل عن نظر الدواوين. ثم خلع عليه واستقر صاحب ديوان الجيش، عوضاً عن معين الدين بن حشيش، وخلع على معين الدين بنظر الجيش بالشام.

وفيه ولى السلطان نظر الخاص تاج الدين إسحاق أحد نظار الدواوين، وتسمى لما أسلم عبد الوهاب، ورسم ألا يتحدث في متجر. وكان سبب ولايته أن السلطان لما قبض كريم الدين الكبير بعث إليه أن يعين من يصلح لنظر الخاص، فعين التاج، وباشر التاج الخاص بسكون زائد وسياسة جيدة إلى أن مات.

وفيه طلب الصاحب أمين الدين عبد الله بن الغنام من القدس.

وفي ليلة الثالث والعشرين من جمادى الآخرة: سفر كريم الدين أكرم الصغير على البريد إلى صغد.

وفي يوم الأربعاء رابع عشره: أفرج عن كريم الدين الكبير وولده، وألزم بالإقامة في تربته من القرافة، وكان له يوم عظيم جدا، وأتاه الناس من كل مكان.

وفيه استقر الأمير جمال الدين أقوش نائب الكرك^(٢) في نظر المارستان، عوضاً عن كريم الدين الكبير، فوجد حاصله أربعمئة ألف درهم، سوى سكر وغيره قيمته مائة ألف درهم.

وفيه استقر الأمير سيف الدين قجليس في نظر جامع ابن طولون، عوضاً عن كريم الدين الكبير أيضاً.

(١) انظر معجم البلدان ٤/٢٥، ٢٦.

(٢) قرية في أصل جبل لبنان. انظر معجم البلدان ٤/٤٥٢.

وفيه خرج الطلب لإحضار شمس الدين غبريال من دمشق، فركب ومعه أموال كثيرة، ثم خول أموال كريم الدين الكبير، وعاد إلى دمشق مكرما.

ثم قدم صاحب أمين الدين يوم الأحد رابع عشر ربيع الآخر، وقرر فى الوزارة، وجلس بقلعة صاحب من القلعة، ونزل إلى داره، فكان يوما مشهودا. واستقر فى نظر النظار شرف الدين إبراهيم بن زنبور، واستقر عوضه فى استيفاء الصحبة شمس الدين إبراهيم بن قروينة صهر صاحب أمين الدين، فصار نظر النظار بين القاضى موفق الدين هبة الله بن سعيد الدولة إبراهيم وبين ابن زنبور. وشفى صاحب أمين الدين نفسه من كريم الدين أكرم الناظر، وأحرق به.

وفى يوم السبت سلخ ربيع الآخر: قبض على كريم الدين الصغير، واعتقل بارج فى القلعة، فشرع فى حمل المال، ثم أفرج عنه سلخ جمادى الأولى، ورسم له بنظر صنفد، فتوجه إليها ليلة الإثنين رابع عشر جمادى الآخرة.

وفيه قدم شمس الدين غبريال، ومعه حمل دمشق ألف وستمئة ألف درهم، ومن الذهب مبلغ خمسة وعشرين ألف دينار من حاصل كريم الدين ومتاجره.

وفى يوم السبت تاسع عشر جمادى الآخرة: أخرج كريم الدين الكبير وولده إلى الشوبك، بعدما أشهد عليه أن جميع ما وقفه من الأملاك وغيرها إنما اشتراه من مال السلطان دون ماله. فأبقى السلطان أوقاف الخانكاه بالقرافة، وأوقاف الجامع بدمشق، وأعيد غبريال إلى دمشق على عادته.

وفيه توجه التاج إسحاق والأمير علاء الدين مغلطاي الجمالى إلى الإسكندرية، واحتاطا على أموال كريم الدين الكبير، وكانت تحت يد مكين الترجمان، وقد أخذ المكين منها ثلاثة وخمسين ألف دينار، فاستقر التاج إسحاق يتحدث فى متجر الخاص. وعاد التاج إسحاق - ومعه الأمير مغلطاي - فأوقع الحوطة على أموال التجار، وألزم ابن المحسنى متولى الثغر بخمسين ألف دينار، ورسم على سائر المباشرين، وصادر الناس، فغلقت المدينة وبلغ السلطان ذلك فأنكره، وأفرج عن ابن المحسنى بعدما أخذ منه مبلغ اثنى عشر ألف دينار، وعاد الأمير علاء الدين مغلطاي الجمالى بستين ألف دينار من المصادر.

وفيه كان عرس أمير على بن أرغون النائب على ابنة السلطان، فى يوم الإثنين ثامن عشر شعبان. وقد اعتنى السلطان بجهازها عناية عظيمة، وعمل لها بشخاناها وستارة وداير بيت زرکش بمبلغ ثمانين ألف دينار، وآلات ذهب وفضة بما ينيف على عشرة

آلاف دينار. وعمر السلطان لها مناظر الكيش عمارة جديدة، ونقل الجهاز إليها، ثم نزل بنفسه حتى نصب الجهاز. وعمل المهم مدة ثلاثة أيام، حضره نساء الأمراء بتقادمهم: وهى ما بين أربعمئة دينار - سوى تعابى القماش - إلى مائتى دينار. وكان فيه ثمانى جوق من مغانى القاهرة، وعشرون جوقة من جوارى السلطان والأمراء، خص كل جوقة من جوق القاهرة خمسمئة دينار ومائة وخمسون تفصيلة حرير، ولم يحصر ما حصل لجوارى السلطان والأمراء لكثرتة. فلما انقضى المهم بعث السلطان لكل من نساء الأمراء تعبية قماش على قدرها، وعم جميع الأمراء بالخلع، وفضل من الشمع بعدما استعمل منه مدة العرس ألف قنطار مصرى. وأنعم السلطان على الأمير أرغون النائب بمنية بنى خصيب، زيادة على إقطاعه.

وفيه قبض على الأمير طشتمر حمص أخضر الساقى، وفرج بن قراسنقر، وكرت، وعدة من المماليك. ثم أفرج عن طشتمر من يومه، ونفى كرت إلى صفد^(١)، وبقي فرج ابن قراسنقر بالجلب.

وفيه هبت ريح سوداء حارة بدمشق، مات منها جماعة من الناس فجأة، وفسدت الثمار وجفت المياه، فتحسن سعر الغلال. ثم وقع مثل ذلك بالقاهرة ومصر، فتغيرت أمزجة الناس، وفشت الأمراض، وكثر الموت مدة شهر، وفسدت الثمار، وتحسن السعر لهيف الغلة وقلة وقوعها.

وفيه قدم الأمير بكتمر الحسامى من دمشق، فولى الإسكندرية وتوجه إليها، فأراق الخمر بها، ومنع من بيعها، وجعل أجرة النقيب نصف درهم، وتثبت فى البيئات، وحمل الناس على الأمور الشرعية. فاستخفوا به وطمعوا فيه، وكثر فسادهم، فأحدث عليهم غرامات يقومون بها إذا تبين الحق عليه، فكان الرجل إذا شكأ يجيبى منه من مائتى درهم إلى ما دونها، وضرب جماعة منهم فخضعوا له.

وفيه توجه قاضى القضاة بدر الدين محمد^(٢) بن جماعة والأمير آل ملك إلى الحج، فى سادس شوال. وتوجه الأمير بيبرس الدوادار نائب السلطنة فى حادى عشره، ومعه حاج كثير، ورحل المحمل ببقية الحاج فى ثامن عشره من البركة. وتوجه الفخر ناظر الجيش

(١) انظر معجم البلدان ٤١٢/٣.

(٢) محمد بن أبى بكر بن عبد العزيز بن محمد أبو عبد الله عز الدين الكنانى الحموى ثم المصرى، الشافعى المعروف كسلفه بابن جماعة عالم بالأصول والجدل واللغة والبيان. أصله من الحماه ومولده فى ينبع وانتقل إلى القاهرة وسكنها وتلمذ لابن خلدون وتوفى بالطاعون. وله كتب منها «إعانة الإنسان أحكام السلطان».

فى ثانى عشره إلى القدس؛ ليتوجه منه إلى الحج. وكانت عدة ركوب الحاج من مصر ستة ركوب، على كل ركب أمير.

وفيه استقر بلبان العترى فى ولاية البحيرة، عوضاً عن أسندم القلنجقى.

وفيه استقر قدادار مملوك برلغى فى ولاية الغربية.

وفى أول ذى الحجة: خرج الأمير علاء الدين على بن قراسنقر، والأمير سيف الدين أيدم الكبكى، والأمير طقصابى المرتبة فديته بقوص، وخمسمائة من أجناد الحلقة إلى بلاد النوبة، ومعهم كرنبس. فانتهوا إلى دمقلة^(١) - وكان قد تغلب كنز الدولة عليها، ونزع كرنبس - ، ففر كنز الدولة منهم، وجلس كرنبس على سرير ملكه وعادوا، فحارب كنز الدولة كرنبس بعد عود العسكر، وملك منه البلاد.

وفيه صرف معين الدين بن حشيش عن ديوان الجيش، ونقل إلى دمشق، وأشرك بينه وبين القطب ابن شيخ السلامية فى نظر الجيش بها.

وفيه ابتداء السلطان بعمارة القصور بناحية سرياقوس فى آخر ذى الحجة.

وكان قاع النيل فى هذه السنة ستة أذرع ونصف، وكان الوفاء يوم الأربعاء سادس شعبان، وسابع عشر مسرى، وانتهت الزيادة فى سابع عشر رمضان إلى ثمانية عشر ذراعاً وستة أصابع. وخرق الماء ناحية بستان الخشاب، ودخل إلى بولاق، وغرق بساتين. وانقطعت الطريق من جهة اللوق، وغرق الخور، وانهدمت عدة بيوت، وغرقت المنية وجزيرة الفيل، فركب السلطان بنفسه لعمل جسر. ثم قويت الزيادة، وفاض الماء على منشأة المهرانى ومنشأة الكتبة، وصار ما بين بولاق ومصر مجرماً واحداً. وأمر الناس برمى التراب فى ناحية بولاق، وكثر الخوف من غرق القاهرة، واشتد الاحتراس. وطلب الفقراء للعمل، فبلغت أجره الرجل فى كل يوم ما بين درهم إلى ثلاثة دراهم، لعزة وجود الرجال واشتغالهم عند الناس فى نقل التراب. ونزت أماكن كثيرة، وغرقت الأقطاب ببلاد الصعيد، وتلف القلقاس والنيلة وعدة مطاير بها الغلال. وكسب لسائر الولاة بكسر جميع الترع والجسور وتصريفها إلى البحر الملح، فثبت الماء ثلاثة وأربعين يوماً، ثم نزل قليلاً قليلاً. فاستدعى السلطان المهندسين، ورسم بعمل جسر يحجز الماء عن القاهرة لثلاث ترع فى نيل آخر، وألزم أرباب الأملاك المطلّة على النيل بعمارة الزرابى^(٢)، فعمل كل أحد تجاه داره زربية. واستدعى الأمراء فلاحهم من

(١) بضم أوله وسكون ثانيه وهى مدينة كبيرة فى بلاد النوبة. انظر ٤٧٠/٢.

(٢) جمع زربية وهى هنا - فيما يظهر - ما بينيه أصحاب البيوت المطلّة على النيل من حوائط =

النواحي، فحضرُوا بالأبقار والجراريف. وعمل الجسر من بولاق إلى منية الشيرج، ووزع بالأقصاب على الأمراء، فنصب كل أمير خيمة وخرج برجاله للعمل. ونصبت لهم الأسواق، حتى كمل الجسر في عشرين يوماً، وكان ارتفاعه أربع قصبات في عرض ثمانية.

وفيه قدم البريد بموت تكفور متملك سيس، وإقامة ولده بعده، ثم قدمت رسله بالهدية.

وفيه قدم الشريفان عطيفة أمير مكة وقتادة أمير ينبع^(١).

* * *

ومات في هذه السنة من الأعيان

المجاهد أنص ابن العادل كتبغا، بعد ما عمى من سهم أصابه، في يوم الإثنين ثاني المحرم، وكان سمحا ذكيا متقدما في رمى البندق.

ومات تاج الدين أحمد بن مجد الدين على بن وهب بن مطيع بن دقيق العيد الشافعي، في عشرين ذى الحجة، ومولده في ربيع سنة ست وثلاثين وستمئة. وكان فقيها فاضلا في مذهبي الشافعي ومالك، سمع الحديث وحدث، وولى الحكم بغرب قمولا^(٢) وبقوص، وكان كثير العبادة.

ومات قاضى القضاة بدمشق نجم الدين أبو العباس أحمد بن العماد^(٣) محمد ابن الأمير سالم بن الحافظ بهاء الدين الحسن بن هبة الله بن محفوظ بن صصرى التغلبى الدمشقى الشافعي، في ليلة السبت سادس عشرين ربيع الأول، ومولده في سابع عشرين ذى القعدة سنة خمس وخمسين وستمئة، وولى القضاء إحدى وعشرين سنة، وقدم القاهرة

=لحماية بيوتهم من فعل الماء ومن سلام لتسهيل الوصول من تلك البيوت إلى النهر كما هو متبع في البيوت الباقية على شواطئ النيل بدمياط وسمنود ورشيد. هذا وقد عرفت الزيرية بأنها باب السر.

(١) ينبع بين مكة والمدينة. انظر معجم البلدان ٤٤٩/٥، ٤٥٠.

(٢) هى بليدة بأعلى الصعيد من غربى النيل. كثيرة النخل. انظر معجم البلدان ٣٩٨/٤.

(٣) أحمد بن محمد بن سالم أبو المواهب نجم الدين بن صخرى: قاض من الكتاب له نظم وكان من العلماء بالحديث. ومن أهل دمشق. عمل فى دار الإنشاء، وولى قضاء القضاة سنة ٧٠٢هـ إلى أن مات بحماة. ولشعراء عصره مدائح فيه كثيرة ورثاه بعد موته شهاب الدين محمود وآخرون، وأورد ابن شاکر أبياتاً منسوبة إليه، فيها رقة وخرج له العملاسمى «وشيوخه». انظر فوات الوفيات ٦٢/١ والدرر الكامنة ٢٦٣/١ والبدر الساطع ١٠٦/١ والأعلام ٢٢٢/١.

مرارا، وقرأ القراءات السبع، وسمع الحديث، وكتب الخط المليح، وبرع فى الأدب والتاريخ، وقال الشعر، وشارك فى فنون من فقه وتفسير وغيره.

ومات أحمد بن محمد بن على بن أبى بكر بن حميس الأنصارى المغربى، فى يوم الأحد سابع عشر شعبان بمصر، ومولده بالجزيرة الخضراء من الغرب، فى المحرم سنة ست وأربعين وستمائة. وكان صاحب فنون وصلاح ودين وشعر جيد.

ومات نجم الدين محمد بن عثمان بن الصفى البصرى الحنفى الوزير صاحب. ولى حسبه دمشق ثم وزارتها، ثم صار من الأمراء.

ومات كمال الدين عبد الرزاق بن أحمد بن محمد بن أحمد بن الفوطى^(١) البغدادى المؤرخ، فى المحرم ببغداد.

ومات تاج الدين ناهض بن مخلوف، أخو قاضى القضاة زين الدين على بن مخلوف المالكى، فى يوم الأربعاء ثامن عشر المحرم بمصر.

ومات السنى ابن ست بهجة، يوم الأحد خامس عشرى ذى الحجة، وكان من أعيان الكتاب بمصر.

ومات بهاء الدين القاسم بن مظفر بن محمود بن تاج الأمناء أحمد بن محمد بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله بن عساكر، فى خامس عشرى شوال، ومولده سنة تسع وعشرين وستمائة. سمع وحدث وصار مسند الشام.

* * *

(١) عبد الرزاق بن أحمد بن محمد الصابونى المعروف بابن الفوطى المروزى الأصل، الشيبانى البغدادى أبو الفضل كمال الدين: مؤرخ، يعد من الفلاسفة من ولد معن بن زائدة الشيبانى. ولد فى بغداد وأسر فى واقعته مع التتار. فخلصه نصير الدين الطوسى. وقرأ على الطوسى الحكمة والآداب وباشتر خزانة الرصد لمراعاة زهاء عشرة أعوام وعاد إلى بغداد سنة ٦٧٩هـ فصار خازن كتب «المستنصرية» زمنا. وأقام مدة طويلة.

سنة أربع وعشرين وسبعماية

أهل الحرم يوم الجمعة ثالث شهر طوبة: فقدم الفخر ناظر الجيش من الحجاز عشية الأحد ثالثه.

وفي يوم الأربعاء سادسه: نودى على الفلوس أن يتعامل الناس بها بالرطل، على أن كل رطل منها بدرهمين، ومن عنده منها شىء يحضره إلى دار الضرب، ويأخذ عنها فضة. ورسم بضرب فلوس زنة الفلوس منها درهم وثمان، فبضرب منها نحو مائتى ألف درهم فرقت على الصيارف. وكان سبب ذلك كثرة ما دخل فى الفلوس من الزغل، حتى صار وزن الفلوس نصف درهم. فتوقف الناس عن أخذ الفلوس، وكثر ردها وعقوبة الباعة على ذلك بالضرب والتجريس إلى أن فسد الحال، وغلقت الحوانيت، وارتفعت الأسعار، وبلغ القمح بعد عشرة دراهم الأردب إلى سبعة عشر درهما.

وفي يوم السبت تاسعه: وصل الأمير سيف الدين طشتمر حمص أخضر الساقى من الحجاز، وصحبته جماعة - وكان قد سافر بعد الإفراج عنه - ، وأنعم عليه بألفى دينار وغللال كثيرة، وعمل له السلطان عند قدومه اثنتى عشرة بدلة وثلاثة حوائض وطرز زركش، وأنعم عليه بمال جزيل. وتتابع قدوم الحاج حتى قدم المحمل فى خامس عشره.

وفيه توجه الأمير أرغون النائب إلى منية بنى خصيب^(١)، فشكا أهلها من مباشريهم، فلم يسمع لهم وأمر بضربهم، فرجموه بالحجارة وأنكوا فى مماليكه وغللمانه. فركب عليهم أرغون ليفتك بهم، ففروا من عند الوطاق خارج البلد إلى داخل البلد، فأخذ مماليكه من عمائم الهاربين نيفا على ثلاثمائة وستين عمامة زرقاء من عمائم النصارى، فلما استكثر ذلك قيل له إن بها كثيراً من النصارى، ولهم خمس كنائس، فهدمها فى ساعة واحدة، ورسم ألا يستخدم نصرائى فى ديوانه، وكان النصارى قد جددوا عمارة ما خرب من الكنائس بالصعيد، فهدمت أيضاً.

وفي يوم الجمعة: هبت ريح والناس فى الصلاة، حتى ظن الناس أن الساعة قامت، واستمرت بقية النهار وطول الليل، فهدم بها دور كثيرة، وامتألت الأرض بتراب أسود.

(١) منية بنى الخصيب مدينة كبيرة حسنة كثيرة من الأهل والسكن على شاطئ النيل فى الصعيد الأدنى. انظر معجم البلدان ٤٢١٨/٥.

وخرجت ريح شديدة ببلاد قوص^(١) إلى أسوان^(٢)، واقتلعت في ليلة واحدة أربعة آلاف نخلة، وخربت الديار.

وفيه قدمت رسل المجاهد سيف الدين بن علي ملك اليمن بطلب نجدة من مصر، فلم يجب إلى ذلك.

وفيهما قحطت بلاد الشرق، فقدمت طوائف إلى بلاد الشام، وكان الجراد قد أتلف زروعها، فبلغت الغرارة بدمشق إلى مائتي درهم. فجهز الأمراء من مصر الغلال الكثيرة في البحر إلى بيروت^(٣) وطرابلس، فكان ما حمل من جهة السلطان والأمراء نحو عشرين ألف أردب سوى ما حملة التجار، فانحط السعر حتى أبيعت الغرارة بثمانين درهما. وكتب بإبطال مكس الغلة بالشام، وهو على كل غرارة ثلاثة دراهم، وكانت تبلغ في كل سنة ألف ألف ومائتي ألف درهم، فبطل ذلك واستمر بطلانه.

وفيه عزل جمال الدين سليمان الزرعي عن قضاء القضاة بدمشق، واستمر عوضه جلال الدين محمد القزويني، بعد استدعائه إلى القاهرة في يوم الأحد حادي عشر جمادى الأولى، وقدمه في يوم الجمعة ثالث عشره. فلما اجتمع القزويني بالسلطان أقبل عليه وصلى به الجمعة، ونزل إلى خانكاه سعيد السعداء، ثم ولاه قضاء القضاة بدمشق، وخلع عليه يوم الجمعة ثالث عشر جمادى الآخرة وسافر القزويني على البريد يوم الإثنين رابع عشره، فقدم دمشق خامس رجب، وكان عليه ديون اجتمعت عليه بسبب مكارمه، وهي ألف دينار ومائة وستون ديناراً، فأعطاه السلطان ما وفى به ديونه.

وفيه كتب باستقرار كمال الدين محمد بن علي الزملكاني في قضاء حلب، عوضاً عن زين الدين عبد الله بن محمد بن عبد القادر الأنصاري.

وفيه توجه السلطان إلى الصيد بالبحيرة، فاصطاد نحو المائتي غزال بالحياة - سوى ما قتل - ، وجرح كثيرا منها وأطلقها.

وفي يوم الأربعاء سابع عشر ربيع الأول: توجه الأمير سيف الدين قطلوبغا المغربي؛ لإحضار كريم الدين الكبير وولده من المقدس، فلما كان يوم الخميس خامس عشره حضرا على البريد تحت الحوطة، فسلما إلى الأمير قجليس، فأقاما عنده إلى يوم حادي عشر ربيع الآخر، ثم طلعا إلى قلعة الجبل، وطولبا بالمال.

(١) قوص مدينة كبيرة عظيمة واسعة في الصعيد. انظر معجم البلدان ٤/٤١٣.

(٢) أسوان مدينة كبيرة وكورة في الصعيد. انظر معجم البلدان ١/١٩١.

(٣) بيروت. انظر معجم البلدان ج١.

وفيه تنكر الحال بين الأميرين تنكر نائب الشام والأمير الطنبغا نائب حلب.

وفي يوم الخميس عاشر ربيع الآخر: حضر كريم الدين أكرم الصغير على خيل البريد من صفد إلى قلعة الجبل، فعوق ببرج باب القرافة.

وفي يوم الجمعة ثامن عشره: سفر كريم الدين بكمتر وولده إلى الوجه القبلى، صحبة والى قوص.

وفي يوم الإثنين ثامن عشره: أفرج عن كريم الدين أكرم الصغير، ونزل إلى بيته.

وفي ليلة الأحد خامس عشر جمادى الأولى: طلع القمر مخسوفاً بالسواد.

وفيه قدم منسا موسى ملك التكرور يريد الحج، وأقام تحت الأهرام ثلاثة أيام فى الضيافة. عدى إلى بر مصر فى يوم الخميس سادس عشرى رجب، وطلع إلى القلعة ليسلم على السلطان، وامتنع من تقبيل الأرض، فلم يجبر على ذلك، غير أنه لم يمكن من الجلوس فى الحضرة السلطانية. وأمر السلطان بتجهيزه للحج، فنزل وأخرج ذهباً كثيراً فى شراء ما يريد من الجوارى والثياب وغير ذلك، حتى انحط الدينار ستة دراهم.

وفي يوم الخميس ثامن رمضان: عزل الصاحب أمين الدين عبد الله بن الغنام عن الوزارة، ولزم بيته. واستقر عوضه الأمير علاء الدين مغلطاي الجمالى وزيراً، مع ما بيده من الأستادارية، فى يوم السبت عاشره.

وفيه استقر شهاب الدين بن الأقفهسى فى نظر الدواوين، عوضاً عن الموفق، وعن شرف الدين بن زنبور. وولى مجد الدين إبراهيم بن لفيفة نظر البيوت، عوضاً عن الأقفهسى المذكور. ثم قدم شمس الدين غريال من دمشق باستدعاء فى أثناء شهر رمضان، فاستقر ناظر الدواوين ووزير الصحة ونائب الوزارة، فى يوم الجمعة ثانى عشرى رمضان يوم وصوله.

واستقر فى يوم الجمعة ثالث عشرى رمضان الأمير سيف الدين قدادار فى ولاية القاهرة، عوضاً عن علم الدين سنجر الخازن - نقل إليها من ولاية البحيرة - ، ففتك فى العامة، ومنع من الخمر وأراقها، فعظمت مهابته.

وفيه عزل علم الدين سنجر الحمصى من شد الدواوين، وولى الجيزة نحو شهرين، ثم أخرج إلى طرابلس شاد الدواوين بها.

وفيه استقر علاء الدين أيدغدى باشقردى بمصر، عوضاً عن علاء الدين ابن أمير حاجب.

وفيه استقر ابن زنبور فى نظر خزائن السلاح، عوضا عن علاء الدين على^(١) بن البرهان إبراهيم أحمد بن ظافر البرلسى. واستقر ابن البرلسى فى نظر بيت المال، عوضا عن تاج الدين بن السكرى، واستقر ابن السكرى شاهد الخزانة الكبرى.

وفيه استقر كريم الدين أكرم الصغير فى نظر الشام، عوضا عن غبريال، فى يوم السبت رابع عشرى رمضان، وخرج على البريد يوم الإثنين سابع عشرى شوال. وفى يوم السبت ثانى عشرى شوال: فتحت الحمام بقرب رحبة الأيدمرى، وقد جددتها الأمير الحاج آل ملك.

وفى يوم الثلاثاء ثامن عشرىه: رحل الراكب من بركة الحاج إلى الحجاز. وفى يوم الإثنين ثامن ذى القعدة: قدمت رسل أبى سعيد بسبب المصاهرة مع السلطان، فأعيدوا بعد إكرامهم.

وفيه رسم بإغلاق دكاكين الشباب، وهدم مرامى الشباب.

وفيه فشت الأمراض فى الناس بالشام ومصر والصعيد، وكثر الموت السريع. ومرض السلطان ثمانية عشر يوما وعوفى، فعملت التهانى والأفراح سبعة أيام، وكتب بالبشارة إلى الأعمال على يد الأمير قطلوبغا المغربى، فحصل له ستة آلاف دينار وثلاثون فرسا وثلاثمائة قطعة قماش وست خلع كاملة بجوائز ذهب، فلما حضر أنعم عليه السلطان بعد ذلك بتشريف.

وفىها أخرج الأقوش المنصورى أميرا بدمشق. وسبب ذلك مرافعة ولده حتى قبض عليه يوم الجمعة سادس عشرى رجب، ثم أفرج عنه فى سلخه، ورسم له بإمرة فى حلب، فخرج على البريد فى عشية نهاره.

وفى سادس عشرى رجب: استقر الأمير ألتنقش أستاذاراً، عوضا عن الأمير جمال الدين يغمور بعد موته، وكانت وفاة الأمير يغمور فى خامس عشرى جمادى الآخرة.

(١) على بن إبراهيم بن داود بن سليمان بن سليمان أبو الحسن، علاء الدين ابن العطار: فاضل من أهل دمشق. وكان أبوه عطاراً وحده طبيباً باشر مشيخة المدرسة المنصورية مدة ثلاث سنوات وقلج سنة ٧٠١هـ فكان يحمل فى محفة وكتب بشماله مدة. له مصنفات منها «الوثائق المجموعة-خ» و«الاعتقاد الخالص من الشك والانتقاد-خ» و«آداب الخطيب-خ» و«إحكام شرح الأحكام» وكتاب فى «فضل الجهاد» وآخر فى «حكم الاحتكار عند غلاء الأسعار». انظر البداية والنهاية ١٤: ١١٧ الدرر الكامنة ٣: ٥٠٤ الأعلام ٤: ٢٥١.

وفي ثالث شعبان: قدم المجردون إلى النوبة، وقد غابوا ثمانية أشهر.
وفيه منع الأجناد من الاجتماع بسوق الخيل.

وفيه قدم الخير بهبوب الريح في بلاد الصعيد، وأنها اقتلعت من ناحية عرب قمولة
زيادة على أربعة آلاف نخلة في ساعة واحدة، وأخرجت عدة أماكن بأهميم^(١)
وأسيوط^(٢) وأسوان وبلاد السودان، وهلك منها كثير من الناس والدواب.

وفي ذى القعدة: طوّل صاحب أمين الدين والموفق ناظر الدولة بثمان كنان من
خراج الجيزة قيمته مائة ألف درهم، خصص صاحب منها مبلغ خمسين ألفاً، وخص
الموفق مبلغ خمسة وعشرين ألفاً، فاستخرج ذلك من جوامك المباشرين.

وكان قاع النيل في هذه السنة ستة أذرع وعشرين أصبعا، وكان الوفاء في يوم
الأربعاء تاسع شعبان وثمان مسرى. وانتهت الزيادة إلى ثمانية عشر ذراعا وتسعة عشر
أصبعا، فغرقت الأقباب والمعاصر وكثرة من شون الغلال، وصارت المراكب لا تجد برا
تضرب فيه الوتد من قوص إلى القاهرة، وغرقت الفيوم^(٣) لانقطاع جسرهما، وتوجه
الأمير بكتمر الحسامي لعمارتها.

وفيهما قرر السلطان أن تعمل له كل يوم أوراق بالحاصل والمصروف، فصارت تعرض
عليه كل يوم، وتحدث في الأموال بنفسه.

ومات في هذه السنة من الأعيان: برهان الدين أبو إسحاق إبراهيم بن ظافر، يوم
الخميس سادس جمادى الآخرة، كان فقيها شافعيًا.

ومات الشيخ نور الدين علي بن يعقوب^(٤) بن جبريل البكرى الفقيه الشافعي، في
يوم الإثنين سادس ربيع الآخر.

ومات تقي الدين محمد الجمال عبد الرحيم بن عمر^(٥) الباجر بقى الشافعي، في

(١) أهميم بلد بالصعيد في الإقليم الثاني . انظر معجم البلدان ١٢٣/١

(٢) أسيوط مدينة في غرب النيل من نواحي صعيد مصر. انظر معجم البلدان ١٩٣/١، ١٩٤.

(٣) الفيوم موضع بمصر، ولاية غربية بينها وبين القسوط أربعة أيام. انظر معجم البلدان
٢٧٦/٤.

(٤) علي بن يعقوب بن جبريل البكرى الشافعي المصري، أبو الحسن، نور الدين: فقيه من أهل
القاهرة هاجم القبط في إحدى كنائسهم لاستعارتهم قنديلا من جامع عمرو بن العاص فساقوه إلى
السلطان فسمعه السلطان. انظر البداية والنهاية ١١٤/١٤ والدرر الكامنة ١٣٩/٣ وحسن المحاضرة
٢٣٩ والأعلام ٣٢/٥.

(٥) محمد بن عبد الرحيم بن عمر الباجر بقى، تقي الدين، أو سمي الدين رأس فرقة ضالة تدعى
(الباجر بقية) نسبة إليه. أصله من باحريق من ثرى بنى النهرين، سكن والده الموصل وانتقل إلى
دمشق وكان من علماء الشافعية. انظر البداية والنهاية ١٤:١٤ و١١٥ والنجوم الزاهرة ٩/٢٦٢ =

٧٦ سنة أربع وعشرين وسبعمائة

ربيع الآخر بدمشق، قدم القاهرة وأقام بها، وله الملحمة الباجر بقية، واتهم بالزندقة.
وماتت خوند أردكين بنت نو كاي الأشرفية ثم الناصرية، يوم السبت ثالث عشرى
المحرم.

ومات الأمير ناصر الدين محمد بن الأمير بدر الدين بكتاش أمير سلاح الفخرى، يوم
الجمعة ثامن عشرى جمادى الآخرة، وكان أحد الأمراء الألو ف.

ومات الأمير سيف الدين بزلار أمير علم.

ومات الطواشى عنبر الأكبر زمام الدور، فى ليلة الأربعاء رابع عشر جمادى الأولى.

ومات الأمير محمد بن عيسى بن مهنا^(١) من آل فضل، يوم السبت سابع رجب،
قدم القاهرة مراراً.

ومات الأمير قطلبيجا الزينى من أمراء مصر.

ومات الشيخ الصالح محمود الحيدرى، خارج القاهرة.

ومات الأمير بدر الدين بكتمر بدرجك، أحد الأمراء بمصر.

ومات كريم الدين أبو الفضائل عبد الكريم بن العلم هبة الله بن السديد بثغر أسوان،
ليلة الخميس العشرين من شوال، وعاد ابنه علم الدين عبد الله فاعتقل بالقلعة، وأخذ
منه مال كثير جداً.

ومات نور الدين على بن تقى الدين محمد بن مجد الدين حسن بن تاج الدين على
القسطلانى، خطيب جامع عمرو بمصر، فى يوم الجمعة حادى عشر ربيع الآخر.

ومات ناصر الدين محمد بن علاء الدين النابلسى، يوم الجمعة سادس عشر جمادى
الأولى.

ومات بهاء الدين ابن الشيخ جمال الدين بن صفى الدين بن أبى المنصور، يوم
الخميس سابع عشرى جمادى الآخرة.

=وشذرات الذهب ٦:٦٤ والوفى بالوفىات ٣/٢٤٩ والدرر الكامنة ٤/١٢ والأعلام ٦/٢٠٠.
(١) محمد بن عيسى بن مهنا، شمس الدين أمير العرب فى بادية الشام ورئيس آل فضل. كان
عاقلاً حارثاً حسن الهيئة له معارك. مات فى سلمية. انظر النجوم الزاهرة ٩:٢٩١ والدرر الكامنة
٤:١٣١ والأعلام ٢٢٢/٦.

ومات الحسن بن على الأسوانى الفقيه الشافعى، فى جمادى الأولى بالمدينة النبوية،
وقد أم بها واشتغل ثمانى عشرة سنة، وكان فقيها صالحا.

* * *

سنة خمس وعشرين وسبعمائة

الحرم أوله الأربعاء ثالث عشرى كيهك:

وفى يوم الجمعة عاشرة: قدم أوائل الحاج.

وفى يوم الخميس ثالث عشره: قدم السلطان من الوجه القبلى.

وفى يوم السبت خامس عشرية: وصل الحمل وبقية الحاج، مع الأمير أيتمش الحمدي أمير الركب.

وفيه اجتمع بمصر من رسل الملوك ما لم يجتمع مثلهم فى الدولة التركية، وهم: رسل صاحب اليمن، ورسل صاحب إسطنبول، ورسل الأشكرى، ورسل متملك سيس، ورسل أبى سعيد، ورسل مارددين، ورسل ابن قرمان، ورسل ملك التوبة، وكلهم يبذلون الطاعة. وسأل الملك المجاهد صاحب اليمن إنجاده بعسكر من مصر، وأكثر من ترغيب السلطان فى المال الذى باليمن، وكان قدوم رسله فى مستهل صفر. فرسم السلطان بتجهيز العسكر صحبة الأمير ركن الدين بيبرس الحاجب، وهو مقدم العسكر. وكان معه من أمراء الطبلخاناه خمسة: وهم آقول الحاجب، وقجمار الجوكندار - ويعرف باسم بشاس - ، وبلبان الصرخدى، وبكتمر العلائى أستاذار، وألجاي الساقى الناصرى، ومن العشراوات عز الدين أيدير الكوندكى، وشمس الدين إبراهيم بن التركمانى، وأربعة من مقدمى الحلقة، عليها الأمير سيف الدين طينال الحاجب، ومعه خمسة أمراء طبلخاناه، وهم: الأمير ططر الناصرى، وعلاء الدين بن طغريل الإيغانى، وجرباش أمير علم، وأبيك الكوندكى، وكوكاى طاز، ومن العشراوات أيضا بلبان الدوادارى، وطرنطاي الإسماعيلى والى باب القلة، وأربعة آخرون من مقدمى الحلقة، ومن المماليك السلطانية ثلاثمائة فارس، ومن أجناد الحلقة تمة الألف فارس. وفرقت فيهم أوراق السفر يوم الإثنين خامسه. وكتب بحضور العربان من الشرقية والغربية لأجل الجمال.

وفيه خرج السلطان إلى سرياقوس^(١)، وقبض على الأمير بكتمر الحاجب وجماعة، فى يوم الخميس ثانى ربيع الأول.

(١) سرياقوس بلدة بالصعيد فى غربى النيل بينها وبين شاطئ النيل بعد. انظر معجم البلدان

وفيه قدم الأمير تنكز نائب الشام فى عاشره، فأقام عند السلطان أياما وعاد إلى دمشق مكرما.

وفيه أنفق السلطان فى الأمراء المتوجهين إلى اليمن فقط، فحمل لبيرس ألف دينار، ولطينال ثمانمائة دينار، ولكل أمير طبلخاناه عشرة آلاف درهم، وللأمير من العشاوات مبلغ ألفى درهم، ولما قدم الحلقة ألف درهم. وحضرت العربان، فاستقر كرا الجمل إلى مكة بمائة وستين درهما، وإلى ينبع بمائة وثلاثين، ورحل كل جندى على أربعة جمال، جملين إلى مكة، وجملين إلى ينبع، وتولى الأمير عز الدين أيدمر الكبكى أمر العربان. وأخذ العسكر فى التجهيز، وباعوا موجودهم، فأخط سعر الدنانير من خمسة وعشرين إلى عشرين درهما؛ لكثرة ما باعوا من الحلى والمصاغ. وبرزوا من القاهرة إلى بركة الحاج يوم الثلاثاء عاشر ربيع الآخر، واستقلوا بالمسير يوم الخميس ثالث عشره.

وفيه خرج السلطان إلى سرياقوس ومعه عدة من المهندسين، وعين موضعاً على نحو فرسخ من ناحية سرياقوس ليبنى فيه خانكاه بها مائة خلوة لمائة صوفى، وبجانبها جامع تقام فيه الجمعة، ومكان برسم ضيافة الواردين وحمام ومطبخ، وندب السلطان آقسنقر شاد العمائر لجمع الصناع. ورتب السلطان لها أيضا قصورا برسم الأمراء الخاصكية، وعاد، فوقع الاهتمام فى العمل حتى كملت فى أربعين يوما.

ثم اقتضى رأى السلطان حفر خليج خارج القاهرة ينتهى إلى سرياقوس، ويرتب عليه السواقي والزراعات، وتسير فيه المراكب أيام النيل بالغالل وغيرها إلى القصور بسرياقوس، وفوض ذلك إلى الأمير أرغون النائب. فنزل الأمير أرغون بالمهندسين فى النيل إلى أن وقع الاختيار على موضع بموردة البلاط من أراضي بستان الخشاب، ويقع الحفر فى الميدان الظاهرى الذى صار بستاناً، ويمر على بركة قرموط إلى باب البحر، ثم إلى أرض الطباله، ويرمى فى الخليج الكبير. فكتب إلى ولاة الأعمال بإحضار الرجال للحفير، وعين لكل واحد من الأمراء أقصاب يحفرها، وابتدأ الحفر مستهل جمادى الأولى إلى أن تم فى سلخ جمادى الآخرة. وخربت فيه أملاك كثيرة، وأخذت قطعة من بستان الأمير أرغون النائب، وأعطى السلطان ثمن ما خرب من الأملاك لأربابها، وفيهم من هدم داره وأخذ أنقاضها. والتزم الفخر ناظر الجيش بعمارة قنطرة برأس الخليج عند فمه، والتزم قدادار والى القاهرة بعمل قنطرة تجاه البستان الذى كان ميدانا للظاهر، ورسم بعمل قنطرة الأوز وقناطر الأميرية ^(١) فلما كانت أيام الزيادة فى ماء النيل جرت

(١) القناطر الأميرية آخر القناطر المقامة على هذا الخليج، من حيث موقعها من القاهرة إذ كانت

تجاه الناحية المعروفة بالأميرية فيما بينها وبين المطرية.

السفن فى هذا الخليج، وعمرت السواقى عليه، وأنشئت بجانبه البساتين والأماكن.
وفى يوم الإثنين سادس جمادى الآخرة: توجه السلطان إلى الخانكاه خارج ناحية سرياقوس، وقد خرجت القضاة والمشايخ والصوفية يوم الأربعاء، وعمل لهم سماط عظيم فى يوم الخميس تاسعه بالخانكاه. واستقر بمجد الدين أبو حامد موسى بن أحمد بن محمود الأقسرائى - وهو شيخ خانكاه كريم الدين الكبير بالقرافة - فى مشيخة هذه الخانكاه، ورتب عنده مائة صوفى، وخلع السلطان عليه، وعلى قاضى القضاة بدر الدين محمد بن جماعة، وولده عز الدين عبد العزيز، وعلى قاضى القضاة تقى الدين الأحنائى المالكى، وعلى الشيخ علاء الدين القونوى^(١) شيخ خانكاه سعيد السعداء، ورسم للشيخ مجد الدين بيغلة، وأن يلقب بشيخ الشيوخ، وخلع على أرباب الوظائف، وفرق ستين ألف درهم، وخلع على الأمراء وأهل الدولة.

وفىها حبس شهاب الدين أحمد بن محمد بن مرى البعلبكى الحنبلى أحد أصحاب ابن تيمية، مقيداً فى سجن القاضى المالكى تقى الدين الأحنائى بالقاهرة، وضرب بالسياط ضرباً مبرحاً، وشهر فى تاسع عشرى جمادى الأولى، بعدما أقام فى السجن من سادس عشرى ربيع الأولى، وكان قد عرض على السلطان فى نصف ربيع الآخر، فأثنى عليه الأمير بدر الدين بن جنكلى بن البابا، والقاضى بدر الدين بن جماعة، وغيرهما من الأمراء، وعارضهم الأمير أيدمر الخطيرى، حتى كادت تكون فتنة. ففوض السلطان الأمر لأرغون النائب، فأل الأمر إلى تمكين القاضى المالكى منه كما تقدم. ثم أعيد ابن مرى إلى السجن، ثم شفع فيه، فأل أمره إلى أن أفرج عنه، وأخرج إلى القدس بعد يومين من سجنه، وكان مظلوماً. فاتفق عقيب ذلك أن الفقهاء شنعوا على تقى الدين ابن شاس بأنه كفر لتصويبه بعض آراء ابن مرى، وشهدوا عليه، فدافع الأحنائى عنه وسكن القضية حتى حمدت، فقال الشيخ برهان الدين إبراهيم الرشيدى فى ذلك:

| | |
|--------------------------|----------------------------|
| يا قاضياً شاد أحكامه | على تقى من الله وأقوى أساس |
| مقالة فى ابن مرى لفقت | تجاوزت فى الحد حد القياس |
| وفى ابن شاس حققت ما أثرت | فهل أباح الشرع كفر ابن شاس |

(١) على بن إسماعيل بن يوسف القونوى أبو الحسن علاء الدين: فقيه، من الشافعية ولد بقونية ونزل بدمشق سنة ٦٩٣هـ وانتقل إلى القاهرة فتصوف وتلقى علوم الأدب والفقه ثم ولى قضاء الشام سنة ٧٢٧هـ، فأقام بدمشق إلى أن توفى. له «شرح الحادى الصغير-خ» فقه ومات «الابتهاج فى انتخاب المنهاج -خ». انظر بغية الوعاة ٣٢٩ والبداية والنهاية ١٤٧:٢ والدرر الكامنة ٣:٢٤ ودار الكتب ٥٢١:١ والأعلام ٤/٢٦٤.

وفيه بلغ السلطان عن دمرداش بن جوبان متملك الروم ما أغضبه، فكتب يشكوه إلى أبيه جوبان، فأنكر عليه فعله، فاعتذر عما وقع منه، وبلغ جوبان ذلك إلى السلطان، فجهز إلى دمرداش تشريفاً وهدية، وكتب إليه يستميله.

وفي آخر جمادى الآخرة: توجه الأمير الوزير مغلطاي الجمالى، ومكين الدين بن قروينة مستوفى الدولة، على البريد لكشف القلاع وحمل ما فيها من الخواصل، فراك الجمالى المملكة الحلبية، وعاد يوم الثلاثاء سادس شهر رمضان.

وفيه استقر بهادر البدرى فى نياة الكرك، عوضاً عن يليلك الجمالى.

وفى يوم السبت العشرين من رمضان: قدم الأمير سيف الدين بكمش الجمدار الظاهرى والأمير بدر الدين يليلك السيفى السلارى - المعروف بأبى غدة - من بلاد أزيك بهدية، ومعهما كتابه، وهو يسأل أن يجهز له كتاب جامع الأصول فى أحاديث الرسول، وكتاب شرح السنة والبحر للرويانى فى الفقه، وعدة كتب طلبها، فجهزت له.

وفيه خرج السلطان إلى البحيرة، فى ثالث عشر ذى الحجة، للصيد.

وفيه بعث السلطان الأمير مغلطاي الجمالى إلى الإسكندرية، فأفرج عن الأمراء المسجونين بها، وهم: طاجار الحمدي، وبلبان الشمسى، وكيتمر، وبهادر التقوى أمير جاندار، فقدموا إلى القاهرة فى ثامن عشره.

وفيه نزل سيل عظيم فى النيل حتى اصفر ماؤه، وزاد ستة أصابع.

وأما العسكر المجرى لنجدة صاحب اليمن فإنه سار إلى مكة، وقد كتب السلطان إلى الشريف عقيل أمير ينبع، وإلى الشريفين عطيفة ورميثة أميرى مكة، وإلى قوادهما، وإلى بنى شعبة وعرب الوادين وسائر عربان الحجاز، بالقيام فى خدمة العسكر. ووصل العسكر إلى مكة فى السادس والعشرين من جمادى الأولى، ودخلها وأقام بها حتى قدمت المراكب بالغالل وغيرها من مصر إلى جدة، فأبيع الشعير بثلاثين درهما الأردب، والدقيق بعشرين درهما الويبة. وتقدم الخادم كافور الشيبلى خادماً للملك المجاهد إلى زبيد؛ ليعلم مولاه العساكر، وكتب الأمير ركن الدين بيبرس بن الحاجب، وهو مقدم العسكر إلى أهل حلّى بنى يعقوب بالأمان، وأن يجلبوا البضائع للعسكر.

ورحل العسكر فى خامس جمادى الآخرة من مكة، ومعهم الشريف عطيفة والشريف عقيل، وتأخر الشريف رميثة. فوصل العسكر إلى حلّى بنى يعقوب فى اثنى عشر يوماً،

بعد عشرين مرحلة، فتلقاهم أهلها، ودهشوا لرؤية العساكر، وقد طلبت ولبست السلاح، وهموا بالفرار. فنودى فيهم بالأمان، وألا يتعرض أحد من العسكر لشيء إلا بئمه، فاطمأنوا وحملوا إلى كل من بيبرس وطينال مقدمى الألوف مائة رأس من الغنم وخمسمائة أردب أذرة، فرداها ولم يقبلا لأحد شيئاً. ورحل العسكر بعد ثلاثة أيام، فى العشرين منه.

فقدمت الأخبار باجتماع رأى أهل زبيد على الدخول فى طاعة الملك المجاهد خوفاً من معرفة قدوم العسكر المصرى، وأنهم ثاروا بالتملك عليهم وهو الملك الظاهر^(١)، ونهبوا أمواله ففر عنهم، وكتبوا إلى المجاهد بذلك، فقوى ونزل من قلعة تعز يريد زبيد. فكتب أمراء العسكر المصرى إليه، وهم قرب حدود اليمن، بأن يكون على أهبة اللقاء.

ونزل العسكر على زبيد، ووافاهم المجاهد بجنده، فسخر منهم الناس من أجل أنهم عراة، وسلاحهم الجريد والخشب، وسيوفهم مشدودة على أذرعهم، ويقاد للأمير فرس واحد مجلل، وعلى رأس المجاهد عصابة ملونة فوق العمامة. وعندما عاين المجاهد العساكر المصرية وهى لابسة آلة الحرب رعب، وهم أن يتزجل عن فرسه حتى منعه الأميران بيبرس وأقول من ذلك. ومشى العسكر صفين والأمراء فى الوسط حتى قربوا منه، فألقى المجاهد نفسه ومن معه إلى الأرض، وترجل له أيضا الأمراء وأكرموه وأركبوه فى الوسط، وساروا إلى المخيم، وألبسوه تشريقاً سلطانياً وكلفته زركش وحياسة ذهب. وركب المجاهد والأمراء فى خدمته بالعساكر إلى داخل زبيد، وفرح أهلها فرحاً شديداً.

ومد المجاهد لهم سماطاً جليلاً، فامتنع الأمراء والعسكر من أكله خوفاً من أن يكون فيه ما يخاف عاقبته، واعتذروا إليه بأن هذا لا يكفى العسكر، ولكن فى غد يعمل السماط. فأحضر المجاهد إليهم ما يحتاجون إليه، وتولى طباخو الأمراء عمل السماط. وحضر المجاهد وأمرأؤه، وقد مد السماط بين يدي كرسى جلس عليه المجاهد، ووقف السقاة والقباء والحجاب والجاشنكيرية على العادة، ووقف الأمير بيبرس رأس الميمنة، والأمير طينال رأس الميسرة. فلما فرغ السماط صاحت الشايشية على أمراء المجاهد

(١) الملك الظاهر عبد الله بن أيوك المنصورى بن يوسف المظفر من بنى رسول: أمير جواد عاقل ورع تعلقت نفسه بطلب الملك، ذلك أن جمعا تألب معه فى أيام الملك المجاهد وحملوه على طلب الملك وخلع المجاهد، وبايعوه، ولقبوه «الظاهرة فسار بهم إلى المجاهد وهو فى تعز، فحاصره أحد عشر شهراً وعجز فسار إلى تهامة فتبعه المجاهد واستمرت بينهما الوقائع إلى أن تفرق من كان مع الظاهر بشعر من غير تضييق عليه إلى أن مات. انظر «تاريخ نجر عدن-ح» والأعلام ٧٣/٤.

وأهل دولته فأحضرهم، وقرئ كتاب السلطان، فباسوا بأجمعهم الأرض، وقالوا سمعنا وطاعة، وكتب الأمير بيبرس لممالك اليمن بالحضور، فحضروا.

ولم يجهز الملك المجاهد للعسكر شيئاً من الإقامات، وعنفه الأمير بيبرس على ذلك، فاعتذر بخراب البلاد، وكتب لهم على البلاد بغنم وأذرة، فتوجه إليها قصاد الأمراء. وسار المجاهد إلى تعز لتجهيز الإقامات، ومعه الأميران سيف الدين ططر العفيفي السلاح الدار وسيف الدين قجمار في مائتي فارس، وتأخر العسكر بزبيد، وعادت قصاد الأمراء بغير شيء. فرحل العسكر من زبيد في نصف رجب يريدون تعز، فتلقاهم المجاهد، ونزلوا خارج البلد، وشكوا ما هم فيه من قلة الإقامات، فوعد بخير. وكتب الأمراء إلى الملك الظاهر المقيم بدملوة، وبعثوا إليه الشريف عطيفة أمير مكة وعز الدين الكوندكى، وكتب إليه المجاهد أيضاً يحثه على الطاعة.

وأقام العسكر في جهد، فأغاروا على الضياع، وأخذوا ما قدروا عليه، فارتفع سعر الأذرة من ثلاثين درهما الأردب إلى تسعين، وفقد الأكل إلا من الفاكهة فقط؛ لقلة الجلب، واتهم أن ذلك بمواطأة المجاهد خوفاً من العسكر أن يملك منه البلاد.

ثم إن أهل جبل صير قطعوا الماء عن العسكر، وتخطفوا الجمال والغلمان. وزاد أمرهم إلى أن ركب العسكر في طلبهم، فامتنعوا بالجبل، ورموا بالمقاليع على العسكر، فرموهم بالنشاب. وأتاهم المجاهد فنخذهم عن الصعود إلى الجبل، فلم يعبأوا بكلامه، ونزلوا الجبل يومهم، ففقد من العسكر ثمانية من الغلمان، وبات العسكر تحته. فبلغ بيبرس أن المجاهد قرر مع أصحابه بأن العسكر إذا صعد الجبل يضرمون النار في الوطاق وينهبون ما فيه، فبادر بيبرس وقبض على بهاء الدين بهادر الصقري وأخذ موجوده، ووسطه قطعتين وعلقه على الطريق، وفرح أهل تعز^(١) بقتله، وكان بهادر قد تغلب على زبيد، وتسمى بالسلطنة، وتلقب بالملك الكامل، وظل متسلطاً عليها، حتى طرده أهلها عند قدوم العسكر.

وقدم الشريف عطيفة والكوندكى من عند الملك الظاهر صاحب دملوة، وأخبراً بأنه في طاعة السلطان. وطلب بيبرس من المجاهد ما وعد به السلطان، فأجاب بأنه لا قدرة له إلا بما في دملوة فأشهد عليه بيبرس قضاة تعز بذلك، وأنه أذن للعسكر في العود، لخراب البلاد وعجزه عما يقوم به للسلطان، وأنه امتنع بقلعة تعز.

ورحل العسكر إلى حلى بنى يعقوب، فقدمها في تاسع شعبان. ورحلوا منها أول

(١) تعز قلعة عظيمة من قلاع اليمن المشهورات. انظر معجم البلدان ٣٤/٢.

رمضان إلى مكة، فدخلوها في حادى عشره بعد مشقة زائدة. وساروا من مكة يوم عيد الفطر، وقدموا بركة الحاج أول يوم ذى القعدة.

وطلع الأمراء إلى القلعة، فخلع عليهم فى يوم السبت ثالثه. وقدم الأمير بيبرس هدية، فأغرى الأمير طينال السلطان بالأمير بيبرس، وأنه أخذ مالا من المجاهد وغيره، وأنه قصر فى أخذ مملكة اليمن.

فلما كان يوم الإثنين تاسع عشره: رسم بخروجه إلى نيابة غزة^(١)، فامتنع لأنه كان قد بلغه ما قيل عنه، وأن السلطان قد تغير عليه، فقيد وسجن فى البرج، وقبضت حواشيه، وعرقبوا على المال فلم يظهر شىء.

وفى ثالث ذى الحجة: قبض على إبراهيم ابن الخليفة أبى الربيع، وسجن بالبرج، لأنه تزوج بمغنية، وأشهد عليه بطلاقها.

وفى ثالث عشر ذى القعدة: قدم ألتنبغا نائب حلب، وسافر آخر يوم الأحد.

وفى أول ذى الحجة: خلع على الأمير بهادر البدرى السلاح دار، واستقر فى نيابة الكرك، عوضا عن عز الدين أيبك الجمالى، ونقل الجمالى لنيابة غزة، فسار إليها فى خامس عشره.

وفى ثالث عشره: توجه السلطان إلى الصيد نحو الجيزة، وأفرج عن بلبان الشمسى، وبهادر التقوى، وأمير جاندار، وطاجار المحمدى.

* * *

ومات فى هذه السنة من له ذكر

حجاب بنت عبد الله شيخة رباط البغدادية فى الحرم، وكانت صالحة خيرة، ملازمة للرباط، تعظ النساء.

ومات الأمير سيف الدين قطز عند عوده من اليمن، وحمل إلى مكة فدفن بها، وكان جواداً عفيفاً.

ومات الأمير ركن الدين بيبرس المنصورى، فى ليلة الخميس محامس عشرى رمضان، وهو أحد مماليك المنصور قلاوون، واستنابه بالكرك، وعزله الملك الأشرف خليل بالأمير جمال الدين آقوش، ثم صار دوادار السلطان وناظر الأحباس، وولى نيابة السلطنة بديار مصر، وكان عاقلاً كثير البر، وإليه تنسب المدرسة الدوادارية بخط سويقة العزى خارج القاهرة، وله تاريخ سماه زبدة الفكرة فى تاريخ الهجرة، يدخل فى أحد عشر سفرأ، أعانه على تأليفه كاتبه ابن كبر النصرانى، وكان يجلس رأس الميسرة، فأخذ إقطاعه الأمير

(١) غزة مدينة فى أقصى الشام من ناحية مصر، وبينها وبين عسقلان فرسخان . انظر معجم

مغلطاي الجمالى، وأخرج منه طبلخاناه لبلبان السناني، وصار الأمير عز الدين أيدير الخطيرى بعده يجلس فى رأس الميسرة.

ومات الشريف منصور بن حماز بن شيحة فى حرب يوم الرابع والعشرين من رمضان، قتله حديثه ابن ابن أخيه، وكان له فى الإمرة ثلاث وعشرون سنة وستة أشهر وأيام، واستقر عوضه فى إمرة المدينة النبوية ابنه بدر الدين كبيشة بن منصور، وقدم منصور إلى القاهرة مراراً.

ومات الشهاب محمود بن سليمان^(١) بن فهد الحلبي كاتب السر، بدمشق فى شعبان، عن إحدى وثمانين سنة، وقدم القاهرة مراراً.

ومات الشيخ تقي الدين محمد بن الجمال أحمد بن الصفى عبد الخالق - الشهرير بالتقى الصائغ - شيخ القراء، بمصر فى ليلة الأحد ثامن عشر صفر.

ومات نجم الدين أبو بكر بهاء الدين محمد بن إبراهيم بن أبى بكر بن خلكان الشافعى، بالقاهرة فى ثالث ذى القعدة، وكان فاضلاً، إلا أنه رمى فى عقله وعقيدته بأشياء.

ومات الأمير سيف الدين بلبان التترى المنصورى، فى ذى القعدة.

ومات الخطيب جمال الدين محمد بن تقي الدين محمد بن الحسن بن على بن أحمد بن على بن أحمد القسطلانى، فى ليلة السبت مستهل ربيع الأول، واستقر ابن أخيه الخطيب تقي الدين بن نور الدين مكانه خطيباً بجامع القلعة، ورتب ولده زين الدين أحمد بن جمال الدين فى خطابة جامع عمرو وإمامته ونظره.

ومات شرف الدين يونس بن أحمد بن صلاح القلقشندى الفقيه الشافعى، فى خامس عشرى ربيع الآخر.

* * *

(١) محمود بن سليمان بن فهد بن محمود الحنبلى الحلبي ثم الدمشقى، أبو الثناء شهاب الدين: أديب كبير. استمر فى دواوين الإنشاء بالشام ومصر نحو خمسين عاماً. ولد بحلب، وولى الإنشاء فى دمشق وانتقل إلى مصر، فكتب بها فى الديون وعاد إلى دمشق، فولى كتابة السر نحو ثمان سنين إلى أن توفى بها.

سنة ست وعشرين وسبعمائة

أهلت والسلطان فى الصيد بالوجه البحرى.

وفى يوم الإثنين سادس عشر المحرم: وردت رسل ملك الحبشة بكتابه يتضمن إعادة ما خرب من كنائس النصارى ومعاملتهم بالإكرام والاحترام، ويهدد بأنه يخرب ما عنده من مساجد المسلمين، ويسد النيل حتى لا يعبر إلى مصر، فسخر السلطان منه، ورد رسله.

وفى عشرى صفر: خلع على فخر الدين أستاذار ألطنبغا، واستقر والى المحلة بعد موت الشيخى.

وفى ثامن عشر صفر: صرف شمس الدين غبريال عن نظر النظار، وسفر إلى دمشق، فسار على البريد فى حادى عشره، وقدم دمشق فى ثامن عشره.

وفى يوم الإثنين سادس ربيع الأول: قدم كريم الدين أكرم الصغير من دمشق باستدعاء إلى ناحية سفظ من الجيزة - والسلطان مخيم بها - ، فأنكر السلطان عليه إنكاراً شديداً، وأمره بملازمة بيته. وكان قد سعى به الفخر ناظر الجيش وغيره، وأغروا به السلطان حتى أحضره من دمشق.

وفيه استقر شرف الدين الخطيرى - المعروف بكتاب سلار، وكان قد خدم عند الأمير أرغون النائب - فى نظر النظار، عوضاً عن غبريال.

وفيه رسم للوزير مغلطاي بقتل كريم الدين أكرم الصغير فى خفية، فتقدم إلى والى القاهرة بذلك، فوضع له أعينا يترقبون فرصة، إلى أن ركب من داره يريد الحمام بعد العشاء الآخرة من ليلة الإثنين رابع ربيع الآخر، فوثب عليه جماعة، وكان قد احتس على نفسه، فنجأ بفرسه منهم، وقتلوا غلامه. وأصبح الناس وقد شاع خبره، وبلغ السلطان فرسم للوزير بإخراجه إلى أسوان، فقبض عليه فى يوم السبت تاسعه هو وأولاده، وأحضرهم مجلس السلطان، وطولب بالمال، فلم يعترف بشىء، فضرب ابنه سعد الدين أبو الفرج بالمقارع. وسلم أكرم إلى والى القاهرة، فوجد فى كفه أوراقا فيها مرافعات فى جماعة من أهل الدولة، فطلبها الوزير منه، فامتنع من ذلك حتى بعث السلطان من تسلمها منه وقرأها، فأفرج السلطان عن أولاده، ورسم بعقوبته فسعط

بالخل والجير. وأخرج أكرم وابنه سعد الدين فى ليلة الإثنين حادى عشره إلى جهة الصعيد، بعدما توجه الأمير بهاء الدين إلى القلعة إلى الوزير يطلب له منه بساطاً ونفقة فأبى ذلك. ومضى أكرم وابنه فى سلورة^(١) إلى أسوان، فقدموا فى ليلة الإثنين خامس عشره، وقتل ليلة الثلاثاء سادس عشره.

وفى يوم الخميس سابع جمادى الأولى: سار الأمير أيتمش المحدثى رسولا إلى القان بوسعيد، وصحبته هدايا جلييلة؛ ليرغبه فى مصاهرة السلطان. فبلغ أيتمش رسالته، وعاد إلى القاهرة يوم الثلاثاء ثامن عشرى شعبان.

وفى ثانى عشرى جمادى الأولى: خرجت تجريدة إلى برقة^(٢) عليها من الأمراء أسندمر العمرى، وملكتمر الإبراهيمى، وقطلوبغا الطويل، وجماعة من أجناد الأمراء. وسببها حضور فايد وسليمان أميرى العربان ببرقة، وشكواهم من العرب أنهم منعوا أداء الزكاة عن الغنم.

وفى ليلة الجمعة ثامنه: وقت الغروب ركب أحمد ابن السلطان، ومعه الأمير قجلىس والأمير طقتمر الخازن، ليتوجه إلى الكرك - وعمره يومئذ ثمانى سنين - ، وسار معه عدة من المماليك وخزانة مال. واستقر فى نياية الكرك الأمير سيف الدين بهادر البدرى، وتوجه معه ليقوم بأمره، ويودع المال بخزانة قلعة الكرك، ولا يمكن أحداً من التصرف، بل يمرنه على الصيد والفروسية. فأوصله الأميران إلى الكرك، وعادوا فى ثانى جمادى الآخرة.

وفيه قدم كتاب نائب الشام بأنه قبض على بكتوت القرماني، لامتناعه من التوجه لإحضار حمل سيس، فأجيب بتقييده وسجنه بقلعة دمشق، وأن يستقر شهاب الدين قرطاي الصلاحى نائب طرابلس على خبزه.

وفيه رسم للأمير طينال الحاجب بنباية طرابلس، فسار من القاهرة فى يوم الخميس رابع جمادى الآخرة. وأمر السلطان بتقدمته على الأمير قوصون زيادة على إقطاعه، عقد له على إحدى بنات السلطان.

وفى يوم الثلاثاء ثامن رجب: ابتداء جلوس الصوفية بخانقاه الأمير بكتمر الساقى، بآخر القرافة مما يلي بركة الحبش.

(١) سلورة والجمع سلاير نوع من السفن.

(٢) برقة اسم صقع كبير يشتمل على مدن وقرى بين الإسكندرية وإفريقية . انظر معجم البلدان

وفي يوم الإثنين رابع عشر رجب: قدمت رسل جوبان حاكم دولة أبى سعيد، ومعهم طابيرغا وابنه يحيى، فخلع عليهم، وأنعم على طابيرغا بإمرة طبلخاناه فى سابع عشره، وعلى ابنه يحيى بإمرة عشرة، وأعيدت الرسل فى رابع عشره. وكان طابيرغا هذا يلى نيابة خلاط، وبينه وبين السلطان قرابة، فكتب إلى الأمير جوبان ليستدعيه وأهله إلى مصر، فبعثهم.

وفي سابع عشره: أيضا أنعم على أحمد بن بكنم الساقى بإمرة.

وفي يوم الإثنين سادس شعبان: حبس تقى الدين أحمد بن تيمية، ومعه أخوه زين الدين عبد الرحمن بقلعة دمشق. وضرب شمس الدين محمد بن أبى بكر بن قيم الجوزية، وشهر على حمار بدمشق. وسبب ذلك أن ابن قيم الجوزية تكلم بالقدس فى مسألة الشفاعة والتوسل بالأنبياء، وأنكر مجرد القصد للقبر الشريف دون قصد المسجد النبوى، فأنكر المقادسة مسألة الزيارة، وكتبوا فيه إلى قاضى جلال الدين محمد القزوينى وغيره من قضاة دمشق. وكان قد وقع من ابن تيمية كلام فى مسألة الطلاق بالثلاث أنه لا يقع بلفظ واحد، فقام عليه فقهاء دمشق. فلما وصلت كتب المقادسة فى ابن القيم، كتبوا فى ابن تيمية وصاحبه ابن القيم إلى السلطان، فعرف شمس الدين الحريرى قاضى القضاة الحنفية بديار مصر ذلك، فشنع على ابن تيمية تشنيعا فاحشا حتى كتب بحبسه، وضرب ابن القيم.

وفيه أنشأ الأمير جمال الدين آقوش نائب الكرك قاعة بالمارستان المنصورى، ونحت جدران المارستان والمدرسة المبنية بالحجر كلها داخلا وخارجا، وطر الطراز الذهب من خارج القبة والمدرسة حتى صار كأنه جديد. وعمل آقوش خيمة يزيد طولها على مائة ذراع، وركبها لتستر على مقاعد الأقباص، وتستر أهلها من الحر، ونقل الحوض من جانب باب المارستان؛ لكثرة تأذى الناس برائحة التبن، وعمل موضعه سبيل ماء عذب لشرب الناس، وكان مصروف ذلك كله من ماله دون مال الوقف.

وفي يوم الإثنين سابع عشرى شعبان: أفرج عن الأمير بلبان طرنا أمير جاندار، فكانت مدة اعتقاله إحدى عشرة سنة وتسعة أشهر وسبعة أيام، فلما مثل بحضرة السلطان خلع عليه وأعطاه إمرة دمشق، وبعثه إليها.

وفيه نقل الأمير بدر الدين محمد بن التركمانى من دمشق إلى شد الدواوين بطرابلس، وأنعم على أشقتم من أمراء حلب بخبزه.

وفيه حمل بكتوت القرماني من قلعة دمشق إلى القاهرة مقيداً على البريد، وحمل منها إلى الإسكندرية هو والبوبكرى والجاولى، فسجنوا بها.

وفيه قدم بازان رسول جوبان حاكم بلاد أبي سعيد، وجوبان هو الذى أجرى العين من عرفة إلى مكة. فلما قدم إلى مصر واجتمع بالسلطان، وعرفه خير العين، شق عليه ذلك، وقال له على لسان النائب: «من أذن لك فى هذا؟ ولم لا شاورتنى؟»، فقال بازان للنائب: «عرف السلطان أن جوبان فعل ما فعل من الخير، وبقي الأمر للسلطان إن شاء يخرب أو يعمر، فهذا شىء قد فعله من فعله وخرج عنه، والأمر إليكم»، فلما بلغ النائب قوله السلطان سكت.

وكان من خير هذه العين أنه لما أكثر ترداد الحاج من العراق إلى مكة فى كل سنة شق عليهم قلة الماء بمكة، فإن الراوية كانت تبلغ فى الموسم عشرة دراهم مسعودية^(١)، وفى غير الموسم من ستة دراهم إلى سبعة. فقصد الأمير جوبان حاكم مملكة أبي سعيد عمل خير بمكة، فدلّه بعض الناس على عين كانت تجرى فى القديم ثم تعطلت، فندب لذلك بعض ثقاته وأعطاه خمسين ألف دينار، وجهزه فى موسم سنة خمس وعشرين. فلما قضى حجه تأخر بمكة وشهر أمره بها، فأعلم بعين فى عرفة، فنادى بمكة: «من أراد العمل فى العين فله ثلاثة دراهم فى كل يوم». فهرع إليه العمال، وخرج بهم إلى العمل، فلم يشق على أحد منهم ولا استحثه، وإنما كانوا يعملون باختيارهم. فأتاه جمع كبير من العرب، وعمل حتى النساء، إلى أن جرى الماء بمكة بين الصفا والمروة، فى ثامن عشرى جمادى الأولى من هذه السنة، فكانت مدة العمل أربعة أشهر. وكثر النفع بهذه العين، وصرفه أهل مكة إلى مزارع الخضراوات.

وفيه قدم القاهرة الأمراء المجردون إلى برقة، وقد غابوا عنها ثلاثة أشهر وأربعة أيام.

وفيه قدم الخير بأن الأمير تنكز نائب الشام جمع العامة بدمشق وألزمهم بإحضار الكلاب ورميها بالخندق، فأقاموا عشرة أيام فى جمعها حتى امتلأ الخندق بها، وأكل بعضها بعضاً.

وفيه قدم الخير بمحصول سيل عظيم فى الفرات، أعقبه مطر، وأنه حدث وخم وفناء عم الناس من الفرات إلى دمشق، فلم تبق مدينة فيما بين ذلك حتى كثر بها المرض والموت، وباع بعض عطاري دمشق فى كل يوم أدوية للمرضى بنحو الألف درهم، وأبيع قدر فيه حسو شعير بزيادة على ثلاثين درهماً، وأخذ حجّام فى أجره فصد وشرطه أذان فى كل يوم أربعمائة درهم، فإنه كان فصلاً زموماً، وكان الموت فيه بالنسبة إلى المرض قليل.

(١) تنسب الدراهم والدنانير المسعودية إلى الملك الأيوبي ملك اليمن.

وفي يوم الثلاثاء خامس رمضان: قدم الملك الصالح صلاح الدين يوسف ابن الملك الكامل سيف الدين أبى بكر بن شادى ابن الملك الأوحى تقي الدين ابن الملك المعظم غياث الدين توران شاه ابن الملك الصالح نجم الدين^(١) أيوب ابن الملك الكامل محمد ابن الملك العادل بن أيوب بن شادى، صاحب حصن^(٢) كيفا. فأقبل عليه السلطان وأكرمه، وخلع عليه تشريفا طرد وحش بجياصة، ورتب له ما يليق به من اللحم والدجاج والسكر والحلوى وغير ذلك، وبعث له عشرة آلاف درهم.

وأقام الصالح صلاح الدين إلى نصف شوال، وسار بعد ما جهزه السلطان بكل ما يحتاج إليه من خيل وجمال وسلاح وتحف، وأنعم عليه بألف دينار. فلما قدم دمشق بالغ الأمير تنكز فى الإحسان إليه، وبعثه إلى بلده فقدمها، وسر به أهلها. فلما صعد الحصن وتوسط الدهليز، وثب عليه أخوه الملك العادل محبى الدين وقتله. وكان من خبر الصالح صلاح الدين أنه ملك حصن كيفا من أعمامه وإخوته بالقوة، فإنه كان شجاعا جريئا؛ فلما تمكن منع الخراج عن أبى سعيد، وتعرض لقصاص الأمير تنكز نائب الشام، وإلى بعض التجار. فكتب إليه تنكز يهدده بأنه يقتله وسط حصنه، فخاف سوء العاقبة، وأجاب بالاعتذار، وأنه من اليوم فى خدمة السلطان ونائبه، وأنه يمثل ما يرسم به؛ وجهز لتنكز هدية. فسر السلطان بذلك، وأكد على تنكز فى مهاداته. فلما قدم الأمير أيتمش الحمدي عليه تلقاه، وقدم له مقدمة حسنة، وعرفه أنه نائب السلطان فى الحسن تحت أوامره؛ وكتب إلى نائب الشام بذلك. فكتب تنكز يعرف السلطان بذلك، فازداد رغبة فيه، وما زال به الأمير تنكز يستميله حتى قدم إلى مصر، ذلك بعد أن استناب أخاه الملك العادل محبى الدين على الحصن مدة غيبته. فطمع محبى الدين فى الحصن وقتله بعد رجوعه من مصر، وكتب إلى جوبان وأبى سعيد أنه لم يقتله إلا لمخامرته وخروجه عن طاعتهما، وبعث إليهما بالخراج؛ فأجاباه بالشكر والثناء واستمراره على نيابة الحصن. وكتب محبى الدين أيضا لنائب الشام بأنه لم يقتله إلا لما ثبت عليه من شرب الخمر والفسق وقتل الأنفس واستباحة الأموال والتلفظ بالكفر غير مرة، وجهز إليه وترفق إليه

(١) تورانشاه ابن الملك الصالح نجم الدين أيوب ابن الكامل محمد: ثامن سلاطين الدولة الأيوبية لمصر وآخرهم وثالث من سبى الملك المعظم منهم وأحد ملوك حصن كيفا. كانت إقامته فى هذا الحصن كيفا بديار بكر نائب عن أبيه ولما توفى أبوه سنة ٦٤١هـ كتمت «شجرة الدر» خير موته واستدعته فجاء إلى مصر. انظر ابن إياس ٨٥:١ وابن الوردي ١٨١/٢ وابن شاکر ٧:١ والأعلام ٩٠/٢.

(٢) حصن كيفا يقع على نهر دجلة فى منتصف الطريق بين ديار بكر وجزيرة ابن عمر وقد استولى عليه الأيوبية وظلت هى ومدينة حماة بالشام آثارا باقية لتدل على أيام الأيوبيين.

هدية فى كتبه، وأنه مملوك السلطان ونائبه. فعرف تنكز السلطان ذلك، فأجابته بقبول عذره ومهاداته واستجلاب خاطره؛ ففعل ذلك.

وفى يوم الأربعاء ثالث عشر رمضان: تولى الأمير عماد الدين البحرية، عوضاً عن بلبان العتريس.

وفى خامس شوال: توجه الأمير سيف الدين أرغون النائب، وولده ناصر الدين محمد، إلى الحجاز للحج.

وفيه أشيع أن قصاد الأمير تنكز وصلت من الشرق، وأخبرت بأن الأمير جويان جمع من خيار عسكر الأردو عشرة آلاف فارس، وقصد الحج. فأظهر السلطان الخوف على نائبه الأمير أرغون أن يقبض عليه جويان ويجعله إلى بلاده، وكتب إلى تنكز نائب الشام أن يخرج بعسكر إلى جهة الكرك ليدرك الأمير أرغون. فبرز تنكز بعد أربعة أيام من قدوم البريد عليه، ونزل الصنمين. ثم كتب إليه السلطان بعوده إلى دمشق، فعاد. وباطن هذه الحركة أن السلطان بلغه أن الأمير مهنا بن عيسى يريد الحج، فندب الأمير أرغون للحج، وأن يقبض عليه. فلما خرج أرغون بلغ السلطان أنه كتب إلى مهنا يحذره من الحج، فشق ذلك على السلطان، وأشاع ما تقدم ذكره، وأخرج نائب الشام بالعسكر ليقبض على أرغون، ثم بدا له فأشاع أن جويان أبطل حركته للحج، وأعاد نائب الشام.

وفى كثير الرخاء بمصر، فأبيع الأردب القمح بخمسة دراهم وبسته، وأبيع الشعير والبول من ثلاثة دراهم الأردب إلى أربعة.

وفى يوم الخميس تاسع عشر شوال: فرق السلطان الحوائص الذهب على الأمراء.

وفى بلغت زيادة ماء النيل تسعة عشر إصبعا وسبعة عشر ذراعا.

وفى كتبه مرسوم السلطان - وقرئ على المنابر - بالآلى يضرب أحد فى ديار مصر والشام بالمقارع.

وفى قدم بييغا الحموى من مكة مبشرا بسلامة الحاج، فى رابع عشرى ذى الحجة.

* * *

ومات فىها ممن له ذكر

شيخ الشيعة جمال الدين حسين بن يوسف بن المطهر الحلى المعتزلى، شارح مختصر

ابن الحاجب، في المحرم؛ وكان رضى الخلق حليما، عالما بالمعقولات، وله وجهة عند خربندا، وله عدة مصنفات، ولابن تيمية عليه ردّ في أربع مجلدات، وكان يسميه ابن المنجس.

ومات شرف الدين أبو الفتح أحمد بن عز الدين أبي البركات عيسى بن مظفر بن محمد بن إلياس - المعروف بابن الشيرجى - الأنصارى الدمشقى، محتسب دمشق؛ ومولده فى سنة سبع وأربعين وستمائة. ومات بدر الدين حسن ابن الملك الأفضل صاحب حماة، أحد الأمراء بحماة، عن نيف وستين سنة. وكان من أهل العلم، وسعى فى مملكة حماة^(١).

ومات سراج الدين عمر بن أحمد بن خضر بن ظافر بن طراد الخزرجى الأنصارى المصرى الشافعى، خطيب المدينة النبوية.

ومات والى المحلة الشيخى، فى سابع عشرى المحرم.

* * *

(١) حماة مدينة كبيرة عظيمة كثيرة الخيرات رخيصة الأسعار . انظر معجم البلدان.

سنة سبع وعشرين وسبعمائة

أهل المحرم: وقد كثر مرض الناس بحميات حادة دموية فشت حتى لم يكفد يسلم منها أحد، فكان المريض يتمادى مرضه أسبوعاً ويبرأ؛ وربح بياعو الأدوية والأطباء والحجامون مالا كثيراً.

وفى يوم الأحد حادى عشره: قدم الأمير أرغون النائب وولده ناصر الدين محمد من الحجاز والسلطان بناحية سرياقوس. فقبض عليهما وعلى الأمير طيغنا الحموى، فأخذهم الأمير بكتمر الساقى عنده وسعى فى أمرهم؛ فأخرج السلطان الأمير أيتمش فى يوم الإثنين ثانى عشره بالأمير أرغون لنيابة حلب، عوضاً عن أظنبيغا.

وقد تقدم تغير السلطان على الأمير أرغون، فلما قدم بعث السلطان الأمير أيتمش المحمدى ليقف على باب القلة من قلعة الجبل، فإذا مر به أرغون فى دخوله على السلطان منع مماليكه من العبور معه. وأمر السلطان الأمير قجليس أن يتلقاه إذا صعد القلعة، ولا يمكنه من العبور إلى داره، فتلقيه قجليس من باب القلعة، ومشى معه إلى أن جازا دار النيابة؛ فسمع أرغون صراخ أهله، وقد ماتت ابنة زوجته. ثم مر أرغون إلى باب القلة، فإذا أيتمش وغيره؛ فأخذوا سيفه وسيف ابنه محمد، وفرق بينهما. فبعث السلطان إليه بكتمر الساقى يعدد عليه ذنوبه، فاستسلم لأمر الله؛ وطال تردد بكتمر بينه وبين السلطان إلى أن أنعم عليه بناية حلب، وأخرج معه أيتمش ليوصله ويعود. وبعث السلطان الأمير ألبجى الدوادار على البريد إلى حلب ليحضر أظنبيغا نائبها، وقرر مع كل من أيتمش وألبجى أن يكونا بمن معهما فى دمشق يوم الجمعة ثالث عشره. ولم يعلم أحد منهما بما توجه فيه الآخر، حتى توافيا بدمشق فى يوم الجمعة المذكور. وقد خرج الأمير تنكز فى الساعة الرابعة إلى ميدان الحصا للقاء الأمير أرغون، فترجل كل منهما لصاحبه، وسارا إلى جامع بنى أميه، فعندما توسطاه إذا بألبجى ومعه أظنبيغا نائب حلب، فسلم عليه أرغون بالإيماء. فلما قضيت صلاة الجمعة حمل لهما الأمير تنكز سماً طاباً جليلاً، وركب أرغون إلى حلب، فدخلها فى سلخه.

وفى يوم الثلاثاء ثالث عشره: عزل شرف الدين الخطيرى من نظر الدولة بمجد الدين إبراهيم بن لفيفة، واستقر الخطيرى ناظر البيوت؛ فألزم ابن لفيفة المباشرين بعمل الحساب، وأراد توفير جماعة منهم، فلم يتمكن من ذلك.

وفيه سار ألطنبغا إلى القاهرة، فقدمها يوم السبت مستهل صفر، فأكرمه السلطان وخلع عليه، وأسكنه بقلعة الجبل، وأنعم عليه بإمرة مائة من جملة إقطاع أرغون؛ وكمل السلطان منه لطايربغا إمرة مائة، فزادت التقادم تقدمه، وصارت الأمراء خمسة وعشرين مقدا .

واتهم الفخر ناظر الجيش بأنه كان سبب تغير السلطان أرغون؛ لكثرة حطه عليه وإغرائه به، حتى قال له: «يا خوندا! ما رأينا سلطانا دخل عليه الدخيل من غير نائب السلطنة»، وذكره بما وقع للمنصور لاجين بسبب نائبه منكوتر، وقيام لاجين وهو نائب السلطنة على العادل كتبغا، وإفساد سلار نائب السلطنة مملكة المظفر بيبرس، وأشار عليه بإبطال النيابة والاستبداد بالأمور. وسبب ذلك ما كان بين الفخر وبين الأمير أرغون من المنافرة، وأهانة أرغون له وحطه من مقدار.

ولما قدم أيتمش سأله السلطان عن أرغون، فما ذكر إلا خيرا، فقال له الفخر بحضرة السلطان: «يا أيتمش! كل ما قلت صحيح، لكن والله لو قام أرغون فى النيابة شهرا واحدا ما رأيت السلطان على هذا الكرسي». فأثر هذا القول فى السلطان أثرا قبيحا، وطلب شرف الدين الخطيرى كاتبه وهدهد بالشنق إن أخفى شيئا من مال أرغون، وألزمه بكتابة حواصله؛ فلما تنجزت الأوراق أحاط السلطان بجميع حواصله، وأخذ بعضها وأنعم بالباقي.

وفى يوم الأربعاء ثانى عشر صفر: قدم الشريف طفيل فارا من ابن عمه الشريف ودى ابن حماز بن شيعة، وأخبر أنه حصر المدينة النبوية سبعة أيام، ودخلها عنوة لغيبة الشريف كبيشة أمير المدينة، وأخذ غلمانا وأهله وصادرهم، وعاقب جماعة حتى ماتوا تحت العقوبة، وقتل القاضى هاشم بن على وعبد الله بن القائد على بن يحيى. فلما بلغ ذلك الشريف كبيشة قدم، ففر منه ودى، فغضب السلطان من ذلك، وعزم على تجريد عسكر يوم الجمعة.

وفى رابع ربيع الآخر: قدم الأمير تنكز نائب الشام باستدعاء، ومعه قليل من مماليكه؛ فخرج الأمير بكتمر الساقى إلى لقائه بسرياقوس وقدم به، فأكرمه السلطان وأنزله بدار الأمير بكتمر الساقى. وكان قد قدم معه الأمير بدر الدين مسعود بن الخطير أحد حجاب دمشق، فشكا منه وسأل أن يكون بديار مصر، فأنعم عليه بإمرة طبلخاناه، وأن يكون حاجبا صغيرا رقيقا للأمير ألماس الحاجب؛ وأنعم بإقطاعه فى دمشق على أخيه شرف الدين محمود بن الخطير؛ وسافر الأمير تنكز.

وفي يوم الأحد سادس ربيع الآخر: قبض على الأمير سيف الدين قطلوبغا الفخرى، والأمير سيف الدين طشتمر حمص أخضر الساقى. وأخرج قطلوبغا على إقطاع أيدغدى التليلى بدمشق، فى يوم السبت ثانى عشره. وأفرج عن طشتمر، واستمر على حاله. وسبب مسكهما أن السلطان وجد ورقة فيها أنهما اتفقا على قتله، فقام الأمراء وكذبوا هذا القول، فإنه من فعل من يريد الفتنة، وما زالوا حتى أفرج عنهما.

وفيه استقرّ الأمير عز الدين دقماق نقيب الجيوش، عوضا عن شمس الدين المهمندار، مضافا لما بيده من نقابة المماليك. واستقر المهمندار على المهمندارية.

وفي يوم الخميس مستهل جمادى الأولى: قبض على الأمير بهاء الدين أصلم، وعلى أخيه سيف الدين قرجى، وجماعة من القبحاقية. وسبب ذلك أن أصلم عرض سلاح خاناه وجلس بإصطبله، وألبس خيله عدة الحرب، وعرضها يومه كله؛ فوشى به إلى السلطان بعض أعدائه بأنه قد عزم هو وأخوه قرجى وجماعة جنس القبحاق أن يهجموا على السلطان ويغيروا الدولة، وأنه أمس عرض عدده وألبس خيله ورتبهم للركوب. وكتب هذا فى ورقة وألقاها أحدهم فى الإصطبل السلطانى. فلما وقف السلطان عليها تعير تغيرا زائدا، وكانت عادته أنه لا يكذب فى الشر خيرا، وبعث من فوره يسأل أصلم مع الحاجب ألماس عما كان يعمله أمس فى إصطبله، فذكر أنه اشترى عدة أسلحة فعرضها على خيله لينظر ما يناسب كل فرس منها، فصدق السلطان ما نقل عنه، وقبض عليه وعلى أخيه وأهل جنسه، وعلى قيران صهر قرجى وانكبار أخى أقول الحاجب، وسفروا إلى الإسكندرية مع صلاح الدين طرخان بن بدر الدين بيسرى الشمسى وبرلغى قريب السلطان، وكانا مسجونين بقلعة الجبل. وأفرد أصلم فى برج بالقلعة.

وفي يوم الإثنين تاسع عشره: قدم الأمير حسين بن جندر بك من الشام، فخلع عليه أطلس بطرز زركش وكلفته زركش وحياسة مجوهرة، وأنعم عليه بإقطاع الأمير أصلم. وفيه سار الأمير حسام الدين حسين بن خربندا إلى الشام، وقد كان فرّا من بلاد التتار، وشمله الإنعام السلطانى، وصار من جملة أمراء الطبلخاناه.

وفيه قدمت رسل اصطنبول، فأسلم منهم نفران، وهما آقسنقر وبهادر؛ وأنعم على آقسنقر بإمرة عشرة بديار مصر، وعلى بهادر بخبز جندى، وكانا أخوة.

وفي يوم الإثنين ثالث جمادى الآخرة: عقد على الأمير سيف الدين قوصون بالقلعة عقد ابنة السلطان بالقلعة، وتولى عقد النكاح قاضى القضاة شمس الدين محمد بن الحريرى الحنفى.

وفيه سأل قاضى القضاة بدر الدين محمد بن جماعة الشافعى فى الإعفاء من القضاء، واعتذر بنزول الماء فى إحدى عينيه وانحداره إلى الأخرى، وقلة نظره وكبر سنه. فسأل السلطان من ابنة عز الدين عبد العزيز بن جماعة عن وظائف والده، فأخبره بها، فلما حضر بدر الدين دار العدل فى يوم الإثنين عاشره أعاد السؤال فى طلب الإعفاء، فأجابه السلطان من غير تصريح، وقال له: «احكم بين الأمير بكمصر الحاجب وبين غرمائه»، فنزل إلى المدرسة الصالحية وحكم بينهما، وقال لأهل مجلسه: «هذا آخر الحكم»، ومضى إلى داره بمصر؛ فقرر له السلطان من مال المتجر فى كل شهر ألف درهم فضة.

وفيه كتب بإحضار جلال الدين محمد القزوينى قاضى دمشق؛ ليستقر فى قضاء القضاة بمصر عوضاً عن بدر الدين بن جماعة، فقدم على البريد إلى سرياقوس يوم الجمعة ثامن عشره، وخطب بجامع الخانكاه، وصلى بالناس صلاة الجمعة. وطلع القزوينى قلعة الجبل يوم السبت تاسع عشره، فخلع عليه فى أول رجب، واستقر فى قضاء القضاة، وأركب بغلة بزناز جوخ، وأضيف إليه تدريس المدرسة الصالحية، والمدرسة الناصرية، ودار الحديث الكاملية، وخطابة جامع القلعة شركة مع ابن القسطلانى؛ وأعيد ابنه بدر الدين محمد على خطابة جامع بنى أمية بدمشق. وكتب باستقرار شمس الدين أبى اليسر ابن الصائغ بتعيين الجلال القزوينى، فامتنع من ذلك.

وفى يوم الأربعاء رابع رجب: قدمت رسل القان أبى سعيد، ومعهم محمد بيه بن جمق قريب السلطان وابن أخت طابريغا، بهدية سنوية. فأنعم السلطان على محمد بيه بإمره طبلخاناه عوضاً عن أيبك البكتوتى أمير علم، بحكم انتقاله على إقطاع فيروز بصفد.

فلما كان يوم السبت: ركب السلطان إلى الميدان ومعه الرسل، ثم أركبهم فى ثالث عشره معه إلى القاهرة، ونزل إلى زيارة قبر والده الملك المنصور، ومد سماط عظيم بإيوان المدرسة المنصورية القبلى، وحضر الفقهاء بالإيوان البحرى. ثم ركب السلطان بهم مرة ثانية إلى الميدان، وأعادهم فى سادس عشره بهدية جلييلة.

وفى يوم الخميس خامسه: كانت الفتنة بالإسكندرية: وملخصها أن بعض تجار الفرنج فاوض رجلاً من المسلمين وضربه، وذلك أن الفرنجى وقف بجانب صبى أمرد ليأخذه ويفعل به ذلك الفعل، فعناه بعض المسلمين وقال له: «هذا ما يحل»، فضربه الفرنجى بخف على وجهه. فنثار المسلمون بالإفرنجى، وثار الفرنج لتحميه، فوقع الشر بين الفريقين، واقتتلوا بالسلاح. فركب ركن الدين الكركى متولى الثغر، فإذا الناس قد

تعصبوا وأخرجوا السلاح، وشهدوا على الفرنجى بما يوجب قتله، وحملوه إلى القاضى، وغلقت أسواق المدينة وأبوابها.

فلما كان بعد عشاء الآخرة فتحت الأبواب ليدخل من كان خارج البلد، فمن شدة الزحام قتل عشرة أنفس، وتلفت أعضاء جماعة، وذهبت عمائم وغيرها لكثير منهم. وتبين للكركى تحامل الناس على الفرنج، فحمل بنفسه وأجناده عليهم ليدفعهم عن الفرنج، فلم يندفعوا وقاتلوه إلى أن هزموه، وقصدوا إخراج الأمراء المعتقلين بالثغر. بعد ما سفكت بينهما دماء كثيرة. فعند ذلك بادر الكركى بمطالعة السلطان بهذه الحادثة، فسرح الطائر بالطائق يعلم السلطان، فاشتد غضبه. وخشى السلطان خروج الأمراء من السجن، وبادر إلى أخذ أولاد الأمير سيف الدين الأبو بكرى الثلاثة - وهم على وأسنبغا وأحمد - فى يوم الإثنين تاسعه، وجعلهم فى دار الأمير ألماس الحاجب. وأخرج السلطان الوزير مغلطاي الجمالى، وطوغان شاد الدواوين، وسيف الدين ألدمر الركنى أمير جندار، فى جماعة من المماليك السلطانية، ومعهم ناظر الخاص إلى الإسكندرية، ومعهم تذاكر بما يعمل من تتبع أهل الفساد وقتلهم، ومصادرة قوم بأعيانهم، وتفريم أهل البلد المال، والقبض على أسلحة الغزاة، ومسك القاضى والشهود، وتجهيز الأمراء المسجونين إلى قلعة الجبل؛ فساروا فى عاشره، ودخلوا المدينة.

وجلس الوزير والناظر بديوان الخمس، وفرض الوزير على الناس خمسمائة ألف دينار، وقبض على جماعة من أذلم ووسطهم، وقطع أيدى بعضهم وأرجلهم؛ وتطلب ابن رواحة كبير دار الطراز ووسطه، من أجل أنه وشى به أنه كان يغرى العامة بالفرنج ويمدهم بالسلاح والنفقة. فحل بالناس من المصادرة بلاء عظيم، وكتب السلطان ترد شيئاً بعد شىء تتضمن الحث على سفك دماء المفسدين وأخذ الأموال، والوزير يوجب بما يصلح أمر الناس. ثم استدعى الوزير بالسلاح المعد للغزاة، فبلغ ستة آلاف عدة، وضعها كلها فى حاصل وختم عليها؛ واستمر نحو العشرين يوماً فى سفك دماء وأخذ أموال، حتى جمع ما ينيف على مائتين وستين ألف دينار. وقدم الوزير عماد الدين محمد ابن إسحاق بن محمد البليسى قاضى الإسكندرية ليشنق، ثم أخره، وكتب السلطان بأنه كشف عن أمره فوجد ما نقل عنه غير صحيح. وبعث الوزير المسجونين إلى قلعة الجبل فى طائفة معهم لحفظهم، فقدموا فى ثامن عشره، وهم البوبكرى، وتمر الساقى، وسنجر الجاولى، وبهادر المعزى، وطغلق، وأمير غانم، وقطلوبك الوشاقى، وأيدمر اليونسى، وكجلى نائب قلعة الروم. فأخرج البوبكرى وتمر الساقى إلى الكرك، وسجن الجاولى وبهادر المعزى فى البرج بالقلعة، وأنزل بطغلق وأمير غانم وقطلوبك وأيدمر

وبلاط وبرلغى ولاجين^(١) زيرباج وييرس العلمى وطشتمر أخى بتخاص المنصورى إلى الجب بالقلعة، وأفرج عن فخر الدين أياس نائب قلعة الروم، فى يوم الخميس سادس عشرية.

وقدم الوزير من الإسكندرية بالمال، وجلس فى سلخ رجب بالشباك بقاعة الوزارة المستجدة بالقلعة، وقد سكنها، وحضر النظار والمستوفون من خارج الشباك، وحضر طوغان الشاد أيضا؛ فنفذ الوزير الأمور، وصرف أحوال الدولة.

وفى أول شعبان: قدمت رسل بابا الفرنج من مدينة رومة^(٢) بهدية، وكتاب فيه الوصية بالنصارى، وأنه مهما عمل مهم بمصر والشام عاملوا من عندهم من المسلمين بمثله، فأجيبوا وأعيدوا. ولم تقدم رسل من عند الباب إلى مصر منذ أيام الملك الصالح^(٣) نجم الدين أيوب.

وفيه قبض على أمير فرج بن قراسنقر، واعتقل بالجب فى القلعة. وأخرج كجكن الساقى إلى صفد، فاعتقل بها.

وفى يوم الإثنين السادس والعشرين من شوال: استدعى الشيخ علاء الدين على بن إسماعيل بن أبى العلاء القونوى الشافعى شيخ خانكاه سعيد السعداء، وخلع عليه بقضاء القضاة بدمشق، ونزل فحكّم بالقاهرة، وأثبت كتبا تتعلق بدمشق، وسافر فقدم دمشق فى خامس عشرية، وأضيف إليه مشيخة الشيوخ بها، عوضا عن قاضى القضاة شرف الدين المالكى. واستقرّ فى مشيخة سعيد السعداء شيخ الشيوخ مجد الدين أبو حامد موسى بن أحمد بن محمود الأقصرائى، شيخ خانكاه سرياقوس، ورسم له أن يستنيب عنه بسعيد السعداء الشيخ جمال الدين الحويزانى^(٤). واستقر فى مشيخة الخانكاه الركنية

(١) لاجين بن عبد الله الذهنى، حسام الدين الطرابلسى: فاضل نشأ بدمشق وأولع بالأدب وصنف (تحفة المجاهدين فى العمل بالميادين - خ) فى فن الفروسية وله نظم. انظر الدرر الكامنة ٢٧:٢ وهديّة العارفين ١/٨٣٩ والأعلام ٥/٢٣٨.

(٢) رومة بلاد واسعة تضاف إليهم فيقال بلاد الروم. انظر معجم البلدان ٣/٩٧.

(٣) الملك الصالح نجم الدين أيوب بن محمد (الملك الكامل) بن أبى بكر (العادل) بن أيوب، أبو الفتح نجم الدين من الملوك الأيوبيين بمصر ولد ونشأ بالقاهرة وولى بعد خلع أخيه العادل سنة ٦٣٧هـ وضبط الدولة بحزم وكان شجاعا مضيا عفيفا صموتا عمر بمصر ما لم يعمر أحد من ملوك بنى أيوب. فى أواخر أيامه أغار الإفرنج على دمياط (سنة ٦٤٧هـ) ولد سنة ٦٣هـ وتوفى ٦٤٧م. انظر خطط المقرئى ٢/٢٣٦ وابن إياس ١/٨٣ وتاريخ الإسحاقى ١٨٩ ومرآة الزمان ٨/٧٧٥ والأعلام ٣٨/١.

(٤) الحويزا موضع حازه وهو موضع بين واسط والبصرة وخوزستان ٢/٣٢٦.

بيبرس افتخار الدين الخوارزمي، عوضا عن مجد الدين أبي بكر^(١) بن إسماعيل بن عبد العزيز الزنكلوني؛ ونقل الزنكلوني إلى مشيخة تدريس الحديث النبوي بالقبة البيبرسية.

وفيه قبض على الشريف ودي بن جهاز عندما حضر من المدينة النبوية، وكان قد تحاقق هو وطفيل بن منصور بن جهاز بين يدي السلطان، ففلح عليه طفيل في الخصومة. وسفر الأمير علاء الدين علي بن طغريل صحبة الشريف كبيشة، ليوصله إلى المدينة النبوية، ويقبض على أصحاب ودي. فلما قدما فر أصحاب ودي، وملك كبيشة ابن منصور المدينة، ودعا للسلطان عقيب كل صلاة كما يدعى له بمكة.

وفي خامس عشر ذي القعدة: استقر مغلطاي الخازن في نيابة قلعة دمشق، عوضا عن سنجر الديرى. وأنعم على سنجر بإمرة في دمشق.

وفيه استقر الأمير بلبسطي في نيابة حمص، بعد وفاة بلبان البدرى. واستقر في نظر القدس والخليل إبراهيم الجاكي.

وفي ليلة الجمعة ثالث عشر ذي الحجة: دخل الأمير قوصون على ابنة السلطان، بعد ما حمل جهازها إليه، وكان شيئا عظيما: منه بشخاناه ودابير بيت زركش، زنة البشخاناه بمفردها مائة ألف مثقال ذهبيا. وعمل الفرح مدة سبعة أيام، ذبح فيه خمسة آلاف رأس من الغنم الضأن، ومائة رأس من البقر، وخمسون فرسا، ومن الدجاج، والأوز ما لا يحصى كثرة. واستعمل فيه من السكر برسم الحلوات وتحالي الأطعمة والمشروب أحد عشر ألف أبلوجة، وبلغ وزن الشمع الذي أحضره الأمراء ثلاثمائة قنطار وأحد عشر قنطارا. وبلغت تقادم الأمراء لقوصون خمسين ألف دينار. وعمل قجليس في القلعة برجا من بارود ونفط، غرم عليه ثمانين ألف درهم. وحصل للمغانى من النقود عشرة آلاف دينار مصرية. وقد جمع أمراء مصر والشام تقادم جليلة، منها مقدمة الملك صاحب حماة، ومن جملة مشعل وطرطور ومخللة مطرز ذهب بألف دينار.

وفي صبيحة العرس عقد الأمير أحمد بن بكتمر الساقى على قطلوملك بنت الأمير تنكز نائب الشام، وقد حضرت في أول ذي القعدة بجهاز عظيم، فيه داير بيت زنة زركشه ستون ألف مثقال من الذهب. وقدم الأمير تنكز عليه عليه السلطان خلعة

(١) أبو بكر بن إسماعيل بن عبد العزيز الزنكلوني فقيه شافعي أصولي. نسبته إلى سنكلون وهي الآن زنكلون من شرقية مصر. عاش وتوفي بالقاهرة ٦٧٩-٧٤٠هـ = ١٢٨-١٣٣٩. انظر الدرر الكامنة ٤٤١/١ وشذرات الذهب ١٢٥/٦ ودار الكتب ١: ٥٢٣، ٥٠٤: ١ وهدية العارفين ١/ ٢٣٥ والأعلام ٦٢: ٢

كاملة، انصرف على القباء الفوقاني منها وحده مبلغ أربعة وخمسين ألف درهم فضة. فدخل أمير أحمد على ابنة تنكز في ليلة رابع عشره.

وفي هذه السنة: قدم إلى ميناء بيروت^(١) من سواحل الشام تجار الفرنج بمائة وأربعين من أسارى المسلمين، قد اشتروهم من الجزائر، فاشتراهم الأمير تنكز، وأفاد التجار في كل أسير مائة وعشرين درهما على ما اشتراه به. وكسا تنكز الجميع وزودهم، وحملهم إلى مصر، فسر المسلمون بقدمهم، وجد تجار الفرنج في شراء الأسرى رغبة في الفائدة.

وفيه كتب لنائب الشام بجمع فقهاء الشام والعمل في أوقافها كلها بمقتضى شروط واقفيها، وأن يجهز ضياء الدين يوسف بن أبي بكر بن محمد - المعروف بالضياء بن خطيب بيت الآبار -، وكان قاضي القضاة جلال الدين القزويني قد عينه لنظر الأوقاف بديار مصر وأثنى عليه. فلما قدم ضياء الدين خلع عليه بنظر الأوقاف، فباشرها مباشرة جيدة.

ونظر تنكز نائب الشام في أوقافها، ورسم بعمارة ما يحتاج إليه، ومنع الجوامك كلها أن يصرف منها لأحد حتى تفرغ عمارتها، فامتثل ذلك. ونظر تنكز في مقاسم المياه بدمشق التي تتصرف في دور الناس، وكسح ما فيها من الأوساخ، وفتح ما استند منها حتى صلحت كلها، فعم النفع بها. وكانت المياه قد تغيرت لما خالطها في طول السنين، وصار الوحوم يعتاد أهل دمشق في كل سنة. فشكر الناس هذه الأفعال، ودعوا له. ويقال إنه بلغ المصروف في ذلك ثلاثمائة ألف درهم.

وفيها اهتم تنكز أيضا بفتح العين بالقدس، فإن الماء قلّ به حتى بلغ شرب الفرس الماء مرة واحدة نصف درهم فضة، وكتب إلى ولاية الأعمال بإخراج الرجال، وندب قطلوبك بن الجاشنكير بالمال لنفقته عليها.

وفيها ندب السلطان الأمير علاء الدين على بن هلال الدولة لعمارة حرم مكة، وقد بلغه أن سقوفه تشعثت، وتهدم فيه عدة جدر، وجهز ابن هلال الدولة بكل ما يحتاج إليه من المال والمصاغ والآلات، وكتب السلطان للشريف عطيفة^(٢) بمساعدته. وحج

(١) بيروت مدينة مشهورة على ساحل بحر الشام تعد من أعمال دمشق. انظر معجم البلدان

(٢) الشريف عطيفة بن أبي نعي محمد بن الحسن على بن الحسين: من أمراء مكة ولاة بيبس الجاشنكير سنة ٧٠١هـ وعزله سنة ٧٠٤هـ وأعيد سنة ٧١٩هـ واستمر إلى أن قبض عليه وحمل إلى =

بالناس من مصر الأمير جمال الدين أقوش نائب الكرك.

* * *

ومات في هذه السنة من الأعيان

نجم الدين أحمد بن محمد بن أبي الحزم^(١) مكي المخزومي ابن ياسين القمولى الشافعى، محتسب مصر، فى ثامن رجب.

ومات أبو يحيى زكريا^(٢) بن أحمد بن محمد بن يحيى بن عبد الواحد بن أحمد بن محمد اللحيانى، ملك تونس، بالإسكندرية. وومات كمال الدين محمد بن علاء الدين على بن كمال الدين عبد الواحد بن عبد الكريم بن خلف بن نبهان الزملكانى^(٣) الشافعى، بمدينة بلييس عند قدمه من حلب، فى سادس شهر رمضان، ودفن بالقرافة.

ومات شمس الدين محمد بن الشهاب محمود بن سليمان بن فهد الحلبي، كاتب السر بدمشق، فى عاشر شوال.

ومات نور الدين على بن عمر بن أبى بكر بن عبد الله الخلاطى الوانى الصوفى، نزيل القاهرة، فى الحرم، ومولده فى سنة ست وثلاثين وستمائة؛ سمع من يونس بن محمود الشاوى وعبد الوهاب بن رزاح وعبد الرحمن بن مكي، سبط السلفى، وخرج له الحافظ أبو الحسين بن أيك جزءا حدث به، فسمع منه قديما البرزالى سنة خمس وثمانين

=مصر فسجن بالإسكندرية إلى أن توفى . انظر الدرر الكامنة ٤٥٥/٢ والجداول المرضية ١٤٥ وخلاصة الكلام ٣٠/٣١ والأعلام ٤/٢٣٧.

(١) أحمد بن محمد بن أبى الحزم القرشى مخزوم تميم الدين القمولى: فقيه شافعى مصرى، من أهل (قموله) بصعيد مصر. تعلم بقوص ثم القاهرة وولى نيابة الأحكام والتدريب فى مدن عدة وتولى الحسبة بالقاهرة وتوفى بها. له (شرح مقدمة ابن الحاجب) فى النحو مجلدان. انظر الطالع السعيد ٦٣ البداية والنهاية ١٤:١٣١ والتاج ٨:٨٧ والسبكى والأعلام ١/٢٢٢.

(٢) زكريا بن أحمد بن محمد بن يحيى بن عبد الواحد بن أبى حفص اللحيانى الهنتانى أبو يحيى الحفصى، من ملوك الدولة الحفصية فى إفريقية ولد بتونس. انظر الخلاصة النقية ٦٩ والنجوم الزاهرة ٩/٦٢٨ وابن خلدون ٦/٣٢٥ والدرر الكامنة ٢/١١٣ والبدية والنهاية ١٤/١٢٩ والأعلام ٣/٤٦،٤٥.

(٣) محمد بن على بن عبد الواحد الأنصارى كمال الدين المعروف بابن الزملكانى: فقيه انتهت إليه رياضة الشافعية فى عصره، ولد وتعلم بدمشق، وتصدر للتدريب. ونظر الخزانة ووكالة بيت المال. وكتب فى ديوان الإنشاء ثم ولى القضاء فى حلب. انظر جلاء العين ١٧ وفوات ٢/٢٥٠ وطبقات السبكى ٥:٢٥١-٢٥٩ والبدية والنهاية ١٤:١٣١ والكتبخانة ٧:٦٥٩ وحسن المحاضرة ١/١٧١ والدرر الكامنة ٤/٧٤ والنجوم الزاهرة ٩/٢٧٠ والأعلام ٦/٢٨٤.

١٠٤ سنة سبع وعشرين وسبعمائة

وستمائة، وسمع منه شيخنا أبو الفرج بن الشيخة، وأبو علي الباصلي وعبد الوهاب البصروي.

ومات قاضي القضاة الحنفية بدمشق صدر الدين أبو الحسن علي بن صفى الدين أبي القاسم بن محمد بن عثمان البصراوي ، فى شعبان ، بعدما حكم بدمشق عشرين سنة.

ومات الملك الكامل ناصر الدين محمد بن السعيد فتح الدين^(١) عبد الملك بن الصالح عماد الدين إسماعيل بن العادل أبى بكر محمد بن نجم الدين أيوب بن شادى، بدمشق فى حادى عشرى جمادى الآخرة، عن أربع وسبعين سنة.

ومات الطواشى ناصر الدين نصر الشمسى ، شيخ الخدام بالحرم النبوى؛ وكان خيرًا يحفظ القرآن، ويكثر تلاوته بصوت حسن .

ومات الضياء المجدى بمصر، وكان مطبوعا صاحب نوادر.

ومات الأمير سيف الدين بلبان البدرى نائب حمص، فى ليلة عيد الفطر.

ومات الأمير ناصر الدين محمد بن أرغون النائب بجلب، فى ثالث عشر شعبان.

ومات الأمير سيف الدين قطلوبغا المغربى الحاجب، بالقاهرة فى ثامن رجب.

ومات الأمير سيف الدين كوجرى أمير شكار بالقاهرة فى تاسع عشرى ذى الحجة.

وهو مملوك عز الدين أيذر نائب دمشق فى الأيام الظاهرية.

ومات بكتوت بن الصائغ، فى يوم السبت رابع عشرى جمادى الأولى.

ومات الأمير شمس الدين إبراهيم ابن الأمير بدر الدين محمد بن عيسى بن التركمانى،

فى جمادى الآخرة، بدار جوار باب البحر خارج القاهرة. وكانت له مكارم وفيه مروءة.

* * *

(١) ناصر الدين إبراهيم ابن المعظم شرف الدين عيسى ابن الزاهر داود ابن المجاهد أسد الدين شيركوه ابن القاهر ناصر الدين بن المنصور أسد الدين شيركوه بن شادى . انظر الدرر الكامنة

سنة ثمان وعشرين وسبعمائة

فى ثالث المحرم: أنعم بنجز الأمير كوجرى أمير شكار على الأمير بشتاك.
وفى خامس عشره: قدم الأمير جمال الدين آقوش نائب الكرك من الحجاز بالحجاج.

وفى سابع عشره: قدمت رسل القان أبى سعيد، فأكرموا وأعيدوا فى رابع صفر.
وفى المحرم: هذا وشى بالأمير شمس الدين آسنقر شاد العمائر أن جميع عمائره وأملاكه التى استجدّها مما يأخذه من الأسرى وأرباب الصنائع؛ فرسم عليه مالا ألزم به، فاعتنى به الأمير قوصون وشفع فيه، فأفرج عنه وأخرج إلى الشام.

وفيه وردت مكاتبة الأمير تنكز نائب الشام بالشكوى من الأمير طينال نائب طرابلس وترفعه عليه؛ فكتب بالإنكار عليه، وألا يكاتب فى المهمات وغيرها إلا نائب الشام، ولا يجهز بعدها مطالعة إلى مصر.

وفى سابع ربيع الأول: قدم دمرداش بن جوبان بن تلك بن تداون. وسبب ذلك أن القان أبا سعيد بن خربندا لما ملك أقبل على اللهو، فتحكم الأمير جوبان بن تلك على الأردن، وقام بأمر المملكة، واستتاب ولده دمشق خواجه بالأردن، وبعث ابنه دمرداش إلى مملكة الروم. فانحصر أبو سعيد إلى أن تحرّك بعض أولاد كبك بجهة خراسان^(١)، وخرج عن الطاعة، فسار جوبان لخربه فى عسكر كبير، فما هو إلا أن بعد عن الأردن قليلا حتى رجع العدو عن خراسان، وقصد جوبان العود.

وكان قد قبض بوسعيد على دمشق خواجه، وقتله بظاهر مدينة السلطانية، فى شوال من السنة الماضية، وأتبع به إخوته ونهب أتباعهم، وسفك أكثر دمائهم، وكتب إلى من خرج من العسكر مع جوبان بما وقع، وأمرهم بقبضه، وكتب إلى دمرداش أن يحضر إلى الأردن، وعرفه شوقه إليه، ودس مع الرسول إليه عدة ملطفات إلى أمراء الروم بالقبض عليه أو قتله، وعرفهم ما وقع.

(١) خراسان أول حدودها مما يلى طرف أزدوار قصبه جوين ويهتق . انظر معجم البلدان

وكان دمرداش قد ملك بلاد الروم جميعها وجبال ابن قرمان، وأقام على كل دربند جماعة تحفظه، فلا يمر أحد إلا ويعلم به خوفا على نفسه من السلطان الملك الناصر أن يبعث إليه فداويا يقتله، بسبب ما حصل بينهما من المواجهة التي اقتضت انحصار السلطان منه، وأنه منع التجار وغيرهم من حمل الممالك إلى مصر، وإذا سمع بأحد من جهة صاحب مصر أخرق به. فشرع السلطان يخادعه على عادته، ويهاديه ويتزاه، وهو لا يلتفت إليه، فكتب إلى أبيه جوبان في أمره حتى يبعث ينكر عليه، فأمسك عما كان فيه قليلا، ولبس تشریف السلطان، وقبل هديته وبعث عوضها؛ وهو مع هذا شديد التحرز.

فلما قدمت رسل أبي سعيد بطلبه فتشهم الموكلون بالدريندات، فوجدوا الملقطات، فحملوهم وما معهم إلى دمرداش. فلما وقف دمرداش عليهما لم يزل يعاقب الرسل إلى أن اعترفوا بأن أبا سعيد قتل دمشق خواجه وإخوانه ومن يلوذ بهم، ونهب أموالهم، وبعث بقتل جوبان. فقتل دمرداش الرسل، وبعث إلى الأمراء أصحاب الملقطات فقتلهم أيضا، وكتب إلى السلطان الملك الناصر يرغب في طاعته، ويستأذنه في القدوم عليه بعساكر الروم؛ ليكون نائبا عنه بها. فسر السلطان بذلك. وكان قد ورد على السلطان كتاب المجد السلامي من الشرق بقتل دمشق خواجه وإخوانه، وكتاب أبي سعيد بقتل جوبان، وطلب ابنه دمرداش، وأنه ما عاق أبا سعيد عن الحركة إلا كثرة الثلج وقوة الشتاء.

فكتب السلطان الناصر جواب دمرداش يعده بمواعيد كثيرة، ويرغبه في الحضور. فتحير دمرداش بين أن يقيم فيأتيه أبو سعيد، أو يتوجه إلى مصر فلا يدري ما يتفق له. ثم قوى عنده المسير إلى مصر، وأعلم أمراءه أن عسكر مصر سار ليأخذ بلاد الروم، وأنه قد كتب إليه الملك الناصر يأمره أن يكون نائبه، فمشى عليهم ذلك وسرهم. وأخذ دمرداش يجهز أمره، وحصن أولاده وأهله في قلعة منيعة، وبعث معهم أمواله، ثم ركب بعساكره حتى قارب بهسنا، فجمع من معه وأعلمهم أنه يريد مصر، وخيرهم بين العود إلى بلادهم وبين المسير معه، فعادوا إلا من يختص به.

وسار دمرداش إلى بهسنا^(١) في نحو ثلاثمائة فارس، فتلقيه نائبها؛ وما زال حتى قدم دمشق يوم الأحد خامس عشرى صفر، فركب الأمير تنكز إلى لقاءه، وأنزله بالميدان، وقام له بما يجب، وجهزه إلى مصر بعد ما قدم بين يديه البريد بخيره. فبعث إليه السلطان

(١) بهسنا قلعة حصينة عجيبة بقري مرعش وشمياط . انظر معجم البلدان / ٥١٦.

بالأمير سيف الدين طرغاي الجاشنكير، ومعه المهمندار بجميع الآلات الملوكية من الخيام والدهليز والبيوتات كلها إلى غزة، فلقوه بها وأقام فيها يومين وسافر إلى القاهرة؛ فركب الأمراء إلى لقائه، وخرج السلطان إلى برّ الجيزة، ورسم أن يعدى النيل إليه.

فلما قدم دمرداش إلى القاهرة في سابع ربيع الأول أتاه الأمير طايبرغا وأحضره إلى السلطان بالجيزة، فقبل الأرض ثلاث مرات. فترحب السلطان به وأجلسه بالقرب منه، وبأسطه وطيب خاطره، وسأله عن أحواله، وألبسه تشريفا عظيما، وركب معه للصيد، وعدى به النيل إلى القلعة، وأسكنه بها في بيت الجاولى، ورتب له جميع ما يحتاج إليه؛ ورسم للأمير طوغان أن يدخل صحبة طعامه بكرة وعشيا.

وفي عاشره: قدم دمرداش مائة إكديش وثمانين بختيا وحمسة ممالك وخمس بقج فيها الثياب الفاخرة، منها بقجة بها قباء أطلس مرصع بعدة جواهر ثمينة؛ فلم يقبل السلطان غير القباء وإكديشا واحدا وقطار بختاني، ورد البقية إليه ليتقوى بها.

وتقدم السلطان إلى الوزير أن يرتب لدمرداش ما يليق به، وطلب إلى الحاجب أن يجلسه في المينة تحت الأمير سيف الدين آل ملك الجوكندار. فشق عليه ذلك، إلى أن بعث السلطان إليه الأمير بدر الدين جنكلي يعتذر إليه أنه ما جهل قدره، ولكن الشهيد والد السلطان له ممالك كبار قد ربوا السلطان، فهو يريد تعظيم قدرهم، «فلهذا أجلسك بجانبهم»؛ فطاب خاطره.

واجتمع دمرداش بالسلطان وفاوضه في أمر بلاد الروم، وأن يجهز إليها عسكريا. فأشار السلطان بالمهلة حتى يرد البريد بخير أبيه جوبان مع أبي سعيد، وكتب إلى ابن قرمان أن ينزل على القلعة التي فيها أولاد دمرداش وحواصله ويرسلهم مكرمين إلى مصر. فاستأذن دمرداش في عود من قدم معه إلى بلادهم، فأذن له في ذلك، فسار كثير منهم.

وأنعّم السلطان على دمرداش بإمرة سنجر الجمقدار، بحكم إخراجهم إلى الشام.

وفي يوم الإثنين حادى عشره: ركب دمرداش بالقماش الإسلامي على هيئة الأمراء.

وفي تاسع عشره: قدم الأمير شاهنشاه ابن عم جوبان، فخلع عليه، وأنزل عند دمرداش.

وفي ثامن عشريه: وصل طلب دمرداش وثقله، فأنزلوا بدار الضيافة، وهم نحو ستمائة فارس.

وفي يوم الأحد أول ربيع الآخر: عرض السلطان أصحاب دمرداش، وفرّق أكثرهم على الأمراء، واختار نحو التسعين منهم العود إلى بلادهم، فعادوا.

وفيه قدمت رسل أبي سعيد بكتابه، وفيه بعد السلام والاستيحاء وذكر الودّ إعلام السلطان بأمر جويان وتحكمه وقلة امتاله الأمر، وأنه قصد قتله والتحكّم بمفرده، فلما تحقّق ذلك لديه بعثه إلى خراسان، وسير بالقبض عليه، وهو يأخذ رأى السلطان فى ذلك، وقد سير أبو سعيد مع رسله هدية فقبلت. وسألهم السلطان عن دمرداش، فذكروا أنهم لم يعرفوا خبره حتى قدموا دمشق؛ فبعثهم إليه فلم يعبأ بهم.

وفي يوم الثلاثاء عاشره: توجه السلطان إلى الوجه البحرى، ومعه دمرداش، وحسن له الفخر ناظر الجيش والأمير بكتمر الساقى زيارة الشيخ محمد المرشدى، فتوقف فى زيارته ثم عزم عليها. فرسم للأمير علم الدين سنجر الخازن كاشف الغربية بطلب جميع العربان وتقديمهم الخيل والهجن، وأن يجهز الإقامة. واستتاب السلطان فى غيبته الأمير قجليس. وعاد السلطان فى سادس عشره، بعد ما قدم الأمير تنكز فى رابع عشره.

وفي تاسع شوال: خلع على الطواشى ناصر الدين نصر الساقى. واستقرّ مقدّم الممالك، عوضا عن الطواشى صواب الركنى.

وفيه بعث السلطان الأمير سيف الدين أروج مملوك قبجق إلى أبى سعيد يشفع فى دمرداش، ومعه الرسل بهدية جليلة، فساروا فى تاسع جمادى الأولى.

وفي يوم الأربعاء سادس عشر جمادى الآخرة: سار برهان الدين إبراهيم بن عبد الحق الحنفى على البريد إلى القاهرة، وقد طلب، فقدم يوم السبت خامس عشره، واستقرّ فى قضاء القضاة الحنفية بديار مصر، عوضا عن شمس الدين محمد بن عثمان محمد بن عثمان الحريرى بعد وفاته.

وفي يوم السبت عاشر رجب: عاد أطوجى من بلاد أزبك ملك القبجاق بتقدّم جليلة، فأنزل بالميدان، وأنعم عليه وعلى جماعته بشيء كثير.

وفي حادى عشره: حضر أطوجى إلى بين يدى السلطان فخلع عليه، وسار فى عشره.

وفي خامس عشره: عقد نكاح ابنة السلطان على الأمير سيف الدين طغاي تمر العمرى الناصرى، وأعفى الأمراء من حمل الشموع وغيرها، وأنعم عليه من الخزانة بأربعة آلاف دينار عوضا عن ذلك.

وفيه عاد جواب ابن قرمان بأنه ركب إلى القلعة التي فيها أهل دمرdash، وعرفهم أنه حضر بمرسوم السلطان، وبعث إليهم بكتاب دمرdash أنهم يقدمون عليه بمصر، فردوا جوابه: «لا حاجة لنا في مصر». وذكر ابن قرمان^(١) أن هذا بمباطنة دمرdash لهم، وحط عليه بأنه سفك دماء كثيرة، وقتل من المسلمين عالما عظيما، وأنه جسور وما قصد بدخوله مصر إلا طمعا في ملكها. وبعث ابن قرمان الكتاب صحيفة نجم الدين إسحاق الرومي أنطالية^(٢)، وهي القلعة التي أخذها منه دمرdash وقتل والده، وأنه قدم ليطالبه بدم أبيه. فلما وقف السلطان على الكتاب تغير، وطلب دمرdash وأعلمه بما به. وجمع السلطان بينه وبين إسحاق، فتحاققا بحضرة الأمراء، فظهر أن كلا منهما قتل لصاحبه قتيلا، فكتب جواب ابن قرمان معه وأعيد. وقد تبين للسلطان خبث نية دمرdash، فقبضه وأمسك من معه من الأعيان، وهم محمود شاهنشاه وعدة أخرى، في يوم الخميس العشرين من شعبان، واعتقل دمرdash ببرج السباع من القلعة، وفرق البقية في الأبراج، وفرقت مماليكه على الأمراء، ورتب له ما يكفيه.

وكان للقبض على دمرdash أسباب: منها أنه كان له بالروم مائة ألف رأس من الغنم، فلما وصلت قطيا أطلق منها للأمير بكتمر الساقى عشرين ألفا، ولقوصون وبقية الأمراء كل واحد شيئا حتى فرق الجميع، فلم يعجب السلطان ذلك. ودخل دمرdash يوما الحمام فأعطى الحماسى ألف درهم، والحارس ثلاثمائة، فزاد حتى السلطان منه. ثم أخذ دمرdash يوقع في الأمراء والخاصكية، ويقول: «هذا كان كذا، وهذا كان كذا، وهذا لماس الحاجب كان حمالا»، فما حمل السلطان هذا منه.

وفى شوال: حسن جماعة للسلطان توفير كثير من الجوامك، فعمل فيه استيمار، وفرق فيه ما قطع من جوامك المباشرين والغلمات وهي جملة، ووفر منهم عدة؛ ثم قرئ عليه. وأحضر صاحب أمين الدين عبد الله بن الغنام، وخلع عليه وعلى مجد الدين إبراهيم بن لفيفة بغير طرحات، واستقرّا في نظر النظار والصحبة في يوم الإثنين نصف شوال.

وفيه نقل شمس الدين إبراهيم بن قروينة إلى نظر البيوت، وخلع عليه معهما.

وفى تاسع عشره: عقد نكاح الخاتون طلباى الواصلة من بلاد أذربك على الأمير

(١) مصطفى بن زكريا بن أيدغمش القرمانى من فقهاء الحنفية. من أهل القاهرة له تصانيف منها (التوضيح - ح) فى شرح مقدمة الصلاة لأبى الليث السمرقندى. انظر الضوء اللامع ١٠/١٦٠ والكتبخانة ٣/٣٠ والأعلام ٧/٢٣٤.

(٢) أنطالية - أنطاكية. انظر معجم البلدان ١/٢٦٦، ٢٧٠.

سيف الدين منكلى بغا السلاح دار، بعدما طلقها السلطان وانقضت عدتها؛ وبني عليها الأمير سيف الدين فى ثامن ذى القعدة.

وفى يوم الأربعاء تاسع عشره: عزل الصاحب أمين الدين بن الغنام عن نظر الدولة. وكان قد كتب قصة يطلب الإعفاء من المباشرة، فلم يجب إلى ذلك، فكتب قصة ثانية فأجيب، فكانت مدة مباشرته أربعة وأربعين يوماً تحريراً.

وفى يوم الخميس ثامن ذى الحجة: أفرج عن الأمير حسام الدين لاجين العمري - الملقب زيرباج - الجاشنكير، أحد المماليك المنصورية المشهورين بالشجاعة والقوة، بعدما أقام فى الاعتقال - من يوم الإثنين ثالث ربيع الآخر سنة ثنتى عشرة - مدة ست عشرة سنة وثمانية أشهر وخمسة أيام، وهو يغزل الصوف المرعز ويعمله كوافى بديعة الزى وللناس فيها رغبة، ويتصدق بثمنها.

وفيه أفرج عن الأمير علم الدين سنجر الجاولى، وكانت مدة اعتقاله ثمانى سنين وثلاثة أشهر وأحد عشر يوماً، وكان فيها ينسخ القرآن وكتب الحديث ونحوه. وأفرج عن أمير فرج بن قراسنقر فى يوم عرفة، ثم أعيد إلى سجنه فى يومه.

وفيه سافر الأمير سيف الدين أيتمش إلى بوسعيد برسالة تتضمن ما قام به السلطان مع دمرداش بن جوبان، وكان قد وصل إلى الأبواب السلطانية فى يوم الأربعاء حادى عشر شهر رمضان رسل من عند أبى سعيد، وهم ثلاثة نفر، والمشار إليه منهم أياجى أمير جندار الملك أبى سعيد. فلما مثلوا بين يدى السلطان، وشملهم الإنعام بالتشريف على عادة أمثالهم، أرسلهم السلطان إلى دمرداش فى معتقله، صحبة الأمير سيف الدين قجلىس أمير سلاح، فاجتمعوا به وتحدثوا معه. وقيل كان مضمون رسالتهم طلب دمرداش من السلطان، وأنه إذا سلم إليهم أرسل الملك أبو سعيد فى مقابلة ذلك الأمير شمس الدين سنقر المنصورى. فمال السلطان إلى ذلك، ورسم للأمر أيتمش الحمدي أن يتوجه إلى الملك أبى سعيد برسالة السلطان لتقرير الحال فى ذلك، وتوجه طلب دمرداش فى يوم الإثنين سادس عشر شهر رمضان، ثم عدل السلطان عن هذا الأمر، وترجع عنده أنه لا يرسله إلى الملك أبى سعيد.

فلما كان فى ليلة الخميس رابع شوال: من هذه السنة أخرج دمرداش من معتقله بالبرج، وفتح باب السر من جهة القرافة وأخرج منه وهو مقيد مغلول، وشاهده رسل الملك أبى سعيد وهو على هذه الحال. ثم خنق دمرداش، وشاهده الرسل بعد موته، وقطع رأسه وسلخ وصبر وحشى، وأرسل السلطان الرأس إلى أبى سعيد، ودفن الجسد

بمكان قتله. وحضر الرسل إلى الخدمة السلطانية في يوم الخميس رابع شوال، وركبوا مع السلطان إلى الميدان في يوم السبت سادسه؛ ثم حضروا إلى الخدمة السلطانية في يوم الإثنين ثامننه، وشملهم الخلع والإنعام، وأعيدوا إلى مرسلهم في هذا اليوم، وتوجه معهم الأمير سيف الدين أيتمش المحمدي برسالة السلطان إلى الملك أبي سعيد، كما تقدم.

وفيها وقع في زروع أرض مصر آفة من الدودة عند أوان الزرع عقيب حرّ شديد، حتى عم ذلك أكثر الزرع، فكتب إلى الولاة بكتابة ما تلف، فوجد قد تلف في بعض البلاد نصف الزرع وما دونه في غيرها. وتحسن السعر، فبلغ القمح إلى عشرين الأردب بعد ثلاثة عشر.

وفيها هبت ريح سوداء بعدما أرعدت السماء وأبرقت، حتى كان الإنسان لا يبصر رفيقه، وحتى ردت وجوه الخيل إلى ورائها، ولم يستطع أحد أن يثبت فوق فرسه، ولا أن يقف على رجليه فوق الأرض، بل تلقيه الريح، وكان ذلك ببلاد فوة بحر الغرب وسائر الوجه البحري. وغرق بها من المراكب شيء كثير، وتقصفت عدة من النخل، واقتلعت شجرة حميزة كبيرة من أصلها بناحية فوة، ومرت بها قدر مائتي قصبه، فلما قطعت حمل خشبها تسعة أحمال جمال. ومر من ذلك في البرين الغربي والشرقي عجائب، وهدمت عدة دور ثم أمطرت بعد أيام مطرا عظيما سال منه إلى مدينة بلبس^(١) حتى خرب كثير منها، وجرى السيل إلى المطرية^(٢)، وأمطرت بالقاهرة ومصر ثلاثة أيام مطرا لم يعهد مثله، تلف منه عامة السقوف.

وفيها اشتد بأس الأمير قدادار والى القاهرة، وتسلبت على العامة بكثرة سفك الدماء. وكان قد رسم لجميع الولاة ألا يقتلوا أحدا ولا يقطعوا يده إلا بعد مشاورة السلطان، خلا قدادار، فإنه لا يشاور على مفسد ولا غيره. فانطلقت يده في سائر الناس، وأقام عنه نائبا من بطالي الحسينية ضمن المسطبة منه في كل يوم بثلاثمائة درهم. وأتت الطائفة المعروفة بالمستصنعين^(٣) في المدينة، وعملوا أعمالا شنيعة، وكتبوا لأرباب الأموال أوراقا

(١) بلبس مدينة بينها وبين الفسطاط عشرة فراسخ على طريق الشام . انظر معجم البلدان

٤٧٩/١ .

(٢) المطرية من قرى مصر عندها الموضع الذى به شجر البلساى الذى يستخرج منه الدهن وفى

جانبا الشمال عين شمس. انظر معجم البلدان ١٤٩/٥ .

(٣) المستصنعين فى المدينة المقصود من هذا اللفظ جماعة الرجال الذين اصطنعهم هذا الوالى

وجعل منهم عوناً له على ما يريد من وسائل التشديد والمراقبة والتهديد، ويؤيد ذلك ما أورده

المقرئى فى كتاب المواعظ والاعتبار ح/١٤٩ .

بالتهديد، فاشتد خوف أهل الرتب منه. ونادى قدادار ألا يفتح بعد عشاء الآخرة أحد دكانا في مدة غيبة السلطان في الوجه البحرى، ولا يمشى أحد بالليل فى الأسواق، ولا يخرج أحد من بيته بعد عشاء الآخرة، فكان من يوجد يؤخذ، فإن وجدت منه رائحة الخمر لقي شدة. فانكف الناس عن الخروج ليلا، وصارت الشوارع موحشة. وأقام قدادار على كل حارة دربا^(١) ألزم أهلها بعمله، ورتب الخفراء تدور فى الليل بطبول فى جميع الحارات والخطط، فظفر أحدهم برجل قد سرق من بيت ولبس ثياب النساء، فسمّره^(٢) قدادار بباب زويلة.

وفىها قدم البريد من صفد، ومعه مبلغ أربعين ألف درهم حملا للموقعين؛ فأخذ قريبا من بليس. فألزم السلطان واليها علم الدين قصير - مملوك العلائى - بها، بعدما رسم بشنقه، ثم عفا عنه وعزله.

وفىها ولى ظلظيه الشرقية، نقله السلطان إليها من البهنسا، وولى عوضه شجاع الدين قنغلى.

وفىها ولى عز الدين أيدمر السلامى المنوفية، فتفنن فى إتلاف الأنفس، وأوقف رجلا بين خشبتين ونشره من رأسه، وصلق آخر فى دست، وسلخ آخر وهو حى.

وفىها عزم السلطان على أن يجرى النيل تحت القلعة، ويشق له من ناحية حلوان^(٣)؛ فبعث الصناع صحبة شاد العمائر إلى حلوان، وقاسوا منها إلى الجبل الأحمر^(٤) المطل على القاهرة، وقدروا العمل فى بناء الواطى حتى يرتفع، وحفر العالى ليجرى الماء ويتنفع به فى داخل قلعة الجبل، من غير معاناة ولا كلفة. ثم عادوا وعرفوا السلطان ذلك، فركب لكشفه، وقاسوا الأرض بين يديه. فكان قياس ما يحفر اثنين وأربعين ألف قصبه حاكمية؛ ليبقى خليجا فيه ماء النيل شتاء صيفا بسفح الجبل. وعاد السلطان وقد أعجب بمشروعه، وشاور الأمراء فيه، فلم يعارضه منهم أحد إلا الفخر ناظر الجيش، فإنه قال: «من يحفر السلطان هذا الخليج؟»، فقال السلطان: «بالعسكر»، فقال الفخر: «والله! لو اجتمع عسكر آخر فوق عسكر السلطان، وأقام سنين، ما قدروا على حفر

(١) الدرب - وجمعه دراب - باب السكة الواسع والباب الأكبر أيضا. انظر محيط المحيط.

(٢) المقصود بذلك أن هذا السارق عوقب عقوبة التسمير وهى إحدى العقوبات الشنيعة بمصر

وغيرها من البلاد فى العصور الوسطى.

(٣) حلوان قرية من أعمال مصر بينها وبين الفسطاط نحو فرسخين من جهة الصعيد. انظر معجم

البلدان ٢/٢٩٣.

(٤) الجبل الأحمر اسم جبل مشرف على قيقعان بمكة. انظر معجم البلدان ١/١١٧.

هذا العمل. ومع ذلك فإنه يحتاج إلى ثلاث خزائن من المال. ثم هل يصح أو لا، فالسلطان لا يسمع كلام كل أحد، ويتعب الناس ويستجلب دعاءهم». ونحو هذا من القول حتى رجع السلطان عن عمله.

وفيها كملت العين التي أجزاها الأمير تنكز بالقدس، بعد ما أقام الصناعات فيها مدة سنة، وبني لها مصنعا سعته نحو مائتي ذراع، وركب في الجبل مجارى نقب لها فى الحجر حتى دخل الماء إلى القدس، فكان لها يوم شهود. وأنشأ تنكز بالقدس أيضا خانكاه وحمام وقيسارية^(١)، فعمرت القدس.

وفيها أفرج عن تقي الدين أحمد بن تيمية، بشفاعة الأمير جنكلى بن البابا وغيره من الأمراء.

وفيها أجرى ابن هلال الدولة عينا بمكة تعرف بعين ثقبه، فصار بمكة عين جوبان وعين ثقبه هذه.

وانخلت الأسعار بها حتى نزل القمح من ستين درهما الغرارة إلى أربعين، وزرع بها البطيخ والذرة والخضروات وغيرها، وامتألت البرك وكملت عمارة الحرم. وجدد ابن هلال الدولة بمكة عدة ميض باسم السلطان، وأجرى لها ما يقوم بكلفتها.

وفيها ورد الخبر بقتل جوبان نائب أبى سعيد. وذلك أن العسكر المجهز معه لما وصل إليهم خير قتل أولاده بأمر أبى سعيد، ووصلت إليهم كتب أبى سعيد بقتله أيضا، ركبوا عليه، وفرّ ومعه ابنه جلوخان وطائفة من خواصه إلى قلعة هراة، وامتنع بها؛ فلدس إليه أبو سعيد من قتله وابنه، وحملا إلى أبى سعيد، فكان لدخولها الأردوا يوما عظيما.

وفيها حج بالركب المصرى شهاب الدين أحمد بن المهمندار.

وحج فى هذه السنة أيضا الأمير سيف الدين طقزدمر الناصرى، وست حديق، وعلمت معروفا كبيرا.

وفيها قدم ابن هلال من مكة فخلع عليه، وأعيد إلى شد الخاص.

وفيها طلب صلاح الدين يوسف دوادار قبجق من طرابلس، وولى شد الدواوين.

وفيها تنكر السلطان على الأمير علاء الدين مغلطاي الجمالى الوزير. وسببه عمل الفخر ناظر الجيش عليه بموافقة التاج إسحاق، وقد كتبت فيه مرافعة غضب السلطان بسببها عليه، وقصد الإيقاع به. فاعتنى به الأمير بكتمر الساقى، واعتذر عنه بأنه رجل غتسمى.

(١) قيسارية بلد على ساحل بحر الشام. انظر معجم البلدان ٤/٤٢١.

وفى يوم عرفة - وهو يوم الجمعة - : أفرج عن الأمير علم الدين سنجر الجاولى،
ومدة سجنه ثمانى سنين وثلاثة أشهر وتسعة أيام.

* * *

ومات فى هذه السنة من الأعيان

شيخ الإسلام تقى الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن عبد الله
ابن أبى القاسم بن محمد بن تيمية الحرانى، بدمشق ليلة الإثنين العشرين من ذى القعدة،
فى سجنه بالقلعة. ومولده يوم الإثنين عاشر ربيع الأول، سنة إحدى وستين وستمائة.

ومات الأمير سيف الدين جوبان المنصورى، أحد أمراء دمشق الأكابر، بها فى
العشرين من صفر.

ومات الأمير سيف الدين بكتمر البوبكرى، بسجنه من قلعة الجبل، يوم الخميس
نصف شعبان.

ومات الأمير جوبان بن تلك بن تداون نائب القان أبى سعيد بن خربندا مقتولا
بهرأة، وحمل إلى بغداد، فقدمها فى سابع عشرى شوال، وصلى عليه وحمل إلى مكة مع
ركب الحاج العراقى، وطيف به الكعبة، ومضى به إلى المدينة النبوية، فدفن بالبقيع.

ومات الشريف كبيشة بن منصور بن جهاز بن شيحة أمير المدينة، فى أول شعبان
قتيلا. وكانت ولايته بعد قتل أبيه منصور فى رابع عشر رمضان سنة خمس وعشرين
وسبعمائة، قتله أولاد ودى، وكان ودى قد حبس بقلعة الجبل، فولى بعده أخوه طفيل.

ومات الأمير جمال الدين خضر بن نوكاى أخو خوند أردوكين، فى ليلة الرابع عشر
من رمضان.

ومات الأمير شمس الدين قراسنقر المنصورى بالمراغة من آذربيجان^(١)، يوم السبت
سابع عشرى شوال، وورد الخبر بموته فى حادى عشرى ذى القعدة، فأنعم على ولده
أمير على بن قراسنقر بإمرة طلبلخاناه على عادته بدمشق، وعلى أخيه أمير فرج بن
قراسنقر بإمرة عشرة؛ ورسم بسفرهما من القاهرة إليها.

وتوفى دمرداش بن جوبان بن تلك بن تداون، ليلة الخميس رابع شوال، وحمل رأسه
إلى بوسعيد بن خربندا.

(١) آذربيجان من بلاد أرمينية من بلاد الروم، قرية من أرزن الروم. انظر معجم البلدان

ومات ببغداد مفتى العراق كمال الدين عبد الله بن محمد بن علي حماد بن ثابت
الواسطي العاقولي، مدرس المستنصرية، في ذي القعدة. ومولده في سنة ثمان وثلاثين
وستمائة.

* * *

سنة تسع وعشرين وسبعمائة

أهلت والسلطان بسرياقوس^(١).

وفي يوم السبت ثاني المحرم: قدم الفخر ناظر الجيش من الحجاز.

وفيه قدم بدر الدين بن علاء الدين بن الأتير كاتب السرّ، وقد اشتدّ بأبيه مرض الفالج^(٢) وانقطع عن الخدمة؛ فخلع عليه وجلس في رتبة أبيه، وباشر وفي ظنّه أنه يستقرّ عوضه. فخرج البريد بطلب محيي الدين بن فضل الله كاتب سرّ دمشق، فقدم معه ولده شهاب الدين أحمد وشرف الدين أبو بكر بن الشهاب محمود؛ وخلع على محيي الدين خلعة كتابة السرّ بديار مصر، عوضاً عن ابن الأتير، وعلى شرف الدين بكتابة السرّ بدمشق، عوضاً عن محيي الدين، في يوم الأحد سابع عشره.

وفي ثالث عشره: استقرّ بيبرس الجمدار في الإلية إسكندرية، عوضاً عن الركن الكركي.

وفي يوم الأحد رابع عشره: قدم الأمير أيتمش المحمدي من بلاد العراق، بجواب القان أبي سعيد.

وفيه أنعم على الأمير علم الدين سنجر الجاولي بإمرة أمير على بن قراسنقر المنتقل إلى دمشق، وكان الجاولي منذ خرج من السجن بطالا.

وفيه أنعم على لاجين الخاصكي بإمرة طبلخاناه، عوضاً عن محمد بيه بن جمق بحكم عوده إلى بلاد التتار.

وفي يوم السبت سابع صفر: قدمت رسل أبي سعيد، وجّهوا إلى المنوفية^(٣) للقاء السلطان، فأدّوا رسالتهم وعادوا إلى قلعة الجبل.

وفي يوم الأربعاء تاسع عشره: قدم السلطان من الصيد سالماً.

وفي يوم الإثنين أول شهر ربيع الأول: أعيد شمس الدين بن قزوينة إلى نظر الدواوين على عادته، وأضيف ما كان بيده من نظر البيوت إلى مجد الدين إبراهيم بن لفيفة، مع ما بيده من نظر الدواوين؛ وخلع عليهما.

(١) بليدة في نواحي القاهرة بمصر. انظر، معجم البلدان ٣/٢١٨.

(٢) شلل يصيب أحد شقي الجسم طويلاً. انظر المعجم الوجيز ٤٧٩.

(٣) هي من قرى مصر القديمة. انظر، معجم البلدان ٥/٢١٦.

١١٨ سنة تسع وعشرين وسبعمائة

وفيه رُسم بخروج على وفرج ولدى قراسنقر، فسارا إلى دمشق، وقدهاها فى ثالث ربيع الآخر.

وفى خامس ربيع الآخر: استقرّ صلاح الدين يوسف بن داود بن قبجق شاد الدواوين، ثم عُزل فى سادس عشر شعبان، واستقرّ فى ولاية الجيزة عوضا عن بلبان الحسنى. ونقل بلبان إلى ولاية دمياط^(١)، عوضا عن الكركى.

وفى يوم الإثنين سابع عشر جمادى الأولى: رُسم بردم الجب الذى بقلعة الجبل، لما بلغ السلطان أنه شنيع المنظر شديد الظلمة كثير الوطاويط كرهه الرائحة، وأنه يمر بالمحاييس فيه شدائد عظيمة؛ فرُدّم وعُمر فوقه طباق للمماليك؛ وكان عمل هذا الجب فى سنة إحدى وثمانين وستمائة فى الأيام المنصورية قلاوون.

وفيه قدمت رسل الشيخ حسن بن الجلايرى^(٢)، وكان الشيخ حسن هذا قد أصبح نائب القان أبى سعيد، وهو ابن عمته وزوج بغداد خاتون^(٣) بنت جوبانى.

وفى يوم الثلاثاء عاشر جمادى الآخرة: قدم الأمير سيف الدين أرغون نائب حلب باستدعاء، فخرج الأمير ألمالس الحاجب وتلقاه من قبة النصر خارج القاهرة، وصعد به قلعة الجبل؛ فأكرمه السلطان وعزّاه فى ولده، وخلع عليه وأنزله فى داره على الكيش. وطلب أرغون شرف الدين الخطير ناظر ديوانه، وسأله عن أمواله وغلّاله وحواصله؛ فأسرّ له بأن السلطان لم يُيق له منها إلا القليل، فسكت. ثم استدعاه السلطان يوم الخميس سادس عشره، وخلع عليه وأعادته إلى حلب.

وفى يوم الأحد تاسع عشره: قدمت رسل أبى سعيد فى طلب المصاهرة^(٤) ومعهم اثنا عشر إكديشا بجمال جوخ، واثنان عرى.

وفى عاشر شهر رجب: قدم الأمير سيف الدين طينال الحاجب نائب طرابلس

(١) دمياط: مدينة فى البلاد المصرية على ساحل البحر قريبة من تنيس إليها ينتهى ماء النيل، وبها تعمل الثياب الرفيعة وغيرها مما يقارب الثياب التنسية. انظر الروض المعطار ٢٥٧، ٢٥٨، الإدريسى ١٥٧، وابن الأثير ١٢ / ٣٢٠، ٣٣١، وابن خلكان ٨٠ / ٥، ٩٠، ٩١، ٢٥٨ / ٦، وخطط المقرئى ٢١٥ / ١ وما بعدها، ومرآة الزمان ٦١٥، ٦١٨.

(٢) نسبة إلى قبيلة جلاير أحد مدن فارس بفارس.

(٣) لقب يطلق على الملكات والأميرات.

(٤) المقصود أن أبى سعيد أرسل يطلب أن يتزوج من إحدى بنات السلطان الناصر.

بسؤاله ليحقيق (١) شكّاته، ومعه هدية؛ فوقف وحاققهم، وساعده الأمراء إلى أن عاد إلى طرابلس في خامس عشره.

وفي يوم الأحد حادى عشره: رُسم بعزل المجد بن لفيفة، فعُزل من نظر الدواوين ونظر الصحبة ونظر البيوت؛ وعُزل أيضا ابن قروينة من نظر الدواوين. واستقرّ عوضهما في نظر الدولة علم الدين إبراهيم بن التاج إسحاق، وتقى الدين عمر بن الوزير شمس الدين محمد بن السلعوس - وكان يلي صحابة ديوان دمشق، فأحضر منها في ثامن عشره -، وخُلع عليهما. واستقرّ في نظر خزانة تاج الدين موسى بن التاج إسحاق، عوضا عن أخيه علم الدين. فباشر العُلم وتقى الدين بن السلعوس النظر مع الأمير مغلطاي الجمالى الوزير - وكان أمره في الوزارة ضعيفا - إلى يوم الأحد ثانى شوال؛ ثم رُسم بتوفير الوزارة فتوفرت، واستمرّ الجمالى فى الأستادارية على عادته. وسبب ذلك توقف حال الدولة من قلة الواصل، وكثرة إغراء الفخر ناظر الجيش والتاج إسحاق بن القمط ناظر الخاص السلطان بالجمالى لكرهتهما فى المجد بن لفيفة، فإنه كان قد استولى على الجمالى حين صار أمر الوزارة إليه، وكُتبت فيه مرافعات أنه أخذ مالا كثيرا، وتولى الأمير أيتمش الكشف عليه. فلما ولى العُلم بن التاج النظر، وباشر موسى الخاص نيابة عن أبيه، صار العلم يكتب كل يوم أوراقا بالجارى ثم يرفعها للسلطان مما تحصّل وانصرف، ويدخل بها إليه ومعه ابن السلعوس رفيقه، وابن هلال الدولة الشاد. فانحصر المباشرون، ومشت أمور الدولة بمرسوم السلطان على ما يقرّره؛ وحُمّل مال الجيزة بكماله إلى خزانة الخاص، ولم يصرف منه شيء.

وفي ثانى عشره: تولى قشتمر المحلة.

وفي خامس عشره: أنعم على آقيرس بن علاء الدين طيبرس بإقطاع الأمير علاء الدين أيدغدى الخوارزمى الحاجب، بعد موته بدمشق؛ فتوجّه إليها.

وفي يوم الإثنين ثالث شوال: استقرّ علاء الدين أيدمر العلامى - عُرف بالزراق - وفى ولاية القاهرة، عوضا عن قدادار عند توجهه إلى الحجاز.

وفيه أيضا استقرّ علاء الدين ابن هلال الدولة شاد الدواوين، مضافا لشد الخاص.

وفي سادسه: عزل صلاح الدين الدوادار عن الجيزة، واستقرّ من جملة الأمراء وولى الجيزة جمال الدين يوسف الجساقى والى الشرقية؛ واستقرّ فى الشرقية عوضه الحسام طرنطاي القلنجقى.

وفي يوم الأحد نصف ذى القعدة: جلس السلطان بالميدان تحت القلعة، وعَرَضَ الكتاب بدواوين الأمراء. وطلب السلطان المجد بن لفيفة وابن قزوينة الناظرين المنفصلين، والمكين بن قزوينة مستوفى الصحبة، وأمين الدين موط مستوفى الخزانة؛ ورسم عليهم وسلمهم إلى الأمير الدمر جاندار ليخلص منهم ستمائة ألف درهم انساقت باقيا بالجيزة.

فحمل الأدمر من جهة قشتمر وإلى الجيزة مبلغ مائتي درهم، ومن ابن سقرور مستوفى الجيزة زيادة على سبعين ألف درهم. ورسم السلطان بقطع أخباز المشدين على الجهات بأسرهم، وقرّر عوضهم. وأحضر السلطان مشايخ الجيزة، وكتب عليهم سجلات أراضيتها بحضوره؛ ولم يسمع بهذا فيما سلف. ثم أفرج السلطان عن الناظرين المنفصلين والمستوفين، بعدما استخرج منهم بعض ما قرّر عليهم.

وفيها رُسم للحاجب أن يتقدم بالألبان مملوك تركي لكتاب ولا عامي، ومن وُجد عنده منهم مملوك فليبعه، ومن عُثر عليه بعد ذلك أن عنده مملوكا طولع به السلطان؛ فباع الناس مماليتهم، وأخفوا بعضهم.

وفيها عرض السلطان مماليك الطباقي والبرانيين، وقطع منهم مائة وخمسين وأخرجهم من يومهم، ففرقوا بقلاع الشام.

و فيها صُرف شهاب الدين أحمد بن المهندار عن نقابة الجيش، بالأمر عز الدين أيدير دقماق.

وفيها قتل الأمير تنكز نائب الشام الكلاب بدمشق، فتجاوز عدد ما قتل منها خمسة آلاف.

* * *

ومات في هذه السنة من الأعيان

الأمير سعد الدين سعيد بن أمير حسين، في ثامن عشر المحرم، وأنعم بإمرته على تكلان.

ومات الأمير غرس الدين خليل بن الإربلي أحد أمراء العشرات، في سادس صفر؛ وأنعم بإمرته على أياجي الساقى.

ومات الأمير الكبير شرف الدين حسين بن أبى بكر بن إسماعيل بن جندر باك

الرومي، في سادس المحرم؛ قدم صحبة أبيه إلى مصر في سنة خمس وسبعين وستمائة في الأيام الظاهرية بيبرس^(١)، في جملة من قدم من أهل الروم، بعد ما كان أبوه أمير جندار متملك الروم فترقى حتى نادى الأفرم نائب دمشق، فأنعم عليه بإمرة؛ فلما قدم الناصر محمد بن قلاوون^(٢) دمشق من الكرك^(٣)، وتحرك لأخذ السلطنة كان الأمير شرف الدين حسين ممن سار في خدمته إلى مصر، فنوه به وأعطاه إمرة، ثم قرره أمير شكار بعد وفاة كشرى، وأعجب به؛ وإليه ينسب جامع أمير حسين وقنطرة أمير حسين على الخليج خارج القاهرة، قريبا من بستان العدة.

ومات الأمير علاء الدين على بن الكافري، والى قوص^(٤) وولى عوضه غرس الدين خليل أخو طقصبای الناصري.

ومات سنجر الأيدمرى أحد العشرات، في ثالث عشر ربيع الأول؛ وأنعم بإمرته على ساطلمش الناصري.

ومات الأمير سيف الدين بكمتر الحسامي - المعروف بالحاجب-، في يوم الأربعاء حادى عشره ربيع الآخر؛ فأنعم على ولده ناصر الدين محمد بإمرة عشرة، وسنه يومئذ

(١) المقصود بها الظاهر بيبرس وهو بيبرس العلائي البندقدارى الصالحى، ركن الدين، الملك الظاهر: مولده بأرض القبحاق. وأسر بيع في سيواس، ثم نقل إلى حلب، ومنها إلى القاهرة. فاشتره الأمير علاء الدين أيديكين البندقدار القبحاق، وبقي عنده، ثم أخذه الملك الصالح فجعله فى خاصة خدمه، ثم أعتقه. ولم تزل همته. تصعد به حتى تولى سلطنة مصر والشام سنة ٦٥٨هـ وتلقب بالملك الظاهر. انظر فوات الوفيات ٨٥/١ والنجوم الزاهرة ٩٤/٧ وابن إياس ٩٨/١ وابن الوردي ٢٢٤/٢ والنعمي ٣٤٩/١ والأعلام ٧٩/٢.

(٢) محمد بن قلاوون بن عبدالله الصالحى، أبو الفتح: من كبار ملوك الدولة القلاونية كانت إقامته فى طفولته بدمشق، وولى سلطنة مصر والشام سنة ٦٩٣هـ، وهو صبي، وخلع منها لخدائته سنة ٦٩٤ فأرسل إلى الكرك. وأعيد للسلطنة بمصر سنة ٦٩٨ فأقام فى القلعة كالحجور عليه ثم ترك السلطنة بعد ٢٠ عاما وأقام فى الكرك قريبا من عام ثم زحف إلى مصر فقاتل المظفر بيبرس، وعاد إلى عرشه سنة ٧٠٩ واستمر ٣٢ سنة وشهرين و ٢٥ يوما. وتوفى بالقاهرة. انظر مورد اللطافة ٤٤ وابن الوردي ٣٣٠/٢ وفوات الوفيات ٢٦٣/٢ وابن إياس ١٢٩/١ والدرر الكامنة ١٤٤/٤ والنجوم الزاهرة ٤١/٨، ١١٥، والأعلام ١١/٧.

(٣) الكرك: هو من أعظم حصون النصارى معترض فى طريق الحجاز، وهو من القدس على مسافة يوم أو أقل، وأهله يقطعون على المسلمين الطريق فى البر، وله نظر عظيم فى الاتساع متصل العمارة ينتهى إلى أربعمائة قرية. انظر الروض المعطار ٢٠٢، ٢٠٣، ومعجم البلدان ٤٥٣/٤.

(٤) هى مدينة كبيرة عظيمة واسعة قسبة صعيد مصر؛ بينها وبين القسوطا اثنا عشر يوما. انظر،

ثلاث عشرة سنة؛ وُفِرُقَ إقطاعه بين جماعة: فكمّل منه للأمير طرغاي الجاشنكير تقدمة ألف. وأنعم منه على صلاح الدين يوسف بن الأسعد بناحية جَوَجَر (١) - واستقرّ شاد الدواوين - وأنعم منه على الأمير قوصون بمنية زفتا (٢)؛ وكان بكتمر هذا من جملة ممالك الأمير حسام الدين طرنطاي نائب السلطنة المنصورية قلاوون، أخذه في سنة خمس وسبعين وستمئة فيما أخذ من ممالك السلطان غياث الدين كيخسرو ممتلك الروم، عندما دخل الظاهر بيبرس إلى مدينة قصرية الروم واستولى عليها؛ فصار بكتمر إلى طرنطاي - وهو حينئذ مملوك الأمير سيف الدين قلاوون (٣) - فرباه وأعتقه؛ فلما قتل طرنطاي صار بكتمر إلى الأشراف خليل بن قلاوون (٤)، فرتبه في جملة الأوشاقية بالإصطبل السلطاني؛ ثم نقله المنصور لاجين (٥) وعمله أمير آخور صغيراً، ثم أنعم عليه بإمرة عشرة بعد وفاة الفاخرى؛ وما زال بكتمر يترقى حتى ولى الوزارة والحجوية ونيابة غزة (٦) ونيابة صفد (٧) في الأيام الناصرية؛ وإليه تنسب مدرسة الحاجب، ودار

(١) بليدة بمصر من جهة دمياط في كورة السمندرية. انظر، معجم البلدان ١٧٨/٢.

(٢) بلد يقرب الفسطاط من مصر، قرب شنطوف انظر، معجم البلدان ١٤٤/٣.

(٣) قلاوون الألفى العلامى الصالحى النجمى، أبو المعالى، سيف الدين، السلطان الملك المنصور:

أول ملوك الدولة القلاوونية بمصر والشام، والسابع من ملوك الترك وأولادهم بمصر. كان من المماليك، قبجاقى الأصل، أعتقه الملك الصالح نجم الدين أيوب سنة ٦٤٧هـ. تولى السلطنة منفرداً سنة ٦٧٨هـ وجلس على سرير الملك في قلعة الجبل كانت مدة ملكه إحدى عشرة سنة وثلاثة أشهر. انظر مورد اللطافة ٤٢-٤٤ وابن إياس ١١٤/١ وخطط المقرئى ٢٣٨/٢ والنجوم الزاهرة ٢٩٢/٧ وفوات الوفيات ١٣٣/٢ والأعلام ٢٠٣/٥.

(٤) خليل بن قلاوون الصالحى: الملك الأشرف صلاح الدين ابن السلطان الملك المنصور. من

ملوك مصر. ولى بعد وفاة أبيه سنة ٦٨٩هـ. واستفتح الملك بالجهاد فقصده البلاد الشامية وقاتل الإفرنج، فاسترد منهم عكة وصور وصيدا وبيروت وقلعة الروم وبيسان وجمع الساحل وتوغل فى الداخل. قتله بعض المماليك غيلة بمصر. انظر فوات الوفيات ١٥١/١ وابن الوردي ٢٣٨/٢ والنجوم الزاهرة ٣/٨ وابن إياس ١٢١/١ والأعلام ٣٢١/٢.

(٥) لاجين (المنصور) حسام الدين بن عبد الله المنصورى: من ملوك البحرية بمصر والشام. وهو

الحادى عشر من ملوك الترك. ويسمى «الروك» الحسامى. كان مملوكاً للمنصور قلاوون، وإليه نسبته. وتقدم إلى أن ولى نيابة السلطنة فى أيام العادل «كتبغا» ثم خلع العادل وولى السلطنة سنة ٦٩٥هـ وتلقب بالملك بالمنصور. قتله بعض ممالك الأشرف خليل فى قصره. كانت مدته سنتان وأحد عشر شهراً. انظر مورد اللطافة ٤٩ وابن إياس ١٣٦/١ والنجوم الزاهرة ٨٥/٨ والأعلام ٢٣٨/٥.

(٦) مدينة فى أقصى الشام من ناحية مصر، وبينها وبين عسقلان فرسخان. انظر معجم البلدان

٢٠٢/٤، والروض المعطار ٤٢٨، ومعجم ما استعجم ٩٩٧/٣.

(٧) مدينة فى جبال عاملة المطلّة على حمص بالشام، وهى من جبال لبنان. انظر معجم=

الحاجب، خارج باب النصر من القاهرة؛ وكان بكنم من أغنياء الأمراء الكثرى المال المعروفين بالشح.

وتوفى ضياء الدين أحمد بن إبراهيم بن فلاح بن محمد الإسكندراني المصري، فى يوم الأربعاء تاسع عشر شعبان؛ ومولده فى نصف ربيع الآخر سنة ثلاث وستين وستمائة؛ سمع من ابن عبد الدائم والمجد بن عساكر وابن أبى اليسر وجماعة.

وتوفى عز الدين أبو يعلى حمزة بن المؤيد أبى المعالى بن المظفر بن أسعد بن حمزة بن أسد بن على بن محمد بن القلانسى^(١)، بدمشق؛ سمع الحديث وصار رئيس الشام، وولى وزارة دمشق.

وتوفى الأديب سعد الدين سعيد بن منصور بن إبراهيم الحرانى المصرى، بمصر. وله شعر جيد.

وتوفى الشيخ جلال الدين أبو بكر عبدا لله بن يوسف بن إسحاق بن يوسف الأنصارى الدلاصى، إمام الجامع الأزهر، بالقاهرة عن بضع وثمانين سنة؛ وكان يعتقد فيه الخير ويُتبرك بدعائه.

وتوفى قاضى القضاة بدمشق علاء الدين أبو الحسن على بن إسماعيل بن يوسف القونوى^(٢) الشافعى، فى يوم السبت رابع عشر ذى القعدة، ودفن بسفح قاسيون^(٣)، قدم من بلاد الروم إلى دمشق فى سنة ثلاث وتسعين وستمائة، فدرس بها مدة؛ ثم توجه إلى القاهرة فسكنها، وولى مشيخة الشيوخ بخانكاه سعيد السعداء؛ وتصدى للاشتغال بالعلم، وصنف شرح الحاوى فى الفقه وغيره؛ ثم ولى قضاء دمشق فباشره

=البلدان ٤١٢/٣.

(١) حمزة بن أسعد بن مظفر بن أسعد بن حمزة الدمشقى، الصاحب عز الدين أبو يعلى ابن القلانسى: رئيس الشام فى عصره. مولده ووفاته بدمشق. ولى وكالة السلطان والوزارة بها. وأنشأ دار الحديث القلانسية، وإليه نسبتها. وأعرض عن المناصب تنزهاً. وصور. انظر التذكرة الكمالية والقلائد الجوهريّة ٨٥ والدرر الكامنة ٧٥/٢ والدارس ٩٦/١ والأعلام ٢٧٧/٢.

(٢) على بن إسماعيل بن يوسف القونوى، أبو الحسن، علاء الدين: فقيه، من الشافعية. ولد بقونية، ونزل بدمشق سنة ٦٩٣هـ. وانتقل إلى القاهرة، فتصوف وتلقى علوم الأدب والفقه. ثم ولى قضاء الشام سنة ٧٢٧هـ، فأقام بدمشق إلى أن توفى. له «شرح الحاوى الصغير» فقه و«التصرف فى التصوف» انظر بغية الوعاة ٣٢٩ والبداية والنهاية ١٤٧/١٤ والدرر الكامنة ٢٤/٣ ودار الكتب ٥٢١/٤ والأعلام ٢٦٤/٤.

(٣) هو الجبل المشرف على مدينة دمشق. انظر معجم البلدان ٢٩٥/٤.

حتى مات بها، وولى بعده قضاء دمشق علم الدين محمد بن أبي بكر بن عيسى الأحنائي (١).

وتوفى نجم الدين محمد بن عقيل بن أبي الحسن بن عقيل البالسي الشافعي، بمصر؛ ناب في القضاء، ودرس وشرح التنبيه في الفقه؛ وكان معتقدا فيه الخير.

وتوفى جمال الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن أحمد الواسطي الأشموني (٢) المولد والدار - عُرف بالوجيزي لقراءته كتاب الوجيز في الفقه -؛ ولى قضاء الجيزة وقلوب، ومات في رجب، وهو أحد مشايخ الفقهاء الشافعية.

وتوفى معين الدين هبة الله بن علم الدين مسعود بن عبد الله بن حشيش صاحب ديوان الجيش، بمصر يوم الإثنين سادس عشر جمادى الآخرة؛ كان بارعا في الفقه والنحو واللغة والأدب، كريما له شعر جيد؛ ومولده سنة ست وستمائة.

وتوفى الأمير حسام الدين لاجين الصغير، بقلعة البيرة (٣)؛ ولى نيابة غزة، ثم نيابة البيرة، وبها مات.

وتوفى صاحب شرف الدين يعقوب بن عبد الكريم بن أبي المعالي المصري، بحماة؛ تنقل في عدة ولايات؛ وكان جوادا كريما كثيرا المال ممدوحا.

وتوفى فتح الدين أبو النون يونس بن إبراهيم بن عبد القوي بن قاسم الكنانى العسقلاني (٤) - المعروف بالدبوسى - المسند المعمر، بالقاهرة في جمادى الأولى، وقد جاوز التسعين سنة؛ حدث عن جماعة تفرّد بالرواية عنهم.

وتوفى الأمير عز الدين أيبك الخطيرى أمير آخور، فى ثالث عشرى ذى القعدة.

(١) محمد بن أبى بكر بن عيسى بن بدران السعدى المصرى، أبو عبد الله، تقى الدين الأحنائى: قاضى قضاة المالكية بمصر. له تأليف، انتقد الإمام ابن تيمية أحدهما بكتاب «الرد على الأحنائى» فى زيارة القبور. انظر الدياج ٣٢٧ والأعلام ٥٦/٦.

(٢) نسبة إلى أشمون، وهى قسبة كورة الصعيد الأدنى غربى النيل. انظر معجم البلدان ٢٠٠/١.
(٣) إلبيرة: من كور الأندلس جليلة القدر نزلها حنند من العرب وكثير من موالى الإمام عبد الرحمن ابن معاوية، وهو الذى أسسها وأسكنها مواليه ثم خالطهم العرب بعد ذلك، وبين إلبيرة وقرطبة ستة أميال، ومدينة إلبيرة بين القبلة والشرق من قرطبة. معجم البلدان ٥٢٦/١، والروض المعطار ٢٨، ٢٩، والعذرى ٨٨.

(٤) يونس بن إبراهيم بن عبد القوي الكنانى العسقلانى ثم المصرى، فتح الدين الدبابيسى ويقال أيضا الدبوسى: عالم بالحديث، مسند معمر، توفى بالقاهرة. له «معجم». انظر شذرات ٩٢/٦ والدرر ٤٨٤/٤ والتاج ١٤٦/٤ والأعلام ٢٦٠/٨.

وتوفى الأمير عُزلوا الركنى، بقوص (١) فى ثالث ربيع الآخر.

وتوفى الأمير ساطلمش الفاخرى، فى ثالث ذى الحجة؛ وأنعم بإمرته على كوجبا الساقى.

وتوفى الأمير لاجين الإبراهيمى أمير جاندار، فى تاسع عشرى ذى الحجة؛ وأنعم بإمرته على برسبغا.

وتوفى ناصر الدين محمد بن حناى، فى يوم السبت حادى عشر ذى الحجة.

وتوفى الطواشى نصر شيخ الخدام بالمدينة النبوية ومقدم المماليك السلطانية، يوم الخميس عاشر رجب؛ واستقرّ عوضه فى المشيخة وتقدمة المماليك الطواشى عنبر السحرتى، وكانت مدة تقدمته تسعة أشهر.

ومات عز الدين القيمرى، فى يوم السبت حادى عشرى ذى القعدة.

* * *

(١) هى مدينة كبيرة عظيمة واسعة قسبة صعيد مصر، بينها وبين القسوطا اثنا عشر يوما. انظر معجم البلدان ٤/٤١٣.

سنة ثلاثين وسبعمائة

أهلت يوم الأربعاء، والسلطان بناحية سرياقوس^(١)، وكان مسيرة إليها فى سبع عشرى ذى الحجة.

وفيه قدم الأمير تنكز نائب الشام، فبالغ السلطان فى إكرامه ورفع منزلته على عادته.

وفى يوم السبت: رابعه استقرّ علم الدين محمد بن أبى بكر بن عيسى بن بدر بن رحمة الأحنانى قاضى الإسكندرية فى قضاء القضاة بدمشق، عوضا عن علاء الدين على القونوى؛ واستقرّ عوضه فى قضاء الإسكندرية علم الدين الإسنوى.

وفى سادسه: استقرّ الأمير بكتمر العلائى الأستادار فى نيابة غزة، وسار إليها، عوضا عن عز الدين أيبك الجمالى؛ ونقل أيبك إلى نيابة قلعة البيرة، عوضا عن لاجين الحسامى المنصورى بحكم وفاته. وأنعم على بهادر الدمرداش بإقطاع الأمير بكتمر نائب غزة.

وفى رابع عشره: توجه الأمير تنكز إلى دمشق، بعدما أنعم عليه السلطان بمائة ألف درهم، وكتب له على الأعمال السامية بمائة ألف أخرى.

وفى عشريه: قدم الملك المؤيد عماد الدين إسماعيل^(٢) صاحب حماة^(٣)، فأكرمه السلطان وخلع عليه وعلى ولده.

وفى تاسع صفر: توجه السلطان إلى جهة الصعيد، وصحبته صاحب حماة، فخيم قريبا من الأهرام، وعاد فى ثالث عشره، من أجل وعك بدنه، لظهور دُمَل فى جسده. وأقام السلطان بقلعة الجبل إلى حادى عشره، ثم سار فمرّ ببلاد الصعيد.

(١) بليدة فى نواحى القاهرة بمصر. انظر معجم البلدان ٣/٢١٨.

(٢) إسماعيل بن على بن محمود بن محمد بن عمر بن شاهنشاه بن أيوب: الملك المؤيد، صاحب حماة. مؤرخ جغرافى، قرأ التاريخ والأدب وأصول الدين له «المختصر فى أخبار البشر» ويعرف بتاريخ أبى الفداء وله «تقويم البلدان». ولد ونشأ فى دمشق، ورحل إلى مصر فاتصل بالملك الناصر فأحبه الناصر وأقامه سلطانا مستقلا فى حماة ليس لأحد أن ينازعه السلطة وأركبه بشعار الملك. فاستمر إلى أن توفى بها. انظر الدرر الكامنة ١/٣٧١ والبداية والنهاية ٤/١٥٨ وفوات الوفيات ١/١٦ والنجوم الزاهرة ٩/٢٩٢ وطبقات السبكي ٦/٨٤ والأعلام ١/٣١٩.

(٣) حماة: من كور حمص بالشام، وهى مدينة طيبة فى وسطها نهر يسمى العاصى. انظر معجم

نبلدان ٢/٣٠٠، ٣٠١، والروض المعطار ١٩٩، وصبح الأعشى ٤: ١٠٤.

وفى يوم الأربعاء تاسع عشر ربيع الأول: جمع الأمير جمال الدين آقوش نائب الكرك القضاة والفقهاء، بسبب عمل منبر بالمدرسة الصالحية بين القصرين من القاهرة، لإقامة الجمعة بها، فأفتوه بجواز ذلك؛ فرتب آقوش خطيباً قرّر له فى كل شهر خمسين درهماً، ورتب ستة نفر عملهم مؤذنين، لكل واحد عشرة دراهم فى كل شهر، ولقارئ يقرأ القرآن الكريم يوم الجمعة فى مصحف أعده له مبلغاً ستمائة؛ وأقيمت الخطبة بها فى يوم الجمعة حادى عشره، فكان يوماً مشهوداً.

وجعل آقوش المعاليم المذكورة من عقار وقفه على ذلك. وفى هذا الشهر تصدق الأمير المذكور بنحو ثلاثة آلاف أردب من الغلال.

وفى خامس ربيع الآخر: عاد السلطان إلى قلعة الجبل، بعد أن انتهى فى مسيره إلى مدينة هُو من الصعيد الأعلى.

وفى ثامنه: سار المؤيد صاحب حماة من ظاهر القاهرة عائداً إلى حماة.

وفى خامس عشره: سار السلطان إلى نواحي قليوب يريد الصيد؛ فبينما هو فى ذلك إذ تقنطر عن فرسه وانكسرت يده وغشى عليه ساعة وهو ملقى على الأرض؛ ثم أفاق وقد نزل إليه الأمير أيدغمش أمير أخور والأمير قمارى أمير شكار وأركباه؛ فأقبل الأمراء بأجمعهم إلى خدمته. وعاد السلطان إلى قلعة الجبل فى عشية الأحد ثامن عشره، فجمع الأطباء والمجبرين لمداواته، فتقدّم رجل من المجبرين يعرف بابن بوسته وقال يجفء وعامية طباع: «تريد تفيق سريعاً منى!». فقال له السلطان: «قل ما عندك»، فقال: «لا تحلّ أحداً يداويك غيرى بمفردى، وإلا فسد حال يدك مثل ما سلّمت رجلك لابن السيسى أفسدها. وأنا ما أخلى شهراً يمضى حتى تتركب وتلعب بيدك الأكرة». فأغضى السلطان عن جوابه، وسلّم إليه يده، فتولّى علاجه بمفرده، فبطلت الخدمة مدة سبعة وثلاثين يوماً.

ثم عوفى السلطان، فزينت القاهرة ومصر فى يوم الأحد رابع جمادى الآخرة، وتفاخر الناس فى الزينة بحيث لم تعهد زينة مثلها، وأقامت أسبوعاً تفنن أهل البلدين فيه بأنواع الترف. ونزلت ست حدق فى عدة من الخدام والجوارى حتى رأت الزينة، وقد اجتمع أرباب الملاهى فى عدة أماكن بجميع آلات المغنى. هذا والأفراح بالقلعة وسائر بيوت الأمراء مدة الأسبوع، ومع هذا فالبشائر من ضرب الكوسات مستمرة، وكذلك طبلخاناه الأمراء، فلم يبق أمير إلا وعمل فى بيته فرحاً. وأنعم السلطان وخلع على كثيرين من أرباب الوظائف من الأمراء والمماليك السلطانية.

ثم خرج السلطان إلى القصر الأبلق، وفرّق مثالات على الأيتام، وعمل سماطا جليلا، وخلع على جميع أرباب الوظائف. وأنعم السلطان على المحير بعشرة آلاف درهم، ورسم له أن يدور على جميع الأمراء، فلم يتأخر أحد من الأمراء عن إفاضة الخلع عليه وإعطائه المال؛ فحصل له ما يجلّ وصفه، وكانت هذه الأيام مما يندر وقوع مثله.

وفي خامس عشره: قدمت رسل ريدافرنس^(١) في طلب القدس وبلاد الساحل، وعدّتهم مائة وعشرون رجلا، فأنكر السلطان عليهم وعلى مرسلهم وأهانهم، ثم رسم بعودهم إلى بلادهم.

وفيه: سار الأمير أقبغا عبد الواحد إلى البلاد الشامية يبشر بعافية السلطان، فدقت في جميع ممالك الشام البشائر، وعملت بها الأفراح وحصل لأقبغا من سائر أصناف المال ما يجلّ وصفه، بحيث بلغت قيمته نحو مائة ألف دينار.

وفيه: عُزل علم الدين الإسناي عن قضاء الإسكندرية، لمصادته الأمير بيبرس الجمدار نائب الثغر.

وفي يوم الإثنين سادس عشره: أفرج عن الأمير سيف الدين بهادر المعزى، وأنعم عليه بجيّل وثياب، بعدما أقام في الاعتقال خمس عشرة سنة وثلاثة أشهر وستة عشر يوما. فلما ورد الخبر بوفاة الأمير سيف الدين بهادر آص، وأنعم بتقدمته بدمشق على الأمير علم الدين سنجر الجمقدار، وأخرج إلى دمشق، وأنعم على بهادر المعزى بإقطاع سنجر المذكور.

وفي هذه المدة وقع بدمشق اضطراب في عيار الذهب، فإنه تغير ونقص، وغرم الناس فيه جملة كثيرة. وصادر الأمير تنكز أهل دار الضرب، وأخذ منهم خمسمائة ألف درهم، وتقرّر سعر الدينار من تسعة عشر درهما إلى أحد وعشرين درهما، وأن يكون صرف الدينار الجديد بخمسة وعشرين درهما.

وفي العشرين من شهر رجب: قدمت رسل أبي سعيد بن خربند للهناء بعافية السلطان، فأكرموا وأعيدوا في سابع عشره. وقدمت أيضا رسل الشيخ حسن الجلايري نائب أبي سعيد بعد رحيل المذكورين، فأدوا رسالتهم وأعيدوا في آخره.

وفي هذا الشهر: أحرقت كنيسة المكية بمصر، حتى صارت عمدتها الرخام جيرا؛ وكان بجانبها مسجد لم تصبه النار؛ فرسم للنصارى بإعادتها، فأعيدت.

(١) المقصود بذلك ملك فرنسا، وكان ملك فرنسا تلك السنة فيليب السادس.

وفيها اشترى الأمير قوصون دار الأمير آقوش الموصلى الحاجب - عُرفت بدار آقوش نميلة^(١)، ثم عرفت بدار الأمير جمال الدين آقوش قتال السبع - من أربها؛ وأشترى قوصون أيضا ما حولها، وهدم ذلك وشرع فى بناء جامع. فبعث إليه السلطان بشاد العمائر والأسرى لنقل الحجارة ونحوها، فتنحّزت عمارته. وجاء الجامع من أحسن المباني، وهو بحارة المصامدة خارج باب زويلة، قريبا من بركة الفيصل. وولى بناء منارتيه رجل من أهل توريذ، أحضره معه الأمير أيتمش، فعملهما على منوال ماذن توريذ. ولما كمل بناء الجامع أقيمت الجمعة به فى يوم الجمعة حادى عشر شهر رمضان، وخطب به يومئذ قاضى القضاة جلال الدين محمد القزوينى^(٢)، وخلع عليه الأمير قوصون بعد فراغه وأركبه بغلة؛ ثم استقرّ فى خطابته فخر الدين محمد بن شكر.

وفيها قصد الأمير قوصون أن يتملك حمام قتال السبع وهى الحمام المجاورة فى وقتنا هذا لباب الجامع الذى يدخل إليه من الشارع -، وكانت من وقف قتال السبع؛ فاحتالوا لحلّ وقفها بأن هدموا جانبها منها، وأحضروا شهودا قد بينوا معهم ذلك ليكتبوا محضراً بأن الحمام خراب لا ينتفع به، وهو يضرّ بالجار والمار والخط، والمصلحة فى بيع أنقاضه، ليؤدى هذه الشهادة عند قاضى القضاة تقى الدين أحمد بن عمر الحنبلى حتى يحكم يبعه على مقتضى مذهبه فعندما شرع الشهود فى كتابة المحضر المذكور امتنع أحدهم من وضع خطه فيه، وقال: «والله ما يسعنى من الله أن أدخل باكر النهار فى هذا الحمام واتطهر فيه وأخرج وهو عامر، ثم أشهد بعد ضحوة نهار أنه خراب»، وانصرف؛ فاستدعى غيره، فكتب وأثبت المحضر على الحنبلى. فابتاع الأمير قوصون الحمام المذكور من ولد قتال السبع، وجدّد عمارته.

وفى ذى الحجة: استقرّ الأمير بدر الدين بيلبك المحسنى فى ولاية القاهرة، عوضا عن أيدير الزراق.

(١) كان هذا الأمير فى الأصل بائعا يبيع العصى، فراه السلطان يعرض تجارته بالإصطبل السلطاني، فأعجبه وابتاع منه نفسه، وصار بذلك من جملة المماليك السلطانية.

(٢) محمد بن عبد الرحمن بن عمر، أبو المعالى، جلال الدين القزوينى الشافعى المعروف بخطيب دمشق: قاض. من أدباء الفقهاء. أصله من قزوين، ومولده بالموصل. ولى القضاء فى ناحية بالروم، ثم قضاء دمشق سنة ٧٢٤هـ، فقضاء القضاة بمصر ٧٢٧هـ ونفاه السلطان الملك الناصر إلى دمشق سنة ٧٣٨ ثم ولاه القضاء بها فاستمر إلى أن توفى. من كتبه «تلخيص المفتاح» فى المعانى والبيان، و«الإيضاح» فى شرح التلخيص. انظر مفتاح السعادة ١/١٦٨، ٢/٢١٧ وابن الوردي ٢/٣٢٤ والبدر الطالع ٢/١٨٣ والبداءة والنهاية ١٤/١٨٥ والنجوم الزاهرة ٩/٣١٨ ومراة الجنان ٤/٣٠١ والوافى بالوفيات ٣/٢٤٢ وطبقات الشافعية ٥/٢٣٨ والدرر الكامنة ٤/٣ والأعلام ٦/١٩٢.

وفى يوم الخميس سابع عشر رمضان: قدم يوسف الكيمياوى إلى مصر. وكان من خير هذا الرجل أنه كان نصرانيا من أهل الكرك فأسلم، ومضى إلى دمشق بعدما خدع بمدينة صفد الأمير بهادر التقوى حتى انخدع له وأتلف عليه مالا جزيلا؛ فلما ظهر له أمره سجنه مدة، ثم أفرج عنه. فاتصل يوسف بالأمير تنكز نائب الشام، وقصد خديعته فلم ينخدع له، وأمر والى دمشق بشنقه، فصاح وقال: «أنا جيت للسلطان حتى أملاً خزانته ذهباً وفضة». فلم يجد تنكز بدا من إرساله إلى السلطان، فقيده وأركبه البريد مع بعض ثقافته، وكتب بخبره وحذر منه. فلما اجتمع يوسف بالسلطان مال إلى قوله، وفكّ قيده، وأنزله عند الأمير بكتمر الساقى؛ وأجرى عليه الرواتب السنية، وأقام له عدة من الخدم يتولون أمره، وخلع عليه؛ وأحضر له ما طلب من الخواص لتدبير الصنعة، حتى تم ما أراه. فحضر يوسف بين يدى السلطان، وقد حضر الفخر ناظر الجيش والتاج إسحاق وابن هلال الدولة والأمير بكتمر الساقى فى عدة من الأمراء، والشيخ إبراهيم الصائغ وعدة من الصوّاع؛ فأوقدوا النار على بوظقة قد ملئت بالنحاس والقصدير والفضة حتى ذاب الجميع، فألقى عليه يوسف شيئا من صنعته؛ وساقوا بالنار عليها ساعة، ثم أفرغوا ما فيها فإذا سبيكة ذهب كأجود ما يكون، زنتها ألف مثقال. فأعجب السلطان ذلك إعجابا كثيرا، وسرّ سرورا زائدا، وأنعم على يوسف بهذه الألف مثقال، وخلع عليه خلعة ثانية، وأركبه فرسا مسرجا ملجما بكنبوش حرير، وبالغ فى إكرامه، ومكّنه من جميع أغراضه. فاتصل به خدام السلطان، وقدموا له أشياء كثيرة مستحسنة، فاستخف عقولهم حتى ملكها بكثرة خدعه، فبذلوا له مالا جزيلا. ثم سبّك يوسف للسلطان سبيكة ثانية من ذهب، فكاد يطير به فرحا، وصار يستحضره بالليل ويمجّده، فيزيده طمعا ورغبة فيه؛ فأذن له أن يركب من الخيول السلطانية ويمضى حيث شاء من القاهرة ومصر؛ فركب وأقبل على اللهوى؛ وأتاه عدة من الناس يسألونه فى أخذ أموالهم، طمعا فى أن يفيدهم الصنعة أو يغنيهم منها، فمرّت له أوقات لا يتهيا لكل أحد مثلها من طبيعتها. ثم إنه سأل أن يتوجه إلى الكرك، لإحضار نبات هناك؛ فأركبه السلطان البريد، وبعث معه الأمير طقطاى مقدم البريدية، بعدما كتب إلى نائب غزة ونائب الكرك بخدمته وقضاء ما يرسم به والقيام بجميع ما يحتاج إليه من ديوان الخاص؛ فمضى يوسف إلى الكرك وأبطأ خبره، ثم قدم وقد ظهر كذبه للسلطان، فضيق عليه.

وفى تاسع عشر شوال: قدمت رسل الملك المجاهد على (١) من اليمن بهدية، وفيها

(١) على بن داود المويد بن يوسف المظفر: من ملوك الدولة الرسولية فى اليمن. ولد فى =

فيلان؛ فأنكر السلطان عليهم من أجل أن المجاهد قبض على رسول ملك الهند (١) وأخذ هدية السلطان ثم قتله، وأمر بهم فسجنوا.

وفي ليلة السبت سادس عشر ذى القعدة: أخرج السلطان من في القاهرة ومصر من الجذمي (٢) والبرصان (٣)، وأمرهم بسكنى الفيوم (٤).

وفيه: أخرب الأمير تنكز نائب الشام الحوانيت المجاورة لباب النصر خارج دمشق من ضيق الطريق، حتى وصل الهدم إلى الجسر تجاه البحر، وحفر حتى أخرج الأساسات، فصار فضاءً.

وفيه: جدّد الأمير قوصون خطبته بالجامع بخط المصلى.

=زيد، ولى الملك بعد وفاة أبيه سنة ٧٢١هـ فأقام سنة ثم خلعه الأمراء والماليك. فمكث أشهر ثم عاد إلى الحكم ثم حج سنة ٧٥١هـ، فلما كان مكة بلغ قادة الركب المصرى أنه عازم على نزع سلطة مصر عن الحجاز وإخاقه باليمن فاجتمعوا وأحاطوا بمخيمه. وكلفوه السفر معهم إلى مصر. فلم يعارض ورحلوا به، فأقام بمصر ١٤ شهرا وعاد، فانتظم أمره إلى أن توفى (بعدن) ونقل إلى تعز. انظر العقود اللؤلؤية ٢/٢، ٨٣، ١٢٣، والدرر الكامنة ٣/٤٩، والبدر الطالع ١/٤٤٤ وابن خلدون ٥/٥١٣، والبداية والنهاية ١٤/٢٣٧ والأعلام ٤/٢٨٦، ٢٨٧.

(١) المقصود بالهند هنا البلاد الإسلامية من الهند. وأرض الهند فتحها محمد بن القاسم الثقفى سنة أربع وتسعين، وكان السبب فى ذلك امرأة مسلمة ممن سبها أهل الهند أرادوها على نفسها، فصرحت: «واحجاباه»، فجهز الجنود إلى أرض الهند مع محمد بن القاسم، وكان معسكره بشيراز. انظر الروض المعطار ٥٩٦، ٥٩٧ وفتوح البلدان ٥٣٤.

(٢) الجذمي جمع أجدم، وهو المصاب بعلة الجذام، وهو داء يصيب الجلد والأعصاب الطرفية، يسبب فقدا بقعيا، وقد تتساقط منه الأطراف. انظر المعجم الوسيط (جذم).

(٣) البرصان جمع أبرص، وهو المريض بداء البرص، والبرص بياض يصيب الجلد. انظر المعجم الوسيط (برص).

(٤) الفيوم: فى البلاد المصرية، وهو نظير كبير من قرى كثيرة، يقال إن فيه من القرى عدد ما فى قطر مصر كلها من القرى، وحجر اللهون بالفيوم من عجائب الدنيا، واللهون قرية كبيرة من قرى الفيوم، وهذا الحجر شاذروان بين طبقتين من أحكم صنعة، مدرج على ستين درجة، فيها فوارات فى أعلاها وفى وسطها وفى أسفلها، فتسقى العليا الأرض العليا، والوسطى الأرض الوسطى، والسفلى الأرض السفلى، بوزن وقدر لا ينقص لأحد دون حقه ولا يزيد فوق حقه، وهو من أحكم البنيان وأتقنه، قيل: ومن ذلك الوقت عرفت الهندسة، قيل: وإنما سميت الفيوم من ناحية من النواحي لا من صحراء اليوم، والفيوم فى وسط بلاد مصر، فلا يؤتى إلى كورة الفيوم من ناحية من النواحي لا من صحراء ولا مفازة. انظر معجم البلدان ٤/٢٨٦، والروض المعطار ٤٤٥، والاستبصار ٩٠، والإدريسى ١٤٦، وخطط المقرئى ١/٢٤٥، وابن الوردي ٢٣.

وفيه: ابتدأ الأمير ألماس الحاجب بعمارته الجامع الذى عرف باسمه؛ بخط حوض ابن هنس خارج باب زويلة من القاهرة.

وفيه: ابتدأ الأمير علاء الدين مغلطاي الجمالى فى عمارة مدرسة بجوار داره، قريبا من درب ملوخيا بالقاهرة؛ ووقف عليها أوقافا جليلة.

وفيه ابتدأ علاء الدين طقطاي أحد ممالك السلطان فى عمارة جامع بين السورين من القاهرة، وسماه جامع التوبة، لكثرة ما كان هناك من الفساد؛ وأقام به خطبة للجمعة.

وفى يوم الأربعاء خامس ذى الحجة: استقرّ ناصر الدين بن المحسنى فى ولاية القاهرة؛ وقد نقل إليها من ولاية المنوفية^(١)، عوضا عن عز الدين الزرّاق.

وفى يوم الجمعة رابع عشر ذى الحجة: قُتل الأمير الدر أمير جندار بمكة. وكان من خبر ذلك أن أمير الركب العراقى فى هذه السنة كان من أهل توريذ يعرف بمحمد الحجيج، وكان يتقرب من أولاد جوبان، فترقى بهم إلى معرفة السلطان بورسعيد، فعظم أمره وجعله من ندمائه، وبعثه رسولا إلى مصر غير مرة. فأعجب به السلطان الناصر ولاق بمخاطره إلى أن بلغه عنه أنه تعرض فى مجلس أبى سعيد لشيء ذكر مما يكرهه السلطان فتنكر له وأسر ذلك فى نفسه، فلما بلغه أنه سار أمير الركب العراقى كتب إلى الشريف عطيفة بن أبى نعى^(٢) سرّا أن يتحيل فى قتله، فلم يجد عطيفة بدا من امتثال ما أمر به، وأطلع ولده مبارك بن عطيفة ومن يثق به على ذلك، وتقدم إليهم بإعمال الحيلة فيه.

فلما قضى الحاج النسك عاد منهم الأمير علم الدين سنجر الجاولى إلى مصر، ومعه جماعة، فى يوم الأربعاء ثانى عشر ذى الحجة. وتأخر الأمير سيف الدين خاص ترك أمير الحاج، والأمير الدر جاندار، والأمير أحمد ابن خالة السلطان، ليصلوا بمكة صلاة الجمعة، ومعهم بقية حجاج مصر. فلما حضروا للجمعة وصعد الخطيب المنير، أراد الشريف عمل ما رُسم له به، وأخذ العبيد فى إثارة الفتنة بين الناس ليحصل الغرض

(١) هى من قرى مصر القديمة. انظر، معجم البلدان ٢١٦/٥.

(٢) الشريف عطيفة بن أبى نعى محمد بن الحسن على بن الحسن من أمراء مكة ولاء بيبرس الجاشنكير سنة ٧٠١هـ وعزله سنة ٧٠٤هـ وأعيد سنة ٧١٩هـ واستمر إلى أن قبض عليه وحمل إلى مصر فسجن بالإسكندرية إلى أن توفى. انظر الدرر الكامنة ٤٥٥/٢ والجداول المرضية ١٤٥ وخلاصة الكلام ٣١، ٣٠، والأعلام ٢٣٧/٤.

بذلك. وأول ما بدأوا به أن عيشوا ببعض حاج العراق، وخطفوا شيئا من أموالهم. وكان الشريف عطيفة جالسا إلى جانب الأمير خاص ترك أمير الركب، فصرخ الناس بالأمير الدمري - وليس عنده علم. مما كتب به السلطان إلى الشريف عطيفة، وكان مع ذلك شجاعا حاد المزاج قوى النفس -؛ فنهض ومعه من المماليك، وقد تزايد صراخ الناس، وأتى الشريف وسبّه، وقبض بعض قواده وأحرق به، فلاطفه الشريف فلم يلن.

واشتدّ صياح الناس، فركب الشريف مبارك بن عطيفة في قواد مكة بألة الحرب، وركب جند مصر. فبادر خليل ولد الأمير الدمري وضرب أحد العبيد، فرماه العبد بحربة قتله؛ فاشتدّ حنق أبيه وحمل بنفسه لأخذ ثأر ولده فقتل. ويقال بل صدف الشريف مبارك بن عطيفة، وقد قصد ركب العراق وعليه آلة حربيه، فقال له: «ويلك! تريد أن تثير فتنة؟» وهمّ أن يضربه بالدبوس^(١)، فضربه مبارك بحربه كانت في يده أنفذها من صدره فخرّ صريعا؛ وقتل معه رجلان من جماعته. فركب أمير الركب عند ذلك ونجا بنفسه، ورُمى مبارك بن عطيفة بسهم في يده فشلت. واختبئ الناس بأسرهم، وركب أهل مكة سطح الحرم، ورموا أمير أحمد ابن خالة السلطان ومن معه بالحجارة، وقد أفرغ نشابه بين يديه هو ومن معه، ورُمى بها حتى خلص أيضا؛ وفرّ أمير ركب العراق وتخير الشريف عطيفة في أمره، ومازال يدارى الأمر حتى خرج الحاج بأجمعهم من مكة، وتوجهوا إلى بلادهم.

وكان من غريب الاتفاق أن في يوم الجمعة الذي قتل فيه الدمري كأنما نودى في القاهرة ومصر وقلعة الجبل بقتل الدمري في فتنة كانت بمكة في هذا اليوم، وتحدث الناس بذلك حديثا فاشيا إلى أن بلغ السلطان وأمراء الدولة. فلم يعبأوا به وجعلوه من ترهات العامة.

وأغرب من ذلك أن الأمير علم الدين سنجر كان كاشفا بالغربية من نواحي القاهرة، فلما عاد إلى منزله بعد صلاة عيد الأضحى وافاه أحد غلمانه وقد حضر إليه من القاهرة، فأخبره أنه أشيع بالقاهرة أن فتنة كانت بمكة قتل فيها الأمير الدمري أمير جندار، فسخر من قوله وقال: «هذا كلام لا يقبله عاقل»؛ وأخذ الخبر ينتشر حتى تحدث به كل أحد.

واتفق في هذه السنة أنه وصل صحبة حاج العراق فيل من جهة الملك أبى سعيد يحمل محملهم، فتشاءم الناس به وقالوا: «هذا عام الفيل»؛ فكان من الفتنة بمكة وقتل

(١) على هامش ط: الدبوس - وجمعه دبائيس - آلة من آلات الحرب في العصور الوسطى.

الدمر ما كان. فلما قارب حاج العراق ذا الحليفة من المدينة النبوية وقف الفيل وتقهقر، فضربوه ليسير، فصار كلما أكره على أن يتقدم إلى جهة المدينة تأخر إلى ورائه. هذا وهم يضربونه وهو يتأخر إلى أن سقط ميتا، وذلك في ثالث عشرى ذى الحجة. ويقال إنه بلغت الثقة على هذا الفيل منذ خرج من العراق إلى أن هلك زيادة على ثلاثين ألف درهم، ولم يُعرف مقصد أبي سعيد فى بعثه الفيل إلى مكة.

وفى نقل شمس الدين محمد بن أبى بكر بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن نجد بن حمدان - الشهير بابن النقيب (١) - الشافعى، من قضاء طرابلس إلى قضاء القضاة مجلب، عوضا عن فخر الدين عثمان بن محمد بن عبد الرحيم بن إبراهيم بن هبة الله بن المسلم المعروف بابن البارزى بعد وفاته؛ واستقرّ فى قضاء طرابلس شمس الدين محمد بن المجد. وفىها بلغت زيادة ماء النيل عشرة أصابع من ثمانية عشر ذراعا. وكان وفاؤه يوم الأحد خامس عشرى شوال، وهو تاسع عشر مسرى.

* * *

ومات فى هذه السنة ممن له ذكر

أحمد بن أبى طالب بن أبى النعم بن نعمة بن الحسن بن على - المعروف بابن السحنة - الحجّار الصالحى الدمشقى، فى خامس عشرى صفر؛ ومولده سنة ثلاث وعشرين وستمائة؛ وقد صار مسند الدنيا، وتفرد بالرواية عن ابن الزبيدى وابن الليثى مدة سنتين لا يشاركه فيها أحد، وسمع الناس عليه صحيح البخارى أكثر من سبعين مرة، وقدم القاهرة مرتين وحدث بها.

وتوفى الأمير سيف الدين بهادر آص أحد أمراء الألف، بدمشق فى تاسع عشر صفر؛ وأنعم بإقطاعه على الأمير سنجر الجمقدار؛ وكان شجاعا مقداما فى الحرب، ولى نيابة صفا؛ وكان له أربعة أولاد، منهم اثنان أمراء، فكان يضرب على بابيه ثلاث طبلخاناه.

وتوفى الأمير سيف الدين بلبان الكوندى المهمندار الدوادارى، بدمشق فى نصف جمادى الأولى؛ وكان أحد الأمراء العشروات.

(١) محمد بن أبى بكر بن إبراهيم بن عبد الرحمن، شمس الدين ابن النقيب مفسر، من قضاة الشافعية. دمشق. ولى الحكم بممص وطرابلس ثم حلب. ودرس وتوفى بدمشق. له عمدة السالك وعدة الناسك، ومقدمة فى التفسير. انظر مفتاح السعادة ٤٤٣/١ والدرر الكامنة ٣/٣٩٨ وطبقات السبكي ٤٤/٦ والأعلام ٥٥/٦.

وتوفى الأمير سيف الدين بلبان الصرخدى الظاهري، أحد أمراء الطبلخاناه، بالقاهرة فى العشرين من جمادى الآخرة؛ وقد تجاوز الثمانين، وكان خيرا.
وتوفى الأمير قلىبرص بن الحاج طيبرس الوزيرى، بدمشق ليلة الجمعة ثامن ذى القعدة.

وتوفى الأمير سيف الدين بلبان الجمقدار المعروف بالكرند، فى سابع ربيع الآخر؛ كان من كبار الأمراء.

وتوفى الأمير سيف الدين بلبان الكوندكى أحد أمراء دمشق، فى سابع عشرى شعبان؛ وخرج طبيغا حاجى على إقطاعه؛ وكان جوادا.

وتوفى الأمير سيف الدين الدمير أمير جندار مقتولا، بمكة فى يوم الجمعة رابع عشر ذى الحجة؛ وله خارج باب زويلة من القاهرة حمامات؛ وكانت أمواله جزيلة.

وتوفى القاضى علاء الدين على ابن القاضى تاج الدين أحمد بن محمد بن سعيد بن الأثير كاتب السر، فى يوم الأربعاء خامس عشر المحرم، بعدما أصابه مرض الفالج مدة سنة كاملة، وهو ملازم بيته؛ وكان ذا سعادة جلييلة وحرمة وافرة وجاه عريض، ويُضرب به المثل فى الحشمة.

وتوفى الوزير شمس الدين أبو القاسم محمد بن سهل بن أحمد بن سهل الأسدى الغرناطى الأندلسى، بالقاهرة قافلا من الحج؛ وكان صاحب فنون من قراءات وفقه ونحو وأدب وتاريخ.

وتوفى ناصر الدين شافع بن محمد بن على بن عباس بن إسماعيل الكنانى العسقلانى^(١)، سبط ابن عبد الظاهر، فى سابع عشرى شعبان بعدما عمى؛ وكان أديبا مشاركا فى عدة علوم، وله عدة مصنفات ونظم جيد ونثر مليح، وهو أحد كتاب الإنشاء.

وتوفى سعد الدين محمد بن محمد بن عطايا، فى يوم السبت سابع عشرى رمضان؛ ولى نظر البيوت ونظر الرواتب، ثم ولى الوزارة فى أيام بيبرس وسلار، ثم صرفه الملك الناصر لما قدم من الكرك وصادره، فلزم بيته حتى مات.

(١) شافع بن على بن عباس الكنانى العسقلانى، ثم المصرى، ناصر الدين: كاتب مؤرخ. له شعر جيد. باشر ديوان الإنشاء بمصر زمانا. وأصابه سهم فى صدغه، فى وقعة حمص بين الجيش المصرى والجيش المغولى سنة ٦٨٠هـ، فعمى. وكان جماعا للكتب، خلف ١٨ خزانة. له تصانيف منها «ديوان شعره» و«المناقب السرية المتنزعة من السيرة الظاهرية» و«تشرىف الأيام والعصور بسيرة الملك المنصور» و«سيرة الأشراف خليل». انظر نكت الهميان ١٦٣ وفوات الوفيات ١/١٨٢ والدرر الكامنة ١٨٤/٢ والنجوم الزاهرة ٢٨٥/٩ والأعلام ١٥٢/٣.

وتوفى الأمير سيف الدين قدادار وإلى القاهرة، فى سادس عشر صفر؛ وأنعم بإمرته على الأمير طاجار القبحاقى؛ و أصله من ممالك الأمير برلغى، وترقى إلى أن ولى ولاية الغربية وولاية البحيرة (١) وولاية القاهرة، وتمكن فيها تمكنا زائدا، وكان جريئا على الدماء؛ ثم صُرف عن ولاية القاهرة بناصر الدين محمد بن المحسنى، وأقام فى داره إلى أن خرج إلى الحج وهو ضعيف، ثم قدم فلزم الفراش حتى مات.

وتوفى الأمير بلبان الديسنى، فى خامس عشر ربيع الأول؛ وأنعم بإمرته على برلغى. وتوفى الأمير كجكن الساقى فى سادس صفر، وأنعم بإقطاعه على سنقر الخازن. وتوفى الأمير ناصر الدين محمد بن ملكشاه فى ثانى عشر صفر، وأنعم بإقطاعه على بكمان.

وتوفى الشيخ شمس الدين محمد بن الرومى، شيخ خانكاه بكنمر الساقى، فى يوم الأحد ثالث عشرى ذى الحجة؛ وولى عوضه الشيخ زاده الدوقانى.

وتوفى الشيخ زين الدين أيوب بن نعمة الكحال البالىسى، فى ذى الحجة، وقد أناف على التسعين؛ حدث بمصر ودمشق عن المرسى والرشيد العراقى فى آخرين، وانفرد بالرواية.

و توفى ركن الدين عبد السلام بن قطب الدين عبد القادر بن محمد بن أبى صالح نصر بن عبد الرزاق بن الشيخ عبد القادر الكيلانى، فى آخر جمادى الآخرة بدمشق؛ قدم القاهرة مرارا، وخالط الأمراء؛ وكانت له مكارم.

وتوفى فخر الدين أبو عمرو عثمان بن الجمال أحمد بن محمد بن عبد الله الظاهرى، فى رجب؛ ودفن بزواية أبيه خارج باب البحر من القاهرة؛ ومولده سنة سبعين وستمئة؛ سمع الحديث من جماعة كثيرة وحدث.

* * *

(١) كورة معروفة من نواحي الإسكندرية بمصر، تشتمل على قرى كثيرة ودخل واسع. انظر معجم البلدان ٣٥١/٢.

سنة إحدى وثلاثين وسبعمائة

أهلت بيوم الإثنين:

وفي ثالث المحرم: قدم مبشرو الحاج، وأخبروا بما وقع بمكة من الفتنة وقتل الأمير الدمر أمير جندار وولده؛ فتعجب الناس من صحة ما أشيع بالقاهرة من قتل الدمر في يوم قتله. فشقّ على السلطان ذلك، وكتب بإحضار الشريف عطيفة أمير مكة وولده وقواده.

وفي ثاني عشره: خلّع على الأمير عز الدين أيدير العلامى الجمقدار المعروف بالزراق، المستقرّ في ولاية القاهرة؛ ورسم له أن يكون أمير جندار. ثم خلّع على الأمير سيف الدين أرنبغا السلحدار، واستقرّ أمير جندار عوضاً عن الدمر.

وفي تاسع عشره: استقر فخر الدين محمد تاج الدين محمد بن مؤتمن الدين الحارث ابن مسكين الشافعى في قضاء الإسكندرية، وتوجه إليها في عاشر ربيع الأول.

وفي المحرم هذا: قدم الحاج، وأخبروا بكثرة الفتن بمكة بين الشريفين عطيفة ورميثة^(١) وقوة رميثة على عطيفة ونهبه مكة وخروجه عن الطاعة، وأنه لم يلق ركب الحجاج؛ فكتب بحضوره. فلما ورد المرسوم بطلب الشريفين إلى مصر اتفقا وخرجا عن الطاعة، فشقّ ذلك على السلطان، وعزم على إخراج بنى حسن من مكة. وتقدم السلطان إلى الأمير سيف الدين أيتمش أن يخرج بعسكر إلى مكة، وعيّن معه من الأمراء الأمير طيدير الساقى، والأمير أقبغا آص، والأمير آقسنقر، والأمير طرقش والأمير طقتمر الأحمدي، والأمير طقتمر الصلاحى، وأربعة عشر من مقدمى الحلقة، وعدة من أعيان أجناد الحلقة. ثم استدعى السلطان الأمير أيتمش بدار العدل، وقال له بحضرة القضاة: «لا تدع في مكة أحدا من الأشراف ولا من القواد ولا من عبيدهم؛ وناد بها من أقام منهم حلّ دمه. ثم أحرق جميع وادى نخلة، وألقى فى نخلها النار حتى لا تدع شجرة مثمرة ولا دمنة عامرة، وخرّب ما حول مكة من المساكن، وأخرج حرم الأشراف

(١) رميثة بن أبى نعى محمد بن الحسن بن على الحسنى، أبو عرادة، ويلقب أسد الدين، وقيل اسمه منجد: شريف، من أمراء مكة. وليها مشتركاً مع أخيه حميصه ثم اختلفا فاقتتلا ونشبت بينهما وقائع واستقل سنة ٧١٥هـ وتجددت بينهما الوقائع فانفرد بالأمر سنة ٧٣٨-٧٤٥هـ ونزل عن الإمارة لأولاده، وتوفى بمكة. انظر شذرات الذهب ١٤٩/٦ والدرر الكامنة ١١١/٢ والنجوم الزاهرة ١٤٤/١٠ والأعلام ٣٣/٣.

١٤٠ سنة إحدى وثلاثين وسبعمائة

منها، وأقم بها بمن معك حتى يأتيك عسكر آخر». فقام فى ذلك قاضى القضاة جلال الدين محمد القزوينى، ووعظ السلطان وذكره بوجوب تعظيم الحرم، إلى أن استقرّ الأمر على أن كتب لرميثة أمان وتقليد بإمرة مكة. وسار العسكر من ظاهر القاهرة فى نصف صفر، وعدتهم سبعمائة فارس.

وفى سابع ربيع الأول: توجه السلطان إلى سرياقوس، فأقام بها أياماً؛ ثم سار إلى البحيرة والمنوفية، ومضى على الجيزة إلى البهنساوية^(١)؛ وعاد إلى قلعة الجبل فى حادى عشر ربيع الآخر.

وفى يوم الأربعاء سابع عشرى ربيع الأول: استقرّ شرف الدين أبو محمد عبد الله ابن الحسن بن عبد الله بن عبد الغنى بن عبد الواحد بن على المقدسى الحنبلى فى قضاء الحنابلة بدمشق، عوضاً عن عز الدين محمد بن سليمان بن حمزة بن أحمد بن عمر بن الشيخ أبى عمر بعد وفاته.

وفى مستهل ربيع الآخر: تولى علاء الدين الطويل المنوفية، ثم بطل ذلك؛ وتولى فخر الدين أياس الدوادارى المنوفية فى اليوم المذكور.

وفى حادى عشرية: خلع على ركن الدين الكركرى، واستقرّ فى ولاية قوص عوضاً عن غرس الدين خليل أخى طقصبا.

وفى ثالث عشرية: سار السلطان إلى ناحية طنّان^(٢)، وأقام هناك أياماً؛ ثم عاد إلى الجيزة، فأقام بها عدة أيام. ثم توجه السلطان إلى الحمامات^(٣)، ثم رجع فدخل قلعة الجبل فى رابع جمادى الأولى. وقدم عليه فى سفره هذا رسل الملك أبى سعيد بن خربندا.

وفى حادى عشرية أيضاً: استقرّ الأمير عز الدين أيدمر العلامى - المعروف بأستادار الطنبغا الحاجب - فى ولاية الوجه البحرى، وكان والى أسيوط^(٤) ومنفلوط^(٥).

(١) مدينة بمصر من الصعيد الأدنى غربى النيل، وتضاف إليها كورة كبيرة. انظر، معجم البلدان ٥١٦/١، ٥١٧.

(٢) طنّان بلدة تابعة لمركز قلوب بمديرية القليوبية الحالية.

(٣) الحمامات بلدة على مسافة كليو مترات غربى كوم تروجة، وهى من أراضى ناحية زاوية صقر؛ بمركز أبى المطامير بمديرية البحيرة.

(٤) مدينة فى غربى النيل من نواحي صعيد مصر. انظر، معجم البلدان ١٩٣/١، ١٩٤.

(٥) بلدة بالصعيد فى غربى النيل بينها وبين شاطىء النيل بعد. انظر، معجم البلدان ٢١٤/٥،

وفي يوم الإثنين سابع عشره: مات الأمير أرغون الدوادار نائب حلب؛ فنخلع على الأمير علاء الدين أظنغا الصالحى بناية حلب فى يوم الخميس آخره، وتوجه إليها.
وفي جمادى الأولى: مرض القاضى تاج الدين إسحاق ناظر الخاص.

وتوفى يوم الإثنين أول جمادى الآخر. وترك القاضى تاج الدين من الأولاد علم إبراهيم ناظر الدولة، وشمس الدين موسى، وسعد الدين ماجد، بعدما وصى بهم الفخر ناظر الجيش؛ فتوسط الفخر لهم مع السلطان إلى أن استدعى من الغد شمس الدين موسى وخلع عليه وقرّره فى نظر الخاص ووكالة السلطان عوضا عن أبيه، وقد كان ينوب عنه فى حياته؛ وأقرّ السلطان أخاه علم الدين إبراهيم فى نظر الدولة، وأقرّ علاء الدين بن هلال الدولة فى شدّ الدواوين وشدّ الخاص، وأنعم عليه بإمرة طبلخاناه.

و فيه استقرّ علاء الدين محمد بن نصر الله الجوجرى شاهد الخزانة فيما كان بيد شمس الدين موسى قبل ولايته نظر الخاص.

و فيه استقرّ جمال الدين يوسف أخو قنغلى فى ولاية الشرقية، بسفارة الأمير بكتمر الساقى؛ واستقرّ أخوه شجاع الدين قنغلى فى ولاية البهنساوية.

وفي يوم السبت سادسه: خلّع على عز الدين عبد العزيز ابن قاضى القضاة بدر الدين محمد بن جماعة^(١)، واستقرّ فى وكالة السلطان عوضا عن التاج إسحاق ناظر الخاص بعد وفاته.

وفي سابع جمادى الآخرة: قدم الأمير أيتمش بالعسكر المجرى إلى مكة، فكانت مدة غيبتهم أربعة أشهر تنقص ثمانية أيام. وكان من خيرهم أنهم لما قدموا مكة كان الشريف رمينة قد جمع عربا كثيرة يريد محاربتهم، فكتب إليه الأمير أيتمش يعرفه بأمان السلطان له وتقليده إمرة مكة، ويثنه على الحضور إليه ويرغبه فى الطاعة، ويحذره عاقبة الخلاف ويهدّده على ذلك، ويعرفّه بما أمر به السلطان من إجلاء بنى حسن وأتباعهم عن مكة. فلما وقف رمينة على ذلك اطمأنّ إلى الأمير أيتمش، وأجابته بما كان قد عزم عليه من الحرب لو أنّ غيره قام مقامه، وطلب منه أن يحلف هو ومن معه

(١) عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم بن جماعة الكنانى؛ الحموى الأصل، الدمشقى المولد، ثم المصرى، عز الدين الحافظ، قاضى القضاة. ولى قضاء الديار المصرية سنة ٧٣٩هـ وجاور بالحجاز فمات بمكة. من كتبه «هدية السالك إلى المذاهب الأربعة فى المناسك» و«المناسك الصغرى». انظر الدرر الكامنة ٣٧٨/٢ والكتبخانة ١٨١/٧ والتيمورية ٦١/٣ وكشف الظنون ١٩٤٠ والأعلام ٢٦/٤.

ألا يغدره، وأن يقرضه مبلغ خمسين ألف درهم يتعوضها من إقطاعه. فتقرر الحال على أن يبعث إليه الأمير أيتمش عشرة أحمال من الدقيق والشعير والبقسماط وغيره، ومبلغ خمسة آلاف درهم؛ فقدم حيثئذ.

فلما قارب رميثة مكة ركب الأمير أيتمش بمن معه إلى لقائه، فإذا عدة من قواده مع وزيره قد تقدموه ليحلفوا له العسكر، فعادوا بهم إلى الحرم وحلفوا له أيما مؤكدة، ثم ركبوا إلى لقائه وقابلوه بما يليق به من الإكرام، فلبس رميثة تشریف السلطان، وتقلد إمارة مكة؛ وعزم على تقديمه شيء للأمرء، فامتنعوا أن يقبلوا منه هدية، وكتبوا إلى السلطان بعود الشريف إلى الطاعة، وخرجوا من مكة يريدون القاهرة. فلما وصلوا دخل الأمير أيتمش على السلطان، فشكره على ما كان منه.

وكان قاضي القضاة جلال الدين القزويني حاضرا، فأكثر من الثناء على أيتمش، وقال: «هذا الذي فعله هو الإسلام».

وفيه قدم الأمير تنكز نائب الشام في يوم الإثنين سادسه، ومعه الأمير سيف الدين أرقطاي نائب صفد^(١). فأكرم السلطان الأمير أرقطاي وقربه، وتقدم إلى جميع الأمرء أن يقدموا له التقدام، فقدم له كل أحد على قدر همته؛ وأنعم السلطان على أحد ولديه بإمرة طبلخاناه، وعلى الآخر بإمرة عشرة. وكان سبب قدومه من صفد أن الأمير تنكز لما توجه في السنة الخالية من دمشق يريد القدوم على السلطان على عادته، ركب الأمير أرقطاي من صفد ليلقاه من رأس اللجون، ومد له سماطا جليلا، وركب إلى لقائه؛ فلم ينصفه الأمير تنكز في السلام عليه، وسار حتى قرب من السماط فلم يلتفت إليه ولا نزل له، ومرّ من غير أن يأكل منه. فشق ذلك على أرقطاي، وقيل لتتكز إنه قد انكسر خاطره من الأمير، فقال: «ومن قال له يعمل هذا؟». فبلغ ذلك السلطان، فغته عند حضوره على ما كان منه لأرقطاي، وقال له: «وماذا كان يصيبك لو أكلت طعامه؟»، وأمره أن يحضره صحبته إذا قدم في السنة الآتية؛ وكتب لأرقطاي أن يحضر مع الأمير تنكز. فلما خرج الأمير تنكز من دمشق في هذه السنة، وتلقاه أرقطاي، أكرمه تنكز ومضى به إلى مصر، ثم سافرا إلى محل كفالتهمما في يوم الثلاثاء سادس عشرة.

وفي يوم الثلاثاء حادى عشر شهر رجب: توجه الأمير سيف الدين طرغاي

(١) مدينة في جبال عاملة المطللة على حصص بالشام، وهي من جبال لبنان. انظر معجم البلدان

الجاشنكير، والأمير بيغرا، والأمير ملكتمر السرجوانى. وقد استقر فى نيابة الكرك، بإبراهيم ولد السلطان إلى مدينة الكرك ليقروه بها، فوصلوا به إليها؛ وعادوا منها ومعهم أحمد ابن السلطان، وكان قد توجه قبل ذلك إلى الكرك؛ فقدموا به قلعة الجبل فى يوم السبت سادس عشر شعبان، ومعه الأمير بهادر البدرى نائب الكرك. فختن الأمير أحمد^(١) ابن السلطان يوم الإثنين ثامن عشرة، بعد وصوله بيومين.

وفيه قدمت رسل ملك الهند، وكان يجيؤهم من جهة بغداد، فأكرموا وخلع عليهم، وساروا فى آخره.

وفى يوم الأربعاء خامس رمضان: أفرج عن الشريف ودى^(٢) أمير المدينة النبوية، وعن خرص ابن أخيه - وكانا قد اعتقلا بقلعة الجبل فى أول شوال سنة تسع وعشرين-؛ فرتب لهما راتب حسن مدة، ثم أنعم عليهما بإقطاع فى الشام، وسارا إليها؛ فمات خرص، ثم ولى ودى إمرة المدينة.

وفى هذا الشهر: فرّ يوسف الكيمياوى من سجنه، فنودى عليه بالقاهرة ومصر، وسرحت البطائق على أجنحة الحمام لولاة الأعمال بتحصيله.

وفى عاشره: خلع على الأمير ملكتمر السرجوانى، واستقر فى نيابة الكرك، عوضاً عن بهادر البدرى، وسافر من يومه.

وفى يوم السبت خامس عشرة: حُمل من خزانة الخاص بالقلعة مهر آنوك ولد السلطان إلى بنت الأمير بكتمر الساقى: وهو عشرة آلاف دينار، ومائتان وخمسون تفصيلة حرير مثمانة، ومائة نافحة^(٣) مسك، وألف مثقال عنبر خام، ومائة شمعة موكبية، وثلاثة أرؤس من الخيل مسرجة ملجمة، وخمسة ممالك على يد كل مملوك بقجة.

(١) أحمد بن محمد بن قلاوون، شهاب الدين الملك الناصر ابن الملك الناصر: من ملوك الدولة القلاوونية بمصر والشام. ولد بالقاهرة، وأرسله أبوه إلى الكرك ليتعلم الفروسية، فاستمر فيها أيام أخيه وأخويه أبى بكر وكحك وتولى السلطنة سنة ٧٤٢ واستمرت مدة حكمه بمصر ٧٢ يوماً. انظر ابن إياس ١/١٧٩، ١٨٢ والدرر الكامنة ١/٢٩٤ والبداية والنهاية ١٤/١٩٣، ٢٠٢، ٢٠٧، ٢١٣ والنجوم الزاهرة ١٠/٥٠ والأعلام ١/٢٢٣.

(٢) ودى بن حجاز بن شيحة الحسينى، بدر الدين، أبو مزروع: ممن تولوا إمارة المدينة. ولد ونشأ فيها وانتزع إمارتها من ابن أخيه طفيل، ثم ظفر طفيل وحبس ودى، وغضب الملك الناصر على طفيل، فحبسه بمصر وولى ودى إمارة المدينة سنة ٧٣٦هـ فقام بأعبائها. ولما توفى الناصر ذهب ودى إلى مصر، وعاد مكرماً إلى إمارته. انظر المغنم المطابق والدرر الكامنة ٤/٤٠٦ والأعلام ٨/١٢.

(٣) النافحة وعاء المسك فى جسم الظبى، جمع نوافج. انظر المعجم الوسيط (نفع).

وسُلم ذلك إلى الأمير أيدغمش أخور، والأمير طقتمر الخازن دوادار القاضي شمس الدين موسى ناظر الخاص؛ وألبس الثلاثة تشاريف جليلة، وتوجهوا بذلك إلى بيت الأمير بكتمر الساقى، فكان يوما مشهودا. وعُقد العقد، وعُملت المهمات والأفراح الملوكية.

وفي يوم الإثنين نصف شوال: رسم بعزل نواب قضاة القضاة الأربعة بالقاهرة ومصر، وكانت عدتهم قد بلغت نحو الخمسين نائبا، فعزلوا بأجمعهم.

وفي أول ذى القعدة: سار الأمير صلاح الدين يوسف دوادار قبجق، رسولا إلى أبى سعيد ملك العراق.

وفي يوم الأحد ثالث عشره: كُتب كتاب الأمير ملجك ابن أخت الأمير قوصون على بنت الأمير تنكز نائب الشام. وحُملت إليه من دمشق، وصحبتها أموال جزيلة وتحف جليلة؛ فعملت أفراح سنية مدة أيام.

وفيه أيضا كان وفاء النيل وهو خامس عشرى مسرى.

وفي سابع عشره: استقرّ شهاب الدين الإقفهسى فى نظر الدولة، عوضا عن تقى الدين عمر بن محمد بن السلعوس.

وفي يوم الإثنين خامس ذى الحجة: أسلم من الكتاب النصارى المهذبُ كاتب الأمير بكتمر الساقى، والنشو مستوفى الدولة، والعلم بن فخر الدولة مستوفى الدولة أيضا.

وفي يوم السبت سابع عشره: ركب السلطان إلى الميدان الذى استجده، وقد كملت عمارته. وكان قد رَسِم فى أول هذه السنة بهدم مناظر الميدان الظاهرى وتجديد عمارته، وفوّض ذلك إلى الأمير ناصر الدين محمد بن المحسنى، فهدمها وباع أخشابها بمائة ألف درهم وألفى درهم، واهتم فى عمارة جديدة؛ فأكمل البناء فى مدّة شهرين، وجاء كأحسن شيء يكون. فنخلع عليه السلطان، وفرّق على الأمراء الخيول المرسجة الملحمة.

وفي هذا الشهر: قبُض على يوسف الكيمياوى بمدينة أحميم^(١)؛ وحمل مقيّدا، فوصل إلى قلعة الجبل فى رابع عشره. ومثل يوسف بين يدى السلطان، فسأله عن المال، فقال: «عدم منى». فسأله السلطان عن صناعته فقال: «كل ما كنت أفعله إنما هو

(١) بلد قديم على شاطئ النيل بالصعيد بمصر. انظر، معجم البلدان ١/١٢٣، ١٢٤.

خفة يد»، فعوقب عقوبة شديدة بالضرب، ثم حمل إلى خزانة شمائل سجن أرباب الجرائم بجوار باب زويلة من القاهرة، فمات ليلة الأحد خامس عشره، فسمّر وهو ميت وطيف به القاهرة على جمل في يوم الأحد.

وكان قد عزم السلطان على أن يؤمّر ولده أحمد المحضّر من الكرك؛ فركب الأمير بكتمر الساقى وسائر الأمراء وجميع الخاصكية إلى القبة المنصورية بين القصرين فى خدمة الأمير أحمد وهو بشربوش وعلى رأسه سنجق؛ وأمر معه أيضا ثلاثة أمراء عشراوات فى يوم الإثنين سادس عشره. وألزم الأمير ناصر الدين بن المحسنى والى القاهرة جميع أرباب الحوانيت بالقاهرة أن يوقدوا الشموع والقناديل ويزينوا القاهرة، زينوا الأسواق وأشعلوا الشموع والقناديل؛ وجلس أرباب الملهى فى عدة أماكن يضربون بألاتهم فرحا بتأمير أحمد ابن السلطان.

واتفق فى هذه السنة توالى الأفراح، لأجل عافية السلطان، وتزويج ولده آنوك، وتزويج ملحك ابن أخت قوصون، وتأمير أحمد بن السلطان.

وفيه ورد الخير بإفساد العرب ببلاد الصعيد قطعهم الطريق؛ فاستدعى ظلّية متولى الشرقية، وخلع عليه، واستقرّ فى كشف الوجه القبلى؛ فسار فى تجمع كبير، وأوقع بأهل الصعيد، وقتل كثيرا من العربان، ولم يراع أحدا من الأمراء فى بلاده؛ فعظمت مهابته، وخاف كل أحد بادرته.

وفى سابع عشره: نزل السلطان إلى الميدان تحت القلعة، وعيّن الأمير أرنيغا أمير جندارا، للسفر مع الأمير أحمد ابن السلطان. وخرج طلب الأمير أحمد ومعه الأمراء والحجاب، فسار إلى الكرك، وسلّمه الأمير ملكتمر السرجوانى نائبها، وأمر بتزويجه وتأديبه.

وفيه قدمت رسل ملك (١) البلغار بكتابه يترامى على مراحم السلطان، ويسأل أن يبعث إليه سيفا وسنجقا ليظهر به أعداءه. فأكرمت رسله؛ وجهزت له خلعة طرد وحش مقصب بفرو سنجاب، مقنّس (٢) على مفرّج سكندرى، وكلفته زركش، وشاش (٣)

(١) كان ملك البلغار تلك السنة حنا إسكندر.

(٢) وهو حيوان قابض من الفصيلة القندسية، كث الفوة، له ذنب قوى مفلطح، وغشاء بين أصابع رجله يستعين به على السباحة، يستوطن أوروبا وأمريكا الشمالية حاليا. انظر المعجم الوسيط (قنّس).

(٣) الشاش: نسيج رقيق من القطن تضمد به الجراح ونحوها (مستحدثة)، ويستعمل - أيضا - لفاقة للعامة. انظر المعجم الوسيط (شوش).

بطرفين رقم^(١) وحياسة ذهب، وكلايب^(٢) ذهب، وسيف محلى، وسنجد سلطاني أصفر مذهب.

وفيهما كثرت الشكاية من جمال الدين عبد الله ابن قاضي القضاة جلال الدين القزويني بكثرة لعبه، ورُفعت فيه عدة قصص للسلطان. فبعث السلطان إلى أبيه على لسان الفخر ناظر الجيش يأمره بكفّه عن ذلك، فلم ينته عن لعبه؛ فرُسم بسفره من القاهرة إلى الشام، فسار على خيل البريد.

وفيهما ولي عز الدين بن عبد العزيز ابن قاضي القضاة بدر الدين محمد بن جماعة وكالة بيت المال ونظر جامع أحمد بن طولون ونظر المدرسة الناصرية. وفيها وصل إلى حلب نهر الساجور^(٣)، بعد ما أنفق عليه مال كبير؛ فسرّ به أهل حلب سرورا زائدا.

وفيهما ملك أبو الحسن علي بن أبي سعيد عثمان بن يعقوب بن عبد الحق المريني مدينة فاس من بلاد المغرب، بعد موت أبيه.

* * *

ومات فيها من الأعيان

شهاب الدين صمغار ابن الأمير شمس الدين سنقر الأشقر، في ثالث عشر المحرم؛ فأنعم بإمرته وهي طبلخاناه على بهادر بن قرمان.

وفي يوم السبت ثامن عشره: توفى الشيخ صبيح التكروري^(٤) بدمشق؛ وقد حدث بالقاهرة ودمشق مرارا عن النجيب الحرّاني وغيره.

وتوفى الشيخ عفيف الدين عبد الله بن محيي الدين عبد الله بن صاحب صفى الدين إبراهيم بن هبة الله العسقلاني، بطريق مكة الخميس ثاني عشره؛ ومولده بمصر؛ وكان يشهد بدمشق على الحكام وفي قيم الأملاك بغير أجره، ولا يقبل هدية لأحد.

(١) هو الخيط الغليظ، والعلامة، والختم، وكل ثوب يرقم: أى وشم برقم معلوم حتى صار علما، والرقم ضرب مخطط من الوشم: انظر المعجم الوسيط (رقم).

(٢) هو الحديدية التي على خف الرائص وهو حديدية معوجة الرأس ينشل بها الشيء أو يعلق. انظر المعجم الوسيط (كلب).

(٣) على بن عثمان يعقوب بن عبد الحق المريني، أبو الحسن، المنصور بالله: من كبار بني مرين، ملوك المغرب. وكان يعرف السلطان الأكحل ببيع بفاس بعد وفاة أبيه سنة ٧٣١ بعهد منه. انظر جذوة الاقتباس ٢٩١ والاستقصا ٥٧/٢-٨٧ والحلل المشوية ١٣٤ واللمحة البدرية ٩٢ والأعلام ٣١١/٤.

(٤) نسبة إلى قبيلة من السودان في أقصى جنوب المغرب. انظر معجم البلدان ٣٨/٢.

وتوفى أمير على أخو قطلوبك أحد أمراء العشراوات، فى سابع عشره؛ فأنعم بإمرته على أمير حاج بن طقزدمر.

وتوفى الشيخ تاج الدين أبو عبد الله محمد بن العماد محمد بن التاج أبى الحسن على ابن أحمد بن على القسطلانى، بالقاهرة فى يوم الجمعة تاسع عشره.

وتوفى شمس الدين عبد اللطيف بن خليفة العجمى - أخو الوزير نجيب الدولة وزير قازان - غريقا بركة الفيل خارج القاهرة، فى سلخه؛ وكان يعرف العلوم العقلية.

وتوفى محبى الدين محمد عبد العزيز بن على بن محمد الحرانى الخنبلى - ابن أخى قاضى القضاة شرف الدين الحرانى - بالقاهرة فى حادى عشره.

وتوفى الأمير بكتمر بن كراى. فى خامس صفر.

وتوفى الأمير سيف الدين منكلى بغا السلاح دار، فى يوم الأحد سادسه؛ ودفن خارج باب النصر من القاهرة؛ وكان أحد أمراء الألفوف، وتزوج خوند دُنْبِيَّة بنت طاجى مُطلَّقة السلطان؛ وأنعم بإمرته على تمربغا السعدى؛ وكان كثير الأكل كثير النكاح.

وتوفى زين الدين محمد بن محمد بن أبى بكر محمد بن على القسطلانى، فى سابعه.

وتوفى قاضى القضاة عز الدين أبو عبد الله محمد بن تقى الدين سليمان بن حمزة بن أحمد بن عمر بن الشيخ أبى عمر محمد بن أحمد بن أحمد بن قدامة الخنبلى، بدمشق فى يوم الأربعاء؛ وولى قضاء الخنابلة بدمشق بعده شرف الدين أبو محمد عبد الله بن الحسن بن عبد الله بن عبد الغنى المقدسى.

وتوفى الأمير سيف الدين قجليس أمير سلاح، فى يوم الثلاثاء خامس عشر صفر؛ وأنعم على ساظمش الجلالى بإقطاعه.

وتوفى الأمير سيف الدين طرجى الساقى أمير مجلس، فى يوم الأربعاء سادس ربيع الآخر؛ وأنعم بطبلخاناته على أولاجا؛ واستقرّ الأمير طقزدمر عوضه أمير مجلس. فى سادس عشر ربيع الآخر.

وتوفى المسند بدر الدين المحاسن يوسف بن عمر بن حسان بن أبى بكر على الخنقى، فى يوم الثلاثاء خامس عشر صفر بالقاهرة؛ وهو آخر من حدّث عن سبط ابن السلفى.

١٤٨ سنة إحدى وثلاثين وسبعمائة

وتوفى الأمير حسام الدين لاجين زيرباج الجاشنكير، فى يوم الإثنين رابع عشر صفر.

وتوفى الأمير بغجار الساقى، فى رابع ربيع الأول؛ وأنعم بطلبخاناته على أمير عمر بن أرغون النائب.

وتوفى سنجر البروانى أحد أمراء الطبلخانته، فى الحمام فجأة يوم السبت ثامن ربيع الآخر؛ فأنعم بإمرته على أيدير العلامى.

وتوفى ضياء الدين أبو الحسن على بن سليمان بن ربيعة الأذرعى الشافعى، بالرملة^(١) فى ثالث عشره؛ ومولده بنابلس فى سنة ست وأربعين وستمائة؛ وكان قاضيا ستين سنة، ونظم كتاب التنبيه فى الفقه، فبلغ ستة عشر ألف بيت؛ وله أزجال وموشحات.

ومات الأمير ناصر الدين محمد بن الأمير حسام الدين طرنطاي المنصورى، يوم الأربعاء ثامن رجب؛ وهو أحد مقدمى الألوفا.

وتوفى الأمير نور الدين محمود بن هلال الدولة الريدانى أحد أمراء العشرات، بدمشق.

وتوفى الأمير أرغون الدوادار نائب حلب، بها فى ليلة السبت ثامن عشر ربيع الآخر؛ ومات ابنه ناصر الدين محمد قبله؛ وقدم إلى القاهرة أربعة من أولاده.

وتوفى جمال الدين أبو عبد الله بن عبد الواحد بن الخضر المعروف بابن السابق الحلبي، فى ليلة الأحد رابع عشره فجأة بحلب؛ ومولده بالإسكندرية سنة خمس وستين وستمائة؛ ولى نظر بعلبك ونظر بيت المال بدمشق.

وتوفى الشيخ المسند شرف الدين أبو العباس أحمد بن فخر الدين عبد المحسن بن الرفعة بن أبى المجد العدوى، فى ليلة الأربعاء ثامن عشره، ومولده سنة أربع وأربعين وستمائة؛ وأبوه عبد المحسن يُنسب جامع ابن الرفعة بين القاهرة ومصر.

وتوفى القاضى عز الدين الخضر بن عيسى بن عمر بن الخضر الهكارى، بالأشمونين^(٢) فى عاشره، بعد عزله من قضائها؛ وقد نيف على التسعين.

(١) الرملة: بالشام، سميت الرملة لما غلب عليها من الرمل، وهى من كور فلسطين، وبينها وبين القدس ثمانية عشر ميلاً. انظر معجم البلدان ٦٩/٣، والروض المعطار ٢٦٨، والمقدسى ١٦٤، ١٦٥، وناصر خسرو ١٩، وصبح الأعشى ٩٩/٤.

(٢) قسبة كورة من كور الصعيد الأدنى غربى النيل. انظر، معجم البلدان ٢٠٠/١.

وتوفى القاضى تاج الدين على بن نظام الدين يوسف ابن القاضى الموفق فخر الدين ابن على ابن القاضى الأمين مفضل بن مقدم بن محمود بن يعقوب اللخمي، فى تاسع عشره، بعدما كفّ بصره؛ ولى نظر الخزانة الكبرى، ودرّس بمدرسة الصاحب صفى الدين بن شكر بالقاهرة والمدرسة، وكان مقدام قاضى دمياط (١) وناظرها أيام خلفاء القاهرة، وهو أخو شكر.

وتوفى الأمير علاء الدين على بن آل ملك المجاهد إسحاق ابن السلطان بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل فى ثامنه خارج مدينة مصر، ومولده يوم الجمعة ثامن عشرى المحرم سنة سبع وخمسين وستمائة.

وتوفى الأمير ظلُّظِيه والى الولاية بالوجه القبلى، فى يوم الخميس ثانى عشر جمادى الآخرة؛ واستقرّ عوضه الأمير غرس الدين خليل أخو طقصبا الناصرى.

وتوفى مجد الدين إبراهيم بن لفيتة ناظر الدولة، بعد عزله فى ثامن عشره، فجأة بعدما خرج من الحمام ولبس ثيابه وشرب قدح شراب.

وتوفى المقرئ نور الدين أبو الحسن على بن المقرئ شرف الدين محمد بن مجاهد المعروف بابن الوارب أمام الجامع الحاكمى، فى سادسه، وهو أحد مشايخ القرءات السبع.

وتوفى الشيخ الزاهد موفق الدين أبو الفتح عيسى بن عبد الرحيم بن جعفر بن محمد ابن إبراهيم بن ثعلب الجعفرى المالكى، بمصر ليلة الأحد ثانيه، ودفن بالقرافة؛ وكان لا يتناول نصيبه من ديوان الأشرف.

وتوفى تاج الدين إسحاق - ويدعى عبد الوهاب - ناظر الخاص، فى يوم الإثنين. مستهل جمادى الآخرة؛ وولى نظر الخاص بعد القاضى كريم الدين الكبير وباشر بسكون زائد وانجماع وسياسة، وقام بمهمات عظيمة؛ وولى بعده وكالة بيت المال عز الدين عبد العزيز بن جماعة، وولى نظر خزانة الخالص علاء الدين محمد بن نصر الله بن محمد بن عبد الوهاب الجوهرى، وولى المكين بن قزوينه استيفاء الصحبة والخاص.

وتوفى الأمير سيف الدين أبو بكر بن المهرانى، فى سادسه.

وتوفى ضياء الدين أحمد بن الشيخ قطب الدين محمد بن عبد الصمد بن عبد القادر

(١) مدينة قديمة بين تنيس ومصر على زاوية بين بحر الروم والملح والنبيل. انظر، معجم البلدان

السنباطى الشافعى، فى ليلة الثلاثاء تاسعه، ويده تدريس الزاوية الخشائية بجامع مصر.
وتوفى تاج الدين أبو بكر بن معين الدين محمد بن الدمامينى، رئيس التجار الكارمية،
فى ثالث عشرى جمادى الآخرة؛ وقد قارب ثمانين سنة، وترك مائة ألف دينار عينا.
وتوفى الأمير حسام الدين طرنطاي دوادار كتبغا، ليلة الأحد ثامن عشرىه فجأة،
وكان له ثراء واسع جدا.

وتوفى نور الدين على بن محمد بن عبد الواحد الحنفى أمين الحكم، بالحسينية ظاهر
القرافة فى سلخه.

وتوفى فخر الدين عثمان إبراهيم بن مصطفى التركمانى (١) الحنفى، فى حادى عشر
شهر رجب، وهو يلى نيابة النظر بالمارستان المنصورى.

وتوفى القاضى جمال الدين أبو عبد الله محمد بن عثمان بن عبد الرزاق المالكى، أحد
نواب القضاة المالكية، فى ثامن عشرىه.

وتوفى تقى الدين عمر بن السلعوس ناظر الدولة، بعد عزله فى سادس عشرى ذى
القعدة.

وتوفى الأمير ركن الدين عمر بن الأمير سيف الدين بهادر آص المنصورى، فى تاسع
عشر ذى الحجة بدمشق.

وتوفى زين الدين عمر بن نجم الدين البالى الشافعى، مدرس المدرسة الطيرسية، فى
سلخه؛ فولى عوضه أخوه نور الدين على.

ومات بلبان المهمندار عتيق الدوادارى، فى يوم الخميس رابع عشر ربيع الآخر.
ومات ملك المغرب صاحب فاس أبو سعيد عثمان بن يعقوب بن عبد الحق بن محيو
ابن أبى بكر بن حماسة (٢)، فى ذى الحجة؛ وقام من بعده ابنه السلطان أبو الحسن على،
فكانت مدته إحدى وعشرون سنة.

* * *

(١) عثمان بن إبراهيم بن مصطفى الماردى، ويقال له ابن التركمانى: فقيه من العارفين بالتفسير.
انتهت إليه رئاسة الحنفية بالديار المصرية وتوفى فى القاهرة. له «شرح الوجيز الجامع لمسائل الجامع»
فقه. انظر الفوائد البهية ١١٥ والدرر الكامنة ٤٣٥/٢ وحسن المحاضرة ٢٦٧/١ والأعلام ٢٠٢/٤.

(٢) عثمان بن يعقوب بن عبد الحق المرينى، السلطان أبو سعد، ولقبه السعيد بفضل الله: من
ملوك الدولة المرينية بالمغرب. ولى بعد وفاة أخيه سليمان بن عبد الله سنة ٧١٠هـ بناحية تاز أو انتقل
إلى فاس. توفى بفاس ودفن بها، ثم نقل منها إلى شالة، بالرباط، حيث مدفن سلفه ومدة ملكه
عشرون سنة ونصف. انظر جذوة الاقتباس ٢٨٨ والاستقصا ٥٠/٢ والنجوم الزاهرة ٢٩٠/٩
والأعلام ٢١٥/٤.

سنة اثنين وثلاثين وسبعماية

الحرم أوله الجمعة:

فيه قدم مبشرو الحاج، وأخبروا برخاء الأسعار وسلامة الحجاج، وأن الأمير علاء الدين مغلطاي الجمالى على خطة (١).

وفي سابع عشرة: توفى مغلطاي المذكور عند نزوله بسطح عقبة أيله (٢)؛ فصبر وحمل إلى القاهرة، فوصلها ليلة الخميس حادى عشرية؛ ودفن من غده بمدرسته قريبا من درب ملوخيا. واستقر عوضه فى الأستادارية الأمير علاء الدين آقبغا عبد الواحد وخلع عليه يوم الثلاثاء سادس عشرية؛ وأقرّ الطُنُقُش مملوك الأفرم على نيابة الأستادارية. ثم بعد أيام أضيف إلى الأمير آقبغا تقدمة المماليك السلطانية مع الأستادارية، من أجل أنه وجد بعض المماليك وقد نزل من القلعة إلى القاهرة، إذ تنكر السلطان لما حدث من نزول بعض المماليك من القلعة إلى القاهرة، وضرب كثيرا من طواشية الطبايق، وطرد جماعة منهم، وأنكر على المقدم الكبير - وهو يومئذ الطواشى شجاع الدين عنبّر السحرتى - تهاونه حتى وقع ما وقع، وصرفه بالأمير آقبغا. فضبط آقبغا طبايق المماليك بالقلعة، وضرب عدة منهم ضربا مبرحا، وبالع فى إهانة الخدام أيضا، فلم يجسر أحد من المماليك أن يتجاوز طبقته.

وفيهما استقرّ الأمير سيف الدين بهادر الدرمداشى رأس نوبة الجمردارية، عوضا عن الأمير آقبغا عبد الواحد، بحكم انتقاله إلى الأستادارية، وكان الأمير بهادر قد حظى عند السلطان حظوة مكينة.

وفي يوم الجمعة ثانى عشرية: دار نقيب الجيش والحاجب بجامع القلعة على الأمراء وهم ينتظرون الصلاة، وقبضوا على من معهم من مماليك دمرداش بن جوبان وسجنوهم. وذلك أن الأمير طرغاي الجاشنكير كان عنده جماعة، فبلغه من بعض مماليكه أنه سمع أحد مماليك دمرداش يقول لآخر: «قد دُرْنَا على الصبيان الجميع، واتفقنا

(١) على هامش ط: المقصود بذلك أن الأمير مغلطاي كان قد أشفى على الموت.

(٢) أيلة: مدينة فى طريق مكة، حفظها الله، وهى أول حدّ الحجاز، وهى مدينة حليلة القدر على ساحل البحر الملح بها يجتمع حاجّ مصر والمغرب، وسميت بأيلة بنت مدين وقالوا: وهى القرية التى كانت حاضرة البحر المذكورة فى القرآن. انظر معجم البلدان ١/٢٩٢، ٢٩٣، ٢٩٤، و الروض المعطار ٧٠، ورحلة الناصرى ٢٠١، ٢٠٢.

على كلمة واحدة، فقم والبس قماشك، فميعادنا باب القلة عند خروجهم من الجامع. فنقل ذلك لمخدومه الأمير طرغاي، فبادر وقبض على من عنده من ممالك دمرداش، ونهض إلى السلطان وأعلمه بالخبر، فسرّ بذلك. واستدعى السلطان نقيب الجيش والحاجب، وأسر إليهما أن يقبضا على من حصر من ممالك دمرداش بالجامع، ويتبعا من غاب منهم، فقبض على الجميع قبل إقامة الصلاة. ثم جُمع الأمراء بعد الصلاة عند السلطان، وعرفهم السلطان ما نقله الأمير طرغاي؛ وأمر السلطان أمير جندار بعقوبة من قبض عليه فعوقبوا، ثم قتل بعضهم وسجن باقيهم، فأنهم اعترفوا وهم في العقوبة بأنهم أرادوا أخذ ثأر أستاذهم دمرداش وقتل الأمراء، لتصير لهم بذلك سمعة في بلاد المشرق. فخالف على نفسه الأمير بهادر الدمرداشي، وتحرز من السلطان.

شهر صفر أوله يوم الأحد:

وفي يوم الإثنين، ثالث عشره: استدعى السلطان الأمراء وأعلمهم أنه يريد أن يعهد إلى ولده الأمير ناصر الدين أنوك فأذعنوا لذلك كلهم، فرُسم بركوبه بشعار السلطنة، وأحضرت الخلع لأرباب الوظائف. ثم اتثنى عزم السلطان عن ذلك، وأبطل الجميع، ورسم أن يلبس أنوك شعار الأمراء، ولا يطلق عليه اسم السلطنة؛ فركب أنوك وعليه خلعة أطلس أحمر بطرز ذهب وشربوش مكّلل مزركش. وخرج أنوك من باب القرافة والأمراء في خدمته حتى مرّ بسوق الخيل تحت القلعة، فباس الأرض، وطلع من باب الإسطبل إلى باب السرّ فطلع منه، ونثرت عليه الدنانير والدرهم. وخلع على الأمير ألماس الحاجب، والأمير بيبرس الأحمدي، والأمير أيدغمش أمير أخور خلع أطلس، وخلع أيضا على بقية أرباب الوظائف، ومُدَّ لهم سباط عظيم؛ وعملت الأفراح الجليلة مدة أيام.

وكان قد رُسم بعمل المهم لعقد الأمير أنوك على زوجته بنت بكتمر الساقى؛ فعقد العقد بالقصر على صداق مبلغه من الذهب اثنا عشر ألف دينار، المقبوض منه عشرة آلاف دينار.

وفيه تقدّم السلطان إلى الأمير علاء الدين بن هلال الدولة بجمع الدواوين، ليختار منهم من يستخدمه لأنوك؛ فإنه أنعم عليه بإقطاع الأمير مغلطاي الجمالي؛ فحضر من الغد عدة من الدواوين؛ فأخذ السلطان يسأل كلا منهم ويتعرف خبره إلى أن وقع اختياره على شرف الدين النشو - فإنه كان قد وقف بين يديه غير مرة في محاققة في خدمة الأمراء، فأعجبه كلامه ومحاققته، ورسم أن يكون من جملة المستوفين. فلما

حضر النشو في هذا اليوم أشار السلطان لابن هلال الدولة أن يستخدمه بديوان الأمير آنوك، ويكون الأمير سيف الدين ألتنقش أستاذاراً له، وخلع عليهما ونزلاً.

شهر ربيع الأول أوله يوم الإثنين:

في سادسه: قدم الحاج أحمد بن سنقر رسولا من الملك أبي سعيد؛ وعلى يده كتاب بسبب الخطبة والمصاهرة. فأجيب بأن ذلك يحتاج إلى مهلة، وأخذ ما معه من الهدية: وهي جمال بخاتى ثلاثة قطر، وعشرة أرؤس من الخيل، وعشرة مماليك، وعشر جوار جنكيات، وعشرة دبابيس؛ وأعيد في ثاني عشره.

وفيه كُتب إلى الأمير تنكز نائب الشام أن يحضر ومعه نائب حماة^(١)، لحضور مهم الأمير آنوك على الأمير بكتمر الساقى؛ فشرع الأمراء فى الاحتفال للمهم، وبعثوا إلى دمشق لعمل التحف.

شهر ربيع الآخر، أوله يوم الإثنين:

في عاشره: قدم الملك الأفضل ناصر الدين محمد ابن الملك المؤيد عماد الدين إسماعيل صاحب حماة بعد وفاة أبيه بها، وله من العمر نحو العشرين عاماً، فأكرمه السلطان وأقبل عليه. وكان والده لما توفي بحماة أخفى أهله موته، وسارت أم الأفضل إلى دمشق وترامت على الأمير تنكز نائب الشام، وقدمت له جوهرًا رائعاً، وسألته فى إقامة ولدها الأفضل مكان أبيه؛ فقبل تنكز هديتها، وكتب فى الحال إلى السلطان بوفاة المؤيد، وتضرع إليه فى إقامة ابنه مكانه. فلما قدم البريد بذلك تأسّف السلطان على المؤيد، وكتب إلى الأمير تنكز بإجابة سؤاله وتجهيز ابن المؤيد إلى مصر، فجهزه تنكز إلى السلطان، فقابله من الإنعام وإدرار الأرزاق بنظير ما كان لأبيه.

وفى يوم الخميس خامس عشره: ركب الأفضل من المدرسة المنصورية بين القصرين، وهو بشعار السلطنة وبين يديه الغاشية؛ وقد نشرت على رأسه الأعلام الثلاثة، منها واحد خليفتى أسود، واثان سلطانيان أصفران، وعليه خلعة أطلس بطرز ذهب، وعلى رأسه شربوش، وفى وسطه حياصة ذهب بثلاثة بيكارات^(٢). وسار الأفضل فى موكب جليل بالقاهرة إلى باب زويلة، وصعد إلى قلعة الجبل، وقبّل الأرض بين يدي السلطان بالقصر. ثم جلس الأفضل فخلع على الأمراء الذين مشوا فى

(١) حماة: سبق ترجمتها. انظر معجم البلدان ٢/٣٠٠، ٣٠١، والروض المعطار ١٩٩، وصبح

الأعشى ٤: ١٠٤.

(٢) على هامش ط: جمع بيكادية وهى حلية من المعدن.

خدمته: وهم الأمير ألماس الحاجب، والأمير بيبرس الأحمدي، والأمير علاء الدين أيديغمش أمير آخور، والأمير طغجي أمير سلاح، والأمير تمر رأس نوبة؛ وقد لبس كل منهم أطلسين. وخلع الأفضل؟ على الأمير شجاع الدين عنبر مقدم الممالك طرد وحش، وخلع على جميع أرباب الوظائف أيضا، وكان يوما مشهودا.

ولقبه السلطان يومئذ بالملك الأفضل وجهزه إلى بلاده.

وفي يوم السبت سابع عشر جمادى الأولى: خرجت التجريدة لكبس الإطفيحيّة، وفيها نحو خمسة عشر أميرا.

وفي أول شعبان: قدم تنكرز نائب الشام، لحضور عرس الأمير آنوك ابن السلطان.

وفيه رُسم بإحضار جميع من بالقاهرة ومصر من أرباب الملهي إلى الدور السلطانية. ووقع الشروع في عمل الإخوان (١) فأقام المههم سبعة أيام بلياليها. واستدعى السلطان حريم جميع الأمراء إليه، فكان أمرا عظيما.

فلما كانت ليلة السابع منه: جلس السلطان على باب القصر، وتقدم الأمراء على قدر مراتبهم واحد بعد واحد، ومعهم الشموع، فإذا قدّم الواحد ما أحضره من الشمع قبل الأرض وتأخر. وما زال السلطان بمجلسه حتى انقضت تقادهمهم، فكانت عدتها ثلاثة آلاف وثلاثين شمعة، زنتها ثلاثة آلاف وستون قنطارا، فيها ما عنى به ونُقش نقشا بديعا تنوّع في تحسينه؛ فكان أبهجها وأحسنها شمع الأمير علم الدين سنجر الجاولي، فإنه اعتنى بأمرها وبعث إلى عملها بدمشق، فجاءت من أبدع شيء.

ثم جلس السلطان في ليلة الجمعة حادي عشر شعبان - وهي ليلة العرس - على باب القصر، وأشعلت تلك الشموع بأسرها. وجلس ابنه الأمير آنوك تجاهه، وأقبل الأمراء جميعا وكل أمير يحمل بنفسه شمعه وخلفه مماليكه تحمل الشمع، فتقدموا على قدر رتبهم، وقبّلوا الأرض واحدا بعد واحد طول ليلهم، حتى إذا كان آخر الليل نهض السلطان وعبر إلى حيث يجتمع النساء؛ فقامت نساء الأمراء بأسرهن، وقبّلن الأرض

(١) الإخوان، وهو فارسي معرب، والإخوان: كالخوان، قال ابن برى: «ونظير خوان وخوان بوان وبون، ولا ثالث لهما»، قال: «وأما عوان وعون فإنه مفتوح الأول؛ وقد قيل بوان، بضم الباء»، وقد ذكر ابن برى في ترجمة بون أن مثلهما إوان وأون، ولم يذكر هذا القول ههنا الليث: الخوان المائدة، معربة وفي حديث الدابة: «حتى إن أهل الخوان ليجتمعون فيقول هذا يا مؤمن وهذا يا كافر»، وجاء في رواية: الإخوان، بهمزة، وهي لغة فيه، وقوله في حديث أبي سعيد: فإذا أنا بأخوان وهو ما يوضع عليه الطعام عند الأكل. انظر لسان العرب ١٢٩٥.

واحدة بعد أخرى، وهى تقدّم ما أحضرت من التحف الفاخرة والنقوش حتى انقضت تقادمهن جميعا. ورسم السلطان برقصهن عن آخرهن، فرقصن حسن أيضا واحدة بعد واحدة، والمغانى تضربن بدفوفهن، وأنواع المال من الذهب والفضة وشقف الحرير يلقى على المغنيات، فحصل لهن ما يحل وصفه؛ ثم زُفّت العروس.

وجلس السلطان من بكرة الغد، وخلع على جميع الأمراء وأرباب الوظائف وأكابر الأمراء، ورسم لامرأة كل أمير من الأمراء بعبية قماش على قدر منزلة زوجها، وخلع على الأمير تنكز نائب الشام، وجهاز صحبته الخلع لأمراء الشام.

فكان هذا العرس من الأعراس المذكورة، ذُبح فيه الغنم والبقر والخيل والأوز والدجاج ما يزيد على عشرين ألفا، وعُمل فيه من السكر برسم الحلوى والمشروب ثمانية عشر ألف قنطار، وبلغت قيمة ما حملة الأمير بكتمر الساقى مع ابنته من الشورة ألف ألف دينار مصرية.

وفى يوم الأربعاء رابع رجب: استقرّ الأمير صلاح الدين يوسف دوادار قبجق مهمندار، عوضا عن شهاب الدين أحمد بن أقوش العزيزى بعد وفاته.

وفى يوم الإثنين سابع عشره: استقرّ شرف الدين موسى بن التاج إسحاق فى نظر الجيش، بعد وفاة الفخر محمد بن فضل الله. واستقرّ شرف الدين عبد الوهاب النشو فى نظر الخاص، عوضا عن شرف المذكور، فى يوم الخميس تاسع عشره.

وكان الفخر لما اشتدّ به المرض بلغه عن موسى بن التاج إسحاق أنه سعى فى نظر الجيش، فشقّ عليه ذلك، وركب وقد انتهك من شدة المرض، ودخل على السلطان وقال: «ما أزعجتُ نفسى إلا لنصحك، ولأوصيك بعائلتى وأولادى، وعندى ذخيرة للسلطان؛ فأما نصيحتى فهى أن أولاد التاج إسحاق تواصوا على أكل مال الخاص والدولة، والعمل على السلطان». وبالغ الفخر فى الوقعة فيهم، وعرفّ السلطان أنه أدخر عشرة آلاف دينار وشيئا من الجواهر، وجميع ذلك للسلطان، فشكره السلطان، وأثر فيه كلامه فى أولاد التاج إسحاق.

ثم قام الفخر وعاد إلى داره، ثم طلب بعد ثلاثة أيام الأمير علاء الدين بن هلال الدولة، ودفع إليه ورقة محتومة وأوصاه أن يدفعها إلى السلطان بعد موته؛ فأوقف ابنُ هلال الدولة السلطان عليها وتركها عنده. فمات الفخر من الغد، فنزل ابن هلال الدولة وأولاد التاج إسحاق وعدة من الأمراء إلى بيت الفخر وأحاطوا به. فوجدوا فيه عشرة آلاف دينار، وهى التى عيّن الفخر، وموضعها للسلطان؛ ووجدوا معها جواهر.

فعادوا بذلك إلى السلطان، ومعهم لؤلؤ مملوك الفخر؛ فأمره السلطان أن يعرفه بما لأستاذه من الأموال، وهدّده تهديدا كبيرا، فالتزم أنه لا يخفى شيئا. ونزل لؤلؤ فكتب عدة أوراق اشتملت على أصناف من البضائع للتجارة، وعلى عدد بساتين ودواليب ومعاصر بأرض مصر وضياع بالشام - كدمشق وحماة وحلب وغزة^(١) والقدس وغيرها - منها ما وقفه ومنها ما هو غير وقف. فأوقع السلطان الخوطة على جميع موجوده بديار مصر، وكتب إلى نواب الشام بمثل ذلك؛ ورسم بيع الأصناف، فبلغت قيمة ما وُجد له ألف ألف درهم سوى ما تركه السلطان لأولاده.

وكان النشو في ابتداء أمره يتخدّم لابن هلال الدولة شاد الدواوين، ويتردّد إليه كثيرا ويبالغ في خدمته؛ فاستخدمه ابن هلال الدولة في الأشغال، وقدمه إلى السلطان، وشكر من كتابته، إلى أن استخدمه السلطان مستوفيا؛ فصار النشو يُعدّ من إنشاء ابن هلال الدولة. ثم إنه لما أسلم تسمى بعبد الوهاب، وتلقب بشرف الدين؛ فعندما استقرّ عند الأمير آنوك ابن السلطان صار يخلو بالسلطان ويحادثه في أمر الدولة. ويكثر من الوقعة في الدواوين، حتى أثر كلامه في نفس السلطان، وتصوّر في ذهنه منه أنه يحصل له مالا كثيرا. فما هو إلا أن استقرّ في نظر الخاص حتى أخذ يغري السلطان بأولاد التاج إسحاق حتى غيره عليهم، فعزل السلطان شرف الدين موسى من نظر الجيش في نصف شعبان بعد عشرين يوما من توليته، وولّى مكين الدين إبراهيم بن قزوينة عوضه، وأمر بالقبض على شرف الدين موسى وعلم الدين إبراهيم ولدى التاج ومصادرتهما، فقبض عليهما في يوم الخميس سابع عشر شعبان.

وذلك أنه اتفق أن السلطان استدعى ابن هلال الدولة، وأسرّ إليه أن الأمراء إذا دخلوا إلى الخدمة وخرجوا يمضى ومعه الشهود وناظر بيت المال، ويحاط على بيوت أولاد التاج إسحاق. فلما جلس القضاة، ووقف الأمراء وأرباب الدولة بالخدمة وشرف الدين موسى بن التاج إسحاق فيهم - التفت السلطان إلى القضاة وأخذ في الثناء على شرف الدين، وقال في آخر كلامه: «أنا ربيت هذا وعلمته كاتبى» فانفض أهل الخدمة وهم يستعظمون هذا من السلطان في حق ناظر الجيش، وحلّ موسى في أعينهم. فما هو إلا أن جلس موسى بديوان الجيش من القلعة حتى بلغه أن الخوطة قد وقعت على

(١) غزة: بفتح أوله وتشديد ثانيه وفتحته مدينة في أقصى الشام من ناحية مصر وبينها وبين عسقلان فرسخان. انظر معجم البلدان ٢/٤. وفي الروض المعطار غزة: موضع بديار جذام من مشارف الشام على ساحل البحر، وبها قبر هاشم بن عبد مناف. انظر الروض المعطار ٤٢٨، معجم ما استعجم ٣/٩٩٧.

بيته، وأن رسل الديوان على باب ديوان الجيش، وبلغ الخير أيضا إلى أخيه علم الدين إبراهيم وهو جالس والدواوين بين يديه، فنظر فإذا جماعة من الرسل قد وقفوا مرسمين عليه؛ فأغلق كل منهما دواته، وجلس ينتظر الموت إلى العصر. ثم صعد ابن هلال الدولة بأوراق الحوطة، وهي تشتمل على شيء كثير جدا، منها لزوجة علم الدين إبراهيم أربعمئة سروال. فسلم شرف الدين موسى وعلم الدين لإبراهيم بن هلال الدولة، وأحضرت المعاصير؛ وسئل موسى عن صندوق ذكر أنه أخذه من تركة أبيه، فيه من الجواهر والذهب ما يبلغ مائة ألف دينار صارت إلى أبيه من جهة المكين الترجمان بعد موته؛ فأنكر موسى ذلك وحلف عليه. فرق له ابن هلال الدولة ولم ينله بمكروه، فأنكر عليه شرف الدين النشو عبد الوهاب ترك عقوبته، فما زال ابن هلال الدولة يدافع عنه وهو يحمل المال من قبله ومن قبل أخيه شيئا بعد شيء.

وفي ثاني شعبان: خلع السلطان على شرف الدين أبي بكر بن شمس الدين محمد بن الشهاب محمود، كاتب سرّ في كتابة السرّ بديار مصر، عوضا عن القاضي محيي الدين ابن فضل الله. واستقرّ ابن الشهاب محمود محيي الدين في كتابة السرّ بدمشق، وخلع عليه بذلك بعدما طيب السلطان خاطره وأثنى عليه وشكره. وكان ابن الشهاب محمود قد قدم مع الأمير تنكز، ومثل بين يدي السلطان، فأعجب بشكله؛ وأخذ تنكز يثنى عليه بأنه أمين مأمون الغائلة. وكان محيي الدين بن فضل الله قد ثقل سمعه، فوقع اختيار السلطان أن ينقله إلى دمشق، ويولّي بين يديه عوضه ابن الشهاب محمود؛ فحدّث السلطان الأمير تنكز في ذلك، فما وسعه إلا موافقة غرض السلطان فيما أحبّ.

وفيه رسم للأمير تنكز بالعود إلى دمشق، فتوجه من القاهرة يوم الثلاثاء خامس عشر شعبان.

وفي يوم الأحد عشريه: خلع السلطان على القاضي مكين الدين بن قزوينة واستقرّ في نظر الجيش، عوضا عن شرف الدين موسى بن التاج ناظر الخاص؛ وقد نقل ابن قزوينة إليها من استيفاء الخاص ونظر ديوان ابن السلطان ونظر ديوان الأمير بشتاك.

وفيه أمر النشو ناظر الخاص وابن هلال الدولة شاد الدواوين بتجهيز السلطان إلى سفر الحجاز، فشرعا في طلب العربان وإعداد الإقامات من البقسماط والدقيق والشعير وغير ذلك.

وفيه رسم للملك الأفضل صاحب حماة بالتوجه إلى بلده صحبة الأمير تنكز.

وفي يوم الأربعاء ثاني شعبان: استدعى السلطان الأمير صلاح الدين يوسف

المهمندار وخلع عليه، واستقرّ دوا دارا عوضا عن الأمير يوسف الجاى بعد موته؛ واستقرّ عوضه فى المهمندارية الأمير سيف الدين جاريك مملوك قفجق الجوكندار.

وفيه وقع الجدّ فى أمر السفر إلى الحجاز، وكتبّت أوراق بأسماء الخواتين وبعض السرارى وبعض الأمراء ليكونوا صحبة السلطان فى سفره. وكتب إلى نواب الشام باستدعاء ما يحتاج إليه، فشرعوا فى عمل ذلك وحملوه؛ وهو عدة أصناف وكثير من الهجن بسلاسل الذهب والفضة، وعدة من الخيول، وقدم أيضا عامة أمراء مصر والشام تقادم جليلة على قدر مراتبهم وقدمت تقادم أمراء العربان من آل فضل وآل مهنا وآل عيسى، وتنافسوا بأجمعهم فى تقادمهم، وقصد كل أحد أن يمتاز على الآخر. واستدعى السلطان الأمير موسى بن مهنا^(١) ليسافر فى الصحبة، وحشر جميع الصناع من القاهرة ومصر للعمل فى هذا المهم.

وفيه نقل موسى بن التاج إسحاق وأخوه إبراهيم من عند ابن هلال الدولة إلى الأمير ناصر الدين محمد بن المحسنى والى القاهرة. ورُسم له بعقوبة موسى حتى يحضر الصندوق. فأمره النشو أن ييسط عليهما أنواع العذاب، ويضرب موسى بالمقارع، فاستأذن السلطان على ذلك، وعرفه ما أمره به النشو؛ فمنعه السلطان من ضربه بالمقارع، لكنه يهدّده ويضربه تحت رجله نحو خمس عشرة ضربة. فبعث النشو عندما نزل من القلعة من يحضر ضرب موسى بالمقارع؛ غير أن ابن المحسنى عمل بما أشار به السلطان، فأحضر موسى وهدّده، وأمر به فبطح وضرب بالعصى نحو عشرين ضربة؛ فتنكر عليه النشو واشتدّ حنقه عليه.

وفى سادس رمضان: أفرج عن الأمير مغلطاي، بعدما سُجن عشرين سنة وخمسة أشهر وثلاثة أيام.

وفى شوال: خرج حمل الحاج إلى البركة على العادة، مع الأمير عز الدين أيدمر الخطيرى أمير الركب، ورحل فى عشريه. وكان السلطان قد ركب فى ثامن عشره، نزل بسرياقوس ثم استقبل بالمسير إلى الحجاز فى الإثنين خامس عشريه بعدما قدّم حرمه صحبة الأمير طقتمُر فى عدة من الأمراء. واستتاب السلطان على ديار مصر سيف الدين ألماس الحاجب، ورسم له أن يقيم فى داره؛ وجعل الأمير آقبا عبد الواحد

(١) موسى بن مهنا بن عيسى بن مهنا بن مانع الطائى: رئيس آل فضل أمراء بادية الشام يلقب مظفر الدين. ولى الإمارة بعد موت أبيه سنة ٧٣٤هـ، واستمر إلى أن توفى بتدمر. انظر ابن خلدون ٤٣٩/٥ والبداية والنهاية ١٩٣/١٤ والنجوم الزاهرة ٧٦/١٠ والأعلام ٣٢٩/٧.

داخل باب القلعة، برسم حفظ الدور، وجعل الأمير جمال الدين آقوش نائب الكرك بالقلعة وأمره ألا ينزل منها حتى يحضر؛ وأخرج كل أمير من الأمراء المقيمين إلى إقطاعه، وتقدم إليهم ألا يعودوا منها حتى يرجع من الحجاز.

وتوجه مع السلطان إلى الحجاز الملك الأفضل صاحب حماة، - وكان قد قدم يوم الأحد سادس عشرى شعبان- ومن الأمراء جنكلى بن البابا، والحاج آل ملك وييرس الأحمدي، وبهادر المعزى، وأيدغمش أمير آخور، وبكتمر الساقى وطقزدمر، وسنجر الجاولى وقوصون، وطأيربغا، وطغاي تمر، وبشتاك، وأرنبغا، وطغجى، وأحمد بن بكتمر الساقى، وصوصون، وبهادر الناصرى، وجركتمر بن بهادر، وطيدمر الساقى، وأقبغا أص الجاشنكير، وطقتمر الخازن، وطوغان الساقى وسوسن السلحدار، وبلك، وببغا الشمسى، وببغا، وقمارى، وتمر الموسوى، وأيدمر أمير جاندار وبيدمر البدرى، وطقبغا الناصرى وأيمش الساقى، وأياز الساقى وأطنقش، وأنس، وأيدمر دقمان، وطببغا الحمدي، وجاريك، وقطر أمير آخور، وبنيدمر، وأبيك، وأيدمر العمرى وببغا ابن طأيربغا، ومسعود الحاجب، ونوروز، وكجلى، وبرلغى، وبكجا ويوسف الدوادار، وقطلقتمر السلحدار، ونانق، وساطلمش، وبغاتمر، ومحمد بن جنكلى، وعلى بن أيدغمش، وأجلى، وأقسنقر الناصرى، وقرا، وعلاء الدين على بن هلال الدولة، وتمرغا العقيلى، وقمارى الحسنى، وعلى بن أيدمر الخطيرى، وطقتمر اليوسفى، وكل هؤلاء مقدمون وطبلخاناه؛ ومن أمراء العشرات على بن السعيدى، وصاروجا النقيب، وأقسنقر الرومى، وأياجى الساقى، وسنقر الخازن، وأحمد بن كجكن، وأرغون العلامى، وأرغون الإسماعيلى، وبغا، ومحمد بن الخطيرى، وأحمد بن أيدغمش، وطشبغا، وقليجى.

وحج مع السلطان أيضا قاضى القضاة جلال الدين محمد القزوينى (١)، وحج أيضا عز الدين عبد العزيز بن جماعة، وموافق الدين الحنبلى، وعز الدين بن الفرات الحنفى، وفخر الدين النويرى المالكى؛ وكانوا أربعتهم ينزلون فى خيمة واحدة، فإذا تقدمت

(١) محمد بن عبد الرحمن بن عمر، أبو المعالى، جلال الدين القزوينى الشافعى المعروف بخطيب دمشق. قاض، من أدباء الفقهاء أصله من قزوين، ومولده بالموصل. ولى القضاء فى ناحية بالروم، ثم قضاء دمشق سنة ٧٢٤هـ، فقضاء القضاة بمصر سنة ٧٢٧هـ، ونفاه السلطان الملك الناصر إلى دمشق سنة ٧٣٨ ثم ولاة القضاء بها، فاستمر إلى أن توفى. من كتبه «تلخيص المفتاح» فى المعانى والبيان، و«الإيضاح» فى شرح التلخيص. انظر مفتاح السعادة ١/١٨٦، ٢/٢١٧ وبغية الوعاة ٦٦ وابن الوردى ٢/٣٢٤ والبدر الطالع ٢/١٨٣ والبدية والنهاية ١٤/١٨٥ والنجوم الزاهرة ٩/٣١٨ ومرآة الجنان ٤/٣٠١ والوفى بالوفيات ٣/٢٤٢ وطبقات الشافعية ٥/٢٨ والدرر الكامنة ٤/٣ والأعلام ١٩٢/٦.

إليهم فتوى كتبوا عليها، وهذا من غريب الاتفاق. وقدم السلطان الأمير أيتمش إلى عقبة أيلة، ومعه مائة رجل من الحجّارين حتى وسّعها وأزال وعرها، ومن يومئذ سهل صعودها.

وفيها بلغ ماء النيل عشرة أصابع من تسعة عشر ذراعا.

وفيها طلب الشيخ شمس الدين الأصفهاني من دمشق على البريد إلى القاهرة.

وفيها كملت عمارة جامع الأمير سيف الدين الحاج آل ملك، بالحسينية خارج القاهرة.

وفيها استقرّ علاء الدين على بن منجا في قضاء الخنازلة بدمشق.

وفيها قبض على صاحب شمس الدين غبريال، وأحيط بأمواله وأسبابه.

وكان وفاء النيل ستة عشر ذراعا، وذلك في يوم الأربعاء حادى عشر ذى القعدة وهو ثانى عشر مسرى. وبلغ ثمانية عشر ذراعا وإحدى عشر إصبعا.

* * *

ومات فيها من الأعيان

الأمير علاء الدين مغلطاي الجمالى - ويلقب خَرَزْ (١) - الوزير، عند نزوله من سطح العقبة، في يوم الأحد سابع عشر المحرم؛ وحمل إلى القاهرة، فدفن بمخانكاته، في يوم الخميس حادى عشره؛ وهو من المماليك الناصرية، نقله السلطان وهو شاب من الخاصكية إلى إمرة بهادر الإبراهيمى - المعروف بربرّابة - نقيب المماليك، وبعثه فى مهماته، ثم واهُ أستاذارا ووزيرا، وحكّمه فى جميع المملكة؛ وكان جواد عارفا يميل إلى الخير حشما؛ وانتفع به جماعة كثيرة فى ولايته، لأنه كان يأخذ على ولاية المباشرات المال، فقصده الناس لذلك، وكان إذا ولى أحدا وجاء من يزيد عليه عزّله وولى الذى زاد بعدما يعلم أنه قد استوفى ما قام له به من المال، ومن لم يستوف ذلك لا يعزله؛ ولم يصادر أحدا فى مدة ولايته، ولا عرف أنه ظلم أحد، بل كانت أيامه مشكورة؛ وكان المستولى عليه مجد الدين إبراهيم بن لفيتة، وترك عدة أولاد من ابنة الأمير أسندمر كرجى نائب طرابلس؛ وإليه تنسب مدرسة الجمالية بالقرب من درب ملوخيا بالقاهرة.

(١) لفظ خرز تركى ومعناه الديك فى اللغة العربية، وأن الوزير مغلطاي كان أميا لا يعرف

وتوفى الملك المؤيد عماد الدين إسماعيل ابن الملك الأفضل على بن المظفر محمود بن المنصور محمد بن المظفر تقى الدين عمر بن شاهنشاه بن نجم الدين أيوب بن شادى صاحب حماة، فى السابع عشرى المحرم، عن نحو ستين سنة، كان أولاً بدمشق من جملة أمرائها، ثم أعطاه السلطان مملكة حماة ولقبه بالملك الصالح، ثم لقبه بالملك المؤيد، وأركبه فى القاهرة بشعار السلطنة والأمراء مشاة فى خدمته - حتى الأمير أرغون النائب - وقام بجميع ما يحتاج إليه، وأمر نواب الشام أن يكاتبوه بتقبيل الأرض، وكتب هو إليه: «أخوه محمد بن قلاوون»؛ وكان كريماً فاضلاً فى الفقه والطب وغير ذلك، بولاه عدة مصنفات، منها تاريخ جيد، وله شعر بديع.

وتوفى برهان الدين إبراهيم بن عمر بن إبراهيم الريعى الجعبرى^(١) شيخ القراءات فى شهر رمضان.

وتوفى صدر الدين أحمد بن محمد بن عبد الله الدندرى الشافعى، فى ليلة الجمعة ثمانين جمادى الآخرة. وكان من شيوخ القراءات وفضلاء الفقهاء بقوص^(٢).

وتوفى الأمير سيف الدين الجاى الدوادار، يوم الإثنين مستهل شعبان.

ومات الديستى والكنجارى، فى يوم الأحد خامس شهر ربيع الأول.

وتوفى القاضى فخر الدين محمد بن فضل الله ناظر الجيش، يوم الأحد سادس عشر رجب.

وتوفى سُونَتَاى نوين حاكم ديار بكر^(٣)، عن نحو المائة سنة؛ وحكم بعده على بادشاه خال بوسعيد.

و توفى ياقوت بن عبد الله الحسنى الشاذلى، تلميذ أبى العباسى المرسى، ليلة الثامن

(١) إبراهيم بن عمر بن خليل الجعبرى، أبو إسحاق: عالم بالقراءات، من فقهاء الشافعية. له نظم ونثر. ولد بقلعة جعفر أعلى الفرات، بين نابلس والرقّة، وتعلم ببغداد ودمشق، واستقر ببلد الخليل فى فلسطين إلى أن مات. له نحو مائة كتاب أكثرها مختصر، منها «خلاصة الأبحاث» و«شرح الشاطبية». انظر الأنس الجليل ٤٩٦/٢ والبداية والنهاية ١٤/١٦٠ والدرر الكامنة ١/٥٠ وغاية النهاية ١/٢١١ وعلماء بغداد ١٢ وطبقات الشافعية ٦/٨٢ وتاريخ العراق ١/٥١٠ والأعلام ١/٥٥٦، ٥٦.

(٢) هى مدينة كبيرة عظيمة واسعة قصبة صعيد مصر؛ بينها وبين الفسطاط اثنا عشر يوماً. انظر، معجم البلدان ٤/٤١٣.

(٣) بلاد واسعة، حدّها ما غرب من دجلة إلى بلاد الجبل المطل على نصيبين إلى دجلة، ومنه حصن كيفا وأمد وميفارقين. انظر معجم البلدان ٢/٤٩٤.

١٦٢ سنة اثنين وثلاثين وسبعمائة
عشر من جمادى الآخرة؛ وكان شيخا صالحا مباركا ذا هيبة ووقار، لم يخلف فى
الإسكندرية مثله.

وتوفى الشيخ عبد العال خليفة أحمد البدوى، بطنطا^(١) فى ذى الحجة؛ وله شهرة
بالصلاح، ويقصد للزيادة والتبرك به.

ومات الأمير علاء الدين مغلطاي المسعودى، يوم السبت سابع ذى القعدة، بعد
خروجه من السجن بقليل.

* * *

(١) من قرى مصر على النيل المفضى إلى المحلة، وهى من كورة الغربية، بينها وبين المحلة ثمانية
أميال. انظر، معجم البلدان ٤/٤٣.

سنة ثلاث وثلاثين وسبعمائة

في ثامن المحرم: قدم الأمير بلك الجمدار المظفرى مبشرا بسلامة السلطان؛ فدقت البشائر، وخلعت عليه خلع كثيرة، واطمأن الناس بعدما كانت بينهم أراجيف؛ وعينت الإقامات للسلطان والأمراء.

وكان السلطان لما قرب في مسيره من عقبة أيلة بلغه اتفاق الأمير بكتمر الساقى على الفتك به مع عدة من المماليك، فتمارض وعزم على الرجوع إلى مصر؛ فوافقه الأمراء على ذلك إلا بكتمر الساقى فإنه أشار بإتمام السفر، وشنع عوده قبل الحج. فسير السلطان ابنه آنوك وأمّه إلى الكرك، صحبة الأمير ملكتمر السرجوانى نائب الكرك وكان قدم إلى العقبة، ومعه ابنا السلطان أبو بكر^(١) وأحمد ثم مضى السلطان فى يوم هو محترز غاية التحرز، بحيث أنه ينتقل فى الليل عدة مرات من مكان إلى آخر، ويخفى موضع مبيته من غير أن يظهر أحدا على ما نفسه مما بلغه، إلى أن وصل إلى ينبع. فتلقاه الأشراف من أهل المدينة بحريمهم، وقدم عليه الشريف أسد الدين رميثة من مكة ومعه قواده وحریمه؛ فأكرمهم السلطان وأنعم عليهم، وساروا معه إلى أن نزل خليص فى ثلاثين مملوكا إلى جهة العراق.

فلما قدم السلطان مكة أكثر بها من الإنعام على الأمراء، وأنفق فى جميع من معه من الأجناد والمماليك ذهبا كثيرا، وعمّ بصدقاته أهل الحرم. فلما قضى النسك عاد يريد مصر، فلما وصل إلى المدينة النبوية هبت بها فى الليل ریح شديدة جدا ألفت الخيم كلها؛ وتزايد اضطراب الناس، وفرّ منهم عدة من المماليك؛ واشتدت ظلمة الجوّ، فكان أمرا مهولا. فلما كان النهار سكن الريح، فظهر أمير المدينة بمن فرّ من المماليك؛ فخلع السلطان عليه، وأنعم عليه بجميع ما كان مع المماليك من مال وغيره. وبعث السلطان بالمماليك إلى الكرك، وكان آخر العهد بهم.

وقدم السلطان إلى القاهرة فى يوم السبت ثامن عشر المحرم، بعدما ورد الخبر بموت

(١) أبو بكر بن محمد بن قلاوون، سيف الدين، الملك المنصور ابن الملك الناصر: من سلاطين الدولة القلاوونية بمصر والشام. وهو أول من ولى من أبناء الملك الناصر محمد بن قلاوون وكان أبوه قد عهد إليه بالسلطنة فتولاها بمصر بعد وفاته فى أواخر سنة ٧٤١هـ، ثم قبض عليه قوصون وأرسله إلى السجن فى قوص وأمر بقتله، مدة سلطنته ثلاثة أشهر. انظر بدائع الزهور ١٧٦/١ والبدایة والنهاية ١٤/١٩٠، ١٩١ والنجوم الزاهرة ١٠/٣٠ والأعلام ٢/٦٩.

بكتمر الساقى وولده وكثرت الإشاعات. وقد خرج معظم الناس إلى لقائه، بحيث غلقت أسواق القاهرة ومصر؛ وخرج شرف الدين النشو، فبسط الشقاق الحرير والزرّ بفت (١) التي جباها من الأمراء المقيمين وأرباب الدولة - من بين العروستين إلى باب الإصطبل. فلما توسط السلطان بين الجبلين صاحت العامة: «هو إياه؟ ما هو إياه؟ يا لله أكشف لثامك وأرنا وجهك!!». وكان السلطان قد تئثم، فحسر اللثام عن وجهه، فصاحوا بأجمعهم: «الحمد لله على السلامة»، وبالغوا في إظهار الفرح به والدعاء له، فسره ذلك منهم. وصعد السلطان القلعة، فدقت البشائر، وعملت الأفراح ثلاثة أيام. وكانت حجة السلطان هذه يضرب بها الأمثال: أبيع بمكة فيها الأردب من الشعير من عشرة دراهم إلى عشرين درهما؛ وأبيع البقسماط بالعدل، فكان يقف كل رطل منه بفلس واحد؛ وأبيع السكر كل رطل بدرهمين، والعلبة الحلوى بثلاثة دراهم. وقدمت تنكز نائب الشام إلى خليص (٢)، فعمت الناس وأنعم السلطان على جميع أهل مكة، وكان إنعامه على الشريف رميئة بخمسة آلاف دينار، وعلى زوجته بخمسمائة دينار، وذلك سوى ما أنعم به على البنات وغيرها. فقدم له رميئة مائة فرس، وألف رأس من الغنم؛ فردّ الجميع وأخذ منها فرسين لا غير.

وفى يوم الإثنين عشريه: جلس السلطان بدار العدل، وخلع على جميع الأمراء والمقدمين، وأنعم عليهم إنعامات كثيرة.

وفيه منع السلطان النشو من التعرض لمباشري بكتمر الساقى وسائر أزمائه، وطلب المهذب كاتب بكتمر، وأزمه بكتابة ما خلفه؛ فوجد له ستة وثلاثون ألف أردب غلّة، ومن السلاح والجوهر وغيره ما زادت قيمته على مائة ألف دينار؛ واتهم موسى الصير في أنه خصّه مما سرقه مباشرة خمسة وعشرون ألف دينار. ثم عرض السلطان مماليك بكتمر، وأخذ منهم جماعة؛ وأنعم على الأمير بشتاك بإقطاع بكتمر وجميع حواصله ومغله، ثم زوجه زوجته بعد وفاء عدتها.

وفى ثالث عشريه: سافر الأفضل صاحب حماة.

وفيه قدم البريد من تنكز نائب الشام بتهنئة السلطان بقدمه سالما، وطلب الإذن له فى القدوم إلى القاهرة؛ وشكا تنكز من الأمير طينال نائب طرابلس، لترفعه عليه وخرق

(١) على هامش ط: الزر بفت القماش المنسوج معظمه من خيوط الذهب، وهو لفظ فارسي

الأصل.

(٢) حصن بين مكة والمدينة. انظر معجم البلدان ٣٨٧/٢.

حرمته، وإعراضه عما يكاتبه فيه. فأجيب بالشكر والإذن له بالحضور، وعزل طينال واستقر الأمير قرطاي عوضه؛ ونُقل طينال إلى نيابة غزة إهانه له. وركب الأمير بيغرا البريد لتقليد المذكورين، وقد أوصاه السلطان إلى رأى من طينال كراهة لنيابة غزة يقبضه ويحضر به مقيدا.

وفيه كُتب بإضافة غزة إلى نيابة الشام، وأن نائبها يكاتب نائب الشام فيما يعنّ له من الأمور، ولا يكاتب السلطان.

وفى يوم الإثنين خامس صفر: قدم الصاحب أمين الدين عبد الله بن الغنام باستدعاء، وخلع عليه؛ واستقرّ في نظر الشام ونظر الخاص بها ونظر الأوقاف، عوضا عن الشمس غبريال؛ وكُتب توقيعه من إنشاء الصلاح خليل بن أيك الصفدى، وسافر فى حادى عشره.

وفيه أنعم على الأمير ناصر الدين محمد بن الأمير جنكلى بن البابا بإمرة طبلخاناه، وأنعم بعشرة على أخيه.

وفى هذا الشهر: كثرت مصادرات النشو للناس: فأقام من شهد على التاج إسحاق أنه تسلّم من المكين التزجان صندوقا فيه ذهب وزمردّ وجوهر مثنى، فرُسم لابن المحسنى بعقوبة موسى بن التاج إسحاق حتى يحضر الصندوق. وطلب النشو ولاة الأعمال وألزمهم بحمل المال، وبعث أخاه لكشف الدواليب بالصعيد وتتبع حواشى ابن التاج إسحاق؛ فقدم قنغلى والى البهنسا^(١)، وقتشمر والى الغريبة، وفخر الدين إياس متولى المنوفية^(٢)، وعدة من المباشرين؛ فتسلمهم ابن هلال الدولة ليستخلص منهم الأموال.

وفى يوم الثلاثاء رابع ربيع الأول: توجه الأمير سيف الدين بيغرا لتقليد الأمير شهاب الدين قرطاي نيابة طرابلس، عوضا عن طينال، وقد نقل قرطاي إليها من إمرة بدمشق؛ واستقر طينال فى نيابة غزة.

وفى يوم الثلاثاء تاسع عشرى جمادى الأولى: قدم الأمير تنكرز نائب الشام، فأكرمه السلطان إكراما زائدا على عادته.

(١) مدينة بمصر من الصعيد الأدنى غربى النيل، وتضاف إليها كورة كبيرة. انظر، معجم البلدان

١٥٧، ٥١٦/١

(٢) هى من قرى مصر القديمة. انظر، معجم البلدان ٢١٦/٥

وفيه تفاوض شرف الدين أبو بكر محمد بن الشهاب محمود كاتب السرّ والأمير صلاح الدين يوسف الدوادار، حتى توحش ما بينهما، وارتفعا إلى السلطان. فسأل كاتب السرّ أن يعود إلى الشام، فأجيب إلى ذلك؛ وكتب بطلب محيي الدين يحيى بن فضل الله كاتب السرّ بدمشق، ليستقرّ في كتابة السرّ.

وفيه قدم البريد بموت قطب الدين موسى ابن شيخ السلامة ناظر الجيش بدمشق، فترى السلطان أيما فيمن يولى عوضه، إلى أن تعين فخر الدين محمد بن بهاء الدين عبدا لله بن أحمد بن علي بن الحلى؛ فخلع عليه فى أول صفر، وسافر إليها فى تاسع عشر صفر.

وفى تاسع جمادى الآخرة: خلع على الأمير تنكز خلعة السفر؛ وتوجه إلى دمشق، وصحبته ابن الحلى ناظر الجيش، وشرف الدين بن الشهاب محمود كاتب السرّ.

وفى سلخ جمادى الآخرة: قدم محيي الدين يحيى بن فضل الله العمري من دمشق بأولاده، فخلع عليه؛ واستقرّ فى كتابة السرّ عوضا عن ابن الشهاب محمود؛ وخلع على أولاده.

وفيه قدم ناظر حلب وعامة مباشريها، فتسلمهم ابن هلال الدولة لعمل الحساب وسبب ذلك أنه لما مات فندش ضامن دار الطعام وعدّاد الأغنام بحلب، قام بعده من ضمن الجهتين؛ فسعى بدر الدين لؤلؤ الحلبى مملوك فندش فى الضمان، فلم يجب إليه لسوء سيرته، فكتب إلى السلطان بأنه يعين فى جهة مباشرى حلب أموالا عظيمة أهملوها وصالحوا عليها؛ فطلبوا لذلك. وكان لؤلؤ قد حضر إلى القاهرة، فعينه السلطان شاد الدواوين بحلب، فسافر إليها صحبه الأمير سيف الدين جر كتمر الناصرى، وأخذ فى كشف أحوال المباشرين ومحاقتهم بناء عن أمر السلطان.

وفيه قدم المخلص أخو النشو من كشف الدوايب والزراعات بالوجه القبلى، فأغرى النشو السلطان بمباشرى الوجه القبلى، وأنهم فرطوا فى مباشراتهم، وأتلفوا عدة أموال للسلطان. فكتب بالحوطة على جميع مباشرى الوجه القبلى شادّيه وعماله وشهوده والمتحدثين، وحملهم وحمل الأمير أحمريه وإيقاع الحوطة على موجوده كله - وكان قديم المباشرة فى الدوايب، وله سعادة جليلة - وحمل عز الدين أيك شاد الدوايب - وكان أيضا صاحب أموال جزيلة - فأوقعت الحوطة على أموال الجميع، وحملوا إلى القاهرة.

وفيه طلب النشو تجار القاهرة ومصر، وطرح عليهم عدة أصناف من الخشب

والجوخ والقماش بثلاثة أمثال قيمته، وركب إلى دار القند، واعتبر أوزان القنود الواصلة إلى الأمراء من معاصرهم وغيرها، وكانت شيئا كثيرا. وكان السلطان قد رسم للأمراء بمساحتهم بما عليها للديوان، فألزم النشو مباشريهم بما عليهم للديوان عنها، ولم يمثل ما فى المراسيم السلطانية من مساحتهم. ثم ركب النشو إلى السلطان، وعرفه بأن الذى للديوان على القنود التى اعتبرها فى يومه مبلغ ستة آلاف دينار، وأنه كل قليل يرد للأمراء من القنود مثل ذلك وأكثر منه، وأن مال السلطان يذهب فى هذا وأمثاله، فإن الدواوين تسرق بحجة مساححة الأمراء شيئا كثيرا. فأثر ذلك فى نفس السلطان، ومكّن النشو من عمل ما يختاره، وألا يسامح أحدا بشيء مما عليه للديوان. فشق ذلك على الأمير قوصون، وحدث السلطان فى إمضاء ما رسم له به من المسوح عن القند؛ فلم يجبه السلطان إلى ذلك، ووعد أنه يعوّضه عليه بأكثر منه. فانكفت الأمراء عن السؤال، وعظم النشو بهذا فى أعين الناس.

واستدعى النشو ابن الأزرق ناظر الجهات - وكان ظلوما غشوما - فكتب له أسماء أرباب الأموال من التجار، وطرح عليهم قماشاً - استدعى به من الإسكندرية - بثلاثة أمثال قيمته، وأحرق بمن عارضه منهم؛ وحمل النشو للسلطان من هذا وشبهه أموالا عظيمة.

وفيه قدم صاحب شمس الدين عبدا لله غريال بن أبى سعيد بن أبى السرور من دمشق فألزم بحمل أربعين ألف دينار وضعها كريم الدين عنده ليتجر له بها، وحمل ما أخذه فى مباشرته من مال السلطان؛ وكان ذلك بإغراء النشو. فقام فى أمره الأمير بتشاك والأمير قوصون حتى يقرر عليه ما يحمله من غير أهنة، فحمل ألف ألف درهم.

وعمت مضرة النشو الناس جميعا، وانتمى إليه عدة من الأشرار، وتموا على الكافة من أهل القبلى والوجه البحرى، ودلوه على من عنده شيء من الجوارى المولّدت لشغف السلطان بهن، فحملت إليه عدة منهن بطلبهن من أربابهن؛ وسعوا عنده بأرباب الأموال أيضا، فدهى الناس منه بلاء عظيم.

وفى سلخ شوال: أخرج صلاح الدين الدوادار على البريد منقيا إلى صنفد، وخلع على سيف الدين بغا الدوادار الصغير عوضه. وسبب ذلك أنه كان مترفا، يعامل رفقاه بشمم وتكبر. وكان شهاب الدين أحمد بن محبى الدين يحيى بن فضل الله^(١) كاتب

(١) أحمد بن يحيى بن فضل الله القرشى العدوى العمرى، شهاب الدين: مؤرخ، حجة فى معرفة المالك والمسالك وخطوط الأقاليم والبلدان، إمام فى الترسلى والإنشاء، عارف بأخبار رجال عصره =

السرى يياشر عن أبيه وعن جدّه فى مزاحة وقوة نفس، فسلك صلاح الدين معه مسلكه مع ابن الشهاب محمود؛ فلم يحتمل شهاب الدين ذلك منه، وصار بينهما شنان، إلى أن اتفق فى بعض الأيام ذكر السلطان الفخر - ناظر الجيش، فترحم عليه، فقال صلاح الدين: «يا خوند^(١)! لا تترحم على ذلك، فإنه ما كان مسلماً». فغضب السلطان من معارضته له، وقال: «والله يا صلاح الدين هو أيضا كان يقول عنك أنك لست بمسلم»؛ وتبين فى وجه السلطان الغضب، وانفضّ المجلس. فذكر بعد ذلك صلاح الدين عند السلطان فقال عنه: «ذاك ما يتحدث عن أحد بخير»؛ فانتبه ابن فضل الله الفرصة فى صلاح الدين، وما زال به حتى أبعده السلطان وعزله فى يوم الأربعاء حادى عشر رمضان، وأقام سيف الدين بعا دوا دارا عوضه؛ ثم أخرج صلاح الدين أميراً بصفد، فى سلخ شوال.

وفى هذه السنة: أخذ الأمير قوصون دار الأمير بيسرى بالقاهرة - وكانت وقفا - فعمل محضر بشهود القيمة أن قيمتها مبلغ مائة وتسعين ألف درهم وتكون الغبطة للأيتام عشرة آلاف درهم، فكملت مائتان ألف؛ فحكم القاضى شرف الدين الحرانى الحنبلى ببيعها وشراء عقار بثمانها. وهذا بعد أن كان وقف بيسرى لها فيه من الشهود عدة اثنين وسبعين عدلا، منهم تقى الدين ابن دقيق العيد^(٢)، وتقى الدين بن رزين، وتقى الدين ابن بنت الأعز^(٣)، وذلك قبل بلوغهم درجة القضاء؛ فكان هذا مما شنع ذكره، فإنها دار يجلب وصفها ويتعذر وجود مثلها.

= وتراجهم، غزير المعرفة بالتاريخ ولاسيما تاريخ ملوك المغول من عهد جنكيز خان إلى عصره. مولده ومنتشوه ووفاته فى دمشق. من تصانيفه «سالک الأبرار فى ممالك الأمصار». انظر فوات الوفيات ٧/١ وابن الوردى ٣٥٤/٢ والدرر الكامنة ٣٣١/١ النجوم الزاهرة ٣٣٤/١٠ وآداب اللغة ٢٢٦/٣ والأعلام ٢٦٨/١.

(١) لقب يطلق على الملوك.

(٢) محمد بن على بن وهب بن مطيع، أبو الفتح، تقى الدين القشبرى، والمعروف كأبيه وجدّه بابن دقيق العيد: قاض، من أكابر العلماء بالأصول، مجتهد، أصل أبيه من منفلوط (بمصر) انتقل إلى قوص، وولد له ابنه فى ينبع فنشأ بقوص، وتعلم بدمشق والإسكندرية ثم بالقاهرة. وولى قضاء الديار المصرية سنة ٦٩٥هـ، فاستمر إلى أن توفى بالقاهرة. له تصانيف منها «إحكام الأحكام» فى الحديث. انظر الدرر الكامنة ٩١/٤ ومفتاح السعادة ٢١٩/٢ وفوات الوفيات ٢٤٤/٢ وشذرات الذهب ٥/٦ وإحكام ١٤/١ وخطط مبارك ١٣٥/١٤ والأعلام ٢٨٣/٦.

(٣) عبد الرحمن بن عبد الوهاب بن خليفة العلامى المصرى الشافعى: وزير، فقيه، له نظم حسن. ولى الوزارة مع القضاء بمصر، ثم استعفى وتولى التدريس بالمدرسة المجاورة لضريح الشافعى. وتوفى كهلا، انظر فوات الوفيات ٢٥٦/١ وابن كثير ٣٤٦/١٣ والنجوم الزاهرة ٨٢/٨ والأعلام ٣١٥/٣.

وفيها عمل السلطان باب من خشب السنط^(١) الأحمر، وصفحه بفضة زنتها خمسة وثلاثون ألف درهم وثلاثمائة درهم؛ ومضى به الأمير سيف الدين، برسبغا الساقى إلى مكة، فقلع باب الكعبة العتيق، وركب هذا الباب وأخذ بنو شيبة الباب العتيق، وكان من خشب الساسم^(٢) المصفح بالفضة، فوجدوا عليه ستين رطلا من فضة تقاسموها؛ وترك خشب ذلك داخل الكعبة، وعليه اسم صاحب اليمن فى الفردتين، واحدة عليها: «اللهم يا ولى يا على! اغفر ليوسف بن عمر بن على»^(٣)

وفى يوم الأربعاء حادى عشرى ذى القعدة وحادى عشر مسرى: كان وفاء النيل، وبلغ سبعة عشر ذراعا وثمانى أصابع.

وفيها هدمت قاعة الصاحب وقاعة الإنشاء بقلعة الجبل، ورسم أن تكون دار الوزارة وقاعة الإنشاء بدار التيابة. وكانت دار الوزارة قد عمرت فى الأيام الأشرفية برسم ابن السلعوس.

وفى عشرى ذى الحجة: قبض الأمير ألماس الحاجب وأخوه قرا، وسجنا مقيدىن؛ ثم أخرج قرا إلى الإسكندرية فى رابع عشرىه.

وفى حادى عشرىه: خُلع على الأمير بدر الدين مسعود بن خطير، واستقرّ حاجباً عوضاً عن ألماس.

* * *

ومات فيها من الأعيان

ناظر الجيش بدمشق قطب الدين بن موسى بن أحمد بن الحسن المعروف بابن شيخى السلامية عن اثنتين وتسعين سنة.

ومات الأمير شمس الدين سنقر المرزوقى، فى يوم الأربعاء ثامن عشر رمضان.

(١) هو خشب من القصليلة القرينة، ثمره القرظ ينمو بمصر والشام. واحدته سنطة. انظر المعجم الوسيط (سنط).

(٢) الساسم شجر ذو خشب أسود، وهو الأبنوس أو الشيزى ومنه تعمل القسى.

(٣) يوسف (المظفر) بن عمر (المنصور نور الدين) بن على بن رسول التركمانى اليمنى، شمس الدين: ثانى ملوك الدولة الرسولية فى اليمن وقاعدتها صنعاء. ولد بمكة. وولى بعد مقتل أبيه سنة ٦٤٧هـ، بصنعاء وأحسن صيانة الملك وسياسته. طالت مدته. استمر إلى أن توفى بتعز. انظر العقود اللؤلؤية ١/٨٥٠، ٨٨٤-٢٨٤ وابن الوردى ٢/٢٤٠، ابن الفرات ٨/٢٠٢، والبداية والنهاية ١٣/٢٤١ والنجوم الزاهرة ٨/٧١، المكتبخانة ٦/٤١ والأعلام ٨/٢٤٣، ٢٤٤.

وتوفى قاضى القضاة بدر الدين محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة (١) الحموى الشافعى، فى حادى عشر جمادى الأولى، وهو معزول، بعدما عمى.

وتوفى شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب بن أحمد بن عبد الوهاب بن عبادة البكرى النويرى (٢) الشافعى، صاحب كتاب التاريخ، فى الحادى والعشرين من رمضان.

ومات الأمير أحمد بن بكتمر الساقى بوادى عنتر من طريق الحجاز فى الحرم؛ واتهم السلطان بأنه سمّه، فحُمل مصّيراً.

ومات الأمير بكتمر الساقى بعد موت ولده بثلاثة أيام؛ وكان موت ولده الأمير أحمد فى ليلة الثلاثاء سابع الحرم - ورحل إلى نخل (٣) فدفن بها - وموت الأمير بكتمر يوم الجمعة عاشر الحرم - وقد حمل إلى عيون (٤) القصب، فدفن بها - ثم نقل بكتمر وولده إلى خانكاته من القرافة بالقاهرة، فدفنا بها يوم الأحد سابع ربيع الآخر واتهم السلطان بأنه سمّ بكتمر أيضاً، وذلك أنه كان قد عظم أمره بحيث أن السلطان فى هذه الحجة كان معه ثلاثة آلاف ومائة عليقة، وكان مع بكتمر ثلاثة آلاف عليقة؛ وبلغت عدة خيوله مائة طوالة بمائة سايس بمائة سطل، وكان عليق خيله دائماً ألفاً ومائة عليقة كل يوم. فلما توجه مع السلطان إلى الحج وشى به أنه يريد قتل السلطان، فتحرّز السلطان على نفسه غاية التحرّز، وكان فيه من الدهاء والمكر ما لا يوصف،

(١) محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة الكنانى الحموى الشافعى، بدر الدين، أبو عبد الله: قاض، من العلماء بالحديث وسائر علوم الدين. ولد فى حماة. وولى الحكم والخطابة بالقدس، ثم قضاء مصر إلى أن شاخ وعمى. كان من خيار القضاة. وتوفى بمصر. له تصانيف منها «المنهل الزوى فى الحديث النبوى». انظر فوات الوفيات ١٧٤/٢ ونكت الهميان ٢٣٥ والأنس الجليل ٤٨٠/٢ والبداية والنهاية ١٦٣/١٤ والنجوم الزاهرة ٢٩٨/٩ والدرر الكامنة ٢٨٠/٣ ودار الكتب ٥٣٥/٥ والأعلام ٢٩٧/٥، ٢٩٨.

(٢) أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم القرشى التيمى البكرى، شهاب الدين النويرى: عالم بحاث غزير الاطلاع. نسبته إلى نوية من قرى مصر. مولده ومنشأه بقوص. تقلب فى الخدم الديوانية، وباشر نظر الجيش فى طرابلس وتولى نظر الديوان بالدقهلية والمرتاحية له مصنفات منها «نهاية الأرب فى فنون الأدب». توفى بالقاهرة. انظر الطالع السعيد ٤٦ والدرر الكامنة ١٩٧/١ والنجوم الزاهرة ٢٩٩/٩ والبداية والنهاية ١٦٤/١٤ والأعلام ١٦٥/١.

(٣) موضع على مسافة مرحلتين من المدينة فى طريق الشام. انظر معجم البلدان ٤/٧٦٨، ٧٦٩، والروض المعطار ٥٧٦، ومعجم ما استعجم ٤/١٣٠٣.

(٤) تقع هذه البلدة فى طريق الحجاز بين العقبة والمويلح، وعلى مقربة من شاطئ البحر الأحمر.

فأخذ يدبر على بكتمر ويلازمه بحيث عجز بكتمر أن ينظر إلى زوجته، فإنه كان إذا ركب أخذ يسايره بجانبه، وإذا نزل جلس معه، فإن مضى إلى خيامه بعث فى طلبه، بحيث إنه استدعى به - وهو يتوضأ بواحد بعد الآخر من الجمدارية، حتى كمل عنده عدة اثني عشر جمدارا. فلما ثارت الريح بالمدينة قصد السلطان فى تلك الليلة اغتيال بكتمر وولده، وأعدّ لذلك جماعة؛ فهجموا على أحمد بن بكتمر فلم يتمكنوا منه، واعتذروا بأنهم رأوا حرامية وقد أخذوا لهم متاعا، فمرّوا فى طلبهم؛ فداخل الصبىّ منهم فزع كثير غشى عليه منه. وزاد احتراز السلطان على نفسه، وتقدم بأن تنام الأمراء بمماليكهم على بابه. وسار السلطان من المدينة، فيقال إنه سقى الصبى ماء باردا فى مسيره كانت فيه منيته، ثم بعد قليل سقى بكتمر بعد موت ولده مشروبا، فلحق به. واشتهر ذلك، حتى إن زوجة بكتمر لما مات صاحت، وقالت للسلطان بصوت سمعه كل من حضر: «يا ظالم! أين تروح من الله؟ ولدى وزوجى؟ زوجى كان مملوكك، ولدى إيش كان بينك وبينه؟»، وكرّرت هذه مرارا، فلم يجيها. وقد ذكرنا ترجمته فى كتابنا الكبير المقفى بما فيه كفاية؛ إذ هو كتاب تراحم ووفيات، كما أن هذا كتاب حوادث وماجريات.

ومات علم الدين المشطوب، يوم الأحد تاسع عشرى ذى القعدة.

ومات جمال الدين أبو الحسين بن محمود بن أبى الحسين محمود بن أبى سعيد بن أبى الفضل بن أبى الرضا الربعى البالىسى، إمام السلطان، فى سابع عشر رمضان؛ ومولده سابع عشر رجب سنة ست وأربعين وستمائة؛ واسمه كنيته، وكان فاضلا، كتب بخطه كتبا كثيرة.

ومات جدّى الشيخ محبى الدين أبو محمد عبد القادر بن محمد بن إبراهيم بن محمد ابن تميم بن عبد الصمد بن أبى الحسن بن عبد الصمد بن تميم المقريزى، بدمشق فى ثامن عشرى ربيع الأول؛ وكان فقيها حنبليا محدثا جليلا، سمع بعليك من زينب بنت كندى، وبدمشق من عمر بن القواس وجماعة؛ وحدث وكتب بخطه كثيرا، وقرأ كثيرا؛ وقدم القاهرة، وعدّ من أعيان الفقهاء المحدثين.

سنة أربع وثلاثين وسبعمائة

فى أول المحرم: أحيط بجواصل الأمير ألماس الحاجب، وكان قبض عليه وعلى أخيه الأمير قرا وسبب التغيير على ألماس أنه كان نائب الغيبة مدة سفر السلطان بالحجاز، وسكن فى دار النيابة بالقلعة، وسكن الأمير آقبغا عبد الواحد داخل باب القلة من القلعة؛ فحفظ آقبغا عليه أشياء غير بها قلب السلطان لوجدة^(١) كانت بينه وبين ألماس: منها أنه كان يتراسل هو والأمير جمال الدين آقوش المعروف بنائب الكرك، لميل كل منهما إلى الآخر؛ ومنها كثرة أفعال ألماس للأمر القبيحة، من انهماكه فى الميل إلى الأحداث وإسرافه فى ذلك، حتى إنه كان بجوار دار النيابة مسجد ففتح منه بابا وصار يعبر بالأحداث من ذلك إليه، واشتد شغفه بسلام يدعى عمير من أولاد الحسينية، وأكثر من النزول من القلعة وجمع الأويراتية مع المذكور للشرب؛ هذا مع ما حفظ عليه من الكلام السيئ فى وقت الإرجاف بالسلطان وهو مسافر، وكثرة ماله وتنميته من وجوه منكورة، فإنه غرس بساتين بناحيتى بهواش^(٢) والنعاغية من المنوفية، وجلب عددا كثيرا من الخنازير وسمنهم بها، وباعهم على الفرنج ببضائع، وحمل سلاحا كثيرا إلى بلاد الشرق تعوض به أصنافا للمتجر؛ فأتسعت أمواله وتكثر بها، وقال غير مرة للأمرء: «عندى الذهب والدرهم ! ومن فيكم مثلى؟»، وزاد فى هذا المعنى، وآقبغا عبد الواحد يضبط عليه مساوئه، ويسعى به إلى السلطان حتى غيره عليه. ويقال إن السلطان وجد فيما خلفه الأمير بكتمر الساقى جزدان^(٣) فيه كتب من جملتها كتاب ألماس إليه يتضمن «إننى أحفظ لك القلعة حتى يرد علىّ منك ما أعتده»، فلم يصبر له السلطان على هذا.

ولما قبضه السلطان، وقبض على أخيه قرا وكان ظالما غشوما حمارا - نزل النشو وابن هلال الدولة وشاهد الخزانة لضبط موجوده؛ فوجد له ستمائة ألف درهم فضة، ومائة ألف درهم فلوس، وأربعة آلاف دينار مصرية، وثلاثون حياصة ذهب كاملة بكلفتاتها الذهب وخلعها الحرير، وبعض جوهر، وعدة أشياء ثمينة؛ وقبض

(١) يقال وجد فلانُ يجدَ وجدًا: حزن، ووجد عليه، مَوْجِدَةً: غضب، ووجد به وجدًا: أحبه.

انظر المعجم الوسيط (وجد).

(٢) بهواش قرية من مديرية المنوفية، بمركز أشمون حريس، قرب ترعة النعنا.

(٣) كلمة مركبة من اللفظ العربى جزء واللفظ الفارسى دان، ومعناها خريطة من الجلد ذات

طبقات تودع الأوراق، ومنها ما يحمل كالقلادة ويقال له الحمل.

على عبد له رباه صغيراً، فعاقبه السلطان حتى اعترف على كل من كان يحضر إليه من الأحداث وغيرهم.

وفيه قدم مبشرو الحاج، وأخبروا بقتل ياسور أحد ملوك المغل وقت رمى الجمرات. وكان من خبره أن ملك الشرق أبا سعيد بن خربندا لما قتل جوبان أراد إقامة ياسور لأنه من عظماء القان، فخوف من شجاعته، وأن جوبان كان يريد إقامته فى الملك، فنفر منه أبو سعيد؛ ثم إنه استأذنه فى الحج فأذن له، وقام له بما يليق به. ثم طلب أبو سعيد المجد السلامى، وكتب إلى السلطان يعرفه بأمر ياسور، ويخوفه منه أن يجتمع عليه المغل، ويسأله قتله. فدفع السلامى كتاب أبى سعيد إلى مملوكه قطلوبك السلامى، فقدم على السلطان أول ذى القعدة من السنة الماضية؛ فأركبه السلطان النجيب^(١) فى عاشره إلى مكة، ومعه كتاب إلى الأمير برسبغا الحاجب - وقد حج من مصر بطلب الشريف رميته وموافقته سراً على قتل ياسور. فقدم قطلوبك مكة أول ذى الحجة، فلم يوافق رميته على ذلك، واعتذر بالخوف. فأعد برسبغا بعض نجابته من العربان لذلك، ووعده بما ملأ عينه. فلما قضى الحاج النسك من الوقوف والنحر، وركب ياسور فى ثانى يوم النحر لرمى الجمار، ركب برسبغا أيضاً؛ فعندما قارب ياسور الجمرة وثب عليه النجّاب، وضربه فألقاه إلى الأرض، وهرب نحو الجبل؛ فتبعه ممالك برسبغا وقتلوه أيضاً، خشية من أن يعترف عليه. فاضطرب حجاج العراق وركبت فرسانهم وأخذوا ياسور قتيل فى دمائه، وساروا إلى برسبغا منكرين ما حل بصاحبهم؛ فتبرأ برسبغا من ذلك وأظهر التزغم له، وقرّر عندهم: «أن هذا الذى قتل هو من له عليه ثأر أو أحد غرمائه، وإنكم كُفيتم أمره، فإنى أخذت لكم بثأره وقتل قاتله». فانصرفوا عنه وفى نفوسهم منه شىء، وما زالوا له بالمرصاد وهو منهم محترز منهم حتى افترق ركب الحاج العراقيين من المصريين بالمدينة النبوية، فأمن برسبغا على نفسه، وتقدم الحاج إلى السلطان مع المبشرين.

وفى يوم الأربعاء سابع عشرى ربيع الآخر: خلع على الأمير سيف الدين جاريك المهندار، واستقر حاجبا وترتب عوضه مهمندارا الأمير سيف الدين طقتمر الأحمدي شاد الشراب خاناه.

وفى عشرى رجب: خلع على الأمير سيف الدين محمود بن خطير - أخو الأمير بدر

(١) والنجيب من الإبل، والجمع النجب والنجائب، وقد تكرر فى الحديث ذكر النجيب من الإبل، مفرداً ومجموعاً، وهو القوى منها، الخفيف السريع، وناقحة نجيب ونجبية. انظر: لسان العرب ٤٣٤٢/٤٣٤٣.

الدين مسعود الحاجب - واستقرّ حاجبا؛ وكان قد قدم من دمشق فى سابع عشرى ربيع الآخر.

وفى يوم الخميس ثامن عشرى جمادى الآخرة: قدم الأمير تنكز نائب الشام إلى غزة، وقدّم مملوكه يستأذن فى دخوله كما هى عادته؛ فرسم له بسرعة الحضور، وألا يتحدث فى شىء من أمر ابن هلال الدولة، فإن السلطان قد تغير عليه؛ فقدم.

وفى هذه الأيام: شفع الأمير قوصون فى عود جمال الدين عبد الله ابن قاضى القضاة جلال الدين من دمشق، بدخلة أبيه عليه فى ذلك؛ فأجابه السلطان. وقدم جمال الدين إلى القاهرة على البريد، فأقبل على عادته من اللهو، وعمّر دارا على النيل بجوار دار أبيه، وتجاهر بما لا يليق. فتقدم أمر السلطان إلى ابن المحسنى وإلى القاهرة أن يتحيل فى كبسه وإشهاره، وأحس عبد الله بذلك، فكف عما كان يعاينه من اللعب.

وفى يوم السبت نصف رجب: قدم بدر الدين لؤلؤ الحلبي مملوك فندش - بفاء مفتوحة ونون ساكنة، ثم دال مهملة مفتوحة بعدها شين معجمة - وسيف الدين الأكر من الشام. فأحضرهما السلطان، وطلب مباشرى حلب وهم النقيب بدر الدين محمد بن زهرة الحسينى، والقاضى جمال الدين بن ريان ناظر الجيش، وناصر الدين محمد بن قرناص عامل الجيش، وعمه المحبى عبد القادر عامل المحلولات، والحاج إسماعيل بن عبد الرحمن العزازى، والحاج على بن السقا، وغيرهم. فحاققهم لؤلؤ وبالغ فى رميهم بأخذ الأموال السلطانية، وجاهرهم بالسوء من القول بين يدى السلطان، والتزم بأنه إن مكن منهم استخلص منهم مائة ألف دينار. فطلب النشو بعد إخراجهم، ووقع الكلام بينه وبين السلطان فى ذلك وأمثاله من تحصيل الأموال؛ فأخذ النشو يقرر معه أن الأمراء قد أخذوا مساميح بمتاجرهم، ويتحصل من هذا إذا ضبطت عليها فى كل سنة للديوان زيادة على مائتى ألف دينار، وأنه لا يتمكن مع قيام الأمير قوصون والأمير بشتاك أن يجمع للسلطان شيئا من ذلك المال، فإنهما وأمثالهما قد اعتادوا من المباشر للسلطان أن ينفق المباشرون عليهم نصف متحصل الديوان برطيلاً^(١) وأنه فقير ليس له مال يبرطل به له ولا هو ممن يبرطل بمال السلطان، وأنه لو سلم منهم لملاً خزانة السلطان وحواصله أموالا، لكنه يخشاهم أن يغيروا السلطان عليه. ورمى النشو المباشرين مع ذلك بعظائم من كثرة أموالهم ونعمهم، مما أخذوه فى مباشراتهم من مال السلطان. فأذن له السلطان فى عمل ما يختاره، وأن يتصرف فى الدولة ولا يبالى بأحد، ووعده بتقوية يده وتمكينه ومنع من يعارضه.

(١) البرطيل - وجمعه براطيل - الرشوة، ويقال: وتبرطل فلان: ارتشى.

ثم استدعى السلطان بالمخلص أخى النشو، ورتبه مباشرة عند الأمير سيف الدين الناق، واستخدم أخاه رزق الله عند الأمير ملكتمر الحجازى، واستخدم صهره ولى الدولة عند الأمير أرغون شاه وخلع عليهم.

وانبسطت يد النشو، واشتدت وطأته، وأخذ فى التدبير على ابن هلال الدولة، ورتب عليه أنه أخذ من مال السلطان جملة، وأنه أهمل فى المحافظة على أمور السلطان، وأن ما ضاع بسببه من مال السلطان كثير، وأنه تواطأ مع أولاد التاج إسحاق على مال السلطان. وندب النشو لتحقيق ذلك أمين الدولة بن قرموط المستوفى والشمى بن الأزرق ناظر الجهات، وقرّر مع السلطان إقامة لؤلؤ لاستخلاص الأموال، وطلب المباشرين للمحاكمة؛ فجمعهم السلطان. فبرز قرموط وواجهه ابن هلال الدولة بأنه أهمل الأمور، وبرطل بالأموال، ونحو هذا من القول؛ فأثر كلامه فى نفس السلطان، وصرف المباشرين، وبعث إلى ابن هلال الدولة يأمره بأن يلزم بيته. وخلع على الأكر واستقرّ شاد الدواوين عوضا عن ابن هلال الدولة؛ وخلع على بدر الدين لؤلؤ الحلبي ليكون مستخلص الأموال؛ وخرجا إلى دار الوزارة بالقلعة، وطلبوا الضمان والكتاب والمعاملين وأرباب الوظائف. ورتبت على ابن هلال الدولة أوراق بما أهمله وفرط فيه، وطلب وصوله هو وجميع أزمائه؛ وقبض على مقدم (١) الدولة خالد بن الزراد ومن يلوذ به؛ فحملوا الأموال. وخلع على ابن صابر واستقرّ مقدم الدولة. واشتد لؤلؤ على أهل حلب وأهل مصر، وعسفهم وتجاوز المقدار فى عقوبة المصادرين خصوصا أولاد التاج إسحاق.

وفى يوم الخميس ثالث رجب: سافر الأمير تنكز نائب الشام، بعدما أنعم عليه السلطان بمائة ألف درهم؛ وتوجه صحبته الأمير آقول الحاجب، ليستقرّ حاجب الحجاب بدمشق.

وفى يوم الأحد خامس المحرم: استقرّ الأمير تجماس الجوكندار المنصورى - الملقب بشاش - فى نيابة حمص، عوضا عن بهادر السنجرى بحكم وفاته.

وفى يوم الأحد أول المحرم: أفرج عن الأمير بهاء الدين أصلم، وعن أخيه الأمير قرمجي.

وفيه أيضا أفرج عن الأمير بكنوت القرماني. وكانت مدة اعتقال أصلم وقرمجي ست سنين وثمانية أشهر، ومدة اعتقال القرماني سبع سنين وسبعة شهور.

(١) مقدم الدولة هو الذى يتحدث على الأعوان والمتصرفين لخدمة الوزير.

وفي سادس المحرم: رسم للأمير جمال الدين آقوش الأشرفي - المعروف بنائب الكرك - بنباية طرابلس، بعد موت قرطاي؛ وخلع عليه في تاسعه، وسافر في تاسع عشره. وكان ذلك لأمر: منها صحبتته مع الأمير ألماس الحاجب، ومنها ثقله على السلطان، فإن السلطان كان يجله ويحترمه ويقوم له كلما دخل إلى الخدمة؛ ومنها معارضته للسلطان في أغراضه، لاسيما في أمر النشو، فإنه كان يبلغ السلطان كثرة ظلمه وقبح سيرته في الناس. فأراد السلطان أن يستريح منه، فخلع عليه وبعث له بألف دينار؛ وأخرج برسبغا مسفرا له على العادة. فلما وصل برسبغا به إلى طرابلس وعاد، خلع السلطان عليه واستقرّ حاجبا صغيرا. وفيه خلع على الأمير مسعود بن خطير، واستقرّ حاجبا كبيرا عوضا عن الأمير ألماس.

وفي يوم الخميس ثاني شعبان: استقرّ أيديكين الأزكشي البريدي في ولاية القاهرة، عوضا عن ناصر الدين محمد بن المحسني بسفارة النشو. فعظمت مهابته، وكبس عدة بيوت من بيوت الناس؛ صار يتنكر في الليل ويمشي في أزقة القاهرة، فإذا سمع صوت غناء أوريح خمر في بيت كبسه وأخذ من أهله مالا كثيرا بحسب حالهم. واعتنى به النشو، ومكنه من عمل أغراضه؛ فنال به مقاصد كثيرة: منها أن بعض تجار قيسارية جهار كس بالقاهرة تأخر له في الخزانة السلطانية عن ثمن مبيع نحو تسعين ألف درهم. وألح على النشو في المطالبة بها مع كثرة انهماكه في اللهو، فقبضه أيديكين وهو غير حاضر الذهن، وسجنه في دار الولاية، واستدعى بالعدول ليكتب عليه مشروحا بأنه سكران ويشهره، فافتدى منه بأن أشهد عليه أنه أبر بيت المال مما له عليه، فوقع هذا الإبراء من النشو ومن السلطان بمكان ولما شنع أمر أيديكين شكاه الأمير قوصون إلى السلطان، فتغير السلطان على قوصون وقال له: «أنتم كلما وليت أحدا ينفعني أردتم إخراجه ولو أنه من جهتكم لشكرتم منه كل وقت»، وأسمعه مع ذلك ما يكره. ثم أضيفت إليه ولاية مصر في تاسع شعبان، ولم يجمع الولايتين أحد قبله.

وفي يوم الأحد عشري ذي الحجة: قدم الأمير مهنا بن عيسى (١). وسبب قدومه

(١) مهنا (الثاني) بن عيسى بن مهنا بن مانع الطائي، حسام الدين، بن آل فضل، ويلقب سلطان العرب: أمير بادية الشام، وصاحب وندمره وآل فضل من طيء كانت إمارته بعد وفاة أبيه سنة ٦٨٣هـ ثم حبسه الأشراف سنة ٦٩٢ إلى أن أفرج عنه العادل كتبغا سنة ٦٩٤ فرجع إلى إمارته ثم عزله الناصر سنة ٧١٢ وولى أخيه فضل مكانه ثم أعيد إلى إمارته سنة ٧١٧. مات بالقرب من سلمية، وقد أناف على الثمانين. انظر ابن خلدون ٤٣٨،٥ وصبح الأعشى ٢٠٦/٤ والدرر الكامنة ٣٦٨/٤ - ٣٧٠ والبداية والنهاية ١٧٢/١٤ والأعلام ٣١٧،٣١٦/٧.

أن السلطان كان يحرص على قدومه إليه، ويئذ لأولاده الأموال العظيمة، فيرغبونه في القدوم على السلطان، وهو يأتي ذلك عليهم. فكان إذا أعيى السلطان أمره طرده من البلاد، حتى طرده أربع مرات؛ وكانت تجرد له العساكر فتخرجه، ثم تحضر أولاده وتصلح أمره، فيعود إلى البلاد؛ ثم يأخذ السلطان في استجلابه فلا يأتي له. فيعود إلى إخراجهم؛ و كان السلطان يبعث في طلب الخيول منه، فيرسلها إلى السلطان، فتحمل إليه أثمانها بزيادة كثيرة وما زال أمره على هذا الحال إلى أن قدم موسى وأحمد (١) وفاض (٢) أولاده إلى القاهرة، وبالغ السلطان في الإنعام عليهم، فحلفوا له على إحضار أبيهم إليه. فلما أتوا أباهم اجتمعوا عليه مع عمومتهم، وأرادوه على الحضور إلى السلطان يجهدهم فلم يوافقهم؛ فكاتبوا السلطان بأمرهم معه، فكتب السلطان إلى نائب حلب بإخراجه من البلاد فسار مهنا إلى أبي سعيد بالعراق، فأكرمه وأجله عند قدومه؛ فتعمد وزيره مع المجد السلامي عليه حتى فارق بلادهم رعاية لخاطر السلطان، وكتب بذلك إلى السلطان، فسره ذلك ولما عاد مهنا من العراق تلقاه ابنه موسى، فوجد أنه قد أزمع أمره على القدوم على السلطان؛ فلم يشعر الأمير تنكز نائب الشام إلا ومهنا قد قدم عليه هو والملك الأفضل محمد صاحب حماة، فركب إلى لقائه وأنزله بالقصر الأبلق. وقدم البريدي إلى السلطان بخير قدومه فكاد يطير فرحاً به. ثم أركبه الأمير تنكز والملك الأفضل خيل البريد، وسيرهما إلى السلطان. فحملت للأمير مهنا الإقامات، وجنبت له الخيول، وضربت له الخيم؛ وخرج أمير: اندار والمهمندار إلى لقائه، وركب الأمير بشتاك له إلى قبة النصر خارج القاهرة، وسار به إلى باب السر من القلعة، فإذا الأمير قوصون قد وقف به في انتظاره، فأخذ بيده حتى عبر إلى السلطان فرحّب به السلطان وأكرمه، وعتبه على فراره منه، فاعتذر مهنا وذكر أن قدومه بسبب رؤياه النبي - ﷺ - في منامه وأمره له بالقدوم. فسر السلطان بذلك وخلع عليه وعلى

(١) أحمد بن مهنا بن عيسى بن مهنا بن حديثة الطائي ثم الثعلبي: أمير عرب الفضل في بادية الشام. وكانت لهم البادية من حمص إلى قلعة جعبر إلى الرحبة أخذته على سقى الفرات وأطراف العراق. واعتقله طقز دمر نائب الشام سنة ٧٤٥هـ وأطلقه الكامل سنة ٧٤٦هـ وأعيد إلى الإمارة، وعزل ثم أعيد إلى أن توفي. انظر الدرر الكامنة ١/٣٢١ وصبح الأعشى ٤/٢٠٧ والعبير ٥/٤٣٩ والأعلام ١/٢٦١.

(٢) فياض بن مهنا بن عيسى بن مهنا الفضلي: أمير العرب في بادية ما بين سورية والعراق، من آل فضل. ولى الإمارة بعد أخيه أحمد سنة ٧٤٩هـ ثم عزل بأخيه حيار وأرسل إلى الإسكندرية فسجن فيها وأطلق. وأعيد بعد مدة طويلة إلى الإمارة، فدخل مصر، ثم فر إلى العراق. فمات هناك. انظر الدرر الكامنة ٣/٢٣٤ وصبح الأعشى ٤/٢٠٧ وابن خلدون ٥/٤٣٩ والأعلام ٥/١٦٤.

من معه مائة خلعة، وردّ إليه إمرته، وزاد في إقطاعه. وأنزله السلطان بالميدان وأمر له بسماط جليل فسم له فيه، فلم يأكل منه شيئا، واعتذر بأن عادته أكل لبن الجمال وقرص الملة^(١) لا غير. ثم طلع مهنا إلى السلطان في خامس يوم من قدومه، فأنعم عليه بقرية دومة^(٢) من عمل دمشق، لتكون له ولأوده من بعده. واتفق موت أسندمر العمرى، فوجد له تسعة آلاف دينار مصرية، وطلع بها النشو فسلمها لحاجب منها إنعاما على مهنا برسوم زوادته. وكتب له القاضي شهاب الدين أحمد بن فضل الله منشورا بدومة، ثم سافر.

وفي ذى الحجة: ركب أيديكن والى القاهرة إلى النجيلة^(٣) خارج القاهرة - وهى يومئذ متنزه العامة، وبدابيرها أخصاص للفرجة - وكبسها وقت المغرب، فما قبض على أحد إلا وسلبه ثيابه وتركه عاريا، فجمع من ذلك شيئا كثيرا؛ وجمع الباعة من الغد بثمنه، فبلغ خمسة عشر ألف درهم.

وفي هذه السنة: جاء بالمدينة النبوية سيل عظيم أخذ جمالا كثيرة وعشرين فرسا، وخربت عدة دور.

وفيها استقر جمال الدين عبد الله بن كمال الدين محمد بن العماد إسماعيل بن أحمد ابن سعيد بن محمد بن سعيد بن الأثير فى كتابة السرّ بدمشق، عوضا عن شرف الدين أبى بكر بن محمد بن الشهاب محمود.

وفي يوم عرفة: استقرّ نجم الدين بن أبى الطيب فى الوكالة بدمشق، واستقرّ عز الدين بن منجا فى نظر جامع بنى أمية، واستقرّ فى حسبة دمشق عماد الدين بن الشيرازى؛ وخلع عليهم جميعا.

وفيها ورد الخبر من بغداد بأن صاحبها ألزم النصارى ببغداد أن يلبسوا العمائم الزرق، واليهود أن يلبسوا العمائم الصفرة اقتداء بالسلطان الملك الناصر بهذه السنة الحسنة.

(١) الملة التراب الحار والرماد أو الجمر يخبز أو يطبخ عليه، أو فيه. والملة عرق الحمن. انظر المعجم الوسيط (ملة).

(٢) تقع هذه القرية بغوطة دمشق. انظر معجم البلدان ٦٢٥/٢، والروض المعطار ٢٤٥، معجم ما استعجم ٥٦٤/٢.

(٣) بلدة فى أقصى الجنوب من مديرية البحيرة الحالية، وتقع على الشاطئ القريب لفرع رشيد، وفى الجنوب الغربى منها قرية زاوية البحر.

١٨٠ سنة أربع وثلاثين وسبعماية

وفيهما ولي تدریس الشافعی بالقرافة شمس الدین محمد بن القماح^(١) بعد وفاة المجد حرمی؛ واستقرّ عوضه فی وكالة بیت المال النجم الأسعردی المحتسب، وفی تدریس المدرسة القطیبة بهاء الدین بن عقیل.

و فيه استقرّ علاء الدین مغلطای فی تدریس الحدیث بالمدرسة الظاهرية، بعد موت فتح الدین محمد بن سید الناس^(٢)، بعناية قاضی القضاة جلال الدین محمد بن القزوينی فاستعظم الناس ذلك؛ وقالوا: «ویّه! ویّه! تولى درس الحدیث مغلطیة؟».

وفیه انتهت زیادة ماء النيل إلى ستة عشر ذراعاً.

* * *

ومات فیها من الأعیان

الأمیر ألماس الحاجب الناصری؛ كان جاشنکیرا، وتنقل حتى صار حاجب الحجاب فی محل النائب، لشغور منصب النيابة بعد الأمیر أرغون؛ وكان أكابر الأمراء یرکبون معه فی خدمته، ویجلس فی باب القلعة، ویقف الحجاب بین یدیه؛ فلما قبض علیه وحبس، قطع عنه الطعام ثلاثة أيام؛ ثم خنق فی ليلة الثانی عشر من صفر، حُمل من الغد حتى دفن بجامعه؛ وكان أعتم لا یعرف بالعریبة شیئاً.

وتوفی وکیل بیت المال ومدرس الشافعی مجد الدین حرمی بن هاشم بن یوسف العامری الفاقوسی الفقیه الشافعی، عن نحو سبعین سنة، فی يوم الثلاثاء ثانی ذی الحجة؛ ولی وكالة بیت المال ونیابة الحكم، وبرع فی الفقه والأصول، ودرّس بالشافعی.

(١) محمد بن أحمد بن إبراهيم بن حیدرة، أبو عبدالله، بن القماح القرشي الشافعی المصري: مفسر من فقهاء الشافعية. ناب فی الحكم بجامع الصالح (بالقاهرة) ونسب إلى التساهل فی الأحكام، فامتنع عز الدین بن جماعة من استنابته، فأقبل علی تدریس الفقه إلى أن مات. انظر الدرر الكامنة ٣٠٣/٣ والأعلام ٣٢٥/٥.

(٢) محمد بن بن محمد بن محمد أحمد بن سید الناس، الیعمری الربعی، أبو الفتح، فتح الدین: مورخ، عالم بالأدب. من حفاظ الحدیث له شعر رقیق. أصله من إشبیلیة، مولده ووفاته فی القاهرة من تصانیفه «عیون الأثر فی فنون المغازی والشمائل والسیرة» وتحصیل الإصابة فی تفضیل الصحابة. انظر فوات الوفيات ١٦٩/٢ والوفای بالوفیات ٢٨٩/١ والبداية والنهاية ١٦٩/١٤ والدرر الكامنة ٢٠٨/٤ والنجوم الزاهرة ٣٠٣/٩ وطبقات الشافعية ٢٩/٦ والبدر الطارل ٢٤٩/٢ والأعلام ٣٥٠، ٣٤٤/٦.

وتوفى قاضى القضاة جمال الدين سليمان بن الخطيب مجد الدين عمر بن سالم بن عمر عثمان الأذرعى (١) المعروف بالزرعى - فى سادس صفر بالقاهرة، عن مرض السكتة، وهو يومئذ قاضى العسكر، مولده بأذرعات (٢) سنة خمس وأربعين وستمائة. ومات الأمير علم الدين سليمان بن مهنا بن عيسى أمير آل فضل (٣)، فى خامس عشرى ربيع الأول؛ فرسم بعده بالإمرة لسيف بن فضل (٤).

ومات الملك الظاهر أسد الدين عبدا لله بن المنصور نجم الدين أيوب بن المظفر يوسف ابن عمر بن على بن (٥) رسول متملك اليمن، بعدما قبض عليه الملك الجهاد بقلعة دملوه، وصار يركب فى خدمته، ثم سجنه مدة شهرين، ثم خنقه بقلعة تعز (٦).

وتوفى قاضى الحنفية بحماة نجم الدين عمر بن محمد بن عمر بن أحمد بن هبة الله ابن أحمد بن يحيى - المعروف بابن العديم -، عن خمسة وأربعين سنة.

(١) سليمان بن عمر بن سالم الزرعى، جمال الدين، أبو الربيع: قاضى القضاة. من فقهاء الشافعية. أصله من المغرب. ولد بأذرعات، وتعلم بدمشق وولى قضاء أزرع ثلاث عشرة سنة، فنسب إليها، ثم ناب فى الحكم سبعا أيضا، ثم ولى القضاء استقلالاً، نحو سنة. عاد إلى دمشق، فولى القضاء ومشيخة الشيوخ مدة، ثم عزل، فتوجه إلى مصر فولى بها التدريس وقضاء العسكر. وتوفى بها. انظر الدرر الكامنة ١٥٩/٢ وطبقات السبكر ١٠٥/٦ والبداية والنهاية ١٦٧/١٤ وشذرات الذهب ١٠٧/٦ والنجوم الزاهرة ٣٠٤ والأعلام ٣١٣/٣.

(٢) أذرعات: من بلاد دمشق بالشام يصرف ولا يصرف، والتاء فى الحالتين مكسورة ويقال لها يذرعات بالياء. انظر معجم البلدان ١٧٥/١، والروض المعطار ١٩، ٢٠، ومعجم ما استعجم ١٣١/١، وصبح الأعشى ١٠٥/٤.

(٣) سليمان بن مهنا بن عيسى بن مهنا، من آل الفضل بن ربيعة، ويلقب علم الدين أمير عرب الفضل، فى بادية حمص والفرات. ولى إمرة العرب بدلا عن أخيه موسى سنة ٧٧٢ فاستمر فى الإمارة إلى أن مات فى سلمية. انظر الدرر الكامنة ١٦٣/٢ والنجوم الزاهرة ١٠٣/١٠ وابن خلدون ٤٣٩/٥ والقلقشندي ٢٠٧/٤ وإعلام النبلاء ٤٠٦/٢ والأعلام ١٣٥/٣.

(٤) سيف بن فضل بن عيسى بن مهنا: أمير عرب الفضل، فى بادية الشام. كان شجاعا جوادا. ولى إمرة قومه عدة مرات، أولها بعد موت أخيه عيسى سنة ٧٤٤هـ، ومات قتيلًا. انظر ابن خلدون ٤٣٩/٥ والنجوم الزاهرة ٣٣٠/١٠ وصبح الأعشى ٢٠٧/٤ والدرر الكامنة ٢٨٣/٢ والأعلام ١٥٠/٣.

(٥) عبد الله بن أيوب المنصور بن يوسف المظفر، من بنى رسول أمير حواد عاقل ورع. تعلقت نفسه بطلب الملك وقصرت. ثم طلب الملك وخلع الجهاد، وبعوه، ولقبوه بالظاهر فسار بهم إلى الجهاد، وهو فى تعز، فحاصره أحد عشر شهرا، وعجز فسار إلى نهاية فتبعه الجهاد. واستمرت بينهما الوقائع، فطلب الأمان من الجهاد فأمنه وحبسه بتعز، من غير تضييق عليه، إلى أن مات. انظر تاريخ نغر عدن والأعلام ٧٣/٤.

(٦) قلعة عظيمة من قلاع اليمن المشهورات. انظر، معجم البلدان ٤٣/٣.

١٨٢ سنة أربع وثلاثين وسبعمائة

ومات الأمير طغاي تمر العمري، زوج ابنة السلطان، ليلة الثلاثاء ثامن عشر ربيع الأول.

ومات الأمير صوصون - أخو الأمير قوصون - أحد الألو، في ليلة الجمعة رابع جمادى الأولى.

وتوفى المحافظ فتح الدين أبو الفتح محمد بن محمد بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن يحيى بن سيد الناس اليعمرى الأشبيلي العلامة المتقن المصنف الأديب البارع، في يوم السبت الحادى عشر من شعبان.

ومات الأمير قرطاي الأشرفى نائب طرابلس، وقد جاوز ستين سنة، بها فى ثامن عشرى صفر.

ومات أمير طبر جمال الذين يوسف بن علم الدين، فى ليلة السبت ثالث عشر جمادى الآخرة؛ وكان من أمراء العشرارات.

ومات الأمير بدر الدين بيليك أبو غدة - وكان أحد أستاذارية السلطان، ومن أمراء الطبلخاناه -، فى ليلة الأربعاء سابع عشر جمادى الآخرة.

ومات الأمير يوسف الدين خاص ترك الناصرى، أحمد مقدمى الألو، فى عاشر رجب بدمشق.

ومات الأمير عز الدين أيدير دقماق العلامى نقيب الجيش، وكان أحد المماليك الأشرفية، ليلة الأحد سادس رجب؛ واستقرّ عوضه فى نقابة الجيش الأمير صار وجانقيب المماليك، واستقر المماليك عوضا عن صاروجا محمد بن لاجين المحمدى. وومات الأمير قجماس الجوكندار المعروف بشاش - نائب حمص، أحد أمراء البرجية.

ومات الأمير بلبان طرنا أمير جاندار - وكان نائب صفد -، فى حادى عشرين الأول؛ وهو من أمراء الألو بدمشق. وومات القاضى صدر الدين سليمان بن إبراهيم ابن سليمان بن دواد بن عتيق بن عبد الجبار المالكى، قاضى الشرقية والغربية، فى حادى عشرى شعبان؛ وبعثه السلطان رسولا إلى بغداد.

* * *

سنة خمس وثلاثين وسبعمائة

فى يوم الأحد رابع الحرم: قبض على الطواشى شجاع الدين عنبر السحرتى مقدم الممالىك، بسعاية النشو؛ وأنعم بطبلخاناته على الطواشى سنبل قلى، واستقرّ نائب المقدم. وخلع على الأمير آقبغا عبد الواحد باستقراره فى تقدمة الممالىك، مضافا إلى الأستاذارية. فعرض آقبغا الطبايق، وأخرج من كان من الأتباع الأويراتية فى خدمة الممالىك؛ وضرب جماعة من الممالىك السلاح دارية والجمدارية لامتناعهم من إخراج أتباعهم، ونفوا إلى صفد.

وفى يوم الأربعاء حادى عشرى جمادى الأولى: عُزل أيدكين والى القاهرة، لتغير الأمير قوصون عليه، وأخرج إلى الشام منفيا.

وفيه طلب بلبان الحسامى البريدى أحد ممالىك طرنطای النائب إلى حضرة السلطان، فلم يجد فرسا يركبه، فركب حمارا إلى القلعة؛ فخلع عليه واستقرّ والى القاهرة عوضا عن أيدكن، وأخرج له فرس.

وفيه أفرج عن الأمراء المعتقلين، فركب على البريد الأمير بيبرس السلاح دار إلى الإسكندرية، وقدم بهم فى يوم الإثنين ثانى عشرين رجب: وهم الأمير بيبرس الحاجب، وله فى السجن من سنة خمس وعشرين؛ والأمير طغلق التترى أحد الأمراء الأشرفية، وله فى السجن ثلاث وعشرون سنة، من سنة اثنى عشرة، فمات بعد أسبوع من قدمه، والأمير غانم بن أطلس خان، وله فى السجن من سنة عشر، مدة خمس وعشرون سنة، والأمير برلقى الصغير، وله فى السجن من سنة اثنى عشرة؛ والأمير بلاط الجوكندار، والأمير أيدمر اليونسى أحد الأمراء البرجية المظفرية؛ والأمير لاجين العمري، والأمير طشتمر أخو بتخاص، والأمير بيبرس العلمى من أكابر الأمراء البرجية؛ وقطلوبك الأوجاقى، والشيخ على مملوك الأمير سلا، والأمير تمر الساقى نائب طرابلس، أحد المنصورية، وكان قد قبض عليه سنة أربع عشرة، فكانت مدة سجنه إحدى وعشرين سنة. فأنعم على تمر الساقى بطبلخاناه فى الشام، وأنعم على بيبرس الحاجب بإمرة فى حلب، عوضا عن آقسنقر شاد العمائر، فسافر فى سابع شعبان - وكان قد رُسم بالقبض على آقسنقر، فقبض عليه وسجن بقلعة حلب، وأحيط بموجوده - ورسوم للأمير غانم أن يقيم بالقاهرة.

وفي هذه السنة: قدمت رسل أزيك بكتابه يعتب فيه بسبب طلاق خاتون^(١) طولبية بنت تقطاي أختي أزيك، التي قدمت من جهته، وتزويجها من بعض المماليك، وطلب أزيك عودها إليه فأجيب بأنها قد ماتت، وسير إليه بهدية. وكانت قد ماتت زوجها الأمير صوصون، فزوجها السلطان للأمير عمر بن أرغون النائب، في يوم الإثنين تاسع عشر المحرم، ودخل عليها ليلة الجمعة حادى عشرى صفر. وقد كانت تحت السلطان ثم طلقها، فتزوجها الأمير منكلى بغا، ثم الأمير صوصون، ثم تزوجت بعمر هذا.

وفي ثانی عشر ربيع الآخر: خلع على الأمير سيف الدين جرکنمر رأس نوبة الجمدارية بنيابة غزة، عوضا عن الأمير طينال؛ وسافر في عشریه. وفيه نقل طينال لنيابة طرابلس، عوضا عن الأمير آقوش نائب الكرك، وهى ولايته الثانية.

وفي سادس عشره: توجه الأفضل صاحب حماة إلى محل ولايته، بعدما خلع عليه؛ وكان قد قدم صحبة مهنا، وتأخر بسبب الصيد مع السلطان.

وفي يوم الخميس رابع ربيع الأول: أنعم السلطان على ولده أبى بكر بإمرة، فركب بالشربوش من إصطبل الأمير قوصون، وسار فى الرملية^(٢) إلى باب القرافة، وطلع إلى القلعة من الباب المعروف بباب القرافة، والأمراء والخاصكية بخدمته؛ وعمل الأمير قوصون يومئذ لهم مهما عظيما فى إصطبله.

وفي يوم الخميس نصف جمادى الآخرة: قبض على الأمير جمال الدين آقوش الأشرفى - المعروف بنائب الكرك، وهو يومئذ نائب طرابلس - وسُجن بقلعة صرخد، ثم نُقل فى مستهل شوال إلى الإسكندرية فسجن بها؛ ونزل النشو إلى بيته بالقاهرة، وأخذ موجوده كله وموجود حريمه، وعاقب أستاذراه.

واستقرّ عوضه فى نيابة طرابلس الأمير طينال على عادته، ونقل بكتمر العلائى إلى نيابة حمص، عوضا عن بشاش المتوفى.

وسبب ذلك أنه تراءى بطرابلس مركب للفرنچ فى البحر، فركب العسكر إلى الميناء، فدفعت الريح المركب عن الميناء ثم أخذ الأمير آقوش فى تجديد عمارة مركب

(١) لقب يطلق على الملكات والأميرات.

(٢) منزل فى طريق البصرة إلى الكعبة بعد ضربه نحو مكة ومنها إلى الأبرقين. انظر، معجم

هناك، وأنفق فيه من ماله أربعين ألف درهم؛ فقدمت مركب الفرنج، فركب العسكر فى المركب المستجد، وقاتلوا الفرنج، فقتلوا منهم جماعة وغنموا مركبهم بما فيها. فادعى صاحبها أنه تاجر قدم بتجارته. فنهبت أمواله وقتلت رجاله؛ وذكر عنه بعض التجار أنه متحرم لا تاجر، وأنه قدم فى السنة الماضية إلى ميناء طرابلس وأخذ منها مركبا. فكتب آقوش بذلك إلى السلطان، فأجيب بالشكر وحمل الفرنجى إلى السلطان؛ فحمله آقوش مقيدا على البريد. فأكثر الفرنجى من التظلم، وتبرأ من التحرم فى البحر، وأنه قدم بتجارة وهدية للسلطان، فظلمه نائب طرابلس وأخذ ما كان معه من التحف وغيرها، فصدقه السلطان، وكتب بإعادة مركبه إليه وجميع ما أخذ له؛ فأجاب النائب بأن المذكور حرامى يقطع الطريق على المسلمين، فلا يسمع السلطان قوله، وكتب إليه بالتأكيد فى ردّ المركب عليه؛ فردّها النائب عليه، وشقّ ذلك عليه. ثم طلب آقوش الإغفاء من نيابة طرابلس فأجيب بتخييره بين نيابة صرخد وبعليك؛ وبعث السلطان إليه الأمير برسبغا الحاجب، فسار به إلى دمشق، فقبض عليه تنكز بدار السعادة، وحمله إلى صرخد.

وفى صفر: هدم السلطان الجامع بقلعة الجبل، وهدم المطبخ أيضا. وجدّد السلطان عمارة الجامع، وصار يقف بنفسه كل يوم؛ وندب لذلك الأمير آقبغا عبد الواحد. فحمل إليه العمدة العظيمة من الأشمونين^(١) ووسع موضعه، فأدخل فيه قطعة من حارة مختص والطشتخاناه، ورحمه جميعه؛ وظل العمل جاريا فى هذا الجامع حتى كمل فى آخر شعبان على أكمل هندام وأبدع ترتيب. ووقف عليه السلطان حوائت القلعة وغيرها، ورتب فيه القراء والمؤذنين والقومة، وانتخبهم بنفسه بعدما عرض طوائفهم؛ فصلى فيه أول شهر رمضان.

وفيه جدّد السلطان عمارة المطبخ بالحجر، وزاد فى سعته.

وفىها خرج البريد بطلب بدر الدين محمد بن التركمانى من طرابلس، ليباشر مع النشو؛ فأفرج عنه يوم السبت رابع عشر رجب، وكان له سنة وتسعة أيام مرسوم عليه بالقلعة، وهو يحمل المال.

وسبب ذلك أن الأمير تنكز نائب الشام لما قدم على عادته فى عاشر رجب، وعرفه السلطان همة النشو ولؤلؤ فى تحصيل الأموال التى كانت مهملة ضائعة ورطل بها، ذكر له تنكز نائب الشام ما تجدد من المظالم، وحسن له طلب ابن التركمانى لضبط ما

(١) قصبة كورة من كور الصعيد الأدنى غربى النيل. انظر، معجم البلدان ١/٢٠٠.

عساه يخفى عن السلطان من الأموال التي تؤخذ، ووضع من لؤلؤ بأنه مملوك ضامن^(١) وكان الأكرز ولؤلؤ تسلما الولاة والمباشرين والكتاب وأولاد التاج إسحاق وابن هلال الدولة وأقاربه كما تقدّم، وأخرقا بهم: فحمل قشتمر والى الغربية ثمانين ألف درهم، وأفرج عنه بعناية سنجر الخازن، فإنه صهره، وضرب قنغلى والى البهنسا عدة مرار حتى حمل خمسة وسبعين ألف درهم، وضرب فخر الدين أياس الدويدارى بالمقارع، فحمل ثلاثمائة ألف درهم، وهلك تحت العقوبة أيضا شاد سوق الغنم، بعدما أخذ منه نحو مائتى ألف درهم؛ وأخذ من خالد المقدم مبلغ ثلاثمائة وثلاثين ألف درهم، بعدما ضرب بالمقارع ضربا مبرحا، ثم أفرج عنه على أن يحمل كل يوم عشرة آلاف درهم، فحمل فى مدة شهر مائة ألف درهم، وأخذ من بكتوت الصائغ مائة ألف درهم، ومن عبد الرزاق وولده نحو مائة ألف درهم، وأخذ من الزمام ابن هلال الدولة نحو مائة وخمسين ألف درهم. وحمل ابن خلال الدولة ثلاثمائة ألف وعشرة آلاف درهم من غير أن يضرب، واتهمه النشو بأنه أخذ من الأهراء أربعة آلاف أردب فولاً، وأخذ من مخلف الأمير ألماس الحاجب حياصة، فظهرت براءته من ذلك. وشق على النشو سلامته من الضرب، وبذل جهده فى ضربه، والله يدفع عنه بما كان فيه من كثرة الصدقة. فرماه النشو بعد ذلك بأنه كان يتحدّث مع الأمير جمال الدين آقوش نائب الكرك بأنه يتسلطن، ويجتمع معه على ذلك، ومعه منجم قدم به من دمشق، واستخدمه فى بيت السلطان؛ فطلب المنجم وقتل فى السجن؛ ومنع متولى القاعة جميع الذين يجلسون بالطرقات ويضربون بالرمل من التكبسب بذلك. ورسم بضرب ابن هلال الدولة حتى يقرّ على نائب الكرك بما قيل عنه، فرفق به الأكرز وضربه مقرعة واحدة، ثم ضربه بالعصا قليلا وهو يحلف بالطلاق الثلاث أنه ليس عنده علم بما رُمى به.

ثم إن النشو تنكرّ على مستوفى الدولة أمين الدين قرموط، وعلى رفيقه ابن أبى الزين، من أجل أن قرموطا أكثر من الاجتماع بالسلطان، فخاف عاقبته. وأغرى النشو به السلطان وقرّر فى ذهنه أنه جمع كثيرا من مال السلطان لنفسه، وأن خالدا المقدم يحاqqه ورفيقه على أنه أخذ مائة ألف دينار. فقُبض عليهما فى رابع ربيع الأول؛ وقبض معهما على الشمس ابن قزوينة، والعلم المستوفى، والنشو كاتب الرواتب، والبرهان ابن البرلسى، ورفيقه ابنى الأقفاصى ناظر الدولة. وقام خالد المقدم بحماقتهم، والتزم أنه يستخلص من قرموط أربعين ألف دينار، فعوقب وضرب بالمقارع. فقال خالد للأكرز ولؤلؤ: «هذا جلد ما يقر، اضربوا ولده قدامه حتى يزن المال، فإنه ما يهون به ضرب

(١) المقصود بذلك أن لؤلؤا كان مملوكا لقندش الضامن بحلب.

ولده». فلما ضُرب قرموط أمر الأكرز بإحضار ولده وضربه، فضرب وهو يتحسّر عليه جزاء بما تقدم منه. فلما اشتد به البلاء ضرب نفسه بسكين في حلقومه ليهلك، فبادر الأعوان وأخذوها منه وقد جرحت حلقه، فأسرف الأكرز في عقوبته وعقوبة رفقائه؛ وضُرب القصب في أظفار ابن أبي الزين. ثم خرج النشو إلى الإسكندرية.

فقدم الأمير تنكز نائب الشام يوم الأربعاء حادى عشر رجب، وهو مقدّمه العاشر؛ فقام في خلاص ابن هلال الدولة، وساعده الأمير قوصون حتى أفرج عنه. ثم قدم النشو من الإسكندرية، فشق عليه أن ابن هلال الدولة قد أفرج عنه، وأغرى به السلطان حتى أمر الوالى بإحضاره إلى القلعة؛ وخرج إليه الأكرز وأحرق به، وبلغه عن السلطان أنه متى اجتمع به أحدٌ شنقه، فنزل وأقام بالقرافة منجمعا بها عن الناس. وأفرج عن أقاربه وأزومه وعن تجار الشرايشيين، بعدما كتب النشو عليهم إشارات بأنهم لا حقّ لهم في جهة بيت المال؛ وكان قد تجمّع لهم عن ثمن تشاريف مبلغ بخمسمائة ألف درهم على الخزانة، فذهب عليهم وصودروا مع ذلك؛ واحتج عليهم النشو بأنهم ربحوا على السلطان فيما تقدّم أموالا جمّة، وضرب منهم جماعة بالمقارع، واستأصل أموال كثير منهم.

وفيه كتب إلى نائب الشام بعد سفره في يوم السبت حادى عشرى رجب بمحمل علاء الدين على بن حسن المروانى والى برّ دمشق، لستقر في كشف الشرقية بتعيين الأمير مسعود بن خطير. فقدم المروانى، وخلع عليه بكشف الوجه البحرى؛ فكبس البلاد، وجمع ستين رجلا من المفسدين، ووسّطهم بمدينة بليس^(١). وعلقهم على الخشب؛ وأحدث عقوبات مشنعة: منها أنه كان ينعل الرجل فى قدميه كما ينعل الفرس، ويمشيه حتى يشهره، ومنها أنه كان يعلق الرجل فى خطاف من حديد يحتكه حتى يموت فأرهب الناس بالشرقية^(٢) والغربية والبحيرة^(٣) والمنوفية وأشموم^(٤) بكثرة آثاره المهولة فيها.

وفيه صرف شرف الدين أبو بكر بن محمد بن الشهاب محمود كاتب السرّ

(١) مدينة مشهورة بينها وبين الرى سبعة وعشرون فرسخا، إلى أبهر اثنا عشر فرسخا. انظر معجم البلدان ٤/٣٤٤، ٣٤٢.

(٢) كورة فى جنوب مصر. انظر البلدان ٣/٣٣٧.

(٣) كورة معروفة من نواحى الإسكندرية بمصر، تشتمل على قرى كثيرة ودخل واسع. انظر،

معجم البلدان ١/٣٥١.

(٤) بلدة بمصر، قرب دمياط، وهى مدينة الدقهلية. انظر، معجم البلدان ١/٢٠٠.

بدمشق، وكتب نائب الشام يطلب غيره؛ فعين السلطان لكتابة السرّ بدمشق جمال الدين عبد الله بن كمال الدين محمد بن العماد إسماعيل بن أحمد بن سعيد بن الأثير، من حملة الموقعين بعد عرضهم؛ وخلع عليه ووصّاه وصايا كثيرة.

وفي خامس رمضان: قدم الأمير بدر الدين محمد بن التركمانى، فلم يقبل عليه السلطان، وذلك بسعاية النشو عليه أنه جمع من المباشرات أموالا جمّة، وأن متاجره الآن بطرابلس تنيف على مائة ألف دينار، وأن عنده من الكتاب من يحقق فى جهته مبلغ مائتى ألف وستين ألف دينار أخذها من مال السلطان؛ فنزل ابن التركمانى ولزم بيته.

وفي تاسع عشر شوال: خلع على الشريف عطيفة بن أبى نمى الحسنى، وكان قد قدم وشكا من أخيه رميثة أمير مكة، فأشرف بينهما فى الإمرة.

وفيهما اشتدت العقوبة على أولاد التاج إسحاق، وعلى قرموط ورفيقه، حتى أظهروا مالا كثيرا. وأنعم على لؤلؤ بإمرة طبلخاناه، وكثرت الخلع عليه من السلطان، وعظم البلاء به.

وفيهما أقام النشو رجلا لمرافعة الأمير شهاب الدين أحمد بن المحسنى والى دمياط، بأنه أخرج أساسا قديما فى البحر بين المرجين، كانت عليه طلسمات تمنع بحر الملح عن النيل، حتى تلفت طلسمات وغلب البحر على النيل، فتلفت البساتين، وأنه نال من ثمن حجارة هذا الأساس مالا كثيرا. فأحضر وتسلمه لؤلؤ، فضرب بالمقارع واستخرج منه جملة مال.

وفيهما قبض النشو على زوجة موسى بن التاج إسحاق، وعوقبت وهى حامل عقوبة شديدة على إحضار المال، حتى طرّحت ما فى بطنها ولدا ذكرا؛ وقبض أيضا على أولاد ابن الجيعان كتاب الإسطبل. وذلك أن النشو كانت له عجائز يتجسسن فى بيوت الكبار، فبلغنه عن أولاد ابن الجيعان أن نساءه يذكرون كثرة ظلمه وعسفه، وأنهن يدعون عليه؛ وبلغنه أيضا أن أحد أولاد ابن الجيعان يسعى فى نظر الجيش، والآخر يسعى فى نظر الخاص. فطلب النشو كتاب الإسطبل منهم، وألزمه بكتابة حساب الإسطبل، فامتنع عليه وخاشنة فى القول. فسعى به النشو إلى السلطان حتى قال له مشافهة من شبك القصر: «لم لا تعمل حساب الإسطبل، وتعطيه الناظر؟»، يعنى النشو، فقال: «يا خوندد بدل ما تطلب حساب العبى والمقاود، اطلب حساب الذهب الذى يدخل إلى خزائنك»، وأغلظ فى حق النشو حتى قال له: «ونعمة مولانا السلطان أظهر فى جهتك مائتى ألف دينار؛ فقامت قيامة النشو، وانفض المجلس على ذلك. فمازال

النشو بأولاد ابن الجيعان حتى سلمهم إلى لؤلؤ، فعاقبهم حتى هلكوا وأخذ موجودهم؛ فلم يكتف بذلك، فقبض على أقاربهم وأزمامهم، وصودر جماعة بسبيهم.

وفيه خلع على علاء الدين على بن حسن المرواني الكاشف، واستقر في ولاية القاهرة عوضا عن بلبان المحسنى. وتولى المرواني هدم قناطر السباع التي عمرها الظاهر بيبرس على الخليج بين القاهرة ومصر وزيدت في سعتها عشرة أذرع، وأعيدت أحسن ما كانت، وركبت السباع التي كانت عليها من عهد الظاهر على حالها.

وفيها كثر شغف السلطان بمملوكه أظنبا المارديني شغفا زائدا وقاه، فأحب أن ينشئ له جامعا تجاه ربع الأمير سيف الدين طغى خارج باب زويلة، واشترى عدة دور من ملاكها برضاهم. فانتدب السلطان لذلك النشو، فطلب أرباب الأملاك وقال لهم: «الأرض للسلطان ولكم قيمة البناء»، وما زال بهم حتى ابتاعها منهم بنصف ما في مكاتبهم من الثمن، وكانوا قد أنفقوا في عمارتها بعد مشتراها جملة، فلم يعتد لهم منها بشيء. وقام المارديني في عمارة الجامع حتى تم في أحسن هندام، فجاء مصرفه ثلاثمائة ألف درهم ونيف، سوى ما أنعم به عليه السلطان من الخشب والرخام وغيره. وخطب به الشيخ ركن الدين عمر بن إبراهيم الجعبري، من غير أن يتناول له معلوما.

وفيها عمرت قلعة جعير المعروفة قديما بدوسر^(١) وكانت قد تلاشت بعد أخذ المغل لها؛ فلما كملت رتب في نيابتها الأمير صارم الدين بكتوت السنجرى نائب الرحبة^(٢).

وفيها وقعت قصة بدار العدل تتضمن الواقعة في النشو، وتذكر ظلمه وتسلط أقاربه على الناس وكثرة أموالهم، وتعشق صهره ولى الدولة لشاب تركي. وكان قبل ذلك قد ذكر الأمير قوصون للسلطان أن عميرا الذي شغف به الأمير ألماس قد ولع به أقارب النشو، وأنفقوا عليه الأموال الكثيرة؛ فلم يقبل السلطان فيه قول قوصون أو غيره من الأمراء لمعرفة بكراتهم له. فلما قرئت عليه القصة قال: «أنا أعرف من كتبها»؛ وأستدعى النشو ودفعها إليه، وأعاد له ما رماه به الأمير قوصون. فحلف النشو على براءة أقاربه من هذا الشاب، وإنما هذا ومثله مما ينقله حواشي الأمير قوصون إليه، ليلغنه قوصون إلى السلطان حتى يتغير خاطره، ويوقع به وبأقاربه، وبكى وانصرف. فطلب

(١) قلعة جعير على الفرات بين بالس والرقبة قرب صفين، وكانت قديما تسمى دوسر، وسبب تسميتها جعير، لأن رجل من بنى قشير أعمى يقال له جعير بن مالك قد ملكها. انظر، معجم البلدان ١٤٢/٢.

(٢) قرية بجذاء القادسية على مرحلة من الكوفة على يسار الحجاج إذا أرادوا مكة. انظر معجم البلدان ٣٣/٣، والروض المطار ٢٦٨.

السلطان الأمير قوصون وأنكر عليه إصغاءه لما يقال فى النشو، ونقله للسلطان حتى يتغير عليه مع منفعتة به، وأخبره بحلف النشو. فحلف قوصون أن النشو يكذب فى حلفه، ولئن قبض على هذا الشاب وعوقب ليصدقن السلطان فى تعيينه من يعاشره من أقارب النشو.

فغضب السلطان، وطلب الأمير بدر الدين مسعود بن خطير الحاجب، وأمره بطلب الشاب وضربه بالمقارع حتى يعترف بجميع من يصحبه وكتابة أسمائهم، وألزمه ألا يكتم عنه شيئا منهم؛ فطلبه ابن خطير وأحضر إليه المعاصير، فأملى عليه عدة كثيرة من الأعيان، منهم ولى الدولة؛ فخشى مسعود على الناس من الفضيحة، وقال للسلطان: «هذا الكذاب ما ترك أحد فى المدينة حتى اعترف عليه، وإننى أعتقد أنه يكذب عليهم». وكان السلطان حشم النفس يكره الفحش، فقال: «يا بدر الدين! من ذكر من الدواوين؟» فقال: «والله! يا خوندا! ما خلى من خوفه أحدا حتى ذكره». فرسم السلطان بإخراج عمير وأبيه إلى غزة وكتب إلى نائبهما أن يقطعهما خبزا هناك.

واتفق أيضا أن طبيغا القاسمى من المماليك الناصرية كان يسكن بجوار النشو، وله مملوك جميل الصورة؛ فاعتشر به ولى الدولة من إخوة النشو، فترصده أستاذه حتى هجم يوما عليهم وهو معهم، فأخذ منهم وخرج. فبلغوا النشو ذلك، فبادر بالشكوى إلى السلطان بأن طبيغا القاسمى يتعشق مملوكه، ويتلف عليه ماله «ثم إنه هجم وهو سكران على بيتى وحرمنى، وقد شهر سيفه، وبالغ فى السب».

وكان السلطان يمقت على السكر، فأمر فى الحال بإخراج طبيغا ومملوكه إلى الشام منفيا.

وفىها قدم إبراهيم ابن السلطان من الكرك، يوم الإثنين ثالث ذى الحجة.

وفىها أمر السلطان بإنشاء قناطر بناحية شيبين القصر على بحر أبى المنجا، فأنشئت تسع قناطر فى شعبان؛ وتقدم السلطان إلى الأمراء بحمل الحجارة إليها، فحمل كل من الأمراء ما وظف عليه من ذلك.

وفىها وقع بالمدينة النبوية وباء، فكان يموت فى كل يوم خمسة عشر بمرض الخوائيق، ولم يعهد مثل هذا بالمدينة الشريفة.

وفىها بلغت زيادة النيل ثمانية عشر ذراعا وإحدى عشر أصبعا، فعم نفعه

السلوك لمعرفة دول الملوك ١٩١
عامّة الأراضى؛ وكان الوفاء يوم الأربعاء تاسع عشر ذى الحجة، وهو سادس عشر
مسرى.

* * *

ومات فيها من الأعيان

بهاء الدين أبو بكر بن محمد بن سليمان بن حمائل - المعروف بابن غانم - كاتب
السرّ بطرابلس، فى ثامن صفر بها.

وتوفى الواعظ شمس الدين حسين بن أسد بن مبارك بن الأثير، بمصر يوم الخميس
سادس جمادى الآخرة، عن أربع وثمانين سنة؛ حدّث عن الحافظ عبد العظيم وغيره.

ومات الأمير علم الدين سنجر الخازن والى القاهرة، وهو معزول، يوم السبت ثامن
جمادى الآخرة، عن نحو تسعين سنة؛ أصله من المماليك المنصورية قلاوون، وترقى حتى
صار خازنًا ثم شادّ الدواوين ثم والى (١)؛ ثم استقرّ والى القاهرة وشادّ الجهات، فأقام
عدة سنين؛ وإليه ينسب حكر الخازن خارج القاهرة على بركة الفيل؛ وكان حسن
السيرة، ومات عن نحو تسعين سنة؛ وترتبه بالقرب من قبة الشافعى بالقرافة.

ومات الأمير صلاح الدين طرخان ابن الأمير بدر الدين بيسرى، بسجنه فى
الإسكندرية فى جمادى الأولى، بعد ما أقام به أربع عشرة سنة.

وتوفى الحافظ قطب الدين عبد الكريم بن عبد النور بن منير بن عبد الكريم
الحنفى (١)؛ وله تاريخ مصر مقفى، وشرح البخارى، وشرح السيرة النبوية للحافظ عبد
الغنى، ومشیخة فى عدة أجزاء اشتملت على ألف شيخ.

وتوفى زين الدين عبد الكافى بن الضياء على بن تمام بن يوسف بن موسى بن تمام
الأنصارى الخزرجى السبكى، بالحلة الكبرى وهو على قضائها، وهو والد التقى
السبكى.

(١) مدينة بمصر من الصعيد الأدنى غربى النيل وتضاف إليها كورة كبيرة. انظر معجم البلدان
٣٣٤/٢.

(١) عبد الكريم بن عبد النور بن منير الحلبي، قطب الدين: حافظ للحديث، حلبي الأصل
والمولد، مصرى الإقامة والوفاء. له «تاريخ مصر» وشرح السيرة للحافظ عبد الغنى، و«الاهتمام
بتلخيص الإمام» فى الحديث، وكتاب «الأربعين» فى الحديث. انظر حسن المحاضرة ٢٠٢/١ والفوائد
البهية ١٠٠ و«غاية النهاية» ٤٠٢/١ والبداية والنهاية ١٧١/١٤ والنجوم الزاهرة ٣٠٦/٩ والأعلام
٥٣/٤.

ومات الملك العزيز عثمان بن المغيث عمر ابن العادل أبي بكر ابن الكامل محمد ابن العادل أبي بكر بن أيوب بن شادى، بالقاهرة ومولده سنة اثنين وخمسين وستمائة.

ومات الأمير طغلق الأشرفى السلاح دار، بالقاهرة، بعد الإفراج عنه بأسبوع.

ومات الصاحب شمس الدين عبد الله - واسمه غبريال أبى سعيد بن أبى السرور الأسلمى - ناظر الشام، بعدما صودر اتضع حاله حتى استجدى من الأمراء ونحوهم؛ و كان النشو يغرى به السلطان بأنه يكذب، وإن تسلمه أظهر له مالا كبيرا؛ فاشتملت تركته على ألف درهم، وبسببها استطال النشو على السلطان، وصار قوله عنده لا ينقض.

وتوفى المسند أمين الدين محمد بن إبراهيم بن محمد الخلاطى الوانى، المؤذن بالجامع الأموى، فى حادى عشرى ربيع الأول بدمشق؛ سمع بمصر والشام والحجاز، وحدث عن جماعة.

ومات محمد بن بكوت الظاهرى القلندرى، بطرابلس فى خامس عشر ربيع الأول؛ كان كاتباً مجوداً ويذكر أنه كتب على ابن الوحيد؛ وكان يضع المحبرة فى يده اليسرى والمجلد من كتاب الكشاف للزمخشرى على زنده، ويكتب منه ما شاء الله وهو يغنى ولا يغلط؛ وكان عند المؤيد بحماة مدة، ثم طرده.

وتوفى شيخ الكتابة بهاء الدين محمود بن الخطيب محبى الدين محمد بن عبد الرحيم ابن عبد الوهاب بن على بن أحمد بن عقيل السلمى - المعروف بابن خطيب بعلبك الدمشقى - بها فى سلخ ربيع الأول، عن سبع وأربعين سنة.

ومات الأمير مهنا بن عيسى بن مهنا، فى يوم الإثنين ثامن عشر ذى القعدة بسلمية ودفن بها، عن ثمانين سنة؛ وترك ستة عشر ولداً، وكان عفيفاً مشكور السيرة.

وتوفيت ناصرية ابنة إبراهيم بن الحسين السبكى، والدة التقى بعد زوجها زين الدين عبد الكافى السبكى بأربعين يوماً؛ حدثت عن على بن الصواف، ودفنت بالقرافة.

وتوفيت زينب بنت الخطيب محبى ابن الشيخ عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام، عن سبع وثمانين سنة؛ وقد تفرّدت بالرواية عن جماعة و قتل ترمشين بن دوا المغلى،

صاحب بلخ (١) وبخارا (٢) وسمرقند (٣) ومرو (٤) وكان قد أسلم وحسن إسلامه، وأبطل المكوس وعَدَلَ في رعيته؛ وملك بعده بزّان.

* * *

(١) بلخ: هي مدينة خراسان العظمى وهي في مستو من الأرض، ودار مملكة الأتراك والملك بها لازم، ولها كور ومدائن وفتحها عبد الله بن سمرة في خلافة معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما، ومن بلخ إلى مدينة مرو مائة وستة وعشرون فرسخا. انظر معجم البلدان ٤٧٩/٢، ٤٨٠.

(٢) من أعظم مدن ما وراء النهر وأجلها، بينها وبين جيحون يومان. انظر، معجم البلدان ٣٥٦/٣٥٣/٢.

(٣) سمرقند: مدينة من خراسان، ويقال: إن شمر بن فريقتش غزا أرض الصغد حتى وصل إلى سمرقند فهدمها ثم ابتناها، ويقال أنها بنيت أيام الإسكندر وتولى شمر فقييل شمرقند، وعربت فقييل سمرقند، وهي مدينة حسنة كبيرة على جنوب وادي الصغد، وقصبة الصغد سمرقند. انظر معجم البلدان ٢٤٨/٣، والروض المعطار ٣٢٢، ٣٢٣، وابن الوردي ٣١.

(٤) من أشهر مدن خراسان، بين مرو ونيسابور سبعون فرسخا ومنها إلى سرخس ثلاثون فرسخا وإلى بلخ مائة واثنان وعشرون فرسخا. انظر معجم البلدان ١١٢/٥، ١١٦، الروض المعطار ٥٣٢، ٥٣٣، ومعجم ما استعجم ١٢١٦/٤.

سنة ست وثلاثين وسبعمائة

فى المحرم: قدم مملوك المجد السلامى من العراق بكتاب أستاذه وصحبه بىرم رسول بوسعيد؛ فنزلا بدار الضيافة، وسافرا يوم الخميس خامس عشرىه. وكان الكتاب يتضمن أن بوسعيد مرض، فتصدق بمال كثير، وكتب بإسقاط المكوس من توريذ وبغداد والموصل، بواسطة الوزير محمد بن الرشيد، وأن سديد الدولة ديان اليهود مرّ بقارئ يقرأ قوله تعالى: ﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا﴾^(١) فوقف واستعاده قراءتها، وبكى بكاء شديدا، وقد اجتمع عليه الناس، ثم أعلن بكلمة الإسلام، فارتجت بغداد لإسلامه، وغلقت أسواقها، وخرج النساء والأولاد، فأسلم بإسلامه ستة من أعيان اليهود؛ وسارعت العامة ببغداد إلى كنائس اليهود، فخربوها ونهبوا ما فيها.

وفىها تم بناء خانكاه الأمير قوصون بجوار جامع من داخل باب القرافة، وتمت عمارة حمامها أيضا. فقرّر قوصون فى مشيختها الشيخ شمس الدين محمد بن^(٢) محمود الأصفهانى، فى يوم الخميس ثانى صفر؛ وعمل بها سماط جليل.

وفى يوم الخميس تاسع عشر ربيع الآخر: توجه السلطان إلى الوجه القبلى حتى وصل إلى دندرا، وعاد فطلع القلعة فى يوم الخميس خامس جمادى الأولى؛ وكانت غيبته خمسة وأربعين يوما.

وفى يوم الأربعاء سابع عشر ربيع الأول: عزل الأمير سيف الدين بغا عن الدوادارية؛ واستقر عوضه سيف الدين طاجار الماردىنى؛ ثم أخرج بغا عن إمرة

(١) النساء الآية ١.

(٢) محمد بن محمود بن محمد بن عياد السلمانى، أبو عبد الله، شمس الدين الأصفهانى: قاض، من فقهاء الشافعية بأصبهان. يذكر أنه من سلالة أبى دلف العجلى. ولد وتعلم بها وكان والده نائب السلطنة. ولما استولى العدو على أصبهان رحل إلى بغداد ثم إلى الروم ودخل الشام بعد سنة ٦٥٠ فولى قضاء منبج ثم توجه إلى مصر وولى قضاء قوص فقضاء الكرك واستقر آخر أمره فى القاهرة مدرسا وتوفى بهاله كتب منها «شرح الحصول للرازى - خ» فى أصول الفقة أربعة مجلدات منه فى الأزهرية ولم يكمل وتشبيد القواعد فى «شرح تجريد العقائد - خ» فى المدينة المنورة. انظر فوات الوفيات ٢:٢٦٥ والبداية والنهاية ١٣/٣١٥ وبغية الرعاة ١٠٣ والفوائد البهية ١٩٧-٨ وطبقات الشافعية ٤١/٥ وحسن المحاضرة ١:٣١٣ والأعلام ٧/٨٧.

عشرة^(١) بصفد، في ليلة الجمعة سادس ربيع الآخر. وسببه أن بعض تجار قيسارية جهار كس طرح عليه النشو ثيابا بضعفى قيمتها كما هى عادته، فرفع قصة للسلطان على يد بغا، وأحضره بغا بين يديه فشكا حاله. فاستدعى السلطان النشو بحضور التاجر، وقال له: «كم تشكو الناس منك! اسمع ما يقول هذا عنك من طرح القماش عليه بأغلى الأثمان». فقال: «يا خوندا! هذا ما يشتكى من أمر القماش، لكنه عليه للسلطان مبلغ ثلاثين ألف دينار، وقد هرب منى وأنا أتطلبه. وهذا المبلغ من إرث جارية تزوجها التاجر - وهى من جوارى الشهيد الملك الأشرف خليل^(٢) - ماتت عنده، وخلفت نحو مائة ألف دينار وما بين جواهر وغيرها، فأخذ الجميع ولم يظهر السلطان على شىء». ثم التفت النشو إلى التاجر وقال له: «بجياة رأس السلطان! ما كنت متزوجا بفلانة؟» - يعنى الجارية المذكورة - فقال: «نعم!». فأمره السلطان أن يسلمه لابن صابر المقدم حتى يستخلص منه المال، فأخذ ابن صابر وشهره بالقاهرة، وعاقبه بالقيسارية^(١) مررا حتى أخذ منه مبلغ خمسين ألف درهم. ثم تحول النشو على بغا وسعى به أنه يأخذ البراطيل؛ وكان السلطان لا يرتشى، ويمقت من يرتشى ويعاقبه أشد العقوبة، فأثر كلامه عند السلطان حتى أخرجه. وسعى النشو أيضا بطقتمر الخازن حتى غير السلطان عليه، وأخرجه إلى قلعة حلب^(٢) نائبا بها فى تاسع عشرى رجب.

وفى يوم الجمعة عاشر جمادى الآخرة: رسم للأمر سيف الدين أيتمش الحممدى

(١) صفد مدينة فى جبال عاملة مطلة على حمص بالشام وهى جبال لبنان. انظر معجم البلدان

٤٢١/٣.

(٢) خليل بن قلاوون الصالحى: الملك الأشرف صلاح الدين ابن السلطان الملك المنصور من

ملوك مصر. ولى بعد وفاة أبيه سنة ٦٨٩ واستفتح الملك بالجهاد فقصد البلاد الشامية وقاتل الإفرنج

فاسترد منهم عكة وصور وصيدا وبيروت وقلعة الروم وبيسان وجميع الساحل. انظر فوات الوفيات

١٥١/١ والنجوم الزاهرة ٣/٨ وابن الوردى ٢٣٨/٢ وابن إياس ١٢١/١ والأعلام ٢٢١/٢.

(١) القيسارية بلد على ساحل بحر الشام. انظر معجم البلدان ٤٢١/٤

(٢) حلب: مدينة بالشام، بينها وبين قنسرين اثنا عشر ميلاً، وسميت بحلب رجل من العمالقة،

وهى مدين عظيمة مسورة بحجارة بيض، ونهر قويق يجرى على بابها، وفى جانبها قلعة منيعة بها مقام

أميرها، ولها سبعة أبواب منها: باب الجنان، وباب أربعين، وباب أنطاكية، وباب قنسرين، وباب

اليهود، وباب الفراديس، والباب الشرقى، وقال بعضهم حلب قدرها خطير، وذكرها فى كل زمن

يطير، لها قلعة شهيرة الامتاع، معدومة الشبيه والنظير فى القلاع، ويقال إن هذه القلعة كانت فى

قديم الزمان ربوة يأوى إليها إبراهيم الخليل عليه السلام بغنيمات فيحلبها هنالك ويتصدق بلبنها

فلذلك سميت حلب. انظر تقويم البلدان ٢٩٩/١، والروض المعطار ١٩٦، ١٩٧، صبح الأعشى

بنيابة صنفد، عوضاً عن أرقطاي المرسوم بنقله إلى مصر؛ فخلع عليه يوم السبت حادى عشره، وودع السلطان يوم الإثنين ثانى عشر رجب. وخرج أيتمش إلى الريدانية، ثم رحل منها يوم الخميس خامس عشره، فقدم صنفد يوم السبت ثامن شعبان. وقدم الأمير أرقطاي إلى قلعة الجبل يوم الأحد سادس عشرى جمادى الآخرة، وأنعم عليه بإقطاع أيتمش وتقدمته، وأكرمه السلطان.

وفيه أخرج بلبان الحسامى - والى القاهرة كان - إلى ولاية دمياط ثامن عشره؛ واستقر عوضه فى ولاية القاهرة علاء الدين بن حسن المروانى، وهو والى الولاية بالوجه البحرى يومئذ.

وفى ليلة ثالث عشر رجب: قبض على ابن هلال الدولة، وعلى ناصر الدين محمد ابن المحسنى؛ وأخرجوا إلى الإسكندرية بسعاية النشو عليهما.

وسببه أن الناس توقفت أحوالهم فى القاهرة من جهة الفلوس، وتحسنت أسعار الغلال، وتعدر شراء الخبز إلا بمشقة. فوجد النشو سبيلاً إلى القول، ورمى ابن هلال الدولة بأنه تحول من القرافة إلى جوار ناصر الدين بن المحسنى بخط البندقانيين من القاهرة، وأنهما يجتمعان ليلاً ويندبان، عدة من العامة لإغلاق دكاكين القاهرة والتعنت فى أمر الفلوس، وأن «ناصر الدين بن المحسنى قد باطن جماعة من الحرامية على الفتك بى، وأن إقامة الإثنين بالقاهرة توجب فساداً كبيراً». ومازال النشو بالسلطان حتى أخرجهما بعدما قبض عليهما، وكان ابن هلال الدولة من ثالث عشر ذى الحجة سنة خمس وثلاثين فى الترسيم بالقلعة؛ ثم أخرج بدر الدين والد ابن المحسنى وإخوته إلى طرابلس (١).

وفى يوم الثلاثاء ثالث رمضان: دخل الأمير الشريف بدر الدين (٢) ودى بن جماز ابن شيحة الحسنى أمير المدينة النبوية، شاكياً من ابن أخيه طفيل بن منصور بن جماز أنه

(١) طرابلس: من مدن إفريقية، وهى مدينة كبيرة أزلية على ساحل البحر يضرب فى سورها، وقيل: وتفسير طرابلس ثلاث مدن، وقيل مدينة الناس، وبينها وبين سرات عشر مراحل، وطرابلس أيضاً: مدينة بالشام عظيمة، عليها سور صخر منيع، وهى معقل من معاقل الشام. انظر الروض المعطار ٣٨٩، ٣٩٠، ونزهة المشتاق ١١٧.

(٢) ودى بن جماز بن شيحة الحسينى بدر الدين أبو مزروع: ممن تولوا إمارة المدينة. له نظم حسن. ولد ونشأ فيها وانتزع إمارتها من ابن أخيه طفيل وحبس ونظم أبياتاً فى الحبس (سنة ٧٢٩) وغضب الملك الناصر (محمد بن قلاوون) على طفيل، فحبسه بمصر وولى صاحب الترجمة إمارة المدينة (سنة ٧٣٦) فقام بأعبائها.

لم يوافق على ما رسم به من شركتهما فى الإمرة. وكان قد رسم فى سادس عشر المحرم لودى بنصف الإمرة شركة بينه وبين ابن أخيه طفيل، وخلع عليه وكتب له توقيع بواسطة الأمير شرف الدين موسى^(١) بن مهنا عند قدومه؛ فقدم طفيل من المدينة فى جمادى الأولى، ليكون بمفرده فى الإمرة، فلم يجب إلى ذلك. ثم آل الأمر إلى أن استقرّ ودى بمفرده فى الإمرة بغير شريك، وخلع عليه فى عاشر شوال، وتوجه مع الركب؛ ورسم لطفيل بإقطاع فى بلاد حوران^(٢) بالشام، فسكنها بعياله.

وفى تاسع شهر رمضان: أنعم على إبراهيم ابن السلطان بإمره، ونزل الأمير قوصون والأمير بشتاك به إلى المدرسة المنصورية بين القصرين، وعمل مهم عظيم. وألبس الأمير إبراهيم الشربوش على العادة، وشق القاهرة فى موكب جليل، وقد زينت بالشموع والقناديل حتى صعد القلعة.

وفى رافع التاج كاتب الأمير بكتوت التاج محبى الدين بن فضل الله كاتب السر وولده شهاب الدين أحمد بورقة قرأها السلطان، تتضمن أنهما عزلاه بغير علم السلطان. فطلبهما السلطان وأوقفهما عليهما، فعرفاه أن هذا كان يكتب الإنشاء بغزة، فكتب توابع بغيره بذلك. بمقتضى قصة مشمولة بالخط الشريف، وأحضرا القصة؛ فأخرج الرجل. ووجد النشو طريقا للوقوع فى ابن فضل الله، فتسلط عليه بالكلام السيئ.

وفىها اشتدت وطأة النشو على الناس، وابتكر مظلمة لم يسبق إليها: وهى أنه ألزم الصاغة ودار أهل الضرب ألا يتاع أحد منهم ذهباً، بل يحمل الذهب جميعه إلى دار الضرب، ليصك بصكة السلطان ويضرب دنانير هرجة^(٣)، ثم تصرف بالدرهم؛ فجمع من ذلك مالا كبيراً للديوان. ثم تتبع النشو الذهب المضروب فى دار الضرب، فأخذ ما

(١) موسى بن مهنا بن عيسى بن مهنا بن مانع الطائي. رئيس آل فضل أمراء بادية الشام. يلقب مظفر الدين. ولى الإمارة بعد موت أبيه سنة ٧٣٤هـ واستمر إلى أن توفى بتدمر. قال ابن تغرى بردى: كان من أجل الملوك. انظر ابن خلدون ٤٣٩/٥ والبداية والنهاية ١٩٣/١٤ والنجوم الزاهرة ٧٦/١٠ والأعلام ٣٢٩/٧.

(٢) بلاد حوران: جبل بالشام وحوران أيضاً من أعمال دمشق، ومدينتها بصرى، تسير فى صحراء حوران عشرة فراسخ فى منازل ومزارع حتى تصل إلى مدينة بصرى، وهى مدينة حوران، وفى شرقى هذه المدينة بحيرة فيها تجتمع مياه دمشق وتسير منها فى صحراء ورمال مقدار خمسة عشر فرسخاً فتدخل دمشق. انظر معجم البلدان ٣١٧/٢، والروض المعطار ٢٠٦.

(٣) الهرجة - يقال هرج أيضاً جمع هرج وهى هنا دنانير تستعمل خاصة فى الحلّى كالأساور والعقود وغيرها، بأن يصاغ فى أطرافها حلقات صغيرة أو يجعل فى جوانبها ثقوب.

كان منه للتجار والعامّة، وعضهم عنه بضائع؛ وحمل ذلك كله للسلطان. وانحصر ذهب مصر بأجمعه في دار الضرب، فلم يجسر أحد على بيع شيء منه في الصاغة ولا غيرها. ثم إن السلطان استدعى منه بعشرة آلاف دينار، فاعتذر عنها فلم يقبل عذره ونهره؛ فنزل النشو وألزم أمين الحكم بكتابة ما تحت يده من مال الأيتام، وطلب منه عشرة آلاف دينار قرضا في ذمته، فدلّه على مبلغ أربعمئة ألف درهم لأيتام الدواداري تحت ختم بهاء الدين شاهد الجمال، فأخذها منه وعضه عنها بضائع. ثم بعث النشو إلى قاضي القضاة تقي الدين محمد بن أبي بكر بن عيسى الإخنائي المالكي في تمكينه من مال أولاد الأمير أرغون النائب، وهو ستة آلاف دينار، وكانوا تحت حجره فامتنع وقال: «السلطان ما يجبل له أخذ مال الأيتام»؛ فردّ عليه: «بأن السلطان إنما يطلب المال الذي سرقه أخوك من خزانة الخاص حيث كان ناظرها، فإن الحساب يشهد عليه بما سرقه من الخزانة»؛ وقام في فورة إلى السلطان، وما زال به حتى بعث إلى القاضي يلزمه يحمل المال الذي سرقه أخوه من الخزانة، ويقول له: «أنت إيش كنت من مملوكي؟» فلم يجد قاضي القضاة بدا من تمكين النشو من أخذ المال.

وفيهما أمر السلطان أيضا بتشديد العقوبة على أولاد التاج إسحاق وألزامهم.

وفيهما تحركت أسعار الغلال من نصف جمادى الآخرة، وارتفع القمح من خمسة عشر درهما الأردب إلى عشرين درهما، ثم إلى ثلاثين درهما؛ فوقفت أحوال الناس. وارتفع القمح إلى أربعين درهما، فأمسك الأمراء وغيرهم من البيع طلبا للفائدة، فخاف السلطان عاقبة ذلك، فطلب نجم الدين محمد بن حسين بن علي الأسعردى المحتسب - وقد بلغ الأردب خمسين درهما - وأنكر عليه، وأقام معه والى القاهرة علاء الدين علي بن حسن المرواني، وكان ظلما غشوما. فضرب الوالي عدة من الطحانيين والخبازين بالمقارع، فاشتد الأمر، وغلقت الجوانيت بالقاهرة ومصر، وتعدّر شراء الخبز إلا بمشقة عظيمة.

فكتب السلطان بحمل الغلال من غزة والكرك والشوبك وبلاد دمشق، وألا يترك بها غلة مخزونة حتى تحمل إلى القاهرة. ونودي بالقاهرة ومصر ألا يباع القمح بأكثر من ثلاثين درهما الأردب، ومن باع بأكثر من ثلاثين نهب ماله؛ وتقدّم السلطان إلى الأمراء بالألا يخالفوا ذلك. فأمسك مباشرة الأمراء أيديهم عن البيع، وصاروا يجلسون بأبواب الشون ولا يبيعون منها شيئا؛ فاشتد الأمر. وباع السماسرة الأردب بستين وبسبعين خفية، وصار الأمراء يخرجون الغلة من الشون على أنها جارية لمخادمتهم، وما هي إلا مبيع بما ذكر.

فاهتم السلطان بالغلاء، وشق عليه ما بالناس من ذلك، وعلم أن أكثر الغلال إنما هي للأمراء؛ فطلب ضياء الدين يوسف أبي بكر بن محمد - الشهير بالضياء ابن خطيب

بيت الآبار الشامي ناظر المارستان وناظر الأوقاف، وقد اشتهرت نهضته وكفايته وأمانته، وفوض إليه الحسبة بمصر بعد امتناعه منها، وأكد عليه في القيام بما ندبه إليه، وخلع عليه في ثالث جمادى الآخرة. ونزل الضياء ومعه الأكرز شاد الدواوين إلى مصر؛ فكان يوما مشهودا. وأول ما بدأ به الضياء أن ختم شون الأمراء كلها، بعد أن كتب ما فيها من عدة الأردب؛ وكتب ما يحتاج إليه الأمير من الجراية لمثوته والعليق لدوابه إلى حين قدوم المغلّ الجديد؛ ثم طلب الشماسرة والأمناء والكيالين، وأشهد عليهم ألا تفتح شونة إلا بإذنه.

وصار الضياء يركب في كل يوم إلى شونة، ويخرج ما فيها، فيبدأ بتكفية الطحانين، ولا يبيع الأردب إلا بثلاثين درهما؛ فلم يقدر أحد على بيعه بأكثر من ذلك. ثم بلغ الضياء أن سمسارى الأميرين قوصون وبشتاك باعا بأكثر من ذلك، فاستدعى الأمير الأكرز إلى مصر فضربهما بالمقارع واشهرهما. ثم عرف الضياء السلطان بأمرهما، فاشتد غضبه، وطلب الأمير قوصون حضرة الأمراء، وصرخ عليه: «ويلك! أنت تريد أن تخرب على مصر؟ وتخالف مرسومي؟» وسبه ولعنه، وشهر عليه السيف وضربه على أكتافه ورأسه، وصار يقول: «هاتوا أستاذاره» فسارع النقباء لإحضاره ومن شره غضب السلطان صار يقوم ويقعد ويقول «هاتوا أستاذاره»، حتى خرج أمير مسعود الحاجب بنفسه إلى باب القلعة والحاجب الآخر. وارتجت القلعة بأسرها، وخاف الأمراء كلهم، فلم ينطق أحد منهم لشدة ما رأوا من غضب السلطان. فلم يكن أسرع من حضور قطلو أستاذار قوصون، فأمر السلطان الأكرز بضربه بالمقارع، ثم أمر به فبطح بين يديه وضرب، خوفا عليه من إفحاش الأكرز في ضربه؛ فلم يتجاسر أحد بعدها من الأمراء أن يفتح شونته إلا بأمر المحتسب.

ثم بلغ الضياء أن الأمير طشتمر الساقى أخرج من شونته أربعمائة أردب، فأنكر على ديوانه، وحلف أنهم إن لم يعيدوا الأربعمائة أردب إلى الشونة، وإلا عرف السلطان ذلك؛ فلما بلغ الأمير طشتمر هذا ردّ الغلة إلى الشونة.

وكتب السلطان إلى ولاة الأعمال أن يركبوا بأنفسهم إلى جميع النواحي، ويحملوا ما بها من الغلال، بحيث لا يدعون غلة في مطمورة^(١) ولا مخزن، ولا أحد عنده غلة حتى يحمل ذلك كله إلى مصر، وتحضر أربابها لأخذ أثمانها عن كل أردب مبلغ ثلاثين درهما ونودى بالقاهرة ومصر: «من كان عنده غلة ولا يبيعها نهبت».

(١) المطمورة مكان تحت الأرض قد هيء ليظمر فيه البر والفول ونحوهما، جمع مطامير. انظر المعجم الوسيط (طمر).

وكان قد بلغ السلطان أن الأجناد عندهم غلال، وهم يبيعونها بالوية^(١)، فباع بعضهم بعد النداء، وتهاون طائفة منهم فلم يبيعوا شيئا. فتم عليهم جيرانهم حتى كان منهم من تهجم السوقه الحرافيش عليه وتنهبه، ومنهم من يغمز عليه فيأتيه الوالى ويخرج غلته حتى تفرق على الطحانين. وأقيم فى كل فرن شاهد لحصر ما يحمل إليه من الدقيق المرتب له، وعُمل معدّل كفاية البلد فى كل يوم، وفرّق القمح فيهم على قدر كفايتهم، فسكن ما كان بين الناس من العناء فى طلب الخبز، ومن ضرب الطحانين والخبازين.

فلما كان فى آخر شهر رجب: قدم من الشام أربع آلاف غرارة قمح. ثم قدم فى آخر شعبان أحمال كثيرة من بلاد الصعيد، وتبعها الحمل فى الير والبحر من الشرقية والغربية والبحيرة. وخاف أرباب الغلال على أنفسهم، فأخرجوها للبيع، حتى إذا أهل شهر رمضان قدمت التراويج فى أوائل الحصاد. ووافق ذلك النداء على النيل بالزيادة، فعبرت المراكب فيه بالغلال إلى ساحل مصر، وزفت بالمغانى؛ وكان الخبز يباع ستة أرتال بدرهم، فيبع من الغد ثمانية أرتال بدرهم. فلم ينسلخ شهر رمضان حتى فرج الله عن عباده، ونزل السعر قليلا قليلا، بعدما ظنّ كثير من الناس أنه نظير غلاء العادل كتبغا، فسلم الله بمنه.

وفى يوم الأربعاء رابع عشر شوال: قدم رسل الملك موسى الذى ملك بعد أربا كاؤن ورسول على بادشاه. فخلع عليهما وأنعم على جماعتهم بمال كثير.

فلما كان يوم الجمعة: ركبوا من القلعة بعد الصلاة، ومضوا فزاروا الإمام الشافعى والسيدة نفيسة، وعادوا إلى التربة المنصورية بين القصرين، فزاروا قبر السلطان الملك المنصور قلاوون^(١)، وعدوا المارستان وطلعوا إلى القلعة، ودقت الكوسات عند نزولهم منها ثم عند عودهم إليها؛ وسافروا فى تاسع عشره. وملخص كتبهم الخبز بموت ملك الشرق القان بوسعيد ابن القان محمد خربندا بن أرغون أبغا ابن عدو الله هولاكو بن طلوخان ابن عدو الله جنكز خان، بالباب الحديد وهو متوجه إلى لقاء أزيك خان،

(١) الوية كيلتان والإردب ست وبيان انظر المعجم الوجيز ٦٨٣.

(١) المنصور قلاوون هو قلاوون الألفى العلامى الصالح، أبو المعالى، سيف الدين، السلطان الملك المنصور: أول ملوك الدولة القلاوونية بمصر والشام، والسابع من ملوك الترك وأولادهم بمصر كان من المماليك، قبجاقى الأصل، أعتقه الملك الصالح نجم الدين أيوب سنة ٦٤٧ فأخلص الخدمة للظاهر بيبرس. انظر مورد اللطافة لابن تغرى بردى ٤٢-٤٤ وابن إياس ١١:١ والنجوم الزاهرة ٧/٢٩٢ وفوات الوفيات ١٢٣/٢ والأعلام ٢٠٣/٥.

وأنه قام من بعده أربا كاؤن بن صوصا بن سنجقان بن ملكتمر بن أريغبغا أخى هولاكو بمساعدة الوزير غياث الدين بن رشيد الدين. فلم يوافقته على بادشاه حاكم بغداد فى الباطن، واستمال أولاد سونتاي فلم يوافقوه؛ فجمع على بادشاه المغل عليه، وكتب إلى السلطان الناصر (١) يعده بأنه يسلم بغداد ويكون نائباً عنه بها، وسأله فى إعانته بنجدة على أولاد سونتاي، تكون مقيمة على الفرات. ففرح السلطان بذلك وأجابه بالشكر، وبعث إليه خمسة قواقل وخمسة سيوف. فقوى عزم على بادشاه، وركب إلى أولاد سونتاي؛ فاجتمعوا على الشيخ حسن بن آقبغا أيلخان سبط أرغون بن أبغا بن هولاكو - المعروف بالشيخ حسن بك الكبير النوين - بالأردو، وعرفوه اتماء على بادشاه لصاحب مصر ونصرته له. فكتب الشيخ حسن الكبير إلى السلطان يرغبه فى نصرته على بادشاه، ويمت إليه بقرابته من أمه؛ فمطل بالجواب رجاء حضور خير على بادشاه. فقدم الخبر بأن على بادشاه لما ركب لحرب أولاد سونتاي بلغه اجتماعهم والشيخ حسن مع عدة من الأمراء، وأن أربا كاؤن هرب لتفلى أصحابه عنه؛ وأشيع عنه أنه قتل. وقوى على بادشاه بمن أنضم إليه من المغل، فسار أولاد سونتاي والشيخ حسن إلى جهة الروم؛ وانفرد على بادشاه بالحكم فى الأردن، وأقام موسى بن على بن بيدو بن طرغاي بن هولاكو على تحت الملك.

وفى يوم الأربعاء سابع شوال: تغير السلطان على الأمير الأكز شاد الدواوين، وضربه وحبسه مقيدا. وسبب ذلك أن الأمير قوصون غضب على الأكز من أجل أنه أخرج بقطلو أستاذاره، عندما باع شماسرة القمح بأزيد من ثلاثين درهما الأردب؛ فعندما رآه فى الخدمة السلطانية سبه، فردّ عليه الأكز ردا فاحشا سبه فيه كما سبه، فاشتدّ حنق قوصون منه وهم أن يلكمه، فبدر إليه وهم فى ذلك، وإذا بالسلطان قد جلس وسمع الجلبة، فتقدم إليه الأكز وعرفه بما فعله سمسار قوصون وضربه له، «وأن قوصون غضب على بسبب ذلك، وشمئنى». فكان من السلطان فى حق قوصون ما تقدم ذكره، وصار يقول: «إذا كان مملوكى يفعل شيئا بغير مرسومى ويعترض على أى حرمة تبقى لى؟» وخطّ على قوصون. فتأخر قوصون عن الخدمة آخر النهار، فاستدعاه السلطان بجمدار، فوجده محموما، وأقام بالحمى ثلاثة أيام؛ فبعث إليه الأمير بشتاك

(١) الناصر محمد بن قلاوون بن عبد الله الصالحى، أبو الفتح من كبار ملوك الدولة القلاوونية كانت إقامته فى طفولته بدمشق، وولى سلطنة مصر والشام سنة ٦٩٣م، وهو صبى له وخلع منها لحدائنه سنة ٦٩٤. انظر مورد اللطافة ٤٤ وابن الوردى ٣٣٠/٢ وقوات الوفيات ٢٦٣/٢ وابن إياس ١٢٩/١ والدرر الكامنة ٤/٤٤٤ والنجوم الزاهرة ٨/٤١٥، والأعلام ١١/٧.

وطيب خاطره، وهو يشكو مما جرى عليه، فما زال به حتى دخل إلى الخدمة؛ فأقبل السلطان عليه، ووعده بالإيقاع بالأكز. ثم طلب السلطان النشو بعد ذلك، وحدثه في أمر الأكز وعضّ منه؛ فعين النشو له لؤلؤاً عوض الأكز وقام عنه، وطلب لؤلؤاً وعرفه ما دار بينه وبين السلطان وكان لؤلؤ خفيفاً أحمر، فوضع من الأكز ودخل من الغد إلى السلطان مع الأكز، وأخذ يجبهه بالكلام ويرافعه وينكيه، حتى حرج منه وسبه. فغضب السلطان بسبب ذلك، وأمر به فضرب بين يديه، وقيد وسجن بالزردخانا؛ وخلع على لؤلؤ عوضه في شد الدواوين، وخلع على شمس الدين إبراهيم بن قزوينه، ورسم لهما أن يمتلا ما يرسم به النشو، ولا يعمل شيئاً إلا بمشورته، ونزلاً. فأول ما بدأ به لؤلؤ أن أوقع الحوطة على موجود الأكز، وقبض على مباشره؛ وعاقب موسى ابن التاج إسحاق، ونوع عذابه تقريباً لخاطر النشو، وعاقب قرموط وطالبه بحمل المال.

وفي ثاني عشر ذي القعدة: استقر علاء الدين كندغدى العمرى فى ولاية القلعة، عوضاً عن بييرس الأوحدى.

وفيهما سقط طائر حمام بالميدان، وعلى جناحه ورقة تضمنت الواقعة فى النشو وأقاربه، والقده فى السلطان بأنه قد أخرج دولته. فغضب السلطان من ذلك غضباً شديداً، وطلب النشو وأوقفه على الورقة، وتنمر عليه لكثرة ما يشكى منه فقال: «ياخوند الناس معذورون! وحق رأسك لقد جاءنى خبر هذه الورقة ليلة كتبت. وهذه فعلة العلم أبى شاكر بن سعيد الدولة ناظر البيوت، كتبها فى بيت الصفى كاتب الأمير قوصون، وقد اجتمع هو وأقاربه». وأخذ النشو يعرف السلطان بما كان من أمر سعيد الدولة فى أيام بييرس^(١) الجاشنكير، وأغراه به حتى طلبه، وسلمه إلى الوالى علاء الدين على بن حسن المروانى، فعاقبه عقوبة مؤلة. وطلب السلطان الأمير قوصون وعنفه على فعل الصفى كاتبه، فطلبه قوصون وهذده، فحلف بكل يمين على براءته مما رمى به. فتتبع النشو عدة من الكتاب وجماعة من الباعة، وقبض عليهم بسبب أبى شاكر، ونوع العذاب عليهم بيد الوالى، وخرّب دورهم وحرثها بالمحراث. وقبض النشو على الموفق هبة الله بن سعيد الدولة، ثم أفرج عنه بعناية الأمير آقباغا عبد الواحد؛ وعذب ابن الأزرق ناظر الجهات.

(١) بييرس الجاشنكير المنصورى، ركن الدين الملك المظفر: من سلاطين المماليك بمصر والشام شركسى الأصل، على الأرجح كان من مماليك المنصور قلاوون ونسبته إليه وتأمّر فى أيامه وصار من كبار الأمراء فى دولة الأشرف خليل بن قلاوون. انظر فوات الوفيات ١/٨٥ والنجوم الزاهرة ٧/٩٤ وابن إياس ١/٩٨، ١١٢ والأعلام ٢/٧٩.

واشتدّت وطأة النشو على الناس جميعا، وأوحش ما بينه وبين الأمراء كلهم؛ وثلب أعراضهم عند السلطان، حتى غيره عليهم.

ثم رتبّ النشو ضامن دار الفاكهة في أن وقف للسلطان، وسأل أن يسامح بما تأخر عليه، فإن دار الفاكهة أوقف حاله فيها، من أجل أن الأعناب الواصلة من ناحية مرصفا وغيرها عصرت خمرا بناحية شبرا، فتعطل ما كان يؤخذ منها للديوان. فطلب السلطان النشو ولؤلؤا، وسألها عن ذلك وعن ناحية شبرا، فقالا: «هى للأمير بشتاك، وديوانه إبراهيم جمال الكفاة هو الذى يعصر فيها». فرسم للوالى ولؤلؤ أن يكسرا جميع ما بشبرا من جرار الخمر، وإحضار من هى عنده؛ فطلب لؤلؤ أستاذار بشتاك وأحرق به، فشق ذلك على بشتاك وشكاه للسلطان، فلم يلتفت إلى شكواه، وقال: «أستاذارك وديوانك يعصران الخمر ويتجوّهان بك؟»، ونحو هذا ومضى الوالى ولؤلؤ إلى شبرا، وكسرا فيها ألف جرة خمر، ووجدت جرار كثيرة عليها ختم المخلص أخى النشو، ووجد له أيضا قند وستمائة جرة فيها خمر عتيق؛ وكان معهم أستاذار الأمير بشتاك، فاشتدّ عليهم واستطال، فداريا الحال حتى بلغا السلطان ما أرضاه، وسكت عن ذلك.

ثم ندب النشو بكتوت من ممالك الخازن - وهو يومئذ شاد شونة الأمير بشتاك - لمرافعة إسماعيل أستاذار بشتاك وإبراهيم جمال الكفاة ديوانه؛ فخلا بكتوت ببشتاك وعرفه أن المذكورين أخذوا من الخصوص خمسة آلاف أردب، ومبلغ خمسين ألف درهم، وأخذوا من الشونة مائة ألف درهم عندما رسم السلطان ببيع الأردب بثلاثين درهما، فباعوه بستين وبسعين درهما؛ وذكر له أشياء من هذا النوع. فانفعل له بشتاك وبلغ السلطان ذلك، وأحضر بكتوت معه؛ فطلب السلطان جمال الكفاة وإسماعيل، وطلب النشو أيضا وذكر له ما قال بكتوت، وأثنى عليه وشكره؛ فاشتدّ بأسه وأخذ يجبه مباشرة بشتاك بما رماهم به. فثبت جمال الكفاة لمحاqqته، وكان مقداما طلق العبارة، وقال للسلطان: «أنا المطلوب بكل ما يقوله هذا» فبدأ النشو يذكر من أوراق المرافعة ما يتعلق بالخصوص، فأجاب بأن «الذى تولى قبضها الأستاذار ومالكيه مع مباشرة الناحية؛ وهذه أوراقهم مشمولة بخطوط العدول، والمقبوض منها أزيد مما كان يقبض فى أيام الأمير بكتوم الساقى بكذا وكذا». ثم ذكر جمال الكفاة حديث مبيع الشونة؛ فقال: «منذ باشرت عند الأمير ما تنزلت إلى الشونة، والذى أبيع منها كذا وكذا أردب، بحضور شاهد ديوان الأمير، ومعه شاهدا إضافة وأربعة أمناء وسماسة من جهة المحتسب. والسلطان يحضرهم ويكشف من دفاترهم عما قلته، فإن جده بخلاف ما قلته كان فى جهتى، وكان جزائى الشنق». فلما فلج جمال الكفاة بالحجة، قال

بكنوت: « ياخوندا! هذا يعصر أربعة آلاف جرة خمر فى شيرا ». فنهزه السلطان وقال له: « إيش صح من كلامك حتى يصح هذا؟ » وأمر به فأخرج؛ وعرف بشتاك بأن النشو قد ندبه لذلك، فأسرّها فى نفسه.

فالتفت النشو بعد ذلك إلى جهة الأمير آقبغا عبد الواحد، وتمّ عليه للسلطان بأن معامل ناحيتى أبيار والنحراوية قد انكسر عليه مال نحو ثمانين ألف درهم، من جهة أن الأمير آقبغا صار يأخذ من قزازى ناحية طوخ مزيد التى فى إقطاعه عن التفاصيل التى تعمل بها ما كان يؤخذ عليها إذا حملت إلى أبيار والنحراوية، وأنه عمل ختما باسمه بدل ختم السلطان يختم به التفاصيل المذكورة؛ وذكر له عنه أشياء تشبه هذا، وأحضر بالحسام العلامى شاد أبيار والنحراوية ليحقيق آقبغا. فأمر السلطان بإحضار آقبغا وأغلظ له، وأمر الشاد بمحاqqته، فجبّه بما رماه به النشو واستطال عليه، فخاف آقبغا ولم يأت بعذر يقبل؛ فطرده السلطان عنه، وأخذ يضع منه والأمير بشتاك يسدّ خلله حتى كفّ عن القبض عليه. فشقّ ذلك على الخاصكية ووقعوا فى النشو، وقد علموا أن ذلك من أفعاله.

وفيهما قدم كتاب الأمير تنكز نائب الشام يشكو من الأمير أيتمش نائب صفد، من أجل أنه ما يمثّل أمره، ويستبد بغير مراجعته فأجيب بمراعاته وإكرامه. فلم تطل مدة أيتمش بعد ذلك سوى اثنين وثلاثين يوما ومات؛ فخلع على الأمير طشتمر الساقى، واستقرّ فى نيابة صفد، وزيد على إقطاع النيابة، وأنعم على ولديه بإمرتين.

وفيهما خلع على الأمير طيغنا حاجى، واستقرّ فى نيابة غزة^(١) عوضا عن جر كمر فى سابع عشرى ذى الحجة؛ ونقل جر كمر إلى نيابة حمص^(٢).

وفيهما أخرج الأكرز على إمرة طبلخاناه بدمشق، فى يوم الثلاثاء حادى عشرى ذى القعدة؛ فكانت مدة اعتقاله شهرا ونصف شهر.

وفيهما عزل الجمال ابن الأثير من كتابة السرّ بدمشق إلى القاهرة؛ واستقرّ عوضه علم الدين محمد بن القطب.

(١) غزة: سبق ترجمتها. انظر معجم البلدان ٢٠٢/٤، والروض المعطار ٤٢٨، ومعجم ما استعجم ٩٩٧/٣.

(٢) حمص: مدينة بالشام من أوسع مدنها، ولا يجوز فيها الصرف كما يجوز فى هند لأنه اسم أعجمى، سميت برجل من العمالق يسمى حمص، ويقال رجال من عاملة، هو أول من نزلها، ولها نهر عظيم يشرب منه أهلها. ومنها إلى حلب خمس مراحل، وبين حمص وسلمية ستة فراسخ، وبحمص مات خالد بن الوليد رضى الله عنه سنة إحدى وعشرين، وقيل بل مات فى المدينة وصلّى عليه عمر رضى الله عنه. انظر الروض المعطار ١٩٨، ١٩٩. ومعجم البلدان ٣٠٢/٢.

وفي ثالث عشر ذى القعدة: نقل الخليفة المستكفي بالله (١) أبو الربيع سليمان من سكنه بمناظر الكيش إلى قلعة الجبل، وأنزل حيث كان أبوه الحاكم نازلا؛ فسكن برج السباع دائما بعياله، ورسم على الباب جاندار بالنوبة؛ وسكن ابن عمه إبراهيم في برج بجواره ومعه عياله، ورسم عليه جاندار الباب؛ ومنعا من الاجتماع بالناس.

وفي ثالث عشر ذى القعدة: استقرّ عز الدين أيك الحسامي البريدي أحد مقدمي الحلقة في ولاية قطيا، عوضا عن الأمير علاء الدين الطبرس الدمشقي الزمردى؛ واستقرّ الطبرس من جملة أمراء العشرات.

وفي أول ذى الحجة: قدم الملك الأفضل صاحب حماة (٢)، وحصل من الاحتفال به أكثر من كل مرة.

وفي ثالثه: استقرّ الشيخ محمد القدسي في مشيخة خانكاه الأمير بشتاك، وعملت فيها وليمة عند فراغ بنائها.

وفي يوم عيد النحر: أقيم على مملكة العراق (٣) محمد يلقطلو بن تيمور بن عنبرجي ابن منكوتر بن هولوكو، وقام بأمره الشيخ حسن بك الكبير، فحاربه الملك موسى في رابع عشره؛ فانهزم موسى بعدما قتل بينهما خلائق، وقتل على بادشاه مدبر دولة موسى؛ وكانت هذه الواقعة قريبا من توريذ عند بلدة ناوشهر على جبل الأداغ.

وفيها استقرّ الأمير بكتاش في نقابة الجيش، بعد وفاة صاروجا.

وفيها انتهت زيادة النيل إلى ثمانية عشر ذراعا.

* * *

(١) سليمان بن أحمد بن علي، أبو الربيع الخليفة المستكفي بالله، بن الحاكم بأمر الله من خلفاء الدولة العباسية الثانية بمصر. ولد ببغداد وخطب له بمصر بعد وفاة أبيه سنة ٧٠١ هـ بعهد منه؛ ففوض الأمور إلى السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون وسار لغزو التتر. انظر المختصر لأبي الفداء ١٣٢/٤ والبداية والنهاية ١٨٧/١٤ وابن إياس ١٤٤/١، ١٧٠، وابن الوردي ٣١٧/٢ والدرر الكامنة ١٤١/٢ والتجوم الزاهرة ١٦٩/١٠ والأعلام ١٢١/٣.

(٢) حماة: سبق ترجمتها. انظر معجم البلدان ٣٠١، ٣٠٠/٢، والروض المعطار ١٩٩، وصبح

الأعشى ٤: ١٠٤.

(٣) العراق: قال الخليل: هو لغة شاطئ البحر، وسمى العراق بذلك لأنه على شاطئ دجلة والفرات، والعراق ما بين هيت إلى السند والصين، إلى الرى وخراسان، إلى الديلم، وقيل سمى العراق لأنه مأخوذ من عراقي الدولو. والكوفة والبصرة تسمى العراقان، فحد أرض العراق ما بين الخزر إلى السواد، والعراق وسط الدنيا ومستقر الممالك الجاهلية والإسلامية، وعين الدنيا، وفيه الدجلة والفرات، وهما الرافدان، وفيه القواعد العظيمة والأعمال الشريفة. انظر معجم البلدان ٩٣/٤، ومعجم ما استعجم ٩٢٩/٣.

ومات فيها من الأعيان

القان بوسعيد بن القان محمد خربندا بن أرغون بن أبغا بن هولكو المغلى ملك التار، صاحب العراق والجزيرة وأذربيجان^(١) وخراسان^(٢) والروم^(٣)، فى ربيع الآخر بأذربيجان، وقد أناف على الثلاثين؛ وكانت دولته عشرين سنة؛ كان جلوسه على التخت فى أول جمادى الأولى سنة سبع عشرة بمدينة السلطانية، وعمره إحدى عشرة سنة؛ وكان جميلا كريما، يكتب الخط المنسوب، ويجيد ضرب العود، وصنف مذهب فى النغم، وأبطل عدة مكوس، وأراق الخمر ومنع من شربها، وهدم كنائس بغداد وورث ذوى الأرحام، فإنه كان حنفيا؛ ولم تقم بعده للمغل قائمة.

ومات أحمد بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن يوسف المرادى القرطبى^(٤) العشاب، وزير أبى يحيى زكريا اللحيانى^(٥) متملك تونس، بالإسكندرية فى شهر ربيع الأول؛ وقد برع فى النحو، وحدث.

وتوفى عز الدين أحمد بن محمد بن أحمد القلانسى، محتسب دمشق بها.

ومات الأمير شهاب الدين أحمد بن أبى بكر بن برق، والى دمشق بها.

وتوفى عماد الدين إسماعيل بن محمد بن الصاحب فتح الدين عبد الله بن محمد بن خالد بن محمد بن نصر بن القيسرانى، كاتب الدست بقلعة الجبل، ثم كاتب السرّ بجلب، فى ذى القعدة؛ ومولده سنة إحدى وسبعين وستمائة.

(١) أذربيجان: هى كورة تلى الجبل من بلاد العراق وهى مفتوحة الألف، وتلى كورة أرمينية من جهة المغرب، ينسب إليها أذربى. انظر معجم البلدان ١٥٠/١، والروض المعطار ٢٠، ٢١.

(٢) خراسان: قطر معروف قال الجرجانى: معنى خر: كل، واسان معناه سهل، أى كل بلا تعب، وقال غيره: معنى خراسان بالفارسية مطلع الشمس، وهو عمل كبير وإقليم حليل معتبر. انظر معجم البلدان ٣٥٠/٢، والروض المعطار ٢١٤، ٢١٥.

(٣) الروم بلاد واسعة تضاف إليهم فيقال بلاد الروم. انظر معجم البلدان ٩٧/٣.

(٤) أحمد بن محمد بن إبراهيم المرادى القرطبى، أبو العباس العشاب: مقرئ من أهل قرطبة، استوزره صاحب تونس ثم نزل الإسكندرية وتوفى بها. له تفسير مختصر، وكتاب فى المعانى والبيان. انظر غاية النهاية ١٠٠/١ والدرر الكامنة ٢٤١/١ وشذرات الذهب ١١٢/٦ والأعلام ٢٣٣/١.

(٥) زكريا بن أحمد بن محمد بن يحيى بن عبد الواحد بن أبى حفص اللحيانى الهنتانى أبو يحيى الحفصى: من ملوك الدولة الحفصية فى إفريقية ولد بتونس. انظر الخلاصة النقية ٦٩/٦ والنجوم الزاهرة ٦٢٨/٩ وابن خلدون ٣٢٥/٦ والدرر الكامنة ١١٣/٢ والبداية والنهاية ١٢٩/١٤ والأعلام ٤٦، ٤٥/٣.

ومات الأمير جمال الدين آقوش الأشرفي - المعروف بنائب الكرك (١) - مسجوناً بالإسكندرية، في يوم الأحد سابع جمادى الأولى.

ومات الأمير أيتمش الحمدي نائب صفد، في ليلة الجمعة سادس عشر ذى القعدة.

ومات الأمير بلبان الحسامي والى دمياط - الذي كان والى القاهرة، وهو أخو بدر

الدين المحسني - في نصف شهر رمضان، وهو في الاعتقال.

ومات الأمير علاء الدين الشيخ على التتري مملوك سلار، في يوم الخميس خامس

ربيع الآخر.

ومات نقيب الجيش الأمير شهاب الدين أحمد بن صاروجا، فجأة وهو في الصيد؛

فحمل إلى القاهرة، ودفن يوم الثلاثاء.

ومات الأمير سيف الدين ألتاق الناصري، هو أحد مقدمى الألو، في ثامن عشرى

شوال.

وتوفى الشيخ سيف الدين عبد اللطيف بلبان بن عبد الله البيسرى شيخ زاوية أبى

السعود، ليلة الثلاثاء سابع عشر ربيع الآخر؛ وكان يلى مشيخة زاوية أبى السعود، ثم

عزل عنها؛ وهو أحد مماليك الأمير بدر الدين بيسرى الشمسى الصالحى، فلما قبض

على بيسرى أقام الشيخ سيف الدين بهذه الزاوية مدة خمس وخمسين سنة.

وتوفى علاء الدين بن نصر الله بن محمد بن عبد الوهاب بن الجوجرى ناظر الخزانة،

في تاسع المحرم.

وتوفى أمين الدين عبد المحسن بن أحمد بن محمد بن على بن محمود بن أحمد بن

الصابونى بمصر، وقد بلغ ثمانين سنة؛ وانفرد برواية أشياء.

وتوفى شيخ الكتابة عماد الدين محمد بن العفيف محمد بن الحسن بالقاهرة عن

إحدى وثمانين سنة.

وتوفى نقى الدين سليمان سليمان بن موسى بن بهرام السمهودى، الفقيه الشافعى

الفرضى العروضى الأديب عن ثمانين سنة بناحية سمهود.

ومات الأمير سنقر النورى نائب بهسنا (١)، وترك اثنين وعشرين ذكرا وأنثى وستين

سرية.

وتوفى الشيخ الصالح المعمر الرحلة شمس الدين محمد ابن المحدث محب الدين محمد بن

ممدود بن جامع البندنجى البغدادى، فى سابع المحرم بدمشق، عن اثنتين وتسعين سنة.

(١) الكرك: سبق ترجمتها. انظر الروض المعطار ٢٠٢، ٢٠٣، ومعجم البلدان ٤/٤٥٣.

(١) بهسنا قلعة حصينة بالقرب من مرعشوق. انظر معجم البلدان ١/٥١٦.

ومات علم الدين قيصر العلامى، فى يوم الأربعاء رابع عشر جمادى الآخرة.

وقتل أربا كاؤن سلطان العراق وآذربيجان والروم؛ وكان القان بوسعيد لما مات أقام الوزير غياث الدين محمد أربا كاؤن هذا؛ لأنه من ذرية جنكز خان، وقد قتل أبوه ونشأ فى غمار الناس؛ فقتل أربا كاؤن بغداد خاتون، وجبى الأموال، وقصد أن يأخذ بلاد الشام، فهلك دون ذلك بعد شهيرات من جلوسه على التخت؛ وكان يتهم بأنه كافرا، وأقيم بعده موسى بن على بن بيدو بن طوغاى بن هولاكو.

* * *

سنة سبع وثلاثين وسبعمائة

الحرم أوله السبت:

فى سابعه: رسم بناية صغد للأمير طشتمر البدرى أحد مقدمى الألوفا، عوضا عن أيتمش الحمدي؛ وتوجه معه طاجار الدوادار فى ثالث عشره.

وفى ثانى عشرة: قدم الخبر بالواقعة التى كانت قرب توريذ على ما تقدم ذكره.

ثم قدم فى سابع عشره: مضر بن خضر رسول الشيخ حسن بك الكبير ابن أمير حسين، وهو ابن أخت غازان، وهو القائم بأمر محمد بن يلقطون بن عنبرجى؛ فخلع عليه، وسافر فى ثالث صفر.

وفى سابع عشر المحرم: عقد عقد الأمير أبى بكر ابن السلطان على ابنة الأمير سيف الدين طغزدمر أمير مجلس، بدار الأمير قوصون.

وفى يوم الخميس عشريه: - وهو يوم النوروز - كان وفاء النيل. وانتهت الزيادة فى سابع عشر بابه إلى سبعة عشر ذراعا وستة عشر إصبعا.

وفى سادس عشرى المحرم: قدم الأمير سيف الدين طينال نائب طرابلس، وأخلع عليه عند وصوله، وسافر سلخ صفر؛ فكانت إقامته ثلاثة وثلاثين يوما.

وفىها كتب بأخبار آل مهنا وآل فضل لعدة من أمراء الشام تنكز والأميرنائب الشام، وذلك من أجل أن العرب قطعوا الطريق على قافلة وأخذوا ما فيها، فلما ألزم آل مهنا بذلك اعتذروا بأن الذى فعل هذا عرب زييد^(١)، وليسوا من عرب الطاعة.

وفىها كانت واقعة الشيخ شمس الدين محمد^(٢) بن أحمد بن عبد المؤمن بن اللبان، فى شهر المحرم؛ وذلك أنه نسبت إليه عظام: منها أنه قال فى ميعاده بجامع مصر إن السجود للصنم غير محرّم، وأنه يفضل الشيخ ياقوت العرش شيخه على بعض الصحابة،

(١) عرب زييد هم البطن الخامسة من بطون العرب الضاربة بالشام خارجًا عن نطاق النيابات المملوكية هم ثلاث فرق.

(٢) محمد بن أحمد بن عبد المؤمن الإسعردى الدمشقى شمس الدين ابن اللبان: مفسر من علماء العربية ولد ونشأ بدمشق، واستقر وتوفى بمصر. من كتبه «ألفية» فى النحو، قيل لم يصنف فى العربية مثلها. (ديوان خطب ورد معا فى الآيات المتشابهات إلى معانى الآيات المحكمات - ط) فى التفسير انظر مرآة الجنان ٤: ٣٣٣ والدرر الكامنة ٣/ ٣٣٠ الكتبخانه ١/ ١٤١ والأعلام ٥/ ٣٢٧.

وشهد عليه بها. واستؤذن السلطان عليه فمكن منه، فترامى على الأمير جنكلى بن البابا، والأمير الحاج آل ملك، والأمير أيدير الخطيرى، حتى حكم بتوبته؛ ومنع من الوعظ؛ هو والشيخ زكى الدين إبراهيم بن معضاد الجعبرى، وجماعة من الوعاظ.

وفيه قدم ركب الحاج على العادة، وأخبروا بأن الشريف رميثة كان قد أقام ببطن مرّ، وأقام أخوه الشريف عطيفة بمكة، فتسلط ولده مبارك على المجاورين، وأخذ مال التجار، فركب إليه رميثة وحاربه، فقتل بينهم جماعة، وفرّ رميثة؛ وذلك فى ثامن عشرى رمضان من السنة الماضية.

وفيه قبض على الأمير بهادر البدرى بدمشق، وضرب وسجن، لجرأته على الأمير قطلوبغا الفخرى وعلى الأمير تنكز نائب الشام وإفحاشه لهما.

وفيهما أحدثت زراعة الفول، فالزم النشو سماسرة الغلال ألا يباع الفول إلا للسلطان فقط، فتضرر أرباب الدواليب.

وفيهما صادر النشو جماعة من أرباب الدواليب^(١) بالوجه القبلى، وأخذ من محتسب البهنسا وأخيه مائتى ألف درهم وألف أردب غلة. فرافع ابن زعازع من أمراء الصعيد أولاد قمر الدولة عند النشو، فاقتضى رأيه مصادرة ابن زعازع لكثرة ماله، وأوقع الخوطة على موجوده؛ وكتب إلى متولى البهنسا ليعاقبه أشد العقوبة. فلفّ والى البهنسا على أصابعه الخروق وغمسها فى القطران، وأشعل فيها النار، ثم عرّاه ولوّحه على النار، حتى أخذ منه ما قيمته ألف ألف وخمسمائة ألف درهم، ووجد له أربعمائة فرجية بفرو، ومائة وعشرين جارية، وستين عبدا، ثم كتب عليه حجة بعد ذلك بمبلغ مائة درهم، واحتج النشو لمصادرته بأنه وجد كنزا.

وفيهما كتب بطلب الأمير سنجر الحمصى.

وفيهما ارتفع سعر اللحم لقلّة جلب الأغنام حتى أبيع الرطل بدرهم وربيع، وسبب ذلك أن النشو كان يأخذ الغنم بنصف قيمتها؛ فكتب إلى نائب الشام ونائب حلب بجلب الأغنام. ثم إن النشو استجدّ للسواقى التى بالقلعة أبقارا، وأحضر أبقارها التى قد ضعفت وعجزت مع الأبقار التى ضعفت بالدواليب، وطرحها على التجار والباعة بقياس القاهرة ومصر وأسواقها، حتى لم يبق صاحب حانوت حتى خصّه منها شىء على قدر حاله، فبلغ كل رطل منها درهمن وثلاثا؛ ورميت تلك الأبقار على الطواحين

(١) المقصود بالدواليب جميع الآلات العجلية المستعملة، فى الزراعة والصناعة.

والحمامات كل رأس بمائة درهم، ولا تكاد تبلغ عشرين درهما، فبلى الناس، من ذلك عسقة وخسارة كبيرة.

واتفق أن النشو أغرى السلطان بموسى بن التاج إسحاق، حتى رسم بضربه إلى أن يموت؛ فضرب زيادة على مائتين وخمسين شيباً^(١) حتى سقط كالميت؛ ثم ضرب من الغد أشد من ذلك، وحمل على أنه قد مات؛ فسرّ النشو بذلك سرورا زائداً، وذهب ليرى موسى وهو ميت، فوجد به حركة. وفي أثناء طلب السلطان إحضار الأمير لؤلؤا، فأخبره بأن موسى قد بدأ يتن وبعد ساعة يموت؛ فرسم ألا يضرب بعد ذلك، فشقّ هذا على النشو.

وفي سابع عشرى صفر: ابتدئ بهدم الطبقة الحسامية المجاورة لدار النيابة بالقاهرة، وكانت قد عمرت سنة ثمان وثمانين وستمائة.

وفي رابع عشر ربيع الأول: قدم حمزة رسول الملك محمد بن بلقطلو بن عنبرجى، وصحبته عماد الدين السكرى نائب على بادشاه الموصل^(١)؛ فأدّوا رسالتهم وسافروا أول ربيع الآخر.

وفي ثامن عشر ربيع الأول: سافر الأفضل صاحب حماة إلى محل ولايته بحماة، وكان قد حضر فى مستهل ذى الحجة من السنة الحالية.

وفي تاسع عشرىه: وصلت رسل الملك موسى، وسافروا فى نصف ربيع الآخر.

وفي سلخ ربيع الأول: عزل بدر الدين بن التركمانى عن الكشف بالوجه البحرى.

وفي ثالث ربيع الآخر: قدم رسول ملك الحبشة.

وفي خامس عشره: قدم الأمير سيف الدين أبو بكر البابيرى، وخلع عليه بولاية القاهرة عوضاً عن ابن التركمانى.

وفي سادس عشره: استقرّ نكبيه البريدى فى ولاية قطيا، عوضاً عن أيك الحسامى بيامره عشرة.

وفي سلخ جمادى الأولى: قدم مراد قجا رسول أذربك ملك الترك، فأقام خمسة

(١) الشيب هو سير السوط أى: الكرباج. انظر قاموس المحيط.

(١) الموصل: فى الجانب الغربى من دجلة وسميت بهذا الاسم لأنها وصلت بين الفرات ودجلة،

وشرب أهلها من ماء الدجلة، وهى مدينة عتيقة ضخمة عليها سوران وثيقان. انظر معجم البلدان

٥/٢٢٣، والروض المعطار ٥٦٣، ٥٦٤، ونزهة المشتاق ١٩٩.

أشهر ونصف شهر، وسافر فى رابع عشر ذى القعدة؛ ومن ثالث ربيع الآخر سنة تسع وعشرين وسبعمئة لم يحضر من عند أربك إلا هذا.

وفى سادس عشرى جمادى الآخرة: استقرّ بهاء الدين قراقوش الجيشى فى ولاية البهنساوية، عوضا عن على بن حسن المروانى.

وفىها هدمت دار النيابة بالقلعة، وهى التى عمرت فى الأيام المنصورية قلاوون، سنة سبع وثمانين وستمئة؛ وأزيل الشباك الذى كان يجلس فيه طرئطاي النائب؛ وذلك فى يوم الأحد ثامن ربيع الآخر.

وفىها أغرى النشو السلطان بالصفى كاتب الأمير قوصون، بأنه يظهر فى جهته للديوان عما كان يحضر إليه من أصناف المتجر أيام مباشرته بديوان الأمير قجليس، وهو جملة كثيرة، وأن بعض الكتاب يحاqqه على ذلك. فطلب السلطان الأمير قوصون وأغلظ فى مخاطبته، وقال: «كاتبك يأكل مالى وحقوقى، وينجوه بك»، وذكر له ما قال عنه النشو؛ فتخلى عنه قوصون ولم يساعده. فأمر السلطان النشو ولؤلؤا والمستوفين أن يمضوا إلى عند الأمير قوصون، ومعهم الرجل المحقق للصفى، ويطالعوا السلطان بما يظهر؛ فاجتمعوا لذلك، وقام المرافع للصفى فلم يظهر لما ادعاه صحة.

وفى يوم الثلاثاء ثانى رجب: قدم الأمير تنكز نائب الشام والسلطان بسرياقوس، فطلع وهو معه فى يومه إلى القلعة، وهى القدمة الحادية عشرة، وسافر فى ثانى عشرية.

وفى يوم عشرية: عزل شهاب الدين بن الأقفهسى وعلاء الدين البرلسى عن نظر الدولة؛ وولى شمس الدين بن قزوينة النظر بمفرده، وكان بطالالا؛ ورسم له ألا يتصرف فى شىء إلا بعد مشاورة شرف الدين النشو ناظر الخاص.

وفى تاسع عشرية: استقرّ علاء الدين بن الكورانى فى ولاية الأشمونين، عوضا عن أبى بكر الرذادى، نقل إليها من ولاية أشموم الرمان.

وفىها عدم فرو السنجاب، فلم يقدر على شىء منه لعدم جلبه. فأمر النشو بأخذ ما على التجار من الفرجيات المفراة، فكبست حوانيت التجار والبيوت، حتى أخذ ما على الفرجيات من السنجاب. فبلغ النشو وقوع التجار فيه ودعاؤهم عليه، فسعى عند السلطان عليهم، ونسب جماعة منهم إلى الربا فى المقارضات، وأنهم جمعوا من ذلك ومن الفوائد على الأمراء شيئا كثيرا، وأن عنده أصناف الخشب والحديد وغيره، واستأذنه فى بيعها عليهم. فأذن له السلطان، فنزل وطلب تجار القاهرة ومصر وكثيرا

من أرباب الأموال، ووزع عليهم من ألف دينار كل واحد إلى ثلاثة آلاف دينار، ليحضروا بها ويأخذوا عنها صنفا من الأصناف، فبلغت الجملة خمسين ألف دينار، عاقب عليها غير واحد بالمقارع حتى أخذها.

وقام عدة من الأمراء الأكابر في حق جماعة من التجار فلم يسمع السلطان لأحد منهم قولاً. وقامت ست حدق وأم آنوك ابن السلطان في رفع الخشب عن تاجر ألزمه النشو بألفى دينار، وعرفته بظلم النشو، وهو أن هذا الخشب قيمته مبلغ ألفى درهم. فطلب السلطان النشو وأنكر عليه ذلك وتجهم له، فانصرف على غير رضى ثم ندب النشو رجلاً مضى إلى ذلك التاجر وسأله فى قرض مبلغ مال، فأخذ التاجر فى الشكوى مما به من إلزامه بألفى دينار عن ثمن خشب طرحه عليه النشو؛ فقال له الرجل: «أرنى الخشب فإنى محتاج إليه»، فلما رآه أعجبه واشتراه منه بفائدة ألف درهم إلى شهر؛ فامتلاً التاجر فرحاً، وأشهد عليه بذلك. ومضى الرجل ليأتى بثمان الخشب، فدخل على النشو وأخبره الخبر، ودفع إليه نسخة المبايعه، فقام من فورهِ إلى السلطان وأعلمه أنه نزل ليرفع الخشب من حاصل التاجر فوجده قد باعه بفائدة ألف درهم. فطلب السلطان التاجر وسأله عما رماه عليه النشو، فاغتر البائس وأخذ يقول: «ظلمنى وأعطانى خشباً بألفى دينار يساوى ألفى درهم». فقال له السلطان: «وأين الخشب؟» قال: «بعته بالدين»، فقال النشو: «قل الصحيح فإن هذه معاقدتك ببيعه»، فلم يجد بدا من الاعتراف. فحتم عليه السلطان، وقال «ويلك! تقيم الغائة وأنت تبيع بضاعتى بفائدة؟» ثم أمر النشو بضربه وأخذ الألفى دينار منه مع مثلها؛ وعظم النشو عند السلطان ثم عبر السلطان إلى نسائه وسبهن، وعرفهن ما جرى وقال: «مسكين النشو! ما وجدت له أحداً يحبه كونه ينصحنى ويحصل مالى».

وفىها ترافع يعقوب الأسلمى مستوفى الجهات والأمير بن المجاهدى والى دمياط فرسم بمصادرتهما، فعوقبا عقوبة شديدة، وغرما مالا جزيلاً.

وفىها كثر ضبط علم الدين سنجر الجاولى لأوقاف المارستان، وتوقفه فيما يصرف منه للصدقات. فأنكر السلطان عليه ذلك، وقال له: «المارستان كله صدقة»، ولم يقبل له عذراً.

وفىها امتنع ابن الأفهسى ناظر الدولة من الكتابة على توقيع الضياء المحتسب؛ وقد عمل معلومة على الجوالى. فشق ذلك على السلطان، وأمر الأمير طاجار الدوادار أن يبطحه ويضربه، ويقول له: «كيف يعلم السلطان على شىء وتأبى أن تكتب عليه!!»؛

فضربه ضربا مؤلما. وكان السلطان لا يتغاضى فى خرق حرمة، ويعاقب من فعل ذلك.

وفىها شكوا الممالىك السلطانية من تأخر كسوتهم، فطلب النشو وألزمه بمحمل كسوتهم من الغد، ومعها مبلغ عشرين ألف دينار. فنزل النشو وألزم الطيبى ناظر الموارىث بتحصيل خمسة آلاف دينار، وبعث المقدمين إلى الأسواق، ففتحوا حوانيت التجار، وأخذوا كسوة الممالىك وحوائصهم وأخفافهم ونعالهم وغير ذلك، وأخذوا مركبا لبعض الكارم فيه عدة بضائع طرحوها على الناس بثلاثة أمثال قيمتها. وأحيط بتركة نجم الدين محمد الأسعدى - وقد مات وترك زوجة وابنة ابن - وأخذت كلها، وأخذت وديعة من تركته لأولاد أيتام تحت حجره، مبلغها نحو خمسين ألف درهم، وأنفقت فى يومها على الممالىك والخدام. وفتحت قيسارية جهاز كس، وأخذ منها مقاطع الشرب^(١) برسم الكسوة.

فارتجت المدينة بأهلها، وترك كثير من التجار حوانيتهم وغيبوا؛ فصارت مفتحة والأعوان تنهب لأنفسها ما أرادت، فلم ير يومئذ بالقاهرة ومصر إلا باك أو شاك أو صائح أو نائح؛ فكانا يومين شنعين. وعول أرباب الحوانيت على رفع ما فيها وخلوها؛ فعرف النشو السلطان ذلك، فنودى: «من أغلق حانوته أخذ ماله وشنق»، ففتحوها. ثم أخرج النشو من الأهراء عشرة آلاف أردب قمحا، وطرحها على أصحاب الطواحين والأبازرة، وقبض على ابن فخر السعداء ناظر قلوب، وأخذ منه نحو ثمانين ألف درهم.

وفى جمادى الأولى: استدعى الضياء ابن خطيب بيت الآبار محتسب مصر؛ وخلع عليه واستقرّ فى حسبة القاهرة، مضافا لما بيده من نظر الأوقاف ونظر المارستان، عوضا عن نجم الدين محمد بن حسين بن على الأسعدى. وكان الشهاب أحمد بن الحاج على الطباخ قد سعى فى حسبة القاهرة، وقام معه الأمير بشتاك والأمير قوصون والأمير آقبا عبد الواحد؛ فلما ولى السلطان الضياء رسم أن يستقرّ ابن الطباخ فى حسبة الدخان على الطباخين والحلاويين ونحوهم، وخلع عليه وجلس فى دكة الحسبة، وعرض أرباب الدخان. وألزم الضياء الحلاويين والفكاهين ألا يشعلوا سرجهم فى الليل بالزيت الحار، وألزم حراس الحمامات بعمل فوط سابغة طويلة، ورتب القبانيين فى جهات معينة، يجلس كل قباني فى موضع من البلد.

وفيه قدم خليل بن الطرفى من أمراء التركمان بناحية أبلستين، وقدم سبعمائة

(١) الشرب والجمع شرابى - قماش رفيع من الكتان ويظهر أنه كان يستعمل للعمام فى معظم الأحيان. انظر المواظ والاعتبار.

إكديش وعدة تحف وسأل أن يستقرّ في نيابة الأبلستين بألف فارس وعشرة أمراء؛ فقبلت تقدمته وخلع عليه، وكتب منشوره بذلك.

وفيه قدم من جهة بدر الدين لؤلؤ الفندشى الحلبي شاد الدواوين ثلاثة آلاف رأس من الغنم الضأن، فمشتت حال الدولة، وصارت سببا للوقية بين لؤلؤ وبين النشو. وتحدّث لؤلؤ مع الأمير بشتاك أنه إن أسلم إليه النشو وحاشيته قام بأربعمائة ألف دينار منهم، فقامت قيامة النشو وما زال بالسلطان حتى غيرّه عليه. واتفق مع ذلك وصول سنجر الحمصى من حلب باستدعاء، فأجلسه السلطان وعرض عليه شدّ الدواوين، فقبل الأرض وطلب الإعفاء منها، وكان أمينا ناهضا؛ فلم يزل السلطان به حتى خلع عليه، واستقرّ عوضا عن لؤلؤ في رابع جمادى الآخرة. فأول ما بدأ به سنجر أن قبض على لؤلؤ، وأوقع الحوطة على بيته وألزمه بالحمل؛ وأخذت حواصله وهو يورد شيئا بعد شيء.

وفي يوم الأربعاء حادى عشرى ربيع الأول: أفرج عن الخليفة من سجنه بالقلعة، فكانت مدة اعتقاله خمسة أشهر وسبعة أيام. ثم أمر به فأخرج إلى قوص^(١)، ومعه أولاده وابن عمه؛ وكتب لوالى قوص أن يحتفظ بهم. وكان سبب ذلك أن السلطان لما نزل عن الملك في سنة ثمان وسبعمائة، وحصل الاجتماع على المظفر بيبرس وقلده المستكفى بالسلطنة، نعمها عليه السلطان الناصر وأسرها له ثم لما قام السلطان لاسترجاع ملكه، جدّد المستكفى للمظفر الولاية، ونسبت في السلطان أقوال إليه حملت السلطان على التحامل عليه. فلما عاد السلطان إلى الملك في سنة تسع وسبعمائة أعرض عن المستكفى كل الإعراض، ولم يزل يكدّر عليه المشارب حتى تركه في برج بالقلعة، في بيته وحرمة وخاصته؛ فقام الأمير قوصون في أمره، وتلطّف بالسلطان إلى أن أنزله إلى داره. ثم نسب إلى ابنه صدقة أنه تعلق ببعض خاصة السلطان، وأن ذلك الغلام يتردّد إليه، فنفى الغلام وبلغ السلطان أنه هو يكثر من اللهو في داره التى عمرها على النيل بخط جزيرة الفيل، وأن أحد الجمدارية يقال له أبو شامة جميل الوجه ينقطع عنده ويتأخر عن الخدمة؛ فقبض على الجمدار وضرب، ونفى إلى صفد؛ وضرب رجل من مؤذنى القلعة - اتهم أنه كان السفير بين الجمدار وبين الخليفة - حتى مات؛ وأعتقل الخليفة كما تقدّم. ثم لما أفرج عنه اتهم أنه كتب على قصة رفعت إليه «يحمل مع غريمه إلى الشرع»، فأحضره السلطان إلى القلعة ليجتمع به بمحضرة القضاء، فخيّله قاضى القضاة جلال الدين القزوينى من حضوره أن يفرط منه كلام فى غضبه يصعب

(١) قوص مدينة كبيرة عظيمة واسعة فى الصعيد. انظر معجم البلدان ٣/٤.

تداركه. فأعجب السلطان ذلك، وأمر به أن يخرج إلى قوص؛ فسار صحبة الأمير سيف الدين قتلوا تمرقلى فى يوم السبت تاسع عشر ذى الحجة، بجميع عياله وهم مائة شخص. وكان مرتبه فى كل شهر خمسة آلاف درهم، فعمل له بقوص ثلاثة آلاف درهم؛ ثم استقرّ ألف درهم؛ فاحتاج حتى باع نساؤه ثيابهنّ.

وفىها كتب إلى الأمير تنكز نائب الشام أن يحضر بأولاده وأهله لعمل عرس الأمير أبى بكر ابن السلطان على ابنة الأمير طقزتمر، واحتفل السلطان لقدمه احتفالا زائدا. وكانت عادته أن يصرف عليه إذا قدم مبلغ خمسين ألف دينار، ما بين خلع وإنعام؛ فرسم أن يكون فى هذه السنة مبلغ سبعين ألف دينار. ثم خرج السلطان لملاقاته، ونزل قصور سرياقوس^(١) حتى سقط الطائر بنزول الأمير تنكز إلى الصالحية؛ فركب الأمير قوصون إلى لقاته، وصحبته جميع ما يليق من الأطعمة والمشروب؛ فلما لقيه مدّ بين يديه سماطا جليلا إلى الغاية، وأقبل به حتى دنا من سرياقوس. فركب السلطان إليه ومعه أولاده، وقدم إليه الحاجب ليخبره بأنه لا يترجّل عن فرسه حتى يرسم له، وتقدّمت أولاد السلطان إليه أولا. فلما قرب تنكز نزل السلطان عن فرسه إلى الأرض على حين غفلة من الأمراء، فألقوا أنفسهم عن خيولهم؛ وألقى تنكز نفسه إلى الأرض، وعدا فى مشيه جهد قدرته، وهو يقبل الأرض ويقوم إلى أن قبل رجلى السلطان، وقد دهش؛ فقال له السلطان: «اركب فرسك». وركب السلطان والأمراء وسائره وهو يحادته، فلم يسمع عن ملك أنه فعل مع مملوكة من التعظيم ما فعله السلطان فى هذا اليوم مع الأمير تنكز. وكان العرس يوم الإثنين سلخ صفر، والدخول ليلة الثلاثاء أول ربيع الأول.

وفى خامس عشر شعبان: توجهت التجريدة إلى بلاد سيسى^(٢) وخراب^(٣) مدينة.

وسبب ذلك وصول رسول القان موسى وعلى بادشاه بطلب النجدة على الشيخ حسن الكبير وطغاي بن سونتاي وأولاد دمرداش، ليكون على بادشاه نائب السلطنة ببغداد. فاستشار السلطان نائب الشام والأمراء، واستقرّ الرأى على تجريد العسكر نحو سيسى، فإن تكفور نقض الهدنة بقبضه على عدة ممالك وإرسالهم إلى مدينة آياس فلم يعلم خبرهم وقطع الحمل المقرر عليه، ويكون فى ذلك إجابة على بادشاه إلى ما قصده

(١) سرياقوس بلدة بالصعيد فى غربى النيل. معجم البلدان ٢١٤/٥، ٢.

(٢) سيسى بلد هو اليوم من أعظم مدن الثغور الشامية بين أنطاكية وطرسوس. انظر معجم البلدان

٢٩٧/٣.

(٣) خراب علم مرتجل لاسم جبل باليمن، عن الأزهرى. انظر معجم البلدان ٣١٤/٤.

من نزول العسكر قريبا من الفرات، مع معرفة الشيخ حسن «بأنا لم نساعد على بادشاه عليه، وإنما بعثنا العسكر لغزو سيس». وعمل مقدم العسكر الأمير أرقطاي ويكون في الساقفة، ويتقدم الجاليش صحبة الأمير طوغاي الطباخي، ومعهما من الأمراء قباثر وييدر البدري، وثمر الموساري وقطلوبغا الطويل، وجر كتمر بن بهادر وبييغا تتر حارس الطير؛ ومن أمراء الشام قطلوبغا الفخرى مقدم الجيش الشامي. وكتب بخروج عسكر دمشق وحماة وحلب وحمص وطرابلس إلى ناحية جعير^(١)، فإذا وصل عسكر مصر إلى حلب عادت عساكر الشام ثم مضوا جميعا إلى سيس، فيكون في ذلك صدق ما وعد به على بادشاه، وبلوغ الغرض من غزو سيس فسار العسكر من القاهرة في ثاني عشر شعبان، وتوجه الأمير تنكز إلى محل ولايته.

وفيها أفرج عن طرنتاي المحمدي بعدما أقام في السجن سبعا وعشرين سنة وأخرج إلى دمشق؛ وأفرج عن علاء الدين بن هلال الدولة، وأخرج إلى الشام؛ وأفرج عن ابن المحسني، وأخرج إلى طرابلس؛ وذلك في يوم الجمعة ثاني رمضان. وكان ابن هلال الدولة وابن المحسن معتقلين بالإسكندرية من ثالث عشر رجب سنة ست وثلاثين؛ فخلع السلطان عليهما، ورسم أن يقيم ابن المحسني مع أبيه بطرابلس، ويقيم ابن هلال الدولة بدمشق؛ فسار كل منهما في حادي عشره صحبة بريدي؛ وكان هذا كله بشفاعة نائب الشام.

وفيها كتب سنجر الحمصي شاد الدواوين أوقا بما على السلطان من القرض للتجار، فبلغ ألفي درهم؛ فلم يعترف السلطان بها، وقال: «هذه أخذها الدواوين على اسمي»، ورسم أن توزع على المباشرين. فنزل بهم من ذلك شدة، وحملوا المبلغ شيئا بعد شيء؛ وكان هذا من فعلات النشو بهم.

وفيها رسم ألا يضرب أحد بالمقارع، وطردت الرسل والأعوان من باب شد الدواوين؛ وكانوا قد كثرت مضرتهم، واشتد تسلطهم على الناس، وحصلوا من ذلك مالا كبيرا. وكان هذا بسفارة سنجر الحمصي، فكثر الثناء عليه.

وفيه توجه النشو ليتفقد ناحية فارس كور والمنزلة ودمياط؛ فقبض على علاء الدين بن توتل والى أشموم^(٢)، وعلى آقبغا والى المحلة، وصادرها؛ فأخذ من والى أشموم خمسين ألف درهم، ومن والى المحلة مائة ألف درهم.

(١) جعير بالفتح ثم السكون قلعة على الفرات بين بالس والرقة قرب صفين. انظر معجم البلدان

(٢) أشموم بضم الميم، وسكون الواو اسم بلدين بمصر. انظر معجم البلدان ٢٠٠/١.

وفيه كتب النشو بالحوطة على مباشرة المعاصر والدواليب، وجميع أعمال الصيد والفيوم وألزم ابن المشنقص مدولب مطبخ الأمير قوصون بمائة ألف درهم، واحتج بأنه يعمل الزغل في السكر والعسل؛ فحنق من ذلك قوصون، وقام مع السلطان فى أمره حتى أفرج عنه. فشق هذا على النشو، وأثبت محضرا على القاضى ابن مسكين بأن أبا الدرايب مات على غير الملة، وأن ابنه لا يستحقّ إرثه، بحكم أنه لبيت المال، وطلع بالخصر إلى السلطان. فطلب السلطان قوصون وأغلظ عليه، فاحتدّ قوصون وقال: «أنا ما أسلم مالى الذى عنده». فوهب السلطان قوصون ما أثبتته النشو، فأوقع الحوطة على جميع موجوده، وأخذة.

وفىها وقتت العامة للسلطان فى الفار ضامن المعاملات، وشكوا ما أحدثه على القصب والمقائى، وصاحوا: «يكفيننا النشو، فلا تسلّط علينا الفار! وتجبسه وتكتب على قيده مخلد، وتضمن غيره بناقص عشرة آلاف درهم»، فطلب السلطان النشو وأنكر عليه، ورسم لسنجر الحمصى أن يضرب الفار، ويحبسه ويكتب على قيده مخلد، ويضمن غيره بناقص عشرة آلاف درهم؛ ففعل ذلك، ومشت أحوال الناس.

وفىها طرح النشو الفدان القلقاس على القلاسية بألف ومائتى درهم، وصادر الشماسرة، وأخذ عدة مخازن للتجار، وأخرج ما فيها من البضائع وطرحها بثلاثة أمثال قيمتها، وعوّض أربابها سفانج^(١) على الخشب والبورى^(٢) فكان منها مخزن فيه حديد قومّه بخمسين ألف درهم على المارستان، فأبى الأمير سنجر الجاولى ناظر المارستان أن يأخذة، فألزمه السلطان بأخذة للوقف فأخذة، ووزن^(٣) ثمنه.

وفى ثالث عشر شوال: قدمت مفاتيح القلاع التى كانت بيد صاحب سيس: وهى آياس الجوانية^(٤)، وآياس البرانية^(٥)، والهارونية^(٦)، وكواراة^(٧) وحميضة^(٨) ونجيمة^(٩)

(١) السفنجة، وهى أن يعطى آخر مالا، وللآخر مالا فى بلد المعطى، فيوفيه إياه مالك، فستفيد أمن الطريق، وهى فارس معرب، وفى علم الاقتصاد هى حوالة صادرة من دائن يطلب فيها مدينة دفع مبلغ معين فى تاريخ معين لإذن شخص ثالث، أو لإذن الدائن نفسه، أو لإذنا لحامل لهذه الحوالة. انظر المعجم الوسيط (سفنج).

(٢) المقصود بذلك السمك المعروف بذلك الاسم نسبة إلى بورة على شاطئ البحر الأبيض غربى دمياط. انظر معجم البلدان خ ٧٥٥/١.

(٣) يتضح هنا أن النقود فى مصر كانت تتبادل وزنا لا عددا فى عهد السلطان الناصر، وهذه ظاهرة تكررت فى مصر فى عهد سلاطين المماليك. انظر إغاثة الأمة بكشف الغمة ص ٧٠.

(٤) آياس الجوانية موضع أو قرية قرب المدينة. انظر معجم البلدان ١٧٥/٢.

(٥) آياس البرانية من قرى بخارى ويقال لها خوران على خمسة فراسخ من بخارى. انظر معجم

وسرفندكار؛ فرّسّم بخراب بعضها، وأقامت النواب بياقيها.

وفي تاسع ذى القعدة: أضيف شدّ الصيارف^(١) للأمير نجم الدين بن الزبيق عوضا عن بهادر البكتمرى؛ ثم أضيف إليه مع ذلك ولاية مصر، عوضا عن شمس الدين جنغر ابن بكجرى.

وفي تاسع عشره: خلع على شهاب الدين محمد بن علاء الدين أحمد ابن قاضى القضاة تاج الدين ابن بنت الأعز؛ واستقرّ فى حسبه مصر، عوضا عن القاضى ضياء الدين محتسب القاهرة.

وفي سادس ذى الحجة: استقرّ نجم الدين أيوب فى ولاية الفيوم^(٢)، عوضا عن بهادر أستاذار الجمالى؛ وكان أيوب هذا أستاذار الأكر.

وفيه قدم الخير بأن القان موسى لما كانت الواقعة بينه وبين الشيخ حسن الكبير، وانكسر هو وعلى بادشاه، صار إلى بغداد وصادر الناس بها، ثم خرج على بادشاه إلى الموصل، فسار إليه الشيخ بمن معه ولقبه شمالى توريز، فكانت حرب شديدة فر منها القان موسى، وقتل على بادشاه وخلق كثير؛ فكانت دولتهما ثلاثة أشهر. ولما انكسرت عساكرهما مضى الشيخ الكبير إلى بغداد فملكها، وقد أقام سلطانا محمد بن يلقطلو بن هلاكو بن عنبرجى وبعث الشيخ حسن إلى السلطان بهدية، فأكرم رسله وجهزهم بهدية سنية، وكتب بتهنئة.

وفيه خلع على نجم الدين داود بن أبى بكر محمد بن الزبيق، واستقرّ فى ولاية الصناعة والأهراء؛ وخلع على صلاح الدين محمد بن على بن صورة، واستقرّ فى نظر الأهراء رفيقا له.

(٦) الهارونية مدينة صغيرة قرب مرعش بالثغور الشامية فى طرف جبل اللكام. انظر معجم البلدان ٣٨٨/٥.

(٧) كورة إقليم من بلاد السودان جنوبى فزان وهناك كور أخرى فى نواحى فارس بينها وبين شيراز عشرة فراسخ. انظر معجم البلدان ٤٨٦/٤.

(٨) حميضة بالفتح ثم السكون، وياء، والضاد معجمة ماء لعائذ بن مالك. انظر معجم البلدان ٣٠٧/٣.

(٩) نجيمة من قرى عثر من جهة اليمن انظر. معجم البلدان ٢٧٤/٥.

(١) الصيارف الصيرفى هو الذى يتولى قبض الأموال وصرفها وكان يقال له فيما تقدم الجهيد.

(٢) الفيوم: سبق ترجمتها. انظر معجم البلدان ٢٨٦/٤، والروض المعطار ٤٤٥، والاستبصار

٩٠، والإدريسى ١٤٦، وخطط المقرئى ٢٤٥/١، وابن الوردى ٢٣.

وفي يوم الإثنين ثاني عشر رمضان: ركب النشو على عادته فى السحر، فاعترضه فى طريقه فارس هو عبد المؤمن بن عبد الوهاب السلامى الذى ولى قوص - وقيل أبو بكر بن الناصرى محمد - وضربه، فأخطأ سيفه رأس النشو، وسقطت عمامة النشو عن رأسه، وقد جرح كتفه، ثم خر إلى الأرض ونجا الفارس، وفى ظنه أن رأس النشو قد سقطت عن يده. فغضب السلطان من ذلك، ولم يحضر السماط؛ وبعث إلى النشو بعدة من الجمدارية بالجرائية، فقطب ذراعه بست إبر وجبينه باثنتى عشرة إبرة. وألزم السلطان والى القاهرة ومصر بإحضار غريم النشو، وأغلظ على الأمراء بالكلام، ومازال يشتدّ ويحتدّ حتى عادت القصاد بسلامة النشو فسكن ما به.

ثم بعث النشو مع أخيه رزق الله يخبر السلطان بأن هذا من فعل الكتاب بموافقة لؤلؤ؛ فطلب السلطان ابن المروانى والى القاهرة، ورسم له بمعاينة الكتاب الذين فى المصادر على الاعتراف بغريم النشو وعقوبة لؤلؤ معهم. فضرب لؤلؤ ضرباً مبرحاً، وعوقب العلم أبو شاكر وعلق والمقايير^(١) فى يديه، وعوقب قرموط وعدة من الكتاب؛ وحرثت بيوتهم وأخذ رخامها، وخرجت بالمخاريط لإظهار ما فيها من الخبايا.

ثم أن النشو عوفى من جراحه، وطلع إلى القلعة، فخلع عليه ونزل وقد رتب السلطان المقدم إبراهيم بن أبى بكر شداد بن صابر أن يمشى فى ركابه، ومعه عشرة من رجاله، وكان لا يطلع الفجر إلا وهم على بابه، فإذا ركب كانوا معه حتى يدخل القلعة، فإذا نزل مشوا فى ركابه حتى يدخل بيته. وعندما نزل النشو إلى القاهرة كان أول ما بدأ به أن عاقب المقدمين وغيرهم، حتى مات عدة منهم تحت العقوبة.

وفى حادى عشرى ذى الحجة: سافر خواجا عمر وسرطقطاي مقدم البريدية بهدية إلى أزيك، ومعهما مبلغ عشرين ألف دينار لشراء مماليك وجوارى من بلاد الترك.

وفىها كملت عمارة جامع الأمير عز الدين أيدير الخطيرى على شاطئ النيل بمعية بولاق؛ وكان موضعه ساقية لشرف الدين موسى بن زنبور. وأصل بناء هذا الجامع أنه لما أنشئت العمائر ببولاق عمر الحاج محمد بن عز الفراش بجوار الساقية المذكورة داراً على النيل، ثم انتقلت تلك الدار بعد موته إلى ابن الأزرق، فعرفت بدار الفاسقين من كثرة اجتماع النصارى بها على ما لا يرضى الله؛ فلما صادره النشو باعها فيما باعه. فاشترها الأمير أيدير الخطيرى بثمانية آلاف درهم، وهدمها وبنى مكانها ومكان الساقية جامعاً أنفق فيه مالا جزيلاً؛ وأخذ أراضي حوله من بيت المال، وأنشأ عليها

(١) لعل المقصود بالمقايير آنية فيها القار المغلى توضع فى يد الواقع تحت العقوبة للتعذيب.

الحوانيت والرباع والفنادق؛ وأنعم السلطان عليه بعدة أصناف من خشب وغيره. فلما تم بناء الجامع قوى عليه النيل، فهدم جانباً منه، فأنشأ الخطيرى تجاهه زربية رمى فيها ألف مركب موسوقة بالحجارة؛ وسماه جامع النوبة، فجاء من أحسن مباني مصر وأبدعها وأزهرها. فلما أفرج عن ابن الأزرق ادعى أنه كان مكرهاً فى بيعه، فأعطاه الخطيرى ثمانية آلاف درهم أخرى؛ فمازال به النشو حتى قبض عليه مرة ثانية، وحبسه، فمات بعد قليل فى حبسه.

وفىها فرغ بناء جامع الأمير سيف الدين بشتاك، بخلاف قبو الكرمانى على بركة الفيل خارج القاهرة؛ وكان موضعه مساكن للفرنجة والنصارى ومسألة الكتاب. وعمر بشتاك تجاه هذا الجامع خانكاه على الخليج، ورتب فيها شيخاً وصوفية، وقرّر لمن المعاليم الجارية، ونظم ما بين الجامع والخانكاه بساباط^(١) على الطريق المسلوك، فجاء من أحسن شىء بنى؛ وتحول كثير من النصارى من هناك.

وفىها أعيدت إلى عربان آل فضل وآل مهنا إقطاعاتها التى أقطعت للأمرء.

وفىها خلع على عز الدين عبد العزيز^(٢) ابن قاضى القضاة بدر الدين محمد بن جماعة يوم الثلاثاء تاسع شعبان؛ واستقرّ فى وكالة بيت المال، عوضاً عن نجم الدين الأسعدى، مضافاً لما بيده من وكالة الخاص.

وفىه استقرّ جمال الدين بن العديم فى قضاء الحنفية بحماة، عوضاً عن التقى محمود ابن محمد بن الحكيم.

وفىها مات متملك تلمسان أبو تاشفين عبد الرحمن بن موسى^(٣) بن عثمان بن

(١) ساباط سقيفة بين دارين تحتها طريق وتعرف عند العامة برسم السباط وجمعه سوايط. انظر عيط المحيط.

(٢) عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم بن جماعة الكنانى الحموى الأصل، الدمشقى المولد، ثم المصرى، عز الدين: الحافظ، قاضى القضاة، ولى قضاء الديار المصرية سنة ٧٣٩ وحوار بالحجاز فمات بمكة. من كتبه «هدية السالك إلى المذاهب الأربعة فى المناسك». انظر الدرر الكامنة ٣٧٨/٢ والكتبخاخه ١١/٧ والتيمورية ٦١/٣ وكشف الظنون ١٩٤٠ والأعلام ٢٦/٤.

(٣) عبد الرحمن بن موسى الأول (أبى حمو) بن أبى سعيد عثمان بن يغماسن، أبو تاشفين من بنى عبد الواد: من سلاطين تلمسان وأطرافها فى المغرب الأوسط. قتل أباه وحل فى الملك محله سنة (٧١٨هـ) وانصرف إلى عمران وكان فيه ميل إلى النعيم واللهو فجمع آفاقاً من أهل الصناعات، من أسرى الروم انظر بقية الرواد ١٣٢/١-١٤٢ وابن خلدون ١٠٤/٧-١١١ وشذارت الذهب ١١٥/٦ والأعلام ٣/٣٣٩.

يغمراسن من عبد الواد الزياتي قتيلا في محاربة سلطان المغرب أبي الحسن (١) المريني،
آخر شهر رمضان، بعدما ملك نيفا وعشرين سنة.
وفيها وقع الغلاء في جمادى الأولى؛ وأبيع الأردب القمح بأربعين درهما. والشعير
بثمانية وعشرين درهما، والقول باثنين وثلاثين درهما، والبرسيم الأخضر كل فدان
بنحو مائة وسبعين درهما، والحمص المسلوق بثلاثة دراهم القدح.
وفيها كبست الفيوم في أخريات جمادى الأولى، وأحضر منها ألف ومائتان فرس. ثم
قدم إلى الفيوم وأمراء العربان، وأحضروا ستين حمل سلاح، ومائة فرس وغير ذلك.
وفي سابع ذي الحجة: وردت الفصاد بأن الملك موسى قدم إليه من خراسان طغاي
تمر، وسارا لمحاربة محمد بن غيرجي؛ فانكسرا في رابع عشر ذي القعدة، واستقل محمد
بالملك؛ وكانت الواقعة قريبا من السلطانية بموضع يقال له صولق.
وفي رابع عشره: استقر الجمالي عبد الله أخو ظلظية في ولاية البحيرة، عوضا عن
الفرس خليل.

* * *

ومات فيها من الأعيان

قطب الدين إبراهيم بن محمد بن علي بن مطهر بن نوفل التغلبي الأدفوي، بعد
كف بصره، في يوم عرفة بأدفو؛ وله شعر.
وتوفى شهاب (٢) الدين أحمد بن محمد بن سليمان بن حمائل بن غاتم، بدمشق في
ثالث عشر المحرم؛ وله شعر ونثر، ورحل إلى مصر وغيرها.
وتوفى شهاب الدين أحمد بن علي بن أحمد بن الخولي القوصي الشافعي، بقوص.
ومات الأمير سيف الدين الأكر بدمشق، في نصف رمضان.
وتوفى الشيخ الإمام القدوة أبو عبد الله محمد بن محمد بن (٣) محمد بن الحاج الفاسي

(١) علي بن عثمان بن يعقوب بن عبد الحق المريني، أبو الحسن، والمنصور بالله من كبار بني
مرين ملوك المغرب، وكان يعرف بالسلطان الأكل ببيع بفاس بعد وفاة أبيه سنة ٧٣١هـ بعهد منه
انظر جذوة الاقتباس ٢٩١ والاستقصا ٥٧٠٨٧/٢ والحلل المشوية ١٣٤ والأعلام ٣١١/٤.

(٢) أحمد بن محمد بن سلمان بن حمائل الزيني الجعفري شهاب الدين، كاتب مترسل نديم، له
شعر كله لطائف، وملح وكان إذا أنشأ أطال فكره وتنف شعره وذقته. مولده بمكة وكان كلما أقام
في مكان حدثت له وقائع مع نوابه وأمراءه. انظر الدرر الكامنة ١/٢٦ وشذرات الذهب ١١٤/٦
وفوات الوفيات ١:٦٣ والأعلام ٢٢٣/١.

(٣) محمد بن محمد بن محمد بن الحاج، أبو عبد الله العبدري المالكي القاسي، نزيل مصر: قاض

المغربي العبدري الفقيه المالكي - عرف بابن الحاج - فى العشرين من جمادى الأولى؛ ودفن بالقرافة؛ وقد علت سنه، وكانت جنازته عظيمة؛ وحدث؛ وكان زاهدا صالحا، وأخذ عن جماعة منهم الشيخ أبو عبد الله محمد بن سعيد بن أبى جمرة، وصنف كتاب المدخل، جامع فى بابه.

ومات الأمير عز الدين أيدمر الخطيرى أحد الأمراء مقدمى الألوفا المنسوب إليه جامع الخطيرى فى أول رجب؛ كان مملوك الخطير الرومى - والد الأمير مسعود بن خطير - ثم انتقل إلى الملك المنصور قلاوون، فرقاه حتى صار من أجل الأمراء البرجينة؛ وكان جوادا كبير الهمة فيه خير كثير.

ومات الأمير أزبك الحموى، فى يوم الأربعاء خامس عشرى ذى القعدة على آياس، وقد بلغ مائة سنة؛ فحمل إلى حماة ودفن بها؛ وكان مهابا كثير العطاء.

ومات الأمير بغا الدوادار بصفد منقيا، وكان مشكور السيده.

وتوفى عمر بن الشيخ برهان الدين أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن محمد ابن تميم بن عبد الصمد بن أبى الحسن بن عبد الصمد بن تميم المقرزى البعلبى الصوفى، ببعلبك^(١) فى ذى القعدة؛ ومولده فى ثانى عشر رمضان سنة ثمان وستين وستمائة. سمع من المسلم بن عدلان، وحدث، وسمع منه الأمير الوانى وابن الفخر وغيرهما. ومات الشيخ حسين بن إبراهيم بن حسين خطيب جامع الحاكمى من سوقة لاريش، فى يوم الخميس العشرين من شوال؛ فكانت جنازته عظيمة جدا لكثرة صلاحه، وقبره يزار خارج باب النصر.

وتوفى المحدث محب الدين عبد الله بن أحمد بن المحب المقدسى، فى ربيع الأول بدمشق؛ حدث عن الفخر وغيره.

وتوفى شيخ الحنابلة بنابلس شمس الدين عبد الله بن العفيف محمد بن يوسف، فى ربيع الآخر.

ومات أسد الدين عبد القادر بن عبد العزيز بن المعظم عيسى بن العادل أبى بكر بن

تفقه فى بلاده وقدم مصر، حج وكف بصره وله (شموس الأنوار وكنوز الأسرار - ط) انظر الديباج المنهبة طبعة ابن شقرون ٣٢٧ والدرر الكامنة ٢٣٧/٤ والأعلام ٣٥/٧.

(١) ببعلبك: مدينة بالشام بينها وبين دمشق فى جهة الشرق مرحلتين، وهى حصينة فى سفح جبل وعليها سور حصين بالحجارة سعته عشرون شبرا. انظر معجم البلدان ٤٥٣/١، والروض المعطار ١٠٩، ونزهة المشتاق ١١٦، وصبح الأعشى ١٠٩/٤.

٢٢٦ سنة سبع وثلاثين وسبعمائة

أيوب بن شادي، في ثاني شوال برملة^(١)، فدفن بالقدس، ومولده في ربيع الأول سنة اثنتين وأربعين وستمائة؛ حدثت بالسيرة النبوية عن خطيب مردا.

وتوفي علاء الدين علي بن محمد بن سليمان بن حمائل بن غانم الدمشقي المنشأ، في ثالث المحرم بتبوك، وهو عائد من الحج.

وتوفي الشيخ محمد بن عبد الله بن المجد إبراهيم المرشدي، صاحب الأحوال والمكاشفات، بناحية منية المرشد في ثامن رمضان.

وتوفي ناصر الدين محمد بن إبراهيم بن معضاد بن شداد بن ماجد الجعيري الواعظ، في يوم الإثنين رابع عشر المحرم.

وتوفي شيخ الخانكاه الناصرية سعيد السعداء كمال الدين أبو الحسين علي بن حسن بن علي الحوزاني، في خامس عشر صفر؛ واستقرّ عوضه شمس الدين محمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن النعجواني.

وتوفي محتسب القاهرة ووكيل بيت المال نجم الدين محمد بن حسين بن علي الأسعردى، في يوم الجمعة خامس عشر شعبان.

وتوفي نجم الدين أحمد بن العماد إسماعيل بن الأثير^(٢)، أحد كتّاب الدرج، في يوم الثلاثاء رابع عشر المحرم.

وتوفي سعد الدين سعيد بن الشيخ محيي الدين محمد بن محمد بن عبد الله بن محمد ابن عبد الله - عرف جدّه بابن أكنس البغدادي - المنجم كاتب التقاويم، وكانت له إصابات في النجامة عجيبية، وكانت وفاته في خامس عشر صفر.

(١) الرملة: بالشام، سميت الرملة لما غلب عليها الرمل، وهي من كور فلسطين، وبينها وبين القدس ثمانية عشر ميلاً، ومدينة الرملة واسطة بلاد فلسطين، وهي مدينة مسورة ولها اثنا عشر باباً منها: باب القدس، وباب عسقلان، وباب يافا، وباب يازور، وباب نابلس. انظر معجم البلدان ٦٩/٣، والروض المعطار ٢٦٨، المقدسي ١٦٤، ١٦٥، وناصر خسرو ١٩، وصبح الأعشى ٩٩/٤.

(٢) أحمد بن إسماعيل بن أحمد بن سعيد نجم الدين بن الأثير الحلبي الأصل القاهري: من كتاب الإنشاء بمصر. ومن كان يحضر (دار العدل) بين يدي السلطان. له (جوهر الكنز - خ) بخطه اختصر به كتاب «كنز البراعة» لأبيه وله «المختصر المختار من وفيات الأعيان - خ» انظر الدرر الكامنة ١٠٤/١ ومخطوطات الأسكوريالية الرقم ١٧٨٠ وكشف الظنون ١٥١٤ وقع فيه اسم كتاب أبيه، والأعلام ٩٧/١.

السلوك لمعرفة دول الملوك ٢٢٧

وتوفى مسند مصر شرف الدين يحيى بن يوسف المقدسى والمعروف بابن المصرى،
عن نيف وسبعين سنة بمصر.

* * *

سنة ثمان وثلاثين وسبعمائة

أول المحرم: قدم مبشرو الحاج بسلامة الحجاج ورخاء الأسعار وحسن سيرة الأمير شمس الدين أقسنقر السلاح دار أمير الحاج.

وفي يوم الخميس ثالث عشره: قدمت عساكر التجريدة من بلاد سبسي. وكان من خبر ذلك أنهم لما ساروا من القاهرة في ثاني عشر شعبان، وقدموا دمشق تلقاهم الأمير تنكز، ولم يعبأ تنكز بالأمير أرقطاي مقدّم العسكر لما في نفسه منه. ومضوا إلى حلب. فقدموها في رابع عشرى رمضان، وأقاموا بها يومين؛ فقدم الأمير قطلوبغا الفخرى بعساكر الشام، وقد وصل إلى جعبر^(١)، ثم ساروا جميعاً يوم عيد الفطر، ومعهم الأمير علاء الدين ألتنبغا نائب حلب، وهو مقدّم على العسكر جميعاً، حتى نزلوا على الإسكندرونة أول بلاد سبسي؛ وقد تقدمهم الأمير مغلطاي الغزى إليها بشهرين حتى جهز المجانيق والزحافات والجسور الحديد والمراكب وغير ذلك لعبور نهر جهان. فقدم عليهم البريد من دمشق بأن «تكفور وعد بتسليم القلاع للسلطان، فلتردّ المجانيق وجميع آلات الحصار إلى بغراس. وليقم العسكر على مدينة آياس حتى يرد مرسوم السلطان بما يعتمد في أمرهم» وكانت التراكمين قد أغاروا على بلاد سبسي، ومعهم عسكر ابن قرمان فتركوها أوحش من بطن حمار؛ فبعث تكفور رسله فى البحر إلى دمياط، فلم يأذن السلطان لهم فى القدوم عليه، من أجل أنهم لم يعلموا نائب الشام بحضورهم؛ فعادوا إلى تكفور. فبعث تكفور بهدية إلى تنكز نائب الشام، وسأله منع العسكر من بلاده، وأنه يسلم القلاع التى من وراء نهر جهان جميعاً للسلطان. فكاتب تنكز السلطان بذلك، وبعث أوحده المهمندار إلى الأمير علاء الدين ألتنبغا نائب حلب وهو المقدم على العسكر جميعاً بمنع الغارة ورد الآلات إلى بغراس^(٢)؛ فردها ألتنبغا وركب بالعسكر إلى آياس، فقدمها يوم الإثنين ثاني عشر شوال. وكانت آياس قد تحصنت، فبادر العسكر وزحف عليها بغير أمره؛ فكان يوماً مهولاً، جرح فيه جماعة كثيرة. واستمرّ الحصار إلى يوم الخميس خامس عشره؛ وأحضر نائب حلب خمسين نجاراً وعمل زحافتين وستارتين ونادى فى الناس بالركوب للزحف. فاشتدّ القتال حتى

(١) جعبر قلعة على الفرات قرب صفيين. انظر معجم البلدان ١٤٢/٢.

(٢) بغراس مدينة فى لحف جبل اللكام، بينها وبين أنطاكية أربعة فراسخ. انظر معجم البلدان

وصلت الزحافات والرجال إلى قريب السور، بعدما استشهد جماعة كثيرة. فترجل الأمراء عن الخيول لأخذ السور، وإذا بأوحد المهمندار ورسلكففور قد وافوا برسالة نائب الشام، فعادوا إلى مخيمهم فبلغهم أوحد المهمندار أن يكفوا عن الغارة، فلم يوافقوه على ذلك؛ واستقر الحال على أن تسلموا آياس بعد ثمانية أيام.

فلما كان اليوم الثامن أرسل تكفور مفاتيح القلاع، على أن يرده ما سبى ونهب من بلاده؛ فنودي برده السبى، فأحضر كثير منه؛ وأخرب الجسر الذى نصب على نهر جهان. وتوجه الأمير مغلطاي الغزى فتسلم قلعة كواره وكانت من أحصن قلاع الأرمن، ولها سور مساحته فدان وثلاث وربع فدان، وارتفاعه اثنان وأربعون ذراعاً بالعمل؛ وأنفق تكفور على عمارته أربعمئة ألف وستين ألف دينار.

وتسلم العسكر آياس؛ وهدم البرج الأطلس فى ثمانية أيام، بعدما عمل فيه أربعون حجارة يومين وليلتين حتى خرج منه حجر واحد. ثم نُقب البرج وعلق على الأخشاب، وأضرمت فيه النار، فسقط جميعه؛ وكان برجاً عظيماً، بلغ ضمانه فى كل شهر لتكفور مبلغ ثلاثين ألف دينار حساباً عن كل يوم ألف دينار سوى خراج الأراضى. وكان ببلدة آياس أربعمئة حمارة وستمئة بغى، وكان بها فى ظاهرها ملاحه تضمن كل سنة بسبعمئة ألف درهم، ولها مائتان وستة عشر بستاناً تغرس فيها أنواع الفواكه، ودور سورها فدانان وثلاثا فدان.

ثم رحل العسكر عن آياس بعدما أقاموا عليها اثنين وسبعين يوماً، فمر نائب حلب على قلعة نجمة وقلعة سرفندكار - وقد أخربهما مغلطاي الغزى - حتى عبر بالعسكر إلى حلب فى رابع عشرى ذى الحجة.

فعاد العسكر إلى مصر، وقد مرض كثير منهم، ومات جماعة. فأكرم السلطان الأمير أرقطاي وخلع عليه، وبعث تشريفاً إلى نائب حلب. وأقطع السلطان أراضى سيس لنائب حلب ونائب الشام وغيرهما من أمراء الشام؛ وأمر فيها جماعة من التركمان والأجناد، فاستعملوا الأرض فى الفلاحة، وخطوا عنهم من الخراج، فعمرت ضياعها. وضمت بعض عجائز الأرمن ألف درهم كل يوم، فلم يوافق السلطان على ذلك. وعمل فى كل قلعة من قلاع الأرمن نائب، ورتب فيها عسكر. ثم قدمت رسل تكفور فخلع عليهم، وكتب بترك الخراج عنهم ثلاث سنين، ومهادنتهم عشر سنين.

وفىها كانت حرب بين خليل الطرفى وبين خليل بن دلغادر على أبلستين^(١)، انتصر

(١) أبلستين مدينة مشهورة ببلاد الروم قرية من أيبس مدينة أصحاب الكهف. انظر معجم

فيها ابن دلغادر. فانتمى الطرفى إلى نائب الشام. ووعده على نيابة الأبلستين بألفى إكديش، وإقامة ثلاثين أمير طبلخاناه. فعنى به نائب الشام حتى قدم إلى قلعة الجبل، وخلع عليه، وكتب له ثلاثون منشورا بإمريات جماعة عينهم؛ وخلع على جميع من معه، وسار.

وقدم الخير بأن القان موسى لما فرّ بعد قتل على بادشاه لحق بخراسان، فقام معه طغاي تمر أميرها، وجمع له. فسار إليه الشيخ حسن الكبير وأولاد دمردادش، ولقوه بالقرب من سلطانية؛ فانكسر موسى وقتل من أصحابه. فاختل فى هذه الفتن حال بغداد والموصل وديار بكر، وقوى أرتنا نائب المغل ببلاد الروم، لشغل المغل عنه بما هم فيه.

وفىها بعث النشو من كشف عن أرباب دواليب القند، فوجد لأولاد فضيل كثير من القند، ومنه أربعة عشر ألف قنطار قند عملت فى هذه السنة؛ وبلغت زراعتهم فى كل سنة ألف وخمسمائة فدان من القصب، كانوا فيما سلف يصلحون المباشرون على أن قندهم ألف قنطار يؤدون ما عليها للديوان. فلما علم النشو ذلك أوقع الحوطة على حواصلهم، وحمل القند إلى دار القند، وكتب عليهم حججا بثمانية آلاف قنطار للسلطان. فلما تخلصوا منه وجدوا لهم حاصلا لم يظفر به النشو، وفيه عشرة آلاف قنطار قند. وصادر النشو شاد دواليب الخاص بالصعيد، وأخذ منه مائة وستين ألف درهم حملها للسلطان.

وفىها أنعم السلطان فى يوم واحد على أربعة من مماليكه بمائتى ألف دينار مصرية، وهم قوصون وألطنبغا وملكتمر الحجازى وبشتاك؛ وأنعم على موسى بن مهنا بضيعة بألف ألف درهم، وكان قد قدم له فرسا. فشق ذلك على النشو، وقال: «خاطرت بروحى فى تحصيل الأموال، وهو يفرقها».

وفىها قدم أمير أحمد ابن السلطان من الكرك باستدعاء، وكان قد بلغه عنه أنه يعاشر أوباش الكرك؛ فعد له السلطان على ابنة الأمير سيف الدين طايربغا، وعقد لابنه يوسف على ابنة الأمير جنكلى بن البابا، وذلك فى العشرين من ربيع الآخر. وسير السلطان لكل أمير بألف وخمسمائة دينار وثوب أطلس.

وفيه سعى النشو بقاضى الإسكندرية عماد الدين محمد بن إسحاق البليسى، شيخ خانكاه بهاء الدين أرسلان، من أجل أنه عارضه فى أخذ أموال الأيتام؛ ورماه بأنه أخذ مالا للأيتام اشترى بها عدة جوارى. فطلب البليسى من الإسكندرية وسلم إلى ابن

المرواني والى القاهرة ليخلص منه مال الأيتام؛ فقام بأمره الأمير جنكلى بن البابا والحاج آل ملك والأحمدى، حتى توجه الضياء المحتسب وآقوش البريدى للكشف عنه، فلم يظهر لما رمى به صحة، وأكثر ما عيب عليه أنه مطّرح الاحتشام يمشى فى الأسواق لشراء حاجته، فأفرج عنه.

وفيه ولد للسلطان ابنه صالح من زوجته بنت الأمير تنكز؛ فعمل السلطان لها بشخاناة ودابير بيت ونحو ذلك بمائة ألف وأربعين ألف دينار؛ وعمل لها الفرح مدة أسبوع، حضره نساء الأمراء، وما منهن إلا من عين لها السلطان تعبئة قماش على قدر رتبة زوجها. فحصل للمغانى شىء كثير، حتى أن مغنيات القاهرة جاء قسم كل واحدة منهن عشرة آلاف درهم، سوى التفاصيل الحرير والمقانع^(١) والخلع. وقدم من الأمير تنكز نائب الشام لابنته مقنعة وطرحة بسبعة آلاف دينار. وفى هذا المهمّ استعمل السلطان للخركاه^(٢) الواصلة إليه من بلاد الشرق ثوبا من حرير أطلس وردى، ورصعه باللؤلؤ والجواهر، وأسبل عليها سترا؛ فبلغ مصروف ذلك مائة ألف دينار واثنى عشر ألف دينار؛ فنامت فيها النساء. وبلغ مصروف خمسمائة ألف دينار، فكان شيئا لم يسمع بمثله فى الدولة التركية.

وفيه اتفق عدة من أرباب الجرائم بخزانة شمائل وقتلوا السجان، وخرجوا بعد المغرب من باب زويلة شاهرين السكاكين. فركب الوالى فى طلبهم، فلم يظفر منهم سوى برجل أقطع^(٣)، فشنقه.

وفيهما استدعى السلطان من بلاد الصعيد بألفى رأس من الضأن، واستدعى من الوجه البحرى بمثلها؛ وشرع فى عمل حوش برسمها ويرسم الأبقار البلق^(٤)، فوق اختياره على موضع من قلعة الجبل مساحته أربعة أفدنة، قد قطعت منه بالحجارة لعمارة القاعات التى بالقلعة حتى صار غورا عظيما وطلب السلطان كاتب الجيش، ورتب على كل من الأمراء المقدمين مائة رجل ومائة دابة لنقل التراب، وعلى كل من أمراء

(١) المقانع جمع مقنعة. ويقال مقنعة، وهى ما تغطى به المرأه رأسها وتكون أضيق من القناع. يحيط المحيط.

(٢) المخركاه وهى بيت من خشب مصنوع على هيئة مخصوصة، ويغشى بالجوخ ونحوه تحمل فى السفر لتكون فى الخيمة للمبيت فى الشتاء للوقاية من البرد.

(٣) أقطع هو المقطوع اليد ويقال للأثنى قطعاء وجمعه قطع وقطعان، والأقطع أيضا الأصم وربما كان المعنى الثانى هو المقصود. يحيط المحيط.

(٤) البلق جمع أبلق وهو ما جمع بين الأبيض والأسود من الألوان. (قاموس المحيط)، المعجم الوسيط (بلق).

الطبلخاناه بحسبه؛ وأقام الأمير آقبغا عبد الواحد شادا، وأن يقيم معه من جهة كلّ أمير أستاذاره بعدة من جنده؛ وألزم الأمراء بالعمل؛ ورسم لوالى القاهرة بتسخير العامة. فأقام الأمير آقبغا عبد الواحد فى خيمته على جانب الموضوع، واستدعى أستاذارية الأمراء واشتد عليهم؛ فلم يمض ثلاثة أيام حتى حضرت إليه رجال الأمراء من نواحيهم، ونزل كل أستاذار بخيمته ومعه دوابه ورجاله؛ فقسمت عليهم الأرض قطعا معينة لكل واحد منهم، فجداً فى العمل ليلا ونهارا. هذا وآقبغا داير بفرسه عليهم يستحثهم، ويحرق بأستاذارية الأمراء، ويضرب بعضهم، ويضرب أكثر أجنادهم. ووكل المقدم عنبر السحرتى بالرجال، وكان ظلما غشوما بهم وكلفهم السرعة فى أعمالهم، من غير أن يوجد لهم رخصة^(١) ولا مكنهم من الاستراحة. وكان الوقت صيفا حارا، فهلك كثير منهم فى العمل لعجز قدرتهم عما كلفوه. ومع ذلك كله والولة تسخر من تظفر به من العامة، وتسوقه إلى العمل، فيزل به البلاء ما لا قبل له به، ولا عهد له بمثله. وكان أحدهم إذا عجز وألقى بنفسه إلى الأرض، رمى أصحابه عليه التراب فمات لوقته. هذا والسلطان يحضر كل يوم حتى يرى العمل.

وكان الأمير ألطنبغا الماردىنى قد مرض، وأقام بالميدان على النيل أياما حتى برئ، وطلع إلى القلعة من باب القرافة. فاستغاث به الناس وسألوه أن يخلصهم من هذا العمل، فتوسط لهم عند السلطان حتى عفى السلطان الناس من السخرة؛ وأفراج عمن قبض عليه منهم. فأقام العمل سنة وثلاثين يوما إلى أن فرغ منه، وأجريت إليه المياه، وأقيمت به الأغنام المذكورة والأبقار البلق. وبنيت به بيوت للأوز، فبلغ ثمن البقل المصروف من الديوان برسم أكل فراخها فى كل يوم مائة وخمسين درهما، وعند فراغ العمل من الحوش وترتيبه استدعى السلطان الأمراء وعمل لهم سماطا جليلا، وخلع على جماعة ممن باشر العمل وغيرهم.

وفىها وصل من متجر الخاص ستمائة قطعة قطران، طرحت على الزياتين وأصحاب المطايخ بمائتى درهم القطعة. ثم طرح النشو أيضا ألف مقطع شرب بحساب ثلاثمائة درهم المقطع، وقيمته ما بين مائة وخمسين ومائة وستين درهما المقطع. ثم طرح النشو ثياب الممالك الخلقة وأخفافهم العتيقة على أربابها بأغلى ثمن.

وفىها جدّ النشو فى السعاية بالصفى كاتب قوصون عند السلطان، وأنه يلزمه فى كل سنة للديوان عن متاجره وزراعا نحو مائتى ألف درهم، حتى ألزم السلطان الأمير قوصون بمصادرتة وأخذ ماله لنفسه؛ فأوقع قوصون الحوطة على جميع ماله. وسعى

(١) الرخصة هنا التوبة فى توزيع العمل أو التيسير والتسهيل. انظر محيط المحيط.

النشو أيضا بقطلو أستاذار قوصون أنه لما توجه إلى الشام لزمه مال كثير بما أتلفه من مال معاصر الغور، وعما أخذه من المباشرين حتى تلفت الأقباب؛ فقبض عليه قوصون، وألزمه بالحمل حتى باع داره وثيابه.

ثم بعث السلطان إلى قضاة القضاة ألا يثبت أحد منهم محضرا باستحقاق ميراث حتى يرسم لهم بذلك. وسببه أن صدر الدين الطيبي لما ولاه النشو نظر ديوان المواريث التزم له بحمل الأموال الكثيرة، وصار يحتاط على أموال التركات، ويحملها إلى النشو من غير أن يعطى الورثة منها شيئا؛ فإن كان للوارث جاه وكان له ولد معروف ألزمه أن يثبت نسبه من الميت واستحقاقه لميراثه، فإذا أثبت ذلك أحاله على ما يتحصل من المواريث، فيماطل بذلك مدة ولا ينال غرضه، فلما فحش الأمر في هذا بلغ السلطان، فأنكر على النشو ذلك، فدافع عن نفسه بأعذار قبلت منه، ثم رسم السلطان للقضاة ألا يثبتوا من ذلك شيئا إلا بمرسومه، فاشتدّ الأمراء على الناس؛ وصارت التركة تنهب بحضرة الوارث ولا يجد سبيلا إليها فإن عجز الطيبي عن أخذ المال من التركة لقوة الوارث وشدة بأسه رماه عند النشو بأن مورثه لقي ووجد لقيه مال في بيته، فيلزم الوارث بإحضار ذلك حتى يترك ميراثه.

وفيهما كتب مرسوم بمساحة ضمان جهات دمشق بما عليهم من البواقي للديوان، ومبلغه مائتان ألف درهم؛ فأهملت من الحساب.

وفيهما أنعم السلطان على الأمير تنكز نائب الشام بثلاث ضياع من فتوح سيس، وهي قلعة كواره وقلعة نجيمة وقلعة سرفندكار؛ ورسم أن يحمل إليها من حماة وحمص وطرابلس عشرون ألف غرارة غلة برسم تقاويها وتخضيرها، وعين لكل ضيعة ما يكفيها؛ وكتب مراسيم لكل جهة بما هو مقرر عليها.

وفيهما أوقع الأمير تنكز بعلم الدين محمد بن القطب كاتب السرّ بدمشق، وضربه وصادره، بمرافعة الأمير حمزة التركماني؛ وأخذ منه عشرين ألف دينار ومائتي ألف درهم.

وفيهما أعرض أحمد ابن السلطان بابنة الأمير طايبرغا من غير عمل مهم. وأعرض كذلك يوسف ابن السلطان بابنة الأمير جنكلي بن البابا.

وفيهما أنعم على قطلوبرس أستاذار بكتمر الساقى بإمرة طبلخاناه، وتسلم أمير أحمد ابن السلطان وتوجه به إلى الكرك؛ فتوجه الأمير بيغرا إلى الكرك على النجب حتى أحضر جميع ما كان بها من المال.

وفيهما اتضع سعر الغلال حتى أبيع الأردب القمح الصعيدي بعشرة دراهم، والبحرى

بثمانية دراهم، والفلول والشعير كل أردب بستة دراهم؛ وكسدت الغلال. فكان رزق الله أخو النشو - وهو كاتب الأمير ملكتمر الحجازي - وولى الدولة صهره - وهو كاتب المجدى - يطرحان القمح بزيادة درهمين الأردب ويأخذان ثمنه بعسف وظلم؛ فتوقفت أحوال الجند لرخص السعر. وسعى النشو بالضياء المحتسب أن الدقيق والخبز سعرهما بالنسبة إلى القمح غال؛ فرسم لوالى القاهرة أن يطلب المحتسب والطحانين ويعمل معدّل القمح عنده، فلم يجد فى الأسعار تفاوتاً بين القمح والخبز.

وفى سابع عشر صفر: قدم من بغداد الوزير نجم الدين محمود بن على بن شروان، وحسام الدين الحسن بن محمد بن محمد الغورى محتسب بغداد وفخر الدين محمود نائب الحلة. وعدة من الأعيان فى خمسمائة عليقة^(١). فقدم الوزير للسلطان هدية سنية. فيها حجر بلخش وزن سبعة وعشرين درهما؛ فخلع عليه وعلى الغورى، وأنعم على محمود نائب الحلة^(٢) بإمرة طبلخاناه بدمشق، وعلى وزير بغداد بإمرة طبلخاناه بديار مصر، ثم أنعم عليه بتقدمة ألف بعد وفاة طابريغا.

وكان سبب قدومهم أن نجم الدين هذا كان تمكن ببغداد وكثر ماله؛ فلما قدم على بادشاه إلى بغداد ومعه القان موسى، وصادر أهلها، ثم جمع العساكر وخرج بعث بشمس الدين السهورردى نائب بغداد، وقد كتب له أسماء لياخذ ما لهم، منهم نجم الدين ابن شروان، فخر الدين محمود نائب الحلة. فلما بلغهم ذلك تواطوا على قتله والخروج إلى مصر، وخرجوا إلى لقاءه، واحتفوا به وساروا معه؛ ثم بدره نجم الدين بسيفه فضربه ضربة حلت عاتقه، فسقط إلى الأرض، وأخذت السيوف أصحابه؛ فارتجت بغداد بأهلها. وفى الوقت نادى نجم الدين بالأمان، «ولا يتحرك أحد!! فقد كان لنا غريم قتلناه»؛ وأخرج هو وأصحابه حرعهم وأموالهم، ومروا بهم على حمية من بغداد، وكتبوا إلى الأمير تنكز نائب الشام يستأذنونهم. فبعث تنكز البريد إلى السلطان بخبرهم، فأجيب بإكرامهم إلى القاهرة؛ فحمل إليهم من الإقامات ما يليق بهم حتى قدموا عليه، ثم سيرهم مكرمين.

وفىها أنعم على آقسنقر بنخبز طنجى السلاح دار؛ وأنعم على قمارى أمير شكار بتقدمة ألف.

وفيه أنشأ السلطان قصرًا للأمير يلغا اليحياوى، وقصرا للأمير الطنبغا الماردىنى، تجاه

(١) عليقة والجمع عليقات وعلائق - البعير. انظر محيط المحيط .

(٢) الحلة: مدينة كبيرة منيفة على شط الفرات يتصل بها من جانبها الشرقى وتمتد بطوله. انظر معجم البلدان ٢/٢٩٥، والروض المعطار ١٩٧، ابن جبير ٢١٣، وابن بطوطة ٢٢٠.

حمام الملك السعيد قريبا من الرميلة تحت القلعة، وأخذ لذلك من إسطنبول الأمير أيدغمش قطعة ومن إسطنبول الأمير طشتمر الساقى قطعة، ومن إسطنبول الأمير قوصون قطعة؛ ونزل بنفسه حتى قرّر أمره. وتقدم السلطان إلى الأمير قوصون أن يشتري الأملاك المجاورة لإسطنبول بالرميلة^(١) تحت القلعة، ويضيفها إلى إسطنبول؛ وأمر أن يكون باب الإسطبلين اللذين أنشأهما أيضا للأميرين يلبغا وألبغا تجاه حمام الملك السعيد؛ وأقام أقبغا عبد الواحد شادا بعمارة القصرين. فاشتري قوصون عدة أملاك وسع بمواضعها فى إسطنبول، وطرح النشو أنقاضها بأعلى الأمان؛ وجعل قوصون باب إسطنبول من الرميلة تجاه القلعة. وأنفق النشو على القصرين جميع ما يحتاج إليه فى عمارتها.

وفىها قدمت عدة تجار من الشام بتياب بعلبكي كثيرة، فختم عليها وأخذ عنها ما جرت به العادة للديوان من المكس. ثم أمر النشو بأخذها جميعها بقيمة اختارها، ثم طرحها على تجار القاهرة بثلاثة أمثال قيمتها، وألزم مباشرى الختم ألا يخطموا قماشاً حتى يستأذنه. فقدم قفلٌ عقيب ذلك فيه تاجر من جهة الأمير بشتاك، فأخذ قماشه فيما أخذ، وطرح الجميع على التجار. فادعى ذلك التاجر أن قماشه إنما هو للأمير بشتاك، فضربه النشو ضرباً مبرحاً؛ فشق ذلك على بشتاك وشكا أمره إلى السلطان. وكان النشو قد بلغ السلطان أن تاجرًا يحضر كل سنة القماش على اسم الأمير بشتاك بغير مكس، حتى وجب عليه للديوان مائة ألف درهم، وقد أكسر معاملة السلطان، وأنه قد أخذ ما أحضره من القماش؛ فانفعل السلطان لكلامه.

وفىها عزل قاضى القضاة جلال الدين محمد القزوينى^(٢). وسبب ذلك ولده جمال الدين عبد الله، وما كان عليه من كثرة اللهو والشهر فى المال، وأخذه الرشوة من القضاة ونحوهم، وتبسطه فى الترف، حتى إنه قد اقتنى عدة كثيرة من الخيول ورتب لها عدة من الأجاقية والركابين^(٣) وسابق بها. وكان جمال الدين شغف أيضاً بسماع الغناء ومعاشرة الأحداث من أولاد الأكابر ومماليك الأمراء، وتجاهر بالمنكرات. فرفعت فيه للسلطان تتضمن شعراً بما هو عليه، فأخرجه السلطان إلى الشام؛ ثم أعاده بسعى

(١) الرميلة منزل فى طريق البصرة إلى مكة. انظر معجم البلدان ٧٣/٢.

(٢) محمد بن عبد الرحمن بن عمر، أبى المعالى، جلال الدين القزوينى الشافعى المعروف بخطيب دمشق. قاضى، من أدباء الفقهاء أصله من قزوين، ومولده بالموصل. ولى القضاء فى ناحية بالروم، ثم قضاء دمشق سنة ٧٢٤. انظر مفتاح السعادة ١٦٨/١، ١٧٢/٢ وبغية الوعاة ٦٦ وابن الوردى ٣٢٤/٢ والأعلام ١٩٢/٦.

(٣) لفظ الركابين - مفرده ركاب أى السائس.

أبيه بعد مدة بسفارة الأمير بكتمر الساقى، فلم يقيم إلا نحو السنة، وزاد فى قبح السيرة؛ فأخرجه السلطان ثانيا، وأقام سنة. فلم يطلق أبوه غيبته عنه، وكان قد فتن به حتى أنه لشدة حبه إياه لا يكاد يصبر عنه ساعة واحدة؛ فسأل السلطان فى عوده مشافهة، وضمن توبته؛ فأعاده السلطان إلى القاهرة، فأنشأ بجوار بيت أبيه على النيل داراً كلف قضاة الأعمال فيها حمل الرخام وغيره، واستدعى لها الصناع من الشام، وبالح فى إتقانها، فبلغت النفقة عليها زيادة على خمسمائة ألف درهم. وبلغ السلطان ذلك، فحدّث الأمراء بما بلغه، وأنكر على القاضى بتمكين ولده من هذا؛ فبعث الأمير عز الدين أيدمر الخطيرى إلى القاضى يعنفه ويشنع عليه، ويلومه على إنفاق ولده هذا المال الكبير، فاعتذر عنه بأنه اقترض ما عمر به هذه الدار فإن سكنى القاهرة لم توافقهم واحتاجوا إلى السكنى على النيل. ثم إنه أيضا اشترى فى القاهرة دارا، وجدّدها بما يزيد على مائتى ألف درهم، فكثرت الكلام فيه. هذا مع جفائه للناس، وقوة نفسه، وسوء سيرته وسيرة إخوته أيضا وتغافل أبيهم عنهم، وتصاممه عن الشكوى فيهم فكذب فى القاضى عدة أوراق للسلطان، ونسب فيها إلى أنه لا يولى نائبا عنه فى بلد حتى يجتمع بأولاده، وشنع فيها أن القضاة فى أيامه إنما تلى بالبراطيل، وتزايد فى الولايات. وكان السلطان لا يرشى ويعاقب من يرتشى أشدّ العقوبة، فكان يراعى القضاة لما فى نفسه من إجلالهم وتعظيمهم، إلى أن نعط أمر أولاد القاضى جلال الدين القزوينى وكثرت القصص فيهم وفى مملوكه. وعمل حسن الغزى الشاعر فيهم قصيدة شنيعة، وأوصلها إلى شهاب الدين أحمد بن فضل الله، فقصد نكاية القزوينى، وقال للسلطان عنها وقرأها عليه، فأثرت فى السلطان وغيرته على القزوينى، ومنها، وهى طويلة:

قاض على الأيام سل صارما بحده يلتقط الدراهما
وسن من أولاده لها دما جردهم فانتهكوا المحارما
والشبل فى المخبر مثل الأسد

وابنه البدرى خطيب جلقى بامرأة الكامل مشغوف شقى
بادره بالعزل فليس يرتقى منابر الإسلام إلا متقى
متزر ثوب العفاف مرتد

يا ملك الإسلام يا ذا الهمة أزل عن الملة هذى الغمة
واحلل بعبد الله سيف النعمة فإنه حجاج هذى الأمة
واردعه ردع كلّ مفسد

فلما حضر القضاة إلى دار العدل على العادة لم يؤذن لهم في دخوله، وعندما نزلوا بعث السلطان إلى القزويني مع الدوادار بأن نائب الشام شكاً من ابن المجد قاضي دمشق، «وقد اقتضى رؤية أن تسافر إلى دمشق قاضياً، كما كنت، فإنه استحي وجهه منك ومن الأمراء والناس، وكلما عرفك أن ترجع ابنك عما هو عليه لا ترجعه فإذا حضرت بدار العدل استعف من القضاء بحضرة الأمراء. واعلم أني أمر نائب الشام أنه إذا رأى أولادك على سيرة مرضية قابلهم بما يستحقونه».

فلما كان يوم الخميس: وحضر قاضي القضاة القزويني دار العدل، سأل الحاجب أن يسأل له السلطان في تمكينه من التوجه إلى دمشق، فإن مصر لم توافقه ولا وافقت أهله؛ فأذن له السلطان في ذلك. ونزل القزويني فأخذ في وفاء دينه، وكان عليه لجهة وقف التربة الأشرفية المجاورة لمشهد السيدة نفيسة^(١) مبلغ مائتي ألف درهم وثلاثين ألف درهم؛ فباع أملاكه وأملاك أولاده وأثاثهم وتحفهم بربع ثمنها، وكانت نفيسة. فباعوا من صنف الأواني الصيني بمبلغ أربعين ألف درهم؛ وباع عبداً لله إحدى عشرة جارية ما بين ثمانية آلاف درهم الجارية إلى أربعة آلاف، وباع من اللؤلؤ والجواهر والزرخش ما قيمته زيادة على مائة وعشرين ألف درهم، وباع داره بالقاهرة بخمسة وثلاثين ألف درهم؛ وأدوا ما عليهم من الدين للأيتام وغيرهم. وسار قاضي القضاة بأهله وأولاده إلى دمشق، وصحبته ستون زوج محارير على الجمال، في كل محارة امرأة. وتأسف الناس على فراقه، لمحبتهم له مع بغضهم لأولاده؛ فإنه كان كريماً جواداً سخياً، له صدقات ومراعاة لأرباب البيوت، يهب الألف درهم؛ ولم يعرف في دولة الأتراك بمصر قاض له مثل سعادته، ولا مثل حظوته من السلطان وقوة حرمة؛ وكان سفره في جمادى الآخرة.

وفي يوم الأحد ثامن عشره: استدعى عز الدين عبد العزيز ابن قاضي القضاة بدر الدين محمد بن جماعة الشافعي، وخلع عليه؛ واستقر قاضي القضاة عوضاً عن الجلال القزويني. وكان السلطان قد جمع بين يديه القضاة والفقهاء - وفيهم عز الدين -

(١) السيدة نفيسة هي السيدة نفيسة بنت الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب: صاحبة المشهد المعروف بمصر تقيّة صالحة عالمة بالتفسير والحديث. ولدت بمكة ونشأت في المدينة وتزوجت إسحاق المؤمن بن جعفر الصادق وانتقلت إلى القاهرة فتوفيت فيها. حجت ثلاثين حجة وكانت تحفظ القرآن. انظر فوات الوفيات ٣١٠/٢ ووفيات الأعيان/١٦٩ وخطط مبارك ١٣٥/٥ والأعلام ٤٤/٨.

وحدثهم فيمن يصلح للقضاء، وقد تعين عندهم شمس الدين محمد بن (١) عدلان. فلم يلتفت إليه السلطان، وذكر لهم عز الدين فأتوا عليه خيرا. وكان السلطان من أيام بدر الدين محمد بن جماعة يلهج بذكر ابنه عز الدين، ويقول: «لولا أنه شاب لوليت له القضاء».

وخلع فيه أيضا على حسام الدين الحسن بن محمد الغورى القادم من بغداد، واستقرّ فى قضاء القضاة الحنفية، عوضا عن برهان الدين إبراهيم بن على (٢) بن عبد الحق؛ ونزلا فى موكب جليل. وكان سبب عزل ابن عبد الحق أولاده، فإنهم ساروا سيرة أولاد القزويني؛ فكان السلطان يقول: «ولينا قضاة جيادا أفسدهم»؛ ورسم بسفر ابن عبد الحق وأولاده أيضا إلى الشام، فسافروا. وكانت قد وقعت الشكوى فى ابن القاضى الحنبلى من بيعه أوقاف الأيتام وأخذ أثمانها، وإتلافه فى المحرمات؛ فطلب والده تقى الدين أحمد بن عز الدين عمر بن محمد المقدسى، وسئل عن مال الأوقاف التى باعها، فاعتذر بما لا يقبل، وسأل المهلة. فأمر السلطان متولى القاهرة بتسليمه وضربه حتى يحضر المال جميعه، فأهانته ورسم عليه. وأخذ السلطان يقول للأمرء: «انظر ماذا جرى علينا من أولاد القضاة»، وذكر ابن القاضى الحنبلى وما كان منه، وهم أن يوقع به وبابنه المكروه، فتلطفوا به فى أمرهما والستر على القاضى لكبر سنه وشهرته. فعين الأمير جنكلى بن البابا لولاية الحنابلة موفق الدين عبد الله بن محمد بن عبد الملك المقدسى؛ فطلبه السلطان وخلع عليه مع رفيقه.

وفى يوم الإثنين تاسع عشره: طلع القضاة الأربعة وقبلوا يد السلطان، واستأذن قاضى القضاة عز الدين عبد العزيز بن جماعة الشافعى فى عزل نواب الحكم، فإنهم جميعهم إنما ولوا ببذلم المال الجزيل لولد القزويني، وأنهم قد أفسدوا فى الأعمال فسادا كبيرا؛ فأجابهم السلطان بأن يفعل ما فيه خلاصه من الله تعالى. فنزل ابن جماعة وكتب

(١) محمد بن أحمد بن عثمان بن إبراهيم بن عدلان بن محمود بن لاحق بن داود، شمس الدين الكتاني: فقيه شافعى مصرى ناب فى الحكم عن ابن دقيق العيد، وأرسل إلى اليمن فى أيام الناصر محمد بن قلاوون وله «شرح مختصر المزنى - خ» بخطه. انظر طبقات الشافعية ٢١٤/٥ ودار الكتب ٥٢٢/١ وهدية ١٥٦/٢ والأعلام ٣٢٧/٥.

(٢) إبراهيم بن على بن أحمد، أبو إسحاق برهان الدين المعروف بابن عبد الحق الواسطى، ويقال له أيضا قاضى الحنفى: فقيه حنفى محدث دمشقى. كان أبوه قاضى الحصن بسورية فعرف به وهو سبط عبد الحق بن خلف الوسطى وله «نوازل الوقائع» فى الأخبار، والمتقى فى فروع الفقه. انظر تاج التراجم - خ والجواهر المضية ٤٢/١ والبداية والنهاية ٢١٢/١٤ والنجوم الزاهرة ١٠٤/١٠ والدرر الكامنة ٤٦/١ والأعلام ٥١/١.

بعزل قضاة الوجه القبلى والبحرى بأسرهم، وعزل فخر الدين محمد بن محمد بن مسكين من نيابة الحكم بمصر، وولى عوضه بهاء الدين عبد الله بن عقيل، وعين لقضاء الأعمال جماعة ممن وقع اختياره عليهم، فلم يجسر أحد على معارضته ولا مخالفته، واستخلف عنه فى القضاء تاج الدين محمد بن إسحاق المناوى، وضياء الدين محمد بن إبراهيم المناوى؛ وعزل الضياء المحتسب من نظر الأوقاف حتى لم يدع أحدا بالقاهرة ومصر وأعمالها ممن ولاه القزوينى. فانكف عن الناس بذلك شر كبير وفساد كثير. وسار رفقاؤه الحنفى والحنبلى مثل سيرته فى النزاهة والصيانة.

وفىها فوض نظر الوقف الشافعى للشيخ برهان الدين إبراهيم الصائغ.

وعقيب ذلك قدم اليريد من الشام بألفين وخمسائة دينار من وقف الأشرية. فأخذها النشو وعرف السلطان بها، وأنه تعوض عنها لجهة الوقف فيما بعد فأخذها السلطان منه.

وفىها جمع النشو الطحانين وعرفاء الجمالة، وطرح عليهم ما زرع بناحية قليوب من الفول الأخضر والبرسيم، بحساب ثلاثمائة درهم الفدان الفول، والبرسيم بمائتى درهم؛ وضرب جماعة منهم بالمقارع، لأجل شكواهم إياه للسلطان. وطرح النشو مبلغ مائتى ألف درهم فلوسا نحسا ضرب إسكندرية وتروجة وفوة وبلاد الصعيد على التجار وأرباب المعاملات، فوقفت الأحوال. وذلك أن الفلوس كانت تؤخذ بالعدد، وقد كثر فيها الزغل من الرصاص ونحوه، وصار الفلوس الكبير يقص ثلاث قطع ويخرج بثلاثة فلوس؛ فصارت الباعة تردّها؛ وتحسن سعر الغلة دراهم الأردب. فقام الى القاهرة فى ذلك وضرب جماعة ونودى أن يرد الفلوس المقصوص والرصاص، ولا يتعامل به؛ فمشت الأحوال.

وفيه قدم اليريد من الأمير تنكر نائى الشام. ومعه مبلغ عشرين ألف دينار الذى أخذ من علم الدين بن القطب كاتب السرّ بدمشق؛ فخلع السلطان على جمال الدين عبد الله بن الكمال محمد بن العماد إسماعيل بن الأثير، واستقر فى كتابة السرّ بدمشق عوضا عن ابن القطب.

وفىها اتفق بدمشق أن قاضىها شهاب الدين محمد بن المجد عبد الله بن الحسين بن على الأربلى كان غير مرضى الطريقة؛ فلما عزل واستقرّ القزوينى عوضه، ركب ابن المجد قبل أن يبلغه العزل يريد مكانا، فنقرت بغلته من كلب خرج عليها فى الطريق، وآقتة عن ظهرها، فاندقّ عنقه؛ وسرّ الناس بذلك.

وفيهما عزل الضياء من حسبة القاهرة، بسعاية النشو به ورميه له بمحبة الأحداث ؛
 وخلع على الشريف شرف الدين على بن حسين بن محمد نقيب الأشراف، واستقرّ
 عوضه، بعدما أقامت القاهرة أياما بغير محتسب.

وفيهما أفرج عن الأمير آقسنقر شاد العمائر من حبسه بحلب، وأنعم عليه بطلبخاناه
 في دمشق، بعناية الأمير قوصون.

وفيهما قدم البريد بأن جبار بن مهنا توجه في جماعته إلى بلاد الشرق، وصار في
 جملة الشيخ حسن الكبير، بسبب أنه لما قدم بهديته إلى السلطان لم يجد منه إقبالا فكتب
 إلا إخوته بتزجيعة إلى البلاد.

وفيهما قدم البريد بأن الشيخ حسن الكبير قد جمع العساكر لمحاربة أرتنا صاحب بلاد
 الروم، وأن جبار بن مهنا التزم له بجمع العرب، وأنه كتب له تقليدا بالإمرة على
 العرب. فقدم بعد ذلك كتاب أرتنا ومعه هدية، ويسأل فيه أن يكون نائب السلطان
 في بلاد الروم، وأنه يضرب السكة باسمه، ويقيم دعوته على منابره. فخلع على رسله
 وأنعم عليهم، وكتب له تقليد بنبابة الروم من إنشاء الشريف شهاب الدين الحسين ابن
 قاضى العسكر. وكان الحامل لابن أرتنا على ذلك أنه عظم شأنه ببلاد الروم، وكثف
 جمعه حتى خافه الشيخ حسن الكبير أن ينفرد بمملكة الروم، فأخذ في التأهب لمحاربه.
 وكان ابن دلغادر قد تمكن بأراضى أبلستين، وكثرت زراعاته بها، وأخذ يتخطف من
 أطراف الروم؛ فخشى أرتنا منه أن ينازعه في مملكة الروم، أو يكون مع الشيخ حسن
 الكبير فرأى الاتجاه إلى السلطان أقوى له وأسلم، فإنه إما يمدّه بعسكر يتقوى به على
 أهل الشرق، أو يأوى إلى بلاده إن انهزم.

وفيهما بلغ النشو أن الناس يجتمعون إلى الوعاظ بالجامع الأزهر وجامع الحاكم وغير
 ذلك، ويدعون الله عليه. فلم يزل النشو بالسلطان حتى منع الوعاظ بأجمعهم من
 الوعظ، وأخرج رجلا كرديا كان للناس فيه اعتقاد إلى الشام.

وفيهما قدم المجد السلامى من الشرق صحبة رسل الشيخ حسن الكبير باستدعاء
 السلطان له؛ وقد كلفه الشيخ أن يقوم له بالصلح بينه وبين السلطان، وجهاز معه هدية
 جلييلة.

وفيهما قدم ناصر الدين خليفة بن خواجا على شاه وزير أبى سعيد، فأكرمه السلطان
 وأنعم عليه، وأخرج له راتبا بدمشق؛ ثم أنعم عليه بتقدمة ألف بها، عوضا عن برسبغا
 العادلى، وأنعم على برسبغا بتقدمة أقول الحاجب بعد موته.

وفيهما ندب النشو أحد مباشرى العمائر السلطانية لمرافعة الأمير آقبغا عبد الواحد، فأنهى للسلطان عنه أنه عمّر جميع عمائر من مال السلطان، وثبت لمحاqqته؛ فلم يجد آقبغا جوابا.

وفيهما استقرّ الأمير أخو ظلّية فى كشف الوجه البحرى، عوضا عن الأمير سيف الدين أبى بكر بن سليمان البايبرى؛ وأخرج البايبرى إلى دمشق بطلب الأمير تنكز له؛ وكانت إقامته فى كشف الوجه البحرى سنة، سار فيها سيرة سيئة.

وفى ليلة الإثنين ثانى عشرى ربيع الآخر: سقط بمصر والقاهرة مطر عظيم مدة ستة أيام، فتهدّم منه عدة أماكن، وسال الجبل وأعقب المطر رياحا عاصفة؛ واشتدّ البرد بخلاف العادة، وسقط الثلج بسبخة بردويل^(١) حتى جهلت الطريق، وسقط بمصر ثلج كثير وحصا فيه ما يزن ستة عشر درهما وأكثر إلى ثمانية وعشرين درهما. واشتدّ الريح بناحية دمياط فى بحر الملح حتى غلب على النيل، ووصل الماء إلى شار مساح وفارس كور^(٢).

وفيهما كثر تسخير الناس للعمل فى عمائر السلطان بالقلعة، وقبض عليهم من بين القصرين وهم نيام، ومن أبواب الجوامع عند خروجهم من صلاة الصبح؛ فابتلى من ذلك ببلاء عظيم، وكثرت الغائنة، فلم يجسر أحد من الأمراء يكلم السلطان فيه.

وفى يوم الإثنين رابعه: خلع على علاء الدين على بن محيى الدين يحيى بن فضل الله، واستقرّ فى كتابة السرّ عوضا عن أبيه بعد وفاته؛ وركب معه الحاجب أمير مسعود والدوادار طاجار إلى داره.

وفى ثانى عشرى رمضان: قدمت الحرّة بنت السلطان أبى الحسن على بن عثمان^(٣) ابن يعقوب المرينى صاحب فاس تريد الحج، ومعها جمع كبير وهدية جليلة إلى الغاية، نزل حملها من الإسطبل السلطانى ثلاثون قطارا من بغال النقل سوى الجمال، وكان

(١) تقع سبخة بردويل فى الجنوب الغربى من مدينة العريش على الحدود المصرية الفلسطينية. النجوم الزاهرة ١٣/٨.

(٢) فارس كور جبلان معروفان. انظر معجم البلدان ٤/٤٨٩.

(٣) على بن عثمان بن يعقوب بن عبد الحق المرينى، أبو الحسن، المتصور بالله من ملوك المغرب كان يعرف عند العامة بالسلطان الأكحل، لسمره لونه، وأمه حبشية. بويغ بفاس بعد وفاة أبيه سنة ٧٣١هـ بعهد منه استنجد به بنو الأحمر. ولابن مرزوق كتاب فى سيرته سماه «المسند الصحيح الحسن من أحاديث السلطان أبى الحسن». انظر جذوة الاقتباس ٢٩١ والاستقصا ٥٧/٢-٨٧ واللحة البدرية ٩٢ والانبساط ٥٢٠٥٣ والأعلام ٤/٣١١.

من جملتها أربعمائة فرس - منها مائة حجرة ومائة فحل ومائتان بغل، وجميعها بسروج ولجم مسقطة بالذهب والفضة، وبعضها سروجها وركبها من الذهب وكذلك لجمها؛ وكان جملتها أيضا أبقار عدتها اثنان وأربعون رأسا، ومنها سرجان من ذهب مرصع بجوهر، وفيها اثنان وثلاثون بازا، وفيها سيف قرابه من ذهب مرصع، وحياسة^(١) ذهب مرصع، وفيها ستمائة كساء وغير ذلك من القماش الغالي. وكان قد خرج المهمندار إلى لقاءهم، وأنزلهم بالقرافة قرب مسجد الفتح، وهم جمع كبير جدا. وكان يوم طلوع الهدية من الأيام المذكورة، ففرق السلطان الهدية على الأمراء بأسرهم على قدر مراتبهم حتى نفذت كلها، سوى الجوهر واللؤلؤ، فإنه اختص به فقدرت قيمة هذه الهدية بما يزيد على مائة ألف دينار.

ثم نقلت الحرّة إلى الميدان بمن معها، ورتب لها من الغنم والدجاج والسكر والحلوى والفاكهة في كل يوم بكرة وعشية ما عمّمهم وفضل عنهم. فكان مرتبهم في كل يوم عدة ثلاثين رأسا من الغنم، ونصف أردب أرزا، وقنطار حب رمان، وربع قنطار سكر، وثمانى فانوسيات شمع، وتوابل الطعام وحمل إليها برسم النفقة مبلغ خمسة وسبعين ألف درهم، وكانت أجرة حمل أثقال ركبها قد بلغت ستين ألف درهم. ثم خلع على جميع من قدم مع الحرّة، فكانت عدة الخلع مائتين وعشرين خلعة على قدر طبقاتهم، حتى على الرجال الذين قادوا الخيول. وحمل إلى الحرّة من الكسوة ما يجلب قدره؛ وقيل لها أن تملئ ما يحتاج إليه، فقالت «إنه لا يعوزها شيء، إنما تريد عناية السلطان بإكرامها وإكرام من معها حيث كانوا».

فتقدّم السلطان إلى النشو وإلى الأمير آقبا بتجهيزها اللائق بها، فقاما بذلك؛ واستخدما لها السقائين والضوية، وهيتا كل ما تحتاج إليه في سفرها من أصناف الحلوى والسكر والدقيق والبشماط، وطلبا الجمالة لحل جهازها وأزودتها. وندب السلطان معها جمال الدين متولى الجيزة^(٢)، وأمره أن يرحل بها فى ركب لها بمفردها قدام الحمل، ويمثل كل ما تأمر به؛ وكتب لأميرى مكة والمدينة بخدمتها أتم خدمة.

وفيه تجهّز الأمير بشتاك، والأمير ألطنبغا المارديني، وخوند طغاي زوجة السلطان وست حدق، وعدة من الدور ومن الخدام، لسفر الحجاز.

(١) حياسة حزام الدابة. انظر المعجم الوجيز ١٨١.

(٢) الجيزة: بالزاي، اختطها بمصر عمرو بن العاص رضى الله عنه فى زمن عمر بن الخطاب رضى الله عنه، وهى قرية كبيرة جميلة البنيان على نيل مصر. انظر معجم البلدان ٢/٢٠٠، والروض المعطار ١٨٣، صبح الأعشى ٣/٣٩٢، وخطط المقرئى ١/٢٠٥.

وفيه قرّر الأمير علم الدين سنجر الجاولى شهاب الدين أحمد العسجدى فى تدريس الحديث بالقبة المنصورية بين القصرين، بعد وفاة زين الدين عمر بن الكنانى. فتعصب عليه القضاة وجماعة من شيوخ العلم، وطعنوا فى أهليته، ورفعوا قصة للسلطان بالقده فيه. فلما قرئت على السلطان بدار العدل سأل السلطان من القضاة عنه، فثلبه قاضى القضاة عز الدين عبد العزيز بن جماعة؛ فقام الجاولى بمعارضة القاضى وأثنى عليه؛ فرسم السلطان أن يعقد له مجلس ويطلع بأمره. فاجتمع القضاة وكثير من الفقهاء بالمدرسة المنصورية، وجبه بعضهم الجاولى بالغض من العسجدى، ورماه ركن الدين محمد بن محمد بن القوبع^(١) بأنه لحن فى قراءة الفاتحة ثلاث مرات فقام قاضى القضاة حسام الدين الغورى فى نصرة العسجدى وأثنى عليه، وقال: «أنا أحكم بأهليته هذه الوظيفة»، فدار بينه وبين ابن جماعة مقابلة فيها فحش؛ وانفضوا على ذلك. فأعلم الغورى طاجار الدوادار بأن القوم تعصبوا على العسجدى، وأنه يحكم بأهليته، فبلغ السلطان ذلك. فلما حضرا سأل السلطان عما جرى فى المجلس من ابن جماعة والجاولى، فنفاوضا وعارض كل منهما الآخر؛ فمال السلطان إلى قول ابن جماعة، ومنع العسجدى من التدريس. فشق ذلك على الجاولى، وهمّ بعزل نفسه من نظر المارستان، فحذره الأمراء عاقبة ذلك.

وفىها عمل جسر بالنيل على حكر ابن الأثير. وسببه أن النيل قوى على ناحية بولاق خارج القاهرة، وهدم جامع الخطيرى حتى احتيج إلى تجديده، وحتى احتيج إلى أن رسم السلطان للسكان على شاطئ النيل بعمل الزرابى لجميع تلك الدور، وألا يؤخذ عليها حكر. فبنى صاحب كل دار زريبة تجاه داره فلم يفد ذلك شيئا. فكتب بإحضار مهندسى البلاد القبلية وبلاد الوجه البحرى؛ فلما تكاملوا ركب السلطان النيل وهم معه، وكشف البحر. فاتفق رأى على أن يحفر الرمل الذى بالجزيرة حتى يصير خليجا يجرى فيه الماء، ويعمل جسر فى وسط النيل يكون سدا يتصل بالجزيرة، فإذا كانت زيادة النيل جرى الماء فى الخليج الذى حفر، وكان قدّامه سدّ عال يرد الماء إليه حتى يتراجع النيل عن سدّ القاهرة إلى برّ ناحية منبابة^(٢)؛ وعاد السلطان إلى القلعة. وخرجت البرد من الغد إلى الأعمال بإحضار الرجال للعمل صحبة المشدّين، وطلبت

(١) محمد بن محمد بن عبد الرحمن الجعفرى ركن الدين، أبو عبد الله، ابن القوبع: من فضلاء المالكية. كان يفتى، مع اشتغاله بالحكمة والطب. ولد بتونس وتعلم بها وبدمشق واستقر بالقاهرة. قال ابن سيد الناس: كان لا يخل بالمطالعة فى كتاب الشفاء لابن سينا كل ليلة. له شعر وتآليف (وتفسير سورة ق). انظر بغية الوعاة ٩٧ والدرر الكامنة ١٨٠١٨٤ والأعلام ٣٥٠/٧.

(٢) ناحية منبابة بلدة إمبابة الحالية بمديرية الجيزة. انظر النجوم الزاهرة ٦/٣٨٠.

الحجارون بأجمعهم لقطع الحجارة من الجبل - وكانت تلك الحجارة تحمل إلى الساحل وتملاً بها المراكب، وتغرق المراكب وهى ملانة بالحجارة حيث يعمل الجسر-. فلم يمض عشرة أيام حتى قدمت الرجال من النواحي، فتسلمهم الأمير آقبغا عبد الواحد والأمير برسبغا الحاجب. ورسم لوالى القاهرة ووالى مصر بتسخيرهم للعمل، فركبا وقبضا على عدة كثيرة منهم، وزادا فى ذلك حتى صارت الناس تؤخذ من المساجد والجوامع فى السحر، ومن الأسواق؛ فتستّر الناس بيوتهم خوفا من السخرة.

ووقع الاجتهاد فى العمل، واشتدّ الاستحثاث فيه حتى إن الرجل كان يخرّ إلى الأرض وهو يعمل لعجزه عن الحركة، فتزدم عليه الرمال، فيموت من ساعته. واتفق هذا لخلائق كثيرة جدا، وآقبغا راكب فى الحراقة يستعجل المراكب المشحونة بالحجارة، والسلطان ينزل إليهم ويياشرهم، ويغلف على آقبغا ويحمّله على السرعة واستنهاض العمل حتى أكمل فى مدة شهرين. وغرق فيه اثنا عشر مركبا وسق كل مركب ألف أردب. وكانت عدة المراكب التى أشحنت بالحجارة المقطوعة من الجبل - ورميت فى البحر حتى صار جسرا يمشى عليه - ثلاثة وعشرين ألف مركب حجر، سوى ما عمل فيه من آلات الخشب والسرياقات (١) والحلفاء ونحو ذلك.

وحفر الخليج بالجزيرة، فلما زاد النيل جرى فى الخليج الذى حفر، وتراجع الماء حتى قوى على برّ منبابة وبرّ بولاق التكرور؛ فسّر السلطان بذلك.

وفىها استأذن الأمير ملكتمر الحجازى والأمير يلبغا اليحياوى السلطان فى المسير إلى الإسكندرية بطيور السلطان الجوارح، ليتصيدا فى البرية. فرسم للنشو بتجهيزهما، فخاف من دخولهما إلى الإسكندرية أن يبلغهما عنه من أعدائه ما إذا نقلاه للسلطان تغيرّ عليه. فعرفّ النشو السلطان أن مراكب التجار قد وصلت، وأنه يحتاج إلى السفر حتى يأخذ ما عليها للديوان ويقوم أيضا بخدمة الأميرين؛ فأذن له فى السفر، فسافر من ليلته. وبدا للسلطان أن يبعث الأمير بشتاك بالطيور - ومعه الأمير قمارى أمير شكار، والأمير أظنبغا الماردينى - ويعوض يلبغا والحجازى بركوب النيل فى عيد الشهيد؛ فسافر الأمراء الثلاثة. وكان عيد الشهيد بعد يومين، فركب يلبغا والحجازى المراكب فى النيل للفرجة؛ وخرجت مغانى القاهرة ومصر بأسرها، وتهتكوا بما كان خافيا مستورا من أنواع اللهو؛ وقد حشر الناس للفرجة من كل جهة. وألقى الأمراء للناس فى مراكبهم من أنواع الأشربة والحلاوات وغيرها ما يتجاوز الوصف، فمرت ثلاث ليال بأيامها كان فيها من اللذات وأنواع المسرّات ما لا يمكن شرحه.

(١) السرياقات جمع سرياقة ومعناها هنا الحبل الغليظ. انظر النجوم الزاهرة ١٢٨/٩.

ولما قدم الأمراء بالطيور إلى ظاهر الإسكندرية أخرج النشو إلى لقاءهم عامة أهلها بالعدد والآلات الخربية، وركب إليهم حتى عبروا المدينة، فكان يوما مشهودا. ثم خرجوا بعد يومين، وقد قدم النشو لهم من الأسمطة وأنواع القماش ما يليق بهم. وأخذ النشو في مصادرة أهل الإسكندرية، وطلب عشرة آلاف دينار من الصيارفة قرضا في ذمته، وطلب من ثلاثة تجار عشرة آلاف دينار؛ ثم إنه غرّم ابن الربيعي المحتسب بها خمسة آلاف دينار؛ سوى ما ضرب عليه الحوطة من موجوده؛ وضربه ضربا مبرحا وسجنه، فمات بعد قليل في السجن؛ ثم عاد النشو إلى القاهرة.

وقدم الخير من ماردين بكثرة جمع الشيخ حسن الصغير وأولاد دمرdash، وأنهم على حركة حرب طغاي بن سوتاي بديار بكر، فإذا بلغوا مرادهم منه عدوا الفرات إلى أخذ حلب.

وفيها طلب الأمير طرغاي الطباخي، واستقرّ في نيابة حلب عوضا عن الطنبغا.

وفي يوم الثلاثاء ثامن عشرى شوال: قدم موسى بن مهنا طائعا، وقدم عدة خيول؛ وورد صحبته طائفة من عرب البحرين بخيول قومت بمبلغ خمسمائة ألف وستين ألف درهم وقومت خيل موسى بخمسمائة ألف درهم، سوى ما جرت العادة به من الإنعام عليه؛ وأنعم عليه بعشرين ألف دينار أيضا. وقومت من جهة أهل برقة بأربعمائة ألف درهم، وقومت ممالك وجواري قدم بها التجار بستمائة ألف درهم. وكانت جملة ذلك كله، ما عدا ما أنعم به على موسى بن مهنا ألفا ألف درهم وستون ألف درهم، عنها مائة ألف دينار مصرية ونيف وعشرين ألف دينار؛ وأحيل بذلك على النشو.

ولما كمل قصر يلبغا وقصر المارديني جاء في أحسن هيئة، فإن السلطان كان ينزل إليهما بنفسه ويرتب عمارتهما. فعمل أساس قصر يلبغا أربعين ذراعا وبسطه حصيرا واحدا، فجاء مصروفه أربعمائة ألف درهم. وكان جملة المصروف على هذا القصر أربعمائة ألف ألف وستين ألف درهم، من ذلك لازورد خاصة بمائة ألف درهم. فركب السلطان إليه يوم فراغه وأعجب به، وأنعم على يلبغا بتقدمة طرغاي الطباخي نائب حلب، وفيها عشرة أزواج بسط - منها زوج بسط حرير - وعدة أوانى بلور وغيره، وعدة خيول، وجمال بخاتي. وتقدّم السلطان إلى الأمير آقبا عبد الواحد بعمل سمط في قصر يلبغا، فنزل إليه ونزل النشو أيضا حتى تهيأ ذلك؛ وحضر الأمراء كلهم، فأكلوا وشربوا يومهم إلى العصر. ثم خلع السلطان على أحد عشر أميرا أحد عشر تشريفا أطلس. وأركبوا الخيول بسروج الذهب؛ وخلع على بقية الأمراء ما بين خلع كاملة

وأقبية، وأركبوا أيضا الخيول المثمنة بسروج الذهب والفضة على قدر مراتبهم. وتولى السلطان تعبئة ذلك بنفسه، فكان مهما عظيما: ذبح فيه ستمائة رأس من الغنم، وأربعون رأسا من البقر، وعشرون فرسا، وعمل فيه برسم المشروب ثلاثمائة قنطار من السكر.

وفي يوم الإثنين سابع عشرى رمضان: هبّت ريح سوداء معتمة بناحية الغربية، وأظلم الجو منها؛ وسقطت دور كثيرة. ثم سقط برد أسود مرّ الطعم، جاءت به الريح من نحو البحر حتى ملأ الطرقات، ووزنت منه واحدة فكانت مائة وثمانين درهما؛ ووجد فيه واحدة على قدر النارجية، وعلى قدر بيض النعام، وما دون ذلك إلى قدر البندقة. وكان الزرع قد قرب حصاده، فرمى سنبله، وحصد كثير منه من أصله، وهلك منه أغنام كثيرة. ورؤيت شجرة حميز فى غاية الكبر وقد سقط فى وسطها برده على هيئة الرغيف - وهى سواء - فشقتها نصفين كما يشقّ المنشار؛ ووُجدت بقرة مطروحة قد قطع ظهرها ببردة شقته نصفين. وتلفت زروع ثمانية وعشرين بلدا، فجمع زرعها وحمل إلى السلطان مع فلاحيتها، واستغاثوا بالسلطان؛ فرسم لمتولى الغربية أن يكشف تلك النواحي، ويحرر ما أصابها الجائحة منها، ويحطّ خراجه عن الفلاحين؛ فامتثل ذلك.

وفيه قدم البريد من قوص^(١) بأن السماء احمرت فى شهر رمضان هذا حتى ظهرت النجوم متلونة، فكانت تحمرّ ساعة وتسود ساعة وتبيضُ ساعة، إلى أن طلع الفجر؛ فجاء مطر لم يعهد فى تلك البلاد. وقدم البريد أيضا بأنه هبت ريح بأسوان ألفت عامة البيوت وكثيرا من النخل؛ وهبت أيضا بعرب قمولة^(٢)، فألفت ألفين وخمسمائة نخلة مثمرة؛ وقدم بذلك محضر ثابت على قاضياها.

وخرج ببلاد منفلوط^(٣) فأرّ عظيم جدا، فحصد الزرع حصدا، وأتلف جرون الغلال، بحيث كان يذهب ربع الجرن فى ليلة واحدة. فصار الناس يبيتون بالمشاعل على طول الليل، وهم يقتلون الفأر ثم يتولى أمر النهار طائفة أخرى، وهم لا يفترون عن

(١) قوص مدينة كبيرة عظيمة واسعة قصبة صعيد مصر. انظر معجم البلدان ٤/١٣٠٤.

(٢) قمولة: قرية بأرض مصر كالمدينة جامعة متحضرة مكثفة بكل نعمة، وبشمال هذه المدينة جبل يقال إن فيه كنوزا ومطالب وطلابا إلى الآن. انظر معجم البلدان ٤/٣٩٨، والروض المعطار ٤٧٣.

(٣) منفلوط بلدة بالصعيد فى غربى النيل بينها وبين شاطئ النيل بعد. انظر، معجم البلدان

قتله؛ ثم يحمل ما قتل منه فى شباك، ويحرق بالنار على بعد؛ وفيهم من يلقيه إلى النيل؛ فأقاموا مدة شهرين يحملون فى الشباك كل يوم نحو مائة حمل. وشوهد منه عجب: وهو أن جمعا عظيما من فيران بيض خرجوا حتى ملأوا الأرض، فنخرج مقابلهم فيران سود، واصطفوا صفين فى أرض مساحتها فدانان، ثم تصايحوا وحمل بعضهم على بعض واقتتلوا ساعة؛ وانكسرت الفيران السود، وتبعهم البيض يقتلونهم حتى مزقوهم فى تلك الأراضى؛ وكان بمحضر عالم كبير من الناس فكتب بذلك إلى السلطان والأمراء، فانكسر للسلطان بناحية منفلوط بسبب الفأر نحو ستين ألف أردب فول.

وفىها رفعت قصة إلى السلطان تتضمن أن الأمير ملكتمر الحجازى يركب النيل ومعه أرباب الملاهى فى عدة من الممالك السلطانية، وأنهم يفعلون كل فاحشة ويأخذون حرم الناس. فاشتد غضب السلطان، وطلب الحجازى وأحرق به، وهذده بالقتل إن عاد يركب النيل؛ وأخرج السلطان ممن كان يعاشره من الممالك ستة وثلاثين رجلا إلى البلاد الشامية على البريد من يومهم، وأخرج من الغد أربعين مملوكا من أصحابه بسبب شربهم الخمر.

وفىها تقدّم السلطان إلى ولى القلعة ألا يمكن أميرا من النزول إلا بمرسوم، وأمر نقيب الجيش فدار على الأمراء كلهم وأعلمهم ألا ينزل أحد منهم من القلعة إلا بمرسوم السلطان، ومن نزل فلا يبيت إلا بالقلعة. وركب أمير مسعود الحاجب - ومعه والى القاهرة - وهدم مرامى النشاب التى بناها الأمراء لرمى النشاب خارج القاهرة، وطلب جميع صناع النشاب ومنعهم من عمل النشاب الميدانى وبيعه لسائر الناس، وأمر بدكاكين البندقانيين فغلقت، ومنع من عمل أقواس البندق وبيعها، وقصد السلطان بذلك كفّ أسباب اللهو، فإنه كان يكره من يلعب ويلهو عن شغله وخدمته.

وفىها شفع الأمير موسى^(١) بن مهنا فى لؤلؤ وغيره من المصادرين، فرسم السلطان لشاد الدواوين بكتابة أسمائهم - وكانوا خمسة وثلاثين رجلا، ومنهم قرموط وأولاد التاج -، فأفرج عنهم، اما خلا قرموط وأولاد التاج.

وفىها أنشأ الأمير آقبا عبد الواحد مدرسة بجوار الجامع الأزهر، وكان موضعها دار الأمير ابن الحلى؛ وألزم الصناع بالعمائر السلطانية أن يعملوا فيها يوما من الأسبوع بغير

(١) موسى بن مهنا بن عيسى بن مهنا بن نافع الطائى رئيس آل فضل أمراء بادية الشام يلقب مظفر الدين ولى الإمارة بعد موت أبيه سنة ٧٣٤م واستمر إلى أن توفى يتدمر. انظر ابن خلدون ٤٣٩/٥ والبداية والنهاية ١٤/١٩٣ والنجوم الزاهرة ١٠/٧٦ والأعلام ٧/٣٢٩.

أجرة؛ فكان يجتمع في كل أسبوع بها كل صانع بالقاهرة ومصر، ويعملون نهارهم. وحمل لها آقبغا جميع ما يحتاج إليه من عمائر السلطان، وأقام بها من مماليكه شادا لم ير أظلم منه، فعسف الصناع وضربهم.

وفيها توقفت زيادة النيل عندما قرب الوفاء، ثم نقص؛ فارتفع سعر الغلال حتى بلغ القمح عشرين درهما الأردب. ثم تراجع النيل ووفى ستة عشر ذراعا، بعدما زاد ثلاثة أيام متوالية أربعة أذرع ونصف ذراع. وتلفت بسبب ذلك غلال كثيرة فى الأجران، فإنه زاد زيادة متتابعة على حين غفلة. وكانت سنة شديدة، واتفق فيها من الأمطار والفأر والمصادرات وغير ذلك عدة محن.

* * *

ومات فيها من الأعيان

مجد الدين إبراهيم بن الأجلّ أبى هاشم على بن الصدر الأديب أبى طالب محمد بن محمد بن محمد الفامغار - المعروف بابن الخميمى - فى سادس عشر جمادى الأولى؛ ومولده سنة تسع وأربعين وستمائة؛ وحدث عن أبيه والرشد العطار وغيره.

ومات الأمير إبراهيم ابن السلطان فى رابع عشرى ذى القعدة، ودفن بتربة عمه الصالح على بن قلاوون، بالقرب من المشهد النفيسى.

وتوفى الطبيب الأديب شهاب الدين أحمد بن يوسف بن هلال الصفدى، بالقاهرة عن سبع وسبعين سنة؛ وله نظم جيد.

وتوفى الشيخ زين الدين عمر بن الجمالى أبى الحزم بن عبد الرحمن بن يونس - المعروف بابن الكتانى - الدمشقى، شيخ الشافعية، بالقاهرة فى يوم الأربعاء سادس عشر رمضان.

وتوفى قاضى القضاة الشافعى بدمشق شهاب الدين محمد بن المجد عبد الله بن الحسين بن على الأربلى الشافعى، بعد ما ألقته بغلته بأسبوع، فى جمادى الأولى بدمشق.

وتوفى الشيخ زكى الدين محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن يوسف بن عبد الرحمن ابن عبد الجليل - المعروف بابن القوبع - القرشى التونسى المالكى، صاحب الفنون الكثيرة، بالقاهرة عن أربع وسبعين سنة.

توفى شيخ الخانكاه الصلاحية سعيد السعداء شمس الدين محمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن النقجوانى فى حادى عشرى المحرم، ودفن بالقرافة.

وتوفى شيخ الإسلام شرف الدين هبة الله ابن قاضى حماة نجم الدين عبد الرحيم بن
أبى الطاهر إبراهيم بن المسلم بن هبة الله (١) بن حسان بن محمد بن منصور بن أحمد
المعروف بابن البارزى - الشافعى، قاضى حماة، فى نصف ذى القعدة؛ ومولده فى
خامس رمضان سنة خمس وأربعين وستمائة.

ومات الأمير طغجى.

ومات الأمير آقول الحاجب.

ومات الأمير ظلظية كاشف الوجه القبلى.

ومات كاتب السر محبى الدين بن يحيى ابن فضل الله بن مجلى العمري، فى يوم
الأربعاء تاسع رمضان.

وتوفى جمال الدين يوسف بن إبراهيم بن جملة، وكان قد ولى قضاء دمشق بعد علم
الدين الأحنائى ثم عزل.

* * *

(١) هبة الله عبد الرحيم بن إبراهيم أبو القاسم شرف الدين بن البارزى الجهنى الحموى: قاض
حافظ للحديث، من أكابر الفقهاء الشافعية من أهل حماة. ولى قضاءها مدة طويلة بلا أجر وعين
مرات لقضاء مصر فاستعفى وذهب بصره فى كبره ومات وأغلقت حماة لمشهده. له بضعة وتسعون
كتاباً منها «تجريد جامع الأصول فى أحاديث الرسول - خ». انظر نكت الهميان ٣٠٢ وابن الوردى
٣:٣١٩ والدرر الكامنة ٤/٤٠١ والبداية والنهاية ١٤/١٨٢ السبكى ٦/٢٤٨ وغاية النهاية ٢/٣٥١
النجوم الزاهرة ٩/٣١٥ ومفتاح السعادة ٢/٢٢٤ وكشف الظنون ١٠٤٤ والأعلام ٨/٧٣.

سنة تسع وثلاثين وسبعمائة

في أول المحرم: قبض على امرأة خناقة، وقتلت.

وفيهما قدم رسل الملك أربك صحبة الأمير سرطقطاي مقدم البريدية بهدية وكتاب يطلب فيه مصاهرة السلطان؛ فجهزت إليه هدية، وأنعم على رسله وأعيدوا وكان سرطقطاي قد توجه رسولا إلى أربك سنة سبع وثلاثين وسبعمائة.

وفيهما قدم الخبر بأن القان الكبير عزم على المسير إلى العراقيين، وقدم أمامه عسكريا ليسير إذا أخذ العراق إلى الشام. فسار ثمانى مراحل، وبعث الله على ذلك العسكر ريحا سوداء، ثم صارت زرقاء تشتعل نارا، فيسقط الفارس وفرسه ميتين عند هبوبها؛ وتمادى هبوبها يومين، وكانوا زيادة على مائة ألف فارس، فلم يرجع منهم إلى القان إلا نحو عشرة آلاف وهلك باقيهم. فسر السلطان بذلك.

وفيهما قدم الملك الأفضل محمد بن المؤيد إسماعيل صاحب حماة باستدعاء السلطان، وقد كثرت شكايه الناس له من شغفه باللهو وأخذه أموال الرعية، وقد شفع فيه الأمير تنكز نائب الشام فقدم الأفضل للسلطان والأمراء تقادم جليلة، ثم سافر إلى بلده بعد ما وصاه السلطان بحضرة القضاة، وعدد ذنوبه، وأخبره أنه قبل فيه شفاعه نائب الشام، ثم خلع عليه وسفره.

وفيهما اشترى بدر الدين أمين الحكم ملكا لبعض الأيتام، فحضر إليه العلم القراريطى شاد القراريط يطلب منه موجب الديوان عن الملك المذكور؛ فأفضى الحال بينهما إلى مفاوضة بمجلس قاضى القضاة عز الدين بن جماعة، أطلق فيها العلم لسانه بما أوجب تعزيره؛ فانصرف إلى النشو وعرفه أنه لما طالب أمين الحكم بالقراريط (١) عزّره ابن جماعة وكشف رأسه، فحرك ذلك منه كامنا كان فى نفسه من ابن جماعة، وبلغ السلطان ذلك، وشنع عليه بأن أمين الحكم لما امتنع من دفع القراريط عن الملك أخرج إليه العلم مرسوم السلطان وعليه «محمد بن قلاوون»، فأخذه منه ورماه بالأرض عند النعال، وقال: «تجعل فى مجلس الحكم الباطل حقا لتأخذ أموال الأيتام؟»، ثم كشف رأسه وضربه بالدره (٢). فغضب السلطان وطلب أمين الحكم، وأمر طاجار الدوادار

(١) القراريط مكس من المكوس السلطانية بمصر. انظر المواعظ والاعتبار ١/١٠٦.

(٢) الدرّة السوط يضرب به. (قاموس المحيط).

بضربه؛ فضربه على باب القصر بالقلعة - والنشو جالس - ضربا مؤلما وقطع أكاماه؛ وشهره بالقلعة ونودي عليه: «هذا جزء من يمنع الحقوق السلطانية»؛ وألزم بحمل عشرين ألف درهم، ورسم عليه، فقام بخمسة عشر ألف درهم.

وفى شهر ربيع الأول: قبض على أوحد الدين شيخ خانكاه بيبرس - وهو بالروضة تجاه مصر - على حال غير مرض؛ وأخرج إلى القدس منفيا.

وفيها قدم الخبر بأن ابن دلغادر استولى على قلعة طرندة^(١) من بلاد الروم، وأخذ ما فيها من الأموال، وأن الأمير تنكز بعث إليها الأمير علاء الدين على بن صبح. فسرّ السلطان بذلك، وبعث بتشريف لابن دلغادر، وشكره وأثنى عليه.

وفيه استقرّ الأمير بكتمر العلامى الأستاذار فى نيابة حمص، بعد وفاة الأمير جر كتمر.

وفيه أخرج الأمير منكلى بغا الفخرى إلى دمشق؛ واستقرّ من مقدمى الألوف بها.

وفيه أنعم على كل من قطليجا الحموى وطاجار الدوادار بإمرة طبلخاناه.

وفى ربيع الآخر: قدم الأمير الطنبغا نائب حلب، وصحبته تقدمة جلييلة؛ وأخلع جلييلة عليه عند وصوله، وعزل عن نيابة حلب، واستقرّ من كبار الأمراء بالديار المصرية.

وفى تاسعه: سارت الحرّة المغربية عائدة إلى بلادها، بعد قضاء حجّها.

وفى حادى عشر جمادى الأول: قدم الأمير تنكز نائب الشام. وذلك أن ابنته التى تحت السلطان قرب وضع حملها، فكتب السلطان يستدعيه - ومعه أهله وأولاده - لأجل مهمّ ابنته وتقدّم السلطان إلى النشو بعمل بشخاناه وداير بيت من حرير مخمل، ويزركشهما بمائة ألف دينار؛ وأمره أن يجهز خمسين تشريفا للأمراء، منها ثلاثة وعشرين تشريفا أطلس بجواثب ذهب كاملة، وبقيتها ما بين طرد وحش ومصمط؛ و طلب إليه أيضا أن يجهز ما يحتاج إليه النفساء، وما يحتاج إليه من السروج ونحوها، وما يحتاج إليه المهمّ مما يبلغ زيادة على ثلاثمائة ألف دينار.

فأخذ النشو فى التدبير لذلك، ورتّب جهاته من ثمن سكر وعسل وقندر وقماش وخشب يطرحه على الناس، وعمل أوراقا بمظالم اقترحها بلغت حملتها خمسمائة ألف دينار ومائة ألف أردب غلة، وأعلم بها السلطان من الغد. وطرح النشو ما عنده من

(١) طرندة هى بلدة على مسافة ثلاث مراحل من ملطيه بأطراف أسيا الصغرى. انظر معجم

البضائع على الناس بمصر والقاهرة، حتى زلزلهما بكثرة العقوبة، ولم يراع أحدا فحنق من ذلك الأمير الحاج آل ملك، وبلغ السلطان ما نزل بالرعية من الظلم، فلولا ما كان من ملاطفة الأمراء في الحال لكان له وللسلطان شأن غير مرضى.

فلما قدم البريد بتوجه الأمير تنكز من غزة إلى القاهرة، بعث السلطان بالأمير قوصون إلى لقائه ومعه المطبخ، وركب السلطان إلى قصوره بسر ياقوس ومعه أولاده فنزل قوصون السعيدية، وهياً الأسمطة الجليلة؛ وتلقى الأمير تنكز وترجّل إليه، فنزل الأمير تنكز أيضاً، ومشيا خطوات حتى تعانقا، وركبا إلى الخيمة التي نصبها السلطان للأمير تنكز. فلما انقضى السماط ركب تنكز فتلقاه أولاً أولاد السلطان، فترجّل لهم؛ ثم سار وهم معه، فتلقاه السلطان وأكرمه غاية الكرامة. ثم سار السلطان من الغد وطلع قلعة الجبل، وخلع عليه وعلى أولاده وأمرهم، فدخلوا وأهليهم إلى الدور.

وفيه رسم بخروج الأمير أطنبغا نائب حلب إلى نيابة غزة وخلع عليه، فاتهم الأمير تنكز بأنه حمل السلطان على ذلك.

ونزل الأمير تنكز من القلعة إلى بيته بخط الكافورى من القاهرة، وجّهز به تقادم السلطان وتقادم الأمراء، وحملها من الغد؛ وكانت شيئا يجملّ عن الوصف: فيها من صنف الجواهر ما قيمته ثلاثون ألف دينار، ومن الزركش عشرون ألف دينار، ومن أوانى البلّور وتعابى القماش والخيل والسروج والجمال البخاتى ما قيمته مائتان وعشرون ألف دينار. فلما انقضت نوبة التقادم أدخله السلطان إلى الدور حتى رأى ابنته، وقبّلت يده. ثم أخرج السلطان إليه جميع بناته وأمرهنّ بتقبيل يده، وهو يقول هسنّ واحدة بعد واحدة: «بوسى يد عمك»؛ ثم عين منهنّ اثنتين لولدى تنكز. فقبّلت تنكز الأرض وخرج والسلطان يحادثه.

وتقدّم السلطان إلى النشو بتجهيز تنكز إلى الصعيد للصيد، ثم ركب وتوجه إلى بلاد الصعيد وتنكز معه؛ فكان من إكرامه له فى هذه السفارة ما لا عهد من ملك مثله. فلما عاد السلطان أمر النشو بتجهيز كلفة عقد ابنى تنكز على ابنتيه، وكلفة سفر تنكز إلى الشام. فأخذ النشو أموال التجار وغيرهم، وجمع أربعة عشر ألف دينار، حمل منها برسم المهر أربعة آلاف دينار؛ وجّهز تنكز باثنى عشر ألف دينار. وعقد لولدى تنكز على ابنتى السلطان فى بيت الأمير قوصون، بحضرة القضاة والأمراء.

ثم ولدت ابنة تنكز من السلطان بنتا، فسجد تنكز لله شكرا بحضرة السلطان، وقال: «والله! يا خوندا! كنت أتمنى أن تكون المولودة بنتا، فإنها لو وضعت ذكرا كنت

أحشى من كمال السعادة. فإن السلطان تصدق علىّ بما غمرنى به من السعادة، فخشيت من كماها».

وأخذ السلطان مع النشو فى تجهيز تنكز على عادته، وأمره أن يضاعف له ما جرت به عادته من الخيل والتعابى؛ ورتب السلطان ذلك بنفسه، فكانت قيمته مائة وخمسين ألف دينار عينا؛ وكان تنكز قد أقام مدة شهرين، وراتبه السلطانى فى كل يوم أربعة آلاف درهم.

فلما وادع تنكز السلطان سأله فى إعفاء الأمير كجكن من الخدمة، وأن ينعم عليه بسفر لؤلؤ الحلبي إلى الشام ليستقر فى شدّ عداد الأغنام، وأن ينقل الأمير بيبرس الحاجب من حلب إلى دمشق، وأن ينعم على قرمشى بإمرة ويستقرّ حاجبا بدمشق عوضا عن علاء الدين بن صبح فأجابه السلطان إلى ذلك كله، وكتب له تقليدا بتفويض الحكم فى جميع الممالك الشامية بأسرها، وأن جميع نوابها تكاتبه بأحوالها، وأن تكون مكاتبته: «أعز الله أنصار المقر الشريف»، بعدما كانت «أعز الله أنصار الجناح»، وأن يزداد فى ألقابه: «الزاهدى العابدى العالمى كافل الإسلامى أتاك الجيوش». وأنعم السلطان على مغنية قدمت معه من دمشق بعشرة آلاف درهم؛ وحصل لها من الدور ثلاث بدلات زرکش، وثلاثون تعبىة قماش، وأربع بدلات مقانع، وخمسمائة دينار، فبلغ متحصلها نحو سبعين ألف درهم. ثم كان آخر ما قال له السلطان: «أيش بقى لك حاجة؟ أو فى نفسك شىء أقضيه قبل سفرك؟» فقَبِل تنكز الأرض، وقال: «والله! يا خوندا! ما بقى شىء أطلبه إلا أن أموت فى أيامك؛ فقال السلطان: «لا! إن شاء الله يا أمير تعيش أنت وأكون أنا فداك، أو أكون بعدك بقليل».

فقبل تنكز الأرض وانصرف، وقد حسده جميع الأمراء، وكثر حديثهم فيما حصل له من الكرامة والمعزة. واتفق ما قاله السلطان، فإنه لم يبق بعد موت تنكز إلا قليل، ومات كما سيأتى ذكره.

وفىها أنعم على الأمير يلبغا اليحياوى بالمنزلة من أعمال أشموم^(١)، فركب إليها النشو وحفر لها ترعة، وأحرق بمتولى أشموم، وألزم آقبغا السيفى متولى الغربية بمائة ألف درهم.

وفيه استقرّ علاء الدين على بن الكورانى فى ولاية الغربية عوضا عن آقبغا السيفى؛

(١) أشموم اسم لبلدتين بمصر. انظر معجم البلدان ١/٢٠٠.

واستقرّ شهاب الدين بن الأزكشى فى ولاية الأشمونين (١) عوضا عن ابن الكورانى؛ واستقرّ نجم الدين أيوب فى ولاية الشرقية، عوضا عن ابن الأزكشى.

وفى مستهلّ جمادى الأولى: صُلّي صلاة الغائب بمصر والقاهرة على قاضى القضاة جلال الدين محمد القزوينى، فاستقرّ عوضه الشيخ تقى الدين على بن السبكى. وفيه أخرج آقوش الزينى إلى حلب.

وفيه أخرج الأمير عز الدين أيدير العمرى إلى صهيون، وأنعم بإقطاعه على ولده أبى بكر؛ فأحاط النشو بموجوده، وأخذ له ثمانين ألف دينار.

وفيه قدم البريد بأن التركمان ساقوا إلى دمشق عشرين ألف رأس من الغنم لبيعوها بالقاهرة، فلما حضرت رسم ألا يؤخذ منهم المقرّر - وهو أربعة دراهم الرأس - بل يؤخذ عن كل مائة درهم خمسة دراهم. وكان التركمان قد شكوا من أزدمر والى بهنسا (٢) فكشف عنه فوجد أنه كثر ظلمه وأخذ له أموال الرعية، فأحيط بضياعه وأمواله، وأنعم ببعض ضياعه على الأمير تنكز نائب الشام، ووقف بعضها على قلعة طرندة ببلاد الروم.

وفىها قدم الشريف مبارك بن عطيفة بخيله، فسجن مع أبيه، لكثرة إفساده بالحجاز. وفىها اتفق موت ابنة الأمير الكبير شمس الدين إلكز المنصورى - زوجة الأمير ناصر الدين بن المحسنى - بعد عودها من طرابلس (٣)، عن بنت وأخت وزوج؛ فأخذ النشو جميع مخلفها، وكان شيئا كثيرا.

وفىها مات بعض الكتاب وترك بيتا على الخليج، فلم يجسر أحد يشتره إلى أن قلبته ابنة الأمير قطز بن الفارقانى لتشرته فلم يعجبها؛ فألزمها النشو أن تشتريه بمائة ألف درهم، فما زالت به حتى صالحها على شىء حملته وتركها.

وفىها هلك بطريق النصارى الأقباط، فنزل النشو إلى الكنيسة وأخذ كل ما فيها من حاصل ذهب وفضة وشمع وغيره.

(١) أشمون قبة كورة الصعيد الأدنى غربى النيل. انظر، معجم البلدان ١/٢٠٠.

(٢) بهنسا مدينة بمصر من الصعيد الأدنى غربى النيل وتضاف إليها كورة كبيرة. انظر، معجم البلدان ١/٩٧/٥١٦.

(٣) طرابلس: سبق ترجمتها. انظر ياقوت معجم البلدان ٤/٢٦٠، والروض المعطار ٣٨٩،

وفيها ماتت امرأة ظلّظية الكاشف، وقد تزوجت بعده وخلفت ولدا ذكرا؛ فأخذ النشو موجودها كله بحجة أن ظلّظية أخذ مال السلطان وتركه بعد موته عندها.

وفيها ظفر النشو بحلى لنساء أمين الدين قرموط، فأغرى به السلطان حتى سلم ولده وصهره وأهله لوالى القاهرة.

وفيها جدّد النشو الطلب على أولاد التاج إسحاق، وعوقب نساءهم حتى مات بعضهم من العقوبة.

وفيها طلب النشو المال الحاصل بالمارستان المنصوري، فقام الأمير سنجر الجاولى فى ذلك، حتى أن ابتيع للوقف من أراضى بهتيت من الضواحي مائتان وخمسون فدانا وأربعمائة ألف درهم؛ وحملت إلى النشو.

وفيها قبض على شهاب الدين ^(١) أحمد بن محبى الدين يحيى بن فضل الله، فى رابع عشرى شعبان. وسببه أن الأمير تنكز لما سأل السلطان أن يولى علم الدين محمد ابن القطب أحمد بن مفضل كاتب السرّ بدمشق، وأجابه السلطان وخلع عليه، حدّث شهابُ الدين السلطاني فى أمره، وقال: «هذا رجل قبضى لا يدري هذه الصناعة!»، فلم يعبأ بقوله. ثم رسم السلطان أن تكثر ألقاب علم الدين ويزاد فى معلومه، فامتنع شهاب الدين من ذلك واجتدّد خلقه، وفاجأ السلطان بقوله «كيف يكون رجل أسلمى ملته كاتب السر، وتزيد فى جامكيتته؟ ما يفلح من يخدمك، وخدمتك على حرام؟» ونهض من بين يدى السلطان قائما. فما شكّ الأمراء فى أن السلطان يضرب عنقه، فرعى فيه حق أبيه ولم يؤاخذه. ودخل شهاب الدين على أبيه محبى الدين وعرفه ما كان منه، فخاف خوفا شديدا، وقام مع الأمراء فى ترقيع هذا الخرق، ودخل إلى السلطان فقَبِل الأرض وطلب العفو؛ فعرفه السلطان أنه لأجله حلم عليه وصفح عنه، ورسم أن يدخل ابنه علاء الدين على فى المباشرة عنه، عوضا عن شهاب الدين. فاعتذر محبى الدين بأن ابنه علاء الدين صغير لا ينهض أن يقوم بأعباء الوظيفة، فقال

(١) أحمد بن يحيى بن فضل الله القرشى العدوى شهاب الدين: مؤرخ حجة فى معرفة الممالك والماليك وخطوط الأقاليم والبلدان، إمام فى الترسل والإنشاء عارف بأخبار رجال عصره وتراجهم غزير المعرفة بالتاريخ ولاسيما تاريخ ملوك المغول من عهد جنكيز خان إلى عصره. مولده ومنشأه ووفاته فى دمشق. أجل آثاره «مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار» كبير - طبع المجلد الأول منه، قال فيه ابن شاعر: كتاب حافل ما أعلم أن لأحد مثله وله «مختصر قلائد العقبان - خ». انظر فوات الوفيات ٧/١ والسحب الوايلة وابن الوردى ٣٥٤/٢ والدرر الكامنة ٣٣١/١ والنجوم الزاهرة ٢٣٤/١٠ والأعلام ٢٦٨/١.

السلطان: «أنا أريه كما أعرف». فباشر علاء الدين عن أبيه إلى أن مات أبوه، وشهاب الدين منقطع بداره طول تلك المدة من الغبن.

فلما كان في يده هذه السنة شكى قاضى القضاة عز الدين بن جماعة أنه كتب توقيع لابن الأنصارى برجوعه إلى مباشرته، ورماه بقوادح. فطلب السلطان الأمير طاجار وأنكر عليه، فأحال على علاء الدين بن فضل الله أنه أعطاه قصته. فطلب السلطان علاء الدين وأنكر عليه، فاعتذر بأن أخاه شهاب بعث بها إليه فاستقبح ردّها عليه. فقال له السلطان: «لا تكن تسمع من أخيك، فإنه نحس وما يقعد حتى أفعل به وأفعل به». فلم تمض إلا أيام حتى رفع شهاب الدين قصة يشكو فيها كثرة كلفه، ويطلب الإذن بالتوجه إلى دمشق؛ فذكر السلطان بنفسه، وأمر به فقبض عليه، وحمل إلى القلعة. ورسم السلطان لطاجار والدوادار أن يعرّبه فى قاعة الصاحب، ويضربه حتى يلزم بحمل عشرة آلاف دينار، أو يموت تحت العقوبة؛ فعندما عرّاه طاجار رجف فؤاده وارتعدت مفاصله، فإنه كان ترفا ذا نعمة لم تمرّ به شدة قط؛ فكتب خطه بعشرة آلاف دينار. ووقعت الحوطة على موجوده، وأخذ له نحو خمسين ألف درهم؛ وباع قماشه وأثائه وأملاكه بدمشق حتى حمل مائة وأربعين ألف درهم؛ وسكن الطلب منه.

وفيهما وشى النشو بالأمير آقبا عبد الواحد أن له خمسة آلاف رأس من الغنم، قدمت من بلاد الصعيد ورعت براسيم الجيزة، ومضت إلى الغربية فرعت الزرع فطلبه السلطان وأحرق به، فلولا شاء الله أن يتلطف الأمير بشتاك فى أمره وإلا أوقع به المكروه.

وفيهما خلع على الأمير عز الدين أيدير كاشف الوجه القبلى، واستقر فى كشف الوجه البحرى.

وفيهما أنشأ السلطان القناطر بجسر شيبين. وذلك أن بلاد الشرقية كانت لا تروى إلا من بحر أبى المنجا، وفى أكثر السنين تشرق بلاد العلو منها، مثل مرصفا وسنيت^(١) وكان للأمير بشتاك بها ناحية شرقت، فركب السلطان للنظر فى ذلك وصحبته المهندسون، وكشف عدة مواضع؛ وكان له بصر جيد وحلس صحيح، فوقع اختياره على عمل جسر من شيبين إلى بنها العسل، وتعمر عليه قناطر لتحبس الماء، فإذا فتح بحر أبى المنجا امتلأت المخازن رجع الماء إلى هذا الجسر ووقف عليه؛ فوافق المهندسون على ذلك. ورجع السلطان إلى القاهرة، فكتب إلى الأعمال بجمع اثنى عشر ألف راجل

(١) سنيت إحدى قرى مركز بنها من مديرية القليوبية. فهرس مواقع الأمكنة، ص ٥.

وتجهيز مائتي قطعة جراريف. فلم تمض إلا أيام حتى قدم مشدو البلاد بما عليهم من الرجال، وشرعوا في العمل حتى تم في ثلاثة أشهر؛ وكان يصرف في كل يوم أجرة رجال وثمان كلف مبلغ أربعين ألف درهم من مال النواحي التي للأجناد. فلما كانت أيام النيل أبطل السلطان وفتح عوضه سدّ شيبيني؛ فرويت البلاد كلها، وروى ما لم يكن يروى قبل ذلك واستنجزت عدة أماكن.

وفيهما قدم أمير أحمد ابن السلطان من الكرك باستدعاء، للعبه وشغفه ببعض شباب أهل الكرك، وإسرافه في العطاء لواحد منهم اسمه الشهب، وكان جميل الصورة، وقد هام به أمير أحمد غراما وتهتك فيه. فلم يخرج أحد من الأمراء إلى لقائه، فطلع مع بكتاش النقيب وحده؛ فتلقاها طاجار من باب القلّة، ودخل به حتى قبل الأرض، ووقف واسعة؛ ثم رسم له بتقبيل اليد، ومضى إلى الدور من غير أن يقبل السلطان عليه. وأمر السلطان بعقوبة الشاب الذي كان يهواه حتى يحضر المال الذي وهبه له؛ فبعث أحمد إلى الأمراء بسببه حتى عفى عنه وما زال يجدّ في أمره إلى أن أذن له أن يدخل عليه ويقيم عنده.

وفيهما أنعم السلطان على الأمير ملكمتر الحجازي بإقطاع بهادر المعزى بعد موته، وزاده النحراوية وكانت عبرتها في الشهر سبعين ألف درهم.

وفيهما توجه الأمير تنكز نائب الشام من دمشق يريد بلاد سيبس، لكشف البلاد التي أنعم بها عليه؛ فمرّ على حماة، ونادى بها ألا يقف أحد للملك الأمراء بقصة، ومن كانت له حاجة فعليه بصاحب حماة؛ وخلع على صاحب حماة. ومضى تنكز إلى حلب ودخل بلاد سيبس؛ فأهدى إليه تكفور هدية سنوية مع أخيه، فقبلها وخلع عليه؛ وعمر تنكز تلك الضياع بالرجال والأبقار والغلال، وعاد.

وفيهما عملت أوراق بما على الدولة من الكلف، فبلغت نحو مائتين وثمانين ألف درهم في الشهر، فوفّر السلطان منها ما يصرف للمباشرين والأمراء من التوابل، ووفّر شيئا من مصروف العمائر، ووفّر الدجاج المرتب برسم السماط والمخافي^(١) الخاصة بالسلطان، والمخافي التي تحمل الطيور المطبوخة؟ كلّ يوم إلى الأمراء وعدتها سبعمائة طائر في كلّ يوم؛ فكانت جملة ما توفر في كلّ شهر مبلغ تسعين ألف درهم. واتفق بعد ذلك أن السلطان طلب أربعة أطيار دجاج، فكتب بها وصول من بيت المال؛ فاستقبح الناس ذلك، ونسب توفير ما توفر إلى النشو.

(١) المخافي جمع مخفية وهي طبق واسع كبير العمق يشبه في شكله ما كان يعرف من الآنية في العصور الوسطى باسم طيفور وهو الآن يعرف باسم سلطانية أو زبدية.

وفيهما التزم النشو بتدبير الدولة، على أن يتسلم الجهات^(١)، فأجيب إلى ذلك. فطلب السلطان الشمس نصر الله وخلع عليه، واستقر به نظر الجهات عوضا عن [...] (٢)؛ وخلع على تاج الدين أحمد بن الصاحب أمين الدين عبدا لله بن الغنام، واستقرّ به نظر الدولة، عوضا عن العلم بن فخر الدولة؛ وولى استيفاء الصحبة كريم الدين أخو تاج الدين المذكور. وجلس النشو فى قاعة الصاحب بالقلعة، وضرب يعقوب مستوفى الجهات بالمقارع، وألزمه بمال كثير؛ وألزم جميع مباشرى الدولة من الكتاب والشهود والشادّين بحمل معاملهم المقرّرة لهم عن أربعة أشهر، واحتجّ عليهم بأنهم أهملوا مال السلطان؛ فاستعاد من الجميع جوامك أربعة أشهر وقطع عليك جميع الأمراء والدواوين وبعض الخاصكية، وطلب أرباب الأموال من أهل النواحي، وأوقع الحوطة على موجودهم، ولم يدع من يشار إليه بغنى أو زراعة إلا وألزمه بمال. حتى مشى على والى المحلة، فإنه بلغه عنه أنه جمع مالا كثيرا، فعاقبه وأخذ منه ثلاثين ألف درهم. وكتب النشو لجميع الولاة بشراء الشعير، ودفع عنه ثلاثة دراهم الأردب، وعن الحمل الثين درهما. فشكا الجند ذلك، فلم يلتفت السلطان إليهم.

وفيهما استقرّ المخلص أخو النشو مباشر ديوان الأمير آنوك ابن السلطان، وخلع عليه تشريف من الخزانة بألف وستمئة درهم، وجهاز له حمار بألف درهم، وعدّته بخمسمائة درهم.

وفيهما كانت وقعة بين ابن دلغادر نائب أبلستين وبين الروم، قتل فيها خمسمائة نفس؛ ونهب ابن دلغادر من أموال الروم شيئا كثيرا، ردّ منه بعدما اصطلحا نحو عشرين ألف رأس ما بين غنم وخيل وجمال.

وفيهما كثرت مصادرة النشو للناس من أهل مصر والقاهرة والوجه القبلى والوجه البحرى، حتى خرج فى ذلك عن الحدّ، وأدّغر^(٣) الناس على اختلاف طبقاتهم.

وفيهما استقرّ زين الدين عمر بن محمد بن عبد الحاكم البلقيائى فى قضاء القضاة الشافعية بحلب، عوضا عن فخر الدين عثمان بن على بن عثمان - المعروف بابن خطيب جبرين^(٤).

(١) الجهات المقصود بها الحاصلات السلطانية. انظر الأعشى (٣٣/٢).

(٢) ما بين المعقوفتين بياض فى الأصل.

(٣) أدّغر أى: أن النشو ضغط الناس وأساء إليهم حتى استسلموا. انظر محيط المحيط.

(٤) عثمان بن على بن عثمان بن إبراهيم الختعمى التيمى الطائى. أبو عمرو فخر الدين. ابن =

وفيها استقرّ شهاب الدين أحمد بن فخر الدين أحمد بن قطب الدين إسماعيل بن يحيى الأنصارى المصرى فى كتابه السرّ بحلب، عوضا عن تاج الدين محمد بن الزين حضر.

وفيها حدثت زلزلة بطرابلس^(١) فى رجب، هلك فيها ستون إنسانا. وفيها انتهت زيادة النيل إلى ستة عشر ذراعا وعشر أصابع، فلم ترؤ الأراضى كلها، وغرق كثير منها، وتحسنت أسعار الغلال، وكانت سنة كثيرة الحوادث.

* * *

ومات فيها من الأعيان

جمال الدين أحمد بن شرف الدين هبة الله بن المكين الإسناي الفقيه الشافعى بإسنا^(٢) - وقد جاوز السبعين - فى شوال.

وتوفى الأديب أبو المعالى خضر بن إبراهيم بن عمر بن محمد بن يحيى الرفا الخفاجى المصرى، عن تسع وسبعين سنة.

وتوفى خطيب القدس زين الدين عبد الرحيم ابن قاضى القضاة بدر الدين محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة الشافعى^(٣).

=خطيب جبرين: قاض من فقهاء الشافعية كان من معارفه الأدب والموسيقا ولى وكالة بيت المال بحلب. ثم قضاء القضاة بها وصنف «الشرح الشامل الصغير - خ». انظر ابن الوردى ٣٢٣/٢ وإعلام النبلاء ٥٦٩/٤ وشذرات الذهب ٩٣/٦ والنجوم الزاهرة ٣٢٠/٩ وغاية النهاية ٥٠٧/١ والدرر الكامنة ٤٤٣/٢ - ٤٤٦ - والأعلام ٤١٠/٤.

(١) طرابلس: مدينة بالشام عظيمة، عليها سور صخر منيع، ولها رساتيق وأكوار وضياح حليلة، وتضاف إليها عدة قلاع وحصون داخلية فى أعمالها، وحول مدينتها أشجار الزيتون. انظر: معجم البلدان ٢٦،٢٥/٤، والروض المعطار ٣٩٠. ونزهة المشتاق ١١٧.

(٢) إسنا: بالكسر ثم السكون، ونون، وألف مقصورة: مدينة بأقصى الصعيد، وليس وراءها إلا أدفو وأسوان ثم بلاد النوبة. انظر: معجم البلدان ١٨٩/١.

(٣) محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة الكنانى الحموى الشافعى، بدر الدين، أبو عبد الله: قاض، من العلماء بالحديث وسائر علوم الدين. ولد فى حماة وولى الحكم والخطابة بالقدس، ثم القضاء بمصر، فقضاء الشام، ثم قضاء مصر إلى أن شاخ وعمى كان من خيار القضاة. وتوفى بمصر. له تصانيف، منها «المنهل الروى فى الحديث النبوى - خ» فى طوبقبو (٦:٢) و«كشف المعانى فى المتشابه فى المثنى - خ» و«غرة التبيان لمن لم يسم فى القرآن - خ» و«تذكرة السامع والمتكلم فى آداب العالم والمتعلم - ط» وأراجيز فى «قضاة مصر - خ» و«قضاة دمشق - خ». و«الفوائد الغزيرة من حديث بريرة - خ» قطعة منه، فى المكتبة العربية بدمشق. انظر: فوات الوفيات ١٧٤:٢، ونكت الهميان ٢٣٥ والأنس الجليل ٤٨٠:٢.

وتوفى قاضى الشافعية بحلب^(١) فخر الدين عثمان بن زين الدين على بن عثمان^(٢) - المعروف بابن خطيب حيرين - الفقيه الشافعى، بالقاهرة فى المحرم، وله مصنفات فى الفقه والأصول.

وتوفى علاء الدين على بن بلبان الفارسى الجندى الفقيه الحنفى^(٣) بالقاهرة عن أربع وستين سنة.

ومات أمير على بن أمير حاجب، كان والى مصر، وأحد أمراء العشرات، وكانت وفاته وهو معزول، وقد عنى بجمع القصائد النبوية، حتى كمل عنده منها خمسة وسبعون مجلداً.

ومات الأمير سيف الدين بهادر المعزى أحد أمراء الألفوف، فى ليلة الجمعة تاسع شعبان، وبلغت تركته مائة ألف دينار، أخذها النشور.

ومات علم الدين عبد الله بن كريم الدين الكبير.

ومات ناظر الجيش بدمشق فخر الدين محمد بن بهاء الدين عبد الله بن نجم الدين أحمد بن على - المعروف بابن الحللى - بالقدس، وكان قد قدم إليها، فولى عوضه نظير الجيش بدمشق جمال الدين سليمان بن ريان الحلبي.

(١) حلب: مدينة بالشام، بينها وبين قنسرين اثنا عشر ميلاً، وسميت بحلب رجل العمالقعة، وهى مدينة عظيمة مسورة بحجارة بيض، ونهر قويق يجرى على بابها، وفى جانبها قلعة منيعة بها مقام أميرها، ولها سبعة أبواب منها: باب الجنان، وباب أربعين، وباب أنطاكية، وباب قنسرين، وباب اليهود، وباب الفراديس، والباب الشرقى. انظر: تقويم البلدان ٢٩٩/١، والروض المعطار ١٩٦/١٩٧، وصبح الأعشى ١١٦/٤.

(٢) عثمان بن على بن عثمان بن إبراهيم الخنعمى السنيسى الطائى أبو عمرو، فخر الدين، ابن خطيب حيرين: قاض من فقهاء الشافعية، كان من معارفه الأدب والموسيقى. ولى وكالة بيت المال بحلب. ثم قضاء القضاة بها. وصنف شرحه «الشامل الصغير - خ» فى فقه الشافعية، و«شرح مختصر الحاجب» فى الأصول، و«شرح البديع» لابن الساعاتى، أصول. وله «الفرائض» كتابان أحدهما نظم والثانى نثر، ومجموع فى «اللغة» صغير. ورفعت عنه شكاية إلى السلطان بمصر، فطلب إليها، ومرض فتوفى بالقاهرة. وحيرين التى ينسب إليها: من قرى حلب. انظر: ابن الوردى ٣٢٣:٢، وإعلام النبلاء ٥٦٩:٤ وشذرات الذهب ٩٣:٦، وغاية النهاية ٥٠٧:١، الدرر الكامنة ٤٤٣:٢-٤٤٦.

(٣) على بن بلبان بن عبد الله، علاء الدين الفارسى، المنعوت بالأمير: فقيه حنفى، سكن بالقاهرة وتوفى بها. من كتبه «المقاصد السنية فى الأحاديث الإلهية - خ» و«الأحاديث العوالى - خ» و«المناسك». انظر: الفوائد ١١٨ والجواهر المضية ٣٥٤:١ والدرر الكامنة ٣٢:٣.

وتوفى قاضى القضاة جلال الدين محمد بن عبد الرحمن بن عمر بن أحمد بن محمد ابن عبد الكريم القزوينى الشافعى^(١) بدمشق فى يوم الأحد خامس عشر جمادى الآخرة، ومولده بالموصل^(٢) فى سنة ست وستين وستمائة.

ومات الحافظ علم الدين القاسم بن محمد بن يوسف بن محمد البرزلى بخليص^(٣) وهو محرم فى رابع ذى الحجة، عن أربع وسبعين سنة.

ومات الأمير علم الدين بن هلال الدولة بقلعة شيزر^(٤) بعدما ولى بالقاهرة شدّ الخاص وشد الأوقاف وشد المارستان وشد الدواوين، وصار يضاهى الوزراء.

ومات السعيد بن الكردوش، وأخذ له النشو بعد موته خمسة عشر ألف دينار .

ومات الأمير بدر الدين بيلىك المحسنى بطرابلس، بعدما كان والى القاهرة.

وتوفى المؤرخ شمس الدين محمد بن إبراهيم بن أبى بكر^(٥) الجزرى الدمشقى، عن إحدى وثمانين سنة.

وتوفى بدر الدين محمد بن عز الدين محمد بن عبد القادر ابن الصائغ الأنصارى الدمشقى الشافعى.

* * *

(١) محمد بن عبد الرحمن بن عمر، أبو المعالى، جلال الدين القزوينى الشافعى، المعروف بخطيب دمشق. من أحفاد أبى دلف العجلى: قاض، من أدباء الفقهاء. أصله من قزوين ومولده بالموصل. ولى القضاء فى ناحية بالروم، ثم قضاء دمشق سنة ٧٢٤هـ، فقضاء القضاء بمصر سنة ٧٢٧هـ، ونفاه السلطان الملك الناصر إلى دمشق سنة ٧٣٨هـ، ثم ولاه القضاء بها فاستمر إلى أن توفى. من كتبه «تلخيص المفتاح - ط» فى المعانى والبيان و«الإيضاح - ط» فى شرح التلخيص. انظر: لفظ الفوائد - خ. ومفتاح السعادة ١: ١٦٨ ثم ٢: ٢١٧. البداية والنهاية ١٤: ١٨٥ والدرر الكامنة ٤: ٣.

(٢) الموصل: فى الجانب الغربى من دجلة وسميت بهذا الاسم لأنها وصلت بين الفرات ودجلة، وشرب أهلها من ماء الدجلة، وهى مدينة عتيقة ضخمة عليها سوران وثيقان. انظر: معجم البلدان ٥/ ٢٢٣، والروض المعطار ٥٦٣، ونزهة المشتاق ١٩٩.

(٣) خليص: حصن بين مكة والمدينة. انظر: معجم البلدان ٥/ ٤٤٩، ٤٥٠.

(٤) قلعة شيزر: بتقديم الزاى على الراء، وفتح أوله: قلعة تشتمل على كورة بالشام قرب المعرة، بينها وبين حماة يوم، فى وسطها نهر الأردن عليه قنطرة فى وسط المدينة أوله من جبل لبنان تعد فى كورة حمص وهى قديمة. انظر: معجم البلدان ٣/ ٢٨٣، والروض المعطار ٣٥٢.

(٥) محمد بن إبراهيم بن أبى بكر إبراهيم بن عبد العزيز الجزرى الدمشقى شمس الدين، أبو عبد الله: مؤرخ دمشقى المولد والوفاة. له كتاب «التاريخ المسمى بحوادث الزمان وأنبائه - خ» جزءان منه، ومرتبان على السنين، ويبتدئ أحدهما بحوادث سنة ٦٠٨-٦٥٨هـ. وهو من مخطوطات خزانة الرباط (١٩٤ أوقات) ويبتدئ الثانى وهو الأخير منه بحوادث سنة ٧٢٦هـ، وينتهى بسنة وفاته (٧٣٩هـ). انظر: الدرر الكامنة ٣: ٣٠١ وذيل تذكرة الحفاظ، للحسين ٢٢ طبعة القدس.

سنة أربعين وسبعمائة

فى يوم السبت مستهل المحرم: قدم رسول الأمير يوسف بن أتابك الكردى - صاحب الجبال ووطاة نصيبين - بخير بكثرة جموعه من الأكراد وأنه رغب فى الانتماء إلى السلطان وضرب السكة فى بلاده باسمه، وطلب نجده بعسكر يتسلم ما بيده من البلاد ليكون نائب السلطنة بها، وأن يشرف بصناجق سلطانية عليها اسم السلطان لتعينه فى غاراته، فأجيب بالشكر، وجهزت له هدية وخيول وسلاح.

وفيه: قدم الخير بكثرة الفتن والغارات والاختلاف ببلاد المشرق، من نحو الصين وبلاد الخطا إلى ديار بكر.

وفيه: قدم مبشرو الحاج برحاء الأسعار وسلامة الحاج.

وفى يوم الأحد ثانيه: قدم الأمير بشتاك من الحج، وطلع القلعة بعد الظهر فى اثنى عشر رجلا - منهم أربعة نجابة - وصحبته الأمير ناصر الدين محمد ابن الأمير بكتمر الحاجب. وكان السلطان والأمراء أجيبوا لنواب قد قدموا له عند سفره شيا يجمل عن الوصف، فبعث السلطان له مائتى ألف درهم ومائة هجين وأربعين بختيا وستين جملا. فلما قدم مكة فرق فى الأمراء مالا كثيرا، فبعث إلى كل من الأمراء المقدمين ألف دينار، وإلى كل من أمراء الطبلخاناه خمسمائة دينار، وفرق فى الأجناد، وبعث إلى بيوت الأمراء بمال كثير، ثم استدعى المجاورين جميعهم والأشراف وغيرهم من أهل مكة والزياعة، وفرق فيهم المال، ولم يبق بمكة أحد حتى أسدى إليه معروفا، فكان جملة ما فرق بشتاك ثلاثين ألف دينار وأربعمائة ألف درهم، سوى ما وصل إليه فى المراكب من الغلال. فلما قدم بشتاك المدينة النبوية بعد قضاء نسكه فعل بها خيرا كثيرا، ومضى منها إلى الكرك^(١) فتلقيه الأمير شطى بن عبية أمير آل عقبة فى أربعمائة فارس من عربيه وأضافه، ثم سار بشتاك ومعه الأمير شطى ومن معه من العرب إلى العقبة^(٢) وقدم إلى القاهرة ثانى المحرم كما تقدم.

وفى رابع عشره: قدم ركب الحاج.

(١) الكرك: هو من أعظم حصون النصارى معترض فى طريق الحجاز، وهو من القلس على مسافة يوم أو أقل، وأهله يقطعون على المسلمين الطريق فى البر، وله نظر عظيم الاتساع متصل العمارة ينتهى إلى أربعمائة قرية. انظر: معجم البلدان ٤/٤٥٣، والروض المعطار ٢٠٢، ٢٠٣.

(٢) سبق ترجمتها.

وفيه انقطع مقطع بالقناطر التى أنشأها السلطان على جسر شيبين، فركب إليه الأمير برسبغا الحاجب، وجمع له من النواحي أربعة آلاف رجل، وأستدعى بالأخشاب والصواري من دار الصناعة بمصر، وغرق فيه عدة مراكب. فأقام برسبغا اثنين وعشرين يوماً حتى سد المقطع، وبلغ المصروف عليه فى ثمن مراكب غرقت وثمان صواري وحجارة وجير وجبس وحلفا وأجرة رجال ثلاثين ألف دينار، غير سخر البلاد.

وفىها قدم زين الدين عمر بن محمد بن عبد الحاكم البليغى قاضى حلب باستدعاء، فولى عوضه برهان الدين إبراهيم بن خليل بن إبراهيم الرسعنى.

وفى هذا الشهر: وضعت الست طولو قرطقا زوجة الأمير بليغا اليعياوى، وأخت خوند زاد وزوجة السلطان، فعمل لها السلطان مهما عظيما، أقامت الأفراح سبعة أيام بلياليها، ولم يبق أحد من الأمراء إلا وبعث بزوجته، ففرق السلطان فى نساء الأمراء جميعهن ما بين خمسمائة دينار إلى أربعمائة دينار إلى ثلاثمائة الواحدة. وكان السلطان قد عمل للنساء قبل ولادتها داير بيت وبشخاناه ونحو ذلك بعشرين ألف دينار، وعمل لها عصابة مرضعة بأنواع الجواهر قومت بخمسين ألف دينار، وأنعم على زوجها بثلاثة آلاف دينار.

وفى يوم الإثنين ثانى صفر: قبض على النشو، وعلى أخيه شرف الدين رزق الله، وعلى أخيه المخلص، ورفيقه مجد الدين، وعلى صهره ولى الدولة.

وسبب ذلك أنه لما أسرف النشو فى الظلم بحيث قل الجالب للبضائع، وذهب أكثر أموال التجار لطرح الأصناف عليهم بأعلى الأثمان، وطلب السلطان منه يتزايد، خاف النشو العجز، فرجع عن ظلم العامة إلى التعرض إلى الخاصة، ورتب مع أصحابه ذلك.

وكانت عادته فى كل ليلة أن يجمع إخوته وصهره ومن يثق به للنظر فيما يحدثه من المظالم فيدله ظل منهم على أبدة، ثم يفترقون وقد أبرم للناس بلاء يعذبهم الله به من الغد على يده، فكان مما اقترحه أن رتب أوراقتا تشتمل على فصول يتحصل فيها ألف ألف دينار عيناً، وقرأها على السلطان: ومنها التقاوى السلطانية المخلدة بالنواحي من الدولة الظاهرية ببيرس^(١) والمنصورية قلاوون^(٢) فى إقطاعات الأمراء والأجناد، وجملتها

(١) نسبة إلى بييرس العلامى البندقارى الصالحى، ركن الدين، الملك الظاهر: صاحب الفتوحات والأخبار والآثار. مولده بأرض القبحاق. وأسر فيع فى سيواس ثم نقل إلى حلب ومنها إلى القاهرة. واشتره الأمير علاء الدين حتى قبض عليه الملك الصالح. فأخذ بييرس وجعله من خاصة خدمه ثم أعتقه وقاتل مع قطز التتار ثم قتله وتولى سلطنة مصر والشام (سنة ٦٥٨هـ) وتلقب بالملك القاهر أبى الفتوحات ثم بالملك الظاهر. وفى أيامه انتقلت الخلافة إلى الديار المصرية سنة ٦٥٩هـ. انظر: فوات=

مائة ألف وستون ألف أردب، سوى ما فى بلاد السلطان من التقاوى، ومنها الرزق الأحباسية على الجوامع والمساجد والزوايا وغير ذلك، وهى مائة ألف فدان وثلاثون ألف فدان - وقرر النشو مع السلطان أن يأخذ التقاوى السلطانية المذكورة، بأن يلزم متولى كل إقليم باستخراجها وحملها، وأن يقيم شادا يختاره لكشف الرزق الأحباسية، فما كان منها على موضع عامر بذكر الله يعطيه نصف ما هو وقف عليه، ويأخذ من مزارعه عن النصف الآخر بحساب مائة درهم الفدان، ويلزمه بخراج ثلاث سنين، وما كان من الرزق على موضع خراب أو على أهل الأرياف من الخطباء الجهال ونحوهم أخذ واستخرج من مزارعه خراج ثلاث سنين من حساب مائة درهم الفدان، ومنها أراضى الروضة تجاه مدينة مصر، فإنها بيد أولاد الملوك، ويستأجرها منهم الدواوين وينشئون بها سواقي الأقباب ونحوها مما بلغ قيمة الفدان منه ألف درهم، ومنها ما باعه أولاد الملوك بأبجس الأثمان - وقرر النشو مع السلطان أخذ أراضى الروضة للخاص، وأن يقاس ما أبيع منها، ويؤخذ من هى بيده تفاوت قيمتها، أو تجدد عليه إجارة للسلطان بالقيمة -، ومنها أرباب الرواتب السلطانية، فإن أكثرهم عبيد الدواوين وغلما نهم ونساؤهم، ويكتبونها باسم زيد وعمرو، ومنها ما هو مرتب لجماعة من النصارى والرهبان سكان الديارات - وقرر النشو مع السلطان عرض جميع أرباب الرواتب والنظر فى تواقعهم، وإبقاء أرباب البيوت ومن يستحق على ما بيده، وأخذ تواقع من عداهم وإلزامه بحل جميع ما استأده من تاريخ توقيعه إلى آخر وقت، ومنها ذكر حواصل الأمير آقبغا عبد الواحد، وتفصيل ماله من أملاك وأراضى ومتاجر ومرتبات ورسوم على أرباب الوظائف السلطانية وعلى صناع العمائر، وتفصيل ما حُمل إليه من العمائر السلطانية من الأصناف - وذكر النشو العمائر التى عمرها آقبغا من ديوان السلطان وما له ببلاد الشام، وجمالها وحدها خمسمائة ألف دينار، سوى ما له بديار مصر، ومنها ذكر ما أخذه الأمير طاجار الدوادار من البلاد الشامية ومن أهل مصر على قضاء أشغالهم، وتفصيل أملاكه. وقرر النشو مع السلطان القبض على آقبغا وطاجار، فوافقه السلطان على ذلك.

=الوفيات ١: ٨٥ والنجوم الزاهرة ٧: ٩٤ والأعلام ٢: ٧٩.

(٢) نسبة إلى قلاوون الألفى العلامى الصالحى النجمى، أبو المعالى، سيف الدين السلطان الملك المنصور: أول ملوك الدولة القلاوونية بمصر والشام والسابع من ملوك الترك وأولادهم بمصر. كان من المماليك، قبجا قنى الأصل. أعتقه الملك الصالح نجم الدين أيوب سنة ٦٤٧هـ، فأخلص الخدمة للظاهر بيبرس. مدة ملكه إحدى عشرة سنة وثلاثة أشهر. انظر: النجوم الزاهرة ٧: ٢٩٢ وفوات الوفيات ٢: ١٣٣ والأعلام ٥: ٢٠٣.

وكان أول ما بدأ به النشو أن ندب جماعة لقياس الروضة جميعها من مذرعها وأراضى دورها، وألزم أرباب الدور التي بها بإحضار كتب دورهم، وأن يقوموا عن أراضيها بقيمتها من تاريخ شرائها، ووكل ابن صابر باستخراج ذلك منهم، وأخذ عن البروز فى الدور خاصة مائة ألف وعشرين ألف درهم.

وأمر النشو مباشرة الجوالى بقطع ما عليها من المرتبات عن جوامك القضاة والشهود ومشايخ العلم ونحوهم وكتب إلى جميع الأعمال يحمل مال الجوالى إلى خزانة الخاص، ومن تعجل منها شيئا يستعاد منه، فجمع من ذلك مالا كبيراً. فانزعج الناس كلهم، ولم يتحاصر أحد من الأمراء على السلطان فى الحديث معه فى ذلك، حتى ذكر السلطان لهم أن له نحو المائتى ألف أردب غلة فى البلاد وأنه يريد أخذها، فتلطف به الحاج آل ملك وبيبرس الأحمدي وجنكلى بن البابا حتى سمح بأن يتمهل بطلبها حتى يفرغ الحرث ويقبض المغلّ.

فلما فرغ النشو من قياس الروضة ألزم أرباب الرواتب أن يحضروا إلى القلعة ومعهم تواقيعهم، وألزم المباشرين بعمل الحساب وحمل ما تحت أيدهم من ذلك، وألزم جميع أرباب الرزق الأحباسية بإحضار تواقيعهم، وبعث البريد إلى الأعمال بذلك، وألزم ديوان الأحباس بكتابة الرزق كلها، فزلزل أرض مصر قبليها وبحريها، ولم يقبل لأحد شفاعة حتى الأميرين بشتاك وقوصون، فإنهما كانا إذا بعثا إليه فى شفاعة رد عليهما رداً جافياً وأغلظ على رسلهما.

فاتفق الخاصكية جميعاً عليه، وندبوا للحديث مع السلطان الأمير يلغا اليحايوى والأمير ملكتمر الحجازى وغيرهما، فصار كل منهم يسمع السلطان قبح سيرة النشو وهو يتغافل، إلى أن حدثه يلغا وهو يومئذ أخص الخاصكية عنده، وقال عنه: «يا خونند والله النشو يضرك أكثر ما ينفعك»، فتخيل^(١) السلطان من كلامه.

واتفق وصول الأمير قرجى الحاجب من دمشق، فأعاد السلطان سريعاً ليستشير الأمير تنكر نائب الشام فى أمر النشو، وأنه قد بعضه أهل الدولة كلهم، مع كثرة نفعه لى. ثم وجد السلطان عدة أوراق فى حق النشو قد رميت له من غير أن يعرف رافعها، منها رقعة فيها:

| | |
|------------------------|------------------------|
| أيا ملكا أصبح فى نشوة | من نشوة الظالم فى نشيه |
| أنشيته فلتنشمن ضغائننا | سترى غباوتها بصحبة غيه |

حكمته فحكمت أمراً فاسداً وتوحشت كل القلوب لفحشه
سترى بوارقها إذا ما أظلمت وتحكمت أيدي الزمان ببطشه
ودستمدن ندامة كسعيّةً يوماً إذا ذبح الخروف بكبشه

فلما قرأها السلطان تغير لونه ومزقها. ووجد السلطان ورقة أخرى فيها:

أمعنت فى الظلم وأكثرته وزدت يا نشو على العالم
ترى من الظالم فيكم لنا فلعنة الله على الظالم

وعن قريب عاد قرمجي فى سادس عشرى المحرم، وأخبر عن نائب الشام بأنه قد استفيض ما ذكره السلطان من بغض مماليكه للنشو، وأن التجار وأرباب الأموال فى خوف شديد من ظلمه، ورأى السلطان فيه أعلى. وكان يوم وصوله بالقلعة منظرًا مهولًا، فإنه اجتمع بها أرباب الرواتب والصدقات، وفيهم الأراامل والأيتام والزمناء والعريان، وصاروا فى بكاء ونحيب، فتقطعت القلوب حشرات رحمة لهم. وشغل الله النشو عنهم بنفسه، فحد له قولنج^(١) وهو بخزانة الخاص.

فأمر السلطان الناس أن ينصرفوا ويحضروا أول الشهر، ومن تأخر شطب على اسمه. فنزل بعد الظهر من القلعة، وتفرقوا تلك الليلة بالجوامع فى القاهرة ومصر، وهى ليلة سابع عشرى المحرم، للدعاء بسبب توقف النيل عن الزيادة، فإنه كان قد توقف توقفاً زائداً فلما قرب الوفاء نقص واستمر على نقصه أيامًا، فصرفوا دعاءهم على النشو طول ليلتهم، وكانوا جموعًا كثيرة إلى الغاية. فأصبح النشو مريضًا، وانقطع بداره حتى فرغ المحرم، فحذره الفاضل شمس الدين محمد بن الأكفانى مع قطع مخوف فى أول صفر، يخشى منه إراقة دمه.

فلما كان يوم الأحد أول صفر: ركب النشو إلى القلعة، وبه أثر المرض فى وجهه، فقرر مع السلطان إيقاع الحوطة على آقبغا عبد الواحد من الغد. فتقرر الحال على أنه يجلس على باب الخزانة، فإذا خرج الأمير بشتاك من الخدمة جلس معه على باب الخزانة ثم قاما إلى بيت آقبغا وحاطا بموجوده كله.

فلما عاد النشو إلى داره عبر إلى الحمام ليلة الإثنين، ومعه ابن الأكفانى، فأمر بعض عبيده السود أن يخلق رأسه ويجرحه بحيث يسيل الدم على جسمه، ليكون ذلك حظه من القطع المخوف، ففعل به ذلك، وتباشروا بما دفع الله عنهم بهذا، وباتوا ليلتهم فى لذات ومسرات.

(١) قولنج: مرض معوى مؤلم يصيب معه خروج البراز والريح وسببه التهاب القولون. انظر:

هذا وقد كان الأمير يلبغا اليحياوى قد وعك جسمه، فقلق السلطان لمرضه، وأقام عنده لكثرة شغفه به. فقال له يلبغا فيما قال: «يا خوند قد عظم إحسانك لى، ووجب نصحك علىّ، والمصلحة القبض على النشو، وإلا دخل عليك الدخيل، فإنه ما عندك أحد من مماليكك إلا وهو يترب غفلة منك، وقد عرفتك ونصحتك قبل أن أموت»، وبكى. فبكى السلطان لبكائه، وقام وهو لا يعقل لكثرة ما داخله من الوهم لثقتة بيلبغا وطلب بشتاك وعرفه أن الناس قد كرهوا النشو، وأنه عزم على الإيقاع به، فخاف بشتاك أن يكون ذلك امتحانا من السلطان، فوجد عزمه قويا فى القبض. واقتضى الحال إحضار الأمير قوصون أيضاً، فقوى عزم السلطان على ذلك، ومازال به حتى قرر معهما أخذه.

وأصبح النشو يوم الإثنين ثانى صفر - وفى ذهنه أن القطع الذى خوف منه قد زال عنه بما دبره له ابن الأكفانى من إسالة الدم، فعلق عليه عدة من العقود والطلسمات والحروز -، وركب إلى القلعة. وجلس النشو بين يدى السلطان على عادته وأخذ معه فى القبض على آقبغا عبد الواحد كما قرره، فأمره السلطان أن يجلس على باب خزانة القصر حتى يخرج إليه الأمير بشتاك، ثم يمضيا لإيقاع الحوطة على موجوده، فقام. وطلب السلطان المقدم ابن صابر، وأسر إليه أن يقف بجماعته على باب القلعة وباب القرافة، ولا يدعوا أحداً من حواشى النشو وأقاربه وإخوته أن ينزلوا، وأن يقبضوا عليهم كلهم. وأمر السلطان الأمير بشتاك والأمير برسبغا الحاجب أن يمضيا إلى النشو، ويقبضا عليه وعلى أقاربه. فخرج بشتاك وجلس على باب الخزانة، وطلب النشو من داخلها، فظنّ النشو أنه جاء لميعاده مع السلطان حتى يحتاطا على موجود آقبغا عبد الواحد، فساعة ما وقع بصره عليه أمر مماليكه بأخذه إلى بيته من القلعة، وبعث إلى الأمير ملكنمر الحجازى فأخذ أخاه رزق الله وأخذ أخاه المخلص وسائر أقاربه. فطار الخبر إلى القاهرة ومصر، فخرج الناس كأنهم جراد منتشر.

وركب الأمير آقبغا عبد الواحد والأمير طيبغا المجدى والأمير بيغرا والأمير برسبغا لإيقاع الحوطة على بيوت النشو وأقاربه وحواشيه، ومعهم جمال الكفاة كاتب الأمير بشتاك، وشهود الخزانة.

وأخذ السلطان للأمرء: «وكم تقولون النشو نهب أموال الناس! الساعة ننظر المال الذى عنده»، وكان السلطان يظن أنه يؤديه الأمانة، وأنه لا مال له. فندم الأمرء على تحسينهم مسك النشو خوفاً من أن لا يظهر له مال، سيما قرصون وبشتاك من أجل

أنهما كانا قد بالغوا في الحط عليه وإغراء السلطان به، فكثرت قلقهما ولم يأكلا طعاماً، وبعثنا في الكشف عن الخير. فلما أوقع الأمراء الحوطة على دور المسوكين بلغهم أن حريم النشو في بستان بجزيرة الفيل، فساروا إليه وهجموه، فوجدوا ستين جارية وأم النشو وامراته وأخته وولديه وسائر أهله، وعندهم مائتا جنية عنب وقد كثير ومعاصر، وهم في عصر العنب. فحتموا على الدور والحواصل، ولم يتهيأ لهم نقل شيء منها.

هذا وقد غلقت أسواق القاهرة ومصر، واجتمع الناس بالرميلة تحت القلعة ومعهم النساء والأطفال، وقد أشعلوا الشموع، ورفعوا على رؤوسهم المصاحف ونشروا الأعلام، وهم يضحون ويصيحون استبشاراً وفرحاً بقبض النشو، والأمراء تشير لهم أن يكتروا مما هم فيه، واستمروا ليلة الثلاثاء على ذلك.

فلما أصبحوا وقع الصوت داخل باب القلعة بأن رزق الله أخو النشو قد ذبح نفسه. وذلك أنه لما قبض عليه تسلمه الأمير قوصون، ووكل به أمير شكار، فسجنه أمير شكار في بعض خزائن بيته، وبات يحرسه حتى طلع الفجر، ثم قام أمير شكار للصلاة.

فاستغفله رزق الله وأخذ من حياصته سكيناً ووضعها في نحره حتى نفذت منه وقطعت وريده، فلم يشعر أمير شكار إلا وهو يشخر وقد تلف. فصاح أمير شكار حتى بلغ صياحه قوصون، فانزعج لذلك وضرب أمير شكار ضرباً مبرحاً إلى أن علم السلطان بالخير، فلم يكثر به.

وفي يوم الإثنين: المذكور أفرج عن الصاحب شمس الدين موسى بن التاج إسحاق وأخيه، ونزلا من القلعة إلى الجامع الجديد خارج مصر، فقال الكمال جعفر الأدفوي^(١) في يوم الإثنين هذا، وفي معنى مسك النشو وغيره هذه الأبيات:

إن يوم الإثنين يوم سعيد فيه لاشك البرية عيد
أخذ الله فيه فرعون جهراً وغدا النيل في ربأه يزيد

(١) جعفر بن ثعلب بن جعفر الأدفوي، أبو الفضل، كمال الدين: مورخ، له علم بالأدب والفقهاء والفرائض والموسيقى. ولد في أدفو (بصعيد مصر) وتعلم بقوص والقاهرة، وتوفى بها بعد عودته من الحج. له «الطالع السعيد الجامع لأسماء نجباء الصعيد - ط» ترجم به رجال عصره و«البدر السافر وتحفة المسافر - خ» مجلدان وله نظم ونثر. انظر: ديوان الإسلام - ح - وشذرات الذهب ٦: ١٥٣ والدرر الكامنة ١: ٥٣٥ والأعلام ٢/ ١٢٢.

وقال شمس الدين محمد بن الصائغ المصرى^(١) فى معنى مسك النشو والإفراج عن شمس الدين موسى، وزيادة النيل، هذه الأبيات:

لقد ظهرت فى يوم الاثنين آية أزالت بنعمها عن العالم البوسا
تزايد بحر النيل فيه وأغرقت به آل فرعون وفيه نجا موسى
وفيه زاد النيل بعد توقفه، فقال فى ذلك علاء الدين بن فضل الله كاتب السر:

فى يوم الإثنين ثانى الشهر من صفر نادى البشير إلى أن أسمع الفلكا
يا أهل مصر نجا موسى ونيلكم طغا وفرعون وهو النشو قد هلكا

وذلك أنه كان قد نقص، فلما قبض على النشو زاد ستة أصابع ثم ثمانية أصابع.

وفى يوم الثلاثاء ثالث صفر: نودى بالقاهرة ومصر: «بيعوا واشتروا واحمدوا الله على خلاصكم من النشو».

وفيه أخرج رزق الله أخو النشو فى هيئة تابوت امرأة حتى دفن فى مقابر النصارى، خوفاً عليه من العامة.

وفيه أدخل الأمير بشتاك على السلطان وطلب الإعفاء من تسليم النشو إليه، خشية مما جرى على أخيه. فأمره السلطان أن يهدده على إخراج المال، ثم يسلمه لابن صابر. فأوقفه بشتاك وأهانته. فالتزم أنه إن أفرج عنه جمع للسلطان من أقاربه خزانة مال، فسبه ثم سلمه لابن صابر. فأخذ ابن صابر ليمضى به إلى قاعة الصاحب، فتكاثرت العامة تريد رجمه حتى طردهم نقيب الجيش، وأخرجه ابن صابر فى زنجير^(٢) بعنقه حتى أدخله قاعة الصاحب، والعامة تحمل عليه حملة بعد حملة، والقباء تطردهم.

وفيه طلب السلطان جمال الكفاة إبراهيم كاتب الأمير بشتاك، وخلع عليه واستقر فى نظر الخاص عوضاً عن شرف الدين عبد الوهاب بن فضل الله^(٣) - المعروف بالنشوب،

(١) محمد بن عبد الرحمن بن على، شمس الدين الحنفى الزمردى، ابن الصائغ: أديب، من العلماء، مصرى. ولى فى آخر عمره قضاء العسكر، إفتاء دار العدل ودرس بالجامع الطولونى. من كتبه «التذكرة» فى النحو، عدة مجلدات، و«المباني فى المعانى» و«المنهج القويم فى فوائده تتعلق بالقرآن العظيم». انظر: بغية الوعاة ٦٥ والدرر الكامنة ٩٩/٣ وشذرات الذهب ٦: ٢٤٨ والأعلام ١٩٢/٦.

(٢) زنجير: هو صيغة عامية للفظ الفارسى الأصل «زنجير» ومعناه السلسلة من حلقات الحديد الغليظة. انظر: محيط المحيط.

(٣) شرف الدين عبد الوهاب بن فضل الله (المعروف بالنشوب) عبد الوهاب بن فضل الله العربى القرشى، شرف الدين: كاتب مترسل مصرى. خدم الملك الأشرف والملك الناصر وسيف الدين تنكز-

بعد تمنعه. ورسم له أن ينزل للحوطة على النشو وأقاربه، ومعه الأمير آقبغا والأمير برسبغا وشهود الخزانة. فنزل جمال الكفاة بتشريفه وركب بغلة النشو، حتى أخرج حواصله. وقد أغلق الناس الأسواق وتجمعوا من كل موضع، ومعهم الطبول والشموع وأنواع الملاهي وأرباب الخيال، بحيث لم يوجد حانوت مفتوح نهارهم كله. ثم ساروا مع الأمراء على حالهم إلى تحت القلعة، وصاحوا صيحة حتى انزعج السلطان، وأمر الأمير أيدغمش بطردهم.

ودخل الأمراء على السلطان بما وجدوه للنشو، وهو من العين خمسة عشر ألف دينار مصرية، وألفان وخمسمائة حبة لؤلؤ قيمة كل حبة ما بين ألفي درهم إلى ألف درهم، وسبعون فص بلخش قيمة كل فص ما بين خمسة آلاف درهم إلى ألفين، وقطعتان زمرد فاخر زنتهما رطل ونيف، وستون حبلا من لؤلؤ كبار زنة ذلك أربعمئة مثقال، ومائة وسبعون خاتم ذهب وفضة بفصوص مثمثة، وكف مريم مرصع بجوهر، وصليب ذهب مرصع، وعدة قطع زركش، سوى حواصل لم تفتح. فخجل السلطان لما رأى ذلك، وقال للأمراء: «لعن الله القبط ومن يأمنهم أو يصدقهم».

وذلك أن النشو كان يظهر الفاقة^(١) بحيث يقترض الخمسين درهما والثلاثين درهما حتى ينفقها. وبعث في بعض الليالي إلى جمال الدين إبراهيم بن المغربي رئيس الأطباء يطلب منه مائة درهم، ويذكر له أنه طرده ضيف ولم يجد ما يعيشه به.

وقصد بذلك أن يكون له شاهداً بما يدعيه من الفقر. فلما كان في بعض الأيام شكاً النشو للسلطان الفاقة وابن المغربي حاضر، فذكر أنه اقترض منه في ليلة كذا مائة درهم، فمشى ذلك على السلطان، وتقرر في ذهنه أنه فقير لا مال له، وصار السلطان يذكر ذلك كل قليل للأمراء.

واستمر الأمراء ينزلون كل يوم لإخراج حواصل النشو، فوجد له من الأواني الصيني والبلور والتحف السنية شيء كثير.

وفيه ولي الموفق نظر البيوت.

وفيه ولي المجدد بن المعتمد ديوان الأمير ملكتمر الحجازي.

= ونقله الملك الناصر إلى كتابة السر في دمشق، فتوفى بها. انظر: فوات الوفيات ٢: ٢٢٠ والدرر

الكامنة ٢: ٤٢٨ والنجوم الزاهرة ٩: ٢٤٠ والأعلام ٤ / ١٨٥.

(١) الفاقة: الفقر. انظر: المعجم الوجيز.

وفى يوم الخميس خامسه: زينت القاهرة ومصر زينة عظيمة مدة سبعة أيام، وعملت بها أفراح كثيرة، ونظم فيه العامة عدة أزجال وبلاليق^(١) وأظهروا من الخيال واللهو ما يجلب وصفه.

ووجدت مآكل كثيرة فى حواصل النشو: منها نحو مائتى مطر مملوءة ملوحة^(٢) وثمانين مطر جبن، وأحمال كثيرة من سواقة^(٣) الشام، ولحم كثير من لحم الخنزير، وأربعة آلاف جرة حمر، سوى ما نهب. ووجد له أربعمئة بدلة قماش جدد، وثمانون بدلة مستعملة، وزراكش ومفرجات كثيرة. ووجد له ستون بغلطاق نسائى مزركش، ومناديل زركش عدة كثيرة. ووجد له عدة صناديق بها قماش سكيندرى مما عمل برسم الحرة جهة ملك المغرب قد اختلسه، وكثير من قماش الأمراء الذين ماتوا والذين قبض عليهم. ووجد له مملوك تركى، وكان النشو قد خصاه هو واثنين معه ماتا، وكان قد خصى أيضاً أربعة عبيد فماتوا. فطلب الذى خصاهم، وضرب بالمقارع وجرس. وتتبع أصحاب النشو، وضرب منهم جماعة وشهروا.

وفى يوم الإثنين تاسعه: خلع على نجم الدين أيوب الكردى أستاذار الأكز - وهو يومئذ والى الشرقية، واستقر والى القاهرة عوضاً عن علاء الدين على بن المروانى، وأحيط بموجود ابن المروانى وصودر.

وفيه خلع أيضاً على عز الدين ممدود بن علاء الدين على بن الكورانى، واستقر فى ولاية مصر.

وفيه خرج البريد بطلب الصاحب أمين الدين وزير الشام من دمشق.

وفيه وجد لأخوة النشو ذخائر نفيسة: منها لصره ولى الدولة صندوق فيه مائة وسبعون فص بلخش، وستة وثلاثون مرملة^(٤) مكللة بالجواهر الرائعة، وإحدى عشر عنبرية مكللة بلؤلؤ كبار، وعشرون طراز زركش، وغير ذلك ما بين لؤلؤ منظوم وزمرد، وكوافى زركش، قوم الجميع بأربعة وعشرين ألف دينار.

وفيه ضرب المخلص أخو النشو ومفلح عبده بالمقارع، فأظهر المخلص الإسلام.

(١) بلاليق: جميع بليق وهو الأغنية الشعبية وتكون عادة هزيلة الألفاظ والمعانى.

(٢) الملوحة: تسمية مصرية لنوع من السمك المملح.

(٣) سواقة: ربما كان المقصود بذلك البضاعة التى اشترت شيئاً فشيئاً، على أن هذه تسمى فى

محيط المحيط باسم «المسواق». انظر: محيط المحيط.

(٤) مرملة: طرف يوضع به الرمل الذى كان الكتاب يستعملونه لتجفيف الكتابة.

وفي يوم الأربعاء رابعه - وثالث عشرى مسرى - : وفى وفاء النيل ستة عشر ذراعا، وفتح الخليج من الغد على العادة.

وفي يوم الأربعاء ثامن عشره: قدم أمين الدين من دمشق على البريد وطلع إلى بين يدى السلطان من الغد. وأجلسه السلطان وحادثه، وخلع عليه خلعة الوزارة، بطرحة خبعة القدوم، فنزل أمين الدين إلى داره، وتردد الناس إليه.

وفيه أفرج عن الصفى كاتب الأمير قوصون، وأعيدوا إلى ديوان قوصون عوضا عن علاء الدين ابن الحرّانى.

وفيه خلع على ابن الحرّانى، واستقر فى نظر الشام، عوضا عن أمين الدين.

وفي هذه السنة: لم يركب السلطان إلى الميدان للعب الأكرة، فإن الأمراء لما تأخرت عقوبة النشو تنكروا السلطان وتنكر لهم.

وفي يوم الثلاثاء ثانى عشرى ربيع الأول: وجدت ورقة بين فرش السلطان، فيها: «المملوك بيرم الناصح للسلطان يقبل الأرض، وينهى أئنى أكلت رزقك، وأنت قوام المسلمين، ويجب على كل أحد نصحك، وأن بشتاك وأقبغا قد اتفقا على قتلك مع جماعة من المماليك، فاحترس على نفسك».

وكان الأمير بشتاك فى هذا اليوم قد توجه بكرة النهار إلى جهة الصعيد، فطلب السلطان الأمير قوصون والأمير آقبغا، وأوقفهما على الورقة. فكاد عقل آقبغا أن يختلط من شدة الرعب، وأخذ قوصون يعرف السلطان أن هذا فعل من يريد التشويش على السلطان وتغيير خاطره على مماليكه. فأخرج السلطان البريد فى الحال لرد الأمير بشتاك، فأدركه بإطفيح وقد مد سماطه، فقام ولم يمد يده إلى شىء منه، وجدّ فى سيره حتى دخل على السلطان. فأوقفه السلطان على الورقة، فتنصل مما رمى به كما تنصل آقبغا، واستسلم وقال: «هذه نفسى ومالى بين يدى السلطان وإنما حمل من رمانى بذلك الحسد على قربى من السلطان وعظيم إحسانه إلى»، ونحو هذا حتى رق له السلطان، وأمره أن يعود إلى طلبه ويتوجه إلى جهة قصده، فسار.

ثم طلب السلطان ديوان^(١) الجيش، ورسم له أن يكتب كل من اسمه بيرم ويحضره إلى الأمير آقبغا. فارتجت القلعة والقاهرة لطلب المذكورين وعرضهم وتهديدهم وأخذ

(١) الديوان هنا الموظف الذى يقوم بعمل من أعمال الدواوين السلطانية، وهو فيما يظهر غير

خطوطهم، ليقابل بها كتابة الورقة. فلما أعيا أقبغا الظفر بالغريم وهو يراجع السلطان في أمرهم، اتهم النشو أنها من مكايده. واشتد قلق السلطان وكثر انزعاجه، بحيث لم يستطع أن يقر بمكان واحد.

ثم طلب السلطان والى القاهرة لالا، وأمره أن يهدم ما بالقاهرة من حوانيت صناع النشاب، وينادى: «من عمل نشابا شنق»، فامتثل ذلك. وخرجت أيضا جميع مرامى النشاب، وغلقت حوانيت القواسين. ونزل الأمير برسبغا الحاجب إلى الأمراء جميعهم، وعرفهم عن السلطان أن من رمى بالنشاب من ممالئهم أو حمل قوسا كان أستاذه عوضا عنه في التلاف، وألا يركب أحد من الأمراء بسلاح ولا تركاش نشاب.

وبينا الناس فى هذا الهول الشديد، إذ دخل شخص يعرف بابن الأزرق - كان أبوه ممن مات فى عقوبة النشو له عند مصادرته لجمال الكفاة - وطلب الورقة ليعرفهم من كتبها. فقام والى القاهرة؟ إلى السلطان ومعه الرجل، فلما وقف عليها قال: «يا خوند هذه خط محمد الخطابى، وهو رجل عند ولى الدولة صهر النشو، يلعب معه النرد ويعاقره الخمر» فطلب المذكور، وحاqqه الرجل محاققة طويلة، فلم يعترف، فعوقب عقوبات مؤلة إلى أن أقر بأن ولى الدولة أمره بكتابتها، فجمع بينه وبين ولى الدولة، فأنكر ذلك. وطلب ولى الدولة أن يرى الورقة، فلما رآها حلف جهده إيمانه أنها خط ابن الأزرق لينال عرضه من أجل أن النشو قتل أباه، وحاqqه على ذلك. فاقترضى الحال عقوبة ابن الأزرق، فاعترف أنها كتابته، وأنه أردا أن يأخذ بثأر أبيه من النشو وأهله. فعفا السلطان عن ابن الأزرق، وأمر بحبس الخطابى.

ورسم السلطان لبرسبغا الحاجب وابن صابر المقدم أن يعاقبا النشو وأهله حتى يموتوا وأذن للأجناد فى حمل النشاب فى السفر لا غيره.

ويقال إن سبب عقوبة النشو أن أمراء المشورة تحدثوا مع السلطان فى يوم الخميس رابع عشره فى أمر النشو، فابتدأ الأمير علم الدين سنجر^(١) الجاولى وقيل الأرض وقال: «حاشا مولانا السلطان من شغل خاطر وضيق الصدر» فقال السلطان: «يا أمراء، هؤلاء ممالئكى أنشأتهم وأعطيتهم العطاء الجزيل، وقد بلغنى عنهم ما لا يليق».

(١) سنجر بن عبد الله الجاولى، أبو سعيد، علم الدين: فقيه فاضل، من أمراء الجند بالديار المصرية. ولد بآمد، ثم كان من ممالئك حاول أحد أمراء الظاهر بيبرس، وأخرج فى أيام الأشرف خليل بن قلاوون إلى الكرك، وعاد إلى مصر فى أيام العادل كتبغا بحال زرية، فتقدم وولى نيابة غزة ثم عدة ولايات بمصر والبلاد الشامية، وطالت أيامه، وبنى حوامع أحدها بغزة، يعرف بالجاولية. وصنف «كتبا» فى الفقه وغيره، وتوفى بالقاهرة. انظر: النجوم الزاهرة ١٠: ١٠٩ والدرر الكامنة ١٧٠: ٢ والأعلام ١٤١/٣.

فقال الجاولي: «حاشا لله أن يبدو من ممالك السلطان شىء من هذا غير أن علم مولانا السلطان محيط بأن ملك الخلفاء ما زال إلا بسبب الكتاب، وغالب السلاطين ما دخل عليهم الدخيل إلا من جهة الوزراء. ومولانا السلطان ما يحتاج فى هذا إلى أن يعرفه أحد بما جرى لهم، ومن المصلحة قتل هذا الكلب وإراحة الناس منه»، فوافقه الجميع على ذلك. فضرب فى هذا اليوم المخلص أخو النشو بالمقارع مع ليلة الجمعة حتى هلك يوم الجمعة العصر، ودفن بمقابر اليهود، ثم ماتت أمه عقيبه. وقتل بعدها ولى الدولة عامل المتجر^(١) ورمى إلى الكلاب.

هذا والعقوبة تنوع للنشو حتى هلك فى يوم الأربعاء ثانى ربيع الآخر، فوجد بغير ختان. وكتب به محضر، ودفن فى مقابر اليهود بكفن قيمته أربعة دراهم، ووكل بقبوره من يحرسه مدة أسبوع خوفا من العامة أن تخرجه وتحرقه. فكانت مدة ولايته وجوره سبع سنين وسبعة أشهر.

ثم أحضر ولى الدولة صهر النشو ليعاقب، وهو بخلاف ولى الدولة عامل المتجر الذى تقدم، فدل على ذخائر للنشو ما بين ذهب وأوانى فى صندوق كبير. وطلبت جماعة بسبب ودائع اتهموا بها عندهم للنشو، وشمل الضرر غير واحد منهم.

وكان موجود النشو سوى الصندوق المذكور شيئا كثيرا، وعمل لمبيعه تسع وعشرون حلقة، آخرها حلقة لا يوجد لها مثل، إذ بلغت خمسا وسبعين ألف درهم، فكان جملة ما أخذ منه سوى الصندوق نحو مائتى ألف دينار. ووجد لولى الدولة عامل المتجر ما قيمته خمسون ألف دينار، ولولى الدولة صهر النشو زيادة على ثمانين ألف دينار. ويبت للنشو دور بمائة ألف درهم.

ثم ركب الأمير أقبغا إلى دور آل النشو بالمصاصة من مصر ومعه الأسرى، وخربها كلها حتى سوى بها الأرض، وحرثها بالمحاريث فى طلب الخبايا، وحملت أنقاضها ورخامها، فلم يوجد بها من الخبايا إلا القليل.

وفى ثالث عشره: أفرج عن القاضى شهاب الدين أحمد بن يحيى بن فضل الله العمرى^(٢) من سجنه بقلعة الجبل، بعدما أقام مسجوناً سبعة أشهر وثمانية عشر يوماً.

(١) المتجر: المقصود بلفظ «المتجر» ما يتجر فيه السلطان من البضائع لحسابه الخاص.

(٢) أحمد بن يحيى بن فضل الله القرشى العدوى العمرى، شهاب الدين: مؤرخ حجة فى معرفة الممالك والمسالك وخطوط الأقاليم والبلدان إمام فى الترسى والإنشاء، عارف بأخبار رجال عصره وتراجمهم، غزير المعرفة بالتاريخ ولاسيما تاريخ ملوك المغول. مولده ومنشأه ووفاته فى دمشق. =

وسبب الإفراج عنه أنه كان فى السجن كاتب قد سجن على تزوير خط السلطان وكان قد قبض عليه فى أيام مباشرة شهاب الدين لوظيفة كاتب السر، ورسم السلطان بقطع يده، فمزال شهاب الدين يتلطف فى أمره حتى عفى من قطع يده وسجن.

فاتفق فى هذا الوقت أنه رفع قصة ينهى فيها توبته، ويسأل العفو عنه، فلم يتذكر السلطان شيئاً من خبره، فقيل له إن شهاب الدين يعرف خبره، فبعث إليه فى ذلك وطالعه بأمره، فأفراج عن الكاتب وعن شهاب الدين، ونزل شهاب الدين إلى داره.

وفيه خلع على الأمير عز الدين أيدمر الزراق، واستقر فى ولاية ثغر الإسكندرية عوضاً عن بييرس الجمدار الركنى.

وفيه توجه جمال الكفاة ناظر الخاص، والأمير نجم الدين وزير بغداد، والأمير بيغرا، والأمير طيغما المجدى، لإيقاع الحوطة على موجوده. وذلك أن ابن الصاوى شاد معدن الزمرد رفع فيه أن يربح فى سنة من صنف الخمر وحده ثلاثين ألف دينار، وأن له بالإسكندرية عقاراً كثيراً، من جملة ثلاثون بستاناً أقلها بألف دينار. فوجد أكثر ما قيل عنه صحيح، فحمل إلى القاهرة، وتعصب له عدة من الأمراء حتى تقرر عليه حمل عشرين ألف دينار، فحملها وأفراج عنه.

وفيه نودى بالقاهرة أن يكون صرف الدينار بخمسة وعشرين درهما بعدما كان بعشرين درهما. وسبب ذلك أن جمال الكفاة ناظر الخاص عمل أوراقاً بما على السلطان للتجار، فكان مبلغ ألف دينار. فأجاب السلطان بأن النشو ذكر أنه وفى التجار ما لهم، وقصد ألا يعطيهم شيئاً، فأشار عليه جمال الكفاة بوفاء جماعة منهم، وأن يحسب عليهم الدينار بخمسة وعشرين درهما، وما عدا هذه الجماعة لا يدفع لهم شىء، فتوقفت أحوال الناس لزيادة سعر الذهب. ولما نزل جمال الكفاة إلى دار القند بمصر ابتهج الناس به، فطرح السكر بأقل مما كان يطرحه النشو على السكرين بعشرة دراهم القنطار.

ووقع ببلاد البحيرة والغربية مطر عظيم فيه برد كبار، تلف به عدة مزارع وكثير من الأغنام، وهبت مع ذلك رياح عاصفة ألفت النخل.

وفىها فرغت مدرسة الأمير آقبغا عبد الواحد، بجوار الجامع الأزهر. وبلى الناس فى

=أجل آثاره «مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار - خ» كبير، وله «مختصر قلائد العقيان - خ». و«يقظة الساهر» فى الأدب و«دعة الباكي» أدب وله شعر فى منتهى الرقة. انظر: فوات الوفيات ٧:١ والسحب الوابلة، والدرر الكامنة ١:٣٣١ والنجوم الزاهرة ١٠:٢٣٤ والأعلام ١/٢٦٨.

عمارتها ببلايا كثيرة: منها أن الصناع كان قد قرر عليهم آقبغا أن يعملوا بهذه المدرسة يوما في الأسبوع بغير أجره، فكانوا يتناوبون بها العمل سخرة، ومنها أنه حمل لها الأصناف من الناس ومن العمائر السلطانية، فكانت ما بين غضب وسرقة. ومع ذلك فإنه ما نزلها قط إلا وضرب وفيها من الصناع عدة ضربا ومؤلما فيصير ذلك الضرب زيادة على شدة عسف مملوكه الذى أقامه شادا بها. فلما تمت جمع بها القضاة والفقهاء، ولم يول بها أحدا، وكان الشريف المحتسب قد عمل لها بسطا بنحو ستة آلاف درهم، على أن يلى تدريسها، فلم يتم له ذلك.

وفيه قدم رسول الشيخ حسن بن الأمير حسين بن آقبغا بن أيدكين سبط القان أرغون أبغا بن هولوكو بن طولوى بن جنكزخان متولى العراق، بكتابه يتضمن طلب عسكر يتسلم بغداد والموصل وعراق العجم ليقام بها الدعوة للسلطان، وسأل أن يبعث السلطان إلى طغاي بن سوتناى فى الصلح بينه وبين الشيخ حسن فأجيب إلى ذلك، ووعد بتجهيز العسكر. وركب أمير أحمد قريب السلطان إلى طغاي، ومعه هدية لينظم الصلح بينه وبين الشيخ حسن.

وفيه فرغت عمارة الخان الذى أنشأه الأمير طاجار الدوادار بجينين من طريق الشام، وعمل به حوض ماء للسبيل يجرى إليه الماء، وعمل به حماما وعدة حوانيت يباع بها ما يحتاج إليه المسافر، فكثر النفع به.

وفى يوم الثلاثاء ثامن عشرى ربيع الآخر: ركب السلطان إلى قصره بسرياقوس^(١) ومضى إلى خانكاته، وقد تقدمه إليها الشيخ شمس الدين محمد الأصفهانى والقوام الكرمانى وجماعة من صوفية سعيد السعداء. فوقف السلطان على الباب بفرسه، وخرج إليه جميع صوفيتها، ووقفوا بين يديه، فسألهم من يختاروه شيخا لهم بعد وفاة الشيخ مجد الدين موسى بن أحمد بن محمود الأقصرائى، فلم يعينوا أحدا. فولى السلطان مشيخة الشيوخ بها الركن الملطى خادم المجد الأقصرائى.

وفىها قدم الخبر بأن أرتنا لم يقم الخطبة ببلاد الروم للسلطان ولا ضرب السكة، فكتب بالغاثة على أطراف بلاده. فقدم رسوله بهدية فيها حركة كسوتها من داخلها، ومن خارجها حرير أطلس، ودابيرها فرو سمور، وبسطها حرير قومت بثلاثين ألف درهم، ومعها ثلاثون إكديشا، وأربعة سناقر، وعشرة بزاة وعشرة صقورة، وستون تفصيلة حرير، ومع ذلك كتاب يتضمن الشكوى من غارة التركمان على أطراف

(١) سرياقوس: بليدة فى نواحى القاهرة بمصر. انظر: معجم البلدان ٢/٣١٨.

سنة أربعين وسبعماية.....
 بلاده. فأجيب بأن ذلك بسبب أنه لم يقم الخطبة ولا ضرب السكة باسم السلطان فى
 بلاده، كما أخبر به.

وفيهما انقطع السلطان عن الخروج إلى دار العدل نحو عشرين يوماً، لشغل خاطره
 بمرض الأمير يلبغا اليحياوى وملازمته له.

وفيهما ادعى صلاح الدين يوسف بن المغربى الحكيم على أولاد الملوك بمبلغ عشرة
 آلاف درهم عند قاضى القضاة حسام الدين الغورى، تعجلوها منه عن أرض بروضة
 مصر. وكان النشو قد أخذها منهم وأدخلها فى ديوان الخاص، فوجب حقه على أولاد
 الملوك. فلم يوافق القاضى على سجنهم وجرت بينه وبين ابن المغربى مفاوضة جرى
 فيها على عادته من السفه، فلم يترخص له ابن المغربى. وآل الأمر إلى أن خرج الغورى
 من المدرسة الصالحية ماشياً، وجمع الحنفية ليطلعوا إلى السلطان ويشكوا من ابن
 المغربى. ومشى الغورى بالشارع وبیده عكاز - وكان يوماً مطيراً - والعامه تنظر به
 وبجماعته، وقد سبقه ابن المغربى وشكاه إلى السلطان. فبعثت السلطان إليه الأمير
 طاجار، فوجده قد طلع إلى القلعة ماشياً ليمين حلف بها، فبلغه طاجار الرسالة، وأراده
 أن يرجع، فأبى أن ينصرف حتى يجتمع بالسلطان. فلم يمكنه السلطان من ذلك،
 وواعده إلى دار العدل، فلما لم يجد سبيلاً إلى الاجتماع به عاد، وطلع يوم الخدمة إلى
 دار العدل. واستدعى السلطان أولاد الملوك، وادعى عليهم ابن المغربى فألزمهم بالمال،
 وتسلمهم برسبغا الحاجب، حتى أدوه لابن المغربى بعد إخرق وإهانة بالغة.

وفيه عمل سماط جليل بالميدان لعافية الأمير يلبغا اليحياوى فيه من الأطعمة والأشربة
 والخلاوات ومشروب السكر ما يجلب وصفه. واستدعى السلطان لحضوره جميع صوفية
 الخوانك والزوايا وأهل الخير وسائر الطوائف، وأخرج من الخزانة السلطانية ثلاثين ألف
 درهم أفرج بها عن المسجونين على دين، وأخرج للأمير يلبغا ثلاث حجورة بمائة ألف
 درهم، وحياسة ذهب مرصعة بالجواهر، وأفرج عن شعبان قريب ألماس.

وفيه خلع على الأمير علاء الدين على بن الكورانى والى الغربية، واستقر كاشف
 الوجه القبلى عوضاً عن أخى ظلظيه، لشكوى الجنند منه.

واستقر أسندمر مملوك القنحقى فى ولاية الغربية عوضاً عن ابن الكورانى، بتعيين
 الأمير برسبغا الحاجب.

وفيها جهزت التعابي من الخزانة لنائب الشام ونائب حلب ونائب حماة^(١) ونائب طرابلس، على العادة فى كل سنة. ورسم بتجهيز تعبئة للأمير الطنبغا نائب غزة^(٢) وأنعم عليه من مال دمشق بخمسين ألف درهم وألف غرارة من غلة، وحمل إليه ألف دينار وتعبئة قماش وتشريف كامل.

وفيها خلع على الأمير نكبيه السريدى متولى قطيا، واستقر فى ولاية الإسكندرية عوضا عن الزراق لاستغفائه منها.

وفيه قدم أمير أحمد من بلاد الشرق، وقد عقد الصلح بين طغاي بن سوتاي وبين الشيخ حسن الكبير.

وفيها طلبت النساء المغانى وصودرن ما بين ثلاثة آلاف درهم و ألفى درهم الواحدة، وسجن بالحجرة أياما حتى تاب بعضهن عن الغناء، وتزوج بقيتههن. وسبب ذلك أن الأمير آنوك بن السلطان كان يركب إلى جهة بركة الحبش، وعمر له بها حوشا لطيووره وموضعا يتنزه به، وأحضر إليه مغنية تعرف بالزهرة، فشغف بها حتى بلغ السلطان ذلك. فأسر السلطان للأمير آقبغا عبد الواحد أن يلزم شاد المغانى والضامنة بالإنكار على المغانى حضورهن مجالس الخمر وإقامة الفتن، وإلزامهن بمال يقمن به عقوبة لهن على ذلك، وأكد عليه فى أن يكون ذلك من غير أن ينسب إلى السلطان أنه أمر به رعاية لآنوك.

فلما وقع ذلك شق على آنوك امتناع الزهرة عنه عدة أيام، ومازال حتى آتته سرا، وهى بها عن زوجته ابنة الأمير بكتمر الساقى، حتى علمت أمه بذلك، فلشفقتها عليه ترخصت له، وأمكنته من هواه. فخاف آنوك من السلطان، ودبر هو وبعض مماليكه حيلة أشغل بال السلطان عنه، وكتب ورقة يخيله فيها من الأمير بشتاك والأمير آقبغا، وألقت إلى السلطان. فتم بعض مماليكه للأمير آقبغا بذلك، فبلغه السلطان، فدخل إلى الدور واستدعى آنوك وهم بقتله بالسيف، فمنعته أمه وحواريه. فأرعد آنوك من الخوف، ولزم الفراش، وتغير السلطان على لالاه أرغون العلامى، وأقام طيبغا المجدى عوضه، ورسم ببيع الدار التى عمرها آنوك ببركة الحبش.

(١) حماة: من كور حمص بالشام، وهى مدينة طيبة فى وسطها نهر يسمى العاصى. انظر: معجم البلدان ٢/٣٠٠، ٣٠١، والروض المعطار ١٩٩، وصبح الأعشى ٤/١٤٠.

(٢) غزة: مدينة فى أقصى الشام من ناحية مصر، وبينها وبين عسقلان فرسخان أو أقل، وهى من نواحي فلسطين غربى عسقلان. انظر: معجم البلدان ٤/٢٠٢، ٢٠٣، والروض المعطار ٤٢٨. ومعجم ما استعجم ٩٩٧.

وفيه قدم أبو بكر ابن السلطان من الكرك باستدعاء، ومعه هدية قيمتها نحو مائتي ألف درهم، بعد ما أخذ أموال الناس بها على سبيل القرض، وكان يقتل من يمتنع عليه ويصادره، فمات جماعة من الناس تحت العقوبة.

وفيه توجه جمال الدين الكفاة ناظر الخاص إلى الإسكندرية وأوقع الحوطة على دور بيبرس الجمدار الركنى نائب الإسكندرية بعد موته، فوجد له عدة دور وحوانيت وعشرين بستانا باعها بخمسمائة ألف وستين ألف درهم، وعاد.

وفيهما قوى الماء على الجسر الذى استجده السلطان بناحية شيبين، وصارت البلاد الواطئة تستبحر. فاقتضى رأى السلطان عمل زريبة كالجسر ترد قوة الماء، فندب لعملها الأمير ببيغا حارس الطير. وفرض السلطان لذلك على البلاد عن كل دينار ثمن درهم، فجبى نحو أربعمئة ألف درهم. وجمعت البناء والفعلة، وعملت أقمنة الجير والجبس والطوب حتى تمت الزريبة فى طول زيادة على ثلاثين ألف قصبة. فعظم النفع بها، وشمل الرى عدة أراض ما كانت تروى قبل ذلك إلا فى الأنبال العالية، وزاد ارتفاع النواحي برى الأراضى. وبطل سد بحر أبى المنجا، وتأخر فتحه بعد أوانه بعشرة أيام، وقام مقامه سد قناطر شيبين، وبطل ما كان من ركوب الناس وفرجهم فى فتح أبى المنجا، وأراح الله تعالى مما كان يعمل فيه يوم فتحه من المنكرات والفواحش.

وفيه توجه الأمير بشتاك بآنوك وأبى بكر ولدى السلطان إلى العباسة، وحضر بهما بعد أيام.

ثم توجه الأمير يلبغا اليحياوى والأمير بشتاك بطيور السلطان إلى البحيرة، وصحبة يلبغا عشرة أمراء طبلخاناه. فدخلوا إلى الإسكندرية، وقد تقدمهم جمال الكفاة إليها وجهاز لهم الإقامات والتعابى والإنعامات، فأقاموا ثلاثة أيام وعادوا. فأنعم السلطان على يلبغا يوم وصوله بناحية سوهاى^(١) من الصعيد، وعبرتها خمسة عشر ألف دينار، وكتب بتمكين أهل الإسكندرية من فتح دكاكين الرماة على العادة، والإفراج لهم عن السلاح، وذلك بشفاعة يلبغا.

وفيه قدم البريد بموت الأمير طقتمر الخازن نائب قلعة حلب، وأنه وجد له عشرة آلاف دينار ومائة وستون ألف درهم.

وفيهما توقفت الأحوال بسبب صرف الذهب، وعدم وجود الفضة من بين الناس فى

(١) سوهاى: قرية بمصر من قرى أخميم. انظر: معجم البلدان ٣/٢٨٦.

الأسواق. فأخرج السلطان من الخزانة ألفى درهم فضة فرقت مدة شهر فى الصيارف، وأخذ عنها ذهب، فمشت الأحوال قليلا ثم توقفت.

وفيهما قدمت طائفة من العجم لهم زى غريب، على رءوسهم أقباع طوال جدًا، من فوقها عمائم مزلعة كهيئة الطرطور، ولهم شيخ يعرف بالشيخ زاده. فاحتفل بهم الأمير قوصون وأنزلهم بمخانكاته، وعمل لهم فيها عدة أوقات، ثم تحدث قوصون مع السلطان فى أمرهم، فولى زاده مشيخة الخانكاه الركنية ببيرس، فباشرها وعمل بها فى كل ليلة جمعة سماعا قام به الأمير قوصون.

وفى رابع عشرى شوال: رحل ركب الحاج من بركة الحجاج، صحبة الأمير بُكا الخضرى. وكانت العادة أن يرحل الركب فى سادس عشره، فقصد السلطان ألا تطول إقامة الحاج بمكة رفقا بالها، فأخر الرحيل إلى رابع عشره، ليوافقى الحجاج مكة أول ذى الحجة، واستمر ذلك فيما بعد. وسار أيضًا الأمير آقبا عبد الواحد إلى الحج بأهله.

وفيهما تسلم الأمير زين الدين قراجا بن دلغادر قلعة طرنده^(١) وأقام بها الدعوة للسلطان. وذلك أن مرجان الخادم نائب طرنده من قبل أرتنا توجه منها إلى مخدومه فى مهم له، فنزل عليها من أمراء التركمان أمير على بن الكركرى، وإبراهيم كندلكى، وقرا خليل بن البكى، وابن قرا، فى زهاء أربعين رجلا، - وقد باطنهم رجل من أهل القلعة وجذب الأربعين بجبال إليها، فقتلوا من بها من جماعة أرتنا، واستولوا عليها وأسلموها لابن دلغادر.

فكتب إلى السلطان بذلك، فأنعم بها على الأمير تنكز نائب الشام، فبعث إليها تنكز وعمرها، ولم تزل قلعة طرنده بأيدي سلاطين مصر إلى أن مات الظاهر برقوق^(٢).

(١) قلعة طرنده: قال الواقدي: كان المسلمون نزلوا طرنده بعد أن غزاها عبد الله بن عبد الملك سنة ٨٣ وبنوا بها مساكن وهى من مطية على ثلاث مراحل داخلية فى بلاد الروم ومطية يومئذ حراب. انظر: معجم البلدان ٣٢/٤.

(٢) برقوق بن أنص - أو أنس - العثماني، أبو سعيد، سيف الدين، الملك الظاهر: أول من ملك مصر من الشراكة. جلبه إليها أحد تجار الرقيق (واسمه عثمان) فباعه فيها منسوبًا إليه ثم أعتق وذهب إلى الشام فخدم نائب السلطنة وعاد إلى مصر، فكان (أمير عشرة) وتقدم فى دولة المنصور القلاوونى (على بن شعبان) فولى أتابكية العساكر وانتزع السلطنة من آخر بنى قلاوون «الصالح، أمير حاج» سنة ٧٨٤ وتلقب بالملك الظاهر وانقادت إليه مصر والشام. وخلع سنة ٧٩١ ثم عاد إلى مصر سلطانًا سنة ٧٩٢ وتوفى بالقاهرة ومدة حكمه «أتابكا» وسلطانًا قرابة ٢١ عامًا. انظر: ديوان الإسلام والضوء اللامع ٣: ١٠. والأعلام ٤٨/٢.

وفيهما هبت سموم ورياح عاصفة بجبل طرابلس، وسقط نجم اتصل نوره بالأرض مع رعد قوى إلى الغاية، وعلقت منه نار فى أراضى الجون أحرقت عدة أشجار ومنازل فكان ذلك آية. ونزلت من السماء نار بقرية الفيحة^(١) من عمل دمشق على قبة خشب أحرقتها، وأحرقت ثلاثة بيوت بجانبها.

وفى ليلة الثلاثاء سادس عشرية: وقع بدمشق فى أول الليل حريق بالدهشة شرقى الجامع الأموى، فعظم الأمر حتى وصل إلى الجامع، وتعلق بالمنارة الشرقية وسقط على الجمولون الرصاص. فبادر الناس جميعًا إليه، وأطفأوه بحضرة الأمير تنكز فى مدة يومين بلياليها.

ثم وقع أيضًا فى ليلة السبت أول ذى القعدة: حريق آخر بقيسارية القواسين والكفتيين وسوق الخيل من دمشق، وكان أمرا مهولا مدة يومين بلياليها. فعلم فيها نحو خمسة وثلاثين ألف قوس، وهدمت أموالا عظيمة، منها للتجار خاصة ما مبلغه ألف وستمائة ألف دينار، وخربت أماكن كثيرة.

فبينما الناس فى ذلك إذ وجدت ورقة فيها: «المملوك الناصح» تتضمن أن أمر الحريق يظهر إذا أمسك يعقوب غلام المكين كاتب الجيش، فقبض على المذكور وعوقب، فاعترف على أستاذه عدة من كتاب النصارى، وأحضروا بين يدى الأمير تنكز، فأقروا جميعًا بذلك.

فأوقع تنكز الحوطة على موجودهم، وكتب عليهم محضرا ملخصه: أن الرشيد سلامة بن سليمان بن مرجا النصرانى كاتب الأمير علم الدين سنجر البشمقदार أشهد عليه أنه حضر إليه منتصف شوال المكين يوسف بن مجلى كاتب الأمير بهادر أص والمكين يوسف عامل الجيش، وصحبتهم رهبان أحدهما اسمه ميلانى والآخر اسمه عازر، وقدا من القسطنطينية ليجاهدا فى الملة الإسلامية ومعابدها وقد باعا نفسيهما على ذلك، وأنهما يعملان صناعة النفط.

فاجتمعوا فى بستان المكين يوسف، وأحضر لهم ما يحتاجون إليه من النفط، وعملوا كعكات، وتكرروا فى لباسهم، ونزلوا إلى الدهشة وتفرقوا فى جوانبها، وابتاعوا منها قماشًا ودفعوا ثمنه لصاحبه، وجعلوا القماش عنده وديعة، وقد دسوا فيه تلك الكعكات المصنوعة، فوقع منها ذلك الحريق، ثم دفعوا إلى الجرائحى النصرانى الذى على باب قيسارية القواسين خمسمائة درهم وكعكة من تلك الكعكات، فرمى بها فى دكان

(١) قرية الفيحة: بالكسر ثم السكون، وحيم: قرية بدمشق. انظر: معجم البلدان ٤/٢٨٢.

داخل القيسارية، فكان منها الحريق الثاني، وأن الراهبين المذكورين خرجا بعد ذلك بكتب الجماعة إلى بيروت^(١) حتى سيرهم العامل بها في مركب إلى قبرص^(٢) وأرخ المحضر بعشرى ذى القعدة، وحمل إلى السلطان.

ثم سمر الجماعة في يوم السبت ثانی عشرى ذى القعدة، بعدما عوقبوا عقوبات عظيمة، وعددهم أحد عشر رجلاً: وهم المكين يوسف بن مجلى عامل الجيش وأخوه، والمكين جرجس كاتب الحوطات، والمكين كاتب بهادر آص، وسمعان، وأخوه بشارة، والرشيد سلامة بن سليمان كاتب سنجر البشمقदार، والعلم عامل بيروت، والجرائحى، وجزاران نصرانيان، وشخص يعرف بسبيل الله، وكان هذا الرجل بالقاهرة سنة خمس وعشرين بزي غريب يلبس جلداً، ويحمل على كتفه زيرا نحاساً أندلسياً، ويده شربات كذلك، ويقول بلسان غتمى: «سبيل الله»، ويسقى الناس بغير جعل، فمن الناس من اعتقده، ومنهم من اتهم أنه جاسوس، ثم خرج هذا الرجل حاجاً، وقدم دمشق وأقام بها يسقى الماء، حتى دخل مع النصارى فيما قاموا فيه من أمر الحريق ولما سمروا وسطوا بعد يومين، ووجد لهم ما ينيف على ألف درهم، أنفق منها فى عمارة منارة الجامع والدهشة.

فكتب السلطان إلى تنكز ينكر عليه قتل النصارى، وأن فى ذلك إغراء لأهل القسطنطينية^(٣). بمن يرد إليهم من التجار المسلمين وقتلهم، ويأمر بحمل ما وجد من المال، وأن يجهز بناته اللاتى عقد لأولاد السلطان عليهن.

فأجاب تنكز بالاعتذار عن تجهيز بناته بما شغله من عمارة ما أحرق، وأن المال الذى وجد للنصارى قد جعله لعمارة الجامع، وجهر قريجى بذلك فلم يرض السلطان، وتغير

(١) بيروت: بالفتح ثم السكون، وضم الراء، وسكون الواو، والتاء فوقها نقطتان: مدينة مشهورة على ساحل بحر الشام تعد من أعمال دمشق، بينها وبين صيدا ثلاثة فراسخ. انظر: معجم البلدان ٥٢٥/١، والروض المعطار ١٢٢، ١٢٣، وصبح الأعشى ١١١/٤.

(٢) قبرص - أو قبرس - جزيرة على البحر الشامى كبيرة القطر مقدارها ستة عشر يوماً، ومن قبرص إلى طرابلس الشام مجريان. انظر: معجم البلدان ٣٠٥/٤، والروض المعطار ٤٥٣، ٤٥٤، ونزهة المشتاق ١٩٤.

(٣) القسطنطينية: كانت رومة فى القديم دار مملكة الروم نزلها من ملوكهم تسعة وعشرون ملكاً، ثم ملك بها قسطنطين الأكبر ثم انتقل إلى بنظية وبنى عليها سوراً وسمها القسطنطينية، وقد كان اسمها طوانة ثم نسبت إلى قسطنطين، وبينها وبين عمورية ستون ميلاً فى قرى وعمارات، ومدينة القسطنطينية ثلاث نواحي: ناحيتان منها فى البحر الأعظم مما يلى القبله والمشرق والمغرب، والناحية الثالثة مما يلى البر. انظر: معجم البلدان ٣٤٧/٤، ٣٤٨.

على قرجي، وكتب معه إليه بأنه لا بد من تجهيز بناته. ثم أركب السلطان الأمير طاجار الدوادار على البريد إلى دمشق بمملطات، فى يوم الجمعة ثانى عشرى ذى الحجة، وكان طاجار قد ثقل عليه أمر تنكز، وأخذ فى زواله، وجعل توجهه إنما هو لعتب تنكز على تأخيره حمل بناته.

وكان قد بلغ تنكز تغيير السلطان عليه، فجهز أمواله ليحملها إلى قلعة جعير^(١) ويخرج إليها بحجة أنه يتصيد. فقدم عليه طاجار قبل ذلك فى يوم الأحد رابع عشره، وعتبه وبلغه عن السلطان ما حملة، فتغير الأمير تنكز وبدا منه ما حفظه عليه طاجار.

وعاد طاجار إلى السلطان فى يوم الجمعة تاسع عشر ذى الحجة قبل الصلاة، فأغرى السلطان به، وأنه قد عزم على الخروج من دمشق. فطلب السلطان بعد الصلاة الأمير يشتاك والأمير بيبرس الأحمدي والأمير جنكلى بن البابا والأمير أرقطاي والأمير طقزدمر فى آخرين، وعرفهم أن تنكز قد خرج عن الطاعة، وأنه يبعث إليه تجريدة مع الأمير جنكلى والأمير يشتاك والأمير أرقطاي والأمير أرنبغا أمير جندار والأمير قمارى أمير شكار والأمير قمارى أخو بكتمر الساقى والأمير برسبغا الحاجب.

ومع هذه الأمراء السبعة ثلاثون أمير طبلخاناه وعشرون أمير عشرة، ومن الطبلخاناه ملكتمر السرجوانى وقبائمر الجمدار المظفرى وبلك الجمدار المظفرى وبكا الخضرى ومحمد بن الأمير جنكلى وأمير على بن صغريل وأمير أحمد الساقى قريب السلطان ونيروز وطقتمر قلى وبيغرا السلاح دار وقراجا السلاح دار وطبيغا المجدى وطاجار الدوادار وبيغتمر وتمرغا العقيلى وطقتمر الصلاحى وجركتمر بن بهادر وسيف الناصرى وطقبغا الناصرى وبييغا حارس الطير وأيتمش الناصرى وأباجى الوافد وأرلان التزى الوافد وملكتمر السعيدى وأمير محمود بن خطير وخمسون نفرا من مقدمى الحلقة، وأربعمائة من المماليك السلطانية، وجلس السلطانية، وجلس السلطان وعرضهم. ثم جمع السلطان فى يوم السبت عشريه الأمراء جميعهم، وحلف المجردين والمقيمين له ولولده الأمير أبى بكر من بعده، وطلب الأجناد من النواحي للحلف، فكانت بالقاهرة حركات كثيرة.

وحمل السلطان لكل مقدم ألف مبلغ ألف دينار ولكل أمير طبلخاناه أربعمائة دينار، ولكل مقدم حلقة ألف درهم، ولكل مملوك خمسمائة درهم وفرس وقرقل وخوذة وغير ذلك.

(١) قلعة جعير: قلعة على الفرات بين بلس والرقعة قرب صفين. انظر: معجم البلدان ١٤٢/٢.

فاتفق قدوم الأمير موسى بن مهنا^(١) في يوم السبت هذا، فقرر معه السلطان القبض على تنكز وكتب إلى العربان بأخذ الطرقات من كل جهة على تنكز.

وبعث السلطان بهادر حلاوة من طائفة الأوجاقية على البريد إلى الطنبغا الصالحى نائب غزة وسيف الدين طشتمر نائب صفد^(٢) وإلى أمراء دمشق، بملفطات كثيرة، وأخرج موسى بن مهنا لتجهيز العربان وإقامته على حمص، واهتم بأمر تنكز اهتماما زائداً، وكثر قلقه وتنغص عيشه. وخرج العسكر إلى دمشق في يوم الثلاثاء ثالث عشرى ذى الحجة، وكان حلاوة الأوجاقى قد قدم على الأمير الطنبغا الصالحى نائب غزة بملفطه، وفيه أنه قد استقر فى نيابة الشام عوضاً عن تنكز، وأن العسكر واصل إليه ليسيروا به إلى دمشق، وأن الأمير طشتمر نائب صفد قد كتب إليه بالركوب إلى دمشق، ليركب هو والأمير قطلوبغا الفخرى، ويقبضاً على تنكز، فسر الطنبغا بذلك ووجه حلاوة إلى صفد، فقدمها ليلة الإثنين ثالث عشرية أول الليل، وأوقف الأمير طشتمر على ملفطه فركب فى ساعته فى ثمانين فارساً، وساق إلى دمشق.

واجتمع طشتمر مع قطلوبغا الفخرى وسنجر البشمقदार وبيرس السلحدار، - وكان قد قدم حلاوة إلى أمراء دمشق بكرة يوم الثلاثاء وهو متنكر، وأوصل الملفطات إلى أصحابها، وقد سبقته ملفطات الأمير الطنبغا من غزة.

فاتفق ركوب الأمير تنكز فى ذلك اليوم إلى قصره فوق ميدان الحصا فى خواصه للنزهة، وبينما هو فى ذلك إذ بلغه قدوم الخيل من صفد فعاد إلى دار السعادة، وألبس مماليكه السلاح، فلم يكن بأسرع من أن أحاط به أمراء دمشق. ووقع الصوت بوصول طشتمر نائب صفد، فخرج العسكر إلى لقائه، وقد نزل مسجد القدم. فأمر طشتمر جماعة من الأمراء أن يعودوا إلى تنكز ويخرجوه إليه، فدخل عليه منهم تمر الساقى وطرنطاي والبشمقदार وبيرس السلاح دار، وعرفوه مرسوم السلطان وأخذوه وأركبوه إكديشا، وساروا به إلى نائب صفد، وهو واقف بالعسكر فى ميدان الحصا، وقبض على جنغيه وطعيه مملوكى تنكز وسجنا بالقلعة. وأمر طشتمر بتنكز فأنزل عن فرسه على

(١) موسى بن مهنا بن عيسى بن مهنا بن نافع الطائى رئيس آل فضل أمراء بادية الشام. يلقب مظفر الدين. ولى الإمارة بعد موت أبيه سنة ٧٣٤هـ واستمر إلى أن توفى بتدمر. انظر: ابن خلدون ٤٣٩/٥ والبداية والنهاية ١٩٣/١٤ والنجوم الزاهرة ٧٦/١٠، والأعلام ٣٢٩/٧.

(٢) صفد: مدينة فى جبال عاملة مطلة على حمص بالشام وهى جبال لبنان. انظر: معجم البلدان

ثوب سرج^(١) وقيده قرجى مملوكه، وأخذه الأمير بيبرس السلاح دار، وتوجه به إلى الكسوة، فحدث له إسهال ورعدة خيف عليه منه الموت، وأقام بها يوماً وليلة، ثم مضى به بيبرس إلى القاهرة، ونزل الأمير طشتمر نائب صفد بالمدرسة النجبية.

وتقدم بهادر حلاوة عندما قبض على تنكز ليشتر السلطان فقدم ليلا بليس والعسكر نازل عليها، وعرف الأمير بشتاك ثم سار إلى السلطان، فقدم ومعه أحد عماليك السلطان ومملوك طاجار الدوادار فى خامس عشره وأخيره الخير، فسر سروراً كثيراً. وكتب السلطان بعود العسكر من بليس خلا الأمير بشتاك والأمير أرقطاي والأمير برسغا الحاجب وجماعة، فإنهم يتوجهون إلى دمشق، وأن يقيم الأمير بيغرا أمير جندار والأمير قمارى أمير شكار بالصالحية إلى أن يقدم الأمير تنكز، فيدخلها به.

فعاد العسكر من بليس، وتوجه بشتاك ورفيقاه إلى دمشق، فركب معهم الأمير أظنبا من غزة، فلقوا الأمير تنكز على بيسان.

وفىها فرغ قصر الأمير سيف الدين بشتاك الناصرى، بخط بين القصرين من القاهرة. وذلك أن الأمير قوصون لما أخذ قصر بيسرى وجدد عمارته، أحب الأمير بشتاك أن يعمل له قصراً تجاه قصر بيسرى، فدل على دار الأمير بكاش الفخرى الصالحى أمير سلاح، وهى أحد قصور الخلفاء الفاطميين التى اشتراها بكاش من ذريتهم، وأنشأ بها دوراً واسطبلات، وأبقى ما وجد فيها من المساجد، فشاور بشتاك السلطان على أخذها، فرسم له بذلك، فأخذها من أولاد بكاش وأرضاهم، وأنعم له السلطان بأن كانت داخلها برسم الفراشخانة^(٢) السلطانية، وأخذ دار أقطوان الساقى بجوارها وهدم الجميع، وأنشأ قصراً مطلاً على الطريق - ارتفاعه أربعون ذراعاً وأساسه أربعون ذراعاً، وأجرى إليه الماء ينزل من شادروان^(٣) إلى بركة. وأخرب بشتاك فى عمل هذا القصر أحد عشر مسجداً وأربعة معابد أدخلها فيه، ولم يجد منها سوى مسجد الفجل - وقد سمي هذا المسجد بذلك الاسم من أجل أن قيمه يعرف بالفجل، وأنشأ خاناً تجاه خان الزكاة، ثم باع بشتاك هذا القصر لزوجته التى كانت تحت بكرم الساقى. وفىها

(١) سرج: السرج الرحل، والمعنى فيما يظهر أنه لم يفرش للأمير تنكز سوى ثوب من الأثواب المستعملة للسروج، دلالة على قرب تسفيره إلى حضرة السلطان. انظر: محيط المحيط.

(٢) الفراشخانة: الفراشخانة السلطانية كانت تشتمل على أنواع الفرش من البسط والخيام للسلطان فى أسفاره وإقاماته خارجاً عن القاهرة.

(٣) شادروان والجمع شادروانات ويقال شادروات أيضاً - لفظ فارسى الأصل، ومعناه هنا أنبوبة مبينة أو «تأزيرة» - فى الحائط، يجرى فيها الماء إلى بركة مثلاً.

خطب للخليفة الواثق بالله إبراهيم بن محمد المستمسك بن أحمد الحاكم بأمر الله^(١).

وذلك أن الخير قدم في يوم الجمعة ثاني عشر شعبان بموت الخليفة المستكفي بالله أبي الربيع سليمان^(٢) بقوص في مستهل شعبان، بعد موت ابنه صدقة بقليل، وأنه اشتد جزعه عليه، وأنه قد عهد له لولده أحمد^(٣) بشهادة أربعين عدلا وأثبت قاضي قوص ذلك. فلم يمض السلطان عهده، وطلب إبراهيم في يوم الإثنين خامس عشر شعبان، وأجلسه بجانبه وحادثه، ثم قام إبراهيم وخرج معه الحجاب بين يديه، ثم طلع إلى السلطان في يوم الإثنين ثالث عشر رمضان، وقد اجتمع القضاة بدار العدل على العادة، فعرفهم السلطان بما أراد من إقامة إبراهيم في الخلافة وأمرهم بمبايعته، فأجابوا بعدم أهليته، وأن المستكفي عهد إلى ولده أحمد بشهادة أربعين عدلا وحاكم قوص، ويحتاج إلى النظر في عهده. فكتب السلطان بطلب أحمد وعائلة أبيه، وأقام الخطباء بديار مصر والشام نحو أربعة أشهر لا يذكرون في خطبهم الخليفة. فلما قدم أحمد من قوص لم يمض السلطان عهده، وطلب إبراهيم وعرفه قبج سيرته، فأظهر التوبة منها والتزم بسلك طريق الخير، فاستدعى السلطان القضاة في يوم الإثنين وعرفهم أنه أقام إبراهيم في الخلافة، فأخذ قاضي القضاة عز الدين عبد العزيز بن جماعة يعرفه سوء أهليته للخلافة، فأجاب بأنه قد تاب، « والتائب من الذنب كمن لا ذنب له، وقد وليته

(١) إبراهيم الواثق بن محمد المستمسك بالله بن أحمد العباس، أبو إسحاق من خلفاء الدولة العباسية الثانية بمصر. وهو ابن أخي المستكفي بالله سليمان بن أحمد وكان المستكفي قد عهد إلى ابنه أحمد بن سليمان بالخلافة، فلما مات المستكفي سنة ٧٤٠هـ توقف الناصر القلاووني عن البيعة لابنه ثم أقام صاحب الترجمة خليفة ولقبه بالواثق بالله فخطب له بالقاهرة جمعة واحدة ومات الناصر القلاووني وخلفه المنصور أبو بكر بن محمد فخلع الواثق ويبيع لأحمد بن سليمان سنة ٧٤٢هـ. انظر: البداية والنهاية ١٤:١٩١ والنجوم الزاهرة ٩:١٥١ والأعلام ١:٦٣.

(٢) من خلفاء الدولة العباسية الثانية بمصر، ولد ببغداد وخطب له بمصر بعد وفاة أبيه سنة ٧٠١هـ بعهد منه ففوض الأمور إلى السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون وسار لغزو التتر ثم ساءت حاله مع السلطان الناصر فأخرجه إلى قوص بالصعيد سنة ٧٣٨هـ فأقام إلى أن توفي بها استمرت خلافته ٣٩ سنة وشهرين و١٣ يوما ولم يكن له منها غير مرسمها. انظر: البداية والنهاية ١٤:١٨٧ والدرر الكامنة ٢:١٤١ والنجوم الزاهرة ١٠:١٦٩ والأعلام ٣:١٢١.

(٣) أحمد بن المستكفي بالله سليمان بن الحاكم بأمر الله الأول، أبو القاسم الحاكم بأمر الله، الثاني: من خلفاء الدولة العباسية الثانية بمصر ببيع سنة ٧٤٢هـ، ولبس السواد وخطب خطبة بليغة وخلع على بعض الأمراء والأعيان وفوض الأمور على العادة للمنصور القلاووني أبي بكر بن محمد، واستمر إلى أن مات في القاهرة ولم يكن له من الأمر شيء. انظر: الدرر الكامنة ١:١٣٧ والبدية والنهاية ١٤:١٩١ والنجوم الزاهرة ١٠:٢٨٤ والأعلام ١:١٣٢.

فاشهدوا على بولايته». ورتب له السلطان ما جرت به العادة، وهو ثلاثة آلاف وخمسمائة وستون درهماً وتسعة عشر أردب شعيراً في كل شهر، فلم يعارضه أحد. وخطب له في يوم الجمعة سادس ذى القعدة. ولقب بالوائق بالله أبي إسحاق، فكانت العامة تسميه المستعطي فإنه كان يستعطي من الناس ما ينفقه، وشهر بارتكاب أمور غير مرضية.

وفيهما استقر في قضاء الشافعية برهان الدين إبراهيم بن الفخر خليل بن إبراهيم الرسعني، عوضاً عن زين عمر بن محمد بن عبد الحاكم البلفيائي.

وفيهما استقر ناصر الدين محمد بن صاحب شرف الدين يشوب بن عبد الكريم بن أبي المعالي الحلبي في كتابة السر بجلب، عوضاً عن شهاب الدين أحمد بن القطب المصري.

وفيهما استقر الشيخ حسن الكبير بن الأمير حسين بن آقبا بن أيديكين وهو سبط القان أرغون بن أبغا بن هولاقو، في مملكة بغداد، قدم إليها من خراسان، وكان الشيخ حسن الصغير بن دمرداش إذ ذاك حاكم توريز.

وكان قاع النيل في هذه السنة أربعة أذرع وخمسة أصابع، وانتهت زيادته إلى سبعة عشر ذراعاً وتسعة عشر إصبعا.

ومات فيها من الأعيان شهاب الدين أحمد بن عيسى بن جعفر الأرمطي المصري عرف بابن الكمال - في جمادى الأولى، سمع من الأبرقوهي، وكان ثقة.

وتوفى الشيخ مجد الدين أبو بكر بن إسماعيل بن عبد العزيز الزنكلوني الشافعي^(١) ليلة الثلاثاء رابع ربيع الأول، وله شرح التنبيه في الفقه وغيره، وولى مشيخة خانكاه ببيرس.

وتوفى الخليفة المستكفي بالله أبو الربيع سليمان ابن الخليفة الحاكم بأمر الله أبي العباس أحمد بن الحسن بن أبي بكر بن أبي علي بن الحسن العباسي، بمدينة قوص، عن ست وخمسين سنة وستة أشهر وأحد عشر يوماً، وفي خامس شعبان، وكانت خلافته تسعاً وثلاثين سنة وشهرين وثلاثة عشر يوماً، وكان حشماً كريماً فاضلاً.

(١) أبو بكر بن إسماعيل بن عبد العزيز الزنكلوني: فقيه شافعي أصولي نسبته إلى زنكلون (وتسمى الآن الزنكلون) من شرقية مصر. عاش وتوفى بالقاهرة. وله تصانيف في فقه الشافعية منها «تحفة النبيه لشرح التنبيه - خ» خمس مجلدات. انظر: الدرر الكامنة ٤٤١:١ وشذرات الذهب ١٢٥:٦ والأعلام ٦٢/٢.

وتوفى خطيب أحميم علم الدين على، وكان له مال كثير وإفضال كثير. أضاف السلطان مرتين وكفاه بجميع ما يحتاج إليه، وأهدى إلى جميع الأمراء، وعمر مدرسة بمدينة أحميم ومات الأمير ركن الدين بيبرس الأوحدي والى القلعة، أحد المماليك المنصورية، فى يوم السبت تاسع عشر ربيع الأول.

ومات الأمير ناصر الدين محمد بن الأمير عز الدين أيدير الخطيرى، وكان خيراً.

ومات بدمشق الأمير آسنقر مشد العمارة، المنسوب إليه قنطرة آسنقر على الخليج خارج القاهرة، والجامع بسوق السباعين على البركة الناصرية فيما بين القاهرة ومصر.

ومات الأمير علم الدين على بن حسن الروانى والى القاهرة، فى ثانى عشر رجب، بعد مقاساة أمراض شنيعة مدة سنة، وكان سفاكاً أفاكاً ظلوماً غشوماً، اقترح فى ولايته عقوبات مهولة: منها نعل الرجل فى رجليه بالحديد كما تنعل الخيل، ومنها تعليق الرجل بيديه وتعليق مقابر العلاج فى رجليه، فتتخلع أعضاؤه ويموت، وقتل خلقاً كثيراً من الكتاب وغيرهم فى أيام النشو، ولما حملت جنازته وقف عالم عظيم لرحمه، فركب الوالى وابن صابر المقدم حتى طردهم.

ومات الأمير عز الدين أيدير الدوادر الناصرى بدمشق، وكان خيراً فاضلاً.

ومات الأمير بهادر البدرى نائب الكرك، وهو منفى بطرابلس.

وتوفى شرف الدين أبو محمد عبد الله بن محمد بن عسكر بن مظفر القيراطى الشافعى، بالقاهرة عن سبعين سنة، تصدر بالجامع الأزهر، وباشر قضاء دمياط.

وتوفى جمال الدين عبد القاهر بن محمد بن عبد الواحد بن محمد بن إبراهيم التبريزى الحرانى الشافعى^(١) قاضى دمياط، كان فقيهاً أديباً شاعراً خطيباً.

وتوفى الشيخ مجد الدين أبو حامد موسى بن أحمد بن محمود الأقصرائى شيخ الشيوخ، فى يوم الجمعة سابع عشر ربيع الآخر - وقد أناف على السبعين - بخانكاه سرياقوس.

ومات الأمير ركن الدين بيبرس الركنى المظفرى، كاشف البحيرة ووالى ثغر الإسكندرية، عن مال كثير.

(١) قاض، له شعر. أصله من تبريز. ولد فى حران ونشأ بدمشق، وولى قضاء صفد وعزل وولى قضاء دمياط، فاستمر إلى أن توفى فيها. له «مجموعة خطب - خ». انظر: فوات الوفيات ١: ٢٩٦ والأعلام ٤: ٤٩.

ومات شرف الدين عبد الوهاب بن التاج فضل الله - المعروف بالنشو - ناظر الخاص، فى يوم الأربعاء ثانى ربيع الآخر، كان أبوه يكتب عند الأمير بكنمر الحاجب وهو ينوب عنه، ثم انتقل إلى مباشرة ديوان الأمير أركنمرد الجمدار، ثم ولى استيفاء الدولة، ثم باشر ديوان الأمير أنوك ابن السلطان، وأكره حتى أظهر الإسلام، وولى نظرب الخاص السلطاني، فبلغ ما لم يبلغه أحد من الأقباط فى دولة الترك، وتقدم عند السلطان على كل أحد، وخدمه جميع أرباب الأقلام، وكان محضر سوء لم يشتهر عنه شىء من الخير، وجمع من الأموال ما لم يجمعه وزير للدولة التركية، وكان مظفراً، ما ضرب على أحد إلا ونال غرضه منه بالإيقاع به وتخريب دياره، وقتل على يديه عدة من الولاة والكتاب، واجتهد غاية جهده فى قتل موسى بن التاج إسحاق، وعاقبة ستة أشهر بأنواع العقوبات، من الضرب بالمقارع والعصر فى كعابه وتسعيطه بالماء والملح وبالخل والجير وغير ذلك - مع نحافة بدنه ومرضه بالربو والحمى، فلم يمّت، وعاش التاج موسى هذا ثلاثين سنة بعد هلاك النشو.

ومات مجد الدين رزق الله بن فضل الله أخو النشو، خدم وهو نصراني فى استيفاء الخاص أيام أخيه، ثم أسلم على يد السلطان فى سنة ست وثلاثين كرها، وخدم عند الأمير ملكنمر الحجازى، فعظم شأنه وفعل خيراً، فلما قبض على أخيه قبض عليه معه، فذبح نفسه فى ثالث صفر.

سنة إحدى وأربعين وسبعمائة

فى يوم الثلاثاء سابع المحرم: وصل الأمير سيف الدين تنكز نائب الشام وهو متضعف، صحبة الأمير بيبرس السلاح دار، وأنزل من القلعة بمكان ضيق حرج. وقصد السلطان ضربه بالمقارع فقام الأمير قوصون فى الشفاعة له حتى أجيب إلى ذلك. وبعث إليه السلطان يهدده حتى يعترف بما له من المال، ويذكر من كان موافقاً على العصيان من الأمراء.

فأجاب تنكز بأنه لا مال له سوى ثلاثين ألف دينار وديعة عنده لأيتام بكمتر الساقى، وأنكر أن يكون خرج عن الطاعة. فأمر السلطان فى الليل فأخرج مع ابن صابر المقدم وأمير جندار، وحمل فى حراقة بالنيل إلى الإسكندرية، فقتله بها إبراهيم بن صابر المقدم، فى يوم الثلاثاء خامس عشره.

وفى يوم الإثنين سادسه: قدم الأمير بشتاك والأمير أطنبغا الصالحى إلى دمشق فيمن معهما من الأمراء وقد خرج الناس إلى لقائهم، فكان يوماً مشهوداً. ونزل الأمير أطنبغا بدار السعادة، ونزل الأمير بشتاك بالميدان. ثم قبض على الأمير صاروجا المظفرى أجليغا العادلى، وطلب من ألزاق تنكز مملوكاه جنغيه وطغيه، وسلموا للأمير برسبغا، فعاقبهما أشد عقوبة على المال، وقبض على أولادهما وحواشيهما، وأوقع الحوطة على موجوديهما وموجود صاروجا وأجليغا، ثم وسط جنغيه وطغيه بسوق الخيل، وأكحل صاروجا.

وتبعت أموال تنكز، فوجد له ما يجل وصفه، وعملت لبيع حواصلة عدة حلق، تولى البيع فيها الأمير أطنبغا نائب الشام والأمير أرقطاي، وهما أعدى عدو له، وكان فى ذلك عبرة لمن اعتبر.

وظهر له من التحف السنية ما يعز وجود مثله: منها مائتا منديل زركش، ومائة حياصة مرصعة بالجواهر، وأربعمائة حياصة ذهب، وستمائة كلفتاه، وثمانية وستون بقجة بها بدلات ثياب زركش، وألفا ثوب أطلس ومائتا تحفيفة زركش وذهب مختوم أربعمائة ألف مثقال. واشتملت جملة ما أبيع له على مائتى ألف دينار، فكان جملة العين ستمائة ألف دينار وأربعمائة دينار.

ووجد له من الهجن والخيل والجمال البخاتى وغيرها نحو أربعة آلاف ومائتى رأس وذلك سوى ما أخذه الأمراء ومماليكهم، فإنهم كانوا ينهبون ما يخرج به نهباً. ووجد له

من الثياب الصوف ومن النصافي ما لا ينحصر، وظفر الأمير بشتاك بجوهر له ثمين اختص به. وحملت حرمه وأولاده إلى مصر صحبة الأمير بيغرا، بعدما أخذ لهم من الجواهر واللؤلؤ والزركش شيء كثير.

ووجد لألجيغا العادلي مبلغ مائة وعشرين ألف درهم، وألف ومائتي دينار وأصناف كثيرة، فبلغت تركته ستمائة ألف درهم. ولم يؤخذ لصاروجا غير أربعين ألف درهم، وصور جماعة من الأزام تنكز فأخذ منهم نحو الألفي ألف درهم.

ثم توجه الأمير بشتاك من دمشق، وقدم قلعة الجبل، فخلع عليه وأكرم إكرامًا زائدًا. ثم قدم الأمير قطلوبغا الفخري باستدعاء، فخلع عليه، وأنعم عليه بتقدمة ألف، ثم قدم الأمير طشتمر حمص أحضر نائب صفد، فخلع عليه بنيابة حلب، عوضًا عن طرغاي الجاشنكير.

وخلع على الأمير مسعود بن خطير الحاجب بنيابة غزة، وأنعم على برسبغا بتقدمته وحجوبيته، وكتب بحضور طرغاي من حلب.

وفيها استقر الأمير أرقطاي في نيابة طرابلس عوضًا عن طينال، وأقام طينال بدمشق. وفيها استقر الأمير أقسنقر السلاري في نيابة صفد، عوضًا عن الأمير طشتمر. ولما قدم حريم تنكز أنزلوا في داره بمخبط الكافوري، وكان قد أخرج جمال الكفاة ناظر الخاص منها حواصل جليلة، ما بين أواني صيني ومسك وعود وغير ذلك، أقام في بيعه مدة أربعة أشهر، وبلغت قيمتها نحو ثمانين ألف درهم وألفي دينار، سوى ما أنعم به على الأمراء.

ووجد لتنكز بقلعة جعير مبلغ ثلاثين ألف دينار، وثلاثين حمل سلاح، ووجد له حاصل سروج ولحم وسلاسل ذهب وفضة وعدة سلاح بما ينيف على مائة ألف دينار، وقومت أملاكه بما ينيف على مائة ألف دينار.

وكان لتغير السلطان على تنكز أسباب: منها أنه كتب يستأذن في سيره إلى ناحية جعير، فمنعه السلطان من ذلك، لما في تلك البلاد من الغلاء، وألح تنكز في الطلب والجواب يرد بمنعه حتى حنق من السلطان وقال: «والله لقد تغير عقل أستاذنا، وصار يسمع من الصبيان الذين حوله ووالله لو سمع مني لكنت أشير عليه بأن يقيم أحد أولاده، وأقوم أنا بتدبير أمره، ويبقى هو مستريحًا». فكتب بذلك جر كتمر للسلطان، وكان يتخيل بدون هذا، فأسر في نفسه منه شيئًا.

واتفق أن أرتنا نائب الروم بعث رسولا إلى السلطان بكتابه، ولم يكتب معه كتابا إلى تنكز، فحنق تنكز لعدم مكاتبته، ورد رسوله من دمشق.

فكتب أرتنا يعرف السلطان بذلك، ويسأل ألا يطلع تنكر على ما بينه وبين السلطان، ورماه بأمر أوجب شدة تغيره عليه، واتفق أيضاً أن غضب تنكر على جماعة من مماليكه، وضربهم وسجنهم بالكرك والشوبك^(١) فكتب منهم جوبان - وكان أكبر مماليكه - إلى الأمير قوصون يشفع به في الإفراج عنه من سجن الشوبك. فكلم قوصون السلطان في ذلك فكتب إلى تنكر يشفع في جوبان فلم يجب عن أمره بشيء، فكتب إليه ثانياً وثالثاً، فلم يجب، فاشتد غضب السلطان حتى قال للأمرء: «ما تقولون في هذا الرجل؟ هو شفع عندي في قاتل أخى فقبلت شفاعته، وأخرجته من السجن وسيرته إليه - يعنى طشتمر أخوا بتخاص - وأنا أشفع في مملوكه ما يقبل شفاعى» وكتب لنائب الشوبك بالإفراج عن جوبان فأفراج عنه.

وكان تنكر رحمه الله فى نيابة دمشق قد أزال المظالم، وأقام منار الشرع وأمر بالمعروف، ونهى عن المنكر، وأزال ما كان بدمشق وأعمالها من الفواحش والخانات والخمارات، وبالغ فى العقوبة على ذلك حتى قتل فيه. وأنصف العامة والتجار بخلاص حقوقهم من الأمرء، وحملهم مع أخصامهم إلى الشرع. واحتجب عن الاجتماع بالشاميين وغيرهم، وامتنع من قبول التقادم والهدايا جملة. وتبع المدارس والمساجد والأوقاف فعمرها جميعها، ومنع مستحقيها من تناول ريعها حتى كملت عمارتها. وجدد عدة أماكن قد دثرت أوقافها، وأعاد فيها وظائف العبادات بعدما بطلت وجدد عمارة الجامع الأموى، وعمر أوقافه، وأصلح تقاسيم المياه بعد ما كانت فاسدة ونظف بحاريها ووضح طرقها، وهدم الأملاك التى استجدها الناس وضيقوا بها الشوارع والطرق المسلوكة. وألزم والى المدينة أن يعلمه بمن يشرب الخمر من الأمرء وأولادهم، فتعذر وجود الخمر فى أيامه، ولم يكن يوجد. واستجد ديواناً للزكاة، وصرفها للفقراء والمساكين وأرباب البيوت. وانكفت الولاة فى أيامه عن الظلم، وأحبته العامة ومنع الأمرء من تسخير الفلاحين والمزارعين فى أعمالهم، ومنعهم أيضاً من الاجتماع فى الفرج والمتنزهات وغيرها، فصاروا إذا ركبوا فى المراكب لا يقدر أحد منهم يكلم رفيقه وإذا صاروا إلى بيوتهم لا يستطيع الواحد أن يجتمع بالآخر، وإذا أخرج تنكر إلى سفر لا يتأخر منهم أحد، سواء قال له: أخرج أو لم يقل له. ومنع أكابر الأمرء أن تترجل له أو تمشى فى خدمته، فأقام الله له من الحرمة ما لا حصل لأحد من نواب الدولة التركية وكتب لنواب البلاد الشامية ألا يكتابوا السلطان إلا

(١) الشوبك: قلعة حصينة فى أطراف الشام بين عمان وأيلة والقلمز قرب الكرك. انظر: معجم

ويكاتبوه، وأن ترد مكاتباتهم للسلطان عليه بغير ختم ليقف عليها، فإن أرضته بعث بها إلى السلطان وإلا ردها. وأضيف إليه أمر صدد وغزة وكان مغرمًا بالصيد، بحيث يركب له في السنة ثلاث مرات، آخرها تعديدة الفرات في الشتاء، فإذا ضرب الحلقة تشتمل على ثلاثمائة غزال ونيف، وعلى مائتي رأس من بقر ونعام، وغير ذلك.

وعمر قلعة جعبر بعد خرابها من عهد غازان، وشحنها بالرجال والسلاح والغلال والذخائر.

وعدى الفرات مرارًا، فاتفق أنه عدى مرة، فحمل إليه الشيخ حسن الكبير وابن سونتاي الهدايا الجليلة، وخافه أهل بغداد والموصل، فجلا كثير منهم، وخافته الأكراد والترجمان والعربان بأجمعهم.

وكانت أولاد دمرداش في أعمال توريز، فإذا بلغهم مسيره رحلوا خوفًا منه، حتى يبلغهم عوده إلى دمشق.

فلما كانت آخر أيامه صادر جماعة كثيرة من كتاب السر وغيرهم، ومن الضمان والعرفاء. واتخذ الأملاك، وأخذ عدة أوقاف من أولاد الملوك، حتى كانت غلة أملاكه كل سنة مائة ألف درهم. وسخر الفلاحين، وقطع الزكاة. وأحرق بكثير من الأمراء، وأخرج منهم جماعة عن دمشق، وبالغ في العقوبة، وساء خلقه كثيرًا. وكانت مدة نيابته ثمانيا وعشرين سنة وأشهرًا.

وفيه طلب شهاب الدين أحمد بن فضل الله، وخلع عليه بكتابة السر بدمشق، بعدما خلفه السلطان عوضًا عن شهاب الدين يحيى بن إسماعيل بن محمد بن عبد الله بن محمد ابن خالد بن محمد بن نصر بن القيسراني. فقدم ابن فضل الله إلى دمشق، وقد كاد الأمير برسبغا الحاجب أن يقطع يد ابن القيسراني بمرسوم السلطان، بعدما صادره، فقام في ذلك ابن فضل الله حتى أفرج عنه.

وفيه طلب أيضًا شمس الدين موسى بن التاج إسحاق، وخلع عليه، واستقر في نظر الجيش بدمشق، عوضًا عن فخر الدين محمد بن الحلبي بعد موته.

وأخرجت له بغلة النشو التي كان يركبها، وجهاز من الخزانة حتى سافر، فباشر الجيش بعفة زائدة، وأبطل ما كان يستهديه من قبله.

وفيه قبض على الأمير مكين الدين إبراهيم بن قروينة ناظر الجيش، وسلم للأمير برسبغا الحاجب، وطلب جمال الكفاة ناظر الخاص، وخلع عليه لنظر الجيش مع نظر الخاص، ولم يجمعهما أحد قبله، ثم أفرج عن ابن قروينة بعدما حمل مائة وثلاثين ألف درهم، بشفاعة الأمير بشتاك.

وفيه قبض على صاحب أمين الدين أبى سعيد عبد الله بن تاج الرياسة بن الغنام وسلم إلى الأمير برسبغا، ورسم له بعقوبته من أجل أنه اتهم بأنه كان من جهة تنكز فعاقبه برسبغا، وعاقب ولده تاج الدين أحمد ناظر الدولة، وأخاه كريم الدين أباشاكر مستوفى الصحة، وأخذ أموالهم، ثم خنق أمين الدين.

وفي يوم الجمعة حادى عشرى ربيع الآخر: مات الأمير آنوك ابن السلطان بعد مرض طويل، فدفن بالتربة الناصرية بين القصرين، وكان يوماً مهولاً، نزل فى جنازته جميع الأمراء. وباعت أمه ثيابه وتصدقت بها على الفقراء، ورتبت القراء على قبره بجمار لهم فى كل شهر من وقف وقفته على قبره، وأقامت سنة تعمل فى كل ليلة جمعة على قبره مجتمعاً يحضره القراء لقراءة ختمة كريمة، وتمد لهم الأسمطة الجليلة.

وفيه أنعم على الأمير قطلوبغا بإقطاع آنوك.

وفي هذه السنة: كثر وقوع الحريق بالنواحي فى أجران الغلال بنواحي قليوب وسنديون وبلاد الغربية والبحيرة^(١) ولم يعلم من أين هو. ثم وقع بالقاهرة فى أماكن منها ربيع طفزدمر بدار التفاح، فاستعد الناس لذلك.

وفي أخريات جمادى الآخرة: هبت ريح شديدة من بحر الإسكندرية، فاقتلعت نخلا كثيراً، وهدمت دوراً عديدة، ثم أعقبها مطر غزير هلك به أغنام كثيرة وعظم اضطراب النيل حتى غرق فيه أحد وعشرون مركباً، وصار يقذف المركب إلى البر حتى يبعده نحو عشر قصبات عن الماء. وشمل ذلك جميع أراضي مصر قبلها وبحريها وأرض برقة.

وفيه نقل الأمير عز الدين أزدمر الكاشف من كشف الوجه البحرى إلى كشف الوجه القبلى.

وفيه نقل علاء الدين على بن الكورانى إلى ولاية الغربية.

وفيه ركب السلطان إلى جهة بركة الحبش، وصحبته عدة من المهندسين، وأمر أن يحفر خليج من البحر إلى حائط الرصد، ويحفر فى وسط الشرق المعروف بالرصد عشرة آبار - عمق كل بئر نحو أربعين ذراعاً - يركب عليها السواقى حتى يجرى الماء من النيل إلى القناطر التى تحمل الماء إلى القلعة، ليكثر بها الماء.

(١) البحيرة: كورة معروفة من نواحي الإسكندرية بمصر، تشتمل على قرى كثيرة ودخل واسع.

وأقام السلطان الأمير آقبا عبد الواحد على هذا العمل فشق الخليج من بحرى رباط الآتار، ومروا به وسط بستان صاحب تاج الدين بن حنا المعروف بالمعشوق، وهدمت عدة بيوت كانت هناك، وجعل عمق الخليج أربع قصبات. وجمعت عدة من الحجارين للعمل فكان مهما عظيما.

وفيه قدم الشيخ أحمد بن موسى الزرعى، فركب الأمراء والقضاة للسلام عليه. ثم عاد الشيخ إلى الشام بعد أيام، ولم يجتمع بالسلطان.

وفيه تغير السلطان على ولده أحمد بسبب بينات عنده، وأخرجه منفيًا إلى صرخد^(١) وباع خيله. فلم يزل به الأمراء حتى أمر برده، فرجع من سرياقوس.

وفيه كتب السلطان بطلب ابنه أبى بكر من الكرك، فقدم ومعه هدية بمائة ألف درهم، فتوجه الأمير طيغا المجدى إلى الكرك، وأحضر طلب أبى بكر ومماليكه وخواصل الكرك كلها.

وفيه خلع على الأمير ملكمتر السرجوانى، واستقر فى نيابة الكرك، وتوجه إليها ومعه أحمد ابن السلطان، وأوصاه السلطان ألا يدع لأحمد حديثًا ولا حكما بين اثنين.

وفيه قدم البريد بأن الغلاء شديد ببلاد المشرق، وأنه ورد من أهله عالم عظيم إلى شط الفرات وبلاد حلب، فكتب إلى نائب حلب بتمكينهم من العبور إلى حيث شاءوا من البلاد وأوصاه السلطان بهم، فملأوا بلاد حلب وغيرها.

وقدم منهم إلى القاهرة صحبة قاصد نائب حلب نحو المائتى نفر، فاختار السلطان منهم طائفة نحو ثمانين شخصًا، جعل بعضهم فى الطباقي، وأسكن منهم عدة القلعة، وأمر منهم جماعة وفرق فى الأمراء منهم جماعة.

وفيهما جدد السلطان جامع راشدة، وقد تهدم أكثر جدرانها.

وفيهما ابتاع الأمير قوصون من الأمير مسعود بن خطير قصر الزمرد بخط رجة باب العيد من القاهرة، وكان سعته نحو عشرة فدادين، وشرع قوصون فى عمارته سبع قاعات، لكل قاعة إصطبل.

وفيهما قدم الخير بخروج ابن دلغادر عن الطاعة.

(١) صرخد: بالفتح ثم السكون والخاء معجمة والبدال مهملة: بلد ملاصق لبلاد حوران من أعمال دمشق وهى قلعة حصينة وولاية حسنة واسعة ينسب إليها الخمر. انظر: معجم البلدان

وفيها استقر ركن الدين بيبرس السلاح دار - أحد أمراء الألوفا بدمشق - فى نيابة أياس، عوضاً عن مغلطأى الغزى بعد موته.

وفيها شنت القالة بسوء سيرة الطائفة الأقباعية بخانكاه بيبرس، فرسم السلطان بنفيهم ونفى شيخهم، فأخرجوا منها بأجمعهم. واستقر فى المشيخة بها الشيخ شيرين. وفيه خرج الأمير بشتاك إلى البلاد الشامية ليتصيد، وقد كتب إلى النواب بملاقاته وتعبية الإقامات له.

وفيها توجه بكلمش الماردىنى على البريد بهدية لصاحب ماردىن فيها عشرة آلاف دينار، وعشرة رعوس من الخيل ومائتا قطعة قماش، وأربعة فهود.

وفيها قدم الخبر باختلال حال البريد، من كثرة ركوب التجار والعرب البريد، فرسم ألا يركب البريد إلا من يأذن له السلطان فى ركوبه، ويكون معه ورقة بتمكينه من ذلك، وأن يفتش بقطيا كل من ورد، فمن وجد معه ورقة وكتب لغير السلطان أخذت منه وحملت إلى السلطان.

وفيها ركب أمير أحمد الساقى قريب السلطان البريد إلى بلاد الشرق لمهمات سلطانية: منها طلب رهائن طغأى بن سونتأى والشيخ حسن بك الكبير، وكانا قد سألا أن يجهز السلطان عسكريا ليسلماه بلاد الشرق، فأجيبا إلى ذلك على أن يبعثا بأولادهما رهناً على العسكر، فجهز ابن سونتأى ولده برهشبن، وجهز الشيخ حسن ابن أخيه إبراهيم شاه إلى حلب.

وفيها استقر الأمير بهاء الدين أصلم فى نيابة صفا، عوضاً عن آقسنقر السلارى، ونقل آقسنقر إلى نيابة غزة، عوضاً عن أمير مسعود بن خطير، ونقل أمير مسعود إلى دمشق، وأنعم عليه بإقطاع بيبرس السلاح دار المستقر فى نيابة أياس.

وفيها أنعم على الأمير أبى بكر ابن السلطان بإقطاع الأمير أصلم، ورسم للأمير بشتاك أن يتولى أمره، فاستخدم له الوافدية من حلب وغيرهم، حتى أكمل عدته. وعمل السلطان الأمير ألطنقش مملوك الأفرم أستاذاره، وزوجه بابنة الأمير ملكتمر الساقى التى كانت تحت أخيه آنوك، وبنى عليها.

وفيها رسم بطلب أجناد الحلقة من الأعمال، فلما تكامل حضورهم تقدم السلطان إلى الأمير برسبغا بعرضهم، فكتبت أوراق بعيرة كل خبز. ثم جلس السلطان بالإيوان، وعرض عليه جماعة كبيرة من المشايخ ومن المحارفين، فقطع الجميع وكتب بإقطاعاتهم

مثالات المماليك السلطانية أرباب الجوامك. وعرض برسغا بقية الأجناد بالقلعة وفتش عن ثيابهم التى هى عليهم، وقد كتبت أوراق بأرباب المرتبات الذين على مدينة بلبس^(١) وبساتينها وحوانيتها، وأوراق بمتحصل المعادى^(٢) ببولاق، وأوراق بجهات النظرون، وأوراق بأسماء الأجناد المقطعين على الحكورة. فرسم السلطان أن يوفر الجميع، وأن يؤخذ من الجند المقطعة على الحكر أخبارهم، وينعم بها على الأمير ألتنبغا الماردنى، ليكون وقفا على جامع خارج باب زويلة، وعلى الأمير بشتاك ليكون وقفا على جامع المطل على بركة الفيل.

فلما تم عرض الأجناد قطع السلطان منهم الزمنى والعميان والضعفاء وأرباب العاهات، وفرق إقطاعاتهم على المماليك السلطانية، وأخرج بعضها للوافدية الذين يقدون من البلاد، فكانت مدة العرض شهرين، أولها مستهل رمضان وآخرها سلخ شوال.

وكتب إلى الأعمال بحمل ما توفر عن الأجناد من الإقطاعات لبيت المال.

وفيه كتبت أوراق بأسماء المجردين إلى بلاد الشرق: وهم الأمير برسغا الحاجب والأمير كوكاى السلاح دار، والأمير طوغاى الجاشنكير، والأمير قمارى أمير شكار، ومعهم جماعة كثيرة، ورسم أن يكون خرجهم إلى توزيز فى نصف ذى الحجة. فاشتد ذلك على الناس، وكثر الدعاء على السلطان بسبب قطع أرزاق الجند.

وفيه كتب بتجهيز عساكر دمشق وحلب وغيرهما للتجريدة إلى توزيز، صحبة الأمير طشتمر نائب حلب، ويكون معه عامة أمراء التركمان والعربان.

فتجهز الأمراء والأجناد بمماليك الشام، وبرز نائب حلب بمخيمه إلى ظاهر المدينة وأقام ينتظر قدوم عساكر مصر. فأصبح السلطان فى مستهل ذى الحجة وبه وعك من قرف حدث عنه إسهاال لزم منه الفراش خمسة أيام، فتصدق بمال جزيل، وأفرج عن المسجونين بسجن القضاة والولاية بالقاهرة ومصر وسائر الأعمال.

وفى يوم الأربعاء سادسه: قدم برهشبن بن طغاي بن سونتاي وإبراهيم شاه ابن أخى الشيخ حسن الكبير، فى مائتى فارس، فأنزلوا بالميدان، وأجريت لهم الرواتب السنية.

(١) بلبس: مدينة بينها وبين فسطاط مصر عشرة فراسخ على طريق الشام. انظر: معجم البلدان

(٢) المعادى: المقصود بلفظ المعادى هنا المراكب التى كانت تستخدم لتعدية الناس عبر النيل

ثم أحضروا بين يدي السلطان فى يوم الجمعة ثامنه وفيهم قاضى بغداد وقاضى الموصل وقاضى ديار بكر، فقدموا كتاب طغاي وكتاب الشيخ حسن الكبير، ونسخة أيمانهما وأيمان عامة أهل بلادهم من الأمراء والأجناد وأرباب المعایش بطاعة السلطان، وأنهم من جنده ومقاتلة من عاداه، وقدموا الخطبة التى خطب بها للسلطان فى بغداد والموصل وديار بكر.

فقرئ ذلك كله على السلطان، فعرفهم السلطان أنه رسم بتجهيز العسكر إليهم، وبعد عشرة أيام يستقل بالسفر نحو بلادهم ثم خلع السلطان على الجميع، ورسم لنقيب الجيش باستعجال الأمراء والأجناد فى الحركة للسفر، فشرعوا فى تجهيز أمرهم. وكانت الأحوال متوقفة لقله وجود الدراهم ورد الباعة من التجار والمتعيشين الذهب لغلوه صرفه، فشق ذلك على الناس مشقة زائدة.

وفيه قوى الإسهال بالسلطان، ومنع الأمراء من الدخول إليه، فكانوا إذا طلغوا إلى الخدمة خرج لهم السلام من أمير جندار عن السلطان فانصرفوا.

وكثر الكلام إلى يوم الإثنين ثانى عشره، فخفف عن السلطان الإسهال فجلس للخدمة وطلع للأمراء، ووجهه متغير.

فلما انقضت الخدمة نودى بزينة القاهرة ومصر، وجمعت أرباب الملاهى بالقلعة وجمع الخبز الذى والأسواق، وعمل ألف قميص، وتصدق السلطان بذلك مع جملة مال.

وقام الأمراء بعمل اللوائم والأفراح سروراً بعافية السلطان، وعمل الأمير ملكتمر الحجازى نفطاً كثيراً فى سوق الخيل تحت القلعة، والسلطان قاعد لنظره، فاجتمع الناس من كل جهة لرؤيته.

وقدمت عربان الشرقية بخيولها وقبايها المحمولة على الجمال، ولعبوا بالرماح تحت القلعة. وخرجت الركابة والكلابزية وطائفة العتالين والحجارين إلى سوق الخيل للعب، ثم داروا على بيوت الأمراء وأخذوا الخلع هم والطبليكية فحصل لهم شىء كثير جداً، بحيث جاء نصيب مهتار الطبليخاناه ما قيمته ثمانون ألف درهم، وحصل لأرباب الملاهى ما لا ينحصر.

وفيه رسم بعرض الجند المجردين فى غد، فطلعوا إلى القلعة. وبيناهم فى انتظار العرض إذ قدم إدريس القاصد صحبة مملوك صاحب ماردین بكتابه يتضمن أن أولاد دمرداش لما بلغهم طلب الشيخ حسن الكبير وطغاي بن سونتاى من السلطان أن يجهز

لهم عسكرياً ليأخذ البلاد، وأنهما حلفا له وحلفا أهل البلاد وخطبا باسمه على منابر بغداد والموصل، ركبوا إلى محاربتهم، فطلب منهم الشيخ حسن الكبير الصلح، وحلف لهم وسار إليها طائعا، فأكرموه وكتبوا لطغاي بن سوتنای أمانا، واتفقوا على أن يعدوا الفرات إلى الشام. وأشار صاحب ماردين ألا تخرج التجريدة إلى توريز، فإنه ليس لسيرها فائدة. ففترقت الأجناد من القلعة بغير عرض، وبعث السلطان من ليلته بجواب صاحب ماردين، واقتضى رأيه أن يكشف عما ذكره، فإن برهشين بن طغاي اتهمه فى ذلك.

فلما كان نصف ليلة: العيد هبت ريح عاصفة ألفت الزينة، ثم أمطرت مطراً عظيماً أتلف كثيراً من الزينة.

وكانت عامة ببلاد الشرقية^(١) والغربية والمنوفية^(٢)، ونزل بتلك الأعمال برد كبار قتل من الغنم والدجاج كثيراً، وتلفت غلال كثيرة كانت بالأجران، فإنه كان فى شهر بشنس.

وأصبح يوم الأحد: يوم العيد، وقد اجتمع الأمر لخروج السلطان إلى صلاة العيد، وقد قوى به الإسهال وأجمع رأيه على ألا يشهد صلاة العيد، فمازال به الأمير قوصون والأمير بشتاك حتى ركب ونزل إلى الميدان. وأمر السلطان قاضى القضاة عز الدين عبد العزيز بن جماعة أن يوجز فى خطبته، فما هو إلا أن صلى السلطان وجلس لسماع الخطبة تحرك باطنه، فقام وركب إلى القصر، وأقام يومه. ثم قدم البريد من حلب بصحة الخير بصلح الشيخ حسن الكبير وطغاي مع أولاد دمرداش، فانزعج السلطان لذلك انزعاجاً شديداً، واضطرب مزاجه، فحدث له إسهال دموى.

وأصبح يوم الإثنين: وقد منع الناس من الاجتماع به ثم أشاع الأمير قوصون والأمير بشتاك أن السلطان قد أعفى الأجناد من التجريدة إلى توريز، ونودى بذلك فى يوم الخميس رابع عشره، ففرح الناس فرحاً زائداً، إلا أنه انتشر بين الناس أن السلطان انتكس، فساءهم ذلك. وأخذ الأمراء فى إنزال حرمهم وأموالهم من القلعة حيث سكنهم إلى القاهرة، فارتجت المدينة وماجت بأهلها.

واستعد الأمراء لاسيما قوصون وبشتاك، فإن كلا منهم احترز من الآخر وجمع عليه أصحابه، وأكثروا من شراء الأزيار والدنان وملأوها ماء، وأخرجوا القرب والروايا والأحواض، وحملوا إليهم البشماط والرقاق والدقيق والقمح والشعير، خوفاً من وقوع

(١) الشرقية: نسبة إلى الشرق: كورة من كور مصر.

(٢) منوفية: من قرى مصر القديمة لها ذكر فى فتوح مصر. انظر: معجم البلدان ٢١٦/٥.

الحرب ومحاصرة القلعة. فكان يوماً مهولاً، ركب فيه الأوجاقية وهجموا الطواحين لأخذ الدقيق، ونهبوا الحوانيت التي تحت القلعة وسوق صليبية جامع ابن طولون. فارتفع سعر الأردب القمح من خمسة عشر درهماً إلى ثلاثين درهماً، وغلق التجار وأرباب المعاش حوانيتهم خوفاً من وقوع الفتنة.

هذا وقد تنكر ما بين قوصون وبشتاك، واختلفا حتى كادا يقتتلان. وبلغ ذلك السلطان فزاده مرضاً على مرضه، وكثر تأوّهه وتقلبه من جنب إلى آخر، وتهوس بذكر قوصون وبشتاك نهاره. ثم استدعى السلطان بهما، فتنافسا بين يديه فى الكلام فأغى عليه، وقاما من عنده على ما هما عليه.

فاجتمع فى يوم الإثنين ثامن عشره الأمير جنكلى والأمير آل ملك والجاولى والأحمدى وأكابر الأمراء للمشورة فيما يدبرونه، حتى اجتمعوا على أن بعث كل منهم مملوكاً إلى قوصون وبشتاك ليأخذوا لهم الإذن على العبور على السلطان، فأخذوا لهم الإذن. فلما أخذ الأمراء مجالسهم قال الأمير الجاولى وآل ملك للسلطان كلاماً حاصله أن يعهد أن أحد أولاده، فأجاب إلى ذلك، وطلب ولده أبا بكر، وطلب قوصون وبشتاك، وأصلح بينهما. ثم جعل السلطان ابنه أبا بكر سلطاناً بعده، وأوصاه بالأمراء، وأوصى الأمراء به، وعهد إليهم ألا يخرجوا ابنه أحمد من الكرك وحذرهم من إقامته سلطاناً، وجعل قوصون وبشتاك وصييه، وإليهما تدبير ابنه أبى بكر وحلفهما.

ثم حلف السلطان الأمراء والخاصكية، وأكد على ولده فى الوصية بالأمراء، وأفرج عن الأمراء المسجونين بالشام، وهم طيغنا حاجى وأجيجنا العادلى وصاروجا، ثم قام الأمراء. فبات السلطان ليلة الثلاثاء، وأصبح وقد تخلت عنه قوته، وأخذ فى النزاع يوم الأربعاء، فاشتد عليه كرب الموت حتى مات أول ليلة الخميس حادى عشرية، وله من العمر سبع وخمسون سنة وأحد عشر شهراً وخمسة أيام. وأمّه أشلون بنت سكتناى بن قراجين بن جيغان، وقدم سكتناى هو وأخوه قرمشى بن قراجين فى سنة خمس وسبعين وستمائة، صحبة سنجر الرومى فى أيام الظاهر بيبرس، فتزوج الأمير قلاوون بابنة سكتناى، فى سنة ثمانين وستمائة بعد موت أبيها. زوجه إياها عمها قرمشى، فولدت الناصر محمداً على فراش الملك المنصور قلاوون^(١) فى الساعة السابعة من يوم السبت

(١) قلاوون الألفى العلامى الصالحى النجمى، أبو المعالى، سيف الدين، السلطان الملك المنصور: أول ملوك الدولة القلاوونية بمصر والشام والسابع من ملوك الترك وأولادهم بمصر. كان من الممالك، قبجاقى الأصل، وأعتقه الملك الصالح نجم الدين أيوب سنة ٦٤٧هـ فأخلص الخدمة للظاهر بيبرس. مدة ملكه إحدى عشرة سنة وثلاثة أشهر. انظر: النجوم الزاهرة ٧: ٢٩٢ وفوات الوفيات ٢: ١٣٣ والأعلام ٥/ ٢٠٣.

سادس عشر المحرم سنة أربع وثمانين وستمائة. وأقيم الناصر في السلطنة بعد أخيه الملك الأشرف خليل^(١) سنة ثلاث وتسعين وستمائة، وعمره تسع سنين ثم خلع في سادس عشر المحرم سنة أربع وتسعين، وجرى له ما تقدم ذكره إلى أن حضر من الكرك، وأعيد إلى الملك ثانيا. فأقام في الملك إلى سنة ثمان وسبعمائة، وخرج يريد الحج، فتوجه إلى الكرك غيظا من حجر سلار وبيبرس عليه. فقام بيبرس في السلطنة ثم اضطرت أموره، وقدم الناصر من الشام إلى مصر، فملك مرة ثالثة في شوال سنة تسع وسبعمائة واستبد الناصر من حينئذ بالأمر من غير معارض مدة اثنتين وثلاثين سنة وشهرين وخمسة وعشرين يوما، كانت له فيها سير وأنباء كما تقدم. وكان الناصر أطول ملوك زمانه عمرا وأعظمهم مهابة: فإنه أول ما بدأ به بعد قدومه من الكرك القبض على الأمراء البرجية وغيرهم في يوم واحد، وعدتهم زيادة على ثلاثين أميراً.

وأوقع مهابته في القلوب بالقتل وأخذ الأموال، فمنهم من قتله جوعا وعطشا، ومنهم من أتلفه بالخنق، ومنهم من غرقه، ومنهم من نفاه، ومنهم من سجنه فأقام مسجوناً العشرين سنة فما دونها. وأكثر الناصر من جلب المماليك والجواري، وطلب التجار إليه وبذل لهم المال، ووصف لهم حلى المماليك والجواري وسيرهم إلى بلاد أربك وتوريز والروم وبغداد وغير ذلك من البلاد. فكان التاجر إذا أتاه بالجلبة من المماليك بذل له فيها أغلى القيم، وأنعم على تلك المماليك في يومهم بالملابس الفاخرة والحوائص الذهب والخيول والعطايا حتى يدهشهم. ولم تكن هذه عادة من تقدمه من الملوك، فإنهم كانوا إذا قدم لهم المملوك عرفوا جنسه، ثم أسلموه إلى الطواشي المقدم فيضيفه إلى جنسه من المماليك، ويرتبه عند الفقيه فيربيه بالآداب والحشمة والحرمة، ويمرنه في الرمي بالنشاب واللعب بالرمح وركوب الخيل وأنواع الفروسية، وتكون كسوته من الثياب القطن البعلبكي، ومن الثياب الكتان الخام المتوسط. ثم يدرج المملوك في الجامكية من ثلاثة دنانير إلى خمسة إلى سبعة إلى عشرة دنانير، فإذا التحق بالرحال أقيم ذلك الوقت في وظيفة من الوظائف اللائقة به، فيقوم بها على ما ينبغي من الأدب الذي تأدب به في صغره، ثم يترقى المملوك، فإذا وصل إلى منزلة كبيرة ورتبة عالية عرف مقدارها، وما كان فيه من الشقاء وما صار إليه من النعيم فأعرض الملك الناصر عن هذا وكان يسفه

(١) خليل بن قلاوون الصالحى: الملك الأشرف صلاح الدين ابن السلطان الملك المنصور. من ملوك مصر ولى بعد وفاة أبيه سنة ٦٨٩هـ واستفتح الملك بالجهاد فقصده البلاد الشافعية وقاتل الإفرنج وقتله بعض المماليك غيلة بمصر انظر: فوات الوفيات ١: ١٥١ والنجوم الزاهرة ٨: ٣ والأعلام

رأى المملوك فيه، ويقول إذا عرض له بشيء من ذلك وبقي يبلغ المملوك قصده من أستاذه أو أستاذه منه إذا فعل معه هذا، بل إذا رأى المملوك سعادة تملأ عينه وقلبه نسي بلاده، ورغب في أستاذه.

فأكثر التجار من جلب المالليك إليه، فطار في البلاد فعل السلطان معهم، فأعطى المغل أولادهم وبناتهم وأقاربهم للتجار، وباعوهم منهم رغبة في سعادة مصر، فبلغ ثمن المملوك على التاجر ما بين عشرين ألف درهم إلى ثلاثين ألف درهم إلى أربعين ألف درهم، ففسد بذلك حال المغل فيما بينهم وقدموا إلى مصر. فكان السلطان يدفع في المملوك للتاجر المائة ألف درهم فما دونها، واقتدى به الأمراء في ذلك، حتى إن بعض أمرائه كان له مملوك حظى كان له في كل يوم ثمانون عليقة وكان لأمير آخر مملوك حظى له في كل يوم أربعون عليقة. وكان في الأمراء من يبلغ خاصة في كل سنة زيادة على مائتي ألف دينار، مثل بكتمر وقوصون وبشتاك، ومن عداهم يزيد خاصة على مائة ألف دينار في السنة، ومنهم من ينقص عن ذلك.

وشغف السلطان الناصر أيضا بالخيل، فجلبت له من البلاد، لاسيما خيول العرب آل منها وآل فضل، فإنه كان يقدمها على غيرها، ولهذا كان السلطان يكرم العرب ويبذل لهم الرغائب في خيولهم، ويتغالى في أثمانها.

وكان إذا سمع العربان بفرس عند بدوى أخذوها منه بأعلى القيم، وأخذوا من السلطان مثلى ما دفعوه فيها. وكان له في كل طائفة من طوائف العرب عين يدله على من عنده منهم الفرس السابق أو الأصيل حتى يأخذها بأكثر مما في نفس صاحبها من الثمن. فتمكنت منه بذلك العربان، ونالوا المنزلة العلية، وحظوا بأنواع السعادات في أيامه. وكان يكره خيول برقة^(١) فلا يأخذ منها إلا ما بلغ الغاية في الجودة، وما عدا ذلك منها إذا حملت إليه فرقه بخلاف خيول العرب آل مهنا وآل فضل، فإنه كان لا يسمح بها إلا للخاصكية.

وكانت له معرفة بالخيل وأنسابها وذكر من أحضرها ومبلغ ثمنها، بحيث يفوق فيها من عداه. وكان إذا استدعى بفرس يقول لأمير آخور: «هات الفرس الفلانية التي أحضرها فلان واشتريناها بكذا وكذا». ولما اشتهرت رغبته فيها بين العرب جلبت له

(١) برقة: مدينة كبيرة قديمة بين الإسكندرية وإفريقية بينها وبين البحر ستة أميال وهى مرج فسيح وتربة حمراء افتتحها عمرو بن العاص رضى الله عنه سنة إحدى وعشرين. انظر: معجم البلدان ٣٨٨/٢، ٣٨٩، والروض المعطار ٩١، والاستبصار ١٤٣، والإدرسي ٩٨/٣١، والبكري ٤.

من بلاد العراق ومن البحرين والحسا والقطيف وبلاد الحجاز، وتقرب بها إليه عامة طوائف العرب، وجلبوها له. وكان إذا جاءه شىء منها عرضه، ودفح في الفرس العشرة آلاف والعشرين ألف والثلاثين ألف درهم، سوى الإنعام على مالكها، وكان صاحب الفرس إذا اشتد عليه زاده حتى يرضيه، فإذا أخذ ثمن فرسه وأراد السفر إلى بلاده أنعم عليه بتفاصيل ثياب تصلح له ولعياله، سوى السكر ونحوه. وطالما وزن كريم الدين الكبير في أثمان خيول العربان التي جلبت للسلطان دفعة واحدة مبلغ ألف ألف درهم، ومبلغ خمسمائة ألف درهم، ودون ذلك.

وكانت خيول مهنا وأولاده فيها ما بلغ الفرس منها إلى ستين ألف وسبعين ألف درهم وفي حجورتهم ما بلغ ثمانين ألف وتسعين ألفا ومائة ألف درهم. وبلغ ثمن بنت الكرتا التي أحضرها محمد بن عيسى أخو الأمير مهنا^(١) للسلطان، سنة خمس عشرة وسبعمئة مائة ألف درهم وضيعة بثمانين ألف درهم. وأقطع السلطان الناصر عرب آل مهنا وآل فضل بسبب الخيل عدة ضياع بأراضي حماة وحلب، سوى أثمانها.

فكان أحدهم إذا أراد من السلطان شيئاً له قدم عليه في معنى أنه جاء ليدله على فرس عند فلان يقال لها كذا، ويعظم أمرها عنده، فيكتب السلطان من فوره بطلب تلك الفرس، فيشتد صاحبها ويمتنع من قودها، ثم يقترح ما شاء من الضياع، ولا يزال حتى يبلغ غرضه، وصار ذلك معروفا فيما بينهم. وكان السلطان الناصر أول من اتخذ من ملوك الأتراك ديواناً للإصطبل، عمل له ناظر وشهودا وكتاباً لضبط أسماء الخيل وشياتها وأوقات ورودها وأسماء أربابها ومبلغ ثمنها ومعرفة سواستها، وغير ذلك من أحوالها. وكان لا يزال يتفقد الخيول، فإذا أصيب منها فرس أو كبر سنه بعث به مع أحد الأوجاقية إلى الجشار^(٢) بعد ما يحمل عليها حصاناً يختاره، ويأمر بضبط تاريخ نزوه،

(١) مهنا (الثاني) بن عيسى بن مهنا بن مانع الطائي حسام الدين من آل فضل ويلقب سلطان العرب: أمير بادية الشام وصاحب «تدمر» وآل فضل من طيء. كانت إمارته بعد وفاة أبيه سنة ٦٨٣هـ ثم حبسه الأشرف سنة ٦٩٢هـ إلى أن أفرج عنه العادل كتبغا سنة ٦٩٤هـ فرجع إلى إمارته ثم عزله الناصر سنة ٧١٢هـ وولى أخيه فضل مكانه ثم أعيد إلى إمارته سنة ٧١٧. مات بالقرب من سلمية وقد أناف على الثمانين. انظر: ابن خلدون ٤٣٨/٥ وصبح الأعشى ٢٠٦/٤ والدرر الكامنة ٣٦٨/٤-٣٧٠- والبداية والنهاية ١٧٢/١٤ والأعلام ٣١٦/٧، ٣١٧.

(٢) الجشر: بقل الربيع، وحشروا الخيل وحشروها: أرسلوها في الجشر، والجشر: أن يخرجوا بخيلهم فيرعوها أمام بيوتهم، وأصبحوا جشراً. وجشراً إذا كانوا يبيتون مكانهم لا يرجعون إلى أهلهم، والجشار: صاحب الجشر، وفي الحديث عن عثمان، رضى الله عنه، أنه قال: «لا يفرنكم جشركم من صلاتكم فإنما يقصر الصلاة من كان شاخصاً أو يحضره عدو»، قال أبو عبيد: الجشر القوم يخرجون بدوابهم إلى المرعى ويبتون مكانهم، ولا يأوون إلى البيوت، وربما رأوه فقصروا الصلاة،=

فتوالدت عنده خيول كثيرة حتى أغنته عن جلب ما سواها، ومع ذلك فإنه كان يرغب في الفرس الذي يجلب إليه أكثر مما توالد عنده. فعزت العرب من آل مهنا وآل فضل وآل مرا في أيامه، وكثرت سعادتها واتسعت أحوالها بالأموال والضياع، وحملتهم الدالة حتى طلبوا من السلطان الناصر بلاد أمراء حلب وحماة ودمشق، فأنعم بها عليهم، وعوض الأمراء عنها، حتى صاروا من القوة والكثرة بحيث يخافهم من عداهم من سائر العرب. وشمل الغنى عامتهم، فكانوا إذا رحلوا إلى مشاتهم أو مصائفهم تكون أموالهم من الذهب والفضة ملء رقاب الجمال، إلى غير ذلك من الإبل والغنم والخيل التي لا تدخل تحت حصر. ولبسوا في أيامه الحرير الأطلس المعدنى بالطرز الزركشى والشاشات المرقومة بالطرز، ولبسوا القرضيات بالطرز الزركشى والداير الباولي والإسكندري المطرز بالذهب وصاغ السلطان لنسائهم الأطواق الذهب المرصع، وعمل هن الشنابر المشهورة بأكر الذهب، والأساور المرصعة بالجوهر واللؤلؤ، وبعث هن القماش السكندري والشرب والشمع، وعمل هن البراقع المزركشة والمسك وأنواع الطيب.

وذلك بعدما كان لبس أمرائهم إلى آخر الأيام المنصورية قلاوون الطرايطير الحمر من تحت العمائم الشامية من القطن، وكانت خلعهم إما مسمط أو كنجى.

وأول من لبس منهم طرد وحش مهنا بن عيسى في أيام المنصور لاجين لمودة بينهما، فأنكر الأمراء ذلك، فاعتذر لهم لاجين بتقدم صحبتته له وأياديه عنده، وأنه أراد أن يكافئه على ذلك. وقدم مهنا وأخوه في أيام تحكيم بيبرس وسلار في الدولة، فسألا أن يقطعا ضيعة من بلاد حلب، وينزلا عما بأيديهما عوضاً عنها، فغضب الأمين سلار من ذلك، وقال: «يا عرب وصلتم إلى أن تأخذوا ضياع القلاع والأجناد وتعملوها لكم إقطاعاً»، ونهرهما، فخرجا من عنده على حالة غير مرضية. ولما عدى الظاهر بيبرس الفرات، وكسر المغل، وكان معه مهنا بن مانع بن حذيفة^(١) في ألفين من عربيه وكانوا يقفون على مخائص الفرات، ويتقدمون بين يدي العسكر خوفاً من غرقهم.

=فنهاهم عن ذلك؛ لأن المقام في المرعى وإن طال فليس بسفر، وفي حديث ابن مسعود: «يا معشر الجشار لا تغتروا بصلاتكم»، الجشار جمع جاشر. انظر لسان العرب ٦٢٦، الجشار مرج الخيل، والجشار إفراج الدواب للرعى. انظر: القاموس المحيط.

(١) مهنا بن مانع بن حذيفة بن عقبة (أو عصبه) بن فضل بن ربيعة، من طيء من قحطان: رأس آل مهنا آل فضل أمراء البادية وفي نسبه اختلاف يسير. تولى بعد وفاة أبيه سنة ٦٣٠هـ وحضر مع المظفر لقتال هولاءكو ملك التتار سنة ٦٥٨هـ فكافأ قطز بانتزاع مدينة سلمية من الملك المنصور محمد بن محمود صاحب حماة، وتسلمها إليه إقطاعاً. انظر: صبح الأعشى ٤: ٢٠٥، ٢٠٦ الضوء اللامع ١٤٦:٥، والأعلام ٣١٧/٧.

فلما قدم السلطان الظاهر بيبرس إلى حلب سأل مانع أبو مهنا^(١) الأمير قلاوون أن يكون لابنه مهنا أرض على سبيل الرزقة، ويقوم عليها أربعة أفراس وعشرة جمال. فلما تحدث قلاوون في ذلك مع السلطان بيبرس لم يجبه بشيء حتى حضر مانع في الخدمة مع الأمراء، فقال له: «ويلك يا بدوى نحس وصلت أن تطلب زيادة على إقطاع ولدت، وتبرطل السلطان على ملكه، والله لئن سمعت عنكم شيئاً من هذا لأخرجنكم من البلاد خروجاً نحساً» وأكثر من هذا وشبهه، فما زال به قلاوون والأمراء حتى سكن غيظه. فخالف السلطان الناصر سيرة من تقدمه من الملوك في أمر العرب حتى قال له صفرة بن سليمان بن مهنا: «لقد أفسدت علينا نسواننا»، يريد لكثرة ما غمرهن السلطان بالمال. وأرسل له مرة بن مهنا مع قاصده يقول له: «خف الله في المسلمين وبيت المال، فإنك تفرقه على العرب ونسائهم وصغارهم. فكيف يحل لك هذا؟ ومتى سمعت عن بدوية أنها تلبس غير الثوب من القطن والبرقع المصبوغ وفي يدها سوار من حديد؟ وإن شمت طيباً فمن زاد بهذا لها؟ فوالله لقد أفسدت حال العرب وحال نسائهم وأطمعتهم في شيء لم يكونوا يطمعون فيه قبلك». ونحو ذلك من العتب.

ومات السلطان الناصر وفي الجشرات ثلاثة آلاف فرس، يعرض في كل سنة عليه فيدمغها ويسلمها للركابيين من العربان لرياضتها، ثم ينعم بأكثرها على الأمراء والخاصكية، ويفرح بذلك، ويقول: «هذه فلانة بنت فلانة أو فلان ابن فلانة، عمرها كذا وشراء أمها كذا، وشراء أبيها كذا» وكان يتقدم إلى الأمراء أن يضمروا الخيول، ويرتب على كل أمير من أمراء الألواف أربعة رؤوس في كل سنة يضمرها، ويسير للأمير أيدغمش أمير آخور أن يضمر خيلاً من غير أن يعلم الأمراء أنها للسلطان بل يشيع أنها له، ويرسلها للسباق مع خيل الأمراء في كل سنة.

وكان عند الأمير قطلوبغا الفخرى حصان أدهم سبق خيل مصر كلها ثلاث سنين متوالية. وكان السلطان يرسل إلى مهنا وأولاده أن يحضروا بالخيال السبق عندهم للسباق ثم يركب إلى ميدان القبق ظاهر القاهرة فيما بين قلعة الجبل وقبة النصر، ويرسل الخيل وعدتها دائماً ما ينيف على مائة وخمسين فرساً، إلى أن بعث، مهنا مع ولديه سليمان^(٢)

(١) مانع بن حديثة بن عقبة بن فضل بن ربيعة من بني جراح من طيء: أمير عربان البادية بين الشام والعراق، ولي مانع أمرهم في أيام الملك العادل أبي بكر بن أيوب وكتب له «تقليد شريف» بذلك على العادة الجارية في تولية أمثاله واستمر إلى أن توفي. انظر: صبح الأعشى ٤: ٢٠٦ وهو فيه: مانع. وكل ما بين أيدينا من تراجم أبنائه وأحفاده بالنون والأعلام ٥/ ٢٦٨.

(٢) سليمان بن مهنا بن عيسى بن مهنا من آل الفضل بن ربيعة ويلقب علم الدين: أمير عرب =

وموسى^(١) حجرة شهباء على أنها إن سبقت كانت للسلطان، وإن سُبقت ردت عليه، بشرط ألا يركبها للسباق إلا بدويها الذى قادها.

فلما ركب السلطان والأمراء، ووقفوا على العادة ومعهم أولاد مهنا بالميدان، وأرسلت الخيل من البركة كما جرت به العادة، ركب البدوى حجرة مهنا الشهباء عريا بغير سرج، وقد لبس قميصا ولاطية فوق رأسه. فأقبلت الخيل تتبع بعضها بعضا، وهى قدام الجميع وبعدها على قرب منها حصان لأيدغمش يعرف بهلال. فلما وقف البدوى بالشهباء بين يدى السلطان صاح بصوت ملاً الخافقين: «السعادة لك اليوم يا مهنا، لا شقيت» وألقى نفسه إلى الأرض من شدة التعب، ثم قدم الحجرة للسلطان.

فكان هذا دأب السلطان الناصر فى كل سنة. وترك السلطان الناصر أيضاً بالإسطنبول أربعة آلاف فرس وثمانمائة فرس، ما بين حجورة ومهارة وفحولة وأكاديش، وترك من الهجن الأصائل والنياق خمسة آلاف ونيف، سوى أتباعها. وكان يحب الصيد، فلم يدع أرضاً تعرف بصيد الطير إلا وأقام بها صيادين مقيمين فى البرية أو ان الصيد.

وجلب طيور الجوارح من الصقورة والشواهين والسنافر والبزاة، حتى كثرت السنافر فى أيامه، فصار كل أمير عنده منها عشرة سنافر وأقل وأكثر. وجعل لها بازدارية جوندارية^(٢)، وأقطع عدة منهم الإقطاعات، وأجرى لهم الرواتب من اللحم والعليق والكساوى وغير ذلك.

وترك بعد موته مائة وعشرين سنقرًا لخاصه، ولم يعهد مثل هذا الملك قبله بمصر، بل كان فى الأيام المنصورية سنقر واحد، فإذا ركب السلطان فى الموكب كان بازداره أيضاً راكبا والسنقر على يده.

=آل فضل، فى بادية حمص والفرات كان معروفاً بالنجدة مواليا لسلطين مصر والشام قبل أن يلى الإمارة لجأ إلى قراسنقر نائب الشام سنة ٧١١هـ حائفاً من السلطان الناصر فرحل معه إلى ملك التتر فى ماردين وأقام إلى سنة ٧٣٢هـ وعاد فنزل الرحبة ثم ركب إلى مصر فأقبل عليه الناصر وولاه إمرة العرب بدلاً من أخيه موسى أو بعد وفاة موسى سنة ٧٤٢هـ فاستمر فى الإمارة إلى أن مات فى سلمية. انظر: الدرر الكامنة ٢: ١٦٣ والنجوم الزاهرة ١٠: ١٠٣ وابن خلدون ٥: ٤٣٩ والأعلام ١٣٥/٣.

(١) موسى بن مهنا بن عيسى بن مهنا بن مانع الطائى: رئيس آل فضل أمراء بادية الشام - يلقب مظفر الدين. ولى الإمارة بعد موت أبيه سنة ٧٣٤هـ واستمر إلى أن توفى بتدمر. انظر: ابن خلدون ٥: ٤٣٩/٥ والبداية والنهاية ١٤/١٩٣ والنجوم الزاهرة ١٠/٧٦ والأعلام ٧/٣٢٩.

(٢) على هامش ط: الجوندارية طائفة المكلفين بخدمة طيور الصيد من الكراكى والبلسونات وحملها إلى موضع تعليم الطيور الجوارح ومفرد هذا اللفظ جوندار وأصله حيوان دار.

ولما توجه الأمير حسام الدين طرنطاي لحصار سنقر الأشقر بصهيون سأل أن يكون هذا السنقر في طلبه، ليتحمل به من غير أن يتصيد به ولا يرميه على صيد.

وترك من الصقورة والشواهين ونحوها ما لا ينحصر، وترك ثمانين جوقة كلاب الصيد بكلازيتها، وكان قد اتخذ لها موضعاً بالجبل.

وعنى السلطان الناصر أيضاً بجمع الأغنام، وأقام لها خولة وكان يبعث في كل سنة الأمير آقبغا عبد الواحد في عدة من المماليك السلطانية ليكشف المراحات من قوص إلى الجزيرة، ويأخذ منها ما يتخيره من الأغنام، وكان يجرد أيضاً إلى عيذاب وبلاد النوبة لجلب الأغنام. وعمل السلطان لها حوشاً بقلعة الجبل، وأقام لها خولة نصارى من الأسرى.

وعنى أيضاً بالإوز، وأقام لها عدة من الخدم والجواري، وجعل لها جايرا بجوش الغنم. فبلغت عدة الأغنام التي تركها بعد موته نحو الثلاثين ألف رأس، سوى أتباعها. فاقتدى به الأمراء وصارت لهم أغنام عظيمة جداً في عامة أرض مصر قبلها وبحريها.

وكان السلطان الناصر كثير العناية بأرباب وظائفه وحواشيه من الأمير آخورية والأوجاقية، وغللمان الإصطبل والبزدارية، والفراشين والخولة والطباخين. فكان إذا جاء أو ان تفرقة الخيول على الأمراء بعث إلى الأمير بما جرت به عادته مع أمير آخور وأوجاقى وساييس وركبدار، وترقب عودتهم حتى يعرف ما أنعم به ذلك الأمير عليهم، فإن شج الأمير عليهم في عطائه تنكر له وبكته بين الأمراء ووبخه.

وقرر أن يكون أمير آخور الكبير بينهم بقسمين، ومن عداه بقسم واحد. وكان أيضاً إذا بعث إلى أحد من الأمراء طيراً مع أمير شكار أو أحد من البزدارية يحتاج الأمير أن يلبسه خلعة كاملة بجياصة ذهب وكفلتاه زركش، فيعود بها ويقبل الأرض بين يدي السلطان، فيستدنيه ويفتش خلعته.

وكانت عادته أن يبعث يوم النحر أغنام الضحايا إلى الأمراء مع الأبقار والنوق، فبعث مرة صحبة بعض الخولة النصارى إلى الأمير ببيغا حارس الطير ثلاثة كباش، فأعطاه ببيغا عشرة دراهم فلوساً، فعاد الخولى إلى السلطان فقال له: «وأين خلعتك» فطرح الفلوس بين يديه وعرفه بها، فغضب وأمر بعض الخدام أن يسير بالخولى إلى ببيغا، ويقول له: «قال لك السلطان: لا فتح الله عليك برزق. ويلك أما كان عندك قباء ترميه على غلامى؟. وخله يلبسه طرد وحش». فلما بلغه الخادم ذلك ندم وأخذ يعتذر، وألبس الخولى قباء طرد وحش.

وكانت حرمة ومهابته قد تجاوزت الحد، حتى إن الأمراء إذا وقفوا بالخدمة لا يجسر أحد منهم أن يتحدث مع رفيقه بكلمة واحدة، ولا يلتفت نحوه، خوفاً من مراقبة السلطان لهم.

وكان لا يجسر أن يجتمع مع خشداشه في نزهة ولا غيرها، من رمي الشباب ونحوه، فإذا بلغه اجتماع أحد مع آخر أسر ذلك في نفسه، وأمسكه أو نفاه.

وخرّب السلطان الناصر عدة مرار مرامي الشباب، ومنع المماليك من الرمي، وأغلق حوانيت البندقانيين وصناع قسي الشباب وقسي البندق، ونادى من عمل قوس بندق شنق. وخرّب مرة دكاكينهم، من أجل أن مملوكاً رمى بالبندق فوقع في عين امرأة قلعتها. ولقى غازان عهلي فرسخ من حمص، ثم كانت له وقعة شقحب المشهورة. ودخل بعساكره بلاد سبسي، وقرر على أهلها الخراج أربعمئة ألف درهم في السنة كما كان، بعد امتناعهم من حمله. وغزا ملطية^(١) وأخذها، وغزا بلاد سبسي^(٢) بعسكر مصر ثلاث مرات - بعدما أمر التركمان بالغارة عليها - وخرّب بلادهما حتى قرر عليهم الخراج ستمئة ألف درهم في كل سنة، ومنعوا الخراج مرة، فبعث العسكر وأخذ مدينة أياص، وخرّب البرج الأطلس وسبعة حصون، وأقطع أراضيها للأمراء والأجناد. وأخذ جزيرة أرواد من الفرنج، وغزا بلاد اليمن^(٣) وبلاد عانة^(٤) والحديثة في طلب مهنا. وبعث العساكر في طلب الشريف حميضة نحو الحسا^(٥) والقطيف^(٦) وجرّد إلى مكة والمدينة العساكر لتمهيدها، ومنع أهلها من حمل السلاح بها.

وعمر قلعة جعبر بعد خرابها، وأجرى نهر حلب إلى المدينة، وعمر دمشق. وولى

(١) ملطية: بلدة من بلاد الروم المشهورة، مذكورة تناخم الشام وهي للمسلمين. انظر: معجم البلدان ١٩٢/٥.

(٢) بلاد سبسي: بلد هو اليوم أعظم مدن الثغور الشامية بين أنطاكية وطرسوس انظر: معجم البلدان ٢٩٧/٣.

(٣) اليمن: البلد المعروف الذي كان لسبياً فسمى يمناً لأنه عن يمين الكعبة، كما سمي الشام شاماً لأنه عن شمال الكعبة، والحجاز حجازاً لأنه حاجز بينهما، وقيل سمي اليمن ليمنه والشام لشومه، وقيل سمي اليمن يمناً بتيمن ابن قحطان. انظر: معجم البلدان ٤٤٧/٥، ٤٤٨، والروض المعطار ٦١٩، ومعجم ما استعجم ١٤٠١/٤.

(٤) عانة: بلد مشهور بين الرقة وهيت تعد من في أعمال الجزيرة. انظر: معجم البلدان ٧٢/٤.

(٥) الحسا: واد بأرض الشرعية من ديار عبس وغطفان. انظر: معجم البلدان ٢٥٨/٢.

(٦) القطيف: هي مدينة بالبحرين هي اليوم قصبها وأعظم مدنها. انظر: معجم البلدان ٣٧٨/٤.

٣١٠ سنة إحدى وأربعين وسبعمائة
بلاد الروم نيابة لأرتنا، وخطب له بها وبماردين وبجبال الأكراد وحصن كيفا^(١) وبغداد
وغيرها من بلاد الشرق، وهو بكرسى ملك مصر. وأتته هدية ملوك المغرب والهند
والصين^(٢) والحبشة^(٣) والتكرور^(٤) والنوبة^(٥) والترک والروم والفرنج.

وكان السلطان الناصر على غاية من الحشمة ورياسة النفس وسياسة الأمور، فلم
يضبط عليه أحد أنه أطلق لسانه بكلام فاحش في شدة غضبه ولا في انبساطه وكان
يدعو الأمراء وأرباب الولايات وأصحاب الأشغال بأحسن أسمائهم وأجل ألقابهم، وإذا
غضب على أحد لا يذكر له ذلك. وكان يقتصد في لباسه، فلبس كثيرا البعلبكي
والنصافي المتوسط، ويعمل حياصته فضة نحو مائة درهم بغير ذهب ولا جوهر،
ويركب بالسرّج المسقط بالفضة التي زنتها دون المائة درهم، وعباءة فرسه إما تدمرى
أو شامى ليس فيها حرير.

وكان مفرط الذكاء، يعرف جميع ممالك أبيه وأولادهم بأسمائهم، ويعرف بهم
الأمراء، وكذلك ممالكه لا يغيب عنه اسم أحد منهم ولا شغله عنده ولا مبلغ جامكيته.
وكان يعرف أيضا غلمانته وحاشيته على كثرة عددهم، ولا يفوته معرفة أحد من
الكتاب، فإذا أرد أن يولى أحدا مكانا أو يرتبه في وظيفة استدعى جميع الكتاب إلى بين
يديه، واختار منهم واحد أو أكثر من غير أن يرجع فيهم إلى أحد، ثم يقيمه فيما يريد
من الوظائف.

(١) حصن كيفا: ويقال كيبا، أظنها أرمينية: وهى بلدة مشرفة على دجلة بين آمد وجزيرة ابن
عمر من ديار بكر. انظر: معجم البلدان ٢/٢٦٥
(٢) الصين: بلاد فى مطلع الشمس، يقال إن فيها ثلاثمائة مدينة ونيقا عامرة كلها سوى القرى
والرساتيق، ومن خرج إليها قطع سبعة أبحر، لكل منها لون وريح ليس فى غيره، أول بحورهم بحر
فارس. انظر: معجم البلدان ٣/٤٤٠:٤٤٨، والروض المعطار ٣٧٠، ٣٧١، ٣٧٢، ٣٧٣.
(٣) الحبشة: بالتحريك والشين معجمة، درب الحبش: بالبصرة فى خطة هذيل نسبة إلى
حبش. انظر: معجم البلدان ٢/٢١٣.

(٤) تكرر: مدينة فى بلاد السودان بقرب مدينة صنغانة على النيل، وهى أكبر من مدينة سلى
وأكثر تجارة، ومن مدينة سلى وتكرر إلى سجلماسة أربعون يوما بسير القوافل وأقرب البلاد إليها
من بلاد لتونة الصحراء أزقى وبينهما خمس وعشرون مرحلة. انظر: معجم البلدان ٢/٣٨، والروض
المعطار ١٣٤، والإدريسى ٤/٣، والاستبصار ٢١٧، والبكرى ١٧٢، وصبح الأعشى ٥/٢٨٦.
(٥) النوبة: بضم أوله وسكون ثانيه وباء موحدة، والنوب جماعة النحل ترعى ثم تنوب إلى
موضعها وهى بلاد واسعة عريضة فى جنوبى مصر، أول بلادهم بعد أسوان. انظر: معجم البلدان
٥/٣٠٨، ٣٠٩.

وكان فيه تودة، فإذا غضب على أحد من أمرائه أو كتابه أسر ذلك فى نفسه، وتروى فيه مدة طويلة، وهو ينتظر له ذنبا يأخذه به، كما وقع له فى أمر كريم الدين الكبير والأمير أرغون النائب والأمير طغيه وغيرهم، فإنه أقام عدة سنين يريد القبض عليهم وهو يتأنى ولا يعجل، إلى أن عثر لهم على ذنوب توجب له أخذهم بها، حتى لا ينسب إلى ظلم ولا حيف، فإنه كان يعظم عليه أن يذكر عنه أنه ظالم أو جائر أو فيه حيف أو وقع فى أيامه خراب أو خلل، ويحرص على حسن القالة فيه وذكره بالجميل.

وكان يستبد بأمور مملكته، ويتفرد بالأحكام، حتى إنه أبطل نيابة السلطنة ليشتغل بأعباء الدولة وحده. وكان يكره أن يقتدى بمن تقدمه من الملوك، ولا يحتمل أن يذكر عنده ملك. وكان يكره شرب الخمر ويعاقب عليه، ويعد من يشربه من الأمراء عنه.

وبلغ السلطان الناصر من الكرم والجود والأفضال وسعة العطاء غاية تخرج عن الحد، فوهب فى يوم واحد ما يزيد على مائة ألف دينار ذهباً، ولم يزل مستمر العطاء لخاصكته ما بين عشرة آلاف دينار ونحوها.

وسئل النشو: «هل أطلق السلطان يوماً ألف ألف درهم؟»، قال: «نعم كثيراً». وأنعم فى يوم على بشتاك بألف ألف درهم فى ثمن قرية، وأنعم على موسى بن مهنا بألف ألف درهم فى ثمن القريتين. واشترى من الرقيق - فى مدة أوها شعبان سنة اثنين وثلاثين إلى سنة سبع وثلاثين - بأربعمائة ألف دينار وسبعين ألف دينار.

وكان ينعم على تنكز فى كل سنة يتوجه إليه بما يزيد على ألف ألف درهم، وأنعم يوماً على قوصون بزردخاناه بكنمر الساقى، وقيمة ما فيها ستمائة ألف دينار، أخذ السلطان من الجميع سرجاً واحداً وسيفاً واحداً.

ولما تزوج قوصون بابنته حمل إليه الأمراء شيئاً كثيراً، ثم بعد ذلك زوج ابنته الأخرى بطغاي ثمر وقال: «ما نعمل له عرساً، لأن الأمراء يقولون هذه مصادرة بحسن عبارة»، ونظر إلى طغاي ثمر فرآه وقد تغير. فقال للقاضى تاج الدين إسحاق ناظر الخاص: «يا قاضى اعمل لى ورقة بمكارمة الأمراء فى عرس قوصون»، فعمل ورقة وأحضرها، فقال: «كم الجملة؟»، فقال: «خمسون ألف دينار»، فقال: «أعط نظيرها من الخزانة لطغاي ثمر»، وهذا سوى ما دخل مع الزوجة من الجهاز.

وجرى يوماً عند السلطان ذكر عشرين ألف دينار، فقال يلبغا اليحياوى: «يا خوند أنا والله عمرى ما رأيت عشرين ألف دينار»، فلما راح من عنده طلب النشو وقال له: «احمل الساعة إلى يلبغا عشرين ألف دينار، وجهازها مع الخازندارية، وجهاز خمسة

تشاريف أحمر أطلس بكلفات زركش وطرز زركش وحوائص ذهب ليخلع ذلك عليهم».

وكان راتب مطبخه، ورواتب الأمراء والكتاب الذين هم على مطبخه، فى كل يوم ستة وثلاثين ألف رطل لحم. وكانت نفقات العمائر الراتب لها فى كل يوم ألفا درهم، سوى ما يطرأ.

وبالغ السلطان الناصر أخيراً فى مشترى الممالك: فاشترى صرغتمش بخمسة وثمانين ألف درهم، سوى تشرىف أستاذة، وغير ما كتب له من المساحة، وأما العشرة والعشرين والثلاثين فكثير. وغلا الجواهر واللؤلؤ فى أيامه. وبذل فى أثمان الخيل ما لم يسمع بمثله. وجمع من المال والجواهر واللؤلؤ ما لم يجمعه ملك من ملوك الترك قبله.

وعرفت رغبته فى الجواهر، فجلبها إليها التجار من الأقطار، وشغف بالسرارى، فحاز منهم كل بديعة الجمال. وجَهَّز إحدى عشرة ابنة له بالجهاز العظيم، فكان أقلهن جهازا بثمانمائة ألف دينار: منها قيمة بشخاناه وداير بيت وما يتعلق به بمائة ألف دينار، وبقية ذلك ما بين جواهر ولآلى وأوانى ونحو ذلك. ثم إنه زوجهن من ممالكه: مثل الأمير قوصون، والأمير بشتاك، والأمير الطنبغا الماردىنى، والأمير طغاي تمر، والأمير عمر بن النائب وغيرهم، وجهاز سراريه وجواريه ومن يحسن بخاطره من النساء كل واحدة بنحو ذلك وبأكثر منه. واستجد النساء فى أيامه المقنعة والطرحة بنحو عشرة آلاف دينار، وبما دون ذلك إلى خمسة آلاف درهم، والفرجيات بمثل ذلك. واستجد أيضاً فى أيامه للنساء الخلاخيل الذهب، والأطواق المرصعة بالجواهر الثمينة، والقباقيب الذهب المرصعة بالجواهر، والأوطية^(١) المرصعة، والأزر الحرير، فكانت قيمة إزار المرأة من آحاد النساء ألف درهم، عنها نحو الخمسين ديناراً مصرية.

وكان السلطان الناصر يحمل إلى ملوك الشرق من المال ما لا ينحصر، وبذلك كان ينال مقاصده منهم ويبلغ أغراضه فيهم، فإنه كان يعم نواب الملك والخواتين بما يبهرهم به من المصاغ والجواهر والقماش الإسكندرى المناسب لهم.

واتفق أنه جهاز مرة لأبى سعيد بن خربندا صحبة الأمير أيتمش الحمدي هدية عظيمة جدا، فقال له الفخر ناظر الجيش: «قد أغنى الله السلطان عن هؤلاء - فإنهم فى طاعته - عن أن يبعث لهم بهذا المال». فقال له: «اسكت يا قاضى فخر الدين والله لو علمت الذى أعلمه ما قلت هذا. اعلم يا قاضى أن المال الذى أسيره إليه ما يجىء قدر ثمن

(١) الأوطية والأوطنة جمع وطاء، وهو الخذاء.

الروايا وكلف السقاين الذين يذهبون معى فى البيكار، وأكون قد وفرت نفسى وعسكرى».

ولم يعهد فى أيام ملك قبله ما عهد فى أيامه من مسالة الأيام له، وعدم حركة الأعداء برا وبحراً وخضوع جميع الملوك له ومهاداتهم إياه وكان يصل إلى قتل من يريد قتله بالفداوية، لكثرة بذله لهم الأموال.

وكان يحب العمارة، فلم يزل من حين قدم من الكرك إلى أن مات مستمر العمارة، فجاء تقدير مصروفه كل يوم مدة هذه السنين ثمانية آلاف درهم. وكان ينفق على العمارة المائة ألف درهم، فإذا رأى فيها ما لا يعجبه هدمها كلها وجددها على ما يختار.

ولم يكن من قبله من الملوك فى الإنفاق على العمارة كذلك، بل أراد المنصور قلاوون مرة أن يبنى مصطبة عليها رفر يقيه حر الشمس ليجلس عليها، فكتب له الشجاعى على تقدير مصروفها أربعة آلاف درهم، فتناول الورقة من يد الشجاعى ومزقها وقال: «أقعد فى مقعد بأربعة آلاف انصبوا لى صيواناً إذا نزلت، ولا أخرج من بيت المال لمثل هذا شيئاً». وكذلك كان الظاهر بيبرس ومن قبله لا يستهون بالمال، وإنما يدخرونه صيانة وخوفاً، ولم يعرف لأحد منهم أنه أنعم بألف دينار جملة واحدة.

وراك السلطان الناصر أرض مصر والشام، وأبطل عدة مظالم من المكوس والضمانات: مثل ساحل الغلة، وكان عليه ستمائة جندى، ما منهم إلا من له فى كل سنة ما بين ثمانية آلاف درهم إلى ستة آلاف درهم، سوى ما عليه للأمرء، ومثل الحقوق التى كانت على الأسربة إذا كسحت، وعليها أيضاً عدة أجناد مرتب لهم فى كل سنة جملة لكل منهم، ومثل جهات ابن البطونى، وكان هذا الرجل يأخذ على رد العبيد والجوارى الآبقين ضريبة، ويقيم من تحت يده رجالا على الطرقات لرد الهارين، ويقوم للديوان فى كل سنة بمال. وأبطل السلطان غير ذلك من المكوس، كما تقدم عند عمل الروك.

وكان السلطان الناصر متسع الحال: بلغ راتبه من اللحم فى كل يوم لمطبخه ومرتب مماليكه ستة وثلاثين ألف رطل لحم.

واستجد فى أيامه عمائر كثيرة: منها حفر خليج الإسكندرية من بحر فوة فى مدة أربعين يوماً، عمل فيه فوق المائة ألف رجل من أهل النواحي، فاستجد عليه عدة سواقي، وبساتين فى أراضى كانت سباخا، فصارت مزارع قصب السكر والسمسم،

وعمرت هناك الناصرية، ونقل إليها مقداد بن شماس بأولاده وعدتهم مائة ولد ذكر، واستمر الماء طول السنة بخليج الإسكندرية. وأنشأ الميدان تحت القلعة، وأجرى له المياه، وغرس فيه النخل والأشجار، ولعب فيه بالكرة فى كل يوم ثلاثاء مع الأمراء والخاصكية، وعمر فوقه القصر الأبلق. وأخرب البرج الذى عمره أخوه الأشرف خليل على الإصطبل، وجعل فوقه رفرفاً، وترك أصله من أسفله، وعمر بجانبه برجاً نقل إليه الماليك. وغير باب النحاس بالقلعة، ووسع دهليزه. وعمر فى الساحة قدام الإيوان طباقاً للأمراء والخاصكية، وغير الإيوان مرتين، وفى المرة الثالثة أقره على ما هو عليه الآن، وحمل إليه العمدة الكبار من بلاد الصعيد، فجاء من أعظم المباني الملوكية. وعمر بالقلعة دوراً للأمراء الذين زوجهم بناته، وأجرى إليها المياه، وعمل بها الحمامات، وزاد فى باب القلعة من القلعة باباً ثانياً. وعمر حارة مختص، وعمر الجامع بالقلعة والقاعات السبع التى تشرف على الميدان وباب القرافة لأجل سكنى سراريه. وعمر المطبخ، وجعل عمائرهم كلها بالحجارة خوفاً من الحريق. وعزم أن يغير باب القلعة المعروف بالمدرج، ويعمل له دركاه، فمات قبل ذلك. وعمل فى القلعة حوش الغنم وحوش البقر وحوش المعزى وجاير الأوز، وغير ذلك، فأوسع فيها نحو خمسين فداناً.

وعمر الخانكاه بناحية سرياقوس ورتب بها مائة صوفى لكل منهم الخبز واللحم والطعام والحلوى وسائر ما يحتاج إليه. وعمر القصور بالقرب منها، وعمل لها بستاناً حمل إليها الأشجار من دمشق وغيرها، فصار به عامة فواكه الشام. وحفر الخليج الناصرى خارج القاهرة حتى أوصله إلى سرياقوس، فَعُمِّرَ على هذا الخليج عدة قناطر: منها قنطرة بَقْمِهِ عند الميدان أنشأها الفخر ناظر الجيش، وقنطرة قدادار والى القاهرة، وغير ذلك، فصار بجانبى الخليج عدة بساتين، وعمرت به أرض الطبالة بعد خرابها من أيام العادل كتبغا. وعمرت فى أيام السلطان الناصر جزيرة الفيل وناحية بولاق بعدما كانت رمالا ترمى بها الماليك الشباب، وتلعب الأمراء فيها بالكرة، فصارت كلها دوراً وقصوراً وجوامع وأسواق وبساتين.

وبلغت البساتين بجزيرة الفيل زيادة على مائة وخمسين بستاناً، بعدما كانت نحو العشرين بستاناً. واتصلت العمارة على ساحل النيل من منية الشيرج إلى جامع الخطيرى، إلى حكر ابن الأثير وزربية قوصون، إلى منشأة الكتبة ومنشأة المهرانى، إلى بركة الحبش، حتى كان الإنسان يتعجب لذلك، فإنه كان يعهد هذا كله تلال رمل وحلفاء، فصار لا يرى فيه قدر ذراع إلا وفيه بناء.

وعُمرت فى أيامه أيضاً القطعة التى فيما بين قبة الإمام الشافعى إلى باب القرافة،

بعدما كانت فضاء لسباق خيل الأمراء والأجناد والخذّام، فتحصل به اجتماعات جلييلة للتفرّج عليهم، إلى أن أنشأ السلطان تربة الأمير ببيغا التركمانى.

فعمّر ذلك كله تربيًا وخوانك، حتى صارت العمائر متصلة من باب القرافة إلى بركة الحبش، لا يوجد بها قدر ذراع بغير عمارة، وتنافس الأمراء فى ذلك حتى بلغوا فى عمارته مبلغًا عظيمًا إلى الغاية. وعمّر فى أيامه أيضًا الصحراء التى فيما بين القلعة وخارج باب المحروق إلى قبة النصر وكان هناك ميدان القبق من عهد الظاهر بيبرس، برسم ركوب السلطان وعمل الموكب به، وبرسم سباق الخيل.

وأول من عمّر فيه الأمراء قراسنقر تربة، وعمل لها حوض ماء للسبيل يعلو مسجد، ثم اقتدى به الأمراء والأجناد وغيرهم حتى امتلأ الميدان من كثيرة العمائر.

وعمر السلطان لماليكه عدة قصور : منها قصر الأمير طقتمر الدمشقى بحدرة البقر، وبلغ مصروفه ثمانمائة ألف درهم، فلما مات طقتمر أنعم به السلطان على الأمير طشتمر حمص أخضر، فزاد فيه.

ومنها قصر الأمير بكتمر الساقى على بركة الفيلى، فعمل أساسه أربعين ذراعًا، وارتفاعه عن الأساس مثلها، فزاد مصروفه على ألف ألف درهم. ومنها الكبش حيث كانت عمارة الملك الصالح نجم الدين أيوب^(١) فعمله السلطان سبع قاعات برسم نزول بناته وسراريه فيها للتفرّج على ركوب السلطان إلى الميدان الكبير، ولم ينحصر ما أنفق فيها لكثرتة. ومنها إصطبل الأمير قوصون بسوق الخيل تحت القلعة، حيث كان إصطبل الأمير سنجر البشمقدار، وإصطبل سنقر الطويل. ومنها قصر بهادر الجوبانى، بجوار زاوية البرهان الصائغ بالجسر الأعظم تجاه الكبش. ومنها قصر قطلوبغا الفخرى، وقصر أظنبا الماردىنى وقصر يلغا اليحياوى - وهو أجلّ ما عمره من القصور، انصرف على أساسه خاصة عن ثمن جبر وحجر وأجرة مائة وثلاثين ألف درهم، وعمل نزوله فى الأرض ثلاثين ذراعًا، واحتيج فيه إلى زنة عشرة آلاف درهم لازورد لدهان سقفه، ثمنها مائة ألف درهم.

وعمر الأمراء فى أيام السلطان الناصر عدة دور: منها دار الأمير أيدغمش أمير

(١) أيوب (الملك الصالح) بن محمد (الملك الكامل) بن أبى بكر (العادل) بن أيوب، أبو الفتوح نجم الدين: من كبار الملوك الأيوبيين. بمصر ولد ونشأ بالقاهرة. وولى بعد خلع أخيه العادل سنة ٦٤٧هـ. وفى أواخر أيامه أغار الإفرنج على دمياط سنة ٦٤٧هـ واحتلوا وأصاب البلاد ضيق شديد وكان الصالح غائبًا فى دمشق فقدم ونزل أيام الفرنج وهو مريض بالسل فمات بناحية المنصورة ونقل إلى القاهرة. انظر: خطط المقرئى ٢: ٢٣٦ وابن إياس ٣/١ والأعلام ٢/ ٣٨.

آخور، ودار آقبا، ودار طقزدمر، ودار بشتاك على النيل - وهي تشتمل على ربع كبير فوق زريبة بجوار جامع طيرس -، وقصر بشتاك بالقاهرة، وقد ذكّرتُ هذه القصور والدور في كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والأمطار ذكراً مستوعباً لأخبارها.

وكانت للسلطان عناية كبيرة ببلاد الجيزة، وعَمِلَ على كل بلد بها جسراً أو قنطرة وكانت أكثر بلادها تشرق لعلوها، فعمل جسر أم دينار في ارتفاع اثنتي عشرة قصبة، أقام العمل فيه مدة شهرين، فحبس الماء حتى رويت تلك الأراضي كلها، وعم النفع بها. وقوى بسبب هذا الجسر الماء حتى حفر بجزراً يتصل بالجيزة وخرج في أراضيها عدة مواضع زرعت بعدما كانت شاسعة، أخذ منها قوصون وبشتاك وغيرهما عدة أراضي عمروها ووقفوها، واستجد السلطان على بقيتها ثلاثمائة جندي.

واستجدت في أيامه عدة أراضي بنواحي الشرقية وفوة وشباس، أقطعت لعدة أجناد وعمل أيضاً جسر شيبين، فزاد بسببه خراج الشرقية. وعمل جسراً خارج القاهرة حتى رد النيل على منية الشيرج وغيرها، وعمرت بسببه بساتين جزيرة الفيل، وكثر عددها.

وأحكم السلطان عامة أرض مصر قبلها وبجريها بالترع والجسور، حتى أتقن أمرها، وكان يركب إليها برسم الصيد في كل قليل، ويتفقد أحوالها، وينظر في جسورها وتراعها وقناطرها بنفسه، بحيث أنه لم يدع في أيامه موضعاً منها حتى عمل فيه ما يحتاج إليه. وكان له سعد في جميع أعماله، فكان يقترح المنافع من قبله بعد أن كان يزهده فيما يأمر به حذاق المهندسين، ويقول بعضهم: «يا خوند الذين جاءوا من قبلنا لو علموا أن هذا يصح لفعلوه»، فلا يلتفت إلى قولهم، ويفعل ما بدا له من مصالح البلاد، فتأتيه أغراضه على ما يجب ويختار، فزاد في أيامه خراج مصر زيادة هائلة في سائر الأقاليم.

وكان إذا سمع بشراقي بلد أو قرية من القرى أهمه ذلك، وسأل المقطع بها عن أحوال القرية المذكورة غير مرة، بل كلما وقع بصره عليه، ولا يزال يفحص عن ذلك حتى يتوصل إلى ريبها بكل ما تصل قدرته إليه. كل ذلك وصاحبها لا يسأله في شيء من أمرها، فيكلمه بعض الأمراء في ذلك فيقول: «هذه قريتي، وأنا الملزوم بها والمستول عنها»، فكان هذا دأبه، وكان يفرح إذا سأل بعض الأجناد في عمل مصلحة بلده بسبب عمل جسر أو تقاوى أو غير ذلك، وينبل ذلك الرجل في عينه، ويفعل له ما طلبه من غير توقف ولا ملل في إخراج المال، فإن كلمه أحد في ذلك فيقول: «فلم نجتمع المال في بيت المسلمين إلا لهذا المعنى وغيره؟» فهذه كانت عوائده.

وكذلك فعل بالبلاد الشامية، حتى إن مدينة غزة هو الذي مصرها وجعلها على هذه

الهيئة، وكانت قبل كآحاد قرى البلاد الشامية، وجعل لها نائبًا، وسمى بملك الأمراء، ولم تكن قبل ذلك إلا ضيعة من ضياع الرملة، ومثلها فكثير من قرى الشام وحلب والساحل^(١) يطول الشرح في ذكر ذلك.

وأنشأ السلطان الناصر الميدان الكبير على النيل وخرب ميدان اللوق الذى أنشأه الظاهر بيبرس، وعمله بستانا حملت إليه الأشجار من دمشق وغيرها، فكانت فواكه تحمل إلى الشراب خاناه السلطانية. ثم أنعم به على الأمير قوصون، فبنى تجاهه على الزريبة المعروفة بزريبة قوصون، ووقفهما. واقتدى به الأمراء فى العمارة، فأخذ قوصون بستان بهادر رأس نوبة - ومساحته خمسة عشر فدانا - وحكره للناس، فبنوه دورًا، وعرف بحكر قوصون.

وحكر السلطان حول البركة الناصرية أراضى البستان، فعمره الناس وسكنوا فيه. وحكر الأمير طقزدمر بجوار الخليج بستانا مساحته ثلاثون فدانا، وبنى له قنطرة عرفت به وعمل هناك حماما وحوانيت، فصار حكرًا عظيمًا للمساكين. وحكر الأمير آقبغا عبد الواحد بستانا بجوار بركة الفيل، فعمر عمارة كثيرة بعدما كان مقطوع طريق، فصار قدر مدينة كبيرة، وأخذ بقية الأمراء جميع ما كان من البساتين والجنيئات ظاهر القاهرة وحكروها. وحكرت الدادة حدق - وهى المعروفة باسم ست مسكة القهرمانه - حكرين عرفا بها، فجاء من أحسن الأحكار، وأنشأت لكل واحد منهما جامعًا تقام به الجمعة. فأنافت الأحكار التى استجدت فى أيامه على ستين حكرًا، حتى لم يوجد موضع بحكر، واتصلت العمارات من خارج القاهرة إلى جامع ابن طولون والمشاهد، وقد ذكرنا أيضًا هذه الأحكار فى كتاب المواعظ والاعتبار ذكرًا شافيًا.

وفى أيامه عمر الأمير قوصون بالقاهرة وكالة حيث كانت دار تعويل البوغانى. وعمر الأمير طشتمر حمص أخضر ربعًا بجوار حدره البقر، وهو الذى عمر قيسارية الحريرين بجوار الوراقين من القاهرة.

وعمر الأمير بكتمر الساقى بمدينة مصر ربعين وحوانيت على النيل ودار وكالة ومطابخ سكر. وعمر الأمير طقزدمر دار التفاح خارج باب زويلة، والربع الذى فوقه.

وتحددت عدة جوامع فى أيامه أنافت على ثلاثين جامعًا: منها الجامع الناصرى بقلعة الجبل جدده السلطان الناصر وأوسعه، والجامع الجديد الناصرى ظاهر من على

(١) الساحل: بعد الألف حاء مهملة، وآخره لام، بلفظ ساحل البحر وهو شاطئه: موضع من أرض العرب بعينه. انظر: معجم البلدان ١٧٠/٣.

النيل، وجامع المشهد النفيسي، وجامع الأمير كراى المنصورى بآخر الحسينية، وجامع الأمير طيرس نقيب الجيش على النيل بجوار خانكاته، - وهو الذى عمر أيضاً مدرسة بجوار الجامع الأزهر بالقاهرة، وجامع الأمير بدر الدين محمد بن التركمانى بالقرب من باب البحر وجامع الفخر ناظر الجيش على النيل فيما بين بولاق وجزيرة الفيل، وهو الذى عمر جامعا آخر خلف خص الكيالة ببولاق، وجامعا ثالثا بالروضة، وجامع كريم الدين خلف الميدان، وجامع شرف الدين الجاكي بسويقة الريش، وجامع أمير حسين بالحكر، - وقد بنى له قنطرة على الخليج - وجامع الأمير قيدان الرومى بقناطر الوز، وجامع دولت شاه مملوك العلائى بكوم الريش، وجامع الأمير جمال الدين آقوش نائب الكرك بطرف الحسينية، وجامع ناصر الدين الحرانى الشرايشى بالقرافة، وجامع الأمير آقسنقر شاد العمائر قريبا من الميدان، وجامعا خارج باب القرافة عمره جماعة من العجم، وجامع النوبة بباب البرقية - عمره مغلطاي أخو الأمير ألماس، وجامع بنت الملك الظاهر بيبرس بالجزيرة المستجدة وعمر ما حوله أملاكا كثيرة -، وجامع الأمير ألماس بالقرب من حوض ابن هنس، وجامع الأمير قوصون خارج القاهرة، وجامعه خارج باب القرافة، وجامع الأمير عز الدين أيدير الخطيرى على النيل ببولاق، وجامع أخى صاروجا بشون القصب، وجامع الحاج آل ملك بالحسينية، وجامع الأمير بشتاك على بركة الفيل تجاه خانكاته، وجامع ست حدق فيما بين قنطرة السد وقناطر السباع، وجامع ست مسكة قريبا من قنطرة آقسنقر، وجامع الأمير ألطنبغا الماردينى خارج باب زويلة، وجامع مظفر الدين بن الفلك بسويقة الجميزة من الحسينية وجامع جوهر السحرتى قريبا من باب الشعرية، وجامع فتح الدين محمد بن عبد الظاهر بالقرافة.

واستجد بدمشق فى أيام السلطان الناصر أيضا جامع كريم الدين وجامع شمس الدين غيريال، وجامع الأفرم، وجامع تنكز، وجامع يلغا.

وجددت الخطب فى أيامه بعدة مواضع: فجدد نائب الكرك خطبة بالمدرسة الصالحية، وجدد طقزدمر خطبة بالمعزية بمصر. وتجددت خطبة بزاوية فخر الدين بن جوشن خارج باب النصر، وجدد نجم الدين أبو بكر بن غازى دلال المماليك خطبة بمسجد فيما بين باب البحر وبولاق، وجددت خطبة بجامع محمود بالقرافة بعدما كان تربة. وآخر ما عمره السلطان السواقى بالرصد، فمات ولم يكمل عملها، إلا أنه فى آخر أيامه أقام النشو، فأفرط فى الظلم.

وشغف السلطان الناصر أيضا بحب الجوارى، فكتب إلى أعمال مصر ببيع الجوارى

المولدات وحملهن إليه، وأخذهن حتى من المغنيات، فزادت عدتهن عنده على ألف ومائتي وصيفة. وكان يكره ممالك أبيه وأخيه، وما زال بهم حتى فنوا في أيامه. وكان لا يمكن ممالكه بالاجتماع بالفقهاء، وتعنت على أجناد الحلقة وعرضهم وقطع منهم جماعة، فمات عقيب ذلك. ورسم بعد موته بغلق حوانيت بين القصرين، وطردت الناس بأجمعهم من هناك. وحمل في محفة، وأخرج من القلعة، ومروا به من وراء السور إلى باب النصر، ومعه من الأمراء بشتاك وملكتهم الحجازي وأيدغمش وعدة من الخاصكية.

ثم شقوا به من باب النصر إلى المدرسة المنصورية، وقدامه بعض الحراس تضىء عليه بمسرجة زيت حار، ثم لحقه فانوس فشيعة إلى المدرسة المنصورية. وحمل إلى القبة بها وغسل وحنط، وكفن من المارستان، وقد اجتمع الفقهاء والقراء، ثم دفن على أبيه.

وترك السلطان الناصر^(١) من الأولاد محمدًا وإبراهيم، وعليًا، وأحمد^(٢) وأبا بكر^(٣)

(١) من كبار ملوك الدولة القلاوونية. كانت إقامته في طفولته بدمشق وولى سلطنة مصر والشام سنة ٦٩٣هـ وهو صبي وخلع منها لحدائته سنة ٦٩٤هـ فأرسل إلى الكرك وأعيد للسلطنة بمصر سنة ٦٩٨هـ فقام في القلعة كالمحجور عليه. واستمر حكمه ٣٢ سنة وشهرين و٢٥ يومًا كانت له فيها سير وأبناء أوردها المقریزی في مجلد ضخيم. وتوفى بالقاهرة. انظر: فوات الوفيات ٢: ٢٦٣ والدرر الكامنة ٤: ١٤٤ والنجوم الزاهرة ٨: ٤١، ١٥٥، ١٥٦، ١١٧.

(٢) أحمد بن محمد بن قلاوون، شهاب الدين الملك الناصر ابن الملك الناصر: من ملوك الدولة القلاوونية بمصر والشام. ولد بالقاهرة وأرسله أبوه إلى الكرك ليتعلم الفروسية فاستمر فيها أيام أبيه وأخويه أبي بكر والأشرف كجك وتولى السلطنة سنة ٧٤٢هـ بعد خلع الأشرف فانتقل إلى القاهرة وتلقب بلقب أبيه الناصر. وخلع في أوائل سنة ٧٤٣هـ وولى أخاه إسماعيل (الصالح) وأرسل جماعة من أمراء الجيش لمحاصرة أحمد في الكرك فقاتل وقوتل إلى أن أمسكه الأمير منجك اليوسفي فذبحه وأحضر رأسه في علبة إلى القاهرة. ومدة حكمه بمصر ٧٢ يومًا. انظر: ابن إياس ١: ١٧٩ و١٨٢ والدرر الكامنة ١: ٢٩٤ والنجوم الزاهرة ١٠: ٥٠، ١٠٠، ١٠١، ١٠٢، ١٠٣، ١٠٤ والأعلام ١: ٢٢٣.

(٣) أبو بكر بن محمد بن قلاوون سيف الدين، الملك المنصور ابن الملك الناصر: من سلاطين الدولة القلاوونية بمصر والشام. وهو أول من ولى من أبناء الملك الناصر محمد بن قلاوون وكان أبوه قد عهد إليه بالسلطنة فتولاها بمصر بعد وفاته في أواخر سنة ٧٤١هـ فخلع الخليفة الواثق إبراهيم وأقام الحاكم بأمر الله أحمد بن سليمان وجعل الأمير قوصون أتابكًا للعساكر ثم تغير عليه وأرسله إلى السجن في قوص وأوعز إلى متولى قوص بقتله فقتله وأرسل إليه رأسه. ومدة سلطنته ثلاثة أشهر. انظر: البداية والنهاية ١٤: ١٩٠ و١٩١ والنجوم الزاهرة ١٠: ٣٠، ٣١ والأعلام ٢: ٦٩.

٣٢٠ سنة إحدى وأربعين وسبعمئة

وكجك^(١) ويوسف، وشعبان^(٢) ورمضان، وإسماعيل^(٣) وحاجي^(٤) وحسينا، وحسنًا^(٥) وصالحا، وسبع بنات، فولى السلطنة من أولاده ثمانية: وهم أبو بكر، وكجك، وأحمد، وإسماعيل، وشعبان، وحاجي، وصالح^(٦) وحسن.

وكانت نوابه بديار مصر كتبغا^(٧) وسلار، وييرس^(٨) الدوادار، وبكتمر الجوكندار

(١) كجك بن محمد بن قلاوون، علاء الدين الملك الأشرف ابن الملك الناصر: من سلاطين الدولة القلاوونية بمصر والشام نصبه الأتابكي «قوصون» بعد أن قتل أخاه المنصور أبا بكر سنة ٧٤٢هـ. وكان الأشرف طفلاً فأجلسه قوصون على السرير بمصر وتصرف هو في أمور المملكة. فاضطرت أحوالها فنار الأمير أيدغمش وخلع الأشرف واعتقله في دور الحرم فلبث بضع سنين ومات ومدة سلطنته خمسة أشهر وأيام. انظر: الدرر الكامنة ٣: ٢٦٥ والنجوم الزاهرة ١٠: ٢١١ و١٢٢ والبداية والنهاية ١٤: ١٩٢ و١٩٤ والأعلام ٥/ ٢٢٠.

(٢) شعبان بن حسين ابن الملك الناصر محمد بن قلاوون أبو المعالي، ناصر الدين من ملوك الدولة القلاوونية بمصر والشام ولى السلطنة بعد خلع ابن عمه محمد بن حاجي سنة ٧٦٤هـ وقام بأمر الدولة في أيامه أتابك العسكر الأمير يلبغا قاتل عمه الناصر، خالغ ابن عمه محمد المنصور بن حاجي في أيامه سنة ٧٦٧هـ. انظر: الدرر الكامنة ٢/ ١٩٠ والبداية والنهاية ١٤: ٣٠٢، ٣٢٤ والأعلام ٣/ ١٦٤.

(٣) إسماعيل بن محمد بن قلاوون أبو الفداء، علاء الدين الملقب بالملك الصالح ابن الملك الناصر: من ملوك الدولة القلاوونية بمصر والشام. بويغ بالسلطنة بمصر بعد خلع أخيه الناصر أحمد (أول سنة ٧٣٤هـ) إلى أن توفي عن نحو عشرين سنة بالقاهرة. انظر: البداية والنهاية ١٤: ٢٠٢-٢١٦ والنجوم الزاهرة ١٠/ ٧٨ والدرر الكامنة ١/ ٣٨٠ والأعلام ١/ ٣٢٤.

(٤) من ملوك الدولة القلاوونية بمصر والشام. ولى بالقاهرة بعد مقتل أخيه الكامل «شعبان» سنة ٧٤٧هـ. ومدة سلطنته سنة وأربعة أشهر وسمى بالحاجي لأنه ولد في طريق عودة أبيه من الحج. انظر: الدرر الكامنة ٢: ٣ والبداية والنهاية ١٤: ٢١٩ والنجوم الزاهرة ١٠: ١٤٨-١٧٤ والأعلام ٢/ ١٥٣.

(٥) الناصر بن محمد الناصر بن قلاوون أبو الخاسن: من ملوك الدولة القلاوونية بمصر والشام وبويغ بمصر، صغيراً بعد مقتل أخيه حاجي المظفر سنة ٧٤٨هـ وكان اسمه قماري فلما ولى السلطنة سمى (حسنًا). انظر: البداية والنهاية ١٤: ٢٢٤-٢٧٨ و٢٧٩ والأعلام ٢/ ٢١٦.

(٦) صالح: الملك الصالح صلاح الدين بن محمد الملك الناصر بن قلاوون: من ملوك الدولة القلاوونية بمصر والشام. ولد بقلعة الجبل بالقاهرة وبويغ بها بعد خلع أخيه حسن (سنة ٧٥٢هـ). مدة سلطنته ثلاث سنين وثلاثة أشهر ونصف. انظر: البداية والنهاية ١٤: ٢٣٩ والنجوم الزاهرة ١٠: ٢٥٤-٢٨٧ والدرر الكامنة ٢/ ٢٠٣، ٤٠٢ والأعلام ٣/ ١٩٥.

(٧) كتبغا بن عبد الله المنصوري، زين الدين، الملقب بالملك العادل: من ملوك المماليك البحرية في مصر والشام. أصله من سبى التتار من عسكر «هولاكو» أخذه الملك المنصور «قلاوون» في وقعة حمص الأولى سنة ٦٥٩هـ وجعله من مماليكه. وتسلطن كتبغا سنة ٦٩٤هـ وتلقب بالملك العادل=

وأرغون الدوادار، ولم يستتب بعد أرغون أحد.

وكانت وزراؤه سنجر الشجاعى، وتاج الدين محمد بن حنا، وفخر الدين عمر بن الخليلى، وسنقر الأعسر، وعز الدين أيك البغدادى، ومحمد بن الشيخى، وأيك الأشقر - وسمى المدبر -، وسعد الدين محمد بن عطايا، وضياء الدين أبو بكر بن عبد الله النشائى، وبدر الدين محمد بن التركمانى^(١) وأمين الدين عبد الله بن الغنام، وبكمر الحاجب، ومغلطاي الجمالى. ولم يستوزر بعد الجمالى أحدًا.

وكانت قضاته تقى الدين محمد بن دقيق العيد^(٢) وبدر الدين محمد بن جماعة^(٣) وجمال الدين سليمان الزرعى^(٤) وجلال الدين محمد بن القزوينى^(٥) وعز الدين عبد

= وانتقل إلى مملكة حماة سنة ٦٩٩هـ واستمر إلى أن توفى بها ثم نقلت جثته إلى دمشق. وكان شجاعاً ديناً. انظر: ابن إياس ١: ١٣٣ والنجوم الزاهرة ٨: ٥٥ والأعلام ٥/ ٢١٩.

(٨) بيبرس المنصورى الخطائى الدوادار ركن الدين: مؤرخ من الأمراء بمصر. ولد وتوفى بها عن نحو ثمانين عاماً وكان من ممالك المنصور قلاوون. له تصانيف منها «زبدة الفكرة فى تاريخ الهجرة - خ» ويقع فى «مجلدًا» و«التحفة المملوكية فى الدولة التركية - خ» فى تاريخ السلاطين المماليك من سنة ٦٤٧هـ إلى ٧٢١هـ. انظر: النجوم الزاهرة ٩: ٦٣ والدرر الكامنة ١: ٥٠٩ والأعلام ٢/ ٨٠.

(١) محمد بن عيسى، بدر الدين، ابن التركمانى: باني «جامع المقياس» بمصر. كان وزيراً بها، وزحف إلى مكة للقبض على الشريف حميضة، فنزلها وطرده العبيد، ونادى بالعدل ونقل أميراً إلى الشام ومنها إلى «شد الدواوين» بطرابلس (سنة ٧٢٦هـ) ثم عاد إلى القاهرة وتوفى بها. انظر: البداية والنهاية ١٤: ١٨١ والدرر الكامنة ٤: ١٣٢ والأعلام ٦/ ٣٢٣

(٢) محمد بن على بن وهب بن مطيع، أبو الفتح، تقى الدين القشبرى، المعروف كأبيه وحده بابن دقيق العيد: قاض من أكابر العلماء بالأصول، مجتهد. أصل أبيه من منفلوط. بمصر انتقل إلى قوص، وولد له ابنه فى ينبع فنشأ بقوص وتعلم بالقاهرة وولى قضاء الديار المصرية سنة ٦٩٥هـ فاستمر إلى أن توفى بالقاهرة. له تصانيف منها إحكام الأحكام فى الحديث. انظر: الدرر الكامنة ٤/ ٩١ وفوات الوفيات ٢/ ٢٤٤ والأعلام ٦/ ٢٨٩.

(٣) محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة الكنانى الحموى الشافعى، بدر الدين أبو عبد الله: قاض، من العلماء بالحديث وسائر علوم الدين، ولد فى حماة وتوفى بمصر. له تصانيف منها «المنهل الروى فى الحديث النبوى». انظر: فوات الوفيات ٢/ ١٧٤ والنجوم الزاهرة ٩/ ٢٩٨ والدرر الكامنة ٣/ ٢٨٠ والأعلام ٥/ ٢٩٧، ٢٩٨.

(٤) سليمان بن عمر بن سالم الزرعى، جمال الدين، أبو الربيع: قاضى القضاة من فقهاء الشافعية. أصله من المغرب. ولد بأذرعوات وتوفى بمصر. انظر: الدرر الكامنة ٢/ ١٥٩ والبدية والنهاية ١٤/ ١٦٧ والنجوم الزاهرة ٩/ ٣٠٤ والأعلام ٣/ ١٣١.

(٥) محمد بن عبد الرحمن بن عمر أبو المعالى، جلال الدين القزوينى الشافعى المعروف بخطيب دمشق: قاض من أدباء الفقهاء أصله من قزوين ومولده بالموصل. من كتبه «تلخيص المفتاح» فى =

العزیز بن جماعة^(١).

وكان كتاب سره شرف الدين عبد الوهاب بن فضل الله، وعلاء الدين على بن الأثير، ومحيي الدين يحيى بن فضل الله، وعلاء الدين على بن فضل الله. كان دوادارته عز الدين أيدير، وأرغون، وأرسلان، وأجاي، ويوسف بن الأسعد، وبغا، وطاجار.

وكان نظار جيشه بهاء الدين عبد الله بن أحمد الحلبي، والفخر محمد بن فضل الله القبطي، وقطب الدين موسى بن شيخ السلامية، وشمس الدين موسى بن التاج إسحاق، والمكين إبراهيم بن قروينة، وجمال الكفاة إبراهيم. تم ذلك.

السلطان الملك المنصور أبو بكر بن الملك الناصر محمد بن الملك المنصور

قلاوون^(٢)

جلس على تخت السلطنة بالإيوان من قلعة الجبل بعهد أبيه له صبيحة توفى والده، من يوم الخميس حادى عشرى ذى الحجة، سنة إحدى وأربعين وسبعمائة. ولقبه الأمراء الأكابر بالملك المنصور، وجلسوا حوله، واتفقوا على إقامة الأمير سيف الدين طُقْرُذْمُرَ الحموى - زوج أمه - نائب السلطنة بديار مصر، وأن يكون الأمير قوصون مدبر الدولة ورأس المشورة، ويشاركه فى الرأى الأمير بشتاك.

ورسّم بتجهيز التشاريف والخلع، وعين الأمير قطلو بغا الفخرى لتعزية نواب الشام بالسلطان الناصر محمد، والبشارة بسلطنة ابنه وتخليفهم. ويكون صحبتته تقاليدهم، فتوجه من يومه.

= المعانى والبيان، و«الإيضاح فى شرح التلخيص». انظر: البداية والنهاية ١٨٥/١٤ والنجوم الزاهرة ٣١٨/٩ والدرر الكامنة ٣/٤ والأعلام ١٩٢/٦.

(١) عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم بن جماعة الكنانى، الحموى الأصل، الدمشقى المولد، ثم المصرى، عز الدين، الحافظ قاضى القضاة. ولى قضاء الديار المصرية سنة ٧٣٩هـ وجاور بالحجاز ومات بمكة وكتبه «هدية السالك إلى المذاهب الأربعة فى المناسك» و«المناسك الصغرى». انظر: الدرر الكامنة ٣٧٨/٢ والأعلام ٢٦/٤.

(٢) أبو بكر محمد بن قلاوون، سيف الدين، الملك المنصور ابن الملك الناصر من سلاطين الدولة القلاوونية بمصر والشام وهو أول من ولى من أبناء الملك الناصر محمد بن قلاوون وكان أبوه قد عهد إليه بالسلطنة، فتولاها. بمصر بعد وفاته فى أواخر سنة ٧٤١هـ. انظر بدائع الزهور ١٧٦/١ والبداية والنهاية ١٩١، ١٩٠/١٤ والنجوم الزاهرة ٣٠/١٠، والأعلام ٦٩/٢.

وفيه نودى بالقاهرة ومصر أن يتعامل الناس بالفضة والذهب بسعر الله، فسر الناس ذلك، فإنهم كانوا منعوا من المعاملة بالفضة، وألا يكون معاملتهم إلا بالذهب.

وفيه أفرج عن بركة الحبش وقف الأشراف، وكان النشو قد أخذها منهم، وصار ينفق فيهم من بيت المال.

وفيه كتب إلى ولاة الأعمال برفع المظالم، وألا يُرمى على بلاد الأجناد شعير ولا تين.

وفي يوم الخميس ثامن عشره: أنعم على عشرة بإمرات طبلخانة.

وفي يوم السبت سلخه: جمع القضاة بجامع القلعة للنظر في أمر الخليفة الحاكم بأمر الله أحمد بن أبي الربيع سليمان^(١) وإعادةه إلى الخلافة، وحضر معهم الأمير طاجار الدوادر وغيره.

فاتفقوا على إعادةه، لعهد أبيه إليه بالخلافة، بمقتضى مكتوب ثابت على قاضى قوص.

وفيه، فرقت التشاريف والخلع على الأمراء. ليلبسوها فى يوم الخدمة من العام المقبل. وفيه أقيم الأمير قوصون فى تدبير أمور الدولة.

ومات فى هذه السنة من الأعيان

الأمير سيف الدين الحاج قطز الظاهري، أحد أمراء الطبلخانة، وقد أناف على مائة سنة وهو آخر من بقى من المماليك الظاهرية بيبرس وكان مشكوراً.

ومات الأمير ناصر الدين محمد بن الأمير بدر الدين جنكلى بن البابا، فى يوم الرابع والعشرين من رجب. وكان فقيهاً أدبياً شاعراً جواداً.

وتوفى الصاحب أمين الدين أمين الملك أبو سعيد عبد الله بن تاج الرياسة بن الغنم تحت العقوبة مخنوقاً، يوم الجمعة رابع جمادى الأولى. ووزر الصاحب أمين الدين ثلاث مرات، وباشر نظر الدولة واستيفاء الصحبة والدولة، وخدم من الأيام الأشرفية فولى بمصر ودمشق وطرابلس، وحسن إسلامه وكان رضى الخلق.

(١) أحمد بن المستكفى بالله سليمان ابن الحاكم بأمر الله الأول، أبو القاسم، الحاكم بأمر الله الثانى: من خلفاء الدولة العباسية الثانية بمصر. بويغ سنة ٧٤٢ هـ، ولبس السواد، وخطب خطبة بليغة وخلع على بعض الأمراء والأعيان. استمر إلى أن مات فى القاهرة. انظر الدرر الكامنة ١٣٧/١ والبداية والنهاية ١٩١/١٤ وبدائع الزهور ٢٠٠/١ وابن الوردى ٣٣١/٢ وتاريخ الخميس ٣٨٢/٢ والنجوم الزاهرة ٢٨٤/١٠ الأعلام ١٣٣/١.

ومات الأمير علاء الدين مغلطاى العزى نائب آياس والفتوحات الأندلسية بها وكان مشكور السيرة.

ومات طوغان الشمسى سنقر الطويل والى الأشمونين وشاد الدواوين بمصر والشام، وهو منفى بالشام وكان ظالما غشوما مذموم السيرة.

ومات الأمير أنوك ابن السلطان الناصر محمد، فى يوم الجمعة سابع ربيع الأول، فاشتد حزن والده السلطان عليه.

وتوفى الشيخ المعتقد عز الدين عبد المؤمن بن قطب الدين أبى طالب عبد الرحمن بن محمد بن الكمالى أبى القاسم عمر بن عبد الرحيم بن عبد الرحمن بن الحسن المعروف بابن العجمى الحلبي الشافعى بمصر. تزهد بعد الرياسة والاشتغال بالعلم وكتابة الخط المنسوب، وحج ماشياً من دمشق، وجاور بمكة مرارا، وقدم مصر سنة اثنتين وثلاثين، وأقام بها حتى مات. وكان لا يقبل لأحد شيئا، ويقوم حاله من وقف أبيه بحلب، وتزىا بزى الصوفية، وكان فيه مروءة، وله مكارم وصدقات، وله شعر جيد.

وتوفى افتخار الدين جابر بن محمد بن محمد الخوارزمى الحنفى شيخ المدرسة الجاولية بالكبش، فى يوم الخميس السادس عشر المحرم. وكان بارعا فى النحو شاعرا.

وتوفى عز الدين عبد الرحيم بن نور الدين على بن الحسن بن محمد بن عبد العزيز ابن محمد بن الفرات، أحد نواب القضاة الحنفية، فى ليلة الجمعة ثانى عشرى ذى الحجة.

وتوفى أوحد الدين بالقُدس فى رابع عشرى شعبان.

ومات الأمير شمس الدين قراسنقر المنصورى نائب حلب، ببلاد المراغة^(١)، وقد أقطعه إياها أبو سعيد بن خربندا. وكان موته بمرض الإسهال وقد أعيا الملك الناصر قتله، وبعث إليه كثيرا من الفداوية، فصانه الله منهم، بحيث قتل من الفداوية بسببه نحو مائة وأربعة وعشرين فداويا. ولما بلغ السلطان الناصر محمد موته قال: «والله ما كنت أشتهى موته إلا من تحت سيفى، وأكون قد قدرت عليه وبلغت مقصودى ولكن الأجل حصين».

وكانت له مع الفداوية أخبار طويلة: منها أن السلطان الناصر محمد أعطى يونس التاجر مالا كثيرا، وبعثه إلى توريث ليتخذ له بها أصحابا يثق بهم حتى يرد إليه الفداوية

(١) بلد مشهورة عظيمة وأشهر بلاد أذربيجان. انظر معجم البلدان ٩٣/٥.

فيأروا عنده، وعرف يونس بمقاصده. ثم إن السلطان تَلَطَّفَ مع صاحب مصياف^(١)، وبذل له مالا كثيرا حتى ندب له من الفداوية طائفة. فبعثهم السلطان إلى يونس فأواهم وأعلمهم بالغرض، فانتظروا وقتا يصلح للوثوب مدة أيام إلى أن ركب النوين الكبير جوبان يريد مدينة توريز، وركب أقوش الأفرم وقراسنقر إلى جانبيه. فخرج اثنان من الفداوية، أحدهما للأفرم والآخر لقراسنقر، فبدر أحدهما وضرب أقوش الأفرم، فاتقى الضربة بيده، وكان عليه قرضية، فانشق كفه وجرحته يده، وجبَّ الأخر عن قراسنقر، فقتل الفدواي. ووقع الحذر، وكبست الفنادق والخانات بتوريز، وقبض على يونس، فقام الوزير ناصر الدين خليفة بن خواجا على شاه معه حتى تخلص من القتل. ولم يصب قراسنقر بسوء، وعولج الأفرم حتى برئ من جراحته واحترسا على أنفسهما

ومن غرائب الاتفاق فيما سبق أنه كان لقراسنقر فراش من العليقة، وله معرفة بأهل مصياف، فاتبع نواحي توريز حتى ظفر بفدواي أرسله السلطان الناصر محمد لقتل قراسنقر، فإذا هو أخوه، فاستماله وقربه من قراسنقر. فأعطاه قراسنقر مائة دينار ورتب له في كل شهر ثلاثمائة درهم، وخدم عنده فراشا رفيقا لأخيه، وزاد في الإنعام عليه حتى بلغت عطيته له خمسمائة دينار. فأعلم هذا الفدواي قراسنقر بما ندب إليه من قتله، وضمن له أنه يعرفه بجميع من يرد من الفداوية. فسر قراسنقر بذلك وأعلم جوبان والوزير ناصر الدين خليفة، فكبسوا على جماعة ممن دلَّهم عليهم، فظفروا، وافر بعضهم، وقتل بعضهم نفسه، وجيء بالفدواي المقبوض عليه، فعوقب حتى مات ولم يعترف بشيء.

واشدد الأمر بتوريز وغيرها على الغرباء، وقصاد السلطان تطالعه بذلك في كل وقت، إلى أن كتبوا إليه نائب بغداد بلغه عن تاجر أنه اشترى مملوكين للسلطان بمائة وعشرين ألف درهم، فأحضر نائب بغداد التاجر وألزمه بإحضارهما، فافتدى بأربعمائة دينار حتى تركه، وأخرجه من بغداد. فبعث التاجر بطائفة من الفداوية لقتله، وقتل قراسنقر، فتفرقوا بالأردو وتوريز وبغداد، وأقاموا في الانتظار لانتهاز الفرصة. فبينما نائب بغداد يوما وقد مر في الشارع، إذ وثب عليه أحد الفداوية وصاح: «يا للملك الناصر»، وضربه بالخنجر في صدره، ومر يعدو فلم يُقدَّر عليه. وعاد الفدواي إلى مصياف، وكتب إلى السلطان الناصر محمد بما جرى وقتل نائب بغداد. فلما بلغ ذلك قراسنقر وجوبان اشدد حذرهما، وألزم قراسنقر فرأشه وأخاه الفدواي حتى دلاه على

(١) حصن حصين مشهور للإسماعيلية بالساحل الشامي قرب طرابلس. انظر معجم البلدان

أربعة من الفداوية، فقبض عليهم، فاعترف أحدهم، وحكى له المنبر بنصه فقتلوا وشهروا. وأقام رجال جوبان مدة في طلب الفداوية، فلم يدخل منهم أحد إلا ظفر به. فلما قدم المجد السلامى إلى القاهرة وصحب كريم الدين الكبير، واتصل بالسلطان، أقامه السلطان عينا له ببلاد الشرق، وبعثه بالهدايا والتحف. فصحب المجد السلامى جوبان والوزير، ولزمهما، وطالع السلطان بالأحوال. ثم بعث السلطان إليه بعدة من الفداوية، وكان من لطف الله به أنه يوم قدم المجد السلامى توريث قبضَ بها على ثلاثة من أربعة من الفداوية، وفرّ الرابع الذى معه كتاب السلطان إليه. فعوقب الثلاثة حتى ماتوا، ولم يعترفوا بشيء ووصل الذى فرّ إلى مصياف وكتب إلى السلطان بما جرى. فما زال السلامى يقرّر الصلح بين الوزير خواجاه على شاه وجوبان وبين السلطان إلى أن تم، وشرطوا فيه ألا يدخل إليهم فداوى.

ثم حدث أنه بينما قراسنقر فى عدة من أمراء الساحل يتصيد إذ وثب عليه من خلفه فداوى وضربه، فوقعت الضربة فى خاصرة الفرس، ألقى قراسنقر نفسه إلى الأرض فسلم، وقتل أصحابه الفداوى. ثم لما توجه الأمير أيتمش بن عبد الله المحمدى الناصرى فى المرة الثانية إلى أبى سعيد بعث السلطان الناصر فى أثره فداويين قبض على أحدهما، وقتل الآخر نفسه، فلم يعترف المقبوض عليه بشيء حتى مات قتلا بحضور أيتمش. وعتب جوبان على أيتمش بسبب ذلك، وأنه وقع الصلح على ألا يدخل أحد من هؤلاء إلينا، فاعتذر أيتمش بأن هؤلاء إن كانوا فداوية فقد كانوا فى البلاد من قبل تقرير الصلح، وضمن أن السلطان لا يعود إلى إرسال أحد منهم. فمشى ذلك على جوبان، وأعيد أيتمش إلى مصر.

فلما عاد المجد السلامى أيضا بعث السلطان إلى مصياف بالإنكار على الفداوية فى تأخر قضاء شغله، فأرسلوا إليه رجلا منهم ليقوم بما يؤمر به، فخلا به السلطان وعرفه مقاصده، وأنزله عند كريم الدين بحيث لا يراه أحد، فكان راتبه فى كل يوم خروفا يأكله كله فى كشك من أول النهار، ثم يأكل فى وسط النهار دجاجا أو أوزا أو لحما مشويا، ثم يتعشى بثلاثة ألوان من الطعام، ويشرب فى كل يوم ستين رطلا من الخمر. فأقام الرجل الفداوى على ذلك أربعة وثلاثين يوما، ثم سافر لقصده. وتسلم القاصد الذى يدلّه على الغريم السكين ليعطيها للرجل الفداوى، وقد ختمت. وتوجه السلامى أيضا بهدية جلييلة، فوصل الجميع إلى البلاد. وخفى أمر الفداوى حتى كان يوم عيد الفطر، ودخل الناس يهنون أبى سعيد وجوبان، وفيهم قراسنقر، ثم انصرفوا بعد أكلهم إلى الوزير خواجاه على شاه، وأكلوا طعامه. ثم بعث السلامى إلى الفداوى فأحضره،

وأوقفه بطريق قراسنقر، ودخل رفيقه حتى ينظر وقت فراغ قراسنقر من الطعام ليعرف به الفداوى. فاتفق أن قراسنقر قام ومشى إلى أثنا الدهاليز، وقد سبقه القاصد وعرف به الفداوى، وأعطاه السكين ووصف له شكله وزى ثيابه، وقال له هو أول من يركب. فعندما وضع قراسنقر رجله فى الركاب استدعاه الوزير، فعاد، وقد قام دمرداش نائب الروم من المجلس، وكان فيه شبه من قراسنقر وخلعته التى عليه حمراء مثل خلعة قراسنقر فعندما ركب دمرداش وتوسط الطريق مرّ بالفداوى، فظنّه قراسنقر، فألقى نفسه من سطح كان فوقه، فصار على كفل الفرس وصاح بسعادة السلطان الملك الناصر محمد، وضربه فى رقبتة ألقاه عن فرسه قتيلا. وقام الفداوى يعدو، فأدركه القوم وأحضره إلى جوبان، فاتهم بأنه كان مع السلامى، فلولا لطف الله به وعناية الوزير لقتل السلامى شر قتلة وقتل الفداوى بعد ما عوقب أشد العقوبة، ولم يعترف بشيء.

ومما حدث كذلك أنه بينا قراسنقر فى بعض الأعياد، وقد خرج مع أمراء المغل من حضرة أبى سعيد إلى عند جوبان، إذ وثب عليه فداوى، فألقى قراسنقر نفسه إلى الأرض فوق الفداوى عليه وضربه بالسكين فأخطأه، ووقعت السكين فى الأرض. ففُطِعَ الفداوى فوق صدر قراسنقر قطعاً، وأقيم قراسنقر وقد خرب شاشه، وطاحت الكلفتاه^(١) عن رأسه، وكاد عقله أن يذهب.

وكان قراسنقر أحد ممالك المنصور قلاوون، عمله كوكندار، ثم ترقى حتى ولى نيابة حلب، ونيابة دمشق. وكان كبير القدر، بشوش الوجه، صاحب رأى وتدبير ومعرفة، وبلغت عدة مملكته ستمائة مملوك. وكان كثير العطاء لا يستكثر على أحد شيئاً، وكان مهاباً كثير المال، وترك ولدين هما أمير على، وأمير فرج، وإليه تنسب المدرسة القراسنقرية بخط رحبة باب العيد من القاهرة، ودار قراسنقر بجارة بها الدين.

ومات الأمير تنكز نائب الشام، يوم الثلاثاء نصف المحرم.

* * *

(١) الكلفتاه أو الكلفة أو الكلفتة وهى غطاء الرأس على شكل طاوية صغيرة تلبس وحدها أو

سنة اثنتين وأربعين وسبعمائة

أهل الحرم بيوم الأحد:

ففى يوم الإثنين ثانيه: خلع على جميع الأمراء والمقدمين فى الموكب بدار العدل، وذلك أن الأمراء طلوعوا بخلعهم التى فرقت عليهم كما تقدم، وطلع القضاة فاجتمعوا بدار العدل. وجلس الخليفة الحاكم بأمر الله أبو العباس أحمد بن أبى الربيع سليمان على الدرجة الثالثة من تحت السلطنة، وعليه خلعة خضراء وفوق عمامته سوداء مرقومة. ثم خرج السلطان من باب السر على العادة، فقام الخليفة والقضاة ومن كان جالسا هناك من الأمراء. وجلس السلطان على الدرجة الأولى دون الخليفة، فقام الخليفة وافتتح الخطبة بقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ، وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى، وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ، يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا، وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾^(١) ثم أوصى السلطان بالرفق بالرعية، وإقامة الحق وتعظيم شعائر الإسلام ونصرة الدين، ثم قال: «فوضتُ إليك جميع أحكام المسلمين، قلدتك ما تقلدته من أمور الدين»، ثم تلا قوله تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾^(٢).

وجلس الخليفة فحجى فى الحال بخلعة سوداء فألبسها الخليفة للسلطان بيده، وقلده سيفا عربيا. وأخذ علاء الدين على بن فضل الله كاتب السر فى قراءة عهد الخليفة للسلطان حتى فرغ منه، ثم قدمه للخليفة، فكتب عليه، ثم كتب بعده القضاة بالشهادة عليه. ثم قدم السماط، فأكل الأمراء وانفضت الخدمة.

وفى يوم الأربعاء رابعه: كان ابتداء زيادة النيل.

وفى يوم الخميس خامسه: قدم الأمير بيغرا من عند أمير أحمد بن الناصر محمد بن قلاوون^(٣)، وقد حلفه بمدينة الكرك لأخيه السلطان الملك المنصور.

(١) سورة النحل الآية (٩٠، ٩١).

(٢) سورة الفتح آية (١٠).

(٣) أحمد بن محمد بن قلاوون، شهاب الدين ابن الملك الناصر من ملوك الدولة القلاوونية بمصر ولد بالقاهرة، وأرسله أبوه إلى الكرك ليتعلم الفروسية فاستمر فيها أيام أبيه الناصر الأول وأخوه أبو =

وفيه أنعم على الأمير يئلك العلائى الساقى بإمرة البروانى، وأنعم بعشرته على مغلطاي أمير شكار، وأنعم على بززار الساقى بطبلخاناة أمير حاج ملك بن أيدغمش.

وفي عصر يوم الأحد ثامن: قبض على أمير بشتاك الناصرى، وذلك أنه طلب أن يستقر فى نيابة الشام، ودخل على الأمير قوصون وسأله فى ذلك، وأعلمه أن السلطان الناصر محمد كان قبل موته وعده بها وألح بشتاك فى سؤاله، وقوصون يدافعه ويحتج عليه أنه قد كتب إلى ألطنبغا الصالحى نائب الشام تقليدًا باستقراره فى نيابة الشام على عادته، فلا يليق عزله سريعًا. فقام بشتاك عنه وهو غير راض، فإنه كان قد توهم من قوصون، وخشى منه لما كان بينهما قديمًا من المنافرة، ولأنه قد صار المتحكم فى الدولة، فطلب أن يخرج من مصر، ويبعد عنه. فلما لم يوافق قوصون على ذلك سعى فيه بخاصكية السلطان، وحمل إليهم مالا كثيرًا فى السر، وبعث إلى الأمراء الكبار يطلب منهم المساعدة على قصده، فمزالوا بالسلطان حتى أنعم له بنيابة الشام. وطلب السلطان الأمير قوصون وأعلمه بذلك، فلم يوافقه وغض من بشتاك، وآخر ما قرره مع السلطان أنه يحدث الأمراء فى ذلك، ويعدهم بأنه يولى بشتاك إذا قدم الأمير قطلوبغا الفخرى بنسخة اليمين من الشام. فلما دخل الأمراء عرفهم السلطان طلب بشتاك نيابة الشام، فأخذوا فى الثناء عليه والشكر، فاستدعاه السلطان وطيب خاطره، ووعد بهما عند قدوم قطلوبغا، وتقدم إليه بأن يتجهز للسفر.

فظن بشتاك أن ذلك صحيح، وقام مع الأمراء من الخدمة، وأخذ فى عرض خيوله، وبعث لكل من أكابر الأمراء المقدمين ما بين ثلاثة أرؤس إلى رأسين من الخيل بالقماش الفاخر، وبعث معها أيضًا الهجن المهرية^(١). ثم بعث بشتاك إلى الأمراء الخاصكية، مثل ملكتمر الحجازى، وطاجار بن عبد الله الناصرى الدوادار، وبلغا اليحياوى، وألطنبغا الماردانى، وتنكرز بغا بن عبد الله الماردينى، شيئًا كثيرًا من الذهب والجوهر واللؤلؤ والتحف، وفرق عدة من الجوارى فى الأمراء، بحيث لم يبق أحد من الأمراء إلا وأرسل إليه، ثم فرق بشتاك على مماليكه وأجناده وأخرج ثمانين جارية من جواريه أعتقهن وزوجهن من مماليكه، بعد ما شورهن باللؤلؤ والزرركش، وغير ذلك مما له قيمة كبيرة جدًا. وفرق بشتاك من شوته على الأمراء اثنى عشر ألف أردب غلعة، وزاد حتى وقع

= بكر المنصور والأشرف كجك وتولى السلطنة سنة ٧٤٢هـ. وكانت مدة حكمه بمصر ٧٢ يومًا. انظر ابن إياس ١/ ١٧٩ و ١٨٢ والدرر الكامنة ١/ ٢٩٤ والبداية والنهاية ١٤/ ١٩٣ والنجوم الزاهرة ١٠/ ٥٠ والأعلام ١/ ٢٢٣.

(١) نسبة إلى قبيلة مهرة.

الإنكار عليه، واتهمه السلطان والأمير قوصون بأنه يريد التوثب على الملك وعملوا هذا من فعله حجة للقبض عليه وكان ما خص الأمير قوصون من تفرقة هذه حجرتين من حجارة معاصر قصب السكر، بما فيها من القنود والأعمال والأبقار والأغلال والآلات، وخمسمائة فدان من القصب مزروعة فى أرض ملك له، فأدهش الأمراء بكثرة عطائه، واستغنى منه جماعة من مماليكه.

ولما كثرت القالة فيه بأنه يزيد إفساد الدولة خلا به بعض خواصه وعرفه ذلك، وأشار عليه بإمساك يده عن العطاء، فقال لهم: «إذا قبضوا على أخذوا مالى، وأنا أحق به منهم أن أفرقه وأسر به إذا بذلته، ويبقى لى مكارم على الناس أذكر بها، وإذا سلمت فالمال كثير». هذا وقد قام قوصون فى أمر بشتاك، وما زال بالسلطان حتى قرر معه القبض عليه عند قدوم قطلوبغا الفخرى. وأشاع قوصون أن بشتاك يريد القبض على قطلوبغا، فبلغ ذلك بعض خواص قطلوبغا، فبعث إليه من تلقاه وعرفه ما وقع من تجهيز بشتاك، وأنه على عزم من أن يلقاك فى طريقك ويقتلك، فكن على حذر، فأخذ قطلوبغا من الصالحية يحرز على نفسه حتى نزل سرياقوس.

واتفق من الأمر العجيب أن بشتاك خرج إلى حوشه بالريديانية خارج القاهرة؛ ليعرض هجنه وجماله، فطار الخبر إلى قطلوبغا الفخرى بأن بشتاك قد خرج إلى الريديانية «فى انتظارك»، فاستعد ولبس السلاح من تحت ثيابه، وسار وقد تلقاه عدة من مماليكه وهو على أهبة الحرب. وعرج قطلوبغا عن الطريق، وسلك من تحت الجبل لينجو من بشتاك، وكان عند بشتاك علم من قدومه. فلما قرب قطلوبغا من الموضع الذى فيه بشتاك لاحت له غيرة خيله، فجلس أنه قطلوبغا قد قدم، فبعث إليه أحد مماليكه يبلغه السلام، ويعرفه أن يقف حتى يأتيه ليجتمع به. فلما بلغ قطلوبغا ذلك زاد خوفه من بشتاك، وقوى عنده صحة ما بلغه عنه، فقال للمملوك: «سلم على الأمير، وقل له لا يكن اجتماعى به ولا بأحد حتى أقف قدام السلطان، ثم بعد ذلك أجمع به». فمضى مملوك بشتاك، وفى ظن قطلوبغا أنه إذا بلغه مملوكه الجواب ركب إليه، فأمر مماليكه أن يسيروا قليلا قليلا، وساق بمفرده مشوارا^(١) واحدا إلى القلعة. ودخل قطلوبغا على السلطان وبلغه طاعة النواب وفرحهم بأيامه. ثم أخذ يعرف السلطان والأمير قوصون وسائر الأمراء ما اتفق له مع بشتاك، وأنه كان يريد معارضته فى طريقه وقتله، فأعلمه السلطان وقوصون بما اتفقا عليه من القبض على بشتاك.

(١) المشوار هنا معناه الشوط الواحد من المشى أو الركوب.

فلما كان عصر هذا اليوم، دخل الأمراء إلى الخدمة على العادة بالقصر، وفيهم الأمير بشتاك، وأكلوا السمات، تقدم الأمير قطلوبغا الفخرى والأمير طقزدمر الناصرى الساقى إلى بشتاك، وأخذ سيفه وكتفاه. وقبض معه على أخيه أيوان وعلى طولوتر ومملوكين من المماليك السلطانية كانا يلودان به. وقيدوا جميعا. وسفروا إلى الإسكندرية فى الليل صحبة الأمير أسندمر العمري. وقبض على جميع مماليكه، وأوقعت الحوطة على دوره وإصطبلاته، وتتبع غلمانته وحاشيته.

وأنعم من إقطاع بشتاك على الأمير قوصون بخصوص الشرق^(١) زيادة على إقطاعه، وأخذ السلطان المطرية^(٢) ومنية ابن خصيب^(٣) وشيرا. وفرق السلطان بقية إقطاع بشتاك على ملكمتر الحجازى وغيره من الأمراء.

فلما أصبحوا يوم الإثنين تاسعه قبض على المجد السلامى، واتهم بأن لبشتاك عنده جواهر مودعة.

وفيه حملت حواصل بشتاك، وهى من الذهب مائتا ألف دينار مصرية، ومن اللؤلؤ والجواهر والحوائض الذهب والكلفته الزركش شىء كثير جدا. ومن الغلال أحد عشر ألف أردب، سوى ما تقدم ذكره مما أنعم به شتاك وفرقه.

وفيه أخرج أحمد شاد الشراب خاناه إلى طرابلس، لنقله كلاما بين الأمراء، وليلة مع شتاك.

وفى الخميس ثانى عشره أنعم على كل من شعبان ورمضان أخوى السلطان بإمرة وفيه قبض على الأمير ناصر الدين محمد بن بكمتر الحاجب وأنعم من الغد بإمرته على أخيه جمال الدين عبد الله بن الحاجب.

وفى يوم الإثنين ثالث عشره: خلع على الأمير طقزدمر، واستقر فى نيابة السلطنة، فجلس فى دست النيابة، وحكم وسرف الأمور.

وفيه أيضا خلع على الأمير نجم الدين محمود بن على بن شروين المعروف بوزير بغداد، واستقر فى الوزارة.

(١) المقصود هنا بلدة اسمها أبنوب بمديرية أسيوط بمصر.

(٢) من قرى مصر عندها الموضع الذى به شجر البلسان الذى يستخرج منه الدهن، وفى جانبها

الشمالى عين شمس القديمة. انظر معجم البلدان ١٤٩/٥.

(٣) مدينة كبيرة حسنة كثيرة الأهل والسكن على شاطئ النيل فى الصعيد الأدنى. انظر معجم

البلدان ٢١٨/٥.

وفى يوم الثلاثاء رابع عشرية: قدم محمل الحاج من الحجاز، صحبة ملكتمر الحجازى وفيه أيضاً قدم الأمير ناصر الدين محمد بن ييلبك الحسنى من دمشق على البريد بالاستدعاء.

وفيه أنعم الأمير ناصر الدين محمد بن الأمير بكمتر الساقى أحد العشرات، بإمرة طبلخاناة وقدم البريد من حلب بأن الأمير بن فياض^(١) وسليمان بن مهنا^(٢) وأخوتهما قطعوا الطريق على التجار، عندما بلغهم أن أميرهم موسى بن مهنا^(٣) قد قبض عليه، بعد موت السلطان الناصر محمد، وكان موسى قد خلع عليه وسافر.

وفى يوم الإثنين سلخه: قبض على الأمير آقبغا عبد الواحد وأولاده، وخلع على الأمير طقتمر الأحمدى، وأستقر أستاذار عوضه. وسبب ذلك أنه فى أيام السلطان الملك الناصر قد ولى الأستاذارية وتقدمة الممالك وشد العمائر، وتحكم فى سائر الأمور وأرباب الأشغال، وعظمت مهابته. فاتفق أنه غضب على فراش له، وضرباً مبرحاً كما هى عادته. فخدم الفراش عند أبى بكر ابن السلطان؛ ليحميه من آقبغا، فبعث آقبغا فى طلبه، فمنعه أبو بكر، وأرسل مع مملوكه يقول له: «أريد أن تهبنى هذا الفراش» فأغلظ آقبغا على المملوك وسبه، وقال «قل له يرسل الفراش وهو جيد له» وكان أبو بكر قبل ذلك خرج من الخدمة السلطانية إلى بيته، وآقبغا يضرب مملوكا، فوقف وشفع فيه، فلم يعبأ به آقبغا، ولا قبل شفاعته، وسار واقفا وآقبغا قاعد، فانصرف أبو بكر وقد خجل. فلما أعاد مملوكه جواب آقبغا غضب وحلف لئن صار سلطانا ليصادرنه وليضربنه

(١) فياض بن مهنا بن عيسى بن مهنا الفضلى: أمير العرب فى بادية ما بين سورية والعراق، من آل فضل. ولى الإمرة بعد أخيه أحمد لسنة ٧٤٩ هـ، فى أيام الناصر القلاوونى، ثم عزل بأخيه حيار وأرسل إلى الإسكندرية فسجن فيها وأطلق. ووقعت بينه وبين ابن عمه سيف بن مهنا فضل بن عيسى وقعة بنواحي حلب انتصر فيها فياض. وأعيد بعد مدة طويلة إلى الإمارة، فدخل مصر، وعاد منها بإنعام وإكرام، ثم خشى من كائنة حدثت ففر إلى العراق، ومات هناك. وكان سبب السيرة. انظر الدرر الكامنة ٣/ ٢٣٤ وصبح الأعشى ٤/ ٢٠٧ وابن خلدون ٥/ ٤٣٩ والأعلام ٥/ ١٦٤.

(٢) سليمان بن مهنا بن عيسى بن مهنا من آل الفضل بن ربيعة، ويلقب علم الدين: أمير عرب الفضل، فى بادية حمص والفرات، ولده الناصر إمرة العرب بدلا عن أخيه موسى سنة ٧٤٢ هـ فاستمر فى الإمارة إلى أن مات فى سلمية. انظر الدرر الكامنة ٢/ ١٦٣ والنجوم الزاهرة ١٠/ ١٠٣ وابن خلدون ٥/ ٤٣٩ والقلقشندى ٤/ ٢٠٧ وإعلام النبلاء ٢/ ٤٠٦ والأعلام ٣/ ١٣٥.

(٣) موسى بن مهنا بن عيسى بن مهنا بن مانع الطائى: رئيس آل الفضل أمراء بادية الشام، يلقب مظفر الدين. ولى الإمارة بعد موت أبيه سنة ٧٣٤ هـ، واستمر إلى أن توفى. انظر ابن خلدون ٥/ ٤٣٩ والبداية والنهاية ١٤/ ١٩٣ والنجوم الزاهرة ١٠/ ٧٦ والأعلام ٧/ ٣٢٩.

بالمقارع، وحمى الفراش من آقبغا. فلما أفضت السلطنة إليه بعد موت أبيه، عرف الأمير قوصون والأمير طقزدمر النائب يمينه، فأجابه قوصون إلى مصادرتة أولاً قبل ضربه، وأراد بذلك مدافعة عنه، فقبض عليه ورُسم للأمير طيغنا المجدى والأمير نجم الدين بلبان الحسامى البريدى والى القاهرة بإيقاع الخوطة على موجوده، وسُلم ولده الكبير للمقدم إبراهيم بن صابر. فبات آقبغا ليلته بغير أكل وأصبح يوم الثلاثاء أول صفر، فتحدث له الأمراء أن ينزل فى ترسيم طيغنا المجدى ليتصرف فى أموره، فنزل صحبته، وأخذ فى بيع موجوده. وكان مما أبيع له سراويل لزوجته بمائتى ألف درهم فضه، وقبقاب وخف نسائى وسرموجة لامراته بخمسة وسبعين ألف درهم فنارَ به جماعة ممن ظلمهم فى أيام تحكمه، وطلبوا حقوقهم منه، وشكوه. فأقسم السلطان لئن لم يرضهم ليسمرنه على جمل ويشهره بالقاهرة، ففرق فيهم مائتى ألف درهم حتى سكتوا عنه.

وفى يوم الأحد سادسه: خلع على الأمير ناصر الدين محمد بن المحسنى، واستقر فى ولاية القاهرة، عوضاً عن نجم الدين بلبان الحسامى البريدى لقله حرمة. وخلع على نجم الدين واستقر فى ولاية مصر.

وفيه قدم الأمير بدر الدين أمير مسعود بن خطير من الشام على البريد، باستدعاء. وفيه رسم لابن المحسنى والى القاهرة أن يستخلص من خالد وابن معين مقدمى دار الوالى مالا، من أجل طمعهما وكثرة تحكهما.

وفيه أيضاً قبض على الصدر الطيبى ناظر المواريث، وسلم إلى الوالى على مال يحمله، فعاقبه الوالى حتى حمل مالا جزيلاً.

وفى يوم الإثنين سابعه: خلع على الأمير بدر أمير مسعود، واستقر حاجباً، عوضاً عن الأمير برسبغا على إمرته بغير وظيفة.

وفى يوم الأربعاء تاسعه: قبض على مقدم الدولة إبراهيم بن صابر، وسُلم لمحمد بن شمس الدين المقدم، وأحيط بأمواله. فوجد له نحو تسعين حجرة فى الجُشار، ومائة وعشرين بقرة فى الزرايب، ومائتى كبش، وجوقتين كلاب سلوقية، وعدة طيور جوارح مع بزدارية، ووجد له من الغلال وغيرها شىء كثير، فعوقب وحمل المال شيئاً بعد شىء.

وفيه جهز ابن طغية وقريب الشيخ حسن كجك، وسُفراً وكُتب إلى نواب الشام بإكرامهما.

وفيه وقع بين قاضى القضاة حسام الدين الغورى الخنقى وبين موفق الدين ناظر الدولة، بسبب معلومه، وقد توقف صرفه، فكتب قاضى القضاة حسام الدين إليه ورقة

يذكر فيها مساوئ الكتاب، وأفحش القول فيهم. فشق ذلك على موفق الدولة وعلى بقية الكتاب، وبلغوا السلطان عنه تسلطه على أعراض الناس وسفه قوله.

فلما كان الغد يوم الخميس عاشره: وحضر القضاة بدار العدل على العادة تكلم القاضى الغورى مع السلطان بالتركى فى الكتاب بقوادح، وطعن فى إسلامهم. فغضب السلطان منه، واستدعى الوزير بعد الخدمة، وأنكر عليه ما وقع من الغورى، وقال: «لولا أنه من بلدك وإلا كنت ضربته بالمقارع، لكن إكرامه لك، فاطلبه وحذره ألا يعود لمثلها». فطلبه الوزير وعتبه عتبا شديداً.

وفيه قدم الريد من الأمير طشتمر حمص أخضر الساقى نائب حلب بخروج زين الدين قراجا بن دلغادر عن الطاعة، وموافقته لأرتنا متملك الروم على المسير لأخذ حلب، وأنه قد قوى بالأبلستين وجمع جمعاً كثيراً، وسأل الأمير طشتمر أن ينجد بعسكر من مصر.

وفيه رسم السلطان بضرب آقبا عبد الواحد بالمقارع، فلم يمكنه الأمير قوصون من ذلك فاشتد حنقه، وأطلق لسانه بحضرة خاصكيته.

وفيه شفع الأمير ملكتمر الحجازى فى ولى الدولة أبى الفرج بن الخطير صهر النشو، فأفرج عنه، واستسلمه الحجازى، وخلع عليه، وجعله صاحب ديوانه.

وفيه عقد السلطان نكاحه على جاريتين من المولدات اللاتى فى بيت السلطان، وكتب علاء الدين كاتب السر صداقهما، فخلع عليه وأنعم عليه بعشرة آلاف درهم. ورسم السلطان لجمال الكفاة ناظر الخاص أن يجهزهما بمائة ألف دينار، وشرع فى عمل المهم للعرس.

وفى يوم السبت تاسع عشره: ركب الأمير قوصون والأمراء على الملك المنصور أبى بكر، وخلعوه من الملك فى يوم الأحد عشريه، وأخرج أبو بكر هو وإخوته إلى قوص صحبة الأمير بهادر بن جر كتمر.

وسبب ذلك أن السلطان قرب الأمير يلبغا اليحياوى، وشغف به شغفاً كثيراً، ونادم الأمير ملكتمر الحجازى، واختص به وبالأمر طاجار البدوادر وبالشهابى شاد العمائر وبالأمر قُطليجا الحموى، وجماعة من الخاصكية، وعكف على اللهو وشرب الخمر وسماع الملاهى. فشق ذلك على الأمير قوصون وغيره؛ لأنه لم يعهد من ملك قبله شرب خمر. فحملوا الأمير طفزدمر النائب على محادثته فى ذلك وكفه عنه، فزاده لومه

إغراء، وأفحش فى التجاهر باللهو حتى تحدث به كل أحد من الأمراء والأجناد والعامه. وصار السلطان يطلب الغلمان فى الليل، ويعيئهم لإحضار المغانى، فغلب عليه الشراب فى بعض لياليه، فصاح من الشباك على الأمير أيدغمش: «يا أمير أخورا! هات لى ابن عطعط» فقال أيدغمش: «يا خوند ما عندى فرس بهذا الاسم» فنقل ذلك السراخورية^(١) والركابية، فتداولته الألسنة. فطلب قوصون الأمير طاجار والشهاى شاد العمائر، وعنفهما وقال: «سلطان الإسلام يليق به أن يعمل مقامات، ويحضر إليها البغايا والمغانى؟»، وعرفهم أن الأمراء قد بلغهم هذا. فبلغوا السلطان كلام قوصون، وزادوا فى القول، فأخذ جلساؤه من الأمراء فى الوقعة فى قوصون والتحدث فى القبض عليه، وعلى الأمير قطلوبغا الفخرى والأمير بيبرس الأحمدي والأمير طقزدمر النائب. فتم عليهم الأمر يلبغا اليحياوى لقوصون - وكان قد استماله بكثرة العطاء فيمن استمال من المماليك السلطانية -، وعرفه أن الاتفاق قد تقرر على القبض عليه فى يوم الجمعة وقت الصلاة.

فانقطع قوصون عن الصلاة، وأظهر أن برجله وجعاً، وبعث فى ليلة السبت يعرف الأمير بيبرس الأحمدي بالخبر، ويحثه على الركوب معه. وطلب قوصون المماليك السلطانية، وواعدهم على الركوب صحبته، وملاهم بكثرة مواعيده إياهم، وبعث إلى الأمير الحاج آل ملك، والأمير جنكلى بن البابا. فلم يطلع الفجر حتى ركب قوصون من القلعة من باب السر فى مماليكه وممالك السلطان، وسار نحو الثغرة، وبث مماليكه فى طلب الأمراء. فأتاه جركم بن بهادر فى إخوته، وبرسبغا بيبرس، والأحمدي، وقطلوبغا الفخرى. وأخذوا أقبغا عبد الواحد من ترسيم طيغنا الجدى، فسار معه الجدى أيضاً. ووقفوا بأجمعهم عند قبة النصر، ودقوا طبلخاناتهم، فلم يبق أحد من الأمراء حتى أتاهم.

هذا والسلطان وندماؤه فى غفلة لهوهم وغيبة سكرهم، إلى أن دخل عليهم أرباب الوظائف وأيقظوهم من نومهم، وعرفوهم ما دهوا به. فبعث السلطان طاجار إلى طقزدمر النائب يسأله عن الخير، ويستدعيه، فوجد عنده جنكلى بن البابا والوزير وعدة من الأمراء المقيمين بالقلعة. فامتنع طقزدمر من الدخول إلى السلطان، وقال: «أنا مع الأمراء حتى أنظر عاقبة هذا الأمر»، وقال لطاجار: «أنت وغيرك سبب هذا حتى أفسدتم السلطان بفسادكم ولعبكم، قل للسلطان يجمع مماليكه وممالك أبيه حوله» فعاد طاجار وبلغ السلطان ذلك، فخرج السلطان إلى الإيوان وطلب المماليك، فصارت كل طائفة

(١) المقصود بها هنا فئة المكلفين بعلف الخيل.

تخرج على أنها تدخل إليه فتخرج إلى باب القلعة حتى صاروا نحو الأربعمئة مملوك، وصاروا يدا واحدة من باب القلعة إلى باب القلعة، فإذا هو قد أغلق فرجعوا إلى النائب طقزدمر بعد ما أخرجوا بوالى باب القلعة، وأنكروا عليه وعلى من عنده من الأمراء. فقال لهم طقزدمر: «السلطان ابن أستاذكم جالس على الكرسي وأنتم تطلبون غيره؟» فقالوا: «ما لنا أستاذ إلا قوصون. ابن أستاذنا مشغول عنا لا يعرفنا»، ومضوا إلى باب القرافة، وهدموا منه جانبا وخرجوا، فإذا خيول بعضهم واقفة. فركب بعضهم، وأردف عدة منهم، ومشى باقيهم إلى قبة النصر. ففرح بهم قوصون والأمراء، وأمر لهم بالخيول والأسلحة، وأوقفهم مع أصحابه. وبعث الأمير مسعود بن خطير الحاجب إلى السلطان يطلب منه ملكمتر الحجازى ويلبغا اليحياوى وطاجار وغيره، ويعرفه أنه أستاذهم وابن أستاذهم، وأنهم على طاعته، وأنهم إنما يريدون هؤلاء، لما صدر عنهم من الفساد ورمى الفتن وطلع الأمير مسعود إلى القلعة، فوجد السلطان فى الإيوان، وهؤلاء الأمراء حوله فى طائفة من الممالك، فقبل الأرض، وبلغه الرسالة. فقال السلطان: «لا كيد ولا كرامة لهم، ولا أسير مماليكى وممالك أبى لهم، وقد كذبوا فيما نقلوه عنهم، ومهما قدروا عليه يفعلوه». فما هو إلا أن خرج عنه أمير مسعود حتى اقتضى رأيه أن يركب. عن معه، وينزل من القلعة ويطلب النائب طقزدمر ومن عنده من الأمراء، ويدق كوساته. فتوجه إلى الشباك وأمر أيدغمش أمير آخور أن يشد الخيل للحرب، فأعلمه أنه لم يبق بالإصطبل غلام ولا سايس ولا سراخورى يشد فرسا واحداً. فبعث إلى النائب طقزدمر يستدعيه، فامتنع عليه.

ثم بعث قوصون الأمير بلك الجمدار والأمير برسبغا إلى النائب طقزدمر يعلمانه بأنه متى لم يحضر الغرماء إليه وإلا زحف على القلعة وأخذهم غصبا. فبعث طقزدمر إلى السلطان يشير عليه بإرسالهم، فعلم السلطان أن النائب وأمير آخور قد خذلاه، فقام ودخل على أمه. فلم يجد الغرماء بدا من الإذغان، وخرجوا إلى النائب طقزدمر، وهم ملكمتر الحجازى وأظنبغا الماردنى ويلبغا اليحياوى وطاجار الدوادار والشهابى شاد العمائر وبكلمش الماردنى وقطليجا الحموى، فبعثهم طقزدمر النائب إلى قوصون صحبة بلك وبرسبغا. فلما رأهم قوصون صاح فى الحاجب أن يرسلهم عن خيولهم من بعيد، فأنزلوا منزلا قبيحا، وأخذوا حتى وقفوا بين يديه، فعنفهم ووجهم، وأمر بهم فقيدوا، وعملت الزناجير فى رقابهم والخشب فى أيديهم.

ثم نزل قوصون والأمراء فى خيم ضربت لهم عند قبة النصر، واستدعى طقزدمر النائب، والأمير جنكلى بن البابا، وأيدغمش أمير آخور، والوزير، والأمراء المقيمين

بالقلعة. واتفقوا على خلع الملك المنصور وإخراجه وإخوته من القلعة، فتوجه برسبغا فى جماعة إلى القلعة، وأخرج المنصور وأخوته، وهو سابع سبعة، ومع كل منهم مملوك صغير وخادم وفرس وبقجة قماش. وأركبهم برسبغا إلى شاطئ النيل، وأنزلهم فى حراقة، وسافر بهم جر كتمر بن بهادر إلى قوص، ولم يترك برسبغا فى القلعة من أولاد السلطان إلا كحك. وسلم قوصون الأمراء المقيدين إلى والى القاهرة، فمضى بهم إلى خزانة شمائل بالقاهرة، وسجنهم بها إلا يلبغا اليحياوى، فإنه أفرج عنه.

وكان يوما عظيما بالقلعة والقاهرة، من تألم الناس على أولاد السلطان والأمراء وكثرة البكاء والعويل.

وبات قوصون ومن معه ليلة الأحد بخيامهم عند قبة النصر، وركبوا بكرة يوم الأحد عشريه إلى القلعة، واتفقوا على إقامة كحك. فكانت مدة سلطنة المنصور أبى بكر تسعة وخمسين يوما، ومن حين قلده الخليفة أربعين يوما.

ومن الاتفاق العجيب أن الملك الناصر أخرج الخليفة أبا الريح سليمان وأولاده إلى قوص مرسما عليهم، فقوصص^(١). يمثل ذلك، وأخرج الله أولاده مرسما عليهم إلى قوص على يد أقرب الناس إليه، وهو قوصون مملوكه وثقته ووصيه على أولاده، فليعتبر العاقل ويتجنب أفعال السوء.

* * *

السلطان الملك الأشرف علاء الدين كحك بن الناصر محمد بن قلاوون^(٢)

أقيم سلطانا فى يوم الإثنين حادى عشرى صفر، سنة اثنتين وأربعين وسبعمائة، ولم يكمل له من العمر خمس سنين، وأمّه أم ولد اسمها أردو، تترية الجنس. ولقب كحك بالملك الأشرف، وعرضت نيابة السلطنة على الأمير أيدغمش أمير آخور فامتنع وامتنع منها، فوقع الاتفاق على إقامة الأمير قوصون فى النيابة، فأجاب وشرط على الأمراء أن

(١) المقصود فعوقب يمثل ذلك.

(٢) كحك بن محمد بن قلاوون، علاء الدين الملك الأشرف ابن الملك الناصر: من سلاطين الدولة القلاوونية بمصر والشام. نصبه الأتابكى قوصون بعد أن قتل أخاه المنصور أبا بكر سنة ٧٤٢ هـ، وكان الأشرف طفلا، وتصرف هو فى أمور المملكة، فاضطربت أحوالها. وثار الأمير أيدغمش ويلقب بأمر آخور كبير، أى الرئيس الكبير للإصطبل، فظفر بقوصون وسجنه، وخلع الأشرف، واعتقله فى دور الحرم، فلبث بضع سنين ومات. ومدة سلطته خمسة أشهر وأيام. انظر ابن إياس ١٧٧/١ والدرر الكامنة ٣/ ٢٦٥ والبداية والنهاية ١٤/ ١٩٢، ١٩٤ والنجوم الزاهرة ١٠/ ١٢٢/٢١ والأعلام ٤/ ٢٢٠.

يقيم على حاله بالأشرفية من القلعة، ولا يخرج منها إلى دار النيابة خارج باب القلعة. فأجابوه إلى ذلك، فاستقر من يومه نائب السلطان، وتصرف في أمور الدولة فقال في ذلك بعض الشعراء:

سلطاننا اليوم طفل والأكابر في خلف وبينهم الشيطان قد نزغا
فكيف يطمع من مسته مظلمة أن تبلغ السؤل والسلطان ما بلغا
وفي يومه: أفرج عن الأمير أظنبا المارديني، وخلع على الأمير مسعود بن خطير
واستمر حاجبا على عادته.

وفي ليلة الأربعاء: أخرج بالأمير طاجار، والأمير قطلوبغا الحموي، والأمير ملكتمر الحجازي، والشهابي شاد العمائر، من خزانة شمائل، حملوا إلى ثغر الإسكندرية، فستجنوا بها وتوجه الأمير بلك الجمدار على الريد إلى حلب؛ لتحليف النائب والأمراء والأجناد وتوجه الأمير بيغرا إلى دمشق بسبب ذلك، والأمير جر كتمر بن بهادر إلى طرابلس وجماه لتحليف من فيها، وكتب إلى الأعمال بإعفاء الجنود من المغارم.

وفي يوم الخميس رابع عشره: ركب الأمير قوصون في دست النيابة، وترجل له الأمراء، فكان موكبا عظيما.

وفيه أنفق الأمير قوصون في العسكر لكل مقدم ألف من الأمراء ألف دينار، ولكل أمير طبلخانة خمسمائة دينار، ولكل أمير عشرة مائتي دينار، ولكل مقدم حلقة خمسين دينار، ولكل جندي خمسة عشر دينار.

وفي يوم السبت سادس عشره: سُمِّرَ والى الدولة أبو الفرج بن الخطير صهر النشو. وسببه أنه لما أفرج عنه كثرت الإشاعة بأن الأمير ملكتمر الحجازي يستقره في نظر الخاص، وأنه ينهض بما ينهض به النشو، وأنه صار يخلو بالسلطان المنصور أبي بكر ويحادثه في أمور الدولة، وأنه كثر نزول ملكتمر الحجازي وغيره من الأمراء إلى بيته ليلا، وحضوره عنده إلى مجالس اللهو. واتهم الملك المنصور أبي بكر بأنه نزل إليه أيضا. فنقل ذلك أعداؤه من الكتاب إلى الأمير قوصون، وأغروه به إلى أن كان من قيامه على السلطان ما كان، فقبض على والى الدولة وسجنه، فقام الكتاب في قتله حتى أجابهم قوصون إلى ذلك، فطلب ابن المحسنى والى القاهرة. طوائف من العامة والزمهم إن يشعلوا الشموع من بعد صلاة الصبح خارج باب زويلة، وأخرج والى الدولة من خزانة شمائل، وسمره على جمل تسميرا فاحشا بمسامير خافية، وأمر فنودي عليه: «هذا جزاء من يرمى الفتن ويتحدث فيما لا يعنيه ويفسد عقول الملوك». وشهر والى الدولة

سنة اثنتين وأربعين وسبعمائة

والشموع بين يديه بالقاهرة ومصر، فطافوا به الأزقة والشوارع وهو ساكت يتجلد، فإذا مر بالشهود فى الحوانيت أو يجمع من القضاة صاح: «يا جماعة! اشهدوا لى أنتى مسلم، وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وأنا أموت عليها» فكان يوما مشهودا. ولم يزل والى الدولة على ذلك أياما حتى مات وقال فيه بعضهم.

قد أخلف النسو صهر سوء قبيح فعل كما رأوه
أراد للشرف فتح باب فأغلقوه. وسمروه

وكانت عدة الشموع التى أشعلت يوم تسميره ألفا وخمسمائة شمعة.

وفى يوم الخميس مستهل ربيع الأول: أنعم الأمير قوصون على أحد وعشرين رجلا من المماليك السلطانية بإمريات، منهم ستة طبلخانة والبقية عشرات.

وفى يوم الجمعة تاسعه - ويوافق أول أيام النسيء - : وفى النيل ستة عشر ذراعا، وفتح سد الخليج بكرة يوم السبت. فنقص الماء أربعة أصابع، ثم رد النقص وزاد أصبعا من سبعة عشر ذراعا فى يوم الخميس خامس عشره، فسر الناس بذلك سرورا زائدا.

وفى يوم الأربعاء رابع عشره: توجه الأمير طوغان لإحضار أحمد ابن السلطان الناصر محمد من الكرك محتفظا به، لينفى إلى أسوان. وسبب ذلك ورود كتاب ملكممر السرجوانى نائب الكرك يتضمن أن أحمد قد خرج عن طوعه، وكثر شغفه بشباب أهل الكرك وانهماكه فى معاقرة الخمر، وأنه يخاف على نفسه منه أن يوافق الكركيين على قتله، وطلب الإعفاء من نيابة الكرك.

وفى يوم السبت سابع عشره: خلع على الأمير طقزدمر النائب، واستقر فى نيابة حماة عوضا عن الملك الأفضل ابن الملك المؤيد الأيوبى، وأنعم على الأفضل بإمرة ألف فى دمشق.

وفيه أنعم الأمير آقبا عبد الواحد بإمرة فى دمشق، ورسم بسفره إليها.

وفى يوم الخميس ثانى عشره: خلع على جميع الأمراء وأهل الدولة بدار العدل، وقد أجلس السلطان على التخت، وقبّل الأمراء الأرض بين يديه، ثم تقدموا إليه على قدر مراتبهم، وقبلوا يده. فكانت عدة الخلع يومئذ ألف خلعة ومائتى خلعة، وكان يوما مشهودا.

وفيه توجه جر كتمر بن بهادر إلى أسوان، للاحتفاظ على المنصور أبى بكر وإخوته، وكان قد حضر إلى القاهرة هو وغيره ممن توجه لتحليف نواب الشام بنسخ حلفهم.

وفي تاسع عشره: ورد البريد من الكرك بكتاب أحمد ابن السلطان يتضمن أنه لا يحضر حتى يأتيه الأمراء الأكابر إلى الكرك ويخلفهم، ثم تحضر إخوته من بلاد الصعيد إلى قلعة الكرك، ويحضر هو بعد ذلك وينتصب سلطانا. فأجيب من الغد بأنه لم يطلب إلا لشكوى النائب منه، وجهزت له هدية سنوية، وأنه يحضر إلى القاهرة حتى تعمل المصلحة.

وفيه أفرج عن الشريف مبارك بن عطيفة.

وفيه أنعم على عشرة من ممالك السلطان بإمريات، ونودي بالقاهرة ألا يرمى على أحد من التجار والباعة شيء من البضائع.

وفيه قبض على بدوى معه كتاب أمير يحيى بن ظهير بغا المغلى لأحمد ابن السلطان الناصر محمد يحذره من دخول مصر، وأنه متى دخل إليها قتل، فأنكر قوصون على أمير يحيى ذلك، فزعم أنه كتاب أخته زوجة أحمد.

وفيه ورد كتاب عبد المؤمن والى قوص يخبر بوصول المنصور أبى بكر وإخوته، وأنه ركب فى خدمته. فلما عاد عبد المؤمن من خدمته بعث إليه المنصور بخمسمائة دينار، فكتب الأمير قوصون جوابه بالاحتراس عليه.

وفيه أخذت أمور قوصون تضطرب. وذلك أنه ألزم الممالك السلطانية بالمشى فى خدمته، كما كانوا فى الأيام الناصرية يمشون فى خدمة السلطان الناصر محمد، فلم يوافقوه على ذلك، وكان قوصون مع كثرة إحسانه قد ألقى الله بغضته فى قلوب الناس جميعاً حتى صاروا يلهجون بها.

وفى يوم الخميس رابع عشر ربيع الآخر: قدم من الكرك الأمير شرف الدين ملكنمر السرجوانى نائبها، والأمير طرغاي الطباخى، وأخيرا بامتناع أحمد من الحضور، وأنه أقام على الخلاف.

وفى يوم الجمعة خامس عشره: اجتمع الأمراء للمشورة فى أمر أحمد ابن السلطان حتى تقرر الأمر على تجريد العسكر لأخذه.

وفى يوم السبت سادس عشره: ابتدأت الفتنة بين الأمير قوصون وبين الممالك السلطانية. وذلك أنه أرسل يستدعى من الطواشى مقدم الممالك مملوكا من طبقة الزمرذية^(١) جميل الصورة، فمنعه خشدأشيته أن يخرج من عندهم. فتلطف بهم

(١) طائفة من الممالك وبخاصة المجلين من بلاد القبحاق.

الطواشي المقدم حتى أخذه، ومضى به إلى قوصون وبات عنده. وطلب قوصون من الغد نحو أربعة أو خمسة ممالك، ومنهم شيخو وصرغتمش وأيتمش عبد الغنى فامتنع خشداشيتهم من ذلك، وقام منهم نحو المائة مملوك، وقالوا: «نحن ممالك السلطان ما نحن ممالك قوصون». وأخرجوا الطواشي المقدم على أقبح صورة. فمضى الطواشي المقدم إلى قوصون وعرفه ذلك، فأخرج إليهم الأمير برسبغا الحاجب وشاورشى دوادره فى عدة من ممالكة ليأتوه بهم، فإذا بالممالك السلطانية قد تعصبوا مع كبارهم، وخرجوا على حمية إلى باب القلعة يريدون الأمير بيبرس الأحمدي، فإذا به راكب. فمضوا إلى بيت الأمير جنكلى بن البابا، فلقوه فى طريقهم، فتقدموا إليه وقالوا له: «نحن ممالك السلطان مشترى ماله، كيف نترك ابن أستاذنا ونخدم غيره، فينال غرضه منا، ويفضحنا بين الناس؟»، وجهروا بالكلام الفاحش. فتلطف بهم جنكلى فلم يرجعوا عما هم عليه، فحنق منهم وقال لهم: «أنتم الظالمون بالأمس لما خرجتم قلت لكم أنا ونائب السلطان طقزدمر ارجعوا إلى خدمة أستاذكم، قلت ما لنا أستاذ غير قوصون، والآن تشكون منه» فاعتذروا ومضوا، وقد حضر الأمير بيبرس الأحمدي فاجتمعوا به، وتوجهوا إلى منكلى بغا الفخرى، فإذا قد وافاه برسبغا من عند قوصون، فأرادوا أن يوقعوا به، فكفهم الفخرى عنه، ومازال يتلطف بهم.

هذا وقوصون قد بلغه خبرهم، فأراد أن يخرج ويجمع الأمراء، فمازال به من عنده من الأمراء حتى سكن إلى بكرة النهار، فكانت ليلة مهولة بالقلعة. ثم طلب قوصون جنكلى والأحمدي والفخرى وبقية الأمراء إليه، وأغراهم بالممالك السلطانية. فبعثوا بأمير مسعود إليهم ليحضرهم، فإذا جمعهم قد كثف وكثر، فلم يلتفتوا إليه، فعاد. وخرج إليهم ألطنبغا الماردانى وقطلوبغا الفخرى - وهما أكبر الناصرية - ومازالا بهم حتى أخذوا من وقع عليه الطلب، ودخلا بهم إلى قوصون، فقبلوا يده، فقام لهم وقبل رؤوسهم وطيب خاطرهم ووعدهم بكل خير، وانصرفوا وفى الظن أنه قد حصل الصلح، وذلك يوم السبت المذكور.

فلما كانت ليلة الإثنين: وقت الغروب تحالف الممالك السلطانية على قتل قوصون وبعثوا إلى من بالقاهرة منهم، فبات قوصون - وقد بلغه ذلك - على حذر. وركب قوصون يوم الإثنين ثامن عشره الموكب مع الأمراء تحت القلعة، وطلب أيدغمش أمير آخور وأخذ يلوم الأمراء على إقامته فى نيابة السلطنة، وهم يترضونه ويعدون بالقيام معه. فأدركه الأمير بيبرس الأحمدي، وأعلمه بأن الممالك السلطانية قد اتفقوا على قتله، فمضى بالموكب مع الأمراء إلى جهة قبة النصر. فارتجت القلعة، وغلقت أبوابها،

ولبست المماليك السلطانية السلاح بالقلعة، وكسروا الزردخاناة. وقد امتلأت الرميعة بالعامه، وصاحوا: «يا ناصرية»، فأجابهم المماليك من القلعة. ثم رجعوا إلى باب إصطبل قوصون وهجموا عليه، وكسروا من كان يرحمهم من أعلاه. فبلغ ذلك قوصون، فعاد بمن معه من الأمراء، فأوقعوا بالعامه حتى وصلوا إلى سور القلعة، فرماهم المماليك السلطانية بالنشاب لحماية العامه. فقتل أمير محمود صهر الأمير جنكلي بن البابا بسهم، وقتل معه آخر. ووصل الأمراء إلى إصطبل قوصون، وقد بدأ النهب فيه، فقتلوا من العامه جماعة كبيرة، وقبضوا على جماعة. فلم تطق المماليك السلطانية مقاومة الأمراء، وكفوا عن الحرب، وفتحوا باب القلعة. فطلع إليها الأمير برسبغا الحاجب، وأنزل ثمانية من أعيان المماليك إلى قوصون، وقد وقف بجانب زاوية تقى الدين رجب تحت القلعة. فوسّط قوصون واحداً منهم اسمه صربغا، فإنه هو الذى فتح خزائن السلاح وألبس المماليك، وأمر به قوصون فعلق على باب زويلة وشفع الأمراء فى البقية، فسجنوا بخزانة شمائل مقيدين. ورُسم بتسمير عدة من العامه، فسُمّر منهم تسعة على باب زويلة، وأمر بالركوب على العامه وقبضهم، ففروا حتى لم يقبض منهم على حرفوش واحد. ثم طلع الأمير قوصون إلى القلعة قريب العصر، ومُدّ له وللأمراء سباط، فأكلوا. وبقيت الأطلاب وأجناد الحلقة تحت القلعة إلى آخر النهار، فكان يوماً مشهوداً، وكانت جملة من قتل فيه من الفتتين ثمانية وخمسين رجلاً.

وفى ليلة الثلاثاء: طلع الأمير برسبغا فى جماعة إلى طباق المماليك بالقلعة، وقبضوا على مائة مملوك منهم، وعملوا فى الحديد، وسجنوا بخزانة شمائل، فمنهم من قتل، ومنهم من نفى من مصر.

وفى يوم الثلاثاء تاسع عشره: سُمّر تسعة من العوام.

وفى يوم الأربعاء عشريه: سُمّر ثلاثة من الطواشيه على باب زويلة، فى عدة من الحرافيش. وسبب ذلك أن قوصون لما نزل من القلعة ومضى إلى قبة النصر، وقابلته المماليك أخذت الطواشيه فى الصياح على نسائه، وأفحشوا فى سبهن. فمات أحدهم تحت العقوبة وأفرج عن الاثنين.

وفيه عرضت مماليك الطباق، وأنعم على ماتى مملوك منهم بإقطاعات كثيرة المتحصل، وعين جماعة منهم للإمريات. وأكثر قوصون من الإحسان إليهم، والإنعام عليهم.

وفيه قدم البريد من دمشق بكتب أحمد ابن السلطان إلى نائب الشام، وهى مختومة لم

سنة اثنتين وأربعين وسبعمائة تفك، فإذا فيها أنه كاتب الأمير طشتمر حمص أخضر نائب حلب وغيره من النواب، وأنهم قد اتفقوا معه، وأكثر أحمد من الشكوى من قوصون. فأوقف قوصون الأمراء عليهما، وما زال بهم حتى وافقوه على تجريد العسكر إلى الكرك.

وفيه فرقت الممالك التي كانت الفتنة بسببهم على خشداشيتهم، فسلم صرغتمش إلى الأمير أظنبغا المارداني، وسلم أيتمش لأيدغمش أمير آخور، وسلم شيخو إلى أرنبغا السلاح دار.

وفي يوم الجمعة ثاني عشره: قدم البريد من الكرك بأن أحمد ابن السلطان لم يوافق طرغاي الطباخي على القديوم معه، وأن طرغاي توجه من الكرك عائدا بغير طائل. وكانت الإشاعة قد قويت بالقاهرة أن أحمد عزم على السير إلى مصر، وطلب السلطنة. فكثرت الاضطراب، ووقع الشروع في تجهيز العساكر صحبة الأمير قطلوبغا الفخرى، واستحلفه قوصون، وبعث إليه عشرة آلاف دينار، وعين معه الأمير قمارى أخو بكتمر الساقى، ومعهما أربعة وعشرون أميراً، ما بين طبلخاناة وعشرات، وأنفق عليهم جميعاً ثم بعث قوصون إلى قطلوبغا الفخرى بخمسة آلاف دينار عند سفره، وركب لوداعه صحبة الأمراء حتى أناخ بالريديانية في يوم الثلاثاء خامس عشره.

ولم يكن الأمراء راضين بسفرهم، بل أشار الأمير آل ملك والأمير جنكلى بن البابا على قوصون بالألاجيرك ساكتا فلم يقبل، فأشارا عليه بأن يكتب إلى أحمد يعتبه على مكاتبته نائب الشام، فكتب إليه بذلك، فأجاب بأن طرغاي الطباخي أسمعه كلاماً فاحشاً وأغلظ عليه فى القول، فحمله على مكاتبته نائب الشام، وأن الأمير قوصون والده بعد والده، ونحو هذا من القول.

وفيه قدم الأمير أزدمر الكاشف، ومعه ابن حُرْجا حولى الأغنام السلطانية تحت الاحتفاظ، فأخذ منه ألف ألف درهم من غير أن يضرب؛ لكثرة أمواله وسعادته.

وفيه قدم الخير من شطى بن عبية أمير العرب بأن أحمد ابن السلطان الناصر قد اختلف عليه مماليكه، وقتلوا الشاب الذى كان يهواه ويعرف بشهيب، من أجل أنه كان يهينهم.

وفيه أفرج عن ممالك دمرداش الذين بعثهم السلطان الملك الناصر محمد إلى صفد ورُسم بتفرقتهم على الأمراء.

وفي يوم الثلاثاء ثالث جمادى الأول: ركب الأمير نائب قوصون نائب السلطنة إلى

سرياقوس^(١)، وصحبته الأمراء على جارى العادة.

وفيه خلع على ضياء الدين يوسف. بن خطيب بيت الآبار، وأعيد إلى حسبة القاهرة.

وفي هذا الشهر: ظهر لقوصون مخالفة الأمير طشتمر حمص أخضر نائب حلب عليه، وسببه أنه شق عليه إخراج أولا السلطان الملك الناصر إلى الصعيد، ويجهز العسكر لقتال أحمد ابن السلطان. وكان قد بعث إليه أحمد يشكو من قوصون، وأنه يريد القبض عليه، ويطلب منه النصرة عليه. فكتب طشتمر حمص أخضر إلى الأمراء وإلى قوصون بالعتب، فقبض على قاصده بقطيا، وسجن. وكتب قوصون إلى الأمير الطنبغا الصالحى نائب الشام بأن نائب حلب قد شرع يتكلم فى الفتنة، وأنه لا يصغى إلى قوله، وحمل إليه إنعاما كثيرا، فأجاب بالسمع والطاعة والشكر والثناء.

وفيه أيضا تنكرت الأحوال بين الأمير قوصون وبين الأمير أيدغمش أمير آخور، وكادت الفتنة تقع بينهما. وذلك أن بعض ممالك أمير على بن أيدغمش وشى إليه بأن قوصون قدر مع برسبغا أنه يبيت بالقاهرة، ويكبس فى عدة من ممالك قوصون على أيدغمش. فأخذ أيدغمش فى الاحتراز، وامتنع من طلوع القلعة أياما بحجة أنه متوعك الجسم. وصار إذا سير قوصون فى سوق الخيل يغلّق أيدغمش باب الإصطبل، ويوقف طائفة الأوجاقية عليه. فاشتهر الخبر بين الناس، وكثرت القالة. وبلغ قوصون تغير أيدغمش عليه، فحلف للأمراء أنه لا يعرف لتغيره سببا، فمازالت الأمراء بأيدغمش حتى طلع إلى القلعة، وعرف قوصون بحضرتهم ما بلغه، فحلف قوصون على المصحف أن هذا لم يقع منه ولا عنده منه خير، وتصالحا. فبعث إليه أيدغمش بعد نزوله إلى الإصطبل بالناقل له، فرده إليه ولم يعاقبه.

وفيه قدم الخبر من الإسكندرية بوفاة الأمير بشتاك بمحبسه، فاتهم قوصون بقتله.

وفيه قدم الخبر من جر كتمر بن بهادر بأنه وصل إلى الملك المنصور أبى بكر، وشكى من ترفعه وتعاضمه عليه، فكتب بطلب عبد المؤمن والى قوص على البريد، فلما قدم خلع عليه قوصون، وأكثر من الإنعام عليه، وقرر معه ما يعمله، وأعادته على البريد وكتب إلى جر كتمر بن بهادر بمساعدته على ما هو بصدده.

وفيه أنشأ الأمير قوصون قاعة لجلوس مع الأمراء من داخل باب القلعة، وفتح لها شبكا يطل على الدر كاه، وجلس فيه مع أكابر الأمراء ومد السماط بها، وصار يدخل إليه الأمراء والمقدمون والأجناد. وزاد قوصون فى راتب سماطه كثيرا من الحلوى

(١) بليدة فى نواحي القاهرة بمصر. انظر معجم البلدان ٣ / ٢١٨.

والدجاج ونحو ذلك، وأكثر من الخلع والإنعامات إلى الغاية، بحيث لم يمنع أحدا من خير يصل إليه منه. وكان قوصون قبل ذلك يجلس بيباب القلعة موضع النياية، فى موضع صنعه وأدار عليه درابزين يحجبه عن الزحمة من كثرة الناس.

وفيه قدم الخير من عبد المؤمن والى قوص بأن المنصور أبا بكر وجد فى نفسه تغيرا، وفى جسمه توعكا، لزم الفراش منه أياما، ومات. ثم قدم جر كتمر بن بهادر وأخير بذلك، فاتهم قوصون بأنه أمر بقتله.

وفيه قدم الخير من العسكر المجرد إلى الكرك بغلاء السعر عندهم، وأن التين بلغ أربعين درهما الحمل. ثم قدم الخير بنزول العسكر مع قطلوبغا الفخرى على الكرك، وقد امتنعت واستعد أهلها للقتال، وكان الوقت شتاء، فأقام العسكر نحو العشرين يوما فى شدة من البرد والأمطار والثلوج وموت الدواب، وتسلبت أهل الكرك عليهم بالسب واللعن، وكثرت غاراتهم فى الليل عليهم، وتقطيع قريهم ورواياهم.

هذا وقوصون يمد قطلوبغا الفخرى بالأموال، ويحرضه على لزوم الحصار.

وفيه قدم البريد من عند الطنبغا الصالحى نائب دمشق بأن تمر المساوى قدم من حلب، واستمال جماعة من الأمراء إلى طشتمر حمص أخضر نائب حلب.

فكتب قوصون بالقبض عليه، وحمل تشريف لنائب حلب. وكتب قوصون إلى الطنبغا الصالحى نائب دمشق أن يطالع بالأخبار، وأعلم القاصد بأنه إنما أرسل لكشف أخباره. فلم يرض نائب حلب بالتشريف، وعابه، وكتب إلى قوصون يعتبه على إخراج أولاد السلطان، فأجابه بأعذار غير مقبولة.

ثم قدم الخير من شطى بن عيبة أمير العرب بأن قطلوبغا الفخرى قد خامر بالكرك على قوصون، وحلف لأحمد هو ومن معه من الأمراء، وأنهم أقاموه سلطانا ولقبوه بالملك الناصر، وذلك بمكاتبة طشتمر حمص أخضر نائب حلب له يعتبه على موافقة قوصون، وقد فعل بأولاد السلطان ما فعل، ويعزم عليه أن يدخل فى طاعة أحمد، ويقوم معه بنصرته. فصادف ذلك من قطلوبغا الفخرى ضجره من طول الإقامة على حصار الكرك، وشدة البرد وكثرة الغلاء، فجمع من معه وكتب إلى أحمد وخاطبه بالسلطنة وقرر الصلح معه، وكتب إلى طشتمر حمص أخضر نائب حلب بذلك، فأعاد جوابه بالشكر والثناء، وأعلمه بأن الأمير طقزدمر نائب حماة وأمراء دمشق قد وافقوه على القيام بأمر أحمد.

وكان الأمير الطنبغا الصالحى نائب الشام قد أحس بشىء من هذا، فاحترس على

الطرقا حتى ظفر بقاصد طشتمر حمص أخضر نائب حلب على طريق بعلبك، ومعه كتب من هؤلاء الأمراء إلى أحمد، فبعث أظنبغا بهذه الكتب إلى قوصون فقدمت ثاني يوم ورود كتاب شطى بمخامرة قطلوبغا الفخرى، فإذا فيها «الملكى الناصرى» فاضطرب قوصون وجمع الأمراء وعرفهم بما وقع وأوقفهم على الكتب، وذكر لهم أنه وصل منه إلى قطلوبغا الفخرى فى هذه السفرة أربعين ألف دينار، سوى الخيل والقماش والتحف.

وفيه رسم قوصون بإيقاع الحوطة على دور الأمراء المجردين إلى الكرك، فمازال به الأمراء حتى كف عن ذلك. وألزم مباشرهم بحمل حواصلهم وصار فى أمر مريج. ثم كتب قوصون إلى أظنبغا الصالحى نائب الشام بخروجه لقتال طشتمر حمص أخضر نائب حلب، ومعه نائب حمص، ونائب صنفد، ونائب طرابلس، وكتب إليهم بالسمع والطاعة له، وحمل قوصون النفقات إلى العساكر الشامية. فخرج الأمير أظنبغا الصالحى نائب الشام من دمشق بالعسكر فى جمادى الآخرة، فتلقيه الأمير أرقطاي نائب طرابلس على حمص، وصار من جملته، وأخيره بكتاب طشتمر حمص أخضر نائب حلب يدعوه لموافقته، وأنه أبى عليه. ثم كتب الأمير أظنبغا نائب الشام إلى الأمير طقزدمر نائب حماة ليحضر معه، فاعتذر بأنه من وجع رجله ما يقدر على الركوب، - وكان قد وافق نائب حلب - فبعث إليه نائب الشام بقبول عذره، وحلفه على طاعة السلطان الأشرف كجك، وألا يوافق طشتمر حمص أخضر نائب حلب ولا قطلوبغا الفخرى، ولا يخرج من حماة حتى يعود أظنبغا من حلب، فحلف الأمير طقزدمر على ذلك.

وعندما بلغ طشتمر حمص أخضر نائب حلب مسير أظنبغا نائب الشام إليه بالعساكر، استدعى ابن دلغادر، فقدم عليه حلب، واتفق معه على الخروج إلى الأبلستين، وسار به ومعه ما خف من أمواله، وأخذ أولاده ومماليكه. فأدركه عسكر حلب، وقد وصل إليهم كتاب أظنبغا نائب الشام بالاحتراس عليه ومنعه من الخروج عن حلب، وقاتلوه عدة وجوه، فلم ينالوا منه غرضاً، وقتل من الفريقين خمسة نفر، وعادوا وأكثرهم جرحى. فلما وصل طشتمر حمص أخضر إلى الأبلستين كتب إلى أرتنا يستأذنه فى العبور إلى الروم، فبعث إليه أرتنا بقا ضيه وعدة من أزمائه، وجهاز له الإقامة. فمضى طشتمر حمص أخضر إلى قيصرية^(١)، وتوجه أرتنا لمحاربة دمرداش بعد

(١) بلدة على ساحل بحر الشام تعد فى أعمال فلسطين بينها وبين طبرية ثلاثة أيام. انظر معجم

أن رتب للأمير طشتمر فى كل يوم ألفى درهم.

وأما الطنبغا الصالحى نائب الشام، فإنه قدم إلى حلب، وكتب إلى قوصون يعلمه بتسحب طشتمر حمص أخضر، وأنه استولى على حلب. فقدم كتابه فى يوم الأربعاء ثانى رجب، صحبة أطمش الكرمى، فأخرجه قوصون فى رابعه إلى الشام لكشف الأخبار.

وفى خامسه: خلع على جميع الأمراء المقدمين والطبلخانة والعشرات، ولبس معهم الأمير قوصون تشريف النيابة، وخلع على ثلاثمائة من المماليك السلطانية، فكان يوما مشهودًا.

وفى يوم الإثنين ثامنه: فرق قوصون إقطاعات الأمراء المجردين صحبة قطلوبغا الفخرى، وعدتهم اثنان وثلاثون أميراً، منهم أمراء طبلخانة ستة عشر، وأمراء عشرات ستة عشر، وأميران مقدمان. وأعطى قوصون إمرياتهم لأربعة وثلاثين أميراً، عوضاً عن أولئك.

وفى يوم الأربعاء عاشره: نزل الوزير نجم الدين وناظر الخاص جمال الكفاة إلى بيوت الأمراء المجردين، وأخذوا ما قدروا عليه من أموالهم وحيولهم، ففرقها قوصون على الأمراء المستجدين. وأخرج قوصون أيضاً إقطاعات أولاد الأمراء المجردين، ومماليكهم ومن يلوذ بهم من أجناد الحلقة، لجماعة سواهم.

وفى يوم الثلاثاء تاسع عشره: قدم الأمير الشيخ على بن دنجى القازانى أحد الأمراء العشرات المجردين، وأخبر بمسير قطلوبغا الفخرى من الكرك إلى دمشق، ومواقفته مع الطنبغا نائب الشام، وأنه فر منه فى ليلة الواقعة، فخلع عليه قوصون خلعة كاملة بكلفته زر كش وحياسة ذهب.

وكان من خير ذلك أن الطنبغا الصالحى نائب الشام لما دخل حلب استولى على حواصل طشتمر حمص أخضر وأسلحته وحيوله وجماله، وباع ذلك على أهل حلب. وبينما هو فى ذلك إذ بلغه دخول قطلوبغا الفخرى إلى دمشق بمن معه من العسكر، وأنه دعا للناصر أحمد، وقد وافقه آقسنقر السلاى نائب غزة، وأصلم نائب صفد، ومن تأخر بدمشق من الأمراء، وهم شيخو البشمقدار وتمر الساقى، وأن آقسنقر نائب غزة وقف لحفظ الطرقات حتى لا يصل أحد من مصر، واستولى على القصر المعينى ببلد قوصون بالغور، وأخذ ما فيها من القند والسكر وغير ذلك، وقبض على نوابه وأمواله وغلاله وأن قطلوبغا الفخرى أخذ فى تحصيل الأموال من دمشق للنفقة على الأمراء والأجناد،

وأن الأمير طقزدمر نائب حماة قدم عليه فى غد دخوله، فركب وتلقاه وقوى به. واستخدم قطلوبغا الفخرى جندا كبيراً، ونادى بدمشق: من أراد الإقطاع والنفقة فليحضر، وأخذ مالا كثيراً من التجار وأرباب الأموال، وأكره قاضى القضاة تقى الدين ابن السبكي حتى أخذ مال الأيتام، وأخذ أجر الأملاك والأوقاف لثلاث سنين، فلم يبق أحد بدمشق إلا وغرم المال على قدر حاله. فجمع قطلوبغا الفخرى مالا عظيماً، وأتته جماعات من الجند والترکمان أوراقا من ديوان الجيش بأسماء الأجناد والبطالين لإقطاعات بالحلقة، فتجهزوا جميعهم بالخييل والأسلحة. وحلف قطلوبغا الجميع للسلطان الملك الناصر أحمد، وعمل برسمه العصائب السلطانية والسناجق الخليفية ورقاب الخيل والكتائب والسروج والغاشية والقبة والطيح، وسائر ما يحتاج إليه من أبهة السلطنة وجهاز الكوسات والبغال. وكتب قطلوبغا إلى الناصر أحمد يعرفه بذلك فأجابته بالشكر والثناء، وبعث إليه موسى بن التاج إسحاق بمال، وسأل أن يكون ناظر الخاص على ما كان عليه أبوه فى أيام أبيه السلطان الملك الناصر محمد. فأجابته قطلوبغا إلى ذلك، وأقام بدمشق يدبر أمره، وطلب ابن صبح نائب صفد، وبعثه لجمع العشير والجبليّة من بلاد صفد وطرابلس وغيرها، فأتاه منهم جمع كثير. وكتب قطلوبغا إلى سليمان بن مهنا أن يعرفه بمسير أظنبيغا الصالحى من حلب، فكتب الأمير أظنبيغا يعرف الأمير قوصون بذلك فازداد اضطرابه، وجمع الأمراء. فاتفق الرأى على تجريد أمراء إلى غزوة، فتوجه برسبغا الحاجب وأمير محمود الحاجب وعلاء الدين على بن طغريل فى جماعة وأجيب الأمير أظنبيغا نائب الشام على يد أظلمش الكریمی بأن يسير من حلب إلى قتال قطلوبغا الفخرى بدمشق، فتوجه أظلمش على السريد من البرية لانقطاع الدرب، ووصل إلى حلب، وعرف أظنبيغا الخبر، فسار أظنبيغا منها حتى قدم حمص، وقد خرج قطلوبغا الفخرى من دمشق إلى خان لاجين وأمسك المضيق، وأقام الجبليّة والعشير على الجبلين، ووقف هو بالعسكر فى وسط الطريق.

وأما أظنبيغا الصالحى فإنه حلف من معه، وسار من حمص حتى قرب من قطلوبغا، وعدة الجمعين نحو ثلاثة عشر ألف فارس. فتمهل أظنبيغا كراهة لسفك الدماء، وراسل قطلوبغا مدة ثلاثة أيام، فلم يتم بينهما أمر، وبعث قطلوبغا إلى جماعة من أصحاب أظنبيغا يعدهم ويستميلهم حتى وافقوه.

فلما تعبت الرسل وملت العساكر من شدة البرد، بعث أظنبيغا فى الليل عدة ممن معه على طريق المرج ليهاجموا على قطلوبغا من ورائه، ويلقاهم هو من أمامه. وركب أظنبيغا من الغد، فمال كل أمير ممن معه إلى جهة قطلوبغا، وصاروا من جملته. فلم يبق مع

الطنبغا سوى أرقطاي نائب طرابلس، وأسنبغا بن بكتمر البوبكرى وأيدمر المرقبى من أمراء دمشق، فانتهزوا على طريق صفد إلى جهة غزة، والقوم فى أثرهم، بعد أن كانت بينهم وقبة هائلة انهزم فيها الطنبغا نائب الشام، وهرب فيها من معهم، وخلصوا هم بأنفسهم.

وعاد قطلوبغا الفخرى إلى دمشق منصوراً. وكتب مع البريد إلى الأمير طشتمر حمص أخضر يعرفه بنصرته ويدعوه إلى الحضور، وأنه فى انتظاره بدمشق. وحلف قطلوبغا الفخرى من معه للملك الناصر أحمد. وأمر الخطباء فدعوا له على منابر دمشق وضرب السكة باسمه وكتب يعرفه بذلك. وبعث قطلوبغا إليه مقدمة جلييلة، واستحثه على المسير إلى دمشق ليسير فى خدمته إلى مصر، وبعث بخطوط الأمراء إليه.

وأما الطنبغا الصالحى نائب دمشق فإنه وصل إلى غزة ومعه أرقطاي وطرنطاي البشمقدار فيمن معهم، فتلقاهم الأمير برسبغا ومن معه. وكتب الطنبغا إلى قوصون بذلك، فقامت، وقبض على أخوة أحمد شاد الشرايخانة، وعلى قرطاي أستاذار قطلوبغا الفخرى.

ثم قدم على قوصون كتاب قطلوبغا الفخرى يعنفه على إخراج أولاد السلطان الناصر محمد وقتل المنصور أبى بكر، وأن الاتفاق وقع على سلطنة الناصر أحمد، ويشير عليه بأن يختار بلدا يقيم بها حتى يسأل له السلطان الملك الناصر أحمد فى تقليده إياها. فقام قوصون وقعد، وجمع الأمراء، فوقع الاتفاق على تجهيز التقادم للأمراء بغزة. فجهز قوصون لكل من الطنبغا الصالحى نائب الشام وأرقطاي نائب طرابلس ثلاثين بدلة وثلاثين قباء مسنجة بطرازات زركش، ومائتى خف ومائتى كلفتهاه، وكسوة لجميع مماليكهما وغلمانهما وحواشيهما، وجهاز لكل من الأمراء الذين معهما ثلاث بدلات وأقبية بسنجاب، وكسوة لماليكهم وأتباعهم. وأخذ قوصون فى الإنعام على المماليك السلطانية، وأخرج ثلاثمائة ألف دينار من الذخيرة لتجهيز أمره حتى يخرج بالعساكر إلى الشام. وأخرج أربعمائة قرقل وزرديات وخوذ وغيرها، وأنعم على جماعة من المماليك بإمريات، وغير إقطاعات جماعة منهم بإقطاعات المجردين، وكتب إلى الأمراء بمسيرهم من غزة، وهياً لهم الإقامات والخيول، وبعث إليهم بالحلاوات والفواكه وسائر ما يليق بهم.

فبينما قوصون فى ذلك إذ ركب الأمراء عليه، فى ليلة الثلاثاء تاسع عشرى رجب وقت عشاء الآخرة. وسبب ذلك تنكر قلوب أكابر الأمراء عليه، لأمر بدت منه، منها قتل الأمير بشتاك، ثم قتل الملك المنصور أبى بكر، ثم وقوع الوحشة بينه وبين

أيدغمش، فأخذ أيدغمش فى التدبير عليه. ثم كان من انتصار قطلوبغا الفخرى على أظنبغا الصالحى نائب الشام ما كان، فكذب قطلوبغا إلى أيدغمش سرّاً بأنه سلطان أحمد، وحرّضه على الركوب إلى الكرك بمن قدر على استمالته.

وكان قوصون قد احتفل لِقْدوم أظنبغا الصالحى نائب الشام ومن معه، وفتح ذخيرة السلطنة، وأكثر من النفقات والإنعامات حتى بلغت إنعاماته على الأمراء والخاصكية وما فرقه فيهم وفى العسكر ستمائة ألف دينار. فشاع بأنه يريد أن يتسلطن، فخاف أيدغمش وغيره من تحكّمه فى السلطنة، وحرّض الخاصكية حتى وافقه الأمير أظنبغا الماردانى وبلغا اليحياوى، فى عدة من الممالك السلطانية، وعدة من أكابر الأمراء منهم الحاج آل ملك وجنكلى بن البابا، أنهم يسرون جميعاً إلى الكرك عند قدوم أظنبغا الصالحى نائب الشام وخروجهم إلى لقاءه.

فلما كان يوم الإثنين: ركب قوصون فى الموكب تحت القلعة على العادة، وطلب الأمير يلجك ابن أخته، وأخرج إلى لقاء نائب الشام - وقد ورد الخير بنزوله على بلبيس - ليأتى به سريعاً. فوافى يلجك الأمير أظنبغا الصالحى ومن معه على بلبيس، فلم يوافق على السرعة، وقصد أن يكون حضوره فى يوم الخميس أول شعبان. وبات أظنبغا ليلة الثلاثاء على بلبيس وركب من الغد ونزل سرياقوس، فبلغه ركوب الأمراء على قوصون وأنه محصور بالقلعة، فركب بمن معه إلى بركة الحاج، وإذا بطلب قوصون وصنّجقه فى نحو مائة مملوك قد وافوه، وأعلموه أن فى نصف الليل ركب الأمراء وأحاطت بإصطبل قوصون، وحصروه فى القلعة، فخرجوا هم على حمية حتى وصلوا إليهم.

وكان من خير ذلك أن قوصون لما بعث يلجك ليأتيه بنائب الشام سريعاً، تواعد أيدغمش ومن وافقه على أن يركبوا فى الليل إلى الكوك. فجهز كل منهم حاله، حتى كان ثلث الليل فتح الأمراء باب السر، ونزلوا إلى أيدغمش بالإصطبل. ومضى كل واحد إلى إصطبله فلم يتنصف الليل إلا وعامة الأمراء بأطلابهم فى سوق الخيل تحت القلعة، وهم أظنبغا الماردانى وبلغا اليحياوى وبهادر الدرماشى والحاج آل ملك والجاولى وقمارى الحسنى أمير شكار وأرنبغا وأقسنقر السلارى. وبعثوا إلى إصطبلات الأمراء مثل جنكلى بن البابا ويبيرس الأحمدى وطرغاي الطباخى وقيانم وغيرهم، فأخرجوا أطلاب الجميع إليهم. وخرج لهم أيدغمش بماليكه ومن عنده من الأوجاقية، فوقفوا جميعاً ينتظرون نزول قوصون إليهم، حتى يمضوا إلى الكرك. فأحسن قوصون

بهم، وقد انتبه، فطلب الأمراء المقيمين بالقلعة، فأتاه منهم اثني عشر أميراً منهم جنكلى ابن البابا والأحمدى وطرغيه وقبائر والوزير. ولبست ممالكه التي كانت عنده بالقلعة، وسألته أن ينزل ويدرك إصطبله، ويجتمع بمن فيه من ممالكه وكان يعتز بهم، فإنهم كانوا سبعمائة مملوك، وطالما كان يقول: «إيش أبالي بالأمراء وغيرهم! عندى سبعمائة مملوك ألقى بهم كل من فى الأرض»، فلم يوافقهم قوصون لما أراد الله به، وأقام إلى أن طلع النهار. فلما لم تظهر له حركة أمر أيدغمش أن يطلع الأوجاقية إلى الطيلخاناة السلطانية وأخرج لهم الكوسات. ودق أيدغمش حربياً، ونادى: «معاشر أجناد الحلقة وممالك السلطان وأجناد الأمراء والبطالين يحضروا، ومن ليس له لبس ولا فرس ولا سلاح يحضر يأخذ له الفرس والسلاح ويركب معنا» فأتاه جماعة كثيرة من أجناد الحلقة والممالك، ما بين لابس السلاح راكب وبين ماش أو على حمار، وأقبلت العامة كالجراد المنتشر. فنادى أيدغمش: «ياكسابة! عليكم بإصطبل قوصون، اتهبوه» فأحاطوا به وممالك قوصون من أعلاه ترميهم بالنشاب حتى أتلقوا منهم عدة كثيرة. فركب ممالك يلبغا اليحياوى أعلا بيت يلبغا حيث مدرسة السلطان حسن الآن، ورموا ممالك قوصون بالنشاب مساعدة للعوام، وجرحوا منهم جماعة، وحالوا بينهم وبين العامة. فهجم العامة عند ذلك على إصطبل قوصون، ونهبوا ركبخاناته وحواصله، وكسروا باب قصره بالفتوس بعد مكايده شديدة، وطلعوا إليه. فخرجت ممالك قوصون على حمية، وشقوا القاهرة، وصاروا إلى أطنبغا الصالحى نائب الشام. فبعث أيدغمش فى أثرهم إلى أطنبغا نائب الشام ومن معه من الأمراء بالسلام عليهم، وأن يمنعوا ممالك قوصون من الاختلاط بهم، فإن الأمير يلبغا اليحياوى والأمير آقسنقر قادمان فى جميع كبير لأخذ ممالك قوصون وحاشيته. فأمر أطنبغا نائب الشام ممالك قوصون ويلجك وبرسبغا أن يكونوا على حدة. ولبس الجميع، وأخذ برسبغا وجماعته نحو الجبل، فلقبهم يلبغا اليحياوى ومن معه، وكان ذلك بعدما أمسك قوصون، فسار خلفهم إلى قرب إطفيح، وهم فى جمع كبير.

ولم تمض إلا ساعات من النهار حتى نهب جميع ما فى إصطبل قوصون من الخيل والسروج وآلات الخيل والذهب وغير ذلك، وقوصون ينظر ويضرب يدا على يد، ويقول «يا أمراء! هذا تصرف جند؟ يُنهب هذا المال جميعه؟»، وكان أيدغمش قصد بذلك أن يقطع قلب قوصون. فبعث قوصون إلى أيدغمش بأن «هذا المال عظيم، وهو ينفع المسلمين والسلطان، فكيف تفعل هذا وتنادى بنهبه؟» فرد جوابه: «نحن قصدنا أنت، ولو راح هذا المال وأضعافه». هذا والقلعة مغلقة الأبواب، وجماعة قوصون

يرمون الأشرفية بالنشاب إلى قرب العصر، والعامّة تجمع نشابهم وتعطيه لأجناد الأمراء المحاصرين للقلعة. فألقى حينئذ قوصون بيديه، واستسلم ودخل عليه مماليكه وقد خذلوا، فدخل عليه بلك الجمدار وملكتمر السرجوانى يأمرانه أن يقيم فى موضع حتى يحضر ابن أستاذه من الكرك، فيتصرف فيه كما يختار، فلم يجد بدا من الإذعان، وأخذ يوصى الأمير جنكلى على أولاده. وأخذ قوصون وقيد، ومضوا به إلى البرج الذى كان به بشتاك، ورسم عليه جماعة من الأمراء. وكان الذى تولى مسكه وحبسه أرنبغا أمير جندار و جنكلى بن البابا وأمير مسعود حاجب الحجاب.

وأما الطنبغا الصالحى نائب الشام ومن معه، فإن برسبغا ويلجك والقوصونية لما فارقه سار هو وأرقتاى نائب طرابلس والأمراء يريدون القلعة. فأشار الأمير الطنبغا نائب الشام على الأمير أرقطاى نائب طرابلس أن يرد برسبغا ويلجك والقوصونية ويقا تل أيدغمش، فإنه ينضم إليهم جميع حواشى قوصون ويأخذون أيدغمش، ويخرجون قوصون ويقيمونه كبيرا لهم ويخرجونه إلى حيث يختار، ويقيمون سلطانا أو ينتظرون قدوم أحمد، فلم يوافق أرقطاى لعفته عن سفك الدماء. فلما وافيا تحت القلعة وأيدغمش واقف فى أصحابه، أقبل إليها أيدغمش وعانقهما، وأمرهما أن يطلعا إلى القلعة، فطلعا. وأمر أيدغمش فقبض على ابن المحسنى الى القاهرة، وأحضره والأمراء واقفون تحت القلعة، فأنزله عن فرسه وسجنه بالقلعة، بعدما كادت العامّة أن تقتله لكونه من جهة قوصون، ثم أرسل أيدغمش الأمير آقسنقر والأمير قازان فى عدة مماليك وراء برسبغا ويلجك ومن معهما. وجلس أيدغمش مع ثقاته من الأمراء، وقرر معهم تسفير قوصون فى الليل إلى الإسكندرية، والقبض على الطنبغا الصالحى نائب الشام وأرقتاى نائب طرابلس ومن يلوذ بهما من الغد، وتسفير الأمير بييرس الأحمدي والأمير جنكلى بن البابا لإحضار السلطان من الكرك.

وفى يوم الأربعاء، سلخه: خرج الحصنى بواب المدرسة الصالحية تجاه باب المارستان وقت الصبح، بأعلام خليفية ومصحف على رأسه، وهو ينادى بصوت عال: «يا مسلمين قاض يفعل كذا بنساء المسلمين من غير كناية، ويأكل الحشيش، هذا لا يحل». فاجتمع الناس عليه، ومضى بهم إلى بيت قاضى القضاة حسام الدين الغورى الحنفى بالمدرسة الصالحية، وكسروا بابه ودخلوا عليه. ففر منهم حسام الدين إلى السطح وهو فى أثره، وقد نهبوا جميع ما عنده حتى خشب الرفوف حتى وجدوه، فضربوه وנתفوا لحيته، وهو يعدو إلى أن خرج من البيت. واستجار حسام الدين بقاضى القضاة موفق الدين الحنبلى، فأجاره وأدخله داره، وأقام الحنابلة على بابه لمنع العامّة منه

وقد اقتحموا بابه، فقال لهم قاضى القضاة موفق الدين الحنبلى: «معكم مرسوم بنهيبى؟» قالوا: «لا! لكن سلمنا الغورى» فقيل لهم: «هذا غريم السلطان قد صار عندى، وأنتم قد أخذتم ماله»، ومازال بهم حتى انفضوا عنه وشنع الحال فى النهب، وكان ذلك من سوء تدبير أيدغمش، فإنه جرأ العامة على نهب إصطبل قوصون لغرضه، فوجدوا فيه ما لا يكاد يوصف. وبلغ ذلك ممالك الأمراء والأجناد فأتوهم ووقفوا لانتظار من يخرج بشىء حتى يأخذوه، فإن امتنع من دفعه إليهم قتلوه. فوجد لقوصون أربع سرارى نهب جميع ما هن، وحملت أكياس الذهب والفضة ونشرت بالدهليز والطرق. فأخذ ممالك أيدغمش وغيره شيئا كثيرا من المال ونزلت ممالك يلبغا اليحياوى من سور إصطبله وقبوا على الناس، واقتسموا الذهب وأخرجت النهاية من البسط الرومية والآمدية وعمل الشريف شيئا كثيرا، قطعوها قطعاً وتقاسموها، وكسروا أوانى البلور والصينى وسلاسل الخيل الفضة والذهب، ومن السروج واللحم ما لا يحد، وقطعوا الخيم وثياب الخركاوات ما بين حرير وزرنيب بحاصله.

وكان بحاصل قوصون لما نهب ما ينيف على أربعمائة ألف دينار ذهباً فى أكياس، ومن الحوايص والزرکش والأوانى - ما بين أطباق وخونجات^(١) - زيادة على مائة ألف، ومن حلى النساء ما لا ينحصر، وثلاثة أكياس أطلس فيها جواهر. بما ينيف على مائة ألف دينار، ومائة وثلاثين زوج بسط، منها ما طوله أربعون ذراعاً وثلاثون ذراعاً، كلها من عمل الروم وآمد وشيراز^(٢)، وستة عشر زوجاً من عمل الشريف بمصر، قيمة كل زوج اثنا عشر ألف درهم، وأربعة أزواج بسط حرير لا يقوم عليها، ونوبة^(٣) خام جميعها أطلس معدنى قص. فانخط لذلك سعر الذهب حتى كان صرفه بأحد عشر درهماً الدينار، من كثرة ما صار فى الأيدى، بعدما كان الدينار بعشرين درهماً، ولأن أيدغمش نادى فى القاهرة ومصر أن من أحضر من العامة ذهباً لتاجر أو صيرفى أو متعش يقبض عليه ويحضر به إليه، فكان من معه منهم ذهب يأخذ فيه ما يدفع إليه من غير توقف. وكثرت مرافعة الناس بعضهم لبعض فيما نهب، فجمع أيدغمش شيئا كثيرا من ذلك. ثم إن العامة - بعد نهب إصطبل قوصون وقصره، حتى أخذوا سقوفه ورخامه وأبوابه، وتركوه خراباً - مضوا إلى خانكاته بباب القرافة، فمنعهم أهلها من

(١) على هامش ط: خونجات مفرداً خونجة وخونجا، وهو مصغر لفظ خون فى اللغة الفارسية، والمقصود هنا صينية من الخشب أو المعدن.

(٢) بلد عظيم مشهور معروف مذکور، وهو قسبة بلاد فارس فى الإقليم الثالث. انظر معجم البلدان ٣ / ٣٨٠.

(٣) النوبة اسم لطائفة من آلات الطرب.

النهب، فمزالوا حتى فتحوها ونهبوها، وسلبوا الرجال والنساء ثيابهم، فلم يدعوا لأحد شيئاً، وقطعوا بسطها، وكسروا رخامها، وخربوا بركتها، وأخذوا الشباييك وخشب السقوف والمصاحف وشعثوا الجدر. ثم مضوا إلى بيوت ممالك قوصون، وهم حشد عظيم، فنهبوها وأحرقوها وما حولها حتى بيعت الغلة بستة دراهم كل أردب من القمح وتتبعوا حواشى قوصون بالقاهرة والحكورة وبولاق والزربية وبركة قرموط وغير ذلك، وباعوا الأمتعة والأواني والثياب بأبخس ثمن، وصاروا إذا رأوا نهب أحد قالوا هو قوصونى فللحال يذهب جميع ماله. وزادت الأوباش حتى خرجوا عن الحد، وشمل الخوف كل أحد، فقام الأمراء على أيدغمش وأنكروا عليه ثمكين العامة من النهب، فأمر بسبعة من الأمراء، فنزلوا إلى القاهرة والعامة مجتمعة على باب الصالحية فى نهب بيت قاضى القضاة حسام الدين الغورى، فقبضوا على عدة منهم، وضربوهم بالمقارع. وأشهروهم، فانكفوا عن النهب.

وفى ليلة الخميس: أخرج الأمير قوصون من سجنه بالقلعة، فى مائة فارس حتى ركب النيل، ومضى إلى الإسكندرية.

وكان قوصون فى أول أمره على حاله، وفى أوسطه وآخره من أعاجيب الزمان ومما قيل فيه:

| | |
|-----------------------|---------------------------|
| قوصون قد كانت له رتبة | تسمو على بدر السما الزاهر |
| فحطه فى القيد أيدغمش | من شاهق عال على الطائر |
| ولم يجد من ذلة صاحباً | فأين عين الملك الناصر |
| صار عجيباً أمره كله | فى أول الأمر وفى الآخر |

وفى يوم الخميس أول شعبان: خلع السلطان الملك الأشرف كجك من السلطة، وكانت مدته خمسة أشهر وعشرة أيام لم يكن له فيها أمر ولا نهى، وتدير أمور الدولة كلها إلى قوصون. وكان إذا حضرت العلامة أعطى قلما فى يده، وجاء فقيهه الذى يقرئ أولاد السلطان، فكيف العلامة والقلم فى يد السلطان.

* * *

السلطان الملك الناصر شهاب الدين أحمد بن الناصر محمد بن قلاوون الصالحى أمه اسمها بياض، كانت تجيد الغناء، وكانت من عتقاء الأمير بهادر آص رأس نوبة. وكانت شهوتها قوية، ولها بالناس اجتماعات فى مجالس أنسهم. فلما بلغ السلطان الناصر محمد خبرها اختص بها، وحظيت عنده، فولدت أحمد هذا على فراشه. ثم تزوجها الأمير ملكنمر السرجوانى، وقد مضى من أخباره جملة. فلما استولى الأمير

أيدغمش على الدولة بعد قوصون، وقرر مع الأمراء خلع الأشرف كجك فى يوم الخميس أول شعبان، بعث الأمير جنكلى بن البابا والأمير بييرس الأحمدي والأمير قمارى أمير شكار إلى السلطان أحمد بالكرك بكتب الأمراء يخبرونه بما وقع، ويستدعونه إلى تحت ملكه، وضربوا اسمه على أملاك قوصون جميعها، وأعلن بالدعاء له فى خانكاه سعيد السعداء.

وفيه جلس أيدغمش وألطنبغا الماردانى ويلبغا اليحياوى وبهادر الدمرداش واستدعوا بقية الأمراء.

وفيه قبض على ألطنبغا الصالحى نائب الشام وعلى أرقطاي نائب طرابلس ومضى بهما أمير جندار إلى قاعة سجنهما. وأخذوا بعدهما سبعة عشر أمير طبلخاناة وقيآئر أحد مقدمى الألوف وجر كتمر بن بهادر وغيره، حتى كانت عدة من قبض عليه فى هذا اليوم خمسة وعشرين أميراً.

وفيه قبض على مزين مغربى كان حاقق جر كتمر بن بهادر بأنه هو الذى قتل الملك المنصور، وكتب بذلك أيضاً إلى الأمير قطلوبغا الفخرى.

وفيه طلب أيدغمش جمال الدين يوسف والى الجيزة، وخلع عليه بولاية القاهرة، فنزل إلى القاهرة، فإذا بالعامه فى نهب بيت بعض ممالك قوصون، فقبض على عشرين منهم، وضربهم بالمقارع وسجنهم، بعدما أشهرهم. فاجتمعت الغوغاء ووقفوا لأيدغمش، وصاحوا عليه: «وليت على الناس قوصونى ما يخلى منا أحد»، وعرفوه ما وقع. فبعث أيدغمش الأوجاقية إليه فى طلبه، فوجدوه بالصليية يريد القلعة، فصاحت عليه الغوغاء: «قوصونى! يا غيرية على الملك الناصر» ورحموه من كل جهة. فقامت الجبلية والأوجاقية فى ردهم، فلم يطيقوا ذلك، وجرت بينهم الدماء. فهرب الوالى إلى إصطبل ألطنبغا الماردانى، وحمته ممالك ألطنبغا من العامه. فطلب أيدغمش الغوغاء، وخيرهم فيمن يلى، فقالوا نجم الدين الذى كان قبل ابن المحسنى، فطلبه وخلع عليه، فصاحوا: «بحياة الملك الناصر عزل عنا ابن رخيمة المقدم وحمامص رفيقه، ومكنا منهما». فأذن لهم فى نهبهما، فشرع نحو الألف منهم إلى دار ابن رخيمة بجانب بيت الأمير كوكاى بالقاهرة، فنهبوه ونهبوا بيت رفيقه.

وفى يوم الجمعة ثانيه: دعى على منابر مصر والقاهرة للسلطان الملك الناصر أحمد. وفى يوم الإثنين خامسه: تجمعت الغوغاء بسوق الخيل، ومعهم الرايات الصفر، وتصايحوا بأيدغمش: «زودنا لنروح إلى أستاذنا الملك الناصر، ونجىء صحبته»، فكتب لهم مرسوما بالإقامة والراتب فى كل منزلة، وتوجهوا مسافرين من الغد.

وفى يوم الأربعاء سابعه: وصل الأمراء الذين كان سجنهم قوصون من سجن الإسكندرية، وهم ملكتمر الحجازى وقطليجا الحموى، وأربعة وخمسون نفرا من المماليك السلطانية. ومن الغريب أن الحراقة التى سارت بهؤلاء الأمراء إلى الإسكندرية، لما قبض عليهم قوصون، هى الحراقة التى سار فيها قوصون إلى الإسكندرية حتى سجن بها. وكان قوصون لما دخل إلى الإسكندرية مقيدا خرج والى الثغر ليتسلمه وقد ركب بالأمراء عندما أفرج عنهم ليتوجهوا إلى القاهرة، فسلموا على قوصون، فبكى واعتذر لهم مما صدر منه فى حقهم. وعندما قدموا إلى ساحل مصر ركب الأمراء إلى لقائهم، وخرجت العامة لرؤيتهم، بحيث غلقت الأسواق يؤمئذ حتى طلوعوا إلى القلعة. فتلقت خوند الحجازية زوجها الأمير ملكتمر الحجازى بجواربها وخدامها، ومغانبها تضرب بالدفوف والشبابات فرحًا به، وجارتها أختها امرأة قوصون فى عويل وبكاء وصياح هى وجواربها وخدامها، كما كان بالأمس لما انتصر قوصون على الحجازى والأمراء، فى بيته الأفراح والتهانى، وفى بيت الحجازى البكاء والعويل، وكان فى ذلك عبرة للمعتبر.

وفيه قدم كتاب الأمراء المتوجين إلى الكرك، وهم جنكلى بن البابا وبيرس الأحمدي وقمارى، بأنهم لما وصلوا إلى الكرك نزلوا بظاهرها، وبعث كل منهم بمملوكه يعرف السلطان أحمد بقدموه. فبعث إليهم السلطان رجلا من نصارى الكرك فقال: «يا أمراء، السلطان يقول لكم إن كان معكم كتب فهاتوها، أو مشافهة قولوها:» وفى الحال عادت مماليكهم، ولم يمكنوا من الاجتماع بالسلطان، وقيل لهم إن السلطان قد سير كتابه إلى الأمراء. فدفعت الكتب إلى النصرانى فمضى بها، ثم عاد من آخر النهار بكتاب مختوم، وقال عن السلطان إنه قال: «سلم على الأمراء، وعرفهم أن يقيموا بغزة إلى أن يرد لهم ما يعتمدوه كذا». وحضر مملوك من قبل السلطان يأمر الأمير قمارى بالإقامة على ناحية الصافية، وبعث إليه بخاتم.

وجاء فى كتاب الأمراء المتوجهين إلى الكرك أنهم وجدوا الكتاب يتضمن إقامتهم على غزة، والاعتذار عن لقائهم، فعاد الأميران جنكلى بن البابا وبيرس الأحمدي إلى غزة. فلما وقف الأمير أيدغمش على ذلك كتب من وقته إلى الأمير قطلوبغا الفخرى يسأله أن يستحث السلطان فى قدمه إلى تخت ملكه، وكتب إلى الأمراء بانتظار السلطان، وعرفهم بمكاتبتة للفخرى. وأخذ أيدغمش فى تجهيز أمور السلطنة، وأشاع قدوم السلطان خوفا من إشاعة ما عامل به الأمراء، فيفسد عليه ما دبره.

فلما قدم البريد إلى دمشق بكتاب أيدغمش وأفى قدوم كتاب السلطان أيضاً من الكرك يتضمن القبض على الأمير طرنطاي البشمقदार والأمير طينال، وحمل ما لهم إلى الكرك.

وكان الأمير قطلوبغا الفخرى قد ولى طينال نيابة طرابلس، وطرنتاي نيابة حمص فاعتذر فى جوابه طينال فى شغل بجرعة الفرنج، وأشار بالألا يحرك ساكن فى هذا الوقت، وسأل سرعة حضور السلطان ليسير بالعسكر فى ركابه إلى مصر، وأكثر الأمير قطلوبغا الفخرى من مصادرة الناس بدمشق.

وفى يوم السبت حادى عشره: كان حضور يلجك ابن أخت قوصون، وبرسيغا الحاجب صحبة آقسنقر الناصرى من الصعيد.

وفى خامس عشره: استقر شمس الدين موسى بن التاج إسحاق فى نظر الخاص.

وفيه أخرج الأمير قطلوبغا الفخرى الإقطاعات بأسماء الأجناد، وعزل وولى، وكان دواداره يعلم عنه.

وفى هذه الأيام: قدم الأمير طشتمر حمص أخضر نائب حلب من بلاد أرتنا إلى دمشق، فتلقيه الأمير قطلوبغا الفخرى وأنزله فى مكان يليق به، وبعث قطلوبغا من يومه بالأمر آقسنقر السلارى نائب غزة ليتلقى الأمراء.

وفيه قدم كتاب السلطان من الكرك إلى قطلوبغا الفخرى يتضمن قدوم الأمراء من مصر، وأنه لم يجتمع بهم، وأنه فى انتظار قدوم الأمير طشتمر حمص أخضر من بلاد أرتنا إلى حلب، وأنه لا يخرج من الكرك قبل ذلك. فكتب قطلوبغا الفخرى الجواب بقدوم طشتمر، وأشار على السلطان بسرعة الحركة إلى دمشق. وأخذ الفخرى فى تجهيز جميع ما يحتاج إليه السلطان، وفى ظنه أن السلطان يسير إليه بدمشق، فيركب فى خدمته بالعساكر إلى مصر، فلم يشعر إلا وكتاب السلطان قد ورد عليه مع بعض الكركيين يتضمن أنه يركب من دمشق ليجتمع مع السلطان على غزة. فشق ذلك عليه، وسار من دمشق بعساكرها، وبمن استجده من أهل الطاعة حتى قدم غزة فى عدد كبير، فتلقيه جنكلى بن البابا والأمير بيبرس الأحمدي والأمير قمارى.

وكان قدوم قاصد السلطان من الكرك لكشف من فى السجون من الأمراء، فمضى إلى الإسكندرية بسبب ذلك، وورد كتابه على الأمير أيدغمش بالشكر على ما فعله، وجعل له أن يحكم حتى يحضر السلطان.

وفيه قبض على خمسة وثمانين من ممالك قوصون، فقيدوا وسجنوا بجزانة شمائل.

وفي يوم الثلاثاء عشريه: قبض على ولد الأمير جر كتمر بن بهادر وعمره نحو اثنتي عشرة سنة، إرضاء لأم المنصور أبي بكر.

وفي الخميس سلخه: وصل عبد المؤمن والى قوص مقيدا، صحبة شجاع الدين قنغلى المتوجه إلى قوص، وكان قد توجه لإحضاره، وكتب إلى الوافدية أجناد قوص، وإلى العربان بأخذ الطرقات عليه. فلما قدم قنغلى إلى قوص ركب ليلا بالوافدية، وأحاط بدار الولاية، فلبس عبد المؤمن سلاحه، وألبس جماعته، وقاتل قنغلى ورجاله حتى نجا منهم، وهم فى أثره يومين وليتين، يأخذون من انقطع من أصحابه، حتى أمسكوه وقيده. وعندما وصل ابن المؤمن إلى القاهرة خرجت العامة إلى رؤيته، وقصدوا قتله، فأركب إليه الأمير أيدغمش جماعة حتى حموه، وأتوا به إلى القلعة، فلما طلعتها أقامت أم المنصور أبي بكر العزاء، وأمر به فسجن.

وفي ليلة الجمعة أول شهر رمضان: نزلت أم المنصور أبي بكر من القلعة، ومعها مائة خادم ومائة جارية لعمل العزاء، فدخلت بيت جر كتمر بن بهادر ونهبت ما فيه، وألقتة إلى من تبعها من العامة، ففرت حرم جر كتمر منها حتى نجت من القتل.

وفي يوم الثلاثاء خامسه: تفاوض الأميران ملكتمر الحجازى ويلبغا اليحياوى حتى خرجا إلى المخاصمة، وصار لكل منها طائفة، ولبسوا آلة الحرب. فتجمعت الغوغاء تحت القلعة لنهب بيوت من ينكسر من الفريقين، فلم يزل الأمير أيدغمش بهم حتى كفوا عن القتال، وبعث إلى العامة جماعة من الأوجاقية، فقبضوا على جماعة منهم، وأودعهم السجن.

وفي سادسه: قبض على جماعة من القوصونية.

وفي يوم الخميس سابعه: قدم أولاد السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون من قوص، وعدتهم ستة. فركب الأمراء إلى لقائهم، وهرعت العامة إليهم. فساروا من الحراقة على القرافة حتى حاذوا تربة جر كتمر، فصاحت العامة: «هذه تربة الذى قتل أستاذنا الملك المنصور»، وهجموها، وأخذوا ما فيها وخربوها حتى صارت كوم تراب. فلما وصل أولاد السلطان تحت القلعة أتاهم الأمير جمال الدين يوسف والى الجيزة الذى تولى القاهرة، وقتل ركة رمضان ابن السلطان، فرسه برجله وسبه، وقال: «أتنسى ونحن فى الحراقة عند توجهنا لقوص، وقد طلبنا مأكلا من الجيزة، فقلت خذوهم وروحوا إلى لعنة الله، ما عندنا شىء؟» فصاحت به العامة: «لله مكننا من نهبه، هذا

قوصونى»، فأشار بيده أن انهبوا بيته، فتسارعوا فى الحال إلى بيته المجاور للجامع الظاهرى من الحسينية، حتى صاروا منه إلى باب الفتوح. فقامت إخوته ومن يلوذ به فى دفع العامة بالسلاح، وبعث الأمير أيدغمش أيضا بجماعة ليردهم عن النهب، وخرج إليهم نجم الدين والى القاهرة، وكان أمرا مهولا قتل فيه من العامة عشرة رجال، وجرح خلق كثير، ولم ينتهب شىء.

وفى يوم الأحد عاشره: قدم مملوك الأمير قطلوبغا الفخرى ومملوك الأمير طقزدمر بوصول العساكر إلى غزة فى انتظار قدوم السلطان إليهم من الكرك، وأن يحلف جميع أمراء مصر وعساكرها على العادة. فجمعوا بالميدان، وأخرجت نسخة اليمين المحضرة، فإذا هى تتضمن الحلف للسلطان، ثم للأمير قطلوبغا الفخرى. فتوقف الأمراء عن الحلف لقطلوبغا حتى ابتداء الأمير أيدغمش وحلف، فتبعه الجميع خوفا من وقوع الفتنة، وجهزت نسخة اليمين إلى قطلوبغا.

وفيه قبض على عدة من العامة نهبوا بعض كنائس النصارى، وصلبوا تحت القلعة، ثم أطلقوا.

وأما العسكر الشامى فإنه أقام بغزة، وقد جمع لهم نائبها آقسنقر الإقامات من بلاد الشوبك وغيرها، حتى صار عنده ثلاثة آلاف غرارة من الشعير وأربعة آلاف رأس من الغنم، غير ذلك مما يحتاج عليه. وكتب الأمراء إلى السلطان بقدمهم صحبة مما ليكهم مع الأمير قمارى أمير شكار، فساروا إلى الكرك، وقد قدمها أيضا الأمير يحيى بن طابريغا صهر السلطان برسالة الأمير أيدغمش يستحثه على المسير إلى مصر، فأقاموا جميعا ثلاثة أيام لم يؤذن لهم فى دخول المدينة. ثم أتاهم كاتب نصرانى وبازدار يقال له أبو بكر ويوسف بن البصال، وهؤلاء الثلاثة هم خاصة السلطان من أهل الكرك، فسلموا عليهم وطلبوا ما معهم من الكتب. فشق ذلك على الأمير قمارى، وقال لهم: «معنا مشافهات من الأمراء للسلطان، ولا بد من الاجتماع به». فقالوا: «لا يمكن الاجتماع به، وقد رسم إن كان معكم كتاب أو مشافهة أن تعلمونا بها». فلم يجدوا بدا من دفع الكتب إليهم، وأقاموا إلى غد. فجاءتهم كتب محتومة، وقيل للأمير يحيى: «اذهب إلى عند الأمراء بغزة»، فساروا جميعا عائدين إلى غزة، فإذا فى الكتب الثناء على الأمراء، وأن يتوجهوا إلى مصر، فإن السلطان يقصد مصر بمفرده، ويسبقهم. فتغيرت خواطرهم، وقالوا وطالوا، وخرج قطلوبغا الفخرى عن الحد وأفرط به الغضب، وعزم على الخلاف. فركب إليه الأمير طشتمر حمص أخضر نائب حلب والأمير جنكلى بن البابا والأمير بيبرس الأحمدى، وما زالوا به حتى كف عما عزم عليه، ووافق على المسير، وكتبوا بما كان من ذلك إلى الأمير أيدغمش، وتوجهوا جميعا من غزة يريدون مصر.

وكان أيدغمش قد بعث ولده بالخيل الخاص إلى السلطان، فلما وصل الكرك أرسل السلطان من أخذ منه الخيل، ورسم بعوده إلى أبيه. وأخرج السلطان من الكرك رجلا يعرف بأبى بكر البزدار ومعه رجلا ن لييشروا بقدمه، فوصلوا إلى الأمير أيدغمش فى يوم الإثنين خامس عشرية، بلغوه السلام من السلطان، وعرفوه أنه قد ركب الهجن وسار على البرية صحبة العرب، وأنه يصباح أو يماسى، فخلع عليهم أيدغمش، وبعثهم إلى الأمراء فأعطاهم كل من الأمراء المقدمين خمسة آلاف درهم وأعطاهم بقية الأمراء على قدر حالهم، وخرج العامة إلى لقاء السلطان.

فلما كان يوم الأربعاء سابع عشرية: قدم قاصد السلطان إلى الأمير أيدغمش بأن السلطان يأتى ليلا من باب القرافة، وأمره أن يفتح له باب السر حتى يعبر منه، ففتحه. وجلس أيدغمش وألطنبغا الماردانى حتى مضى جانب من ليلة الخميس ثامن عشرية. أقبل السلطان فى نحو العشرة رجال من أهل الكرك، وقد تلتئم وعليه ثياب مفرجة، فتلقوه وسلموا عليه، فلم يقف معهم، وأخذ جماعته ودخل بهم. ورجع الأمراء وهم يتعجبون من أمره، وأصبحوا فدقت البشائر بالقلعة، وزينت القاهرة ومصر.

واستدعى السلطان الأمير أيدغمش فى بكرة يوم الجمعة، فدخل إليه وقبل له الأرض فاستدناه السلطان وطيب خاطره، وقال له: «أنا ما كنت أتطلع إلى الملك، وكنت قانعا بذلك المكان، فلما سيرتم فى طلبى ما أمكنتنى إلا أن أحضر كما رسمتم»، فقام أيدغمش وقبل الأرض ثانيا.

ثم كتب أيدغمش عن السلطان إلى الأمراء الشاميين يعرفهم بقدمه إلى مصر، وأنه فى انتظارهم، وكتب علامته بين الأسطر «الملوك أحمد بن محمد»، وكتب إليهم أيدغمش أيضاً. وخرج مملوكه بذلك على البريد، فلقبهم على الوردادة، فلم يعجبهم هيئة عبور السلطان، وكتبوا إلى أيدغمش بأن يخرج إليهم هو والأمراء إلى سرياقوس، ليتفقوا على ما يفعلونه.

فلما كان يوم عيد الفطر منع السلطان السماط، ومنع الأمراء من طلوع القلعة، ورسم أن يعمل كل أمير سماطه فى داره، ولم ينزل لصلاة العيد، وأمر الطواشى عنبر المسحرتى مقدم المماليك ونائبه الطواشى الإسماعيلى أن يجلسا على باب القلعة، ويمنعاً من يدخل عليه. وخلا السلطان بنفسه مع الكركيين، فكان الحاج على إخوان سلار^(١) إذا أتى مع الطعام على عادته خرج إليه يوسف وأبو بكر البزدار، وأطعماه ششنى^(٢)،

(١) المقصود وظيفة تقديم الطعام للسلطان.

(٢) المقصود حصة قليلة تؤخذ من الشىء.

وتسلما منه السماط، وعبرا به إلى السلطان، ووقف خوان سلاز ومن معه حتى يخرج إليهم الماعون.

وحدث جمال الدين بن المغربي رئيس الأطباء أن السلطان استدعاه وقد عرض له وجع فى رأسه، فوجده جالسًا وإلى جانبه شاب من أهل الكرك جالس، وبقية الكركيين قيام، فوصف له ما يناسبه، وتردد إليه يومين وهو على هذه الهيئة.

وفى يوم الأحد تاسع شوال: قدم الأمير قطلوبغا الفخرى والأمير طشتمر حمص أخضر، وجميع أمراء الشام وقضاتها، والوزراء ونواب القلاع، فى عالم كبير حتى سدوا الأفق، ونزل كثير منهم تحت القلعة فى الخيم. وكان قد خرج إلى لقائهم الأمير أيدغمش والحاج آل ملك والجاوى والطنبغا الماردانى، وأخذ قطلوبغا الفخرى يتحدث مع أيدغمش فيما عمله السلطان من قدومه فى زى العريان، واختصاصه بالكركيين، وإقامة أبى بكر البزدار حاجبًا. وأنكر أيدغمش ذلك على السلطان غاية الإنكار، وطلب من الأمراء موافقته على خلعه وردّه إلى مكانه، فلم يمكنه الأمير طشتمر حمص أخضر من ذلك، وساعده الأمراء أيضًا، وما زالوا به إلى أن أعرض عما هم به.

فلما كان يوم الإثنين عاشره: ألبس السلطان، وجلس على تحت الملك، وقد حضر الخليفة الحاكم بأمر الله^(١) وقضاة مصر الأربعة، وقضاة دمشق الأربعة، وجميع الأمراء والمقدمين. وعهد إليه الخليفة، وقبل الأمراء الأرض على العادة، ثم قام العالمان على قدميه، فتقدم الأمراء وباسوا يده واحدًا بعد واحد، على مراتبهم، وجاء الخليفة بعدهم، وقضاة القضاة ما عدا الحسام حسن بن محمد الغورى، فإنه لما طلع مع القضاة وجلسوا بجامع القلعة حتى يؤذن لهم على العادة، جمع عليه صبى من صبيان المطبخ السلطانى جمعًا كبيرًا من الأوباش؛ لحقد كان فى نفسه عليه عندما تحاكم هو وزوجته عنده، فإنه أهانه، وضربه. وهجم هذا الصبى على القضاة بأوباشه، ومد يده إلى الغورى من بينهم، فأقامه الأوباش وحرقوا عمامته، وقطعوا ثيابه، وهم يسحبونه ويصيحون عليه: «يا قوصونى!» ثم ضربوه بالنعال ضربًا مؤلمًا، وقالوا له: «يا كافر! يا فاسق!» فارتجت

(١) أحمد بن المستكفى بالله سليمان بن الحاكم بأمر الله الأول، أبو القاسم، الحاكم بأمر الله الثانى: من خلفاء الدولة العباسية الثانية بمصر. بويح سنة ٧٤٢هـ، وليس السواد، وخطب خطبة بليغة وخلع على بعض الأمراء والأعيان، وفوض الأمور (على العادة) للمنصور القلاونى (أبى بكر بن محمد) واستمر إلى أن مات فى القاهرة ولم يكن من الأمر شىء. انظر الدرر الكامنة ١/ ١٣٧ والبداية والنهاية ١٤/ ١٩١ وبدائع الزهور ١/ ٢٠٠ وابن الوردى ٢/ ٣٣١ وتاريخ الخميس ٢/ ٣٨٢ والنجوم الزاهرة ١٠/ ٢٨٤ والأعلام ١/ ١٣٣.

القلعة، وأقبل علم دار حتى خلصه منهم، وهو يستغيث: «يا مسلمين! كيف يجرى هذا على قاض من قضاة المسلمين». فأخذ المماليك جماعة من تلك الأوباش، وجروهم إلى الأمير أيدغمش فضربهم، وبعث طائفة من الأوجاقية فساروا بالغورى إلى منزله، ولم يحضر الموكب. فثارت العامة على بيته بالمدرسة الصالحة ونهبوه، وكان يوماً شنيعاً.

وفي يوم الخميس ثالث عشره: خلع على جميع الأمراء الكبار والصغار ومقدمى الحلقة، وأنعم على الأمير طشتمر حمص أخضر بعشرة آلاف دينار، وعلى الأمير قطلوبغا الفخرى بما حضر صحبته من الشام، وهو أربعة آلاف دينار ومائة ألف درهم فضة، ونزل فى موكب عظيم. وكان قد قدم معه من أمراء الشام سنجر الجمقدار وتمر الساقى وطرنتاى البشمقدار وأقبغا عبد الواحد، وتمر الموساوى والجلالى وابن قراسنقر وأسنبغا ابن البوبكرى، وبكتمر العلائى وأصلم نائب صفد.

وفيه طلب السلطان الوزير نجم الدين، ورسم له أن يكون يوسف البزدار ورفيقه مقدمى البزدارية ومقدمى الدولة، وخلع السلطان عليهما كلفتهاه زركش وأقبية طرد وحش بجوائص ذهب فحكما فى الدولة وتكبرا على الناس، وصارا فيهم بمحق زائد، وصارا لا يأتمران بأمر الوزير، ويمضيان ما أحبا. وصحبهما كثير من الأشرار، وعرفوهما بأرباب الأموال، فشملت مضرتهما كثيراً من الناس، وانهمكا فى اللهو، فثقل أمرهما على الكافة.

وفي عصر يوم السبت خامس عشره: خلع على الأمير طشتمر حمص أخضر، واستقر فى نيابة السلطنة بديار مصر، فجلس والحجاب قيام بين يديه، والأمراء فى خدمته. فكان أول ما بدأ به أن قلع الشباك الذى كان يجلس فيه قوصون، وخلع الخشب الذى عمله فى باب القلعة، وباشر النيابة بجرمة وافرة.

وفي يوم الخميس سابع عشره: أخرج السلطان محمل الحاج. وفيه أخرج السلطان عبد المؤمن بن عبد الوهاب السلامى والى قوص من السجن، وسم على باب المارستان المنصورى من القاهرة بمسامير جافية شنعة، وطيف به مدة ستة أيام، وهو يحادث الناس فى الليل بأخباره. فمما حدثهم به أنه هو الذى ركب حتى ضرب النشو كما تقدم ذكره، وأنه لما سقطت عمامته ظنها رأسه. وكان إذا قيل له اصبر يا عبد المؤمن يقول أسأل الصبر، وينشد كثيراً:

يُيكى علينا ولا نبكى على أحد ونحن أغلظ أكباداً من الإبل
فلما كان يوم السبت ثانى عشره: شق عبد المؤمن على قطرة السد ظاهر مدينة مصر عند الكيمان، وترك حتى ورم وأكلته الكلاب.

وكان عبد المؤمن من السلاجقة بالعراق، فبعثه المجد السلاجقى إلى السلطان الناصر محمد مرارا حتى عُرف عنده. ثم تنكر عبد المؤمن على المجد السلاجقى ورافعه إلى السلطان حتى تغير عليه، وكتب إلى أبى سعيد بإحضاره. فأثبت المجد السلاجقى محضرا على عبد المؤمن بأنه رافضى كافر قتال الأنفس، وقدم به على السلطان وتحاقق معه. فتعصب قوصون لعبد المؤمن حتى بطلت حجة المجد السلاجقى عليه مع ظهورها، فاختص عبد المؤمن بقوصون، ولبس الكلفته، ثم ولى قوصون. وكان شجاعا فاتكا، يتجاهر بالفرض، ويقول إذا حلف على شىء: «وحياة مولاي على».

وفي هذه الأيام: أخرج بأحد وعشرين أميرا إلى الإسكندرية، صحبة الأمير طشتمر طليليه، منهم أرقطاي نائب طرابلس، وجر كتمر بن بهادر، وابن الحسنى والى القاهرة، وأسنبغا بن البوبكرى، ويلجك ابن أخت قوصون، وبرسبغا الحاجب. فلما وصلوا إلى الثغر وسجنوا به، قُتل قوصون وألطنبغا الصالحى نائب الشام، وجر كتمر بن بهادر، وبرسبغا الحاجب.

وفيه رسم للأجناد الذين استخدمهم قطلوبغا الفخرى بعودهم إلى دمشق بطالين، فكثرت تشكيهم، ووقفوا للنائب فلم تسمع لهم شكوى.

وفيه أكثر السلطان من الإنعام على أهل الكرك حتى خرج عن الحد، وعزم على مسك بيبرس الأحمدى وغيره من الأمراء، فاحترزوا على أنفسهم إلى أن وقع الكلام مع السلطان فى شىء من ذلك فاجتمع عنده الأمراء، وابتدأ الحاج آل ملك فى طلب بلد يتوجه إليه، وسأل نيابة حماة، فخلع عليه فى يوم الخميس عشريه واستقر فى نيابة حماة، عوضا عن طقزدمر. وخلع السلطان على بيبرس الأحمدى، واستقر فى نيابة صفد، وعلى أقسنقر واستقر فى نيابة غزة.

وفي يوم الإثنين مستهل ذى القعدة: سار الأمير الحاج آل ملك إلى نيابة حماة.

وفيه خلع السلطان على الأمير قطلوبغا الفخرى، واستقر فى نيابة الشام، وعلى الأمير أيدغمش بنيابة حلب.

وفي يوم الثلاثاء: استقر قمارى أمير آخور، عوضا عن أيدغمش. أحمد شاد الشرايجاناه أمير شكار، عوضا عن قمارى، واستقر آقبغا عبد الواحد فى نيابة حمص.

وفيه رسم السلطان أن يستقر سنجر البشمقदार وتمر الساقى من جملة أمراء مصر.

وفيه أنعم السلطان على قراجا بن دلغادر، وقد قدم إلى مصر بإنعامات كثيرة، وكتب له بالأمرية على التركمان، وتوجه إلى نيابة الإبلستين.

وفي يوم الأحد سابعه: خرج الأمير أيدغمش متوجها إلى نياية حلب.

وفي يوم الإثنين خامس عشره: خرج الأمير قطلوبغا الفخرى متوجها إلى دمشق، ومعه من تأخر من عسكر الشام. وخرج الأمير طشتمر حمص أخضر النائب ومعه جميع الأمراء لوداعه، ومد له سماطا عظيما.

وفي يوم السبت عشريه: قبض على الأمير طشتمر حمص أخضر نائب السلطنة، وسبب ذلك أنه أكثر من معارضة السلطان بحيث تغلب عليه ورد مراسيمه، وصار يتعاطم ويظهر من الترفع على الأمراء والأجناد ما لا يحتمل مثله، وإذا شفع إليه أحد من الأمراء رد شفاعته ولم يقبلها، ولا يقف لأمر إذا دخل إليه، وإذا أتته قصة عليها علامة السلطان بإقطاع أو غيره أخذ ذلك وطرد من هى باسمه، وأحرق به. وقرر طشتمر مع السلطان أنه لا يمضى من المراسيم السلطانية إلا ما يختاره، وتقدم إلى الحاجب بالألا يقدم أحد قصة إلى السلطان حتى يكون حاضرا، ومنع ذلك، فلم يتجاسر أحد أن يقدم قصة للسلطان فى غيبته وتقدم جماعة من المماليك لطلب ما يزيد فى مراتبهم، فرسم طشتمر أن كل من خرج عن خبزه يعود إليه، ولم يمكن المماليك السلطانية من أخذ شىء. وأخذ طشتمر إقطاع الأمير بيبرس الأحمدي وتقدمته لولده، فكرهته الناس. وصارت أرباب الدولة وأصحاب الأشغال كلها فى بابه، وتقربوا إليه بالهدايا والتحف. وانفرد طشتمر بأمور الدولة، وحط على الكركيين، وقصد منعهم من الدخول على السلطان، فلم يتهدأ له ذلك. وكان ناصر الدين المعروف بفأر السقوف قد توصل بالكركيين حتى استقر بفضل توصيتهم فى وظيفة إمام السلطان يصلى به، وصار كذلك ناظر المشهد النفيسى، عوضا عن تقى الدين على بن القسطلانى خطيب جامع عمرو وجامع القلعة.

وخلع السلطان على ناصر الدين بغير علم النائب طشتمر، فبعث إليه طشتمر عدة نقيباء ونزع عنه الخلعة، وسلّمه إلى المقدم إبراهيم بن صابر، وأمر بضربه وإلزامه بحمل مائة ألف درهم. فضربه ابن صابر عريانا ضربا مبرحا، واستخرج منه أربعين ألف درهم، ثم أفرج عنه بشفاعة أيدغمش وقطلوبغا الفخرى، بعد ما أشهد عليه أنه لا يطلع إلى القلعة.

وأخذ طشتمر قصر معين بالغور من مباشرة قوصون، وأحاط بما فيه من القند والعسل والسكر، وغير ذلك. فكثر حنق السلطان منه وتغيره عليه، إلى أن قرر مع المقدم عنبر السحرتى والأمير آقسنقر السلارى فى القبض عليه وعلى قطلوبغا الفخرى،

وأن يستدعى ممالك بشتاك وقوصون وينزلهم بالأطباق من القلعة، ويقطعهم إقطاعات بالحلقة؛ ليصيروا من حملة الممالك السلطانية، خوفاً من حركة طشتمر النائب فعارض طشتمر السلطان فيهم، فرتب السلطان عدة ممالك بداخل القصر للقبض عليه.

وكان مما جدد طشتمر فى نيابته أن منع الأمراء أن تدخل إلى القصر بماليكها، وبسط من باب القصر بسطاً إلى داخله، فكان الأمير لا يدخل القصر وقت الخدمة إلا بمفرده، فدخل هو أيضاً بمفرده ومعه ولداه إلى القصر، وجلس على السماط على العادة. فعندما رفع السماط قبض كشلئ السلاح دار أحد الممالك - وكان معروفاً بالقوة - على كفيه من خلف ظهره قبضاً عنيفاً، وبدر إليه جماعة فأخذوا سيفه، وقيدوه وقيدوا ولديه. ونزل أمير مسعود الحاجب فى عدة من الممالك السلطانية، فأوقع الحوطة على بيته، وأخذ ممالكه جميعهم فسجنهم.

وخرج فى الحال ساعة القبض على طشتمر الأمير ألتنبغا الماردانى والأمير أروم بغا السلاح دار، ومعهما من أمراء الطبلخاناة والعشرات نحو من خمسة عشر أميراً، ومعهم من الممالك السلطانية وغيرهم ألف فارس؛ ليقبضوا على قطلوبغا الفخرى نائب الشام. وكتب السلطان إلى الأمير آقسنقر الناصرى نائب غزة بالركوب معهم بعسكره، فجمع من عنده ومن فى معاملته من الجيلية. وكان قطلوبغا الفخرى قد ركب من الصالحية قبله مسك طشتمر ومسير العسكر إليه من هجان بعث به إليه بعض ثقاته، فساق إلى قطيا وأكل بها شيئاً، ورحل وقد استعد حتى تعدى للعريش^(١)، فإذا آقسنقر بعسكر غزة فى انتظاره على الزعقة. وكان ذلك وقت الغروب، فوقف كل منهما تجاه صاحبه حتى أظلم الليل فسار الفخرى بمن معه وهم ستون فارساً على البرية. فلما أصبح آقسنقر علم أن الفخرى فاته، فمال أصحابه على أئقال الفخرى فنهبوا، وعادوا إلى غزة.

واستمر الفخرى ليلته ومن الغد حتى انتصف النهار وهو سائق، فلم يتأخر معه إلا سبعة فرسان ومبلغ أربعة آلاف دينار، وقد وصل بيسان وعليها الأمير أيدغمش نازل. فترامى عليه الفخرى وعرفه بما جرى، وأنه قطع خمسة عشر بريداً فى مسير واحد. فطيب أيدغمش خاطره، وأنزله فى خام ضرب له، وقام له بما يليق به، فلما جنه الليل أمر به فقيده وهو نائم، وكتب بذلك إلى السلطان مع بكاء الخضرى.

(١) هى مدينة كانت أول عمل مصر من ناحية الشام على ساحل بحر الروم فى وسط الرمل.

وكان السلطان لما بلغه هروب قطلوبغا الفخرى تنكر على الأمراء، واتهمهم بالمخامرة عليه، وهم أن يمسكهم فى يوم الإثنين تاسع عشره، فتأخر عن الخدمة الجاولى وجماعة، فلما كان وقت الظهر بعث السلطان لكل أمير أربعين طائر أوز، وسأل عنهم، ثم بعث آخر النهار إليهم، بأمرهم أن يطلعوا من الغد. فقدم بكاء عشية يوم الثلاثاء مستهل ذى الحجة ومعه سيف قطلوبغا الفخرى - فسر السلطان بذلك، وكتب بحمله إلى الكرك. فلما طلع الأمراء إلى الخدمة فى يوم الثلاثاء ترضاهم، وبشرهم بمسك قطلوبغا الفخرى، ثم أخبرهم أنه متوجه إلى الكرك، وأنه يعود بعد شهر. وكان السلطان قد تجهز إلى الكرك، فأخرج فى ليلة الأربعاء طشتمر حمص أخضر فى محارة^(١) بقيده، ومعه جماعة من المماليك السلطانية موكلون بحفظه، وعين مع المقدم عنبر السحرتى عدة من المماليك.

وتقدم السلطان إلى الخليفة بعدما ولاه نظر المشهد النفيسى، عوضاً عن ابن القسطلانى، أن يسافر معه إلى الكرك. ورسم لجمال الكفاة ناظر الخاص والجيش، ولعلاء الدين على بن فضل الله كاتب السر، أن يتوجها معه إلى الكرك، وركب معه الأمراء من قلعة الجبل يوم الأربعاء تانيه، بعدما ألبس ثمانية من المماليك خلع الإمرات على باب الخزانة. وخلع السلطان على آقسنقر السلارى، وقرره نائب الغيبة، وخلع على شمس الدين محمد بن عدلان^(٢)، واستقر قاضى العسكر، وخلع على زين الدين عمر بن كمال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر البسطامى، واستقر به قاضى القضاة الحنفية، عوضاً عن حسام الدين الغورى.

فلما قارب السلطان قبة النصر خارج القاهرة وقف حتى قبل الأمراء يده على مراتبهم، ورجعوا عنه. فنزل عن فرسه، ولبس ثياب العريان، وهى كاملية مفرجة وعمامة بلثامين، وسائر الكركيين، وترك الأمراء الذين معه وهم قمارى والحجازى وأبو بكر بن أرغون النائب - مع المماليك السلطانية والطلب. وتوجه السلطان على البرية إلى الكرك، ولبس معه إلا الكركيين ومملوكين، وهم فى أثره، فقاوسوا مشقة كبيرة من العطش وغيره، حتى وصلوا ظاهر الكرك، وقد سبقهم السلطان إليها،

(١) الميم والحاء والراء أصل، وهو صندوق للسفر. انظر مقاييس اللغة ٦ / ٨٦.

(٢) محمد بن أحمد بن عثمان بن إبراهيم بن عدلان بن محمود بن لاحق بن داود، شمس الدين الكنانى: فقيه شافعى مصرى ناب فى الحكم عن ابن دقيق العيد، وأرسل إلى اليمن فى أيام الناصر محمد بن قلاوون. وتوفى بالطاعون بمصر. انظر طبقات الشافعية ٥ / ٢١٤ ودار الكتب ١ / ٥٢٢ والأعلام ٥ / ٣٢٦.

وقدمها فى يوم الثلاثاء ثامنه، فكتب السلطان إلى الأمراء بمصر يعرفهم ذلك، ويسلم عليهم، فقدم كتابه يوم الخميس سابع عشره.

ولما دخل الملك الناصر أحمد إلى الكرك لم يمكن أحدا من العسكر أن يدخل المدينة سوى علاء الدين على بن فضل الله كاتب السر، وجمال الكفاة ناظر الخاص والجيش، فقط. ورسم السلطان أن يسير الأمير المقدم عنبر السحرتى بالماليك إلى قرية الخليل عليه السلام، وأن يسير قمارى وعمر ابن النائب أرغون والخليفة إلى القدس. ثم رسم السلطان أن ينتقل المقدم بالماليك إلى غزة؛ لغلاء السعر بالخليل.

وفى أثناء ذلك وصل أمير على بن أيدغمش بالأمير قطلوبغا الفخرى مقيدا إلى غزة، وبها العسكر المجهز من مصر، ومضى به إلى الكرك. فبعث السلطان إليه من تسلّم الفخرى منه، وأعادته إلى أبيه، ولم يجتمع به فسجن قطلوبغا الفخرى وطشتمر حمص أخضر بقلعة الكرك، بعد ما أهين الفخرى من العامة إهانة بالغة ونكل به نكالا فاحشا.

وفيه كتب السلطان لآقسنقر نائب غزة بإرسال حريم قطلوبغا الفخرى إلى الكرك، وكانوا قد ساروا من القاهرة بعد مسيره بيوم، فجهزهن آقسنقر إليه، فأخذ أهل الكرك جميع ما معهن حتى ثيابهن، وبالغوا فى الفحش والإساءة.

وفيه كتب السلطان لآقسنقر السلارى نائب الغيبة بمصر أن يوقع الخوطة على موجود طشتمر حمص أخضر، وقطلوبغا الفخرى، ويحمل ذلك إليه بالكرك.

وكان السلطان إذا رسم بشيء جاء كاتب كركى لكاتب السر وعرفه عن السلطان بما يريد، فيكتب ذلك ويناوله للكاتب، فيأخذ عليه علامة السلطان. ويبعثه حيث رسم به.

وأما العسكر المتوجه من القاهرة إلى غزة، فإن ابن أيدغمش لما قدم عليهم غزة ومعه قطلوبغا الفخرى، أراد الأمير أظنبا الماردانى أن يؤخره عنده بغزة، حتى يراجع فيه السلطان. فلم يوافق ابن أيدغمش، وتوجه إلى الكرك، فرحل الماردانى وبقية العسكر عائدين إلى القاهرة، فقدموها يوم السبت خامس ذى الحجة.

وفيه أخذ السلطان فى تحصين الكرك وشحنها بالغللال والأقوات وأخرج بكتمر العلائى منها إلى طرابلس ومحمد أبوه إلى صفد.

وفى هذه السنة: أخرج حسام الدين حسن الغورى من مصر بعد عزله من قضاء القضاة الخنفية، فتوجه إلى العراق. وسبب ذلك أنه كان قد توحش ما بينه وبين القضاة

الثلاثة؛ لقبح أفعاله. وكان إذا جلس مع السلطان احتوى عليه وخاطبه باللسان التركي، ونكب على القضاة. وكان يتجرأ على الناس ويضع منهم، ولا يزال ينصر المرأة على زوجها إذا شكته إليه حتى يخرج في ذلك عن الحد. فادعت امرأة عنده على زوجها بما استحق من صداقها وكسوتها، وأظهرت صداقها عليه فإذا فيه أن المنجم^(١) في كل سنة دينار. فاستدناها منه، وأمرها فكشف عن وجهها وأعجبته، وقال لأبيها وكان قد حضر معها: «يا مدمغ! مثل هذه تزوجها بدينار كل سنة؟ والله يا مدمغ يساوي مبيتها كل ليلة مائة درهم» والتفت القاضى إلى زوجها: وقال: «يا تيس! تستغلى هذه بهذا القدر؟ والله أنت أدمغ من أبيها، هذه يساوي مبيتها كل ليلة مائة درهم».

وحكى القاضى الغورى عن نفسه فى مجلس الأمير قوصون بمحضرة الأمراء، أنه لما كان محتسبا ببغداد وقف على حانوت حلوانى قد حل صاحبه تمرًا وقصره حتى ابيض فسأل عنه، فقال هذه قسب^(٢) وقصرته بالبيض، فقال له: «ويلك! مجنون أنت؟ أنا عندى جارية سوداء، لى عشر سنين أقصرها بالبيض، وما ابيضت». وادعت امرأة على زوجها عنده بحق وجب عليه، فكذب بحبسه، فقال له الزوج: «والمرأة أيضا تكون برواق البغدادية حتى أحصل لها حقها»، فقال له الغورى «ويلك! أنت مجنون؟ أنا أكون أحق من البغدادية بهذى، وتكون عندى أحفظها»، وأشار لنقيبته فأخذ المرأة إلى طبقته، وأقامت عنده مدة حتى أصلح أمرها مع زوجها.

وكان القاضى الغورى إذا تداعى عنده اثنان يأمر موقعه فيكتب ما يقول أحدهما فى غيبة الآخر، فإذا انتهى كلامه أخرجه، وأحضر خصمه فيكتب أيضا ما يقول. وكذلك إذا شهد عنده جماعة فرق بينهم، وكتب ما يقول كل واحد على انفراد، فكانت المحاكمة لا تنتهى عنده إلا بعد مدة. وكان من الغى على جانب كبير. ودُعى مرة إلى عقد نكاح أولاد الأمراء هو والقضاة الثلاثة، فلما دخل معهم وقد فرش البيت بالحرير والزركش تجنب القضاة الجلوس على ذلك، وتنجوا عنه. فجلس هو على مقعد

(١) المقصود المال الذى ينبغى تأديته على أقساط.

(٢) القسب: التمر اليابس يفت فى الفم، صلب النواة؛ قال الشاعر يصف ربحًا:

أسمر خطيا كأن كعوبه سوى القسب قد أرمى ذراعًا على العشر

قال ابن البرى: هذا البيت يذكر أنه لحاتم الطائى، ولم أحده فى شعره، وأرمى وأربى، لغتان، قال الليث: ومن قاله بالصاد، فقد أخطأ، ونوى القسب: أصلب النوى، والقسابة: ردىء التمر. انظر لسان العرب ٣٦٢٢.

حرير مزرکش، وقال: «يا جماعة الجند أتبصروا كذا فعل هؤلاء يدعوا كذا الجلوس على هذا الحرير، وأقسم بالله لو قدروا عليه باعوه في الأسواق، وأكلوا ثمنه» فضحك من في المجلس، ونزل بالقضاة من الخجل ما لا يعبر عنه، وتقدم إليه مرة مديون وضامنه في الدين ضماناً إحضار، فادعى عليه غريمه، فاعترف بما عليه، وأقر الضامن له بضمانه. وكان المديون رث الهیئة زریّ الحال، فصاح القاضي: «أخرجوا هذا المعثر من قدامی»، ونظر إلى ضامنه وقال: «أعط هذا ماله». فقال: «يا مولانا هذا غريمه أحضرته إليه، فقال: هاتوا الجحش - یعنی الفلقة -، واقتلوا هذا حتى يعطى المال وأنت تلبس المسنجب والفرجيات واللباس الرفیع حتى أحوج هذا أن يعطى ماله لمعثر»، فلم يجد الضامن بدا من التزامه بالمال خوفاً من الإخراق.

ورأى القاضي الغورى مرة رجلا بيده فروجين، قد مسك أرجلهما بيده، وصارت رأسهما إلى أسفل، فأمر به أن يصلب، فمازال به الناس حتى ضربه ضرباً مؤلماً، وتركه. وألزم القاضي الغورى الشهود أن يكون في كل مسطور شهادة أربعة، وأن يكتبوا سكن المديون، ومجونه وجنونه كثير، له فيه نوادر مستقبحة وقبائح شنيعة. فلما رسم بعزله أثبتت عليه محاضر توجب إراقة دمه، فقام بعض الأمراء معه، ومازال ببعض قضاة الشافعية حتى حكم بحرق دمه وتسفيره من مصر.

وفي هذه السنة: اتفقت واقعة غريبة، وهي أن رجلاً بواردياً^(١) يقال له محمد بن خلف - بخط السيوفيين من القاهرة - قبض عليه في يوم السبت سادس عشر رمضان، وأحضر إلى المحتسب، فوجد بمخزنه من فراخ الحمام والزراير المملوحة عدة أربعة وثلاثين ألف ومائة وستة وتسعين، من ذلك فراخ حمام عدة ألف ومائة وستة وتسعين فرخاً، وزراير عدة ثلاثة وثلاثين ألف زرزور، وجميعها قد ننتت وتغيرت ألوانها. فأدب وشهر، وأتلفت كلها.

وفيها قدم الأمير بيبرس الأحمدي نائب صفد^(٢) بمن معه إلى دمشق، وليس بها نائب. فجاء مرسوم السلطان من الكرك بمكة، فقبض عليه أمراؤها، وأنزلوه بقصر تنكز.

* * *

ومات في هذه السنة من الأعيان

(١) على هامش ط: البواردي هو تاجر الطيور المحفوظة بالترديد أو التمليح.

(٢) مدينة في جبال عاملة المطللة على حمص بالشام، وهي من جبال لبنان. انظر معجم البلدان

جمال الدين إبراهيم بن أيك الصفدى، أخو الصلاح الصفدى، فى رابع جمادى الآخرة بدمشق. وكان يتقن عدة صنائع، وسمع بالقاهرة والشام، وشدَّ أطرافاً من الحساب والفرائض، وغير ذلك.

ومات السلطان الملك المنصور سيف الدين أبو بكر ابن الملك الناصر محمد ابن الملك المنصور قلاوون الألفى الصالحى، مقتولاً بقوص^(١)، وحمل رأسه إلى قوصون. وومات الأمير علاء الدين أظنغا الصالحى نائب دمشق، وهو أحد المماليك المنصورية قلاوون، وربى عند السلطان الناصر محمد، وتوجه معه إلى الكرك.

فلما عاد الناصر إلى السلطنة أنعم عليه بإمرة، وعمله جاشنكيره، ثم ولاه حاجباً، ونقله من الحجابية إلى نيابة حلب، بعد موت أرغون النائب، فسار سيرة مشكورة. ثم عزله السلطان الناصر فى سبيل رضى الأمير تنكز، وأقدمه إلى مصر، ثم ولاه غزة. ثم ولاه قوصون نيابة الشام، وآل أمره إلى أن مات مسجوناً بالإسكندرية.

ومات القان أزبك بن طغرلجا بن منكوتر بن طغان بن باطو بن دوشى خان بن جنكز خان، ملك الططر بالمملكة الشمالية، بعدما حكم بها مدة ثمان وعشرين سنة، وقام بعده ابنه جانى بك خان. وكان أزبك قد أسلم وحسن إسلامه.

وتوفى قاضى القضاة الشافعية بحلب برهان الدين إبراهيم بن الفخر خليل بن إبراهيم الرسعنى.

ومات الأمير بشتاك الناصرى مقتولاً بالإسكندرية، فى ربيع الآخر. وكان إقطاعه سبع عشرة إمرة طبلخانة، تعمل مائى ألف دينار كل سنة. وأنعم عليه الناصر محمد فى يوم بألف ألف درهم، وكان راتب سماطه كل يوم خمسين رأس غنم وفرسا، لابد من ذلك، وكان كثير التيه، لا يحدث مباشره إلا بترجمان، ويعرف بالعربى ولا يتكلم به.

ومات الأمير طاجار الدوادر، قتلاً.

ومات الأمير جركتمر بن بهادر رأس نوبة، قتلاً.

ومات أمير على ابن الأمير سلار، يوم الجمعة ثالث عشر ربيع الآخر.

ومات الأمير سيف الدين قوصون مقتولاً بسجن الإسكندرية. رقاہ السلطان الناصر

(١) هى مدينة كبيرة عظيمة واسعة قصبه صعيد مصر، بينها وبين الفسطاط اثنا عشر يوماً. انظر

٣٧٢ سنة اثنتين وأربعين وسبعمئة

محمد حتى صار أكبر الأمراء، يركب في ثلاثمائة فارس صفيين، قدام كل صف رجل يضرب بالقَبْز^(١) كما يركب ملوك المغل، وكان يفرق كل سنة ثلاثين حياصة ذهب ومائة قباء بسنجاب، ويفرق في عيد الأضحى ألف رأس غنم وثلاثمائة رأس بقر.

وتوفى خطيب الجامع الأموى بدمشق بدر الدين محمد ابن قاضى القضاة جلال الدين محمد القزوينى.

ومات وكيل بيت المال بدمشق نجم الدين محمد بن عمر بن أبى القاسم بن عبد المنعم بن أبى الطيب الدمشقى.

وتوفى الملك الأفضل محمد بن المؤيد إسماعيل بن الأفضل على ابن المظفر محمود ابن المنصور محمد ابن المظفر تقى الدين عمر بن شاهنشاه بن نجم الدين أيوب بن شادى بن مروان صاحب حماة، وكان باشرها عشر سنين، ثم نقل إلى إمرة مائة بدمشق، فمات بها فى ليلة الثلاثاء حادى عشر ربيع الآخر عن ثلاثين سنة.

ومات الأمير موسى بن مهنا بن عيسى بن مهنا بن مانع بن حديثة بن عصية بن فضل ابن ربيعة أمير آل فضل، بتدمر^(٢).

ومات الأمير بيبرس السلاح دار الناصرى نائب الفتوحات، بأياس.

ومات شرف الدين ابن الملك المغيث صاحب الكرك^(٣)، بالقاهرة.

ومات عز الدين أيبك، يوم الإثنين تاسع المحرم.

ومات الحافظ جمال الدين أبو الحجاج يوسف بن الزكى أبو محمد عبد الرحمن بن يوسف القضاعى المزى الدمشقى بها، عن ثمان وثلاثين سنة.

ومات الأمير عز الدين الكبكى، يوم الأربعاء، ثامن عشر المحرم.

ومات الأمير تمر الساقى، يوم الأحد ثامن عشرى ذى العقدة.

وتوفى تاج الدين بن الفكهانى المالكى، يوم الإثنين سابع ذى الحجة.

ومات مسمراً والى الدولة أبو الفتوح بن الخطير، وكان قد تزوج وهو نصرانى بابنة

(١) على هامش ط: لفظ تركى، وهو آلة موسيقية.

(٢) مدينة قديمة مشهورة فى بركة الشام، بينها وبين حلب خمسة أيام. انظر معجم البلدان ١٧/٢.

(٣) اسم لقلعة حصينة جدا فى طرف الشام من نواحي البلقاء فى جبالها بين أيلة وبحر القلزم

وبيت المقدس. انظر معجم البلدان ٤/٤٥٣.

شرف الدين عبد الوهاب النشو ناظر الخاص، قبل اتصاله بالسلطان الناصر محمد، فلما تولى النشو نظر الخاص عظم وإلى الدولة، وتقدم على أخوة النشو، وبأشر عند عدة من الأمراء. فلما أمسك النشو أمسك معه، وصودر هو وأخوه الشيخ الأكرم، ومازالا فى الحبس حتى أفرج عنهما فى مرض السلطان الناصر محمد الذى مات فيه، وفى جملة من أفرج عنه. وخدم أبو الفتوح عند ملكتمر الحجازى إلى أن نكب، وسمر فى يوم السبت سادس عشرى صفر. وكان جميل الوجه حسن الخلق، يذوق الأدب، ويحفظ الأشعار والوقائع، ويعرف الأحاجى والتصنيف.

ومات الأمير بدر الدين لؤلؤ الحلبي. وكان ضامن حلب، وقدم القاهرة غير مرة ورافع أهلها إلى أن سلمهم السلطان له، فعاقبهم وأخذ أموالهم. ثم ولى شد الدواوين بحلب، فكثير شاكوه، فتسلمه الأكرز مشد الجهات بديار مصر. ثم نقل إلى شد الدواوين بالقاهرة، وعزل وأخرج بعد محنة إلى حلب شاد الدواوين. ثم ضرب بالمقارع حتى مات، قال ابن الوردي:

أشكو إلى الرحمن لؤلؤا الذى أضحى يصادر سادةً وصدورا
نثر الجنوب بل القلوب بسوطه فمتى أشاهد لؤلؤا منشورا

* * *

سنة ثلاث وأربعين وسبعماية

أهلت والناس فى أمر مريخ لغيبة السلطان بالكرك، وعند الأمراء تشوش كبير، لما بلغهم من مصاب قطلوبغا الفخرى. وصار الأمير آقسنقر نائب الغيبة^(١) فى تخوف، فإنه بلغه أن جماعة من ممالك الأمراء الذين قبض عليهم قد باطنوا بعض الأمراء على الركوب عليه، فترك الركوب للموكب أياما حتى اجتمعوا عنده، وحلفوا له. ثم اتفق رأيهم على أن كتبوا للسلطان كتابا فى خامس المحرم، بأن الأمور ضائعة لغيبة السلطان، وقد نافق عربان الصعيد، وطمع الناس، وفسدت الأحوال كلها، وسألوه الحضور. وبعثوا به الأمير طقتمر الصلاحى، فعاد جوابه فى حادى عشره: «بأنتى قاعد فى موضع أشتهى، وأى وقت أردت أحضر إليكم». وذكر طقتمر أن السلطان لم يمكنه من الاجتماع به، وأنه بعث من أخذ منه الكتاب، ثم أرسل إليه الجواب.

وفيه قدم الخبير بأن السلطان قتل الأمير طشتمر حمص أخضر والأمير قطلوبغا الفخرى، وذلك أنه قصد أن يقتلها بالجوع، فأقام يومين بلياليهما لا يطعمان طعاما. فكسرا قيدهما، وقد ركب السلطان للصيد، وخلعا باب السجن ليلا، وخرجا إلى الحارس وأخذ سيفه وهو نائم، فأحس بهما وقام يصيح حتى لحقه أصحابه، فأخذوهما. وبعثوا إلى السلطان بخبرهما، فقدم فى زى العربان، ووقف على الخندق ويده حربة، وأحضرهما وقد كثرت بهما الجراحات. فأمر السلطان يوسف بن البصارة ورفيقه بضرب أعناقهما، وأخذ يسبهما ويلعنهما، فردا عليه ردا قبيحا، وضرب رقابهما، فاشتد قلق الأمراء.

وفيه قدم كتاب السلطان إلى الأمراء يطيب خواطرهم، ويعرفهم أن مصر والشام والكرك له، وأنه حيث شاء أقام، ورسم أن تجهز له الأغنام من بلاد الصعيد، وأكد فى ذلك، وأوصى آقسنقر بأن يكون متفقا مع الأمراء على ما يكون من المصالح. فتنكرت قلوب الأمراء ونفرت خواطرهم، واتفقوا على خلع السلطان وإقامة أخيه إسماعيل، فى يوم الأربعاء حادى عشره، فكانت مدة ولايته ثلاثة أشهر وثلاثة عشر يوما، منها مدة إقامته بالكرك ومراسيمه نافذة بمصر أحد وخمسون، وإقامته بمصر مدة شهرين وأيام.

وكانت سيرته سيئة، نقم الأمراء عليه فيها أمورًا، منها أن رسله التى كانت ترد من قبله إلى الأمراء برسائله وأساراه أوباش أهل الكرك، فلما قدموا معه إلى مصر أكثروا من

(١) هو الذى يتولى شئون الدولة فى غياب السلطان.

أخذ البراطيل وولاية المناصب غير أهلها، ومنها تحكّمهم على الوزير وغيره، وحجّهم السلطان حتى عن الأمراء والماليك وأرباب الدولة، فلا يمكن أحدا من رؤيته سوى يومى الخميس والإثنين نحو ساعة. ومع ذلك فإنه جمع الأغنام التى كانت لأبيه، والأغنام التى كانت لقوصون، وعدتها أربعة آلاف رأس وأربعماية من البقر التى استحسنتها أبوه. وأخذ الطيور التى كانت بالأحواش على اختلاف أنواعها، وحملها على رعوس الحمالين إلى الكرك. وساق الأغنام والأبقار إليها، ومعهم عدة سقائين وسائر ما يحتاج إليه. وعرض الخيول والهجن، وأخذ ما اختاره منها، ومن البخاتى وحمم الوحش والزراف والسباع، وسيرها إلى الكرك. وفتح الذخيرة^(١)، وأخذ ما فيها من الذهب والفضة، وهو ستمائة ألف دينار وصندوق فيه الجواهر التى جمعها أبوه فى مدة سلطنته. وتتبع جوارى أبيه حتى عرف المتمولات منهن، فكان يبعث إلى الواحدة منهن يعرفها أنه يدخل عليها الليلة، فإذا تجملت بحليها وجواهرها أرسل من يحضرها إليه، فإذا خرجت من موضعها ندب من يأخذ جميع ما عندها، ثم يأخذ جميع ما عليها حتى سلب أكثرهن ما بأيديهن. وعرض الركاب خاناه، وأخذ جميع ما فيها من السروج واللحم والسلاسل الذهب والفضة، ونزع ما عليها من الذهب والفضة. وأخذ الطائر الذهب الذى على القبة، وأخذ الغاشية الذهب وطلعات الصناجق، وما ترك بالقلعة مالا حتى أخذه. وشتم فى قتل أمراء أبيه، وأتلف موجودهم، وأحضر حريم طشتهم حمص أخضر من حلب وقد تجهز للمسير، فأخذ سائر ما معهن، حتى لم يترك عليهن سوى قميص وسروال لكل واحدة. وأخذ أيضا جميع ما مع حريم قطلوبغا الفخرى، حتى لم تجد زوجته سرية تنكز ما تنقوت به، إلى أن بعث لهم جمال الكفاة شيئا يحملوا به إلى القاهرة.

* * *

السلطان الملك الصالح عماد الدين أبو إسماعيل ابن الملك الناصر محمد ابن الملك المنصور قلاوون الألفى الصالحى^(٢)

جلس على تخت الملك يوم الخميس ثانى عشرى المحرم سنة ثلاث وأربعين

(١) المقصود ممتلكات السلطان من المنقولات عامة.

(٢) إسماعيل بن محمد بن قلاوون، أبو الفداء، علاء الدين، الملقب بالملك الصالح ابن الملك الناصر: من ملوك الدولة القلاوونية بمصر والشام. بويج بالسلطنة بمصر بعد خلع أخيه الناصر أحمد أول سنة ٧٤٣هـ. استمر إلى أن توفى عن نحو عشرين سنة، بالقاهرة، ومدة سلطنته ثلاث سنين وشهر ونصف. انظر فهرس الكتيبخانة ١٨١/١ ونزهة الجليس ٣٠٣/٢ وشذرات الذهب ٥/ ٣٦١ وطبقات الشافعية ٥٠/ ٥ والتاج ٢١٧/١ والأعلام ١/ ٣٢٤.

وسبعمائة، بعد خلع أخيه باتفاق الأمراء على ذلك؛ لأنه بلغهم عنه أنه لما أخرج الأمير قوصون فيمن أخرج إلى قوص أنه كان يصوم يومى الإثنين والخميس، ويشغل أوقاته بالصلاة وقراءة القرآن، مع العفة والصيانة عما يرمى به الشباب من اللهو واللعب.

وحلف له الأمراء والعساكر، وحلف لهم السلطان ألا يؤذى أحداً، ولا يقبض عليه بغير ذنب يجمع على صحته. ودقت البشائر، ولقب بالملك الصالح عماد الدين، ونودى بالزينة.

وفيه فرق السلطان أخباز الأمراء البطالين ورسم بالإفراج عن المسجونين، وكتب بذلك إلى الوجه القبلى والوجه البحرى، وألا يترك بالسجون إلا من وجب عليه القتل.

وفيه أخرج السلطان عدداً كبيراً من سجون القاهرة ومصر، وتوجه القصاد للإفراج عن الأمراء من الإسكندرية.

وفيه استقر الأمير أرغون العلائى زوج أم السلطان الصالح رأس نوبة ويكون رأس المشورة ومدبر الدولة وكافل السلطان. واستقر الأمير آقسنقر السلارى نائب السلطنة.

وفى يوم الجمعة ثالث عشره: دعى للسلطان على منابر مصر والقاهرة، وكتب إلى الأمراء ببلاد الشام بالأمان والاطمئنان، وتوجه بذلك طقتمر الصلاحى.

وفيه كتب تقليد الأمير أيدغمش نيابة الشام، واستقر عوضه فى نيابة حلب الأمير طفزدمر الحموى نائب حماة. واستقر فى نيابة حماه الأمير علم الدين سنجر الجمولى.

وفيه كتب السلطان بحضور الحاج آل ملك، وحضور الأمير بيبرس الأحمدى إلى القاهرة.

وفيه كتب السلطان الملك الصالح إلى أخيه الناصر أحمد بالسلام، وإعلامه بأن الأمراء أقاموه فى السلطنة، لأنهم علموا أن الملك الناصر أحمد ليس له رغبة فى ملك مصر، وأنه يحب بلاد الكرك والشوبك^(١)، «فهى بحكمك وملكك» ورغب إليه فى أن بيعت القبة والطير والغاشية والنمجة، وتوجه بكتاب السلطان الأمير قبلاى.

وفيه خرج الأمير بيغرا ومعه عدة أمراء وأوجاقية؛ لجر الخيول السلطانية من الكرك.

وفى يوم الأربعاء ثامن عشره: قدم الأمراء والمسجونون بالإسكندرية، وعدتهم

(١) قلعة حصينة فى أطراف الشام بين عمان وأيلة والقلمز قرب الكرك. انظر معجم البلدان

سنة وعشرون أميرا، منهم قياقر، والمرقبى، وطبيغا الحمدي، وابن طوغان جق، ودقماق وأسنبغا بن البوبكرى، وابن سوسون، وناصر الدين محمد بن المحسنى الى القاهرة، وأمير على بن بهادر، والحاج أرقطاي نائب طرابلس.

فى يوم الخميس تاسع عشره: وقفوا بين يدى السلطان، فرسم أن يجلس أرقطاي مكان الجاولى، وأن يتوجه البقية على أمرىات ببلاد الشام.

وفى يوم السبت أول صفر: قدم من غزة الأمير قمارى، والأمير أبو بكر بن أرغون النائب، والأمير ملكتمر الحجازى، وصحبتهم الخليفة الحاكم بأمر الله أبو العباس أحمد والمقدم عنبر السحرتى، والمماليك السلطانية، مفارقين للناصر لأحمد. وفيه توجه الأمير طقزدمر الحموى لنيابة حلب.

وفى يوم الإثنين ثالثه: خلع على الأمير علم الدين سنجر الجاولى نائب حماة^(١) خلعة السفر، وخلع على أمير مسعود بن خطير خلعة السفر لنيابة غزة.

وفيه خلع على بدر الدين محمد بن محبى الدين بن يحيى بن فضل الله، واستقر فى كتابة السر بدمشق، عوضا عن أخيه شهاب الدين أحمد.

وفيه رُسم بسفر ممالك قوصون وممالك بشتاك إلى البلاد الشامية متفرقين، وكتب للنواب بإقطاعهم الأخباز شيئا فشيئا.

وفيه استقر الأمير جنكلى بن البابا فى نظر المارستان، عوضا عن الجاولى.

وفيه جلس الأمير آقسنقر السلارى النائب بدار النيابة، بعد ما عمرها وفتح بها شياكا، ورُسم له أن يعطى الأخباز من ثلاثمائة إلى أربعمائة دينار، ويشاور فيما فوق ذلك.

وفيه استقر المكين إبراهيم بن قروينة فى نظر الجيش، وعُين ابن التاج إسحاق لنظر الخاص، عوضا عن جمال الكفاة، ناظر الجيش والخاص؛ لغيبته بالكرك، فقام الأمير جنكلى فى إبقاء الخاص على جمال الكفاة حتى يحضر.

وفى يوم الخميس سادسه: توجه الأمير سنجر الجاولى وأمير مسعود بن خطير، إلى محل ولايتهما.

وفيه أنعم السلطان على أخيه شعبان بإمرة طبلخاناة، وعلى خليل بن خاص ترك

(١) مدينة كبيرة من أعمال حمص، بينها وبين شيزر نصف يوم، وبينها وبين دمشق خمسة أيام للقوافل، وبينها وبين حلب أربعة أيام. انظر معجم البلدان ٢ / ٣٠٠، ٣٠١.

بإمرة طبلخاناة، ونودى بأن أجناد الحلقة، ومماليك السلطان وأجناد الأمراء، لا يركب أحد منهم فرساً بعد عشاء الآخرة، ولا يقعدوا جماعة يتحدثون.

وفي يوم الإثنين رابع عشره: خلع على جميع الأمراء، كبيرهم وصغيرهم.

وفي يوم الثلاثاء خامس عشره: قدم علاء الدين على بن فضل الله كاتب السر، ومعه جمال الكفاة والشريف شهاب الدين بن أبي الركب، ومن الكرك، مفارقين للناصر أحمد. بحيلة دبرها جمال الكفاة. وكان قد بلغه عن الناصر أنه يريد قتلهم خوفاً من حضورهم إلى مصر، ونقلهم ما هو عليه من سوء السيرة، فبذل جمال الكفاة مالا جزيلاً ليوسف بن البصارة حتى مكنهم من الخروج من المدينة. وأسر إليه السلطان الناصر أنه يبعث من يقتلهم ويأخذ ما معهم، فخرجوا في مسيرهم عن الطريق صحبة بدوى من عربان شطى إلى أن قدموا غزة^(١)، فخلصوا ممن خرج في طلبهم. فأقبل عليهم الأمراء والسلطان، وخلع عليهم بالاستمرار على وظائفهم.

وفي يوم الخميس سابع عشره: نهب سوق خزانة البنود بالقاهرة، حتى عم النهب حوانيته كلها من النهب في الجانيين، وكسرت عدة جرار حمر من خزانة البنود، وهتكت نساء الفرنج. وبلغ ذلك الوالى، فركب نائبه لرد العامة عن الفرنج، فرجموه وردوه رداً قبيحاً إلى أن احتفى بالمدرسة الجمالية المجاورة لخزانة البنود، وأسأوا الأدب على الفقهاء المجاورين بها، فخرجوا يحملون المصاحف، ووقفوا للسلطان. فرسم السلطان بضرب الوالى على باب الجمالية، ونودى من الغد ألا يتعرض أحد لأسير من الفرنج وهدد من أخذ لهم شيئاً بالشنق.

وفيه قدم الخبر من حلب بأنه قد وقع في بلاد الموصل وبغداد وأصفهان وعامة بلاد الشرق غلاء شديد، حتى بلغ الرطل الخبز بالمصرى إلى ثمانية دراهم نقرة، وأكلت الجيف. وصار من مات يلقى في العراء عجزاً عن مواراته، وفنيت الدواب عندهم.

ثم عقب هذا الغلاء جراد عظيم سد الأفق، ومنع الناس من كثرته رؤية السماء وأكل جميع الأشجار حتى خشبها. وانتشر الجراد إلى حلب ودمشق والقدس وغزة، فأضر بما هناك ضرراً شديداً بالغاء، وأفسد الثمار كلها. فلما دخل الجراد الرمل هلك بأجمعه حتى ملاً الطرقات، وتحسنت أسعار بلاد الشام.

وفي هذا الشهر: عقد السلطان على بنت الأمير أحمد ابن الأمير بكتمر الساقى من

(١) مدينة في أقصى الشام من ناحية مصر، بينها وبين عسقلان فرسخان أو أقل، وهى من نواحي فلسطين غربى عسقلان. انظر معجم البلدان ٤/٤٥٣.

بنت تنكرز، وأصدقها عشرة آلاف دينار. وخلع السلطان على الأمير قمارى وجميع أقاربها، وعمل مهما عظيما، ورسم أن يعمل لها بشخاناه^(١) ودائر بيت زرکش بثمانين ألف دينار.

وفيه أنعم السلطان على الأمير أرقطای بتقدمة ألف، فطلب ناظر طرابلس بسبب تقرير ما نهب لأرقطای أيام نيابته، فذكر أنه نهب له شيء كثير، من ذلك زردخاناه ضمن ثلاثين صندوقا، وفيها نحو اثني عشر جوشنا، وفيها برقصوانات حرير قيمة الواحدة منها زيادة على عشرين ألف درهم، ومن السروج والخيول والخيام والجمال وغيرها شيء كثير. فكتب إلى نواب الشام يتتبع من معه شيء من ذلك، وحمله إليه.

وفيه أخرج الأمير قرجى الحاجب إلى صفد حاجبا، بسؤاله.

وفيه خلع على قراجا وأخيه أولاجا، واستقرا حاجبين.

وفيه سأل الأمير آقسنقر السلارى الإعفاء من النيابة، فلم يعف.

وفى يوم الخميس حادى عشر ربيع الأول: قدم الأمير الحاج آل ملك، من حماة.

وفيه قبض على فياض بن مهنا؛ لشكوى الأمير الحاج آل ملك منه، وسجن بالقلعة.

وفيه رسم للأمير طقتمر الأحمدي بنبابة طرابلس، بحكم وفاة الأمير طينال.

وفيه وقعت منازعة بين الأمير جنكلى بن البابا وبين الضياء المحتسب، بسبب وقف الملك المنصور أبى بكر على القبة المنصورية، فإنه أراد إضافته إلى المارستان وصرف متحصله فى مصرف المارستان. فلم يوافق الضياء، واحتج بأن لهذا مصرفا عينه واقفه لقراء وخدام، ووافق القضاة على ذلك. فاستقر وقف المنصور أبى بكر على ما شرطه لطلبة العلم والفقراء والأيتام، وقرر فيه نحو ستين نفرا. معاليم ما بين خبز ودراهم، فعم النفع به ويعرف اليوم هذا الوقف بالسيفى.

وفيه وشى الخدام للسلطان بقاضى القضاة عز الدين عبد العزيز بن جماعة، بأنه قد استولى على الأوقاف هو وأقاربه، ولم يوصلوا أربابها استحقاقهم. فرسم للطواشى محسن الشهابى والطواشى كافور الهندى بأن يتحدثا فى المدرسة الأشرفية المجاورة للمشهد النفيسى، وكتب لهما توقيع بذلك، ورسم لعلم دار بنظر المدرسة الناصرية بين القصرين، وبنظر جامع القلعة. فشق ذلك على ابن جماعة، وسعى عند الأمير أرغون العلاتى، فلم ينجح سعيه.

وفيه استقر سيف الدين وأخوه من آل فضل على أخباز آل مهنا، سليمان بن مهنا وأخوته، بعد ما توفر منها جملة أقطعت للأجناد وأمراء الشام.

وفي يوم الثلاثاء ثالث عشره: رسم للأمير الطنبغا المارداني نيابة حماة، عوضاً عن الأمير علم الدين سنجر الجاولي، وخلع عليه وركب البريد من يومه، وسار في خمسة من مماليكه، وسبب ذلك ترفعه على الأمير أرغون العلاتي.

وفيه كتب بحضور الأمير سنجر الجاولي إلى نيابة غزة، عوضاً عن أمير مسعود بن خطير، ونقل أمير مسعود إلى إمرة طبلخاناة بدمشق.

وفيه قدم خير من شطى بأن الناصر أحمد قرر مع بعض الكركيين أن يدخل إلى مصر ويقتل السلطان، فتشوش الأمراء من ذلك، ووقع الاتفاق على تجريد العسكر لقتاله.

وفي يوم الأربعاء رابع عشره: خلع على شجاع الدين عزلوا والى الأشمون^(١)، واستقر في ولاية القاهرة، عوضاً عن نجم الدين، واستمر نجم الدين على إمرته.

وفي يوم الخميس ثالث ربيع الآخر: توجهت التجريدة إلى الكرك صحبة بيغرا، وهي أول التجاريد. وعقيب ذلك حدث بالسلطان رعا فمستمر، فاتهمت أمه أردو أم الأشرف كجك بأنها سحرته، وهجمت عليها، وأوقعت الخوطة على جميع موجودها، وضربت عدة من جواربها ليعترفوا عليها. فلم يكن غير قليل حتى عوفى السلطان، فرسم بزينة القاهرة ومصر، وحملت أم السلطان إلى مشهد السيدة نفيسة قنديل ذهب زنته رطلان وسبع أواق ونصف أوقية.

وفي يوم الجمعة خامس عشره - وهو آخر توت - : انتهت زيادة النيل إلى ثمانية ذراعا وتسعة أصابع.

وفيه قامت الزينة لعافية السلطان، ثم انتكس السلطان وعوفى.

وفي يوم الثلاثاء سادس جمادى الأولى: قدم الأمير بيبرس الأحمدي نائب صفد. وكان من خبره أن الناصر أحمد لما كان بالكرك قبل خلعه كتب لآقسنقر نائب غزة أن يركب إلى صفد ويقبض عليه، وأنه كتب لأمراء صفد بالاحتفاظ عليه. فبلغ ذلك الأحمدي من عيونه، فركب ليلا بمن معه وهو مستعد، وخرج من صفد. فتبعه عسكرها، فمال عليهم وقتل منهم خمسة، وجرح جماعة وهو منهم. فبلغ ذلك آقسنقر نائب غزة، وقد قرب من صفد، ففكر راجعا إلى غزة، وكتب بالخير إلى السلطان الناصر

(١) قصبه كورة من كور الصعيد الأذني غربي النيل. انظر معجم البلدان / ١ / ٢٠٠.

أحمد. ومر الأحمدي سائراً إلى دمشق، وفيها الأمير بيبرس الحاجب وطرنتاي الحاجب. فنزل الأحمدي ميدان الحصا، وخرج الأميران المذكوران في عدة من العسكر إليه فسلموا عليه وتوجعوا له، ثم عادوا. فقدم في ثاني يوم قدومه كتاب السلطان الناصر أحمد على نائب دمشق بإكرامه واحترامه، ثم قدم من الغد يوسف بن البصارة بكتاب السلطان الناصر أحمد إلى أمراء دمشق، بأنه قد طلب بيبرس الأحمدي إلى الكرك فعصى، وخرج من صفد بعد ما قتل جماعة منها، وأمرهم بأخذ الطرقات عليه ومسكه وحمله إلى الكرك. فأخذوا في أهبة الحرب، وركبوا لقتاله في يوم الخميس ثامن المحرم، وبعثوا إليه سراً يعرفونه بما ورد عليهم. فركب الأحمدي إلى لقائهم حتى تراءى الفريقان، فبعث إليه الأمراء بعض الحجاب يعلمه بمرسوم السلطان فيه، فأعاد الجواب «بأنى طائع للسلطان إذا كان على كرسى ملكه بمصر، وأسير إليه وفي عنقى منديل، ليعاقبني أو يعفو عني. وأما سلطان يقيم بالكرك، ويضرب رقاب الأمراء، ويهتك حرمتهم ويخرجهم بحيث يتصدق الناس عليهم، ثم يطلبني إليه، فلا سمع ولا طاعة. وهأنا لا أسلم نفسي حتى أموت على فرسي، ومن كان في نفسه منى فليأت إلى قتالي».

فلما سمعوا جوابه أمرهم ابن البصارة بأن يهجموا عليه ويمسكوه، فاحتجوا عليه بأن المرسوم لا يتضمن قتاله، «وهذا الذي قلته يحتاج إلى قتال شديد. ولكننا نكتب إلى السلطان بما اتفق، ونستأذنه في قتاله، وتمثل ما يرسم به»، وتكفلوا له بحفظه حتى يعود بالجواب، فمشى ذلك عليه، وسار بكتبهم. واجتمع الأمراء بالأحمدي، وكتبوا إلى أمراء مصر بما اتفق، وكتبوا لأيدغمش نائب حلب وللحاج آل ملك بحماة، وعرفوا الجميع أن هذا الأمر إن تمادى بهم ركبوا جميعهم وعبروا لبلاد العدو، فكان هذا أكبر الأسباب في خلع الناصر أحمد. ولم يزل بيبرس الأحمدي بدمشق حتى كتب إليه الملك الصالح أن يقدم إلى مصر، فقدمها واستقر على إقطاعه.

وفي هذا الشهر: عزل آقبا عبد الواحد من نيابة حمص، وأنعم عليه بإمرة مائة بدمشق.

وفي يوم الأحد عاشر جمادى الآخرة: خرج أروم بغا السلاح دار لنيابة طرابلس، غضبا عليه لمكاتبته الناصر أحمد له.

وفيه كتب بقدم طقتمر الأحمدي إلى القاهرة.

وفيه قبض على جمال الكفاة ناظر الجيش والخاص، والموفق ناظر الدولة، والصفى ناظر البيوت، وزجاعة من الكتاب، وسلموا لشاد الدواوين.

وفيه قبض على ابن رخيمة مقدم الوالى وسبب القبض على جمال الكفاة كراهة آقسنقر السلارى النائب له؛ لنقله للسلطان أخباره، مع توقف الدولة على الوزير، وكثرة شكوى المماليك والخدام.

وكان السلطان قد كثر إنعامه على الخدام وحواشيهم، وعلى جواريه، ورتب لهم رواتب كبيرة، وأنعم عليهم بعدة رزق. وصار كثير من الناس يحملون إلى الخدام الهدايا، لتستقر لهم الرواتب والمباشرات وغيرها. فكثرت كلف الوزير وطلب الإغفاء، فرسم له ألا يمضى إلا بما كان بمرسوم الشهيد الملك الناصر محمد، فوفر ألفا وأربعمائة دينار فى كل شهر. وأخذ النائب يغرى الأمير أرغون العلامى بجمال الكفاة، فتعين موسى بن التاج إسحاق لنظر الخاص بسعى الخدام، وتعين أمين الدين إبراهيم بن يوسف المعروف بكاتب طشتمر لنظر الجيش. وإبراهيم بن يوسف هذا كان من سامرة دمشق، كتب عند الأمير بكتمر الحاجب فأسلم، ثم كتب بعد مسك بكتمر عند بهاء الدين أرسلان الدوادار، ثم بعد موته عند الأمير طشتمر حمص أخضر، ومن بعد موته كتب عند الأمير قمارى أستاذار. ثم طلب هو وموسى بن التاج فى يوم الإثنين حادى عشرة ليخلع عليهما، فقام الأمير جنكلى بن البابا والحاج آل ملك وأرقطاى فى مساعدة جمال الكفاة، وتلفظوا بالنائب حتى كف عنه، على أن يحمل مالا هو ورفيقه. فالتزم جمال الكفاة بمائة ألف دينار، وخلع عليه وعلى بقية المسوكين، فحمل المال شيئاً بعد شىء، ثم أعفى عما بقى منه.

وفيه قدم أياز الساقى على البريد بموت أيدغمش نائب الشام فجأة، فوقع الاختيار على استقرار الأمير طقزدمر الحموى فى نيابة الشام، ويستقر عوضه فى نيابة حلب أल्पنغا الماردانى، ويستقر يلبغا اليحياوى عوضه فى نيابة حماة. فكتب بذلك فى يوم الخميس رابع عشره، وخرج يلبغا اليحياوى إلى نيابته بحماة، ومعه كل من يلوذ به.

وفيه قدم كتاب سليمان بن مهنا يسأل فى الإفراج عن أخيه فياض، ورد ما أخرج عن آل مهنا من الإقطاعات، وإلا سار بعربه إلى الشرق. فأعيدت الإقطاعات إلى مهنا وأولاده، وأوقف إفراج فياض على ضمانه إياه.

وفيه أنعم على الأمير أرغون العلامى بعشرين ألف دينار ومائتى ألف درهم.

وفيه أنعم على الأمير بهادر الدمرداشى بثلاثة بلاد، زيادة على ما بيده.

وفيه قدم الخبير بأن قاضى القضاة الشافعى بدمشق تقى الدين السبكى لما أراد أن يخطب بالجامع الأموى لم يرض به أهل دمشق خطيباً، وكرهوا خطبته، ولم يؤمنوا على

دعائه، وصاحوا عليه صياحا منكرا، وترك جماعة الصلاة، وقالوا ما نصلى خلفك، فنارت عليه العامة. فلما كانت الجمعة الثانية جرى أفحش ما جرى فى الأولى، فآل الأمر إلى أن أشهد على نفسه أنه ترك الخطابة.

وفيه قدم الخيزر بأن شطى وثب عليه رجل وهو مع العسكر على الكرك، فضربه بحربة أرداه عن فرسه فحمل إلى بيوته، وأن العسكر فى شدة من الأمطار وقلة الواصل إليهم، وأن الناصر أحمد رد جواب كتاب السلطان إليه بما لا يليق. فكتب السلطان لأحمد بتعداد مساوئه، وتهديده بتخريب الكرك حجرا حجرا، وكتب بمسير عسكر غزة وصفد إلى نجدة الأمير بيغرا، وحمل الغلال والإقامات، وحشد العربان معهم، ومحاصرة الكرك.

وفيه أفرج عن فياض بن مهنا بمساعدة الأمير الحاج آل ملك، وسُلم إلى الأمير آقسنقر السلارى النائب حتى يحضر كتاب أخيه سليمان بن مهنا.

وفيه أنعم على أرغون العلامى بإقطاع قمارى بعد موته، واستقر تمر الموساوى أمير شكار عوضا عن قمارى.

وفيه خرج السلطان إلى سرياقوس على العادة، فقدم عليه التقى السبكى قاضى دمشق، فأقبل عليه السلطان والأمراء. فلما عاد السلطان من سرحة سرياقوس مرض أياما حتى استرخت أعضاؤه، وصار العلامى وآقسنقر النائب يدبران أمور الدولة.

وفيه ورد الخيزر بعافية شطى، وأنه ركب مع العسكر على الكرك، وقاتلوا أهلها وهزموهم إلى القلعة. فأذعن الناصر أحمد، وسأل أن يمهل حتى يكتب السلطان؛ ليرسل من يتسلم منه القلعة، فرجعوا عنه. فلم يكن غير قليل حتى استعد، وقاتل بمن معه، فخرج جر كتمر الماردانى ليجهز ألفى راجل من غزة وصفد.

وفيه أنعم على فياض بالعود إلى بلاده، فتوجه إليها بعدما حلف على التزام الطاعة، وألا يتعرض لأمر التجار.

وفى رابع عشره: أخرج جماعة من الأمراء إلى الشام، منهم ملكتمر السرجوانى وبكا الخضرى، وقطلقتمر، وأباجى، ويحى بن ظهير الدين بغا وأخيه، ثم أعيد ملكتمر من يومه.

وفيه قدمت رسل ممتلك الخطا^(١)، وقد خرجوا من بلادهم سنة تسع وثلاثين

(١) بلاد الخطا، هى بلاد مجاورة للصين، واسم ملكها فى هذه الفترة هو سندمر.

وسبعمائة، ومعهم كتاب للسلطان الملك الناصر محمد، يتضمن أن بعض الفقراء قدم عليهم وأقام عندهم مدة، وهم يسجدون للشمس عند طلوعها، فما زال ينكر عليهم ذلك ويدعوهم إلى الإسلام حتى عرف به الملك، فأحضره إليه وسمع كلامه، ودعاه إلى الإسلام وهداه الله إليه وأسلم، فبعث رسله إلى مصر فى طلب كتب العلم وإرسال رجل عارف يعلمهم شرائع الإسلام، فإن الرجل الذى هداهم به مات. فأقبل السلطان الملك الصالح إسماعيل عليهم، وخلع عليهم، ورسم بتجهيز الكتب العلمية لهم.

وفى يوم الإثنين ثانى رجب: أنعم على أربعة بإمريات طبلخانة، منهم أمير حاجى ابن الناصر محمد.

وفيه أنعم على خمسة بإمريات عشرة، ونزلوا إلى المدرسة المنصورية على العادة بالقاهرة، فكان يوماً مشهوداً.

وفيه خلع على الأمير ملكتمر السرجوانى، واستقر فى الوزارة عوضاً عن نجم الدين محمود بن على بن شروان وزير بغداد؛ لتوقف أحوال الدولة وشكوى المماليك السلطانية من تأخر جوامكهم.

وفى يوم الأربعاء رابعه: كانت فتنة رمضان أذى السلطان، وذلك أنه كان قد أنعم عليه بتقدمة ألف، فلما خرج السلطان إلى سرحة سرياقوس تأخر عنه بالقلعة، وتحدث مع جماعة من المماليك فى إقامته سلطاناً. فلما مرض السلطان بالاسترخاء قوى أمره، وأشاع ذلك، وراسل بكاء الخضرى ومن خرج معه من الأمراء، وواعد من وافقه على الركوب بقبة النصر. فبلغ ذلك السلطان ومدبر دولته الأمير أرغون العلامى، فلم يعبأ به إلى أن أهل رجب جهز الأمير رمضان خيله وهجنه بناحية بركة الحبش، وواعد أصحابه على يوم الأربعاء. فبلغ الأمير آقسنقر أمير آخور عند الغروب من ليلة الأربعاء ما هم فيه من الحركة، فركب بمن معه، وندب عدة من العربان ليأتوه بخير القوم إذا ركبوا.

فلما أتاه خبرهم ركب وسار إليهم، وأخذهم عن آخرهم من خلف القلعة ليلاً، وساقهم إلى الإصطبل. وعرف آقسنقر أمير آخور السلطان وأرغون العلامى من باب السر. بما فعله إليهما، فصعد بما ظفر به من أسلحة القوم. واتفقوا على طلب إخوة السلطان إلى عنده، والاحتفاظ بهم. فلما طلع الفجر خرج أرغون العلامى من بين يدى السلطان، وطلب الإخوة، ووكل ببيت رمضان حتى طلعت الشمس. وصعد الأمراء الأكابر باستدعاء، وأعلموا بما وقع، فطلبوا رمضان إليهم فامتنع من الحضور، وهم يلحون فى طلبه إلى أن خرجت أمه وصاحت عليهم، فعادوا عنه إلى أرغون العلامى.

فبعث أرغون عدة من الخدام والمماليك لإحضاره. فخرج رمضان في عشرين مملوكا إلى خارج باب القلعة، وسأل عن النائب آقسنقر السلارى، فقيل له إنه عند السلطان مع الأمراء، فمضى إلى باب القلعة، وسيوف أصحابه مصلطة، وركب من خيول الأمراء، ومرّ بمن معه إلى سوق الخيل تحت القلعة، فلم يجد أحدا من الأمراء، فتوجه جهة قبة النصر. ثم وقف رمضان ومعه بكاء الخضرى، وقد اجتمع الناس عليه.

وبلغ السلطان والأمراء خبره، فأخرج بالسلطان محمولا بين أربعة لما به من الاسترخاء، وركب النائب وآقسنقر أمير آخور وقمارى أخو بكتمر. وأقام أكابر الأمراء عند السلطان، ووقفت أطلابهم تحت القلعة، وضربت الكوسات حريبا، ونزل النقباء فى طلب الأجناد. فوقف النائب بمن معه تجاه رمضان وقد كثر جمعه من أجناد الحسينية ومن مماليك بكاء ومن العامة، وبعث يخبر السلطان بذلك، فمن شدة انزعاجه نهضت قوته، وقام على قدميه يريد الركوب بنفسه، فقام الأمراء وهنوه بالعافية، وقبلوا له الأرض، وهوتوا عليه أمر أخيه. فأقام السلطان إلى بعد الظهر، والنائب يراسل رمضان ويعده الجميل، ويخوفه العقاب، وهو لا يلتفت إلى قوله. فعزم النائب على الحملة عليه بمن معه، وسار فلم يثبت العامة والمتجمعة من الأجناد مع رمضان، وانفلّوا عنه، فانهزم رمضان هو وبكاء الخضرى فى عدة من المماليك، وتوجهوا نحو البرية، والأمراء فى طلبه، ثم عاد النائب إلى السلطان.

فلما كان بعد عشاء الآخرة من ليلة الخميس أحضر بر رمضان وبكاء، وقد أدركوهما بعد المغرب عند البويب^(١)، ورموا بكاء بالنشاب حتى ألقوه عن فرسه، وقد وقف فرس رمضان من شدة السوق، فوكل بر رمضان من يحفظه، وأذن للأمراء بنزولهم بيوتهم، فنزلوا وطلعوا بكرة يوم الخميس إلى الخدمة على العادة.

وجلس السلطان وطلب مماليك رمضان، فأحضروا. وأمر السلطان بحبسهم، وحبسوا أياما، ثم فرقوا على الأمراء.

وفيه رسم لجمال الكفاة بتجهيز التشاريف للأمراء الأكابر، فحمل إلى كل من الأمير جنكلى بن البابا، والأمير بييرس الأحمدى والأمير بييرس الحاج آل ملك، والأمير قمارى، والأمير أرقطاي، تشرىف كامل وألف دينار، وللنائب آقسنقر السلارى تشرىف وألفا دينار وفرسان، وللقدمى الحلقة تشارىف بأقبيبة ساذجة^(٢) مروزى^(٣)؛ لأجل إعادتهم، فإنها كانت بغاليطق ملونة.

(١) مدخل أهل الحجاز إلى مصر.

(٢) الساذج هو ما ليس فيه نقش.

(٣) على هامش ط: قماش سميك من الحرير الجيد أو القطن.

وفى يوم الخميس ثمانى عشره: أمر السلطان ستة أمراء.

وفى يوم الإثنين سادس عشره: قدم الأمير بيغرا ومن معه من العسكر الجرد لقتال الناصر أحمد، بعد ما حاربوه. وكان قد جرح منهم جماعة، وقتل أزوادهم، فكذب السلطان بإحضارهم إلى الديار المصرية، ولما مثلوا بالخدمة خلع عليهم.

وفيه كتب السلطان باستقرار طرنطاي البشمقदार فى نيابة غزة، عوضاً عن الجاولى، وقدم الجاولى إلى مصر.

وفى يوم الثلاثاء رابع عشره: وسَّط الأمير بك الخضرى، ومعه مملوكان من المماليك السلطانية، بسوق الخيل تحت القلعة.

وفى هذا الشهر: استجد السلطان بالقلعة عمارة جلييلة، وأقام أقجبا الحموى شاد العمائر، وقرر على أرباب الدواوين رخاما يحملونه إليها. وقصد بذلك محاكاة عمارة الملك المؤيد بحماة المعروفة بالدهشية. فتوجه أقجبا وأبجيج المهندس إلى حماة حتى عرفا ترتيبها. وكتب السلطان إلى حلب بطلب ألفى حجر أبيض، وألفى حجر أحمر من دمشق فحملت وسخر لها الجمال، فبلغت أجرة الحجر منها ثمانية دراهم من دمشق واثنى عشر درهما من حلب. ووقع الاهتمام فى العمل، فكان المصروف فى العمارة كل يوم عشرة آلاف درهم.

وفى هذا الشهر: أيضاً وقف السلطان الملك الصالح ثلثى ناحية سنديس، من القليوبية، على ستة عشر خادما لخدمة الضريح الشريف النبوى، فتمت عدة خدام الضريح الشريف أربعون خادما.

وفى يوم الخميس رابع شعبان: قدم الأمير علم الدين سنجر الجاولى من غزة.

وفيه قدم البريد بموت الأمير أرنبغا نائب طرابلس، فعملت عليه أوراق بحقوق سلطانية مبلغها ألفا ألف درهم.

وفيه قدمت أولاد الأمير أيدغمش من دمشق، فألزموا بتفاوت الإقطاعات التى انتقلت إلى أبيهم من مصر وحلب ودمشق، فبلغت جملة كثيرة باعوا فيها خيولا وعصابة مرصعة لأهمهم بلغت مائة ألف درهم. وباعوا حمام أيدغمش أبيهم خارج باب زويلة إلى خوند طغاي^(١)، وعدة أملاك أيضا.

وفى يوم السبت ثالث شوال: توفى الأمير بهادر الجوبانى.

(١) خوند طغاي: هى زوجة السلطان الناصر محمد بن قلاوون.

وفي عاشره: توجه الأمير بيبرس الأحمدي والأمير كوكاي في ألفى فارس تجريدة لقتال الناصر أحمد بالكرك، وهي ثاني تجريدة. وكتب بخروج تجريدة من دمشق، وحمل المنجنيق ونصبه على الكرك.

وفي يوم الإثنين ثاني عشره: صار نقل الأمير بلبغا اليحياوي إلى حماة مع طلبه، فركب الأمير أرغون العلائي في عدة من الأمراء حتى زين خيله زينة عظيمة، ورتبها بنفسه، وشقوا القاهرة، وكتب لهم بالإقامات في الطرقات.

وفيه أيضا أعيد نجم الدين محمود وزير بغداد إلى الوزارة، وأعفى ملكتمر السرجواني منها لتوقف أحوال الدولة. وخلع على جمال الكفاة، واستقر مشير الدولة، بسؤال وزير بغداد في ذلك، فنزلا معا بتشاريفهما. وصار جمال الكفاة يطلع بكره النهار إلى باب القلعة ومعه الوزير، فيصرفان الأشغال. وطلب جمال الكفاة ضمان جميع الجهات وزاد في كل جهة نحو العشرين ألف درهم، ومنع أن يحمل شيء من مال الجيزة، ولا يصرف منها إلا بمرسوم السلطان، فمشت أحوال الدولة.

وفي يوم الأربعاء خامس ذي القعدة: استقر لاجين أمير آخور، عوضا عن الأمير آقسنقر الناصري. وسبب ذلك أنه سأل أن يتزوج بخوند أردو أم الأشرف كجك، فأجيب إلى ذلك وتزوج بها، وكانت جميلة الصورة. ثم بعد زواجها بأيام سأل الأمير آقسنقر أن يمشى صرغتمش الناصري في خدمته، وكان قد اشتراه السلطان الناصر محمد بنحو مائة ألف درهم، دفع عنها السلطان قريبا من نحو خمسة آلاف دينار مصرية، لجماله، وبسببه كانت فتنة الأمير قوصون مع المماليك السلطانية، لما طلبه بالليل. وكان آقسنقر يهواه وهو يترفع عليه، فاستشار السلطان الأمير أرغون العلائي في إرسال صرغتمش إلى آقسنقر، فأنكر ذلك. ثم طلب السلطان صرغتمش، وعرفه بطلب آقسنقر له، فامتنع أشد امتناع، وقال: «أقتل نفسي، ولا أمضى إليه وأمشى في خدمته» فبعث السلطان إلى قماري والحجازي والنائب آقسنقر السلاري وعرفهم بذلك كله، فكلهم أنكر على آقسنقر الناصري طلبه صرغتمش وصابه، وأخذ الحجازي يتلطف بآقسنقر الناصري حتى كف عن طلبه على كره.

ثم رسم السلطان لآقسنقر الناصري أن يتوجه مع التجريدة إلى الكرك، وحمل إليه عشرة آلاف دينار وخمسمائة جمل. وأخذ الأمراء في حمل التقادم إليه على حسب همهم حتى لم يبق إلا سفره. ثم تخيل الأمير أرغون العلائي من سفره أن يخامر مع الناصر أحمد، فبعث إليه بمنعه من السفر، فشق عليه ذلك ولم يوافق، فأرسل إليه

السلطان الأمير قمارى أستاذار، فتلطف به حتى وافق بشرط الإعفاء من الأمير آخورية فأعفى، وسكن الحجازى بالأشرفية من القلعة، وتحول آقسنقر إلى دار الحجازى.

وفي هذه السنة: بعث أرتنا صاحب الروم بهدية جليلة صحبة قاضى الروم، وسأل أن تجرى على ما كان عليه الأمر فى أيام الشهيد السلطان الناصر محمد من تجهيز التقليد بنبابة الروم.

وفى رتب السلطان دروساً للمذاهب الأربعة بالقبة المنصورية، ووقف عليها وعلى قراء وخدام وغير ذلك ناحية دهمشا من الشرقية، فاستقر ذلك، وعُرف بوقف الصالح. وفى رتب استقر علاء الدين على بن عثمان بن أحمد بن عمرو بن محمد الزرعى فى قضاء القضاة الشافعية بحلب، عوضاً عن البرهان إبراهيم الرسعنى. ثم صُرف الزرعى ببدر الدين إبراهيم بن الصد، أحمد بن عيسى بن عمر بن خالد بن عبد المحسن بن الخشاب المصرى.

وفى رتب ولدت امرأة بدمشق مولوداً، برأسين وأربعة أيدي.

وفى رتب كان بعرفة يوم عرفة فتنه بين العرب والحجاج من قبل الظهر إلى غروب الشمس قتل فيها جماعة. وسببها أن الشريف رميثة بن أبى نعى أمير مكة شكاً من بنى حسن إلى أمير الحاج. فركب أمير الحاج فى يوم عرفة بعرفة لحربهم، وقاتلهم وقتل من الترك ستة عشر فارساً، وقتل من جماعة بنى حسن عدة، وانهزم بقيتهم، فنفر الناس من عرفة على تخوف، ولم ينهب لأحد شىء، ولا تزال بنو حسن يمتنى. ثم رحل الحاج بأجمعهم يوم النفر الأول، ونزلوا الزاهر خارج مكة، وساروا منه ليلاً إلى بطن مرو.

وفى يوم الخميس ثمانى عشر ذى الحجة: رسم بتجريد الأمير أبى بكر بن أرغون النائب والأمير أصلم، والأمير أرنبغا.

وبلغت زيادة النيل فى هذه السنة ثمانية عشر ذراعاً وتسعة أصابع.

* * *

ومات فيها من الأعيان

برهان الدين إبراهيم بن محمد السفاقسى^(١) المالكى فى ذى الحجة، وله إعراب القرآن، وشرح ابن الحاجب فى الفقه.

(١) إبراهيم بن محمد بن إبراهيم القيسى السفاقسى، أبو إسحاق برهان الدين: فقيه مالكى. تفقه فى بجاية وحج فأخذ عن علماء مصر والشام. وأفتى ودرس سنين. له مصنفات منها «الجميد فى إعراب القرآن الجميد»، و«شرح ابن الحاجب» فى أصول الفقه. انظر الدرر الكامنة ١ / ٥٥ وبغية الوعاة ١٨٦ والنجوم الزاهرة ١٠ / ٩١ وعلوم القرآن ٣٩٣ والأعلام ١ / ٦٣.

٣٩٠.....سنة ثلاث وأربعين وسبعمائة

ومات الأمير أرنبغا الناصري، نائب طرابلس.

ومات الأمير أيدغمش الناصري، نائب الشام.

ومات الأمير بيبرس الأحمدي الحاجب وهو بدمشق، في رجب. وهو أحد المماليك الناصرية، ترقى في الخدم حتى صار أمير آخور، ثم عزل بأيدغمش، واستقر حاجبا. وتجرد إلى اليمن، ثم لما عاد سجن في العشرين من ذي القعدة سنة خمس وعشرين، وأقام معتقلا تسع سنين وثمانية أشهر إلى أن أفرج عنه في ثاني عشرى رجب سنة خمس وثلاثين. وأخرج إلى حلب أميرا بها، ثم نقل إلى إمرة بدمشق، في سنة تسع وثلاثين، فمازال بها حتى مات. وله دار بالقاهرة داخل باب الزهومة بحارة العدوية، وحفيده أمير على بن أمير أحمد بن الحاجب المقرئ.

ومات الأمير بكا الخطيرى مقتولا، في رابع عشرى رجب.

ومات الأمير بهادر الجوبانى رأس نوبة.

ومات الأمير قمارى أمير شكار، يوم الإثنين خامس جمادى الأولى.

ومات الأمير طشتمر حمص أخضر نائب صفد وحلب، مقتولا بالكرك.

ومات الأمير سليمان بن مهنا بن عيسى بن مهنا بن مانع بن حديثة بن غضية بن فضل أمير آل فضل، بظاهر سلمية.

ومات الأمير طينال نائب صفد ونائب غزة ونائب طرابلس، وهو بصفد، فى يوم الجمعة رابع ربيع الأول.

وتوفى تاج الدين أبو المحاسن عبد القادر بن عبد المجيد بن عبد الله بن متى اليمانى المخزومى الشافعى الأديب الكاتب، بالقدس عن ثلاث وستين سنة. قدم القاهرة وأقام بها، وله شعر جيد.

ومات الحاجب صلاح الدين محمد بن إبراهيم، المعروف بابن البرهان.

وتوفى فخر الدين محمد بن يحيى بن عبد الله بن شكر المالكى، بمصر عن سبعين سنة.

وتوفى المقرئ بدر الدين محمد بن أحمد بن نصحان الدمشقى، شيخ القراء بها، عن خمس وسبعين سنة.

ومات الأمير قطلوبغا الفخرى نائب الشام، مقتولا بالكرك.

ومات سعد الملك مطرف، فى حادى عشرين جمادى الأولى.

* * *

سنة أربع وأربعين وسبعمائة

يوم الإثنين مستهل الحرم: قدم مبشر الحاج، وأخبر بكثرة ما كان فى هذه الحجة من المشقات. وذلك أنه لما كان يوم عرفة تنافر أشراف مكة مع الأجناد من مصر، فركبوا لحراهم بكرة النهار، ووقفوا للحرب صفيين. فمشى الشريف عجلان بينهم، فلم تطعه الأشراف، وحملوا على الأجناد وقتلوهم، فقتل منهم ومن العامة جماعة. وأبلى الشريف عجلان بن عقيل وأبلى كذلك الأمير أيدير بلاء عظيما، فغابته بعض ممالك الأمير بشتاك، ورماه بسهم فى صدره ألقاه عن فرسه، وقتل معه أيضا جماعة، وآل الأمر إلى نهب شىء كثير، ثم تراجع عنهم الأشراف.

وفيه قدم عيسى بن فضل بقود أخيه سيف بن فضل على عادته. وكان سليمان بن مهنا قد سافر إلى بلاده فأكرمه السلطان وأنعم عليه، وأنزله منزلة حسنة.

وفى يوم السبت سادسه: قدم من الكرك الطواشى صفى الدين جوهر ورفيقه مختار، فارين من الناصر أحمد.

وفى يوم الأحد سابعه: خرج المجردين إلى الكرك من القاهرة، صحبة الأمير أصلم والأمير بيغا حارس الطير.

وفى يوم الأربعاء عاشره: قبض السلطان على أربعة أمراء، وهم الأمير آقسنقر السلارى نائب السلطنة، والأمير بيغرا أمير جاندار صهره، والأمير قراجا الحاجب، وأخيه أولاجا، وقيدوا ورسم بسجنهم فى الإسكندرية.

وفيه خرج الأمير بلك على البريد إلى المجردين إلى الكرك، فأدركهم على السعيدية، فطيب خواطرهم، وأعلمهم بالقبض على الأمراء، وعاد سريعا، فقدم قلعة الجبل طلوع الشمس من يوم الخميس حادى عشره، وبعد وصوله قبض السلطان على الأمير طيغا الدوادار الصغير. وسبب قبض السلطان على هؤلاء الأمراء أن الأمير آقسنقر السلارى كان فى نيابته لا يرد قصة ترفع إليه فقصدته الناس من الأقطار، وسألوه الرزق والأراضى التى أنهموا أنها لم تكن بيد أحد، وكذلك نيابات القلاع وولايات الأعمال والرواتب وإقطاعات الحلقة. فلم يرد أحد سأل شيئا من ذلك، سواء كان ما أنهاه صحيحا أم باطلا. فإذا قيل له هذا الذى أنهاه يحتاج إلى كشف تغير وجهه، وقال: «ليش تقطع رزق الناس؟». فإذا كتب بالإقطاع لأحد، وحضر صاحبه من سفره أو تعافى من مرضه

وسأله فى إعادته، قال له: «رح خذ إقطاعك»، أو يقول له: «نحن نعوضك». ففسدت الأحوال، ولاسيما بالمملكة الشامية، فكتب النواب بذلك للسلطان، فكلمه السلطان فلم يرجع، وقال: «أنا أى من طلب منى شيئا أعطيته، وما أرد قلمى عن أحد». بحيث أنه كانت تقدم له القصة وهو يأكل فيتك أكله ويكتب عليها من غير أن يعرف ما فيها، فأغلظ له بسبب ذلك آقسنقر الناصرى أمير آخور. واتفق مع ذلك أنه وشى به أنه يياطن للناصر أحمد، ويواصل كتبه إليه، فقرر أرغون العلائى مع السلطان مسكه، فمسك هو وحاشيته.

وفى يوم الجمعة ثانى عشره: خلع السلطان على الأمير الحاج آل ملك، واستقر فى نيابة السلطنة، عوضا عن آقسنقر السلارى. وكان العلائى قد قرر مع السلطان أن يعرض على الأمراء نيابة السلطنة، فأول من عرضت عليه الأمير بدر الدين جنكلى بن البابا فامتنع، فقالوا بعده للأمير الحاج آل ملك، فأظهر البشر وأجاب لها إن قبلت شروطه. فلما طلع الأمير الحاج آل ملك لصلاة الجمعة على العادة، اشترط على السلطان ألا يفعل شيئا فى المملكة إلا برأيه، وأنه يمنع الخمر من البيع، ويقيم منار الشرع، وأنه لا يعارض فيما يفعله. فقبل السلطان شروطه، ولبس الأمير الحاج آل ملك تشريف النيابة بجامع القلعة، بعد صلاة الجمعة. وأنعم عليه السلطان زيادة على إقطاع النيابة بناحتى المطرية والخصوص، ومتحصلهما أربعمائة ألف وخمسين ألف درهم.

وفى يوم السبت ثالث عشره: خلع السلطان على منكلى بغا الفخرى، واستقر أمير جندار، عوضا عن بيغرا.

وفيه فتح شبك النيابة، وجلس فيه الأمير الحاج آل ملك للمحاكمات. فأول ما بدأ به أن أمر والى القاهرة بأن ينزل إلى خزانة البنود بالقاهرة، ويحتاط على ما بها من الخمر والبغايا، ويخرج من فيها من النصارى الأسرى، ويريق ما هناك من الخمر، ويخربها حتى يجعلها دكا وسبب ذلك أن خزانة البنود كانت يومئذ حانة، بعد ما كانت سحنا يسجن فيه الأمراء والجنود والمماليك، كما أن خزانة شمائل سجن لآرياب الجرائم من اللصوص وقطاع الطريق. فلما كانت دولة السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون بعد عوده من الكرك، وشغف بكثرة العمارات، اتخذ الأسرى وجلبهم إلى مصر من بلاد الأرمن وغيرها، وأنزل عدة كثيرة منهم بقلعة الجبل، وجماعة كثيرة بخزانة البنود. فملا أولئك الأرمن خزانة البنود حتى بطل السجن بها، وعمرها السلطان الناصر مساكن لهم، وتوالدوا بها، وعصروا الخمر بحيث أنهم عصروا فى سنة واحدة اثنتين وثلاثين ألف جرة، باعوها جهارا وكان لحيم الخنزير يعلق عندهم على الوضم، ويباع من غير

احتشام. واتخذوا عندهم أماكن لاجتماع الناس على المحرمات، فيأتيهم الفساق ويظلمون عندهم الأيام على شرب الخمر ومعاشرة الفواجر والأحداث ففسدت حرم كثيرة من الناس وكثير من أولادهم وجماعة من ممالك الأمراء فساداً شنيعاً، حتى إن المرأة إذا تركت أهلها أو زوجها، أو الجارية إذا تركت مواليتها، أو الشاب إذا ترك أباه، ودخل عند الأرمن بخزانه البنود لا يقدر أن يأخذه منهم، ولو كان من كان.

فقام الأمير الحاج آل ملك في أمرهم، وفاوض السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون في فسادهم غير مرة، فلم يجبه إلى أن أكثر عليه فغضب السلطان عليه، وقال له: «يا حاج! كم تشتكى من هؤلاء، إن كان ما يعجبك مجاورتهم انتقل عنهم» فشق ذلك عليه، وركب إلى ظاهر الحسينية واختار مكاناً، وعمره داراً، وأنشأ بجانبها جامعاً، وحماماً وربعا وحوانيت. وبقيت في نفسه حزازات حتى أمكنته القدرة منهم، وانبسطت يده فيهم بكونه نائب السلطان، فنزل إلى القاهرة ومعه الحاجب وعدة من أصحاب النائب وهجموا خزانة البنود، وأخرجوا جميع سكانها، وكسروا أواني الخمر، فكانت شيئاً يجلب وصفه كثرة، وهدموها واشترى أرضها الأمير قمارى من بيت المال، وتقدم إلى الضياء المحتسب أن ينادى بتحكيها، فرغب الناس في أرضها واحتكروها، وبنوها دوراً وطواحين وغيرها.

وقد ذكرنا أخبار خزانة البنود في كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ذكرنا شافياً، فكان يوم هدم خزانة البنود يوماً مشهوداً من الأيام المشهورة المذكورة، عدل هدمها فتح طرابلس وعكا؛ لكثرة ما كان يعمل فيها بمعاصي الله.

ثم طلب النائب إلى القلعة، وألزمه أن يفعل ذلك بيوت الأسرى من القلعة، فمضى إليها وكسر جرار الخمر التي بها، وأنزلهم من القلعة، وجعلهم مع نصارى خزانة البنود في موضع بجوار الكوم. فيما بين جامع ابن طولون ومصر، فنزلوه واتخذوا به مساكنهم، واستمروا بها إلى اليوم.

وكانت الأسرى التي بالقلعة من خواص الأسرى، وعليهم كان يعتمد السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون في أمر عمائره، وكانوا في فساد كبير مع المماليك وحرم القلعة فأراح الله منهم.

ثم رسم الأمير الحاج آل ملك النائب بتتبع أهل الفساد، فمنع الناس من ضرب الخيم على شاطئ النيل بالجيزة وغيرها للنزهة، وكانت محل فساد كبير لاختلاط الرجال فيها بالنساء، وتعاطيهم المنكرات.

واقترح الأمير الحاج آل ملك فى نيابة اقتراحات كثيرة، منها أنه منع من مكاتبة ولاة الأعمال إلا بعد أن يبعث الوالى أن كان للشاكى حق شرعى، وجعل عوض المكاتبة له كتابة الشكوى خلف قصة المشتكى، وكثيراً ما كان يرد الشكاة إلى الولاية والكشاف، وصار يكتب لجميع الولاية يعتمد.

ورسم الأمير الحاج آل ملك لأولى نيابته بإبطال جميع الملعوب، وهى جهة سلطانية كان يتحصل منها مال كثير، ولها ضامن يقال له كمجتنى. له ضرائب مقررة على أرباب الملعوب، من المناطحين بالكباش والمناقرين بالديوك، وعلى المعالجين والمصارعين والمثاقفين^(١) والملاكمين والمشابكين^(٢)، وعلى المقامرین على اختلاف أنواع القمار، وعلى القرادة والدبابة الذين يلعبون بالقرود والدب وغير ذلك من أنواع اللعب، فبطل ذلك كله.

وأبطل الأمير الحاج آل ملك أيضاً جهة ابن البطونى، وهى جهة سلطانية لها ضامن عليه مال مقرر يأخذه من كل من رُدَّ عليه عبده أو أمته، إذا أبقوا فكان يتعدى حتى يأخذ من يجده من العبيد والإماء قد مضى لمولاه فى حاجة، ويجبسه عنده حتى يصلحه مولاه على مال يدفعه إليه، فبطل ذلك.

وأبطل الأمير الحاج آل ملك النزول عن الإقطاعات والمقايضات بهذه بعد أن فشى ذلك بين الأجناد، حتى إن جنديا قايض آخر بإقطاعه ومبلغ ألفين وخمسمائة درهم أقبضه منها ألفين، فألزمه الأمير الحاج آل ملك بحمل الألفين لبيت المال، فانكف الأجناد عن المقايضات.

ومقت الأمير الحاج آل ملك من يرفع إليه قصة بطلب زيادة، فرفع له علاء الدين بن القلنجقى أحد الأمراء العشرات قصة يسأل فيها زيادة على إقطاعه، فوقع له عليها بمائتى فدان من الجبل الأحمر، زيادة على ما بيده.

ومنع الأمير الحاج آل ملك من مكاتبة نواب الشام - وكتابة التواقيع السلطانية - لأهل الشام، وكتب مرسوم السلطان إلى الممالك الشامية بإبطال العمل بما كتب به من بعد وفاة السلطان الملك الناصر محمد، ولا يعتمد إلا على المراسيم المستقرة إلى حين وفاته؛ ليبطل بذلك ما كان فى نيابة آقسنقر السلارى فبطلت جماعة كثيرة بأيديهم

(١) ثقف: الثاء والقاف والفاء كلمة واحدة، وهو إقامة درء الشىء ويقال ثقفت فلان إذا ظفرت. انظر مقاييس اللغة ١/ ٣٨٢، ٣٨٣.

(٢) المشابكين: الشين والباء والكاف أصل صحيح يدل على تدخل الشىء يقال شبك أصابعه تشبيكاً. انظر مقاييس اللغة ٣/ ٢٤٢.

مراسيم سلطانية منصورية وأشرفية وصاحلية تجددت بعد السلطان الناصر محمد، وأخذت منهم.

وفى يوم الخميس ثامن عشره: قدم محمل الحاج.

وفى يوم الأربعاء رابع عشره: نودى بتحكير خزانة البنود، فشرع الناس فى تحكيرها.

وفى يوم الخميس خامس عشره: رسم السلطان أن يعاد على ناصر الدين المعروف بفأر السقوف ما أخذ له فى نيابة الأمير طشتمر حمص أخضر، وخلع عليه بحسبة مصر، عوضا عن ابن بنت الأعز، بشفاعة الأمير ملكتمر الحجازى، فأعيد له مبلغ أربعين ألف درهم من بيت المال.

وفيه قدم شهاب الدين أحمد بن فضل الله كاتب السر بدمشق بطلب؛ لكثرة شكاته فقام أخوه علاء الدين على بن فضل الله فى أمره حتى أعيد إلى دمشق معزولا، من غير مصادرة، ورُتب له ما يكفيه.

وفيه أنعم على عدة من المماليك السلطانية بإمريات، منهم شيخو العمرى، وأطنبغا برناق.

وفى هذا الشهر: كثر تخوف الناس من منسر انعقد بالقاهرة، وذلك أن رجال هذا المنسر كبسوا عدة بيوت، وكتبوا أوراقا يطلبون فيها مالا من الأغنياء، «ومتى لم يُبعث لنا ذلك كنا ضيوفك» وأعيًا الوالى أمرهم فاتفق أنهم كبسوا بيتا ببولاق، وكان أهله قد أئذروا بهم، فاستعدوا لهم وتركوا أبوابهم مفتوحة، فدخلوا نصف الليل، وإذا بالنشاب قد وقع فى صدورهم، فأصاب منهم ثلاثة، ورجع باقيهم منهزمين. فخرج منهم أيضًا اثنان والطلب فى أثرهما، فقتل منهما واحد وقبضوا منهم على ثلاثة، وأتوا بهم الوالى، فأقروا على جماعة بالجزيرة وغيرها، فتبعوا إلى أن ظفر بجماعة سُمروا وشهروا.

وفيه قدم الرجل الصالح أحمد الزرعى، فأكرمه الأمير جنكلى بن البابا، وجمع بينه وبين السلطان. فسأل الزرعى أن تعفى بلده زرع من المغارم والسحر، وأقام أياما ثم عاد إلى الشام.

وفيه قدم الأمير سيف بن فضل^(١)، فأكرمه السلطان، وكتب له ببلدة

(١) سيف بن فضل بن عيسى بن مهنا: أمير عرب الفضل، فى بادية الشام كان شجاعا حوادا. ولى إمرة قومه عدة مرات، أولها بعد موت أخيه عيسى سنة ٧٤٤ هـ. ومات قتيلًا. انظر ابن خلدون ٥/ ٤٣٩ والنجوم الزاهرة ١٠/ ٣٣٠ وصبح الأعشى ٤/ ٢٠٧ والدرر الكامنة ٢/ ١٨٣ والأعلام ١٥٠/ ٣.

زرع^(١) حسب سؤاله، وسافر فمات قبل أن يستغلها.

وفيه قدم أيضاً أحمد بن مهنا^(٢) وسيف بن فضل، بقود.

وفيه وصلت رسل ممتلك الهند بهدية فيها فسان ياقوت، ومعهم كتاب يتضمن السلام والمودة، وأنهم لم يكونوا يعرفون الإسلام حتى أتاهم رجل عرفهم ذلك، وذكر لهم أن ولاية الملك لا بد أن تكون من الخليفة. وسأل ممتلك الهند أن يكتب له تقليد من جهة الخليفة بولاية مملكة الهند؛ ليكون نائبا عن السلطان بتلك البلاد، وأن يعث السلطان إليهم رجلا يعلمهم شرائع الإسلام من الصلاة والصيام ونحو ذلك. فأكرمت الرسل، وطلب من الخليفة أن يكتب تقليدا لمرسلهم بسلطنة الهند، فكتب له تقليد جليل، ورسم بسفر ركن الدين الملطي شيخ الخانكاه الناصرية بسرياقوس مع الرسل.

وفيه قدم البريد من حلب بطلب ناصر الدين محمد بن صُغَيْر الطيب؛ ليعالج الأمير ألطنبغا المارداني، فأخرج على البريد، وقدم حلب يوم الثلاثاء سلخه^(٣)، وقد احتضر الأمير ألطنبغا، فمات من الغد، فعاد ابن صُغَيْر بعد يومين من حلب.

وفي تاسع عشره: رسم بتجريد الأمير جنكلي بن البابا، والأمير آقسنقر الناصري، والأمير أبي بكر بن أرغون النائب، والأمير طيغا المجدي إلى الكرك.

وفي ثاني عشر صفر: قدم الخير بوفاة الأمير ألطنبغا المارداني نائب حلب، فصلى عليه صلاة الغائب بجامعه، وقرئت له ختمة شريفة.

وفيه عقد مشور عند السلطان فيمن يلي حلب، فأشار الأمير أرغون العلامي باستقرار الأمير يلبغا اليحايوي في نيابة حلب، وأن يستقر عوضه في نيابة حماة الأمير طقتمر الأحمدى، وأن يستقر بلك الجمدار في نيابة صغد، عوضا عن طقتمر الأحمدى. وعين أرغون شاه للسفر بتقليد الأمير يلبغا، وأن يتوجه الأمير أحمد لإحضار حريم المارداني وأمواله من حلب.

وفي رابع عشره: توجه الأمير ألطنبغا برناق، بتقليد طقتمر نائب حماة.

(١) من أعمال حوران بالقرب من دمشق. انظر معجم البلدان ٢ / ١٨٢.

(٢) أحمد بن مهنا بن عيسى بن حديثة الطائي ثم التعلبي: أمير عرب الفضل في بادية الشام. وكانت لهم البادية من حمص إلى قلعة جعير إلى الرحبة أخذه على سقى الفرات وأطراف العراق. وقدم القاهرة مرارا. انظر الدرر الكامنة ١ / ٣٢١ وصبح الأعشى ٤ / ٢٠٧ والعر ٥ / ٤٣٩ والأعلام

١ / ٢٦١.

(٣) المراد آخر اليوم.

وفي يوم السبت خامس عشرية: قدم الأمير بيبرس الأحمدي والأمير كوكاي ومن معهما من المجردين التجريدة الثانية إلى الكرك، فركب الأمراء إلى لقائهم. وكان قبل ذلك بيومين ورد كتاب الأمير أصلم بأنه قدم إلى الكرك بمن معه، وخرج الأمير بيبرس الأحمدي بمن معه، وطلب أن يُقوَّى بعسكر. فكتب إلى ولاة الأقاليم للخروج إلى الكرك بطلبهم، ونزل النقباء إلى الأمراء المعينين للسفر بخروجهم.

وفي يوم الخميس سلخه: خرج الأمير بلك الجمدر من القاهرة؛ لنيابة صفد. وفي يوم الإثنين رابع ربيع الأول: خرج الأمير جنكلي بن البابا والأمير آقسنقر الناصري وملكتمر السرجواني وأمير عمر بن أرغون النائب، في أربعة آلاف فارس، تقوية للأمير أصلم، وهي التجريدة الرابعة للكرك. وتوجه صحبتهم عدة حجارين ونقاين ونفطية، وتوجه السلطان بعد سفرهم إلى سرياقوس على العادة.

وفيه اشتد الأمير الحاج آل ملك النائب على والي القاهرة ومصر في منع الخمر وغيره من المحرمات، وتتبع أهل الفساد وإحضارهم إليه. ونودي بالقاهرة ومصر من أحضر سكرانا أو أحدا معه جرة خمر خلغ عليه. فقعده العامة لشربة الخمر بكل طريق، وأتوه مرة بجندی قد سكر، فضربه وقطع خبزه، وخلغ على من أحضره. وقبض العامة أيضا على بعض مماليك الأمراء، وقد أحضر جرة خمر في مركب، فضربه وقطع خبزه. وأخذ النائب كثيرا من شربة الخمر وباعته بناحية شبرا الخيم ومنية السيرج، ومن المراكب، ومن البيوت، فضربهم عرايا، وكشف رعوسهم، وصب عليهم الخمر وشهرهم. ونادى من اشترى عنبا بالقطار قبض عليه، ويؤتى به إليه. فعرفه شاد الدواوين أن متحصل الديوان من معاملة العنب مائة ألف درهم، وقد بطلت، فلم يلتفت إليه، وتنجز مرسوم السلطان بالمساحة بذلك. وبعث النائب في خفية من اشترى له عنبا بدرهمين، فجاءه عشرة أرتال فطلب المحتسب، وأنكر عليه كيف يكون العنب بهذا السعر وقد منعنا من اعتصاره.

ومنع الأمير الحاج ملك النائب أن يحمل الفرنج إلى الإسكندرية حمرا، فقام في ذلك جمال الكفاة، وذكر أنه يتحصل من ذلك في السنة نحو الأربعين ألف دينار، ومتى منع الفرنج من حمل الخمر فسد حال الإسكندرية، وما زال بالسلطان حتى منع النائب من ذلك.

وأبطل الأمير الحاج آل ملك النوايح من القاهرة ومصر، فقامت الضامنة عند الأمير قمارى الأستاذار في إعادة النوايح، وخوفت أن جهته تبطل، وكان مُرْصده للحاشية، فما زال الأمير قمارى يكلم الأمير الحاج آل ملك حتى أعادها.

وفي هذا الشهر: قام قاضى القضاة عز الدين عبد العزيز بن جماعة على إمام الجامع الأزهر، وحبسه. وسبب ذلك أنه كان يلى نظر الجامع، فأخرجه عنه قاضى القضاة وولاه للقاضى الحنبلى، فتعصب جماعة للإمام حتى أعاده آقسنقر السلارى النائب إلى نظر الجامع. فشق ذلك على القضاة، وتنكروا له، فقام رجل وأنهى إليهم أن الإمام من خمس وعشرين سنة وقع فى حق النبى ﷺ، بأن زعم أنه ﷺ انهزم فى بعض غزواته، وكتب بذلك محضرا وأثبتته. وشنعوا بذلك عليه، وأخذوه من الجامع إلى الحبس، فقام الشيخ خليل المالكى والقوام الكرمانى قياما زايذا حتى وصل إلى السلطان والأمراء أن بين القضاة وبينه عداوة، بسبب نظر الجمع، من قديم. فطلب القضاة إلى القلعة بمحضرة السلطان، وحدثهم السلطان فى أمره، فوقعوا فيه وقية قبيحة، وأنه قد وجب قتله، وقد حكم بعزله من الإمامة. فمازال السلطان بهم حتى حكم الحنفى بتعزيه، فعزز واستمر على وظيفته. وكثرت القالة فى ابن جماعة بسببه، فإنه كانت له سمعة عند الخدام، وتتردد إليه أم السلطان.

وفيه خلع على نجم الدين أيوب، وأعيد لولاية القاهرة، عوضا عن شجاع الدين غرلو، وأخرج غرلو إلى الشوبك، عوضا عن الطنقش.

وفى يوم الخميس عشره: قدم الخير بوصول المنجنيق من صفد إلى الكرك، وأنه هرب من خدام أحمد ومماليكه نحو ستة وأربعين نفرا، ثم قدموا فى حادى عشره، فخلع عليهم.

وفى رابع عشر ربيع الآخر: قدم الخير بوصول جنكلى بن البابا وآقسنقر الناصرى إلى الكرك بمن معهما، فى يوم السبت سابعه، فزحفوا من غداهم، وقاتلوا قتالا شديدا جرح فيه بالغ وجماعة، وعدة قتلوا، وجرح كثير. فانكسر أهل الكرك كسرة قبيحة، فسر السلطان بذلك، وبعث إلى الأمراء المجردين خمسين حجارا.

وفيه قدم رسول حسن بن دمرداش بن جوبان بهدية، وسأل أن يُبعث إليه برمة أبيه، فاعتذر السلطان عن ذلك بأنه لم يعرف له قبرا.

واتفق فى زيادة النيل أنه كان وفاؤه يوم الأحد سابع عشر ربيع الأول - وهو سابع عشر مسرى -، فزاد زيادة كبيرة بعد الوفاء حتى فاض من جهة قرموط من الخليج، وطلع من الأسربة. فركب الوالى إلى بولاق، وركب النائب إلى جسر بركة الحبش فى عدة من الأمراء، وأقام ثلاثة أيام حتى أتقن بعض الجسور.

وفاض النيل من جهة قناطر الأوز، فكتب لوالى الشرقية على أجنحة الحمام أن يقطع

اللؤلؤة^(١)، فكثر تقطع الجسور، وتبعت الولاية في سدها حتى تقطعت جميعها بالوجه القبلى والوجه البحرى. وفسدت الأقباب، والنيلة والقلقاس، وسائر الزراعات الصيفية، والمخازن.

وفيه قدم الخبز بكثرة الفساد والمجاهرة بالخمور وأنواع الفسوق بدمشق، وقلعة حرمة نائبها الأمير طقزدمر الحموى، وتغلب مماليكه وتهكمهم عليه وسوء سيرتهم، فكتب بالإنكار عليه.

واتفق بظاهر القاهرة أمرًا عتبتى بضبطه، وهو أنه كان بناحية اللوق كوم يعرف بكوم الزل يأوى إليه أهل الفسوق من أوباش العامة، فأخذ بعضهم منه موضعا ليبنى له فيه بيتا، فشرع فى نقل التراب منه، فبينما هو يحفر إذ ظهر له إناء فخار فيه مكاتيب دار كانت فى هذا البقعة، وتدل على أنه كان به أيضاً مسجد، ورأى آثار البنيان. فأشاع بعض شياطين العامة - وكان يقال له شعيب -، أنه رأى فى نومه أن هذا البنيان على قبر بعض الصحابة رضى الله عنهم، وأن من كراماته أنه يقيم المقعد ويرد بصر الأعمى، وصار يصيح ويهلل ويظهر اختلال عقله. فاجتمعت عليه الغوغاء، وأكثروا من الصياح، وتناولوا تلك الأرض بالحفر حتى نزلوا فيها نحو قامتين، فإذا مسجد له محراب. فزاد نشاطهم، وفرحوا فرحا كبيراً، وباتوا فى ذكر وتسييح. وأصبحوا وجمعهم نحو الألف إنسان، فشالوا ذلك الكوم، وساعدهم النساء، حتى إن المرأة كانت تشيل التراب فى مقنعتها، وأتاهم الناس من كل أوب^(٢)، ورفعوا معهم التراب فى أقبيتهم وعمائمهم، وألقوه فى الكيمان، بحيث تهيأ لهم فى يوم واحد ما لا تقى مدة شهر بنقله.

وحفر شعيب حفرة كبيرة، وزعم أنها موضع الصحابى، فخرج إليه أهل القاهرة ومصر أفواجا، وركب إليه نساء الأمراء والأعيان، فياخذهن شعيب وينزلهن تلك الحفرة لزيارتها، وما منهن إلا من تدفع الدنانير والدرهم.

وأشاع شعيب أنه أقام الزمنى، وعافى المرضى، وردَّ أبصار العميان، فى هذه الحفرة، وصار يأخذ جماعة ممن يظهر أنه من أهل هذه العاهات، وينزل بهم إلى الحفرة، ثم

(١) المقصود قنطرة أو سد قرب منظر اللؤلؤة.

(٢) أوب: وجاءوا من كل أوب أى من كل مآب ومستقر، وفى حديث أنس، رضى الله عنه:

«قآب إليه ناس»، أى جاءوا إليه من كل ناحية، وجاءوا من كل أوب أى من كل طريق ووجه وناحية، وقال ذو الرمة يصف صائداًرمى الوحش:

طوى شخصه حتى إذا ما نودفت على هيلة من كل أوب نفالها

على هيلة أى على فزع وهول لما مر بها من الصائد مرة بعد أخرى، من كل أوب أمن كل وجه،

لأنه لا يمكن لها من كل وجه عن يمينها وعن شمالها ومن خلفها. انظر: لسان العرب ١٦٨.

يخرجهم وهم يسبحون «الله أكبر الله أكبر»، ويزعمون أنهم قد زال ما كان بهم. فافتتحت الناس بتلك الحفرة، ونزلت أم السلطان لزيارتها، ولم تبق امرأة مشهورة حتى أنتها وصار للناس هناك مجتمع عظيم، بحيث يسرج به كل ليلة نحو مائتي قنديل، ومن الشموع الموكبية شيء كثير. فقامت القضاة في ذلك مع الأمير أرغون العلائى والأمير الحاج آل ملك النائب، وقبحوا هذا الفعل، وخوفوا عاقبته، حتى رسم لوالى القاهرة أن يتوجه إلى مكان الحفرة ويكشف أمرها، فإن كان فيها مقبور يحمل إلى مقابر المسلمين ويدفن به سرًا، ثم يعفى الموضع. فلما مضى إليه ثارت به العامة تريد رجمه، وصاحوا عليه بالإنكار الشنيع حتى رماهم الجنند بالنشاب، فتفرقوا. وهرب شعيب ورفيقه العجوى، ومازال الحفارون يعملون فى ذلك المكان إلى أن انتهوا فيه إلى سراب حمام، ولم يجدوا هناك قبرًا ولا مقبورًا، فطموه بالتراب، وانصرفوا. وقد انحلت عزائم الناس عنه، بعدما فتنوا به، وضلوا ضلالًا بعيدًا، وجمع شعيب ورفيقه كثيرًا من المال والثياب شيئًا طائلا.

وفيه توجه أيدير الشمسى لكشف أحوال الكرك.

وفى يوم الأحد سابع عشرى جمادى الأولى: قدم الأمير أصلم، وأبو بكر بن أرغون النائب، وأروم بغا، من تجريدة الكرك بغير إذن، واعتذروا بضعف أبدانهم وكثرة الجراحات فى أصحابهم وقلّة الزاد عندهم. فقبل السلطان عذرهم، ورسم الأمير طقتمر الصلاحى وتمر الموساوى، فى عشرين مقدما من الحلقة وألقى فارس، فساروا خلقه، وهى التجريدة الخامسة.

وفيه قدم البريد من حلب أنه خرجت عساكر حلب وحماة وطرابلس صحبة سنقر وصلاح الدين الدوادار إلى جهة سيس لحرب أهلها من الأرمن؛ لمنعهم الخراج.

تركمان الطاعة، وأغاروا معهم، وأثروا فى أهل سيس آثار قبيحة.

وفيه نودى من قبل الأمير الحاج آل ملك نائب السلطان بأن أهل الأسواق كلها إذ أذن الصلاة يصلون قدام دكاكينهم بإمام يصلى بهم، فعملوا أنخاخا^(١) وحصرا يرسم فرشها للصلاة فى الأسواق.

وتوجه السلطان فى هذه الأيام إلى سرياقوس على العادة، ورسم بلعب الرمح بين يديه. فاجتمع غواة لعب الرمح، وحضر طيدير الملكى، وابن الطرابلسى الرماح، وقطنز

(١) نخ: نخا: سار سيرًا عنيفًا، والإبل، نخا: زجرها وحثها لتسير، وصوت لها لتترك، النخ: وهو بساط طويل، جمع نخاخ. انظر المعجم الوسيط.

الشمسى، ومن ضاهاهم، وتكافحوا. فظهر ابن الطرابلسى يومئذ على سائرهم، وأنعم عليه.

وفيهما ترك الأمير طبقغا الناصرى إمريته، وتزيّاً بزى الفقراء، فلزمه بحكم الديوان أربعمئة ألف درهم، حمل منها مباشره ثلاثمئة ألف.

وفيهما رسم باستقرار الأمير سيف الدين بن فضل أمير الأمراء فى الإمريّة، عوضاً عن سليمان بن مهنا، بعد موته.

وفيهما كتب بمنع أحمد بن مهنا من القدوم إلى مصر، فردّه نائب الشام من دمشق وعاد إلى أهله. فاتفق أحمد بن مهنا مع فياض على إقامة فتنة.

وفيهما تزوج السلطان ابنة الأمير طقزدمر الحموى نائب الشام، بعد ما جهز الأمير ملكتمر الحجازى بالمهر إلى دمشق، فقدمها فى سادس عشر جمادى الآخرة، وقد تلقاه الأمير طقزدمر، فلدغ إليه المهر وهو مائة ألف درهم. وعاد الأمير ملكتمر الحجازى من دمشق من غير أن يأخذ لأحد شيئاً هدية، فبعث له الأمير طقزدمر الحموى ألفى دينار، ومائة قطعة قماش، وأربعة أرؤس خيل. وأنعم عليه السلطان بألفى دينار، وخيول وغيرها.

وفيه قدم الخير بخروج فياض وآل مهنا عن الطاعة، وإغارتهم على عرب سيف بن فضل، وأخذهم قفلاً من بغداد إلى نواحى الرحبة، كان فيه لرجل واحد ما قيمته نحو مائتى ألف دينار، سوى ما لغيره من التجار.

وفيه قدم الخير بأن سليمان شاه حاكم الأردن جرت بينه وبين أرتنا ملك الروم حرب انتصر فيها أرتنا، وقتل عدة من أصحاب سليمان شاه، وغنم ما معهم، وهزم باقيهم.

وفى مستهل رجب: عاد الأمير جنكلى بن البابا والأمير آقسنقر الناصرى من تجريدة الكرك إلى القاهرة، فأكرمهما السلطان لكثرة بلائهما فى الكرك، وخلع عليهما.

وفيه قدم البريد بمحضر ثابت على قضاة حلب يتضمن أنه لما كان يوم السبت سادس شعبان إذا برعد وبرق أعقبته زلزلة عظيمة، سمع حسها من نصف ميل عن حلب، وهو حس مزعج يرحف القلوب. فهدم من القلعة اثنا وثلاثون برجاً سوى البيوت، وهدم من قلعة البيرة^(١) أكثر من نصفها، وكذلك من قلعة عين تاب^(٢) وقلعة

(١) بلد قرب سميساط بين حلب والثغور الرومية، وهى قلعة حصينة. انظر معجم البلدان

(٢) قلعة حصينة ورستاق بين حلب وأنطاكية وكانت تعرف بدلوك من أعمال حلب. انظر

الراوند وبهَسْنَا^(١) وبلاد منبج^(٢) وقلعة المسلمين. فخرج أهل حلب إلى ظاهرها، وضربوا الخيم، وغلقت سائر أسواقها، وفي كل ساعة يسمع دوى جديد. ثم إنهم تجمعوا عن آخرهم، وكشفوا رءوسهم ومعهم أطفالهم والمصاحف مرفوعة، وهم يضحون بالدعاء والابتهاال إلى الله برفع هذا المقت. فأقاموا على ذلك أياما إلى خامس عشره حتى رفع الله ذلك عنهم، بعدما هلكت بتلك البلاد تحت الردم خلائق لا يحصيها إلا خالقها، فكتب بتحديد عمارة ما هدم من القلاع من الأموال الديوانية.

وقدم الخير من الكرك بأن العساكر أخذت على طرقها كلها بالاحتفاظ وأخذت أغناما كثيرة لأهلها، وقتلت جماعة من الكركيين. فرسم بتجهيز الأمير علم الدين سنجر الجاولي، والأمير أرقطاي، والأمير قماري أستاذار، وعشرين أمير طبلخاناه وعشرات، وثلاثين مقدم حلقة، وأنفق السلطان فيهم. فساروا يوم الثلاثاء خامس عشر شوال في ألفى فارس، وهي التجريدة السادسة، وتوجه معهم عدة حجارين ونفطية.

وفيه خلع على الأمير طرغاي الطباخي، واستقر في نيابة طرابلس بعد موت رسغاي السلاح دار، وكتب أوراق ديوانية بما يلزم رسغاي بحكم الديوان، ويشتمل على ألفى ألف درهم.

وفيه استقر علاء الدين على بن محمد بن الأطروش السقطي في حسة دمشق، بعناية الأمير أرغون العلائي، فشنع الناس بسبب ولايته، لجهله بالأمر الشرعية.

وفي أول شعبان: ورد كتاب الناصر أحمد من الكرك وهو يترفق ويعتذر عن قتل الأمير قطلوبغا الفخري والأمير طشتمر حمص أخضر، وأنه إن رُسم بحضوره حضر، وإن رُسم بإقامته بالكرك أقام تحت الطاعة، وأنه لا رغبة له في الملك. وعقيب ذلك ورد كتاب نائب الشام وكتاب نائب حلب، وفي ضمنهما كتب الناصر أحمد إليهما بختمها، وهي تشتمل على معنى ما ذكر في كتابه. فتوجه إليه الأمير طشتمر طلبه بجواب يتضمن أنه إن أراد الإقامة بالكرك مطمئنا فليسير ما أخذه من المال والخيل وغير ذلك، ويبعث يوسف بن البصرة أيضا، وإلا هدمت عليه الكرك حجرا حجرا، وأسر إلى طلبه أن يتحيل في القبض على أحمد.

(١) مدينة بمصر من الصعيد الأدنى غربى النيل وتضاف إليها كورة كبيرة. انظر معجم البلدان

٥١٧، ٥١٦ / ١

(٢) انظر معجم البلدان ٥ / ٢٠٥.

وفي مستهل رمضان: فرغت عمارة القاعة المعروفة بالدهيشة من القلعة، وفرشت بأنواع البسط والمقاعد الزركش، وجلس فيها السلطان وبين يديه جواريه. فأكثر من الإنعام والعطاء، وكان قد اختص بالملوك ببيغا الصالحى، وأمره وخوله فى نعم جليسة، وزوجه بابنة الأمير أرغون العلائى، وهى أخت السلطان لأمه، وعمّر له حوانيت خارج باب القرافة. وكثر استيلاء الجوارى والخدام على الدولة وعارضوا النائب، وأبطلوا ما أحبوا إبطاله مما يرسم به، حتى صار يقول لمن يطلب شيئاً: «رح إلى الطواشية ينقضى شغلك»، فإذا بلغهم ذلك أهدروا مكاتته وردوا أفعاله.

وفي سابعه: توجه الأمير آقسنقر الناصرى لنيابة طرابلس، بعد موت الأمير طوغاى الطباخى، وقد تنكر السلطان له وتغير عليه.

وفي عشريه: رحل محمل الحاج من البركة، وقد قدم من حجاج المغاربة زيادة على عشرة آلاف إنسان، ومن حجاج بلاد التكرور^(١) نحو خمسة آلاف نفر، وحج الطواشى عنبر السحرتى لالا السلطان، فى تجمل كثير.

وفيه أعاد الناصر أحمد الأمير طشتمر طلبه بجواب غير طائل، ومن غير أن يجتمع به. وقدم معه وبعده من الكركيين عدة أشخاص، فقررروا مع السلطان مخامرتهم على الناصر أحمد، وطلبوا إقطاعات عديدة لهم ولأصحابهم. فكتب لهم السلطان بها، وأعيدوا بإنعامات جليسة. فقدم الخير بأن يوسف بن البصارة بعثه الناصر أحمد من الكرك ليحضر إلى مصر، فوجد قتيلاً فى أثناء طريقه، واتهم الناصر أحمد أنه بعث من قتله خوفاً منه أن ينم عليه لأخيه، وأحاط الناصر أحمد بموجوده، فوجد له أربعة وعشرين ألف دينار، وثلاثين حياصة ذهب، وثلاثين كلفتاه زركش، سوى لؤلؤ وقماش وغير ذلك. فوقع الاتفاق على أن يجرد السلطان إلى الكرك عدة عساكر من مصر والشام.

وفي يوم الإثنين ثامن ذى القعدة: قدم بالغ ومشايخ الكرك طائعين، فأنعم السلطان عليهم وعادوا فى حادى عشره، ومعهم عدة من المماليك السلطانية ليسلموهم قلعة الكرك.

وفيه رسم بتجريدة سابعة فيها الأمير ركن الدين بيبرس الأحمدى، والأمير كوكاى، وعشرون أمير طبلخاناة، وستة عشر أميراً. وكتب بخروج عسكر من دمشق، ومعهم منجنيق وزحافات. وحمل السلطان إلى الأمير بيبرس الأحمدى ألفى دينار، وإلى كوكاى

(١) بلاد تنسب إلى قبيلة من السودان فى أقصى جنوب المغرب. انظر، معجم البلدان ٣٨/٢.

ألف دينار، ولكل أمير طبلخانة أربعماية دينار، ولكل أمير عشرة مائتا دينار. وأرسل السلطان أيضاً مع الأمير بيبرس الأحمدي أربعة آلاف دينار لأجل من عساه ينزل من الكرك، وجهاز تشاريف كثيرة. وأقام الأمراء في طريقهم نحو شهرين، وخرج معهم ستة آلاف رأس من البقر والغنم، ومائتا رأس جاموس ونحو ألفى راجل. فاستعد لهم الناصر أحمد، وجمع الرجال، وأنفق فيهم مالا كثيراً وجمع الأسلحة المرصدة بقلعة الكرك، وركب المنجنيق الذي كان بها.

وفيه قدم سليمان ابن مهنا بقوده، فخلع عليه.

وفي مستهل ذي الحجة: عرض السلطان الخيل ليختار فرسا يركبه يوم العيد، وأحضر عشرة من النقاراتية، فدقوا كوساتهم عند العرض. فظن العسكر أنها حربية، فركبوا تحت القلعة، وتجمعت العامة على عاداتهم، وغلقت الأسواق. فركب إليهم نقيب الجيش، ولامهم على ركوبهم، وردهم.

وأخذت القالة تكثر حتى تنكرت قلوب الأمراء، وادخروا الأقوات خوفاً من الفتنة. ولهجت العامة بقولهم: «يا ولد خرا للعيد» وغنوا به في الأسواق. فتوهم السلطان من فتنة تكون يوم العيد، وهم ألا يصلى يوم العيد خوفاً من طائفة تهجم عليه في الصلاة من جهة أخيه رمضان واستعد لذلك. ثم بعث السلطان إلى أخيه رمضان، فقتله ليلة العيد، وصلى العيد وهو متحرز.

وفي هذه الأيام: أعيد ضمان الملعوب من العلاج والصراع واللكم والسعاة، ونحو ذلك. وأعيد ضمان ابن البطونى، وضمن بزيادة عشرة آلاف درهم.

وفيها قبض بدمشق على الأمير آقبا عبد الواحد في عدة من الأمراء وسجنوا؛ لميلهم إلى الناصر أحمد.

وفيها اختلت مراكز البريد، فجمع لها ثمانمائة فرس، بعث السلطان منها مائتى فرس، وأخذ من كل أمير مائة أربعة رؤس، ومن كل أمير طبلخانة فرسين، ومن كل أمير عشرة فرسا واحداً، وأخذ من الموقعين عدة أفراس.

وفيها نهبت منية السيرج، وذلك أن جماعة من الفقراء المتبعدين بها أنكروا على النصارى بيعهم الخمر، وهم معظم أهل المنية، وبالغوا في الإنكار حتى ضرب أحد الفقراء نصرانيا أسال دمه، ودخل إلى صلاة الجمعة بالجامع. فتجمع النصارى، وأتوا الفقراء بالجامع بعد الصلاة، وضربوهم، فثار المسلمون بهم، فأثنخهم ضرباً، ومالوا

على بيوتهم فنهبوا. وتعدى النهب إلى بيوت المسلمين حتى بلغ الخبر إلى الأمير الحاج آل ملك النائب، فبعث الحجاب والوالى، فقبضوا على جماعة كثيرة، وردوا كثيراً مما نهب، وحملوا الذين قبض عليهم، وفيهم عدة من الأجناد، فضربوا وسجنوا وقطعت أحيابهم. وأقامت المنية خراباً وبيوتها مهدمة نحو الشهرين، حتى عاد أهلها إليها.

وفي هذه السنة: نافق عربان الصعيد، واقتلوا وقطعوا الطريق، فقتل بينهم نحو الألفى رجل. فركب الأمير علاء الدين على بن الكوراني، وقد استمال معه طائفة من أعدائهم يريد حربهم، فلم يشبوا له وفروا منه، فاخذ لهم عدة جمال وخيول وسلاح.

وفيها احتربت الدعاجية^(١) والسعديون^(٢)، فقتل بينهم خلق كثير جداً، فركب إليهم الأمير أزدمر كاشف الوجه البحرى، وقتل منهم أعداداً كثيرة.

وفيها كثر فساد فياض وقطعه الطرقات، فلم يطق الأمير سيف بن فضل ردّه ومنعه، لعجزه عن آل مهنا.

وفيها اشتد الحصار على الكرك، وضائق على الناصر أحمد ومن معه لقلّة القوت عندهم. وتخلّى عنه أهل الكرك، ووعدوا الأمراء بالمساعدة عليه، فحملت إليهم الخلع ومبلغ ثمانين ألف درهم.

وفيها اشتد الغلاء ببغداد وعامة بلاد العراق، وبلغ الرغيف ببغداد ديناراً عراقياً، عنه ستة دراهم، والرطل اللحم بدينار ونصف.

وفيها استقر ببيغا ططر فى نيابة غزة، عوضاً عن طرنطاي البشمقدار.

وفيها استقر طرنطاي حاجبا بالقاهرة.

وفيها جرد الأمير يلغا اليحياوى نائب حلب عسكره لقتال ابن دلغادر، فلقبهم ابن دلغادر وكسرهم كسرة قبيحة. فركب يلغا بعساكر حلب وسار إليه، ففر منه ابن دلغادر إلى جبل، وترك أثقاله فنهبها العسكر، وقتلوا كثيراً من تركمانه، وظفروا ببعض حرمه، وتبعوه إلى الجبل، وصعدوه. فقاتلهم ابن دلغادر، وجرح أكثرهم. وأصيب فرس الأمير يلغا بسهم قتله، وتقنطر عنه يلغا وأخذ صنجقه ومن أسروه من حريم ابن دلغادر وما نهبوه له، وتمت الكسرة على العسكر فكذب السلطان بالإنكار على نائب حلب، وتعنيفه على ما فعله.

(١) الدعاجية بطن كبير من بنى حميدة بالكرك.

(٢) السعديون من قبائل مصر وبقيمون فى محافظة الشرقية بمصر.

وفيها استقر المكين إبراهيم بن قزونية في نظر دمشق، عوضا عن التاج ابن صاحب أمين الملك. واستقر موسى بن التاج إسحاق في نظر حلب، واستقر زين الدين محمد ابن محمد بن محمد بن عبد القادر بن عبد الخالق بن خليل بن مقله بن جابر المعروف بابن الصائغ الأنصارى الدمشقى، فى قضاء الشافعية بحلب، عوضا عن بدر الدين بن الخشاب، وعاد ابن الخشاب إلى القاهرة.

وكانت هذه السنة من أنكد السنين وأشدّها؛ لكثرة الفتن وسفك الدماء ببلاد الصعيد ونواحي الشرقية وبلاد عرب الشام وبلاد الروم والكرك، وغلاء الأسعار بالعراق وكثرة الموتى عندهم، وزيادة النيل التى فسدت بها الأقطاب والزراعات الصيفية. فلما أدرك الشعير هاف من السموم، وهاف كثير من الفول أيضًا وبعض القمح، وتحسن السعر حتى بلغ الأردب درهما، بعد ما كان بعشرة دراهم.

وفيها بلغت زيادة النيل عشرين ذراعا وخمسة عشر أصبعا.

* * *

ومات فيها من الأعيان

زين الدين إبراهيم بن عرفات بن صالح بن أبى المنا القناوى الشافعى، وقاضى قنا، وكان يتصدق فى السنة بألف دينار فى يوم واحد.

وتوفى برهان الدين إبراهيم بن على بن أحمد بن على بن عبد الحق^(١)، قاضى القضاة الحنفية بديار مصر، وهو مقيم بدمشق.

ومات إبراهيم بن صابر المقدم.

وتوفى المحدث شهاب الدين أحمد بن على بن أيوب بن علوى المستولى، وقد جاوز الثمانين، حدث عن الأبرقوهى، وكان ورعا خيرا.

(١) إبراهيم بن على بن أحمد، أبو إسحاق، برهان الدين، المعروف بابن عبد الحق الواسطى، ويقال له أيضًا ابن قاضى الحصن: فقيه حنفى محدث دمشقى. كان أبوه قاضى الحصن (بسورية) فعرف به. وهو سبط عبد الحق بن خلف الواسطى، نسب إليه. أشخص إلى القاهرة من دمشق سنة ٧٢٨هـ فولى قضاء الحنفية بالديار المصرية عشر سنين وعزل، فعاد إلى دمشق، فدرس وأفتى. وتوفى بها. من كتبه «نوازل الوقائع» فى الأخبار و«المنتقى» فى فروع الفقه و«مختصر السنن الكبير للبيهقى» خمس مجلدات. انظر الجواهر المضية ٤٢/١ والدارس ٦٠٦/١ والبداية والنهاية ١٤/١٢٢ والنجوم الزاهرة ١٠/١٠٤ والدرر الكامنة ٤٦/١ والأعلام ٥١/١.

وتوفى شهاب الدين أحمد بن أبى الفرج الحلبي، بالقاهرة، حدث عن النجيب، والأبرقوهي، والرشيد بن علان وغيره، ومولده فى رمضان سنة خمس وستين وستمائة.

وتوفى المسند شهاب الدين أحمد بن كشتغدى المعزى.

ومات الأمير آقسنقر السلارى قتلا بجبس الإسكندرية، تنقل فى الخدم إلى أن ولى نيابة صفد ونيابة غزة، ثم نيابة السلطنة بديار مصر.

ومات الأمير أطنبغا الماردانى وهو فى نيابة حلب، وهو الذى أنشأ جامع الماردانى خارج باب زويلة.

ومات الأمير أطنبغا العلمى الجاولى، الفقيه الشافعى، الأديب الشاعر، أصله مملوك ابن باخل، ثم صار إلى الأمير علم الدين سنجر الجاولى، فعرف به، وعمله دواذاره وهو نائب غزة، ثم تقلبت به الأحوال، حتى مات بدمشق فى ربيع الأول، وشعره جيد.

وتوفى شرف الدين أبو بكر بن محمد بن الشهاب محمود كاتب السر بدمشق ومصر، فى ربيع الأول.

وتوفى علم الدين سليمان بن إبراهيم بن سليمان المعروف بابن المستوفى المصرى ناظر الخاص بدمشق، سابع عشرى جمادى الآخرة، عن سبعين سنة بها، وكان كاتب قراسنقر، وله شعر.

ومات الأمير طوغاى الطباخى نائب حلب وطرابلس، فى شهر رمضان.

وتوفى شهاب الدين عبد اللطيف بن عز الدين عبد العزيز بن يوسف بن أبى العز، المعروف بابن المرحل، الحرانى الأصل، النحوى، بالقاهرة، وقد جاوز الستين.

وتوفى الشيخ المعتقد عبد الكريم فى ربيع الأول، ودفن بالقرافة.

وتوفى المسند المحدث علاء الدين على بن قيران السكرى، ومولده فى سنة ثمان وخمسين وستمائة.

ومات الأمير عيسى بن فضل الله بن أخى مهنا، ولى إمرة العرب بعد موسى بن مهنا، ثم عزل بسليمان بن مهنا، ومات بالقريتين، ودفن بمحمص.

وتوفى تقى الدين محمد بن القطب عبد اللطيف بن الصدر يحيى بن أبى الحسن على ابن تمام بن يوسف بن موسى بن تمام السبكي، وهو أحد الفقهاء النحاة للقراء.

وتوفى الإمام شمس الدين محمد بن العماد أحمد بن عبد الهادى بن عبد المجيد بن

٤١٠ سنة أربع وأربعين وسبعمائة

عبد الهادى بن يوسف بن محمد بن قدامة المقدسى^(١) الحنبلى، فى جمادى الأولى بدمشق، عن تسع وثلاثين سنة.

ومات طغاي بن سوناي بالمشرق، قتلا.

ومات الأمير آقبغا عبد الواحد الأستاذار، فى محبسه بالإسكندرية، وإليه تنسب المدرسة الآقبغاوية بمجوار الجامع الأزهر.

وقتل الشيخ حسن بن دمرداش بن جوبان بن بلك، بتوريز فى رجب، وكان داهية صاحب حيل ومكر، وأفتى عدة كثيرة من المغل.

ومات طغاي بن سوناي. ومن أخباره أنه لما مات أبوه، ووثب بعده على باشا خان بوسعيد، حاربه طغاي حتى قتله، فقتله إبراهيم شاه بن بارنباى، يوم عاشوراء.

* * *

(١) محمد بن أحمد بن عبد الهادى بن عبد الحميد بن عبد الهادى، شمس الدين، أبو عبد الله بن قدامة المقدسى الجماعيلى الأصل، ثم الدمشقى الصالحى: حافظ للحديث، عارف بالأدب. يقال له ابن عبد الهادى نسبة إلى جده الأعلى. أخذ عن ابن تيمية والنهيبى. صنف ما يزيد عن سبعين كتاب. مات قبل بلوغ الأربعين. من كتبه «العقود الدرية فى مناقب شيخ الإسلام أحمد بن تيمية» و«المحرر». انظر جلاء العينين ٢٢ وبغية الوعاة ١٢/١٢ والدرر الكامنة ٣٣١/٣ والبداية والنهاية ١٤/٢١٠ وشذرات الذهب ١٤١/٦ والدارس ٨٨/٢ ودار الكتب ٥/٢٨٩ والأعلام ٥/٣٢٦.

سنة خمس وأربعين وسبعمائة

أهلت والعسكر فى حركة اهتمام بالسفر إلى الكرك، وقد تعين الأمير بغا الفخرى، والأمير قمارى، والأمير طشتمر طلليه، للتوجه بهم. وألزم السلطان كل أمير مائة مقدم ألف بإخراج عشرة ممالك، ولم يوجد فى بيت المال ولا الخزانة ما ينفق عليهم منه، فأخذ مالا من تجار العجم ومن بيت الأمير بكتمر وجماعة آخرين على سبيل القرض، وأنفق فيهم.

وفى يوم السبت مستهل المحرم: قدم مبشر الحاج.

وفى يوم الثلاثاء حادى عشره: خرج المجردون إلى الكرك

وفى رابع عشره: قدم محمل الحاج، وقد قاسى الحاج فى سفرهم مشقات كبيرة من قلة الماء وغلاء الأسعار، بحيث أبيعت الويبة من الشعير بأربعين درهما عنها ديناران، والويبة الدقيق بخمسون درهما، والرطل البشماط بثلاثة دراهم. وأبيع الأردب القمح فى مكة بمائتى درهم، وبلغ الجمل بمئى إلى أربعمائة وخمسين درهما؛ لقلّة الجمال. وكان من أسباب ذلك أن الشريف عجلان بن رميثة خرج إلى جدة، ومنع تجار اليمن من عبور مكة، فعز بها صنف المتجر، وهلك كثير من مشاة الحاج.

وفيه أقامت العساكر على محاصرة الكرك وقطع الميرة عنها، وكانت أموال الناصر أحمد قد نفدت من كثرة نفقاته، فوقع الطمع فيه. وأخذ بالغ - وهو أجل ثقاته من الكركيين - فى العمل عليه، وكاتب الأمراء ووعدهم أنه يسلم إليهم الكرك، وسأل الأمان. فكتب إليه عن السلطان أمان، وقدم إلى القاهرة كما تقدم فى السنة الخالية، ومعه مسعود وابن أبى الليث، وهؤلاء أعيان مشايخ الكرك، فأكرمهم السلطان وأنعم عليهم، وكتب لهم مناشير بجميع ما طلبوه من الإقطاعات والأراضى، وكانت جملة ما طلبه بالغ بمفرده نحو أربعمائة وخمسين ألف درهم فى السنة، وكذلك أصحابه، ثم أعيدوا بعد ما حلفوا، وقد بلغ الناصر أحمد خبرهم، فتحصن بالقلعة، ورفع جسرهما، وصاروا هم بالمدينة ومكاتباتهم ترد على العسكر. فلما ركب العسكر للحرب وخرج الكركيون، لم يكن غير ساعة حتى انهزموا منهم إلى داخل المدينة، فدخلها العسكر أفواجا واستوطنوها، وجدوا فى قتال أهل القلعة عدة أيام، والناس تنزل منها شيئا بعد شىء، حتى لم يبق مع الناصر أحمد عشرة أنفس، فأقام يرمى بهم على العسكر. وكان

الناصر أحمد قوى الرمي شجاعا، إلى أن جرح فى ثلاثة مواضع. وتمكنت النقابة من البرج، وعلقوه وأضرموا النار تحته حتى وقع. وكان الأمير سنجر الجاولى قد بالغ أشد مبالغة فى الحصار، وبذل فيه مالا كثيرا، فلما هجم العسكر على الناصر أحمد، فى يوم الإثنين ثانى عشرى صفر، وجدوه قد خرج من موضع وعليه زردية، وقد تنكب قوسه وشهر سيفه. فوقفوا وسلموا عليه، فرد عليهم السلام وهو متجهم، وفى وجهه جرح وكفه يسيل دما. فتقدم إليه الأمير أرقطاي والأمير قمارى فى آخرين، فأخذوه ومضوا به إلى دهليز الموضع الذى كان به، وأجلسوه وطيبوا خاطره، وهو ساكت لا يجيبهم، فقيدوه ووكلوا بحفظه جماعة، ورتبوا له طعاما، فأقام يومه وليلته، ومن باكر الغد تقدم إليه الطعام فلا يتناول منه شيئا إلى أن سأله فى أن يأكل، فأبى أن يأكل حتى يأتوه بشاب كان يهواه يقال له عثمان، فأتوه به فأكل عند ذلك.

وخرج ابن الأمير ببيغا الشمسى حارس الطير بالبخارى، وعلى يده كتب الأمراء فقدم قلعة الجبل يوم السبت ثامن عشرية، فدفقت البشائر سبعة أيام. ثم قدم أيضا ابن الأمير قمارى، ثم بعده أرلان ومعه النماجه.

ثم أخرج الأمير منجك السلاح دار ليلا من القاهرة على النجب؛ لقتل الناصر أحمد من غير مشاورة الأمراء، فوصل إلى الكرك. وأدخل منجك إليه من أخرج الشاب من عنده، وخنقه فى ليلة رابع ربيع الأول، وقطع رأسه. وسار منجك من ليلته ولم يعلم الأمراء ولا العسكر بشيء من ذلك، حتى أصبحوا وقد قطع منجك مسافة بعيدة فقدم منجك بعد ثلاث إلى القلعة ليلا، وقدم الرأس بين يدى السلطان، وكان ضخما مهولا له شعر طويل، فاقشعر السلطان عند رؤيته، وبات مرجوفا.

وفيه طلب الأمير قبلاى الحاجب، ورُسم بتوجهه لحفظ الكرك إلى أن يأتيه نائب لها، وكتب بعود الأمراء والعساكر، وكانت مدة حصار الناصر أحمد بالكرك ستين شهرا وثمانية أيام.

وكان جمال الكفاة قد تقدم فى الدولة تقدما زائدا، فإنه ولى الخاص ثم نظر الجيش، فباشرها جميعا. وتمكن فى أيام السلطان الملك الصالح تمكنا عظيما، سببه أن السلطان اشتد شغفه بجارية مولدة يقال لها اتفاق، كانت تجيد ضرب العود، وأخذته عن عبد على العواد العجمى، فرتبه جمال الكفاة عند السلطان حتى صار يجلس معها عند السلطان.

وكان السلطان يخشى من الأمير أرغون العلامى، ولا يتجاسر أن يبسط يده بالعطا

لاتفاق، فأسر ذلك لجمال الكفاة، فصار يأتيه بكل نفيس من الجواهر وغيرها سرّاً، فينعم به على اتفاق. وكذلك كان السلطان قد أسر للوزير نجم الدين هواه فى اتفاق، فكان أيضاً يحمل إليه فى الباطن الأشياء النفيسة، ولا كما يحمله جمال الكفاة. فعلت رتبة جمال الكفاة، بحيث أن الوزير نجم الدين امتنع عن مباشرة الوزارة ما لم يكن جمال الكفاة يلاحظه. ثم رسم السلطان لجمال الكفاة أن يكون مشير الدولة، وكتب له فى توقيعه الجناز العالى، بعدما امتنع علاء الدين على بن فضل الله كاتب السر من ذلك، وتوحش ما بينهما بسببه. فرسم السلطان أن يكتب له ذلك، فعظمت رتبته، وارتفعت مكانته إلى أن تعدى طوره، وأراد أن يتخلع من زى الكتاب إلى هيئة الأمراء، وأن يكون أمير مائة مقدم ألف، ولم يبق إلا ذلك. فشق على الأمراء هذا الأمر.

وكان جمال الكفاة قد تنكر عليه الأمير أرغون العلامى، بسبب إقطاع عينه لبعض أصحابه، فأجاب بأن السلطان قد أخرجته، فغضب العلامى وبعث إليه دوادره ومعه حياصة من ذهب، وأمره أن يقول له عنه: «أنت ما بقيت تعطى شيئاً إلا برطيل، وهذه الحياطة برطيلك، خذها واقض شغل هذا الرجل» فلم يسمح لجمال الكفاة له بالإقطاع، وقام مع السلطان حتى عرّف العلامى مشافهة بأنه هو الذى أخرج الإقطاع فأسرها العلامى فى نفسه، وأخذ يغرى به النائب الحاج آل ملك والأمراء، فمال معهم الوزير، وصاروا جميعهم واحداً عليه ورتبوا له مهالك ليقتلوه بها، منها أنه يباطن الناصر أحمد ويكاتبه، ويتصرف فى أموال الدولة باختياره، وقد ضيعها كلها، فإنه كان ناظر الجيش ومشير الدولة، وأنه يتحدث مع السلطان فى الأمراء، ويقع فيهم ويثلب أعراضهم عنده. وأخذ الوزير يعلم السلطان والعلامى بأن سائر ما يخبره السلطان به من محبته لاتفاق يخبر به الوزير، ونقل عنه من ذلك أشياء تبين للسلطان صحته. فانحطت بذلك مكانته عند السلطان، ورُسم بقتله بعد أخذ ماله، فقبض عليه فى يوم الأربعاء ثانى عشر صفر، وعلى أولاده وزوجته. وقبض معه على الصفى الحلى موسى كاتب قوصون وناظر البيوت، وعلى الموفق عبد الله بن إبراهيم ناظر الدولة.

ونزل المجدى إلى بيت جمال الكفاة، وأوقع الحوطة عليه بما فيه، ونزل تمر الموساوى فأوقع الحوطة على بيت الصفى، وعنى الوزير بالموفق فلم يعاقب. ونوعت العقوبات لجمال الكفاة والصفى، وضربت أولاد جمال الكفاة وهو يراهم ضرباً مبرحاً بالمقارع، وعصرت نساؤه ونساء الصفى وأخذت أموالهم. فرفع خالد المقدم قصة للسلطان ذكر فيها أنه إن شد وسطه، وأقيم فى التقدمة، أظهر لهم مالا كثيراً من مال جمال الكفاة. فطلب ورسم بشد وسطه، ونزل إليهم، فأظهر لجمال الكفاة بتهديده إياه صندوقاً فيه

ما قيمته نحو عشرين ألف دينار خالد، وكان مودعا بعض جيرانه بالمنشية، ولم يظهر له بعد ذلك شيء.

وفيه خلع على الضياء المحتسب، واستقر في نظر الدولة عوضا عن الموافق، على كره منه لذلك.

وفيه قدم الأمراء من تجريدة الكرك، فاشتدت العقوبة على جمال الكفاة خشية من الشفاعة فيه، وضرب مائة وعشرين شيبا، وسلم لخالد المقدم فخنقه في ليلة الأحد سادس ربيع الأول، ودفن في يوم الأحد بجوار تربة ابن عبود. فكانت مدة مصادرته أحدا وعشرين يوما، ومدة مباشرته خمس سنين وشهراً وأيام. وعوقب الصفي موسى عقوبة عظيمة، وعصر في أصداغه، وضرب بالمقارع حتى أنتن بدنه كله، فلم يمت. وأفرج عن الموفق بواسطة الوزير، وخلع عليه في اليوم المذكور، واستقر في نظر الخاص، بعد ما عين العلاني علم الدين عبد الله بن تاج الدين أحمد بن إبراهيم بن زنبور مستوفى الصحبة لنظر الخاص، فلم يتهيأ له لسفره ببلاد الشام.

وفيه خلع على أمين الدين إبراهيم بن يوسف السامري كاتب طشتمر، واستقر في نظر الجيش.

وفيه خلع على علم الدين بن مهلول، واستقر في نظر الدولة عوضا عن الضياء المحتسب، لاستغفائه وعدم تناوله معلوم النظر، وأعيد الضياء المحتسب إلى نظر المارستان.

وفي يوم الخميس سابع عشره: كان وفاء النيل ستة عشر ذراعا.

وفيه قدم البريد من حلب باتفاق فياض وابن دلفادر أمير الأبلستين بمحاصرة قلعة طرنده، وأخذها من أرتنا وبها أمواله، ثم سيرهما إلى حلب. وطلب نائب حلب تجريد العسكر إليه، فرسم بتوجه الأمير مكتمر الحجازي، والوزير نجم الدين محمود، والأمير طرنطاي الحاجب، وخمسين مقدما من مقدمي الحلقة، بألف فارس من أجناد الحلقة، وجهزت نفقاتهم، ثم بطلت التجريدة.

وتوقفت أحوال الدولة من كثرة الإنعامات والإطلاقات للخدام والجواري، ومن يلوذ بهم ومن يعنون به، فكثرت شكايه الوزير من ذلك. وكتب أوراق بكلف الدولة ومتحصلها، فكانت الكلف ثلاثين ألف ألف درهم في السنة، والمتحصل خمسة عشر ألف ألف درهم. وقرئت الأوراق على السلطان والأمراء، فرسم أن يستقر الحال على ما كان عليه إلى حين وفاة السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون، وبطل ما استجد بعده،

وأن تقطع توابل الأمراء والكتاب حتى الكماج السميذ. فعمل بذلك شهر واحد، وعادت الرواتب على ما كانت عليه حتى بلغ مصروف الخوايج خاناه فى كل يوم اثنين وعشرين ألف درهم، بعد ما كانت فى الأيام الناصرية ثلاثة عشر ألف درهم.

وبينا النائب جالس يوما إذ قدم له مرسوم عليه علامة السلطان، براتب لحم وتوابل وكماجتين سميذ، باسم ابن علم الدين. فقال النائب لصاحب المرسوم: «ويلك، أنا نائب السلطان قد قطعت الكماجة التى لى، فعسى بجاهك تخلص لى كماجة»، وتزايد الأمر فى ذلك، فلم يمكن أحد رفعه.

وفيه خلع على الأمير ملكتمر السرجوانى، واستقر فى نيابة الكرك، وجُهِز معه عدة صناع لعمارة ما انهدم من قلعتها، وإعادة البرج إلى ما كان عليه. ورُسِم أن يخرج معه مائة من ممالك قوصون وبشتاك الذين كان الناصر أحمد أسكنهم بالقلعة بالقاهرة، ورتب لهم الرواتب، وأن يخرج منهم مائتان إلى دمشق وحمص وحماة وطرابلس وصفد وحلب. فأخرجوا جميعاً فى يوم واحد، ونساؤهم وأولادهم فى بكاء وعويل، وسخروا لهم خيول الطواحين ليركبوا عليها، فكان يوماً شنيعاً.

وقدم الخبر من ماردين^(١) بأن فياض بن مهنا فارق ابن دلغادر، وقصد بلاد الشرق ليقوى عزم المغل على أخذ بلاد الشام. فمنعه صاحب ماردين من ذلك، وشفع إلى السلطان فيه أن يرد إليه إقطاعه الذى كان بيده قبل الإمرة، فقبلت شفاعته، وكتب برد إقطاعه المذكور.

وفيه كتب بطلب الأمير سيف بن فضل على البريد.

وفيه قام الأمير ملكتمر الحجازى فى خلاص الصفى موسى كتاب قوصون حتى أفرج عنه، وخلع عليه واستقر فى ديوانه، بعدما أشرف على الهلاك.

وفيه أفرج أيضاً عن أهل الأمير سيف الدين أيتمش الناصرى واستقر فى الوزارة عوضاً عن جمال الكفاة.

وفى خامس عشر ربيع الآخر: خلع على الأمير نجم الدين محمود وزير بغداد، بطلبه الإعفاء لتوقف الحال.

وفيه قدم الخبر بوفاة حديثة بن مهنا، وأن أخاه فياض بن مهنا سار عن ماردين وكبس سيف بن فضل أمير الملا، فقتل جماعة من أصحابه، ونهب أمواله، وأسر أخاه.

(١) قلعة مشهورة على قمة جبل الجزيرة مشرفة على دنيسر ودارا ونصيبين. انظر معجم البلدان

وفيه تنكر الأمير أرغون العلامى والأمير ملكتمر الحجازى على الأمير آل ملك النائب، بسبب أنه كان إذا قدم إليه منشور أو مرسوم بمرتب ليكتب عليه بالاعتماد ينكره من ذلك، وإذا سأله أحد إقطاعاً أو مرتباً قال له: «يا ولدى رح إلى باب الستارة أبصر طواشى، أو توصل لبعض المغانى تقضى حاجتك» ودله بعض العامة على موضع تباع فيه الخمر والحشيش، فأحضر أولئك الذين يبيعونهما، وضربهم فى دار النيابة بالقلعة بالمقارع، وشهرهم، وخلع على ذلك العامى، وأقامه عنه فى إزالة المنكر، فصار يهجم البيوت لأخذ الخمر منها.

فلما كان يوم الإثنين ثامن عشرى ربيع الآخر: خلع على شجاع الدين غزُّو، واستقر فى ولاية القاهرة، عوضاً عن نجم الدين. فمنع شجاع الدين ذلك الرجل العامى من التعرض للناس، وأدبه. فطلبه الأمير الحاج آل الملك النائب، وأنكر عليه منعه له فأحضر ذلك الرجل من الغد رجلاً معه جرة خمر، فكشف النائب رأسه وصبها عليه، وحلق لحيته على باب القلعة بمحضرة الأمراء، فعابوا عليه ذلك. وأخذ الأمير أرقطاي يلوم الأمير الحاج آل ملك النائب، وينكر عليه، فتفاوضا فى الكلام، وافترقا على غير رضى.

واتفق أن الأمير ملكتمر الحجازى كان مولعاً بالخمر، ويحمل إليه الخمر على الجمال إلى القلعة. فمرت الجمال بالنائب وهو بشباك النيابة، فبعث نقيباً لينظر أين تدخل، ويأتيه بالجمال. فلما دخلت الجمال بيت الحجازى، وتسلم الشربدار ما عليها، وقد فطن الجمال بالنقيب، تغيب فى داخل البيت، وعرف الأمير ملكتمر الحجازى الخبر فأحضر الأمير ملكتمر النقيب، وضربه ضرباً مؤلماً، فقامت قيامة الأمير الحاج آل ملك النائب، وتحدث مع الأمير أرغون العلامى فى الخدمة، وأنكر على الحجازى تعاطيه الخمر. فأتاه الحجازى وفاوضه مفاوضة كثيرة، وقام مغضباً، والأمير أرغون العلامى ساكت، فلم يعجب النائب من العلامى سكوته، وانفضوا على غير رضى، فطلب النائب الإذن فى سفره إلى الحجاز، فرسم له بذلك ثم منع منه، وترضاه السلطان حتى رضى وأبطل حركته للحج.

واتفق أن حسن بن الردينى الهجان قتل ليلاً فى بيته بسوق الخيل من منسر كبس عليه، وقد خرج السلطان إلى سرحة سرياقوس، فاتهم ولده بذلك عيسى بن حسن الهجان وبالغاً الأعرج، لعداوة بينهما وبين أبيه، فقبض عليهما إلى النائب، فعراهما وأراد أن يضربهما بالمقارع. فمازالا به حتى أمهلها أياما عينها، ليكشفوا عن القاتل،

فسعيا بالأمرء حتى أفرج عنهما معارضة للنائب، ومنع من طلبهما. وأنعم على ولد حسن بإقطاع أبيه ووظيفته، فاشتد حنق النائب، وأطلق لسانه بالكلام.

وفيه قدم سيف بن فضل، فأكرمه السلطان، وكتب إلى نائب الشام بالقبض على أحمد بن مهنا إذا قدم عليه. وكان فياض قد بعثه ليأخذ له الأمان من السلطان، فيوم قدم دمشق أمسك هو وابن أخيه، وحبسا بالقلعة ترضية للأمير سيف. فجمع فياض عربيه يريد أخذ دمشق، فجرد النائب له عشرة أمرء، فرجع عن مقصده. وبلغ ذلك الأمير آقسنقر الناصري نائب طرابلس، فشق عليه سجن أحمد بن مهنا، فإنه كتب فيه للسلطان، وأنه ضمن دركه ودرك فياض. فأجيب آقسنقر بقبول شفاعته، ورسم بحضورهما إلى مصر، فاتفق من مكة ما اتفق.

وقدم الخير بنفاق عربان الوجه القبلى، وقطعهم الطرقات على الناس، وامتداد الفتن بينهم نحو شهرين قُتل فيها خلق عظيم، وأن عرب الفيوم أغار بعضهم على بعض، وذبحوا الأطفل على صدور أمهاتهم، فقتل بينهم قتلى كثيرة. وأخربوا ذات الصفا، ومنعوا الخراج فى الجبال، وقطعوا المياه حتى شرق أكثر بلاد الفيوم، فلم يلتفت أمرء الدولة لذلك؛ لشغلهم بالصيد ونحوه.

وفيه نقل غرُلو من ولاية القاهرة إلى سد الدواوين، والدولة فى غاية التوقف. فاستجد غرلوا من الحوادث أن من طلب ولاية، أو شد جهة، يحمل مالا بحسب وظيفته إلى بيت المال. وعرف غرلو السلطان أن هذا المال كان يحمل للناظر والمباشرين، وأنه تنزه عن ذلك، وأظهر نهضة وأمانة.

وفيه قدم الخير بكثرة فساد العشير ببلاد الشام، وقطعهم الطرقات؛ لقلة حرمة الأمير طقزدرم نائب الشام. فانقطعت طرقات طرابلس وبعلبك، ونهبت بلادهما. وامتدت الفتنة بين العشير زيادة على شهر، قتل فيها خلق كثير. ونحروا الأطفال على صدور أمهاتهم، وأضرموا النار على موضع احترق فيه زيادة على عشرين امرأة.

وفيه توقفت أحوال القاهرة من جهة الفلوس، وتحسن سعر أكثر المبيعات. وذلك أن المعاملة بالفلوس كانت بالعدد، فكثرت فيها الفلوس الخفاق وانتدب جماعة لشراء النحاس الخلق بدرهمين الرطل، وقصه فلوساً خفافاً، فبلغ الرطل منها عشرين درهماً. وصار الرصاص يقطع على هيئة الفلوس، ويخلط بها. وجلب كثير من فلوس الشام وهى واسعة، فكانت تقطع ست قطع كل منها فلس، إلى أن أفحش ذلك، وكثرت التعنت

فيها. فطلب السلطان المحتسب والوالى وأنكر عليهما، فقبضا على كثير من الباعة، وضربوا عدة منهم بالمقارع وشهروهم، فتحسنت الأسعار كلها. فالزم المحتسب سماسرة الغلال ألا يزيدوا فى سعر الغلة شيئاً، فلم يتجاسر أحد منهم أن يزيد شيئاً فى السعر. ثم نودى ألا يؤخذ من الفلوس إلا ما عليه سكة السلطان، وما عدا ذلك يؤخذ بحساب كل رطل درهمين، ولا يقبل فيه نحاس ولا رصاص. فشريت الفلوس، وأخذ منها ما عليه السكة السلطانية، وتعامل الناس بها عدداً، ووزنوا فى المعاملة الفلوس الخفاف بالرطل على حساب درهمين كل رطل، ففقدت بعد قليل. ثم ألزم الناس بحمل ما عندهم من الفلوس إلى دار الضرب، فضربت فلوساً جديداً. ولم يكن فى الدولة حاصل يحمل لدار الضرب، كما هى العادة؛ لتوقف أمرها.

وفيه قدم الأمير جركتمر الحاجب من كشف الغلال، وقد حصل من متوفر غلال العربان ببلاد الشام أربعماية ألف وخمسين ألف درهم.

وفيه توجه السلطان إلى سرياقوس على العادة.

وفيه قبض على المقدم خالد، ووقعت الحوطة على موجوده، وأخذ لسوء سيرته.

وفيه قدم رسول ابن دلغادر، وأخوه وابن عمه، بكتابه، وأنعم عليه بزيادة من أراضى حلب.

وفى نصف شعبان: قدمت الحرة، أخت صاحب الغرب فى جماعة كثيرة، وعلى يدها كتاب السلطان أبى الحسن يتضمن السلام، وأن يدعوا لها الخطباء فى يوم الجمعة فى خطبهم، ومشايخ الصلاح وأهل الخير، بالنصر على عدوهم، وأن يكتب لأهل الحرمين بذلك. وذلك أن فى السنة الخالية كات بينه وبين الفرنج وقعة عظيمة، قتل فيها ولده، ونصره الله بمنه على العدو، وقتل كثيراً منهم، وملك منهم الجزيرة الخضراء. فغمر الفرنج مائتى شينى، وجمعوا طوائفهم وقصدوا المسلمين بالجزيرة، وأوقعوا بهم عى حين غفلة. فاستشهد عالم كبير، ونجا أبو الحسن فى طائفة من ألزاه بعد شذائد. وملك الفرنج الجزيرة، وأسروا وسبوا وغنموا شيئاً يحمل وصفه، ثم مضوا إلى جهة غرناطة، ونصبوا عليها مائة منجنيق، حتى صالحهم أهلها على قطيعة يقومون بها، وتهادنوا مدة عشر سنين.

وقدمت رسل البنادقة من الفرنج بهدية، وسألوا الفرق بهم والمنع من ظلمهم، وألا يؤخذ منهم إلا ما جرت به عادتهم، وأن يمكننا من بيع بضائعهم على من يختارونه.

فرسم لناظر الخاص ألا يتعرض لبضائعهم، ولا يأخذ منها شيئاً إلا بقيمته، ولا يلزمهم بشراء ما لا يختارون شراءه، وأن يأخذ منهم على كل مائة دينار ديناران - وكانوا يؤدون عن المائة أربعة دنانير ونصف دينار - ليكثر الفرنج من بلادهم جلب البضائع.

وفي مستهل شهر رمضان: توقفت أحوال الدولة في كل شيء، وعجز الوزير عن لحم المعاملين^(١) وجوامك الممالك وسكرهم الجارى به العادة في شهر رمضان. وكان السكر الجارى في الأيام الناصرية محمد بن قلاوون ألف قنطار، فبلغ في هذا الشهر ثلاثة آلاف قنطار ونيف، ولم يوجد في بيت المال شيء لكثرة الزيادات في الرواتب. وعز وجود السكر لتلاف القصب فيما مضى، فرسم بقطع راتب الأمراء والممالك وأرباب الوظائف كلهم، ولم يصرف سكر إلا لنساء السلطان فقط.

وكتبت أوراق بكلف الدولة، فمنع جميع ما استجد بعد السلطان الناصر محمد وكتب بذلك مرسوم سلطاني، فتوفر في كل يوم أربعة آلاف رطل لحم، وستمائة كماج سميد، وثلاثمائة أردب شعير، وفي كل شهر مبلغ ألف درهم، وفي السنة عدة كساوى. وأضيف سوق الخيل والجمال والحمر إلى الدولة، وعُوض مقطعوها بأرض سيلا من أعمال الفيوم، وبناحية سندیون من القليوبية، وبناحية فيشة من الغربية، خلا ما هو فيها لقضاة القضاة، عوضاً عما كان لهم على الجوالى.

وفي هذا الشهر: خلع على تقي الدين سليمان بن على بن عبد الرحيم بن سالم بن مراحل، واستقر في نظر دمشق. وكان قد طلب إلى مصر، عوضاً عن المكين إبراهيم ابن قروينة باستعفائه.

وفيه كتب بنقل ناصر الدين محمد بن المحسنى من طرابلس إلى دمشق، واستقراره في وظيفة الشد رقيقاً لابن مراحل. فضبطا الجهات ضبطاً كبيراً، وقطعا من موقعى دمشق نحو العشرين قد استجدوا، ومنهم ابن الزملكانى، وابن غانم، وابن الشهاب محمود وأولاده، وجمال الدين بن نباتة المصرى^(٢) وقطعا كثيراً من البريدية، وحمل كسوة

(١) على هامش ط: المقصود هنا أرباب المعاملات التجارية الذين يمدون المطبخ السلطاني بمختلف الحوائج والمواد الغذائية.

(٢) محمد بن محمد بن محمد بن الحسن الجذامى الفارقى المصرى، أبو بكر، جمال الدين، ابن نباتة: شاعر عصره، وأحد الكتاب المترسلين العلماء بالأدب. أصله من ميفارقين، ومولده ووفاته في القاهرة. سكن الشام سنة ٧١٥ هـ وولى نظارة القمامة بالقدس أيام زيارة النصارى لها. رجع إلى القاهرة سنة ٧٦١ هـ. له ديوان شعر و«سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون» و«سجع»

الماليك على العادة، وهى ألفا ثوب بعلبكي سوى البطائن وغيرها.
وفيه مات بدوه الططرى، ففرق إقطاعه على ثمانين من الممالك السلطانية ووفرت
جوامكهم ورواتبهم، وأخرج عدة منهم إلى الكرك.

وفيه رُسم بعرض أجناد الحلقة على النائب، ليوفر منهم إقطاع الشيخ العاجز
والجندى المستجد. فطلب الأجناد من الأقاليم، ونودى من تأخر عن العرض قطع خبزه؛
فقام الأمراء فى ذلك حتى بطل.

وفى يوم الخميس تاسع عشره: أفرج عن الأمير بيغرا، وعن الأمير قراجا والأمير
أولاجا، من سجن الإسكندرية؛ وتوجهوا إلى دمشق. ثم رُسم لبيغرا بالإقامة بالقاهرة،
وأنعم عليه بتقدمة ألف.

وفيه رُسم أن تكون نفقة الممالك والأوجاقية والأيتام بين يدي الطواشى المقدم فوفر
منهم عدة.

وفيه أنعم على الأمير طرنطاي البشمقدار بإقطاع الأمير علم الدين سنجر الجاولى،
بعد موته.

وفيه أنعم بإقطاع طرنطاي على الأمير بيغرا ططر نائب غزة، ورسم بحضوره.
وفيه خلع على الأمير علم الدين أيدير الزراق، واستقر فى نيابة غزة؛ وأنعم بإقطاعه
على ابن بكتمر الساقى.

وفيه أنعم بإقطاع الأمير أطنقش، بعد موته، على أرغون الصغير صهر أرغون
العلائى.

وفيه توجه ركب الحاج على العادة، صحبة الأمير طيغا المجدى.
وفى مستهل ذى القعدة: قدمت خوند بنت الأمير طقزدمر نائب الشام، وزوجة
السلطان الصالح إسماعيل، فدخل عليها.

وفى يوم الإثنين حادى عشره: عزل الضيآء أبو المحاسن يوسف بن أبى بكر بن
محمد ابن خطيب بيت الآبار الشامى، من نظر المارستان المنصورى؛ واستقر عوضه علاء
الدين بن الأطروش.

وفى يوم السابع من ذى الحجة: انفرد العلم بن سهل بوظيفة نظر الدولة، بعد ما
التزم بحمل ألف دينار لبيت المال.

=المطوق». انظر حسن المحاضرة ١/٣٢٩ والبداية والنهاية ١٤/٣٢٢ وابن إياس ١/٢٢١ والدرر
الكامنة ٤/٢١٦ والنجوم الزاهرة ١١/٩٥ والوافى ١/٣١١ والفهرس التمهيدى ٢٨٠ وطبقات
الشافعية ٦/٣١ والأعلام ٧/٣٩.

وفيه عزل موسى بن التاج إسحاق، لتوقف حال الدولة، وكثرة تقلقه وكرهه الناس له، لظلمه وتغييره قواعد كثيرة.

وفيه قدم كتاب التاج محمد بن محمد بن عبد المنعم البارنباي موقع طرابلس بحدوث سيل عظيم، لم يعهد مثله فيما تقدم.

وفيهما كثر سقوط الثلج بدمشق حتى خرج عن العادة، وأنفقوا على شيله من الأسطحة ما ينيف على ثمانين ألف درهم، فإنه أقام يسقط أسبوعين.

وفيهما زاد عاصفة حتى خرب عدة بيوت. وفيها تواتر سقوط البرد بأرض مصر، مع ريح سوداء، وشعث عظيم، وبرق ورعد سهول. ثم أعقب ذلك سمائم شديدة الحر، بحيث تطاير منها شرر أحرق رعوس الأشجار، وزريعة الباذنجان وبعض الكتان، حتى اشتد خوف الناس، وضجوا إلى الله تعالى. وجاء مطر غزير، ثم برد فيه ييس لم يعهد مثله، فكانت أراضي النواحي تصيح بيضاء من كثرة الجليد؛ وهلك من شدة البرد جماعة من بلاد الصعيد وغيرها. وأمطرت السماء خمسة أيام متوالية حتى ارتفع الماء في مزارع القصب قدر ذراع، وعم ذلك أرض مصر قبلها وبحريها، ففسدت بالريح والمطر مواضع كثيرة، وقلت أسماك بحيرة نستراوة وبحيرة دمياط، والخلجان وبركة الفيل وغيرها، لموتها من البرد.

فتلفت في هذه السنة بعامه أرض مصر وجميع بلاد الشام بالأمطار والثلوج والبرد، وهبوب السمائم وشدة البرد، من الزروع والأشجار، والباثهم والأنعام والدور، ما لا يدخل تحت حصر، مع ما ابتلى به أهل الشام من تجريد عساكرها وتسخير أهل الضياع وتسلط العربان والعشير، وقلة حرمة السلطنة مصرًا وشامًا، وقطع الأرزاق وظلم الرعية. وبلغت زيادة النيل في هذه السنة ثمانية عشر ذراعًا وسبعة عشر إصبعًا.

وفيه قدم سيف الدين بلطوا مبشرًا بسلامة الحجاج، في خامس عشرى ذى الحجة.

* * *

ومات فيها من الأعيان

إبراهيم بن أحمد بن إبراهيم بن الزبير الغرناطى فى شعبان، بمرشانة من الأندلس؛ قدم القاهرة، وأخذ عن جماعة، وولى ببلده قضاء عدة مواضع.

وتوفى قاضى القضاة الحنفية بدمشق جلال الدين أحمد بن الحمام أبى الفضائل الحسن بن أحمد بن الحسن بن أنوشروان الرازى، عن بضع وسبعين سنة بدمشق.

ومات الأمير بدر الدين بككاش نقيب الجيش، فى يوم الخميس سابع عشرى جمادى الآخرة، وكان مشكورًا.

ومات الأمير علم الدين سنجر الجاولى الفقيه الشافعى، فى يوم الخميس ثامن رمضان، ودفن بمدرسه فوق جبل الكبش؛ أصله من مماليك جاول أحد أمراء السلطان الظاهر بيبرس، ثم انتقل بعده إلى بيت السلطان المنصور قلاوون. وأخرج فى أيام الأشرف خليل إلى الكرك، فاستقر فى بحريتها. وقدم فى أيام السلطان العادل كتبغا إلى مصر بحال زرى، فسلمه كتبغا إلى مملوكه بتخاص، ليكون نائبه بالحوائج خاناه؛ وتنقل حتى قدمه الأمير سلال وقربه، ثم ولى نيابة غزة، وصار من أكبر أمراء مصر. وله مدرسة على جبل الكبش بجوار جامع ابن طولون، وجامع بقرية الخليل عليه السلام، وجامع بغزة، ومارستان وخان ببيان، وخان بقاقون؛ وله مصنفات وفضائل كثيرة.

ومات الأمير طقصبا الظاهرى، وقد أناف على مائة وعشرين سنة.

ومات الأمير ألتنقش أستاذار السلطان الناصر محمد، وهو من مماليك الأفرم. فلما توجه الأفرم إلى بلاد التتار قدم هو إلى القاهرة، فقبض عليه وسجن، ثم أفرج عنه، وأنعم عليه بإمرية طبلخاناه. ثم عمل أستاذاراً صغيراً، مع أستاذارية أنوك ابن السلطان الناصر محمد.

ومات الأمير أرغون عبد الله.

ومات الأمير صلاح الدين يوسف بن أسعد الدوادار الناصرى، بطرابلس؛ ولى نيابة الإسكندرية، وكشفت الجزيرة، ثم دوادارية السلطان الناصر محمد، وكان كاتباً شاعراً ضابطاً.

ومات الأمير سنجر الجقदार أحد المماليك المنصورية، وقد أسن.

ومات محمد شرف الدين الردينى الهجان، قتلا.

ومات الأمير طرنطاي الحمدي بدمشق، وهو أحد المماليك المنصورية قلاوون، ومن جملة من وافق على قتل الأشرف خليل. وسجن سبعاً وعشرين سنة، ثم أخرج إلى طرابلس أمير عشرة، ثم نقل إلى دمشق.

ومات الأمير بكتمر العلائى أحد المنصورية أيضاً، بعدما ولى أستاذاراً ونائب حمص، ونائب غزة، ثم نائب حمص، وبها مات.

ومات الأمير كندغدى الزراق المنصورى بحلب؛ وهو رأس الميسرة، ومقدم العساكر المجردة إلى سيس.

ومات الأمير بلبان الشمسى أحد المنصورية، بحلب.

ومات فتح الدين صدقة الشرايينى، عن مال ومعروف كثير، فى يوم الأحد ثانى شوال.

ومات جمال الكفاة إبراهيم مشير الدولة وناظر الخاص والجيش، تحت العقوبة فى ليلة الأحد سادس ربيع الأول. وكان أولاً يياشر فى بعض البساتين على بيع ثمرته، وتنقل فى خدمة ابن هلال الدولة. ثم خدم بيدمر البدرى - وهو خاصكى خبزه فى محلة منوف - يكتب على باب إلى أن تأمر، فباشر عنده ثم قرره السلطان الملك الناصر محمد فى الاستيفاء، ثم أقامه فى ديوان الأمير بشتاك بعد موت المهذب إلى أن قتل النشو، فولاه نظر الخاص بعده. ثم أضاف إليه السلطان الناصر محمد نظر الجيش، عوضاً عن المكين إبراهيم، فنهض بهما. ولاحظته السعود حتى انتقضت أيامه، فزال سعده، وعوقب حتى هلك. وكان يتحدث بالتركى والنوبى والتكرورى وله مكارم كثيرة.

ومات خالد بن الزراد المقدم، فى يوم الجمعة ثامن عشرى جمادى الآخرة، تحت العقوبة؛ وكان ظالماً.

وتوفى شمس الدين محمد بن أبى بكر بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن نجدة بن حمدان المعروف بابن النقيب الشافعى^(١)، قاضى القضاة بحلب، وهو معزول بدمشق، عن نيف وثمانين سنة.

وتوفى الشيخ أثر الدين أبو حيان محمد بن يوسف بن على بن حيان الأندلسى^(٢)، إمام وقته فى النحو والقراءات والأدب فى ثامن عشرى صفر. وفيه توجه طلب الأمير أرغون الكاملى إلى حلب.

(١) محمد بن أبى بكر بن إبراهيم بن عبد الرحمن، شمس الدين بن النقيب: مفسر، من قضاة الشافعية، دمشقى. ولى الحكم بمحمص وطرابلس ثم بحلب، ودرس وتوفى بدمشق. له «عدة السالك وعدة الناسك» و«مقدمة فى التفسير». انظر السعادة ٤٤٣/١ والدرر الكامنة ٣/٣٩٨ وطبقات السبكي ٤٤/٦ والأعلام ٥٥/٦.

(٢) محمد بن يوسف بن على بن يوسف بن حيان الغرناطى الأندلسى الجياني النفرى، أثير الدين، أبو حيان: من كبار العلماء بالعربية والتفسير والحديث والتراجم واللغات. ولد فى إحدى جهات غرناطة ورحل إلى مالقة، وتنقل إلى أن أقام بالقاهرة. وتوفى فيها بعد أن كف بصره. واشتهرت تصانيفه فى حياته وقرئت عليه من كتبه «البحر المحيط» فى تفسير القرآن، و«مجانى العصر» فى تراجم رجال عصره. انظر الدرر الكامنة ٣٠٢/٤ وبغية الوعاة ١٢١ وفوات الوفيات ٢/٢٨٢ ونكت الهميان ٢٨٠ وفهرس الفهارس ١٠٨/١ وغاية النهاية ٢/٢٨٥ ونفح الطيب ١/٥٩٨ وشذرات الذهب ٦/١٤٥ والنجوم الزاهرة ١٠/١١١ وطبقات السبكي ٦/٣١ والأعلام ٧/١٥٢.

وفيه قدم طلب الأمير أرقطاي مع ولده^(١).

وفى يوم الخميس مستهل شعبان: خرج الأمير قبلاى الحاجب بمضافيه من الطبلخاناه والعشرات إلى غزة، لأحد شيوخ العشير.

وفى هذا الشهر: غير الوزير ولاية الوجه القبلى، وكتب بطلبهم، وعزل مازان من الغربية بابن الدوادارى.

وفيه أضيف كشف الجسور إلى ولاية الأقاليم.

وفيه أعيد فأر السقوف إلى ضمان جهات القاهرة ومصر بأجمعها، وكان قد سجن فى الأيام الناصرية محمد بن قلاوون، وكتب على قيده مُخلَّد، بعد ما صودر وضرب بالمقارع لقبح سيرته. فلم يزل مسجوناً إلى أن أفرج عن المحاييس فى أيام الصالح إسماعيل، فأفرج عنه فى جملتهم، وانقطع إلى أن اتصل بالوزير منجك واستماله، فسلمه الجهات بأسرها، وخلع عليه، ومنع مقدمى الدولة من مشاركته فى التكلم فى الجهات، ونودى له فى القاهرة ومصر، فزاد فى المعاملات^(٢) ثلاثمائة ألف درهم فى السنة.

وفيه قدم الأمير قبلاى غزة، فاحتال على أذى حتى قدم عليه، فأكرمه وأنزله، ثم رده بزودة إلى أهله فاطمánt العشرات والعربان لذلك، وبقوا على ذلك إلى أن أهل رمضان. حضر أذى فى بنى عمه لتهنئة قبلاى بشهر الصوم فساعة وصوله إليه قبض عليه وعلى بنى عمه الأربعة، وقيدهم وسجنهم، وكتب إلى على بن سنجر: «بأنى قد قبضت على عدوك ليكون لى عندك يد بيضاء، فسُرَّ سنجر بذلك، وركب إلى قبلاى، فتلقاه وأكرمه، فضمن له سنجر درك البلاد. ورحل قبلاى من غده ومعه أذى وبنو عمه يريد القاهرة، فقدم فى يوم الإثنين حادى عشره، فضربوا على باب القلة بالمقارع ضرباً مبرحاً وألزم أذى بألف جمل ومائتى ألف درهم، فبعث إلى قومه بإحضارها، فلما أخذت سُمر هو وبنو عمه فى يوم الإثنين خامس عشره وقت العصر، وسيروا إلى غزة صحبة جماعة من أجناد الحلقة، فوسَّطوا بها. فثار أخو أذى، وقصد كبس غزة، فخرج إليه الأمير دلنجى ولقيه على ميل من غزة، وحاربه ثلاثة أيام، وقتله فى اليوم الرابع بسهم أصابه، وبعث دلنجى بذلك إلى القاهرة، فكتب بخروج نائب صفد ونائب الكرك لنجدته.

(١) انظر النجوم الزاهرة ١٧١/١٠

(٢) انظر المواعظ والاعتبار ١٠٥/١

وفي مستهل شوال: توجه السلطان إلى الأهرام على العادة.

وفيه كثر الإنكار على الوزير منجك، فإنه أبطل سماط العيد، واحتج بأنه يقوم بجملة كبيرة تبلغ خمسين ألف درهم، وتنهبه الغلمان، وكان أيضا قد أبطل سماط شهر رمضان.

وفي هذا الشهر: فرغت القيسارية التي أنشأها تاج الدين المناوي، بجوار الجامع الطولوني، من مال وقفه، وتشتمل على ثلاثين خانوتا.

وفيه خرج ركب الحاج على العادة، صحبة الأمير فارس الدين، ومعه عدة من مماليك الأمراء. وحمل الأمير فارس الدين معه مالا من بيت المال، ومن مودع الحكم، لعمارة عين جوبان بمكة، ومبلغ عشرة آلاف درهم للعرب بسبب العين المذكورة، ورسم أن تكون مقررة لهم في كل سنة. وخرج معه حاج كثير جدا، وحمل الأمراء من الغلال في البحر إلى مكة عدة آلاف أردب.

وفي مستهل ذي القعدة: قدم كتاب الأمير دلنجي نائب غزة بتفرق العربان، ونزول أكثرهم بالشرقية والغربية من أرض مصر، لربط إبلهم على اليرسيم. فكبست البلاد عليهم، وقبض على ثلاثمائة رجل، وأخذ لهم ثلاثة آلاف جمل. ووجد عندهم كثير من ثياب الأجناد وسلاحهم وحوادثهم، فاستعمل الرجال في العمائر حتى هلك أكثرهم.

وفي نصفه: خرج الأمراء لكشف الجسور، فتوجه الأمير أرنان للوجه القبلي، وتوجه أمير أحمد قريب السلطان للغربية، وتوجه الأمير آقجا للمنوفية، وتوجه أراي أمير آخور للشرقية، وتوجه أحد أمراء العشرات لأشون.

وفيه توقف حال الدولة، فكثر الكلام من الأمراء والمماليك السلطانية والمعاملين والخوشكاشية^(١).

وفيه طلب الأمير مغلطاي أمير آخور زيادة على إقطاعه، فكشف عن بلاد الخاص، فدل ديوان الجيش على أنه لم يتأخر منها سوى الإسكندرية ودمياط وقوة وفارس كور، وخرج باقيها للأمراء، وخرج أيضا من الجزية ما كان لديوان الخاص للأمراء. وشكا الوزير من كثرة الكلف والإنعامات، وأن الخوائج خاناه في الأيام الناصرية محمد ابن قلاوون مرتبها في كل يوم ثلاثة عشر ألف درهم، وهو اليوم اثنان وعشرون ألف درهم. فرسم بكتابة أوراق بمتحصل الدولة ومصروفها، فبلغ المتحصل في السنة عشرة

(١) على هامش ط: جمع خوشكاشة ويعنى امرأة من موظفات القصر السلطاني.

آلاف ألف درهم، والمصروف بديوان الوزارة وديوان الخاص أربعة عشر ألف ألف درهم وستمئة ألف درهم، وأن الذى خرج من بلاد الجيزة على سبيل الإنعام زيادة على إقطاعات الأمراء نحو ستين ألف دينار. فتغاضى الأمراء عند سماع ذلك إلا مغلطاي أمير آخور، فإنه غضب وقال: «من يحاقد الدواوين على قولهم؟».

وفيه قدم طلب الأمير قطلبيغا الحموى من حلب، فوضع الوزير منجك يده عليه، وتصرف بحكم أنه وصى.

وفيه قدم الأمير عز الدين أزدمر الزرّاق من حلب، باستدعائه، بعد ما أقام بها مدة سنة من جملة أمراء الألو، فأجلس مع الأمراء الكبار فى الخدمة.

وفيه أخرج ابن طقزدمر إلى حلب؛ لكثرة فساده وسوء تصرفه.

وفيه خرج الأمير طاز لسرحة البحيرة، وأنعم عليه من مال الإسكندرية بألفى دينار.

وخرج الأمير صرغتمش أيضا، فأنعم عليه منها بألف دينار.

ثم توجه الأمير ببيغا روس النائب للسرحة، وأنعم عليه بثلاثة آلاف دينار. وتوجه الأمير شيخو أيضا، ورسم له بثلاثة آلاف دينار.

وفيه أنعم على الأمير مغلطاي أمير آخور إرضاء لخاطره بناحية صهرجت^(١) زيادة على إقطاعه، وعبرتها عشرون ألف دينار فى السنة.

فدخل الأمير شيخو فى سرحته إلى الإسكندرية، فقلقتة الغزاة بآلات السلاح، ورموا بالجرخ بين يديه، ونصبوا المنجنيق ورموا به. ثم شكوا له ما عندهم من المظلمة، وهى أن التاج إسحاق^(٢) ضمن دكاكين العطر، وأفرد دكانا لبيع النشا فلا تباع بغيرها، وأفرد دكانا لبيع الأشربة فلا تباع بغيرها، وجعل ذلك وقفا على الخانكاه الناصرية بسرياقوس. فرسم بإبطال ذلك، وأطلق للناس البيع حيث أحبوا، وكتب مرسوم بإبطال ذلك.

وفى مستهل ذى الحجة: عوفى علم الدين عبد الله بن زنبور، وخُلع عليه، بعد ما

(١) صَهْرَجَتْ: قريتان بمصر متاهتان لمنية غمر شمالى القاهرة معروفتان بكثرة زراعة السكر وتعرف بمدينة صهرجت بن زيد، وهى على شعبة النيل، بينها وبينها ثمانية أميال. انظر معجم البلدان ٣/٤٣٦.

(٢) انظر النجوم الزاهرة ١٠/١٩١.

أقام أربعين يوماً مريضاً، تصدق فيها بثلاثين ألف درهم، وأفرج عن جماعة من المسجونين.

وفيه كتب الموفق ناظر الدولة أوراها بما استجد على الدولة، من وفاة السلطان الناصر محمد بن قلاوون إلى المحرم سنة خمس وسبعين وسبعمئة، فكانت جملة ما أنعم به وأقطع - من بلاد الصعيد وبلاد الوجه البحرى وبلاد الفيوم، وبلاد الملك، وأراضى الرزق - للخدام والجوارى وغيرهن سبعمائة ألف ألف أردب، وألف ألف وستمئة ألف درهم، معينة بأسماء أربابها من الأمراء والخدام والنساء، وعيرة البلد ومتحصلها، وجملة عملها وقرئت على الأمراء، ومعظم ذلك بأسمائهم، فلم ينطق أحد منهم بشيء. وفيه أبطل الوزير منجك سماط عيد النحر أيضاً.

وفيهما أبطل ما أحدثه النساء من ملابسهن. وذلك أن الخواتين نساء السلطان وجواريهن أحدثن قمصانا طوالا تحبّ أذيالها على الأرض، بأكمام سعة الكم منها ثلاثة أذرع، فإذا أرخته الواحدة منهن غطى رجلها، وعُرف القميص منها فيما بينهن بالبهطلة، ومبلغ مصروفه ألف درهم فما فوقها. وتشبه نساء القاهرة بهنّ فى ذلك، حتى لم يبق امرأة إلا وقيصها كذلك. فقام الوزير منجك فى إبطائها، وطلب الى القاهرة ورسم له بقطع أكمام النساء، وأخذ ما عليهن.

ثم تحدث منجك مع قضاة القضاة بدار العدل يوم الخدمة بحضرة السلطان والأمراء فيما أحدثه النساء من القمصان المذكورة، وأن القميص منها مبلغ مصروفه ألف درهم، وأنهن أبطلن لبس الإزار البغدادى، وأحدثن الإزار الحرير بألف درهم، وأن خفّ المرأة وسرموزتها بخمسائة درهم. فأفتوه جميعهم بأن هذا من الأمور المحرمة التى يجب منعها، فقوى بفتواهم، ونزل إلى بيته، وبعث أعوانه إلى بيوت أرباب الملهى، حيث كان كثير من النساء، فهجموا عليهن، وأخذوا ما عندهن من ذلك.

وكبسوا مناشر الغسالين ودكاكين البايية، وأخذوا ما فيها من قمصان النساء، وقطعها الوزير منجك. ووكل الوزير مماليكه بالشوارع والطرقات، فقطعوا أكمام النساء، ونادى فى القاهرة ومصر بمنع النساء من لبس ما تقدم ذكره، وأنه متى وجدت امرأة عليها شيء مما منع أخرج بها وأخذ ما عليها.

واشتد الأمر على النساء، وقبض على عدة منهن، وأخذت أقمصتهن. ونصبت أخشاب على سور القاهرة بباب زويلة وباب النصر وباب الفتوح، وعلق عليها تمائيل معمولة على سور النساء، وعليهن القمصان الطوال، إرهاباً لهنّ وتخويفاً.

وطلبت الأساكفة، ومنعوا من بيع الأخفاف والسرّاميز المذكورة، وأن تعمل كما كانت أولا تعمل، ونودي من باع إزارا حريرا أخذ جميع ماله للسلطان. فانقطع خروج النساء إلى الأسواق، وركوبهن حمير المكارية، وإذا وجدت امرأة كشف عن ثيابها. وامتنع الأساكفة من عمل أخفاف النساء وسراميزهن المحدثه، وأنكف التجار عن بيع الأزّر الحرير وشرائها، حتى إنه نودي على إزار حرير بثمانين درهما فلم يلتفت له أحد، فكان هذا من خير ما عمل.

وفيه استقر جمال الدين يوسف المرداوى فى قضاء الحنابلة بدمشق، بعد وفاة علاء الدين على بن أبى البركات بن عثمان بن أسعد بن المنجا.

وفيه استقر نجم الدين محمد الزرعى فى قضاء الشافعية بحلب، بعد وفاة نجم الدين عبد القاهر بن أبى السفاح.

وفيه توقف النيل، ثم زاد حتى كان الوفاء فى جمادى الآخرة. ثم نقص نحو ثلثى ذراع، وبقي على النقص إلى النوروز، وهو ستة عشر ذراعا وإحدى وعشرين إصبعا. ثم ردّ النقص وزاد إصبعين، فبلغ ستة عشر ذراعا وثلاثة وعشرين إصبعا فى يوم عيد الصليب.

وفيه أضع الولاية عمل الجسور، وباعوا الجراريف حتى غرق كثير من البلاد. ومع ذلك امتدت أيديهم إلى الفلاحين، وغرموهم ما لم تجر به عادة؛ فشكى من الولاية للوزير، فلم يلتفت لمن شكاهم.

* * *

ومات فيها من الأعيان

شيخ الإقراء شهاب الدين أحمد بن موسى بن موسك بن جكو الهكارى بالقاهرة، عن ست وسبعين سنة، فى ثانى عشر جمادى الأولى. وكتب بخطه كثيرا، ودرس القراءات والحديث (١).

ومات النحوى شهاب الدين أحمد بن سعد بن محمد بن أحمد النسائى الأندرشى بدمشق، وله شرح سيبويه فى أربعة أسفار.

ومات مكين الدين إبراهيم بن قروينة بعدما ولى استيفاء الصحبة ونظر البيوت، ثم

(١) وكان: عالما فى القراءات، تعدى بالإقراء عدة سنين وانتفع به الناس. انظر النجوم الزاهرة

ولى نظر الجيش مرتين، وصادر ثلاث مرات، وأقام بطالا حتى مات (١).

ومات الأمير أرغون شاه الناصرى (٢) نائب الشام، مذبوحا، فى ليلة الخميس رابع عشرى ربيع الأول (٣). ربه السلطان الناصر محمد بن قلاوون حتى عمله أمير طبلخاناه رأس نوبة الجمردارية؛ ثم استقر بعد وفاته أستاذارا أمير مائة مقدم ألف، فتحكم على المظفر شعبان حتى أخرجه لنيابة صند؛ وولى بعدها نيابة حلب، ثم نيابة الشام. وكان حفيفا (٤) قوى النفس شرس الأخلاق، مهايا جائرا فى أحكامه، سفاكا للدماء غليظا فحاشا كثير المال (٥). وأصله من بلاد الصين، حُمل إلى أبو سعيد بن خربنداء، فأخذه دمشق خواجه بن جوبان، ثم ارتجعه أبو سعيد بعد قتل جربان، وبعث به إلى مصر هدية، ومعه ملكتمر السعيدى (٦).

ومات الأمير أرقطاي المنصورى (٧)، بظاهر حلب، وهو متوجه إلى دمشق، عن نحو ثمانين سنة، فى يوم الأربعاء خامس جمادى الأولى. وأصله من ممالك المنصور قلاوون، ربه الطواشى فاخر أحسن تربية، إلى أن توجه الناصر محمد بن قلاوون إلى الكرك كان معه. فلما عاد إليه ملكه جعله من جملة الأمراء، ثم سيره صحبة الأمير تنكز نائب الشام، وأوصاه ألا يخرج عن رأيه، وأقام عنده مدة. ثم تنكر عليه السلطان الناصر محمد، فولاه نيابة حمص مدة سنتين ونصف، ثم نقله لنيابة صند، فأقام بها ثمانى عشر سنة. وقدم مصر، فأقام بها عدة سنين، وجرّد إلى آياس. ثم ولى نيابة طرابلس، ومات الناصر محمد وهو بها. ثم قدم مصر، وقبض عليه، ثم أفرج عنه، وأقام مدة. ثم ولى نيابة حلب، ثم طلب إلى مصر، فصار رأس الميمنة. ثم ولى نيابة السلطنة نحو سنتين، ثم أخرج لنيابة حلب، فأقام بها مدة. ثم نقل لنيابة الشام، فمات فى طريقه لدمشق، فدفن بحلب، وكان مشكور السيرة (٨).

(١) انظر النجوم الزاهرة ١٠/١٩١.

(٢) هو الأمير سيف الدين أرغون شاه بن عبد الله الناصرى.

(٣) وقع فى النجوم «ليلة الجمعة رابع عشرين شهر ربيع الأول» ١٠/١٩١.

(٤) الجيف اليابس من النبات، وجاءت فى النجوم «خفيفا قوى النفس» ١٠/١٩١ انظر محيط

المحيط.

(٥) زاد فى النجوم «والحشم» ١٠/١٩١.

(٦) انظر النجوم الزاهرة ١٠/١٩١، ١٩٢.

(٧) هو الأمير الكبير سيف الدين أرقطاي بن عبد الله المنصورى، نائب السلطنة بالديار المصرية.

(٨) انظر النجوم الزاهرة ١٠/١٩٢.

ومات الأمير ألبجيغا المظفرى ^(١) نائب طرابلس، موسطا بدمشق، فى يوم الإثنين ثامن عشر ربيع الآخر.

وقُتل معه أيضاً الأمير أياس ^(٢)، وأصله من الأرمن، أسلم على يد الناصر محمد ابن قلاون، فراقه حتى عمله شاد العمائر، ثم أخرجته إلى الشام، ثم أحضره غرلو، وتنقل إلى أن صار شاد الدواوين. ثم صار حاجبا بدمشق، ثم نائباً بصفد، ثم نائباً بحلب، ثم أميراً بدمشق، حتى كان من أمره ما تقدم ذكره ^(٣).

ومات بدمشق الأمير طقتمر الشريفى ^(٤)، بعد ما عمى.

ومات قاضى الشافعية بحلب نجم الدين عبد القاهر بن عبد الله بن يوسف بن أبى السفاح.

وتوفى نجم الدين عبد الرحمن بن يوسف بن إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن على القرشى الأصفونى الشافعى، بمنى فى ثالث عشر ذى الحجة. ودفن بالعلاء، وله مختصر الروضة وغيره ^(٥).

وتوفى قاضى القضاة علاء الدين على بن الفخر عثمان بن إبراهيم بن مصطفى الماردينى، المعروف بابن التركمانى الحنفى ^(٦)، فى يوم الثلاثاء عاشر المحرم بالقاهرة.

(١) هو الأمير سيف الدين ألبجيغا بن عبد الله المظفرى .

(٢) هو الأمير فخر الدين إياس بن عبد الله الناصرى .

(٣) انظر النجوم الزاهرة ١٠/١٩٢، ١٩٣.

(٤) هو الأمير طقتمر بن عبد الله الشريفى، وقد مات بعدما عمى ولزم داره، وكان من أعيان

الأمراء. انظر النجوم الزاهرة ١٠/١٩٤.

(٥) انظر النجوم الزاهرة ١٠/١٩٥.

(٦) كان مولده فى سنة ثلاث وثمانين وستمائة؛ وهو أخو العلامة تاج الدين أحمد، والوالد

الإمامين العالمين : عز الدين عبد العزيز وجمال الدين عبد الله، وعم العلامة محمد بن أحمد . وكان

قاضى القضاة علاء الدين إماما فقيها بارعا نحويا أصوليا لغويا . أفنى ودرس واشتغل وألف وصنف،

وكان له معرفة تامة بالأدب وأنواعه، وله نظم ونثر . وكان إمام عهده بلا مدافعة، لاسيما فى العلوم

العقلية والفقهاء أيضا والحديث، وتصدى للإقراء عدة سنين وتولى قضاء الحنفية بالديار المصرية فى

شوال سنة ثمان وأربعين وسبعمائة، عوضا عن قاضى القضاة زين الدين البسامى، وحسنت سيرته

ودام قاضيا إلى أن مات . وتوفى عوضه ولده جمال الدين عبد الله . ومن مصنفاته - رحمه الله -

كتاب «بهجة الأريب فى بيان ما فى كتاب الله العزيز من الغريب»، و«المنتخب فى علوم الحديث»

«المؤتلف والمختلف» و«الضعفاء والمتروكون» و«الدر النقى فى الرد على البيهقى» وهو جليل فى

معناه. يدل على علم غزير، واطلاع كثير و«مختصر المحصل فى الكلام» و«مقدمة فى أحوال الفقهاء»

و«الكفاية فى مختصر الهداية» وغيرها . انظر النجوم الزاهرة ١٠/١٩٣، ١٩٤.

وله كتاب الرد النقي في الرد على البيهقي وغيره، وله شعر، وكان الناصر محمد بن قلاوون يكره منه اجتماعه بالأمرء، وكان يغلو في مذهبه غلوا زائدا.

وتوفى قاضى الحنابلة بدمشق، علاء الدين على بن الزين أبى البركات بن عثمان بن أسعد بن المنجا التنوخى، عن ثلاث وسبعين سنة.

ومات الأمير قطليجا الحموى أصله المملوك المؤيد صاحب حماة، فبعثه إلى الناصر محمد بن قلاوون، وترقى صار من جملة الأمرء. ثم ولى نيابة حماة، ونقل إلى نيابة حلب، فأقام بها أياما ومات، وكان سيء السيرة.

وتوفى قاضى القضاة تقى الدين محمد بن أبى بكر بن عيسى بن بدران السعدى الأحنائى المالكى، فى ليلة الثالث من صفر (١).

ومات الأمير نوغيه البدرى والى الفيوم.

وماتت خوند بنت الملك الناصر محمد بن قلاوون، وهى زوجة الأمير طاز. وتركت مالا عظيما، أبيع موجودها بباب القلة من القلعة بخمسمائة ألف درهم، من جملة ما فىقاب مرصع بأربعين ألف درهم، ثمنا ألف دينار مصرية.

ومات علم الدين بن سهلول. كان أبوه كاتبًا عند بعض الأمرء، فخدم بعده أمير حسين بن جندر، ثم ولى الاستيفاء ونظر الدولة، شركة للموفق. ثم صودر ولزم بيته، وعمر دارا جلييلة بحارة زويلة من القاهرة (٢).

وفىها قام بتونس أبو العباس الفضل بن أبى بكر بن يحيى بن إبراهيم بن عبد الواحد ابن أبى حفص فى ذى القعدة، وكان قد قدم إلى تونس السلطان أبو الحسن على بن أبى سعيد عثمان بن يعقوب بن عبد الحق ملك بنى مرين صاحب فاس، ومَلِكْ تونس وإفريقية، ثم سار منها للنصف من شوال، واستخلف ابنه أبا العباس الفضل؛ فقام أبو العباس المذكور ومَلِكْ تونس مُلْكْ أبيه.

* * *

(١) وكان مولده فى شهر رجب سنة أربع وستين وستمائة وكان فقيها فاضلا بارعا. ولى شهادة الخزانة ثم تولى قضاء الإسكندرية، ثم نقل لقضاء دمشق بعد علاء الدين القونوى. وحسنت سيرته.

انظر النجوم الزاهرة ١٠/١٩٤.

(٢) انظر النجوم الزاهرة ١٠/١٩٤.

المحتويات

| | |
|-----|-----------------------------|
| ٣ | سنة ثمان عشرة وسبعمائة |
| ١٣ | سنة تسع عشرة وسبعمائة |
| ٢٣ | سنة عشرين وسبعمائة |
| ٣٥ | سنة إحدى وعشرين وسبعمائة |
| ٥٣ | سنة اثنتين وعشرين وسبعمائة |
| ٥٩ | سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة |
| ٧١ | سنة أربع وعشرين وسبعمائة |
| ٧٩ | سنة خمس وعشرين وسبعمائة |
| ٨٧ | سنة ست وعشرين وسبعمائة |
| ٩٥ | سنة سبع وعشرين وسبعمائة |
| ١٠٥ | سنة ثمان وعشرين وسبعمائة |
| ١١٧ | سنة تسع وعشرين وسبعمائة |
| ١٧٢ | سنة ثلاثين وسبعمائة |
| ١٣٩ | سنة إحدى وثلاثين وسبعمائة |
| ١٥١ | سنة اثنتين وثلاثين وسبعمائة |
| ١٦٣ | سنة ثلاث وثلاثين وسبعمائة |
| ١٧٣ | سنة أربع وثلاثين وسبعمائة |
| ١٨٣ | سنة خمس وثلاثين وسبعمائة |
| ١٩٥ | سنة ست وثلاثين وسبعمائة |
| ٢١١ | سنة سبع وثلاثين وسبعمائة |
| ٢٢٩ | سنة ثمان وثلاثين وسبعمائة |
| ٢٥١ | سنة تسع وثلاثين وسبعمائة |
| ٢٦٣ | سنة أربعين وسبعمائة |
| ٢٩١ | سنة إحدى وأربعين وسبعمائة |
| ٣٢٩ | سنة اثنتين وأربعين وسبعمائة |
| ٣٧٥ | سنة ثلاث وأربعين وسبعمائة |
| ٣٩٣ | سنة أربع وأربعين وسبعمائة |
| ٤١١ | سنة خمس وأربعين وسبعمائة |

السُّؤَالُ وَالْجَوَابُ لمعرفة دول الملوك

تأليف
تقي الدين أبي العباس أحمد بن علي بن عبد القادر
البيدي المقرئ
المتوفى سنة ٨٤٥ هـ

تحقيق
محمد عبد القادر عطا

الجزء الرابع

سنة ٧٤٦ هـ ~ ٧٧٧ هـ

منشورات

محمد إبي بيضون

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

جميع الحقوق محفوظة

جميع حقوق الملكية الادبية والفنية محفوظة لدار الكتب العلمية بيروت - لبنان ويحظر طبع أو تصوير أو ترجمة أو إعادة تضديد الكتاب كاملاً أو جزءاً أو تسجيله على أشرطة كاسيت أو إدخاله على الكمبيوتر. أو برمجته على اسطوانات ضوئية إلا بموافقة الناشر خطياً.

Copyright ©
All rights reserved

Exclusive rights by DAR al-KOTOB al-ILMIYAH Beirut - Lebanon. No part of this publication may be translated, reproduced, distributed in any form or by any means, or stored in a data base or retrieval system, without the prior written permission of the publisher.

الطبعة الأولى

١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

العنوان : رمل الظريف، شارع البحري، بناية ملكارت
تلفون وفاكس : ٣٦٤٣٩٨ - ٣٦٦١٣٥ - ٦٠٢١٣٣ (١ ٩٦١) ٠٠
صندوق بريد : ٩٤٢٤ - ١١ بيروت - لبنان

DAR al-KOTOB al-ILMIYAH

Beirut - Lebanon

Address : Ramel al-Zarif, Bohatory st., Melkart bldg., 1st Floore.
Tel. & Fax : 00 (961 1) 60.21.33 - 36.61.35 - 36.43.98
P.O.Box : 11 - 9424 Beirut - Lebanon

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سنة ست وأربعين وسبعمائة

فى المحرم: قدم كتاب أرتنا يتضمن اتضاع أمر أولاد دمرادش، ويغض من نائب حلب على ما فعله مع ابن دلغادر.

وفى عشريه: قدم محمل الحاج، فتحرك عزم السلطان للحج، وكتب إلى بلاد الشامية بابتياح ستة آلاف جمل وألفى رأس غنم، وجميع ما يحتاج إليه من العبي والأقتاب^(١) ونحو ذلك. وتوجه الأمير طقتمر الصلاحى بسبب ذلك، وكتب إلى الكرك والبلقاء بحضور العربان بجمالهم، وأن يحمل إلى عقبة أيلة ألفا غرارة شعير، وما يناسب ذلك من الأصناف.

فقدمت طائفة من العربان، وقبضوا مالا ليجهزوا جمالهم، إلى أن أهل ربيع الآخر تغير مزاج السلطان، ولزم الفراش؛ فلم يخرج للخدمة أياما. وكثرت القالة، وتعتت العامة فى الفلوس، وتحسن السعر.

وأرجف بالسلطان، فغلقت الأسواق، حتى ركب الوالى والمحتسب وضربوا جماعة وشهروهم. فاجتمع الأمراء، ودخلوا على السلطان، وتلطفوا به حتى أبطل الحركة للحج؛ وكتب يعود طقتمر من الشام، واستعادة المال من العربان. وما زال السلطان يتعلل إلى أن تحرك أخوه شعبان، واتفق مع عدة من المماليك؛ وقد انقطع خبير السلطان عن الأمراء. فكتب بالإفراج عن المسجونين بالأعمال، وفرقت صدقات كثيرة ورتب جماعة لقراءة صحيح البخارى؛ فقوى أمر شعبان، وعزم أن يقبض على الأمير الحاج آل ملك النائب، فتحرز منه.

وأخذ الأمراء والأكابر فى توزيع أموالهم وحرهم فى عدة مواضع، ودخلوا على السلطان، وسألوه أن يعهد إلى أحد من إخوته. فطلب الأمير الحاج آل ملك النائب وبقية الأمراء، فلم يحضر إليه أحد منهم.

وقد اتفق الأمير أرغون العلامى مع جماعة على إقامة شعبان، فرق فيهم مالا كثيرا، فإنه كان ربيبه، اى ابن زوجته، وشقيق السلطان الصالح إسماعيل. وقام مع الأمير أرغون من الأمراء غرلو، وتمر الموساوى؛ وامتنع الأمير الحاج آل ملك النائب من إقامة شعبان. وصار الأمراء حزبين، فقام النائب فى الإنكار على الكلام فى هذا، وقد اجتمع

(١) القتب: الرجل الصغير على قدر سنام البعير، جمع أقتاب انظر المعجم الوسيط (قتب).

مع الأمراء بباب القلعة، وقبض على غرلو وسجنه، وتحالف هو والأمير أرغون العلائى وبقية الأمراء على عمل مصالح المسلمين.

وتوفى السلطان فى ليلة الخميس رابع ربيع الآخر، فكم موتة. وقام شعبان إلى أمه، ومنع من إشاعة موت أخيه، وخرج إلى أصحابه وقرر معهم أمره. فخرج طشتمر ورسالن بصل إلى منكلى بغا، ليسعوا عند الأمير أرقطاي والأمير أصلم.

وكان الأمير الحاج آل ملك النائب والأمراء قد علموا من بعد العصر أن السلطان فى النزاع، فاتفقوا على النزول من القلعة إلى بيوتهم بالمدينة. فدخل الجماعة على أرقطاي ليستميلوه لشعبان، فوعدهم بذلك، ثم دخلوا على أصلم أجابهم، وعادوا إلى شعبان وقد ظنوا أن أمرهم قد تم.

فلما أصبح يوم الخميس خرج الأمير أرغون العلائى، والأمير ملكتمر الحجازى، والأمير تمر الموساوى، والأمير طشتمر طليله، والأمير منكلى بغا الفخرى، والأمير أسندمر. وجلسوا بباب القلعة، فأتاهم الأميران أرقطاي وأصلم، والوزير نجم الدين محمود، والأمير قمارى أستاذر؛ وطلبوا الأمير الحاج آل ملك النائب، فلم يحضر إليهم؛ فمضوا كلهم إلى عنده، واستدعوا الأمير جنكلى بن البابا، واشتوروا فيمن يولونه السلطنة فأشار جنكلى بأن يرسل إلى الممالك السلطانية، ويسألهم من يختارونه، «فإن من اختاروه رضينا» فعاد جوابهم مع الحاجب أنهم رضوا بشعبان سلطانا، فقاموا جميعا ومعهم الأمير الحاج آل ملك النائب إلى داخل باب القلعة.

وكان شعبان قد تحيل من دخولهم عليه، وجمع الممالك، وقال: «من دخل قتلته بسيفى هذا، وأنا أجلس على الكرسي حتى أبصر من يمينى عنه» فسير الأمير أرغون العلائى إليه، وبشره وطيب خاطرته. ودخل الأمراء عليه، وسلطونه وانقضت أيام الصالح.

وكان السلطان الصالح^(١) فى ابتداء دولته على دين وعفاف، إلا أنه كان فى أيامه ما ذكر من قطع الأرزاق، وكثرة حركة عساكر مصر والشام فى التجاريد. وشغف السلطان الصالح مع ذلك بالجوارى السود، وأفرط فى حب اتفاق، وأسرف فى العطاء

(١) (السلطان الصالح) هو إسماعيل بن محمد بن قلاوون، أبو الفداء، علاء الدين، والملقب بالملك الصالح ابن الملك الناصر: من ملوك الدولة القلاوونية. عصر والشام وبويع بالسلطنة. عصر بعد خلع أخيه الناصر أحمد سنة ٧٤٣ هـ. انظر بدائع الزهور ١/ ١٨١ وروض المناظر - خ - والبداية والنهاية ٢٠٢ - ٢١٦ والنجوم الزاهرة ١/ ٧٨ والدرر الكامنة ١/ ٣٨ والأعلام ١/ ٣٢٤.

لها؛ وقرب أرباب الملاهي، وأعرض عن تدبير الملك بإقباله على النساء والمطربين، حتى إنه إذا ركب إلى سرحة سرياقوس^(١) أو سرحة الأهرام ركبت أمه فى مائتى امرأة الأكاديش، بتياب الأطلس الملون، وعلى رعوسهن الطراطير الجلد البلغارى المرصع بالجواهر والآلى، وبين أيديهن الخدام الطواشية، من القلعة إلى السرحة. ثم يركب حظاياه الخيول العربية، ويتسابقن؛ ويركبن تارة بالكاملات الحرير، ويلعبن بالكرة، وكانت هن فى المواسم والأعياد وأوقات النزه والفرح أعمال لا يمكن حكايتها؛ وأكثرن من النزول إلى بيوت الكتاب ونحوهم.

واستولى الخدام الطواشية فى أيامه على أحوال الدولة، وعظم قدرهم بتحكم كبيرهم عنبر السحرتى اللالا فى السلطان؛ وركبوا الخيول الرائعة، ولبسوا الثياب الفاخرة، وأخذوا من الأراضى عدة رزق. واقتنى السحرتى البزاة والسنافر ونحوها من الطيور والجوارح، وصار يركب إلى المطعم، ويتصيد بتياب الحرير المزركشة؛ واتخذ له كفاً مرصعاً بالجواهر، وعمل له خاصكية وخداما ومماليك تركب فى خدمته، حتى ثقل أمره، فإنه أكثر من شراء الأملاك، والتجارة فى البضائع، وأفرد له ميداناً يلعب فيه بالكرة، وتصدى لقضاء الأشغال. فصارت الإقطاعات والرزق لا تقضى إلا بالخدام والنساء، ولا يزال الأمير الحاج آل ملك النائب يشنع بذلك، وإذا أتاه أحد يطلب منه خبزاً أو رزقة يقول له: «النائب ما له حكم، رح إلى باب الستارة، واسأل عن الطواشى فلان الدين والطواشى فلان الدين يقضوا لك حاجتك».

وكان متحصل الدولة مع هذا كله فى أيام السلطان الصالح إسماعيل قليلاً، ومصروف العمارة لا يزال جملة مستكثرة فى كل يوم فأنفق السلطان على الدهيشة بالقلعة خمسمائة ألف درهم، سوى ما حمل إليه من بلاد الشام وغيرها، ثم عمل فيها من أوانى الذهب والفضة ومن الفرش ما يجلب وصفه؛ ومنذ فرغت عمارتها لم ينتفع بها أحد، لشغفه بالغناء والجوارى، سيما اتفاق. ولما ولدت منه اتفاق ولداً ذكراً عمل لها مهما تناهى فيه، حتى بلغ الغاية التى لا توصف عظمة.

وكانت حياته منغصة وعيشته نكدة، لم يتم سروره بالدهيشة سوى ساعة واحدة. ثم قدم عليه منجك برأس أخيه أحمد من الكرك^(٢) بعد قتله بها، فلما قدم بين يديه ورآه

(١) سرياقوس بليدة فى نواحي القاهرة. مصر. انظر معجم البلدان ٢١٩/٣.

(٢) الكرك: هو من أعظم حصون النصارى معترض فى طريق الحجاز وهو من القدس على مسافة يوم أو أقل، وأهله يقطعون على المسلمين الطريق فى البر. انظر الروض المعطار فى خبر الأقطار ٢٠٢، معجم البلدان ٤/٤٥٣.

بعد غسله، اهتز وتغير لونه وذعر، حتى إنه بات ليلته يراه فى نومه، ويفرغ فزعا شديدا.

وتعلل السلطان الصالح إسماعيل من رؤية رأس أحمد، وما برح يعتره الأرق ورؤية الأحلام المفزعة، وتمادى مرضه وكثر إرجافه، وكثرت أفزاعه حتى اعتراه القولنج، ومات كما تقدم ذكره يوم الخميس، ودفن عند أبيه وجده بالقبة المنصورية، فى ليلة الجمعة.

وكان السلطان الصالح إسماعيل رقيق القلب، زائد الرأفة والشفقة، كريما جوادا، مائلا إلى الخير. وبلغ من العمر نحو العشرين سنة، منها مدة سلطنته ثلاث سنين وشهران وأحد عشر يوما.

* * *

السلطان الملك الكامل سيف الدين شعبان بن الناصر محمد بن قلاوون الألفى الصالحى (١)

لما اشتد مرض أخيه شقيقه السلطان الملك الصالح عماد الدين، ودخل، عليه الأمير أرغون العلائى فى عدة من الأمراء، ليعهد بالسلطنة من بعده إلى أحد، كان الأمير أرغون العلائى غرضه فى أن يعهد لشعبان، من أجل أن أمه كانت زوجته. فلم يجب الأمير آل ملك النائب وجماعة من الأمراء إلى الدخول على السلطان الصالح إسماعيل كراهة منهم فى شعبان، لما كان قد اشتهر عنه من المظالم. فقال الصالح إسماعيل بعدما بكى وأبكى الأمراء: «سلموا على النائب والأمراء، وعرفوهم أنى إن مت يولوا أختى شعبان» فلما مات الصالح، واقتضى رأى الأمراء أن يعرفوا رأى المماليك السلطانية، وكان جوابهم إقامة شعبان، حضر الأمراء إلى باب القلعة، واستدعوا شعبان، وأركبوه بشعار السلطنة، ومشوا فى ركابه، واجاويشية تصيح على العادة، حتى إذا قرب من الإيوان لعب الفرس تحته وجفّل من تصايح الناس، فنزل عنه ومشى خطوات بسرعة إلى أن طلع الإيوان؛ فتفاعل الناس عن فرسه أنه لا يقيم فى السلطنة إلا يسيرا.

ولما طلع السلطان شعبان الإيوان والأمراء بين يديه، جلس على كرسى السلطنة وباس الأمراء له الأرض، وأحضروا المصحف ليحلفوا، فحلف لهم أولا أنه لا يؤذيهم، ثم حلفوا بعده؛ وذلك فى يوم الخميس رابع ربيع الآخر، سنة ست وأربعين وسبعمائة.

(١) شعبان بن حسين ابن الملك الناصر محمد بن قلاوون أبو المعالى، ناصر الدين من ملوك الدولة القلاوونية بمصر والشام ولى السلطنة بعد خلع ابن عمه محمد بن حاجى. انظر الدرر الكامنة ١٩٠/٢ والبداية والنهاية ٤/٣٠٢، ٣٢٤ والأعلام ٣/١٦٤.

ولقب بالملك الكامل، ودقت البشائر، ونودى بسلطنته فى القاهرة ومصر، وخطب له فى الغد على منابر ديار مصر، وكتب بذلك إلى الأقطار مصرًا وشامًا.

وفى يوم الإثنين ثامنهم: جلس السلطان شعبان بدار العدل من القلعة، وجدد له العهد من الخليفة، بحضرة القضاة والأمراء، وخلع على الخليفة والأمراء والقضاة.

وفيه كتب بطلب الأمير آقسنقر الناصرى من طرابلس^(١)، فسأل الأمير قمارى الأستاذ أن يستقر عوضه فى نيابة طرابلس، وتشفع بالأمير أرغون العلائى والأمير ملكتمر الحجازى. فأجيب إلى ذلك، وخلع عليه فى يوم الخميس حادى عشره، وخرج من فوره على البريد.

وفيه خلع على الأمير أرقطاي، واستقر فى نيابة حلب^(٢) عوضًا عن يلبغا اليحياوى، وخرج على البريد.

وفيه طلب الأمير الحاج آل ملك النائب الإعفاء من نيابة السلطنة، وقبل الأرض، وسأل نيابة الشام، عوضًا عن الأمير طقزدمر، وأن ينقل طقزدمر إلى مصر فأجيب ذلك، وكتب بإحضار طقزدمر.

وفى يوم السبت ثالث عشره: خلع على الأمير الحاج آل ملك النائب، واستقر فى نيابة الشام عوضًا عن طقزدمر. وأخرج من يومه على البريد، فلم يدخل غزة حتى لحقه البريد بتقليده نيابة صفد، وأن يكون ولده وابن أخيه الفارس بحلب. وسبب ذلك أن الأمير أرغون العلائى لما قام فى سلطنة شعبان هذا، قال له الأمير الحاج آل ملك: «بشرط ألا يلعب بالحمام»؛ فلما بلغ السلطان شعبان ذلك نقم عليه.

وفيه رسم بطلب شجاع الدين غرلو من دمياط^(٣)، فقدم فى يومه. وخلع عليه شاد الدواوين. فنزل غرلو إلى دار الولاية، وقبض بيده على أطواق الأمير جمال الدين يوسف

(١) طرابلس: من مدن إفريقية وهى مدينة كبيرة أزلية على ساحل البحر. وهو من حجر جليل وقيل وتفسير طرابلس ثلاث مدن، وقيل مدينة الناس. وطرابلس أيضًا مدينة بالشام عظيمة عليها سور صخر منيع. انظر الروض المعطار فى خير الأقطار ٣٨٩، ٣٩٠ والاستبصار ١١٠ والإدريسى ١٢١/ ٨٩ ونزهة المشتاق ١١٧ ومعجم البلدان ٢٥/ ٤.

(٢) حلب: مدينة بالشام بينها وبين قنسرين اثنا عشر ميلًا، وهى مدينة عظيمة مسورة بحجارة بيض. انظر صبح الأعشى ٤/ ١١٦ والروض المعطار فى خير الأقطار ١٩٦، ١٩٧ ومعجم البلدان ٢٨٢/ ٢.

(٣) دمياط مدينة قديمة بين تينس ومصر على زاوية بحر الروم الساحل والنيل. انظر معجم البلدان ٤٧٢/ ٢٠.

والى القاهرة، وأقامه من مجلس حكمه، وأخرجه من داره، وأركبه حمارة إلى القلعة. وسبب ذلك أنه لما قبض على غرلو تقدم يوسف هذا وأمسك سيفه، وقطعه من وسطه، فكافأه غرلو على ذلك. وقبض غرلو معه على ابن أخيه والى الجيزة، فما زالا يجملان المال حتى بلغ حملها خمسين ألف درهم، سوى عدد سلاح وغير ذلك، فأفرج عنهما بعد أيام، وبعد شفاعة جماعة من الأمراء.

وفيه كتب بنقل الأمير يلغا اليحياوى من نيابة حلب إلى نيابة دمشق، فدخلها يوم السبت ثانى عشر جمادى الأولى، وباشر نيابتها.

وفيه رسم السلطان الكامل شعبان بعرض أحوال الدولة للنظر فى تديرها فترك ما استجد من المصروف فى العمائر بالقلعة والقاهرة، ورسم أن تسلم الأغنام التى استجدها أخوه الملك الصالح لجماعة المتعاملين فى اللحم وبثمينها عليهم، فكانت عدتها تسعة عشر ألف رأس ونيف؛ وضبط السلطان أحوال المملكة.

وفيه رسم بسفر الأمير طرنطاي البشمقدار نائباً بممص، وأنعم بتقدمته على بييغا ططر.

وفيه أنعم بإقطاع الأمير أرقطاي المستقر فى نيابة حلب على أرغون شاه، وخلع عليه، واستقر أستاذار عوضاً عن قمارى المستقر فى نيابة طرابلس.

وفيه أخرج أحمد شاد الشراب خاناه هو وإخوته إلى صنفد، من أجل أنهم كانوا ممن قام مع الأمير الحاج آل ملك النائب وقمارى الأستاذار فى منع شعبان من السلطنة.

وفيه خلع على علم الدين عبد الله بن أحمد بن إبراهيم بن زنبور، واستقر فى نظر الخاص عوضاً عن الموفق عبد الله بن إبراهيم وخلع على كاتبه فخر الدين بن السعيد، واستقر عوضه فى استيفاء الصحبة؛ وعنى الأمير أرغون العلائى بالموفق حتى ترك بغير مصادرة.

وفيه قدم الأمير طقتمر الصلاحى من الشام بالمال الذى فرق على العرب، وبسبب حمل الغلال إلى مكة، وهو مبلغ مائتى ألف درهم.

وفيه رسم بعزل تقى الدين سليمان بن على بن عبد الرحيم بن سالم بن مراحل من نظر درهم، واستقر عوضه بهاء الدين بن أبو بكر بن شكر.

وفيه قدم الأمير آقسنقر الناصرى من طرابلس، وخلع عليه؛ وسئل نيابة السلطنة بديار مصر، فامتنع أشد الامتناع، وحلف أيماناً مغلظة ألا يليها.

وفيه خطب السلطان الكامل شعبان ابنة الأمير بكنمر الساقى، فامتنعت أمها من إجابته، واحتجت عليه بأن أختها تحته، ولا يجمع بين أختين، وأنه بتقدير أن يفارقها، فإنه شغف باتفاق حظية أخيه الصالح إسماعيل شغفاً زائداً. ثم قالت أمها: «ومع ذلك فقد تغير حال المخطوبة من شدة الحزن، فإن أول من أعرس عليها آنوك بن السلطان الناصر محمد، فمات عنها وهى بكر لم يمسه؛ فتزوجها بعده أخوه السلطان المنصور أبو بكر، وقُتل؛ ثم تزوجها بعد المنصور أبو بكر أخوه السلطان الملك الصالح إسماعيل، ومات عنها أيضاً؛ فحصل لها حزن شديد من كونه تغير عليها عدة أزواج فى مدة يسيرة». فلم يلتفت السلطان الكامل شعبان إلى هذه الكلام، وطلق أختها، وأخرج جميع ما كان لها فى ليلته، ثم عقد عليها ودخل بها.

وفيه كتب بالإفراج عن أحمد بن مهنا، وعن ابن أخيه سليمان من قلعة دمشق.

وفيه أنعم السلطان على ابن طشتمر حمص أخضر بتقدمة ألف، وعلى ابن أصلم بإمرية طبلخاناه.

وفى مستهل جمادى الأولى: خلع السلطان الكامل شعبان على الأمراء المقدمين والطبلخاناه، وأنعم على ستين مملوك بستين قباء بطرز زركش وستين حياصة ذهب؛ وفرق الخيول على الأمراء برسم الميدان.

وفيه قدم أحمد بن مهنا وابن أخيه، فخلع عليهما، وأعيد أحمد إلى إمرية العرب فقدم حاجب سيف بن فضل ينجز بأنه وصل إلى غزة بقوده؛ فكتب بقومه سريعاً، فقدم ومعه مائة فرس مثمنة سوى الهجن وغيرها. فخلع عليه، ولم ينعم له بالإمرية، ولا أنصف فى أثمان خيوله.

وفيه رسم السلطان الكامل شعبان أن يتوفر إقطاع النيابة للنخاص.

وفيه خلع السلطان على الأمير بيغرا، واستقر حاجباً كبيراً ليحكم بين الناس. ورسم له السلطان أن يجلس بين يديه موقعين لكتابة الكتب للولاء، وهما رضى الدين بن الموصلى وابن عبد الظاهر.

وفيه قبض على جمال الدين يوسف والى القاهرة، وعلى ابن أخيه ونائبه حمود، بسعاية غرلو شاد الدواوين. وكشف غرلو رءوسهم، وضرب حموداً بالمقارع ضرباً مبرحاً، فوعد بأن يحضر له مالا قد دفنه بالجيزة، فسيره صحبة أعوانه ليأتيه بالمال فلما ركب حمود النيل وتوسطه، وألقى بنفسه فيه، ففرق. فرسم بالإفراج عن جمال الدين وابن أخيه، بعناية الأمراء به.

وفي يوم السبت: نزل السلطان إلى الميدان على العادة فى كل سنة، فكان يوماً مشهوداً.

وفيه خلع السلطان على الشريف عجلان^(١) بن رميثة بن أبى نعى الحسنى، واستقر أمير مكة.

وفيه عاد السلطان من آخر النهار على العادة إلى القلعة.

واستدعى السلطان فى يوم الإثنين غرلو شاد الدواوين، بحضور الأمراء والوزير، ورسم له أن يرتب بلاد الخاص، ويخرج من إقطاع النيابة وغيره بلاد الممالك السلطانية أرباب الجوامك الكبار، لتوافر جوامكهم. فأفردت خمس نواح أقطعت لمائة مملوك، وطلبوا حتى فرقت عليهم المثالات، فردوها من الغد على السلطان، وقد وقفوا جميعاً. فاشتد غضبه، وطلب الطواشى المقدم وأهانته، ورسم له بضربهم وطردهم؛ فما زال به الأمراء حتى رُسم أن الطواشى يضرب منهم جماعة، وأن يفرق النواشى على ثمانين منهم، وأنعم على العشرين بإقطاعات أخرى. فأقاموا مدة على الامتناع حتى ضرب منهم جماعة كثيرة، وأنزلوا من القلعة إلى القاهرة، وقطع جميع راتبهم من لحم وغيره.

ورفع غرلو على الحاج على الطباخ المعروف بإخوان سلار أنه يأكل كثيراً مما فى المطبخ السلطانى، وأن له فى كل يوم على المسلمين خمسمائة درهم، ولولده أحمد ثلاثمائة درهم، سوى الأطعمة وغيرها. فرسم السلطان للأمير أرغون شاه أستادار بمصادرتة، فأوقع الخوطة على موجوده، وأهانته. وكان المذكور قد خدم السلطان الناصر محمد^(٢) فى الكرك، فلما عاد إلى السلطنة أقامه إخوان سلار، وسلم له المطبخ؛ فنال سعادة جليلة، لاسيما فى المهمات والأفراح التى كان السلطان الناصر محمد يعملها لأولاده ومماليكه وحواشيه، طول تلك المدة. فكان أقل ما يحصل له فى كل مهم ما ينيف على عشرة آلاف درهم، مع كثرت تلك المهمات. ولما عمل مهم ابن

(١) عجلان بن رميثة بن أبى نعى: شريف الحسنى من أمراء مكة مولده وفاته فيها نزل له أبوه عن إمارتها فى أواخر حياته [٧٤٥ هـ] وبعد وفاة أبيه سنة ٧٤٦ هـ. انظر الجداول المرضية ١٤٦ - والدرر الكامنة ٢: ٤٥٣ وخلاصة الكلام ١٣ والأعلام ٤/ ٢١٦.

(٢) الناصر محمد بن قلاوون بن عبد الله الصالحى، أبو الفتح من كبار ملوك الدولة القلاوونية. له آثار عمرانية ضخمة وتاريخ حافل بجلال الأعمال وولى سلطنة مصر والشام سنة ٦٩٣ هـ وهو صبى وخلع منها لحدائته ٦٩٤ هـ فأرسل إلى الكرك وأعيد للسلطنة بمصر ٦٩٨ هـ. انظر مورد اللطافة لابن تغرى بردى ٤٤ وفوات الوفيات ٢/ ٢٦٣ وابن إياس ١/ ١٢٩ والدرر الكامنة ٤/ ١٤٤ والنجوم الزاهرة ٨/ ٤١، ١١٥ والأعلام ٧/ ١١.

بكتمر الساقى على بنت تنكز نائب الشام، طلب السلطان الناصر محمد الحاج على هذا فى آخر المهم، وقال له: «يا حاج على! رح الساعة اعمل لى خروف ريمس^(١) فى لون كذا»، فولى عنه وهو متتكرد قد عبس وجهه. فصاح به السلطان ليرجع، وقال له: «مالك معبس الوجه؟» فقال: «كيف ما أعبس وقد أحرمتنى الساعة عشرين ألف درهم؟» قال: «كيف أحرمتك؟» قال: «عندى رعوس وأكارع وكروش وأعضاد، وكل ما سرقتة من هذا المهم، أريد أن أقعد أبيعه. فقلت لى: رح اطبخ، فيتلفوا الجميع». فتبسم له السلطان، وقال: «لا رح اطبخ، وضمانهم على». فلما ذهب الحاج على طلب السلطان الى مصر ووالى القاهرة، وأمرهما بطلب الزفورية إلى القلعة، وتفرقة تلك الأسقاط فيهم، فبلغ ثمنها ثلاثة وعشرين ألف درهم. فهذا أعزك الله متحصل مهم واحد من آلاف، سوى ما له فى كل يوم من جهة المطبخ، وهو خمسمائة درهم، فى مدة بضع وثلاثين سنة؛ كم أراد النشو أن يتمكن منه، والسلطان الناصر محمد يمنعه.

ولما قبض عليه وجد له خمسة وعشرون ملكا؛ فأخذت أم السلطان داره التى على البحر، وكانت من الدور العظيمة، وأخذت اتفاق داره التى بالمحمودية من القاهرة. وإليه ينسب جامع الطباخ، على بركة السقاف بخط باب اللوق؛ فتعطل الجامع أياما مدة القبض عليه، فإنه كان يقوم به من غير أن يفرد له وقفاً. وأخذت أملاكه كلها؛ وضرب ابنه أحمد، وألزم ببيع موجوده، وحمل وهو وأبوه ما لهم إلى بيت المال، ثم شفع فيه الأمير ملكتمر الحجازى، فأفرج عنه ولزم بيته بطلا.

وفى هذا الشهر صدور جماعة من أهل قوص اتهموا بأنهم وجدوا خبية مال، وأخذت أملاكهم وغيرها. وصدور الجماعة الذين كتبوا فى محضر وفاة السلطان المنصور أبى بكر أنه مات بقضاء الله وقدره، وأخذ جميع موجودهم؛ فأقروا أن المحضر زور، وأنهم أكرهوا حتى كتبوا ما لم يعاينوه.

وفيه وشى بابنة الملك المظفر بيبرس الجاشنكير أن فى دارها بالقاهرة خبية مال، فحفر فيها نحو قامة، فلم يوجد شىء.

وفى يوم السبت خامس عشرية: قدم الأمير طقزدمر من دمشق فى محفة وهو مريض، بعدما خرج الأمير أرغون العلائى إلى القائه، فوجده غير واع؛ ودخل عليه الأمراء وهو قد أشفى على الموت. ولما دخل طقزدمر القاهرة على تلك الحال أخذ

(١) ريمس: لفظ ريمس اسم للواحد من صغار الغنم، غير أن هذا اللفظ هنا صفة وليس اسماً ويستعمله أهل العراق حتى العصر الحاضر صفة الدلالة على خروف مشوى بأكمله.

أولاده فى تجهيز مقدمة جلييلة للسلطان، تشتمل على خيول وتحف وجواهر؛ فقبلها السلطان، ووعدهم بخير.

وفيه أنعم السلطان الكامل شعبان على الأمير أرغون الصالحى بتقدمة ألف، ورسم أن يقال له أرغون الكاملى، وهب له فى أسبوع واحد ثلاثمائة ألف درهم وعشرة آلاف أردب من الأهراء. ورسم له بدر شاد الشرايخانا، وأن يعمر له من مال السلطان بجواره قصر على بركة الفيل، ويطل على الشارع؛ وأقام السلطان الأمير أقجبا شاد العمائر على عمارته.

وفى هذا الشهر: شرع الأمير غرلو شاد الدواوين يستخدم الولاة والكتاب على مال يحمل لبيت المال، فلم يل أحد بعد ذلك إلا بمال. واستجد غرلو أيضا مالا فى المفايضات والنزولات عن الإقطاعات، يحمل لبيت المال. وجعل على عيرة الدينار ديناراً، فإذا كان الإقطاع عيرة مائة دينار حمل عنه لبيت المال مائة دينار؛ ولم يلتفت السلطان لقول الأمراء، وأجابهم بأن هذا كان يأخذه ديوان الجيش.

وفى يوم الخميس مستهل جمادى الآخرة: ركب السلطان إلى السرحة بسرياقوس، ومعه حريمه. فنصبت هن الخيم فى البساتين، وأخليت المناظر التى للأمراء حتى نزل أكثرهن بها.

وفى يوم الجمعة: قدم أولاد الأمير طقزدمر إلى سرياقوس بخير وفاة أبيهم، فلم يمكن السلطان الأمراء من العود إلى القاهرة للصلاة عليه؛ فدفن بخانكاته بالقرافة. وأخذت خيله وجماله وهجنه إلى الإصطبل السلطانى، وقيدت إلى سرياقوس على العادة. ورسم السلطان أن تعمل أوراق بمتوفر إقطاع طقزدمر وما عليه من حقوق القنود، وسائر ما سومح به مما عليه للديوان فى حياته من جميع الأصناف؛ فلم تزل أولاده تقدم التقادم الجلييلة حتى وعدوا بتقدمة سلطانية.

وفيه خلع على الأمير رسلان بصل، واستقر حاجباً ثانيا مع بيغرا؛ ورسم له أن يحكم بين الناس.

وفيه خلع على الأمير ملكتمر السرجوانى، واستقر فى نيابة الكرك؛ وأنعم بإقطاعه على الأمير طشتمر طليله، وأنعم بإقطاع طشتمر على الأمير قبلاى.

وفيه طلب السلطان العربان الذين اتهموا بقتل ابن الردينى، وأخذ منهم مائة ألف درهم مصادرة.

وفيه مات الأشرف كجك، عن اثنتى عشرة سنة. واتهم السلطان أنه بعث من سرياقوس من قتله فى مضجعه، على يد أربعة خدام طواشية.

وفيه قدم طُلب الأمير آقسنقر طرابلس، فسار السلطان من سرياقوس حتى لقيه على بلبس^(١)، ومنع الخدام أن تُعرّف زوجته أم كجك بوفاته. واختار الأمير آقسنقر من طلبه عدة خيول وجمال بخاتى وهجن، وقدمها للسلطان مع جواهر سنية وتحف بديعة؛ فخلع عليه السلطان، وأنعم على ولد ابن أخيه بطبلخاناه أبيه، وعمره أربع سنين.

وفيه عاد السلطان من سرياقوس إلى القلعة، بعدما تهتكت الممالك السلطانية بشرب الخمر والإعلان بالفواحش، وركبوا فى الليل وقطعوا الطريق على المسافرين، واغتصبوا حريم الناس، وصارت سرياقوس حانة.

وفيه عزل تاج الدين ابن الصاحب أمين الدين بن الغنام، من نظر البيوت. وذلك أنه علم باجتهاد السلطان فى تحصيل المال فضبط البيوت، ووفر فيها عشرين ألف درهم، وأعلم السلطان بها من غير علم أرغون شاه الأستادار. فتنكر عليه أرغون شاه فضربه، فسعى عليه أفلاطون كاتب سنجر الجمقدار عند غرلو بألقى دينار، فولاه عوضه، وولى أيضاً ابن وجه الطوبة نظر الأوقاف الصالحية إسماعيل، بعدما حمل لبيت المال خمسمائة دينار.

وفيه طولب الموفق عبد الله بن إبراهيم بحمل مائة ألف درهم. وسبب ذلك أنه عثر على أنه باع من أراضى الخاص إلى طغيتمر الدوادار بمائة ألف درهم، فباعها طغيتمر لابن زعازع بالبهنساوية؛ وألزم كل من طغيتمر وابن زعازع أيضاً بحمل مائة ألف درهم. وفيه عقد لابنة بكتمر مطلقة السلطان شعبان على أرغون شاه أستاذار، وعقد لزوجة أرغون شاه ابنة آقبغا - وقد بانث منه من مدة - على ببيغا روس.

وفيه رسم بإبطال المقايضات والنزولات عن الإقطاعات، بقيام الأمراء فى ذلك مع السلطان، لكثرة ما فيه من المفاسد. وكتب إلى البلاد الشامية أن من مات من الأجناد أو أرباب المراتب يطالع بوفاته، ليخرج السلطان إقطاعه أو مرتبه، فامثل ذلك.

وفيه ألزم من بيده رزقه من أرض مصر، أو أرض استأجرها، أن يقوم عن كل فدان بمائة وخمسين درهماً. فأخذ من ذلك مال كثير، قام غرلو باستخراجه. فازدادت مكانته عند السلطان، وعظم قدره بين الناس، وانتمى إليه جماعة، وصاروا يغرونه بأرباب

(١) بلبس مدينة بينها وبين فسطاط مصر عشرة فراسخ على طريق الشام. انظر ياقوت معجم

الأموال، ويفتحون له أبواب المظالم. واستدعى غرلو طغيتمر متولى البهنسى، وألزمه بحمل أربعماية ألف درهم، وأحرق به.

وقدم جمال الدين سليمان بن ريان من حلب، وبذل فى نظر الجيش بها ألف دينار حملت إلى بيت المال، ووعد بمائتى إكديش. فخلع عليه، وتوجه معه بريد لإحضار الخيل.

وفيه رسم بقطع جميع ما هو مرتب على الحوائج خاناه من التوابل للأمرء والكتاب وغيرهم. وطلب عدة من مباشرة الوجه القبلى والوجه البحرى، سلموا إلى غرلو فصادرهم.

وفيه قدم البريد من حلب بوقوع الحرب بين الشيخ حسن صاحب بغداد وبين سلطان شاه وأولاد دمرداش، انتصر فيها الشيخ حسن. والتجأ سلطان شاه إلى ماردين، فحصره الشيخ حسن بها أياما، وأفسد ضياعها، ثم سار عنها بغير طائل.

وفيه هم السلطان أن ينعم على غرلو بإمرة مائة، وتولية الوزارة ونيابة دار العدل؛ فلم يوافقهم الأمير أرغون العلامى على ذلك، وأبطل أمره.

وفيه عمل السلطان داير بيت حرير مزرکش، عمل فيه مبلغ أربعين ألف دينار وعمل أيضا لخرميه عشرين بغلوطاق صدر، فى كل بغلوطاق ألف دينار زرکش.

وفى عشرى رجب: خلع على فخر الدين بن السعيد، واستقر فى نظر الخاص، عوضا عن علم الدين بن زنبور. وخلع على ابن زنبور، واستقر كما كان فى استيفاء الصحبة؛ فكانت مدة مباشرة ابن زنبور نظر الخاص نيفا وثمانين يوما.

وفيه عزم على إنشاء مدرسة موضع خان الزكاة، ونزل الأمير أرغون العلامى والوزير لنظره. وكان الناصر محمد قد وقفه، فلم يوافق القضاة على حله.

وفى مستهل شعبان: استقر تاج الدين محمد بن المزين خضر بن عبد الرحمن فى كتابة السر بدمشق، عوضا عن بدر الدين محمد بن فضل الله.

وفيه كان عرس السلطان على بنت طقزدمر، وعمل لها مهماً مدة سبعة أيام بلياليها، اجتمع فيه نساء الأمراء جميعاً. وكانت فيه عدة جوق مغانى، حصل هن من الذهب والفضة وتفاصيل الحرير شىء يجلب وصفه؛ وبلغ نصيب ضامنة المغانى بمفردها ثمانين ألف درهم، سوى بقية المغانى.

وفيه استقر تقي الدين سليمان بن مراجل ناظر دمشق، عوضاً عن بهاء الدين أبي بكر ابن سكرة، بعد موته. وكان ذلك بعناية الأمير أرغون العلائي، فإنه كان بعد عزله من نظر الدولة ولاه نظر الخاص بدمشق، ثم انتقض أمره.

وفي مستهل شهر رمضان: خلع على قشتمر والى الجيزة، واستقر شاد الدواوين رفيقا للأمير غرلو.

وفيه خلع على نجم الدين داود بن أبي بكر بن محمد بن الزبيق، بولاية الجيزة.

وفيه استقر الشيخ شمس الدين محمد بن اللبان في تدريس المدرسة الناصرية، بجوار قبة الشافعي بالقرافة، عوضاً عن ضياء الدين محمد بن إبراهيم المناوي، بعد وفاته. وكان ذلك بعناية الأمير جنكلي بن البابا، والأمير آقسنقر، بعدما استقر فيه تاج الدين محمد بن إسحاق المناوي بسفارة قاضي القضاة عز الدين عبد العزيز بن جماعة فنزل ابن اللبان ودرّس، ومعه الأمير أرغون الكاملي وعدة أمراء، وجماعة القضاة والفقهاء. وكان ناصر الدين فاز السقوف محتسب مصر مقيماً بقاعة التدريس، فأخرجه ابن اللبان منها، وطالبه بأجرتها مدة سكنه. فرتب ناصر الدين على ابن اللبان فتياً نسبة فيها إلى قوادح، وأراد الدعوى عليه، فلم يتمكن من ذلك.

وفيه قدم الشريف من مكة يريد أن يستقر شريكاً لأخيه عجلان في إمرة مكة. وأحضر ثقبه قودا فيه عدة خيول، فوعد بخير.

وفيه قدمت رسل خليل بن دلغادر بتقدمته وكتابه، وقد عاد إلى الطاعة بحسن سياسة الأمير أرقطاي نائب حلب؛ فخلع على رسله، وجهز له تشریف.

وفيه أخذت أم السلطان من أولاد الأمير طقزدمر خمسمائة فدان بناحية بوتيج ودولابها.

وفيه قدمت الحرة من بلاد الغرب بهدية سنوية تريد الحج، فرسم بتجهيزها.

وفيه أخذ السلطان من وزير بغداد دولابين، جعلهما باسم اتفاق، وعوضه عنهما ما ابتاعهما به، وهو مبلغ ثمانية وعشرين ألف درهم. وتبرع وزير بغداد للسلطان بما أنفقه عليهما، وهو مائة ألف درهم.

وفيه قدم الخير من حلب بوقعة كانت بين ابن دلغادر وبين أمير يقال له طرفوش، أقامه الأمير بلبغا اليحياوي ضدّاً لابن دلغادر، وأغراه به ووعد به بإمرته على التركمان واقتتل طرفوش وابن دلغادر، فانتصر ابن دلغادر بعد عدة وقائع قتل فيها من الفريقين

خلافت. فلما قدم الأمير أرقطاي إلى حلب تल्पف بابن دلغادر حتى أعاده إلى الطاعة، وما زال يجهد حتى أصلح بينه وبين طرفوش.

ثم التفت الأمير أرقطاي إلى جهة الأمير فياض بن مهنا، وقد كثر عبثه وفساده وأخذ قفول التجار. وبذل الأمير أرقطاي جهده حتى قدم عليه فياض بن مهنا بظاهر حلب فتلقاه وأنزله، وبالع في إكرامه، وأخذ عليه العهود والمواثيق بالإقامة على الطاعة، ثم جهزه إلى بلاده. وكتب الأمير أرقطاي بذلك إلى السلطان، فسر به سرورا زائدا، فإنه كان في قلق من أخبار فياض، وعلى عزم أن يجرد العسكر إليه ويؤري بقصد سيس. وأخذ فياض في تجهيز القود إلى السلطان، وسيره، فقدم وفيه سبعون فرساً قامت عليه بألف ألف درهم، وخمسون هجينا وعشر مهرات، وعيى وغير ذلك. ثم قدم فياض عقيب قوده، فأكرمه السلطان وأحسن إليه، وأنزله.

وفي هذا الشهر: أمسكت امرأة حرامية من حمام الأيدمرى، في يوم السبت سابع عشره. فضربها الأمير نجم الدين أيوب أستاذ الأكر ووالى القاهرة بالمقارع على ساقها، ثم قطع يدها في باب زويلة.

وفي مستهل شوال: رُسم للأمير أرغون الكاملى بزيارة القدس، وأنعم عليه بمائة ألف درهم. وكتب إلى نواب الشام بالركوب إلى خدمته، وحمل التقادم له، وتجهيز الإقامات فى المنازل إلى حين عوده. ورسم أن يُنادى بمدينة بليس وأعمالها أنه من قال عنه أرغون الصغير شنيق، وألا يقال إلا أرغون الكاملى. فشهرد النداء بذلك فى الأعمال الشرقية، فامتثل الناس ذلك؛ وتوجه الأمير علاء الدين على بن ملغريل فى خدمته.

وفيه ركب حريم السلطان إلى ناحية الجيزة^(١) للنزهة، وصحبتهم الأمير آقسنقر. فأقام بهم حتى خرج محمل الحاج صحبة مغلطاي أمير شكار، ثم عادوا.

وحج فى هذه السنة عدة من نساء الأمراء، وبالغن فى زينة محفاتهن ومحايههن وألبسوا جمالهن الحرير والقلاهد المرصعة والمقاود الحرير المزركشه، وفى أيدهن خلاخل الذهب، وعليهن العبي الحرير والأجلة الزركش، حتى خرجن فى ذلك عن الحد. وتفاخرن فيما أبدعن، وتناظرن، وصارت كل واحدة تريد أن تفوق على صاحبتها،

(١) الجيزة بليدة فى غربى الفسطاط مصر قبالتها ولها كوة كبيرة واسعة احتطها بمصر عمرو بن العاص فى زمن عمر بن الخطاب، والجيزة قرية كبيرة جميلة البنيان على نيل مصر. انظر الروض المعطار فى خبر الأقطار ١٨٣، وصبح الأعشى ٣/ ٣٩٢، وخطط المقرئى ١/ ٢٠٥ ومعجم البلدان ٢٠٠/٢.

وتشبه بهن غيرهن من النساء. ولم يعهد أن عمل مثل هذا ولا قريب منه فيما تقدم، فإنهن خلعن على الهجانة والسقائين الأقبية الطرد وحش. فأنكر فعلهن الناس، وذكره قاضي القضاة عز الدين عبد العزيز بن جماعة في خطبة العيد بالقلعة وصرح بالإنكار، وصدع بالوعظ.

وفيه قدم تقي الدين سليمان بن مراحل من دمشق، وابن قرناص من حلب فبذل ابن قرناص في نظر حلب نحو ألفي دينار حتى رسم له به، عوضا عن ابن الموصلى. فبعث ابن الموصلى ابنه بهدية سنوية فيها جوارى حسان، وزوج بسط حرير؛ فقام غرلُو معه وأوصله بالسلطان، فقبل هديته، وبسط الحرير بالدهيشة، وأقر ابن الموصلى على حاله؛ فكاتت مدة ابن قرناص عشرين يوما بألفي دينار.

وقام الأمير أرغون العلائى فى حق ابن مراحل حتى خلع عليه، واستقر فى نظر الدولة، وأجلسه السلطان بين يديه، وغرلُو قائم على قدميه. فتفاوضا فى الكلام، بحيث قال الأمير أرغون العلائى لغرلُو: «أنت شاد بعصاتك، إذا عينتُ لك سالا للسلطان تستخرجه» وانصرفا من المجلس، وكل منهما يترفع على الآخر.

فاشند ابن مراحل على الكتاب، وألزمهم بعمل الحساب، ورسم عليهم؛ وكتب بطلب مباشر الشام. فلما كان بعد ثلاثة أيام تكاشف هو غرلُو، وترافعا إلى السلطان؛ فأحرق السلطان بغرلُو، وألزمه أن يمثل ما يرسم له به ابن مراحل، ولا يتعداه.

وفيه قدم من دمشق علاء الدين الفرع وتوصل إلى السلطان، وقدم له تقديمة جليلة، وسأله فى قضاء دمشق، عوضا عن تقي الدين السبكي؛ فرسم له به، فقام الأمير جنكلى ابن البابا مع السلطان فى استقرار السبكي على عادته حتى أجابه، وعرّف توقيع الفرع، وعرّف عن تقدمته الأوقاف بدمشق.

وفيه قدم الخير بأن قاصد نائب حلب توجه إلى سيس^(١) بطلب الحمل، وقد كان تكفور كتب فى الأيام الصالحية بأن بلاده خربت، فسومح بنصف الخراج. فلما وصل إليه قاصد نائب حلب جهز الحمل، وحضر كبير دولته ليحلفوه أنه ما بقى أسير من المسلمين فى مملكته، كما جرت العادة فى كل سنة بتحليفه على ذلك. وكان فى أيديهم عدة من المسلمين أسرى، فبيت مع أصحابه قتلهم فى الليلة التى تكون حلفه فى صحبتها، فقتل كل أحد أسيره فى أول الليل. فما هو إلا أن مضى ثلثا الليل خرجت

(١) سيس أعظم مدن الثغور الشامية بين أنطاكية وطرسوس. انظر ياقوت، معجم البلدان

فى الثلث الأخير من تلك الليلة ربح سواده، معها رعد وبرق أربع القلوب. وكان من جملة الأسرى عجوز من أهل حلب فى أسر المنجىقى، ذبحها عند المنجىقى، وهى تقول: «اللهم خذ الحق منهم» فقام المنجىقى يشرب الخمر مع أهله بعد ذبحها، حتى غلبهم السكر وغابوا عن حسهم. فسقطت الشمعة وأحرقت ما حولها، حتى هبت الريح تطاير شرر ما احترق من البيت حتى اشتعل بما فيه، وتعلقت النيران مما حوله حتى بلغت موضع تكفور، ففر بنفسه. واستمرت النار مدة اثنى عشر يوماً، فاحترق أكثر القلعة؛ وتلف المنجىقى كله بالنار، وكان هو حصن سيس، ولم يعمل مثله. واحترق المنجىقى وأولاده الستة وزوجته، واثنى عشر رجلاً من أقاربه. وخربت سيس، وهدم سورها ومساكنها، وهلك كثير من أهلها، وعجز تكفور عن بنائها.

وفيه نافقت العربان بالوجه القبلى والفيوم، وكثرت حروبهم وقطعهم الطرقات؛ فلم يمكن خروج العسكر إليهم، فإنه كان أوان المغل، خوفاً عليه.

وفى مستهل ذى القعدة: قدم علاء الدين الحرانى من دمشق باستدعاء، وخلع عليه بنظر الشام. وفيه قدم الخير بأنه ثارت ربح زرقاء شديدة فى بلاد برقة، وأعقبها مطر عظيم جدا يوماً كاملاً. ثم نزل برد قدر بيض الحمام مجوف وبعضه مثقوب من وسطه. وتمادى حتى وصل إلى الإسكندرية والبحيرة والغربية والمنوفية والشرقية، وأفسد من الدور والزروع شيئاً كثيراً سيما الفول، فإنه تلف عن آخره؛ ونزلت صاعقة فأحرقت نخلة فى دار.

وقدم الخير أن الأمير أرغون الكاملى لعب بالكرة فى ميدان غزة^(١) وتوجه بعد أيام إلى القدس. فقدم عليه نائب الشام بتقدمته، ثم تواردت تقادم النواب من حلب إلى غزة ثم خرج الأمير أرغون الكاملى من القدس، فكتب بسرعة قدومه، فلما وصل قطياً خرج السلطان إلى لقاته بسرياقوس، ولعب معه فى الميدان بالكرة، وقد سر بقدومه؛ ثم سار به السلطان إلى القلعة.

وفيه خلع على الأمير قبلاى، واستقر فى نيابة الكرك، عوضاً عن ملكتمر السرجوانى لشدة مرضه؛ وكتب بإحضاره.

(١) غزة: موضع بديار حذام من مشارف الشام على ساحل البحر وبها قبر هاشم بن عبد مناف وفيه يقول الشاعر يرثيه:

ميت بردمان وميت بسد مان وميت عند غزات

انظر الروض المعطار فى خير الأقطار ٤٢٨، ومعجم البلدان ٤/ ٢٠٢.

وفيه كثر لعب الناس بالحمام، وكثر جرى السعاة، وتظاهر أرباب الملعبون بفنون لعبهم. وتزايد شلاق^(١) الزعر، وسلط عبيد الخدام الطواشية وغلما نهم وعبيد الكتاب على الناس، وصاروا كل يوم يقفون للضراب، فتسفك بينهم دماء كثيرة، وتنهب الحوانيت بالصليبية خارج القاهرة وإذا ركب إليهم إلى القاهرة لا يعثون به، فإن قبض على أحد منهم أخذ من يده سريعاً؛ فاشتد قلق الناس من ذلك، ولم يجسر أحد ينكر شيئاً من هذا.

وفيه أعرض بعض الطواشية ببعض سراري السلطان بعد عقده عليها، فعمل له السلطان مهما حضره جميع جواري بيت السلطان. وجلبت العروس على الطواشي، ونثر السلطان عليها وقت الجلا الذهب بيده؛ فكان أمراً شنيعاً.

وفي مستهل ذي الحجة: قدم البريد من دمشق بوفاة الأمير ألماس الحاجب، وعلاء الدين بن سعيد فكتب باستقرار الأمير بدر الدين أمير مسعود بن خطير حاجباً عوضاً عن ألماس، وأنعم على مملوك ابن سعيد بطبلخاناه، بعد بذل نحو ستة آلاف دينار. وفيه اشتهر أخذ البراطيل للسلطان، فقصده كل أحد لطلب الإقطاعات والرزق والرواتب.

وفيه قدم ابن سالم قاضى القدس، وقد عزله السبكي وأثبت عليه محصراً أنه باع أيتاما من يتامى المسلمين الأحرار للنصارى. وما زال ابن سالم يسعى بالخدام حتى كتب له توقيع بقضاء القدس، على ألف وخمسمائة دينار حملها للسلطان، ومثلها لمن سعى له.

وفيه كثرت الإشاعة باتفاق الحاج الأمير آل ملك نائب صفد مع الأمير يلبغا نائب الشام على المخامرة؛ فجهز الأمير الحاج آل ملك محضراً ثابتاً على قاضى صفد بالبراءة مما رمى به، فأنكر السلطان عليه هذا. وجهاز منجك السلاح دار للكشف عما ذكره فاتفق قدوم بعض مماليك الأمير الحاج آل ملك فاراً منه، خوفاً أن يضربه على شربه الخمر، وذكر عنه للسلطان أنه يريد التوجه إلى بلاد العدو. فزاد هذا السلطان كراهة فيه، وأخرج منجك على البريد إليه. فلما قدم عليه حلف أنه برىء مما قيل عنه وأنعم على منجك بألفى دينار سوى الخيل والقماش.

وفيه نودى بالقاهرة ومصر ألا يعارض أحد من لعب الحمام وأرباب الملاعب والسعاة، فتزايد الفساد وشنع الحال.

(١) شلقه: شلقاً ضربه بالسوط أو نحوه وشلق الأذن أو الأنف: حرقه طولاً. انظر المعجم الوسيط. وهنا معناه الزعر الذى تسببه هذه الجماعة.

وفيه ركب الأمير طقتمر الصلاحى البريد، ليوقع الحوطة على جميع أرباب المعاملات وأصحاب الرزق والرواتب بالبلاد الشامية من الفرات إلى غزة، وألا يصرف لأحد منهم شيئاً، وأن يستخرج منهم ومن الأوقاف وأرباب الجوامك ألف ألف درهم، برسم سفره السلطان للحجاز، ويشترى بذلك الجمال ونحوها، مما يحتاج إليه السلطان فى سفره فمنعت الرواتب من الفقراء وغيرهم لم يصرف لأحد منهم الدرهم الفرد؛ فكثرت ابتهالهم وتضرعهم إلى الله تعالى فى الدعاء على من قطع أرزاقهم.

وفيه كتب بعد موت الأمير جنكلى بن البابا بقدم الأمير الحاج آل ملك إلى القاهرة من صفد، ليستقر على إقطاع جنكلى؛ وتوجه إليه منجك لإحضاره. وفى يوم السبت تاسع عشره: أمسك الأمير أينبك أخو قمارى، ثم أفرج عنه من يومه.

وفيه استقر نجم الدين إبراهيم بن العماد على بن أحمد بن عبد الواحد الطرسوسى^(١) فى قضاء الحنفية بدمشق، عوضاً عن أبيه.

وفيه كتب باستقرار الأمير سيف الدين أراق الفتاح نائب غزة فى نيابة صفد، عوضاً عن الأمير الحاج آل ملك. ومات فيها من الأعيان فخر الدين أحمد بن الحسن بن الجار بردى^(٢)، شارح البيضاوى.

ومات الأمير الماس الناصرى الحاجب، بدمشق.

ومات بهاء الدين أبو بكر بن موسى بن سكرة ناظر الدواوين بدمشق، فى عاشر شعبان بها، عن ستين سنة.

(١) إبراهيم بن على بن أحمد بن عبد الواحد بن عبد المنعم الطرسوسى نجم الدين قاضى مصنف. ولد ومات فى دمشق وولى قضاءها بعد والده سنة ٧٤٦هـ وأفتى ودرس وألف كتباً منها «الإشارات فى ضبط المشكلات». انظر الدرر الكامنة ١: ٤٣ والنجوم الزاهرة ١: ٣٢٦ وسماء صاحب الجواهر المضية ١: ٨١ والكشاف لطللس ٢٣٥ ومخطوطات الرياض عن المدينة الختم الأول ص ٣٤ والأعلام ٥١/١.

(٢) أحمد بن الحسن بن يوسف، فخر الدين الجار بردى فقيه شافعى اشتهر وتوفى فى تبريز له «شرح منهاج البيضاوى» و«أصول الفقه» و«شرح الحاوى الصغير» لم يكمل و«شرح شافية ابن الحاجب - ح» فى الأزهرية والدار وجامعة الرياض (٢٢٢) انظر البدر الطالع ١: ٤٧ والدرر الكامنة ١: ١٢٣ والخزانة التيمورية ١: ١٩٧ وطبقات الشافعية ٥: ١٦٩ وشذرات الذهب ٦: ١٤٨ وانفراد الشوكانى من البدر الطالع ١: ٤٧.

وتوفى الملك الأشرف كجك بن محمد بن قلاوون^(١).

ومات الأمير طقزدر الحموى، وأصله من ممالك المؤيد إسماعيل بن على^(٢) صاحب حماة، بعثه للناصر محمد وهو شاب، فخطبى عنه ورقاه حتى صار أمير مجلس، وزوجه بابنته. ثم ولى نيابة السلطنة فى أيام المنصور أبى بكر، وولى نيابة حلب ودمشق، ثم قدم إلى القاهرة، ومات بها مستهل جمادى الآخرة؛ وله تنسب خانكاه طقزدر بالقرافة. وتوفى بدر الدين محمد بن محبى الدين بن فضل الله العمريّ الدمشقى كاتب السر، بدمشق فى سادس عشرى رجب.

وتوفى تاج الدين أبو الحسن على بن عبد الله بن أبى بكر الأردبيلى^(٣) الشافعى، مدرس المدرسة الحسامية طرنطاي بالقرافة. وكان إماما فى الفقه والعربية والأصول، والجدول والحساب والمنطق؛ وقد اشتد صمه، وانتفع بالقراءة عليه جماعة.

وتوفى القاضى ضياء الدين محمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن^(٤) المناوى الشافعى، أحد نواب الحكم عند قاضى القضاة الشافعية، بالقاهرة فى يوم السبت سادس رمضان، وتجاوز تسعين سنة.

(١) كجك بن محمد بن قلاوون علاء الدين، الملك الأشرف ابن الملك الناصر من سلاطين الدولة القلاوونية بمصر والشام نصبه الأتابكى «قوصون» بعد أن قتل أحاه المنصور أبى بكر (سنة ٧٤٢ هـ). انظر ابن إياس ١ / ١٧٧ الدرر الكامنة ٣ : ٢٦٥ والبداية والنهاية ١٤ / ١٩٢، ١٩٤ والنجوم الزاهرة ١ / ٢١، ١٢٢، والأعلام ٥ / ٢٢٠.

(٢) إسماعيل بن على بن محمود بن محمد بن عمر بن شاهنشاه بن أيوب: الملك المؤيد، صاحب حماة - مؤرخ جغرافى قرأ التاريخ والأدب وأصول الدين واطلع على كتب كثيرة فى الفلسفة والطب وله «تقويم البلدان - ط». انظر الدرر الكامنة ١ : ٣٧١ والبداية والنهاية ٤ : ١٥٨ وفوات الوفيات ١ : ١٦ روض المناظر وآداب اللغة ٣ : ١٨٧ وطبقات السبكي ٦ : ٨٤ دائرة المعارف الإسلامية ١ : ٣٨٦ والأعلام ١ / ٣١٩.

(٣) على بن عبد الله بن الحسين بن أبى بكر الأردبيلى التبريزى، أبو الحسن تاج الدين: باحث من علماء الشافعية ولد فى أردبيل (بأذربيجان) وسكن تبريز ورحل إلى بغداد فمكة حاجًا. أنظر الدرر الكامنة ٣ : ٧٣ وعلماء بغداد ١٤٦ ومعجم الأطباء ٣٠٧ ودار الكتب ٢ : ١٥٦ والأعلام ٤ / ٣٠٦.

(٤) محمد بن إبراهيم بن أبى بكر بن إبراهيم بن عبد العزيز الجزرى الدمشقى قاضى من علماء الشافعية. مصرى، من أهل منية القائد بحيرة القاهرة ولى القضاة الغربية عدة سنين وتاب فى الحكم بالقاهرة وتوفى بها وله «الواضح النية - ح» تسعة مجلدات. انظر طبقات الإسنى ٢ : ٤٦٦ والدرر الكامنة ٣ : ٢٨٥ الترجمة ٧٥٠ وكشف ٤٩١ ودار الكتب ١ : ٥٤٦ والأعلام ٥ / ٢٩٨.

ومات الأمير بيبرس الأحمدي أحد المماليك المنصورية البرجية، في يوم الثلاثاء ثالث عشرى المحرم، وهو في عشر الثمانين. وكان جركسى الجنس، تنقل حتى صار من أمراء الألوف في وظيفة أمير جاندار، ثم ولى نيابة صفد وطرابلس؛ وكان كريما شجاعا قوى النفس دينا، لم يركب قط فرسا إلا فحلا، ولم يركب حجرة قط.

ومات الأمير بدر الدين جنكلى بن البابا العجلى، أتاك العساكر، فى يوم الإثنين سابع عشرى ذى الحجة. قدم القاهرة سنة ثلاث وسبعمائة، وتنقل حتى صار رأس الميمنة. وله حفدة كبيرة، ولم يُرَ أعف منه فى الأمراء، مع الصدق فى الديانة والحلم، والوقار وكثرة الصدقات. فكان يخرج كل سنة ثمانية آلاف أردب من القمح، ومبلغ ثمانين ألف درهم، فى وجوه البر، سيوى زكاة ماله.

وتوفى تقى الدين محمد بن همام بن راجى الشافعى، إمام جامع الصالح خارج باب زويلة؛ وهو مصنف كتاب سلاح المؤمن وغيره.

وفيه ضربت عنق ششلم وعنق رفيقه، وفى يوم الإثنين عاشر رجب.

ومات الشريف رميثة بن أبى نعى بن أبى سعد حسن بن على بن قتادة أمير مكة، يوم الجمعة ثامن ذى القعدة بمكة.

* * *

سنة سبع وأربعين وسبعماية

يوم الإثنين أول المحرم: قدم منجك مدينة صفد، بكتاب السلطان يستدعى الأمير الحاج آل ملك، فسار معه إلى غزة، فقبض عليه بها وقيد. وقيل كان القبض عليه يوم الخميس عشرى ذى الحجة، بغزة.

وفى أوله أيضاً قدم الأمير ملكتمر السرجوانى من الكرك وهو مريض، فمات عند مسجد تبر ظاهر القاهرة؛ ودخل إليها ميتاً، فدفن بترتته.

وفيه أيضاً قدم الأمير شهاب الدين أحمد بن الأمير الحاج آل ملك من صفد؛ فأمسك من ساعته، وسجن.

وفيه أيضاً خلع على الأمير أسنمدر العمرى، واستقر فى نيابة طرابلس.

وفى يوم السبت سادسه: قدم الأمير الحاج آل ملك نائب صفد، والأمير قمارة نائب طرابلس، مقيدين إلى قليوب. وركبا النيل إلى الإسكندرية، واعتقلا بها. وكان الأمير طقتمر الصلاح قد قبض على قمارى بطرابلس، وقيده وبعثه على البريد، وأوقع الخوطة على موجوده.

وفيه قبض على آينبك أخى قمارى، وعلى نصرات وغبلك وحواشيهم، وأحيط بموجودهم.

وفيه ركب مغلطاي الأستادار إلى صفد لإيقاع الخوطة على موجود الأمير الحاج آل ملك، وركب الطواشى مقبل التقوى لإحضار موجود قمارى من طرابلس وألزم مباشر وهما بحمل جميع أموالهما، فوجد لآل ملك قريب ثلاثين ألف أردب غلة وألزم ولده بمائة ألف درهم، وأخذ لزوجته خبية غُمِرَ عليها فيها أشياء جلييلة وأخذ لزوجة قمارى صندوق فيه مال جزيل.

وفيه استقر الأمير رسلان بَصَل فى نيابة حماة عوضاً عن طقتمر الصلاحى، ونقل طقتمر من نيابة حماة إلى نيابة حلب، عوضاً عن الأمير أرقطاي. وكتب بقدم أرقطاي، وتوجه فى ذلك الأمير قطلوبغا الكركى، ومعه التقليد فأنعم عليه أرقطاي بمائة ألف درهم، وأنعم عليه طقتمر بألف وخمسمائة دينار، وعشرة آلاف درهم، ومائتى قطعة قماش، وعشرة أرؤس من الخيل، وخلعة السلطان، وخمسمائة أردب غلة من مصر، قيمتها مائة ألف درهم.

وفي عشرينه: قدم الأمير أرقطاي من حلب، فخلع عليه، واستقر عوضاً عن الأمير جنكلى بن البابا رأس الميمنة.

وفيه خلع السلطان على أرغون العلامى زوج أمه، واستقر فى نظر المارستان المنصورى، عوضاً عن الأمير جنكلى بن البابا. فنزل إليه أرغون، وأعاد جماعة ممن قطعهم ابن الأطروش بعد موت الأمير جنكلى. وأنشأ أرغون بجوار باب المارستان سبيل ماء ومكتب سبيل لقراءة أيتام المسلمين القرآن الكريم، ووقف عليه وقفاً بناحية من الضواحي.

وفيه أنعم السلطان على طغريل بتقدمة ألف، وعزل تقي الدين سليمان بن مراجل من نظر الدولة، وقد كرهه الناس.

وفيه خلع على الأمير نجم الدين محمود بن شروين وزير بغداد، وأعيد إلى الوزارة، وكانت شاغرة.

وفيه خلع على علم الدين عبد الله بن زنيور، واستقر فى نظر الدولة، عوضاً عن ابن مراجل. وعزل جميع من ولاه ابن مراجل من الشاميين وغيرهم، وأهينوا، وألزموا بحمل ما أخذوا من المعاليم، ونزعت أخفافهم. وألزم ابن مراجل بحمل جميع ما استأده من العلوم، وبثمن الخلعة والبغلة والدواة، وقومت عليه بأزيد قيمة؛ وأرادوا أهانتهم بكل طريق.

وفيه استقر ابن سهل فى الاستيفاء، كما كان أولاً. واستقر النشو بن ريشة مستوفياً.

وفيه قدم الأمير مغلطاي بما وجد للأمير الحاج آل ملك، وهو مبلغ خمسة وسبعون ألف درهم، وأربعة آلاف دينار. ووجد له أيضاً ثمن غلة مبتاعة بمكة نحو مائة ألف وثلاثين ألف أردب، ونحو عشرين ألف جلد حبشى. ووجد له عشرون فرساً، سوى ما أرسده للتقدمة، وعدتها سبعون فرساً، سوى الهجن والبخاتى، ونحو عشرين بقجة قماش. ووجد له أربعة عشر قطار بخاتى، أنعم بها على أربعة عشر خادماً فشق ذلك على الأمراء.

وفيه قدم مقبل من طرابلس بجميع قماش نساء الأمير قمارى، وما وجد له، وفيه زنة سبعين مثقال من الجواهر، فرقه السلطان على اتفاق وغيرها، وفيه مبلغ أربعين ألف درهم، وثلاثة آلاف دينار، وزركش بنحو مائى ألف درهم.

وفي مستهل صفر: قدم ابن زعازع من البهنسا، وسعى ببعض الكتاب حتى سلم إليه على مائة ألف درهم، فعاقبه حتى مات. فاتهم ابن زعازع بأنه أخذ له مالا كبيراً، وخرج الأمير مغلطاي إلى البهنسا^(١) وقبض عليه، وأخذ منه ألف ومائة وستين ألف درهم، ومائتي جارية، وستين عبداً وستين فرساً، وألفاً وثمانمائة فدان على سبيل الرزق، سوى القنود والأعمال والمعاصر؛ ثم سمره مغلطاي وشهره في النواحي.

وفيه قدم طلب الأمير الحاج آل ملك؛ ففرقت مماليكه على الأمراء، ونزل بعضهم في البحرية.

وفيه أخرج ممالك قمارى من الحلقة.

وفيه انتهت عمارة قصر الأمير أرغون الكاملى وإصطبله الأعظم، وأنفق فيه مال عظيم، وأخذ فيه من بركة النيل نحو العشرين ذراعاً. فلما عزم أرغون الكاملى على النزول إليه مرض، فقلق السلطان لمرضه، فبعث له فرسا وثلاثين ألف درهم تصدق بها عنه. وأخرج الأمير أرغون العلماي أيضاً عشرة آلاف درهم تصدق بها عنه، وأفرج عن أهل السجون، وركب السلطان لعيادته بالميدان.

وفيه اهتم السلطان بالسفر إلى الحجاز، ورسم بحمل مائة ألف وخمسين ألف أردب شعير وندب لها الأمير عز الدين أزدمر الكاشف فألزم الأمير عز الدين أزدمر الفلاحين بالوجه البحرى عن آخرهم بحمل شعير على حساب كل أردب بسبعة دراهم، وكتب لآل مهنا بالشام أن يسيروا الهجن المخبورة، فقدم حيار بن مهنا ومعه قود جليل، فقبل منه، وقومت خيوله بمائتي ألف درهم. ثم قدم أحمد بن مهنا^(٢) أيضاً، بقود غير طائل.

وفي يوم الجمعة رابع عشره: ولد للسلطان ولد ذكر من ابنة الأمير بكتمر الساقى.

وفي يوم السبت خامس عشره: أفرج عن الأمير شهاب الدين أحمد بن الأمير الحاج آل ملك، وعن أخيه قمارى، وألزما بيوتهما.

(١) البهنسا: مدينة بصعيد مصر فى الجهة الغربية من الخليج الخارج من معظم النيل وهى عامرة بالناس جامعة لأمم شتى ومن هذه المدينة إلى مصر سبعة أيام وبهذه المدينة تعمل الستور البهنسية. انظر الروض المعطار فى خبر الأقطار ١١٤ والإدريسى ٥٠ وحنى الأزهار ١٠ ومعجم البلدان ٥١٧/١.

(٢) أحمد بن مهنا بن عيسى بن مهنا بن حديثه الطائى ثم التعليى أمير عرب الفضل فى بادية الشام وكانت لهم البادية من حمص إلى قلعة جعير إلى الرحبة أخذته على سقى الفرات وأطراف العراق انظر الدرر الكامنة ١ / ٣٢١ وصبح الأعشى ٤ / ٢٠٧ والعبير لابن خلدون ٥ / ٤٣٩ و الأعلام ١ /

وفى مستهل ربيع الأول: قدم البريد بانتشار الجراد بأعمل دمشق والبلقاء، ورعيه زروعهم وقد أدرك الشعير، وأنه عم البلد حتى وصل إلى الرمل وقرب من الصالحية؛ فهلك الشعير عن آخره.

وفيه تحسن سعر الغلة، حتى أبيع الأردب القمح بثلاثين درهما.

وفيه توجه السلطان إلى سرياقوس، وأحضر عنده الأوباش، فلعبوا باللبخة، وهى عصى كبار حدث اللعب فى هذه الدولة، وقتل فى اللعب بها جماعة. فلعبوا بها بين يديه، وقتل رجل رفيقه، فخلع على بعضهم، وأنعم على كبيرهم بنخب فى الحلقة واستمر السلطان بلعب الكرة فى كل يوم، وأعرض عن تدبير الأمور. فتمردت المماليك، وأخذوا حرم الناس، وقطعوا الطريق، وفسدت عدة من الجوارى. وكثرت الفتن بسبب ذلك حتى بلغ السلطان، فلم يعبأ بهذا، وقال: «خلوا كل أحد يعمل ما يريد».

فلما فحش الأمر قام الأمير أرغون العلامى فيه مع السلطان، حتى عاد إلى القلعة وقد تظاهر الناس بكل قبيح، ونصبوا أخصاصا فى جزيرة بولاق^(١) والجزيرة الوسطانية التى سموها حليمة، بلغ مصروف كل خص فيها من ألفين إلى ثلاثة آلاف درهم. وعمل كل خص بالرخام والدهان البديع، وزرع حوله المقائى والرياحين، وأقام بها معظم الناس من الباعة والتجارة وغيرهم، وكشفوا سر الحياء، وبالغوا فى التهتك بما تهوى أنفسهم فى حليمة، وفى الطمية^(٢) وتنافسوا فى أرضها حتى كانت كل قصبة قياس تؤجر بعشرين درهما، فيبلغ الفدان الواحد منها بثمانية آلاف درهم، ويعمل فيها ضامن يستأجر منها الأخصاص. فأقاموا على ذلك ستة أشهر حتى زاد الماء، وغرقت الجزيرة فاجتمع فيها من البغايا والأحدا وأنواع المسكرات ما لا يمكن حكايته، وأنفق الناس بها أموالا تخرج عن الحد فى الكثرة. وكانت الأمراء والأعيان تسير إليها ليلا، إلى أن قام الأمير أرغون العلامى فى أمرها قياما عظيما، وأحرق الأخصاص على حين غفلة، وضرب جماعة وشهرهم، فتلّف بها مال عظيم جدا.

وفى هذه الأيام: قل ماء النيل حتى صار ما بين المقياس ومصر يخاض، وصار من بولاق إلى منشأة المهرانى ومن جزيرة الفيل إلى بولاق ومنها إلى المنية طريقا واحداً. وبعُد على السقائين طريق الماء، فإنهم صاروا يأخذون الماء من قريب ناحية منبابة

(١) جزيرة بولاق وقد حدده المرحوم ابن تغرى بردى أنه تجاه بولاق. انظر النجوم الزاهرة

(٢) الطمية اسم جزيرة أخرى وهى معروف باسم جزيرة دير الطين. انظر النجوم الزاهرة

وبلغت الراوية الماء إلى درهمن، بعد نصف وربع درهم؛ فشكا الناس ذلك إلى الأمير أرغون العلامى. فبلغ السلطان غلاء الماء بالمدينة، وانكشف ما تحت بيوت البحر من الماء، فركب ومعه الأمراء وكثير من أرباب الهندسة حتى كشف ذلك، فوجد الوقت فيه قد فات بزيادة النيل واقتضى الرأى أن ينقل التراب والشقف من مطابخ السكر بمدينة مصر، ويرمى من بر الجزيرة إلى المقياس، حتى يصير جسرا يعمل عليه، ويدفع الماء إلى الجهة التى انحسر عنها. فنقلت الأتربة فى المراكب، والقيت هناك إلى أن بقى جسرا ظاهرا، وتراجع الماء قليلا إلى بر مصر؛ فلما قويت الزيادة علا الماء على هذا الجسر.

وفيه لعب السلطان مع الأمراء بالكرة فى الميدان من القلعة، فاصطدم الأمير ببيغا الصلاحى مع آخر سقطا معا عن فرسيهما إلى الأرض. ووقع فرس ببيغا على صدره، فانقطع نخاعه، ومات لوقته؛ فأنعم بإقطاعه على قطلوبغا الكركى.

وفيه قدم الشريف عجلان بن رميثة من مكة وصحبته القود؛ فمنع من الإنعام عليه بعادته عند قدومه بقوده، وهى أربعة آلاف درهم. وكتب إلى أخيه ثقبه ألا يعارض وأن يحضر إلى القاهرة.

وفيه كتب إلى نائب حماة بإيقاع الخوطة على الأملاك والأراضى التى تقدم بيعها من الملك المؤيد إسماعيل ومن ولده، فإنها أبيعت بدون القيمة، فقام أربابها بقيمة المثل وحصل منهم ثلاثمائة ألف درهم.

وفيه قدم علاء الدين بن الحرانى ناظر دمشق، وشكا من قطع طقتمر الصلاحى مرتبات الناس ببلاد الشام. فلم تسمع شكواه، ورسم له ألا يصرف لأحد مرتبا ولا حوالة يحال بها على مال الشام، بل يوفر الجميع لهمم السفر للحجاز. ثم عاد علاء الدين بن الحرانى إلى دمشق، وتوجه صحبته تقى الدين سليمان بن مراجل، بشفاعته له فى السفر.

وفيه قدمت رسل ابن دلغادر بكتاب يتضمن أنه أخذ قلعة كانت بيد الأرمن، واحتوى على ما فيها وقتل أهلها؛ فأنعم عليه بها.

وفيه أخرج الأمير أيتمش عبد الغنى أحد الطلبخاناه على البريد، منفيا إلى الشام.

وفيه ولد السلطان ولد ذكر من ابنة الأمير تنكز، فدقت البشائر. ونزل الأمير قطلوبغا الكركى إلى الأمراء بيشرهم، فلبس من أربعة وعشرين أميراً مقدما أربعة وعشرين تشريفا أطلس بجوائصها، سوى الذهب والفضة والخيل والتفاصيل. وأعفى

قطلوبغا مقدمين من الأخذ منهما، وهما علاء الدين على بن طغريل وبهادر العقيلي، من أجل أنهما أخذوا الإمرة عن قريب. وأنعم عليه السلطان مع ذلك من الأهرام بخمسة عشر ألف أردب غلة، فاشتد حد المماليك له على ما ناله من السعادة فلم يطل عمر هذا المولود، ومات.

وفيه اشتدت المطالبة على أهل النواحي بالجمال والشعير والأعدال والأخراج والعبى، بسبب سفر السلطان للحجاز. وكثرت مغارم أهل النواحي للولاة والرقاصين، وشكا أرباب الإقطاعات ضرر بلادهم للسلطان، فلم يلتفت لهم. وقام فى ذلك الأمير أرغون شاه أستاذار مع الأمير أرغون العلائى، فى التحدث مع السلطان فى إبطال حركة السفر، حتى تفاوضا بسببه وتنافرا. فحدث الأمير أرغون العلائى السلطان فى تركه السفر، فلم يصغ لقوله، وكتب باستعجال العرب بالجمال، واستحثاث طقتمر الصلاحي فيما هو بصدده من ذلك.

وفيه أوقع السلطان الحوطة على أموال الطواشى عرفات، وأخرج إلى الشام. وقصد السلطان أخذ أموال الطواشى كافور الهندى، فشفعت فيه خونى طغاي، فأخرج إلى القدس. وكان عرفات وكافور من خواص السلطان الملك الناصر محمد ونالا سعادة عظيمة؛ وبنى كافور تربة عظيمة بالقرافة.

وفيه نفى أيضاً ياقوت الكبير، وكافور المحرم، وسرور الدمامينى.

وفى ثامن عشره: نفى أيضاً من الطواشية دينار الصواف، ومختص الخطائى.

وأهل ربيع الآخر: ففيه قدم الخير بموت تاج الدين محمد بن الزين خضر بن محمد ابن عبد الرحمن كاتب السر بدمشق، فرسم أن يستقر عوضه فى كتابة السر بدمشق ناصر الدين محمد بن يعقوب عبد الكريم بن أبى المعالى، وأن يستقر جمال الدين إبراهيم ابن الشهاب محمود كاتب السر بحلب، على عادته.

وفيه اشتد فساد العربان بالصعيد والفيوم والإطفيحية، فأخرج الأمير غرلو إلى إطفيح فأمن غرلو شيخ العربان مغنى، وأخذ فى التحيل على نى حتى قبض عليه، وسلمه لمغنى، فعذبه عذاباً شديداً. فنارت أصحابه، وكبسوا الحى وتلك النواحي، وكسروا عرب المغنى، قتلوا منهم ثلاثمائة رجل وستين امرأة، وذبحوا الأطفال، ونهبوا الأجران وهدموا البيوت، ولحقوا بعربان الصعيد والفيوم^(١) فكانت عدة من قتل منهم

(١) الفيوم: من البلاد المصرية وفيها قرى كثيرة ويقال إن فيها من القرى عدد ما فى قطر مصر كلها من القرى. ويقال أيضاً أن بالفيوم ثلاثمائة قرية على عدد أيام السنة لا تقصر عن الرى أبداً=

فى هذه السنة نحو الألفى إنسان، لم يفكر أحد فى أمرهم، ولا فيما أفسدوه.

وفيه مات ولد السلطان من ابنة الأمير تنكز؛ فولد له فى يومه ولد ذكر من حظيته اتفاق سماه شاهنشاه، وسر به سرورا زائدا، وقصد أن يعمل له مهما وتصدق البشائر فمنعه الأمير أرغون العلامى من ذلك، فعمل فرحا مدة سبعة أيام. وكان السلطان قد عمل لاتفاق على ولادتها بشخاناه وداير بيت، وغشاء مهد الولد وقماطه، عمل فيهم مبلغ ستة وثمانين ألف دينار. وحصل لآرياب الملهى أيام الفرح من خلع الخوانين عليهم البغالطيق بدابير زركش، وباولى وطرازات زركش وغير ذلك، ما يعظم قدره. ومع ذلك مات الولد يوم سابعه.

وفيه مات يوسف بن السلطان الناصر محمد، واتهم السلطان بقتله.

وفيه قدم الأمير طقتمر الصلاحى من الشام، ومعه مبلغ ألف ألف درهم، لتتمة جملة ما حمل من الشام ألف ألف وستمئة ألف درهم، مما توفر من المرتبات التى اقتطعت وجىء من الأعمال بالصف، وذلك سوى الأصناف المستعملة برسم السفر.

وفيه ورد كتاب الأمير يلبغا اليحياوى نائب الشام يتضمن خراب بلاد الشام، مما اتفق بها من أجد الأموال وانقطاع الجالب إليها، وأن رأى تأخير السفر إلى الحجاز فى هذه السنة فقام الأمير أرغون العلامى والأمير ملكتمر الحجازة فى تصويب رأى نائب الشام، وذكر ما حدث ببلاد مصر من نفاق العريان، وضرر الزرع، وكثرة مغارم البلاد. وما زالا حتى رجع السلطان عن السفر، وكتب لنائب الشام بقبول رأيه فى ذلك، وكتب إلى الأعمال باسترجاع ما قبضه العرب من كرى الجمال ورمى البشماط الذى عمل على الباعة.

فلم يوافق هذا غرض نساء الساطان ووالدته؛ وأخذت والدته فى تقوية عزمه على السفر حتى قوى، وكتب لنائب الشام وحلب وغيرهما أنه لا بد من السفر للحجاز، وأمرهم بحمل ما يحتاج إليه. واشترى السلطان الجمال، وطلب الكاشف، ورسم له بطلب عريان مصر وتفرقة المال عليهم، لكرى أحمال الشعير والدقيق والبشماط.^٥

فتجدد الطلب على الناس، وحملت الغلال إلى الطحانين لعمل البشماط والدقيق، واستعيد ما رمى من ذلك. فتحسن سعر الغلة، واختلت النواحي من العنف فى الطلب،

=وقيل سميت الفيوم لأن خراجها ألف دينار كل يوم. وبينها وبين الفسطاط أربعة أيام. انظر الروض المعطار فى خبر الأقطار ٤١٥ والاستبصار ٩٠ والأدريسى ١٤٦ وخطط المقرئى ٢٤٥/١ وابن الوردى ٢٣ وصبح الأعشى ٣/٢٩٧ ومعجم البلدان ٤٠/٢٨٦.

ورفعت أجرة الجمل إلى العقبة عشرة دراهم، وإلى ينبع ثلاثين درهما، وإلى مكة خمسين درهما واشتغل الناس بهذا المهم، وتوقفت أحوال أرباب المعاش، وقل الواصل من كل شيء.

وأخذ الأمراء في أهبة السفر، وقلقوا لذلك، وسألوا الأمير أرجون العلاتي والأمير ملكتمر الحجازي في الكلام مع السلطان في إبطال سفره، وتعريفه رقة حالهم من حين تجاريدهم إلى الكرك في نوبة الناصر أحمد، ومن خراب بلادهم لطلب الكشاف والولادة فلاحيتها بالشعير وغيره فكلما السلطان بذلك، فاشتد غضبه وأطلق لسانه؛ فما زال به حتى سكن غضبه؛ فرُسم من الغد الحج لجميع الأمراء بالتأهب للسفر، ومن عجز عن السفر يقيم بالقاهرة. فاشتد الأمر على الناس بديار مصر وبلاد الشام، وكثر دعاؤهم لماهم فيه من السخر والمغارم. وتكرت قلوب الأمراء، وكثرت الإشاعة بتنكر السلطان على الأمير يلبغا اليحياوي نائب الشام، وأنه يريد مسكه حتى بلغه ذلك فاحترز على نفسه.

وبلغ الأمير يلبغا اليحياوي قتل يوسف أخى السلطان، وقوة عزم السلطان على سفر الحجاز موافق لأغراض نساءه؛ فجمع أمراء دمشق، وحلفهم على القيام معه، وبرز إلى ظاهر دمشق في نصف جمادى الأولى وأقام هناك وحضر إليه الأمير طرنطاي البشمقदार نائب حمص، والأمير أراق الفتاح نائب صند، والأمير أستدرم نائب حماة، والأمير بيدمر البدرى نائب طرابلس. فاجتمعوا جميعا ظاهر دمشق مع عسكرها، وكتبوا بخلع الملك الكامل، وظاهروا بالخروج عن طاعته. وكتب الأمير يلبغا اليحياوي نائب الشام إلى السلطان: «إني أحد الأوصياء عليك، وإن مما قاله الشهيد رحمه الله لي وللأمراء في وصيته، إذا أقمتم أحدا من أولادى ولم ترتضوا سيرته جروه برجله، وأخرجوه، وأقيموا غيره. وأنت أفسدت المملكة، وأفقرت الأمراء والأجناد، وقتلت أخاك، وقبضت على أكابر أمراء السلطان الشهيد. واشتغلت عن الملك، والتهيت بالنساء وشرب الخمر، وصرت تبيع أخبار الأجناد بالفضة» وذكر الأمير يلبغا اليحياوي له أموراً فاحشة عملها، فقدم كتابه في يوم الجمعة العشرين من جمادى الأولى. فلما قرأه السلطان الكامل^(١) تغير تغيراً زائداً، وأوقف عليه الأمير أرجون العلاتي بمفرده، فقال له: «والله

(١) الملك الكامل شعبان الكامل بن محمد الناصر بن قلاوون: من ملوك الدولة القلاوونية بمصر والشام ولى السلطنة بالقاهرة بعد وفاة أخيه الصالح إسماعيل. انظر ابن إياس ١: ١٨٣ والبداية والنهاية ١٤: ٢١٦، ٢١٩ والدرر الكامنة ٢: ١٩١ وشذرات الذهب ٦: ١٥٠ والنجوم الزاهرة ١٠: ١١٦، ١٤٠ والأعلام ٣/ ١٦٤.

لقد كنت أحسب هذا، وقلت لك فلم تسمع قولى»، وأشار عليه بكممان هذا. وكتب السلطان الكامل الجواب يتضمن التلطف فى القول، وأخرج الأمير منجك على البريد إلى الأمير يلبغا اليحياوى فى ثانى عشره، ليرجعه عما عزم عليه، ويكشف أحوال الأمراء؛ وكتب السلطان إلى أعمال مصر بإطال السفر.

فكثرت القالة بين الناس بخروج نائب الشام عن الطاعة حتى بلغ الأمراء، والمماليك، فأشار الأمير أرغون العلائى على السلطان بإعلام الأمراء الخير. فطلبوا إلى القلعة، وأخذ رأيهم، فوقع الاتفاق على خروج العسكر إلى الشام مع الأمير أرقطاي، ومعه من الأمراء منكلى بغا الفخرى أمير جاندار، وأقسنقر الناصرى، وطبيغا المجدى، وأرغون الكاملى، وأمير على بن طغريل النوغاي، وابن طقزدمر، وابن طشتمر، وأربعين أمير طبلخاناه، وعشرين أمير عشرة، وأربعين مقدم حلقة. وحملت النفقة إليهم: لكل مقدم ألف دينار، ماعدا ثلاثة مقدمين لكل مقدم ثلاثة آلاف دينار؛ وكتب بإحضار الأجناد من البلاد.

فقدم كتب منجك من الغور بموافقة النواب لنائب الشام، وأن التجريدة إليه لا تفيد، فإنه يقول إن أمراء مصر معه. وقدم كتاب نائب الشام أيضًا - وفيه خط أمير مسعود بن خطير، وأمير على بن قراسنقر، وقللاون، وحسام الدين البقشمدر - يتضمن: «إنك لا تصلح للملك، وإنك إنما أخذته بالغلبة من غير رضى الأمراء»، وعدد ما فعله. ثم قال: «ونحن ما بقينا نصلح لك، وأنت فما تصلح لنا. والمصلحة أن تعزل نفسك».

فاستدعى السلطان الكامل الأمراء، وحلفهم على طاعته، ثم أمرهم بالسفر إلى الشام، فخرجوا من الغد، وخرج طلب منكلى بغا الفخرى، وبعده أرغون الكاملى. وعندما وصل أرغون الكاملى تحت القلعة خرجت ريح شديدة ألقت شاليشه إلى الأرض، فصاحت العامة: «راحت عليكم يا كاملية»، وتطيروا بأنهم غير منصورين. وأخذ المجردون فى الخروج شيئاً بعد شىء، وتقدم حلاوة الأوجاقى يوم الخميس عشره، وأخبر بأن منجك ساعة وصوله دمشق قبض عليه يلبغا اليحياوى نائب الشام، وسجنه بالقلعة. فبعث السلطان الطواشى سرور الزينى لإحضار أخويه أمير حاجى وأمير حسين؛ فاعتذر بوعكهما، وبعث أمهاتهما إلى الأمير أرغون العلائى والأمير ملكتمر الحجازى يسألانها فى التلطف مع السلطان فى أمرهما.

فبلغت الأمير أرغون بعض جوارى زوجته، أم السلطان الكامل، أنها سمعت

السلطان وقد سكر وكشف رأسه وقال: «إلهي أعطيتني الملك، ومكنتني من آل ملك وقماري، وبقي العلامي والحجازي، فمكنتني منهما حتى أبلغ غرضي فيهما»؛ فأقلقه ذلك. ثم دخل الأمير أرغون العلامي على السلطان في خلوة، فإذا هو متغير الوجه مفكر. فبدره السلطان بأن قال له: «من جاءك من جهة إخوتى أنت والحجازي؟ فعرفه أن النساء دخلن عليهما، وطلبن أن يكون السلطان طيب خاطر على أخويه ويؤمنهما فإنهما خائفان. فرد عليه السلطان جوابا جافيا، ووضع يده في السيف ليضربه به، فقام عنه لينجو بنفسه.

وعرف الأمير أرغون العلامي والأمير ملكتمر الحجازي بما جرى له، وشكا من فساد السلطنة. فتوحش خاطر كل منهما، وانقطع العلامي عن الخدمة وتعلل. وأخذت الممالك أيضًا في التنكر على السلطان، وكاتب بعضهم الأمير يلبغا اليحياوى نائب الشام، واتفقوا بأجمعهم حتى اشتهر أمرهم وتحدثت به العامة؛ ووافقهم الأمير قراسنقر. فألح السلطان في طلب أخويه، وبعث قطلوبغا الكركي في جماعة حتى هجموا عليهما ليلا؛ فقامت النساء ومنعهما منهم. فهم السلطان أن يقوم بنفسه حتى يأخذهما، فجيء بهما إليه وقت الظهر من يوم السبت تاسع عشره، فأدخل بهما إلى موضع، ووكل بهما؛ وقام العزاء في الدور عليهما. وهمت الممالك بالثورة والركوب للحرب.

وفي يوم الإثنين مستهل جمادى الآخر: خرج الأمير أرقطاي بطلبه، حتى وصل طلبه إلى باب زويلة، ووقف مع الأمراء في الموكب تحت القلعة، وإذا بالناس قد اضطربوا. ونزل الأمير ملكتمر الحجازي سائقا يريد إصطبله، وتبعه الأمير أرغون شاه أيضًا إلى جهة إصطبله. وسبب ذلك أن السلطان جلس بالإيوان على العادة، وقد بيت مع ثقاته القبض على الأمير ملكتمر الحجازي والأمير أرغون شاه إذا دخلا، وكانا جالسين ينتظران الإذن على العادة. فخرج طغيتمر الدوادار ليأذن لهما، فأشار لهما بعينه أن يذهبا وكان قد بلغهما التنكر عليهما، فقاما من فورهما ونزلا إلى خيوتهما، فلبسا وسارا إلى قبة النصر، وبعث الأمير ملكتمر الحجازي يستدعي آقسنقر من سرياقوس، فما تضحى النهار حتى اجتمعت أطلاب الأمراء بقبة النصر.

وطلب السلطان الأمير أرغون العلامي واستشاره، فأشار عليه بأن يركب بنفسه إليهم، فركب ومعه الأمير أرغون العلامي وقطلوبغا الكركي وتمر الموساوى، وعدة من الممالك. وأمر السلطان فدقت الكوسات حريبا، ودارت النقباء على أجناد الحلقة والممالك ليركبوا، فركب بعضهم.

هذا وقد قدم آقسنقر إلى قبة النصر، وصار السلطان في جميع كبير من العامة، وهو يسألهم الدعاء، فنظروا إليه وأسمعوه ما لا يليق. وسار السلطان في ألف فارس حتى قابل الأمراء، فانسل عنه أصحابه، وبقي في أربعمائة فارس. فبذل له آقسنقر ووقف معه، وأشار عليه أن ينخلع من السلطنة، فأجابته إلى ذلك وبكى. فتركه آقسنقر وعاد إلى الأمراء، وعرفهم ذلك. فلم يرض أرغون شاه، وبدر معه قرابغا وصمغار وبزلار وغرلو في أصحابهم حتى وصلوا إلى السلطان؛ وسيروا إلى الأمير أرغون العلائى أن يأتيهم، ليأخذوه إلى عند الأمراء. فلم يوافق الأمير أرغون العلائى على ذلك، فهجموا عليه، وفرقوا من معه، وضربوه بدبوس حتى سقط إلى الأرض؛ فضربه يلغا أروس بسيف قطع خده، وأخذ أسيراً، فسُجن في خزانة شمائل وفر السلطان الكامل شعبان إلى القلعة، واختفى عند أمه زوجة الأمير أرغون العلائى.

وسار الأمراء إلى القلعة، وأخرجوا أمير حاجى وأمير حسين من سجنهما؛ وقبلوا يد أمير حاجى، وخاطبوه بالسلطنة. وطلبوا الكامل شعبان وسجنوه، حيث كان أخويه مسجونين؛ ووكل به قرابغا القاسمى وصمغار.

ومن غرائب الاتفاق أنه كان قد عمل طعام لأمير حاجى وأمير حسين حتى كان يكون غداءهما، وعمل سباط السلطان على العادة. فوقع الضجة، وقد مد السباط فركب السلطان شعبان من غير أكل. فلما انهزم شعبان وقبض عليه، وأقيم أخوه أمير حاجى بدله، مد السباط^(١) بعينه له، فأكل معه حاجى؛ وأدخل بطعامه وطعام أمير حسين إلى شعبان الكامل، فأكله في السجن.

ثم قتل شعبان في يوم الأربعاء ثالثه وقت الظهر، ودفن عند أخيه يوسف، ليلة الخميس. فكانت مدته سنة وثمانية وخمسين يوماً، وكثر التظاهر فيها بالمنكرات، لشغفه باللهو، وعكوفه على معاقرة الخمر، وسماع الأغاني واللعب، وبيعه الإقطاعات والولايات حتى إن الإقطاع كان يخرج عن صاحبه وهو حى بمال لآخر، فإذا وقف من أخرج إقطاعه قيل له: «نعوض عليك».

وأخذ الأمراء على شعبان تمكينه الخدام والنساء من التصرف فى المملكة، والتهتك فى النزه والصيد، واللعب بالكرة بالهيمات الجميلة، وركوب الخيل المسومة، وعدم الاحتشام من فعل المنكرات، حتى إن حريمه إذا نزلن إلى نزهة تبلغ عندهن الجرة الخمر

(١) السباط ما يمد ليوضع عليه الطعام فى المأدب. انظر المعجم الوسيط ٤٦٦/١، الوجيز

إلى ثلاثين درهما وشره حريم شعبان فيما فى أيدي الناس من الدواليب والأحجار، والبساتين والدور، ونحوها. فأخذت أمه معصرة وزير بغداد، وأخذت إتفاق أربعة أحجار وأخذت أمه أيضا من وزير بغداد منظرة على بركة الفيل.

وحدث فى أيامه أخذ خراج الرزق، وزيادة القانون، ونقص الأجاير؛ وأعيد ضمان أرباب الملاعب. ولم يوجد له من المال سوى مبلغ ثمانين ألف دينار، وخمسمائة ألف درهم. وكان مع ذلك مهابا سيوسا، متفقدًا لأحوال المملكة، لا يشغله لهوه عن الجلوس للخدمة؛ وكان حازما ذا رأى واحتياط ومحبة لجمع المال، وفيه قيل:

بيت قلاوون سعاداته فى عاجل كانت بلا أجل
حل على أملاكه للردى دين قد استوفاه بالكامل
* * *

السلطان الملك المظفر زين الدين حاجى بن الناصر محمد بن قلاوون الصالحى الألفى (١)

سجنه أخوه شعبان الكامل كما تقدم، ومع أخوه حسين. فلما انهزم شعبان من الأمراء مرّ وهو سائق فى أربعة ممالك إلى باب السر، فوجده مغلقًا والماليك بأعلاه، فتلطف بهم حتى فتح له أحدهم؛ ودخل ليقتل أخويه، فلم يفتح الخدام له الباب، فمضى إلى أمه.

وصعد الأمراء إلى القلعة، وقد قبضوا على الأمير أرغون العلامى، وعلى الطواشى جوهر السحرتى اللالا، وأسندمير الكاملى، وقطلوبغا الكركى، وجماعة ودخل بزلار وصمغار راكبين إلى باب الستارة، وطلبوا أمير حاجى، فأدخلهما الخدام إلى الدهيشة حتى أخرجوه وأخاه من سجنهما. وبشرا حاجى بالظفر. ثم دخل الأمير أرغون شاه إلى حاجى، وقبل له الأرض، وقال له: «باسم الله، اخرج أنت سلطاننا»، وسار به وبحسين إلى الرحبة، وأجلسه على باب الستارة.

ثم طلب الأمير أرغون شاه شعبان الكامل حتى وحده قائما بين الأزيار، وقد اتسخت ثيابه؛ فأخرجه إلى الرحبة، وأدخله إلى الدهيشة حتى سجنه بها، حيث كان حاجى.

(١) حاجى بن الناصر محمد بن قلاوون الصالحى سيف الدين الملقب بالملك المظفر من ملوك الدولة القلاوونية بمصر والشام. ولى بالقاهرة بعد مقتل أخيه الكامل شعبان سنة ٧٤٧هـ وشغل باللهو، واللعب بالحمام، لصغر سنه وساءت سيرته فقتله بعض القواد. انظر الدرر الكامنة ٢: ٣ البداية والنهاية ١٤: ٢١٩ والنجوم الزاهرة ١٠: ١٤٨ - ١٧٤ والأعلام ٢/ ١٥٣.

وطلب الأمير أرغون شاه الخليفة والقضاة، وأركب حاجى من باب الستارة إلى الإيوان. وحمل المماليك أمير حسين على أكتافهم حتى جلس حاجى على سرير الملك، فى يوم الإثنين مستهل جمادى الآخرة. ولقب حاجى بالملك المظفر، له من العمر خمس عشرة سنة. وقبل الأمراء الأرض بين يديه، وحلف لهم أولاً أنه لا يؤذى أحداً منهم، ولا يخرب بيت أحد؛ وحلفوا له على طاعته. وركب الأمير بيغرا البريد ليشير الأمير يلبغا اليحياوى نائب الشام، ويحلفه وأمراء الشام.

وفيه كتب إلى ولاة الأعمال بإعفاء النواحي من المغارم، ورماية الشعير والبرسيم.

وفيه حمل الأمير أرغون العلامى إلى الإسكندرية.

وفى يوم الأربعاء ثالثه: قبض على الشيخ على الدوادار، وعلى عشرة من الخدام الكاملة، وسلموا إلى شاد الدواوين. وسلم له أيضاً الطواشى جوهر السحرتى وقطلوبغا الكركى ومقبل الرومى، وألزموا بحمل الأموال التى أخذوها من الناس على قضاء الأشغال؛ فعذبوا بأنواع العذاب، ووقعت الحوطة على موجودهم.

وفيه قبض على الأمير تمر الموساوى، وأخرج إلى الشام.

وفيه أمر بأمر الكامل وزوجاته، فأنزلن من القلعة إلى القاهرة. وعرضت جوارى دار السلطان، فبلغت عدتهن خمسمائة جارية، فرقن على الأمراء.

وفيه أحيط بموجود إتفاق، وأنزلت من القلعة. وكانت سواداء حالكة السواد اشترتها ضامنة المغانى بدون الأربعمائة درهم من ضامنة المغانى بمدينة بلييس، وعلمتها الضرب بالعود على عبد على العواد، فمهرت فيه. وكانت إتفاق حسنة الصوت جيدة الغناء، قدمتها ضامنة المغانى لبيت السلطان، فاشتهرت فيه، حتى شغف بها الصالح إسماعيل وتزوج بها. ثم لما تسلطن شعبان الكامل باتت عنده من ليلته، لما كان فى نفسه منها أيام أخيه، ونالت من الحظوة والسعادة ما لا عرف فى زمانها لامرأة غيرها، حتى إنه عمل لها دايير بيت طوله اثنان وأربعون ذراعاً، وعرضه ستة أذرع، فيه خمسة وتسعون ألف دينار مصرية سوى البشخاناه والمخاد والمساند. وكان لها أربعون بذلة ثياب مرصعة بالجواهر، وست عشرة بذلة بدايير زركش، وثمانون مقنعة فيها ما قيمته عشرون ألف درهم، وأقلها بخمسة آلاف درهم، إلى غير ذلك مما يجمل وصفه.

وفيه وُفر من مصروف الحوائج خاناه فى كل يوم أربعة آلاف درهم.

وفيه رسم بإعادة الأملاك التى أخذها حريم الكامل لأربابها؛ فاستعاد الوزير نجم الدين معصرتة، وأخذ من اتفاق وغيرها ما أخذته من الناس.

وفيه نودى فى القاهرة ومصر برفع الظلامات، ومنع أرباب الملاعب جميعهم.

وفى عاشره: وجد صندوق مفتاحه تحت يد الشيخ على الدوادار، فيه برآنى^(١) فضة مختومة، وأحقاق فتحت بحضرة الأطباء، فإذا هى سموم قاتله. فعرض العذاب على الشيخ على حتى اعترف أن المزين المغربى الذى أقامه الكامل رئيس الجرائحية ركب ذلك. فاحترق بالنار قدام الإيوان وكان هذا المغربى تعرّف بأولاد السلطان وهم بقوص، وقدم معهم؛ فلما تسلطن شعبان الكامل تقرب إليه بعمل السموم وصناعة الكيمياء.

وكان قد قدم فى الأيام الناصرية محمد بن قلاوون تاجر فرنجى بهدية إلى ملكمصر، الحجازى فأعجبه مصر وأسلم، وعرف بأقسنقر الرومى. وأنعم عليه السلطان الناصر محمد بن قلاوون بإمرة عشرة، وما زال بمصر إلى أيام شعبان الكامل فتقرب إليه أقسنقر الرومى بعمل الفلك والشعبذة، واختص به، وقام مع المغربى فى عمل السموم؛ وخرج على البريد مراراً لإحضار الحشائش القاتلة من بلاد الشام، حتى ركبت بين يدى الكامل.

وفيه نقل علم الدين عبد الله بن زنبور من نظر الدولة إلى نظر الخاص، عوضاً عن فخر الدين بن السعيد.

وفيه قبض على ابن السعيد، وألزم بحمل مال.

وفيه خلع على موفق الدين عبد الله بن إبراهيم، واستقر فى نظر الدولة وخلع على سعد الدين بن جرياش، واستقر فى الاستيفاء، عوضاً عن ابن ريشة.

وفيه قبض على أقطوان متولى الأهراء، والصناعة، وشد الأوقاف الصلاحية، ونظر الحرمين، وسلم لشاد الدواوين، فإنه كان تجاه أستاذه الطواشى شجاع الدين اللالا، واجتمع له خمس عشرة وظيفة، وبعد صيته واشتدت حرمة.

وفيه قدم بيغرا من الشام، وقد لقى الأمير يلبغا اليحياوى نائب الشام، وقد برز خارج دمشق يريد المسير إلى مصر بالعساكر فسر الأمير يلبغا اليحياوى سروراً زائداً بإزالة الكامل وإقامة أخيه المظفر حاجى، وعاد إلى دمشق، وحلف الأمراء على العادة.

(١) برانى مفرد هذا اللفظ برنية: شبه فخارة ضخمة حضراء، وربما كانت من القوارير النخان الواسعة الأفواه، غيره: والبرنية إناء من خزف كالجرة أو القارورة انظر لسان العرب ٢٧٠، والمعجم الوسيط ٥٤/١، محيط المحيط (مادة برن).

وأقام يلبغا اليحياوى الخطبة، وضرب السكة باسم السلطان حاجى وسير دنانير ودراهم منها، وكتب يهنئ السلطان حاجى بجلوسه على تخت الملك.

وشكا الأمير يلبغا اليحياوى من نائب حلب، ونائب غزة ونائب قلعة دمشق مغلطى المرتينى، ومن نائب قلعة صفد قرمچى، من أجل أنهم لم يوافقوه على خروجه عن طاعة شعبان الكامل. فرُسم بعزل طقتمر الأحمدي نائب حلب، وقدمه إلى مصر، واستقرار الأمير بيدمر البدرى نائب طرابلس عوضه فى نيابة حلب، واستقرار الأمير أسندمر العمري نائب حماة فى نيابة طرابلس، والقبض على مغلطى المرتينى نائب قلعة دمشق، وعلى قرمچى نائب قلعة صفد، وعزل نائب غزة، وأن يحضر الأمير أيتمش عبد الغنى وقطليجا الحموى إلى مصر، واستقرار أمير مسعود بن خطير فى نيابة غزة، واستقرار طقتمر الصلاحى فى نيابة حمص.

وكان الأمير يلبغا اليحياوى نائب الشام لما عاد إلى دمشق، عمر قبة عند مسجد القدم حيث كان قد برز، وسماها قبة النصر؛ وهى التى تعرف بقبة يلبغا.

وفى رابع عشره: خلع على عنبر السحرتى؛ واستقر مقدم المماليك، عوضاً عن محسن الشهابى.

وفيه خلع على مختص الرسولى، واستقر زمام الدور، فأنعم عليه بإمرة طبلخاناه.

وفيه قبض على ممدود بن الكورانى أمير طبر، وعلى أخيه علاء الدين على بن الكورانى. واستقر جمال الدين يوسف والى الجيزة عوضه أمير طبر، وعزل علاء الدين على بن الكورانى من كشف الوجه القبلى.

وفيه أنعم بإقطاع الأمير أرغون العلامى على الأمير أرغون شاه.

وفيه أنعم على كل من الأمير أصلم والأمير أرقطاي بزيادة إقطاعه.

وفيه استقر علاء الدين بن الأطروش فى حسبة دمشق، وتدريس الخاتونية.

وفيه أنعم على ابن الأمير تنكز بإمرة طبلخاناه، وعلى أخيه بإمرة عشرة.

وفيه أنعم على ابن الأمير أطنبغا نائب حلب، بإمرة عشرة فى دمشق.

وفى يوم الإثنين خامس عشره: أمر السلطان ثمانية عشر أميراً، فكان يوماً مشهوداً كثر فيه جميع الناس عند نزولهم إلى القبة المنصورية على العادة.

وفى سابع عشره: أخرج آقجباى إلى حماة.

وفي يوم الخميس ثالث شهر رجب: خلع على الأمير أرقطاي، واستقر نائب السلطان باتفاق الأمراء عليه، بعدما تمتنع من ذلك تمنعاً كثيراً، حتى قام الحجازي بنفسه وأخذ السيف، وأخذ أرغون شاه الخلعة، ودارت الأمراء حوله وألبسوه على كره منه. فخرج الأمير أرقطاي في موكب عظيم حتى جلس في شباك دار النيابة، وحكم بين الناس؛ فرسم له بزيادة ناحيتي المطرية والخصوص لأجل سماط النيابة.

وفيه توجه السلطان إلى سرحة سرياقوس على العادة.

وفيه خرج الأمير بيدمر البدرى إلى نيابة حلب.

وفي يوم الإثنين ثامن عشره: خلع على الأمير قطليجا، واستقر في ولاية القاهرة.

وفيه نقل من تسليم شاد الدواوين إلى تسليم والى القاهرة ستة خدام، وهم نصر الهندى، وأنس، وفاتن الصالحى، وسرور الزينى، وعنبر سيغا، وجوهر السحرتى اللالا، ومعهم المزين المغربى، ونصرانى راهب. ورسم بتسميرهم جميعاً، فأخرجوا من الغد ليسمروا بسوق الخيل تحت القلعة، وأعدوا على الجمل وربطوا. فشجع فيهم الأمراء، فأنزّلوا ومضوا بهم ماشين إلى خزانة شمائل؛ ثم أفرج عنهم فى بقية يومهم، ونفوا من مصر.

وكان القمح قد تحسن فى الدولة الكاملة من أول السنة، هو وجميع الغلال، وبلغ خمسة وخمسين درهما الأردب، وبلغ الشعير اثنين وعشرين درهما الأردب، والبقول عشرين درهما. فانحطّ سعر القمح فى الأيام المظفرية إلى خمسة وثلاثين درهما، ونقص من بقية الغلال ثلث سعرها، فتيامن الناس به.

وفيه أخذت الباعة تتعنت فى الفلوس، وترد الصالحية والكاملية حتى توقفت الأحوال؛ وعاد سعر الغلال إلى ما كان عليه، فنودى برد القصوص من الفلوس، ورد الرصاص والنحاس الأصفر منها، وألا يؤخذ إلا ما عليه سكة. وترافقوا بالناس، ولم يضرب أحد منهم بسبب ذلك، فمشت الأحوال.

وفيه قدم الأمير أيتمش عبد الغنى، والأمير قطليجا الحموى. فرسم لأرغون الكاملى بلزوم بيته، وأخرجت تقدمته، وعوّض عنها بطلبخاناه يأكلها وهو فى بيته.

وفى مستهل شعبان: ابتداء مرض الأمير بهاء الدين أصلم، فأقام أياما ومات؛ فانعم بإمرته على طفغيمر النجمى الدوادر. وأخذ إقطاعه - وهو عبّرة مائة ألف وأربعين ألف دينار - فسلخ منه مبلغ أربعين ألف دينار، وأضيفت لديوان الخاص.

وفيه قدم الأمير سيف بن فضل، فخلع عليه، ووعد بإمرة العرب، وقبلت خيوله التي قدمها وصار للسلطان به أنس.

وفيه خلع على الأمير تمرغا العقيلي، واستقر في نيابة الكرك عوضا عن الأمير قبلاى باستغفائه.

وفيه قدم نغيه مملوك المحسنى، من برقة فأرأ. وكان قد ورد في الأيام الكاملية أن قائد شيخ برقة مات، بعدما خالف عليه أقرابه. فسمى نغيه في إقطاعه وأن يكون أمير برقة، ويأخذ العداد على العادة، ويقوم بخمسين فرسا. فأنعم عليه بذلك، وتوجه إلى برقة، وأخذ عداد الأغنام بالعسف، حتى جمع منها شيئا كثيرا، واقتنى الجمال والخيول. فلما بلغ أهل برقة قتل الملك الكامل شعبان ناروا به، وقتلوا من أجناده ثلاثين رجلا، وفر بنفسه إلى القاهرة.

وفيه رسم بإزالة ما أحدثه غرلو والى القاهرة على باب زويلة. وذلك أنه نصب خشبتين، وعمل فيهما بكرتين، وأرخی فيهما سلبا، ليرتفع فيهما المجرمين حتى يهلكا؛ فأزيلتا. ورُسم أن يكون توسيط من يوسط أو شنقه على كيماان البرقة، خارج سور القاهرة.

وفيه أخرج الأمير بيغرا لكشف الجسور بالوجه القبلى، والأمير أرلان لكشف الجسور بالوجه البحرى.

وفى يوم الإثنين خامس عشرية: خرج الأمير أرغون شاه أستاذار على البريد، لنيابة صغد. وسبب ذلك تكبره وتعاضمه فى نفسه، وتحكمه على السلطان فيما يرسم به، ومعارضته لأغراضه، وفحشه فى مخاطبة السلطان والأمراء، حتى كرهته النفوس. وعزم السلطان على مسكة، فتلطف به النائب الأمير أرقطاي حتى تركه، وخلع عليه بنيابة صغد، وأخرجه من وقته خشية من فتنة يثيرها، فإنه كان قد اتفق مع عدة من المماليك على المخامرة. وأنعم بإقطاعه على الأمير ملكتمر الحجازى، وأعطى ناحية بوتيح زيادة عليه.

وفيه استقر الصاحب تقى الدين أحمد بن الجمال سليمان بن محمد بن هلال فى الشام، عوضا عن ابن الحرانى؛ وكان بمصر من الأيام الكاملية شعبان.

وفيه قدم أحمد بن مهنا فى طلب إمرة العرب، فلم يقبل السلطان عليه.

وفى يوم الأحد أول شوال: تزوج السلطان بابنة الأمير تنكز زوجة أخيه.

وفى آخره طُلبت إتفاق إلى القلعة، فطلعت بجواربها مع الخدام، وتزوج بها السلطان خفية، وعقد له عليها شهاب الدين أحمد بن يحيى الجوجرى^(١) شاهد الخزانة. وبنى السلطان عليها من ليلته، بعدما جليت عليه، وفرش تحت رجليها ستون شقة أطلس، ونثر عليها الذهب. ثم ضربت بعودها وغنت، فأنعم عليها السلطان بأربعة فصوص وست لؤلؤات، ثمها أربعمئة ألف درهم.

وفى ثامننه: أنعم السلطان على طنيرق أحد مماليك أخيه يوسف بتقدمة ألف، ونقله من الجنديّة إلى التقدمة لجماله وحسنه؛ فكثر كلام المماليك بسبب ذلك.

وفيه رسم بإعادة ما خرج عن إتفاق وخدامها وجواربها من الرواتب، وطلب عبد على العواد معلم إتفاق إلى القلعة، فغنى للسلطان، فأنعم عليه بإقطاع فى الحلقة زيادة على ما بيده، وأعطاه مائتى دينار وكاملية حرير بفرور سمور.

وانهمك السلطان فى اللهور، وشغف باتفاق حتى أشغلة عن غيرها، وملكت قلبه بفرط جبه لها. فشق ذلك على الأمراء والمماليك، وأكثروا من الكلام حتى بلغ السلطان، وعزم على مسك جماعة منهم، فمزال به الأمير أرقطاي النائب حتى رجع عن ذلك.

ورسم السلطان فى يوم الجمعة سادسه بعد الصلاة أن يخلع على قطليجا الحموى، واستقراره فى نيابة حماة، عوضا عن طبيغا المجدى؛ وخلع أيضا على أيتمش عبد الغنى، فاستقر فى نيابة غزة؛ وخرجا من وقتها على البريد.

وفيهما جلس السلطان والأمير أرقطاي النائب لعرض المماليك، وانتقى من كل عشرة اثنين وزاد إقطاعاتهم وأكرمهم، وقدم منهم جماعة. وقصد السلطان عرض أجناد الحلقة، فتلطف به الأمير أرقطاي النائب حتى كف عن عرضهم.

وفيه قدم الخير بغلاء الأسعار بدمشق، حتى أبيع الخبز كل رطلين بدرهم، والقمح كل غرارة بمائة وسبعين، وفيه تأخر المطر بعامة بلاد الشام.

وتوقفت أحوال الدولة، من كثرة رواتب الخدام والقهرمانات والعييد والغلمان، وزياتتها عما كانت عليه فى الأيام الكاملية. فأشار غرلو بأن توزع على المباشرين

(١) أحمد بن يحيى بن فضل الله الفرشى شهاب الدين المؤرخ حجة فى معرفة الممالك والمسالك وخطوط الأقاليم وله النبذة الكافية فى معرفة الكتابة والقافية خ. انظر فوات الوفيات ١: ٧ والسحب الوالة وابن الوردى ٢/ ٣٥٤ والدرر الكامنة ١/ ٣٣١ والنجوم الزاهرة ١٠/ ٢٣٤ وادب اللغة ٣/ ٢٢٦ والأعلام ١/ ٢٦٨.

جامكية شهرين يقبضها العاملون، فوزعت عليهم، واحتال بها العاملون؛ فمشت الأحوال قليلا. وكان غرلو قد تمكن من السلطان، وصار يدخل مع الخاصكية، فإذا أشار بشيء قبل قوله.

وفيه قدم رسول ابن دلغادر بهديته، فخلع عليه؛ وجهزت له خلعة مع بريدي، فأخذها نائب الشام، ومنع من حملها إليه، فإنه كان يكرهه، ويريد إقامة غيره والقبض عليه.

وفي ذى القعدة: توجه أحمد بن مهنا عائداً إلى بلاده، من غير طائل.

وفيه دخل السلطان على زوجته بنت تنكز، وعمل المهم سبعة أيام جمعت سائر أرباب المهلى؛ فخص كل جوقة خمسة آلاف درهم. ونثر السلطان على العروس عند جلائها الذهب، وصبحها من الغد بألفى دينار، بعدما زاد لها فى جهازها بمبلغ ستين ألف دينار.

وفيه خلع على سيف بن فضل بإمرة العرب، وأنعم عليه بزيادة ثلاثمائة ألف درهم فى السنة من إقطاع أحمد بن مهنا؛ وأعيد إلى بلاده، فصار إليها.

وفي مستهل ذى الحجة: توجه الأمير ملكتمر الحجازى للصيد، وصحبته خمسة عشر أميرا.

وفيه قدم الأمير طقتمر الصلاحى من حلب، فلم تطل إقامته حتى مات.

وفيه قتل قرجى بن أقطوان نائب قلعة صفد، بدمشق فى شعبان؛ وأخذ ماله.

وفيه قدم حمل سيس، بحق النصف.

وخرجت هذه السنة وقد مر بالناس فيها شدائد من غلاء الأسعار لغلل مصر والشام، ونفاق العربان، وتوقف النيل، واختلاف الدولة.

* * *

ومات فيها من الأعيان

الأمير بهاء الدين بن أصلم، أحد المماليك المنصورية قلاوون، فى يوم السبت عاشر شعبان؛ وإليه ينسب جامع أصلم خارج القاهرة.

ومات الأمير بيدمر الأشرفى، أحد أمراء دمشق.

ومات الأمير الحاج آل ملك الجوكندار، مقتولا بالإسكندرية فى الأيام الكاملية؛ وأحضر ميتا إلى القاهرة، فى يوم الجمعة تاسع عشرى جمادى الآخر. وأصله من كسب الأبلستين فى الأيام الظاهرية ببيرس، سنة ست وسبعين وستمائة، فاشتره قلاوون وهو أمير، ومعه سلار. وأهدى قلاوون سلاراً لولده على، وآل ملك للسعيد بركة بن الظاهر زوج ابنته. فأعطاه الملك السعيد لكوندك، ثم صار بعده لعلى بن قلاوون، وترقى حتى صار نائب السلطنة زمن السلطان عماد الدين إسماعيل بن الناصر محمد. وله تنسب مدرسة آل ملك بالقاهرة، وجامع آل ملك بالحسينية؛ وكان خيرا ديناً.

وتوفى تاج الدين محمد بن الخضر بن عبد الرحمن بن سليمان بن أحمد بن على المصرى كاتب السر بدمشق، فى ليلة الجمعة تاسع ربيع الآخر، وقد أناف على الستين. ومات الأمير قمارى أخو بكتمر الساقى مقتولا، وقد ولى أستاذارا، وعمل نائب طرابلس؛ وذكر أنه كان فى بلاده راعى غنم.

ومات الأمير ملكتمر السرجوانى نائب الكرك، فى يوم الإثنين مستهل المحرم خارج القاهرة، وقد قدم مريضاً.

وتوفى الشيخ شمس الدين محمد بن محمد بن نمير بن السراج المقرئ الكاتب، فى يوم الخميس نصف شعبان.

ومات الشيخ ركن الدين عمر بن الشيخ إبراهيم الجعبرى، يوم الخميس سلخ ذى الحجة.

ومات الشيخ عبد الله بن على بن سليمان بن فلاح عفيف الدين بن عبد الرحمن اليافعى اليمنى الشافعى، فى ليلة الأحد العشرين من جمادى الآخرة بمكة.

ومات ملك تونس أبو بكر بن محمد بن عبد الواحد بن أبى حفص، فى ليلة الأربعاء ثانى رجب، بعد ما ملك ثلاثين سنة تنقص شهرا وسبعة أيام؛ وأقيم بعده ابنه أبو حفص عمر.

ومات الأمير طقتمر الصلاحى أحد خواص شعبان الكاملى؛ وكان من أعيان أمراء مصر، ثم أخرج لنيابة حمص، فمات بها.

سنة ثمان وأربعين وسبعمائة

يوم الثلاثاء أول المحرم: ركب السلطان فى أمرائه الخاصكية، ولعب بالكرة فى الميدان تحت القلعة، فغلب الأمير ملكتمر الحجازى، فلزم بعمل وليمة فى سرياقوس للسلطان، ذبح فيها خمسماية رأس غنم، وعشرة أفراس، وعمل أحواضا مملوءة بالسكر المذاب، وجمع سائر أرباب الملهى؛ وحضر إليه السلطان والأمراء.

وفيه قدم كتاب أسندمر العمري نائب طرابلس يسأل الإغفاء، فأجيب إلى ذلك. وخلع على الأمير منكلى بغا الفخرى أمير جاندار، واستقر فى نيابة طرابلس، وسار فى يوم الإثنين حادى عشره.

وفى هذا الشهر: وقف جماعة للسلطان، وشكوا من بعد الماء وانحساره عن بر مصر والقاهرة حتى غلت رَوَايا الماء فرسم بنزول المهندسين لكشف ذلك، فكتب تقدير ما يصرف على الجسر مبلغ مائة ألف وعشرين ألف درهم، جبيت من أرباب الأملاك المطللة على النيل، حسابا عن كل ذراع خمسة عشر درهما، فبلغ قياسها سبعة آلاف ذراع وستماية ذراع. وقام باستخراج ذلك وقياسه محتسب القاهرة ضياء الدين يوسف ابن خطيب بيت الآبار.

وفيه توقفت أحوال الدولة من كثرة رواتب الخدام والعجائز والجوارى، وأخذهم الرزق بأرض بهيتت من الضواحي، وبأرض الجيزة وغيرها، بحيث أخذ مقبل الرومى عشرة آلاف فدان من شاسع البحيرة، قام السلطان والأجناد بكلفة جسورها.

وفيه فرق السلطان نصف إقطاع منكلى بغا الفخرى، وتأخر نصفه.

وفيه قدم الأمير بيغرا من كشف الجسور؛ فخلع عليه، واستقر أمير جاندار عوضا عن منكلى بغا الفخرى.

وفيه قدم الأمير أسندمر العمري من طرابلس، فأنعم عليه ببقية إقطاع منكلى بغا الفخرى.

وفى خامس عشره: قدم الحاج، وأخبروا برخاء أسعار مكة، وحسن سيرة الشريف عجلان.

وفيه قدم تجار اليمن والهند، وكان الفلفل قد عز وجوده بالقاهرة حتى بلغ الرطل

سنة وأربعين درهما؛ ولم يعهد مثل ذلك فيما سلف، فأبيع عند قدوم الحاج بخمسة دراهم الرطل.

ووقع اختلاف فى أمر الوقوف بعرفة، فإن الوقفة كانت عند أهل مكة يوم الجمعة، على ما ثبت بمكة على قاضيها، بحضور قاضى القضاة عز الدين عبد العزيز بن جماعة، وغيره من حجاج مصر والشام والعراق. وكان يوم عرفة بمصر والإسكندرية يوم الخميس، فقام الشيخ علاء الدين على بن عثمان^(١) التركمانى الحنفى فى الإنكار على ابن جماعة، وأفتى أن حج الناس فاسد، ويلزم من وقف بالناس يوم الجمعة بعرفة جميع ما أنفقته الحجاج من الأموال، وأنه يجب على الحجاج كلهم أن يقيموا محرمين لا يَطْنُوا نساءهم ولا يمسوا طيبا حتى يقفوا بعرفة مرة أخرى. وشنع بذلك عند الأمراء، وأظهر الحزن على الناس، والأسف على ما أنفقوه من أموالهم. فشق ذلك على الأمير طغتمر الدوادار، من أجل أن زوجته حجت فيمن حج، وأخذ خط ابن التركمان بما تقدم ذكره. فغضب الشافعية، وأنكروا مقالته وردوها. وقصد ابن جماعة أن يعقد مجلسا فى ذلك، ويطلب ابن التركمانى ويدعى عليه بما أفتى به، مما لا يوجد فى كتب الحنفية؛ فراجعته الناس عن ذلك مخافة الشناعة.

وفيه رسم لمقبل الرومى أن يخرج إتفاقا وسلمى والكركية حظايا السلطان من القلعة، بما عليهن من الثياب، من غير أن يحملن شيئا من الجواهر والزرکش، وأن يقلع عصابة إتفاق عن رأسها ويدعها عنده. وكانت هذه العصابة قد اشتهرت عند الأمراء وشنت قائلتها، فإنه قام بعملها ثلاثة ملوك: الصالح إسماعيل، والكامل شعبان والمظفر حاجى؛ وتنافسوا فيها، واعتنوا بجواهرها، حتى بلغت قيمتها زيادة على مائة ألف دينار مصرية.

وسبب ذلك أن الأمراء الخاصكية قرابغا وصمغار وغيرهما بلغهم إنكار الأمراء الكبار والممالك على السلطان شدة شغفه بالنسوة الثلاث المذكورات، وانهماكه على اللهو بهن، وانقطاعه إليهن بالدهيشة عن الأمراء، وإتلافه الأموال العظيمة فى العطاء لهن ولأمثالهن؛ فعرفا السلطان إنكار الأمراء عليه إعراضه عن تدبير الملك، وخوفوه عاقبة ذلك؛ فتلطف به، وصب ما أشاروا به عليه من الإقلاع عن اللهو بالنساء وأخرجهن وفى نفسه حزازات لفراقهن، تمنعه من الهدوء والصبر عنهم؛ فأحب أن

(١) على بن عثمان بن إبراهيم بن مصطفى الماردىنى أبو الحسن بن التركمان قاضى حنفى من علماء الحديث واللغة من أهل مصر له كتب منها (المنتخب) فى علم الحديث. انظر لحظ الألفاظ والفوائد البهية ١٢٣ والنجوم الزاهرة ١٠ / ٢٤٦ والأعلام ٤ / ٣١١.

يتعوض عنهن بما يلهيه ويسليه، واختار صنف الحمام، وأنشأ حضيرا^(١) بأعلى الدهيشة، ركبه على صوار وأخشاب عالية، وملاه بأنواع الحمام؛ فبلغ مصروف الحضير خاصة سبعين ألف درهم.

وقدم البريد من حلب بأن صاحب سيس جهز مائتي أرمني إلى ناحية آياس، فلما قربوا من كوار ليهجموا على قلعتها قاتلهم أربعون من المسلمين؛ فنصرهم الله على الأرمن، وقتلوا منهم خمسين، وأسروا ثلاثين، وهزموا باقيهم. فقتل بكوار عدة ممن أسر، وحمل بقيتهم إلى حلب؛ فكتب بالإحسان إلى أهل كوار والإنعام عليهم.

واتفق بمدينة حلب أن الأمير بيدمر البدرى لما قدمها ترفع على الأمراء، وعزل الولاية والمباشرين، بعدما أخذ تقادهمهم، واستبدل بهم غيرهم بمال قاموا له به؛ واشتدت وطأة حاشيته على الناس بظلمهم وسوء معاملتهم. ثم بلغه أن رجلا من الأعيان مات عن ابنة وترك مالا جزيلا، وأوصى أن تتزوج ابنته بابن عمها. فرغب بعض الناس في زواجها، وبذل لأولياؤها مالا كثيرا حتى زوجها منه بغير رضاها فلم ترض به، وكرهته كراهة زائدة، حتى قالت لأهلها: «إن لم تطلقوني منه وإلا كفرت»؛ فأحضرها إلى بعض القضاة، وجددوا إسلامها. فطلب الأمير بيدمر ابن عمها، وضربه بالمقارع ضربا مبرحا، وضرب المرأة أيضا ضربا شنيعا، وقطع أنفها وأذنيها، وشهرها بحلب؛ فتألم الناس لها ألما كبيرا، ووصل خبرها إلى أمراء مصر، فقام صمغار وقرابغا وأصحابهما قياما كبيرا في الإنكار على بيدمر.

وصادف مع ذلك ورود كتاب الأمير أرغون شاه نائب صفد، يتضمن أن ابن طشتمر كاتب أرتنا نائب الروم بأن يتوجه إليه، وأن يقيم عنده. فظفر الأمير أرغون شاه بقاصده، وأخذ منه الكتاب، وقبض على ابن طشتمر وسجنه بالقلعة؛ فأجيب بالشكر والثناء. وكتب إليه أصحابه بأن يبعث مقدمة للسلطان حتى يتهيأ نقلته إلى غير صفد، فبعث سبعة أفراس وعقد جوهر بمائة ألف درهم، وغير ذلك من الأصناف؛ فأعجبت السلطان، وشكره. فأخذ صمغار وقرابغا وأصحابهما في ذكر بيدمر نائب حلب وكرهاته الناس له، وما فعله بالمرأة وابن عمها، وتحسين ولاية أرغون شاه عوضه؛ فإنه سار في أهل صفد سيرة جميلة، ولم يقبل لأحد مقدمة، وجلس للحكم بين الناس، وأنصف في حكمه حتى أحبه أهل صفد. فرُسم بقدوم أرغون شاه ليستقر في نيابة

(١) حضيرا صيغة عامية فيما يبدو لفظ حظيرة أو حضيرة. انظر محيط المحيط وهو مكان بأعلى الدار من الدور لتربية الدواجن ولا يزال هذا اللفظ مستعملا بالتذكير والتأنيث في اللغة العامية في مصر.

حلب، وحضور الأمير بيدمر من حلب فقدم أرغون شاه صحبة طنيرق، فأكرمه السلطان، وخلع عليه يوم الإثنين تاسع عشرى صفر بناية حلب، عوضاً عن بيدمر البدرى؛ ورُسم ألا يكون لنائب الشام عليه حكم، وأن تكون مكاتباته للسلطان؛ وكتب لنائب الشام بذلك.

وتوجه الأمير أرغون شاه إلى حلب فى يوم الخميس ثالث ربيع الأول، فقدم دمشق على البريد فى سادس عشره، ونزل قصر معين الدين حتى قدم طلبه من صغد فى أبهة زائدة، وخبوله بسروج ذهب مرصعة وكنائيش ذهب، وقلائد مرصعة.

وكان بيدمر قد رأى فى منامه المرأة التى فعل بها ما فعل، وهى تقوله له: «أخرج عنا»، وكررت ذلك ثلاث مرات، وقالت له: «قد شكوتك إلى الله تعالى، فعزلك» فانتبه مرعوباً، وبعث إليها لتحالّله، وبذل لها ما لا فلم تقبله، وامتنعت من محالّته. فقدم خير عزله بعد ثلاثة أيام من رؤياه، وقدم إلى القاهرة صحبة طنيرق؛ وقد أوصل طنيرق الأمير أرغون شاه إلى حلب، وسر به أهل حلب سروراً كبيراً.

وفيه ارتفعت الأسعار بالشام، فبلغت الغرارة بدمشق مائتين وخمسين درهماً؛ وذلك أن الجراد انتشر من بعلبك إلى البلقاء، ورعى الزروع.

وفيه كثر عبت العربان بأرض مصر، وكثر سفكهم للدماء، ونهب الغلال من الأجران، مع هيف الغلة.

وفيه اشتد احتراق النيل، وقل ماؤه حتى تأخر حمل الغلال فى المراكب فارتفع السعر من ثلاثين درهماً الأردب من القمح إلى خمسة وخمسين، وبلغ الشعير خمسة وعشرين درهماً الأردب، والفول عشرين درهماً.

وفيه استقر أمير على بن طغرل حاجباً بدمشق عوضاً عن آياس؛ واستقر آياس فى نيابة صغد.

وفيه ورد الخبر باختلال مراكز البريد بطريق الشام، فأخذ من كل أمير مقدم ألف أربعة أفراس، ومن كل أمير طبلخاناه فرسان، ومن كل أمير عشرة فرس واحد وكشف عن البلاد المرصدة برسوم البريد، فوجدت ثلاث بلاد منها وقف إسماعيل بعضها، وأخرج باقىها إقطاعات، فأخرج السلطان عن عيسى بن حسن الهجان بلداً تعمل فى كل سنة عشرين ألف درهم، وثلاثة آلاف أردب غلة؛ وجعلها مرصدة لمراكز البريد.

وفيه قدم الخير بأن أرتنا نائب الروم بعث يستدعى أحمد بن مهنا، وأرسل إليه هدية، فأبى أن يجيب.

واتفق أن أخوا سيف بن فضل قصد فياض بن مهنا، وقد سار إليه من دمشق بمبلغ

ثمانين ألف درهم ثمن خيول قدمها للسلطان، فأخذ منه وقصد قتله. فركب فياض لما بلغه ذلك، وأغار على جمال سيف وآل فضل وساقها، وهى نحو خمسة عشر ألف بعير. فبعث سيف يطلب من نائبى دمشق وحلب عسكريا يقاتل آل مهنا فلم ينجدها.

وفيه كتب الأمير أرغون شاه نائب حلب فى حق سيف، فإنه لا طاقة له بآل مهنا. فرسم بقدم سيف وآل مرا، وقدم أحمد بن مهنا؛ ووعد أحمد بالإمرة، وخرج الأمير قطلوبغا الذهبى لذلك.

وفيه قدم ابن الأطروش من دمشق، وقد عزل من الحسبة؛ وكتب نائب الشام يذم فيه.

وفى عصر يوم الأحد تاسع عشر ربيع الآخر: قتل الأمير آقسنقر الناصرى، والأمير ملكتمر الحجازى؛ وأمسك الأمير بزلار، والأمير صغار، والأمير أيتمش عبد الغنى.

وسبب ذلك أن السلطان لما أخرج إتفاق وغيرها من عنده، وتشاغل عنهن بالحمام، صار يحضر إلى الدهيشة والأوباش، وتلعب بالعصا لعب صباح؛ ويحضر الشيخ على بن الكسيح مع حظاياها، فيسخر له، وينقل إليه أخبار الناس. فشق ذلك على الأمراء، وحدثوا ألبينا وطريق، وكانا عمدة السلطان وخاصيته فيما يفعله السلطان، وأن الحال قد فسد فعرفا السلطان ذلك، فاشتد حنقه وأطلق لسانه، وقام إلى السطح وذبح بيده الحمام بحضرتهما، وقال: «والله لأذبحنكم كما ذبحت هذه الطيور»، وأغلق باب الدهيشة؛ وأقام غضبانا يومه وليته. وكان الأمير غرلو قد تمكن منه، فأعلمه بما وقع، فوقع فى الأمراء وهونهم عليه، وجسره على الفتك بهم، والقبض على الأمير آقسنقر الناصرى النائب. فأخذ السلطان فى تدبير ما يفعله، وقرر ذلك مع غرلو. ثم بعث السلطان بعد أيام طنيرق إلى الأمير آقسنقر الناصرى النائب، فى يوم الأربعاء خامس عشر ربيع الآخر، ويعرفه أن قرايغا القاسمى وصمغار وبزلار وأيتمش عبد الغنى قد اتفقوا على عمل الفتنة، «وعزى أن أقبض عليهم»، فوعد برد الجواب غداً على السلطان فى الخدمة، وأشار عليه من الغد بالتثبت فى أمرهم حتى يصح له ما قيل عنهم فعرفه السلطان من الغد يوم الجمعة بأنه صح له بإخبار ببيغاروس، وبين له أنهم تحالفوا على قتله؛ فأشار عليه أن يجمع بينهم وبين ببيغاروس؛ حتى يحاققهم بحضرة الأمراء يوم الأحد.

وكان الأمر على خلاف هذا، فإنه اتفق مع غرلو، وعنبر السحرتى مقدم الممالك، على مسك الأمير آقسنقر الناصرى، والأمير ملكتمر الحجازى يوم الأحد، وأظهر للنائب أنه يريد القبض على قرايغا وصمغار وبزلار وأيتمش.

فلما كان يوم الأحد تاسع عشره: حضر الأمراء والنائب إلى الخدمة بعد العصر، ومُدَّ السماط، وإذا بالقصر قد ملئ بسيوف مسللة من خلف آقسنقر والحجازي، وأحيط بهما وبقرابغا، وأخذوا إلى قاعة هناك فُضرب الحجازي بالسيوف، وبُضِع هو وآقسنقر وفرَّ صمغار وأيتمش عبد الغني، فركب صمغار فرسه من باب القلعة ومر، واختفى أيتمش عند زوجته. فخرجت الخيل وراء صمغار، حتى أدركوه خارج القاهرة؛ وأخذ أيتمش من داره فارتجت القاهرة، وغلقت الأسواق وأبواب القلعة. وكثر الإرجاف إلى أن خرج النائب أرقطاي والوزير نجم الدين محمود بن شروين قريب المغرب، فاشتهر ما جرى.

وفيه رسم بالقبض على مرزه علي، وعلي محمد بن بكتمر الحاجب وأخيه، وأولاد أيدغمش، وأولاد قماري. وأخرجوا إلى الإسكندرية، وهم وبزلار وأيتمش وصمغار، لأنهم من أئلام الحجازي ومعاشريه، فسجنوا بها.

وفيه أخرج آقسنقر والحجازي في ليلة الإثنين عشريه علي جنويّات، فدفا بالقرافة وأصبح الأمير شجاع الدين غرلو وقد جلس في دست عظيم، ثم ركب وأوقع الحوطة على بيوت الأمراء المقتولين والمسوكين وأموالهم، وطلع بجميع خيولهم إلى الإصطبل السلطاني، ونزل ومعه ناظر الخاص حتى أخرج حواصلهم. وضرب غرلو عبد العزيز الجوهري صاحب آقسنقر، وعبد المؤمن أستاذاره بالمقارع، وأخذ منهما مالا جزيلا. فخلع عليه السلطان قباء من ملابس آقسنقر بطراز زرکش عريض، وأركبه حصان الحجازي بسرج ذهب. وخلا به يأخذ رأيه فيما يفعله. فأشار عليه بأن يكتب إلى نواب الشام بما جرى، ويعدد لهم ذنوبًا كثيرة على الأمراء الذين قبض عليهم. فكتب السلطان إلى الأمير يلغا اليحياوي نائب الشام، على يد الأمير آقسنقر المظفرى أمير جاندار. وقدم آقسنقر المظفر على الأمير يلغا اليحياوي في ثامن عشريه، فكتب يلغا بتصويب رأى السلطان فيما فعله، وهو فى الباطن غير ذلك. وعظّم على الأمير يلغا قتل ملكتمر الحجازي وآقسنقر الناصري، وتوحش خاطره، وجمع الأمراء بعد يومين بدار السعادة، وأعلمهم بما ورد عليه. وكتب يلغا إلى النواب بذلك، فبعث الأمير ملك آص إلى حمص وحلب، وبعث الأمير طيغا القاسمي إلى طرابلس؛ فجاءه ليلة الجمعة مستهل جمادى الأولى من زاده وحشه، فلم يصبح له بدار السعادة أثر غير نسائه. وانتقل يلغا يوم الجمعة إلى القصر، فنزل به، وشرع فى الاستعداد للخروج عن طاعة السلطان، ونزل أئلامه حوله بالميدان.

وأخذ السلطان المظفر حاجى يستميل المماليك بتفرقة المال فيهم، وأمر جماعة وأنعم على غرلو بإقطاع أيتمش عبد الغنى وتقدمته، وأصبح هو المشار إليه فى الدولة، وعظمت نفسه إلى الغاية.

وفيه أخرج ابن طقزدمر على إمرة طبلخاناه بحلب، لكثرة لعبه؛ وأنعم بتقدمته على الأمير طاز.

وفيه تولى غرلو مبيع قمش الأمراء وسائر موجودهم.

وفيه قدم الخير بكثرة حشود العربان بالصعيد وبلاد الفيوم، وشدة فسادهم، وتعذر السفر من قطعهم الطرقات على المسافرين. فلم يعبأ السلطان بذلك، لاشتغاله بلهوه، وتلفته إلى أخبار نواب الشام، لتخوفه من خروجهم عن طاعته للقبض على الأمراء وقتلهم فقدمت أجوبتهم بما يظهر منه تصويب رأى السلطان فيما فعله، فلم يطمئن لذلك؛ ورسم بخروج العسكر إليه.

وفيه رسم السلطان بخروج العسكر إلى البلاد الشامية ورسم فى عاشر جمادى الأولى بسفر سبعة أمراء مقدمين، وهم طيغنا المجدى، وملك الجمدار، والوزير نجم الدين محمود بن شروين، وطنغرا، وأيتمش الناصرى الحاجب، وكوكاى، والزراق، ومعهم مضافوهم من الأجناد. وكتب بطلب الأجناد من النواحي، وكان وقت إدراك المغل؛ فصعب ذلك على الأمراء، وارتجت القاهرة بأهلها لطلب السلاح وآلات للسفر.

وكتب السلطان إلى أمراء دمشق ملطفات على أيدي النجابة بالتيقظ لحركات الأمير يلبيغا اليحياوى، فأشار الأمير أرقطاي؟ النائب بطلب يلبيغا ليكون بمصر، فإن أجاب وإلا أعلم بأنه قد عزل من نيابة الشام بأرغون شاه نائب حلب. فكتب بطلبه على يد الأمير سيف الدين أراى أمير آخور؛ وعند سفر أراى قدمت كتب نائب حماة ونائب طرابلس ونائب صغد بأن يلبيغا دعاهم للقيام معه على السلطان لقتله الأمراء، وبعثوا للسلطان بكتبه إليهم. فكتب السلطان لأرغون شاه نائب حلب أن يتقدم لعرب آل مهنا بمسك الطرقات على يلبيغا، وأعلمه أنه ولاه نيابة الشام؛ فقام أرغون شاه فى ذلك أتم قيام، وأظهر ليلبيغا أنه معه.

ولما وصل الأمير سيف الدين أراى إلى الأمير يلبيغا اليحياوى، فى يوم الأربعاء سادس جمادى الأولى، إذا فى كتاب السلطان طلب يلبيغا ليكون رأس أمراء المشورة، وأن نيابة الشام أنعم بها على أرغون شاه نائب حلب وظن الأمير يلبيغا اليحياوى أن استدعاه حقيقة، وقرأ كتاب السلطان، فأجاب بالسمع والطاعة، وأنه إذا وصل الأمير أرغون

شاه إلى دمشق توجه منها إلى مصر، وكتب الجواب بذلك، وأعاد الأمير سيف الدين أراى سريعا. فأنت قصاد أمراء دمشق إلى الأمير سيف الدين أراى فى عوده، لتعرف فيما جاء به عليهم، فأعلمهم بعزل يلبغا بأرغون شاه، فتحللت عزائم الأمراء عن يلبغا.

وتجهز يلبغا وبزر إلى الجسورة ظاهر دمشق، فى خامس عشره. وكانت ملطفات السلطان وردت إلى الأمراء فى عشية يوم الخميس بإمساكه فركبوا وقصدوه، ففر منهم بماليكه وأهله، وهم فى أثره إلى خلف ضمير.

وأما الأمير سيف الدين أراى فإنه قدم إلى السلطان، فقدم الخبر فى غد قدومه بأن يلبغا جمع ثقاته من أمراء الشام وأغراهم بالسلطان، وأنه إن مضى إليه قتله كما قتل الأمراء، وأنه جمع أمره على التوجه إلى أولاد دمرداش ببلاد الشرق.

وركب الأمير يلبغا فى يوم الجمعة خامس عشره، ومعه الأمير قلاوون، والأمير سيفه، والأمير محمد بن بك بن جحق، فى مماليكهم؛ وخرجوا بألة الحرب، فاضطرب الناس بدمشق. وركب العسكر فى طلبه، وقد سار نحو القريتين ودخل البرية حتى وصل حماة، بعد أربعة أيام وخمس ليالى. فركب الأمير قطليجا نائب حماة بعسكره، وتلقاه ودخل به إلى المدينة، وقبض عليه وعلى من معه؛ وكتب بذلك إلى السلطان فسر به سرورا كبيرا وأمر بإبطال التجريدة؛ وكتب بحمله إلى مصر.

ثم خرج الأمير منجك السلاح دار لقتله، فلقى آقجبا الحموى وصحبته يلبغا اليحياوى وأبوه، وقد نزل بقاقون. فصعد منجك مع يلبغا إلى قلعتها، وقتله فى يوم الجمعة عشريه وجهاز رأسه إلى السلطان. وتوجه منجك إلى حماة، وجهاز الأمير قراكر والأمير أسندمر أخوى يلبغا اليحياوى، والأمير طقطاى دواداره، والأمير جوبان مملوكه، إلى السلطان مقيدين؛ وكان أبوه الأمير طابطا حمل مقيدا من فاقون إلى السلطان.

وفيه قدم الخبر بأن أحمد بن مهنا وفياتا وفوازا وقمارى كانوا بحلب لما قبض على يلبغا بحماة، فركبوا بجمعهم يريدون آل مرا، وقد نزلوا قريبا من سيف بن فضل فركب سيف بآل مرا وآل على إلى لقاءهم، فلم يطقهم وفر، فنهبوا أبياته، وأخذوا منها خمسمائة حمل دقيق، وساقوا خمسة عشر ألف بعير. ومر سيف على وجهه إلى القاهرة، فطلع إلى السلطان وبكى بين يديه بكاء كثيرا؛ فتنكر السلطان على أولاد مهنا. فقدم كتاب الأمير أرغون بالثناء عليهم، لخدمتهم السلطان فى أمر يلبغا أتم الخدمة؛ وقدم أحمد بن مهنا عقيب ذلك، فلم ير من السلطان إقبالا.

وفى يوم الأحد خامس عشريه: أخرج بالوزير نجم الدين محمود، والأمير بيدمر

البدرى نائب حلب كان، والأمير طغيتمر الفخرى الدوادار، إلى الشام. وسببه أن غرلو لما كان شاد الدواوين حقد على الوزير نجم الدين وعلى طغيتمر الدوادار، فحسن للسلطان أخذ أموالهما. فذكر السلطان للنائب أرقطاي عنهما وعن بيدمر أنهم كانوا يكتبون يلبغا اليحياوى، فأشار عليه بإبعادهم عنه، وأن يكون الوزير نائب غزة، وبيدمر نائب حمص، وطغيتمر بطرابلس؛ فأخرجهم أرقطاي على البريد. فلم يعجب غرلو ذلك، وأكثر من الواقعة فى الأمير أرقطاي النائب حتى غير السلطان عليه، ومازال به حتى بعث أرغون الإسماعيلى نائب غزة بقتلهم. فدخل أرغون الإسماعيلى معهم إليها وقت العصر، فقتلوا ليلاً؛ وتمكن غرلو من أموالهم.

وتزايد أمر غرلو، واشتدت وطأته؛ وكثر إنعام السلطان عليه حتى لم يكن يوم إلا وينعم عليه بشىء. وأخذ غرلو فى العمل على علم الدين بن زبور ناظر الخصاص وعلى علاء الدين على بن فضل الله كاتب السر، وحسن للسلطان القبض عليهما وأخذ أموالهما؛ فتلطف الأمير أرقطاي النائب فى أمرهما حتى كف عنهما. فلم يبق أحد من أهل الدولة حتى خاف غرلو، ورجع يصانعه بالمال.

وفيه توجه مقبل الرومى لقتل المسجونين بالإسكندرية بإشارة غرلو، فقتل أرغون العلائى، وقرايغا القاسمى، وتمر الموساوى، وصمغار، وأيتمش عبد الغنى.

وفيه أفرج عن أولاد قمارى وأولاد أيدغمش؛ وأخرجوا إلى الشام.

وفيه قدم الأمير منكلى بغا الفخرى من طرابلس، وأنعم عليه بتقدمة ألف.

واستمر السلطان على الانهماك فى طوه، وصار يلعب فى الميدان تحت القلعة بالكرة فى يومى الأحد والثلاثاء، ويركب إلى الميدان على النيل فى يوم السبت. فلما كان آخر ركوبه الميدان رسم بركوب الأمراء المقدمين بمضافيهم، ووقوفهم صفين من الصليبية إلى فوق الإصطبل، ليرى العسكر. فضايق الموضع عنهم، فوقف كل مقدم بخمسة من مضافيه وجمعت أرباب الملهى، ورتبوا فى عدة أماكن بالميدان؛ ونزلت أم السلطان فى جمعها، وأقبل الناس من كل جهة. فبلغ كراء كل طبقة فى ذلك اليوم مائة درهم، وكل بيت كبير لنساء الأمراء مائتى درهم، وكل حانوت خمسين درهماً، وكل موضع إنسان بدرهمين؛ فكان يوماً لم يعهد فى ركوب الميدان.

وفيه أخرج سيف بن فضل من القاهرة مرسمًا عليه، لكلام نقله عن الأمير أرقطاي النائب.

وفي يوم الخميس سابع جمادى الآخرة: وصل رأس يلبغا اليحياوى.

وفي يوم الجمعة خامس عشره: قبض على غرلو، وقُتل. وسبب ذلك شدة كراهة الأمراء أرباب الدولة لسوء أثره فيهم، فإنه كان يخلو بالسلطان ويشير عليه بما يعضيه، فلا يخالفه فى شىء. وعمله السلطان أمير سلاح، فخرج عن الحد فى التعاضم، وجسر السلطان على قتل الأمراء، وقام فى حق الأمير أرقطاي النائب يريد القبض عليه وقتله، وأخذ الماليك الناصرية والصاحية والكاملية بكماهم، واستماهم لتجديد دولة مظفريه. وقرر مع السلطان أن يفوض إليه أمور المملكة، ليقوم عنه بتدبيرها، ويتوفر السلطان على لذاته. وأغراه أيضاً بألجيغا وطنيرق، وهما أخص الناس بالسلطان، حتى تغير عليهما. وبلغ ذلك ألجيغا، وتناقله الماليك، فتعصبوا عليه، وراسلوا الأمراء الكبار حتى حدثوا السلطان فى أمره، وخوفوه عاقبته، فلم يعبا السلطان بقولهم، فتنكروا بأجمعهم على السلطان، وصاروا إلبا عليه بسبب غرلو، إلى أن بلغه ذلك عنهم من بعض ثقاته. فاستشار الأمير أرقطاي النائب فى أمر غرلو، وعرفه ما يخاف من غائلته، فلم يُشير عليه بشى، وقال له: «لعل الرجل قد كثرت حساده على تقرب السلطان له، والمصلحة التثبت فى أمره» كان الأمير أرقطاي النائب عاقلا سيوسا، يخشى من معارضة غرض السلطان فيه. فاجتهد ألجيغا وعدة من الخاصكية فى التدبير على غرلو، وتخويف السلطان منه ومن عواقبه، حتى أثر قولهم فى نفسه. وأقاموا أحمد شاد الشرايجاناه - وكان مزاحاً - للوقية فيه فأخذ فى خلوته مع السلطان بذكر كراهة الأمراء لغرلو وموافقة الماليك لهم وأنه يريد أن يدبر الدولة ويكون نائب السلطان، وليتوثب بذلك على المملكة ويصير سلطانا، ويخرج قوله هذا فى صورة السخرية والضحك. وبالغ فى ذلك على عدة فنون من الهزؤ إلى أن قال: «وإن خلاه السلطان رحنا كلنا الجبوسات من بعده» فانفعل السلطان لكلامه، وقال: «أنا الساعة أخرجته وأعمله أمير آخور». ثم مضى أحمد إلى الأمير أرقطاي النائب، وعرفه ما كان منه، وما قاله السلطان، وجسّره على الوقية فى غرلو. فاستشار السلطان الأمير أرقطاي النائب فى غرلو ثانيا، فأثنى عليه وشكره، فعرفه وقوع الخاصكية فيه، وأنه قصد أن يعمله أمير آخور، فقال أرقطاي: «غرلو شجاع جسور، لا يليق أن يكون أمير آخور». فكانه أيقظ السلطان من رقدته، وأخذ معه فيما يوليه، فأشار بولايته غزة، فقبل السلطان ذلك وقام عنه فأصبح السلطان بكرة يوم الجمعة، وقد بعث طنيرق إلى الأمير أرقطاي النائب بأن يخرج غرلو إلى غزة. فلم يكن غير قليل حتى طلع غرلو على عادته إلى القلعة، وجلس على باب القلعة، فبعث الأمير أرقطاي النائب بطلبه، فقال: «مالى عند النائب شغل وما لأحد معى حديث غير

أستاذى السلطان». وأرسل النائب يعرف السلطان جواب غرلو له بطلبه، فغضب السلطان، وقال لمغلطای أمير شكار والأمراء أن يعرفوه عن السلطان بتوجهه إلى غزة، وإن امتنع بمسكوه. فلما صار غرلو داخل القصر لم يحدثوه بشيء، وقبضوا عليه وقيدوه، وسلموه لأجبيغا، فأدخله إلى بيته بالأشرفية فلما خرج السلطان لصلاة الجمعة على العادة، قتلوا غرلو، وهو فى الصلاة واخذ السلطان بعد عوده من الصلاة يسأل عنه، فقالوا عنه أنه قال: «ما أروح مكانا» فأراد سَل سيفه وضرب الأمراء به، وأنهم تكاثروا عليه، فما سلّم نفسه حتى قتل. فغز قتل على السلطان، وحقد عليهم قتله، ولم يظهره لهم. وتقدم السلطان بإيقاع الحوطة على حواصله، فكان يوما عظيما بالقلعة والمدينة، وخرج معظم الناس إلى تحت القلعة، فشاهد يومئذ من اجتماعهم أمر مهول. وأخرج غرلو حتى دفن بباب القرافة، فأصبح وقد خرجت يده من الأرض، فأتاه الناس أفواجا ليروه، ونبشوا عليه، وجروه بحبل فى رجله إلى تحت القلعة. وأتوا بنار ليحرقوه، وصار لهم ضجيج عظيم. فبعث السلطان عدة من الأوجاقية قبضوا على كثير منهم، فضربهم الوالى بالمقارع، وأخذ منهم غرلو ودفن؛ ولم يظهر له كبير مال.

وفيه قدم الخير بدخول الأمير أرغون شاه إلى دمشق، فى يوم الثلاثاء سابع عشره صحبة مُتَسَفِرِهِ الأمير آقسنقر جاندار فعرض يوم دخوله أهل السجون، ووسط وسمّر منهم عدة من أرباب الجرائم، وألزم جميع من له إقطاع بحلب أو حماة أو طرابلس أو صفد أو غيرها من البلاد الشامية أن يتوجه إلى محل خدمته، ولا يقيم بغيره، وأنعم الأمير أرغون شاه على متسفره بخمسة عشر فرسا، منها خمس عربيات مسرجات ملحقات، وأحد عشر إكلبيش، وجارية بخمسة آلاف درهم وأربعين ألف درهم، ومائة قطعة قماش، وتشريف النيابة بكماله وسيفه المحلى، وكتب له بألف أردب غلة من مصر، وكان الأمير أرغون شاه أعطاء بحلب ألف وخمسمائة دينار. فأقام آقسنقر بدمشق نحو ثلاثة أشهر، ولم يسأله فى ولاية ولا عزل إلا أجابه، فرجع بمال عظيم.

وفيه أفرج عن ابن طشتمر من صفد، وأنعم عليه بإمرة فى دمشق.

وفيه نقل أمير مسعود بن خطير من نيابة غزة إلى نيابة طرابلس عوضا عن الأمير منكلى بغا الفخرى.

وفيه استقر الأمير فخر الدين أياس حاجب دمشق فى نيابة حلب، عوضا عن الأمير أرغون شاه.

وفيه خرج السلطان إلى سرياقوس على العادة، فأقام أياما وعاد.

وفى يوم الإثنين سادس عشر رجب: أخرج لاجين أمير آخور إلى دمشق، على إقطاع قلاوون.

وفيه أخرج منجك السلاح دار واستقر حاجبا بدمشق، عوضا عن أمير على بن طغرل.

وفيه أنعم على اثني عشر من المماليك بإمرات، ما بين طبلخاناه وعشرات بمصر والشام.

وفيه أعيد الأطروش إلى الحسبة، عوضا عن الضياء، ورتب للضياء ما يقوم به.

وفيه عمل الإstimار بما على الدولة من الكلف، وما يتحصل. فوجدت الكلف ثلاثة أمثال ما كانت فى الأيام الناصرية محمد بن قلاوون، ومرتب الخوائج خاناه فى كل يوم مقدار اثنين وعشرين ألف رطل لحم، ونفقات المماليك مبلغ مائتين وعشرين ألف درهم، بعدما كانت تسعين ألف درهم. فرسم السلطان بقطع ما استجد من الرواتب بعد موت السلطان الناصر محمد، فمزال به الأمير أرقطاي النائب يخوفه سوء عاقبة قطع الأرزاق، ويعرفه أن أحدا من الملوك ما قرئ عليه الإstimار وقطع شيئاً إلا وأصابه ما يكره فى دولته، حتى رسم باستمرار الرواتب على حالها.

وفيه وزع على مباشرى الجهات مبلغ ستمائة ألف درهم، خص مقدمى الدولة منها مائة ألف درهم.

وفيه رسم أن يكون فى كل معاملة شاهد و كاتب؛ واستقر قطلووباغا شاد الجهات بالقاهرة، وابن المزوالى شادا بجهات مصر.

وفيه قدم على بن طغرل من دمشق.

وفيه أنعم على الأمير بييغا روس عند قدومه من سرحة العباسة بألفى دينار، ومائة قطعة قماش، وأربعة أرؤس خيل بسروج ذهب.

وفى مستهل شعبان: خرج الأمير طيغا المجدى، والأمير أسندمر العمري، والأمير أرغون الكاملى، والأمير بييغا روس، والأمير بييغا ططر، إلى الصيد؛ ثم خرج الأمير أرقطاي النائب بعدهم إلى الوجه القبلى بطيور السلطان. ورسم السلطان لهم ألا يحضروا إلى العشر الأخير من رمضان.

فخلا الجو للسلطان، وأعاد حضير الحمام، وأحضر إليه عدة من عبيده، وأعاد

أرباب الملاعب من الصراع، والثقاف، والشباك وجرى السعاة، والنطاح بالكباش، ومنقرة الديوك والقمارى^(١)، وغير ذلك من أنواع الفساد؛ ونودى بإطلاق اللعب بذلك فى القاهرة ومصر. فصار للسلطان اجتماعات بالأوباش وأراذل الطوائف، من الفراشين، والباية^(٢)، ومطيرى الحمام؛ فكان يقف معهم ويراهن على الطير الفلانى والطيرة الفلانية.

وبينا هو ذات يوم معهم عند حضير الحمام وقد سببها، إذ أذن العصر بالقلعة والقرافة، فجفلت الحمام على مقاصيرها وتطايرت. فجرد السلطان، وبعث إلى المؤذنين يأمرهم أنهم إذا رأوا الحمام لا يرفعون أصواتهم.

وكان السلطان أيضا يلعب مع العوام، ويلبس تَبان جلد، ويتعرى من ثيابه كلها ويصارعهم، ثم يلعب معهم بالعصى، ويلعب بالرمح وبالكرة. فيظل نهاره مع الغلمان والعبيد فى الدهيشة، ويحضر فى الليل على العواد، ويأخذ عنه الضرب بالعود، ويتجاهر بما لا يحمد.

وشغف السلطان بكيدا حتى كان لا يكاد يفارقها، واشترى لها أملاك النشو وأخيه رزق الله وصهره المخلص بخط الزربية، فاشترها لها بمائة ألف درهم. وكانت هذه الزربية فى غاية الحسن، قد أنفق عليها النشو أموالا عظيمة، وصارت بعد النشو إلى امرأة الأمير بكمر الساقى، اشترها لها الأمير بشتاك بنحو الألف درهم، إلى أن طلبتها كيدا، فأرسل السلطان إليها يستوهبها منها، فتركتها له؛ فرسم لها بمائة ألف درهم، وكتبها على الأملاك باسم كيدا فلم يهن بها، ووقعت نار فى دار رزق الله جعلتها دكا.

وفيه ارتفع سعر القمح من أربعين درهما للأردب إلى خمسين، وغلا اللحم وعامة الأصناف المأكولة حتى بلغت مثلى ثمنها. وتوقفت الأحوال، وقلت الغلال، وكثر السؤال من كثرة قديم أهل النواحي إلى القاهرة حتى ضاقت بهم فكانوا كذلك مدة سنة، مع كثرة المناسر فى البلاد والقاهرة، وقوة المفسدين وقطاع الطريق بأرض مصر وبلاد القدس ونابلس، وفتنة العشير بعضهم مع بعض.

(١) القمارى المقصود بذلك نوع من الحمام يستخدمه الغواة فى المناقرة والمراهنة على أن المقريزى جمع هنا أنواع الملعوب فى عصر سلاطين المماليك

(٢) الباية اسم عام لجميع العمال القاتمين بغسل الملابس وصقلها فى الطشخاناه السلطانية. القلقشندى: صبح الأغشى / ٥ / ٤٧٠.

وفي نصفه: توجه أجليغا وأحمد شاد الشرايخاناة إلى الصيد، فأخذ السلطان في التدبير على أخيه حسين ليقتله، وأرصد له عدة خدام ليهاجموا عليه عند إمكان الفرصة ويغتالوه؛ فتمارض واحترس على نفسه، فلم يجدوا منه غفلة.

وفي سابع عشره: استقر في الخلافة أبو بكر بن أبي الربيع سليمان^(١)، ونعت بالمستعصم بالله أبي الفتح، بعد موت أبيه.

وفي أخريات شعبان: قدم الأمراء والأمير أرقطاي النائب قبل أوانهم من الصيد شيئاً بعد شيء، وقد بلغهم ما كان من أفعال السلطان في غيبتهم.

وفي يوم السبت رابع رمضان: زلزلت القاهرة مرتين في ساعة واحدة.

وفيه قدم ابن الحراني من دمشق بمال يلغا اليحياوى، فتسلمه الخدام وأنعم السلطان من ليلته على كيدا حظيته بعشرين ألف منه سوى الجواهر والآلى، ونثر الذهب على الخدام والجوارى، فاخطفوه، وهو يضحك منهم، وفرق السلطان على لعاب الحمام والفراشين والعبيد الذهب واللؤلؤ، وصار يحذفه لهم، وهم يترامون عليه ويأخذونه، بحيث لم يدع منه شيئاً سوى القماش والتفاصيل والآنية والعدد، فإنها صارت إلى الخزانة. فكانت جملة ما فرقه السلطان ثلاثين ألف دينار وثلاثمائة ألف درهم، وجواهر وحلياً، وزركشاً ومصاغاً، قيمته زيادة على ثمانين ألف دينار.

فعظم ذلك على الأمراء، وأخذ أجليغا وطنيرق يعرفان السلطان ما ينكره عليه الأمراء من اللعب بالحمام وتقريب الأوباش، وخوفاه فساد الأمر. فغضب السلطان، وأمر آقجبا شاد العمائر بخراب حضير الحمام، وأحضر الحمام وذبحها واحداً واحداً بيده، وقال لأجليغا وطنيرق: «والله لأذبحنكم كلكم كما ذبحت هذا الحمام»، وتركهم وقام. فبات ليلته وأصبح ففرق جماعة من خشداشية أجليغا وطنيرق في البلاد الشامية واستمر على إعراضه عن الجميع؛ وقال لحظاياه وعنده معهن الشيخ على الكسيح: «والله ما بقى هنا لى عيش وهذان الكذا وكذا بالحياة، يعنى أجليغا وطنيرق، فقد أفسدا على ما كان فيه سرور، واتفقا على، ولا بد من ذبحهما». فنقل ذلك الشيخ على الكسيح لأجليغا، فإنه الذى كان أوصله بالسلطان، وقال له مع ذلك: «خذ لنفسك،

(١) أبو بكر بن سليمان بن أحمد العباس أبو الفتح، المعتضد بالله من خلفاء العباسيين بمصر. هو ابن المستكفى بالله ابن الحاكم بأمر الله كان مقيماً في جملة بنى العباس بالقاهرة وولى الخلافة بها بعد وفاة أخيه الحاكم بأمر الله أحمد بن سليمان. انظر تاريخ الخميس ٢ / ٣٢٨ وشذرات الذهب ١٩٧ / ١ وبتاريخ الزهور ١ / ٢٠٠، ٢١١، والأعلام ٢ / ٦٤.

فوالله لا يرجع عنك ولا عن طنيرق». فطلب ألبجيغا صاحبه طنيرق حتى عرفه ذلك، فأخذنا في التدبير على السلطان، وأخذ السلطان في التدبير عليهما.

وفيه أخرج السلطان الأمير بييغا روس للصيد بالعباسة، فإنه كان صديقا لألبجيغا؛ وتمم السلطان على طنيرق واشتد عليه، وبالغ في تهديده. فبعث طنيرق وألبجيغا إلى طشتمر طليليه، وما زالا به حتى وافقهما. ودار طنيرق على الأمراء، وما منهم إلا من نفرت نفسه من السلطان، وتوقع منه أن يفتك به. وأغراهم طنيرق بالسلطان، فصاروا معه يدا واحدة، وكلموا الأمير أرقطاي النائب في موافقتهم، وأعلموه أنه يريد القبض عليه، وأكثروا من تشجيعه إلى أن أجابهم؛ وتواعدوا جميعا في يوم الخميس تاسع رمضان على الركوب في يوم الأحد ثاني عشره.

فبعث السلطان في يوم السبت يطلب الأمير بييغا روس من العباسة، وقرر مع الطواشي عنبر مقدم الممالك أن يعرف الممالك السلاح دارية أن يقفوا متأهين، فإذا دخل بييغا روس وقيل الأرض ضربوه بسيوفهم، وقطعوه قطعا. فعلم بذلك ألبجيغا، فبعث إلى بييغا يعلمه بما دبره السلطان من قتله، ويعرفه بما وقع من اتفاق الأمراء عليه، وأنه يوافقهم بكرة يوم الأحد على قبة النصر. واستعدوا ليلتهم، ونزل ألبجيغا أولهم من القلعة وتلاه بقية الأمراء فكان آخرهم ركوبا الأمير أرقطاي النائب. وتوافقوا بأجمعهم عند مطعم الطير، وإذا بييغا قد وصل إليهم، فأحضروا ممالكهم وأطلابهم، وبعثوا في طلب بقية الأمراء، فما ارتفع النهار حتى وقفوا بأجمعهم لابسين آلة الحرب، عند قبة النصر.

فأمر السلطان بدق الكوسات، وبعث الأوجاقية في طلب الأمراء، وجمع عليه طنيرق وشيخو وأرغون الكاملی وطانز، ونحوهم من الخاصكية؛ فحضر إليه أجناد الحلقة ومقدموها، وعدة من الأمراء. وأرسل السلطان يعتب الأمير أرقطاي النائب على ركوبه، فرد جوابه بأن «مملوكك الذي ربيته ركب عليك، وأعلمنا فساد نيتك، وقد قتلت ممالكك أيبك، وأخذت أموالهم، وهتكت حرمتهم بغير موجب، وعزمت على الفتك بمن بقي، وأنت أول من حلف ألا تخون الأمراء، ولا تخرب بيت أحد» فرد السلطان الرسول إليه يستخيره عما يريدونه منه حتى يفعله لهم، فأعادوا جوابه أنهم لا بد أن يسלטوا غيره، فقال: «ما أموت إلا على ظهر فرسي» فقبضوا على رسوله، وهموا بالزحف عليه، فمنعهم الأمير أرقطاي النائب.

فبادر السلطان بالركوب إليهم، وأقام أرغون الكاملی وشيخو في الميسرة، وأقام

عدة أمراء فى الميمنة، وسار بمماليكه حتى وصل إلى قريب قبة النصر. فكان أول من تركه الأمير أرغون الكاملى و الأمير ملكتمر السعيدى، ثم الأمير شيخو. وأتوا الأمير أرقطاي النائب والأمراء، وتلاههم بقيتهم، حتى جاء الأمير طنيرق، والأمير لاجين أمير جاندار صهر السلطان آخرهم.

وبقى السلطان فى نحو عشرين فارسا، فبرز له الأمير بيبغا روس والأمير ألببيغا، فولى فرسه وانهزم عنهم، فأدركوه وأحاطوا به. فتقدم إليه بيبغا روس، فضربه السلطان بطير، فأخذ الضربة بترسه، وحمل عليه بالرمح. وتكاثروا عليه حتى قلعوه من سرجه فكان بيبغا روس هو الذى أرداه؛ وضربه طنيرق جرح وجهه وأصابه. وساروا به على فرس إلى تربة آقسنقر الرومى تحت الجبل، وذبحوه من ساعته قبل العصر. ولما أنزلوه وأرادوا ذبحه توصل إلى الأمراء، وهو يقول: «بالله لا تستعجلوا على قتلى، وخلونى ساعة»، فقالوا: «فكيف استعجلت على قتل الناس، لو صبرت عليهم صبرنا عليك».

وصعد الأمراء إلى القلعة فى يومهم، ونادوا فى القاهرة بالأمان والاطمئنان، وباتوا بها ليلة الإثنين، وقد اتفقوا على مكاتبة الأمير أرغون شاه نائب الشام. بما وقع، وأن يأخذوا رأيه فىمن يقيمونه سلطانا. فأصبحوا وقد اجتمع المماليك على إقامة حسين بن الناصر محمد بن قلاوون فى السلطنة، ووقعت بينه وبينهم مراسلات. فقبض الأمراء على عدة من المماليك، ووكلوا الأمير طاز بباب حسين، حتى لا يجتمع به أحد، وغلقوا باب القلعة، وهم بألة الحرب يومهم وليلة الثلاثاء. وقصد المماليك إقامة الفتنة فخاف الأمراء تأخير السلطنة حتى يستشيروا نائب الشام أن يقع من المماليك ما لا يدرك فارطه، فوقع اتفاقهم عند ذلك على حسن بن الناصر محمد بن قلاوون، فتم أمره.

فكانت مدة المظفر حاجى سنة وثلاثة أشهر وأثنى عشر يوما، وعمره نحو عشرين سنة وكان شجاعا جريئا على الدنيا، منهمكا فى الفساد، كثير الإتلاف للمال.

* * *

السلطان الملك الناصر بدر الدين أبو المعالى الحسن بن محمد بن قلاوون الألفى (١)

(١) الحسن بن محمد بن قلاوون الألفى وهو الحسن الناصر بن محمد الناصر بن قلاوون، أبو المحاسن من ملوك الدولة القلاوونية بمصر والشام ببيع بمصر، صغيرا بعد مة-تل أخيه [حاجى المظفر] و كان اسمه (قمارى) فلما ولى السلطنة سمي (حسن) وقام بأمر الدولة الأمير بيبغا روس نائب السلطنة. انظر ابن يياس ١ : ١٩ ٢٥ ووليم موير ١٠١ : ١٤ : ٢٢٤ - ٢٧٨، ٢٧٩ والأعلام ٢ / ٢١٦.

أمه أمة تُدعى كدا، ماتت وهو صغير، فربته خوند أردو، ودعوه قمارى حتى كان من أمر أخيه حاجى ما كان. وطلب المماليك إقامة حسين فى السلطنة، وبات ليلة الثلاثاء أكثرهم بالمدينة ليخرجوا إلى قبة النصر. فقام الأمراء بسلطنة حسن هذا وأركبوه بشعار السلطنة، فى يوم الثلاثاء، رابع عشرى رمضان، سنة ثمان وأربعين وسبعمائة؛ وأجلسوه على تحت الملك بالإيوان، لقبوه بالملك الناصر سيف الدين قمارى.

فقال السلطان للأمير أرقطاي نائب السلطنة: «يا بة! ما اسمى قمارى، إنما اسمى حسن»، فقال أرقطاي: «يا خوند! والله إن هذا اسم حسن على خيرة الله؛ فاستقرت سلطنته، وحلف له الأمراء على العادة، وعمره يومئذ إحدى عشرة سنة. وفى يوم الأربعاء خامس عشره: اجتمع الأمراء، وأخرج لهم دينار الشبلى المال، فنقل إلى الخزانة.

وفيه طلب خدام المظفر وعبيده، ومن كان يعاشره من الفراشين ومطيرى الحمام، وسُلموا لشاد الدواوين على حمل ما أخذوه من المال. فأقر الخدام أن الذى خص كيدا فى مدة شهرين نحو خمسة وثلاثين ألف دينار، ومائتين وعشرين ألف درهم؛ وخص عبد على العواد نحو ستين ألف درهم؛ وخص الإسكندر بن كتيلة الجنكى نحو الأربعين ألف درهم؛ وخص العبيد والفراشين ومطيرى الحمام نحو مائة ألف درهم. وأظهر بعض الخدام حاصلات تحت يده، فيه لؤلؤ وجوهر قيمته زيادة على مائة ألف دينار، وفيه تحف وتفاصيل وزركش وبدلات ثياب بنحو مائة ألف دينار.

وفى يوم الخميس سادس عشره: قبض على الأمير أيدير الزراق، والأمير قطز أمير آخور، والأمير ملك؛ وأخرج قطز لنيابة صفد.

وفيه قطعت أخباز عشرين خادما، وخبز عبد على العواد، وإسكندر بن كتيلة الجنكى.

وفيه طلبت دبيقة مغنية عرب الجيزة، وكانت تخايل بالقلعة؛ وطلبت ضامنة المغانى أيضا؛ وألزمنا بمال فى نظير ما حصل لهما من بيت المال.

وفى يوم الأحد تاسع عشره: عرضت جميع الجوارى اللاتى بالقلعة، ورُسم بتزوج من أعتق منهن، وفرقَ باقيهن.

وفيه قبض على الطواشى عنبر السحرتى، وعلى الأمير آقسنقر أمير جاندار زوج أم المظفر.

وفيه عرضت المماليك أرباب الوظائف، وأخرج منهم جماعة.

وفيه أحيط بأموال كيدا، وأموال بقية الخطايا، وأنزل من القلعة.

وفيه كتبت أوراق بمرتبات الخدام والعييد والجواري، وقطعت كلها.

وكان أمراء المشورة والتدبير تسعة، وهم ببيغا روس القاسمي، بأجيينغا المظفري، ومنكلي بغا الفخري، وطشتمر طليليه، وأرقتاي النائب، وطاز، وأحمد شاد الشرايخانا، وأرغون الإسماعيلي فاستقر شيخو العمرى رأس نوبة كبير وشارك الأمراء فى تدبير أمور المملكة.

وفيه استقر مغلطاي أمير آخور، عوضا عن قطز.

وفيه أفرج عن بزلار.

وفيه أنعم على فارس الدين قريب آل ملك بإمرة طبلخاناه.

وفيه جهزت التشاريف لنواب الشام، وكتب إليهم بما وقع.

وفيه وقع الاتفاق على تخفيف الكلف السلطانية، وتقليل المصروف بسائر الجهات؛ وكتبت أوراق بما على الدولة من الكلف.

وفيه أخذ الأمراء فى تتبع طائفة الجراكسية من الممالك، وقد كان المظفر قريهم إليه بسفارة غرلو، فإنه كان جركسى الجنس. وجلبهم المظفر من كل مكان حتى عرفوا بين الأمراء، وقوى أمرهم، وصار منهم أمراء وأصحاب أقباز وتميزوا بكبر عمائمهم، وعملوا كلفتاه خارجة عن الحد. فطلبوا الجميع، وأخرجوهم منفيين خروجاً فاحشاً.

وفى يوم الإثنين ثانى شوال: ركب الأمراء وأهل الدولة إلى الخدمة، وكتبت أوراق من ديوان الجيش بأسماء الذين اشتروا الإقطاعات فى الحلقة من أرباب الصنائع، ورسم بقطع أقبازهم فشفع الأمراء فى كثير منهم، ولم يقطع غير عشرين جندياً.

وفيه قدم جواب الأمير أرغون شاه نائب الشام بموافقته، ورضاه بما وقع، وعرض من فخر الدين أياس نائب حلب. وكان الأمير أرقطاي نائب السلطنة قد أراد من الأمراء أن يعفوه من النيابة، ويولوه بلداً من البلاد، فلم يوافقوا على ذلك. فلما ورد كتاب الأمير أرغون شاه نائب الشام يذكر فيه أن أياس يصغر عن نيابة حلب، فإنه لا يصلح لها إلا رجل شيخ كبير القدر له ذكر وشهرة، وطلب الأمير أرقطاي نيابة حلب فأجال الأمراء الرأى فى ذلك إلى أن اتفقوا عليه. فلما كان يوم الخميس خامسه واجتمعوا بالخدمة، خلع على الأمير ببيغا روس القاسمي واستقر فى نيابة السلطنة، عوضاً عن أرقطاي، وخلع على أمير أرقطاي واستقر فى نيابة حلب، عوضاً عن فخر الدين أياس؛

وخرجا بتشريفهما. فجلس بييغا روس فى دست النيابة، وجلس أرقطاي دونه، بعدما كان قبل ذلك بساعة أرقطاي فى دست النيابة وبييغا جالس دونه.

وفى يوم السبت سابعه: قدم أمير منجك اليوسفى السلحدار أخو النائب بييغا روس من الشام، فرُسم له بتقدمة ألف، وخلع عليه، واستقر وزيراً وأستاداراً. وخرج فى موكب عظيم، والأمراء فى خدمته؛ فصار حكم مصر للأخوين بييغا روس ومنجك السلاح دار.

وفى يوم الثلاثاء عاشره: سار أرقطاي متوجها إلى حلب، وصحبته الأمير كشلئى الإدريسى متسفرا.

وكان قد رسم بنقل الأمراء المقتولين بالإسكندرية، فنقلوا إلى القاهرة. ودفن الأمير قمار بخانكاة أخيه الأمير بكتمر الساقى، قبلى القرافة. ودفن الأمير أرغون العلامى بخانكاته من القرافة. ودفن الأمير قوصون بخانكاته داخل باب القرافة. ودفن الأمير بشتاك بتربة الجاولى، فوق جبل الكبش. ودفن الأمير ملكتمر الحجازى فى يوم الإثنين سابع عشرى رمضان، بموضع من قصر الزمرد عند رحبة باب العيد من القاهرة، أنشأته له زوجته، ثم عملته مدرسة تعرف اليوم بالحجازية. ودفن الملك الأشرف كجك بجماع آقسنقر من التبانة قريبا من القلعة، بجوار قبر زوج أمه آقسنقر. وأخرج يوسف وشعبان ورمضان أولاد الناصر محمد، ودفنوا بمواضع أخرى. وسلم الأمير تمر الموساوى لأهله، فدفنوه بتربتهم. ونقل جماعة كثير سواهم، ولم يعهد مثل ذلك فى الدولة التركية.

وفيه خلع على الشيخ علاء الدين على بن الفخر عثمان بن إبراهيم الماردينى، المعروف بابن التركمانى الحنفى، واستقر فى قضاء القضاة الحنفية بمصر، عوضا عن زين الدين عمر بن عبد الرحمن البسطائى.

وفيه رُسم بكتابة أوراق بكلف الدولة، وُقِر منها مبلغ ستين ألف درهم فى كل شهر من جامكية المماليك. وقُطعت جوامك الخدم والجوارى والبيوتات، ووُقِر كثير من رواتب الدولة لزوجات السلطان وكيدا واتفاق، وقُطعت رواتب المغانى. وقُطِع من الاصطبل السلطانى جماعة، ما بين أمير آخورية وسر آخورية وسياس وغللمان، ووُقِر من رواتب عليق الخيول نحو خمسين أردبا فى اليوم. وقُطعت الكلابزية، وكانوا خمسين جوقة كلاب، فاستقروا جوقتين. وقُطعت رواتب كثير من الأسرى والعتالين والمستخدمين فى العمائر، وأبطلوا العمائر من بيت السلطان. واستقر مصروف الخوائج خاناه فى كل يوم ثمانية عشر ألف درهم، بعدما كان أحدا وعشرين ألف درهم، فتوفر

منه ثلاثة آلاف درهم.

وفيه رُسم ألا يستقر في كل جهة إلا شاد وعامل وشاهد واحد.

واشتد الوزير منجك على أرباب الدواوين، وتكلم فيهم حتى خافوه بأسرهم، وقاموا له بتقادم تليق به؛ فلم يمضى شهر حتى أنس بهم، واعتمد عليهم في أموره كلها.

واستدعى الوزير منجك أيضا ولاية الأقاليم، وألزم آقبغا والى المحلة بمائة ألف درهم، وولى أسندمر القلنجيقى الغربية، ثم عزله وولى قطليجا مملوك بكتمر؛ وولى أسندمر القاهرة، وأضاف له الجهات يتحدث فيها.

وفيه أنعم على أمير أرغون الكاملى بتقدمة ألف، وأنعم بإقطاعه على يلجك ابن أخت قوصون.

وفيه قدم سيف فخر الدين أياس نائب حلب على يد عمر شاه. وقد قبض عمر شاه على أياس، وأحضره إلى القاهرة، فحمل إلى الإسكندرية.

وفيه قدم الخير بكثرة فساد العريان بالصعيد والفيوم، فخرج ابن طقزدمر ومعه خمسة أمراء طبلخاناه إلى الوجه القبلى، وخرج بكلمش أمير شكار فى عدة أمراء إلى الفيوم.

وفيه استقر طغية فى ولاية قوص، عوضا عن إسماعيل الوافدى^(١)، وقد فر بأمواله من قوص. ثم نقل طغية إلى كاشف الوجه القبلى، عوضا عن علاء الدين على بن الكوارنى؛ واستقر ابن المزوق فى ولاية قوص. واستقر مجد الدين موسى الهذبانى فى ولاية الأشمونين، عوضا عن ابن الزركشى. واستقر قطلومش فى ولاية الجيزة.

فتسامع الناس بولاية الوزير منجك الأعمال بالمال، وأنه قد انفتح باب الأخذ والعطاء، فهرعوا إليه من حلب ودمشق وسائر النواحي؛ ورتب الوزير ببابه جماعة لاستقضاء الناس وقضاء أشغالهم.

وفى أول ذى القعدة: قدم الخير بأن الأمراء المجردين أوقعوا بالعرب، وقتلوا منهم جماعة، ونهبوا ما وجدوه، فانهمز باقيهم إلى جهة الواحات.

وفيه توقفت أحوال الدولة وتحسن السعر، فاتفق الأمراء ورتبوا لنفقة السلطان فى كل

(١) الوافدى لفظ جرى استعماله فى عصر سلاطين المماليك للدلالة على الأفراد الذين هاجر

معظمهم من بلاد المغول إلى مصر.

يوم مائة درهم تكون بيده. فكان خادمه يحضر في كل يوم إلى علم الدين بن زنبور ناظر الخزانة، وهو جالس بخزانة الخاص من القلعة، يطالبه بمائة درهم، فيكتب لمباشري الخزانة بصرف جامكية السلطان وصلاً يأخذه صيرفي الخزانة عنده، ويزن للخادم المائة درهم، فيدخل بها إلى السلطان ليتوسّع بها فيما يعن له. وكان هذا راتبه كل يوم ولم يسمع بمثل ذلك أن يكون ملك يجلس على تخت الملك، ويصرف الأمور بالعزل والولاية، وتحمل إليه أموال مصر والشام، ولا يتصرف منها في شيء.

وذلك أن الأمراء تحالفوا - بعد خروج الأمير أرقطاي النائب إلى حلب - أن يكونوا يداً واحدة وكلمتهم واحدة، ولا يدخل بينهم غريب، وأن يكون الأمير شيخو إليه أمر خزانة الخاص، ويراجعه على الدين عبد الله بن زنبور ناظر الخاص ويتصرف بأمره، وأن يكون الأمير ببيغا روس يتحدث في المملكة، فيخرج الإقطاعات للأجناد والإمرات للأمراء بمصر والشام، وإليه يرجع أمر نواب الشام أيضاً، وأنهم يجتمعون للمشورة بين يدي السلطان فيما يتجدد، وألا يدعوا السلطان يتصرف في المال، ولا ينعم على أحد، ولا يمكن من شيء يطلبه؛ فمشت الأمور على هذا.

وفيه وقف نحو المائتين ممن كان بخدمة الأمراء للنائب ببيغا روس يشكون البطالة ففرقوا على كل أمير مائة ثلاثة نفر، وعلى كل أمير طبلخاناه اثنين، وعلى كل أمير عشرة واحداً، ومن لم يكن من الأمراء عنده إقطاع محلول يرتب للواحد منهم مائة درهم وأردبين غلة في الشهر. فمن الأمراء من قبل، ومنهم من أبي أن يقبل منهم أحداً.

وفيه تراسل الماليك الجراكسة والأمير حسين بن الناصر محمد على أن يقيموه سلطانا، فقبض على أربعين من الجراكسة، وأخرجوا على الهجن مفرقين إلى البلاد الشامية ثم قبض على ستة، وضرَبوا قدام الإيوان بالقلعة ضرباً مبرحاً، وقيدوا وحُبسوا بخزانة شمائل.

ثم عملت الخدمة بالإيوان، وتم الاتفاق على أن الأمراء إذا انفَضُوا من خدمة الإيوان دخل أمراء المشورة المقدمين إلى القصر، دون من عداهم من بقية الأمراء، ونفذوا الأمور على اختيارهم، من غير أن يشاركهم أحد من الأمراء في ذلك. وكانوا إذا حضروا الخدمة بالإيوان خرج الأمير منكلى بغا الفخري، والأمير بيغرا، والأمير ببيغا ططر، والأمير طبيغا المجدى، والأمير أرلان، وسائر الأمراء، فيمضون لحاهم إلا أمراء المشورة والتدبير، وهم الأمير ببيغا النائب والأمير شيخو العُمري، والوزير منجك، والأمير ألببيغا المظفري، والأمير طاز، والأمير طنيرق، فإنهم يدخلون إلى القصر

وينفذون أحوال الدولة بين يدي السلطان، بمقتضى علمهم وحسب اختيارهم؛ فتمضى الأمور على ذلك، ولا يشاركون أحد في شيء من أحوال الدولة.

وفيه قدم الأمير كشلى الإدريسي من حلب، فى تاسع عشره، بكتاب الأمير أرقطاي نائب حلب أنه قدمها فى ثانيه؛ فكانت جملة ما أنعم به عليه من ذهب وخيل وقماش نحو مائة ألف درهم.

وفيه كُتب لنائب الشام أرغون شاه أن يعمل برأيه فى نيابة دمشق، ويتحكم فى جميع الأحوال من غير مشاوره.

وفى مستهل ذى الحجة: قدم الأمراء المجردون من الوجه القبلى، وقد أثروا آثارا قبيحة من سفك الدماء ونهب الأموال بغير حق، فإن أرباب الجرائم فروا فى البرية فأوقعوا بأصحاب الزروع.

وفيه كتب لطغية كاشف الوجه القبلى برمى الشعير على بلاد الأمراء والأجناد، وجباية عشرة آلاف أردب منها بسعر عشرة دراهم الأردب؛ فطلب طغية مقطعى البلاد، وفرّق فيهم المال، ولم يعف أحدا.

واتفق فى هذه السنة حدوث حر شديد لم يعهد مثل بأرض مصر مدة أيام، ثم أعقب الحر ريح من جهة برقة مرت ببلاد البحيرة والغريبة تحمل ترابا أصفر بلون الزعفران لبس الزرع لبسا حتى أيس الناس منه. فبعث الله مطرا مدة يوم وليلة غسلت ذلك التراب كله فأصبح من غد يوم المطر وقد جاء تراب أصفر أشد من الأول والزرع مبتل، فلصق بالزروع واستمر عليها. وقد خامر اليأس من الزروع قلوب الناس، وتيقنوا الهلاك، فتدارك الله الناس بلطفه، وبعث ندأ كثيرا فى الأسحار، فانحل التراب عن آخره، ولما أدركت الغلال لحقها بعض الهيف.

وفيه قدم كثير من أهل دمشق للسعى من باب الوزير منحك فى المباشرات، منهم ابن السلعوس، وصلاح الدين بن المؤيد، وابن الأجل، وابن عبد الحق، فولى ابن الأجل نظر الشام وتوجه إلى دمشق، فضربه الأمير أرغون شاه نائب الشام ضربا مؤلما، وأخذ خلعتة، وكتب بسببه إلى مصر يفض منه؛ فرسم أنّ من طلب وظيفة بغير كتاب نائب الشام شق وأخذ ماله.

وفيه استقر جمال الدين محمد بن زين الدين عبد الرحيم المسلاتى فى قضاء المالكية بدمشق، عوضا عن شرف الدين محمد بن أبى بكر بن ظافر بعد وفاته.

وفي هذه السنة: استجد بمدينة حلب قاض مالكي وقاض حنبلي، فولى قضاء المالكية بها شهاب الدين أحمد بن ياسين الرُّبَاحِي، وولى قضاء الحنابلة بها شرف الدين أبو البركات موسى بن فياض؛ ولم يكن بها قبل ذلك مالكي ولا حنبلي، فاكتمل بها أربعة قضاة.

وفيها كان الغلاء بأرض مصر والشام، حتى بيعت غرارة القمح فى دمشق بثلاثمائة درهم؛ ثم انحط السعر.

وفيها توقف النيل فى أوائل أيام الزيادة، فارتفع سعر الغلال. ثم توالى الزيادة حتى كان الوفاء فى رابع جمادى الأولى، وهو تاسع مسرى؛ وانتهت الزيادة إلى ستة عشر ذراعا واثنين وعشرين إصبعا. ثم تناقص النيل نحو سبع أصابع إلى عيد الصليب، فرد نقصه وزاد حتى بلغ سبعة عشر وخمس أصابع. هذا وسعر الغلة يتزايد إلى أن بلغ الأردب ستين درهما، ثم تناقص حتى بيع بعشرين درهما.

ومات فيها من الأعيان تقي الدين أحمد بن الجمال سليمان بن محمد بن هلال الدمشقي، بها فى ليلة الجمعة سادس رجب. وقد ولى بدمشق وكالة بيت المال والحسبة وتوقيع الدست، ثم نظر النظار؛ وقدم القاهرة غير مرة.

ومات الأمير آقسنقر الناصرى مقتولا، فى يوم الأحد تاسع عشر ربيع الآخر وكان السلطان الناصر محمد قد اختص به، وزوجه ابنته، وجعله أمير شكار، ثم نائب غزة. وأعيد بعده فى أيام الصالح إسماعيل إلى مصر، وعُمل أسير آخور. ثم استقر فى نيابة طرابلس مدة، وأحضر إلى مصر فى أيام شعبان الكاملى، وعظم قدره ودبر الدولة فى أيام المظفر حاجى حتى قتله. وكان كريما شجاعا، وإليه ينسب جامع آقسنقر بخط التبانة قريبا مكن القلعة.

ومات الأمير بيدمر البدرى مقتولا بغزة، فى أوائل جمادى الآخر. وهو أحد المماليك الناصرية، وولى نيابة حلب، وإليه تنسب المدرسة الأيدمرية بالقاهرة قريبا من المشهد الحسينى.

وتوفى قاضى الحنفية بدمشق عماد الدين على بن محيي الدين أحمد بن عبد الواحد ابن عبد المنعم بن عبد الصمد الطرسوسى، عن تسع وسبعين سنة، بعدما ترك القضاء لولده وانقطع بداره.

ومات أمير على بن الأمير قراسنقر.

وتوفى قاضى المالكية وشيخ الشيوخ بدمشق شرف الدين محمد بن أبى بكر بن ظافر عبد الوهاب الهمداني، فى ثالث الحرم عن ثلاث وسبعين سنة.

وتوفى المحافظ شمس الدين بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبى^(١)، صاحب التصانيف الكثيرة فى الحديث والتاريخ وغير ذلك، فى ثالث ذى القعدة؛ ومولده فى ربيع الآخر سنة ثلاث وسبعين وستمائة.

ومات الأمير الوزير نجم الدين بن على بن شروين، المعروف بوزير بغداد، مقتولا بغزة فى أوائل جمادى الآخر. قدم من بغداد إلى القاهرة، وولى الوزارة ثلاث مرات فشكرت سيرته، وعرف بالمكانم. وله خانكاه بالقرافة، بجوار تربة كافور الهندى.

ومات قوام الدين مسعود بن محمد بن سهل، الكرمانى^(٢) الحنفى بدمشق، وقد جاوز الثمانين سنة؛ وكان بارعا فى الفقه والنحو والأصول، وله شعر.

ومات الأمير نجم الدين داود بن أبى بكر بن محمد بن الزبيق، بدمشق فى سادس رجب؛ وتنقل فى ولايات مصر والشام.

ومات أمير بنى عقبة بدر الدين شطى بن عيبة، ليلة عيد الأضحى؛ وأنعم على ولديه أحمد ونصير بإمرته.

ومات الأمير طرنطاي البشمقداز، فى شعبان.

ومات الأمير ملكتمر الحجازى مقتولا، فى تاسع عشر ربيع الآخر. وكان من مماليك شمس الدين أحمد بن يحيى بن محمد بن عمر الشهرزورى، فبذل له فيه السلطان الناصر محمد زيادة على مائة ألف درهم، حتى ابتاعه له منه المجد السلامى بمكة، لما حج ابن الشهرزورى. وقدم به المجد السلامى إلى السلطان الناصر محمد فلم ير بمصر أحسن منه ولا أظرف، فعرف بالحجازى، وحظى عند السلطان حتى زوجه بابنته، وكان مدمن

(١) محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبى، شمس الدين، أبو عبد الله حافظ، مورخ علامة محقق تركمانى الأصل، من أهل ميافارقين مولده ووفاته فى دمشق رحل إلى القاهرة وطاف كثيرا من البلدان وله [دول الإسلام - ط] و[المشبه فى الأسماء والأنساب]، [والكنى والألقاب - ط]. انظر فوات الوفيات ٢: ١٨٣ ونكت الهيمن ٢٤١ وذيل تذكره المحافظ ٣٤٤ و٣٤٧ وطبقات السبكي ٥: ٢١٦ والتعبى ١: ٧٨ والشذرات ٦: ١٥٣ وغاية النهاية ٢: ٧١ والدرر الكامنة ٣: ٣٣٦ والنجوم الزاهرة ١٠/ ١٨٢ والأعلام ٥/ ٣٢٦.

(٢) مسعود بن محمد (أو إبراهيم بن محمد بن سهل الكرمانى، أبو محمد قوام الدين: أديب، من فقهاء الحنفية تعلم فى بلاده ومهر فى الفقه والأصول والعربية قال ابن العماد: له النظم الرائق والعبارة الفصيحة وله (شرح الكنتز). انظر النجوم الزاهرة ١: ١٨٣ وشذرات الذهب ٦/ ١٥٧ والدرر الكامنة ٤: ٣٥١.

الخمر مرتبه منه فى كل يوم زنة خمسين رطلا. لم تسمع منه كلمة فحش قط، ولا توسط بسوء أبداً، مع سخاء النفس وعدم الشر.

ومات الأمير طغيتمر النجمى الدوادار، صاحب الخانكاه النجمية خارج باب المحروق.

ومات الأمير يلبغا اليحياوى نائب الشام قتلا، بقاقون وهو من المماليك الناصرية الذين شغف بهم السلطان الناصر محمد، وعمر له الدار العظيمة التى موضعها الآن مدرسة السلطان حسن، وولى نيابة حلب، ثم نيابة دمشق، وعمر بها الجامع المعروف بجامع يلبغا بسوق الخليل، ولم يكمله، فكمل بعد موته. وكان كريما، يبلغ إنعامه فى كل سنة على مماليكه مائة وعشرين فرسا وثمانين حياصة ذهب.

ومات إسماعيل وأولاده قتلا بالإسكندرية.

ومات الأمير أرغون العلائى أحد المماليك الناصرية. رقاها السلطان الملك الناصر محمد، وزوجه أم ابنه شعبان وإسماعيل، وعمله لالا أولاده فدبر الدولة فى أيام ربيبه الصالح إسماعيل، وشكرت سيرته، ثم قام بدولة شعبان الكامل حتى قتل، وإليه تنسب خانكاه العلائى بالقرافة. وكان كريما، ينعم فى السنة بمائتين وثلاثين فرسا، ومبلغ أربعين ألف دينار، على الأمراء، وغيرهم.

وقتل أيتمش عبد الغنى، وتمر وقراجا، وصمغار.

وقتل بقلعة الجبل الأمير شجاع الدين غرلو، فى خامس عشر جمادى الآخرة. وكان من أرمن قلعة الروم، ويدعى أنه جركسى الجنس. وقدم مصر، وخدم فى جملة أوجاقية الأمير بهادر المغربى، وصار بعده أوجاقيا عند الأمير بكتمر الساقى، ثم عمله أمير آخور حتى مات بكتمر ثم خدم الأمير بشتاك، ثم تنكر عليه بشتاك، وضربه لتحامقه، وأخرجه فولى ولاية أشمون، ثم استقرّ فى ولاية القاهرة، وانتقل إلى وظيفة شاد الدواوين، وأحدث مظالم كثيرة. وجمع الجراكسة على المظفر حاجى، لأنهم من جنسة وعظم فى الدولة المظفرية حتى قتل كما تقدم.

وقتل السلطان المظفر حاجى فى مدة أربعين يوما أحدا وثلاثين أمير، منهم أحد عشر أمراء ألوف.

وقتل متملك تونس أبو حفص عمر بن أبى بكر بن يحيى بن إبراهيم بن يحيى بن عبد الواحد بن أبى حفص، فى جمادى الآخرة؛ فكانت مدته نحو من أحد عشر شهرا.

٦٨..... سنة ثمان وأربعين وسبعمائة

وكان قد بويع أخوه العباس أحمد، فى تاسع رمضان سنة سبع وأربعين، ثم قُتل بعد
سبعة أيام.

ومات الشيخ حسن بن النوين أرتنا ملك الروم، فى شوال.

* * *

سنة تسع وأربعين وسبعمائة

أهلت بيوم الثلاثاء، وهو الخامس من برمودة، والشمس فى الدرجة التاسعة عشر من برج الحمل، أول برج فصل الربيع.

فى يوم الثلاثاء أول المحرم: قدم الخير بقتل إسماعيل الوافدى والى قوص، بعد فراره منها. وقد جمع عليه عدة من الوافدية يريد تملك بلاد السودان، فحاربوه وقتلوه ومن معه بأسرهم، وأخذوا منهم مالا كبيرا.

وفيه خلع على الأمير علاء الدين على بن الكورانى، واستقر فى ولاية القاهرة، عوضا عن أسندم القلنجقى بعد موته. وأخرج ابن الكورانى من السجن أربعين مسجونًا، وفعل بهم من القتل والقطع ما توجه جرائمهم شرعا.

وفيه قبض على الشيخ على الكسيح نديم المظفر حاجى، وضرب بالمقارع والكسارات ضربا عظيما، وقلعت أضراسه وأسنانه شيئا بعد شيء فى عدة أيام، ونوع له العذاب أنواعا حتى هلك. وكان شنع المنظر، له حذبة فى ظهره وحذبة فى صدره، كسيحا لا يستطيع القيام، إنما يُحمل على ظهر غلامه. وكان يلوذ بأجبيغا المظفرى وهو مملوك، فعرف به أجبيغا الملك المظفر حاجى، فصار يضحكه. وصار المظفر يخرج حرمة عليه، ويعاقره الشراب، فتبهه الحظايا شيئا كثيرا. ثم زوجه المظفر حاجى بإحدى حظاياها، وصار يسأله عن الناس، فينقل له أخبارهم على ما يريد، ودخله فى قضاء الأشغال فخافه الأمراء وغيرهم خشية لسانه، وصانعوه بالمال حتى كثرت أمواله، بحيث إنه إذا دخل خزانة الخاص لا بد أن يعطيه ناظر الخزانة منها شيئا له قدر، ويدخل عليه ناظر الخاص حتى يقبله منه. وإذا دخل إلى النائب أرقطاي استعاذ من شره، ثم قام له وترحب به وسقاه مشروبا، وقضى شغله الذى جاء بسببه، وأعطاه ألف درهم من يده، واعتذر إليه فيقول للنائب: «ها أنا أدخل على ابني السلطان، فأعرفه أحسانك». فلما زالت دولة المظفر حاجى عنى به أجبيغا، إلى أن شكاه عبد العزيز العجمى - أحد أصحاب الأمير قراسنقر - على مال أخذه منه لما قبض عليه غرلو بعد قتل قراسنقر حتى خلصه منه فتذكره أهل الدولة، وسلّموه إلى الوالى فعاقبه، واشتد عليه الوزير منجك حتى أهلكه.

وفيه رحمت العامة ابن الأطروش المحتسب. وسببه أن السعر لما تحسن بلغ الخبز ستة

أرطال وسبعة أرطال بدرهم؛ عمل بعض الخبازين خبزاً، ونادى عليه ثمانية أرطال بدرهم، فطلبه المحتسب وضربه، فثارت العامه به، ورجعوا بابه حتى ركب الوالى وضرب منهم جماعة.

وفيه توحش ما بين الأمير شيخو والأمير بييغا روس نائب السلطان. وسببه أن نفقة السلطان المائة درهم دخلت إليه على العادة، فطلب منه أحد المماليك ثلاثمائة درهم، فبعث إلى الأمير شيخو يطلب منه ذلك، فقال لقاصده: «أيش تعمل بالدرهم؟ وأيش له حاجة بها؟ وما ثم هذا الوقت شىء». فعز عليه ذلك لما بلغه، وأرسل يطلب هذا المبلغ من النائب بييغا روس، فبعث إليه ثلاثة آلاف درهم. فقامت قيامة شيخو وأقام أياماً لا يحدث النائب بييغا روس، حتى دخل بينهما الوزير منجك، وسأل عن سبب الغضب على النائب. فقال له شيخو: «أنا ما كان عندى دراهم أسيرها للسلطان! لكن حفظت ما اتفقنا عليه، فعمل النائب وجهه أبيض عند السلطان، وسودّ وجهى؛ فما زال به الوزير منجك حتى رضى.

وفيه قدم الخبر بوقوع الحرب بين سيف بن فضل^(١) وعمر بن موسى بن مهنا^(٢)، أسر فيها سيف، وقتل أخوه وجماعة من أصحابه.

وفيه توقف أمر الدولة على الوزير منجك^(٣) فقطع ستين من السواقين^(٤) ووفر لحمهم ومعلومهم وكسوتهم وعليقهم؛ وقطع كثيراً من الركابين والنجابه؛ وقطع كثيراً من المباشرين، حتى وفر فى كل يوم أحد عشر ألف درهم. وفتح ابن منجك باب

(١) سيف بن فضل بن عيسى بن مهنا هو سيف بن فضل بن عيسى بن مهنا أمير عرب الفضل، من بادية الشام كان شجاعاً حواداً ولى إمرة قومه عدة مرات أولها بعد موت أخيه عيسى (سنة ٧٤٤ هـ) ومات قتيلًا. انظر ابن خلدوان ٥: ٤٣٩ والنجوم الزاهرة ١٠: ٣٣٠ وصبح الأعشى ٤/ ٢٠٧ والدرر الكامنة ١٨٣/٢ والأعلام ٣/ ١٥٠.

(٢) موسى بن مهنا هو موسى بن مهنا بن عيسى بن مهنا بن مانع الطائى. رئيس آل فضل أمراء بادية الشام يلقب مظفر الدين ولى الإمارة بعد موت أبيه [٧٣٤ هـ] واستمر إلى أن توفى بتدمر قال ابن تغرى بردى كان من أجل ملوك العرب. انظر ابن خلدوان ٥: ٤٣٩ والبداية والنهاية ١٤: ١٩٣ والنجم الزاهرة ١: ٧٦ والأعلام ٧/ ٣٣٩.

(٣) منجك بن عبد الله سيف الدين اليوسفى الناصرى أمير داهية جبار يعرف بمنجك الكبير كان فى خدمة الناصر محمد بن قلاوون ثم كان هو الذى رأس ابنه أحمد (الناصر بن الناصر) وولى الوزارة بمصر ٧٤٨ هـ وصرف عنها وأعيد إليها بعد أربعين يوماً وبنى جامع منجك بالقاهرة سنة ٧٥١ هـ انظر خطط المقرئى ٢/ ٣٢ والدرر الكامنة ٤/ ٢٣٠ والأعلام ٧/ ٢٩١.

(٤) السواقين جمع السواق وهو الشخص المكلف بإدارة ساقية الماء فى جامع من الجوامع.

المفايضات بالأخباز والنزولات عنها، وأخذ من ذلك مالا كثيرا، وحكم على أخيه الأمير بييغا روس النائب بتمشية هذا، فاشترى الإقطاعات كثير من العامة.

وفيه قدم خبر من طرابلس بأن قبرص وقع بها فناء عظيم، هلك فيه خلق كثير.

وفيه مات ثلاثة ملوك فى شهر واحد، وأن جماعة منهم ركبوا البحر إلى بعض الجزائر، فهلكوا عن آخرهم.

وفى رابع عشره: قدم الحاج.

وفى خامس عشره: قبض على الطواشى غير السحرتى مقدم الممالك فى الدولة المظفرية؛ وكان قد أخرج إلى المقدس، وحج منه بغير إذن، وقدم القاهرة. فأنكر عليه حجه بغير إذن، وأخذت أمواله؛ ثم أخرج إلى القدس.

وفى يوم الإثنين ثالث ربيع الأول: عزل الأمير منجك من الوزارة. وسبب ذلك أن علم الدين عبد الله بن زنبور ناظر الخاص قدم من الإسكندرية بالحمل على العادة، فوقع الاتفاق على تفرقة فى الأمراء، فحمل إلى الأمير بييغا روس النائب منه ثلاثة آلاف دينار، وإلى الأمير شيخو ثلاثة آلاف دينار، وجماعة من الأمراء كل واحد ألف دينار وجماعة أخرى منهم كل أمير ألف دينار فامتنع شيخو من الأخذ، وقال: «أنا ما يحل لى أن آخذ من هذا شيئا». وقدم أيضا حمل قطيا وهو مبلغ سبعين ألف درهم، وكانت قطيا قد أرصدت لنفقة الممالك فأخذ الوزير منجك من الحمل أربعين ألف، وزعم أنها كانت قرضا فى نفقة الممالك. فوقف الممالك إلى الأمير شيخو، وشكوا الوزير بسببها فحدث الأمير شيخو الوزير فى الخدمة ليردها، فلم يفعل، وأخذ فى الحط على ابن زنبور ناظر الخاص، وأنه يأكل المال جميعه، وطلب إضافة نظير الخاص له مع الوزارة والأستادية. وألح منجك فى ذلك عدة أيام، فمنعه شيخو من ذلك، وشد من أزر ابن زنبور، وقام بالمحاqqة عنه، حتى غضب منجك بحضرة الأمراء فى الخدمة. فمنع الأمير بييغا روس النائب الوزير منجك من التحدث فى الخاص، وانفض الجمع، وقد تنكر كل منهما على الآخر. فكثرت القالة بالركوب على النائب ومنجك حتى بلغهما ذلك، فطلب النائب الإعفاء من النيابة، وإخراج أخيه منجك من الوزارة، وأبدأ وأعاد حتى طال الكلام. ووقع الاتفاق على عزل منجك من الوزارة واستقراره أستاذارًا وشادًا على عمل الجسور فى النيل.

وفيه طلب الأمير أسندمر العمري المعروف برسلان بصل من كشف الجسور، ليتولى الوزارة. فخلع عليه فى يوم الإثنين رابع عشره خلعة الوزارة، وخرج إلى قاعة

الصاحب، وجلس والموفق ناظر الدولة والمستوفون، وطلب جميع المشدين وأرباب الوظائف.

وفيه أخرج الأمير أحمد شاد الشربخانا إلى نيابة صفد وسبب ذلك أنه كان قد كبر في نفسه، وقام مع الماليك على المظفر حتى قتل. ثم أخذ في تحريك الفتنة، واتفق مع ألبجيغا وطنيرق على الركوب. فبلغ الأمير ببيغا روس النائب الخير، فطلب الإعفاء من النيابة وذكر ما بلغه. ورمى أحمد شاد الشربخانا بأنه صاحب فتن، ولا بد من إخراجه من بينهم؛ فطلب أحمد وخلع عليه، وأخرج من يومه.

وفي يوم الثلاثاء خامس عشرية: اجتمع القضاة الأربعة والفقهاء وكثير من الأمراء بالجامع الحاكمي، وقرأوا القرآن ودعوا الله. ثم اجتمعوا ثانيًا في عصر النهار، فبعث الله مطرًا كثيرًا.

وفي يوم الأربعاء سادس عشرية: أنعم على الأمير منجك بتقدمة أحمد شاد الشربخانا.

وفي يوم الخميس سابع عشرية: امتنع النائب من الركوب في الموكب، وأجاب بأنه ترك النيابة. فطلب إلى الخدمة، وسئل عن سبب تغييره، فذكر أن الأمراء المظفرية تريد إثارة الفتنة، وتبيت خيولهم في كل ليلة مشدودة، وقد اتفقوا على مسكه، وأشار لألبجيغا وطنيرق. فأنكرا ما ذكر عنهما، فحاققهما الأمير أرغون الكاملى أن ألبجيغا واعدته بالأمس على الركوب في الغد إلى الموكب، ومسك ببيغا روس النائب والوزير منجك فعوتب ألبجيغا على هذا، فاعتذر بعذر لم يقبل منه، وظهر صدق ما رُمى به؛ فخلع عليه بنياية طرابلس، وعلى طنيرق بإمرة في دمشق، وأخرجنا من يومهما. فقام في حق طنيرق صهره الأمير طشتمر طلليه حتى أعفى من السفر؛ وتوجه ألبجيغا لطرابلس، في ثاني ربيع الآخر بعدما أمهل أيامًا؛ فأقام الأمراء على حذر وقلق مدة أيام.

وكان ماء النيل قد نشف فيما بين مدينة مصر ومنشأة المهرانى إلى زريبة قوصون وفم الخور، وفيما بين الروضة والجزيرة الوسطى؛ وصار في أيام احتراق النيل رمالا وكان قد ركب في الأيام الماضية جماعة من الأمراء والمهندسين ورؤساء المراكب للكشف عن ذلك، وقاسوا ما بين الجزيرة والمقياس ليعملوه جسرًا. فقال الرئيس يوسف: «ما يستد هذا البحر أبدًا، ومتى ما سدّيته مآل على الجزيرة وأخربها» ورأى الأمير طقزدمر النائب أن عمل هذا الجسر يدفع قوة الماء إلى بر مصر وبولاق، ويخرب ما هناك من الأملاك. فقام الأمير ملكتمر الحجازى في شكر رجل عنده قد تكفل بسد

ذلك، وقام الأمير طغتمر النجمي بشكر رجل آخر. فرُسم بإحضار الرجلين، ونزل النائب والوزير لعمل ذلك، وهما معهما فاستدعى صاحب الحجازى بالخشاب والصوارى الكبار والحلفاء، وطلب مراكب لتملاً بالحجارة حتى يفرقها من جهة المقياس ويعمله سدًا، ثم يرجع إلى السد الثانى فيسده بالتراب؛ وطلب الأبقار والجراريف. فخالفه الآخر صاحب طغتمر، وقال بل يسد من بستان الذهبى إلى رأس الجزيرة، والتزم أنه لا يصرف عليه سوى أربعة آلاف درهم فسخر منه جميع من حضر، وسأله النائب كيف يكون هذا، فذكر أنه يسده بالحلفاء والخصوص فعادوا إلى السلطان المظفر حاجي، فالتزم له أن يسد الجسر بما تقدم ذكره، على أن يعطيه إقطاعاً، ويرتب له لحمًا وعليقًا، وإن لم يسده شنقه السلطان.

فرسم للأمير أسندمر الكاشف ولشاد العمائر بالوقوف معه فى العمل، فاستدعى الرجل بأخشاب وحلفاء وخوازيق، وطلب الرجال، وابتدأ العمل من موضع قليل الماء تجاه بستان الذهبى، ورمى فيه التراب والحلفاء ودكه بالرمال مدة أسبوع. وكلما سد موضعًا بالنهار قطعه الماء بالليل وعاد كما كان؛ فظهر جهله، وقصد السلطان تأديبه حتى شفع فيه النائب.

فقام صاحب الحجازى بالعمل، وكتب تقدير ما يحتاج إليه من صوارى وأخشاب وغيرها مائة وخمسين ألف درهم، وذلك عن ثمن خمسمائة صارى، وألف حسنية^(١) وألف حجر عرض ذراعين فى مثلها، وخمسة آلاف شنف^(٢)، وغير ذلك فرسم بجباية ذلك من الأملاك التى على شاطئ النيل من رأس الخليج إلى آخر بولاق، فاستخرج منها هو سبعين ألف درهم؛ وكان من انتقاض الدولة المظفرية ما كان.

فلما كان فى سنة تسع وأربعين هذه وقع الكلام فى ذلك، فأراد الأمير شيخو أن يكون عمله على الأمراء والأجناد وفلاحى البلاد، فلم يوافقه الأمير منجك، واحتج بقرب زيادة النيل، وأن الغلات قد تعطل حملها فى النيل من النواحي لقللة الماء فى مواضع الحمل؛ والتزم بعمله من غير أن يسخر فيه أحدًا. فركب الأمير بيبغا روس النائب والأمير شيخو والأمير منجك وعمامة الأمراء إلى الجزيرة، وقاسوا منها إلى المقياس، ليعمل هناك جسر. فذكرت البحارة أن هذا الموضع لا يمكن سده لكثرة كلفه،

(١) حسنية نوع من البلح ويبدو مما هنا أن استعمال هذا اللفظ يمتد إلى الدلالة على خشب النخل المشهور بذلك النوع من البلح. انظر.

(٢) شنف حيث ورد أن الشنف نوع من الشبك يصنع أكياسًا لحمل القش أو التبن. انظر

وأَنهم إن سدوه أضر ببلاد الجيزة، وقوى الماء على جهة مصر، وأضر وأتلف ما على النيل من الدور فسفّه الأمير منحك رأيهم، ورد قولهم، والتزم للأمرء بسده. فعادوا وقدروا مصروفه على الأمرء والأجناد والكتاب وأصحاب الأملاك، وسائر الناس؛ وكتب أوراق من ديوان الجيش بأسماء الأجناد والأمرء وَعَبَّرَ إقطاعاتهم. وفُرض على كل مائة دينار درهم واحد، وفرض على كل أمير من أمرء الألوفا ما بين أربعة آلاف درهم إلى خمسة آلاف درهم، وفرض على بقية الأمرء الطبلخاناه والعشرات بحسبهم. ورُسم أن يؤخذ من كل كاتب أمير مقدم مبلغ مائتي درهم، ومن كل كاتب أمير طبلخاناه مائة درهم. وفُرض على كل حانوت من حوانيت التجار والباعة درهم، وعلى كل دار بالقاهرة ومصر وظواهرهما درهماً، وعلى كل بستان عشرة دراهم الفدان، وبعضها أخذ منه عن كل فدان عشرون درهماً، وعلى كل حجر من حجارة الطواحين خمسة دراهم. وجبى من كل صهريج ماءً بتربة أو مدرسة ما بين عشر دراهم إلى خمسة دراهم، ومن كل تربة ما بين ثلاثة دراهم إلى درهمن وضقت الأملاك التى استجدت من الدور والبساتين وغيرها، فيما بين بولاق إلى كوم الريش ومنية السيرج، والأحكار التى عمزت على الخليج الناصرى، وبركة الطوابين المعروفة ببركة الرطلى، وقطرة الحاجب وأرض الطباله، وجامع حكر أخى صاروجا وقيست كلها وأخذ عن كل ذراع خمسة عشر درهماً؛ وأخذ من أقمنة الطوابين والفواخير. وطُلب مباشرة أوقاف الشافعى وأوقاف المدارس الصالحية والظاهرية والمارستان وسائر الأوقاف، وألزموا بمال. وكتب بطلب الرهبان من الديارات بالأعمال، وقُرِّرَ على كل منهم ما بين المائتى درهم إلى المائة درهم، وأن يؤخذ عن كل نخلة ببلاد الصعيد درهم. وجبى من المتعيشين فى القاهرة ومصر ما بين درهم كل واحد إلى عشرة دراهم، ومن كل قاعة ثلاثة دراهم، ومن كل طبقة درهماً، ومن كل مخزن أو اسطبل درهم، ومن كل فندق وخبان بحسبه. وقُرِّرَ على ضامنة المغانى خمسة آلاف درهم.

وُعمل موضع المستخرج من الناس خان مسرور بالقاهرة، وشاد المستخرج الأمير تلك. وعمل لكل جهة من هذا الجهات شاد وكاتب، وعدة أعوان من الرسل وصيرفى.

فارتجت أحوال المدينتين وأعمالهما وبطلت الأسباب لسعى الناس فيما عليهم وتسلمت العرفاء والضمان وأصحاب الرباع والرسل على كل أحد، فلم يبق رجل ولا امرأة حتى جبوا منه، وكان الواحد منهم يغرم للرقاص والصيرفى والشاد، ويعطى أجرة الشهود الذين يشهدون عليه أنه قام بما عليه.

وشرع منجك فى جمع الأصناف المحتاج إليها، وضرب له خيامًا على جانب النيل بالروضة. ونودى فى الناس من أراد العمل فله درهم ونصف، وثلاثة أرغفة خبز؛ فاجتمع له خلائق، وعمل لهم موضعًا يستظلون فيه حر الشمس؛ ورفق منجك بهم فى العمل. وأقام منجك عدة من الحجارين لقطع الحجارة من الجبل، ونقلها إلى الساحل، وحملها فى المراكب لير الجزيرة، لعمل جسر من الجزيرة إلى المقياس. ورتب منجك عمل جسر آخر من الروضة إلى الجزيرة الوسطى، وأقام الأخشاب بجانبى كل جسر منهما، وردد التراب والحجارة فى وسطه مع الحلفاء، ورتب جمال السلطان لقطع الطين من بر الروضة ورميه بوسط الجسر؛ وأقام على كل جهة شادين ومستحئين. وأقام منجك الصارم شاد العمائر على العمل، ورسم ألا يتأخر عنه صانع، وألزم تجار مصر وغيرهم بنقل التراب إلى الجسر؛ فكان الرجل منهم يغرم فى نقل التراب ما بين الخمسمائة إلى الألف درهم؛ ورميت عشر مراكب مملوءة حجارة فى وسط جسر المقياس. ولم يزل العمل مدة أربعة أشهر، أوها مستهل المحرم وأخرها سلخ ربيع الآخر.

وكان منجك قد حفر أيضًا خليجًا تحت الدور من موردة الحلفاء إلى بولاق فلما زاد النيل جرى الماء فيه، ودخلته المراكب الصغار. ففرح الناس به، وسرّوا سرورًا زائدًا، ونسوا ما نزل بهم من الغرامة والمشقة.

غير أن الشناعة قامت على منجك، لكثرة ما جَبَى من الأموال العظيمة، حتى أراد ببيغا روس النائب منعه من ذلك، فلم يقبل منه؛ ولم يتم من العمل سوى ثلثيه وقويت الزيادة، فبطل العمل.

وكان القاع فى هذه السنة أربعة أذرع، ونودى فى أول الزيادة بإصبعين، ثم بعشر أصابع، ثم بخمسة عشر إصبعًا، ثم بثمان، ثم بعشرين. ولم تنزل الزيادة تقوى حتى غرقت المقاتى، وألتقى البحر برأس الخليج الذى استجد فيه الماء. ثم علا الماء على الجسر، وكاد يقطعه.

فركب منجك ومعه والى الجزيرة وخلائق من العامة والأمراء، وردمه بالتراب، فاندفع الماء إلى جهة الميدان وزربية قوصن. فكان قياس جسر الجزيرة الوسطى مائتى قصبه فى عرض ثمانى قصبات، وأرتفاع أربع قصبات، وطول جسر المقياس مائتين وثلاثين قصبه، وعدة ما رمى فيه من المراكب الحجر اثنا عشر ألف مركب، سوى التراب والطين؛ وغرم عليه ما لا يمكن حصره. ويقال إنه جَبَى من الناس بسببه زيادة على ثلاثمائة ألف دينار، فإن الرجل كان يُفرض عليه درهمان، فيغرم فيما تقدم ذكره عشرة دراهم.

وفى يوم الإثنين خامس عشر ربيع الآخر: أعيد الأمير منجك إلى الوزارة، باستعفاء أسندمر العمرى، لتوقف أحوال الدولة.

وفيه أخرج من الأمراء المظفرية لاجين العلائى، وطبيغا المظفرى، ومنكلى بغا المظفرى؛ وفرّقوا ببلاد الشام.

وفيه قدم من جهة أولاد جوبان قاصد بمال لعمارة عين جوبان بمكة، وإجراء الماء إليها وقد انقطع. فلم توافق الأمراء على ذلك، وعينوا فارس الدين قريب آل ملك لعمارتها، صحبة الرجبية. ورُسم لقاضى القضاة عز الدين بن جماعة بالإفناق عليها من مال الحرمين فأخذ فى الاهتمام للسفر.

وفيه خلع على أيتمش الناصرى الحاجب، واستقر أمير جاندار.

وفيه خلع على الأمير جر كتمر، واستقر نائب الكرك، بعد وفاة تمر بغا العقيلى وفيه قدمت هدية الأمير شاه نائب الشام وقوده، بزيادة عما جرت به العادة، وهى مائة وأربعون فرساً يعبى تدمرية، فوقها أجلة^(١) أطلس، ومقاود سلاسلها فضة، ولواوين بخلق فضة، وأربعة قطر هجن سلاسل مقاردها الحرير من فضة وذهب، وأكوارها مغشاة بذهب، وأربعة كنافيش ذهب عليها ألقاب السلطان، وتعايبى قماش مفتخر. ولم يدع الأمير أرغون شاه نائب الشام أحدًا من الأمراء المقدمين، ولا من أرباب الوظائف حتى الفراش ومقدم الاسطبل، ومقدم الطبلخاناه والطباخ، حتى بعث إليهم هدية. فخلع على مملوكه عدة خلع، وكُتب إليه بزيادة على إقطاعه، ورسم له بتفويض حكم الشام إليه، يعزل ويولى بحسب اختياره.

وفيه خلع على صدر الدين الكازاتى بمشيخة الشيوخ بخانكاه سرياقوس^(٢) عوضاً عن الركن الملطى. وكان هذا الرجل قد ورد إلى مصر، وأقام بها لا يؤبه له حتى نيابة ببيغا روس ووزارة منجك، فتردد إليهما، وأظهر التزهّد ومعرفة العلم، وصنف كتاباً على مذهب الحنفية بالتركى، وقدمه لهما، فراج به عندهما؛ وكان قد تحرك للحنفية حظ منذ أعوام. ثم سألهما صدر الدين هذا فى مشيخة الشيوخ، فجمع ببيغا روس النائب الشيخ شمس الدين محمد الأصفهانى وعمامة صوفية الخوانك ومشايخها بجامع القلعة وعرفهما الأمير قبلای الحاجب عن الأمير ببيغا روس النائب أن الركن الملطى له منذ غاب سبع سنين، وقد ثبتت عنده وفاته، وعين عوضه الكازاتى؛ فأنكروا بأجمعهم

(١) أجلة جمع جل وهو ما يغطى به ظهر الفرس قبل وضع السرج والبرذعة (محيط المحيط)

(٢) بلدة فى نواحى القاهرة بمصر. انظر معجم البلدان ٣ / ٢١٩.

ولايته، ووضعوا منه فشق ذلك على الأمير ببيغا روس النائب ورسم بحضورهم بعد العصر في الخدمة. فلما حضروا خلع ببيغا روس على الكازاتي، فلم يتكلم أحد منهم فنزل وهم معه.

وفيه أنعم على خليل بن قوصون بإمرة طبليخاناه، وعلى ابن المجدى بإمرة طبليخاناه أيضاً.

وفي جمادى الأولى: ركب السلطان إلى الميدان على العادة، ثم خرج إلى ناحية سرياقوس في أول جمادى الأولى، وأقام بها أياماً. فكثرت السرقات على الناس؛ فوكل بهم الوزير منجك عرب بنى صيرة بإقطاعات، وندبهم للركوب في الليل، ودرّكهم تلك الأراضي.

وفي مستهل رجب: جهز لعمارة عين جوبان من مال الحرمين مبلغ مائتي ألف درهم.

وفيه قدم الخير بوقعة كانت بين الشيخ حسن وأولاد دمرداش، وانتصر فيها أولاد دمرداش، وقتلوا كثيراً من عسكر الشيخ حسن.

وفيه قدم أحمد بن مهنا، فخلع عليه، واستقر في إمرة العرب، وتوجه إلى بلاده وهو مريض.

وفيه أنعم على الأمير أسندمر العمرى بإمرة كوكاي المنصوري، بعد موته؛ وأنعم بإمرة أسندمر على الأمير نوروز.

وفيه أخرجت ناحية بوصير عن الوزير منجك، وعُوِّض عنها ناحية برما، وهى مثلاً بوصير.

وفيه أوقعت الحوطة على بقية موجود عنبر السحرتى، بعد موته.

وفيه ولى الوزير مازان الغربية، وولى ابن سلمان منوف عوضاً عن مازان وولى صلاح الدين بن العنتابى البهنساوية؛ وكان جملة ما أخذ من المذكورين ستة آلاف دينار.

وفيه سار ركب الحجاج الرجبية على العادة.

وفيه أنعم على ابن الوزير منجك بإمرة مائة.

وفيه وُقِّرَ إقطاع الأمير قشتمر شاد الدواوين، وأقطع المماليك، وأنعم عليه بإقطاع الأمير جركتمر.

وفيه وُفرت جوامك جماعة ورواتبهم.

وفيه قصد عدة من أطراف الناس باب الوزير للسعى فى الوظائف بمال، فلم يرد أحداً؛ وكثر طعن الأمراء فيه بسبب ذلك.

وفيه توجه الأمير طاز لسرحة البحيرة، وأنعم عليه بألف عليقة.

وفيه توجه ببيغا روس النائب إلى العباسية، ثم توجه إلى الإسكندرية؛ فأنعم عليه من مالها بستة آلاف دينار، وأتته تقادم جليلة.

وفى هذا الأيام: كثر سقوط الدور التى على النيل، وذلك أن ماء النيل كثرت زيادته فى ابتداء أوانها حتى غرقت المقاتى كما تقدم ذكره، إلى أن كان الوفاء فى يوم الجمعة أول جمادى الأولى، وهو ثامن مسرى. ثم ولت زيادته، وتوقف أياماً؛ ثم نقص إلى يوم عيد الصليب خمس أصابع، فقلق الناس قلقاً زائداً. فمن الله بزيادته حتى رد ما نقصه؛ وثبت على سبعة عشر ذراعاً وثمان عشرة إصبعا. فشمل الرى البلاد وانحط سعر الغلال.

فلما أخذ ماء النيل فى الهبوط تساقطت الدور المجاورة للماء شيئاً بعد شىء، ثم سقط أحد عشر بيتاً بناحية بولاق دفعة واحدة من شدة القلقلية، فإن الماء لما عمل الجسر الذى تقدم ذكره اندفع على ناحية بولاق، وقوى هناك حتى سقطت الدور المذكورة وسقط ما خلفها، وذهب فيها مال كبير للناس فى الغرق ونهب الأوباش. ثم خرب ربع السنافى، وقطعة من ربع الخطيرى، وعدة دور.

وفيه كثرت الأخبار بوقوع الوباء فى عامة أرض مصر، وتحسين جميع الأسعار، وكثرة أمراض الناس بالقاهرة ومصر؛ فخرج السلطان والأمراء إلى سرياقوس. فكثر الوباء حتى بلغ فى شعبان عدد من يموت فى كل يوم مائتى إنسان، فوقع الاتفاق على صوم السلطان شهر رمضان بسرياقوس.

وفيه قدم محضر ثابت على قاضى حلب بجماعة من القادمين إليها أنهم شاهدوا بوادٍ فى ناحية توريز أفاعى ذات خلق عظيم من الطول والضخامة، وقد اجتمع منها عدد كثير جداً. وصارت فرقتين، واقتلت يوماً كاملاً حتى دخل الليل فافترقوا، ثم عادوا من الغد بكرة النهار إلى القتال، وأقاموا كذلك ثلاثة أيام. وفى اليوم الرابع قويت إحدى الفرقتين على الأخرى، وقتلت منها مقتلة عظيمة، وانهمز باقيها، فلم تدع فى هزيمتها حجراً إلا قصمته، ولا شجراً إلا قلعته من أصله، ولا حيواناً إلا أتلفته؛ فكان منظرًا مهولاً.

وفيه قدم فياض بن مهنا بقوده، وفيه اثنان وسبعون فرسا، أقلها بعشرة آلاف درهم، وأوسطها بعشرين ألفا، وأغلاها بثلاثين ألفا، سوى الهجن وغيرها. وقدم صحبته أحمد ططر أمير بنى كلاب، وندا أمير آل مرا؛ فأكرم ندا وأحمد ططر، وأعيدا إلى بلادهما؛ وقبض على فياض، وأخذت خيوله ومامعه، وحمل إلى الإسكندرية، فسجن بها.

وفيه قدم الخير يقتل الأمير صعبه كاشف الوجه القبلى، فيما بين عرك وبنى هلال، وقتل كثير من أصحابه، وأخذ ما معهم. وشنّ العرب بعد قتله الغارات على البلاد، وأمعنوا فى نهب الغلال وقطع الطرقات، وذلك بعد دخولهم سيوط ونهبها. فعُين عشرة أمراء للتجريدة، ثم تأخر سفرهم خوفاً على الزرع.

وفى ثالث ذى الحجة: أخرج الأمير طشبيغا الدوادار إلى الشام. وسببه مفاوضة جرت له مع علاء الدين على بن فضل الله كاتب السر؛ أفضت به إلى أن أخذ بأطواق كاتب السر، ودخلا على الأمير شيخو كذلك. فأنكر شيخو عليه ذلك، وبقي بطالا، وعمل قظليجا الأرغونى دواداراً عوضه.

وفيه أنعم على جاورجى مملوك قوصون بإمرة عشرة، وعلى عرب بن ناصر الدين الشيخى بإمرة طبليخاناه.

وفيه قدم حمل سيس بحقّ النصف، لخراب البلاد من كثرة الفناء بها.

وفيه كتب بولاية حياذ بن مهنا إمرة العرب.

وفيه قدم الخير بخروج عشير الشام عن الطاعة، وكثرة الحروب بينهم، وقتل بعضهم بعضاً، ونهب الغرد^(١) ونابلس، وكثرة فساد عرب الكرك وقطعهم الطرقات، وكسرهم الأمير جركتمر نائب الكرك.

وفيه أخرج يلجك قريب لنيابة غزة^(٢)، عوضا عن أحمد الساقى؛ وقدم أحمد الساقى إلى مصر.

وفيه انحلت إقطاعات كثيرة لموت الناس، فوفر الوزير جوامك الحاشية ورواتبها؛

(١) الغرد لم يذكر ياقوت بلدا بهذا الاسم قرب نابلس انظر: معجم البلدان ٢ / ٧٨٤.

(٢) غزة: مدينة فى أقصى الشام من ناحية مصر بينها وبين عسقلان فرسخان أو أقل وهى من نواحي فلسطين غربى عسقلان وكانت غزة صور الذى بن صور مدينة الساحل قرية من البحر. انظر معجم البلدان ٤ / ٢٠٢.

وقطعت مثالات لجميع أرباب الوظائف وأصحاب الأشغال، والمرتبين فى الصدقات، والكتاب والموقعين، والممالك السلطانية، على قدر ما بأسمائهم.

وفيه توقفت الأحوال بالقاهرة ومصر، وغلقت أكثر الحوانيت بسبب زغل الفلوس بالرصاص والنحاس. فنودى ألا يأخذ من الفلوس إلا ما عليه سيكة، ويرد الرصاص والنحاس الأصفر، فمشت الأحوال.

وفيه رسم أن يجلس الأمير بيغرا أمير جندار رأس الميسرة، واستقر الأمير أيتمش الناصرى عوضاً أمير جندار، واستقر الأمير قبلاوى حاجب الحجّاب عوضاً عن أيتمش.

وفيه استقر ابن الأطروش فى قضاء العسكر على مذهب أبى حنيفة، ولم يعرف أحدًا قبله ولى هذا بمصر؛ واستقر تاج الدين محمد بن إسحاق المناوى فى قضاء العسكر على مذهب الشافعى.

وفيه استقر خاص ترك بن طغية الكاشف فى ولاية منفلوط، واستقر مجد الدين موسى بن الهذبانى والى الأشمونين فى كشف الوجه القبلى، بعد قتل طغية؛ ونقل محمد ابن أياس الدويدارى من ولاية أشموم إلى ولاية البهنساوية.

وفيه استقر نجم الدين عبد القاهر بن عبد الله بن يوسف فى قضاء الشافعية بحلب عوضاً عن نور الدين محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن الصايغ، بعد وفاته. واستقر زين الدين عمر بن يوسف بن عبد الله بن أبى السفاح كاتب السر بحلب، عوضاً عن جمال الدين إبراهيم بن الشهاب محمود.

وفيه وجد للشيخ حسن متولى بغداد بدار الخلافة دفيناً فى خربة مبلغ نحو عشرة قناطير دمشقية ذهباً.

فكانت سنة كثيرة الفساد فى عامة أرض مصر والشام، من كثرة النفاق، وقطع الطريق، وولاية الوزير منجك جميع أعمال المملكة بالمال، وانفراده وأخيه الأمير بييغا روس النائب بالتدبير، دون كل أحد.

ومع ذلك فكان فيها الوباء الذى لم يعهد فى الإسلام مثله، فإنه ابتداء بأرض مصر آخر أيام التخضير وذلك فى فصل الخريف فى أثناء سنة ثمان وأربعين. وما أهل محرم سنة تسع وأربعين حتى انتشر الوباء فى الإقليم بأسره، واشتد بديار مصر فى شعبان ورمضان وشوال، وارتفع فى نصف ذى القعدة.

وكان يموت بالقاهرة ومصر ما بين عشرة آلاف إلى خمسة عشر ألف إلى عشرين

ألف نفس في كل يوم. وعملت الناس التوايت والدكك لتغسيل الموتى للسبيل بغير أجره، وحمل أكثر الموتى على ألواح الخشب وعلى السّلام والأبواب، وحفرت الحفائر وألقوا فيها. وكانت الحفرة يدفن فيها الثلاثون والأربعون، وأكثر. وكان الموت بالطاعون ييصق الإنسان دمًا، ثم يصيح ويموت؛ وعمّ مع ذلك الغلاء الدنيا جميعها.

ولم يكن هذا الوباء كما عهد في إقليم دون إقليم، بل عمّ أقاليم الأرض شرقًا وغربًا وشمالًا وجنوبًا جميع أجناس بني آدم، وغيرهم حتى حيتان البحر وطير السماء ووحش البر.

وأول ابتدائه من بلاد القان الكبير حيث الإقليم الأول، وبعدها من توريز إلى آخرها ستة أشهر، وهى بلاد الخطا والمغل، وأهلها يعبدون النار والشمس والقمر، وتزيد عدتهم على ثلاثمائة جنس. فهلكوا بأجمعهم من غير علة، فى مشاتهم ومصافهم، وفى مراعيهم، وعلى ظهور خيولهم، وماتت خيولهم، وصاروا كلهم جيفا مرمية فوق الأرض؛ وذلك فى سنة اثنتين وأربعين وسبعمائة، على ما وصلت به الأخبار من بلاد أذربك^(١).

ثم حملت الريح تنّتهم إلى البلاد، فما مرت على بلد ولا خركاه ولا أرض، إلا وساعة يشمها إنسان أو حيوان مات لوقته وساعته. فهلك من زوق القان الكبير خلائق لا يحصى عددها إلا الله، ومات القان وأولاده الستة، ولم يبق بذاك الإقليم من يحكمه.

ثم اتصل الوباء ببلاد الشرق جميعها، وبلاد أذربك وبلاد اسطنبول وقيصرية الروم؛ ودخل إلى أنطاكية حتى باد أهلها. وخرج جماعة من جبال أنطاكية فارين من الموت، فماتوا بأجمعهم فى طريقهم؛ وبدت فرس منهم بعد موتهم عائدة إلى جبالهم، فأخذ بقية من تأخر بها فى تتبع آثارهم حتى تعرّف خبرهم، فأخذوا ما تركوا من المال وعادوا؛ فأخذهم الموت أيضًا فى طريقهم، ولم يرجع إلى الجبل إلا القليل، فماتوا مع أهاليهم جميعًا إلا قليلا نجوا إلى بلاد الروم، فأصابهم الوباء.

وعم الوباء بلاد قرمان وقيصرية وجميع جبالها وأعمالها، ففنى أهلها ودوابهم ومواشيهم. فرحلت الأكراد خوفا من الموت، فلم يجدوا أرضًا إلا وفيها الموتى، فعادوا إلى أرضهم، وماتوا جميعًا.

وعظم الموتان ببلاد سيس، ومات من أهل تكفور فى يوم واحد بموضع واحد مائة وثمانون نفسًا؛ وخلت سيس وبلادها.

(١) بلاد أذربك بلاد القبائل النهبية المغول وهى شمالى البحر الأسود وبحر قزوين وحوض الفولى.

ووقع في بلاد الخطا مطر لم يعهد مثله في غير أوانه، فماتت دوابهم ومواشيهم عقيب ذلك المطر حتى فئيت، ثم مات الناس والطيور والوحوش حتى خلت بلاد الخطا؛ وهلك ستة عشر ملكا في مدة ثلاثة أشهر. وباد أهل الصين، ولم يبق منهم إلا القليل؛ وكان الفناء ببلاد الهند أقل منه ببلاد الصين.

ووقع الوباء ببغداد أيضاً، وكان الإنسان يصبح وقد وجد بوجهه طُّلوعاً^(١)، فما هو إلا أن يمر بيده عليه مات فجأة. وكان أولاد دمرداش قد حصرروا الشيخ حسن بها، ففجأهم الموت في عسكرهم من وقت المغرب إلى باكر النهار من الغد، حتى مات عدد كثير فرحلوا وقد مات منهم ستة أمراء ونحو ألف ومائتا رجل. ودواب كثيرة؛ فكذب الشيخ حسن بذلك إلى سلطان مصر.

وفي أول جمادى الأولى: ابتدأ الوباء بأرض حلب، فعم جميع بلاد الشام وبلاد ماردين وجبالها، وبَادَ أهل الغور وسواحل عكا وصفد، وبلاد القدس ونابلس والكرك، وعربان البوادي وسكان الجبال والضياع. ولم يبق في بلدة جينين سوى عجوز واحدة خرجت منها فارة. ولم يبق بمدينة لَدَّ أحد، ولا بالرملة؛ وصارت الخانات وغيرها ملائنة بجيف الموتى. ولم يدخل الوباء معرة النعمان من بلاد الشام، ولا بلد شيزر، ولا حارم.

وأول ما بدأ الوباء بدمشق كان يخرج خلف أذن الإنسان بَثْرَةً^(٢) فيخر صريعا ثم صار يخرج بالإنسان كبة تحت إبطه، فلا يلبث ويموت سريعا. ثم خرجت بالناس خيارة، فقتلت قتلا كثيرا. وأقاموا على ذلك مدة، ثم بصقوا الدم، فاشتد الهول من كثرة الموت حتى أنه أكثر من كان يعيش بعد نفث الدم نحو خمسين ساعة.

وبلغ عدد من يموت بحلب في كل يوم خمسمائة إنسان، ومات بغزة من ثاني الحرم إلى رابع صفر - على ما ورد في كتاب نائبها - زيادة على اثنين وعشرين ألف إنسان، حتى لقت أسواقها.

وشمل الموت أهل الضياع بأرض غزة، وكان أواخر زمان الحرث. فكان الرجل يوجد ميتا والمحراث في يده، ويوجد آخر قد مات وفي يده ما يبذره، وماتت أبقارهم. وخرج رجل بعشرين نَفْرًا لإصلاح أرضه، فماتوا واحدا بعد واحد، وهو يراهم يتساقطون قدامه. فعاد إلى غزة، وسار منها إلى القاهرة. ودخل ستة نَفْرٍ لسرقة دار بغزة فأخذوا ما في الدار ليخرجوا به فماتوا كلهم. وفر نائبها إلى ناحية بدعشر، وترك غزة خالية.

(١) طلوعا عند الطلعه خُرَّاجٌ عظيم في البدن [محيط المحيط].

(٢) البثرة خراج صغير [محيط المحيط].

ومات أهل ققطيا، وصارت جثثهم تحت النخيل وعلى الحوانيت، حتى لم يبق بها سوى الوالى وغلّامين من أصحابه وجارية عجوز. وبعث الوالى يستعفى، فولى الوزير عوضه مبارك أستاذار طغجى.

وعم الوباء بلاد الفرنج، وابتدأ فى الدواب، ثم الأطفال والشباب. فلما شنع الموت فيهم جمع أهل قبرص من فى أيديهم من الأسرى المسلمين، وقتلوهم جميعا من بعد العصر إلى المغرب، خوفاً أن يُبئد الموتُ الفرنج، فتملكُ المسلمون قبرص. فلما كان بعد عشاء الآخرة هبت ريح شديدة، وحدثت زلزلة عظيمة، وامتد البحر من المينة نحو مائة قسبة ففرق كثير من مراكبهم وتكسرت. فظن أهل قبرص أن الساعة قامت، فخرجوا حيارى لا يدرون ما يصنعون، ثم عادوا إلى منازلهم، فإذا أهاليهم قد ماتوا؛ وهلك لهم ثلاثة ملوك واستمر الوباء فيهم مدة أسبوع، فركب فيهم ملكهم الذى ملكوه عليهم رابعا بجماعته فى مركب يريدون جزيرة بقرب منهم، فلم يعض عليهم فى البحر سوى يوم وليلة حتى مات أكثرهم فى المركب؛ ووصل باقيهم إلى الجزيرة، فماتوا بها عن آخرهم. ووافى هذه الجزيرة بعد موتهم مركب فيها تجار، فماتوا كلهم وتجارتهم إلا ثلاثة عشر رجلا، فمروا إلى قبرص وقد بقوا أربعة نفر، فلم يجدوا بها أحدا؛ فساروا إلى طرابلس الغرب، وحدثوا بذلك، فلم تطل إقامتهم بها وماتوا.

وكانت المراكب إذا مرت بجزائر الفرنج لا تجرد ركابها بها أحداً، وإن صدفت أحداً فى بعضها يدعوهم أن يأخذوا من أصناف البضائع بالصير بغير ثمن؛ لكثرة من كان يموت عندهم صاروا يلقون فى البحر. وكان سبب الموت عندهم ريح تمر على البحر، فساعة يشمها الإنسان سقط، ولا يزال يضرب برأسه الأرض حتى يموت.

وقدمت مركب إلى الإسكندرية فيها اثنان وثلاثون تاجراً وثلاثون رجلاً، ما بين تجار وعبيد؛ فماتوا كلهم، ولم يبق منهم غير أربعة من التجار وعبد واحد، ونحو أربعين من البحارة؛ فماتوا جميعاً بالثغر.

وعم الموت أهل جزيرة الأندلس، إلا مدينة غرناطة، فإنه لم يصب أهلها منه شىء وباد من عداهم حتى لم يبق للفرنج من يمنع أموالهم. فأتتهم العرب من إفريقية تريد أخذ الأموال إلى أن صاروا على نصف يوم منها، مرت بهم ريح، فمات منهم على ظهور الخيل جماعة كثيرة. ودخلها باقيهم، فرأوا من الأموات ما هاهم، وأموالهم ليس لها من يحفظها؛ فأخذوا ما قدروا عليه، وهم يتساقطون موتى. فنجا من بقى منهم بنفسه، وعادوا إلى بلادهم، وقد هلك أكثرهم؛ والموت قد فشا بأرضهم، بحيث مات منهم فى ليلة واحدة عدد عظيم، وماتت مواشيتهم ودوابهم كلها.

وعم الموتان إفريقية بأسرها، جبالها وصحاريها ومدنها، وجافت من الموتى، وبقيت أموال العربان سائبة لا تجد من يرعاها. ثم أصاب الغنم داء، فكانت الشاه إذا ذبحت وجد لحمها متنتاً قد اسود. وتغير أيضاً ريح السمن واللبن، وماتت المواشى بأسرها. وشمل الوباء أيضاً أرض برقة إلى الإسكندرية، فصار يموت بها فى كل يوم مائة. ثم مات بالإسكندرية فى اليوم مائتان، وشنع ذلك حتى أنه صلى فى يوم الجمعة بالجامع الإسكندرى دفعة واحدة على سبعمائة جنازة. وصار يحملون الموتى على الجنويات والألواح. وغلقت دار الطراز لعدم الصناع، وغلقت دار الوكالة لعدم الواصل إليها، وغلقت الأسواق وديوان الخمس؛ وأريق من الخمر ما يبلغ ثمنه زيادة على خمسمائة دينار. وقدمها مركب فيه إفرنج، فأخبروا أنهم رأوا بجزيرة طرابلس مركبا عليه طير يحوم فى غاية الكثرة، فقصدوه فإذا جميع من فيه من الناس موتى، والطير تأكلهم، وقد مات من الطير أيضاً شئ كثير، فتركوهم ومروا، فما وصلوا إلى الإسكندرية حتى مات زيادة على ثلثيهم.

وفشى الموت بمدينة دمنهور، وتروجه، والبحيرة كلها حتى عم أهلها؛ وماتت دوابهم فبطل من الوجه البحرى سائر الضمانات، والموجبات السلطانية. وشمل الموت أهل البرلس ونسراؤه، وتعطل الصيد من البحيرة لموت الصيادين. وكان يخرج بها فى المراكب عدة من الصيادين لصيد الحوت، فموت أكثرهم فى المراكب ويعود من بقى منهم فموت بعد عوده من يومه هو وأولاده وأهله. ووجد فى حيطان البطارخ شئ متن، وفيه على رأس البطارخة كبه قدر البندقية قد اسودت. ووجد فى جميع زراعات البرلس وبلحها وقناها دود، وتلف أكثر ثمر النخل عندهم.

وصارت الأموات على الأرض فى جميع الوجه البحرى، ولا يوجد من يدفنها وعظم الوباء بالمحلة حتى أن الوالى كان لا يجد من يشكو إليه؛ وكان القاضى إذا أتاه من يريد الإشهاد على وصيته لا يجد من العدول أحداً إلا بعد عناء لقتلهم؛ وصارت الفنادق لا تجد من يحفظها.

وعم الوباء جميع تلك الأراضى، ومات الفلاحون بأسرهم، فلم يوجد من يضمّ الزرع وزهد أرباب الأموال فى أموالهم، وبذلوها للفقراء. فبعث الوزير منجك إلى الغربية كريم الدين مستوفى الدولة ومحمد بن يوسف مقدم الدولة فى جماعة، فدخلوا سنباط وسمنود وبوصير وسنهور وأبشيه^(١) ونحوها من البلاد، وأخذوا مالا كثير لم يحضروا منه سوى ستين ألف درهم.

(١) أبشيه بلاد وقرى معروفة بمدينة الغربية الحالية انظر ياقوت معجم البلدان ١ / ٨٥.

وعجز أهل بلييس وسائر البلاد الشرقية عن ضم الزرع، لكثرة موت الفلاحين. وكان ابتداء الوباء من أول فصل الصيف، وذلك فى أثناء ربيع الآخر. فجافت الطرقات بالموتى، ومات سكان بيوت الشعر ودوابهم وكلابهم وتعطلت سواقي الحنا، وماتت الدواب والمواشى وأكثر هجن السلطان والأمراء. وامتألت مساجد بلييس وفنادقها وحوانيتها بالموتى، ولم يجدوا من يدفنهم، وجافت سوقها فلم يقدر أحد على القعود فيه؛ وخرج من بقى من باعتهها إلى ما بين البساتين. ولم يبق بها مؤذن، وطرح الموتى بجامعها، وصارت الكلاب فيه تأكل الموتى، ورحل كثير من أهلها إلى القاهرة.

وتعطلت بساتين دمياط وسواقيها، وجفت أشجارها، لكثرة موت أهلها ودوابهم، وصارت حوانيتها مفتحة والمعاش بها لا يقربها أحد، وغلقت دورها. وبقيت المراكب فى البحيرة، وقد مات الصيادون فيها والشباك بأيديهم مملوءة سمكا ميتا، فكان يوجد فى السمكة كبة. وهلك الأبقار الخيسية^(١) والجاموس فى المراحات والجزائر، ووجد فيها أيضا الكبة.

وقدم الخبر من دمشق بأن الوباء كان بها أخف مما كان بطرابلس وحماة وحلب، فلما دخل شهر رجب والشمس فى برج الميزان أوائل فصل الخريف هبت ريح فى نصف الليل شديدة جدا، واستمرت حتى مضى من النهار قدر ساعتين، واشتدت الظلمة حتى كان الرجل لا يرى من بجانبه؛ ثم انجلت، وقد علت وجوه الناس صفرة ظاهرة فى وادى دمشق كله. وأخذ فيهم الموت منه شهر رجب، فبلغ فى اليوم ألفا ومائتى إنسان. وبطل إطلاق الموتى من الديوان، فصارت الأموات مطروحة فى البساتين وعلى الطرقات. فقدم على قاضى دمشق تقى الدين السبكى رجل من جبال الروم، وأخبره أنه لما وقع الفناء ببلاد الروم رأى رسول ﷺ، فشكا إليه ما نزل بالناس من الفناء، فأمره ﷺ أن يقول لهم: «اقرأوا سورة نوح ثلاثة آلاف وثلاثمائة وستين مرة، واسألوا الله أن يرفع عنكم ما أنتم فيه»؛ فعرفهم قاضى دمشق ذلك. فاجتمع الناس فى المساجد، وفعّلوا ما ذكر لهم، وتضرعوا إلى الله، وتابوا من ذنوبهم، وذبحوا أبقارا وأغناما كثيرة للفقراء مدة سبعة أيام، والفناء يتناقص كل يوم حتى زال. فنودى فى دمشق باجتماع الناس بالجامع الأموى، فصاروا إليه جميعا، وقرأوا به صحيح البخارى فى ثلاثة أيام وثلاث ليال؛ ثم خرج الناس كافة بصبيانهم إلى المصلى، وكشفوا رؤوسهم وضجوا بالدعاء، وما زالوا على ذلك ثلاثة أيام، فتناقص الوباء حتى ذهب بالجملة.

(١) الخيسية نسبة إلى بلدة خيس التى اشتهرت فيما يبدو بنوع خاص من الأبقار لإنتاج اللبن.

وابتدأ الوباء فى القاهرة ومصر بالنساء والأطفال، ثم فى الباعة، حتى كثر عدد الأموات. فركب السلطان إلى سرياقوس، وأقام بها من أول رجب إلى العشرين منه وقصد العود إلى القلعة، وأشير عليه بالإقامة بسرياقوس وصوم شهر رمضان بها. فبلغت عدة من يموت ثلاثمائة نفر كل يوم بالطاعون موتا وجبا فى يوم أو ليلة، فما فرغ شهر رجب حتى بلغت العدة زيادة على الألف فى كل يوم. وصار إقطاع الحلقة ينتقل إلى ستة أنفس فى أقل من أسبوع؛ فشرع الناس فى فعل الخير، وتوهم كل أحد أنه ميت.

وقدم كتب نائب حلب بأن بعض أكابر الصلحاء بحلب رأى النبى ﷺ فى نومه، وشكا إليه ما نزل بالناس من الوباء، فأمره ﷺ أن يأمرهم بالتوبة والدعاء وهو: «اللهم سكن هيبة صدمى قهرمان الحروب، بألطافك النازلة الواردة من فيضان الملكوت، حتى نتشبت بأذيال لطفك، و نعتصم بك عن إنزال قهرك. يا ذا القوة والعظمة الشاملة، والقدرة الكاملة، يا ذا الجلال والإكرام»، وأنه كتب بها عدة نسخ بعث بها إلى حماة وطرابلس ودمشق.

وفى شعبان: تزايد الوباء فى القاهرة، وعظم فى رمضان، وقد دخل فصل الشتاء فرسم بالاجتماع فى الجوامع للدعاء.

وفى يوم الجمعة سادس رمضان نودى أن يجتمع الناس بالصناجق الخليفية، والمصاحف عند قبة النصر، فاجتمع الناس بعامة جوامع مصر والقاهرة، وخرج المصريون إلى مصلى خولان بالقرافة، واستمرت قراءة البخارى بالجامع الأزهر وغيره عدة أيام، والناس يدعون الله تعالى ويُقْتنون فى صلواتهم، ثم خرجوا إلى قبة النصر، وفيهم الأمير شيخو والوزير منجك والأمراء، بملابسهم الفاخرة من الذهب ونحوه، فى يوم الأحد ثامن.

وفيه مات الرجل الصالح عبد الله المنوفى، فصلّى عليه ذلك الجمع العظيم. وعاد الأمراء إلى سرياقوس، وانفض الجمع. واشتد الوباء بعد ذلك حتى عجز الناس عن حصر الأموات. فلما انقضى شهر رمضان قدم السلطان من سرياقوس؛ وحدث فى شوال بالناس نفث الدم، فكان الإنسان يحس فى بدنه بحرارة، ويجد فى نفسه غثيان، فيصق دما ويموت عقيبه، ويتبعه أهل الدار واحد بعد واحد حتى يفنوا جميعا بعد ليلة أو ليلتين؛ فلم يبق أحد إلا وغلب على ظنه أنه يموت بهذا الداء. واستعد الناس جميعا، وأكثروا من الصدقات، وتحالوا وأقبلوا على العبادة.

ولم يحتاج أحد في هذا الوباء إلى أشربة ولا أدوية ولا أطباء، لسرعة الموت. فما تنصف شوال إلا والطرقات والأسواق قد امتلأت بالأموات، وانتدبت جماعة لمواراتهم، وانقطع جماعة للصلاة عليهم في جميع مصليات القاهرة ومصر. وخرج الأمر عن الحد، ووقع العجز عن العدو، وهلك أكثر أجناد الحلقة؛ وخلت أطباق القلعة من المماليك السلطانية لموتهم.

وما أهل ذو القعدة: إلا القاهرة خالية مقفرة، لا يوجد في شوارعها مار، بحيث إنه يمر الإنسان من باب زويلة إلى باب النصر فلا يرى من يزارحه، لكثرة الموتى والاشتغال بهم وعلت الأتربة على الطرقات، وتنكرت وجوه الناس، وامتلأت الأماكن بالصياح، فلا تجد بيتاً إلا وفيه صيحة، ولا تمر بشارع إلا وفيه عدة أموات وصارت النعوش لكثرتها تصطدم، والأموات تختلط.

وصل في يوم الجمعة بعد الصلاة على الأموات بالجامع الحاكمي من القاهرة، فصُفّت التواييت اثنين اثنين من باب مقصورة الخطابة إلى الباب الكبير. ووقف الإمام على العتبة، والناس خلفه خارج الجامع.

وخلت أزقة كثيرة وحارات عديدة، وصارت حارة برجوان اثنين وأربعين داراً خالية. وبقيت الأزقة والدروب بما فيها من الدور المتعددة خالية، وصارت أمتعة أهلها لا تجد من يأخذها، وإذا ورث إنسان شيئاً انتقل في يوم واحد عنه إلى رابع وخامس.

وحُصرت عدة من صُلّي عليه بالمصليات خارج باب النصر وخارج باب زويلة، وخارج باب المحروق وتحت القلعة، ومصلى قتال السبع تجاه باب جامع قوصون، في يومين، فبلغت ثلاثة عشر ألفاً ومائتاً، سوى من مات في الأسواق والأحكار، وخارج باب البحر وعلى الدكاكين، وفي الحسينية وجامع ابن طولون، ومن تأخر دفنه في البيوت ويقال بلغت عدة الأموات في يوم واحد عشرين ألفاً، وأحصيت الجنازير بالقاهرة فقط في مدة شعبان ورمضان تسعمائة ألف، سوى من مات بالأحكار والحسينية والصلبية وباقي الخطط خارج القاهرة، وهم أضعاف ذلك. وعدمت النعوش، وبلغت عدتها ألفاً وأربعمائة نعش. فحملت الأموات على الأقفاص ودراريب الحوانيت وألواح الخشب؛ وصار يحمل الاثنان والثلاثة في نعش واحد على لوح واحد.

وطلبت القراء إلى الأموات، فأبطل كثير من الناس صناعاتهم، وانتدبوا للقراءة أمام الجنازير. وعمل جماعة من الناس مدرء، وجماعة تصدوا لتغسيل الأموات، وجماعة لحملهم؛ فنالوا بذلك سعادة وافرة. وصار المقرئ يأخذ عشرة دراهم وإذا وصل الميت إلى المصلى تركه وانصرف لآخر. وصار الحمال يأخذ ستة دراهم بعد الدخلة عليه إذا وجد، ويأخذ الحفار أجرة القبر خمسين درهماً؛ فلم يُمتّع أكثرهم بذلك، وماتوا.

ودخلت غاسلة مرة لتغسل امرأة، فلما جردتها من ثيابها، ومرت بيدها على موضع الكبة صاحت وسقطت ميتة؛ فوُجد في بعض أصابعها كبة بقدر الفولة.

وامتلأت المقابر من باب النصر إلى قبة النصر طولاً، وإلى الجبل عرضاً. وامتلات مقابر الحسينية إلى الريدانية، ومقابر خارج باب المحروق والقرافة. وصار الناس يبيتون بموتاهم على التراب، لعجزهم عن تواريتهم. وكان أهل البيت يموتون جميعاً وهم عشرات، فما يوجد لهم سوى نعش واحد، ينقلون فيه شيئاً بعد شيء. وأخذ كثير من الناس دوراً وأثاناً وأموالاً من غير استحقاق، لموت مستحقيها؛ فلم يتمل أكثرهم بما أخذ ومات، ومن عاش منهم استغنى به.

وأخذ كثير من العامة إقطاعات الحلقة، وقام الأمير شيخو والأمير مغلطاي أمير آخور بتغسيل الناس وتكفينهم ودفنهم.

وبطلت الأفراح والأعراس من بين الناس، فلم يعرف أن أحداً عمل فرحاً في مدة الوباء، ولا سُمع صوت غناء. وتعطل الأذان من عدة مواضع، وبقي في الموضع المشهور بأذان واحد.

وبطلت أكثر طبلخاناه الأمراء، وصار في طبلخاناه المقدم ثلاثة نفر، بعدما كانوا خمسة عشر.

وغلقت أكثر المساجد والزوايا. واستقر أنه ما ولد أحد في هذا الوباء إلا ومات بعد يوم أو يومين، ولحقته أمه.

وشمل في آخر السنة الفناء بلاد الصعيد بأسرها، وتعطلت دواليبها. ولم يدخل الوباء ثغر أسوان، فلم يمت به سوى أحد عشر إنساناً. وطلب بناحية بهجورة شاهد فلم يوجد، وخرج من مدينة أحميم شاهد مساحة مع قاضيتها بقياسين، لقياس بعض الأراضي؛ فعندما وضعت القصبه للقياس سقط أحد القياسين، فحمله رفيقه إلى البلد، فسقط بجنبه ومات؛ وأخذت الشاهد الحمى.

واجتمع ثلاثة بناحية إبيار، وكتبوا أوراقاً بأسمائهم ومن يموت منهم قبل صاحبه؛ فطلعت الأوراق بموت واحد بعد آخر، فمات الثلاثة على ما طلع في الأوراق؛ وكتب بذلك محضر ثابت قدم إلى القاهرة.

وكانت البزدارية إذا رمت طيراً من الجوارح على طائر ليصيده، وُجد الصيد وفيه كبة كالبندق؛ ولم تذبح أوزة ولا شيء من الطيور إلا وُجد فيه كبة. ووُجدت طيور

كثيرة فى الزروع ميتة، ما بين غريان وحدأة وغيرها من سائر أصناف الطيور؛ فكانت إذا تنفت وُجد فيها أثر الكبة. وماتت القطاط حتى قل وجودها.

وتواترت الأخبار من الغور وبيسان وغير ذلك من النواحي أنهم كانوا يجدون الأسود والذئباب والأرانب والإبل وحمم الوحش والخنائير وغيرها من الوحوش ميتة، وفيها أثر الكبة.

وكانت العادة إذا خرج السلطان إلى سرحة سرياقوس يقلق الناس من كثرة الحدأة والغريان، وتحليقها على ما هناك من اللحوم الكثيرة؛ فلم يشاهد منها شىء مدة شهر رمضان، والسلطان هناك، لفنائها.

وكانت بحيرات السمك بدمياط ونستراوة وسخا^(١) توجد أسماكها الكثيرة طافية على الماء، وفيها الكبة. وكذلك كلما يصطاد منها، بحيث امتنع الناس من أكله. وكثر عناء الأجناد وغيرهم فى أمر الزرع، فإن الوباء ابتداء فى آخر أيام التخضير، فكان الحراث يمر ببقره وهى تمحرت فى أراضى الرملية وغزة والساحل، وإذا به يختر ميتاً والمحراث فى يده، ويبقى بقره بلا صاحب.

ثم كان الحال كذلك بأراضى مصر، فما جاء أوان الحصاد حتى فنى الفلاحون، ولم يبق منهم إلا القليل فخرج الأجناد وغلما نهم لتحصد، ونادوا من يحصد ويأخذ تصف ما يحصده. فلم يجدوا من يساعدهم على ضم الزروع، ودرسوا غلالهم على خيولهم، وذروها بأيديهم؛ وعجزوا عن كثير من الزرع، فتركوه.

وكانت الإقطاعات قد كثر تنقلها من كثرة موت الأجناد، بحيث كان الإقطاع الواحد يصير من واحد إلى آخر حتى يأخذه السابع والثامن. فأخذ إقطاعات الأجناد أرباب الصنائع من الخياطين والأسكافية والمنادمين، وركبوا الخيول، ولبسوا الكلفتهاء والقباء.

ولم يتناول أحد من إقطاعه مغلا كاملا، وكثير منهم لم يحصل له شىء. فلما كان أيام النيل، وجاء أوان التخضير تعذر وجود الرجال، فلم يخضر إلا نصف الأراضى. ولم يوجد أحد يشتري القرط الأخضر، ولا من يربط عليه خيوله فانكسرت بلاد الملك من ضواحي القاهرة، مثل المطرية والخصوص وسرياقوس وبهتيت. وتركت ألف وخمسمائة فدان براسيم بناحية ناى ووطنان، فلم يوجد من يشتريها لرعى دوابه، ولا من يعملها دريساً.

(١) سخا كورة بمصر وقصبتها سخا بأسفل مصر وهى الآن قصبه كورة الغربية ودار الوالى بها.

وخلت بلاد الصعيد مع اتساع أرضها، بحيث كانت مكلفة مساحى أرض سيوط تشتمل على ستة آلاف نفر يجئ منهم الخراج، فصارت فى سنة الوباء هذه تشتمل على مائة وستة عشر نفرًا؛ ومع ذلك فكان سعر القمح لا يتجاوز خمسة عشر درهما الأردب.

وتعطلت أكثر الصنائع، وعمل كثير من أرباب الصنائع أشغال الموتى، وتصدى كثير منهم للنداء على الأمتعة. وانحط سعر القماش ونحوه، حتى أبيع بخمس ثمنه وأقل ولم يوجد من يشتريه وصارت كتب العلم ينادى عليها بالأحمال، فيباع الحمل منها بأبخس ثمن.

واتضعت أسعار المبيعات كلها، حتى كانت الفضة النقرة التى يقال لها بمصر الفضة الحجر، تباع العشرة منها بتسعة دراهم كاملة. وبقي الدينار بخمسة عشر درهما، بعدما كان بعشرين.

وعدمت جميع الصنائع، فلم يوجد سقاء ولا بابا، ولا غلام. وبلغت جامكية غلام الخيل ثمانين درهما فى كل شهر، بعد ثلاثين درهما. فنودى بالقاهرة من كانت له صنعة فليرجع إلى صنعته، وضرب جماعة منهم. وبلغ ثمن راوية الماء إلى ثمانية دراهم، لقلّة الرجال والجمال؛ وبلغت أجرة طحن الأردب القمح خمسة عشر درهما.

ويقال إن هذا الوباء أقام على أهل الأرض مدة خمس عشرة سنة، وقد أكثر الناس من ذكره فى أشعارهم، فقال الأديب زين الدين عمر بن الوردى من مقامة عملها:

إسكندرية ذا الوباء سبع يمدّ إليك ضبعه
صبراً لقسمتك التى تركت من السبعين سبعة

وقال:

أصلح الله دمشقاً وحمّاهما عن مسبّه
نفسها حسّت إلى أن تقتل النفس بحبه

وقال:

إن الوباء قد غلبا وقد بدا فى حلبا
قالوا له عى الورى كافاً ورأ قلت وبيا

وقال:

الله أكبر من وباء قد سبا ويصول فى العقلاء كالجنون

سُنِّتِ أَسْنَتَهُ لِكُلِّ مَدِينَةٍ
فَعَجِبْتَ لِلْمَكْرُوهِ فِي الْمَسْنُونِ
وقال:

حُلِبُّ وَاللَّهِ يَكْفِي
أَصْبَحْتَ حَبَّةَ سَوْءٍ
شَرُّهَا أَرْضُ مَشْقَةٍ
تَقْتُلُ النَّاسَ بِبِزْقِهِ
وقال:

قَالُوا فِسَادَ الْهَوَاءِ يُرْدِي
كَمْ سَيِّئَاتٍ وَكَمْ خَطَايَا
فَقُلْتُ يَرْدِي هَوَى الْفَسَادِ
نَادَى عَلَيْكُمْ بِهَا الْمَنَادِي
وقال:

فَهَذَا يُوَصِّى بِأَوْلَادِهِ
وَهَذَا يَهَيِّئُ أَشْغَالَهُ
وَهَذَا يَصَالِحُ أَعْدَاءَهُ
وَهَذَا يُوَسِّعُ إِنْفَاقَهُ
وَهَذَا يَجْبِسُ أَمْلَاكِهِ
وَهَذَا يَغْيِّرُ أَحْقَاقَهُ
أَلَا إِنَّ هَذَا الْوَبَا قَدْ سَبَا
وَلَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِهِ
وقال الصلاح خليل بن أيك الصفدى:

قَدْ قَلَّتِ الطَّاعُونَ وَهُوَ بَغْزَةٌ
أَخْلَيْتِ أَرْضَ الشَّامِ مِنْ سَكَانِهَا
وقال:

لَمَّا افْتَزَسْتَ صَحَابِي
مَا كُنْتَ وَاللَّهِ تَسْعًا
يَا عَامَ تَسْعٍ وَأَرْبَعِينَا
بَلْ كُنْتَ سَبْعًا يَقِينَا
وقال:

دَارَتْ مِنَ الطَّاعُونَ كَاسَ الْفَنَاءِ
قَدْ خَالَفَ الشَّرْعَ وَأَحْكَامَهُ
فَالنَّفْسُ مِنْ سَكْرَتِهِ طَافِحَةٌ
لَأَنَّهُ يَثْبِتُ بِالرَّائِحَةِ
وقال:

أَسْفَى عَلَى أَكْنَافِ جَلِّقٍ إِذْ غَدَا
الطَّاعُونَ فِيهَا ذَا زِنَادٍ وَأَرَى

الموت أرخص ما يكون بحجة
وقال:
والظلم زاد فصار بالقنطار

أما دمشق فإنها قد أوحشت
تاهت بعجب زائد حتى لقد
وقال:
من بعد ما شهد البرية أنسها
ضربت بطاعون عظيم نفسها

تعجبت من طاعون جَلَّق إذ غدا
فكم مؤمن تلقاه أذعن طائعا
وقال:
وما فاتت الآذان وقعة طعنه
على أنه قد مات من خلف أذنه

رعى الرحمن دهرا قد تولى
وكان الناس فى غفلات أمر
وقال:
يحاذى بالسلامة كل شرط
فجا طاعونهم من تحت إبط

يا رحمتا لدمشق من طاعونها
كم هالك نفث الدما من حلقه
وقال:
فالكل معتبق به أو مصطبح
أو ما تراه بغير سكين ذُبَح

مصيبة الطاعون قد أصبحت
يدخل فى المنزل لو أنه
وقال الأديب بدر الدين الحسن بن حبيب الحلبي:
لم يخلُ منها فى الورى بقعه
مدينة أخلاه فى جُمعه

إن هذا الطاعون يفتك فى العالم
ويطوف البلد شرقا وغربا
قد أباح الدما وحرّم جمع الشد
كم طوى النشر من أخ عن أخيه
وقال:
فك امرئُ ظلوم حقود
ويسوق العباد نحو اللحدود
مل قهراً وحلّ نظم العُقود
وسبأ عقل والد بوليد

أيتم الطفل أنكل الأم أبكى الـ
بسهام يرمى الأنام خفياً
كما قلبُ زدت فى النقص أقصرُ
إن أعش بعده فإننى شكور
وإذا مت هنتونى وقولوا
عين أجرى الدموع فوق الخدود
ت تشقّ القلوب قبل الجلود
وتلبّث يقول هل من مزيد
مخلص الحمد للولى الحميد
كم قتيل كما قُتلت شهيد

وقال الأديب جمال الدين محمد بن نباتة المصرى:

سِرُّ بنا عن دمشق يا طالب العيش فما فى المقام للمرء رغبة
رخصت أنفـس الخلاق بالطاعون فيها كل نفس بحبه
وقال الصلاح خليل بن أيك الصفدى أيضاً:

قد نغص الطاعون عيش الورى وأذهل الوالد والوالده
كم منزل كالشمع مكانه أطفأهم فى نفخة واحده
وقال:

لا تثق بالحياة طرفة عين فى زمان طاعونه مستطير
فكأن القبور شغلة شمع واليرايا لها فراش يطير
وقال الأديب إبراهيم المعمار:

يا طالب الموت أفق واتبيه هذا أوان الموت ما فاتا
قد رخص الموت على أهله ومات من لا عمره ماتا
وقال:

قبـح الطـاعون داء فقدت فيه الأحيـة
بيعت الأنفـس فيه كل نفس بجيئيه

ومات فى هذه السنة خلائق من الأعيان، منهم برهان الدين إبراهيم بن لاجين بن عبد الله الرشيدى الشافعى، يوم الثلاثاء تاسع عشرى شوال؛ ومولده سنة ثلاث وسبعين وستمائة، أخذ القراءات على التقى الصائغ، وسمع الحديث من الأبرقوهى؛ وأخذ الفقه عن العلم العراقى، وبرع فيه، وفى الأصول والنحو وغيره؛ ودرس وأقرأ، وخطب بجامع أمير حسين، واشتهر بالصلاح.

وتوفى برهان الدين إبراهيم بن عبد الله بن على الحكرى، شيخ الإقراء، فى يوم عيد النحر. أخذ القراءات عن التقى الصائغ، ونور الدين على بن يوسف بن حرير الشنطوفى.

وتوفى الأديب إبراهيم بن على بن إبراهيم المعمار.

ومات شهاب الدين أحمد بن عز الدين أيك بن عبد الله الحسامى المصرى الدمياطى، نسبة إلى جدّه لأمه الشافعى الجندى.

ومات الأديب المادح شهاب الدين أحمد بن مسعود بن أحمد بن ممدود السنهورى أبو العباس الضرير؛ كانت له قدرة زائدة على النظم، وشعره كثير.

ومات الأمير أحمد بن مهنا بن عيسى بن مهنا بن مانع بن حديثة بن غضية بن فضل ابن ربيعة، أمير آل فضل بسلمية، عن نيف وخمسين سنة.

وتوفى كاتب السرّ بدمشق شهاب الدين أحمد بن محيى الدين بن فضل الله بن على العمري، فى تاسع ذى الحجة بدمشق؛ ومولده بها فى ثالث شوال سنة سبعمائة. عرّف الفقه على مذهب الشافعى، ودرّس العربية؛ وبرع فى الإنشاء والتاريخ، وقال الشعر الجيد، وصنّف عدة كتب فى التاريخ والأدب، وباشر كتابة السرّ بديار مصر عن أبيه فى حياته، ثم استقل فى كتابة السرّ بدمشق.

وتوفى شهاب الدين أحمد بن محمد بن قيس بن ظهير الأنصارى المصرى الشافعى، يوم عيد النحر بالقاهرة. درّس بالخشائية والمشهد الحسينى، وبرع فى الفقه؛ وعظمت شهرته.

ومات أحمد بن الأمير آقبا عبد الواحد.

ومات الأمير أحمد بن الأمير أصلم.

ومات شهاب الدين أحمد بن الوجيه المحدث.

وتوفى شهاب الدين أحمد بن ملىق الشاذلى.

ومات الأمير أحمد بن الأمير جنكلى بن البابا، قريبا من عقبة أيلة، بعد عوده من الحج.

وتوفى شهاب الدين أحمد بن الغزوى، ناظر الأوقاف المارستان، بطريق الحجاز.

وتوفى المسند زين الدين أبو بكر بن قاسم بن أبى بكر الرحبى الحنبلى، بدمشق؛ ومولده سنة ست وستين وستمائة.

وتوفى الشيخ المعتقد أبو بكر بن النشاشيبي.

ومات الأمير آقبا أخو الأمير طقزدمر الحموى.

ومات الأمير أسندمر القلنجقى، والى القاهرة.

ومات الأمير إسماعيل الوافدى، والى قوص، مقتولا.

ومات الأمير إلمش الجمدار، الحاجب بدمشق؛ وكان مشكورا.

ومات الأمير بلك المظفرى الجمدار، أحد أمراء الألوفا، فى يوم الخميس رابع عشرى شوال.

ومات الأمير برلغى الصغير، قريب السلطان الملك المنصور قلاوون. قدم إلى القاهرة صحبة القازانية سنة أربع وسبعمائة، فأنعم عليه بإمرة، وتزوج ابنة الأمير بيبرس الجاشنكير قبل سلطنته، وعُمل له مهم عظيم، أشعل فيه ثلاثة آلاف شمعة. ثم قبض عليه بعد زوال المظفر بيبرس، وامتحن، وحُبس عشرين سنة. ثم أفرج عنه، وأنعم عليه بتقدمة ألف فمات بعد أيام.

ومات الأمير بلبان الحسينى أمير جاندار، وهو من المماليك المنصورية قلاوون؛ وقد أناف على الثمانين.

ومات الأمير بكنوت الفرمانى أحد المماليك المنصورية قلاوون؛ وكان أحد الأمراء البرجية، ثم ولى شد الدواوين بدمشق، وحُبس؛ ثم أنعم عليه بطبلخاناه فى ديار مضر؛ وكانت به حدة فاحشة، وولع بتتبع المطالب وعمل الكيمياء.

ومات الأمير تخمان.

ومات الأمير ترميغا العقيلي نائب الكرك، فى جمادى الآخرة؛ وكان مشكور السيرة. وتوفى كمال الدين جعفر بن ثعلب بن جعفر بن على الإدفوى^(١) الفقيه الشافعى الأديب الفاضل، له كتاب الطالع السعيد فى تاريخ الصعيد، وغيره؛ وشعره جيد.

ومات الأمير وداد بن الشيبانى، متولى إياس؛ وكان مشكور السيرة.

ومات الأمير سنقر الرومى المستأمن. قدم رسولا من الفرنج فى الأيام الناصرية محمد قلاوون، فأسلم وأنعم عليه بإمرة عشرة. ثم اختص بالصالح إسماعيل وأخيه شعبان الكامل، واتهم بأنه ركّب لهما السموم؛ فقُبض عليه بعد انقضاء أيام المظفر حاجى؛ ونفى. ثم أحضر، وأنعم عليه بإمرة.

ومات الأمير ناصر الدين خليفة، وزير البلاد القانية على شاه، فى سادس عشرى جمادى الأولى، بدمشق؛ وكان قد قدم من بلاد المشرق، وأعطى إقطاعا.

وتوفى نجم الدين سعيد بن عبد الله الدهلى^(٢)، بكسر الدال المهملة، الفقيه الحنبلى

(١) جعفر بن ثعلب بن جعفر الإدفوى أبو الفضل كمال الدين مؤرخ، له علم بالأدب والفقہ والفرائض والموسيقا ولد فى إدفو (بصعيد مصر) وتعلم بقوص والقاهرة وتوفى بهذه بعد عودته من الحج. انظر (ديوان الإسلام - خ)، وآداب اللغة ٣: ١٦٠ وشذرات الذهب ٦: ١٥٣ والدرر الكامنة ١: ٥٣٥ والبدر الطالع ١: ١٨٢ والأعلام ٢/ ١٢٣.

(٢) سعيد بن عبد الله الحريرى الهندى الدهلى أبو الخير، نجم الدين حافظ، نشأ ببغداد وارتحل إلى مصر وأقام بدمشق إلى أن توفى. له تأليف منها [تفتت الأكيارد فى واقعة بغداد]. انظر شذرات الذهب ٦: ١٦٣ والدرر الكامنة ٢/ ١٣٤ والأعلام ٣/ ٩٨.

الحافظ، خامس عشرى ذى القعدة؛ وله كتاب تفتيت الأكباد فى واقعة بغداد. وُلد سنة سبع عشرة وسبعمائة، وقدم من بغداد إلى القاهرة، وسمع ودأب وصنف، فبرع فى الحديث ومعرفة التراجم.

وتوفى جمال الدين أبو الربيع سليمان بن أبى الحسن بن سليمان بن ريان الحلبي، ناظر الجيش بها وبدمشق.

ومات شيرين بن شيخ الخانكاه الركنية بيبرس، فولى بعده نجم الدين الملطى فمات عن قريب.

ومات الأمير طشتمر طليله، أحد الأمراء المقدمين، فى شوال؛ وقيل له طليله لأنه كان إذا تكلم قال فى آخر كلامه طليله وهو من المماليك الناصرية.

ومات الأمير طغاي الكاشف مقتولا، فقدم الخير بقتله يوم الخميس ثالث عشرى ذى القعدة.

وماتت خوند طغاي أم أنوك، وتركت مالا كبيرا وألف جارية وثمانين طواشيا؛ وأعتقت الجميع؛ ولها تنسب تربة خوند بالصحراء.

وتوفى الصفى عبد العزيز بن سرايا بن على بن أبى القاسم بن أحمد بن نصر بن أبى العزيز سرايا بن ناقا بن عبد الله السنبسى الحلبي الأديب الشاعر، آخر يوم من ذى الحجة؛ ومولده خامس ربيع الآخر سنة سبع وسبعين وستمائة؛ قدم القاهرة مرتين.

وتوفى تاج الدين عبد الرحيم بن قاضى القضاة جلال الدين محمد بن عبد الرحمن^(١) ابن محمد بن أحمد بن محمد عبد الكريم القزوينى الشافعى، خطيب الجامع الأموى بدمشق؛ وتوفى معه أخوه صدر الدين عبد الكريم.

وتوفى الرجل الصالح عبد الله المنوفى المالكي، فى يوم الأحد ثامن رمضان، وقبره خارج القاهرة يقصد للتبرك به.

وتوفى المسند بهاء الدين على بن عمر بن أحمد المقدسى الصالحى الدمشقى وقد أناف على الثمانين؛ حدث عن ابن البخارى وغيره.

(١) محمد بن عبد الرحمن بن عمر، أبو المعالى جلال الدين القزوينى الشافعى محمد المعروف بخطيب دمشق من أحفاد أبى دلف أحمد العجلي: قاضى من أدباء الفقهاء أصله من قزوين ومولده بالموصل ولى القضاء فى ناحية بالروم ثم قضاء دمشق سنة ٧٢٤ هـ فقضاء القضاة بمصر سنة ٧٢٧ هـ ونفاه السلطان الملك الناصر إلى دمشق سنة ٧٣٨ هـ وله كتب (تلخيص المفتاح - ط) فى المعانى والبيان و (الإيضاح - ط). انظر مفتاح السعادة ١: ١٦٨، وبغية الوعاة ٦٦ وابن الوردى ٢: ٣٢٤ والبدر الطالع ٢/ ١٨٣ وكشف الظنون ٤٣٣ و ١٠٠٩ والنجوم الزاهرة ٩/ ٣١٨ والدرر الكامنة ٤: ٣ و الأعلام ٦/ ١٩٢.

ومات أمير على بن طغريل الإيغاني، أحد أمراء الألف.
ومات أمير على بن الأمير أرغون النائب.
وتوفى شيخ الشيوخ بدمشق علاء الدين على بن محمود بن حميد القونوي الحنفي،
في رابع رمضان.
وتوفى زين الدين عمر بن داود هارون بن يوسف بن على الحارثي الصفدي، أحد
موقعي الدست - وقد أناف على الستين - بالقاهرة برع في الفقه على مذهب
الشافعي، وفي العربية والإنشاء، ونظم الشعر.
وتوفى زين الدين عمر بن المظفر بن عمر بن محمد بن أبي الفوارس بن على المغربي
الجلي، المعروف بابن الوردى، الفقيه الشافعي، وهو ناظم الحاوي؛ وقد جاوز الستين؛
وكانت وفاته بجلب، في تاسع عشرى ذى الحجة.
وتوفى زين الدين عمر بن عامر بن الخضر بن عمر بن ربيع العامري الغري
الشافعي، بمدينة بليس، عن إحدى وسبعين؛ باشر بالكرك وعجلون وقوص وبليس،
وبرع في الفقه.
وتوفى زين الدين عمر بن محمد بن عبد الحاكم بن عبد الرزاق البلقياي الشافعي،
قاضي حلب وصيد، وبها مات عن نحو سبعين سنة.
ومات الأمير ركن الدين عمر بن طقصور؛ وكان فاضلا، صنف في الموسيقى وغيره.
ومات الطواشي عنبر السحرتي اللالا مقدم الممالك، منفيًا بالقدس.
ومات الأمير قطز أمير آخور ونائب صغد، وهو من جملة الأمراء بدمشق، يوم
الثلاثاء رابع ذى القعدة.
ومات الأمير قرونة من الأويراتية.
ومات الأمير قطليجا السيفي البكمري، متولى الإسكندرية، ووالى القاهرة.
ومات الأمير كوكاي السلاح دار المنصوري؛ وترك زيادة على أربعمئة ألف دينار.
وتوفى قاضي الشافعية بجلب نور الدين محمد بن محمد بن محمد بن عبد القادر بن
عبد الخالق بن خليل بن مقلد بن جابر بن الصائغ الأنصاري، وقد أناف على السبعين.
ومات شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان بن إبراهيم بن عدلان، الفقيه الشافعي^(١)
عن ست وثمانين سنة، بالقاهرة.

(١) محمد بن أحمد بن عثمان بن إبراهيم بن عدلان بن محمود بن لاحق بن داود، شمس الدين
الكتاني فقيه شافعي مصرى. ناب في الحكم عن ابن دقيق وأرسل إلى اليمن في أيام الناصر محمد بن
قلاوون وله (شرح مختصر المنزى - خ). انظر طبقات الشافعية ٢١٤/٥ وهدية العارفين ٢: ١٥٦
والأعلام ٣٢٦/٥.

وتوفى شمس الدين محمد بن أحمد بن عبد المؤمن بن اللبان الأسعردى^(١) الفقيه الشافعى، عن تسع وستين سنة.

وتوفى شمس الدين محمد المعروف بابن الكنانى الشافعى.

وتوفى عماد الدين محمد بن إسحاق بن محمد البليسى الشافعى، قاضى الإسكندرية فى الأيام الناصرية، وهو معزول، فى يوم الثلاثاء حادى عشر شعبان.

ومات شمس الدين محمد بن مسكين ناظر الأحباس.

ومات شمس الدين محمد بن إبراهيم بن عمر الأسيوطى، وناظر بيت المال، وهو بانى جامع الأسيوطى بخط جزيرة الفيل.

وتوفى الشيخ شمس الدين محمد الأكفانى الحكيم، صاحب التصانيف، فى يوم الأربعاء ثالث عشرى شوال.

وتوفى شمس الدين محمد بن محمد بن عبد الله بن صغير الطيب؛ وله شعر جيد.

ومات الشيخ شمس الدين محمود بن أبى القاسم عبد الرحمن بن أحمد بن محمد^(٢) بن أبى بكر الأصفهانى، الفقيه الشافعى ذو الفنون، بالقاهرة، فى ذى القعدة؛ ومولده سنة أربع وسبعين وستمائة.

ومات الأمير شرف الدين محمود بن خطير، أخو أمير مسعود.

ومات نكبأى اليريدى أحد المماليك المنصورية قلاوون؛ ولى قطيا وإسكندرية، ثم أنعم عليه ببطلخاناه، واستقر مهمنداراً، وإليه تنسب دار نكبأى خارج مدينة مصر على النيل، وعنى بعمارتها، فلم يمتنع بها.

وتوفى الشيخ المعتقد يوسف المرحلى.

(١) محمد بن أحمد بن عبد المؤمن الأسعردى الدمشقى، شمس الدين بن اللبان من علماء العربية ولد ونشأ بدمشق، واستقر وتوفى بمصر من كتبه (ألفية) فى النحو. انظر مرآة الجنان ٤/ ٣٣٣ (وغربال الزمان - خ) والدرر الكامنة ٣: ٣٢٠ ومفجم المطبوعات ٢٢٩ والبعثة المصرية ٢١ والشذرات ٦/ ١٦٣ والأعلام ٥/ ٣٢٧.

(٢) محمود بن عبد الرحمن (أبى القاسم) بن أحمد بن محمد أبو الثناء، شمس الدين الأصفهانى مفسر كان عالماً بالعقليات. ولد وتعلم فى أصفهان ورحل إلى دمشق فأكرمه أهلها وأعجب به ابن تيمية. وانتقل إلى القاهرة فبنى له الأمير قوصون الخانقاه بالقرافة ورتبه شيخاً فيها وله [التفسير - خ] فى صوفية. انظر الدرر الكامنة ٤/ ٣٢٧ وبغية الوعاة ٣٨٨ وشذرات الذهب ٦: ١٦٥ والبدر الطالع ٢: ٢٩٨ والأعلام ٧/ ١٧٦.

ومات نور الدين الفرج.

وتوفى نور الدين الفرج بن محمد بن أبي الفرج الأردبيلي الشافعي: شارح منهاج
البيضاوي، في ثالث عشر جمادى الآخرة، بدمشق.

* * *

سنة خمسين وسبعمائة

أهل شهر الله المحرم: وقد تناقص الوباء.

وفيه أخرج الأمير قبجق إلى دمشق، على إمرة طبلخاناه.

وفيه اجتمع رأى كثير من طائفة الفقهاء الحنفية على أن يكون قاضيهم جمال الدين عبد الله بن قاضى القضاة علاء الدين بن عثمان التركمانى، بعد موت والده فى تاسعه وطلبوا ذلك من الأمير شيخو وغيره، فأجيبوا إليه. وطلب جمال الدين، وخلع عليه، واستقر قاضى القضاة الحنفية، ونزل إلى المدرسة الصالحية؛ وعمره دون الثلاثين سنة.

وفيه قدم الحاج، وفهم قاضى القضاة زين الدين عمر البسطامى. فترك قاضى القضاة جمال الدين عبد الله بن التركمانى تدريس الحنفية بجامع أحمد بن طولون، فشكره الناس على هذا.

وفيه وقدم أيضاً قاضى القضاة عز الدين عبد العزيز بن جماعة، فزوج قاضى القضاة عز الدين بن جماعة جمال الدين عبد الله بن التركمانى بابنته.

وفيه وقدم أيضاً الأمير فارس الدين، وقد نازعه عرب بنى شعبة فى عمارة عين جوبان، فجمع لهم وقتلهم، وقتل منهم جماعة، وجرح كثيراً وهزمهم؛ وقتل له مملوكان؛ وأصلح الأمير فارس الدين العين حتى جرى ماؤها بقلعة وكان الغلاء بمكة شديداً بلغت الوبية من الشعرير إلى سبعين درهما، فهلك كثير من الجمال؛ ووقع بمكة والمدينة وعمامة بلاد الحجاز وبواديها وباء عظيم حتى جافت البوادي.

وفيه خلع على تاج الدين محمد بن علم الدين محمد بن أبى بكر بن عيسى الأحنائى^(١) واستقر فى قضاء القضاة المالكية، عوضاً عن عمه تقى الدين محمد بن أبى بكر بن عيسى الأحنائى، بعد موته.

وفيه تقدم الوزير منجك لعلاء الدين على بن الكورانى والى القاهرة بطلب الخفراء أصحاب الرباع، وإلزامهم بكتابة أملاك القاهرة ومصر وظواهرهما، وأسماء سكانها وملاكها؛ فكتبوا ذلك. وكان يوجد فى الزقاق الواحد من كل حارة وخط عدة دور

(١) محمد بن أبى بكر بن عيسى الأحنائى [٦٥٨ - ٧٥٠ هـ = ١٢٦٠ - ١٣٤٩ م] أبو عبد الله قاضى القضاة المالكية بمصر له تأليف انتقد الإمام ابن تيمية. انظر الديباج ٣٢٧ والأعلام ٥٦/٦.

خالية، لا يعرف لها ملاك، فحتم عليها. وتتبع الوالى الفنادق والمخازن ودار الوكالة والحواصل والشون وفعل فيها كذلك.

وفيه قدم الخير بنفاق العشير وعرب الكرك، وذلك أن عشير بلاد الشام فرقنان - قيس، ويمن - لا ينفقان قط، وفي كل قليل يثور بعضهم على بعض ويكثر قتلاهم، فيأتى إليهم من السلطان من يجيهم الأموال الكثيرة. فلما وقع الفناء فى الناس ثاروا على عاداتهم، وطالت حروبهم لاشتغال الدولة عنهم، فعظم فسادهم وقطعهم الطرقات على المسافرين. فجرد إليهم النائب - أعنى الأمير أرغون شاه نائب الشام - ابن صبح مقدم الجبلية فى عدة من الأمراء، فلم يظفر بهم، وأقام بالعسكر على اللجون. وأخذ العشير فى الغارات على بلاد القدس والخليل ونابلس، فكتب لنائب غزة بمساعدة العسكر.

وفيه اشتدت الفتنة أيضاً فى بلاد الكرك بين بنى نمير وبنى ربيعة، فإن الملك الناصر محمد بن قلاوون كان لما أعياه أمرهم وتحصنهم بجبالهم المنيعة أخذ فى الحيلة عليهم، وتقدم إلى شطى أمير بنى عقبه، وإلى نائب الشام ونائب غزة ونائب الكرك، بأن يدخلوا إلى البرية كأنهم يصطادون ويوقعون بهم؛ فقبضوا على كثير منهم، وقتلوا فى جبالهم خلقاً كثيراً منهم، وحبسوا باقيهم حتى ماتوا. فسكن الشر بتلك الجهات إلى أن كانت فتنة الناصر أحمد بالكرك، عاد بنو نمير وبنو ربيعة إلى ما كانوا عليه من الفساد، وقوى أمرهم. فركب إليهم الأمير جر كتمر نائب الكرك، وطلع إليهم فقاتلوه، وقتلوا من أصحابه عشرة، وكسروه أقبح كسرة؛ فكتب لنائب الشام الأمير أرغون شاه بتجهيز عسكر لقتالهم.

وفى صفر: أنعم على عرب بن ناصر الدين الشيخى بإمرة طبلخاناه، وعلى شاورشى دوادار قوصون بإمرة عشرة.

وفى أول ربيع الأول: قدم قود الأمير جبار بن مهنا، صحبة ولده نعيم.

وفيه قدم البريد من غزة يركوب نائبها على العشير، وكبسهم ليلا، وأسر أكثرهم، وقتل ستين منهم، وتوسيط الأسرى بغزة.

وفى يوم الأربعاء ثانى عشره: شنقت جارية رومية الجنس خارج باب النصر، عند مصلى الأموات. وسبب ذلك أنها كانت جارية أم الأمير يلبغا اليحياوى فاتفقت مع عدة من الجوارى على قتل سيدتها، وقتلوا ليلا بأن وضعن على وجهها مخدة، وخبس نفسها حتى ماتت، وأقمن من الغد عزاءها، وزعمن أنها ضربت بدم. فمشت حيلتهن

على الناس أياما، إلى أن تنافسن على قسمة المال الذى سرقنه، وتحدثن بما كان، وأعتزفن على الجارية التى تولت القتل، فأخذت وشنقت، وهى يزارها ونقابها. وأخذ من الجوارى ما معهن من المال، وكان جملة كثيرة. ولم يعهد بمصر امرأة شنقت سوى هذه.

وقد وقع فى أيام المنصور قلاوون أن امرأة كانت تستميل النساء وترغبهن حتى تمضى بهن إلى موضع توهمن أن به من يعاشرهن بفاحشة، فإذا صارت المرأة إليها قبضها رجال قد أعدتهم، وقتلوا وأخذوا ثيابها. فاشتهر بالقاهرة خبرها، وعُرفت بالخناقة؛ فما زال بها الأمير علم الدين سنجر الخياط والى القاهرة حتى قبض عليها، وسمَّرها.

ووقع أيضاً فى أيام الملك الناصر محمد بن قلاوون أن امرأة بأرض الطبالة كانت عند طائفة البزادرية تفعل ذلك بالنساء، فقبض عليها، وسمروا وسمرت معهم؛ فكانت تقول - وهى مسمرة يطاف بها على الجمال فى القاهرة - إذا رأت النساء وهن يتفرجن عليها: «آه يا قحاب، لو عشت لكن لأفنيكن، ولكن ما عشت».

وفى يوم الأربعاء تاسع عشره: قدم الخير بقتل الأمير أرغون شاه نائب الشام، وكان شأنه مما يستغرب.

وذلك أنه لما كان نصف ليلة الخميس ثالث عشره لم يشعر الأمير أرغون شاه، وقد نزل بالقصر الأبلق من الميدان خارج مدينة دمشق، ومعه أهله، وإذا بصوت قد وقع فى الناس بدخول العسكر، فثاروا بأجمعهم. ودارت النقباء على الأمراء بالركوب ليقفوا على مرسوم السلطان. فركبوا جميعا إلى سوق الخيل تحت القلعة، فوجدوا الأمير ألبجيغا المظفرى نائب طرابلس، وإذا بالأمير أرغون شاه ماش، وعليه بغلوطاق صدر وتخفيفة على رأسه، وهو مكتف بين ممالك الأمير فخر الدين أياس.

وذلك أن ألبجيغا لما قدم من طرابلس سار حتى طرق دمشق على حين غفلة، وركب معه الأمير فخر الدين أياس السلاح دار، ثم ركب أياس بأصحابه، وأحاط بالقصر الأبلق، وطرق بابَه وعلم الخدام بأنه قد حدث أمر مهم، فأيقظوا الأمير أرغون شاه؛ فقام من فرشه، وخرج إليهم، فقبضوا عليه؛ وقالوا حضر مرسوم السلطان بمسكه، والعسكر واقف. فلم يحسر أحد يدفع عنه، وأخذه أياس وأتى به ألبجيغا. فسلم أمراء دمشق على ألبجيغا، وسألوه عن الخير، فذكر لهم أن مرسوم السلطان ورد عليه بركوبه إلى دمشق بعسكر طرابلس، وقبض أرغون شاه وقتله والحوطة على موجوده؛

وأخرج لهم كتاب السلطان بذلك؛ فأجابوا بالسمع والطاعة، وعادوا إلى منازلهم؛ ونزل أجليغا بالميدان.

وأصبح يوم الخميس: فأوقع أجليغا الخوطة على موجود أرغون شاه؛ وأصبح يوم الجمعة أرغون شاه مذبوحا. فكتب أجليغا محضرا بأنه وجد مذبوحا والسكين فى يده، فأنكر الأمراء ذلك عليه، و كونه لما قبض أموال أرغون شاه لم يرفعها إلى القلعة على العادة، واتهموه فيما فعل، وركبوا لحربه يوم الثلاثاء ثامن عشره. فقاتلهم أجليغا، وجرح الأمير مسعود بن خطير، وقطعت يد الأمير أجليغا العادلى، وقد جاوز تسعين سنة.

وولى أجليغا نائب طرابلس، ومعه خيول أرغون شاه وأمواله؛ وتوجه نحو المزة، وصحبته الأمير أياس الذى كان نائب حلب، ومضى إلى طرابلس.

وسبب ذلك أن أياس لما عزل من نيابة حلب بأرغون شاه، وأخذت أمواله وسجن، ثم أفرج عنه واستقر من جملة أمراء دمشق وأرغون شاه نائبا. وكان أرغون شاه يهينه ويخرق به. واتفق أيضا إخراج اجليغا المظفرى من القاهرة إلى دمشق أميرا بها، فترفع عليه أرغون شاه وأذله، فاتفق مع أياس على مكيدة. وأخذ أجليغا فى السعى لخروجه من دمشق عند الأمراء، وبعث إلى الأمير بييغا روس نائب السلطان وإلى أخيه الوزير منجك هدية سنية، فولوه طرابلس كما تقدم، وأقام بها إلى أن كتب يعرف السلطان والأمراء أن أكثر عسكر طرابلس مقيم بدمشق، وطلب أن يكتب لنائب الشام يردهم إلى طرابلس، فكتب له بذلك. فشق على أرغون شاه أن أجليغا لم يكتب إليه يسأله، وإنما كتب إلى السلطان والأمراء دونه، وكتب إلى أجليغا بالإنكار عليه، وأغلظ له فى القول، وحمل البريد إليه مشافهة شنيعة؛ فقامت قيامة أجليغا عند سماعها، وفعل ما فعل.

ولما قدم خير قتل الأمير أرغون شاه ارتاع الأمراء، واتهم بعضهم بعضا. فخلف كل من شيخو والنائب بييغا روس على البراءة من قتله، وكتبوا إلى أجليغا بأنه قتل أرغون بمرسوم من، وإعلامهم بمسئدته فى ذلك؛ وكتب إلى أمراء دمشق بالفحص عن هذه الواقعة.

وكان أجليغا وأياس قد وصلا إلى طرابلس، وخيما بظاهاها فقدمت فى غد ووصولهما كتب أمراء دمشق إلى أمراء طرابلس بالاحتراز على أجليغا حتى يرد مرسوم السلطان، فإنه فعل فعلته بغير مرسوم السلطان، «ومشت حليته علينا»؛ وكتبوا إلى نائب حماة ونائب حلب وإلى العريان بمسك الطرقات عليه. فركب عسكر طرابلس

بالسلاح، ووقفوا تجاه ألبجيغا، وأحاطوا به. فوافاهم كتاب السلطان بمسكه، وقد صار عن طرابلس، فساروا خلفه إلى نهر الكلب عند بيروت، فإذا أمراء العربان، وأهل بيروت واقفون في وجهه. فوقف ألبجيغا نهاره، ثم كر راجعاً، فقابله عسكر طرابلس، فقبض عليه وفر آياس، فلم يقدر عليه. ووقعت الحوطة على ممالك ألبجيغا وأمواله، وأخذ الذي كتب الكتاب بقتل أرغون شاه، فاعتذر بأنه أكره على ذلك، وأنه غير الألقاب وكتب أوصال الكتاب مقلوقة حتى يعرف أنه مزور. وحُمل ألبجيغا مقيد إلى دمشق. فقبض نائب بعلبك على آياس، وقد حلق لحيته ورأسه واختفى عند بعض البصاري، وبعث إلى دمشق فحبسها بقلعتها، وكتب بذلك إلى السلطان والأمراء.

وكان قد ركب الأمير قجا السلاح دار البريد إلى دمشق بأمر السلطان، فأخرج آياس وألبجيغا ووسَّطهما، وعلقهما على الخشب يوم الخميس حادى عشرى ربيع الآخر. وكان عمر ألبجيغا نحو تسع عشرة سنة، وهو ما طُرَّ شاربه.

وفيه كتب باستقرار الأمير أرقطاي نائب حلب فى نيابة الشام، عوضاً عن أرغون شاه. واستقر الأمير قطلبيجا الحموى نائب حماة فى نيابة حلب، عوضاً عن الأمير أرقطاي واستقر أمير مسعود بن خطير فى نيابة طرابلس، عوضاً عن ألبجيغا المظفرى.

وفيه قدم طُلب أرغون شاه ومماليكه وموجوده، ثم وصل طُلب ألبجيغا ومماليكه وأمواله وأموال آياس؛ فتصرف الوزير منجك فى الجميع.

وفيه قدم الخير بموت الأمير أرقطاي نائب الشام، فكتب باستقرار الأمير قطلبيجا نائب حلب فى نيابة الشام، وتوجه ملكمتر الحمدي بتقليده. فقدم الخير بأن ملكمتر الحمدي قدم حلب وقطلبيجا متغير المزاج، فأخرج ثقله بريد دمشق، وأقام بظاهر حلب مدة أسبوع ومات، فأراد ببيغا روس النائب منجك إخراج الأمير طاز لنيابة الشام، والأمير مغلطاي أمير آخور لنيابة حلب؛ فلم يوافقا على ذلك، وكادت الفتنة أن تقع. فخلع على الأمير أيتمش الناصرى واستقر فى نيابة الشام، عوضاً عن قطلبيجا، فى يوم الجمعة سادس عشرى جمادى الأولى، وتوجه إليها وخرج الأمير قمارى الحموى إلى دمشق، وجمع أمراءها، وقبض على كثير منهم، وقيدهم وسجنهم.

وفى هذه الأيام: توقفت أحوال الدولة، وقُطعت مرتبات الناس من اللحم والشعير، وصُرف للماليك السلطانية عن كل أردب شعير خمسة دراهم، وقيمته اثنا عشر درهما.

وفى عاشر جمادى الآخرة: خرجت التجريدة إلى قتال العشير والعربان. وسببه كثرة فسادهم ببلاد القدس ونابلس. وكان قد قبض على أدي بن فضل أمير جرم، وسُجن

بقلعة الجبل، ثم أفرج عنه بعناية الوزير منجك. فجمع أدى وقاتل سنجر بن علي أمير ثعلبة فمالت حارثة مع أدى، ومالت بنو كنانة مع سنجر، وجرت بينهم حروب كثيرة، قتل فيها خلائق، وفسدت الطرقات على المسافرين. فخرجت إليهم عساكر دمشق، فلم يعبتوا بهم. فلما ولي الأمير يلجك غزة استمال أدى بعد أيام، وعضده على ثعلبة؛ واشتدت الحروب بينهم، وفسدت أحوال الناس. فركب يلجك بعسكر غزة ليلا، وطرق ثعلبة، فقاتلوه وكسروه كسرة قبيحة، وألقوه عن فرسه إلى الأرض، وسحبوه إلى بيوتهم فقام سنجر بن علي أمير ثعلبة عليهم حتى تركوا قتله، بعد أن سلبوا ما عليه، وبالغوا في إهانته، ثم أفرجوا عنه بعد يومين فعاد يلجك إلى غزة، وقد اتضع قدره وتقوى العشير بما أخذوه من عسكره، وعز جانبهم، فقصدوا الغور، وكبسوا القصير المعينى، وقتلوا به جماعة كثيرة من الجبلية وعمال المعاصر، ونهبوا جميع ما فيه من القنود والأعمال والعسكر وغيره، وذبحوا الأطفال على صدر الأمهات. وقطعوا الطرقات، فلم يدعوا أحدا يمر من الشام إلى مصر حتى أخذوه. وقصدوا القدس، فخلى الناس منه ومن الخيل ثم قصدوا الرملة ولذّ فانتهبوها؛ وزادوا فى التعدى، وخرجوا عن الحد، والأخبار ترد بذلك.

فوقع الاتفاق على ولاية الأمير سيف الدين دنجى نيابة غزة، وأبقى على إقطاعه بمصر، وخلع عليه وأخرج إليها وكتب بخروج ابن صبح من دمشق على ألفى فارس، وتجهز الوزير منجك ومعه ثلاثة أمراء من المقدمين، وهم الحمدي وأرغن الكاملى وطقتمر فسار قبلهم لاجين أمير آخور فى جماعة من طريق عقبة أيلة، فى يوم السبت رابع عشره.

وبينما الوزير ومن معه فى أهبة السفر إذ قدم الخير أن الأمير قطلبيجا توجه من حماه إلى نيابة حلب، عوضا عن الأمير أرقطاي، فوجد طلب أرقطاي وقد برز خارج حلب يريد القاهرة، فأعاقه لعمل محاسبة إقطاع النيابة بحلب، وركب بحلب موكبا. ثم ركب الأمير قطلبيجا الموكب الثانى، ونزل وفى بدنه تغير؛ فلزم الفراش أسبوعا ومات. فسأل أرغون الكاملى أن يستقر عوضه فى نيابة حلب، فأجيب إلى ذلك، وخلع عليه فى يوم الخميس؛ وأنعم بتقدمة على الأمير قطلوبغا الذهبى، ورسم بسفره فى يوم الخميس المذكور.

وخرج الوزير منجك فى تجمل عظيم، وقد كثرت القالة فى أنقضاء مدته ومدة أخيه الأمير بييغا روس، وأن الأمير شينخو وطاز ومغلطاي وغيرهم من الأمراء قد اتفقوا عليهما حتى بلغهما ذلك، وأن الوزير منجك قصد إبطال التجريدة.

وهذا وقد قدم الوزير النجابة لكشف أخبار العشيرة، فلما رحل عن بلبيس عادت نجابته بأن ثعلبة ركبت بأجمعها، ودخلت برية الحجاز، لما بلغهم مسير العسكر إليهم، فذهب أدى كثيرا منهم، وانفرد في البلاد بعشيرة. فعاد الوزير بمن معه، وعبر القاهرة في ثاني عشره بعد أربعة أيام. وكان قد حصل للوزير في هذه الحركة من تقادم الكشاف والولاية والأمراء والمباشرين ما ينيف على مائة ألف دينار، فتلقت العامة بالشموع، وابتهجوا بقدومه، وأتته الضامنة بجميع أرباب الملاهي، وكان من الأيام المشهورة.

وفي مستهل رجب: قدم الخير بأن الأمير دلنجي نائب غزة بلغه كثرة جميع العشير، وقصدهم نهب لد والرملة؛ فركب إليهم ولقيهم قريبا من لد، فنزل تجاههم، وما زال يرأسلهم ويخدعهم حتى قدم إليه نحو المائتين من أكابرههم، فقبضهم وعاد إلى غزة، وقد تفرق جمعهم، فوسطهم كلهم.

وفيه توجه طلب الأمير أرغون الكاملى^(١) إلى حلب.

وفيه قدم طلب الأمير أرقطاي مع ولده^(٢).

وفي يوم الخميس مستهل شعبان:

خرج الأمير قبلاى الحاجب بمضافيه من الطبلخاناه والعشرات إلى غزة، لأحد شيوخ العشير.

وفي هذا الشهر: غير الوزير ولاية الوجه القبلى، وكتب بطلبهم، وعزل مازان من الغربية بابن الدوادارى.

وفيه أضيف كشف الجسور إلى ولاية الأقاليم.

وفيه أعيد فار السقوف إلى ضمان جهات القاهرة ومصر بأجمعها، وكان قد سجن في الأيام الناصرية محمد بن قلاوون، وكتب على قيده مُخلد، بعد ما صودر وضرب بالمقارع لقبح سيرته. فلم يزل مسجوننا إلى أن أفرج عين المحاييس فى أيام الصالح إسماعيل، فأفرج عنه فى حملتهم، وانقطع إلى أن اتصل بالوزير منجك واستماله، فسلمه الجهات بأسرها، وخلع عليه، ومنع مقدمى الدولة من مشاركته فى التكلم فى الجهات،

(١) انظر الأحداث التى شارك فيها. السلوك ٢/٦٨٧، ٦٩٦، ٦٩٣، ٦٩٥، ٧٠٩، ٧١٠،

٧١٩، ٧٣٩، ٧٤٣، ٧٤٩، ٧٦١، ٨٠٤، ٨٠٥.

(٢) انظر النجوم الزاهرة ١٠/١٧١

ونودى له فى القاهرة ومصر، فزاد فى المعاملات (١) ثلاثمائة ألف درهم فى السنة.

وفيه قدم الأمير قبلاى غزة، فاحتال على أذى حتى قدم عليه، فأكرمه وأنزله، ثم رده بزوادة إلى أهله فاطمánt العشرات والعربان لذلك، وبقوا على ذلك إلى أن أهل رمضان. حضر أذى فى بنى عمه لتهنتة قبلاى بشهر الصوم فساعة وصوله إليه قبض عليه وعلى بنى عمه الأربعة، وقيدهم وسجنهم، وكتب إلى على بن سنجر: «بأنى قد قبضت على عدوك ليكون لى عندك يد بيضاء، فسُرَّ سنجر بذلك، وركب إلى قبلاى، فتلقاه وأكرمه، فضمن له سنجر درك البلاد. ورحل قبلاى من غده ومعه أذى وبنو عمه يريد القاهرة، فقدم فى يوم الإثنين حادى عشره، ففُضِّروا على باب القلة بالمقارع ضربا مبرحا وألزم أذى بألف جمل وماتى ألف درهم، فبعث إلى قومه بإحضارها، فلما أخذت سُمِّر هو وبنو عمه فى يوم الإثنين خامس عشره وقت العصر، وسَّيروا إلى غزة صحبة جماعة من أجناد الحلقة، فوسَّطوا بها. فثار أخو أذى، وقصد كبس غزة، فخرج إليه الأمير دلنجى ولقيه على ميل من غزة، وحاربه ثلاثة أيام، وقتله فى اليوم الرابع بسهم أصابه، وبعث دلنجى بذلك إلى القاهرة، فكسب بخروج نائب صفد ونائب الكرك لنجدته،

وفى مستهل شوال: توجه السلطان إلى الأهرام على العادة.

وفيه كثر الإنكار على الوزير منجك، فإنه أبطل سماط العيد، واحتج بأنه يقوم بجملة كبيرة تبلغ خمسين ألف درهم، وتنهبه الغلمان، وكان أيضا قد أبطل سماط شهر رمضان.

وفى هذا الشهر: فرغت القيسارية التى أنشأها تاج الدين المناوى، بجوار الجامع الطولونى، من مال وقفه، وتشتمل على ثلاثين حانوتا.

وفيه خرج ركب الحاج على العادة، صحبة الأمير فارس الدين، ومعه عدة من مماليك الأمراء. وحمل الأمير فارس الدين معه مالا من بيت المال، ومن مودع الحكم، لعمارة عين جوبان بمكة، ومبلغ عشرة آلاف درهم للعرب بسبب العين المذكورة، ورسوم أن تكون مقررة لهم فى كل سنة. وخرج معه حاج كثير جدا، وحمل الأمراء من الغلال فى البحر إلى مكة عدة آلاف أردب.

وفى مستهل ذى القعدة: قدم كتاب الأمير دلنجى نائب غزة بتفرق العربان،

ونزول أكثرهم بالشرقية والغربية من أرض مصر، لربط إبلهم على الرسيم. فكبيست البلاد عليهم، وقبض على ثلاثمائة رجل، وأخذ لهم ثلاثة آلاف جمل. ووُجد عندهم كثير من ثياب الأجناد وسلاحهم وحوائصهم، فاستعمل الرجال فى العمائر حتى هلك أكثرهم.

وفى نصفه: خرج الأمراء لكشف الجسور، فتوجه الأمير أرنان للوجه القبلى، وتوجه أمير أحمد قريب السلطان للغربية، وتوجه الأمير آقجبا للمنوفية، وتوجه أراى أمير آخور للشرقية، وتوجه أحد أمراء العشرات لأشمون.

وفيه توقف حال الدولة، فكثر الكلام من الأمراء والمماليك السلطانية والمعاملين والخوشكاشية^(١).

وفيه طلب الأمير مغلطای أمير آخور زيادة على إقطاعه، فكشف عن بلاد الخصاص، فدل ديوان الجيش على أنه لم يتأخر منها سوى الإسكندرية ودمياط وقوة وفارس كور، وخرج باقيها للأمراء، وخرج أيضا من الجيزة ما كان لديوان الخصاص للأمراء. وشكا الوزير من كثرة الكلف والإنعامات، وأن الحوائج خاناه فى الأيام الناصرية محمد بن قلاوون مرتبتها فى كل يوم ثلاثة عشر ألف درهم، وهو اليوم اثنان وعشرون ألف درهم. فرسم بكتابة أوراق بمتحصل الدولة ومصروفها، فبلغ المتحصل فى السنة عشرة آلاف درهم، والمصروف بديوان الوزارة وديوان الخصاص أربعة عشر ألف درهم وستمائة ألف درهم، وأن الذى خرج من بلاد الجيزة على سبيل الإنعام زيادة على إقطاعات الأمراء نحو ستين ألف دينار. فتغاضى الأمراء عند سماع ذلك إلا مغلطای أمير آخور، فإنه غضب وقال: «من يحاqq الدواوين على قولهم؟».

وفيه قدم طلب الأمير قطلبيجا الحموى من حلب، فوضع الوزير منجك يده عليه، وتصرف بحكم أنه وصى.

وفيه قدم الأمير عز الدين أزدمر الزراق من حلب، باستدعائه، بعد ما أقام بها مدة سنة من جملة أمراء الألوف، فأجلس مع الأمراء الكبار فى الخدمة.

وفيه أخرج ابن طقزدمر^(٢) إلى حلب؛ لكثرة فساده وسوء تصرفه.

وفيه خرج الأمير طاز لسرحة البحيرة، وأنعم عليه من مال الإسكندرية بألفى دينار.

(١) على هامش ط: جمع خوشكاشة ويعنى امرأة من موظفات القصر السلطانى.

(٢) انظر الأحداث التى شارك فيها. السلوك ٢/٧٠٩، ٧٣١، ٧٤٩.

وخرج الأمير صرغتمش أيضا، فأنعم عليه منها بألف دينار.

ثم توجه الأمير ببيغا روس النائب للسرحة، وأنعم عليه بثلاثة آلاف دينار. وتوجه الأمير شيخو أيضا، ورسم له بثلاثة آلاف دينار.

وفيه أنعم على الأمير مغلطاي أمير آخور إرضاء لخاطره بناحية صهرجت^(١) زيادة على إقطاعه، وعيرتها عشرون ألف دينار في السنة.

فدخل الأمير شيخو في سرحته إلى الإسكندرية، فتلقتة الغزاة بآلات السلاح، ورموا بالجرخ بين يديه، ونصبوا المنجنيق ورموا به. ثم شكوا له ما عندهم من المظلمة، وهى أن التاج إسحاق^(٢) ضمن دكاكين العطر، وأفرد دكانا لبيع النشا فلا تباع بغيرها، وأفرد دكانا لبيع الأشربة فلا تباع بغيرها، وجعل ذلك وقفا على الخانكاه الناصرية بسرياقوس. فرسم بإبطال ذلك، وأطلق للناس البيع حيث أحبوا، وكتب مرسوم بإبطال ذلك.

وفى مستهل ذى الحجة: عوفى علم الدين عبد الله بن زنبور، وخُلع عليه، بعد ما أقام أربعين يوما مريضاً، تصدق فيها بثلاثين ألف درهم، وأفرج عن جماعة من المسجونين.

وفيه كتب الموفق ناظر الدولة أوراقا بما استجد على الدولة، من وفاة السلطان الناصر محمد بن قلاوون إلى المحرم سنة خمسين وسبعمئة، فكانت جملة ما أنعم به وأقطع - من بلاد الصعيد وبلاد الوجه البحرى وبلاد الفيوم، وبلاد الملك، وأراضى الرزق - للخدام والجوارى وغيرهن سبعمائة ألف ألف أردب، وألف ألف وستمئة ألف درهم، معينة بأسماء أربابها من الأمراء والخدام والنساء، وعيرة البلد ومتحصلها، وجملة عملها وقرئت على الأمراء، ومعظم ذلك بأسمائهم، فلم ينطق أحد منهم بشيء.

وفيه أبطل الوزير منجك سماط عيد النحر أيضاً.

وفيهما أبطل ما أحدثه النساء من ملابسهن. وذلك أن الخواتين نساء السلطان وجواريهن أحدثن قمصانا طوالا تحبّ أذيالها على الأرض، بأكام سعة الكم منها ثلاثة أذرع، فإذا أرخته الواحدة منهن غطى رجلها، وعُرف القميص منها فيما بينهن

(١) صَهْرَجَتْ: قريتان بمصر متاخمتان لمنية غمر شمالى القاهرة معروفتان بكثرة زراعة السكر وتعرف بمدينة صهرجت بن زيد، وهى على شعبة النيل، بينها وبينها ثمانية أميال. انظر معجم البلدان ٣/٤٣٦.

(٢) انظر النجوم الزاهرة ١٠/١٩١.

بالبهطلة، ومبلغ مصروفه ألف درهم فما فوقها. وتشبه نساء القاهرة بهنّ في ذلك، حتى لم يبق امرأة إلا وقميصها كذلك. فقام الوزير منجك في إبطائها، وطلب الى القاهرة ورسم له بقطع أكمام النساء، وأخذ ما عليهن.

ثم تحدث منجك مع قضاة القضاة بدار العدل يوم الخدمة بحضور السلطان والأمراء فيما أحدثه النساء من القمصان المذكورة، وأن القميص منها مبلغ مصروفه ألف درهم، وأنهن أبطلن لبس الإزار البغدادي، وأحدثن الإزار الحرير بألف درهم، وأن خفّ المرأة وسموزتها بخمسمائة درهم. فأفتوه جميعهم بأن هذا من الأمور المحرمة التي يجب منعها، فقوى بفتواهم، ونزل إلى بيته، وبعث أعوانه إلى بيوت أرباب الملهي، حيث كان كثير من النساء، فهجموا عليهن، وأخذوا ما عندهن من ذلك.

وكبسوا مناشر الغساليين ودكاكين البايية، وأخذوا ما فيها من قمصان النساء، وقطعها الوزير منجك. ووكل الوزير مماليكه بالشوارع والطرق، فقطعوا أكمام النساء، ونادى في القاهرة ومصر بمنع النساء من لبس ما تقدم ذكره، وأنه متى وجدت امرأة عليها شيء مما منع أخرج بها وأخذ ما عليها.

واشتد الأمر على النساء، وقبض على عدة منهن، وأخذت أقمصتهن. ونصبت أخشاب على سور القاهرة بباب زويلة وباب النصر وباب الفتوح، وعلق عليها تماثيل معمولة على صور النساء، وعليهن القمصان الطوال، إرهاباً لهنّ وتخويفاً.

وطلبت الأساكفة، ومنعوا من بيع الأحفاف والسرّاميز المذكورة، وأن تعمل كما كانت أولاً تعمل، ونودى من باع إزاراً حريراً أخذ جميع ماله للسلطان. فانقطع خروج النساء إلى الأسواق، وركوبهن حمير المكارية، وإذا وجدت امرأة كشف عن ثيابها. وامتنع الأساكفة من عمل أحفاف النساء وسرّاميزهن المحدثه، وانكف التجار عن بيع الأزّر الحرير وشراؤها، حتى إنه نودى على إزار حرير بثمانين درهماً فلم يلتفت له أحد، فكان هذا من خير ما عمل.

وفيه استقر جمال الدين يوسف المرداوى في قضاء الحنابلة بدمشق، بعد وفاة علاء الدين على بن أبي البركات بن عثمان بن أسعد بن المنجا.

وفيه استقر نجم الدين محمد الأزرى في قضاء الشافعية بحلب، بعد وفاة نجم الدين عبد القاهر بن أبي السفاح.

وفيه توقف النيل، ثم زاد حتى كان الوفاء في جمادى الآخرة. ثم نقص نحو ثلثي

ذراع، وبقي على النقص إلى النوروز، وهو ستة عشر ذراعا وإحدى وعشرين إصبعا. ثم ردّ النقص وزاد إصبعين، فبلغ ستة عشر ذراعا وثلاثا وعشرين إصبعا فى يوم عيد الصليب.

وفيه أضع الولاة عمل الجسور، وباعوا الجرارييف حتى غرق كثير من البلاد. ومع ذلك امتدت أيديهم إلى الفلاحين، وغرموهم ما لم تجر به عادة؛ فشكى من الولاة للوزير، فلم يُلتفت لمن شكاهم.

* * *

ومات فيها من الأعيان

شيخ الإقراء شهاب الدين أحمد بن موسى بن موسك بن جكو الهكارى بالقاهرة، عن ست وسبعين سنة، فى ثانى عشر جمادى الأولى. وكتب بخطه كثيرا، ودرس القراءات والحديث (١).

ومات النحوى شهاب الدين أحمد بن سعد بن محمد بن أحمد النشائى الأندرشى بدمشق، وله شرح سيبويه فى أربعة أسفار.

ومات مكين الدين إبراهيم بن قروينة بعد ما ولى استيفاء الصحبة ونظر البيوت، ثم ولى نظر الجيش مرتين، وصور ثلاث مرات، وأقام بطالا حتى مات (٢).

ومات الأمير أرغون شاه الناصرى (٣) نائب الشام، مذبوحا، فى ليلة الخميس رابع عشرى ربيع الأول (٤). رباه السلطان الناصر محمد بن قلاون حتى عمله أمير طبليخاناه رأس نوبة الجمدارية؛ ثم استقر بعد وفاته أستاذارا أمير مائة مقدم ألف، فتحكم على المظفر شعبان حتى أخرجه لنيابة صغد؛ وولى بعدها نيابة حلب، ثم نيابة الشام. وكان جفيفا (٥) قوى النفس شرس الأخلاق، مهابا جائرا فى أحكامه، سفاكا للدماء غليظا

(١) وكان : ما فى القراءات، تعدى بالإقراء عدة سنين وانتفع به الناس. انظر النجوم الزاهرة ١٩٤/١٠.

(٢) انظر النجوم الزاهرة ١٩١/١٠

(٣) هو الأمير سيف الدين أرغون شاه بن عبدالله الناصرى.

(٤) وقع فى النجوم «ليلة الجمعة رابع عشرين شهر ربيع الأول» ١٩١/١٠

(٥) الجيف اليابس من النبات، وجاءت فى النجوم «خفيفا قوى لنفس» ١٩١/١٠ انظر محيط

فحاشا كثير المال (١). وأصله من بلاد الصين، حُمل إلى أبو سعيد بن خريندا، فأخذه دمشق خواجه بن جويان، ثم ارتجعه أبو سعيد بعد قتل جريان، وبعث به إلى مصر هدية، ومعه ملكتمر السعيدى (٢).

ومات الأمير أرقطاي المنصوري (٣) بظاهر حلب، وهو متوجه إلى دمشق، عن نحو ثمانين سنة، فى يوم الأربعاء خامس جمادى الأولى. وأصله من مماليك المنصور قلاوون، رياه الطواشى فاخر أحسن تربية، إلى أن توجه الناصر محمد بن قلاوون إلى الكرك كان معه. فلما عاد إليه ملكه جعله من جملة الأمراء، ثم سيره صحبة الأمير تنكز نائب الشام، وأوصاه ألا يخرج عن رأيه، وأقام عنده مدة. ثم تنكر عليه السلطان الناصر محمد، فولاه نيابة حمص مدة سنتين ونصف، ثم نقله لنيابة صنفد، فأقام بها ثمانى عشر سنة. وقدم مصر، فأقام بها عدة سنين، وجُرِّد إلى آياس. ثم ولى نيابة طرابلس، ومات الناصر محمد وهو بها. ثم قدم مصر، وقبض عليه، ثم أفرج عنه، وأقام مدة. ثم ولى نيابة حلب، ثم طُلب إلى مصر، فصار رأس الميمنة. ثم ولى نيابة السلطنة نحو سنتين، ثم أخرج لنيابة حلب، فأقام بها مدة. ثم نقل لنيابة الشام، فمات فى طريقه لدمشق، فدفن بحلب، وكان مشكور السيرة (٤).

ومات الأمير ألبجيغا المظفرى (٥) نائب طرابلس، موسطاً بدمشق، فى يوم الإثنين ثامن عشر ربيع الآخر.

وقُتل معه أيضاً الأمير آياس (٦) وأصله من الأرمن، أسلم على يد الناصر محمد بن قلاوون، فرقاه حتى عمله شاد العمائر، ثم أخرجه إلى الشام، ثم أحضره غرلو، وتنقل إلى أن صار شاد الدواوين. ثم صار حاجباً بدمشق، ثم نائباً بصنفد، ثم نائباً بحلب، ثم أميراً بدمشق، حتى كان من أمره ما تقدم ذكره (٧).

ومات بدمشق الأمير طقتمر الشريفى (٨) بعد ما عمى.

(١) زاد فى النجوم «والحشم» ١٠/١٩١.

(٢) انظر النجوم الزاهرة ١٠/١٩١، ١٩٢.

(٣) هو الأمير الكبير سيف الدين أرقطاي بن عبدا لله المنصوري، نائب السلطنة بالديار المصرية.

(٤) انظر النجوم الزاهرة ١٠/١٩٢.

(٥) هو الأمير سيف الدين ألبجيغا بن عبدا لله المظفرى .

(٦) هو الأمير فخر الدين إياس بن عبدا لله الناصرى .

(٧) انظر النجوم الزاهرة ١٠/١٩٢، ١٩٣.

(٨) هو الأمير طقتمر بن عبدا لله الشريفى، وقد مات بعدما عمى ولزم داره، وكان من أعيان

الأمراء. انظر النجوم الزاهرة ١٠/١٩٤.

ومات قاضى الشافعية بحلب نجم الدين عبد القاهر بن عبد الله بن يوسف بن أبى السفاح.

وتوفى نجم الدين عبد الرحمن بن يوسف بن إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن على القرشى الأصفونى الشافعى، بمى فى ثالث عشر ذى الحجة. ودفن بالعلاء، وله مختصر الروضة وغيره (١).

وتوفى قاضى القضاة علاء الدين على بن الفخر عثمان بن إبراهيم بن مصطفى الماردىنى، المعروف بابن التركمانى الحنفى (٢) فى يوم الثلاثاء عاشر المحرم بالقاهرة. وله كتاب الرد النقى فى الرد على البيهقى وغيره، وله شعر، وكان الناصر محمد بن قلاون يكره منه اجتماعه بالأمرء، وكان يغلو فى مذهبه غلوا زائدا.

وتوفى قاضى الحنابلة بدمشق، علاء الدين على بن الزين أبى البركات بن عثمان ابن أسعد بن المنجا التنوخى، عن ثلاث وسبعين سنة.

ومات الأمير قطليجا الحموى أصله المملوك المؤيد صاحب حماة، فبعثه إلى الناصر محمد بن قلاون، وترقى صار من جملة الأمرء. ثم ولى نيابة حماة، ونقل إلى نيابة حلب، فأقام بها أياما ومات، وكان سىء السيرة.

وتوفى قاضى القضاة تقى الدين محمد بن أبى بكر بن عيسى بن بدران السعدى الأخنائى المالكى، فى ليلة الثالث من صفر (٣).

ومات الأمير نوغيه البدرى والى الفيوم.

(١) انظر النجوم الزاهرة ١٠/١٩٥.

(٢) كان مولده فى سنة ثلاث وثمانين وستمائة؛ وهو أخو العلامة تاج الدين أحمد، والوالد الإمامين العالمين: عز الدين عبد العزيز وجمال الدين عبد الله، وعم العلامة محمد بن أحمد. وكان قاضى القضاة علاء الدين إماما فقيها بارعا نحويا أصوليا لغويا. أفتى ودرس واشتغل وألف وصنف، وكان له معرفة تامة بالأدب وأنواعه، وله نظم ونثر. وكان إمام عهده بلا مدافعة، لاسيما فى العلوم العقلية والفقهاء أيضا والحديث، وتصدى للإقرار عدة سنين وتولى قضاء الحنفية بالديار المصرية فى شوال سنة ثمان وأربعين وسبعماية، عوضا عن قاضى القضاة زين الدين البسامى، وحسنت سيرته ودام قاضيا إلى أن مات. وتوفى عوضه ولده جمال الدين عبد الله. ومن مصنفاته - رحمه الله - كتاب بهجة الأريب فى بيان ما فى كتاب الله العزيز من الغريب، ومات «المنتخب فى علوم الحديث» وكتاب «المؤتلف والمختلف» وكتاب «الضعفاء والمزوكون» و«الدر النقى فى الرد على البيهقى» وهو جليل فى معناه. يدل على علم عزيز، و«اطلاع كثير» و«مختصر المحصل فى الكلام» و«مقدمة فى أموال الفقه» و«الكفاية فى مختصر الهداية» وغيرها. انظر النجوم الزاهرة، ١٠/١٩٣، ١٩٤.

(٣) وكان مولده فى شهر رجب سنة أربع وستين وستمائة وكان فقيها فاضلا ممتازا بارعا. ولى شهادة الخزانة ثم تولى قضاء الإسكندرية، ثم نقل لقضاء دمشق بعد علاء الدين القونوى. وحسنت سيرته. انظر النجوم الزاهرة ١٠/١٩٤.

وماتت خوند بنت الملك الناصر محمد بن قلاوون، وهى زوجة الأمير طاز. وتركت مالا عظيما، أبيع موجودها بباب القلعة من القلعة بخمسمائة ألف درهم، من جملة فبقاب مرصع بأربعين ألف درهم، ثمنها ألف دينار مصرية.

ومات علم الدين بن سهلول. كان أبوه كاتبًا عند بعض الأمراء، فخدم بعده أمير حسين بن جندر، ثم ولى الاستيفاء ونظر الدولة، شركة للموفق. ثم صودر ولزم بيته، وعمر دارا جلييلة بحارة زويلة من القاهرة^(١).

وفيها قام بتونس أبو العباس الفضل بن أبى بكر بن يحيى بن إبراهيم بن عبد الواحد ابن أبى حفص فى ذى القعدة، وكان قد قدم إلى تونس السلطان أبو الحسن على بن أبى سعيد عثمان بن يعقوب بن عبد الحق ملك بنى مرين صاحب فاس، ومَلِكْ تونس وإفريقية، ثم سار منها للنصف من شوال، واستخلف ابنه أبا العباس الفضل؛ فقام أبو العباس المذكور ومَلِكْ تونس مُلْكْ أبيه.

* * *

سنة إحدى وخمسين وسبعمائة

أهل المحرم والناس فى بلاد عظيم من فأر السقوف ضامن الجهات، فإنه أحدث حوادث قبيحة فى دار البطيخ ودار السمك وسائر المعاملات، وزاد فى ضرائب المكوس، وتمكن من الوزير منجك تمكنا زائداً، حتى كان يقول: «هذا أخى» وكثرت الشكاية منه، ووقفت العامة فيه للسلطان، فلم يتغير الوزير عليه (١).

وفيه أوقع الأمير أرغون الكاملى نائب حلب بكتاب سرها زين الدين عمر بن يوسف بن عبد الله بن يوسف بن أبى السفاح وضربه وسجنه. فاستقر عوضه فى كتابة السرّ بحلب الشريف شهاب الدين الحسين بن محمد بن الحسين، المعروف بابن قاضى العسكر.

وفيه أوقع الشيخ حسن نائب بغداد والأمير حيار بن مهنا بطائفة من العرب، وقتل منهم نحو المائتين، وأسر كثيراً منهم، ففر عدة منهم إلى الرحبة. فطلب الأمير حيار من أزدمر النورى نائب الرحبة تمكينه منهم، فأبى عليه، فكتب فيه الأمير حيار إلى السلطان، فعزله.

وفيه اقتتل موسى بن مهنا وسيف بن فضل، فانهزم سيف، ونهبت أمواله.

وفيه ابتدأت الوحشة بين الأمير مغلطاي أمير آخور وبين الوزير منجك، بسبب الفار (٢) الضامن، وقد شكى منه. فطلبه مغلطاي من الوزير عندما احتمى به، فلم يمكنه منه (٣).

وفيه قدم صاحب حصن كيفا، والخواجاجا عمر بن مسافر، بعد غيبة طويلة. فسُرَّ به الأمير شيخو؛ لأنه هو الذى جلبه من بلاده، ونسب إليه، فقبل له شيخو العمري. وأكرم صاحب حصن كيفا، وروعى فى متجره، وكان من جملة ثلاثمائة ألف جلد سنجاب. فقدم صاحب حصن كيفا عدة تقادم للأمرء، فبعثوا إليه بمال كثير، وبعث إليه الأمير شيخو ألف دينار، وتعبئة قماش؛ وبعث إليه الوزير منجم بألفى دينار وقماش

(١) انظر النجوم الزاهرة ١٠/١٧١، ١٧٢.

(٢) هو ناصر الدين الملقب بفار السقوف.

(٣) انظر النجوم الزاهرة ١٠/١٧١.

كثير، وأنزله في بيته، وبعث إليه الأمير ببيغا روس وغيره، ثم عاد بعد شهر إلى بلاده. وفيه كمل صهريج الوزير منجك على الثغرة (١) تحت القلعة، واشترى له من بيت المال ناحية بلقينة من الغربية بخمسة وعشرين ألف دينار، أنعم عليه بها، ووقفها على صهريجه. وكانت بلقينة مرصدة لجوامك الحاشية، ففوضوا عنها.

وفي رابع عشره: قدم الأمير فارس الدين بالحجاج، وكانوا لما قدموا مكة نزلت ربهم شدة من غلاء الأسعاء وقلة الماء، بحيث أبيعت الراوية بعشرين درهما، حتى هموا بالخروج منها ونزول بطن مرو. فبعث الله في تلك الليلة مطراً استمر يومين وليلة، حتى امتلأت الآبار والبرك، وقدم عدة قوافل؛ فاتحل السعر قليلاً. وحصل لهم خوف من عبور المدينة النبوية؛ وذلك أن الشريف أدى لما عزل بالشريف سعد، جمع العريبان، وهجم المدينة قبل قدوم سعد إليها، وأخذ أموال الخدام وودائع الشاميين وقناديل الحجر الشريفة وأموال الأغنياء وغيرهم، وخرج.

وفيه أفرج عن عيسى بن حسن الهجان، وكان قد قبض عليه وسجن؛ بسبب أنه مالا هو وعربه جماعة العايد المفسدين من العريبان، وأحيط بأمواله. وكان قد كثرت سعادته، فإنه كان مع الناصر محمد بن قلاوون في الكرك، فلما عاد إليه ملكه سلمه الهجن وحكمه فيها، فطالت أيامه وكثرت أمواله. وتسلم بعده الهجن جمال الدين نفر، فقام الوزير حتى أفرج عنه، وردّ عليه إقطاعه، وأنعم على جماعة من عربه بإقطاعات.

وفي مستهل صفر: قدمت رسل أرتنا نائب الروم، وسأل أن يكتب له تقليد نيابة الروم على عادته، فكتب له، وأكرم رسوله.

وفيه تنافس الوزير منجك والأمير مغلطاي، واستعد كل منهما بأصحابه للآخر، فقام الأمير شينخو حتى أحمد الفتنة.

وفي يوم الجمعة ثاني عشره: وقت الصلاة وقعت نار بخط البندقانيين من القاهرة، فأحرقت دار هناك. فركب الأمير علاء الدين على بن الكوراني لإطفائها على العادة، وكان الهواء شديداً، والدور متلاصقة، فاشتدّ لهب النار بحيث روى من القلعة. فركب الوزير منجك، والأمير ببيغا روس النائب، والأمير شينخو، والأمير طاز، والأمير مغلطاي، والأمير قبلاي حاجب الحجاب، وغيرهم من الأمراء بمماليكهم، وأتوا إلى الحريق، ونزلوا عن خيولهم، ومنعوا العامة من النهب فامتدت النار من دكاكين (٢)

(١) يقع خارج باب الوزير. انظر المواعظ والاعتبار ٣٢٠/٢.

(٢) انظر المواعظ والاعتبار ٣١/٢ في أخبار هذا الحريق.

البندقانيين إلى دكاكين الرسامين ودكاكين الفقاعين^(١) والفندق المجاور لها، والرابع علوة. وتعلقت بما نجاه ذلك من الدور المجاورة لبيت المظفر بيبرس الجاشنكير، فأحرقت الرابع، واتصلت بزقاق الكنيسة إلى بيت كريم الدين بن الصاحب أمين الدين، إلى بير الدلاء التي كانت تعرف قديماً ببئر زويلة فأحرقت النار الدكاكين والرابع المجاور لدار الجوكندار، ولم يبق إلا أن تصل إلى دار علاء الدين على بن فضل الله كاتب السر وعظم الأمر، والأمراء جميعهم على أرجلهم بمن معهم، والمقيدون بالمساحى بين أيديهم تهدم الدور وتطفى النار، والناس في أمر مريع.

وبينا أصحاب الدار في نقلة متاعهم خوفاً من وصول النار إليهم، إذا بالنار قد ظهرت عندهم، فينجون بأنفسهم، ويتركون أموالهم، حتى شمل الهدم والحريق ما هنالك من العمائر. ولم يبق بالقاهرة سقاء إلا وأحضر لإطفاء الحريق، وكانت الجمال تحمل الروايا بالماء من باب زويلة إلى البندقانيين. واستمرت النار يومين وليلتين، وجميع الأمراء وقوف حتى خف اللهب. فوكل بالحريق بعض الأمراء مع الوالى، ومضى بقيتهم إلى بيوتهم، وبهم من التعب ما لا يوصف. فأقامت النار بعد انصرافهم ثلاثة أيام وهى تطفأ، فكان حريقاً مهولاً، ذهب فيه من الأموال ما لا ينحصر.

وامتد الحريق إلى قيسارية طشتم وربع بكمتر، ثم صارت النار توجد بعد ذلك فى مواضع عديدة من القاهرة وظواهرها. ووجد فى بعض المواضع التى بها الحريق كعكات زيت وقطران، ووجد فى بعضها نشابة فى وسطها فقط. وكان أكثر الأماكن تقع النار بسطحها، ولم يُعرف من فعل ذلك فنودى باحتراس الناس على أملاكهم من الحريق، فلم يبق جليل ولا حقير حتى اتخذ عنده أوعية مملأها ماء. ولم يزل الحريق فى الأماكن إلى أثناء شهر ربيع الأول، فقبض فى هذه المدة على كثير من أوباش العامة، وقيدوا ليكونوا عوناً على إطفاء الحريق، ففرّ معظمهم من القاهرة. ثم نودى ألا يقيم بالقاهرة غريب، ورسم للخبراء تتبعهم وإحضارهم.

وتعب والى القاهرة فى مدة الحريق تعباً لا يوصف، فإنه أقام مدة شهر لا يكاد ينام هو وحفدته، فإنه لا يخلو وقت من صيحة تقع بسبب الحريق، فذهبت دور كثيرة. ثم وقع بعد شهر بمصر حريق فى شونة حلفاء، بجوار مطابخ السلطان وبعده أماكن.

وفى يوم السبت حادى عشرى ربيع الأول: سُمّ حمام وعبده الذى كان يحمل سلاحه، وثلاثة نفر. وكان قد عظم فساده، وكثر هجومه على الدور وأخذ ما فيها وقتل من يمنعه، وأعياء الولاة أمره حتى أوقعه الله وكفى شره.

(١) هو بائع الفقاع وهو شراب من الحبوب والأثمار. انظر محيط المحيط.

وفي أول ربيع الآخر: قبض على أحمد بن أبى زيد، ومحمد بن يوسف، مقدمى الدولة. وسبب ذلك أن ابن يوسف حجّ فى السنة الماضية على ستة قطر جمال، وثلاثة قطر هجن بطبل وبيزه (١) كما حج الأمراء، بحيث كان معه نحو مائتى عليقة. ولما قدم ابن يوسف إلى القاهرة أهدى للوزير منجك، والنائب ببيغا روس، والأمير طاز والأمير صرغتمش، الهدايا الجليلة القدر؛ ولم يهد إلى الأمير شيخو، ولا إلى الأمير مغلطاي شيئاً. فعاب عليه الناس ترك مهادة شيخو، فحمل إليه بعد مدة هدية سنية، فردّها عليه وقال: «هذا ماله حرام». ثم بعد أيام وقف جماعة من الأجناد، وشكوا فى الولاة طمعهم وفساد البلاد، فأنكر الأمراء على الوزير منجك سيرة ولاة الأعمال، وتعرضوا لهم بأنهم ولوا باليراطيل، فاحتاجوا إلى نهب أموال الناس وأخذ الأمير شيخو فى الحط على مقدمى الدولة، وأنكر كثرة ما أنفقه ابن يوسف فى حجته، وأن ذلك جميعه من مال السلطان. فقام الأمراء فى مساعدة شيخو، وعدّدوا ما يشتمل عليه ابن يوسف من لعبه وهوه وانهماكه فى اللذات، فلم يجد الوزير بدأ من موافقتهم على عزل الولاة، ومسك المقدمين أحمد بن أبى زيد ومحمد بن يوسف، فقبض عليهما، وألزما بحمل المال وطلب ابن سلمان متولى المنوفية، وألزم بمال، واستقر عوضه ابن قنغلى واستقر فى ولاية الشرقية ابن الجاكي، وعُزل أسندمر منها.

وفي يوم الخميس رابع عشره: خرج إلى الأطفيفية سبعة أمراء ألوف، وعشرون أمير طبلخاناه، وقت العصر بأطلابهم، فيهم الوزير منجك والأمير طاز وسبب ذلك أن الأمير ببيغاروس فأمر بهم، فقيدوا وحبسوا وأعاده النائب إلى الأطفيفية، فقبض الأمير. عرب بن الشيخى كان بالإطفيفية مقيماً بها، فاستمال العرب حتى وثقوا به، وأتاه منهم نحو عشرين رجلاً، فقبض عليهم وركب بهم إلى القاهرة، وأوقفهم بين يدى النائب الأمير عرب بن الشيخى على خمسة أحر وقيدهم، فأتاهم ليلا عدة من العربان وفكوا قيودهم، وكبسوا خيمته، وفرّ إلى القاهرة، ومالوا على موجوده وانتهبوه. فعظم ذلك على الأمراء، وخرجوا إلى الأطفيفية. وقد بلغ العرب خيرهم، فارتفعوا إلى الجبال، فقبض الأمراء على نحو مائة من الأوباش وأهل البلاد، وقطعوا جميع ما هناك من شجر المغلّ، وخرّبوا السواقي، وعادوا بعد ثلاثة أيام، فى يوم الثلاثاء تاسع عشره. فعادت العربان بعد رجوع العسكر، وأكثروا من قطع الطريق.

وفي نصف جمادى الأولى: وصلت أم الأمير ببيغا روس النائبة، وأم الأمير أرغون

الكاملی نائب حلب وأبوه، وعدة من أقاربهم. فركب النائب وتلقاهم من سرياقوس، وسرّ بهم.

وفيه أخرج أمير أحمد الساقی إلى حلب؛ لسوء سيرته في كشف الجسور بالغربية. وفيه قدم قود جبار بن مهنا، وقود سيف بن فضل صحبتته. ثم قدم الأمير جبار بعده، فأقام أياما وعاد إلى بلاده.

وفيه قدم كتاب الملك الأشرف دمرداش بن جوبان صاحب توريذ، يتضمن السلام والتودد. فأكرم رسوله، وأعيد بالجواب، وأرسل السلطان بعده إليه وإلى الشيخ حسن صاحب بغداد رسولين.

وفيه قدم الخیر بأن الأمير أرغون الكاملی نائب حلب ركب إلى التركمان، وقد كثر فسادهم، فقبض على كثير منهم، وأتلفهم، وأوقع بالعرب حتى عظمت مهابته ثم بعث موسى الحاجب على ألفى فارس في طلب نجمة أمير الأكراد، فلما قرب منه بعث صاحب ماردين يشير بعود العسكر، خوفا من كسر حرمة السلطنة. فعاد موسى الحاجب بهم إلى حلب، من غير لقاء. فتنكر الأمير أرغون على موسى الحاجب، وكتب يشكو منه وفيه قدم الخیر بأن الهذباني الكاشف واقع غرب عرك وبنى هلال، فهزمه أقبح هزيمة، وجرحوا فرسه، وقتلوا عدة من أصحابه، وأخذوا الطلب بما فيه من خيل وغيرها، وأنه نزل بسيوط، وطلب تجريد العسكر إليه؛ فاقتضى الرأي تأخير التجريدة حتى يفرغ تخضير الأراضي بالزرع.

وفي رجب: سار ركب الحجاج الرجبية، فلقوا الشريف عجلان بالعقبة، وقد أخرجه أخوه ثقبه من مكة. فقدم عجلان إلى القاهرة، ودخل على السلطان، وطلب منه تجريد عسكر معه فلم يجب إلى ذلك. ورسم له بشراء ممالك، واستخدام الأجناد البطالين، فشرع في ذلك. وقدم كتاب أخيه ثقبه يشكو منه، فكتب لعجلان توقيع بإمرة مكة بمفردة، واشترى أربعين مملوكا، واستخدم عشرين جنديا، وأنفق فيهم خمسمائة درهم كل واحد، ثم استجد عجلان طائفة أخرى حتى صار في مائة فارس. وحمل معه حملين نشابا وقسيًا ونحوها، وسافر إلى مكة مستهل رمضان، فأخذ الأمير بييغا روس والأمير طاز في الحركة للحج.

وفيه توجه السلطان لسرحة سرياقوس.

وفيه أنعم على الأمير قطلوبغا الذهبي بإقطاع الأمير لاجين أمير آخور، بعد إمرته، وأنعم بإمرته وتقدمته على عمر بن أرغون النائب.

وفيه أخرج بكلمش أمير شكار لنيابة طرابلس، عوضاً عن أمير مسعود بن خطير، وكتب بإحضار أمير مسعود.

وفيه هجم ابن معين بعربه على الأطفحية، فقاتله أهلها، فكسروهم بعد أن قتل منهم عدة قتلى كبيرة تبلغ المائتي رجل.

وفيه قدم حمل سيس بحق النصف؛ لخراب بلادهم.

وفيه قدم كتاب الشريف ثقبه، وصحبه محضر ثابت يتضمن الشكر من سيرته، وتكذيب عجلان فيما نقل عنه، فكتب باستقراره شريكاً لأخيه عجلان.

وفيه كتب بعود أمير مسعود إلى دمشق بطالا، حتى ينحل من الإقطاع ما يليق به. فعاد من الرملة إلى دمشق، وأنعم عليه بإمرة طبلخاناه، ورسم بجلوسه فوق الأمراء المقدمين.

وفيه خلع على الأمير فارس الدين ألبكي، واستقر في نيابة غزة، بعد موت دلنجي وأنعم بإمرته على أخيه، وأنعم على قظليجا الدوادار بإمرة طبلخاناه.

وفيه قدم قرا وأشقتمر المتوجهين إلى الشيخ حسن، وإلى الأشرف دمرداش بن جوبان، بكتابيهما. وذكر الشيخ حسن في كتابه أن دمرداش إنما طلب الودّ مكرماً منه، فإن رسوله إنما قدم مصر لكشف أمر عسكريها، فإنه طمع في أخذ البلاد.

وفيه توجه الأمير طاز لسرحة البحيرة، وأنعم عليه بعشرة آلاف أردب شعير وخمسين ألف درهم بناحية طموه من الجيزية، زيادة على إقطاعه.

وفيه توجه السلطان إلى برّ الجيزة؛ ليطمئن صوم شهر رمضان بها.

وفيه تواردت تقادم نواب الشام والأمراء بديار مصر على الأمير بييغا روس؛ لخرقته للحج.

وفي شوال: قدم السلطان من برّ الجيزة إلى القلعة.

وفي خامس عشره: خرج محمل الحجاج إلى بركة الحجاج، صحبة الأمير بزلار أمير سلاح^(١).

وخرج طلب الأمير بييغاروس النائب بتجمل زائد، وفيه مائة وخمسون مملوكاً معدة بالسلاح، وخرج طلب الأمير طاز، وفيه ستون فارساً. فرحل النائب قبل طاز بيومين، ثم رحل الأمير طاز بعده، ثم رحل بزلار بالحجاج ركباً ثالثاً في عشره^(٢).

(١) انظر النجوم الزاهرة ١٠/١٧٢.

(٢) انظر النجوم الزاهرة ١٠/١٧٢، ١٧٣.

وفي يوم السبت رابع عشره: عزل الأمير منجك من الوزارة، وكان الأمير شيخوخو قد خرج إلى العباسية. وذلك أن السلطان بعد توجه الأمير شيخوخو طلب القضاة والأمراء، فلما اجتمعوا بالخدمة قال لهم: «يا أمراء! هل لأحد على ولاية حجر، أو أنا حاكم نفسي؟». فقال الجميع: «يا خوندا ما ثم أحد يحكم على مولانا السلطان، وهو مالك رقابنا». فقال «إذا قلت لكم قولاً ترجعوا إليه؟» فقالوا جميعاً: «نحن في طاعة السلطان، وممثلون ما يرسم به». (١) فالتفت إلى الحاجب، وقال: «خذ سيف هذا». وأشار إلى منجك، فأخذ سيفه، وأخرج وقيد ونزلت الخوطة على أمواله مع الأمير كشلى السلاح دار، فوجد له خمسون حمل جمل زردخاناه، ولم يوجد له كثير مال، فرسم بعقوبته، ثم أخرج إلى الإسكندرية فسجن بها. وساعة قبض عليه رسم بإحضار الأمير شيخوخو من العباسية، على لسان بعض الجمدارية، وإعلامه بمسك منجك. فقام الأمير منكلى بغا والأمير مغلطاي فى منعه من الحضور، ومازالا يخيّلان السلطان منه حتى كتب له مرسوم بناية طرابلس، على يد طينال الجاشنكير فلقية طينال قريب بليس، وقد عاد صحبة الجمدارية، وأوقفه على المرسوم، فأجاب بالسمع والطاعة وبعث شيخوخو يسأل فى الإقامة بدمشق، فكتب له بنخب الأمير بلك بدمشق وحضور بلك، فتوجه شيخوخو إليها(٢).

وفيه قبض على الأمير عمر شاه الحاجب، وأخرج إلى الإسكندرية (٣).

وفيه أنعم على الأمير طنيرق باستقراره رأس نوبة كبيراً (٤).

وفيه قبض على حواشى منجك، وعلى عبده عنبر البابا، وصودر. وكان عنبر البابا قد أفحش فى سيرته مع الناس، وشربه فى قطع المصانع، وترفع ترفعاً زائداً. فضرب ضرباً مبرحاً، وأخذ منه نحو سبعين ألف درهم (٥).

وفيه ضرب بكممر شاد الأهرام، فاعترف للوزير باثنى عشر ألف أردب غلة، اشترأها منجك من أرباب الرواتب والصدقات، على حساب ستة دراهم الأردب وسبعة دراهم.

وفى مستهل ذى القعدة: قبض على ناظر الدولة والمستوفين، وألزموا بخمسمائة ألف

(١) انظر بدائع الزهور ١٩٣/١.

(٢) انظر النجوم الزاهرة ١٧٣/١٠.

(٣) انظر النجوم الزاهرة ١٧٣/١٠.

(٤) انظر النجوم الزاهرة ١٧٣/١٠.

(٥) انظر النجوم الزاهرة ١٧٣/١٠.

دينار. فترفق في أمرهم الأمير طنيرق حتى استقرت خمسمائة ألف درهم، وزعها الموفق ناظر الدولة على جميع المباشرين، من الكتاب والشهود والشادين ونحوهم، وألزم كل منهم بحمل معلومه عن ستة أشهر. فاشتد شاد الدواوين في استخراجها، وأحرق بجماعة منهم والتزم علم الدين عبد الله بن زنبور ناظر الخاص والجيش بتكفية جميع الأمراء والمقدمين بالخلع من ماله، وقيمتها خمسمائة ألف درهم، وفصلها وعرضها على السلطان. فبعث السلطان بها إلى الأمراء، وركبوا بها الموكب، وقبلوا الأرض، فكان موكبًا جليلا (١).

وفيه قبض على أسندمر كاشف الوجه القبلى، وناصر الدين محمد بن الدوادارى متولى المحلة والغربية، وألزم ابن الدوادارى بحمل مائة ألف درهم.

وفيه قبض على الفأر الضامن، وضرب بالمقارع، وأخذ منه جملة مال، وسجن.

وفي يوم السبت ثامن: خلع على الأمير بييغا ططر حارس الطير، واستقر فى نيابة السلطنة عوضًا عن بييغا روس، بعد ما عرضت على أكابر الأمراء، فلم يقبلها أحد. وتمنع بييغا ططر تمنعًا كبيرًا، ثم قبلها.

وفيه استقر الأمير مغلطاي رأس نوبة، عوضًا عن طنيرق. وأطلق له التحدث فى أمور الدولة كلها، عوضًا عن الأمير شيخو، مضافًا إلى ما بيده من التحدث فى الإصطبل.

وفيه استقر الأمير منكلى بغا الفخرى رأس المشورة أتابك العساكر، وأنعم على ولده بإمرة. ودقت الكوسات وطبلخاناه الأمراء بأجمعها، وزينت القاهرة ومصر يوم الأحد تاسعه، واستمرت ثمانية أيام (٢).

وفيه قدم الخبر صحبة الأمير طشبيغا الدوادار من دمشق بأن الأمير شيخو لما قدم دمشق ليلة الثلاثاء رابع ذى القعدة، أظهر طينال كتابًا بأن يستقر شيخو على إمرة بلسك السلامى، وتجهز بلك إلى القاهرة. فقدم من الغد الأمير أرغون التاجى بإمساكه، فقيده وأخرج من دمشق. وكان شيخو لما قدم تلقاه النائب، وأخرج له كتاب السلطان بمكة، وإرساله صحبة الأمير طيلان. فحل شيخو سيفه بيده، وقال: «وأى حاجة إلى غدونا إلى الشام، كفى هتكنا فى مصر». ثم قال للنائب: «والله يا أمير ما أعرف لى ذنبًا غير أنى كنت جسرًا بينهم، أمنع بعضهم من الوصول إلى بعض»، فقيده، وتسلمه طيلان ليسير به إلى مصر، وسلم سيفه لطشبيغا (٣).

(١) انظر النجوم الزاهرة ١٠/١٧٤.

(٢) انظر النجوم الزاهرة ١٠/١٧٤.

(٣) انظر النجوم الزاهرة ١٠/١٧٤.

وفيه قبض على ملك آص شاد الدواوين، وعلى شهاب الدين أحمد بن علي بن صبح؛ وتسلم سيفهما طشبيغا.

وفيه أركب قطلوبغا، فخرج أخوه مغلطاي رأس نوبة إلى لقاته.

وفيه قدم الأمير شيخو إلى قطيا، فتوجه به متسلمه منها إلى الطينة^(١) وأوصله إلى الإسكندرية، فسجن بها.

وفيه خلع على طشبيغا، واستقر على ما كان عليه دوا داراً. وتصالح هو وعلاء الدين علي بن فضل الله كاتب السرّ بحضرة الأمراء، وبعث كل منهما إلى الآخر هدية. وكان لما أمسك منجك خرج الأمير قردم إلى الأمير طاز وأمير بزلار أمير الركب بكتاب السلطان، يتضمن القبض على الوزير منجك، وأنهما يحترسان على الأمير ببيغاروس. وكتب بيغا روس بتطبيب خاطره وإعلامه بتغير السلطان على أخيه لأمر صدرت منه اقتضت مسكه، وأنه مستمر على نيابة السلطنة، فإن أراد العود عاد، وإن أراد الحج حج. فركب الأمير قردم يوم القبض على الوزير منجك المهجن وقت العصر، وأوصل طاز وبزلار كتابيهما، ومضى إلى ببيغاروس وقد نزل سطح العقبة. فلما قرأ ببيغاروس الكتاب وجم، ثم قال: «كلنا ممالك السلطان»، وخلع على الأمير قردم، وكتب جوابه بأنه ماض لأداء الحج. ثم إن السلطان رسم للأمير صرغتمش أن يدخل الخدمة مع الأمراء، بعد أن عزله من وظيفة الجمدارية، هو وأمير علي، وكانا من جملة حاشية شيخو.

وفي يوم الأربعاء ثاني عشره: أمسك الأمير عمر شاه الحاجب، والأمير آقبغا البالسى. وأخرج عمر شاه إلى الإسكندرية، ونفى آقبغا البالسى وطشتمر القاسمى إلى طرابلس. وأخرج أمير علي إلى الشام، وأخرج الأمير صرتمش لكشف الجسور بالصعيد.

وفيه ألزم أستاذار ببيغا روس بكتابة حواصله، وندب الأمير آقبغا الحموى لبيع حواصل منجك. وأخذت جوارى النائب ببيغا روس ومماليكه، وجوارى منجك ومماليكه، إلى القلعة. وطلع من ممالك منجك خمسة وسبعون مملوكاً صغاراً، وطلع من جوارى ببيغا روس خمس وأربعون جارية، فلما وصلن إلى دار النيابة بالقلعة صحن

(١) الطينة: بلفظ واحدة الطين، بكسر أوله، وسكون ثانيه، ونون: بليدة بين الفرما وتيس من أرض مصر. انظر معجم البلدان ٥٦/٤.

صبيحة واحدة، وبكين فأبكين من هناك.

وفي يوم الجمعة رابع عشره: نفى ابن العرضى إلى حماة، بعد ما صورد.

وفيه خلع على بابان السناني نائب البيرة، وقد حضر منها، واستقر أستاذاراً، عوضاً عن الأمير منجك الوزير.

وفيه قدم الخير أن الأمير أحمد الساقى نائب صفد خرج عن الطاعة. وسببه أنه لما قبض على الوزير منجك، خرج الأمير قمارى الحموى، وعلى يده ملطفات لأمرء صفد بالقبض على أحمد، فبلغه ذلك من هجان جهزه إليه أخوه فندب الأمير أحمد الساقى طائفة من مماليكه لتلقى قمارى. وطلب نائب قلعة صفد وديوانه، وأمره أن يقرأ عليه كم له بالقلعة من غلة، فأمر لماليكه منها بشيء فرقه عليهم إعانة لهم على ما حصل من المحل فى البلاد، وبعثهم ليأخذوا ذلك، فعندما طلعا القلعة شهروا سيوفهم وملكوها فقبض الأمير أحمد الساقى على عدة من الأمراء، وطلع بحريمه إلى القلعة وحصنها، وأخذ مماليكه قمارى، وأتوه به فكتب السلطان لنائب غزة ونائب الشام تجريد العسكر إليه، ورسم بالإفراج عن فياض بن مهنا وعيسى بن حسن الهجان أمير العايد، وخلع عليه وجُهِز، وأخذت الهجن من جمال الدين بقر أمير عرب الشرقية، وأعيدت إلى على بن حسن. وكانت الأراجيف قد كثرت بأن الأمير طاز قد تحالف هو والأمير ببيغا روس بعقبة أيله، فخرج الأمير فياض وعيسى بن حسن أمير العايد؛ ليقبض على عقبة أيلة، بسبب ببيغا روس. وكتب لعرب شطى وبنى عقبة وبنى مهدى بالقيام مع الأمير فضل، وكتب لنائب غزة بإرسال السوقة إلى العقبة.

وفيه خلع على شهاب الدين أحمد بن قزمان نيابة الإسكندرية، عوضاً عن بكممر المؤمنى.

وفيه خلع على الأمير أرلان أمير آخور، واستقر فى نيابة الكرك، عوضاً عن جر كتمر. وأنعم على جر كتمر باستقراره حاجباً بحلب، عوضاً عن موسى الحاجب، لشكوى نائب حلب منه.

وفي يوم الأربعاء سادس عشره: قدم سيف الأمير ببيغا ورس، وقد قبض عليه.

وذلك أنه لما ورد عليه الكتاب بمسك أخيه منجك اشتد خوفه، وطلع إلى العقبة، ونزل المنزلة فبلغه أن الأمير طاز والأمير بزلار ركبا للقبض عليه، فركب بمن معه من الأمراء والمماليك بألة الحرب. فقام الأمير عز الدين إزدمر الكاشف بملاطفته، وأشار

عليه ألا يعجل، وأن يكشف عن الخير أولاً فبعث الأمير ببيغا روس نجاباً في الليل لذلك، فعاد وأخبروا أن الأمير طاز مقيم بركبه، وأنه سار بهم وليس فيهم أحد لابس عدة الحرب، فقلع الأمير ببيغا روس السلاح هو ومن معه، وتلقى طاز وسأله عما تخوف منه، فأوقفه طاز على كتاب السلطان إليه. فلم يرَ ببيغا روس فيه ما يكره فاطمأن، ورحل كل منهما بركبه من العقبة. فأتت الأخبار إلى الأمراء باتفاق طاز وببيغا روس، فكتب السلطان إلى طاز بزوار أمير الركب بالقبض على ببيغا روس قبل دخوله مكة، وتوجه إليهما طيلان الجاشنكير، وقد رُسم له أن يتوجه مع ببيغا روس إلى الكرك (١).

وجرد فياض وعيسى بن حسن إلى العقبة، ثم خرج الأمير أرلان بمضافية تقوية لهما. فلما قدم طيلان على طاز وبزوار كتب إلى أزدمر الكاشف يعلمانه بما رُسم به لهما من مسك ببيغا روس، ويؤكدان عليه في استمالة الأمير فاضل والأمير محمد بن بكتمر الحاجب وبقية من مع ببيغاروس، وتعجيزهم عن القيام معه، فأخذ أزدمر الكاشف في تنفيذ ذلك. ثم كتب طاز وبزوار لببيغا روس أن يتأخر لسماع مرسوم السلطان، حتى يكون دخولهم مكة جميعاً فأحس ببيغا روس بالشر، وهم بالتوجه إلى الشام؛ فمازال أزدمر الكاشف به حتى رجع عن ذلك. وعند نزول ببيغا روس المويالحة قدم طاز وبزوار، فتلقاها وأسلم نفسه من غير ممانعة، فأخذوا سيفه، وأرادا تسليمه لطيلان حتى يحمله إلى الكرك. فرغب ببيغا روس إلى طاز أن يحج معه، فأخذه صحبته محتفظاً به، وكتب بذلك إلى السلطان فتوهم السلطان ومغلطى أن طاز قد مال مع ببيغاروس. وتشوشا تشوشاً زائداً ثم أكد ذلك ورود الخبر بعصيان أحمد في صغد، وظنوا أنه مناظر لببيغا روس فأخرج طيلان ليقيم على الصفراء (٢) حتى يرد الحجاج إليها، فيمضى ببيغا إلى الكرك (٣).

وفي يوم الخميس سابع عشره: خلع على علم الدين عبد الله بن زنبور، خلعة الوزارة، مضافاً لما معه من نظر الخاص ونظر الجيش، بعد ما امتنع، وشرط شروطاً

(١) انظر النجوم الزاهرة ١٠/١٧٦.

(٢) الصَّفْرَاء: قرية فوق ينبع، على ست مراحل من المدينة، وهي كثيرة المزارع والنخل، ماؤها من عيون يجري فضلها من ينبع، وبين ينبع والمدينة ست مراحل، ويسكن في الصفراء جهينة والأنصار ونهد، وفيها، أو بقرب منها، قتل رسول الله ﷺ النضر بن الحارث مرجعه من بدر. بموضع يقال له الأثيل. انظر معجم البلدان ٣/٤١٣، والروض المعطار ٣٦٢، ومعجم ما استعجم ٣/٨٣٦.

(٣) انظر النجوم الزاهرة ١٠/١٧٧.

وخرج ابن زنبور في موكب عظيم، فركب بالزنارى الحرير الأطلس إلى داره بمصر، فكان يوماً مذكوراً.

وفيه خلع على الأمير طنيرق بناية حماة، عوضاً عن أسندمى العمرى (٢).

وفى يوم السبت تاسع عشره: جلس الوزير علم الدين بن زنبور بشباك قاعة صاحب من القلعة، وفى دست الوزارة. وجلس الموفق ناظر الدولة قدامه، ومعه جماعة المستوفين. فطلب ابن زنبور جميع المباشرين، وقرر معهم ما يعتمدونه، وطلب محمد بن يوسف، وشدّ وسطه على عادته، وطلب المعاملين، وسلفهم على اللحم وغيره. وأمر فكتبت أوراق من بيت المال والأهراء، فإنه لم يكن بهما درهم واحد ولا أردب غلة، وقرأها على السلطان والأمراء. وشرع فى عرض الشادين والكتاب وسائر أرباب الوظائف، وتقدّم إلى المستوفين بكتابة أوراق المتأخر فى النواحي، واهتم بتدبير الدولة. ورسم على بدر الدين ناظر البيوت، وألزمه بمال لشيء كان فى نفسه منه، وولى عوضه فخر الدين ماجد بن قرونة صهره نظير البيوت. ورسم لأولاد الخروبى النجار بمصر بتجهيز راتب السكر لشهر المحرم، وأنفق فى بيت السلطان جامكية شهر، فطلع إلى الحوائج خاناه السكر والزيت والقلوبات (٣) وسائر الأصناف.

وفيه أفرج ابن زنبور عن الفأر الضامن بسفارة الأمير ملكتمر الممدى، وضمنه الجهات بزيادة خمسين ألف درهم. وضمن الفأر معاملة الكيزان (٤) من الأمير طيغنا الجمدى، بزيادة ثلاثين ألف درهم.

وفيه حمل علاء الدين بن فضل الله كاتب السر تقليد الوزارة إلى صاحب علم الدين عبد الله بن زنبور، ونعت فيه بالجناب العالى. وكان جمال الكفاة قد سعى أن يكتب له ذلك زمن السلطان الصالح إسماعيل، فلم يرض كاتب السر، وشح به. فخرج صاحب وتلقى كاتب السر، وبالغ فى إكرامه، وبعث إليه مقدمة سنية.

وفى مستهل ذى الحجة: خلع على بكتمر المؤمنى نائب الإسكندرية، واستقر شاد الدواوين.

وفيه خلع على سعد الدين رزق الله، ولد الوزير علم الدين، واستقر بديوان

(١) انظر النجوم الزاهرة ١٠/١٧٧

(٢) انظر النجوم الزاهرة ١٠/١٧٧

(٣) هى اللوز والبندق والفسق.

(٤) قدح لحفظ اللبن.

الماليك. وفيه التزم الوزير علم الدين بين يدي السلطان والأمراء أنه يياشر الوزارة بغير معلوم، ويياشر ابنه أيضاً بغير معلوم، ويوفر ذلك للسلطان.

وفيه قدم الخير بأن هند وأحد الأكراد استولى على بلاد الموصل، وصار في جمع كبير يقطع الطريق، والتحق به نجمة التركمانى، فاستنابه وتقوى به وركب من مندر إلى سنجار وتحصن بها، وأغار على الموصل ونهب وقتل، ومضى إلى الرحبة وأفسد بها، ومشى على بلاد ماردين ونهبها. فخرجت إليه عساكر الشام، وحصلوه بسنجان^(١) ومعهم عسكر ماردين، ونصبوا عليها المنجنيق مدة شهر حتى طلب هتد الأمان، على أنه يقيم الخطبة للسلطان، ويبعث بأخيه ونجمة فى عقد الصلح، وبقطع قطيعة يقوم بها كل سنة، فأمنه العسكر، وسروا عنه بأخيه ونجمة إلى حلب؛ فحمل نجمة ورفيقه إلى مصر، فلما نزلا منزلة قانون هرب نجمة.

وفى خامسه: رسم بعرض أجناد الحلقة، وخرجت البريدية إلى النواحي لإحضار من بها منهم، فحضروا، وابتدئ بعرضهم بين يدي النائب ببيغا ططر حارس الطير فى يوم السبت حادى عشره. وسبب ذلك دخول جماعة كبيرة من أرباب الصنائع فى جملة أجناد الحلقة، وأخذ جماعة كثيرة من الأطفال الإقطاعات، حتى فسد العسكر. فرسم لنقيب الجيش بطلب المقدمين ومضافهم، وإحضار الغائبين، وحذروهم من إخفاء أحد منهم. وتقرر العرض بين يدي السلطان فى كل يوم مقدمين بمضافيهما، ثم رسم للنائب ببيغا ططر حارس الطير أن يتولى ذلك، فطلع إليه عدة أيتام مع أمهاتهم، ما بين أطفال تحمل على الأكتاف وصغار وشباب، وجماعة من أرباب الصنائع. فساء ذلك، وكره أن يقطع أرزاقهم، ومضى يومه بالتغاضى، وصرفهم جميعا على أن يحضروا من الغد. وتحدث ببيغا ططر حارس الطير مع الأمراء فى إبطال العرض، فعارضه منكلى بغا الفخرى، وأشار بأن العرض فيه مصلحة، فإن القصد من إقامة الأجناد إنما هو الذب عن المسلمين، فلو تحرك العدو ما وجد فى عسكر مصر من يدفعه. فلم توافقه الأمراء على ذلك، وخرج الأمير قبلاى الحاجب على لسان السلطان بإبطال العرض، وقد اجتمع بالقلعة عالم كبير، فكان يوما مهولا من كثرة الدعاء والبكاء والتضرع.

وفيه قدم الخير بنزول عسكر دمشق وطرابلس على صفد، وزحفهم عليها عدة أيام، جرح فيها كثير من الأجناد، ولم ينالوا من القلعة غرضا، إلى أن بلغهم القبض على ببيغا

(١) سِنجَارُ: هى بيرة الثرثار، ومدينتها الحضر، وهى كلها من الجزيرة، وفى سنجان فوهة نهر الخابور، ويمر حتى يصب فى الفرات. انظر معجم البلدان ٣/٢٦٢، والروض العطار ٣٢٦، ومعجم ما استعجم ٣/٧٦٠، وآثار البلاد ٣٩٣.

روس. وعلم بذلك الأمير أحمد الساقى نائب صفد من هجراته، فأنحل عزمه، فبعث إليه بكلمش نائب طرابلس يرغبه فى الطاعة، ودس إلى من معه فى القلعة حتى حاصروا عليه، وهَمُّوا بمسكه. فوافق الأمير أحمد الساقى على الطاعة، وحلف لنائب طرابلس، ونزل إليه بمن معه. فسر السلطان بذلك، وكتب بإعانتة وحمله.

وفى عاشره: كانت الوقعة بمنى، وقبض على المجاهد على بن المؤيد داود بن المظفر أبو سعيد المنصورى عمر بن رسول صاحب اليمن فكان من خير ذلك أن ثقبه^(١) لما بلغه استقرار أخيه عجلان فى إمرة مكة، توجه إلى اليمن، وأغرى المجاهد بأخذ مكة وكسوة الكعبة. فتجهز المجاهد، وسار يريد الحج فى جحفل كبير بأولاده وأمه حتى قرب من مكة، وقد سبق حاج مصر. فلبس عجلان آلة الحرب، وعرف أمراء مصر ما عزم عليه صاحب اليمن، وحذّره غائلته. فبعثوا إليه بأن «من يريد الحج إنما يدخل مكة بذلة ومسكنة، وقد ابتدعت من ركوبك والسلاح حولك بدعة لا يمكنك أن تدخل بها، وابعث إلينا ثقبه ليكون عندنا حتى تنقضى أيام الحج، ثم نرسله إليك» فأجاب المجاهد إلى ذلك، وبعث ثقبه رهينة، فأكرمه الأمراء، وأركبوا الأمير طقطاى فى جماعة إلى لقاء المجاهد، فتوجهوا إليه ومنعوا سلاحداريته من المشى معه بالسلاح، ولم يمكنوهم من حمل الغاشية. ودخلوا به مكة، فطاف وسمى، وسلّم على الأمراء واعتذر إليهم، ومضى إلى منزله وصار كل منهم على حذر حتى وقفوا بعرفة، وعادوا إلى الحيف من منى، وقد تقرر الحال بين الشريف ثقبه وبين المجاهد على أن الأمير طاز إذا سار من مكة أرقعاهما بأمر الركب ومن معه، وقبضا على عجلان، وتسلم ثقبه مكة.

فاتفق أن الأمير بزلار رأى وقد عاد من مكة إلى منى خادماً للمجاهد سائراً، فبعث يستدعيه فلم يأت، وضرب مملوكه - بعد مفاوضة جرت بينهما - بجرية فى كتفه فماج الحاج، وركب بزلار وقت الظهر إلى طاز فلم يصل إليه حتى أقبلت الناس جافلة تخبر بركوب المجاهد بعسكره للحرب، وظهرت لوازم أسلحتهم، فركب طاز وبزلار والعسكر. وأكثرهم بمكة.

فكان أول من صدم أهل اليمن الأمير بزلار وهو فى ثلاثين فارساً، فأخذه فى صدورهم إلى أن أرموه قرب خيمة. ومضت فرقة منهم إلى جهة طاز، فأوسع لهم، ثم عاد عليهم وركب الشريف عجلان والناس، فبعث طاز لعجلان «أن احفظ الحاج، ولا تدخل بيننا فى حرب، ودعنا مع غريمنا»؛ واستمر القتال بينهم إلى بعد العصر. فركب

(١) هو ثقبه بن رميثة بن أبى نعى الحسنى أمير مكة (ت ٧٦٣هـ) انظر الأعلام ١٠٠/٢

أهل اليمن الذلة، والتجأ المجاهد إلى دهليزه، وقد أحيط به وقطعت أطنابه، وألقوه إلى الأرض. فمرّ المجاهد على وجهه ومعه أولاده، فلم يجد طريقاً، ولديه إلى بعض الأعراب، وعاد بمن معه وهم يصيحون: «الأمان يا مسلمين» فأخذوا وزيره، وتمزقت عساكره في تلك الجبال، وقتل منهم خلق كثير، ونهبت أموالهم وخيولهم حتى لم يبق لهم شيء، وما انفصل الحال إلى غروب الشمس. وفر ثقبه بعربه، وأخذ عبيد عجلان جماعة من الحجاج فيما بين مكة ومنى، وقتلوا جماعة. فلما أراد الأمير طاز الرحيل من منى سلم أم المجاهد وحرّمه لعجلان، وأوصاه بهن وركب الأمير طاز ومعه المجاهد محتفظاً به، وبالغ في إكرامه، وصحب معه أيضاً الأمير بيبغا روس مقيداً، وبعث الأمير طنطاي مبشراً. ولما قدم الأمير طاز المدينة النبوية قبض على الشريف طفيل^(١).

وكان قاع النيل في هذه السنة أربعة أذرع ونصف ذراع. وتوقفت الزيادة حتى ارتفع سعر الأردب القمح من خمسة عشر درهماً إلى عشرين درهماً، ثم زاد النيل في يوم واحد أربعاً وعشرين إصبعاً، ونودي من الغد بزيادة عشرين إصبعاً، ثم بزيادة خمسة عشر إصبعاً، ثم ثمانى أصابع. واستمرت الزيادة حتى بقى من ذراع الوفاء ثلاثة أصابع، فتوقف ستة أيام، ثم وفى الستة عشر ذراعاً فى يوم الإثنين ثانى عشرين مسرى. وزاد بعد ذلك إلى خامس توت، فبلغ سبعة عشر ذراعاً، وهبط فشرقت بلاد كثيرة، وتوالى الشراقي ثلاث سنين شق الأمر فيها على الناس من عدم الفلاحين وخيبة الزرع بخلاف ما يعهد، وكثرة المغارم والكلف، وظلم الولاة وعسفهم، وزيادة طمعهم فى أخذ ما بذلوا مثله حتى ولوا، مع نفاق عرب الصعيد، وطمعهم فى الكشف والولاة، وكسر المغلّ، وعتقهم فى إعطائه الأجناد، ورمى الشعير على البلاد من حساب سبعة دراهم الأردب، وحمله إلى الأهراء، فحمل نحو الأربعين ألف أردب شعيراً، ونحو خمسة آلاف أردب برسيمان.

وفيه خلع على ملك تونس أبو العباس الفضل بن أبى بكر بن يحيى بن إبراهيم بن عبد الواحد بن أبى حفص، فى ثامن عشر جمادى الأولى، فكانت مدته ستة أشهر، فقام بعده أخوه أبو إسحاق إبراهيم بن أبى بكر.

* * *

ومات فى هذه السنة من الأعيان

الأمير سيف الدين دلنجى^(٢) نائب غزة. قدم القاهرة سنة ثلاثين وسبعمائة، فأنعم

(١) انظر النجوم الزاهرة ١٠/١٧٨، ١٧٩.

(٢) دلنجى هو المكدي باللغة التركية. انظر النجوم الزاهرة ١٠/١٩٥.

عليه بإمرة عشره، ثم إمرة طبلخاناه، وولى غزوة بعد يلحك فأوقع بالعشير، وقويت حرمته.

ومات الأمير لاجين أمير آخور.

وتوفى فخر الدين محمد بن علي بن إبراهيم بن عبد الكريم المصرى الفقيه الشافعى بدمشق، فى ثالث عشر ذى القعدة، ومولده سنة إحدى وتسعين وستمائة، وخرج من القاهرة سنة اثنتين وسبعمائة، وسكن دمشق، وبرع فى الفقه والعربية وغير ذلك. وكان يتوقد ذكاء، بحيث أنه حفظ مختصر ابن الحاجب مع تعقد ألفاظه فى تسعة عشر يوماً، ودرّس وأفتى وأفاد^(١).

وتوفى العلامة شمس الدين محمد بن أبى بكر بن أيوب المعروف بابن قيم الجوزية الزرعى الدمشقى^(٢)، فى ثالث عشر رجب، ومولده سنة إحدى وتسعين وستمائة. وبرع فى عدة علوم، ما بين تفسير وفقه وعربية، وغير ذلك. ولزم شيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن تيمية بعد عوده من القاهرة سنة اثنتى عشرة وسبعمائة حتى مات، وأخذ عنه علماء جمًّا، فصار أحد أفراد الدنيا، وتصانيفه كثيرة، وقدم القاهرة غير مرة^(٣).

ومات ابن قرقرمان صاحب جبال الروم^(٤).

ومات الحسين بن خضر بن محمد بن حجي بن كرامة بن بختز بن علي بن إبراهيم ابن الحسين بن إسحاق بن محمد الأمير ناصر الدين، المعروف بابن أمير الغرب التنوخى، فى نصف شوال. وولى عوضه ابنه زين الدين صالح، وولايته ببلاد الغرب من بيروت. وأول من وليها منهم كرامة بن بختز فى أيام نور الدين محمود بن زنكى، فسمى كرامة أمير الغرب.

* * *

(١) انظر النجوم الزاهرة ١٠/١٩٥، ١٩٦.

(٢) أحد الأئمة الأعلام، الذين أخلصوا لدينهم وأثروا المكتبة الإسلامية بالعديد من المؤلفات كالفوائد، الجواب الكافى، زاد المعاد فى هدى خير العباد، طريق الحجرتين مدارج السالكين، إعلام الموقعين وغيرها.

(٣) انظر النجوم الزاهرة ١٠/١٩٥، المنهل الصافى (ترجمة ابن القيم الجوزية).

(٤) كان واقعا به بعد مرض طويل. انظر النجوم الزاهرة ١٠/١٩٦.

سنة اثنتين وخمسين وسبعمائة

فى يوم الخميس رابع المحرم: قدم الأمير أسندمر العمرى من حماة.

وفى يوم الجمعة خامسه: قدم الأمير أرغون الكاملى من حلب بغير مرسوم، فخلع عليه، وأنزل بالقلعة. وسبب ذلك أنه كان قد أشيع بحلب القبض عليه، وأشيع بمصر أنه خامر، فكره تمكن موسى حاجب حلب، لما بينهما من العداوة، ورأى أن وقوع المكروه به فى غير حلب أخف عليه؛ فركب من حلب وقدم مصر ففرح السلطان بقدومه، لما كان عنده من إشاعة عصيانه (١).

وفيه قدم عيسى بن حسن الهجان من العقبة، بكتاب الأمير فياض يتضمن حضور طقطاى ورفيقه مبشرين، وأنه عوقهما بالعقبة، وبعث ما على يديهما من الكتب، وأن طيلان لفى الحاج ينبع، فكتب بإحضار طقطاى ورفيقه.

وفيه قدم الخير بأن طيلان تسلم الأمير ببيغا روس من الأمير طاز، وتوجه به إلى الكرك من بدر. فسر السلطان والأمراء بذلك، وكتب بإعادة العسكر من العقبة.

وفيه توجه الأمير فياض بن مهنا إلى أهله، وسير إليه منشوره بإمرة العرب، عوضاً عن جبار، صحبة قطلوبغا أخى الأمير مغلطاي؛ ليسافر به إلى بلاده.

وفى رابع عشره: خلع على الضياء يوسف الشامى، وأعيد إلى حسبة القاهرة ونظر المارستان، عوضاً عن ابن الأطروش، بسفارة النائب الأمير ببيغا ططر حارس الطير، لكلام نقله ابن الأطروش للوزير ابن زنبور، فسبه وأهانته، وتحدث فى عزله وعود الضياء.

فعرض الضياء حواصل المارستان، فلم يجد بها شيئاً، وكتب بذلك أوراقاً، وأوقف الأمير ببيغا ططر حارس الطير النائب عليها. فنزل النائب معه إلى المارستان، واستدعى القضاة وأرباب الوظائف بالمارستان، وأحضر ابن الأطروش، وطلب كتاب الوقف وقرأه، حتى وصل فيه القارئ إلى قوله: «عن الناظر التعمم، ويكون عارفاً بالحساب وأمور الكتابة». فقال الضياء لابن الأطروش: «قد سمعت ما شرطه الواقف فيك، وأنت

عامى مشهور ببيع الخرائط ^(١) لا تدرى شيئاً مما شرطه الواقف». وناوله ورقة حساب ليقرأها، فقام إليه بعض الفقهاء، وقال: «هذا معه تدريس وإعادة، وأنا أسأله عن شىء، فإن أجاب استحق المعلوم». وأخذته الألسنة من كل جانب، فقال النائب: «يا قوم! هذا رجل عامى، وقد أخطأ، وما بقى إلا الستر عليه» فاعترف ابن الأطروش أنه لا يدرى الحساب، وأنه عاجز عن المباشرة، وألزم نفسه ألا يعود إليها أبداً، بإشهاد كتب فيه قضاة القضاة ونوابهم يتضمن قوادح شنيعة، وما زال النائب بأخصامه حتى كفوا عنه. ثم قام النائب لكشف أحوال المرضى، فوجدت فرشهم قد تلفت، ولها ثلاث سنين لم تغير، فسد النائب خلله وانصرف.

وفيه قبض على مستوفى الدولة الأسعد حربة، وكريم الدين أكرم بن شيخ وسلما لشاد الدواوين فضرب شاد الدواوين ابن شيخ، وعاقبه حتى وزن مائة وستين ألف درهم، تمته ثلاثمائة ألف درهم، ووزن حربة مالا جزيلاً. واستقر عوضهما تاج الدين ابن ريشة، والعلم كاتب آل ملك.

وفى يوم السبت عشريه: قدم الأمير طاز من الحجاز بمن معه، وصحبته الملك المجاهد، والشريف أدي ^(٢) أمير المدينة، بعد ما سافر ولحق باليمن، وقدم مع المجاهد إلى مكة. فخرج الأمير مغلطاي إلى البركة ومعهم الأمراء، ومدّ له سماطاً جليلاً، وقبض على من معه من الأمراء الذين كانوا من جماعة الأمير ببيغا روس، وقيدوهم، وهم فاضل أخو ببيغا روس وناصر الدين محمد بن بكتمر الحاجب. وأما الأمير أزدمر الكاشف فإنه أخرج عنه إقطاعه، ولزم بيته ^(٣).

وفى يوم الإثنين عشريه: طلع الأمير طاز بالمجاهد إلى القلعة، فقيّد عند باب القلعة، ومشى بقيده حتى وقف مع العموم بالدركاه - تجاه النائب، والأمراء جلوس - وقوفاً طويلاً، إلى أن خرج أمير جاندار يطلب الأمراء على العادة، فدخل معهم وخلع السلطان على الأمير طاز، ثم أخذ المجاهد، وأمر به فقبل الأرض ثلاث مرات. وطلب السلطان الأمير طاز وسأل عنه، فما زال طاز يتشفع فى أمر المجاهد إلى أن أمر بقيده ففك، وأنزل بالأشرفية من القلعة عند الأمير مغلطاي، وأجريت له الرواتب السنوية، وأقيم له من يخدمه.

(١) معنى كيس: أو حراب من جلد أو غيره. محيط المحيط (خرط).

(٢) وقع فى النجوم «الشريف طفيل أمير المدينة» ١٨٠/١٠.

(٣) انظر النجوم الزاهرة ١٨٠/١٠.

وفيه أنعم على الأمير طاز بمائتي ألف درهم^(١).

وفيه قبض على الأمير حسين الططرى وولده، وأخرج مع الأمراء المسوكين إلى الإسكندرية.

وفيه خلع على الأمير أرغون الكاملى، واستقر فى نيابة حلب على عادته، ورسم أن يكون موسى الحاجب بحلب نائبا بقلعة الروم.

وفى يوم الإثنين خامس عشرية: حضر المجاهد الخدمة، وأجلس تحت الأمراء.

وفيه ألزم المجاهد بحمل أربعمائة ألف دينار يقترضها من الكارم، ثم بعد ذلك ينعم له بالسفر إلى بلاده.

وفيه قدم الجردون من العقبة بسبب بيغا روس.

وفى يوم الخميس ثامن عشرية: قدم الأمير قطلوبغا الكركى، ومعه أمير أحمد الثائر بصفد، فأرسل إلى الإسكندرية، فسجن بها.

وفى يوم الإثنين تاسع عشرية: خلع على الأمراء اليمينيين المقيدىن، وعلى المجاهد صاحب اليمن بالإيوان^(٢) وقبل الأرض عدة مرار. وكان الأمير طاز والأمير مغلطاي تلتظفا فى أمره حتى أعضى من حمل المال، وقربه السلطان ووعده بالسفر إلى بلاده مكرها فقبل المجاهد الأرض، وسرّ بذلك، فأذن له أن ينزل من القلعة إلى إصطبل الأمير مغلطاي، ويتجهز للسفر. وأفرج عن وزيره وخادمه وحواشيه، وأنعم عليه بمال. فبعث له الأمراء مالا جزيلا، وشرع فى القرض من الكارم تجار مصر واليمن فبعثوا له عدة هدايا، وصار يركب حيث شاء.

وفيه خلع على ابن بورقية، واستقر فى حسيبة مصر عوضا عن ولى الدين.

وفى يوم الخميس ثانى صفرو: ركب المجاهد فى الموكب بسوق الخيل تحت القلعة، وطلع مع الأمير بيغا ططر حارس الطير النائب إلى القلعة، ودخل إلى الخدمة بالإيوان مع الأمراء والنائب فكان موكبا عظيما، ركب فيه جماعة من أجناد الحلقة مع مقدميهم وخلع السلطان على المقدمين، وطلعوا إلى القلعة، وأجناد الحلقة معهم. واستمر المجاهد يركب فى الخدمة مع النائب فى سوق الخيل، ويطلع إلى الخدمة بالقلعة^(٣).

(١) انظر النجوم الزاهرة ١٠/١٨٠.

(٢) انظر النجوم الزاهرة ١٠/١٨٠.

(٣) انظر النجوم الزاهرة ١٠/١٨١.

وفيه خلع على الأمير صرغتمش، واستقر رأس نوبة على ما كان عليه، بعناية الأمير طاز والأمير مغلطاي^(١).

وفيه قبض على محمد بن يوسف مقدم الدولة، وسلم لشاد الدواوين، وأفرد محمد ابن زيد بالتقدمة.

وفي يوم السبت ثامن عشره: برز المجاهد صاحب اليمن بثقله إلى الريدانية؛ ليسافر إلى بلاده، وصحبته الأمير قشتمر شاد الدواوين. وكتب السلطان إلى الشريف عجلان أمير مكة بتجهيزه إلى بلاده، وكتب لبني شعبة وغيرهم من العربان بالقيام فى خدمته، وخلع عليه أطلس، فوعد المجاهد بإرسال الهدية والمال، وقرر على نفسه حملاً فى كل سنة وأسر السلطان إلى قشتمر أنه إن رأى منه ما يريه بمنعه من المضى، ويطالع بأمره. فرحل المجاهد من الريدانية خارج القاهرة، فى يوم الخميس ثالث عشره، ومعه عدة ممالك اشتراها، وكثير من الخيل والجمال^(٢)

وفي مستهل ربيع الأول: قدم الأمير قطلوبغا مستقر الأمير فياض بن مهنا، وقد أنعم عليه بمائة ألف درهم، وثلاثين فرساً، وخمسين جملاً، وقماش كثير.

وفيه قدم الخبر بلبين الأمير أيتمش المصرى نائب الشام، وضياع أحوال الشام، وكثرة قطع الطرقات، وأن أهل الشام سموه «إيش كنت أنا»، وأن أحوال شمس الدين موسى بن التاج إسحاق الناظر توقفت. ووقع جراد مضر بالزرع، أفسد أكثرها، وأن الغرارة القمح ارتفعت من ثمانين إلى مائة وعشرين درهماً.

ووقع بحماة سيل لم يعهد مثله، و حرب السيل أماكن كثيرة.

وفيه قدم الأمير قطلوبغا الذهبى من الوجه القبلى، وقد عجز عن مقاومة الأحذب.

وفيه قدم الخبر بقتل الشريف سعد بن ثابت أمير المدينة النبوية. وسببه أن الشريف أدى لما نهب المدينة وفر إلى اليمن، وصار عند صاحبها المجاهد حتى قدم مكة، ترامى على الأمير طاز إلى أن أخذ له أماناً من السلطان وقدم معه ومثل بين يدى السلطان وفى عنقه منديل الأمان فقيل له: «إنما أمنك على نفسك، وأما الأموال التى أخذتها من أهل المدينة ومن الحجج فلا بد من ردها إلى أربابها».

فجمع أدى ولده وطرق سعد بن ثابت ليلاً وحاربه فقتل سعد وكتب باستقرار فضل ابن قاسم عوضه.

(١) انظر النجوم الزاهرة ١٠/١٨١

(٢) انظر النجوم الزاهرة ١٠/١٨١.

وفي مستهل ربيع الآخر: كان عرس خوند زهراء ابنة السلطان الملك الناصر محمد وهي زوجة آقسنقر الناصري المقتول زمن المظفر حاجي على الأمير طاز، ثم كان بعد ذلك عرس الأمير تنكز بغا، وأعرس جماعة من الأمراء وعمل السلطان لكل منهم مهما يليق به، فأقامت الأفراح طول الشهر، وأنعم السلطان على طاز وعلى تنكز بغا بثلاثمائة ألف درهم، وأنعم على كل من الأمير مغلطاي رأس نوبة، والأمير منكلي بغا الفخرى. وفيه أخرج الأمير نوروز على إمرة طبلخاناه، بدمشق. وسببه أنه لما قدم من الشام أنعم عليه بتقدمة ألف، فصار يتحدث مع السلطان في المشور، وترفع على الأمراء. وفيه قدم سيف بن فضل، بقوده.

وفي ليلة الثلاثاء رابعة: قدم الخيزر بأن الأمير قشتمر أمشك المجاهد صاحب اليمن يينج، بعد ما فر بنفسه، وترك ثقله. ثم قدم قشتمر في يوم السبت خامس عشره، وأرسل المجاهد إلى الكرك، فسجن بها.

وفي أول جمادى الأولى: قدمت رسل الأشرف دمرداش بن جوبان بسبب الصلح، فأنزلوا بصهرنج منحك ثلاثة أيام، ولم يمكن أحد من الاجتماع بهم. ثم مثلوا بين يدي السلطان، وأعيدوا بجوابهم.

وفيه خلع على الأمير أرغون الإسماعيلي، واستقر في نيابة غزة، عوضاً عن فارس الدين البكي. وقدم فارس الدين فأنعم عليه بإمرة طبلخاناه.

وفيه خرجت العرب المعروفة ثعلبة من أماكنها، وتفرقوا في البلاد. فوقفت أحوال مراكز البريد، فإن درك البريد عليهم فسعى ابن طلدية في ولاية الشرقية وتكفل برد ثعلبة، فخلع عليه بولايتها.

وفيه ركب الأمير طاز لكبس عرب الأطفاحية، وقد اشتد ضررهم وكثر قطعهم الطريق، فلم يظفر منهم بأحد، وتعلقوا بالجبال.

وفيه توعك السلطان ولزم الفراش أياماً، فبلغ طاز ومغلطاي ومنكلي بغا أنه أراد بإظهار توعكه القبض عليهم إذا دخلوا إليه، وأنه قد اتفق مع قشتمر وألطنبغا الزامر وملكتمر المارديني وتنكز بغا على ذلك، وأن ينعم عليهم بإقطاعاتهم وإمرااتهم. فواعدوا أصحابهم، واتفقوا مع الأمير بييغا ططر حارس الطير النائب، والأمير طييغا المجدى والأمير رسلان بصل، وركبوا يوم الأحد سابع عشرى جمادى الآخرة بأطلابهم، ووقفوا عند قبة النصر.

فخرج السلطان إلى القصر الأبلق، وبعث يسألهم عن سبب ركوبهم، فقالوا: «أنت اتفقت مع ممالكك على مسكننا، ولا بدّ من إرسالهم إلينا. فبعث السلطان إليهم تنكز

بغا وقشتمر وألطنبغا الزامر وملكتمر، فعندما وصلوا إليهم قيدوهم، وبعثوهم إلى خزانة شمائل، فسجنوا بها. فشق ذلك على السلطان، وبكى، وقال: «قد نزلت عن السلطنة»، وسير إليهم النجاة، فسلموها للأمير طيبغا المجدى. وقام السلطان إلى حرمه، فبعث الأمراء الأمير صرغتمش، ومعه الأمير قطلوبغا الذهبى وجماعة؛ ليأخذوه ويحبسه. فطلعوا إلى القلعة راكبين إلى باب القصر الأبلق، ودخلوا إلى الناصر حسن وأخذوه من بين حرمه، فصرخ النساء صراخاً عظيماً، وصاحت ست حدق على صرغتمش صياحاً منكراً، وسبته، وقالت: «هذا جزاؤه منك». فأخرجه صرغتمش وقد غطى وجهه إلى الرحبة، فلما رآه الخدام والماليك تباكوا عليه بكاءً كثيراً. وطلع صرغتمش به إلى رواق فوق الإيوان، ووكل به من يحفظه، وعاد إلى الأمراء. وكانت مدته ثلاث سنين وتسعة أشهر وأربعة عشر يوماً، منها مدة الحجر عليه ثلاث سنين، ومدة استبداده تسعة أشهر، وكان القائم بدولته الأمير شيخو رأس نوبة، وإليه أمر خزانة الخاص - ومرجع ذلك إلى علم الدين بن زنبور ناظر الخاص - والأمير ببيغاروس نائب السلطنة، وإليه حكم العسكر وتدبره والحكم بين الناس، والأمير منجك الوزير الأستادار مقدم الماليك، وإليه التصرف فى أموال الدولة، والمتولى لتزيتته خوند طغاي أم آنوك، وفى خدمته ست حدق. ورتب له فى كل يوم مائة درهم تصرف لخدمته من خزانة الخاص، فكان كذلك فى طوع الأمراء، يصرفونه على حسب اختيارهم، إلى أن نفرت نفوس الأمراء الخاصكية من الوزير منجك، وحسدوه على ما هو فيه، وكان أشدهم عليه حقداً الأمير مغلطاي والأمير طاز. وكان الأمير شيخو يفهم عنه إلى أن خرج الأمير ببيغا روس إلى الحج، وخرج الأمير شيخو إلى السرحة بالعباسة، وقع الاتفاق على ترشيد السلطان، ومسك منجك كما تقدم. فاستبد السلطان بالتصرف، وأخذ أموال الأمراء المقبوض عليهم، وفرقها فى خواصه. ثم اختص بطاز، وبالع فى الإنعام عليه، واستخص قشتمر وألطنبغا وملكتمر وتنكز بغا، وجعلهم ندماء فى الليل ومشيريه فى النهار، فلم يكن يفارقهم أبداً ليلاً ولا نهاراً، وسوغهم من الأملاك، وأنعم عليهم من الجواهر والأموال بشيء جليل إلى الغاية، وأعرض عن الأمراء، فلم يلتفت إليهم حتى كان ما كان من خلعه.

وكانت أيامه شديدة، كثرت فيها المغارم بالنواحي، وخربت عدة أملاك على النيل، واحترقت مواضع كثيرة بالقاهرة ومصر، وخرجت عربان العايد وثعلبة وعشير الشام وعرب الصعيد عن الطاعة، واشتد فسادهم وكثر قطعهم الطرقات. وكان الفناء العظيم الذى لم يعهد مثله، وتوالى شراقى الأراضى، وتلاف الجسور، وقيام ابن واصل

الأحدب ببلاد الصعيد والعجز عنه، وقتل عرب الصعيد طغية الكاشف، وهزيمتهم الهذبانى وأخذ ثقله. فاختلفت أرض مصر وبلاد الشام بسبب ذلك خللاً فاحشاً، إلا أن الناصر حسن كان فى نفسه مفرط الذكاء، ضابطاً لما يدخل إليه ويصرفه كل يوم، عارفاً متديناً شهماً، لو وجد ناصرًا ومعينًا لكان أجل الملوك.

* * *

السلطان الملك الصالح

صلاح الدين صالح بن الناصر محمد بن قلاوون (١)

أمه بنت الأمير تنكرز نائب الشام، أقيم سلطانا بعد خلع أخيه الناصر حسن، فى يوم الإثنين ثامن عشرى جمادى الآخرة، سنة اثنتين وخمسين وسبعمائة. وذلك أن الأمراء لما حملت إليهم النمجة، باتوا ليلة الإثنين بإصطبلاتهم، وبكروا يوم الإثنين إلى القلعة، واجتمعوا بالرحبة داخل باب النحاس، وطلبوا الخليفة والقضاة وسائر أهل الدولة، واستدعوا به. فلما خرج إليهم ألبسوه شعار السلطنة، وأركبوه فرس النوبة من داخل باب الستارة، ورفعت الغاشية بين يديه. وكان الأمير طاز والأمير منكلى بغا الفخرى آخذين بشكيمة الفرس حتى جلس على التخت. وحلفوا له، وحلفوه على العادة، ولقبوه بالملك الصالح، ونودى بسلطنته فى القاهرة ومصر.

وكان النيل قد نقص عندما كُسر، فردّ نقصه، ونودى عليه هذا اليوم بزيادة ثلاثة أصابع من سبعة عشر ذراعاً، فتباشر الناس بولايته.

وفيه نقل السلطان أخاه حسن الناصر إلى حيث ساكنًا، ورتب فى خدمته جماعة. وطلب أخاه أمير حسين وأكرمه، ووعدته بتغيير إقطاعه وزيادة راتبه.

وفيه توجه الأمير بزلار أمير سلاح إلى الشام، ومعه التشريف والبشارة بولاية السلطان وتحليف العساكر له على العادة.

وفيه دقت البشائر، ونودى بزينة القاهرة ومصر، فزينا.

وفيه طلب الأمير مغلطاي والأمير طاز مفاتيح الذخيرة؛ ليعتبروا ما فيها، فوجد شىء

يسير.

(١) انظر ترجمته فى : انظر النجوم الزاهرة ١٠/١٩٩، الجواهر الثمين ٢/١٩٩، بدائع الزهور

١/١/٥٣٨، البداية والنهاية ١٤/٢٥٢، الدرر الكامنة ٢/٢٠٣.

وفيه رُسم للوزير علم الدين عبد الله بن زنبور بتجهيزه تشاريف الأمراء وأرباب الوظائف على العادة، فجهزها.

وفيه وقف الأمير طاز، وسأل الأمراء والسلطان فى الإفراج عن الأمير شيخو، فرُسم به. وكتب كل من مغلطاي وطاز إليه كتابا، فبعث مغلطاي بكتابه، أخاه قطلوبغا رأس نوبة، وبعث طاز الأمير طقطاي صهره. وجهزت الحراقة لإحضار شيخو من الإسكندرية، فى يوم الثلاثاء تاسع عشرينه.

وكان ذلك بغير اختيار الأمير مغلطاي، فإن الأمير طاز دخل عليه فى ذلك، ومضى إلى بيته، فاعتذر إليه بأنه يخشى من خلاصه على نفسه، فحلف له طاز أيمانا مغلظة أنه معه على كل ما يريد، ولا يصيبه من شيخو ما يكره، وإن شيخو إذا حضر ما يعارضه من فى شىء من أمر المملكة، و«إنى ضامن له فى هذا»؛ وما زال به حتى وافق على الإفراج عنه، وكتب إليه مع أخيه. فشق ذلك على الأمير منكلى بغا الفخرى، وعتب مغلطاي على موافقته لطاز، وأوهمه أن بحضور شيخو يزول عنهم ما هم فيه، حتى تقرر ذلك فى ذهنه، وندم على ما كان منه، إلى أن كان يوم الخميس أول شهر رجب، وركب الأمراء فى الموكب على العادة، أخذ منكلى بغا يعرف الأمير ببيغا ططر حارس الطير النائب والأمراء الكبار ما دار بينه وبين مغلطاي، وخيلهم من حضور شيخو إلى أن وافقوه، وطلعوا إلى القلعة ودخلوا إلى الخدمة. فابتدأ الأمير ببيغا حارس الطير النائب بجديث شيخو، وأنه رجل كبير، ويحتاج إلى إقطاع كبير وكلف كبيرة. فتكلم منكلى بغا ومغلطاي والأمراء، وطاز ساكت قد اختببط لتغير مغلطاي ورجوعه عما وافقه عليه. وأخذ طاز يتلطف به، فصمم مغلطاي على ما هو عليه، وقال: «ما لى وجه أنظر به شيخو، وقد أخذت منصبه بعد ما مسكته، وسكنت بيته». فوافقه الأمير ببيغا ططر حارس الطير النائب، وقال لناظر الجيش: «اكتب له مثالا بنياية حماه، وانتقال طنيرق لنياية حلب»، وقال لكاتب السر: «اكتب كتابا بعوده من طريقه إلى نياية حماه». فكُتب ذلك، وتوجه به أيدمر الدوادر من وقته وساعته فى حراقتة. وعُين لسفر شيخو إلى حماة عشرون هجينا ليركبها ويسير عليها، وانفضوا، وفى نفس طاز ما لا يعبر عنه. فاجتمع هو وصرغتمش وملكتمر وجماعة، واتفقوا جميعا وبعثوا إلى مغلطاي بأن «منكلى بغا رجل فتنى، وما دام بيننا لا نتفق أبدا». فلم يصغ مغلطاي إلى قولهم، واحتج بأنه إن وافقهم لا يأمن على نفسه. فدخل عليه طاز ليلا بالأشرفية من القلعة حيث سكنه، وخادعه حتى أجابه إلى إخراج منكلى بغا، وتحالفا على ذلك. فما هو إلا أن خرج عنه طاز أخذ دوادر مغلطاي يفتح ما صدر منه، ويهول عليه الأمر بأنه متى أبعد منكلى بغا

وحضر شيخو أخذ لا محالة، فمال إليه. وبلغ الخير منكلى بغا، بكرة يوم الجمعة ثانيه، فواعد الأمير ببيغا ططر حارس الطير النائب والأمراء على الاجتماع فى صلاة الجمعة؛ ليقع الاتفاق على ما يكون. فلم يخف عن طاز وصرغتمش رجوع مغلطاي عما تقرر بينه وبين طاز ليلا، فاستعد للحرب، وواعد الأمير ملكتمر المحمدى والأمير قردم الحموى ومن هوى هواهم، واستمالوا مماليك ببيغا روس ومماليك منجك حتى صاروا معهم رجاء الخلاص أستاذيهم وشدّ الجميع خيولهم.

فلما دخل الأمراء لصلاة الجمعة اجتمع منكلى بغا بالنائب ببيغا ططر حارس الطير وجماعة، وقرر معهم أن يطلبوا طاز وصرغتمش إلى عندهم فى دار النيابة، ويقبضوا عليهما. فلما أتاهم الرسول بطلبهما أحسباً بالشرّ، وقاما لتهيئنا للحضور، وصرفا الرسول على أنهما يكونان فى أثره، وبادر إلى باب الدور ونحوه من الأبواب فأغلقاها، واستدعوا من معهم من المماليك السلطانية، ولبسوا السلاح. ونزل صرغتمش بمن معه من باب السرّ، ليمنع من يخرج من إصطبلات الأمراء، ودخل طاز على السلطان حتى يركب به للحرب؛ فلقى الأمير صرغتمش فى نزوله الأمير أيدغدئ أمير آخور، فلم يطق منعه، وأخذ بعض الخيول من الإصطبل، وخرج فوجد خيله وخيل من معه فى انتظارهم. فركبوا إلى الطبلخاناه، فإذا طلب منكلى بغا مع ولده ومماليكه يريدون قبة النصر، فألقوه عن فرسه وجرحوه فى وجهه، وقتلوا حامل الصنجق، وشتتوا شمل الجميع. فما استتم هذا حتى ظهر طب مغلطاي مع مماليكه، ولم يكن لهم علم بما وقع على طلب منكلى بغا. فصدّمهم صرغتمش بمن معه صدمة بدّهم، وجرح جماعة منهم، وهزم بقيتهم. ثم عاد صرغتمش ليدرك الأمراء قبل نزولهم من القلعة، وكانت خيولهم واقفة على باب السلسلة تنتظرهم، فمال عليها ليأخذها. وامتدت أيدى أصحابه إليها، فقتلوا الغلمان، وقد عظم الصياح، وانعقد الغبار، وإذا بالنائب ببيغا ططر حارس الطير ومغلطاي ومنكلى بغا وبيغرا ومن معهم قد نزلوا، وركبوا خيولهم. وكانوا لما أبطأ عليهم مجيء طاز وصرغتمش بعثوا فى استعجالهما، فإذا الأبواب مغلقة، والصيحة داخل باب القلعة، فقاموا من دار النيابة يريدون الركوب، فما توسطوا القلعة حتى سمعوا ضجة الغلمان وصياحهم. فأسرعوا إليهم وركبوا، فشهّر مغلطاي سيفه، واقتحم بمن معه على صرغتمش ومن معه؛ ومرّ النائب ببيغا ططر حارس الطير وبيغرا ورسالن بصل يريد كل منهم إصطبله. فلم يكن غير ساعة حتى انكسر مغلطاي كسرة قبيحة، وجرح كثير من أصحابه، وفرّ إلى جهة قبة النصر وهم فى أثره، وانهزم منكلى بغا أيضاً^(١).

وكان طاز لما دخل على السلطان عرفه أن الأمير ببيغا ططر حارس الطير النائب والأمراء اتفقوا على إعادة الناصر حسن إلى السلطنة، وأخذَه في مماليكه، ونزل به من باب السرِّ إلى الإصطبل. واستدعى السلطان بالخييل ليركب، ففعد به أيدغدئ أمير آخور، واحتج بقلة السروج، فإنه كان ممالئا لمغلطاي؛ فأخذ الممالك ما وجدوه، وخرجوا بالسلطان، ودقت الكوسات. فاجتمع إليه الأمراء والأجناد والممالك السلطانية من كل جهة، حتى عظم جمعه، فلم تغرب الشمس إلا والمدينة قد غلقت، والرميلة قد امتلأت بالعامه. وسار طاز بالسلطان يريد قبة النصر حتى يعرف خبر صرغتمش، فوافى قبة النصر بعد المغرب.

وأما صرغتمش فإنه تمادى في طلب مغلطاي ومنكلى بغا حتى أظلم الليل، فلم يشعر إلا بمملوك الأمير ببيغا ططر حارس الطير النائب قد أتاه برسالة النائب أن مغلطاي عنده في بيت آل ملك بالحسينية، فبعث جماعة لأخذه. ومر صرغتمش في طلب منكلى بغا، فلقية الأمير محمد بن بكتمر الحاجب، وعرفه أن منكلى بغا نزل قريبا من قناطر الأميرية، ووقف يصلى، وأن طلب الأمير مجد الدين موسى الهذباني كان قد جاء من جهة كوم الريش. ولحق بالأمير منكلى بغا الأمير أرغون المكي في جماعة، فقبضوا عليه وهو قائم يصلى، وكتفوه بعمامته، وأركبوه بعد ما نكلوا به. فلم يكن غير قليل حتى أتوا به ومغلطاي، فقيدا وسجنا بخزانة شمائل، ثم أخرجوا إلى الإسكندرية، ومعهما ابن منكلى بغا، فسجنوا بها، وأقبل صرغتمش ومن معه إلى السلطان بقبة النصر، وعرفه بمسك الأميرين، فسرَّ سرورا كبيرا، ونزل هو والأمراء وباتوا عند قبة النصر^(١).

وركب السلطان بكرة يوم السبت ثالثه إلى القلعة، وجلس بالإيوان، ودخل الأمراء فهناؤه السلامة، ونودي بالزينة. وفي الحال كتب باستدعاء الأمير شيخو، وخرج جماعة من الأمراء ومماليكه إلى لقائه. ونزلت البشائر إلى بيوت شيخو وببيغا روس ومنجك، وكان يوما مذكورا، وبات الأمراء على نخوف.

وأما شيخو، فإن حراقة أخى طاز وطقطاي وافت الإسكندرية يوم الخميس أول رجب، فخرج شيخو من السجن وهو ضعيف، وركب الحراقة في الخليج، وأهل الإسكندرية في فرح وسرور بخلصه. فوفاه كتاب صرغتمش بأنه «إذا أتاك أيديمر بمرسوم توجهك إلى حماة لا ترجع، وأقبل إلى القاهرة، فأنا معك»، فتغير لقراءته، وعلم

أنه قد حدث فى أمره حادث. فلم يكن غير ساعتين حتى لا حت له حراقة أيدير، فمرّ وهو مقلع، وأيدير منحدر إلى أن تجاوزه، وهو يصيح ويشير بمنديله، فلا يلتفتون إليه. واستمرت حراقة شيخو طول الليل وأيدير فى أثره، فلم يدركه إلا بكرة يوم السبت. فعندما طلع إليه أيدير، وعرفه ما رسم له من عوده إلى حماة، وقرأ المرسوم الذى على يده، وإذا بالخيل على البرّ تتبع بعضها بعضاً، والمراكب قد ملأت وجه الماء تبادر لبشارته وإعلامه بما وقع من الركوب، ومسك مغلطاي ومنكلى بغا فسرّ شيخو بذلك سرورا كثيرا، وسار إلى أن أرسى بساحل بولاق، فى يوم الأحد رابعه.

وكان الناس قد خرجوا يوم السبت إلى لقائه، وأقاموا ببولاق ومنبابه. ووصلت المشاة إلى منية السيرج تنتظر قدومه. فلما رأوا الحراقة صاحوا ودعوا له، وتلقته مراكب أصحابه. وخرج الناس للفرجة، فبلغ كراء المراكب إلى مائة درهم، وما وصلت الحراقة إلا وحولها فوق الألف مركب. وركب الأمراء إلى لقائه، وزينت الصليبة^(١)، وأشعلت الشموع، وخرج مشايخ الصوفية بصوفيتهم إلى لقائه. فسار شيخو فى موكب عظيم إلى الغاية، لم ير مثله لأمر، إلى أن صعد القلعة^(٢). ودخل شيخو على السلطان، فأقبل عليه، وخلع عنه ثياب السجن، وألبسه تشريفا جليلا، وخرج شيخو إلى منزله والتهانى تتلقاه.

وفيه فرقت الخلع على الأمراء، وركبوا بها إلى الخدمة، فى يوم الإثنين خامسه.

وفى يوم الأربعاء سابعه: رسم بإخراج الأمير بييغا ططر^(٣) حارس الطير نائب السلطنة، والأمير بيغرا. فنزل الحاجب إلى بيت آل ملك بالحسينية، وأخرج منه النائب؛ ليسير إلى نيابة غزة. وأخرج بيغرا من الحمام إخراجاً عنيفاً؛ ليتوجه إلى حلب. فركبا من فورهما، وسارا^(٤).

وفيه قبض على الطيب أحد أمراء الطبلخاناه من أصحاب مغلطاي، وقيد وسجن.

وفيه أخرج أيدغدى أمير أخور إلى طرابلس، بطالا^(٥).

وفيه كتب بالإفراج عن المسجونين بالإسكندرية والكرك^(٦).

(١) الصُّلْبِيَّة: ماء من مياه قشير. انظر معجم البلدان ٤٢٢/٣.

(٢) انظر النجوم الزاهرة ٢٠٣/١٠.

(٣) فى النجوم «بييغا أُرْس حارس الطير» ٢٠٥/١٠.

(٤) انظر النجوم الزاهرة ٢٠٥/١٠.

(٥) انظر النجوم الزاهرة ٢٠٥/١٠.

وفى يوم السبت عاشره: ركب السلطان والأمراء إلى الميدان على العادة، ولعب فيه بالكرة، فكان يوماً مشهوداً.

وفيه وقف الناس فى الفأر الضامن، ورفعوا فيه مائة قصة. فقبض عليه، وضربه الوزير بالمقارع ضرباً كثيراً، وهو يحمل المال، فوجدت له خبية فيها نحو مائتى ألف درهم حملت إلى بيت المال^(١).

وفيه قبض على النائب ببيغا ططر حارس الطير فى طريقه، وسجن بالإسكندرية.

وفى يوم الأحد حادى عشره: وصل الأمراء من سجن الإسكندرية، وهم سبعة: منجك الوزير، وفاضل أخو ببيغا روس، وأحمد الساقى نائب صفد، وعمر شاه الحاجب، وأمير حسين التترى وولده، ومحمد بن بكمتر الحاجب. فركب الأمير طاز ومعه الخيول المجهزة لركوبهم حتى لقيهم، وطلع بهم إلى القلعة، فخلع عليهم بين يدي السلطان. ونزلوا إلى بيوتهم، فامتألت القاهرة بالأفراح والتهانى ونزل الأمير شيخو والأمير طاز والأمير صرغتمش إلى إصطبلاتهم، وبعثوا إلى الأمراء القادمين من السجن التقادم السنية، من الخيول والتعابى القماش والبسط وغيرها، فكان الذى بعثه الأمير شيخو لمنجك خمسة أفراس، ومبلغ ألفى دينار^(٢).

وفى يوم الإثنين ثانى عشره: خلع على الأمير قبلاى الحاجب، واستقر فى نيابة السلطنة عوضاً عن ببيغا ططر حارس الطير^(٣).

وفيه قدم الخبز بنفاق عرب الصعيد، ونهبهم الغلال ومعاصر السكر، وكبسهم البلاد، وكثرة حروبهم، بحيث قتل منهم ألف رجل، وأن ابن مغنى حشد وركب فى البرّ والبحر. وامتنع الناس من سلوك الطرقات، وأنه متى لم يبادر الأمراء إلى حربه لا يحصل للأراضى تخضير، وكان زمن النيل. فطلب عز الدين أزدمر الأعمى الكاشف، وأعيد له إقطاعه من الأمير قنلس أمير آخور، وخلع عليه، واستقر فى كشف الوجه القبلى. وخلع على مملوك أسندمر، واستقر فى كشف الإطفيحية، وأنعم عليه بإقطاع ابن ببيغا ططر حارس الطير النائب. وأنعم على فارس الدين ألكى نائب غزة بتقدمة ألف، ورسم بخروجه صحبة أزدمر الأعمى الكاشف، وعين معه ستة أمراء طبلخاناه.

(٦) انظر النجوم الزاهرة ٢٠٥/١٠

(١) انظر النجوم الزاهرة ٢٠٥/١٠

(٢) انظر النجوم الزاهرة ٢٠٦، ٢٠٥/١٠

(٣) انظر النجوم الزاهرة ٢٠٦/١٠

وفي يوم الخميس خامس عشرة: قدم الأمير ببيغا روس من سجن الكرك، فركب الأمراء إلى لقاءه، وطلع إلى السلطان، فخلع عليه ونزل ببيغا روس إلى بيته، فلم يبق أحد من الأمراء حتى قدم له مقدمة تليق به^(١).

وفي يوم السبت سابع عشرة: ركب السلطان إلى الميدان، ومعه الأمير ببيغا روس، وعليه التشريف، وصحبته الأمراء. فلعب السلطان بالكرة، وعاد إلى القلعة آخر النهار.

وفي يوم الإثنين تاسع عشرة: خلع على الأمير ببيغا روس، واستقر في نيابة حلب عوضاً عن أرغون الكاملى. واستقر أرغون الكاملى في نيابة الشام، عوضاً عن أيتمش الناصرى وفيه خلع أيضاً على أمير أحمد الساقى شاد الشرايخاناة ونائب صفد، واستقر في نيابة حماة، عوضاً عن طنبرق. ورُسم طنبرق إلى حلب أمير طبلخاناه، ثم رسم أن يكون بطالا بدمشق^(٢).

وفيه خلع على الوزير علم الدين بن زنبور خلعة الاستمرار، وركب قدام المحمل بالزنارى في موكب عظيم. ولم يركب أحد من الوزراء قدام المحمل سوى ابن السلعوس، في أيام الأشرف خليل، وأمين الملك بن الغنام في أيام الناصر محمد، مرة واحدة.

وفيه أحيط بموجود ست حدق، ووكل بها. وكتب موجودها، وألزمت بمال كبير سوى موجودها، ثم أفرج عنها، ولم يؤخذ لها شيء.

وفي يوم الجمعة أول شعبان: خلع على محمد بن الكوراني بولاية مصر والصناعة، عوضاً عن بلاط.

وفي يوم الأحد ثالثه: سافر الأمير ببيغا روس إلى نيابة حلب، وأمير أحمد إلى نيابة حماة^(٣).

وفيه كتب باستقرار منجك في نيابة صفد، فسأل الإعفاء، وأن يقيم بجامعه بطالا؛ فأجيب إلى ذلك بسفارة الأمير شيخو. فاسترد أملاكه التي أنعم بها على المماليك والخذّام والجواري، ورّم ما تشعت من صهريجه، واستجدّ به خطبة، وولى زين الدين البسطامى في خطابته^(٤).

(١) انظر النجوم الزاهرة ٢٠٦/١٠

(٢) انظر النجوم الزاهرة ٢٠٦/١٠

(٣) انظر النجوم الزاهرة ٢٠٦/١٠

(٤) انظر النجوم الزاهرة ٢٠٦/١٠

وفيه خلع على عمر شاه، واستقر حاجب الحجاب، عوضاً عن النائب قبلاى (١).

وفيه أنعم على طشتمر القاسمى بتقدمة ألف، واستقرّ حاجبا ثانياً (٢).

وفيه أنعم على جماعة من المماليك السلطانية، بإمرات (٣).

وفى يوم الخميس سابعه: قدم أمير على الماردىنى، وأنعم عليه بتقدمة بيغرا.

وفيه أخرج أقجبا الحاجب الحموى، وطينال الجاشنكير، وملكتمر السعيدى،

وقطلوبغا أخو مغلطاى، وطشنيغا الدوادار، وفرقوا ببلاد الشام.

وفى يوم السبت تاسعه: وصل المجاهد صاحب اليمن من سجن الكرك، فخلع عليه

من الغد، ورسم له بالعود إلى بلاده من جهة عيذاب (٤)، فبعث إليه الأمراء تقادم

كثيرة، وتوجه.

وكانت أمه رجعت من مكة بعد مسكه، وأقامت فى مملكة اليمن ابنه الملك الصالح،

وكتبت إلى تجار الكارم توصيهم بانها المجاهد صاحب اليمن أن يقرضوه ما يحتاج إليه،

وختمت على ما لهم من أصناف المتجر بعدن وزيد وتعز (٥) فقدم قاصدها، وقد قبض

على المجاهد ثانياً، وسجن بالكرك (٦).

وفى يوم الإثنين ثانى عشره: وصل الأمير أيتمش الناصرى من الشام، فقبض عليه

من الغد (٧).

وفى يوم الجمعة ثانى عشره: خرج الأمير فارس الدين ألبكى، ومعه الأمير آينبك،

وأربعة أمراء طبلخاناه، صحبة الأمير أزدمر الأعمى الكاشف إلى الوجه القبلى، بسبب

نفاق العربان، فى تحمل كبير.

وفى مستهل شهر رمضان: قدم الشريف ثقبه، بعد ما قدم قوده وقود أخيه

(١) انظر النجوم الزاهرة ٢٠٦/١٠

(٢) انظر النجوم الزاهرة ٢٠٦/١٠

(٣) انظر النجوم الزاهرة ٢٠٦/١٠

(٤) عيذاب: مدينة فى أعلى الصحراء المنسوبة إليها فى ضفة البحر الملح، ومنها الجاز إلى حدة،

وعرضه بجرى يوم وليلة. انظر الروض المعطار ٤٢٣، ونزهة المشتاق ٤٩، وابن الوردى ٣٦.

(٥) تَغْرُ: بالفتح ثم الكسر، والزأى مشددة: قلعة عظيمة من قلاع اليمن المشهورات. انظر معجم

البلدان ٣٤/٢.

(٦) انظر النجوم الزاهرة ٢٠٧/١٠

(٧) انظر النجوم الزاهرة ٢٠٧/١٠

عجلان، فخلع عليه، واستقر في إمارة مكة بمفرده. أنعم عليه الأمير طاز بقرض ألف دينار، وأقرضه الأمير شيخو عشرة آلاف درهم. واقترض ثقبة من التجار مالا كثيراً، واشترى الخليل والسلاح والماليك، واستخدم عدة مماليك.

وفيه رسم بسفر الحسام لاجين العلائى مملوك آقبغا الجاشنكير وأستادار العلائى صحبة ثقبة؛ ليقلده بمكة.

وفيه رسم بإبطال رمى والبرسيم والشعير على أهل النواحي، ونقش المرسوم على رخامة بجانب باب القلة، وكتب بذلك إلى الولاية.

وفيه خلع على ابن الأطرش، وأعيد إلى حسيبة القاهرة ونظر المارستان، عوضاً عن الضياء، بعناية جماعة من الأمراء به؛ لكثرة مهاداته لهم.

وفيه أخرج أيدير الدوادار وعدة من المماليك إلى الشام.

وفيه قدم الخير بخروج عيسى بن حسن الهجان عن الطاعة، وامتنع بجماعته في الوادي.

وفي شوال: قدم كتاب الأمير أرغون الكاملى نائب الشام بالخط على قاضى القضاة تقي الدين السبكي^(١) وأنه حكم بنزع وقف من أصحابه وأعاد ملكاً، وطلب الأمير أرغون الكاملى أن يعقد لذلك مجلس فيه قضاة مصر وعلماؤها بين يدي السلطان.

وكان من خير ذلك أن أرغون لما ولى نيابة الشام خرج علاء الدين الفرع إلى لقائه قريب حلب، وأغراه بالسبكي، وقدم فيه وفي ولده بقوادح حتى غير خاطره. فلما لقيه السبكي لم يجد منه إقبالا، وبقي على ذلك إلى أن وقف جماعة بدار العدل يشكون من السبكي أن لهم وقفا من عهد أجدادهم، وأقطع للأجناد ثم استرجعوه منهم، وثبت وقفه على قاضى القضاة المالكي بدمشق، فانتزعه السبكي منهم، وسلّمه لمن كان قديما في يده بالملكية، وسألوا عقد مجلس. فلما اجتمع القضاة والفقهاء لذلك، قام الفرع وجماعة في العصية على السبكي، وشنعوا عليه. فأجاب السبكي بأنه «ثبت عندي أن يكون في يد مالكة، وقد حكم بذلك. وهأنأ، ومن ينازعي فيما حكمت؟»، فلم

(١) أحمد بن علي بن عبد الكافي - أبو حامد، بهاء الدين السبكي: فاضل له «عروس الأفراح، شرح تلخيص المفتاح» ولى قضاء الشام سنة ٧٦٢هـ فأقام عامًا، ثم ولى قضاء العسكر، وكثرت رحلاته، ومات مجاورًا بمكة. انظر البدر الطالع ٨١/١، الدرر الكامنة ٢١٠/١ الأعلام ١٧٦/١.

ينازعه أحد. فطلب الأمير أرغون الكاملى قضاة القضاة، فحضرُوا إلا عز الدين بن جماعة، فإنه تعذر حضوره. وقرئ عليهم كتاب النائب بحضرة الشيخ بهاء الدين أحمد ابن السبكي، فأظهر كتاب أبيه بصورة الواقعة، وهى أن أجداد الشكاة ادعوا الوقفية فى ضيعة كذا، فوقفها أبناءهم من بعدهم، ثم أقطعت بعد وفاتهم لجماعة من الجند. فادعى الشيخ تقي الدين البوسى^(١) لما قدم من بعلبك أنها ملكه ويده، وأنه ابتاعها من أهلها قبل وفاتهم، وأثبت كتاب مشتراه وتسلمها، وأن الشراء كان سنة اثنتين وثمانين وستمئة، وبقي إلى سنة أربع وتسعين. فأظهر قوم وقفها وأثبتوه، وتسلموها، فسمى البوسى فى سنة أربع وسبعمئة واستعاد الضيعة منهم، بعد منازعات عُقد فيها عدة مجالس. فأخذها تنكز منهم، ثم استردها البوسى، فلم يزل إلى هذا الوقت وقف أهل الوقف، وأثبتوه على قاضى المالكية جمال الدين المسلاتى. فأثبت الآخرون أن المسلاتى كانت بينه وبين البوسى عداوة لا يجوز معها أن يحكم عليه، وأخذوا الضيعة. فتحاكم الفريقان إلى السبكي، فحكم باستقرار يد الملاك، وأبقى كل ذى حجة على حجته. فتنازع ابن السبكي والتاج المناوى طويلا وانقضوا، وأخذ ابن السبكي خطوط جماعة من المفتين بصحة حكم أبيه. ثم اجتمعوا ثانيا، وحضر قاضى القضاة عز الدين بن جماعة، وانتدب للنظر فى ذلك بمفرده. فادعى قوام الدين أمير كاتب الخنفي فساد حكم السبكي، وتعصب عليه تعصبا زائدا. وذلك أنه لما قدم قوام الدين دمشق، وبها يلغا اليحياوى نائبا اختص به، وأخذ ينهاه عن رفع يديه فى الركوع، وأن هذا لا يجوز، وصلاته التى صلاحها كذلك باطلة يجب عليه إعادتها. فسأل يلغا ابن السبكي عن ذلك، فأنكر مقالة القوام.

واشتهر بين الأمراء والأجناد مقالة القوام، وكثرت القالة فيها. فطلب السبكي القوام ومنعه من الإفتاء، واقتضى رأى ابن جماعة النظر فى من شهد بالعداوة، وفيمن شهد بالوقفية، فكتب بذلك لنائب الشام.

وفيه ارتفع سعر اللحم، ووقف حال المعاملين بحيث أخذوا الأغنام من أربابها بغير ثمن. فأبطل الوزير المعاملين، واشترى الأغنام بالثمن الناض^(٢) وكانت عادة اللحم من أربعين درهما إلى خمسين درهما القنطار، وأكثر ما عهد بستين درهما القنطار. فبلغ فى هذه الأيام بتعريف الحسبة إلى مائة وأربعين، ومائة وخمسين درهما، وأبيع فى الحوانيت كل رطل بخمسة دراهم سوداء، عنها درهم وثلث درهم كاملة.

(١) نسبة إلى بوس وهى قرب صنعاء اليمن. انظر معجم البلدان ٧٥٨/١.

(٢) هى الدرهم والدينار. انظر محيط المحيط (نض).

وتعذر وجود الغنم، فكتب إلى البلاد الشامية بتجهيز التركمان بالأغنام، وحمل نحو الخمسمائة ألف درهم لشراء الأغنام. وكتب إلى ولاية الوجه القبلي والوجه البحري بحمل الأغنام، فحملت أغنام كثيرة من أعمال مصر. وقدم من الشام نحو العشرين ألف رأس، فانحط سعر اللحم.

وفي خامس عشرة: سار محمل الحاج، صحبة الأمير طيغنا المجدى. وقدم الحج عالم كثير من أهل الصعيد والقيوم والوجه البحري، وقدم من أهل المغرب جماعة كثيرة، وقدم التكرور ومعهم رقيق كثير، وفيهم ملكهم. فسأل ملكهم الإعفاء من الدخول على السلطان، فأعفى، وسار بقومه إلى الحج، مستهل ذي القعدة.

وفيه قدم البريد بقتل نجمة الكردي بحيلة عملها عليه صاحب ماردين حتى قدم عليه، فتلقاه وأكرمه، ثم قبض عليه، وضرب عنقه بيده، وقتل من معه.

وفيه قدم الخير بأن الأمير أزدمر الأعمى الكاشف رتب من معه من الأمراء فى عدة مواضع، وركب معه الأمير آينبك ليلا، وصاح العربان من عرك صباحا، وقتل منهم جماعة، وامتنع باقيهم بالجبل. فعاد الأمير أزدمر وطلب بنى هلال أعداء عرك، فأتاه منهم ومن غيرهم خلق كثير. وكتب الأمير أزدمر لأولاد الكنز بمسك الطرقات على عرك، وركب معه الأمير فارس الدين والأمراء، وأسندم المتولى الإطفيحية، إلى الجبل؛ وقد لقيه الأحذب فى حشد كبير، فلم يثبت الأحذب وانهزم من رمى الشباب، وترك أثقاله وحريره. ونادى الأمير أزدمر. «يا بنى هلال دونكم أعداءكم»، فمالوا عليهم يقتلون، وينهبون للمواشى والغلال والدقيق والقرب والروايا، وسلبوا الحرير، حتى امتلأت أيدي بنى هلال وأيدى الأجناد والغلمان من النهب. وكتب بذلك إلى السلطان، وأن البلاد قد خضرت أراضيها، وأطاع عربانها العصاة، وتوطن أهلها. فسر السلطان والأمراء بذلك، وحمل إلى كل من الكاشف والأمراء خلعة.

وفيه ألزمت ست حدق ألا تجتمع بأحد، فإنها كانت من جملة أنصار الناصر حسن. وفيه ضيق على الناصر حسن، وسُدَّت عنه أماكن كثيرة كان ينظر منها ويحدّث من يريد؛ واحتفظ به احتفاظًا زائدًا.

وفيه توجه السلطان والأمراء إلى السرحة قريبًا من الأهرام. وفى أول ذى الحجة قدم عيسى بن حسن الهجان طائعًا بأمان، فخلع عليه. وفيه ارتفع سعر القمح من عشرين إلى سبعة وثلاثين درهما الأردب؛ وانحطَّ سعر اللحم، فأبيع بدرهم الرطل.

وفيه قدم كتاب الأمير أرغون الكاملى نائب الشام يطلب الإعفاء من النيابة.
وفي هذه السنة: استقرّ فى قضاء المالكية بحلب زين الدين عمر بن سعيد بن يحيى التلمسانى، عوضاً عن الشهاب أحمد بن ياسين الرياحى. واستقرّ فى قضاء الحنفية بها جمال الدين إبراهيم بن ناصر الدين محمد بن الكمال عمر بن العز عبد العزيز بن العديم، بعد وفاة أبيه. واستقرّ فى كتابة السرّ بحلب جمال الدين إبراهيم بن الشهاب محمود، عوضاً عن الشريف شهاب الدين بن قاضى العسكر؛ وقدم الشريف إلى القاهرة.

* * *

ومات فيها من الأعيان

قطب الدين أبو بكر بن محمد بن مكرم، كاتب الإنشاء، فى أواخر شعبان، عن اثنتين وثمانين سنة وأشهر؛ وكان كثير العبادة.

وتوفى الشريف أذى صاحب المدينة النبوية، فى السجن.

ومات الأمير طشبيغا الدوادار، بدمشق؛ وكان فاضلاً ديناً.

وتوفى قاضى الحنفية بحلب ناصر الدين محمد بن عبد العزيز بن محمد بن أبى الحسن ابن أحمد بن هبة الله بن محمد بن هبة الله بن أحمد بن يحيى بن أبى جرادة المعروف بابن العديم، عن ثلاث وستين سنة، منها فى قضاء حماة عشر سنين، وفى قضاء حلب اثنتان وثلاثون سنة.

وتوفى تاج محمد بن إبراهيم بن يوسف بن حامد المراكشى الفقيه الشافعى، بدمشق، فى يوم الأحد ثالث عشرى جمادى الآخرة عن اثنتين وخمسين سنة؛ نشأ بالقاهرة، واستوطن بدمشق.

ومات الأمير ناصر الدين محمد بن الأمير بيبرس الأحمدي أحد الطبلخاناه، وهو مجرد بالصعيد. فحمل ميتاً إلى القاهرة، وقدم فى يوم الإثنين ثانى عشرى رمضان.
ومات علاء الدين على بن محمد بن مقاتل الحرانى، ناظر الشام، فى عاشر رمضان بالقدس.

وتوفى شمس الدين محمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن محمد بن محمد بن خالد بن محمد بن نصر المعروف بابن القيسرانى ^(١) موقع الدست، وصاحب المدرسة بسويقة صاحب من القاهرة، وبها قبره.

ومات الشيخ ابن بذلك ^(٢) فى يوم الأحد سابع عشرى شوال.

(١) انظر النجوم الزاهرة ١٠/٢٢٦.

(٢) انظر النجوم الزاهرة ١٠/٢٢٦.

السلوك لمعرفة دول الملوك ١٥١

ومات تاج الدين محمد بن أحمد بن الكويك، فى داره ليلة السبت سادس عشرى
ذى الحجة، ذبحه الحرامية.

ومات آقبغا والى المحلة، يوم الخميس تاسع عشرى ذى الحجة.

ومات ملك المغرب أبو الحسن على بن أبى سعيد عثمان بن يعقوب بن عبد الحق
ابن محيو بن أبى بكر بن حمامة، فى ثالث عشرى ربيع الآخر. وقام بعده ابنه أبو عنان
فارس، وكانت مدته إحدى وعشرين سنة.

* * *

سنة ثلاث وخمسين وسبعماية

في أول المحرم: قدم مبشرو الحاج، وأخبروا أن الشريف ثقبه لما نزل بطن مرّ، وتقدم إلى مكة متسفر الحاج حسام الدين لاجين، وعرف الشريف عجلان بانفراد أخيه ثقبه بالإمرة، امتنع الشريف عجلان من تسليمه مكة. وعاد حسام الدين إلى ثقبه، فأقاما حتى قدم الحاج صحبة الأمير طبيغا المجدى. فتلقاه ثقبه، وطلب منه أن يجارب معه عجلان، فلم يوافق على محاربتة، فأسمعه ما لا يليق، وهدهد أنه لا يمكن الحاج من دخول مكة. وقام ثقبه عنه وقد اشتد غضبه، وألبس من معه من العربان وغيرهم السلاح. فاجتمع أمير الركب، وقاضى القضاة عز الدين بن جماعة - وكان قد توجه صحبة الركب للحج - واتفقا على إرسال الحسام إلى عجلان ومعه ابن جماعة. فجرت لهم معه منازعات، آخرها أن تكون الإمرة شركة بينه وبين أخيه ثقبه. وعادا إلى بطن مرّ، وقرّرا ذلك مع ثقبه حتى رضى، وساروا جميعاً إلى مكة. فتلقاهم عجلان على العادة، وأنصف ثقبه، وأنعم عليه بسبعين ألف درهم. وكانت الوقفة بعرفة يوم الجمعة، وجاور قاضى القضاة عز الدين بن جماعة. ولقى الحاج من عبيد مكة شرا كثيراً.

وفيه قدم الخير أن المجاهد قدم إلى تعز فى ثامن عشرى ذى الحجة الماضية، واستولى على ملكه. وكانت أمه قد ضبطت البلاد فى غيبته، وأنفقت عند قدومها مائة ألف دينار للشريف الزيدى صاحب صنعاء، ولأهل الجبال ولأكابر المملكة، حتى أقامت ابن المجاهد، واسمه الصالح. ثم قبضت عليه، وساست الأمور، ووفت ما اقترضه المجاهد من التجار بمصر.

وفيه قدم الأمير أزدمر الأعمى الكاشف والأمراء من بلاد الصعيد، فركب الأحذب وكبس ناحية طما على بنى هلال، وقتل منهم جماعة، ونهب ما وجد. فتوجه إليهم الأمير بلبان السنانى الأستاذار بمضاهيه، والأمير قمارى الحموى الحاجب، وعدة من أولاد الأمراء فى مستهل صفر؛ ليقيموا حتى يتم قبض المغل.

وفيه استقرّ ابن عقيل فى ولاية البهنسى، واستقرّ بييغا الشمسى فى ولاية إطفيج. وكانتا مع أسندمر مملوك أزدمر الأعمى الكاشف، فعادت العربان بعد عزل أسندمر إلى ما كانت عليه من الفساد.

وفي يوم الخميس حادى عشر ربيع الأول: قدم الأمير أيتمش الناصرى من سجن الإسكندرية، وخرج من القاهرة فى يوم السبت ثالث عشره إلى صفد بطالا.

وفي حادى عشره: نفى الأمير قردم أمير آخور إلى صفد، ثم أنعم عليه بإقطاع يلك الحسنى الأرغونى الحاجب، وأن يحضر يلك إلى مصر، فلما حضر يلك هذا - ويعرف بيلىك الشحنة - أنعم عليه بإقطاع قردم. وفيه استقر يلك الحسنى الأرغونى الحاجب أمير آخور، عوضا عن قردم على إقطاعه، وهو حاجب.

وفي يوم الخميس رابع عشره: أخرج الأمير ألتنبغا العلائى شاد الشرايخاناه، إلى حلب.

وفي هذا الشهر: شرع الأمير طاز فى عمارة قصر وإسطبل تجاه حمام الفارقانى، بجوار المدرسة البندقارية، وأدخل فيه عدة أملاك. وتولى عمارته الأمير منجك، وحمل إليها الأمراء وغيرهم من الرخام وآلات العمارة شيئا كثيرا.

وفيه ابتداء الأمير صرغتمش عمارة إسطبل الأمير بدرجك، بجوار بئر الوطاويط، قريبا من الجامع الطولونى، وأدخل فيه عدة دور، وحمل إليه الناس ما يحتاج إليه من الرخام وغيره.

وفيه عوفى الأمير قبلای النائب، وركب الموكب. وكان منذ استقر فى النيابة مريضا بوجع المفاصل، لم يركب فرسا، وإنما يجلس فى شباك النيابة للحكم بين الناس. ومشت فى ولايته المقايضات والنزولات عن الإقطاعات، فزاد فساد الأجناد بكثرة دخول أرباب الصنائع فيهم. وفحش ذلك حتى نزل مقدمو الحلقة عن التقدمة، وقام جماعة نحو الثلاثمائة رجل عرفوا بالمهيسين^(١) على الإقطاعات، وصاروا يطوفون على الأجناد، ويبدلون لهم الرغبات فى النزول عن إقطاعاتهم.

وفيه خلع على الأمير صرغتمش، واستقر رأس نوبة كبير، فى رتبة الأمير شيخو باختياره. وجعل إليه التصرف فى أمور الدولة كلها من الولاية والعزل والحكم، ما عدا مال الخاص، فإن الأمير شيخو متحدث فيه، وما عدا أمور الوزارة. فقصده الناس، وكثرت مهابته، وعارض الأمراء فى جميع أفعالهم. وأراد صرغتمش ألا يعمل شىء إلا

(١) يدوا أنها مأخوذة من اللفظ هيس هيس التى تستخدم عند الإغراء بشىء من الأشياء انظر محيط المحيط.

من بابه وبإشارته، فإن تحدّث غيره فى عزل أو ولاية غضب، وأبطل ما تحدّث فيه، وأحرق بصاحبه.

وفيه اجتمع الأمراء على استبداد السلطان بالتصرف، وأن يكون ما يرسم به على لسان الأمير صرغتمش رأس نوبة.

وفيه قدم الخير من مكة بأن الأسعار بها غلت حتى بلغ الأردب القمح ثلاثمائة درهم، والشعير مائتى درهم، والراوية الماء بأربعة دراهم مسعودية (١) فأغاثهم الله تعالى فى أول يوم من المحرم بمطر استمر ثلاثة أيام، فأنحل السعر، وأبيع الأردب القمح بمائة وخمسين درهما، والراوية الماء بنصف وربع مسعودى؛ لجريان ماء عين جوبان.

وفيه قدم الخير بنفاق عرب الصعيد ونهبهم سقط ميدان وقتل أهلها، ونهب بلاد سودى بن مانع، وأن أهل منفلوط رجحوا الوالى. فالزم الأمير أزدمر الأعمى الكاشف بالخروج إليهم، وأنعم عليه بألف أردب شعير وأربعين ألف درهم، قبضها وسافر.

وفيه قدم الخير أن طائفة الزيلع (٢) كانت عادتهم حمل قطيعة فى كل سنة إلى ملك الحبشة، من تقادم السنين. فقام فيها عبّد صالح ومنعهم من الحمل، وشنع عليهم إعطاءهم الجزية وهم مسلمون لنصرانى، وردّ رسول ملك الحبشة. فشقّ ذلك على ملك الحبشة، وخرج بعساكره ليقتل الزيلع عن آخرهم. فلما صار على يوم منهم قام العبد الصالح تلك الليلة يسأل الله تعالى كفاية أمر الحبشى، فاستجاب دعاءه. وعندما ركب ملك الحبشة بكرة النهار أظلم الجو - حتى كاد الرجل لا يرى صاحبه - مقدار ساعة، ثم انقشع الظلام، وأمطرت السماء عليهم ماء متغير اللون بمحمة، وأعقبه رمل أحمر امتلأت منه أعينهم ووجوههم، ونزل من بعده حيات كبيرة جداً، فقتلت منهم عالماً كثيراً. فعاد بقيتهم من حيث أتوا، وهلك فى عودهم معظمهم دوابهم، وكثير منهم.

وفيه تزايد تسلط الأمير صرغتمش رأس نوبة، وكثر ترفعه. فتنكر له الأمراء، وكثرت الأراجيف بوقوع الفتنة بينهم، وإعادة الناصر حسن، ومسك شيخو وطاز، وانفرد صرغتمش بالكلمة فقلق طاز - وكان حادّ الخلق - وهم بالركوب، فمنعه

(١) يطلقها أهل مكة على نوع جيد من العسل، وهو هنا مجازى فى حق الدرهم.

(٢) زَيْلَعُ: - أو زالع - مدينة على ساحل البحر الحبشى المالح المتصل بالقلمز، ومن زيلع إلى ساحل البحر ثلاث مجار مقدرة الجرى، وهى صغيرة القطر كثيرة الناس. انظر معجم البلدان ١٦٤/٣، والروض العطار ٢٨٢، والإدريسى ٢٥، وتقويم البلدان ١٦٠، وابن الوردى ٣٧.

شيخو؛ فاحتز طاز. وشيخو. وأخذ صرغتمش فى التبرئ مما رمى به، وحلف للأمير شيخو والأمير طاز، فلم يصدقه طاز وهم به. فقام شيخو قيامًا كبيرًا حتى أصلح بينهما، وأشار على طاز بالركوب إلى عمارة صرغتمش، فركب إليه وتصافيا.

وفيه خلع على جرجى الدوادار، واستقر حاجبًا، عوضًا عن طشتمر القاسمى باستعفائه.

وفيه ركب الأمير شروط البريد؛ لطلب جمال وهجن للسلطان من الأمير فياض بن مهنا، فإن جمال السلطان قلت، بحيث أنه لما خرج إلى السرحة اكترى له جمالا كثيرة لحمل ثقله، ومنع أمير آخور الكتاب والموقعين وغيرهم مما جرت به عادتهم من حمل أثقالهم على جمال السلطان.

وفيه قدم الخير بفتنة الفرنج الجنوية والبنادقة، وكثرة الحروب بينهم، من أول المحرم إلى آخر ربيع الآخر. فقل الواصل من بلاد الفرنج، إلى الإسكندرية، وعز وجود الخشب، وغلا وتعذر وجود الرصاص والقصدير والزعفران. وبلغ المن بعد مائتى درهم إلى خمسمائة، ولم يعهد مثل ذلك فيما سلف. ثم قدم الخير بأن البنادقة انتصرت على الجنوية، وأخذت لهم واحداً وثلاثين غراباً بعد قتل من بها.

وفيه قدم الشيخ أحمد الزرعى من الشام، فبالغ الأمير شيخو والأمير طاز فى إكرامه.

وفيه قدمت رسل الأشرف دمرداش بن جوبان صاحب تورييز بكتابه، يخبر أنه قد حسن إسلامه هو وأخوته وأقاربه، والتزم سيرة العدل فى رعيتيه، وترك ظلمهم. وشكا الأشرف دمرداش من كثرة الاختلاف بينهم حتى هلك رعيتيه، وطلب أن يعث إليه بمن نزع عن بلاده من التجار، وكتب إليهم أمانا، وأن أرتنا نائب الروم قد أفسد بلاده، ومنع التجار أن تسير إليهم، وطلب ألا يدخل السلطان بينهما. وكان قد قدم إلى مصر والشام فى هذه السنة وما قبلها كثير من تجار العجم؛ لسوء سيرة الولاة فيهم، فعرض عليهم أمان الأشرف دمرداش، فلم يوافقوا على العود إلى بلاده.

وفيه رسم للأمير جرجى الحاجب أن يتحدّث فى أمر أرباب الديوان، ويفصلهم من غرمائهم بأحكام السياسة ولم يكن عادة الحجاب فيما تقدم أن يحكموا فى الأمور الشرعية، فاستمر ذلك فيما بعد. وكان سبب ذلك وقوف تجار العجم بدار العدل، وذكروا أنهم لم يخرجوا من بلادهم إلا لما نزل بهم من جور التتار، وأنهم باعوا بضائعهم لعدة من تجار القاهرة، فأكلوها عليهم، وأرادوا إثبات إعسارهم على القاضى الحنفى، وهم فى سجنه، وقد فلس بعضهم. فرُسم لجرجى بإخراج غرماء التجار من

السجن، وخلصهم مما فى قبلهم، وأنكر على القاضى الحنفى ما عمله، ومُنِع من التحدث فى أمر التجار والمديونين. فأخرج جرجى التجار من السجن، وأحضر لهم أعوان الوالى، وضربهم، وخلصَ منهم المال شيئًا بعد شيء ومن حيثئذ صارت الحجاب بالقاهرة وبلاد الشام تتصدى للحكم بين الناس، فيما كان من شأن القضاة الحكم فيه.

وفيه ركب عرب إطفيح على ببيغا الشمسى، ونهبوا ما معه وهزموه، وخرجوا عن الطاعة، فجرد إليهم طائفة من الأمراء.

وفى هذه السنة: رتب الأمير شيخو فى كل ليلة جمعة وقتا يجتمع عنده فيه الفقهاء للمذاكرة، ويقوم الشيخ على بن الركيدار المادح، فينشد من مدائح الصرصرى ونحوه ما يطربهم، وينصرفون بعد أكلهم.

وفيه كثرت الإشاعة بمدينة حلب أن الأمير ببيغا روس نائبها يريد الفرار منها إلى بلاد العدو حتى ساءه ذلك، وقبض على عدة من العامة سمرهم وشهرهم، ثم أفرج عنهم.

وفىها رتب الأمير شيخو فى الجامع (١) الذى أنشأه للشيخ أكمل الدين محمد الرومى الحنفى مدرسا وشيخ صوفية، وقرّر له فى كل شهر أربعمائة درهم، وجعل عنده عشرين فقيها(٢). وجعل خطيبه جمال الدين خليل بن عثمان الزولى، ونقله من مذهب الشافعى إلى مذهب الحنفى. وجعل به درسا للمالكية أيضًا، وولى تدريبه نور الدين السخاوى، وقرر له ثلاثمائة درهم فى كل شهر. ورتب به قراء ومؤذنين، وغير ذلك من أرباب الوظائف، وقرر لهم معاليم بلغت جملتها فى الشهر ثلاثة آلاف درهم.

وفيه قدم الشريف طفيل بن أدى من المدينة النبوية، يطلب تركة سعد فى الإمارة.

وفيه قدم صدر الدين سليمان بن محمد بن قاضى القضاة صدر الدين سليمان بن عبد الحق، فخلع عليه، واستقر فى توقيع الدست.

وفى عاشر جمادى الآخرة: خلع على الأمير شيخو، وأعيد رأس نوبة، عوضا عن صرغتمش. فعند لبسه التشريف قدم البشير بولادة بعض سراريه ولدا ذكرا، فسرّ به سرورا زائدا؛ لأنه لم يكن له ذكر(٣).

(١) وهو جامع شيخون انظر عنه المواعظ الاعتبار ٣١٣/٢.

(٢) انظر النجوم الزاهرة ٢٠٩/١٠.

(٣) انظر النجوم الزاهرة ٢٠٩/١٠.

وهنا الأدياء بعدة قصائد، منها أبيات فخر الدين عبد الوهاب كاتب الدرج، قال:

| | |
|--------------------------|--------------------------|
| بأيمن ساعةٍ قديم الوليد | تحفُّ به النجابة والسعود |
| مبارك غرة ميمون وجهه | فيوم وروده بشرى وعيد |
| لقد كادت سروج الخيل تأتي | إليه قبل أن تأتي المهود |
| هلالٌ سوف تستجليه بدرًا | تماما يستنير به الوجود |
| وشبلٌ سوف ييئذو وهو ليثٌ | تروع من بسالته الأسود |
| وزهر عن قريب منه تجنى | ثمار كلِّها كرم وجودٌ |
| وفجر سوف يظهر منه صبح | وجوهرة تزان بها العقود |
| وأبناء الكرام هم الكرام | كذلك فرعك الزاكى يسود |
| أيام من نفعه عم البرايا | ويا من سعيه سعى حميد |
| ومن للملك منه أجل ذخر | إلى أبوابه يأوى الطريد |
| ومن لولاه لم تسكن خطوب | ولم تكتم مواضيها الغمود |
| ومن قد شد للإسلام أزرا | وأيدته وإن رغم الحسود |
| لقد وأفاك مولود كريم | يسرك فيه ذو العرش المجيد |

وفي هذا اليوم: قدم البريد من صفد بأن في يوم الجمعة سلخ جمادى الأولى ظهر بقرية حطين، من عمل صفد، شخص ادعى أنه السلطان أبو بكر المنصور ابن السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون، ومعه جماعة تقدير عشرة أنفار فلاحين. فبلغ ذلك الأمير علاء الدين الطنبغا برناق نائب صفد، فجهز إليه دوااره شهاب الدين أحمد، وناصر الدين محمد بن البتخاصى الحاجب، فأحضره. فجمع له النائب الناس والحكام، فادعى أنه كان في قوص، وأن واليها عبد المؤمن لم يقتله، وأنه أطلقه، وركب في البحر، ووصل إلى قطيا، وبقي مختفيا في بلاد غزة إلى الآن، وأن له دادة مقيمة في غزة، عندها النمجة والقبة والطير فقال النائب: «إذا كنت في تلك الأيام جاشنكيرا، وكنت أمد السماط بكرة وعشيا، وما أعرفك؟». فأقام مصرا على حاله، وانفسدت له عقول جماعة، وما شكوا في ذلك. فكشف أمره من غزة، فوجدت المرأة التي ذكر أنها دادته، واعترفت أنها أمه، وأنه يعتريه جنون منذ سنين في كل سنة مرتين وثلاثا. وذكر أهل غزة أنه يعرف بأبي بكر بن الرماح، وله سيرة قبيحة، وأنه ضرب غير مرة بالمقارع. فكتب بحمله، فحشبه نائب صفد في يديه ورجليه، وجعل الحديد في عنقه، وحمله إلى السلطان. فقدم قلعة الجبل في يوم الثلاثاء ثامن عشره، فسئل بحضرة الأمراء، فخلط في كلامه، وهذى هذيانا كثيرا. ثم قدم بين يدي السلطان، فتكلم بما سولت له

نفسه. فسمّر في يوم الخميس عشريه تسمير سلامة، وشهّر بالقاهرة ومصر. فكان في تلك الحالة يتحدث أنه كان سلطاناً، ويقول: «اشفقوا على سلطانكم، فعن قليل أعود إليكم». فاجتمع حوله عالم كثير، وأتوه بالشراب والحلوى، وحادثوه. فكان إذا أتى إليه أحد بالماء حتى يشربه يقول له: «اشرب ششني». وإذا رأى أميراً قال: «هذا ملوكي ومملوك أبي». ويقول: «لى أسوة بأخي الناصر أحمد، وأخي الكامل شعبان وأخي المظفر حاجي^(١) الكل قتلوهم». وأقام على الخشب يومين، ثم حبس في ثالثه، فاستمر في الحبس على حاله، فقطع لسانه.

وفيه ادعى شخص بالقاهرة النبوة، وأن معجزته أن ينكح امرأة فتلد من وقتها ولدًا ذكرًا يخير بصحة نبوته. فقيل له: «إنك لبئس النبي». فقال: «لكونكم لبئس الأمة». فسُجن، وكشف عن أمر؛ فوجد له اثنا عشر يومًا منذ خرج من عند المرورين بالمارستان، وأنه أخذ غير مرّة وهو مجنون، فعمل عند المرورين^(٢).

وفي يوم الإثنين رابع عشريه: سمر ابن مغني، ومعه جماعة قبض عليهم الأمير مجد الدين بن موسى الهذباني الكاشف، من معدية زفتية.

وفي مستهل رجب: قدم الأمير أزدمر الأعمى الكاشف، وقد كمل تحضير أراضي الوجه القبلي، واطمأن أهله. وطلب أزدمر الإغفاء من كشف الوجه القبلي، فخلع عليه واستقر في كشف الوجه البحري، عوضًا عن مجد الدين بن موسى الهذباني.

وفيه قدم كتاب الملك المجاهد علي من اليمن بوصوله إلى بلاده، وأنه جهز تقدمته، وأوفى التجار أموالهم التي اقترضها، وأنه أطلق مراكب التجار لتسير، إلا أنه منعها أن ترسى بجدة وتعبير إلى مكة كراهة في أمرائها.

وفي يوم الأربعاء عاشر رجب: قدم كتاب الأمير أرغون الكاملى نائب الشام، يتضمن أنه قبض على قاصد الأمير منجك الوزير، بكتابه إلى أخيه الأمير بييغا روس نائب حلب، يحسن له الحركة. وقد أرسله الأمير أرغون الكاملى، فإذا فيه أنه قد اتفق مع سائر الأمراء على الأمر، «وما بقى إلا أن تتركب وتتحرك». فاقضى الرأي التآنى حتى يحضر الأمراء والنائب من الغد إلى الخدمة، ويقرأ الكتاب عليهم، ليدبروا الأمر على ما يقع عليه الاتفاق.

(١) انظر الأحداث التي شارك فيها السلوك ٢/٥٤٦، ٦٣٠، ٧١٠، ٧١٣، ٧١٤، ٧١٦،

٧٣٥، ٧٣١، ٧٤٤، ٧٤٥، ٧٤٧، ٧٥٤، ٧٥٧، ٧٥٨، ٧٦١، ٧٦٢، ٧٩٤، ٨٤٠.

(٢) انظر النجوم الزاهرة ١٠/٢٠٩

فلما طلع الجماعة من الغد إلى الخدمة لم يحضر منجك، فطلب فلم يوجد، وذكر أتباعه أنه من عشاء الآخرة لم يعرفوا خيره. فركب الأمير صرغتمش في عدة من الأمراء، وكبس بيوت جماعة، فلم يوقف له على خير. وافتقدوا مماليكه، ففقد منهم اثنان. فنودى عليه في القاهرة، وهدد من أخفاه. وأخرج عيسى بن حسن الهجان في جماعته من عرب العايد على النجب لأخذ الطرقات عليه، وكتب إلى العريان ونواب الشام وولاية الأعمال على أجنحة الطيور بتحصيله، فلم يقدر عليه، فكبست بيوت كثيرة. وكان قد خرج في يوم الخميس حادى عشره الأمير فارس الدين البكى بألفه، والأمير طشتمر القاسمى بألفه إلى غزة، فأحر أمرهم^(١).

وفي يوم الأربعاء رابع عشره: قدم البريد من دمشق بعصيان الأمير ببيغا روس نائب حلب، واتفاقه مع الأمير أحمد الساقى نائب حماة، والأمير بكلمش نائب طرابلس^(٢). فجرد في يوم السبت سابع عشره جماعة من الأمراء وأجناد الحلقة إلى الصعيد، منهم عمر شاه الحاجب، وقمارى الحاجب، ومحمد بن بكتمر الحاجب، وشعبان قريب يلبغا. وكتب لبييغا روس نائب حلب بالحضور إلى مصر، على يد سنقر وطيدمر من ممالك الحاج أرقطاي وكتب معهما ملطفات لأمرء حلب تتضمن أنه إن امتنع عن الحضور فهو معزول، ورسم لهما أن يُعلما ببيغا بذلك أيضًا مشافهة بحضرة الأمراء^(٣).

فقدم البريد من دمشق بموافقة ابن دلغادر لبييغا روس، وأنه تسلطن بحلب، وتلقب بالملك العادل، وأظهر أنه يريد مصر لأخذ غرمائه، وهم طاز وشيخو وصرغتمش وبزلار وأرغون الكاملى نائب الشام. فرسم للنائب ببيغا ططر حارس الطير بعرض مقدمى الحلقة، وتعيين مضافيهم من عيرة أربعمائة دينار الإقطاع فما فوقها؛ ليسافروا. فقدم البريد بأن قراجا بن دلغادر قدم حلب في جمع كبير من التركمان، فركب ببيغا روس وقد واعد نائب حماة ونائب طرابلس على مسيرة أول شعبان، وأنهم تلقوه بعساكرهم على الدستن^(٤).

فركب الأمير أرقطاي الدوادر الكبير البريد بمطلفات لجميع أمراء حلب وحماة ونائب طرابلس، فقدم دمشق وبعث بالمطلفات لأصحابها، فوجد أمر ببيغا روس قد

(١) انظر النجوم الزاهرة ٢١٠/١٠.

(٢) انظر النجوم الزاهرة ٢١٠/١٠.

(٣) انظر النجوم الزاهرة ٢١٠/١٠.

(٤) بلدة قديمة بين حمص وحماة على نهر العاصى.

قوى، ووافقه النواب والعساكر وابن دلقادر تركمانه وكسابته، وجبار بن مهنا بعربانه فكتب الأمير أرغون الكاملى نائب الشام بأن سفر السلطان لابد منه، «وإلا خرج عنكم الشام جميعه». فاتفق رأى الأمراء على ذلك، وطلب الوزير علم الدين عبد الله ابن زيبور، ورسم له بتهيئة بيوت السلطان وتجهيزه الإقامة فى المنازل، فذكر أنه ما عنده مال لذلك، فرسم له بقرض ما يحتاج إليه من التجار، فطلب الكارم وباعهم غللا من الأهراء بالسعر الحاضر، وعدة أصناف أخرى، وكتب إلى مغلطاي بالإسكندرية بقرض أربعمئة ألف درهم، فأجاب إليها. وأخذ من ابن منكلى بغا ستمائة ألف درهم، وأنعم عليه بإمرة طبلخاناه. وأخذ من الأمير بييغا ططر حارس الطير النائب مائة ألف درهم قرضًا، ومن الأمير بلبان السنانى أستاذار مائة ألف درهم. فلم يمض أسبوع حتى جهز الوزير جميع ما يحتاج إليه، وحمل الشعير إلى العريش، وحمل فى الخزانة أربعمئة تشرىف، منها خمسون أطلس بجواص ذهب^(١).

وخرج الأمير طاز فى يوم الخميس ثالث شعبان، ومعه الأمير بزلار، والأمير كلتاي أخو طاز، وفارس الدين البكى ثم خرج الأمير طييغا الجدى وابن أرغون النائب، فى يوم السبت خامسه.

وخرج الأمير شيخو فى يوم الأحد سادسه فى تحمل عظيم، فبينما الناس فى التفريح على طلبه إذ قيل قبض على منجك. وسبب ذلك أن الأمير طاز رحل فى يوم السبت، فلما وصل بلبيس قيل له إن رجلا من بعض أصحاب منجك صحبة شاروشى مملوك قوصون، فطلبهما طاز، وفحص عن أمرهما، فرأى به بعض شىء فأمر بالرجل ففتش، فإذا معه كتاب منجك لبييغا روس تضمن أنه قد فعل كل ما يختاره، وجهز أمره مع الأمراء كلهم، وأنه أخفى نفسه، وأقام عند شاورشى أياما، ثم خرج من عنده إلى بيت الحسام القصرى أستاذاره، وهو مقيم حتى يكشف خبره، وهو يستحثه على الخروج من حلب. فبعث الأمير طاز بالكتاب إلى الأمير شيخو، فوافى والأطلاب خارجة. فطلب الأمير شيخو الحسام القصرى^(٢)، وسأله فأنكر، فأخذ الأمير صرغتمش وعاقبه، ثم ركب إلى بيته بجوار الجامع الأزهر وهجمه، فإذا منجك ومملوكه، فأركبه مكتوف اليدين إلى القلعة؛ فسفر إلى الإسكندرية.

وفى يوم الإثنين سابعه: ركب السلطان إلى الريدانية، وجعل الأمير قبلاى نائب الغيبة ورتب أمير على الماردىنى فى القلعة، ومعه الأمير كشلى السلاح دار؛ ليقىما

(١) انظر النجوم الزاهرة ١٠/٢١٠، ٢١١.

(٢) فى النجوم «الحسام القصرى» ١٠/٢١٢.

داخل القلعة، ويكون على باب القلعة الأمير أرغال^(١) والأمير قطلوبغا الذهبى، ورُتب الأمير مجد الدين موسى الهذباني مع والى القاهرة لحفظها. واستقل السلطان بالمسير من الريدانية يوم الثلاثاء ثامن شعبان بعد الظهر، فقدم البريد بأن الأمير طقطاي الدوادار خرج من دمشق يريد مصر، وأن الأمير أرغون الكاملى نائب الشام لما بلغه خروج بييغا روس من حلب فى ثالث عشر رجب، ومعه قراجا بن دلغادر وجبار بن مهنا، وقد نزل بكلمش نائب طرابلس وأمير أحمد نائب حماه على الرستن فى انتظاره، عزم أرغون كذلك على لقائه. فبلغه مخامرة أكابر أمراء دمشق عليه، فاحترس على نفسه، وصار يجلس بالميدان وهو لابس آلة الحرب. ثم اقتضى رأى أمير مسعود بن خطير أن النائب لا يلقى القوم، وأنه ينادى بالعرض للنفقة فى منزلة الكسوة، ويركب إليها، فإذا خرج العسكر إليه بمنزلة الكسوة منهم من عبور دمشق، وسار بهم إلى الرملة فى انتظار قدوم السلطان. ففعل أرغون ذلك، وأنه مقيم على الرملة بعسكر دمشق، فإن أظنبا برناق نائب صند سار إلى بييغا روس فى طاعته، وأن بييغاروس وصل إلى حماه، واجتمع مع نائبها أحمد، وبكلمش نائب طرابلس، وسار بهم إلى حمص، فلقية مملوك أرقطاي بكتاب السلطان ليحضر، فقبض عليهما وقيدهما، وسار يريد دمشق، فبلغه مسير السلطان بعساكره، واشتهر ذلك فى عسكره، وأنه قد عُزل من نيابة حلب، فانحلت عزائم كثير ممن معه، وأخذ فى الاحتفاظ بهم والتحرز منهم، إلى أن قدم دمشق يوم الخميس خامس رجب، فإذا أبواب المدينة مغلقة والقلعة محصنة. فبعث بييغا روس إلى الأمير أياجى نائب القلعة يأمره بالإفراج عن الأمير وقردم، وأن يفتح أبواب المدينة. ففتح أياجى أبواب دمشق، ولم يفرح عن قردم. فركب أمير أحمد نائب حماة وبكلمش نائب طرابلس من الغد، ليعبرا على الضياع، فواقى نجاب بخير مسك منجك، ومسير السلطان من خارج القاهرة. وعاد أحمد وبكلمش فى يوم الإثنين رابع عشره، وقد نزل الأمير طاز بمن معه المزيرب فارتج عسكر بييغا روس، وتواعد فراجا بن دلغادر وجبار ابن مهنا على الرحيل، فما غربت الشمس يومئذ إلا وقد خرجا بأثقالهما وأصحابهما، وسارا فركب بييغا روس فى أثرها، فلم يدر كهما، وعاد بكرة يوم الثلاثاء فلم يستقر قراره حتى دقت البشائر بالقلعة، وأعلن أهلها بأن الأمير طاز والأمير أرغون نائب الشام وافيا، وأن الأمير شيخو والسلطان ساقه. فبهت بييغاروس، وتفخذ عنه من معه، وركب عائداً إلى حلب فى تاسع عشر شعبان فكانت إقامته أربعة وعشرين يوماً، أثر أصحابه فيها بدمشق وأعمالها آثارا قبيحة، من النهب والسبي والحريق والغارات على

الضياع من حلب إلى دمشق، كما فعل المغول أصحاب غازان. فبعث السلطان الأمير أسندمر العلامى والى القاهرة ليشر بذلك، فقدم إلى القاهرة يوم الجمعة خامس عشرية. فدقت البشائر وطبلخاناه الأمراء، وزينت القاهرة سبعة أيام. وجبى من الأمراء والدواوين والولاة ومقدمى الحلقة الذين لم يسافروا ثمن الشقق الحرير التى تفرش إذا قدم السلطان، وكان قدم إليه من صفد الأمير أيتمش الناصرى، فكان يرجعه عن كثير من ذلك.

وأما السلطان فإنه التقى مع الأمير أرغون الكاملى نائب الشام على بدعرش من عمل غزة، وقد تأخر معه الأمير طاز بمن معه. فدخل السلطان بهم إلى غزة، وخلع على نائب الشام، وأنعم عليه بأربعمائة ألف درهم، وأنعم على أمير مسعود بألف دينار، وأنعم على كل من أمراء الألوف بدمشق بألفى دينار، وعلى كل من أمراء الطبلخاناه بعشرة آلاف درهم، وعلى كل من أمراء العشرات بخمسة آلاف درهم، فكانت جملة ما أنفق فيهم ستمائة ألف درهم.

وتقدم الأمير شيخو والأمير طاز والأمير أرغون الكاملى نائب الشام بمن معهم إلى دمشق، وتأخر الأمير صرغتمش صحبة السلطان ليدبر العسكر. وتبعهم السلطان، فكان دخوله دمشق فى يوم الخميس مستهل رمضان، وقد خرج الناس إلى لقائه، وزينت المدينة زينة حفلة، فكان يوما مشهودا. ونزل السلطان بالقلعة، ثم ركب منها فى غده يوم الجمعة ثانیه إلى الجامع الأموى فى موكب جليل، حتى صلى به الجمعة. وكان الأمراء قد مضوا فى طلب ببيغا روس، فقدم خيهم فى يوم الإثنين خامسه بنزول الأمير شيخو والأمير طاز على حمص، وأنه قد بلغهم مسك ببيغا روس وأمير أحمد نائب حماه وجماعة. فدقت البشائر بالقلعة، ثم تبين كذب هذا الخبر^(١).

وفى يوم الأربعاء سابعه: رسم يعود أجناد الحلقة ومقدميها وأطلاب الأمراء إلى القاهرة، فخرجوا فيه من دمشق أرسالا. وكانت جماعة من العسكر قد تخلفوا بغزة، فقدموا القاهرة فى رابعه، وقدم الأجناد وأطلاب الأمراء إلى القاهرة فى خامس عشرية.

وأما ببيغا روس فإنه قدم حلب فى تاسع عشرى شعبان، وقد حفرت خنادق تجاه أبوابها، وغلقت الأبواب وامتنعت القلعة، ورمته رجالها بالمنجنيق والحجارة، وتبعهم من فوق الأسوار من الرجال بالرمى عليه. وصاحوا عليه فبات بمن معه، وركب من الغد يوم الخميس أول شهر رمضان للزحف على المدينة، وإذا بصياح عظيم، والبشائر

(١) انظر النجوم الزاهرة ٢١٠/١٠ وما بعدها.

تدق في القلعة، والرجال يصيحون: «يا مُنَافِقِينَ! العسكر وَصَل». فالتفت ببيغا روس بمن معه، فإذا البيارق والصناجق نحو جبل جوشن (١) فانهزموا بأجمعهم نحو الير. ولم يكن ما رأوه على جبل جوشن عسكر السلطان، ولكنه جماعة من جند حلب وطرابلس وحماة كانوا مختفين من عسكر ببيغا روس عند خروجه من دمشق، فساروا في أعقابه رجاء أن يدركهم عسكر السلطان. فلما حضر ببيغا روس إلى حلب أجمعوا على كبسه، وراسلوا أهل جبل بانقوسا (٢). بموافاتهم، وجمعوا عليهم كثيرا من العريبان. وركبوا أول الليل، وترتبوا بأعلا جبل جوشن، ونشروا الصناجق. فعندما أشرقت الشمس ساروا، وهم يصرخون صوتا واحداً، فلم يثبت ببيغا روس ولا أصحابه، وولّوا ظناً منهم أنه عسكر السلطان. فإذا أهل بانقوسا قد أمسكوا عليهم طرق المضيق، وأدركهم العسكر، فبتدّوا وتمرقوا، وقد انعقد عليهم الغبار حتى لم يكن أحد ينظر رفيقه. فأخذهم العرب وأهل حلب قبضاً باليد، ونهبوا الخزائن والأمتال، وسلبوهم ما عليهم من آلة الحرب.

ونجا ببيغا روس بنفسه، وامتألت الأيدي بنهب ما كان معه، وهو شيء يجبل عن الوصف؛ لكثرتة وعظم قدره. وتبع أهل حلب أمراءه ومماليكه، وأخرجوهم من عدة مواضع، فظفروا بكثير منهم، فيهم أخوه الأمير فاضل، والأمير الطنبغا العلائي مشد الشر البخاناه، والطنبغا برناق نائب صفد، وملكتمر السعيدى وشادى أخو أمير أحمد نائب حماة، وطبيغا حلاوة الأوجاقى، وابن أيدغدى الزراق أحد أمراء حلب، ومهدى شاد الدواوين بحلب، وأسنباي قريب بن دلغادر، وبهادر الجاموس، وقلج أرسلان أستاذار ببيغا روس، ومائة من مماليك الأمراء؛ فقيد الجميع وسجنوا. وتوجه مع ببيغا روس أمير أحمد نائب حماة، وبكلمش نائب طرابلس، وطشتمر القاسمى نائب الرحبة، وأقبغا البالسى، ووصصمق، وطيدمر، وجماعة تبلغ عدتهم نحو مائة وستة عشر (٣). فدخل الأمراء حلب، وبعثوا بالمماليك إلى دمشق، وتركوا الأمراء المقيدين بسجن القلعة. وركب الحسام العلائى إلى طرابلس، فأوقع الحوطة على موجود نائبها، بكلمش؛ وتم إيقاع الحوطة بحماة على موجود أمير أحمد.

وكتب الأمراء إلى قراجا بن دلغادر بالعفو عنه، والقبض على ببيغا روس ومن معه، وكان ببيغا روس قد قدم عليه، فركب وتلقاه، وقام له بما يليق به. فلما وقف قراجا بن

(١) جبل مطل على حلب فى غربها.

(٢) قرية من قرى حلب.

(٣) انظر النجوم الزاهرة ١٠/٢١٤، ٢١٥.

دلغادر على كتب الأمراء أجاب بأنه ينتظر فى القبض عليه مرسوم السلطان به، وإرسال الأمان لبييغا روس، وأنه مستمر على إمرته، فلما جهز له ذلك امتنع من تسليمه. فطلب رمضان من أمراء التركمان، وخلع عليه بإمرة قراجا بن دلغادر وإقطاعه. وعاد الأمراء من حلب، واستقر بها الأمير أرغون الكاملى نائباً، عوضاً عن بييغا روس وقدموا دمشق ومعهم الأمراء المسجونون، يوم الجمعة سليخ رمضان، وركبوا مع السلطان لصلاة العيد، والأمير مسعود بن خطير حامل الجتر على السلطان حتى عبر الميدان فصلى بهم تاج الدين محمد بن إسحاق المناوى قاضى العسكر صلاة العيد، وخطب ومثد السماط بالميدان، فكان يوماً مذكوراً.

وفى يوم الإثنين ثالثه: جلس السلطان بطارمة (١) قلعة دمشق، ووقف الأمير شيخو وطاز وسائر الأمراء بسوق الخيل تحت القلعة. وأخرج الأمراء المسجونون فى الحديد، ونودى عليهم: «هَذَا جزء من يخامر على السلطان، ويخون الإسلام» (٢) ووسطوهم واحداً بعد واحد، وهم أطينغا برناق، وطبيغا حلاوة، ومهدى شاد الدواوين بحلب، وأسنبغا التركمانى، وأطينغا الثلاثى شاد الشرايخانا، وشادى أخو أمير أحمد نائب حماه؛ وأعيد ملكتمر السيدى إلى السجن (٣).

وفيه قبض على ملك آص شاد الدواوين بدمشق، وساطلش الجلالى، ومصطفى، والحسام مملوك أرغون شاه، وأمير على بن طرنطاي البشمقدار، وابن جودى، وقردم أمير آخور، وأخرجوا إلى الإسكندرية، ومعهم ملكتمر السعيدى، ونفى مقبل نقيب الجيش إلى طرابلس (٤).

وفيه خلع على الأمير أيتمش الناصرى، واستقر فى نيابة طرابلس، عوضاً عن بكلمش. وأنعم على أمير مسعود بن خطير بإقطاع قردم، وأنعم على كل من ولديه بإمرة طبلخانا، واستقر الأمير طنيرق فى نيابة حماة، عوضاً عن أمير أحمد الساقى. واستقر شهاب الدين أحمد بن صبح (٥) فى نيابة صفد، ورسم بإقامة الأمير طبيغا الجدى بدمشق، على إمرة.

(١) الطارمة : بيت من خشب يكون سقفه على جهة قبة، لجلوس السلطان . انظر المواظ الاعتبار ١/٣٥، ٢/٤٤٤.

(٢) فى النجوم «ويخون الإيمان» ١٠/٢١٥.

(٣) انظر النجوم الزاهرة ١٠/٢١٥.

(٤) انظر النجوم الزاهرة ١٠/٢١٥.

(٥) فى النجوم «أحمد بن صبيح» ١٠/٢١٥.

وتوجه الأمير يلبك والأمير نوروز إلى مصر.

وفي يوم الجمعة سابعه: صلى السلطان الجمعة، وخرج من دمشق يريد مصر. فكانت إقامته بها سبعة وثلاثين يوماً.

وأما القاهرة فإن ممالك الأمراء وأجنادهم كانت تركب في مدة غيبة السلطان كل ليلة من عشاء الآخرة، وتتفرق في نواحي المدينة وظواهرها؛ لحفظ الناس فإذا رأوا أحداً يمشى ليلاً حبسوه، حتى يتبين أمره، ولم يبق حانوت ولا زقاق إلا وعليه قنديل يشمل طول الليل. وطلب الأمير قبلاى النائب مقدمى الوالى، وألزمهم أن يقوموا بجميع ما يصرف في القاهرة وظواهرها. وانتدب الأمير مجد الدين موسى الهذبانى، والأمير ناصر الدين محمد بن الكورانى؛ لحفظ مدينة مصر. ورتب جماعة لحفظ بيوت المتجر، فى البر والبحر. فلم يعدم لأحد شىء سوى سرقة متاع من حانوت يهودى، فضرب الأمير قبلاى النائب مقدمى الوالى بالمقارع حتى أحضروا متاع اليهودى له.

واتفق أن ابن الأطروش محتسب القاهرة مر بسوق الشرايشيين، وابن أيوب الشرايشى فى حانوته. وكان أيوب هذا يعتريه جنون فى بعض الأحيان، فأخذ يسب المحتسب ويهزأ به، ثم وثب إليه وألقاه عن بقلته، وركب صدره. فما خلاصه الناس منه إلا بعد جهد، وأقاموه من تحت ابن أيوب، وقد تباعدت عمامته وانكشف رأسه. فطلع ابن الأطروش إلى الأمير قبلاى النائب، وأخبره بما جرى عليه، فأحضر الأمير قبلاى ابن أيوب، وضربه وحبسه.

وفيه حدثت زلزلة فى رمضان، والناس فى صلاة العشاء الآخرة.

وفى سابع عشره: خرج الأمير أرنان والأمير قطلوبغا الذهبى، والأمير علم دار إلى الصعيد فى البر والبحر، بسبب نفاق العربان، وقطع الطرقات على المسافرين، وتشليح الأجناد.

وفى يوم الثلاثاء خامس عشرى شوال: قدم السلطان، ومشى بفرسه على شقاق الحرير التى فرشت له، وخرج الناس إلى لقائه ورؤيته، فكان يوماً مشهوداً لم يتفق مثله لأحد من أخوة السلطان الذين تسلطوا.

وعندما طلع السلطان القلعة تلقته أمه وجواريه وأخوته، ونثر عليه الذهب والفضة، وقد فرشت له طريقه بشقاق الحرير الأطلسى، ولم يبق بيت من بيوت الأمراء إلا وفيه الأفراح والتهانى. وفيه يقول الأديب شهاب الدين أحمد بن أبى حجلة:

الصالح الملك المعظم قدره يطوى له الأرض أنبيد النازح
لا تعجبوا من طيها لمسيره فالأرض تطوى دائماً للصالح
وعم الموت أهل جزيرة الأندلس، إلا مدينة غرناطة، فإنه لم يصب أهلها منه شيء،
وباد من عداهم حتى لم يبق للفرنج من يمنع أموالهم. فأتتهم العرب من إفريقية تريد
أخذ الأموال إلى أن صاروا على نصف يوم منها، مرت بهم ريح، فمات منهم على
ظهور الخيل جماعة كثيرة. ودخلها باقيهم، فرأوا من الأموات ما هالهم، وأموالهم ليس
لها من يحفظها، فأخذوا ما قدروا عليه، وهم يتساقطون موتى فنجا من بقى منهم
بنفسه، وعادوا إلى بلادهم، وقد هلك أكثرهم، والموت قد فشا بأرضهم، بحيث مات
منهم في ليلة واحدة عدد عظيم، ومات مواشيهم ودوابهم كلها.

وعمّ الموتان أرض إفريقية بأسرها، جبالها وصحاريها ومدنها، وجافت من الموتى،
وبقيت أموال العربان سائبة لا تجد من يرعاها. ثم أصاب الغنم داء، فكانت الشاة إذا
ذبحت وجد لحمها منتناً قد اسود. وتغير أيضاً ريح السمن واللبن، ومات المواشى
بأسرها.

وشمل الوباء أيضاً أرض برقة إلى الإسكندرية، فصار يموت بها في كل يوم مائة. ثم
مات بالإسكندرية في اليوم مائتان، وشنع ذلك حتى أنه صلى في يوم الجمعة بالجامع
الإسكندري دفعة واحدة على سبعمائة جنازة. وصاروا يحملون الموتى على الجنويات
والألواح وغلقت دار الطراز لعدم الصناع، وغلقت دار الوكالة (١) لعدم الواصل إليها،
وغلقت الأسواق وديوان الخمس، وأريق من الخمر ما يبلغ ثمنه زيادة على خمسمائة
دينار. وقدمها مركب فيه إفرنج، فأخبروا أنهم رأوا بجزيرة طرابلس مركبا عليه طير
يجوم في غاية الكثرة، فقصدوه، فإذا جميع من فيه من الناس موتى، والطير تأكلهم، وقد
مات من الطير أيضاً شيء كثير، فتركوهم ومرّوا، فما وصلوا إلى الإسكندرية حتى
مات زيادة على ثلثيهم.

وفشى الموت بمدينة دمنهور، وتروجة، والبحيرة كلها حتى عمّ أهلها، وماتت
دوابهم فبطل من الوجه البحرى سائر الضمانات، والموجبات السلطانية. وشمل الموت
أهل البرلس نستراوه، وتعطل الصيد من البحيرة لموت الصيادين. وكان يخرج بها في
المركب عدة من الصيادين لصيد الحوت، فموت أكثرهم في المركب، ويعود من بقى
منهم، فموت بعد عوده من يومه هو وأولاده وأهله. ووجد في حيطان البطارخ شيء

(١) المقصود بها: فندق لنزول التجار وبضائعهم للبيع والشراء.

متن، وفيه على رأس البطرخة كبة قدر البندقة قد اسودت ووجد في جميع زراعات البرلس وبلحها وقتائها دود، وتلف أكثر ثمر النخل عندهم. وصارت الأموات على الأرض في جميع الوجه البحرى، لا يوجد من يذفنها. وعظم الوباء بالحلة حتى أن الوالى كان لا يجد من يشكو إليه، وكان القاضى إذا أتاه من يريد الإشهاد على وصيته لا يجد من العدول أحدًا إلا بعد عناء لقلتهم، وصارت الفنادق لا تجد من يحفظها. وعمّ الوباء جميع تلك الأراضى، ومات الفلاحون بأسرهم، فلم يوجد من يضمّ الزرع.

وزهد أرباب الأموال في أموالهم، وبذلوها للفقراء. فبعث الوزير منجك إلى الغربية كريم الدين مستوفى الدولة ومحمد بن يوسف مقدم الدولة في جماعة، فدخلوا سنباط وسمنود وبوصير وسنهور وأبشيه^(١) ونحوها من البلاد، وأخذوا مالا كثيرا لم يحضروا منه سوى ستين ألف درهم.

وعجز أهل بلبيس وسائر بلاد الشرقية عن ضمّ الزرع؛ لكثرة موت الفلاحين. وكان ابتداء الوباء عندهم من أول فصل الصيف، وذلك في أثناء ربيع الآخر. فجافت الطرقات وغير ذلك. وألزم محمد بن الكورانى والى مصر بتحصيل بنات ابن زنبور، فنودى عليهن. ونُقل ما فى دور صهرى ابن زنبور، وسُلّمَا لشاد الدواوين. وعاد الأمير صرغتمش إلى القلعة. فطلب السلطان جميع الكتاب وعرضهم، وعين الموفق هبة الله بن إبراهيم للوزارة، وبدر الدين كاتب يلبغا لنظر الخاص، وتاج الدين أحمد بن الصاحب أمين الملك عبد الله بن الغنام لنظر الجيش، وأخاه كريم الدين لنظر البيوت، وابن السعيد لنظر الدولة، وقشتمر مملوك طقزدمر لشاد الدواوين.

وفى يوم الأحد تاسع عشره: خلع عليهم. فأقبل الناس إلى طلب الأمير صرغتمش للسعى فى الوظائف، فولى أسعد حربة استيفاء الدولة، وولى كريم الدين أكرم بن شيخ ديوان الجيش. وسلم الأمير صرغتمش المقبوض عليهم لشاد الدواوين، وهم الفخر بن قزوينة ناظر البيوت، والفخر بن مليحة ناظر الجيزة، والفخر مستوفى الصعبة، والفخر ابن الرضى كاتب الاضطبل، وابن معتوق كاتب الجهات، وأكرم الملكى. وطُلب التاج ابن لفيفة ناظر المتجر وناظر المطبخ، وهو خال ابن زنبور، فلم يوجد، وكسبت بسببه عدة بيوت حتى أخذ. وصار الأمير صرغتمش ينزل ومعه ناظر الخاص وشهود الخزانة، وينقل حواصل ابن زنبور من مصر إلى حارة زويلة بالقاهرة فأعيامهم كثرة ما وجدوا له. وتبعت حواشى ابن زنبور، وهُجمت دور كثيرة بسببهم، عدم لأربابها مال عظيم.

وفي يوم الإثنين مستهل ذي القعدة: قدم البريد من نائب حلب بمائة وعشرين منشوراً للتركمان، ويستأذن في تجريد عسكر حلب إلى ابن دلغادر.

وفيه نزل الأمير صرغتمش إلى بيت ابن زنبور بالمصاصة^(١) وعدم منه ركعاً دُلَّ عليه، فوجد فيه خمسة وستين ألف دينار حملها إلى القلعة. وطلب الأمير صرغتمش ابن زنبور، وضربه عرياناً، فلم يعترف بشيء، فنزل إلى بيته، وضرب ابنه الصغير وأمه تراه في عدة أيام حتى أسمعته كلاماً جافياً؛ فأمر بها، ففُصِّرت.

وأخذ ناظر الخصاص في كشف حواصل ابن زنبور بمصر، فوجد له من الزيت والشيرج والنحاس والرصاص والكبريت والعكر والبقم^(٢) والقند^(٣) والسكر والعسل وسائر أصناف المتجر ما أذهله، فشرع في بيع ذلك. هذا، والأمير صرغتمش ينزل بنفسه وينقل قماش ابن زنبور وأثائه إلى حارة زويلة، ليكون ذخيرة للسلطان. فبلغت عدة الجمالين الذين حملوا النصافي والتفاصيل، وأوانى الذهب والفضة، والبلور والصينى والكفت، والسنجاب والملابس الرجالية والنسائية، والزراکش والجواهر والآلى، والبسط الحرير والصوف، والفرش والمقاعد، وأوانى الذهب والفضة زنة ستين قنطاراً، ومن الجواهر زنة ستين رطلاً، ومن اللؤلؤ كيل أردبين، ومن الذهب الهرجة^(٤) مبلغ ثلاثين ألف دينار وأربعة آلاف دينار^(٥)، ومن الحوائص ستة آلاف حياصة، ومن الكلفتاه الزركش ستة آلاف كلفتاه، ومن ملابس ابن زنبور نفسه عدة ألفين وستمائة فرجية، ومن البسط ستة آلاف بساط، ومن الصنج لوزن الذهب والفضة بقيمة خمسين ألف درهم، ومن الشاشات ثلاثمائة شاش. ووُجد له من الخيل والبغال ألف رأس، ودواب عاملة ستة آلاف رأس، ودواب حلابة ستة آلاف رأس، ومن معاصر السكر خمسة وعشرون معصرة، ومن الإقطاعات سبعمائة إقطاع، كل إقطاع متحصله خمسة وعشرون ألف درهم في السنة. ووُجد له مائة عبد، وستون طواشى وسبعمائة جارية، وسبعمائة مركب في النيل، وأملاك قومت بثلاثمائة ألف دينار، ورخام بمائتي ألف درهم، ونحاس بأربعة آلاف دينار، وسروج وبدلات عدة خمسمائة. ووُجد له اثنان وثلاثون مخزناً، فيها من أصناف المتجر ما قيمته أربعمائة ألف

(١) في النجوم «بالصناعة» ٢١٩/١٠.

(٢) هو شجر يصيغ به، ويعطى لونا أحمر، ويسمى العندم.

(٣) هو عصارة قصب السكر.

(٤) انظر المواعظ الاعتبار ٢٩٢/٢.

(٥) في النجوم «مائتي ألف دينار وأربعة آلاف دينار»؛ ٢١٩/١٠

دينار. ووجد له سبعة آلاف نطع^(١) وخمسمائة حمار، ومائتا بستان، وألف وأربعمائة ساقية، وذلك سوى ما نهب، وسوى ما اختلس، على أن موجوده أبيع بنصف قيمته. ووجد له فى حاصل بيت المال مبلغ مائة ألف وستين ألف درهم، وفى الأهرام نحو عشرين ألف أردب^(٢).

وكان مبدأ أمره أنه باشر استيفاء الوجه القبلى، وتوجه إليه صحبة الأمير علم الدين أيدمر الزراق، وهو كاشف. فنهض فيه، وشكرت سيرته، إلى أن عرض السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون الكتاب فى أيام النشو ليختار منهم من يوليه كاتب الإصطبل؛ وكان ابن زنبور من جملتهم، وهو شاب، فأثنى عليه الفخر ناظر الجيش، وساعده الأكوز. فخلع عليه السلطان الناصر محمد، واستقر به كاتب الإصطبل، عوضاً عن ابن الجيعان فنال فى مباشرة الإصطبل سعادة طائلة. وأعجب به السلطان لفطنته، وشكره من تحت يده، حتى مات السلطان الناصر محمد.

ثم استقرّ ابن زنبور مستوفى الصحبة فى أيام المنصور أبى بكر، وانتقل منها فى وزارة نجم الدين محمود وزير بغداد إلى نظر الدولة. ثم أخرجه جمال الكفاة لكشف القلاع، فقدم إلى مصر بعد موته. ثم استقر فى نظر الخاص بعناية الأمير أرغون العلائى؛ ثم أضيف إليه نظر الجيش، وجمع بعد مدة إليهما الوزارة. ولم يتفق لأحد قبله بالجمع بين الوظائف الثلاث^(٣).

وعظم ابن زنبور إلى الغاية، حتى إنه كان إذا خرجت الخيول لأرباب الوظائف من إصطبل السلطان، يخرج له ثلاثة رؤوس، وإذا خلع عليه خلع عليه ثلاث خلع. ونفذت كلمته، وقويت مهابته، وفخمت سعادته، واتجر فى جميع الأصناف حتى فى الملح والكبريت، وربح فى سنة واحدة من المتجر زيادة على ألف ألف درهم، منها فى صنف الزيت الحار خاصة مائة ألف وعشرة آلاف. فكثرت حساده، وعادته الكتاب لضبطه، وأحصوا عليه جميع ما يتحصل له.

فلما ولى الأمير صرغتمش بعد الأمير شيوخو رأس نوبة، أغروه به، فإنه كان يحمل لشيوخو مال الخالص، وهو الذى عمر له العمارة التى على النيل من ماله، وكان يقوم له بما يفرقه من الحوائص على مماليكه ونحو ذلك، حتى تغير صرغتمش وصار صرغتمش

(١) بساط من أديم أو من جلد انظر محيط المحيط (نطم).

(٢) انظر النجوم الزاهرة ٢٢٠/١٠.

(٣) انظر النجوم الزاهرة ٢٢٠/١٠.

يسمع شيخو الكلام الكثير بسببه، فيقول له: «قد كثرت القالة فيك بسبب ابن زنبور، وأنه يحمل إليك كل ما يتحصل من الخاص، وأنه قد كثر ماله. فلو مكنتني أخذت للسلطان مالا ينقصه». فيدافع شيخو عنه، ويعتذر له بأنه إذا قبض عليه لا يجد من يسد مسدّه، وإن كان ولا بد فيقرر عليه النشو مال يحمله، وهو على وظائفه. وبينما هو فى ذلك إذ قدم خير مخامرة ببيغا روس، فاشتغل عنه صرغتمش، وخرج إلى الشام، وفى نفسه منه ما فيها. وصار صرغتمش يتجهّم لابن زنبور، ويسمعه ما يكره، إلى أن أرحف بمسكه، وهو يسترضيه، ويحمل له أنواع المال فلا يرضى، حتى أعىى ابن زنبور أمره. وحدث ابن زنبور شيخو بدمشق بما هو فيه مع صرغتمش، فطيب شيخو خاطره بأنه مادام حيا لا يتمكن منه أحد؛ فركن لقوله. وأخذ صرغتمش يغرى الأمير طاز بابن زنبور حتى وافقه على مسكه، فقوى به على شيخو؛ ووكل يثقله لما توجه من دمشق من يحرسه، وهو لا يشعر^(١). فلما وصل السلطان خارج القاهرة أشيع أنه يعبر من باب النصر ويشق القاهرة، فاجتمع لرؤيته عالم عظيم، وأشعلوا له الشموع والقناديل. فدخل ابن زنبور على بغلة رائعة بزنارى أطلس، فى موكب جليل إلى الغاية، وبين يديه جميع المتعممين من القضاة والكتاب، وقد أعجب بنفسه إعجاباً كثيراً، والناس تشير إليه بالأصابع. فكانت تلك نهايته، وقبض عليه كما تقدم.

وانتدب جماعة بعد مسك ابن زنبور للسعى فى هلاكه، وأشاعوا أنه وجد فى بيته عدة صلبان، وأنه لما دخل إلى القدس فى سفرته هذه بدأ بكنيسة القيامة، فقبل عتبتها، وتعبّد فيها، ثم خرج إلى المسجد الأقصى فأراق الماء فى بابه، ولم يصلّ فيه، وكانت صدقته على النصارى بكنيسة القيامة، ولم يتصدق على أحد من فقراء المسلمين بالقدس. فأثبتوا فى ذهن صرغتمش أنه باق على النصرانية، ورتبوا فتاوى تتضمن أنه ارتد عن الإسلام. وكان أجلّ من قام عليه الشريف شرف الدين نقيب الأشراف، والشريف أبو العباس الصفراوى، وبدر الدين ناظر الخاص، والصوّاف تاجر صرغتمش. فأول ما بدأوا به من نكايته أن حسنوا لصرغتمش حتى بعث إليه الصدر عمر وشهود الخزانة، فشهدوا عليه فى مكتوب، أن جميع ما بيده من الدور والبساتين والأراضى - ما وقفه منها وما هو طلق - جميعه اشتراه من مال السلطان دون ماله، وأنه ملك للسلطان ليس فيه شىء قلّ أو جلّ. ثم حسّنوا له ضر به، فأمر به فأخرج بكره يوم وفى عنقه باشة^(٢) وجنزير، وضرب عريانا قدام باب قاعة الصاحب من القلعة. ثم أعيد إلى موضعه، وعُصر، وسقى

(١) انظر النجوم الزاهرة ١٠/٢٢٠، ٢٢١

(٢) حلقة ذات عروة وزر، تجعل فى طرف القيد، فتحيط برسغ الدابة عند الربط. انظر محيط

سنة ثلاث وثمانين وسبعمائة.....

الماء والملح. ثم سُلم لشاد الدواوين، وأمر بقتله، فنوّع عقوبته. فمنع الأمير شيخو من قتله، فأمسك عنه، ورتب له الأكل والشرب، وغيرت عنه ثيابه، ونقل من قاعة صاحب إلى بيت الأمير صرغتمش.

وفى يوم الأحد رابع عشر ذى القعدة: قبض على الأمراء قمارى الحموى، وشعبان قريب يلغا، ومحمد بن بكتمر الحاجب، ومأمور، وحملوا إلى الإسكندرية، فسجنوا بها، ماعدا شعبان فإنه أخرج إلى دمشق.

وفيه قدمت رسل الأشرف بن جوبان أنه يريد محاربة أرتنا نائب الروم، وطلب ألا يدخل السلطان بينهما، فأجيب عن ذلك.

وفى يوم الإثنين خامس عشره: قدم الأمير ناصر الدين بن المحسنى.

وفى أول ذى الحجة: قرّر على أتباع ابن زبور مال، وأفرج عنهم، فكانت جملة ذلك ستمائة وسبعين ألف درهم.

وفى خامسه: وصل أمير على الماردى نائب الشام إلى دمشق، صحبة الأمير عز الدين أزدمر الخازندر متسفره، وركب أمير على الموكب على العادة.

وفى يوم الإثنين ثامن عشره: قدم البريد من حلب بأخذ أحمد الساقى نائب حماة، وبكلمش نائب طرابلس، من عند ابن دلغادر، وقد قبضهما. فدخلا حلب فى حادى عشره، وسجنا بقلعتها، فأجيب الأمير أرغون الكاملى نائب حلب بالشكر والثناء، وأنه يشهر المذكورين بحلب، ويقتلها، وجهز لنائب حلب خلعة^(١).

وفيه قدم الخير من غزة بكثرة الأمطار التى لم يعهد بغزة مثلها، وأنه هدم عدة بيوت كثيرة منها على أهاليها، وسقط نصف دار النيابة، وسكن النائب بجامع الجاولى، وتلف ما زرع من كثرة المياه. ثم سقط ثلج كثير حتى تعدّى العريش.

وفيه كانت الأمطار بأراضٍ كثيرة جدا، وسقط الثلج بناحية بركة الحبش وعلى الجبل، وبأراضى الجزيرة.

وأما النيل فإن القاع جاء ثلاثة أذرع وثلث، وتوقفت الزيادة أياما. ثم زاد فى كل يوم ما بين أربعين وثلثين وعشرين أصبعا، حتى كان الوفاء، فى يوم الثلاثاء خامس عشرى جمادى الآخرة، وثالث عشر مسرى، ونودى بزيادة عشر أصابع من سبعة عشر ذراعا، وانتهت زيادته إلى ثمانية عشر ذراعا وتسعة عشر أصبعا.

(١) انظر النجوم الزاهرة ١٠/٢٢٢.

وفيها وقع بدمشق حريق عظيم، عند باب جيرون، عدم فيه الباب النحاس الأصفر الذى لم يُر مثله، ويزعم أهل دمشق أنه من بناء جيرون بن سعيد بن عاد بن أرم بن سام بن نوح.

وفيها ولى الأمير بكتمر المؤمنى شاد الدواوين، عوضا عن الأمير يلك أمير آخور بعد موته بغزة. وكان قد توجه إلى الحجاز، فتوجه النجاش لإحضاره حتى قدم، واستقر بعناية الأمير شيخو وتعيينه له.

وفيه تولى نظر خزانة الحاص قاضى القضاة تاج الدين محمد بن محمد بن أبى بكر الأحنائى، ثم استعفى منها بعد القبض على ابن زنبور، فولى عوضه تاج الدين الجوجرى.

* * *

ومات فيها من الأعيان

أرتنا نائب الروم من قبل بوسعيد.

وتوفى بدر الدين حسن بن على بن أحمد الغزى، المعروف بالزغارى، الدمشقى الأديب الشاعر، عن نيف وخمسين سنة بدمشق، فى ليلة الخميس حادى عشر رجب، ومولده سنة ست وسبعمائة^(١).

وتوفى العضد عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الغفار العراقى، شارح المختصر والمواقف. ولى قضاء مملكة أبى سعيد^(٢).

وتوفى الأمير فاضل أخو ببيغا روس بجلب، وكان عسوقا.

ومات الأمير يلك^(٣) أمير آخور بغزة، وهو عائد إلى القاهرة^(٤).

وتوفى شمس الدين محمد بن سليمان القفصى، أحد نواب المالكية بدمشق.

وتوفى بهاء الدين محمد بن على بن سعيد، والمعروف بابن إمام المشهد، الفقيه الشافعى بدمشق، فى ثامن عشرى رمضان، وقد أناف على الستين، وولى حسبة دمشق، وقدم القاهرة.

(١) انظر النجوم الزاهرة ١٠/٢٢٥.

(٢) كان إماما بارعا مفتيا فقيها مصنفا، وله اليد الطولى فى علم العقول وعلم المنقول. انظر

النجوم الزاهرة ١٠/٢٢٥.

(٣) هو الأمير سيف الدين تلك بن عبد الله الناجرى.

(٤) انظر النجوم الزاهرة ١٠/٢٢٦.

١٧٤ سنة ثلاث وخمسين وسبعماية

وتوفى شهاب الدين يحيى بن إسماعيل بن محمد بن عبد الله بن محمد بن محمد بن خالد بن محمد بن نصر، المعروف بابن القيسراني، كاتب السرّ بدمشق، وهو بطّال، عن نيف وخمسين سنة.

وتوفى ناظر الخزانة تاج الدين ابن بنت الأعز.

ومات الأمير شهاب الدين أحمد بن بيليك الحسني، والى دمياط. وكان فقيها شافعيًا، شاعرًا أديبًا، نظم كتاب التنبيه في الفقه، وكتب عدة مصنفات^(١).

ومات الأمير منكلي بغا الفخري، قدم الخبر بوفاته مستهل جمادى الأولى.

ومات الحاج عمر مهتار السلطان، يوم الجمعة ثاني جمادى الأولى.

ومات سيف الدين خالد بن الملوك بالقدس، في أول رمضان.

ومات الأمير تمر بغا، ليلة الأربعاء رابع عشرى رجب.

* * *

سنة أربع وخمسين وسبعماية

شهر الله الحرم، أوله الخميس:

فيه قدم الخبر من متولى مدينة قوص بقدم رسل الملك المجاهد على بن المؤيد داود ابن المظفر يوسف بن منصور عمر بن على بن رسول ممتلك اليمن، إلى عيذاب، بهدية. فتوجه الأمير أقبحا الحموى لملاقاتهم، وصحبته الإقامات من الأنزال والعلوفات والطبايح، ونحو ذلك.

وفى يوم الأربعاء سابعه: قدم البريد من حلب بالقبض على الأمير قراجا بن دلغادر مقدم التركمان، فسرّ أهل الدولة بذلك.

وفيه قدم الأمير جنتمر أخو طاز برأسى الأمير بكلمش والأمير أحمد الساقى، وقد قتلا بحلب.

وفى هذا الشهر: حملت رُمثا والد الأمير طاز، وأخيه جركس. وكان أبوه قدم إلى مصر من بلاد الترك فى سنة اثنتين وخمسين وسبعماية، فتلقيه وأكرمه، وأدخله فى دين الإسلام وختنه. ثم توجه أبوه هذا بعد مدة عائداً إلى بلاده، بحجة أن يسوق بقية أهله، فهلك بالمعرة، ودفن بها، فبنى نائب حلب على قبره تربة. ثم لما توجه الأمير طاز بالعسكر إلى حلب، هلك أخوه جركس، فدفنه بالمعرة مع أبيه، ثم بدا له فى نقلهما إلى مصر، فنقلهما فى هذا الشهر، ودفنهما خارج باب المحروق، ظاهر القاهرة، فى تربة أنشأها هناك، ورتب بها القراء وغير ذلك من أرباب الوظائف، وجعل لها أوقافاً دارة، وعمل لقدمهما عدة مجتمعات ختم فيها القرآن الكريم على قبريهما. وحضر تلك المجتمعات معه الأمراء والأعيان، فاحتفل لذلك احتفالاً زائداً.

وفى ثامن عشره: قدم شيخ الشيوخ زكى الدين الملطى من بلاد الهند، فتلقيه طوائف الناس، وطلع قلعة الجبل. فخلع عليه بين يدى السلطان، وحمل على بغلة رائعة بزنارى، واستقرّ على ما كان عليه فى مشيخة الحانكاه الناصرية بسرياقوس. وقد تقدم سفره فى شهر ربيع الأول سنة ثلاث وأربعين، فكانت غيبته بالهند عشر سنين وتسعة أشهر، وعاد بغير طائل. ولم يرض الأمير صرغتمش بولايته.

وفى يوم السبت سابع عشره: أعيد الوزير ابن زنبور إلى تسليم قشتمر شاد

الدواوين، وأمر بقتله، فعاقبه بقاعة الصاحب من قلعة الجبل أشد عقوبة. فشق ذلك على الأمير شيخو، وعتب الأمير طاز والأمير صرغتمش، وأغلظ فى القول، ومنع من التعرض لابن زنبور، وأخرجه بعد المغرب من ليلة الإثنين تاسع عشره، وحمله فى النيل إلى قوص. وكانت مدة شدته ثلاثة أشهر.

ولما قدم الحاج أخبروا أن الشريف عجلان مضى قبل قدوم الحاج إليه من مكة يريد جدة؛ لأخذ مكس التجار الواردين فى البحر. فبعث إليه أخوه ثقبه يطلب نصيبه من ذلك، فأبى عجلان أن يدفع له شيئاً، فركب إليه ولقيه. فلما نزلا غدر ثقبه بعجلان، وقبض عليه وقيده، وأسلمه لمن يحفظه، وركب ليأخذ أموال عجلان من وادى نخلة. فلما أبعد ثقبه فى السير أفرج الموكلون بعجلان عنه، وأطلقوه، فرمى نفسه على عرب بالقرب منه، وتذمّ منهم. فأنزلوه عندهم، وأركبوه ليلاً، وصاروا به إلى بنى حسن وبنى شعبة؛ وأقام عجلان معهم خارج مكة حتى قدم الحاج. وكان قد بلغ ذلك ثقبه، فعاد يريد عجلان، ففاته.

ومن الأخبار كذلك أن الحاج لما قدم مكة لم يجد بها أحداً من بنى حسن ولا من العبيد، وأن أسعار مكة رخيّة، وأن المجاهد باليمن منع التجار من الحجىء إلى مكة غيظاً من أمرائها.

وفى أول صفر: قام الأمير صرغتمش فى أمر أوقاف ابن زنبور يريد حلها وبيعها، وقد حسن له ذلك الشريف شرف الدين على بن الحسين بن محمد نقيب الأشراف، والشريف أبو العباس الصفراوى، ولقناه فى ذلك أمورا يحتج بها، منها أن السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون لما قبض على كريم الدين الكبير أراد أخذ أوقافه، فلم يوافق على ذلك قاضى القضاة بدر الدين محمد بن جماعة، فندب السلطان من شهد على كريم الدين بإشهاد له على نفسه أن جميع ما ملكه من العقار وغيره - وقفه وطلقه - هو من مال السلطان دون ماله. فلما ثبت ذلك بطريقة صارت أملاك كريم الدين بأجمعها للسلطان، فأقرّ ما كان منها وقفاً على حاله، وسماه الوقف الناصرى، وتصرف فيما ليس بوقف.

فلما اجتمع القضاة الأربعة بدار العدل من قلعة الجبل فى يوم الخدمة السلطانية على العادة، كلمهم الأمير صرغتمش فى حل أوقاف ابن زنبور، فاشتدّ عليه قاضى القضاة عز الدين عبد العزيز بن جماعة فى الإنكار لذلك، وساعده قاضى القضاة موفّق الدين عبد الله الحنبلى، وجبه صرغتمش بكلام خشن، وقال له: «أخربت البلد بشرّك يا

صبي». هذا وصرغتمش يحاججهم، ويذكر قضية أوقاف كريم الدين، فأجاباه بأن كريم الدين كانت بيده جميع أموال السلطان كلها، ما بين خزائنه وحواصله ومتاجره، يتصرف فيها برأيه، فلماذا ساغ أن يثبت الإشهادُ عليه بأن جميع أملاكه وعقاراته وغيرها إنما هي من مال السلطان دون ماله. وأما مَنْ له مال من متجر، أو اكتسبه من مباشرة ونحوها، فليس لأحد أن يتعرض لماله، ولا يجوز نَقْضُ شيء وقفه من ذلك، ولا أخذ ما ملكه أو وهبه من يد مَنْ هو في أيديهم، فإن جميع تصرفاته في ماله سَائِغَةٌ بطريقها. فذكر لهم صرغتمش أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه شاطر عماله، ومال الوزير جميعه إنما هو مال السلطان. فعرّض له قاضى القضاة عز الدين بذكر الشريفين على بن حسين وأبى العباس الصفراوى، وقال يا أمير: «إن كنت تبحث معنا فى هذه المسألة بحثنا معك، وإن كان أحد ذكرها لك فليحضر حتى نناظره فيها، فإنه ما قصد بذكر هذه المسألة إلا مصادرة سائر الناس، وأخذ أموالهم»، وقاموا على الامتناع والإنكار على من يريد هذا ونحوه.

وكان صرغتمش قد وعد أم السلطان بالدار المعروفة بالسبع قاعات من أوقاف ابن زنبور، فبعث لقاضى القضاة عز الدين فى ذلك، فخوفها عاقبة ذلك، وما زال بها حتى أعرضت عن طلبه. فشق ذلك على الأمير صرغتمش، واشتدّ حنقه حتى مرض عدة أيام مرضاً خيف عليه منه، فتصدّق بأموال جزيلة على الفقراء، وافتك أهل السجون. وفى أثناء ذلك اتفق الأميران شيخو وطاز على عزل صرغتمش من وظيفة رأس نوبة، ليقبّل شره وتنحطّ رتبته، ويعود الأمير شيخو رأس نوبة. فلما عوفى صرغتمش نزل من القلعة إلى إصطبله المجاور لمدرسته، فأشعلت له الشموع، وفرح به سكان الصليبية، وتصدق صرغتمش بمال كبير.

وفيه اجتمع الأمراء بالقصر بين يدى السلطان، فى الخدمة على العادة، وذكروا أمر توقف حال الدولة من قلة حاصل بيت المال وخزانة الخاص، وأن الوقت محتاج إلى نظر الأمير شيخو. وكان الأمير شيخو منذ خرج من وظيفة رأس نوبة، ووليها الأمير صرغتمش، ترك التحدث فى أمر الدولة لصرغتمش، وصار كالمشير. فلما عينه الأمراء فى هذا اليوم للتحدث كما كان امتنع عليهم، فمازالوا به حتى ألبوه التشريف، وولى على عادته، بعد ما شرط عليهم ألا يتحدث أحد فى أمر جليل ولا حقير غيره، فأجابوا إلى ذلك.

وفيه خلع أيضاً على الأمير ناصر الدين محمد بن بدر الدين بيلىك المحسنى، واستقر مشير الدولة، رفيقاً للمصاحب موفق الدين، على قاعدة الأكوذ فى الدولة الناصرية.

وفيه استقر سيف الدين قطلو شاد الدواوين أمير طبلخاناه، كما كان لؤلؤ مع الأكوز، وقيل للوزير ألا يفصل أمراً دونهما، وخرجوا من الخدمة. فجلس ابن المحسنى من داخل الشباك بدار الوزارة من القلعة تجاه الوزير، وأمر بكتابة كلف الدولة. وأقبل الناس إلى باب الأمير شيخو، فصارت أمور الدولة كلها تصدر عنه حتى الإقطاعات.

وفيه رسم بإبطال المقايضات والنزولات فى الإقطاعات، فبطل ذلك بعد ما كان قد فحش الأمر فيه، وأخذ كتاب الجيش منه مالا جزيلاً. فتعطل كتاب الجيش بسبب ذلك ولاسيما بعد أن رسم لهم ألا يأخذوا رسماً فى كل منشور أو محاسبة سوى ثلاثة دراهم، وكان رسم ذلك عشرين درهماً.

وفيه استقر أن الوزير والمشير ونحوهما يحضرون كل يوم إلى مجلس الأمير شيخو، ويظالعونه بما تحصل وانصرف، ويحضر إليه ناظر الجيش من الأشغال ما شاء، حتى تعطل حكم الأمير قبلاى نائب السلطنة.

وفى ربيع الأول: ورد الخبر بوصول الصاحب علم الدين بن زنبور إلى قبرص سالماً، وقد نفى إليها.

وفيه رفعت يد ناظر الخاص من وقف الصالح إسماعيل وفوض نظره إلى الأمير عز الدين أزدمر الخازندار.

وفيه قدم الخبر بوصول الأمير ببيغا روس إلى حلب وقتله، فكتب إلى الأمير أرغون الكاملى نائب حلب بالشكر والثناء، وعمل وحمل إليه تشريف، وأمر أن يعمل الحيلة فى إحضار قراجا بن دلغادر، وجُهِّز إليه تشريف برسمه، وتقليد مقدمة التركمان فاستدعاه الأمير أرغون الكاملى نائب حلب ليلبس التشريف السلطانى، ويقراً عليه التقليد بحضور أمراء حلب، فاعتذر عن حضوره.

فلما قدم كتاب الأمير أرغون الكاملى نائب حلب بذلك، كتب له بالركوب إليه ومحاربتة، فاعتذر بأنه قد حلف له قبل ذلك بأنه إن سبر إليه ببيغا روس لا يحاربه. فشق ذلك على الأمراء، وكتبوا إليه بالإنكار عليه، وجُهِّز له الأمير عز الدين طقطاى الدوادار، ومعه الكتب إلى نواب الشام بنجدة الأمير أرغون الكاملى نائب حلب على قتال ابن دلغادر، فسار طقطاى فى يوم الإثنين مستهل شهر ربيع الآخر.

وفيه انحطت رتبة الشريف أبى العباس الصفراوى، بمنع الأمير شيخو له من عبوره إلى داره وصعوده إلى القلعة. فثار عليه أعداؤه، ونفوه من الشرف، وشنعوا عليه؛ فالتجأ الشريف أبو العباس إلى الأمير طاز حتى كف عنه من يقاومه.

وفى يوم الخميس رابعه: سُمِّ عيسى بن حسن شيخ العايد.

وفيه أعرس الأمير أخو طاز بابنة الأمير أقسنقر، أنعم عليه بسبعة آلاف دينار ومائتي قطعة قماش، وعمل له مهم جليل.

وفيه قدم من المدينة النبوية جماعة يشكون من قاضيتها شمس الدين محمد بن سبع، فعين عوضه بدر الدين إبراهيم بن أحمد بن عيسى الخشاب، فلم يجب حتى اشترط ألا يقيم بها سوى سنة واحدة، وأن تستقرّ وظائفه التي بالقاهرة بيد نوابه؛ فأجيب بدر الدين إلى ذلك، وولى قضاء المدينة.

وعزل أيضاً عن قضاء الإسكندرية لسوء سيرته، وولى عوضه الرّعي.

وفيه استقر صدر الدين سليمان بن عبد الحق في نظر الأعباس، عوضاً عن شمس الدين بن الصاحب.

وفي يوم السبت حادى عشر ربيع الآخر: قدمت رسل المجاهد صاحب اليمن، ومعهم ابنه الملك الناصر، وعمره إحدى عشرة سنة. فأنزلوا بالميدان، ونزل إليهم الأمير طاز حتى عرضت عليه الهدية، ثم تمثلوا بين يدي السلطان بهديتهم، قدّر ستين رأساً من الرقيق بقيمة ثلاثمائة ماتوا، ومائتي شاش، وأربعمائة قطعة صيني، ومائة وخمسين نافجة^(١) مسك وقرن^(٢) زباد وعدة تفاصيل، ومائة وخمسين قنطاراً من الفلفل وأشياء ما بين زنجبيل وعنبر وأفاويه، وفيل واحد؛ وذلك سوى هدية لكل من الأمير شيخو، وطاز، وقبلای نائب السلطنة، وللوزير علم الدين بن زنبور. فحملت الهدية السلطانية إلى الصاحب موفق الدين؛ فلم يرض الأمراء بذلك، فإن هدية المؤيد للملك الناصر محمد بن قلاوون كان فيها قدر ألفي شاش.

ومع ذلك فإنه أنفق على الرسل منذ قدموا عيداب إلى وصلوا إلى الميدان نحو مائتي ألف درهم، وخلع على الجميع وتقرر لهم في كل يوم خمسمائة درهم، ولم يبق أحد من الأمراء، حتى عمل لهم ضيافة.

وفي يوم الجمعة سابع عشره: صلى قاضى القضاة عز الدين عبد العزيز بن جماعة بالسلطان الجمعة على العادة، ثم اجتمع بالسلطان وعنده الأمير شيخو، واستعفى من القضاء، فإنه عزم على الحج والمجاورة، واعتذر بكبر سنه. فلم يجب إلى ذلك، فما زال يتلطف ويترفق حتى أحجيب، بشرط أن يعين للقضاء من يختاره. فعين صهره وخليفته

(١) النافجة هنا وعاء خاص من جلد، يوضع فيها المسك، ويقال إنها كلمة فارسية معربة، وجمعها نوافج. (محيط المحيط).

(٢) مكحلة لحفظ الزباد والزباد نوع من الطيب يستعمل لماواة الزكام. محيط المحيط.

على الحكم قاضى العسكر تاج الدين محمد بن إسحاق المناوى، فولاه السلطان القضاء، وأشهد عليه بذلك فى غيبته؛ وانفضوا على ذلك. فامتنع المناوى من القبول، فما زال به قاضى القضاة عزّ الدين حتى قبل، فى يوم السبت ثامن عشره. ووَلَّى المناوى سهَاب الدين أحمد بن يوسف بن محمد الحلبي المعروف بالسَّيْن وغيره، فبادر الناس للسعى فى وظائفه، وكانت جليلة، وكتب المناوى لبهاء الدين أحمد بن تقى الدين بن على بن السبكي بقضاء العسكر.

وما أذن عصر يوم السبت حتى اجتمع عند الأمير شيخو نحو ستين قصة رفعت إليه بالسعى فى وظائف المناوى، فقام قاضى القضاة جمال الدين عبد الله الحنفى، وقاضى القضاة موفق الدين عبد الله الحنبلى، فى عود ابن جماعة إلى القضاء؛ ومازالا بالأمير شيخو حتى بعث بالأمير عز الدين أزدمر الخازندار إليه، فتلطف به إلى أن أجاب إلى استقراره فى القضاء على عادته، وأنه يتوجه إلى الحجاز، ويستخلف على الحكم والأوقاف إلى أن يعود أو تدركه الوفاة. فاستدعى ابن جماعة فى يوم الإثنين خامس عشره، وجُدِّدت له ولاية ثانية، وخلع عليه، ونزل فى موكب عظيم إلى داره.

وفى يوم السبت: المذكور توجه عز الدين أيدير السَّناني إلى الشام، وقدم الأمير طقطاى الدوادار من حلب، وقد ألزم الأمير أرغون الكاملى نائب حلب حتى سار لحرب ابن دُلغادر وأتاه نواب القلاع حتى صار فى عشرة آلاف فارس، سوى الرجالة والتركمان. ونزل الأمير أرغون الكاملى على الأبلستين، فنهبا وهدمها، وتوجه إلى قراجا بن دلغادر، وقد امتنع بجبل عال، فقاتلوه عشرين يوماً، فقتل فيها وجرح عدد كثير من الفريقين. فلما طال الأمر نزل إليهم قراجا بن دلغادر، وقاتلهم صدراً من النهار قتالا شديداً، فاستحرّ القتل فى تركمانه، وانهزم إلى جهة الروم، فأخذت أمواله ومواشيه. وصعد العسكر إلى جبل، فوجدوا فيه من الأغنام والأبقار ما لا يكاد ينحصر، فاحتوا عليها، بحيث ضاقت أيديهم عنها، وأبيع الرأس من البقر بعشرين إلى ثلاثين درهماً، والرأس من الضأن بثلاثة دراهم، والإكديش من أربعين إلى خمسين درهماً. وسبيت نساؤه ونساء تركمانه وأولاده، وبيعوا بحلب وغيرها بالهوان، فكانت خيار بناته تباع بخمسمائة درهم؛ وظفروا بدفائن فيها مال كبير.

وفى هذا الشهر: أعلن بعض النصارى الواردين من الطور بالقدح فى الملة الإسلامية، فأحضر إلى القاضى تاج الدين المناوى، وسأله المناوى عن سبب قدومه، فقال: «جئت أعرفكم أنكم لستم على شىء، ولا دين إلا دين النصرانية، وما قلت هذا

إلا لكي أموت شهيداً» فضربه المناوى بالمقارع ضرباً مبرحاً مدة أسبوع، وهو يقول: «عجل على القتل حتى ألحق بالشهداء»، فيقول له: «ما أعجل عليك غير العقوبة» ثم ضربت عنقه، وأحرقت جثته.

وفيه قدم البريد من حلب بأن ابن دلغادر لما انهزم تبعه العسكر، وأسروا ولديه ونحو الأربعين من أصحابه، ونجا بخاصة نفسه إلى ابن أرتنا، وقد سبق الكتاب إليه بإعمال الحيلة في قبضه. فأكرمه ابن أرتنا وآواه، ثم قبض عليه وحمله إلى حلب، فدخلها وسجن بقلعتها في ثاني عشري شعبان. فكتب إلى الأمير أرغون الكاملى نائب حلب بحمله إلى مصر، وأنعم عليه بخمسمائة ألف درهم، منها ثلاثمائة ألف من مال دمشق، وباقية من مال حلب. وأعطى الأمير أرغون من تسيير القود الذى جرت عادة نواب حلب بحمله إلى السلطان من الخيل والجمال البختى والهجن والعراب^(١) ومن البغال والقماش والجوارى والماليك، وقيمته خمسمائة ألف درهم. فعظم بذلك شأن الأمير أرغون الكاملى نائب حلب، فإنه مع ضعف سنه كان له أربعة مماليك أمراء، وله ولد عمره ثلاث سنين أمير مائة مقدم ألف، فلما مات هذا الولد أضيفت تقدمته إلى إقطاع النيابة، وكان لأربعة من أخوته القادمين من البلاد وأقاربه أربع إمرات.

وفي ثالث جمادى الآخرة: سافر الأمير حسام الدين طرنطاي إلى البلاد الشامية، بعدة خيول لنواب الشام.

وفي خامسه: عزل الأمير بكمر المؤمنى أمي آخور، واستقر عوضه الأمير قنلس.

وكان من خير آل مهنا أنهم قورا وفخم أمرهم، حتى صار من أولاد مهنا بن عيسى وأولادهم نحو مائة وعشرة، ما منهم إلا ومن له إمرة وإقطاع. فبطروا، وشنوا الغارات على البلاد، وقطعوا الطرقات على التجار حتى امتنعت السابلة، وذلك بعد موت السلطان الملك الناصر محمد فقبض على فياض وسجن، واستقرت الإمرة لأخيه جبار، فسكن الشر، وسافرت القوافل. ثم خلص فياض من السجن، بشفاعة الأمير مغلطاي أمير آخور، وركب من القاهرة، ولحق بأهله، فلما خامر ببيغا روس كتب له بالإمرة، فبعث أولاده بتقدمته. ثم قدم سيف بن فضل، فولى الإمرة، وعُزل فياض، فلم يحرك ساكناً حتى توجه الأمير أرغون الكاملى نائب حلب لقتال ابن دلغادر، فكثير طمعه وفساده. ثم ركب جبار وفياض ابنا مهنا إلى إقطاعاتهم التى خرجت عنهم لسيف بن فضل وبريد بن تتر، وقسموها ورفعوا مغلطاتها. فلم يُطق سيف معارضتهم، لقوتهم

(١) هى الخالصة الخالية من التهجين. انظر محيط الخبيط (عرب).

وكثرة جمعهم، فبعث يعرفهم أن هذه البلاد قد أقطعتها له السلطان، فردًا عليه جوابا جافيا. فكتب إليهما الأمير أرغون الكاملى نائب حلب يعتب عليهما، فلم يدعنا له، فكتب إلى السلطان والأمراء بذلك، فكتب إليهما بالقدوم إلى الحضرة، فاعتذرا عن الحضور. فتوجه الأمير قشتمر الحاجب لإحضار الجميع على البريد فى نصف شعبان، فلم يوافقاه، وأجابا بالاعتذار، فعاد قشتمر. وقدم عمر بن موسى بن مهنا به بقوده، وسعى فى الإمرة، فأدركه سيف بن فضل بعد حضور الأمير قشتمر، وسعى حتى استقر على إمرته شريكا لعمر بن موسى.

وفيه أيضًا كثر عبث العربان ببلاد الصعيد، وقروا على المقطعين، وقام من شيوخهم رجل أحذب، فجمع جمعًا كبيرًا، وتسمى بالأمير. فقدم الخبر فى شعبان بأنهم كبسوا ناحية ملوى، وقتلوا بها نحو ثلاثمائة رجل، ونهبوا المعاصر، وأخذوا حواصلها وذبحوا أبقارها، وأن عرب منفلوط والمراغة وغيرهم قد نافقوا، وقطعوا بعض الجسور بالأشمونين. فوقع الاتفاق على الركوب عليهم بعد تخضير الأراضى بالزراعة، وكتب إلى الولاة بتجهيز الإقامات.

وفى يوم السبت سابع عشرى جمادى الآخرة: عمل الأمير طاز وليمة عظيمة بداره التى عمرها برأس الصليبية عندما كملت، حضرها السلطان وجميع الأمراء، فلما انقضى السماط قدّم الأمير طاز للسلطان أربعة رؤس خيل مسرجة ملحمة بسروج ذهب وكنائيش ذهب مطرز، ولكل من الأميرين شيخو وصرغتمش فرسين، ولمن عداهما من الأمراء كل واحد فرسًا، ولم يعهد قبل ذلك أن أحدًا من ملوك الترك بمصر نزل إلى بيت أمير.

وفيه ورد كتاب الأمير أيتمش نائب طرابلس، ومعه محضر ثابت على قاضيهما، يتضمن أن امرأة من أهل طرابلس اسمها نفيسة جميلة الصورة تزوجت بثلاثة أزواج ولم يقدر واحد منهم على بكارتها، من غير مانع منهم، وظنوا أنها رتقاء وطبقوها واحدًا بعد واحد. فلما بلغت خمس عشرة سنة غر ثدياها، واعتراها النوم ليلا ونهارًا، وصار يخرج من فرجها شيء قليلا قليلا إلى أن تشكل منه ذكر صغير وأثيين فكتمت أمرها إلى أن خطبها رجل رابع، ولم يبق إلا العقد عليها، فأطلعت أمها على أمرها، فاشتهر ذلك بطرابلس، وأعلم به الأمير أيتمش النائب، فكتب به محضرًا وجهه إلى السلطان.

وبرز المذكور بين الناس، وتسمى عبد الله، وسار إلى دمشق، ووقف بين يدي نائبها أمير على، فسأله عن حاله فأخبره بما ذكر فأخذ الحاجب كحكن عنده، وأخبر أنه احتلم ثلاث مرات منذ صار ذكرًا، فى مدة ستة أشهر. ثم نبئت له لحية سوداء، وصار

من جملة الأجناد، ولم تبق فيه من سمات النساء شيء سوى كلامه، فإن فيه أنوثة فكسب بإحضاره إلى مصر، فكان هذا من عجائب صنع الله. وقد ذكر شيخنا عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير في تاريخه أنه اجتمع به.

وفيه وقف السلطان الملك الصالح ناحية سردوس من القليوبية على كسوة الكعبة، وكانت تعمل بدار الطراز، فيؤخذ حريرها من التجار بغير ثمن يرضيهم. وأضيف إليها أراضى أخر مما تغل في السنة مبلغ ستين ألف درهم واستقر نظرها لوكيل بيت المال فاستمر ذلك فيما بعد.

وفيه قدم الأمير طيغا المجدى من دمشق، فلزم بيته، وبقي على إقطاعه الذى بدمشق.

وفى يوم الخميس خامس عشرى رمضان: وصل مقدم التركمان قراجا بن دلغادر، وهو مقيد فى زنجير، فأقيم بين يدى السلطان، وعددت ذنوبه. ثم أخرج إلى الحبس، فلم يزل به إلى أن قدم الريد من حلب بأن جبار بن مهنا استدعى أولادا بن دلغادر فى طائفة كبيرة من التركمان؛ لينجدوه على سيف. وكان سيف قد التحأ إلى بنى كلاب، فالتقى الجمعان على تعبئة، فانكسر التركمان وقتل منهم نحو سبعمائة رجل، وأخذ منهم ستمائة إكديش. فكذب السلطان من سرياقوس - وكان بها - إلى النائب قبلاى بقتل ابن دلغادر، فأخرجه من السجن إلى تحت القلعة ووسطه، فى يوم الإثنين رابع عشر ذى القعدة، بعد ما أقام مسجوناً ثمانية وأربعين يوماً.

وفيه عزل ركن الدين عن مشيخة الشيوخ بخانكاه سرياقوس، وأعيد.

وأما العربان، فإن الأمراء عقدوا مشورا بين يدى السلطان فى أمرهم، فنقرر الحال على التجريد إليهم، فرسم للأمير سيف الدين بزlar العمرى أن يتوجه إلى قوص بمضافيه، وللأمير سيف الدين أرلان والأمير قطلوبغا الذهبى أن يتوجها بمضافيهما إلى الواح، وتتمة ثلاثة عشر مقدماً بمضافيهم من أمراء الطبليخاناه، وأن يكون مقدمهم الأمير شيخو، وجهازت الإقامات برأً وبحراً. فأخذ العرب حذرهم، ففترقوا واختفوا، وقدمت طائفة منهم إلى مصر، فأخذوا، وكانوا عشرة. فقبض ما وجد معهم من المال، وحمل للأمير جندار، فإنهم كانوا فلاحيه، وأتلفوا.

فلما برز الحاج إلى بركة الحجاج ركب الأمير شيخو، وضرب حلقة على الركب، ونادى من كان عنده بدوى وأخفاه حلّ دمه، وفتش الخيام وغيرها، فقبض على جماعة، فوسط بعضهم وأفرج عن بعض. ثم لما عاد السلطان إلى الجزيرة كبست تلك النواحي، وحذر الناس من إخفاء العربان، فأخذ البحرى والبرى، وقبضت خيول تلك

النواحى وسيوف أهلها بأسرها. وعُرِضت الرجال، فمن كان معروفاً أفرج عنه، ومن لم يعرف أقر في الحديد، وحمل إلى السجن. ورسم أن الفلاحين يتبع خيولهم بالسوق، ويوردون أثمانها مما عليهم من الخراج فبيعت عدة خيول، وأورد أثمانها للمقطعين، والفرس الذى لم يعرف له صاحب حمل إلى إصطبل السلطان.

وكتب للأمير عز الدين أزدمر، الكاشف بالوجه البحرى، أن يركب ويكبس البلاد التى لأرباب الجاه، والتى يأويها أهل الفساد. فقبض على جماعة كثيرة ووسطهم، وساق منهم إلى القاهرة نحو ثلاثمائة وخمسين رجلاً، ومائة وعشرين فرساً، وسلاحاً كثيراً. ثم أحضر الأمير أزدمر من البحيرة ستمائة وأربعين فرساً، فلم يبق بالوجه البحرى فرس؛ ورُسم لقضاة البر وعدوله بركوب البغال والأكاديش.

ثم كبست البهنسا وبلاد الفيوم، فركب الأميران طاز وصرغتمش بمن معهما إلى البلاد، وقد فرّ أهلها، واختفى بعضهم فى حفائر تحت الأرض. فقبضوا النساء والصبيان، وعاقبهم حتى دلوهم على الرجال، فسفكوا دماء كثيرين، وعوقب كثير من الناس بسبب من اختفى، وأخذت عدة أسلحة.

واتفق بناحية النحريرية أنه شُهد على بعض نصارها أن جده كان مسلماً، فحكم قاضياها بإسلامه، وجبسه حتى يسلم. فاجتمع النصارى إلى الوالى، وأخرجوا الحبيس ليلاً، فتصلحت العامة من الغضب بالقاضى. فغضب الوالى من ذلك، وطلب القاضى لينكر عليه ما فعله فقامت العامة مع القاضى، وأغلقوا الحوانيت، واجتمعوا ليرجموا الوالى. فجمع لهم الوالى أيضاً ليقع بهم، فحملوا عليه وهزموه حتى خرج من البلد، وهدموا كنيسة كانت بها حتى لم يبق بها جدار قائم، وأحرقوا ما بها من الصليان والتماثيل، وعمروها مسجداً. ونبشوا قبور النصارى، وأحرقوا رممهم، وهموا يأخذون النصارى، فهربوا منهم، وكان يوماً مهولاً. فكتب الوالى إلى الأمراء والوزير بالشكاية من القاضى، وأنه ضيّع مال السلطان، وهو خمسمائة ألف درهم، بتعرضه للنصرانى حتى ثارت بسببه الفتنة. وكتب النصارى أيضاً إلى الحسام أستاذ العلامى - وقد ترقى حتى صار أمير بطلخاناه - ، فقام مع النصارى، وحدث الأمير شيخو، وشنع على القاضى، وسعى فى إلزامه بإعادة الكنيسة من ماله. فطلب القاضى والوالى فحضرا، وعقد مجلس حضره القضاة الأربعة بجامع القلعة، ومعهم الوزير وغيره من أهل الدولة، فانتصب الحسام لمخاصمة قاضى النحريرية، وما زالوا حتى انفضوا على غير رضى، فأغرى الأمير شيخو بقيام القضاة مع قاضى النحريرية، وهول الأمر، فانعقد المجلس بين

يديه، وقد امتلاً غضباً على القاضى. فعندما استقر بهم المجلس أغلظ شيخو على القاضى، وأخذ الحسام ينهره ويخزيه بالقول، وساعده على هذا الأمير عز الدين إزدمر كاشف الوجه البحرى حتى يتبين الغرض. فامتعض لذلك الشيخ أكمل الدين محمد بن محمود بن أحمد شيخ الجامع الشيخونى يومئذ، وله اختصاص زائد بالأمير شيخو، وأخذ يتكلم معه بالتركية فى إنكار ما قام فيه الحسام من إعادة الكنيسة، وتعصبه على القاضى للنصارى، وخوف الأمير عاقبة ذلك. فشاركه الحسام فى الكلام مع الأمير، وجرى على عادته فى إعادة الكنيسة، فصدعه الأكمل بالإنكار، وزجره ومنعه من الكلام فى هذا، وقال له: «ما يحمل السلام عليك، فإنك قد خرجت من الإسلام بتعصبك للنصارى». وما زال الشيخ أكمل الدين يلحّ فى الكلام حتى رسم الأمير شيخو بالكشف عن الواقعة، لينظر من تعدى من الرجلين - القاضى أو الوالى، ووكل بهما من يحفظهما حتى يحضر الكشف (١) عن أمرهما. فلما حضر الكشف من والى المحلة، وكان قد حَسَّن أمرهما بأن ذكر أن كلا منهما أساء التدبير، رُسم بعزل الوالى والقاضى.

وفيه رسم بتجريد أجناد الحلقة إلى بلاد الصعيد، فعرض النائب قبلاى مقدمى الحلقة وعين منهم تسعين مقدما، اختار منهم خمسة وعشرين مقدما، مع كل مقدم عشرون من أجناد الحلقة؛ لتكون عدة الحملة خمسمائة فارس، فبينما هم فى تجهيز أمرهم إذ ورد كتاب الأمير بأنه لا يحتاج إلى ذلك، فبطلت تجريدتهم.

وفىها كثرت المناسر بظاهر القاهرة فى مدة غيبة السلطان، وكبسوا عدة دُور، وركبوا الخيل، وضاقت بهم الرجالة، فعظم الضرر بهم. وتبع الوالى آثارهم حتى ظهر أنهم فى ناحية بليس، فكبس عليهم، وقبض منهم جماعة اعترفوا بعد عقوبتهم على بقية أصحابهم؛ فتبعهم الولاة بالنواحي حتى أخذوهم. ورتب فى أثناء ذلك أربعة أمراء، وأضيف إليهم عدة من أجناد الحلقة؛ للطواف بالليل خارج القاهرة. وركب الوالى بجماعته طول الليل فى القاهرة، وسُمّر عدد كثير من أهل الفساد بالقاهرة، ووسّط خلق فى النواحي. وكتب إلى جميع أعمال الوجه البحرى بالألا يدعوا عندهم مفسدًا، ولا أحدًا ممن يتجمع إليهم من بلاد الصعيد والفيوم، ومن آواهم حلّ دمه. وحُدّر أيضًا من اقتناء الخيل بجميع الأعمال، وألزموا بإحضارها. فاشتد طلب الولاة لذلك، وقُبض على جمع كبير، وأخذت خيول وأسلحة كثيرة.

(١) يقصد به التحقيق فى مسألة معينة.

وفيهما استسقى أهل دمشق؛ لتأخر نزول المطر بعامة بلاد الشام، حتى بلغت الغرارة من القمح إلى مائة وعشرين درهما، بعد ما كانت بثمانين درهما. فأغيثوا من ليلتهم، وأمطروا كثيرا مدة أسبوع، فنزل سعر القمح فى يومه عشرين درهما للغرارة.

وفيهما كثرت تزويرات المساطير (١) وغيرها، فقام فى ذلك قاضى القضاة موفق الدين الحنبلى، وتحدث مع الأمير شيخو فيه حتى رسم له بالفحص عن ذلك، ومقابلة من يفعله بما يستحقه. فكبس قاضى القضاة عدة بيوت، وأخرج منها تراوير كثيرة، وقبض على جماعة وعاقبهم وسجنهم، ولم يقبل فيهم شفاعة أحد من الأمراء. واشتد الطلب على ابن أبى الحوافر، فإنه كان عجا فى محاكاة الخطوط، وكبست داره، فوجد فيها من تزويره كتب كثيرة، ولم يقدر عليه لاختفائه.

وفيهما قدم نفيس الدوادارى الداودى اليهودى التبريزى؛ لمعالجة الأمير قبلاى النائب من ضربان المفاضل، ومعه ولداه، وهو فى خنزوانة وتعاضم. فادعى دعوى عريضة، وأراد أن يركب بغلة، فلم يمكن من ذلك.

وفيهما ولدت امرأة طفلين ملتصقين، لكل منهما ثلاثة أيدي وثلاثة أرجل، وليس لهما قُبل ولا ذُبُر.

وفيهما انحطت الأسعار بأرض مصر، حتى بيع الأردب من القمح من عشرة دراهم إلى خمسة عشر درهما.

وفيهما فشت الأمراض فى الناس بالإسكندرية والوجه البحرى كله والقاهرة مدة شهرين، وبلغ عدة الموتى فى كل يوم ما بين الخمسين إلى الستين.

وفيهما وُلد السلطان الملك الأشرف شعبان بن حسين بن محمد بن قلاوون (٢).

وفيهما توجه ركب الحجاج صحبة الأمير ركن الدين عمر شاه الحاجب، وحجّ من الأمراء الأمير سيف الدين كشلى، والأمير سيف الدين بزلار والأمير سيف الدين طقطاى، والأمير شهاب الدين أحمد بن آل ملك، والأمير ناصر الدين محمد بن بكتمر الساقى، والأمير ركن الدين عمر بن طقزدمر، وحجّ الخليفة المعتضد بالله أبو بكر،

(١) هو ما يكتبه مدين على نفسه لدائن مثلا بمبلغ ما عليه من زين، وبميعاد الوفاء المتفق عليه.

(٢) الأشرف شعبان (٧٥٤-٧٧٨هـ = ١٣٥٣-١٣٧٧م) شعبان بن حسين بن الملك الناصر

محمد بن قلاوون، أبو المعالى، ناصر الدين: من ملوك الدولة القلاوونية بمصر والشام. ولى السلطنة بعد خلع ابن عمه محمد بن حاجى سنة ٧٦٤هـ. انظر مورد اللطافة ٨٧، ابن إياس ٢١٢/١، حسن المحاضرة ٢/١٠٤، الدرر الكامنة ٢/١٩٠، البداية والنهاية ١٤/٣٠٢-٣٣٢؛ الأعلام ٣/١٦٤.

وحجّ قاضى القضاة عز الدين عبد العزيز بن جماعة، والشيخ بهاء الدين عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله بن عقيل. وأسّر السلطانُ والأمراء مدبرو الدولة إلى أمير الحاج ومن صحبته من الأمراء أن يقبضوا على الشريف ثقبه، ويقرّروا الشريف عجلان بمفرده على إمارة مكة. فلما قدم الحاج بطن مرّ، ومضى عجلان إلى لقائهم شكّا إلى الأمراء من أخيه ثقبه، وذكر ما فعله معه، وبكى. فطمنوا قلبه، وساروا به معهم حتى لقيهم ثقبه فى قواده وعبيده، فألبسوه خلعة على العادة، ومضوا حافين به نحو مكة، وهم يجادثونه فى الصلح مع أخيه عجلان، ويحسّنون له ذلك، وهو يأبى موافقتهم حتى أيسوا منه. فمدّ الأمير كشلَى يده إلى سيفه فقبض عليه، وأشار إلى من معه فألقوه عن فرسه، وأخذوه ومعه ابن لعطيفة، وآخر من بنى حسن، وكبلوهم بالحديد، ففرّ القواد والعبيد. وأحضر عجلان، وألبس التشريف؛ وعيروا به إلى مكة، فلم يختلف عليهم اثنان. وسُلم ثقبه للأمير أحمد بن آل ملك، فسرّ الناس بذلك. وكثر جلب الغلال وغيرها، فأنحل السعر عشرين درهماً الأردب. وقبض على إمام الزيدية أبى القاسم محمد بن أحمد اليمنى، وكان يصلى فى الحرم بطائفته، ويتجاهر، ونصب له منيراً فى الحرم يخطب عليه يوم العيد وغيره بمذهبه. فضُرب بالمقارع ضرباً مبرحاً ليرجع عن مذهبه، فلم يرجع وسجن، ففرّ إلى وادى نخلة، فلما انقضى موسم الحاج حمل الشريف ثقبه مقيداً إلى مصر.

وبلغ النيل فى زيادته إلى ستة عشر أصبعاً من تسعة عشر ذراعاً، بعد ما توقف فى ابتداء الزيادة. وكان الوفاء يوم الأحد تاسع رجب، وهو ثامن عشر مسرى، وفتح الخليج على العادة.

* * *

ومات فى هذه السنة ممن لهم ذكر

ومات فيها أمين الدين إبراهيم بن يوسف المعروف بكاتب طشتمر، وولى نظر الجيش فى أيام الصالح إسماعيل، ثم عزل وتوجه إلى القدس حتى أقدم الأمير شينخو، وعمله ناظر ديوانه، فمات قتيلاً بجلب فى رابع عشر المحرم.

ومات الأمير بكلمش نائب طرابلس، فى أول المحرم. وأصله من مماليك صاحب ماردین، بعثه إلى السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون، فترقى فى خدمته، وأنعم عليه إلى أن ولى نيابة طرابلس فى الأيام المظفرية، وكان من أمره ما ذكره.

ومات الأمير أحمد بن الساقى نائب حماة، فى أول المحرم. وأصله من الأورانية، وبعثه نائب البيرة فى الأيام الناصرية، فأعطاه السلطان للأمير بكتمر الساقى؛ ثم أنعم عليه

السلطان بعد موت بكتمر بإمرة عشرة، ولقبه بأحمد الساقى، ثم أنعم عليه بإمرة طبلخاناه، وعمله شاد الشراب خاناه. وتنقل بعد موت السلطان، فعمل أمير شكار فى الأيام المظفرية، ثم أخرج لنيابة صغد، ثم ولى نيابة حماة، حتى كان من أمره ما كان، وكان شجاعاً أهوج جهولاً مقداماً.

ومات الأمير بييغا روس القاسمى، أحد المماليك الناصرية. توفى السلطان الناصر محمد ابن قلاوون وهو من خاصكيته، فترقى حتى صار فى الأيام الصالحية إسماعيل أمير طبلخاناه، وتمكن منه حتى كان الصالح لا يفارقه ساعة واحدة. ثم أنعم عليه فى الأيام الكاملية شعبان بتقدمة ألف، ثم كان من قبضه على المظفر حاجى ما كان.

ثم ولى فى الأيام الناصرية حسن نيابة السلطنة، فشكرت سيرته فيها، ثم قبض عليه بطريق الحجاز وسجن، ثم أفرج عنه. وولى نيابة حلب، وكان من عصيانه ما كان حتى لحق بقراجا بن دلغادر، فأخذه وبعث به إلى حلب، فقتل بها (١).

ومات الأمير ألبغيغا العادلى، فى سابع ربيع الآخر بدمشق؛ وكان فارساً جواداً (٢). وومات الأمير شعبان قريب يلغا اليحياوى. وكان من جملة خواص ألماس الحاجب، فسجن عند مسكه مدة، ثم نفى إلى صغد. وأنعم عليه بعد مدة بإمرة، وتوجه إلى حلب فى نيابة يلغا اليحياوى، ثم سجن بعد موت يلغا اليحياوى مدة، ثم أفرج عنه، وأنعم عليه بإمرة، وقدم مصر، ثم توجه إلى دمشق، فمات بها.

ومات الأمير بيغرا المنصورى أحد أمراء الألوفا بديار مصر، وهو بطال بحلب، وكان خبيراً، ولى الحجوية بمصر، فشكرت سيرته لجودة عقله (٣).

ومات الأمير بدر الدين مسعود بن أوحد بن مسعود بن الخطير الرومى، فى سابع شوال، ومولده ليلة السبت سابع جمادى الأولى، سنة ثلاث وثمانين وستمئة بدمشق. ترقى فى خدمة الأمير تنكز نائب الشام، وولى حاجباً بالقاهرة، ثم ولى نيابة غزة وطرابلس غير مرة؛ وكان مشكوراً (٤).

ومات الشريف أمير ينبع عيسى بن حسن الهجان، فى رابع ربيع الآخر.

ومات قراجا بن دلغادر فى رابع عشر ذى القعدة.

(١) انظر النجوم الزاهرة ١٠/٢٢٩.

(٢) انظر النجوم الزاهرة ١٠/٢٢٨.

(٣) انظر النجوم الزاهرة ١٠/٢٣٠، ٢/٣٥٢، ٤٣٧، ٤٧٨، ٤٨٧، ٤٩٨، ٥٠٠، ٥٠٨.

٥٥٩، ٥٧١، ٦٢٠، ٦٢٤، ٦٢٨، ٦٣٢، ٦٣٩، ٦٤٠، ٦٧٢، ٦٨٤، ٦٨٨.

(٤) انظر النجوم الزاهرة ١٠/٢٢٨.

ومات الشيخ إبراهيم بن الصائغ، فى رابع عشرى رجب.

ومات عمر بن مسافر الخواجا ركن الدين، أستاذ الأمير شيخو وغيره من الممالك العمرية، فى عشرى ربيع الآخر.

ومات الوزير علم الدين عبد الله بن تاج الدين أحمد بن إبراهيم بن زنبور بقوص، فى يوم الأحد رابع عشر ذى القعدة.

ومات أسعد خربه، مستوفى الصحبة، وهو أحد مسالمة الكتاب، فى عشرى ذى القعدة.

ومات شهاب الدين أحمد بن أبى بكر بن محمد بن الشهاب محمود بن سليمان الحلبي، أحد موقعى الدست، بدمشق.

ومات شرف الدين عبد الوهاب الشهاب أحمد بن محيى الدين يحيى بن فضل الله العمري، أحد موقعى الدست، بدمشق.

ومات شرف الدين عمر بن يوسف بن عبد الله بن يوسف بن أبى السفاح، كاتب سرّ حلب بها (١).

ومات صدر الدين محمد بن الشرف محمد بن إبراهيم بن أبى القاسم الميديمى (٢) أبو الفتح الشيخ المُسنَد المُعمَّر. حَدَّثَ عن النجيب وغيره. ومولده سنة أربع وستين وستمائة. حدثنا عنه شيخنا سراج الدين عمر بن الملقن (٣).

وتوفى إمام الدين محمد بن محمد بن محمد بن أحمد بن على بن محمد بن الحسن بن عبد الله بن أحمد بن ميمون إمام الدين بن زين الدين بن المحدث أمين الدين أبى المعالى بن الإمام القدوة قطب الدين أبى بكر بن الفقيه أبى العباس القيسى القسطلاني، بالقاهرة فى المحرم، ومولده بمكة سنة إحدى وسبعين وستمائة (٤).

ومات جمال الدين أبو الحجاج يوسف بن الإمام شمس الدين أبى محمد أبى عبد الله ابن العفيف محمد بن يوسف بن عبد المنعم بن سلطان المقدسي النابلسي، ثم الدمشقي الحنبلي، فى رجب. ومولده بنابلس، فى سنة إحدى وتسعين وستمائة، حدث عن جماعة (٥).

(١) انظر النجوم الزاهرة ١٠/٢٨٨.

(٢) نسبة إلى ميديم، إحدى قرى بنى سويف.

(٣) انظر النجوم الزاهرة ١٠/٢٢٨.

(٤) انظر النجوم الزاهرة ١٠/٢٣٠.

(٥) انظر النجوم الزاهرة ١٠/٢٣٠.

١٩٥.....سنة أربع وخمسين وسبعمائة

ومات الفقيه المحدث تقي الدين محمد بن عبد الله بن محمد بن عسكر بن مظفر بن نجم الطائي.

ومات القيرواني المصري ثم الدمشقي الشافعي، في شوال. حدث بالقاهرة ودمشق، ودرس بهما.

وقتل حسن بن هند^(١)، وهو الحاكم بمدينة سنجار، وبالموصل، قتله صاحب ماردين، وكانت عساكر الشام حاصرته، ثم عادت عنه.

* * *

(١) في النجوم «حسن بن هندوا» ٢٣٠/١٠.

سنة خمس وخمسين وسبعمائة

شهر الله المحرم أوله يوم الأحد وفي ثامن عشره: قدم الحاج، ولم يتفق بمثل هذا فيما سلف، وهلك جماعة من المشاة، وقدم الشريف ثقبه مقيداً، فسجن.

وفي ثامن عشره: قدم الأمير شيخو، بمن معه من بلاد الصعيد. وكان من خبره أن العربان بالوجه القبلى خرجوا عن الطاعة، وسفك بعضهم دماء بعض، وقطعوا الطرقات، وأخذوا أموال الناس، وكسروا مغلّ الأمراء والأجناد. وقتلوا الكاشف طغاي، وكسروا مجد الدين موسى الهذباني، وأخذوا خامه وقماشه، وقتلوا بعض أجناده. وقام فى البهنساوية ابن سودى، وحشد على بنى عمه، وقتل منهم نحو الألفى رجل، وأغار على البلاد، وأكثر من القتل والنهب. ووافق أيضاً ميسرة بالأطفيحية، واقتل مع ابن مُغنى قتالا كبيرا فاستمر هذا البلاء بالصعيد سنة كاملة، هلك فيها من العربان خلائق كثيرة؛ فما زال السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون يسوس الأمر حتى سكنت تلك الفتن، وتبع أهل الفساد، وحرث ديارهم بالأبقار، وأفناهم بالقتل. ثم ثاروا بعد ذلك، وركبوا على ببيغا الشمسى الكاشف، وحرابوه، وتجمعوا على الفساد، ثم تبع ذلك قيام الأحدثب، واسمه محمد بن واصل، ولم يكن أحدب ولكن أقفص، فشهر لذلك بالأحدثب، وقام الأحدثب هذا فى عرب عرك بناحية [..^(١)]، وقاتل بنى هلال. فلما تغافل أهل الدولة بعد موت السلطان الناصر محمد بن قلاوون عن أهل النواحي، قلت مهابة الكششاف والولاة عندهم، فخرجوا عن الحد، وقطعوا الطرقات براً وبحراً حتى تعذر سلوكها. ومالوا على المعاصر والسواقى، فنهبوا حواصلها من القنود والسكر والأعسال، وذبحوا الأبقار.

وادعى الأحدثب السلطنة، وجلس فى جتر أخذه من قماش الهذباني، وجعل خلفه المسند، وأجلس العرب حوله، ومدّ السماط بين يديه، فنفذ أمره فى الفلاحين. وصار الجندى إذا انكسر له خراج قصده، وسأله فى خلاصه من فلاحه، فيكتب له ورقة لفلاحه وأهل بلده، فيصل بها إلى حقه، ويرسل مع ممالك الكاشف والوالى بالسلام عليه، ويأمره أن يقول: «إن كانت لك حاجة قضيتها لك». وحدثه نفسه بتملك الصعيد، وقويت نفسه بتأخر ولادة الأمور عنه، وأقام له حاجباً وكتائباً.

(١) ما بين المعقوفين بياض فى الأصل.

فلما عظم أمره عقد الأمراء المشور بين يدي السلطان الملك الصالح، في مستهل شوال سنة أربع وخمسين وسبعماية، في أمر عرب الصعيد. وقرروا تجريد العسكر لهم، صحبة الأمير سيف الدين شيخو العمري رأس نوبة، ومعه اثني عشر مقدما بمضافيهم من أمراء الطبلخاناه والعشرات، وهم أسندمر العمري وطشتمر القاسمي، وقطلوبغا الطرخاني، وأرلان، وبزلار أمير سلاح، وكتاي أخو طاز، وأمير على بن أرغون النائب، وتنكز بغا، وجر كتمر، ويلجك قريب قوصون، وقطلوبغا الذهبي، وأن يتوجه كتاي وابن أرغون النائب نحو الشرق بالإطفيحية، ويتوجه يلجك إلى الفيوم، وبزلار وأرلان نحو الواح، ويتوجه الأمير شيخو ببقية الأمراء إلى جهة قوص، ويتأخر في صحبة السلطان عند سفره الأمير طاز، والأمير صرغتمش، والأمير قجا أمير شكار. فيتوجه السلطان نحو البهنسا كأنه يتصيد، وأن يكون السفر في ذي القعدة، فيتوجه الأمراء أولا، ثم يركب السلطان بعدهم.

فطار الخير إلى عامة بلاد الوجه القبلي، فأخذ العربان حذرهم، فمنهم من عزم على الدخول بأهله إلى بلاد النوبة، ومنهم من اختفى في موضع أعده ليأمن فيه على نفسه، ومنهم من عزم على الحج وقدم إلى مصر، ففطن بهم أعداؤهم، ودلوا عليهم الأمراء. فقبض على جماعة من قدم مصر نحو العشرة، وأخذ ما معهم. ثم ركب الأمير شيخو إلى بركة الحاج في عدة وافرة، وأحاط بالركب، وتبع الخيام وغيرها بعد ما حذر من أخفى العرب، فقبض على جماعة منهم، وقتل من عرف منهم بفساد، وأطلق من شكر حاله.

ثم توجه الأمراء في ذي القعدة، وعدى السلطان بمن معه من بقية الأمراء إلى برّ الجيزة، فكبست بلاد الجيزة، بعد ما كتب لمتوليها ومشايخها وأرباب أدراكها أنهم لا يخفون أحداً من العرب، ولا من أولادهم ونسائهم، فأخذ الصالح والطالح. وقبض الأمراء على الخيول والسيوف، حتى لم يبق ببلاد الجيزة فرس ولا سيف، وأحضروا أصحابها إلى الوطاق. واستدعى الوالي ومشايخ العربان، وعرض من قبض عليه، فمن عرفه أنه من أهل البلاد أفرج عنه، ومن لم يعرفه قيّد وحُمّل إلى القاهرة فسجن بها. وعرضت الخيول، فمن عُرف فرسه من الفلاحين رُسم له ببيعها في سوق الخيل تحت القلعة، وحمل ثمنها إلى الديوان مما عليه من الخراج. ورُسم بمثل ذلك فيما يحضر من خيول فلاحى بقية النواحي، أى أنّ الفلاح يبيعها ويورد ثمنها فيما عليه من الخراج، إما للأمير أو للجندي. فامثل ذلك وعمل به، وسيقت خيول المفسدين، ومن لم يعرف له صاحب حُمّل إلى إصطبل السلطان.

وَنُدبَ الأميرُ عز الدين أزدَمَر كاشفَ الوجه البحرى للسفر إلى عمله، فكبس البلاد المتجوّهة، والتي تُعرف بأنها مأوى المفسدين فى عامة الشرقىة والوجه البحرى بأجمعه. وأحسن أزدَمَر التدبير فى ذلك، فإنه كتب لجميع الولاة أن يلاقوه فى البرّ والبحر، وواعدهم يوماً عيّنهُ. وكان الوالى بالغربرىة فى برّه، والكاشف والولاة وأرباب الأدرارك مقابله، ومنعوا الناس كلهم من ركوب النبل، فأخذ الوالى عربا كثيرا، وكبس بلادا عديدة، وأخذ منها المفسدين، فوسّط وسمّر جماعات منهم، وسير إلى القاهرة مائة وخمسين رجلا فى الحديد، ومائة وعشرين فرسا، وسلاحا كثيرا. وأرسل متولى البحرىة من خيل عربىها ستمائة وأربعين فرسا، فلم يتأخر فى الوجه البحرى فرس واحد من خيول العربان. ورسوم لقضاة البر وعدوله بركوب البغال والأكاديش.

وتوجه السلطان بعد رحيل الأمراء من الجيزة إلى البهنسا، فتولى الكبسات الأمير طاز والأمير صرغتمش، وتبعوا الرجال، وعاقبوا النساء والصبيان حتى دلّوهم على أماكنهم، فأخرجوهم من المطامير^(١)، وسفكوا دماء كثيرة. وقبضوا على عدة رجال، فأودعوهم الحديد، وحازوا من الخيل والسلاح شيئا كثيرا.

فحشد الأحدب بن واصل شيخ عرك جموعه، وصمم على لقاء الأمراء، وحلّف أصحابه على ذلك. وقد اجتمع معه عرب منفلوط، وعرب المراغة وبنى كلب وجهينة^(٢) وعرك، حتى تجاوزت فرسانه عشرة آلاف فارس تحمل السلاح، سوى الرجالة المعدة، فإنها لا تعد ولا تحصى لكثرتها. وجمع الأحدب مواشى أصحابه كلهم وأموالهم وغلالهم وحرهم وأولادهم، وأقام ينتظر قدوم العسكر.

فقدم الأمير شيخو بمن معه حتى نزل سيوط، ومعه الولاة والكشاف، فتلقاه أهلها وعرفوه أمور العرب، وما هم عليه من العزم على اللقاء والمحاربة، وكثرة جمعهم. فاستراح الأمير شيخو، وقدمت عليه عرب الطاعة، وهولوا عليه بكثرة جمع المارقين حتى داخله الوهم، وبعث يستدعى بالعسكر من القاهرة. فعرض الأمير سيف الدين قبلاى نائب السلطنة مقدمى الحلقة ومضافهم، وعين منهم تسعين مقدا، وأضاف إلى كل مقدم جماعة. وعرضت أوراق بأسمائهم على السلطان والأمراء، فاختراروا منهم خمسة وعشرين مقدا، مع كل مقدم من مضافيه عشرون جنديا، فتكون عدتهم خمسمائة فارس؛ ورسوم بتجهيزهم. وأعيد جواب الأمير شيخو بذلك، فردّ جوابه بأن فى حضور

(١) هو المكان الصالح للاختباء انظر محيط المحيط «طمر».

(٢) جهينة: بلفظ التصغير، قرية كبيرة من نواحى الموصل على دجلة، وهى أول منزل لمن يريد

بغداد من الموصل، وعندها مرّج يقال له مرّج جهينة. انظر معجم البلدان ١٩٤/٢ .

نجدة من القاهرة ما يوجب طمع العربان فى العسكر، وظنهم أن ذلك من عجزهم عن اللقاء، وأشار بإبطال تجريد النجدة، فبطلت.

ثم رحل الأمير شيخو عن سيوط، وبعث الأمير مجد الدين الهذبانى ليؤمن بنى هلال أعداء عرك، ويحضرهم ليقاتلوا عرك أعداءهم. فانخدعوا بذلك، وفرحوا به، وركبوا بأسلحتهم، وقدموا فى أربعمئة فارس، فما هو إلا أن وصلوا إلى الأمير شيخو فأمر بأسلحتهم وخيولهم فأخذت بأسرها، ووضع فيهم السيف، فأفناهم جميعاً. وركب الأمير شيخو من فورهِ، وصعد عقبة أدفو فى يوم وليلة، فلما نزل إلى الوطاة (١) قدم عليه نجاب من أمراء أسوان بأن العرب قد نزلوا فى برية بوادى الغزلان، فألبس العسكر آلة الحرب.

وقدم الأمير سودون أحد أمراء الطبلخاناه فى مائة من ممالك الأمراء طليعة، وساروا. فلما كان قبيل العصر التقت الطليعة بقتة من طلائع العرب، فبعث سودون يخبر الأمير شيخو بذلك، وقتلهم فانهزموا، ثم عادوا للحرب مراراً حتى كلت خيول الترك، ولم يبق إلا أن تأخذهم العرب. فأدركهم الأمير شيخو، وقد ساق لما أتاه الخير سوقاً عظيماً بمن معه، وامتلاً الجو من غبارهم. وهبت ريح، فحملت الغبار وألقته فى وجوه العرب حتى صار أحدهم لا يرى رفيقه، مع رؤيتهم بريق الأسنة ولمعان السيوف. فخارت قواهم، وانهزموا بأجمعهم، بعد ما استعدوا للقاء استعداداً محكماً. فقدموا الرجالة بالدرق أمام الفرسان، لتلقى عنهم السهام، وقامت الفرسان من ورائهم بأسلحتها، وأوقفوا حریمهم من ورائهم. وصار الرجل منهم يصدم ابنه وأخاه وهو لا يلوى على شىء. فركب الترك أقفيتهم، ومن وقت الغروب عند الهزيمة، يقتلون ويأسرون حتى أتم الليل، وباتوا متحارسين، فلم يعد أحد من العرب إليهم. وعند ارتفاع النهار جرد الأمير شيخو طائفة فى طلبهم، فأحاطوا بمال كثير ما بين مواشى وقماش، وحلى ونقود، وعروض وأقوات، وأزواد وروايا ماء. وسبوا حریمهم وأولادهم، فاسترقوا كثيراً منهم، وصار إلى الأجناد والغلمان منهم شىء كبير، باعوا منه عدداً كثيراً بالقاهرة، بعد عودهم.

وهلك من العرب خلائق بالعطش، ما بين فرسان ورجالة وجدهم المجردون فى طلبهم، فسلبوهم. وصعد كثير منهم إلى الجبال، واختفوا فى المغائر، فقتل العسكر وأسر وسبا عدداً كثيراً، وارتقوا إلى الجبال فى طلبهم، وأضرموا النيران فى أبواب المغائر،

(١) الوطاة: الأرض السهلة المنخفضة.

فمات بها خلق كثير من الدخان. وخرج إليهم جماعة، فكان فيهم من يلقي نفسه من أعلى الجبل ولا يسلم نفسه، ويرى الهلاك أسهل من أخذ العدو له. فهلك فى الجبال أمم كثيرة وقتل منهم بالسيف ما لا يحصى كثرة، حتى عملت عدة حفائر وملئت من رمهم، وبنى فوقها مصاطب ضربت الأمراء رنوكها عليها، وأنتنت البرية من جيف القتلى ورمم الخيل.

ثم فرق الأمير شيخو الأمراء فى البلاد لكبسها، فطرقوا عامة النواحي، وقبضوا على جماعة كثيرة قتلوا منهم خلقاً كثيراً، وأحضروا خلقاً إلى الأمير شيخو فأقاموا على هذا عدة أيام، حتى لم يبق ببلاد الصعيد بدوى. ثم نصبت الأخشاب على الطرقات، وعلق فيها أعداد وافرة ممن شُنق ووُسِّط من العرب، فكان أولها طما وآخرها منية ابن خصيب. ثم عاد الأمير شيخو بمن معه، وصحبته نحو الألفى رجل فى الحديد، فلم يصل إلى القاهرة منهم سوى ألف ومائتين، وهلك باقيهم بالجوع والتعب. فلما نزل طموة^(١) خرج إليه الأمراء بأجمعهم، وعملوا له الولايم العظيمة مدة أيام. ثم سافر الأمير شيخو منها فى موكب جليل، والأسرى بين يديه، والخيول والجمال والسلاح، حتى صعد القلعة، وكان يوماً مشهوداً. وأثنى عليه من كان معه، بإحسانه إليهم ونفقاته فيهم، فكانت مدة غيبته نحو ثلاثة أشهر، وأقل ما قيل إنه قتل فى هذه الواقعة زيادة على عشرة آلاف رجل.

ثم قدمت الأسرى التى أحضرت مع الأمير شيخو، أو من بعث به الكشاف والولاة، وفيهم ابن ميسرة الثائر بالأطفيحية، فأفرج عن جماعة منهم. وسُمِّر ابن ميسرة وثلاثة عشر من أكابر العربان، ومائة وأربعون رجلاً من شرارهم، وشُهِرُوا. وقُبِد جماعة وسخروا فى العمل. وعُرِضت الدواب، فكانت ألفاً وثلاثمائة فرس، وألفاً وخمسمائة جمل، وسبعمائة حمار، وأغناماً كثيرة، سوى ما نهبه العبيد وأكلوه. وعُرِض السلاح، فكان مائة حمل رماح، وثمانين حمل سيوف، وثلثين حمل درق. وكتب لجميع ولاة الأعمال وكشافها ألا يدعوا فى جميع النواحي فرسا لبدوى ولا لفلاح سوى أرباب الأدراك، فإنه يترك لكل واحد منهم فرس. فركب الولاة إلى البلاد، وأخذوا ما بها من الخيول، وسيروها إلى اصطبل السلطان. فكان الرجل إذا حضر وادعى ملك شىء سلّم إليه، بعد ما تظهر صحة دعواه، وألزم بعد تسليمه بأن يبيعه ويعطى ثمنه مما عليه من الخراج، فكثرت الخيول بالقاهرة، واستوفى الأجناد خراجهم قبل أوانه.

(١) قرية من قرى محافظة الجيزة حالياً.

فكانت هذه الواقعة من أعظم حوادث الصعيد، وأشنع محنها، ولذلك سقتها في هذا الموضوع كما هي، وإن كان قد تقدم في السنة الحالية طرف منها؛ لأن حكايتها متواليه آيين لها، وأكثر فائدة لمن وقف عليها.

وقد مدح الأمير شيخو غير واحد عند قدومه، منهم ناصر الدين النشائي أحد كتاب الإنشاء، فقال قصيدة أولها:

| | |
|--------------------------|-------------------------------|
| صعودك للصيد له سُعودُ | به نُجِزَتْ من النصر الوُعودُ |
| وأرسل نحوهم فرسان حرب | ضراغمة تخافُهُمُ الأسودُ |
| فخاضوا فيهِمُ بالسيف حتى | غدوا وهُم قَتيل أو شريد |
| ومهدت البلاد فزال عنها | ظلام الظلم وابتهج الوجود |

وقال الفخر عبد الوهاب كاتب الدرج، من أبيات:

| | |
|---------------------------------|-------------------------------|
| قدومٌ سعيدٌ مبهجٌ وإياب | به حُفَّ للنصر العزيز ركابُ |
| مضيتُ مَضَى السهم في غزو عُصبة | بُغَاةٍ وغازي المفسدين يُتابُ |
| ومن كان قتلُ النفس بَعْضَ ذنوبه | فليس له إلا السيفُ عِتَابُ |
| فلم تنجهم أرض ولا عصمتهمُ | مغائر ما بين الصخور صعبُ |

وقال الأمير عز الدين أزدمر الكاشف قصيدة منها:

| | |
|--------------------------------|---------------------------------|
| حسام عزمك بردى الأسد في الأجم | ونور رأيك يهدى الناس في الظلم |
| وحين أصبح أمر العُربِ مختلفاً | فليس يُعرفُ منه خَلْفَ من أَمم |
| سالت عليهم جيوش الله يَقدُمُها | شيخو لمؤبد بالصمصامة الخدم |
| سعى إليهم ونصراً الله يَقدُمُه | في بحر جيش بموج الخيل منتظم |
| والأرض ترجف تحت الخيل من فرق | والخيل تمشى على الأشلاء والرمام |
| فأوقع السيف في الأعداء منتصرا | لله حتى غَدُوا لحمًا على وَضَم |
| ولم يدع دار بغى غير دائرة | ولا منار شقاق غير منهدم |

وكان الأحذب قد نجا بنفسه، فلم يقدر عليه، ومن حينئذٍ أمنت الطرقات براً وبحراً، فلم يسمع بقاطع طريق بعدها. ووقع الموت فيمن تأخر في السجون من العربان، فكان يموت منهم في اليوم من عشرين إلى ثلاثين، حتى فنوا إلا قليلاً.

وقدم الخير من المدينة النبوية أن الشريف مانع بن علي بن مسعود بن جَمَاز وأولاد طفيل جمعوا ونازلوا المدينة، يريدون قتل الشريف فضل بن قاسم بن قاسم بن جَمَاز، فامتنع بها، وهم يحاصرونه اثني عشر يوماً مرت بينهم فيها حروب، فانهزموا ومضوا من حيث أتوا.

وفيه أخرج الأمير ساطلمش تركاش منفيًا؛ لسوء سيرته.

وفيه ضربت عدة من شهود الزور، وحلقت لحاهم، وشهروا فى القاهرة، وكان يوما شنيعا.

وفيهما أخرج ابن طشتمر الساقى منفيًا إلى طرابلس؛ لانهماكه فى اللعب.

وفى شهر ربيع الأول: قدم محمد بن واصل الأحذب، شيخ عرك من بلاد الصعيد، طائعا. وكان من خيره أنه لما نجا وقت الهزيمة. وأخذت أمواله وحرمه، ترمى بعد عود العسكر على الشيخ المعتقد أبى القاسم الطحاوى فكتب الشيخ فى أمره إلى الأمير شيخو، يسأل العفو عنه وتأمينه. على أنه يقوم بدرك البلاد، ويلتزم بتحصيل جميع غلالها وأموالها، وما يحدث بها من الفساد فإنه مؤاخذ به، وأنه يقابل نواب السلطان من الكشاف والولاة فكتب له أمان سلطاني، وكتب بتطبيب خاطره وحضوره آمنا، فسار ومعه الشيخ أبو القاسم. فأكرم الأمراء الشيخ، وأكرموا لأجله الأحذب، وكان دخوله يوما مشهودا.

وتمثل الأحذاب بين يدى السنطان. وأنعم عليه السلطان وألبسه تشريفاً وناله من الأمراء إنعام كثير، وضمن منهم درك البلاد على ما تقدم ذكره، فرسم له بإقطاع. وعاد الأحذب إلى بلاده بعد ما أقام نحو شهر، وقد ألبسه السلطان تشريفاً ثانيا ثم توجه الشيخ أبو القاسم الطحاوى أيضا بعد أيام، وكان نزوله بزواية العربان من القرافة، فجددها الأمير شيخو تجديداً حسنا.

وفيه توجه الناصر بن المجاهد صاحب اليمن عائداً إلى أبيه بمن معه، بعد أربعة أشهر من قدومه. وأخذ معه كثير من الصناع والمخاييلين والشعبذين والمساخر وأرباب الملاهى، وتحفا عديدة قامت عليه بأموال جزيلة وأنعم عليه السلطان والأمراء بغير نوع من الهدايا والتحف السنية، وألبسوه الخلع الجليلية، وبالغوا فى إكرامه. وجهزوا له ما يحتاج إليه من المراكب، وكتب إلى ولاة الأعمال بإكرامه، فسار فى البحر.

وفى حادى عشر رجب: أفرج عن الأمير سيف الدين منجك، والأمير علاء الدين مغلطاي أمير آخور. وكان المعتنى بالأمير منجك الأمير شيخو، والمعتنى بالأمير مغلطاي الأمير طاز. فتوجه إليهما الأمير جتتمر أخو طاز، وحملهما من الإسكندرية، فكان دخولهما يوما مشهوداً، بعد ما أقاما بسرياقوس عشرة أيام، والتقادم ترد إليهما، وتمد لهما الأسمطة العظيمة بالهمة الجليلية، فأنعما على متسفرهما الأمير جتتمر بسبعة آلاف دينار.

وفيه قدم البريد من حلب بتعذر مسير القوافل من كثرة فساد العرب وقطعهم الطريق، وأن سيف بن فضل تعجّر عن مقاومة عرب فياض بن مهنا، وأن الأمير أرغون الكاملى نائب حلب أخرج مقدما من مقدميه فى تجريدة لحفظ الطريق مع بعض الأمراء، فكبسه العرب وقتلوه، فقتل فى المعركة، وأن سيف بن فضل عمر بن موسى ابن مهنا لما ألزمهما الأمير أرغون الكاملى نائب حلب بتحصيل من قتل المذكور ادعوا أنهم من غير عربهم.

وكان فياض لما كتب إليه بالحضور اعتذر عن ذلك، والتزم بدرك البلاد وكفّ أسباب الفساد، وبعث ابنه إلى السلطان رهينة بمصر. فحضر سيف وعمر بقود كبير، من جمال وخيل، فاعتنى الأمير طاز بسيف، وما زال حتى خلعه عليه وعلى عمر، واستقرا فى الإمرة. فتوجه ولد فياض من مصر إلى أبيه، وأخبره بذلك، فاشتد حنقه، وكثر قطعه الطريق، وعزم على المسير إلى أولاد قراجا بن دلغادر وإحضارهم بجماعتهم لأخذ حلب. فانحصر الأمير أرغون الكاملى نائب حلب، وضاق ذرعه. فلما قدم كتابه اقتضى رأى إرسال الأمير جنتمر أخى طاز إلى الأمير فياض، وكتبت على يده عدة كتب من السلطان والأمراء، بتطمين خاطره والحلف له ألا يتعرض له بسوء. فركب الأمير جنتمر فى عشرة سروج على السرير، ولقى فياضاً، وما زال به حتى أذعن له وركب معه، بعد ما بالغ فى إكرامه، وأكثر من التقادم السنية له، وقدم إلى القاهرة فى عاشر جمادى الآخرة.

وفيه أخذ الأمير صرغتمش من دار ابن زنبور بالقاهرة ما كان بها من الرخام، فوجد فى زواياها من أوانى الصينى والنحاس ومن القماش وغيره شيئاً كثيراً.

وفيه قدم عدة من النصارى بالغربية، ووقفوا بدار العدل من القلعة للسلطان، وسألوا إعادة كنيسة التحريية التى هدمها العامة وعملوها مسجداً. فلم يجابوا لذلك، وطردها بعد ضربهم، وكتب إلى متولى الناحية أن يعمل لهذا المسجد مناراً يؤذن فيه للصلوات الخمس، وتجدد عمارة المسجد، فامتثل ذلك.

وفى شهر ربيع الآخر: وقفت أحوال ديوانى الخاص والدولة، حتى إن السلطان كان إذا استدعى بشيء من الخاص يقول بدر الدين ناظر الخاص: «ما تم حاصل، وليس لى مال». وتأخر من الدولة ما يصرف للحوائج كاشية وأرباب المرتب ونفقات ممالك السلطان. فكثرت الإنكار على بدر الدين ناظر الخاص، وأسمعه الأمراء ما يكره، فالتجأ إلى الأمير صرغتمش وكان يعضده، وذكر له ما هو فيه من العجز. فوعده الأمير

صرغتمش بتخليصه، وأسرَّ إليه أن يمارض في بيته أياماً حتى يدبّر أمره مع السلطان والأمراء. فانقطع بدر الدين عن الخدمة، وأظهر أنه مريض، فلم يبق أحد من أهل الدولة حتى عاد على العادة. ثم بعد أيام انقطع الوزير صاحب موق الدین أبو الفضل عبد الله بن سعيد الدولة لوعك أصابه، فتعطلت أشغال السلطنة. وأخذ الأمير صرغتمش يحدث الأمراء في إعفاء بدر الدين ناظر الخاص، فاستدعى تاج الدين أحمد بن صاحب أمين الملك عبد الله بن غنام، وعرض عليه السلطان نظر الخاص، فتمنع تمنعاً زائداً، فلم يوافق الأمير طاز، وألبسه التشريف في يوم الخميس رابع عشره، فولى الخاص عوضاً عن بدر الدين.

ثم كان موت الوزير موق الدین في يوم الجمعة ثاني عشره، فتعين الأمير ناصر الدين محمد بن بيلىك المحسنى وطلب الأمير ناصر الدين لذلك، فامتنع أشد الامتناع، وجرت بينه وبين تاج الدين ناظر الخاص مفاوضة في مجلس السلطان، سببها أنه قال: «ما ثم من يصلح للوزارة إلا الأمير ناصر الدين»، فحنق منه، وقال له: «ما يصلح إلا أنت، فتكون الوزارة مضافة للخاص كما كان من قبلك». فامتنع تاج الدين من ذلك، وانفض المجلس، فأخذ الأمير طاز بحسن لناظر الخاص التحدث في الوزارة، ويعده بمساعدته، وهو يأبى.

وفي أثناء ذلك استعفى الأمير شيخو من التحدث في أمر الدولة، فتقرر الحال على أن ينفرد السلطان بتدبير دولته، من غير أن يعارضه أحد في ذلك، ويستبد بالملكة وحده، كما كان أبوه وجده. واجتمع الأمراء وسائر أهل الدولة بين يدي السلطان، وفاوضوه في ذلك، فوافق غرضه، فإنه كان في حصر شديد، ليس له أمر ولا نهى ولا تصرف في شيء من أمور الدولة، وهو محجور عليه مع الأمير شيخو. فقلدوه الأمور، والتزموا بطاعته فيما يرسم به. فصار مباشرو الدولة يدخلون على السلطان، وينهون له الأحوال، فيمضيها بأمره ونهيه.

واختص السلطان بالأمير طاز، وتقدم إليه أن ينظر في أمور الدولة من غير أن يظهر ذلك. فاشتهر بين الأمراء وغيرهم أن استعفاء الأمير شيخو من التحدث في أمور الدولة، واستقلال السلطان بالأمر، إنما هو بتدبير طاز وقيامه فيه مع السلطان، فإن السلطان كان له ميل كبير إلى الأمير طاز، وشُغِف بحب أخيه جنتمر وقتن به. وكان ذلك مما لا يخفى على شيخو، فرأى أن ترك التحدث في الدولة من تلقاء من نفسه خير من عزله عنه. فلما استبد السلطان بأمره منع الأمير شيخو الوزير وناظر الخاص وأمثالهما من الدخول إليه، واستأذن السلطان في الإقامة بإصطبله عدة أيام ليشرب دواء. فخلا

تاج الدين ناظر الخاص بالأمير طاز، وعرفه كثرة ما على الدولة من الكلف، وأنها لا تفي بذلك، وقرر معه أن يوفر من المصاريف جملة. وكتب تاج الدين ما على الدولة من المصروف، فكانت جملة ما أطلقه صاحب موفق الدين لزوجته اتفاق وخدامها ومن يلوذ بها سبعمائة ألف درهم في كل سنة. ثم كتب تاج الدين استيمارا بما يترتب صرفه، وأخذ عليه خط السلطان، وعين صهره فخر الدين ماجد بن قزوينة لنظر الدولة، فطلب وخلع عليه شريك فخر الدين بن السعيد. فكان المتوفر من معالم المباشرين جملة كثيرة، فإنه لم يدع مباشراً إلا وفّر من معلومه نصفه أو ثلثيه، ولم يراع منهم أحداً، لا من مباشرة الدولة، ولا مباشرة الخاص، ولا مباشرة الإسكندرية ودمياط، وجميع أعمال الوجه القبلي والوجه البحري. ثم عزل تاج الدين كثيراً من مباشرة المعاملات، فإنه كان في كل معاملة ستة مباشرين وأكثر، فجعل في كل معاملة ثلاثة مباشرين، ورتب لكل منهم نصف معلوم. ووفر تاج الدين معلومه على نظر الخاص، وباشر الخاص بمعلوم الجيش. فشمّل هذا كل من له معلوم في بيت السلطان، من متجر وغيره، ما خلا الموقعين والأطباء، فإن الموقعين عنى بهم كاتب السرّ علاء الدين على بن فضل الله، وكان عظيماً في الدولة، فلم يتعرض تاج الدين لشيء من معالمهم، وأقرها بكما لها. وأما الأطباء فاعتنى بهم الأمير طاز، فإنه أمير مجلس، وهم من تعلقه. وأما من عدا هؤلاء، فإنه حاصصه على مباشرة صرغتمش وطاز وشيخو؛ فجاء جملة المتوفر نحو سبعمائة ألف درهم، في كل سنة. فشق ذلك على الأمراء، وكرهوا قطع الأرزاق، وتشاءوا بهذا الفعل. واشتهر ذلك بين الناس، فتنكرت قلوبهم، وكثر دعاؤهم وابتهالم إلى الله تعالى.

ثم إن تاج الدين اتهم بدر الدين ناظر الخاص بأنه حوى مالا كثيراً من جهة تركة ابن زنبور، وما زال به حتى حُمل من بيته وهو مريض إلى القلعة، وألزم بحمل مال كبير، فحمل بدر الدين المال مدة أيام، ومات يوم الثلاثاء رابع عشر جمادى الأولى في قاعة صاحب بالقلعة، بعد موت صاحب موفق الدين بشهر ويومين. فقام الأمير صرغتمش في مساعدته، ومنع من الحوطة على موجوده، وكان بدر الدين قد خلف سعادة جليلة مما حصله من جهة ابن زنبور.

وفي سادس عشر جمادى الأولى: قدم ابن رمضان التركمانى، المستقر عوضاً عن قراجا بن دلغادر، وقدم للسلطان والأمراء ألف أكديش. فرسم له بالإمرة على التركمان، وأنعم له بالإقطاع، وأنعم على عدة من أصحابه بإمرات، ما بين عشرات وطلبخاناه، وعاد إلى بلاده.

وفيه رسم بعمل أوراق بالرزق الأحباسية التي فى إقطاعات الأمراء، وفى غير ذلك من أراضى مصر، مما هى موقوفة على الكنائس والديارات، فجاءت خمسة وعشرين ألف فدان. فأنعم على كل أمير بما فى إقطاعه من ذلك، ورسم لجماعة من الفقهاء بشىء من هذه الرزق.

وفى هذه السنة: كانت واقعة النصارى، وذلك أنهم كانوا قد تعاضموا، وتباهوا بالملابس الفاخرة، ومن الفرجيات المصقولة والبقيار الذى يبلغ ثمنه ثلاثمائة درهم، والقوط التى تلفها عبيدهم على رؤوسهم بمبلغ ثمانين درهما القوطة. وركبوا الحمير الفرة ذات الأثمان الكثيرة، ومن ورائهم عبيدهم على الأكاديش. وبنوا الأملاك الجليلة فى مصر والقاهرة ومنتزهاتها، واقتنوا الجوارى الجميلة من الأتراك والمولّدات، واستولوا على دواوين السلطان والأمراء، وزادوا فى الحمق والرقاعة، وتعدوا طورهم فى الترفع والتعاضم. وأكثروا من أذى المسلمين وإهانتهم، إلى أن مرّ بعضهم يوماً على الجامع الأزهر بالقاهرة، وهو راكب بخفّ ومهماز وبقيار طرح سكندرى على رأسه، وبين يديه طرادون يبعدون الناس عنه، وخلفه عدة عبيد على أكاديش، وهو فى تعاضم كبير. فوثب به طائفة من المسلمين، وأنزلوه عن فرسه، وهموا بقتله، فخلصه الناس من أيديهم.

وتحرّكت الناس فى أمر النصارى وماجوا، وانتدب عدة من أهل الخير لذلك، وصاروا إلى الأمير طاز الشريف أبى العباس الصفراوى، وبلغوه ما عليه النصارى مما يوجب نقض عهدهم، وانتدبوه لنصرة الإسلام والمسلمين. فانتفض الأمير طاز لذلك، وحدث الأميرين شيخو وصرغتمش وبقية الأمراء فى ذلك بين يدى السلطان، فوافقوه جميعاً، وكان لهم يومئذ بالإسلام وأهله عناية. ورتبوا قصة على لسان المسلمين، قرئت بدار العدل على السلطان بحضور الأمراء والقضاة وعامة أهل الدولة. فرسم بعقد مجلس للنظر فى هذا الأمر؛ ليحمل النصارى واليهود على العهد الذى تقرّر فى خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه. وطلب بطرك النصارى ورئيس اليهود، وحضرت قضاة القضاة وعلماء الشريعة، وأمراء الدولة، وجرىء بالبطرك والرئيس، فوقفا على أرجلهما وقرأ العلامى على ابن فضل الله كاتب السر نسخة العهد الذى بيننا وبين أهل الذمة، بعد ما ألزموا بإحضاره، وهو ألا يحدثوا فى البلاد الإسلامية وأعمالها ديراً ولا كنيسة ولا صومعة، ولا يجددوا منها ما خرب، ولا يمنعوا من كنائسهم التى عاهدوا عليها أن ينزل بها أحد من المسلمين ثلاث ليال يطعمونه. ولا يكتموا غشاً للمسلمين، ولا يعلموا أولادهم القرآن، ولا يمنعوا من الإسلام إن

أرادوا، وإن أسلم أحدهم لا يؤذوه. ولا يتشبهوا بشيء من ملابس المسلمين، ويلبس النصراني منهم العمامة الزرقاء عشر أذرع فما دونها، واليهودى العمامة الصفراء كذلك، ويمنع نساؤهم من التشبه بنساء المسلمين. ولا يتسموا بأسماء المسلمين، ولا يكتنوا بكناهم، ولا يتلقبوا بألقابهم، ولا يركبوا على سرج، ولا يتقلدوا سيفاً، ولا يركبوا الخيل والبغال، ويركبون الحمير عرضاً بالكف من غير تزيين ولا قيمة عظيمة لها. ولا ينقشوا خواتمهم بالعربية، وأن يجزّوا مقدم رءوسهم، والمرأة من النصراني تلبس الإزار المصبوغ أزرق، والمرأة من اليهود تلبس الإزار المصبوغ أصفر. ولا يدخل أحد منهم الحمام إلا بعلامة تميزه عن المسلم فى عنقه، من نحاس أو حديد أو رصاص أو غير ذلك، ولا يستخدموا مسلماً فى أعمالهم. وتلبس المرأة السائرة خفين أحدهما أسود والآخر أبيض، ولا يجاوروا المسلمين بموتاهم، ولا يرفعوا بناء قبورهم، ولا يعلوا على المسلمين على المسلمين فى بناء، ولا يضربوا بالناقوس إلا ضرباً خفيفاً، ولا يرفعوا أصواتهم فى كنائسهم. ولا يشترى من الرقيق مسلماً ولا مسلمة، ولا ما جرت عليه سهام المسلمين، ولا يمشوا وسط الطريق توسعة للمسلمين، ولا يفتنوا مسلماً عن دينه، ولا يذلّوا على عورات المسلمين. ومن زنى بمسلمة قتل، ومن خالف ذلك فقد حلّ منه ما يحلّ من أهل المعاندة والشقاق.

وكل من مات من اليهود والنصارى والسامرة، ذكراً كان أو أنثى، يحتاط عليه ديوان الموارث الحشرية، بالديار المصرية وأعمالها وسائر الممالك الإسلامية، إلى أن يثبت وراثته ما يستحقونه بمقتضى الشرع الشريف. فإذا استحق يعطونه بمقتضاه، وتحمل البقية لبيت مال المسلمين، ومن مات منهم ولا وارث له يحمل موجوده لبيت المال. ويجرى على موتاهم الحوطة من ديوان الموارث ووكلاء بيت المال بجرى من يموت من المسلمين، إلى أن تبين موارثهم.

وكان هذا العهد قد كتب فى رجب سنة سبعمائة فى الأيام الناصرية محمد بن قلاوون، فلما انتهى العلائى على بن فضل الله كاتب السرّ من قراءته تقلد بطرك النصراني وديان اليهود حكم ذلك، والتزما بما فيه، وأجابا بالسمع والطاعة.

ثم جال الحديث فى أمر اليهود والنصارى وإعادة وقائعهم الماضية، وأنهم بعد التزامهم أحكام العهد يعودون إلى ما نهوا عنه. فاستقر الحال على أنهم يمنعون من الخدم فى جميع الأعمال، ولا يستخدم نصراني ولا يهودى فى ديوان السلطان، ولا فى شيء من دواوين الأمراء، ولو تلفظ بالإسلام، على أن أحداً منهم لا يُكره على

الإسلام، فإن أسلم برضاه، لا يدخل منزله، ولا يجتمع بأهله، إلا إن اتبعوه فى الإسلام، ويلزَمُ أحدهم إذا أسلم بملازمة المساجد والجوامع. وأن تكون عمامة النصرانى واليهودى عشر أذرع، ويلزَموا بزيادة صبغها، وألا يستخدموا مسلماً، وأن يركبوا الحمير بالأكف، وإذا مرّوا بجماعة من المسلمين نزلوا عن دوابهم، وأن يكون قيمة حمار أحدهم أقل من مائة درهم، وأن يلجأوا إلى أضيق الطرق، ولا يُكْرَموا فى مجلس، وأن تلبس نساؤهم ثياباً مغيرة الزى إذا مرّرن فى الطرقات، حتى أخفاهن تكون فى لونين، ولا يدخلن حمامات المسلمين مع المسلمات. وكتب بذلك كله مراسيم سلطانية سار بها البريد إلى البلاد الإسلامية، فكان تاريخها ثانى عشرى جمادى الآخرة، وقرئ منها مرسوم بمجلس السلطان فى يوم الخميس خامس عشرية. وركب من الغد يوم الجمعة سادس عشرية الأمير سيف الدين قشتمر الحاجب، ومعه الشريف شهاب الدين المنشئ بالمراسيم السلطانية إلى البلاد الإسلامية.

وقرئ مرسوم بجامع عمرو من مدينة مصر، وآخر بجامع الأزهر من القاهرة، فكان يوماً عظيماً هاجت فيه حفاظ المسلمين، وتحركت سواكنهم، لما فى صدورهم من الحق على النصرارى، ونهضوا من ذلك المجلس بعد صلاة الجمعة، وثاروا باليهود والنصارى، وأمسكهم من الطرقات، وتتبعوهم فى المواضع وتناولوهم بالضرب، ومزقوا ما عليهم من الثياب، وأكروههم على الإسلام، فيضطروهم كثرة الضرب والإهانة إلى التلطف بالشهادتين خوف الهلاك. فإنهم زادوا فى الأمر حتى أضرموا النيران، وحملوا اليهود والنصارى، وألقوهم فيها. فاخفتوا فى بيوتهم، حتى لم يوجد منهم أحد فى طريق ولا ممر، وشربوا مياه الآبار؛ لامتناع السقائين من حمل الماء من النيل إليهم.

فلما شنح الأمر نودى فى القاهرة ومصر ألا يعارض أحد من النصرارى أو اليهود، فلم يرجعوا عنهم. وحلّ بهم من ذلك بلاء شديد، كان أعظمه نكاية لهم أنهم منعوا من الخدم بعد إسلامهم، فإنهم كانوا فيما مضى من وقائعهم إذا منعوا من ذلك كادوا المسلمين بإظهار الإسلام، ثم بالغوا فى إيصال الأذى لهم بكل طريق، بحيث لم يبق مانع يمنعهم؛ لأنه صار الواحد منهم فيما يظهر مسلماً ويده مبسوطة فى الأعمال، وأمره نافذ، وقوله ممتثل. فبطل ما كانوا يعملون، وتعطلوا عن الخدم فى الديوان، وامتنع اليهود والنصارى من تعاطى صناعة الطب. وبدل الأقباط جهودهم فى إبطال ذلك، فلم يجابوا إليه.

ثم لم يكفِ الناس من النصارى ما مرّ بهم حتى تسلطوا على كنائسهم ومساكنهم الجلييلة التي رفعوها على أبنية المسلمين، فهدموها. فازداد النصارى واليهود خوفاً على خوفهم، وبالغوا في الاختفاء، حتى لم يظهر منهم أحد في سوق ولا في غيره. ثم رفعت قصص على لسان المسلمين بدار العدل تتضمن أن النصارى استجدّوا في كنائسهم عمائر، ووسّعوا بناءها، وتجمع من الناس عدد لا ينحصر، واستغاثوا بالسلطان في نصره الإسلام، وذلك في يوم الإثنين رابع عشر رجب. فرُسم لهم أن يهدموا الكنائس المستجدة، فنزلوا يداً واحدة وهم يضحون. وركب الأمير علاء الدين على بن الكوراني والى القاهرة؛ ليكشف عن صحة ما ذكره، فلم يتمهلوا بل هجموا على كنيسة بجوار قناطر السباع، وكنيسة للأسرى في طريق مصر، ونهبوها وأخذوا ما فيها من الأخشاب والرخام وغير ذلك، ووقع النهب في دير بناحية بولاق التكرور. وهجموا على كنائس مصر والقاهرة، وأخربوا كنيسة بحارة الفهادين من الجوانية بالقاهرة. وتجمعوا لتخريب كنيسة بالبندقانيين من القاهرة، فركب والى القاهرة، فركب والى القاهرة ومازال حتى ردّهم عنها؛ وتمادى هذا الحال حتى عجزت الحكام عن كفهم.

فلما كان في أخريات رجب بلغ الأمير صرغتمش أن بناحية شبرا الخيام كنيسة فيها أصعب الشهيد التي تُرمى كل سنة في النيل، فتحدث مع السلطان فيه. فرسم بركوب الحاجب والوالى إلى هذه الكنيسة وهدمها، فهدمت ونهبت حواصلها، وأخذ الصندوق الذى فيه أصعب الشهيد، وأحضر إلى السلطان وهو بالميدان الكبير قد أقام به كما يأتى ذكره إن شاء الله تعالى. فأضرمت النار، وأحرق الصندوق بما فيه، ثم ذرّى رماده فى البحر.

وكان يوم رمى هذا الأصعب فى النيل من الأيام المشهودة، فإن النصارى كانوا يجتمعون من جميع الوجه البحرى ومن القاهرة ومصر فى ناحية شبرا، وتركب الناس المراكب فى النيل، وتنصب الخيم التى يتجاوز عددها الحد فى البرّ، وتنصب الأسواق العظيمة، ويبيع من الخمر ما يؤدون به ما عليهم من الخراج، فيكون من المواسم القبيحة. وكان المظفر بيبرس قد أبطله كما ذكره، فأكذب الله النصارى فى قولهم إن النيل لا يزيد ما لم يرم فيه أصعب الشهيد، وزاد تلك السنة حتى بلغ إلى أصعب من ثمانية عشر ذراعاً. ثم سعت الأقباط حتى أعيد رمية فى الأيام الناصرية، كما تقدم، فأراح الله منه بإحراقه. وأخذ عباد الصليب فى الإرجاف بأن النيل لا يزيد فى هذه السنة، فأظهر الله تعالى قدرته، وبين للناس كذبهم، بأن زاد النيل زيادة لم يعهد مثلها كما سيأتى ذكره.

وكرت الأخبار من الوجه القبلى والوجه البحرى بدخول النصارى فى الإسلام، ومواظبتهم المساجد، وحفظهم للقرآن، حتى أن منهم من ثبتت عدالته وجلس مع اليهود. فإنه لم يبق فى جميع أعمال مصر كلها قبليها وبجريها كنيسة حتى هدمت، وبني مواضع كثير منها مساجد. فلما عظم البلاء على النصارى، وقلت أرزاقهم، رأوا أن يدخلوا فى الإسلام. ففشا الإسلام فى عامة نصارى أرض مصر، حتى إنه أسلم من مدينة قلوب خاصة فى يوم واحد أربعمائة وخمسون نفرًا، وبمن أسلم فى هذه الحادثة الشمس القسى، والخيصم. وحمل كثير من الناس فعلهم هذا على أنه من جملة مكرهم؛ لكثرة ما شنع العامة فى أمرهم، فكانت هذه الواقعة أيضًا من حوادث مصر العظيمة.

ومن حيثذ اختلطت الأنساب بأرض مصر، فنكح هؤلاء الذين أظهروا الإسلام بالأرياف المسلمات، واستولدوهن، ثم قدم أولادهم إلى القاهرة، وصار منهم قضاة وشهودٌ وعلماء، ومن عَرَفَ سيرتهم فى أنفسهم، وفيما ولوه من أمور المسلمين، تظن لما لا يمكن التصريح به.

وفى يوم السبت ثانى عشرى رجب: ركب السلطان إلى الميدان الكبير المطل على النيل، بعد كسر الخليج من العادة، وعاد من آخره إلى القلعة. ثم ركب السلطان السبت الثانى إلى الميدان. وأقام به ومعه الأمير شيخو، والأمير طاز، والأمير صرغتمش، وبقية الأمراء الخاصكية. وعمل السلطان به الخدمة فى يومى الإثنين والخميس، كما تعمل بالإيوان فى القلعة، ولم يتقدمه أحد إلى مثل هذا.

وكانت العامة فى طول إقامته بالميدان لا يرحون على الحيطان للفرجة هناك، وتجمّع منهم عالم عظيم، ونصبت هناك أسواق كثيرة، فصاروا يخوضون فيما لا يعينهم ويتكلمون فى الليل بكل فاحشة، فى حق كبراء الدولة، ويقولون لسمع السلطان: «قم اطلع قلعتك، ما جرت بذنا عادة، واحترس على نفسك، وإياك تأمن لأحد». فلما كثر هذا وشبهه من كلامهم، وسمعه منهم الأمراء، اشتد حنقهم، وأمروا ممالئهم فركبوا، وأوقعوا بهم ضربًا بالدابيس والعصى، ففروا هارين، وألقوا أنفسهم فى البحر، وتفرقوا فى كل جهة. فقبض منهم جماعة، وأسلموا لوالى القاهرة، ورسم له بأن يتبع غوغاء العامة حيث كانوا، فهجم أماكنهم، وقبض على جماعة كثيرة وسجنهم. فأظهر النصارى الشماتة بهم، وتجاهروا بأن هذا عقوبة من الله لهم بما فعلوه معهم. فشق هذا على الأمراء، وأمروا بأن يفرج عنهم حتى لا يشمت بهم أهل الكفر، فأطلقوا، وخرج عدة منهم إلى الأرياف.

وركب السلطان فى يوم السبت ثالث شعبان - بعد ما لعب بالكرة على عادته - إلى القلعة. فلما استقر بها حسن له ناظر الخاص أن ينقل ما بخزانة الخاص من التحف التى قدمها النواب وغيرهم إلى داخل الدار، فحملت كلها. ثم كتب ناظر الخاص أسماء جماعة لهم أموال، من جملةهم خالد بن داود مقدم الخاص، وأغرى السلطان به. فأخذ الأمير قجا أمير شكار فى الدفع عن خالد، وكان يعنى به، ثم أعلم خالدًا بما كان، فالتزم له خالد أن يحصل للسلطان أموالاً عظيمة من ودائع ابن زنبور أضعاف ما يطلب منه، على أن يعفى من مقدمة الخاص، وينعم عليه بإقطاع، ويبقى من جملة الأجناد فأتقن له أمير شكار ذلك مع السلطان، فأجاب السلطان سؤاله، واستدعى خالد وألبسه الكفتاه، ومكنه مما يريد. فنزل خالد وقبض على جماعة من الزمام ابن زنبور، فدلوه على صندوق قد أودع عند قاضى الخنفة بالجيزة، فركب إليه، وأخذ منه، فوجد فيه مصاغًا وزراکش. فأخذ خالد فى تتبع حواشى ابن زنبور حتى أخذ منهم ما ينيف على مائة ألف دينار، فاشتكى ناظر الخاص من فعله نكاية بالغة.

فلما كان فى شهر رمضان خرج السلطان إلى ناحية سرياقوس على العادة، ومعه والدته وحریمه، وجميع الأمراء وغيرهم من أهل الدولة، وتأخر الأمير شيخو بإصطبله لوعك به. فكثير هو السلطان ولعبه، وشغفه بالأمير جتتمر حتى أفرط، وجمع عليه الأمير قجا أمير شكار وأخوته.

ومال السلطان إلى جهة الأمير طاز وأعرض عن الأمير شيخو والأمير ضرغتمش. وصار يركب النيل فى الليل، ويستدعى أرباب الصنائع، من الطبّاحين والخرّاطين والقزازين، ونصب له نول قزازة، وعمل هذه الأعمال بيده، فكان إذا رأى صناعة من الصناعات عملها فى أيسر زمن بيده. وعمل خوند قطلوبك أمه مهمًا طبخ فيه الطعام بيده، وعمل لها جميع ما يعمل فى الموكب السلطانى، ورتب لها الخدام والجوارى، ما بين حمدارية وسقاة، ومنهم من حمل الغاشية والقبة والطيور؛ وأركبها فى الحوش بزيّ الملك وهيئة السلطنة. وخلع وأنفق، ووهب شيئًا كثيرًا من المال. ثم شدّ فى وسطه فوطة، ووقف فطبخ الطعام فى هذا المهم بنفسه، ومدّ السماط بين يديها بنفسه، فكان مهمًا يخرج عن الحد فى كثرة المصروف، فأنكر ذلك الأمير شيخو، وكنم ما فى نفسه.

فلما عاد السلطان فى آخر الشهر من سرياقوس ^(١) إلى القلعة، وقد بلغ شيخو أن السلطان قد اتفق مع إخوة طاز على أن يقبض عليه وعلى صرغتمش يوم العيد. وكان

طاز قد توجه إلى البحيرة في هذه الأيام، بعد ما قرّر مع السلطان ما ذكر. فركب السلطان في يوم الأحد أول شوال لصلاة العيد في الإصطبل على العادة، وقرر مع كلتاي وجتتم وأمير عمر ما يفعلونه، وأمر بمائة فرس فشدت وأوقفت، فلم يحضر الأمير شيخو صلاة العيد، وكان قد بلغه جميع ما تقرر. فباتوا ليلة الإثنين على حذر، وأصبحوا وقد اجتمع مع الأمير شيخو من الأمراء صرغتمش وطقطاي ومن يلوذ بهم، وركبوا إلى تحت الطبلخاناه، ورسّموا للأمير علم بضرب الكوسات، فضربت حريباً. فركب جميع العسكر تحت القلعة بالسلاح، وصعد الأمير تنكربغا والأمير أسنبغا المحمودى إلى القلعة، وقبضا على السلطان وسجناه مقيداً، فزال ملكه في أقل من ساعة. وصعد الأمير شيخو ومن معه من الأمراء إلى القلعة، وأقامت أطلابهم على حالها تحت القلعة. وقبض الأمير شيخو على إخوة الأمير طاز، واستشار فيمن يقيمه للسلطنة، وصرح هو ومن معه بخلع الملك الصالح صالح، فكانت مدة سلطنته ثلاث سنين وثلاثة أشهر وثلاثة أيام، فسبحان من لا يزول ملكه.

* * *

السلطان الملك الناصر

حسن بن محمد بن قلاوون [الألفى] (١)

ولما قبض على الملك الصالح (٢) وخلع اقتضى رأى الأمير شيخو - وسائر الأمراء - إعادة السلطان حسن، لما كان يبلغهم عنه من ملازمته في مدة حبسه للصلوات الخمس والإقبال على الاشتغال بالعلم، حتى إنه كتب بخطه كتاب «دلائل النبوة» لليهقي (٣).

(١) حسن (الناصر) بن محمد (الناصر) بن قلاوون، أبو المحاسن: من ملوك الدولة القلاوونية بمصر والشام. بويع بمصر صغيراً، بعد مقتل أخيه حاجي، سنة ٧٨٤هـ وكان اسمه قمارى فلما ولي السلطنة تسمى حسنا وقام بأمور الدولة الأمير يلبغا واستمر إلى سنة ٧٥٢هـ إلى أن ثار عليه بعض أمراء الجند فخلعوه سنة ثم عاد إلى الحكم سنة ٧٥٥هـ كانت مدة سلطنته الثانية ست سنين وتسعة أشهر، وأياما. انظر ابن إياس ١٩٠/١ والبداية والنهاية ١٤/٢٢٤ - ٢٧٨، ٢٧٩ والأعلام ٢/٢١٦.

(٢) صالح الملك الصالح صلاح الدين بن محمد (الملك الناصر) بن قلاوون: من ملوك الدولة القلاوونية بمصر والشام. ولد بقلعة الجبل بالقاهرة، وبويع بها بعد خلع أخيه حسن (سنة ٧٥٢هـ) وتولى تصريف الأمور باسمه الأمير طاز. استمر إلى أن وثب عليه جماعة من أمراء جيشه سنة ٧٥٥هـ فخلعوه وحبسوه في دور الحريم بالقلعة إلى أن مات. مدة سلطنته ثلاث سنين وثلاثة أشهر ونصف. انظر بدائع الزهور ١٠/٢٥٤ - ٢٨٧ والدرر الكامنة ٢/٢٠٣، ٢٠٤ والأعلام ٣/١٩٥.

(٣) أحمد بن الحسين بن علي، أبو بكر: من أئمة الحديث. ولد في خسروجرد من قرى بيهق، = بنيسابور ونشأ في بيهق ورحل إلى بغداد ثم إلى الكوفة ومكة وغيرهما، وطلب إلى نيسابور، فلم

فاستدعوا الخليفة وقضاة القضاة، وأحضروا السلطان من محبسه، وأركبوه بشعار المملكة، ومشى الأمراء كلهم، وسائر أرباب الدولة في ركابه، حتى جلس على تخت الملك، وبايعه الخليفة، فقبلوا له الأرض على العادة، وذلك في يوم الإثنين ثاني شهر شوال. ويات الأمراء في الأشرفية من القلعة^(١). وأرسل الأمير صرغتمش، والأمير تقطاي الدوادار، إلى الأمير طاز ليخبراه بما وقع، فصارا إليه، ولقياه بالطرانة، وقد رجع. وبلغه الخبر، فعرفاه ما كان في غيبته، وأقبلا معه إلى حيث أرادا تعديت النيل، فأرسل الله ريحا عاصفا منعت المعادي من المسير. فأقاموا على الشط - والريح قوية - إلى بعد العصر، ثم عدوا إلى مدينة مصر.

ونزل الأمير طاز بالمدرسة المعزية ليفطر، فإنه كان صائماً. وبلغ إخوته ومن يلوذ به مجيئه، فأخذوا في تدبير أمورهم، فلم يجدوا إلى ذلك سبيلا، لاحتزاز الأمير شيخو منهم، والتوكيل بهم. إلا أن الأمير كلتا^(٢) ركب في عدة من مماليكه - وممالك أخيه الأمير طاز - يريد ملتقاه، فأنكر شيخو ذلك.

واتفق أن مماليكه ظفروا بمملوكين من أصحاب كلتا لابسين^(٣)، وأحضروهما إلى شيخو. فركب الأمير بلجك في عدة من مماليكه، والتقاه بعد العصر عند باب إصطبل طاز، فلم يطق محاربتة. لكثرة جمعه، فرجع، فرموه بالنشاب وساروا إلى لقاء طاز.

وبعث الأمير شيخو بممالك كل من الأميرين صرغتمش وتقطاي ليلتقوهما، فجدوا في المسير حتى لقوهما عند الرصد بعد المغرب، وهما مع الأمير طاز. فما هو إلا أن أتت أطلاب^(٤) الأميرين، رفس كل منهما فرسه، ودكس^(٥) من جانب طاز، وصار في طلبه بين مماليكه، فإنهما كانا لما رأيا ممالك كلتا قد أقبلوا إلى لقاء طاز وهم ملبسين، خافا على أنفسهما. وفي الحال وقعت الضجة ولم يبق إلا وقوع الحرب. فتفرقت

يزل فيها إلى أن مات. ونقل جثمانه إلى بلده. صنف زهاء ألف جزء، منها (السنن الكبرى) (المعارف) (الترغيب والترهيب) و«دلائل النبوة». انظر شذرات الذهب ٣/٤٠٤ وطبقات الشافعية ٣/٣ ومعجم البلدان ٢/٣٤٦ والمتنظم ٨/٢٤٢ وابن خلكان ١/٢٠ واللبن ١/١٦٥ ودائرة المعارف الإسلامية ٤/٤٢٩ والأعلام ١١٦.

(١) الأشرفية، قصر في قلعة الجبل، أنشأه الملك الأشرف خليل بن قلاوون في سنة ٦٩٢هـ.

(٢) الأمير كلتا، أخو الأمير طاز.

(٣) يفهم من سياق المعنى أنهما كانا لابسين عدة الحرب.

(٤) علي هامش ط: أطلاب: جمع طلب، وهو لفظ كردى معناه الأمير الذى يقود مائتى فارس،

ثم تطور اللفظ فأصبح يطلق على الكتيبة من الجيش.

(٥) دكس دكسا: الشيء تراكب بعضه فوق بعض. انظر المعجم الوسيط (دكس).

ممالك طاز عنه لقلعة عددهم، فإن الأطلاب صارت تتلاحق من قبل الأمير شيخو شيئاً بعد شيء، فطلب طاز أيضاً نجاة نفسه وولى بفرسه، فلم يعرف أين يذهب. وأقبلت الأمراء إلى الأمير شيخو، فأركب الأمير قُطْلُوْبُغا الطَرْخَانِي (١) في جماعة من الأمراء لحراسة الطرقات، فتفرقوا في عدة جهات، وبات بقية الأمراء في الأشرفية من القلعة، ووقفت عدة وافرة تحت القلعة.

وبات السلطات والأمير شيخو على باب الإصطبل، فكانوا طول ليلتهم في أمر مريح (٢) وظلوا يوم الخميس وليلة الجمعة كذلك. ففي أثناء ليلة الجمعة حضر الأمير تقطاي الدوادر - وصحبته الأمير طاز - إلى عند الأمير شيخو. وكان طاز قد التجأ إلى بيت تقطاي، فإن أخت طاز كانت تحته، فقام إليه الأمير شيخو وعانقه، وبكى بكاء كثيراً، وتعتبا، وأقام عنده ليلته تلك. وركب به يوم الجمعة إلى القلعة، فأقبل عليه السلطان، وطيب خاطره، ورسم له بناية حلب، عوضاً عن الأمير أرغون الكاملى. فلبس طاز التشريف في يوم السبت سابعه، وسار من يومه ومعه الأمير شيخو وصرغتمش، وجميع الأمراء. لوداعه، فسأل أن تكون إخوته صحبته، فأجيب إلى ذلك، وأخرجوا إليه، بحيث لم يتأخر عنه أحد من حاشيته، وعاد الأمراء، ومضى لمحل نيابته. وسجن الملك الصالح صالح حيث كان أخوه الملك الناصر حسن مسجوناً.

ومن غريب ما وقع - مما فيه أعظم معتبر - أنه عمل الطعام للسلطان الملك الصالح ليمد بين يديه على العادة، وعمل الطعام للناصر حسن ليأكله في محبسه، فاتفق خلع الصالح في أق من ساعة وسجنه، وولاية أخيه حسن السلطنة عوضه، فمد السماط بالطعام الذى عمل ليأكله الصالح، فأكله حسن في دست (٣) مملكته، وأدخل الطعام - الذى عمل لحسن ليأكله في محبسه - على الصالح، فأكله في السجن الذى كان أخوه حسن فيه. فسبحان محيل الأحوال، لا إله إلا هو.

وفيهما كان القبض على تاج الدين أحمد بن الصاحب أمين الملك عبد الله بن غنام، ناظر الخاص وناظر الجيش. وعددت له ذنوب، منها أنه لما ولى نظر الجيش - بعد علم الدين بن زنبور - تشدد فيه، مع سلوكه سبيل الأمانة على المعنى بمنع المقايضات والنزولات، حتى قلت أرزاقهم. ثم لما ولى نظر الخاص بعد بدر الدين - مضافاً إلى

(١) الطرخان هو الأمير المتقاعد دون أن يكون مغضوباً عليه.

(٢) الرجة: رجة القوم: اختلاط أصواتهم، ورجة الرعد: صوته، ومريح أى: ملتبس ومختلط انظر

المعجم الوسيط (رجح).

(٣) الدست: صدر المجلس. انظر المعجم الوجيز ٢٢٧.

الجيش - ثم مات الوزير موفق الدين، مال إلى جهة طاز والمملك الصالح، وأوقع فى ذهنهما أنه لا يتمكن من عمل مصالح السلطان مع تحدث الأمير شَيْخُو فى أمور الدولة. فنقل ذلك إلى شيخو وصرغتمش، فقام صرغتمش على شيخو حتى استغفى من التحدث فى أمور الدولة، وقلدوا السلطان أمرها، فاستقل بالتدبير وحده. وجعل الأمير طاز كأنه يتحدث عنه من غير إظهار ذلك، فاتفق مع الأمير طاز على توفير جملة من المعاليم المستقرة للمباشرين، فوفر منها ما تقدم ذكره، ولم يراع أحدا، فتنكرت القلوب له. ونقل مع هذا للأمير شيخو عنه أنه أغرى المملك الصالح به. وعرفه كثرة متاجره وأمواله، حتى تنكر عليه وعلى الأمير صرغتمش. فلما توطدت دولة المملك الناصر حسن، تفرغ الأمير شيخو لناظر الخاص. وعندما خرج من خزانة الخاص بالقلعة أخذ ووضع فى رقبته باسة^(١) وجزير، وكشف رأسه، وتناولته أيدي الناس يضربونه بنعالهم، وهم خدام السلطان ومماليكه بقتله، فلولا من هو موكل به، لأتوا على نفسه، وما زالوا به حتى أدخلوه قاعة الصاحب بالقلعة. وماجت القاهرة ومصر بأهلها لسرورهم بذلك، فكان يوما معدودا. ووقع الطلُّبُ عليه بحمل المال، وبسطت عليه العقوبات بأنواعها. وتولى تعذيبه عدوه خالد بن داود، فقبض على أخيه كريم الدين ناظر البيوت، وعلى أزمه وأصهاره وأتباعه. وولى مجد الدين موسى الهذباني شاد الدواوين، فعظمت مصيبتهم وجلت بلاياهم، فإنه أدخل على تاج الدين بمزين حلق رأسه ثم شق جلدة رأسه بالموسى، وحشى جراحاته من الخنافس. ثم ألبس رأسه طاسة من نحاس قد أوقد عليه بالنار، حتى اشتدت سخوتتها، فعندما أحست الخنافس بالحرارة سعت لتخرج، فلم تجد سبيلا، فجعلت تنقب فى جراحات رأسه حتى هلك، بعد ما رأى فى نفسه العبر من كثرة تنوع العذاب الأليم عليه. واعترف بخبيثة فى داره، فنزل الأمير قَشْتَمُرُ الحاجب، ومجد الدين الهذباني - شاد الدواوين - وخالد بن داود إليها، فوجدوا ستة آلاف دينار. وأبيع موجوده، وهُدِّمت داره، فكانت جملة ما أخذ منه عشرة آلاف دينار.

واستقر عوضه فى نظر الخاص والجيش علم الدين عبد الله بن نقولا، كاتب الخزانة. واستقر كريم الدين أكرم ابن شيخ فى نظر الدولة ونظر البيوت. واستقر الفخر ابن السعيد - صاحب ديوان الجيش - فى كتابة الخزانة عوضه.

وفى هذا الشهر: قدم الأمير أرغون الكاملى نائب حلب، فأكرم إكراما زائدا،

(١) الباسة: يعنى به ضرب من الشىء الخشن.

وخلع عليه، وأنعم عليه بإقطاع الأمير طاز من غير زيادة، وهى منية ابن خصيب^(١) وناحية أخرى.

وفى يوم الأربعاء سابع عشر ذى القعدة: أخرج الأمير أسندمر العمرى لنيابة حماة^(٢)، ونقل الأمير سيف الدين طَبِيرَق نائب حماة إلى إمرة بدمشق. ونقل الأمير مَنْجَك من صفد^(٣) إلى نيابة طرابلس، عوضاً عن أَيْتَمِش الناصرى بعد وفاته.

وفى هذا الشهر: ركب السلطان إلى جهة الأهرام، وعاد فدخل إلى بيت الأمير شيخو، يعوده وقد وعك، فقدم له مقدمة جليلة.

وفيه خلع على الأمير صرغتمش، واستقر فى نظر المارستان المنصورى، وكان قد تعطل نظره من متحدث تركى، وانفرد بالكلام فيه القاضى علاء الدين على بن الأطروش وفسد حال وقفه، فإنه كان يكثر من مهادة أمراء الدولة ومدبريها، ويمهل عمارة رباعه حتى تشعث فنزل إليه الأمير صرغتمش، ودار فيه على المرضى، فساء ما رأى من ضياعهم، وقلة العناية بهم، فاستدعى القاضى ضياء الدين يوسف بن أبى بكر بن محمد بن خطيب بيت الآبار^(٤)، وعرض عليه التحدث فى المارستان كما كان، عوضاً عن ابن الأطروش. فامتنع من ذلك، فمازال به حتى أجاب. وركبا إلى أوقاف المارستان بالمهندسين؛ لكشف ما يحتاج إليه من العمارة، فكتب تقدير المصروف ثلاثمائة ألف درهم، فرسم بالشروع فى العمارة، فعمرت الأوقاف حتى ترفع ما فسد منها، ونودى بحماية من سكن فيها، فزاد ريع الوقف فى الشهر نحو أربعين ألف درهم، ومنع من يتعرض إليهم، وانصلحت أحوال المرضى أيضاً.

وعرض الأمير صرغتمش جميع مستحقى الوقف من الفقهاء والقراء وغيرهم، وأكثر من سؤلهم، ونقب عن أمورهم، وألزمهم بمواظبة وظائفهم.

وفىها انفتح باب السعى عند الأمير شَيْخُو بالبراطيل^(٥) فى الولايات، فسعى جماعة بأموال فى عدة جهات، فأجيبوا إلى ذلك، وقرروا فيما أرادوه، وأخذ منهم ما وعدوا

(١) مدينة كبيرة على شاطئ النيل فى الصعيد الأدنى. انظر معجم البلدان ٣/٢١٨.

(٢) حماة: من كور حمص بالشام وهى مدينة طيبة فى وسطها نهر يسمى العاصى. انظر معجم

البلدان ٢/٣٠١، ٣٠١، الروض المعطار ١٩٩، صبح الأعشى ٤/١٤٠.

(٣) مدينة فى جبال عاملة المطللة على حمص بالشام، وهى من جبال لبنان. انظر معجم البلدان

٣/٤١٢.

(٤) اسم قرية يضاف إليها كورة من غوطة دمشق فيها قرى.

(٥) البراطيل جمع الرطيل وهى الرشوة انظر المعجم الوسيط.

به، منهم حاجي أستاذار ظهير بغا، استقر فى ولاية قوص^(١) بمائتين وخمسين ألف درهم، قام بها للسلطان والأمراء. واستقر أيضاً ناصر الدين محمد بن إياس بن الدويدارى فى كشف الوجه البحرى، عوضاً عن عز الدين أزدَمَر الأعمى بنحو ستة آلاف دينار.

وكان أزدَمَر قد عمى من اثنتى عشرة سنة، وهو لا يظهر أنه أعمى، ويركب، ويكبس البلاد، ويحضر الخدمة السلطانية مع الأمراء، وله مملوك يكون معه حيث سلك، يعرفه ما يريد، وإذا رأى أحداً يقصده يعرفه به، فيستقبله من بعد ويسلم عليه كأنه يراه. وكذا إذا جلس للحكم أُرشدته سرا لما لا بد منه. ومع ذلك فقد كان لطول مدته وتمرنه صار يعرف أكثر أحوال العربان، ويستحضر أسماءهم، فيقوى بذلك على تمشية أموره، بحيث يخفى على أكثر الناس عماؤه، وأنعم عليه بإمرة طبلخاناه.

وفىها خرج ركب الحجاج الرجبية، صحبة الأمير عز الدين أزدَمَر الخازندار، ونزل بركة الحب^(٢) على العادة فى يوم الإثنين حادى عشرين رجب. وسافر فيه الطواشى شبل الدولة كافور الهندى، وقطب الدين هرماس وجماعة من الأعيان. فلما وصل الركب إلى بدر، لقيهم قاضى القضاة عز الدين عبد العزيز بن جماعة^(٣)، وقد توجه من المدينة النبوية - وكان مجاوراً بها - يريد مكة ليصوم بها شهر رمضان. وعند نزولهم بطن مرو لقيهم الشريف عجلان^(٤) أمير مكة. فخلع عليه، ومضوا إلى مكة، فدخلوها معتمرين يوم الخميس تاسع عشرين شعبان، فنودى من الغد مستهل رمضان ألا يحمل أحد من بنى حسن والقواد والعبيد سلاحاً بمكة، فامتنعوا من حمله. وكان الرخاء كثيراً، كل غرارة قمح - وهى سبع وبيات مصرية - بثمانين درهماً، والغرارة الشعير بخمسين

(١) هى مدينة كبيرة عظيمة واسعة قصبة صعيد مصر، بينها وبين الفسطاط اثنا عشر يوماً. انظر معجم البلدان ٤١٣/٤.

(٢) تقع بظاهر القاهرة من بحريها.

(٣) عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم بن جماعة الكناني، الحموى الأصل، الدمشقى المولد، ثم المصرى، عز الدين: الحافظ، قاضى القضاة. ولى قضاء الديار المصرية سنة ٧٣٩هـ - وجاور بالحجاز، فمات بمكة. من كتبه «هدية السالك إلى المذاهب الأربعة فى المناسك» و«المناسك الصغرى». انظر الدرر الكامنة ٣٧٨/٢ والكتبخانة ٨١/٧ والتيمورية ٦١/٣ وكشف الظنون ١٩٤٠ والأعلام ٩٦/٤.

(٤) عجلان بن رميثة بن أبى ندى: شريف حسنى. من أمراء مكة. مولده ووفاته فيها. نزل له أبوه عن إمارتها فى أواخر حياته (سنة ٧٤٥هـ) وبعد وفاة أبيه (سنة ٧٤٦هـ) نازعه إخوة له، فتداولوها بينهم مدة، ثم استقر الأمر لعجلان. فاستمر إلى أن توفى. انظر الجداول المحضية ١٤٦ والدرر الكامنة ٤٥٣/٢ وخلاصة الكلام ٣١ والأعلام ٢١٦/٤.

درهما. إلا أن الماء قليل، بحيث نزحت الآبار وانقطعت عين جوبان^(١)، فأغاثهم الله بمطر عظيم روي منه. وحضر أبو القاسم محمد بن أحمد اليمنى - إمام الزيدية الذى ضربه عمر شاه أمير الركب فى السنة الخالية - إلى قاضى القضاة عز الدين بن جماعة تائباً مما كان عليه من مذهب الزيدية، فعقد له مجلس بالحرم، حضره أمير الركب وعمامة أهل مصر ومكة، وأشهدهم أنه رجع عن مذهب الزيدية، وتبرأ إلى الله تعالى من إباحة دماء الشافعية وأمواهم، وأنه يواظب على صلاة الجمعة والجماعة مع أئمة الحرم، وإن خرج عن ذلك فعل به ما تقتضيه الشريعة، وكتب خطه بذلك، فقال بعضهم:

استوبوا الزيدى عن مذهب قد كان من قبل به معجبا
لو لم يدارك نفسه بتوبة لعجل الله له مذهباً

وهبت الريح بمكة من قبل اليمن، أظلم عقبيها الحرم، وفشت الأمراض فى الناس، حتى لم يكن أحد إلا وبه وعك^(٢)، إلا أنه كان سليماً يحصل البرء منه بعد أسبوع. فلما كان شهر شوال ظهر بعد العشاء الآخرة من قبل جبل أبى قبيس^(٣)، كوكب فى قدر الهلال، وأكثر نورا منه، ومر على الكعبة ثم اختفى بعد ثلاثة درج، فسمع من فقير يمانى وهو يقول: «لا إله إلا الله، القادر على كل شىء، هذا يدل على رجل يكون فى شدة، يفرج الله عنه، ورجل يكون فى فرج يصير إلى شدة، والله يدبر الأمر بقدرته». وقدم الخير فى أخريات شوال بخلع الصالح وإعادة السلطان حسن. وكان اتفق أيضاً أن الشيخ المعتقد أبا طرطور قال يوماً: «لا إله إلا الله، اليوم جلس حسن فى دست مملكة مصر». ولم يكن عنده سوى الشيخ قطب الدين أبى عبد الله محمد بن أبى الثناء محمود ابن هرماس بن ماضى المقدسى، المعروف بالهرماس فقام من فوره إلى أمير الركب عز الدين أزدمر وقاضى القضاة عز الدين عبد العزيز بن جماعة وهما بالحرم، فجلس إليهما، ثم أطرق ورفع رأسه وقال: «لا إله إلا الله، اليوم جلس الملك الناصر حسن فى دست مملكة مصر عن الملك الصالح صالح، فور خوا ذلك عندكم». فورخه الأمير عز الدين أزدمر. وقدم الخير بخلع الصالح وجلوس الناصر حسن فى ذلك اليوم بعينه. فمن حيثئذ ارتبط الأمير عز الدين أزدمر على الهرماس، وأوصله للسلطان حسن حتى بلغ ما بلغ، فلما منه أن الكلام المذكور كان من قبله على جهة الكشف، وما كان إلا مما تلقفه من الشيخ أبى طرطور، فنسبه إلى نفسه.

(١) من قرى مرو ويسمونها كوبان. انظر معجم البلدان ١٧٦/٢.

(٢) أصابه ألم من شدة التعب. انظر المعجم الوجيز ٦٧٥.

(٣) جبل أبى قبيس: - أو أبو قابوس - اسمان لجبل بمكة ويقال شيخ الجبال أبو قبيس، وقيل

ثبير. انظر معجم البلدان ٣٠٨/٤، والروض المعطار ٤٥٢، معجم ما استعجم ١٠٤٠/٣.

وفيهما كان من زيادة النيل ما يندر وقوع مثله، فإنه انتهى فى الزيادة إلى أصابع من عشرين ذراعاً، فقيل خمسة، وقيل سبعة، وقيل عشرون أصبعاً، من عشرين ذراعاً، ففسدت الأقباب والنيلة ونحوها من الزراعات، وفسدت الغلال التى بالمطامير والأجران والمخازن، وتقطعت الجسور التى بجميع النواحي، قبلها وبحريها، وتعطلت أكثر الدواليب^(١) وتهدمت دور كثيرة مما يجاور النيل والخلجان، وغرقت البساتين، وقاض الماء حتى بلغ قنطرة قديدار^(٢) فكانت المراكب تصل من بولاق إليها، ويركب الناس فى المراكب من بولاق إلى شبرا ودمهور^(٣).

وغرقت كوم الريش، وسقطت دورها، فركب الأمير علاء الدين على بن الكوراني والى القاهرة، والأمير قشتمر الحاجب، وجماعة. وقطعت أشجار كثيرة، وعمل سد عظيم، حتى رجع الماء عن الحسينية بعد ما أشرفت على الغرق، فإن المطرية^(٤) والأميرية والميا وشبرا مع جميع الضواحي بقوا ملقة واحدة متصلة بالنيل الأعظم، فعز التين بالنواحي لتلفه كله، وبلغ كل حمل عشرين درهما فى الريف، ووصل فى القاهرة كل حمل إلى خمسة وأربعين درهما، ثم انخط إلى خمسة وعشرين درهما. وتحسنت الأسعار، فبلغ الأردب القمح إلى ستة وثلاثين درهما، والأردب الشعير إلى عشرين درهما، والأردب الفول إلى ستة عشر درهما. وشرق مع ذلك كثير من بلاد الفيوم^(٥)، فإن جسرهما انقطع، فتوجه الأمير ناصر الدين محمد بن المحسنى والأمير محمد الدين موسى الهذبانى، والأمير عمر شاه - كاشف الجسور - وغيره، حتى سدوه وجبوا من بلاد الفيوم ثلاثمائة ألف درهم، وبنوا زريبة حجر موضع الجسر، حتى أتقنوه، ثم عادوا. وغلا البرسيم الأخضر حتى بلغ

(١) يقصد بالدواليب معاصر قصب السكر وما شابهها من الصناعات التى تحتاج إلى الأدوات العجلية.

(٢) قنطرة قديدار تقع على الخليج الناصرى.

(٣) دمنهور: مدينة مسورة فى بسيط من الأرض أفصح متصل من الإسكندرية إلى مصر والبسيط كله محترق، والقرى فيه يميناً وشمالاً لا تحصى كثيرة. انظر معجم البلدان ٤٧٢/٢، والروض المعطار ٢٣٧، وابن دقماق ١٠١/٥، وقاموس رمزى ٢٨٤ / ٢/٢.

(٤) من قرى مصر عندها الموضع الذى به شجر البلسان الذى يستخرج منه الدهن، وفى جنابها الشمالى عين شمس القديمة. انظر معجم البلدان ١٤٩/٥.

(٥) الفيوم: فى البلاد المصرية، وهو نظر كبير فيه قرى كثيرة، يقال إن فيه من القرى عدد ما فى قطر مصر كلها من القرى، وقيل إنما سميت الفيوم لأن خراجها ألف دينار كل يوم. انظر معجم البلدان ٢٨٦/٤، والروض المعطار ٤٤٥، والاستبصار ٩٠، والإدريسى ١٤٦، وخطط المقرئى ٢٤٥/١، وابن الوردى ٢٣.

القدان بالضواحي إلى مائتين وخمسين درهما، وفي غيرها إلى مائتين، من قلة الأتبان. وانحط سعر العسل والسكر، وتلفت الفواكه جميعها وهلكت أشجار أكثر البساتين.

* * *

ومات في هذه السنة من الأعيان ممن له ذكر

الأمير سيف الدين أَيْمِشَ المحمدي الناصري نائب طرابلس في رمضان ترقى في الخدم إلى أمره الناصري قريبا من سنة أربع وعشرين، ثم ولي حاجبا في المحرم سنة أربع وأربعين، وانتقل منها إلى الوزارة في شهر رمضان منها، فاستمر إلى سنة خمس وأربعين وأعيد إلى الحجابة. فلما قتل أرغون شاه نائب دمشق استقر عوضه، فقدم دمشق في جمادى الآخرة سنة خمسين، وأقام بها إلى رجب سنة اثنتين وخمسين، فدعى إلى مصر، وقبض عليه بها، وسجن بالإسكندرية، ثم أفرج عنه بعد يسير، وأخرج إلى صفد، ومنها لحق ببيغ روس^(١) فأشار عليه بخبره. فلما قدم السلطان إلى دمشق، وعرفت سيرته الحسنة، ولي نيابة طرابلس، فمات بها. وكان لين العريكة، وطى الجانب.

ومات الأمير علاء الدين مُغلطاي - أمير شكار وأمير آخور - بطالا بدمشق. كان من خواص الناصري، فترقى في خدمته، حتى صار رأس نوبة كبير أمير مائه، واستقر أمير شكار وأمير آخور، ثم قبض عليه وأخرج إلى طرابلس، ثم نقل إلى دمشق، فمات بها في عاشر رمضان، وكان حاد الخلق.

ومات جمال الدين أبو الطيب الحسين، ابن قاضي قضاة دمشق تقي الدين أبي الحسن علي بن عبد الكافي بن علي بن تمام بن يوسف بن موسى بن تمام الأنصاري السبكي^(٢)، بدمشق، في يوم السبت ثاني شهر رمضان، ومولده بمصر سنة إحدى وعشرين. كتب بديوان الإنشاء في وزارة أبيه، ثم ولي استيفاء الصحبة. وتقلد في سنة

(١) هو الأمير ببيغا روس الناصري، واشتهر ذكره في دولة الصالح إسماعيل، ثم عظم قدره، في دولة المظفر حاجي عندما باشر نيابة السلطنة.

(٢) علي بن عبد الكافي بن علي بن تمام السبكي الأنصاري الخزرجي، أبو الحسن، تقي الدين: شيخ الإسلام في عصره، وأحد الحفاظ المفسرين المناظرين. وهو والد التاج السبكي صاحب الطبقات. ولد في سبك (من أعمال التنوفية بمصر)، وانتقل إلى القاهرة ثم إلى الشام وولى قضاء الشام سنة ٧٣٩هـ. واعتل فعاد إلى القاهرة، من كتبه «الدر النظيم» في التفسير، و«مختصر طبقات الفقهاء». انظر طبقات الشافعية ١٤٦/٦ وخطط مبارك ٧/١٢ وحسن المحاضرة ١٧٧/١، وغاية النهاية ٥٥١/١ والدرر الكامنة ٦٣/٣ والفهرس التمهيدى ٢٠٧ والأعلام ٣٠٢/٤.

تسع وثلاثين إلى نظر الدولة، واستقر عوضه فى استيفاء الصحبة أخوه كريم الدين، حتى أمسك مع أبيه فى نوبة النشو وعوقبوا. ثم توجه بعد موت أبيه إلى القدس وأقام به مدة. ثم طلب وولى نظر البيوت، فاستغفى منها، وولى نظر النظار بالشام. ثم استغفى منها أيضاً وقدم القاهرة حتى ولى نظر الجيش بعد ابن زنبور، وأضيف إليه نظر الخاص وكان فاضلاً كريماً درس بعدة مواضع.

توفى تاج الدين أبو الفضائل أحمد بن الصاحب أمين الملك عبد الله بن غنام فى رابع شوال تحت العقوبة، كما تقدم. وهو أحد كتاب مصر المعدودة، وكان يخدم جريدته^(١) بيده، ولا يحتاج إلى كشف عامل ولا غيره، بل يكاد أن يعمل محاسبة كل أحد من ذهنه لفرط ذكائه وشدة فطنته، مع العفة والأمانة، أو التشدد على الناس، والتوفير من الأرزاق حتى لم يعهد أنه جرى على يده رزق لأحد، بل ما برح يوفر المال للسلطان إلى أن كان من أمره ما كان. وكان لا يراعى أحداً، ولا يحابى، ويكثر من المحاققة والضبط.

توفى الأمير سيف الدين أياجى نائب قلعة دمشق.

وتوفى الشريف علاء الدين أبو الحسن على بن عز الدين حمزة بن الفخر على بن الحسن بن زهرة بن الحسن بن زهرة الحسينى الحلبي، نقيب الأشراف بحلب. قدم القاهرة، وكتب بديوان الإنشاء مدة، ثم عاد إلى حلب، وولى وكالة بيت المال ونقابة الأشراف بها حتى مات، وقد أناف على السبعين.

وتوفى الوزير الصاحب، موفق الدين، أبو الفضل، هبة الله بن سعيد الدولة، إبراهيم، فى يوم الجمعة ثانى عشرين ربيع الآخر. وكان كاتباً مجيداً مشكور السيرة، له بر ومعروف. باشر أولاً نظر الدولة ثم تنقل إلى الوزارة فلم يزل وزيراً حتى مات، ودفن بترابته من القاهرة، وكانت جنازته حفلة.

وتوفى متملك الأندلس أبو الحجاج يوسف بن إسماعيل بن فرج بن الأحمر^(٢) فى صلاة عيد الفطر، طعن بخنجر وهو ساجد، فكانت منيته.

(١) الجريدة: خيل لا رجالة فيها. انظر المعجم الوسيط (جرد).

(٢) يوسف بن إسماعيل بن فرج بن إسماعيل، أبو الحجاج الأنصارى الخزرجى الناصرى: سابع ملوك «بنى نصر» ابن الأحمر، فى الأندلس ببيع بفرناطة ساعة مقتل أخيه محمد (أواخر سنة ٧٣٣هـ) وسنه إذ ذاك خمسة عشر عاماً وثمانية أشهر. هجم عليه مجهول وطعنه بسكين (أو خنجر) بينما هو ساجد فى الركعة الأخيرة من صلاة العيد. انظر للمحة البدرية ٨٩ والدرر الكامنة ٤/٤٥٠ والحلل السندينية ٢/٢٢٩. ٢٣٩ والأعلام ٨/٢١٧.

وتوفى قاضى القضاة المالكية ببلاد الشرق^(١) عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الغفار بن أحمد الإيجي المطرزي المعروف بالعضد الشيرازى الشافعى^(٢) مسجوناً فى سخط صاحب كرمان^(٣)، ومولده سنة ثمانين وستمائة. وله شرح مختصر ابن الحاجب فى الأصول، رحمه الله المواقف، وكتاب القواعد الغياثية. وكان إماماً فى المعقولات والنحو والأصول والمعانى والبيان، مشاركاً فى الفقه. وله سعادة ضخمة، وكلمة نافذة. وولاه أبو سعيد القضاء. وسكن سلطانية ثم شيراز^(٤). وبينه وبين فخر الدين أحمد بن الحسن الجاربردى^(٥) مناظرات.

* * *

- (١) يقصد ببلاد الشرق الموصل وسنجار والجزيرة وديار بكر والرها. انظر معجم البلدان.
- (٢) عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الغفار، أبو الفضل، عضد الدين الإيجي: عالم بالأصول والمعانى والعربية. من أهل إيج (فارس) ولى القضاء، وأنجب تلاميذ عظاماً وجررت له محنة مع صاحب كرمان، فحبسه بالقلعة، فمات مسجوناً. من تصانيفه «المواقف» فى علم الكلام، و«العقائد العضية» فى علم الوضع و«شرح مختصر ابن حاجب» فى أصول الفقه. انظر بغية الوعاة ٢٩٦ والدرر الكامنة ٣٢٢/٢ وطبقات السبكي ١٠٨/٦ والكتبخانة ١٤٥/٤ والأعلام ٢٩٥/٣.
- (٣) كرمان: أرض كرمان متصلة بأرض فارس وبأرض مكران. قالوا وهى ثمانون فرسخاً فى مثلها، وحدها فى الشرق أرض مكران، وفى الغرب أرض فارس، وفى الشمال مفازة خراسان وسجستان وفى الجنوب بحر فارس. انظر معجم البلدان ٤٥٤/٤، والروض المعطار ٤٩١، ٤٩٢، واليعقوبى ٢٨٦، والكرخى ٢٦٦، والمقدسى ٤٥٩، وابن الفقيه ٢٠٥.
- (٤) شيراز: مدينة بأرض فارس، وهى مدينتها العظمى ودار مملكة فارس، وينزلها الولاة والعمال، وبها الديوان والجبى، وهى مدينة إسلامية بناها محمد بن القاسم بن أبى عقيل ابن عم الحاج، وتفسير شيراز: جوف الأسد. انظر معجم البلدان ٣٨٠/٣، والروض المعطار ٣٥١، نزهة المشتاق ٢٠٤.
- (٥) أحمد بن الحسن بن يوسف، فخر الدين الجاربردى: فقيه شافعى اشتهر وتوفى فى تبريز. له «شرح منهاج البيضاوى» فى أصول الفقه، و«شرح شافية ابن الحاجب». انظر البدر الطالع ٤٧/١ والدرر الكامنة ١٢٣/١ والخزانة التيمورية ١٩٧/١ وطبقات الشافعية ١٦٩/٥ وشذرات الذهب ١٤٨/٦ والبدر الطالع ٤٧/١ والأزهرية ٧٨/٤ ودار الكتب ٢٥٢/٢ والأعلام ١١١/١.

سنة ست وخمسين وسبعمائة

فى المحرم: شرع الأمير شَيْخُو فى هدم أملاك ابتاعها بخط صليبية جامع ابن طولون. فكانت مساحتها زيادة على فدان، واختط موضعها خانكاه^(١)، وحمامين وحوانيت، يعلوها رباع. وجد فى بنائها بحيث أنه عمل فيها بنفسه ومماليكه، حتى انتهت عمارتها، وأشهد عليه بوقفها. ووقف عليها عدة جهات بأرض مصر والشام. ورتب بها دروس الفقه للمذاهب الأربعة، وشيخا للصوفية، ومدرسا للحديث النبوى، وشيخا لإقراء القرآن الكريم بالقراءات السبع، وغير ذلك من الفراشين والقومة والمباشرين. وشرط على الفقهاء والصوفية ألا يتزوج منهم إلا طائفة عينهم من كل مذهب، وأن يقيم العزاب بالخانكاه ليلا ونهارا. وشرط ألا يكون فيهم ولا منهم قاض ولا شاهد، يتكسب بتحمل الشهادة. فلما كان يوم عرفة منها ركب فى جماعة الأمراء وأعيان الدولة وقضاة القضاة ومشايخ العلم إلى هذه الخانكاه. وقد قرر فى تدريس الشافعية بهاء الدين أحمد ابن الشيخ الإمام تقى الدين على بن عبد الكافى السبكي^(٢)، والشيخ خليل الجندى فى تدريس المالكية، والقاضى ناصر الدين نصر الله فى تدريس الحنابلة، شريكا لقاضى القضاة موفق الدين عبد الله الحنبلى. وألقى المدرسون الثلاثة دروس الفقه على مذاهبهم، وطلبتهم قد تحلقوا بين أيديهم فيما بين الظهر إلى العصر. فلما صلوا العصر فرش الأمير شيخو سجادة مشيخة التصوف بيده، وأجلس الشيخ أكمل الدين محمد بن محمود الحنفى عليها. ثم لما انقضى الحضور انفضوا. فكان يوما مشهودًا. ولم يسخر فى بنائها أحد من المقيدين الذين بالسجون، كما هى عادة أمراء الدولة فى عمائرهم، ولا سخر من الناس أحدا بغير أجر فى شىء من أعمال هذه الخانكاه، بل كانت تُوفى للعمال أجرهم. وأنشد أدباء العصر فى هذه الخانكاه عدة أشعار، منها قول الأديب صلاح الدين صلاح بن الزين ليبيكم:

لقد شاد شَيْخُو خانكاه بديعة تفوق على الروض المكلل بالندا
بناها ولم يعمل بها من مقيد ولكن على أهل الوظائف قيذا

(١) الخانكاه وجمعها حوانك، كلمة فارسية معناها بيت.

(٢) أحمد بن على بن عبد الكافى، أبو حامد، بهاء الدين السبكي: فاضل، له «عروس الأفراح، شرح تلخيص المفتاح، ولى قضاء الشام (سنة ٧٦٢هـ) فأقام عاما، ثم ولى قضاء العسكر، وكثرت رحلاته، ومات مجاورا بمكة. انظر البدر الطالع ٨١/١ والدرر الكامنة ٢١٠/١ والأعلام ١٧٦/١.

وقال الأديب شهاب الدين أبو العباس أحمد بن يحيى بن أبي بكر بن عبد الواحد^(١)، الشهير بابن أبي حجلة المغربي، من مقامه عملها في الخانكاه المذكورة:

ومدرسة للعلم فيها مواطن فشيخو بها فرد وإشارة جمع
لئن بات فيها في القلوب مهابة فواقفها ليث وأشياخها سبع

وفي يوم الإثنين ثاني صفر: عزل تاج الدين محمد بن علم الدين محمد بن أبي بكر الأحنائي^(٢)، عن قضاء المالكية بالقاهرة، واستقر في نظر خزانة الخاص، عوضا عن ابن الجوجرى، وخلع عليه.

واستقر في قضاء المالكية الشيخ نور الدين أبو الحسن علي بن عبد النصير بن علي السخاوي، فمرض بعد شهر ولزم الفراش حتى مات بعد اثنين وسبعين يوما، بعد ما أفاق من مرضه إفاقة. وبلغه أنه لما أيس^(٣) منه عزل، فسأل الأمير شيخو أن يجدد السلطان له ولاية، فخلع عليه، وعمل الأمير شيخو وليمة لعافيته، فمات يوم الثامن من الولاية، فاستدعى تاج الدين الأحنائي وخلع عليه، وأعيد إلى قضاء القضاة المالكية مع نظر خزانة الخاص، فاستتاب في نظر الخاص أخاه برهان الدين إبراهيم.

وفيه كتب توقيع لتاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين علي السبكي^(٤) بأن يكون نائبا عن أبيه في قضاء القضاة بدمشق، ومستقلا بعد وفاته. ورسم بحضور التقى إلى

(١) أحمد بن يحيى بن أبي بكر التلمساني، أبو العباس، شهاب الدين بن أبي حجلة: عالم بالأدب، شاعر، من أهل تلمسان. سكن دمشق، وولى مشيخة الصوفية بصريح منحك (بظاهر القاهرة، ومات فيها بالطاعون. كان حنيفا يميل إلى مذهب الحنابلة ويكثر من الخط على أهل الوحدة وخصوصا ابن الفارض، وامتحن بسببه. له أكثر من ثمانين مصنفا، منها «مقامات» وكتاب «ديوان الضباية» و«منطق الطير». انظر الدرر الكامنة ١/٣٢٩ وتعريف الخلف ٢/٤٢ وآداب اللغة ٣/١٢٣ وفهرس دار الكتب ٣/١٠٥، ١٣٥ والأعلام ١/٢٥٩.

(٢) محمد بن أبي بكر بن عيسى بن بدران السعدى المصرى، أبو عبد الله، تقي الدين الأحنائي: قاضى قضاء المالكية بمصر. له تأليف، انتقد الإمام ابن تيمية أحدها بكتاب «الرد على الأحنائي» فى زيارة القبور. انظر الديباج ٣٢٧ والأعلام ٦/٥٦.

(٣) أيس منه: أيسا - وإياسا: يئس وانقطع رجاءه. انظر المعجم الوجيز ٣١.

(٤) عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي، أبو نصر: قاضى القضاة، المؤرخ، الباحث. ولد فى القاهرة، وانتقل إلى دمشق مع والده، فسكنها وتوفى بها. نسبتة إلى سبك (من أعمال المنوفية بمصر) انتهى إليه قضاء القضاة فى الشام وعزل. تعصب عليه شيوخ عصره فاتهموه بالكفر واستحلال شرب الخمر. وأتوا به مقيدا مغلولا من الشام إلى مصر. ثم أفرج عنه وعاد إلى دمشق، فتوفى بالطاعون. له تصانيف منها «طبقات الشافعية الكبرى» و«معيد النعم ومبيد النقم». انظر جلاء العينين ١٦ والدرر الكامنة ٢/٤٢٥ وحسن المحاضرة ١/١٨٢ والتيمورية ٣/١٣٠ والكتبخانه ٢/٢٤٣ والأعلام ٤/١٨٤، ١٨٥.

القاهرة، بسعى ولده بهاء الدين أحمد فى ذلك، فكتم التقى عن أهل دمشق هذا، وخرج - وهو مريض - فى محفة ليزور القدس، فقدم القاهرة وقد اشتد مرضه، فمات بعد أيام. واستقر عوضه فى قضاء القضاة بدمشق ابنه تاج الدين عبد الوهاب.

وفى يوم الإثنين تاسع صفر: قبض على الأمير أرغون الكاملى؛ خوفا من شره، وسجن بالإسكندرية. واستقر كريم الدين أكرم ابن شيخ فى نظر الدولة، وأعيد شهاب الدين أحمد بن ياسين بن محمد الرياحى إلى قضاء المالكية بحلب، بعد وفاة زين عمر بن سعيد يحيى التلمستانى المغربى. واستقر خالد بن داود شاد الدواوين بإمرة عشرة، ولبس الشربوش^(١) فى يوم عاشره واستقر الحاج محمد بن يوسف مقدم الدولة عوضا عن الحاج أحمد بن زيد. وألزم ابن زيد بحمل ثلاثمائة ألف درهم، فحملها، فتبّع ابن يوسف آثاره حتى أظهر له من دفائن وودائع نحو أربعمائة ألف درهم. ثم صرف ابن يوسف وأعيد ابن زيد. وقبض على ابن يوسف، وعلى خالد بن داود شاد الدواوين وسلما لأحمد بن زيد، فعاقبهما وألزمهما بحمل المال، فلم يزل خالد فى العقوبة حتى مات. وأنعم السلطان على ولده الأمير أحمد بإمرة مائة مقدمة ألف، وأفرد له ديوانا.

وقدم الخبير بهجوم الفرنج على طرابلس الغرب، وأخذها، وقتل عامة أهلها. فلما بلغ ذلك أبو عنان فارس بن أبى الحسن على بن يعقوب^(٢) - متملك فاس - اشتراها من الفرنج بمال كبير وعمرها.

وفيه سافر الأمير عمر شاه إلى الصعيد، وقد خرج سودى بن مانع وأخوه عن الطاعة، فأخذهما ووسطهما فى عدة من أصحابهما، وعاد.

وفيه قدم أولاد قراجا بن دلغادر بتقاد، فأعيد كبيرهم إلى الإمرة.

وقدم الأمير فياض بن مهنا^(٣) بقود جليل، فأكرم، وأجريت له الرواتب على العادة،

(١) على هامش ط: الشربوش: قلنسوة طويلة يلبسها الأمراء بدلا من العمامة.

(٢) فارس بن على بن عثمان بن يعقوب المرينى، أبو عنان، المتوكل على الله: من ملوك الدولة المرينية بالمغرب. ولد بفاس الجديدة (المدينة البيضاء)، وبويع فى حياته سنة ٧٤٩هـ. ولما مات أبوه (سنة ٧٥٢هـ) استتب أمره. مرض أياما فدخل عليه وزير الحسن بن عمر الفودورى فقتله خنقا. انظر جذوة الاقتباس ٣١٤ - ٣١٦ والاستقصا ٧٩/٢، ١٠٢ والحلل المشوية والأعلام ١٢٧/٥.

(٣) فياض بن مهنا بن عيسى بن مهنا الفضلى: أمير العرب فى بادية ما بين سورية والعراق من أول فضل ولى الإمرة بعد أخيه أحمد (سنة ٧٤٩م ثم عزل بأخيه حيا وأرسل إلى الإسكندرية فسجن فيها. نظر الدرر الكامنة ٢٣٤/٣ وصبح الأعشى ٢٠٧/٤ وابن خلدون ٤٣٩/٥ والأعلام ١٦٤/٥.

فشفع في الشريف ثُقْبَةَ^(١)، فأفرج عنه وعن أخيه وابن عمه مَغَامِس فأقاموا مدة قليلة، ثم فر ثُقْبَةُ إلى مكة، فطلب فلم يقدر عليه.

وفي سابع جمادى الأولى: أعيد تاج الدين محمد الأحنائي إلى قضاء المالكية، بعد موت نور الدين على السخاوى.

وفي يوم الأربعاء سادس جمادى الآخرة: ولد للأمير شَيْخُو ولد ذكر من ابنة السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون، فاحتفل احتفالاً زائداً في عقيقته ومات الوليد بعد أيام، وعميت أمه عقيب ولادته. وفي خامس عشره قطعت يد الشريف المزور، وضرب أصحابه بالمقارع وشهروا، وكان في التزوير ومحاكاة الخطوط عجباً، وسجن بسبب ذلك مراراً.

وفيه سقط مطر في غير أوانه، عم الوجه البحرى، ونزل معه برد قتل عدة أغنام كثيرة، بلغ وزن البردة أوقية وأوقيتين، ومنها ما نزل في قدر الرغيف الكبير. وتلف زرع كثير من السيل. وهبت قبل هذه المطرة ريح عاصفة غرق منها عدة مراكب.

وفي هذه السنة: ابتداء الأمير صَرَغْتُمُش في هدم مساكن بجوار الجامع الطولونى، واختط موضعها مدرسة في خامس رمضان، وكشف أوقاف الجامع بنفسه، ورمشعتها.

وقدم الخير بأن في شهر ربيع الآخر أمطرت السماء بأرض الروم برداً أهلك منه نحو مائة وخمسين قرية، فجعلها دكا، وكان وزن البردة الواحدة نحو رطل وثلث بالحبلى، وذلك في شهر نيسان.

* * *

ومات في هذه السنة من الأعيان ممن له ذكر

شهاب الدين أحمد بن حسن بن محمد بن عبد العزيز بن محمد بن الفرات المالكى - موقع الحكم - في ليلة الإثنين عاشر ذى القعدة، وكان عاقلاً ديناً فاضلاً.

(١) ثقبه بن رميثة بن أبى نعى الحسنى: شريف ممن ولوا إمارة مكة. كان يتظاهر بنصرة المذهب الزيدى ويأمر عبيده إذا مر ذكر الشيخين (أبى بكر وعمر) برجم الخطيب السنى، واختلف مع إخوة له فتأذى الحجاج بسبب ذلك، فجاءه عسكر من مصر فقبض عليه في موسم ٧٥٤هـ وسجن بمصر إلى سنة ٧٥٦هـ وأطلق فهرب إلى الحجاز فهاجم مكة ونهب خيول الأمراء الموالين للمصريين، وكسر الأتراك وباع أسراهم سنة ٧٦١هـ واستقل بمكة إلى أن مات. وانظر الدرر الكامنة ١/٥٣٠ والبدر الطالع ١/١٨١ والنجوم الزاهرة ١٠/٢٢٦ والأعلام ٢/١٠٠.

وتوفى الشيخ الإمام قاضى القضاة بدمشق، تقى الدين أبو الحسن على بن زين الدين عبد الكافى بن على بن تمام بن يوسف بن موسى بن تمام بن حامد بن يحيى بن عمر بن عثمان بن سوار بن سليم الأنصارى السبكي بجزيرة النيل^(١) من شاطئ النيل خارج القاهرة، فى ليلة الإثنين رابع جمادى الآخر. ومولده فى صفر سنة ثلاث وثمانين وستمائة بناحية سبك من المنوفية، أحد أعمال مصر. قرأ القراءات على التقى الصايغ، والتفسير على العلم العراقى، وسمع على الحافظ الدمياطى، وتفقه للشافعى، وولى قضاء دمشق بعد الجلال القزوينى^(٢) فى تاسع عشر جمادى الآخرة سنة تسع وثلاثين وسبعمائة، وانتهت إليه رياسة العلم.

وتوفى قاضى القضاة المالكى نور الدين أبو الحسن على بن عبد النصير بن على السخاوى المالكى، ليلة الإثنين رابع جمادى الأولى، ودفن بالقرافة.

وتوفى زين الدين أبو حفص عمر بن سعيد بن يحيى التلمسانى المالكى، قاضى قضاة المالكية بحلب، عن نيف وستين سنة، منها فى قضاء حلب نحو خمس سنين.

وتوفى تاج الدين أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد المنعم بن عبد العزيز بن عبد الحق السعدى^(٣) الباربارى، كاتب سر طرابلس، وله شعر جيد.

وتوفى الأديب الشاعر شمس الدين أبو عبد الله محمد بن يوسف بن عبد الله^(٤)،

(١) جزيرة الفيلة: بلد كبير خارج باب البحر من القاهرة متصل بمنية الشيرج من بحريها وعمر النيل من غربيها.

(٢) محمد بن عبد الرحمن بن عمر، أبو المعالى، جلال الدين القزوينى الشافعى، المعروف بخطيب دمشق. قاض. من أدباء الفقهاء. أصله من قزوين، ومولده بالموصل. ولى القضاء فى ناحية بالروم، ثم قضاء دمشق سنة ٧٢٤هـ، فقضاء القضاة بمصر سنة ٧٢٧هـ ونفاه السلطان الملك الناصر إلى دمشق سنة ٧٣٨هـ ثم ولاه القضاء بها فاستمر إلى أن توفى من كتبه «تلخيص المفتاح» فى المعانى والبيان و«الإيضاح» فى شرح التلخيص. انظر مفتاح السعادة ١٦٨/١ وبغية الوعاة ٦٦ وابن الوردى ٣٢٤/٢ والبدر الطالع ١٨٣/٢ والبداءة والنهاية ١٨٥/١٤ فالأعلام ١٩٢/٦.

(٣) محمد بن محمد بن عبد المنعم تاج الدين أبو سعد السعدى: من كبار كتاب الإنشاء. دخل فى الديوان بالقاهرة (٧١٣هـ) ولما مات الشهاب ابن غانم بطرابلس توجه مكانه ثم ذهب إلى القاهرة سنة ٧١٤هـ فأرسل إلى دمشق. وتوجه إلى القدس زائر فمات به فجأة. وكان له نظم وسط فى ديوان «الفتح الرفيع فى مدح الشفيح». انظر الدرر الكامنة ١٩٥/٤ ودار الكتب ٦٦/٤ والأعلام ٣٦٧/٧، ٣٧.

(٤) محمد بن يوسف بن عبد الله الدمشقى، شمس الدين الخياط، ويقال له الضفدع: شاعر مجيد مكث. مولده ووفاته فى دمشق. زار مصر، ومدح السلطان الناصر محمد بن قلاوون. وتسلط على ابن نباتة فأكثر من معارضته ومناقضته. انظر الدرر الكامنة ٣٠٠/٤ والنجوم الزاهرة ١٠/٣٢٠ والمنهل الصافى ٣٢٨/٣ والبدر الطالع ٢٨٦/٢ والأعلام ١٥٣/٧.

يلقب بالضفدع، ويشهر بالخياط، الدمشقى فى طريق الحجاز. قدم القاهرة، ومدح الأعيان، وجمع شعره فى عدة أجزاء، وتكسب بتحمل الشهادة فى دمشق. وكان لا يؤمن هجوه لطول لسانه وتعرضه لكل أحد.

وتوفى العلامة شهاب الدين أبو العباس أحمد بن يوسف بن محمد الحلبي^(١) النحوى المقرئ، الفقيه الشافعى، المعروف بابن السمين فى عاشر جمادى الآخرة. قرأ النحو على أبى حيان، والقراءات على التقى الصايغ، وسمع بآخره من يونس الدبائيسى، وتصدر للإقراء بجامع ابن طولون. وناب فى الحكم بالقاهرة، وولى نظر الأوقاف، وصنف تفسير القرآن فأطال فيه جدا حتى جاء فى عشرين سفرا كبارا، وصنف إعراب القرآن، وشرح التسهيل والشاطبية. وكان فقيها بارعا فى النحو والتفسير وعلم القراءات، وتكلم فى علم الأصول، وكان خيرا دينيا.

وتوفى فخر الدين عثمان بن علم الدين يوسف بن أبى بكر بن محمد الأنصارى النويرى المالكى، فى ذى الحجة. ومولده سنة ثلاث وستين وستمائة. وحفظ الموطأ، وسمع على جماعة بمصر والشام والحرمين، وتفقه، ودرس وأفتى، وأحكم المذهب. وكان كثير الحج والمجاورة والتأله.

ومات الأمير قبلاى النائب، يوم الأربعاء ثالث ربيع الأول.

ومات شهاب الدين، شاهد الجيش، يوم الإثنين ثالث عشرين صفر.

ومات زين الدين الخضر بن تاج الدين محمد بن زين الدين الخضر بن جمال عبد الرحمن بن علم الدين سليمان بن نور الدين على المعروف بابن الزين خضر فى آخر ربيع الأول. ومولده سنة عشر وسبعمائة. سمع على الحجاز وقرأ فى النحو وغيره، وكتب فى الإنشاء ونوه به كاتب السر علاء الدين على بن فضل الله، واعتمد عليه، وأقره يكتب بين يدى نائب السلطنة. وكان يكتب سريعا من رأس القلم ما شاء، وكان ينطق بالجييم كافا.

ومات الأمير ملك آص، فى ثامن عشر رمضان بدمشق، وكان جاشنكير ثم ولى

(١) أحمد بن يوسف بن عبد الدايم الحلبي، أبو العباس، شهاب الدين المعروف بالسمين: مفسر، عالم بالعربية والقراءات شافعى، من أهل حلب استقر واشتهر فى القاهرة. من كتبه «تفسير القرآن»، «القول الوجيز فى أحكام الكتاب العزيز»، «الدرر المصون». انظر إعلام النبلاء ٢٤/٥ وغاية النهاية ١٥٢/١ والمكتبة الأزهرية ١٥٠/١ وجامعة الرياض ٤٦/١ والدرر الكامنة ٣٣٩/١ والأعلام ٢٧٤/١.

شاد الدواوين بدمشق، ونيابة جعير^(١)، وسجن بالإسكندرية، ثم أقام بدمشق بطالا حتى مات.

ومات الأمير قردم بدمشق يوم الأحد تاسع عشر شهر رمضان. كان أمير آخور، ثم أخرج إلى دمشق بطالا، وقبض عليه، ثم صار بدمشق من جملة الأمراء حتى مات. والله تعالى أعلم بالصواب.

* * *

(١) جعير على الفرات بين بالسن والرحمة قرب صفين. انظر معجم البلدان ٣/١٤١، ١٤٢.

سنة سبع وخمسين وسبعمائة

فيها ولى أويس بن الشيخ حسن بن أقبغا بن أيلكا سلطان بغداد بعد موت أبيه. وولى كمال الدين أبو القاسم عمر بن الفخر أبي عمرو، عثمان بن هبة الله المعري، قضاء القضاة الشافعية بحلب، بعد وفاة نجم الدين محمد الزرعى^(١).

وهجم على طرابلس الشام الفرنج فى عدة شوانى، وأفسدوا ثم عادوا. ووقع حريق بمدينة دمشق، فتلّف منه عدة مواضع، ظاهر باب الفسرج، منها ستمائة حانوت سوى البيوت، عدم فيها ما تزيد قيمته على ألف ألف درهم. ثم وقع حريق آخر بالعقيبة^(٢) - ثم حريق آخر بالصالحية^(٣)، وحريق آخر داخل باب الصغير، مثل الحريق الذى بباب الفرج. ثم وقع فى أماكن أخرى من البلد.

واستولى الفرنج على صيدا، وقتلوا وأسروا، وقتل منهم أيضاً جماعة وعادوا. وفى شهر ربيع الأول: هبت بالقاهرة ومصر ربح غربية، من أول النهار إلى المغرب، اصفر منها الجو، ثم احمر ثم اسود. واستمرت الريح إلى نصف الليل، فسقطت عدة أماكن، وامتألت الأرض من تراب أصفر، ثم أمطرت السماء وسكن الريح.

وفى جمادى الأولى: ظهر كوكب له ذؤابة، وكان كبيرا مضيئا.

وفىها كمل بناء مدرسة الأمير صرغتمش، بجوار جامع أحمد بن طولون. ورتب فى تدريس الحنفية بها قوام الدين أمير كاتب بن أمير عمر بن أمير غازى أبو حنيفة الفارابى الأتقائى الحنفى، وقرر عنده عدة من طلبة الحنفية، وشرط أن يكونوا أفاقية^(٤)، وعمل

(١) محمد بن محمد بن شرف الزرعى الشافعى: فاضل. كان قاضى عجلون توفى بدمشق. له «المنتقى من كتاب كشف الحال فى وصف الحال». انظر شذرات الذهب ٢٦٤/٦ والأعلام ٤١/٧.

(٢) قرية من ضواحي دمشق.

(٣) قرية قرب الرها من أرض الجزيرة. انظر معجم البلدان ٣/٣٨٩، ٣٩٠ قال ابن إياس هذا البلد عمرها الملك الصالح نجم الدين أيوب ابن الملك الكامل محمد بن العادل أبى بكر بن أيوب وهى أول الرمل الذى بين مصر والشام، وأنشأ بها قصورا وجامعا وسوفا ليكون منزله للعساكر إذا خرجوا من الرمل وذلك فى سنة أربع وأربعين وستمائة. انظر (نزهة الأمم فى العجائب والحكم).

(٤) على هامش ط: الأفق ما ظهر من نواحي الفلك وأطراف الأرض وكذلك آفاق السماء ونواحيها.

بها درسا للحديث النبوي، وحضر فى يوم الثلاثاء تاسعه صرغتمش، ومعه الأمراء والقضاة والمشايخ، فألقى القوام الدرس، ثم مد سباط جليل، وملئت البركة سكرًا مذابا، فأكل الناس وشربوا، ثم انفضوا.

وفىها يقول العلامة شمس الدين محمد بن عبد الرحمن بن الصايغ الحنفى^(١):

ليهنك يا صرغتمش ما بنيته لأخراك فى دنياك من حسن بنيان
به يزدهى الرخيم كالزهر بهجة فله من زهر و لله من بان
وقال النقيب صلاح الدين صلاح بن الزين ليكم الرفاعى:

صرغتمش قد شاد يا حبذا مدرسة بديعة فائقة
كأنها من حسننا جنة وقد غدت قبابها شاهقة
وقد حكى رخامها روضة أزهارها من طيها عابقة
وقال الشهاب أحمد بن أبى حجلة:

فلها به فضل على الأقران ما بالبان فى الأغصان فضل البان
وقد أنبت الترخيم فى محرابها زاهرا كدر قلائد العقيان
فكأنه كسرى أنو شروان قد وضعوا عليه التاج فى الإيوان
لو لم بيت وأبو حنيفة شيخها ما شبهت بشقائق النعمان
حبر يطوف بمصر بحر علومه حتى كأن الناس فى طوفان
يثنى إليه العلم فضل زمانه وأبو حنيفة الإمام الثانى

وفىها أمر بإحضار الشيخ جمال الدين محمد بن محمد بن محمد بن نباتة^(٢) المصرى من دمشق، فقدم القاهرة، فلم ينجح سعيه وأقام خاملا.

(١) محمد بن عبد الرحمن بن على، شمس الدين الحنفى الزمردى، ابن الصايغ: أديب، من العلماء، مصرى. ولى فى آخر عمره قضاء العسكر وإفتاء دار العدل ودرس بالجامع الطولونى. من كتبه «التذكرة فى النحو والمباني فى المعانى» و«الغمز على الكثر». انظر بغية الوعاة ٦٥ والدرر الكامنة ٤٩٩/٣ وشذرات الذهب ٢٤٨/٦ والفوائد البهية ١٧٥ والأعلام ١٩٢/٦، ١٩٣.

(٢) محمد بن محمد بن محمد بن الحسنى الجذامى الفارقى المصرى، أبو بكر، جمال الدين، ابن نباتة: شاعر عصره، وأحد الكتاب المترسلين العلماء بالأدب. أصله من ميفارقين، ومولده ووفاته فى القاهرة. وهو من ذرية الخطيب «عبد الرحيم بن محمد» بن نباتة. سكن الشام سنة ٧١٥هـ (تقريباً) وولى نظارة «القمامة» بالقدس أيام زيارة النصارى لها، فكان يتوجه فيهاش ذلك ويعود. ورجع إلى القاهرة سنة ٧٦١هـ، فكان بها صاحب سر الناصر حسن. له «ديوان شعر» و«سرح العيون فى شرح رسالة ابن زيدون» و«سجع المطوق». انظر حسن الخاضرة ٣٢٩/١ والبداية والنهاية ٣٢٢/١ وابن إياس ٢٢١/١ والدرر الكامنة ٢١٦/٤ والنجوم الزاهرة ٩٥/١ وآداب اللغة ١٢٢/٣ والوافى ٣١١/١ وطبقات الشافعية ٣١/٦ ودائرة المعارف الإسلامية ٢٨٨/١ والتاج ٥٩/١ والأعلام ٣٨/٦.

وفيهما وقع حريق عظيم ببلاد الساحل، وأراضى كسروان من بلاد الشام، عم من بلاد طرابلس إلى معاملة بيروت، أتلف كثيرا من الوحش والأمتعة، وشجر الزيتون. وكان عجبا من العجب، فإن ورقة من شجرة سقطت في بيت فاحترق جميع ما فيها، واستمرت ثلاثة أيام، ثم وقع مطرا فأطفاه.

وفيهما عمرت مدينة عمان من البلقاء^(١) للأمير صرغتمش، ونقل إليها الولاية والقضاء من حسبان، وجعلت أم تلك البلاد. وهى بلد قديم من بناء عمان ابن أخى لوط، بناها بعد هلاك قوم لوط. وقيل هى مدينة دقيانوس الملك الذى أخرج منها أصحاب الكهف، والرقيم هناك موضع معروف، وبها ملعب سليمان بن داود عليهما السلام.

وفيهما ولى شيخنا الشيخ جمال الدين عبد الرحيم الأسنوى^(٢) وكالة بيت المال، بعد وفاة الشريف شرف الدين على نقيب الأشراف. وولى نقابة الأشراف الشريف شهاب الدين بن أبى الركب.

* * *

ومات فى هذه السنة من الأعيان ممن له ذكر

شرف الدين أبو إسحاق إبراهيم بن إسحاق بن إبراهيم المناوى الشافعى، فى يوم الثلاثاء خامس شهر رجب، ناب فى الحكم بالقاهرة، وتفقه، وشارك فى الحديث، وأفتى ودرس، وشرح فرائض الوسيط.

وتوفى كمال الدين أبو محمد وأبو العباس أحمد بن عمر بن أحمد بن مهدى النشائى^(٣) الشافعى، فى يوم الأحد حادى عشر صفر. ومولده فى أوائل ذى القعدة

(١) البلقاء: مدينة بالشام من عمل دمشق سميت بالبلقاء بن سورية من بنى عييل بن لوط وهو بناها. انظر معجم البلدان ٤٨٩/٢، والروض المعطار ٩٦، ٩٧، وصبح الأعشى ١٠٦/٤.

(٢) عبد الرحيم بن الحسن بن على الأسنوى الشافعى، أبو محمد، جمال الدين فقيه أصولى، من علماء العربية. ولد بإسنا، وقدم القاهرة سنة ٧٢١هـ فانتهدت إليه رئاسة الشافعية. وولى الحسبة ووكالة بيت المال، ثم اعتزل الحسبة. من كتبه «المبهمات على الروضة» فقه. و«الهداية إلى أوهام الكفاية» والأشباه والنظائر. انظر بغية الوعاة ٣٠٤ والبدر الطالع ٣٥٢/١ وخطط مبارك ٦٣/٨ والدرر الكامنة ٣٥٤/٢ وفهرس الكتبخانة ١٩٧/٤ ثم ٣٩٨ وكشف الظنون ١١٠١/٢ والأعلام ٣٤٤/٣.

(٣) أحمد بن عمر بن أحمد بن مهدى المدلىجى، أبو العباس، كمال الدين النشائى: فقيه شافعى مصرى: نسبته إلى «نشا» وهى قرية بريف مصر. توفى بالقاهرة. له «المنتقى» فى الفقه و«الإبريز فى»

٢٣٠ سنة سبع وثمانون وسبعمائة

سنة إحدى وتسعين وستمائة. تفقه على أبيه وبرع ودرس بالجامع الخطيرى ببولاق. وهو أول من ولي خطابته وإمامته وتدرسه. وصنف كتاب جامع المختصرات، وكتاب المنتقى، وعلق على التنبيه استدراكات.

ومات متملك بغداد الشيخ حسن بن حسين بن آقبا بن أيلكان التترى، سبط أرغون بن أبغا بن هولاكو، وكانت مدته سبع عشرة سنة.

وتوفى الشريف شرف الدين أبو الحسن علي بن حسين بن محمد الحسينى نقيب الأشراف، ووكيل بيت المال، ومحتسب القاهرة، فى ثالث عشر جمادى الآخرة. مولده سنة إحدى وتسعين وستمائة. حدث وتفقه للشافعى وقرأ النحو، ودرس بالمشهد الحسينى، والمدرسة الفخرية^(١)، وكتب توضيح الحاوى، وأقرأه بمكة فى مجاورته سنة إحدى وخمسين.

وتوفى نجم الدين أبو عبد الله محمد بن فخر الدين عثمان بن أحمد بن عمرو بن محمد الزرعى الحلبي الفقيه الشافعى، قاضى القضاة الشافعية بجلب. فكانت مدته نحو ست سنين. وكان فاضلا ممدحا أديبا ماهرا فى النثر مع معرفة بالفقه والأصول والنحو.

* * *

=الجمع بين الحاوى والوجيزه. انظر الدرر الكامنة ١/٢٢٤ وشذرات الذهب ٦/١٨٢ والمكتبة الأزهرية ٢/٤٨٢ ودار الكتب ١/٥٤٠ والأعلام ١/١٨٦، ١٨٧.

(١) المدرسة الفخرية: نسبة إلى الأمير الكبير فخر الدين أبو الفتح عثمان أستاذ الملك الكامل محمد بن العادل الأيوبي.

سنة ثمان وخمسين وسبعمائة

فيها قبض على ابن الزبير ناظر الدولة، وعوقب حتى هلك.

وفي جمادى الآخرة: خلع على شمس الدين محمد ابن الصاحب مدرس الصاحبية^(١) والشريفية^(٢) بمصر، واستقر محتسب القاهرة بعد وفاة علاء الدين على بن الأطروش. واستقر شيخنا سراج الدين الهندي عوضه في قضاء العسكر.

وفي يوم الخميس ثامن شعبان: وثب قطاوقجا - ويقال باى قجا - أحد المماليك السلاح دارية على الأمير شَيْخُو وهو بدار العدل، وضربه بسيف ثلاث ضربات، فى رأسه ووجهه وذراعه، فسقط وارتج المجلس. وقام السلطان عن كرسي الملك إلى قصره فى خاصكيته، وتفرق الأمراء. وطار الخبر بأن الأمير شيخو قتل، فركب الأمير خليل ابن قوصون - ربيب شيخو وأبس آلة الحرب، وساق فى عدة وافرة إلى القلعة، وصعدا بمن معه وهم ركاب، إلى رحبة دار العدل. وحمل شيخو على جنوية^(٣) - على أنه قد مات - إلى إصطنبله. وركب العسكر جميعهم إلى تحت القلعة بالسلاح. وركب الأمير صَرْغَتْمُش فى عدة من الأمراء إلى الأمير شيخو، فوجدوا به رمقا، فاعتذروا إليه مما وقع، وأنه لم يكن يعلم السلطان، وأنه قبض على الغريم وأمر بتسميره وتوسيطه. ثم قاموا فسمرو المذكور، وطيف به على جمل، ثم وسط بعد ما قرر فلم يقر على أحد. وقال: «قدمت له قصة لينقلنى من الجامكية إلى الإقطاع فلم يفعل، فبقى فى نفسى منه». وركب السلطان من الغد لعيادة شَيْخُو وحلف له أنه لم يعلم بما جرى حتى وقع، ثم عاد. فمازال شيخو صاحب فراش حتى مات يوم الخميس خامس عشرين ذى القعدة، ودفن من الغد بمخانكاته، وقبره بها، وكان قد قارب الستين سنة. وكان كثير المعروف، وهو أول من قيل له الأمير الكبير بمصر.

وفي شعبان: قدم رسل السلطان جانبك بن أزيك، فركب العسكر من الأمراء والمماليك والمقدمين وأجناد الحلقة إلى لقاءهم بالزى الفاخر. وتمثلوا بين يدى السلطان،

(١) المدرسة الصاحبية، أنشأها الصاحب صفى الدين عبد الله بن على بن شكر.

(٢) المدرسة الشريفية، نسبة إلى الأمير الكبير الشريف فخر الدين أبو نصر إسماعيل بن حصن الدولة فخر العرب ثعلب بن يعقوب أحد أمراء الدولة الأيوبية فى مصر.

(٣) نوع من المركبات.

وقدموا معهم من الهدية، وهى عدة ممالك، وفرو سمور، وطيور جوارح. فكتب جوابهم وأعيدوا.

وفى هذا الشهر: حملت جارية بدمشق، من عتقاء الأمير تمر المهمندار، قريبا من سبعين يوما، ثم طرحت أربعة عشر بنتا وصبيًا، يعرف الذكر من الأنثى فى نحو أربعين يوما.

ولما مات شيخو قبض السلطان على الأمير خليل بن قوصون، وغيره من أتباع شيخو، فيهم الأمير قجا السلاح دار أمير شكار، والأمير تقطاي الدوادار، والأمير قطلوبغا الذهبى، وأرغون الطرخانى، فنفى بعضهم إلى الشام، وسجن بعضهم بالإسكندرية، وانفرد الأمير صرغتمش بتدبير الدولة.

وفى يوم الجمعة: استقر الأمير تنكزبغا أمير مجلس والأمير أزدُمَر الخازندار أمير سلاح، والأمير كشتمر القاسمى حاجب الحجاب، والأمير علم دار دوادارا كبيرا. وأنعم على يلغا العمرى الخاصكى بإمارة طبلخاناه، وعلى منكلى بغا بإمارة طبلخاناه، وعلى أيدُمَر بإمارة طبلخاناه، وعلى طيغنا الطويل بإمارة طبلخاناه. واستقر قطب الدين ابن عرب فى حسبة القاهرة، بعد وفاة شمس الدين محمد ابن الصاحب فجأة وهو راكب على بغلته بين القصرين فسقط عنها، فلا يدرى أمات فسقط أو سقط فمات. واستقر تاج الدين بن الريشة فى نظر الدولة.

* * *

ومات فى هذه السنة من الأعيان

قاضى قضاة الحنفية بدمشق، نجم الدين أبو إسحاق إبراهيم بن العماد أبى الحسن على بن أحمد بن عبد الواحد بن عبد المنعم بن عبد الصمد^(١) الطرسوسى^(٢) الحنفى، عن أربعين سنة. وكان مشكور السيرة، صنف كتاب «رفع الكلفة عن الأخوان، فى ذكر ما قدم القياس على الاستحسان»، وكتاب «الاختلافات الواقعة فى المصنفات»،

(١) إبراهيم بن على بن أحمد بن عبد الواحد بن عبد المنعم الطرسوسى، نجم الدين: قاض مصنف. ولد ومات فى دمشق. وولى قضاها بعد والده (سنة ٧٤٦هـ) وأفتى ودرس، وألف كتبها منها «الإشارات فى ضبط المشكلات»، و«الإعلام فى مصطلح الشهود والحكام». انظر الدرر الكامنة ٤٣/١ والنجوم الزاهرة ٣٢٦/١٠ وكشف الظنون ٩٧/١ والمكتبة الأزهرية ١٠٤/٢ والإعلام ٥١/١.

(٢) طرسوس: مدينة بالشام حصينة، عليها سوران بينهما فصيل وخذق، ويجرى الماء حوالها وطرسوس مدينة كبيرة كثيرة المتاجر، والعمارة والخصب الزائد، وبينها وبين البحر اثنا عشر ميلا. انظر معجم البلدان ٤/٢٨، ٢٩، والروض المعطار ٣٨٨، ٣٨٩، وصبح الأعشى ٤/١٣٣.

وكتاب «مناسك الحج» - مطولا - وكتاب «محظورات الإحرام»، وكتاب «الإشارات فى ضبط المشكلات»، - عدة مجلدات - وكتاب «الفتاوى فى الفقه»، وكتاب «الإعلام فى مصطلح الشهود والحكام» وكتاب «الفوائد المنظومة فى الفقه».

ومات شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن عبد الرحمن بن إبراهيم بن عبد المحسن العسجدى الشافعى، وقد قارب الثمانين.

ومات الأمير أرغون الكاملى بالقدس فى تلك السنة، أصله من ممالك الكامل شعبان بن الناصر محمد^(١) فترقى فى الخدم حتى صار من أمراء الألوف وولى نيابة حلب ونيابة دمشق، ثم قبض عليه وسجن، ثم نفى إلى القدس، فمات بها.

وتوفى الشيخ قوام الدين أبو حنيفة أمير بن كاتب بن أمير عمر بن أمير غازى الفارابى الأتقانى فى شوال، ولى تدريس مشهد الإمام أبى حنيفة - رحمه الله تعالى - ببغداد، ثم قدم إلى الشام، فاستدعى منها إلى القاهرة، واختص بالأمير صرغتمش، وعمل له درسا بجامع الماردىنى^(٢)، ثم ولاه تدريس مدرسته.

وتوفى محب الدين أبو عبد الله محمود بن علاء الدين على بن إسماعيل بن يوسف القونوى الشافعى فى يوم الأربعاء ثامن عشرين ربيع الآخر. درس بالمدرسة الشريفة من القاهرة، وبجامع الماردىنى. وشرح كتاب ابن الحاجب فى الأصول، وكتب تعليقه فى الفقه، وكتب اعتراضات على شرح الحاوى فى الفقه لأبيه.

وتوفى علاء الدين أبو الحسن على بن محمد بن الأطروش الحنفى، محتسب القاهرة، وقاضى العسكر فى تلك السنة. حدث، وكان فيه كرم، وهو معدود من رجال الدنيا فى معناه. وله منازعات مع الضياء الشامى، فى نظر المارستان وحسبة القاهرة. وكان يلى هذا مرة وهذا مرة. وولى أولا حسبة دمشق. وكان أبوه يبيع السقط.

* * *

(١) شعبان بن حسين بن الملك الناصرى محمد بن قلاوون، أبو المعالى، ناصر الدين من ملوك الدولة القلاوونية بمصر والشام ولى السلطنة سنة ٧٦٤هـ. انظر مورد اللطافة ٨٧ وابن إياس ٢١٢/١ وحسن المحاضرة ١٠٤/٢ والدرر الكامنة ١٩٠/٢ والبداية والنهاية ٣٠٢/١٤، ٣٢٤ والإعلام ١٦٤/٣.

(٢) الجامع الماردىنى، نسبة إلى الأمير الطنبغا الماردىنى الشافى.

سنة تسع وخمسين وسبعماية

أول المحرم: استقر محب الدين محمد بن نجم الدين يوسف بن أحمد بن عبد الدايم التيمي^(١)، المعروف بكاتب جانكلي، صاحب ديوان الأمير قجا السلاح دار، فى نظر البيوت.

وفى هذا الشهر: أمر - بإشارة الأمير صرغتمش - أن تضرب فلوس زنة الفلوس منها مثقال، فضرب منها عدة قناطير. ثم رسم أن يكون كل فلس من هذه الجدد بفلسين من العتق، وكل رطل من الفلوس العتق بدرهم ونصف، بعد ما كان الرطل منها بدرهمين. وركب الى القاهرة ووالى مصر ومحتسبيهما وأعمال الفلوس الجدد بين أيديهم. ونودى فى الناس بأن يتعاملوا بها على ما ذكرنا. فاستمرت المعاملة بالفلوس الجدد، واستقرت أربعة وعشرون فلسا بدرهم فضة.

وعزل تاج الدين عبد الوهاب بن السبكي عن قضاء دمشق، واستقر عوضه بهاء الدين أبو البقاء محمد بن عبد البر السبكي^(٢) الشافعى.

واستقر جمال الدين محمود بن أحمد بن مسعود القونوى^(٣) - المعروف بابن السراج الحنفى - فى قضاء الحنفية بدمشق، عوضا عن شهاب الدين أحمد بن فزارة الكفرى. واستقر شرف الدين أحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عسكر البغدادى المالكى فى قضاء المالكية بدمشق، عوضا عن جمال الدين المسلاتى.

(١) محمد بن يوسف بن أحمد، محب الدين الحلبي ثم المصرى، المعروف بناظر الجيش: عالم بالعربية، من تلاميذ أبى حيان. أصله من حلب، ومولده ووفاته بالقاهرة. ترقى إلى أن ولى نظر الجيش بالديار المصرية. ألف «تمهيد القواعد» و«شرح التلخيص». انظر الدرر الكامنة ٢٩٠/٤ وإعلام النبلاء ٦١/٥ والأعلام ١٥٣/٧.

(٢) محمد بن عبد البر بن يحيى، بهاء الدين، أبو البقاء، السبكي: فقيه شافعى مصرى، من العلماء بالعربية والتفسير والأدب. ولى قضاء دمشق ثم قضاء طرابلس، وعاد إلى القاهرة، فولى قضاء العسكر ووكالة بيت المال والقضاء الكبير. ثم ولى قضاء دمشق. من كتبه «مختصر المطلب» فى شرح الوسيط، فى فروع الشافعية، و«شرح الحاوى الصغير للقزوينى»، فقه. انظر بغية الوعاة ٦٣ والدرر الكامنة ٤٩٠/٣ والوفى بالوفيات ٢١٠/٣ وكشف الظنون ٦٢٥ والأعلام ١٨٤/٦.

(٣) محمود بن أحمد بن مسعود بن عبد الرحمن القونوى، أبو الثناء، جمال الدين: قاض، من فقهاء الحنفية. له مشاركة فى العلوم العقلية. من أهل دمشق ولى قضاءها. من كتبه «بغية الفقيه» فقه و«المنتهى» فى شرح المغنى فى الأصول و«الزيادة شرح العمدة» وفى أصول الدين. انظر الفوائد البهية ٢٠٧ والكتبخانة ١٣/٣ والجواهر المضية ١٥٦/٢ وكشف الظنون ٣٤٦/١ والأعلام ١٦٢/٧.

واستقر شمس الدين محمد بن أحمد بن المخلطة فى قضاء الإسكندرية، عوضا عن ابن الريفى .

وفى يوم سار البريد بالقبض على الأمير طاز نائب حلب، فبلغ الخير طاز، فسار من حلب فى أصحابه كأنه يريد الحرب. وأخذ السلطان فى تجهيز العساكر لقتاله، فلما قارب دمشق، أرسل إلى الأمير على النائب بأنه «مملوك السلطان وفى طاعته، وما قصدت إلا أن يصل أهلى إلى دمشق فى سلامة من نهب العربان والتراكمين». وسلم نفسه، فقبض نائب الشام على حاشيته وجهاز سيوفهم إلى السلطان على العادة، وحمل طاز مقيداً إلى الكرك^(١) فبطلت تجريدة العساكر، ورسم بنقل طاز إلى الإسكندرية. وكتب باستقرار الأمير منجك فى نيابة حلب، عوضا عن طاز.

وتقدم مرسوم قاضى القضاة عز الدين عبد العزيز بن محمد بن جماعة^(٢)، بألا يشهد فى المساطير المكتبة بمبلغ كبير من المال، وفى صدقات النساء التى مبلغها كبير إلا أربعة شهود، ولا يشهد على مريض بوصية إلا بإذن أحد القضاة الأربعة، أو أحد نواب الشافعى.

وفى يوم الخميس ثامن عشرين جمادى الآخرة: صرف قاضى القضاة عز الدين بن جماعة عن القضاء، واستقر عوضه الشيخ بهاء الدين عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله بن عقيل^(٣) العقيلى، فأبطل ما رسم به للشهود، وفرق من مال الصدقات فى الفقراء نحو الستين ألف درهم فى أيام ولايته، وفرق الفقهاء مائة وخمسين ألف درهم من وصية، واستتاب زوج ابنته سراج الدين عمر بن رسلان بن نصير بن صالح

(١) الكرك: هو من أعظم حصون النصارى معترض فى طريق الحجاز، وهو من القدس على مسافة يوم أو أقل، وأهله يقطعون على المسلمين الطريق فى البر، وله نظر عظيم الاتساع متصل العمارة ينتهى إلى أربعماية قرية. انظر معجم البلدان ٤/٤٥٣، والروض ٢٠٢، ٢٠٣.

(٢) عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم بن جماعة الكنانى، الحموى الأصل الدمشقى المولد، ثم المصرى، عز الدين: الحافظ، قاضى القضاة ولى قضاء الديار المصرية سنة ٧٣٩هـ وجاور بالحجاز، فمات بمكة. من كتبه «هدية السالك إلى المذاهب الأربعة فى المناسك» و«المناسك الصغرى». انظر الدرر الكامنة ٢/٣٧٨ والكتبخانة ٧/١٨١ والتيمورية ٣/٦١ وكشف الظنون ١٩٤٠ والأعلام ٤/٢٦.

(٣) عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله بن محمد القرشى الهاشمى. بهاء الدين بن عقيل: من أئمة النحاة. من نسل عقيل بن أبى طالب. مولده ووفاته فى القاهرة. ولى قضاء الديار المصرية مدة قصيرة. له «شرح ألفية بن مالك» فى النحو و«التعليق الوجيز على الكتاب العزيز» تفسير. انظر الدرر الكامنة ٢/٢٦٦ ومفتاح السعادة ١/٤٣٩ والبدر الطالع ١/٣٨٦ وحسن المحاضرة ١/٣١٠ وشذرات الذهب ٦/٣١٤ والفهرس التمهيدى ١٩٤ والكتبخانة ٤/١١٠ والأعلام ٤/٩٦.

البلقيني^(١) وتاج الدين بن سالم وغيره من أصحابه.

وأنعم على الأمير شهاب الدين أحمد بن قشتمر حمص أخضر بإمرة مائة.

وكثر فى شهر رمضان إكرام السلطان للأمير صرغتمش، وأمر بعمل له بشعر الإسكندرية قبانخ^(٢). فلما كان يوم الأحد تاسع عشره أصبح السلطان متوعك البدن، فلما دخل عليه صرغتمش ليعوده ألبسه القبانخ ونزل إلى داره. ثم صعد من الغد يوم الإثنين عشرينه إلى القصر على عادته، وأمر ونهى على باب القصر وصرف أمور الدولة على عادته، ثم دخل. فلما استقر به الجلوس، وتكامل الموكب، تقدم الأمير طيغنا الطويل، وقبض عليه، وأعاناه الأمير منكلى بغا، ثم قبض على الأمير قشتمر القاسمى حاجب الحجاب والأمير طبقغا صاروق الماحارى. وارتج القصر بمن فيه، فركب الأمير أحمد بن قشتمر فى عدة من المماليك، ولبس وهم آلة الحرب، ووقف تحت القلعة، فركب إليه الأمير عز الدين أزدمر الخازندار، والأمير يلغا الخاصكى، والأمير تنكر. بغا، والأمير طيغنا الطويل، والأمير منكلى بغا، فى طائفة من المماليك السلطانية، وقتلوه من بكرة النهار إلى العصر حتى هزموه ومن معه. وركب العامة أقيتهم يرجونهم بالحجارة، ثم امتدت أيديهم إلى بيت الأمير صرغتمش، فنهبوه، ونهبوا الخوانيت التى بالصليية بجواره، وتبعوا العجم، فلما صرغتمش كان يعنى بهم، ونوه باسمهم، وجعل مدرسته وقفا عليهم. فكان يوماً مشهوداً عظيماً شناعته. واستمر الطلب على ابن قشتمر حتى قبض عليه وعلى جماعته من آخر النهار، فقيدوا وحملوا إلى الإسكندرية - وفيهم صرغتمش - فسجنوا بها.

وقبض على القاضى ضياء الدين يوسف بن أبى بكر محمد ناظر المارستان وأهين وأركب على حمار، ثم نفى بعد ضربه بالمقارع عريا، ومصادرته. وعزل عامة من كان جهته صرغتمش، فعزل قطب الدين بن عرب من حسبة القاهرة، واستقر عوضه الشيخ عبد الرحيم الإسنوى، وعزل ابن عقيل عن قضاء القضاة بعد اثنين وثمانين يوماً، وأعيد عز الدين بن جماعة فى يوم الثلاثاء حادى عشرين شهر رمضان. وقبض على ناظر

(١) عمر بن رسلان بن نصير بن صالح الكنانى، العسقلانى الأصل، ثم البلقيني المصرى الشافعى، أبو حفص، سراج الدين: مجتهد حافظ للحديث، من العلماء بالدين. ولد فى بلقينة (من عربية مصر، وتعلم بالقاهرة. وولى قضاء الشام سنة ٧٦٩هـ، وتوفى بالقاهرة. من كتبه «التدريب» فى فقه الشافعية» و«تصحیح المنهاج». انظر لحظ الأخطار والضوء اللامع ٨٥/٦ وشذرات الذهب ٥١/٧ وحسن المحاضرة ١٨٣/١ والخزانة التيمورية ١٨/٣ والأعلام ٤٦/٤.

(٢) على هامش ط: (قبانخ) يتكون اللفظ من شطرين «قبا» و«نخ» أما القبا فهو ملبوس (فرجية - قفطان)، وأما النخ فنوع من النسيج الثمين كان يصنع فى تيريز ويمتاز بالرقعة.

الخاص والجيش علم الدين عبد الله بن نقوله وصوردر، واستقر عوضه فى نظر الخاص تاج الدين بن الريشة مضافا إلى الوزارة. وفى نظر الجيش محب الدين محمد بن نجم الدين يوسف بن أحمد بن عبد الدايم. واستقر عوض محب الدين فى نظر البيوت فخر الدين بن السعيد. قبض على جرجى الأدريسى ونفى فى عدة من الأمراء.

وأنعم السلطان على عدة من ممالিকে بأمریات، أنعم على مملوكه الأمير يلبغا الخاصكى بتقدمة ألف، وعمله أمير مجلس عوضا عن تنكز بغا. وأنعم على كل من الأميرين منكلى بُغا والأمير طيبيغا الطويل، والأمير أيذمر الشامى والأمير أَلجای اليوسفى بإمرة مائة وتقدمة ألف. وعمل أيذمر الشامى داودارا، وأَلحا حاجبا ثانيا. وعمل الأمير عز الدين أزدمر الخازن دار أميرا كبيرا، مكان صرغتمش، وولاه نظر المارستان المنصورى، ونظر وقف الصالح إسماعيل بقية المنصورية. وأنعم على عدة من ممالিকে أيضا بأمریات ما بين طبلخاناه وعشرات.

وفى يوم الأحد: المبارك ولد للسلطان ولد ذكر سماه قاسم، وأعطاه إمرة مائة. ونقل الأمير منجك^(١) من نيابة حلب إلى نيابة الشام، عوضا عن أمير على. ونقل أمير على إلى نيابة حلب.

وفيه خرجت تجريدة إلى برقة مع الأمير محمد باك القازانى.

وفى هذه السنة: كثر اختصاص قطب الدين هرماس بالسلطان، وصار يدخل عليه متى أراد بغير إذن، ويدخل معه أيضا زوج ابنته صدر الدين. وكانت بين الهندى سراج الدين عمر الحنفى وبين الهرماس منافرة، فتقدم لقاضى القضاة جمال الدين عبد الله بن التركمانى أن يعزله من نيابة الحكم، فصرفه وهجره، فأعرض عنه عامة فقهاء الحنفية. وفيه استقر التنيسى المالكى فى قضاء الإسكندرية بعد وفاة ابن المختلطة وقدم الخير بموت صرغتمش فى سجنه بالإسكندرية، فكانت مدة سجنه شهرين واثنى عشر يوما.

* * *

ومات فى هذه السنة من الأعيان

شرف الدين أبو البقاء خالد بن العماد إسماعيل بن محمد بن عبد الله بن محمد بن محمد بن خالد بن محمد بن نصر القيسراني، بدمشق عن نيف وخمسين سنة.

(١) منجك بن عبد الله، سيف الدين اليوسفى الناصرى: أمير داهية جبار. يعرف بمنجك الكبير واستقر حاجبا بدمشق سنة ٧٤٥هـ. وولى الوزارة بمصر (سنة ٧٤٨هـ) وصرف عنها وأعيد إليها بعد أربعين يوما. ثم قبض عليه وسجن بالإسكندرية سنة ٧٥٢هـ، وأفرج عنه (سنة ٧٥٩هـ) ومات فى داره بمصر. انظر خطط المقرئى ٢/٣٢٠ والدرر الكامنة ٤/٢٣٠ وخلاصة الأثر ٤/٢٣٠ والنجوم الزاهرة ١١/٣٣ وابن خلكان ١٢/١٨١ والأعلام ٧/٢٩١.

ومات الأمير الكبير سيف الدين صرغتمش الناصري بسجن الإسكندرية مقتولا في ذى الحجة. كان يكتب الخط الجيد، ويشارك في الفقه على مذهب أبي حنيفة، ويتعصب لمذهبه، ويجل العجم، ويختص بهم، ويتكلم أيضاً في العربية، ودبر أمر الدولة مدة.

ومات أبو عنان فارس بن أبي الحسن علي بن أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق بن عيوى بن جماعة المريني^(١) متملك المغرب وصاحب فاس.

وتوفى فخر الدين أبو العباس محمد بن أحمد بن عبد الله بن المختلطة قاضي الإسكندرية، في يوم الجمعة سابع رجب.

وتوفى شمس الدين بن عيسى بن حسن بن كُر الحنبلي^(٢) إمام أهل الموسيقى، وله تأليف حسن في الموسيقى.

ومات الأمير سيف الدين تنكزبغا المارديني، أمير مجلس، وزوج أخت السلطان حسن.

ومات الأمير الطواشي، صفى الدين جوهر الجناحي، مقدم المماليك، وقد قارب المائة سنة.

وتوفى شمس الدين أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن داود بن نصر الهكاري الكردي الدمشقي الشافعي بدمشق، في ذى القعدة، ومولده سنة خمس وثمانين وستمائة. حدث عن التقى الواسطي، والشريف بن عساكر وتفقه وأفتى ودرس.

وتوفى أمير المدينة النبوية الشريف مانع بن علي بن مسعود بن حماز بن شيحة الحسيني. واستقر بعد ابن عمه فضل بن قاسم في ذى القعدة سنة ثلاث وخمسين. وكثر تظاهرة بمذهبه. فلما قدم الحاج ولبس الخلعة على العادة وثب عليه فداويان، قتلاه في أواخر ذى الحجة، فنارت الفتنة بعد قتله، وتأذى بها كثير من الحجاج.

(١) فارس بن علي بن عثمان بن يعقوب المريني، أبو عنان، المتوكل على الله: من ملوك الدولة المرينية بالمغرب. ولد بفاس الجديدة. ونشأ محبوباً في قومه. وولاه أبوه إمارة تلمسان ثم ثار على أبيه، وبويع في حياته سنة ٧٤٩هـ. ولما مات أبوه سنة ٧٥٢هـ استتب أمره. انظر جذوة الاقتباس ٣١٤ - ٣١٦ والاستقصا ٧٩/٢، ١٠٢ والحلل الموشية ١٣٤ والأعلام ١٢٧/٥.

(٢) محمد بن عيسى بن حسن بن كُر الحنبلي، شمس الدين، أبو عبد الله: إمام أهل الموسيقى في عصره. أصله من بغداد، خرج أبوه لما استولى عليها هولاًكو. فسكن القاهرة. وبها ولد ابنه وعاش ومات. وكان فقيهاً له اشتغال بالحديث والعربية. ولى مشيخة بعض المدارس بالقاهرة، وسمع منه الحافظ العراقي وآخرون. وأخذ علم الموسيقى عن غير واحد، ففاق الأقران. انظر النجوم الزاهرة ٣٣٠/١٠ والدرر الكامنة ١٢٨/٤ وشذرات الذهب ١٩٨/٦ والأعلام ٣٢٣/٦.

٢٤٠ سنة تسع وخمسين وسبعمائة

وتوفى إمام الحنابلة بمكة أبو عبد الله محمد بن محمد بن عثمان بن موسى الآمدي الحنبلي، بعدما أمَّ الناس ثلاثين سنة.

ومات قتيلًا الأمير سيف بن فضل بن مهنا بن عيسى بن مهنا بن مانع بن حديثة بن غُضَيِّنة بن فضل^(١) في ذى القعدة. وكان جوادا، ولى إمرة آل فضل غير مرة.

ومات الأمير مَلَكُومُ السعدي، في ثامن ذى القعدة.

* * *

(١) سيف بن فضل بن عيسى بن مهنا: أمير عرب الفضل، في بادية الشام. كان شجاعا جوادا. ولى إمرة قومه عدة مرات، أولها بعد موت أخيه عيسى (سنة ٧٤٤هـ) ومات قتيلًا. انظر ابن خلدون ٤٣٩/٥ والنجوم الزاهرة ٣٣٠/١٠ وصبح الأعشى ٢٠٧/٤ والدرر الكامنة ١٨٣/٢ والأعلام ١٥٠/٣.

سنة ستين وسبعمائة

فى الأربعماء ثالث المحرم: قدم أمير على إلى دمشق وقد أعيد إلى نيابتها، وعزل الأمير مَنجك عنها، وطلب إلى مصر، ففر من غزة^(١) ولم يُقف على خيره، فعوقب بسببه عدة من الناس.

واستقر الأمير سيف الدين بكنمر المؤمنى فى نيابة حلب، ثم صرف عنها، واستقر عوضه الأمير سيف الدين بيدمر الخوارزمى.

وصرف أمير على عن نيابة الشام، واستقر عوضه الأمير سيف الدين أسندمُر الزينى. وانتهت زيادة ماء النيل إلى أربع أصابع من عشرين ذراعاً، وثبت إلى أول شهر هاتور، فخرج الناس ودعوا حتى هبط، فكثرت الأمراض ببلاد الصعيد.

وفىها عقد لشمس الدين محمد بن على بن عبد الواحد بن يوسف بن عبد الرحيم^(٢) الدكالى^(٣) الأصل، المعروف بابن النقاش، الفقيه الشافعى، فجلس بين يدى قاضى القضاة عز الدين بإشارة الهرماس، وادعى عليه زين الدين عبد الرحيم العراقى^(٤) أنه يفتى بغير مذهب الشافعى، فمنع من الإفتاء، وألا يتكلم فى مجالس الوعظ، إلا من كتاب، فامتنع بعد ما حبس، ثم أفرج عنه.

(١) غزة: مدينة فى أقصى الشام من ناحية مصر، بينها وبين عسقلان فرسخان أو أقل، وهى من نواحي فلسطين غربى عسقلان. انظر معجم البلدان ٢٠٢/٤، ٢٠٣، والروض المعطار ٤٢٨، معجم ما استعجم ٩٩٧/٣.

(٢) محمد بن على بن عبد الواحد الدكالى ثم المصرى، أبو أمامة، ويقال له ابن النقاش: واعظ، مفسر، فقيه. له «شرح العمدة»، و«تخريج أحاديث الرافعى»، وكتاب فى «الفروق» و«السابق واللاحق». وله شعر جيد. مات بالقاهرة. انظر الدرر الكامنة ٧١/٤ وبقية الوعاة ٧٨ والفهرس التمهيدى ٤٢٨ وشذرات الذهب ١٩٨/٦ والأعلام ٢٨٦/٦.

(٣) نسبة إلى دكالة، بلد بالمغرب. انظر: معجم البلدان ٦١٢/٢، لب اللباب ١٠٦.

(٤) عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن، أبو الفضل، زين الدين، المعروف بالحافظ العراقى: بجائة، من كبار حفاظ الحديث. أصله من الكرد، ومولده فى رازنان. تحول صغيراً مع أبيه إلى مصر، فتعلم ونبغ فيها. وقام برحلة إلى الحجاز والشام وفلسطين، وعاد إلى مصر، فتوفى فى القاهرة. من كتبه «المغنى عن حمل الأسفار فى الأسفار» فى تخريج أحاديث الإحياء، و«نكت منهاج البيضاوى» فى الأصول. انظر الضوء اللامع ١٧١/٤ وغاية النهاية ٣٨٢/١ والعبدية ٣١١ ومعجم المطبوعات ١٣١٧ وحسن المحاضرة ٢٠٤/١ والأعلام ٣٤٤/٣، ٣٤٥.

وفيه أخرج الأمير عز الدين أزدُمَر الخازندار إلى الشام، على إمرة بها، فأنخط قدر الهرماس، فإن أزدُمَر هذا كان عضده.

وفي شهر رجب: سارت الحجاج الرجبية من القاهرة، وسافر فيهم قاضى القضاة عز الدين بن جماعة، وقاضى القضاة موفق الدين الحنبلى، وقطب الدين الهرماس. وكان الشريف عجلان قد قدم من مكة، فعزله السلطان عن إمارتها وولى عوضه الشريفان محمد بن عَطِيفَة وسند بن رُمَيْثَة، وقواهما بالأمير جَرَكَتْمُر الحاجب والأمير قطلوبُغا المنصورى، وناصر الدين أحمد بن أصلَم؛ ليقموا بمكة، حتى يأتهم البدل من مصر. وعُوق الشريف عجلان بمصر، فاتصل - فى غيبة الهرماس - بالسلطان، سراج الدين عمر الهندى^(١) قاضى العسكر، وشمس الدين محمد بن النقاش، ولازمه سفرا وإقامة، وبلغا منه منزلة مكينة، فأخذوا فى إغراء السلطان به حتى تنكر له، وتغير عليه، لقوادح رمياه بها.

* * *

ومات فى هذه السنة من الأعيان

جمال الدين أبو إسحاق إبراهيم بن الشهاب محمود بن سلمان بن فهد الحلبي كاتب سر حلب.

ومات الأمير عز الدين تَقْطَاى الداودار الصالحى بطرابلس منقيا؛ أصله من ممالك يلبغا البيحياوى، ثم انتقل إلى الملك الصالح فترقى حتى صار من الأمراء، ثم أخرج إلى الشام، فقدم دمشق فى ربيع الآخر سنة تسع وخمسين، ومضى إلى طرابلس، فأقام بها حتى هلك.

وتوفى الشيخ خليل بن عبد الرحمن بن محمد بن عمر أبو الوفا المالكى.

ومات علم الدين محمد بن القطب أحمد بن مفضل، كاتب سر دمشق وناظر الجيش بها، وقد جاوز الستين.

ومات تقى الدين محمد بن أحمد بن شاس المالكى، فى يوم الأربعاء رابع شوال، وقد ناب فى الحكم وأفتى ودرس.

(١) عمر بن إسحاق بن أحمد الهندى الغزنوى، سراج الدين، أبو حفص: فقيه، من كبار الأحناف. له كتب، منها «التوشيح» فى شرح الهداية، فقه، و«الغرة المنتقىة» فى ترجيح مذهب أبى حنيفة. انظر الفوائد البهية ١٤٨ والدرر الكامنة ١٥٤/٣ ونزهة الخواطر ٩٥/٢ ومفتاح السعادة ٥٨/٢ والأعلام ٤٢/٥.

ومات تقي الدين محمود بن محمد بن عبد السلام بن عثمان القيسى، أبو المظفر الحموي، عرف بابن الحكيم الحنفي، قاضي حماة، وقد أناف على ستين سنة.

ومات الأمير سيف الدين بن فضل بن عيسى، قتله عمر بن موسى. وكان قد ولي إمرة العرب في أيام المظفر حاجي بعد أحمد بن مهنا^(١)، فلما مات أعيد أحمد بن مهنا. والله تعالى أعلم بالصواب.

* * *

(١) أحمد بن مهنا بن عيسى بن مهنا بن حديثة الطائي ثم الثعلبي: أمير عرب الفضل في بادية الشام. وكانت لهم البادية من حمص إلى قلعة جعير إلى الرحبة أخذة على سقى الفرات وأطراف العراق. قدم القاهرة مرارا اعتقل سنة ٧٤٥هـ وأطلق سنة ٧٤٦هـ وأعيد إلى الإمارة، وعزل ثم أعيد إلى أن توفى. انظر الدرر الكامنة ٣٢١/١ وصبح الأعشى ٢٠٧/٤ والعبارة ٤٣٩/٥ والأعلام ٢٦١/١.

سنة إحدى وستين وسبعمائة

فيها استقر أمين الدين محمد بن أحمد بن محمد بن محمد بن نصر الله بن المظفر بن أسعد بن حمزة التميمي، المعروف بابن القلانسي الدمشقي، كاتب السر بدمشق. واستقر صلاح الدين خليل بن أيك الصفدي^(١)، كاتب السر بحلب. ولما قدم الحاج، كان السلطان يقصور سرياقوس^(٢) توجه قاضي القضاة عز الدين ابن جماعة، وقاضي القضاة موفق الدين عبد الله الحنبلي، والشيخ قطب الدين الهرماسي، وقد قدموا من الحج للسلام على السلطان، فأذن للقاضيين في الدخول على السلطان، فدخلا ومنع الهرماس من ذلك، فأقبل السلطان عليهما وأبسهما خلعتين، وخرجا إلى منازلهما بالقاهرة. وتبين للناس انحطاط رتبة الهرماس، وفساد حاله مع السلطان. وفيه سار الأمير بيدمر نائب حلب بالعساكر إلى بلاد سيس^(٣)، ففتح أذنة^(٤) وطرسوس^(٥) والمصيصة^(٦) وعدة قلاع، وأقام بأذنة وطرسوس نائين بعسكر معهما، وعاد بالغنائم إلى حلب، فنقل في شهر ربيع الأول إلى نيابة دمشق عوضا عن أسندمر الزيني.

(١) خليل بن أيك بن عبد الله الصفدي، صلاح الدين: أديب، مؤرخ، كثير التصانيف. ولد في صفد (بفلسطين) وإليها نسبه. تعلم في دمشق. تولى ديوان الإنشاء في صفد ومصر وحلب، ثم وكالة بيت المال في دمشق، فتوفي فيها. له زهاء مائتي مصنف، منها «الوافي بالوفيات» في التراجم والشعور بالعمور في تراجم العمور وأخبارهم. انظر الدرر الكامنة ٨٧/٢ وطبقات الشافعية ٩٤/٦ وآداب اللغة ١٦١/٣ والوافي بالوفيات ٢٤٩/١ والأعلام ٣١٥/٢، ٣١٦.

(٢) بليدة في نواحي القاهرة بمصر. انظر معجم البلدان ٢١٨/٣.

(٣) بلد هو اليوم أعظم مدن الثغور الشامية بين أنطاكية وطرسوس. انظر معجم البلدان ٢٩٧/٣.

(٤) أذنة: مدينة بالشام بينها وبين المصيصة اثنا عشر ميلاً بناها هارون الرشيد وأتمها الأمين وبها كانت منازل ولاية الثغور لسعتها، وهي على نهر جيحان وليس للمسلمين عليه إلا أذنة وهي بين طرسوس والمصيصة. انظر معجم البلدان ١٣٢/١، والروض المعطار ٢٠.

(٥) انظر معجم البلدان ٢٨٨/٤، ٢٩، والروض المعطار ٣٨٨، ٣٨٩، وصبح الأعشى ١٣٣/٤.

(٦) المصيصة: من ثغور الشام بالقرب من أنطاكية، والمصيصة مدينتان بينهما نهر عظيم يقال له جيحان، وهما على ضفتيه وبينهما قنطرة من حجارة، واسم الواحدة المصيصة والأخرى كفريا، ولها بساتين وزروع، وجيحان يخرج من بلاد الروم حتى يصل المصيصة، وبين المصيصة والبحر اثنا عشر ميلاً، والمصيصة مكسورة الميم، قال الأصمعي: ولا يقال غير ذلك. انظر معجم البلدان ١٤٤/٥، والروض المعطار ٥٥٤. ونزهة المشتاق ١٩٥، وابن حوقل ١٦٧، وآثار البلاد ٥٦٤.

واستقر الأمير شهاب الدين أحمد بن القشتمرى فى نىابة حلب.

واستقر ناصر الدين محمد بن يعقوب بن عبد الكرىم بن أبى المعالى الحلبى كاتب السر بحلب عوضا عن الصلاح الصفدى.

واستقر الأمير ألقاى الیوسفى صاحب الحجاب بدمشق.

وظفر المسلمون بغراب^(١) للفرنج فأسروا من فیه، وقدموا بهم القاهرة.

واستقر فخر الدين ماجد - ویدعى عبد الله بن أمين الدين خصيب - فى الوزارة، بعد وفاة ابن الریثة. وكان خصيب من جملة الكتاب النصارى فأسلم وترقى ابنه ماجد فى الخدم بالكتابة الدیوانية حتى ولى الوزارة.

وفیها اشترى السلطان القصر المعروف بالیسرى من القاهرة، وقصر بشتاك المقابل له، وجدد عمارتهما.

وفى يوم الأحد: ركب السلطان من قلعة الجبل، وعبر من باب زویلة إلى المارستان المنصورى، وشقاق الحریر مفروشة لیمشى علیها، فزار أباه وجده. وقد زینت له القاهرة، واجتمع بالمدرسة المنصورية قضاة القضاة الأربع، ومشایخ العلم: بهاء الدين ابن عقیل، وزین الدين البسطامى الحنفى، وأكمل الدين الحنفى، وبهاء الدين السبكى، وسراج الدين الهندى، وسراج الدين البلقینى، وناصر الدين نصر الله الخنبلى، وشمس الدين بن الصایغ الحنفى، وشمس الدين محمد بن النقاش، وبدر الدين حسن الشجاع الحنفى، وعدة أحر. فأتاهم السلطان وهم بالإیوان القبلى، فجلس وهم حلقة بین یدیه، وأداروا البحث فى مسألة حتى انتهوا إلى غایتهم فیها. وقدمت عدة سجاجید وغيرها للسلطان، فقبلها، وصار یرمى بها إلى الأمراء وهم یقبلون الأرض. ثم قام فركب من الباب، وركب معه ابن النقاش وسراج الهندى، حتى حاذى جامع الحاکم، فأمر بهدم دار الهرماس. ثم خرج من باب النصر وصعد إلى القلعة.

فهدمت دار الهرماس المجاورة للجامع، ونزل الأمير شرف الدين موسى بن الأزكشى فقبض على الهرماس وولده، ونزع عنه ثیابه، وضربه بالمقارح قریباً من عشرة شیوب^(٢)، وداره تهدم وهو یشاهدها، ثم أخرج إلى مصیاف^(٣) من بلاد الشام منفیاً.

(١) على هامش ط: نوع من السفن الحریية فى العصور الوسطى تتركب فیه المقاتلة والجداون.

(٢) سیر السوط.

(٣) حصن حصین مشهور للإسماعيلية بالساحل الشامى قرب طرابلس. انظر معجم البلدان

وكان من الدهاء والمكر على جانب كبير. وفيه يقول العلامة شمس الدين محمد بن الصايغ الحنفى:

نال هرماس الخسارة من بعد ربح وجسارة
وحسب البهتان يقضى أخرب الله دياره
وقبض على الأمير منجك من داريا^(١) بالشرف الأعلى ظاهر مدينة دمشق، بعد ما أقام مختفيا نحو سنة، فحمل إلى مصر، وتمثل بين يدى السلطان وهو لابس بشتا^(٢) من صوف، وقد اعتم بميزر من صوف، فعفا عنه، وأنعم عليه بإمرة طبلخاناه بالشام، ورسم أن يكون طرخانا، وأن يقيم حيث شاء من البلاد.

وكان النيل فى هذه السنة مما يتعجب منه، فإن القاع جاء نحو اثنتى عشرة ذراعًا. وكان الوفاء يوم الخميس، وهو سادس مسرى، فكسر سد الخليج من الغد يوم الجمعة، ونودى عليه تسعة أصابع من عشرين ذراعًا. ثم بطل النداء عليه فبلغ نحو أربعة وعشرين ذراعًا، وخربت عدة مساكن، واستمر ثابتا إلى خامس بابة، فخرج الناس من الغد، ودعوا الله، فهبط من يومه أربعة أصابع.

وسارت الحجاج الرجبية على العادة. وتوجه الأمير قنُئس بدلا من الأمير جر كتمر. ورسم بتوجه جر كتمر إلى الشام بعد الحج، وقد قطع خبزه. وكان الشريف ثقبه فيما مضى مقيما بمجدة، فلما خرج جر كتمر من مكة بعد قضاء الحج، هجم ثقبه عليها، وأخذ خيول قنُئس ومن معه، وحصرهم فى المسجد، فأغلقوا عليهم أبوابه، وقتلوا من أعلاه بالنشاب، فقتل الشريف مغامس، وانهزم قنُئس بأصحابه، فقتل منهم وأسر جماعة، نودى عليهم بمكة للبيع، فبيعوا بأجنس الأثمان. وأخذ قنُئس، فعذب عذابًا أشفى منه على الموت. ثم نودى عليه، وأبيع بدرهمين، فشفع إليه تقى الدين محمد بن أحمد ابن قاسم الحرزى^(٣) قاضى مكة، حتى أخرج من مكة ومعه جميع الأتراك. وقد اقترض ما يبلغه إلى ينبع^(٤). وفر أيضًا الشريف محمد بن عَظيفة إلى ينبع، والتجأ الشريف سُنْد ابن رميثة إلى الشريف ثقبه وصار من جملته. فلما قدم الحاج من المدينة النبوية إلى ينبع،

(١) قرية كبيرة مشهورة من قرى دمشق بالغوطة. انظر معجم البلدان ٤٣١/٢.

(٢) البشت: كساء من صوف غليظ النسج، لا كمين له، يرتديه أهل الريف فى الشتاء. انظر المعجم الوسيط ٥٩/١.

(٣) معقل باليمن قرب زبيد، سمى باسم بطن من حمير، وهو حراز. انظر معجم البلدان

٢٣٤/٢.

(٤) بين مكة والمدينة. انظر معجم البلدان ٤٥٠/٤٤٩.

وجدوا بها الأمير قنُذس ومن بقى من المجردين ومحمد بن عَطِيفَةَ، فساروا مع الحاج إلى القاهرة.

* * *

ومات في هذه السنة من الأعيان

صلاح الدين خليل بن كيكلدى العلاى أبو سعيد الشافعى^(١) صاحب كتاب القواعد وغيره، فى الحرم. ومولده سنة أربع وتسعين وستمئة. وكان حافظا فقيها شافعيًا، لم يخلف بعده فى الحديث مثله. ودرس بالقدس سنتين.

ومات صدر الدين أبو الربيع سليمان بن داود بن سليمان بن محمد بن عبد الحق الحنفى، ناظر الأحباس، عن ثلاث وستين سنة.

ومات جمال الدين أبو محمد عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله بن هشام النحوى^(٢) فى يوم الثلاثاء ثانى ذى القعدة، ومولده فى ذى القعدة سنة ثمان وسبعمئة.

ومات الشريف زين الدين أبو الحسن على بن محمد بن أحمد بن على بن محمد بن على بن محمد بن عبد الله بن جعفر بن زيد بن جعفر بن محمد المدوح الحسينى الحلبي، نقيب الأشراف بحلب.

ومات السلطان الملك الصالح صالح بن محمد بن قلاوون فى محبسه من قلعة الجبل، سلخ ذى الحجة، ودفن بترية عمه الصالح على بن قلاوون قريبا من المشهد النفيسى. رحمه الله تعالى.

وتوفى فخر الدين محمد بن محمد بن مسكين الشافعى، أحد نواب الحكم، ولى قضاء الإسكندرية وغيرها عن ثلاث وتسعين سنة، فى يوم الإثنين سابع رجب رحمه الله.

(١) خليل بن كيكلدى بن عبد الله العلامى دمشقى، أبو سعيد، صلاح الدين: محدث، فاضل، بحاثة. ولد وتعلم فى دمشق، ورحل رحلة طويلة. ثم أقام فى القدس مدرسا فى الصلاحية سنة ٧٣١هـ، فتوفى فيها. من كتبه «المجموع المذهب فى قواعد المذهب» فى فقه الشافعية وكتاب «الأربعين فى أعمال المتقين». انظر فهرس الفهارس ١١٧/١ والنعمى ٥٩/١ والدرر الكامنة ٩٠/٢ والأنسى الجليل ٤٥١/٢ والأعلام ٣٢١/٢، ٣٢٢.

(٢) عبد الله يوسف بن أحمد بن عبد الله بن يوسف، أبو محمد، جمال الدين، بن هشام: من أئمة العربية مولده ووفاته بمصر. من تصانيفه «معنى اللبيب عن كتب الأعراب» و«عمدة الطالب فى تحقيق تصريف بن الحاجب» و«رفع الخصاصة عن قراء الخلاصة» و«شذرات الذهب» و«الإعراب عن قواعد الإعراب» و«قطر الندى». انظر لحظ الألاحظ، والبدر الطالع ٤٠٢/١ وحسن المحاضرة ٢٠٣/١ والمكتبة الأزهرية ٥٩١/١ والأعلام ١٤٧/٤.

ومات صدر الدين محمد بن قاضى القضاة تقى الدين أحمد بن عمر بن عبد الله بن عمر بن عوض الحنبلى، فاستقر عوضه فى تدريس المدرسة المنصورية قاضى القضاة موفق الدين عبد الله الحنبلى. وفى تدريس المدرسة الأشرفية، ناصر الدين نصر الله الحنبلى.

ومات شرف الدين موسى بن كجك، الإسرائيلى الأصل، الطيب، فى يوم الثلاثاء ثامن شوال. وكان بارعا فى الطب، مشاركاً فى عدة علوم، وكتب بخطه الجيد كتباً كثيرة.

وتوفى شهاب الدين أحمد القسطلانى خطيب جامع عمرو بمصر وخطيب جامع القلعة، فى يوم الجمعة خامس ذى الحجة.

وتوفى تاج الدين أحمد الزركشى الشافعى مدرس المدرسة الفارسية^(١)، وخطيب الجامع الأخضر^(٢) فى يوم الإثنين ثامن ذى الحجة.

وتوفى سراج الدين عبد الله بن محمد بن معز، يوم الخميس حادى عشرين المحرم، عن مائة سنة، وولى حسة الإسكندرية وشهادة بيت المال.

وتوفى ضياء الدين أبو المحاسن يوسف بن أبى بكر بن محمد المعروف بالضياء بن خطيب بيت الآبار الشامى، فى ذى الحجة. ولى الحسة، ونظر الدولة، ونظر المارستان، وغير ذلك، وكان ناهضاً أميناً. رحمه الله تعالى والله تعالى أعلم بالصواب.

وحسبنا الله ونعم الوكيل.

* * *

(١) المدرسة الفارسية: نسبة إلى الأمير فارس الدين البكى.

(٢) الجامع الأخضر خارج القاهرة بخط فم الخور.

سنة اثنتين وستين وسبعمائة

أهلت والأمراض بالباردة فاشية في الناس، وقد ساءت أحوالهم لطول مدة أمراضهم. وفيها قدم الأمير بيدمر نائب الشام، ومعه الأمير جركتمر المارديني المجرد بالحجاز، وقد قبض عليه وعلى الأمير قطلوبغا المنصوري، وقدم الأمير منجك، وتمثل بين يدي السلطان.

وفيها عدى السلطان إلى بر الجزيرة ونزل بناحية كوم برا^(١) قريبا من الأهرام. وفيها قبض على الوزير صاحب فخر الدين ماجد بن خصيب^(٢) وعلى أخيه وحواشيه وأصهاره، وأحيط بدياره، وألزم بمال كبير. ثم نفى إلى مصيف من بلاد الشام، فأقام بها سنة ونيفا ثم نقل إلى القدس، فأقام هناك أربع سنين. ومات وكان قد أظهر في وزارته من الترفع والتعاضم أمرا زائدا. من ذلك أنه ألزم جميع مباشرى الدولة والخاص وعمامة المشدين بالركوب معه إذا ركب، فإذا وصلوا بين يديه إلى رأس سوق الحريريين من القاهرة، نزل مقدم الدولة ومقدم الخاص ومشيا في ركابه إلى بين القصرين، ثم نزلت طائفة بعد طائفة، بحسب رتبهم، ومشوا بين يديه حتى لا يبقى أحد راكب سواه، إلى أن يصل إلى داره برأس حارة زويلة، فإن كان في داره بقم الخور على النيل نزل من ينزل من قنطرة قدادار^(٣) ومشوا إلى داره وهو راكب، فإذا مضى إلى الصناعة بمدينة مصر، نزل الناس من باب مصر، وبقي هو وأخوه راكبين بمفردهما إلى الصناعة، والناس جميعا مشاة. وعنى بالأسمطة، فكان يطبخ دائما في كل يوم بداره ألف رطل من اللحم، سوى الدجاج والأوز. وكان يبعث كل ليلة بعد عشائه إلى بين القصرين من القاهرة فيشتري له بمبلغ مائتين وخمسين درهما فضة ما بين قطا وسمان وفراخ وحمم وعصافير مقلوة. وتناهى في أنواع الأطعمة الفاخرة، واقترح علبا كبار للحلوى، عرفت بعده مدة سنين بالعلب الخصبية. وأخبرني الوزير صاحب تقي الدين

(١) من القرى القديمة بكورة الجزيرة، وهي اليوم من بلاد مركز إمبابة.

(٢) ماجد (فخر الدين) بن موسى (تاج الدين) بن أبي شاعر، صاحب القبطى المصرى: وزير. كان صاحب ديوان «يلبغا» العمرى بمصر. وولى الوزارة فى دولة «الأشرف» ثلاث مرات. وتوفى بالقاهرة. انظر الدرر الكامنة ٢٧٤/٣ والنجوم الزاهرة ١٣٢/١١ والأعلام ٢٥١/٥.

(٣) تقع على الخليج الناصرى يتوصل إليها من اللوق، ويمشى فوقها إلى بر الخليج الناصرى.

عبد الوهاب بن الوزير فخر الدين ماجد بن أبي شاکر أنه كان فى دارهم من جوارى ابن خصيب جاريتين، تحسن كل واحدة منهما ثمانين لونا من التقالى سوى بقية ألوان الطعام. وبلغت عدة جواريه سبعمئة جارية، بعد ما كان من أفقر الكتاب. وقد غلبه الدين، وأقام فى السجن والترسيم على ديون الناس مدة شهر.

وفىها قدم فخر الدين ماجد بن قزوينة^(١) وزير دمشق إلى القاهرة باستدعاء فخلع عليه، واستقر فى الوزارة ونظر الخاص عوضا عن ابن خصيب.

وفىها عزل الشيخ جمال الدين عبد الرحيم الإسنوى نفسه من حسبة القاهرة؛ لمفاوضة حصلت كانت بينه وبين الصاحب فخر الدين ماجد بن قزوينة. واستقر عوضه برهان الدين إبراهيم بن محمد بن أبى بكر الأحنائى^(٢) أخو قاضى القضاة علم الدين محمد الأحنائى، فسار فى الحسبة أحسن سيرة، وتصلحت عامة المعاش.

وفى يوم السبت سادس ربيع الآخر: سقطت إحدى منارتى مدرسة السلطان حسن، فهلك تحتها نحو ثلاثمئة من الأطفال الأيتام الذين كانوا بمكتب السبيل، وغير الأيتام، فتشام الناس بذلك، وتطبروا به لزوال السلطان، فكان كذلك، وزال ملكه فى ليلة الأربعاء تاسع جمادى الأولى. وذلك أنه بلغه وهو بمنزله بكم برا أن الأمير يلبغا الخاصكى يريد قتله، وأنه لا يدخل إلى الخدمة إلا وهو لابس آلة الحرب من تحت ثيابه فاستدعى به، وهو مع حريمه فى خلوة، وأمر فنزعت عنه ثيابه كلها، ثم كتفت يدها، فشفعت فيه إحدى حظايا السلطان، حتى خلى عنه وخلع عليه، واعتذر إليه بأنه بلغه عنه أنه لا يدخل إلا بالسلاح مخفى فى ثيابه. فخرج إلى مخيمه وقد اشتد حنقه، فلم يمض سوى ثلاثة أيام وبلغ السلطان أن يلبغا قد خامر وأظهر العصيان، وألبس مماليكه آلة الحرب، فبادر للركوب فى طائفة من مماليكه ليكبسه على بغته، ويأخذه من مخيمه، فسبق ذلك إلى يلبغا من الطواشى بشير الجمدار، وقيل بل من الحظية التى شفعت فيه. فركب بمماليكه من فوره بالسلاح، يوم الإثنين ثامن جمادى الأولى بعد العصر، ولقى

(١) هو الوزير القبطى فخر الدين ماجد بن قزوينة، ولى وزارة الشام أولا، ثم نقل إلى مصر وأضيف إليها الخاص. وكان كاتباً مجيداً ولكنه كان ظالماً جماعاً للمال. مات سنة ٧٦٨هـ.

(٢) إبراهيم بن محمد بن أبى بكر بن عيسى، برهان الدين بن علم الدين، الأحنائى محتسب مصرى من القضاة. مولده ووفاته بالقاهرة. كان شافعياً وتحول مالكيًا. ولى الحسبة ثم قضاء الديار المصرية إلى أن مات. له مختصر سماه «الهداية والأعلام» بما يترتب على قبيح القول من الأحكام نسبته إلى إحننا بقرب الإسكندرية. نظر الدرر الكامنة ٥٨/١ وشذرات الذهب ٢٥٠/٦ والضوء ١٨٣/١١ والأعلام ٦٣، ٦٤.

السلطان وهو سائر إليه، وتوافقا حتى غربت الشمس، فحمل يلبغا بمن معه يريد السلطان فانهزم من غير قتال، ومعه الأمير عز الدين أيدير الدوادار، فتفرقت مماليكه فى كل جهة، وتمادى السلطان فى هزيمته إلى شاطئ النيل، وركب هو وأيدير فقط فى بعض المراكب، وترك ركوب الحراقة السلطانية، وصعد قلعة الجبل، وألبس من بها من الممالك، فلم يجد فى الإصطبل خيولا لهم، فإنها كانت مرتبطة على البرسيم لتربع على العادة، فاضطرب ونزل من القلعة ومعها أيدير وقد تنكرا ليسيرا إلى الشام فعفرهما بعض الممالك، فأنكر حالهما، وأخذهما ومضى بهما إلى بيت الأمير شرف الدين موسى بن الأزر كشى، فأواهما.

هذا، وقد مضى يلبغا وقت هزيمة السلطان فى إسرته فلم يظفر به، فركب الحراقة ومنع أن يعدى مركب بأحد من الممالك السلطانية إلى بر مصر، وعدى بأصحابه فى الليل إلى البر، فلقبه الأمير ناصر الدين محمد بن المحسنى والأمير قشتمر المنصورى فى عدة وافر، فحاربهما وهزمهما، وتقدم فهزم طائفة بعد طائفة. ثم وجد الأمير أسنبغا ابن البوبكرى فى عدة وافر فقاتله قريبا من قنطرة قديدار، قتالا كبيرا، جرح فيه أسنبغا وانهزم من كان معه. ومضى يلبغا حتى وقف تحت القلعة، فبلغه نزول السلطان وأيدير منكسرين. وبينما هو مفكر فيما يفعله، إذ أتاه قاصد ابن الأزر كشى وأخبره بأن السلطان وأيدير عنده، فسار بعسكره إلى بيت ابن الأزر كشى بالحسينية، وأحاط به، وأخذ السلطان والأمير أيدير ومضى بهما إلى داره، فوق جبل الكيش فحبسهما بها، ووكل بهما من يثق به. ثم عاد إلى القلعة وقد امتنع بها طائفة من ممالك السلطان، ورموه بالنشاب، فأعلمهم بأنه قد قبض على السلطان وسجنه فى داره، فاختلت عزائمهم، وفتحوا باب القلعة، فصعد يلبغا ومن معه إليها وملكها وأقام فى السلطنة محمد بن المظفر حاجى بن محمد بن قلاوون. ولم يوقف للسلطان حسن على خير، فقيل إنه عاقبه عقوبة شديد حتى مات ودفنه فى مصبوبة كان يركب عليها من داره بالكيش. وقيل دفنه بكيمان مصر وأخفى قبره، فكان عمره دون الثلاثين سنة، منها مدة سلطنته هذه الثانية ست سنين وسبعة أشهر وسبعة أيام. وترك عشرة أولاد ذكور، وهم أحمد وقاسم وعلى وإسكندر وشعبان وإسماعيل ويحى وموسى ويوسف ومحمد، وست بنات. وكان من خيار ملوك الأتراك. أخيرنى ثقتان من الناس أنهما سمعاه يحلف بالأيمان الحرجة، أنه ما شرب خمرا ولا لاط منذ كان، إلا أنه شغف بنسائه وجواريه شغفا زائدا، واشتهر فى أمرهن، وأفرط فى الإقبال عليهن، مع القيام بتدبير ملكه. وعزم على قطع دابر الأقباط والأتراك الممالك، فولى عدة وظائف كانت بيد الأقباط

لجماعة من الفقهاء، منها وظيفة نظر الجيش ونظر بيت المال. وجعل عشرة من أولاد الناس أمراء ألوف، وهم ولداه أحمد وقاسم وأسنبغا بن البوبكرى، وعمر بن أرغون النائب، ومحمد بن طرغاي ومحمد بن بهادر آص، ومحمد بن المحسنى، وموسى بن أرقطاي، وأحمد بن آل ملك، وموسى بن الأزكشى. وأنعم على عدة منهم بإمريات طبلخاناه وعشرات. وولى ابن القَشْتَمُرَى نيابة حلب، وابن صُبْح نيابة صفد^(١). وقد وافق أباه فى عدة أمور: فى اللقب الخاص بالملوك، فكلاهما لقب بالملك الناصر. وفى أنه خلع ثم أعيد كل منهما إلى السلطنة بعد الخلع، كان ذلك فى ثانى شوال. وما منهما إلا من وُزِر له مُتعمم وصاحب سيف. وأقام مدة بغير وزير ولا نائب، وبني المدرسة التى لم يبن فى ممالك الإسلام بيت لله مثلها فى العظم والجلالة والضخامة.

* * *

السلطان الملك المنصور^(٢)

صلاح الدين محمد بن الملك المظفر حاجى بن الناصر محمد بن قلاوون

أقامه الأمير يلبغا فى السلطنة. وذلك أنه لما قبض على السلطان حسن، وصعد إلى القلعة ومعه الأمير طيبيغا الطويل أمير سلاح، والأمير مَلِكْمُرُ الماردىنى رأس نوبة الجمدارية، والأمير أَشَقْتَمُرُ أمير مجلس، فى بقية الأمراء اشتوروا فيمن يقام فى السلطنة، فذكر بعضهم الأمير حسين بن محمد بن قلاوون، وهو آخر من بقى من أولاد الملك الناصر محمد لصلبه، فلم يرضوه خشية من أن يستبد بالأمر دونهم ثم لا يبقى منهم أحداً. وذكر الأمير أحمد بن السلطان حسن فرأوا أن تقدمه - وقد عمل بأبيه ما عمل - سوء تدبير فإن الحال يلجته لأن يأخذ بثأر أبيه، فأعرضوا عنه.

ووقع الطارق على محمد بن المظفر حاجى، فاستدعى الخليفة وقضاة القضاة، وأحضر ابن المظفر وعمره نحو أربع عشرة سنة، ففوض الخليفة إليه أمور الرعية، وركب والكافة بين يديه من باب الدار إلى الإيوان، حتى جلس على تخت الملك، وحلف له الأمراء على العادة، وهو لابس الثوب الخليفى، وذلك فى يوم الأربعاء تاسع

(١) مدينة فى جبال عاملة المطلة على حمص بالشام، وهى من جبال لبنان. انظر معجم البلدان

٤١٢/٣.

(٢) محمد (المنصور) بن حاجى (المظفر) ابن الملك الناصر محمد بن قلاوون: من ملوك الدولة القلاوونية. عصر والشام. بويج بالسلطنة بعد مقتل عمه (الناصر الثالث) سنة ٧٦٢هـ. دامت سلطنته سنتين وأربعة أشهر. انظر ابن إياس ٢١١/١ و٢١٢ والبداية والنهاية ٢٧٨/١٤ - ٣٠٢ والأعلام

٧٥/٦.

جمادى الأولى، ولقب بالملك المنصور صلاح الدين. وهو أول من تسلطن من أولاد أولاد الملك الناصر محمد، فقام الأمير يلغا بتدبير الدولة، ولم يبق للمنصور سوى الاسم. واستقر الأمير طيغنا الطويل على عادته أمير سلاح، والأمير قطلوبغا الأحمدي رأس نوبة كبير، والأمير ملكتمر المارديني رأس نوبة الجمدارية، والأمير أشقتمر أمير مجلس، والأمير أرغون الأسغردي دوادارا، والأمير ألباي اليوسفي حاجب الحجاب، والأمير قشتمر المنصوري نائب السلطنة.

ودقت البشائر، ونودي بالقاهرة ومصر بسلطنة الملك المنصور، وكتب إلى الأعمال بذلك، فسارت البريدية.

وقبض على الأمير ناصر الدين محمد بن المحسنى وسجن بالإسكندرية.

وأفرج عن الأمير طاز وقد سمل الناصر حسن عينيه، فلما مثل بين يدي السلطان وعلى عينيه شعرية^(١) توجع له وخلع عليه، فسأل الإقامة بالقدس وأجيب إلى ذلك، وأنعم له بإمرة طبلخاناه. فسار إلى القدس وأقام به.

وأفراج عن الأمير جركتمر المارديني والأمير قطلوبغا المنصوري، والأمير قشتمر القاسمي، والأمير ملكتمر المحمدي، والأمير أقتمر عبد الغني، والأمير بكتمر المؤمني، وأخيه طاز. واستقر قشتمر القاسمي نائب الكرك، وملكتمر المحمدي نائب صفد. وأخرج بكتمر المؤمني إلى أسوان^(٢) منفيًا. ونقلت رمة الأمير صرغتمش من الإسكندرية، ودفنت بمدرسه المجاورة لجامع ابن طولون خارج القاهرة. وخلع على الشريف عجلان وأعيد إلى إمارة مكة.

وقدمت الأخبار في شهر رجب بخروج الأمير بيدمر نائب الشام عن الطاعة، وموافقة جماعة من الأمراء له على ذلك، منهم أسندمر أخو يلغا اليحياوي، والأمير منجك وجماعة، وأنه قام لأخذ ثأر السلطان حسن، وأفتاه جماعة من الفقهاء بجواز قتال قاتله الذي تغلب على الملك - يعني الأمير يلغا - ومنع البريد أن يسير من الشام. وجهز الأمير منجك والأمير أسندمر الزيني في عسكر إلى غزة، فحاربوا نائبها

(١) على هامش ط: الشعرية، هو غشاء يكون على وجه النساء، وأصله ينسج من الشعر، ثم أطلق على كل ما شابهه، وهي كلمة مولدة.

(٢) أسوان: في الصعيد آخر بلاد مصر، وفي بلادهم من الجبال والأغوار التي تحول بينهم وبين النوبة، وهي مدينة صغيرة كثيرة الخنطة وسائر أنواع الحبوب والفواكه، وأسوان من ثغور النوبة. انظر معجم البلدان ١/١٩١، والروض المعطار ٥٧، ٥٨، والإدريسى ٢١، ونزهة المشتاق ٢٧، والمروج

وملكوها. فنصب الأمير يَلْبُغا السَّنْحَق السلطاني، وتقدم إلى الأمراء بالتجهيز للسفر، وأخرج الأمير قَشْتَمُر نائب السلطنة إلى جهة الصعيد في عسكر ليحفظ تلك الجهة في مدة الغيبة بالشام.

وأقيم الأمير شرف الدين موسى بن الأَزْكشَى نائب الغيبة، وخرجت أطلاب الأمراء شيئاً بعد شيء. وركب السلطان في أول شهر رمضان من قلعة الجبل، ونزل خارج القاهرة، ثم رحل وصحبته الخليفة والأمراء، وتاج الدين محمد بن إسحاق المناوي قاضي العسكر، وسراج الدين عمر الهندي قاضي العسكر. فرحل الأمير مَنجَك بمن معه من غزة، عائداً إلى دمشق. فنزل بها السلطان بعساكره وجلس الأمير يَلْبُغا لعرض العسكر. ثم ساروا جميعاً إلى دمشق، وخيموا بظاهرها، فخرج إليهم أكثر أمراء دمشق وعسكرها راغبين في الطاعة، حتى لم يبق من الأمراء مع يَدْمُر سوى مَنجَك وأسندمُر - وقد امتنعوا بالقلعة - فترددت القضية بين الفريقين في الصلح حتى تقرر، وحلف لهم الأمير يَلْبُغا على ذلك، فاطمأنوا إليه ونزلوا من القلعة.

فركب السلطان بعساكره صباح يوم الإثنين تاسع عشرين شهر رمضان، ودخل إلى دمشق وقبض على الأمير يَدْمُر والأمير منجك والأمير أسندمُر، وقيدوا، فأنكر ذلك جمال الدين يوسف بن محمد المرادوى^(١) الحنبلي قاضي دمشق، وصار إلى الأمير يَلْبُغا، وقال له: «لم يقع الصلح على هذا» فاعتذر بأنه ما قصد إلا إقامة حرمة السلطان، ووعد بالإفراج عنهم. فلما انصرف بعث بهم إلى الإسكندرية، فسجنوا بها. وصعد السلطان إلى قلعة دمشق، وسكنها. واستبد الأمير يَلْبُغا بتدبير الأمور في الشام، على عادته في مصر. واستقر الأمير علاء الدين أمير على نائب الشام عوضاً عن الأمير يَدْمُر، واستقر الأمير قَطْلُوبُغا الأحمدي رأس نوبة في نيابة حلب عوضاً عن الأمير أحمد بن القَشْتَمُرِي. ثم سار السلطان بعساكره من دمشق، في يوم الأحد، فلما قرب من القاهرة دُقت البشائر بقلعة الجبل، وزينت القاهرة ومصر زينة عظيمة، وصعد إلى قلعته في يوم الإثنين عشرين شوال.

وفيه قدم الأمير قَشْتَمُر النائب من الوجه القبلي.

(١) يوسف بن محمد بن التقى عبد الله بن محمد بن محمود أبو المحاسن جمال الدين المرادوى. قاض، من فقهاء الحنابلة. من أهل دمشق، مولداً ووفاء. تصدر للتدريس والإفتاء في الجامع المظفر، ثم ولي قضاء الحنابلة سبع عشرة سنة. وعزل سنة ٧٦٧هـ ومات عن نحو ٧٠ عاماً. نسبته إلى «مرداه» من قرى نابلس. له «الانتصار» في أحاديث الأحكام. و«كفاية المستفتي لأدلة المقنع». انظر القلائد الجوهريّة ٣٦٤ والدرر الكامنة ٤/٤٧٠ والكتبخانه ٣/٢٩٦ والتاج ٢/٥٠٠ والأعلام ٨/٢٥١.

وقدم الأمير حيار بن مهنا^(١)، فخلع عليه، واستقر في الإمرة عوضاً عن أخيه فياض ابن مهنا بعد موته.

واستقر علاء الدين على بن إبراهيم بن حسن بن تميم في كتابة سر حلب، عوضاً عن ناصر الدين محمد بن صاحب شرف الدين يعقوب بن عبد الكريم.

واتفق بحلب أن في يوم الإثنين سادس عشرين ربيع الأول جرى إلى النائب بمولود قد مات بعد ولادته بساعة، فإذا له على كل كف رأس بوجه مستدير، وهما إلى جهة واحدة.

وفيها اتفق الأمير حسين بن محمد بن قلاوون مع الطواشي جوهر الزمردى نائب مقدم الماليك على أن يلبس الماليك السلطانية آلة الحرب ويتسلطن. وكان السفير بينهما نصر السليماني أحد طواشي الأمير حسين، فوشى بذلك إلى الأمراء. وكان السلطان بالشام، فيادر الأمير أيَّدُمُر الشمسي نائب الغيبة والأمير موسى بن الأزكشي وقبضا على جوهر ونصر وسجنا بجزانة شمائل بالقاهرة. فلما قدم السلطان والأمير يلغا سمرا وشهرا، ثم نفيا إلى قوص^(٢) في ذى القعدة.

* * *

ومات في هذه السنة من الأعيان ممن له ذكر

شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب بن خلف بن بدر، المعروف بابن بنت الأعز العلاني، الفقيه الشافعي، ناظر بيت المال، وناظر الأحباس في يوم الخميس ثامن عشر ربيع الآخر.

والأمير بلبان السناني أستاذار السلطان، وأحد مقدمي الألف، بعد ما نفاه الناصر حسن ثم أعيد واستقر والى القلعة، وهو من الماليك الناصرية محمد بن قلاوون.

ومات الشريف شهاب الدين حسين بن محمد بن حسين بن محمد بن حسين بن

(١) حيار بن مهنا بن عيسى، من آل فضل، من طي: أمير بادية الشام. آلت إليه الإمارة بعد موت أخيه فياض سنة ٧٦٢هـ. وكان موالياً لسلاطين مصر والشام، وتابعا لهم، فنقض طاعتهم سنة ٧٦٥هـ. ثم شفع به نائب حماة، فعفى عنه وعاد إلى ولائه، ثم انتقض سنة ٧٧٠هـ. وعاد سنة ٧٧٥هـ، معفوا عنه، فاستقر إلى أن مات. انظر ابن خلدون ٤٣٩/٥ والقلقشندي ٢٠٧/٤ والدرر الكامنة ٨١/٢ والأعلام ٢٨٩/٢.

(٢) هي مدينة كبيرة عظيمة واسعة قصبه صعيد مصر، بينها وبين الفسطاط اثنا عشر يوماً. انظر معجم البلدان ٤١٣/٤.

حسين بن زيد المعروف بابن قاضي العسكر الأرموي^(١) نقيب الأشراف بديار مصر، وكتب السر بحلب، عن اثنتين وستين سنة، بالقاهرة.

ومات الشريف بدر الدين محمد بن علي بن حمزة بن علي بن الحسن بن زهرة بن الحسن بن زهرة نقيب الأشراف بحلب.

ومات شمس الدين محمد بن عيسى بن محمد بن عبد الوهاب بن دويب الأمدي^(٢) الدمشقي المعروف بابن قاضي شهبة، الأديب الماهر، خطيب مدينة غزة، وكتب الإنشاء بدمشق.

ومات شمس الدين محمد بن مجد الدين عيسى بن محمود بن عبد الضيف البعلبكي المعروف بابن المجد الموسوي في سلخ صفر. وكان قد ابتلى في الوسواس بأمر شديد، حتى أنه كان إذا توضع من فسقية المدرسة الصالحية بين القصرين لا يزال به وسواسه إلى أن يلقي نفسه في الماء بثيابه ويغطس شتاء وصيفا، زعما منه أنه لا يسبغ الوضوء ما لم يفعل هذا. وكان جميل المعاشرة حسن المحاضرة، لا تمل مجالسته.

وتوفي الشيخ جمال الدين عبد الله بن الزيلعي الحنفي، في حادي عشرين المحرم، برع في الفقه والحديث، وخرج أحاديث الهداية في الفقه على مذهب أبي حنيفة، وخرج أحاديث الكشاف للزخمشري في تفسير القرآن، وبين ما وصلت إليه قدرته من أسانيدها، فأحسن ما شاء.

وتوفي الشيخ جمال الدين خليل بن عثمان بن الزولي في حادي عشرين المحرم، كان شافعيًا ثم صار حنفيًا، وكان تيمى الاعتقاد حتى مات. ولى خطابة جامع^(٣) شيخو وإمامته، وتدرّس الحديث بالخانكاه الشيخونية. وكان لشيخو فيه اعتقاد جيد، وله به اختصاص. وكان عبدا صالحا كثير السكون، يكتب الخط الجيد.

وتوفي الحافظ علاء الدين مُغلطاي بن قليج بن عبد الله البُكْحَرِي الحنفي المحدث.

وتوفي الشيخ المعمر أبو العباس أحمد بن موسى الزرعى الحنبلى، أحد الأمرين بالمعروف والناهيين عن المنكر، فى المحرم بمدينة حيراص من الشام. قدم إلى القاهرة،

(١) الحسين بن محمد بن الحسين، الحسينى العلوى، المعروف بابن قاضي العسكر: ولى التوقيع بالقاهرة ونقابة الأشراف وكتب بديوان الإنشاء من التقاليد والتواقيع ما يعبى حصره. له ديوان خطب «المقال المعبر فى مقام المتبر» وبنى مدرسة بحارة بهاء الدين وقف عليها وقفا جيدا وقف فيها كتب كثيرة. انظر البدر الطالع ١/٢٢٨ والدرر الكامنة ٢/٦٦ والأعلام ٢/٢٥٦.

(٢) نسبة إلى آمد، وهى أعظم مدن ديار بكر. انظر معجم البلدان ١/٤٠٢.

(٣) جامع شيخو بسويقة منعم فيما بين الصليبية والرميلة تحت قلعة الجبل.

وكان قويا في ذات الله، جريئا على الملوك، أبطل مظالم كثيرة، وصحب شيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن تيمية فانفتح به. وكان متقشفا، وله وجاهة عند الخاصة والعامه، لزهده وورعه وتقواه. ولما قدم على الناصر محمد بقلعة الجبل، قال له: «يا شيخ ما جئتنا بهدية» فقال: «نعم، جراب ملآن حيات وعقارب». وأخرج جرابا فيه قصص مظالم، فرسم السلطان بإجابته إلى جميع ذلك. وعاد إلى دمشق، فأمضى النائب بعضها ودافع في البعض.

وتوفى الفقيه المنشئ الكاتب كمال الدين أبو عبد الله محمد بن شرف الدين أحمد ابن يعقوب بن فضل بن طرخان الزينبي الجعفرى العباسى الدمشقى الشافعى، بضواحي القاهرة، عن بضع وخمسين سنة، فى ربيع الأول.

وتوفى الخوaja عز الدين حسين بن داود بن عبد السيد بن علوان السلامى^(١) التاجر، فى رجب بدمشق، وقد حدث عن ابن النجارى وغيره.

ومات الأمير سيف الدين المهمندار حاجب الحجاب بدمشق، فى شوال. والأمير سيف الدين برناق، نائب قلعة دمشق فى شعبان.

ومات محبى الدين أبو زكريا محبى بن عمر بن الزكى بن أبى القاسم الشافعى قاضى الكرك، فى أوائل ذى القعدة بالقدس، معزولا.

وتوفى الشريف ثُقبَة بن رُمَيْثَة فى شوال، وانفرد أخوه عَجَلان بعده بإمارة مكة. وفيها قتل صاحب فاس^(٢) ملك المغرب السلطان أبو سالم إبراهيم، ابن السلطان أبى الحسن على بن عثمان بن يعقوب بن عبد الحق^(٣) فى ليلة الأربعاء ثامن عشر ذى القعدة. وأقيم بعده أبو عمر تاشفين بن السلطان أبى الحسن^(٤).

* * *

(١) نسبة إلى مدينة السلام بغداد. انظر معجم البلدان ٤٠٥/٢، والروض المعطار ١٠٩، ١١٢.

(٢) فاس: مدينة عظيمة، وهى قاعدة المغرب، وهما مدينتان مقترتان يشق بينهما نهر كبير يسمى وادى فاس. انظر معجم البلدان ٢٣٠/٤، والروض المعطار ٤٣٤، ٤٣٥، والإدريسى ٥٠/٧٥، والبكرى ١١٥ وما بعدها، وابن الوردى ١٤، وصبح الأعشى ١٥٤/٥.

(٣) إبراهيم بن على بن عثمان بن يعقوب المرينى، أبو سالم، السلطان المستعين بالله: من ملوك بنى مرين فى المغرب الأقصى، من بنى عبد الحق. مدته سنتان وثلاثة أشهر وخمس أيام. انظر الاستقصا ١٠٤/٢ - ١٢٣ والحلل الموشية ١٣٥ جذوة الاقتباس والأعلام ٥٢/١.

(٤) تاشفين بن على بن عثمان المرينى، أبو عمرو: من ملوك الدولة المرينية بفاس. بويع سنة ٧٦٣هـ بفاس ثم اضطرب أمره فقاتله كبار بنى مرين، فخلعه الوزير ثلاثة أشهر من بيعته (سنة ٧٦٣هـ) ومات وعمره ستون سنة. انظر الاستقصا ٨٠/٢، ١٢٣ والزركشى ٨٧ والحلل الموشية ١٣٥ وجذوة الاقتباس ١٠٦ والأعلام ٨٣/٢.

سنة ثلاث وستين وسبعمائة

فى شهر الله المحرم: تزوج الأمير يَلْبغا الأتابك بنخوند طولونية زوج السلطان حسن.
وفى يوم الإثنين سادس صفر: خلع على الأمير الطواشى سابق الدين مثقال
الآنوكى، واستقر مقدم الممالك عوضاً عن شرف الدين مختص الطَقْتَمُرَى بعد وفاته.
وخرج السلطان والأمير يَلْبغا إلى الصيد بالجيزة.

واستدعى جماعة من الفقهاء إلى مخيم الأمير يَلْبغا، فعين طائفة منهم، وعرضهم على
السلطان فى يوم الخميس ثانى عشرين صفر، فخلع على برهان الدين إبراهيم بن علم
الدين محمد بن أبى بكر بن عيسى بن بدران الأخنائى محتسب القاهرة، واستقر فى
قضاء القضاة المملكية عوضاً عن أخيه تاج الدين بعد موته. وخلع على صلاح الدين
عبد الله بن عبد الله بن إبراهيم البرلسى المالكى مدرس المدرسة الأشرفية، واستقر فى
حسبة القاهرة عوضاً عن البرهان الأخنائى. وخلع على تاج الدين محمد بن بهاء الدين
شاهد الجمالى، واستقر فى نظر المارستان المنصورى عوضاً عن البرهان الأخنائى.

وخلع على الشيخ شرف الدين محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن عسكر البغدادى
المالكى، واستقر فى نظر الخزانة الخاص، عوضاً عن التاج الأخنائى. وعدوا النيل إلى
القاهرة، فكان يوماً مشهوداً. ثم عاد السلطان إلى قلعة الجبل.

وفى يوم الخميس تاسع شهر رجب: خلع على الأمير طُغْاى تَمُر النظامى، واستقر
حاجب الحجاب عوضاً عن الأمير أَلْجائى اليوسفى. واستقر أَلْجائى أمير جندار.

وفى سابع عشرينه: نفى الأمير موسى بن الأزكشى إلى حماة بطلاً، واستقر عوضه
أستاذار الأمير أروس المحمودى.

وفى يوم الإثنين خامس شعبان: خلع على الأمير قَشْتَمُرُ النائب، واستقر فى نيابة
الشام عوضاً عن أمير على بحكم استعفائه. وخلع على الشيخ بهاء الدين أحمد بن التقى
السبكى، واستقر فى قضاء دمشق، عوضاً عن أخيه تاج الدين عبد الوهاب.

واستقر التاج فى وظائف أخيه، وهى تدريس المدرسة المنصورية، والخانكاه
الشيخونية، والمدرسة الناصرية بجوار قبة الإمام الشافعى، وإفتاء دار العدل. وقد
استدعى إلى القاهرة لكثرة شكواه.

وفي ثامنائه: أنعم على الأمير قَطْلَقْتَمُرُ العِلاى الجاشنكير بتقدمة ألف.

وفي يوم الخميس خامس شوال: خلع على الأمير أَشَقْتَمُرُ الماردىنى أمير مجلس، واستقر فى نيابة طرابلس.

وخلع على الأمير طُغَاى تَمُرُ النظامى واستقر أمير مجلس عوضاً عن أَشَقْتَمُرُ، وخلع على الأمير أَسْنُبُغا بن البوبكرى واستقر حاجب الحجاب.

وفيه استقر الأمير عز الدين أَيْدَمُرُ الشىخى فى نيابة حماة. واستقر الأمير مَنكَلَى بغا الشمسى فى نيابة حلب، عوضاً عن قطلوبغا الأحمدي. واستقر الأمير أَسْنَدَمُرُ الطازى فى نيابة ملطية^(١)، فأكثر من الغارات على بلاد الروم، وأسرههم وقتلهم، فبعث إليه الأمير محمد بن أرتنا صاحب قيصرية الروم عسكرياً مع ابن دُلْغادر، فكسبه وهو يتصيد فقاتله قتالاً شديداً، ونجا بنفسه إلى ملطية. فكتب السلطان والأمير يَلْبُغا بخروج عساكر دمشق وطرابلس وحماة وحلب بآلات الحرب والحصار، صحبة الأمير قَطْلُوْبُغا نائب حلب. فخرج من دمشق خمسة آلاف فارس، ومن بقية البلاد الشامية سبعة آلاف فارس. وتوجه نائب حلب فى اثنى عشر ألفاً ومعه المجانيق والنقابون، وجميع ما يحتاج إليه، فشنوا الغارات على بلاد الروم، ثم عادوا بغير طائل.

وفىها استدعى أبو عبد الله محمد بن الخليفة المعتضد بالله أبى بكر^(٢)، فى يوم الخميس ثانى عشر جمادى الأولى، إلى قلعة الجبل، وجلس مع السلطان بالقصر، وقد حضر الأمراء فأقيم فى الخلافة بعد وفاة أبيه، ولقب بالمتوكل على الله، وخلع عليه، وفوض له نظر المشهد النفيسى. ليستعين بما يحمل إليه من النذور على حاله، وركب إلى منزله، فهناه الناس بالخلافة.

وفىها استقر جمال الدين يوسف بن قاضى القضاة شرف الدين أبى العباس أحمد بن الحسين بن سليمان بن فزارة الكفرى فى قضاء الحنفية بدمشق، عوضاً عن والده فى جمادى الأولى.

(١) بلدة من بلاد الروم مشهورة مذكورة تناخم الشام. انظر معجم البلدان ٥/١٩٢، ١٩٣.
 (٢) محمد (المتوكل على الله) بن أبى بكر (المعتضد بالله) بن سليمان المستكفى بن أحمد العباس، أبو عبد الله: من خلفاء الدولة العباسية الثانية بمصر. بويع بعد وفاة أبيه (سنة ٧٦٣هـ) بعهد منه، بالقاهرة. وطالت مدته، وخلع فى صفر ٧٧٩هـ وأعيد فى ربيع الأول من السنة منه. استمر إلى أن توفى فى القاهرة. مدة خلافته نحو من ٤٥ عاماً. انظر بدائع الزهور ١/٣٥٠ وتاريخ الخميس ٢/٣٨٢ و ٣٨٣ والضوء للامع ٧/١٦٧ والأعلام ٦/٥٦.

واستقر صدر الدين أحمد بن عبد الظاهر بن محمد الدميرى فى قضاء المالكية بحلب، عوضاً عن الشهاب أحمد بن محمد بن ياسين الرياحى فى صفر.

واستقر كمال الدين أبو الفضل محمد بن أحمد بن عبد العزيز بن القسم النويرى فى قضاء مكة، عوضاً عن تقى الدين أبى اليمن محمد بن أبى العباس أحمد بن قاسم الحرازى، بعد عزله.

وفىها استقر جمال الدين عبد الله بن كمال الدين محمد بن عماد الدين إسماعيل بن تاج الدين أحمد بن السعيد بن الأثير فى كتابة السر بدمشق، عوضاً عن ناصر الدين محمد بن الصاحب شرف الدين يعقوب بن عبد الكريم الحلبي، بعد وفاته.

وفىها اشتد البرد بدمشق. وخرج ركب الحاج من القاهرة صحبة الأمير طيغاً الطويل، أمير سلاح، وهو فى تحمل عظيم، فوصلت إليه الإقامات إلى عرفة، حملها إليه الأمير يلبغا.

وفىها خلع صاحب فاس ملك المغرب أبو عمر تاشفين بن السلطان أبى الحسن على ابن عثمان بن يعقوب بن عبد الحق فى محرم. وولى ملك المغرب بعده أبو زيان محمد ابن الأمير أبى عبد الرحمن بن السلطان أبى الحسن.

وفىها اشتد البرد ببلاد الشام، وجمدت المياه حتى ماء الفرات، ومر المسافرون عليه بأثقالهم، فرأوا منه منظراً عجيباً. وهذا الأمر لم يعهد فى هذه الأعصار مثله.

* * *

ومات فى هذه السنة ممن له ذكر من الأعيان

الخليفة المعتضد بالله أبو الفتح، واسمه أبو بكر بن المستكفى بالله أبى الربيع سليمان ابن الحاكم بأمر الله أبى العباس أحمد بن الحسن بن أبى بكر بن أبى على بن الحسن بن الخليفة الراشد بن المسترشد^(١)، فى يوم الثلاثاء عاشر جمادى الأولى ومدة خلافته عشرة أعوام. وحج سنة أربع وخمسين وسنة ستين. وكان يلثغ فى حرف الكاف، وعهد إلى ابنه محمد قبل وفاته بقليل.

(١) أبو بكر بن سليمان بن أحمد العباس، أبو الفتح، المعتضد بالله: من خلفاء العباسيين بمصر. وهو ابن المستكفى بالله ابن الحاكم بأمر الله. كان مقيماً فى جملة بنى العباس بالقاهرة. وولى الخلافة بها بعد أخيه الحاكم بأمر الله سنة ٧٥٤هـ بعهد منه، فأقام إلى أن توفى. انظر تاريخ الخميس ٣٨٢/٢ وشذرات الذهب ١٩٧/٦ وبدائع الزهور ٢٠٠/١ والأعلام ٦٤/٢.

وتوفى السلطان أبو سالم إبراهيم بن أبي الحسن علي بن أبي سعيد عثمان بن أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق المريني صاحب فاس من بلاد المغرب. وكان من خيره أن أباه السلطان - أبا الحسن - أقامه أميراً، فقدم هو وأخوه إلى غرناطة من الأندلس في العشرين من جمادى الآخرة سنة اثنتين وخمسين، فأقاما بها إلى أن مات أبو عنان في سنة تسع وخمسين، وأقيم بعده ابنه السعيد في الملك، فخرج أبو سالم من غرناطة ليلاً، ولحق بأشبيلية وبها سلطان قشتالة فطرح نفسه عليه، فوعده ولم يف له، فاجتمع الناس على منصور بن سليمان بن منصور بن عبد الواحد بن يعقوب بن عبد الحق، ونازل البلد الجديد، فخرج أبو سالم من أشبيلية بغير طائل، ومضى إلى الإفرنس فانضم إليه طائفة وأخذ مدينة أصيلا وطنجة^(١)، فتلاحقت به جيوش منصور بن سليمان، وقد اختل أمره، ففر. فسار أبو سالم بمن معه ودخل دار الإمارة، يوم الخميس النصف من شعبان، سنة تسع وخمسين، فلم يختلف عليه أحد إلى أن كانت هذه السنة ثار عليه ثقته ودعا إلى أخيه تاشفين. ففر الناس عنه، وخرج ليلاً فأخذ وذبح، فاضطربت الأمور من بعده. وكان وسيما بدينا كثير الحياء مؤثراً للجميل، له معرفة بالحساب والنجوم، ومحبة في الراحة.

وتوفى الأمير طاز في العشرين من ذي الحجة بالشام.

وتوفى الشريف شمس الدين محمد بن شهاب الدين أحمد بن محمد بن الحسين بن محمد المعروف بابن أبي الركب، نقيب الأشراف بالقاهرة، وإليه تنسب المدرسة الشريفة بحارة بهاء الدين.

وتوفى أبوه شهاب الدين في شعبان، سنة اثنتين وستين.

وتوفى شمس الدين أبو إمامة محمد بن علي بن عبد الواحد بن يحيى بن عبد الرحيم، المعروف بابن النقاش الشافعي، الفقيه المحدث، المفسر الواعظ، في يوم الثلاثاء ثالث عشر ربيع الأول.

وتوفى أمين الدين محمد بن الجمال أحمد بن محمد بن محمد بن نصر الله بن المظفر ابن أسعد بن حمزة المعروف بابن القلانص التميمي الدمشقي، وكان أحد أعيان دمشق، وياشر بها وكالة بيت المال وقضاء العسكر، ودرس الفقه، ثم ولي كتابة السر مدة، وعزل عنها.

(١) طنجة: مدينة بالمغرب قديمة على ساحل البحر، وبين طنجة وسبتة ثلاثون ميلاً في البر، وفي البحر نصف مجرى، وتعرف طنجة بالبرية وليلى افتتحها عقبة بن نافع وقتل رجالها وسبى من فيها، وهي على شاطئ بحر الزقاق. انظر معجم البلدان ٤/٤٣، والروض المعطار ٣٩٥، ٣٩٦، والاستبصار ١٣٨، وابن الوردي ١٤.

وتوفى قاضى القضاة المالكية، تاج الدين أبو عبد الله محمد بن علم الدين محمد بن
أبى بكر بن عيسى بن بدران الأحنائى المالكى، فى ثامن عشر صفر بالقاهرة.

وتوفى ناصر الدين محمد بن أبى القاسم بن حمل المعروف بابن التونسى، أحد نواب
القضاة المالكية، فى يوم الجمعة حادى عشر صفر بالقاهرة.

ومات ناصر الدين محمد بن الصاحب شرف الدين يعقوب بن عبد الكريم بن أبى
المعالى الحلبي الشافعى. ولى كتابة السر بجلب ودمشق، ثلاثاً وعشرين سنة، ودرس،
وقال الشعر.

وتوفى صلاح الدين عبد الله بن محمد بن كثير التاجر النحوى المعروف بابن
المعزى، بمكة، فى ذى القعدة. أخذ النحو بالقاهرة عن أبى الحسن والد الشيخ سراج
الدين عمر بن الملقن. وكان عبداً صالحاً.

وتوفى الأمير أَيْبُكُ أخو الأمير بَكْتَمُرُ الساقى.

وتوفى الصاحب الطواشى صفى الدين جوهر الزمردى بقوص فى شعبان.

وتوفى فتح الدين يحيى بن عبد الله بن مروان بن عبد الله بن قمر بن الحسن الفارقى
الأصل الدمشقى الشافعى، فى ربيع الآخر بدمشق. ومولده فى القاهرة سنة اثنتين
وسبعين وستمائة. وقد حدث، وكان صالحاً، ثقة، ثبناً.

وتوفى والده فى صفر سنة ثلاث وسبعمائة.

وتوفى شمس الدين محمد بن مفلح بن محمد بن مفرح الدمشقى الحنبلى^(١)، فى
رجب بدمشق، ومولده بعد سنة سبعمائة، برع فى الفقه وغيره، وصنف كتاب
الفروع، وهو مفيد جداً. والله أعلم.

* * *

(١) محمد بن مفلح بن محمد بن مفرح، أبو عبد الله، شمس الدين المقدسى الرامبلى ثم الصالحى:
أعلم أهل عصره. منزه الإمام أحمد بن حنبل. ولد ونشأ فى بيت المقدس، وتوفى بصالحية دمشق.
من تصانيفه «كتاب الفروع» فقه وأصول الفقه. انظر حلاء العينين ٢٥ والدرر الكامنة ٤/٢٦١
والفهرس التمهيدى ٢٢٤ والأعلام ٧/١٠٧.

سنة أربع وستين وسبع مائة

فى المحرم: عدى السلطان والأمير يلبغا النيل إلى بر الجيزة، وخيم قريبا من الأهرام. وفى يوم الإثنين: رابع عشر صفر قدم قاضى القضاة بهاء الدين أحمد بن السبكى على البريد من دمشق، باستدعاء، فاجتمع بالسلطان والأمير يلبغا ثم عاد إلى القاهرة. وفى تاسع عشر شهر ربيع الأول: عاد السلطان من السرحة بالجيزة، ومعه الأمير يلبغا.

وفى يوم الإثنين ثانى عشرينه: خلع على تاج الدين عبد الوهاب بن السبكى وأعيد إلى قضاء دمشق، وخلع على أخيه بهاء الدين وأعيد إلى إفتاء دار العدل، وبقية وظائفه. وخلع على الأمير أقمتر عبد الغنى واستقر حاجب الحجاب، عوضا عن أسنغا بن البوبكرى.

وفى جمادى الأولى: فشت الطواعين والأمراض الحادة فى الناس بالقاهرة ومصر وعامة الوجه البحرى، وتزايد حتى بلغ فى شهر رجب عدة من يموت فى اليوم ثلاثة آلاف. ولم تزل الأمراض بالناس إلى شهر رمضان. وقدم الخبر بوقوع الوباء بدمشق وغزة وحلب، وعامة بلاد الشام، فهلك فيه خلائق كثيرة جدا.

وفى يوم الإثنين رابع عشر شعبان: اقتضى رأى الأمير يلبغا خلع السلطان فوافقه الأمراء على ذلك، فخلعوه من الغد لاختلال عقله، وسجنوه ببعض الدور السلطانية من القلعة، فكانت مدة سلطنته سنتين وثلاثة أشهر وستة أيام، لم يكن له سوى الاسم فقط.

* * *

السلطان الملك الأشرف زين الدين أبو المعالى

شعبان بن الأجد حسين بن الناصر محمد [بن قلاوون] (١)

ولى السلطنة وعمره عشر سنين، ولم يل أحد من بنى قلاوون وأبوه لم يل السلطنة

(١) شعبان بن حسين بن الملك الناصر محمد بن قلاوون، أبو المعالى، ناصر الدين: من ملوك الدولة القلاوونية بمصر والشام ولى السلطنة سنة ٧٦٤هـ. انظر مورد اللطافة ٨٧ وابن إياس ٢١٢/١ وحسن المحاضرة ١٠٤/٢ والدرر الكامنة ٢/١٩٠ والبداية والنهاية ١٤/٣٠٢ - ٣٢٤ والأعلام ١٦٣/٣، ١٦٤.

سواه. وكان من خيره أن الأمير يلبيغا جمع الأمراء بقلعة الجبل كما تقدم، حتى اتفقوا على خلع السلطان المنصور. ثم بكرروا في يوم الثلاثاء النصف من شعبان إلى القلعة. وأحضروا الخليفة أبا عبد الله محمد المتوكل على الله وقضاة القضاة الأربع، وأعلموهم باختلال عقل المنصور وعدم أهليته للقيام بأمر المملكة، وأن الاتفاق وقع على خلعه فخلعوه، وأحضروا شعبان بن حسين وأفاضوا عليه خلعة السلطنة، ولقبوه بالملك الأشرف زين الدين أبي المعالي، وأركبوه بشعار السلطنة، حتى جلس على تخت الملك، وحلفوا له، وقبلوا الأرض على العادة. وكتب إلى الأعمال بذلك فسارت البرد^(١) في أقطار المملكة، وخلع على أرباب الوظائف.

وفي يوم الخميس ثالث عشرين رمضان: عزل قاضي القضاة موفق الدين الخنبلي نفسه من القضاء من أجل أن الأمير يَلْبِغًا استدعاه، فوافاه القاصد وهو نايم، فلم يتمهل عليه حتى يتبته، بل أمر به فأيقظ وقد انزعج، فغضب لذلك، وعزل نفسه، وأبى أن يجيب القاصد أو يجتمع به، فشق ذلك على الأمير يَلْبِغًا. وما زال يرسل إليه ويتراضاه حتى رضى. ثم استدعى في يوم الإثنين سابع عشرينه إلى مجلس السلطان، وخلع عليه، وأعيد إلى وظيفة القضاء على عادته. واستقر الأمير مَنكَلَى بُغَا الشمسي في نيابة الشام، عوضا عن الأمير قَشْتَمُر. واستقر الأمير أَشْقَتَمُر المارديني في نيابة حلب، عوضا عن الأمير سيف الدين قطلوبغا الأحمدي بعد موته.

واستقر الأمير أَرْدَمُر الخازندار في نيابة طرابلس، واستقر عوضه في نيابة صفد الأمير قَشْتَمُر المنصوري نائب الشام ومصر. واستقر الأمير عمر شاه في نيابة حماة. واستقر الأمير أحمد بن القَشْتَمُر في نيابة الكرك، والأمير أَرْبُغَا في نيابة غزة. واستقر الأمير أَرغون الأحمدي الخازندار لالا^(٢) السلطان واستقر عوضه خازندار الأمير يعقوب شاه. واستقر الشريف بَكْتَمُر بن علي الحسنى والى قطيا في ولاية القاهرة، عوضا عن الأمير علاء الدين على بن الكورانى بحكم استعفائه. وولى الأمير علاء الدين على بن الطشلاقى والى دمياط^(٣) ولاية قطيا. واستقر خليل بن الزينى في ولاية الغربية، عوضا عن عمر بن الكركند، وهى ولايته الثالثة. واستقر قَشْتَمُر أستاذار طَقَرْدَمُر في ولاية

(١) البرد جمع بريد والمراد البريد المرسل على دواب البريد.

(٢) لفظ فارسى معناه الشخص المكلف بالعناية بالأطفال.

(٣) دمياط - أو ذمياط -: مدينة فى البلاد المصرية على ساحل البحر قريية من تنيس إليها ينتهى ماء النيل، وبها تعمل الثياب الرفيعة وغيرها مما يقارب الثياب التنيسية. انظر معجم البلدان ٤٧٢/٢، ٤٧٣، والروض المعطار ٣٥٧، ٣٥٨، والإدريسى ١٥٧، وابن الأثير ١٢/٣٢٠، ٣٣١، وابن خلكان ٨٠/٥، ٩٠، ٩١، ٢٥٨/٦. وخطط المقرئى ٢١٥/١ وما بعدها.

الجيزة، ثم عزل عن قريب بموسى بن الدينارى. واستقر أحمد بن جميل والى الأشمونين^(١) ومقبل السيفى والى منوف^(٢) عوضا عن محمد بن عقيل، ومحمد بن السمسماطى والى دمياط. واستقر الحسام المعروف بالدم الأسود أستاذار أَيْمَشْ فى ولاية الفيوم عوضا عن محمد بن طُغَاى. واستقر فتح الدين أبو بكر محمد بن إبراهيم ابن أبى الكرم محمد بن الشهيد فى كتابة السر بدمشق، عوضا عن الجمال عبد الله بن محمد بن إسماعيل بن أحمد بن سعيد بن الأثير.

وفى هذه السنة: توقفت زيادة ماء النيل فى أيام زيادته مدة أيام، ثم نودى عليه فى يوم السبت سابع ذى القعدة وسادس عشرين مسرى زيادة إصبع لتتمة سبعة عشر إصبعاً من ستة عشر ذراعاً. ثم نقص ثلث ذراع، وتوقفت الزيادة حتى انقضت أيام مسرى وبعدها أيام النسيء. ثم زاد فى آخر أيام النسيء إصبعاً واحداً، واستمر حتى كان الوفاء فى يوم الثلاثاء ثامن عشر ذى القعدة. وفتح الخليج، فتمادت زيادته حتى انتهت إلى أربعة أصابع من ثمانية عشر ذراعاً، ثم انهبط فتحرك سعر الغلال.

وفىها فرق الأمير يلغا كثيرا من الغلال والأموال فى الفقهاء والصوفية. وولى من ذلك جانبا موفورا للقاضى محب الدين ناظر الجيش، فارتفق الناس بهذه الصدقات بحيث استغنى منها جماعة.

وفىها استقر الأمير بَكْتُمُرُ مملوك طاز - أحد الطبلخاناه - فى نيابة الرحبة^(٣).

* * *

ومات فيها من الأعيان

الشريف غياث الدين أبو إسحاق إبراهيم بن صدر الدين حمزة العراقى، والد الشريف مرتضى.

ومات شهاب الدين أبو العباس أحمد بن عبد الرحمن بن عبد الرحيم البعلبكى، مفتى دار العدل بدمشق فى سابع عشرين شهر رمضان. برع فى الفقه على مذهب الإمام الشافعى، وشارك فى عدة فنون، وأفتى ودرس وقدم القاهرة.

(١) قصبة كورة من كور الصعيد الأدنى غربى النيل. انظر معجم البلدان ١/٢٠٠.

(٢) هى من قرى مصر القديمة، ويقال لكورتها الآن المنوفية. انظر معجم البلدان ٥/٢١٦.

(٣) قرية بجذاء القادسية على مرحلة من الكوفة على يسار الحجاج إذا أرادوا مكة. انظر معجم

وتوفى الشيخ مجد الدين أبو الفدا إسماعيل بن يوسف بن محمد الكفتى شيخ القراءات، فى نصف شعبان. قرأ على الشيخ شمس الدين محمد بن محمد بن نمير بن السراج، وعلى التقي الصايغ، ونجم الدين عبد الله الواسطى، وتصدر للإقراء بجامع أحمد بن طولون، وعليه قرأ التقي البغدادي وشيخنا فخر الدين عثمان بن عبد الرحمن البليسى.

ومات بكتّم أمير علم.

ومات جرّكس النوروزى أحد أمراء الطبلخاناه.

وتوفى الفقير المعتقد حسن بن مسلم المسلمى، المقيم بجامع الفيلة^(١). وكان يجاهد الفرنج من جهة طرابلس المغرب، ويقيم حاله وحال من معه من الفقراء المسلمين مما يكون من الغنايم. وكان عنده أسد قد رباه وساسه حتى صار بين فقرائه بمنزلة الهر فى البيوت. فلما مات أخذ السباعون الأسد، فتوحش عندهم، وعاد إلى ما جبل عليه.

وتوفى أبو حاتم بن بهاء الدين أحمد بن السبكي^(٢).

وتوفى الشيخ صلاح الدين أبو الصفا خليل بن أيك الصفدى^(٣) فى ليلة الأحد عاشر شوال بدمشق. برع فى عدة فنون من أدب وتاريخ وغيره. وأكثر من قول الشعر وإنشاء الكتب والرسائل ونحوها. وألف كتباً كثيرة مفيدة، منها كتاب الوافى بالوفيات فى التاريخ، كبير جداً، وكتاب أعوان النصر فى أعيان العصر، جدد فيه ما شاء، وكتاب شرح لامية العمم، طول فيه كثيراً، وملاه بفوائد جليلة، وغير ذلك، وكتب الإنشاء بالقاهرة ودمشق وباشر كتابة سر حلب قليلاً.

(١) جامع الفيلة: يقع بسطح الجرف المطل على بركة الحبش.

(٢) أحمد بن على بن عبد الكافى، أبو حاتم، بهاء الدين السبكي: فاضل، له «عروس الأفراح، شرح تلخيص المفتاح» ولى قضاء الشام سنة ٧٦٢هـ فأقام عاماً، ثم ولى قضاء العسكر، وكثرت رحلاته، ومات مجاوراً بمكة. انظر البدر الطالع ٨١/١ والدرر الكامنة ٢١٠/١ والأعلام ١٧٦/١.

(٣) خليل بن أيك بن عبد الله الصفدى، صلاح الدين: أديب، مؤرخ، كثير التصانيف الممتعة. ولد فى صغد بفلسطين، وإليها نسبته، وتعلم فى دمشق فعانى صناعة الرسم فمهر بها. ثم ولع بالأدب وتراجم الأعيان. وتولى ديوان الإنشاء فى صغد ومصر وحلب، ثم وكالة بيت المال فى دمشق، فتوفى فيها. له زهاء مائتى مصنف، منها «الوافى بالوفيات» فى التراجم. والشعور بالعمور فى تراجم العمور وأخبارهم. انظر الدرر الكامنة ٨٧/٢ وطبقات الشافعية ٩٤/٦ وآداب اللغة ١٦١/٣ ومجلة المجمع العلمى العربى ٤٤٥/٥ والوافى بالوفيات ٢٤٩/١ والفهرس التمهيدى ٢٧١ و٤٤٥ و٥٦٤ والأعلام ٣١٦/٢.

وتوفى تقي الدين أبو الربيع سليمان بن علي بن عبد الرحيم بن أبي سالم، بن
مراحل الدمشقي، ناظر الدولة بديار مصر، ووزير دمشق.

ومات شمس الدين عبد الله بن يوسف بن عبد الله بن يوسف بن أبي السفاح
بالقاهرة.

ومات تقي الدين عبد الرحمن بن الضياء المناوي، في تاسع عشرين جمادى الآخر،
وهو شاب.

وتوفى زين الدين عمر بن الشرف عيسى بن عمر الباري الحلبى الفقيه الشافعى
بحلب.

ومات الشيخ عماد الدين محمد بن الحسين بن علي بن عمر الإسئوى^(١) الشافعى،
في ثامن عشرين جمادى الآخر بالقاهرة، برع في الفقه والأصول، ودرس، وناب في
الحكم، وصنف.

ومات ناصر الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد العزيز بن الربوة القونوى^(٢)،
ثم الدمشقي، الحنفى، الفقيه الخطيب، المفتى. شرح كتاب السراجية فى الفرائض،
والمنازل فى الأصول، ودرس وخطب بجامع يَلْبَغَا.

ومات الأمير سيف الدين قطلوبغا الأحمدي، نائب حلب بها.

ومات تقي الدين محمد بن أحمد بن الحسن بن محمد بن عبد العزيز بن محمد بن
الفرات الشافعى النحوى، موقع الحكم، فى يوم السبت تاسع عشرين جمادى الآخرة،
بالقاهرة. برع فى العربية، وانفرد بمعرفة التواقيع الحكمية.

وتوفى ناصر الدين محمد بن صلاح الدين عبد الله بن شرف الدين عبد الوهاب بن
فضل الله العمرى، أحد أمراء دمشق.

(١) محمد بن الحسن بن علي بن عمر الإسئوى (أو الإسئامى) عماد الدين: فاضل، من الشافعية.
ولد بإسنا وتفقه بها والقاهرة والشام، واستوطن حماة مدة. عاد إلى مصر، فناب فى الحكم فى
القاهرة ومنوف، وتوفى بالقاهرة. له كتب، منها «حياة القلوب فى كيفية الوصول إلى المحبوب» فى
التصوف. انظر الدرر الكامنة ٤٢١/٣ والشذرات ٢٠٢/٦ وفهرست الكتبخانة ٨١/٢ والأعلام
٨٧/٦.

(٢) محمد بن أحمد بن عبد العزيز القونوى الدمشقي، ناصر الدين، المعروف بابن الربوة: فقيه
حنفى. أصله من قونية، ومولده ووفاته فى دمشق. من كتبه «الدرر المنير فى حل إشكال الكبير». انظر
الجواهر المضئية ١٥/٢ والدرر الكامنة ٣٢٧/٣ والكتبخانة ٢٥١/٢ والأعلام ٣٢٧/٥.

وتوفى محدث الشام أمين الدين محمد بن أحمد بن علي الجوخى، فى ليلة السبت
حادى عشر رمضان. حدث عن الفخر على، وزينب بنت كامل، وسمع الناس عليه
مسند الإمام أحمد.

وتوفى خطيب دمشق جمال الدين محمود بن محمد بن إبراهيم بن جملة^(١)، فى يوم
الإثنين العشرين من رمضان.

ومات يزدار أمير شكار، وجوهر المظفرى اللالا، وجماعة كثير جدا.

وتوفى حسين بن محمد بن قلاوون، ليلة السبت رابع ربيع الآخر.

* * *

(١) محمود بن محمد بن إبراهيم بن جملة: خطيب الجامع الأموى بدمشق. من الشافعية. كان
منقطعا للخطابة والإفتاء والتأليف لا يزور أحدا. ولما دخل «بلغا» دمشق مع المنصور، زاراه فما
احتفل بهما بل رد عليهما السلام وهو فى المحراب. من كتبه «الوقاية الموضحة لشرف المصطفى»
انظر الدرر الكامنة ٣٣٢/٤ وطبقات الشافعية ٢٤٨/٦ وشذرات الذهب ٢٠٣/٦ والأعلام ٧/
١٨٣.

سنة خمس وستين وسبعائة

في المحرم: أنعم على الأمير طَيِّدَمُرُّ البالسى^(١) بتقدمة الأمير قنُذس الناصرى. وقد كف بصره. وأنعم على الأمير على بن قنلس الناصرى بإمرة طبلخاناه. واستقر الأمير أَرغُونُ التاجي أمير جندار حاجب طرابلس، واستقر الأمير أَلطُنْبُغَا فرفور جاشنكيرا. عوضا عن مَنكُوتَمُرُّ عبد الغنى، وقد استعفى. واستقر الأمير آسن فجَا على بك الجوكندار فى نيابة ملطية فى ثالث صفر. واستقر الأمير عمر بن أَرغُونُ النايب فى نيابة صفد عوضا عن قَشْتَمُرُّ المنصور. واستدعى قَشْتَمُرُّ إلى القاهرة. وأنعم عليه بتقدمة عمر ابن أَرغُونُ النايب. واستقر الأمير طِينَالُ الماردىنى والى القلعة عوضا عن أَلطُنْبُغَا الشمسى آنوك، وقد استعفى.

وأنعم السلطان على جماعة بإمريات طبلخاناه، منهم تَمْرُقُبا العمري، ومحمد بن قمارى أمير شكار، وأَلطُنْبُغَا الأحمدي، وأقبغا الصفدى.

وأنعم على كل من إبراهيم بن الأمير صَرغَتَمَش، وقَشْتَمُرُّ العلاى طاجار من عوض، وأروس بغا الخليلى، ورجب بن كَلَفَتَ التركمانى، بإمرة عشرة.

واستقر الأمير قمارى الحموى فى نيابة طرسوس. واستقر الأمير قَشْتَمُرُّ القاسمى فى نيابة سلمية^(٢) عوضا عن الأمير طنيرق. واستقر عمر بن الكركند فى ولاية الغربية عوضا عن خليل بن الزينى. واستقر فخر الدين عثمان الشرفى فى ولاية الأشمونين.

وفىها ارتفع سعر الغلال، فبلغ القمح أربعين درهما الأردب، ووقع الموت فى الأبقار بأرض مصر وإفريقية.

وفى المحرم: قدم بهاء الدين أبو البقاء محمد بن عبد البر بن يحيى السبكى^(٣) إلى القاهرة من دمشق، معزولاً عن قضاياها.

(١) نسبة إلى البالس، وهى بلدة بالشام بين حلب والرقه. انظر معجم البلدان ٥١٩/١.

(٢) سلمية: بلد من أعمال قسرين بفقور الشام على طرف البادية، وهو حصن كالمدينة صغير عامر أهل، بينه وبين حمص مرحلة. وسلمية: بفتح أوله وكسر الميم وتخفيف الياء، قرية من بلاد اليمامة حسنة عامرة قد أهدقت بها حدائق النخيل، لها ثمر حسنة الألوان شهية المأكول. انظر الروض المعطار ٣٢٠، ونزهة المشتاق ٥٦. يعقوبى ٣٢٤، والكرخى ٤٦.

(٣) محمد بن عبد البر بن يحيى، بهاء الدين، أبو البقاء، السبكى: فقيه شافعى مصرى، من العلماء بالعربية والتفسير والأدب. ولى قضاء دمشق ثم قضاء طرابلس، وعاد إلى القاهرة، فولى قضاء العسكر ووكالة بيت المال والقضاء الكبير. ثم ولى قضاء دمشق. من كتبه «مختصر الطلب» فى شرح الوسيط، فى فقه الشافعية. انظر بغية الوعاة ٦٣ والدرر الكامنة ٤٩٠/٣ والوافى بالوفيات ٢١٠/٣ وكشف الظنون ٦٢٥ والأعلام ١٨٤/٦.

وفي يوم الأربعاء تاسع عشرين صفر: خلع على علاء الدين على بن سديد الدين أبي محمد عبد الوهاب بن الفخر عثمان بن محمد بن هبة الله بن علي بن إبراهيم بن حسين بن عبد العظيم بن عبد الكريم بن عبد الله بن سليمان، بن عبد الوهاب بن سليمان بن خالد بن الوليد المعروف بابن عرب، واستقر محتسب القاهرة، عوضاً عن الصلاح عبد الله بن عبد الله البرلسي، بعد وفاته.

وفي يوم الخميس ثاني عشر ربيع الآخر: خلع على بهاء الدين أبي البقاء، واستقر قاضى العسكر ووكيل الخاص، عوضاً عن التاج محمد بن عبد الحق المناوى بعد وفاته. وخلع على السراج عمر الهندى الحنفى، واستقر قاضى العسكر أيضاً. وخلع على الشيخ شمس الدين محمد بن عبد الرحمن بن الصايغ^(١) الحنفى، واستقر فى إفتاء دار العدل، وهو أول حنفى ولى إفتاء دار العدل. وخلع على الشيخ سراج الدين عمر بن رسلان البلقيني الشافعى، واستقر فى إفتاء دار العدل أيضاً. وأمر هؤلاء الأربعة مع الشيخ بهاء الدين بن السبكي بحضور دار العدل فى أيام الخدمة.

وفي شوال: خلع على أبي البقاء، واستقر فى نظر الأوقاف ونيابة الحكم، مضافاً لما بيده.

وقدمت رسل متملك سيس فى طلب تخفيف الضريبة المقررة عليهم، فهلك ملكهم وهم بمصر، فعادوا بغير طائل.

وكثر الجراد بالشام حتى شنع، وأتلف الزروع، فغلت الأسعار حتى بلغت الغرارة القمح بدمشق مائة وثمانين درهماً، ثم انحطت إلى مائة وعشرة دراهم، وفشت الطواغين والأمراض الحادة فى الناس بدمشق. وفتح الأمير منكلى بغا الشمسى نائب الشام باب كيسان من مدينة دمشق بعد ما أقام مغلوفاً زيادة على مائتى عام، منذ أيام الملك العادل نور الدين محمود بن زنكى^(٢) وعقد عليه قبواً كبيراً، ونصب له جسراً يمر الناس عليه، وأنشأ هناك جامعاً.

(١) محمد بن عبد الرحمن بن علي، شمس الدين الحنفى الزمردى، ابن الصائغ: أديب، من العلماء مصرى. ولى فى آخر عمره قضاء العسكر وإفتاء دار العدل ودرس بالجامع الطولونى. من كتبه «التذكرة فى النحو»، و«المباني فى المعانى»، و«الغمز على الكنز» فى فقه الحنفية. انظر بغية الرعاة ٦٥ والدرر الكامنة ٤٩٩/٣ وشذرات الذهب ٢٤٨/٦ والفوائد البهية ١٧٥ والأعلام ١٩٣/٦.

(٢) محمود بن زنكى (عماد الدين) بن أقسنقر، أبو القاسم، نور الدين الملقب بالملك العادل: ملك الشام وديار الجزيرة ومصر. وهو أعدل ملوك زمانه وأجلهم وأفضلهم. ولد فى حلب، وانتقل إلى إمارتها بعد وفاة أبيه (٥٤١هـ) ضم دمشق إلى ملكه بعد عشرين سنة. وامتدت سلطنته فى الممالك الإسلامية حتى شملت جميع سورية الشرقية وقسماً من سورية الغربية، والموصل وديار بكر والجزيرة ومصر وبعض بلاد المغرب وجانباً من اليمن، وخطب له بالحرمين. انظر الروضتين ٢٢٧/١ - ٢٢٩ وابن الأثير ٥١/١١ وابن خلدون ٢٥٣/٥ وابن الوردي ٨٣/٢ وابن خلكان ٨٧/٢ ومراة الزمان ٣٠٥/٨ ومفرج الكرب ١٠٩/١ والأعلام ١٧٠/٧.

وفيها برز مرسوم السلطان بمنع الوكلاء الذين بمجالس القضاة بمصر والشام؛ لكثرة خداعهم ومكرهم وتحذلقهم في تنوع الشرور.

وفيها حفر الأمير يَلْبُغَا الأتابك ترعة استجدها، من البدرشين بالجيزية، فكثر النفع بها.

وفي ثامن عشرين ذى الحجة: استقر الأمير قَطْلَبِك والى منوف.

* * *

ومات في هذه السنة من الأعيان

شهاب الدين أحمد بن الجمال محمد بن عمر بن أحمد بن هبة الله بن محمد بن هبة الله بن أحمد بن يحيى بن أبى جرادة العقيلي الحلبي، المعروف بابن العديم الحنفي، نائب شيزر^(١)، عن بضع وستين سنة.

وتوفى قاضى حماة نجم الدين عبد الرحيم بن شمس الدين إبراهيم بن هبة الله بن عبد الرحيم بن إبراهيم بن المُسَلَّم بن هبة الله بن حسان بن محمد بن منصور بن أحمد بن البارزى الجهنى الحموى الشافعى، بعد ما أقام قاضياً شيئاً وعشرين سنة.

ومات الأمير قُطْلُوْبُغَا الأحمدي. تقدم ذكره في السنة التى قبلها، وهو نائب حلب.

ومات القاضى تاج الدين أبو عبد الله محمد بن بهاء الدين إسحاق بن إبراهيم السَلْمَى المناوى الشافعى، خليفة الحكم، وقاضى العسكر، ووكيل الخاص فى يوم الجمعة سادس ربيع الآخر، ودفن بالقرافة.

وتوفى صلاح الدين عبد الله بن عبد الله بن إبراهيم البرلسى المالكى، محتسب القاهرة، يوم الخميس خامس عشرين صفر، ودفن بالقرافة، وبيعت كتبه بمائة ألف درهم ونيف. وفى حسبته أمر المؤذنين أن يقولوا مع قولهم فى ليلالى الجمعة بعد أذان عشاء الآخرة، وفى السلام قبل الفجر «السلام عليك يا رسول الله، الصلاة والسلام عليك يا رسول الله». فاستمر ذلك.

وتوفى فتح الدين أبو عبد الله محمد بن محمد بن أبى الحسن القلانسى الحنبلى. عاقد الأنكحة. فى ليلة الجمعة، رابع جمادى الأولى، عن سن عالية، وقد حدث بعلو إسناد عن جماعة.

(١) شيزر: مدينة بالشام من أعمال حمص. انظر معجم البلدان ٣/٣٨٣، والروض المعطار

وتوفى أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الله بن إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن عبد العزيز بن إسحاق بن أحمد بن أسد بن قاسم^(١) المعروف بابن الحاج النميري الغرناطي، قدم إلى القاهرة حاجا، وكتب الإنشاء بفرناطة وبجاية^(٢) وقال الشعر.

وتوفى قاضي مكة، تقي الدين محمد بن أحمد بن قاسم العمري الحرزي الشافعي، معزولا.

ومات الأمير أقبغا بوذ السيفي، أحد رعوس النوب.

ومات الأمير أرغون التاجي، أحد الطبلخاناه.

وتوفيت خوند طولباى التركية عتيقة السلطان حسن، وامرأة الأمير يلبغا الأتابك، في رابع عشرين ربيع الآخر، ودفنت بتربتها خارج باب البرقية.

وتوفى الملك الصالح صالح بن المنصور نجم الدين غازي بن المظفر قرا أرسلان بن السعيد غازي بن أرتق بن أرسلان بن إيلغازي بن ألبى بن تمرdash بن إيلغازي بن أرتق. متملك مارددين^(٣)، فلما قدم الخبر بوفاة جهزت الخلعة بالسلطنة لولده الملك المنصور حسام الدين أحمد. وكان قد ملك أربعاً وخمسين سنة.

ومات بالمدينة النبوية الحافظ عفيف الدين أبو السيادة عبد الله بن محمد بن أحمد بن خلف المطري، في سادس عشرين ربيع الأول. والله تعالى أعلم.

* * *

(١) إبراهيم بن عبد الله بن إبراهيم النميري، أبو القاسم، المعروف بابن الحاج: أديب أندلسي. من كبار الكتاب. ولد بفرناطة، وارتسم في كتاب الإنشاء سنة ٧٣٤هـ ثم رحل إلى المشرق فحج وعاد إلى إفريقية فخدم بعض ملوكها وخدم سلطان المغرب الأقصى. له شعر جيد وتصانيف منها المساهلة والمساحة في تبين طرق المداعبة والممازحة. انظر جذوة والاقتباس ٨٧ والإحاطة ١٩٣/١ والأعلام ٤٩/١.

(٢) مدينة على ساحل البحرين أفريقية والمغرب. انظر معجم البلدان ٣٣٩/١.

(٣) مارددين: مدينة من ديار ربيعة بعمل الموصل، بينها وبين مدينة دارا نصف مرحلة، وهي في سفح جبل في فنته قلعة كبيرة، وهي من قلاع الدنيا الشهيرة. انظر معجم البلدان ٣٩/٥، والروض المعطار ٥١٨، الكرخي ٥٣، ونزهة المشتاق ١٩٩، ٢٠٠، وآثار البلاد ٢٥٩.

سنة ست وستين وسبعماية

فى المحرمك استعفى الشيخ جمال الدين عبد الرحيم الإسنوى من وكالة بيت المال. حنقا من الوزير فخر الدين بن قزوينة، فأعفى، وخلع على علاء الدين على بن عرب. واستقر عوضه فى الوكالة والكسوة، مضافا إلى حسبة القاهرة.

وفيه خلع على شمس الدين محمد بن على بن أبى رقيبة، واستقر فى حسبة مدينة مصر والوجه القبلى، عوضا عن بهاء الدين بن المفسر بعد عزله.

وفى رجب استقر الأمير جرجى الإدريسى أمير آخور فى نيابة حلب، عوضا عن أشقتمر الماردىنى.

وفى عشرين صفر: استقر جمال الدين محمد بن السراج أحمد بن مسعود القونوى - المعروف بابن السراج الحنفى^(١) - فى قضاء الحنفية بدمشق، عوضا عن الجمال يوسف الكفرى.

وفىها أسلم الشمس أبو الفرج المقسى وتسمى عبد الله، ولقب شمس الدين، واستقر مستوفى الممالك، ثم نقل إلى استيفاء الخاص.

واستقر الأمير يعقوب شاه أمير آخور عوضا عن الأمير جرجى نائب حلب، بإمرة طبلخاناه.

وأنعم على كل من قَطْلُوْبغا البلانى، وكُمُشْبُغا الحموى، وجُنغرا السيفى، وأقْبغا الجوهرى بإمرة طبلخاناه، وعلى كل من سلجوك الرومى، وأروس السيفى، وسُنُقُر السيفى بإمرة عشرة.

واستقر حسام الدين حسن بن علاء الدين على بن ممدود الكورانى فى ولاية المنوفية، عوضا عن قَطْلَبِك السيفى، واستقر حسن بن الحرامى فى ولاية قوص عوضا عن بَكْتُمُر العلمى.

(١) محمود بن أحمد بن مسعود بن عبد الرحمن القونوى، أبو الثناء، جمال الدين: قاض، من فقهاء الحنفية. له مشاركة فى العلوم العقلية. من أهل دمشق. ولى قضاءها. من كتبه «بغية القنية» فقه، و«المنتهى». انظر وكشف الظنون ١/٣٤٦ و٢٠٣٢ والأعلام ٧/١٦٢.

وفى أول شهر ربيع الأول: قدم التاج عبد الوهاب بن السبكي قاضى دمشق إلى القاهرة، ثم عاد فى عاشر جمادى الآخر إلى محل ولايته بدمشق.

وقدم الخبز بغلاء الأسعار بمكة، حتى بيعت الغرارة القمح - وهى مائة قدح مصرى - بأربعمائة درهم وثمانين درهما، وعز وجود الأقوات بها فهلك جماعة كثيرة جوعا، ونزع أكثر أهلها عنها، فجهز الأمير يلبغا الأتابك فى جمادى الأولى إلى مكة ألفى أردب قمحا، وواصل الإرسال حتى حمل من مصر إليها اثنى عشر ألف أردب. فرقت كلها فى الناس، فعم النفع بها.

وكتب مرسوم بإسقاط ما يؤخذ من مكس الحاج بمكة، فيما يحمل إليها من البضائع، خلا مكس الكارم تجار اليمن، ومكس الخيل، ومكس تجار العراق، وعض أمير مكة عن ذلك إقطاعا بمصر، وحمل إليه مبلغ أربعين ألف درهم فضة، عنها يومئذ نحو الألفى مثقال ذهبا.

واستقر آل ملك السيفى فى ولاية الشرقية. وفخر الدين عثمان الشوفى ولاية البهنسا^(١) عوضا عن الشهاب أحمد بن جميل. واستقر ابن جميل فى ولاية الأشمونين. واستقر شمس الدين بن الدينارى فى ولاية الفيوم عوضا عن علاء الدين العمري.

وفى يوم الإثنين سادس عشر جمادى الآخرة: عدى قاضى القضاة عز الدين بن جماعة النيل إلى بر الجزيرة، وقد خيم بها السلطان على العادة، بكموم برا، وسأل الأمير يلبغا فى إعفائه من القضاء، وتشفع إليه بمصحف معه، وعزل نفسه. وقام، وقد أقر الأمير يلبغا نواب الحكم على حالهم. فلما عدى السلطان النيل، وصعد القلعة فى يوم الخميس تاسع عشره، وجه الأمير يلبغا بالأمير جرجى أمير آخور إلى ابن جماعة يدخل عليه فى عوده إلى وظيفة القضاء، فامتنع غاية الامتناع. فبعث إليه بكاتب السر علاء الدين على بن فضل الله فلم يجبه أيضا. فركب الأمير يلبغا بنفسه فى يوم السبت حادى عشرينه، وأتاه إلى منزله بالجامع الأقر^(٢) وألح فى سؤاله وهو يمتنع. فلما أيس منه سأله أن يعين من يصلح، فأشار بولاية أبى البقاء، ثم صلى وراءه المغرب وانصرف. فاستدعى فى يوم الإثنين ثالث عشرينه بأبى البقاء، وفوض إليه السلطان قضاء القضاة، عوضا عن ابن جماعة، وخلع عليه، وأضاف إليه نظر وقف الأشراف. وخلع معه على بهاء الدين أحمد بن السبكي واستقر فى قضاء العسكر عوضا عن أبى البقاء. وخلع

(١) مدينة بمصر من الصعيد الأدنى غربى النيل وتضاف إليها كورة كبيرة. انظر معجم البلدان

على تاج الدين محمد بن بهاء الدين، واستقر في وكالة الخاص زيادة على ما بيده من نظر المارستان.

وفي يوم الخميس سادس عشرينه: خلع على عز الدين بن جماعة، واستقر في نظر جامع أحمد بن طولون، وتدریس الفقه، وتدریس الحديث به، ورتب له على بيت المال في كل شهر ألف درهم.

وفي أول شهر رجب: عزل فخر الدين أبو جعفر محمد بن الكويك عن نظر الأحباس، واستقر عوضه ناصر الدين محمد القرشي موقع الدست.

وفي سابعه: استقر الأمير قُطلو أقتمر العلاي أمير جاندار في نيابة صفد، عوضا عن الأمير عمر بن أرغون النائب، وأنعم على عمر بإمرة قُطلو أقتمر.

وفي حادى عشره: استقر الأمير أينال اليوسفي أمير جاندار.

واستقر أَلطُنْبِغا البُشْتِكِي في نيابة غزة، عوضا عن أَرْبِغا الكاملي.

واستقر الأمير جمال الدين عبد الله بن بَكْتَمُر الحاجب في نظر المشهد النفيسى، عوضا عن الخليفة.

وأنعم على الأمير شعبان بن الأمير يلبغا الأتابك بتقدمة ألف.

وفي شهر رمضان: استقر الأمير أزدُمُر نائب طرابلس في نيابة صفد، عوضا عن قُطلو أقتمر.

واستقر الأمير قَشْتَمُر المنصوري في نيابة طرابلس.

وأنعم على الأمير أَسْنَدُمُر المظفري بتقدمة ألف.

وفي سادس عشرين شوال: استقر الأمير عبد الله بن بَكْتَمُر الحاجب أمير شكار، عوضا عن الأمير ناصر الدين محمد بن ألبغيا. واستقر أَسْنَدُمُر حرفوش حاجبا، عوضا عن عبد الله بن بَكْتَمُر.

وفي آخر ذى القعدة: استقر الأمير مَنجَح اليوسفي في نيابة طرسوس، عوضا عن قمارى الحموى، بعد وفاته.

وفيها توجه نائب حلب بالعسكر إلى نجدة ناصر الدين محمد بن باك بن أرتنا، وتوجه عز الدين عبد العزيز بن جماعة إلى مكة، صحبة الركب، وجاور بها.

وقدم السلطان حلى عبد الحكيم من المغرب فارا، فأنعم السلطان عليه وأجرى له الرواتب السنية، فتزوج باتفاق الصالحية امرأة الصاحب موفق الدين هبة الله بن إبراهيم، وتوجه حاجا صحبة الركب فى تحمل زايد. وتوجه أيضا إلى الحج الأمير صلاح الدين خليل بن عرام متولى الإسكندرية، واستتاب عنه فى الثغر الأمير جنغرا، وكان أمير الحاج محمد بن قنُس.

وفىها لخمس وعشرين من ذى القعدة قدم البريد من ناحية المشرق إلى دمشق بقماقم فيها ماء من عين هناك، من خاصيته أن يتبعه طير يسمى السممر، فى قدر الزرزور ولونه، وفيه ريش أصفر، يأكل الجراد. فعلق بطارمة^(١) القلعة، وبمأذنة العروس وقبة النصر من الجامع الأموى، وكان الجراد قد كثر بأعمال دمشق، وأضر بمزارعها، فبعث الأمير منكلى بغا الشمسى نائب الشام لإحضار هذا الماء. فلما جىء به وعلق كثر السممر بدمشق، وأفنى ما كان الجراد هناك، حتى لم يبق منه شيئا. وأقامت قماقم الماء معلقة بتلك الأماكن إلى أن جف ما فيها، والطير موجود.

* * *

ومات فى هذه السنة من الأعيان ممن له ذكر

الشريف شمس الدين حسن بن محمد بن حسن بن على بن حسن بن زهرة بن حسن ابن زهرة الحسنى، نقيب الأشراف بحلب.

ومات شمس الدين محمد بن عبد الهادى الفوئى^(٢) الفقيه الشافعى فى يوم الخميس ثانى عشر جمادى الأولى، وقد تصدر للتدريس.

وتوفى قطب الدين محمد بن محمد الرازى^(٣) المعروف بالقطب التحتانى، بدمشق، وقد أناف على الستين. وبرع فى المنطق والنحو، وصنف شرح الشمسية والمطالع، وحواشى على الكشاف، وغير ذلك.

(١) الطريم الطويل، والطارمة بيت من خشب كالقبة.

(٢) محمد بن عبد الهادى الفوى، جمال الدين: من فضلاء الشافعية. له «الشجرة النبوية» و«تنقيح فى أحاديث التعليق». انظر الدرر الكامنة ٣٤/٤ والأعلام ٢٥٣/٦.

(٣) محمد (أو محمود) بن محمد الرازى، أبو عبد الله، قطب الدين: عالم بالحكمة والمنطق. من أهل الرى. استقر فى دمشق سنة ٧٦٣هـ. كان يسكن فى أعلى المدرسة الظاهرية بدمشق وتوفى بها. من كتبه «الحاكمات» فى المنطق. «تحرير القواعد المنطقية فى شرح الشمسية». انظر القلائد الجوهريّة ٢٣٩ ومفتاح السعادة ٢٤٦/١.

وتوفى زين الدين محمد بن سراج الدين عمر بن محمود، المعروف بابن السراج الحنفى، أحد نواب الحكم بالقاهرة، فى يوم السبت العشرين من ذى القعدة، عن بضع وسبعين سنة. وكان يحفظ الهداية فى الفقه، ودرس وأعاد.

وتوفى بدر الدين محمد بن قطب الدين محمد بن محمد بن منصور، المعروف بابن الشامية، موقع الحكم، فى يوم السبت ثانى شهر رمضان.

وتوفى شرف الدين محمد بن أحمد بن أبى بكر المزى الدمشقى الحريرى، بمصر، فى شعبان، حدث عن سليمان بن حسن، والقاسم بن عساكر، وأبى نصر الشيرازى.

وتوفى قاضى القضاة الحنفية بدمشق، جمال الدين يوسف بن شرف الدين أحمد بن الحسين بن سليمان بن فزارة الكفرى، الحنفى. كان بارعا فى الفقه والعريية، عارفا بالأحكام.

ومات الأمير قمارى الحموى الحاجب. وهو على نيابة طرسوس، بها.

ومات الأمير آسن قجا بن عبد الله من على بك، أحد أمراء الطبلخاناه، بعد ما ولى نيابة البيرة^(١) ثم نيابة طرسوس، وبها مات.

وتوفى أبو محمد عبد السلام بن سعيد بن عبد العال القيروانى المالكى، بالمدينة النبوية. وكان قد برع فى الفقه، ودرس زمانا.

وتوفى المسند شمس الدين أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن محمد بن أبى بكر بن إبراهيم بن يعقوب بن إلياس، الأنصارى، الخزرجى، البيانى المقدسى، الدمشقى، الشاهد عرف بابن إمام الصخره، فى تاسع عشرين ذى القعدة بالقاهرة. ومولده سنة ست وثمانين وستمائة. حضر على زينب بنت مكى^(٢) فى الثانية، وعلى الفخر بن البخارى. وابن القواس وغيرهم فى الثالثة. وسمع من ابن عساكر وطائفة، وحدث، وخرج له ابن رافع مشيخة حدث بها.

* * *

(١) البيرة: من كور الأندلس جليلة القدر نزلها جند دمشق من العرب وكثير من موالى الإمام عبد الرحمن ابن معاوية، وهو الذى أسسها وأسكنها مواليه ثم خالطهم العرب بعد ذلك، ومدينة البيرة بين القبلة والشرق من القرطبة، وبين البيرة وغرناطة ستة أميال. انظر الروض المعطار ٢٨، ٢٩، والعذرى ٨٨.

(٢) زينب بنت مكى بن على الحوانى فقيهة، ازدحم عليها الطلبة يأخذون عنها علوم الدين، فاشتهرت. وهى من الصالحات. وتوفيت فى دمشق. انظر ديوان الإسلام والأعلام ٦٧/٣.

سنة سبع وستين وسبع مائة

فى المحرم: ولى قاضى القضاة زين الدين عمر بن عبد الرحمن البسطامى الحنفى خطابة جامع شيخوخو خارج القاهرة، بعد وفاة شهاب الدين أحمد بن الشرف.

وفيه سرح السلطان على العادة إلى سرياقوس^(١). وتوجه الأمير يلبغا الأتابك إلى الصيد بالعباسة. فورد الخبر فى يوم السبت رابع عشرينه بمنزلة الفرنج الإسكندرية، وأنهم قدموا يوم الأربعاء حادى عشرينه. فسرح الطائر بذلك إلى الأمير يلبغا، فتوهم أن تكون هذه مكيدة يكاد بها، فبادر ودخل إلى داره خارج القاهرة، وتبعه السلطان، فصعد القلعة فى يوم الأحد خامس عشرينه. فلما تحقق الأمير يلبغا الخبر، عدى النيل من ساعتة إلى البر الغربى، وتلاحق به أصحابه، ونودى بالقاهرة: من تأخر من الأجناد غدا حل دمه وماله. فخرج الناس أفواجا، وسار السلطان بعساكره إلى الطرانة، وقدم عسكرياً عليه الأمير قطلوبغا المنصورى والأمير كوكنداي، والأمير خليل بن قوصون ليدر كوا أهل الثغر. فقدر الله تعالى فى ذلك أن أهل الثغر كان قد بلغهم منذ أشهر اهتمام الفرنج بغزوهم، فكتب بذلك الأمير صلاح الدين خليل بن عرام - متولى الثغر - إلى السلطان والأمير يلبغا، فلم يكن من الدولة اهتمام بأمرهم. فلما توجه ابن عرام إلى الحج، واستتاب عنه فى الثغر الأمير جنغرا - أحد أمراء العشرات - وجاء أوان قدوم مراكب البنادقة من الفرنج لاح للناظور^(٢) عدة قلاع فى البحر. ثم قدم فى بكرة يوم الأربعاء حادى عشرينه إلى الميناء، ثمانية أغربة، وتلاها من الأغربة والقراق^(٣) ما بلغت عدتها ما بين سبعين إلى ثمانين قطعة. فأغلق المسلمون أبواب المدينة، وركبوا الأسوار بألة الحرب، وخرجت طائفة إلى ظاهر البلد، وباتوا يتحارسون. وخرجوا بكرة يوم الخميس يريدون لقاء العدو، فلم يتحرك الفرنج لهم طول يومهم، وليلة الجمعة. فقدم بكرة يوم الجمعة طوايف من عربان البحيرة^(٤) وغيرهم، ومضوا جهة المنار، وقد نزل من الفرنج جماعة فى الليل بخيولهم، وكنموا فى التراب التى بظاهر المدينة. فلما تكاثر

(١) بليدة فى نواحي القاهرة بمصر. انظر معجم البلدان ٢١٨/٣.

(٢) الناظور هو الشخص الذى يتربح حركات العدو، ويرصدها عن بعد.

(٣) القراق: جمع قرقرة، وهى نوع من السفن الحربية.

(٤) كورة معروفة من نواحي الإسكندرية بمصر، تشتمل على قرى كثيرة ودخل واسع. انظر

جمع المسلمين من العربان، وأهل الثغر، عند المنار، برز لهم غراب إلى بحر السلسلة، حتى قارب السور، فقاتله المسلمون قتالا شديدا، قتل فيه عدة من الفرنج، واستشهد جماعة من المسلمين. وخرج إليهم أهل المدينة وصاروا فرقتين، فرقة مضت مع العربان نحو المنار، وفرقة وقفت تقاتل الفرنج بالغراب. وخرجت الباعة والصبيان وصاروا في لهو، وليس لهم اكتراث بالعدو. فضرب الفرنج عند ذلك نفيهم. فخرج الكمين وحملوا على المسلمين حملة منكرة. ورمى الفرنج من المراكب بالسهم، فانهزم المسلمون، وركب الفرنج أقيمتهم بالسيف. ونزل بقيتهم إلى البر فملكوه، بغير مانع، وقدموا مراكبهم إلى الأسوار، فاستشهد خلق كثير من المسلمين، وهلك منهم في الازدحام عند عبور باب المدينة جماعة، وخلت الأسوار من الحماة، فنصب الفرنج سلام ووضعوا السور، وأخذوا نحو الصناعة، فحرقوا ما بها، وألقوا النار فيها، ومضوا إلى باب السدرة، وعلقوا الصليب عليه، فانحشر الناس إلى باب رشيد، وأحرقوه، ومروا منه على وجوههم، وتركوا المدينة مفتوحة بما فيها للفرنج، وأخذ الأمير جنغرا ما كان في بيت المال، وقاد معه خمسين تاجرا من تجار الفرنج كانوا مسجونين عنده، ومضى هو وعمامة الناس، إلى جهة دمنهور، فدخل وقت الضحى من يوم الجمعة، ملك قبرص - واسمه رُبَيْر بطرس بن ريوك - وشق المدينة وهو راكب، فاستلم الفرنج الناس بالسيف، ونهبوا ما وجدوه من صامت وناطق، وأسروا وسبوا خلائق كثيرة، وأحرقوا عدة أماكن، وهلك في الزحام، بباب رشيد، ما لا يقع عليه حصر، فأعلن الفرنج بدينهم، وانضم إليهم من كان بالثغر من النصارى، ودلوه على دور الأغنياء، فأخذوا ما فيها، واستمروا كذلك، يقتلون، ويأسرون، ويسبون، وينهبون، ويحرقون، من ضحوة نهار الجمعة إلى بكرة نهار الأحد، فرفعوا السيف، وخرجوا بالأسرى والغنائم إلى مراكبهم، وأقاموا بها إلى يوم الخميس ثامن عشرينه، ثم ألقوا، ومعهم خمسة آلاف أسير، فكانت إقامتهم ثمانية أيام. وكانوا عدة طوائف، فكان فيهم من البنادقة أربعة وعشرون غرابا، ومن الجنوبية غرابين، ومن أهل رودس عشرة أغربة، والفرنسيس في خمسة أغربة، وبقية الأغربة من أهل قبرص. وكان مسيرهم، عند قدوم الأمير يلبغا، بمن معه، فلما قدم عليه الأمير قطلوبغا المنصوري، لم يجد معه سوى عشرين فارسا، وعليه إقامة مائة فارس، فغضب عليه، ووجد الأمر قد فات، فكتب بذلك إلى السلطان، فعاد إلى القلعة، وبعث بابن عرام، نائب الإسكندرية على عادته، فأمر الأمير يلبغا بمواراة من استشهد من المسلمين، ورم ما احترق، وغضب على جنغرا وهدده، وعاد فأخذ في التأهب لغزو الفرنج. وتبعت النصارى، فقبض على جميع من بديار مصر، وبلاد الشام

وغيرهما من الفرنج، وأحضر البطريق والنصارى، وألزموا بحمل أموالهم، لفكك أسرى المسلمين من أيدي الفرنج، وكتب بذلك إلى البلاد الشامية، وتتبع ديارات النصارى، التي بأعمال مصر كلها، وألزم سكانها بإظهار أموالهم وأوانيهم، وعوقبوا على ذلك.

فكانت هذه الواقعة، من أشنع ما مر بالإسكندرية من الحوادث، ومنها اختلت أحوالها، واتضع أهلها، وقلت أموالهم، وزالت نعمهم. وكان الناس فى القاهرة، منذ أعوام كثيرة، تجرى على ألسنتهم جميعا: «فى يوم الجمعة تُؤخذ الإسكندرية»، فكان كذلك. ومر من خرج من الإسكندرية فى وقت الهزيمة، من العربان بلاء لا يوصف.

ولما استقر الأمير يلبغا، بعد عوده من الإسكندرية، أشار بالقبض على الأمير قطلوبغا المنصورى، فقبض عليه، ونفى إلى الشام. وأنعم على الأمير أرغون الأزقى، بتقدمته. واستقر الأمير يعقوب شاه الياقوتى حاجبا، عوضا عن قطلوبغا المنصورى. واستقر الأمير طشتمر الحسنى، أمير آخور، عوضا عن يعقوب شاه.

وأخذ الأمير يلبغا، فى تجهيز مولاي حلى، بعد عوده من الحج، للسفر إلى بلاده. وخلع عليه السلطان فرجية حرير أطلس أحمر، من تحتها تحتانية أطلس أصفر، وعلى الفرجية تركية زركش، وطوق بعنبرانية. وألبس طرحة عن عمامته، وقلد بسيف محلى بالذهب فى يوم الخميس، ثامن عشرين صفر. وسافر، فمات على تروجة، فى أوائل شهر ربيع الأول.

وفيه قدم تاج الدين عبد الوهاب بن السبكي قاضى دمشق باستدعاء. وقد شكى، وأمر بالكاف عليه.

وقدم الخير بكثرة فساد أولاد الكنز^(١)، وطائفة العكارمة^(٢) بأسوان، وسواكن^(٣) وأنهم منعوا التجار، وغيرهم من السفر؛ لقطعهم الطريق، وأخذهم أموال الناس. وأن أولاد الكنز قد غلبوا على ثغر أسوان، وصحرا عيذاب^(٤) وبرية الواحات الداخلة.

(١) قبيلة تنسب إلى كنز الدولة، وقد دخلت بلاد النوبة وحكمتها.

(٢) بطن من الأرس من القحطانية، ومساكنهم بجوار منفلوط من صعيد مصر.

(٣) سواكن: مدينة بقرب جزيرة عيذاب، وهى ذات مرسى، ومنها تسير السفن إلى مدينة سواكن، وهى مدينة عامرة فى ساحل بلاد البحاة وبلاد الحبشة. انظر معجم البلدان ٣/٢٧٦، والروض المعطار ٣٣٢، وتقويم البلدان ٣٧٠، ونخبة الدرر ١٥١.

(٤) عيذاب: مدينة فى أعلى الصحراء المنسوبة إليها فى ضفة البحر الملح، ومنها الجحاز إلى حدة، وعرضه مجرى يوم وليلة. انظر معجم البلدان ٤/١٧١، والروض المعطار ٤٢٣، ٤٢٤، نزهة المشتاق ٤٩، وابن الوردى ٣٦.

وصاهروا ملوك النوبة، وأمراء العكارمة، واشتدت شوكتهم. ثم قدم ركن الدين كرنيس من أمراء النوبة، والحاج ياقوت ترجمان النوبة، وأرغون مملوك فارس الدين، برسالة ممتلك دمقلة^(١)، بأن ابن أخته خرج عن طاعته، واستنجد ببنى جعد من العرب، وقصدوا دمقلة فاقتلوا قتالا كثيرا، قتل فيه الملك وانهزم أصحابه. ثم أقاموا عوضه في المملكة أخاه، وامتنعوا بقلعة الدو فيما بين دمقلة وأسوان. فأخذ ابن أخت المقتول دمقلة، وجلس على سرير المملكة، وعمل وليمة، جمع فيها أمراء بنى جعد، وكبارهم، وقد أعد لهم جماعة من ثقاته؛ ليفتكوا بهم، وأمر فأخليت الدور التي حول دار مضيفهم، وملاها حطبا. فلما أكلوا وشربوا، خرج جماعة بأسلحتهم، وقاموا على باب الدار، وأضرم آخرون النار في الحطب، فلما اشتعلت، بادر العريان بالخروج من الدار، فأوقع القوم بهم، وقتلوا منهم تسعة عشر أمير في عدة من أكابريهم. ثم ركب إلى عسكريهم، فقتل منهم مقتلة كبيرة، وانهزم باقيهم، فأخذ جميع ما كان معهم، واستخرج ذخائر دمقلة وأموالها، وأخلاها من أهلها. ومضى إلى قلعة الدو، فوقع الاتفاق بينه وبين ممتلكها، على أن يكون نائبا ويستقر الملك لصاحب الدو، وسألا أن ينجدهما السلطان، على العرب، حتى يستردوا ملكهما، والتزما بحمل مال في كل سنة إلى مصر. فرسم بسفر الأمير أقمتر عبد الغنى، حاجب الحجاب، ومعه الأمير ألبجى أحد أمراء الألوفاً وعشرة أمراء عشرات، وثمانية أمراء طبلخاناه منهم أمير خليل بن قوصون، وأسندم حروفوش الحاجب، ومنكوثر الجاشنكير، ودقماق بن طنجي، وبكتمر شاد القصر، وأمير موسى بن قرمان، وأمير محمد بن سرطقطاي، في عدة من المماليك السلطانية، وأخذوا في تجهيزهم من سادس عشر شهر ربيع الأول. وساروا في رابع عشرينه، وهم نحو الثلاثة آلاف فارس، فأقاموا بمدينة قوص ستة أيام، واستدعوا أمراء أولاد الكنز من ثغر أسوان ورجبهم في الطاعة، وخوفوهم عاقبة المعصية، وأمنوهم. ثم ساروا من قوص، فأنتهم أمراء الكنوز طائعين عند عقبة أدفو^(٢)، فخلع عليهم الأمير أقمتر عبد الغنى، وبالغ في إكرامهم. ومضى بهم إلى أسوان، فخيم بظاهرة من البر الغربي، أربعة عشر يوما، ونقل ما كان مع العسكر في المراكب من الأسلحة وغيرها على البر، حتى قطعت الجنادل إلى قرية بلاق^(٣). فأكمل نقل

(١) دمقلة - أو دنقلة - في غربي النيل على ضفته، وهي قاعدة ملك النوبة، وأهلها سودان، ومن النيل يشرب أهلها - وبين دمقلة وعمل مصر أربعون يوما. انظر معجم البلدان ٤٧٠/٢، والروض المعطار ٢٣٦، ٢٣٧، والإدريسى ١٩، وصبح الأعشى ٢٧٥/٥، والبكري ٥٩.

(٢) اسم قرية بصعيد مصر الأعلى، بين أسوان وقوص. انظر معجم البلدان ١٢٦/١.

(٣) بلد في آخر عمل الصعيد وأول بلاد النوبة كالحمد بينهما. انظر معجم البلدان ٤٧٨/٢.

الأسلحة، والغلال، وغير ذلك، وطلعت المراكب من الجنادل، وأصلح ما فسد منها فى طلوعها من الجنادل، وصارت من وراء الجنادل، وشحنت بالأسلحة والغلال، وبقية الأزواد، والأمتعة، ومرت فى النيل. وسارت العساكر، تريد النوبة، على محازاتها فى البر، يوما واحدا، وإذا برسل متملك النوبة قد لاقتهم، وأخبروهم بأن العرب قد نازلوا الملك، وحصره بقلعة الدو. فبادر الأمير أقتمر عبد الغنى لانتقاء العسكر، وسار فى طائفة منهم جريدة، وترك البقية مع الأتقال. وجد فى سيره، حتى نزل بقلعة أبريم، وبات بها ليلته، وقد اجتمع بملك النوبة، وعرب العكارمة، وبقية أولاد الكنز، ووافاه بقية العسكر. فدبر مع ملك النوبة على أولاد الكنز، وأمراء العكارمة، وأمسكهم جميعا. وركب متملك النوبة فى الحال، ومعه طائفة من المماليك. ومضى فى البر الشرقى إلى جزيرة ميكائيل، حيث إقامة العكارمة. وسار الأمير خليل بن قوصون فى الجانب الغربى، ومعه طائفة، فأحاطوا جميعا بجزيرة ميكائيل عند طلوع الشمس، وأسروا من بها من العكارمة، وقتلوا منهم عدة بالنشاب والنفط. وفر جماعة نجا بعضهم، وتعلق بالجبال وغرق أكثرهم. وساق بن قوصون النساء والأولاد، والأسرى والغنائم، إلى عند الأمير أقتمر، ففرق عدة من السبى فى الأمراء، وأطلق عدة، وعين طائفة للسلطان. ووقع الاتفاق على أن يكون كرسى ملك النوبة بقلعة الدو؛ لخراب دمقلة، كما مر ذكره، ولأنه يخاف من عرب بنى جعد أيضًا إن نزل الملك بدنقلة أن يأخذوه. فكتب الأمير أقتمر عبد الغنى محضرا برضاء ملك النوبة بإقامته بقلعة الدو، واستغناؤه عن النجدة، وأنه أذن للعسكر فى العود إلى مصر. ثم ألبسه التشريف السلطانى، وأجلسه على سرير الملك بقلعة الدو، وأقام ابن أخته بقلعة أبريم. فلما تم ذلك جهز ملك النوبة هدية للسلطان، وهدية للأمير يلبغا الأتابك، ما بين خيل، وهجن، ورقيق، وتحف. وعاد العسكر ومعهم أمراء الكنز، وأمراء العكارمة فى الحديد. فأقاموا بأسوان سبعة أيام، ونودى فيها بالأمان والإنصاف من أولاد الكنز. فرفعت عليهم عدة مرافعات، فقبض على عدة من عبيدهم ووسطوا. ورحل العسكر من أسوان، ومروا إلى القاهرة، فقدموا فى ثانى شهر رجب، ومعهم الأسرى، فعرضوا على السلطان، وقيدوا إلى السجن، وخلع على الأمير عبد الغنى، وقبلت الهدية.

وفىها حدثت وحشة بين السلطان أويس متملك بغداد وتوريز، وبين نائبه ببغداد، خواجا مرجان، فعصى عليه مرجان، وخطب ببغداد للسلطان الملك الأشرف. وبعث رسله بذلك، فقدموا فى أوائل جمادى الأولى، ومعهم كتابه بأنه قد خلع أويس، وأقام الخطبة، وضرب السكة باسم السلطان الأشرف، وأخذ له البيعة على الناس ببغداد،

وعزم على محاربة أويس وأنه نائب السلطان ببغداد، إن نصره الله عليه، وإن تكن الأخرى قدم إلى أبواب السلطان. فأكرمت رسله، وجهز له تشریف جليل وأعلام خليفية وأعلام سلطانية، وكتب له تقليد بنيابة بغداد، وجهز أيضاً عدة خلع لأمرائه وأكابر دولته، وخلع على رسله، وأعيد.

وفي يوم الخميس ثالث عشره: خلع على تاج الدين عبد الوهاب بن السبكي، وأعيد إلى قضاء دمشق على عادته، وسافر في ثالث عشرينه، وهذه ولايته الثالثة.

وفي هذه المدة: اهتم الأمير يلبغا الأتابك بعمل الشوانى البحرية لغزو الفرنج، فجمع من الأخشاب والحديد والآلات ما يجمل وصفه، وشرع النجارون فى عملها بجزيرة أروى المعروفة بالجزيرة الوسطى^(١)، وتولى عملها الوزير فخر الدين ماجد بن قزوينه، فقام فى ذلك أتم قيام، وبذل همته، واستفرغ وسعه، وتصدى له ليلاً ونهاراً، واستقر شاد العمل الأمير علاء الدين طيغنا العلاءي أستاذار الأمير يلبغا، وناظر العمل بهاء الدين بن المفسر، فقدم للعمل مائة شينى، ما بين غراب وطريدة، برسم حمل الخيل، فكان أمراً مهولاً. ونودى بالقاهرة ومصر بحضور البحارة والنفاطة، ومن يريد الجهاد فى سبيل الله، إلى بيت الأمير يلبغا الأتابك للعرض وأخذ النفقة للسفر فى المراكب. فاجتمع عدة من المغاربة رجال البحر، وكتب أسماؤهم، وقررت لهم المعاليم، وأقيمت لهم نقباء، وقاموا فى مساعدة صناع المراكب. وكتب إلى طرابلس، ونحوها من بلاد الساحل، بإنشاء مراكب حربية، وجمع رجالها، فكان عملاً جليلاً.

وفي تاسع عشره: قدم الخبز بفرار تجار الفرنج من الإسكندرية فى البحر، فلم يقدر عليهم.

وفي عشرينه: طلب نقباء أجناد الحركة، وألزموا بالألا يخفوا أحداً من أجناد الحلقة، وهددوا إن أخفوا أحدا منهم، فكتب كل نقيب مضافيه وأحضرهم للعرض، فقطع الأمير يلبغا منهم جماعة.

وفي آخره: قدم قاضى تيريز^(٢) فى جماعة برسالة السلطان أويس أن مرجان قد عصى عليه، وأنه قصد المسير لقتاله، فلا يمكن - إذا فر - من دخوله إلى الشام ومصر، فأجيب بما لا يريد، وأنه إن أراد نجدة سيرنا إليه العساكر لنصرته، وأهين رسوله، وأعيد خائباً.

(١) على هامش ط: جزيرة أروى، تعرف بالجزيرة الوسطى.

(٢) تيريز: فى خراسان من عمل أذربيجان. انظر معجم البلدان ١٣/٢، والروض المعطار ١٣٠.

وفي حادى عشر جمادى الآخرة: أنعم على الأمير طيغا العلاى - أستاذار الأتابك يلبغا - بتقدمة ألف، عوضا عن ملككتمر الماردىنى بعد موته. وأنعم على الأمير أئبىك البدرى - أمير آخور يلبغا - بإمرة طبلخاناه، واستقر أستاذار يلبغا عوضا عن طيغا. واستقر الأمير أرغون ططر رأس نوبة كبيراً، عوضا عن ملككتمر الماردىنى.

وفي ثانى عشره: استقر الأمير أرغون الأزقى أستاذار السلطان، عوضا عن أروس الحمودى.

وفي خامس عشره: استقر الشريف بكتمر والى القاهرة فى ولاية الإسكندرية، عوضا عن صلاح الدين خليل بن عرام، وكانت ولاية حرب. فاستقر لبككتمر تيلية بتقدمة ألف، وهو أول من باشرها نيابة سلطنة، وعمل معه حاجب أمير طبلخاناه ووالى حرب إمريه عشرة، وحمسمائة فارس بالثغر.

واستقر الأمير علاء الدين طيغا أستاذار كشلى فى ولاية القاهرة. واستقر عوضه قى ولاية مصر الأمير حسام الدين حسين بن علاء الدين على بن الكورانى.

واستقر ابن عرام فى ولاية الفيوم^(١)، عوضا عن حسين بن الكورانى.

وكان الأمير طيغا الطويل أمير سلاح قد خرج إلى العباسة يتصيد، فبعث الأمير يلبغا إليه مرسوم السلطان فى يوم الثلاثاء ثالث عشره مع الأمير أقبغا العمري الحاجب، بأن يتوجه إلى دمشق نائب السلطنة بها، وحمل معه التقليد والتشريف، فلم يوافق على ذلك، ورد الحاجب ردا غير جميل، وكان الأمير يلبغا بترية ملككتمر الماردىنى مقيما على قبره، فلما بلغه الحاجب جواب الأمير طيغا، غضب، وبعث إليه الأمير أرغون الأسعردى الدوادر، والأمير أروس الحمودى، والأمير أرغون الأزقى، والأمير طيغا العلاى بالتشريف وتقليد النيابة، وأكد عليهما فى ترجيعه عن الفتنة، وإن لم يحض فليقبضوا عليه. فما هو إلا أن مضوا حتى أبعدوا قليلا، فتأخر عدة من مماليك الأمير طيغا العلاى، ومماليك أرغون الأزقى، ووافى الأمير طيغا، فامتنع من إجابتهم إلى السفر، وقال: «ليس بينى وبينهم إلا السيف». فمال إليه أرغون الأسعردى والأمير أروس، وقبضوا على الأمير طيغا العلاى، ففر أرغون الأزقى إلى الأمير يلبغا، وهو بالترية، ثم لحق به الأمير طيغا العلاى، وأخبراه بما وقع، فركب من فوره إلى قلعة الجبل، وأمر فدقت الكوسات حربيا. ولبس السلطان وعامة العسكر السلاح، وركبوا

(١) الفيوم: سبق ترجمتها. انظر معجم البلدان ٢٨٦/٤، والروض المعطار ٤٤٥، والاستبصار

٩٠، والإدريسى ١٤٦، وخطط المقرئى ٢٤٥/١، وابن الوردى ٢٣.

ليلة السبت سبع عشرة، وعمل كمينا فى خلف الجبل، قريبا من قبة النصر. فما طلع الفجر حتى وافى الأمير طيغا الطويل قبة النصر، فاقتتل الفريقان، فاستظهر طيغا الطويل على القوم، وكادت النصر تسم له، فخرج الكمين من ورائه. وعاد الأمير يلبغا، بعد ما أبعد قليلا، فانهزم طيغا الطويل، وتفرق جمعه، فاخفى بالقاهرة.

وعاد السلطان إلى القلعة، ونودى بإخضار من وجد من المنهزمين، وهدد من أخفاهم، فلم يسر إلى القاهرة، والنداء بين يديه، عن بين القصرين - من القاهرة - غير قليل، حتى دله بعض الناس، على طيغا الطويل، فدخل خانكاه بيبرس وأخذه منها، وصعد به القلعة، فقيده وسجن. وظفر أيضا فى آخر النهار بالأمير أروس، وبالأمير أرغون الأسعردى، والأمير كوكنداي أخى طيغا الطويل، والأمير كليم. ثم قبض على الأمير جركتمر السيفى منجك الجوكندار، والأمير أرغون عبد الملك، شاد الشرايجاناه والأمير جمق الشيخونى، والأمير تلك، وأقبعا العمرى البالسى، وقرا السلاح دار، والأمير أزكاه السيفى، وجرجى بن كوكندى، وأزرمق بن مصطفى، وطشتمر العلاى، فحملوا ثغر إلى الإسكندرية فى النيل مقيدين، وسجنوا هناك. وأخرج الأمير حسين بن طوغان الساقى منفيا إلى الشام. وارتجع إقطاع ولدى طيغا الطويل - وهما على وحمزة - وأنعم فى يومه على الأمير طيدمر البالسى، واستقر أمير سلاح عوضا عن طيغا الطويل. واستقر الأمير طيغا البوبكرى المهمندار، دوادارا بإمرة طبلخاناه.

وفى ثانى عشرينه: خلع على الأمير أرغون الأزقى، واستقر أستاذار السلطان، عوضا عن أروس. واستقر الأمير قطلوبغا الشعبانى شاد الشرايجاناه، بإمرة طبلخاناه، عوضا عن أرغون عبد الملك. واستقر الأمير تمرقيا العمرى جوكندار، عوضا عن جركتمر السيفى. وأنعم على كل من الأمير أقبغا الأحمدي المعروف بالجلب، والأمير أسندمر الناصرى بتقدمة ألف.

وفى يوم الأحد خامس عشرينه: نودى بزينة القاهرة ومصر، فزينا أحسن زينة.

وفى يوم الإثنين سادس عشرينه: قدم ثمانية وثلاثين أميرا، منهم أمراء طبلخاناه: أقبغا الجوهري، وأرغون القشتمرى، وأينبك البدرى، وعلى السيفى كئشلى - وإلى القاهرة -، وطغاي تمر العثماني، وألطنبغا العزى، وقجماس السيفى طاز، وأرغون العزى كئك، وقراتمر الحمدي، وأروس بغا الخليلى، وطاجار من عوض، وقطلوبغا العزى، وأقبغا اليوسفى، وألطنبغا الماردينى، ورسالان السيفى - واستقر حاجب الإسكندرية -، وعلى بن قشتمر، وسودون القطلقتمرى، وقطلوبغا الشعبانى وطغاي

تَمُر العزى، ومحمد الترحمان. وبقيتهم أمراء عشرات، وهم ككبغا السيفى وتنبك الأزقى، وأرغون الأحمدي، وأرغون الأرغونى، وسودون الشيخونى، وأزدمر العزى، وأروس النظامى، ويونس العمري، ودَرْتُ بُغا البالسى، وطُرحسن، وقرا بغا الصرغتمشى، وطاز الحسنى، وقمارى الجمالى، ويوسف شاه، وطقبغا العلاى، وفيرعلى، وقرقماس الصرغتمشى وطاجار المحمدى. وخلع على الجميع، وألبسوا الشرايش، ونزلوا جميعا من دار العدل بالقلعة إلى المدرسة المنصورية، بين القصرين من القاهرة، حتى حلفوا كما هى العادة. ثم ركبوا إلى القلعة، وقد أقيمت لهم المغانى، فى عدة مواضع من بين القصرين إلى القلعة، فكان يوما مذكورا، ثم أزيلت الزينة بعد ثلاث من نصبها.

وفى أول شهر رجب: قدم الخير، بوصول رسل الفرنج إلى ميناء الإسكندرية، وأنهم طلبوا رهائن عندهم، حتى ينزلوا من مراكبهم ويؤدوا رسالتهم، فلم تؤمن مكيدتهم. واقتضى الحال إجابتهم، فأخرج من سجن الوالى - المعروف بخزانة شمائل - جماعة وجب قتلهم، وغسلوا بالحمام، وألبسوا ثيابا جميلة، وسفروا إلى الإسكندرية. فأكرمهم النايب، وأشاع أنهم من رؤساء الثغر، وبعث بهم إلى الفرنج، وشيع خلفهم نساء وصبيان، يصيحون، ويكفون، كأنهم عيالهم، وهم يخافون الفرنج عليهم. فمشى ذلك على الفرنج، وعلى أهل الثغر لانتظام حال المملكة، ومُلاك أمرها، وجودة تدبيرها. فتسلم الفرنج الجماعة ونزلت رسلهم من المراكب. وقدموا إلى قلعة الجبل، وقد عدى السلطان إلى سرحة كوم برا بالجيزة، فحملوا إلى هناك. وجلس لهم الأمير يلبغا الأتابك، وقام الأمراء والحجاب بين يديه وأدخلوا عليه فهاهم مجلسه، وطنوا أنه السلطان، فقبل لهم: «هذا مملوك السلطان». فكشفوا عن رؤوسهم، وخرروا على وجوههم يقبلون الأرض، ثم قاموا، ودنوا إليه وناولوه كتاب ملكهم، وقدموا هديته إليه، ففرق ذلك بحضرتهم فيمن بين يديه، واختار منه طشطا وأبريقا من ذهب، وصندوقا لم يعرف ما فيه. وتضمنت رسالتهم، أنهم فى طاعة السلطان ومساعدوه على متملك قبرص^(١)، حتى ترد الأسرى، التى أخذت من الإسكندرية، ويعوض المال. وسألوا تجديد الصلح، وأن يمكن تجارهم من قدوم الثغر، وأن تفتح كنيسة القيامة بالقدس، وكانت قد غلقت

(١) قبرص: جزيرة على البحر الشامى كبيرة القطر مقدارها ستة عشر يوماً، وبها قرى ومزارع وجبال وأشجار وزروع ومواش، وبها ثلاث مدن، ومن قبرص إلى طرابلس الشام مجريان، وبينها وبين ساحل مصر خمسة أيام، وبينها وبين رودس ميلا وإنما سميت قبرص بمدينة هناك تسمى قبرو، وكانت قبرص معظمة فى القديم للوثن المسمى قابرس. انظر معجم البلدان ٣٠٥/٤، والروض المعطار ٤٥٣، ٤٥٤، ونزهة المشتاق ١٩٤.

بعد واقعة الإسكندرية. فأجابهم، بأنه لا بد من غزو قبرص، وتخريبها. ثم أخرجوا، فأقاموا بالوطاق ثلاثة أيام، وحملوا إلى دار الضيافة بجوار قلعة الجبل. فلما عاد السلطان من السرحة، وقفوا بين يديه، وقدموا هديتهم، وأدوا رسالتهم، فلم يجابوا، وأعيدوا إلى بلادهم خائبين.

وفي أول شعبان: أخرج الأمير جركس الرسول شاد العمائر، منفيًا إلى حلب، واستقر عوضه الأمير ناصر الدين محمد بن أقبغا آص في شد العمائر. ورسم بإحضار الأمير قشتمر المنصوري نايب طرابلس، واستقر عوضه الأمير أشقتمر المارديني. واستقر الأمير أسندمر الزيني في نيابة صفد. وكتب إلى الأمير جرجى نايب حلب، أن يسير لأخذ قلعة خرت برت^(١) من ديار بكر^(٢)، وأخذ صاحبها خليل بن قراجا بن دُلغادر مقدم التركمان، فنازل قلعتها نحو أربعة أشهر، وعاد بغير طائل. لمنعتها وحصانتها. ثم إن ابن دلغادر طلب الأمان، فأمن، وقدم إلى القاهرة.

وفيه أخرج الأمير قُطلوبغا العمرى الحاجب، والأمير أحمد بن أبي بكر بن أرغون النايب، بعد ما قطع لسان كل منهما، ونفى إلى الشام.

واستقر سعد الدين بن الريشة، ناظر الدولة. واستقر عوضه في نظر الخزانة الكبرى، فخر الدين بن السعيد. ثم أضيف إلى الفخر بن السعيد نظر البيوت، عوضًا عن تاج الدين موسى بن أبي شاكر.

وتوجه الأمير طبقغا رسولاً إلى قبرص، فأدى رسالته وعاد في أول شهر رمضان.

وفيه رسم بالإفراج عن الأمير طيغا الطويل، فتوجه إليه الأمير خليل بن قوصون، وقدم به في يوم الثلاثاء ثامن، فأخرج إلى القدس، بطالا.

وفيه عزل جمال الدين يوسف بن محمد بن عبد الله بن محمد بن محمود المرداوى^(٣)،

(١) في أقصى ديار بكر من بلاد الروم، بينه وبين ملطية مسيرة يومين، وبينهما الفرات. انظر معجم البلدان ٣٠٥/٢.

(٢) هي بلاد كبيرة، حدها ما غرب من دجلة إلى بلاد الجبل المطل على نصيبين إلى دجلة، ومنه حصن كيفا وأمد وميافارقين. انظر معجم البلدان ٢٩٤/٢.

(٣) يوسف بن محمد بن التقى عبد الله بن محمد بن محمود أبو المحاسن جمال الدين المرداوى. قاض، من فقهاء الحنابلة. من أهل دمشق مولداً ووفاء. تصدر للتدريس والإفتاء في الجامع المظفر، ثم ولي قضاء الحنابلة سبع عشرة سنة وعزل سنة ٧٦٧هـ ومات عن نحو ٧٠ عاماً. نسبته إلى مرده من قرى نابلس. له «الانتصار» في أحاديث الأحكام. و«كفاية المستنفع لأدلة المتنع». انظر القلائد الجوهريّة ٣٦٤ والدرر الكامنة ٤/٤٧٠ والكنبخانة ٣/٢٩٦ والتاج ٢/٥٠٠ والأعلام ٨/٢٥٠.

قاضي الحنابلة بدمشق. واستقر عوضه شرف الدين أحمد بن الحسن بن عبد الله بن محمد بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي، المعروف بابن قاضي الجبل^(١). وعزل جمال الدين محمد بن عبد الرحيم بن علي بن عبد الملك المسلاتي قاضي المالكية بدمشق، واستقر عوضه سري الدين أبو الوليد إسماعيل ابن محمد بن محمد هاني اللخمي الأندلسي وعزل شمس الدين محمد بن الحكري عن قضاء المدينة النبوية، واستقر عوضه شمس الدين محمد بن خطيب أبرود.

وفي يوم عيد الفطر: رسم بالإفراج عن الأمير أرغون الأسعردى، والأمير أروس المحمودى، وبقية الأمراء المسجونين، فأفرج عنهم وأخرجوا إلى الشام متفرقين.

وفي خامسه: قدم رسول الملك أرخان بن عثمان ملك الروم يخبر أنه جهز مائتي غراب بحرية نجدة للسلطان على متملك قبرص، فأجيب بالشكر والثناء، وأنه لا يتحرك حتى تقدم من ديار مصر الشوانى.

وقدم الخبر بمسير السلطان أويس من توريذ إلى بغداد، وقبضه على خواجا مرجان وسمل عينيه، وحبسه. وأن حيار بن مهنا^(٢)، لما خرج عن الطاعة، ثم فر إلى العراق، وطردت عربيه من بلاد الشام، خدم أويس زيادة على سنتين، حتى خالف عليه خواجا مرجان ببغداد، وقبض عليه، فر منه بعض أمرائه إلى حيار. فلما طلبه منه أويس، لم يبعث به إليه، فبعث أويس يطرده من بلاده. فسار عنها، وسأل الأمير عمر شاه، نائب حماة^(٣)، أن يشفع إلى السلطان فيه، ويسأله رد إقطاعه إليه. فكتب بذلك عمر شاه، فأجيب إلى قبول شفاعته، وأن يجهزه إلى الأبواب السلطانية صحبتته. فقدم الأمير عمر شاه، ومعه الأمير حيار فى يوم الخميس خامس عشره. وقدم عقيب ذلك رسول السلطان أويس بطلب الأمير الذى فر إلى حيار وألا يمكن أحدا فر من مملكته أن يعير

(١) أحمد بن الحسن بن عبد الله بن قدامة جمال الإسلام، شرف الدين ابن قاضي الجبل: شيخ الحنابلة فى عصره. أصله من القدس، ومولده ووفاته فى دمشق. طلب إلى مصر فدرس فى مدرسة السلطان حسن، وعاد إلى دمشق فولى بها القضاء سنة ٧٦٧هـ وتوفى وهو قاض. له مصنفات، منها «الفاثق»، فى فروع الفقه. انظر القلائد الجوهريه والدارس ٤٤/٢ والدرر الكامنة ١٢٠/١ والأعلام ١١١/١.

(٢) حيار بن مهنا بن عيسى من آل فضل، من طيىء: أمير بادية الشام. آلت إليه الإمارة بعد موت أخيه فياض سنة ٧٦٢هـ وكان مواليا لسلطين مصر والشام وتابعا فنقض طاعتهم سنة ٧٦٥هـ وابتعد فى القفر. انظر ابن خلدون ٤٣٩/٥ والدرر الكامنة ٨١/٢ والأعلام ٢٨٩/٢.

(٣) حماة: سبق ترجمتها. انظر معجم البلدان ٣٠١، ٣٠٢، الروض المعطار ١٩٩، صبح الأعشى

الشام ومصر، فلم يجب إلى قصده. وخلع على حيار وولده الأمير نعيم^(١)، وخواصه، وأعيد إلى الأمرة، وخلع على الأمير عمر شاه، وأعيدوا إلى محل ولايتهما.

وفي أول ذي القعدة: قدم رسول متملك ماردين بأن بيرم خجا التركمانى قد تغلب على الموصل منذ سنين، وبلغ عسكره نحو الثلاثين ألفا. فلما أخذ السلطان أويس نايه مرجان بعث إلى الموصل جيشا، ففر منه بيرم خجا إلى بلاد العجم، وملكها أويس، وقد عزم على أخذ ماردين، ومتى ملكها تعدى منها إلى حلب. وطلب نجدة، فخرج من يكشف عن هذا الأمر.

وقدمت أيضًا رسل متملك جنوة بستين أسيرًا من أهل الإسكندرية، وهديّة للسلطان وللأمير يلبغا. وذكر أن هذه الأسرى كانت نصيبه، واعتذر بأنه لم يعلم بواقعة الإسكندرية إلا بعد وقوعها، وأنه مستمر على الصلح، ومتى قدر على أخذ متملك قبرص قبضه وقتله. فقبلت هديته وأثنى الأسرى عليه خيرا، وأن متملك قبرص لما عاد من الإسكندرية، قسم ما غنمه منها بين ملوك الفرنج، وبعث بهؤلاء إلى متملك جنوة، فعرضهم وتغمم لهم، وأحسن إليهم، وكساهم، وأجرى لهم الرواتب حتى بعث بهم.

وفيه استقر الأمير حسام الدين حسين بن الكوراني والى القاهرة. واستقر الأمير الأكر الكشلاوى نايب الإسكندرية. ونقل الشريف بكتمر منها إلى ولاية البر بالشام.

وقدم وزير متملك اليمن بهدية من جملتها فيل.

واستجد السلطان واليا بأسوان على إقطاع أولاد الكنز، ولم يعهد مثل ذلك فيما سلف. وخلع على الحسام المعروف بالدم الأسود، وسلمه أولاد الكنز المسجونين بالقاهرة. وسار إلى قوص فسمرهم جميعا، ومضى بهم مسمرين من قوص إلى أسوان، ووسطهم بها. فشق ذلك على أولادهم، وعبيدهم، واجتمعوا مع العكارمة، وأتوا فى جمع كبير إلى أسوان. فلقبهم الدم الأسود وقتلهم، فهزموه، وجرحوا عدة من مماليكه، ومالوا على أهل أسوان، يقتلون وينهبون، ويحربون الدور، ويحرقون بالنار، حتى أفنوا عدة من الناس، وأسروا النساء، وفعلوا كما فعلت الفرنج بالإسكندرية.

وفيهما قام بمملكة اليمن الملك الأفضل عباس بن المجاهد على بن المؤيد هزبر الدين

(١) محمد بن حيار بن مهنا بن عيسى بن مهنا بن مانع بن حديثة، شمس الدين، المعروف بنعيم: أمير آل فضل الشام. ولى الإمرة بعد أبيه سنة ٧٧٧هـ. انظر الضوء اللامع ١٠/٢٠٣ وإعلام النبلاء ١٤٧/٥ وصبح الأعشى ٤/٢٠٨ والأعلام ٦/١١١.

داود المظفر يوسف بن عمر بن علي بن رسول^(١)، بعد موت أبيه. واستقر شيخنا ضياء الدين عبد الله بن سعد العفيفي المعروف بقاضي قرم في مشيخة الخانكاه الركنية ببيرس من القاهرة، بعد موت الرضى.

* * *

ومات في هذه السنة من الأعيان

شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد الظاهر المعروف بابن الشرف الحنفى. خطيب جامع شيخو.

ومات الأمير بُطَّا أحد أمراء الطبلخاناه. وقرأ على قبره ألف ختمة بوصيته.

ومات شهاب الدين أحمد بن إبراهيم بن أيوب العيتابى^(٢) الحلبي قاضى العسكر بدمشق. برع فى الفقه وشرح مجمع البحرين والمغنى فى الأصول.

ومات الشيخ خليل الدين بن إسحاق المعروف بابن الجندى الفقيه المالكى^(٣)، صاحب المختصر فى الفقه فى يوم الخميس ثانى عشر شهر ربيع الأول، ودفن خارج القاهرة. أخذ الفقه على مذهب مالك عن الشيخ عبد الله المنوفى، وبرع فيه. وصنف مختصرا فى الفقه على طريقة الحاوى فى الفقه على مذهب الشافعى. وشرح كتاب ابن الحاجب فى الفقه. وتصدر بعد المنوفى بمجلسه من المدرسة الصالحية بين القصرين. وكان يرتزق من إقطاع له بالحلقة، ثم قرره الأمير شيخو فى تدريس المالكية بخانكاته ولم يزل بها حتى مات. وكان عبدا صالحا.

(١) عباس (الملك الأفضل) بن علي (الملك المجاهد) بن داود (المويد) بن المظفر يوسف الرسولى الغسانى الحنفى: من ملوك الدولة الرسولية فى اليمن ومن أكابر المورخين. يلقب ضرغام الدين. ولى الملك بعد وفاة أبيه سنة ٧٦٤هـ وأقام فى زبيد. له تصانيف منها «بغية ذوى الهم فى التعريف بأنساب العرب والعجم». انظر العقود اللؤلؤية ١٥٧/٢ وصبح الأعشى ٣٣/٥ والفهرس التمهيدى ٤٠٨، ٤٤٢ وكشف الظنون ١١٤٢/٢ ودار الكتب ٨٥/٦ والأعلام ٢٦٣/٣.

(٢) أحمد بن إبراهيم بن أيوب: قاضى العسكر فى دمشق. أصله من عيتاب ومولده فى حلب. ووفاته فى دمشق. له «المنبع». انظر تاج التراجم والدرر الكامنة ٨٢/١ والدرر ٤٦٦/١ والأعلام ٨٧/١.

(٣) خليل بن إسحاق بن موسى، ضياء الدين الجندى: فقيه مالكى، من أهل مصر. كان يلبس زى الجند. تعلم فى القاهرة، وولى الإفتاء على مذهب مالك. له «المختصر» فى الفقه و«التوضيح» و«المناسك». انظر الدرر الكامنة ٨٦/٢ وحسن المحاضرة ٢٦٢/١ وآداب اللغة ٢٤١/٣ والديباج المذهب ١١٥ والأعلام ٣١٥/٢.

وتوفى قاضى القضاة عز الدين أبو محمد عبد العزيز بن البدر بن محمد بن إبراهيم ابن سعد الله بن جماعة الكنانى الحموى بمكى، يوم الإثنين ثانى عشر جمادى الآخرة. ومولده فى محرم سنة أربع وتسعين وستمائة بدمشق. سمع الكثير عن جماعة كثيرة، وحدث بأكثر مسموعاته. وقرأ الفقه والحديث، وأفشى، ودرس، وخطب. وولى قضاء القضاة بديار مصر تسعا وعشرين سنة بأحسن سيرة وأجمل طريقة. ثم ترك ذلك تنزهاً وتعظفاً، وجاور بمكة، فقضى بها نحبه. رحمه الله.

وتوفى الملك المجاهد سيف الدين على ابن المؤيد هزبر الدين داود ابن المظفر شمس الدين يوسف بن عمر بن على بن رسول^(١)، متملك اليمن.

وتوفى شمس الأئمة محمود بن خليفة مدرس الحنفية بالمدرسة الناصرية حسن.

وتوفى الرضى شيخ الخانكاه الركنية ببيرس، فى ليلة الجمعة حادى عشرين رجب.

ومات الأمير ملكتمر الماردىنى، رأس نوبة الجمدارية، أحد مقدمى الألوف، فى يوم الأحد حادى عشر جمادى الآخرة.

ومات الأمير أرغون العزى بدمشق.

ومات الأمير أرغون البكتمرى، أحد رعوس النوب.

ومات الأمير أروس العزى أحد الطبلخاناه.

* * *

(١) على بن داود المؤيد بن يوسف المظفر. من ملوك الدولة الرسولية فى اليمن. ولد فى زبيد، وولى الملك بعد وفاة أبيه (سنة ٧٢١ هـ) فأقام سنة وخلعه الأمراء والمماليك ثم مكث أشهر وعاد إلى الحكم. انظر العقود اللؤلؤية ٢/٢ و ٨٣ و ١٢٣ والدرر الكامنة ٤٩/٣ والبدر الطالع ٤٤٤/١ وابن خلدون ٥/١٣٠ والبداية والنهاية ٢٣٧/١٤ والأعلام ٤٢٨٦.

سنة ثمان وستين وسبعمائة

فى يوم الخميس ثالث المحرم: قدمت رسل الملك الأفضل عباس بن المجاهد صاحب اليمن بهدية سنوية على العادة، وهم وزيره شرف الدين حسين بن على الفارقى، وأمير أخوره ناصر الدين. فوقفوا بين يدى السلطان وأدوا رسالتهم ثم أنزلوا فى الميدان الكبير على شاطئ النيل، وقدموا هدية مرسلهم فى يوم السبت خامسه. وفيها فرس ليس له ذكر ولا أنثيين وإنما يبول من ثقب، فقبلت.

وفى تاسع صفر: استقر الأمير طيغاً الطويل فى نيابة حماة. واستدعى الأمير منكلى بغا الشمسى نائب الشام، فقدم فى محفة لتوعك به، فأكرمه السلطان، وخلع عليه.

وفى يوم الخميس ثالث عشرين صفر: خلع على الأمير منكلى بغا الشمسى، واستقر فى نيابة حلب عوضاً عن جرجى الإدريسي. فصارت نيابة حلب أكبر رتبة من نيابة دمشق، وأضيف من عسكر دمشق إلى حلب أربعة آلاف فارس. وخلع على الأمير أقتمر عبد الغنى، واستقر فى نيابة دمشق. وخلع على الأمير طيغى العلامى أستاذار الأمير يلغا الأتابك، واستقر حاجب الحجاب عوضاً عن أقتمر عبد الغنى، ونزل الثلاثة بتشار يفهم من القلعة.

واستقر جمال الدين عبد الله بن نجم الدين عمر بن الجمال محمد بن الكمال عمر ابن أحمد بن هبة الله بن محمد بن هبة الله بن أحمد بن يحيى بن العديم الحنفى فى قضاء الحنفية بحماة، بعد وفاة أمين الدين عبد الوهاب بن أحمد بن وهبان. واستقر جمال الدين عبد الله بن الكمال محمد بن العماد إسماعيل بن التاج أحمد بن سعيد بن الأثير فى كتابة السر بدمشق، عوضاً عن فتح الدين أبى بكر محمد بن عثمان بن إبراهيم بن محمد ابن الشهيد.

ورسم للأمرء جميعاً بأن يسكنوا بقلعة الجبل، على ما جرت به العادة القديمة فى الأيام الناصرية محمد بن قلاوون، فسكن بعضهم.

واستقر شهاب الدين أحمد بن إبراهيم بن عمر المعروف بابن زُبَيْبَة الحنفى قاضياً بالإسكندرية، زيادة على قاضيتها جمال الدين بن الربعى المالكى، ولم يعهد قبل ذلك بالإسكندرية قاضيان.

وفي يوم الإثنين تاسع عشر ربيع الأول: قبض الأمير يلبغا الأتابك على الأمير الطواشى سابق الدين مثقال الأنوكى، مقدم المماليك السلطانية، وضربه نحو ستمائة ضربة بالعصى، وأخرجه إلى أسوان منفياً؛ لكلام نقل له عنه. وولى عوضه الطواشى ظهير الدين مختار المعروف بشاذروان^(١) مقدم المماليك.

وفيه استقر الأمير أرغون الأزقى فى نيابة غزة عوضاً عن الطنبغا البشتكى.

وفي ثانى عشرينه: أخرج الأمير أرغون الأحمدي اللالا مننيا، وأخرج أيضاً الأمير ترمقيا العمري مننيا، فتوجها إلى الشام، وخلع على الأمير أقبغا جلب الأحمدي، واستقر لالا السلطان.

وفيه رسم للأمير طيغا حاجب الحجاب بعرض أجناد الحلقة، فاستدعاهم وجلس لعرضهم جزيرة أروى حيث تعمل الشوانى الحربية، وتشدد عليهم، وقطع منهم جماعة فى عدة أيام، حتى عرض منهم نحو ثلثيهم، ثم كان ما يأتى ذكره. إن شاء الله تعالى.

وفي تاسع عشرينه: استقر الأمير قُطْلُوبُكُ السيفى والى قوص، عوضاً عن الأمير شهاب الدين قرطاي.

وفي هذا الشهر: كملت عمارة الشوانى البحرية، وعدتها مائة قطعة ما بين غربان وطرايد، فاستخدم الأمير يلبغا لها من الرجال ما يكفيها، وجمعهم، ما بين مغاربة وتراكمين وصعايدة، ورتب لهم رعوساء ونقباء، وأنفق فيهم المعاليم المقررة، وشحن الأغرية بالعدد الحربية، وجميع آلات السلاح. فلما تهيأت كلها فرقها الأمير يلبغا على الأمراء، فتسلم كل أمير ما خصه من الشوانى وزينها بأعلامه، وأقام فيها الطبول والأبواق، وأنزل بها عدة من مماليكه وقد ألبسهم آلة الحرب، وأمرهم بالمسير فيها للغزو إذا سارت. ثم ركب السلطان والأمير يلبغا وسائر أمراء الدولة وأعيانها لرؤية الشوانى، وقد كملت وتم أمرها، وتهيأت رجالها، وخرج الناس من أقطار المدينة، وأتوا من كل جهة فى يوم السبت رابع عشرين ربيع الأول. فسار السلطان بعساكره من القلعة إلى جزيرة أروى، وركب الحراقة، وقد امتلأت تلك الأراضى بالناس. فقدمت الشوانى، ولعبت رجالها بالآلات الحربية، كما يفعل عند لقاء العدو، ودقت كوساتها، ونفخت بوقاتها، وأفلتت النفوط، فكان أمراً مهولاً، ومنظراً جميلاً، وأمراً حسناً لو تم. فلما انقضى ذلك، توجه السلطان فى الحراقة حتى نزل من بولاق التكرورى، وخيم بمنزلته من بر الجزيرة على العادة. ومضى الأمير يلبغا لتصيد فى جزيرة القط^(٢)، وأقيم الأمير

(١) شاذروان: فسقية عليها أربعة سباع من الذهب الأحمر تلقى الماء من أفواهاها.

(٢) جزيرة القط هى التى تعرف اليوم باسم جزيرة البدرشين. بمحافظة الجزيرة.

عمر بن أرغون النايب بقلعة الجبل نايب الغيبة، وأقام الأمير طيغنا حاجب الحجاب بجزيرة أروى عند الشوانى لعرض أجناد الحلقة، ثم مضى السلطان يريد الصيد بالبحيرة فنزل الطرانة.

وكان الأمير يلبيغا - لأمر يريده الله تعالى - قد شحت نفسه وساءت أخلاقه فاجتمع مماليكه الأجلاب إلى رعوس النوب، وشكوا ما يلقيه من الأمير يلبيغا وأنه يجفوه، ويهينهم، ويبالغ في معاقبة أحدهم على الذنب اليسير، حتى أنه ضرب عدة منهم بالمقارع، وقطع ألسنة جماعة، وأنهم قد صاروا يدا واحدة، يريدون قتله وقتل من لم يوافقهم على ذلك، فأشار الأكابر منهم عليهم بالتهميل قليلاً حتى يأخذوا ما عند الأمير يلبيغا وحدثوه في شأنهم وانتدب منهم الأمير أسندمر الناصرى، والأمير أقبغا جلب الأحمدي، والأمير قجماس الطازى، والأمير تغرى برمىش العلاى، والأمير أقبغا جركس أمير سلاح، والأمير قرايغا الصرغتمشى، ومضوا إلى الأمير يلبيغا، وحدثوه في أمر المماليك، وسألوه الرفق بهم، فجبههم، ورد عليهم ردًا جافيا، وتهدهم، وحلف بالأيمان الحرجة أنه لا بد من ضرب جماعة من مماليكه بالمقارع، وإشهارهم فى الوطاق. فشق ذلك عليهم وخرجوا من بين يديه وقد توغرت صدورهم. وحدثوا إخوانهم من الممالك بما كان من الأمير يلبيغا، واتفقوا جميعا على الفتك به وتحالفوا على ذلك، ولبسوا سلاحهم فى ليلة الأربعاء خامس ربيع الآخر، وكبسوا مخيم يلبيغا وأحاطوا به ليأخذوه. فمضى إليه بعض خواصه منهم، وأعلمه الخير. فبادر إلى الفرار على فرس وقصد بولاق التكرورى فى نفر من خاصته، وبعث إلى الأمير طيغنا حاجب الحجاب يعلمه بما هو فيه، فلم يشعر الحاجب، وقد جلس بكرة يوم الأربعاء لعرض الأجناد على عادته، وهم منه على تحوف أن يقطعهم كما فعل بغيرهم، إذ جاءه أحد مماليكه يلبغا وأسر إليه طويلا. ثم قام عنه. وقد تغير حاله، فأمر الأجناد بالانصراف، وأبطل عرضهم. وركب إلى داره، فلبس آلة الحرب هو ومماليكه. وعاد إلى الجزيرة، وتقدم بطلب أجناد الحلقة ومن تأخر بالقاهرة من الأمراء، فأتوه فى السلاح، وقد ارتجت القاهرة بأهلها وخرجت العامة من كل موضع إلى الجزيرة، وما حولها، ومنع أرباب المراكب النيلية أن يعدوا بأحد النيل من البرين. وجمعت المراكب كلها إلى بر مصر، وضموا الشوانى الحربية، وألقوا مراسيها فى وسط النيل، وأخرجوا منها رجالها. وتقدم حاجب الحجاب إلى فتح الدين صدقة رئيس الحراقة السلطانية أن يخرج الحراقة الذهبية من بر الجزيرة، ولا يعدى إلا بالسلطان والأمير يلبيغا فقط ومن يصحبهما. وكان الأمير عمر ابن النائب - نائب الغيبة - قد أغلق أبواب القلعة، وألبس من بها من ممالك السلطان السلاح، وأقامهم على الأسوار، واستعد.

وأما يبلغا فإنه سار ليلة من جزيرة القط إلى بولاق التكرورى ، فلم يأتها إلا عند نصف النهار من يوم الأربعاء. فلم يجد مركبا يعدى به النيل إلا الحراقة الذهبية، فعدى فيها، وقد عرفه الرايس صدقة حتى وافى حاجب بالجزيرة، ومن انضم إليه من الأمراء والأجناد، فأكد فى المنع بالتعدية بأحد، من بر الجزيرة. وسار فى جحفل كبير إلى القلعة، فمنعهم نايب الغيبة من دخولها، ورأوا منعها عليهم. من فوقها من المقاتلة، فعاد عنها بجمعه من منزله بالكيش، وظل فيه بقية نهاره، وبات ليلة الخميس، وقد رجع الأمير طيبغا حاجب الحجاب إلى الجزيرة لحراسة المعادى.

وأما المماليك لما بلغهم فرار يبلغا نادوا «من أراد مخدومه يبلغا فليتبعه، ومن أراد السلطان فليقم معنا». فتبع يبلغا طائفة وتأخر أكثرهم، فأسرع القوم إلى من فارقهم وأخذوهم وفيدوهم واقتسموا جميع ما معهم. وتجمعوا بأسرهم عند وطاق السلطان ونزلوا عن خيولهم، ومثلوا بين يديه وقبلوا الأرض، وأعلموه بما كان من يبلغا فى حقهم، وما رده من الكلام الجافى عليهم، وسألوه نصرتهم عليه، فوعدهم بخير، وقوى عزائمهم، فحلفوا له. ثم ساروا به إلى بولاق التكرورى فى ليلة الأربعاء، حتى وافى شط النيل فلم يجد مراكب يعدى بها النيل، فخيم هناك. من معه، ونودى بالإقامة ثلاثة أيام. وكتبت البطايق إلى الإسكندرية ودمياط ورشيد واليرلس على أجنحة الحمام، بقدوم من بها من الأمراء والأجناد المركزين فى اليزك^(١) على العادة لحفظ الثغور من الفرنج. وكتب بحضور من بالوجه القبلى والوجه البحرى أيضاً، فقدموا شيئاً بعد شىء. وأخذ ولاية الجزيرة فى جمع المراكب من شاطئ النيل، فجمعوا منها عدة، ركب بها طائفة فى الليل. وأخذوا كثيراً من الشوانى الحربية التى فى وسط النيل وضموا بها ما بقى منها، وصاروا بها جميعاً إلى بولاق التكرورى، وفيها آلات الحرب، فما طلع النهار، حتى زينت ونصبت عددها، وعمرت بالرجال البحرية والمماليك السلطانية فكأن الأمير يبلغا إنما تعب فيها لتكون مقاتلة له ومزيلة لنعمته، وسالبة للملكه.

فلما كان يوم الخميس: ركب الأمير يبلغا فى عسكر موفور إلى الجزيرة، فبرزت إليه الشوانى من بر الجزيرة، حتى صارت فى وسط النيل، ورمته المماليك السلطانية منها بالسهم، والنفط، فمازال القوم يترامون نهارهم ثم أمر يبلغا فجىء إليه بالخليفة، وأنوك ابن حسين بن محمد بن قلاوون. وطلب يبلغا من الخليفة أن يفوض إليه السلطنة عوضاً عن أخيه شعبان بن حسين، فامتنع الخليفة من ذلك. واحتج بأن الشوكة للأشرف شعبان فأمر يبلغا بالكوسات فدقت، وأقام شعار السلطنة كله، وقال «أنا أعينه وأؤيده.

(١) اليزك: تاتى بمعنى مقدمة الجيش.

ومن الشوكة غيرى؟» فلم يجد الخليفة بدا من سلطنة أنوك، فأقاموه سلطانا، ولقبوه بالملك المنصور، وأركبوه بالشعار السلطاني.

واشتدت الحرب بين الفريقين يوم الخميس وليلة الجمعة. وجلس المنصور أنوك بكره يوم الخميس وبين يديه أرباب الدولة من الأمراء وأرباب الأقالم على العادة. فلما انقضت الخدمة ركب بالعساكر مع الأمير يلغا للحرب. واستمر الرمي من الشوانى طول النهار إلى نصف نهار يوم السبت. ثم نزل عدة من الأشرفية فى أربعة شوانى يريدون جهة الروضة، فندب يلبغا جماعة من أصحابه إلى جهتهم حتى يمنعوهم الصعود إلى البر. ثم خرجت ثلاث طرايد أيضاً ومضت من بولاق التكرورى تريد جهة جزيرة الفيل وشيرا، فسير إليهم يلغا طائفة أخرى تمنعهم النزول إلى البر، ومنهم الأمير طغاي تمر النظامى، والأمير قرابغا البدرى، والأمير طيغا المجدى، فالتقوا قريبا من الوراق^(١). وصار البدرى والنظامى فى جملة الأشرفية، فبعثوا بهما إلى بولاق التكرورى. ونزل الأشرفية إلى ناحية شيرا فى نحو ثلاثة آلاف، فملكوا البر الشرقى.

هذا وأسواق القاهرة طول هذه الأيام مغلقة، والأسباب متعطله، وليس للناس شغل سوى التفرج فى شاطئ النيل على المقاتلين من السلطانية واليلغاوية، وصاروا يلهجون كثير بقولهم: «السلطان الجزيرة ما يساوى شعيرة». يريدون أن أمر أنوك لا يتم، وبهزأون به، وصار الأمير قجماس الطازى يمر فى قارب لطيف ومعه طائفة، حتى يقرب من البر، ويرمى بالنشاب، فيرموه أيضاً ويتسابقوا، وتعصبت العامة للسلطان، وعملوا لهم رايات، وسبحوا النيل إليه، وصاحوا عنده «السلطان منصور» فأخذ أمر يلغا ينحل. فلما قدم البدرى والنظامى على السلطان. وأعلماه بأخذ السلطانية البر الشرقى. وتفرق اليلغاوية فى طلب الشوانى، وأشارا عليه بتعدية النيل. ركب فى بقية الأغرابة بمن معه، ومضى إلى جهة شيرا والعامة تحاذيه من البرين، وتستغيث بالدعاء له. حتى نزل شيرا، والتفت عليه جموعه، فسار يريد القلعة فتسلل أصحاب يلغا عنه، طائفة بعد طائفة. فلم يجد يلغا بدا من الفرار، وتوجه يريد القلعة. وقد فر عنه من كان قد بقى معه من الأمراء، وهم يعقوب شاه، وأرغون ططر، وبيغا العلاى الدوادار، وخليلى بن قوصون وأقبغا الجوهرى، وكمشبيغا، وبيغا شقير، وأينبك. ولحقوا جميعهم بالسلطان، ولم يتأخر مع يلغا سوى علاى الدين طيغا حاجب الحجاب. وكان العامة قد لقبوه قنصا ونسن. وفر مماليكه شيئاً بعد شىء. فأيقن بالزوال. وبعث بسلطان الجزيرة أنوك إلى القلعة، وأصعد بكوساته إلى الطبلخاناه، ونزل عن فرسه تحت الميدان

(١) الوراق، بلدة على شاطئ النيل الغربى قرب إمبابة.

بسوق الخيل، وصلى ركعتين، وحل سيفه من وسطه. وأمر طيغاً حاجب الحجاب أن يمضى به، ثم ركب فرسه ومضى إلى داره بالكبش ولم يبق معه إلا دون المائة فارس، والعامه تهزأ به وتسبه، وترجمه بالحجارة حتى وصل داره.

وقدم السلطان إلى القلعة فى عساكره، وعساكر يلغا، وعالم كبير من العامه. فدخل من باب الإصطبل أول ليلة الأحد، فنزل عند بابه. والكوسات تدق، والعساكر واقفة تحت القلعة فى الرميلىة. ثم أمر بإحضار يلغا، فأحضر إليه فى الحال، مع عدة من الأمراء والمماليك المتوجهين إليه من قبل السلطان، وأحضر معه طيغاً حاجب الحجاب، فحبسوا بالقلعة، فخشيت المماليك منه أن يفرج السلطان عنه، فبيدهم، فصاروا بأجمعهم إلى أكابرهم والأعيان منهم، وهم الأمير أسندمر، والأمير أقبغا جالب، والأمير قجماس. وما زالوا بهم حتى طلبوا من السلطان أن يمكنهم منه، فخلاهم وإياه، فأخرجوه من السجن ومشوا به حتى قرب من باب السلسلة، قدم له فرس ليركبه، فعندما أراد ركوبه، بدره من مماليكه قرأتمُر، ألقى رأسه عن بدنه، واقتحم بقيتهم عليه بسيفهم، حتى أتلغوا شلوه^(١). وحملوا رأسه إلى السلطان، وبين يديه مشعل قد أضرمت ناره وعلا لبه، فألقوا الرأس فى النار، ثم أخرجوه وغسلوه، فعرفه من هنالك بسلعة^(٢) كانت تحت أذنه. وحملت جثته إلى خلف القلعة. فعند ذلك قام السلطان وصعد إلى قصره من القلعة، فأخذ الأمير طاش تَمُر - دوادار يلغا - الرأس، وتبع الجثة حتى وجدها فى ليلته. ثم غسل الجميع، ودفنه بترته المعروفة بترية يلبغا، خارج باب المحروق من القاهرة، وذلك ليلة الأحد عاشر شهر ربيع الآخر. واستمرت الكوسات تدق طول تلك الليلة، والعساكر واقفة تحت القلعة، حتى أصبح نهار الأحد، صعدوا إلى الخدمة بالقلعة، وقد تعين منهم الأمير أقبغا الجلب والأمير أسندمر، والأمير قجماس، وأخذوا فى تدبير أمور الدولة، وقبضوا على الأمير قرابغا البدرى، والأمير يعقوب شاه، والأمير يلبغا الدوادار وقيدوهم وبعثوا بهم، فحبسوا بالإسكندرية، وألزم الأمير خليل ابن قوصون بأن يقيم فى داره بطالا.

هذا وقد امتدت أيدى العامه وأسافل الأجناد إلى بيوت الأعيان فنهبوا بحجة أنهم من حواشى يلغا، حتى شنع الأمر فى ذلك. ونهبوا بيت الأمير فخر الدين ماجد بن قزوينة، وبيوت أزمه وأتباعه، ونهبوا بيت الأمير علاى الدين والى القاهرة. وصار من يريد أن يبلغ عن عدوه ما يريد يقول عنه أنه يلبغاوى، فما هو إلا أن تسمع العامه عنه

(١) الشلوه، العضو من أعضاء اللحم وأشلاء الإنسان أعضاؤه بعد البلى والتفرق.

(٢) زيادة تحدث فى البدن كالغدة، وقد تكون من حمصة إلى بطيخة.

السلوك لمعرفة دول الملوك ٣٠٣
ذلك، وإذا بهم أتوا كأنهم جراد منتشر، فما يعفوا ولا يكفوا. وإن صدفوا فى طريقهم
أحدا سلبوه ثيابه. فحل بالناس من هذا بلاء لا يمكن وصفه، وتخوف كل أحد أن
يصيبه بلاؤهم. فتنهب داره ثم تخرب، وتنفق آلتها فى الأيدى كما فعل بجاره أو
قريبه أو صديقه. فلما تجاوز العامة فى إفسادهم المقدار، ركب الأمير شروط الحاجب،
ومعه الى القاهرة فى عشية النهار، ونودى بالأمان. وأن غريم السلطان قد أمسك،
ومن تعرض لأحد من الناس أو نهب شيئاً حل ماله ودمه للسلطان وشنق، فانكفوا عن
إفسادهم.

وفى يوم الإثنين حادى عشره: جلس السلطان بدار العدل من القلعة على العادة،
وخلع على الأمير قَشْتَمُر المنصورى. واستقر حاجب الحجاب. وخلع على الأمير أَيْذَمُر
الشامى، واستقر مقدم ألف ناظر الأحباس دوادارا كبيراً، وعلى الأمير قجماس
الطازى. واستقر أمير سلاح. وعلى الأمير شروط، واستقر حاجباً، عوضاً عن يعقوب
شاه. وعلى الأمير ناصر الدين محمد بن قمارى. واستقر أمير شكار، عوضاً عن جمال
الدين عبد الله بكتَمُر الحاجب. وخلع على الوزير فخر الدين ماجد بن قزوينه، واستمر
على عادته وقبض على الأمير أرغون العزى، والأمير أرغون الأرغونى، والأمير أزدَمُر
العزى أبو دقن، والأمير يونس العمرى الرماح، والأمير أقبغا الجوهرى، والأمير كمشبُغا
الحموى الأمير نوبة يلغا. وسجنوا بالقلعة ماعدا كمشبُغا الحموى وأقبغا الجوهرى
فإنهما سحنا بخزانة شمایل.

وفى يوم الثلاثاء ثانى عشره: قبض على الأمير أُنْبَيْك البدرى، فصالح عن نفسه بأن
ينفق على الممالك الأجلاب من ماله، فأنفق فيهم، وكانوا ألفاً ومئان مائة مملوك،
أعطى كل مملوك منهم ألف درهم فضة، عنها يومئذ زيادة على خمسين مثقالاً من
الذهب، وحمل مالا جزيلاً إلى الأمراء حتى أعيد إليه إقطاعه.

وفى ليلة الأربعاء ثالث عشره: توجه الأمير تَغْرِى برُمِش بعدة من الأمراء
والممالك المقبوض عليهم إلى الإسكندرية، فسجنوا بها.

وفى الخميس رابع عشره: قدم الأمير أَلْطُنْبُغا البَشْتكى نائب غزة^(١).

وفى ليلة السبت سادس عشره: أخرج كمشبُغا الحموى وأقبغا الجوهرى من
خزانة شمایل، إلى الإسكندرية.

(١) غزة: سبق ترجمتها. انظر معجم البلدان ٤/٢٠٢، ٢٠٣، والروض المعطار ٤٢٨، معجم ما
استعجم ٣/٩٩٧.

٣٠٤ سنة ثمان وستين وسبعمائة

وفي يوم السبت: المذكور خُلع على الأمير طيدمُر البالىسى واستقر أستاذار، وأنعم على الأمير قرابغا الصرغتمشى أحد العشرات بتقدمة ألف.

وفي عشرينه: خلع على الأمير أَسْتَبْغا القوصونى، واستقر لالا عوضا عن أقبغا الأحمدى، واستقر قراقرم المحمدى خازندار عوضا عن ملكتمُر المحمدى.

وفيه قدم الطواشى سابق الدين مثقال الآنوكى من قوص^(١)، فقربه السلطان وأكرمه.

ونودى فى الناس «من قطع طبيغا حاجب الحجاب خبزه وقت العرض فليحضر ويأخذه». فاجتمع كثير منهم فى دار الأمير قَشْتَمُر حاجب الحجاب فرد إليهم أخبازهم. وفيه كثرت المرافعات على الأمير أَيْنَبِك، فرد إلى جماعة كبيرة ما كان أخذ منهم فى أيام يلبغا.

وفي يوم الخميس ثانى عشر جمادى الأولى: خلع على الوزير فخر الدين ماجد^(٢) ابن قزوينة، ولم يقدر على أخويه سعد الدين وعلم الدين إبراهيم. وعزل الأمير علاء الدين على بن كلفت شاد الدواوين، وقبض عليه وعلى أخيه زين الدين رجب. وخلع على فخر الدين ماجد - ويدعى عبد الله بن التاج موسى، ويدعى مالك الرق، ابن أبى شاکر كاتب الأمير يلبغا، واستقر فى الوزارة ونظر الخاص، عوضا عن الفخر بن قزوينة. وخلع على الأمير صلاح الدين خليل بن عرام، واستقر شاد الدواوين، وسُلم ابن قزوينة للأمير قرابغا الصرغتمشى ليستخلص أمواله.

وفي سادس عشره: خلع على الطواشى سابق الدين مثقال الآنوكى، واستقر مقدم المماليك على عادته.

وفي يوم الخميس تاسع عشره: نزل جماعة الأمراء من القلعة إلى المدرسة المنصورية، فحلفوا بها، وخلع عليهم بالشرابيش على العادة، وركبوا إلى القلعة، وقد زينت القاهرة لهم، فكان يوما مشهودا.

وفيه نُقل الأمير علاء الدين وإلى القاهرة إلى ولاية مصر، واستقر عوضه فى ولاية

(١) هى مدينة عظيمة واسعة قسبة صعيد مصر، بينها وبين القسوطاط اثنا عشر يوما. انظر معجم البلدان ٤٧٢/٢.

(٢) ماجد (فخر الدين) بن موسى (تاج الدين) بن أبى شاکر، الصاحب القبطى المصرى: وزير. كان صاحب ديوان «يلبغا» العمرى بمصر. وولى الوزارة فى دولة «الأشرف» ثلاث مرات. وتوفى بالقاهرة. انظر الدرر الكامنة ٢٧٤/٣ والنجوم الزاهرة ١٣٢/١١ والأعلام ٢٥٠/٥.

القاهرة الشريف بكتُّمُر، فُسر الناس بعزله وزوال دولة يلبغا، وقبض ابن قزوينة، وأبقوا الزينة يومهم كله.

وفي ثامن عشره: قدمت رسل متملك جنوة من بلاد الفرنج، يسأل أن تمكن تجارهم في القدوم إلى الإسكندرية على عادتهم، فأجيبوا إلى ذلك.

وفي يوم الخميس سادس عشر شهر رجب: ركب الأمراء للحرب بالسلاح ووقفوا تحت القلعة، وكان قد أشيع أن الأجلاب اليلبغاوية يريدون الحرب، وقبض الأمراء، وأول ما بدأوا به أن قبضوا على الأمير قرابغا الصرغتمشى وحبسوه، وأقاموا على تخوف، هذا وقد تفاحش أمر الأجلاب بحيث سلبوا الناس في الطرقات، وهجموا الحمامات على النساء، وأخذوهن بالقهر، وقصدوا أرباب الأموال بالأذى، حتى شمل الخوف الناس.

فلما كان يوم الثلاثاء حادى عشرينه: ركب الأمير تغرى برمش للحرب في جماعة كبيرة من الأجلاب، فركب الأمراء لحربهم، وقبضوا على تغرى برمش المذكور، وعلى الأمير أئبئك البدرى، والأمير قرابغا العزى، والأمير مُقبَل الرومى، وإسحاق الرجبى، وبعثوا بهم إلى الإسكندرية، وقبضوا أيضاً عدة من الأجلاب ونفوهم من أرض مصر.

وفي سادس عشرينه: أنعم على الأمير أقطاي بتقدمة ألف، وعلى الأمير قطلوبغا جركس بتقدمة ألف، وكان الأمير أسندمر قد صار في رتبة أستاذه يلبغا، وإليه تدبير أمور الدولة، وعنه يصدر ولاية أربابها وعزهم، وسكن في دار يلبغا بالكبش.

فلما كان يوم الأحد سابع شوال: بلغ الأمير أسندمر أن جماعة من الأمراء قد اتفقوا على الفتك به وبالأجلاب، وهم أعضاده وبهم وصول. فخرج ليلاً من داره إلى دار الأمير قجماس الطازى، وبذل له مالا كبيرا حتى استماله إليه. ثم فارقه، وفي ظنه أنه قد صار معه، ولم يكن كذلك. وعاد إلى منزله بالكبش واستدعى خواصه من اليلبغاوية، وقرر معهم أنه إذا ركب للحرب يقتل كل واحد منهم أميراً، أو يقبض عليه، وبذل لهم مالا كبيرا حتى وافقوه، وما هو إلا أن خرج أسندمر من عند قجماس ليدير ما قد ذكر مع الأجلاب. ركب قجماس إلى جماعة من الأمراء، وقرر معهم القبض على أسندمر، فركبوا معه للحرب، ووقفوا تحت القلعة، فنزل السلطان في الحال إلى الإصطبل، ودقت الكوسات حربيا.

وأما أسندمر فإنه بات هذه الليلة في إصطبله، حتى طلعت الشمس؛ ركب من

الكبش بمن معه من اليلبغاوية وغيرهم، ومضى نحو القرافة، ومر من وراء القلعة، حتى وافهم من تحت دار الضيافة، ووقف تحت الطبلخاناه فالتقى مع الأمراء، واقتتلوا فهزمهم. بمن كان قد دبر معهم من اليلبغاوية فى الليل قبض الأمراء أو قتلهم. وثبت الأمير أَلجَى اليوسفى والأمير أرغون ططر، وقتلوا أسندمر إلى قبيل الظهر، فلما لم يجد معيناً ولا ناصرًا انكسرا إلى قبة النصر، وانفض الجمع بعد ما قتل الأمير شروط الحاجب، وجرح الأمير قجماس والأمير أقبغا الجلب، وكثير من الأجناد والعامه، فقبض الأمير أَسْنَدْمُر على الأمير قجماس، والأمير أقبغا الجلب والأمير أقطاي، والأمير قُطْلُوبغا جركس، وهؤلاء أمراء ألوف. وقبض من أمراء الطبلخاناه على قرابغا شاد الأحواش، واختفى كثير من الأمراء. ومرت بماليك أَسْنَدْمُر وطائفة من الأجناب فى خلق كثير من العامه، فنهبوا بيوت الأمراء، فكانت هذه الواقعة من أشنع حوادث مصر وأعظمها فسادا.

وفى يوم الثلاثاء: غد الواقعة، قبض على الأمير أيدمر الشامى الدوادر، فضربه الأمير أَسْنَدْمُر ضربًا مبرحًا، وغنفه على مخالفته عليه. ثم قيده مع بقية من قبض عليه.

وفيه أمسك أيضًا الأمير أَلجَى اليوسفى أحد أمراء الألوف والأمير يلغا شُقَيْر أحد الطبلخاناه، فقيدوا وحمل الجميع إلى الإسكندرية. فسجنوا بها.

وفى يوم الأربعاء: قبض على الأمير طغاي تَمُر النظامى - أحد الألوف - وعلى الأمير أرغون طَطَّر - أحد الألوف - وعلى قُطْلُوبغا الشعبانى. وأيدمُر الخطاى، وتمراز الطازى، وهم من الطبلخاناه. ثم قبض على الأمير أَلطَبغا الأحمدى أحد مقدمى الألوف، وعلى طاجار من عوض، وآسن الناصرى. وقراتَمُر المحمدى، وقرابغا الأحمدى، من الطبلخاناه. وعلى جماعة أخرى، فكانت عدة من قبض عليه أَسْنَدْمُر خمسة وعشرين أميرًا.

وفى يوم الخميس حادى عشرينه: استقر أَزْدَمُر العزى أبو دقن أمير سلاح، وجَرَكَمُر السيفى منجك أمير مجلس، وأَلطَبغا اليلبغاوى أحد العشرات رأس نوبة كبير، وأنعم عليه بإمرة مائة. واستقر قطلو أقتمر العلاى أمير جندار، وسلطان شاه حاجبا ثانيا. وأنعم على بيرم العزى أحد الأجناد بتقدمة ألف، وأعطى إقطاع طغاي تَمُر النظامى، وجميع ماله من خيل ومماليك وقماش ومال وغللال وغير ذلك، واستقر دوادارًا كبيرًا، وخلع عليهم وعلى الأمير خليل بن قوصون، وعلى الأمير قُنُقُ العزى،

والأمير أرغون القَشْتَمُرِي، وعلى محمد بن طَيْطَق العِلاي - واستقر جو كندار - وعلى قَرْمُش الصَّرْغَمْشِي وعلى الأمير مبارك الطازي، والأمير إينال اليوسفي، وعلى الأمير مَلِكْمُر المَحمدي - واستقر خازندار - وعلى الأمير بهادر الجمالي، واستقر شاد الدواوين عوضاً عن ابن عرام، وخلع على ابن عرام واستقر في نيابة الإسكندرية، وأنعم على كل من أرغون المَحمدي الآنوكي الخازن، وبزلار العمري، وأرغون الأَرغوني، ومحمد بن طبقغا الماجاري، وباكيش السيفي بلبغا، وسودون الشيخوني، وأقبغا آص الشيخوني، وكبك الصرغتمشي، وجلبان السعدي، وإينال اليوسفي، وكُمُشْبِغا الطازي، وقُمَارِي الجمالي، وبكْمُمر العلمي، وأرْسَلان خجا، ومبارك الطازي، وتَلَكْمُمر الكشلاوي، وأسبغا العزي، وقطلوبغا الحلبي، ومأمور القلمطاوي، بإمرة طلبخاناة، وارتجع عن أولاد بلبغا الأتابك تقادمهم وأنعم عليهم بطلبخاناة، وأنعم على كل من أَلْطُنْبِغا المَحمودي، وقرايغا الأَحمدي، وكَزَك الأَرغوني، وحاجي بك بن شادي، وعلى بن بكتاش، ورجب بن خضر، وطيطق الرماح، بإمرة عشرة، فكان يوماً مشهوداً.

وقدم الخير باتفاق الأمير طيغنا الطويل نايب حماة^(١)، والأمير أشقتمُر نايب طرابلس^(٢)، على المخامرة، فتجهز الأمير أسندمر الأتابك للسفر، وتقدم بتهيؤ الأمراء، وبعث القصاد للكشف عن ذلك على البريد، فعادوا باستمرار بقية النواب على الطاعة، ماعدا المذكورين. فكتب بالقبض عليهما، فقبضا وقبض معهما على إخوة طيغنا الطويل، وحملوا إلى الإسكندرية^(٣) مقيدين.

واستقر أسندمر الزيني في نيابة طرابلس، وأعيد عمر شاه إلى نيابة حماة في أوائل ذي القعدة، واستقر أرغون الأزقي في نيابة صفد.

واستقر محمد بن أقوش الشجاعى في ولاية الغربية، وعلى العمري، في ولاية

(١) حماة: سبق ترجمتها. انظر معجم البلدان ٢/٣٠٠، ٣٠١.

(٢) طرابلس: مدينة بالشام عظيمة عليها سور صخر منيع ولها رساتيق وأكوار وضياع جلييلة، وتضاف إليها عدة قلاع وحصون داخلية في أعمالها، وحوالي مدينتها أشجار الزيتون. وأيضاً طرابلس: من مدن إفريقية وهي مدينة كبيرة أزيلية على ساحل البحر يضرب في سورها، وقيل تفسير طرابلس ثلاث مدن، وقيل مدينة الناس. انظر معجم البلدان ٤/٢٦٥، والروض المعطار ٣٨٩، ٣٩٠، ونزهة المشتاق ١١٧.

(٣) الإسكندرية: مدينة عظيمة من ديار مصر بناها الإسكندر بن فيليبس فنسبت إليه، وهي على ساحل البحر الملح. انظر معجم البلدان ١/٨٢، ١٨٩، والروض المعطار ٥٤، ٥٥، ٥٦، الاستبصار ٩١ وما بعدها.

الأشمونين، واستقر ببيغا القوصوني أمير آخور عوضا عن أقبغا الصفوى بعد موته. وبلغت زيادة ماء النيل إصبعين من عشرين ذراعا، ثم زاد بعد ذلك، فلم يُتَأَذَى به. ومر بالحاج مشقة وعناء لقلة المياه، وموت فشا فيهم من شدة الحر والعطش.

* * *

ومات في هذه السنة ممن له ذكر من الأعيان

الأمير الطنبغا العزى أحد الطبلخاناه في يوم الإثنين رابع شهر ربيع الآخر. و مات الأمير أقبغا الأحمدى أحد اليلبغاوية ويعرف بالجلب، من أمراء الألوف الذين خامروا على بلبغا. فلم يمتنع بعده.

ومات الأمير أقبغا الصفوى أمير آخور، في يوم الإثنين سابع عشر ذى القعدة. وتوفى بهاء الدين حسن بن سليمان بن أبى الحسن بن سليمان بن ريان، ناظر الجيش، بجلب عن ثمان وستين سنة بدمشق، وقد اعتزل الناس.

وتوفى الشيخ المعتقد عبد الله بن أسعد بن على بن سليمان بن فلاح اليافعى^(١) اليمنى بمكة عن سبعين سنة. وله شعر ومصنفات فى التصوف وغيره.

وتوفى نجم الدين عبد الجليل بن سالم بن عبد الرحمن الحنبلى الأعمى، أحد شيوخ الحنابلة بالقاهرة، فى يوم الخميس تاسع عشرين شهر ربيع الأول، وهو عم الشيخ صلاح الدين محمد بن الأعمى الحنبلى.

وتوفى قاضى حماة أمين الدين عبد الوهاب بن أحمد بن وهبان الدمشقى^(٢) الحنفى، وقد برع فى القراءات والعربية.

(١) عبد الله بن أسعد بن على اليافعى عقيق الدين: مورخ، باحث، منصف، من شافعية اليمن نسبته إلى يافع من حمير ومولده ومنشأه فى عدن. حججه فى ٧١٢هـ وعاد إلى اليمن، ثم رجع إلى مكة سنة ٧١٨هـ وله مرآة الجنان، وغيره، انظر غربال الزمان - كتاب الحج والدرر الكامنة ٢٤٧/٢ والفوائد البهية ٣٣ فى التعليقات وشذرات الذهب ٦/٢١٠ والأعلام ٤/٧٢.

(٢) عبد الوهاب بن أحمد بن وهبان الحارثى الدمشقى أمين الدين: فقيه حنفى، أديب. ولى قضاء حماة، وتوفى نحو الأربعين من عمره. له «قيد الشرائد - خ» منظومة ألف بيت ضممتها غرائب المسائل فى الفقه، و«عقد القلائد - خ» شرح قيد الشرائد. انظر بغية الوعاة ١/٣١ والفوائد البهية ١١٣ والدرر الكامنة ٢/٤٢٣ والخزانة التيمورية ١/١٠ ثم ٣/٣١٨ وشذرات الذهب ٦/١٢١ والزيتونة ٤/١٦٢ والأعلام ٤/١٨٠.

وتوفى نور الدين على الدِميرى، الرجل الصالح، بالقاهرة فى ليلة الإثنين حادى عشرين صفر، أفنى عمره فى تعليم القرآن وبر الفقراء.

وتوفى شرف الدين عيسى الزنكلونى الشافعى، أحد نواب الحكم بالقاهرة فى سابع عشرين رمضان.

ومات تقى الدين محمد بن محمد بن عيسى بن محمود بن عبد الضيف البعلبكى، الشهير بابن الجحد، الشافعى. ولى قضاء طرابلس وحمص^(١) وبعلبك^(٢)، وقدم مصر وبغداد^(٣)، وسمع الحديث، وبرع فى الفقه، وشارك فى عدة فنون.

وتوفى الأديب البارع جمال الدين محمد بن محمد بن محمد^(٤) بن الحسن، بن أبى الحسن بن صالح بن على بن يحيى بن طاهر بن محمد الخطيب، بن عبد الرحيم بن نباتة المصرى، بالقاهرة، فى ثامن صفر؛ ومولده فى ربيع الأول سنة ست وثمانين وستمائة.

وتوفى الوزير صاحب ناظر الخاص فخر الدين ماجد بن قزوينة، الأسلمى تحت العقوبة، فى ثامن جمادى الآخر، وترك بالأهراء السلطانية ما ينيف على ثلاثمائة ألف أردب، وفى النواحي مغلّ سنتين، وكان يحمل إلى الأمير يلبغا بعد تكفية السلطان، وتكفية الأمير يلبغا وصرف الرواتب فى كل شهر، ستين ألف دينار، وكان أميناً عارفاً مهاباً، عمر بيوت الأموال وخزائن الخاص بأنواع الأموال؛ إلا أنه كان كثير الترفع حتى على الأمراء، فعذب عذاباً شنيعاً، وضرب غير مرة بالمقارع، ولفت أصابع يده اليمنى بالمشاق، وغمست فى الزيت ثم أشعلت بالنار حتى احترقت يده كلها، وعمل

(١) حمص مدينة بالشام من أوسع مدنها، ولا يجوز فيها الصرف، سميت برجل من العمالق يسمى حمص، ويقال رجل من عاملة، هو أول من نزلها، ولها نهر عظيم يشرب منه أهلها. انظر معجم البلدان ٣٠٢/٢، والروض المعطار ١٩٨.

(٢) بعلبك: مدينة بالشام بينها وبين دمشق فى جهة الشرق مرحلتان، وهى حصينة فى سفح جبل وعليها سور حصين بالحجارة سعته عشرون شبراً. انظر معجم البلدان ٤٠٣/١، والروض المعطار ١٠٩، ونزهة المشتاق ١١٦، وصبح الأعشى ١٠٩/٤.

(٣) بغداد أم الدنيا وسيدة البلاد. انظر معجم البلدان ٤٥٦/١، ٤٦٧، والروض المعطار ١٠٩، ١١٠، ١١١، ومعجم ما استعجم ٢٦١/١، وابن حوقل ٢١٥، والكرخى ٥٨.

(٤) محمد بن محمد بن محمد بن الحسن الجذامى الفارقى المصرى، أبو بكر، جمال الدين، ابن نباتة شاعر عصره وأحمل الكتاب المترسلين العلماء بالأدب. أصله من ميفارقين، ومولده ووفاته فى القاهرة وهو من ذرية الخطيب عبد الرحيم بن محمد بن نباتة سكن الشام سنة ٧٥١هـ. تقريباً وولى نظارة القمامة بالقدس أيام زيارة النصارى لها وله «سراج الغيوم فى شرح رسالة ابن زيدون طه انظر حسن المحاضرة ٣٢٩/١ والبداية والنهاية ٣٢٢/١٤ وابن إياس ٢٢١/١ والدرر الكامنة ٢١٦/٤ والنجوم الزاهرة ٩٥/١١ وآداب اللغة ١٢٢/٣ والوافى ٣١١/١ والأعلام ٣٨/٧.

٣١٠ سنة ثمان وستين وسبعمائة

فى عنقه الحديد، وصار يمر بالأسواق وهو كذلك على حمار. ويذكر أن فقيراً قدم له فى وزارته فمزقها وطرده، فدعا عليه، وخرج، فلم يمض سوى أيام حتى قبض عليه وعذب إلى أن مات.

وتوفى الأمير تمر تاش العلاى، خازن دار يلبغا، أحد الطبليخاناه، فى يوم الإثنين ثانى عشر ربيع الآخر.

وتوفى الشيخ المُسلِّك يوسف بن عبد الله بن عمر بن على بن خضر الكورانى الكردي العجمى، مُربى الفقراء، فى يوم الأحد النصف من جمادى الأولى، بزأوته من القرافة.

وقتل صاحب فاس^(١) ملك المغرب، أبو زيان بن الأمير أبى عبد الرحمن بن أبى الحسن، فى المحرم، وأقيم بعده عمه عبد العزيز بن أبى الحسن، رحمه الله.

* * *

(١) فاس: سبق ترجمتها. انظر معجم البلدان ٤/٢٣٠، والروض المعطار ٤٣٤، ٤٣٥.

سنة تسع وستين وسبعماية

فى المحرم: استقر الأمير بئدمر الخوارزمى فى نيابة الشام، والأمير منجك فى نيابة طرابلس، عوضاً عن أسندمر الزينى.

وفى أول صفر: ورد الخبر بوصول الفرنج إلى طرابلس، فى مائة وثلاثين مركباً، ما بين شينى^(١) وقرقورة^(٢) وغراب^(٣) وطريدة^(٤)، وشختور^(٥)، عليها متملك قبرص^(٦)، ومتملك رودس، والاسبتار، وكان النائب غائباً، فقاتلهم المسلمون قتالاً شديداً، حتى اقتحم العدو المدينة، ونهبوا من أسواقها، فتحامل المسلمون عليهم واشتدوا فى قتالهم، حتى أخرجوهم بعد ما قتلوا منهم نحو الألف، واستشهد من المسلمين نحو الأربعين رجلاً. فركبوا سفنهم وانقلبوا خايين، فمروا بمدينة إياس^(٧) فى مائة قطعة، فسار إليهم الأمير منكلى بئغا نايب حلب، وقد فر أهل إياس منها، فدخلها الفرنج. فلما قدم نايب حلب جلوا عنها.

وفى يوم الإثنين ثانيه: خلع على ناصر الدين نصر الله بن أحمد بن محمد بن أبى الفتح العسقلانى الكنانى الحنبلى قضاء الحنابلة بديار مصر، بعد وفاة موفق الدين عبد الله بن محمد.

(١) الشينى وجمعه شوانى، من أهم أنواع السفن التى استخدمها المسلمون فى العصور الوسطى اتصف بأكبر الحجم، وما بها من أبراج وقلاع للدفاع والهجوم وكان متوسط ما يحمله الشينى ١٥٠ رجلاً من المقاتلين، ويجدف بمائة مجداف

(٢) القرقور أو القرقورة وجمعها قراقير، نوع من السفن الكبيرة التى كانت تستعمل فى تموين الأسطول والزاد والمتاع والذخيرة وهى متعددة الشرع والصوارى ومنها ما كان يحتوى على ثلاثة ظهور وكانت تحتوى على ساقات قتال فى المقدمة أو فى المؤخرة [سعاد ماهر: البحرية فى مصر الإسلامية ص ٣٦٢ - ٣٦٣].

(٣) الغراب وجمعه أغرب وغربان، نوع من المراكب سمي بهذا الاسم لأن رأسه يشبه رأس الغراب، كان يحمل الغزاة ويسير بالقلع.

(٤) الطراد والطريدة، نوع من المراكب الحربية الخفيفة السريعة الكر والغر.

(٥) الشختور: نوع من السفن الضخمة.

(٦) قبرص: سبق ترجمتها. انظر معجم البلدان ٣٠٥/٤، والروض المعطار ٤٥٣، ٤٥٤، ونزهة

المشتاق ١٩٤.

(٧) إياس مدينة على الشاطئ الجنوبى الشرقى لآسيا الصغرى كان الميناء الرئيسى لمملكة أرمينية الصغرى فى قلقية، وهى المملكة التى وقعت فى ذلك الدور تحت سيطرة المماليك.

وفي يوم الجمعة سادسه: ركب المماليك الأجلاب اليلبغاوية لمحاربة الأمير أسندمُر الناصرى الأتابك، وطلبوه فى أن يسلمهم بىرم وأزدمر أبو دقن، وجرَكتمُر أمير مجلس فى عدة أخرى. فلم يجد بدأ من أن يبعث إلى الأمراء، فلما أتوه قبض على الأمير جرَكتمُر والأمير أزدمُر أبو دقن أمير سلاح، والأمير بىرم العزى الدوادر، والأمير يلبغا القوصونى أمير آخور، والأمير كَبِك الصرغتمُشى الجوكندار، وحملهم مقيدىن إلى الإسكندرية. فلم يقنعهم ذلك، وباتوا بسلاحهم، وغدوا يوم السبت على حربهم، وطلبوا منه خليل بن قوصون، فسلمه إليهم، فافتدى نفسه منهم بمائة ألف درهم، عجل منها ربعها، ورسموا عليه ليقوم بياقيها، وأهانته إهانة بالغة، ونزعوا السلاح، وفى باطنهم غل كثير، ثم تجمع أكابره فى ليلة الأحد واتفقوا على قتل الأمير أسندمُر، وقتل السلطان، وإقامة سلطان غيره، وتحالفوا على ذلك، وركبوا من ليلتهم وقصدوا القلعة، فأمر السلطان بالكوسات، فدقت ليجمع الأمراء والعسكر، وأحضر الأمير خليل بن قوصون، وأركب معه المماليك السلطانية، وهم نحو المائتين، والأجلاب نحو الألف وخمسمائة، ونودى فى القاهرة بركوب أجناد الحلقة، وحضور العامة لقتال الأجلاب. وكانت النفوس قد مقتتهم لقبح سيرتهم، وكثرة شرهم، وزيادة تعديهم. فبادروا إلى تحت القلعة زمراً زمراً، وركب الأمير أسنبغا بن البوبكرى، والأمير قشتمُر المنصورى وغيره، فتناولت العامة الأجلاب بالرجم من كل جهة، وتقدم إليهم المماليك السلطانية والأمراء والأجناد وقتلوهم، فكسروهم. فمضوا فى كسرتهم إلى الأمير أسندمُر بمنزله من الكبش، ومازالوا به حتى ركب معهم فى موكب عظيم، ومر على القرافة، حتى أتى من وراء القلعة، كما فعل فيما تقدم، فلم تثبت له المماليك السلطانية، وانهزمت عند رؤيته، فثبتت العامة وحدها لقتاله، وتقدموا إليه ورموه بالحجارة رمياً متتابعاً، وهو ومن معه يرموهم بالنشاب، فكان بين الفريقين قتال شديد شنيع، قتل فيه جماعة منهما، وطالت المعركة بينهما، فعادت المماليك السلطانية والأمراء، وحملوا هم والعامة على أسندمُر والأجلاب، حملة منكرة، فلم يثبت لهم، وولى الأدبار بمن معه، وامتنع بإصطبله من الكبش وقت الظهر، فقبض من أصحابه على الأمير قرمش الصرغتمشى والأمير أقبغا أص الشيخونى، والأمير أرسلان خُجا، وسجنوا بخزانة شمائل من القاهرة.

وركب الوالى عن أمر السلطان، ونادى بالقاهرة ومصر وظواهرهما، «من قدر على أحد من الأجلاب فله سلبه، ويعطى كذا من المال إذا أحضره»، فاتبعت العامة عند ذلك الأجلاب فى الأزقة والحارات، وأخذوا منهم جماعة، وركب الأمير خليل بن

قوصون إلى الأمير أسندمُر، فأخذه من داره وطلع به إلى القلعة ليقيد ويسجن، فشفع فيه جماعة من الأمراء، وقرروا عليه مالا لينفق في ممالك السلطان، فقبل السلطان شفاعتهم، وخلع عليه، وأقره على حاله، فنزل إلى داره في ليلة الإثنين، ومعه الأمير خليل بن قوصون مُرسماً عليه، حتى يحضر من الغد بالمال. فخدع أسندمُر بن قوصون ووعده بأن يقيمه في السلطنة، فإنه ابن بنت السلطان الملك الناصر محمد^(١) بن قلاوون، فانخدع ابن قوصون ومال إليه وتحالفا على ذلك. فبعث أسندمُر فجمع إليه الأجلاب، وبذل فيهم المال، ووعدهم ومناهم، فما طلع نهار يوم الإثنين حتى ركب أسندمُر وابن قوصون في جمع كبير، ووقفوا تحت القلعة، فعادت الحرب وركب الأمراء والأجناد، وخرج عامة الناس، فكان الأمراء إذا رأوا ابن قوصون بجانب أسندمُر انضموا إليه، ظنا منهم أنه سلطاني. فأمر السلطان فدُقت الكوسات، ونزل إلى الإصطبل بآلة الحرب، فاجتمع إليه الأمراء والماليك السلطانية والعامّة، وبعث إلى أسندمُر وابن قوصون ليحضرا إليه، فامتنعا، وصرحا بأنهما يريدان نزع السلطان من الملك وإقامة غيره في السلطنة لتخمد الفتنة. فلما عاد جوابهما إلى السلطان، بعث ثانياً يخوفهما عاقبة الغدر، فأظهرا أنهما أجابا، وهما بالحضور، ثم سلا سيفيهما، ومرا ليفتكا بالسلطان، وقد ركب ووقف تحت الإصطبل، فتبعهما من معهما من الأجلاب، وهم شاهرون السلاح، ليفعلا فعلهما. فبادر السلطان بالنداء في العامّة «هؤلاء مخامرون فارجموهم». فصاحت العامّة بأجمعهما «مخامرين» ورجموهم بالحجارة، ورمتهم المماليك السلطانية بالنشاب، فلم يكن غير ساعة حتى انكسر أسندمُر وابن قوصون، وقتل عدة من الأجلاب، فأخذتهم العامّة في هزيمتهم، وأتوا بهم إلى السلطان أرسالا وقد نزعوا ثيابهم وكشفوا رعوسهم، ونالوا منهم ما شفى صدورهم. ثم قبضوا على خليل بن قوصون من ناحية المطرية^(٢)، وأتوا به. ثم أخذوا أسندمُر من نحو وادي السدرة تجاه قبة النصر. وقبض على الأمير الطنبغا اليلبغاوي، والأمير سلطان شاه بن قرا، وهما من أمراء الألوفا. وقبض على أحد عشر أميراً سوى هؤلاء من اليلبغاوية، وقيدوا، ومضى

(١) محمد بن قلاوون بن عبد الله الصالح، أبو الفتح من كبار ملوك الدولة القلاوونية. كانت إقامته في طفولته بدمشق، وولى سلطنة مصر والشام سنة ٦٩٣هـ، وهو صبي، وخلع منها لحدائته سنة ٦٩٤هـ فأرسل إلى الكرك. وأعيد للسلطنة بمصر ٦٩٨هـ فأقام في القلعة ثم ترك السلطنة بعد ٢٠ يوماً وأقام في الكرك قريبا من عام ثم زحف إلى مصر فقاتل المظفر بيبرس. انظر مورد اللطافة ٤٤ وابن الوردي ٣٣٠/٢ وفوات الوفيات ٢٦٣/٢ وابن إياس ١٢٩/١ والدرر الكامنة ٤/٤٤٤ والنجوم الزاهرة ٤١/٨، ١٥ والأعلام ١١/٧.

(٢) المطرية من قرى مصر عندها الموضع الذي به شجر البلسان الذي يستخرج منه الدهن. انظر معجم البلدان ١٤٩/٥.

بهم الأمير مَلَكْتُمُر، والأمير الطنبغا العلاى، والأمير درت بغا البالىسى إلى الإسكندرية. ومات فى هذا اليوم الأمير قنق أحد الألو ف.

ونودى فى آخر النهار بالأمان، فلا ينهب أحد شيئاً، فقد ظفر السلطان بغرمائه، فزينوا القاهرة ومصر، فزينتا أحسن زينة، وفرح الناس بزوال دولة الأجلاب.

وفى عاشره: رسم بالإفراج عن الأمير طُغَاى تَمُر النظامى والأمير أُلجَاى اليوسفى، والأمير أَيْدُمُر من صديق. وأنعم على الأمير مَلَكْتُمُر بن بركة، بتقدمة خليل بن قوصون.

وفى ثالث عشره استقر الأمير آقبغا عبد الله دواداراً كبيراً بإمرة طبلخاناه.

وفى يوم الإثنين سادس عشره: استقر الأمير يلبغا آص المنصورى أميراً كبيراً أتاكبك شريكا للأمير تَلَكْتُمُر المحمدى. وأنعم على كل منهما بتقدمة ألف، وأجلسا بالإيوان. واشتد الطلب على المماليك اليلبغاوية، فقبض منهم على نحو الألف، وحبسوا، فبلغ السلطان أن الأميرين يلبغا آص وتلكتُمُر يريدان إخراج المذكورين وسكنى بيت يلبغا فى الكبش، وركوبهما بهم على السلطان وقتله، فبادر وقبض على يلبغا آص من الغد يوم الثلاثاء سابع عشره، وعلى تلكتُمُر المحمدى وجماعة من المماليك، وحمل الأميران إلى الإسكندرية، فسجننا بها.

وفيه قدم الأمير طُغَاى تَمُر النظامى، والأمير أُلجَاى اليوسفى، والأمير أَيْدُمُر من صديق الخطاى من الإسكندرية، فخلع عليهم.

وفيه أنفق السلطان فى مماليكه مائة دينار لكل واحد، وخلع على الأمير بكتمر المؤمنى، واستقر أمير آخور عوضاً عن بيبغا القوصونى. وقدم الأمير أَقْتَمُر عبد الغنى من الشام باستدعاء، فخلع عليه، واستقر حاجب الحجاب، وخلع على الأمير الأكز الكشلاوى، واستقر شاد الدواوين، عوضاً عن بهادر الجمالى.

وفى ليلة الخميس تاسع عشره: أغرق السلطان فى النيل جماعة من المماليك اليلبغاوية الذين اتفقوا على قتله، وأمر بتقوية زينة القاهرة ومصر، فبالغ الناس فى تحسينهما.

وفى بكرة يوم الخميس: هذا سمر من الأجلاب اليلبغاوية مائة من أعيانهم، ووسطهم، وأغرق جماعة منهم، ونفى باقيهم إلى الشام وإلى أسوان، فكان ممن نفى من اليلبغاوية برقوق وبركة، والطنبغا الجوبانى، وجركس الخليلى وأقبغا الماردىنى. فتسلمهم الشريف بكتُمُر والى القاهرة، وأوقفهم فى داره وقد جعلت أيديهم فى

الخشب، وحضر غداؤه فلم يطعمهم شيئاً. ورسم عليهم من توجه بهم إلى قطيا، فتسلمهم والى قطيا وبعث بهم إلى غزة، فأرسلهم نائبها إلى الكرك، فسجنوا بحسب مظلم فى قلعها عدة سنين. ثم أفرج عنهم ومضوا إلى دمشق، فخدموا عند الأمير منجك^(١) نائب الشام حتى استدعى السلطان بالماليك اليلغاوية ليستخدمهم بديوان ولديه، فحضر برقوق وبركة وغيرهما إلى القاهرة، وخدم برقوق فيمن خدم عند ولدى السلطان حتى قتل السلطان بعد عوده من عقبه أيلة^(٢). وقام الأمير أيبيك بأمر الدولة، فصار برقوق من جملة أمراء الطبلخاناه، ومنها ملك الإصطبل، وأقام به حتى تسلطن. كما سيأتى ذلك كله فى أوقاته مبسطا إن شاء الله تعالى.

وفى هذا اليوم: أيضاً خلع على الأمير ألباى اليوسفى واستقر أمير سلاح، عوضا عن أزدمر الذى يقال له أبو دقن. وأمر بهدم بيت الأمير يلبغا الخاصكى بالكبش، فهدم جميعه حتى لم يبق منه سوى بعض سورته. وأفرج عن الأمير أرغون ططر، فقدم فى يوم الخميس ثالث ربيع الأول، ومضى البريد لإحضار الأمير قُطلبغا الشعبانى من الشام، فخلع على أرغون ططر، واستقر أمير شكار بتقدمة ألف، وقدم الشعبانى فى خامسه. وخرج البريد بطلب الأمير منكلى بغا الشمسى، فقدم، وخلع عليه بالإيوان. واستقر نائب السلطان وأتابك العساكر، وأفرج عن الأمير طيغيا الطويل، واستقر فى نيابة حلب، عوضا عن منكلى بغا الشمسى، واستدعى أيضاً الأمير أزدمر الخازندار من الشام، فقدم.

وفى سابع عشره: استقر محيى الدين محمد بن الصدر عمر فى حسبة القاهرة، عوضا عن علاى الدين على بن عرب، واستقر ابن عرب فى نظير الخزانة، وخلع عليهما.

(١) منجك بن عبد الله، سيف الدين اليوسفى الناصرى: أمير داهية حيار يعرف بمنجك الكبير. كان فى خدمة الناصرى محمد بن قلاوون ثم كان هو الذى حمل رأس ابنه أحمد سنة ٧٤٥هـ واستقر حاجبا بدمشق. انظر خطط المقرئى ٢/٣٢٠ والدرر الكامنة ٤/٢٣٠ وفى خلاصة الأثر ٤/٢٣٠ وابن خلكان ١٢/١٨١ والأعلام ٧/٢٩١.

(٢) أيلة: فى طريق مكة، حاطها الله، من مصر، وهى أول حدّ الحجاز، وهى مدينة حليلة القدر على ساحل البحر الملح، وسميت بأيلة بنت مدين قالوا: وهى القرية التى كانت حاضرة البحر المذكورة فى القرآن، وتسير فى أيلة فتلقى العقبة التى لا يصعداها ركب لصعوبتها ولا تقطع إلا فى طول اليوم لظولها ثم تسير مرحلتين فى فحوص التيه، وأيلة حدّ مملكة الروم فى الزمن الغابر وعلى ميل منها باب معقود لقيصر، ومن أيلة إلى بيت المقدس ست مراحل. انظر معجم البلدان ٥/٢٩٢، ٢٩٤، والروض المعطار ٧٠، ٧١، ورحلة الناصرى ٢٠١، ٢٠٢.

وفى رابع عشرينه: استقر الأمير أسنبغا بن البوبكرى فى نيابة الإسكندرية، عوضا عن ابن عرام، وقدم الأمير أمير على من الشام، باستدعاء، فخلع عليه واستقر نايب الشام فى رابع عشر جمادى الأولى.

وفى خامس عشرينه: قدم من الإسكندرية نحو مائة وخمسين من الفرنج فى الخشب، وذلك أنه ورد ميناء الإسكندرية عدة مراكب فى هيئة أنها مراكب تحمل البضائع، فدخل منها إلى المدينة نحو مائة وخمسين رجلا، فعوقهم الأمير أسنبغا النائب حتى يتبين له أمرهم، فسارت المراكب مقلعة وعادت من حيث أتت، فأمر بتخشيب أيدي المذكورين وحملهم إلى القاهرة، ليرى السلطان ما رأيه.

وفى يوم الإثنين ثانى جمادى الآخرة: قدم الأمير قطلوبغا المنصورى باستدعاء، ورسم بمسك الأمير بيدمر نايب الشام، فقبض عليه، واستقر عوضه الأمير منجك، واستقر عوض منجك فى نيابة طرابلس الأمير أيدمر الأنوكى الدوادار.

واستقر الأمير طقتمر الشريفى فى نيابة غزة، واستقر علاى الدين على بن الطشلاقى فى ولاية قطيا، عوضا عن ابن الدوادارى، واستقر الملك الصرغتمشى فى ولاية بلبيس^(١)، واستقر الأمير علاى الدين على بن بكتاش فى ولاية القاهرة، عوضا عن الشريف بكتمر، واستقر بكتمر فى ولاية الجيزة^(٢)، واستقر الأمير شرف الدين موسى ابن الأركشى الأستاذار فى البحيرة^(٣)، عوضا عن بدر الدين بن معين.

وفى ثامن عشره: خلع على الأمير أقتمر الصحابى الحنبلى، واستقر دوادارا، عوضا عن أقبغا عبد الله.

وفى يوم السبت ثامن عشرينه: استقر سراج الدين عمر بن رسلان^(٤) بن نصير البلقينى قاضى قضاة الشام، عوضا عن تاج الدين عبد الوهاب بن السبكى، وخلع عليه، ومضى إلى دمشق.

(١) ولاية بلبيس مدينة بينها وبين فسطاط مصر عشرة فراسخ. انظر معجم البلدان ٤٧٩/٢.

(٢) الجيزة: بالزاي، اختطها بمصر عمرو بن العاص رضى الله عنه فى زمان عمر بن الخطاب رضى الله عنه، وهى قرية كبيرة جميلة البنيان على نيل مصر. انظر معجم البلدان ٢/٢٠٠، والروض المعطار ١٨٣، وصبح الأعشى ٣/٣٩٢، وخطط المقرزى ١/٢٠٥.

(٣) البحيرة: سبق ترجمتها. انظر معجم البلدان ٣٥١/٢.

(٤) عمر بن رسلان بن نصير بن صالح الكنانى، العسقلانى الأصل، ثم البلقينى المصرى الشافعى، أبو حفص، سراج الدين مجتهد حافظ للحديث، من العلماء بالدين. ولد فى بلقينة (من غربية مصر) وتعلم بالقاهرة. وولى قضاء الشام سنة ٧٦٩هـ وتوفى بالقاهرة. من كتبه «التدريب - خ» فى فقه الشافعية ولم يتمه، وتصحيح المنهاج - خ» سنن مجلدان. انظر الضوء اللامع ٦/٨٥ وشذرات الذهب ٧/٥١ وحسن المحاضرة ١١٨٣م الخزانة التيمورية ٣/٣٨ والأزهرية ٢/٥٥٩ والأعلام ٥/٤٦.

وفي يوم الخميس رابع رجب: تزوج الأمير الأتابك منكلى بغا الشمسى بأخت السلطان، وهى خوند سارة بنت حسين بن محمد بن قلاوون. وفيه خلع عليه، واستقر ناظر المارستان المنصورى.

واستقر الأمير الأكر الكشلاوى أستاذار السلطان، عوضا عن أطنبغا البشتكى بعد وفاته، واستقر أرغون الأحمدي لالا السلطان، عوضا عن سودون الشيخونى. واستقر الأمير طغاي تَمُر النظامى شاد الشرايخانا. واستقر الأمير بشتاك العمرى رأس نوبة ثانيا، واستقر الأمير ككبغا السيفى خازندارا، ثم نفى بعد قليل، واستقر عوضه الأمير ناصر الدين محمد بن آقبا آص، واستقر الأمير دَرْتُ بَغا البالسى خاصكيا بإمرة طبلخانا.

وفي يوم الثلاثاء سادس عشره: أعيد علاى الدين على بن عرب إلى حسبة القاهرة، وعزل ابن الصدر عمر، فمات بعد تسعة أيام من عزله، وفي ثالث عشرينه وقع حريق عظيم بداخل الدور السلطانية من قلعة الجبل، فدخل الأمراء حتى أطفوه.

وفي سابع شعبان: استقر الأمير عمر بن أرغون النايب فى نيابة الكرك^(١) عوضا عن ابن القشتمرى.

وفي يوم الإثنين حادى عشرينه: خلع على سراج الدين عمر بن إسحاق^(٢) بن أحمد الهندى، واستقر فى قضاء القضاة الحنفية، عوضا عن جمال الدين عبد الله بن على التركمانى بعد وفاته، وخلع على صدر الدين محمد بن جمال الدين التركمانى، واستقر فى قضاء العسكر، عوضا عن السراج الهندى، ونزلا جميعا من القلعة، فكان يوما مذكورا.

وفي يوم الإثنين خامس رمضان: خلع على بدر الدين محمد بن علاى الدين على ابن فضل الله العمرى، واستقر فى كتابة السر، عوضا عن أبيه، وقد اشتد مرضه. فلما رآه أبوه بالخلعة بكى.

وقدم الحاج محمد التازى المغربى رايس البحر، وقد تسلم من الشوانى التى عمرها

(١) الكرك: سبق ترجمتها. انظر معجم البلدان ٤/٤٥٣، والروض المعطار ٢٠٢.

(٢) عمر بن إسحاق بن أحمد الهندى الغزنوى، سراج الدين، أبو حفص: فقيه من كبار الأحناف له كتب منها «التوشيح» فى شرح الهدية، فقه، والقرة المتقنة من ترجيح مذهب أبى حنيفة - طه. انظر الفوائد البهية ١٤٨ والدرر الكامنة ٣/١٥٤ ونزهة الخواطر ٢/٩٥ ومفتاح السعادة ٢/٥٨ وكشف الظنون ٨/١١٩ والأعلام ٥/٤٢.

الأمير يلبغا غرابا، كمله بالعدد والآلات، وشحنه بالمقاتلة من رجال المغاربة، وأخذ غرابا آخر من الإسكندرية، متكملا بالعدد والرجال، ومضى فى البحر، وهجم على الفرنج، فملك منهم غرابا قتل منه جماعة وأسّر باقيهم. وقدم فى تاسع عشرين شعبان فتلقاه جماعة من الأمراء بتحمل عظيم، وخرج الناس إلى لقائه، وسروا به، فلما تمثل بين يدى السلطان خلع عليه، وأنعم عليه بجميع ما أحضره من الغنائم.

وفى يوم الثلاثاء ثالث عشرة: قبض على الأمير طغاي ثمر النظامى، والأمير أرغون طُطر، واتهما بإثارة فتنة على السلطان.

وفى تاسع عشرينه: استقر الأمير أرغون الأزقى رأس نوبة كبيرا، عوضا عن تلتكُمُر، واستقر تلتكُمُر أمير مجلس، عوضا عن طغاي ثمر النظامى، وخلع عليهما.

وفى العشرين من ذى القعدة: قدم سراج الدين عمر البلقينى من دمشق باستدعاء، واستقر أسنبغا بن البوبكرى فى نيابة حلب^(١) عوضا عن طيغيا الطويل بعد موته، واستقر طَيْدُمُر البالسى فى نيابة الإسكندرية، عوضا عن ابن البوبكرى، واستقر صلاح الدين خليل بن عرام حاجبا بالثغر، واستقر قُطْلُوبغا المنصورى حاجبا ثانيًا، عوضا عن طَيْدُمُر البالسى.

وفيه خلع على علم الدين إبراهيم بن قزوينة واستقر فى الوزارة، عوضا عن فخر الدين ماجد بن أبى شاکر، وخلع على ابن أبى شاکر، واستقر فى نظر الخزانة الكبرى، عوضا عن شمس الدين بن الموفق، وخلع على ابن الموفق، واستقر فى نظر الإصطبل عوضا عن شمس الدين بن الصفى، فى ثالث عشرينه. وخلع على شمس الدين المقسى، واستقر فى نظر الخاص عوضا عن ابن أبى شاکر، وخلع على كريم الدين شاکر بن الغنام، واستقر فى نظر البيوت، وخلع على الحاج محمد بن يوسف، واستقر مقدم الدولة، عوضا عن المقدم عز، واستقر الأمير أشقَتُمُر الماردينى فى نيابة طرابلس. ثم عزل، واستقر الأمير أيدُمُر الشىخى فى نيابة حماة، عوضا عن عمر شاه، واستقر الأمير أيدُمُر يانق فى كشف الوجه القبلى، واستقر ابن الدينارى فى ولاية قوص، عوضا عن قُرطاي الكركى، واستقر محمد بن عقيل فى ولاية الغربية، واستقر عثمان الشرفى بالبهنساوية، ومحمد الكركى بالأشمونين^(٢)، وأحمد الطرخانى بمنوف، عوضا عن خاص ترك بن طغاي، واستقر قُطْلُوبك الزينى بالفيوم، واستقر أمين الدين محمد بن على بن

(١) حلب: سبق ترجمتها. انظر معجم البلدان ٢/٢٨٢، ٢٩٠.

(٢) أشمون قسبة كورة من كور الصعيد الأدنى غربى النيل. نظر معجم البلدان ١/٢٠٠.

الحسن الألفى فى قضاء المالكية بجلب، عوضا عن صدر الدين أحمد الدميرى بعد وفاته، وأعيد فتح الدين أبو بكر محمد بن الشهيد إلى كتابة بدمشق، وقدم جمال الدين بن الأثير إلى القاهرة.

وقبض على الأمير أرغون القشتمرى، وأخرج بطالا إلى القدس، ونفى أيضا الأمير بشتاك العمرى إلى الشام،

وفى حادى عشرين ذى الحجة: قدمت رسل السلطان أويس من بغداد، وكان قاع النيل أربعة أذرع وأربعة عشر إصبعا.

وأنعم على كل من كجك بن أرطق، وأزدمر الخازندار، وأقتمر الحنبلى، وبكتمر المؤمنى، والأكز الكشلاوى، وأرغون الأحمدى اللالا، بتقدمة ألف، وأنعم على كل من محمد بن طرغاي، وإبراهيم الناصرى، وصراى العلاى، وبكتمر الأحمدى شاد القصر، وبشتاك العمرى، وتبك الأزقى، وذرتُ بعا البالىسى، وككبغا السيفى، وأقبغا عبد الله، وطغاي تمر عبد الله، ويوسف شاه بن يلو، وأروس السيفى، وأيدمر بن صديق، ومحمد ابن أقتمر عبد الغنى، ويونس الشيخونى، وموسى بن أيتمش، ومحمد ابن الدوادارى، وسودون جركس أمير آخور، وبرسبغا، وقرابغا الأناقى، وعلى بن بكاش ومحمد بن أمير على الماردينى، وصصلان الجمالى، وصراى تمر المحمدى، وأسنبغا القوصونى، وخليل بن تنكزبغا، بإمرة طبلخاناه. وأنعم على كل من قمارى الجمالى، وعمر بن طقتمر، وصربغا السيفى، وجانى بك العلاى، وألطنبغا عبد المؤمن، وطقتمر الحسنى ومبارك شاه الرسولى، وجرقطلو، وجرجى البالىسى، ومحمد بن أزدمر الخازندار، وقدق الشيخونى، وكوجيا، وأبى بكر بن قنئس، وأسنبغا البهادرى، وأقتمر عبد الغنى الساقى، ويلبغا الناصرى، ومحمد بن قرابغا الأناقى، وألطنبغا النظامى، وقطلوبغا من بايزيد بإمرة عشرة.

وفى هذه السنة: فشت الأمراض الحادة، والطواعين بالناس فى القاهرة ومصر، فمات فى كل يوم ما ينيف على مائة ألف نفس.

* * *

ومات فى هذه السنة من الأعيان

الفقيه المعتقد إبراهيم بن البرلسى وهو مجاور بالمدينة النبوية، وقد وأناف على مائة

ومات الملك المنصور أحمد بن الصالح صالح بن المنصور غازي بن المظفر قرا أرسلان ابن أرتق صاحب مارددين، فكانت مدته نحو ثلاث سنين، وقد جاوز ستين سنة.

وتوفى صدر الدين أحمد بن عبد الظاهر بن محمد الدميري، قاضي المالكية بحلب، وله نظم، وحمس البردة.

وتوفى شهاب الدين أحمد بن لؤلؤ بن عبد الله^(١)، المعروف بابن النقيب الشافعي، يوم الأربعاء رابع عشر شهر رمضان. ومولده سنة اثنين وسبعمائة. أخذ القراءات السبع عن جماعة، وقرأ النحو على أبي حيان، وبرع في الفقه، وكتب مختصراً حسناً في الفقه، واختصر الكفاية، وكتب النكت على المنهاج، وكتب قطعة على المهذب، وقال الشعر، وتصدر بالمدرسة الحسامية، والمدرسة الأشرفية، وأم بالندقدارية^(٢)، وكان جيد القراءة، حسن الصوت، ويقصد لسماع قراءته في المحراب، ليالي شهر رمضان.

وتوفى شيخ الشيوخ بخانكاه سرياقوس^(٣) شهاب الدين أحمد بن سلامة بن المقدسي الشافعي، وكان قبل ذلك شيخ خانكاه بشتاك^(٤) وخطيب جامع، وصنف كتاباً مفيداً في التصوف.

ومات الأمير عز الدين أزدمر الناصري الخازندار، أحد مقدمي الألفوف ونائب طرابلس وصفد، في أول شهر ربيع الآخر.

ومات الأمير عز الدين أزدمر العزى أبو دقن أمير سلاح، منفياً بالشام، في صفر.

ومات الأمير سيف الدين أسندمر الناصر أتابك العساكر بسجن الإسكندرية في يوم الأحد.

(١) أحمد بن لؤلؤ بن عبد الله الرومي أبو العباس، شهاب الدين بن النقيب. فقيه شافعي مصري مولد ووفاته بالقاهرة كان أبوه رومياً من نصارى أنطاكية. ورباه أحد الأمراء وأعتقه وجعله نقيباً فتصوف وتصدر بالمدرسة البيروسية بالقاهرة، ونشأ ولد صاحب الترجمة فكان أولاً بزى الجند، ثم حفظ القرآن وتفقه وتآدب وجاور بمكة والمدينة مرات وله. انظر الدرر الكامنة ٢٣٩/١ وكشف الظنون ١٤٩٨ وذيل الكشف ١٢١/٢ والأعلام ٧٠/١.

(٢) الخانقاة البندقدارية، تقع بالقرب من الصليبية، وكان موضعها يعرف قديماً بدويرة مسعود. أنشأها الأمير علاء الدين أيديكين البندقداري الصالحى التميمي وجعلها مسجد لله تعالى. (المقريزى المواعظ سنة ٤٢٠ هـ).

(٣) خانكاه سرياقوس أنشأها الملك الناصر محمد بن قلاوون وهى خارج القاهرة من شماليها. انظر المواعظ ٤٢٢/٢.

(٤) خانكاه بشتاك، وأنشأها الأمير سيف الدين بشتاك الناصري، وهى خارج القاهرة على جانب الخليج من البر الشرقى، تجاه جامع بشتاك. وكان افتتاحها أول ذى الحجة سنة ٧٣٦ هـ. المواعظ ٤١٨/٢.

ومات الأمير أسندمر العلاى نايب الشام ونايب طرابلس فى يوم الإثنين.

ومات الأمير أسندمر العلاى الخازن.

ومات الأمير أظنبا البشتكى نايب غزة، وأستادار السلطان، فى رابع عشرين شعبان.

ومات الأمير أيدمر يانق كاشف الوجه القبلى، فى ثامن عشرين ذى الحجة.

ومات الأمير بكممر الأحمدى شاد الدواوين ومقدم الممالك.

ومات الأمير باكيش البلبغاوى الحاجب فى صفر.

ومات الأمير بيليك الفقيه الزراق، أحد مقدمى الممالك.

ومات الأمير بركان شاد الصندوق.

ومات الأمير تلكممر المحمدى الخازندار، أحد الألوفا، بسجن الإسكندرية.

ومات الأمير جرجى الإدريسى أمير آخور ونايب حلب، وهو بدمشق.

ومات الأمير جرقظلو أمير جندار فى صفر.

ومات الأمير جركممر الماردىنى الحاجب، بعد عطلة طويلة.

وتوفى عز الدين حمزة بن قطب الدين موسى بن الضياء أحمد بن الحسين^(١)،

المعروف بابن شيخ السلامة الحنبلى، وقد أناف على الستين بدمشق، فى يوم الإثنين. وله شرح على المنتقى لابن تيمية.

وتوفى بهاء الدين خليل أحد نواب الحنفية، يوم الجمعة ثالث عشر شعبان.

وتوفى الأمير طيغا البوبكرى المهمندار، فى تاسع عشر المحرم.

ومات الأمير طيغا الطويل نايب حلب بها، فى تاسع ذى القعدة.

وتوفى قاضى القضاة الحنبلى موفق الدين عبد الله بن محمد بن عبد الملك بن عبد

الباقى الحجازى المقدسى فى يوم الخميس سابع عشرين المحرم، ومولده فى أوائل سنة تسعين وستمائة.

(١) حمزة بن موسى بن أحمد بن الحسين، الحنبلى، عز الدين ابن شيخ السلامة، فقيه دمشق، من كبار الحنابلة درس بدمشق، وبمدرسة السلطان حسن بالقاهرة، وأفتى بها. له عدة تصانيف، منها «شرح المنتقى فى الأحكام لابن تيمية» عدة مجلدات. انظر شذرات الذهب ٦/٢١٤ والدرر الكامنة ٢/٧٧ والأعلام ٢/٢٨٠.

وتوفى الشيخ بهاء الدين عبد الله بن عبد الرحمن بن عقيل الشافعي^(١)، فى يوم الأربعاء ثالث عشرين شهر ربيع الأول.

وتوفى قاضى القضاة الحنفى جمال الدين عبد الله بن علاء الدين على، بن فخر الدين عثمان بن إبراهيم بن مصطفى بن سليمان الماردىنى التركمانى، فى ليلة الجمعة حادى عشر شعبان.

وتوفى جمال الدين عبد الله بن على بن الحسن بن محمد بن عبد العزيز بن محمد بن الفرات موقع الحكم، فى العشرين من شهر رمضان.

وتوفى فقيه المالكية بالمدينة النبوية، بدر الدين أبو محمد عبد الله^(٢) بن محمد بن فرحون بن محمد بن فرحون.

وتوفى صلاح الدين عبد الله بن المحدث شمس الدين محمد بن إبراهيم بن غنائم بن واجد بن سعيد، المعروف بابن المهندس الصالحى الحلبى الحنفى، سمع كثيرا بالشام ومصر والحجاز، وكتب وجمع وحدث ووعظ، وقد أناف على السبعين.

وتوفى علاى الدين على بن محبى الدين بن فضل الله بن مُجَلَّى، بن دعجان بن خلف بن منصور بن نصير العمري، كاتب السر، فى يوم الجمعة تاسع شهر رمضان. وقد باشر كتابة السر نيّفاً وثلاثين سنة، وخدم أحد عشر سلطاناً، وكتب الخط المنسوب، وقال الشعر الجيد.

وتوفى تقى الدين عمر بن نجم الدين محمد بن عمر بن أبى القاسم، بن عبد المنعم بن أبى الطيب الدمشقى ناظر الخزانة بها فى يوم الأربعاء.
ومات قَتْنُ العزى، الأمير.

(١) عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله بن محمد القرشى الهاشمى، بهاء الدين بن عقيل: من أئمة النحاة. من نسل عقيل بن أبى طالب. ومولده ووفاته فى القاهرة. كان بعض أسلافه يقيمون فى همدان أو آمد، ولعلمهم انتقلوا من إحداهما إلى الأخرى واستقرت ذرية منهم فى بالس (بين حلب والرقّة) وقدم أحدهم إلى مصر، فولد بها عبد الله، فعرفه مترجموه بالهمداني (أو الأمدى) بالبلسى ثم المصرى - فله (شرح ألفية ابن مالك) فى النحو، متداول، وقد ترجم الألفية إلى الألمانية. انظر الدرر الكامنة ٢٦٦/٢ والبدر الطالع ٣٨٦/١ وحسن المحاضرة ٣٨٠/١ وشذرات الذهب ٢١٤/٦ والكتبخانة ١١٠/٤ والأعلام ٩٦/٤.

(٢) عبد الله بن محمد بن فرحون البعمرى المالكى، أبو محمد: فقيه، من العلماء بالحديث. أصله من تونس، ومولده ومنشؤه فى المدينة. له «الدر المخلص من التقصى والملخص» فى الحديث. انظر الدياج المذهب، والدرر الكامنة ٣٠٠/٢ وهديّة العارفين ٤٦٧/١ والأعلام ١٢٦/٤.

السلوك لمعرفة دول الملوك ٣٢٣

وتوفى قاضى الحنابلة بدمشق جمال الدين محمد بن عبد الله بن محمد بن محمود المرداوى صاحب الحمارة.

وتوفى قاضى الحنفية بطرابلس بدر الدين محمد بن عبد الله بن الشبلى^(١).

وتوفى جمال الدين محمد بن كمال الدين أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد^(٢) بن الشريشى البكرى الوائلى الدمشقى الشافعى.

وتوفى كمال الدين محمد بن جمال الدين إبراهيم بن الشهاب محمود بن سليمان بن فهد الحلبي، بالقاهرة.

وتوفى بدر الدين محمد، المعروف بابن الشجاع الحنفى، أحد نواب الحنفية، فى يوم الأحد رابع رمضان.

وتوفى تقى الدين محمد بن يوسف أحد نواب المالكية فى الحكم بالقاهرة، يوم الخامس من شوال.

وتوفى الفقيه موسى الضرير المالكى.

ومات محتسب القاهرة محبى الدين محمد بن الصدر عمر، فى يوم الثلاثاء خامس عشرين رجب.

وتوفى ناظر الأحباس، فخر الدين أبو جعفر محمد بن عبد اللطيف بن الكوكب فى ثالث عشر رمضان.

ومات الأمير بيزم العزى الدوادار، بطالا بالشام.

ومات الأمير أروس البشتكى، رأس نوبة الجمдарية.

ومات الأمير أرغون الأحمدي أحد الطبلخاناه.

(١) محمد بن عبد الله الشبلى الدمشقى، أبو عبد الله، بدر الدين بن تقى الدين: فاضل متفنن. من فقهاء الحنفية. ولد بدمشق، وكان أبوه «قيم الشبلية» فيها ورحل إلى القاهرة، وولى قضاء طرابلس الشام سنة ٧٥٥هـ واستمر فى القضاء إلى أن توفى بها. له «آكام المرجان فى أحكام الجان - ط» ورسالة فى «آداب الحمام». انظر الدرر الكامنة ٤٨٧/٣ ومجلة المجمع ٧٤/١٨ ومعجم المطبوعات ١١٠١ والفوائد البهية ١٧ بهامشة والأعلام ٢٣٤/٦.

(٢) محمد بن أحمد بن محمد، أبو بكر، جمال الدين البكرى الوائلى الشريشى: فقيه شافعى أصله من شريش ووفاته فى دمشق وتولى قضاء حمص، ثم الحكم فى دمشق، يوما واحداً، ومرض وومات. له كتب منها «شرح المنهاج» أربعة أجزاء «وزوائد الخاوى الصغير على المنهاج» انظر القلائد الجوهريّة ٩١ وشذرات الذهب ٢٦٣/٦ والدارس ١١٧/١ والدرر الكامنة ٣٥١/٣ والأعلام ٣٢٨/٥.

٣٢٤ سنة تسع وستين وسبعمائة

ومات الأمير أرغون القَشْتَمُرُ أحد الألوْف، بطالا بالقدس.

وتوفى قطب الدين أبو عبد الله محمد بن أبي البقاء محمود بن هرماس، بن مامضى
المعروف بالهرماس المقدسى.

* * *

سنة سبعين وسبعمائة

أهل الحرم يوم الأربعاء، وهو ثالث عشر مسرى من شهور قبط مصر، وفيه نودى بوفاء النيل ستة عشر ذراعا، ففتح الخليج على العادة.

وفي أول ربيع الأول: قدم الأمير منجك نائب الشام بتقدمة سنوية، فخلع عليه وقبل تقدمته، ثم أعيد بعد أيام إلى نيابته، وأعيد تاج الدين عبد الوهاب^(١) بن السبكي إلى قضاء دمشق، عوضا عن سراج الدين عمر البلقيني.

وفي ليلة عشرينه: ولد للسلطان ولد سماه أحمد، فدقت البشائر ثلاثة أيام.

وفي يومه: ولى الأمير قشتمر المنصوري نيابة حلب عوضا، عن أسنبا بن البوبكري. و قدم رسول مملك القسطنطينية، وصحبته بطريق الملكانية.

وفي يوم الإثنين ثامن ربيع الآخر: استقر الأمير الأكرز الكشلاوى وزيرا عوضا عن علم الدين إبراهيم الحليق بن قزوينة، مضافا إلى الاستادارية. واستقر ابن قزونية فى نظر الخاص، عوضا عن الشمس المقسى، واستقر المقسى فى نظر الإصطبل، عوضا عن شمس الدين بن الموفق، وخلع عليهم.

وفيه قدم الأمير الملا حيار بن مهنا، فخلع عليه وأكرم.

وفي يوم السبت ثالث عشره: سار السلطان إلى ناحية طنان^(٢) للصيد، ومضى إلى الإسكندرية، فدخلها يوم الجمعة، رابع جماد الأولى، وقد زينت زينة عظيمة القدر، وترجل جميع الأمراء من باب رشيد إلى باب البحر فى ركابه، فرمى بالمجانيق بين يديه. ثم عاد من الباب الأخضر إلى دار السلطان، وجلس على التخت بها، ومُدَّ السماط،

(١) عبد الوهاب بن على عبد الكافي السبكي أبو نصر: قاضى القضاة، المورخ، الباحث ولد فى القاهرة، انتقل إلى دمشق مع والده، فسكنها حتى توفى بها، نسبته إلى سبك من أعمال المنوفية. انتهى إليه قضاء القضاة فى الشام، وعزل وتعصب عليه شيوخ عصره فاتهموه بالكفر واستحلال شرب الخمر. وأتوا به مقيدا مغلولاً من الشام إلى مصر. انظر جلاء العينين ١٦ والدرر الكامنة ٤٢٥/٢ وحسن المحاضرة ١/١٨٢ والأعلام ٤/١٨٤، ١٨٥.

(٢) طنان بالفتح من أعيان قرى مصر، قرية من الفسطاط، ذات بساتين ضمن أعمال القليوبية.

فأكل الأمراء ثم رفع، فلما أذن العصر ركب السلطان ودخل إلى دار الطراز وصعد إلى القصر، ثم عاد إلى المخيم بباب رشيد من آخر النهار، وتوجه في يوم الأحد إلى القاهرة، فصعد قلعة الجبل.

وفي سابع عشرينه: جُمع الأمراء وقضاة القضاة بالإيوان من القلعة، وعُقد لخوند سارة أخت السلطان على الأمير بشتاك رأس نوبة، بصداق جملته خمسة عشر ألف دينار، وأربعمائة ألف درهم فضة، عنها نحو العشرين ألف دينار. وكان الذي تولى عقد النكاح بينهما قاضى القضاة سراج الدين عمر الهندى الخنفي، وأنكر عليه بعض الفقهاء عقد النكاح من أجل أن الزوج قد مسه الرق، فألف في جواز ذلك كتاباً.

وفي ثامن عشرينه: قبض على الأمير الأكرز الوزير، وعوق بقاعة الصاحب من القلعة.

وخلع على شمس الدين أبى الفرج المقسى، واستقر في الوزارة ونظر الخاص، وخلع على الوزير علم الدين إبراهيم بن قزوينه، واستقر في نظر الإصطبل، عوضاً عن المقسى، وأخرج الأمير آقباغا عبد الله الدوادار منفيًا. وخلع على الأمير آقتمر الخنبلي، واستقر في نظر الخانكاه الناصرية بسرياقوس.

وفي رابع عشرين شهر رجب: قبض على أرغون العجمي الساقى - من المماليك السلطانية - ونفى إلى الشام من أجل أنه فقد للسلطان جواهر نفيسة القدر، فلم يعرف لها خير، فأحضر بعض الفرنج منها حجراً رابعا - يعرف بوجه الفرس - إلى الأمير مَنجَك نائب الشام ففرغه، وسأل الفرنجى عن سبب وصوله إليه، فذكر أن أرغون هذا باعه إياه، فبعث به إلى السلطان وطالعه بالخير، فقبض على أرغون فلم يوجد معه من ثمن الحجر المذكور كبير شيء، فعفا السلطان عنه، ونفاه.

وفي يوم الإثنين أول شهر رمضان: أعيد ابن عرام إلى نيابة الإسكندرية عوضاً عن طيدمُر البالىسى، بحكم استعفائه.

وفي يوم الخميس رابعة: خلع على الصاحب علم الدين إبراهيم الحليق بن قزوينه إلى الوزارة، واستقر المقسى على نظر الخاص فقط، وأضيف إليه نظر أملاك خوند بركة أم السلطان، وأوقافها.

وفي ليلة الجمعة خامسه: هبت بالقاهرة وأعمالها رياح عاصفة، سقط منها نخيل كثيرة، وأعلى عدة من الدور، وغرقت سفن متعددة، فهلك تحت الردم جماعة من الناس، وكان أمراً مهولاً عامة تلك الليلة.

وفي يوم السبت عشرينه: تنكر السلطان على الأمير أقتمر الحنبلى لكلام جرى بينه وبين الأمير ألبجى، وأمر بنفيه إلى الشام، واستقر عوضه دوادار الأمير منكوتمر عبد الغنى بإمرة طبلخاناه، وخلع عليه فى يوم الإثنين ثانى عشرينه، وخلع فيه أيضًا على الأمير بهادر الجمالى، واستقر أستاذار، وأنعم عليه بتقدمة ألف.

وفي أول شوال: قدم البريد من حلب بأن الأمير قشتمر نائب حلب أخذ سيس^(١) من الأرمن، وعاد إلى حلب، فغلب الأرمن عليها، بعد عوده.

وفي أول شهر ذى القعدة: قبض الصاحب علم الدين إبراهيم بن قزوينه على كريم الدين عبد الكريم بن الرويهب، من أجل أنه بلغه أنه يسعى فى الوزارة.

وفي رابع عشره: أخذ قاع النيل، فكان خمسة أذرع وعشرين إصبعا.

وفي يوم الإثنين تاسع عشره: قدم الأمير بيدمر نائب الشام، صحبة الأمير ناصر الدين محمد بن قمارى أمير شكار، وقد ركب البريد لإحضاره، فأمر به إلى الأمير علاى الدين على بن محمد بن كلفت، فسجنه بقاعة الصاحب، وألزمه بحمل ثلاثمائة ألف دينار وعصره، فى يوم الأربعاء حادى عشرينه، فحمل منه مائة ألف دينار، وأخرج إلى دمشق ليؤدى بقية ما ألزم به، ثم ينفى إلى طرسوس^(٢). وكان قد استقر عوضه فى نيابة الشام الأمير منجك.

وفي هذا الشهر: خرج ببلاد الشام جراد مضر، وكثر بها الفأر فى البيادر^(٣)، فتلفت الغلال، وفشا بها الوباء. وكثر الخوف ببلاد الساحل من الفرنج والعشير. ووصل إلى صيدا عدة من مراكب الفرنج فحاربوا المسلمين، ورجعوا خائبين.

وفي يوم الجمعة ثالث عشرينه: تجمعت الغوغاء من زعر العامة بأراضى اللوق^(٤) خارج القاهرة للشلاق^(٥)، فقتل بينهم واحد منهم، فركب والى القاهرة الشريف بكتمر، وأركب معه الأمير علاى الدين على بن كلفت الحاجب، والأمير أقبغا

(١) سيس: بلد من أعظم مدن الثغور الشامية بين أنطاكية وطرسوس كانت مقر مملكة أرمينية الصغرى. انظر معجم البلدان.

(٢) طرسوس: سبق ترجمتها. انظر معجم البلدان ٤/٢٨، ٢٩، والروض المعطار ٣٨٨، ٣٨٩، وصبح الأعشى ٤/١٣٣.

(٣) البيادر بيدر الطعام أى: كومة، والبيدر موضع الطعام الذى يكوم فيه. القاموس المحيط.

(٤) اللوق كانت أراضى اللوق عندئذ بساتين ومزروعات وهى فى المنطقة التى أطلق عليها بعد ذلك باب اللوق. انظر باب المواعظ ١١٧/٢.

(٥) الشلق الضرب، شلقه أى: ضربه بسوط أو غيره. لسان العرب.

اليوسفي الحاجب، وقصد المشالقين، ففروا منهم، وبقي من هناك من النظارة، فضرب عدة منهم بالمقارع. فتعصبت العامة، ووقفوا تحت القلعة في يوم الثلاثاء، وأصبحوا يوم الأربعاء ثامن عشرينه كذلك، وهم يستغيثون ويضحجون بالشكوى من الوالى، فأجيبوا بأن السلطان يعزل عنكم هذا الوالى فأبوا إلا أن يسلمه إليهم هو والحاجبين. وكان الوالى قد ركب على عادته بكرة النهار يريد القلعة، فرجمته العامة حتى كاد يهلك فالتجأ منهم بالإصطبل، وظل نهاره فيه، والعامة وقوف تحت القلعة إلى قريب العصر، وكلما أمروا بأن يمضوا أبوا ولجوا، فركب إليهم الوالى فى جمع موفور من مماليك الأمير بكتمر المؤمنى، أمير آخور، ومن الأوجاقية، فنارت العامة ورجمتهم رجما متداركا حتى كسروهم كسرة قبيحة، فركبت المماليك السلطانية، والأوجاقية وحملوا على العامة، وقتلوا منهم جماعة، وقبضوا على خلائق منهم، وركب الأمير ألباى اليوسفى، وقسم الخطط والحارات على الأمراء والمماليك، وأمرهم بوضع السيف فى الناس، فجرت خطوط شنيعة، قتل فيها خلائق ذهب دماؤهم هدرا، وأودعت السجون منهم طوائف، وامتدت أيدي الأجناد إلى العامة، حتى أنه كان الجندى يدخل إلى حانوت البياح من المتعيشين ويذبحه ويمضى، وحكى بعضهم أنه قتل بيده فى هذه الواقعة من العامة سبعة عشر رجلا.

وكانت ليلة الخميس تاسع عشرينه: من ليالى السوء، وأصبح الناس وقد بلغ السلطان الخبر، فشق عليه وأنكره، وقال للأمير بكتمر المؤمنى «عجلت بالأضحية على الناس» وتوعده، فرجف فواده ونحب قلبه، وقام فلم يزل صاحب فراش حتى مات، وأمر السلطان بالإفراج عن المسجونين، ونودى بالأمان، وفتح الأسواق، ففتحت، وقد كان الناس قد أصبحوا على تخوف شديد لما مر بهم فى الليل.

وفيه خلع على الأمير حسام الدين حسين بن الكورانى والى مصر، واستقر فى ولاية القاهرة، عوضا عن الشريف بكتمر.

واتفق فى هذا الشهر: أيضاً أن ناصر الدين محمد بن مسلم - كبير تجار مصر - سافر للقاء بضائع قدمت له من الهند بقوص^(١)، فأشاع ولده فى الناس موت أبيه، وعمل عزاه، واجتمع بالسلطان وسأله أن يقوم عوض أبيه فى التجار، ووعد بحمل خمسين ألف دينار، فخلع عليه، ونزل فأخذ فى حمل ما وعد به حتى أتى على مبلغ كبير منه. فبينما هو فى ذلك إذ قدم كتاب أبيه فى بعض حاجاته، فسر أهله بجياته،

(١) مدينة من أعظم مدائن الصعيد وهى على شاطئ النيل بنيت فى أيام شدات بن عديم. (نزهة الأمم فى العجائب والحكم) لابن إياس، وانظر معجم البلدان ٤/٤١٣.

وبعثوا إليه بما كان من مولده، فبادر إلى الحىء واجتمع بأهل الدولة، وبالسلطان، فاعتذروا إليه بما كان من ولده ورسم له أن يعتد له بما حمل ولده فى نظير ما ىرد له من البضائع، ويحاسب به مما عليه للديوان، وخلع عليه، فكان ذلك أيضاً من شنيع ما وقع.

واتفق أيضاً أن بنى كلاب^(١) كثر فسادهم وقطعهم الطريق فيما بين حماة وحلب، وأخذوا بعض الحجاج، فخرج إليهم الأمير قشتمر نائب حلب بالعسكر، حتى أتوا تل السلطان^(٢) بظاهر حلب، فإذا عدة من مضارب عرب آل فضل، فاستاق العسكر جماهم ومواشيهم ومالوا على بيوت العرب فنهبوا. فثارت العرب بهم وقتلوهم، واستنجدوا من قُرب منهم من بنى مهنا، وأتاهم الأمير حيار وولده نعيم بجمع كبير، فكانت معركة شنيعة، قتل فيها الأمير قشتمر النايب وولده وعدة من عسكره، وانهزم باقيهم، فركب العرب أقيمتهم، فلم ينج منهم عريانا إلا من شاء الله، فكان ذلك وهنا فى الدولة، جره إليها طمع عساكرها.

وفى يوم الجمعة ثامن ذى الحجة: قدم الخير بنزول أربع قطايح على الإسكندرية من الفرنج، وأنهم رموا على المدينة بمنجنيق، فخرج تلك الليلة ثلاثة وعشرون أميراً، منهم ثلاثة من الألو ف وعشرة من الطبلخاناه وعشرة من أمراء العشرات، فقدم الخير فى عشية السبت أن المغاربة، والتركمان نزلوا فى المراكب، وقتلوا الفرنج، وقتلوا منهم نحو المائة، وغنموا منهم مراكباً.

وفى خامس عشره: خرج على الريد الأمير قطلوبغا الشعبانى لىسير بالأمير أشقتمر الماردىنى إلى حلب، وكتب معه تقليده بالنيابة، وحملت إليه الخلعة، وأن يقلد الأمير زامل إمرة العرب، عوضاً عن حيار بن مهنا، فاستقر الأمير أشقتمر فى نيابة حلب، ووجد العرب قد شرقوا.

وفيه توجه الأمير ناصر الدين محمد بن الأمير سرتقطاى فى الرسالة إلى أويس متملك بغداد.

واستقر جمال الدين محمد بن عبد الرحيم بن على بن عبد الملك المسلاتى فى قضاء المالكية بدمشق، عوضاً عن سرى الدين إسماعيل بن محمد بن محمد بن هانى الأندلسى، واستقر الأمير ببيغا القوصونى كاشف القلوبية، والأمير محمد بك الشيخونى فى نيابة

(١) بنو كلاب، بطن من عامر بن صعصعة وكانت ديارهم فى جهات المدينة المنورة ثم انتقلوا بعد ذلك إلى الشام.

(٢) تل السلطان: موضع بينه وبين حلب مرحلة نحو دمشق. (معجم البلدان).

غزة، والشريف بكتمر فى ولاية قطيا، عوضا عن ابن الطشلاقى، والأمير بكتمر أستاذار الطويل فى ولاية قوص، والأمير أسندمر الخضرى فى البحيرة، عوضا عن ابن معين، والأمير قُطلوبك السيفى فى ولاية مصر، وأنعم على الأمير محمد بن طُرغاي بإمرة طبلخاناه، واستقر أستاذار، وارتجع عن الأمير أسندمُر المظفرى تقدمته، وعوض طبلخاناه؛ لعجزه عن الخدمة من مرض، وأنعم على كل من الأمير بُشَاك العمرى، والأمير بهُادر الجمالى بإمرة مائة مقدمة ألف، وعلى كل من الأمير بييغا القوصونى، وصُراى الإدريسى، وأحمد بن أقتمر عبد الغنى، وأحمد بن قنغلى، وطَقْتَمُر الحسنى، وخليل بن قمارى، وأرغون شاه الأشرفى، وحسين بن الكورانى بإمرة طبلخاناه، وعلى كل من جليان العلاى، ومحمد بن لاجين، وأسنبغا النظامى، ومحمد بن قُطلوبغا المحمدى، وعمر بن أسن البوبكرى بإمرة عشرة.

وفى هذه السنة: حجت خوند بركة أم السلطان فى تجمل عظيم، ومعها الكوسات والعصايب السلطانية، وعدة جمال، تحمل الخضر المزروعة، وفى خدمتها الأمير بشتاك العمرى، والأمير بهادر الجمالى، ومائة من الممالك السلطانية.

* * *

ومات فى هذه السنة من الأعيان

الأمير إبراهيم ابن الأمير صرغتمش الناصرى، أحد العشرات، فى تاسع شوال، ودفن بمدرسة أبيه.

ومات الأديب الموالى أحمد بن محمد بن أحمد، المعروف بالفار طرنجى العالية.

ومات الأمير أرغون على بك الأزقى نائب غزة وأحد أمراء الألوفا رأس نوبة فى أول جمادى الآخرة.

ومات تقى الدين حسن بن محمد بن فتیان، كاتب سر طرابلس.

ومات الأمير خليل بن على بن الأمير سلار النائب، أحد الطبلخاناه.

ومات الأمير الطواشى ناصر الدين شفيح، أحد العشرات، ونائب مقدم الممالك، فى ثامن شعبان.

ومات الأمير طُغاي الفخرى - أحد الطبلخاناه - غريفا بالنيل.

ومات قاضى الحنفية بدمشق، جمال الدين محمود بن أحمد بن مسعود، أحد فقهاء الحنفية الأعيان.

ومات شمس الدين محمد بن خلف بن كامل الغزى، أحد نواب الحكم بدمشق، وأعيان الفقهاء الشافعية، وله رحلة إلى القاهرة.

وتوفى ناصر الدين محمد بن تقي الدين عبد القاهر^(١) بن الوزير صاحب ضياء الدين أبى بكر بن عبد الله بن أحمد بن منصور بن أحمد النشابى، أحد موقعى الدست، فى يوم الثلاثاء ثانى عشر ذى الحجة، عن اثنتين وخمسين سنة.

ومات عماد الدين محمد بن موسى بن سليمان بن محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الوهاب بن عبد الله بن على بن أحمد بن الشيرجى محتسب دمشق، وناظر الخزانة بها.

ومات بدر الدين محمد بن الجمال محمد بن الكمال أحمد بن محمد بن الشريشى الشافعى، برع فى الفقه واللغة، وقال الشعر.

ومات الأمير محمد بن الأمير طبقغا الماجارى صاووق، أحد الطبلخاناه.

ومات الأديب الشاعر شمس الدين محمد بن تقي الدين على الواسطى، فى شهر رجب.

ومات الأمير أَلطنبغا المؤمنى الجوكندار، أحد العشرات، فى صفر.

ومات الأمير أَقْتَمُرُ عبد الغنى الصغير - أحد العشرات - فى تاسع عشرين شهر رمضان.

ومات الأمير أَرْكَا السيفى، أحد الطبلخاناه.

ومات متملك تونس^(٢) أبو إسحاق إبراهيم بن أبى بكر بن يحيى بن إبراهيم بن يحيى، فى العشرين من رجب، بعد ما ملك تسع عشرة سنة وشهرين، فقام بعده ابنه أبو البقاء خالد.

* * *

(١) محمد بن عبد القاهر بن أبى بكر النشابى، الأنصارى السلمى، ناصر الدين: أديب، له شعر: من كتاب الإنشاء السلطانى. كان أحد ملوك الدست فى دولة الملك الناصر. بينه وبين صلاح الدين الصفدى مساجلات شعرية، فى الألفاظ وغيرها ربما أنبتها فى كتابه «ألحان الواجع» انظر الوفيات ٢٧١/٣ - ٢٧٢ والدرر الكامنة ٢٢/٤ الأعلام ٦/٢١٤.

(٢) تونس: مدينة بإفريقية محدثة إسلامية، وهى فى سفح جبل وبها مبان عجيبة. انظر الروض المعطار ١٤٣، ١٤٤، والاستبصار ١٢٠، والبكرى ٣٧، وصبح الأعشى ١٠٢/٥.

سنة إحدى وسبعين وسبعمائة

فى أول المحرم: ورد قاصد الأمير ناصر الدين محمد بن الأمير طاز، ومعه أربعة وعشرون من الفرنج، أسرهم من ناحية الطينة^(١)، وكان مجردا بها.

وفى يوم الأحد ثامن: ورد البريد بطلب الأمير حيار الأمان، وكان القاصد لذلك الأمير سيف الدين بهادر أستاذار الأمير منجك نائب الشام، ومعيقل حاجب حيار، فأجيب إلى ذلك.

وفى يوم الخميس ثامن عشره: خلع على كريم الدين عبد الكريم بن الرويهب، واستقر فى الوزارة عوضا عن علم الدين إبراهيم بن قزوينة باستعفائه، ولم يتعرض لابن قزوينة بسوء.

وفيه استقر عماد الدين إسماعيل بن محمد بن أبى العز بن صالح المعروف بابن الكشك الدمشقى فى قضاء الحنفية بدمشق، بعد وفاة جمال الدين أبى التشاء محمود بن سراج الدين أحمد بن مسعود، المعروف بابن السراج.

وفى يوم السبت رابع عشره: ركب السلطان إلى لقاء والدته عند قدمها من الحج، ونزل بركة الحجاج ثم مضى إلى البويب^(٢). فلما قدمت فى يوم الإثنين سادس عشره عاد إلى قلعة الجبل.

وفى يوم السبت حادى عشرينه: خلع على الأمير بهادر الجمالى، واستقر أمير آخور، عوضا عن الأمير بكتمر المؤمنى بعد وفاته، وخلع على الأمير تلكتمر بن بركة، أستاذار، عوضا عن بهادر الجمالى، واستقر الأمير أرغون شاه الأشرفى أمير مجلس، عوضا عن تلكتمر، وأنعم على الأمير جُلبان العلاى بإمرة طبلخانة.

وخرج البريد بطلب الأمير أقتمر الصاحبى الخنبلى من الشام، فقدم فى رابع عشر صفر.

(١) الطينة بليدة بين القرم وتيس من أرض مصر. معجم البلدان ٣/٣٥.

(٢) البويب: تصغير الباب، ثقب بين جبلين وهو مدخل أهل الحجاز إلى مصر. معجم البلدان

وفيه استقر كمال الدين التنسي^(١) المالكي في قضاء الإسكندرية، عوضا عن كمال الدين الريغى.

وفي أول شهر ربيع الأول: قدم الشيخ شمس الدين محمد بن يوسف بن إلياس القنوى الخفى، فخرج الأمير منكلى بغا الشمسى الأتابك إلى لقائه، وأنزله فى بيت بالمارستان، فأتاه الناس من كل جهة. وكان منقطع القرين فى الورع والصدع بالحق.

وفي ثالث ربيع الآخر: استقر الأمير كنجكجى المنصورى فى نيابة حماة، عوضا عن أيدير الشىخى.

وفي رابعه: خلع على الصاحب شمس الدين أبى الفرج المقسى، واستقر فى الوزارة، عوضا عن كريم الدين عبد الكريم بن الرويهب، مضافا إلى نظر الخاص.

وفي ثانى جمادى الآخرة: أخرج الأمير محمد بن قمار أمير شكار منفيا، واستقر عوضه الأمير جمال الدين عبد الله بن بكتمر الحاجب أمير شكار، وخلع على الأمير ناصر الدين محمد بن قيران الحسامى، المعروف بابن شرف الدين، واستقر أمير طبر^(٢)، عوضا عن شرف الدين موسى بن ديدار بن قرمان عند استعفائه، وخلع على الأمير نصرات، واستقر حاجبا عوضا عن أسنبغا.

وفي ثالثه: استقر الأمير كنول رأس نوبة.

وفي يوم الخميس رابع عشرين رجب: استقر علاء الدين على بن محمد بن على ابن عبد الله بن أبى الفتح بن هاشم المقدسى فى قضاء الحنابلة بدمشق، عوضا عن شرف الدين أحمد بن شيخ الجبل بعد وفاته.

وفي تاسع عشرينه: رسم الأمير أسندمر حروفش بالجلوس وقت الخدمة بالإيوان.

وفي ثامن عشر شعبان: استقر الشريف بكتمر بن على الحسينى حاجبا، عوضا عن أقبغا اليوسفى. واستقر الأمير أرغون شاه الأشرفى رأس نوبة، عوضا عن الأمير بشتاك العمرى بعد وفاته، واستقر الأمير أرغون الأحمدي اللالا أمير مجلس، عوضا عن أرغون

(١) التنسى: نسبة إلى تنس: مدينة بقرب مليانة بينها وبين البحر ميلان، وهى مسورة حصينة وبعضها على جبل وقد أحاط به السور، وبعضها فى سهل الأرض، وهى قديمة أزلية، وشرب أهلها من عين بها، وداخلها قلعة صعبة المرتقى ينفرد بسكانها عامل تنس لمنعتها. معجم البلدان ٣٨/٢، والروض المعطار ١٣٨، والإدريسى ٥٧/٨٣، والاستبصار ١٣٣، والبكرى ٦٢.

(٢) طبر موضوعها أن يكون صاحبها حاملا الطير فى الموكب ويحكم على من دونه من الطيردارية وعادتها إمرة عشرة.

شاه، وأنعم على الأمير طينال المارديني بتقدمة ألف، وعلى الأمير علم دار بتقدمة ألف، واستقر أستاذارا، واستقر الأمير محمد بن سرتقطاي نقيب الجيش، عوضا عن أرغون بن قيران. واستقر الأمير شرف الدين موسى بن الأزكشي شاد الدواوين، عوضا عن شرف الدين موسى بن الديناري، واستقر ابن الديناري حاجبا، عوضا عن علاء الدين ابن كلفت، واستقر الأمير آقبا بن مصطفى جاشنكيرا عوضا عن الأمير ألتنبغا العلاي فرفور، واستقر الأمير جركس الرسولي أستاذارا ثانيا، عوضا عن محمد بن طرغاي، واستقر الأمير طغاي ثمر العثماني أمير جاندار، عوضا عن الأمير أسندمر حرفوش، وخلع على الجميع.

واستقر الأمير تلتكتر من بركة في نيابة صفد، عوضا عن الأمير جنتمر أخي طاز. وقدم البريد بغلاء الأسعار بدمشق، وتجاوزت الغرارة القمح مائتي درهم، وفشت بها الأوبئة.

وفي يوم الإثنين ثالث عشرين شوال: توجه قاضي الخنابلة بدمشق علاء الدين على ابن محمد إلى محل ولايته.

وفي رابع ذي القعدة: استقر علاء الدين على بن الرصاص في قضاء الحنفية بصفد، وخلع عليه، وتوجه إلى ولايته.

وفي يوم الخميس خامس عشرينه: خلع على صاحب فخر الدين ماجد بن تاج الدين موسى بن أبي شاكر وأعيد إلى الوزارة، عوضا عن شمس الدين أبي الفرج المقسي، وخلع على الأمير ناصر الدين محمد بن إياز الدواداري، واستقر كاشف الوجه البحري، واستقر علاء الدين السناني في ولاية الغربية، عوضا عن قطلوبك صهر المزوق، واستقر بهادر والي العرب في ولاية البهنسا^(١)، واستقر ركن الدين عمر بن المعين والي البحيرة عوضا عن أسندمر الخضري.

وفي يوم الإثنين ثامن عشرينه: رسم بتسمير نصراني، اتهم أنه سحر خوند ابنة الأمير طاز وزوجة السلطان، فماتت بسحره، فسمر ووسط وأحرق بالنار.

واستقر نجم الدين أحمد بن عماد الدين إسماعيل بن الكشك في قضاء الحنفية بدمشق، عوضا عن أبيه، برغبته له عن ذلك، واستقر برهان الدين أبو سالم إبراهيم بن محمد بن علي الصنهاحي في قضاء المالكية بحلب، عوضا عن تقي الدين الأنفي.

(١) البهنسا مدينة بمصر من الصعيد. انظر معجم البلدان ١/٥١٦، ٥١٧.

وفي يوم الخميس تاسع ذى الحجة: استقر زين الدين أبو بكر على بن عبد الملك المازوني في قضاء المالكة بدمشق، بعد وفاة جمال الدين المسلاتي.

وفي يوم الأربعاء خامس عشرينه: قدم اليريد بوفاة التاج عبد الوهاب بن السبكي قاضي القضاة بدمشق، فاستقر عوضه كمال الدين أبو القاسم عمر بن الفخر عثمان ابن هبة الله المعري قاضي حلب، واستقر في قضاء حلب عوض المعري قاضي طرابلس فخر الدين عثمان بن أحمد بن عثمان بن أحمد الزرعي.

وأعيد الأمير الطنبغا الشمسي إلى ولاية القلعة، وأخرج الأمير نصرات إلى الإسكندرية، وعمل بها حاجباً، وأنعم على كل من الأمير منكوتمر عبد الغني والأمير يلبغا الجنون بتقدمة ألف، وعلى كل من الأمير يلبغا الناصري، والأمير الطنبغا الشمسي، والأمير قطلو أقتمر العثماني، والأمير آل ملك الصرغتمشي، والأمير عبد الرحيم بن الأمير منكلي بغا الشمسي، والأمير ياورجي القوصوني، والأمير تغري برمش بن ألبغاي، والأمير تلكتمر الجمالي بإمرة طبلخاناه، وعلى كل من محمد بن قرا ابن كلتيه، ورجب بن طيبغا المحمدي، وعبد الله بن محمد بن طرغاي، وصرای تمر المحمدي، ومنكلي بغا البلدي الأحمدي، ويلبغا المحمدي، وبكتمر العلمي، ومحمد شاه ابن الأمير ناصر الدين محمد بن أقبغا آص، وطيدمر الذهبی أمير شكار، وبكتاش بن قطليجا.

وفيها ولد للسلطان ولد ذكر سماه رمضان، وزينت القاهرة لولادته، ودقت البشاير، وذلك في شهر رمضان.

وكان أمير الحاج علاء الدين على بن كلفت، فأقام بمكة لعمارة مأذنة باب الحزورة^(١)، وعاد بالحاج الطواشي سابق الدين مثقال الأنوكي، مقدم الممالك.

* * *

ومات في هذه السنة ممن له ذكر من الأعيان

الوزير صاحب علم الدين إبراهيم بن قزوينة، المعروف بالخليق، في ليلة الثلاثاء سابع شهر رجب.

(١) حزورة بالفتح ثم السكون وفتح الواو. ويقول ياقوت: إن الحزورة كانت سوق مكة وقد دخلت المسجد لما زيد فيه وهو أحد أبواب المسجد الحرام. معجم البلدان ج٣، والروض المعطار ١٩٤، ١٩٥، ومعجم ما استعجم ٤١١/٢، والبكري ٧٤.

وتوفى قاضى الخنابلة بدمشق شرف الدين أحمد بن قاضى الخنابلة بدمشق شرف الدين أبى الفضائل الحسن بن الخطيب شرف الدين أبى بكر عبد الله بن الشيخ أبى عمر محمد بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسى ثم الصالحى الدمشقى، المعروف بابن قاضى الجبل الحنبلى، علامة وقته فى كثرة النقل وقفه الخنابلة، فى يوم الثالث عشر من رجب.

وتوفى قاضى المالكية بحماة ودمشق أبو الوليد سرى الدين إسماعيل بن البدر محمد ابن محمد بن هانى اللخمي الأندلسى بالقاهرة، برع فى العربية واللغة والأدب، وشرح التلقين فى النحو لأبى البقاء، وحدث بالموطأ.

ومات الأمير أروس بغا الخليلى أحد الطبلخاناه فى آخر شهر رجب.

ومات الأمير أسندمُر الكاملى زوج خوند القردُمية وأحد أمراء الألوفا.

ومات الأمير آسن الصرغتمشى أحد الطبلخاناه، منفيا بدمشق.

ومات الأمير أقبغا اليوسفى الحاجب، فى شعبان بمدينة منفلوط^(١)، وقد توجه إلى لقاء هدية صاحب اليمن^(٢)، وكان مشكور السيرة.

ومات الأمير أظنبغا العلاى الجاشنكيرى فرفور، أحد الطبلخاناه.

ومات الأمير بكنمر المؤمنى أمير آخور فى يوم الثلاثاء سابع عشر الحرم.

ومات الأمير بكنمر الأحمدي أحد الطبلخاناه.

ومات الأمير تَبَنك الأزقى أحد الطبلخاناه ورأس نوبة ثانيا. وكان من الأبطال.

ومات الأمير طيبغا المحمدى أحد أمراء الألوفا، فى صفر.

ومات قاضى قضاة دمشق تاج الدين عبد الوهاب بن قاضى قضاة دمشق تقى الدين على بن عبد الكافى بن على بن تمام بن يوسف بن موسى بن تمام الأنصارى السبكى، فى يوم الثلاثاء سابع ذى الحجة بدمشق، عن أربع وأربعين سنة.

(١) منفلوط بلدة بالصعيد فى غربى النيل بينها وبين شاطئ النيل. انظر معجم البلدان

٢٧، ٢١٤/٥.

(٢) اليمن: البلد المعروف الذى كان لسبأ فسمى يمنا لأنه عن يمين الكعبة، والحجاز حجازا لأنه حاجز بينهما، وقيل سمي اليمن ليمنه والشام لشومه، وقيل سمي اليمن يمنا بيمين بن قحطان. انظر معجم البلدان ٤٤٧/٥، ٤٤٨، والروض المعطار ٦١٩، ومعجم ما استعجم ٤/ ١٤٠١.

وتوفى قاضى القضاة الحنفية وعالمهم زين الدين عمر بن الكمال أبى عمر عبد الرحمن بن أبى بكر البسطامى، ليلة الجمعة خامس عشرين جمادى الآخر بالقاهرة، ومولده فى جمادى سنة أربع وتسعين وستمئة، ودفن بالقرافة عند جده لأمه قاضى القضاة شمس الدين محمد السروجى.

وتوفى زين الدين عبد الله بن القوصى، أحد نواب القضاة الشافعية، فى ليلة الخميس سابع عشر جمادى الآخر.

وتوفى قاضى المالكية بدمشق جمال الدين محمد بن الزين عبد الرحيم بن على بن عبد الملك المسلاتى بالقاهرة، فى يوم السبت ثالث عشر ذى القعدة؛ ودفن بتربة الصوفية خارج باب النصر.

وتوفى قاضى العسكر بدر الدين محمد بن أبى الفتح محمد بن عبد اللطيف بن يحيى ابن على بن تمام بن يوسف بن موسى بن تمام السبكى، بطريق القدس، أو قد توجه لزيارته.

وتوفى الفقيه النحوى شمس الدين محمد بن الحسن بن محمد المالقى^(١) المغربى المالكى بدمشق، وله شرح التسهيل فى النحو.

ومات الأمير محمد بن الأمير تنكز نايب الشام، أحد الطبلخاناه.

ومات الأمير محمد بن الأمير طرغاي أحد الطبلخاناه.

ومات الأمير محمد الترجمان، أحد الطبلخاناه.

ومات شمس الدين موسى بن التاج أبى إسحاق عبد الوهاب بن عبد الكريم ناظر الجيش وناظر الخاص، بعد ما عزل، ووزر وزارة دمشق غير مرة. وهو من أبناء السبعين، بظاهر دمشق.

ومات الأمير الأكز الكشلاوى، الوزير الأستاذار، وهو منفى بجلب فى ربيع الأول.

* * *

(١) محمد بن الحسن بن محمد المالقى نزيل دمشق فقيه مالكى، من الشيوخ شيوخ العربية فى عصره. له [شرح التسهيل] فى النحو وشرح مختصر ابن الحاجب القرعى. انظر بغية الوعاة ٣٥ والدرر الكامنة ٤٢٤/٣ وكشف الظنون ٤٠٧ والأعلام ٨٧/٦.

سنة اثنتين وسبعين وسبعمائة

فى يوم الإثنين ثانى عشر المحرم: استقر سعد الدين ماجد بن التاج أبى إسحاق فى وزارة الشام.

وفى يوم الثلاثاء ثالث عشره: سافر زين الدين أبو بكر بن على بن عبد الملك المازونى - قاضى المالكية بدمشق - إلى محل ولايته.

وفى حادى عشرينه: أخرج الأمير يعقوب شاه الخازندار منفيا إلى ملطية^(١).

وفى أول صفر: قدمت رسل الفرنج لطلب الصلح، فحلفوا على ألا يغدروا ولا يحزنوا، وخلع عليهم، وسافروا ومعهم من يحلف ملكهم، وأخذت منهم رهائن بالقلعة.

وفى شهر ربيع الأول: عزل الأمير شهاب الدين أحمد بن قنغلى من ولاية الجيزة بسؤاله، وارتجعت عنه إمرة طبلخاناه، وأنعم على طيغنا العمرى الفقيه بإمرة عشرة. واستقر محمد بن قرطاي الموصلى نقيب الجيش، عوضا عن أرغون بن قيران، ثم أعيد أرغون واستدعى محمد بن قمارى من غزة، وأنعم عليه بإمرة طبلخاناه، واستقر أمير شكار على عادته.

وفى يوم السبت ثامن عشر ربيع الآخر: ركب السلطان للصيد، وعبر القاهرة من باب زويلة، ونزل إلى القبة المنصورية^(٢)، فزار جده وجد أبيه، وركب فخرج من باب النصر، وتصيد، وعاد يريد التوجه إلى الوجه القبلى، فقدمت له أرباب الأدراك تقادم جليلة.

وفى ليلة الخميس الخامس من جمادى الأولى: ظهر بالسما على القدس ودمشق وحلب، حمرة شديدة جدا كأنها الجمر، وصارت فى خلل النجوم، كالعمد البيض حتى سد ذلك الأفق طول ليلة الخميس حتى طلع الفجر، فارتاع الناس، واشتد خوفهم، وباتوا يستغفرون الله ويذكرونه.

(١) ملطية بلدة من بلاد الروم مشهورة مذكورة تناخم الشام. انظر معجم البلدان ١٩٢/٥،

١٩٣.

(٢) القبة المنصورية، نسبة إلى السلطان المنصور قلاوون بها قبر يضم المنصور قلاوون وابنه الملك الناصرى محمد والملك الصالح إسماعيل بن محمد بن قلاوون. انظر المقرئى: المواعظ ٢٨٠/٢.

وفي آخره: خلع على الأمير سيف الدين طشتمر العلاءى، واستقر دوادارا بإمرة
طلبخانا، نقل إليها من الجندية بعد وفاة منكوتر عبد الغنى الدوادار.

وفيه عادت رسل الفرنج ومعهم عدة ممن أسروهم من المسلمين نحو المائة.

وكان الوقت خريفا، فكثرت الأمراض فى الناس بالقاهرة، والوجه البحرى، وتجاوز
عدد الأموات بالقاهرة ثمانين فى كل يوم.

وفي أول جمادى الآخرة: استقر شرف الدين عبد المنعم بن سليمان بن داود
البغدادى الحنبلى، فى إفتاء دار العدل وتدریس مدرسة أم السلطان بخط^(١) التبانة،
عوضا عن بدر الدين حسن النابلسى بعد وفاته.

وفيه بعث الفرنج من بقى من أسرى المسلمين ببلادهم، وتم الصلح، وفتحت كنيسة
القمامة بالقدس.

وفي ثالث عشرين شهر رجب: سار ركب الحجاج الرجبية إلى مكة.

وفي سابع شعبان: استقر بدر الدين عبد الوهاب بن أحمد بن محمد الأحنأى فى
إفتاء دار العدل، عوضا عن تاج الدين محمد بن بهاء الدين بعد وفاته بعقبة أيلة^(٢)
صحبة الرجبية.

وفي تاسعه: استقر علم الدين صالح الإسئوى موقع الحكم، واستقر فى وكالة
الخاص، عوضا عن ابن بهاء الدين، واستقر بدر الدين الأقفهسى شاهد الأمير ألباى
اليوسفى عوضه فى شهادة الجيش، واستقر محب الدين السمسطأى فى نظر المارستان
عوض ابن بهاء الدين.

وفي يوم الإثنين رابع عشر شعبان: خلع على الصاحب شمس الدين أبى الفرج
المقسى، واستقر وكيل الخاص عوضا عن علم الدين صالح، مضافا لما بيده.

وفي أول شهر رمضان: خلع على الأمير علم دار، واستقر فى نيابة صغد عوضا
عن تَلَكْتُمُرُ الفقيه من بركة، وقدم تَلَكْتُمُرُ واستقر أستاذارا عوضا عن علم دار.

(١) مدرسة أم السلطان: تقع هذه المدرسة خارج باب زويلة من قلعة الجبل أنشأتها الست حليلة
بركة أم السلطان الملك الأشرف شعبان بن حسين سنة ٧٧١هـ وعملت بها درس للشافعية ودرسا
للحنفية وعلى بابها حوض ماء للسبيل، ودفن بها ابنها الملك الأشرف بعد قتله. المقرئى المواعظ
ج٢/٣٣٩.

(٢) عقبة أيلة: سبق ترجمتها. انظر معجم البلدان ٥/٢٩٢، ٢٩٤، والروض المعطار ٧٠، ٧١،
ورحلة الناصرى ٢٠١، ٢٠٢.

وفي عاشر شوال: خلع على الأمير أرغون شاه، واستقر رأس نوبة بعد موت الأمير بَشْتَاك.

وفي سابع عشر ذى القعدة: خلع على الأمير طَيِّدْمُر البالسى، واستقر فى نيابة الإسكندرية، عوضا عن ابن عرام، وأنعم على ابن عرام بإمرة طبلخاناه بالقاهرة.

وفي رابع عشرينه: خلع على بدر الدين بن السكرى، واستقر فى قضاء الحنفية بالإسكندرية بعد موت ابن الزبيبة، وخلع على محمد بن سرتُقَطَاى، واستقر نقيب الجيش، عوضا عن أرغون بن قيران.

وفيه خلع أبو البقاء، خالد بن إبراهيم^(١) بن أبى بكر متملك تونس، بعد إقامته فى الملك سنة وتسعة أشهر تنقص يومين، وقام بعده ابن عمه أبو العباس أحمد بن محمد بن أبى بكر بن يحيى بن إبراهيم، فى يوم السبت ثامن عشر ربيع الآخر.

* * *

ومات فى هذه السنة ممن له ذكر من الأعيان

قاضى الحنفية بئغر الإسكندرية شهاب الدين أحمد بن إبراهيم بن عمر الصالحى، عرف بابن زُبَيْبَة - تصغير زبيبة - فى خامس عشر ربيع الأول وهو أول من ولى من قضاء الحنفية بالإسكندرية.

ومات الأمير أرغون بن قيران السلارى نقيب الجيش فى جمادى الأولى.

ومات الأمير أسندمر حرفوش العلاى الحاجب، بعد ما أخرج إلى الشام، وأنعم عليه بإمرة ألف فى دمشق.

ومات الأمير على الماردىنى نائب الشام وديار مصر، فى يوم الثلاثاء سابع المحرم، وكان مشكور السيرة.

ومات الأمير بَشْتَاك العمرى رأس نوبة.

ومات الأمير جرجى نائب حلب، وهو أمير كبير بدمشق، فى صفر.

(١) خالد بن أبى إسحاق إبراهيم بن أبى بكر المتوكل بن يحيى. أبو البقاء: من ملوك الحفصيين بتونس وليها صبيا على أثر وفاة أبيه (سنة ٧٧٠هـ) واستمر عاما وتسعة أشهر، والأمر فوضى، وللحاشية الحكم فنار عليه والى قسطنطينة أحمد بن محمد بن أبى بكر واعتقله ووجهه فى البحر إلى قسطنطينة ففرق فى الطريق انظر الخلاصة التقيية ٧٧ والأعلام ٢/٢٩٤.

ومات الأمير جرجى البالىسى، أحد الطبلخاناه.

ومات الأمير جرقطلو المظفرى، أحد العشرات.

ومات بدر الدين حسن بن محمد بن صالح بن محمد^(١) بن محمد بن عبد المحسن النابلسى، الفقيه الحنبلى، مفتى دار العدل، ومدرس الحنابلة بمدرسة أم السلطان، فى رابع عشر جمادى الآخرة، توفى بالقاهرة.

ومات شرف الدين سالم بن قاضى القضاة بهاء الدين أبى البقاء، فى يوم الخميس رابع عشر شوال، بالقاهرة.

ومات الشيخ عبد الرحيم جمال الدين أبو محمد^(٢) بن الحسن بن على بن عمر الأموى الإسنى الشافعى، فجأة، ليلة الأحد ثامن جمادى الأولى، وقد انتهت إليه رياسة العلم. وأكثر من التصانيف فى الفقه وغيره.

وتوفى قاضى الحنفية بالمدينة النبوية، نور الدين على بن الفقيه عز الدين يوسف بن الحسن بن محمد بن محمود الزرندى.

وتوفى علاء الدين على بن إسماعيل بن إبراهيم بن موسى، المعروف بابن الظريف، الفقيه المالكى، موقع الحكم، وأحد نواب المالكية، والمقدم فى عمل المناسحات، فى ليلة الأربعاء رابع عشر جمادى الأولى.

ومات سراج الدين عمر بن الحسن بن محمد بن عبد العزيز بن محمد بن القرات، موقع الحكم، فى ليلة الثلاثاء حادى عشر جمادى الآخرة.

ومات الأمير قطلو أقتمر الناصرى رأس نوبة، فى ثامن عشر جمادى الأولى.

ومات تاج الدين محمد بن بهاء الدين المالكى، المعروف بابن شاهد الجمال، مفتى دار العدل، وشاهد الجيش، وناظر المارستان، ووكيل الخاص، فى أول شعبان، بمنزلة العقبة.

(١) الحسن بن محمد بن صالح الجاور القرشى النابلسى فاضل باحث، سمع بنابلس ومصر ودمشق، وولى إفتاء دار العدل بالقاهرة، وصنف «البرق الوبيض فى ثواب العيادة للمريض» وسمعة الأيدار ونزهة الأبصار» وتحرير الفقيه و«أخبار المهدي». انظر السحب الوايلة - خ، والأعلام ٢١٦.

(٢) عبد الرحيم بن الحسن بن على الإسنى الشافعى أبو محمد، جمال الدين: فقيه أصولى، من علماء ولد بإسناد وقدم القاهرة سنة ٧٢١هـ فانتهدت إليه رياسة الشافعية وولى الحسبة ووكالة بيت المال، ثم اعتزل الحسبة. من كتبه «المبهمات على الروضة - خ» فقه، (الهداية إلى أوهم الكفاية - خ) و«الآشياء والنظائر». انظر بغية الوعاة ٣٠٤ والبدر الطالع ٣٥٢/١ وخطط مبارك ٦٣/٨.

وتوفى شمس الدين محمد بن عبد الله بن محمد الزركشى، أحد أعيان الفقهاء
الحنابلة، فى ليلة السبت رابع عشرين جمادى الأولى.

ومات الأمير منكوتر عبد الغنى الأشرفى الدودار، فى يوم الجمعة ثالث عشرين
جمادى الأولى.

ومات الشيخ أبو الظاهر تقى الدين محمد بن محمد إمام أهل الميقات، فى يوم السبت
حادى عشرين شهر رجب.

ومات الشيخ المجدوب المعتقد ذو الكرامات العجبية، أبو زكريا يحيى بن على بن
يحيى الصنافيرى الأعمى، فى يوم الأحد سابع عشرين شعبان، وحزر^(١) الجمع الذين
صلوا عليه بمصلى خولان من القاهرة، فكان ينيف على خمسين ألفاً.

وتوفى زين الدين عبد الرحمن بن عبد الله بن إبراهيم، أحد قراء السبع، وشيخ
خانكاه بكنمر بالقرافة، فى سابع عشرين ربيع الآخر، أخذ القراءات عن التقى الصايغ.

ومات الأمير أروس النظامى أحد الطبلخاناه.

ومات الأمير أزدُمَر الصفوى الجوكندار.

وتوفى الطيب الفاضل جمال الدين يوسف الشوبكى، فى تاسع عشر جمادى
الأولى. والله تعالى أعلم.

* * *

(١) الحزر هو التقدير أو عد الشيء بالحلس. انظر (لسان العرب).

سنة ثلاث وسبعين وسبعمان

فى أول المحرم: استقر الأمير أيدمر الدوادار فى نياية حلب، عوضا عن أشقتمُر الماردىنى.

وفى صفر: طُلب شمس الدين محمد الرركراكى المغربى من فقهاء المالكية إلى مجلس الأمير الكبير ألبجى، وادعى عليه بقوادح توجب إراقة دمه، فتعصب له قوم، وتعصب عليه آخرون.

وكرت زيادة النيل، فنودى عليه فى يوم الثلاثاء ثانى عشر شهر ربيع الأول، وهو خملمس عشرين توت، أربعة أصابع لتتمة إصبعين من عشرين ذراعا، ثم زاد بعد ذلك عدة أيام، فلم يناد عليه، فإنه فاض حتى تقطعت الطرقات، وتأخرت الزراعة، ثم نقص قليلا، وثبت حتى مضى من هاتور عدة أيام، فاجتمع الناس بجامع عمرو من مدينة مصر، والجامع الأزهر بالقاهرة، ودعوا الله لهبوط النيل عدة مرار، فهبط وزرع الناس على العادة.

وركب السلطان للعب بالكرة فى الميدان الكبير بشاطئ النيل خمس سبوت متوالية ولم يتقدمه لذلك أحد، وإنما العادة أن يكون الركوب بعد وفاء النيل إلى الميدان فى ثلاثة سبوت متوالية.

وفى يوم الإثنين أول جمادى الأولى: ضرب عنق بعادة مشارف ديوان المواريث الحشرية، لقوادح أوجبت إراقة دمه شرعا.

وفى هذا الشهر: تنجز لقاضى القضاة سراج الدين عمر الهندى الحنفى مرسوما بأن يلبس الطرحة، ويستتبع عنه قضاة فى أعمال مصر قبلها وبحريها، ويفرد له مودعا لأموال يتامى الحنفية، كما يفعل قاضى القضاة الشافعى، فشغله الله عن إتمام ذلك بمرض نزل به، فلزم الفراش حتى مات.

وفيه أيضًا جرى بين قاضى القضاة بهاء الدين أبى البقاء الشافعى، وبين قاضى القضاة برهان الدين إبراهيم الأحنأى المالكى، كلام فى مسألة، وكان أبو البقاء ببحر علم لا يدركه الدلاء، والأحنأى بضاعته فى العلم مزجاة، فأنجز الكلام إلى أن قال أبو البقاء: «لو كان مالك حيا لناظرته فى هذه المسألة». فعد الأحنأى ذلك خروجا من

بهاء الدين وقال: «إيش أنت حتى تذكر مالكا؟»، والله لو كان غيرك لفعلت به كذا»
يعنى القتل، وهجره. فاتفق عن قريب عزل أبى البقاء، فطار البرهان كل مطار، وعد
هو وأصحابه ذلك من كرامات الإمام، رحمه الله.

وفي يوم الإثنين ثامن: كانت الخدمة السلطانية بدار العدل من القلعة، وحضر قضاة
القضاة على العادة، ثم انقضت الخدمة، فمضى القضاة على عادتهم، وجلسوا بالجامع
من القلعة، إذ أتاهم رجل من عند السلطان وأسر إلى أبى البقاء، ثم التفت إلى بقية
القضاة وبلغهم عن السلطان، أنه قد عزل أبا البقاء، وأمره أن يلزم بيته، فانفضوا على
ذلك، وخرج اليريد بطلب خطيب القدس، برهان الدين إبراهيم^(١) بن عبد الرحيم بن
جماعة، فقدم فى يوم الأحد خامس جمادى الآخرة، ودخل على السلطان، فبالغ فى
إكرامه وخلع عليه، وولاه قضاء القضاة، عوضا عن أبى البقاء، فنزل وبين يديه حاجبين
من حجاب السلطان. ولم يتقدم لأحد من القضاة، قبله أن تركب معه الأمراء، وركب
معه أيضًا الأعيان، فكان يوما مشهودا.

وكانت مدة عطلة الناس من ولاية قاضى القضاة سبعة وعشرين يوما، وقد وقع مثل
ذلك فى الأيام الناصرية محمد بن قلاوون^(٢)، تعطلت القاهرة من بعض قضاة القضاة
سبعة وعشرين يوما.

ووقع نظير ذلك فى سنة إحدى وسبعين وثمانمائة فى الأيام الظاهرية خشقدم - ييقى
الله عهده - عند عزله قاضى القضاة بدر الدين أبو السعادات محمد بن تاج الدين
البلقيني الكنانى الشافعى، وطلب السلطان الشيخ أبى يحيى زكريا السبكي الأنصارى
الشافعى ليوليه وظيفة القضاء، فاختمنى عند طلبه، وشغره منصب القضاء سبعة وعشرين
يوما، ثم ظهر بعد ذلك، وطلب إلى عند السلطان هو والشيخ كمال الدين محمد بن
إمام الكاملية، وعرض عليهما وظيفة القضاء، وسألهما السلطان فى ذلك، فأصرا على
عدم الدخول فى ذلك، وسعى جماعة فلم يجابوا إلى شىء، فاستشار السلطان الشيخ

(١) إبراهيم بن عبد الرحيم بن محمد بن جماعة الكنانى، أبو إسحاق برهان الدين، الحموى
الأصل، المقدسى الشافعى: مفسر من القضاة عرفه صاحب الأنس الجليل بقاضى مصر والشام
وخطيب الخطباء وشيخ الشيوخ، وكبير طائفة الفقهاء. ولد بمصر ونشأ بدمشق وسكن القدس وولى
قضاء الديار المصرية مرارا (وتوفى شبه فجأة). انظر الأنس الجليل ٤٥٢/٢ والدرر الكامنة ٣٨/١
والشذرات ٣١١/٦ والأعلام ٤٦/١.

(٢) محمد بن قلاوون عبد الله الصالحى، أبو الفتح: من كبار ملوك الدولة القلاوونية كانت إقامته
فى طفولته بدمشق، وولى سلطنة مصر والشام سنة ٦٣هـ، وهو صبى، وخلع منها لحدائته سنة
٦٩٤هـ مورد اللطافة ٤٤ وابن الوردى ٣٣٠/٢ والنجوم الزاهرة ٤١/٨، ١١٥ والأعلام ١١/٧.

أمين الدين يحيى بن الأقبصرى^(١) الحنفى فيمن يوليه، فأشار بولاية الشيخ ولى الدين أبى الفضل أحمد بن أحمد السيوطى الشافعى، أحد خلفاء الحكم العزيز، وذكر الشيخ أمين المذكور أنه أصلح الموجودين، فطلب ولى الدين المذكور، وخلع عليه، واستقر فى وظيفة القضاء، وسار سيرة حسنة بالنسبة إلى مستنبيه القاضى المنفصل، والله الأمر من قبل ومن بعد.

وفى يوم الخميس رابع عشر شهر رجب: دار حمل الحاج على العادة فى كل سنة، فاستدعى صدر الدين محمد بن جمال الدين عبد الله بن علاء الدين على التركمانى قاضى العسكر، وخلع عليه، واستقر قاضى القضاة الحنفية، عوضا عن السراج عمر الهندى. ونزل والحمل والقضاة وغيرهم وقوف بالرميلة تحت القلعة، كما هى العادة، فوقف معهم ثم مضى فى موكب المحمل حتى انقضى دورانه، فكان يوما مشهودا.

وفى يوم الإثنين ثامن عشرة: خلع على الشيخ شمس الدين محمد بن عبد الرحمن الصائغ^(٢) الحنفى، واستقر قاضى العسكر عوضا عن صدر الدين محمد التركمانى، وأضيف إليه أيضا تدريس الحنفية بالجامع الطولونى، عوضا عن السراج الهندى، واستقر جلال الدين جار الله فى تدريس الحنفية بالمدرسة المنصورية، عوضا عن حميه السراج الهندى.

وفى شعبان: على الشيخ سراج الدين عمر^(٣) البلقينى، واستقر فى قضاء العسكر عوضا عن الشيخ بهاء الدين أحمد بن السبكى بعد موته، واستقر فى تدريس المدرسة الناصرية بجوار قبة الإمام الشافعى - رحمه الله - من القرافة، وتدریس الشافعية

(١) يحيى بن محمد بن إبراهيم، أبو زكريا، أمين الدين الأقبصرانى: فاضل من الحنفية. تركى الأصل من بلدة أقصر (آق سراى) مولده ووفاته بالقاهرة. أقرأ وأفتى وله مرويات منها أربعين حديثا عن أربعين شيخا. انظر الضوء اللامع ١٠/٢٤٠ - ٢٤٣ وفيه ١١ - ١٨٥ والأعلام ٨/١٦٨.

(٢) محمد بن عبد الرحمن بن على، شمس الدين الحنفى الزمردى بن الصائغ: أديب، من العلماء، مصرى ولى آخر عمره قضاء العسكر وإفتاء دار العدل، ودرس بالجامع الطولونى. من كتبه التذكرة فى النحو، عدة مجلدات. انظر بغية الرواة ٦٥ والدرر الكامنة ٣/٤٩٩ وشذرات الذهب ٦/٢٤٨ والفوائد البهية ١٧٥ والأعلام ٦/١٩٣.

(٣) عمر بن رسلان بن نصر بن صالح الكنانى العسقلانى الأصل، ثم البلقينى المصرى الشافعى، أبو حفص سراج الدين: مجتهد للحديث، من العلماء بالدين. ولد فى بلقينة (من غربية مصر) وتعلم بالقاهرة وولى قضاء الشام سنة ٧٦٩هـ وتوفى بالقاهرة من كتبه (التدريب - خ) فى الفقه ٥١/٧ انظر الأعلام ٥/٤٦.

بالمدرسة المنصورية بين القصرين من القاهرة، قاضى القضاة بهاء الدين أبو البقاء. واستقر فى إفتاء دار العدل كمال الدين أبو البركات بن السبكي، وخلع عليه فى يوم الخميس ثالث عشره، واستقر الشيخ ضياء الدين عبيد الله بن سعد القرمى فى تدريس الشافعية بخانكاه شيخو، وحضر معه القضاة والأعيان، وعدة من الأمراء، منهم الأمير الكبير منكلى بغا الشمسى الأتابك والأمير أرغون اللالا، والأمير تلتكمز الفقيه أستاذار السلطان، والأمير أرغون شاه رأس نوبة، والأمير طشتمر الدوادار، فى آخرين، ومد سماط عظيم بالخانكاه، فكان يوم مشهودا، ثم انفضوا بعد ما ألقى الدرس وأكلوا السماط.

وفى هذا الشهر: ألزم الأشراف بأن يتميزوا بعلامة خضراء فى عمائم الرجال وأزر النساء، فعملوا ذلك واستمر، وقال فى ذلك الأديب شمس الدين محمد بن أحمد بن جابر الأندلسى:

جعلوا لأبناء الرسول علامة إن العلامة شأن من لم يشهر
نور النبوة فى كريم وجوهم يعنى الشريف عن الطراز الأخضر
وقال الأديب المنشى زين الدين طاهر بن حبيب الحلبي:

ألا قل لمن يغى ظهور سيادة تملكها الزهْرُ الكرام بنو الزهرا
لئن نصبوا للفخر أعلام خضرة فكم رفعوا للمجد ألوية حمرا

وفىها استقر شهاب الدين أحمد بن العماد محمد بن محمد بن المسلم بن علان القيسى فى كتابة السر بحلب، بعد وفاة علاء الدين على بن إبراهيم بن حسن بن تميم.

* * *

ومات فيها من الأعيان ممن له ذكر

الشيخ بهاء الدين أبو حامد أحمد بن تقى الدين أبى الحسن على بن عبد الكافى بن على بن تمام بن يوسف بن موسى بن تمام الأنصارى السبكي الشافعى، بمكة، ليلة الخميس سابع رجب.

ومات الأمير أيذمر الشيخى، أحد أمراء الألوْف ونائب حماة، بعد ما أقام بحلب.

ومات قاضى القضاة سراج الدين عمر بن إسحاق^(١) بن أحمد الغزنوى الهندى

(١) عمر بن إسحاق بن أحمد الهندى الغزنوى، سراج الدين، أبو حفص فقيه من كبار الأحناف له كتب منها «التوشيح» فى شرح الهدية فقه والغرة المنفية وترجيح مذهب أبى حنيفة - طه انظر الفوائد البهية ١٤٨ والدرر الكامنة ١٢٤/٣ ومفتاح السعادة ٥٨/٢ وكشف الظنون ١١٩٨ والأعلام ٤٢/٥.

الحنفى، فى ليلة الخميس سابع رجب، الليلة التى مات بها ابن السبكى بمكة.

ومات كمال الدين أبو الغيث محمد بن تقى الدين عبد الله بن محمد بن محمد بن محمد بن عبد القادر، المعروف بابن الصايغ، الأنصارى الدمشقى الشافعى، قاضى حمص، عن بضع وأربعين سنة.

ومات الأديب يحيى بن زكريا بن محمد بن يحيى بن الخباز العامرى الحموى، وهو من أبناء الثمانين، بدمشق.

ومات تقى الدين أبو بكر بن محمد العراقى، أحد فقهاء الخنابلة، فى ثامن عشرين جمادى الأولى.

ومات الفقير المعتقد عبد الله درويش، فى سابع عشر رجب.

ومات الأمير أسنبغا التلكسى أحد العشرات.

ومات الأديب الشاعر شهاب الدين أحمد بن محمد بن عثمان بن شيحان، المعروف بابن الجحد البكرى التيمى القرشى البغدادى، فى عاشر شهر رمضان بمعية بنى خصيب^(١). والله تعالى أعلم بالصواب.

* * *

(١) بمعية بنى خصيب مدينة كبيرة حسنة كثيرة الأهل والسكن على شاطئ النيل فى الصعيد الأدنى. انظر معجم البلدان ٢١٨/٥.

سنة أربع وسبعين وسبعمئة

وفيها استقر الأمير قُرطاي الكركي شاد العمائر^(١) في كشف الوجه القبلي، واستقر شاد العمائر عوضه أسنبغا البهادري، واستقر محمد بن قيران الحسامي، في كشف الوجه البحري، عوضا عن عثمان الشرفي، واستقر قُطلوبغا العزى أمير علم. واستقر قرايغا الأحمد أمير جاندار، واستقر تمرّاز الطازي حاجبا صغيرا، واستقر شهاب الدين أحمد بن شرف الدين موسى بن فياض بن عبد العزيز بن فياض المقدسي قاضي القضاة الحنابلة بحلب، عوضا عن أبيه برغبته له، واستقر شمس الدين محمد بن أحمد بن مهاجر في كتابة السر بحلب، عوضا عن ابن إعلان بعد وفاته.

وفيها فشّت الطواعين ببلاد الشام مدة ستة أشهر.

وفيها استقر الأمير شرف الدين موسى بن الأزكشي في نيابة غزة، عوضا عن طيدمّر البالسي.

وفي يوم الإثنين جمادى الأولى: ضرب البرهان الأحنأى قاضي القضاة المالكية عنق رجل؛ لوقوعه فيما أوجب ذلك.

وفي عشرينه: تقدم الأمير الكبير ألباي اليوسفي بألا يجلس في كل حانوت من حوانيت الشهود سوى أربعة، وأمر قضاة القضاة ألا يجلس كل قاض من الشهود إلا من كان على مذهبه، فانحصر الشهود من ذلك، ثم تنجزوا مرسوم السلطان بإعادتهم إلى ما كانوا عليه، فبطل ذلك.

وفي يوم الأحد أول جمادى الآخرة: قدم قود الأمير منجك نائب الشام وفيه أسدان، وضبع، وإبل، وثمانية وأربعون كلبا سلوقيا، وأربعون فرسا، وخمسون بقجة قماش، وقطاران بخاتي^(٢) بقماشها الفاخر، وأربعة قط بخاتي بقماش دون قماش القطارين الأولين، وخمس جمال بخاتي، لكل واحد منها سنامان، وقماشها من حرير، وستة قطر جمال عراب، بقماشها، وأربعة وأربعون هجينا، وثلاثة قباقيب نساوية من ذهب، فيها

(١) العمائر: وموضعها أن يكون صاحبها متكلمًا والعمائر السلطانية مما يختار السلطان إحداثه أو تجديده من القصور، والمنازل والأسواق، وهي إمرة عشرة.

(٢) البخت: والبختية: دخيل في العربية، أعجمي معرب، وهي الإبل الخراسانية، تنتج من بين عربية وفالج؛ وبعضهم يقول: إن البخت عربي. انظر لسان العرب.

اثنان مرصعان بالجوهر، قيمتها مائة وخمسون ألف درهم، عنها نحو ثمانية آلاف مثقال من الذهب، وعدة قنادير^(١) من حرير مزركش، بتراكيب مرصعة من الجوهر من ملابس النساء، وعدة كنايش^(٢) زرکش، وعرقيات^(٣) زرکش برسم الخيل وعدة عبي من حرير، وكثير من أحمال الحلوات والفواكه والأشربة، والنخلات، فاستكثر ذلك.

وفيه أنعم على الأمير منكلي بغا الأحمدي بتقدمة ألف، وعلى سلطان شاه بإمرة طبلخاناه، واستقر الأمير يلغا الناصري الخازندار شاد الشراب خاناه، عوضا عن منكلي بغا الأحمدي، واستقر تلكمتر خازندار.

وفي ثانيه: عرضت ممالك الأمير الكبير الأتابك منكلي بغا الشمسي على السلطان بعد موته، وهم مائتان وواحد، فجعلهم في خدمة ولده أمير علي.

وفيه ورد قود الأمير أشقتمتر المارديني نائب طرابلس، وهو خمسة وعشرون فرسا، وخمسة وعشرون بقجة قماش، ولكل من ولدى السلطان - أمير علي وأمير حاجي - أربعة أفراس وأربع بقج، فأنعم عليه بنيابة حلب، عوضا عن الأمير عز الدين أزدمتر الدوادر، ونقل أيدمر إلى نيابة طرابلس، واستقر الأمير ألباي اليوسفي أتابك العساكر وناظر المارستان، عوضا عن الأمير منكلي بغا الشمسي، فسأل قاضي القضاة برهان الدين إبراهيم بن جماعة في التحدث عنه في نظر المارستان فلم يقبل، فولى الصاحب كريم الدين شاكر بن إبراهيم بن غنام في نيابة النظر عنه بالمارستان^(٤)، كل ذلك والسلطان بسرحة البحيرة، على عادته في كل سنة.

فلما قدم السلطان من السرحة، وقع في ليلة الأحد تاسع عشرينه بالدور السلطانية من قلعة الجبل حريق عظيم تمادى عدة أيام، والخلائق في إطفائه، حتى قيل إنه صاعقة سماوية، وضاق صدر السلطان بسببه.

وفي يوم الثلاثاء أول شهر رجب: عرض الشريف فخر الدين محمد بن علي بن حسين - نقيب الأشراف - عامة الأشراف لتحدث الشريف بدر الدين حسن بن النسابة بأن النقيب أدخل في الأشراف من ليس بشريف ثابت النسب، وقدح فيه بسبب ذلك، فرسم على النسابة حتى يثبت ما رمى به النقيب.

(١) جمع قندورة وهي نوع من الثياب أو القمصان.

(٢) كنايش وكنافيش لفظ عامي مفرد كنفوش وهو تخريف كنبوش، ومعناه البردعة تجعل تحت

سرج الفرس.

(٣) عرقيات جمع عرقية وهي رداء للرأس طربوش يشبه في شكله قمع السكر ويفهم من المتن أنه

كانت تغطي بها رعوس الخيل.

(٤) وظيفة ناظر المارستان، وموضوعها التحدث في كل ما يتحدث فيه ناظر المارستان.

وفى ثالثه: استقر الأمير كجك أمير سلاح، عوضا عن الأمير ألبجى اليوسفى.

وفيه خلع ما استجده السلطان عند قدومه كل سنة من سرحة البحيرة من الخلع على الأمراء الألوف، وهى أقبية حريير بفرور سمور، وأطواق سمور بزركش، وعلى أمراء الطبلخاناه والعشرات أقبية حريير بطرز زركش، منها ما تحته فرو قاقم، ومنها ما فروه سنجاب. واستجد فى هذه السنة خلعة للأمير سابق الدين مقدم الممالك، وهى قباء حريير أزرق بطرز زركش عريض، فخلع عليه ذلك، ولم يتقدم قبله لأحد من مقدمى الممالك مثل هذا.

واستقر الأمير أحمد بن جميل فى ولاية الغربية، والأمير علم دار المحمدى فى نيابة صند، عوضا عن موسى بن أرقطاي.

وفى يوم الخميس ثانى شعبان: استقر الأمير صلاح الدين خليل بن عرام فى نيابة الإسكندرية، عوضا عن شرف الدين موسى بن الأزكشى.

وفى هذا الشهر: قصد الأمير ألبجى أن يجدد بالمدرسة المنصورية بين القصرين من القاهرة منبراً، ويقرر بها خطيباً لتقام بها الجمعة، فأفتاه سراج الدين عمر البلقينى من الشافعية، وشمس الدين محمد بن الصايغ من الحنفية بجواز ذلك، وأنكره من عداهما من الفقهاء لقرب المدرسة الصالحية - وبها خطبة للجمعة - بحيث يرى من المنصورية منبر الصالحية، وكثر الكلام فى ذلك، فعقد مجلس فى يوم السبت سادس عشرينه، اجتمع فيه القضاة والفقهاء بالمدرسة المنصورية لهذا، فجرى بينهم نزاع طويل، آل أمره إلى المنع من تجديد الخطبة، وانفضوا على أحن^(١) فى نفوس من أفتى بالجواز على من منع فى الجواز.

(١) أحن: الإحنة: الحقد فى الصدر، وأحن عليه أحناء وإحنة وأحن (الفتح عن كراع) وقد آحنة، التهذيب: وقد أحن إليه أحن وأحناء مواحنة من الإحنة، وربما قالوا حنة؛ قال الأزهري: حنة ليس من كلام العرب، وأنكر الأصمعي والفراء حنة، وقال ابن الفرج: أحن عليه وحن من الإحنة، ويقال: فى صدره على إحنة أى حقد، ولا تقل حنة، والجمع إحن وإحنات، وفى الحديث: وفى قلوبكم البغضاء والإحن، وأما ذوى الحنات، فهى جمع حنة، وهى لغة قليلة فى الإحنة، وقد جاءت فى بعض طرق حديث حارثة بن مضرب فى الحدود: ما بينى وبين العرب حنة، وفى الحديث: لا يجوز شهادة ذى الظنة والحنة، هو من العداوة؛ وفيه: إلا رجل بينه وبين أخيه حنة؛ وقد أحن عليه، بالكسر؛ قال الأقبيل القينى:

تى ما يسو ظن امرئ بصديقه صدق بلاغات يجهت يقينها

فلا تسترها سرف ييدو دفينها

يقول: لا تطلب من عدوك كشف ما فى قلبه لك فإنه سيظهر لك ما يحفيه قلبه على مر الزمان؛=

وفي يوم الخميس تاسع عشر شوال: خلع على الشريف عاصم، واستقر نقيب الأشراف، عوضاً عن السيد فخر الدين، لما رمى به من أخذ الرشوة على إدخال من ليس بثابت النسب في جملة الأشراف، وذلك بعناية الأمير الكبير أبحاي بعاصم.

وفي الثلاثاء سادس عشر ذى القعدة: ركب السلطان من قلعة الجبل إلى رباط الآثار النبوية^(١)، خارج مدينة مصر للزيارة، ثم توجه لعيادة أمه بالروضة، فأقام عندها على شاطئ النيل حتى عاد إلى القلعة في يوم الخميس ثامن عشره.

وفيه استقر الأمير أرغون العزى شاد الدواوين، عوضاً عن شرف الدين موسى بن الدينارى، واستقر أبو بكر القرماني في ولاية الغربية، عوضاً عن أحمد بن جميل، واستقر فخر الدين عثمان الشرفى والى الجيزة.

وفي يوم الإثنين عشرين ذى الحجة: أعيد الشريف فخر الدين إلى نقابة الأشراف، وعزل الشريف عاصم الحسينى، واستقر صاحب كريم الدين شاکر بن إبراهيم بن غنام فى الوزارة، عوضاً عن فخر الدين ماجد بن موسى بن أبى شاکر، وخلع عليه، واستقر علم الدين عبد الله بن صاحب كريم الدين شاکر بن غنام فى نظر البيوت، عوضاً عن أبيه.

وفي ثالث عشرينه: خلع على الوزير كريم الدين بن الرويهب، واستقر فى نظر الدولة، فرسم له صاحب كريم الدين بن غنام أن يجلس مقابله بشباك قاعة صاحب من القلعة إجلالاً له، فإنه جلس بالشباك المذكور وهو وزير، فصاروا يجلسان معا به. وفيه خلع على جمال الدين عبد الرحيم بن الوراق الخنفسى مؤدب ولدى السلطان، واستقر فى نظر الخزانة الكبرى^(٢)، وخلع على تاج الدين النشو المالكى، واستقر فى استيفاء الصحبة^(٣).

=وقيل: قبل قوله:

ذا كان فى صدر ابن عمك إحنة ذا صفحة المعروف ولتک جانباً
فخذ صفوها لا يختلط بك طينها

والمواحة: المعادة؛ قال ابن برى: ويقال آحتته مواحة. انظر لسان العرب ٣٥.

(١) يقع ربط الآثار النبوية خارج مصر بالقرب من بركة الحبش، وهو مطل على النيل ومجاور للبستان المعروف بالمعشوق، وقيل له رباط الآثار؛ لأن فيه خشب يقال إن ذلك من آثار الرسول ﷺ وأن ابن الأشراف شعبان قرر فيه درسا للفقهاء الشافعية. حطط المقرئى ٤٢٩/٢.

(٢) يقصد بالخزانة الكبرى السلطانية وكانت بقلعة الجبل، والنظر فيها كان من الوظائف الجليلة. المواعظ ٢٢٧/٢.

(٣) استيفاء الصحبة وظيفة جليلة القدر وصاحبها ليحدث فى جميع المملكة مصرًا وشامًا ويكتب مراسيم يعلم عليها السلطان. صبح الأعشى ٢٩/٤.

وفى سابع عشرينه: أخرج الأمير محمد بن أياز الدوادارى نقيب الجيش منقياً إلى الشام.

* * *

ومات فى هذه السنة من الأعيان

الصارم إبراهيم بن خليل بن شعبان الرمحدار فى ذى القعدة.

وتوفى كاتب السر بجلب، شهاب الدين أحمد بن محمد بن محمد بن المسلم بن علاء القبيسى.

وتوفى من فقهاء الحنابلة بالقاهرة الشهاب أحمد العباسى سبط فتح الدين القلانسى المحدث، فى حادى عشرين جمادى الأولى.

ومات من فقهاء الشافعية الشهاب أحمد بن عبد الوارث البكرى، فى سابع عشرين رمضان.

ومات الأمير أرغون ططر الناصرى رأس نوبة، بعد ما نفى بحماة فى المحرم.

وتوفى خطيب حلب، شهاب الدين أحمد بن محمد بن جمعة بن أبى بكر الأنصارى الحلبي، الفقيه الشافعى عن ست وسبعين سنة بجلب، وله رحلة إلى القاهرة.

وتوفى الشيخ عماد الدين أبو الفدا إسماعيل بن الخطيب شهاب الدين عمر^(١) بن كثير بن ضو بن كثير القرشى الشافعى، الإمام المفسر المحدث، الواعظ الفقيه، فى يوم الخميس سادس عشر شعبان، بدمشق، عن أربع وسبعين سنة.

وتوفى بدر الدين حسن بن عبد العزيز بن عبد الكريم بن أبى طالب بن على، مستوفى ديوان الجيش، يقال إنه من لحم، فى يوم العشرين من جمادى الأولى. كانت له مروءة غزيرة ومكارم مشهورة.

وتوفى الشيخ ولى الدين محمد بن أحمد بن إبراهيم الملوى الدميحى الشافعى ذو الفنون بالقاهرة، فى ليلة الخميس خامس عشرين ربيع الأول، عن بضع وستين سنة، وحزر الجمع فى جنازته بثلاثين ألف رجل.

(١) إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضو بن درع القرشى والبصرى ثم الدمشقى، أبو الفداء، عماد الدين حافظ مؤرخ فقيه. ولد وقرية من أعمال بصرى الشام، وانتقل مع أخ له إلى دمشق سنة ٧٠٦هـ ورحل فى طلب العلم، وتوفى بدمشق.

٣٥٦ سنة أربع وسبعين وسبعمائة

وتوفى الشيخ العارف المسلك بهاء الدين محمد الكازروني، في ليلة الأحد خامس ذى الحجة، بزوايته التي يقال لها المشتهد بالروضة^(١)، أخذ عن أحمد الحريري خادم ياقوت الحبشي خادم أبي العباس المرسى، عن الشيخ أبي الحسن الشاذلي، وصحبه زمانا.

وتوفى تقي الدين محمد بن الجمال رافع بن هجرس^(٢) بن محمد بن شافع السلامي المصري، الفقيه الشافعي المحدث، عن سبعين سنة بدمشق، يوم الثلاثاء ثامن عشر جمادى الأولى.

ومات الأديب البارع الفقيه شمس الدين محمد بن محمد^(٣) بن عبد الكريم بن رضوان الموصلی، بطرابلس، في جمادى الآخرة، عن خمس وسبعين سنة.

وتوفى ناظر الجيش بحلب، بدر الدين محمد بن محمد بن الشهاب عمود بن سليمان الحلبي، بها، عن خمس وسبعين سنة.

ومات الأمير منكلي بغا الشمسي الأتابك، في جمادى الأولى.

ومات الأمير موسى بن الأمير أرقطاي نائب صفد.

ومات الشيخ يحيى بن الرهوني المالكي، في ليلة الأربعاء، ثالث ذى القعدة.

ومات الأمير أظنبا المارديني أحد العشرات.

ومات الفقير المعتقد عبد الله بن عمر بن سليمان المغربي، المعروف بالسبطير، بالجامع الأزهر، في ثاني عشرين صفر.

ومات ناصر الدين محمد الزقناوي، المعروف بسباسب، رئيس المؤذنين وقد اختص بالسلطان، في عاشر شهر رجب.

وتوفيت خوند بركة أم السلطان، في يوم الثلاثاء آخر ذى القعدة، وهي التي بنت

(١) زاوية المشتهد بالروضة، هذا الرباط بروضة مصر يطل على النيل. المواعظ ج ٢/٤٢٨.

(٢) محمد بن رافع بن هجرس بن محمد السلامي العميدي أبو المعالي، تقي الدين مؤرخ، فقيه، من حفاظ الحديث حوراني الأصل. ولد في مصر، وانتقل به أبوه إلى دمشق سنة ٧١٤هـ وتوفى والده، فأخذ يتردد بين مصر والشام، واستقر في دمشق سنة ٧٣٩هـ وتوفى بها. من تصانيفه «المعجم» في أربع مجلدات. انظر الدرر الكامنة ٣/٤٣٩ وشذرات الذهب ٦/٢٣٤ والكتبخانة ٥/١٧٥ والأعلام ٦/١٢٤.

(٣) محمد بن محمد بن عبد الكريم بن رضوان البعلبي يسمى الدين، ابن الموصلی أديب، عالم بالفقه في بعلبك وتعلم بها وبدمشق وحماة، وتوفى بطرابلس. من كتبه «بهجة المجالس ورونق المجالس» خمس مجلدات. انظر الدرر الكامنة ٤/٢٤٣ وفهرس الفهارس ١/٢٨٦ والأعلام ٧/٤٠.

المدرسة المعروفة بمدرسة أم السلطان، بخط التبانة، قريبا من قلعة الجبل، وبنت الربع المعروف بربع أم السلطان^(١)، وقيسارية الجلود^(٢) التي تحت الربع المذكور، بخط الركن المخلوق، وكانا في جملة أوقاف مدرستها هذه حتى أخذهما الأمير جمال الدين يوسف الأستادار فيما أخذ من الأوقاف والأملاك، وهما الآن وقف على مدرسته التي أنشأها بخط رحبة باب العيد؛ ومن غريب الاتفاق أن الأديب شهاب الدين أحمد السعدى قال فى موتها:

فى مستهل العشر من ذى الحجة لة كانت صبيحة موت أم الأشرف
فالله يرحمها، ويعظم أجره يكون عاشورا موت اليوسفى

يعنى الأمير ألساى اليوسفى زوجها، فكان كذلك، ومات يوم عاشوراء، كما سيأتى إن شاء الله تعالى.. أنشدنى البيتين المذكورين صاحبنا صارم الدين إبراهيم^(٣) ابن دقماق، قال: «أنشدنيهما الأديب شهاب الدين أحمد الأعرج السعدى».

ومات ملك المغرب صاحب فاس، عبد العزيز^(٤) بن السلطان أبى الحسن^(٥) على بن عثمان بن يعقوب بن عبد الحق المرىنى، ليلة الثانى والعشرين من ربيع الآخر، وأقيم بعده ابنه السعيد محمد بن عبد العزيز أبى الحسن.

* * *

(١) ربع أم السلطان أنشأته خوند أم السلطان الأشرف شعبان بن حسين بن محمد قلاوون بعلو قيسارية الجلود بخط الركن المخلوق وهذا الربع كان يسكنه العامة ويشتمل على عدة طباق. انظر المواعظ والاعتبار ٧٩/٢.

(٢) قيسارية الجلود بخط الركن المخلوق، أنشأته خوند أم الملك الأشرف شعبان بن حسين بخط الركن المخلوق يباع بها الجلود ويعلوها ربع جليل لكن للعامة. انظر المواعظ ٧٩/٢.

(٣) إبراهيم بن محمد بن أيدمر دقماق القاهرى صارم الدين: مؤرخ الديار المصرية فى وقته كتب مائى سفر فى التاريخ، من تأليفه ومنقوله وكان معروفاً بالإنصاف فى تواريخه، موصوفاً بحسن العشرة والميل إلى الفكاهة والبعد عن الوقعة فى الناس، ومن تصانيفه (نظم الجمان - خ) فى طبقات الحنفية. انظر الدرر الكامنة ١٤٥/١ والفهرس التمهيدى ٣٨٠، ٤٤٢ وآداب اللغة ١٧٤/٣ والأعلام ٦٤/١.

(٤) عبد العزيز بن على بن عثمان المرىنى، أبو فاس من ملوك الدولة المرىنية بالمغرب. قال السلاوى: هو الذى أنعش دولة بنى مرىن بعد تلاشيتها. كان فيما قبل توليه بفاس الجديدة، فى المعتقل، بأمر الوزير عمر بن عبد الله القودودى، وكان هذا الوزير قد استبد بدولة آل مرىن يعزل ملكاً ويولى آخر محتفظاً لنفسه بالسلطة. انظر الاستقصا ١٢٩/٢ - ١٣٢ وحذوة الاقتباس ٢٦٨ والحلل الموشية ١٣٥ والأعلام ٢٢/٤.

(٥) محمد بن عبد العزيز بن أبى الحسن على بن عثمان المرىنى أبو زيان، السلطان السعيد بالله: من ملوك بنى مرىن فى المغرب. بويغ له بعد وفاة أبيه سنة ٧٧٤هـ وهو طفل فى نحو الخامسة من عمره، وكفل الوزير أبو بكر بن غازى بن الكاس، وأقبلت وفود الأمصار على فاس الجديدة تبايعه كالعادة. انظر الاستقصا ١٣٣/٢ والحلل الموشية ١٣٥ وحذوة الاقتباس ١٣٠.

سنة خمس وسبعين وسبعماية

فى أول المحرم: خلع على الأمير علاء الدين على بن كلفى، واستقر حاجبا.

وكانت عادة الأمير ألقى أنه يسكن الغور من القلعة، ويدخل إلى الأشرفية فى كل يوم اثنين ويوم الخميس، وإليه أمور الدولة كلها، فلما ماتت زوجته خوند بركة أم السلطان انحطت منزلته، وتنكر ما بينه وبين السلطان، بسبب تركتها، وبلغه عن السلطان ما يكره، فامتنع فى ليلة الثلاثاء سادسه من الطلوع للمبيت بالقلعة على عادته، واعتذر للسلطان عن ذلك، وأخذ فى الاستعداد للحرب، وفرق السلاح فى ممالىكه، فألبس السلطان أيضا ممالىكه، وأمر بدق الكوسات حربيا، فدقت بعد العشاء من ليلة الأربعاء. فركب الأمراء بالسلاح إلى القلعة، وباتوا مع السلطان على حذر، حتى طلع نهار يوم الأربعاء، برز الأمير ألقى من إصطبله فى جمع موفور من ممالىكه وأتباعه، شاكين فى السلاح، حتى وقفوا تحت القلعة، وبعث ليمنع الأمراء أن يخرجوا من بيوتهم، فنزلت إليه الممالىك السلطانية من باب السلسلة، وقد لقيتهم أطلاب الأمراء، واقتتلوا مع ألقى قتالا شديدا، كانت فيه إحدى عشرة وقعة، قتل فيها من الفريقين، وجرح كثير منهم، فانهزم ألقى يريد جهة الصليبية، فلقبه طلب الأمير طشتمر الدوادار، ومال معه عدة أطلاب على ألقى، فمر على وجهه نحو باب القرافة، والطلب فى أثره، حتى أتى بركة الحبش^(١)، ومر على الجبل المقطم، حتى خرج من جانب الجبل الأحمر خارج القاهرة، ونزل قريبا من قبة النصر، وقد ضرب له مخيماه، واجتمع عليه عدة من أصحابه، وبات ليلة الخميس، فبعث السلطان يرغبه فى الطاعة، فذكر أنه مملوك السلطان، ولم يخرج عن طاعته، وإنما يريد بعض الأمراء الخاصكية، أن يسلمهم إليه أو يبرزوا لمحاربتة، فمن انتصر كان هو المشار إليه، وإلا فإنه لا يموت إلا على ظهر فرسه، فبعث إليه ثانيا، يخوفه عاقبة البغى، ويعرض عليه أن يتخير من البلاد الشامية ما شاء، فلم يوافق، وترددت الرسل بينهما مرارا، وبعث إليه بتشريف نيابة حماة، فقال: «لا أتوجه لذلك إلا ومعى جميع ممالىكى، وقماشى، وكل ما أملكه». فلم يرض السلطان بذلك، واستدعى بالأمير عز الدين أئبىك - وكان فى جملة ألقى - فأناه طايعا، والتمزم أن

(١) بركة الحبش وكانت تعرف ببركة المغافر وهى من أشهر برك مصر، تقع فى ظاهر مدينة القسوط من قريبا بين الجبل والنيل، وكانت من الموات فاستطابها قرة بن شريك العيسى أمير مصر وأحياها وغرسها. انظر المراجع ١٥١/٢.

يستميل من مع ألبجى من اليلبغاوية، وهم مائة مملوك، فوعده السلطان بإمرة طبلخاناه، وانصرف إلى تربة أستاذه الأمير يلغا واختفى بها بقية نهاره، فلما أقبل الليل، بعث غلامه إلى اليلبغاوية، فما زال بهم حتى أتوه زمرا زمرا إلى التربة، فصعد بهم جميعا إلى السلطان، فرتبهم فى خدمة ولده أمير على، وتبعهم أكثر من كان مع ألبجى من الأمراء والمماليك، بحيث لم يطلع الفجر إلا ومعه دون الخمسمائة فارس. فتوج إلى قتاله الأمير أرغون شاه، فى عدة وافرة، وخلائق من العامة. ومضى أيضا الأمير منكلى بغا البلدى من طريق أخرى فى جمع موفور وكثير من العامة. وسار الأمير ناصر الدين محمد بن شرف الدين، ومعه طائفة من المقاتلة، وطوائف من أهل الحسينية، وغيرهم من طريق ثالثة، فعندما رأى ألبجى أوائل القوم، تأخر عن موضعه قليلا قليلا، حتى صار الأمير أرغون فى مكانه من قبة النصر، وانضم إليه الأمراء، ومن معهم، وبعث طائفة منهم فلقبت ألبجى وقتلته، فانكسر منهم، وأخذ فى الفرار، فركب القوم قفاه، وقد تأخر عنه من بقى معه، حتى وصل إلى الخرقانية^(١) من القليوبية فى ثلاثة فرسان، وابن شرف الدين فى طلبه، فوقف على شاطئ النيل ظاهر قلوب، واقتحمه بفرسه فغرقا فى النيل، واستدعى ابن شرف الدين بالغطاسين فأخرجوه ووضعوه على بر ناحية شيرا، وحملوه فى تابوت إلى القاهرة، فى بكرة يوم الجمعة يوم تاسوعاء، فدفن بمدرسته^(٢) من سويقة العزى^(٣) قريبا من القلعة، وكان الأمير أرغون قد عاد لما انهزم ألبجى وغرق، وعرف السلطان، فصعد إلى القلعة، وبقيت العساكر واقفة تحت القلعة يوم الخميس.

وقبض السلطان على الأمير طقتمر الحسنى، والأمير صراى العلاى، وسلطان شاه بن قرا الحاجب، ونفاهم. وقبض على الأمير علاء الدين على بن كلفت، وألزمه بحمل مال، وقبض على الأمير بييغا القوصونى، والأمير خليل بن قمارى، ثم أفرج عنهما بشفاعة الأمير طشتمر الدوادار.

وفيه نودى من وجد مملوكا من الألبجيهية^(٤)، وأحضره فله خلعة، وحذر من أخفاهم، فظهر السلطان منهم بعدة.

(١) الخرقانية، هى من القرى القديمة وردت فى نزهة المشتاق بين باسوس وبين شلقان وهى قرية عامرة بها مزارع وضياع وبساتين كثيرة، وهى من أعمال القليوبية. قاموس الجغرافى ج ١ قسم ٢/ص ٥٤.

(٢) مدرسة ألبجى تقع خارج باب زويلة بالقرب من قلعة الجبل، كان موضعها وما حولها مقبرة. انظر المواعظ ٢/٣٩٩.

(٣) سويقة العزى كانت تقع خارج باب زويلة قريبا من قلعة الجبل، نسبة إلى الأمير عز الدين أيك العزى نقيب الجيوش. انظر المواعظ ٢/١٠٦ - ١٠٧.

(٤) الألبجيهية: نسبة إلى ألبجى، أى ممالك ألبجى.

فلما دفن ألبجاء، نزع الأمراء سلاحهم، وهنأوا السلطان بسلامته، وظفروه بعدوه، ونودي بالأمان، وكتب إلى الأقطار بخير هذه الواقعة.

وفيه خرج على السيد الأمير بوري الأحمدي الخازن دار، لإحضار الأمير أيدير الدوادار.

وفي يوم السبت عاشره: خلع على الأمير يعقوب شاه، واستقر نائب طرابلس، عوضاً عن الأمير أيدير.

وفي يوم الإثنين ثاني عشره: استقر الأمير أرغون شاه، أميراً كبيراً، ورسم له أن يجلس بالإيوان في وقت الخدمة، واستقر الأمير صرغتمش الأشرفي، أمير سلاح، ورسم له أيضاً أن يجلس وقت الخدمة، واستقر الأمير أرغون الأحمدي اللالا أميراً كبيراً أيضاً، ورسم له أن يجلس وقت الخدمة بجانب الأمير أيدير الشمسي، واستقر الأمير قطلوبغا الشعباني رأس نوبة ثانياً، وأنعم عليه بإمرة مائة بتقدمة ألف، واستقر الطواشي مختار الحسامي، مقدم الرفرف^(١) في تقدمه المماليك، عوضاً عن سابق الدين مثقال الأنوكي، وأمر سابق الدين أن يلزم بيته، واستقر الأمير أيدير من صديق رأس نوبة رابعاً، وخلع على الجميع، واستدعى بأولاد ألبجاء وأسكنوا بالقلعة، ورتب لهم كفايتهم، ووقعت الحوطة على جميع مخلف ألبجاء، فكان شيئاً كثيراً، ورتبت ممالكه في خدمة ولدي السلطان، وقبض على محمد شاه دوادار ألبجاء، وعلى أقبغا البجمقدار خازن داره، وعلى مباشري ديوانه وألزامه، وألزموا بمال كبير، فحملوا بعض ما ألزموا به، وخلي عنهم.

وفيه استقر كجك من أرطق شاه في نيابة الإسكندرية، عوضاً عن ابن عرام، واستقر كمال الدين الربغي في قضاء الإسكندرية، عوضاً عن الكمال بن التنسي، واستقر الأمير فخر الدين عثمان الشرفي أستاذار ابن صبح في ولاية القاهرة، عوضاً عن الأمير بكتمر السيفي، وقبض على بكتمر، وصوره، واستقر الأمير شرف الدين موسى بن الديناري في ولاية الجيزة، عوضاً عن عثمان الشرفي، وخلع عليهم.

وفيه أنعم على كل من الأمير أقتمر الصاحبى الحنبلى والأمير تمر باى الحسنى، والأمير أحمد بن يلبغا، وإينال اليوسفي، وبلوط الصرغتمشي، وأحمد بن الأمير بهادر الجمالي، وألبجبا محمدى، وحاجى بك بن شادى، والطواشى مختار الحسامى بإمرة طبلخانة، وعلى كل من طشتمر الصالحى، وألطنبغا عبد الملك بإمرة عشرة.

(١) الرفرف: من جملة دور القلعة، عمره الملك الأشرف خليل بن قلاوون وجعله علياً لأنه كان يشرف على الجيزة كلها وعقد عليها قبة على عمد. انظر المواقف ٢/٢١٣ - ٢١٤.

٣٦٢ سنة خمس وسبعين وسبعماية

وفي ثلثى عشرينه: استقر الأمير قطلوبغا المنصورى فى نيابة صنفد، عوضا عن علمدار المحمدى، واستقر الأمير تلكنمر من بركة، حاجبا ثانيا، عوضا عن المنصورى.

وفى رابع صفر: قدم الأمير أيدمر الدوادار من طرابلس، فخلع عليه، واستقر أتاكب العساكر، عوضا عن ألباى اليوسفى، واستقر تمتاز الطازى فى نيابة حمص، عوضا عن آقبغا عبد الله، وأنعم على كل من آقبغا المذكور - وقد قدم من حمص - وبلغا الناصرى اليلبغاوى، بامرة طبلخاناه.

وفى سابع عشره: استقر الأمير أسنبغا البهادرى نقيب الجيش، واستقر عوضه فى شد العمائر قطلوبغا الكوكاى.

وفى يوم الخميس حادى عشرينه: خلع على الأمير أقتمر عبد الغنى، حاجب الحجاب، واستقر نايب السلطان.

وفى هذا الشهر: اجتمع قاضى القضاة برهان الدين إبراهيم بن جماعة، والشيخ سراج الدين عمر البلقينى، بالسلطان، وعرفاه ما فى ضمان المغانى من المفاسد، والقبايح، وما فى مكس القراريط من المظالم - وهو ما يؤخذ من الدور إذا بيعت - فسمح بإبطاهما، وكتب بذلك مرسومين إلى الوجه القبلى والوجه البحرى، بعد ما قرءا على منابر القاهرة ومصر، فبطل والحمد لله ضمان هاتين الجهتين، وكان يتحصل منهما مال عظيم جدا، وزال بزواله منكر شنيع.

وفى آخره: نفى الأمير صلاح الدين خليل بن عرام، والأمير علاء الدين على بن كلفت، وعحمد شاه - دوادار ألباى - وأقبغا البجمدار، فساروا إلى الشام، ونفى الأمير بكتمر السيفى إلى طرسوس.

وفيه استقر الأمير شرف الدين موسى بن الأزكشى فى ولاية قوص، وأضيف إليه الكشف أيضا.

وفى هذه السنة: توقف ماء النيل عن الزيادة فى أوانها حتى كان النوروز، ولم يبلغ ستة عشر ذراعا، وتأخر منها ثمانية أصابع، فنودى فى يوم النوروز - وهو يوم الإثنين تاسع شهر ربيع الأول - بزيادة إصبعين، ونودى من الغد يوم الثلاثاء بزيادة إصبعين، ونودى فى يوم الأربعاء بزيادة إصبعين، وتأخر من ذراع الوفاء إصبعان، فلم يزد بعد ذلك شيئا، ثم نقص فى يوم الجمعة ثالث عشره، فقلق الناس لذلك، وتزايد قلقهم إلى يوم الثلاثاء سابع عشره، خرج القضاة والفقهاء وغيرهم إلى جامع عمرو بمصر، وضجوا

بالدعاء إلى الله في إجراء النيل، ثم فتح الخليج من آخر النهار، وقد بقى من الوفاء خمسة أصابع، فهبط الماء من يومه ولم يعد.

وفي تاسع عشره: قدم الأمير حيار بن مهنا، فخلع عليه، واستقر في إمرة العرب على عادته، ولم يؤاخذ بما كان من قتله الأمير قشتمر، وعفى عنه.

وفي يوم الجمعة عشرينه: خرج القضاة والناس إلى رباط الآثار النبوية، خارج مدينة مصر، وغسلوها في النيل بالمقياس، وقرأوا هناك القرآن الكريم، وتضرعوا إلى الله تعالى في إجراء النيل، ورد ما نقص، ثم عادوا، فنزل حتى جفت الخلجان من الماء، فارتفع السعر، وبيع الإردب من القمح بستة وثلاثين درهما سوى كلفه، وشرهت الأنفس، وتكالب الناس على طلب القوت، وغلب على الناس اليأس، فنودي يوم الأحد ثاني عشرينه في الناس بالتوبة والإقلاع عن المعاصي، وصيام ثلاثة أيام، فصام من صام الإثنين، والثلاثاء، والأربعاء.

وخرج الناس في بكرة يوم الخميس سادس عشرينه إلى قبة النصر - خارج القاهرة - وهم حفاة بياض مهنتهم، ومعهم أطفالهم، وكتب ممن خرج يومئذ، وقد نصب هناك منبر، ونزل الأمير أقتمر عبد الغنى النائب، في عدة من الأمراء، فخطب ابن القسطلاني خطيب جامع عمرو خطبة الاستسقاء، وصلى صلاة الاستسقاء، وكشف رأسه عند الدعاء، وحول رداءه، فكشف الناس جميعا رؤوسهم، وضجوا بالدعاء إلى الله تعالى، وارتفعت أصواتهم بالاستغاثة وهملت أعينهم بالبكاء، فكان مشهدا عظيما، فلم يسقوا، وعادوا خائبين، فعز وجود الغلال.

وفيه تجمعت العامة تحت القلعة، وسألوا عزل ابن عرب عن الحسبة، وكانوا قد توعدوه، فاختفى، ولم يركب في هذا اليوم، ولا خرج إلى الاستسقاء.

وفيه نفى كريم الدين عبد الكريم بن الرويهب، ناظر الدولة إلى طرابلس، واستقر في نظر الدولة عوضه تاج الدين النشو المالكي، واستقر الطواشى سابق الدين مثقال الأنوكي، في تقدمه المماليك على عادته، وأعيد مختار كما كان مقدم الرفوف، وخلع على الجميع.

وفي يوم الخميس عاشر شهر ربيع الآخر: استقر الأمير شهاب الدين أحمد بن الأمير الحاج آل ملك في نيابة غزة، عوضا عن طشبيغا المظفرى، وأنعم على كل من الأمير الطازى، والأمير سوذُن جركس المنجكى، بإمرة مائة، وارتجع عن طينال المارديني تقدمته، وعوض إمرة طبلخاناه، وأنعم على الأمير جركتمر الخاصكى بطبلخاناه.

وفى يوم الجمعة حادى عشره: خلع على بهاء الدين محمد بن المفسر، واستقر فى حسبة القاهرة، عوضا عن علاى الدين على بن عرب، باستغفائه منها.

وفى ليلة السبت ثانى عشره: أرعدت السماء وأبرقت، وسحت بأمطار غزيرة، عمت كثيرا من أراضى مصر، بحيث زرع بعضها لربها من هذه المطرة البرسيم، فسر الناس بذلك، وانخل سعر القمح خمسة دراهم الأردب، وكان قد بلغ أربعين درهما.

وفى آخره: خلع على بهاء الدين بن المفسر محتسب القاهرة، واستقر فى وكالة بيت المال، ونظر كسوة الكعبة، عوضا عن ابن عرب، مضافا إلى الحسبة، وأخذ سعر الغلال يرتفع.

وفى خامس عشر جمادى الأولى - وهو سابع هاتور - زاد النيل اثنى عشر إصبعا، وفى الغد، وبعد الغد ثمانية أصابع، ثم نقص، ولم يعهد مثل ذلك.

وفى يوم السبت خامس عشرينه: ركب الأمير منكلى بغا البلدى، إلى بيت الأمير أقتمر عبد الغنى النائب، ليلغفه عن السلطان رسالة، فلما دخل عليه أمر بإمساكه، وأخرجه من باب سر داره، منفيا إلى الشام، فانفض من كان معه من المماليك، ولم يتحرك أحد منهم بحركة، ثم رسم له بناية مدينة الكرك، فتوجه إليها.

وبلغ سعر الأردب القمح إلى خمسين درهما، والأردب من الشعير والبقول إلى خمسة وعشرين درهما، والحملة الدقيق - وهى ثلاثمائة رطل - إلى أربعة وثمانين درهما.

وقدم الأمير بیدمُر، ومعه تقادم جليلة، فأكرم وخلع عليه، فى يوم الخميس أول جمادى الآخرة، واستقر فى نيابة حلب، عوضا عن الأمير أشقتمر، وركب السلطان - وهو معه - فعدى النيل إلى الجيزة، وهو بتشريف النيابة، ثم عاد وتوجه إلى حلب، واستقر الأمير أشقتمر فى نيابة صغد، عوضا عن قطلويفا المنصورى، واستقر المنصورى فى نيابة غزة، عوضا عن الأمير أحمد بن آل ملك، واستقر ابن آل ملك فى نظر القدس، والخليل.

وفى ثامنه: خلع على علاى الدين على بن عرب وأعيد إلى وكالة بيت المال ونظر الكسوة، عوضا عن ابن المفسر.

وفى خامس عشره: خلع على الطواشى جوهر الصلاحى - مقدم القصر - واستقر نائب مقدم المماليك، عوضا عن مختار الدمنهورى، وخلع على مختار المذكور، ويعرف بشاذروان، واستقر مقدم ممالك ولدى السلطان، وأنعم عليه بإمرة عشرة.

وفى يوم الخميس ثمانى عشرينه: خلع على تاج الدين النشو المالكى، واستقر فى الوزارة، عوضا عن كريم الدين شاكر بن غنام، وخلع على ابن غنام، واستقر فى نظر البيوت ونظر المارستان، ونظر دار الطراز، وأنعم على ناصر الدين محمد بن آقبغا أص بتقدمة ألف، عوضا عن منكلى بغا البلدى، واستقر أستاذار السلطان، وأنعم على الأمير الطنبغا العثمانى طَطَّق بتقدمة ألف، واستقر أمير سلاح، عوضا عن طيدر بالسى.

وفيه قدم شرف الدين حسين الفارقى وزير صاحب اليمن بكتابه وصحبته أمير آخوره ناصر الدين محمد، ومعهما هدية سنية.

وخلع على الأمير طُغَاى تَمُر دوادار الأمير يلبغا، واستقر دوادارا ثانيا بإمرة طبلخاناه، وخلع على الأمير قُرطَاى الكركى، واستقر فى كشف الوجه البحرى، عوضا عن الأمير آل ملك الصرغتمشى.

وفيه شنقت المرأة الخناقة وزوجها جمعة الخناق، وكانا فى تربة من ترب القاهرة، فيدوران بالقاهرة ومصر وظواهرهما، وبأخذان من أطفال الناس وأولادهم من قدروا عليه، ويخنقه لأخذ ما عليه من اثياب الجميلة، ففقد الناس عدة أولاد، واشتد حزنهم عليهم، وكثر ذلك فى الناس حتى ذعروا منه، ففضح الله جمعة هذا وامراته، وقبض عليهما، وعوقبا، وأخذ ما وجد عندهما من حلى الأولاد وثيابهم، ثم شنقا، وكان يوما مجموع له الناس بالقاهرة، خارج باب النصر منها.

وتقدم مرسوم السلطان بإقامة الأمير جَاوَرَجى القوصونى، والأمير آقبغا بن مصطفى، والأمير آسنبغا القوصونى، والأمير قرابغا الأحمدى، والأمير نصرات أخى بكتمر الساقى، فى نغر الإسكندرية، فساروا.

وفى يوم الخميس عشرين شهر رجب: خلع على الأمير قُطْلُوبغا الكوكاى واستقر أستاذارا، عوضا عن الأمير نصرات، واستقر الأمير أسنبغا البهادرى شاد العمائر على عادته، واستقر الأمير آل ملك الصرغتمشى نقيب الجيش، وخلع على برهان الدين إبراهيم بن بهاء الدين بن الحلى ناظر بيت المال، واستقر فى نظر المارستان مضافا لما بيده.

وفى سابع عشر شعبان: خلع على الأمير أرغون الأحمدى اللالا، واستقر نائب الإسكندرية، عوضا عن الأمير كَجَك، واستقر كجك فى نيابة غزة.

وفى يوم الخميس سابع عشرينه: خلع على بهاء الدين أبى البقاء، واستقر فى قضاء

دمشق، عوضا عن كمال الدين عمر بن عثمان بن هبة الله المعرى، واستقر المعرى فى قضاء حلب، عوضا عن فخر الدين عثمان بن أحمد بن أحمد بن عثمان الزرعى.

واستقر قاضى القضاة برهان الدين إبراهيم بن جماعة فى تدريس الشافعى، عوضا عن أبى البقاء. وخلع عليه فى يوم الأحد سلخه، وحضر الدرس به، فكان يوما جليلا جمعه.

واستقر شهاب الدين أحمد بن علاء الدين على بن محى الدين يحيى بن فضل الله المعرى فى كتابة السر بدمشق، عوضا عن شيخنا فتح الدين أبى بكر بن الشهيد، واستقر الأمير ككبغا البيبغاوى فى نيابة قلعة جعبر. وفيه قدم الأمير آسنقر.

وأهل شهر رمضان بيوم الإثنين:

وفيه استجد السلطان عنده بالقصر من قلعة الجبل قراءة كتاب صحيح البخارى فى كل يوم من أيام شهر رمضان، بحضرة جماعة القضاة ومشايخ العلم، تركا بقراءته، لما نزل بالناس من الغلاء، فاستمر ذلك، وتناوب قراءته شهاب الدين أحمد بن العريانى، وزين الدين عبد الرحيم العراقى، لمعرفة علم الحديث، فكان كل واحد يقرأ يوما.

وفى يوم الإثنين حادى عشرينه: خلع على الأمير أشقتمر، واستقر فى نيابة حلب، عوضا عن الأمير بيديمر الخوارزمى، واستقر بيدمر فى نيابة الشام، عوضا عن الأمير منجك، وركب الأمير يلبغا الناصرى اليريد لإحضار الأمير منجك ومملوكه جرگتمر المنجكى، وصهره أروس المحمودى، وخلع على الأمير أقتمر عبد الغنى النايب، واستقر فى نيابة طرابلس، عوضا عن الأمير يعقوب شاه، واستقر يعقوب شاه حاجب الحجاب بدمشق، وخلع على الأمير طيدمر البالىسى، واستقر فى نيابة الكرك، عوضا عن الأمير منكلى بغا البلدى، واستقر البلدى فى نيابة صفد، واستدعى الأمير أحمد بن الحاج آل ملك من القدس، فلما قدم أنعم عليه بإمرة طبلخاناه، وأنعم على الأمير جرگتمر الأشرفى الخاصكى بتقدمة ألف، وعلى الأمير أقتمر الخنبلى بتقدمة ألف، واستقر رأس نوبة ثانيا، وارتجع عن الأمير آقبا من مصطفى إقطاعه.

وفى خامس شوال: خلع على الصاحب كريم الدين شاکر بن غنام، وأعيد إلى نظر المارستان، عوضا عن ابن الخلى.

وفى خامس عشره: استقر الأمير شهاب الدين أحمد بن آل ملك حاجبا ثالثا.

وفي يوم الإثنين ثالث ذى الحجة: قدم الأمير مُنَجَّك بأولاده ومملوكه الأمير جَرَكَشَمَر المنجكى وصهره الأمير آروس المحمودى، فنزل بسرياقوس، وخرج إليه جميع أرباب الدولة من الوزير وقضاة القضاة والأمراء، بحيث لم يتأخر عنه سوى السلطان وولديه فقط، ثم ساروا جميعا بين يديه حتى طلع القلعة، فلم يعهد لأمير موكب مثل موكبه. فمشى الأمراء من باب السر بين يديه وهو راكب بمفرده، وفيهم الأمير أيدمر الدوادر - أتائبك العساكر - والأمير أرغون شاه، والأمير صَرَغْتَمُش، فلما دخل على السلطان ابتهج بقدمه، وبالغ فى إكرامه، وخلع عليه خلعة نيابة السلطنة، وفوض إليه نظر الأحباس والأوقاف، وحسن إليه التحدث فى الخاص والوزارة، وأن يخرج من إقطاعات الحلقة ما عبرته ستمائة دينار فما دونها، ويعزل من أرباب الدولة وأصحاب المناصب من شاء، ويولى منهم شاء، وأن يقرر فى سائر أعمال المملكة من أراد، ويخرج إمرات الطبليخاناه والعشرات من البلاد الشامية ممن أحب، وينعم بها على من يريد، وقرئ تقليده بالنيابة فى الإيوان المعروف بدار العدل من القلعة بحضور السلطان، والأمراء وسائر أرباب الدولة. وفيه أن السلطان قد أقامه مقام نفسه فى كل شىء بيده، وفوض له ما فوض إليه الخليفة من سائر أمور المملكة، ثم خرج فجلس بدركاه باب القلة^(١) من القلعة، وجلس الوزير بين يديه، وقعد موقعو الدست لإمضاء ما يرسم به، ورفعت إليه القصص من ديوان الجيش وغيره، فنظر فى الأمور نظر مستبد بها.

وفي سادسه: خلع على بَكْتَمُر العلمى حاجب الإسكندرية، واستقر نقيب الجيش، وأنعم على بيبغا السابقى الخاصكى بإمرة طبليخاناه، وعلى الأمير بيبغا القوصونى بإمرة طبليخاناه.

وفي هذا الشهر: فشت الأوبئة بثغر الإسكندرية وغيرها من بلاد الوجه البحرى. ومات الأمير أرغون اللالا نايب الإسكندرية، فاستقر عوضه الأمير قطلوبغا الشعبانى، واستقر محمد بن قرابغا - أحد العشرات - فى ولاية أطفيح^(٢) على إمرته. وفي رابع عشرينه: خلع على الأمير يلغا الناصرى، واستقر حاجبا ثانيا أمير مائة مقدم ألف، وأنعم على الأمير بلاط السيفى بإمرة طبليخاناه، وعلى كل من مغلطاي الجمالى، وكبك الصرغتمشى بإمرة عشرة.

(١) باب القلة أحد أبواب القلعة يدخل منه إلى دهاليز فسيحة ويوجد هذا الباب بصدر دركاه جليلة يجلس بها الأمراء. انظر صبح الأعشى ج ٣/٣٧٠.

(٢) ولاية أطفيح بلدة بالصعيد الأدنى من أرض مصر على شاطئ النيل فى شرقيه. انظر معجم البلدان ٢١٨/١.

ومات صدر الدين محمد بن السكر قاضى الحنفية، بئثر الإسكندرية، فلم يستقر أحد عوضه.

وفيه تزايد سعر الغلة، فبيع الخبز أربعة أرتال بدرهم، بعد ما كان خمسة أرتال.

وفى ثالث عشر ذى الحجة: قبض على رجل مغربى كان يقف فى الليل تحت القلعة، ويصيح «اقتلوا سلطانكم ترخص أسعاركم ويجرى نيلكم». فضربه ولى القاهرة بالمقارع وتركه لحاله.

وفى رابع عشره: أنعم على الطواشى مختار شاذروان الدمنهورى بإمرة، واستقر نقيب المماليك، عوضا عن محمد بن قرطاي الموصلى باستعفائه منها وقدم الأمير خليل ابن قوصون باستدعاء.

وقد الخبز بأن دجلة^(١) فاضت حتى علا ماؤها على سور بغداد، وأغرقها، فتهدم بها نحو الستين ألف دار، وعيرت المراكب من دجلة إلى الأزقة والأسواق، وأن الريح هبت بسنجار، فأحرقت أوراق الأشجار، وهلك بها كثير من الناس، وأمطرت ثعابين بمدينة شيزر^(٢)، وأن مدينة حلب أصابها سيل عظيم، حارب به نحو الأربعمائة دار.

وفيه استقر جلال الدين جار الله فى تدريس الحنفية بالمدرسة الصرغتمشية، بعد وفاة أرشد الدين محمود.

وفى خلع على صاحب فاس وبلاد المغرب السعيد محمد^(٣) بن عبد العزيز أبى الحسن، فى ذى الحجة، وملك بعده السلطان أبو العباس أحمد بن أبى سالم^(٤) إبراهيم ابن أبى الحسن.

* * *

(١) دجلة نهر بغداد لا تدخله الألف واللام. انظر معجم البلدان ٢/٤٤٠.

(٢) شيزر سبق ترجمتها. انظر معجم البلدان ٣/٣٨٣، والروض المعطار ٣٥٢.

(٣) محمد بن عبد العزيز أبى الحسن على بن عثمان المربى أبو زيان، السلطان السعيد با لله: من ملوك بنى مرين فى المغرب ببيع له بعد وفاة أبيه سنة ٧٧٤هـ وهو طفل فى نحو الخامسة من عمره، وكفله الوزير أبى بكر بن غازى بن الكأس، وأقبلت وفود الأمصار على فاس الجديد تباعه كالعادة وصدرت الأحكام باسمه مدة سنة وثمانية أشهر و١٤ يوم. وله كتاب [أعمال الأعلام فىمن ببيع قبل الاحتلال من ملوك الإسلام.

(٤) أحمد بن إبراهيم بن على، أبو العباس بن أبى سالم المربى، السلطان المستنصر با لله من ملوك الدولة المرينية بالمغرب كان مبعداً إلى طنجة. ولما ببيع ابن عمه السعيد با لله (محمد بن عبد العزيز) بفاس، غرناطة الفتى با لله ابن الأحمر وبعض بنى مرين، قتل على فاس. انظر الاستقصا ٢/١٣٣ - ١٤١، مراكش ٦/٢ وروضة التشرين ٣٤.

ومات فى هذه السنة من الأعيان ممن له ذكر

قاضى حلب، وقاضى المدينة النبوية، وأحد خلفاء الحكم بالقاهرة: بدر الدين إبراهيم ابن صدر الدين أبى البركات أحمد بن مجد الدين عيسى بن عمر بن خالد بن عبد المحسن ابن الخشاب المخزومى الشافعى، وهو عائد من المدينة النبوية قريبا من عينونة^(١)، ودفن بجزيرة سقر فى صفر.

ومات الأمير أرغون اللالا الأحمدي نائب الإسكندرية، فى خامس عشر ذى القعدة.

ومات الأمير أسندمر الجويانى، وكان خيرا يقبله القضاة.

ومات آقبغا بن مصطفى أحد الطبلخاناه، وهو مجرد بالإسكندرية، فى ثالث عشر ذى القعدة.

ومات الأمير آل ملك الصرغتمشى الكاشف بالوجه البحرى، وتقيب الجيش، فى تاسع شوال.

ومات الأمير تَلَكَمَرُ الجمالى أحد الطبلخاناه بمنزلة قاقون^(٢) من طريق الشام، فى ثنى الحجة.

ومات الأمير تمرقيا العمري أحد الطبلخاناه.

ومات الحاج صبيح الخازن، النوبى الجنس، فى حادى عشر المحرم، وقد انتشر ذكره وعظم قدره، بحيث كان له من الحرمة ما لأعيان الأمراء، وترك دنيا عريضة ونعما جلية، وكان خازن الشراب خاناه السلطانية.

ومات الأمير طيغا الفقيه العمري، أحد العشرات.

ومات مُهتار الطشتخاناه السلطانية، شهاب الدين أحمد بن كُسَيَّرَات، فى ثانى عشر المحرم، كان وافر الحرمة عريض الجاه، لم يزل من عهد الناصر محمد فى خدمة الملوك، فعز جانبه وكثرت نعمته.

وتوفى قاضى المدينة النبوية تاج الدين محمد بن الكركى الشافعى، وهو ينوب عن القضاة بالقاهرة، فى سادس عشرين شعبان.

ومات قاضى الحنفية بالإسكندرية صدر الدين محمد بن السكرى، فى أول ذى الحجة.

(١) عينونة: قرية من بيت المقدس وقيل من دون القلزم فى طرق الشام (معجم البلدان).

(٢) قاقون: حصن بفلسطين قرب الرملة (معجم البلدان).

وتوفى الشيخ أرشد الدين محمود بن قُطْلوشاه السيرامى، أحد أعيان الحنفية مدرس المدرسة الصرغتمشيّة، فى يوم الثامن والعشرين من جمادى الآخر.

وتوفى سعد الدين ماجد بن التاج أبى إسحاق عبد الوهاب بن عبد الكريم، عن نيف وستين سنة، بمصر.

وتوفى نور الدين على بن الحسن بن على الإسناى، أخو الشيخ جمال الدين عبد الرحيم، فى ثامن عشر رجب.

وتوفى شمس الدين شاکر، المعروف بابن البقرى، ناظر الذخيرة، صاحب المدرسة البقرية^(١) بالقاهرة، فى ثالث عشر شوال، وكان مشكورا فى أقباط مصر.

وتوفى سراج الدين عمر بن محمد السعودى شيخ خانكاه بكتّم الساقى، فى سبع عشرين ذى الحجة.

وتوفى صلاح الدين بن مسعود المقرئ المالکى، أحد أصحاب التقى الصانع، فى ثالث عشرين ذى الحجة.

ومات الأمير بيغا حارس طير أحد الطبلخاناه.

ومات الأمير تغرى برمى بن الأمير ألباى اليوسفى، أحد أمراء الطبلخاناه.

ومات الأمير أسن قُطْلُو الإبراهيمى.

ومات الأمير أرسلان خُجا اليلغاوى - أحد الطبلخاناه - قتيلا، فى واقعة الأمير ألباى، فى المحرم.

وتوفى الأمير أروس المحمودى الأستاذار أحد الألوفا، وزوج ابنة الأمير منجك النائب، فى ثانى ذى القعدة.

وتوفى الأمير أطنبغا الماردينى فى ثانى جمادى الآخر.

وتوفى الأمير آقبغا العمرى البالسى، أخو طبيغا الطويل، من أمراء الطبلخاناه، وهو منفى بالشام.

وتوفى الأمير آقبغا الناصرى، نايب الكرك ونايب قلعة بهسنا^(٢)، وبها مات.

(١) المدرسة البقرية تقع فى الزقاق الذى تجاه باب الجامع الحاكمى، بناها الرئيس شمس الدين شاکر بن غزىل المعروف بابن البقرى، أحد مسالمة القبط وناظر الذخيرة وأيام الملك الناصر الحسن. المواعظ ٣٩١/٢.

(٢) قلعة بهسنا بغرب مرعى وسميساط، وهى قلعة حصينة. انظر معجم البلدان.

وتوفى الأمير الكبير الأتابك ألبجى اليوسفى، أحد مماليك الناصرى حسن. ترقى حتى صار حاجب الحجاب، ثم عزل فى تاسع رجب سنة ثلاث وستين واستقر أمير جاندار، إلى أن كانت فتنة الأمير أسندمر والأجلاب، تولى حربيه وقاتله قتالا عظيما، كانت بينهما فيه ست عشرة وقعة، فلما انتصر أسندمر قبض على ألبجى، وسجنه بالإسكندرية إلى أن زالت أيام أسندمر أفرج عنه وعمل أمير سلاح، ثم صار الأتابك وإليه أمور الدولة كلها، حتى مات فى يوم عاشوراء، كما تقدم ذكره.

* * *

سنة ست وسبعين سبعمائة

فى أول الحرم: اتفق أمر غريب، قد وقع مثله فيما تقدم، وهو أن الأمير شرف الدين عيسى بن باب جك - والى الأشمونين^(١) - كان له ابنة، فلما أن تم لها من العمر خمس عشرة سنة، استد فرجها، وتدلّى لها ذكر وأنثيان، واحتملت كما تحتلم الرجال، واشتهر ذلك بالحسينية - حيث سكنه - وبالقاهرة، حتى بلغ منجك، فاستدعى بها، ووقف على حقيقة خبرها، فأمر بنزع ثياب النسوان عنها، وألبسها ثياب الرجال من الأجناد، وسماها عمدا، وجعله من حملة مشاة خدمته، وأنعم عليه بإقطاع، فشاهده كل أحد.

وفى ثامننه: أخذ قاع النيل، فجاء أربعة أذرع واثني عشر إصبعا.

وفى أول شهر ربيع الأول: شاع السلطان فى التجهيز إلى الحج، وتقدم إلى الأمراء بتجهيز أمورهم أيضاً.

وفى تاسعه: كان وفاء ماء النيل ستة عشر ذراعاً، ويوافقه رابع عشرين مسرى، ففتح الخليج على العادة، واستمرت الزيادة حتى بلغت سبعة عشر ذراعاً وخمسة أصابع، وثبت أوان ثباته، ثم انخط وقت الحاجة إلى هبوطه، فعم النفع والحمد لله به، إلا أن الأسعار تزايدت، فبلغ القمح مائة درهم الأردب، والشعير ستين درهما الأردب، والفلول خمسين درهما الأردب.

وفى أول شهر ربيع الآخر: ركب السلطان من قلعة الجبل إلى الميدان الكبير الناصرى بشاطئ النيل، للعب بالكرة على العادة فى كل سنة، وركب ولده أمير على قدامه بين يديه، وجعل على رأسه شطفة^(٢) كما يجعل على رأس السلطان، وعين جماعة من الأمراء للمشى فى ركابه، وخلع عليهم أقبية حرير بطرز زركش، وأركبهم الخيول المسومة بالسروج الذهب، وكنابيش زركش، وألبس أكابر مماليكه ومقدم مماليكه الطواشى شاذروان أيضاً الأقبية الحرير بالطرز.

وفيه أنعم على الأمير علاء الدين على بن كلف بامرة طبلخاناه، وعلى الأمير ناصر

(١) الأشمونين كورة من كور الصغير. انظر معجم البلدان ١/٢٠٠.

(٢) شطفة: عصابة يرتديها السلطان على رأسه لها ذؤابة تتدلّى خلف الرأس.

الدين محمد بن محمد بن الأمير تنكز نايب الشام بإمرة عشرة، وخلع على الشريف بكنمر بن على الحسينى، واستقر فى ولاية منفلوط، وعلى الأمير محمد بن بهادر، واستقر فى ولاية البهنسى، وأنعم على الأمير طشتمر الصالحى بإمرة طبلخاناه، وخلع على الأمير أحمد بن أرغون الأحمدى بإمرة عشرة.

وفى يوم الإثنين ثانى عشرين جمادى الأولى: خلع على شمس الدين محمد بن أحمد ابن عبد الملك الدميرى المالكى، واستقر فى حسبة القاهرة، عوضا عن بهاء الدين محمد ابن المفسر، فأمرت ليلة الثلاثاء مطرا عظيما.

وفى يوم الأربعاء: وضع المحتسب الخبز على رعوس عدة من الحمالين، وشق به القاهرة إلى القلعة وصنوج الخليلية تزفه، والطبول تضرب، ونودى عليه كل ثلاثة أرطال إلا ربع رطل بدرهم، وكان كل رطلين وثلاث بدرهم، فسر الناس بذلك، إلا أن الخبز عز وجوده، وفقد من الأسواق خمسة أيام، والناس تتراحم على أخذه من الأفران، واشتد شره النفوس، وكان يخامرها اليأس، فنودى بتكثير الخبز، وأن يباع بغير تسعير، فتزايدت الأسعار فى سائر الغلال بعد تناقصها، حتى بلغ فى أوائل جمادى الآخرة الأردب القمح مائة وعشرة دراهم، والأردب الشعير ستين درهما، والأردب الفول خمسة وخمسين درهما، والقدرح الأرز بدرهمين، والقدرح من العدس والحمص بدرهم وربع، وارتفع الزيت والشيرج، وأبيع الرطل من حب الرمان بعشرة دراهم ونصف، والرطل من لحم الضأن بدرهمين، ومن لحم البقر بدرهم وثلث، وقلت البهايم من الخيل والبغال والجمال والحمير والأبقار والأغنام لفنائها جوعا، وبيع الزوج الأوز بعشرين درهما، وكل دجاجة بأربعة دراهم.

وفى يوم الخميس ثالث عشره: ركب السلطان من قلعة الجبل وعبر القاهرة من باب زويلة، وخرج من باب النصر للسرحة على العادة فى كل سنة.

وفى نصف جمادى الآخرة: هذا ابتداء الوباء فى الناس فى القاهرة ومصر، وكثر موت الفقراء والمساكين بالجوع، فكانت أسمع الفقير يصرخ بأعلى صوته: « الله، لبابة قدر شحمة أذننى، أشمها وخذوها» فلا يزال كذلك حتى يموت. هذا، وقد توقفت أحوال الناس من قلة المكاسب؛ لشدة الغلاء، وعدم وجود ما يقتات به، وشح الأغنياء وقلت رحمتهم، ومع ذلك فلم يزداد أجر العمال من البناء والفعلة والحمالين ونحوهم من أرباب الصنایع شيئا، بل استقر على ما كانت عليه قبل الغلاء، فمن كان يكتسب فى اليوم درهما يقوم بحاله ويفضل له منه شيء، صار الدرهم لا يجدى شيئا، فمات

ومات أمثاله من الأجراء والعمال والصناع والفلاحين والسؤال من الفقراء.

وفى يوم الجمعة ثالث شهر رجب: عدى السلطان النيل من بر الجزيرة، عابدا من السرحة، فزار الآثار النبوية، وصلى الجمعة بجامع عمرو بمدينة مصر، وركب إلى القلعة.

وفى يوم السبت خامس عشرينه: قبض على الوزير صاحب تاج الدين النشو المالكي، وخلع على صاحب كريم الدين شاكر بن الغنام، وأعيد إلى الوزارة، وتسلم المالكي، واستخلص منه ثمانين ألف مثقال من الذهب، وهدم داره بمدينة مصر إلى الأرض، وأخرجه على حمار منفيا إلى الشام.

وفيه خلع على الأمير قرطاي الكركي، واستقر شاد العمائر بإمرة عشرة، واستقر الأمير بكتمر العلمي في كشف الوجه البحري، عوضا عن قرطاي، واستقر محمد بن قرايغا الأناقي في نقابة الجيش، عوضا عن بكتمر، واستقر الأمير فخر الدين عثمان الشرفي كاشفاً بالوجه القبلي من حدود الجزيرة إلى أسوان^(١).

وفى شهرى رجب وشعبان: اشتد الغلاء، فبلغ الأردب القمح مائة وخمسة وعشرين درهما، والإردب الشعير تسعين درهما، والأردب الفول ثمانين درهما، والبطة الدقيق زنة خمسين رطلا بأربعة وثلاثين درهما وشفع الموت في الفقراء من شدة البرد والجوع والعري، وهم يستغيثون فلا يغاثون، وأكل أكثر الناس خبز الفول والنخال، عجزا عن خبز القمح، وبلغ الخبز الأسود كل رطل ونصف بدرهم، وكثر خطف الفقراء له، ما قدروا عليه من أيدي الناس، ورمى طين بالسجن لعمارة حايط به، فأكله المسجونون من شدة جوعهم، وعز وجود الدواب لموتها جوعا.

وفى رابع عشرين شعبان: انتدب الأمير منجك نايب السلطان لتفرقة الفقراء على الأمراء وغيرهم، فجمع أهل الحاجة والمسكنة، وبعث إلى كل أمير من أمراء الألوفا مائة فقير، وإلى من عدا أمراء الألوفا على قدر حاله، وفرق على الدواوين والتجار وأرباب الأموال كل واحد عددا من الفقراء ثم نودى في القاهرة ومصر بألا يتصدق أحد على حرفوش، وأى حرفوش شحذ صلب، فأوى كل أحد فقراءه في مكان، وقام لهم من الغذاء بما يمد رفقهم على قدر همته وسماح نفسه، ومنعهم من التطواف لسؤال الناس، فخفت تلك الشناعات التي كانت بين الناس، إلا أن الموات عظم، حتى كان يموت في كل يوم من الطرحاء على الطرقات ما يزيد على خمسمائة نفر، ويطلق من

(١) أسوان: سبق ترجمتها. انظر معجم البلدان ١/١٩١، والروض المعطار ٥٧، ٥٨، والإدرسي

ديوان المواريث ما ينيف على مائتي نفس، وتزايد فى شهر رمضان مرض الناس وموتهم، ونفدت الأقوات، واشتد الأمر، فبلغت عدة من يرد اسمه للديوان فى كل يوم خمسمائة، وبلغت عدة الطرحاء زيادة على خمسمائة طريح، فقام بمواراة الطرحاء الأمير ناصر الدين محمد بن الأمير آقبا آص، والأمير سون الشيخونى، وغيرهما، وكان من أتى بميت طريح أعطوه درهما، فأتاهم الناس بالأموات، فقاموا بتغسيلهم وتكفينهم ودفنهم أحسن قيام، بعد ما شاهد الناس الكلاب تأكل الموتى من الطرحاء.

فلما فنى معظم الفقراء، وخلت دور كثيرة خارج القاهرة ومصر لموت أهلها، فشت الأمراض من أخريات شهر رمضان فى الأغنياء، ووقع الموت فيهم، فازداد سعر الأدوية، وبلغ الفروج خمسة وأربعين درهما، ثم فقدت الفراريج حتى خرج اليريد فى الأعمال بطلبها للسلطان، وبلغت الحبة الواحدة من السفرجل خمسين درهما، والحبة من الرمان الحامض عشرة دراهم، والرمان الواحدة من الحلو بستة عشر درهما، والبطيخة الواحدة من البطيخ الصيفى تسعين درهما، وكل رطل منه بثلاثة دراهم، واشتد الأمر فى شوال إلى الغاية.

وفى خامس عشر شوال: قدمت أم سالم الكبرى أمير التركمان بنواحي الأبلستين^(١)، ومعها أحمد بن همز التركمانى أحد الأبطال، وكان قد أقام دهرا يقطع الطريق على قوافل العراق يأخذ أموالهم ويقتل رجالهم، وأعيان النواب بالماليك أمره، وهدروا دمه، فنتشت شمله، وضاعت عليه تلك البلاد، حتى اضطره الحال إلى الدخول فى الطاعة، وقدم بأم سالم لتشفع فيه، فقبل السلطان شفاعتها، وأنعم عليه بإقطاع، وجعله من جملة من مقدمى المالك، وأنعم على أم سالم وردها إلى بلادها مكرمة.

وفيه استقر الأمير أحمد الطرخانى فى ولاية الأشمونين، عوضا عن الأمير شرف الدين يحيى بن قرمان.

وفى يوم الإثنين ثانى عشرين: استقر فى قضاء الحنابلة بدمشق شمس الدين محمد ابن تقى الدين عبد الله بن محمد بن عبد الله المقدسى، المعروف بابن تقى المرادوى، عوضا عن علاء الدين على بن محمد بن على العسقلانى.

وفى أول ذى القعدة: وصلت تراويج القمح الجديد، فأنحل السعر، حتى أبيع الأردب بستين درهما بعد مائة وثلاثين، وأبيع الأردب الشعير بعشرين درهما، والأردب الفول بدون العشرين درهما، وأبيع الخبز أربعة أرتال بدرهم، ثم تناقصت

(١) أبلستين: بالفتح ثم الضم، مدينة مشهورة من بلاد الروم. (انظر معجم البلدان).

الأسعار، واتفق أنه أبيع في بعض الأيام الأردب القمح بمائة وعشرين درهما، ثم أبيع في أثناء النهار بتسعين، ثم أبيع بستين، ثم أبيع من آخر النهار بثلاثين درهما.

وفي الخميس ثالثه: أنعم على الأمير ببيغا السابقى الخاصكى بتقدمة ألف.

وفي تاسع عشره: سقط الطائر بالبشارة بفتح سيس بعث به الأمير بيدمر نائب الشام، ثم قدم من الغد البريد من النواب بذلك، فدقت البشائر بقلعة الجبل ثلاثة أيام، وحمل إلى الأمير أشقتمُر نائب حلب تشریف جليل، وذلك أنه توجه بعساكر حلب إليها فنازلها، وحصر التكفور^(١) متملكها مدة شهرين حتى طلب الأمان، من فناء أزودتهم، وعجزهم عن العسكر، فتسلم الأمير أشقتمُر قلعتها، وأعلن في مدينة سيس بكلمة التوحيد، ورتب بها عسكرا، وأخذ التكفور وأمراءه، من أجناد وعاد إلى حلب، وجهزهم إلى القاهرة، فبعث السلطان الأمير يعقوب شاه لنيابة سيس، وأزال الله منها دولة الأرمن عباد الصليب، وقال الأدباء في ذلك شعرا كثيرا، ذكرنا بعضه في ترجمة الأمير أشقتمُر من تاريخنا الكبير المقفا.

واستقر الأمير صرغتمش الخاصكى في نظر المارستان، بعد وفاة الأمير أيدير الدوادار.

وفيه عين قاضى القضاة برهان الدين إبراهيم بن جماعة، لقضاء الحنفية بديار مصر، بعد وفاة صدر الدين محمد بن التركمانى شرف الدين أحمد بن على بن محمد بن محمد أبى العز الدمشقى، فسار البريد لإحضاره.

وقدم البريد بغلاء الأسعار بحلب، حتى أبيع الكوك القمح بمائة وخمسين درهما، وأن الشيخ أويس بن الشيخ حسن متملك بغداد مات، واستقر فى السلطنة بعده ابنه حسين بن أويس بن الشيخ حسن بن حسين بن أقبغا بن إيلكين.

واستقر فى قضاء القضاة بحلب فخر الدين عثمان بن أحمد بن أحمد بن عثمان الزرعى الشافعى، عوضا عن كمال الدين عمر بن عثمان بن هبة الله المعرى، واستقر سرى الدين إسماعيل بن محمد بن محمد بن هانى الأندلسى فى قضاء المالكية بحلب، عوضا عن برهان الدين إبراهيم بن محمد بن على الصنهاجى الشاذلى، واستقر الطواشى ياقوت الشينخى زمام الدور فى مقدمة المماليك، بعد وفاة الأمير سابق الدين مثقال الأنوكى، واستقر الطواشى سابق الدين مثقال الجمالى الساقى شاد الحوش زمام الدور،

(١) التكفور: لقب أطلق على ملوك أرمينيا الصغرى، متملكى سيس.

وخلع عليهما. واستقر الأمير منكلي بغا البلدى فى نيابة طرابلس^(١)، عوضا عن الأمير أقمّر عبد الغنى، واستقر أقمّر عبد الغنى فى نيابة صنفد^(٢)، وخرج البريد بإحضار يعقوب شاه نايب سيس، واستقر عوضه الأمير آقبغا عبد الله.

وفى آخره: فشت الأمراض فى الناس بالطاعون، وقل وجود الأموات الطرحاء، وأبيع الأردب الشعير من عشرين درهما إلى ستة وعشرين درهما.

وفى رابع ذى الحجة: قطع الديميرى المختسب سعر الخبز ثمانية أرتال بدرهم، وقد كان خمسة أرتال وثلث بدرهم، فامتنع الطحانون أن يشتروا القمح إلا بثمانية عشر درهما، فأبى تجار الغلال الجلابة بيع القمح بهذا، وعادوا بمراكب الغلال من حيث أتوا، فعز وجود القمح وبلغ أربعة وثلثين درهما الأردب، وتعذر وجود الخبز فى الأسواق عدة أيام، وأبيع أقل من ستة أرتال بدرهم.

وفى يوم الإثنين خامسة: قدم الأمير يعقوب شاه على البريد من سيس، فخلع عليه واستقر فى نيابة الإسكندرية، عوضا عن قطلوبغا الشعبانى.

وفى يوم النحر: تناقص الوباء.

وفى يوم الثلاثاء ثالث عشرة: قدم الشيخ شرف الدين أحمد بن منصور الحنفى من دمشق، فنزل بمدرسة السلطان حسن. ثم استدعى فى يوم الخميس خامس عشره إلى القلعة، فأجلس بباب القصر، ثم أمر أن يجلس على باب خزانة الخصاص بجوار القصر، فجلس حتى خرج الأمراء من الخدمة بالقصر، وفيهم الأمير طشتمر الدوادار، فسلم عليه وسار به إلى منزله، وبأسطه، وأطعمه معه من غذائه. وكان عنده الشيخ سراج الدين عمر البلقينى، والشيخ ضياء الدين القرم، فتجاذبوا^(٣) أطراف البحث فى فنون العلم. ثم أمره الأمير طشتمر أن يستمر حيث نزل إلى أن يطلبه السلطان، فمضى وقد عاق القوم أمره.

وتحدث الأمير ناصر الدين محمد بن آقبغا أص فى ولاية الجلال رسولا بن أحمد بن

(١) طرابلس: سبق ترجمتها. انظر معجم البلدان ٤/٢٥٠، ٢٦٠، والروض المعطار ٣٨٩، ٣٩٠،

ونزهة المشتاق ١١٧.

(٢) صنفد مدينة فى صيال عاملة مطلة على حمص بالشام. انظر معجم البلدان ٣/٤١٢.

(٣) جذب جيدا: لغة فى جذب، وفى الحديث: فجذبنى رجل من خلفى، وظنه أبو عبيد مقلوبا

عنه؛ قال ابن سيده: وليس ذلك بشيء، وقال ابن جنى ليس أحدهما مقلوبا عن صاحبه، وذلك لأنها

جميعًا يتصرفان تصرفا واحداً، تقول: جذب يجذب يجذب جذبًا انظر لسان العرب ٥٣٤.

يوسف التبانى الرومى - مدرس الحنفية بمدرسة الأمير ألباى - قضاء الحنفية. فاستدعاه السلطان وعرض عليه ولاية قضاء القضاة، فامتنع من قبوله، واعتذر بأن العجم ليس لها معرفة باصطلاح أهل مصر، فقبل السلطان عذره، وصرفه مكرما. فتحدث بعض الأمراء فى ولاية مجد الدين إسماعيل بن إبراهيم، وكاد أمره يتم، ثم بطل. فتحدث بعض أهل الدولة لنجم الدين أحمد بن عماد الدين إسماعيل بن محمد بن أبى العز، المعروف بابن الكشك، فى ولايته، فأجيب إلى ذلك وخرج البريد يطلبه من دمشق.

وفى يوم الإثنين تاسع عشره: قبض على الصاحب كريم الدين شاکر بن الغنام، وعلى حواشيه، وعلى مقدم الدولة الحاج سيف وشريكه عبيد البازدار، وعلى الأمير شرف الدين حمزة شاد الدواوين، وأبطل الوزارة، وأمر فأغلق شبك الوزارة بقاعة الصاحب من قلعة الجبل، فخلع على الأمير شرف الدين موسى بن الأزكشى أطلسين، واستقر مشير الدولة بإمرة طبلخاناه، ورسم له أن يحمل الدواة والمرملة كما هى عادة الوزراء، وخلع على سعد الدين بن الريشة، وعلى أمين الدين أمين، واستقرا فى نظرية الدولة، ورسم لهما أن يجلسا من وراء شبك الوزارة وهو مغلق. وخلع على كريم الدين صهر النشو وعلى فخر الدين بن علم الطويل، واستقرا فى استيفاء الدولة.

وفى يوم الخميس ثانى عشرينه: أفرج عن المقدم سيف، ونوابه، وخلع عليه، فإنه التزم أن يستخرج للسلطان ستمائة ألف من مال السلطان، وأفرج أيضاً عن كريم الدين شاکر ابن غنام، على مال التزم به، فنزل على حمار، حتى باع أثاثه وخبوله.

وفى يوم الجمعة ثالث عشرينه: عزل قاضى القضاة برهان الدين إبراهيم بن جماعة نفسه من القضاء، من أجل أنه منع بعض موقعى الحكم من التوقيع، فأخ عليه بعض أهل الدولة فى الإذن له، فغضب من الاعتراض عليه، وأغلق بابيه، واعتزل عن الحكم هو ونوابه، فشق ذلك على السلطان، وبعث إليه بالأمر ناصر الدين محمد آقبا أص يسأله فى العودة إلى الحكم، فنزل إليه فى يوم السبت، وسأله عن السلطان، وتضرع إليه وترفق، فأبى من العود إلى الولاية. ورجع الأمير إلى السلطان، فأرسل إليه بالأمر بهادر الجمالى، أمير آخور، آخر النهار، فأخ فى مسأله وأكثر من الترقق له، فلم يقبل منه، وصمم على الامتناع. فلما أيس منه قال له: «مولانا السلطان يسلم عليك، وقد حلف إن لم تقبل عنه الولاية، ولم تتركب إليه، ليركبن إليك، حتى يأتيك فى هذه الليلة إلى منزلك، حتى تقبل عنه ولاية القضاء»، وحلف له الأمير بهادر بالطلاق، أنه سمع السلطان، وهو يحلف بالطلاق على هذا. فلم يجد القاضى عند ذلك بدا من أن قال:

«أنا أجمع بالسلطان»، ثم ركب بثياب جلوسه، وصعد إلى القلعة، فعرض عليه السلطان العود إلى ولاية القضاء، ولاطفه. فأجاب بعد جهد: «إني أستخير الله تعالى هذه الليلة، ثم يكون ما يقدره الله». فرضى منه السلطان بذلك، وقام عنه وأجل الأمراء من يسعد بتقيل يده، حتى أتى منزله. وركب من الغد يوم الأحد خامس عشرينه إلى القلعة، واشترط على السلطان شروطا كثيرة، التزم له بها حتى قبل الولاية. ولبس التشريف الصوف، ونزل عليه من المهابة ما يكاد يشق الصدور، فكان يوما مشهودا.

وفي هذا الشهر: استقر جلال الدين جار الله في تدريس الحنفية بالجامع الطولوني، بعد وفاة ابن التركمانى. واستقر الأمير قارا بن مهنا، فى إمرة العرب، بعد موت أخيه حيار بن مهنا.

وفى يوم الثلاثاء سابع عشرينه: ركب السلطان إلى عيادة الأمير منجك فى مرضه، فقدم له عشرة ممالك، وعشرة بقج قماش، وعدة من الخيل، فقبل ذلك، ثم أنعم به عليه، ولم يرزأه منه شيئا، وقد فرش له عدة شقاق من حرير مشى عليها بفرسه فى داره، ثم عاد إلى القلعة.

* * *

ومات فى هذه السنة ممن له ذكر من الأعيان

خلائق لا يحصيها إلا خالقها، فمن الأعيان:

الأمير أسنبغا القوصونى اللالا أحد الطبلخاناه، وهو مجرد بالإسكندرية، فى ثالث عشر المحرم.

ومات الأمير أسنبغا البهاورى شاد العمائر، ونقيب الجيش، فى آخر شهر رجب.

ومات شهاب الدين أحمد، عرف بطبيق، ابن الفقيه بدر الدين حسن، أحد فقهاء الحنفية، فى رابع ذى القعدة.

ومات شهاب الدين أحمد بن السقا أحد فضلاء الميقاتية، فى تاسع عشر شوال.

ومات شهاب الدين أحمد بن براغيث، فى خامس عشرين شوال.

ومات قاضى الحنفية بدمشق، شرف الدين أحمد بن شهاب الدين حسين بن سليمان بن فزارة الكفرى، بعد أن كف بصره، عن خمس وثمانين سنة.

ومات قاضى الشافعية بحلب وطرابلس، شهاب الدين أحمد بن عبد اللطيف بن أيوب الحموى، عن بضع وسبعين سنة، بحماة.

ومات الإمام النحوى شهاب الدين أحمد بن محمد بن محمد بن محمد^(١) بن محمد بن على العنابى الدمشقى، عن بضع وستين سنة بدمشق. أخذ النحو بالقاهرة عن أبى حيان، وشرح كتاب سيويه.

ومات الأديب البارح شهاب الدين أحمد بن يحيى بن أبى بكر بن عبد الواحد، المعروف^(٢) بابن أبى حجلة التلمسانى الحنفى، شيخ صهرريج منجك^(٣)، فى يوم الخميس أول ذى الحجة بالقاهرة، عن إحدى وخمسين سنة.

ومات الإمام المحدث شهاب الدين أحمد بن الزيلعى شيخ الإقراء بخانكاه شيخو، فى يوم الأربعاء سابع ذى الحجة.

ومات الأمير أطنبغا النظامى الجوكندار.

ومات سلطان بغداد وتوريز القان أويس ابن الشيخ حسن بن حسين بن أقبغا بن أيلكان، عن نيف وثلاثين سنة، منها فى السلطنة تسع عشرة سنة، وكان قد اعتزل قبل موته، وأقام عوضه فى المملكة ابنه الشيخ حسين لمنام رآه نعت إليه نفسه، وعين له يوم موته، فتخلى عن الملك، وأقبل يتعبد، فمات كما ذكر له فى نومه.

ومات الأمير أيدمر الدوادار الآنوكى الناصرى، أتايك العساكر، فى يوم الأربعاء سادس عشر ذى القعدة، وكان مهأباً، سيوساً، حازماً، يبدأ الناس بالسلام، ويتبع الأحكام الشرعية.

وتوفى شيخ خانكاه سعيد السعداء بدر الدين حسين بن قاضى دمشق، علاء الدين على بن إسماعيل بن يوسف القونوى الشافعى، فى يوم السبت، سادس عشر شعبان، وهو ينوب فى الحكم عن قاضى القضاة برهان الدين إبراهيم بن جماعة، ويدرس فى المدرسة الشريفة.

ومات الأمير حيار بن مهنا بن عيسى^(٤) بن مهنا بن مانع بن حديثة بن غضية بن

(١) أحمد بن محمد بن محمد بن على الدين العنابى أديب نحوى شافعى من تلاميذ أبى حيان انتقل إلى دمشق، فاشتهر وتوفى بها وله: «نزهة الأبصار فى أوزان الأشعار - ج» والوافى فى معرفة القوافى - (خ). انظر الدرر الكامنة ٢٩٨/١ وشذرات الذهب ٢٤٠/٦ والأعلام ٢٢٥/١.

(٢) أحمد بن يحيى بن أبى بكر التلمسانى أبو العباس شهاب الدين بن أبى حجلة: عالم بالأدب، شاعر، من أهل تلمسان. سكن دمشق، وولى مشيخة الصوفية بصهرريج منجك بظاهر القاهرة وومات فيها بالطاعون وله «مقامات» وكتاب «ديوان الصبابة - ط» انظر الدرر الكامنة ٣٢٩/١ وتعريف الخلق ٤٢/٢ وآداب اللغة ١٢٣/٣ وفهرس دار الكتب ١٠٥/٣، ١٣٥ والأعلام ٢٦٩/١.

(٣) صهرريج منجك فى ظاهر القاهرة.

(٤) حيار بن مهنا عيسى من آل فضل، من طيى: أمير بادية الشام. آلت إليه الإمارة بعد موت أخيه فياض سنة ٧٦٢هـ وكان موالياً لسلطين مصر والشام وتابعاً لهم فنقض طاعتهم سنة ٧٦٥هـ وابتعد فى القفر يعث وينهب. انظر ابن خلدون ٤٣٩/٥ والدرر الكامنة ١٧١/٢ والأعلام ٢٨٩/٢.

فضل بن ربيعة، أمير آل فضل بنو احي سلمية^(١)، عن بضع وستين سنة.

ومات الأمير سلطان شاه بن قرا الحاجب من أمراء الطبلخاناه.

وتوفى الشيخ جمال الدين عبد الله بن محمد بن أحمد الحسيني النيسابوري^(٢) الشافعي، وهو من أبناء التسعين بحلب، بعد ما أقام بالقاهرة زمانا، وبرع فى العربية والأصول.

وتوفى قاضى القضاة الحنابلة بدمشق علاء الدين على بن محمد بن على بن عبد الله ابن أبى الفتح العسقلانى المصرى، أحد أعلام الحنابلة، فى ثامن عشر شوال بدمشق.

ومات قاضى حلب، علاء الدين على بن الفخر عثمان بن أحمد بن عمرو بن محمد الزرعى الشافعي، عن خمس وثمانين سنة بدمشق، وقد باشر بها وكالة بيت المال وكتابة الإنشاء.

ومات الأمير قرقماس الصرغتمشى، أحد العشرات.

ومات الأمير ككبك الصرغتمشى، أحد أمراء الطبلخاناه.

وتوفى قاضى العسكر مفتى دار العدل، أحد الفقهاء الحنفية، وشيخ العربية والأدب، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن بن على بن الصايغ الحنفى، فى يوم الثلاثاء ثانى عشر شعبان.

وتوفى قاضى القضاة صدر الدين محمد بن قاضى القضاة جمال الدين عبد الله بن قاضى القضاة علاء الدين على بن فخر الدين عثمان بن إبراهيم بن مصطفى الماردىنى، المعروف بابن التركمانى الحنفى، فى ليلة الجمعة رابع ذى القعدة، عن نحو أربعين سنة، بمنزله من ناحية كوم الريش، خارج القاهرة، وقد أقام فى قضاء الحنفية ثلاث سنين وأشهر، وأوصى أن يكتب على قبره من شعره:

إن الفقير الذى أضحى بحفرته نزيل رب كثير العفو ستار
يوصيك بالأهل والأولاد تحفظهم فهم عيال على معروفك السارى

(١) سلمية: سبق ترجمتها. انظر الروض المعطار ٣٢٠، ونزهة المشتاق ٥٦. يعقوبى ٣٢٤، والكرخى ٤٦.

(٢) عبد الله بن محمد بن أحمد الحسينى النيسابورى، جمال الدين وينعت بالشرىف: عالم بالعربية وأصول الفقه. ولى التدريس بحلب، وأقام بدمشق مدة، وبالقاهرة مثلها له شرح المنار فى الأصول (وشرح التسهيل) فى النحو. انظر مفتاح السعادة ١٤٩/١ والدرر الكامنة ٢٨٦/٢ وشذرات الذهب ٢٤٢/٦ والأعلام ١٢٦/٤.

وتوفى مفتى الشام جمال الدين محمد بن الحسن بن محمد بن عمار، المعروف بابن قاضى الزيدانى الحارثى الدمشقى، عن سبع وثمانين سنة.

وتوفى أمين الدين محمد بن قاضى القضاة برهان الدين إبراهيم بن على بن أحمد بن على بن يوسف بن إبراهيم بن عبد الحق الحنفى، بدمشق، عن بضع وستين سنة. وتوفى المحدث شمس الدين محمد بن الأنصارى المعروف بابن العلاف، عن نحو مائة سنة.

وتوفى رئيس التجار ناصر الدين محمد بن مسلم فى يوم الجمعة ثانى عشر شوال، وإليه ينسب المدرسة المسلمية بمصر.

ومات الأمير منحك اليوسفى نائب السلطنة، فى يوم الخميس تاسع عشرين ذى الحجة، ودفن من الغد بخانكاته تحت القلعة.

وتوفى الوزير صاحب ناظر الخاص فخر الدين ماجد، ويدعى عبد الله، بن تاج الدين موسى بن علم الدين أبى شاکر بن سعيد الدولة، فى يوم الجمعة عاشر ذى القعدة، وأبوه حى.

ومات الأمير موسى بن أيدير الخطيرى، أحد أمراء العشرات.

ومات الأمير الطواشى سابق الدين مثقال الأنوكى مقدم المماليك، وأحد أمراء الطبلخاناه، فى يوم الجمعة سابع عشر ذى القعدة، وإليه تنسب المدرسة السابقة بالقاهرة.

وتوفى المسند زين الدين عبد الرحمن بن على بن محمد بن هارون، بن محمد بن هارون، المعروف بابن القارئ التغلبى، فى نصف ذى القعدة، حدث بصحيح عن الشهاب أحمد بن إسحاق بن المؤيد^(١) الأبرقوهى^(٢)، وهو آخر من حدث عنه، وله مشيخة، حدث بها أيضاً.

وتوفى أحد فقهاء المالكية ناصر الدين محمد الهارونى أبو جابر بمصر، فى يوم الأربعاء سادس شعبان.

(١) أحمد بن إسحاق بن محمد بن المؤيد، أبو المعالى شهاب الدين، الأبرقوهى: عالم بالحديث والقرآن من أهل أبرقوه (بأصبهان) ولد بها، ونشأ فى همدان وعاش بمصر وتوفى بمكة. كان مسند وقته له (معجم شيوخه خ) مرتب على الحروف، منه نسخة ناقصة الأول. انظر شذرات الذهب ٦:٤ وتاريخ علماء بغداد ٢٠ والمخطوطات المصورة ٢٠٢/٢ والفهرس التمهيدى.

(٢) أبرقوه بفتح أوله وثانيه بلد بفارس من أعمال شيراز. (انظر معجم البلدان).

وتوفى كمال الدين أبو البركات السبكي الشافعي مدرس الحديث بالشيخونية^(١)، ومفتي دار العدل، في يوم الإثنين ثاني عشرين شوال.

وتوفى شيخ كتاب المنسوب عز الدين أيك بن عبد الله التركي، عتيق طرغاي الجاشنكير الناصري في يوم الأحد بالقاهرة، وكتب على الفخر السنباطي، وجاد، وتصدر للكتابة بالجامع الأزهر دهرا، فكتب الناس عليه وانتفع به جماعة، وكان خيرا ديناً.

ومات الأمير يلبغا الناصري، أحد مقدمي الألو، في ليلة الجمعة آخر ذى الحجة.

ومات الشيخ مجد الدين محمد بن الشيخ مجد الدين أبي بكر بن إسماعيل بن عبد العزيز الزنكلوني الشافعي، في سابع شوال.

ومات ناصر الدين محمد بن محمد بن محمد بن الكتناني، أحد فضلاء الميقاتية، في يوم الثلاثاء خامس عشرين رمضان.

ومات شرف الدين محمد بن الشيخ ناصر الدين أبي جابر المالكي، أحد نواب المالكية بمصر، في سادس عشر شوال.

ومات شمس الدين محمد بن ثعلب المالكي، مدرس المدرسة القمحية^(٢) بمصر، في تاسع شوال.

ومات شرف الدين حسن بن صدر الدين بن قاضي القضاة تقي الدين أحمد المقدسي الحنبلي، أحد كتاب الإنشاء ومدرس الحنابلة بالجامع الحاكمي^(٣)، في يوم الأربعاء سادس عشر ذى القعدة.

ومات الأمير ببيغا العلالى الدوادار، وهو منفي بظرابلس.

وتوفى صلاح الدين يوسف بن محمد، عرف بابن المغربي، رئيس الأطباء، في يوم

(١) المدرسة الحديثية بالشيخونية أنشأها الأمير سيف الدين شيخو الناصري رأس نوبة الأمراء سنة ٧٥٦هـ وكان مكانها بسويقة منهم فيما بين الصلبة والرميلة تحت قلعة الجبل. انظر النجوم الزاهرة ٢٦٩/١٠.

(٢) المدرسة القمحية: بناها السلطاني صلاح الدين الأيوبي سنة ٥٦٦هـ وخصصها لفقهاء المالكية ووقف عليها ضيقة بالفيوم. انظر المواعظ ٣٦٤/٢.

(٣) الجامع الحاكمي - أول من أسسه الخليفة العزيز بالله الفاطمي، ثم أعمله ابنه الحاكم فنسب إليه. انظر (حطط المقرزي ٢٧٧/٢).

الأربعاء ثامن عشر جمادى الآخرة، عن سنن عيال، وإليه ينسب جامع ابن المغربي^(١) بشاطئ الخليج الناصري بجانب بركة قرموط^(٢).

* * *

(١) جامع ابن المغربي: يطل هذا الجامع على الخليج الناصري، أنشأه صلاح الدين يوسف بن المغربي وبنى بجانبه قبة دفن فيها. انظر المواعظ ٣٢٨/٢.

(٢) بركة قرموط: هذه البركة فيما بين اللوق والقس، كانت من جملة بستان ابن ثعلب. وقرموط هذا هو أمين الدين قرموط متولى الخزانة السلطانية. انظر المواعظ ١٦٤/٢.

سنة سبع وسبعين وسبعماية

في ثالث المحرم: خلع على نجم الدين بن الشهيد موقع الدست، واستقر كاتب السر بسيس.

وفي يوم الأحد تاسعه: ختن السلطان ولديه أمير على وأمير حاجي، وعملت الأفراح مدة سبعة أيام ليلا ونهارا.

وفي يوم الثلاثاء ثامن عشره: قدم قاضي الحنفية بدمشق نجم الدين أبو العباس أحمد، ابن قاضي دمشق عماد الدين إسماعيل بن محمد بن أبي العز بن صالح بن أبي العز وهيب بن عطا بن جبير بن وهيب الأذرعى الدمشقى، المعروف بابن أبي العز، ودخل على الأمير طشتمر الدوادار، والأمير ناصر الدين محمد بن آقبا آص، ومحب الدين محمد ناظر الجيش، وقاضي القضاة برهان الدين إبراهيم بن جماعة، ونزل بصهرريج منجك تحت القلعة، وأقبل الأعيان للسلام عليه.

وفيه قدم قاضي القضاة برهان الدين إبراهيم الأختاي المالكي من الحج وسلم على السلطان، فخلع عليه وأكرمه.

وفي آخره: استدعى نجم الدين بن أبي العز إلى القلعة، وفوض إليه السلطان قضاء القضاة الحنفية بديار مصر، وخلع عليه، وقرر عوضه في قضاء الحنفية بدمشق ابن عمه صدر الدين على بن على^(١) بن محمد بن محمد بن أبي العز صالح بن أبي العز، فنزل قاضي القضاة نجم الدين فى موكب جليل إلى المدرسة الصالحة بين القصرين على العادة.

وفي رابع عشرينه: أنعم على الأمير طئيغا الجمالى الصفوى بإمرة طبلخاناه، وخلع على شرف الدين بن منصور، واستقر فى قضاء العسكر، عوضا عن ابن الصايغ. وفيه قدم النشو الملكى الوزير من الشام باستدعاء، ولزم بيته، وأنعم على الأمير سراى تمر الخاصكى بتقدمة ألف.

(١) على بن على بن محمد بن أبي العز، الحنفى الدمشقى: فقيه كان قاضى القضاة بدمشق ثم بالديار المصرية، ثم بدمشق، وامتحن بسبب اعتراضه على قصيدة لابن أيب الدمشقى، وله كتب منها (التنبية على مشكلات الهداية - خ). انظر الدرر الكامنة ٨٧/٣ والكتبخانه ٢٨/٣ وهديّة العارفين ٧٢٦/١ والأعلام ٣١٣/٤.

وفي نصف صفر: ابتدأ السلطان بعمارة مدرسة بالصورة تجاه الطبلخاناه من قلعة الجبل، وشرع في هدم بيت الأمير سُتقر الجمالي؛ ليضيفه إليها.

وفي هذا الشهر: وجد في قصر الحجازية^(١) من القاهرة - حيث كان باب الزمرد أحد أبواب القصر الفاطمي - تجاه رحبة باب العيد، عمودان عظيمان إلى الغاية تحت ردم، فرسم بسحبهما إلى عمارة السلطان، فأعيا العتالون أمرهما وعجزوا عن شحطهما^(٢) لكبرهما، فانتدب ابن عايد رايس الخلافة، وإليه أمر الحراقة السلطانية لذلك، وعمل حركات هندسية، فأنجزا مع تلك الحركات بطول شارع القاهرة إلى تحت القلعة حيث العمارة، في عدة أيام، كان للعمارة فيها اجتماعات بطبولهم وزمورهم، وقالوا من نزهاتهم في جر العامود غناء تداولته ألسنتهم عدة سنين، واقترحوا بالإسكندرية قماشاً سموه جر العامود، للبس النساء، من الحرير. فلما وصل العمودان إلى العمارة انكسر أكبرهما نصفين.

وفي خامس شهر ربيع الأول: خلع على الأمير تمرباي التمرتاشي، واستقر في نيابة الكرك، عوضاً عن طيْدُمُر البالسي.

وفي سادسه: قبض على الأمير تمرباي أمير مجلس، والأمير كزَل وسجنا.

وفي يوم الإثنين ثامن عشرينه: خلع على الصاحب تاج الدين النشو المالكي وأعيد إلى الوزارة بعد إبطاها، وخلع على أمين الدين أمين، واستقر في نظر الدولة بمفرده، وعزل الأمير شرف الدين موسى بن الأزكشي من الإشارة.

وفي يوم الإثنين سادس عشرين شهر ربيع الآخر: خلع على الأمير آقتمر الصاحبى الحنبلى، واستقر نائب السلطان، عوضاً عن الأمير سيف الدين منجك بحكم وفاته، فخرج وجلس بدار النيابة من قلعة الجبل على العادة، وأمضى الأمور وحكم بين المتخاصمين.

وفيه استقر ولى الدين أبو محمد عبد الله بن أبى البقاء فى قضاء القضاة بدمشق بعد موت أبيه، وحمل إليه التقليد والخلعة على البريد.

(١) قصر الحجازية كان يعرف أولاً بقصر الزمرد أيام الخلفاء الفاطميين، ثم عرف بعد بقصر قوصون إلى أن اشتريته خوند تتر الحجازية. انظر المواعظ ٧١/٢.

(٢) الشحط والشحط: البعد؛ وقيل: البعد فى كل الحالات، يثقل ويخفف؛ قال النابغة:

كل قرينة ومقـر إلف فارقة إلى الشحط القرين

وأشد الأزهري:

الشحط قطاع رجاء من رجا شحط الدار تشحط شحطاً وشحطاً

وشحوطاً: بعدت، الجوهري: شحط المزار أى بعد، وأشحطته أبعده. انظر لسان العرب ٢٢٠٧.

وفي هذا الشهر: ارتفع سعر اللحم، فأبيع الرطل من لحم الضأن بدرهم ونصف، والرطل من لحم البقر بدرهم وثمان.

وفي سابع عشر شهر جمادى الأولى: قدم الأمير قُطلوبغا المنصوري من الشام، باستدعاء.

وفي يوم الخميس خامس جمادى الآخرة: خرج قاضى القضاة نجم الدين أحمد بن أبى العز من القاهرة عائداً إلى دمشق، من غير أن يعلم به أحد، شبه الفأر، وذلك أنه لم تعجبه القاهرة ولا أهلها، فكان إذا دخل عليه أحد وجلس، قال نقيب الحكم «بسم الله» يشير إليه أن قم فينفض من فى مجلسه، وأكثر من التضجر والقلق، وما زال يسأل فى الإعفاء، وأن يستقر ابن عمه صدر الدين عوضاً عنه، حتى أجيب، فاغتنم ذلك وسافر.

وفي نصفه: قبض على صاحب كريم الدين شاکر بن غنام، وأدخل قاعة الصاحب على مال يحمله، ثم أفرج عنه بعد ثلاثة أيام، فاختمى، ولم يقدر عليه، فأوقع الملكى الحوطة على داره، وقبض على أتباعه ومعارفه، وصادرهم، ونودى عليه بالقاهرة ومصر، وهدد من أخفاه، وجاء المالكى ليهدم داره، بالقرب من الجامع الأزهر فلم يتهياً له ذلك، فإنه وجد بها محراباً، فصارت مدرسة إلى اليوم.

وفي يوم الأربعاء رابع شهر رجب: قدم صدر الدين على بن على بن محمد بن محمد أبى العز الحنفى من دمشق باستدعاء، فخلع عليه من الغد يوم الخميس خامسه، واستقر فى قضاء الحنفية بدمشق.

وفي يوم الخميس ثانى عشرينه: خلع على بدر الدين عبد الوهاب بن كمال الدين أحمد بن قاضى القضاة علم الدين محمد بن أبى بكر الأحنأى، واستقر فى قضاء القضاة المالكية بالقاهرة، بعد وفاة البرهان إبراهيم الأحنأى، وخلع على الأمير قُطلوبغا المنصوري، واستقر حاجب الحجاب، وسافر ركب الحجاج الرجبية على العادة

وفي أول شعبان: قدم الأمير آشقتمر نائب حلب بهدية جليلة، قدمها للسلطان، فقبلها.

وخلع على ابن عرام، وأعيد إلى نيابة الإسكندرية، عوضاً عن جر كتمُر المنجكى بعد وفاته، وعلى الطواشى مختار شاذروان الدمنهورى، واستقر مقدم الممالك بعد وفاة افتخار الدين ياقوت الشىخى، وعلى الطواشى ظهير الدين مختار الحسامى مقدم القصر، واستقر مقدم الأسىاد ولدى السلطان بأمرة عشرة، عوضاً عن مختار شاذروان.

سنة سبع وسبعين وسبعمائة

وقدمت رسل صاحب اصطنبول بهدية فيها صهرج عمل بحركات هندسية، فإذا مضت ساعة من الليل والنهار خرجت ثمائيل بنى آدم، وضربت بصنوج فى أيديها، وأنواع من آلات الملاهى معها، وإذا مضت درجة سقطت بندقة.

وفى خامس عشره: سافر الأمير أشقتمر على نيابة حلب بعد ما خلع عليه، وقدم صاحب سنجار بعد ما سلمها لنواب السلطان، فخلع عليه وأكرم، وخرج الأمير أرغون العثمانى لإحضار الأمير بيدمر نائب الشام.

وفى خامس عشرينه خلع على الأمير ناصر الدين محمد بن على بن الطواشى، واستقر فى توقيع الدست، عوضا عن ناصر الدين محمد بن القرشى بعد وفاته، وخلع على علم الدين يحيى كاتب الأمير شرف الدين موسى بن الدينارى بعد ما أسلم، واستقر فى نظر الخزانة الكبرى، عوضا عن القرشى، وخلع على شمس الدين محمد الدميرى المحتسب، واستقر فى نظر الأحباس، عوضا عن القاضى القرشى.

وفى تاسع عشرينه: خلع على الأمير طيغا الصفوى، واستقر لالا إخوة السلطان، وعلى الأمير ناصر الدين محمد بن قرطاي الكركى، واستقر فى ولاية قوص، عوضا عن ركن الدين عمر بن المعين.

وفى تاسع شهر رمضان: خلع على شرف الدين أحمد بن على^(١)، ابن منصور، واستقر فى قضاء القضاة الحنفية، عوضا عن صدر الدين على بن أبى العز، وسافر ابن أبى العز إلى دمشق، وخلع على محمد الدين إسماعيل بن إبراهيم التركمانى الحنفى، واستقر فى قضاء العسكر، عوضا عن شرف الدين أحمد بن منصور.

وفى تاسع عشرينه: قدم الأمير بيدمر نائب الشام، ومعه هدية للسلطان لم يعهد مثلها للنائب قبله، منها مائتان وخمسون فرسا، وأهدى لجميع الأمراء والأعيان عدة هدايا، ونزل بالميدان الكبير على النيل، حتى سافر فى ثالث عشر شوال بعد ما خلع عليه.

وفى ليلة السبت ثالث عشرينه: طلق السلطان نساءه الثلاث، وهن خوند صاحبة القاعة ابنة عمه السلطان حسن، وابنة الأمير تنكربغا، وابنة الأمير طغاي ثمر النظامى.

(١) أحمد بن على بن منصور بن ناصر، أبو العباس، شرف الدين بن منصور الحنفى: قاضى درس وأفتى، مولده ووفاته فى دمشق. ولى قضاها، فطلبه السلطان الملك الأشرف فولاه القضاء بمصر سنة ٧٧٧هـ فباشره أقل من عام وعاد إلى دمشق ودفن هناك وله «التحرير» اختصر به «المختار». انظر الدرر الكامنة ٢٢١/١ والشذرات ٢٧٣/٦ وكشف الظنون ١٦٢٢ ورفع الإصر ٨٩/١ - ٩١ والأعلام ١٧٦/١، ١٧٧.

وقدم ابن عرام نائب الإسكندرية باستدعاء، وقدم طيدمر البالىسى من القدس باستدعاء، وظهر الصاحب كريم الدين شاکر بن غنام من اختفائه، فخلع عليه، واستقر فى نظر البيوت.

وفى يوم الأحد ثانى عشرين ذى القعدة: عزل الملكى من الوزارة، وخلع من الغد يوم الإثنين ثالث عشرينه على أمين الدين أمين، واستقر فى نظر الدولة، بغير وزير، فانفرد الصاحب شمس الدين أبو الفرج المقسى ناظر الخاص بالتدبير، وخلع عليه، واستقر مشير الدولة، وخلع على أمين الدين جعيص، واستقر مستوفى الدولة.

وقدم البريد بغلاء الأسعار بدمشق، وأن الفرارة القمح بلغت نحو خمسمائة درهم، وأبيع الخبز بجلب كل رطل حلبى بستة دراهم، والمكوك القمح بثلاثمائة درهم ونيف، وأكلت الميتات والكلاب والقطاط، ومات خلق كثير من المساكين، وانكشف عدة من الأغنياء، وعم الغلاء ببلاد الشام كلها، حتى أكلت القطاط وبيعت الأولاد بجلب وأعمالها.

وفيه استناب قاضى القضاة برهان الدين إبراهيم بن جماعة، صهره سرى الدين محمد ابن قاضى المالكية جمال الدين محمد بن عبد الرحيم بن على المسلاتى فى الحكم بالقاهرة، بعد ما انتقل عن مذهب مالك إلى مذهب الشافعى، واستقر البرهان أبو سالم إبراهيم بن محمد بن على الصنهاجى، فى قضاء المالكية بجلب، عوضا عن ناصر الدين أبى عبد الله محمد بن سرى الدين أبى الوليد إسماعيل بن محمد بن محمد بن هانى الأندلسى، واستقر بدر الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن مزهر فى كتابة السر بدمشق، عوضا عن شهاب الدين أحمد بن فضل الله بعد وفاته.

وكان أمير الحاج فى هذه السنة الأمير بورى الخاصكى، فخرج على الحاج بطريق المدينة النبوية قطاع الطريق، وقتلوا منهم طائفة.

* * *

ومات فى هذه السنة ممن له ذكر من الأعيان

قاضى القضاة برهان الدين أبو إسحاق إبراهيم بن علم الدين محمد بن أبى بكر بن عيسى بن بدران السعدى الهذبانى الأحنأى المالكى، فى ليلة الثلاثاء ثانى شهر رجب، وكانت مدة ولايته قضاء خمس عشرة سنة.

وتوفى ناظر بيت المال برهان الدين إبراهيم بن بهاء الدين الحلى، فى يوم الأربعاء خامس المحرم.

وتوفى الفقير المجذوب المعتمد أحمد بن عبد الله، ويسمى مسعود، بخط المريس فيما بين القاهرة ومصر، يوم الخميس تاسع شهر رمضان، كان أسود اللون، ويؤثر عنه كرامات، وربما غاب عقله مدة ثم حضر.

وتوفى كاتب السر بدمشق شهاب الدين أبو العباس أحمد بن علاء الدين على بن يحيى الدين يحيى بن فضل الله العمرى، وقد أناف على الثلاثين.
ومات الأمير أرغون الحمدي الآتوكى، أحد الطبلخاناه.

ومات الأمير سيف الدين أسنبغا بن بكتمر البوبكرى، أحد أمراء الألو، فى يوم الأربعاء خامس المحرم، وإليه تنسب المدرسة البوبكرية^(١) بالقاهرة.

ومات الأمير جركتمر المنجكى أمير مجلس، وقد ولى قلعة المسلمين^(٢) حتى مات بها.

ومات الأمير طبقغا العمرى، أحد الطبلخاناه.

وتوفى الشيخ عبد الله بن محمد بن أبى بكر بن خليل بن إبراهيم بن يحيى بن أبى عبد الله يحيى بن إبراهيم بن سعيد بن طلحة بن موسى بن إسحاق، بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن أبان بن أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله عنه، فى يوم الأحد ثالث جمادى الأولى، بخلوته من سطح جامع الحاكم، وكانت له جنازة عظيمة جدا، ومولده سنة أربع وتسعين وستمائة. كان فقيها شافعيا صاحب فنون، قدم من مكة سنة إحدى وعشرين وسبعمائة إلى القاهرة، وأخذ الفقه عن التقى السبكي والعلاء القونوى، والنحو عن أبى حيان، والأصفهائى، وعاد إلى مكة بعد سبع سنين، ثم قدم منها بعد سنتين إلى البلاد الشامية، سمع من جماعة كالرهان بن سباع، وابن عبد الدايم، ثم استوطن القاهرة، ودرس الحديث بالمدرسة المنصورية، وبأشر عدة وظائف تنزه عنها، وانقطع للعبادة بسطح الجامع الحاكمى حتى مات، وليس له نظير فى حفظه ودينه.

وتوفى كمال الدين أبو حفص عمر بن التقى إبراهيم بن عبد الله بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحيم بن عبد الرحمن بن الحسن بن العجمى الحلبي، الفقيه الشافعى المحدث بجلب، وقدم إلى القاهرة.

(١) المدرسة البوبكرية: تقع هذه المدرسة بجوار درب العباس قريبا من حارة الوزيرية بالقاهرة، وقفها الأمير أسنبغا على الفقهاء الحنفية سنة ٧٧٢هـ. انظر المقرئى.

(٢) قلعة المسلمون: يقصد بهذه القلعة قلعة الروم وهى غربى الفرات مقابل البسيرة بينها وبين سميساط. (انظر معجم البلدان).

وتوفى زين الدين عمر بن أحمد بن إبراهيم بن عبد الله بن عبد المنعم بن أمين الدولة، الحنبلى الحلبي، عن بضع وستين سنة، بحلب، وقدم إلى القاهرة.

ومات الشريف عجلان بن^(١) رميثة بن أبي ندى محمد بن أبي سعد على بن الحسن ابن قتادة بن إدريس بن مطاعن بن عبد الكريم بن موسى بن عيسى بن سليمان بن عبد الله بن موسى الجور بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الإمام الحسن بن الإمام أمير المؤمنين على بن أبي طالب، عليهم السلام، بعد ما ولى إمارة مكة شريكة لأخيه ثقبه، ثم انفرد بالإمارة بعد موت أخيه، حتى رغب عنها لولده أحمد بن عجلان، واعتزل حتى مات فى ليلة الإثنين حادى عشر جمادى الأولى.

وتوفى قاضى القضاة بهاء الدين أبو البقاء محمد بن سديد الدين أبى محمد عبد البر ابن القاضى صدر الدين أبى زكريا يحيى بن على بن تمام بن يوسف بن موسى بن تمام ابن حامد بن يحيى بن عمر بن عثمان الأنصارى السبكي الشافعى، فى يوم الخميس ثانى عشرين شهر ربيع الآخر بدمشق، ومولده سنة سبع وسبعمائة.

وتوفى شمس الدين أبو عبد الله محمد بن شهاب الدين أحمد بن عبد الرحمن بن خطيب بيروت الدمشقى الشافعى، فى شوال بدمشق، ومولده سنة إحدى وسبعمائة، قدم القاهرة وسكنها مدة، ودرس بالشافعى، وولى قضاء المدينة النبوية.

وتوفى كمال الدين محمد بن زين الدين أبى القاسم عمر بن الحسن بن عمر بن حبيب الحلبي بالقاهرة، عن أربع وسبعين سنة، وهو أخو شيخنا زين الدين طاهر.

وتوفى تقى الدين محمد بن كمال الدين الشهاب محمود، أحد موقعى الدست بالقاهرة عن أربع وسبعين سنة.

وتوفى الشيخ محمد بن شرف عادى - بعين مهملة^(٢) - الكلاهمى الشافعى الفرضى النحوى المقرئ، فى يوم الثلاثاء تاسع شهر رجب، بالمدرسة القطبية^(٣) من القاهرة، ودرس الفرائض زمانا، وصنف فيها، ومهر به جماعة.

(١) عجلان بن رميثة. معجم الأعلام جـ ٤.

(٢) محمد بن شرف عادى القرشى الزبيرى، شمس الدين الكلاهمى: فرضى، من فقهاء الشافعية. له والقواعد الكبرى - خ، فى الفرائض على المذاهب الأربعة (والجامع الصقيد فى النحو - خ). انظر الدرر الكامنة ٤٥٢/٣ وفهرست الكتبخانة ٣/٣١٣ و ٣١٥ وإيضاح المكنون ٢/٢٤٣ والأعلام ١٥٧/٦.

(٣) هناك مدرستين بهذا الاسم: الأولى فى خط سوقة الصاحب بداخل درب الحريرى، والثانية فى أول حارة زويلة. انظر المواعظ ٢/٣٦٨ وأظن أن المقصود هنا المدرسة الأولى.

ومات الأمير ناصر الدين محمد بن الأمير قيران الحسامي، أحد الطبلخاناه.

وتوفى صلاح الدين محمد بن صوره، مدرس المعزية، بمدينة مصر، وأحد نواب الحكم الشافعية، في ليلة الثلاثاء سابع عشرين ربيع الآخر.

وتوفى قاضي الإسكندرية كمال الدين التنسي المالكي، أحد فقهاء المالكية، في يوم الإثنين عاشر المحرم بالقاهرة.

وتوفى ناصر الدين محمد بن القرشي موقع الدست، وناظر الأحباس، وناظر الخزانة الكبرى، في يوم الإثنين حادى عشرين شعبان.

وتوفى التاجر ناصر الدين محمد بن سلام الإسكندري بها، في يوم الثلاثاء سادس عشر شهر رجب.

وتوفى الشريف نجم الدين حمزة بن علي بن محمد بن أبي بكر بن عمر، أحد نواب المالكية، وهو عائد من الحج بمنزلة رابع^(١) في ذى الحجة.

وتوفى موقع الحكم علم الدين صالح بن أحمد بن عبد الله الإسئوى في ليلة الثلاثاء ثانى عشر جمادى الأولى، وقد انتهت إليه رياسة جلييلة، ورزق حظا وافرا من الأمراء وغيرهم بغير علم، وفيه قيل وقد ولى إعادة:

ومعيد لو كتبت له حروفا وقلت أعد على تلك الحروف
لقصر فى إعادته عليها فكيف يعيد فى العلم الشريف

وتوفى تاج الدين أبو غالب الكلبيشاوى الأسلمي ناظر الذخيرة، فى نصف شوال، وإليه تنسب المدرسة المعروفة بمدرسة أبى غالب تجاه باب الخوخة من ظاهر القاهرة، وكان مشكورا فى مسألة الكتاب.

وتوفى الأمير خليل بن الأمير أرغون الكاملى، فى ثانى عشرين رجب.

وتوفى شيخ الكتاب المجودين بالقاهرة، شهاب الدين غازى بن قطلوبغا التركى، فى يوم الثلاثاء تاسع رجب، وقد تصدى لتعليم الناس كتابه المنسوب دهرا طويلا، وتخرج به جماعة، وكتب على محتسب مصر شمس الدين محمد بن أبى رقيبة، وكتب ابن أبى رقيبة على ابن العفيف.

وتوفى شمس الدين محمد بن سالم بن عبد الرحمن الجلبى الدمشقى الحنبلى الأعمى،

(١) رابع واد يقطعه الحاج بين البزواء والجحفة. انظر معجم البلدان.

والد شيخنا صلاح الدين محمد بن الأعمى، فى يوم السبت سادس عشرين شعبان، وقد درس الفقه بمدرسة حسن وغيرها.

وتوفى نور الدين على بن محمد بن محمد بن على بن أحمد بن أحمد الكنانى العسقلانى، الشهير بابن حجر. والد أحننا فى الله الحافظ شهاب الدين أبى الفضل قاضى القضاة أحمد بن حجر الشافعى، فى يوم الأربعاء عاشر شهر رجب، وكان تاجرا بمدينة مصر، تفقه للشافعى وحفظ كتاب الحاوى، وأخذ الفقه عن البهاء محمد بن عقيل، وقال الشعر، وكثر فضله وأفضاله، ومن شعره يشير إلى صناعة أبيه فإنه كان يبيع البز^(١) بالإسكندرية.

إسكندرية كم ذا يسمو قماشك عزا
فطمت نفسى عنها فلسست أطلب بززا

وتوفى الطواشى افتخار الدين ياقوت الشيخى مقدم الممالك.
وتوفيت خوند ابنة الأمير منكلى بغا الشمسى، زوجة السلطان.

* * *

(١) البز: الثياب، وقيل: ضرب من الثياب، وقيل: البز من الثياب أمتعة البزاز، وقيل: البز متاع البيت من الثياب خاصة؛ قال:

حسن بيت أهراً وبززا أنما لز بصخر لززا
والبزاز: بائع البز وحرفته البزازة؛ وقوله أنشدته ابن الأعرابى:
شمطاء أعلى بزها مطرح
يعنى أنها سمتت فسقط وبرها، وذلك لأن الوبر لها كالثياب انظر المعجم الوسيط.

المحتويات

| | |
|-----|---|
| ٣ | سنة ست وأربعين وسبعمائة..... |
| ٦ | السلطان الملك الكامل سيف الدين شعبان بن الناصر محمد بن قلاوون الألفى الصالحى. |
| ٢٣ | سنة سبع وأربعين وسبعمائة..... |
| ٣٤ | السلطان الملك المظفر زين الدين حاجى بن الناصر محمد بن قلاوون الصالحى الألفى . |
| ٤٣ | سنة ثمان وأربعين وسبعمائة..... |
| ٥٨ | السلطان الملك الناصر بدر الدين أبو المعالى الحسن بن محمد بن قلاوون الألفى |
| ٦٩ | سنة تسع وأربعين وسبعمائة..... |
| ١٠١ | سنة خمسين وسبعمائة..... |
| ١١٧ | سنة إحدى وخمسين وسبعمائة..... |
| ١٣٣ | سنة اثنتين وخمسين وسبعمائة..... |
| ١٥٣ | سنة ثلاث وخمسين وسبعمائة..... |
| ١٧٥ | سنة أربع وخمسين وسبعمائة..... |
| ١٩١ | سنة خمس وخمسين وسبعمائة..... |
| ٢٠٧ | السلطان الملك الناصر..... |
| ٢١٩ | سنة ست وخمسين وسبعمائة..... |
| ٢٢٧ | سنة سبع وخمسين وسبعمائة..... |
| ٢٣١ | سنة ثمان وخمسين وسبعمائة..... |
| ٢٣٥ | سنة تسع وخمسين وسبعمائة..... |
| ٢٤١ | سنة ستين وسبعمائة..... |
| ٢٤٥ | سنة إحدى وستين وسبعمائة..... |
| ٢٥١ | سنة اثنتين وستين وسبعمائة..... |
| ٢٥٤ | السلطان الملك المنصور..... |
| ٢٦١ | سنة ثلاث وستين وسبعمائة..... |
| ٢٦٧ | سنة أربع وستين وسبعمائة..... |
| ٢٦٧ | السلطان الملك الأشرف زين الدين أبو المعالى..... |

| | |
|----------|---------------------------|
| ٢٧٣..... | سنة خمس وستين وسبعائة |
| ٢٧٧..... | سنة ست وستين وسبعائة |
| ٢٨٣..... | سنة سبع وستين وسبعائة |
| ٢٩٧..... | سنة ثمان وستين وسبعائة |
| ٣١١..... | سنة تسع وستين وسبعائة |
| ٣٢٥..... | سنة سبعين وسبعائة |
| ٣٣٣..... | سنة إحدى وسبعين وسبعائة |
| ٣٣٩..... | سنة اثنتين وسبعين وسبعائة |
| ٣٤٥..... | سنة ثلاث وسبعين وسبعائة |
| ٣٥١..... | سنة أربع وسبعين وسبعائة |
| ٣٥٩..... | سنة خمس وسبعين وسبعائة |
| ٣٧٣..... | سنة ست وسبعين وسبعائة |
| ٣٨٧..... | سنة سبع وسبعين وسبعائة |

السُّؤَالُ وَالْجَوَابُ لمعرفة دول الملوك

تأليف
تقي الدين أبي العباس أحمد بن علي بن عبد القادر
العبيدي المقرئ
المتوفى سنة ٨٤٥ هـ

تحقيق
محمد عبد القادر عطا

الجزء الخامس

سنة ٧٧٨ هـ - ٨٠١ هـ

منشورات

محمد علي بيضون

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

جميع الحقوق محفوظة

جميع حقوق الملكية الادبية والفنية محفوظة لدار الكتب العلمية بيروت - لبنان ويحظر طبع أو تصوير أو ترجمة أو إعادة تضخيد الكتاب كاملاً أو جزءاً أو تسجيله على أشرطة كاسيت أو إدخاله على الكمبيوتر. أو برمجته على اسطوانات ضوئية إلا بموافقة الناشر خطياً.

Copyright © All rights reserved

Exclusive rights by DAR al-KOTOB al-ILMIYAH Beirut - Lebanon. No part of this publication may be translated, reproduced, distributed in any form or by any means, or stored in a data base or retrieval system, without the prior written permission of the publisher.

الطبعة الأولى

١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م

دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

العنوان : رمل الظريف، شارع البحري، بناية ملكارت
تلفون وفاكس : ٣٦٤٣٩٨ - ٣٦٦١٣٥ - ٦٠٢١٣٣ (١ ٩٦١) ٠٠
صندوق بريد: ٩٤٢٤ - ١١ بيروت - لبنان

DAR al-KOTOB al-ILMIYAH

Beirut - Lebanon

Address : Ramel al-Zarif, Bohory st., Melkart bldg., 1st Floore.

Tel. & Fax : 00 (961 1) 60.21.33 - 36.61.35 - 36.43.98

P.O.Box : 11 - 9424 Beirut - Lebanon

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سنة ثمان وسبعين وسبعمائة

فى أول المحرم: وقف صوفية خانكاة سعيد السعداء إلى السلطان وشكوا من شيخهم جلال الدين جبار الله، فرسم بعزله، وعين لمشيختها علاء الدين السمرانى، وكان بالحجاز.

وفيه طلب قاضى القضاة برهان الدين إبراهيم بن جماعة دوادار الأمير أقتمر الحنبلى نائب السلطان، وأنكر عليه، ونهره فى مجلس حكمه، ووضع من أستاذه بسبب ما يجرى من أحكامه بين الناس، فإنه بلغه عنه أنه ضرب رب دين بمحضرة مديونه، فترقق له وتلطف به فى المداراة حتى خلص من مجلسه، وقد ملئ قلبه منه خوفاً.

وفيه أخرج الوزير المالكى إلى الكرك منفياً، وخرجت النجب^(١) فى أول صفر إلى مكة إحضار الصحاب كريم الدين شاکر بن غنام، وكان قد جاور بها.

وفى ثامن عشرينه: خلع على الشريف بكنم، واستقر فى كشف الوجه البحرى، عوضاً عن الأمير على خان، وخلع على الأمير بكنم السيفى، واستقر فى ولاية القاهرة، عوضاً عن حسين بن الكورانى، وأنعم على الأمير أروس النظامى، بإمرة فى حلب.

وفى يوم الخميس ثامن عشر ربيع الأول: أعيد الأمير حسين بن الكورانى إلى ولاية القاهرة بعد وفاة الأمير بكنم.

وفى أوائل هذا الشهر: انقطع مقطع من الخليج قريباً من قناطر الأوز؛ سببه أن شهاب الدين بن أحمد بن قايماز - أستاذار ابن آقبا آص الأستاذار - عمّر بركة بجوار الخليج من شرقه؛ ليجتمع فيها السمك، وفتح لها من جانب الخليج كوة يدخل منها الماء، فقوى الماء واتسع الخرق حتى فاض الماء وأغرق ما فى تلك الجهة من الدور فى يوم الجمعة تاسعه، فخربت عدة حارات كان فيها ما ينيف على ألف دار، وصارت ساحة، وتعب الأمير حسين بن الكورانى تعباً كبيراً حتى سد المقطع خشية أن تغرق الحسينية بأسرها، وأنفق فيها زيادة على ثلاثة آلاف درهم فى ثمن أخشاب ونحوها، واستمرت تلك الديار خراباً إلى يومنا، وعمل موضع بعضها بساتين، وموضع بعضها برك ماء.

وفى يوم الجمعة ثانى عشره: قدم الصحاب كريم الدين شاکر بن غنام من الحجاز.

(١) النجب، ومفرده نجيب من الإبل ويقال ناقة نجيب ونجبية. انظر القاموس المحيط.

وفي أخريات هذا الشهر: استجد السلطان عدة خاصكية من ممالكه، وأسكنهم في بيت الأمير أنوك بجوار باب الدار من القلعة، وقدم عليهم الطواشى شرف الدين مختص الأشرفى، وأمره أن يوقفهم بين يديه، ولا يدع أحدا منهم يجلس، فصاروا مضافيه^(١)، منهم الأمير بشتاك عبد الكريم الخاصكى.

وفي مستهل شهر جمادى الأولى: رسم بإبطال ضمان المغانى، والأفراح بجميع أعمال مصر من أسوان إلى العريش، وكان قد أعاده وزراء السوء لكثرة ما يتحصل منه، فإن العرس ما كان يتهياً حتى يغرم أهله للضامنة خمسمائة درهم فما فوقها، بحسب حال أهل العرس، ولا تقدر امرأة وإن جلت تنتقش إلا بإطلاق من الضامنة، ولا يضرب بدف في عرس أو ختان أو نحو ذلك إلا بإطلاق، وعلى كل إطلاق فريضة مال مقررة في الديوان، وكان على كل مغنية قطيعة تحملها إلى الضامنة، فإن باتت فى غير بيتها قامت بمال للضامنة، وتدور فى كل ليلة على بيوت المغانى جماعة من جهة الضامنة لمعرفة من باتت منهن خارج بيتها، وكان على البغايا ضرائب مقررة؛ وأما فى بلاد الصعيد والوجه البحرى فإنه يفرد حارات للمغانى والبغايا تقوم كل واحدة منهن بمال مقرر، فيكون هناك من التجاهر بالزنا وشرب الخمر ما يشنع ذكره، حتى لو مر غريب بتلك المواضع من غير أن يقصد الزنا لألزم بأن يأتى بغيا من تلك البغايا، ويكره على ذلك، أو يفتدى بمال يدفعه إليها، حتى تقوم به مما عليها من الضريبة.

وأبطل السلطان أيضاً ما أعاده الوزراء من ضمان القراريط بأعمال مصر كلها، فكأن كل أحد من الناس - ولو جل - لا يقدر أن يشتري دارا حتى يؤخذ منه عن كل ألف درهم من ثمنها عشرون درهما، فإذا أدى ما عليه من ذلك طبع له على رق طبع أحمر شبه دائرة، وعلم حولها مباشر هذا الديوان علاماتهم، فيشهد بعد ذلك العدول فى هذا الرق بقضية التتابع، ومتى لم يكن هذا فى الرق لا يقدر العدول، وإن جلوا عن كتابة المبيعة، خوفا من أن يُنكل النكال بهم العظيم.

وفي هذا الشهر: كان تحويل مغل سنة سبع وتسعين لديوان السنين.

وفيه كان الوفاء فى خامس عشر مسرى، وبلغت زيادة النيل ثمانية أصابع من عشرين ذراعاً، وثبت حتى خيف فوات الزرع، ثم هبط.

وعزم الأمير ناصر الدين محمد بن آقبا آص على إعادة ضمان المغانى، فغضب من ذلك قاضى القضاة برهان الدين إبراهيم بن جماعة، وامتنع من الحكم، وحضور دار

(١) المضاف: الملقق بالقوم والمقصود أنهم صاروا مرتبطين به.

العدل، فاستدعاه السلطان وسأله عن امتناعه من الحكم، فقال: «بلغنى أن ضمان المغانى أعيد وهذا يوجب الفسق». فحلف له السلطان أنه ما أمر بإعادته، ولا عنده منه علم، وبعث إلى ابن آقبغا أص يعلمه بذلك، فاعتذر بعذر غير طائل، فرسم بإبطاله، وكتب بذلك توابع قرئت على الناس وسيرت إلى النواحي، فبطل ذلك ولم يعد، والله الحمد، وتنكر السلطان على ابن آقبغا أص، وكان ما يأتى ذكره إن شاء الله تعالى.

وفيه خرج البريد بطلب الأمير آقتمر عبد الغنى نايب صفد، فلما قدم أنعم عليه بتقدمة ألف، وأنعم على الأمير حاجى بن الأمير أيدغمش بإمرة بحلب، وأخرج إليها.

وفى أول جهادى الآخرة: خلع على الأمير ملكتمر من بركة، واستقر فى نيابة الكرك، عوضا عن تمرباى الدمرداشى، ونقل تمرباى إلى نيابة صفد، عوضا عن آقتمر عبد الغنى، فدخل صفد فى يوم الإثنين خامسه.

وفى يوم الإثنين ثانى عشره: قبض على الأمير ناصر الدين محمد بن آقبغا أص الاستادار، وأحيط بموجوده بمصر والشام، وأمر بنفيه وولده إلى طرسوس، فلم يزل الأمراء بالسلطان حتى رسم أن يستقر بالقدس بطالا فصار إليها من يومه، ولحق به ابنه من الغد، هذا مع شدة تمكنه من السلطان، وكثرة اختصاصه به، حتى أنه كان يقول لولده فى الملأ إذا دعاه «سيدى محمد».

وفيه خلع على الوزير المالكى، بعدما أحضر، وأعيد إلى الوزارة مرة ثالثة، وقبض على ناظر الدولة أمين الدين أمين، وعوق بقاعة الصاحب من القلعة أياما، ثم أفرج عنه. وفيه أخرج الأمير ناصر الدين محمد بن أيك ألفافا أمير آخور منفيا إلى الشام، وأنعم بإقطاعه على الأمير قرابغا.

وفى هذا الشهر: بدت الأمراض بالحميات فى الناس، واستمرت إلى آخر شعبان، فمات خلق كثير.

وفى يوم الإثنين ثالث شهر رجب: خلع على السيد الشريف شرف الدين على بن السيد فخر الدين، واستقر فى نقابة الأشراف بعد وفاة أبيه، بسؤال عدة من الأشراف ولايته.

وفى يوم الخميس سادسه: أدير محمل الحاج بالقاهرة ومصر، ولم يعهد دورانه فيما سلف قبل النصف من رجب، وكان الناس فى شغل عنه بكثرة الأمراض، وفيه رسم السلطان بتجهيزه للسفر إلى الحجاز، فبينما هم فى عمل أهبة السفر إذ مرض السلطان مرضا شديدا حتى أرجف بموته غير مرة ونكس عدة نكسات، اتهم فيها أطباؤه

عوافقتهم بعض الأمراء على هلاكه، فقام بعلاجه شيخنا زكى الدين أبو البركات محمد الفقيه المالكي، وشيخنا جلال الدين جار الله، وهو أبو عبد الله محمد ابن الشيخ قطب الدين أبي عبد الله محمد بن شرف الدين أبي البقاء محمود النيسابورى الحنفى، حتى تم برؤه.

وفى أثناء ذلك ألزم بعض أمراء الدولة قاضى القضاة شرف الدين بن منصور الحنفى أن يحكم له باستبدال بعض الدور الموقوفة بملك أحسن منه، على مقتضى مذهب أبى حنيفة رحمه الله تعالى، وكان الاستبدال بالأوقاف حينئذ غير معمول به فى مصر والشام، يتركه قضاة الحنفية تنزها وتحرجا، لما فيه من الخلاف، فامتنع ابن منصور من الاستبدال للأمير، فلما ألح عليه فى ذلك عزل نفسه فى يوم الأحد تاسعه، فتحدث لجار الله بعض من يعنى به مع السلطان فى ولاية القضاء، وهو إذ ذاك مقيم عند السلطان ليعالج مرضه، فأجاب إلى ولايته، وخلع عليه فى يوم الثلاثاء خامس عشرينه، واستقر عوضا عن شرف الدين بن منصور.

وفى يوم الجمعة تاسع عشرينه: عوفى السلطان من مرضه وعير الحمام، وصلى بجامع القلعة على العادة، فدقت البشائر ثلاثة أيام، ونودى بزينة القاهرة ومصر، فزينا زينة عظيمة، ونثر على السلطان لما خرج إلى الجمعة ذهب كثير، فانتكس بعد يومين.

وفى يوم الأربعاء تاسع عشر شعبان: أخرج السلطان إخوته وبنى أعمامه ذرية قلاوون بأجمعهم، ومعهم حرمهم إلى مدينة الكرك، وكان الوقت شتاء باردا، فتألم الناس لذلك، وسار بهم الأمير سوذن الشيخونى، هذا والسلطان مريض وحركة السفر مستمرة.

وفى سادس عشرينه: أنعم على كل من الأمير يلبغا المنجكى والأمير مغلطاي البدرى بإمرة طبلخاناة، وعلى كل من قطلوبغا البيزلارى وطشتمر الحمدي اللفاف وألطنبغا العلائى بإمرة عشرة.

وفى سابع عشرينه: خلع على الطواشى ظهير الدين مختار الحسامى، واستقر منهم الممالك، عوضا عن مختار شاذروان بعد موته، وأنعم على الأمير فخر الدين إياس الصرغتمشى بإمرة طبلخاناة، واستقر أستا دارا ثانيا.

وفى يوم الخميس حادى عشر شهر رمضان: عزل الأمير أقتمر الحنبلى من نيابة السلطنة، واستقر أميرا كبيرا يجلس بالإيوان وقت الخدمة، وخلع على الأمير أقتمر عبد الغنى، واستقر حاجب الحجاب، وأبطلت النيابة، وخلع على الأمير بلوط الصرغتمشى

أمير مشوى، واستقر شاد الشرايجخانة، وأنعم على الأمير علم دار بتقدمة ألف، وقد قدم من دمشق باستدعاء.

وفي ليلة الإثنين خامس عشره: سقطت نار احترق بها حاصل مدرسة السلطان التي يعمرها تحت القلعة، فتلّف بها ما شاء الله من آلات العمارة، وتفاعل الناس بذلك على السلطان، وكان كذلك وقتل كما سيأتى ذكره إن شاء الله تعالى، ثم تعطلت سنين، إلى أن خربها كلها الناصر فرج بن برقوق، كما سيأتى ذكره إن شاء الله تعالى. وفي هذا الشهر: ارتفع الوباء، وعوفى السلطان وركب إلى السرحة بالجيزة^(١) وعاد إلى قلعة الجبل، وفيه كثر الاهتمام بحركة السلطان إلى الحج، وخرجت الإقامات من الشعير والدقيق والبشماط لتوضع في المنازل بطريق مكة.

وفي رابع شوال: خلع على الأمير مُغلطاي الجمالى، واستقر فى [...] عوضا عن جرحى البالى بعد موته، وخلع على الشريف عاصم، واستقر فى حسبة مصر والوجه القبلى بعد وفاة شمس الدين محمد بن أبى رقية.

وندب الأمير أقتمر الخنبلى أن يخرج إلى بلاد الصعيد، ومعه عدة من الأمراء والأجناد، ويقوم به لحفظه مدة غيبة السلطان بالحجاز، وندب إلى الثغور - مثل الإسكندرية ودمياط ورشيد والبرلس^(٢) - جماعة من الأمراء والأجناد يكونوا مركزين بها لدفع العدو من الفرنج، وندب عدة أمراء للمبيت كل ليلة فى أماكن عينت لهم من خارج القاهرة ومصر، ورتب الأمير أيدمر الشمسى للإقامة بقلعة الجبل لحفظها، وجعل نائب الغيبة بالقاهرة الأمير أقتمر عبد الغنى، ورسم له ولجميع الأمراء المقيمين أن حضروا فى أيام المواكب الخدمة عند باب الستارة^(٤) من القلعة، ويقبلوا أيدى ولدى السلطان، ويقفوا ساعة لطيفة، ثم يقوم أمير على ابن السلطان من مجلسه ويقول للأمراء بيده «بسم الله» فينصرفوا بعد أن يُسقوا مشروبا.

ولما قوى العزم على السفر أشار على السلطان جماعة من أهل الصلاح بألا يسافر، فلم يقبل وصمم على السفر ليقضى الله أمرا كان مفعولا، وخرجت أطلاب الأمراء فى يوم السبت ثانى عشره بتجمل عظيم إلى الغاية، وأناخوا ببركة الحجاج، وخرج من الغد يوم الأحد ثالث عشره طلب السلطان، وفيه من الحرير والذهب ما لا يقدر على وصفه،

(١) الجيزة: سبق ترجمتها. معجم البلدان ٢/٢٠٠، والروض المعطار ١٨٣، وصبح الأعشى ٣/٣٩٢، وخطط المقرئى ١/٢٠٥.

(٢) بياض فى الأصل.

(٣) البرلس. انظر معجم البلدان ج٢.

(٤) باب الستارة أحد أبواب القلعة. (انظر ج ٣/٣٧١).

وتفنن الغلمان فى حسن ترتيبه وتأنقوا فيه، وأبدوا من صنائعهم العجائب والغرائب، فجزوا أولا عشرين قطارا من الرواحل بقماش من ذهب أكوارها وعرقياتها وحطمها^(١) وميائرها حرير مزركش غطس، وخمسة عشر قطارا من الرواحل يعبى حرير، وقطار رواحل قماشها أسود خليفتى، وقطار رواحل قماشها أبيض برسم الإحرام ومائة فرس عليها من السروج والكنافيش والعبى ما يجلب قيمته، وكجاوتين^(٢) وتسع محفات أغشية، الكجاوتين مع خمس محفات حرير كله زركش غطس، وأربع محفات دونها، وستة وأربعين جملا محايير بغشية الحرير، وخزانة المال على عشرين جملا، وقطارين تحمل البقل والثمار والنعناع والسلق والكزبرة، المزروع ذلك فى محايير.

ومن أحمال المطايخ والمشارب وأنواع الماكل الملوكية ما لا يدخل تحت حصر، منها ثلاثون ألف علبة حلوى زنة ما فى كل علبة خمسة أرطال، فيكون ذلك مائة ألف وخمسين ألف رطل، وجميعها قد عملت من السكر النقى، وطويت بمائة مثقال من المسك، سوى الصندل والعود، وعمل الأمراء من الحلوى مثل ذلك وأما الأجناد والأعيان فلم ينحصر ما عملوه من هذا الصنف، فانظر عظمة بلد يعمل فيه للسلطان وأمرؤه فى شهر واحد ثلاثمائة ألف رطل وستين ألف رطل من السكر، سوى من دونهم ولعله نظير ذلك، ولم يعز مع هذا وجود السكر، بل ولا غلا سعره، فقد أدركنا وعلمنا صحته، وحمل معه عدة من أرباب الملاهى والمخاييلين^(٣)، فأنكر الناس ذلك من أجل أنه غير لائق بالحج. وكان لمشاهدة هذا الطلب يوما مشهودا، ومنظرا بديعا، يتعذر حكايته ووصفه، زادت فيه سعادة الدولة.

وفى يوم الإثنين رابع عشره: خلع على الشيخ ضياء الدين عبيد الله القرمى، واستقر فى مشيخة المدرسة الأشرفية، ولقب بشيخ الشيوخ، وأبطل هذا اللقب من متولى مشيخة خانكاة سرياقوس، فسكنها، ودرس بها قبل أن تكمل عمارتها. وفيه أمر بسد باب القلعة مما يلى القرافة، فسد، وأوصى السلطان ممالك ولديه

(١) الحطم: والحطمية: دروع تنسب إلى رجل كان يعملها، وكان لعلى، رضى الله عنه، درع يقال لها الحطمية، وفى حديث زواج فاطمة، رضى الله عنها: أنه قال لعلى أين درعك الحطمية؟ هى التى تحطم السيف أى تكسرها، وقيل: هى العريضة الثقيلة، وقيل: هى منسوبة إلى بطن من عبد القيس يقال لهم حطمة بن محارب كانوا يعملون الدروع، قال: ولهذا أشبه الأقوال. فرمما قصد بها العريضة أو الدروع أو الكسوة. انظر لسان العرب ٩١٧.

(٢) الكجاوى: هودج النساء. انظر النجوم ٧٠/١.

(٣) المخاييلون: هم أرباب الخيال أى خيال الظل وكانت من الألعاب الشائعة فى ذلك الوقت.

انظر سعيد عاشور: المجتمع المصرى فى عهد سلاطين المماليك سنة ١٠٥ - ١٠٦.

بهما، وبحفظ القلعة، وعهد إليهم أنه إن أصابه الموت فولده أمير على هو السلطان من بعده.

وركب من قلعة الجبل وسار إلى سرياقوس^(١)، فبات بقصوره منها ليلة الثلاثاء، ونزل إلى بركة الحجاج، فأقام بها إلى يوم الثلاثاء ثانی عشرينه، ورحل منها بكرة النهار ومعه من أمراء الألو ف أرغون شاه الأشرفى، وبهادر الجمالى أمير آخور، وصرغتمش الأشرفى، وبييغا السابقى، وصرای ثمر المحمدى، وطشتمر العلاى السوادار، ومبارك الطازى، وقطلو أقمتر العلاى الطويل، وبشتاك عبد الكريم الأشرفى، ومن أمراء الطبليخانة جمال الدين عبد الله بن بكتمر الحاجب، وأيدمر الخطاى، وبورى الأحمدي، وبلوط الصرغتمشى، وأروس المحمودى، ويليغا المحمدى، ويليغا الناصرى، وأرغون العزى الأفرم، وطغاي ثمر الأشرفى، ويليغا المنجكى، وكزل الأروغونى، وقطلوبغا الشعبانى، وأمير حاج بن كغلطاي، وعلى بن الأمير منجك ومحمد بن الأمير تنكز بغا، وتمر باى الحسنى، وأسندمر العثمانى، وقرابغا الأحمدي، وإينال اليوسفى، وأحمد ابن الأمير يليغا الخاصكى، وموسى بن دندار بن قرمان، ويدي بن قرطقا بن سيسون، وبكتمر العلمى، ومغلطاي البدرى، ومن أمراء العشرات سنقر الجمالى، وأحمد بن محمد بن لاجين، وأقبابوز الشيوخونى، وأسنبغا التلكى، ومحمد بن بكتمر الشمسى، ومحمد بن قطلوبغا المحمدى، وجويان الطيدمرى، وألطنبغا عبد الملك، وقطلوبغا البزلارى، وطوغان العمري، وتلكتمر العيسوى، ومحمد بن سنقر المحمدى، وخضر بن عمر بن أحمد ابن الأمير بكتمر الساقى، ومنجك الأشرفى، ومعه قاضى القضاة برهان الدين بن جماعة الشافعى، وقاضى القضاة جلال الدين جار الله الحنفى، وقاضى القضاة بدر الدين عبد الوهاب الأحنأى المسالكى، وسراج الدين عمر البلقيني قاضى العسكر، وتوجه أيضاً الخليفة المتوكل على الله، وكاتب السر بدر الدين محمد ابن فضل الله، وناظر الجيش تقى الدين عبد الرحمن، وتأخر قاضى القضاة ناصر الدين نصر الله الحنبلى بالقاهرة.

فلم يزل السلطان سائراً بمن معه حتى نزل من عقبة أيلة، وأناخ على البحر فى يوم الثلاثاء تاسع عشرينه، ونزل بقية الحاج من الغد يوم الأربعاء آخره.

فلما كان يوم السبت ثالث ذى القعدة: انتدب لإثارة الفتنة بالقاهرة أيبك البدرى، وأسندمر الصرغتمشى، وقرطاي، وطشتمر اللفاف، ومشوا حين تأخر بالقلعة

(١) سرياقوس فى نواحي القاهرة بمصر. انظر معجم البلدان ٣/٢١٨.

من المماليك السلطانية، وفي مماليك الأسياد ولدى السلطان، وفي مماليك الأمراء المسافرين صحبة السلطان، وفي جماعة من المماليك البطالة وواعدوهم جميعا على القيام معهم، ووعدوهم بأن ينفقوا فيهم خمسمائة دينار، عنها عشرة آلاف درهم، لكل واحد منهم، فمالوا إليهم وتحالفوا جميعا على الاتفاق، وركبوا بألة الحرب.

ونزل المماليك السلطانية الذين بالطباق من قلعة الجبل، وصعد الذين كانوا أسفل القلعة إليها، وصار الجميع بباب الستارة، وفي داخله الطواشى سابق الدين مثقال زمام الدور، والأمير جلبان لالا الأسياد، والأمير أقبغا جركس اللالا، فأغلقوا باب الستارة، وأخذ القوم يطرقون عليهم الباب، ويطلبون أمير على ابن السلطان، ويقولون: «قد مات السلطان ونحن نريد نسلطن ابنه أمير على». فقبل لهم: «من كبيركم حتى نسلم إليه ابن السلطان»، فتأمروا فيما بينهم ساعة وجمعهم يكثر، ثم كسروا شباك الزمام المطل على تلك الجهة وصعدوا منه فنهبوا ما فى بيت الزمام، ونزلوا إلى رحبة باب الستارة وقبضوا على الطواشى مثقال الزمام، وعلى الأمير جلبان، ودخلوا من باب الستارة بأجمعهم، وأخرجوا أمير على، وأجلسوه بباب الستارة، وأحضروا الأمير أيذمر الشمسى، وألزموه بتقبيل الأرض، فقبلها، وأركبوا أمير على إلى الإيوان المعروف بدار العدل، وأجلسوه على تحت الملك، ولقبوه بالملك العادل.

فتأخر ناظر الخاص شمس الدين أبو الفرج المقسى فى داره عن الطلوع إلى القلعة، خوفا من المماليك، فإن رعوس النوب وأكابر المماليك طلبوا منه أن يصرف لهم ولبقية المماليك رواتبهم من الدراهم واللحم ونحو ذلك، فمطلبهم بالصرف وهم يلحون فى الطلب، فنهزمهم، وقال: «ما لكم عندى شىء حتى يجىء أستاذكم خذوا منه».

وطلع ناظر الدولة أمين الدين أمين، ومعه مقدم الدولة الحاج سيف، وبقية مباشرة الدولة، فقبض المماليك عليهم ظنا منهم أنه المقسى، وأغلقوا باب القلعة، ووكلوا بناظر الدولة ومن معه عدة من المماليك، ثم نزلوا من القلعة ووقفوا على خيولهم تحتها، وبعثوا طائفة منهم لإحضار المقسى، فلم يظفروا به، فاستدعوا الأمير آقتمر عبد الغنى والأمير أيذمر الشمسى، والأمير علم دار، وبقية الأمراء، فأتوهم تحت القلعة، وأبوا من طلوعها، فأنزل المماليك أمير على من القلعة إلى الإصطبل، وطلعوا بالأمراء إليه، فقبلوا له الأرض، وحلفوا على العادة، إلا الأمير طشتمر الصالحى، والأمير بلاط الكبير السيفى، والأمير خطط رأس نوبة، فإنهم لم يوافقوا المماليك على ما فعلوه، فقبضوا عليهم وطلبوا الأمير سيف الدين أظنغا أبو قورة، أمير سلاح - وكان قد تأخر عن السفر لمرض به - والأمير طاز، فاعتذرا عن الحضور بالضعف، وأرسل المماليكهما،

وكان قبل ذلك قد بلغ كل من الأمير سوذن أمير آخور وأمير على بن قشتمر الحاجب، وأبو بكر بن طاز وأيدمر الشمسي، وأقتمر عبد الغنى، وعلمدار وطشتمر الصالحى، وبقية الأمراء، أن ممالك السلطان وممالك الأسياد يريدون إثارة الفتنة والركوب للحرب، فتغافلوا عنهم خوفا على أنفسهم، فلما وقع ما وقع وأتاهم الأمراء، ورسما عليهم، وأخذوا منهم ممالكهم، وصار دبير القوم أئنيك ويشاركة الأمير طشتمر اللفاف، وأسندمر الصرغتمشى، وقرطازى، فأمرُوا أن ينادى فى الناس بالأمان، فنودى فى القاهرة ومصر بين يدى والى القاهرة «الأمان والاطمئنان، افتحو دكاكينكم وبيعوا واشتروا، وترحموا على الملك الأشرف، والدعاء لولده الملك العادل على، ونائبه الأمير أقتمر الحنبلى»، فكثرت القالة بين الناس، واستمرت الكوسات تدق بالقلعة حريبا، وطلبخانة الأمراء أيضا تدق، والقوم وقوف تحت القلعة طول اليوم السبت، وليلة الأحد، وأمير على بالإصطبل.

فلما أصبح نهار الأحد رابعه، غيروا لقب أمير على وجعلوه الملك المنصور، وأخذوا خطوط جميع العلماء والأمراء أنهم رضوا به سلطانا، ونادوا بالقاهرة وأعمالها ثانيا بالأمان والاطمئنان والدعاء للملك المنصور، وخرج البريد لإحضار الأمير أقتمر الحنبلى من بلاد الصعيد، وتقسموا الأمريات، فأخذ طشتمر اللفاف مقدمة أرغون شاه رأس نوبة، وأخذ قرطازى مقدمة صرغتمش، وأخذ أئنيك مقدمة بيغا السابقى، وأخذ أسندمر الصرغتمشى مقدمة، وأخذ بلاط الصغير مقدمة، حتى عموا من أرادوا منهم الأمريات.

واستقر الأمير شهاب الدين قرطازى أتاكك العساكر، ونصبوا لهم خليفة من بنى عم الخليفة المتوكل، وأقاموا عز الدين حمزة بن علاء الدين على بن محيى الدين يحيى بن فضل الله فى وظيفة كتابة السر، حتى يحضر أخوه بدر الدين، وأحضروا ناظر الخاص شمس الدين المقسى حتى فتح لهم خزانة الخاص من القلعة، وأخرج منها تشاريف الأمراء، وخلعهم، وفرقها فيهم، ورتب أحوال المملكة ومد السماط على العادة، وأعطى الرواتب، هذا وهم بالسلاح على الخيول تحت القلعة يترقبون ما يرد من الأخبار فإنهم كانوا قد وعدوا أصحابهم على أن يثيروا الفتنة مع السلطان أيضا.

فاتفق أن السلطان لما أصبح فى يوم الأربعاء بمنزلة العقبة تجمع الممالك وطلبوا عليق دوابهم، فوعدهم السلطان بصرفه فى منزلة الأزلم^(١)، فسألوه أن ينفق فيهم مالا لينفقوه فى غلمانهم، فقال: «ما عندى إلا البشماط والشعير»، فرادوه مرارا حتى نهرهم

(١) الأزلم محطة من محطات الحجاج فى الطريق بين القاهرة ومكة المشرفة، بها قلعة خربة. انظر

وتوعدهم، فمضوا إلى الأمير الكبير أرغون شاه رأس نوبة وشكوا ما لقيهم من السلطان، فوعدهم أن يتحدث لهم مع السلطان؛ فانصرفوا من عنده إلى الأمير طشتمر الدوادار، وتمروا عليه، وقالوا له «إن لم ينفق فينا قتلناه». فقام إلى السلطان وسأله في النفقة على الممالك، فامتنع، فمازال يرادده حتى غضب منه وسبه، وقال له «تحكم على في مصر وهنا أيضاً»، وهدده، فقام وقد أهدق الممالك بخامه ينتظرونه، فأخبرهم بما كان، وأكثرهم حينئذ شباب ومماليك يلبغا، فهاجت حفائظهم، وتحركت أحقادهم، وتواعدوا على قتل السلطان وخاصكيته، ولبسوا السلاح، وأتوا إلى الأمير طشتمر وتوعدوه بالقتل إن لم يوافقهم، فألبس ممالكه السلاح، وركب معهم هو والأمير مبارك الطازي، والأمير صراي ثمر الحمدي، والأمير قطلو أقتمر الطويل العلاي، وقصدوا السلطان، وكان في خامة يتحدث مع خاصكيته، وإذا بضجة، فبعث من يكشف له الخير، فقبل قد ركب الممالك، فأمر من عنده بلبس السلاح، فمات كلامه حتى هجموا على الخام، وقطعوا الأطناب^(١)، فأمر بالشموع فأطفئت، وخرج السلطان بمن معه هاربا، وهم الأمير أرغون شاه، والأمير صرغتمش، والأمير بيبغا السابقي، والأمير بشتاك الخاصكي، والأمير أرغون العزى، والأمير يلبغا الناصري، والأمير أظنبغا فرفور، والأمير طشبنغا رأس نوبة، وذلك في ليلة الخميس، وقد أعد الأمير قازان أمير آخور للسلطان ما يركبه هو ومن معه من مراكب الخاص، فركبوا وطلبوا جهة القاهرة، وليس مع كل واحد منهم سوى مملوك واحد، حتى قطعوا العقبة، فإذا بمقدم الهجانة محمد بن عيسى ومعه نحو اثني عشر هجيناً، فنزل السلطان عن فرسه، وركب منها وأركب من معه بقيتها، وساروا حتى أتوا قبة النصر خارج القاهرة، في يوم الأحد ثاني يوم قيام الممالك بالقلعة، فسمعوا دق الكوسات حريباً، فراهبهم ذلك، وبعثوا لكشف الخير، وتوجه السلطان ومعه الأمير يلبغا الناصري نحو الجبل، ودخل بقية الأمراء قبة النصر، وناموا، فبينما الممالك راكبين تحت القلعة، إذ قبض بعد الظهر على رجل متكرر اسمه قازان ممن قدم مع السلطان، فأتى به إلى أكابرهم فعرفهم خسر وقعة العقبة، ودلهم على موضع السلطان، فتوجه الأمير أسندمر الصرغتمشي، وطولوا الصرغتمشي في جماعة إلى قبة النصر، فذبخوا الأمير أرغون شاه، والأمير صرغتمش، والأمير بيبغا السابقي، والأمير بشتاك، والأمير أرغون العزى الأفرم، وأتوا برعوسهم إلى تحت القلعة وهم يقولون «صلوا على محمد»، ثم دفعوا الرعوس إلى أهلها، فذهبوا إلى جثث الأمراء الخمسة وواروها معها.

وقد اضطرب الناس بالقاهرة، وأغلقوا ما فتح من الحوانيت، وكثر تخلفهم للحديث

(١) الطنب وجمعه أطناب، جبل طويل يشد به سرادق البيت أو الوتد. (انظر القاموس المحيط).

فى أمر السلطان والقائمين بالدولة، ونودى بالقاهرة ومصر على السلطان، وتوعد من أخفاه، فاضطرب الناس، وباتوا ليلة الإثنين على تخوف وقلق شديد، فلما طلع نهار الإثنين، قبض على محمد بن عيسى، وسئل عن السلطان، فذكر أن آخر علمه به أنه فارق الأمراء، ومضى هو ويلبغا الناصرى.

وأما السلطان فإنه لما أخذ نحو الجبل ومعه الناصرى قعد لحاجة، وإذا بالخييل قد أتت إلى قبة النصر فى طلبه، فاختنفى هو والناصرى حتى جنهما الليل، فخرج به الناصرى، وسار إلى بيت أستاذاره، فأواهما وحدثهما بقيام المماليك، وما كان منهم وذبح الأمراء، فاشتد خوف السلطان، وخرج من ليلته بمفرده من بيت أستاذار الناصرى، وقصد بيت آمنة امرأة المشتولى بحارة المحمودية^(١) من القاهرة، وبات عندها بقية ليلة الإثنين، وأصبح كذلك إلى آخر النهار، فمضت امرأة وأعلمت القائمين بالدولة بمكانه، فركب الأمير قرطاي فى عدة وافرة، وأتوا بيت آمنة، وقبضوا عليها وأرهبوها، فأشارت إلى بادهنج^(٢) البيت، فوجدوا السلطان قد لبس ثياب النساء، واختنفى فيه، فأخذوه وألبسوه سلاحا، وستروا وجهه، وخرجوا به من باب سعادة أحد أبواب القاهرة، حتى صعدوا به قلعة الجبل، فتسلمه الأمير أئيبك، وعاقبه حتى دلم على ذخائره، وجمعوا بينه وبين ناظر الخاص شمس الدين المقسى، حتى تحاققا على الذخائر وأعادوه إلى داره، ثم استدعوا بالقاضى صدر الدين محمد بن إبراهيم المناوى - أحد خلفاء الحكم - فى يوم الثلاثاء سادسه، وأرادوه أن يثبت وصية الملك الأشرف، فقال: «لابد من إثبات وفاته»، فدخل إليه مملوك منهم اسمه جركس السيفى - من ممالك ألبانيا اليوسفى - وخنقه، ثم أدخلوا إليه بجماعة حتى عاينوه ميتا، وعادوا إلى القاضى فشهدوا عنده بموته، وأنه أوصى الأمير عز الدين أئيبك، ثم أنعم على جركس هذا بإمرة عشرة، واستقر شاد العمائر، جزاء له بما فعله من خنق السلطان، ثم أخذت جثة الأشرف، ووضعت فى قفة وخيط عليها بلاس شعر أسود، وألقيت فى بئر آخر نهار الثلاثاء المذكور، فلما مضت له أيام، ظهر ننته، فأخرجه جيران تلك البئر، فعرفوه ودفنوه بالكيمان التى بجانب مشهد السيدة نفيسة، فأتى بعض خدام السلطان ليلا، وأخرجه من قبره وحمله إلى تربة أمه خونند بركة من التبانة، وغسله وكفنه وصلى عليه، ودفنه بالقبة التى بها.

ومولده فى سنة أربع وخمسين، ومدة سلطنته أربع عشرة سنة وشهرين وخمسة عشر

(١) حارة المحمودية عرفت بطائفة من طوائف عسكر الدولة الفاطمية كان يقال لها الطائفة

المحمودية.

(٢) بادهنج وجمعه بادهنجات وهو المنفذ الذى يوجد وسط المبنى للتهوية.

يوما، وعمره أربع وعشرون سنة، وكان لنا يجب أهل الخير، ويقف عند ما يحسن له من فعل الخير، إلا أنه كان يجب جمع المال وتفرقته، جدد فى أيام دولته الأقبية الحرير بالطرز الزركش فى كل سنة على الأمراء، مع ركوبهم الخيل وقت لبس الأقبية المذكورة بالسروج الذهب، والكنابيش الزركشى، فكان يعم بذلك أمراء الألووف والطبلخاناة والعشرات والممالك الخاصكية، على قدر رتبهم، ولم يتقدمه ملك لفعل ذلك، وكانت أيامه فى هدوء وسكون، وأبطل مسكين شنيعين كان يتحصل منهما مال عظيم، فبطلا من بعده، ولم يكن فيه أذى ولا تجر، بل يرفع يديه ويسأل الله تعالى أن يجرب ديار من يريد بالناس سوءا، بالجملة فكان إلى التشبه بالنساء أميل منه إلى التشبه بالرجال، وترك من الأولاد سبعة ذكور، أمير على، وأمير حاجى، وكلاهما تسلطن، وقاسما، ومحمدا، وإسماعيل، وأبا بكر، وأحمد، وسبع بنات.

* * *

السلطان الملك المنصور على بن السلطان الملك الأشرف

شعبان بن حسين بن محمد بن قلاوون

الصالحى الألفى

أقيم فى السلطنة - كما تقدم - يوم السبت، ثالث ذى القعدة، وأبوه حى، فلما قتل أبوه - كما مر ذكره - فى ليلة الثلاثاء، قدم فى يوم الأربعاء سابعه الأمير أقمتر الحنبلى من بلاد الصعيد بمن كان معه، فتلقيه الأمراء، وأجلوا قدره، وقالوا له: «أنت نائب السلطان، والمتحدث عنه، وكلنا من تحت أمرك»، فوافقهم، ووقف بطلبه مع أطلابهم تحت القلعة.

وأما الذين بالعقبة، فإن السلطان لما انهزم قام الأمير طشتمر الدوادار بالأمر، وعزم على العود بالناس جميعهم إلى القاهرة، وإبطال الحج، فثارت العامة ورجمته، ووقع النهب فى السوق، فمضى قاضى القضاة برهان الدين إبراهيم بن جماعة، ومعه قاضى القضاة جلال الدين جار الله الحنفى من العقبة إلى جهة القدس، وتوجه معهما طائفة كبيرة من الحجاج.

ووضع الأمير بهادر - أمير آخور - بعض الزاد والعلف بخان العقبة، وانتهبت الممالك من الأثقال ما قدرت عليه، ورحل الأمراء والممالك ومعهم الحمل، ومن بقى من الحجاج عائدین إلى القاهرة، ورموا من الزاد والشعير وأنواع المأكول ومن الأثقال ما لا يقدر قدره، فلما وصلوا إلى المنزلة المعروفة بآبار العلاى، أعيد الحمل مع الأمير بهادر

إلى مكة، وسار معه قليل من الناس، ومضى الأمراء نحو القاهرة، ولا علم لهم بالسلطان، حتى نزلوا نخل^(١)، فبلغهم أن عدة من الناس مرت بهم، بعضهم على رواحل^(٢) وبعضهم على خيل، تريد ناحية القاهرة، فعلموا أنه السلطان، فخاف الماليك عاقبة أمرهم، وأن يتفق لهم ما اتفق على الأجلاب بعد واقعة الأمير أسندمر، فمالوا على خزائن السلطان المحمولة في الطلب ونهبوها، وتقاسموا ما بقى فيها، وتوجه عدة منهم إلى جهة الشام، وبقيت طائفة صحبة الأمير طَشْتَمُر الدوادار، ومعه الخليفة، وكتب السر، وناظر الجيش، وقاضى القضاة بدر الدين الإخناى، والحريم السلطاني، وعدة كبيرة من الحجاج، وقد أرادوا الخليفة أن يقوم بالأمر من غير سلطان، ويستبد بالمملكة، ويكونوا عوناً له على من خالفه، فلم يوافقهم على ذلك، وهم يلحون فى سؤاله، حتى نزلوا عجرود^(٣) بلغهم ما وقع من قيام الماليك، وسلطنة أمير على ابن السلطان، وظفرهم بالأمراء والسلطان، وقتلهم، فساروا وقد أمنوا من السلطان، وكانوا على تخوف شديد منه أن يظفر بهم ويقتلهم، حتى نزلوا بركة الحجاج، بعث الأمراء القائمون بالدولة طائفة من الماليك الأجلاب؛ لحرب الأمير طَشْتَمُر، وعليهم الأمير أحمد بن هُمز، فلقبهم الأمير قُطُلُوا أقمتر العلاى الطويل - وكان طليعة الأمير طَشْتَمُر - فكسرهم، وركب أقفيتهم إلى قرب قلعة الجبل، فتكاثروا عليه وأمسكوه، وذلك يوم الثلاثاء سادسه، فبعث الأمير طَشْتَمُر بالأمير قطلوبغا الشعبانى فى تقرير أمره، فلما كان الغد يوم الأربعاء سابعه، ركب عدة من الأجلاب لمحاربة طَشْتَمُر، وافترقوا فرقتين، ومضوا، فمالت فرقة على الخزائن والأثقال، فنهبوا ما هناك، وامتدت أيديهم إلى حريم السلطان، وإلى الحجاج، فتجاوزوا الحد فى النهب، وفعلوا ما لا يفعل مثله فى أهل الإسلام، فكان شيئاً قبيحاً إلى الغاية، ذهب فيه من الأموال ما لا يحصيه إلا الله، وكانت هذه السفرة سبباً لزوال سعادة الدولة، وذهاب آل قلاوون إلى آخر الدهر.

وأما الفرقة الأخرى فإنها قاتلت الأمير طَشْتَمُر ومن معه قتالاً عظيماً، فكسرهم، ومروا فى الهزيمة - وهو فى طلبهم - إلى تحت القلعة، فوصل عصر يوم الخميس ثامنه، فاجتمع القوم على قتاله من نصف وقت العصر، حتى غابت الشمس، فانكسر منهم

(١) نخل: موضع فى طريق الشام من ناحية مصر. انظر معجم البلدان، والروض المعطار ٥٧٦،

ومعجم ما استعجم ٤/١٣٠٣.

(٢) الرحل مركب للبعير والناقة (لسان العرب).

(٣) محطة من محطات طريق الحاج المصرى على بعد عشرين كيلو متراً فى الشمال الغربى لمدينة

السويس. انظر محمد رمزى ١/٣٢١.

ومضى نحو كيمان مصر فى نفر يسير، فأدركه بعض الأمراء ممن يثق به، ومازال به حتى قرر معه أن يستقر فى نيابة الشام، وحلف له القائمون بالدولة، فاطمأن لذلك، ونزل بداره، فقبضوا عليه وحبسوه بقلعة الجبل، وقبضوا على الأمير سراى ثمر، وبعثوه إلى الشام، وقبضوا على الأمير بلوط الصرغتمشى أمير مشوى، وعلى جماعة كبيرة، وباتوا آمنين، وقد نزعوا السلاح عنهم.

وفى يوم الخميس هذا: قدم الخليفة وأصعد إلى القلعة، واستدعى قاضى القضاة ناصر الدين نصر الله الحنبلى، ونواب القضاة والأمراء القائمون بالدولة، إلى باب الستارة من القلعة، وأخرجوا السلطان الملك المنصور على، فبايعه الخليفة، وقبل له البيعة الأمير أقتم الحنبلى، ثم أفيضت عليه الخلعة الخليفة، وهى فرجية حرير بنفسجى بطرازين ذهب، وديراها من رأس كميها وعاتقيها وذيلها تركيبة ذهب، وتحتانية حرير أزرق خطاى، وألبس عمامة عربية من حرير أسود على قبع حرير أسود، وأرخصى لها عذبة حرير مزركش، وركب من باب الستارة بأبهة السلطنة إلى إيوان دار العدل، وجلس على تخت الملك، وسرير السلطنة، ومد السماط بالإيوان، فأكل من حضر على العادة، ثم قام السلطان عن التخت إلى القصر، وخلع على الأمير طشتم اللفاف المحمدى أحد أمراء العشرات، واستقر أمير مائة مقدم ألف، وأنعم عليه بإقطاع أتاك العساكر، وبجميع ما خلفه الأمير أرغون شاه من مال وغللال وخيول وجمال ومماليك وغير ذلك، وخلع على الأمير قرطاي الطازى أحد المماليك المفاردة، واستقر رأس نوبة كبير على مقدمة صرغتمش وإقطاعه، وأنعم عليه بما خلفه من صامت وناطق، وعين وخلعة. ورسم له ولفاف أن يجلسا بالإيوان فى الميمنة.

وخلع على اسندم الزباج الصرغتمشى - أحد المماليك المفاردة -، واستقر أمير سلاح مقدم ألف، ورسم له أن أن يجلس بالميسرة من الإيوان، وخلع على قطلوبغا البدرى، واستقر أمير مجلس. وعلى الأمير طشتم الدوادر واستقر نائب الشام، وسافر من يومه، وخلع على الأمير فخر الدين إياس الصرغتمشى، واستقر دواداراً بإمرة طبلخاناه، وأنعم على دمرادش اليوسفى أحد المماليك بتقدمة ألف، واستقر رأس نوبة ثانياً، وأنعم على بلاط الصغير السيفى، أحد المماليك المفاردة، بتقدمة ألف، وأنعم على ألتبغا النظامى بتقدمة ألف، وعلى يلبغا النظامى بتقدمة ألف، وكلاهما من جملة المماليك المفاردة، وأنعم على الأمير أئنبك بتقدمة، واستقر أمير أخور، وأنعم على كل من بيقجا الكمالى، وقطلوبغا البشيرى، وطغاي ثمر الناصرى، وصرىغا الناصرى، وطولوا الصرغتمشى، وأجلبغا السيفى، وقطلوبك النظامى، وأحمد بن همز التركمانى،

وقتلوا خجا أخى أُنَيْك، وتُمرُّبغا البدرى، وألطنبغا المعلم، وتلكتمر عبد الله المنصورى، وأسنبغا الصارمى، وأطلمش الطازى، وأربغا السيفى، وإبراهيم بن قطلو أقتمر العلاى، وعلى بن أقتمر عبد الغنى، وأسنبغا النظامى، وأمور القلمطاوى، وأطلمش الأروغونى، ومقبل الرومى، بإمرة طبلخاناة.

وأنعم على كل ممن يذكر بإمرة عشرة، وهم: محمد بن قُرطاي الطازى، وخضر بن أُلطنبغا السلطانى، وتُكا الشمسى، ومحمد بن شعبان ابن الأمير يلبغا العمرى، وأسنبغا الحمودى، وطبج الحمدي، وتلكتمر المنجكى، وأقبغا السيفى، وجركس السيفى، وطقتمش السيفى، وطوغان العمرى، وبكلمش الإبراهيمى، ولبغا العلاى، ويوسف بن شادى البريدى، وخضر الرسولى، وأسندمر الشرفى، ومغلطاي الشرفى، وخليل بن أسندمر العلاى، ورمضان بن صرغتمش وأخيه حسن صرغتمش، وقطلوبغا حاجى أمير علم، ومنكلى الشمسى، وألبغا السيفى، وألطنبغا شادى، وسودون العثمانى، فاتق من ارتفاع الأسافل ما فيه عيرة لمن اعتبر، وأصبح الممالك الأجلاب الذين كانوا بالأمس أقل مذكور، ثم تبعوا بالقتل والنفى وأنواع العذاب، ملوكا تجبى إليهم ثمرات كل شىء، ويتحكمون فى ممالك الأرض، بما تهوى أنفسهم، ومن حيثئذ تغيرت أحوال البلاد بتغير أهلها.

وفيه أيضا قدم حريم الأشرف من بركة الحجاج، فصعد بهم إلى القلعة من باب السر، بعد ما نهبت خزانة السلطان بالريدانية خارج القاهرة.

وفيه سار على البريد الأمير قطلوبغا جركس إلى دمشق ليقبض على الأمير بيدمر ويحبسه بقلعة صغد.

وفى يوم السبت عاشره: استقر الأمير طشتمر نائب الشام بالمسير من ظاهر القاهرة إلى محل ولايته.

وفيه أفرج عن الأمراء المعتقلين بقلعة الجبل، وهم أقتمر عبد الغنى، وعلم دار الحمدي، وأيدمر الشمس، وسودون جركس وطيبغا الصفوى، ومغلطاي البدرى، وصربغا السيفى، وطشتمر الصالحى، وبلاط الكبير، وحطط السيفى، وإياس الماردبنى، وبلوط الصرغتمشى، ولبغا المنجكى، وقرا بغا والد جركتمر، وحاجى خطاي والد غريب، فى جماعة آخرين. ثم قبض عليهم جميعا من الغد - خلا أقتمر عبد الغنى، وسودون جركس - وقيدوا وحملوا من ليلتهم إلى الإسكندرية، فسجنوا بها.

وفيه استولى الأمراء القائمون بالدولة على ما كان الملك الأشرف وضعه من المال فى مودع الحكم بالقاهرة، وحمل على ثمانية وعشرين جملا.

وفى يوم الإثنين ثانى عشره: قرئ بالإيوان تقليد السلطان، وعلم عليه الخليفة،

وشهد عليه فيه القضاة على العادة. ثم خلع على الخليفة وأنعم عليه بألف دينار رسم المبايع، وخلع على القضاة وأرباب المناصب، واستدعى الوزير تاج الدين النشو الملكي، وخلع عليه، واستقر في الوزارة، وخلع على الصاحب كريم الدين عبد الكريم بن الرويهب، واستقر في نظر الدولة، عوضا عن أمين الدين مين، وخلع على الأمير طيئمر البالسي، واستقر حاجب الحجاب عوضا عن أنتمر عبد الغنى، وخلع على الأمير علي ابن قشتمر واستقر حاجبا ثانيا، عوضا عن الأمير علم دار.

وفيه طلب المماليك من الأمراء. وعدوهم به من النفقة فيهم، وهى مبلغ خمسمائة دينار لكل واحد، فرسموا لهم بمائة دينار لكل مملوك، فأبوا وتجمعوا في يوم الثلاثاء ثالث عشره، وقبضوا على الأمير طشتمر اللفاف، وهما بضرب عنقه، فقام الأمير قرطاي، وضمن لهم أن ينفق فيهم ما عدوا به، وما زال يتلطف بهم حتى أطلقوا اللفاف، وأخذ الأمراء في الاهتمام بنفقة المماليك، وطلبوا أمين الحكم، وأرادوا منه أن يقرضهم من مال الأيتام مائتي ألف دينار ذهبا، وإلا نهبوا المودع، وكان فيه حيثشذ أموال عظيمة جدا، ورسموا جماعة حتى أخذوا ما شاعوا، فذهبت على الأيتام إلى اليوم، وقبضوا على شمس الدين المقسى ناظر الخاص، وعلى سعد الدين نصر الله ابن البقرى، وتاج الدين موسى بن كاتب السعدى، وولده سعد الدين.

وفى يوم الأحد ثامن عشره: حمل المقسى وتاج الدين موسى وأمين الدين مين، وعلاء الدين علي بن الساييس، والمعلم شهاب الدين أحمد بن الطولونى، إلى قاعة الصاحب بالقلعة، وألزموا بأموال جزيلة، وقبض على جماعة من مباشرى الدولة، وألزم كل واحد منهم بنفقة عدة من المماليك، وسلموا كل من ألزم بنفقة جماعة لهم حتى ينفق فيهم، فلم يبق أحد من مباشرى الدولة والخاص حتى وزع عليه عدة ممالك، بحسب حاله، وقبض على محتسب القاهرة شمس الدين محمد الدميرى^(١)، وحمل على قفص حمال إلى القلعة لمرض به، وألزم بالنفقة على عشرة ممالك. ونهب بيت أخيه، وقبض على جماعة من التجار.

وفى يوم الإثنين تاسع عشره: طلع الأمير أسندمر الصرغتمشى، والأمير دمرداش اليوسفى إلى الدور السلطانية من قلعة الجبل، وفرقا جوارى الملك الأشرف على الأمراء. وفيه قبض على الطواشى مختص الأشرفى، والطواشى جوهر السكندرى والطواشى

(١) شمس الدين محمد الدميرى: محمد بن موسى بن عيسى بن علي الدميرى، أبو البقاء، كمال الدين، باحث، أديب من فقهاء الشافعية - أصل دميرة (بمصر) ولد ونشأ وتوفى بالقاهرة. كان يتكسب بالخياطة ثم أقبيل على العلم وأفتى ودرس وكانت له فى الأزهر حلقة خاصة، وإمام مدة بمكة والمدينة. من كتبه «حياة الحيوان». انظر: الضوء اللامع ١٠/ ٥٦ - ٥٨ والأعلام ٧/ ١١٨، ١١٩.

سنبل رأس نوبة، وأدخلوا قاعة الصاحب على مال أزموا به، وألزم أيضا الطواشى سابق الدين مثقال الجمالى بحمل ثلاثمائة ألف درهم، ثم تقرر حمله مائة ألف درهم. وفيه قدم الأمير صلاح الدين خليل بن عرام من ثغر الإسكندرية^(١) باستدعاء، فقبض عليه، وصور على ألف ألف درهم، ثم خلع عليه، واستقر على عادته نائب الإسكندرية.

وفيه خلع على الأمير أقتمُر الحنبلى، واستقر نائب السلطان، وأذن له أن يخرج الإقطاعات للأمرء والأجناد ونواب المماليك، وأن ينفرد وحده بالتحديث فى المملكة، بعد ما تقرر ذلك مع الأمرء والمماليك ورضوا به.

وفى يوم الثلاثاء عشرينه: قبض على جماعة من خدام السلطان، منهم الطواشى دينار اللالا، والطواشى شاهين دست، والطواشى سُنْبُل اللفاف، وأدخلوا قاعة الصاحب على حمل مال.

وفيه خلع على جمال الدين محمود القيصرى العجمى، خطيب مدرسة أُلحاي واستقر فى حسبة القاهرة، عوضا عن شمس الدين محمد الدميرى فسخر العامة منه واستهزءوا به، لعهدهم به أمس - وهو من فقراء العجم، يجلس تجاه باب المارستان بالقاهرة، ويبيع التمر - فلم يجد له بيتا ينزل فيه، حتى نزل فى بيت تاج الدين أحمد بن على بن الظريف، إلى أن وجد دارا سكنها.

وفى يوم السبت رابع عشرينه: أفرج عن الصاحب شمس الدين المقسى ناظر الخاص، بعد ما حمل مالا عظيما، وخلع عليه، واستقر فى نظر الخاص ووكالة الخاص، على عادته.

وفى يوم الإثنين سادس عشرينه: قدم قاضى القضاة برهان الدين إبراهيم بن جماعة وقاضى القضاة جلال الدين جار الله الحنفى، ومن رافقهما من الحجاج، بعد ما زاروا بيت المقدس، وعافاهم الله مما ابتلى به وقدم من العقبة^(٢) من النهب والخوف الشديد والشعة القبيحة، فعد هذا من سعادة قاضى القضاة برهان الدين.

وفى يوم الثلاثاء سابع عشرينه: خلع على علم الدين سليمان بن خالد بن نعيم

(١) الإسكندرية: مدينة عظيمة من ديار مصر بناها الإسكندر بن فيلبش فنسبت إليه، وهى على ساحل الملح. انظر: معجم البلدان ١/ ١٨٢: ١٨٩، والاستبصار ٩١ وما بعدها.

(٢) العقبة: منزل فى طريق مكة بعد واقصة وقبل القاع لمن يريد مكة وهو ماء لبنى عكرمة من بكر بن وائل. انظر: معجم البلدان ٤/ ١٣٤.

البساطى - أحد نواب الحكم - واستقر قاضى القضاة المالكية، عوضاً عن بدر الدين عبد الوهاب الأحنأى، بواسطة برهان الدين إبراهيم بن اللبان له، الأمير قرطاي. وكان إبراهيم هذا أبوه لبانا، يبيع اللبن خارج القاهرة، فنشأ فى صغره مع الفقهاء المالكية، وتفقه على مذهب مالك، وخدم الأتراك، ومنهم قرطاي، فلما صار قرطاي من الأمراء فى هذه النبوة، جعل إبراهيم شاهد ديوانه، ومن جملة موقعى الدست، فهرع الناس لبابه فى طلب شفاعاته لهم، وتحدث للبساطى فى ولاية القضاء مع مخدمه الأمير قرطاي وكان الوقت قابلاً، فولاه وظيفة القضاء، فاستتاب عنه فى الحكم ابن اللبان، وقدم جماعة من المالكية كانوا فى الأعين محتقرين وعند الناس غير وجيحين، ولا معتبرين فناسب الحال فى الدولة.

وفى هذا الشهر: استقر فى سلطنة ماردن الملك الظاهر مجد الدين عيسى بن المظفر فخر الدين داود بن الصالح صالح بن منصور غازى بن المظفر قرا أرسلان بن أرئق أرسلان بن إيلغازى بن ألبى بن تمر تاش بن إيلغازى بن أرئق الأرتقى، بعد موت أبيه، وكتب إلى السلطان يعلمه بذلك، فأجيب بتعزيته وتهنأته.

وولى الأمير أرغون الأسعدى نيابة طرابلس^(١) عوضاً عن منكلى بغا البلدى الأحمدي. واستقر برهان الدين أبو سالم إبراهيم بن محمد بن على الصنهاجى قاضى المالكية بجلب فى قضاء المالكية بدمشق، عوضاً عن زين الدين أبى بكر المازونى. واستقر جلال الدين أبو المعالى محمد بن قاضى القضاة نجم الدين محمد بن فخر الدين عثمان الزرعى، فى قضاء القضاة الشافعية بجلب^(٢) بعد وفاة ابن عمه فخر الدين عثمان الزرعى، واستقر محب الدين أبو المعالى محمد بن الشيخ كمال الدين أبو الفضل محمد بن الشيخ شمس الدين أبى عبد الله محمد بن الشحنة فى قضاء الحنفية بجلب، عوضاً عن

(١) طرابلس: بفتح أوله وبعد الألف باء يقال: أطرابلس. انظر: معجم البلدان ٤/ ٢٥، ٢٦، وفى الروض المعطار طرابلس: مدينة بالشام عظيمة، وهى معقل من معاقل الشام، والبحر محدد بها من ثلاثة أوجه. وطرابلس (إفريقية): أيضاً من مدن إفريقية، وهى مدينة كبيرة أزية على ساحل البحر يضرب سورها، وهو من حجر جليل من بناء الأول. وبينها وبين سرت عشر مراحل، وفيها رباطات كثيرة يأوى إليها الصالحون. انظر الروض المعطار ٣٩٠، ٣٩١.

(٢) حلب: مدينة بالشام، بينها وبين قنسرين اثنا عشر ميلاً، وسميت بجلب رحل من العمالة، وهى مدينة عظيمة مسورة بحجارة بيض، ونهر قويق يجرى على بابها، وفى جانبها قلعة منيعة بها مقام أميرها، ولها سبعة أبواب منها: باب الجنان، وباب أربعين، وباب أنطاكية، وباب قنسرين، وباب اليهود، وباب الفراديس، والباب الشرقى. انظر: تقويم البلدان ١/ ٢٩٩، والروض المعطار ١٩٦، ١٩٧، وصبح الأعشى ٤/ ١١٦.

الجمال إبراهيم بن العديم، ثم عزل بعد قليل، وأعيد ابن العديم، واستقر ناصر الدين أبو عبد الله محمد بن تقي الدين عمر بن نجم الدين محمد بن عمر بن أبي الطيب في كتابة السر بحلب، عوضاً عن شمس الدين محمد بن أحمد بن مهاجر الحنفي. وولى الملك الأشرف إسماعيل بن الأفضل عباس^(١) مملكة اليمن^(٢) بعد وفاة أبيه.

وفيه كانت النفقة في الممالك، وعدتهم ثلاثة آلاف، لكل واحد خمسمائة دينار، عنها عشرة آلاف درهم فضة، حساباً عن كل دينار عشرون درهماً، ومبلغ ذلك ألف ألف وخمسمائة ألف دينار، صودر فيها عامة كتاب الدولة، وأعيان الطواشية، وطرح فيها عدة بضائع من أصناف الخاص على التجار، وألزموا بحمل أثمانها، فنالهم بسبب ذلك عناء شديد، ولم يسمع بمثل هذه النفقة في الدولة التركية.

وفي يوم الخميس رابع عشر ذى الحجة: خلع على تقي الدين عبد الرحمن بن محب الدين محمد ناظر الجيش واستقر في الجيش بعد وفاة أبيه.

وفي آخره: توجه قاضي القضاة شرف الدين محمد بن منصور الحنفي من القاهرة، عائداً إلى مدينة دمشق، وهو متضعف منذ رغب عن منصب القضاء.

وفي هذه السنة: ابتدأ الوباء من ذى القعدة، فمات جماعة كثيرة بالطاعون، وخرجت السنة والوباء شديد.

* * *

ومات في هذه السنة من الأعيان

السيد الشريفي نقيب الأشراف بحلب، شهاب الدين أحمد بن محمد بن أحمد بن علي ابن محمد بن علي بن محمد بن عبد الله بن جعفر بن زيد بن جعفر بن إبراهيم المدوح الحسيني الحلبي، وقد أناف على سبعين سنة.

وقال العلامة حسن بن زين الدين طاهر بن عمر بن الحسن بن عمر بن حبيب

(١) الملك الأشرف إسماعيل بن الأفضل عباس (الأشرف الرسولي) (٧٦١ - ٨٠٣ هـ = ١٣٦٠ - ١٤٠٠ م). إسماعيل (الأشرف) بن العباس الأفضل بن المجاهد علي ابن المؤيد داود من أبناء علي بن رسول، من ذرية حبله بن الأيهم. ولى بعد وفاة أبيه ٧٧٨ هـ وعاش محمود السيرة واستقام له الملك إلى أن توفي بتعز. انظر: الضوء اللامع ٢ / ٢٩٩ والأعلام ١ / ٣١٦، ٣١٧.

(٢) اليمن: بفتح أوله وثانيه، موضع قريب من مكة، فأما اليمن البلد المعروف الذي كان لسباً فسمى يمناً لأنه عن يمن الكعبة، كما سمي شاماً عن شمال الكعبة، والحجاز حجازاً لأنه حاجز بينهما، وقيل سمي اليمن ليمنه والشام لشومه، وقيل: سمي اليمن يمناً بتيمن بن قحطان. انظر: معجم البلدان ٥ / ٤٤٧، ٤٤٨، والروض المعطار ٦١٩، ومعجم ما استعجم ٤ / ١٤١٠.

مضى إلى الله جميل الثنا
فلا حرمننا منه أجرا وقد
لما قضى العمر مدى حده
كان لنا الأسوة فى حده
وفيه يقول العلامة والد طاهر المذكور:

جرت أعين الشها بعد شهابها
فقل لبنيه الطاهرين تثبتوا
سليل الكرام السيد الشامخ الذرا
لكم أسوة فى جدكم سيد الورا

وتوفى المحدث شهاب الدين أحمد بن على بن محمد بن قاسم العريانى، الفقيه الشافعى، شيخ خانكاه الأمير طيغا الطويل، فى يوم الإثنين ثانى عشر جمادى الآخرة، ومات الأمير شهاب الدين أحمد بن الأمير لاجين، أحد الطبلخاناه فى يوم السبت ثامن شهر رجب.

ومات الأمير أستبغا العزى، أحد الطبلخاناه.

ومات الأمير أستبغا عبد الغنى، أحد العشرات.

ومات الأمير ألطنبغا الإبراهيمى، أحد العشرات.

ومات الأمير إياس المردينى، أحد العشرات.

ومات الأمير جرّكتمر الخاصكى، أحد أمراء الألو، يوم الأربعاء تاسع عشر رجب.

ومات الأمير صلاح الدين خليل بن الأمير قوصون، أحد أمراء الألو، فى يوم الثلاثاء خامس عشرين رجب.

ومات الأمير طاز العثمانى، أحد أمراء الألو، فى يوم الخميس رابع عشر ذى الحجة.

ومات الأمير طيڈمر البالسى، أحد أمراء الألو.

ومات الأمير طقيتمر العثمانى، أحد أمراء الطبلخاناه.

(١) العلامة (حسن بن زين الدين ظاهر بن عمر بن الحسن بن عمر بن حبيب الجلبى (٧١٠ - ٧٧٩هـ = ١٣١٠ - ١٣٧٧م). الحسن بن عمر بن الحسن بن حبيب، أبو محمد، بدر الدين الجلبى: مؤرخ من الكتاب المترسلين، ولد فى دمشق ونشأ فى حلب ثم رحل إلى مصر والحجاز وعاد وتنقل فى بلاد الشام واستقر فى حلب له «نسيم الصبا - ط» صغير، و«درة الأسلاك فى دولة الأتراك - ط» أرخ به أخبارهم من سنة ٦٤٨ - ٧٧٨هـ. انظر: الدرر الكامنة ٢: ٢٩، وكشف الظنون ١/ ٧٣٧ والأعلام ٢/ ٢٠٨، ٢٠٩.

ومات الأمير جرجى البالىسى، أمير جندار.

ومات الأمير شاهين أمير علم، أحد العشرات.

وتوفى جمال الدين أبو محمد عبد الله بن كمال الدين أبى المعالى محمد بن عماد الدين أبى الفدا إسماعيل بن تاج الدين أبى العباس محمد بن شرف الدين بن أبى الفضل أحمد بن سعيد بن محمد بن سعيد بن الأثير الحلبي الأصل، المصرى المنشأ والوفاء، فى يوم الخميس ثانى عشرين جمادى الآخرة بالقاهرة، عن أربع وسبعين سنة، وولى كتابة السر بدمشق وكتب الإنشاء بقلعة الجبل، ثم تنزه عن ذلك، وانقطع إلى ربه حتى مات، وكان فاضلا له عدة مصنفات.

وتوفى ناظر الجيش بحلب ودمشق، تاج الدين عبد الله بن مشكور، فى جمادى الآخرة بدمشق، وكان مشكور السيرة، وله مروءة.

وتوفى مسند الشام زين الدين عمر بن الحسن بن مزيد بن أمية، المراغى الأصل، الحلبي الدمشقى، فى يوم الإثنين ثامن ربيع الآخر بدمشق، ومولده فى رجب سنة ثمانين وستمائة، تفرد بأشياء رواها عنه الناس.

وتوفى قاضى القضاة الشافعية بحلب، فخر الدين عثمان بن صدر الدين أحمد بن أحمد بن عثمان الزرعى الشافعى، فى سادس شعبان بحلب.

وتوفى خطيب حلب، علاء الدين على بن محمد بن هاشم بن عبد الواحد بن عشاير، الحلبي الشافعى، عن ستين سنة بحلب.

ومات بدمشق خواجه علاء الدين على بن ذى النون الأسعردى، صاحب الخان خارج دمشق، وأحد أعيان التجار، فى ذى القعدة.

وتوفى الشيخ تقى الدين إسماعيل بن على بن الحسن بن سعيد بن صالح القرقشندى المصرى الشافعى، مفتى القدس، ومدرس الصلاحية بها، فى سادس جمادى الآخرة، ومولده سنة اثنتين وسبعمائة. كان يستحضر كتاب الروضة فى الفقه، وحدث عن وزيره.

وتوفى فقيه دمشق عماد الدين إسماعيل بن خليفة بن عبد العال بن خليفة الحسبانى الشافعى، فى ذى القعدة.

وتوفى الأديب البارح جمال الدين أبو الربيع سليمان بن داود بن يعقوب بن أبى سعيد المصرى بحلب عن نحو خمسين سنة، وهو كاتب أديب منشئ ومن شعره:

بعدت ولم تقنع بذلك وإنما
 وأنا لنجری فی ودادك جهدنا
 بخلت على الإخوان بالكتب والرسل
 وإن كنت تمشى في الوداد على رسل^(١)

ومات الأمير قبلاى نائب حمص^(٢) وحاجب دمشق، في شهر ربيع الآخر بجمص.

وتوفى القاضي محب الدين أبو عبد الله محمد^(٣) بن يوسف بن أحمد بن عبد الدايم التيمى الحلبي، ناظر الجيش، في يوم الثلاثاء ثاني عشر ذى الحجة. أخذ القراءات السبع عن التقى الصايغ، وسمع الحديث على نصر المنبجي، وعلى الحجار ووزيره، والشريف أخي عطوف، وجماعة، وبرع في الفقه والنحو والتفسير، وصنف كتبا عديدة ودرس عدة سنين، وكتب الخط المنسوب، وفاق في معرفة الحساب، وباشر ديوان الأمير جنكلي بن البابا، ثم ديوان الأمير منكلي بغا الفخرى، ثم ديوان قجاء أمير شكار، وولى نظر البيوت، ثم ولى نظر الجيش، بعد ابن خصيب، فبلغ فيه من نفوذ الكلمة، وشهرة الذكر، وارتفاع القدر، مبلغا عظيما في عدة دول.

وتوفى محتسب مصر، شمس الدين محمد، المعروف بابن أبي رقية الشافعي.

وتوفى الأمير ناصر الدين محمد بن سِرْتَقْطَاى، أحد العشرات.

وتوفى الأمير شرف الدين موسى بن الأمير قُبَلَاى أحد الطبلخانة.

وتوفى قاضى القضاة الحنابلة بحلب، شرف الدين موسى بن فياض بن عبد العزيز ابن فياض المقدسى الصالحى، وهو أول من ولى قضاء حلب من الحنابلة. باشر وظيفة القضاء بها نيفا وعشرين سنة، حتى مات في ذى القعدة، وقد أناف على تسعين سنة.

ومات الأمير الطواشى ظهير الدين مختار الدمنزورى، مقدم المماليك.

(١) الرسل: الذى فيه لين واسترخاء، يقال: شعر رسل: مسترسل، وبعير رسل: سهل السير،

وسير رسل انظر المعجم الوسيط (رسل).

(٢) حمص: مدينة بالشام من أوسع مدنها، ولا يجوز فيها الصرف كما يجوز في هند لأنه اسم أعجمى، سميت برجل من العمالق يسمى حمص، ويقال رجال من عاملة، هو أول من نزلها، ولها نهر عظيم يشرب منه أهلها. ومنها إلى حلب خمس مراحل، وبين حمص وسلمية ستة فراسخ، وبجمص مات خالد بن الوليد رضى الله عنه سنة إحدى وعشرين، وقيل بل مات في المدينة وصلى عليه عمر رضى الله عنه. انظر معجم البلدان (ج ٣)، والروض المعطار ١٩٨، ١٩٩.

(٣) محب الدين أبو عبد الله محمد بن يوسف بن أحمد بن عبد الدايم التيمى الحلبي (٦٩٧ - ٧٧٨هـ = ١٢٩٨ - ١٣٧٧م). محمد بن يوسف بن أحمد، محمد الدين الحلبي ثم المصرى المعروف بناظر الجيش: عالم بالعربية، من تلاميذ أبي حيان. أصله من حلب، ومولده ووفاته بالقاهرة وألف «تمهيد القواعد - ح» في الرباط. و«شرح التلخيص» فى المعادن والبيان. انظر: الدرر الكامنة ٤: ٢٩٠ وإعلام النبلاء ٥: ٦١ وإعلام ٧/ ١٥٣.

وتوفى الشيخ أبو العباس أحمد بن عبد الرحيم التونسي النحوى المالكى، فى ليلة الجمعة رابع عشر شعبان بالقاهرة.

ومات الأمير قُطْلُوْبُغا المنصورى، حاجب الحجاب، فى يوم الأربعاء سادس عشرين رجب.

وتوفى الأمير أرغون شاه الجمالى الخاصكى، رأس نوبية، مذبحا هو والأمير صرغتمش، والأمير بييغا السابقى، والأمير بشنك، والأمير أرغون المعزى الأقرم، فى يوم الأحد رابع ذى القعدة.

وتوفى محتسب القاهرة بهاء الدين محمد بن محمد بن محمد بن المفسر، فى يوم الجمعة آخر جمادى الآخرة.

وتوفى السيد الشريف نقيب الأشراف وموقع الدست فخر الدين أحمد بن على الحسين بن حسن بن محمد بن حسين بن حسن بن زيد، فى يوم السبت أول شهر رجب.

وتوفى ناصر الدين محمد المقسى، أستاذار الأمير صرغتمش، فى يوم الإثنين سابع عشر رجب، وله مسجد بالمقس خارج القاهرة.

وتوفى الفقير المعتقد على السدّار صاحب الزاوية بحارة الروم^(١) من القاهرة، فى يوم الخميس سابع عشرين رجب.

وتوفى شمس الدين محمد بن براق الدمشقى، أحد موقعى الدست فى آخر شهر رجب.

وتوفى الأمير ناصر الدين محمد بن الأمير الكبير طاز، يوم السبت ثامن عشرين شعبان.

وتوفى الأمير ناصر الدين محمد بن قمارى، فى يوم الخميس حادى عشر رمضان.
وتوفى الأمير بكتمر السيفى، الى القاهرة، فى يوم الأربعاء سابع عشر ربيع الأول.
ومات الطواشى شرف الدين مختص، المعروف بشاذروان، مقدم الممالك، فى يوم الثلاثاء سابع عشر شعبان.

ومات صدر الدين بن الباربارى، أحد موقعى الإنشاء، فى يوم الثلاثاء ثالث شعبان.

(١) حارة الروم: جاء فى كتاب المواعظ للمقريزى (٨/٢) وقال ابن عبد الظاهر: واختطت الروم حارتين، حارة الروم الآن وحارة الروم الجوانية فلما ثقل ذلك عليهم قالوا: الجوانية لاغير. والوراقين إلى هذا الوقت يكتبون حارة الروم السفلى وحارة الروم العليا المعروفة اليوم بالجوانية.

وتوفى بدر الدين حسن المليكشى المالكي، فى تاسع ذى الحجة.

وتوفى خطيب المدينة النبوية شهاب الدين أحمد بن سليمان الصقيلى الشافعى بالقاهرة، فى يوم الإثنين ثامن ربيع الآخر، وهو من ناحية صقيل بالجيزة.

وتوفى قاضى المالكية بدمشق، زين الدين أبو بكر بن على بن عبد الملك المازونى، فى شوال.

وتوفى الأمير يونس العمرى. أحد الطبلخاناه.

وتوفى الأمير يعقوب شاه أحد الألوفا، فى يوم الإثنين سابع عشر شهر رجب.

وتوفى مؤدب الأطفال شمس الدين محمد بن عمر الخزرجى.

وتوفى الفقير المعتقد على العقيدى، بائع العقيد^(١) بالقاهرة، فى يوم الثلاثاء رابع رجب، وحُكيت له كرامات.

وتوفى التاجر زكى الدين أبو بكر بن الحمامية فى رابع رجب، وترك مالا جزيلا.

وتوفى الفقير المعتقد جمال الدين الأصفهانى بسطح الجامع الأزهر، فى ثالث عشر ذى الحجة.

وتوفى المسند جمال الدين يوسف بن عبد الله بن حاتم بن محمد بن يوسف بن الحبال البعلبكى، ومولده فى صفر سنة ثمانين وستمائة، حدث عن جماعة.

ومات سلطان بنى مرين، صاحب فاس وبلاد المغرب، السلطان أبو العباس أحمد بن أبى سالم إبراهيم بن أبى الحسن فى جمادى الآخرة، وملك بعده السلطان الواثق محمد ابن أبى الفضل بن أبى الحسن.

* * *

(١) العقيد: غسل يعقد بالنار وطعام يعقد بال غسل. (القاموس المحيط).

سنة تسع وسبعين وسبعمائة

أهلت والأمراض فى الناس فاشية، فتزايد الوباء فى هذا الشهر، ومات جماعة من الناس بالطاعون.

وفى خامس المحرم: خلع على الأمير شهاب الدين قُرطاي، واستقر أتابك العساكر. وخلع على الأمير زين الدين مبارك الطازى، واستقر رأس نوبة كبيراً، وخلع على الأمير سودن جركس، واستقر أستاذار، وخلع على الأمير ناصر الدين محمد بن الأمير قرأبغا الأناقى، أحد العشرات، واستقر فى ولاية مصر، وأفرج عن الأمير قُطلو أقتمر الطويل العلاى، وأنعم عليه بإمرة طبلخاناه، وقبض على الأمير طولوا الصرغتمشى بقطيا^(١) وقد عاد من الشام، لما كان من ظلمه وعسفه.

وفى تاسعه: وصل أولاد قلاوون من الكرك^(٢) وهم الملك المنصور محمد بن حاجى ابن محمد بن قلاوون، وأولاد الناصر حسن^(٣) وهم أحمد وقاسم وعلى واسكندر وموسى وإسماعيل ويوسف ويحيى وشعبان ومحمد، وأولاد حسن بن محمد بن قلاوون، وهم أنوك وأحمد وإبراهيم وجان بك ومحمد بن الصالح صالح بن محمد بن قلاوون وقاسم بن أمير على بن يوسف، فأدخلوا بحريهم وأولادهم إلى قلعة الجبل ليلاً، وأنزلوا بدورهم منها.

وفى عاشره: قدم الأمير ناصر الدين محمد آقبا آص، فأمر أن يقيم بداره.

وفى تاسع عشره: خلع على الأمير الكبير قُرطاي، واستقر فى نظر المارستان. ونزل إليه بتشريفه، فنظر فى أحوال المرضى وغيرهم على العادة، ثم عاد إلى منزله.

(١) قطيا: تكتب أيضاً قطية وهى قرية فى الطريق بين مصر والشام قرب الفرما، بها جامع ومارستان ووالى طبلخاناه مقيم لأخذ العشر من التجار. انظر: معجم البلدان، القاموس الجغرافى.
(٢) الكرك: هو من أعظم حصون النصارى معترض فى طريق الحجاز، وهو من القدس على مسافة يوم أو أقل، وأهله يقطعون على المسلمين الطريق فى البر، وله نظر عظيم الاتساع متصل العمارة ينتهى إلى أربعمائة قرية. انظر: معجم البلدان ٤/ ٤٥٣، والروض المعطار ٢٠٢، ٢٠٣، ٤٩٣.

(٣) الناصر حسن: حسن (الناصر) بن محمد (الناصر) بن قلاوون أبو المحاسن: من ملوك الدولة القلاوونية بمصر والشام وبويع بمصر صغيراً بعد مقتل أخيه حاجى المظفر سنة ٧٤٨هـ. وكان اسمه قمارى فلما ولى السلطنة سُمى (حنا). انظر: البداية والنهاية ١٤ / ٢٢٤ - ٢٧٨، ٢٧٩ والأعلام ٢ / ٢١٦.

٢٨ سنة تسع وسبعين وسبعمائة

وفيه قبض على الأمير يلبغا النظامي - أحد الأمراء الألوفا - وعلى أستبغا النظامي،
أحد أمراء الطبلخاناه.

وفي عشرينه: خلع على الأمير سوذن الشيخونى، وعلى الأمير بلوط الصرغتمشى،
واستقرا حاجبين، يحكمان بين الناس.

وفي رابع عشرينه: عزل الأمير منكلى بغا البلدى من نيابة طرابلس، والأمير تمرباى
من نيابة صفد^(١).

وفيه قدم محمل الحاج صحبة الأمير بهادر الجمالى، وقدم الخير بأن أهل البحيرة^(٢)
قد عصوا، وفي آخره خلع على الأمير عز الدين أئينك البدرى، واستقر ناظر المارستان،
عوضا عن الأمير الكبير قرطاي.

وفي خامس صفر: قدم البريد بسيف منكلى بغا البلدى من طرابلس^(٣) وأنه سجن
بالكرك.

وفي تاسعه: قدم الأمير يلبغا الناصرى من الشام باستدعاء، بعد ما نفى إليها، فأنعم
عليه بإمرة طبلخاناه.

وفي عاشره: أخذ قاع النيل، وكان خمس أذرع وأربع وعشرين إصبعا، وكان فى
العام الماضى خمس أذرع وست عشرة إصبعا.

وفيه ورد البريد بأن تمرباى الدمرداشى لم يسمع لعزله عن نيابة صفد، وخرج عن
الطاعة.

وفيه استقر الأمير أرغون الأسعردى فى نيابة طرابلس، عوضا عن منكلى بغا البلدى.
واستقر الأمير تمراز الطازى فى نيابة حماة، واتفق أن الأمير قرطاي تزوج بابنة الأمير
أينيك، وشرع فى عمل المهم للعرس، فأخذ أينيك فى العمل عليه، واستمال جماعة من
أصحابه، منهم برقوق العثمانى، أحد المماليك الأجلاب اليلبغاوية، وبركة، ووعدهم
بإمرات طبلخاناه، فمالوا إليه، وواعدوه على الفتك به، فلما كان يوم الأحد عشرينه،
حمل الأمير أينيك مقدمة برسم عرس الأمير قرطاي، وجهازها إليه، ما بين خراف ودجاج

(١) صفد: مدينة فى جبال عاملة مطلة على حمص بالشام وهى جبال لبنان. انظر: معجم البلدان
٤١٢/٣.

(٢) البحيرة: كورة معروفة من نواحي الإسكندرية بمصر، تشتمل على قرى كثيرة ودخل واسع.
انظر: معجم البلدان ٣٥١/٢.

(٣) طرابلس سبق ترجمتها، انظر معجم البلدان ٢٥٠/٤، ٢٦. انظر الروض المعطار ٣٨٩، ٣٩٠،
ونزهة المشتاق ١١٧.

وأوز وسكر، ومن حملتها عدة جرار حمر قد عمل فيه بنج، فقدمت إليه فقبلها، وخلع على محضرها، وجلس للشرب مع أصحابه من الخمر الذى بعث به إليه أئبنك، فاختلط، وصار كالحجر الملقى لا يحس ولا يدري، فبعث أصحابه الذين استمالهم أئبنك إليه يعلموه بما صار إليه، وأنهم قد احتزوا على أنفسهم حتى لم يصبهم شىء مما أصابه، فركب فى الحال بألة الحرب، وأنزل بالسلطان من قصره إلى الاصطبل، وأمر بدق الكوسات فدقت حربيا، حتى اجتمع الأمراء والماليك للقتال مع السلطان على العادة، فلم يزل الأمير أئبنك راكبا تحت القلعة من عصر يوم الأحد، حتى أصبح نهار يوم الإثنين. هذا وقُرطاي ومن معه من الأمراء الألوف والطلبخاناه وغيرهم فى غيبة من السكر لا يعون ولا يفيقون، وهم الأمير أسندمر الصرغتمشى، والأمير سوذن جركس، والأمير قُطلوبغا البدرى، والأمير قُطلوبغا جركس أمير سلاح، والأمير مبارك الطازى، فى آخرين فلما أصبحوا أفاق قُرطاي إفاقة ما، وبعث يسأل الأمير أئبنك أن يُنعم عليه بنبابة حلب، فأرسل إليه التشرىف ليلبسه ويخرج من وقته، وكان أئبنك قد أحاط فى الليل باصطبلات الأمراء الذين عند قُرطاي وخواص مماليكه أيضا، وأخذ خيولهم بأجمعها، وكان مماليك قرطاي قد أعياهم أمره، وعجزوا عن إيقاظه، وأتوه فى الليل برئيس الأطباء، فعالجه ومن معه من الأمراء، فلم ينجع فيهم الدواء، فلما جاءه التشرىف بنبابة حلب مع عدة من أصحاب أئبنك، أخذوا قُرطاي وأخرجوه من باب سرداره، ومروا به، وهو لا يعى حتى أوصلوه إلى سرياقوس^(١) وعبر الأمير أئبنك إلى بيت قُرطاي - بعد إخراجهم منه - وقبض على الأمراء وعلى عامة أصحاب قُرطاي، وحبسهم مقيدين، وبعث بعدة منهم إلى نغر الإسكندرية، فسجنوا بها، ونودى فى القاهرة «الأمان والاطمئنان، والبيع والشراء، والدعاء للسلطان الملك المنصور». ففتحت الأسواق.

وفى ثانى عشرينه: أخرج الأمير أئبنك نائب السلطان إلى الشام منفيا. وفيه خلع على بدر الدين عبد الوهاب الأختاى، وأعيد إلى قضاء القضاة المالكية. عوضا عن علم الدين سليمان البساطى.

وفيه نودى بالقاهرة ومصر «من كانت له ظلامة، فعليه بباب الأمير أئبنك». وفى آخره: أشيع بأن الأمراء تركب للحرب، فرسم للأمير حسين بن الكورانى والى القاهرة بقتل جماعة لإرهاب العامة، فأخرج عدة من خزانة شمائل قد وجب عليهم القتل، ونحرمهم، ونودى عليهم «وهذا جزء من يكثر فضوله. ويتكلم فيما لا يعنيه». ثم وسطهم تحت القلعة.

(١) سرياقوس: بلدة من أعمال القليوبية بمصر.

وفي ثالث عشرينه: سمر ثلاثة ممالك صبيان، من أجل أنهم نهبوا من خيول الأمير أقمَر الحنبلى، وطيف بهم القاهرة وتحت القلعة.

وفيه أخرج الأمير بيقجا الكمالى منفيا.

وفي يوم الخميس رابع عشرينه: خلع على الأمير أئنيك، واستقر أتابك العساكر، عوضا عن قرطاي، وخلع على الأمير أقمَر عبد الغنى، واستقر نائب السلطان، عوضا عن أقمَر الحنبلى، وخلع على الأمير بهادر الجمالى، المعروف بالمشرف، واستقر أستاذارا، عوضا عن سودون جركس، وخلع على الأمير بلاط السيفى، واستقر أمير سلاح. وخلع على الأمير أظنبغا السلطانى، واستقر أمير مجلس، وخلع على الأمير دمرداش اليوسفى، واستقر رأس نوبة كبير، وخلع على الأمير أظلمش الأرخونى، واستقر دوادارا، عوضا عن فخر الدين إياس الصرغتمشى، وخلع على قطلوخجا السيفى، وأنعم عليه بتقدمة، وخلع على الأمير يلبغا الناصرى، وأنعم عليه بتقدمة ألف، واستقر رأس نوبة ثانيا، وخلع على الطواشى مقبل الدوادارى، واستقر زام الدار، عوضا عن مثقال الجمالى، وخلع على الأمير أربوز السيفى، واستقر مهمندار بإمرة عشرة.

وفيه أنعم على برقوق العثمانى بإمرة طبلخاناه، وعلى بركة بإمرة طبلخاناه وكان من جملة الممالك، صارا من إقطاع الحلقة إلى إمرة طبلخاناه من غير أن يكونا من أمراء العشرات.

وفيه خلع على عبد العال، شاهد مطبخ الأمير أئنيك، واستقر فى توقيع الدست، عوضا عن برهان الدين إبراهيم بن اللبان، شاهد قرطاي.

وفيه سكن الأمير الكبير أئنيك بالاصطبل السلطانى، ولم تجر عادة من تقدموا بذلك. وفيه أنعم على ولديه أحمد وأبى بكر بتقدمتى ألف، وسكنا فى بيت قرطاي تجاه باب السلسلة.

واستقر الأمير علاء الدين على بن قشتمر فى نيابة الإسكندرية، عوضا عن صلاح الدين خليل بن عرام، واستدعى ابن عرام إلى القاهرة.

وفي أول شهر ربيع الأول: خلع على الأمير بهادر الجمالى، واستقر فى نظر المارستان.

وفي يوم الأحد رابعه: استدعى الأمير الكبير أئنيك، الخليفة المتوكل على الله

محمد^(١) إلى حضرته، وأراد أن يجعل في السلطنة الأمير أحمد بن الأمير يلبغا العمري، فاعتذر بأنه ابن أمير وليس من بيت الملك، فقال له أينبك: «إنما هو ابن السلطان حسن، حملت به أمه، فلما قتل السلطان أخذها الأمير يلبغا فولدته على فراشه». فلم يوافقها على ذلك، فسبه الأمير أينبك، وقال له: «ما أنت فاره إلا فى اللعب بالحمام، والاشتغال بالجوارى المغنيات، والضرب بالعود»، ونهره، وأمر به فأخرج منفيًا إلى قوص^(٢)، فنزل برباط الآثار خارج مدينة مصر، ليجهز حاله للسفر، وبات الناس فى قلق، وعلى تخوف من ركوب الأمراء للحرب، وفى يوم الإثنين خامسه استدعى الأمير الكبير أينبك بزكريا بن إبراهيم بن محمد بن أحمد الحاكم^(٣) وخلع عليه، واستقر به خليفة، عوضا عن المتوكل على الله، ولقبه المستعصم بالله، وفى عصر هذا اليوم بعث الأمير أينبك بالأمير بلوط الحاجب إلى الخليفة المتوكل حتى عاد من رباط الآثار إلى داره، فلزمها.

وفيه خلع على الأمير صلاح الدين خليل بن عرام، واستقر حاجب الحجاب. وخلع على الأمير جمال الدين عبد الله بن بكتمر، واستقر حاجبا ثانيا. وفى ثامنه: أخرج بالأمير أرغون العثماني منفيًا إلى الشام. وفيه أنزل الأمير الكبير أينبك بماتى مملوك، أسكن مائة بمدرسة حسن، ومائة بمدرسة الأشراف.

وفى يوم السبت سابع عشره: ورد الخبر بأن الأمير طشتمر نائب الشام، والأمير أشقتمر نائب حلب، والأمير تمرباى نائب صفد، والأمير منكلسى بغا البلدى - وقد خرج من سجن الكرك، وأنعم عليه بإقطاع جنتم أخى طاز وتقدمته - والأمير أرغون

(١) المتوكل على الله محمد (المتوكل على الله، بن أبى بكر (المعتضد بالله) بن سليمان (المستكفى) بن أحمد العباسى، أبو عبد الله: من خلفاء الدولة العباسية الثانية بمصر. بويغ بعد وفاة أبيه (سنة ٧٦٣هـ) بعهد منه، بالقاهرة وطالت مدته، وخلع فى صفر ٧٧٩ وأعيد فى ربيع الأول من السنة نفسها. استمر إلى أن توفى بالقاهرة. مدة خلافته ٤٥ عاما. انظر بدائع الزهور ١ / ٣٥٠ وتاريخ الخميس ٢ / ٣٨٢، والضوء اللامع ٧ / ١٦٨ والأعلام ٦ / ٥٦.

(٢) قوص: هى مدينة كبيرة عظيمة واسعة قصبة صعيد مصر بينها وبين القسوطا اثنا عشر يومًا. انظر معجم البلدان ٤ / ٤١٣.

(٣) المعتصم بالله زكريا بن إبراهيم بن الحاكم بأمر الله أحمد بن محمد العباسى، أبو يحيى المعتصم بالله: من خلفاء العباسيين بمصر، نصب خليفة فى القاهرة بعد خلع المتوكل على الله (محمد بن أبى بكر) سنة ٧٧٩هـ، فأقام عشرين يوما وعزل، ثم أعيد وبويغ بالخلافة سنة ٧٨٧هـ فاستمر إلى أن خلع سنة ٧٩١هـ، ولزم داره إلى أن مات. انظر: تاريخ الخميس ٢ / ٣٨٣ والأعلام ٣ / ٤٥.

الأسعردى، والأمير قرطاي، قد خرجوا عن الطاعة، وصاروا في جمع كبير من المماليك والعربان والتركمان، وقالوا: «لا ترضى بتحكّم أئنيك». [وأنهم جميعا في طاعة الأمير طشتمر، وقد عزموا على المسير إلى مصر، وأخذها من أئنيك]. وقد منعوا البريد بأن يرد إلى مصر.

وفي يوم الإثنين تاسع عشره: قدم الأمير أقتمر الحنبلي، والأمير قُرطاي إلى دمشق، فتلقاهما الأمير طشتمر، وبالغ في إكرامهما، وفيه جمع الأمير أئنيك الأمراء والقضاة، وحلف الأمراء لنفسه وللسلطان، وأمرهم بأن يتجهزوا إلى الشام، وأمر بالجاليش السلطاني، فعلق على الطبلخاناه من قلعة الجبل.

وفيه - وهو سابع عشرين تموز وثالث مسرى - وقع مطر كبير جدا، سال منه جبل المقطم، وكان مع ذلك رعد قوى وبرق متواتر، وتساقت في الليل نجوم عديدة. وفي يوم الثلاثاء عشرينه: خلع على الخليفة المتوكل على الله، واستقر خليفة على عادته.

وفي يوم الجمعة ثالث عشرينه: خلع على شمس الدين محمد الدميري^(١) وأعيد إلى حسة القاهرة، عوضا عن جمال الدين محمود العجمي.

وفيه خرج الأمير صلاح الدين خليل بن عرام، ليقف على رأس الرمل بطريق الشام؛ ليرد من عسائه يتسحب من المماليك إلى الشام.

وفي يوم الإثنين سادس عشرينه: خرج الجاليش سائرا إلى الشام، وهم خمسة أمراء مقدمي ألوف: قُطلوخجا، والأمير شهاب الدين أحمد بن الأمير الكبير أئنيك، والأمير يلغا الناصري، والأمير دمرداش اليوسفي، والأمير بلاط الصغير، والأمير عمر باي الحسني، وأربعة أمراء طبلخاناه، وهم: بوري الأحمدى، وأقبغا أص الشيخوني، وبرقوق العثماني، وبركة، ومائة من المماليك السلطانية، ومائة من مماليك الأمير أئنيك.

وفي يوم الخميس تاسع عشرينه: خرج طلب السلطان، وطلب الأمير الكبير أئنيك، وسائر أطلاب الأمراء وغيرهم.

وفي يوم السبت أول شهر ربيع الآخر: ركب السلطان والأمير قطلو أقتمر الطويل، والأمير مبارك الطازي، والأمير أطنبغا السلطاني، والأمير إنال، في بقية الأمراء والمماليك، وسار من قلعة الجبل حتى نزل بمخيمه على ناحية العكرشا، شمالي سرياقوس. وفيه نودي أن النيل أربعا وعشرين إصبعا من أول النهار، ثم نودي عند العصر

بزيادة اثنتى عشرة إصبعا، لثمة ست عشرة ذراعا، وزيادة إصبع من سبع عشرة ذراعا، وذلك هو اليوم الخامس عشر من شهر مسرى، فسر الناس الوفاء وخروج أئبىك من البلد، وكان أئبىك قد ثقل على الناس وتطيروا له بذلك، فقالوا: «خرج فى يوم الكسره»، فوقعت عليه الطيرة.

وفى يوم الأحد ثانىة: فتح الخلىع على العادة، فندى بزيادة خمس أصابع.

فلما كان بعد عصر هذا اليوم رجع الأمير أئبىك بالسلطان إلى القلعة ومعه الأمير قُطلو أقمتر الطويل، والأمير أطنبغا السلطانى، وقد اضطربت القاهرة، وذلك أن أمراء الشام وردت مكاتبهم إلى أمراء مصر، تتضمن توييخهم على تقديمهم أئبىك وتمكيتهم من الانفراد بالتدبير، وقرروا معهم إشاعة مخامرة نواب الشام، وخروجهم عن الطاعة وعمل الخيلة فى إزعاج أئبىك حتى يخرج لمحاربتهم بالشام، ليحصل التمكن من القبض عليه، فدبروا على أئبىك، حتى خرج بالسلطان، وسار جاليش العسكر حتى نزل بالصالحية^(١) فبلغ الأمير قُطلو خججا، أخو أئبىك وهو مقدم الجاليش، أن الذين معه من الأمراء والمماليك قد اتفقوا على أن يكبسوه، فجمع مماليكه ومماليك الأمير أحمد بن أئبىك، وبادر ليأخذهم قبل أن يأخذوه، وركب إليهم وهم متهيئون له، فقاتلوه وكسروه كسرة قبيحة، لم ينج منها إلا بنفسه وثلاثة معه، وأقبل إلى أخيه أئبىك فلم يثبت، ورجع من فوره بالسلطان، وكان رأس هذه الحركة ومحرك سلسلتها الأمير برقوق^(٢) العثمانى.

وفى غده - يوم الإثنين ثالثه - : أنزل الأمير أئبىك بالسلطان من قصره إلى الأصيل، ودقت الكوسات حربيا، ليجتمع العسكر على العادة، وكان قد اتفق الأمير قُطلو أقمتر الطويل - هو والأمير أطنبغا السلطانى، وجماعة كبيرة - على مخالفة أئبىك، وتوجها نصف الليل إلى قبة النصر، خارج القاهرة، ووقفوا هناك للحرب، فبعث إليهم الأمير أئبىك بأخيه الأمير قُطلو خججا، ومعه نحو مائتى فارس، فلقيه القوم وقاتلوه، وأخذوه أسيرا. فبعث إليهم من الأمراء أقمتر عبد الغنى، وبهادر الجمالى،

(١) الصالحية: قرية كبيرة ذات أسواق وجامع فى لىف جبل قصبون من غوطة دمشق. انظر:

معجم البلدان ٣ / ٣٩٠.

(٢) الظاهر برقوق: برقوق بن أنص - أو أنس - العثمانى، أبو سعيد، سيف الدين، الملك

الظاهر: أول من ملك على مصر من الشراكسة. جلبه أحد تجار الرقيق (واسمه عثمان) فباعه فيها متسوبا إليه، ثم أعتق وأذهب إلى الشام فخدم نائب السلطنة وعاد إلى مصر وانتزع السلطنة سنة ٧٨٤ وتلقب بالملك الصالح. توفى بالقاهرة، مدة حكمه أتابكا وسلطانا قرابة ٢١ عاما. انظر: ديوان الإسلام وابن إياس ١ / ٢٥٨، ٢٩٠ والضوء اللامع ٣ / ١٠ والأعلام ٢ / ٤٨.

ومبارك الطازى، فعندما ساروا عنه لم يثبت، وفر إلى جهة كيمان مصر، فتبعه الأمير أيدمُر الخطاى فى جماعة، فلم يقفوا له على خير، ثم رأوا فرسه وقباه وآلة حربيه، فعادوا بذلك، وقد بلغ قُطلو أقتمر الطويل فرار أَيْنَبِك، فعاد بمن معه، وضرب رنكة على بيت أحمد بن أَيْنَبِك بالرميلة^(١) ليستولى عليه بما فيه، وسكن حيث كان سكن أَيْنَبِك من الاضطيل السلطانى، وظن أنه قد آمن، وقلع عنه السلاح، وأقام ينتظر قدوم من خرج من الأمراء والمماليك فى الجاليش، ليقوى بهم.

فلما كان بكرة الغد - يوم الثلاثاء رابعه - قدم أمراء الجاليش بمن معهم، وهم الأمير دمرداش اليوسفى، والأمير بلاط الصغير، والأمير يلبغا الناصرى، وثلاثتهم مقدموا الكوف، والأمير برقوق العثمانى، والأمير بركة، وهما طلبخاناه، وطلعوا إلى الاضطيل، ودار بينهم وبين الأمير قُطلو أقتمر الطويل كلام آل إلى اختلافهم وتنازعهم، فقبضوا عليه وعلى الأمير أَلطنبغا السلطانى، والأمير مبارك الطازى، وقيدوهم ثلاثتهم، وبعثوا بهم عشية النهار إلى سجن الإسكندرية، مع الأمير جمال الدين عبد الله بن بَكْتَمُر الحاجب فسجنوا به، وصار التحدث من الأمراء فى الدولة للأمير يلبغا الناصرى، وأخرج البريد من وقته وساعته لإحضار الأمير طشتمر نائب الشام.

وفى يوم الخميس سادسه: وقفت العامة تطلب عزل الدميرى، وإعادة العجمى إلى الحسبة، فأجيبوا إلى ذلك، وخلع على جمال الدين محمود العجمى وأعيد إلى الحسبة، عوضا عن شمس الدين محمد الدميرى.

وفيه أنعم على كل من الأمير برقوق العثمانى والأمير بركة بتقدمة ألف واستقر الأمير يلبغا الناصرى أمير أخور، وسكن باضطيل، كما سكن أَيْنَبِك، وقُطلو أقتمر الطويل.

وفى يوم الأحد تاسعه: جاء الأمير أَيْنَبِك بمفرده إلى بيت الأمير بلاط الصغير. فطلع به إلى الأمير يلبغا الناصرى، وقد سكن أيضا بالاضطيل، فقيده، وقبض معه على أمير اسمه نعناع، وبعث بهما مقيدين إلى الإسكندرية فسجنا بها أيضا.

وفى يوم الأربعاء ثانى عشره: قدم البريد إلى دمشق بطلب الأمير قَشْتَمُر وهو بقبة يلبغا - خارج المدينة - وقد برز ومعه العساكر ونواب الشام، يريد المسير إلى مصر ومحاربة أَيْنَبِك، ونزع يده من التصرف. فلما قرأ كتاب السلطان بما كان من القبض على أَيْنَبِك، وسجنه بالإسكندرية، والمرسوم له بأن يحضر إلى مصر ليخون الأمير الكبير

(١) الرميطة: منزل فى طريق البصرة إلى مكة بعد ضربه نحو مكة ومنها إلى الأبرقين. انظر: معجم

الأتابك، ويحضر صحبته الأمير تمر باى ليستقر رأس نوبة كبير، وأن يستقر الأمير أقتمر الحنبلى فى نيابة الشام، والأمير أشقتمر فى نيابة حلب، والأمير منكلى بغا الأحمدي فى نيابة حماة^(١) والأمير أقبغا الدوادار نائب غزة فى نيابة صغد فسر بذلك وتفرقت تلك العساكر، وتوجه الأمير طشتمر إلى مصر، واستقر الأمير أقتمر الحنبلى فى نيابة الشام، عوضاً عن الأمير طشتمر.

وفى يوم الأحد سادس عشره: بلغ الأمراء القائمين بأمر الدولة، وهم: يلبغا الناصرى، وبرقوق، وبركة، أن جماعة من الأمراء قد عزموا على الفتك بهم، فركب الأمراء الثلاثة فى عدة من اليلبغاوية، وقبضوا على الأمير دمرداش اليوسفى، وعلى الأمير تمر باى الحسنى، وعلى الأمير أقبغا أص الشيخونى، وعلى الأمير قطلوبغا الشعبانى، وعلى الأمير دمرداش التمان تمرى المعلم، وعلى الأمير أسندمر العثمانى، وعلى الأمير يجمان العلاى، وعلى الأمير أسنبغا التلكى، وقيدوهم، وبعثوا بهم إلى الإسكندرية، فسجنوا بها وهؤلاء ممن وثب من المماليك فى هذه الفتنة، وعمل أميراً. وفيه قبض على الطواشى مختار الحسامى مقدم المماليك، وسجن بالبرج من القلعة.

وفى يوم الأحد ثالث عشرينه: خلع على مختار، وأعيد إلى مقدمة المماليك.

وفيه ركب الأمير برقوق العثمانى - وقت القايلة - فى جماعة من أصحابه، وصعد إلى الاصطبل، وأنزل الأمير يلبغا الناصرى منه، ونزعه من وظيفته، وسكن فى موضعه من الاصطبل السلطانى، واستقر عوضه أمير أخور، واستقر بأخيه الأمير بركة الجوبانى أمير مجلس، وأسكنه فى بيت الأمير قوصون، تجاه باب السلسلة من الرميلى، واقتسما الحكم فى الدولة بينهما.

وكانت الفتن التى تقدم ذكرها، وثورات المماليك، وتغير دولهم، إنما هى توطئة لبرقوق، وتمهيد له حتى ملك البلاد، وقام بدولة الجراكسة، كما ستره إن شاء الله تعالى، فإنه من يومه هذا استقر قراره بالاصطبل ورسخت قدمه فى الدولة، وثبت أوتاده بها، وما زالت الأقدار تسعده، والأيام تساعده، حتى استبد بالمملكة، وانفرد بتدبير السلطة، وصعد من الاصطبل، فسكن القصر حتى نقل منه إلى القبر عزيزاً منيعاً، على القدر رفيعاً، فسبحان من يدبر الأمر كله، لا إله إلا هو.

(١) حماة: من كور حصص بالشام، وهى مدينة طيبة فى وسطها نهر يسمى العاصى. وسمى العاصى لأن ظاهر انحداره من أسفل إلى علو ويجراه من الجنوب إلى الشمال وهو يجتاز على قبلى حصص وبقرية منها. انظر: معجم البلدان ٢ / ٣٠٠، ٣٠١، والروض المعطار ١٩٩، وصبح الأعشى ١٤٠/٤.

وفي يوم الإثنين رابع عشرينه: خلع على الأمير جمال الدين مُغلطاي الشرفى واستقر فى ولاية القاهرة، عوضا عن حسين بن على الكورانى، وقبض على حسين واعتقل.

وفي يوم الإثنين أول جمادى الأولى: قدم الأمير طَشْتَمَر العلاى من دمشق، فركب السلطان والأمراء إلى لقائه، فلما رأى السلطان بالريدانية، خارج القاهرة، نزل عن فرسه وقبل الأرض وبكى، فنزل إليه الأمراء وسلموا عليه وأركبوه، وساروا به إلى القلعة، فخلع عليه، واستقر أتاك العساكر، وخلع على الأمير تمر باى الدمرداشى - وقد قدم أيضا - واستقر رأس نوبة كبيرا، وأنعم على الأمير تغرى برمش بتقدمة ألف، فكان يوما مشهودا.

وفي يوم الأربعاء ثلثه: نودى بالقاهرة ومصر: «من ظلم فعليه بباب الأمير طَشْتَمَر الأتابك».

وفيه خلع على الأمير برقوق، واستقر أمير أخور، وخلع على الأمير بركة، واستقر أمير مجلس.

وفيه أنعم على الأمير أطلمش الأرغونى بتقدمة ألف، واستقر دوادار، وعلى يلغا المنجكى، واستقر شاد الشراب خاناه. وعلى الأمير بلاط، واستقر أمير سلاح، ورسم أن يجلس بالإيوان فى وقت الخدمة.

وفي يوم الإثنين خامس عشره: أفرج عن الأمير سودن جركس، والأمير قطلوبغا جركس، والأمير قطلوبغا البدرى، والأمير أطنبغا السلطانى، والأمير طَغَيْتَمَر الناصرى، والأمير ألبغا السيفى، وأمير إياس الصرغتمشى والأمير قطلوبغا البشيرى، والأمير أسنبغا، ورسم إحضارهم من الإسكندرية.

وفي عشرينه: خلع على برهان الدين إبراهيم الأبناسى - من أعيان الفقهاء الشافعية - واستقر فى مشيخة خانكاه سعيد السعداء، بعد وفاة علاء الدين أحمد بن محمد السراى. ونزل معه شمس الدين أبو الفرج المقسى ناظر الخاص إلى الخانكاه.

وفيه حمل إلى الأمير أقتمر الحنبلى تشريف نيابة دمشق وتقليده بها.

وفي خامس عشرينه: قدم الأمير قطلو أقتمر العلاى أمير جاندار، أخو الأمير أقتمر الحنبلى، والأمير علاء الدين على بن تشتمر نائب الإسكندرية، فأنعم على كل منهما بإمرة مائة مقدمة ألف.

وفيه أعيد الأمير صلاح الدين خليل بن عرام إلى نيابة الإسكندرية.

وفى سادس عشرينه: استقر الطواشى دينار الناصرى لالا السلطان، وأخرج الطواشى مقبل الكلفتى منفيًا، وخلع على الأمير تمرباي الدمرداشى، واستقر ناظر المارستان.

وفى سلخه: خلع على الأمير تغرى برمش، واستقر حاجب الحجاب، وعزل الأمير أقتمر عبد الغنى من نيابة السلطنة، وخلع على الأمير على بن قشتمر، واستقر حاجبا لها. وفى ليلة الرابع من شهر رجب: تردى الأمير قطلو أقتمر الطويل، من مكان بسجنه من الإسكندرية، فمات، وقيل إنه كان سكرانا، ومنه تفرعت الفتن التى نرد ذكرها، ودفن من الغد ولم يصل عليه أحد.

وفى يوم الأحد خامسه: قدم الأمير أيتمش البجاسى إلى ثغر الإسكندرية، بالإفراج عن جميع الأمراء المعتقلين، ما عدا أربعة: الأمير أينبك، والأمير قطلو خجا، والأمير أسندمر الصرغتمشى، والأمير جركس الإجاوى، وأفرج عنهم، وتوجه بهم إلى القاهرة، فلما وصلوا قريبا منها رسم بتفرقهم فى البلاد الشامية، فساروا إلى حيث أمروا، وأحضر إلى قلعة الجبل منهم بأحمد بن هُمز وأسنبغا التلكى.

وفى يوم الإثنين ثالث عشره: خلع على علم الدين سليمان البساطى، وأعيد إلى قضاء القضاة المالكية، عوضا عن بدر الدين عبد الوهاب الأخناى، وكتب باستقرار الأمير بيدمر الخوارزمى فى نيابة الشام، عوضا عن الأمير أقتمر الحنبلى بعد وفاته. واستقر الأمير زين الدين مبارك شاه العلاى المشطوب فى نيابة غزة^(١).

وفى يوم الإثنين سابع عشرينه: خلع على صاحب كريم الدين عبد الكريم بن الرويهب، واستقر فى الوزارة، عوضا عن التاج النشو الملكى، وسجن الملكى بقاعة الصاحب من القلعة، وفيه خلع على الأمير قطلو أقتمر أمير جندار أخى الحنبلى، واستقر فى نيابة الإسكندرية، عوضا عن ابن عرام، ورسم بإحضار ابن عرام وزوجته - الست سمرء - ليصادرا.

وفيه جهزت خلعة نيابة طرابلس إلى الأمير بلاط السيفى، وقد خرج إلى ناحية العكرشا، ورسم له أن يتوجه من موضعه إلى طرابلس، ثم انتقض ذلك، واستعيدت الخلعة واستقر على حاله.

(١) غزة: مدينة فى أقصى الشام من ناحية مصر، وبينها وبين عسقلان فرسخان أو أقل، وهى من نواحي فلسطين غرب عسقلان. انظر: معجم البلدان ٤ / ٢٠٢، ٢٠٣، وفى الروض المعطار غزة موضع بديار جذام من مشارف الشام على ساحل البحر. انظر الروض المعطار ٤٢٨، معجم ما استعجم ٩٩٧/٣.

وفي ثاني شعبان: ارجعت إمرة طيغا الجمالى، وكان قد جُرد لكبس الغربان بناحية أطفيح^(١) فكبس العرب وجرحوه، وعاد مريضا من جراحته.

وفي هذه الأيام: عزل قاضى القضاة برهان الدين إبراهيم بن جماعة نفسه من وظيفة قضاء القضاة، وخرج إلى تربة كوكاى، بنية العود إلى القدس، بعد أن انجمع عن أهل الدولة، وترك حضور الخدمة السلطانية بالإيوان فى يومى الإثنين والخميس مع الأمراء مدة أيام، تورعا واحتياط لدينه، لما دهم الناس من تغير الأحوال، وحدث ما لم يعهد، وتهاون القائمون بالدولة بالأمور الدينية؛ فعين الأمير الأتابك طشتمر العلاى لقضاء القضاة سراج الدين عمر البلقينى^(٢) قاضى العسكر، فلم توافقه بعض الأمراء، فتحدث لبدر الدين محمد بن أبى البقاء فى ولايته بما قام به، فشق ذلك على البلقينى وترك قضاء العسكر لولده؛ فلما كان يوم الإثنين ثامن عشره، خلع على بدر الدين محمد ابن قاضى القضاة بهاء الدين أبى البقاء، واستقر فى قضاء القضاة، عوضا عن برهان الدين إبراهيم بن جماعة، وخلع على بدر الدين محمد بن سراج الدين عمر البلقينى، واستقر فى قضاء العسكر برغبة أبيه له عن ذلك.

واستقر الشيخ سراج الدين عمر البلقينى فى تدريس المدرسة الناصرية بجوار قبة الشافعى - رحمه الله - من القرافة، واستقر الشيخ ضياء الدين عبيد الله القرمى - شيخ الخانكاه الركنية ببيرس - فى تدريس الفقه وتدريس الحديث بالمدرسة المنصورية، عوضا عن ابن أبى البقاء، واستقر جلال الدين عبد الرحمن بن البلقينى فى توقيع الدست، عوضا عن أخيه بدر الدين، واستقر صدر الدين محمد بن إبراهيم المناوى^(٣) - أحد نواب القضاة الشافعية - فى إفتاء دار العدل، عوضا عن أبى البقاء، وخلع على الجميع، ونزلوا بين يدى قاضى القضاة بدر الدين محمد بن أبى البقاء، فكان يوما مشهودا.

(١) أطفيح: بلد بالصعيد الأدنى من أرض مصر على شاطئ النيل فى شرقه. انظر: معجم البلدان

(٢) البلقينى: عمر بن رسلان بن نصير بن صالح الكنانى، العسقلانى الأصل، ثم البلقينى المصرى الشافعى، أبو حفص، سراج الدين: مجتهد حافظ للحديث، من العلماء بالدين. ولد فى بلقينة وتعلم بالقاهرة من كتبه «التدريب» فى فقه الشافعية. انظر: لحظ الألاحظ والضوء اللامع ٦ / ٨٥ وشذرات الذهب ٧ / ٥١ وحسن المخاضرة ١ / ١٨٣ والتاج ٩ / ١٤٣ والأعلام ٥ / ٤٦.

(٣) محمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن، ضياء الدين السلمى المناوى: قاض من علماء الشافعية. مصرى، من أهل منية القائد بجيزة القاهرة ولى قضاء الغربية عدة سنين وناب فى الحكم بالقاهرة وتوفى بها. من كتب «الواضح البينة». انظر طبقات الأسنوى ٢ / ٤٦٦ والدرر ٣ / ٢٨٥ ودار الكتب ١ / ٥٤٦ والأعلام ٥ / ٢٩٨.

وفيه أخرج الأمير ببيغا الطويل العلاى - أحد أمراء الطبلخاناه - منفيا إلى الشام. وفيه استقر الأمير منكلى بغا البلدى فى نيابة طرابلس، عوضا عن أرغون الأسعردى، واستقر الأسعردى فى نيابة حماة، عوضا عن منكلى بغا البلدى، واستقر أقبغا الجوهرى - حاجب طرابلس - فى نيابة غزة، عوضا عن مبارك شاه المشطوب - واستقر مبارك شاه حاجبا بطرابلس.

وفى ثامن عشرينه: ارتجعت طبلخاناه طينال الماردينى، وعوض عنها بإمرة عشرة، ورسم أن يكون طرخانا.

وفى يوم الإثنين ثانى شوال: أمر الأمير برقوق بتسمير مملوك من ممالك السلطان السلاح دارية، اسمه تكا، فسمر وطيف به، وهو ينادى عليه: «هذا جزء من يرمى الفتن بين الملوك، ويتكلم فيما لا يعنيه» من أجل أنه وشىء به إلى الأمير طشتمر الأتابك بأن الأمير برقوق قد عزم أن يركب عليه، فبعث يعته على ذلك، فأنكر، وحلف، وطلب منه الناقل هذا عنه، فبعث به إليه، ففعل به ما ذكر.

وفى يوم السبت رابع عشره: صار قاضى القضاة برهان الدين إبراهيم بن جماعة على البريد إلى القدس.

وفى يوم الإثنين سادس عشره: خلع على الأمير صلاح الدين خليل بن عرام، فاستقر فى الوزارة، عوضا عن ابن الرويهب، وخلع على التاج عبد الوهاب النشو الملكى، واستقر بعد الوزارة فى نظر الدولة، عوضا عن سعد الدين بن الريشة، واستقر ابن الريشة فى نظر الأسواق ودار الضيافة، وألزم ابن الرويهب بحمل مائة ألف درهم. وصادر الوزير ابن عرام مباشرة الجهات جميعهم، فهرب أكثرهم.

وكان الأمير بلاط أمير سلاح قد عدى النيل إلى الجيزة^(١) ونزل عند مرابط خيله على الربيع، ليتنزه هناك، فبعث إليه الأمراء بخلعة لنيابة طرابلس، وعوقت عنه المعادى فى يوم الإثنين ثالث عشرينه وبعث من الغد إليه الأمير برقوق أمير أخور يخيره فى نيابات البلاد، فامتنع من ذلك، وعزم على الحرب، وأقبل إلى ساحل النيل ليعديه، فوجد المعادى قد انحازت عنه إلى جهة بر مصر فسقط فى يده، وأذعن للطاعة، فأخرج إلى القدس بطالا، وأنعم عليه بضبعة تغل فى السنة نحو مائتى ألف درهم؛ فلما صار فى أثناء الطريق، كتب بأن بتوجه إلى الكرك، ويقيم بها بطالا، ولم يجر فى ذلك فتنة، إلا أن الأمير برقوق ألبس ممالিকে آلة الحرب، حتى سار بلاط، ثم قبض على إخوته وحاشيته وأكابر ممالিকে، وسجنوا، ومنع الأمراء من استخدام ممالিকে عندهم.

(١) الجيزة: بليدة فى غربى فسطاط مصر قبلتها ولها كورة كبيرة واسعة وهى من أفضل قرى

وفي يوم الخميس ثالث ذى القعدة: خلع على الأمير يلبغا الناصرى، واستقر أمير سلاح، عوضا عن بلاط، وخلع على الأمير إينال اليوسفى، واستقر رأس نوبة تانيا، عوضا عن يلبغا الناصرى، وكثر الرخاء فى هذا الشهر، حتى أبيع الخبز البايث كل أربعة وعشرين رطلا بدرهم، حسابا عن كل رطل - وهو رغيف - بفلس، والجبن الجاموسى الطرى كل عشرة أرطال بثلاثة دراهم ونصف درهم، والبيض كل أربعين بيضة بدرهم.

وفي ثامن عشرينه: خلع على الوزير صاحب تاج الدين عبد الوهاب النشو الملكى ناظر الدولة، واستقر فى نظر الجيش، عوضا عن تقى الدين عبد الرحمن بن محب الدين محمد.

وفي ذى الحجة: توحش ما بين الأمير الكبير طشتمُر الأتابك، وبين الأمير برقوق أمير آخور، وأخذ الأمير برقوق فى التعنت عليه حتى يخالفه، فيجعل ذلك سببا لإثارة الفتنة، وصار يرسل إليه بأن ينفى فلانا من مماليكه عنه، فيمثل إشارته وينفى ذلك المملوك قصدا لإحجاد الفتنة، حتى بعث إليه هو والأمير بركة بأن يقبض على مملوكه رأس نوبته كمشبغا، ويخرجه منفا، فلم يجد بدا من ذلك، وأمر به فقبض عليه. وجلس بعد صلاة العشاء من ليلة عرفة على عادته مع خواصه يتحدث، وإذا بمماليكه قد دخلوا عليه لابسين السلاح، وعنفوه على موافقة برقوق على مسك مماليكه، وأظهروا الغضب لذلك، وأرادوه أن يركب للحرب، فقام إلى حريمه وأغلق عليه بابه، فخرجوا عنه يدا واحدة، وركبوا خيولهم، ووقفوا تحت القلعة، فأمر برقوق بالكوسات فدقت، وركب هو والأمير بركة، ووقعت الحرب بينهم طول تلك الليلة إلى الصباح، فقتل جماعة، وجرح كمشبغا رأس نوبة طشتمر، مات منها بعد ذلك. وانكسرت بقية الطشتمرية، فخرج الأمير طشتمُر من داره فى يوم الخميس تاسع ذى الحجة - صبيحة الوقعة - وفى عنقه منديل، ومضى إلى الأمير برقوق، وهو قد تزوج بابنته، فقبض عليه وعلى الأمير أطلميش الدوادر، والأمير بزلاز، وأرغون - دوادر طشتمر - والأبغا رأس نوبته، وعلى أمير حاج بن مغلطاي، وبعثهم جميعا مقيدين إلى الإسكندرية، فسجنوا بها، وتبع حواشى طشتمر، فقبض على طواشيه تقطاي - وكان قد قاتل تلك الليلة قتالا شديدا - وقبض عدة من مماليكه أيضا، نفاهم إلى قوص^(١).

وفي يوم الإثنين ثالث عشره: خلع على الأمير سيف الدين برقوق العثمانى أمير آخور، واستقر أميرا كبيرا أتابك العساكر، عوضا عن أبى زوجته، الأمير طشتمر

(١) قوص: هى مدينة كبيرة عظيمة واسعة قسبة صعيد مصر، بينها وبين الفسطاط اثنا عشر

العلاني، وخلع على صديقه الأمير أَيْتَمُش البجاسي، واستقر عوضه أمير أخور بإمرة مائة
تقدمة ألف، واستمر سكنى الأمير برقوق حيث كان من الاضطبل، وصار يطلع إلى
الأشرفية من قلعة الجبل في يومى الإثنين والخميس، وتقاسم الأمر هو والأمير بركة،
فصارا فحلى الشول، إليهما ترجع أمور الدولة بأسرها، إلا أن الولايات والعزل إذا
انتظمت عند الأمير بركة فى بيته كان أمضاها بين يدى الأمير الكبير برقوق بالاضطبل،
فإذا أراد أحد ولاية شىء من الأمور تحدث مع حاشية الأمير بركة حتى يتقرر له ما
يريد، ثم بيعت بذلك الرجل إلى أخيه الأمير الكبير برقوق، ويعلمه بما أراد فيرضيه أيضا،
ثم يستقر فيما يقرر فيه من الوظائف، إما فى الخدمة السلطانية أو فى مجلس الأمير الكبير
برقوق، فكان هذا حال الناس جميعا فيما يريدونه من الدولة، وفى الظاهر صاحب الأمر
الأمير برقوق، غير أن الولايات كلها من القضاء والحسبة وولاية الحرب فى الأعمال
والكشف، وسائر الوظائف، لا سبيل أن يناها أحد إلا بحال، يقوم به أو يلتزم بأدائه،
ويكتب به خطه، فتطاول كل نذل رذل وسفلة إلى ما سنح بخاطره عن الأعمال الجليلة
والرتب العلية، فدهى الناس من ذلك بداهية دهياء، أوجبت خراب مصر والشام، كما
ستره فيما يمر بك على طول السنين فى أوقاته، إن شاء الله تعالى.

وفى يوم الأربعاء خامس عشره: أرسل الأمير الكبير برقوق يستدعى الأمير يلغا
الناصرى، ليأخذ رأيه فى شىء عن له^(١) فظن أن الأمر على هذا، وركب إليه غير
مستعد، فى قليل من ممالكه، فلما صار إليه عزم عليه أن يتخفف من ثيابه؛ ويظل نهاره
عنده ليفاوضه فى مهماته، فقام ليخلع عنه ثياب ركوبه فى بعض مخادع الدار، فأحيط
به وقبض عليه، وقيد وحمل من وقته إلى الإسكندرية، فسجن بها، وقبض معه على
كجلى، أحد أمراء الطبلخاناه أيضا.

وفى عشرينه: خلع على الأمير إينال اليوسفى، واستقر أمير سلاح، عوضا عن يلغا
الناصرى، واستقر محمد بن طاجار فى ولاية دمياط، واستقر علم الدين أبو عبد الله
محمد بن ناصر الدين محمد القفصى المصرى فى قضاء المالكية بدمشق، عوضا عن
البرهان إبراهيم الصنهاجى، واستقر كمال الدين عمر بن الفخر عثمان بن هبة الله
المعرى فى قضاء القضاة الشافعية بحلب، عوضا عن جلال الدين محمد بن محمد
الزرعى^(٢).

(١) عَنْ له: ظهر أمامه واعترض. ويقال: عَنْ لى الأمر، أو عَنْ بفكرى الأمر: عرض. انظر:

المعجم الوجيز ٤٣٨.

(٢) الزرعى: محمد بن محمد بن شرف الزرعى الشافعى، شرف الدين: فاضل. كان قاض

«عجلون» وتوفى بدمشق. له «المنتقى من كتاب كشف الحالى فى وصف الحال». انظر: شذور

الذهب ٦/٢٦٤ والأعلام ٦/٤١.

وفيهما ولي محب الدين أبو المعالي محمد بن محمد بن الشحنة^(١) قضاء الحنفية بحلب، عوضاً عن الجمال إبراهيم بن العديم، وعزل بعد أشهر قلائل بابن العديم.

* * *

ومات في هذه السنة من الأعيان

شهاب الدين أبو جعفر أحمد بن يوسف بن مالك الرعيني^(٢) الغرناطي النحوي بحلب، عن سبعين سنة، وكان حسن الأخلاق عالماً بالنحو والتصريف والبديع، له مشاركة في علم الحديث وغيره، ويد طولى في الأدب، وله عدة مصنفات في النحو والبديع والعروض، منها شرح ألفية ابن معطى، وله شعر، أقام بحلب ثلاثين سنة، وحج مراراً.

ومات الأمير أحمد بن الأمير قوصون، في ثاني عشر ذى الحجة.

ومات الأمير أقتمر الصاحبى - المعروف بالحنبلى، لكثرة مبالغتنا فى الطهارة بالماء، وتشدده فى ذلك - وهو على نيابة دمشق، فى ليلة الحادى عشر من رجب.

ومات الأمير أطنبغا أبو قورة، أمير سلاح.

وتوفى صلاح الدين صالح بن أحمد بن عمر بن السفاح الحلبى، وهو عائد من الحج، بمدينة بصرى، عن سبع وستين سنة.

ومات الأمير طَشْتَمُر اللفاف، أحد رعوس الفتن، فى يوم الثلاثاء ثالث المحرم بالطاعون.

وتوفى بدر الدين حسن بن عمر بن حسن بن عمر بن حبيب الحلبى^(٣) المؤرخ بحلب، عن سبعين سنة.

(١) ابن الشحنة محمد بن محمد، أبو الوليد، محب الدين، ابن الشحنة الحلبى: فقيه حنفى له اشتغال بالأدب والتاريخ. من علماء حلب. ولى قضاءها مرات واستقضى بدمشق والقاهرة. له كتب منها «روض المناظر». انظر: أعلام النبلاء ٥ / ١٦١ والضوء اللامع ١٠ / ٣ والكتبخانة ٢ / ٤١ والأعلام ٦ / ٤٤.

(٢) ابن مالك الرعيني: أحمد بن يوسف بن مالك الرعيني الغرناطي ثم البيرى، أبو جعفر الأندلس كتيبه «رسالة» و «بديعة». انظر: الدرر الكامنة ١ / ٣٤٠ وبغية الوعاة ١٤ / ١٧٦ ودار الكتب ٥ / ٢٠٠ والأعلام ١ / ٢٧٤.

(٣) ابن حبيب الحلبى الحسن بن عمر بن الحسن بن حبيب، أبو محمد، بدر الدين الحلبى: مؤرخ، من الكتاب المرسلين. ولد فى دمشق، ونصب أبوه محتسباً فى حلب فانتقل معه، فنشأ فيها، ونسب إليها. ثم رحل إلى مصر والحجاز، ثم استقر فى حلب له «نسيم الصبا» و «درة الأسلاك» فى دولة الأتراك. انظر: الدرر الكامنة ٢ / ٢٩ وآداب اللغة ٣ / ١٧٣ وأعلام النبلاء ٥ / ٦٦ وكشف الظنون ١ / ٧٣٧ والأعلام ٢ / ٢٠٨، ٢٠٩.

ومات الأمير قرطاي، أحد مثيرى الفتن، ثم أتابك العساكر، مخنوقا بطرابلس، فى شهر رمضان، وحملت رأسه إلى القاهرة.

وتوفى والدى، علاء الدين على بن محبى الدين عبد القادر بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن تميم بن عبد الصمد بن أبى الحسن بن عبد الصمد بن تميم المقرئ الشافعى، فى يوم الأحد خامس عشرين شهر رمضان عن خمسين سنة. وقد باشر التوقيع السلطانى وعدة وظائف، وكان الأغلب عليه صناعة كتابة الإنشاء والحساب، مع دين متين، وعقل راجح رصين، والله تعالى أعلم.

* * *

سنة ثمانين وسبعمائة

أهلت بيوم الخميس: وفيه خلع على الأمير أقتمر العثماني، واستقر دوا دارا بتقدمة ألف، عوضا عن أطمش الأرغوني.

وفي يوم الإثنين خامسه: استقر الأمير مبارك شاه الطازي في نيابة غزة، عوضا عن أقبغا الجوهري، واستقر أقبغا الجوهري في نيابة صفد، عوضا عن صُراي تُمُر الحمدي، وقبض على صراي تمر وسجن بالكرك.

وفي عاشره: مات الأمير أئنبك، مثير الفتن، بسجن الإسكندرية، وصودرت زوجته وأخذ منها مال عظيم، فكان هذا مما استشنع فعله، فإنه لم تجر العادة بالتعرض للحرم.

وفي يوم الإثنين ثاني عشره: خلع على كريم الدين عبد الكريم بن عبد الرازق بن إبراهيم بن مكانس، واستقر في نظر الدولة، عوضا عن تاج الدين نشو الملكي، وأفرد الملكي بنظر الجيش.

وفي يوم الإثنين تاسع عشره: خلع على تقى الدين عبد الرحمن بن محب الدين محمد، وأعيد إلى نظر الجيش، عوضا عن الملكي. وقبض على الملكي وسجن بقاعة الصاحب من القلعة، حتى مائة ألف درهم فضة، ثم أفرج عنه.

وفي ليلة الأحد خامس عشرينه: وقع حريق عظيم خارج باب زويلة، احترق منه دكاكين الفاكهانيين والنقلين، والبرادعيين، والرابع المعروف بالدهيشة تجاه باب زويلة، وامتدت النار إلى سور القاهرة، فركب الأمير بركة الجوباني، والأمير أئتمش البجاسي، والأمير دمرداش الأحمدي، والأمير تغرى برمش حاجب الحجاب، وطفوه بأنفسهم ومماليكهم، فكان أمرا مهولا، أقامت النار فيه يومين، وخربت أماكن جلييلة كبيرة، كانت من أهبج المواضع وأحسنها. وتحدث الناس أن هذا مبدأ خراب القاهرة، وكثر ذلك على الألسنة، فكان كذلك، ثم إن الناس أخذوا في عمارة ما احترق حتى عادوه كما كان، وقال في هذا الحريق القاضي زين الدين طاهر.

| | |
|--------------------------|---------------------------|
| أزال معاني الحسن المصون | بياب زويلة وافى حريق |
| وصير كل عال مُقلّ دون | ودمر كل عال من ذراه |
| يقينا كالعيون من العيون | وعبرة عبرة الرائيين أجدى |
| لمحى الأرض من بعد المنون | وما برح الخلائق في ابتهال |

إلى أن قال فى لطف خفى وفضل عناية يانار كونى
وفى آخره: أفرج عن الأمير يلغا الناصرى، وأنعم عليه بإمرة مائة مقدمة ألف
بدمشق، عوضاً عن الأمير حنتمر أخى طاز، وقبض على حنتمر وسجن بقلعة
المرقب^(١).

وفى يوم الخميس سادس صفر: خلع على كريم الدين عبد الكريم بن مكانس
ناظر الدولة، واستقر فى الوزارة، عوضاً عن صلاح الدين خليل بن عرام، وركب
بنجيين^(٢) أحدهما قدامه والآخر وراءه، كما كانت عادة الوزراء.

وفى يوم الإثنين عاشره: خلع على فخر الدين عبد الرحمن بن عبد الرزاق بن
إبراهيم بن مكانس^(٣) واستقر فى نظر الدولة مكان أخيه الصاحب كريم الدين. وخلع
على تاج الدين فضل الله بن الرملى، واستقر فى وزارة دمشق، وتوجه إليها. وكان من
شياطين كتاب مصر المسألة.

وفيه قبض على الوزير الملكى، وسجن بقاعة الصاحب، وأزم بمال كبير.
وفى هذه الأيام: وقع حريق فى خارج باب النصر؛ وحريق تجاه اليانسية^(٤) خارج
باب زويلة. وركب الأمير الطنبغا المعلم البريد إلى حلب، ليقبض على الأمير أشقتمر
النائب.

وفى عشرينه: خلع عن الركن والى الفيوم^(٥) واستقر فى ولاية الفيوم والبهنسى،
وعلى محمد بن طاجار، واستقر فى ولاية المنوفية^(٦).

وفى ثامن عشرينه: أخذ قاع النيل، فكان ستة أذرع واثنين وعشرين إصبعا.

(١) قلعة المرقب: قلعة حصينة على ساحل بحر الشام. انظر: معجم البلدان.

(٢) بنجيين: النجيب من الإبل والجمع النجب والنجائب، ويقال: نجائب الإبل خيارها، ونجائب
الأشياء لبابها وخالصها انظر المعجم الوسيط (نجب).

(٣) ابن مكانس: عبد الرحمن بن عبد الرزاق بن إبراهيم، أبو الفرج، فخر الدين، المعروف بابن
مكانس: وزير، شاعر، مصرى، حنفى المذهب. أصله من القبط. ولد بالقاهرة، وولى نظارة الدولة
بمصر، ثم تولى فى آخر عمره وزارة دمشق، وعزله السلطان الظاهر برقوق واستدعاه منها. فتوفى
قبيل وصوله إلى القاهرة ودفن بها. انظر: الدرر الكامنة ٢/٣٣٠ وابن الفرات ٩/٣٢٣ وآداب اللغة
٣/١٢٤ والكتبخانة ٤/٣١٣ والأعلام ٣/٣١٠.

(٤) اليانسية: حارة اليانسية، هى منسوبة لخادم خص من خدام العزيز بالله يقال له أبو الحسن
يانس الصقلى، وهى تقع خارج باب زويلة. انظر: المواعظ والاعتبار ٢/١٦.

(٥) الفيوم: فى البلاد المصرية، وهو نظر كبير فيه قرى كثيرة، وقيل أنها سميت الفيوم لأن
خارجها ألف دينار كل يوم. انظر: معجم البلدان ٤/٢٨٦، والاستبصار ٩٠، والإدريسى ١٤٦،
وخطط المقرئى ١/٢٤٥، وابن الوردى ٢٣.

(٦) المنوفية: من قرى مصر القديمة، لها ذكر فى فتوح مصر. انظر: معجم البلدان ٥/٢١٦.

وفي هذا الشهر: رخصت الأسعار، حتى أبيع لحم الضأن السليخ، كل عشرة أرطال بسبعة دراهم ونصف درهم، وكل عشرة أرطال إليه بستة دراهم.

وفي أول شهر ربيع الأول: رُسم للأمير تَلَكْتُمُر من بركة أن يجلس فى الخدمة السلطانية بالإيوان، فيمن يجلس من الأمراء الكبار.

وفي سادسه: قبض على الحاج سيف مقدم الدولة، وخلع على الحاج محمد بن يوسف، واستقر مقدم الدولة، وسلم له سيف، ثم نقل دار الوالى، فُعُوب حتى التزم بحمل مائة ألف دينار، حمل منها خمسمائة ألف درهم عنها خمسة وعشرون ألف دينار، وأخذ جميع ماله من مراكب بحرية ودواليب، وقيمتها أكثر منذ لك، ثم أفرج عنه فى سابع عشره، فكان هذا مما لم يعهد قبل ذلك، أعنى تسليم من يصادر لوالى القاهرة، وإنما كان يتسلم المصادر شاد الدواوين أو مقدم الدولة بمرسوم الوزير، ولا يتعدى حكم الوالى العامة وأهل الجرائم منهم، وأما الأجناد والكتاب وأعيان التجار فلا تمتد يده إلى الحكم فيهم، ويرجع أمرهم إلى نائب السلطان؛ فإن لم يكن فحاجب الحجاب، لأن كل أحد له رتبة محفوظة لا يتعدها، فانخرق السياج، وأخذ كل أحد يتعدى طوره، ويجهل قدره.

وفي هذه الأيام: نُقل الأمير مَنكلى بُغا البلدى من نيابة طرابلس إلى نيابة حلب، عوضاً عن أشقَتُمُر. واستقر الأمير يلبغا الناصرى عوضه فى نيابة طرابلس.

وفىها أشيع أن المماليك الألبانية، وهم نحو ثمانمائة مملوك، اتفقوا مع جماعة على إثارة الفتنة، فقبض على عدة من الأمراء ومماليك السلطان، ورسم للجميع بالقبض على من فى خدمتهم من مماليك ألبانى الیوسفى، فقبضوهم وبالغوا فى إهانتهم، بأن وضعت الزناجير فى أعناقهم، وعملت يدي كل اثنين منهم فى خشبة، وسجنوا بخزانة شمایل - سجن أهل الجرائم - فلم يعهد قبل ذلك أن الترك رجال الدولة أهينوا هذه الإهانة، ثم أشيع أن جماعة من مماليك الأمراء عزموا على الفتك بأستاذيهم، فقبض على كثير منهم.

وفي ثامنه: قبض على الطنبُغا شادى - من أمراء العشرات - وعدة من مماليك ألبانى.

وفي تاسعه: قبض على قطلوبغا حاجى أمير علم، والطنبغا العلالى، وأسنبغا التلكى، وتلك الأحمدى، والطنبغا عبد الملك، وغريب الأشرفى، وأسندمُر الأشرفى، وجوبان الطيدمُرى، وأقسُنُقُر الأشرفى، وأقبغا القَطْلَقْتُمُرى، وثمان تمر الموسوى، وجتتُمُر الحمدي، وسودن العثمانى، وبدى قُرُطُقا بن سوسون، وبك يونس، وبجمان العلالى، وأقبغا ينسون، وحملوا مقيدى إلى الإسكندرية.

وفي عاشره: قبض على الأمير تَمْر باى الدمرداشى رأس نوبه، بحيلة، وهى أن الأمير بركة بعث إليه فرسا بسرج ذهب وكنبوش ذهب، فركبه، وأتاه متشكرا لصنيعه فأخذه وطلع إلى الأمير الكبير برقوق ليصلح بينهما وكانا قد تنافرا، وكان تمر باى بثياب جلوسه، ليس معه كثير أحد من مماليكه، فلما استقر بهم المجلس، قبض عليه، وقيد وأخرج فى الليل إلى ثغر الإسكندرية فسجن بها، وأنعم على الأمير أَلطنبغا الجوبانى بإقطاع تمر باى.

وفيه خلع على جمال الدين محمود العجمى، وأضيف عليه حسيبة مصر، عوضا عن الشريف عاصم، فرغب عنها لصديقه سراج الدين عمر بن منصور بن سليمان القرمى، فخلع عليه وباشرها.

وفي عشرينه: نزل الأمير أَشَقْتَمَر نائبا حلب على بلييس^(١) وكان لما قدم عليه أَلطنبغا المعلم، ليقبض عليه ويبعث به إلى القدس بطالا، قدم عليه مرسوم بأن يحضر إلى الأبواب السلطانية، فسار من حلب ومعه مقدمة جليلة، فبينما هو على بلييس، أتاه من قبض عليه وقيده وحمله إلى الإسكندرية، فسجن بها.

وفي يوم الأحد حادى عشرينه: سُمر اثنا عشر من الأتراك، وطيف بهم القاهرة، ثم وسط منهم ستة، وهم الأمير أقبغا البجمقدار خازن دار الأمير أَلجائى، والأمير قَرَاكَسَك، وأَسْنُغَا، من مماليك أَلجائى، وبَكْتَمُر الفقيه، وأَسْنَدْمُر الذى حمل رأس الأمير أرغون شاه، لما قُتل بقبة النصر.

وفيه أفرج عن غريب الأشرفى، أحد أمراء العشرات.

وفي أول شهر ربيع الآخر: أهين السيد الشريف على نقيب الأشراف، من الأميرين بركة وبرقوق إهانة بالغة، لمنعه عنهم كتاب وقف ناحية بلقس على الأشراف ليتسلمه الشريف مرتضى صدر الدين مرتضى، وقد استقر فى نظر وقف الأشراف عوضا عنه، ومنع من التحدث فى نقابة الأشراف.

وفي يوم الخميس سابع عشره: خلع على الشريف عاصم واستقر نقيب الأشراف. وخلع على الأمير بززار، واستقر فى نيابة الإسكندرية، عوضا عن الأمير قطلو أقتَمُر، وأنعم عليه بتقدمة تلكتمر بن بركة، واستقر قطلو أقتَمُر أمير جاندار على تقدمته. وخلع على علاء الدين على العمرى، واستقر كاشفا بالوجه البحرى.

(١) بلييس: مدينة بينها وبين فسطاط مصر عشرة فراسخ على طريق الشام. انظر: معجم البلدان

وفيه كان وفاء النيل، وهو عاشر مسرى.

وفيه عين الشيخ راج الدين عمر بن الملقن^(١) أحد نواب الحكم بقضاء القضاة الشافعية، عوضا عن بدر الدين محمد بن أبي البقاء، ليلبس فى يوم الإثنين.

فلما كان يوم الإثنين حادى عشرينه: طلع إلى القلعة فلم يتھياً له لبس، وذلك أن الأمير الكبير برقوق كان قد عينه لذلك بغير مال، فسعى عليه يقوم به إذا استقر فى قضاء القضاة كما قد جرت به العادة فى هذا الزمان، فبعث بها الأمير بركة إلى الأمير برقوق، فلما بلغت الورقة غضب وأمر بجمع القضاة والفقهاء، فجمعوا بين يديه بالحراقة من الاصطبل فى يوم الثلاثاء ثانى عشرينه، وطلبه، وأخرج الورقة التى بعثها إليه الأمير بركة، تتضمن التزامه بأربعة آلاف دينار يقوم بها إذا استقر قاضى القضاة الشافعية. فأنكر أن يكون خطه، فزاد حنق الأمير برقوق، وأمر به، فسلم إلى الحاج محمد بن يوسف مقدم الدولة ليستلخص منه الأربعة آلاف دينار، وانفض المجلس، فرفق به ابن يوسف من أجل أنه كان قد اتهم بأنه وقع فى واقع يقتضى إراقة دمه عند الملكية. فحكم ابن الملقن بحقن دمه، فرعى له ذلك، ودافع عند شاد الدواوين، وخوفه من التعرض له بمكره، إلى أن طلع الشيخ سراج الدين عمر البلقينى فى يوم الخميس رابع عشرينه إلى الأمير برقوق، هو والشيخ المعتقد أبو عبد الله محمد الركراكى المغربى، فى عدة من الفقهاء، وسأله فى الإفراج عن ابن الملقن، فوعده بإرساله إليه، فحلف البلقينى ثلاثة أيام فى ثلاث مرات أنه ما ينصرف إلا به، فأجابته إلى ذلك، وأمر بتسليمه إليه، فمضى به، والله الحمد.

وفى أخريات هذا الشهر: أفرج عن الأمير طشتمر الأتابك من سجنه بالإسكندرية، ورسم بإقامته بثرغ دمياط، وأقطع بلدا بالقرب منه.

وفى سابع عشرينه: خلع على الأمير منكلى الطرخانى، واستقر نائب الكرك، عوضا عن تمرباى الطازى.

وفيه خلع على همام الدين أمير غالب بن القوام أمير كاتب الأتقانى الأتقانى الحنفى

(١) ابن الملقن: عمر بن على بن أحمد الأنصارى الشافعى، سراج الدين، أبو حفص بن النحوى، المعروف بابن الملقن: من أكابر العلماء بالحديث والفقہ وتاريخ الرجال. أصله من وادى أش (بالأندلس) ومولده ووفاته فى القاهرة. له نحو ثلاثمائة مصنف منها «إكمال تهذيب الكمال فى أسماء الرجال. انظر: ذيل طبقات الحفاظ ١٩٧ و ٣٦٩ والضوء اللامع ٦/ ١٠٠ والخطط التوفيقية ٤/ ١٠٥ والكتبخانة ٥/ ٨٩ والأعلام ٤/ ٥٧.

محتسب دمشق، واستقر في قضاء القضاة الحنفية بها، عوضا عن نجم الدين أبي العباس أحمد بن أبي العز. بمال التزم به وسافر إليها.

وفي تاسع عشرينه: خلع على الأمير بركة، واستقر في نظر المارستان، واستقر رأس نوبة كبيراً، عوضاً عن تمرى. وخلع على قرا دمرداش الأحمدي، واستقر أمير مجلس. وخلع على الأمير الطنبغا الجوباني، واستقر رأس نوبة ثانياً. وخلع على محتسب القاهرة جمال الدين محمود العجمي، واستقر في نظر المارستان، نيابة عن الأمير بركة، عوضاً عن بدر الدين محمد بن عثمان الأنفهي.

وفيه ورد البريد من طرابلس بقدوم الفرنج إليها في عشرة مراكب، ونزولهم إلى البر، فحاربهم الأمير يلبغا الناصري نائب طرابلس، وقتل منهم عدة، وفر باقيهم إلى مراكبهم وساروا.

وفي جمادى الأولى: ركب السلطان ثلاثة سبوت متوالية إلى الميدان برسم الملعب بالكرة، على ما جرت به العادة. ولم يتفق في السنة الماضية الركوب إلى الميدان لما كان من الاشتغال بالحروب والفتن، وأنعم الأميران بركة وبرقوق في الميدان على أكابر مماليكهما بأقبية بطرز زركش.

وفيه قدم زامل بن موسى بن مهنا.

وفيه قبض على سلام بن التركية من البحيرة، وقيد وحمل إلى القاهرة.

وفي يوم الإثنين حادى عشره: قدم البريد بأن خليل بن دلغادر أمير التركمان قتل الأمير مبارك الطازي نائب الأبلستين^(١) وذلك أنه ركب في عسكر من حلب لقتال ابن دلغادر فهزمه وأخذ ما معه، ثم ركب قفاه في جماعة، فمال عليه ابن دلغادر وقتله، فوقع في قبضته، فقدمه وضرب عنقه.

وفيه قبض على الصاحب شمس الدين أبي الفرج عبد الله المقسي ناظر الخاص، وعلى كثير من أزمه وحبس في بيت الأمير بركة بمرافعة الوزير كريم الدين بن مكاسن إياه، وأحبط بموجوده، ونقل من الغد ما في داره، فوجد له شيء كثير من المال والثياب والقماش، من جملة نحو الألفي بدن فرو سنجاب.

وفيه أفرج عن الأمير تمرى الدمرداشي وأخرج إلى القدس، وأفرج عن الأمراء الذين سجنوا قبله أيضاً.

(١) الأبلستين: هي مدينة مشهورة ببلاد الروم. انظر: معجم البلدان ١ / ٧٥.

وفي يوم الأحد سابع عشره: أعيد المقدم سيف إلى مقدمة الدولة، وقبض على محمد بن يوسف وسلم إليه، فعاقبه حتى مات تحت العقوبة.

وفي يوم الإثنين ثامن عشره: خلع على الوزير صاحب كريم الدين عبد الكريم ابن مكانس، واستقر في نظر الخاص، عوضا عن المقسى، مضافا لما معه من نظر ديوانى الأميرين برقوق وبركة. ثم خلع على سعد الدين سعد الله بن البقرى، واستقر فى نظر ديوان الأمير الكبير برقوق، وخلع على الأمير صلاح الدين خليل بن عرام، واستقر أستاذار الأمير بركة، فكان هذا أيضا من الأمور التى لم تعهد أن أميراً من أمراء الألف يكون أستاذار أمير.

وفيه ظهر فى السماء كوكب من كواكب الذوابة، له وجه وذنب.

وفي ثانى عشرينه: خرج الريد بالقبض على الأمير بيدمر نائب الشام، وإحضاره.

وفيه استقر الأمير بركة ناظر الأوقاف جميعها، واستتاب فى التحدث عنه جمال الدين محمود المحتسب، فلم يبق وقف حكى ولا أهلى، إلا وطلب مباشرته، وتحد فيه استضعافا لجانب قاضى القضاة بدر الدين محمد بن أبى البقاء.

وفي ثالث جمادى الآخرة: خلع على الأمير موسى بن قرمان، واستقر والى الجيزة، ثم عزل من الغد، واستقر على عادته أمير طبر.

وفيه أفرج عن الأمير أشقتمُر نائب حلب، ورسم بإقامته بالقدس.

وفي سادسه: انتهت زيادة ماء النيل إلى تسعة عشر ذراعا وست أصابع.

وفي تاسعه: أخرج الأمير تغرى برمش حاجب الحجاب إلى حلب، وسببه أنه عرف الأمير بركة سوء سيرة بنى مكانس وكثرة ظلمهم وفسادهم، فقال له: أصلح أنت نفسك، فشق ذلك عليه، وعزل نفسه من الحجوبية، ورمى الإمرة، وقال: ما عدت أعمل أميراً، وخلع قباه وألقى مهمازه من رحله، وخرج عنه، فأمر به، فخرج حاجبا بحلب، فلما وصل دمشق عزل عنها.

وفي ثالث عشره: خلع على الأمير مأمور القلمطاي، واستقر حاجب الحجاب، عوضا عن تغرى برمش، وقدم الأمير بيدمُر نائب الشام، من دمشق، فحمل إلى الإسكندرية مقيدا، وسجن بها، واستقر عوضه فى نيابة الشام الأمير كُمُشِبَعَا الحموى، نائب حماة، واستقر عوضه فى نيابة حماة الأمير ثمر باى الدمرداشى.

وفي ثامن عشره: أنعم على الأمير أزد مُر الصفوى بإمرة عشرة بدمشق، وأخرج إليها.

وفي العشرين منه: توجه الشيخ برهان الدين إبراهيم الأبناسى إلى الحجاز معتمرا، واستتاب عنه فى مشيخة خانكاه سعيد السعداء، الشيخ زين الدين عبد الرحيم بن الحسين العراقى^(١) وقدم الخير بأن رجلا بدمشق من آحاد العامة مات بالمارستان فغسل وكفن، وأرخبى فى قبره بمقبرة باب الفراديس، فعندما أضجع بالقير عطس، فأخرج وعوفى، وحدث الناس بما جرى له، وعاش بعد ذلك نحو ثلاث سنين.

وفي ثالث شهر رجب: خرج الأمير قرآكسك على البريد لإحضار الأمير منكلى بغا البلدى نائب حلب.

وفي سابعه: أخرج الأمير بُورى الأحمدي إلى القدس متفيا وأنعم عليه بنظر مسجدي القدس والخليل.

وفيه خلع على شمس الدين محمد النيسابورى، ابن أخى جارا الله، واستقر فى مشيخة خانكاه سعيد السعداء عوضا عن البرهان الأبناسى.

وفيه قدم البريد بسيف منكلى بغا البلدى نائب حلب، وأنه سُجن بقلعتها، فكتب باستقرار الأمير تمرباى الدمرداشى فى نيابة حلب، واستقر الأمير جتتُر أخو طاز فى نيابة حماة وكان بطالا بدمشق، وحمل إلى كل منهما تشريفه وتقليده على البريد.

وفي سادس عشرينه: قبض على المقدم سيف، وسلم للأمير صلاح الدين خليل بن عرام، ثم أفرج عنه.

وفي ثامن عشرينه: قبض على الوزير كريم الدين عبد الكريم بن مكانس، ثم أفرج عنه من يومه، ورسم باستقرار الأمير تغرى برمش، حاجب الحجاب فى نيابة غزة.

وفيه قدم من الأمير قُرت - متولى ثغر أسوان - أحد عشر رأسا من رعوس أمراء أولاد الكنز وماتى رجل منهم فى الحديد، فعلقت الرعوس على باب زويلة، ولم يعهد

(١) عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن، أبو الفضل، زين الدين، المعروف بالحافظ العراقى: بجائه، من كبار حفاظ الحديث. أصله من الكرد، ومولده فى رازنان من أعمال إربل تحول صغيرا مع أبيه إلى مصر، فتعلم ونبغ فيها، وقام برحلة إلى الحجاز والشام وفلسطين، وعاد إلى مصر، فتوفى فى القاهرة، من كتبه «المغنى عن حمل الأسفار فى الأسفار». انظر الضوء اللامع ١٧١/٤ وغاية النهاية ٣٨٢/١ وحسن المحاضرة ٢٠٤/١ والأعلام ٣/٣٤٤.

هذا من قبل. وقدم الخير بأن طائفة من أهل البحيرة - كبيرهم بدر بن سلام - ساروا إلى الصعيد، فلقبهم الأمير مراد كاشف الوجه القبلى، وقاتلهم، فقتل فى الحرب معهم.

وفيه قدم الشيخ أمين الدين محمد بن محمد بن محمد النسفى الخوارزمى الخلوتى، من بلاد خوارزم، فى طائفة من الفقراء، فأنزله شيخ الشيوخ نظام الدين إسحاق الأصفهاني - شيخ خانكاه سرياقوس - بمدرسته التى على طرف الجبل، خارج باب المحروق من القاهرة، تحت دار الضيافة، فأقبل إليه الأمراء وبالغوا فى إكرامه، وبعثوا له بضيافات كثيرة وصلات سنية، فلم يدخر منها شيئاً، وعمل به أوقاتا يجمع عنده فيها الناس، فيطعمهم الماكل الطيبة، وذكر أنه عبر فى سياحته إلى بلد بلغار حيث لا تطلع الشمس عدة أشهر، فدعا سكانه - وهم قوم لا يعلمون شيئاً - إلى الإسلام فاستجاب له كثير منهم وأسلم، فعلمهم شرائع الإسلام، ومضى عنهم، وكان من خير من أدركناه.

وفى أول شهر رمضان: قدم الأمير منكى بُغا البلدى إلى دمشق، وقد أفرج عنه من سجنه بقلعة حلب، فأقام بدمشق بطالا.

وفى سادسه: خلع على الأمير شرف الدين موسى بن قرمان أطلسين، واستقر نائب الوجه القبلى، ورسم أن يكاتب بملك الأمراء، وأنعم عليه بتقدمة ألف، وعمل فى خدمته حاجب أمير طبلخاناه، وهو أول من ولى من كشاف الصعيد نيابة السلطنة، واستمر الحال كذلك فيما بعد، وخلع على الأمير على خان، واستقر والى البحيرة، عوضاً عن أيديمر الشمسى، ثم عزل من يومه، واستقر أيديمر على عادته.

وفى يوم الأربعاء ثامنه: كانت واقعة كنيسة ناحية بو النمرس من الجزيرة^(١) وذلك أن رجلا من فقراء الزيلع بات بناحية بو النمرس، فسمع لنواقيس كنيستها صوتا عاليا، وقيل له إنهم يضرىون بنواقيسهم عند خطبة الإمام للجمعة، بحيث لا تكاد تسمع خطبة الخطيب، فوقف للسلطان الملك الأشرف شعبان^(٢)، فلم ينل غرضاً، فتوجه إلى الحجاز

(١) الجزيرة: بليدة فى غربى فسطاط مصر قبلتها ولها كورة كبيرة واسعة وهى من أفضل قرى مصر. انظر: معجم البلدان ٢/٢٠٠.

(٢) شعبان بن حسين بن الملك الناصر محمد بن قلاوون أبو المعالى، ناصر الدين: من ملوك الدولة القلاوونية بمصر والشام، ولى السلطنة بعد خلع ابن عمه محمد بن حاجى سنة ٧٦٤هـ وقام بأمر الدولة فى أيامه أتاهبك العسكر الأمير يلغا. انظر مورد اللطافة لابن تغرى بردى ٨٧، وابن إياس ٢١٢/١ وحسن المحاضرة ٢/١٠٤ والدرر الكامنة ٢/١٩٠ والبدايةوالنهاية ١٤/٣٠٢، ٣٢٤ والأعلام ٣/١٦٣، ١٦٤.

وعاد بعد مدة طويلة، ويده أوراق تتضمن أنه تشفع برسول الله ﷺ وهو نائم عند قبره المقدس في هدم كنيسة بو النمرس، ووقف بها إلى الأمير الكبير برقوق الأتابك، فرسم للمحتسب جمال الدين محمود العجمي أن يتوجه إلى الكنيسة المذكورة، وينظر في أمرها، فسار إليها وكشف عن أمرها، فبلغه من أهل الناحية ما اقتضى عنده غلقها، فأغلقها، وعاد إلى الأمير الكبير وعرفه ما قيل عن نصارى الكنيسة، فطلب متى بطريق النصارى اليعاقبة وأهانته، فسعى النصارى في فتح الكنيسة، وبذلوا مالا كبيرا، فعرف المحتسب الأمير الكبير بذلك، فرسم بهدمها بتحسين المحتسب له ذلك، فسار إليها وهدمها، وعملها مسجدا.

وفي ثاني شوال: قبض على الطواشى سابق الدين مثقال الجمالى زَمَامِ الدور، وأخذ منه ثلاثة آلاف دينار، ثم أفرج عنه.

وفي يوم الأربعاء سادسه: قبض على الأمير شهاب الدين أحمد بن هُمَزُ التركمانى، خشية من فراره إلى التركمان، وقد ورد اليريد بخروجهم عن الطاعة.

وفي سابعه: قبض على الأمير جمال الدين عبد الله بن بَكْتُمُرِ الحاجب، وولده الأمير ناصر الدين محمد، وأخرجهما برقوق^(١) إلى الشام ثم ردهما بعد ثلاثة أيام، وأخذ منهما عشر آلاف دينار، وأنعم على الأمير جمال الدين بإمرة طبلخاناه، وترك ولده بطلا، وسبب ذلك أنه أهدى إلى الأمير بركة عندما صرع بالبندق طائرا من طيور الواجب، وادعى له فى رمى البندق، يشتمل الإهداء على خمس بقج حرير أطلس، ضمنها قماش حرير وصوف وفرو، وبدلة يرسم الصيد غيار بذهب، وجرافات^(٢) يرسم بندق الرمى عدتها أربعون مزر كشة، وكمرانات^(٣) عدة أربعين، ومن قسى الحلقة اثنين، ومن قسى البندق مائتى قوس، ومن بندق الرمى ستين بندقة من ذهب صامت، ومائة بندقة من فضة خالصة، واثنى عشر فرسا، منها واحد بسرج ذهب وكنبوش زركش، وآخر بسرج مغرق^(٤) وعرقية زركش وآخر بسرج مغرق، وعرقية

(١) برقوق بن أنص - أو أنس - العثماني، أبو سعيد سيف الدين، الملك الظاهر: أول من ملك مصر من الشراكسة. جلبه إليها أحد تجار الرقيق فباعه فيها منسوباً إليه، ثم أعتق وذهب إلى الشام فخدم نائب السلطنة، وعاد إلى مصر. انظر «ديوان الإسلام - خ» وابن إياس ٢٥٨/١ و٢٩٠، ووليم موير ١١١ والضوء اللامع ١٠/٣ والأعلام ٤٨/٢.

(٢) على هامش ط: حروا آنية وأكياس لحفظ البندق.

(٣) على هامش ط: الكمر أو الكمران، حزام يلبس فوق العب.

(٤) مغرق أى محلى به، ولجام مغرق بالفضة، أى محلى وقيل: وإذا عمته الحلية، وقد غرق. انظر

لسان العرب، والقاموس المحيط مادة غرق.

صوف سمك، وسبعة أرعوس^(١) بعبي، وفرسين عراه وعشر جُفْن سكر، ومائتي طائر دجاج، وثلاثين جملا، ومائة رأس غنم، فلما قدمت بين يديه قال له من حضر: «أنه قَدَمَ للأمير صَرَغْتُمُش تقدمة أكثر من هذه». فغضب برقوق وقال: «ما ساواني بصرغتمش» وأخذ الهدية المذكورة، ثم أمر به فنفي كما تقدم ذكره.

وفي ثاني عشرينه: سار محمل الحاج والركب صحبة الأمير بهادر.

وفي سادس عشرينه: توجه الأمير قرا دمرداش الأحمدي أمير مجلس إلى الحجاز

حاجا.

وفيه قبض على الوزير كريم الدين عبد الكريم بن مكانس، وعلى أخيه فخر الدين، وعذبا عذابا شديدا ففرا بعد أيام، ولم يوقف لهما على خير، وكان ابن مكانس كريم الدين هو وأخوه فخر الدين قد أحدثا عدة مظالم قبيحة، منها أن الأمير يلبغا الخاصكى لما أبطل المكس من مكة، عوض الشريف أمير مكة عن ذلك في كل سنة مائة وسبعين ألف درهم، تحمل إليه، فكان ابن مكانس يجبي ذلك من مباشرة الدولة والخاص على قدر حالهم، وكان المقسى - وهو ناظر الخاص - يقوم عن مباشرة الخاص بمبلغ ستة عشر ألف درهم، ومنها أنه ختم على قيسارية^(٢) جهاركس^(٣) بالقاهرة، في أخريات شهر رمضان، وزعم أن عند التجار ثيابا بغير ختم، فتعطل بيع الناس وشرائهم على عيد الفطر، حتى ألتزموا له بمال يقوم به، فلما حملوه إليه رفع ختمه بعد ثمانية أيام، ومنها أنه صار يخرج إلى بركة الحاج عند تكامل الحج بها في شهر شوال، ويلزم مقومى الحج بإحضار أوراق مُشْتَرَى جمالم من سوق الجمال، فمن لم يحضر ورقة مباشرة مكس سوق الجمال نكل به وغرمه مالا، فأضر ذلك بكثير من الجمالة، وتعطل حجاجهم عن الحج، وعادوا من البركة إلى القاهرة، ومنها أنه عمل بعد ذلك دائرة كبيرة بمال كبير حملوه إليه، واقتدى به من بعده من الوزراء في ذلك، صار يخرج إلى بركة الحج في كل سنة، ويطلب المقومين بأوراق المكس، ولما قبض عليه، وقف التجار إلى الأمير الكبير برقوق، فرسم برد ما أخذ منهم أبناء مكانس، فردا عليهم المال. هذا مع تظاهر

(١) أرعوس جمع الرأس في القلة ويقال رعوس في الكثرة والمقصود هنا أرعوس من الخيل

مكسورة. انظر القاموس المحيط.

(٢) قيسارية : بلد على ساحل بحر الشام، تعد في أعمال فلسطين، بينها وبين طرية ثلاثة أيام.

انظر: معجم البلدان ٤/٤٢١.

(٣) قيسارية جهاركس بنا هذه القيسارية الأمير فخر الدين جهاركس سنة ٥٩٢. انظر المواعظ

بنى مكانس بالفسق على أنواعه تظاهرا بغير احتشام، وبقاء نسائهم وبناتهم على النصرانية، واستخفاف رجالهم بكتاب الله ودينه ورسوله.

وفيه خلع على الصاحب تاج الدين النشو المالكي، وأعيد إلى الوزارة.

وفي ثامن عشرينه: خلع على الصاحب شمس الدين أبى الفرج عبد الله المقسى، وأعيد إلى نظر الخاص، وخلع على علم الدين عبد الله بن الصاحب كريم الدين بن غنام، واستقر فى نظر الأسواق.

وفي ثالث ذى القعدة: خلع على علم الدين يحيى طباهجة بن رزق الله، بن إبراهيم ابن الفخر، واستقر فى نظر الدولة، عوضا عن الفخر بن مكانس.

وفي ثانى ذى الحجة: قبض على سلام بن التركية - أمير عرب البحيرة^(١) فسجن بخزانة شمائل من القاهرة.

وفيه استقر ناصر الدين أحمد بن جمال الدين محمد^(٢) بن قاضى الإسكندرية شمس الدين محمد بن محمد بن عطا الله التنسى المالكي فى قضاء مدينة الإسكندرية، عوضا عن عز الدين الربعى.

وفي سادسه: نقل الأمير كُرْجى الشمسى من ولاية قلوب إلى ولاية الغربية.

وفي سابعه: خرج الأمير إينال اليوسفى أمير سلاح، وألان الشعبانى، وأحمد بن يلبغا، وطبج الحمدي، وأقتمُر العثمانى، وطَقْتُمُر، وطَقْتُمُش، وأَطْلَمِش الطازى، وطُغَاى تَمُر القبلاوى، فى عدة وافرة، لقتال عرب البحيرة ففروا منهم وعادوا بعد ما وصلوا إلى الفيوم^(٣) وقد ساقوا أنعاما كثيرة جدا. ولما وصل ركب الحجاج إلى مكة بلغهم قدوم حمل من اليمن، وكسوة للكعبة^(٤) فمنع الأمير قرا دمرداش حجاج اليمن

(١) البحيرة: كورة معروفة من نواحي الإسكندرية بمصر، تشتمل على قرى كثيرة ودخل واسع. (انظر معجم البلدان ٣٥١/٢).

(٢) أحمد بن محمد بن محمد بن محمد الزبيرى الإسكندراني، المالكي، ناصر الدين بن التنيسى: قاضى من أهل الإسكندرية - نسبه إلى تنيس، من أعمال تلمسان وله «مختصر ابن الحاجب»، وشرح «الكافية». انظر رفع الإصر ١٠٧/١، والضوء ١٩٢/٢ والأعلام ٢٢٥/١.

(٣) الفيوم: بمصر، وهى ولاية غربية بينها وبين القسوطا أربعة أيام بينهما مفازة لا ماء بها ولا مرعى مسيرة يومين وهى فى منخفض الأرض كالدارة. انظر معجم البلدان ٢٨٦/٤.

(٤) كسوة الكعبة: كان حاكم بنى رسول فى اليمن فى تلك السنة هو الملك مهد الدين

من دخول مكة، فلم يزل الشريف أحمد بن عجلان^(١) يتوسط بين حاج اليمن وحاج مصر حتى دخل أهل اليمن بمحلهم، ووقفوا بعرفة، ولم تكن فتنة بمحمد الله، فلما كسا الأمير قرا دمرداش الكعبة في يوم النحر على العادة، خرج من مكة عائداً إلى مصر.

وفي سادس عشره: استدعى الأمير الكبير برقوق القضاة وشيوخ العلم، وتحدث معهم في حل الأراضي الأوقاف على الجوامع والمساجد والمدارس والخوانك والزوايا والربط وعلى أولاد الملوك والأمراء وغيرهم وعلى الرزق الأحباسية، وكيف يجوز بيع أراضي مصر والشام الخراجية على بيت المال، وأحضرت أوراق بما أوقف من بلاد مصر والشام، وبما تملك منها - ومبلغها في كل سنة مال كبير جدا - فلما قرئت على من قد حضر من الأمراء وأهل العلم، قال الأمير برقوق: «هذا هو الذي أضعف جيش المسلمين». فقال قاضي القضاة بدر الدين محمد بن أبي البقاء: «هما جيشان جيش الليل، وجيش النهار»، فأخذ الشيخ أكمل الدين في الكلام مع الأميرين بركة وبرقوق في ذلك باللغة التركية، حتى غضبا منه، فقال بعضهم لشيخ الإسلام سراج الدين عمر البلقيني «لم لا تتكلم؟» فقال: «ما استفناني أحد حتى أفتيه». فأشار له الأمير برقوق أن يتكلم، فطال كلامه على عاداته، وملخصه «أن أوقاف الجوامع والمساجد والمدارس والخوانك، التي هي على علماء الشريعة وفقهاء الإسلام، وعلى المؤذنين وأئمة الصلوات ونحو ذلك، لا يحل لأحد أن يتعرض بحلها بوجه من الوجوه، فإن للمسلمين حق لم يدفع إليهم، وإلا فانصبوا لنا ديوانا نحاسبه على حقنا، حتى يظهر لكم أن ما نستحقه أكثر مما هو موقوف علينا، وأما ما وقف على عويشة وفطيمة، واشترى من بيت المال بحيلة أن يؤخذ المال صورة ثم يعاد، فإنه يحتاج إلى أن ينظر في ذلك، فإن كان قد أخذ بطريق شرعي، فلا سبيل إلى نقضه، وإن كان غير ذلك نقض». فقال ابن أبي البقاء: «يا أمراء، أنتم أصحاب الشوكة، والأمر لكم». فقال له البلقيني «اسكت ما أنت وهذا؟». فسأل الأمير بركة والأمير برقوق بن أبي البقاء «من أين يشتري السلطان هذا؟» فقال: «الأرض كلها للسلطان». فقال له البدر محمد بن البلقيني - قاضي العسكر - «كيف تقول هذا؟ من أين للسلطان ذلك؟ وإنما هو كأحد الناس». فقال البلقيني: «يا أمراء أنتم تأمرون القضاة، فإن لم يفعلوا ما ترسموا به عزلتموهم، كما

(١) أحمد بن عجلان بن رميثة بن أبي نعي: من أشرف مكة. حسني، يكنى أبا سليمان استقل بإمارة مكة بعد وفاة أبيه سنة ٧٧٧هـ واستمر بها إلى أن توفي وكان كريماً حسن السيرة، رغب كثير من التجار في أيامه بسكنى مكة لعدله، انظر العقود اللؤلؤية ١٨٧/٢ والدرر الكامنة ٢٠٢/١ و خلاصة الكلام ٣٣/٣٤ والأعلام ١/٦٦٨.

جرى لشرف الدين بن منصور مع الملك الأشرف، لما لم يفعل له ما أراد، عزله، ثم انفضوا وأخرجوا عدة أوقاف وأقطعوها إقطاعات.

وفيه خلع على شهاب الدين أحمد الدفري المالكي، واستقر مفتى دار العدل.

وفيه أخرج الأمير سودون العلوي، والأمير بهادر الأشقتمري، منفيين إلى صغد.

وفي ثاني عشرينه: استقر الأمير منكلي بغا البلدي في نيابة صغد^(١) عوضاً عن أقبغا الجوهري، واستقر الأمير [...] ^(٢) في ولاية منفلوط^(٣).

وفي خامس عشرينه: قدم الأمير قرا دمرdash أمير مجلس من الحجاز.

وفيه وجد الأمير الكبير برقوق ورقة فيها «أن غلام الله يريد أن يكبس عليك في صلاة الجمعة بماتى عبد»، فطلب غلام الله ورسم عليه وسجن بخزانة شمائل، ووقع التحرز بحيث أمر خطيب مدرسة السلطان في يوم الجمعة سابع عشرينه أن يعجل في الخطبة، وقبض على جماعة العبيد وكثر الأرجاف بكبس الجوامع - في يوم الجمعة هذا - وقتل العامة، فنودي بالأمان.

وفيه استقر أوحد الدين عبد الواحد بن إسماعيل بن ياسين - موقع الأمير الكبير برقوق - في نظر خزانة الخاص، بعد موت علاء الدين علي بن عرب، وقدم البريد بأن الأمير تمر باي الدمرداشي - نائب حلب - سار بالعسكر الحلبي وعدة من عسكر دمشق وحماة إلى جهة سيس^(٤) وقد كثر فساد طائفة التركمان الأحمقية والأعاجرية، حتى قرب من مدينة إياس^(٥) أتاهم من أمراء التركمان نحو الأربعين بهدية، وسألوا الأمان لأصحابهم، والتزموا بالدرك على العادة، فقبض عليهم وقيدهم، وركب في الحال إلى بيوتهم بمن معه، فنهب أموالهم، وسبى حريمهم، وقتل رجالهم، وارتكب منهم كل قبيح، وعاد فجمع التركمان جماعتهم، وكنوا للعسكر بمضيق يقال له باب الملك -

(١) صغد: مدينة في جبال عاملة مطلة على حمص بالشام وهي جبال لبنان. (انظر معجم البلدان ٤١٢/٣).

(٢) بياض في الأصل.

(٣) منفلوط: بلدة بالصعيد بغربي النيل بينها وبين شاطئ النيل بعد. انظر معجم البلدان ٢١٤/٥، ٢١٥.

(٤) سيس: بلد هو اليوم أعظم مدن الثغور الشامية بين أنطاكية وطرسوس. انظر: معجم البلدان ٢٩٧/٣.

(٥) مدينة إياس: مدينة على الشاطئ الجنوبي الشرقي لآسيا الصغرى وكان الميناء الرئيسي لمملكة ألمانيا الصغرى.

على شط البحر - وأوقعوا بهم، فهلكوا ما بين غريق وقتيل، ولم ينج منهم إلا طريح أو جريح، أو من نجا بخاصة نفسه - وقليل ما هم - وحاز التركمان من المال والآلات والخيول والجمال والأسلحة ما يجلب وصفه من ذلك ثلاثون ألف جمل بأحماها، وثلاثة عشر ألف رأس من الخيل غالبها مسرجة ملحمة إلى غير ذلك، فكان هذا أيضاً من الوهن في الدولة، فإن التراكمين كانوا للدولة بمنزلة السور عليها، ويتحصل منهم في كل سنة عشرات آلاف من الغنم، يؤخذ منهم عن زكاة أغنامهم يقال له «العداد»، وينال أهل حلب منهم منافع لا تحصى، وإذا نذبهم السلطان لحرب بادروا إلى امتثال أمره، وعدوا ذلك طاعة وعبادة، فصيرهم سوء التدبير وكثرة الظلم، أعداء للدولة تقتل رجالها وتنهب أموالها وتستولي على أعمالها، والله عاقبة الأمور.

واتفق أيضاً للحاج في عودهم محن شديدة، من موت الجمال وتزايد الأسعار، فلما نزلوا بالأزم - وفي ظنهم أنهم يجدوا ما جرت به العادة من الشعير والبشماط المحمول إليهم من القاهرة - فلم يجدوا شيئاً من ذلك، وذلك أن العربان تعرضت للإقامات تريد نهبها، فلم تتجاوز مغارة شعيب، فاشتد الأمر على الحاج، وعلفوا جمالهم بما معهم من زادهم الذي هو قوتهم، وانقطع كثير منهم في الطرقات جوعاً وتعباً، وبلغت الويبة الشعير إلى خمسين درهما فضة، ثم تزايد سعرها حتى بلغت مائة درهم، وغلاة عامة ما يباع أيضاً.

وفيها أعيد البرهان إبراهيم الصنهاجي إلى قضاء المالكية بدمشق، عوضاً عن علم الدين القفصي، وأعيد فتح الدين أبو بكر بن عماد الدين أبي إسحاق بن إبراهيم جمال الدين أبي الكرم محمد بن الشهيد إلى كتابة السر بدمشق، عوضاً عن بدر الدين محمد ابن مظهر، وأعيد الجلال محمد بن محمد بن عثمان الزرعي إلى قضاء الشافعية بحلب، عوضاً عن الكمال عمر بن عثمان المعري، وأعيد شمس الدين محمد بن أحمد بن مهاجر إلى كتابة السر بحلب، عوضاً عن ابن أبي الطيب.

* * *

ومات في هذه السنة من الأعيان

الشيخ أحمد بادار العجمي نزيل القاهرة بالقدس وقد عمى وأناف على السبعين، وكانت له أحوال عجيبة، وللناس فيه اعتقاد.

ومات الأمير أطلَمِش الدوادار أحد أمراء الألو، في ربيع الآخر بدمشق، وقد أخرج إليها على إمرة بها.

وتوفى الفقير المعتقد صالح بن نجم بن صالح نزيل منية السيرج، فى يوم الأربعاء خامس عشر رمضان، وكان يُقصد للتبرك بزيارته.

وتوفى الشيخ ضياء الدين عبيد الله بن سعد الله العفيفى القزوينى، المعروف بقاضى قرم، شيخ الخانكاه الركنية بيسرس، فى يوم الإثنين ثالث عشرين ذى الحجة، وقد تصدى للتدريس على مذهب الشافعى وأبى حنيفة، وإقراء النحو والأصول وغير ذلك عدة سنين، وانتفع به جماعة كثيرة، مع صدق فى الديانة، وتواضع وبر وخير كثير.

وتوفى الفقير المعتقد عبد الله الجيرتى الزيلعى، فى ليلة الجمعة سادس عشر المحرم، وقيمه يزار بالقرافة.

وتوفى جمال الدين عبد الله بن مختار فى تاسع صفر.

وتوفى علاء الدين على بن عبد الوهاب بن عثمان بن محمد بن هبة الله بن عرب، محتسب القاهرة، فى ثالث عشر ذى الحجة بمكة، بعد قضاء الحج ودفن بالمعلا.

ومات الأمير علاء الدين على بن كلفت، شاد الدواوين، فى جمادى الآخرة وهو عائد من حلب إلى دمشق، وكان عفيفا لا يقبل رشوة أحد.

وتوفى الشيخ أبو عبد الله محمد^(١) بن أبى العباس أحمد بن على بن جابر الهوارى الأندلسى، النحوى الأديب بحلب عن سبعين سنة، وهو علامة وقته فى الأدب والنحو والتصريف، مع كثرة العبادة، وكان هو ورفيقه أبو جعفر كالحالدين، لا يزالان سفرا وحضرا، وله مصنفات، ومن شعره:

وقفتُ للسوداع زينبُ لما رَحَل الركبُ والمدامعُ تُسَكَّبُ
فالتقتُ بالبَّنانِ دَمعى وحُلُوٌّ سَكَّبُ دَمعى على أصابعِ زَيْنَبُ

وتوفى مسند الوقت صلاح الدين محمد بن أحمد بن إبراهيم بن عبد الله بن الشيخ أبى عمر المقدسى، آخر من بقى من أصحاب ابن البخارى، فى شوال بصالحية دمشق، حدث بمسند أحمد وغيره.

(١) محمد بن أحمد بن على بن جابر الأندلسى الهوارى المالكى، أبو عبد الله، شمس الدين: شاعر، عالم بالعربية أعمى: من أهل المرية صحبه إلى الديار المصرية أحمد بن يوسف الغرناطى الرعينى فكان ابن جابر يؤلف وينظم والرعينى يكتب. واشتهر بالأعمى والبصير وله «بديع العميان - ط» (ومقصورة - خ). انظر مفتاح السعادة ١٥٦/١ وبغية الرعاة ١٤ ونفح الطيب ٦٦٨/٢ ثم ٧٦٨/٤ وأعلام النبلاء ٧٧/٥ والدرر الكامنة ٣٣٩/٣ وكشف الظنون والكتبخانه ٦٧٩/٧ والأعلام ٣٢٨/٥.

ومات الأمير شرف الدين موسى بن محمد بن شهري، نائب سيس، بعد عوده من القاهرة إليها، وكان فقيها شافعيًا أذن له في الفتيا، وكتب الخط المنسوب، وله ترجمة.

ومات الأمير شرف الدين موسى بن الأزكشي، في سادس عشر من ذى القعدة، بالمحلة من قرى مصر، بعد ما ولى استادارا ومشيرا في الأيام الأشرفية.

وتوفى الفقيه المعتقد نهار المغربى بالإسكندرية، في يوم الثلاثاء حادى عشر جمادى الآخرة.

ومات المقرئ حافظ الدين أبو عبد الله محمد بن تاج الدين إبراهيم بن سنبلكى بن أيوب بن قراجا، المقرئ بن الجمال يوسف القصيرى الحنفى، أخذ القراءات عن ابن نصحان، وبرع فى القراءات وغيرها، وولى قضاء العسكر بحلب، ثم بدمشق، ثم انقطع بداره حتى مات عن نيف وسبعين سنة.

* * *

سنة إحدى وثمانين وسبعمائة

فى حادى عشر المحرم: قبض على غلام الله مهتار - الطشت خاناه السلطانية - بعدما أفرج عنه، وأعيد إلى خزانة شمائل، وسبب ذلك أن الأمير قُرط - متولى أسوان (١) - وجد عدة سيوف قد بعث بها من القاهرة، مكتوب عليها غلام الله، وهى مُتوجه بها إلى أولاد الكنز، فأحضرها معه لما قدم.

وفى سابع عشره: سُمر رجلان من أولاد الكنز، وطيف بهما القاهرة ومصر، ثم وسطا، وهذا أيضًا مما أوجب وهن الدولة، فإن قُرط لشدة عسفه وكثرة عتوه أوجب خروج أولاد الكنز على الطاعة، وكثرة فسادهم، حتى خرجت أسوان من أيدي الدولة، ثم خربت.

وفيه قبض على الأمير قُرط وصوره وأخذ منه مال كثير، فإنه كان قد ساءت سيرته وشرهه فى أخذ أموال الرعية، ثم أفرج عنه.

وفى هذه الأيام كثر تخوف العامة من أن يركب عليهم الأمير بركة، ويبنذل فيهم السيف ويقتلهم، وأغلقوا حوانيت معاشهم من أول الليل، ثم أمر والى القاهرة بقبض الزعر والعبيد، فتطلبهم بعدة مواضع، فازداد خوف العامة، حتى نودى على لسان الأمير الكبير برقوق بالأمان، وأن «من سخركم يا عوام اقبضوا عليه، واحضروا به إلى الأمير الكبير» فاطمئنوا، وكان برقوق دائما يقصد التجبب إلى العامة، ويذب عنهم، حتى أحبوه وتعصبوا له.

وفى رابع عشرينه: قدم محمل الحاج، وقد تأخر عن عادته لما بالحجاج من المشقة. وفيه خلع على الأمير قُرط، واستقر نائب الوجه القبلى، وخلع على ولده حسين بولاية قوص (٢) فانفرد بالتحكم فى بلاد الصعيد بأسرها من الجيزة إلى بلاد النوبة. وفيه خلع على الأمير بلوط الصرغتمشى، فاستقر نائب الإسكندرية، عوضا عن بزّار الناصرى، ونفى بزّار إلى الشام.

وفى سابع عشرينه: أفرج عن غلام الله.

(١) أسوان: مدينة كبيرة وكورة فى آخر صعيد مصر وأول بلاد النوبة على النيل فى شرقه انظر معجم البلدان ١/١٩١.

(٢) قوص: هى مدينة كبيرة عظيمة واسعة قسبة صعيد مصر، بينها وبين الفسطاط اثنا عشر يوما. انظر معجم البلدان ٤/٤١٣.

وفى رابع صفر: عزل قاضى القضاة بدر الدين محمد بن أبى البقاء عن الحكم.

وفى هذا الشهر استقر عز الدين يوسف بن محمود بن محمد الرازى^(١) فى مشيخة الخانكاه الركنية ببيرس، عوضاً عن الشيخ ضياء الدين القرمى، وفى درس الحديث بالمنصورية، فافتضح بين الناس لجهله بالحديث.

وفى رابع صفر عزل قاضى القضاة بدر الدين محمد بن أبى البقاء عن الحكم وخرج الأمير فخر الدين إياس أمير أخور على البريد لإحضار قاضى القضاة برهان الدين إبراهيم بن جماعة من القدس.

وفى سابعه: أزم الطواشى مثقال الجمالى الزمام بإظهار ذخاير الملك الأشرف، فدل على صندوق فى موضع من الدور السلطانية، فوجد فيه مبلغ ثلاثين ألف دينار، ثم أشار إلى موضع آخر، فوجد فيه خمسة عشر ألف دينار وپرنية^(٢)، بها جواهر، منها فص عين الهر، زنته ستة عشر درهماً، ثم عوقب فلم يعترف بشيء، ووجدت أوراق عند بعض جوارى الملك الأشرف بخطه، تتضمن أماكن أمواله وتفصيلها فاعتبرت، فإذا تلك الأموال قد أخذت من بعده، ولم يتأخر منها سوى مبلغ ثلاثين ألف دينار، وعلبة بها جواهر، وعلبة بها لؤلؤ عند الأمير طشتمر الدوادار، فأفرج عن الزمام مثقال.

وفى يوم الأربعاء ثانى عشرينه: قدم قاضى القضاة برهان الدين إبراهيم بن جماعة من القدس، فركب الأمير بركة إلى لقائه، وبالغ فى التأدب معه، والتواضع له، وسار به حتى طلع إلى الأمير الكبير برقوق، فأجله، وقام بواجب حقه، وأنزله بصهريج الأمير منجك^(٣) تحت القلعة، فلما أصبح نهار الخميس ثالث عشرينه استدعى به إلى حضرة السلطان بقلعة الجبل، وخلع عليه، واستقر قاضى القضاة على عادته فى الأيام الأشرفية، ونزل وفى خدمته من أمراء الدرك ثلاثة عشر أميراً، منهم دوادار السلطان، وركب معه قضاة القضاة وأعيان الناس، وأشعلت القاهرة لنزوله بالشموع والقناديل، وكان يوماً عظيماً إلى الغاية فى كثرة جمع الناس لمشاهدته، فأرضى من يومه شيخ

(١) يوسف بن محمود بن محمد الرازى الظهرانى فقيه. كان شيخ خانقاه الشيخونية بالقاهرة وله (كشف الحقائق - ط) فى شرح الكنز. انظر الزيتونة ٤/٢١٠ ودار الكتب ١/٤٥٧ والأزهرية ٢/٢٤٣ وهدية ٢/٥٥٨ والأعلام ٨/٢٥٣.

(٢) البرنية: إناء من خزف. انظر القاموس المحيط.

(٣) جامع منجك تحت قلعة الجبل خارج باب الوزير وكان الأمير منجك اليوسفى أنشأ هذا الجامع فى سنة إحدى وخمسين وسبعمائة وصنع فيه صهريجاً فصار يعرف بصهريج منجك. انظر المواعظ ٢/٣٢٠.

الإسلام سراج الدين عمر البلقيني وصاحبه من نفره كانت بينهما، ونزل له عن وقف السيفي^(١)، بالقبة المنصورية، عوضا عن تدريس الشافعي، وأركبه بغلة رائعة بقماش فاخر.

وفي هذا الشهر: رفع أهل منوف على متوليههم عدة مرافعات، فطلبه الأمير الكبير برقوق، وبعث بالكشف عليه، فعادوا عليه بشناعات، فضربه بالمقارع، وألزمه أن يقوم للناس بما أخذ من أموالهم.

وفيه ألزم الأمير بركة جميع الأمراء أن يأتوه بالكلاب، وقرر على كل أمير عدداً من الكلاب، وألزم أرباب الحوانيت أن يحضر كل صاحب حانوت كلباً، فتبعت الكلاب بالقاهرة ومصر وظواهرها، وقد كانت كثرت إلى الغاية في الأزقة والشوارع، فأخذت من كل موضع وعدى بها النيل إلى بر الجزيرة، فكان يباع كل كلب بدرهم، وقيلت قبي ذلك عدة أشعار.

وفيه فرق الميدان تحت القلعة على الأمراء، وألزموا بعزقه وتنظيفه، فإنه كان قد هجر منذ زالت الدولة الأشرفية حتى توحش، فعادت إليه نضارته.

وفي رابع شهر ربيع الأول: أخذ قاع النيل فكان ستة أذرع وعشرين إصبعا.

وفي سادس عشره: خلع على الأمير محمد بن قرطاي الكركي، واستقر نقيب الجيش، عوضا عن على خان بن قرمان.

وفي ثامن عشره: قدم البريد بأن أقبغا عبد الله وقطلوبغا جركس وأطنبغا شادي، وأسنبغا الأجاوي ناروا في جماعة من المماليك مجلب يريدون قتل نائبها، فلما فطن بهم ركب لحربهم وقتلهم، فانكسروا، وفر أقبغا عبد الله إلى الأمير نعيم بن حيار بن مهنا^(٢) فأجاره.

وفيه ركب الأمير أقبغا صيوان البريد لإحضار الأمير محمد بن أجبغا المظفري من دمشق، واستقراره نائب غزة، عوضا عن تغري برمش، والتوجه بتغري برمش إلى دمشق واستقراره بها أمير مائة مقدم ألف، وكتب باستقرار زامل بن موسى وميعقل بن

(١) وقف السيفي منسوب هذا الوقف إلى المنصور سيف الدين أبي بكر بن الملك الناصر قلاوون. انظر المواعظ ٣٨٠/٢.

(٢) حيار بن مهنا عيسى من آل فضل، من طيئ أمير بادية الشام، آلت إليه الإمارة بعد موت أخيه قياض سنة ٧٦٢ وكان موالياً لسلطين مصر والشام وتابعا لهم فنقضن طاعتهم سنة ٧٦٥ هـ وابتعد في القفر يعيث وينهب. انظر ابن خلدون ٤٣٩/٥، والدرر الكامنة ٨١/٢ والأعلام ٢٨٩/٢.

فضل - ولدى عيسى بن مهنا بن مانع بن حديثة بن غُضَيَّة بن فضل بن ربيعة - فى إمرة العرب، عوضا عن الأمير قار بن مهنا بعد موته.

وفى تاسع عشره: قدم قاصد الأمير ناصر الدين محمد نعيم بن حيار يسأل فى إمرة العرب، وأن ينعم على أقبغا عبد الله بن محمد بناية بعض الأطراف، فقبض عليه وسجن بالبرج من القلعة.

وفيه سار البريد بإحضار الأمير أشقتمُر.

وفى هذا الشهر: استقر شمس الدين محمد الركاكى فى تدريس المالكية بخانكاه شَيْخُو بعد موت ابن مرزوق، واستقر جمال الدين محمود المحتسب فى تدريس الحديث بالمدرسة الصرغتمُشِيَّة، عوضا عن ابن مرزوق، واستقر شيخنا أبو البركات عوضه فى تدريس القمحية.

وفى أول شهر ربيع الآخر: ركبت سلسلة على فم قنطرة الخور^(١) وعلى قنطرة الفخر^(٢) بموردة الجيش لمنع مراكب المتفرجين من دخول الخليج الناصرى وبركة الرطلى^(٣) من أراضي الطيالة^(٤) بقيام الشيخ محمد صائم الدهر فى ذلك.

وفى ثامن عشره: توجه الأمير سودن باشاه دوادار الأمير بركة إلى مكة، لعمارة الحرم، وأجرى عين عرفة.

وفى تاسع عشره: كبست بيوت كثيرة بحارة الأسرى خارج مدينة مصر، وأريقت خمور كثيرة جدا على يد الأمير مأمور حاجب الحجاب.

وفى عشرينه - وهو ثالث عشر مسرى - : فتح الخليج بعد الوفاء على يد الأمير بركة.

وفيه أراق الأمير بركة حمرا كثيرا من بيوت الأقباط.

(١) الخور هو مصب الماء فى البحر وكان خليج فم الخور يخرج من النيل ويصب فى الخليج الناصرى ليقوى جرى الماء فيه. انظر المواعظ ١٤٤/٢ - ١٤٥.

(٢) قنطرة القمز بموردة الجيش هذه القنطرة بجوار موردة البلاط من أراضي بستان الخشاب برأس الميدان. انظر المواعظ ١٤٨/٢.

(٣) بركة الرطلى هذه البركة حملة أرقى الطيالة وقد عرفت ببركة الطوابين من أجل أنه كان يعمل فيها الطوب. انظر المواعظ ١٦٢/٢.

(٤) أرض الطيالة: هذه الأرض على جانب الخليج الغربى بجوار المقس، كانت من أحسن متنزهات القاهرة انظر المواعظ ١٢٥/٢.

وفي سادس عشرينه: ورد الخبر بأن عربان الصعيد كبسوا على الأمير قرط وقتلوا من عسكره سبعين فارسا، فحاربهم وهزمهم.

وفي أول جمادى الأولى: قدم الأمير أشقتمر المارديني من القدس، فركب الأميران بركة وبرقوق إلى لقائه بالريدانية، وترجلا له، فنزل إليهما وسلم عليهما وسار معهما إلى القلعة، فأنزله الأمير برقوق، وقام له بما يليق به.

وفيه خلع على الأمير سودن الشيخوني، واستقر حاجبا ثالثا.

وفي يوم الخميس رابعه: خلع على الأمير أشقتمر، واستقر في نيابة حلب. وخلع عليه من الغد خلعة السفر، فركب البريد في ليلة الأحد سابعه، وتوجه إلى حلب. وكتب بمجيء تمرباى من حلب^(١) إلى القدس، وإقامته بها.

وفي يوم الإثنين ثامنه: خلع على قاضى القضاة جلال الدين جار الله الحنفى، ورسم له أن يلبس الطرحة في أيام الخدمة السلطانية، كما يلبسها قاضى القضاة الشافعى، وأن يستتبع عنه في أعمال مصر قبلها وبحريها قضاة حنفية وأن يتخذ لأيتام الحنفية مودعا يودع فيه أموالهم، حتى لا يخرج منها زكاة، فشق ذلك على قاضى القضاة برهان الدين إبراهيم بن جماعة، وتحدث في إبطال ذلك، ف عقد مجلس عند الأمير برقوق الكبير بسبب ذلك في يوم الإثنين خامس عشره، حضره الأمراء والقضاة ومشايخ العلم -إلا البلقينى - فقام الشيخ أكمل الدين شيخ خانكاه شيخوخو في إبطال ما أراد الجار بإحداثه، قياما بالغا مع الأمير الكبير، ودار بينه وبين الجار في ذلك كلام غير لائق، فتم للأكمل ما أراد، ورسم بمنع الجار مما طلبه، وكان الفقير المعتمد خلف الطوخى قد اجتمع بالأمير الكبير برقوق بالأمس، وكلمه في إبطال ذلك وبالغ معه فيه. حتى قال له: إن لم ترجع وإلا بيننا وبينك سهام الليل، فانفعل الأمير الكبير لكلامه، وخاف عاقبته.

وفي يوم الإثنين ثانى عشرينه: خلع على قاضى القضاة برهان الدين إبراهيم بن جماعة، واستقر على عادته، وألا يخرج شىء عن حكمه وهذه مرة ثانية سعى العجم في أفراد مودع للحنفية وولاية قضاة حنفية بأعمال مصر.

فلم ينجح سعيهم الأولى في ولاية السراج الهندى، عاقه عن إتمامه مرضه حتى مات، وثانيها هذه فكثرت الشناعة بأنهم أرادوا منع الزكاة وقيلت في ذلك أشعار كثيرة.

وفي ثالث عشرينه: كتب باستقرار الأمير حطط في نيابة حماة^(٢) وخلع على قراجا

(١) حلب: بلدة عظيمة قديمة ذات قلعة مرتفعة حصينة. انظر تقويم البلدان ٢٩٩/١.

(٢) حماة: مدينة كبيرة من أعمال حمص، بينهما وبين شيرز نصف يوم وبينها وبين دمشق خمسة =

العلاى أحد مقدمى الحلقة، واستقر فى ولاية الجيزة بإمرة عشرة.

وفى أوائل جمادى الآخرة: فاض الخليج الناصرى، وأغرق عدة بساتين وأغرق كدوم الريش وما حول تلك الأراضى بحيث صارت لجة ماء.

وفى خامسه: أفرج عن الأمير بيدمر الخوارزمى من سجن الإسكندرية، وتوجه ليقيم بالقدس.

وفى تاسعه: قدم الأمير أقبغا عبد الله طائعا، فخلع عليه. واستقر نائب غزة بعد وفاة محمد بن ألبغا.

وفيه خلع على محمد بن أياز الدوادارى، واستقر فى نيابة الوجه القبلى عوضا عن قرط. وخلع على أحمد بن غرلو، واستقر فى ولاية البهنسا^(١) وكل ذلك بمال التزما به. وانتهت زيادة ماء النيل إلى إصبعين من عشرين ذراعا، ورسم لقاضى القضاة جلال الدين جار الله الحنفى بعزل نائبين من نوابه بالقاهرة، وهما جمال الدين عبد الرحيم ابن الوراق وزين الدين السكندرى أما ابن الوراق فإن امرأة اعترفت عنده بانقضائه عدتها بسقط تخلق، فحكم به، ثم ادعت ثانيا بعد ذلك على مطلقها عنده أنها حامل منه، فقرر عليه فرض الحمل، وهذا غير مذهبه.

وأما السكندرى فإن رجلا احتفى به خوفا بطش الأمير مأمور الحاجب، كما جرت العادة بأن من خاف جور من يعتدى عليه يركن إلى قاض من القضاة، فيصير فى حماية الشرع النبوى ما أقام، ولا يجسر أحد على أخذه من ذلك القاضى، احتراماً له وتعظيماً لحرمة الدين، فشكى الأمير مأمور ذلك إلى الأمير الكبير برقوق، فرسم بعزله، وطلب الرجل المحتفى بالقاضى، وضربه ضرباً مبرحاً بالمقارع، هو وولده وشهرهما بالقاهرة، ونودى عليهما: «هذا جزاء من يتجاهى على الحاجب». فكان هذا أيضاً من الحوادث التى لم تعهد، واتضع بها جانب القضاة، وانيسطت أيدي الحجاب فى الأحكام بما تهوى أنفسهم، وزين لهم شيطانهم بغير علم ولا دين يزعمهم.

وفى شهر رجب: اتفقت حادثة مستغربة، وهى أن بعض من يتكسب بتحمل الشهادة بجلوسه فى حوانيت الشهود من رحبة باب العيد^(٢) بالقاهرة، يعرف بالشهاب

= أيام للقوافل، بينها وبين حلب أربعة أيام. انظر ياقوت، معجم البلدان ٢/٣٠٠، ٣٠١.

(١) البهنسا: مدينة بمصر من الصعيد الأردنى غربى النيل وتضاف إليها كورة كبيرة. انظر معجم

البلدان ١/٥١٦، ٥١٧.

(٢) رحبة باب العيد هذه الرحبة كانت عظيمة فى الطول والعرض يقف فيها العساكر فارسها=

أحمد بن الفيشى، من الحنفية دخل إلى منزله بالقرب من الجامع الأزهر، فسمع صوتاً من جدار بيته يقول له: «اتق الله، وعاشر زوجتك بالمعروف» فظن أن هذا من الجان، فإنه لم ير شيئاً، وحدث أصحابه بذلك فصاروا معه إلى بيته، فسمعوا الكلام من الجدار، فسألوا عما بدا لهم، فأجابهم المتكلم من غير أن يروا شيئاً، فغلب على ظنهم أن هذا من الجان، وأشاعوه في الناس، فارتجت القاهرة ومصر، وأقبل الناس من كل جهة إلى بيت ابن الفيشى لسماع كلام الحائط، وصاروا يحادثون الحائط بزعمهم ويحادثهم، فكثر بين الناس قولهم: «يا سلام سلم الحائط بيتكلم»، وكاد الناس أن يفتنوا بهذا، وجليوا إلى ذلك الجدار من الطيب شيئاً كثيراً، وحضرت العذراء من خدرها إليه. فركب محتسب القاهرة جمال الدين محمود العجمي إلى بيت ابن الفيشى هذا، ليختبر ما يقال، ووكل بابن الفيشى أحد أعوانه، فإذا بالبيت مرتفع، وتحت اصطبل فيه بعض الأجناد، فوكل به أيضاً، وطلع إلى عند الحائط، وحدثه فحادثه، فأمر بهدم الحائط، فقال له: «اخرب فإنه ما ينزل على شىء، ولا أبالي» فلما هدم الحائط لم ير شيئاً، فعاد إلى بيته وقد كثر تعجبه، وازدادت فتنة الناس بالحائط وأخذ المحتسب مع أصحابه في ذكر ذلك فبعث من يكشف له الخير: هل انقطع الكلام بعد تخريب الحائط أو لا؟ فوجده قاصده يتكلم كما كان قبل خرابه، فتحير من ذلك، وكان هذا المحتسب شهماً جريئاً، قد مارس الأمور وحلب الدهر أشطره، ولاحظته مع ذلك السعود، فلا يتحرك حركة إلا حمد عليها، ولا باشر جهة وقف إلا عمر خرابه، وأنفق على مستحقيه معاليمهم بعد تأخر صرفها لهم. وإذا باشر حسبة القاهرة رخت الأسعار، فإذا عزل ارتفعت، فتقف العامة وتطلب عوده لسعادة جده، ويمن إقباله. ومع ذلك فكان كما قيل «نفس عصام سودت عصاما» فلما عاد قاصده إليه وأخبره بأن الكلام مستمر، قام من فوره ومعه عدة من أصحابه، حتى جلسوا عند الجدار، وأخذوا في قراءة شىء من القرآن، ثم طلب صاحب البيت، وقال له: «قل لهذا المتكلم: القاضى جمال الدين يسلم عليك». فقال: «يا سيدى الشيخ القاضى يسلم عليك». فقال الجدار: «وعليه السلام ورحمة الله وبركاته». فقال المحتسب: «قل له إلى متى هذا أنساد». فأجابه: «إلى أن يريد الله تعالى» فقال لصاحب البيت: «قل له: هذا الذى تفعله فتنة للناس، وهذا ما هو جيد».

فأجابه: «ما بقى بعد هذا كلام»، وسكت وهم يقولون له «يا سيدى الشيخ» فلم

=وراجلها فى أيام موكب الأعياد ينتظرون ركوب الخليفة وخروجه فى باب العيد. انظر المواعظ

يكلمهم بعدها.

وكان في صوته غلظ يوهم أنه ليس بكلام إنس، فلما أيس من مكالمته قام عنه وقد اشتدت فتنة الناس بالحائط، حتى كادوا يتخذوه معبودا لهم، وغلوا فيه كعادتهم، وزعموا له ما شاءوا من ترهاتهم، وكان ذلك يوم الإثنين ثاني عشره. ثم ذلك عاد إلى الحديث مع الناس، فنزل إليه عدة من الأمراء والأعيان، وحملوا إليه المأكلا. وغيرها إلى يوم الإثنين ثالث شعبان، والمحتسب يدبر في كشف هذه الحيلة.

ودس إلى الفيشى من استدرجه حتى اعترف بأنها حيلة، فركب المحتسب في يومه، ومعه جماعة إلى بيت الفيشى، وقبض عليه وعلى امرأته وعلى فقير عندهم للناس فيه اعتقاد، يعرف بالركن عمر، وعاد بهم إلى داره، وما زال والمرأة إلى أن أعلمته أنها هي التي كانت تتكلم، وسبب ذلك أن ابن الفيشى زوجها كان يسىء عشرتها، فاحتالت عليه بهذه الحيلة، توهمه بأن الجان توصيه بها، فتمت حيلتها عليه وانفعل لها، فأعلمته بما كان منها، فرأى أن تستمر على ذلك لينالا به جاها ومالا، فوافقته على ذلك حتى كان ما كان.

فركب وأعلم الأمير الكبير بقول المرأة وأخذها وزوجها والشيخ عمر معه، فضرب الأمير الكبير الرجلين بالمقارع، وضرب المرأة بالعصى نحو من ستمائة ضربة، وأمر بهم فسمروا ثلاثتهم على جمال، وشهروا بالقاهرة ومصر في يوم الإثنين هذا، فكان يوما شنيعا عظم فيه بكاء الناس على المرأة، فإنها أركبت على الحمل، ومدت يداها، وسمرتا في الخشب، وهي بإزارها ونقابها، ولم يعهد قط امرأة سمرت.

واتفق نزول المحسب بخلعة خلعت عليه، فكثر دعاء العامة امتعاضا عليها- أى على المرأة.

وكان قبل ذلك قد طلع ابن الفيشى هذا إلى الأمير الكبير وعلى رأسه طيلسان^(١) صوف، وقدم له شيئا من كعك، قال له: «الشيخ محمد شيخ الحائط أرسل لك هذا»، وأخذ بيده يد الأمير وقبض عليها وهزها وقال له: «اتق الله وأعدل في الرعية».

فانفعل بكلامه، ومشى ذلك عليه، ثم طلع إليه بعده الشيخ عمر الركن، وكان مشهورا، قد انقطع بسطح جامع عمرو بن العاص من مصرا نحو من ثلاثين سنة، والناس تتردد إليه ما بين أمير ورئيس وغير ذلك، ويلتمسون بركة دعائه، إلى أن اشتهر

(١) طيلسان: ضرب من الأوشحة. انظر المعجم الوجيز ٣٣٩.

كلام الحائط فأتى إلى ابن الفيشى ولزمه ، وجمع عليه الناس، فلما رآه الأمير الكبير أكرمه، وأخذ هو فى خزعبلاته، وانصرف،

فلما طلع بهما إليه المحتسب اشتد غضبه عليهما، لما تبين له من محرفتهما، وانكشفا عن حيلة شنيعة أوقع بهما ما أوقع.

ومما اتفق فى هذه الحادثة أن امرأة ابن الفيشى هذه رأت فى منامها قبل هذه الحادثة بأيام أنها تخطب على منبر، فعبره لها بعض من عاصرناه من حذاق المعبرين بأنه يحصل لها شهرة قبيحة، فإن المرأة ليس من شأنها ركوب المنابر، وتعاطى الخطب، فكان كذلك، وركبت الجمل يوما كاملا، وهى مسمرة كأنها تعظ الناس بلسان حالها، نعوذ بالله من سوء القضاء.

وفى سادس عشرينه: استقر الأمير كرجى فى ولاية الشرقية، عوضا عن على القرمى، وأخرج من السجن حتى خلع عليه بمال التزم به.

وفى يوم الإثنين رابع عشرينه: ركب الأمير الكبير برقوق من الحراقة، حيث سكنه من الاصطبل، ومضى نحو مطعم الطيور الجوارح بالريديانية خارج القاهرة.

وكان الأمير إينال اليوسفى - أمير سلاح - قد انقطع بداره على أنه مريض، ونزل الأمير الكبير حتى عاده، فركب ومعه الأمير سودن جركس المنجكى والأمير صصلان الجمالى، والأمير سودن النوروزى، والأمير جمق الناصرى فى عدة من المماليك، وقصد إلى الإصطبل، فطلع إلى الحراقة، وملك بيت الأمير الكبير برقوق وقبض على الأمير جركس الخليجى، فمال أصحابه على ما هناك من العدد والآلات والأموال ينهبوها، وبعث إينال بقمارى الخازندار فى طلب السلطان لينزل إلى الإصطبل، فلم يوافق على ذلك، فألبس من بالاصطبل من مماليك برقوق السلاح، ووعدهم بأموال جمّة ينفقها فيهم، وأمر بالكوسات فدقت حربيا بالطبلخاناه من القلعة. وطار الخبر إلى الأمير برقوق، فأيس من الحياة، وكاد ينهزم، إلا أن الأمير أيتمش البجاسى شجعه وعاد به إلى بيته تحت القلعة، وأنزله فيه، وجمع عليه مماليكه وألبسهم آلة الحرب. وركب به فى عدة وافرة، وأخرج معه من باب الوزير يريد القلعة، فلم يشعر إينال حتى وافاه وقد تفرق عنه أصحابه فى نهب ما وجدوه، وغصت الرميطة تحت القلعة بالعامه، فهموا برجمه، ظنا منهم أن أيتمش قد خامر مع إينال، عصبية منه للأمير برقوق.

فصاح بهم أيتمش «يا جماعة، هذا أخوكم برقوق معنا» وأشار إليه وقد تلثم، فقالوا: «حتى نرى وجهه» فأماط لثامه، وقال لهم: «يا إخوتى، هذا وقت المروءة

والعصية». وكان كثير الدهاء والمكر، فثاروا ثورة واحدة وصرخوا جميعا: «امش قدامنا». فسار وهم حوله كالجراد المنتشر، حتى وقف على باب سر الاصطبل أضرموا فيه النار وأحرقوه وتسلق الأمير قرط الكاشف وقد لحق برقوق ونزل إلى الاصطبل، حتى فتح الباب، فدخلوا منه جميعا، وقاتلوا أصحاب إينال، فمال معهم من كان من أصحاب برقوق هناك، فاشتد القتال وجرح الأمير إينال في عنقه بسهم رمى به، فانهزم إلى بيته، فبعث الأمير برقوق من قبض عليه، وحمله إليه وسجنه. وهذا والأمير بركة غائب في الصعيد، وتتبع الأمير برقوق أصحاب إينال، فقبض عليهم، ونودى في القاهرة على ممالك إينال فقبض منهم على عدة.

وحمل الأمير إينال مقيدا إلى الإسكندرية، هو وسودن جركس، وسجنا بها، وفر برهان الدين إبراهيم بن اللبان في هذه الواقعة إلى بلاد التكرور^(١) وذلك أنه كان قد قبض عليه بسبب مال الأمير قرطاي ثم أفرج عنه. فلما ملك إينال الاصطبل، صعد إليه، وأسمع الأمير جركس ما يكره، فخاف على نفسه، وضافت به أرض مصر.

وفي ثامن عشرينه: قدم الأمير بركة من سرحة البحيرة^(٢) فخرج الأمير الكبير برقوق وتلقاه، فنزلا جميعا عن فرسيهما وتعانقا فرحا بالسلامة، وعادا، فأمر بزينة القاهرة ومصر، فزينا.

وفيه قبض على الأمير جمق - أحد العشرات - وعلى الأمير أربك، وسجنا، وأخرج الأمير قطلوبغا الكوكاي منفيا إلى الشام.

وفي ثاني شهر رمضان: أنعم على كل من يذكر بإمرة طبلخاناه، وهم الأمير قرط ابن عمر التركمانى، وشاهين الصرغتمشى، ومجلس النوروزى، وطوجى العلاى، وقردم الحسنى، وأنعم على كل ممن يذكر بإمرة عشرة، وهم: أقبغا الناصرى - رأس نوبة الأمير برقوق - وكمشيفا، وبكبلاط الصالحى، وطوجى.

وكتب باستقرار الأمير منكلى البلدى فى نيابة طرابلس^(٣) عوضا عن يلبغا الناصرى، ورسم بإحضار الناصرى إلى قلعة الجبل.

وفي يوم السبت سابعه: شهر رجلان بعدما ضربا، وأركبا جملا، وظهر أحدهما

(١) أطلق اسم بلاد التكرور على السودان الغربى. انظر معجم البلدان. ١١٨/٢

(٢) البحيرة: كورة معروفة من نواحي الإسكندرية بمصر، تشتمل على قرى كثيرة ودخل واسع.

انظر معجم البلدان ٣٥١/٢.

(٣) طرابلس: انظر معجم البلدان ٢٦٠، ٢٥/٤.

إلى ظهر الآخر، ونودى عليهما بالقاهرة ومصر: «هذا جزاء من يتحدث فيما لا يعنيه». وكان سبب ذلك أن أحدهما يعرف بالكمال ابن بنت الخروبي، من أهل مصر، معروف بقلّة العقل والفقر من المال، تحدث مع الأمير خضر رأس نوبة الأمير بركة أن يستقر في الوزارة، وعين رجلا من آحاد معلمى المماليك القراءة لنظر الدولة، وعين رجلا من آحاد الجنند يقال له كراى بن خاص ترك لشد الدواوين، وعين آخر لنظر الجهات، وآخر من أطراف العامة لتقدمة الدولة، ووعد على ذلك بمال عظيم، وضمن تكفية الدولة ستة أشهر، فأتقن خضر الأمر مع أستاذه الأمير بركة، حتى لم يبق إلا وقوع ذلك فى الخارج، وجهاز له تشريف الوزارة، ففطن به الوزير وجماعة الخرابرة التجار، وقد بلغهم عنه أنه عينهم فيمن عين لأخذ أموالهم، وعرفوا أهل الدولة بحاله، فقبض عليه الأمير الكبير برقوق، وضربه وجرسه هو ورفيقه، وفر بقية أصحابه.

وفى عاشره: قدم الأمير يلبغا الناصرى، وأنعم عليه بإقطاع الأمير إينال، واستقر أمير سلاح.

وفى تاسع عشرينه: خلع على محمد بن طاجار، واستقر فى ولاية الغربية، عوضاً عن أيدمر السيفى، وخلع على خان، واستقر فى ولاية قوص.

وفى سابع شوال: خلع على محمد بن الجلبى، واستقر فى ولاية منفلوط عوضاً عن بيرم، كل ذلك بمال التزموا بالقيام به من مظالم العباد.

وفى يوم الثلاثاء خامس عشره: قبض على رجل ادعى النبوة، وأنه النبى الأمى، وأنه مصدق بنبوة نبينا ﷺ.

وزعم أن حروف القرآن تنطق له مع أنه أمى، وأن الذى يأتيه بالوحى جبرائيل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل ورضوان ومالك ودرديائيل، وزعم أنه عربى من مصر وأنه أرسل بقتل الكفرة، وأن الترك يحكموه ويملكوه عليهم، وأنه أنزل عليه القرآن فسجن عند المجانين بالمارستان، ثم أخرجّه الأمير بركة وسأله عن نبوته، فأخبره، فأمر به فضرب حتى رجع عن قوله، ثم أفرج عنه بعد أيام، وكنت أراه زمانا طويلا، وله سمت وينمسة^(١).

وحدثنى عنه بعض الثقات أنه كان يتلو عليه من قرآنه لنفسه به، ثم فقدناه.

وفى ثانى عشرينه: عوقبت دادة السلطان حتى أظهرت قبع السلطان الذى عمله له

(١) والينمسة: المكر والخداع والتلبيس. انظر لسان العرب.

أبوه الملك الأشرف عند ختانه، وطراز ذهب، وطشت من ذهب، وهذه الثلاثة مرصعة بجواهر نفيسة، وأظهرت أيضاً تركة أم السلطان الملك المنصور على.

وفيه خرج الأمير تمرغا الحاجب على البريد، بتقليد الأمير نُعَيْر بن حيار بن مهنا إمرة العرب، عوضاً عن زامل ومُعَيْل.

وفيه أخرج أسنُبغا القوصوني، من أمراء العشرات، منفيًا.

وفيه أراد الأمير بركة أخذ مال أولاد ابن سلام التاجر، وأولاد ابن الأنصاري، وكان شيئاً كثيراً، فركب إليه قاضي القضاة برهان الدين إبراهيم بن جماعة، وما زال به حتى رجع عن ذلك.

وفي أول ذي القعدة: رسم بإحضار الأمير بزلار، الذي كان متولى الإسكندرية.

وفيه قام المحتسب جمال الدين العجمي على الشيخ زين الدين عمر بن مسلم بن سعيد بن عمر القرشي، وكان قد قدم من دمشق وعمل ميعادا للوعظ بالجامع الأزهرى، وظهر عن حفظ جم للأحاديث النبوية، وتفسير القرآن العزيز، من أجل أنه اتهم بأن لازم ما يورده من الأحاديث أنه يثبت الصفات الإلهية، وأقام شخصاً ادعى عليه بشيء من هذا، ورسم عليه وعلى ولده عدة أيام، فقام قاضي القضاة برهان الدين إبراهيم بن جماعة فى نصرته، وكف يد المحتسب عنه، ومنعه من التعرض له.

وفى عشرينه: قدم الأمير بزلار.

وفى يوم الأربعاء سابع عشرينه: طلب الأمير بركة الوزراء المعزولين، وهم: كريم الدين عبد الكريم بن الرويهب، وكريم الدين شاکر بن غنام، وكريم عبد الكريم بن مكانس وقد ظهر من اختفائه.

وأمر بابن الرويهب فنزعت عنه ثيابه ليضربه، ثم أعاد ثيابه عليه ولم يضربه، وأخرجه منفيًا إلى طرسوس، وجرّد ابن مكانس من ثيابه، وضربه عريانا بالمقارع نحو العشرين شيبًا، وألزم ابن غنام بمال، فكذب خطه أن كل ما يملكه فهو للسلطان، وكان للأمير أيتمش البجاسى به عناية، فلم يأخذ منه شيء، وأخرج إلى القلنس منفيًا. ثم أفرج عن ابن مكانس بشفاعة الأمير يلغا الناصرى فيه. واتهم الوزير المالكي بأنه الحامل للأمير بركة على هذا. وقدم البريد بتجمع التراكمين لقصّد أخذ ملطية^(١) فركب الأمير طاش البريد لكشف الخير.

وفى يوم السبت ثانى ذى الحجة: خلع على محمد بن سليمان - من مقدمى الحلقة -

(١) ملطية: بلدة من بلاد الروم المشهورة، مذكورة تتاخم الشام وهى للمسلمين. انظر، معجم

واستقر في ولاية الأشمونين^(١) وعلى أستبغا المنحكي، واستقر في ولاية الفيوم، عوضاً عن الركن. وسلم الركن للمقدم سيف، ليستخلص منه المال.

وفي يوم الأربعاء ثالث عشره: خلع على بهاء الدين باد الكردي - أحد الطيردارية - واستقر في ولاية القاهرة، عوضاً عن الأمير حسام الدين حسين على بن الكوراني، وسلم حسين لشاد الدواوين على مال، فباع ثيابه، ثم أفرج عنه في خامس عشره.

وفي يوم السبت سادس عشره: استعفى الأمير أيتمش البجاسي من نظر خانكاه سرياقوس^(٢)، فأعفى، وخلع على الأمير مأمور الحاجب، واستقر عوضه في نظرها.

وفي عشرينه: خلع على معين الدين محمد بن عبد الله بن أبي بكر الدماميني السكندري، واستقر في نظر الأسواق، عوضاً عن علم الدين بن غنام.

وفي ثالث عشرينه: خلع على بيرم، واستقر في ولاية الغربية، عوضاً عن محمد بن طاجار، وخلع على الأمير قادوس، واستقر في ولاية الأشمونين عوضاً عن محمد بن العادلي، وخلع على ابن العادلي، واستقر في ولاية منوف^(٣) عوضاً عن أبي بكر بن خطاب كل ذلك بمال يقومون به، إذا صاروا إلى الأعمال، فكانوا يجبون الناس من أهل النواحي أولاً، ويسمون ذلك القدوم، فيفرض الوالي على كل بلد قدرًا من المال، ثم إذا جبي ذلك، أخذ في تحصيل المال من المظالم، وبينما هو في ذلك إذ استقر غيره في عمله بمال التزم به، فيقبض عليه، ويحاط بماله من خيل وخام وثياب وآلات وغير ذلك مما قد استدانه بأضعاف ثمنه، ويُعاقب على بقية ما تأخر عليه. فعندما يجد، وهو في العقوبة، سبيلاً إلى عوده إلى عمله أو عمل آخر، وعد بمال واستمر فيه، وسلط على الناس بسفك دمائهم، وبضرب أبقارهم^(٤) وبأخذ مالهم، فأخذ إقليم مصر في الاختلال بهذا السبب.

وفي هذا الشهر: جرت عين الأزرق المستمدة من عين نُقْبَة وعين ابن رَحَم من عرفة إلى البركتين خارج باب المعلاة^(٥) بمكة المشرفة. واستجدت ميضأة عند باب بني شيبه، وربع وحوانيت، وأصلحت زمزم وحجر إسماعيل والميزاب، وسطح الكعبة. كل ذلك على يد الأمير باشاه، دوادار الأمير بركة.

وفيه حضر إلى القاهرة طائفة ما بين رجال ونساء، ذكروا أنهم ارتدوا عن الإسلام،

(١) الأشمونين: قصبة كورة من كور الصعيد الأدنى غربى النيل. انظر معجم البلدان

(٢) سرياقوس: بلدة في نواحي القاهرة بمصر. انظر معجم البلدان ٢١٨/٣.

(٣) من قرى مصر القديمة، لها ذكر في فتوح مصر. انظر معجم البلدان ٢١٦/٥.

(٤) أبقارهم جمع بشر وهو ظاهر جلد الإنسان انظر القاموس المحيط.

(٥) المعلاة بالفتح ثم السكون موضع بين مكة وبدر. انظر معجم البلدان ١٨٨/٥.

وقد كانوا قبل ذلك على النصرانية، يريدون بارتدادهم التقرب إلى المسيح بسفك دمائهم، فعرض عليهم الإسلام مرارا فلم يقبلوا، وقالوا: «إنما جئنا لتطهر وتقرب بنفوسنا إلى السيد المسيح» فقدم الرجال تحت شباك المدرسة الصالحية بين القصرين، وضربت أعناقهم، وعرض الإسلام على النساء، فأبين أن يسلمن، فأخذهن القاضى المالكى إلى تحت القلعة، وضرب أعناقهن، فشنع الفقهاء على القاضى المالكى ضرب أعناق النساء، وأنكروا عليه ذلك.

وفيه قدم أيضا بعض رهبان النصارى وقدم في الإسلام، وأصر على قبيحه، فضربت عنقه، وكان هناك ثلاث نسوة، فرفعن أصواتهن بقلقة ألسنتهن، كما تفعل النساء عند فرجهن، واستبشارا بقتل الراهب، وأظهرن شغفا به، وهياما لما جرى له، وصنعن كصنيعه، من القدح في الإسلام، وأردن تطهيرهن بالسيف أيضا. ثم ضربت رقبة رفيق الراهب في يوم الجمعة ثانی عشرينه تحت شباك الصالحية، وضربت رقاب النسوة الثلاث من الغد، يوم السبت ثالث عشرينه تحت القلعة بيد الأمير سودن الشيخونى الحاجب، وأحرقت جثثهن بحكم أنهن ارتددن عن الإسلام، وأظهرن أنهن فعلن هذا لعشقهن في الراهب المذكور. وكان يعرف بأبى نَفِيقَةَ. ولم نسمع فى أخبار العشاق خيرا أغرب من هذا، ثم جاء بعد ذلك رجل من الأجناد على فرس، وقال للقاضى: «طهرنى بالسيف، فإنى مرتد عن الإسلام» فضرب وسجن.

وفيه عزم الأمير بركة على السفر لمحاربة التركمان، وقد عاد للكشف عن أخبارهم بخروجهم عن الطاعة، ثم اقتضى رأى أن يتولى محاربتهم الأمير يئدُمُ الخوارزمى، فرسم بإحضاره، وخرج الأميران برقوق وبركة وسائر الأمراء إلى لقائه، وترجلوا له جميعا حتى الأميران، وأتوا به إلى منزل أعد له، وحملت له تقادم كثيرة جدا، وخلع عليه، واستقر فى نيابة الشام على إعادته عوضا عن كمشبغا الحموى، واستقر الأمير طَشْتَمُ السيفى فى نيابة حماة (١) بعد وفاة الأمير حَطَطَ.

وفيه قتل محمد بن مكى داعية الرفضة تحت قلعة دمشق.

وفيه قطع الوزير الملكى معالم الناس ومرتباتهم على الدولة، ومنع مباشرى الجهات من المباشرة، ظنا منه أنه تمشى أحواله بما وفره من ذلك، فبلغ الأمير الكبير برقوق ما عمله، فسأله عن مقدار ما وفره، فأخبره بمبلغه، فأخرج عن الوزارة بلادا يتحصل منها

(١) حماة: مدينة كبيرة من أعمال حمص، بينها وبين شيرز نصف يوم وبينها وبين دمشق خمسة

أيام للقوافل، وبينها وبين حلب أربعة أيام. انظر معجم البلدان ٢/٣٠٠، ٣٠١.

بقدر ما وفره، فعاد ذلك عليه بضرر كبير، فإن الوزراء كانوا يوفرون من ذلك معلوم من استضعفوا جانبه، ليتوسعوا به، ففات الملكى ذلك، وباء بقبح القالة، ومقت الناس له.

* * *

ومات في هذه السنة ممن له ذكر

برهان الدين إبراهيم^(١) بن شرف الدين أبى محمد عبد الله بن محمد بن عسكر بن مظفر بن نجم بن شادى بن هلال الطائى الطريفى، الشهير بالقيراطى، الأديب الشافعى، بمكة فى ليلة الجمعة العشرين من شهر ربيع الآخر، ومولده يوم الأحد حادى عشرين صفر سنة ست وعشرين وسبعمائة.

وتوفى الشيخ شرف الدين أحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عسكر البغدادى المالكى، بعدما عمى، فى يوم الأربعاء سادس عشرين شعبان بالقاهرة، ومولده ببغداد فى سنة سبع وتسعين وستمائة. ودرس بالمستنصرية، ثم قدم الشام، وولى قضاء المالكية بدمشق، بعد الجمال المسلاتى، سنة تسع وخمسين، ثم صرف فى سنة ستين، وسكن القاهرة، وولى نظر خزانة الخاص، ثم صرف عنها بابن عرب، فلزم بيته حتى مات.

ومات الأمير حَطَطَ اليلغاوى نائب حماة فى جمادى الآخرة.

ومات الأمير حاجى بك، من أمراء الطبلخاناه.

وتوفى الشيخ المعتقد حسن الصبان المغربى، فى ثانى عشرين ربيع الأول بعدما أقعد. وتوفى الفقير المعتقد صالح الجزيرى فى رابع عشر ربيع الأول، ودفن بزاويته من جزيرة أروى، المعروفة بالجزيرة الوسطى.

وتوفى شيخ القراء تقى الدين أبو الفضل عبد الرحمن بن أحمد بن على، المعروف بابن البغدادى^(٢)، الواسطى الأصل، بالقاهرة، فى يوم الخميس تاسع صفر. ومولده سنة ثلاث وسبع مائة.

(١) برهان الدين إبراهيم بن شرف الدين أبى محمد عبد الله بن محمد بن عسكر بن مظفر بن نجم ابن شادى بن هلال الطائى الشهير بالقيراطى شاعر من أعيان القاهرة، اشتغل بالفقه والأدب، وجاور بمكة فتوفى فيها، وله ديوان شعر، وسماه مطلع النيرين-ط ومجموع أدب اسمه الوشاح المفصل-ط. انظر الدرر الكامنة ٣١/١ وشذرات الذهب ٢٦٩/٦ والأعلام ٤٩/١.

(٢) تقى الدين أبو الفضل عبد الرحمن بن أحمد بن على (ابن البغدادى) (٧٠٢-٧٨١هـ= ١٣٠٢-١٣٧٩م). عبد الرحمن بن أحمد بن على بن على بن المبارك، أبو محمد، ابن البغدادى: مفسر فى الديار المصرية. من كتبه اختصار البحر المحيط لأبى حيان فى التفسير، و«شرح الشاطبية». انظر غاية النهاية ٣٦٤/١ والدرر الكامنة ٣٢٣/٢ والأعلام ٢٩٥/٣.

ومات الأمير قارا بن مهنا^(١) بن عيسى بن مهنا بن مانع بن حديثة بن غضية بن فضل بن ربيعة، أمير آل فضل.

ومات الأمير ناصر الدين محمد بن ألبغا العادلي نائب غزة وقد استعفى، ورجع إلى دمشق في سلخ جمادى الآخرة، وهو في عشر الخميس بشقحب، فدفن بدمشق.

وتوفى الفقيه شمس الدين أبو عبد الله محمد بن محمد بن محمد بن أحمد بن أبي بكر ابن محمد بن مرزوق العجيسى التلمساني المغربي المالكي، وزير المغرب، ومدرس الفقه بالمدرسة الخانكاه الشيخونية، ومدرس المدرسة القمحية، في يوم الجمعة ثامن شهر ربيع الأول بالقاهرة.

وتوفى بهاء الدين بن يوسف بن عبد الله بن قريش، شاهد ديوان أولاد الناصر حسن، في ثاني عشرين جمادى الآخرة.

ومات شيخنا ناصر الدين محمد بن يوسف بن علي الحراوى الكردي الطبردار، في ثامن عشر ربيع الأول.

ومات الأمير مامق، أحد أمراء الطبلخاناه، في يوم الخميس ثالث شعبان، ودفن بترية أنشأها له الأمير الكبير برقوق تحت دار الضيافة.

ومات الطواشي افتخار الدين ياقوت الرسولى، شيخ خدام الحجرة النبوية، في ليلة سابع عشرين شهر رمضان، وكان خيرا صالحا.

ومات الأمير ساطلمش الجلالى بدمشق فى ذى القعدة، وهو من أبناء السبعين.

ومات شمس الدين محمد بن أحمد بن مظهر، أحد موقعى دمشق، وأخو بدر الدين كاتب السر بها فى شوال عن نحو أربعين سنة.

* * *

(١) قارا بن مهنا بن عيسى بن مهنا بن مانع بن حديثة بن غضية بن فضل بن ربيعة، أمير آل فضل فى بادية الشام والعراق. آلت إليه زعامتهم، ومات بأرض «السر» من عمل حلب وكان حسن السيرة. انظر الدرر الكامنة ٣/٢٣٦ والأعلام ٥/١٧١.

سنة اثنتين وثمانين وسبعمائة

فى يوم الإثنين ثانى المحرم: خلع على الركن متولى الفيوم^(١) واستقر فى نيابة الوجه القبلى، عوضا عن محمد بن إياز الدوادارى، بمال كبير التزم به. وخلع على الأمير بيْدْمُر نائب الشام خلعة السفر، وسار إلى دمشق ومعه الأمير خضر متسفرا على العادة، وقدم الريد من حلب بكثرة جمائع التركمان، واتفقهم على قصد البلاد الحلبية.

وفى تاسعه: أعاد الأمير بركة الأمير أقبغا صيوان إلى استادارته، وعزل عنها الأمير صلاح الدين خليل بن عرام.

وفى عاشره: خلُع على السيد الشريف على، وأعيد إلى نقابة الأشراف، بعد وفاة الشريف عاصم.

وفيه حمل جهاز خوند ابنة الأمير طَشْتُمُر إلى الأمير الكبير برقوق، فبنى عليها ليلة الجمعة حادى عشر.

وفى تاسع عشره: خلُع على محمد بن طاجار، واستقر فى ولاية البهنسى، عوضا عن أحمد بن غرلوا.

وفى رابع عشرينه: ضرب الأمير بركة الوزير المالكى نحو السبعين ضربة بالعصى، ثم خلع عليه من الغد، ونودى بأن أحدا لا يتجاهى عليه.

وفى عشرينه: خلع على أبى بكر بن خطاب، واستقر فى ولاية منوف^(٢).

وفى آخره: قدم الريد من حلب، بأن رجلا قام يصلى بقوم، فتعرض له شخص يعبث به، فتمادى فى صلاته ولم يقطعها حتى سلم منها فى آخرها، فتحول وجه الشخص الذى عبث به وجه خنزير، ومر على وجهه هاربا إلى غابة بالقرب من ذلك المسجد، فغيرها.

وفى يوم الإثنين ثامن صفر: قدم الأمير خضر - متسفر الأمير بيْدْمُر نائب الشام - وعرض ما أنعم به عليه، وهو مبلغ مائتين ألف درهم فضة عنها خمسة عشر ألف مثقال

(١) الفيوم: بمصر، وهى ولاية غربية بينها وبين القسطنطين أربعة أيام بينهما مفازة لا ماء بها ولا مرعى مسيرة يومين وهى فى منخفض الأرض كالدارة انظر ياقوت، معجم البلدان ٤/٢٨٦.

(٢) منوف: من قرى مصر القديمة، لها ذكر فى فتوح مصر. انظر معجم البلدان ٥/٢١٦.

من الذهب، وعشرة أروس من الخيل بسروج ذهب وكنائيش ذهب وسلاسل ذهب، وعشرة أروس خيل بقماش دون ذلك، وثمانون أكديش عربيا، ومائة ناقة، ومائة وخمسون جملا، وعشرون مملوكا، وعشرون جاريا، وخمسون بقجة فيها ثياب الصوف وأنواع الفرو من السمور والقاقم والسنجاب، والقوط والثياب القطنية، من النصافي^(١) والبلبكي، وغير ذلك.

وفي عاشره: شهرت امرأة على رأسها طرطور أحمر، ونودي عليها: «هذا جزاء من تنزج برجلين في وقت واحد».

وفي سابع عشره: بعث الأمير بركة إلى الأمير برقوق بأن الأمير أَيْتَمَش قد ألبس مماليكه حربيا، فكشف عن ذلك فلم يظهر له صحة، وطلع أَيْتَمَش إليه وأقام عنده خوفا من الفتنة، فتددت الرسل بينهم في الصلح مرارا، حتى ركب بينهما الشيخ أكمل الدين، والشيخ أمين الدين الخلوي، وقررا الصلح، ونزلا بالأمير أَيْتَمَش إليه، فخلع عليه الأمير بركة.

وفيه اتفق شيء يُستغرب، وهو أن رجلا من الفرنج خاصم شخصا على مال ادعى به عليه بين يدي الأمير بركة، فلم يثبت له عليه شيء، فغضب، وأخرج سكينًا، وضرب بها بلبان الترجمان، فقتله في موقف الدعوى بين يدي الأمير بركة، لمحضرة الملاء العظيم من الناس، ولم يخش عاقبة، فأمسك وسمر على لطليظة، فدور على الجمل، ثم قطعت يده ورجلاه، وأحرق خارج القاهرة.

وفي ليلة الجمعة تاسع عشره: لبس الأمير بركة السلاح، هو ومماليكه، ولبس الأمراء أيضا، وباتوا في اصطبلاتهم على احتراز، فلما أصبح نهار يوم الجمعة، طلب الأمير الكبير برقوق القضاة ومشايخ العلم، وندبهم للدخول بينه وبين الأمير بركة في الصلح، مكيدة منه ودهاء، فما زالوا يترددون بينهما عدة مرار، حتى وقع الصلح على دخن^(٢) وحلف كل منهم لصاحبه، ونزعوا عنهم السلاح، فبعث الأمير برقوق بالأمير أَيْتَمَش إلى الأمير بركة، فنزل إليه وفي عنقه منديل، ليفعل ما يريد من قتل أو حبس أو غير ذلك، وخضع له خضوعا زائدا، فلم يجد بركة بدا من الإغضاء عنه وقبول معذرتة، وخلع عليه، وأعادته إلى الأمير برقوق، والقلوب ممتلئة حنقا، ونودي في القاهرة بالأمان، وفتح الأسواق، فسكن انزعاج الناس.

(١) النصافي: نصفه وجمعها نصافي، قماش من الحرير أو الكتان.

(٢) دخن: جاء في القاموس المحيط أن الدخن محرقة الحقد، وهدة على دخن محرقة أى سكنون

وفى يوم الإثنين ثانى عشرينه: خلع على قضاة القضاة الثلاث: برهان الدين إبراهيم ابن جماعة الشافعى، وجلال الدين جار الله الحنفى، وناصر الدين نصر الله الحنبلى، وخلع على الشيخ أكمل الدين محمد الحنفى شيخ الشبخونية؛ لكونهم سعوا فى الصلح بين الأميرين والتزم الأمير بركة بأنه لا يتحدث فى شىء من أمور الدولة. وأن يستقر الأمير الكبير برقوق متحدثا فى جميع الأمور بمفرده، وانفضوا من الخدمة السلطانية بالقصر على هذا، فشق على علم الدين سليمان البساطى المالكى حرمانه من لبس الخلعة، وكثرت الإشاعة بعزله، وكانت شائعة، فوعده بمال على استقراره، حتى استقر، وخلع عليه فى يوم الخميس ثالث ربيع الأول.

وفيه أنعم على الأمير بُزْلاز الناصرى بإمرة طبلخاناه، وعلى الأمير محمد بن قرطاي الكركى بإمرة عشرة.

وفى يوم السبت خامسه: ولد للأمير الكبير برقوق ولد ذكر من جاريتة أزدو، فسماه، محمدا، وأخذ فى عمل مهم عظيم لولادته. هذا، وهو والأمير بركة كل منهما يدبر فى العمل على الآخر. وسبب ذلك أنه لما كانت فتنة الأمير إينال مع الأمير برقوق وقبض عليه، عتبه على ما كان منه، فاعتذر بأن الأمير أيتمش اتفق معه، هو وعدة من الأمراء، على ذلك، فجمع بينه وبين أيتمش لثقة الأمير برقوق به، فظهر أن الاتفاق إنما كان بينهما على أن يأخذوا الأمير بركة وحواشيه، فبلغ ذلك بركة فأسرهما فى نفسه، وأراد غير مرة القبض على أيتمش، وبرقوق يدافعه عنه، فتوحش ما بينهما إلى الغاية، إلى أن عزم أيتمش على القيام بالحرب، ففطن به بركة واستعد له، فكاده برقوق بما كان من خير الصلح الذى تقدم ذكره، هذا مع ما كان بين الأميرين بركة وبرقوق من التحاسد الذى لا بد منه غالبا بين الشريكين، فإنهما قاما بتدبير أمور الدولة. ومن طبع كل أحد من الملوك الانفراد بالمجد ومحبة الاستئثار بالملك.

فلما كان يوم الإثنين سابعه: ركب الأميران بركة وبرقوق فى عامة الأمراء، وسيرا إلى جهة قبة النصر خارج القاهرة، وعاد كل منهما إلى منزله، فمد الأمير برقوق سماط المهم لولادة ولده محمد، وطلع إليه الأمير صراى الطويل الرجبى - من إخوة بركة - وأسر إليه فيما قيل بأن «الأمير بركة قد اتفق مع جماعته على اغتيالك فى وقت صلاة الجمعة» ثم طلع الأمير أيتمش وغيره من الأمراء لحضور السماط، وتأخر الأمير بركة عن الحضور، وبعث من إخوته الأمير قرادمرdash الأحمدى، أمير مجلس، والأمير طبع المحمدي، والأمير أقمتر الدوادار، فهنوا الأمير الكبير بتجدد ولده محمد. وجلسوا على

السماط وأكلوا حاجتهم منه. فلما انقضى السماط، أشار الأمير برقوق إلى الأمير جركس الخليلي، والأمير يونس النوروزي دواداره، فقبضا على صراى الطويل وقرادمرdash وطبج وأقتمرُ العثماني الدوادار، وألبس مماليكه فى الحال آلة الحرب، وبادر بإرسال الأمير بزلار الناصرى إلى مدرسة السلطان الملك الناصر^(١) حسن فى عدة معه، فملكها وصعد إلى منارتها، ورمى بالنشاب على الأمير بركة، فإنهما يشرفان على بيته. وقد بلغه القبض على إخوته، فلبس وألبس مماليكه حربيا. وفى الحال نادى الأمير برقوق فى العامة «عليكم بيت بركة فانهبوه». فجاء منهم خلق كالجراد المنتشر إلى بيت بركة من جهة بابه الذى بالرميلة تجاه باب السلسلة، وقد أغلق، فأضرموا فيه النار حتى احترق، وهجموا عليه، فلم يثبت لهم والرمى عليه من أعلى مأذنتى مدرسة حسن، وخرج بمن معه من باب سرداره، ومر إلى باب زويلة، فدخله، وشق بمن معه القاهرة إلى باب الفتوح فى عسكر عظيم، وأخذ والى القاهرة حتى فتحه له، وقد أغلق وخرج منه إلى قبة النصر، وكانت بينه وبين أصحاب برقوق وقعة انتصف كل طائفة من الأخرى. وبعث الأمير برقوق إلى الأمير حسام الدين حسين بن الكورانى فأحضره إليه، وولاه ولاية القاهرة، عوضا عن بهاء الدين باد، لمخامرته مع الأمير بركة. فنزل إلى القاهرة وأغلق أبوابها على العادة فى أيام الفتنة، ومنع المماليك من دخولها.

فلما كان الغد يوم الثلاثاء ثامن: أصبح بيت بركة خرابا نبابا^(٢) قد نهبت العامة أخشابه ورخامه، وهدمت عدة مواضع منه، ولم تدع فيه إلا الجدر القائمة، ولا يجد به مالا، ولا حريما، فإنه كان قد استعد للحرب، ووزع حريمه وأمواله فى عدة أماكن.

وفيه نادى الأمير برقوق فى العامة «من قبض على مملوك من ممالك بركة كان له ماله ولنا روحه». وركب الأمير آلان الشعبانى، والأمير أيتمش الجاسى، والأمير قُرطُ التركمانى من جهة الأمير الكبير برقوق، لقتال الأمير بركة فركب إليهم الأمير يلغا الناصرى - من أصحاب بركة - وقاتلهم وكسرهم كسرة قبيحة، قتل فيها جماعة، فباتوا متحارسين، وصار العسكر فريقين، فرقة جراكسة - وهم أصحاب الأمير الكبير برقوق - وفرقة ترك - وهم أصحاب الأمير بركة - فلما أصبح نهار يوم الأربعاء

(١) الملك الناصر حسن بن محمد مدرسة تنسب إلى السلطان الناصر حسن بن محمد وهو من ملوك الدولة القلاوونية بمصر والشام. انظر البداية والنهاية ٢٤٤/١٤ - ٢٧٨ و ٢٧٩ والأعلام ٢١٦/٢.

(٢) نبابا. نب التيس ينب نبا ونبيا ونبابا، ونبب: صاح عند الهياج. وقال عمر لوفد أهل الكوفة، حين شكوا سعدا: ليكلمنى بعضكم، ولا تنبوا عندى نبيب التيوس، أى تصيحوا.

تاسعه، أنزل الأمير برقوق بالسلطان إلى عنده بالحراقة من الاصطبل، ودقت الكوسات حريباً بالطبلخاناه من القلعة، فطلع مماليك السلطان إليه، وأمر بباب القلعة من جهة باب القرافة، فسد بالحجارة، ونودى فى الأجناد البطالة وأجناد الحلقة بطلووعهم إلى السلطان، فطلع جماعة كبيرة، فرقت فيهم أسلحة، أخذت فى الليل من سوق السلاح بالقاهرة، وركزت كل طائفة منهم على تربة من التراب - فيما بين القلعة وقبة النصر - ليرموا من أعلاها أصحاب بركة عند محاربتهم بالسهم، وبالغ حسين بن الكورانى فى حفظ القاهرة، وأخذ الطرقات على من يتوجه إلى بركة بشيء من الأقوات والعلوفات. وقبض على جمال الدين محمود المحتسب، وسجن بالاصطبل من أجل أنه نقل عنه أنه بعث إلى الأمير بركة بمأكل من خبز ولحم وغيره. وتوجه الأمير سودون الشيخونى فى الحاجب إلى بركة بتشريف نيابة الشام، فأحرق به وأعاده أقبح عود، ثم ركب وقت القايلة، وكان الوقت صيفاً، ومعه الأمير يلغا الناصرى من طريقين، وهجما على حين غفلة إلى تحت الطبلخاناه، يريدان الهجوم على القلعة، فتناولت العامة الحجارة يرمونهم بها، ورماهم مع ذلك من بأعلى القلعة بالنشاب، وثبت لهم الأمير آلان فى نحو مائة فارس، فكانت وقعة عظيمة جداً، أبلى فيها أحمد بن هُمز التركمانى ومماليك بركة - وعدتهم ستمائة فارس - بلاء اعظيماً، كسروا فيه أصحاب برقوق عشرين كسرة، يمر فى كل وقعة منها ما يتعجب منه، فلما كثرت عليهم حجارة العامة ونشاب من بالقلعة، تقنطر بركة عن فرسه، فأركبه أصحابه، وعادوا به إلى مخيمهم بقبة النصر مكسوراً، وقد اقتحم أيتمش على يلغا الناصرى بطير^(١) وضربه حتى كاد يأتى على نفسه، وأخذ جاليشه وطبلخاناته، وجرح كثير منهم، وفر منهم الأمير مبارك شاه الماردىنى إلى الأمير برقوق فى طائفة، فلما دخل الليل تفرق عن بركة أكثر من معه، وأشرفت خيول من بقى على الهلاك، من كثرة جراحاتها، أمرهم أن يطلبوا النجاة لأنفسهم، ومضى ومعه الأمير أقبغا صيوان استاداره بعد نصف الليل من قبة النصر إلى جامع المقس^(٢) خارج باب القنطرة من القاهرة، فاختميا به، فدل عليهما بعض من هناك، فبعث الأمير الكبير بيونس النوروزى دواذره إليهما، فأخذهما، وأتى بهما إليه فى يوم الخميس عاشره، فسجنه نهاره عنده، وحمله فى ليلة الجمعة مقيداً إلى الإسكندرية، فسجن بها، وبعث معه بقرا دمرداش، وبأقتمر العثمانى، واستمر باب القلعة فى يوم الجمعة حادى عشره مغلقاً، ولم تصل الجمعة يومئذ بجامع القلعة.

(١) على هامش ط: طير: وجمعه أطبار وهو الفأس من السلاح.

(٢) جامع المقس: انشأه الحاكم بأمر الله الفاطمى على شاطئ النيل بالمقس. انظر خطط

وفيه قبض على الأمير خُضْر، والأمير قراكَسَك، والأمير أَيْدُمُر الخطاى، وأمير حاج ابن مُغَلطَاى، والأمير سوْدُن باشا، والأمير يَلْبَغَا المنجكى، والأمير قرا بلاط، والأمير قرايغا الأبو بكرى، والأمير إلياس الماجارى، والأمير تَمْرَبِغَا السيفى، والأمير يوسف بن شادى، والأمير تَمْرَبِغَا الشمسى، والأمير قُطْلُوبِك النظامى، والأمير أقبغا صيوان الصالحى، والأمير أحمد بن هُمَز التركمانى. والأمير كُزَل القرمى، والأمير طولو تَمْر الأحمدي، والأمير طُوجى الحسنى، والأمير تنكز العثمانى، والأمير قُطْلُوبِك السيفى، والأمير غريب الأشرفى، والأمير يَلْبَغَا الناصرى، وجميع أصحاب بركة وألزامة ومماليكه، فانقضت دولة الأتراك بأسرها، وتبعوا بالأخذ فقتلوا ونفوا وسجنوا، ولقد كانت الجراكسة قبل ذلك تتحدث فيما بينها بأنه يكون فتنة كبيرة ثم تخمد، ويثور بعدها فتنة بينهم وبين الترك ينتصرون على الأتراك فيها بعد وقعة، وتعلو كلمتهم عليهم، وصاروا يتدارسون هذا فيما بينهم، لا يشكون فى وقوعه. فلما كانت حركة الأمير أينال جهرتوا بذكر ذلك، وقالوه من غير احتشام، وأذاعوه حتى تحدث به كبيرهم وصغيرهم، فكان كذلك كما تقدم ذكره، والله عاقبة الأمور.

ومن عجيب ما وقع فى هذه الحادثة العظيمة، أنه لم يركب فيها الأمير برقوق ل حرب ساعة من النهار؛ بل لم يزل فى مكانه، والحرب بين أصحابه وكبيرهم الأمير أَيْتَمَش وبين بركة ومن معه، حتى نصره الله عليهم من غير تعب، وأقامت القاهرة ثلاثة أيام مغلقة الأبواب، إلا أن الخير كثير بالأسواق، ولم يقل سوى الماء فإنه صار ينقل بالقرب من خوخة^(١) أيدغمش، فبلغت القرية نصف درهم، ثم نودى من آخر يوم الجمعة فى القاهرة بالأمان، ونودى «يا عوام إن كنتم راضين بمحتسبى القاهرة ومصر. وإلا عزلناهما». فطلع جمع من الغوغاء إلى تحت القلعة وصاحوا «ما نرضى بهما» فرسم بعزلهما.

وفيه خلع على الأمير أحمد الطرخانى، واستقر فى ولاية الجيزة، ووجدت ذخيرة للأمير بركة فى ضمن مصطبة صغيرة بوسط اصطبله. كان يجلس عليها أحيانا، فيها زنة سبعين قنطارا من ذهب ووجد له عند جمال الدين محمود العجمى - محتسب القاهرة - مبلغ ثلاثة وعشرين ألف دينار.

(١) الخوخة: واحدة الخوخ. والخوخة: كوة فى البيت تودى إليه الضوء والخوخة: مخترق ما بين كل دارين لم ينصب عليها باب، بلغة أهل الحجاز، وعم به بعضهم فقال: هى مخترق ما بين كل شيئين، والمقصود هنا بالخوخة: باب صغير فى بوابة كبرى لسور أو حصن، وحررت العادة أن يخصص هذا الباب الصغير للاستعمال اليومي. انظر الخطط ٤٥/٢.

وفي يوم السبت ثاني عشره: عرضت ممالك بركة على الأمير برقوق، وممالك يلبغا الناصري، فاختر من شاء منهم.

وفيه أفرج عن قراكسك. وطولو ثمر الأحمدي، وتكز العثماني، وأيدمر الخطاي وأمير حاج بن مُغلطاي، ويوسف بن شادي، وقبض على أرسلان دوادار بركة، وسلم هو وأقبغا صيوان وخضر وباشا إلى المقدم سيف، فنوع لهم العذاب أنواعا، وهو يقول لهم «أنتم أخذتم مني ألف ألف وخمسين ألف درهم»، وكانت عقوبتهم بقاعة الصاحب من القلعة، كما هي العادة فيمن يصادر.

وفي ليلة الأحد ثالث عشره: أخرج الأمير يلبغا الناصري مقيدا إلى الإسكندرية، ومعه الأمير طُجج المحمدي، والأمير أطلمش الطازي، والأمير قرابلط. والأمير إلياس، والأمير تمرغا السيفي، والأمير تمرغا الشمسي فساروا جميعا في الحديد حتى سجنوا بها.

وفي نهار الإثنين رابع عشره: خلع على الأمير مبارك شاه السيفي، واستقر في ولاية بلبيس^(١) وخلع على السيد علي نقيب الأشراف، واستقر في حسبة مصر، عوضا عن سراج الدين عمر العجمي، وخلع على شمس الدين محمد الدميري، وأعيد إلى حسبة القاهرة، عوضا عن جمال الدين محمود العجمي وخلع على محمد بن العادلي، واستقر في ولاية الأشمونين^(٢) وأفرج عن الأمير خضر وعن الأمير أرسلان وعن مسافر استادار الصحبة لبركة، على مال قرر عليهم، وأفرج عن الأمير أقبغا صيوان، ثم أخرج بعد أيام هو وخضر إلى الشام منفيين.

وفيه أنعم على كل ممن يذكر بتقدمة ألف وهم: الأمير ناصر الدين محمد بن الأمير الكبير وأنعم عليه بإقطاع بركة، والأمير جركس الخليلي والأمير بززار الناصري والأمير أَلطُنْبغا المعلم، والأمير ألبغا العثماني.

وفي يوم الأربعاء سادس عشره: أخذ قاع النيل، فكان ستة أذرع وست أصابع.

وفي سابع عشره: أنعم على الأمير أطلمش الطازي بطبلخاناه بدمشق، وأخرج إليها. وأنعم على كل ممن يذكر بإمرة طبلخاناه، وهم: تنكز بُغا السيفي، وأقبغا الناصري، وطوجي العلاي، وفارس الصرغتمشي، وكمشُبغا الخاصكي الأشرفي، وتمرغا المنحكي، وسوذن السيفي باق، وأياس الصرغتمشي، وقُطلوبغا السيفي كوكاي، وأنعم

(١) بلبيس: مدينة بينها وبين فسطاط مصر عشرة فراسخ على طريق الشام. انظر معجم

البلدان ٤٧٩/٢.

(٢) الأشمونين: قبة كورة من كور الصعيد الأدنى غربى النيل. انظر معجم البلدان ٢٠٠/١.

على كل ممن يذكر بإمرة عشرة، وهم: بيسر الثمان تَمْرِي، وطنا الكرمي، وبيرم العلاي، وأقبغا اللاجيني، وقوصون الأشرفي.

وفيه خلع على الأمير بهادر الشاطر، واستقر شاد الدواوين، عوضا عن أقبغا الفيل.

وفي ثامن عشره: قدم اليريد بسيف الأمير بيدمر نائب الشام، وذلك الأمير بركة لما خرج إلى قبة النصر، بعث إليه بأخذ قلعة دمشق، والقبض على أكابر أمرائها، وأنه إن انكسر قدم إليه، فركب يرید القبض على الأمراء، وكانوا قد وصل إليهم كساب الأمير الكبير برقوق باحترازهم، وأعلمهم بما كان من مخامرة بركة، وأنه إن قدم إليهم يأخذوه، فاستعدوا، وقام بحرب يبيدُ الأمير محمد بيك، والأمير أحمد بن جرجي الإدريسي، والأمير جنتمُ أخو طاز، والأمير أرغون الأسعردى، مدة ثلاثة أيام، وأعياهم من فى القلعة بالرمي من أعلاها، فانكسر يبيدُ، وقبض عليه وعلى تغرى برمش وجراثيل، والصارم البيدمرى، وعامة حواشى بيدمر، وسجنوا بقلعة دمشق، فسر الأمير الكبير بذلك سرورا كبيرا.

وفيه أفرج عن الأمير أينال اليوسفى من سجنه بالإسكندرية.

وفي يوم الإثنين حادى عشرينه: خلع على الأمير أيتمش البجاسى، واستقر رأس نوبة كبيرا، عوضا عن الأمير بركة. وخلع على الأمير آلان الشعبانى، واستقر أمير سلاح. عوضا عن يلبغا الناصرى. وخلع على الأمير ألتنبغا الجوبانى، واستقر أمير مجلس، وخلع على الأمير ألتنبغا المعلم، واستقر رأس نوبة ثانيا بتقدمة ألف، وخلع على الأمير ألبغا العثمانى، واستقر دوادارا كبيرا بتقدمة ألف، وخلع على الأمير جركس الخليلي، واستقر أمير أخور بتقدمة ألف، وخلع على الأمير بجمان المحمدى، واستقر رأس نوبة صغيرا وعلى كمشبغا الخاصكى الأشرفى، واستقر شاد الشراب خاناه، فصار أرباب الدولة كلهم جراكسة من أتباع الأمير الكبير برقوق.

وفي ثانى عشرينه: خلع على صلاح الدين خليل بن عرام، وأعيد إلى نيابة الإسكندرية عوضا عن بلوط الصرغتمشى، وأنعم عليه بتقدمة وخلع على الأمير شرف الدين موسى بن دندار بن قرمان، واستقر استادار الأمير محمد بن الأمير الكبير برقوق الأتابك، وخلع على ولده دمردان بن موسى واستقر أمير طبر، وكاشف الجيزة.

وفيه قدم الأمير أينال اليوسفى من الإسكندرية، فنزل ناحية سرياقوس، وتوجه منها إلى نيابة طرابلس عوضا عن منكلى بغا البلدى، ونقل البلدى إلى نيابة حلب، عوضا عن أشقتمُ الماردنى، ونقل أشقتمُ إلى نيابة الشام، عوضا عن يبيدُ.

وفيه قدم ناصر الدين محمد بن الدمرداشى محتفظا به، وكان قد مات خطيب أحميم^(١) عن مال كبير، وجعل وصيه الأمير بركة، ووصى له بمال جزيل، حماية لتركته، فشره لأخذ التركة جميعها. وبعث ابن الدمرداشى للحوطة على خلفه، فأوقع بأصحاب الخطيب كل مكروه، فزال دولة بركة وهو فى عقوبتهم، فلم يشعر إلا وقد قبض عليه، وحمل إلى القاهرة فى أسوأ حال، فضرب ضربا عظيما، وأخذ ماله، وأخرج منفيًا إلى الصعيد، واتفق أيضا أن امرأة من مياسير نساء التجار خرجت حاجة، فأشيع أنها ماتت، فأخذ جميع مالها، وعادت إلى القاهرة فلم تعوض عن ذلك بشيء وافتقرت بعد غناها، كما افتقر أولاد خطيب أحميم مع كثرة عددهم وعظم مال أبيهم.

ومات أيضا بعض المماليك السلطانية، وترك أولادا، فأخذ ماله، ولم تعط ورثته شيئا، فكان هذا من الحوادث التى لم تعهد.

وفى ثامن عشرينه: أخرج مبارك شاه الماردىنى - أحد أمراء الطبلخاناه - إلى حماة، أميرا بها.

وفيه خلع على الصاحب شمس الدين أبى الفرج المقسى، واستقر ناظر ديوان الأمير أيتمش. وهذا أيضا مما لم يعهد أن وزيرًا خدّم ديوان أمير.

وفيه رسم للأمير أَلطُنْبُغا الجوبانى أن يجلس بالإيوان فى وقت الخدمة السلطانية ولا يقف.

وفى يوم السبت ثالث شهر ربيع الآخر: ركب الأمير الكبير الأتابك برقوق من الإصطبل، وسير بعد ما كان منذ حركة بركة لم يتحرك من موضعه خوفا على نفسه، فوقف له أهل الرواتب والصدقات المقررة على الدولة، واستغاثوا به على الوزير الملكى أن عوّق حاريهم عن الصرف، فلما عاد إلى الحراقة من الإصطبل طلب الملكى والمقدم سيف، وضربهما وأسلمهما إلى الأمير بهادر شاد الدواوين، ثم أفرج عنهما.

وفى رابعه: قدم الصاحب كريم الدين شاکر بن غنام من القدس، وعظم أمر الأمير الكبير، وانفرد بتدبير الدولة، وصار فى موكب عظيم لم يعهد مثله لأمر قبله.

وفى خامسه: خلّع على صدر الدين بدیع بن نفيس الدوادارى الأسلمى التورى، واستقر شريكا للرئيس علاء الدين على بن صغير فى رئاسة الأطباء.

وفيه أنعم على الأمير مأمور حاجب الحجاب بزيادة فى إقطاعه، وأنعم على الأمير

أحمد ابن الأمير يلبغا الخاصكى بزيادة فى إقطاعه، وخلع على ناصر الدين محمد بن الأسناى شاهد ألبغا الدوادار، واستقر فى نظر الأحباس عوضا عن شمس الدين محمد الدميرى (١) المحتسب، وخرج الريد بإحضار الأمير ناصر الدين محمد بن آقبا آص.

وفى رابع عشرينه: ترك الوزير الملكى الوزارة، ولبس هيئة الزهاد، وأقام بجامع عمرو بن العاص بمصر، فطلب فى يوم الإثنين سابع عشرينه، وسجن بقاعة الصاحب من القلعة، وتولى شاد الدواوين مصادرتة، فعذبه عذابا أليما. حتى هلك تحت العقوبة فى يوم النوروز، ولما قبض عليه خلع على الصاحب شمس الدين أبى الفرج المقسى، واستقر عوضه فى الوزارة مضافا إلى نظر الخاص.

وفيه قدم الخير بخروج بدر بن سلام بعربان البحيرة عن الطاعة، فرُسم أن يجرد لهم من الأمراء أَيْتمش البجاسى، وآلان الشعبانى، وألطنبغا الجوبانى ومأمور الحاجب، وأحمد بن الأمير يلبغا، وبلوط الصرغتمشى، ويزلار الناصرى، وبهادر الجمالى. ومعهم من أمراء الطبلخاناه اثنى عشر أميراً، منهم سوكب الشيخونى، وقرابغا البوبكرى، وبجمان المحمدى، وطغاي تمر القبلاوى ومازى السيفى، وقُرط بن عمر التركمانى، ويدكار السيفى، وبجاس النوروزى، وقرابغا السيفى، وعدة من أمراء العشرات، وطائفة من مماليك الأمير الكبير برقوق، وساروا فى أول جمادى الأولى، فارتفع بدر بمن معه عن البلاد وخرج ابن عرام بعسكر الإسكندرية إلى لقاء الأمراء، فبلغهم أن بدر بن سلام يريد كبسهم ليلا، فتركوا مخيمهم وقصدوا الجهة التى يكون مجىء بدر منها، فأقبل بدر من غير تلك الطريق، وهجم ليلا على مخيم الأمراء، وليس به إلا الغلمان، وقليل من المماليك، فقتل ونهب ومضى، فأدرك الأمير آلان طائفة من أصحابه، فقاتلهم قتالا كبيرا. انكسر منهم مرتين، ثم كانت الكرة له، فقتل منهم جماعة، وقبض على بنى بدران - من أعيانهم - واستولى على كثير مما كان معهم، ولما طال على الأمير أَيْتمش ومن معه السرى (٢) عادوا، فإذا ببدر وجماعته قد عادوا من وقعتهم بمن

(١) محمد بن موسى بن عيسى بن على الدميرى، أبو البقاء، كمال الدين: باحث أديب، من فقهاء الشافعية من أهل دميرة (بمصر) ولد ونشأ وتوفى بالقاهرة كان يتكسب بالخياطة ثم أقبل على العلم وأفتى ودرس. وكانت له فى الأزهر حلقة خاصة، وأقام مدة بمكة والمدينة من كتبه «حياة الحيوان» و«حال الحسان من حياة الحيوان». انظر الفوائد البهية ٢٠٣. وخطط مبارك ٥٩/١١ ومفتاح السعادة ١٨٦/١ والضوء اللامع ٥٩/١٠ والكتبخانه ٢٨٥/٣ والأعلام ١١٨/٧.

(٢) السرى: والسرى: سير الليل عامته؛ وقيل: السرى سير الليل كله، تذكره العرب وتوثقه؛ قال: ولم يعرف للحايانى إلا التأنيث؛ وقول لبيد: قلت: هجدنا فقد طال السرى وقد رنا إن حنى الليل غفل قد يكون على لغة من ذكر؛ قال: وقد يجوز أن يريد طالت السرى فحذف علامة=

فى المخيمات، فقصده فلم يدر كوه، وقتلوا عدة ممن تخلف من أصحابه.

وفى ثالثه: على الأمير جمال الدين عبد الله بن بكتمر الحاجب واستقر حاجبا ثالثا.

وفى سادسه: قدم الأمير ناصر الدين محمد بن أقبغا آص.

وفى رابع عشره: قدم البريد من البحيرة بما تقدم ذكره، وأنه قُتل من عرب بدر نحو الألف.

وفيه استقر الأمير كمشبغا الحموى فى نيابة صفد، عوضا عن تمرى الدرداشى.

وفى يوم السبت خامس عشره وخامس وعشرين مسرى: أوفى النيل ستة عشر ذراعا، وفتح الخليج على العادة.

وفيه قدم الأمراء من تجريدة البحيرة، ولم يدر كوا بدر بن سلام، وقتلوا من ظفروا به ما بين مذب وبرىء، ونهبوا أموالا كثيرة، وخربوا تروجة^(١) وما حولها، فلما عاد الأمراء رجع بدر إلى البحيرة، وبعث ابن عرام يسأل له الأمان، فأجيب إلى ذلك، وخرج إليه الأمير بهادر المنجكى - استادار الأمير الكبير - والشريف بكتمر، فى ثانى

=التأنيث، لأنه ليس بمؤنث حقيقى؛ وقد سرى سرى وسرية وسرية فهو سار؛ قال: أتوا نارى فقلت: منون؟ قالوا: سراة الجن قلت: عموا صباحا! وسريت سرى ومسرى وأسريت بمعنى، إذا سرت ليلاً؛ بالألف لغة أهل الحجاز؛ وجاء القرآن العزيز بهما جميعا. ويقال: سرينا سرية واحدة، والاسم السرية بالضم والسرى، وأسراه وأسرى به. وفى المثل: ذهبوا إسرائا قنفذة؛ وذلك أن القنفذ يسرى ليلة كله لا ينام؛ قال حسان بن ثابت:

حى النصيرة ربة الخـدر أسرت إليك ولم تكن تسرى
قال ابن برى: رأيت بخط الوزين ابن المغربى: حى النصيرة؛ وقال النابغة: أسرت إليه من الجوزاء سارية ويروى: سرت؛ وقال لبيد:

فبات وأسرى القوم آخر ليـلهم وما كان وقافاً بغير معصر
وفى حديث جابر قال له: ما السرى يا جابر؛ السرى: السير بالليل أراد ما أوجب مجيئك فى هذا الوقت. واسترى كأسرى؛ قال الهذلى:

وخضوا فأما الجامل الجون فاسترى ليليل وأما الحى بعد فأصبحوا
وأنشد ابن الأعرابى قول كثير:

أروح وأغو من هواك وأسـترى وفى النفس مما قد علمت علام
وقد سرى به وأسرى. والسراء: الكثير السرى بالليل. وفى التنزيل العزيز: «سبحان الذى أسرى بعبده ليلاً».

(١) تروجة: بالفتح ثم بالضم، وسكون الواو، وحيم: قرية بمصر من كورة البحيرة من أعمال الإسكندرية. انظر معجم البلدان ٢/٢٧.

عشرينه، ومعهما أمان وخلعة لبدر وطلبخاناه، فالقهما، وبالغ فى إكراههما، والتزم تدريك^(١) البلاد وعمارة ما خرب منها، وتعويض أهلها عما تلف لهم، واعتذر عما وقع منه، وقدم إليها ابن عرام من الإسكندرية فقراً الأمان على الناس فوق منير مدينة دمنهور^(٢) ونودى بالأمان فعاد أهل دمنهور إليها، بعدما كانت لا أنيس بها، وعاد الأمير بهادر، والشريف بكتّمُر، ومعهما بدر، حتى قاربا القاهرة، ثم مضى عنها، وقدموا إلى القاهرة وقد قويت الإشاعة بمباطنة ابن عرام لبدر بن سلام، فخرج البريد بطلبه، فحضر بتقادم جليلة، واعتذر عما رُمى به، فخلع عليه، وأعيد إلى الإسكندرية على حاله.

وفى يوم الأربعاء سادس عشرينه: نودى بالقاهرة ومصر ألا يلعب أحد بالماء فى النوروز. وهدد من لعب فيه بالماء أن يضرب ويؤخذ ماله، فامتنع الناس فيه مما كانوا يفعلونه. ووجد أربعة من الناس يلعبون بالماء فى يوم النوروز. فضربوا بالمقارع وشهروا. وقدم البريد من طرابلس بأن الأمير طقتّمُر - مستقر الأمير إينال - أفسد بطرابلس من كثرة سكره وعربدته وقلة احترامه للنائب، وأن النائب ضربه بخضرة أمراء طرابلس ضربا مبرحا. فأخرج إقطاع طقتّمُر ورسم بسجنه بالكرك ورُسم بالإفراج عمن بالإسكندرية من الأمراء. فأفرج عنهم، وتأخر بالسجن منهم أربعة وهم بركة، وبلبغا الناصرى وقرا دمرداش، ويبيدّمُر نائب الشام. فلما قدم المسجونون. فرقوا ببلاد الشام وأرسل بعضهم إلى قوص.

وفى تاسع عشرينه: خلع على الأمير كُرُجى. واستقر كاشف الوجه البحرى، عوضا عن قُطلوبك صهر أيدير المزوق. ثم خلع على الشريف بكتّمُر أطلسين. واستقر ملك الأمراء بالوجه البحرى. ورسم أن تكون إقامته بتروجة. وأن يُكاتب بملك الأمراء. فكان أول من خوطب بذلك من كشاف الوجه البحرى.

وفى يوم الجمعة ثالث عشر جمادى الآخر: رست السلاسل على قنطرة المقسى بخليج قم الخور وعلى قنطرة الفخر برأس الخليج الناصرى - بجوار الميدان الكبير - كما عمل فى السنة الماضية. فامتعت المراكب التى تحمل المتفرجين وأهل الخلاعة من عبور الخليج وبركة الرطلى، وانكف بذلك فساد كبير وبلغت زيادة النيل إلى أربع أصابع من ثمانية عشر ذراعا، وثبت إلى سادس عشر توت. ثم هبط فارتفع سعر الغلال، وطلبها

(١) على هامش ط: التزم تدريك: التزم تدريك البلاد أى التزم حفارتها.

(٢) دمنهور: بلدة بينها وبين الإسكندرية يوم واحد فى طريق مصر. انظر معجم البلدان

الناس للخزن طلبا للفائدة فيها. فكثرت قلق الناس، واستغاثت العامة في عزل الدميري من الحسبة، وسألوا عود العجمي إليها، وهموا برجم الدميري مرارا فاختموا بمنزله خوفا على نفسه.

وفي يوم الإثنين ثالث عشرينه: خلع على جمال الدين محمود العجمي، وأعيد إلى حسبة القاهرة، ففرح العامة به فرحا زائدا، وكادوا يحملون بغلته وهو عليها بالخلعة، وأتلفوا من ماء الورد الذي صبوه عليه وعلى من معه، ومن الزعفران الذي تخلقوا به شيئا كثيرا. وبالغوا في إشعال الشموع والقناديل بالقاهرة، ووقفت له المغاني تزفه إذا مر بها في مواضع عديدة، فكان يوما مشهودا. وذلك أنه كان قد تعذر وجود الخبز بالأسواق. وقد منها عدة أيام، فظنوا أن قدوم الجمال محمود يكون مباركا، فكان كما ظنوا.

وقدم في هذا اليوم عدة مراكب مشحونة بالغلال، فانحل السعر.

وفيه خلع على الأمير قطلوبغا الكوكاي، واستقر أستاذارا ثالثا. وقدم الأمير زامل بنى موسى بن مهنا، فأكرمه الأمير الكبير كرامة زائدة.

وفي سابع عشرينه: خلع على شرف الدين بن عرب، واستقر في حسبة مدينة مصر عوضا عن الشريف على نقيب الأشراف.

وفيه أخرج إقطاع الأمير قرابغا فرج الله عنه، وقبض عليه من أجل قتل بعض مماليكه وهو سكران. وكتب باستقرار الأمير إينال اليوسفي في نيابة حلب، واستقر عوضه في نيابة طرابلس كمشبغا الحموي، واستقر طشتمر اللفاف في نيابة صفد عوضا عن كمشبغا.

وفي أول شهر رجب: قبض على الأمير زامل، وسجن وذلك أن ولده نزل مرج دمشق في طائفة من آل فضل. كما قد استجد. وأنزلوهم فيه أيام الشتاء فمنعهم الأمير أشقتمر من الإقامة به. فركبوا للحرب وقاتلوا عسكر دمشق مرتين. ثم انكسروا، ونهبت عامة أموالهم وجمالهم، وانجلى هذه الواقعة على قتل طقتمر الحسنى.

وفي يوم الثلاثاء خامسه: أحيط بموجود الأمير صلاح الدين خليل بن أحمد بن عرام، وتوجه الأمير يونس دوادار الأمير الكبير للقبض عليه وسبب ذلك ورود الخير بقتل الأمير بركة بسجنه من الإسكندرية، فنارت مماليكه تريد الفتنة، فأنكر الأمير الكبير أن يكون قد أمر بقتله. ويقال أنه كان قد تقدم إلى ابن عرام عند حضوره بأن

يقتل بركة. فأخذ بذلك خطه وخطوط الأمراء الأكابر، وعاد إلى الثغر وقتله. فلما دخل يونس الدوادار إلى الثغر نبش قبر بركة، فوجد في رأسه ضربة وفي جسده ضربات عديدة وقد دفن بشيابه من غير غسل ولا كفن، فغسله وكفنه وصلى عليه، ودفنه في تربة بناها على قبره، وقبض على ابن عرام. وخاف من بدر بن سلام أن يعترضه في الطريق ويخلصه فطلب نجدة، فسار إليه عدة مماليك ساروا به في بحر الملح إلى دمياط وأتوا في النيل إلى القاهرة، وسجن في يوم الثلاثاء ثاني عشره بخزانة شمائل مقيدا، وعذب على مال اتهم به أنه أخذه من بركة، فلم يقر بشيء. ثم أخرج في يوم الخميس رابع عشرينه، وحمل على حمار إلى القلعة، وقد اجتمع الأمراء بباب القلعة منها، فجرد من ثيابه، وضرب بالمقارع نحو التسعين شيئا. ونودي عليه وهو يضرب: «هذا جزاء من يقتل الأمراء بغير إذن». فقال: «ما قتلته إلا بإذن الأمراء»، وأخرج خطوطهم فأخذت منه وهو يستغيث: «بينى وبينكم الله ياسيدى الشيخ نهار هذا اليوم الذى وعدتني، فإننا لله وإن إليه راجعون». وذلك أن الشيخ نهار كان حدثه بأمر، ومنها أنه لا يموت إلا مقتولا بالسيف، موسطا أو مسمرا، فكان يتوقع ذلك. ثم أركب الجمل ودقت المسامير الحديد في كفيه وذراعيه وقدميه على الخشب. وهو يقول: «يا سيدى الشيخ نهار، قد صبح الذى وعدتني به، هذا اليوم الذى وعدتني به». وساروا به من باب القلعة على الجمل، ليشهر، فصار ينشد في تلك الحال، التى يذهل فيها المرء عن نفسه.

لك قلبى تجلته فدمى لم تحله
قال إن كنت مالكا فلى الأمر كله

فلما صار بالرميلة تحت القلعة. أوقف تجاه باب السلسلة، فبدره مماليك بركة بسيفهم يضربوه بها حتى صار قطعاً، وفرقوا شلوة تقريفاً. ثم حملت رأسه وعلقت بباب زويلة، فأخذت أمه ما قدرت عليه من بدنه وأخذت رأسه، وغسلت ذلك. ودفنته بمدرسته جوار قنطرة أمير حسين. من حكر جوهر النوبى خارج القاهرة. وكان ابن عرام فطنا ذكياً، فأحسن المشاركة في القلم. كتب تاريخاً مفيداً. وكانت له نوادر، وعنده حكايات يذاكر بها. وكان مهاباً، رئيساً سيوساً، وكان يداخل كل ذى فن، ويتنقل في أحوال مختلفة ويخوض في كل ما يفيد وينفع.

وفي رابع عشره: استقر الأمير بلوط الصرغتمشى في نياحة الإسكندرية.

وفي حادى عشرينه: استدعى الأمير الكبير برقوق الشيخ جلال الدين رسولا التبانى، فطلع إليه بعد مراجعات كثيرة، وعرض عليه أن يستقر فى قضاء الحنفية. فلم يوافق على ذلك، وامتنع كما امتنع فى الأيام الأشرفية شعبان بن حسين. وقال: «هذه

الوظيفة ما يصلح لها عجمي، والعرب أولى بها». فلما أخط عليه الأمير الكبير في القبول. أخرج مصحفا شريفا، وكتاب الشفاء للقاضي عياض^(١). وقال: أسألك بحق هذين. ألا ما أعفيتني؟ وقام عنه، فاستدعى الأمير الكبير القضاة. وشاورهم فيمن يصلح لقضاء الحنفية. فأشار قاضي القضاة برهان الدين إبراهيم بن جماعة، بولاية صدر الدين أبي عبد الله محمد بن الشيخ علاء الدين أبي الحسن علي بن منصور الدمشقي. فسار بإحضاره من دمشق، في يوم الخميس رابع عشرينه.

وفي خامس عشرينه: أنعم على ناصر الدين محمد بن أقبغا آص. بإمرة طبلخاناة. عوضا عن أروس الحمدي، وأخرج أروس على إمرة بصفد وأنعم على سودون النظامي بإمرة طبلخاناة.

وفي ثامن عشرينه: قدم الأمير خضر الزيني باستدعاء.

وفي يوم الجمعة رابع عشرين شعبان: قبل الأمراء الأرض بين يدي السلطان، وسألوا عفوه عن الأمراء المسجونين، فرسم بالإفراج عن الأمير يلبغا الناصري. والأمير قرادرداش، والأمير بيدمر نائب الشام.

وفي أول شهر رمضان: قدم بيرم والي الغربية بطلب، وضرب وسجن.

وفي يوم الأحد رابعه: قدم صدر الدين محمد بن علي بن أبي البركات منصور الدمشقي الحنفي، ونزل بصهرج منجك تحت القلعة وأتاه الناس على اختلاف طبقاتهم للسلام عليه ثم طلب في يوم الخميس ثامنه بعد العصر. إلى بين يدي السلطان، فخلع عليه واستقر قاضي القضاة الحنفية، عوضا عن جلال الدين جبار الله بعد وفاته. ونزل ومعه قاضي القضاة برهان الدين بن جماعة، والأمير قرابغا الحاجب.

(١) عياض بن موسى بن عياض بن عمرو بن يحيى السبتي، أبو الفضل: عالم المغرب وإمام أهل الحديث في وقته. كان من أعلم الناس بكلام العرب وأنسابهم وأيامهم. ولي قضاء سبته، ومولده فيها، ثم قضاء غرناطة. وتوفي بمراكش مسموما، قيل: سمه يهودي. من تصانيفه «الشفاء بتعريف حقوق المصطفى - ط» و «الغنية - خ» في ذكر مشيخته، و «ترتيب المدارك وتقريب المسالك في معرفة أعلام منزه الإمام مالك - ط» أربعة أجزاء وخامس للفهارس، و «شرح صحيح مسلم - خ» و «مشارك الأنوار - ط» مجلدان، في الحديث، و «الإلماغ إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع - ط» في مصطلح الحديث وكتاب في «التاريخ» وجمع المقرئ سيرته وأخباره في كتاب أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض - ط» ثلاثة مجلدات من أربعة و «الإعلام بحدود قواعد الإسلام - ط» و «شرح حديث أم زرع - خ» جزء لطيف، في خزانة الرباط (١٨٥٧ كستاني) والظاهرية بدمشق. انظر الأصابه ٦١٤٢، وصفه الصفوة ٢٧٧/١. والأعلام ٩٩/٥.

وفي عاشره: خلع على أحمد بن سنقر البريدى. واستقر فى ولاية الغربية، عوضا عن بريم. وخلع على فرج بن أيَّدْمُر المَزَوَّق. واستقر فى ولاية أشموم الرمان.

وفي تاسع عشره: كتب مرسوم سلطانى بأن يستقر لكل من القضاة الأربع أربعة نواب. فاستقر لقاضى القضاة برهان الدين إبراهيم بن جماعة الشافعى أربعة نواب بالقاهرة، وهم: جمال الدين محمد بن محمد الخطيب الأسناى. وصدر الدين محمد بن إبراهيم المناوى^(١) وصدر الدين عمر بن عبد المحسن بن رزين. وسرى الدين محمد بن المسلاتى. واستقر فخر الدين محمد بن محمد القاياتى نائبه بمصر. واستقر لقاضى القضاة صدر الدين محمد بن منصور الحنفى أربعة نواب، وهم: مجد الدين إسماعيل بن إبراهيم. وشمس الدين محمد بن أحمد بن أبى بكر الطرابلسى. وشهاب الدين أحمد الشنشى. وجمال الدين محمود المختسب. واستقر لقاضى القضاة علم الدين سليمان اليساطى المالكى أربعة نواب. وهم: جمال الدين عبد الله بن عمر الفيشى، وتاج الدين بهرام، وشهاب الدين أحمد الدفرى، وعبيد البشكالىسى. ولم يستنب قاضى القضاة ناصر الدين نصر الله الخنبلى عنه أحدا. فاستراح الناس من نواب المجالس؛ وهم قوم يتكسبون من الحكم بين الناس، ويجلسون لذلك فى مجالس من الجوامع أو المدارس أو حوانيت الشهود، ويقاسمون الشهود فيما يتكسبونه من تحملهم الشهادات للناس وعليهم، فبطل ذلك بسفارة قاضى القضاة برهان الدين إبراهيم بن جماعة، والله الحمد.

وفي رابع عشرينه: خلع على أوحد الدين عبد الواحد بن إسماعيل بن ياسين - موقع الأمير الكبير - كاملية حرير أخضر كمخا سكندرى بفرو قاقم ولم يعهد قبله متعمم يلبس مثل ذلك.

وفي ثالث شوال: أخرج الأمير طغاي ثمر القبلاوى منفا إلى طرابلس.

وفي رابعه خلع على عبيد بن البازدار، واستقر مقدم الدولة. وخلع على قَطْلُوْبغا الأسنَّ قجاوى أبو درقة، واستقر فى ولاية قوص. وخلع على الأمير قُرْط بن عمر التركمانى، واستقر نائب البحيرة والوه البحرى. عوضا عن الشريف بُكْتَمُر، وأنعم عليه بعداد حربية، وأسلحة كثيرة، ومال جزيل، فأكثر من استخدام التراكمين، وسارقى

(١) المناوى: محمد بن إبراهيم بن إسحاق السلمى المناوى ثم القاهرى، الشافعى صدر الدين، أبو المعالى: قاضى، عالما بالحديث. من أهل القاهرة. ناب فى الحكم، وولى إفتاء دار العدل، ثم قضاء الديار المصرية استقلالاً سنة ٧٩١، وحمدت سيرته. وصنف «كشف المناهج والتنقيح فى تخريج أحاديث المصاييح». مات فى غريفا فى الفرات وهو مقيد. انظر الرسالة المستترفة ١٤٠ والضوء اللامع ٦/٤٩ والكتبخانة ١/٣٨٨ والأعلام ٥/٢٩٩، ٣٠٠.

عسكر كثير، فاستعد بدر بن سلام للقاءه، وجمع له جمعا موفورا، فخرج قُرْطُ عن الطريق، حتى قارب دمنهور، فلقى بدر وقاتله أشد قتال حتى احتاج إلى طلب نجدة من القاهرة.

وفي سادس عشرينه: خلع أقبغا المارديني، واستقر نائب الوجه القبلي، بعد موت الركن.

وفيه أخرج الأمير ناصر الدين محمد بن أقبغا آص منفيا إلى الشام، وخلع على الشيخ برهان الدين إبراهيم الأناسي، وأعيد إلى مشيخة الخانكاة الصلاحية سعيد السعداء، عوضا عن شمس الدين محمد بن أخى الجار.

وفي هذا الشهر: كثر الوباء بالإسكندرية، فمات فى كل يوم ما ينيف على مائة وخمسين إنسانا، وتمادى إلى أثناء ذى الحجة.

وفى يوم الثلاثاء أول ذى الحجة: خلع على شمس الدين محمد الدميرى المحتسب، وأعيد إلى نظر الأحباس، عوضا عن ناصر الدين محمد بن الأسناى، واستقر كمال الدين المعرى فى قضاء الشافعية بجلب. عوضا عن الجمال الزرعى^(١) بعد وفاته.

وفى ثالثه خُلع على سعد الدين نصر الله بن البقرى. واستقر فى نظر الدخيرة، ونظر خاص الخاص، وأضيفت إليه الإسكندرية والكارم، والأملاك والمستأجرات. وخلع على الأمير شرف الدين موسى بن قرمان، واستقر أستاذار الدخيرة، رفيقا لابن البقرى.

وفى يوم الثلاثاء ثامنة: قدم البريد بوصول أنص - والد الأمير الكبير برقوى - صحبة الخوجا عثمان بن مسافر، فركب الأمير الكبير إلى لقاؤه وخرج معه عامة العسكر من الأمراء والأجناد، وجميع أرباب الدولة من القضاة والوزراء والأعيان، فلقى أباه بمنزلة العكرشا، وعاد به، وقد قدم معه الكمال المعرى قاضى حلب، وولى الدين عبد الله بن أبى البقاء قاضى دمشق. فنزل بالمنخيم من سرياقوس وقد أعد له. وهيأت المطابخ. فمد سباط عظيم إلى الغاية، أجلس الأمير الكبير أباه فى صدره، وأجلس بجانبه الأمير عز الدين أيدمُر الشمسى. وجلس الأمير الكبير تحت الأمير أيدمُر، وجلس بجانب ولد الأمير الكبير من الجهة الأخرى الأمير سيف الدين أقتمُر عبد الغنى، فأكلوا وأكل عامة من حضر حتى اكتفوا، ثم رفع فتناهبه الغلمان وغيرهم، حتى عم ذلك الجمع مع

(١) محمد بن محمد بن شرف الزرعى الشافعى، شرف الدين، فاضل كان قاضى عجلون وتوفى بدمشق. له «المنتقى من كتاب كشف الحال فى وصف الحال». انظر شذرت الذهب ٦ / ٢٦٤ والأعلام ٧ / ٤١.

كثرت. وركبوا جميعا ولت الظهر. وعبروا إلى القاهرة، وقد خلع على الخواججا عثمان، وصعدوا به إلى الإصطبل فكان يوما مشهودا، بالغ العامة في إشعال الشموع والقناديل. ثم طلع الخواججا عثمان بآنص، فاشتره السلطان منه وأعتقه، وخلع عليه. وأنعم على آنص بتقدمة ألف. فلم يبق أحد من الأمراء حتى قدم له التقادام الجليلة على قدر همته وبذل الأمير الكبير برقوق للخواججا عثمان مالا كثيرا، وأنعم عليه بإنعامات سنية، من أجل أنه جلب أباه من بلاد الجر كس.

وفي ثاني عشره: خرج الأمير آلان الشعباني، ومعه خمسمائة مملوك إلى البحيرة، نجدة للأمير قُرط.

وفي ثامن عشره: قدم البريد من الطرانة - وقد نزل بها الأمير آلان - بأن الأمير قُرط قتل، فاضطرب العسكر بالقلعة. وعلق الجاليش للسفر، ونودي في القاهرة بخروج الأمراء والمماليك وأجناد الحلقة للبحيرة. ورسم بتجهيز السلطان، فأشار الأمير أيُدْمُر الشمسي بإقامة السلطان، وتجهيز الأمراء، فعين للتجريدة الأمير أَيْتَمِش البجاسي، والأمير أَلطُنْبُغا الجوباني، والأمير أحمد بن يلبغا الخاصكي، والأمير مأمور القَلْمُطاوى، والأمير أقبغا العثماني، والأمير أَلطُنْبُغا المعلم، وكلهم أمراء ألوف، ومعهم من أمراء الطبلخاناة: قرابغا الأحمدي، ومازى، وقرابغا البوبكري، وبجَمَان الحمدي وفارس الصرغَمَشِي، وبجاس النوروزي. وطوجى الحسنى. وطقَمُش السيفى، وأطرجى العلاى، وأرسلان اللفاف. ومن أمراء العشرات: أقبغا بوز الشيخونى، وكمجى، ويوسف بن شادى، وبكبلاط الصالح، وببيرس التمان تَمْرِى، وأقبغا اللاجيسى، وسُبْرُج الكمشبغاوى، فقدم الخبر آخر النهار بأن قُرط بن همر لم يقتل فسكن الحال بعض الشيء.

وفي تاسع عشره: قدم من شيوخ البحيرة خِضْر بن موسى بن خضر وجماعة تحت الاحتفاظ، فضربوا بالمقارع.

وفيه سارت التجريدة المذكورة صحبة الأمير أَيْتَمِش إلى البحيرة.

وفي حادى عشرينه: قدم حسين بن الأمير قُرط بعدة رعوس من القتلى فى الحرب، وأخبر أنه حُصِرَ بمدينة دمنهور، وكاد بدر أن يأخذه، ففر إلى العطف وعدى النيل إلى مدينة فوة^(١) وسأل أن يمد بنشاب وغيره من آلة الحرب، وأخبر بوصول الأمير آلان بمن معه إلى دمنهور، فخلع عليه.

(١) مدينة فوة: بالضم ثم التشديد: بليدة على شاطئ النيل من نواحي مصر قرب رشيد، بينها وبين البحر نحو خمسة فراسخ أوسطه. انظر معجم البلدان ٤ / ٢٨٠.

وفيه أعيد فتح الدين محمد بن الشهيد^(١) إلى كتابة السر بدمشق، بعد وفاة شهاب الدين أحمد بن نجم الدين محمد بن القاضي بها الدين أحمد بن القاضي محيي الدين يحيى ابن فضل الله.

وفي ثلثي عشرينه: خُلع على الطواشي صفى الدين جوهر الصلاحى، واستقر مقدم المماليك بعد موت ظهير الدين مختار الحسامى.

وفيه أبطل الأمير الكبير برقوق ضمان المغانى بمدينة حماة، ومدينة الكرك ومدينة الشوبك، وبناحية منية ابن خصيب من أراضى مصر وبناحية زفتا^(٢) منها، وأبطل ضمان الملح بمدينة عين تاب^(٣)، وضمن الدقيق من البيرة^(٤) - معاملة حلب - وضمن قمح المؤونة بدمياط وفارس كور^(٥) من أردنين إلى ما دون ذلك. وأبطل المقرر على أهل البرلس، وشورى، وبلطيم، وهو شبه الجالية ومبلغه ستون ألف درهم فى السنة. وأبطل مكس مدينة إعزاز بأجمعه، وعمر جسر الأردن الذى يعرف بالشريعة. فيما بين بيسان ودمشق، فجاء طوله مائة وعشرون ذراعاً.

وفيه أنعم على قُطْلُوْبِك السيفى - والى مدينة مصر - بإمرة عشرة زيادة على عشرة، فاستقر أمير عشرين فارساً.

وفيه أنعم على الأمير قديد القلمطاوى بإمرة عشرة.

* * *

ومات فى هذا السنة من الأعيان

(١) محمد بن إبراهيم بن محمد، أبو الفتح، فتح الدين، ابن الشهيد، كاتب السر بالشام. له علم التفسير والأدب، ونظم ونثر، أصله من نابلس بفلسطين، ومولده بالرملة. اشتهر فى دمشق وكتب بها فى ديوان الإنشاء. ثم صار صاحب الديوان، ومع ولاية مشيخة الشيوخ وجرت له محنة احتفى بسببها مدة نظم فيها «السيرة النبوية». مات بظاهر القاهرة، مقتولاً بسيف السلطان. انظر الدرر الكامنة ٣/ ٢٩٦، وتاريخ ابن الفرات ٩/ ٢٨٦ ومطالع البدر ١/ ١٠ وشذرات الذهب ٦/ ٣٢٩ والأعلام ٥/ ٢٩٩.

(٢) زفتا: بلد بقرب القسقاط من مصر، قرب شطونف. انظر معجم البلدان ٣/ ١٤٤.

(٣) عين تاب: قلعة حصينة ورستاق بين حلب وأنطاكية وكانت تعرف بدلوك، من أعمال

حلب. انظر: معجم البلدان ٣/ ١٧٦

(٤) البيرة: بلد قرب سميساط بين حلب والثغور الرومية، وهى قلعة حصينة. انظر: معجم

البلدان ١/ ٥٢٦.

(٥) فارس كور: أو الفارسكر: من قرى مصر قرب دمياط من كورة الدقهلية انظر معجم البلدان

شرف الدين أبو العباس أحمد بن علاء الدين^(١) أبي الحسن علي ابن أبي البركات منصور الدمشقي الحنفي، قاضي القضاة نبيدار مصر، بعد ما عزل نفسه، وأقام بدمشق، في ليلة الإثنين عشرين شعبان.

وتوفى الشريف شرف الدين عاصم بن محمد الحسن نقيب الأشراف، في عاشور المحرم.

وتوفى الشيخ عباس بن حسن التميمي الشافعي، المقرئ، خطيب جامع أصلم^(٢) خارج القاهرة، في يوم الأحد ثالث عشر ذي الحجة. تصدى لتدريس الفقه وإقراء القراءات عدة سنين.

وتوفى نور الدين علي عبد الصمد الجلاوي - بالجيم - أحد فقهاء المالكية، في رابع عشرين ذي الحجة.

ومات الأمير منكلي بُغا الأحمدى، الشهير بالبلدى، نائب حلب، وقد تجاوز نحو أربعين سنة.

ومات الركن عمر، نائب الوجه القبلى.

ومات الأمير قطلوبغا البزلارى، أحد العشرات.

وتوفى قاضي القضاة جلال الدين أبو عبد الله محمد، ويعرف بجار الله، بن قطب الدين محمد بن محمود النيسابورى، الحنفي، يوم الإثنين رابع عشر شهر رجب.

وتوفى قاضي القضاة بحلب جلال الدين أبو المعالى محمد بن محمد بن عثمان بن أحمد ابن عمرو بن محمد الزرعى الشافعي، قاضي حلب.

وتوفى الفقير المعتقد زين الدين محمد بن المَوَّاز، في ثانى عشرين ربيع الأول بالقاهرة.

وتوفى شمس الدين محمد الحكرى في ذي الحجة، بالرملة^(٣) وكان فقيها شافعيًا،

(١) أحمد بن علي بن منصور بن ناصر، أبو العباس، شرف الدين، بن منصور الحنفي قاضي. درس وأفتى. مولده وفاته في دمشق. ولى قضاها، وطلبه السلطان الملك الأشرف فولاه القضاء بمصر سنة ٧٧٧هـ فباشره أقل من عام. وعاد إلى دمشق. ودفن فيها بمقبرة الصوفية. له «التحرير» فى فروع الحنفية. انظر رفع الاصر ١ / ٨٩ - ٩١ والدرر الكامنة ١ / ٢٤١ والشذرات ٦ / ٢٧٣ وكشف الظنون ١٦٢٢ والأعلام ١ / ١٧٧.

(٢) جامع أصلم: يقع هذا الجامع داخل الباب المحروق، أنشأه الأمير بهاء الدين أصلم السلاحدار سنة ٧٤٦هـ. انظر: المقرئى، المواعظ ٢ / ٣٠٩.

(٣) الرملة: من قرى بيت المقدس. انظر: معجم البلدان ٣ / ٧٣.

عارفا بالقراءات. قرأ على البرهان الحكرى، ناب فى الحكم ثم ولى قضاء القدس، وصيدا، وبيروت.

وتوفى الوزير صاحب تاج الدين عبد الوهاب النشو الملكى الأسلمى، تحت العقوبة، مستهل شهر جمادى الآخرة.

وتوفى أحد فقها الشافعية بدمشق، شمس الدين محمد بن نجم الدين عمر بن محمد بن عبد الوهاب بن محمد بن ذؤيب الأسدى الدمشقى، المعروف بابن قاضى شهبة. فى ثامن المحرم، ومولده فى يوم الثلاثاء العشرين من ربيع الأول سنة إحدى وتسعين وستمائة، بدمشق.

وتوفى أبو محمد حَجَّي بن موسى بن أحمد بن سعد السعدى الحُسبانى، الشافعى، بدمشق، فى ليلة الأربعاء سابع عشر صفر، وقد صار من أعيان فقهاءها، مع اقتصاد وانجماع.

ومات قتيلًا الأمير صلاح الدين خليل بن على بن أحمد بن عرام فى رابع عشرين شهر رجب.

* * *

سنة ثلاث وثمانين وسبعمائة

فى يوم الأحد ثالث المحرم: قبض على طائفة من عرب البحيرة، نحو ثلاثة وعشرين رجلا عند الأهرام، قد فروا يريدون النجاة، فوسطوا، وأخذت مواشيهم. وفيه ابتداء الوباء بالطاعون فى الناس بالقاهرة ومصر، وتزايد حتى بلغ عدة من يموت فى اليوم ثلاثمائة ميت.

وفى خامسه: خلع على قاضى القضاة بدمشق ولى الدين عبد الله بن أبى البقاء، باستقراره على عادته. وخلع على قاضى القضاة بجلب كمال الدين المعرى باستقراره. وسارا عائدين إلى بلديهما.

وفى عاشره: ابتداء الأمير مأمور الحاجب بعرض الأجناد، وإلزام من عبيرة إقطاعه ستمائة دينار، بالسفر إلى البحيرة أو إخراج بديل عنه.

وفى ثانى عشره: قدم الخير بأن خمسة من أعيان أهل البحيرة قدموا على الأمير أَيْتَمِشٍ، راغبين فى الطاعة، ومعهم نحو ستمائة فارس، وعدة رجالة.

وفيه قدم البريد من الإسكندرية بطلب بدر بن سلام، من الأمير بُلُوط أن يسأل له فى الأمان، فلم يجبه الأمير الكبير بزقوق إلى سؤاله. وكتب بالقبض على الذين قدموا طائعين إلى الأمير أَيْتَمِشٍ، فقبض عليهم، وقتل أكابره.

وفى تاسع عشره: قدم الأمير قُطْلُوبغا الكوكاى، ومعه خمسة وعشرون رجلا من أعيان البحيرة، فعفى الأمير الكبير عنهم.

وفى خامس عشرينه: خلع على جمال الدين محمود بن على بن أصفر عينة شاد الجنان بالإسكندرية، ثم أحد أجناد الحلقة، واستقر نقيب الجيش عوضا عن ناصر الدين محمد بن قُرطاي الكركى.

وفى هذه الأيام: مرض السلطان حتى أرجف بموته، ثم عوفى.

وفى يوم الأحد ثانى صفر: قدم الأمير أَيْتَمِشٍ بمن معه من تجريدة البحيرة، وقد فر بدر بن سلام إلى جهة برقة^(١) وبعث الأمير قُرُطُ برجال كثير قد قبض عليهم، وبعده من رعوس قتلاهم، فعلقت على باب زويلة. ونزل قُرُطُ دمنهور، وبنى عليها سورا، وأخذ فى عمارة ما خرب من بلاد البحيرة.

(١) برقة: اسم صقع كبير يشتمل على مدن وقرى بين الإسكندرية وإفريقية انظر معجم البلدان

١٠٢ سنة ثلاث وثمانين وسبعماية

وفي تاسعه: خلع على أَلطُبُبغا الصلاحى، واستقر فى ولاية الأشمونيين، عوضا عن محمد بن العادلى.

وفى حادى عشره: استعفى الصاحب شمس الدين أبو الفرج المقلبى من الوزارة؛ لضعف حالها. فإنه أخذ منها عدة بلاد. فقبض عليه وعلى علم الدين يحيى ناظر الدولة، وعدة من الكتاب، وسلموا الشاد الدواوين. فلما كان من الغد بعث الأمير الكبير إلى المقسى بخلعة الوزارة ليستمر على عادته، فامتنع من الولاية، ما لم يعد إلى الدولة ما خرج عنها من البلاد فالتزم كريم الدين عبد الكريم بن مكانس بتكفية الدولة والخاص من غير أن تعاد البلاد التى خرجت عن الوزارة. فخلع عليه فى يوم الخميس ثالث عشره، واستقر فى الوزارة. ونظر الخاص، ونظر ديوان الأمير الكبير ووكالة الخاص، عوضا عن المقسى.

وفيه أنعم على الأمير شرف أنص - والد الأمير الكبير - بتقدمة الأمير أيدُمُر الشمسى بعد موته. وخلع عليه، فقبل الأرض بين يدى السلطان، وأقام فى الخدمة حتى انقضت.

وفيه أحاط الوزير على موجود الأمير أيدُمُر، ورسم على مباشرى ديوانه ولم تجر عادة بذلك.

وفى رابع عشره: قدم الأمير قُرط، ومعه رحاب وإبراهيم وشادى، من أمراء البحيرة.

وفى تاسع عشره: قبض على المقدم سيف، وأحاط الوزير بجميع ماله وألزم بحمل مائتى ألف دينار. وعوقب، فكتب خطه بمائتى ألف درهم.

وفى عشرينه: خلع على رحاب ورفيقه.

وفيه خلع على أحمد العظْمَة - نقيب قرا غلامية - واستقر مقدم الدولة عوضا عن المقدم ورفيقه عبيد. وخلع على سعد الدين بن الريشة، واستقر ناظر الدولة، عوضا عن علم الدين يحيى، وخلع على عدة من الكتاب باستقرارهم فى وظائف كانت بأيدى أصحاب ابن المقسى، فاستقر زين الدين نصر الله بن مكانس فى نظر الأسواق، واستقر علم الدين أفسح فى نظر دار الضيافة، واستقر تاج الدين عبد الله بن سعد الدين نصر الله بن البقرى، صاحب ديوان خزانة الخاص، واستقر تاج الدين عبد الرحيم ابن الوزير

فخر الدين ماجد بن أبو شاکر^(١) فى نظر دار الضرب، واستقر فخر الدين عبد الرحمن ابن مكانس^(٢) فى نظر الإصطبل.

وفيه أفرج عن المقسى وعلم الدين يحيى، على مال مبلغه خمسمائة ألف درهم، ليورداه.

وفى يوم الأحد ثالث عشرينه: توفى السلطان الملك المنصور^(٣) على بن الأشرف شعبان، ودفن ليلا بترية جدته خوند بركة بالتبانة. وتولى تجهيزه الأمير قُطْلُوْبُغا الكوكاى، فكانت مدة سلطته خمس سنين وثلاثة أشهر وعشرين يوما، وعمره نحو اثنتى عشرة سنة. ولم يكن له من السلطنة سوى الاسم، والجلوس على التخت، وله نفقة فى كل يوم.

ثم إن القبرسى لما قصد غزو الإسكندرية استنجد بملوك النصارى بإشارة الباب لهم فى ذلك، والباب هو بتفخيم الباء الأولى، وهو الذى تنقاد النصارى به، ويزعمون أنه من ذرية الحواريين، وعنده الصليب الأكبر، الذى إذا أبرزه للغزو لم يبق ملك من ملوك النصارى إلا أتى بجيشه نحوه. فإذا خرج الباب بصليبه ذلك ارتجت له بلاد النصرانية، فيظفر بتلك الجيوش القوية على مملكة من خالفه من ملوك الرومانية. فلما أعانت ملوك النصارى صاحب قبرس بالمال والرجال والغربان، بإشارة الباب لهم فى ذلك فعمرت المراكب له على ما قيل برودس، لأنها دار صناعة الفرنج، فكانت عمارتها على ما قيل فى أربع سنين، وذلك فى مدة طوافه على الملوك. فلما رجع إلى قبرس، وجدهم تهيئوا له، فجمع ما جاء به على ما عمر له، وتوجه إلى الإسكندرية. وكانت الأخبار تأتى إلى

(١) ماجد (فخر الدين) بن موسى (تاج الدين) ابن أبى شاکر، صاحب القبطى المصرى: وزير. كان صاحب ديوان يلبغا العمرى بمصر. وولى الوزارة فى دولة الأشرف ثلاث مرات. وتوفى بالقاهرة. انظر الدرر الكامنة ٣ / ٢٧٤ والنجوم الزاهرة ١١ / ١٣٢ والأعلام ٥ / ٢٥١.

(٢) عبد الرحمن بن عبد الرزاق بن إبراهيم، أبو الفرج، فخر الدين المعروف بابن مكانس: وزير، شاعر، مصرى حنفى المذهب أصله من القبط. ولد بالقاهرة. وولى نظارة الدولة بمصر، ثم تولى فى آخر عمره وزارة دمشق، وعزله السلطان الظاهر بقوق واستدعاه منها فتوفى قبيل وصوله إلى القاهرة ودفن بها. من كتبه «ديوان الإنشاء». انظر كشف الظنون ١٩٤٧ والعباسية ٢ / ٤٧ والأعلام ٣ / ٣١٠.

(٣) على (الملك المنصور) بن شعبان (الملك الأشرف) ابن حسين بن محمد بن قلاوون: من سلاطين الدولة القلاوونية بمصر والشام يبيع له بمصر، وهو طفل وتمت له البيعة بعد مقتل أبيه سنة ٧٧٨ هـ وقام مماليكه بتدبير الشئون. وأصيب بالوباء الذى انتشر فى مصر فمات فى الثانية عشره من عمره ولم يكن فى يده من الأمر شيء. انظر ابن إياس ١ / ٢٣٨ والأعلام ٣ / ٢٩٣.

الإسكندرية، بأن العمارة عند القبرسى، فاهتم نائب السلطان بها - وهو الأمير زين الدين خالد - فرفع سورها القصير من جهة الباب الأخضر، وصار يجتهد فى العمارة، ويرسل يطلب من الأمير يلغا الخاسكى - مقدم الجيوش المنصورة^(١) - الإعانة على عمارة السور، ويعلمه بخبر عمارة القبرسى للمراكب الحربية، فيقول: «إن القبرسى أقل وأذل من أن يأتى إلى الإسكندرية». وما علم يلغا أن شرارة أحرقت الجلمود، وبعوضة أهلكت النمروذ، ودلة قتلت فيلا، وبرغوثة أشهر ملكا جليلا.

* * *

ذكر كيفية ظفر القبرسى بالإسكندرية

بما جمعه من أجناس نصارى الرومانية، وغير ذلك من الواردات المستطردات. وذلك أن نائب السلطان بثغر الإسكندرية - وهو الأمير صلاح الدين خليل بن عرام - كان غائبا عن الثغر المذكور بالحجاز الشريف، بسبب الحج. وكان نائبا عنه فيه بإشارة الأمير الأتابكى الخاسكى أمير جنغرا. فلما دخل جنغرا المذكور الإسكندرية رأى طوائفها المتطوعة الحارسة لمينتها تبهر عليه بالجزيرة بقسيهم الجرخ المتورة وأعلامهم الحرير المنشورة، مع ما بأيديهم من المزاريق والرمح والدرق والصفاح، والزرذ النضيد، ومصفحات الحديد، والنفط الطيار الصاعد منه هب النار، وهم ملبوسهم المختلف الألوان كالزهر فى البستان. فلما عاينهم جنغرا بكى وقال: «هؤلاء أهل الجنة لرباطهم وجهادهم فى سبيل الله، قد طاب والله العيش بقوة هذا الجيش، لو أتى الإسكندرية جميع نصارى الرومانية، ما قدروا على هذا الجيش الثقيل على الإسكندرية، بل يكسرون النصارى، ويصيرونهم قتلى وأسارى».

فأقام جنغرا بالإسكندرية من شوال سنة ست وستين وسبعمائة إلى المحرم، ينظر إلى تلك الطوائف التى لكل طائفة منها ليلة فى الأسبوع، تبيت تحرس بساحل المينا، وربما بات ليال فى الغرفة التى على باب مسجد تربة طغية، ويقدم قدامه فانوسين أكرتين مقابل باب المسجد المذكور. وتأتى طائفة الزراقين يطلقون النفط، وهو ينظر من طيقان الغرفة المذكورة إلى الشرار الطيار واللوالب التى تدور بألوان النار، من الخضرة والصفرة، والبياض والحمره، فيتحصل بذلك الانشراح، من العشى إلى الصباح، ويتهيج أيضا بنظره إلى كثرة الخلائق المنتشرة على الساحل من الرماة والعوام، وقد نصب لهم

(١) المنصورة: بلدة أنشأها الملك الكامل بين دمياط والقاهرة ورايط بها فى وجه الأفرنج لما ملكوا

سوق فيه من أصناف المأكول، يشترون ويأكلون، ومن ماء الروايا والقرب التي تحمل من البلد إليهم، يشربون. فإذا أصبحوا انتظمت الطائفة التي باتت تحرس، ودخل البلد في همة وجلد، وكثرة ومدد، فتجتمع لدخولهم الرجال والنسوان، ينظرون لأقوام كزهر بستان، من حسن الملابس وبياض تلك الأطالس، فتزغرت لهم النسوان إعلانا عند مشاهدتهن لهم عيانا، والأبواق حيثئذ تصرخ والكوسات تدق، والمزامر تزمز، والأعلام منشورة، والمباخر بالطيب معمورة، ودخانها يفوح، فتنبسط لتلك الروائح الأرجة كل روح، والناس في فرح وسرور لرؤية ذلك الجيش المخبور، المهتز له الشوارع والدور. فبينما هم كذلك على عادتهم مستمرين، وفي ثغرهم مطمئنين، لا تروعهم الأعداء، ولا رأوا مكروها أبدا، إذا دهمهم صاحب قبرس اللعين في جنده الضالين، وشتت شملهم أجمعين، فروا منه في البلدان، ودخل البلد باطمئنان، وذلك في يوم الجمعة الثاني والعشرين من المحرم، سنة سبع وستين وسبعمائة، والنيل منتشر على البلاد، قصد الملعون بإتيانه لتعوق النجدة من مصر لبعده الطريق من الجبل، فنال الخبيث قصده في ذلك اليوم، والذي بعده، وتحصن قبل إتيان النجدة بمراكبه، وفرح بسلامة نفسه ومكاسبه فلو كان بها أمراء مجردة ما نال الخبيث منها ثمن زردة لكن كان ذلك في الكتاب مسطورا، وكان أمر الله قدرا مقدورا.

* * *

نعود إلى ذكر كيفية إتيان القبرسي إلى الإسكندرية وظفره بها

وذلك أنه لما كان في يوم الأربعاء العشرين من المحرم سنة سبع وستين وسبعمائة، ظهر في البحر مراكب مشرقة ومغربة، زعم أهل الإسكندرية أنهم تجار البنادقة، ينتظرونهم يأتون بمتاجرهم. على جاري عادتهم في كل سنة. وكانت تجار المسلمين جلبوا لهم من اليمن أصناف البهار، يبيعونها عليهم، ويتعوضون عنها من متاجرهم. فلما لم يدخلوا الميناء بات الناس في خوف شديد بسببهم. فلما أصبح يوم الخميس أقبلته المراكب الكثيرة طالبة ساحل الجزيرة، منشورة قلاعها كالقصور البيض. فصار الناس في الطويل العريض من كثرة لهجهم، وحر وهجهم. وتلك المراكب مقلعة آتية قد ملأت البحر من كل ناحية، فلم تزل تشق البحر كالزلزلة، إلى أن حطت قلاعها ببحر السلسلة، وذلك من جهة الباب الأخضر المسدود بعد الوقعة بالجير والحجر، ثم فتح بعد ذلك وركبت عليه أبوابه الأول والثاني والثالث المتحددة، وذلك في يوم الوقعة سنة سبع وستين وسبعمائة، في ولاية الأمير سيف الدين الأكرز بالإسكندرية، وسيأتي ذكر ولايته بها وما فعل فيها إن شاء الله تعالى.

نعود. ولما أرسدت المراكب الحربية ببحر السلسلة ميرزة عن الساحل اعتد أهل

الإسكندرية للقتال والحرب والنزال، فتعمرت القلاع التى من جهة البحر والجزيرة، بالرماة الكثيرة، وانتشر الناس على السور، وصار برماة الجرخ معمور، فخرج من مراكب الفرنج قارب يجس الميناء بقميرة، فرمى المسلمون عليه بالسهم، فولى هاربا حتى لصق بالمراكب. فلما كان بعد الغروب، أوقدت الفوانيس على السور، فضاء السور بالنور، وبات المسلمون متأهين بالسور، محذقين والعدو خانس لم يتحرك من الموضع الذى أرسى به. وصارت تلك المراكب منضمة بعضها إلى بعض، كالطوق الصغير فى البحر الكبير، فاستهون المسلمون أمره وقالوا: «ما يقدر هذا على هذه المدينة المسورة الحصينة. والقلاع المشيدة المتينة». فلما كان بعد طلوع الشمس من يوم الجمعة، انتشر على الساحل بالجزيرة خلق من المسلمين كثيرة، منهم من معه سيفه وترسه، ومنهم من معه نبله وقوسه، ومنهم من معه رمحه وخنجره، ومنهم من ليس عليه سوى ثوبه الذى يستره، وبعضهم قد لبس الزرد المنضد، وبعضهم من هو عارى مجرد. وكانت الباعة خرجوا من البلد، بطباليهم وقدرهم ودسوتهم ملآنة بالطعام، يبيعونه على من بالجزيرة من الخاص العام، وذلك من ليلة الخميس ليكسبوا معاشهم، وهم معلنون بلعن كل راهب وقسيس؛ وذلك من غير خوف من المراكب التى رؤيت يوم الأربعاء فى البحر. ثم إنهم ما فزعوا من الإفرنج باجتماع أفروطتهم يوم الخميس، بل صاروا يلعنون القيرسى كلغتهم لإبليس؛ لأنهم فيما تقدم لهم من بيعهم على الطوائف المتقدم ذكرهم. فكان أحدهم يغضب إذا أنقص له المشتري حبة أو حبتين، ويفرح إذا غلب المشتري بحبة واحدة، فيصير البائع كما قال الشاعر:

لا تغضب السوقي فبالحبة ترضيه
وأخذ الفليس من يده كأخذ الفرس من فيه

فصاروا يشترون من الباعة، ويأكلون كما كانوا فى خروجهم مع الطوائف، يعهدون وليس كل منهم مفكر فى أسطول الإفرنج، ولا منه خائف. وصارت الحرافيش والعوام يشتمون القيرسى بالصريخ، ويسبونه بكل لفظ قبيح، والقيرسى يسمعهم من مراكبه، وهو ساكن، وكل من معه لم ينطق بكلمة، بل كل منهم صامت فقيل: إن القيرسى رمى من أعلى الجزيرة فى الليل جواسيسه فى زى لباس المسلمين، مستعربين كالشياطين، فاحتاطوا بالمسلمين متحسسين، فرأوهم من لباس الحرب عارين، فاشتروا كما قيل من المأكول، وأتوا به لصاحب قبرس بالأسطول، وقالوا: له ليس بالجزيرة أحد من الشجعان وليس بها إلا من هو من لباس الحرب عريان، يأكلون ويشربون، وبعضهم يخفر فى الرمل حفائر وبها ينامون. فلما كان قبل الشمس من يوم الجمعة. أقبلت

العربان. من كل ناحية ومكان، قد تخللوا بالكسيان. وكانت النسوان ينظرن إلى مراكب الفرنج من رعوس الكيمان التي هي داخل السور، المشرفة على القبور، فزرغت^(١) النسوان لتلك العربان. وقلن قد أتت الشجعان، يقتلون عباد الصلبان، فصاروا يتطاردون على خيولهم تحت الكيمان، وقد أرخوا لها الأعنة، عند سماعهم الزرغنة، وتلك العربان كالطر من كثرتهم، خارجين من الباب الأخضر. فصاروا في الجزيرة كالجراد المنتشر، وكل من سرايل الحرب منتشر، ليس مع كل واحد منهم غير سيفه الأجرى ورمحه، قاصدا إما لقتله أو لجرحه، فقال أحد المغاربة وغيره للأمير جنغرا: «هذا عدو ثقيل، وقد خرج الناس من الثغر عرايا للبلايا، والمصلحة دخولهم المدينة يتحصنون بأسوارها الحصينة. ويقاتلون من خلف الأسوار. ليظن العدو أن خلفها كل رجل كالأسد المغوار، يذيقونه برميهم عليه الشدة. إلى أن تصل من مصر النجدة»، فقال ممن له رباط بالجزيرة: قد انصرف على بنائه ألوف كثيرة، بنيت بين مقابر الأموات لمبيت طوائف القاعات: «ما نترك هؤلاء الفرنج الذى كل منهم رجس مقامر، تطرق بأرجلها ترب المقابر». قالوا ذلك خوفا على رباطهم تخربها الفرنج إذا نزلوا الجزيرة، بجموعهم الكثيرة. فقال عبد الله التاجر لجنغرا: «دخول المسلمين البلد أصلح لهم» فقالت أرباب الربط: «أنتم مغاربة أحرقتهم بلدكم طرابلس بأخذ الفرنج وتريدون أن تخربوا ربط المسلمين بدخول المسلمين البلد كذلك ولا كرامة، بل تمنعهم النزول من المركب، ونذيقهم بالسهام العذاب والرعب».

ثم لما كان بعد وقعة القيرسى بستتين، رسم السلطان الملك الأشرف شعبان بهدم ما تجدد في الجزيرة من الربط والقصور، احترازا من العدو أن ينزلها، فيجد مأوى يأويه، ويجد ما يشرب من صهاريجها المملوءة بماء الأمطار، فهدمت تلك الربط والقصور. ولو كان المسلمون تركوا للقيرسى الجزيرة وتحصنوا بالسور وقاتلوا من ورائه كل رجس كفور، لكان المسلمون بتحسينهم بالثغر سلموا من القتل والنهب والأسر، وما كان عليهم من إخراب الفرنج للربط المبنية، لسلامة الإسكندرية، من أذى الملة النصرانية، فالذين خافوا على رباطهم تخربت، ودورهم التي داخل البلد نهبت، وذلك بالرأى الغير صائب، حتى حلت بهم المصائب، لكن القضاء إذا نزل لا يرد، وإذا أراد الله بحكم نفذ، قال بعضهم:

قضاء المهيم لا يدفع إذا حل من ذال له يمنع
وقال الآخر:

(١) فزرغت: أى زغردت أى رددت المرأة صوتها بلسانها فى فمها عند الفرح. انظر: المعجم

وإذا أراد الله إنفاذ القضا لم يكن فيه لمخلوق مفر
 تعود إلى ركوب أمير جنفرا لكلام أصحاب الربط، وتركه لما قاله له عبد الله التاجر
 المغربي، فكان جواب جنفرا لعبد الله التاجر المذكور: «لست أترك أحدا من الفرنج
 يصل إلى الساحل، ولو قطعت منى الأوداج ونفذت المقاتل»، وإذا أراد الله أن يلفظ
 بعبد أهله حسن التدبير، وإذا خذله شئت رأيه. ثم إن الفرنج صاروا بمراكبهم ينظرون
 أحوال الناس، فلم يروا إلا من هو عار من اللباس، فطمعوا فيهم، وزحفوا بغراب
 التقدمة إليهم، فنزلت إليه طائفة من المغاربة خائفين في الماء، ناوشوا^(١) من فيه القتال
 والحرب، وأنزال، وأمسكوا الغراب بأيديهم وطلبوا من الزرقين النار ليحرقوه، فلم
 يأت أحد بشرارة، وذلك لقله همتهم وتهاونهم وغفلتهم، فاستعجلوهم بالنار، فرموا
 بمدفع فيه نار كمنار الخلفاء، فوقع في الماء فانطفأ. ثم إن المغاربة وأصحاب الغراب
 ضربوا بعضهم بعضا بالسيوف إلى أن قتلت المغاربة في تلك المحاربة، فحينئذ دخل
 الغراب الساحل، وتبعه آخر كان يرمى بالسهم. فلما دخلا البر تتابعت الغريبان داخلى
 من أماكن متفرقة، فنزلت الفرنج سريعا من مراكبها بخيلها ورجلها، وقت ضحى نهار
 يوم الجمعة إلى البر، فرمت الخيالة المسلمون يقدمهم أصحاب الدرق والسيوف، مشاة
 على الأقدام. فلما رأت الباعة الطعام، الذين كان كل واحد منهم يخاف على الحبة
 والخبثين، ترك ما عنده وهرب، حافيا بغير نعلين، فمنهم من نجا من الكفرة، ومنهم من
 صارت هامته على الأرض مكررة. وكانت الفرنج مسربة^(٢) بالزرذ النضيد، متجلية
 بصفائح الحديد، على رؤوسهم الخوذ اللامعة وبأيديهم السيوف القاطعة، قد تنكبوا
 القسى الموتورة، ورفعوا أعلام الصليبان المنشورة. وصاروا يرمون على المسلمين،
 فارتشقت سهامهم في أهل الإيمان، وفي خيول العربان، فهاجت بهم تلك الخيول في كل
 جهة ومكان، فانهزموا إلى ناحية السور. فصار جيش المسلمين بهزيمة العربان مكسور،
 ولا عادوا قابلوا الفرنج الكلاب، بل دخلوا البلد عابرين من الأبواب. وكانت الفرنج

(١) ناوشوا: ناوش فلانا: اختبر قوته قبل أن يقاتله وقال أبو حنيفة: التناوش بالواو من قرب. قال
 الله تعالى: ﴿وَأَنى لَهُم التناوش من مكان بعيد﴾؛ قال أبو عبيد: التناوش بغير همز التناول والنوش مثله،
 نشئت أنوش نوشا. قال الفراء: وأهل الحجاز تركوا همز التناوش وجعلوه من نشئت الشئ إذا تناولته
 وقد تناوش القوم في القتال إذا تناول بعضهم بعضا بالرمح ولم يتدانوا كل التدانى. وفى حديث
 قيس بن عاصم: كنت أناوشهم وأهاوشهم فى الجاهلية، أى أقاتلهم؛ وقرأ الأعمش وحمة والكسائى
 التناوش بالهمزة، يجعلونه من ناشت وهو البطاء. فانظر لسان العرب ص ٤٥٧٥

(٢) مسربة: السربال: القميص والدرع، أو كل ما لبس والجمع سراويل. انظر: المعجم الوجيز

لابسين الحديد من الفرق إلى القدم، والمسلمون كاللحم على وضم^(١)، فكيف يقاتل اللحم الحديد، وكيف يبرز العارى لمن كسى الزرد النضيد، فانهزمت المسلمون وولت، ومن الكفار فرت، فقال الشاعر فى ذلك:

قد ولت المسلمون لما باللبس وافاهم جنود
وكيف لا يهربون منهم والناس لحم وهم حديد
ثم إن أهل الإسكندرية لما رأو ما لم يعهدوه أبدا، ولا شاهدوه على طول المدى، رجفت منهم القلوب، وصار كل واحد من عقله مسلوب، ولما رأو من الرعوس الطائرة، والخيول الغائرة، فتزاحموا فى الأبواب، بعضهم على بعض، فصاروا موتى بالطول والعرض، وثبت بعض الناس، وقاتل وهو مجتهد، حتى قتل من الفرنج ما تيسر له قبل أن يستشهد. قيل إن محمد الشريف الجزار هجم على الفرنج بساطور الجزيرة، جعل عظام جماعة منهم مكسرة، وهو يقول: «الله أكبر قتل من كفر» إلى أن تكاثرت عليه منهم جماعة كثيرة، فاستشهد - رحمه الله - بالجزيرة وروى بعض فقهاء المكاتب - ويعرف بالفقيه محمد بن الطفال - وهو قاصد الفرنج بسيفه فقبل له «تموت يا فقيه محمد» فقال «إذا أسعد، وأصير مجاورا للنبي محمد، وأى موة أحسن من الجهاد فى سبيل الله لأصير إلى الجنة»، وهجم فيهم فصار يضربهم ويضربونه إلى أن رزق الشهادة، وختم له بالسعادة.

نعود إلى ذكر من قاتل بالجزيرة من المسلمين للفرنج الكافرين. وذلك أن جماعة من رماة قاعة القرافة المتطوعة. لما حوصروا فى الرباط الذى عمره لهما الشيخ الصالح أبو عبد الله محمد بن سلام خارج باب البحر بالجزيرة بسبب مبيتهم فيه وصلواتهم، وذكرهم ليلة خروج طائفتهم، ترابط به وكان بناؤه قبل الوقعة ما يزيد على سنة، قيل إنه انصرف على عمارته ثمانمائة دينار. فلما تكاثرت الفرنج حول الرباط، صارت رماة

(١) وضم الوضم: كل شىء يوضع عليه اللحم من خشب أو بارية يوقى به من الأرض؛ قال أبو زغبة الخزرجى، وقيل: هو للحطم القيسى، وقيل: هو لرشيد بن ربيض العنزى:

لست براعى إبل ولا غنم ولا بجزار على ظهر وضم
ومثله قول الآخر:

وفتيان صدق حسان الرجوه لا يجحدون لشيء ألم
من آل المغيرة لا يشهدون عند المجازر لحم الوضم
والجمع أوضام. وفى المثل: إن العين تدنى الرجال من أكفانها والإبل من أوضامها على الوضم. ووضمه يضمه وضما: عمل له وضما، وفى الصحاح: وضعه على الوضم. وتركهم لحما على وضم: أوقع بهم فذلهم وأوجعهم. والوضم: ما وضع عليه الطعام فأكل. انظر لسان العرب ٤٨٦١.

المسلمين في أعلاء يرمون على الفرنج بسهامهم، فقتلوا من الفرنج جماعة. فلما نفذت سهامهم عمدوا إلى شرفات الرباط. صاروا يهدمونها، ويرمون الفرنج بأحجارها إلى أن نفذت حجارة الشراريف منهم. فانقطع رميهم فكسرت الفرنج شبابيك الرباط المذكور، وصعدوا إليهم فلما صارت الفرائج معهم صاحوا بأجمعهم «يا محمد» وصمتوا، فلم يسمع لهم بعد ذلك صوت. أخبر عنهم بذلك عبد الله بن الفقيه أبو بكر قيم مسجد القشيري، كان مخفياً بصهرنج المذكور فذبحتهم الفرنج عن آخرهم بخناجرهم، فصارت أدميتهم تجرى من ميازيب الرباط المذكور، كجرى الأمطار حين أبانها فيها. وقيل كان عدد المذبوحين فوق السطح الرباط من المسلمين زيادة على الثلاثين، فطوبى لهم إذ رزقوا الشهادة، وختم لهم بالسعادة. فلما رجع من خرج من الإسكندرية فارا من الفرنج من أبواب البر - كما سيأتي ذكر صفة فرارهم - وعابنوا القتلى المطروحين بالأرض داخل البلد وخارجه بالجزيرة. وقصدوا رباط ابن سلام المذكور، فرأوا تحت الميازيب دماء كثيرة جامدة، فصعدوا إلى سطحه فوجدوا الرماة ذبجوا. وبالجنة قد فرحوا وربحوا، فحفروا لهم خارج الرباط قبراً متسعاً ودفنواهم فيه، رحمة الله عليهم. فكانوا كما قال الله تعالى في أمثالهم: ﴿وَقَاتِلُوا وَقْتِلُوا لَأُكْفَرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ﴾ (١).

قال المؤلف - غفر الله له ولوالديه وللمسلمين أجمعين - : حدثني الشيخ الصالح أحمد بن النشاء - شيخ رماة قاعة القرافة بالإسكندرية - قال: حدثني محمد الخياط بعد قدومه من مدينة قبرص مع من حضروا من أسارى الإسكندرية الراجعين إليها منها. قال: «كنت مع رماة المسلمين على سطح رباط ابن سلام. حين صعدت الفرنج إلينا، فصاروا يذبجون الرماة، وأنا أضطرب من الخوف، فتركوني حياً لصغر سني. وأما حسين البياع فإنهم لما قصدوا ذبحه. ضحك لهم فضحكت الفرنج بضحكه: وقالوا: «اتركوه لأنه ضحك موضع الخوف، فأسرنا نحن الاثنين، فحزن حسين بعد ذلك وبكى».

ولما رأى الشيخ محمد بن سلام ما فعل برباطه من بابه وشبابيكه النحاس وكسر قناديله. وحرق سقف إيوانه، وقتل رماة المسلمين به بكى وتألم على ما رأى وشاهد. فسد حينئذ شبابيكه وبابه بالحجارة. ثم أنه عمره ثانياً سنة إحدى وسبعين وسبعمائة، فصار كما كان أولاً، لكنه أقنى سقف إيوانه بالحجارة لا بالخشب، حتى لا يصير للنار

فيه عمل، إن حدث أمر...

نعود إلى ذكر خبر الإسكندرية: وذلك أن الأمير جنغرا المتقدم ذكره، لما رأى الناس فروا من بين يديه ومن خلفه، وعن يمينه وشماله بلذع سهام الفرنج، والتذع هو أيضا بها، وسال دمه من نصلها. ندم على مخالفته لقول القائل: «أدخل الناس ليتحصنوا بأسوارها الحصينة يقاتلوا الفرنج الكفار بسهامهم من كوى الأسوار. إلى أن تأتي النجدة في أقرب مدة، ليزول بحضروها عن المسلمين الشدة». فتيقن حينئذ أن عدم خروجهم من الأبواب كان عين الصواب، وأن الذي أشار بعدم دخولهم البلد كان فيه أليم العذاب، وصار كل منهم بالفرار مركون ببلد البسلقون^(١) وبلد الكريان، وغيرهما من البلاد الدانية والبعاد.

ثم إن جنغرا قصد ناحية المطرق المحاذي لدار السلطان، غربى الإسكندرية من ظاهر سورها، خائضا بفرسه في الماء، ومن معه من المسلمين فدخل الإسكندرية من باب الخوخة. فأتى بيت المال، أخذ ما كان فيه من ذهب وفضة، وأخرجها من باب البر، وأمر بتجار الفرنج وقناصلهم - وكانوا نحو خمسين بالإسكندرية مقيمين - أخرجهم من باب البر، ووجههم إلى ناحية دمنهور^(٢)، بعد أن امتنعوا من الخروج مع الجبلية المرسمين عليهم. فعند ذلك ضرب أحد الجبلية عنق إفرنجي منهم بسيفه، فحين رأوا ذلك، خافوا أن تضرب أعناقهم، فأذعنوا بالخروج سرحة، فخرجت الجبلية بهم مسلسلين إلى جهة دمنهور. وكان خروجهم بهم حين انضمام العدو إلى القرب من السور فرمتهم المسلمون من أعلى السور بالسهام، فلم يقدرُوا على الوصول إليه. ثم إن الفرنج عمدوا إلى بنية خشب ماؤها حريقا، وقصدوا بها حرق باب البحر، بكركرتها بأسنة الرماح، فتتابعت عليهم السهام من أعلى السور فقتل من الفرنج جماعة، فحاروا في أمرهم ماذا يفعلون، فتركوا البنية تتقد بناورها، بعيدا من الباب، ورجعوا إلى ناحية الميناء الشرقية، ونظروا فلم يجدوا على السور من تلك الجهة أحدا. ولا ثم خندق يمنع من الصعود إلى السور، فدرجوا إلى جهة باب الديوان أحرقوه، ودخلوا مع ما نصبوا هناك من السلام الخشب المفصلة، صعدا عليها السور فلما رآهم المسلمون الذين على السور من البعد قد صعده وبيّنهم وبين الفرنج قلعة عالية غير نافذة إليهم، شردوا طالبي النجاة منهم لكثرتهم، ولتحققهم بأن الفرنج ملكت البلد، فقتل من المسلمين من أدركته الفرنج، وسلم منهم من خرج من أبواب البر، فلو كان السور الذي يلي البحر

(١) البسلقون والكريان: من البلاد القديمة بمركز كفر الدوار.

(٢) دمنهور: بلدة بينها وبين الإسكندرية يوم واحد في طريق مصر. انظر معجم البلدان ٤٧٢/٢.

معمرا بالرجال من جهة الديوان والصناعة سلمت منهم الإسكندرية، وإنما قال شمس الدين بن غراب كاتب الديوان، وشمس الدين بن أبي عذبية الناظر «أغلقوا باب الديوان الذى يلى البلد لثلاث تنقل التجار بضائعها منه إلى البلد فتضيع الحقوق التى عليها». فقفل الباب فلذلك امتنعت الرماة من تلك الجهة من السور، فبذلك رأى العدو جهة خالية ودخل البلد منها. وقيل إن ابن غراب المذكور كان متعاملا مع صاحب قبرس^(١) عليها، وأن صاحب قبرس أتاها قبل الوقعة فى زى تاجر أواه ابن غراب المذكور مدة، فصار القيرسى يتمشى بالبلد فى جملة الفرنج التى بها تجارا وهو يكيفها وينظر أحوال الناس. فلما علم ذلك بعد الوقعة وسط الأمير صلاح الدين بن عرام بعد قدومه من الحجاز شمس الدين بن غراب، وعلقه قطعتين على باب رشيد. فلو فتح باب الديوان الذى على البلد قاتلت المسلمون الفرنج من أعلى سوره، ووجدوا ما يقوتهم بالأكل من نقل الشام. وكانت أصحاب البضائع تحرسها، ويطعمون منها المجاهدين. فلما لم يكن للأمير جنغرا رأى صائب، وقفل ابن غراب والناظر لباب الديوان، أخذت الفرنج البلد منه، ونفذت المقادير، من كل كبير من أهل الثغر وصغير، فمنهم من قتل، ومنهم من أسر، ومنهم من سلم، ومنهم من كسر، ومنهم من هرب بعد أن ألقى سلاحه واضطرب، ومنهم من ترك وطنه وتغرب، ومنهم من ازدحم فى الأبواب ومات، ومنهم من افتقر وبلى بالشتات، فما أسرع ما أخذ الثغر، وما أعجل ما انكوت قلوب أهله بالجمر، ظفرت به الفرنج فى اليوم الذى نزلوا فيه من مراكبهم إلى البر، ولا أمسك بالحصار يومين بل أخذ من المسلمين فى ساعتين وقيل إن الحصار للمدن والحصون تمسك السنة والستين.

فلما دخل الإسكندرية الأمير الأتابكى يلبغا الخاسكى، بعد الوقعة، قيل له ذلك فقال: «إذا كان النخال حفظ جهته فكيف لو كان دقيقا أو سويقا. كان يحمى البلد ولم يدخل إليه من الإفرنج أحد». وكان فرار أهل الإسكندرية من الفرنج من باب السدرة وباب الزهرى وباب رشيد بعد زحام شديد، فمنهم من أدركه الفرنج بباب السدرة فقتلته، ومنهم من أسرته، ومنهم من نزل من السور فى الجبال والعمائم، فعطب العاطب^(٢)، وسلم السالم، وصعدت الفرنج على أعلى باب السدرة. نصبت عليه الصليبان، وصار كل واحد من المسلمين برؤيته للفرنج كالهائم الوهان.

(١) قبرس: قبرص أو قبرس بضم أوله وسكون ثانيه ثم ضم الراء وسين مهملة، هى جزيرة فى بحر الروم. انظر معجم البلدان ٤ / ٣٠٥.

(٢) العاطب: الفاسد وعطب عطيا: هلك وفسد. انظر المعجم الوجيز ٤٢٣.

وكان خروج أهل الإسكندرية من الأبواب من أعجب العجائب، وذلك لازدحامهم. وهلاك بعضهم من قوة الزحمة. وفي ذلك الوقت نزعت من قلوبهم الرحمة، فخرج من الأبواب ألوف مولفة، بتوحيد الله معترفة، فامتألت منهم الغيطان والبلدان، ونهب بعضهم العربان، وغلا السعر بينهم ما جلبته الباعة إليهم من البلدان، فباعوا الغالى بالرخيص، وصار كل منهم على تحصيل القوت حريص، ولا أمكنهم ترك القوت لزيادة الغلاء ولا رجعوا إلى قول الشاعر فى بيته السائر بين الملأ وهو:

وإذا غلا شىء على تركته فيكون أرخص ما يكون إذا غلا

ثم إنه لما حصل الغلاء بين أهل الإسكندرية، الذين فروا من الملة النصرانية، ومنهم من باع ما عليه من فوطة وفاضل قميص، ومنهم من باع ما يتدفأ به من جبة وفرو مصيص، وذلك لخروجهم من بلدتهم سرعة، وليس مع بعضهم درهم ولا قطعة، بل تركوا ديارهم مغلقة الأبواب، كسرتها ورتعت فيها الإفرنج الكلاب، فنهبتها من الحوانيت والفنادق. وحملت ما فيها على الجمال والبغال والحمير والأيانق، ثم قتلوا من اختفى عند مصادفتها له من كبير وصغير، وعرقبوا المواشى، فمنهم هالك وكسير. ثم إنهم أحرقوا القياسر والخانات، وأفسدوا النسوان والبنات، وكسر كل علعج ماردا قناديل الجوامع والمساجد، وعلقوا على السور أعلام الصليبان، وأسروا الرجال والنساء والولدان، وقتلوا كل شيخ عاجز. حتى المجانين والبلهاء والعجائز وضاع للناس فى خروجهم من أبواب المدينة ما استخفوا حمله من ذهب ومصاغ للزينة وذلك من قوة الزحمة وطلب النجاة بقوة يتمه فمن الناس من خرج بمن كان معه، ومنهم من ضاع ما معه فى تلك الزحمة المفضطة ومنهم من ضاع ماله الذى خرج به بين الأبواب، وصار من ضياعه فى حسرة واكتئاب، قيل إن بعض تجار الأعاجم خرج من باب رشيد، ومعه جراب فيه ستة آلاف دينار، فمن قوة الزحمة فى الباب سقط من بين يديه، بعد أن كان قابضا عليه، فما قدر على الانحناء يأخذه من الأرض من قوة ازدحام الناس بعضهم لبعض، بل رفعه من كان خلفه، فخرج صحيح البدن من الباب، مجروح القلب من ضياع الجراب، فتفتت أكباده، وعدم نومه ورقاده وصار إلى الجنون انقياده، وزال عنه عقله ورشاده، وصار يستغيث فلا يغاث، ونحل جسمه حتى صارت عظامه كالرفات، ثم حصل له بذلك الضرر والبؤس، لما أحاطت به العكوس والنحوس، فصارت الأحباب تلومه على ضيعة الجراب، فأنشد من لوعة الاكتئاب:

إذا كنتلقى البؤس عند أحببى ترى عند أعدائى يكون دوائى

ثم إن الفرنج فعلوا بالإسكندرية ما تقدم ذكره من نهب بعد كسر وقتل وإحراق، من عصر يوم الجمعة إلى آخر يوم السبت ثانيه. وكان مما أحرقوه حوانيت الحرف بكاملها، وسوق القشاشين بالمعاريج، والحوانيت الملاصقة لقيسارية الأعاجم من خارجها من الجهة الشرقية، وحوانيت شارع المرجانيين وبعض فنادقه، وفندق الطيبة مع فندق الجوكندار، وفندق الدماميني الذى يسوق الجوار، ووكالة الكنان المقابلة لجامع الجيوشى بالقرب من العطارين مع سوق الخشابين. وأحرقوا أيضا درابزى مدرسة ابن حباشة مع سقف الإيوان، وعبثوا بكل ناحية ومكان، وأحرقوا باب مدرسة الفخر القريبة من باب رشيد، وعبث بإحراق بعض حوانيت المحجة كل عالج مريد. ذكر لى شيخ يسكن بالحجة قال: «كنت مختفيا بأعلى دارى فى مكان أنظر من كوة^(١) صغيرة، فرأيت الفرنج يأتون إلى الحانوت المغلق الباب، فيمد أحدهم على بابه خطة سوداء، ويخط من فوقها خطة حمراء، ويلقم الخط النار فيلتهب الباب بسرعة». قيل إن الفرنج يستصحبون معهم حلق الحراقات المغموسة بالزيت والقطران والزفت والنفت، فيضع أحدهم الحلقة الواحدة فى نصل السهم الموضوع على متن قوس الركاب، ويلقم الحلقة النار، ويفك الوتر من الحوزة، فيخرح السهم صاعدا إلى السقف يوكز فيه، فليتهب الخشب بسرعة، فينزل إلى الأرض يحرق كل ما فى البيت، مما ليس تحملهم به حاجة. يفعلون ذلك نكاية للمسلمين. لعنة الله على الفرنج أجمعين.

نعود إلى ذكر ما فعلته الفرنج بالإسكندرية: ثم إن الملاعين أحرقوا فندق الكيتلانيين، وفندق الجنويين، وفندق الموزة، وفندق الموسليين، فصارت النار تعمل فى البندق والبضائع التى لم تجد لها محملا معهم، لإشحان مراكبهم مما أخذوه من أموال الإسكندرية ثم كسرت الفرنج أيضا حوانيت الشماعين والبياعين، بعد نهب قياسر البزازين، وكسروا ما فيها من الأوعية والأواني والأحقاف^(٢) والبراني، فصارت ملقاة

(١) والكو والكوة: الخرق فى الحائط، والثقب فى البين ونحوه؛ وقيل: التذكير للكبير، والتأنيث للصغير، قال ابن سيده: وليس هذا بشيء. قال الليث: تأسيس بنائها من ك وى كان أصلها كوى ثم أذغمت الواو فى الياء فجعلت واوا مشددة؛ وجمع الكوة كوى، بالقصر نادر، وكواء بالمد، والكاف مكسورة فيهما مثل بدره وبدر. وقال اللحياني: من قال: كوة ففتح فجمعة كواء ممدود؛ والكوة، بالضم لغة، ومن قال: كوة فضم فجمعه كوى مكسور مقصور؛ قال ابن سيده: ولا أدرى كيف هذا وفى التهذيب: جمع الكوة كوى كما يقال قرية وقرى. وكوى فى البيت كوة: عملها. وتكوى الرجل: دخل فى موضع ضيق فتقبض فيه.

وكوى: نجم من الأنواء، قال ابن سيده: وليس بثبت. انظر لسان العرب ٣٩٦٤

(٢) الحقف من الرمل: المعوج، وجمعه أحقاف وحقوف وحقاف وحقفة؛ ومنه قيل لما اعوج: =

مطروحة فى الطرقات، قد سال ما فيها من زيت وعسل وسمن وغير ذلك، وكسروا أيضا حوانيت الصاغة، وأخذوا ما فيها من مال ومصاغ، كما أخذوا من حوانيت الصرف ما كان بها من دنانير ودراهم، ونهبوا أقمشة التجار المصريين والشاميين المخزونة المبيعة للسفر بها لمصر والشام ونهبوا أيضا الحديد الذى قدمت به تجار الأعاجم وغيرهم إلى الإسكندرية، وكانت عدة قناطير، ونهبوا من الدور الأموال والأقمشة والمصاغ والفرش والبسط والنحاس وغيره وأخذوا معهم باب المنار الذى كان عمره الأمير صلاح الدين عرام قبل الواقعة، على الأساس الذى كان أسسه الملك المنصور قلاوون وبطل عمارته، فعمل ابن عرام عليه حصنا دائرا، ثم أخذت الفرنج أيضا شبايك قبة طغية انتى بالجزيرة وأحرقوا سقف الربط التى بها، وهى التى خاف عليها أصحابها من الإفرنج قبل نزول الفرنج من مراكبهم، وكسروا قناديلها وقناديل المزارات، وأفسدوا قصور الجزيرة وتربها، وكسروا أعمدة قبة منير مصلى العيد، وعمودى ضريح قبة تربة الأمير طغية، والأمير بلاط، واللذين فيهما تاريخ وفاتهما. وكانا موهين بالذهب واللازورد، وقلعوا حلقتى باب المدرسة الخلاصية التى عمرها نور الدين بن خلاص، وكانا من النحاس المخرم فعمل لباب المذكورة غيرهما بعد أشهر من حين الواقعة، وأخذوا منها كرسى الربعة وبيتها، وكانا من النحاس الأندلسى المخرم، المنزل فيهما اليقات الفضة بدائرها، لم ير منها حسن صنعة وتدقيق وتخريم وتركوا أجزاء الربعة المذكورة الثلاثين جزءا مطروحة بالمدرسة المذكورة، لا يأخذوا جزءا واحدا، وصعدوا صومعة المدرسة النابلسية، فوجدوا فيها جمال الدين ابن بانيها محتفيا منهم بها، وكان شيخا كبيرا، ضعيف البنية، فألقوه على رأسه من أعلاها إلى الأرض، فاندقت عنقه. فمات شهيدا رحمه الله. وقتلوا من وجدوه بالجوامع والمشاهد،

=محقوف. وفى حديث قس: فى تائف حقاف، وفى رواية أخرى: حقائف؛ الحقاف: جمع حقف، وهو ما اعوج من الرمل واستطال، ويجمع على أحقاف، فأما حقائف فجمع الجمع، أما جمع حقاف أو أحقاف، وأما قوله تعالى: «إذ أنذر قومه بالأحقاف»، فقيل: هى من الرمال، أى أنذرهم هنالك. قال الجوهري: الأحقاف ديار عاد. قال تعالى: «واذكر أحبا عاد إذ أنذر قومه بالأحقاف»، وقال الفراء: واحدها حقف وهو المستطيل المشرف وفى بعض التفسير فى قوله بالأحقاف فقال بالأرض، قال: والمعروف من كلام العرب الأول، وقال الليث: الأحقاف فى القرآن جبل محيط بالدنيا من زبرجدة خضراء تلتهب يوم القيامة فتحشر الناس من كل أفق؛ قال الأزهرى: هذا الجبل الذى وصفه يقال: له قاف، وأما الأحقاف فهى رمال بظاهر بلاد اليمن كانت عاد تنزل بها. والحقف: أصل الرمل، وأصل الجبل، وأصل الحائط. وقد احقوقف الرمل إذا طال واعوج. واحقوقف الهلال: اعوج. وكل ما طال واعوج، فقد احقوقف كظهر البعير وشخص القمر. انظر لسان العرب ٩٣٩ انظر

وأقاموا بالإسكندرية العرابد، فقتلوا الناس فى الدور والحمامات والشوارع والخانات، وكانت الفرنج تخرج بالنهب من الإسكندرية إلى مراكبهم على الإبل والخيول والبغال والحمير، فما فرغوا من النهب. وقضوا إربهم من البلد، طعنوها بالرماح وعرقبوها بالصفاح، فصارت مطروحة بالجزيرة والبلد لم يعلم لها عدد، فهلكت وجافت، فأحرقها المسلمون بالنار لتزول رائحة جيفها.

ثم إن الفرنج تحصنوا بمراكبهم بعد قرها وإشحانها بما نهبوه، وكانت تزيد على سبعين مركبا، وتركوا بالساحل فضلات البهار التى لم يجدوا لها محملا، فرجع إلى أربابه، من وجد علامة عليه أخذه، ثم إن مراكب الفرنج ثقلت بما فيها، فصاروا يلقون ما فيها فى البحر - على ما قيل - لتخف من كثرة الوسط وكان الغواصون يرفعون النحاس وغيره بناحية أبوقير، ولولا لطف الله تعالى بعباده بحرهم باب رشيد وباب الزيادةى كانت الفرنج ملكت البلد وحصل التعب فى خلاصه، كما حصل فى طرابلس الغرب ومدينة أنطاكية^(١) بى التركية، وسيأتى فيما يرد من هذا الكتاب ذكر ظفر الفرنج بهما إن شاء الله تعالى. ولطف الله تعالى بعباده المسلمين فى عدم معرفة الفرنج لقصر السلاح، الذى بالموضع المعروف بالإسكندرية بالزربية، لو فهموه أحرقوا جميع ما فيه من السلاح المدخر من عهد الملوك السالفة. رحمة الله عليهم، فلقد وضعوا فيه من الأسلحة الكثيرة ما ليس لعدددها حصر، ذكر أبو العباس أحمد شيخ رماة قاعة القرافة المرصدة لسلاح الجهاد المتطوع به: بها ستون ألف سهم من بعض السهام التى فى أحد بيوت قاعة من قاعاته، قيل إن فيه عدة قاعات فى كل قاعة عدة بيوت، فى كل بيت آلاف مؤلفة من السهام، إلى غيرها من السيوف والرماح والمزاريق والأتراس والخوذ والقنابر والزرذ والزردييات والأطواف والقرقلات، والسواعد والركب والساقات والأقدام الحديد، والقسى الملولة والجرج والركاب والأعلام ما لا ينحصر بالأقلام. ثم فيه أيضا من حجارة العلاج والمدافع والنفط وحيل الحروب ومكايدها كثيرا، فلو علمت به الفرنج أحرقته سريعا، فحصل اللطف الكبير من اللطيف الخبير لعدم معرفتهم إياه، بعد أن أتوا إلى بابه ظنوا أنه أحد أبواب المدينة، خافوا من كسر بابه ليكون ورائه كمين يطبق عليهم. قال المؤلف - غفر الله له ولوالديه وللمسلمين أجمعين - حدثنى الشيخ الصالح أبو عبد الله محمد بن يوسف حارس القصر المذكور - ويعرف بابن قراجا - قال: «كنت فيه بمفردى لما دخلت الفرنج الإسكندرية، فأغلقت بابه، وقرأت حزب سيدى الشيخ الصالح أبى الحسن الشاذلى، وإذا بالفرنج أتوا إلى الزربية، فيهم خيالة ومشاة، وكنت صعدت أعلى القصر، فعدت أنظر إليهم من شقوق فى حائط، فطلع

بعضهم على زلاقة بابه، وصاروا يتشاورون فى أمره، وكنت أعددت لنفسى مكانا أحتفى فيه إن دخلوه، ولكن خفت بأن يحرقوه فأهلك بالنار، فوقفوا ساعة وتركوه مضوا، فرأى أحدهم صبيا بالزريبة يعدو سريعا حين معاينته لهم، فعدى الإفرنجى، فلما أحس به الصبى ووقف باهتا من الخوف، فضربه الإفرنجى، فالتقى الصبى الضربة بيده اليسرى. فطارت يده إلى الأرض، ثم ضربه ضربة أخرى على عانقه، فوقع على شقه الأيمن مستقبل القبلة، ومضى وتركه. فصار الصبى ينش الذباب بيده اليمنى عن وجهه وجراحه وهو راقد، وما أمكننى النزول إليه من القصر، خوفا من رجوع الفرنج إلى الزريبة فصار الصبى مطروحا بالأرض إلى أن مات شهيدا، رحمه الله. انتهى.

نعود إلى ذكر ما أحرقت الفرنج أيضا بالإسكندرية: وذلك أنهم أحرقوا أبواب البحر الأولى والثانى، وأبواب الباب الأخضر الثلاثة، وباب الخوخة، والمجانيق التى كانت بالصناعتين الشرقية والغربية، وكان أهل الإسكندرية وقت هزيمتهم حرقوا إغربة كانت بالصناعة الشرقية لثلا تأخذها الفرنج، فلما رأتها الفرنج محروقة أحرقتها بالنار، ثم أحرقت الفرنج أيضا دار الطراز والديوان، بعد أن أخذوا ما فى دار الطراز من الاستعمالات الرفيعة الأثمان وأحرقوا أيضا قلعة ضرغام والمكان المعروف بالملكس، وكان برسم الاستعمالات أيضا. وكانت مدة إقامة الفرنج من حين أتوا إلى الإسكندرية وظفروا بها إلى آخر من سافر منهم ثمانية أيام، وذلك أنهم أتوها يوم الخميس حادى عشرين المحرم سنة سبع وستين وسبعمائة، وسافر آخرهم يوم الخميس الثامن والعشرين من الشهر المذكور، وكان سبب إقامتهم تلك الأيام لينظروا من البحر من يأتى من البحيرة^(١) من مصر. فلما عاينوا وهم بمراكبهم العساكر أقبلت كالجراد المنتشر، يقدمها الأمير الأتابكى يلبغا الخاسكى، سافروا.

* * *

السلطان الملك الصالح صلاح زين الدين أبو الجود

حاجى بن الملك الأشرف شعبان بن حسين بن محمد بن قلاون الألفى^(٢)

(١) البحيرة كورة معروفة من نواحي الإسكندرية بمصر، تشتمل على قرى كثيرة ودخل واسع. انظر

معجم البلدان ٢ / ٣٥١.

(٢) أمير حاج (الملك الصالح) بن شعبان (الأشرف) بن حسين بن محمد بن قلاون: آخر سلاطين الدولة القلاونية بمصر والشام. أخذت له البيعة فى القاهرة بعد وفاة أخيه (على بن شعبان) سنة ٧٨٣هـ ثم خلع سنة ٧٨٤هـ وكانت مدة سلطنته هذه سنة وسبعة أشهر وأيام. ثم أعيد إلى الحكم سنة ٧٩١هـ وغير لقبه وتلقب بالملك المنصور ثم خلع نفسه من السلطنة. انظر ابن إياس

أقيم في السلطنة ثانی يوم مات أخوه المنصور وقد اجتمع الأمير الكبير برقوق^(١) والأمراء بالقلعة فی يوم الإثنين رابع عشرينه، واستدعوا الخليفة وقضاة القضاة إلى باب الستارة، وأحضر إليهم أولاد الملك الأشرف شعبان، وهم إسماعيل وأبو بكر وحاجي، فوقع الاختيار على حاجي - فإنه أكبرهم - فحلفوا له، وبايعه الخليفة. ثم أركب من باب الستارة بشعار السلطنة، والأمراء فی ركابه مشاة، حتى صعد الإيوان فأجلس على تخت الملك، ولقب بالملك الصالح، ومد السماط بين يديه، ثم عبروا به إلى القصر، فأجلس به، وخلع على الخليفة، ونودي فی القاهرة ومصر بالدعاء للسلطان الملك الصالح.

وفی يوم الخميس سابع عشرينه: أجلس السلطان بدار العدل، وعملت الخدمة على العادة، فلما دخل إلى القصر بعد الخدمة، حضر الخليفة والقضاة ومشايخ العلم، وقرأ عهد الخليفة للسلطان على الأمراء، وكتب عليه الخليفة خطه، وشهد فيه القضاة عليه، ثم خلع على القضاة وكتب السر والوزير.

وفیه خلع الوزير على يوسف بن المقدم محمد بن يوسف، واستقر مقدم الدولة، عوضاً عن أحمد العظمة، باستعفائه.

وفی ليلة الثلاثاء خامس عشرينه: مات المقدم سيف تحت العقوبة، ولم يخلف بعده فی معناه مثله، سعة مال وكثرة أفضال،

وفی هذا الشهر: كثر الوباء بالقاهرة ومصر.

وفی يوم الثلاثاء سابع عشر شهر ربيع الأول: خلع على تاج الدين بن وزير بيته مستوفى الخاص، واستقر فی نظر الإسكندرية، عوضاً عن مجد الدين بن البرهان. واستقر علم الدين ودينات فی استيفاء الخاص. وخلع على ناصر الدين أحمد بن محمد ابن محمد التنسي^(٢)، وأعيد إلى قضاء الإسكندرية، عوضاً عن تاج الدين بن الربيعي.

(١) برقوق بن أنص - أو أنس - العثماني، أبو سعيد، سيف الدين الملك الظاهر: أول من ملك مصر من الشراكسة تولى حكم السلطنة سنة ٧٨٤هـ وتلقب بالملك الظاهر ثم خلع ثم أعيد مرة ثانية سلطاناً سنة ٧٩٢هـ وتوفى بالقاهرة. مدة حكمه أتابكا وسلطاناً قرابة ٢١ عاماً. انظر ديوان الإسلام وابن إياس ٢٥٨/١، ٢٩٠، والضوء اللامع ١٠/٣ والأعلام ٤٨/٢.

(٢) أحمد بن محمد بن محمد بن محمد الزبيرى الإسكندراني المالكي، ناصر الدين بن التنسي: قاض من أهل الإسكندرية. نسبته إلى تنس من أعمال تلمسان كان تاجراً، وولى القضاء بالإسكندرية سنة ٧٨١هـ صيانة للماله. عمل تعليقا على مختصر ابن الحاجب، وشرح الكافية لابن الحاجب واستقر فی قضاء المالكية بالقاهرة سنة ٧٩٤هـ ومات بها. انظر رفع الإصر ١٠٧/١ والضوء ٩٢/٢ وشذرات ٥/٧ والأعلام ٢٢٥/١.

وخلع على جلال الدين أحمد بن نظام الدين إسحاق، واستقر في مشيخة خانكاه سرياقوس^(١)، عوضا عن والده، ونعت بشيخ الإسلام شيخ الشيوخ.

وفي تاسع عشره: ركب الأمير يونس - دوادار الأمير الكبير - البريد إلى حلب، لكشف أحوال التركمان - وقد ورد خير خروجهم عن الطاعة - وتجهيز عساكر الشام لقتالهم.

وفي سادس عشرينه: أخذ قاع النيل، فكان خمسة أذرع وثمانى أصابع.

وفي ثامن عشرينه: قدم الأمير تغرى برمش من الشام باستدعاء.

وفي تاسع عشرينه: خلع على شرف الدين بن عرب، واستقر في وكالة بيت المال، عوضا عن نجم الدين محمد الطنبدى، بمال.

وفي آخر هذا الشهر ارتفع الوباء، وأكثر من مات فيه الأطفال.

وفي يوم الخميس: ثالث شهر ربيع الآخر، أنعم على الأمير تغرى برمش بتقدمة ألف، عوضا عن أمير على بن قشتمُر بعد وفاته.

وفيه نودى بسفر الحجاج الرجبية، فسر الناس ذلك، وكتب بولاية علم الدين أبى عبد الله بن ناصر الدين محمد القفصى، قضاء المالكية بدمشق، عوضا عن البرهان الصنهاجى.

وفي سابع عشرينه: وصلت خيمة جليلة من الشام، عملت للأمير الكبير، تُحمل على مائة وثمانين جملا، فضربت بالميدان الكبير.

وفي حادى عشرينه: أنعم على الأمير سودن الشيوخونى بتقدمة ألف، وخلع عليه، واستقر حاجبا ثانيا.

وفي ثانى عشرينه: ركب الأمير الكبير لرؤية الخيمة بالميدان. ومد للأمرء سماطا جليلا. ومد بعده سماط حلوى، ثم سماط فاكهة، فكان يوما مذكورا خرج الناس لمشاهدة ذلك، فكان جمعا كبيرا.

وفي ثامن عشرينه: خلع على على القرمى، واستقر في ولاية الشرقية، عوضا عن مبارك شاه. وخلع على الأمير فخر الدين إياس الصرغتمشى، واستقر حاجبا رابعا.

(١) بليدة في نواحي القاهرة بمصر.

وهذا أيضا مما تجدد، وكانت العادة أولا أن يكون حاجب واحد، ثم استقر حاجب الحجاب، وحاجب ثاني، ثم زيد بعد ذلك في الأيام الأشرفية حاجبُ ثالثُ.

وفى أول جمادى الأولى ذكر بعض العجم للأمير الكبير أن النيل لا يزيد فى هذه السنة شيئا، وأرجف بذلك، فزاد فى هذا اليوم خمس عشرة أصبعا، وفى غده ست عشرة أصبعا، فضربه الأمير الكبير وشهره.

وفى يوم السبت حادى عشره: - وعاشر مسرى - وفى النيل ستة عشر ذراعًا، فركب الأمير الكبير حتى خلّق المقياس، وفتح الخليج من يومه.

وفيه قطعت أخبار الطواشين: شاهين دست، وشاهين الجلالى، وأمرأ بلزوم بيتهما. وفيه هبت ريح شديدة بدمشق، اقتلعت أشجارا كثيرة بعروشها، واستمرت عدة أيام، فحال الناس أمرها.

وقدم البريد بخروج الأمير أشقتمُر نائب الشام بعسكر دمشق، والأمير إينال اليوسفى بعسكر حلب، والأمير كمشُبغا الحموى بعسكر طرابلس، والأمير طَشْتَمُر القاسى بعسكر حماة، والأمير طَشْتَمُر العلاى بعسكر صنفد، ومعهم نواب القلاع، وتراكمين الطاعة، وللعربان، والعشيران (١) لقتال خليل بن قراجا بن دُلغادر وجماعه ببلاد مرعش (٢)، وأنهم اجتمعوا بحلب وساروا منها صحبة الأمير يونس الدوادار، فى أول شهر ربيع الأول، فنزلوا ظاهر مرعش. وتوجه فى ثامن شهر جمادى الأولى ضياء الملك

(١) وعشيرة الرجل: بنو أبيه الأدنون، وقيل: هم القبيلة، والجمع عشائر. قال أبو على: قال أبو الحسن: ولم يجمع جمع السلامة. قال ابن شميل: العشيرة: العامة، مثل بنى تميم وبنى عمرو بن تميم، والعشير القبيلة، والعشير العاشر والعشير: القريب والصديق، والجمع عشراء، وعشير المرأة: زوجها، لأنه يعاشرها وتعاشره كالصديق والمصدق؛ قال ساعدة بن جوية:

أتته على يأس وقد شاب رأسها حين تصدى للهوان عشيرها
أراد لإهانتها، وهى عشيرته. وقال النبى ﷺ: إنكن أكثر أهل النار، فقيل: لم يا رسول الله؟ قال: لأنكن تكثرون اللعن وتكفرون العشير؛ العشير: الزوج. وقوله تعالى: ﴿لبئس المولى ولبئس العشي﴾ أى لبئس المعاشر. ومعشر الرجل: أهله. والمعشر: الجماعة، متخالطين كانوا أو غير ذلك؛ قال ذو الإصبع العدواني:

أنتم معشر زيد على مائة جمعوا أمركم طراً فكيدونى
والمعشر والنفر والقوم الرهط معناهم: الجمع، لا واحد لهم من لفظهم، للرجال دون النساء. قال: والعشيرة أيضا الرجال، والعالم أيضا للرجال دون النساء. وقال الليث: المعشر كل جماعة أمرهم واحد، نحو معشر المسلمين، ومعشر المشركين. والمعاشر: جماعات الناس. والمعشر: الجن والإنس. وفى التنزيل: ﴿يا معشر الجن والإنس﴾.

ابن بوزدوغان الواصل بعسكره إلى نصره العساكر، ومعه طائفة من العربان والأكراد لقتال التركمان، فقاتلهم ويومه، وكسرهم، وقتل ثلاثة من أعيانهم، وعاد، فاقضى رأى النواب الركوب لأخذ مرعش، فأخذوها، ثم مشوا لتمهيد البلاد حتى انتهوا إلى ملطية^(١)، ثم عادوا في آخر شهر شعبان.

وفي خامس عشره: عقد مجلس عند الأمير الكبير برقوق بسبب وقف، فاجتمع القضاة ومشايخ العلم، فتعيط قاضى القضاة برهان الدين إبراهيم بن جماعة^(٢) على علم الدين سليمان البساطى قاضى المالكى ونهره، فرسم بعزل البساطى، وجعل تعيين غيره لابن جماعة، فعين جمال الدين عبد الرحمن بن خير، وخلع عليه.

وفي يوم الإثنين سابع عشرينه: قدم البريد بأن العسكر ركب فى يوم السبت ثانى عشره، وصدم ابن دلغادر فكسره، وولى منهزما بمن معه، والعسكر فى آثارهم، فغنموا منهم شيئاً كثيراً، وملكوا منهم مدينة مرعش ونودى فيها بالأمان، فأتى الناس من الجبال وبطون الأودية. ورحل العسكر حتى نزل بمدينة الأبلستين، فى تاسع عشره، وأقاموا بها.

وفى نصف شهر جمادى الآخرة أوقعت الحوطة على الصاحب شمس الدين المقسى، وأخذ على حمار إلى القلعة، فسجن بقاعة الصاحب.

وفى هذا الشهر: كثر ظلم الوزير ابن مكانس^(٣)، وأخذ مالا من الكارم، وطلب من مباشرى الدولة والخاص جامكية شهرين، ووكل بعده من التجار أعوانه، وأخذ منهم جملة مال، وأحرق ببعضهم، فكثرت الشناعة عليه.

وفى تاسع عشرينه: أفرج عن المقسى.

وفى هذا الشهر قدمت رسل الملك المعز جلال الدين حسين بن السلطان أويس -

(١) بلدة من بلاد الروم مشهورة مذكورة تتاخم الشام وهى للمسلمين. انظر معجم البلدان ١٩٢/٥.

(٢) إبراهيم بن عبد الرحيم بن محمد بن جماعة الكناني، أبو إسحاق، برهان الدين، الحموى الأصل، المقدس الشافعى: مفسر من القضاة. ولد بمصر ونشأ بدمشق. وسكن القدس وولى قضاء الديار المصرية مرارا توفى فجأة. ودفن بالمزة ظاهر دمشق. انظر الأتس الجليل ٤٥٢/٢ والدرر الكامنة ٣٨/١ والشذرات ٣١١/٦ والأعلام ٤٦/١.

(٣) عبد الرحمن بن عبد الرزاق بن إبراهيم، أبو الفرج، فخر الدين، المعروف بابن مكانس: وزير، شاعر، مصرى حنفى المذهب. أصله من القبط ولد بالقاهرة، وولى نظارة الدولة بمصر، ثم تولى فى آخر عمره وزارة دمشق، وعزل السلطان الظاهر برقوق واستدعاه منها. فتوفى قبيل وصوله إلى القاهرة. انظر الدرر الكامنة ٣٣٠/٢ وابن الفرات ٣٢٢/٩ وآداب اللغة ١٢٤/٣ والفهرس التمهيدى ٣٠١ والكتبخانة ٣١٣/٤ ودار الكتب ٣١٨/٣ والأعلام ٣١٠/٣.

متملك توريز وبغداد - وهم قاضى القضاة بتوريز وبغداد علاء الدين على بن الجلال عبد الله بن سليمان العنائقى الأسدى الشافعى، والصاحب الوزير الأعظم شرف الدين عطا بن الحاج زين الدين حسين الواسطى، والشيخ شمس الدين محمد بن أحمد بن البرادعى البغدادى، والشيخ زين الدين على بن عبد الله بن الشامى المعرى، فأنزلوا بالميدان الكبير، وأجرى عليهم فى كل يوم مبلغ مائتى درهم، ومائتى رطل لحم، وثمانى فردات أوز، وعشرة أطيار دجاج، وسميد، ومصبغات، وخبز جراية بقدر كفايتهم.

وكانوا فى تجمل زائد. ذكر العنائقى عن نفسه أنه أنفق من توريز إلى مصر مائتين وخمسين ألف درهم. وجاء فى مائة عليقة^(١) فترك جماعته بالشام،

فأتاه قضاة القضاة، وسلموا عليه، ثم مثلوا بين يدى الأمير الكبير، فخلع عليهم بعدما مد لهم سماًطاً جليلاً، أوقف عليه الطواشى مقدم المماليك السلطانية، ولم يتقدمه أمير لفعل ذلك.

وفيه عزل ابن التنس عن قضاء الإسكندرية بابن الربعى، ثم أعيد بعد ثلاثة أيام. وورد الخبر بأن متملك الحبشة داود بن سيف أرعد - الملقب بالحطى - أنفذ جيشاً إلى أطراف معاملة أسوان، فأوقعوا بالعربان، ونال أهل الإسلام منهم بلاء كبير، فبعث الأمير الكبير إلى متى بن سمعان بطريق النصارى اليعاقبة بالمعلقة من مدينة مصر، يأمره أن يكتب إلى صاحب الحبشة يمنعه من التطرق إلى بلاد المسلمين، فأجاب بعد امتناع، وكتب إليه بما اقترحه عليه الأمير الكبير من ذلك. وكتب السلطان إليه كتاباً بالإنكار عليه، وندب لرسالته البرهان إبراهيم الدمياطى، نقيب قاضى القضاة المالكى، وجُهِز بما يليق به.

وفى أول شهر رجب: وفر إقطاع تقدمه الأمير أقتمر عبد الغنى، ولم يُنعم به على أحد. وفيه امتنع قاضى القضاة برهان الدين إبراهيم بن جماعة من الحكم، لأجل مال طلب منه من الأوقاف لتجهيز الرسل إلى الحبشة، فأعفى من ذلك، وخلع عليه فى ثانيه خلعة الاستمرار. وخلع على على بن القرمانى، واستقر فى ولاية منوف^(٢) عوضاً عن أبى بكر بن خطاب.

وفيه رسم بقطع ما تكاثر من الأتربة وغيرها بالشوارع المسلوكة، حتى علت الطرقات بالقاهرة ومصر، وندب الأمير مأمور الحاجب لذلك، فقطعت بالمساحر، ونقل

(١) المقصود بها الإبل وسائر الدواب.

(٢) هى من قرى مصر القديمة، ويقال لكورتها الآن المنوفية. انظر معجم البلدان ٥/٢١٦.

ما خرج منها إلى الكيمان. وبلغت زيادة ماء النيل تسع عشرة ذراعا واثني عشرة أصبعا، وثبت إلى سادس عشرين توت، ففرقت بساتين كثيرة.

وفي سادسه: خلع على الأمير تغرى برمشى، واستقر أمير سلاح، وخلع على العتاقى - قاضى بغداد - أطلسين بطرز زرکش، وطرحه حرير.

وفي سابعه: طلع الوزير ابن مكانس بهم الميدان على العادة، وهى كنبایش زرکش، وطرز زرکشى، فخلع عليه.

وفي يوم السبت ثامنه: ركب السلطان إلى الميدان - كما هى العادة فى كل سنة - وخلع على تقى الدين عبد الرحمن ناظر الجيش، وعلى بدر الدين محمد بن فضل الله كاتب السر، خلع الميدان، وكانت عادتهما أن يلبسا الجلب فى الميدان الثانى، فتعجلا خلعتيهما فى الميدان الأول.

وفي يوم السبت خامس عشره: ركب السلطان إلى الميدان ثانيا، يرسم اللعب بالكرة مع الأمراء. وخلع على الوزير جبة نخ بقصب، فركب بها إلى تحت القلعة، ثم عاد.

وفي يوم السبت ثانى عشرينه: ركب السلطان إلى الميدان ثالثا. وخلع على الوزير خلعة ثانية، جبة حرير بنفسجى، بطرز زرکش وفرو قاقم، وخلع على جميع من جرت عادته بالخلع.

وفي هذا الشهر: دار محمل الحاج على العادة، وخرجت أنقال الحجاج الرجبية يوم دار المحمل إلى بركة الحجاج، صحبة الأمير بهادر الجمالى، المشرف، وخرج الناس أفواجا، ثم رحلوا من البركة فى يوم الأحد ثالث عشرينه.

وفي يوم الخميس سابع عشرينه: توجهت الرسل إلى بلاد الحبشة. وفيه أخرج الأمير مأمور حاجب الحجاب، منفيا إلى الشام، ثم رسم له نبياة حماة، عوضا عن طَشْتَمُ القاسمى بعد موته. وخلع على الأمير تغرى برمشى، واستقر حاجب الحجاب، عوضا عن مأمور. وخلع على نجم الدين محمد الطنبدى، وأعيد إلى وكالة بيت المال، عوضا عن ابن عرب. وفيه أخذت دواة الوزير ابن مكانس، وعوق نهاره، ثم أفرج عنه. وفيه سارت رسل بغداد بعدما خلُع عليهم.

وفي يوم الإثنين ثانى شعبان: خلُع على الوزير ابن مكانس خلعة الاستمرار.

وفي يوم الأربعاء رابعه: رسم بنفى جمال الدين محمود العجمى محتسب القاهرة، فشفع فيه الأمير أَيْتَمُش، فأمر أن يلزم بيته. وسبب ذلك أنه نقل لقاضى القضاة صدر

الدين محمد بن منصور الحنفي عن الأمير الكبير برقوق أنه قال بالتركية لمن حوله - وهو فيهم -: «إن القضاة ما هم بمسلمين». فشق ذلك عليه، وركب إلى قاضي القضاة برهان الدين إبراهيم بن جماعة، واستشاره في عزل نفسه عن القضاء، وقال: «قطعت عمري في الاشتغال بالعلم في دمشق، ثم في آخر عمري أنفى بمصر عن الإسلام». وحدثه بما نقله المحتسب في حق القضاة عن الأمير الكبير، فتغير ابن جماعة من ذلك تغيراً كبيراً، وقام من فوره إلى الأمير الكبير، وأخبره الخبر، فغضب على محمود وعزله. وهذا أيضاً مما تجدد من الحوادث القبيحة، وهو أن الأمير الكبير صار يقع في حق القضاة والفقهاء مع خاصته، فتضع أقدارهم عند الأمراء والمماليك، بعدما كانوا يرون السلطان وأكابر الأمراء يباليغون في إجلال القضاة والفقهاء، ويرون أن بهم عرفوا دين الإسلام، وفي بركتهم يعيشون. وحسب أعظمهم قدراً أن يقبل يد الفقيه والقاضي، فانقلب الأمر، وانعكس الحال، حتى كثرت وقية الأمراء والمماليك فيهم، لما لقنوه من الأمير الكبير. ثم تزايد الحال، بحيث صار الفقهاء والقضاة في أخريات الدولة الظاهرية برقوق، وفي الدولة الناصرية فرج^(١)، وما بعد ذلك ينزلون من أهل الدولة منزلة سوء؛ ويتكلم فيهم أقل الغلمان، وأرذل الباعة، بكل قبيح عقوبة من الله لهم، لامتهانهم العلم، وخضوعهم في طلب الدنيا ولا قوة إلا بالله.

وفي يوم الخميس خامسه: خلع على تاج الدين محمد المليجي، شاهد خزانة الخاص، صائم الدهر، واستقر في حسة القاهرة، عوضاً عن جمال الدين محمود العجمي. وخلع على علم الدين يحيى، وأعيد إلى نظر الدولة عوضاً عن ابن الريشة، وكان مريضاً، فحملت له الخلعة إلى داره. وخلع على الأمير قرط بن عمر، وأعيد إلى نيابة البحيرة. وخلع على عمر ابن أخيه، وأعيد إلى ولاية البحيرة.

وفيه قدم الأمير يونس النوروزي - دوا دار الأمير الكبير - من حلب، وقد عادت العساكر من محاربة ابن دُلغادر. وذلك أنهم أقاموا على الأبلستين إلى خامس عشر جمادى الآخرة ثم رحلوا عنها وقد بلغهم نزول خليل بن دلغادر بقلعة خرت ببرت^(٢)، إلى جهة ملطية، فورد عليهم في أثناء طريقهم كتاب الأمير حسام الدين طرُنطاي -

(١) نسبة إلى فرج «الملك الناصر» بن برقوق (الظاهر) بن أنص (أو أنس) العثماني، أبو السعادات، زين الدين: من ملوك الجراكسة بمصر والشام. بويج بالقاهرة سنة ٨٠١هـ. قتل في القلعة سنة ٨١٥ على يد ممالك أبيه. انظر ابن إياس ٣١٧/١، ٣٥٠، ٣٥٤، ٣٥٧، ووليم موير ١٢٣ والضوء اللامع ١٦٨/٦ والأعلام ١٤٠/٥.

(٢) هو حصن في أقصى ديار بكر من بلاد الروم، بينه وبين ملطية مسيرة يومين، وبينهما الفرات. انظر معجم البلدان ٣٥٥/٢.

مقدم العسكر - بسيس^(١)، يتضمن دخول الصارم إبراهيم بن رمضان - مقدم التركمان - عليه في قبول توبته، وتصله من مساعدة ابن دلغادر، فأجيب بقبول عذره. ونزلوا بظاهر ملطية في ثامن عشره. ثم رحلوا عنها في أول شهر رجب عائدتين إلى حلب، بعد ما عزموا على خوض الفرات، وكشفوا مخاضها، فوجدوا تعديتها إلى الير الشرقي والوصول إلى خرت برت، متعذرا. فلما نزلوا على بريد من عين تاب^(٢) - في ثالث عشر رجب - قدم عليهم الأمير حيدر بن باشان كبير التركمان البوزوقية في طلب أمان لأمرأ طائفته، فكتب له أمان، ورحلوا في سابع عشره، فقدموا حلب في ثاني عشرينه، وتفرقت العساكر إلى مواضعها، وقد نالهم مشقة عظيمة من البرد، وكثرة الأمطار.

وفي هذا الشهر ظهر في السماء كوكب له ذؤابة، قدر رحين من جهة القبلة، وأقام كذلك مدة. وفيه كتب باستقرار شهاب الدين أحمد بن أبي الرضا بن عمر^(٣) في قضاء القضاة الشافعية بحلب، بعد وفاة كمال الدين عمر بن عثمان بن هبة الله المعري. وفيه قبض الأمير قُرط على طائفة من أعيان البحيرة، منهم شادي، ووسطهم، ورماهم في النيل، وأحاط بموجودهم كله.

وفي يوم الإثنين آخره: قدم الأمير يلبغا الناصري^(٤)، فخرج الأمير الكبير إلى لقائه، وترجل له، ثم أركبه فرسا من مراكيبه.

وفي يوم الثلاثاء أول شهر رمضان: أنعم على الأمير يلبغا الناصري بتقدمة ألف، وأجلس وقت الخدمة - السلطانية - بالإيوان، رأس الميسرة، فوق أمير سلاح.

(١) بلد هو اليوم أعظم مدن الثغور الشامية بين أنطاكية وطرسوس. انظر معجم البلدان ٧٧/٣.
(٢) قلعة حصينة ورستاق بين حلب وأنطاكية وكانت تعرف بدلوك، من أعمال حلب. انظر معجم البلدان ١٧٦/٣.

(٣) أحمد بن عمر بن أبي الرضى، أبو الخير، شهاب الدين: قاض من أهل حماة (بسورية) ولي القضاء بحلب ثلاث مرات. وكان عالما بالقراءات، له فيها نظم سماه بعقد البكرة وله منظومات أخرى في موضوعات متعددة. أعدم في خان شيخون بين المعرة وحماة. انظر الدرر الكامنة ٢٢٧/١ وجمع اللغة بدمشق ٣٢٩/٤٨ والأعلام ١٨٧/١.

(٤) يلبغا أبو المعاني السالمى الظاهري الحنفى: من أشهر أمراء الجند في دولة الملك الظاهر برقوق، ثم ابنه الناصر، أخذ مدينة صنف باسمه، ثم اتهم واعتقل سنة ٨٠٣ هـ ونفى إلى دمياط ثم أحضر سنة ٨٠٥ هـ وقرر في الوزارة والإشارة وقبض عليه أيضا. وأفرج عنه سنة ٨٠٧ هـ وعمل مشيرا ولم يلبث أن نفى إلى الإسكندرية وقتل في محبسه بها خنقا. انظر الضوء اللامع ٢٨٩/١٠ والأعلام ٢٠/٨.

وفي يوم الخميس ثالثه: خلع على سعد الدين نصر الله بن البقرى، واستقر في نظر الخاص، عوضا عن كريم الدين عبد الكريم بن مكانس.

وخلع على الوزير ابن مكانس، واستقر على عاداته في الوزارة فقط. وخلع على الأمير جركس الخليلي - أمير أخور - واستقر مشير الدولة. ورسم للوزير ألا يتصرف في شيء إلا بعد مراجعته.

وفيه استقر تاج الدين عبد الله بن البقرى في استيفاء الصحبة، عوضا عن أبيه سعد الدين، وخلع عليه وعلى علم الدين يحيى - ناظر الدولة - خلعة استمرار.

وفي هذه الأيام: ساق الأمير جركس الخليلي ماء النيل إلى الميدان تحت القلعة، وصُب في الحوض الذي على بابهِ بالرميلة، فعم النفع به سكان تلك الجهات. وكان له نحو من سبعة سنين لم يجر فيه ماء.

وفي هذا الشهر: قرئ صحيح البخاري بالقصر من قلعة الجبل، كما هي العادة من عهد الملك الأشرف شعبان بن حسين^(١). فلما كان يوم الإثنين سابعه وانفض مجلس السماع، قام قاضي القضاة برهان الدين [إبراهيم] بن جماعة، لينصرف إلى داره. فلما ركب، أخذ شخص - يعرف بابن نهار - بعنان بغلته، وقال له: حكمت عليّ بحكم لا يجوز شرعا، وقد فسقت بجهلك.. فرجع ومعه المذكور إلى الأمير الكبير، وهو في فكره، فأخذ ابن نهار في الإساءة على ابن جماعة، والأمير الكبير في شغل بما عنده من شدة الفكر؛ فشق ذلك على ابن جماعة، وعزل نفسه، وقام فتوجه إلى تربة كوكاي خارج القاهرة؛ ليمضي منها إلى القدس. وفي أثناء نزوله من عند الأمير الكبير، تجلّى عنه الفكر، وسأل من حضر عما كان، فأخبروه الخبر، فبعث في طلب ابن نهار، فأتى به من الغد، واستدعى القضاة ومشايخ العلم، فأفتى شيخ الإسلام البلقيني^(٢) بتعزير ابن

(١) شعبان بن حسين بن الملك الناصر محمد بن قلاوون، أبو المعالي، ناصر الدين: من ملوك الدولة القلاوونية بمصر والشام. ولى السلطنة بعد خلع ابن عمه محمد بن حاجي سنة ٧٦٤هـ. خنفه الأمير إينيك البدرى، ورماه في بحر، فأخرج بعد ذلك ودفن. انظر مورد اللطافة ٨٧ وابن إياس ٢١٢/١ وحسن المحاضرة ١٠٤/٢ والدرر الكامنة ١٩٠/٢ والبداية والنهاية ٣٠٢/١٤، ٣٢٤ والأعلام ١٦٤/٣.

(٢) عمر بن رسلان بن نصير بن صالح الكنانى، العسقلانى الأصل، ثم البلقينى المصرى الشافعى، أبو حفص، سراج الدين: مجتهد حافظ للحديث، من العلماء بالدين. ولد فى بلقينة (من غربية= مصر) وتعلم بالقاهرة. وولى قضاء الشام سنة ٧٦٩هـ وتوفى بالقاهرة. من كتبه «التدريب» «محاسن الاصطلاح».

نهار، فضربه إلى القاهرة بالمقارع، وشهره بالقاهرة. وبعث الأمير الكبير يسترضى ابن جماعة، فلم يرض، فراجعه ثانيا فلم يرض، فبعث إليه الأمير قُطْلُوْبُغا الكوكاسى، والأمير فخر الدين إِيَّاس الصُرْعَتْمُشى، فلم يزالا به حتى أخذه، وأتيا به الأمير الكبير. فلما شاهده من بعد، قام إلى لقائه، ومشى إليه، وترضاه. فقال له: أعدائى كثير، وما آمنهم، ومالى ولهذا الأمر. فقال له: اكل من تعرض لك - ولو بكلمة سوء - ضربته بالمقارع. ثم جىء بالتشريف، فأفيض عليه، ونزل إلى القاهرة فى تاسعه، فكان يوما مشهودا. وفيه ركب الريد الأمير جُلْبَان الدوادار، لإحضار الأمير إِيْنال اليوسفى، نائب حلب.

وفى ثانى عشرينه: أخرج الأمير مُقبِل الرومى الخازندار - أحد اليلبغاوية - منفيا، وكان ظالما غشوما.

وفيه أمطرت السماء مطرًا، قل ما عهد مثله فى الكثرة، حتى سالت الأزقة والشوارع، وخاضت الخيل بالشارع فى الماء فبلغ بطونها، وسال الجبل سيلا عظيما إلى الغاية.

وفى سابع عشرينه: قدم الريد بخروج الأمير إِيْنال من غزة، فركب الأمير أقبغا الصغير - أحد أمراء الطبلخانة - الريد، وقبض عليه بقُطْيا، وبعثه إلى الكرك، فسجن بها.

وفى تاسع عشرينه: ابتدأ بهدم خان الزكاة بين القصرين، لتداعيه للسقوط. وفيه ثبت أن هلال رمضان روى ليلة الإثنين، وأن هذا اليوم تمام ثلاثين. وفى هذا الشهر زاد سعر اللحم عما يعهد.

وفى يوم الأربعاء - يوم عيد الفطر - حمل الأمير يلبغا الناصرى القبة والطيح على رأس السلطان، عند نزوله لصلاة العيد، بالميدان تحت القلعة.

وفى يوم الخميس ثانيه: خلع على الأمير يلبغا الناصرى، واستقر نائب حلب، عوضا عن إِيْنال اليوسفى. وأنعم على الأمير يونس - دوادار الأمير الكبير - بتقدمة ألف، ورأس نوبته الأمير قُرْدُم الحسنى أمير مائة مقدم ألف، ولم يعهد قبل ذلك أن يكون دوادار أمير ورأس نوبته من جملة مقدمى الألوف.

وفيه نادى الأمير المشير جركش الخليلى فى القاهرة ومصر، أن تكون الفلوس العتق

كل رطل بدرهم وثلث، بعد ما كانت بدرهم ونصف الرطل وفرق في الصيارفة فلوسا استجد ضربها، وعمل عليها رنكه، فمنها فلس زنته أوقية، ليكون كل أربعة بدرهم، كل فلس بربع درهم. ومنها ما زنته نصف أوقية، فكل ثمانية بدرهم، حسابا عن كل فلس ثمن درهم. ومنها ما يكون كل ثمانية وأربعين فلسا بدرهم، فلم يمش له ذلك، وتوقفت أحوال الناس، وبطل بيعهم وشراؤهم، وقلّ جلب البضائع من المأكّل وغيرها، فنأدى الأمير الكبير برقوق في يوم الجمعة ثالثه بإبطال ذلك، واستمرار الفلوس على حالها.

وفي ثالث عشره: خلع على الأمير يلبغا الناصري خلعة السفر، وتوجه إلى حلب.

وفي رابع عشره: خلع على صلاح الدين خليل بن عبد المعطى بن عبد المحسن نقيب دروس الفقهاء الحنفية، واستقر في حسبة مصر، عوضا عن ابن عرب بمال التزم به، فاستفزع الناس ذلك، وعدوه بلاء ونقمة، لسوء سيرته ونذالته، فلما دخل على الأمير المشير جركس الخليلي، أنكر ولايته، وضربه.

وفيه خلع على شمس الدين إبراهيم كاتب أرلان، واستقر في وزارة الشام، ونظر الخاص والمهمات، والمرجع بها، ونظر ديوان نائب الشام، على قاعدة فخر الدين ماجد ابن قزوينه، وكتب له في توقيعه الوزير، وأنعم عليه ببغلة من الإصطبل السلطاني، وعليها زنارى جنيب خلفه، فلم يرض بذلك، لعلمه أنه إنما قصد الوزير ابن مكائس إبعاده وخروجه من مصر، خوفا منه. وفيه استدعى الجلال رسولا التبانى، وسُئل أن يجح عن الأمير أنص والدم الأمير الكبير بعد وفاته، فأجاب إلى ذلك، وجُهِز أحسن جهاز، وسافر صحبة الركب.

وفي ثاني عشرينه: توجه محمل الحاج سائرا من البركة، وتبعه الركب على العادة في كل سنة، وفيه أنعم على طُغاي تَمُر القَبْلاوى - من أمراء الطبلخانة بطرابلس - بناية الكرك، عوضا عن منكلى بُغا الشمسى، وخلع على زين الدين عمر بن منْهال، واستقر في كتابة السر بدمشق، عوضا عن فتح الدين محمد بن الشهيد. وكتب بمصادرة ابن الشهيد. وأنعم على الأمير قطلوبغا الكوكاى بتقدمة أنص - والدم الأمير الكبير - بعد موته.

وفي رابع ذى القعدة: خلع على الشريف ججاز بن هبة الحسينى، ^(١) واستقر أمير

(١) ججاز بن هبة بن ججاز بن منصور الحسينى: أحد من تولوا إمارة المدينة المنورة في عهد ولاية السلطان برقوق بمصر. ساءت سيرته. فاغتاله بعض عربان مطير، فكان عيرة للناس قتلوه وهو نائم. انظر رسائل في تاريخ المدينة والأعلام ١٣٣/٢.

بالمدينة النبوية، عوضا عن عمه عطية، بعد وفاته. وقدم الشيخ شمس الدين محمد القونوي^(١) من دمشق، فنزل بالمدرسة الصالحية بين القصرين من القاهرة، وأتاه الناس يلتمسون بركة زيارته.

وَجُهِزَ أربعمئة خلعة إلى البلاد الشامية، برسم النواب والأمراء وغيرهم، لنصرتهم على التراكمين.

وفي سادسه: قبض على بنى مكانس جميعا، بحيلة دبرها الأمير الكبير، فإنه تقدم إلى الوزير يجمع الكتاب ليندبهم إلى أشغال سلطانية، فلما اجتمعوا عنده، قبض على الوزير وإخوته، وقبض على علم الدين بن قارورة - ناظر ديوان الأمير الكبير - وألزم بحمل خمسمائة ألف درهم، وخُلع على شمس الدين إبراهيم - المعروف بكاتب أرلان - المستقر في وزارة الشام، واستقر ناظر ديوان الأمير الكبير، عوضا عن ابن قارورة، فمنا أغنى عن ابن مكانس حذره منه. وكتب باستقرار ابن بشارة في نظر الشام على عادته. وخلع على سعد الدين إبراهيم الميموني، واستقر عامل ديوان الأمير الكبير.

وفي ثاني عشرينه: خلع على الشريف جمال الدين عبد الله بن عبد الكافي بن عبد الله الطباطبائي، واستقر في نقابة الأشراف، عوضا عن السيد علي بن فخر الدين.

وفي يوم الخميس رابع عشرينه: خلع على علم الدين عبد الوهاب الطنساوي، ويقال له سن إبرة، واستقر في الوزارة، عوضا عن كريم الدين بن مكانس، وسُلم ابن مكانس وإخوته وحاشيتهم إلى شاد الدواوين، فعذبهم بأنواع العقوبات. وفيه استناب قاضي القضاة برهان الدين بن جماعة عنه في نظر وقف الأشراف، الشريف صدر الدين مرتضى بن غياث الدين إبراهيم بن حمزة.

وفي خامس عشرينه: خلع على بلوط نائب الإسكندرية خلعة الاستمرار، وقد حضر باستدعاء، ثم توجه إليها. وكانت الأسعار قد ارتفعت من شهر رمضان، حتى بلغ الإردب القمح إلى أربعين درهما، وتزايد حتى بلغ في ذى القعدة ستين درهما، وعز وجوده، وارتفعت أسعار الحبوب كلها، وتعذر وجود الخبز بالأسواق واختطفه الناس من الأفران. فرسم في خامس عشرينه بفتح شونة الذخيرة، وبيع منها. ثم توقفت أحوال

(١) محمد بن يوسف بن إلياس، شمس الدين القونوي: فقيه حنفي، تركي الأصل. مستعرب، ولد وتعلم في قونية وقدم إلى دمشق، بأهله وولده. انظر النجوم الزاهرة ٣٠٩/١١ والدر الكامنة ٤/٢٩٢، ٢٩٥. وبغير الرواة ١٢٥ والكتبخانة ٤٨/٣ والأعلام ١٥٣/٧.

الناس، وكثرت الشكاية^(١) فى الناس جميعهم من وقوف الحال، وقلة وجود الدراهم، فكان هذا - أعنى الشكاية - مما يتحدد، ولم يكن يُعرف، بل أدركنا الناس، وإذا شكا أحد من الناس حاله، عُذ عليه ذلك، فصرنا وما من صغير ولا كبير إلا وهو يشكو، وتزايد أمرهم فى ذلك، حتى صار أمر الناس بمصر فى الأيام الناصرية فرج وما بعدها إلى فاقة^(٢) وضعة.

وفى تاسع عشرينه: وقفت العامة واستغاثت، وطلبت ولاية العجمى الحسبة، فطلب فى يوم السبت سلخه، وخلع عليه، وأعيد إلى الحسبة، عوضا عن المليجى.

وفى ثالث ذى الحجة: سُمر ثلاثة من قطاع الطريق، ووسطوا، ثم سُمر فى خامسه ثلاثة أحر.

وفى تاسعه: ترك الأمير تغرى بَرْمِش أمير سلاح إمرته، وتزيا بزى الفقراء، وفرق عنه مماليكه وحاشيته، وجلس بجامع قوصون خارج باب زويلة، وجمع عليه طائفة من العامة، فبعث إليه الأمير الكبير بالأمير سوذُن الشيوخونى الحاجب، والأمير قُرْدُم الحسنى - رأس نوبة - ليعود إلى إمرته، ولكنه أبى وصمم على الزهادة، فتردد إليه الأمراء وسألوه ذلك، فأبى عليهم، ثم لم يكن بأسرع من توجهه إلى الشيخ أكمل الدين شيخ خانكاه شيخو، وسؤاله فى التحدث مع الأمير الكبير فى عوده إلى إمرته كما كان، فبعث يسأل الأمير الكبير فى ذلك، فاشتد غضبه عليه، وأمر به فأخرج فى الحال ماشيا ليمضى إلى القدس، فمشى على قدميه إلى قبة النصر خارج القاهرة، وأدركه قاصد بالإذن له بالركوب، فركب وسار.

وفى حادى عشره: وسُط رحاب، أمير عربان البحيرة، ومعه ثلاثة نفر من أعيانها.

وفى هذه الأيام: اتفقت حادثة مستغربة، وهى أن بعض تجار قيسارية جهاركس - يعرف بابن القماح - أدخل حماما بالقرب منها فى ليلة الجمعة خامسه، وأطمع صدقه - حارس القيسارية - بأن فى البئر التى بها كنزًا، ففتح له القيسارية ليستخرج الكنز من البئر. فلما صار بها هو وولده والحارس أوهمه أنه يحتاج إلى قراءة عزيمة، وإلى تبخير البئر، حتى يتيسر أخذ الكنز بإبطال موانعه، وأمره أن ينصرف عنه - هو والولد - إلى الحمام؛ ليخلو بما ذكر. وترك عنده رجلا فى صورة أنه يعينه على ذلك، وكان صانع أقفال، فمضى الحارس وولد ابن القماح [فأخذ ابن القماح] فى فتح ما على

(١) المراد الشكوى.

(٢) الفاقة هى الفقر.

حوانيت القيسارية من الأقفال الحديدية بيد ذلك الرجل، حتى فتحها كلها، وأخذ منها ما يزيد قيمته على عشرة آلاف دينار، وهرب فى الليل هو وأهله. فأصبح الناس بالقيسارية وهى مفتحة الحوانيت، فارتجت القاهرة بأهلها، وحضر الى القاهرة، واجتمع التجار وغيرهم بها. فقالت امرأة ممن يسكن بالربع علو القيسارية: قد رأينا البارحة ليلاً ابن القماح هنا، فأخذ الوالى فى طلبه فلم يقدر عليه، ولا على صدقة الحارس. ورفع التجار شكواهم إلى الأمير الكبير، فاشتد حنقه على والى القاهرة، وألزمه بإخراج السارق. فبينما هو فى الفحص عن ابن القماح، إذ دلّه شخص على موضعه، فركب إليه فى يوم الإثنين ثامن، وأحاط بالبيت الذى هو به، فألقى نفسه من علو البيت يريد النجاة، فانكسرت يده، وقبض عليه وعلى ولده أحمد، وعلى الأقفالى الذى فتح له الحوانيت. فوجد القماش الذى أخذه، والمال بعينه، لم يفقد منه شىء، فحمل ذلك على عدة حمالين، وسار بهم والمغانى تزفهم، حتى طلع إلى الأمير الكبير. فأقر ابن القماح بما تقدم ذكره، فأمر الوالى بعقوبة الجميع. فنزل بهم فى الحديد والعمل من ورائهم على رعوس الحمالين، والمغانى تزفهم فى شارع القاهرة، فكان يوماً مشهوداً. ثم أخذ التجار ما لهم بتمامه وكماله. وظفر أيضاً الوالى بصدقة الحارس، فما زال هو والأقفالى تحت العقوبة حتى هلكا. وضرب ابن القماح وولده مرارا، وسُجن فى خزانة شمائل، فإنه لم يجب عليه القطع شرعاً. لأنه كان يقول عن الأقفال هذا ناولنى المتاع من الحوانيت. فأقام عدة سنين فى السجن ثم أخرج واتضع حاله حتى مات.

وفى سابع عشره: قدم الأمير كُمشبغا الحموى نائب طرابلس باستدعاء، فأكرم غاية الإكرام، وحمل إليه الأمراء تقادم كبيرة جداً. وفى هذه الواقعة، ألزم والى القاهرة عريف قيسارية جهار كس ألا يسكن بها تاجرًا حتى يضمن عليه، وصار يتهدد التجار بفعلة ابن القماح، فتحدث الناس فى القاهرة بهذه الواقعة أعواماً كثيرة.

وقدم البريد بوقوع الوباء بصفد.

وجاءت الأخبار بغلاء الأسعار بمكة، فلما قدمها الرجبية انحلت قليلاً، حتى أبيعت الويبة الدقيق بعشرين درهماً، والويبة الشعير من ثلاثين إلى عشرين [درهماً]، مع غلاء كل ما يؤكل، وبلغت الغرارة (١) بالمدينة النبوية أربعمائة درهم. فلما قدم الحاج فى الموسم، ارتفعت الأسعار، وبلغت الويبة الدقيق إلى خمسين درهماً وما فوقها، والويبة

(١) الغرارة - بفتح الغين - التصايب بعد نكة، والغفلة. انظر (محيط المحيط).

الشعير إلى أربعين درهما، وعظمت المشقة في الرجعة إلى القاهرة من غلاء الأسعار.

* * *

ومات في هذه السنة من الأعيان

الأمير إبراهيم بن حسن بن الناصر محمد بن قلاون، في عاشر جمادى الآخرة.
وتوفى مفتى دار العدل، ركن الدين أحمد بن محمد، المعروف بقاضى قرم الحنفى،
في عاشر رجب.

وتوفى فقيه حلب، شهاب الدين أحمد بن حمدان بن أحمد بن عبد الواحد بن عبد
الغنى بن محمد بن أحمد بن سالم بن داود بن يوسف الأذرعى (١) الشافعى، فى خامس
عشرين جمادى الآخرة، بحلب. ومولده سنة تسع وسبعمائة، وله مصنفات فى الفقه.

وتوفى شيخ الشيوخ، نظام الدين إسحاق بن عاصم بن سعد الدين محمد بن
الأصفهانى شيخ خانكاه سرياقوس؛ فى ليلة الأحد ثالث ربيع الآخر. ودفن بمدرسه
فوق الشرف، بجوار الضيافة رحمه الله تعالى.

وتوفى عماد الدين إسماعيل بن شرف الدين أبى البركات محمد بن أبى العز بن صالح
الدمشقى الحنفى، بدمشق، وقد أناف على التسعين. ومات أمير أحمد بن الملك المظفر
حاجى بن محمد بن قلاون، فى سادس صفر.

ومات الأمير أقتمر عبد الغنى، نائب طرابلس، ونائب الشام ونائب السلطان بديار
مصر، وأمير كبير، فى تاسع عشرين جمادى الآخرة.

ومات الأمير أنص - والد الأمير الكبير برقوق - فى يوم السبت ثامن عشر شوال.
ومات الأمير أيذمر الشمسى، أحد أمراء الألو، فى ثالث عشر صفر. ومات
الأمير آلان الشعبانى، أمير سلاح، فى ثامن عشر ربيع الآخر.

ومات الحاج سيف بن على مقدم الدولة، تحت العقوبة، فى ليلة الأحد ثالث
عشرين صفر، ولم يخلف فى معناه مثله.

(١) أحمد بن حمدان بن أحمد بن عبد الواحد، أبو العباس، شهاب الدين الأذرعى: فقيه شافعى.
ولد بأذرعات الشام، وتفقه بالقاهرة، وولى نيابة القضاء بحلب له «جمع التوسط والفتح بين الروضة
والشرح» فى عشرون مجلدا. عاد إلى القاهرة سنة ٧٧٢ ثم استقر فى حلب إلى أن توفى. انظر الدرر
الكامنة ١/١٢٥ وأعلام النبلاء ٨٦/٥ والفهرس المهتدى ٢٣١ وهدية العارفين ١/١١٥ ودار الكتب
١/٥٢٧، ٥٣٣ والأعلام ١/١١٩.

ومات الأمير طَشْتَمُرُ الشَّعْبَانِي الِيلْبَغَاوِي، نائِب حِمَاة فِي رَجَب، بَعِين تَاب صَحْبَة العسْكَر.

وتوفى الشيخ المسند جمال الدين عبد الله محمد بن علي بن حَدِيدَة الأنصاري في خامس عشرين شعبان. ومولده سنة عشر وسبعمائة.

وتوفى جمال الدين عبد الله بن الرقيق الأسملي، أحد أعيان الكتاب، في ثالث عشر صفر.

وتوفى قاضي قضاة حلب، كمال الدين عمر بن عثمان بن هبة الله المعري الشافعي، في شهر رجب بحلب.

ومات خواجه فخر الدين عثمان بن مسافر، جالب الأمير الكبير برفوق. وإليه ينسب فيقال برفوق العثماني، في سادس عشر رجب بالقاهرة، وشهد الأمير الكبير جنازته.

وتوفى الفقير المعتقد، أبو لحاف علي الشامي بالقاهرة، في خامس صفر.

وتوفى نور الدين علي بن قَشْتَمُرُ المنصوري الشافعي في ثامن عشرين ربيع الأول.

ومات أمير علي بن قَشْتَمُرُ الحاجب، أحد أمراء الألو، الشهير بالوزير، في تاسع عشرين ربيع الآخر. كان يشارك في عدة علوم مشاركة جيدة، وسيرة جميلة.

ومات غلام الله مُهْتَار الطشت خاناه؛ في ثالث عشرين ربيع الآخر.

وتوفى الشيخ شمس الدين محمد بن محمد بن الكومي الشافعي، الأعمى، في تاسع عشرين ربيع الأول.

ومات شمس الدين محمد بن محمد بن محمد بن المعروف بابن السيوري العمّاري (١)، نسبة إلى عمار بن ياسر - رضی الله عنه - الموصلي، إمام أهل الموسيقى في زمنه، يوم العشرين من صفر.

وتوفيت المسندة جويرة بنت الشهاب أبي الحسن أحمد بن أحمد الهكاري، في يوم السبت ثاني عشرين صفر. وقد انفردت برواية النسائي وغيره.

والله تعالى أعلم بالصواب.

* * *

(١) محمد بن محمد بن محمد بن المعروف بابن السيوري العمّاري، منسل عمار بن ياسر: موسيقى مغن انتهت إليه الرياسة في ضرب العود أصله من الموصل. سكن القاهرة واشتهر وتوفى بها. انظر النجوم الزاهرة ١١/٢٢٠، ٢٢١، والأعلام ٧/٤١.

سنة أربع وثمانين وسبعمائة

أهل المحرم بيوم الثلاثاء: فيه خلع على الأمير مُبارك شاه السيفي، واستقر إلى الفيوم^(١)، وكاشف الفيوم، وكاشف البهنساوية والأطفيحية؛ عوضا عن أسنبغا المنجكي.

وفي ثالثة: خلع على الأمير سوؤن الشيخوني، واستقر حاجب الحجاب على إقطاع تغرى برمش. وخلع على الأمير كُشْبغا الحموي اليلبغاوي - نائب طرابلس - خلعة الاستمرار على عادته. وخلع على فرج بن أيدمر السيفي، واستقر في ولاية الغربية، عوضا عن أحمد بن سنقر. وخلع على أَلْطُنْبغا الصلاحى واستقر في ولاية الأشمونين، عوضا عن مبارك شاة السيفي.

وأنعم بإقطاع الأمير سوؤن الشيخوني، على الأمير أيدكار واستقر حاجبا ثالثا.

وفي عاشره: قدم الأمير أقبغا المارديني، نائب الوجه القبلي، باستدعاء.

وفي حادى عشره: توجه الأمير بكلمش العلاى، لإحضار الأمير بيدمر الخوارزمى من سجنه في نغر دمياط. وقدام الأمير جتتمر أخوطاز من دمشق، بسؤاله.

وفي هذا الشهر: تزايد سعر الغلال، وفقد الخبز من الأسواق، وأبيع كل رطلين بدرهم، وأبيع القمح بمائة وخمسة دراهم الأردب، والبطة الدقيق بثلاثين درهما، فلما دخل الشعير الجديد، أبيع الأردب منه بخمسين درهما.

وفيه رسم الأمير الكبير بإطلاق من فى سجنى الديلم والرحبة من المديونين، فأفرج عنهم جميعهم، وأغلق باب السجنين، ومنع القضاة من سجن أحد على دين، لما بالناس من الغلاء ووقوف الحال، فاشتدت وطأة الحجاب على الناس بالضرب على الديون، وترسيم نقبائهم على من فى ذمته دين.

وفي ثامن عشرة: قدم ركب الحاج.

وفي عشرينه: قدم الأمير بيدمر من دمياط فى النيل، فركب الأمير الكبير إلى لقائه، وحضر من الغد يوم الإثنين حادى عشرينه الخدمة السلطانية، وقبل الأرض على العادة،

(١) بمصر، وهى ولاية غربية بينهما وبين القسطنطين أربعة أيام بينهما مفازة لا ماء بها ولا مرعى،

وهى فى منخفض الأرض كالدارة. انظر معجم البلدان ٤/٢٨٦.

١٣٦ سنة أربع وثمانين وسبعمائة

فخلع عليه، واستقر في نيابة الشام على عادته عوضاً عن الأمير أَشَقْتَمُر، وهذه ولايته السادسة. وكتب بتوجه الأمير أَشَقْتَمُر إلى القدس بطالا.

وفيه خلع على الأمير أَقْبغا المارديني نائب الوجه القبلي، خلعة الاستمرار.

وفي آخره: انحط السعر إلى أربعين درهماً الأردب القمح، والشعير والفول إلى اثنين وعشرين درهماً الأردب، والبطة الدقيق إلى أحد عشر درهماً.

وفي يوم الأربعاء: أول صفر خلع على ابن عرب، وأعيد إلى حسبة مصر عوضاً عن خليل بن عبد المعطى، على مال يقوم به. وأضيف إليه وكالة بيت المال، عوضاً عن نجم الدين الطنبدي.

وفي ثانيه: خلع على الأمير بَيْدَمُر نائب الشام، خلعة السفر، وسافر.

وفي سادسه: خلع على محمد بن أَشَقْتَمُر بولاية قطيا، عوضاً عن علاء الدين على ابن الطشلاقي. وخلع على أبي بكر بن المزوق بولاية قوص، عوضاً عن أبو درقة قُطْلُوْبغا الأسن قُحاوى.

وفيه أعيد نجم الدين أحمد بن قاضى القضاة عماد الدين أبى الفداء إسماعيل بن شرف الدين أبى البركات محمد بن أبى العز بن صالح بن أبى العز إلى قضاء الحنفية بدمشق، عوضاً عن الهمام أمير غالب بن القوام أمير كاتب الأتقاني.

وفي تاسعه: قدم المحذوب المعتقد على الروبى من الفيوم، واجتمع بالأمير الكبير، فهرع الناس إلى زيارته، وبالغوا في اعتقاده، ونقلوا عنه خوارق، الله أعلم بحقيقتها.

وفي سادس عشره: ركب الأمير بَهْدُر المنجكى أستاذار الأمير الكبير على البريد. ليحضر من دمشق المال الذى وعد به الأمير بَيْدَمُر.

وفي ثامن عشره: أعيد النجم الطنبدي إلى وكالة بيت المال. لعجز ابن عرب عن القيام بالمال الذى وعد به.

وفي رابع عشرينه: طلب الأمير الكبير برقوق من قاضى القضاة أن يسلمه مال تاجر قد مات عن ورثة غائبين، وترك ما خلفه بمودع الحكم، فأبى أن يدفعه إليه، وقال: «ثبت عندى أن له ورثة، ولا سبيل أن أدفع المال إلا لورثته»، فغضب الأمير الكبير برقوق، واستدعى الشيخ برهان الدين إبراهيم الأبناسى ليوليه القضاء، فغيب ولم يظفر به، فامتنع ابن جماعة من الحكم، وأخذ الناس فى السعى.

وفي ثامن عشرينه: خلع على سراج الدين عمر العجمي، وأعيد إلى حسبة مصر،

عوضاً عن ابن عرب؛ لعجزه عن القيام بما وعد به. ورسم الغرماء على ابن عرب ليقوم لهم بما استدانه منهم وبرطل به، ورفعوه إلى الأمير أيذكار الحاجب، فأحرق به، وبالغ في إهانتته؛ نسأل الله العافية.

وفتحت طبقة الرفرف وبيت الأمير طاز علو خزانة الخصاص بالقلعة من الإصطبل، حيث سكنى الأمير الكبير برقوق، وركب لهما سلماً ليتوصل إليها، وأسكن بها مماليكه الذين اشتراهم.

وفي يوم الخميس سلخه: خلع على قاضى القضاة بدر الدين محمد بن أبى البقاء، وأضيف إلى وظيفة القضاء، عوضاً عن البرهان إبراهيم بن جماعة، وسافر ابن جماعة إلى القدس.

وقدم البريد بمسير نائب حلب إلى محاربة التركمان، فلما دخل دربند أصلان، توفى حادى عشر صفر، وقد فر منه سولى بن دلغادر، فلم يظفر به، فثنى عنانه إلى ابن أوزر، فداس بيوته، ووضع فيمن لقيه السيف، فامتنع منه بالجليل، فعاد النائب من تل حمدون يريد مدينة مرعش، وعاد إلى حلب.

وفي يوم الأحد عاشر شهر ربيع الأول: قرئ تقليد ابن أبى البقاء، وفوض أمانة الحكم لشهاب الدين أحمد الزركشى، وفوض نظر أوقاف مصر لشمس الدين محمد بن الوحيد، وفوض نظر أوقاف القاهرة لجمال الدين محمود العجمى المحتسب. واستتاب فى الحكم تقى الدين عبد الرحمن الزبيرى أحد موقعى الحكم. وأقر الصدر بن محمد المناوى وعمر بن رزين على خلافة الحكم.

وفي هذه الأيام: شرع الأمير المشير جركش الخليلى فى عمل جسر بين الروضة وجزيرة أروى، فى طول ثلاثمائة قصبه، وعرض عشر قصبات، وعمل فيه بنفسه ومماليكه، وحفر فى وسط مجرى النيل خليجاً من هذا الجسر إلى زريبة قوصون. ليعود الماء إلى البر الشرقى، ويستمر طول السنة، فأنفق على ذلك من ماله جملة من غير أن يكلف أحد فيه شيئاً، حتى تم الجسر، فلم يفد شيئاً، وقال فيه أدباء العصر شعراً كثيراً. وكان القاع ستة أذرع ونصف ذراع.

وفيه هرب الوزير كريم الدين عبد الكريم بن مكانس من ميسأة جامع الصالح خارج باب زويلة، وكان مسجوناً به، هو وإخوته، فغضب الأمير الكبير على الأمير بهادر الأعسر - شاد الدواوين - وضرب إخوته، بالمقارع، وقبض على حواشيهم وحرّمهم، ونودى عليه فلم يوجد.

وفي عاشر ربيع الآخر: خلع على ابن عبد المعطى بنظر المواريث.

١٣٨ سنة أربع وثمانين وسبعمائة

وفي سابع عشره: خرجت تجريدة إلى البحيرة، فيها خمسة أمراء ألوف، وهم بهادر الجمالى، وقُطلوبغا الكوكاى، وأحمد بن يلبغا الخاصكى، وقُرْدُم الحسنى، وآلبغا العثماني. وأربعة أمراء طبلخاناة، وعشرة أمراء عشرات. فلم يجدوا من أهل البحيرة أحداً، فساقوا من مواشيهم ثلاثة آلاف رأس من الضأن، وستة آلاف رأس من المعز.

وفي آخره: انتهى عمل الجسر الخليلي.

وفيه قدم البريد بأن حسين بن أويس - متملك بغداد - قتله أخوه أحمد بن أويس، واستقر في المملكة بعده، وذلك بإشارة خواجه شيخ الكحجاني.

وفي خامس عشر جمادى الأول: استقر الأمير قُطلوبغا أبو درقة في ولاية دمياط، عوضاً عن محمد بن قرايغا.

وفي عشرينه: استقر فتح الدين صدقة أبو دقن في نظر المواريث، عوضاً عن ابن عبد المعطى.

وفي يوم الأحد أول جمادى الآخرة: - الموافق له من أشهر القبط تاسع عشر مسرى - كان وفاء النيل ستة عشر ذراعاً، بعدما توقف عدة أيام، وأرجف خُزَّان الغلال يكون الغلاء، فخاب أملهم.

وفي سابع عشره: خُلع على جمال الدين محمود المحتسب خلعة الاستمرار وقد أرجف بعزله، ونقل قراجا من ولاية قلوب إلى ولاية الجيزة، ونقل حسين من ولاية الجيزة إلى ولاية قلوب.

وقدمت رسل أفرنس - متملك أشبيلية - بسبب الإفراج عن تكفور حاكم سيس، فأجيبوا إلى ذلك.

وفي هذه السنة: ركب السلطان إلى الميدان سبتين، ولم يركب السبت الثالث لغرق الميدان بماء النيل.

وفي عشرينه: استقر مُقبل الطيبي في ولاية قوص، عوضاً عن ابن المَزُوق وأعيد علاء الدين الطشلاقي إلى ولاية قطيا.

وفي ثالث عشرينه: قدم الأمير أقبغا المارديني - نائب الوجه القبلي - فقبض عليه، وسجن في الحديد بخزانة شمائل؛ لقبح سيرته، وعثوه على الخلق، وإسرافه في إراقة الدماء، وأخذ الأموال، وأحيط بأمواله التي اغتصبها من أهل البلاد.

وفيه ضرب الأمير الكبير على خان بن قرمان - كاشف الوجه البحرى - ضرباً

ميرحاً، وأسلمه إلى حاجب الحجاب. وقدم نصارى مدينة سيس فى طلب من يقوم بأمرهم، وقد مات حاكمهم، فاختير لهم بعض الأسرى المقيمين بالكوم فيما بين جامع ابن طولون ومدينة مصر. وخلع عليه وعلى القادمين من سيس، وكتب تقليده، فأصبح حمّاراً يبيع الخمر، وأمسى ملك الأرمن ينفذ حكمه فى خلق كثير.

وفى سلخه: استقر الأمير أرسبغا المنجكى ملك الأمراء بالوجه القبلى عوضاً عن أقبغا الماردىنى.

وفى ثالث شعبان: استقر بهادر طُبح - كاشف الوجه البحرى - عوضاً عن ابن قرمان.

وانتهت زيادة ماء النيل إلى ثلاث أصابع من عشرين ذراعاً، فعد ذلك طوفاناً. وفيه عمل الأمير جركس الخليلى طاحوناً فى مركب عند بسطة المقياس، يديرها الماء برسم طحن القمح دقيقاً؛ فأتى الناس من كل جهة لرؤيتها، وقال فيها أدباء الزمان شعراً كثيراً.

وفيه نقل الأمير مأمور من نيابة حماة إلى نيابة طرابلس، ونقل كمشبغا الحموى من نيابة طرابلس إلى نيابة دمشق، وأنعم عليه بإمرة جنتمر أخى طاز، وقبض على جنتمر وسجن بقلعة دمشق، ثم نقل إلى قلعة المرقب^(١)، واستقر الأمير يلو الحاجب بدمشق، فى نيابة حماة. ونقل الأمير طرُنطاي الكاملى من نيابة سيس إلى حجووية دمشق، واستقر تمرّاز العلاى فى ولاية البهنسى، عوضاً عن طاجار.

وفيه نقل عن ممالك الأسياد الذين فى خدمة الأمير الكبير برقوق، أنهم قد اتفقوا مع طائفة من ممالكه على أن يفتكوا به؛ وكبيرهم فى ذلك أيتمش الخاصكى. فعندما بلغه ذلك، بادر بالقبض على المذكور، وعلى بطا الخاصطى واستدعى من فى خدمته من ممالك الأسياد أولاد الأشرف، وقبض على سبعة عشر من أعيانهم، وسجنهم فى البرج من القلعة. وأصبح قبض منهم على تكملة خمسة وستين، وسجنهم بخزانة شمائل، مقيدىن، فهرب من بقى من ممالك الأسياد، فنودى فى القاهرة عليهم، وهدد من أخفاهم. وقبض على الأمير ألبغا العثمانى الدوادر فى تاسع عشرينه، وأخرج على إمرة بالشام. وأخرج أيضاً أيضاً بأمرين من العشرات منفيين. واستقر الأمير بيرم فى ولاية أشموم الرمان.

وفى يوم السبت أول شهر رمضان: نفى الأمير الكبير برقوق إلى قوص ممن قبض

(١) بلد ومدينة حصينة تشرف على ساحل بحر الشام وعلى مدينة بلنياس. انظر معجم البلدان

عليه ثلاثة وأربعين مملوكا، ونفى بقيتهم إلى الشام، وتتبع من اختفى منهم، فأغرق جماعة منهم في النيل، ونفى كثيرا منهم حتى ذهبوا بأجمعهم. وخلا الجو للأمير الكبير، ورأى أنه قد أمن، فإنه لما أخذ الإمرة في أيام الأمير أئبك كان معه في ضيق؛ لأن نفسه تريد منه ما لا يؤهل له.

فلما زالت دولة أئبك، وتحكم الأمير طشتم العلاى، لم يكن له معه كبير أمر، فما زال بطشتم حتى أزاله، وصار هو والأمير بركة يتنازعان الأمور، ولا يقدر على عمل شيء إلا بمراجعة بركة، حتى كان من أمره ما قد ذكر، فصارت ممالك الأسياد يريدون التوثب عليه وهو يداريهم جهده، حتى وثب بهم وأخذهم، فلم يبق له معاند، وصار له من الممالك الجراكسة عدد كبير جلبوا إليه من البلاد، فراقهم إلى ما لم يخطر لهم ببال، وأنعم على جماعة منهم بامريات.

وفيه نقل الأمير طشتم العلاى من نيابة صغد إلى القدس بطلبه لذلك، فأقام به بطالا.

وفيه أمر الأمير الكبير بالإفراج عن المسجونين بسجن الديلم وسجن الرحبة، على الديون، فأفرج عنهم.

وفى يوم الأربعاء تاسع عشره: جمع الأمير الكبير برقوق الأمراء والقضاة ومشايخ العلم، وأهل الدولة، والخليفة، إلى عنده بالحراقة من الإصطبل، وعرفهم أن الأمور مضطربة لصغر سن السلطان، وقلة حرمة، وأن الوقت محتاج إلى ملك عاقل يستبد بأحوال الدولة، ويقوم بأمر الناس، وينهض بأعباء الحروب والتدبير ونحو ذلك. فاتفقوا جميعهم معه على خلع الملك الصالح حاجى، وبعثوا فى الحال بالأمير قُطلوُبغا الكوكاى - أمير سلاح - والأمير أُلُتُبُغا المعلم - رأس نوبة - فقبضا على الملك الصالح من القصر، وأدخلاه إلى دور الحرم، وأخذوا منه نَمِجاة^(١) الملك، وعادا بها، فانقضت دولة الأتراك من مصر، وزالت دولة بنى قلاون، وصح ما أنذر به أرباب الحدثان، فقد قيل:

تمت ولايتهم بالحاء لا أحد من البنين يدانى الملك فى الزمن
وكذا كان، فإن آخر أولاد الناصر محمد بن قلاوون السلطان حسن بن محمد^(٢)،

(١) النَمِجاة، خنصر نحى أشبه بالسيف الصغير. انظر.

(٢) حسن (الناصر) بن محمد (الناصر) بن قلاوون، أبو المحاسن: من ملوك الدولة القلاوونية بمصر والشام. يبيع بمصر صغيرا. كانت مدة سلطنته الثانية ست وستين وتسعة وأشهر وأياما. انظر ابن إياس ١٩٠/١ ووليم موير ١٠١ والبداية والنهاية ٢٢٤/١٤ والأعلام ٢/٢.

وآخر من ولى من أولاد الأولاد حاجي، وعلى رأسه زالت دولتهم، وبه ختمت ملوكهم، فسبحان محيل الأحوال، لا إله إلا هو.

* * *

السلطان الملك الظاهر سيف الدين أبو سعيد برقوق بن أنص الجركسي العثماني اليلبغاوي القائم بدولة الجراكسة

أخذ من بلاد الجركس، فأبيع ببلاد الفرغ، ثم جلبه الخواجه فخر الدين عثمان بن مسافر إلى مصر، فاشتراه الأمير يلبغا العمري الخاصكي وأعتقه، وجعله من جملة مماليكه الأجلاب، وكان اسمه أَلْبُغَا فسماه الأمير يلبغا - برقوق - لتوء في عينه، ومولده في سنة إحدى وأربعين وسبعمئة - تخميناً - فإنه ذكر في سنة ثمان وتسعين أن سنه سبع وخمسون سنة. فلما قتل الأمير يلبغا - وكانت واقعة الأجلاب - أخرج برقوق فيمن أخرج منهم، وسجن بالكرك مدة، ثم أفرج عنه وصار إلى دمشق، فخدم عند نائبها الأمير منجك حتى طلب الملك الأشرف شعبان اليلبغاوية، قدم مع من قدم منهم، وصار في خدمة الأسياد، من جملة مماليكهم، إلى أن ثاروا بعد سفر الأشرف إلى الحجاز، كان ممن ثار معهم، وانتقل من الجندية إلى إمرة طبلخاناه، ثم إلى إمرة مائة، وملك الإصطبل، وعمل أمير آخور، ثم أميراً كبيراً. وما زال يدبر الأمور، والأقدار تساعده، حتى ذهب من يعانده، وتثبت دولته، ووافقه الجميع، على أن يكون سلطان البلاد.

فلما خلع الصالح، وصلى الجماعة الظهر من يوم الأربعاء تاسع عشر شهر رمضان سنة أربع وثمانين وسبع مائة - الموافق له آخر هاتور، وسادس عشرين تشرين الثاني - خطب الخليفة المتوكل على الله أبو عبد الله محمد (١) الخطبة على العادة، وبأيع الأمير الكبير الأتابك على السلطنة، وقلده أمر العباد والبلاد، فأفيض في الحال على السلطان تشریف الخلافة، وأفيض على الخليفة التشریف على العادة. وأشار شيخ الإسلام سراج الدين عمر البلقيني أن يقلب السلطان بالملك الظاهر، وقال: «هذا وقت الظهر، والظهر مأخوذ من الظهرية والظهور، وقد ظهر هذا الأمر بعد أن كان خافياً»، فتلقب بالملك

(١) محمد (التوكل على الله) بن أبي بكر (المتضد بالله) ابن سليمان (المستكفي) بن أحمد العباسي، أبو عبد الله: من خلفاء الدولة العباسية الثانية. بمصر ببيع بعد وفاة أبيه (سنة ٧٦٣هـ) بعهد منه، بالقاهرة وطالب مدته، وخلع في صفر ٧٧٩ وأعيد في ربيع الأول من السنة نفسها كانت مدة خلافته نحو من ٤٥ عاماً. انظر بدائع الزهور ١/٣٥٠ وتاريخ الخميس ٢/٣٨٢، ٣٨٣ والضوء اللامع ٧/١٦٨ والأعلام ٦/٧٨٤.

الظاهر، وركب من الحراقة بالإصطبل وطلع من باب السر إلى القصر. وعندما ركب أمطرت السماء فتفائل الناس بذلك. ولما دخل إلى القصر، جلس على التخت، فكان طالع جلوسه برج الحوت. ونودي بالقاهرة ومصر «الدعاء للسلطان الملك الظاهر». وكتب إلى أعمال المملكة بذلك، وأن يحلف النواب والأمراء للسلطان على العادة، فسارت البرد بذلك، ودقت البشائر بقلعة الجبل عند تمام البيعة، وزينت القاهرة ومصر وعمامة مدائن مصر والشام.

وفي يوم الإثنين رابع عشرينه: قرئ عهد الخليفة للسلطان على الأمراء، بحضور الخليفة والقضاة وأعيان الدولة.

وفيه خلع على الأمير أَيْمَشَ البجاسي - رأس نوبة - وعلى الأمير أَلْطُنْبُغا الجوباني - أمير مجلس - وعلى الأمير جركس الخليلي - أمير أخور -، وخلع على الأمير سوْدُنَ الشيوخوني الحاجب، واستقر نائب السلطان. وخلع على الأمير قُطْلُوْبغا الكوكاي، واستقر حاجب الحجاب، عوضاً عن الأمير سوْدن النائب. وخلع على الأمير أَلْطُنْبُغا المعلم، واستقر أمير سلاح عوضاً عن الكوكاي الحاجب. وخلع على الأمير قردم الحسني، واستقر رأس نوبة ثانياً. وخلع على الأمير يونس النوروزي الدوادار، واستقر دوادار السلطان، عوضاً عن آلبغا. وخلع على قضاة القضاة الأربع، وقضاة العسكر، ومفتين دار العدل، ومحتسبي القاهرة ومصر، وكاتب السر، والوزير، وناظر الخاص، وناظر الجيش، ووكيل بيت المال، وسائر أرباب الدولة، فكان يوماً مشهوداً كثرت فيه التهاني والأفراح.

وفي يوم الخميس سابع عشرينه: جمع السلطان الأمراء بأجمعهم، وحلّفهم - صغيرهم وكبيرهم - على طاعته.

وفيه خلع على أوحد الدين عبد الواحد بن إسماعيل بن ياسين، واستقر في نظر خزنة الخاص، ووكالة الخاص. وخلع على الأمير بهادر المنجكي الأستادار، واستقر أستاذار السلطان، بإمرة بطلخانة، وأضيف إليه أستاذارية الأمير ناصر الدين محمد ابن السلطان.

وفي يوم الإثنين تاسع شوال: خلع على أوحد الدين عبد الواحد بن إسماعيل بن ياسين الخنفي، واستقر في كتابة السر، عوضاً عن بدر الدين محمد بن علي بن يحيى بن فضل الله العمري.

وفي حادى عشرينه: عرض السلطان الممالك الأشرفية، وعزل منهم خمسة، جعل لهم رواتب ليكونوا طرخان، وأرسل بقيتهم إلى الأمير سوْدن النائب، فعمل أصحاب

الأخبار الثفال مقدمين فى الحلقة، وباقيهم من جملة أجناد الحلقة. وطلب السلطان من المقسى أسماء من قبض بعد الأشرف العشرة آلاف، فوجد منهم قد بقى خمسمائة مملوك، فىهم أربعمائة مملوك بأيديهم إقطاعات فى الحلقة، ومائة مملوك لهم جوامك، فأمر فى يوم الإثنين سلخه، الأربعمائة أصحاب الأخبار فى الحلقة بلزوم دورهم، وأكلهم إقطاعاتهم. وقطع جوامك المائة أرباب الجوامك، وقرر عوضهم من ممالىكه الذين اشتراهم ورباهم، وقال: «هؤلاء خونة قد خانوا أستاذهم الملك الأشرف، وأعانوا على قتله بشىء يسير أخذوه من المال، بعد ما عاشوا فى نعمته دهرا طويلا، فلا خير فىهم». فتلقوا قله وذله. ولقد رأيت بعض من كان من أمراء الألو فى أيام الأشرف، وقد صار فقيراً، يسأل الناس، وعليه ثياب صوف شبه عباءة.

وفى هذا الشهر: قدم شيخنا أبو زيد عبد الرحمن بن خلدون (١) من بلاد المغرب واتصل بالأمير الطنبغا الجوبانى، وتصدر للاشتغال بالجامع الأزهر، فأقبل الناس إليه، وراقهم كلامه، وأعجبوا به.

وفى يوم الإثنين سابع ذى القعدة: غضب السلطان على الوزير علم الدين عبد الوهاب الطنساوى - ويقال له سن إبرة - وضربه، واستدعى بالأسعد أبى الفرج النصرانى - كاتب الحوائج خاناه - وأكرهه حتى أظهر الإسلام، فخلع عليه وأركبه فرسا بسرج ذهب، وكنبوش زركش، واستقر به ناظر ديوان ولده [محمد] رفيقا للأمير بهادر الأستاذار.

وفى عاشره: خلع على الوزير سن إبرة خلعة الاستمرار. وخلع على الأمير منكلى الطرخانى واستقر حاجبا رابعا. وخلع على الأمير جلبان العلاى، واستقر حاجبا خامسا. ولم يعهد قبل ذلك خمسة حجاب فى الدولة التركية.

وفيه استقر خير الدين العجمى - من صوفية خانكاه شيخو - فى قضاء الحنفية بالقلس. ولم يعرف قبله بالقلس قاض حنفى، واستقر موفق الدين العجمى - من صوفية خانكاه شيخو - فى قضاء الحنفية بغزة. ولم يعرف أيضا قبل ذلك بغزة قاض حنفى.

(١) عبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون أبو زيد، ولى الدين الحضرمى الإشبلى، من ولد وائل بن حجر: الفيلسوف المورخ، العالم الاجتماعى البعثة. أصله من إشبيلية، ومولده ومنشأه بتونس. رحل إلى فاس وغرناطة وتلمسان والأندلس، وتولى أعمالا، ثم عاد إلى تونس. ثم توجه إلى مصر وولى فيها قضاء المالكية. توفى بالقاهرة فجأة. اشتهر بكتابه «العبر وديوان المبتدأ والخير فى تاريخ العرب والعجم والبربر» فى سبعة مجلدات. انظر الضوء اللامع ١٤٥/٤ ونيل الابتهاج ١٧ ونفع الطيب ٤١٤/٤ والعبر ٣٧٩/٧ والأعلام ٣٣٠/٣.

وفيه كان بحث بين شيخ الإسلام البلقيني وبين بدر الدين بن الصاحب فى مسألة علمية، آل الأمر إلى أن كفر البلقيني ابن الصاحب، فطلبه إلى قاضى القضاة جمال الدين عبد الرحمن بن خير المالكي، وأقام رجلا يدعى عليه بأمر رتب عليه، فجرت أحوال عقد من أجلها مجلس حضره القضاة والفقهاء، وذكر ما يدعى به عليه، فلم يثبت منه شيء بوجه شرعى، فحكم بعض القضاة بعدم كفر ابن الصاحب وبقائه على دين الإسلام.

وفى يوم الثلاثاء تاسع عشرينه: ركب السلطان من قلعة الجبل، ومر على قناطر السباع، حتى عدى النيل من بولاق إلى الجيزة، وتصيد، ثم عاد من آخر النهار، وقد ركب الأمير أيتمش عن يمينه، والشيخ أكمل الدين - شيخ خانكاه شيخو - عن يساره.

وفيه استقر بدر الدين محمد بن أحمد بن مظهر فى كتابة السر بدمشق، عوضا عن فتح الدين محمد بن الشهيد.

وفى هذا الشهر: ورد البريد بأن الأمير يلبغا الناصرى - نائب حلب - سار بعسكر حلب إلى البيرة^(١)، يريد تعدية الفرات، فجاءه الخبر بعصيان الأمير علاء الدين أظنبا السلطاني - نائب الأبلستين - وأنه لم يحلف للسلطان واستولى على قلعة درندة^(٢) - المضافة إليه - وطلع إليها، وأمسك بعض أمرائها، وأطلع إليها ذخيرة وميرة، فركب العسكر الذى بالمدينة عليه، وأمسكوا رجاله، فطلب الأمان منهم، وفر من القلعة إلى الأبلستين. فكتب إليه الأمير يلبغا الناصرى، يهدده ويخيفه، فلم يرجعه إليه، ومر هاربا على وجهه إلى بلاد التتر، فعاد الأمير يلبغا المذكور إلى حلب.

وفى يوم الثلاثاء سادس ذى الحجة: قبض على الأمير قُرط - نائب الوجه البحرى - لقبح سيرته، وسوء أفعال حاشيته، وضرب بين يدي الأمير أيتمش ضربا مبرحا، ثم جلس وصور - هو وجماعته - وفر ابنه حسين، فنودى عليه، وهدد من أخفاه. وخلع على الأمير قرا بلاط الأحمدي، واستقر عوض قرط.

وفيه رسم باستقراء ولى الدين عبد الرحمن بن رشد فى قضاء المالكية بحلب، عوضا عن علم الدين القفصى.

وفى يوم السبت سابع عشره: ركب السلطان من القلعة إلى جهة المطرية ومضى

(١) بلد قرب سميساط بين حلب والثغور الرومية، وهى قلعة حصينة. انظر معجم البلدان

(٢) هى من بلاد الثغور والعواصم خارج حدود البلاد الشامية.

إلى قناطر أبي المنجا^(١)، وعاد فدخل إلى القاهرة من باب الشعرية، حتى خرج من باب زويلة^(٢) وصعد القلعة، فكان يوما مشهودا، زينت فيه الأسواق وأشعلت الشموع والقناديل، فرحا برؤيته.

وفي ثاني عشرينه: خلع على محمود بن علي بن أصفر عينه - أستاذار الأمير سودن باق - واستقر شاد الدواوين، عوضا عن بهادر الأعسر. وأنعم عليه بإمرة طبلخانة.

وفيه ورد البريد بأن الأمير أقبغا عبد الله - نائب غزة - فر منها إلى جهة الأمير نعيم. وفيه خلع على الأمير قرقماس الطشتمرى اليلبغاوى، واستقر خازندارا كبيرا.

وفي رابع عشرينه: ركب السلطان من القلعة، وشق مدينة مصر، وقد زينت له، حتى عدى النيل إلى بر الجيزة. ثم عاد على بولاق، إلى القلعة.

وفي سابع عشرينه: قدم الأمير أظنبغا الجوباني من الحجاز، وكان قد حج مع الركب.

* * *

مات في هذه السنة من الأعيان

قاضي القضاة الحنفية بدمشق، همام الدين - أمير غالب - ابن قوام الدين - أمير كاتب - الأتقاني، بعد عزله. وكان قد بلغ غاية في الجهل.

ومات قاضي القضاة بدر الدين عبد الوهاب بن الكمال أحمد بن قاضي القضاة علم الدين محمد بن أبي بكر بن عيسى بن بدران الأحنأى^(٣) المالكي، في يوم الخميس سادس عشر رجب، وهو معزول.

(١) هذا البحر أنشأه أمير الجيوش الأفضل شاهنشاه أيام وزارته للخليفة الفاطمي الأمر بأحكام الله سنة ٥٠٦ هـ إشراف أبي المنجا يشيعا اليهودى الذى كان مشرفا على أعمال الرى، ولذلك عرف البحر باسم أبى المنجا. انظر الانتصار ٤٦/٥ وخطط المقرئزى ١٥١/٢ وانظر تعليق النجوم الزاهرة ١٣٣/٧.

(٢) قال صاحب النجوم الزاهرة: ولما نزل جوهر القائد اختطت كل قبيلة خطة عرفت بها، فزويلة بين البابين المعروفين ببابى زويلة، وهما البابان اللذان عند مسجد ابن البناء وعند الحجارين، وهما بابا القاهرة.

وقال أيضا: وأما باب زويلة الآن فبناها الوزير الأفضل بن أمير الجيوش، وكتب على باب زويلة تاريخه واسمه، وذلك فى سنة ٤٨٠ هـ. انظر النجوم الزاهرة ٣٩، ٣٧/٤.

(٣) محمد بن أبى بكر بن عيسى بن بدران السعدى المصرى، أبو عبد الله، تقى الدين الأحنأى: قاضى قضاة المالكية بمصر. له تأليف. انظر الدياج ٣٢٧، والأعلام ٥٦/٦.

١٤٦ سنة أربع وثمانين وسبعمائة

ومات صاحب الوزير كريم الدين عبد الكريم بن الرويهب، فى سابع عشر شهر رمضان؛ وقد اتضع حاله وافتقر.

ومات علاء الدين على بن عمر بن محمد بن قاضى القضاة تقى الدين محمد بن دقيق العيد - موقع الحكم - فى خامس عشرين صفر.

ومات جمال الدين محمد بن على بن يوسف، المعروف بالخطيب الأسنوى أحد خلفاء الحكم الشافعية، فى يوم الأحد عاشر ربيع الأول.

وتوفى الشيخ عز الدين عبد العزيز بن عبد الخالق، الأسيوطى الشافعى، فى يوم الأربعاء حادى ذى الحجة؛ وقد تصدر للأشغال عدة سنين.

ومات الأمير فخر الدين إياس الصرغتمشى الحاجب، أحد الطبلخاناه، فى ثالث ربيع الآخر.

ومات الأمير زين الدين زباله الفارقانى، نائب قلعة دمشق، فى شعبان بدمشق؛ وقد أناف على السبعين.

* * *

سنة خمس وثمانين وسبعماية

فى يوم السبت الأول المحرم: قدم الأمير يلبغا الناصرى نائب حلب، فخرج الأمير سودن النائب إلى لقائه، وصعد به إلى بين يدى السلطان، فقبل له الأرض، وجلس تحت الأمير سودن النائب. ثم نزل إلى بيت أعد له فكان فى هذا عيرة، فإنه بالأمس قد كان الناصرى من جملة الأمراء الأشرفية، وبرقوق إذ ذاك من جملة ممالك الأسياد، إذا ضمه مجلس مع الناصرى قام على رجليه بين يديه، فأصبح ملكا يقبل الناصرى له الأرض، ويمثل أمره ونهيه فسبحان مقلب الأمور.

وفى سادسه: خلع على الأمير يلبغا الناصرى خلعة الاستمرار على نيابة حلب، ونزل من القلعة، وعن يمينه الأمير أيتمش، وعن يساره الأمير ألتبغا الجوبانى، ومن ورائه سبعة جنائب من الخيول السلطانية، بسروج ذهب، وكنائش زركش أخرجت له من الإصطبل. وكان قد حمل إليه السلطان والأمراء من أنواع التقادم ما يجمل وصفه.

وفى يوم السبت ثامنه: ركب السلطان ومعه الأمير يلبغا الناصرى حتى عدى النيل من بولاق إلى الجيزة^(١) وتصيد، ثم عاد من آخره.

وفى عاشره: خلع على الناصرى خلعة السفر، وتوجه من وقته إلى حلب.

وفى يوم الإثنين سابع عشره: خلع على شمس الدين إبراهيم كاتب أربان، واستقر فى الوزارة بعد شدة تمنعه، وكثرة إباطه، وتشترطه عدة شروط، منها أنه لا يلبس تشريف الوزارة، فأجيب إلى كل ما سأل، ولبس خلعة من صوف كخلع القضاة، وأشار له السلطان بأن تكون يده فوق كل أيدى أهل الدولة، وأنه يستبد بالأمور من غير مشاورة، فنزل إلى داره، ولم يمكن أحدًا من الركوب معه كما جرت به العادة، ومضى كأحد الناس حتى نزل منزله، وضبط الأمور أشد ضبط. ولم يتناول من معلوم الوزارة إلا الشىء اليسير، الذى كان لا يرضاه أقل عبيد الوزراء، وأنفق فى أرباب الرواتب جارهم من غير نقص، وملأ الأهراء^(٢) بالغلل، وبيت المال بالأموال، وأدار الطواحين السلطانية بجوار الأهراء بمدينة مصر، وعمل الحواصل بسائر الأصناف. ولم يمكن أحدًا

(١) والجيزة: بالزراى، من أعمال مصر: على الجانب الغربى، اختطها بمصر عمرو بن العاص رضى الله عنه فى زمان عمر بن الخطاب رضى الله عنه، والجيزة قرية كبيرة جميلة البنيان على نيل مصر.

انظر الروض المعطار ١٨٣، وصبح الأعشى ٣/٣٩٢، وخطط المقرئى ١/٢٠٥.

(٢) مخزن للغلل. انظر ابن ممتى، قوانين الدواوين ١٩.

أن يركب معه، وصار يخرج من بيته، ويغلق بابه بيده، ويضع مفاتيحه فى كفه، ثم يركب فرسه، ويركب غلامه بغلة، ويردف خلفه الدوادار، وهو حامل الدواة تحت إبطه، ويمضى إلى القلعة، من غير أن يكون معه أحد من الكتاب، ولا الأعوان، فلا يعرفه إلا من له به معرفة. ومنع جميع أرباب الدولة أن يأتوا إلى بيته، وإنما يأتوه بقاعة صاحب من القلعة. ورفع يد الأمير جركس الخليلي من التحدث فى الدولة، وانفرد بالكلمة فى الوزارة مع هذا الاقتصاد، ونفذت كلمته، وعظمت مهابته، حتى عند أكابر الأمراء، ولم يجد فيه عدوه سبيلا إلى الطعن عليه بوجه.

وفيه أنعم على الأمير بهادر المنجكى الأستاذار بتقدمة الأمير قطلوبغا الكوكاى بعد موته..

وخلع على علم الدين الحزين، واستقر فى استيفاء الدولة، عوضا عن أمين الدين عبد الله جعيص بعد موته.

وفى يوم الخميس ثانى صفر: قدمت رسل السلطان أحمد بن أويس - متملك بغداد - بهدية فيها فهد وصقر وأربع بقج قماش، وتضمن كتابه أنه ملك بغداد بعد أخيه.

وفى سابع عشرة: أفرج عن الأمير قرط.

وفى سلخه: قدم البريد بأن الأمير طغاي تَمُر القبلاوى - نائب الكرك - تنازع مع الأمير خاطر بسبب أنه كبس عربانا كانوا نزلاته، وقبض عليهم، وآل الأمر إلى اقتتالهما، فانكسر نائب الكرك من خاطر، وتخلص العريان من يده.

وفى أول شهر ربيع الأول: قدم الخير بأن طائفة من الفرنج شحنوا مراكبهم، وساروا من مدينة الإسكندرية هاربين، فتبعهم المسلمون من الغد، وقاتلوهم، فقتل عدة من المسلمين، وعاد من بقى بغير طائل، فقبض الأمير بلوط النائب على من تأخر بالثغر من الفرنج، وأخذ أموالهم، فتنكر السلطان على النائب، وكتب بقدمومه.

وفى سابعه: ضرب قاضى القضاة جمال الدين عبد الرحمن بن خير المالكي عنقى رجلين، ارتدا عن الإسلام، ولم يوافقا على العودة إليه.

وفى عاشره: قدم الأمير بلوط نائب الإسكندرية.

وفى حادى عشره: صُرف الشريف مرتضى عن نيابة نظير وقف الأشراف برغبته عنه، واستقر عوضه صدر الدين عمر بن رزين، أحد خلفاء الحكم.

وفي ثانی عشره: قدم الأمير بلوط تقدمة سنیه.

وفي خامس عشره: ضرب قاضی المالکیة عنق رجل علی الردة عن الإسلام.

وفي سابع عشره: خلع علی بلوط خلعة الاستمرار علی نیابة الإسكندریة وتوجه إليها، وكتب بالقبض علی الأمير طغای تمر الجرکمری، والأمیر أطنبغا السابقی، وكانا مجردین بالإسكندریة.

وفیه أخرج الأمير ایاس السیفی - من العشرات - إلى دمشق، علی إمرة بها. وأنعم علی کل من سودن العلاء، وإینال الجرکسی بامرة طبلخاناة، وعلی حسن قجا الأسن قجاوی بامرة عشرة. وقدم البرید بأن الأمير یلبغا الناصری نائب حلب توجه منها بالعسکر فی طلب التزکمان، فوافاه فی أثناء طریقہ غالب ترکمان الطاعة، فخلع علیهم، وسار حتی وصل دربند بغراض^(١) وقدم طائفة من العسکر، فلقیهم التزکمان وقاتلوهم، فقتل نائب بغراض، وجرح جماعة، فعاد إلى حلب. ثم قدم البرید بأن الأمير قرا محمد - حاکم الموصل - قد اتفق مع ضیاء الملك بن بوز دوغان علی محاربة سالم الدکری؛ لما كان منه من قطع الطریق علی حجاج الموصل وذبحهم وأخذ أموالهم، وأن الأمير یلبغا الناصری لما بلغه ذلك سار من حلب بالعسکر إلى البیرة، وعدی الفرات فی المراكب إلى الرها، فوجد قرا محمد وضیاء الملك قد ركبا فی زیادة علی اثنی عشر ألف فارس علی سالم، وضربا بیوته، فأخذ ما لا یجد کثرة منها، قدر ثلاثین ألف حمل وكان بینهم وقعة عظیمة، قتل فیها من الفریقین خلق کثیر، وفر سالم إلى جهة قلعة المسلمین، وقرا محمد فی إثره، فلم ینج إلا فی نفر قلیل، فنهب عسکر قرا محمد تلك النواحی، وأفسدوا، فلم یجد سالم بدا من التزامی علی الأمير یلبغا الناصری، وكفنه فی عنقه، وعاد به إلى حلب، فكتب بتجهیزه إلى مصر.

وفي عشرينه: أخرج الأمير مقبل الرومی منفیاً، وكان قد قدم من الشام، وأنعم علیه بامرة طبلخاناة فلم یقبلها.

وفي نصف شهر ربیع الآخر: قدمت طائفة من الفرنج إلى الطینة^(٢)، وأسرُوا منها سبعة، وقتلوا رجلاً واحداً، فمروا علی دمیاط، وباعوا بها الأسرى السبعة. وفیه قدم أمير أسد الكردي - أحد أمراء الألوف بحلب - فی الحدید، لشکوی بعض التجار علیه أنه أخذ له مملوكاً غضباً، فحبس أياماً، ثم أفرج عنه، وأخرج علی إمرة بطرابلس.

(١) مدينة فی لحف جبل اللکام، بینها و بین أنطاکیة أربعة فراسخ، علی یمین القاصد إلى أنطاکیة من حلب، فی البلاد المظلة علی نواحی طرسوس. انظر معجم البلدان ١/٤٦٧.

(٢) بلدة بین الفرما وتنیس من أرض مصر. انظر یاقوت، معجم البلدان ٤/٥٦.

وفيه استقر الأمير تمرباى الدمرداشى فى نيابة صفد. وأنعم على الأمير أينال اليوسفى بتقدمة بدمشق.

وفيه استعفى الأمير يلو من نيابة حماة، فأعفى.

وفى تاسع عشره: قدم سالم الدكرى من حلب، فأكرمه السلطان، وخلع عليه، وأنعم عليه بإمرة بطلخانة بحلب.

وفيه أخذ قاع النيل فكان ثمانية أذرع سواء.

وفى يوم الإثنين حادى عشر جمادى الأولى: استقر جمال الدين محمود العجمى المحتسب، فى نظر الأوقاف كلها. واستقر الأمير قديد القلمطاوى - شاد الأوقاف - رفيقا له، وخلع عليهما، فشق ذلك على قضاة القضاة.

وفى عشرينه: قدم الخبر بأن سلام ابن التزكية عملت له مبارد (١) فى رباب (٢) أحضرت له، وطلب سواسى (٣) خام ليفصلها له تمصانا، فبرد شبابيك الريح الذى هو مسجون فيه، وتدلّى منها فى تلك السواسى وهرب، فلم يقدر عليه، فغضب السلطان على نائب الإسكندرية، وأمر بإحضاره، ثم أعفى عنه.

وفى خامس عشرينه: أنعم على دمر خان بن موسى بن قرمان، بطلخانة أبيه بعد موته.

وكان النيل فى أول مسرى (٤) على اثنى عشر ذراعا، وأربع أصابع، فزاد فى رابعه - وهو سادس عشرين جمادى الأولى - أربعين أصبعا، وفى الغد أربعة وثلاثين أصبعا، ثم زاد أربعة، فوفى ستة عشر ذراعا، وزاد أصبعين من سبعة ذراعا، فركب السلطان فى نهاره - وهو خامس مسرى - وفتح الخليج على العادة، ولم يعهد بعد الملك الظاهر بيبرس ملك ركب حتى خلق المقياس، وفتح الخليج سوى السلطان بقوق.

وفى هذا الشهر: اتفق بناحية برما (٥) من الغربية أن طائفة من مسلمة النصارى،

(١) جمع مبرد، وهو ما يبرد به الحديد.

(٢) هى الجلدة التى يجمع فيها السهام.

(٣) جمعه سواس، قماش شهير يصنع فى سوسه. انظر.

(٤) شهر من الشهور القبطية، كانت الحكماء تحمد الأسفار فيه، وتحمد فيه محبة السلطان، ويتعمدون الإحسان إلى أتباعهم، ويكرهون فيه تحريك الضغائن فيها. انظر الفضائل الباهرة ١٤٢.

(٥) بليدة ذات أسواق فى كورة الغربية من أرض مصر فى طريق الإسكندرية من القسوط.

صنعوا عُرسًا جمعوا فيه عدة من أرباب الملاحى، فلما صعد المؤذن ليسبح الله تعالى فى الليل على العادة، سيوه وأهانوه، ثم صعدوا إليه وأنزلوه، بعدما ضربوه فثار خطيب الجامع بهم؛ ليخلصه منهم، فأوسعوه سبا ولعنا وهموا بقتله وقتل من معه، فقدم إلى القاهرة فى طائفة، وشكوا أمرهم إلى الأمير سون النائب، فبعث بهم إلى الأمير جركس الخليلى، من أجل أن ناحية وبرما من جملة إقطاعه، فلم يقبل قولهم، وسجن عدة منهم، فمضى من بقى منهم إلى أعيان الناس، كالبليقى وأمثاله، وتوجه الحافظ المعتمد ناصر الدين محمد فيق إلى الخليلى، وأغلظ عليه حتى أفرج عن سجنه، فغضب كثير من أهل برما واستغاثوا بالسلطان، فأنكر على الخليلى ما وقع منه. وبعث الأمير أبديكار الحاجب للكشف عما جرى فى برما، فتبين له قبح سيرة المسألة فحملهم معه إلى السلطان، فأمر بهم وبغرمائهم أن يتحاكموا إلى قاضى القضاة المالكية، فادعى عليهم بقوادح، وأقيمت البيئات بها فسجنهم.

واتفق أن الخليلى وقع - فى شونة قصب له - نار أحرقها كلها وفيها جملة من المال، وحدث به ورم فى رجله، اشتد ألمه فلم يزل به حتى مات وذلك عقوبة له لمساعدة أهل الزندقة.

وفى أول جمادى الآخرة: قدم البريد بأن الأمير تمربادى الدرماشى نائب صفد قدمها وأقام بها خمسة أيام، ومات فيها. وفيه استقر الأمير صنحق السيفى فى نيابة حماة، عوضا عن يلو.

وفيه قدمت رسل الفرنج.

وقدم البريد من الكرك بأن نائبها الأمير طغاي تمر، صالح الأمير خاطر حتى اطمأن له، ودخل إليه ومعه إبناه، فقبض عليهم، وذبحهم ثلاثهم.

وفى تاسعه: استقر الأمير كُمشبغا الحموى فى نيابة صفد.

وفى رابع عشرينه: أعيد ابن وزير بيته إلى نظر الإسكندرية، واستقر جمال الدين عبد الله بن عزيز الإسكندراني - تاجر السلطان - بها.

وفى يوم الخميس سادس عشرينه: اجتمع الأمير سون النائب، وقضاة القضاة الأربع، بشباك المدرسة الصالحة بين القصرين، وقدمت رسل مسلمة أهل برمة - وهم ستة - وضربت أعناقهم على الزندقة، ثم غسلوا وكفنوا، ودفنوا بمقابر المسلمين.

وفى يوم الإثنين أول شهر رجب: طلع الأمير صلاح الدين محمد بن محمد بن تَنَكِرْز -

نائب الشام - بالسلطان، ونقل له عن الخليفة المتوكل على الله أبي عبد الله محمد، أنه اتفق مع الأمير قُرط بن عمر التركمانى والأمير إبراهيم بن الأمير قُطلو أقتمر العلوى أمير جاندار، وجماعة قرط من التركمان والأكراد، وهم نحو الثمانى مائة فارس، على أن السلطان إذ نزل من القلعة إلى الميدان فى يوم السبت للعب بالكرة، وترجل الأمراء والمماليك كلهم، ومشوا فى ركاب السلطان على العادة، عند قربه من الميدان، خرجوا جميعا وقتلوا السلطان والأمراء، وأركبوا الخليفة، وصعدوا به إلى القلعة، ومكنوه من القيام بالسلطنة، فإن عارضه معارض، فر به قرط إلى الفيوم، ودعا عربان الصعيد للقيام بنصرته، وأن الخليفة قد كتب إلى بدر الدين بن سلام أن يقوم له فى البحيرة بالدعوة. فحلف السلطان ابن تنكر على صحة ما نقله، فحلف له. والتزم أنه يحاققهم على ما نقل عنهم. فبعث السلطان إلى الخليفة، وإلى قرط، وإبراهيم بن قُطلو أقتمر، فأحضرهم إليه، واستدعى أيضا الأمير سودن النائب، وحدثه بما بلغه عن الخليفة وقرط وإبراهيم، فأخذ ينكر ذلك، ويستبعد وقوعه منهم، فأمر السلطان بالثلاثة، فحضروا بين يديه، وأخذ يذكر لهم ما نقل عنهم، فأنكروا إلا قرط، فإنه لما اشتد عليه السلطان، وخاف تهديده، قال: «إن الخليفة طلبنى، وقال لى هؤلاء ظلمة، وقد استولوا على هذا الأمير بغير رضائى، وأنى لم أقلد برقوق أمر السلطنة إلا غضبا، وقد أخذ أموال الناس بالباطل وطلب منى أن أقوم معه لله، وأنصر الحق، وأزيل هذه الدولة الظالمة. والتزم أنه يبطل المكوس^(١) جميعها، ولا يفعل إلا الحق. فأجبتة إلى ذلك، ووعدته المساعدة، وأن أجمع له ثمانى مائة فارس من الأكراد والتركمان، وأقوم بأمره». فقال السلطان للخليفة: «ما قولك فى هذا». فقال: «ليس لمقاله صحة». فسأل إبراهيم بن قُطلو أقتمر عن ذلك، فقال: «ما كنت حاضرا هذا الأمر والاتفاق، لكن الخليفة استدعانى إلى بيته بجزيرة الفيل، وأخبرنى بهذا الكلام، وقال لى إن هذا مصلحة، ورغبنى فى موافقته والقيام لله تعالى، ونصرة الحق. فأنكر الخليفة ما قاله إبراهيم، وأخذ إبراهيم يحاققه، ويذكر له أمارات، والخليفة يحلف أن هذا الكلام ليس له صحة، فاشتد حنق السلطان، واستل السيف ليضرب به عنق الخليفة، فقام الأمير سودن النائب وحال بينه وبينه، وما زال به حتى سكن بعض غضبه. فأمر بقرط وإبراهيم أن يسمرأ، واستدعى القضاة ليفتوه بقتل الخليفة، فلم يفتوه بقتله، وقاموا عنه. فأخذ الخليفة وسجن فى موضع بالقلعة، وهو مقيد. وسمر قرط وإبراهيم، وشهرا فى القاهرة ومصر. ثم أوقفنا تحت القلعة بعد العصر. فنزل الأمير أيد كار الحاجب، وسار بهما ليوسطا خارج باب المحروق من القاهرة. وابتدأ بقرط فوسطه. وقبل أن يوسط إبراهيم جاءت عدة من المماليك بأن الأمراء قد شفعوا فى إبراهيم، ففكت مساميره، وسجن بجزانة شمائل.

وطلب السلطان زكريا وعمر ابني إبراهيم عم المتوكل، فوقع اختياره على عمر بن الخليفة المستعصم بالله أبي إسحاق إبراهيم بن المستمسك بالله أبي عبد الله محمد بن الإمام الحاكم بأمر الله أبي العباس أحمد بن الحسن بن أبي بكر بن أبي علي إسحاق ابن علي القبي^(١)، فولاه الخلافة، وخلع عليه، فتلقب بالواثق بالله.

وفي يوم الثلاثاء ثانيه: قبض على حسين بن قرط، وعمر ابن أخي قرط، فسجنا بجزانة شمائل. وخلع على الأمير سبرج الكُمشُبُغَاوى، واستقر والى قلعة الجبل، بإمرة طبلخاناة، عوضا عن طَشْتُمَر المظفرى. وقبض على علي ابن بدر والى أطفيح^(٢) وقيد، واستعمل مع المقيدين فى نقل التراب ونحوه بالقلعة. وكتب بولاية عثمان بن قارة إمرة العرب، عوضا عن نعيم بن حيار بن مهنا^(٣)، وتوجه به وبالتشريف الأمير بجمان الحمدي، وقلده الإمارة. وركب هو والأمير يلغا الناصرى نائب حلب، وكبسوا نعيم ابن حيار. وكانت بينهم وبينه وقعة عظيمة انهزم فيها نعيم، ونهب له ما لا يوصف، فمما أخذ له ثلاثون ألف بعير. ووجد له بسط تحمل الفردة الواحدة منها على بعير، وسبى حريمه. فكان هذا أيضا من أعظم أسباب الفساد فى الدولة، ومن أكبر أسباب خراب الشام.

وفي يوم السبت سادسه: قدم اليريد بخبر هذه الواقعة.

وفيه ركب السلطان إلى الميدان على العادة.

وفي ثامنه: خلع على الطواشى بهادر الشهابى، واستقر مقدم الممالك، عوضا عن جوهر الصلاحى. وخلع على الأمير كمشبغا الخاصكى، واستقر رأس نوبة ثالثا بعد وفاة أيدمر من صديق. وخلع على الأمير بكلمش الطازى العلالى، واستقر رأس نوبة خامسا،

(١) عمر بن إبراهيم بن أحمد بن محمد العباسى، أبو حفص، الواثق بالله، من خلفاء العباسيين بمصر. وهو أخو المعتصم بالله (زكريا). ولى الخلافة بعد خلع المتوكل (محمد بن أبى بكر) سنة ٧٨٥هـ. واستقام أمره فيها، فاستمر إلى أن توفى بالقاهرة. انظر مورد اللطافة ٩٤ وشذرات الذهب ٣٠٣/٦ وتاريخ المعتصم ٣٨٣/٢ والأعلام ٣٩/٥.

(٢) بلد بالصعيد الأدنى من أرض مصر على شاطئ النيل فى شرقه. انظر معجم البلدان ٢٢٨/١.

(٣) محمد بن حيار بن مهنا بن عيسى بن مهنا بن مانع بن حديثة، شمس الدين المعروف بنعيم: أمير آل فضل بالشام. ولى الإمارة بعد أبيه (سنة ٧٧٧هـ) وكان شجاعا جوادا مهيبا، إلا أنه كثير الغدر والفساد. كانت إقامته فى سلمية بسورية، ثم جىء به إلى حلب فقتل فيها، وقد نيف على السبعين. انظر الضوء اللامع ٣٠٢/١٠ وإعلام النبلاء ١٤٧/٥ والأعلام ٣٤٤/٦.

عوضا عن بجمان الحمدي، وخلع على الأمير حسن قُجا الأسن قجاوى، واستقر شاد الشراب خاناه، عوضا عن كمشبغا الخاصكى.

وفى يوم السبت ثالث عشره: ركب السلطان إلى الميدان ثانى مرة.

وفى ثامن عشره: خلع على كرجى بولاية الأشمونين، عوضا عن قطلوبغا حاجى.

وفيه دار الحمل بالقاهرة ومصر على العادة فى كل سنة، واستجد له ثوب حرير أصفر بشمسات^(١) زركش، فيها اسم السلطان، وعملت له رصافيات^(٢) فضة، مطلية بذهب، فحاء أحسن ما عهد قبل ذلك. وفيه عرضت كسوة الكعبة، وقد استجد فيه أيضا أن عمل طرازها الدائر بأعلاها من قصب.

وفى يوم السبت عشرينه: ركب السلطان إلى الميدان ثالث مرة.

وفى يوم السبت سابع عشرينه: ركب السلطان إلى خارج القاهرة، وعبر من باب النصر، ونزل بالبيمارستان المنصورى، ثم ركب منه إلى القلعة.

وبلغ النداء على النيل أربع أصابع من عشرين ذراعا، ثم زاد بعد ذلك حتى انتهى إلى أصابع من أحد وعشرين ذراعا، ففرقت مواضع عديدة، وتهدمت عدة دور وانتهدبت، وانتدب عدة من الأمراء لسد مقاطع الماء.

وفيه قدم عدة من رجال نائب سنجار، ومن تكريت^(٣) وقيصرية الروم، يسألوا أن تكون مضافة إلى مملكة مصر، فكثبت تقاليد الثلاثة، وحملت لهم التشاريف. وخرج السلطان إلى السرحة بسرياقوس على العادة فى كل سنة.

وفى أول شعبان: قدم الخير بركة الفرنج، فرسم بخروج اليك إلى الساحل، فتجهزوا وساروا فى ليلة الخميس سابع عشره، فتوجه الأمير أحمد بن يلبغا الخاصكى إلى ثغر رشيد، وتوجه الأمير أيدكار الحاجب إلى ثغر دمياط.

وقدم الخير بأن سلام ابن التركية جمع عليه كثيرا من العربان، ونهب نواحي الفيوم. وقد لحق به إبراهيم بن اللبان فى زى أنه من جهة الخليفة، ولحق به أحمد بن الزعلى متولى قلوب - وقد فر من الشكوى عليه - فخرج أربعة أمراء فى طلب ابن التركية، ففر منهم إلى جهة الصعيد الأعلى، واستقر فى ولاية قلوب قُطليجا الصفوى. واستقر أوناط اليوسفى فى ولاية الشرقية، عوضا عن على القرمى.

(١) مفردها شمسة، حلى مستدير فى شكل الشمس الصغيرة، تزين بها الثياب ونحوها، يغلب أن تكون من القصب. انظر.

(٢) حلى بارزة من الفضة زين بها الحمل. انظر.

(٣) تكريت: بالعراق بين دجلة والفرات وقيل هى من كور الموصل، من سر من رأى إلى تكريت، وهى مدينة قديمة كبيرة واسعة الأرجاء جميلة الأسواق كثيرة المساجد غاصة بالأهل. انظر معجم البلدان ٣٨/٢، والروض المعطار ١٣٣.

وقدم البريد بخروج الأمير يلبغا الناصرى من حلب بالعسكر للقاء الفرنج، وقد وردت شوانيمهم فى البحر لقصد إياس، ونزوله بالعمق لقربه من البحر. فورد عليه كتاب نائب اللاذقية بوصول الفرنج إلى بيروت، وأنهم نزلوا إلى البر، وملكوا بعض أبراجها. فأدركهم العسكر الشامى فى طائفة من رجالة الأكراد، وقاتلوهم، فأيد الله المسلمين، حتى قتلوا من الفرنج نحو خمسمائة رجل، وانهزم باقيهم إلى مراكبهم، وساروا، وعادت العساكر إلى الشام.

وأن الأمير يلبغا الناصرى ألقى الفتنة بين التركمان الأجدية والقنقية، فرمى طائفة القنقية على الأخرى، وكتب إليهم بالنزول على باب الملك مفتتح البلاد السيسية حيث مقام الأجدية لإيقاع سيف الفتنة بينهم.

وفيه استقر تقى الدين أبو محمد عبد الله ابن قاضى القضاة جمال الدين أبو المحاسن يوسف، ابن قاضى القضاة شرف الدين أبى العباس أحمد بن الحسين بن سليمان بن فزارة الكفرى فى قضاء الحنفية بدمشق، عوضا عن نجم الدين أبى العباس أحمد بن أبى العز.

وفى يوم الخميس تاسع شهر رمضان: حضر سعد الدين نصر الله بن البقرى ناظر الخاص، الخدمة على العادة، وقد اجتمع نساؤه فى داره لفرح عندهم، وعليهن من اللؤلؤ والجوهر والذهب وثياب الحرير ما تجل قيمته، والخمور بينهن دائرة، والمغانى تغنيهن، فنزل الأمير قرقماس الخازندار، والأمير بهاء الدين بهادر الأستادار، وأحاطا بداره، وأخذ النساء والغلمان، وحملا جميع ما فى الدار، فبلغت قيمته زيادة على مائتى ألف دينار، وقبض على ابن البقرى بالقصر، وعمل فى الحديد، وسجن بقاعة صاحب من القلعة، ولا علم له بما كان فى داره.

وخلع على الوزير صاحب شمس الدين إبراهيم كاتب أرلان بنظر الخاص، فاستعفى من ذلك وقال: «هذه خلعة الاستمرار»، فلم يكلف لولايتها. وطلب موفق الدين أبو الفرج عبد الله الذى أسلم، وخلع عليه، واستقر فى نظر الخاص.

وفى سادس عشره: قبض الوزير على عبيد البازدار - مقدم الدولة - وأخذ منه مائة ألف درهم، وأقام عوضه محمد بن عبد الرحمن فى مقدمة الدولة، ثم جعل معه شريكا له عبد الله بن محمد بن يوسف.

وفى عشرينه: خرجت تجريدة إلى دمياط، فيها ستون مملوكا، وخرجت تجريدة إلى الإسكندرية، وإلى رشيد.

وفيه أخرجت إقطاعات المماليك الأشرفية عنهم إلى ممالك السلطان.

وفيه اشتدت عقوبة ابن البقرى بالمقارع، وألزم بحمل خمسمائة ألف درهم، بعد ما أخذ منه ما يقارب الثلاثمائة ألف دينار.

وفي هذا الشهر ركب السلطان للصيد عدة مرار.

وفيه كتبت أسماء الذين فى سجن القضاة على الديون، وصلاح غرماؤهم عمالهم عليهم من الدين بمال أخرجه السلطان على يد الأمير جركس الخليلي، وأفرج عنهم.

وفيه شفع الأمراء فى الخليفة، وتقدم منهم الأمير أَيْتمش، والأمير أَلطُنْبغا الجوباني، وقبلا الأرض، وسألا السلطان فى العفو عنه، وترفقا فى سؤاله، فعدده لهما ما أراد أن يفعل من قتله وقتلهم، فكفا عن مساءلته.

ثم سأله بعد ذلك الأمير سودن النائب فيه، فأمر بقيده، ففك عنه.

وفى يوم الأحد ثالث شوال: عدى السلطان إلى بر الجيزة، وعاد من يومه، وأمر بتتبع المماليك الأشرفية والمماليك البطالين، فأخذوا، وعملوا فى الحديد، ونفوا من مصر.

وفى ثانى عشره: عدى السلطان النيل إلى الجيزة وتصيد، ثم عاد إلى مخيمه تحت الأهرام، فمر على خيمة الأمير قُطلو أقتمر أمير جاندار فوقف عليها، وخرج إليه قُطلو أقتمر وقبل له الأرض، وقدم له أربعة أفراس فلم يقبلها، فقبل الأرض ثانيا، وسأل السلطان أن يقبلها، فأجاب سؤاله وقبلها. وتوجه السلطان إلى مخيمه، واستدعى فى الحال بإبراهيم بن قُطلو أقتمر من خزانة شمائل، وخلع عليه، وأركبه فرسا بسرج ذهب وكنبوش زرکش، وأعطاه ثلاثة أروس أخر، وهى التى قدمها أبوه، وأذن له أن يمشى فى الخدمة، ووعدته برزق، وأرسله إلى أبيه، فسر به سرورا كبيرا وكان فى هذه المدة لم يحدث السلطان، ولا أحدا من الأمراء فى أمر ولده، فأتاه الله بالفرج من حيث لا يحتسب.

ورحل السلطان إلى سسرحة بالبحيرة على العادة، وعاد فى يوم الخميس سادس ذى القعدة إلى القلعة. وخلع على قاضى العسكر بدر الدين محمد بن البلقينى الشافعى، وشمس الدين محمد القرمى الحنفى.

وفى يوم السبت ثامنه: جمع السلطان القضاة، واشترى الأمير أَيْتمش البجاسى من ورثة الأمير جرجى نائب حلب بحكم أن جرجى لما مات لم يكن أَيْتمش البجاسى ممن أعتقه، بل كان فى رقه، فأخذه بعد جرجى بجاس وأعتقه من غير أن يملكه بطريق

صحيح، فلم يصادف عتقه حملا، وأثبتوا ذلك على القضاة. فلما اشتراه السلطان منهم بمائة ألف درهم أعتقه وأنعم عليه بأربعمائة ألف درهم فضة، وبناحية سفت رشين^(١) ثم خلع على القضاة والموقعين الذين أسجلوا قضية البيع والعتق.

وفي تاسعه: ركب السلطان إلى بركة الحجاج، وعاد فدخل من باب الفتوح وشق القاهرة إلى باب زويلة، وصعد إلى القلعة.

وفي عاشره: خلع على كاتب السر أوحده الدين لقراءته عتاقة الأمير أيتمش الظاهري. وخلع على نقيب الأشراف السيد الشريف جمال الدين عبد الله عبد الرحيم الطباطبائي، واستقر في نظر وقف الأشراف، عوضا عن قاضي القضاة بدر الدين محمد بن أبي البقاء، فخرج من حيثئذ نظر الأشراف عن القضاة، ولم يعد إليهم. وأنعم على الأمير أطنبغا السلطاني بإمرة طبليخانة.

وفي سابع عشره: ضرب ابن البقرى بين يدي السلطان ضربا مبرحا.

وفيه خلع على المحتسب جمال الدين محمود العجمي خلعة الاستمرار، وقد أرحف بعزله.

وفيه كتب باستقرار قاضي القضاة برهان الدين إبراهيم بن جماعة، في قضاء القضاة بدمشق، بعد وفاة ولي الدين عبد الله بن أبي البقاء، وحمل إليه تقليده وتشريفه فلم يقبل، فخوف عاقبة ذلك، فأجاب وتوجه من القدس إلى دمشق.

وفي يوم الثلاثاء تاسع ذي الحجة: أفرج عن الخليفة المتوكل، ونقل من سجنه بالبرج إلى دار بالقلعة، وطلع إليه عياله.

وفيه قدم البريد بمحاربة التركمان. وكان من خير ذلك أنه كتب بتجريد عسكر دمشق وطرابلس وحماة وحلب ونواب الثغور وتركمان الطاعة وأكرادها، إلى جهة التركمان العصاة بالبلاد السيسية، كالصارم بن رمضان نائب أذنه وبنى أوزر، وابن برناص من طائفة الأجدية لمقاتلتهم على تعديهم طريقهم، وقطعهم الطرقات، ونهبهم حجاج الروم، ولاتفاقهم مع الأمير علاء الدين على بك بن قرمان - صاحب لارندة^(٢) على اقتلاع بلاد سيس، فتأهبت العساكر لذلك ووافقت حلب، فتقدمها الأمير بلبغا الناصري نائب حلب، وركب من حلب في ثاني ذي القعدة يريد العمق، وكتب إلى بني أوزر وبقية التركمان العصاة، يندرهم، ويحذرهم التخلف عن الحضور إلى الطاعة،

(١) من القرى القديمة في مركز بيا.

(٢) المقصود بها قلعة درندة، وقد تقدم ذكرها.

ويخوفهم بأس العساكر، وإنهم إن أذعنوا وأطاعوا كانوا آمنين على أنفسهم وأموالهم، ومن تخلف كان غنيمة للعساكر. وسار حتى نزل تحت عقبة بغراس، فعرض العساكر، وترك الثقل وتوجه مخفياً، وجاوز عقبة بغراس، وترك بها نائبي عين تاب وبغراس بخيالتهما ورجالهما، حفظا للدريند، إلى أن تصل العساكر الشامية. وجد السير إلى أن نزل باب إسكندرونه بجانب البحر، وأراح الخليل يسيرا. وقدم أمامه من أمراء الألفو بحلب دمرداش وكشلى ليملكا جسر المصيصة^(١) قبل أن يفتن التركمان بوصول العساكر فيقطعونه ولا يمكن جوازه إلا بعد تعب زايد. ثم ركب في الثلث الأول من ليلة الأحد خامس عشره وسار مجداً، فوصل المصيصة عصر نهار الأحد، فوجد الأميرين قد ملكا الجسر بعد أن هدم التركمان بعضه، وقطعوا منه جانباً لا يمنع الاجتياز، وتوقدت بينهم نار الحرب. وعدت العساكر نهر جاهان^(٢) إلى جانب بلاد سيس، واقتفوا آثار من كان بالمصيصة من التركمان فأدركوا بعض البيوت، فانتهبوها، فتعلق الرجال بشعف الجبال، ثم حضرت قصاد التركمان - على اختلاف طوائفهم - يسألون الأمان، فأجاب الأمير يلبغا الناصري سؤالهم، وكتب لهم أماناً. ولما أحس الصارم بن رمضان بالعساكر، ترك أذنة^(٣) وفر إلى الجبال التي لا تسلك. ووصلت الأطلاب والثقل إلى المصيصة في سابع عشره، فقدم من الغد ثامن عشره قاصد الأمير طشْبُغا العزى - نائب سيس - بخبر وصول ابن رمضان إلى أطراف البلاد السيسية، وأنه ركب في أثره ومعه طائفة من التركمان القرمانيين، فأدركوا بيوته، فانتهبوها، وأمسكوا أولاده وحرّمه، ونجا بنفسه، ولحق بالتركمان البياضية مستجيراً بهم، فأجمعت الآراء على التوجه بالعساكر إلى جهتهم وإمساكه. فقدم الخبر من نائب سيس في آخر النهار بأنه استمر في طلب ابن رمضان إلى أن أدركه وأمسكه، وأمسك معه أخاه قرا محمد وأولاده وأمه وجماعته وعاد إلى سيس، فسرت العساكر بذلك سرورا زائداً.

(١) المصيصة: من الثغور بالقرب من أنطاكية، والمصيصة مدينتان بينهما نهر عظيم يقال له جيحان، وهما على ضفتيه وبينهما قنطرة من حجارة، واسم الواحدة المصيصة والأخرى كفرييا، وجيحان يخرج من بلاد الروم حتى يصل المصيصة، وبين المصيصة والبحر اثنا عشر ميلاً. انظر معجم البلدان ١٤٤/٥، ١٤٥، ١٤٥٤، والروض المعطار ٥٥٤، ونزهة المشتاق ١٩٥، والكرخي ٤٧، وابن حوقل ١٦٧، وآثار البلاد ٥٦٤.

(٢) نهر جاهان تقع عليه المصيصة، وتقع عليه طرسوسس وأذنة على التوالي.

(٣) أذنة: مدينة بالشام بينها وبين المصيصة اثنا عشر ميلاً بناها هارون الرشيد وأتمها الأمين وبها كانت منازل ولاة الثغور لسعتها، وهى على نهر جيحان وليس المسلمين عليه إلا أذنة هذه بين طرسوس والمصيصة، ومن أذنة إلى طرسوس اثنا عشر ميلاً. انظر معجم البلدان ١٣٢/١، ١٣٣، والروض المعطار ٢٠.

ورحلت في تاسع عشره تريد سيس، وأحاطت بطائفة من التراكمين اليراقية، فانتهت كثيرا من خيل ومتاع وأثاث ثم أمنوهم بسؤالهم ذلك وتفرقت جموع التركمان بالجلال ومرت العساكر إلى جهة سيس. وأحضر ابن رمضان، وأخوه قرا محمد، ومن أمسك معهما، فوسطوا، وعاد العسكر يريد المصيصة. وركب الأمير يلبغا الناصري بعسكر حلب، وسلبهم جبلا يسمى صاروجا شام، وهو مكان ضيق حرج وعمر، به جبال شوامخ وأودية عظام، مغلقة بالأشجار والمياه والأحوال، وبه دربندات خطرته، لا يكاد الراجل يسلكه، فكيف بالفارس وفرسه الموقرين حملا باللبوس؟ وإذا هم بطائفة من التركمان اليراقية، فجرى بينهم القتال الشديد. فقتل بين الفريقين جماعة، وفقد الأمير يلبغا الناصري، وجماعة من أمراء حلب، وإذا بهم قد تاهوا في تلك الأودية. ثم تراجع الناس وقد فقد منهم طائفة. ودخل العسكر رعب شديد، وخوف كاد يذهب منه أرواحهم. ووصلهم الخبر بأن التركمان قد أحاطوا بدريند باب الملك، فالتجأوا إلى مدينة إياس. ثم قدم يلبغا الناصري إلى إياس بعد انقطاع خبره، فتباشروا بقدومه، وأقاموا عليها أياما، ثم رحلوا، فلقبهم التركمان في جمع كبير. فكانت بينهم وقعة لم يمر لهم مثلها. قتل فيها خلق كثير، وانجلى عن كسرة التركمان بعد ما أبلى فيها الناصري بلاء عظيما. وارتحل العسكر يوم عيد الأضحى إلى جهة إياس، فما ضربت خيامهم بها حتى أحاط بهم التركمان وأنفذوا فرقة منهم إلى باب الملك، فوقفوا على دربنده ومنعوا عنهم الميرة، فعزت الأقوات عند العسكر، وجاعت الخيول، وكثر الخوف وأشرفوا على الهلاك، إلا أن الله تداركهم بخفى لطفه، فقدم عليهم الخبر بوصول الأمير سودن المظفرى - حاجب الحجاب بحلب - فى عدة من الأمراء. وقد استخدم من أهل حلب ألف راجل من شبان بانقوسا، ودفعوا إليهم مائة درهم كل واحد. وخرج العلماء والصلحاء وغالب الناس، وقد بلغهم ما نزل بالعسكر. ونودى بالنفير العام، فتبعهم كثير من الرجال والخيالة، والأكراد ببلد القصير والجبل الأقرع وغيره من أعمال حلب. فقام بمؤنتهم الحاجب ومن معه من الأمراء، وهجموا على باب الملك، فملكوه وقتلوا طائفة ممن كان به من التركمان، وهزموا بقيتهم. ففرح العسكر بذلك فرحا كبيرا، وساروا إلى باب الملك حتى جاوزوا دربنده ونزلوا بغراس^(١)، ثم رحلوا إلى أنطاكية وقدموا حلب. فكانت سفرة شديدة المشقة، بلوا فيها من كثرة تتابع الأمطار الغزيرة، وتوالى هبوب الرياح العاصفة، وكثرة الخوف، ومقاساة آلام الجوع، ما لا يمكن وصفه.

(١) مدينة فى لحف جبل اللكام، بينها وبين أنطاكية أربعة فراسخ، على يمين القاصد إلى أنطاكية من حلب، فى البلاد المطلة على نواحي طرسوس. انظر معجم البلدان ٤٦٧/١.

وفي سادس عشرينه: قدم مبشرو الحاج، وأخبروا بأن الشريف سعد بن أبى الغيث الحسنى - الذى كان أمير ينبع^(١) - نزل على الحاج المغاربة، بوادى العقى^(٢)، وسأهم أن يعطوه شيئاً، فأمسكوه وربطوا كتفيه، وأخذوا فرسه، وأخذوه معهم ماشياً، فأتاهم كثير من عربيه وقاتلوههم، فقتل من المغاربة عدد كثير، وأفلت منهم سعد، فأدركهم حجاج التكرور وقاتلوههم، فقتل كثير من التكرور، وأخذت أموالهم وأموال من كان معهم من الصعايدة وغيرهم. وأن حاج العراق أخبروا بأن حاج شيراز^(٣) والبصرة والحسا^(٤) خرج عليهم قريش ابن أخى زامل فى ثمانية آلاف نفس، فأخذوا ما معهم من اللؤلؤ وغيره - وكان شيئاً له مبلغ عظيم - وقتلوا منهم خلقاً كثيراً. فرد من بقى منهم ماشياً عارياً، وقدم بعضهم إلى مكة كذلك صحبة حاج بغداد. وأن ركب العراق جبى منهم عشرون ألف ديناراً عراقية، حساباً عن كل جمل خمسة دنانير، حتى أمكنهم التوجه إلى مكة. وأن حاج اليمن تعذر حجهم لفتنة باليمن، شغل فيها سلطانهم عن تجهيز الحمل.

وفى هذه السنة: كثر الرخاء بالقاهرة، وأبيع لحم الضأن السليخ، كل عشرة أرتال بثمانية دراهم، ولحم البقر كل رطل بنصف درهم، والقمح كل أردب من ثمانية دراهم إلى خمسة عشر درهماً، والشعير من ستة دراهم الأردب إلى ثمانية دراهم.

وفى هذا الشهر: استقر شرف الدين مسعود بن شعبان بن إسماعيل فى قضاء الشافعية بحلب، عوضاً عن الشهاب أحمد بن عمر بن أبى الرضا. ثم بعد قليل أعيد ابن أبى الرضا.

وفىها ولى الأمير فخر الدين عثمان بن قارا بن مهنا بن عيسى بن مهنا بن مانع بن حديثه بن غضبة بن حازم بن فضل بن ربيعة، إمرة آل فضل، عوضاً عن الأمير ناصر الدين محمد بن نعيم بن حيار بن مهنا.

وفىها أنشئ حوض للسبيل عند باب المعلا بمكة، باسم السلطان. ووصل الماء إلى القدس من قناة العروب، بعد عمارتها بأمر السلطان.

(١) من أرض تهامة، بين مكة والمدينة. انظر معجم البلدان ٤٤٩/٥. ، والروض المعطار ٦٢١. ورحلة الناصرى ٢١٦.

(٢) يوحى بناحية المدينة المنورة. انظر معجم البلدان ١٧٢/٥.

(٣) شيراز: مدينة بأرض فارس، وهى مدينتها العظمى ودار مملكة فارس، وينزلها الولاة والعمال، وتفسير شيراز: حوف الأسد. انظر معجم البلدان ٣٨٠/٣، والروض المعطار ٣٥١، ٣٥٢، ونزهة المشتاق ١٢٥.

(٤) واد بأرض الشربة من ديار عبس وغطفان. انظر معجم البلدان ٢٥٨/٢.

وفيهما قتل محمد بن مكى (١) كبير الراضة بدمشق، لتظاهرة بزي النصرية، ضربت عنقه تحت القلعة.

* * *

ومات في هذه السنة من الأعيان

الأديب شهاب الدين أحمد بن يحيى بن مخلوف بن مر بن فضل الله بن سعد بن ساعد، المعروف بالأعرج السعدى رحمه الله.

ومات الأمير أرغون دوادار الأمير طَشْتَمُر أحد الطبلخانة.

ومات الأمير أَيَدَمَر الخطابى من صديق، وهو مجرد بالإسكندرية.

ومات الأمير بلاط السيفى الصغير، أمير سلاح، وهو بطرابلس، فى جمادى الأولى.

ومات الأمير تمرباى نائب صفد، فى جمادى الأولى، بها.

ومات علم الدين سليمان بن أحمد بن سليمان بن عبد الرحمن بن أبى الفتح بين هاشم العسقلانى، أحد أعيان الفقهاء الخنابلة، فى ثالث عشرين جمادى الآخرة. ومات قاضى قضاة دمشق ولى الدين عبد الله ابن قاضى القضاة بهاء الدين أبى البقاء محمد بن عبد البر بن يحيى بن على تمام السبكى (٢) الشافعى بها.

ومات الأمير ناصر الدين محمد بن أيك الفافا، أحد العشرات.

ومات شرف الدين موسى بن البدر محمد بن محمد بن الشهاب محمود الحلبي، أحد موقعى الدست، بمدينة الرملة عائدا من القاهرة إلى دمشق فى رابع عشرين صفر عن ثلاث وأربعين سنة. ومن شعره:

يا طيف دونك ناظرى خذ نوره إن جئت زائر

(١) محمد بن مكى بن محمد بن حامد العاملى النبطى الجزينى، شمس الدين الملقب بالشهيد الأول: فقيه إمامى أصله من النبطية سكن جزين بلبنان. ورحل إلى العراق والحجاز ومصر ودمشق وفلسطين وأخذ من علمائها واتهم بالخلال العقيدة. سجن فى قلعة دمشق سنة ثم ضربت عنقه. انظر شهداء الفضيلة ودار الكتب ٥٧٣/١ والأعلام ١٠٩/٧.

(٢) محمد بن عبد البر بن يحيى، بهاء الدين، أبو البقاء، السبكى: فقيه شافعى مصرى، من العلماء بالعربية والتفسير والأدب. ولى قضاء دمشق ثم قضاء طرابلس، وعاد إلى القاهرة، فولى قضاء العسكر ووكالة بيت المال والقضاء الكبير. ثم ولى قضاء دمشق. انظر بغية الوعاة ٦٣ والدرر الكامنة ٤٩٠/٣ والوافى بالوفيات ٢١٠/٣ وكشف الظنون ٦٢٥ والأعلام ١٨٤/٦.

يا طيف دونك ناظري خذ نوره إن جئت زائر
أخشى عليك لشقوتى من أن تعثر فى المحابر
ومات الأمير شرف الدين موسى بن دينار بن قرمان، أحد الطبلخانة فى ليلة
الأربعاء عشرين جمادى الأولى.

ومات الأمير قُطُوبغا الكوكاى، أحد أمراء الألو، فى سادس المحرم.
ومات مستوفى المرتجع أمين الدين عبد الله بن جعيص الأسلمى، فى ثالث عشر
المحرم.

ومات الشيخ نهار المجذوب المغربى بالإسكندرية وكان يتحدث بالمغيبات، وله
كرامات.

* * *

سنة ست وثمانين وسبعمائة

فى يوم الخميس ثانى المحرم: استقر طَشْتَمُر السيفى فى ولاية دمياط، عوضا عن الأمير قطلوبغا أبو درقة.

وفى ثامن عشره: استقر أبو درقة فى ولاية الفيوم وكشفها، وكشف البهنساوية، والأطفيحية، عوضا عن محمد بن قرأبغا.

وفى عشرينه: قدم محمل الحاج.

وفيه رسم برمى الإقامات بالصعيد، لسفر السلطان.

وفى حادى عشرينه: رسم بعمارة برجى ثغر دمياط، وعمارة جسر السبيل البنهاوى.

وفيه قدم البريد بأن السيل هجم على دمشق، وخرب بها عدة دور، فلم يعهد بها سيل مثله.

وفى يوم السبت ثالث صفر: قبض على الأمير يَلْبُغا الصغير الخازندار، وسبعة من المماليك، وشيء بهم أنهم قصدوا الفتك بالسلطان، وضربوا ثم نفوا إلى الشام.

وفى خامس عشرينه: درّس شيخنا أبو زيد عبد الرحمن بن خلدون بالمدرسة القمحية بمصر، عوضا عن علم الدين سليمان البساطى بعد موته، وحضر معه بها الأمير الطُّبُغَا الجوبانى، والأمير يونس الدوادار، وقضاة القضاة والأعيان.

وفى يوم الإثنين عاشر ربيع الأول: قدم الأمير يَيْدُمُر الخوارزمى نائب الشام، فجلس بدار العدل فوق الأمير سون النائب.

وفى ثالث عشره خلُع عليه وقيد له من الإصطبل ثمانية جنائب من الخيل، بقماش ذهب، جرها الأوجاقية خلفه.

وفى يوم الجمعة رابع عشره: كان عقد السلطان على فاطمة ابنة الأمير مَنجك اليوسفى وقبل النكاح كاتب السر أوحى الدين عبد الواحد، وخلع عليه وعلى ناظر الخاص، وقضاة القضاة الأربع، وموقعى الحكم

وفى يوم الثلاثاء ثامن عشره: نزل السلطان إلى عيادة الأمير الطُّبُغَا الجوبانى أمير مجلس، وقد مرض.

وفيه طلع الأمير بيّدمر نائب الشام بتقدمة جليلة، تشتمل على عشرين مملوكًا منتخبة، وثلاثة وثلاثين حملاً عليها أنواع الثياب من الحرير والصوف والفرو بأنواعه، وثلاثة عشر كلبًا سلوقيا، وثمانية عشر فرسا عليها جلال (١) الحرير، وخمسين فحلا، واثنين وثلاثين حجرة (٢)، ومائة أكديش (٣) لثمة مائتي فرس، وثمانى قطر هجن بقماش ذهب، وخمسة وعشرين قنطارا من الهجن بُعبي، وبكيران ساذجة، وأربعة قطر جمال بخاتي، لكل جمل منها سنمان وثمانين جملا عرايا. وباسم ولد السلطان سيدي محمد عشرين فرسا وخمس عشرة حملاً ثيابا وغيرها.

وفى عشرينه: خلع عليه خلعة السفر، وتوجه إلى محل ولايته.

وفى رابع عشرينه: أذن السلطان لنواب القاضى الحنفى أن يستمروا على حكمهم، بعد موت قاضيهم صدر الدين بن منصور.

وفى خامس عشرينه: نزل السلطان لعيادة الجوبانى مرة ثانية، ففرش له الجوبانى شقاق الحرير السكندرى، وشقاق الحرير الشامى، وشقاق نخ من باب اصطبله إلى حيث هو مضجع، فمشى عليها بفرسه، ثم بقدميه، ونثرت عليه الدنانير والدراهم، وقدّم له الجوبانى جميع ما عنده من الخيل والماليك، فلم يرزأه شيئا منها.

وفى يوم الأحد سلخه: حمل جهاز فاطمة ابنة الأمير منجك - زوجة السلطان - إلى القلعة، وقيمته مائة ألف مثقال ذهبا، يحمله ثلاثمائة حمال، وعشرة أطباق مملوءة زركش، وسبعون بغلاً. والأمير أيدكار الحاجب ماش أمام الجهاز، هو والأمير بهادر الأستدار. والأمير قرؤم الحسى رأس نوبة، والأمير يونس الدوادار، والأمير قرقماس الحازندار، فكان يوما مشهودًا.

وفى ليلة الخميس رابع شهر ربيع الآخر: بنى عليها السلطان.

وفى سابعه: قدم البرهان إبراهيم الدمياطى من الحبشة، وخلع عليه.

وفى تاسعه: قدم الخبز بنزول مركبين من مراكب الفرنج على رشيد، فخرج الأمير يونس الدوادار، والأمير أظنغا المعلم، فلم يدركوهم.

وفى ثامن عشره: ركب الأمير أظنغا الجوبانى إلى الخدمة السلطانية، وقد عوفى مما كان به.

(١) الجل ما تلبسه الدابة لتصان به.

(٢) الأنتى من الخيل.

(٣) الحصان غير الأصيل المستخدم فى حمل الأتقال.

وفي يوم الخميس ثانی عشرینہ: استدعى شمس الدين محمد بن أحمد بن أبى بكر الطرابلسى - أحد نواب الحكم الحنفية - وخلع عليه، واستقر قاضى القضاة الحنفية، عوضا عن صدر الدين محمد بن منصور بعد وفاته.

وقد شغل منصب القضاة بعد موته أحدا وأربعين يوما، وسعى فيه غير واحد، فلم يتهياً إلا للطرابلسى بسفارة أوحد الدين كاتب السر.

وفي سادس عشرینہ: توفى للسلطان ولد ذكر، فدفن بتربة الأمير يونس الدوادار خارج باب النصر.

وفي تاسع عشرینہ: نزل السلطان لزيارة قبره، وعبر من باب النصر، فمرّ فى القاهرة وعاد إلى القلعة.

وفي يوم الأربعاء ثامن جمادى الأولى: قرئ تقليد قاضى القضاة شمس الدين محمد بن أبى بكر الطرابلسى الحنفى بالمدرسة الناصرية، بين القصرين على العادة، وحضره القضاة والأعيان، وتكلم على قوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ﴾ (١)، الآية.

وفي ثالث عشره: غضب السلطان على ناظر الجيش تقى الدين عبد الرحمن بن محب الدين محمد بن يوسف بن أحمد الشافعى، بسبب إقطاع زامل أمير آل فضل، وقد رآه فيه، فضربه بالدواة، ثم أمر به، فضرب بين يديه، نحو ثلاثمائة ضربة بالعصى. وكان ترفا، فحمل فى محفة إلى داره بالقاهرة، فلزم الفراش حتى مات ليلة الخميس سادس عشره.

وفي خامس عشره: قدم الأمير جمال الدين عبد الله بن بكتمر الحاجب من سفره، وهو مريض فى محفة، فمات من يومه. وأنعم بإقطاعه على الأمير بورى، صهر الأمير أيتمش الأتابك.

وفي يوم الخميس سادس عشره: خلع على ناظر الخاص موفق الدين أبى الفرج الأسلمى، واستقر فى نظر الجيش، عوضا عن تقى الدين، مضافا إلى نظر الخاص، ونظر الذخيرة، واستيفاء الصحبة.

وفيه أخرج الشريف بكتمر الوالى منفيا إلى الشام، وأنعم بإمرته على الأمير ناصر.

وفي يوم السبت ثالث جمادى الآخرة: عزلا قاضى القضاة جمال الدين عبد الرحمن ابن خير المالكى، من أجل أنه حكم فى قضية خطأه فيها فقهاء المالكية.

وكان قاع النيل فى هذه السنة ثمانية أذرع وأربع أصابع، وزاد على العادة حتى كان الوفاء فى يوم الخميس ثامنه، ورابع مسرى. فركب السلطان إلى المقياس حتى خلق بين يديه، ثم فتح الخليج بحضرته على العادة، وعاد إلى القلعة.

وفى يوم الجمعة سادس عشره: صلى الشيخ أكمل الدين صلاة الجمعة مع السلطان بقلعة الجبل، وترضاه. وذلك أنه كان عزل مدرس المالكية شمس الدين محمد الرركاكي المغربى من تدريس الشيخونية، فبعث السلطان إليه عدة من الأمراء ليعيدوا الرركاكي، فلم يقبل شفاعته، فتغيظ عليه بسبب ذلك، فصمم على منع الرركاكي، وترضى السلطان.

وفى يوم الإثنين تاسع عشره: استدعى شيخنا أبو زيد عبد الرحمن بن خلدون إلى قلعة الجبل، وعرض عليه السلطان ولاية قضاء المالكية، وخلع عليه، ولقب ولى الدين. فاستقر قاضى القضاة المالكية، عوضاً عن جمال الدين عبد الرحمن بن خير، وذلك بسفارة الأمير ألطنبغا الجوبانى أمير مجلس، وقرئ فى المدرسة الناصرية بين القصرين على العادة، وتكلم على قوله تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ﴾ (١) الآية وفى تاسع عشرينه ولى الشيخ أكمل الدين تدريس المالكية بخانكاه شيخو، تاج الدين بهرام، عوضاً عن شمس الدين الرركاكي، وحضر معه الدرس بها قضاة القضاة والفقهاء.

وفى آخره ركب الأمير سودن بن النائب، ومعه قضاة القضاة إلى الكنيسة المعلقة بقصر الشمع من مدينة مصر الفسطاط، وكشفها، وهدم ما استجده النصارى بها من البناء.

وفى يوم السبت تاسع رجب: - ورابع أيام النسيء - ركب السلطان إلى الميدان للعب بالكرة مع الأمراء على العادة فى كل سنة.

وفيه قدم عليه رسل التركمان، فعفا عنهم. وكان من خيرهم أن الأمير يلبغا الناصرى نائب حلب بلغه أن التركمان الأجدية والبوزقية استولوا على مدينة مرعش واقتلعوها، وكسروا تركمان الطاعة المقيمين بها. فركب فى أوائل ربيع الآخر بفرقة من العسكر، ونزل مرعش، وقتل عدة من المذكورين، وجرح كثيراً، وهزم باقيهم إلى الجبال، فأخذ أموالهم، وحرق بيوتهم، وأقام بمرعش أياماً، فأتاه الخير بأن خليل ابن دلغادر - عدو

الدولة - اتفق مع القاضي إبراهيم حاكم سيواس وأرزنجان^(١) ومع التتار، وسار بهم إلى أطراف بلاد درنده دوركى^(٢)، فنهبوا وعاثوا، فركب من مرعش، وسار إلى أبلستين، وبعث كشافته في طلب القوم، فإذا بهم قد تفرقوا، فأقام عليها أياما - على نهر جاهان - ثم رحل يريد ابن دلغادر. وقد بلغه نزوله بالقرب من سيواس، فبلغه ذلك، ففر، وعاد الناصرى. ثم سار إلى رأس العين من عمل ماردين، ثم عاد إلى حران في طلب التركمان، فأقام عليها أياما ثم عاد.

وفي أثناء شهر رجب: استبدل السلطان خان الزكاة من ورثة الناصر محمد بن قلاوون، بقطعة أرض، وأقام الأمير جركس الخليلي أمير آخور على عمارة موضعه مدرسة، فابتدى بهدمه في يوم الأحد رابع عشرينه.

وفي آخره: عزل السلطان قضاة حلب الأربع، وأعيد محب الدين محمد بن الشحنة إلى قضاء الحنفية بحلب، عوضا عن الجمال إبراهيم بن العديم.

واستقر جمال الدين عبد الله النحريرى في قضاء المالكية، عوضا عن أبى يزيد عبد الرحمن بن رشد.

واستقر شهاب الدين أحمد بن محمد بن قاضى القضاة شرف الدين أبى البركات موسى بن فياض بن عبد العزيز بن فياض المقدسى الصالحى في قضاء الحنابلة بها، عوضا عن عمه شهاب الدين أحمد بن شرف الدين موسى بن فياض.

واستقر ناصر الدين أبو عبد الله محمد بن تقى الدين بن أبى حفص عمر بن نجم الدين بن أبى عبد الله محمد بن زين الدين عمر بن أبى الطيب الدمشقى في كتابة السر بحلب، عوضا عن شمس الدين محمد بن أحمد بن مهاجر، وولى شهاب الدين أحمد بن عبد الله النحريرى قضاة المالكية بطرابلس، عوضا عن ناصر الدين محمد بن قاضى القضاة سرى الدين أبى الوليد إسماعيل بن محمد بن محمد بن هانى اللخمى الأندلسى.

وأعاد علم الدين القفصى إلى قضاء المالكية بدمشق، عوضا عن البرهان إبراهيم الشاذلى.

وفي يوم الإثنين ثانى شعبان: مات تحت الهدم بخان الزكاة جماعة من الفعلة.

وفي خامسه: ركب السلطان إلى عمارته، فدخل من باب النصر، وخرج من باب زويلة، فدخل إلى بيت الأمير الأتابك أيتمش، وعاد إلى القلعة.

(١) هى بلاد إرمينية بين بلاد الروم وخراسان، قرية من أرزن الروم. انظر معجم البلدان ١/١٥٠.

(٢) من بلاد الروم وهى من مضافات حلب.

١٦٨ سنة ست وثمانين وسبعماية

وفى تاسعه: سار السلطان إلى سرحة سرياقوس على العادة فى كل سنة، ونزل بالقصور.

وفى يوم السبت رابع عشره ورايع بابة: ابتدا نقص ماء النيل، وقد بلغت زيادته إلى عشر أصابع من عشرين ذراعا.

وفى سادس عشره: ضرب بهادر كاشف الوجه البحرى بالمقارع ستين شيبا، ثم خلع عليه، واستمر على الكشف.

وفى ثالث عشرينه: عاد السلطان من السرحة. للقبض على سعد الدين نصر الله ابن البقرى، وألزم بمال، وقبض على نسائه، فدلّت امرأته على موضع أخذ منه سبعة آلاف درهم فضة ومائتا دينار.

وفى يوم الثلاثاء ثانى شهر رمضان: ركب السلطان وشق القاهرة.

وفى حادى عشره: خلع على ترمباى الحسنى نائب أبلستين، وعلى دمرداش القشتمرى نائب الكرك، وعلى أيدمر الشمسى أبو زلطة، نائب الوجه القبلى، وعلى ابن رمضان التركمانى نائب البيرة. وحملت خلعة لأركماس حاجب طرابلس بنبابة صنفد، وخلعة لطغاي تمر القبلاوى بنبابة سيس. وخلع على الشريف سعد بن أبى الغيث، واستقر شريكا لابن عمه محمد بن مسعود فى إمارة ينبع.

وفى يوم الثلاثاء سادس عشره: نزل السلطان لعيادة الشيخ أكمل الدين فى مرضه، ثم نزل حتى يصلى عليه فى يوم الخميس ثامن عشره. وظهر أنه أغمى عليه ولم يمت، فعاد السلطان. فلما كان يوم الخميس تاسع عشره نزل السلطان حتى صلى عليه بمصلى المؤمنى تحت القلعة، ومشى على قدميه إلى الخانكاة الشيخونية مع الناس فى الجنازة، بعدما أراد أن يحمل نعش، فحمله الأمراء عنه، وما زال على القبر حتى دفن، ثم عاد إلى القلعة.

وفيه خلع على بكتمر الطرخانى، واستقر فى ولاية الأشمونين، عوضا عن كرجى.

وفيه عزل البرهان إبراهيم الدمياطى رسول الحبشة بالحبس من أجل أنه قال: «لا رحم الله أكمل الدين فإن موته فتح».

وفى ثانى عشرينه: عدى السلطان إلى بر الجيزة للصيد، وعاد من يومه.

وفي سابع عشرينه: خلع على عز الدين يوسف بن محمود الرازى العجمى (١) الأصم، واستقر فى مشيخة خانكاه شيخو، عوضا عن أكمل الدين بعد وفاته وخلع على الشرف الأشقر - واسمه عثمان بن سليمان بن رسول بن أمير يوسف بن خليل ابن نوح الكرادى العجمى الحنفى - إمام السلطان، واستقر فى مشيخة خانكاه بيبرس، عوضا عن الرازى واستقر جمال الدين محمود المحتسب فى تدريس الحديث بالقبة المنصورية، عوضا عن الرازى، وأعيد الركاكى إلى تدريس المالكية بخانكاه شيخو، عوضا عن بهرام، واستقر أوحد الدين عبد الواحد كاتب السر محدثا فى نظر خانكاه شيخو، بعد أكمل الدين، بحكم أن النظر له لرأس نوبة، بشرط الواقف.

وفي ثامن عشرينه: عدى السلطان النيل إلى الجيزة، فتصيد وعاد من يومه.

واستقر شرف الدين مسعود بن شعبان بن إسماعيل فى قضاء الشافعية بحلب، عوضا عن شهاب الدين أحمد بن عمر بن أبى الرضا.

وقدم كبيش بن الشريف عجلان بالقيود من جهة أخيه الشريف أحمد بن عجلان أمير مكة على العادة فى كل سنة.

وفيه استقر شهاب الدين أحمد بن ظهيرة فى قضاء مكة، عوضا عن كمال الدين أبى الفضل محمد النويرى بعد وفاته، بعناية أوحد الدين كاتب السر، وحُمل إليه تقليده وتشريفه.

وقدمت هدية متملك قيصرية الروم.

وفي يوم السبت سادس شوال: عدى السلطان النيل إلى بر الجيزة، يريد سرحة البحيرة على العادة كل سنة.

وفي حادى عشره: قدم الأمير يلغا الناصرى نائب حلب، فعدى إلى السلطان.

وفي رابع عشره: خرج محمل الحاج على العادة فى كل سنة، صحبة الأمير بهادر الجمالى المشرف.

(١) يوسف بن محمود بن محمد جمال الدين الرازى الظهرانى: فقيه حنفى كان شيخ خانكاه الشيخونية بالقاهرة له «كشف الحقائق» فى شرح الكنز، اختصر من شرح الزيلعى، وفرغ منه بالقاهرة سنة ٧٧٣. انظر الزيتونة ٤/ ٢١٠ ودار الكتب ١/ ٤٥٧ والأزهرية ٢/ ٢٤٣ وهدية ٢/ ٥٥٨ والأعلام ٨/ ٢٥٣.

وفى يوم الخميس أول ذى القعدة: قدم السلطان من سرحة البحيرة.

وفى خامسه: خلع على الأمير يلغا الناصرى خلعة السفر، وتوجه إلى حلب.

وفى سادسه: ركب السلطان إلى بركة الحجاج، وعاد فشق القاهرة إلى القلعة.

وفى يوم الخميس ثامنه: أسست المدرسة الظاهرية موضع خان الزكاة، بخط بين القصرين من القاهرة.

وفى ثالث عشره: عدى السلطان إلى الجيزة، وعاد من يومه.

وفى ليلة الأربعاء رابع عشره: قدم الخير بموت الأمير بهادر أمير الحاج بمنزلة عينونة^(١)، فقام الأمير عبد الرحمن بن الأمير منكلى بغا الشمسى بإمرة الحاج.

وفى سادس عشره: خلع على الأمير أبى بكر بن الأمير سُنْقُرُ الجمالى، وأنعم عليه بتقدمة عمه الأمير بهادر، واستقر أمير الحاج، فسار إلى الحجاز فى ليلة السبت سابع عشره. وأنعم على أمير عمر بن بهادر الجمالى بإمرة عشرة وهو أعمى.

وفى رابع عشرينه: خلع على محمد بن طاجار بولاية الغربية، عوضا عن أمير فرج ابن أيْدْمُر.

وفى تاسع عشرينه: خلع على على خان بولاية البحيرة.

وفى يوم الإثنين رابع ذى الحجة: نزل الأمير يونس الدوادار إلى بيت بدر الدين محمد بن فضل الله العمري، وتوجه به إلى القلعة، فخلع عليه السلطان وأعادته إلى كتابة السر بعد وفاة أرحد الدين، فنزل إلى داره، ومعه عدة من الأمراء والأعيان.

وفى حادى عشره: قدم رسل الخان طَقْتَمُش بن أذربك - متملك بلاد الدشت^(٢) فخرج الأمير سودن النائب، والأمير يونس الدوادار، وأنزلوهم بالميدان الكبير على النيل، ثم أحضروا إلى الخدمة بالإيوان فى يوم الإثنين ثامن عشره، ومعهم هديتهم، وهى سبعة سناقر من الطيور الجوارح، وسبع بقج قماش، وعدة ممالك. فلما قرئ كتابهم ظهر أنهم رسل متملك بلاد القرم. فقطع راتبهم وكان فى كل يوم خمسمائة رطل لحم، ورأس بقر، ورأسا من الخيل يرسم الذبح، ومبلغ ألف درهم. وأخرجوا من الميدان إلى موضع بالقلعة، وخلع عليهم فى حادى عشرينه وأعيدوا.

(١) هى من قرى بيت المقدس. انظر معجم البلدان ١٣/٢.

(٢) قرية من قرى أصبهان فى وسط الجبال بين أربل وتبريز. انظر معجم البلدان ٤٥٦/٢.

وفي عشرينه: أخرج محمد بن طاجار - والى الغربية - منفا إلى طرابلس.

وفي خامس عشرينه: أخرج محمد بن طيغا الدمرداش منفا إلى صغد، وتوجه الأمير كمشبغا الخاصكى بخلعة قرابلط الأحمدي نائب البحيرة ليستقر فى نيابة نجر الإسكندرية، عوضا عن بلوط الصرغتمشى. واستقر جمق السيفى فى ولاية البهنسا (١) والإطفيحية (٢)، عوضا عن أبى درقة.

وفي ثامن عشرينه: استجد لقرافة مصر والى بإمرة عشرة، واستقر فيها سليمان الكردي، وأخرجت عن والى مدينة مصر. ولم يعهد هذا فيما سلف.

وفي سلخه: خلع على خان بولاية البهنسى، عوضا عن جمق. واستقر الأمير كمشبغا الحموى فى نيابة طرابلس، عوضا عن مأمور القلمطاوى.

وفيه أخذ بقطيا مكس ستين ألف نصفية (٣)، قدمت من بغداد، سوى الثياب البغدادية والموصلية والحموية والدمشقية، وهى أضعاف ذلك.

وفيهما خلع ملك المغرب صاحب فاس أبو العباس أحمد بن أبى سالم إبراهيم بن أبى الحسن المرينى (٤) وملك فاس عوضه موسى بن أبى عنان (٥)، فى العشرين من ربيع الأول.

وأعيد الأمير نعيم بن حيار إلى إمرة آل فضل، عوضًا عن الأمير فخر الدين عثمان

(١) مدينة. مصر من الصعيد الأدنى غربى النيل وتضاف إليها كورة انظر معجم البلدان ٥١٦، ٥١٧.

(٢) بلد بالصعيد الأدنى من أرض مصر على شاطئ النيل فى شرقه. انظر معجم البلدان ٢٢٨/١.

(٣) النصفية جمعها نصافى قماش من نسيج الحرير والكتان.

(٤) أحمد بن إبراهيم بن على، أبو العباس بن سالم المرينى، السلطان المستنصر بالله: من ملوك الدولة المرينية بالمغرب كانت مدة دولته الأولى عشر سنين وشهرين وأربعة وعشرين يوما. والثانية ست سنين وأربعة أشهر ويلقب بذى الدولتين لذلك. انظر الاستقصا ١٣٣/٢. ١٤١ وروضة النسرین ٢٤ والأعلام ٨٧/١.

(٥) موسى فارس (أبى عنان، بن على المرينى، أبو فارس، المتوكل على الله: من ملوك الدولة المرينية بالمغرب الأقصى كان من أبناء ملوك «بنى مرين» المبعدين إلى الأندلس. تمت البيعة لموسى (سنة ٧٨٦هـ) مدة حكمه ستان وأربعة أشهر. انظر حذرة الاقتباس ٢٩/٥ والاستقصا ٢ والأعلام ٢٣٦/٧.

ابن قارا بن مهنا. ونقل الأمير سيف الدين سودن المظفرى من نيابة حماة إلى نيابة حلب، عوضاً عن الأمير يلبغا الناصرى.

* * *

ومات فى هذه السنة من الأعيان

شهاب الدين أحمد بن محمد بن محمد الفيشى ناظر المواريث، وناظر الأهرام، فى سادس رجب.

ومات الأمير بهادر الجمالى، المعروف بالمشرف، أمير الحاج، أحد الألوفا، فى ذى القعدة بعينونة من طريق الحجاز، وبها دفن.

وتوفى قاضى القضاة علم الدين أبو الربيع سليمان بن خالد بن نعيم بن مقدم بن محمد بن حسن بن غانم بن محمد الطائى البساطى المالكى، وهو معزول، فى يوم الجمعة سادس عشر صفر، وقد أناف على الستين.

ومات الأمير طبع المحمدى - أحد أمراء الألوفا - وقد أخرج إلى دمشق.

وتوفى كاتب السر أوحد الدين عبد الواحد بن تاج الدين إسماعيل بن ياسين الحنفى، فى يوم السبت ثانى ذى الحجة.

وتوفى ناظر الجيش تقى الدين عبد الرحمن بن ناظر الجيش محب الدين محمد بن يوسف بن أحمد بن عبد الدايم التيمى، الحلبي الأصل، الشافعى، فى ليلة الخميس سادس جمادى الأولى.

وتوفى الأمير جمال الدين عبد الله بن الأمير بكتمر الحاجب - أحد الطبلخانة - فى يوم الأربعاء خامس عشر جمادى الأولى.

ومات الأمير علاى الدين على بن أحمد بن السائس الطبيرسى - أستاذار خوند بركة أم الأشرف شعبان - فى سادس شوال.

ومات قاضى القضاة صدر الدين محمد بن علاء الدين على بن منصور الحنفى، وهو قاضى، فى يوم الإثنين عاشر ربيع الأول. وقد أناف على ثمانين سنة، وفاق فى علم الفقه أهل زمانه.

ومات الشيخ أكمل الدين محمد بن محمد بن محمود الرومى البابرى (١) الحنفى، شيخ

(١) محمد بن يوسف بن على بن سعيد، شمس الدين الكرمانى: علم بالحديث أصله من كرمان =

الخانكاة الشيخونية، وعظيم فقهاء مصر، في ليلة الجمعة تاسع عشر رمضان. شرح الهداية في الفقه، وكتب تفسير القرآن، وشرح تلخيص المفتاح، وأخذ عن شمس الدين الأصفهاني، وأبي حيان.

ومات قاضى مكة وخطيبها كمال الدين أبو الفضل محمد بن شهاب الدين أحمد بن على العقيلي النويرى المصرى بمكة، في ليلة الأربعاء ثالث عشر رجب.

ومات عالم بغداد شمس الدين محمد بن يوسف بن على الكرمانى (١)، ثم البغدادى الشافعى، شارح البخارى، فى الحرم، بطريق الحجاز، فحمل إلى بغداد، ودفن بها. ومولده فى جمادى الآخرة سنة تسع عشرة وسبعمائة. قدم مصر والشام.

ومات صائم الدهر محمد بن صديق التبريزى الصوفى، فى ليلة الإثنين خامس عشر رمضان، بالقاهرة.

وأقام نيافاً وأربعين سنة، يصوم الدهر، ويفطر دائماً على حمص بفلس، لا يخلطه إلا بالملح فقط، ويقسم أوقاته كلها للعبادة، ما بين صلاة وذكر وتلاوة، ومطالعة كتب العلم. وكان شديداً فى ذات الله.

ومات تاج الدين موسى بن أبى شاکر بن سعيد الدولة أحمد، ويعرف بمالك الرق. والد الوزير فخر الدين ماجد بن أبى شاکر، فى أول ذى القعدة.

ومات ناظر الخاص تاج الدين موسى بن سعد الدين أبى الفرج، عرف بابن كاتب السعدى، وهو معزول.

وتوفى الطواشى شبل الدولة كافور الهندى الزمردى الناصرى، صاحب التربة بالقرافة، فى ثامن ربيع الأول، وقد عمّر طويلاً.

=اشتهر فى بغداد، تصدى لنشر العلم ببغداد ثلاثين سنة وأقام مدة بمكة وفيها فرغ من تأليف كتابه «الكواكب الدرارى فى شرح صحيح البخارى» خمسة وعشرون جزءاً صغيراً. مات راجعاً من الحج فى طريقه إلى بغداد، ودفن فيها. انظر الدرر الكامنة ٣١٠/٤ وبغية الوعاة ١٢٠ ومفتاح السعادة ١٧٠/١ والأزهرية ٥٤٥/١ والكتبخانة ٣٩٠/١ والأعلام ١٥٣/٧.

(١) محمد بن محمد بن محمود، أكمل الدين أبو عبد الله ابن الشيخ شمس الدين ابن الشيخ جمال الدين الرومى البابرى: علامة بفقہ الحنفية، عارف بالأدب نسبتہ إلى بابر تى (قرية من أعمال دجيل ببغداد) أو «بابرت» التابعة لأرزن الروم - أرضروم - بتركيا. وحل إلى حلب ثم إلى القاهرة. وعرض عليه القضاء مراراً فامتنع وتوفى بمصر. من كتبه «شرح تلخيص الجامع الكبير» للخلاطى، «والعقيدة». انظر الأعلام وبتدائع الزهور ٢٦١/١ والفوائد البهية ١٩٥ والنجوم الزاهرة ٣٠٢/١١ وفهرست الكتبخانة ٦٨/٣، ٢٦/٢ - ٣٤ والأعلام ٤٢/٧.

ومات يحيى بن الناصر حسن بن محمد بن قلاوون، فى ليلة الأحد سابع عشرين شوال.

ومات تاج الدين بن وزير بيته الأسلمى، ناظر الإسكندرية بها، فى ربيع الآخر.

ومات أمين الدين محمد بن على بن الحسن الأنفى، قاضى المالكية بحلب، فى شوال، وقد ناهز السبعين. ومولده سنة ثلاث عشرة وسبعمائة.

ومات الأمير سيف الدين طَشْتَمُرُ العلاى الدوادار. كان خيراً محسناً، له مشاركة فى فهم العلوم، محباً لأهل العلم، كثير الاجتماع بهم، ويعرف الكتابة، ويحب الأدب وأهله، ولا يهمل وقتاً بغير فائدة، مع الديانة. وياشر الدوادارية فى الأيام الأشرفية، ثم نيابة الشام، ثم صار أتابك العساكر والله تعالى أرحم بهم أجمعين.

ومات الأمير مُعِيقِل بن فضل بن عيسى بن مهنا بن مانع بن حديثة، أمير آل فضل، شريكاً لابن عمه زامل.

* * *

سنة سبع وثمانين وسبعمائة

فى يوم الإثنين ثالى الحرم: خلع على الطواشى شمس الدين صواب الشهابى سَنَكَل، واستقر نائب المالىك، عوضا عن نصر البلسى. وخلع على ناصر الدين محمد بن أبى الطيّب، واستقر كاتب السر بحلب. واستقر الأمير سوْدُن المظفرى، حاجب حلب، فى نيابة حماة، عوضا عن صَنَجَق، واستقر صنَجَق من أمراء طرابلس.

وفى ثامننه: أخرج الأمير بلوط الصرغتمشى - نائب الإسكندرية - منفيا إلى الكرك. وفى تاسعه: خلع على الأمير قُطْلُوْبغا الأسن قُجَاوى - الذى يقال له أبو دَرَقَة - واستقر نائب الوجه البحرى، عوضا عن قرابلاط الأحمدي، واستقر قرابلاط فى نيابة الإسكندرية.

وفى يوم الإثنين سادس عشره: فرش الإيوان، الذى يقال له دار العدل من قلعة الجبل، ببسط جدد، كان الملك الأشرف شعبان بن حسين قد رسم بعملها بالكرك عند توجهه إلى الحج، فأهمل عملها بعد قتله، حتى عرف السلطان برقوق بها فبعث فى تجهيزها، فحملت إليه.

وفيه بسط دهليز القصر من القلعة، ورسم للأمراء ألا يدخل أحد منهم إلى القصر، ومعه من مماليكه غير مملوك واحد، وتقف مماليكهم بأسرها خارج القصر، فامثل الأمراء ذلك، واستمر.

وفى سابع عشره: ضرب الأمير على خان والى البهنسى، وأخذ منه عشرة آلاف درهم، وأخرج من القاهرة منفيًا.

وفى تاسع عشره: خلع على الأمير مُبارك شاه متولى أسوان، واستقر والى البهنسى. وفيه قدمت رسل الخان طَقْتَمُش خان بن أَرَبِك، فخرج الأمراء وأجناد الحلقة إلى لقائهم، ومثلوا بين يدى السلطان، وقدموا هديتهم.

وفى سادس عشرينه: قدم البريد من حلب بورود سولى بن دلفادر طائعا، فخلع على القاصد، وأنعم عليه بثلاثة آلاف درهم.

وفى نصف شهر ربيع الأول: قدم البريد من حلب بأن سولى بن دلفادر التركمانى لما قدم طائعا بعدما حلف له الأمير يلبغا الناصرى، أقام بحلب حتى ورد مرسوم

١٧٦ سنة سبع وثمانين وسبعمائة

السلطان بالقبض عليه، فسجن بالقلعة من حلب، ثم رُسم بإحضاره إلى مصر، فتسلمه حاجب حلب، وأنزله إلى الميدان فهرب منه ليلاً، فركب الأمير يلبغا الناصرى فى طلبه حتى عدى الفرات، فلم يقدر عليه.

وفى خامس عشرينه: خلع على يَيْلِيك السيفى بولاية أشوم الرمان، عوضاً عن يَيرم.

وفى سلخه: خلع على محمد بن العادلى، واستقر فى ولاية أطفيح، عوضاً عن قُطلوشاه.

وفى يوم السبت ثانى ربيع الآخر: ركب السلطان، وشق القاهرة لرؤية عمارته، ودخل إلى بيت الأمير الطُنْبُغا الجوبانى مسلماً عليه، ثم عاد إلى القلعة.

واستقر جمال الدين بن بشارة وزير دمشق فى نظر الجيش بها، عوضاً عن ناصر الدين بن مشكور مضافاً إلى الوزارة. وأعيد الأمير نُعير بن حيا بن مهنا إلى إمرة آل فضل، بعد موت عثمان بن قارا، وحمل إليه تقليده وتشريفه، وحمل إلى الأمير يلبغا الناصرى نائب حلب تشريف بالاستمرار على نيابته.

وفيه اشترى السلطان تُمْرُبُغا الأفضلى، المعروف بمنطاش، أخو الأمير تمر باى، وأعتقه.

وفى ثامن عشره: توجهت شوانى الأمير أَلطُنْبُغا الجوبانى من ساحل مصر نحو دمياط. وقد أنشأها وشحنها بالعدد والمقاتلة ليغزو بلاد الفرنج.

وخلع على الأمير بجمان، واستقر فى نيابة الإسكندرية، بعد موت قرا بلاط الأحمدي.

وفى حادى عشرينه: أخرج جوبان العمري-من أمراء العشرات- منفياً إلى الشام.

وفى يوم السبت سابع جمادى الأولى: خلع على جمال الدين عبد الرحمن بن خير، وأعيد إلى قضاء القضاة المالكية، عوضاً عن ولى الدين أبى زيد عبد الرحمن بن خلدون.

وفى عاشره: أخذ قاع النيل، فكان ست أذرع وأربع أصابع.

وأنعم على أزدمر الشرفى بإمرة جوبان العمري.

وفى ثانى عشرينه: قرئ تقليد ابن خير بالمدرسة الناصرية على العادة.

وفى يوم الأربعاء سابع عشر جمادى الآخرة: قدم الخير بأن شوانى الأمير أَلطُنْبُغا

الجوباني سارت من ثغر دمياط فى بحر الملح، فوجدوا مركبا فيه الفرنج الجنوبية، فأخذوه وأسروا منهم خمسة وثلثين رجلا، وقتلوا غ منهم جماعة.

وفى حادى عشرينه: قدمت الشوانى إلى شاطىء النيل ببولاق - خارج القاهرة - بالأسرى والغنيمة، فعرضت الأسرى من الغد على السلطان.

وفى يوم الجمعة ثالث رجب - وثمان عشر مسرى - : كان وفاء النيل ست عشر ذراعا.

وتوجه الأمير حسن قجا على البريد؛ لإحضار الأمير يلبغا الناصرى، نائب حلب.

وفى عشرينه: سار كُمُشْبِغا الخاصكى على البريد، لنقل سوْدُن المظفرى من نيابة حماة إلى نيابة حلب.

وقدم الخير بأن أولاد الكنز هجموا على ثغر أسوان، وقتلوا معظم أهله، ونهبوا الناس، وأن الوالى فر منهم. فخلع على حسين بن قُرْط بن عمر التركمانى، واستقر فى ولاية أسوان. ورُسم أن يتوجه معه الكاشف وابن مازن.

وخلع على مُقْبَل مملوك الأزقى، واستقر فى ولاية أشموم الرمان، بعد موت بيليك.

وفيه قدم الأمير يلبغا الناصرى إلى بلبيس، فقيد وحمل إلى الإسكندرية، فسجن بها.

وفى يوم السبت ثالث شعبان: سار الأمير جمال الدين محمود شاد الدواوين على البريد؛ لاستخلاص أموال الأمير يلبغا الناصرى من حلب، وحملها.

وفى ليلة الثلاثاء ثالث عشره: زلزلت القاهرة مرتين، زلزلاً قليلاً.

واتفقت فى هذا الشهر حادثة يتعجب منها، وهى أن امرأة رأت فى منامها رسول الله ﷺ وهو ينهاها عن لبس الشاش وهو عصابة أحدثها النساء من نحو سنة ثمانين وسبعمائة صارت تشبه أسنمة البخت، وسميها، الشاش، يكون أوله على جبين المرأة، وآخره عند ظهرها، فمنه ما يبلغ طوله ممتداً نحو الذراع فى ارتفاع دون الربع ذراع فلم تنته عن لبسه؛ فرأته - ﷺ - مرة ثانية فى منامها، وهو يقول لها: «قد نهيتك عن لبس الشاش فلم تسمعى، ولبستيه ما تموتى إلا نصرانية»، فأتت بها أمها إلى شيخ الإسلام سراج الدين عمر البلقينى، حتى قصت رؤياها عليه، فأمرها أن تذهب إلى كنيسة النصرارى، وتصلى بها ركعات، وتسال الله تعالى لعله يرحمها، ثم تأتية حتى يدعو لها. فمضت بها أمها من مجلس البلقينى إلى الكنيسة، فصلت ثم خرت ميتة لوقتها، فتركها أمها وانصرفت عنها، فدفنها النصرارى عندهم. نعوذ بالله من سوء عاقبة القضاء.

وفيه قدم رسل مملكة مدينة اصطنبول بهديته وكتابه، يتضمن أن تمكن تجارهم من القدوم إلى بلاد مصر والشام، وأن يقام لهم قنصل بثغر الإسكندرية أسوة بغيرهم من طوائف الفرنج، فأجيب إلى ذلك.

وفي أول شهر رمضان: استرجع عن الخليفة المتوكل ناحية أبو رجوان.

وفي هذا الشهر: ولدت امرأة ابنة لها رأسان كاملان، على صدر واحد ويدين، ومن تحت السرة تنقسم إلى شكل نصفين، في كل نصف رجلان كاملتان، فلم تعش.

وفي يوم الإثنين عاشر شهر رمضان: ألبس السلطان المقدم عبّيد البازدار زى الأجناد من الكلفتهاء والقباء والخف.

وفي سبع عشرينه: خلع على همام الدين عبد الواحد السيواسى العجمى، نائب الحسبة بالقاهرة، واستقر فى قضاء الحنفية بالإسكندرية، ونظر أوقافها، بمساعدة جمال الدين محمود العجمى المحتسب.

وفي يوم الثلاثاء عاشر شوال: عدّى السلطان النيل إلى الجيزة، وسار إلى سرحة البحيرة على العادة.

وفيه قدم مصر نجحا أخو بيرم خججا، عم قرا محمد أمير الموصل بعد بيرم خججا، برسالة ابن أخيه قرا محمد، يسأل إن دهمه عدو أن يُمكن من الانتماء إلى الدولة وعبور الشام.

وفيه رُسم بعمارة شوانى حربية، فابتدئ بعملها فى أول ذى القعدة، تجاه المقياس.

وفي يوم الخميس ثلثة: عاد السلطان من سرحة البحيرة.

وفي ثامن عشرينه: كُسفت الشمس من قبل نصف النهار إلى العصر.

وفيه حمل الأمير جركس الخليلي قمحًا كثيرًا إلى مكة والمدينة، ليعمل منه فى كل يوم بمكة خمسمائة رغيف، وبالمدينة فى كل يوم خمسمائة رغيف، تفرق فى السّؤال ونحوهم من الفقراء. وألا يقرر منها لأحد راتبًا، بل يأخذ من حضر ولا يراعى أحد فى التفرقة، فعم النفع بها. ولم يبق بالحرمين من يسأل عن جوع.

وفي ليلة الثلاثاء رابع عشر ذى الحجة: خسف القمر من آخر الليل.

وفي ثامن عشره: خلع على أمير حاج بولاية الأشمونين، عوضا عن بكتّم الشهابى.

وفى يوم الإثنين ثانی عشرینہ: قبض علی الأمير أَلطُنْبُغا الجوبانی أمير مجلس وقید، ثم أفرج عنه بعد أيام، وخلع علیه بنبابة الكرك، عوضا عن دمرداش القَشْمَرِي. وتوجه إليها فى تجمل زائد كبير.

وفى هذا الشهر: قدمت رسل تيمور لئك - القائم ببلاد الشرق - بكتابه فأعيدوا بجوابه.

وفيه استقر محب الدين أبو المعالى محمد بن الكمال محمد بن محمد بن الشحنة (١) فى قضاء الحنفية بحلب، بعد وفاة جمال الدين إبراهيم بن محمد بن العديم. واستقر جمال الدين عبد الله التحريرى فى قضاء المالكية بحلب بعد وفاة زين الدين عبد الرحمن بن رشد. واستقر شهاب الدين أحمد بن محمد بن موسى بن فياض بن عبد العزيز المقدسى الصالحى فى قضاء الحنابلة بحلب، عوضا عن عمه شهاب الدين أحمد ابن موسى بن فياض. واستقر شهاب الدين أحمد بن السلوى فى قضاء الشافعية بطرابلس، عوضا عن ابن وهيبة.

واستقر شهاب الدين أحمد بن عبد الله التحريرى فى قضاء المالكية بطرابلس عوضا عن ناصر الدين محمد بن سرى الدين إسماعيل بن محمد بن هانىء الأندلسى.

وفى هذه السنة: تزايد سعر الغلال بتوقف النيل، فأبيع الأردب القمح بثلاثين درهما، والأردب الشعير بعشرين درهما، والأردب الفول بثمانية عشر درهما. فلما دخل شهر ذى الحجة أبيع الأردب القمح بمخمسين درهما.

وفيه كثرت رماية القمح على الطحانين بالثمن الغال، والتكلف للأعوان.

وهذا أيضا مما أحدث ونشأ منه مفاسد كثيرة.

وحج بالناس فى هذه السنة الأمير أبو بكر بن سُنُقُر الجمالى. وحج الأمير أحمد بن الأمير يلبغا الخاصكى. وكان الحجاز رخصى السعر.

وفيهما كان بحلب وباء، بلغ عدة من مات فى كل يوم ألف إنسان وزيادة.

* * *

(١) محمد بن محمد، أبو المعالى محب الدين، ابن الشحنة الحلبي: فقيه حنفى، له اشتغال بالأدب والتاريخ، من علماء حلب. ولى قضاءها مرأت واستقضى بدمشق والقاهرة. له كتب منها «روض المناظر، فى علم الأرائل والأواجر» اختصر به تاريخ أبى الفداء وذيل عليه إلى سنة ٨٠٦ هـ و «الرحلة القسرية بالديار المصرية». مولده ووفاته بحلب. انظر أعلام النبلاء ١٦١/٥ والضوء اللامع ٣/١٠ والكتبخانه ٤١/٢، ٤١٦/٣، ١٥٥/٤، والأعلام ٤٤/٧.

ومات فيها من الأعيان

قاضى الحنفية بحلب، تاج الدين أحمد بن محمد بن محبوب، المحدث المسند الفاضل الأديب، عن سن عالية بدمشق.

ومات جمال الدين إبراهيم بن قاضى حلب ناصر الدين محمد بن قاضى حلب كمال الدين عمر بن قاضى حلب عز الدين أبى البركات عبد العزيز بن الصاحب محبى الدين أبى عبد الله محمد، ابن قاضى القضاة نجم الدين أبى الحسن أحمد، ابن قاضى القضاة جمال الدين أبى الفضل هبة الله، ابن قاضى حلب مجد الدين أبى غانم محمد، ابن قاضى حلب جمال الدين هبة الله، ابن قاضى حلب نجم الدين أحمد، ابن يحيى بن زهير بن هارون بن موسى بن عيسى بن عبد الله بن محمد بن عامر أبى جرادة بن ربيعة بن خويلد بن عوف ابن عامر بن عقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة، المعروف بابن العديم الحلبي الحنفى. عن نيف وسبعين سنة. حدث عن ابن الشحنة.

وتوفى كبير التجار، زكى الدين أبو بكر بن على الخروبي، بمصر، فى يوم الخميس تاسع عشر المحرم.

ومات الأمير بيليك، والى الأشمونين.

وتوفى قاضى المالكية بحلب، زين الدين عبد الرحمن بن رشد.

ومات الأمير عثمان بن قارا بن مهنا بن عيس بن مهنا، أمير آل فضل، فى ربيع الأول.

ومات نائب الإسكندرية الأمير قرابلط الأحمدي اليلبغاوى، فى نصف ربيع الآخر.

ومات شمس الدين محمد بن أحمد بن سبع العيسى، أحد الأدباء ومستوفى ديوان الأحباس، فى ثامن عشر شعبان.

ومات الأمير أقبغا الدوادار، فى شهر ربيع الآخر. وومات شيخ الشام نجم الدين أحمد ابن عثمان بن عيسى بن حسن بن حسين بن عبد المحسن، المعروف بابن الجابى الياسوفى الدمشقى الشافعى، فى جمادى الآخرة، بعد عوده من مصر.

وتوفى الشيخ محبى الدين عبد القادر بن الإمام شمس الدين أبى عبد الله محمد بن سيف الدين يحيى بن أحمد بن محمد بن عبد الرزاق بن الشيخ عبد القادر الكيلانى.

ومات السيد الشريف شمس الدين أبو المجد محمد ابن النقيب شهاب الدين أحمد ابن النقيب شمي الدين محمد بن أحمد الحسينى الحرانى الحلبي، عن تسع وأربعين سنة، بحلب، ولم يل وظيفة.

السلوك لمعرفة دول الملوك ١٨١

ومات شيخ الشيوخ بحلب نجم الدين عبد اللطيف بن محمد بن موسى بن أبي
الفتوح بن أبي سعيد فضل الله بن أبي الخير الخراساني ثم الحلبي، عن بضع وسبعين
سنة، بحلب.

وتوفى شرف الدين أبو بكر بن زين الدين عمر بن مظفر بن عمر، ابن الوردى،
المعري الحلبي، الفقيه الأديب، عن بضع وسبعين سنة؛ بحلب. والله أعلم.

* * *

سنة ثمان وثمانين وسبعمائة

أهلت بيوم الجمعة.

فى سادسه: قدم مبشرو الحاج، وقد تأخروا عن عادتهم.

وفيه أخرج الأمير جوبان العمرى، منفيا إلى صغد. وأنعم بإمرته على أرسبغا السيفى.

وفى تاسعه: عقد السلطان على هاجر ابنة الأمير منكلى بغا الشمسى، وأمها أخت

الملك أشرف شعبان.

وفى ثامن عشرة: قدم الأمير أحمد بن يلغا العمرى الخاصكى من الحجاز، ومعه

الركب الأول.

وفى حادى عشرينه: قدم الأمير أبو بكر بن سنقر بمحمل الحاج.

وفيه قبض على عدة من الممالك، وضربوا ضربًا مبرحًا بالمقارع، لكلام بلغ السلطان عنهم من الفتك به. وقبض على الأمير تُمربُغا الحاجب، وسُمر ومعه عشرة ممالك، وأركب كل مملوكين على جمل، ظهر أحدهما إلى ظهر الآخر، وسُمر بالحديد، وأُفرد تُمربُغا على جمل. وشهروا ونساؤهم حاسرات، يصحن ويلظمن حدودهن، ثم وسطوا، فكان أمرا شنيعا.

وفى خامس عشرينه: قبض على ستة عشر من ممالك الأمير الكبير أَيْتمش ونفوا إلى الشام، وتتبع من بقى من الممالك الأشرفية، فقبض على كثير منهم، ونفوا من مصر.

وفى سلخه: قدم الأمير إبراهيم بن قراجا بن دُلغادر طائعا، فخلع عليه، ورسم له بإمرة طبلخاناة بديار مصر.

وفى يوم الإثنين ثالث صفر: نقل الشريف هياز بن هبة الله الحسينى، أخو جماز أمير المدينة النبوية، من سجنه بقلعة الجبل إلى الإسكندرية، فسجن بها.

وكان قد قبض عليه، وسجن نحو سنة ونصف، ثم أفرج عنه فى ذى الحجة من السنة الماضية، ثم قبض عليه فى هذه السنة وسجن.

وقدم الخير ماردين باستيلاء تيمورلنك على مدينة تبريز^(١)، وقتل أهلها وتخريبها.

وفي ليلة السبت تاسع عشرينه: دخل إلى القاهرة نحو ستين رجلاً، يقال أنهم تدلوا من السور ونهبوا سوق الجمالين بالقرب من جامع الحاكم، وقتلوا نفرين. فركب الأمير حسام الدين حسين بن الكوراني - والى القاهرة - وقبض على ثلاثة منهم فى بعض الضواحي ومعهم بعض ما نهبوه، فعاقبهم حتى دلوه على بقيتهم.

وفي يوم الأحد سلخه: وقع حريق بالجسر، قريب قنطرة الحاجب^(٢)، تلف فيه عدة بيوت، ونزل عدة من الأمراء حتى أطفوه.

وفي أول شهر ربيع الأول: أبيع اللحم البقرى كل رطلين ونصف بدرهم وأبيع اللحم الضأن السميظ^(٣) كل رطلين بدرهم.

وفي يوم الجمعة ثانی عشره: رُسم بالإفراج عن الأمير يلبغا الناصرى نائب حلب، ونقله من سجنه بالإسكندرية إلى إقامته بدمياط. وأذن له أن يركب ويتنزه بها.

وفي خامس عشره: سُمر من رجال المنسر ثمانية عشرة على جمال، وثلاثة سمّرت أيديهم فى الخشب، وألبسوا فى أرجلهم قباقيب خشب، ثم سمّرت أرجلهم فيها. وأكروها حتى مشوا وهم مسمرون كذلك، وشهروا جميعا بالقاهرة، ثم وسطوا إلا واحد منهم، وأبقى عليه ليدل على بقيتهم.

وفي يوم الثلاثاء أول ربيع الآخر: أخرج السلطان بالأمير بهادر المنجكى الأستادار، وقبض عليه ثم أفرج عنه.

وفيه قدم البريد من حلب برأس الأمير خليل بن قراجا بن دلغادر، فقبض فى الحال على أخيه عثمان بن قراجا، وعلى ابن أخيه إبراهيم.

وفيه غضب السلطان على موفق الدين أبى الفرج - ناظر الجيش - ، وضربه نحو مائة وأربعين ضربة بالعصى.

وقدم الخير بوقوع الوباء بالإسكندرية، وأنه تجاوز عدة من يموت بها فى كل يوم مائة إنسان.

(١) تبريز: فى خراسان من أشهر مدن أذربيجان. انظر معجم البلدان ٤٠٥٦/٢، والروض المعطار ١٣٠.

(٢) تقع هذه القنطرة على الخليج الناصرى. انظر المقرئى، المواعظ والاعتبار ١٥١/٢.

(٣) تتف الجدى من الصدف ونظف من الشعر ليشوى. انظر محيط المحيط.

السلوك لمعرفة دول الملوك ١٨٥

وفيه استقر محمد بن عيسى - شيخ عرب العائد بالشرقية - كاشف الحسور بإمرة طبلخاناة. واستقر أخوه مهنا في مشيخة العائد.

وفي تاسع عشرينه: ماتت للسلطان ابنة، فأدفت بالعمارة بين القصرين قبل أن تكمل، وكانت جنازتها حفلة.

وفي يوم الخميس أول جمادى الأولى: خلع على الوزير الصاحب كريم الدين عبد الكريم بن مكناس، واستقر في نظر الدولة بعد موت علم الدين يحيى.

وفي خامسه: خلع على الوزير الصاحب علم الدين سن إبرة، واستقر في نظر الأسواق، عوضا عن شرف الدين محمد بن الدماميني^(١).

وفي ثاني: قدم الأمير أقبغا الجوهري - أحد أمراء الألف بحلب - وقدم أمير زه ابن ملك الكرج راجبا في الإسلام، فأسلم بحضرة القضاة بين يدي السلطان، وسمى عبد الله، وأنعم عليه بإمرة عشرة، وأنزل بقصر الحجازية من رحبة باب العيد بالقاهرة.

وفي حادى عشرينه: - وهو سادس عشرين بؤونة - أخذ قاع النيل على العادة في كل سنة، فكان ستة أذرع سواء.

وفي ثاني عشرينه: خلع على عبّيد البازدار، وأعيد إلى مقدمة الدولة، على ما كان عليه.

وفي سادس عشرينه: خلع على محمد بن أشقتمر، واستقر والى منفلوط.

وفيه عزل شهاب الدين أحمد بن ظهيرة عن قضاء مكة وخطابتها، بمكاتبة الشريف أحمد بن عجلان^(٢) أمير مكة فيه، وكتب بنقل محب الدين محمد بن أبي الفضل النويرى

(١) محمد بن أبي بكر بن عمر بن أبي بكر بن محمد، المخزومي القرشي، بدر الدين المعروف بابن الدماميني: عالم الشريعة وفنون الأدب. ولد في الإسكندرية واستوطن القاهرة ولازم ابن خلدون. وتصدر لإقراء العربية بالأزهر. ثم تحول إلى دمشق ومنها حج، وعاد إلى مصر فولى فيها قضاء المالكية. ثم ترك القضاء ورحل إلى اليمن فدرس بجامع زيد نحو سنة، وانتقل إلى الهند، فمات بها في مدينة كليرجا. من كتبه «تحفة الغريب» و«الفتح الرباني». انظر الضوء اللامع ١٨٤/٧ وبغية الوعاة ٢٧ وشذرات الذهب ٨١/٧ و١٠ آداب اللغة ١٤٣/٣ وحسن المحاضرة ٢٥٨/١ ومعجم المطبوعات ٨٩٧ والكتبخانة ٣٣٨/٤ والأعلام ٥٧/٦.

(٢) أحمد بن عجلان بن رميثة بن أبي نعي: من أشرف مكة. حسنى، يكنى أبا سليمان استقل بإمارة مكة بعد وفاة أبيه سنة ٧٧٧هـ، واستمر بها إلى أن توفى. انظر العقود اللؤلؤية ١٨٧/٢ والدرر الكامنة ٢٠٢/١ وخلاصة الكلام ٣٤،٣٣ والأعلام ١٦٨/١.

من قضاء المدينة النبوية وخطاباتها إلى قضاء مكة وخطاباتها. وخلع على شيخ الحديث زين الدين عبد الرحيم بن الحسين العراقي^(١)، واستقر في قضاء المدينة النبوية وخطاباتها.

وفيه كملت عمارة ثمانية غربان حربية، وشحنت بالأسلحة والعدد والمقاتلة.

وفي سلخه: قدمت هدية أحمد بن أويس، صاحب بغداد. وقدم الشريف ثابت بن نعيم الحسيني من المدينة النبوية، بموت ابن عمه محمد بن عطية - أمير المدينة - فقبض عليه، وحمل إلى الإسكندرية، وسجن بها.

وفيه قدم الشريف عنان بن مغامس^(٢) الحسنى من مكة، فاراً من سجن ابن عمه الشريف أحمد بن عجلان أمير مكة.

وفي أول جمادى الآخرة: قدم البريد من حلب بمسير عساكر الشام لمحاربة التركمان، وكانت بينهم وقعة عظيمة، قتل فيها سبعة عشر أميراً، منهم سوّدن العلالى نائب حماة. وقتل من الأجناد خلق كثير، وانكسر بقية العسكر.

وفيه كملت عمارة المدرسة الظاهرية بين القصرين.

وفي يوم الخميس رابع عشره: نُقلت رمم أولاد السلطان الخمسة من مدافنهم إلى القبة بالمدرسة الظاهرية المستجدة، ونقلت رمة الأمير آنص والد السلطان، عشاء، والأمراء مشاة قدامه، حتى دفن بالقبة المذكورة.

وفي يوم الإثنين ثامن عشره: زلزلت القاهرة في الساعة الرابعة زلزلة خفيفة.

وفي ثامن عشرينه: استقر سودن العثماني الساقى في نيابة حماة، عوضاً عن سودن العلالى.

(١) عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن، أبو الفضل، زين الدين، المعروف بالحافظ العراقي: بحاجة، من كبار حفاظ الحديث. أصله من الكرد، ومولده في رازنان من أعمال إربل، تحول صغيراً مع أبيه إلى مصر، فتعلم ونبغ فيها. وقام برحلة إلى الحجاز والشام وفلسطين، وعاد إلى مصر، فتوفى في القاهرة. من كتبه «المغنى عن حمل الأسفار في الأسفار» «نكت منهاج البيضاوى» و«ذيل على الميزان».

انظر الضوء اللامع ٧١/٤ وذيل طبقات الحفاظ، وغاية النهاية ٣٨٢/١ حسن المحاضرة ٢٠٤/١ والأعلام ٣٤٤/٣.

(٢) عنان بن مغامس بن رميثة بن أبي نعي: شريف حسنى، من أمراء مكة وليها للظاهر بقوق بعد مقتل الشريف محمد بن أحمد بن عجلان (سنة ٧٨٨هـ) ثم عزله الظاهر سنة ٧٨٩هـ، فرحل إلى مصر سنة ٧٩٤هـ فأقام إلى أن توفى فيها. انظر الإكليل ١٠/١٣٥، ١٥٨ والأعلام ٩٠/٥.

وفي سلخه: قدمت رسل الفرنج بهدية جلييلة القدر.

وفي يوم الثلاثاء ثالث شهر رجب - وسابع مسرى: - كان وفاء النيل ستة عشر ذراعاً، فركب الأمير قُرْدُمُ الحسنى رأس نوبة، والأمير يونس الدوادار إلى المقياس، حتى خلق العمود بمحضرتهما على العادة، ثم فتح الخليج.

وفي يوم الأربعاء حادى عشره: نزل الأمير جركس الخليلي إلى المدرسة الظاهرية المستجدة، وهياً بها الأطعمة والحلاوات والفواكه، فركب السلطان من الغد يوم الخميس ثانی عشره من القلعة، بأمرائه ومماليكه ونزل بها، وقد بسطت. واجتمع فيها قضاة القضاة والفقهاء والأعيان، فمد سماط أوله عند المحراب وآخره عند البحرة^(١) التي فى وسط المدرسة، مملوء كله بأنواع الأطعمة الفاخرة، والأشوية من الخيل والخراف والأوز والدجاج والغزلان، فأكل القضاة والأعيان أولاً، ثم أكل الأمراء والمماليك، وتناهب الناس بقيته. ثم مُدَّ سماط الحلاوات والفواكه، وملئت البحرة من مشروب السكر. فلما انقضى الأكل والشرب، خلع على علاء الدين على السيرامى الحنفى، وقد استدعاه السلطان من بلاد المشرق، واستقر مدرس الحنفية وشيخ الصوفية. وفرش له الأمير جركس الخليلي السجادة بنفسه، حتى جلس عليها. ثم خلع على الأمير جركس، وعلى المعلم شهاب الدين أحمد الطولونى المهندس، وأركبا فرسين بقماش ذهب. وخلع على خمسة عشر من مماليك الخليلي، وأنعم على كل منهم بخمسمائة درهم. وخلع على مباشرى العمارة وشاديهها، وعلى المهندسين والبنائين. وتكلم العلاء السيرامى على قوله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكُ الْمُلْكِ﴾^(٢) الآية، ثم قرأ القارئ عشراً من القرآن، ودعا. وقام السلطان وركب إلى القلعة، فكان يوماً مشهوداً.

وفي يوم الخميس تاسع عشره: دار حمل الحاج القاهرة ومصر، على العادة فى كل سنة.

وفي يوم الإثنين أول شعبان: خلع على الأمير أحمد بن الأمير يلبغا العمرى الخاصكى، واستقر أمير مجلس، عوضاً عن الأمير أَلْطُنْبُغا الجوبانى.

وفي يوم السبت سادسه: ركب السلطان إلى الميدان على العادة، ولعب بالكرة مع الأمراء.

(١) حوض من الرخام يملأ ماء وقد يزخرف بالفسيفساء ويوجد عادة فى صحن المنزل أو المبنى أشبه بالفسقية.

(٢) سورة آل عمران آية ٢٦.

وفيه أنعم على أحمد بن هُمز التركمانى، بإمرة طبلخاناة، عوضا عن على بن الأمير منجك، بعد وفاته.

وفى ثمانى عشرينه: خُلع على سِودن الطُرُنطاي الخاصكى - أحد أمراء العشرات - واستقر رأس نوبة صغيرا. وأنعم على مُقبِل الرومى الطويل بإمرة عشرة، عوضا عن أحمد بن همز.

وفى ثالث عشرينه: أسلم ميخائيل الصبان - من نصارى مدينة مصر - فخلع عليه، وأركب بغلة سلطانية، واستقر ناظر المتجر السلطانى.

وانتهت زيادة ماء النيل إلى عشرين ذراعا، وثبت إلى عيد الصليب، ثم هبط بعده بيومين.

وفى ثامن عشرينه: خُلع على أمير موسى بن سلار - من الطير دارية - واستقر أمير طير بإمرة عشرة.

وفى أول شهر رمضان: عُزل ناصر الدين أحمد التنسى من قضاء الإسكندرية، وركب طاش البريدى البريد للقبض على الأمير بِيذْمُر نائب الشام، وعلى جميع أزماته، وإيقاع الحوطة على موجوده. وركب الأمير تمرْبُغا المنجكى البريد، لتقليد الأمير أشقْتُمُر الماردىنى نيابة الشام، وحمله من القدس إلى دمشق، وحمل إليه التقليد والتشريف.

وقدم الشريف محمد بن مبارك بن رميثة الحسنى من مكة، وأخير بموت الشريف أحمد بن عجلان أمير مكة، وأن ابنه محمد بن أحمد أقيم بعده، وقام بإمرة عمه كُبَيْش ابن عجلان. وقدم الخير من المدينة النبوية أن الشريف جِماز بن هبة حضر المدينة بحشده، فحاربه على بن عطية، وهزمه عنها.

وفى سادسه: ركب السلطان إلى بركة الحاج، وعاد إلى القاهرة من باب النصر، ونزل بمدرسته، ثم مضى إلى القلعة.

وفى يوم الجمعة عاشره: أقيمت الجمعة بالمدرسة الظاهرية المستجدة بين القصرين، وخطب بها جمال الدين محمود العجمى المحتسب، بثياب بيض.

وفى يوم الجمعة سابع عشره: نزل من قلعة الجبل أحد أمراء الدولة بسواد الخطبة إلى المدرسة الظاهرية، فلبسه جمال الدين محمود، وخطب بثياب السواد على العادة، وصلى بالناس الجمعة. فلما انقضت الصلاة أخرج له الأمير المذكور خلعة سلطانية، وأفاضها عليه، فسار إلى منزله فى موكب جليل.

وقدم الخيزر بأن كُبَيْش بن عجلان سمل أعين جماعة من بنى حسن، وهم: أحمد وحسن ابنا ثقبه، ومحمد بن عجلان، وابن أحمد بن ثقبه وعمره نحو اثنتا عشرة سنة، فتغير السلطان على كبيش وابن أخيه محمد بن عجلان.

وفي سلخه: أنعم على ناصر الدين محمد بن الأمير جُلبان العلاى بطبلخانة أبيه، بعد موته.

وارتفع سعر لب الفستق، حتى بلغ خمسة وثلاثين درهما الرطل، وعنها يومئذ قريب من مثقال ونصف، ولم يعهد مثل ذلك فيما سلف.

وفيه خلع على الشريف عنان بن مُغامس، واستقر أمير مكة.

وفي يوم الإثنين رابع شوال: ركب السلطان وتوجه إلى سرحة سرياقوس على العادة في كل سنة.

واستقر شيخنا سراج الدين عمر بن الملقن في مشيخة دار الحديث الكاملة عوضاً عن زين الدين عبد الرحيم العراقي، بحكم انتقاله إلى قضاء المدينة النبوية.

وفيه أخرج السلطان خمسة من مماليكه، على إمرات بدمشق.

وفيه ضرب شهاب الدين أحمد بن الجندي الشافعي - من فقهاء ناحية دمنهور (١) - من أجل أنه أنكر على الضمن ما يأخذه من المكوس، وألزم بالألا يسكن دمنهور. ثم بلغ السلطان ما هو عليه من الورع وكثرة العلم، فاعتذر إليه، وخلع عليه، وأعادته إلى دمنهور مكرماً.

وفي يوم الأحد عاشره: حضر المدرسون بالمدرسة الظاهرية المستجدة، وهم سبعة، أربعة مدرسين الفقه على المذاهب الأربعة، ومدرس تفسير، ومدرس حديث، ومُصدر لإقراء القراءات السبع.

وفي ثامن عشره: سار محمل الحاج صحبة الأمير أقبغا المارديني، وحج أيضاً الأمير جركس الخليلي بتحمل كثير. وحج من الأمراء أيضاً كَمُشْبُغا الخاصكي، ومحمد بن تَنَكْرُبُغا، وجركس الحمدي. وكتب لنواب الشام باستخدام المماليك البَطّالين الذين نفوا من الأشرفية وغيرهم.

(١) دمنهور: مدينة مسورة في بسيط من الأرض أفيح متصل من الإسكندرية إلى مصر والبسيط كله محترث، والقرى فيه يمينا وشمالاً لا تحصى كثيرة. انظر الروض المعطار ٢٣٧، وابن دقماق ١٠١/٥، وقاموس رمزي ٢/٢، ٢٨٤.

وفي حادى عشرينه: عاد السلطان من سرحة سرياقوس.

وفي يوم الإثنين خامس عشرينه: استدعى السلطان زكريا بن الخليفة المعتصم بالله أبى إسحاق إبراهيم بن المستمسك بالله أبى عبد الله محمد بن الحاكم بالله أحمد (١) وأعلمه أنه يريد أن ينصبه خليفة، عوضاً عن الخليفة الواثق بالله عمر بن المعتصم إبراهيم بعد وفاته. ثم استدعى بقضاة القضاة وأهل الدولة، فلما اجتمعوا أظهر زكريا عهد عمه - المعتضد بالله أبى الفتح أبى بكر - إليه بالخلافة، فخلع عليه خلعة الخلافة، ونزل إلى داره. فلما كان يوم الخميس ثامن عشرينه طلع الخليفة زكريا إلى القصر من قلعة الجبل، وحضر أعيان الأمراء وقضاة القضاة الأربعة، وشيخ الإسلام سراج الدين البلقينى، وصدر الدين محمد بن إبراهيم المناوى (٢) - مفتى دار العدل - وبدر الدين محمد بن فضل الله كاتب السر، ونجم الدين محمد الطنبدى - وكيل بيت المال - فبدأ شيخ الإسلام بالكلام مع السلطان فى مبايعة زكريا على الخلافة، فبايعه السلطان أولاً، ثم بايعه من حضر على مراتبهم. ونعت نفسه بالمستعصم بالله أبى يحيى. ثم أشهد عليه الخليفة أنه قلد السلطان أمور العباد والبلاد، وأقامه فى ذلك مقام نفسه، فخلع عليه خلعة الخلافة، وخلع على عامة من حضر، وركب القضاة بين يدى الخليفة إلى منزله، فكان يوماً مشهوداً.

وفي سلخه: قدمت رسل أحمد بن أويس - متملك بغداد - بكتابه، يتضمن أن تيمور لك نزل قرا باغ، ليشتى بها ثم يعود، وحذر منه.

وفي يوم الإثنين ثالث ذى القعدة: خلع على الخليفة المستعصم بالقصر، واستقر فى نظر مشهد السيدة نفيسة. وخلع على شهاب الدين أحمد الأنصارى واستقر فى مشيخة خانكاه سعيد السعداء، عوضاً عن برهان الدين إبراهيم الأبناسى، بواسطة الأمير سُودن النائب. وذلك أنه التزم أن يعمر أوقاف الخانكاه من ماله، بمبلغ ثلاثين ألف درهم، ولا

(١) زكريا بن إبراهيم بن الحاكم بأمر الله أحمد بن محمد العباسى، أبو يحيى المعتصم بالله: من خلفاء العباسيين بمصر. نصب خليفة فى القاهرة بعد خلع المتوكل على الله (محمد بن أبى بكر، سنة ٧٧٩هـ، فأقام عشرين يوماً وعزل، ثم أعيد وبويغ بالخلافة بعد موت أخيه الواثق بالله (عمر بن إبراهيم) سنة ٧٧٨هـ، فاستمر إلى أن خلع سنة ٧٩١هـ ولزم داره إلى أن مات. انظر تاريخ الخميس ٣٨٣/٢ والأعلام ٤٥/٣.

(٢) محمد بن إبراهيم بن إسحاق السلمى المناوى ثم القاهرى، الشافعى صدر الدين، أبو المعالى: قاض، عالم بالحديث. من أهل القاهرة. ناب فى الحكم، وولى إفتاء دار العدل، ثم قضاء الديار المصرية استقلالاً سنة ٧٩١هـ وصرف بعد شهرين وأعيد، مات غريقاً فى الفرات وهو مقيد. انظر الرسالة المستطرفة ١٤٠ والضوء اللامع ٢٤٩/٦ والكتبخانة ٣٨٨/١ والأعلام ٣٠٠/٥.

يتناول معلوم المشيخة، بل يقنع بماله من معلوم التصوف، فإنه كان من جملة صوفيتها. على أنه لا يستجد بها صوفيا، وأنه يوفر نصيب من مات منهم، حتى تعمر أوقافها.

وفي سادسه: خلع على رسل ابن أويس وسافروا.

وفي ثامنه: عدى السلطان النيل، ونزل تحت الأهرام، فأقام فى سرحته حتى وصل إلى ناحية دلنجة^(١)، ثم عاد فطلع إلى القلعة فى عشرينه.

وفى هذا الشهر أخرج الوزير الصاحب شمس الدين إبراهيم كاتب أرنان مائة ألف وثمانية عشر ألف أردب قمحا، طرحه على التجار، كل أربعة أرادب بثلاثة وتسعين درهما - عنها أربعة دنانير - سعر كل دينار ثلاثة وعشرون درهما وربع درهم. فمن هذه الأربعة أرادب، إردب بسبعة وعشرين درهما، وإردب بستة وعشرين درهما، وإردب بأحد وعشرين درهما؛ وإردب بتسعة عشر درهما، فيجىء معدل كل إردب بدينار.

وفيه خلع على قوزى السيفى، واستقر فى ولاية قوص، عوضا عن مقبل الطيبى. وخلع على سعد الدين نصر الله بن البقرى، واستقر ناظر الديوان المفرد الذى استجده السلطان، وناظر ديوان الماليك. واستقر برهان الدين إبراهيم بن عبد الله بن عمر الصنهاجى^(٢) فى قضاء المالكية بدمشق، عوضا عن علم الدين محمد بن محمد القفصى. واستقر فى قضاء الحنفية بجلب موفق الدين، عوضا عن محب الدين محمد بن الشحنة.

وفى أول ذى الحجة: أحضر من دمشق بأربعة من الفقهاء فى الحديد، اتهموا أنهم سعوا فى نقض المملكة، والدعاء لإمام قرشى، فسجنوا. ثم أحضروا فى يوم الأربعاء رابع عشرينه إلى بين يدى السلطان وتقدم كبيرهم - أحمد بن البرهان - فكلّم السلطان عما سأله عنه، وصدع بالإنكار عليه، وأنه غير أهل للقيام بأمر المسلمين، وعدد له ما هو عليه من أخذ المكوس ونحو ذلك، وأنه لا يقوم بأمر المسلمين إلا لإمام قرشى. فأمر به وأصحابه أن يعاقبوا حتى يعترفوا بمن معهم من أمراء الدولة، فتولى عقوبتهم الأمير حسام الدين حسين والى القاهرة، ثم سجنهم بخزانة شمائل.

وفى خامس عشرينه: قدم مبشرو الحاج، وفيهم بطا الخاصكى، وأخبروا أن أقيفا الماردىنى - أمير الحاج - لما قدم مكة فى أول ذى الحجة خرج الشريف محمد بن أحمد

(١) دلنجة من أعمال البحيرة.

(٢) نسبة إلى قبيلة صنهاجة بالمغرب.

عجلان لتلقيه على العادة، وقبل الأرض، ثم خُفَّ الحمل. وعندما انحنى ليقبل عقب الرمح، وثب عليه فداويان ضربه أحدهما بخنجر فى جنبه، وضربه الآخر بخنجر فى عنقه، وهما يقولان: «غريم السلطان» فخر ميتا وترك نهاره ملقى، ثم حمله أهله، وواروه، وكان كبيش على بعد، فقتل الفداوية رجلا يظنوه كبيشا، ففر كبيش، وأقام الأمراء لابسين السلاح سبعة أيام، خوفا من الفتنة. فلم يتحرك أحد ولبس الشريف عنان خلعتة، وتسلم مكة، وخطب له بها.

وفى تاسع عشرينه: قدمت رسل الحبشة بكتاب ملكهم الخطى، واسمه داود بن سيف أرعد، ومعهم هدية على أحد وعشرين حمالا، فيها من ظرائف بلادهم، ومن جملتها قد ملئت قد صيغ على قدر الحمص.

* * *

ومات فى هذه السنة من الأعيان

أديب مصر بدر الدين أحمد بن الشرف محمد بن الوزير صاحب فخر الدين محمد ابن الوزير صاحب بهاء الدين على بن محمد بن سليم بن حنا^(١)، فى يوم الجمعة تاسع عشرين جمادى الآخرة بمدينة مصر، عن نيف وسبعين سنة.

وتوفى الشريف أبو سليمان أحمد بن عجلان بن رميثة بن أبى نعى محمد بن أبى سعد الحسنى أمير مكة، فى حادى عشرين شعبان عن نيف وستين سنة بمكة، ودفن بالمعلا، وكان حسن السيرة.

وتوفى الشيخ المعتقد شهاب الدين أحمد بن شرف الدين عبد الهادى بن الشيخ أبى العباس أحمد الشاطر الدمنهورى^(٢)، الأديب الشاعر ذو الفنون، فى الحرم وهو عائد من الحج.

وتوفى شهاب الدين أحمد بن محمد بن على الزركشى - أمين الحكم - فجأة فى ليلة الجمعة تاسع عشر شهر ربيع الأول. واتهم أنه سم نفسه، فإنه نقص من مال الأيتام عليه نحو خمسمائة ألف درهم، ذهبت كأمس الذهب.

(١) على بن محمد بن سليم المصرى، المعروف ببهاء الدين بن حنا: وزير. كان من أكابر الرجال فى عصره مولده ووفاته بمصر، استوزره الظاهر وفوض إليه الأمور فقام بأعباء المملكة ثبت فى وزارته إلى أن مات. انظر فوات الوفيات ٧٦/٢ وابن الفرات ١٢٥/٧ والأعلام ١٥٤/٤.

(٢) نسبة إلى دمنهور.

ومات أحمد بن الناصر حسن بن الناصر محمد بن المنصور قلاون، فى ليلة الخميس رابع عشر جمادى الآخرة، ودفن بمدرسة أبيه، وكان أسن أولاده.

وتوفى عماد الدين إسماعيل بن الزُمكُحل الناسخ، أحد الأفراد، كان يكتب سورة ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ بكماها على حبة أرز، كتابة بينة لا يطمس فيها واوا، إلى غير ذلك من بدائعه.

ومات الأمير جُلُبان الحاجب، أحد أمراء الطبلخاناه، فى أخريات شهر رمضان. وكان مشكور السيرة.

ومات الأمير خليل بن قراجا بن دلغادر، كبير التركمان البزوقية، وأمير أبلستين، قتيلا فى الحرب، مع الصارم إبراهيم بن همز التركمانى، قريبا من مدينة مرعش، عن نيف وستين سنة.

ومات الأمير سودن العلاى، نائب حماة، قتيلا فى محاربة التركمان.

وتوفى المقرئ فتح الدين عبد المعطى بن عبد الله فى سادس عشر رمضان، وقد أسن. أخذ القراءات عن أثير الدين أبى حيان.

وتوفى الشريف محمد بن عطيفة بن منصور بن حجاز بن شيحة الحسينى، أمير المدينة النبوية.

وتوفى أحد الأفراد فى العبادة والزهد والورع، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان القرمى بالقدس، فى صفر. ومولده فى ذى الحجة سنة ست وعشرين وسبعمائة. كان لا يزال يتلو القرآن، فيقال إنه قرأ فى اليوم والليلة ثمانى ختمات، وقدم القاهرة.

وتوفى الشديد فى الله، الورع، شمس الدين محمد بن يوسف بن إلياس القونوى الحنفى (١)، بدمشق، عن نيف وسبعين سنة. قدم القاهرة غير مرة. وأقسم بالله أنه إذا رأى منكرا يُحُمُّ.

وتوفى قاضى الحنابلة بدمشق شمس الدين أبو عبد الله محمد بن تقى الدين عبد الله ابن محمد بن محمود بن أحمد بن عزاز الحنبلى، المعروف بابن التقى.

(١) محمد بن يوسف بن إلياس، شمس الدين القونوى: فقيه حنفى، تركى الأصل مستعرب ولد وتعلم فى قونية وقدم إلى دمشق، بأهله وولده، فأقام بالزرة. صنف كتبا مفيدة منها «در البحار» و «شرح تلخيص المفتاح». انظر النجوم الزاهرة ٣٠٩/١١ والدرر الكامنة ٤/٢٩٢، ٢٩٥ وبغية الوعاة ١٢٥ والكتبخانة ٤٨/٣ والأعلام ٧/١٥٣.

وتوفى شيخ أهل الميقات ناصر الدين محمد بن الخطائى فى يوم الأربعاء ثالث
عشرين شعبان.

وتوفى قرينه فى العلم بالميقات شمس الدين محمد بن الغزولى، فى رابع رجب.

وتوفى زين الدين أبو بكر بن نور الدين على بن تقى الدين محمد بن
يوسف السعدى الخزرجى الأنصارى، المعروف بالسندوبى، أحد موقعى الدست،
فى يوم الخميس ثالث ربيع الآخر، وهو أحد من أدركناه من الأفراد، فى الجود
والكرم.

وتوفى شرف الدين موسى بن الفافا، أستاذار الأمير أَيْمَش الأتابك، فى تاسع
شوال، وكان من رعوس الظاهرية.

وتوفى الشريف هياز بن هبة بن جماز بن هبة بن منصور الحسينى^(١)، أمير
المدينة النبوية، فى سجنه بالإسكندرية، لأيام من شهر ربيع الأول.

وتوفى شيخ القادرية شرف الدين صدقة ويدعى محمد بن عمر بن محمد بن محمد
العادلى، فى سادس عشر جمادى الآخرة بالفيوم، وأحرم مرة بالحج من القاهرة.

وتوفى ناظر الدولة علم الدين يحيى بن فخر الدولة، المعروف بكاتب ابن الدينارى،
فى يوم الأربعاء تاسع شهر ربيع الآخر بالقاهرة، كان أولا نصرانيا ثم أسلم، وهو فى
خدمة الأمير شرف الدين موسى بن الدينارى شاد الدواوين. وصاهر المقسى ناظر
الخاص. ثم ولى نظر الدولة، وتمذهب لأبى حنيفة، رحمه الله. وسمع الحديث، وجمع
عنده الفقهاء، وأفضل عليهم وجمع كتباً كثيرة. وكان غاية فى الترف، يقول عن نفسه
أن بدنه يحتاج فى كل يوم إلى ثمانين درهما، عنها نحو أربعة مثاقيل ذهباً، يصرفها فيما
يأكله ويشربه خاصة. وترك أوانى وقماشاً وأثاثاً أبيعَت بمجملة كبيرة، وخلف من الكتب
النفيسة عدة يجلب ثمنها، مع كثرة شكواه الفقر.

ومات ملك المغرب صاحب فاس موسى بن السلطان أبى عنان فارس بن أبى
الحسن المرينى فى جمادى، وأقيم بعده المنتصر بالله محمد بن أبى العباس أحمد المخلوع

(١) هياز بن هبة بن جماز بن منصور الحسينى المدنى: ممن ولى الإمارة بالمدينة المنورة.
غضب عليه السلطان وقبض عليه، واعتقله بمصر مدة ثم أرسله إلى الإسكندرية فأقام بالجلب محبوساً
إلى أن توفى. انظر ابن قاضى شهبة والنجوم الزاهرة ٣١١/١١ والضوء اللامع ٧٨/٣ والأعلام
١٠٣/٨.

ابن أبي سالم (١) ثم خلع بعد قليل، وأقيم الواثق محمد بن أبي الفضل بن السلطان أبي الحسن (٢) كل ذلك بتدبير الوزير مسعود بن رحوب ماساى. والله تعالى أعلم.

* * *

(١) محمد بن أحمد أبي العباس بن أبي سالم المريني، أبو زيان: طفل من ملوك الدولة المرينية فى المغرب الأقصى أخذت له بيعة أهل فاس سنة ٧٨٨هـ ولقب بالمنتصر بالله. ولم يستمر سوى ٤٣ يوماً وخلع. انظر الاستقصاء ١٣٨/٢ وحنوة الاقتباس ١٣١ والأعلام ٣٢٩/٥.

(٢) محمد بن أبي الفضل بن أبي الحسن على بن عثمان المريني، أبو زيان، الملقب بالسلطان الواثق بالله: من ملوك الدولة المرينية بالمغرب الأقصى. بويع بالملك سنة ٧٨٨هـ وقد تعهد للوزير مسعود بأن يكون فى يده الحل والعقد. خلع وقيد وأرسل إلى طنجة فقتل ودفن بها. انظر الاستقصاء ١٣٨/٢ وحنوة الاقتباس ١٣١ والأعلام ٣٣١/٦.

سنة تسع وثمانين وسبعمائة

فى يوم السبت سابع عشر صفر: قدم الأمير أَلطُنْبُغا الجوبانى من الكرك باستدعاء، فبالغ السلطان فى إكرامه، وألبسه لنيابة دمشق تشريفا سنيا، فى تاسع عشره، عوضا عن أَشَقْتَمُر الماردىنى.

وفيه استقر جمال الدين ميخائيل الأسلمى فى نظر الإسكندرية، وعزل علم الدين توما، وكان ميخائيل هذا قد أسلم يوم الثلاثاء عشرين شعبان من السنة الماضية، بحضرة السلطان، وخلع عليه وأركب بغلة رائعة، وعمل تاجر الخاص.

وفيه استقر الأمير زين الدين مبارك شاه - متولى البهنسا - (١) فى نيابة الوجه القبلى، عوضا عن أيدير الشمسى، الذى يقال له أبو زلطة. واستقر ناصر الدين محمد ابن الحسام فى ولاية البهنسا.

وفيه استقر سعد الدين عبد الله بن بنت الملكى الوزير فى استيفاء الإسكندرية. وفى سابع عشرين: استقر شمس الدين بن مشكور، ناظر الجيش بدمشق، عوضا عن ابن بشارة.

وفى يوم الجمعة أول شهر ربيع الأول: برز الأمير أَلطُنْبُغا الجوبانى؛ ليسافر إلى دمشق، بعد ما خلع عليه، وحمل إليه مبلغ ثلاثمائة ألف درهم فضة. وقيد إليه فرس بسرج وكنفوش ذهب. وأرسل إليه الأمير الكبير أَيْتَمِش مائة ألف درهم، وعدة بقج ثياب، قيمتها نحو السبعين ألف درهم، وعين مُسْفَره قُرْقَماس الظاهرى، وخرج بتحمل عظيم.

وفى رابعه رأى السلطان من قلعة الجبل خيمة قد ضربت على شاطئ النيل فبعث للكشف عنها، فوجد فيها كريم الدين بن مكانس، وشمس الدين أبو البركات، فأحضرا إليه، وقد كانا يتعاقران الخمر فى خواصهما، فضربهما بالمقارع، وألزم ابن مكانس بمائة ألف درهم، وأبا البركات بخمسين ألفا.

وفيه استقر عمر بن إلياس - قريب قُرْط - فى ولاية الشرقية، عوضا عن أوناط اليوسفى.

(١) مدينة مصر من الصعيد الأدنى غربى النيل وتضاف إليها كورة كبيرة. انظر معجم البلدان

وعزم السلطان على عرض أجناد الحلقة، وشرع فيه، فتحدث معه شيخ الإسلام سراج الدين عمر البلقيني في إعفائهم من ذلك، فأجابهم وعفا عنهم.

وفي عاشر ربيع الآخر: ابتداء السلطان في اللعب بالرمح، وألزم المماليك بذلك، فاستمر.

وكثرت المرافعات في ميخائيل، فعزل عن نظر الإسكندرية، وقبض عليه الأمير جمال الدين محمود شاد الدواوين السلطانية وحبسه، فأثبت أهل الثغر عليه أنه زنديق، وشهد عليه في المحضر بذلك تسعة وأربعون نفساً، فضربت رقبته بالثغر، يوم السبت ثالث عشره.

وفي هذا الشهر: ضربت فلوس بإشارة الأمير جركس الخليلي في قلعة الجبل، وجعل اسم السلطان في دائرة، فتطير الناس بذلك، وقالوا: هذا يؤذن بأن السلطان تدور عليه الدوائر، ويحبس، فبطل ذلك، ولم يتم.

وورد البريد بنزول الفرنج على طرابلس، فحاربهم المسلمون، وغنموا منهم ثلاثة مراكب، وقتلوا جماعة كثيرة.

وورد الخبر بأن علي بن عطيفة الحسني^(١)، طرق المدينة النبوية ونهبها، وقتل منها أناساً، وأخذ ما كان لجماز بن هبة الله من المال، فأفرج عن ثابت بن نعيم، وقلد إمارة المدينة النبوية.

وقدم البريد بارتفاع الأسعار بالشام، وأن الخبز وصل بدمشق كل رطل بدرهم، والجرة الماء في القدس بنصف درهم.

وقدم الخبر من مكة بأن كبيش بن عجلان حصر مكة، وأخذ من جدة ثلاثة مراكب للتجار.

وقدم البريد بمحاربة ابن همز نائب أبلستين^(٢)، مع ابن دلغان.

وفي ثالث جمادى الآخرة: أخذ قاع النيل، فكان سبعة أذرع، وأربع أصابع.

(١) علي بن عجلان بن رميثة بن أبي نعي الحسني، أبو الحسن نور الدين: من أمراء مكة وليها بعد عزل عنان بن مغامس سنة ٧٨٩هـ. وأمضى أكثر أيامه في حروب، فلم يهنا له عيش إلى أن قتله جماعة من أقاربه من بني حسن، اغتالوه في بطن مر من نواحي مكة. انظر ابن الفرات ٤٢٠/٩ وشذرات الذهب ٣٥٠/٦ وابن إياس ٣٠٤/١ وخلاصة الكلام ٣٦ والأعلام ١٢٨/٤.

(٢) هي مدينة مشهورة ببلاد الروم. انظر معجم البلدان ٧٥/١.

وفي سادسه: استقر الأمير ناصر الدين بن مبارك حفيد المهمندار فى نيابة حماة، عوضا عن سودن العثمانى. واستقر سودن فى إقطاع ابن المهمندار بحلب.

وفي سادس عشره - وهو تاسع أبيب: - توقف ماء النيل عن الزيادة ونقص، فاضطرب الناس. ثم أنه رد النقص وزاد فى رابع عشرينه.

وفي ليلة ثامن عشرينه: ظهر كوكب فى جهة الشمال عظيم القدر، ممتد إلى جهة الغرب، له ثلاث شعب، فى أحديها ذنب طويل بقدر الرمح، وله ضوء زايد على نور القمر، ثم أنه تحول امتداده من الغرب إلى الجنوب، وسمع له صوت مرعب، وذلك بعد عشاء الآخرة بقدر ساعة.

وفي آخره: ورد البريد بأن تمرلنك كبس قرا محمد وكسره، ففر منه فى نحو مائى فارس، ونزل قريب ملطية. ونزل تمرلنك على آمد، فاستدعى السلطان القضاة والفقهاء والأمراء وتحدث فى أخذ الأوقاف من الأراضى الخراجية، فكثر النزاع، وآل الأمر إلى أنه يأخذ متحصل الأوقاف لسنة.

ورسم السلطان بتجهيز أربعة من الأمراء الألو، وهم الأمير أَلطنبغا المعلم أمير سلاح، والأمير قردم الحسنى، والأمير يونس الدوادار، والأمير سودن باق، وسبعة من أمراء الطبلخاناة، وخمسة من أمراء العشرات.

فتجهزوا، وعين معهم من أجناد الحلقة ثلاثمائة فارس، وخرجوا من القاهرة فى أول رجب، فساروا إلى حلب، وبها يومئذ فى نيابة السلطنة سودن المظفرى. وقدم الخير بوقعة بين قرا محمد وولد تمرلنك، انكسر فيها ابن تمرلنك.

وفي تاسع عشر رجب: رسم للقاضى جمال الدين محمود، محتسب القاهرة بطلب التجار وأرباب الأموال، وأخذ زكوات أموالهم، وأن يتولى قاضى القضاة الحنفية شمس الدين محمد الطرابلسى تحليفهم على ما يدعون أنه ملكهم فعمل ذلك يوم واحد، ثم رد عليهم ما أخذ منهم، وبطل، فإن الخير ورد برجوع تمرلنك إلى بلاده. وبعث نائب دمشق رجلا تركيا اتهم أنه جاسوس لتمرلنك، فعوقب حتى أقر بأنهم ثلاثة قدموا إلى دمشق، فسجن، وكتب بطلب المذكورين.

وفي سادس عشرينه - وهو تاسع عشر مسرى - كان وفاء النيل ستة عشر ذراعا.

وفي يوم الإثنين رابع شعبان: استدعى السلطان الشيخ ناصر الدين محمد ابن بنت

..... سنة تسع وثمانين وسبعمائة

مليق^(١)، وولاه قضاء القضاة الشافعية بديار مصر، بعد ما امتنع وصلى ركعتى الاستخارة، وعزل بدر الدين محمد بن أبى البقاء.

وفى سادس عشرينه: استقر فى الوزارة علم الدين عبد الوهاب بن القسيس كاتب سيدى، عوضا عن الصحاح شمس الدين إبراهيم كاتب أرنان نقل من استيفاء المرتجع إلى الوزارة، بوصية كاتب أرنان.

وفى ثانى رمضان: عزل كريم الدين بن مكائس من نظر الدولة، واستقر عوضه أمين الدين بن ريشة، واستقر حسن السيفى أمير أخور فى ولاية قطيا، عوضا عن ابن الطشلاقى، فلم يقم سوى أيام، واعيد ابن الطشلاقى.

وفى تاسعه: استقر جلال الدين عبد الرحمن بن شيخ الإسلام سراج الدين عمر البلقينى فى إفتاء دار العدل، برغبة أخيه بدر الدين محمد له عن ذلك.

واستقر زوج أخته بهاء الدين محمد بن البرجى فيما كان باسمه من توقيع الدست، وصار بيد أخيه بدر الدين قضاء العسكر.

وانتهت زيادة ماء النيل إلى ثمانية عشر ذراعا، وأربعة عشر أصبعا، وثبت إلى خامس بابة، أحد شهور القبط.

وفى يوم الأحد ثامن عشرينه: جلس السلطان بالميدان تحت القلعة للحكم بين الناس، بعد ما نودى قبل ذلك بيومين: «من كانت له ظلامة فعليه بالإصطبل السلطانى يوم الأحد والأربعاء». فداخل أعيان الناس من ذلك خوف شديد، واجترأ أسافل الناس على الأكابر.

وفيه قدم الشريف على بن عجلان يريد إمارة مكة.

ورود الخبر بأن الشريف عنان بن مغامس اقتتل مع كبيش، فقتل كبيش فى عدة من بنى حسن، وعاد عنان مظفرا، فشق على المجاورين.

وفى خامس عشرينه: استقر نجم الدين محمد الطنبدى - وكيل بيت المال - فى حسبة القاهرة، عوضا عن جمال الدين محمود، على خمسين ألف درهم فضة يقوم بها، عنها ألف دينار مصرية. واستقر جمال الدين فى قضاء العسكر، عوضا عن شمس الدين محمد القرمى بعد وفاته.

(١) محمد بن عبد الدائم بن محمد، أبو المعالى، ناصر الدين المعروف بابن بنت المليق ويختصر فيقال ابن المليق: قاضى مضرى كان شافعيًا شاذليًا، واعظًا بليغًا ولاء الظاهر برقوق القضاء وباشره بعفة ونزاهة مدة اثنتى عشرة سنة. كتبه «حادى القلوب إلى لقاء المحبوب» و «الأنوار اللامحة فى أسرار الفاتحة». انظر الدرر الكامنة ٤٩٤/٣ والكتبخانة ٧٩/٢ ودار الكتب ٣٧/١ والأعلام ١٨٨/٦.

وفي ثالث شوال: استقر شمس الدين محمد النويرى فى قضاء طرابلس، مستولا بها.

وررد الخبر بوصول العسكر إلى حلب فى أول شهر رمضان.

وقدم الأمير جبرائيل الخوارزمى، والأمير ناصر الدين محمد بن بيدمُر نائب الشام، فسلما إلى الأمير علاء الدين على بن الكورانى وإلى القاهرة، ليخلص منهما مبلغ ألفى ألف درهم.

وفي نصفه: استقر الشريف على بن عجلان فى إمارة مكة، شريكا لعنان.

وفي عاشره: توجه السلطان إلى سرحة سرياقوس على العادة. واستدعى الأمير يلبغا الناصرى من دمياط، فوصل إلى المخيم بسرياقوس فى حادى عشرينه، فأكرمه السلطان، وأنعم عليه بمائة فرس، ومائة جمل، وسلاح، ومال وثياب، قيمة ذلك خمسمائة ألف درهم فضة. وبعث إليه سائر الأمراء.

وعاد السلطان من سرياقوس أول ذى القعدة، وخلع على يلبغا الناصرى فى خامسه وأعادته لنيابة حلب، عوضا عن سون المظفرى. واستقر سون أتابك العسكر بحلب، ثم خلع عليه خلعة السفر فى ثامنه، وسار من القاهرة فى تاسعه لنيابة حلب.

وفي ثانى عشره: قدم البريد بأن تمر بغا الأفضلى منطاش نائب ملطية خامر، ووافق القاضى برهان الدين أحمد صاحب سيواس، وقرا محمد التركمانى، والماجارى نائب البيرة^(١)، ولبغا المنجكى، وعدة من الأشرافية.

وفي ثالث عشره: عدى السلطان إلى بر الجيزة، وتصيد.

وفي عشرينه: استقر قُطليجا الصفوى فى ولاية قلوب، عوضا عن الصارم إبراهيم الباشقردى.

وفي سادس عشرينه: عاد السلطان من الصيد بالجيزة إلى القلعة.

وفي تاسع عشرينه: جاءت رأس بدر بن سلام، فعلقت على باب القلعة.

وكان قد فر وفسدت أحواله بالبحيرة، والسلطان يعمل فكره فى قتله، إلى أن قتله بعض أتباعه، وأحضر رأسه إلى الكاشف، فحملها، وكفى السلطان شره.

وفيه استقر نجم الدين أبو العباس أحمد بن قاضى القضاة عماد الدين إسماعيل بن شرف الدين محمد بن أبى العز صالح المعروف بابن الكشك قضاء الحنفية بدمشق، وعوضا عن تقى الدين الكُفرى.

(١) بلد قرب سميساط بين حلب والثغور الرومية، وهى قلعة حصينة. انظر معجم البلدان

وفى رابع ذى الحجة: استقر زين الدين أمير حاج ابن مُغلطاي، فى نيابة الإسكندرية، وعزل الأمير بَحْمَان المهدى. واستقر أمير حاج بن أيدير والى الأشمونين، وعزل الصارم إبراهيم الشهابى القازانى.

وفى خامس عشرينه: قدم مبشرو الحاج، وأخبروا أن عنان بن مغماس لم يقابل الأمير قُرُقْماس الطَشْتَمُرَى الخازندار أمير الحاج، وتوجه من مكة إلى نخله^(١)، فدخل على بن عجلان إليها، وقرئ تقليده بالحرم، وتسلم مكة، ثم خرج فى طلب عنان ففر منه.

وفيه خلع الواثق محمد بن أبى الفضل بن أبى الحسن، وأعيد السلطان المخلوع أبو العباس أحمد بن أبى سالم إبراهيم بن أبى الحسن، فملك فاس فى [خامس] رمضان، وحمل الواثق إلى طنجة، فسجن بها ثم قتل.

* * *

ومات فى هذه السنة من الأعيان

الوزير صاحب شمس الدين إبراهيم المعروف بكتاب أرلان، ليلة الثلاثاء سادس عشرين شعبان. وأصله من نصارى مصر، وأظهر الإسلام. وخدم فى دواوين الأمراء، حتى تعلق بخدمة الملك الظاهر - وهو أمير - فولاه نظر ديوانه. ثم فوض إليه الوزارة لما صارت إليه سلطنة مصر، فنفذ الأمور، ومشى الأحوال أحسن تمشية، مع الغاية فى وفور الحرمة، ونفوذ الكلمة، والتقلل فى ملبسه ومركبه وسائر أسبابه، بحيث كان كهيئة أوساط الكتاب. ودخل فى الوزارة، وأحوال الوزارة غير مستقيمة، وليس للدولة حاصل من عين ولا غلة، وقد استأجر الأمراء النواحي بأجر قليلة عجلوها، فكف أيدى الأمراء عن النواحي، وضبط المتحصل، ومشى على القواعد القديمة، والقوانين المعروفة، فهابه الخاص والعام. وجدد مطابخ السكر، ودوايب النقود^(٢) وومات والحاصل ألف درهم فضة وثلاثمائة ألف وستون ألف أردب غلة، وستة وثلاثون ألف رأس من الغنم، ومائة ألف طائر من الأوز والدجاج، وألف قنطار من الزيت، وأربعمائة قنطار ماء ورد، قيمة ذلك كله خمسمائة ألف دينار.

ومات الأمير تاج الدين إسماعيل بن مازن الهوارى، وترك أموالا جزيلة.

(١) موضع بالحجاز قريب من مكة فيه نخل وكروم. انظر معجم البلدان ٥/٥٦٨.

(٢) المقصود الآلات العجلىة المستخدمة فى صناعة النبيذ.

ومات القاضي شهاب الدين أحمد بن الجمال إبراهيم بن إسحاق الغزاوي الشافعي، خطيب المدرسة الصالحية، وشاهد الإصطبلات السلطانية في تاسع عشر صفر.

ومات الأمير سيف الدين بهادر أستاذ طبع، كاشف الوجه البحري، في نصف رمضان.

ومات الشيخ صدر الدين سليمان بن يوسف بن مُفلح الياسوفي بدمشق، معتقلا بقلعتها. وكان من أعيان فقهاها الشافعية وأكابر محدثيها. واشتهر بالزهد والعفة، واتهم بأنه ممن مالىء الفقهاء الظاهرية، فاعتقل بسبب ذلك.

ومات الأمير سيف الدين طينال المارديني، عتيق الناصر محمد بن قلاوون، ترقى في الخدم من الأيام الناصرية، حتى صار من أمراء الألوفا في أيام الناصر حسن، ثم نفاه إلى دمشق، فأقام بها إلى أن استبد الأشرف شعبان، أحضره إلى القاهرة، وأعطاه إمرة مائة، ثم نزعها منه، وأعطاه إمرة طبلخاناه، ثم جعله والى قلعة الجبل، فباشر ذلك مدة، ثم أعطى إمرة عشرة، وترك طرخانا، حتى مات في شهر رمضان.

ومات الأمير سيف الدين طَقْتُمُش الحسنى، أحد المماليك اليلبغاوية، وأمير طبلخاناة. مات في تاسع عشرين رجب.

ومات زين الدين أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن بن الحفيد بن رُشد السجلماسي^(١) المغربى المالكي، سمع بغلناطة أبا البركات محمد بن إبراهيم البلفيقي، وبمكة ضياء الدين أبا الفضل محمد بن خليل بن عبد الرحمن بن محمد بن عمر بن حسن القسطلاني، وبالمدينة النبوية عفيف الدين المطرى. وبرع فى الفقه وغيره. وأقام بالقاهرة زمانا. وولى قضاء المالكية بجلب، فسار فى الناس سيرة عسوف، فعزل. وأقام بغزة حتى مات. ومولده فى ثانى عشرين شعبان سنة ست وعشرين وسبعمائة.

ومات الرئيس نور الدين على بن عنان التاجر بالخاص، فى ليلة الجمعة ثامن عشر شوال.

(١) نسبة إلى سجلماسة، وهى مدينة فى جنوبى المغرب فى طرف بلاد السودان، بينها وبين فاس عشرة أيام تلقاء الجنوب.

ومات الخطيب ناصر الدين محمد بن علي بن محمد بن محمد بن هاشم، بن عبد الواحد بن عشاير^(١) الحلبي، بالقاهرة، فى ليلة الأربعاء سادس عشرين ربيع الآخر. وكان فقيها شافعيًا، عارفاً بالفقه والحديث، والنحو والشعر وغيره. ولى هو وأبوه خطابة حلب. وقدم إلى القاهرة، فلم تطل مدته بها، حتى مات.

ومات القاضى فتح الدين محمد بن قاضى القضاة بهاء الدين عبد الله بن عبد الرحمن ابن عقيل الشافعى، موقع الدرج، فى حادى عشرين صفر. ومات الشيخ شمس الدين محمد بن الحافظ محب الدين عبد الله بن أحمد ابن المحب الحنبلى الدمشقى بها. وكان إماما فى الحديث والورع والزهد.

ومات الشيخ أمين الدين محمد بن محمد بن محمد النسفى الخوارزمى البلغولوزى^(٢) المعروف بالخلوتى، فى سابع عشرين شعبان خارج القاهرة.

ومات القاضى شمس الدين محمد القرمى الحنفى، قاضى العسكر، فى سابع عشرين ربيع الآخر.

ومات القاضى شمس الدين محمد بن على بن الخشاب الشافعى فى تاسع عشرين شعبان. حدث بصحيح البخارى عن وزيره والحجار. وناب فى حسبة القاهرة، وعمر.

ومات القاضى شمس الدين محمد بن الوحيد الدمشقى، باشر نظر المواريث ونظر الأوقاف بمدينة مصر، وشهادة الجيش، مات فى سابع ربيع الأول.

ومات الشيخ شمس الدين محمد بن قطب البكرى الشافعى، فى خامس عشر شوال. تصدر للاشتغال بالفقه مدة.

* * *

(١) المعروف أن بلاد البلغار ربطتها علاقات بالإسلام والمسلمين منذ أيام الخليفة المقتدر العباسى.
(٢) محمد بن على بن محمد السلمى الحلبي أبو المعالى، ناصر الدين بن عشاير: حافظ، مؤرخ كان خطيب حلب وسافر إلى القاهرة فتوفى بها. من تصانيفه « ذيل على تاريخ حلب لابن العديم » و « تاج النسرين فى تاريخ قنسرين ». انظر لحظ الأبحاث ١٧٠ وشذرات الذهب ٣٠٩/٦ وأعلام النبلاء ٩٧/٥ والدرر الكامنة ٨٥/٤ وحسن المحاضرة ٢٠٥/١ والأعلام ٢٨٦/٦.

سنة تسعين وسبعمائة

في المحرم: قدم قاصد من الأمير مُنطاش، يخبر أنه باق على الطاعة، فقدم البريد من حلب أنه خارج عن الطاعة، وقصد بهذا المدافعة عنه، حتى يدخل فصل الربيع، وتدوب الثلوج. فسير السلطان الأمير سيف الدين تُلُكْمُرُ الدوادار بعشرة آلاف دينار للأمراء المجردين، تقوية لهم وتوسعة عليهم، وليعرف حقيقة أمر مُنطاش.

وقدم الأمير جُمُوقُ بن الأتابك أَيْتَمِشٍ من حلب، وقد قلد الناصري النيابة بها. وفي يوم السبت حادى عشرينه: قدم الأمير قُرُقُماس - أمير الحاج - بالمحمل، والحاج، بعد ما أصابهم سيل عظيم في ترعة حامد - فم وادى القباب - (١) فمات فيه عدد كبير، غرق منهم جمع ودفن مائة وسبعة، وتلف من الأمتعة شيء لا يعبر عنه كثرة، وذلك في ليلة التاسع عشر منه.

وفيه سمر على بن نجم أمير عرب القيوم، ومعه عشرون رجلا، ووسطوا كلهم، بسبب قتلهم محمد وعمر ابني شادى.

واستقر الأمير علاء الدين أقبغا الماردانى كاشف الجيزة.

وقدم رسل ابن عثمان ملك بُرُصا، فأنزلوا بالميدان الكبير بخط موردة الجبس.

واستقر عمر بن الخطاب فى ولاية الفيوم وكشفها، وكشف البهنسا وأطفيح، عوضا عن أمير أحمد بن الركن.

وفى أول صفر استقر أيدير أبو زلطة نائب الوجه البحرى. وعزل قطلوبغا أبو درقة. واستقر أبو درقة كاشف الوجه البحرى.

وفى ثامن عشره: أحضر ترسل ابن عثمان إلى الخدمة بالقلعة، وقدموا هدية مرسلهم.

وقدم الخبز برحيل تمرلنك عن توريز إلى سمرقند (٢) وأن الأسعار ارتفعت بسائر بلاد الشام، وأبيعت الغرارة القمح فى بلد الرملة بثلاثمائة درهم فضة، فنقل الناس الغلال من ديار مصر إليها.

(١) كانت أقصى حلة بنيسابور على طريق العراق. انظر معجم البلدان ٥٧٣/٤.

(٢) سمرقند: مدينة من خراسان، ويقال: إن شمر بن افرقش غزا أرض الصفد حتى وصل إلى سمرقند فهدمها ثم ابتناها، ويقال إنها بنيت أيام الإسكندر وتولى ذلك شمر فقيل شمرقند، وعربت فيل سمرقند. انظر معجم البلدان ٢٤٨/٣، والروض المعطار ٣٢٢، ابن الوردي ٢١٤.

وقدم الخير بأن الشريف عنان بن مغامس اقتتل مع الشريف على بن عجلان، وانهمزم من على. ثم قدم مقاصده يسأل السلطان العفو عنه.

وقدم البريد بأن منطاش خرج من ملطية إلى سيواس، فسار البريد بالخلع والأموال. لتفرق في تلك البلاد.

وفيه فرق نجم الدين محمد الطنبدى محتسب القاهرة عدة فقراء الفقهاء على الباعة بسائر الأسواق، ليعلموهم من القرآن ما لا بد منه في الصلاة، فاستمر ذلك، وقرر لكل معلم على كل حانوت فلسين في كل يوم.

وفي ربيع الأول: منع قراء الأجوام عامة من التهنيك، وأن يكون عوضه الصلاة على النبي ﷺ.

وفي هذا الشهر: وقع بالقاهرة، ومصر وضواحيهم طاعون وحميات حادة، وفسى الموت بذلك في الناس.

وفيه عمل السلطان المولد النبوى بالقصر على العادة، وأقيم السماع بإبراهيم بن الجمال وأخيه خليل يشيب.

وفي ليلة الأربعاء ثاني عشره: حضر ابنا الجمال المذكورين عند بعض أهل مصر مولدا. فلما أقيم السماع سقط البيت بمن فيه، فمات ابنا الجمال في ستة أنفس، وسلم من عداهم.

ومن الاتفاق الغريب أنه كان يغنى بهذه الأبيات:

| | |
|----------------------------------|-----------------------------------|
| ولا فادنى منه فن | تغنيت فى حبكم |
| وجزت بوادى محن | وخضت بحار الهوى |
| ومثلى بكم من يمين | وقالوا به جننة |
| وعقلى بكم مفنتن | فوادى بكم هايم |
| فواد كثير الشجن | أغنى ولى فيكم |
| ويرقص حتى السكن | سيطرب من فى الحمى |
| حتى السكن» سقط البيت على من فيه. | فلما وصل فى غنائه إلى قوله «ويرقص |

وتمة هذه الأبيات:

| | |
|--------------------|------------------|
| لكم يا أهيل الحن | لقد جئت مستعذرا |
| وإن لم تجودوا فمن؟ | فجودوا على عبدكم |

وفي هذه الليلة: عمل الشيخ المعتقد إسماعيل بن يوسف الإنبائي المولد على عادته في زاويته بناحية منبوبة (١) من الجزيرة تجاه بولاق، فكان فيه من الفساد ما لا يوصف، إلا أنه وجد من الغد في المزارع مائة وخمسون جرة فارغة من جرار الخمر التي شربت تلك الليلة في الخيم، سوى ما حكي عن الزنا واللياطة، فجاءت ريح كادت تقتلع الأرض بمن عليها، وامتنع الناس من ركوب النيل فتأخروا هناك.

واتفق في هذا الشهر موت خمسة من المشهورين، لم يخلفوا بعدهم مثلهم في مغناهم، وهم: علم الدين سليمان القرافي المادح، مات ليلة الخميس تاسعه. وإبراهيم ابن الجمال المغني، وأخوه خليل المشيب، في ليلة الأحد ثاني عشره. وعلى بن الشاطر رئيس المؤذنين بالجامع الأزهر، في ليلة الإثنين ثالث عشره. والمعلم إسماعيل الدجيجاتي، في ليلة الأربعاء خامس عشره.

وفيه ورد الخير بدخول العسكر المصرى إلى بلاد ملطية، لقتال منطاش.

وفي يوم السبت ثالث ربيع الآخر: استقر جمال الدين يوسف بن محمد بن عبد الله الحميدى فى قضاء الحنفية بالإسكندرية، وعزل همام الدين عبد الواحد السواسى (٢) العجمى.

وسار الشريف حسن بن عجلان (٣) من القاهرة إلى مكة، وسار معه جماعة يريدون العمرة والمجاورة بمكة.

وتزايد الموت، وطلب البطيخ الصيفى للمرضى، فأبيعت البطيخة بخمسين درهما فضة، وأبيع الرطل من الكمثرى بعشرة دراهم.

وفيه ندب قاضى القضاة ناصر الدين محمد ابن بنت ميلق، جماعة، فقرأوا بالجامع الأزهر صحيح البخارى، ودعوا الله تعالى فى رفع الطاعون. واجتمعوا أيضا فى يوم الجمعة سادس عشره بالجامع الحاكمى، وفعلوا ذلك. ثم اجتمعوا مرة ثالثة بالجامع

(١) من الأعمال الخيرية.

(٢) نسبة إلى سيواس.

(٣) حسن بن عجلان بن رميثة بن أبى ندى: شريف حسنى، من أمراء مكة. ولد ونشأ فيها، وأقام بمصر فولاه صاحبها إمارة مكة سنة ٧٩٨هـ. وجاءه التوقيع سنة ٨١١هـ بنبابة السلطنة فى جميع بلاد الحجاز، فاستمر مدة. وعزل وأعيد مرتين ثم توجه إلى مصر سنة ٨٢٨هـ فتوفى فيها. انظر خلاصة الكلام ٣٦ والأعلام ٣/٢١٣، ٢١٤.

الأزهر، بعد عصر يوم الإثنين تاسع عشره، ومعه كثير من الأطفال الأيتام، فكان جمعا موفورا.

وفي سادس عشرينه: استقر الأمير أيدكار العمري، حاجب الحجاب بديار مصر، عوضا عن الأمير قطلوبغا الكوكاي، وكانت هذه الوظيفة متوفرة نحو أربع سنين بعد وفاة الكوكاي، وأضيف إليه نظر الخانقاة الشيخونية. واستقر الأمير سيف الدين المعروف بسيدى أبو بكر بن سنقر الجمالى حاجب ميسرة بإمرة مائة، عوضا عن أيدكار بحكم انتقاله حاجب الحجاب.

وفي ثامن عشرينه: قدم الأمير بلوط الصرغتمشى.

وفي تاسع عشرينه: مات الأمير سُبرج والى باب قلعة الجبل. وكثر الموت فى الممالك بالقلعة، فكان يموت منهم فى كل يوم زيادة على عشرين نفسا.

وفي أول جمادى الأولى: بلغت عدة الأموات الواردين على الديوان إلى مائتين وخمسة وثلاثين، سوى من يموت بالمارستان، وسوى الطرحاء على الطرقات.

وفي رابعه: استقر بحاس النوروزى نائب باب القلعة، وتزايدت عدة الموتى.

وفي رابع عشره: استقر فخر الدين عبد الرحمن بن عبد الرزاق بن إبراهيم بن مكانس فى نظر الدولة، عوضا عن أمين الدين عبد الله بن ريشة بعد موته.

وفي حادى عشرينه: ورد صراى تَمُر - دوادار الأمير يونس الدوادار، ومملوك نائب حلب - على البريد بأن العسكر توجه إلى سيواس، وقاتل عسكرها، وقد استنجدوا بالته، فأتاهم منهم نحو الستين ألفا، فحاربوهم يوما كاملا، وهزموهم، وحصروا سيواس بعدما قتل كثير من الفريقين، وجرح معظمهم، وأن الأقوات عندهم عزيزة فجهز السلطان إلى العسكر مبلغ خمسين ألف دينار مصرية، وسار بها تُلَكْتَمُر الدوادار فى سابع عشرينه.

ثم أن العسكر تحركوا للرحيل عن سيواس، فهجم عليهم التتار من ورائهم فبرز إليهم الأمير يلبغا الناصرى نائب حلب، وقتل منهم خلقا كثير، وأسر نحو الألف، وأخذ منهم العسكر نحو عشرة آلاف فرس، وعادوا سالمين إلى جهة حلب.

وفي حادى عشرينه: استقر كل من جَرَكْس وقُطْلُوبَك السيفى أمير جاندار عوضا عن يَلْبُغا المحمدى وألطنبغا عبد الملك بعد موتهما. وقدم البريد بقتل الصارم إبراهيم بن شهرى نائب دوركى على سيواس.

وفي يوم الثلاثاء ثالث جمادى الآخرة: استقر الأمير جمال الدين محمود بن على شاد الدواوين فى أستاذارية السلطان، بعد موت الأمير بهادر المنجكى، واستقر ناصر الدين محمد بن الحسام لاجين الصقرى أستاذار الأمير سون باق فى شد الدواوين.

وفي يوم الخميس خامس جمادى الآخرة: أنعم على كل من بلوط الصرغتمشى ونوغيه العلاى، وناصر الدين محمد بن الأمير محمود بإمرة طبلخاناة. وعلى كل من داود ابن دلغادر، وناصر الدين محمد بن الحسام الصقرى الشاد بإمرة عشرة.

وفيه استقر الأمير محمود الأستاذرار مشير الدولة، وخلع عليه، فتحدث فى الدولة، والخاص، والديوان المفرد، وصار عزيز مصر. وحضر عنده الصاحب علم الدين كاتب سيدى، وموفق الدين أبو الفرج ناظر الخاص، واتمرا بأمره.

وفي ثامن: ارتفع الوباء بعدما تجاوز الثلاثمائة فى كل يوم.

وفي عاشره: قدم البريد من الأمير يونس ومن نائب حلب بخير وقعة سيواس التى ذكرناها، وعود العسكر إلى ملطية، فكتب بإحضار الأمير يونس الدوادار على البريد.

وفي ثانى عشره: خلع على الصاحب علم الدين خلعة استمرار، يعقب غضب السلطان عليه.

وفي رابع عشره - الموافق سادس عشرين بؤونة: - أخذ قاع النيل فحاء ستة أذرع وثمانية أصابع.

وفيه قدم الفقيه قاضى القضاة ولى الدين أبو زيد عبد الرحمن بن خلدون الأشيبلى المغربى من الحجاز إلى القاهرة.

وفي تاسع رجب: قدم الأمير تُلَكْتُمُر الدوادار، وأخبر بأن منطاش قد فر من سيواس خوفا من القاضى برهان الدين أحمد صاحبها أن يقبض عليه.

وفي خامس عشره: استقر الأمير قُطْلُوْبُغَا الأَسْنَقْجَاوى أبو درقة كاشف الوجه البحرى، عوضا عن ركن الدين عمر بن إلیاس بن أخلاقُوطُ.

وفي خامس عشرينه: استقر مُقْبَل الطيبى والى قوص ملك الأمراء بالوجه القبلى، وعزل مبارك. واستقر الصارم إبراهيم الشهابى فى ولاية قوص.

وفي أول شعبان: أوفى النيل، ووافق ثالث عشر مسرى.

وفي ثالثه: قدم العسكر الجرد والأمراء من سيواس إلى قلعة الجبل بغير طائل، فخلع على الأمراء وأركبوا خيولا بقماش ذهب، فكانت غيبتهم عن القاهرة سنة وأياما.

وفي عاشره: استقر بتخاض السودونى - حاجب طرابلس - فى نيابة صفد، بعد موت أركماس.

وفى خامس عشره: طلب السلطان الطواشى بهادراً مقدم الماليك، فلم يوجد بالقلعة، فأحضره سكرانا من بيت على البحر، فاشتد حنق السلطان عليه، ونفاه إلى صفد، وأعطى بها إمرة عشرة. واستقر عوضه الطواشى شمس الدين صواب السعدى - المعروف بشنكل الأسود - مقدم الماليك فى سابع عشره. واستقر الطواشى سعد الدين بشير الشرفى عوضاً عن شنكل فى نيابة المقدم.

وفيه قدمت رسل الفرنج بجنوة فى الحديث بسبب من قبض عليه من الفرنج. وذلك أنه ورد الخبر أن بعض أقارب السلطان قدموا من بلاد الجراكسة فى البحر، فأخذهم الفرنج، فقبض على من بالإسكندرية منهم، وختم على أموالهم.

وفى ثالث عشرينه: قدم البريد بموت قاضى القضاة برهان الدين إبراهيم بن جماعة بدمشق، فصلى عليه صلاة الغائب بجوامع القاهرة ومصر، فى يوم الجمعة خامس عشرينه.

وفيه عُقد عقد القاضى جمال الدين محمود القيصرى - قاضى العسكر - على ابنة ناصر الدين محمد بن المعلم شهاب الدين أحمد الطيُّونى فى بيت الأمير يونس الدوادار، فكان يوماً مشهوداً.

وفيه استقر القاضى سرى الدين أبو الخطاب محمد ابن قاضى القضاة جمال الدين أبى عبد الله محمد بن زين الدين أبى محمد عبد الرحيم بن على بن عبد الملك السُّلمى المسَّلَاتى فى قضاء القضاة بدمشق، عوضاً عن البرهان بن جماعة، وحمل إليه التشريف والتقليد إلى دمشق، مستولاً بذلك.

وفى ثامن رمضان: خلع على الصاحب علم الدين عقب عافيته من مرضه، وعلى الفخر بن مكاس ناظر الدولة، وابن الحسام الشاد، وعلى محمد بن صدقة الأعسر، واستقر والى الأشمونين، عوضاً عن أمير حاج بن أيُّدُمر. ونقل أمير حاج إلى ولاية الفيوم^(١) وكشفها وكشف البهنسا وأطفيح عوضاً عن عمر بن خطاب.

واستقر محمد بن الهذبانى فى ولاية البهنسا، وعزل قوزى.

(١) ولاية غربية بمصر بينها وبين الفسطاط أربعة أيام بينهما مفازة لا ماء بها. انظر معجم البلدان

وفي تاسع عشره: قبض على سعد الدين نصر الله بن البقرى ناظر الديوان المفرد، وسلم لشاد الدواوين، وألزم بخمسة آلاف دينار، فباع أملاكه. وقبض على سعد الدين ابن قارورة - مستوفى الدولة - وألزم بثلاثين ألف درهم.

وفي رابع عشرينه: قبض على الصاحب الوزير علم الدين عبد الوهاب بن القسيس، المعروف بكتاب سیدی. واستدعى الصاحب كريم الدين عبد الكريم بن الغنام، وخلع خلعة الوزارة، وسلم إليه كاتب سیدی، فألزمه بمال حمل منه ثلاثمائة ألف درهم، بعد ما قبض على حواشيه، والحاج عبيد البزار، مقدم الدولة.

وفي يوم الخميس - سادس شوال: - قدم من حلب الأمير قرادمراس باستدعاء.

وفي تاسعه: قدم من الحجاز الشريف عنان بن مغامس أمير مكة، واستجار بالأمير الكبير أَيْتَمِش، ونزل عنده، فشفع فيه، وأحضره إلى السلطان، فعفا عنه.

وفي عاشره: استقر شمس الدين محمد بن أخی الجار النيسابورى فى مشيخة سعيد السعداء، عوضا عن شهاب الدين أحمد الأنصارى.

وخرج الحاج على العادة، وأمير الركب الأول جركس الخليلى أمير آخور، وأمير الركب الثانى أقبغا الماردانى، صحة الحمل.

وقدم الخير من أمراء دمشق بمخامرة أَلْطُنْبُغا الجوبانى نائب دمشق، وأنه ضرب طُرْنُطَاى حاجب الحجاب، واستكثر من استخدام المماليك، فبلغ الجوبانى ذلك، فاستأذن فى الحضور، فأذن له، فركب البريد من دمشق ونزل سرياقوس - خارج القاهرة - ليلة الخميس سابع عشرينه، فبعث إليه السلطان الأمير فارس الصرغتمشى الجوكندار، فقيده وسار به إلى الإسكندرية، فسجنه بها. وقبض بقلعة الجبل فى يوم السبت تاسع عشرينه على الأمير أَلْطُنْبُغا المعلم أمير سلاح، وقُرُذُم الحَسَنِى - رأس نوبة - وقيدا، وحمل إلى سجن الإسكندرية، مع أَلْجُبُغا الجمالى الدوادار.

واستقر الأمير سيف الدين طرنطاي حاجب دمشق فى نيابتها، عوضا عن الجوبانى، وحمل إليه التشريف والتقليد من قلعة الجبل إلى دمشق، مع سودن الطرنطاي. وكسب بقبض الأمير كمشبغا الحموى نائب طرابلس، فقدم سيفه فى عاشر ذى القعدة.

وفي حادى عشره: استقر الأمير أَلْجُبُغا الجمالى الدوادار خازندارا ثانيا.

وتوجه الأمير شيخ الصفوى بتقليد أسندمر الحمودى حاجب طرابلس نيابة طرابلس. ونفى كُمُشْبُغا الأشرفى الخاصكى رأس نوبة إلى طرابلس، فسار من دمياط لأنه كان فى اليك بها.

وفي خامس عشرينه: عزل أيدير نائب الوجه البحرى، ثم أعيد من يومه.

وفي سادس عشرينه: قدم الريد بعشرين سيفا من سيوف الأمراء الذين قبض عليهم ببلاد الشام. وكتب بالقبض على الأمراء البطالين ببلاد الشام فقبض عليهم. وأعيد سودن العثمانى على نيابة حماة. واستقر كشلى القلمطاوى نائبا على ملطية.

وفي يوم الخميس ثانى ذى الحجة: قدم الأمير سودن الطرنطاي من الشام بعدما قلد نائب دمشق، وقبض على الأمراء، فاستقر فى ثامن رأس نوبة ثانيا عوضا عن قردم الحسنى.

وفيه قدمت رسل الأمير قرا محمد التركمانى بكتابه، يخبر أنه أخذ مدينة تبريز، وضرب بها السكة باسم السلطان، ودعا له على منابرها، وسير دنانير ودراهم ضربت بالسكة السلطانية. وسأل أن يكون بها نائبا عن السلطنة، فأجيب بالشكر والثناء. واستقر جمق السيفى فى ولاية الفيوم وكشفها، عوضا عن أمير حاج بن أيدمر. وقدم الأمير شيخ الصفوى من طرابلس.

وفي ثانى عشرينه: استقر شمس الدين محمد بن عيسى أمير عرب العائد فى كشف الشرقية وولايتها، عوضا عن قطلوبغا التركمانى.

وفي سادس عشرينه: قدم مبشرو الحاج، وأخبروا بالأمن والسلامة.

وقدم الريد من الإسكندرية بوصول خواجه على أخى الخواجه عثمان، ومعه جميع من أسره الفرنج من أقارب السلطان. واستقر تقى الدين أبو محمد عبد الله ابن قاضى القضاة جمال الدين أبى المحاسن يوسف ابن قاضى القضاة شرف الدين أبى العباس أحمد ابن الحسين بن سليمان بن فزارة الكفرى فى قضاء الحنفية بدمشق، عوضا عن نجم الدين أحمد بن أبى العز بن الكشك. واستقر شمس الدين محمد بن الشهاب أحمد بن المهاجر الحلبي فى قضاء القضاة الشافعية بحلب، عوضا عن شرف الدين مسعود. وأعيد محب الدين محمد بن الكمال محمد بن الشحنة إلى قضاء القضاة الحنفية بحلب، عوضا عن موفق الدين.

واستقر علاء الدين على بن أحمد بن عبد الله بن المقارعى فى قضاء القضاة الحنابلة بحلب، عوضا عن شهاب الدين أحمد بن فياض.

وكان الحاج من مصر خاصة سبعة ركوب من كثرتهم، سوى ركبى المغاربة والتكاررة، لتتمة تسعة ركوب.

ومات في هذه السنة ممن له ذكر من الأعيان

قاضى القضاة برهان الدين أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الرحيم بن محمد بن إبراهيم ابن سعد الله بن جماعة الكنانى (١) الشافعى، بدمشق، ليلة الجمعة ثامن عشر شعبان، ومولده سنة خمس وعشرين وسبعمائة. ولم يخلف بعده مثله.

ومات الشيخ جمال الدين إبراهيم بن محمد بن عبد الرحيم الأسيوطى (٢) الشافعى بمكة، فى ثانى شهر رجب. وقد أسن وأفتى ودرس، وأسمع صحيح مسلم وغيره.

ومات الأمير شهاب الدين أحمد بن عمر بن قليج والى الفيوم. كان أبوه أحد أمراء الألوفا، وكاشف الوجه القبلى.

ومات الشيخ المعتقد إسماعيل بن يوسف الإنبانى، بزوايته بناحية منبابة، فى سلخ شعبان.

ومات عماد الدين إسماعيل بن على، المعروف بابن المشرف، أستاذار الأمير جركس الخليلى، فى العشرين من ذى القعدة.

ومات الأمير سيف الدين بهادر المنجكى، أستاذار السلطان، وأحد الأمراء الألوفا، فى أول جمادى الآخرة.

ومات الوزير الصاحب علم الدين بن القسيس، المعروف بكاتب سيدى، الأسلمى، فى آخر ذى الحجة.

ومات القاضى أمين الدين عبد الله بن مجد الدين فضل الله بن أمين الدين عبد الله ابن ريشة القبطى الأسلمى، ناظر الدولة، فى ليلة الأربعاء سادس جمادى الأولى.

ومات الأمير سيف الدين جلبان الحاجب، فى خامس عشرين رمضان، وكان خيرا متدينا عارفا.

ومات الأمير سيف الدين سُبُرج الكمشبغاوى، نائب قلعة الجبل، فى تاسع عشرين ربيع الآخر.

(١) تقدم ذكره.

(٢) إبراهيم بن محمد بن عبد الرحيم بن إبراهيم، جمال الدين اللحمى الأسيوطى: أديب من فقهاء الشافعية. مصرى ناب فى الحكم بالقاهرة، وهاجر إلى مكة فاستوطنها ٧٧٦هـ وتوفى بها. له مختصر «شرح بانة سعاد وإعراها». انظر الدرر الكامنة ٦٠/١ والأعلام ٦٤/١.

..... سنة تسعين وسبعمائة

ومات الشيخ علاء الدين أحمد بن محمد، المعروف بالعلاء السيرامي العجمي، شيخ المدرسة الظاهرية المستجدة بين القصرين، في ثالث جمادى الأولى. وكان فاضلا في الفقه على مذهب أبي حنيفة، مشاركاً في غيره، مشكور السيرة.

ومات الأمير ناصر الدين محمد بن قطلوبغا المحمدي، المعروف بقشقلدق، أحد أمراء العشرات، في ثاني جمادى الآخرة.

ومات القاضي عز الدين أبو اليمان محمد بن عبد اللطيف بن الكؤنك الربعي الشافعي، في ثاني عشر جمادى الأولى، عن خمس وستين سنة، وقد أسمع الحديث مدة.

ومات القاضي تقي الدين محمد بن محمد بن أحمد بن شاس المالكي موقع الدست، في سابع عشر شعبان. وقد عين لكتابة السر.

* * *

سنة إحدى وتسعين وسبعمائة

أهلت بيوم الخميس.

ففى خامس المحرم: استقر قطلوبك السعدى البريدى والى الشرقية، عوضا عن الأمير شمس الدين محمد بن عيسى العايدى. واستقر ابن عيسى كاشف الشرقية.

وفى ثامنه: قدمت رسل ابن قرمان بهدية، فقبلها السلطان، وخلع عليهم.

وفى تاسع عشره: قدمت رسل فرنج جنوة بالخواجاء على وأقارب السلطان ومعه هدية ملكهم، فقبلت، وخلع عليهم.

وفيه قدم الأمير جركس الخليلى من الحجاز بإخوة السلطان.

وفى ثالث عشرينه: قدم البريد من سيسى (١) بأن خليل بن دلغادر، ونائب سيسى، جمعا تركمان الطاعة وحاربوا سولى بن دلغادر ومنطاش، وقتلوا كثيرا من أصحابهما، وهزماه، وغنما ما معهما من الأموال والحريم.

وفيه قدم الأمير أقبغا الماردانى بالحمل وبقية الحاج.

وفيه استقر الشيخ جلال الدين نصر الله البغدادى الحنبلى فى تدريس المدرسة الظاهرية المستجد بدرس الحديث النبوى، عوضا عن الشيخ أحمد بن أبى يزيد، المعروف بمولانا زاده السيرامى. واستقر قاضى القضاة ولى الدين أبو زيد عبد الرحمن ابن خلدون عوضه فى تدريس الحديث بالمدرسة الصرغتمشية، خارج القاهرة.

وفى هذا الشهر: أشيع أن الأمير يلبغا الناصرى - نائب حلب - وقع بينه وبين الأمير سوذُن المظفرى، وكاتب كل منهما فى الآخر، فلهج العامة فى كل وقت بقولهم: «من غلب صاحب حلب»، حتى لا تكاد تجد صغيراً ولا كبيراً إلا ويقول ذلك، حتى كان من غلب الناصرى نائب حلب ما يأتى ذكره، فكان هذا من غرائب الاتفاقات.

وفى يوم الأحد خامس صفر: جمع السلطان الأمراء الخاصكية فى الميدان تحت القلعة، وشرب معهم القمز (٢)، وقرر لشربه يومى الأحد والأربعاء.

وفى سابعه: استقر سيف الدين أبو بكر بن شرف الدين موسى بن الدينارى فى ولاية قوص، عوضا عن الصارم إبراهيم الشهابى.

(١) بلد هو اليوم أعظم مدن الثغور الشامية بين أنطاكية وطرسوس. انظر معجم البلدان

وفي عاشره: بعث السلطان هدية الأمير يلبغا الناصري، فيها عدة خيول بقماش ذهب وقباء، واستدعاه ليحضر. فلما قدم ذلك عليه خشى أن يفعل به كما فعل بالأمير أَلْطُنْبغا الجوباني، فكتب يعتذر عن الحضور بحركة التركمان ومنطاش، والخوف على حلب منهم، فلم يقبل السلطان عذره، وكثر تخيله منه. وبعث الأمير تلكتمر الحمدي الدوادار إلى حلب، وعلى يده مثالين ليلبغا الناصري وسوْدُن المظفري أن يصطلحا بحضرة الأمراء والقضاة. وسير معه خلعتين يلبسانهما بعد صلحهما. وحمله في الباطن عدة ملطفات (١) إلى سوْدن المظفري، وغيره من الأمراء، بقبض الناصري وقتله إن امتنع من الصلح. وكان مملوك الناصري قد تأخر عن السفر ليفرق كتباً من أستاذه على الأمراء، يدعوهم إلى موافقته على الثورة بالسلطان. وأخبر السلطان جواب الناصري الوارد على يده ليسبقه تلكتمر إلى حلب، فبلغ المملوك ما على يد تلكتمر من الملطفات، وأخذ الجواب، وسار على البريد وجد في السوق حتى دخل حلب قبل تلكتمر. وعرف الناصري الحال كله، ويقال إن تلكتمر كان بينه وبين الشيخ حسن - رأس نوبة الناصري - مصاهرة، فلما قرب من حلب بعث يخبره بما أتى فيه، فتنبه الناصري لما أخبره الشيخ حسن برسالة تلكتمر، واحترز لنفسه. وخرج حتى لقي تلكتمر على العادة، وأخذ منه المثال، وحضر به إلى دار السعادة، وقد اجتمع الأمراء والقضاة وغيرهم لسماع المثال السلطاني. وتأخر سوْدُن المظفري عن الحضور والرسول تستدعيه، حتى حضر وهو لابس آلة الحرب من تحت ثيابه. فعندما دخل الدهليز جسَّ قازان البرقشي - أمير أخور الناصري - كتفه، فوجد السلاح وقال: «يا أمير، الذي يريد الصلح يدخل لابس آلة الحرب؟» فسبه المظفري، فسل قازان عليه السيف وضربه، وأخذته السيوف من الدين رتبهم الناصري من مماليكه حتى برد (٢)، فجرد مماليكه أيضا سيوفهم، وقاتلوا مماليك الناصري، فقتل بينهم أربعة. وثار الفتنه، فقبض الناصري على حاجب الحجاب وأولاد المهمندار، وعدة ممن يخافهم، وركب إلى القلعة وتسلمها. واستدعى التركمان والعربان، وقدم عليه الأمير منطاش معاوناً له، وداخلاً في طاعته. وبعث تلكتمر إلى السلطان، فقدم في خامس عشره وأعلم السلطان بخروج الناصري عن الطاعة، واجتمع الناس معه، وكتب السلطان في سابع عشره إلى الأمير سيف الدين أينال اليوسفي أتاك دمشق بنبأ حلب، وجهز إليه التشريف والتقليد. وطلب السلطان في ثامن عشره القضاة والأعيان وأهل الدولة من الأمراء وغيرهم، وحدثهم بعصيان

(١) هي رسائل تكتب عادة إلى الأمراء للترضية والتعزير.

(٢) أي حتى مات. انظر محيط المحيط.

الناصرى واستشارهم فى أمره، فوقع الاتفاق على إرسال عسكر لقتاله، فحلف الأمراء كلهم. ثم خرج السلطان إلى القصر الأول، وحلف أكابر المماليك على الطاعة.

وفى تاسع عشره: ضربت خيمة كبيرة بالميدان تحت القلعة، وضرب بجانبها عدة صواوين برسم الأمراء، ونزل السلطان إلى الخيمة، وحلف الأمراء وسائر المماليك. ثم مد لهم سماًطاً جليلاً، فأكلوا وانفضوا.

وفى رابع عشرينه: قدم البريد من دمشق بأن قرا بغا فرج الله، وبزلار العمرى، ودمرداش اليوسفى، وكمشبيغا الخاصكى الأشرف، وأقبغا حنچق، اجتمع معهم عدة كبيرة من المماليك المنفيين، وقبضوا على الأمير سيف الدين أسندمر نائب طرابلس، وقتلوا من الأمراء صلاح الدين خليل بن سنجر وابنه وقبضوا على جماعة، ودخلوا فى طاعة الناصرى.

وفيه عرض السلطان المماليك، وعين منهم أربعمائة وثلاثين للسفر ورسم لمن يذكر من الأمراء بالسفر، وهم: الأمير الكبير أيتمش الأتابك، والأمير جركس الخليلى أمير آخور، والأمير شهاب الدين أحمد بن يلبغا أمير مجلس، والأمير يونس الدوادار، والأمير أيدكار حاجب الحجاب، وهؤلاء أمراء ألوف. ومن أمراء الطبلخانات فارس الصرغتمشى، وبكلمش رأس نوبة، وجركس الحمدي، وشاهين الصرغتمشى، وأقبغا الصغير السلطاني، وأينال الجركسى أمير آخور، وقديد القلمطاوى. ومن أمراء العشاوات خضر بن عمر بن بكتمر الساقى، وناصر الدين محمد بن محمد بن أقبغا آص. وحمل إلى الأمير أيتمش مائتا ألف درهم فضة، وعشرة آلاف دينار ذهباً مصرية. وإلى كل من أمراء الألوف مائة ألف درهم وخمسة آلاف دينار ما خلا أيدكار، فإنه حُمل له مبلغ ستين ألف درهم مع الذهب نظيرهم. ولمن عداهم من الأمراء لكل منهم مبلغ خمسين ألف درهم، وألف دينار، وأربعمائة دينار.

وفى سادس عشرينه: قدم البريد بأن مماليك الأمير سيف الدين سودن العثمانى - نائب حماة - هموا بقتله، ففر إلى دمشق، وأن الأمير سيف الدين بيرم العزى الحاجب بحماة دخل فى طاعة الناصرى، وملك حماة، فعرض السلطان المماليك وعين منهم أربعة وسبعين، لتتم جملة من يسافر من المماليك خمسمائة.

وورد الخبر باستيلاء الفرنج على جزيرة جربة. (١)

وفى يوم الجمعة سابع عشرينه: رسم للأمير بجاس والى باب القلعة، فتوجه إلى الخليفة المتوكل، ونقله إلى برج وضيق عليه، ومنع الناس من الدخول إليه خوفاً من

الناصرى أن يدس من يأخذه، فإنه - أى الناصرى - شنع على السلطان بأمر أكبرها سجن الخليفة. فبات الخليفة به ليلة واحدة، ثم أعيد إلى مكانه. ورسم للطواشى مقبل الزمام بالتضييق على الأسياد أولاد الملوك الناصرية، ومنع من يتردد إليهم، والفحص عن أحوالهم، ففعل ذلك.

وفى يوم الإثنين ثانى ربيع الأول: خرج البريد بتقليد الأمير سيف الدين طغاي تَمُر القبلاوى - أحد أمراء دمشق - نيابة طرابلس.

وفى خامسه: قدم قاصد خليل بن دلغادر بكتاه، يخبر أن سُنُقَر - نائب سيس - توجه إلى الناصرى ودخل فى طاعته، فلما عاد قبض عليه، وبعث سيفه، فخلع على قاصده.

وفيه أنفق فى الممالك نفقة ثانية، فالأولى لكل واحد من الخمسمائة مملوك ألف درهم فضة، والثانية أيضا ألف درهم، سوى الخيل والجمال والسلاح، فإنه فرق فى أرباب الجوامك لكل واحد جملان، ولكل اثنين من أرباب الأخباز ثلاثة جمال. ورتب لهم اللحم والجرايات والعليق، فرتب لكل من رعوس النوب فى اليوم ست عشرة عليقة، ولكل من أكابر الممالك فى اليوم عشر علائق، ولكل من أرباب الجوامك خمس علائق. ورسم لكل مملوك فى دمشق بمبلغ خمسمائة درهم.

وفى رابع عشره: استدعى السلطان شيخ الإسلام سراج الدين عمر البلقينى إلى مسجد رُدينى (١) داخل القلعة، واستدعى الخليفة المتوكل على الله فقام إليه وتلقاه، وأخذ فى ملاطفته والاعتذار إليه، وتحالفا. ومضى الخليفة إلى موضعه، فبعث إليه السلطان عشرة آلاف درهم، وعدة بقج، فيها صوف وثيراب سكندرية، وفرو، لتتمة القيمة عن الجميع ألف دينار. فبعث الخليفة بجزء وافر من ذلك إلى شيخ الإسلام، وإلى والى القلعة.

وتواترت الأخبار بدخول سائر أمراء الشام والممالك اليلبغاوية والأشرفية، وسولى أمير التركمان، ونعير أمير العربان، فى طاعة الناصرى على محاربة السلطان. وأنه أقام سناحق خليفته، وأخذ جميع القلاع، خلا دمشق وبعلبك والكرك، فكثر الاضطراب بالقاهرة وقلعة الجبل. وخرج الأمراء والممالك فى يوم السبت رابع عشره إلى الريدانية خارج القاهرة بتحمل عظيم واحتفال زائده، فإن الدولة كانت لم تطرق والبلد لم يتغير حاله، والناس فى عافية بلا محنة.

(١) يوجد بداخل قلعة الجبل.

وأقاموا فى التبريز (١) إلى يوم الإثنين سادس عشره، فكانت أياما مشهودة. وفيه قدم البريد من صفد بأن وقعة كانت بها من أجل مخامرة بعض الأمراء. وفيه أنعم على قرايغا الأبو بكرى بإمرة صراى الرجى الطويل، وأنعم بإقطاعه على طغاي تَمْر الجَر كَتْمُرَى.

وفى سابع عشره: عزل موفق الدين أبو الفرج من نظر الجيش، واستقر عوضه جمال الدين محمود القيسرى قاضى العسكر الحنفى، واستقر الشيخ شرف الدين عثمان الأشقر إمام السلطان فى قضاء العسكر. واستقر القاضى سراج الدين عمر الحنفى العجمى محتسب القاهرة فى تدريس التفسير بالقبة المنصورية، عوضا عن جمال الدين محمود، برغبته له عنه.

وقدم البريد من دمشق بأن سون العثمانى - نائب حماة - جدد له بركا (٢) بدمشق، وأقام عسكرا وسار معه الأمير صارم الدين إبراهيم بن هُمزُ التركمانى يريد أخذ حماة، فلقبه الأمير منطاش بعسكر حلب، وقاتله وهزمه إلى حمص، ومعه ابن هُمزُ. وفيه أمر السلطان بإبطال الرماية والسَّلف على البرسيم والشعير، وإبطال قياس القصب والقلقاس، والإعفاء بما على ذلك من المقرر السلطانى.

وفى سلخه: عزل مُقبل الطيبى عن نيابة الوجه القبلى، وأعيد مبارك شاه. وفى يوم الثلاثاء أول ربيع الآخر: قدم البريد من دمشق بأن كُمشُبُغا المنجكى - نائب بعلبك - دخل فى طاعة الناصرى.

وفى خامسه: قدم البريد بأن ثلاثة عشر من أمراء دمشق خرجوا بمماليكهم إلى حلب نصره للناصرى، فواقعهم النائب بمن معه، وجرح منهم عدة، وساروا إلى حلب. وأن الأمير جركس الخليلى لما قدم إلى غزة، أحس بمخامرة الأمير علاء الدين أقبغا الصفوى نائب غزة، فقبض عليه، وبعثه إلى الكرك، وأقر فى نيابة غزة الأمير حسام الدين حسن ابن باكيش.

وفى عاشره: أنعم على بلاط المنجكى بإمرة عشرين، عوضا عن نوغاي العلاى بعد موته.

وفى حادى عشره: عزل ناصر الدين محمد بن العادلى، واستقر عوضه فى ولاية

(١) المقصود المبارزة.

(٢) البرك: ثقل المسافر ومتاعه.

منوف أقبغا البشتكى. وعزل الصارم إبراهيم الباشقردى من ولاية أشموم الرمان، واستقر عوضه علاء الدين على بن المقدم.

وفى تاسع عشره: عزل قنق السيفى عن كشف الفيوم وولايتها، وكشف البهنسا وأطفيح، واستقر شاهين الكلبكى عوضه. وعزل محمد بن صدقة بن الأعسر من الأشمومين، واستقر عوضه عز الدين أيديمر المظفرى.

وفى عشرينه: قدم رسول قرا محمد التركمانى، ورسول الملك الظاهر صاحب ماردين، بقدمهما إلى الخابور^(١)، ويستأذنان فى محاربة الناصرى، فأجبا بالثناء والشكر، وأنهما ادخرا لأهم من هذا. ودخل العسكر المصرى إلى دمشق يوم الإثنين سابع ربيع الآخر، فتلقاها الأمير حسام الدين طرُنطَاى النائب، واتفقا على إرسال طائفة من أعيان الفقهاء إلى الناصرى؛ ليدخلوا بينه وبين السلطان فى الصلح، فساوا فى ثانى عشره بكتب الأمراء وهو فيما بين قارا^(٢) والنبك^(٣) فلما وصل الجماعة إليه تلقاهم ووعدهم بالجميل وأنزلهم فى مكان، ووكّل بهم من يحفظهم. وقد سار من حلب بمن معه يريد دمشق. وقد أقبل المماليك السلطانية على الفساد بدمشق، واشتغلوا باللهو حتى نزل عليهم الناصرى، فى يزم السبت تاسع عشره، خان لاجين - خارج دمشق - فخرج فى يوم الأحد ويوم الإثنين حادى عشرينه عساكر مصر ودمشق إلى برزة^(٤) والتقوا بالناصرى على خان لاجين وقتلوه قتالا شديدا، انكسر فيه مرتين من المماليك السلطانية. فعندما تنازلوا فى المرة الثانية أقلب الأمير أحمد بن يلبغا رجمه، وصاح «فرج الله»، ولحق بعسكر الناصرى، ومعه مماليكه، وتبعه الأمير أيدكار والأمير فارس الصرغتمشى والأمير شاهين أمير آخور، بمن معهم، وقتلوا المماليك ومن بقى من أمراء مصر ودمشق، معاونة للناصرى، فثبتوا لهم ساعة، ثم انهزموا. فهجم مملوك من عسكر الناصرى يقال له يلبغا الزينى الأعور، وضرب الأمير جركس الخليلى فقتله، وأخذ سلبه^(٥)، وترك رتمه بالعراء عارية مدة، إلى أن كفتته امرأة ودفنته. ومدت التراكميين أيديهم يهبون من انهزم، ويأسرون من ظفروا به. ولحق الأمير أيتمش بدمشق، وتحصن بقلعتها. وتمزق سائر العسكر، ودخل الناصرى دمشق فى يومه بعساكره وجموعه، ونزل بالقصر من الميدان، وتسلم القلعة بغير قتال. وأوقع الحوطة على سائر ما للعسكر.

(١) اسم لنهر كبير بين رأس عين والفرات من أرض الجزيرة. انظر معجم البلدان ٣٣٤/٢.

(٢) قرية كبير من حمص. انظر معجم البلدان ١٨٢/٤.

(٣) قرية بين حمص ودمشق انظر معجم البلدان ٢٠٢/٥.

(٤) قرية من غوطة دمشق انظر معجم البلدان ٤٨٢/١.

(٥) ما يسلب من ثياب وسلاح ودابة انظر محيط المحيط.

السلوك لمعرفة دول الملوك ٢٢١

وقيد أَيْتَمَش وطُرُنطَاى نائب دمشق، وسجنهما بالقلعة. وتتبع بقية الأمراء والمماليك، فقبض من يومه على الأمير بَكَلْمِش العلاى فى عدة من المماليك، واعتقلهم. ومدت الأجناد والتركان أيديهم إلى النهب، وتبعهم أوغاد الناس، فما عفوا ولا كفوا، وتمادوا على هذا عدة أيام.

وفى رابع عشرينه: عزل سُنُقَر السيفى عن ولاية دمياط، واستقر عوضه ركن الدين عمر بن إلياس، قريب قُرُط.

وفى سادس عشرينه: استقر قاضى القضاة ولى الدين أبو زيد عبد الرحمن بن خلدون فى مشيخة الخانقاة الركنية ببيرس، عوضا عن شرف الدين عثمان الأشقر بعد موته.

وفى سابع عشرينه: ورد الخير من غزاة بكسرة الأمراء والمماليك فى محاربة الناصرى، واستيلائه على دمشق، وقتل الخليلى، والقبض على الأمير أَيْتَمَش وغيره، فاضطربت الناس بالقاهرة ومصر وظواهرهما اضطرابا عظيما، وغلقت الأسواق، وانتهبت الأخباز، وشغب الزعر، وتجمع أهل الفساد. وكان فى البلد وباء، والناس فى شغل بدفن موتاهم، فاشتد الخوف، وتزايد الإرجاف، وشنت القالة.

وفى ثامن عشرينه: صرف سراج الدين عمر بن منصور بن سليمان القرمى العجمى عن حسبة مدينة مصر، واستقر فى قضاء العسكر عوضا عن شرف الدين عثمان الأشقر. واستقر عوضا عنه فى حسبة مصر همام الدين العجمى. واستقر الشيخ شمس الدين محمد بن على البلالى الحلبي فى مشيخة سعيد السعداء، عوضا عن الشيخ شمس الدين محمد ابن أخى جار الله النيسابورى بعد موته. واستقر شمس الدين محمد القليجى فى إفتاء دار العدل عوضا عن النيسابورى.

وفيه خرج السلطان إلى الإيوان، واستدعى المماليك، واختار منهم خمسمائة، وأنفق فيهم ذهبا حسابا عن ألف درهم فضة؛ ليتوجهوا إلى دمشق صحبة الأمير سون الطرنطاي.

وفى تاسع عشرينه: أنفق فى خمسمائة مملوك ثم فى أربعمائة، لتتمة ألف وأربع مائة مملوك. ثم أنفق فى المماليك الكتابية، لكل مملوك مائتى درهم فضة.

وفى يوم الأربعاء أول جمادى الأولى: أنعم على كل من قرابغا أبو بكرى وبجاس النوروزى والى القلعة، وشيخ الصفوى، وقرقماس الطشتمرى بإمرة مائة وتقدمة ألفى،

نقلوا إليها من إمرة الطبلخاناه. وأنعم على كل من أجبغا الجمالى الخازندار، وألطنبغا العثمانى رأس نوبة، ويونس الأسعدى الرماح، وقتق باى الأجاوى اللالا، وأسن بغا الأرعون شاهى، وبغداد الأحمدى، وأرسلان السيفى اللفاف، وأحمد الأرعونى، وجرباش الشينخى، وألطنبغا شادى، وأروس بغا المنجكى، وإبراهيم بن طشتمر العلاى، وقراسكك السيفى، بإمرة طبلخاناه، نقلوا إليها من إمرة العشرة. وأنعم على كل من السيد الشريف بكتمر الحسنى والى القاهرة - كان - وقتق باى الأحمدى بإمرة عشرين. وعلى كل من سيف الدين بطا الطولو تبرى، ويلبغا السودانى، وسودن اليحياوى، وتانى بك اليحياوى، وأرعون شاه البيدمرى وأقبغا الجمالى الهذبانى، وقوزى الشعبانى، وتعزى بردى، وبكبلاط السونجى وأردبغا العثمانى، وشكر باى العثمانى، وأسنبغا السيفى، بإمرة عشرة، وكانوا من جملة المماليك.

وفيه قدم البريد من قطيا بأن الأمير أينال اليوسقى، والأمير أينال أمير أخور، وإياس أمير أخور، دخلوا إلى غزة فى عسكر، فاشتد الاضطراب، وكثر الخوف، وبدا على السلطان سيماء الزوال. وفى يومه استدعى السلطان القضاة والأعيان وشيخ الإسلام سراج الدين عمر البلقينى.

وبعث الأمير سودن الطرُنطاي والأمير قرقماس الطشتمرى، فأحضرا الخليفة المتوكل على الله، فقام إليه السلطان وتلقاه وأجلسه، وأشار إلى القضاة فحلفوا كلا منهما للآخر، فحلفا على الموالاة والمناصحة، وخلع على الخليفة، وقيد إليه حجرة شهباء (١) بسرج وكنبوش وسلسلة ذهب، فركب ونزل من القلعة إلى داره، وبين يديه الأمير بجاس النوروزى، وغيره، فى موكب جليل إلى الغاية، فكان يوما مشهودا. وأعيدت إقطاعاته ورواتبه، وأخلى له بيت بالقلعة ليسكنه، فنقل إليه حرمه، وسكنه، وصار يركب وينزل لداره، ويسير حيث شاء، من غير ترسيم، إلا أنه لا يبيت إلا بمنزله من القلعة وأفرج فيه أيضا عن الأمير أسنبغا السيفى أجاى من خزانة شمائل، وأنعم عليه بإمرة طبلخاناه، وخيل وجمال وثياب وسلاح كبير.

وفيه عرض السلطان المماليك، وهم لابسين آلة الحرب، وقد ركبوا على خيولهم، وتفقد ما يحتاجون إليه، وأنعم عليهم به.

وفى يوم الجمعة: ثلثه قدم الأمير شهاب الدين أحمد بن بقر، أمير عرب الشرقية - ومعه هجان الأمير جركس الخليلى، وحدث السلطان بتفصيل وقعة الأمراء مع

(١) هى الأثنى من الخيل. انظر القاموس الخيوط.

الناصرى، وأنه فر مع الأمير يونس الدوادار فى خمس نفر، فعارضه الأمير عنقاء بن شطى أمير آل مرا بالقرب من الخربة (١)، وأخذ يونس الدوادار وقتله، وبعث برأسه إلى الناصرى، ووقع الأمير أينال اليوسفى بيد حسن بن باكيش بالقرب من غزة، فبعث به إلى الكرك مقيدا. ففت ذلك فى عضد السلطان، واشتد قلقه، وانخط قدره، وزالت مهابته، واستشعر كل أحد ذهاب ملكه منه.

وفى رابعه: نودى فى القاهرة ومصر بإبطال سائر المكوس، ففترق الكتاب وأرباب الشرط من مقاعدهم التى كانوا يجلسون بها لأخذ المكوس.

وفى سادسه: ركب الخليفة المتوكل على الله والأمير سون الشيخونى - نائب السلطنة - وقضاة القضاة، وشيخ الإسلام سراج الدين عمر البلقينى، فكان الموكب للخليفة وبجانبه شيخ الإسلام وبين يديه النائب والحجاب والقضاة والأعيان، وداروا، ورجل على فرس أمامهم يقرأ من ورقة، أن السلطان قد أزال المظالم، وهو يأمر الناس بتقوى الله، ولزوم الطاعة، وأنا قد سألنا العدو الباغى فى الصلح، فأبى وقد قوى أمره، فاحفظوا دوركم وأمتعتكم، وأقيموا الدروب على الحارات والسكك، وقاتلوا عن أنفسكم وحرمتكم فتزايد خوف الناس وقلقهم، وشرعوا فى عمل الدروب وشراء الأقوات، والاستعداد للقتال والحصار. وكثر كلام العامة وانتقاصهم للدولة، وتجمع الزعر والدعار ينتظرون قيام الفتنة، لينتهبوا الناس. وألزم الوزير صاحب كريم الدين عبد الكريم بن الغنام مباشرى جهات المكس بإحضار مكوس المبيعات، فاعتلوا بأن الناس امتنعوا من إعطاء المكس إعمادا على المنادة بإبطال المكوس، فألزمهم بمطالبة الباعة بمكس ما أبيع، فكثر بسبب ذلك اضطراب الناس، وتزايد طعنهم وهزؤهم بالدولة، وتناجوا فيما بينهم، وأكثروا من الجهر بقولهم: «السلطان من عكسه عاد فى مكسه». وبدا من الأمير قرا دمرdash وغيره تخذيل السلطان عن الحركة، وأنه يحصن القلعة، ويقاقل من ورائها. هذا وقد انقطعت الأخبار عن مصر، فإن مأمور نائب الكرك، وابن باكيش - نائب غزة - دخلا فى طاعة الناصرى - ومنعا أحدا أن يرد إلى مصر، فكثرت الكلام إلى أن قدم أحد مماليك السلطان الذين حضروا الوقعة، وأخبر بما أخبر به ابن بقر، وذلك فى سابعه، فزال الشك وتيقن كل أحد إدبار أمر السلطان.

وفى تاسعه: دمت طوائف من هوارة نجدة للسلطان، ونزلوا تحت القلعة ووقع الشروع فى حفر خندق القلعة، ومرمة أسوارها، وتوعير طريق باب القلعة المعروف

بياب القرافة، وتوعير باب الحوش، وباب الدرفيل^(١) وسدت خوخة أيدغمش^(٢) حتى صار لا يدخل منها راكب فرس. ونودي بإبطال مكس النشا، ومكس النحاس، ومكس الجلود.

وفي عاشره - وهو يوم الجمعة: - دعى فى الخطبة بجوامع القاهرة ومصر، للخليفة المتوكل على الله قبل السلطان.

وفي ثانى عشره: اجتمع القضاة بالمشهد النفيسى لقراءة تقليد ولد الخليفة المتوكل بنظر المشهد المذكور، ثم توجهوا إلى رباط الآثار النبوية، وقرأوا صحيح البخارى، ودعوا الله تعالى للسلطان، وسألوه إحماد الفتنة.

وفي ثالث عشره: استقر قرا دمرداش أتاك العساكر، عوضا عن أيتمش البجاسى، وسودن باق أمير سلاح، وقرقماش الطشتمرى الخازندار دوادار عوضا عن يونس، وقرأ بغا الأبو بكرى أمير مجلس، عوضا عن أحمد بن يلغا، وأقبغا الماردانى حاجب الحجاب، عوضا عن أيدكار، وتمربغا المنجكى أمير آخور، عوضا عن جركس الخليلى، وخلع عليهم كلهم.

وأنعم على صلاح الدين محمد بن محمد بن تنكز بإمرة طبلخاناه وعلى جليان الكمشبغاوى الخاصكى بإمرة طبلخاناة.

وفيه كثر الاهتمام بتحسين قلعة الجبل، ونقل الأحجار إليها؛ ليرمى بها فى المنجنيق، وأمر سكان القلعة بادخار القوت لشهرين، ورسم بجمع الحجارين لسد فم وادى السدرة بجوار الجبل الأحمر، وأن يبنى حائط بين باب الدرفيل وسور القلعة، وأن يبنى أيضا حائط من جوار باب الدرفيل إلى الجبل.

وفيه أيضا نودى بأن يركب من له فرس من أجناد الحلقة للحرب، ويخرج من ليس له فرس بنشاب يرمى به مع العسكر، أو يصعد إلى القلعة حتى يرمى من بين شرفاتها، فكثر الهرج، وشنع الكلام، وتزايد القلق، وصارت الشوارع كلها ملآنة بالخيول الملبسة آلة الحرب. وطلبت آلات القتال بكل ثمن، فكسب أربابها مالا جزيلا، وتحاكى الناس عدة منامات روأها، تدل على زوال دولة السلطان، ولهجوا بذلك.

وفي ثامن عشره: استقر الأمير قرا دمرداش الأتابك فى نظر المارستان المنصورى

(١) تقع هذه الأبواب الثلاثة فى سور القلعة الشرقى، تجاه جبل المقطم والخندق. انظر المقريزى، المواعظ والاعتبار ٢/٢٠٥.

(٢) هذه الخوخة فى حكم أبواب القاهرة. انظر المقريزى، المواعظ والاعتبار ٢/٤٥.

بالقاهرة، وخلع عليه، ونزل إليه على العادة وتبعت عدة طرق تفضى إلى القلعة فسدت.

وفي سادس عشرينه: استقر فخر الدين عبد الرحمن بن مكناس بمفرده فى نظر الدولة من غير شريك، بعد وفاة رفيقه تاج الدين بن ريشة.

وفي سابع عشرينه: قدم الأمير علاء الدين الطشلاتى والى قطيا منهزما من عساكر الناصرى، فرسم للأمر حسام الدين حسين بن على بن الكورانى والى القاهرة، قسد الباب المحروق والباب الحديد - من أبواب القاهرة - وسد باب الدرفيل بجوار القلعة، والباب المجاور للقلعة المعروف قديما بباب سارية ويعرف اليوم بباب المدرج، تحت دار الضيافة. وسد عدة خوخ وأزقة، يتوصل منها إلى القلعة. وركب عند قناطر السباج ثلاثة دروب، أحدهما من جهة مصر، وآخر من طريق قبو الكرمانى، وآخر بالقرب من الميدان، وعمل عدة دروب آخر، وحفر خنادق كثيرة. هذا والموت بالطاعون فلتش فى الناس.

وأما الناصرى فإنه لما استقر بدمشق، نادى فى جميع بلاد الشام وقلعها ألا يتأخر أحد عن الحضور إلى دمشق من النواب والأجناد، ومن تأخر - سوى من عين لحفظ البلاد - قطع خيزه، وسلبت نعمته. فاجتمع الناس إليه بأسرهم، وأنفق فيهم، وخرج من دمشق بعساكر كثيرة جدا، فى يوم السبت حادى عشر جمادى الأولى، وأقر فى نيابة دمشق الأمير جتتمر أخاطاز وسار حتى نزل قطيا، ففر إليه من أمراء السلطان فى ليلة الثلاثاء ثامن عشرين جمادى الأولى سيف الدين طغتمنر الجركمى، وأرسلان اللفاف، وأردبغا العثمانى، فى عدة من المماليك، ولحقوا بالناصرى بعد ما صدقوا الأمير عز الدين أيدمر أبو درقة - ملك الأمراء بالوجه البحرى - وقد سار لكشف الأخبار، فضر به، وأخذوا جميع ما معه، وساقوه معهم، وفرت عنه مماليكه.

وفى يوم الثلاثاء ثامن عشرينه: أنفق السلطان بالإيوان فى العسكر، فأخذ كل من المماليك السلطانية ومماليك الأمراء الألوف وأجنادهم خمسمائة درهم فضة، واستدعاهم طائفة طائفة، وأعطى كل أحد بيده، وسار يحرضهم على القتال معه، وبكى بكاء كثيرا، وفرق جميع الخيول - حتى خيل الخاص - فى الأمراء والأجناد.

وفى أثناء ذلك كثرت الشناعة فى القاهرة بوصول الناصرى ومنطاش، فتزاحم الناس فى شراء الخبز، وغلقت الأسواق، ولبس جميع الأمراء آلة الحرب، وركبوا إلى القلعة،

ووقفوا بالرميلة^(١)، وحمل إلى الأمير أقبغا المارداني جملة مال من السلطان، ليفرق ذلك في الزعر وحملة السلاح من العامة؛ تقوية لهم ليقاتلوا مع العسكر، فاشتد خوف الناس من النهاية وصارت لهم اجتماعات وعصبيات. وافترقوا عدة أحزاب لكل حزب كبير وصاروا يخرجون إلى ظاهر القاهرة ويقتلون بالحديد والمقاليح، ومن انفردوا من الناس أخذوا ثيابه، فتعطلت الأسواق وشغل كل أحد بما يترقبه من الخوف والنهب. واستعد الكافة للحصار، وأكثروا من شراء البقسماط والدقيق والدهن ونحو ذلك، ونقل من ذلك ومن الأغنام إلى القلعة شىء كثير جدا. وفى ليلة الأربعاء حضر بهادر والى العرب، وأخبر نزول الناصرى إلى الصالحية، ومن معه من العساكر فى جهده. وقد وقف لهم فى الرمل عدة خيول، وأنه لما وجد الصالحية خالية من العسكر، سر بذلك وسجد لله شكرا، فإنه كان بحال لو تلقاه عسكر لما وجد فيمن معه منعة يلقي بها، وأن عرب العايد تلقاه بهم الأمير شمس الدين محمد بن عيسى وخدموا على العادة، وأحضروا الشعير وغيره من الإقامات. فرسم للأمير قرا دمرداش أن يتوجه لكشف الأخبار من جهة بركة الحبش؛ خشية أن يأتى أحد من قبل أطفيح، فسار لذلك. ورتب السلطان عسكره نوبتين، نوبة للحفظ بالنهار ونوبة للحفظ بالليل، وسير عدة من الأمراء إلى جهة مرج الزيات طليعة تكشف الخبر.

وفى يوم الأربعاء تاسع عشرينه: أنفق فى ممالك أمراء الطبلخاناة والعشراوات، فأعطى كل واحد أربعمائة درهم فضة، وأنفق فى الحطيردارية والبزدارية والأوجاقية، وأعطاهم القسى^(٢) والنشاب^(٣)، ورتب كثيرا من الأجناد البطالين بين شرفات القلعة ومعهم القسى والنشاب وأنفق فيهم المال، واستدعى رماة قسى الرجل من الإسكندرية فحضرُوا، وأنفق فيهم، ورتبهم بالقلعة فى يوم الأربعاء.

وفيه عاد الأمير سيف الدين قجماس ابن عم السلطان، ومن معه من مرج الزيات^(٤)، ولم يقفوا على خير، فخرج ليلة الخميس الأمير سودن الطرنطاي فى عدة من الأمراء إلى قبة النصر للحرس، وسارت طائفة أخرى إلى بركة الحبش. وبات السلطان بالإصطبل ساهرا لم ينم، ومعه النائب سودن وقرا دمرداش، وعدة من الممالك والأمراء.

(١) من قرى بيت المقدس. انظر معجم البلدان ٧٣/٣.

(٢) قسى مفردا قوس وهو آلة على هيئة هلال ترمى بها السهام ولها جمع آخر هو أقواس. انظر

الوجيز ٥١٩.

(٣) والنشاب النبل ومفردا نُشَابَةٌ والنشَابُ صنائع النشَاب. انظر المعجم الوجيز ٦١٥.

(٤) المرج والزيات ناحية بمركز شبين القناطر بالقليوبية. القاموس الجغرافى ٣٩/١.

وفي يوم الخميس أول جمادى الآخرة: توجه الأمير قرا بغا الأبوكرى إلى قبة النصر، وعاد ولم يقف على خير. وظل الأمراء نهارهم لابسين آلة الحرب، وهم على ظهور خيولهم بسوق الخيل تحت القلعة، ومعهم مماليكهم، ففر من ممالك السلطان اثنان، ومن ممالك الأمراء نحو الخمسين ولحقوا بالناصرى. ودارت النقباء على أجناد الحلقة، فحضروا إلى بيتى الأمير سودن النائب، والأمير أقبغا حاجب الحجاب، ففرقوا على أبواب القاهرة، ورتبوا بها لحفظها. وندب الأمير ناصر الدين محمد بن الدوادارى - أحد أمراء الطبلخاناه - ومعهم جماعة لحفظ قياصر القاهرة وأسواقها. وأغلق والى القاهرة باب البرقية، وأمر الناس بحفظ الدروب والخوخ، ورتبت النفطية على برج الطبلخاناه وغيره بالقلعة.

وقدم الخير بنزول طليعة^(١) الناصرى بلبيس، ومقدمها الطواشى تُقْطَاى الطَشْتُمْرِى. وفي يوم الجمعة ثانيه نزلت عساكر الناصرى البير البيضاء^(٢)، فتسلل إليه العسكر أولا بأول. فكان أول من يخرج إليه من القاهرة الأمير جبرائيل الخوارزمى، ومحمد بن بَيْدَمُر نائب الشام، والأمير بجمان المحمدى نائب الإسكندرية، وغريب الخاصكى، وأحمد ابن أرغون الأحمدي اللالا.

فنصبت الصناجق السلطانية على برج القلعة، ودقت الكوسات الحربية، فاجتمع الأمراء والممالك السلطانية والأجناد. وركب السلطان والخليفة المتوكل على الله من القلعة بعد العصر، ووقف خلف دار الضيافة، وجميع من بقى من العسكر لابسون السلاح. واجتمع حوله من العامة ما لا يقع عليه حصر، ثم سار إلى الإسطبل، وجلس فيه. وصعد الخليفة إلى منزله بالقلعة وقد نزلت الذلة بالدولة، وظهر من جزع السلطان وبكائه ما أبكى الناس شفقة له ورحمة. فلما غربت الشمس صعد إلى القلعة.

وفي يوم السبت ثالثه: نزل الأمير يلغا الناصرى بركة الجب ظاهر القاهرة، ومعهم من الأمراء الأمير سيف الدين تُمربغا الأفضلى المدعو منطاش، والأمير سيف الدين بزلا، والأمير سيف الدين كُمُشْبِغا، والأمير أحمد بن يلغا الخاصكى، والأمير مأمور، والأمير أيدكار، فى آخرين وتقدمت الطلائع إلى مرج الزيات وإلى مسجد تير،^(٣) فغلقت أبواب القاهرة كلها، إلا باب زويلة، وغلقت جميع الدروب والخوخ، وسد باب القرافة، وماج^(٤) الناس، وانتشر الزعر وأهل الفساد فى أقطار المدينة، وأفسدوا.

(١) الطليعة وهى المقدمة من الجيش. انظر الوجيز ٣٩٣.

(٢) البئر البيضاء مركز من مراكز البريد بين سرياقوس ولبليس انظر صبح الأعشى ٣٧٦/١٤.

(٣) مسجد تير يقع هذا المسجد خارج القاهرة قريباً من المطرية بجوار سراى القبة حالياً، ويعرف

بمسجد البئر والجميزة المقريزى المواعظ ٤١٣/٢.

(٤) ماج أى: اختلف القوم فى أمورهم واضطربت وماج الناس فى الفتنة. انظر الوجيز.

ونزل السلطان والخليفة من القلعة إلى تحت دار الضيافة، فقدم من الإسكندرية رماة قسى الرجل بالقسى محملة على الجمال، وهم نحو الثلاثمائة رام. ففرق فيهم مائة درهم لكل واحد، ورتبهم فى عدة أماكن. ونودى فى القاهرة ومصر بإبطال جميع المكوس^(١). وفرقت دراهم على العامة. وخرج كثير من العامة إلى بركة الحب، حتى شاهدوا عسكر الناصرى وحدثوهم بما فعله السلطان من تحصين القلعة وغيرها.

وقدم الخبر بأن طليعة الناصرى وصلت إلى الخراب طرف الحسينية فلقبهم كشافة السلطان وكسروهم، فسار الأمراء إلى قبة النصر، ونزل السلطان فى بعض الزوايا عند دار الضيافة إلى آخر النهار، ثم عاد إلى الإسطنبول وعاد إليه الأمراء والمماليك، والكوسات تدق، وهم جميعا على أهبة اللقاء، و مدافع النفوط^(٢) لا تفتقر، والرميلة قد امتلأت بالزعر والعامة ومماليك الأمراء، فلم يزالوا على ذلك حتى أصبحوا يوم الأحد، فإذا بالأمير علاء الدين أقبغا الماردانى - حاجب الحجاب - والأمير جُمق بن الأمير أَيْتُمُش، والأمير صار الدين إبراهيم بن الأمير طشتمر الدوادار، قد فروا فى الليل، ومعهم خمسمائة من ممالك السلطان، ومماليك الأمراء، ولحقوا بالناصرى.

وفى يوم الأحد رابعه: فر الأمير قُرُقَمَاس الطشتمرى الدوادار، والأمير قرا دمرداش الأحمدي، والأمير سودن باق، وصاروا فى جملة الناصرى، فى عدة وافرة، بحيث لم يتأخر مع السلطان إلا طائفة من خاصكيتيه، من الأمراء، وابن عمه الأمير قَجْمَاس، وسودن الشيخونى نائب السلطنة، وسودن الطُرُنطاي، وتَمْرُبغا المنجكى، وسيدى أبو بكر بن سُنْقُر، وييرس التمان تَمْرَى، وشُنْكل المقدم، وشَيْخ الصفوى.

وفيه أغلق باب زويلة وجميع الدروب والخنوخ^(٣)، وتعطلت الأسواق، وغصت القاهرة بالزعر، واشتد فسادهم، وتلاشت الدولة، واضمحل أمرها. وخاف والى القاهرة على نفسه، فقام من خلف باب زويلة، وسار بمن معه إلى منزله واختفى. وبقي الناس فوضى، فطمع المسجونون بجزاة شمائل، وكسروا قيودهم، وأتلفوا باب الخزانة، وخلصوا على حمية جملة واحدة، فتشبه بهم أهل سجن الديلم والرحبة، وخرجوا أيضا. واشتد الأمر حتى داخل الخوف كل أحد من الناس على نفسه وماله وأهله، وأمر السلطان من عنده من المماليك، فوقفوا تحت الطبلخاناته، ومنعوا العوام من التوجه إلى

(١) المكس: الضريبة يأخذها المكاس ممن يدخلون البلد من التجار، جمعها مكوس. انظر الوجيز.

(٢) النفوط وهو النفاط مستخرج النفط من معدنه. انظر الوجيز.

(٣) الخنوخ والخنوخة كوة فى البيت تودى إليه الضوء وباب صغير وسط باب كبير نصب حاجزًا

يلبغا الناصرى؛ لما بلغه من فعلهم بالأمس، فرجمهم العامة بالحجارة، فرماهم المماليك بالنشاب، وقتلوا منهم عدة تزيد على العشرة.

وأقبلت طليعة الناصرى، فقاتلهم قجماس ابن عم السلطان، وكثر الرمي عليهم من فوق القلعة بالسهام والنفط والحجارة فى المقاليع^(١)، وهم يوالون الكر والفر، وأمر السلطان فى إدبار، وأصحابه تتفرق عنه شيئا بعد شىء، وتصير إلى الناصرى. وكان السلطان قد فرق فى كل من الأمراء الكبار عشرة آلاف دينار، وفى كل من الطبلخاناه خمسة آلاف دينار، وفى كل من العشاوات ألف دينار، وأعطى الأمير قرا دمرداش فى ليلة واحدة ثلاثين ألف دينار، وحلفهم ألا يغدروا به، فما أغنى عنه ذلك شيئا، وفروا عنه، وصاروا مع عدوه عليه، ولم يتأخر عنده إلا من لا غنى فيه. وتكاثر الزعر يريدون نهب القاهرة لكثرة ما كان فيها من حواصل^(٢) الأمراء، فقاتلهم أهل الحارات والدروب، ومنعهم، فكان يوما فى غاية الشناعة. فلما كان آخر النهار أراد السلطان أن يسلم نفسه، فمنعه من بقى عنده، وهم قجماس ابن عمه، وسودن النائب، وسودن الطرنطاي، ومحمود الأستادار، وبعض المماليك، وقالوا: «نحن نقاتل بين يديك حتى نموت». فلم يثق بذلك منهم، لكنه شكرهم على قولهم.

وقدم بعد العصر من عسكر الناصرى الطواشى طُقطاى الطَشْتُمرى، والأمير بززار العمرى، والأمير الطنبغا الأشرفى، فى نحو الألف وخمسمائة فارس، يريدون القلعة، فبرز إليهم الأمير بَطَا الخاصكى، والأمير شكريبه فى عشرين فارسا، فكسروهم إلى قبة النصر. فلم يغتر السلطان بذلك، وعلم أن أمره قد زال، فدبر لنفسه، وبعث الأمير المعروف بسيدى أبو بكر بن سُنقر الحاجب، والأمير بِيْدْمُر المجدى - شاد القصر - بالمنجاة إلى الناصرى؛ لياخذ له منه الأمان، فساروا فى خفية، واجتمعا بالناصرى خلوة، فأمنه على نفسه، وأمره بالاختفاء حتى يدبر له أمرا، فإن الفتنة الآن قائمة، والكلمة غير متفقة، فعادا إليه بذلك. فلما صلى العشاء الآخرة قام الخليفة إلى منزله بالقلعة، وبقي فى قليل من أصحابه، فأذن لسودن النائب فى التوجه إلى منزله، والنظر لنفسه، وفرق البقية، فمضى كل أحد لسبيله. واستقر حتى نزل من الإسطبل، فلم يعرف له خبر، وانفض ذلك الجمع من الأسوار وسكن دق الكوسات، ورمى مدافع النفط. ووقع النهب فى حواصل الإسطبل، فأخذوا منه نحو الألفى أردب من الشعير، ومائتى ألف درهم من الفلوس الجدد، وسائر ما كان فيه. ونهبوا أيضا ما كان فيه.

(١) المقاليع: مفردا مقلع وهو ما يرمى به الحجر. انظر الوجيز ٥١٣.

(٢) حواصل الأمراء: بقية الأمراء ومفردا حاصل. انظر الوجيز ١٥٦.

ونهبوا أيضا ما كان بالميدان من الغنم الضأن، وعدتها نحو الألفى رأس. ونبت طباق المماليك بالقلعة، واشتد بأس الزعر، وتخطفوا من مر بهم من المماليك والأجناد، وأخذوا ما عليه وأحاط أصحاب الناصرى بالقلعة، وأعلموا الناصرى بفرار السلطان، فثبت مكانه.

وزالت دولة الملك الظاهر كأن لم تكن، فكانت مدة تحكمه منذ قبض على الأمير طَشْتَمُر الدوادار فى تاسع ذى الحجة سنة تسع وسبعين وسبعائة، إلى أن جلس على تخت الملك وتلقب بالملك الظاهر فى تاسع عشر شهر رمضان سنة أربع وثمانين وسبعائة، أربع سنين وتسعة أشهر وعشرة أيام.

ويقال له فى هذه المدة الأمير الكبير أتابك العساكر. ومن حين تسلطن إلى أن اختفى ست سنين، وثمانية أشهر، وسبعة عشر يوما فىكون مدة حكمه أميرا وسلطانا إحدى عشرة سنة وخمسة أشهر وسبعة وعشرين يوما. وترك ملك مصر وله نحو الألفى مملوك اشتراهم، سوى المستخدمين. وكانت له فى مدته هذه آثار فاضلة، منها: إبطاله ما كان يؤخذ من أهل الرلس، وشورى^(١)، وبلطيم من أعم المصر شبه الجالية^(٢) فى كل سنة، وهو مبلغ ستين ألف درهم فضة، وما كان يؤخذ على القمح بثغر دمياط من المكس، وما كان يؤخذ من معمل الفراريج بالبحرية وأعمال الغربية بديار مصر، وما كان يؤخذ على الملح من المكس بعين تاب، وما كان يؤخذ على الدقيق بالبيرة من المكس، وما كان يؤخذ فى طرابلس عند قدوم النائب إليها من قضاة البر وولاية الأعمال، عن كل واحد مبلغ خمسمائة درهم، فى ثمن بغلة، ويقال لذلك «مقرر النائب»، وما كان يحمل فى كل سنة من الخيل والجمال والبقر والغنم من أهل الشرقية بديار مصر إلى من يسرح إلى العباسة؛ وما كان يؤخذ من مكس الدريس والحلفاء خارج باب النصر من القاهرة، وضممان المغانى بالكرك والشوبك من البلقاء^(٣) ومنية بنى خصيب، وزفتى^(٤) بديار مصر. وأبطل رمى الأبقار عند فراغ عمل الجسور على أهل النواحي. وأنشأ من العمائر المدرسة بخط بين القصرين من القاهرة. ولم يعمر داخل

(١) شورى لإقليم من الرلس قرب بلطيم معجم البلدان ج٣.

(٢) الجالية وجمعها جوالى وهى ما يؤخذ من أهل الذمة من الجزية النوير نهاية الأردب ٢٣٦/٨.

(٣)البلقاء: مدينة بالشام من عمل دمشق سميت بالبلقاء بن سورية من بنى عييل بن لوط وهو

بناها. انظر معجم البلدان ٤٨٩/١، والروض المعطار ٩٧، وصبح الأعشى ١٠٦/٤.

(٤) زفتا بكسر أوله وسكون ثانيه وتاء مثناه من فوقها بلد بغرب الفسطاط من مصر ويقال له

منية زفتا. انظر معجم البلدان ١٤٤/٣.

القاهرة مثلها، ولا بأرض مصر والشام نظيرها، بعد مدرسة السلطان حسن، ولا أكثر معلوما منها، بعد خانكاة شينحو. وله أيضا السبيل من الصهريج (١) بقلعة الجبل من أحسن المباني، والسبيل تجاه الإيوان بالقلعة، والطاحون بالقلعة أيضا، وجسر الشريعة على نهر الأردن (٢)، وطوله مائة وعشرون ذراعا فى عرض عشرين ذراعا. وجدد خزائن السلاح بالإسكندرية، وسور دمنهور (٣) بالبحيرة. وعمر الجبال الشرقية بالفيوم، وزرية البرزخ بدمياط، وقناة بالقدس. وبنى بحيرة برأس وادى بنى سالم، قريبا من المدينة النبوية.

وكان حازما، مهابا، محبا لأهل الخير والعلم، إذا أتاه أحد منهم قام إليه، ولم يعرف قبله أحد من ملوك الترك يقوم لفضله، وقل ما كان يمكن قام إليه، وقل ما كان يمكن أحد من تقبيل يديه، إلا أنه كان محبا لجمع المال. وحدث فى أيامه تجاهر الناس بالبراطيل، فلا يكاد أن يلى أحد وظيفة ولا عملا إلا بمال، فترقى للأعمال الجليلة والرتب السنية الأراذل، وفسد بذلك كثير من الأحوال. وكان مولعا بتقديم الأسافل، وحط ذوى البيوتات، وغَيَّر ما كان للناس من الترتيب، وعادى أكابر التركمان والعربان ببلاد الشام ومصر والحجاز.

واشتهر فى أيامه ثلاثة أشياء قبيحة: إتيان الذكران، حتى تشبه البغايا لبوارهن بالغلمان، لينفق سوق فسوقهن، وذلك لاشتهاره بتقريب الممالك الحسان، وتهمته وتهمة أمراهه بعمل الفاحشة فيهم. والتظاهر بالبراطيل (٤) التى يستأديها، واقتدى الولاة به فى ذلك، حتى صار عرفا غير منكر ألبتة.

وكساد الأسواق وقلة المكاسب، لشحه وقلة عطائه. وبالجملة فمساوئه أضعاف حسناته. ولقد بعث العبد الصالح جمال الدين عبد الله السكسيوى المغربى يخبر أبى - رحمهما الله - أنه رأى فى منامه أن قردا صعد منبر الجامع الحاكمى، وخطب ثم نزل، ودخل المحراب ليصلى بالناس الجمعة، فنار الناس عليه فى أثناء صلاته بهم، وأخرجوه من المحراب. وكانت هذه الرؤيا فى أخريات سلطنة الملك الأشرف شعبان ابن

(١) الصهريج حوض كبير للماء جمع صهاريج.

(٢) نهر الأردن اسم البلد وإن كن معربات. انظر معجم البلدان ١/٤٧٧.

(٣) دمنهور بفتح أوله وثانية بلدة بينها وبين الاسكندرية يوم واحد فى طريق مصر متوسطة.

معجم البلدان ٢/٤٧٢.

(٤) البراطيل مفردا برطيل هو الحديد أو حجر طويل صلب خلقة تقربهما الرحي، وحجر عظيم

مستطيل بقدر الذراع يبنى به. وأيضاً معنى الرشوة.

حسين^(١)، وفي سنة ثمان وسبعين وسبعمائة. فكان تقدمه على الناس وسلطنته تأويل هذه الرؤيا، فإنه كان متخلقا بكثير من أخلاق القردة، شحا وطمعا وفسادا ورذالة، ولكن الله يفعل ما يريد.

* * *

السلطان الملك الصالح المنصور حاجي

ابن الملك الأشرف بن حسين بن محمد بن قلاون

ولما اختفى الملك الظاهر بقوق^(٢) في الليل، سار الأمير منطاش بكرة يوم الإثنين خامس جمادى الآخرة إلى باب القلعة، فنزل إليه الخليفة، وسار معه إلى الأمير يلبغا الناصري بقية النصر خارج القاهرة، وقد انضمت أوغاد العامة وزعرانها إلى التركمان من أصحاب الناصري، وتفرقوا على بيوت الأمراء وحواصلهم، فانتهبوا ما وجدوا، وشعثوا^(٣) الدور، وأخذوا أبوابها وكثيرا من أحشائها، وتطرقوا إلى منازل الناس خارج القاهرة، فانتهبوا كثيرا منها.

وقدم ناصر الدين محمد بن الحسام أستاذار أرغون هزكه والى البهنسا^(٤)، كان من قبل الناصري على أنه والى القاهرة، فوجد باب النصر مغلوقا، فدخل بفرسه راكبا من الجامع الحاكمي إلى القاهرة، وفتح بابي النصر والفتوح.

واقترح كثير من عسكر الناصري المدينة، وعاثوا فيها، ومعهم من الزعر وأراذل^(٥) العامة عالم عظيم، وحاصروا الدروب والحارات والأزقة^(٦) ليدخلوا إليها وينهبوها،

(١) شعبان بن حسين ابن الملك الناصر محمد بن قلاون أبو المعالي، ناصر الدين من ملوك الدولة القلاونية بمصر والشام ولي السلطنة بعد خلع ابن عمه محمد بن حاجي ٧٦٤هـ وقام بأمور الدولة في أيامه أتاكب العسكر الأمير يلبغا. انظر مورد الطاقة لابن تغري بردي ٨٧ وابن إياس ٢١٢:١ وحسن الخاضرة ١٠٤:٢ والدرر الكامنة ١٩٠:٢ وللبندياية والنهاية ١٤/٣٠٢ ٣٢٤ والأعلام ٣/١٦٤.

(٢) بقوق بن أنص - أو أنس - العثماني أبو سعيد، سيف الدين، الملك الظاهر: أول من ملك مصر من الشراكسة وتلقب الملك الظاهر وانتقادت إليه مصر والشام وقام بأعمال من الإصلاح وبنى المدرسة اليروقية بين القصرين - بمصر - وخلع سنة ٧٩١هـ. انظر ابن إياس ١: ٢٥٨ و٢٩٠ والضوء اللامع ٣: ١٠٠ والأعلام ٢/٤٨.

(٣) شعت بفتححتين انتشار الأمر. المصباح المنير ٢٣٩، وأيضا الشعت ما تفرق من الأمر.

(٤) البهنسا مدينة بمصر من الصعيد الأدنى غربى النيل وتضاف إليها كورة كبيرة وليست على ضفة النيل وهي عامرة كبيرة كثيرة الدخيل انظر معجم البلدان ١/٥١٧.

(٥) الأراذل الدون الخسيس أو الرديء وجمعها أراذل. انظر المعجم الوجيز ٢٦٢.

(٦) الأزقة مفردا زقاق هو الطريق الضيق نافذا أو غير نافذ. انظر الوجيز ٢٨٩.

فمنعهم الناس وقاتلهم جهدهم، فغلب الزعر وأشباههم على حواصل الأمير محمود الأستادار، بالقرب من الجامع الأزهر، وأخذوا منه شيئا كثيرا، وغلبوا على عدة حوانيت للتجار بشارع القاهرة، ونهبوها، فقَاتلهم الناس، وقتلوا منهم أربعة. فمر بالناس من الأهوال ما لا يوصف. وبلغ الخير الناصري، فندب سيدي أبو بكر أمير حاجب وتنكز بغا رأس نوبة إلى حفظ القاهرة، فدخلا، ونودي بالأمان، وأن من ينهب شيئا، فلا يلومن إلا نفسه، ونزل تنكز بغا عند الجملون وسط شارع القاهرة، ونزل سيدي أبو بكر عند باب زويلة، فسكن الحال. وعندما أقبل الخليفة إلى وطاق الناصري، قام إليه، وتلقاه، وأجلسه بجانبه، وحضر قضاة القضاة والأعيان للهناء. وأمر الخليفة فصار إلى خيمة، وأخرج القضاة إلى خيمة أخرى.

واجتمع عند الناصري من معه من الأمراء لتدبير أمرهم، وإقامة أحد في السلطنة، فأشار بعضهم بسلطنة الناصري، فامتنع من ذلك، وانفضوا بغير طائل، فتقدم الناصري بكتابة مرسوم عن الخليفة، وعن الأمير الكبير يلبغا الناصري، بالإفراج عن الأمراء المعتقلين بالإسكندرية، وهم أَلطنبغا الجوباني، وقردم الحسني، وأَلطنبغا المعلم، وإحضارهم إلى قلعة الجبل وسار البريد بذلك، وأمر بالرحيل من قبة النصر، وركب في عالم كبير من العساكر القادمين معه، وعدتهم فيما يقال نحو الستين ألفا، وأن عليق^(١) جماله في كل ليلة ألف وثلاثمائة أردب. وسار إلى القلعة، فنزل بالإسطبل السلطاني ونزل الخليفة بمنزله من القلعة، ونزلت الأمراء في منازل أمراء الظاهر برقوق، ففي الحال حضر إلى الناصري الوزير الصاحب كريم الدين عبد الكريم بن الغنام وموفق الدين أبو الفرج ناظر الخاص، وجمال الدين محمود ناظر الجيش، وفخر الدين عبد الرحمن بن مكناس ناظر الدولة، والأمير ناصر الدين محمد ابن الحسام شاد الدواوين، ويدر الدين محمد بن فضل الله كاتب السر، وسائر أرباب الوظائف وقاموا بخدمته، فتقدم إلى ابن الحسام بتحصيل الأغنام لمطابخ الأمراء. وإذا بالناس تصرخ تحت القلعة، وتشكوا من كثرة نهب التراكمين والزعر، فأمر الناصري الأمير منكلبي الحاجب، وسيدي أبو بكر حاجب الحجاب، وأقبغا المارداني، وبلوط، فنزلوا إلى القاهرة ونودي بأن من نهب من الترك والتركان والعامة فاقتلوه. ووقف ابن الحسام متولى القاهرة عند باب زويلة لمنع من يدخل إلى القاهرة، وقبض على ثلاثة من التركمان، وسجنوا بخزانة شمائل، فحفف الأمر. ونزل أيضا طائفة من الأمراء لحراسة القاهرة وظهرها. ورسم للأمير تنكز بغا رأس نوبة بتحصيل ممالك الظاهر برقوق، فأخذ في تتبعهم.

(١) العليق ما تعلقه الدابة من شعر ونحوه. انظر المعجم الوجيز ٤٣١.

وأصبح الناس يوم الثلاثاء فى هرج ومرج وقلات كثيرة فى الظاهر برقوق. واستدعى الناصرى الأمراء وشاورهم فىمن ينصب فى السلطنة، حتى استقر رأى على إقامة الملك الصالح حاجى بن الأشرف، فإنه خلعه برقوق بغير موجب، فصعدوا إلى الإصطبل^(١) إلى الحوش بالقلعة واستدعوه، وأركبوه بشعار السلطنة من الحوش إلى الإيوان، وأجلسوه على تخت الملك به، ولقبوه بالملك المنصور، وقلده الخليفة أمور الناس على العادة، وقبل الأمراء الأرض بين يديه. ودقت البشائر، وقام إلى القصر وسائر أرباب الدولة بين يديه. ونودى فى الحال بالقاهرة بالأمان والدعاء للملك المنصور، والأمير الكبير يلبغا الناصرى، وتهديد من نهب، فاطمان الناس.

ورتب الناصرى عند الملك المنصور بالقصر من الأمراء علاء الدين أظنبا الأشرفى، وأرسلان اللفاف، وقراسك، وأردبغا العثمانى.

ورسم بمنع الأتراك والتركان من دخول القاهرة. ونزل سيدى أبو بكر بن سنقر الجمالى، وتكز بغا رأس نوبة، ونودى بين أيديهما بتهديد من نهب شيئا، وأقام تنكز بغا عند الجمالون وسط القاهرة، وأبو بكر بن سنقر عند باب زويلة، وأخرجا من كان فى القاهرة من المماليك والتركان.

وطلب الأمير حسين بن الكورانى، وخلع عليه عند الناصرى باستمراره على ولاية القاهرة، ونزل وقد سر الناس ولايته، فنادى بالأمان، والبيع والشراء، والدعاء للسلطان والأمير الكبير وتعين الصاحب كريم الدين عبد الكريم بن عبد الرزاق بن إبراهيم بن مكانس مشير الدولة، وتعين أخوه فخر الدين عبد الرحمن لنظر الدولة على عادته، وأخوهما زين الدين نصر الله فى ديوان الأمير الكبير يلبغا الناصرى. فاستدعى الفخر ابن مكانس مباشرة الجهات، وأعاد جميع المكوس التى أبطلها الملك الظاهر، فأخذت من الناس على العادة. ونودى بأمان الجراكسة، وأن جميع المماليك والأجناد على حالهم لا يغير على أحد منهم شىء مما هو فيه، ولا يخرج عنه إقطاعه.

وفى يوم الأربعاء سابعه: قدم الجوبانى وقردم وأظنبا المعلم من الإسكندرية على البريد إلى الأمير الكبير، ونودى بأن من ظهر من المماليك الظاهرية فهو باق على إقطاعه، ومن اختفى بعد هذا النداء حل ماله ودمه للسلطان. ورسم لسودن النائب بلزوم بيته بطالا. وصار الأمير محمود الأستاذار إلى ابن مكانس المشير، وترامى عليه، فأصلح حاله على مال يحمله إلى الأمير الكبير، وجمع بينهما، فأمنه الأمير الكبير.

(١) الإصطبل حظيرة الخيل جمعها إسطبلات. انظر المعجم الوجيز ١٦.

وفى ثامنه: اجتمع الأمراء وغيرهم فى القلعة للخدمة السلطانية، فأغلق باب القلعة، وقبض على تسعة من الأمراء المقدمين وهم الأمير سوذُن الفخرى الشيوخونى نائب السلطنة، وسودن باق، وسودن الطرنطاي، وشيخ الصفوى، وقجماس الصالحى ابن عم الظاهر برقوق، وأبو بكر بن سنقر الحاجب، وأقبغا الماردينى حاجب الحجاب، وبجاس النوروزى، ومحمود بن على الأستاذار، وقبض من أمراء الطبلخاناه على عبد الرحيم بن منكلى بغا الشمسى، ويورى الأحمدى، وتمربغا المنجكى، ومنكلى الشمسى الطرخانى، ومحمد جمق بن الأمير أيتمش، وطوجى، وقرمان المنجكى، وحسن خجاء، وبيرس التمان ترمى، وأحمد الأرغونى، وأسنبغا الأرغون شاهى، وقنق باى السيفى الجاى، وجرباش الشيخى، وبغداد الأحمدى، ويونس الرماح الأسعدى، وأروس بغا الخليلى، وبطا الطولوترمى، وقوص المحمدى، وتنكز العثمانى، وأرسلان اللفاف، وتنكز بغا السيفى، وألطنبغا شادى، وأقبغا اللاشينى، وبلاط المنجكى، وبجمان المحمدى، وألطنبغا العثمانى، وعلى بن أقتمر عبد الغنى، وإبراهيم بن طشتمر العلاى، وخليلى بن تنكزبغا، ومحمد بن الدوادارى، وسليمان بن يوسف الشهرزورى، وحسام الدين حسين بن على الكورانى الوالى، وبلبل الرومى الطويل، والطواشى صواب السعدى شنكل المقدم، ومقبل الدوادارى الزمام. ومن أمراء العشراوات أزدمر الجوكانى، وقمارى الجمالى، وجليبان أخو مامق، وقلم طاي ابن ألبغا اليوسفى، وأقبغا توز الشيوخونى وصلاح الدين محمد بن محمد بن تنكز، وعبدوق العلاى، وبمنشاه الشيوخونى، وطولو بغا الأحمدى، ومحمد بن أرغون الأحمدى، وإبراهيم بن الشيخ على ابن قرا، وغريب ابن حاجى، وأسنبغا السيفى، وأحمد بن حاجى بك بن شادى، وأقبغا الجمالى الهذبانى، وأمير زاه بن ملك الكرج، وجليبان الكمشبغاوى، وموسى بن أبى بكر بن سلار أمير طبر، وقنق باى الأحمدى، وأمير حاج بن أيدغمش وكمشبغا اليوسفى، ومحمد بن أقتمر الصحابى الحنبلى النائب، وأقبغا الناصرى حطب، ومحمد بن سنقر المحمدى، وبهادر القجاوى، ومحمد بن طغاي تمر النظامى، ويونس العثمانى، وعبد الرحمن بن منكلى بغا الشمسى، وعمر بن يعقوب شاه، وعلى بن بلاط الكبير، ومحمد بن أحمد بن أرغون النائب، ومحمد بن بكتمر الشمسى، وألبغا الدوادار، ومحمد ابن يونس الدوادار، وخليلى بن قرطاي شاد العمائر، ومحمد بن قرطاي نقيب الجيش، وقطلوبك أمير جندار. وقبض على جماعة من المماليك.

وسفر قجماس ابن عم الظاهر برقوق إلى طرابلس على اليريد. وأفرج عن شنكل المقدم، ومقبل الزمام، وشيخ الصفوى، ومحمد بن يونس الدوادار، وإبراهيم بن طشتمر

الدوادار، وعبد الرحيم وعبد الرحمن ابني منكلي بغا، ومحمد بن الدواداري، وخليل ومحمد ابني قرطاي، ويمن شاه، وقماري، وحسين بن الكوراني، وعلى بن أقتمر عبد الغني، وتنكز بغا، وبجمان، وبوري، وأقبغا اللاشيني، وخليل بن تنكزبغا، وسليمان بن يوسف الشهرزوري، وأزدمر الجوكاني، وجامان، وقماري الجمالي، وابن ألباي اليوسفي، وابن أقتمر الحنبلي، وابن أيدغمش، وأحمد بن حاجي بك، وموسى أمير طبر. وسجن البقية بالزردخاناه.

وفيه نودي بالقاهرة ومصر وظواهرهما من أحضر السلطان برقوق وكان عاميا خلع عليه، وأعطى ألف دينار، وإن كان جنديا أعطى إمرة عشرة، وإن كان أمير عشرة أعطى طبليخانة، وإن كان أمير طبليخانة، أعطى إمرة مائة، ومن أخفاه بعد النداء شنق، وحل ماله للسلطان، فكثرت كلام العامة في ذلك.

وفي ليلة الجمعة: حمل الأمراء المسجونون في الحراريق إلى سجن الإسكندرية خلا الأمير محمود. وعدتهم تسعة وعشرون أميراً، ونفى المماليك.

وفي يوم الجمعة تاسعه: قبض على ابن بقر، وابن عيسى العايدى، وابن حسن السلطاني، وطولبوا بمال قرر عليهم، ثم أطلقوا.

وفي عاشره: أفرج عن أقبغا المارداني بشفاعة صهره أحمد بن يلغا، فأعيد من الحراقة ومعه محمد بن تنكز، ورسالن اللفاف.

وورد الخبر باجتماع طائفة كبيرة من المماليك الظاهرية بناحية أطفيح، فتوجه إليهم الأمير منطاش، وعاد ولم يلقيهم.

وفيه نودي ثانيا على الملك الظاهر، وهدد من أخفاه، فكثرت الدعاء من العامة له، وعظم الأسف على فقده وثقلت وطأة أصحاب الناصري على الناس، ونفروا منهم، فصار العامة يلهجون كثيرا، بقولهم: «راح برقوق وغزلانه وجاء الناصري وثيرانه».

وفيه قبض على الأمير محمود وولده محمد، وقيد بقيد زنته أربعون رطلا، وقوائمه عشرة أرتال. وجعل في عنقه ثلاث باشات (١).

وفي حادي عشره: استقر الشريف بكنمر بن علي الحسيني في كشف الجيزة، وابن الطشلاقي في ولاية قطيا على عادته. وقبض على الطواشي بهادر الشهابي مقدم المماليك، كان. وقد حضر مع الناصري، وختم على حواصله. وذلك أنه اتهم بأنه أخفى السلطان الملك الظاهر، وأخرج منقيا إلى قلعة المرقب، هو وأسنبغا المنجون.

(١) الباشا لقب من ألقاب الشرف استعمل في تركيا والبلاد التي خضعت لها. انظر الوجيز ٣٣.

وفي ثاني عشره: سجن الأمير محمود بالزردخانا، وهو مقيد. وقبض على شيخ الصفوى، وسجن. وألزم حسين بن الكوراني الوالى بطلب المماليك الظاهرية، فنادى عليهم بالقاهرة ومصر، وهدد من أخفاهم.

وفيه أمر الوالى تجار القاهرة بنقل قماشهم من الحوانيت ^(١)، وخوفهم من النهب، فاضطرب الناس، وكثر كلامهم، وتوهموا اختلاف الدولة، وقيام الفتنة، وأخذوا فى الاحتراز.

وفيه كثر فساد التركمان، وأخذوا النساء من الطرقات، ومن بعض الحمامات، وسلبوا من انفردوا به ثيابه، من غير أن يتجاسر ^(٢) أحد على منعهم. وكثر أيضا ضرر الزعر وإخافتهم الناس.

وفيه أمر العسكر بنزع السلاح، وكانوا فى هذه الأيام لا يزالوا بالسلاح عليهم وعلى خيولهم، فلا ترى أميرا ولا مملوكا ولا جنديا إلا لابس آلة الحرب.

وفي يوم الثلاثاء ثالث عشره: غمَز على الملك الظاهر برقوق. وذلك أنه لما نزل من الإصطبل فى الليل مختلفيا مضى إلى بيت أبى يزيد - أحد أمراء العشراوات - واختفى بداره، فلم يعرف خبره، والطلب له يشتد، وهجم على عدة بيوت بسببه، فلم يوجد. ونكر النداء عليه، فخاف أن يؤخذ باليد، فلا يُيقى عليه، فأعلم الأمير أظنبا الجوبانى بمكانه، فصار إليه، وقيل إنه نزل من الإصطبل ومعه أبو يزيد لا غير، فتبعه نعمان مهتار الطشت خاناه إلى الرميلة، فرده. ومضى هو وأبو يزيد إلى أن أخلى له مكانا اختفى فيه. وأخذ الناصرى يتتبع أثره حتى سأل المهتار نعمان عنه، فأخبره أنه نزل ومعه أبو يزيد، وإنه لما تبعه رده، فأمر حينئذ حسين بن الكورانى بإحضار أبى يزيد، فشدد فى طلبه، وهجم بيوتا كثيرة، فلم يقف له على خير، فقبض جماعة ممن يعرفه وقررهم، فلم يجد عندهم علما به. وما زال يفحص حتى دله بعضهم على مملوك أبى يزيد، فقبض على امرأة المملوك وعاقبها، فدلته على أبى يزيد، وعلى الملك الظاهر، وأنهما فى بيت رجل خياط بجوار بيت أبى يزيد، فمضى إلى البيت، وبعث إلى الناصرى يعلمه، فأرسل إليه الأمراء. وقيل إنه لما نزل من الإصطبل كان نحو نصف ليلة الإثنين، فسار إلى النيل وعدى إلى الجزيرة، ونزل عند الأهرام، وأقام ثلاثة أيام ثم عاد إلى بيت أبى يزيد، فأقام عنده إلى يوم الثلاثاء ثالث عشره، حضر مملوك أبى يزيد إلى

(١) الحانوت: الحانة والدكان جمعها حوانيت. انظر المعجم الوجيز ١٧٦.

(٢) يتجاسر والجسور هو الشجاع وجمعها جسُرٌ. انظر معجم الوجيز ١٠٥.

الناصرى، وأعلمه بأن الظاهر فى داره أستاذه، فأحضر أبا يزيد وسأله، فاعترف أنه عنده، فأخذة الأمير أظنبغا الجوبانى، وسار به إلى حيث الظاهر، فأوقف الجوبانى من معه، وصعد إليه وحده. فلما رآه الظاهر قام له، وهم أن يقبل يده، فاستعاذ بالله من ذلك. وقال: «يا خوند أنت أستاذنا، ونحن مماليكك». ثم ألبسه عمامة وطيلسة، ونزل به وأركبه وشق به الصليبية نهارا، حتى مر فى الرملة، إلى أن صعد به إلى الناصرى فى الإصطبل، فحبس بقاعة الفضة من القلعة. وألزم أبو زيد بإحضار ما للظاهر عنده، فأحضر كيسا فيه ألف دينار، فأنعم به عليه، وخلع عليه، وخلقى عنه. ورتب لخدمة الظاهر مملوكان وغلماه المهتار نعمان، وقيد بقيد ثقيل.

وفى خامس عشرة: أفيض على الخليفة المتوكل تشرىف جليل. وخلق على بدر الدين محمد بن فضل الله عند قراءة عهد الملك المنصور، وألبس الأمراء الذين قدموا مع الناصرى أقبية مطرزة بذهب. واستقر حسام الدين حسن بن على الكجكنى فى نيابة الكرك، عوضا عن مأمور القلمطاوى. وأنعم على مأمور بإمرة مائة، بديار مصر.

وفى سابع عشرة: توجه حسن لنيابة الكرك.

وفى تاسع عشرة: قدم البريد من دمشق بأن الأمير أقبغا الصغير، والظنبغا استادار جنتم، اجتمع عليهما نحو الأربعمائة من المماليك الظاهرية ليركبوا على جنتم نائب دمشق، ويملكوا منه البلد. فلما بلغ جنتم ذلك، ركب وكبسهم على حين غفلة، فلم يفلت منهم إلا اليسير، وفيهم أقبغا الصغير.

وفيه أنعم على من يذكر من الأمراء، وخلق عليهم وهم: الأمير سيف الدين بزلار العمرى استقر فى نيابة دمشق، والأمير سيف الدين كمشبغا الحموى فى نيابة حلب^(١)، وسيف الدين صنحق السيفى نائب طرابلس، وشهاب الدين أحمد بن محمد ابن المهندس فى نيابة حماة.

وفى حادى عشرينه: عرض الأمير أظنبغا الجوبانى المماليك الظاهرية، واخرج من المستخدمين مائتين وثلاثين لخدمة المنصور، وسبعين من المشتروات، نزلهم بالطباق من القلعة وفرق من عداهم من الأمراء.

وكان الغرض بالإصطبل، وأنعم على كل من أقبغا الجمالى الهذبانى أمير أخور

(١) حلب بلدة عظيمة قديمة ذات قلعة مرتفعة حصينة وبها مقام إبراهيم الخليل صلوات الله عليه ولها بستين قلائل ويمر بها قويق وهى على مدرج العراق وهى بين جبل قنسرين. انظر تقويم البدان ٢٩٩، والروض العطار ١٩٦، ١٩٧، وصبح الأعشى ١١٦/٤.

ويبلغا السودونى، وتانى بك الياوى، وسودن الياوى، بإمرة عشرة فى حلب، ورسم بسفؤهم مع النائب.

وفى ليلة الخميس ثانى عشرينه: رسم بسفر الملك الظاهر بروق إلى الكرك (١) فأخرج من قاعة الفضة ثلث الليل إلى باب القرافة - أحد أبواب القلعة - ومعه الأمير الطنبغا الجوبانى، فأركبه هجينا، وعين معه من مماليكه ثلاثة ممالك صغار وهم: سوُدن، وقُطلوبغا، وأقباى. وسار به إلى قبة النصر خارج القاهرة، وأسلمه إلى الأمير شمس الدين محمد بن عيسى العائدى، فتوجه على عجرود إلى مدينة كرك الشوبك، وسلمه إلى الأمير حسام الدين حسن الكجكنى نائبها، فأنزله بالقلعة فى قاعة النحاس. وكانت ابنة الأمير يلغا العمرى - امرأة مأمور - بالكرك، فقامت له بما يحتاج إليه من الفرش والآلات. وقدمت له أسمطة تليق به واعتنى حسن الكجكنى بخدمته أيضا، وكان الناصرى قد أوصاه له، وقرر معه إن رابه أمر من شىء يبلغه عن منطاش فليفرج عن الظاهر، فاعتمد ذلك، وصار يتلطف به ويعده بالتوجه معه إلى التركمان، فإن له فيهم معارف. وحصن القلعة، وصار لا يرح عنه، ويأكل معه، حتى أنس به، وركن له، واطمأن إليه.

وفى يوم الخميس: خلغ على نواب الشام خلغ السفر.

وفيه استقر سيف الدين قُطلوبغا الصفوى فى نيابة صفد، وسيف الدين بُغاجق السيفى فى نيابة ملطية (٢).

وفيه نودى بالقاهرة ومصر أن الممالك الظاهرية يخدموا مع نواب الشام، وألا يقيم أحد منهم بديار مصر، ومن تأخر بعد النداء حل دمه وماله، ونودى بذلك من الغد.

وفى رابع عشرينه: برز النواب بالريدانية خارج القاهرة للسفر.

وفى سادس عشرينه: أخلغ على الأمير يلغا الناصرى، واستقر أتابك العساكر، وعلى الأمير الطنبغا الجوبانى واستقر رأس نوبة النوب، وعلى الأمير سيف الدين قرا دمرداش الأحمدى، واستقر أمير سلاح، وعلى الأمير شهاب الدين أحمد بن يلغا واستقر أمير مجلس، وعلى الأمير سيف الدين تمرباى الحسنى، واستقر حاجب الحجاب.

(١) الكرك: هو من أعظم حصون النصارى معترض فى طريق الحجاز، وهو من القدس على مسافة يوم أو أقل، وأهله يقطعون على المسلمين الطريق فى البر، وله نظر عظيم الاتساع متصل العمارة ينتهى إلى أربعمائة قرية. انظر معجم البلدان ٤/٤٥٣، والروض المعطار ٢٠٢، ٢٠٣.

(٢) ملطية بلدة من بلاد الروم مشهور فى الشام وهى للمسلمين. انظر معجم البلدان.

وخلع على قضاة القضاة الثلاثة: جمال الدين عبد الرحمن بن خير المالكي، وشمس الدين محمد الطرابلسي الحنفي، وناصر الدين نصر الله الحنبلي. وخلع على صدر الدين محمد المناوي مفتي دار العدل، وعلى بدر الدين محمد بن علي بن فضل الله العمري كاتب السر، وعلى الوزير صاحب كريم الدين عبد الكريم بن الغنام، وعلى موفق الدين أبي الفرج ناظر الخاص، وعلى جمال الدين محمود القيصرى ناظر الجيش، وعلى فخر الدين عبد الرحمن بن مكائس ناظر الدولة، وعلى ناصر الدين محمد بن الحسام شاد الدواوين، وعلى مقدمى الدولة والخاص، باستمرارهم على وظائفهم.

وفيه أعيد السيد الشريف شرف الدين علي بن السيد فخر الدين إلى نقابة الأشراف. وصرف السيد جمال الدين عبد الله الطباطبائي. واستقر كُمشبغا الأشرفي الخاصكي نائب قلعة الروم. ولم يخلع على قاضى القضاة ناصر الدين محمد بن بنت ميلق، لتوعكه وانقطاعه.

وفيه رحل النواب من الريدانية، وسافروا إلى البلاد الشامية، وسافر معهم كثير من التركمان وأجناد الشام وأمرائها.

وفيه نودى ألا يتأخر بديار مصر أحد من المماليك الظاهرية، إلا أن يكون فى خدمة السلطان أو الأمراء، ومن تأخر سُنق.

وفيه أخذ قاع النيل، فجاء خمسة أذرع وعشرون أصبعاً. ونودى فى يومى الأربعاء والخميس أن التركمان والعربان يرجعوا إلى الشام.

وأخلع يوم الخميس تاسع عشرينه على قاضى القضاة ناصر الدين محمد ابن بنت ميلق، وعلى بدر الدين محمد بن شيخ الإسلام البلقينى قاضى العسكر وعلى أخيه جلال الدين عبد الرحمن مفتي دار العدل، وعلى شهاب الدين أحمد الدقري مفتي دار العدل المالكي، وعلى نجم الدين محمد الطنبدي محتسب القاهرة، وعلى همام الدين العجمي محتسب مصر، وعلى شمس الدين محمد الدميرى ناظر الأحباس، وعلى بقية أرباب الوظائف، باستمرارهم على وظائفهم. وأخلع أيضا على الأمير علاء الدين أقبغا الجوهري واستقر أستاذار السلطان، وعلى الأمير آلبغا العثماني واستقر دواداراً كبيراً، وعلى الأمير علاء الدين أَلطنبغا الأشرفي واستقر رأس نوبة ثانيا، وعلى الأمير سيف الدين جُلبان العلاى واستقر حاجبا، وعلى سيف الدين قطلوبك السيفي واستقر أمير جاندار بإمرة طبلخاناه، وعلى ابن شهرى واستقر نائب دُوركى.

وفيه قدم البريد بوصول الأمير نعيم بن حيار بن مهنا أمير العربان (١) إلى دمشق، قاصداً رؤية الملك المنصور. ولم يحضر قط في الأيام الظاهرية.

وفيه قدم فتح الدين محمد بن إبراهيم بن أبي بكر بن الشهيد، كاتب سر دمشق وفي سلخه: فرق الناصري المثالات (٢) على الأمراء، وجعلهم أربعة وعشرين مقدمة. ونودي في القاهرة ومصر بالأمان، ومن ظلم أو غبن، أو قهر من مدة عشرين سنة فعليه بباب الأمير الكبير يلبغا أو حاجب الحجاب، حتى يأخذ حقه.

وفيه كُبت بيوت الأسرى، وأخذ منها جرار الخمر، وكسرت تحت القلعة. وفي يوم السبت أول شهر رجب: زعق زامر على باب السلسلة تحت الإسطبل - حيث سكن الأمير الكبير - فاجتمع الأمراء والمالِك، ولم يعهد هذا الزمر قط بمصر، وذكروا أنها العادة في بلاد حلب، فلما اجتمع العسكر ركب الأمير الكبير يلبغا وسار إلى جهة البحر وعاد.

وفيه عقد مجلس بالمدرسة الصالحية بين القصرين، وحضر القضاة والفقهاء، وجرىء بابن سبع من السجن. وقد شهد عليه بأشياء شنيعة، وأرد أخصامه إراقة دمه عند القضاة المالكية، فكثرت سعيه بالمال حتى فوض أمره للقضاة الشافعية، ليحكموا بحرق دمه، ثم أعيد إلى السجن.

وفي ثالثه: استقر الأمير حسام الدين حسين بن باكيش في نيابة غزة على عادته، وسيف الدين بوري الأحمدي لالا السلطان، وبهاء الدين أرسلان اللفاف السيفي، وسيف الدين قرا كسك، وسيف الدين أردبغا العثماني، رعوس نوب، وأخلع عليهم. وفيه رسم أن يكون رعوس نواب السلحدارية والسقاة والجمدارية ستة لكل طائفة، على ما كانوا أولاً، قبل أن يستقر الملك الأشرف شعبان بهم ثمانية، في سنة ست وسبعين، بزيادة اثنين في كل طائفة. واستقر قطلوبك السيفي في ولاية قلعة الجبل، عوضاً عن بجاس. واستقر زين الدين فرج السيفي أمير جاندار بإمرة طبلخاناه. وولى شهاب الدين أحمد بن زين الدين عمر (٣) القرشي الواعظ قضاء القضاة بدمشق، عوضاً عن سري الدين محمد بن المسلاتي، وأضيف إليه نظر الجامع الأموي، وخلع على الجميع.

(١) العربان من العرب أولاد إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام المعجم الوجيز ٤١٢.
(٢) المثالات ومفردها مثال أول ما يكتب من الأوراق الرسمية إيدانا بإعطاء أحد المالِك إقطاعاً من الإقطاعات الحالية.

(٣) أحمد بن عمر بن أبي الرضى أبو الخير، شهاب الدين [.....٧٩١هـ=.....١٣٨٩م] قاضي من أهل حماة بسورية ولى القضاء بحلب ثلاث مرات وكان عالماً بالقراءات، له فيها نظم سماه «عقد البكر» وله منظومات.

وفي خامسه: قدم الأمير نُعَيْرٌ، وخرج الأمير الكبير إلى لقائه، ومعه سائر الأمراء، وقدم سرى الدين المسلاتى معه.

وفي سادسه: صعد الأمير نُعَيْرٌ إلى القلعة، وقبل الأرض بحضرة السلطان فخلع عليه، وأنزل بالميدان الكبير تحت القلعة.

وفيه أخلع على الأمير ألبغا الدوادار، واستقر فى نظر الأقباس، وعلى قُرُقْماس الطَشْتُمُرَى، واستقر خازندارا.

وفيه عُقد عند الأمير الكبير مجلس بسبب ابن سبع، وحضر القضاة والفقهاء، وكثر الكلام إلى أن قال قاضى القضاة ولى الدين أبو زيد بن خلدون للأمير الكبير: «يا أمير، أنت صاحب الشوكة، وحُكْمك ماضٍ فى الأمة، ومهما حكمت به نُفذ». فحكم الأمير الكبير بحقن دمه وإطلاقه، فأفرج عنه، ولم يعهد قط أن أحدا من أمراء الترك ولا ملوكهم حكم فى شيء من الأمور التى من عادة القضاة الحكم فيها، إلا أن قضية ابن سبع هذا كانت قد شُنعت^(١) وطال أمرها، وكثر التعصب فيها، فقوم يريدون قتله، وقوم يريدون إطلاقه، وجبُن القضاة عن إمضاء شيء من ذلك، حتى عُمل ما ذكر، وهى من غريب ما وقع.

وفى ثامنه: أخلع على الأمير نعيم خلعة السفر.

وفى ثالث عشره: أنعم على الطواشى صواب السعدى شنكل بإمرة عشرة، وأخذت منه إمرة الطبلخاناه. ولم يقع مثل ذلك، أن يكون مقدم الممليلىك بإمرة عشرة قط. وقبض على الأمير سيف الدين بهادر الأعسر القجاوى المهندار، ونفى إلى غزة.

وفيه أخلع الملك المنصور على شخص، وعمله خياط السلطان، فطلبه الأمير الكبير وأخذ منه الخلعة وضربه ضربا مبرحا، وأسلمه إلى شاد الدواوين، ثم أفرج عنه بشفاعة أحمد بن يلبغا، فشق ذلك على المنصور وقال: «إذا لم ينفذ مرسومى فى خياط، فما هذه السلطنة؟» وسكت على مضض^(٢).

وفى خامس عشره: قبض على الأمير سيف الدين قراكسك، ونفى.

وفى سابع عشره: رُسم بالإفراج عن الأمراء المسجونين بثغر الإسكندرية، لشفاعة الأمير نُعَيْرٌ فيهم.

(١) شُنعتُ شناعة أى: اشتد قبحه فهو شنيع وهى شناعة. انظر معجم الوجيز ٣٥٢.

(٢) مضض: التألم ويقال قبله على مضض انظر الوجيز ٥٨٤.

وفى ليلة الثلاثاء ثامن عشره: توجه أربعون أميراً من المقدمين والطلبليخاناه والعشراوات إلى الشرقية للكبس على العريان الزهيرية^(١)، وقد كثر عبثهم، وعظم فسادهم فى الريف، وصارت لهم جموع. يذبح لهم فى بعض الأوقات أربعمائة رأس من الغنم و البقر، حتى يكفيهم أكلة واحدة من كثرتهم.

فسار الأمراء، وفيهم الأمير أَلطُنْبُغا الجوبانى، ومنطاش، وقرا دمرداش، وشنوا الغارات فى السباخ وبلاد أشموم^(٢) الرمان، وقتلوا جماعة، وأخذوا نحو الثلاثمائة رجل وألف فرس، وعادوا بهم، فسمر منهم فى خامس عشرينه نحو الثمانين رجلا، وطيف بهم على الجمال ومشاة، ثم أفرج عنهم.

وفى سابع عشرينه: استقر طَغَنجى فى نيابة البيرة^(٣)، وسافر، واستقر بدر الدين محمود الكلُستانى السراى فى قضاء العسكر، عوضا عن سراج الدين عمر العجمى. واستقر إمام الدين محمد بن العلاف - وكان مؤدب أطفال مصر ثم اتصل بالناصرى بحلب، فصار إمام الأمير الكبير - فى حسبة مصر، عوضا عن همام الدين.

وفى أول شعبان: أمر المؤذنون بالقاهرة ومصر أن يزيدوا فى الأذان لكل صلاة بعد الفراغ منه «الصلاة والسلام عليك يا رسول الله» عدة مرار.

وسبب هذا أن رجلا من الفقراء المعتقدين سمع فى ليلة الجمعة بعد آذان العشاء الآخرة «الصلاة على النبى ﷺ»؛ فأعجبه ذلك، وقال لأصحابه: «أتحبون أن يعمل هذا فى كل آذان؟». قالوا «نعم» فبات وأصبح، وقد زعم أنه رأى رسول ﷺ فى منامه يأمره أن يقول لنجم الدين الطنبدى المحتسب يأمر المؤذنين أن يصلوا عليه عقيب كل آذان، فمضى إلى الطنبدى - وكان فى غاية الجهل - فسرره قول هذا الرأى، وأمر بذلك، فاستمر إلى يومنا من سنة عشرين وثمانمائة.

وفى يوم الإثنين ثانى شعبان: استقر علاء الدين على البيرى الحلبى - موقع الأمير

(١) الزهيرية منسوب إلى بنى زهير وهم بطن من جذام من القحطانية القلقشندى. نهاية الأرب

ص ٢٥٦.

(٢) بلاد أشموم اسم لبلدة بمصر وهى قرب دمياط وهى مدينة الدقهلية. انظر معجم البلدان

٢٠٠/١.

(٣) إلبيرة: من كور الأندلس جليلة القدر جند دمشق من العرب وكثير من موالى الإمام عبد

الرحمن بن معاوية، وهو الذى أسسها وأسكنها مواليه ثم خالطهم العرب بعد ذلك. انظر معجم

البلدان ٥٢٦/١، والروض المعطار ٢٨، ٢٩، والعذرى ٨٨. بلد قرب شُميساط بين حلب والثغور

الرومية وهى قلعة حصينة. انظر معجم البلدان.

٢٤٤ سنة إحدى وتسعين وسبعماية

الكبير - فى توقيع الدست، وأخلع عليه. واستقر قلوبك النظامى، نائب الوجه القبلى، عوضا عن مبارك شاه. واستقر أرسبغا المنجكى كاشف الوجه القبلى، عوضا عن أبو درقة. واستقر قلوبغا التركمانى والى الفيوم (١) عوضا عن شاهين العلاى. واستقر تمرز العلاى والى البحيرة، عوضا عن أيدمر الشمسى أبو زلطة.

وفيه نودى على النيل ثلاثين أصبعا.

واستقر مقبل الطيبى والى قوص، عوضا عن أبى بكر بن موسى بن الدينارى. وقبض على أقبغا اللاجينى ونفى إلى الشام. واستقر أمير مَلَك - قريب جَنَّتَمَر أخى طاز - فى نيابة الرحبة، بتقدمة ألف.

وفيه أنزل بالماليك السبعين، الذين رتبوا فى الطباق بالقلعة، وفرقوا على الأمراء. ورُسم أيضا بإبطال المقدمين والسواقين والطواشية ونحوهم، وأنزلوا من القلعة، فاتضع أمر الملك المنصور.

وفيه حضر من الإسكندرية الأمير أبو بكر بن سنقر، ومنكلى الطرخانى وطرجى الحسنى، وعبد الرحمن بن منكلى بغا، فسفر الطرخانى وطرجى إلى الشام بغير خبز. ولزم أبو بكر وعبد الرحمن منزلهما بطالين.

وفى خامسه: استقر أقبغا الفيل فى ولاية الشرقية (٢)، عوضا عن قُطُوبُك السعدى.

وفى سادسه: نودى بوفاء النيل ستة عشر ذراعا، وهو سادس مسرى أيضا، ففتح الخيخ على العادة.

وفى ثانى عشره: أخلع على صاحب كريم الدين عبد الكريم بن عبد الرزاق بن إبراهيم بن مكانس، واستقر مشير الدولة. وعلى أخيه زين الدين نصر الله لنظر الإسطبل، واستقر صاحب ديوان الأمير الكبير، ونزلا وبين أيديهما زامر يزمر، ولم يعهد مثل هذا بمصر قط.

وفيه أشيع أن منطاش تنكر مع الأمير الكبير، وتأخر عن الخدمة، وأظهر أنه متضعف؛ ففطن الأمير الكبير بأنه يريد عمل مكيدة، ولم ينزل لعيادته.

وبعث إليه الأمير أَلطُنْبُغا الجوبانى فى يوم الإثنين سادس عشره، فدخل عليه وقضى

(١) الفيوم وهى بلدة بمصر فهى ولاية غربية بينها وبين القسطنطينية أربعة أيام.

(٢) الشرقية مدينة شرقى مدينة المنصورة لأنها فى الجانب الشرقى. انظر معجم البلدان

حق العيادة، وهم بالقيام، فقبض عليه، وعلى عشرة من مماليكه، وضرب قُرُقْماس دواداره، فمات من ذلك بعد أيام. وركب منطاش حال مسكه الجوباني فى أصحابه إلى باب السلسلة، وأخذ جميع الخيول التى كانت واقفة هناك. وأراد اقتحام الباب ليأخذ الناصرى على غفلة، فلم يتمكن من ذلك، وأغلق الباب. ورمى عليه مماليك الناصرى من أعلى السور، فعاد ومع الخيول إلى داره وهى قريب من الرميلىة، (١) بجوار مدرسة السلطان حسن، ونهب بيت الأمير أقبغا الجوهرى، وأخذ خيله وقماشه، وأصعد إلى مدرسة السلطان حسن الأمير تنكزبغا رأس نوبة، والأمير أزدُمُر الجوكانى دوادار الظاهر برقوق فى عدة مماليك، وحمل إليها الشباب والحجارة، فرموا على من فى الرميلىة من أصحاب الناصرى من أعلى المأذنتين وجوانب القبة.

وألبس الناصرى مماليكه السلاح، وتلاحقت المماليك الأشرفية والظاهرية بمنطاش، وصار فى فارس، بعد ما كانت عدة من معه أولا نحو السبعين فارسا. وأتاه من العامة عالم كبير، فترامى الفريقان واقتتلا.

ونزل الأمير حسام الدين حسين بن الكورانى والى القاهرة، والأمير مأمور الحاجب، من عند الأمير الكبير. ونودى فى الناس بنهب مماليك منطاش والقبض على من قدروا عليه، وإحضاره إلى الأمير الكبير، فخرج عليهما طائفة من المنطاشية، وضربوهما وهزموا من معهما، فعادوا إلى الناصرى. ولحق الوالى بالقاهرة، وأغلق أبوابها. واشتدت الحرب، وتقرب منطاش من العامة ولاطفهم، وأعطاهم، فتعصبوا له، وتزاحموا على التقطع الشباب الذى يرمى به أصحاب الناصرى على منطاش، وأتوه به، وبالغوا فى المخاطرة معه، حتى كان الواحد بعد الواحد منهم يثب فى الهواء، ويختطف السهم وهو مار، ويأتى به منطاش.

ولا يزالون فى نقل الحجارة إلى مآذن مدرسة حسن. وأقبل الليل وهم على ذلك، فبات منطاش ليلة الثلاثاء على باب مدرسة حسن، والرمى لا يبطل، وأتاه طوائف من الظاهرية حتى أصبح يوم الثلاثاء، وقد زادت أصحابه على الأف فارس، فأتاه مماليك الأمراء وغيرهم شيئا بعد شيء، حتى خشن جانبه، واشتد بأسه. فبعث الناصرى بالأمير بجمان والأمير قرأبغا أبو بكرى فى طائفة كبيرة، ومعهم المعلم أحمد بن الطولونى، وكثير من الحجارين، لينقبوا بيت منطاش من ظهره حتى ينحصر. فبعث إليهم عدة من

(١) الرميلىة وهو منزل فى طريق البصرة إلى مكة بعد قرية نحو مكة وهى أيضا قرية بالبحرين لبني محارب. والرميلىة من قرى بيت المقدس. انظر معجم البلدان ٧٣/٣.

جماعته قاتلوهم، وأخذوا بجمان والأمير قرابغا وهزموا من معهما، فرتب الناصري عدة رماة على الطبلخانة، وعلى مدرسة الأشرف، فرموا على منطاش بالمدافع والنشاب، فقتل عدة من العوام، وجرح كثير، ونزل الأمير أحمد بن يلبغا والأمير جمق بن أيمش فى جمع كبير، وطرردوا العامة، وقتلوا منهم وجرحوا عددا كبيرا، فحملت العامة فى فرسان منطاش عليهم حملة واحدة، وهزموهم أقبح هزيمة.

واستمر ذلك بينهما حتى انقضى النهار، وأقبل إلى منطاش الأمير أقبغا الماردانى بطلبه، وصار من جماعته، فتسلل الأمراء عند ذلك واحدا واحدا بعد ذلك، وأتوه. وكل من يأتيه من الأمراء يوكل به من يحفظه، ويبعث به إلى داره، ويأخذ ممالئكه، يقاتل بهم. فلما رأى حسين الكورانى جانب الناصري قد انهضم، خاف واختفى، فطلب منطاش ناصر الدين محمد بن ليلى نائب حسين بن الكورانى، وولاه ولاية القاهرة، وألزمه بتحصيل النشاب. ونزل إلى القاهرة وحمل إليه كثيرا من النشاب. ونادى فى القاهرة بالأمان والبيع والشراء وإبطال المكوس والدعاء للأمير منطاش بالانصر، فبعث الناصري الخليفة المتوكل إلى منطاش، فحدثه فى الصلح وإحماد الفتنة، فقال: «أنا فى طاعة السلطان، وموافقة الأمراء. لكن الناصري غريمى، فإنه حلف لى وأنا بسيواس، وحلف لى بجلب وبدمشق، أننا نكون شيئا واحداً، وأن السلطان يتحكم كيف يشاء. فمنع السلطان من التصرف واستبد هو بالأمر، وأخرج بززار إلى الشام، وبعثنى إلى قتال الفلاحين، ولم يعطنى شيئا من المال، سوى مائة ألف درهم. وأخذ لنفسه أحسن الإقطاعات، وأعطانى أضعفها، تعمل فى السنة ستمائة ألف درهم. ووالله ما أنا براجع عنه حتى أقتله أو يقتلنى، أو يقيم سلطانا يستبد بالأمر».

فقام الخليفة وأعاد الجواب على الناصري، فركب بمن معه ونزل فى جمع كبير لقتال منطاش، فبرز إليه وقاتله وكسره، فقوى. وأتاه من الأمراء عبد الرحيم بن منكلى بغا، وصلاح الدين محمد بن تنكز ومعه خمسة أحمال نشاباً، وثمانون حمالا عليها المآكل، وعشرون ألف درهم، فنزل الأمير قرا دمرداش وأحمد بن يلبغا، والطنبغا المعلم، ومأمور، فى جمع موفور لقتال منطاش، فقاتلهم، واشتد الرمى عليهم من أعلى مدرسة حسن، فرجعوا خائبين. وأتاه العوام بنشاب كثير مما التقطوا من الرميلىة، فترقق لهم، وقال أنا واحد منهم ونحو ذلك، وهم يبذلون نفوسهم فى خدمته. هذا والرمى شديد من القلعة على مدرسة حسن، ومنها على القلعة. وظفر منطاش بحاصل لجر كس الخليلى، وبحاصل لِبِكْلِمْش، فأخذ منهما نشابا كثيرا، تقوى به.

ونزل إليه الأمير مأمور، وكشلى، وجُمُوق بن أيتمش فى عدة كبيرة، فبرز إليهم العامة، وأكثروا من رميهم بالحجارة حتى كسروهم مرتين، إلا أن الرمى من القلعة اشتد على من بأعلى المدرسة، وأصاب حجر من حجارة المدافع القبة، خرقها، وقتل مملوكا من المنطاشية، فبعث منطاش من أحضر إليه ناصر الدين محمد بن الطرابلسى، وكان أستاذا فى الرمى بمدافع النفط. فلما جاءه جرده من ثيابه ليوسطه من أجل تأخره عنه، فاعتذر إليه، ومضى فى طائفة من الفرسان، وأحضر الآلات، وصعد أعلى مدرسة حسن، ورمى على الإسطبل حيث سكن الناصرى، حتى أحرق جانبا من الخيمة، وفرق ذلك الجمع، وفر السلطان والناصرى إلى موضع امتنع فيه.

ولم يمض النهار حتى بلغت فرسان منطاش نحو الألفين، وبات الفريقان لا يبطلان الرمى، حتى أصبحت فى يوم الأربعاء وقد جاء كثير من ممالك الأمراء إلى منطاش، وأتاه الأمير تمرباي الحسنى حاجب الحجاب، والأمير قُردُم الحسنى فى جماعة من الأمراء، وصاروا فى جملة. وانتدب لقتاله الأمير قرا دمرداش وأحمد بن يلبغا فهزهما مرارا عديدة. وفى كل ساعة يتسلل طائفة من أصحاب الناصرى إلى منطاش، وتعبث العامة بالأتراك، وصاروا من وجدوه منهم قالوا «ناصرى أو منطاشى؟» فإن قال «منطاشى» تركوه وأتوه به إلى منطاش، وإن قال «ناصرى» أنزلوه عن فرسه وأخذوا ما عليه وسجنوه حتى يأتوا به إلى منطاش. وتكاثروا على بيت الأمير أيدكار حتى أخذوا أيدكار وساقوه إلى منطاش، فأكرمه وأتاه الأمير الطنبغا المعلم أيضا، فعين لهما جهة يقفا بها ويقاتلا هناك. وبعث إليه الأمير قرا دمرداش يستأذنه فى الحضور إليه طائعا فلم يأذن له وأتاه الأمير بلوط الصرغتمشى بعدما حاربه عدة مرار، وحضر أيضا جمع بن أيتمش طائعا فاعتذر فقبل عذره. فلما أذن العصر اختل أمر الناصرى وصار فى عدد قليل، فلم يثبت وفر هو وقرا دمرداش، وأقبغا الجوهرى، وابن يلبغا، وألبغا الدوادار، وكشلى، فى نفر من المماليك، بعد ما أغلق باب الإسطبل. وصعد إلى القلعة وخرج من باب القرافة، فبعث أهل القلعة إلى منطاش بذلك، فسار بمن معه وصعد إلى الإسطبل، ووقع النهب فيه، فأخذ منه من الخيل والقماش والمال شىء كبير جدا. وتفرق الزعر والعامة إلى دور المنهزمين يريدون نهبها، فأخذوا ما قدروا عليه، ومنعهم الناس من عدة مواضع.

وبات منطاش بالإسطبل. وأصبح يوم الخميس تاسع عشره، فصعد القلعة إلى السلطان، وأعلمه أنه فى طاعته، وممثل سائر ما يرسم به، وتقدم إلى رعوس النوب بجمع المماليك وإنزالهم فى الطباق على العادة. ونزل إلى الإسطبل، فأحضر إليه بالأمير أحمد

ابن يلبغا، والأمير مأمور، فحبسهما بقاعة الفضة. وأخرج الأمير بيمان الحمدي إلى الإسكندرية، فسجن بها. وكتب بإحضار الأمير سودن الفخري النائب. واستدعى الوزير صاحب كريم الدين بن الغنام، وبقية المباشرين، وأرباب الدولة، فأتوه. وقبض على كريم الدين بن مكانس، فوكل به من يحفظه، وقبض على الأمير يلبغا الناصري من ناحية سرياقوس، فسجن بقاعة الفضة من القلعة.

وفي العشرين منه: قبض على الأمير قرا دمرdash.

وفيه استقر الأمير سيف الدين دمرdash القشتمري في نيابة الكرك، وخلع عليه، ثم انتقض ذلك من يومه. وقبض أيضا على الأمير الطنبغا المعلم، وكشلى القلمطاوى، وأقبا الجوهري، والطنبغا الأشرفي، وألبغا العثماني، وتمرباى السيفي، وتمرباى الأشرفي، وفارس الصرغتمشي، وكمشبغا شيخ اليوسفي، وعبدوق العلاي، وبعثهم بأجمعهم إلى الإسكندرية.

وفي حادى عشرينه: أنعم على الأمير إبراهيم بن قطلو أقتمر أمير جاندار بإمرة مائة، واستقر أمير مجلس.

وفيه سار البريد بإحضار الأمير قطلوبغا الصفوى نائب صفد، والأمير أسندمر الشرفي بن يعقوب شاه، والأمير تمان تمر الأشرفي، وعين لكل منهم إمرة مائة. وفيه ضرب كريم الدين بن مكانس، وعصر مرتين بخزانة شمائل، فحمل مالا كبيرا من حاصل لجر كس الخليلي.

وفي ثانی عشرينه: قبض على الأمير تمرباى الحسنی حاجب الحجاب، ويلبغا المنحكي، وإبراهيم بن قطلو أقتمر، أمير مجلس.

وفيه استقر ناصر الدين محمد بن ليلى فى ولاية القاهرة، وخلع عليه، وأخرج الطواشى تَقَطَاى الطَشْتَمُرَى إلى الشام، على إمرة طبلخاناه.

وفي ثالث عشرينه: قبض على الأمير أرسلان اللفاف، وقرأكسك السيفي، وأيدكار العمرى، وقرؤم الحسنى، وأقبا الماردانى، وعدة ممالك.

وفي خامس عشرينه: ظهر فخر الدين بن مكانس ناظر الدولة، والتزم بحال، فخلى عنه، واستمر على وظيفته، وقبض على الطواشى مقبل الدوادارى الزمام، وجوهر اليلبغاوى لالا الملك المنصور.

وفيه أنعم على الطنبغا دوادار الناصري بإمرة فى صفد، وعلى بكتمر دواداره أيضا بإمرة فى طرابلس، وعلى رأس نوبته بإمرة فى حلب.

وفي سادس عشرينه: نقل قُطلوبك النظامى من نيابة الوجه القبلى إلى نيابة صنفد، عوضا عن قُطلوبغا الصفوى، وأعيد الأمير مبارك شاه إلى نيابة الوجه القبلى. وأنعم على إبراهيم بن قُطلوب أقتمر أمير جاندار بإمرة تقدمه فى حلب، وأخرج إليها من يومه. وأخرج قراكسك إلى طرابلس على إمرة.

وفيه عذب الطواشى زين الدين صندل المنجكى على ذخائر الملك الظاهر، وعصر مرارا حتى دل عليها. واستقر شمس الدين بن الرويهب فى نظر الدولة، رفيقا للفخر بن مكانس؛ وخلع عليهما.

وفيه أزم كتاب الدولة بمال فوزع على كل أحد بحسبه. وأعيد همام الدين إلى حسبة مصر، عوضًا عن إمام الدين. وأعيد سراج الدين عمر العجمى إلى قضاء العسكر.

وفي ثامن عشرينه: وصل الأمير سودن النائب من الإسكندرية، فأمر بلزوم داره. وقدم من الشام الأمير منكلسى الشمسى الحاجب، وطوجى الحسنى، فأخرجوا إلى مدينة قوص^(١) منفيين. وحبس الأمير أطنبغا الجوبانى فى قاعة الفضة بالقلعة.

وفيه أنفق الأمير منطاش على من قاتل معه، فأعطى مائة منهم ألف دينار لكل واحد، وأعطى جماعة عشرة آلاف لكل منهم، ودونهم لكل واحد خمسة آلاف درهم، ودونهم طائفة لكل منهم ألف درهم، وطائفة لكل واحد خمسمائة درهم، وطائفة لكل منهم مائتى درهم.

وفي تاسع عشرينه: خلع على زين الدين نصر الله بن مكانس، واستمر على نظر الإسطنبول بمال يحمله.

وفي يوم الثلاثاء ثانى شهر رمضان: استدعى منطاش المماليك الظاهرية وأغلق عليهم باب السلسلة، وقبض على نحو مائتى منهم. وبعث بالأمير جلبان الحاجب، والأمير بلاط الحاجب، فقبضا على كثير من الظاهرية.

وأخذ منطاش خيولهم، وقيدوا الجميع، وسجنوا فى البرج بالقلعة ونودى « من أحضر مملوكا من مماليك برقوق فله كذا»، وهدد من أخفى أحدا منهم، وتبععت أسبابهم وأتباعهم وألزموا بهم. وقبض أيضا على الأمير أقبغا الماردانى، وقيد بعد ما خلع عليه بولاية الوجه القبلى، عوضا عن مبارك شاه، ثم عصر حتى يقر على المماليك الظاهرية.

(١) مدينة قوص مدينة قبطية وهى كبيرة عظيمة واسعة. قصبة صعيد مصر بينها وبين القسوط.

وفي ثلثه: قبض على الأمير سوذُن النائب وألزم بمال يحمله، وقبض على الأمير قردُم الحسنى بعد ما أفرج عنه، وقبض على بوري الأحمدى، وأرغون السلامى، وشاهين أمير أخور، وبهاذُر فطيس أمير أخور، وجماعة من المماليك، واشتد الطلب على الظاهرية.

وفي رابعه: ضرب الأمير أقبغا الماردانى، وضرب عبد الرحيم ابن الصاحب كريم الدين بن مكانس فحمل مالا. وألزم سوذن النائب بحمل ستمائة ألف درهم، أنعم عليه بها فى الأيام الظاهرية.

وفيه نودى بتجهيز الناس للحج مع الأمير أبى بكر بن سنقر.

وفيه وقف الناس تحت القلعة، وطلبوا إعادة حسين بن الكورانى إلى الولاية، فإن الزعر اشتدت شوكتهم، وشنع ضررهم، فإن منطاش كان قد استدعاهم، وأنفق فيهم ستين ألف درهم، وجعل عليهم عرفاء.

فأجابهم إلى ذلك، وبعث إليه أمانا، فحضر إليه من اختفائه، واستقر فى الولاية، وخلع عليه فنزل فى موكب عظيم.

وفي خامسه: نودى على الظاهرية، وهدد من أخفى أحداً منهم، وقبض حسين الوالى على جماعة منهم، وقيدهم، وسجنهم. وتبع أيضا الزعر (١) وأخذ ثمانية من كبارهم، ثم أخذ ستة أيضا، وقطع أيديهم فى يوم الأحد سابعه، وشهرهم. وأحضر خفراء الحارات وألزمهم بإحضار الزعر، فأخذوا من كل موضع، وسجنوا بخزانة شمائل، فسكن شهرهم.

وفيه قبض على عدة من الظاهرية والناصرية وسجنوا.

وفي ثامنه: قدم الأمير قطلوبغا الصفوى نائب صفد، والأمير أسندمر الشرفى بن يعقوب شاه، فأنعم عليهما بالإمرة.

وفيه قبض على من كان فى خدمة الأمراء من الناصرية، ومن كان بطالاً، فأخذوا بأجمعهم من البيوت والإصطبلات، وحبسوا بخزانة شمائل فى القيود.

وفيه ظفر منطاش بذخيرة للظاهر، كانت بجوار الجامع الأزهر من القاهرة.

وفيه أفرج عن الأمير محمود الأستاذار، وخلع عليه، وخلق لسبيله.

وفي تاسعه: قبض على الشريف عنان بن مغماس، وحبس مقيداً.

(١) الزعر الشعر والريش والوبر. انظر المعجم الوجيز ٢٨٨.

وفيه ورد الريد بنحروج الأمير نُعير عن الطاعة، غضبا للأمير يلغا الناصري، واتفق هو وسولى بن دلغادر التركمانى، ونهبوا عدة من البلاد الحلبية، وأن الأمير بززار نائب دمشق خرج عن الطاعة أيضا.

وفيه استقر أبو بكر بن المزوق فى ولاية الشرقية، وعزل آقبغا الفيل.

وفى عاشره: قدم من الإسكندرية فى النيل إلى بولاق ساحل القاهرة عدة من الأمراء المسجونين، فرسم الأمير منطاش بأن يتوجه منهم ألطنبغا العثمانى، وبطا الطولوتمُرى، وألطنبغا شادى، وعبدوق العلاى، إلى دمياط. ويتوجه منهم تمرُبغا المنجكى، وقرمان المنجكى، وقُنق باى السيفى، وبيرس التمان تُمرى، وطوجسى الحسنى، وقوصون المحمدى، وحسن خُجا، ومُقبل الرومى، وبغداد الأحمدى، ويونس الأسعردى، وبلاط المنجكى، وطولوبغا الأحمدى، وتتمة خمسة عشر، إلى قوص.

وفيه حمل الأمير سوذُن النائب مالا، واستمر الطلب عليه.

وفى حادى عشره: قبض على الأمير أرغون البجمقدار العثمانى، بعد ما كان أخص الناس بمنطاش، وقيد وعُصر.

وفى ثالث عشره: أخرج الطواشى صواب السعدى شَنكل من القلعة، وأعيد الطواشى جوهر إلى مقدمة الممالك عوضه، واستقر صارم الدين إبراهيم بن بلرغى فى ولاية القلعة، عوضا عن جُلبان أخى مأمق.

وفيه أنعم على كل من يذكر بإمرة مائة وتقدمة ألف وهم: قُطلوبغا الصفوى، وناصر الدين محمد بن الأمير منطاش، وأسندمر بن يعقوب شاه وتَمَّان تَمُر الأشرفى، وأيدكار العمرى، وأسندمر الشرفى - رأس نوبة منطاش - ، وجتتمر الأشرفى، ومنكلى بيه الأشرفى، وتُكا الأشرفى، ومنكلى بغا خازندار منطاش، وصرای تَمُر دوادار منطاش. وتمرُبغا الكرىمى، وألطنبغا الحلبى، ومبارك شاه.

وأنعم على كل ممن يذكر بإمرة طبلخاناه وهم: الشريف بَكْتَمُر بن على الحسنى، وأبو بكر سُنُقُر الجمالى، ودمرداش القَشْتَمُرى، وعبد الرحمن بن منكلى بغا، وجُلبان السعدى وأروس بغا سلنغر السيفى، وإبراهيم بن طَشْتَمُر، وصرُبغا الناصرى، وتنكز الأعور الأشرفى، وصرای تَمُر الأشرفى، وأقبغا المنجكى، وتَلَكْتَمُر المحمدى، وقرابغا السيفى، وقُطلوبغا الزينى، وتمربغا المنجكى، وأرغون شاه السيفى، ومُقبل السيفى، ومنطاش أمير سلاح، وطَيَبِرَس السيفى رأس نوبة، وبَيْرَم خُجا الأشرفى، وألطنبغا

الجربغاوى، ومنجك الزينى، وبزلار الخليلى، ومحمد بن أسندمر العلاى، وطاش بغا السيفى، وإلياس الأشرفى، وقطلوبغا السيفى، وشيخو الصرغتمشى وجلبان السيفى وألطنبغا الطازى، وإسماعيل السيفى، وحسين بن الكورانى.

وأنعم على كل ممن يذكر بإمرة عشرين، وهم: غريب خطاى، وبانجى الأشرفى، ومنكلى بغا الجوبانى، وقرايغا الأحمدى، وآق كيك السيفى، وفرج شاد الدواوين، ورمضان السيفى، ومحمد بن مغلطاي المسعودى والى مصر.

وأنعم على كل ممن يذكر بإمرة عشرة وهم: صلاح الدين محمد بن محمد بن تنكز، وخضر بن عمر بن بكمتر الساقى، ومحمد بن يونس الدوادار، وعلى الجركتمرى، ومحمد بن رجب بن محمد التركمانى، ومحمد بن منكوتمر عبد الغنى، وجوهر الصلاحى، وإبراهيم بن يوسف بن بلرغى، ولؤلؤ العلاى، وتنكز العثمانى، وصراى تمر الشرفى، ومنكلى بغا المنجكى وشيخون الأرغون شاهى، وأقسنقر الأشرفى، وتمربغا النظامى، وطاز الأشرفى وجركس القرا بغاوى، وأسنبغا التاجى، وسنقر السيفى، وكزل الجوبانى، وقرايغا الشهابى، وقطلوبغا الزينى، وألطنبغا أمير سلاح، وبك بلاط الأشرفى، وكمشبغا الطشتمرى، وببيغا العلاى، ويلبغا التركمانى، ورُسبغا الأشرفى، وحاجى اليلبغاوى، وأرغون الزينى، ويلبغا الزينى، وتمر الأشرفى وجنبغا الشرفى، وجمق السيفى، وأرغون شاه البكلمشى، وألطنبغا الأشقر، وصراى تمر السيفى، وألطنبغا إبراهيمى، وأقبغا الأشرفى، وألبغا السيفى.

وفى خامس عشره: نودى على الزعر، من حمل منهم سيفاً، أو سكيناً، أو شالِق بحجر، وسُط، وتبعوا، فقطع الوالى فى ثامن عشره أيدى ستة منهم.

وفى تاسع عشره: قدم قاضى القضاة بدر الدين محمد بن أبى البقاء من دمشق.

وفيه استقر عمر بن خطاب فى ولاية الغربية، عوضاً عن أمير فرج بن أيدير، بحكم انتقاله إلى كشف الوجه البحرى: وقبض على الأمير محمود.

وفى عشرينه: قدم البريد بأن الأمير بزلار نائب دمشق قبض عليه الأمير جتتمر أخو طاز.

وفيه نزع الأمير منطاش عنه آلة الحرب، وأمر العسكر والأمراء بنزعها فنزعوها. وفى هذه المدة كلها كانوا بأجمعهم لابسين آلة الحرب.

وفى حادى عشرينه: قبض على جمق بن أيتمش، وبيرم العلاى رأس نوبة أيتمش.

وفيه قدم سيف بَزَلار نائب دمشق. وكان من خيره أن منطاش لما غلب على الأمر، كتب يستدعيه في ثلاثة سروج على البريد، فأجاب: «لا أحضر إليه إلا في ثلاثين ألفاً» فكتب إلى الأمير جَنْتَمُر، بولاية دمشق أن اقبض عليه. ثم سير إليه التشريف والتقليد، وكتب إليه بأن يكون محمد شاه بن بيدمر أتابك دمشق، وجيرائيل حاجب الحجاب، فتعاون الجماعة عليه وقبضوه، ففر دواداره وأظهر الخلاف، وانضم إليه طائفة كبيرة خارج دمشق.

وفيه قدم البريد من غزة بأن الملك الظاهر برقوق خلص من السجن، واستولى على مدينة الكرك، ووافقه حسن الكجكنى النائب، وقام في خدمته وقد حضر إليه ابن خاطر أمير بنى عقبة - عرب الكرك - ودخل في طاعته، فاضطرب منطاش.

وكان من خير الظاهر أن منطاش لما تحكم بمصر بعث شخصاً يعرف بالشهاب البريدى إلى الكرك، ومعه كُتُب إلى الأمير حسام الدين حسن الكجكنى بقتل الظاهر. وكان هذا الشاب من أهل الكرك، وتزوج بابنة عماد الدين أحمد بن عيسى المقيرى قاضى الكرك، ثم شجر بينهما، فما زال به حتى طلقها، وزوجها بغيره. وكانت جميلة، فشق عليه فراقها، وخرج من الكرك. وضرب الدهر ضرباته، فكان من قيام منطاش ما قد ذكرنا، فاتصل به، ووعد به بأنه يقتل له الملك الظاهر برقوق. فكتب معه إلى الأمير حسن الكجكنى بمعاونته على قتل الظاهر، وأن ينزله بالقلعة، فمضى على البريد ونزل بالمقير، بلد القاضى عماد الدين. ولم يكتم ما فى نفسه من الحقد، وقال: «والله لأخزين دياره، وأزيد فى أحكار أملاكه، وأملاك أقاربه بالمقير، فأوحش قلوب الناس منه». وقام فى الليل يريد دخول مدينة الكرك، وبعث إلى النائب من يصيح به من تحت السور، فمنعه من ذلك وأحس بالشر. فلما أصبح، أحضره إلى دار السعادة، وقرأ كتاب السلطان، وكتاب الأمير منطاش بأمور آخر. فلما انفض الناس أخرج إليه الكتاب بقتل الظاهر، فقام من فوره ودخل على الملك الظاهر بعد أن أنزل الشهاب فى مكان بالقلعة - اختاره قريباً من الموضع الذى فيه الظاهر - وأوقفه على الكتاب، فكاد أن يهلك من الجزع^(١)، فحلف عند ذلك بكل يمين أنه لا يسلمه أو يموت. وما زال به حتى سكن روعه.

هذا، وقد اشتهر فى المدينة مجيء الشهاب، وكثر الكلام فيه، وثقل على الناس، وخافوا شره. وأخذ يلج فى العجلة بقتل الظاهر، والنائب يدافعه إلى أن قال له: «هذا ما أفعله بوجه حتى أكتب إلى مصر بما أعرفه».

(١) جزع الشيء جزعاً جزأه وقطعه. انظر المعجم الوجيز ١٠٤.

وبعث البريد بأنه لا يدخل في هذا الأمر، ولكن يحضر إليه من يتسلمه منه، ويفعل فيه ما يرسم له به.

وكان في خدمة الظاهر غلام من أهل الكرك يقال له عبد الرحمن، فنزل إلى جماعة من أوغاد^(١) المدينة، وأعلمهم أن الشهاب حضر لقتل الملك الظاهر، فأنفقوا من ذلك، وقاموا إلى القلعة، وهجموا على الشهاب وقتلوه، وجروه برجله إلى باب القاعة التي فيها الظاهر، فلم يشعر - والنائب عنده، وقد ابتدأوا في الإفطار ليلة الأربعاء عاشر شهر رمضان - إلا وجماعة قد اقتحموا عليه، وهم يدعون له بالنصر، وأخذوه بيده حتى أخرجوه، وقالوا: «دس بقدمك على رأس عدوك». وأروه الشهاب مقتولا، ونزلوا به إلى المدينة، فدهش النائب ولم يجد بداً من القيام في خدمته، وتجهيزه. وتسامع به أهل البلاد، فأتوه من كل ناحية.

وفي ثاني عشرينه: استقر محمد بن أسندمر العلاى في نيابة الإسكندرية، عوضاً عن أمير حاج بن مغلطاي، واستقر ابن مغلطاي أحد الأمراء المقدمين بالقاهرة.

وفيه استقر تاج الدين بهرام بن عبد الله بن عبد العزيز الدميرى في قضاء القضاة المالكية بالقاهرة ومصر، بعد وفاة جمال الدين عبد الرحمن بن محمد بن خير الإسكندراني.

وفيه بلغت زيادة ماء النيل إلى ثمانية أصابع من عشرين ذراعاً، وهو يوم عيد الصليب.

وفي خامس عشرينه: قبض منطاش على الأمير قرقماس الطشتمرى الخازندار، وعلى الأمير شاهين الصرغتمشى أمير أخور، وقطلوبك أستاذار الأمير أيتمش، وعلى عدة من الماليك الظاهرية. وقبض على الأمير ناصر الدين محمد بن الحسام شاد الدواوين، وضربه ضرباً كثيراً.

وفيه استقر جلال الدين عبد الرحمن ابن شيخ الإسلام سراج الدين عمر^(٢) البلقينى في قضاء العسكر، بعد وفاة أخيه بدر الدين محمد.

(١) أوغاد مفرداً وغد وهو الأحمق الدنيء الرذل. معجم الوجيز ٦٧٥.

(٢) عبد الرحمن بن عمر بن رسلان الكنانى العسقلانى الأصل ٧٦٣ - ٨٢٤ هـ - ١٣٢٦ - ١٤٢١ م ثم البلقينى المصرى، أبو الفضل جلال الدين من علماء الحديث بمصر. انتهت إليه رئاسة الفتوى بعد وفاة أبيه وولى القضاء بالديار المصرية وله مناسبات أبواب تراجم البخارى خ. انظر شذرات الذهب ١٦٦:٧ والبغنة المصرية ٢٠، وكشف الظنون ٩٣٠ والضوء اللامع ٤:١٠٦ والأعلام ٣/٣٢٠.

وفي تاسع عشرينه: نودى على الممالك الظاهرية، وهدد من أخفى أحدا منهم.

ونودى أيضًا بسفر أجناد غزة من القاهرة إليها.

وفي سلخه: أحضر حسام الدين حسن بن باكيش مملوكًا وبدويًا، حضرا إليه من الكرك تجهيز الإقامات للملك الظاهر وملاقاته، فسجنا بجزاة شمائل.

وفي يوم الأربعاء أول شوال: - وهو عيد الفطر - نزل الملك المنصور وصلى صلاة العيد بالميدان، وحمل الأمير قطلو أتمر القبة على رأسه.

وفي ثلثه: أفرج عن كريم الدين بن مكانس بعد أن حمل أربعمئة ألف درهم فضة، وانساق حاصل الأمير منطاش على ثلاثمئة ألف دينار، وخمسة وثلاثين ألف دينار مصرية، سوى الدراهم وغير ما أنفق.

وفي خامسه: سَمَّرَ الذين أحضرهما ابن باكيش من الكرك، ونودى ألا يسافر أحد إلى الحجاز من الخاص والعام إلا بورقة فيها إذن الأمير الكبير منطاش.

وفي سادسه: رُسم بسفر أربعة آلاف فارس إلى غزة، وأربعة أمراء هم: أسندمر اليوسفى، وقطلوبغا الصفوى، ومنكلى بيه الأشرفى، وتَمَّرُ بَغَا الكرىمى، وأنفق فى كل أمير مائة ألف درهم.

وفيه استقر ناصر الدين محمد بن العادلى فى ولاية منوف، وعمر بن قادوس والى أشموم الرمان، وعزل على بن المقدم.

وفيه عين مائة مملوك للسفر صحبة أمير الركب إلى الحجاز.

وفي سابعه: خُلِعَ بحضرة الملك المنصور على الأمير منطاش، وفوض إليه تدبير الأمور، وصار أتاكب العساكر. وعلى قطلوبغا الصفوى واستقر أمير سلاح. وعلى تَمَّان تَمَّرُ الأشرفى، واستقر رأس نوبة النوب. وعلى أسندمر بن يعقوب شاه، واستقر أمير مجلس. وعلى الطنبغا الحلبي، واستقر دوادارًا. وعلى تكا الأشرفى، واستقر رأس نوبة. واستقر إلياس الأشرفى أمير أخور يامرة طبلخاناه، وأرغون شاه السيفى رأس نوبة أيضًا، وتَمَّرِبغا المنجكى رأس نوبة رابعا، وقطلوبغا الأرغونى أستادارا، وحقمق السيفى شاد الشراب خاناه.

وفي ثامنه: خلع على الأمير تَمَّان تَمَّرُ رأس نوبة لنظر المارستان المنصورى، وعلى الأمير الطنبغا الحلبي الدوادار لنظر الأحباس.

وفيه بطل أمر التجريدة خوفا من الممالك أن يخامروا ويذهبوا إلى الملك الظاهر.

وفي تاسعه: استقر الأمير أيديكار العمري حاجب الحجاب، والأمير أمير حاج بن مغلطاي حاجبا ثانيا.

وفيه استدعى الصاحب شمس الدين عبد الله المقسى، وعرض عليه الأمير الكبير منطاش الوزارة ونظر الخاص، وأحضر التشريف ليلبسه فامتنع، واعتذر بأن يديه ورجليه قد بظلت من ضربان المفاصل، وكان قد عصبهما، ولم يحضر إلا محمولا، فقبل عذره وخطى عنه. واستدعى الوزير الصاحب كريم الدين عبد الكريم بن الغنام، وقرر عليه مال، وخلع عليه بالاستمرار. وخلع أيضا على موفق الدين أبي الفرج ناظر الخاص، وألزم بمال يحمله.

وفيه سُمِر أربعة من الأمراء وهم: سوذن الرماح أمير عشرة رأس نوبة وألطنبغا أمير عشرة. وأميران من الشام، ووسطوا.

وفي عاشره: أفرج عن ناصر الدين محمد بن الحسام، شاد الدواوين.

وفي حادى عشره: ضرب نجم الدين محمد الطنبدى محتسب القاهرة عند الأمير الكبير، وألزم بمال يحمله.

وفي ثانى عشره: أعيد سراج الدين عمر إلى حسبة القاهرة.

وفيه حمل جهاز خوند بنت الملك الأشرف وأخت الملك المنصور إلى القلعة، لتزف على الأمير الكبير منطاش - وقد عقد عليها - فكان على خمسمائة جمال، وعشرة قُطر بغال. ومشى الحجاب والعسكر معه، فخلع عليهم كلهم. وبنى عليها من ليلته، واهتم للعرس اهتماما زائدا. وعندما زفت إليه خوند، علق بشربوشها دينارا زنته مائتا مثقال، ثم دينارا زنته مائة مثقال. وفتح للقصر بابا من الإسطبل بجوار باب السر.

وفي ثالث عشره: استقر شمس الدين محمد السلوى الدمشقى فى قضاء المدينة النبوية، عوضا عن الشيخ زين الدين عبد الرحيم بن الحسين العراقى شيخ الحديث.

وقدم البريد بدوادار بزلاز نائب دمشق الثائر بها، ومعه أمير آخر، فسجنا.

وفيه استقر تنكر الأعرور نائب حماة، عوضا عن طغاي تَمَر القبلوى.

وأخرج عدة من الظاهرية إلى قوص. وعزل عمر بن قُرط عن ولاية أسوان^(١)،

واستقر عوضه أبو درقة.

(١) أسوان: فى الصعيد آخر بلاد مصر، وفى بلادهم من الجبال والأوعار التى تحول بينهم وبين النوبة، وأسوان مدينة صغيرة كثيرة الخنطة وسائر أنواع الجيوب. انظر معجم البلدان ١/١٩١، والروض المعمار ٥٧، ٥٨، والإدريسى ٢١، ونزهة المشتاق ٢٧، والمروج ٤٠/٣.

وفيه قدم البريد بأن الأمراء المقيمين بمدينة قوص خرجوا عن الطاعة، وقبضوا على الوالى، فندب إلى الخروج كُمرِغا الناصرى، وبيرم خجاء، وأروس بغاء، من أمراء الطبلخاناه.

وفيه انتهت زيادة ماء النيل إلى تسعة عشر ذراعًا وثمانية عشر أصبعًا، ولم يسمع بمثل ذلك إلا فى النادر. وثبت إلى تاسع بابه، ثم انحط.

وفى ثالث عشرينه: قبض على نور الدين على الحاضرى وضُرب، وعُصر وسجن، بسبب تحدته بمجىء كتب الملك الظاهر، وأنه هو الذى يتتصر.

وفيه قدم البريد بخروج الأمير كمشبغا الحموى نائب حلب عن الطاعة، وأنه حارب إبراهيم بن قُطلو أقمُمر أمير جاندار، وقبض عليه ووسطه - هو وشهاب الدين أحمد بن عمر^(١) بن أبى الرضا الشافعى قاضى حلب - بعد أن قاتلوه ومعهم أهل بانقوسا.^(٢) فلما ظفر بهم قتل عدة كبيرة منهم.

وفيه استقر الأمير آق كَبِكُ السونجة أمير علم بإمرة طبلخاناه.

وفى خامس عشرينه استقر فى نظر الخاص الوزير الصاحب كريم الدين بن الغننام، عوضا عن موفق الدين أبى الفرج. واستقر عوضه فى الوزارة موفق الدين أبو الفرج، وخلع عليهما.

وفيه قدم البريد بأن الأمير حسام الدين حسن بن باكيش نائب غزة، جمع العشير وسار لمحاربة الملك الظاهر.

وقدم البريد بقوة شوكة الأمراء الخارجين بالصعيد، فخرج الأمير أسندمر بن يعقوب شاه فى نحو الخمسمائة فارس، وسار فى ثامن عشرينه.

وفى سادس عشرينه: أفردت بلاد من الخاص، وتحدث فيها ناصر الدين محمد بن الحسام، فحنق من ذلك الصاحب كريم الدين بن الغننام، واستعفى، فقبض عليه وسجن بقاعة الصاحب من القلعة، وأخذ خطة بثلاثمائة ألف درهم فضة، وقبض على بعض حواشيه.

(١) أحمد بن عمر بن أبى الرضا [...] ٧٩١هـ = ١٣٨٩] أبو الخير، شهاب الدين: قاض، من أهل حماة (بسورية) ولى القضاء بجلب ثلاث مرات، وكان عالمًا بالقراءات وله فيها نظم سماه «عقد البكر» وله منظومات أخرى فى موضوعات متعددة. انظر الدرر الكامنة ١/٢٢٧ وجمع اللغة بدمشق ٣٢٩/٤٨ والأعلام ١/١٨٧.

(٢) بانقوسا: قرية من قرى حلب إلى الشمال منها. انظر معجم البلدان.

٢٥٨ سنة إحدى وتسعين وسبعماية
وفيه استقر أمير على بن القرمانى فى ولاية الجيزة (١) وعزل قراجا العلاى. واستقر
طشبا القشتمرى والى دمياط.

وفيه ورد الخبر باتفاق الولاة مع الأمراء بالصعيد. وكان من خيرهم أنه لما استقر أبو
درقة فى ولاية أسوان سار إلى ابن قرط، واتفقا على المخامرة، وسارا إلى قوص وأفرجا
عن الأمراء، وعدتهم زيادة على ثلاثين أميراً فى عدة كبيرة من الممالك. فلما بلغ ذلك
الأمير مبارك شاه نائب الوجه القبلى - وقد اجتمع معه نحو الثلاثمائة من الظاهرية -
واقفهم على المخامرة، واستمال عرب هوارة، وعرب ابن الأحذب، فواقوه واستولوا
على البلاد. فلما خرجت التجريدة الأولى من قلعة الجبل، انتهت إلى أسيوط (٢)، فقبض
عليهم مبارك شاه، وأفرج عنهم من الممالك الظاهرية، فخرج ابن يعقوب
شاه، كما تقدم ذكره، وسار فى الشرق.

وفى سابع عشرينه: أضيف نظر الخاص إلى الوزير موفق الدين أبى الفرج، وأفرج
عن صاحب كريم الدين بن الغنام، واستقر فى نظر الإسطبلات.

وفيه عين خمسة أمراء من مقدمة الألوف، وثلاثمائة مملوك. ليسيروا إلى الكرك.

وفى ثامن عشرينه: استقر أمير على بن المكللة فى ولاية منفلوط (٣)، وعزل محمد
أشقتمر.

وفيه ورد الخبر بأن الأمير أسندمر بن يعقوب شاه بمن معه وصل أحميم، فلقبهم
الخارجون عن الطاعة وكسروهم، فرسم بخروج نجدة من الممالك وأجناد الحلقة، ثم
عوقوا.

وفى سلخه: استدعى القاضى صدر الدين محمد بن إبراهيم المناوى - مفتى دار
العدل - واستقر فى قضاء القضاة بديار مصر، عوضاً عن الشيخ ناصر الدين محمد ابن
بنت الملق، وخلع عليه، فنزل ومعه الأمير الدوادر والحجاب إلى المدرسة الصالحية على
العادة، وسر الناس بولايته.

وخرج الأمير بلوط الصرغتمشى، والأمير غريب؛ لكشف أخبار الملك الظاهر.

(١) ولاية الجيزة بليدة فى غربى فسطاط مصر قبالتها، ولها كورة كبيرة واسعة وهى من أفضل
كور مصر. انظر معجم البلدان ٢/٢٠٠.

(٢) أسيوط: مدينة على الضفة الغربية من نيل مصر وهى كبيرة عامرة أهلة جامعة لضروب
الحاسن كثيرة الجنات والبساتين واسعة الأرضين جميلة حسنة بينها وبين أحميم صاعدًا من النيل نصف
بجرى. انظر معجم البلدان ١/١٩٣، والروض المعطار ٥٨، والإدريسى ٤٨.

(٣) ولاية منفلوط بلدة بالصعيد فى غربى النيل بينها وبين شاطئ النيل ٥/٢١٤.

وفي يوم السبت ثاني ذى القعدة: استقر قاضى القضاة بدر الدين محمد بن أبى البقاء فى قضاء القضاة بدمشق، عوضا عن شهاب الدين أحمد بن عمر القرشى. واستقر قاضى القضاة سرى الدين محمد بن المسلاتى خطيب الجامع الأموى، وشيخ الشيوخ بدمشق واستقر موفق الدين بن العجمى فى قضاء الحنفية بحلب، عوضا عن محب الدين محمد بن محمد بن محمد الشحنة. واستقر بدر الدين محمود السراى الكُستانى فى قضاء الحنفية بدمشق، عوضا عن نجم الدين الكفرى.

وفي ثالثه: توجه قاضى القضاة صدر الدين محمد المناوى إلى مدينة مصر، فى موكب جليل على العادة.

وفي سادسه: حضر الأمير حسين بن أخى قرط طائعا، واعتذر، فقبل عذره، وخلع عليه لولاية قوص، عوضا عن مقبل الطيبى.

وفي عاشره: قرئ تقليد قاضى القضاة صدر الدين محمد المناوى، فكان الجمع موفورا.

وفي ثاني عشره: أحضر بالأمير مبارك شاه الكاشف مقيدا، فسجن بخزانة شمائل.

وفي هذا الشهر: كثرت الإشاعات، وقويت الأراجيف، واختلفت الأقوال فى الملك الظاهر برقوق، وكان من خبره أنه لما قتل الشهاب بالكرك، وأنزل عوام البلد الملك الظاهر من قلعتها، وقاموا بخدمته، أتته العربان وصار فى طائفة، فلم تجد أكابر مدينة الكرك^(١) بدا من الموافقة، إلا أنهم قد سقط فى أيديهم، وخافوا سوء العاقبة. فلما كثر جمع الظاهر عزم على الخروج من المدينة، وبرز أنقاله. فاجتمع الأعيان عند العماد أحمد بن عيسى المقيرى، قاضى الكرك، وأجالوا الرأى، وخشوا من السلطنة بمصر، فاتفقوا على القيام عليه، وقبضه، وإعلام أهل مصر بذلك، وأنه لم يخرج إلا باجتماع السفهاء منهم، ليكون ذلك خلاصا لهم من معرة معاداة الدولة. وبعثوا ناصر الدين محمد أخا القاضى، فأغلق باب المدينة، وصار الظاهر وقد حيل بينه وبين أنقاله وعامة أصحابه فلما قام ليركب ويخرج، بلغه ذلك.

وكان علاء الدين على - أخو القاضى - مباشر الإنشاء بالكرك، فكتب للظاهر فى مدة خروجه وخدمه. فلما رأى ما نزل بالظاهر، عندما بلغه اتفاق أهل المدينة فى بيت أخيه على قبض الظاهر، حدثه وقوى جأشه، وسار به، حتى وصل باب المدينة، فإذا به

(١) الكرك اسم لقلعة حصينة جدا فى طرف الشام من نواحي البلقاء فى جبالها بين أيلة وبحر القلزم وبيت المقدس، وأيضا قرية كبيرة قرب بعلبك. انظر معجم البلدان ٤/٤٥٣.

مغلق، وأخوه ناصر الدين قائم عنده، فما زال به حتى فتح الباب وخرج بالظاهر من المدينة، والتحق ببقية أصحابه من المماليك الذين وصلوا إليه، والعربان التي اجتمعت عليه، وأخلاق أهل مدينة الكرك. فأقام بالثنية خارج الكرك يومين، ورحل في ثامن عشرين شوال، وسار بهم يريد دمشق - وبها الأمير جنتمر أخو طاز، متولى نيايتها - وقد وصل إليه الأمير الطنبغا الحلبي الدوادار من مصر نائبا على حلب بحكم عصيان كمشبغا الحموي. فاستعدا لقتال الظاهر، وتوجه إليهما الأمير حسام الدين حسين بن باكيش - نائب غزة - بعساكرها وعشيرها.

وأقبل الظاهر بمن معه، فخرجوا إليه وقاتلوه بشقح - قريبا من دمشق - قتالا شديدا، كسروه فيه غير مرة، وهو يعود إليهم ويقاتلهم، إلى أن كسروهم، وانهمزوا منه إلى دمشق. وقتل منهم ما ينيف على الألف، فيهم خمسة عشر أميرا، وقتل من أصحابه نحو الستين، ومن أمراءه سبعة. وركب أافية المنهمزين، فامتنع جنتمر بالقلعة، وتوجه بالقلعة، وتوجه من أمراء دمشق ستة وثلاثون أميرا، ومعهم نحو الثلاثمائة وخمسين فارسا، قد أتحنوا بالجراحات. وأخذوا نائب صفد، وقصدوا ديار مصر. فلم يمض غير يوم واحد حتى وصل ابن باكيش بجمايعه، فقاتله الظاهر وهزمه، وأخذ جميع ما كان معه، فقوى به قوة كبيرة. وأتاه عدة من مماليكه، ومن أمراء الشام، فصار في عسكر كبير، وأقبل إليه الأمير جبرائيل حاجب الحجاب بدمشق، وأمير على بن أسندمر الزيني، وجقمق، ومقبل الرومي، طائعين له، فصاروا في جملة.

ونزل السلطان برقوق على قبة يلغا ظاهر دمشق، وقد امتنع أهلها بها، وبالغوا في تحصينها، فحصرها، وأحرق القبيبات^(١)، وخربها، وأهلك في الحريق خلقا كثيرا. وجد أهل المدينة في قتاله، وأفحشوا في سبه، وهو لا يفتر عن قتالهم، فأمدده الأمير كمشبغا من حلب بثمانين فارسا من المماليك الظاهرية، فأخرج إليهم الأمير جنتمر خمسمائة فارس من دمشق؛ ليحولوا بينهم وبين الظاهر، فقاتلوه، فكسروهم الظاهرية، واستولوا على جميع ما معهم.

وأتوا إلى الظاهر، فأقبل الأمير نعيم بعربانه، يريد محاربتة، فحاربه وكسره فانهمز عنه، وتقوى بما صار إليه في هذه الوقائع. وصار له برك^(٢) ويرق، بعدما كان بهيئة رثة، لا يكتنه من المطر إلا خيمة صغيرة، ومماليكه في أخصاص كل منهم هو الذي يتولى خدمة فرسه بنفسه.

(١) القبيبات محلة حليلة بظاهر دمشق. انظر معجم البلدان.

(٢) برك أناخ في موضع لزمة انظر معجم الوجيز ٤٦.

واستمر الظاهر برقوق على حصار دمشق وقتال أهلها، فورد الخير بذلك إلى منطاش في خامس عشر ذى القعدة، فتقدم في سابع عشره إلى الصاحب موفق الدين أبي الفرج بتجهيز الملك المنصور للسفر، فلم يجد في الخزائن ما يجهزه به، واعتذر بأن المال انتهب وتفرق في هذه الوقائع، فقبل ذلك، واستدعى القضاة، وسأل قاضى القضاة صدر الدين محمد المناوى أن يقرضه مال الأيتام، فامتنع من ذلك ووعظه، فلم تنجح فيه المواعظ، وختم في يومه على مواعظ الأيتام، وكانت إذ ذاك عامرة بالأموال.

ورسم لحاجب الحجاب وناصر الدين بن قُرطاي - نقيب الجيش - بتفرقة النقباء على أجناد الحلقة، وحثهم على التجهيز للسفر بعد العرض.

وفي تاسع عشره: قدم البريد بكسرة ابن باكيش، وأخذ الملك الظاهر جميع ما كان معه، فاشتد اضطراب الناس، وكثر الإرجاف^(١)، ووقع الاجتهاد في الحركة للسفر، وأزعج أجناد الحلقة. واستدعى الأمير منطاش الخليفة المتوكل على الله، وقضاة القضاة، وشيخ الإسلام، وأعيان أهل العلم، فرتبوا صورة فتيا في أمر الملك الظاهر، وانفضوا من غير شىء.

وفيه قدم البريد بواقعة صغد، وكان من خبرها أن مملوك من المماليك الظاهرية - يعرف بيلغا السالمى - أسلمه الملك الظاهر للطواشى بهادر الشهابى مقدم المماليك، فرتبه خازن داره. واستمر على ذلك إلى أن نفى المقدم كما تقدم ذكره، فخدم بيلغا الطواشى، صواب السعدى شنكل المقدم، وصار دواذاره الصغير. فلما قبض الناصرى على شنكل، خدم بيلغا عند الأمير قطلوبك النظامى صغد دواذارا، وسار معه إلى صغد، فتحبب إلى الناس بالإحسان إليهم وملاطفتهم، إلى أن قدم إلى صغد خیر مسير الملك الظاهر من الكرك إلى دمشق. وجمع النظامى العسكر ليصير إلى نائب دمشق. وقام بيلغا في طائفة من المماليك الذين استمالهم، وأفرج عن الأمير أينال اليوسفى، الأمير قجماس ابن عم الظاهر، ونحو المائتين من المماليك الظاهرية من سجن صغد. ونادى بشعار الملك الظاهر يريد القبض على النظامى. فلم يثبت وفر من صغد في مملوكين، فاستولى بيلغا بمن معه على مدينة صغد وقلعتها، وصار الأمير أينال قائما بأمر صغد، ووقف بيلغا في خدمته، وقد تقووا بثقل النظامى وبركة. فلما ورد هذا الخبر، عظم اضطراب الأمير منطاش، وزاد قلقه، وكثرت قالة الناس، وتوالت الأخبار ذلك.

(١) الإرجاف الخير الكاذب المثير إلى الفتن والاضطراب وجمعها أراجيف. انظر معجم الوجيز

وفي حادى عشرينه: استقر الشريف بَكْتُمُرُ في ولاية البحيرة^(١) ونقل تراز العلاى إلى كشف الوجه البحرى، ورسم لهما بجمع عرب البحيرة لقتال الظاهر.

وفيه قدم الخبز بوصول نائب صفد ونائب حماة، وحمد بن بيدمر أتاك دمشق، فى تنمة خمسة وثلاثين أميرا، وجمع كثير من المماليك، وقد انهزموا من الظاهر، فرسم بدخولهم.

وفيه استدعى الخليفة والقضاة والفقهاء بسبب الفتيا، فكتب ناصر الدين محمد بن الصالحى - موقع الحكم - فتيا تتضمن السؤال عن رجل خلع الخليفة والسلطان، وقتل شريفا فى الشهر الحرام والبلد الحرام وهو محرم، واستحل أخذ أموال الناس وقتل الأنفس، وجعلها عشر نسخ.

وفي ثالث عشرينه: قدم سواق من سواقى البريد، وبدوى، وبشرا منطاش بأن الظاهر بعد ما ملك دمشق كبس فى الليل، وهرب، فمشى ذلك عليه، وأنعم عليهما. وفيه رسم بفتح سجن قديم بالقلعة، وقد ارتدم، وسجن به عدة مماليك وسجن كثير منهم بأبراج القلعة، وضيق عليهم.

وفيه وجدت ذخيرة بالقاهرة، فى بيت عماد الدين إسماعيل بن المشرف أستاذار جركس الخليلى، فيها ستمائة ألف درهم، ونحو الخمسين ألف درهم، فأخذها الأمير منطاش، وأخذ لابن جركس الخليلى أيضا نحو ثلاثمائة ألف دينار مصرية.

وفيه قدم الأمراء والمماليك المنهزمون من الظاهر، وهم: قطلوبك النظامى نائب صفد^(٢)، وتنكز الأعور نائب حماة^(٣)، ومحمد بن بيدمر أتاك دمشق، ويلبغا العلاى أحد المقدمين بدمشق، وأقبأى الأشرفى نائب قلعة المسلمين، ومن أمراء الطبلخانة دمرداش الأطروش والى الولاية، وشكر أحمد، وجوبان الخاصكى، وقطلوبغا جبجق، وجبرائيل. ومن العشرينات آقبغا الوزيرى، وأزدمر الأشقتمرى، وقنق الزينى، ومنكلسى بغا الناصرى، ويبيغا، وطومان، وآقبغا الإينالى، وأحمد بن يانوق.

(١) ولاية البحيرة موضع من ناحية اليمامة عن الحفص بالفتح ثم الكسر. انظر معجم البلدان.

٣٥٢/١

(٢) صفد مدينة فى جبال عاملة مطلة على حمص بالشام وهى من جبال لبنان. انظر معجم

البلدان ٤١٢/٣.

(٣) حماة: من كور حمص بالشام، وهى مدينة طيبة فى وسطها نهر يسمى العاصى وهى كبيرة

عظيمة كثيرة الخيرات رخيصة الأثمان يحيطها صور محكم. انظر معجم البلدان ٣٠٠/٢، والروض

المعطار ١٩٩، وصبح الأعشى ١٤٠/٤.

ومن العشراوات ببيغا العلاى، وطغاي تمر الأشرفى، ومصطفى البيدمرى، ويوسف الأطروش، وأقتمر الأشقتمرى، وأرغون شاه - دوادار يلبغا المنجكى - وألطنبغا البيدمرى، وقر ابغا السيفى.

ومن أمراء صفد تغرى بردى الأشرفى، ومنجك الخاصكى، وقجقار السيفى.

ومن أمراء حماة جتتمر الأسعردى، وألطنبغا الماردىنى، وبكلمش الأرغونى، وطيبغا القرمى، وأسنبغا الأشرفى، وحسين الأيتمشى.

ومن المماليك عدة مائتين وأحد وعشرين.

وفيه أفرج عن الأمير قرقماش الطشتمرى، واستقر خازندارا على عادته.

وأفرج عن شيخ الصفوى الخاصكى، وأرغون السلامى، ويلبغا اليونسى، ونزلوا إلى دورهم.

وفيه رسم على مباشرى الأمراء المنفصلين ليجهزوا الأمراء المستجدين للسفر، فلم يسمع بمثل هذا.

وفيه نودى أن الفقهاء والكتاب لا يركب أحد منهم فرساً عربياً، وأن الكتاب الكبار أرباب الوظائف السلطانية، وكتاب الأمراء يركبون البغال.

وفيه أخذت أكاديش الحمالين المعدة للحمل عليها، وأخذت خيول الطواحين الجياد، وتبعت المماليك الجراكسة، وطلبهم حسين والى القاهرة، وأخذهم من كل موضع، فقبض منهم على رجل شيخ يقال له يُلوا الأحمدى، وضرب، وأخذ منه مبلغ خمسين ألف درهم فضة، وأفرج عنه وعن طرنطاي الخطيرى، وطولو بغا الأحمدى، وأقبغا البشتكى، ومسافر؛ لأجل أن لكل منهم فى مصر نحو الستين سنة.

وفيه خشبت أيدى المماليك المسجونين، وأرجلهم.

وفى خامس عشرينه: اجتمع الأمراء وأهل الدولة مع الأمير الكبير منطاش، واتفقوا على استبداد السلطان الملك المنصور، وأثبتوا رشده بحضرة القضاة والخليفة. فرسم السلطان بتعليق الجاليش بالطلبخاناة؛ ليعلم الناس بالسفر إلى الشام، وأفرج عن الأمير محمود الأستاذار، وأمر بعرض أجناد الحلقة والمماليك السلطانية، ونودى أن العامة لا يركب أحد منهم فرساً أصيلاً وأن المكارية لا تحمل على أكديش حملاً.

وفيه أحضرت نسخ الفتوى فى الملك الظاهر، وزيد فيها: «واستعان بالكفار على

قتال المسلمين»، وحضر الخليفة المتوكل وقضاة القضاة الأربع وشيخ الإسلام سراج الدين عمر البلقيني وولده جلال الدين عبد الرحمن قاضي العسكر، وقاضي القضاة بدر الدين محمد بن أبي البقاء، وولى الدين أبو زيد عبد الرحمن بن خلدون المالكي، وسراج الدين عمر بن الملقن الشافعي، وعدة دون هؤلاء؛ بالقصر الأبلق من القلعة بحضرة الملك المنصور والأمير الكبير منطاش، وقدمت إليهم الفتوى، فكتبوا عليها بأجمعهم وانصرفوا.

وفيه نودي على أجناد الحلقة بالعرض، وهدد من تأخر منهم.

وفيه كتب لعرب البحيرة بالحضور للسفر مع العسكر إلى الشام.

وفيه استقر الأمير قطلوبغا الزيني أمير جاندار، شريكا لطوغان العمري.

واستقر أمير حاج بن مُغلطاي الحاجب أستاذار السلطان. وأنعم على كل من

أرغون شاه السيفي، وقطلوبغا السيفي بإمرة مائة. وأنعم على الأمراء القادمين من الشام بفرس بقماش ذهب، وخمسين ألف درهم فضة لكل أمير مائة، ولمن عداهم من الأمراء بأقبية مفرية. ورتب لهم اللحم والجرايات (١) والعليق (٢) وفيه أعيد مبارك شاه إلى نيابة الوجه القبلي وخلع عليه.

وفي سابع عشرينه: أخليت خزانة الخاص بالقلعة، وسدت شباييكتها وبابها، وفتح

من سقفها طاق، وعملت سجننا.

وفي يوم السبت أول ذى الحجة: قدم البريد من الصعيد بأن العسكر المجرد مع

الأمير أسندمر بن يعقوب شاه واقع الأمراء الخارجين عن الطاعة بمدينة قوص، وقبضوا عليهم كلهم، فدقت البشائر ثلاثة أيام بالقلعة.

وفيه قبض على الصاحب كريم الدين بن الغنام، وألزم بحمل ثلاثمائة ألف درهم

فضة، وخمسين فرسا.

وفيه أنفق على كل من الأمراء الألوفا مائة ألف درهم فضة، وعلى كل من أمراء

الطبلخانة خمسون ألف درهم.

وفيه سد باب الفرج - أحد أبواب القاهرة - وخوذة أيدغمش، وغير ذلك.

وفي ثالته: قبض على متى بطرك النصارى، وألزم بمال، وقبض على رئيس اليهود،

وألزم بمال. فتقرر على البطرك مائة ألف درهم، وعلى رئيس اليهود خمسون ألف درهم

جبوها وحملوها.

(١) الجرايات الوكالة والجاري من الرواتب جمعها جرايات وهو نظام يحدد ما يستهلكه كل فرد.

انظر الوجيز ١٠٣.

(٢) العليق ما تغلفه الدابة من شعر ونحوه. انظر المعجم الوجيز ٤٣١.

وفيه طلب الشيخ شمس الدين محمد الركراكي المالكي، وألزم بالكتابة على الفتوى في الملك الظاهر، فامتنع، فضرب مائة ضربة، وسجن بالإصطبل.

وفي رابعه: أفرج عن ابن غنام.

وفي سادسه: فتحت خوخة أيدُغْمُش.

وفيه خرجت تجريدة إلى الصعيد خوفا من أخذ العرب الأمراء المماليك الظاهرية المقبوض عليهم.

وفي سابعه: دقت البشائر لكذبة عمقت، وهي أن إينال اليوسفى سار من صفد بمن معه، فقاتله أهل دمشق، وقتلوه، وجرح الملك الظاهر.

وفي ثالث عشره: تولى الأمير ثمان تمر الأشرفى رأس نوبة عرض المماليك السلطانية، وكثرت فى أمر الظاهر والأرجاف، تارة بنصرته وتارة بهزيمته، وتحدث كل أحد على مقتضى غرضه.

وفي خامس عشره: عرض الأمير ثمان تمر أجناد الحلقة، من إقطاعه عيرة أربعمائة دينار فما فوقها، وعين جماعة منهم للسفر، وجماعة لحراسة القلعة، وجماعة لحراسة القاهرة وجماعة لحراسة مصر، وعرض مقدمى المماليك، وعرض البحرية والمفاردة.

وفيه برز الأمراء الشاميون بظاهر القاهرة، للتوجه إلى الشام.

وفيه قبض على الخليفة المخلوع زكريا، وأخذ منه العهد الذى عهده إليه أبوه بالخلافة، وأشهد عليه أنه لا حق له فى الخلافة.

وفيه قدمت التجاريد من بلاد الصعيد بالخارجين عن الطاعة فى القيود، ففرق جماعة من المماليك فى النيل ليلا، وأخرج بستة من الجب بالقلعة، موتى.

وفي سادس عشره: أحضر بالقاديين من الصعيد مع الأمير أسندمر بن يعقوب شاه إلى القلعة، وهم: تمرباى الحسنى، وقرابغا أبو بكرى، ويجمان المحمدى، ومنكلى الشمسى، وفارس الصرغتمشى، وتمرغا المنجكى، وطوجى الحسنى، وقرمان المنجكى، وبيرس الثمان ترمى، وقراكسك السيفى، وأرسلان اللفاف، ومقبل الرومى، وطوغاى تمر الجركمى، وجرباش الشيخى، وبغداد الأحمدي، ويونس الأسعدى، وأردبغا العثمانى وتنكز العثمانى، وبلاط المنجكى، وقرابغا السيفى، وكمشباغ اليوسفى، وأقبغا حطب، وقرابغا المحمدى، وعيسى التركمانى، وبك بلاط السونجى، فأوقفوا فى القيود

سنة إحدى وتسعين وسبعمائة زمانا ثم سجنوا. وأفرج عن جماعة ممن حضر وهم: قنق بيه اللالا، وأقبغا السيفي، وقرباى الأشرفي، وسمز الصرغتمشي، وخلع عليهم. وأفرج أيضا عن بك بلاط السونجي.

وفيه سجن بخزانة الخاص الأمير محمود، والأمير أقبغا المارداني، وأيدمر أبو زلطة، وشاهين الصرغتمشي أمير أخور، وجُمق بن أيتمش، وبطا الطولوتمري، وبهادر الأعرس، وعدة كبيرة من الأمراء والمماليك.

وفيه ألزم سائر مباشرى الدواوين بأن يحمل كل واحد خمسمائة درهم ثمن فرس، وقرر ذلك على الوظائف لا على الأشخاص، على أن من كان له عشر وظائف فى عدة دواوين تحمل كل وظيفة خمسمائة درهم، فنزل بالناس ما لم يعهده، فتوزعوا ذلك بعد أن جبي (١) منهم عدة خيول، فجاء جملة الحمل من المباشرين خيلا وعينا ألف فرس.

وفيه أحضر من ألزم بالسفر من أجناد الحلقة، وأعفوا من السفر، على أن يحضر كل منهم فرسا جيدا، فأحضروا خيولهم، فأخذ جيادها، ورد ما عداها. وألزم من لم يحضر فرسا بألف درهم عن ثمن فرس، فتضرروا من ذلك، فاستقرت خمسمائة درهم جيبت منهم. وألزم رعوس نوب الحجاب بحمل كل منهم خمسين ألف درهم، وعدتهم أربعة، ثم استقر على كل واحد أربعة عشر ألف درهم، حملها وأفرج عنه.

وفيه أنفق على ممالك الأمير ناصر الدين محمد بن الأمير منطاش، لكل واحد ألف درهم.

وفى يوم الإثنين سابع عشره: نزل الملك المنصور والأمير الكبير منطاش من قلعة الجبل بالعساكر إلى الريدانية خارج القاهرة. واستدعى قاضى القضاة صدر الدين محمد المناوى إلى الريدانية، وألزم بالسفر فامتنع وسأل الإعفاء، فأعفى. واستقر قاضى القضاة بدر الدين محمد بن أبى البقاء على أنه يعطى مال الأيتام ويحمل من ماله مائة ألف درهم فضة، ثم خلع عليه وعبر إلى القاهرة من باب النصر.

وفيه استقر عبيد الله العجمي فى قضاء العسكر، وعزل سراج الدين عمر.

وفيهما اعتقل الخليفة المخلوع زكريا، والأمير سودن النائب، بقاعة الفضة من القلعة.

وفيه تقرر على سائر المماليك البحرية والمفاردة وأولاد الأمراء المقيمين بالقاهرة

(١) جبي الخراج والمال. انظر الوجيز ٩٢.

- ممن تعين لحفظها وحفظ القلعة ومصر فى مدة غيبة السلطان - خيولا يحملونها إلى الريدانية، وتقرر على موقعى الإنشاء أيضا خيولا، وعلى بقية أرباب الوظائف من المتعممين، وأزعجوا بسبب ذلك، فمنهم من قاد العشرة أروعوس، ومنهم من قاد دونها، على قدر ما لزمه، كما تقدم فى الكتاب، فاشتد غم الناس، وكثرت حركاتهم، ونزل بهم ما لم يروا مثله.

وفى تاسع عشره: ركب الأمير ثمان تمر رأس نوبة فى عدة ممالك إلى الرميلة تحت القلعة، وقبض على كل من رآه راكبا على فرس من المتعممين وغيرهم، وأخذ خيولهم ومضى بها إلى داره.

وفيه اشتد الطلب على الأجناد وغيرهم بسبب جباية الخيول وأثمانها، وسلم كثير منهم للأمير حسام الدين حسين بن الكورانى - الوالى - ليخلص ذلك منهم بالعقوبة.

وفيه نزل الوزير موفق الدين أبو الفرج والأمير ناصر الدين محمد بن الحسام إلى خان مسرور بالقاهرة، حيث مودع الأيتام، وأخذوا منه ثلاثمائة ألف درهم، وألزم أمين الحكم بالقاهرة أن يحمل تمة خمسمائة ألف درهم، وألزم أمين الحكم بمصر أن يحمل مائة ألف درهم، وألزم أمين الحكم بالحسينية^(١) أن يحمل مائة ألف درهم قرضا، حسب إذن قاضى القضاة بدر الدين محمد بن أبى البقاء فى ذلك.

وفيه استدعى قضاة القضاة الأربع إلى الريدانية بكرة النهار، فأجلسوا فى خيمة، وتركوا بغير أكل إلى قريب العصر. ثم طلبوا إلى عند السلطان، فعدوا عقده على خوند بنت أحمد بن السلطان حسن، بصداق مبلغه ألف دينار وعشرون ألف درهم، وعدوا عقد الأمير قطلوبغا الصفوى على ابنة الأمير أيدير الدوادار.

وفى عشرينه: رحل طليعة العسكر أربعة أمراء وهم: أسندمر بن يعقوب شاه، والكريمى، وثمان تمر رأس نوبة، وقطلوبغا الصفوى.

وفى ثانى عشرينه: رحل الأمير منطاش فى عدة من الأمراء، ثم رحل السلطان والخليفة والقضاة وبقية العسكر، وقد أقيم نائب الغيبة بالقلعة الأمير تكا، ومعه الأمير دمرداش القشتمرى، وبالإسطنبول الأمير سراى تمر، وبالقاهرة الأمير قطلوبغا الحاجب، وجعل أمر العزل والولاية إلى الأمير سراى تمر.

وفيه نقل الأمير سودن النائب إلى بيت بالقلعة.

(١) الحسينة منسوب إلى الحسن بلد فى شرق الموصل على يومين بينهما وبين جزيرة ابن عمر

وفيه ألزم قاضى القضاة بدر الدين محمد بن أبى البقاء الشافعى بإحضار عشرة أروس من الخيل. وطلب من كل الأمراء من المقدمين المقيمين عشرة أروس، ومن كل أمير طبلخانة أربعة أروس، ومن كل أمير عشرة فرسان، فأخذ ذلك من الجميع. وكتب من سائر الولاة المستقرين بأعمال ديار مصر والعزولين، الخيل. وقرر على كل واحد منهم بحسب حاله، وطلب من سائر الخدام الطواشية حيول، ثم أعفوا.

وفيه استقر الأمير حسام الدين حسين بن الكورانى فى ولاية مصر، مضافة إلى ولاية القاهرة، فاستتاب فى مصر ابن أخيه أمير عمر بن ممدود.

واستقر ناصر الدين محمد بن ليلى فى ولاية الجيزة، عوضا عن قرطاي التاجى بحكم انتقاله لكشف التراب (١) بالجيزة.

وفى ثالث عشرينه: استقر قطلوبغا السيفى أمير حاجب ثانيا، عوضا عن أمير حاج ابن مغلطاي. ورسم لفراج السيفى بإمرة عشرة. وأنعم على كل من قراكسك، وأرسلان اللفاف، وبك بلاط السونجى بقاء بفرو، وشق.

وفيه قدم نجاب من الحجاز بموت الطواشى مثقال الساقى الزمام، بيدر.

وفيه رحل السلطان من العكرشا إلى بليس، فتقنطر عن الفرس، فتطير الناس من ذلك بأنه يرجع مقهورا، وكذا كان.

وفى سلخه: سد الأمير صراى ثمر باب القصر الذى بالإصطبل، وسد شبابيك الشراب خاناة.

وانقضت هذه السنة والناس فى مصر والشام بشر كبير.

واتفق أيضا فى هذه السنة. وقوع حادثة عظيمة ببلاد خراسان، (٢) وهى أنه هبت بمدينة نيسابور رياح عاصفة فى شهر صفر، ارتجت الأرض من شدة هبوبها، وحدثت زلزلة مهولة، تحركت الأرض منها حركة عنيفة، حتى كان الإنسان وغيره يرتفع عن موضعه قامتين وأكثر، وصارت الأرض تنتقل من موضع إلى موضع، فلم يبق شىء فى

(١) كشاف التراب تعيينهم الدولة من الأمراء مقدمى الألوفا مرة فى كل سنة وكان لكل إقليم أمير. انظر زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك ص ١٢٩ - ١٣٠.

(٢) خراسان: قطر معروف، قال الجرجانى: معنى خر: كل، واسان معناه سهل، أى كل بلا تعب، وقال غيره: معنى خراسان بالفارسية مطلع الشمس، وهو عمل كبير وإقليم جليل معتبر. انظر معجم البلدان ٢/٣٥٠، والروض المعطار ٢١٤، ٢١٥.

جميع أقطار المدينة من البيوت والأسواق والمدارس ونحوها إلا واهتز اهتزازا عظيما، واستمر الحال كذلك إلى ضحوة نهار اليوم الرابع، فسكنت الزلزلة، وأمن الناس واطمأنوا، وإذا بريح عظيمة هبت في الحال، ثم تحركت الأرض أقوى مما تحركت قبل ذلك، وانقلبت بأهلها، فصار عاليها سافلها، وخربت المدينة، وهلك أهلها، فلم يسلم منهم إلا النادر. وسلم سكان الفوقانيات، وهلك سكان التحتانيات، وسلم قوم كانوا في بعض الحمامات، وقد خرجوا إلى الدهاليز فاحتوى من بقى من الأراذل على أموال من قد هلك من الأمائل، وترأسوا بعدهم. ثم بعد أشهر عمر من بقى عمارات بالقرب من المدينة التي هلكت، وعملوا عاليها من الخشب والحياض.

ومن غريب ما وقع في هذه الحادثة أن قرية انتقلت من مكانها إلى مكان قرية أخرى، فصارت فوقها بحيث لم يبق للتي كانت أولا أثر يعرف، فكانت بين أهل القريتين عدة خصومات ومحاربات.

واتفق أيضا أن رجلا كان في بيته، فسقط البيت إلا الموضع الذي فيه الرجل فإنه لم يسقط، وسلم الرجل. وكانت امرأة في الحمام، وقد أخذت لقمة وضعتها في فمها، فسقط الحمام عليها، فهلكت فيمن هلك، فلما نبش عنها، وجدت واللقمة في فيها لم تبلعها، وولدها في حضنها، ومتررها في وسطها، وقد أدخلت إحدى رجليها في داخل الحمام، ورجلها الأخرى من خارج، لم تهمل حتى تدخلها بل هلكت قبل ذلك، وسلم مع ذلك الوقاد في أتون الحمام، فإنه ممن ألقته الأرض عنها، فحدفته إلى العلو، وصار بالبعد عن موضعه، فسلم. وقد اشتهر عند أهل نيسابور^(١) أنها خربت بالزلازل سبع مرات، فكانت هذه المرة أشنع مما مضى؛ لأنها تركت المدينة عاليها سافلها. ولا حول ولا قوة إلا بالله.

* * *

ومات في هذه السنة

عالم كبير بالطاعون والسيف، فممن له ذكر من الأعيان:

(١) نيسابور: سميت بذلك لأن سابور مرَّ بها، فلما نظر إليها قال: هذه تصلح لأن تكون مدينة فأمر بها فقطع قصبها ثم كبس ثم بنيت فقيل لها نيسابور، وهي بلاد خراسان، وهو بلد واسع افتتحه عبد الله بن عامر بن كرز في خلافة عثمان رضي الله عنه سنة ثلاثين، وهي أرض سهلة ليس بها ماء جار إلا نهر يخرج إليهم فضله في السنة ولا يدوم ماؤه وهو فضل ماء هراة، وهي مدينة يكون قدرها قدر نصف مرو. انظر معجم البلدان ٣٣١، والروض المعطار ٥٨٨، ٥٨٩

٢٧٠ سنة إحدى وتسعين وسبعمائة

الأمير صارم الدين إبراهيم بن الأمير سيف الدين قُطلو أقتُمُر العُلاي، أمير جاندار بحلب، قتله الأمير كُمشبغا الحموي، وقد عصى كمشبغا. وقام إبراهيم بنصرة منطاش، واستمال جماعة وحارب كُمشبغا، فانتصر عليه ووسطه في شوال.

ومات شهاب الدين أبو العباس أحمد بن عمر بن أبي الرضا قاضي القضاة الشافعي بحلب. ثار على كمشبغا نائب حلب، وجمع أهل بانقوسا^(١) وقاتله، وظفر بهم كمشبغا وقتل كثيرا منهم، وفر ابن أبي الرضا، فأخذ قريبا من المعرة. وقتل وعمره زيادة على أربعين سنة. وكان إماماً في عدة علوم، شهما، صارما، مهابا، محبا للحديث وأهله.

ومات برهان الدين إبراهيم بن علي المعروف بابن الحلواني، الشامي الأصل، المصري، الواعظ بالقاهرة، في عاشر صفر، ولم يُر بعده من يعمل المواعيد مثله في حسن أدائه، وكان لا يعظ إلا من كتاب.

ومات الشيخ شهاب الدين أحمد بن أبي يزيد بن محمد، ويعرف بمولانا زاده السرائي العجمي، في يوم الأربعاء حادي عشرين المحرم بالقاهرة. وكان فاضلا في عدة علوم، وهو أول من ولى درس الحديث بالظاهرية المستحدة بين القصرين.

ومات الأمير أرنبغا، مقدم البريدية، وأحد أمراء العشراوات بالقاهرة، في صفر.

ومات الأمير تلكتمر، أحد أمراء الطبلخاناه، وكاشف الجسور. مات بالطاعون في جمادى الأولى.

ومات الأمير جركس الخليلي، أمير أخور. قُتل في محاربة الناصري خارج دمشق، يوم الإثنين حادي عشرين ربيع الآخر. وكان مهاجرا، عارفا، خبيرا بالأموار، حسن السياسة، عاقلا، خيرا. وله بالقاهرة خان^(٢) يعرف به وقفه على بر يعمل بمكة.

ومات الأمير سيف الدين بززار العمري نائب دمشق. كان من مماليك الناصر حسن. ربي مع أولاده وتأدب ومهر في الكتابة، وشارك في العلوم، سيما الفلكيات وعلم النجوم. وتقدم في الفروسية، وأتقن أنواع الثقافة، وكان ذكيا فطنا شجاعا، ولى نيابة

(١) بانقوس بالقاف: جبل في ظاهر مدينة حلب من جهة الشمال. ٣٣١/١ معجم البلدان.

(٢) أحمد بن عمر بن أبي الرضا، أبو الخير شهاب الدين: [.....٧٩١هـ = ١٣٨٩م] قاضي من أهل حماه بسوريه ولى القضاء بحلب ثلاث مرات، وكان عالما بالقراءات، له فيها نظم سماه عقد البكر وله منظومات. انظر الدرر الكامنة ١: ٢٢٧، ومجمع اللغة بدمشق ٤٨: ٣٢٩، والأعلام

الإسكندرية، وتنقل في الرتب. ثم نفى إلى طرابلس. وقدم مع الأمير يلبغا الناصرى إلى القاهرة، وولى نيابة دمشق. ثم قبض عليه واعتقل بقلعتها حتى مات، وقد أناف على الخمسين.

ومات الأمير حسام الدين حسن بن الأمير علاء الدين على ابن الأمير سيف الدين قشتمر، أحد العشراوات. مات بالطاعون في القاهرة.

ومات الشيخ حسين الخبّاز، الواعظ المعتقد. صحب الشيخ ياقوت الشاذلى، وتلقن منه، وتزوج ابنته، وترك بيع الخبز، وانقطع بزايته خارج القاهرة، وجلس للوعظ، فاشتهر، وصار له عدة أتباع، حتى مات فى حادى عشرين ربيع الآخر، ودفن بالقرافة

ومات الأمير سودن المظفرى، مقتولا بحلب. وكان مشكورا، فيه خير وبر ومجبة للفقراء، وملازما للعبادة، وقلة الكلام مع المعرفة، وأصله من مماليك الأمير قطلوبغا المظفرى، أحد أمراء حلب. وبها نشأ وترقى إلى أن صار خازن دار الأمير جرجى الإدريسى نائب حلب. ثم صار أحد الحجاب، وانتقل إلى نيابة حماة، ثم ولى نيابة حلب، وعزل منها، وصار أتاك حلب، إلى أن قتل، وقد أناف على الستين.

ومات الأمير سراى الطويل الرجبى أحد المماليك اليلبغاوية، والأمراء الطبلخاناه. مات خارج القاهرة، ثالث عشر ربيع الأول.

ومات قاضى القضاة جمال الدين عبد الرحمن بن محمد بن خير السكندرى المالكى، فى يوم الأربعاء سابع عشر رمضان.

نشأ بالإسكندرية، وبرع فى الفقه، واشتهر بحسن السيرة، فطلب لقضاء المالكية بديار مصر، وباشره أحسن مباشرة.

ومات جمال الدين عبد الله بن الشيخ علاء الدين مغلطاي فى ثامن عشرين ربيع الآخرة، بالقاهرة.

ومات الشيخ شرف الدين عثمان بن سليمان بن رسول ابن أمير يوسف بن خليل بن نوح الكرانى التركمانى الحنفى، المعروف بالأشقر. قدم إلى القاهرة، واتصل بالأمير الكبير برقوق، وحظى عنده، وصار يؤاكله، فلما ولى السلطنة رتبته إماما يؤم به فى الصلوات. ثم ولاه مشيخة الخانقاة الركنية ببيرس، وقضاء العسكر حتى مات، فى رابع عشرين ربيع الآخر بالطاعون.

ومات الأمير أشقتمر الماردىنى نائب حلب، مات بطالا بالقدس^(١).

(١) القدس بلد بالشام قرب حمص من فتوح شرحبيل بن حسنة. انظر معجم البلدان ج٤.

ومات علم دار بن عبد الله الناصري بدمشق. وكان خيرا، له آثار جميلة بمصر والشام.

ومات الطواشي سابق الدين مثقال الجمالي الساقى زمام الدور. كان من خدام المجاهد صاحب اليمن، فلما حج نهب وأبيع، فاشتره حسين بن الناصر محمد، فترقى في الخدم، وصار من الجمдарية. ثم ولى شد الأحواش. فلما مات سابق الدين مثقال الآتوكي، نقل افتخار الدين ياقوت الزمام إلى تقدمه الممالك، وولى مثقال هذا زمام الدور عوضه، ثم صرف بمقبل الدوادري فسافر إلى الحجاز وجاور بالحرمين حتى مات بيدر، ليلة الجمعة تاسع عشر ذى القعدة.

ومات الأمير ناصر الدين محمد بن بززار، أحد العشراوات. مات بالطاعون في القاهرة.

ومات الشيخ بدر الدين محمد بن شيخ الإسلام سراج الدين عمر بن رسلان بن نصير البلقيني الشافعي، قاضى العسكر، فى يوم الجمعة سابع عشرين شعبان، ودفن بمدرسة أبيه من حارة بهاء الدين بالقاهرة، وكان مفتيا فى عدة علوم، حاد المزاج، مفرط الذكاء، منهمكا فى اللذات التى تهواها النفوس، متمتعا بالجاه والمال.

ومات الشيخ شمس الدين بن محمود بن عبد الله النيسابورى، المعروف بابن أخى جار الله الحنفى، فى سابع عشرين جمادى الأولى، عن قريب من خمسين سنة. ولى إفتاء دار العدل ومشيخة الخانكاة الصلاحية سعيد السعداء، وعدة تداريس، وكان خيرا.

ومات الشيخ منهاج الدين العجمى فى رابع عشر ربيع الأول. درس فقه الحنفية بالجامع الطولونى، وبمدرسة أم الأشرف. وكان قليل العلم جدا، لا يزيد فى الدرس على سماع ما يقرأ عليه.

ومات الشيخ محب الدين أحمد السبتي المعتقد، فى العشرين من صفر.

ومات الأمير علاء الدين مغلطاى والى القاهرة، فى المحرم.

ومات شهاب الدين أحمد بن موسى بن على^(١)، عرف بابن الوكيل الشافعي المكي، بالقاهرة فى نصف صفر.

ومات الأمير سيف الدين نوغاي، أحد أمراء العشرينات، وأمير علم.

(١) شهاب الدين أحمد بن موسى بن على [٧٠٠ - ٧٩٢هـ = ١٣٠١ - ١٣٩٠م] فقيه يمانى عالم بالفرائض له مصنفات. انظر العقود اللؤلؤية ٢/٢١٨ والأعلام ١/٢٦١.

ومات القاضي تاج الدين ابن ريشة ناظر الدولة في سادس عشرين جمادى الأولى.

ومات الأمير شرف الدين يونس النوروزى الدوادار، أصله من ممالك الأمير جرجى الإدريسى نائب حلب. واستقر من جملة الممالك اليلغاوية، وصار دوادار الأمير الكبير أسندمر الأتابك. فلما ملك الظاهر برقوق جعله داودارا كبيرا. وكان أخص أمرائه حتى خرج إلى محاربة الناصرى وانهزم، فقتله عنقاء بن شطى أمير آل مرا، قريبا من خربة اللصوص، فى يوم الثلاثاء ثانى عشرين ربيع الآخر، عن نيف وستين سنة. وكان خيرا، كثير المعروف، صاحب نسك من صوم كثير وصلاة فى الليل، مع وفور الحرمة، وقوة المهابة، والإعراض عن سائر الهزل، ومحبة أهل العلم والدين وإكرامهم. وله بالقاهرة قيسارية وربيع، وله تربة بقبة النصر، وتربة خارج باب الوزير، ومدرسة خارج دمشق، وخانا جليلا خارج غزة، وعدة أحواض سبيل بديار مصر والشام.

وماتت خوند شقراء ابنة الملك الناصر حسن زوجة الأمير أروس، فى ثامن عشرين جمادى الأولى.

ومات الأمير قرا محمد صاحب الموصل قتيلا.

ومات الأمير زامل بن مهنا أمير آل فضل فى السنة المذكورة. والله سبحانه وتعالى أعلم.

* * *

سنة اثنتين وتسعين وسبعمائة

أهل الحرم يوم الإثنين، وديار مصر والشام من الفرات إلى أسوان فى غاية الاضطراب وترقب الشر.

وفى ثانيه: وصل السلطان الملك المنصور إلى مدينة غزة بعساكر مصر، وجميعهم ملبسين السلاح، أبدانهم وخيولهم.

وفى سادسه: عدى الأمير صراى تمر نائب الغيبة بحر النيل إلى بر الجيزة، وأحاط بخيول الناس المرتبطة على اليرسيم للربيع، وأخذها كلها - ولم يكن بذاك الكبير - وأدخلها فى الجشرات^(١) السلطانية. وتتبع الخيول، فأخذت خيول الأمراء وأولاد الناس، وخيول عربان البحيرة والغربية والشرقية.

وشرع الناشب فى تجهيز الشعير والزاد إلى العسكر لغلاء السعر معهم.

وفى سابعه: دقت البشائر بالقلعة وأبواب الأمراء ثلاثة أيام، لكذب أشاعوه من فرار الملك الظاهر، وتابعوا الإشاعات بذلك. ورسم بزينة القاهرة ومصر، فزيتنا فى ثامنه.

وفيه استقر قُرطاي التاجى فى ولاية الفيوم وكشفها، وكشف البهنساوية والأطفيحية، عوضا عن أمير حاج بن أيدمر.

وفى حادى عشره: قبض على ستة مماليك بالبرقية من القاهرة، وقد لبسوا السلاح وأعدوا عندهم كثيرا من السلاح، فأقروا أن معهم جماعة من ممالك نائب الغيبة، وممالك غيره من الأمراء، قد اتفقوا على أنهم يثوروا يوم الجمعة ثانى عشره، وتأخذ كل طائفة أميرا، ويملكوا الإصطبل والقلعة.

فأمسك الأمير صراى تمر نائب الغيبة من مماليكه خمسة وثلاثين رجلا، وقبض الأمير تكا على عشرين، وقبض الأمير مقبل أمير سلاح على سبعة. وضرب الجميع فأقروا على جماعة، قبض منهم يونس من أمراء العشراوات، وناصر البدرى الأستاذار، وقطلوبك، وفراج. ونزل والى القاهرة حسين بن الكورانى، والأمير قطلوبغا الحاجب إلى الدار البيسرية بالقاهرة، وبها أخوات الملك الظاهر، فأخذوا بيبرس ابن أخت الظاهر

(١) الجشرات الحشر قوم يبيتون مكانهم فى مرعى الإبل لا يرجعون إلى بيوتهم. الوجيز ١٠٦.

برقوق وأفحش حسين الوالى فى سب أخوات الظاهر، وبالغ فى إهانتهم، وذم الظاهر، حتى ألقاهن إلى الخروج حاسرات مع الجنادرة^(١)، يسحب فى طول القاهرة، حتى قدم مرسوم نائب الغيبة بردهن من باب زويلة، فكان هذا أعظم الأسباب فى هلاك حسين، كما يأتى ذكره إن شاء الله تعالى.

وفيه استقر عمر بن خطاب فى ولاية المنوفية^(٢) عوضا عن محمد بن العادلى.

وفى ثانى عشره: قلعت الزينة.

وفيه نزل قطلوبغا الحاجب، وفتش البيسرية، فلم يجد فيها أحدا من المماليك الظاهرية فدخل المدرسة الظاهرية بقوق، وفتش سائر بيوت فقهاؤها فلم يجد أحدا، فقبض على رجلين من التجار العجم، أحدهما خواجه إسماعيل، وعملهما فى الحديد، وسار بهما إلى القلعة.

وفيه ألزم أرباب المراكب ألا يعدوا بفرس من بر الجيزة إلى بر مصر والقاهرة.

وفيه نودى على المماليك الظاهرية أن من أحضر منهم مملوكا، أخذ ألفى درهم.

وأما الملك المنصور والأمير منطاش فإن الأخبار أتهمها بأن الأمير كُشِبغا لم يزل يبعث من حلب يمد الملك الظاهر بالعساكر والأزواد والآلات وغير ذلك، حتى صار له برك كبير، ثم إنه قدم لنصرته بعساكر حلب، وقاتل معه، فجد الملك المنصور من غزة فى المسير، وبلغ ذلك الملك الظاهر فترك قتال أهل دمشق، وأقبل نحوهم، فنزل العسكر المصرى على قرية المليحة - وهى عن شقحب بنحو بريد - وأقاموا بها يومهم. وبعثوا كشافتهم، فوجدوا الظاهر بقوق على شقحب، فكان اللقاء يوم الأحد رابع عشره، وقد وافاهم الظاهر بقوق، فوقف الأمير منطاش فى الميمنة، وحمل على ميسرة الظاهر، فحمل أصحاب ميمنة الظاهر على ميسرة المنصور، وبذل كل من الفريقين جهده، وكانت حروب شديدة، انهزمت فيها ميمنة الظاهر وميسرته، وتبعهم منطاش بمن معه، وثبت الظاهر فى القلب، وقد انقطع عنه خير أصحابه، وأيقن بالهلاك. ثم حمل على المنصور بمن بقى معه، فأخذ المنصور والخليفة المتوكل والقضاة والخزائن، ومالت الطائفة التى ثبتت معه على الأتقال، فأخذتها عن آخرها، وكانت شيئا يخرج عن الحد فى الكثرة، ووقع الأمير قُجماس ابن عم الظاهر فى قبضة منطاش، ومر فى أثر المنهزمين

(١) يقصد بالجنادرة حملة السلام أى الحراس.

(٢) المنوفية وهى من قرى مصر القديمة فى فتوح مصر ويضاف إليها كورة فيقال كورة رمسيس

حتى وصل إلى دمشق، وبها يومئذ الأمير جنتمر أخو طاز، فقال له: «قد كسرنا برقوق، وفي غد يقدم الملك المنصور، فاخرج إلى ملاقاته». فمشى ذلك عليه واستعد، وخرج في يوم الإثنين خامس عشره والأمير منطاش ومن معه.

وأما الظاهر وأصحابه، فإن الأمير كمشبغا نائب حلب كان ممن انهزم على شقحب، فتم في الهزيمة إلى حلب، وتبعه الأمير حسام الدين حسن الكجكنى نائب الكرك، ومن بقى من عساكر حلب، فاستولى عليها، وانهزم أهل الكرك إليها، فلم يصلوا حتى مرت بهم شدائد. ولم يتأخر مع الظاهر إلا نحو الثلاثين، وقد تمزقت عساكره وعساكر مصر، فلم يقصد إلا المنصور، فأخذه بمن معه، وجرح قاضى القضاة بدر الدين محمد بن أبى البقاء الشافعى، وقاضى القضاة شمس الدين محمد بن الطرابلسى الحنفى. وسلب النهاية جميع القضاة والمتعممين، ماعدا قاضى القضاة ناصر الدين نصر الله الحنبلى، فإنه كان لم يركب وقت الحرب، فسلم من النهب، هو وولده برهان الدين إبراهيم. وقتل خلق كثير. ومضى بدر الدين محمد بن فضل الله كاتب السر، وأخوه عز الدين حمزة، وجمال الدين محمود ناظر الجيش، وشمس الدين محمد بن صاحب موقع الإنشاء، وتاج الدين عبد الرحيم - ابن الوزير فخر الدين بن أبى شاكر صاحب ديوان منطاش، فى طائفة كبيرة إلى دمشق. ووقف الظاهر تحت العصائب السلطانية، والمنصور والخليفة بجانيه، فتلاحق به عدة من أصحابه. وبات ليلته على ظهر فرسه.

ووكل بالمنصور والخليفة من يحفظهما، وهو فى قتل من خالفه، ولم من غاب من أصحابه، أو أطاعه من عسكر مصر، حتى أصبح فى نهار يوم الإثنين وقد صار فى عسكر كثيف. وأقبل منطاش فى عالم كبير من عوام دمشق وعساكرها ومن كان معه، فدارت بينه وبين الظاهر فى هذا اليوم منذ شروق الشمس إلى آخره حروب لم يعهد بمصر والشام فى هذه الأعصر مثلها، وبعث الله ريحا ومطرا فى وجه منطاش ومن معه، فكانت من أكبر أسباب خذلانه. ولم تغرب الشمس حتى فنى من الفريقين خلق كثير من الفرسان والعامه. وانهزم منطاش إلى دمشق. وعاد الظاهر إلى منزلته فأقام بها سبعة أيام. وعزت عنده الأقوات، حتى أبيعت البشماطة بخمسة دراهم فضة، وأبيع الفرس بعشرين درهما، والجمل بعشرة دراهم لكثرة الدواب وقلة العلف. ثم طلب من يشتري الجمال فلم يوجد، وغنم أصحاب الظاهر أموالا جزيلة، استغنى به منهم عدة، بعد فقرهم.

وفى أثناء إقامته، أمر الظاهر فجمع كل من معه من الأعيان، وأشهد على المنصور حاجي أنه خلع نفسه، وحكم بذلك القضاة. ثم بويع الظاهر، وأثبت القضاة بيعته. فولى الظاهر الأمير فخر الدين إياس الجرجاوى نيابة صفد، والأمير سيف الدين قديد القمطاي الكرك، والأمير علاء الدين أقبغا الصغير غزة. ورحل الظاهر، فاتاه عند رحيله منطاش بعسكر الشام، ووقف على بعد، فاستعد الظاهر إلى لقائه فولى عنه، وعاد إلى دمشق.

وسار الملك الظاهر بمن معه يريد ديار مصر، وبعث إلى غزة يأمر منصور الحاجب بالقبض على حسام الدين حسن بن باكيش، فقبض عليه، واستولى على غزة. وبعث بابن باكيش إلى السلطان الظاهر برقوق فضربه بالمقارع وهو بالرملة. وسار [الظاهر] إلى غزة، فضربه بها ضربا مبرحا، يوم دخلها مستهل صفر.

وأما أمر ديار مصر، فإنه أشيع كسرة الظاهر لمنطاش، فى رابع عشر المحرم يوم الوقعة.

وفيه استقر الأمير ناصر الدين محمد بن الحسام أستاذار الأمير منطاش، قرره فى ذلك الأمير صراى تمر، وخلع عليه.

وفى خامس عشره: أفرج عن الأمير ناصر الدين ناصر البدرى، وصراى تمر الشرفى، وبيرس ابن أخت الظاهر، فى جماعة آخر.

وفيه قدم من الفيوم محضر - يقال إنه مفتعل - بأن حائطاً سقط على الأمراء المحبوسين بالفيوم، قتلهم، وهم: تمر باى الحسنى، وقرابغا الأبو بكرى، وطغاي تمر الجركمى، ويونس الأسعدى، وقازان السيفى وتنكز العثمانى، وأردبغا العثمانى، وعيسى التركمانى.

وفى ثانى عشرينه: قدم المحمل والحاج، وكانوا ركبا واحدا.

وفى خامس عشرينه: قدم سواق بكتب مزورة، تتضمن أن الملك المنصور ملك دمشق، وفر الظاهر، فدقت البشائر ثلاثة أيام، وعمل الأمير حسين بن الكورانى وليمة عظيمة، وأظهر فرحا زائدا، فلم يمش هذا على أكثر الناس.

وفى ثامن عشرينه: كثرت الإشاعات بكسرة منطاش، واستيلاء الظاهر على المنصور والخليفة، وأنه متوجه إلى القاهرة.

وفى يوم الأربعاء أول صفر: قدم البريد من غزة وعلى يده كتاب مفتعل، بدخول المنصور دمشق، وهرب الظاهر. هذا والفتنة قائمة بين الأمير صراى تمر نائب الغيبة، وبين الأمير تكا المقيم بالقلعة، وكل منهما ينافس الآخر، ويحترز منه، حتى اشتهر هذا.

واتفق أن الأمراء والمماليك الذين سجنوا بخزانة الخاص من القلعة زرعوا بصلا فى قصريتين فحار وسقوه، فنجب بصل إحدى القصريتين ولم ينجب الآخر، فرفعوا القصرية التى لم ينجب بصلها، فإذا هى مثقوبة من أسفلها، وتحتها حجر يخرج من شقوق ما بينه وبين حجر آخر هواء، ففكوا الطاقة ورفعوه فوجدوا تحته خلوا، فما زالوا به حتى اتسع، وأفضى بهم إلى سرداب، مشوا فيه حتى صعدوا الأشرفية، من قصور القلعة.

وكان منطاش قد سد بابها الذى ينزل منه إلى الإسطبل، فعاد الذين مشوا فى السرداب واعلموا أصحابهم، فقاموا بأجمعهم - وهم نحو الخمسمائة رجل - ومشوا فيه ليلة الخميس ثانى صفر. هذا وقد ترأس عليهم الأمير بطا الطولومرى، وحاولوا باب الأشرفية حتى فتحوه، فثار بهم الحرس الموكلون بحفظ الباب، وضربوا مملوكا يقال له تمرىبا قتلوه، فبادر بطا ليخرج فضربوه ضربة سقط منها إلى الأرض. ثم قام وضرب بقيدة الرجل صرعه، وفر البقية، فصرخ المماليك صرخة واحدة، وخرجوا، وقد جعلوا قيودهم سلاحا يقاتلون به، وصار الحرس يصيحون فى هروبهم «تكا، يا منصور»، فانتبه الأمير صريرتم فرعا، وهو لا يشك أن تكا ركب عليه ليأخذه، واستخفه الفرع، فنزل من الإسطبل، وصار إلى بيت الأمير قطلوبغا الحاجب - وكان قريبا من الإسطبل - فملك بطا الإسطبل، واحتوى على ما فيه من قماش صراى تمر وأثائه، وقبض على المنطاشية، وأفرج عن المعوقين به، وأخذ الخيول التى كانت هناك، وأمر فدقت الكوسات حربيا من نحو ثلث الليل الأول إلى أن أصبح الناس يوم الخميس، فرماهم الأمير تكا من الرفرف والقصر، وساعده الأمير مقبل أمير سلاح، ودمرداش القشتمرى فيمن معهم.

هذا، وقد تسامعت المماليك الظاهرية، وخرجوا من كل مكان، ولحقوا ببطا، وبعثوا إلى خزانة شمائل بالقاهرة، وكسروا بابها، وأخرجوا من كان فيها من المماليك الظاهرية والبلغاوية وغيرهم. وكسروا أيضا سجنى الديلم والرحبة، وأفرجوا عن المسجونين. فخاف الأمير حسين بن الكورانى وهرب. وركب الأمير صراى تمر، والأمير قطلوبغا الحاجب فى جمع لقتال بطا وأصحابه، فنزل إليهم وقتلهم، وقد اجتمع معه من العوام خلق كثير لمعاونته، فخامر أكثر من معهما، وصاروا إلى بطا، فانكسرا ودخلا إلى مدرسة حسن. فلما رأى الأمير تكا جمع بطا يزداد، وصراى تمر قد انكسر، نزل من القلعة إلى الطبلخاناة، ورمى على بطا، فمضى طائفة منهم، وملكوا بيت قطلوبغا الحاجب، ونقبوا منه حتى ملكوا المدرسة الأشرفية، ورموا على من فى الطبلخاناة،

فانهزموا، وملكوا الطبلخانة، وحاصروا مدرسة حسن، وكان بها طائفة من التركمان أعدمهم منطاش لحفظها، فسألوا الأمان لشدة الرمي عليهم بمكاحل النفط، فانهزم عند ذلك من كان على باب القلعة من الرماة، فسارت الظاهرية إلى بيوت الأمراء ونهبوها، والناس في القاهرة مع هذا في أمن، لم يقع بها نهب ولا شر، مع عدم من يحميها. ولم يمض النهار حتى تجاوز عدد الظاهرية الألف، وأمدهم ناصر الدين ناصر - أستاذار منطاش - بمائة ألف درهم فضة وأذن بطا لناصر الدين محمد بن العادلي أن يتحدث في ولاية القاهرة، فدخلها ونادى بالأمان، والدعاء للملك الظاهر برقوق، فسر الناس سيرورا زائدا، بزوال الدولة المنطاشية.

وفي بكرة يوم الجمعة - ثالثه - سلم الأمير تكا قلعة الجبل إلى الأمير سودن النائب.

وفيه أقام الأمير بطا منجك المنجكي في ولاية القاهرة، عوضا عن ابن العادلي، فدخلها ونادى بالأمان.

وفيه نزل الأمير سودن النائب من قلعة الجبل، ومعه تكا ودمرداش القشتمري، ومقبل السيفي إلى عند الأمير بطا فقبض عليهم، وقيدهم. وبالغ في إكرام الأمير سودن، وبعثه إلى الأمير صُراي تمر، فما زال به حتى كف عن الرمي. ونزل هو وقطلوبغا الحاجب إليه، فتكاثرت العامة تريد قتلها، والأمير سودن يمنعهم من ذلك أشد المنع، فلم يلتفتوا إليه، ورجوهما رجما متابعا، كاد يهلك الجميع، فاحتاجوا إلى الرمي بالنشاب عليهم، وضربهم بالسيوف، فقتل منهم جماعة. وصار سودن بهما وبمن كان معهما إلى الإسطبل، فقيدهما بطا، وسجنهما، وأمر بمن في المدرسة من المقاتلة، فأنزلوا كلهم، وأذهب الله الدولة المنطاشية من مصر. وركب الأمير سودن النائب، وعبر إلى القاهرة، والمنادى بين يديه ينادى بالأمان والاطمئنان، والدعاء للسلطان الملك الظاهر. وبعث إلى خطباء الجوامع، فدعوا في خطبة الجمعة.

وفيه أفرج الأمير بطا عن الخليفة المخلوع زكريا والشيخ شمس الدين محمد الركراكي المالكي، وسائر من كان بالقلعة من المسجونين، وتبع المنطاشية.

وفيه قدم أحمد بن شكير الدليل، وأشاع في القاهرة أن الملك الظاهر قادم إلى القاهرة.

وقدم أيضا جلبان العيسوى الخاصكى، وأخير برحيل الملك الظاهر من غزة^(١) يوم الخميس ثانى صفر، فدقت البشائر، وتخلق الظاهرية بالزعفران.

وكتب بطا إلى السلطان يخبره بما اتفق لهم، وأنهم ملكوا ديار مصر، وأقاموا الخطبة باسمه، واستولوا على القلعة والإسطل، وقبضوا على سائر الأمراء المنطاشية. وبعثوا به الشريف عنان بن مغامس ومعه أقبغا الطولو تمرى، المعروف باللكاش - أحد المماليك الظاهرية - فسارا ليلة السبت رابعه.

وفيه استقر ناصر الدين محمد بن ليلى فى ولاية القاهرة، عوضا عن منجك، فنزل القاهرة بخلعته، ونادى بالأمان والدعاء للملك الظاهر، وكتب بطا إلى ولاة الأعمال بإحضار المنطاشية، والإفراج عن الظاهرية، وتجهيزهم إلى قلعة الجبل.

وفيه طلب الأمير حسين بن الكورانى إلى الإسطل. فلما حضر أراد المماليك الظاهرية قتله لقبیح ما فعله فيهم، فشفع فيه الأمير سودن النائب.

وفيه قبض على الطنبغا الطازى كاشف الجيزية، وقيده، واستقر الأمير مبارك شاه عوضه.

وفى خامسه: خلع بطا على الأمير حسين بن الكورانى، وأعيد إلى ولاية القاهرة، وأمره أن يحصل المنطاشية كما حصل الظاهرية، فنادى: «من أحضر مملوكا من الأشرفية أو من مماليك منطاش، فله كذا.

وفيه قبض بطا على الأمير قطلوبغا اللالا، والأمير بيدمر شاد القصر والأمير بورى صهر منطاش، والأمير صلاح الدين محمد بن تنكز وسجنهم بالقلعة.

وفيه حُصنت القلعة والإسطل، ومدرسة حسن، ومدرسة الأشرف تحصينا زائداً، ورتب الرماة والمقاتلة والنفطية^(٢)، حتى ظن الناس أن بطا يمنع الملك الظاهر من القلعة، وكثر الكلام فى هذا.

وفيه أمر الأمير بَطَا فخر الدين بن مكانس ناظر الدولة بعمل السماط^(٣) بالإسطل، فصارت الأمراء والمماليك بأجمعهم تحضر السماط فى كل يوم عند الأمير بطا، ورتب لهم على الدولة اللحوم وغيرها.

(١) غزة مدينة فى أقصى الشام من ناحية مصر بينها وبين عسقلان فرسخان. انظر معجم البلدان

٢٠٢/٤.

(٢) النفطية مستخرج النفط من معدنه. انظر الوجيز ٦٢٨.

(٣) السماط ما يمد ليوضع عليه الطعام فى المآذب. انظر الوجيز ٣٢١.

وفيه أفرج بطا عن الصارم بن بلرغى والى القلعة، وأعادته إلى ولايته.

وفيه قدم الأمير سيف الدين بن محمد بن عيسى العائدى بكتاب الملك الظاهر إلى الأمير بطا، بتجهيز الإقامات، والإخبار بما من الله عليه، وأن يواصل الأخبار فى كل يوم.

وفى سادسه: حضر زيد بن عيسى العائدى، وأخبر بتفصيل الواقعة.

وقدم البريد من قطيا بكتاب الملك الظاهر إلى الأمير علاء الدين الطشلاقى والى قطيا، بحفظ الدرب، والقبض على من انهزم، وإعلامه بالنصرة على منطاش، وفراره. وكل هذا ولم تطمئن النفوس، ولا ارتفع الشك، بل كان بَطَا يخشى أن يكون هذا من مكاييد منطاش، وهو ينتظر جواب كتابه.

وفى سابعه: استقر الأمير بَطَا بالصارم إبراهيم الباشقردى فى ولاية البهنسا، عوضا عن محمد بن الأعسر.

وفى ثامنه: استقر بالأمير بَكْتُمُر الطرخانى فى ولاية الأشونين، عوضا عن أبى بكر بن بدر، واستقر بأحمد السيفى فى ولاية قوص.

وفيه قدم أقبغا اللكاش، وقد ألبسه الملك الظاهر خلعة سنية، شق بها القاهرة، وكتب على يده كتابًا إلى الأمير بَطَا، فتحقق الناس نصرة السلطان الملك الظاهر، ونودى فى الناس بالأمان، ومن ظلم أو قهر فعليه بالأمير بطا.

وفيه قبض على الأمير حسين بن الكورانى، وقيد بقيد ثقيل جدا، ونهبت داره. واستقر الصارم عوضه فى ولاية القاهرة. وفى غده سلم إلى الصارم، فأخذه فى الحديد، كما تؤخذ اللصوص، وضربه وعصره، ثم نقل من عند الصارم الوالى إلى الأمير ناصر الدين محمد بن أقبغا آص - شاد الدواوين - فعاقبه أشد العقوبة.

وفى تاسعه: قدم البريد بكتاب السلطان إلى الأمراء والماليك بالسلام عليهم، فتزايدت مسرات الناس بنصرة الملك الظاهر، وكثر فرحهم، حتى قل بيت لم يداخل أهله السرور بذلك.

وفيه قدم تانى بك - المعروف بتتم الحسنى - من الإسكندرية (١)، المتوجه برسالة بطا إلى الإسكندرية، وقد امتنع نائبها من الإفراج عن الأمراء إلا بكتاب السلطان.

(١) الإسكندرية: مدينة عظيمة بديار مصر بناها الإسكندر بن فيلبش فنسبت إليه، وهى على ساحل البحر الملح وقال عنه قوم أنه أرم ذات العباد التى ذكرت فى القرآن الكريم فى [سورة الفجر آية ٧] انظر معجم البلدان ١/١٨٣، والروض المعطار ٥٤، والاستبصار ٩١ وما بعدها.

وفيه ألزم الفخر بن مكانس ناظر الدولة بتجهيز الإقامات السلطانية، وتجهيز الشقق الحرير، لتفرش تحت فرس السلطان عند قدومه.

وفيه قدم من دمياط الأمير شيخ الصفوى، وقنق بى السيفى، ومقبل الرومى الطويل، وأطبغا العثماني، وعبدون العلاى، وطوحى الحسنى، وأربعة آخر.

وفى عاشره: شد العذاب على حسين بن الكورانى، وألزم بمائة ألف درهم فضة، ومائة فرس، ومائة لبس حربى.

وفى حادى عشره: استقر قطلو شاه - نائب والى الجزيرة - فى ولاية الجزيرة، واستقر بورى القننقى فى ولاية الفيوم وكشفها، وكشف البهنساوية والأطفيحية، عوضا عن قرطاي التاجى.

وقدم البريد بنزول السلطان إلى الصالحية (١) فخرج الناس إلى لقائه.

وفى ثانى عشره: ورد مرسوم السلطان على حسين بن الكورانى، بعمل شىء من الأمور السلطانية، ظناً أنه مستمر على ولاية القاهرة، فأمر الأمير بطا بالإفراج عنه، فخرج لسبيله.

وفيه نودى بزينة القاهرة ومصر وظواهرهما، فاستهم الناس فى الزينة، وتناظروا فى التفاخر بها، رغبة منهم فى الدولة الظاهرية، حتى لم نعهد زينة نظيرها.

وفى ثالث عشره: نزل السلطان بالعكرشا، قريبا من سرياقوس.

* * *

الملك الظاهر سيف الدين أبو سعيد برقوق ابن أنص

الجر كسى رحمه الله تعالى سلطنته الثانية

فى بكرة نهار يوم الثلاثاء رابع عشر صفر، نزل الملك الظاهر بالريدانية خارج القاهرة، فخرج إلى لقائه الأشرف، مع السيد على نقيب الأشراف، وخرجت طوائف الفقراء بصناجقها، وخرجت العساكر بلبوسها الحريرية.

وكانت العساكر منذ خرج بطا وأصحابه لابسة السلاح ليلا ونهارا. وخرجت اليهود بالتوراة، والنصارى بالإنجيل، ومعهم شموع كثيرة مشعلة. وخرج من عامة

(١) الصالحية قرية قرب الرها من أرض الجزيرة اختطها عبد الملك بن صاع الهاشمى. انظر معجم

الناس رجالهم ونساؤهم ما لا يحصيه إلا الله، وعندهم من الفرح والسرور شىء زائد، وهم يضحون^(١) بالدعاء للسلطان، حتى لقوه وأحاطوا به، وقد فرشت الشقق الحرير من التراب إلى باب السلسلة. فلما وصل إليها تنحى بفرسه عنها، وقدم الملك المنصور حاجي بن الأشرف حتى مشى بفرسه عليها، ومشى بجانبه، فصار كأن الموكب للمنصور، فوقع هذا من الناس موقعا عظيما، ورفعوا أصواتهم بالدعاء والابتهال له لتواضعه مع المنصور في حال غلبته وقهره له، وأنه معه أسير، وعد هذا من فضائله. وصارت القبة والطير أيضا على رأس المنصور الخليفة راكب بين أيديهما، وقضاة القضاة بين يدي الخليفة. فإذا تقدم الفرس عن شقة إلى أخرى تناهبا العامة من غير أن يمنعهم أحد. وكانت العادة أن الشقق الحرير لجمدارية السلطان، لكنه قصد بذلك التحجب للعامة، فإنه صاحب كيد ودهاء. وكذلك لما نثر عليه الذهب والفضة تناهبا العامة. وعندما وصل إلى باب القلعة نزل عن فرسه، ومشى راجلا تجاه فرس المنصور - وهو راكب - حتى نزل، فأخذ يعضده وأنزله، فحسن هذا منه إلى الغاية. وأخذ فى المبالغة فى تعظيمه ومعاملته بما يعامل به الأمراء سلطانهم، إلى أن أدخله داره بالقلعة ثم تفرغ لشأنه. واستدعى الخليفة وشيخ الإسلام وقضاة القضاة وأهل الدولة، وهو بالإصطبل. وجدد عقد السلطنة وتجديد التفويض الخلفيتى، فشهد بذلك القضاة على الخليفة ثانيا، وأفيضت التشاريف^(٢) الخليفية على السلطان، ثم أفيضت التشاريف السلطانية على الخليفة. وركب السلطان من الإصطبل، وصعد القلعة، وتسلم قصوره، وقد عاد إليها حرمه وجواريه، فدقت البشائر. واستمرت التهاني والأفراح بالقلعة ودور الأمراء وأهل الدولة، ونودى بالأمان والدعاء للسلطان، فسر الناس فى هذا اليوم مسرة^(٣) كبيرة جدا.

وفى يوم الأربعاء خامس عشره: خلع السلطان على الفخر عبد الرحمن بن مكانس ناظر خلعة الدولة خلعة الاستمرار. واستدعى كريم الدين عبد الكريم بن عبد العزيز صاحب ديوان الجيوش، واستقر به فى نظر الجيش، عوضا عن جمال الدين محمود العجمى القيصرى. وخلع على الوزير صاحب موفق الدين أبى الفرج، واستقر به فى الوزارة ونظر الخاص. وخرج البريد إلى الإسكندرية بإحضار الأمراء المسجونين بها.

(١) يضحون هو الجلب وصاح من مشرفة أو جزع ونحوهما.

(٢) التشاريف نال الشرف. انظر الوجيز ٣٤١.

(٣) مسرة والسرور ضد الحزن ومسرة كمسيرة. انظر المصباح المنير ٢٩٥.

وفي سادس عشره: خلع على الأمير حسام الدين حسين بن الكوراتى، وعلى الأمير ناصر الدين محمد بن آقبا آص شاد الدواوين خلعة الاستمرار.

وأنعم على الأمير بَطَا بِإمارة مائة، وعين للدوادارية. واستقر الأمير قرقماس الطشتمرى أستاذاراً. واستقر شمس الدين محمد بن عبد العزيز فى صحابة ديوان الجيش.

وفي سابع عشره: وصل الأمراء من الإسكندرية إلى بر الجزيرة فباتوا به، وعدوا فى ثامن عشره إلى القلعة، وهم سبعة عشر أميراً: يلبغا الناصرى، وألطنبغا الجوبانى، وألطنبغا المعلم، وقرا دمرداش الأحمدي، وأحمد بن يلبغا العمري، وقُرْدُم الحسنى، وسوْدُن باق، وسوْدُن الطرنطاي، وأقبا الماردانى، وأقبا الجوهري، وكشلى القلمطاوى، وبِجَاس النوروزى، ومأمور القلمطاوى، وألطنبغا الأشرفى، ويُلْبغا المنجكى، ويونس العثمانى، وآلابغا العثمانى، فقبلوا الأرض وعادوا إلى منازلهم من غير أن يؤاخذ أحد منهم بفعله، فعد هذا من جميل الأفعال.

وفي تاسع عشره: أعيد الشريف جمال الدين عبد الله الطباطبى إلى نقابة الأشراف، وصرف الشريف على.

وفي يوم الإثنين عشرينه: جلس السلطان بالإيوان المعروف بدار العدل من القلعة، فى الموكب السلطانى، وحضر أهل الدولة للخدمة على العادة، فأخلع على الأمير سون الفخرى الشيخونى، واستقر نائب السلطنة على عادته وعلى الأمير كُمشبغا الأشرفى الخاصكى، واستقر أمير مجلس. وعلى الأمير إينال اليوسفى، واستقر أميراً كبيراً أتابك العساكر. وعلى الأمير يلبغا الناصرى واستقر أمير سلاح. وعلى الأمير الجوبانى، واستقر رأس نوبة النوب. وعلى الأمير بطا، واستقر دواداراً. وعلى الأمير طوغان العمري، واستقر أمير جاندار. وعلى الأمير سون النظامى واستقر الى القلعة، فكان يوماً عظيماً.

وفي حادى عشرينه: أعيد نجم الدين محمد الطنبدى إلى حسبة القاهرة، وصرف سراج الدين عمر العجمى، واستقر الأمير بَكَلْمَش العلاى أمير آخور، وسكن بالإسطنبول السلطانى.

وفي يوم الخميس ثالث عشرينه: قرئ عهد السلطان بدار العدل، وخلع على الخليفة المتوكل على الله، وكان حاضر القراءة.

وفيه استقر علاء الدين على بن عيسى المقيرى الكركى فى كتابة السر، عوضاً عن بدر الدين محمد بن فضل الله. واستقر الأمير سيف الدين بُدْخَاص السودونى - نائب صفد - حاجباً ثانياً.

وفي رابع عشرينه: قدم من دمياط جماعة مُحتَفَظ بهم، كان منطاش بعثهم فى بحر الملح من جهة طرابلس - قبل وقعة شقحب - إلى غزة، خوفاً من أخذهم فى البر، حتى إذا وصلوا غزة ركبوا البريد إلى القاهرة، ومعهم كتب بقتل الأمراء المسجونين عن آخرهم. فلما وصلوا غزة بلغهم نصرة السلطان، فساروا فى البحر يريدون طرابلس^(١)، فألقاهم الريح بدمياط^(٢)، فسجنوا.

وفي سادس عشرينه: قبض على حسين بن الكورا وعُذِب. وفيه عرض السلطان المماليك.

وفيه قدم البريد من صغد بفرار الأمير طُغَاى ثمر القبلاوى من دمشق إلى حلب فى مائتين من المنطاشية. وقدم منهم إلى صغد ثلاثمائة مملوك، وشكوا من سوء حال أهل دمشق. بمنطاش.

وفي سابع عشرينه: استقر الأمير جمال الدين محمود بن على الأستادار، مشير الدولة.

وفيه سلم الصاحب كريم الدين عبد الكريم بن مكانس إلى الأمير بَكْلَمِش أمير أخور، فضربه بالمقارع^(٣)، وألزمه بما أخذ من دواوينه فى أيام الناصرى، وأطلقه بعد ما ضمن عليه.

وفي يوم الأربعاء تاسع عشرينه: جلس السلطان بالميدان تحت القلعة للنظر فى المظالم والحكم بين الناس على عادته، فهرع الناس إليه، وأكثروا من الشكايات، فكثرت خوف الأكابر وفزعهم، وترقب كل منهم أن يشكى إليه.

(١) طرابلس: مدينة بالشام عظيمة، عليها سور من صخر منيع، ولها ضياع جليلة، وطرابلس أيضاً مدينة من مدن إفريقية وهى مدينة كبيرة أزلية على ساحل البحر، وتفسر طرابلس ثلاث مدن، أو مدينة الناس وسمها اليونانيون طرابلسية. انظر معجم البلدان ٢٥/٤، والروض المعطار ٣٨٩، ٣٩٠، نزهة المشتاق ١١٧.

(٢) دمياط: - أو دمياط - مدينة فى البلاد المصرية على ساحل البحر قريبة من تنيس إليها ينتهى ماء النيل، وبها تعمل الثياب الرفيعة وغيرها مما يقارب الثياب التنيسية. انظر معجم البلدان ٤٧٢/٢٠، والروض المعطار ٢٥٧، ٢٥٨، الإدريسى ١٥٧، وابن الأثير ١٢/٣٢٠، ٣٣١، وابن خلكان ٨٠/٥، ٩٠، ٩١، ٢٥٨/٦، وخطط المقرئى ٢١٥/١ وما بعدها، ومرآة الزمان ٦١٥، ٦١٨.

(٣) المقارع كل ما يقرع به. انظر الوجيز ٤٤٩ ومفردها مقرع وجمعها مقارع.

وفي يوم الثلاثاء خامس ربيع الأول: قدم الأمير أسبغا التاجي، ونحو العشرين مملوكا، ومعهم عدة من المباشرين فروا من دمشق.

وفي حادى عشره: هرب كريم الدين عبد الكريم بن مكانس عندما طلب، فلم يوقف له على خير، فأخذ كثير من أقاربه وحواشيه وقبض على أخويه فخر الدين عبد الرحمن ناظر الدولة، وزين الدين نصر الله.

وفي ثانى عشره: استقر نور الدين على بن عبد الوارث البكرى فى حسبة مصر، عوضا عن همام الدين.

وفي ثامن عشره: استقر شمس الدين محمد الركاكى فى قضاء القضاة المالكية، عوضا عن تاج الدين بهرام الدميرى.

وفيه استقر سعد الدين أبو الفرج بن تاج الدين موسى - المعروف بابن كاتب السعدى - فى نظر الخاص، عوضا عن صاحب موقف الدين، وانفرد الموفق أبو الفرج بالوزارة.

وفيه عزل شرف الدين محمد بن الدمانى عن حسبة الإسكندرية، بجمال الدين بن خلاص. ونقل الشيخ علاء الدين على بن عصفور الشامى المكاتب من توقيع الدرج إلى توقيع الدست.

وفي خامس عشرينه: استقر الأمير علاء الدين أطنبغا الجوبانى - رأس نوبة النوب - فى نيابة دمشق، والأمير سيف الدين قرا دمرداش الأحمدي نائب طرابلس، ورسوم لهما بحاربة منطاش. واستقر علاء الدين على الكركى كاتب السر فى نظر المدرسة الظاهرية المستعدة، ونظر الخانكاة الشيخونية.

وفي ثامن عشرينه: طلب صاحب كريم الدين عبد الكريم بن الغنام، وفخر الدين عبد الرحمن^(١) بن مكانس إلى القصر السلطانى، وضربا بالمقارع، فضرب ابن الغنام سبعة شيوب، وضرب ابن مكانس نحو الخمسين شييا.

وفي يوم السبت أول ربيع الآخر: استقر الأمير مأمور القلمطاوى فى نيابة حماة، وأرغون العثمانى فى نيابة الإسكندرية، وآلبغا العثمانى حاجب الحجاب بدمشق، وأسندمّر السيفى حاجب الحجاب بطرابلس.

(١) عبد الرحمن بن مكانس بن عبد الرزاق بن إبراهيم، أبو الفرج، فخر الدين، المعروف بابن مكانس وزير، حنفى المذهب أصله قبطى. انظر الدرر الكامنة ٢/٣٣٠ وابن الفرات ٩/٣٢٢ وآداب اللغة ٣/١٢٤ والفهرس التمهيدى ٣٠١ والكتبخانة ٤/٣١٣ والأعلام ٣/٣١٠.

وفيه أنعم على كل من: الطنبغا الأشرقى، وسوذن باق، وبجمان الحمدي بإمرة فى دمشق، ورسم أن يخرجوا مع النواب.

وفى ثالثه: استقر شرف الدين مسعود فى قضاء القضاة بدمشق، عوضا عن شهاب الدين أحمد بن عمر القرشى.

وفى رابعه: استقر الشريف عنان بن مغامس^(١) الحسنى شريكا لعلى بن عجلان فى إمارة مكة.

وفى ثامنه: استقر جمال الدين عبد الله السكسيوى المغربى فى قضاء المالكية بدمشق.

وفى عاشره: قدم جماعة من المنطاشية فارين من دمشق.

وفى سادس عشره: قبض على الوزير موفق الدين أبو الفرج.

وفى سابع عشره: استقر فى الوزارة سعد الدين سعد الله بن البقرى، واستقر صاحب علم الدين عبد الوهاب سن إبرة فى نظر الدولة بمفرده، عوضا عن الفخر ابن مكنس، وشمس الدين بن الرويهب.

وفى ثامن عشره: عوقب صاحب موفق الدين أبو الفرج.

وفى عشرينه: استقر تاج الدين عبد الله بن صاحب سعد الدين سعد الله بن البقرى فى نظر البيوت، مع ما بيده من استيفاء الصحبة.

وفى رابع عشرينه: قبض على الأمير يدكار العمري، وسربغا الظاهري، وتلكمتر الدوادار، وطاش بغا الحسنى، وقرأبغا، وأرغون الزينى.

وفيه استقر الأمير الدين جُلبان الكمشبغاوى رأس نوبة كبيرا، عوضا عن حسن خجا بعد وفاته.

وفى خامس عشرينه: قدم البريد بأن تجريدة خرجت من دمشق لمحاصرة صفد، مع الأمير قطلوبغا الصفوى، فدخلوا بأجمعهم فى الطاعة، وتوجهوا إلى مصر، فدق البشائر بالقلعة.

(١) عنان بن مغامس بن رميثة بن أبى نعى شريف حسنى من أمراء مكة وليها للظاهر برفوق بعد مقتل الشريف محمد بن أحمد بن عجلان سنة ٧٨٨هـ ثم عزله الظاهر سنة ٧٨٩هـ انظر الإكليل ١٠/١٣٥، ١٥٨ والأعلام ٩٠/٥.

وفي سابع عشرينه: استقر الحاج عبيد بن محمد بن عبد الهادى الهويدي نقيب الجوندارية فى مقدمة الدولة، عوضا عن المقدم عبيد البازدار، شريكا للمقدم نئيتين، ولبس عبيد البزدار بالتركى، وخدم أستاذار بعض الأمراء.

وفيه قتل ابن سبع الذى كان شهد عليه بالكفر، قتله بعض عبيده بالحمام، فأوقع الأمير قرقماس الأستاذار الخوطة على موجوده، فوجد له من النقد ألف ألف وستون ألف درهم، ما بين ذهب وفضة وفلوس، ووجد له من الجمال والبقر والجاموس والأغنام ثمانون ألف رأس، غير عدة دواليب.

وفيه خلع على الأمير يلغا الناصرى، واستقر مقدم العساكر المتوجهة لقتال منطاش، وخلع على نواب الشام خلع السفر، وأنعم على جماعة بإمريات فى الشام، ورسم لجماعة من أمراء مصر للسفر مع النواب، وألزم من له إقطاع فى شىء من بلاد الشام بالسفر مع العسكر.

وفي عاشره: برزت أطلاب نواب الشام والأمراء إلى الريدانية خارج القاهرة.

وفي ثالث عشره: قدم الأمير قطلوبغا الصفوى بمن معه، فكان يوما مشهودا.

وفيه قدم البريد من صفد بأن منطاش لما بلغه مخامرة الصفوى ومن معه قبض على الأمير جتتمر أخى طاز وولده، وألطنبغا أستاذاره، أحمد بن جرجى، وأحمد بن جبجق، وكمشبيغا المنجكى نائب بعلبك، وشهاب الدين أحمد بن عمر القرشى قاضى دمشق، وعلى عدة من الأمراء والأعيان، وأن طرنطاي بن ألبجى قدم فى سبعين فارسا إلى صفد، راغبا فى الخدمة السلطانية.

وفيه قدم زيادة على عشرين من ممالك الأمير يلغا الناصرى، فارين من دمشق.

وفي عشرينه: قدم طرنطاي بن ألبجى بمن معه، ثم قدم أيضا نحو المائتى مملوك.

وقدم البريد بأن منطاش أخذ بعلبك^(١) بعد أن حاصرها محمد بن بيدمر أربعة أشهر، وأنه وسط ابن حنش وأربعة معه.

وفي ثانى عشرينه: توجه الشريف عنان إلى مكة، وقد استخدم عدة أتراك.

(١) بعلبك: مدينة بالشام بينها وبين دمشق فى جهة الشرق مرحلتان، وهى حصينة فى سفح جبل وعليها سور حصين بالحجارة سعته عشرون شبرا وفيها أبنية عجيبة وآثار عظيمة وقصور على أباطين. انظر معجم البلدان ١/٤٥٣، والروض المعطار ١٠٩، ونزهة المشتاق ١١٦، وصبح الأعشى ١٠٩/٤. بعلبك مدينة قديمة.

٢٩٠ سنة اثنتين وتسعين وسبعمائة

وفي ثامن عشرينه: ألزم شمس الدين محمد الدميرى ناظر الأحباس بعمل حساب الأمير قجماس ابن عم الظاهر، فإنه كان شاهد ديوانه.

وفي تاسع عشرينه: استقر الأمير جمال الدين محمود بن على المشير، فى أستاذارية السلطان، على عادته، عوضا عن الأمير قرقماس، بعد وفاته.

وفي يوم الثلاثاء أول جمادى الأولى: قدم البريد من صفد بنزول إبراهيم بن دُلغادر بجمائع التركمان على حلب، وأنه كسر ثمان تمر الأشرفى.

وفي ثانيه: قدم رسول الأمير محمد شاه بن بيدمتر متزاميا على السلطان، يسأله العفو عنه، فأجيب إلى ذلك، وجُهِز إليه أمان وتشريف.

وفي ثامنه: قدم البريد من صفد بأن الأمير قَشْتَمُر الأشرفى حضر على عسكر من قبل منطاش، فقاتله أهل صفد، فانكسروا منه، ثم إن جماعة من المنطاشية حضروا إلى صفد طائعين وقاتلوا مع عسكر صفد، فأنكر قَشْتَمُر، وقُتِل كثير ممن معه، وأخذت أثقالهم.

وفي ثانى عشره: عزل شمس الدين محمد الدميرى عن نظر الأحباس، واستقر عوضه القاضى تاج الدين محمد بن محمد بن محمد المليجى.

وفيه استقر تاج الدين بن الرملى فى نظر الأسواق.

وفي رابع عشره: أنعم على الأمير قطلوبغا الصفوى بإمرة مائة وتقدمة ألف، عوضا عن الأمير قرقماس الطَشْتَمُرى، وأنعم بإقطاعه على الأمير سودن الطرنطاي.

وفي سادس عشره: قدم البريد من صفد بأن نواب الممالك لما وصلت بالعساكر إلى بحيرة قَدَس^(١)، حضر إليهم ولد الأمير نُعير وعدة من الأمراء المنطاشية.

وفي سابع عشره: قدم البريد من دمشق بأن منطاش لما بلغه قدوم العساكر برز من دمشق، وأقام بقبة يلبغا، ثم رحل نصف ليلة الأحد ثالث عشر جمادى الآخرة بخواصه، وهم نحو الستمائة فارس، ومعه نحو السبعين حملا ما بين ذهب ودراهم وقماش، وتوجه نحو قارا والنيك، بعد أن قتل المماليك الظاهرية، والأمير ناصر الدين محمد بن المهمندار، وأن الأمير الكبير أيتمش خرج من سجنه بقلعة دمشق وأفرج عمّن بها، وملك القلعة، وبعث إلى النواب يعلمهم، وسير كتابه إلى السلطان بذلك، فسار النواب إلى دمشق

(١) بحيرة قَدَس بحيرة قرب حمص طولها اثنا عشر ميلا فى عرض أربعة أميال وهى بين حمص وجبل لبنان. انظر معجم البلدان ١/٣٥٢.

وملكوها بغير حرب، ففرح السلطان فرحا زائدا، وتخلق^(١) لأمرء وأهل الدولة، ونودى بذلك فى القاهرة ومصر، وأن تزين الأسواق وغيرها. ودقت البشائر ثلاثة أيام بالقلعة، وتباهى الناس فى تحسين الزينة إلى الغاية، وأقامت القاهرة ومصر مزيّتين عشرة أيام.

وفى تاسع عشره: قدم البريد من دمشق بثلاثة عشر سيفاً من سيوف الأمراء المنطاشية الذين قبض عليهم بدمشق.

وفى حادى عشرينه: قدم البريد بثمانية سيوف أيضاً.

وفيه أمر الناس بتقوية الزينة، فبالغوا فيها، ونصبوا عدة قلاع تزيد على عشرين قلعة، وكثر اللعب، وتوالت الأفراح، وأنفق الناس مالا كبيراً.

وفيه قدم أيضاً البريد بسبعة سيوف، منهم سيف الأمير أَلطنبغا الحلبي، وسيف الأمير دمرداش اليوسفى. وذلك أن منطاش كان قد بعث بإحضار عسكر طرابلس ليقاتل بهم العساكر المصرية، فقبل حضور عسكر طرابلس فر من دمشق، وقدم العسكر بعد ذلك من غير أن يعلم بفراره، فقبض عليه بكماله.

وفى ثانى عشرينه: قدم البريد بأن الأمير محمد بن أينال اليوسفى حضر إلى الطاعة بدمشق ومعه من عسكر منطاش نحو المائتى فارس، وأن منطاش توجه إلى الأمير نعيم، ومعه عنقا بن شطى أمير آل مرا.

وفى ثالث عشرينه: قدم البريد بأن الأمير نعيم بن حيار قبض على منطاش، فزينت القلعة، ودقت البشائر؛ ثم تبين كذب هذا الخبر.

وفى سابع عشرينه: حضر الأمراء المقبوض عليهم بدمشق، وهم أرسلان اللفاف، وقرا دمرداش، وأَلطنبغا الجربغاوى، وطنريق رأس نوبة منطاش، وأسنبغا الأرعون شاهى. فأفرج عن أسنبغا، وحُبس البقية.

وفى تاسع عشرينه: قُلعت الزينة.

وفى يوم الخميس ثانى رجب: قدم عماد الدين أحمد بن عيسى قاضى الكرك وقد خرج الأعيان إلى لقاءه، وصعد إلى القلعة، فقام السلطان عند رؤيته ومشى إليه، وعانقه، وأجلسه، وتحادثا ساعة. ونزل إلى دار أعدت له بالقاهرة. وفيه أخذ قاع النيل، فجاء خمسة أذرع وثمانية أصابع.

(١) تخلق الأمراء: أى تعطروا بالرائحة العطرية المسماة خلوق. انظر القاموس المحيط.

وفي ثاني عشره: حضر من دمشق بدر الدين محمد بن فضل الله العمري كاتب السر، وجمال الدين محمود القيصري ناظر الجيوش، ونزلا في بيوتهما من غير أن يجتمعا بالسلطان.

وفي ثالث عشره: استقر عماد الدين أحمد بن عيسى الكركي في قضاء القضاة بديار مصر، عوضا عن بدر الدين محمد أحمد بن أبي البقاء؛ ونزل بالشريف في موكب جليل إلى الغاية.

وفي رابع عشره: استقر علاء على بن الطبلاوي شاد المارستان المنصوري في ولاية القاهرة، عوضا عن الصارم، واستقر علم الدين سليمان والى القرافة في ولاية مصر، عوضا عن محمد بن مُغلطاوى.

وفي سادس عشره: دار الحمل على العادة، فحجب الوزير صاحب سعد الدين سعد الله بن البقري، قاضى القضاة عماد الدين أحمد الكركي لخصوصيته بالسلطان، ولم تكن العادة، إلا أن الوزير يكون هو صاحب الموكب والقضاة بين يديه.

وفيه استقر شرف الدين موسى بن العماد أحمد بن عيسى في قضاء الكرك، عوضا عن أبيه.

وفيه قدم البريد من حلب بأن الأمير كمشبغا الحموي لما انهزم من شقحب، دخل حلب وأقام بها، فجهز إليه منطاش من دمشق - بعد توجه السلطان إلى ديار مصر - عسكريا، عليه الأمير تمان مُتمر الأشرفي، فدخل إليه واجتمع عليه أهل بانقوسا، وقد امتنع كُمشبغا بالقلعة، فحصره تمان تمر أربعة أشهر ونصف، وأحرق الباب والجسر، ونقب القلعة من ثلاثة مواضع فنقب كُمشبغا أحد النقب (١) حتى خرقة، ورمى على المقاتلة من داخل النقب بمكاحل (٢) النفط، واختطفهم بالكلايب الحديد، وصار يقتلهم من النقب فوق السبعين يوما، وهو في ضوء الشمع، بحيث لا ينظر شمسا ولا قمرا ولا يعرف الليل من النهار، إلى أن بلغ تمان تمر فرار منطاش من دمشق، فضعف وفر، فثار عليه أهل بانقوسا ونهبوه. وحضر حجاب حلب إلى الأمير كمشبغا وأعلموه بذلك، فعمر الجسر في يوم واحد، ونزل وقاتل أهل بانقوسا يومين، وقد أقاموا رجلا يعرف بأحمد بن الحرامى. فلما كان اليوم الثالث وقت العصر انكسر أحمد بن الحرامى وقبض عليه وعلى أخيه، ونحو الثمانمائة من الأتراك والأمور والبانقوسية، فوسطوا

(١) النقب مفردا نقب والنقب هو الخرق في الجدار. انظر الوجيز ٦٢٩.

(٢) مكاحل مفردا المكحلة الرعاء الذى فيه الكحل جمعها مكاحل.

بأجمعهم، وخربت بانقوسا حتى صارت دكا، ونهب جميع ما كان بها، وأن كمشبغا بالغ فى تحصين حلب وعمارة قلعتها، وأعد بها مؤنة عشر سنين. وأنه جمع من أهل حلب مبلغ ألف ألف درهم، وعمر سور مدينة حلب، وكان منذ خربه هولاء خرابا، فجاء فى غاية الإتيان، وعمل له بايين، وفرغ منه فى نحو الشهرين وبعض الثالث، وكان أكثر أهل حلب تعمل فيه، وأن الأمير شهاب الدين أحمد بن محمد بن المهندار، والأمير طنجى نائب دوركى كان لهما بلاء كبير فى القتال لأهل بانقوسا. ويقال إنه قتل فى هذه الواقعة بحلب عشرات الآلاف من الناس، حيث لم يمكن عددهم لكثرتهم.

وفيه أزم أمير حاج بن مغطاي بلزوم بيته بطالا.

وفى ثامن عشره: خرج البريد بإحضار الأمير كمشبغا من حلب.

وفيه قدم الأمير طغاي تمر القبلاوى، نائب حماة.

وفيه كثرت القالة بأن الأمير بطا الدوادار يريد إثارة فتنة، فتحرز الأمراء وأعدوا للحرب، إلى أن كان يوم الإثنين: عشرينه جلس السلطان بدار العدل على العادة، وصار بعد انقضاء الخدمة إلى القصر ومعه الأمراء، فتقدم الأمير بطا، وقال للسلطان: «قد سمعت ما قيل عنى وها أنا»، وحل سيفه وعمل فى عنقه منديلا كالمستسلم للموت، فشكره السلطان، وسأل الأمراء عما ذكره الأمير بطا، وأظهر إنه لم يسمع شيئا من ذلك، فذكروا أن الأمير كمشبغا رأس نوبة تنافس مع الأمير بكلمش أمير أخور، وجرى أيضا بين الأمير بطا والأمير محمود الأستاذار مخاشنة، فأشاع الناس ما أشاعوا، فجمعهم السلطان وحلفهم وحلف المماليك أيضا، وطيب خواطر الجميع بدين كلامه ودهائه. وأحضر مملوك اتهم إنه هو الذى أشاع الفتنة، فضرب ضربا مبرحا، وسمر على جمل وشهر ثم سجن بخزانة شمائل، فلم يعرف له خير. وقبض على بكبغا - أحد العشراوت - وسمر وشهر أيضا، ونودى عليه «هذا جزاء من يرمى الفتن بين الأمراء». فسكنت الفتنة بعد أن كادت الحرب أن تقوم.

وفيه قدم البريد بأن منطاش ونعيرا جمعا جمعا كبيرا من العربان والأشفية والتركمان، وساروا لمحاربة النواب، فخرج الأمير يلبغا الناصرى والأمير الطنبغا الجوبانى بالعساكر من دمشق إلى سليمة.

وفى حادى عشرينه: قدم البريد من طرابلس بأن ابن أيمان التركمانى توجه إلى طرابلس من قبل منطاش فى ثمانية آلاف فارس، وحاصرها حتى ملكها.

وفي سلخه: رسم لأمير حاج بن مغلطاي بالمشى فى الخدمة مع الأمراء، فواظب الركوب للخدمة.

وفيه نفى تنكز بغا السيفى - كاشف التراب بالبهنسا - إلى قوص.

وفي ثانى شعبان: اجتمع البيدمرية والطايزية والجتتمرية فى طوائف من العامة بدمشق، يريدون أخذها، فسرح الأمير الكبير أيتمش الطائر من القلعة إلى سليمة يعلم الأمير يلبغا الناصرى بذلك، فركب ليلا فى طائفة من العسكر، وقدم دمشق وقاتلهم ومعه آلبغا العثمانى حاجب الحجاب بدمشق، فقتل بينهما خلق كثير من الأتراك والعوام وكسرهم، وقبض على جماعة ووسطهم تحت قلعة دمشق وحبس جماعة، وقطع أيدي سبعمائة رجل، وعاد إلى سليمة. وافترقت جماعات منطاش وعساكر الشام ثلاث فرق، وتولى الأمير يلبغا الناصرى محاربة الأمير نعيم، فكسره، وقتل جمعا من عربانه، وركب قفا نعيم إلى منزله. وحارب الأمير قرا دمرداش منطاش ومن معه من التركمان، فضرب كل منهما الآخر، فوقعت الضربة بكف منطاش، جرحته وقطعت أصابع قرا دمرداش. وخامر^(١) جماعة من الأشرفية على منطاش وصاروا فى جملة الأمير ألطنبغا الجوبانى، فأحسن إليهم وقربهم، فلما وقعت الحرب اتفق الأشرفية المذكورون مع بعض مماليكه وقتلوه، وقبضوا على الأمير مأمور ووسطوه، وقتلوا الأمير أقبغا الجوهري وعدة من الأمراء، فكانت حروبا شديدة، قتل فيها بين الفرق الثلاث خلق لا يحصى عددهم إلا خالقهم - سبحانه وتعالى - ونهبت العرب والعشير جميع ما كان مع العسكرين.

وقدم البريد بذلك فى ثامنه، وأن منطاش انكسر، فأقام الأشرفية بدله ألطنبغا الأشرفى. فحضر منطاش من الغد وأراد قتله، فلم تمكنه الأشرفية من ذلك، وأن الناصرى لما رجع من محاربة نعيم جمع العساكر وعاد إلى دمشق، ثم خرج بعد يومين وأغار على آل على، ووسط منهم مائتى نفس، ونهب كثيرا من جماهم، وعاد إلى دمشق.

وفي ثانى عشره: نودى على المماليك والأجناد البطالين بالحضور لأخذ النفقة، والسفر لقتال نعيم، ومنطاش.

وفي رابع عشره: طرحت الغلال على التجار، وأرباب الأموال، وتفرقت الأعوان فى طلبهم.

(١) خامر الشيء ماره وخالطه يقال خامر الداء وخامر الشك.

وقدم البريد بأن الأمير جبق السيفى خرج من دمشق لكشف أخبار طرابلس، فأخذه العرب، وحملوه إلى منطاش فقتله، وأنعم بإقطاعه على الأمير سودن الطرنتاى.

وفيه سار الأمير أبو يزيد على البريد بتقليد الأمير يلغا الناصرى دمشق، عوضا عن ألطنبغا الجوبانى، ومعه التشريف ومبلغ عشرين ألف دينار برسم النفقة فى العساكر، وتوجه معه الشيخ شمس الدين محمد الصوفى لكشف الأخبار.

وفى حادى عشرينه: أو فى النيل ستة عشر ذراعا، وفتح الخليج على العادة.

وفى ثالث عشرينه: أنعم على الأمير بجاس النوروزى بإقطاع سودن الطرنتاى.

وفيه قدم البريد من حلب بنزول نعيم على سمرين ليقسم مغلها، وأن الأمير شهاب الدين أحمد بن المهندار، والأمير طغنجى قاتلاه فى عسكر كبير من التركمان وأهل حلب، وأسروا ولده عليا فى نحو المائتى رجل، وقتلوا جماعة كبيرة وهزموه، وساقوا أبنه وأصحابه إلى حلب، فقتلهم كمشبغا النائب، وسجن ابن نعيم وجماعة.

وفيه سار الأمير ناصر الدين محمد بن الحسام الصقرى إلى الصعيد، ليحضر الخيل والجمال والرقيق وغير ذلك من العربان وأهل البلاد.

وفى يوم السبت ثامن رمضان: عزل الأمير ناصر الدين محمد بن أقبغا آص من شدّ الدواوين، وألزم بحمل مائتى ألف درهم فضة، واستقر عوضه الأمير ناصر الدين محمد ابن رجب بن كلفت.

وفيه قدم البريد من الصعيد أن ابن التركية خرج على ابن الحسام، وأخذ جميع ما حصّله، فخرجت إليه التجريدة.

وفى خامس عشره: استقر الأمير ألطنبغا المعلم نائب الإسكندرية، عوضا عن أرغون البجمقدار العثمانى، واستقر على بن غلبك والى منفلوط، عوضا عن أبى بكر ابن الكنانى.

وفيه قدم البريد بنزول عدة مراكب للإفرنج على طرابلس، فعندما أشرفوا على الميناء بعث الله عليهم ريحا غرقت مركبا، وفرقت البقية، وكانت نحو السبعين، فردوا خائبين.

وفى سابع عشره: استقر مجد الدين أبو الفدا إسماعيل بن إبراهيم الحنفى فى قضاء الحنفية، عوضا عن شمس الدين محمد بن أحمد بن أبى بكر الطرابلسى.

ونزل معه الأمير شيخ الصفوى - القائم بالسعى له - فى عدة من الأمراء إلى

المدرسة الصالحية على عادة القضاة، ثم عاد إلى معتكفه بالمدرسة الطيرسية (١) بجوار الجامع الأزهر. ولم يول أحدًا من نواب الخنفية ولا عُقَّاد الأُنكحة، ووعدهم إلى العيد، فنقل عليهم ذلك.

وفي العشرين: منه أعيد صاحب موفق الدين أبو الفرج إلى الوزارة، وقبض على ابن البقرى وولده، وأوقعت الحوطة (٢) على دورهما، وجميع حواشيها.
وفي حادى عشرينه: قدم البريد من دمشق بأن الأمير قَشْتَمُر الأشرفى، الحاكم بطرابلس من جهة منطاش، سلمها من غير قتال، وأن حماة وحمص أيضا استولت العساكر السلطانية عليهما.

وفي ثانى عشرينه: قدم محمد بن على بن أبى هلال بهدية أبى العباس المتوكل على الله بن الأمير أبى عبد الله محمد بن أبى يحيى بن أبى بكر بن أبى حفص صاحب تونس (٣)، ومعه كتابه يتضمن الهداء بالعود إلى المملكة، فخرج الأمير محمود الأستاذار إلى لقائه بالجيزة، وأحضر بين يدى السلطان فى سادس عشرينه، فأكرمه السلطان، وأمر به فأنزل بدار، ورتب له فى كل يوم مائة درهم.

وفي يوم الإثنين أول شوال: قدم البريد من حلب بعبد الرحمن حاجب الأمير نعيم، ومعه كتابه يعتذر عما وقع منه ويسأل الأمان، فكتب إليه الأمان، فجهز إليه تشریف وتقليد بعوده إلى إمرة آل فضل على عادته.

وفي ثانیه: قدم البريد من دمشق بفرار منطاش عن أرض حلب، ومعه عنقاء بن شطلى، خوفا على نفسه من نعيم، وأنه توجه فى نحو سبعمائة فارس من العرب، أخذهم على أنه يكبس التركمان ويأخذ أعناقهم، فلما قطع الدربند أخذ خيول العرب، وسار إلى مرعش (٤)، وترك العرب مشاه، فعادوا.

وفيه قدم الخير من الإسكندرية بأن الفرنج الذين مزقت الريح مراكبهم على طرابلس، ساروا إلى إفريقية (٥) وحاصروا المهديّة، وبها ولد أبى العباس صاحب تونس، فكانت حروبا شديدة، انتصر فيها المسلمون على الفرنج، وقتلوا كثيرا منهم.

(١) المدرسة الطيرسية: تقع هذه المدرسة بجوار الجامع الأزهر من القاهرة وهى غربية الجهة البحرية أنشأها الأمير علاء.

(٢) الحوطة حفظه وتعمده، أى أدركه من جميع النواحي. انظر الوجيز ١٧٨.

(٣) تونس مدينة كبيرة محدثة بإفريقية على ساحل بحر الروم. انظر ٦٠/٢.

(٤) مرعش: مدينة من نغور أرمينية، وبينها وبين زبطرة تسعة فراسخ، وهى مدينة حصينة عليها

سور حجارة. فتحها خالد بن الوليد رضى الله عنه، وهو بمنج. انظر معجم البلدان ١٠٧/٥، والروض المعطار ٥٤١.

(٥) إفريقية اسم لبلاد واسعة ومملكة كبيرة قبالة جزيرة صقلية وينتهى آخرها إلى قبالة جزيرة

الأندلس. انظر معجم البلدان ٢٢٨/١.

وفيه ضرب الأمير الطنبغا الجربغاوى بالمقارع، على مال أخذه لجر كرس الخليلي، وأعيد بعد الضرب إلى السجن بالبرج.

وفي عاشره: قدم فقيه المغرب أبو عبد الله محمد بن محمد بن عرفه المالكي، يريد الحج.

وفي ثالث عشره: قدم البريد بأن أسندمُ اليوسفي - وجماعة من المنطاشية - دخلوا في الطاعة.

وفي ثالث عشرينه: رحل الحاج من بركة الحجاج، وأميرهم عبد الرحمن بن منكلي بغا الشمسي. وحج الأمير محمد بن أبي هلال الرسول، والفقير محمد بن عرفه، وخلق كثير جدا، وحملت خوند أم بيبرس وهي عائشة أخت السلطان، كسوة للحجرة النبوية، بالغت في تحسينها، وعملت بابها مطرزا بالذهب. ولما وصل الحاج عجرود، أصابهم عطش شديد، بحيث أبيعت قربة الماء بنحو المائة درهم، ورجع كثير من الحجاج.

وفي سابع ذى القعدة: ركب السلطان للصيد في بركة الحجاج، وشق القاهرة في عوده إلى القلعة من باب النصر، وخرج من باب زويلة، ونزل عند الأمير بطا الدوادار، وأقام عنده داره ساعة.

ثم صعد إلى القلعة من يومه، فكان من الأيام المشهودة. ثم ركب في عاشره إلى مطعم الطيور خاج الريدانية تحت الجبل الأحمر^(١) فقدم عليه من مماليكه الذين كانوا يجلب نحو الأربعين مملوكا.

وفي سابع عشره: قدم البريد من حلب بأن منطاش سار إلى عين تاب، وقاتل نائبها ناصر الدين محمد بن شهري وأخذ المدينة فامتنع ابن شهري بقلعتها وكبسه ليلا، وقتل ستة من أمرائه ونحو المائتي فارس.

وفي ثاني عشرينه: قدم الأمير محمد شاه بن بيدمر، فلم يؤاخذه السلطان وأنزله عند الأمير محمود.

وحضر أيضا الأمير أسندم اليوسفي رأس نوبة منطاش في عدة من الأمراء المنطاشية، فلم يؤاخذهم أيضا، وخلع على أسندم.

(١) الجبل الأحمر اسم جبل مشرق على قيعقات مكة كان يسمى في الجاهلية الأعراف. انظر

وفي يوم الخميس أول ذى الحجة: رسم الأمير قرا دمرداش نائب طرابلس نيابة حلب، وجهاز إليه التشريف والتقليد على البريد مع الأمير تنم الحسنى.

وفي خامسه: استقر إينال من خجا على، فى نيابة طرابلس، واستقر الأمير أقبغا الجمالى، أتابك حلب، والأمير ناصر الدين محمد بن سلار، حاجب الحجاب بحلب. وكتب لسولى نيابة الأبلستين، وجهازت الخلعة إليه.

وفي يوم عيد النحر: خرج الأمير تنبك الحمدي لإحضار الأمير كمشبغا الحموى من حلب.

وفي تاسع عشره: برز أينال - نائب طرابلس - إلى الريدانية، وسار إلى طرابلس فى ثالث عشرينه.

وفيه سار الأمير تمرغا المنحكى بمال كبير ينفق فى عساكر الشام وتجهيزهم إلى عين تاب، لقتال منطاش.

وفيه نودى فى القاهرة ومصر: لا يركب أحد من المتعممين فرسا سوى الوزير، وكاتب السر وناظر الخاص فقط، ومن عداهم فإنه يركب البغال، وأن طحانا لا يترك عنده فرسا صحيحا، ولا يركب فقيه ولا جندار ولا عامى فرسا، ولا تحمل المكارية أكديشا.

وفي سابع عشرينه: قدم مبشرو الحاج، وأخبروا بسلامة الحاج ورخاء الأسعار معهم، وأنه لم يحضر حاج اليمن.

وفيه استقر الأمير ناصر الدين محمد بن الحسام الصقرى وزيراً، عوض الموفق أبى الفرج، ورسم له بإعادة بلاد الدولة على قاعدة الوزير شمس الدين إبراهيم كاتب أرلان، و ألا يكون معه مشير يشاركه فى التحدث والتصرف، بل ينفرد بالولاية والعزل وتنفيذ الأمور، وأن يستخدم جميع الوزراء المنفصلين فى المباشرات تحت يده، فخرج بتشريف الوزارة إلى قاعة الصاحب بالقلعة، واستدعى بالوزراء المصروفين، فقرر شمس الدين المقسى فى نظر الدولة، وعلم الدين سن إبرة شريكا له، وسعد الدين بن البقرى فى نظر البيوت واستيفاء الدولة، وموفق الدين أبى الفرج فى استيفاء الصحبة. وقرر الفخرى بن مكانس فى استيفاء الدولة، شريكا لابن البقرى، وركبوا فى خدمته، وصار ذلك دأبهم دائما، ولم يسمع بمثل ذلك. ومن العجيب أن ابن الحسام هذا كان أولا دوادار ابن البقرى، أيام كان فى نظر الخاص لا يبرح ليلا ونهارا قائما بين يديه،

يصرف أمره ونهيه، كأحد خدمه، فصار ابن البقرى يقف بين يدي ابن الحسام في وزارته هذه ويتصرف بأمره ونهيه، وربما أهانه، فسبحان محيل الأحوال.

وفي هذا اليوم: أعيد ناصر الدين محمد بن آقبا أص إلى شدّ الدواوين، عوضاً عن ناصر الدين محمد بن رجب. واستقر ابن رجب شاد دواليب الخاص، عوضاً عن خاله الأمير الوزير ناصر الدين محمد بن الحسام.

وأصاب الحاج في عودهم مشقات لسوء سيرة ابن منكلي بغا ورذالته وفساده، إلا الركب الأول، فإن أميرهم بيسق الشيخونى أمير آخور كان مشكور السيرة، ومع ذلك فنزل بالجمال وباء كثير، فنى كثير منهم.

* * *

ومات في هذه السنة من الأعيان ممن له ذكر

ومات أمير حاج ابن السلطان فى ثامن جمادى الآخرة، ودفن بالمدرسة الظاهرية المستجدة، وكان أحد الأمراء، وهو صغير.

ومات الأمير علاء الدين أقبغا الجوهري، أحد اليلبغاوية، مقتولا فى وقعة حمص، عن بضع وخمسين سنة، وكان عارفاً يذاكر بمسائل فقهية وغيرها، مع حدة خلق، وسوء معاملة.

ومات الأمير أردبغا العثماني، أحد أمراء الطبلخاناه، قتيلاً.

ومات الأمير علاء الدين الطنبغا الجوباني قتيلاً، وقد قارب الخمسين سنة، وكان حشماً فخوراً.

ومات الأمير تنكز العثماني، أحد أمراء الطبلخاناه، قتيلاً.

ومات الأمير تمر الأشرفى، نائب قلعة بهنسا.

ومات الأمير تمرباى الأشرفى الحسنى، حاجب الحجاب بديار مصر.

ومات الأمير جئبق الكمشبغاوى، أحد الأمراء الألوف بديار مصر.

ومات الأمير حسن خجا رأس نوبة.

ومات الأمير طغاي تمر الجر كتمرى أحد أمراء الطبلخاناه.

ومات الأمير طولوبغا الأحمدي أحد أمراء العشراوات.

ومات عيسى التركماني أحد العشراوات.

٣٠٠ سنة اثنتين وتسعين وسبعمئة

ومات الأمير قرايغا أبو بكرى أمير مجلس.

ومات الأمير قرقماس الطشتمرى، فى يوم الجمعة حادى عشر جمادى الآخرة.

ومات الأمير قازان اليرقشى، أحد أمراء الطبلخاناة.

ومات الأمير مأمور القلمطاوى، حاجب الحجاب، وأحد اليلبغاوية، قتل على حمص، وهو يلى نيابة حماة.

ومات الأمير مقبل الطيبى نائب الوجه القبلى.

ومات الأمير يونس الرماح الأسعدى، أحد أمراء الطبلخاناه.

ومات الأمير على سلطان الطائفة الجعيدية (١) بديار مصر، مات فى سادس عشر جمادى الأولى، ولم يقم بعده مثله.

ومات الشيخ المعتقد على المغربلى، فى خامس جمادى الأولى، ودفن بزاويته خارج القاهرة بحكر الزراق.

ومات الشيخ المعتقد محمد الفاوى، فى ثامن عشر جمادى الأولى، ودفن فى خارج باب النصر.

ومات الأديب الشاعر شمس الدين محمد بن إسماعيل الأفلاقى المالكى فى سادس جمادى الأولى.

ومات الشيخ المقرئ شمس الدين محمد بن أحمد الرفاء، فى سابع جمادى الأولى.

* * *

(١) الجعيدية بنى جعدة بطن من لخم منازلهم ساحل أطفيح من البر الشرقى من صعيد مصر. انظر نهاية الأرب فى معرفه أنساب العرب، ص ٢٠٠.

سنة ثلاث وتسعين وسبعمائة

أهل الحرم يوم الجمعة.

ففى ثانيه: عزّل السلطان أكثر ولاية أعمال مصر، ورسم ألا يولى أحد ممن باشر الولاية، وأن يُعين الأمير سودن النائب جماعة من مقدمى الحلقة، فأحضر مقدمى الحلقة واختار منهم ثلاثة وهم: شاهين الكلفتى استقر فى الغربية، وطُرُقجى فى ولاية البهنسا، وقجماس السيفى فى المنوفية، وأخلع عليهم فى رابعه.

وفى سادسه: قدم البريد من دمشق بأن الأمير يلبغا الناصرى تنافس هو والأمير الكبير أيتمش، فأظهر الخروج عن الطاعة، ولبس السلاح، وألبس حاشيته. ونادى بدمشق من كان من جهة منطاش فليحضر، فصار إليه نحو الألف ومائتى فارس من المنطاشية، فقبض عليهم كلهم وسجنهم، وكتب إلى السلطان يُعرّفه بذلك، فأجابه بالشكر والثناء.

وفى سادس عشره: قبُض على الصاحب موفق الدين أبى الفرج، وألزم بحمل ستين ألف درهم، وقبُض على الصاحب علم الدين سن إبيرة، وألزم بعشرين ألف درهم، وعلى الصاحب سعد الدين بن البقرى، وألزم بسبعين ألف درهم.

وفى ثامن عشره: ولى شيخ الحديث زين الدين عبد الرحيم^(١) بن الحسين العراقى تدريس الظاهرية العتيقة ونظرها، بعد وفاة القاضى صدر الدين عمر بن عبد المحسن بن رزين، ونقل القاضى فخر الدين محمد القاياتى إلى مكانه بإيوان المدرسة الصالحية، للحكم بين الناس.

وفيه نودى لا يركب متعمم فرسا إلا أزباب الوظائف الكبار، ومن وجد عنده فرس أخذت منه.

(١) عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن أبو الفضل، زين الدين، المعروف بالحافظ العراقى [٧٢٥-٨٠٦هـ = ١٣٢٥-١٤٠٤م] بحاث، من كبار حفاظ الحديث أصله من الكرد ومولده أزنان من أعمال إربل. تحول صغيراً مع أبيه إلى مصر فتعلم وتبع فيها وقام برحلة إلى الحجاز والشام وفلسطين وعاد إلى مصر فتوفى فى القاهرة. ومن كتبه [المغنى عن حمل الأسفار فى الأشعار - ط] (ونكت منهاج البياضوى). انظر الضوء اللامع ١٧١/٤ وذيل طبقات الحفاظ وغاية النهاية ٣٨٢/١ ومعجم المطبوعات ١٣١٧ وحسن المحاضرة ١:٢٠٤ والأعلام ٣/٣٤٤.

٣٠٢ سنة ثلاث وتسعين وسبعماية

وفى يوم الأحد ثامن صفر: هُدمت سلام باب مدرسة السلطان حسن، والسلام التى تصعد إلى السطح، والمناراتان منها، وفتح بابها من شبك بالرميلة تجاه باب السلسلة، وصار يتطرق إليها منه، ويقف المؤذنون عنده ويؤذنون فى أوقات الصلاة، واستمر الأمر على ذلك.

وفى تاسعه: قدم الأمير سيف الدين كُمشبُغا الحموى من حلب، فخرج الأمير سوذُن النائب إلى لقائه، ومعه الحجاب وعدة من الأمراء. وصار به إلى القلعة، فقَبِل الأرض وجلس فوق الأمير إينال اليوسفى أتابك العساكر، ونزل إلى دار أعدت له، وبعث إليه السلطان ثلاثة أروس من الخيل بقماش ذهب، وعدة بُقج قماش. وبعث إليه كل من أمراء الألوف فرسا بقماش ذهب، وقدم إليه أمراء الطبلخاناه وغيرهم عدة تقادم من جند وغير ذلك.

وحضر مع الأمير كُمشبغا الأمير حسام الدين حسن الكجكنة - نائب الكرك - فى عدة من الأمراء.

وفى حادى عشره: قدم البريد بأن العساكر وصلت إلى مدينة عينتاب، ففر منطاش إلى جهة مرعش، وحضر عدة من جماعته إلى الطاعة.

وفيه حضر الأمير أقبغا الماردىنى نائب الوجه القبلى، فقبض عليه وسجن بخزانة شمائل فى صورة أنه كُثر ظلمه وعسفه. وهذه عادة السلطان، أنه يصير على أعدائه فلا ينتقم منهم لنفسه حتى يتهياً له فيهم ما يوجب العقوبة فيأخذهم بذلك الذنب، ولا يظهر أنه انتقم لنفسه، وذلك من حسن ملكته وثباته، واستقرى هذا، تجده كما قلت لك.

وفى خامس عشره: أحضر الأمير حسام الدين حسن بن باكيش نائب غزة من السجن، وضُرب بالمقارع بين يدى السلطان، واحضر أقبغا الماردىنى وضرب على أكتافه. وأمر والى القاهرة بتخليص حقوق الناس منه.

وفيه استقر الأمير مبارك شاه كاشف الجيزية، عوضاً عن محمد بن لىلى.

وفى تاسع عشره: استقر الأمير يلبغا الأحمدى المجنون نائب الوجه القبلى، عوضاً عن أقبغا الماردىنى، واستقر اسنبغا السيفى فى ولاية الفيوم وكشف البهنسا والأطفيحية، عوضاً عن يلبغا الأحمدى، واستقر تُقطاى الشهابى والى الأشمونين، عوضاً عن اسنبغا السيفى.

وفي حادى عشرينه: استقر دمرdash السيفى نائب الوجه البحرى، عوضا عن الشريف بكممر.

وفي تاسع عشرينه: أحضر القاضى شهاب الدين أحمد بن محمد بن الحبال، قاضى الخنابلة بطرابلس، وضرب بين يدى السلطان، بسبب قيامه مع منطاش وأخذ طرابلس، وقتل من قتل بها، وأن ذلك كان بفتواه لهم.

وفيه وسط من الزهور المقبوض عليهم من الوجه البحرى نحو السبعين، بعد تسميرهم وإشهارهم بالقاهرة، وكانوا قد أكثروا من الفساد وقطع الطريق على المسافرين، وأخذ أموالهم.

وفيه سار الشيخ أبو عبد الله محمد بن أبى هلال رسول صاحب تونس بجواب كتابه وهدية سنية.

وفي سابع شهر ربيع الأول: استقر الأمير يوم القشتمرى نائب الكرك، عوضا عن قديد.

وفي ثامننه: أنعم بإقطاع أرغون البجمقدار العثمانى نائب الإسكندرية على الأمير حسن الكجكتنى، وأخرج أرغون منقيا إلى الإسكندرية.

وفيه خرج البريد بإحضار الأمير الكبير أيتمش من دمشق، فسار الأمير قنقباى الأحمدى رأس نوبة لذلك.

وفي عاشره: قدم الأمير أبو يزيد والشيخ شمس الدين محمد الصوفى على البريد من الشام.

وفي ثالث عشره: شدد العذاب على ابن باكيش لإحضار المال، وقبض على الشريف بكممر بسبب إهماله مستخرج تزوجه، ثم أفرج عنه على أن يحمل مائة ألف درهم.

وفيه استقر الأمير علاء الدين بن الطشلاقى فى ولاية قطيا، والتزم فيها بحمل مائة ألف وثلاثين ألف درهم، فى كل شهر.

وفيه توجه يلغا السالى على البريد بتقليد الأمير نعيمرة الإمرة على عادته.

وفي يوم الأحد أول شهر ربيع الآخر: استقر برمش الكمشبغاوى حاجب الحجاب بطرابلس. واستقر الحاج محمد بن عبد الرحمن مقدم الخاص فى مقدمة الدولة، عوضا عن عبيد البازدار بعد موته، فصار مقدم ديوانى الخاص والدولة.

وفي تاسع عشره: قبض على الأمير شاهين أمير آخور، ونفى إلى الصعيد.

وفي يوم الإثنين رابع جمادى الأولى: قدم الأمير الكبير أيتمش من دمشق على البريد، فتلقاه الأمير سوذُن النائب، وقدم معه عدة من الأمراء منهم: آلبغا العثماني الدوادار حاجب دمشق، والأمير جنتمُر أخو طاز، وأمير ملك ابن أخت جنتمُر المذكور، وألطنبغا أستاذار جنتمُر، ودمرداش اليوسفى، وألطنبغا الحلبي، وكثير من المماليك السلطانية، فمثل بالخدمة السلطانية، وقبل الأرض، وجلس بالميسرة تحت الأمير سوذُن النائب واحضر بالأمراء القادمين معه، وعدتهم ستة وثلاثون أميراً، وبشهاب الدين أحمد بن عمر القرشى قاضى دمشق، وبفتح الدين محمد بن إبراهيم بن محمد بن أبى بكر بن الشهيد كاتب السر بدمشق، وابن مشكور ناظر الجيش بدمشق، وكلهم فى القيود. فوبخ السلطان الأمير ألطنبغا الحلبي، والأمير جنتمُر، وابن القرشى وأطال الحديث معهم، وكانوا قد قاتلوه فى محاصرته لدمشق، وأفحشوا فى أمره فحشاً زائداً، حتى أن ابن القرشى كان يقف على الأسوار وينادى إن قتال برقوق أوجب من صلاة الجمعة، ويجمع العامة ويحرضهم على محاربتة. ثم أمر السلطان بهم فسجنوا، وأسلم ابن مشكور لشاد الدواوين، فعصر والتزم بحمل سبعين ألف درهم، وأفرج عنه. ونزل الأمير أيتمش إلى داره، وبعث إليه السلطان بإنعام كثير، وقدم إليه جميع الأمراء على قدر حالهم.

وفي ثالث عشره: وقع الهدم فى أملاك تجاه باب حارة الجوانبة بالقاهرة، وشرع الأمير محمود فى عمارة وكالة.

وفيه أحضر من الزهور ستة وثلاثون رجلاً، وقدم الأمير جيرائيل الخوارزمى فاراً من منطاش، فلم يؤاخذه السلطان، ورسم له بالثنى فى الخدمة مع الأمراء.

وفي ثامن عشرينه: استقر جمال الدين محمود بن محمد بن إبراهيم المعروف بابن الحافظ فى قضاء الحنفية بحلب، عوضاً عن محب الدين محمد بن محمد بن الشحنة، واستقر جمال الدين محمود بن العديم فى قضاء عسكر حلب، عوضاً عن ابن الحافظ؛ والشريف حمزة «الجعفرى» فى وكالة بيت المال بحلب ونظر جامعها، واستقر المعرى فى قضاء الشافعية بطرابلس، عوضاً عن شهاب الدين أحمد السلاوى، واستقر علم الدين أبو عبد الله محمد بن محمد القفصى فى قضاء المالكية بدمشق، عوضاً عن السكسيوى، وهى ولايته الخامسة، ثم عزل بالبرهان أبى سالم إبراهيم بن محمد بن على الصنهاجى. وولى ابن المنجا قضاء الحنابلة بدمشق، عوضاً عن شرف الدين عبد القادر. وولى جمال الدين أبو الثناء محمود بن قاضى العسكر حافظ الدين محمد بن إبراهيم بن سنبكى قضاء الحنفية بحلب، عوضاً عن على بن الشحنة.

وبرهان الدين إبراهيم التادلى فى قضاء المالكية بدمشق، عوضا عن برهان الدين إبراهيم بن القفصى. وبدر الدين محمد بن شرف الدين مرسى بن الشهاب محمود فى نظر الجيش بحلب، وخلع على الجميع.

وفيه أفرج عن أقبغا الماردى من خزانة شمائل، وعن طاش بغا السيفى.

وفى يوم الإثنين ثانى جمادى الآخرة: قبض على أسندمر الشرفى، وإسماعيل التركمانى، وكزل القرمى، وأقبغا البجاسى، وصرىغا، وتسلمهم الى القاهرة.

وفى تاسعه: قبض أيضا على أحد عشر أميراً وهم: قطلوبغا الطشتمرى الحاجب، وتقطاى الطشتمرى، وآلبغا الطشتمرى، وقرابغا السيفى، وأقبغا السيفى، وبييغا السيفى، وطبيغا السيفى، ومحمد بن بيدمر نائب الشام، وجيرائيل الخوارزمى، ومنجك الزينى، وأرغون شاه السيفى.

وفيه سُمِر أسندمر الأشرفى رأس نوبة (١)، وأقبغا الظريف البجاسى، وإسماعيل التركمانى أمير البطالين فى أيام منطاش، وكُزَل القرمى، وصرىغا، وشهروا بالقاهرة، ثم وسطوا بالكوم، ولم يعهد مثل هذا يفعل إلا بقطاع الطريق.

وفيه أحضر الأمير الطنبغا الحلبي، والطنبغا أستاذار جتتمر إلى مجلس قاضى القضاة شمس الدين محمد الركراكى المالكى، وأدعى عليهما بما يقتضى القتل، فسجنهما بخزانة شمائل مقيدين.

وفى ثانى عشره: قبض على الأمير صنحج.

وفى خامس عشره: شكا رجل شهاب الدين أحمد بن عمر القرشى للسلطان فأحضر من السجن، واستدعى عليه غريمه بمال له فى قلبه، وبدعاوى شناعة، فضرب بالمقارع وسلم إلى والى القاهرة ليخلص منه مال المدعى الذى أقرَّ به؛ فوالى ضربه وعصره مرارا، وسجنه بخزانة شمائل.

وفى تاسع عشره: استقر الأمير قطلوبغا الصفوى حاجب الحجاب، واستقر الأمير بدخاص حاجب الميسرة، واستقر الأمير قديد نائب الكرك حاجبا ثالثا، واستقر الأمير على باشاه حاجبا رابعا.

واستقر يلبغا الأشقتمرى أمير أخور فى نيابة غزة؛ وناصر الدين محمد بن شهرى فى نيابة ملطية.

(١) رأس نوبة: بلاد واسعة عريضة فى جنوبى مصر وهم نصارى. انظر معجم البلدان ٣٠٩/٥.

٣٠٦ سنة ثلاث وتسعين وسبعائة

وفي ثلثى عشرينه: وقف شخص وادعى أن أمير ملك - ابن أخت جنتمر - أخذ له ستمائة ألف درهم، وأغرى به منطاش حتى ضربه بالمقارع، فأحضر وادعى عليه غريمه فضرب بالمقارع ضرباً مبرحاً، وتسلمه والى القاهرة، فمات ليلة خامس عشرينه.

وفي يومه استقر أرغون شاه الإبراهيمى الخازندار حاجب الحجاب بدمشق، عوضاً عن الألبغا العثماني. واستقر الألبغا فى نيابة حماة، وخرج البريد بتقليده.

وفيه أنعم على كل من قاسم ابن الأمير الكبير كُمشبغا الحموى، ولاجين الناصرى، وسوذن العثماني النظامى، وأرغون شاه الأقبغاوى، وسوذن باشاه الطاي تُمرى، وشكريباى العثماني، وقجقار القرُمشى بإمرة طبلخاناه. وعلى كل من قطلوبغا الطَقْتَمُشى، وعبد الله أمير زاه بن ملك الكرُج^(١) وكُزل الناصرى، وآلان اليحياوى، وكُمشبغا الإسماعيلى طاز، وقلمطاي العثماني بإمرة عشرة.

وفيه قدم آقبغا الصغير نائب غزة بطلب.

وفيه قبض على ممالك الأمير بركة، والممالك الذين خدموا منطاش، وتبعوا من سائر المواضع، وأخذوا من كل مكان.

وفي ثلثى عشرينه: عرضهم السلطان، وأفرج عن جماعة منهم.

وفي خامس عشرينه: ضرب ابن القرشى نحو مائتى شيب بالمقارع، عند الوالى.

وفي سادس عشرينه: استقر الصارم والى القاهرة فى ولاية الأشمونين، عوضاً عن تقطاي الشهابى.

وفي أخريات هذا الشهر: ظهر كوكب طوله نحو ثلاثة أرماع، قليل النور، يُرى فى أول الليل ويغيب نصف الليل، أقام ليالى واختفى.

وفي أول شهر رجب: قدم منطاش دمشق، وسار إليها من مرعش على العمق، حتى قارب من حماة، فانهزم منه نائبها إلى جهة طرابلس من غير لقاء، ودخلها منطاش، ولم يحدث حدثاً. وتوجه منها إلى حمص، ففر منه أيضاً نائبها إلى دمشق، ومعه نائب بعلبك، فخرج الأمير يلبغا الناصرى يريد لقائه من طريق الزبدانى، فثار أحمد شكر بجماعة البيدمرية، ودخل دمشق من باب كيسان^(٢)، وأخذ ما فى الإصطبلات من الخيول،

(١) الكرج وهو جبل من الناس نصارى كانوا يسكنون فى جبال القيق وبلد السرير فقويت شوكتهم حتى ملكوا مدينة نقليس. انظر معجم البلدان ٤٥/٤٤٦.

(٢) باب كيسان أحد أبواب سور دمشق فى الجهة الشرقية الجنوبية وهو منسوب إلى كيسان

مولى معاوية. [خطط الشام فى الجمع بين رجال الصحيحين ج ٦ ص ١٥٧]

وخرج فى يوم الأحد تاسع عشرين جمادى الآخرة. وقدم منطاش فى يوم الإثنين أول رجب من طريق أخرى، ونزل القصر الأبلق، ونزل جماعته حوله. وقد أحضر إليه أحمد شكر من الخيول التى نهبها ثمانمائة فرس، وندبه ليدخل المدينة ويأخذ من أسواقها المال، فبينا هو كذلك إذ قدم الناصرى بعساكر دمشق فاقتتلا قتالاً كبيراً مدة أيام.

وفى ثالثه: استقر أمير بن الدمر فى ولاية الغربية، عوضاً عن شاهين الكلفتى.

وفى خامسه: ورد البريد من حلب بدخول منطاش إلى دمشق، ومحاربة الناصرى له، كما ذكر.

وفى تاسعه: ضرب الشهاب أحمد بن عمر القرشى حتى مات بخزانة شمائل، وأخرج من وقف الطرحاء.

وفى حادى عشره: اجتمع القضاة والأمير بدخاخص الحاجب بشباك المدرسة الصالحية بين القصرين من القاهرة، وأحضر الأمير الطنبغا دوادار جنتمر، وأوقف تحت الشباك فى الطريق، وادعى عليه بما اقتضى إراقة دمه، وشهد عليه به، فضرب عنقه، وشهد أيضاً على الأمير الطنبغا الحلبي، فضرب عنقه وحملت رءوسهما على رحمين. ونودى عليها فى القاهرة.

وفى سادس عشره: أخذ قاع النيل، فجاء أربعة أذرع، وعشرون أصبعاً وفى رابع عشرينه قدم على ابن الأمير نعيم، فقبض عليه.

وفى خامس عشرينه: خلع على نجم الدين الطنبدى خلعة استمرار.

وفى سابع عشرينه: قدم البريد من دمشق باستمرار الحرب بين الناصرى ومنطاش، وأن منطاش انكسر، وقتل كثير ممن معه، وفر معظم التركمان الذين قدم بهم، وصار محصوراً بالقصر الأبلق.

وفيه استقر الصارم إبراهيم الباشقردى فى ولاية أسوان، عوضاً عن الصارم الشهابى. وفيه أحضر أنواط - كاشف الوجه البحرى - سبعين رجلاً من العرب الزهور وخيولاً كثيرة، فوسط منهم ستة وثلاثون رجلاً.

وفى الأول من شعبان: رسم بتجهيز الأمراء للسفر إلى الشام، وشرع الوزير وناظر الخاص فى تهيئة بيوتات السلطان، وعمل ما يحتاج إليه فى السفر.

وفى خامسه: قدم البريد من صفد بأن منطاش فر من دمشق، وتبعته العساكر، فسر السلطان والأمراء بذلك.

وفيه قتل حسام الدين حسين بن باكيش، وسببه أن الخبر ورد بأن ولده جمع كثيراً من العشير، ونهب الرملة^(١) وقتل عدة من الناس.

وفي سادسه: ضرب حسين بن الكوراني بالمقارع.

وفي عاشره: نصب جاليش السفر، ورسم للقضاة بالتهجى إلى السفر.

وفي حادى عشره: تسلم الأمير علاء الدين على بن الطبلاوى: الأمير صراى ثمر داودار منطاش، وتكا الأشرفى، ودمرداش اليوسفى، ودمرداش القشتمرى، وعلى الجركتمرى، فقتلوا، إلا على الجركتمرى فإنه عصر، وقتل بعد ذلك هو وقطلوبك نائب صفد.

وفي ثانى عشره: عرض السلطان الحاييس من المنطاشية، وأفرد منهم جماعة للقتل، فقتل فى ليلة الأحد ثالث عشره منهم: الأمير جتتمر أخو طاز وابنه، وألطنبغا الجربغاوى، والطواشى تقطاى الطشتمرى، وفتح الدين محمد بن الشهيد، ضربت أعناقهم بالصحراء.

وفي خامس عشره: صرف مجد الدين إسماعيل عن قضاء القضاة الحنفية، واستقر عوضه جمال الدين محمود العجمى القيصرى، ونزل معه بعدما خلع عليه الأمير بظا الدوادار، والأمير جُلبان رأس نوبة فى عدة من الأمراء، وسائر القضاة، فكان يوماً مشهوداً. وكتب له فى توقيعه «الجناب العالى»، كما كتب للعماد أحمد الكركى، وهما أول من كتب به ذلك من قضاة القضاة ولم يكتب هذا لأحد من المتعممين إلا للوزير فقط، ويكتب للقضاة «المجلس العالى»، فكتب للعماد الكركى «الجناب العالى»، وتشبه به الجمال محمود، فكتب له ذلك، واستمر لمن بعدهما.

وفي سابع عشره: أخرج أمير حاج بن مغلطاي إلى دمياط، وأخرج الأمراء البطالون إلى نغر الإسكندرية، وأفرج عن تلتكتمر الدوادار، وصراتمر دوادار يونس الدوادار، ونزلا إلى بيوتهما.

وفي ثامن عشره: قبض على عدة من الأمراء، وسجنوا، وأمض من الغد فيهم قضاء الله، الذى لا يرد.

وفيه تعين لنيابة الغيبة بديار مصر الأمير الكبير كمشبغا الحموى، وتحول إلى

(١) الرملة: بالشام، سمتها الرملة لما غلب عليها الرمل، وهى من كور فلسطين، وبينها وبين القدس ثمانية عشر ميلاً، ومدينة الرملة وسط بلاد فلسطين. انظر معجم البلدان ٦٩/٣، والروض المعطار ٢٦٨، والقدسى ١٦٤، ١٦٥، وناصر خسرو ١٩، وصبح الأعشى ٩٩/٤.

الإصطبل السلطاني. وتحول الأمير سُودن النائب إلى قلعة الجبل، ومعه الأمير بجاس النوروزي، وأقام بالقلعة ستمائة مملوك عليهم تغرى بردى رأس نوبة، والأمير الطواشى صواب السعدى. وتعين للإقامة بالقاهرة الأمير قُطُوبغا الصفوى، حاجب الحجاب، والأمير بذخاص السودونى أمير حاجب، وقديد، وطغاي تمر باشاه، وقرابغا الحاجب، فى عدة من أمراء العشراوات.

ورسم لشيخ الإسلام سراج الدين^(١) عمر البلقينى وقضاة العسكر، ومفتيين دار العدل، وبدر الدين محمد بن أبى البقاء الشافعى، وبدر الدين محمد بن فضل الله العمري بالسفر، فتحهزوا لذلك. ونزل السلطان بعد صلاة الظهر من القلعة، وسار إلى الوطاق بالريدانية خارج القاهرة، وتلاحقت الأمراء والعساكر وأرباب الدولة به.

وفى ثانى عشرينه: قبض على الأمير ناصر الدين محمد بن آقبغا أص بالريدانية، وضرب على إحضار أربعمئة ألف درهم فضة. ورسم للأمير علاء الدين على بن سعد الدين عبد الله بن محمد الطبلراوى الوالى بالتحدث فى شد الدواوين، عوضا عن ابن آقبغا أص، وسلم إليه، فشدد فى عقوبته ووجد له سبعون فرسا وأربعون جملا، وأربعة وعشرون مركبا فى النيل، وقماش كثير.

وفى ثالث عشرينه: استقر شمس الدين محمد بن الجزرى المقرئ فى قضاء القضاة الشافعية بدمشق، عوضا عن شرف الدين مسعود، بمال قام به، وأخرج بسائر من فى خزانة شمائل إلى الريدانية، وعرضوا على السلطان، فأفرد منهم سبعة وثلاثين رجلا للقتل، منهم: محمد بن الحسام أستاذار أرغون أسكى، وأحمد بن النقوعى، ومقبل الصفوى، فغرقوا فى النيل. وسمر منهم سبعة وهم: شيخ الكرىمى، وأسندمر والى القلعة، وثلاثة من أهل الشام، واثنان من التركمان، ثم وسطوا.

وفى رابع عشرينه: استقر ناصر الدين محمد بن رجب بن تَلْت فى شد الدواوين. وأنعم على الأمير سيدى أبى بكر بن نقر الجمالى بإمرة طبلخاناة، ورسم به بإمرة الحاج.

(١) سراج الدين عمر البلقينى [٢٤-٨٠٥هـ= ١٣٢٤ - ١٤٠٣م] عمر بن رسلان بن نصر ابن صالح الكنانى، العسقلانى الأصل، ثم البلقينى المصرى الشافعى أبو حفص، سراج الدين: مجتهد حافظ للحديث من العلماء بالدين ولد فى بلقينة (من غربية مصر) وتعلم بالقاهرة وولى قضاء الشام سنة ٧٦٩هـ وتوفى بالقاهرة من كنه «التدريب - خ» فى فقه الشافعية لم يتم وتصحيح المنهاج - خ. انظر الضوء اللاسع ٦: ٨٥ وشذرات الذهب ٧: ٥١ والأعلام ٥/٦٤ والخزانة التيمورية ٣: ٣٨ والنجاح ٩: ١٤٣.

وفي سادس عشرينه: رحل السلطان من الريدانية.

وفيه نودى بالقاهرة أن يتجهز الناس للحج، على العادة.

وفي ليلة الثلاثاء تاسع عشرينه: قتل اثنا عشر من الأمراء، منهم الأمير أرغون شاه السيفى، وآلبغا الطشتمرى، وأقبغا السيفى، وبزلار الخليلى.

وفي ليلة الأربعاء سلخه: قتل من الأمراء سنحج الحسنى، وقربغا السيفى، ومنصور حاجب غزة.

وفي يوم الأربعاء: قدم البريد من السلطان بكسرة منطاش وفراره فى سادس عشره، ومعه عنقاء بن شطى، فدقت البشائر، وتخلّق الأمراء والممالك، ونودى بذلك فى القاهرة.

وفي رابع شهر رمضان: قدم بريد السلطان بنزوله قطيا، وأن الأخبار صحت بفرار منطاش من دمشق فى خمسين فارسا.

وفيه قدم الأمير ناصر الدين محمد بن رجب بمشال سلطانى إلى الأمير جمال الدين محمد الأستادار؛ فإذا هو يتضمن مسكه، وإلزاه بمحمل مائة وستين ألف درهم، فقبض عليه، وأخذ منه سبعين ألف درهم.

وفي سادس شهر رمضان: زينت القاهرة.

وفيه أخرج الأمير كُمُشْبِغا مائتى فارس من أجناد الحلقة إلى كاشف الوجه البحرى، تقوية له.

وفيه وُسط أحمد بن علاء الدين على بن الطشلاقى، والى قطيا.

وفي ثامنه: قلعت الزينة من القاهرة، ولم يكن للزينة سبب يقتضى ذلك.

وفيه استقر بهاء الدين محمد بن البرجى موقع الدست فى حسبة القاهرة، عوضا عن نجم الدين محمد الطنبدى بمال قام به للأمير كُمُشْبِغا.

وفي عاشره: نودى على النيل بعد توقفه أياما، وكان عاشر مسرى - وقد ارتفعت الأسعار - فتوالت الزيادة فى نهاره، حتى أوفى النيل ستة عشر ذراعا؛ وكسر الخليج وخرج شرف الدين بن أبى الرّدّاد على البريد ببشارة الوفاء.

وفيه قبض على بكممر - دوادار الجوىانى - فهرب، ولم يوقف له على خير.

وفي ثاني عشرينه: دخل السلطان إلى دمشق وقد زينت له، وخرج الأمير يلبغا الناصرى إلى لقائه بمنزلة اللجون^(١)، فكان يوما مشهودا.

وفيه نودى بدمشق بالأمان. وصلى يوم الجمعة ثالث عشرينه بدمشق صلاة الجمعة في جامع بنى أمية. وعندما انقضت الصلاة نادى الجاويش في الناس بالأمان، «والماضى لا يعاد، ونحن من اليوم تعارفنا»، فضج الناس بالدعاء للسلطان، وقد كانوا مترقبين بلاء كبيرا ينزل بهم منه، لسوء ما فعلوا معه في السنة الماضية، وكثرة مبالغتهم في سبه، وإعلانهم بفاحش القول له، وهم يقاتلونه.

وفي ثاني عشرينه: استقر الأمير كمشبغا نائب الغيبة بشاهين الكلفتى في كشف الوجه البحرى، وعزل أنواط السيفى، وقبض عليه.

وفي ليلة الأحد خامس عشرينه: قتل خارج القاهرة أمير على الجركمى القازانى، المهمندار في أيام منطاش.

وفي تاسع عشرينه: نودى في القاهرة بمنع النساء من الخروج يوم العيد إلى الترب، ومن خرجت وسطت هي والمكارى^(٢) والحمار؛ وألا يركب أحد في مركب للتفرج على النيل، وهدد من فعل ذلك بإحراق المركب، فلم يتحاسر أحد يخرج في العيد إلى القرافة، ولا إلى ترب القاهرة.

وفي ثاني شوال: قدم البريد بدخول السلطان إلى دمشق.

وقدم البريد بنزول خوندكار أبى يزيد بن عثمان ملك الروم إلى قيصرية وأخذها.

وفيه استقر قطلوبغا الصفوى في ولاية قليوب، وعزل تنكر اليريدى.

وفي سابعه: خرج السلطان من دمشق، يريد حلب.

وفيه استقر فخر الدين عبد الرحمن بن مكانس في وزارة دمشق، وعزل ابن الجزرى

عن قضاء دمشق قبل أن يدخل إلى دمشق، وأعيد مسعود.

وفي تاسع عشره: قدم البريد إلى القلعة بتوجه السلطان إلى حلب، وأنه ورد عليه

دوادار الأمير سولى بن دلغادر بهدية، فيها مائة بقجة قماش، ومائتا فرس، وهو يعتذر

عن أخذ سيس، وبعث مفاتيحها، وسأل تعيين من يتسلمها منه، وأن نغير ومنطاش نزلا

الرحبة وجعير.

(١) اللجون بفتح أوله وضم ثانيه وتشديده بلد بالأردن بينه وبين طبرية عشرون ميلاً. انظر

معجم البلدان.

(٢) المكارى مكرى الدواب ويقلب على الحمار والبغال. انظر القاموس الوجيز ٥٣٣.

سنة ثلاث وتسعين وسبعمائة

وفيه استقر محمد بن صدقة بن الأعسر فى ولاية الأشمونين (١) وعزل الصارم، واستقر محمد بن قرايغا فى ولاية دمياط، وعزل صديق.

وفى ثالث عشرينه: نودى بالقاهرة ألا تلبس امرأة قميصا واسعا، ولا تزيد على تفصيل القميص من أربعة عشر ذراعا. وكان النساء بالغن فى سعة القمصان، حتى كان يفصل القميص الواحد من اثنين وتسعين ذراعا من البندى الذى عرضه ثلاثة أذرع ونصف، فيكون مساحة القميص زيادة على ثلاثمائة وعشرين ذراعا. وفحش هذا حتى تشبه عوام النساء فى اللبس بنساء الملوك والأعيان.

وفى ليلة الأحد رابع عشرينه: أحضر الأمير محمد شاه بن بيدمر من الإسكندرية، فقتل خارج القاهرة ليلة الإثنين خامس عشرينه.

وفى سادس عشرينه: صرف نور الدين على بن عبد الوارث عن حسة مصر بالشريف أحمد بن محمد بن حسن بن حيدرة، المعروف بابن بنت عطا، قاضى الخنفية بثمر الإسكندرية.

وفى سلخه: قدم البريد بدخول السلطان إلى حلب فى ثانى عشرينه، وأن بدر الدين محمد بن على بن فضل الله العمرى، أعيد إلى كتابة السر، وعزل علاء الدين على بن عيسى الكركى لضعفه.

وفى يوم الأحد أول ذى القعدة: دقت البشائر، واستمرت ثلاثة أيام.

وفى ثانيه: ندب الأمير كُمشبغا نائب الغيبة جماعة نزلوا إلى أسواق القاهرة وشوارعها، وقطعوا أكمام النساء الواسعة، فامتنع النساء من يومئذ، أن يمشين بقمصان واسعة مدة نيابة الأمير كمشبغا، ثم عدن إلى ذلك بعد عود السلطان.

وفيه ورد الخبز بالقبض على منطاش، ولم يصح ذلك.

وفى ثالثه: قدم البريد بموت ناصر الدين محمد بن على بن الطوسى، واستقرار ناصر الدين محمد بن حسن الفاقوسى موقع الدرج عوضه فى توقيع الدست، وموت قاضى القضاة شمس الدين محمد الرركاكى المالكى فأذن الأمير كمشبغا لنوابه بالحكم بين الناس على عادتهم.

وفى ثامنه - وهو عاشر بابة: - انتهت زيادة النيل إلى أصبع من عشرين ذراعا.

(١) أشمون مدينة قديمة أزلية عامرة أهلة إلى هذه الغاية وهى قصبة كورة من كور الصعيد الأدنى

غربى النيل ذات بساتين. انظر معجم البلدان ٢٠٠/١.

وفي سادس عشرينه: قدم البريد من حلب بأن الخبر ورد بقبض سالم الذكري على منطاش، وأن صاحب ماردين قبض على جماعة من المنطاشية حضروا إليه، فبعث السلطان قرا دمرداش نائب حلب على عسكر، والأمير يلبغا الناصري نائب دمشق على عسكر، والأمير أينال اليوسفي أتابك العساكر على عسكر، فساروا لإحضار منطاش ومن معه، فنودي في القاهرة بالأمان، وقد حصل غريم السلطان، فدقت البشائر ثلاثة أيام.

وفيه استقر الأمير أيدير الشمسي أبو زلطة في نيابة البحيرة، وعزل دمرداش السيفي.

وفي سابع عشرينه: قدم البريد من حلب بأن الأمير قرا دمرداش وصل بعسكر حلب إلى أبيات سالم الذكري، وأقام أربعة أيام يطالبه بتسليم منطاش وهو بماطله، فحنق منه وركب بمن معه، ونهب بيوته، وقتل عدة من أصحابه. ففر سالم بمنطاش إلى سنجار، وامتنع بها. وأن الأمير يلبغا الناصري حضر بعساكر دمشق بعد ذلك، فأنكر على قرا دمرداش ما وقع منه، وأغلظ في القول، وهم بضربه، فكادت تكون فتنة كبيرة، وعادا، وأن الأمير أدينال وصل بعسكر مصر إلى رأس عين^(١)، وتسلم من صاحب ماردين الذين قبضهم من المنطاشية، وكبيرهم قشتمر الأشرفي، وحضر بهم وبكتاب صاحب ماردين، وهو يعتذر، ويعد تحصيل غريم السلطان.

وفي يوم الإثنين أول ذي الحجة: خرج السلطان من حلب يريد دمشق.

وفي سادسه: قدم البريد بأن السلطان لما بلغه ما جرى من قرا دمرداش وما وقع بينه وبين الناصري من الفتنة، وأنهما عادا بغير طائل، غلب على ظنه صحة ما نقل عن الناصري من أن قصده مطاولة الأمر مع منطاش، وأنه لم يحضر إلى دمشق إلا بمكاتبه له بذلك، وأنه قصر في أخذه بدمشق، وأن سالم الذكري لم يرحل بمنطاش إلى سنجار إلا بكتاب الناصري إليه بذلك. فلما قدم إلى حلب قبض عليه وعلى شهاب الدين أحمد بن المهمندار نائب حماة، وكشلى أمير أخور الناصري، وشيخ حسن رأس نوبته، وقتلهم في ليلة قبضهم.

(١) رأس عين: وبعضهم يقول رأس العين، واسمها عين الوردية، من كور الجزيرة ومقرية من نصيبين، وبينها وبين الفرات أربعة فراسخ، وهي كلها بين الجزيرة والشام، وهي مدينة كبيرة عليها سوران. انظر معجم البلدان الجزء الرابع، والروض المعطار ٢٦٤، ٢٦٥، وابن جبير ٢٤٢، ٢٤٤، ومعجم ما استعجم ٦٢٣/٢ وابن حوقل ٢٠٠، والكرخي ٥٣.

وما يرح يلبغا الناصرى من مبدأ أمره سىء الرأى والتدبير، حتى قيل عنه أنه ما كان مع قوم فى أمر من الأمور إلا وانعكس عليهم أمرهم بواسطته.

وولى الأمير بطا الدوادار نيابة دمشق، والأمير جُلبان الكمشبغاوى، رأس نوبة نيابة حلب، والأمير فخر الدين أياس الجرجاوى فى نيابة طرابلس، والأمير دمرداش المحمدى فى نيابة حماة. وأنعم على قرا دمرداش نائب حلب بإقطاع الأمير بَطَا، وأنعم على الأمير أبى يزيد بن مراد الخازن بالدوادارية، عوضا عن بطا بإمرة طبلخاناة، وأنعم على الأمير تانى بك اليحياوى بإقطاع جُلبان. ثم سار من حلب فى أول ذى الحجة، فنودى بتبييض حوانيت قصبة القاهرة، فشرع الناس فى ذلك.

وفى سادس عشره: قدم اليريد بأن السلطان عاد إلى دمشق فى ثالث عشره، وأنه قتل من الأمراء آلابغا العثمانى، وسودن باق السيفى، وسمر ثلاثة عشر أميراً منهم: أحمد ابن بيدمر، ومحمد بن أمير على الماردينى، ويلبغا العلاى، وبغا جُحُ السيفى نائب ملطية^(١) وكُمُشْبِغا السيفى نائب بعلبك، وغريب الخاصكى، وقرابغا العمرى.

وفى ثالث عشرينه: توجه السلطان من دمشق يريد القاهرة.

وفى رابع عشرينه: أعيد نور الدين على بن عبد الوارث البكرى إلى حسبة مصر.

وفى تاسع عشرينه: قدم مبشرو الحاج، وأخبروا بالسلامة والأمن وانقضت السنة وديار مصر قد ساسها الأمير كمشبغا أحسن سياسة، ولم يجسر أحد أن يتظاهر فى مدة تحكمه بمنكر، ولا يحمل سلاح.

* * *

ومات فى هذه السنة من الأعيان

من له ذكر، سوى من قتل من الأمراء المذكورين.

ومات قاضى القضاة شهاب الدين أبو العباس أحمد بن الشيخ زين الدين أبو حفص عمر بن مسلم بن سعيد بن بدر بن مسلم القرشى، الواعظ، الفقيه، الشافعى، قاضى دمشق، بخزانة دمشق، بعد عذاب شديد، فى ليلة الأربعاء تاسع رجب.

ومات الأمير شهاب الدين أحمد بن الأمير الكبير سيف الدين الحاج آل ملك الجوكندار. ولد بالقاهرة، ثم أعطاه الملك الناصر محمد بن^(٢) قلاون إمرة طبلخاناه فى

(١) ملطية: بلدة من بلاد الروم مشهورة مذكورة تناخم الشام وهى للمسلمين.

(٢) الناصر محمد بن قلاون بن عبد الله الصالحى، أبو الفتح (٦٨٤٦-٧٤١هـ= ١٢٨٥ -

١٣٤١) من كتاب ملوك الدولة القلاونية له آثار عمرانية ضخمة وتاريخ حافل بجلائل الأعمال.=

حياة أبيه، وما زالت بيده إلى الأيام الناصرية حسن، فأعطاه إمرة مائة، وبقي عليها إلى عاشر ربيع الآخر سنة خمس وسبعين وسبعمائة. ولى نيابة غزة، عوضاً عن طشبيغا المظفرى، فسار إليها وباشرها قليلاً.

وأعيد إلى القاهرة على إمرة أربعين، وعمل من جملة الحجاب، فاستمر إلى اثني ربيع الأول سنة تسع وتسعين، فاستعفى من الإمرة، وتركها، ولبس عباءة، وركب حماراً، ومشى بالأسواق، وتقنع بما يتحصل من أوقاف أبيه، وأقبل على عبادة الله، حتى مات يوم الأحد ثاني عشرين جمادى الآخرة.

ومات القاضي ولى الدين أبو العباس أحمد بن قاضى القضاة جمال الدين عبد الرحمن ابن محمد بن خير السكندرى المالكى، فى ثاني عشرين جمادى الآخرة. وقد برع فى الفقه والأصول والنحو، وأفتى ودرس.

ومات الشيخ شهاب الدين أحمد بن الأنصارى الشافعى شيخ الخانقاة الصلاحية سعيد السعداء، فى عاشر ذى القعدة. وكان مقتصدًا فى ملبسه، يجلس بحانوت اليهود، ويتكسب من تحمل الشهادات، فأثرى^(١) وكثر ماله لقلّة مؤنه، فإنه لم يتزوج. وأوقف ربعاً على مدرس شافعى عنده عشر طلبية بالجامع الأزهر. ثم سعى بالأمرير سودن النائب حتى ولى مشيخة سعيد السعداء، فلم يتناول سوى نصيب واحد، وأنشأ بها مناراً يؤذن عليه، وعمر أوقافها وبالغ فى الضبط مع إساءة ملكة، حتى مقته الجميع.

ومات الأمير حسام الدين حسين بن على الكورانى، والى القاهرة مخنوقاً، فى عاشر شعبان.

ومات الشيخ جلال الدين رسولاً بن أحمد بن يوسف العجمى التبانى الحنفى قدم إلى القاهرة وأخذ عن القوام الأتقانى الفقه، وسمع الحديث على علاء الدين^(٢) على

=انظر مورد الطاقة لابن تغرى بردى ٤٤ والنجوم الزاهرة ٤١: ٨، ١١٥ وانظر ديوان صفى الدين الحلى ٥٥-٦٢ و٢٤٢ وفوات الوفيات ٢/٢٦٣ والأعلام ١١/٧.

(١) فأثرى (فأثرا) ترك فيه أثر. انظر معجم الوجيز.

(٢) على بن عثمان التركمانى [٦٨٣-٧٥٠هـ = ١٢٣٤ - ١٣٤٩م]

على بن عثمان بن إبراهيم بن مصطفى الماردىنى أبو الحسن قاضى حنفى من علماء الحديث واللغة من أهل مصر وله كتب، منها [المنتخب] فى علوم الحديث. انظر فوات الوفيات ٥٧/٢ والأعلام ٣١١/٤.

التركمانى. وأخذ العربية عن الجمال بن هشام، وعن ابن عقيل^(١)، والبدر ابن أم قاسم. وبرع فى الفقه والأصول والنحو، وتصدى للتدريس والإفتاء عدة سنين، ودرس بمدرسة الأمير ألبجى، والمدرسة الصرغتمشية وغيرها.

وكان منجمعا عن الناس، عرض عليه قضاء القضاة فامتنع. وشرح كتاب المنار فى أصول الفقه. واختصر شرح البخارى لمغلطاي، وشرح مختصر ابن الحاجب^(٢) فى الأصول، ونظم كتابا فى الفقه وشرحه، وكتب التعليق على البزدوى، وكتب مختصرا^(٣) فى ترجيح مذهب أبى حنيفة، رحمه الله، وكتب على مشارق الأنوار فى الحديث، وعلى تلخيص المفتاح،^(٤) وله رسالة فى زيادة الإيمان ونقصانه، ورسالة فى أن الجمعة لا يجوز إقامتها فى مصر واحد.

ورسالة فى الفرق بين الفرض العلمى والواجب. وتوفى خارج القاهرة يوم الجمعة ثالث عشر رجب. والتبانى نسبة إلى موضع خارج القاهرة يقال له التبانة، كان يقف فيه سوق للتبن.

ومات الحاج عبيد بن البازدار مقدم الدولة، فى يوم السبت رابع عشر صفر.

ومات شرف الدين عبد القادر بن محمد بن عبد القادر الحنبلى النابلمى، قاضى الحنابلة بدمشق، فى يوم الأضحى؛ وقدم القاهرة غير مرة.

ومات الشيخ المعتقد على الروبى، فى رابع عشرين ذى الحجة.

ومات صدر الدين عمر بن عبد المحسن بن رزين الشافعى، فى ليلة الأحد سادس عشر المحرم، وكان من أجل خلفاء الشافعية بديار مصر.

(١) عبد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن محمد القرشى الهاشمى، بهاء الدين ابن عقيل [١٢٩٤ - ١٣٦٧م]. من أئمة النحاة من نسل عقيل بن أبى طالب ومولده ووفاته فى القاهرة وله ألفية ابن مالك - ط، فى النحو. انظر الدرر الكامنة ٢/٢٦٦ وبغية الوعاة ٤/٢٨٤ والبدر الطالع ١/٣٨٦ وشذرات الذهب ٦/٢١٤.

(٢) مختصر ابن الحاجب هو مختصر منهج السؤال والأمل فى علم الأصول والجدول. كشف الظنون ٢/١٦٥٢.

(٣) يقصد كتاب تلخيص الفتاح فى المعانى والبيان للشيخ الجليل جلال الدين محمد بن عبد الرحمن القزوينى الشافعى المعروف بخطيب دمشق المتوفى سنة ٧٣٩هـ. كشف الظنون الجزء الأول ٤٧٣.

(٤) يقصد مشارق الأنوار النبوية من صحاح الأخبار المصطفوية تأليف شرف الدين محمد بن عبد الله الأرزنجانى الرومى المتوفى سنة ٧٨٤هـ. كشف الظنون ٤/٤٨٤.

ومات الشيخ زين الدين عمر بن مسلم بن سعيد بن عمر بن بدر بن مسلم القرشي
الدمشقي الشافعي الواعظ؛ لم يجلس للوعظ حتى حفظ أربعين مجلسا.

وبرع في الحديث والفقه والتفسير. وقدم القاهرة ووعظ بها، وحصل له القبول
التام. ومولده في شعبان سنة أربع وعشرين وسبعمائة. ومات بدمشق في الاعتقال،
بسبب ولده القاضي شهاب الدين أحمد.

ومات فتح الدين أبو بكر محمد بن عماد الدين أبي إسحاق إبراهيم^(١) بن جلال
الدين أبي الكرم محمد المعروف بابن الشهيد الدمشقي الشافعي، كاتب السر بدمشق.
كان وافر الفضيلة، عالما بالفنون، عارفا في الأدب، مشاركاً في عدة علوم، مليح
الكتابة، صحيح الفهم، رئيساً، عالي الرتبة، رفيع المنزلة، له محاضرة لا تمل، نشأ بدمشق،
وأخذ عن مشايخ عصره، وكتب في الإنشاء، ثم ولى كتابة السر بدمشق، ومشيخة
الشيوخ، وتدريس الظاهرية، ونظم كتاب السيرة النبوية لابن هشام، وله نظم ونشر
وتوايف مفيدة. مات بدمشق في ليلة التاسع والعشرين من شعبان.

ومات أخوه نجم الدين محمد في يوم الجمعة سادس ذى القعدة، ودفن على أخويه
فتح الدين محمد، وشمس الدين محمد. وباشر توقيع الدست وكتابة سر طرابلس،
وسيس^(٢) وحماة. وأقام بسيس نحو عشرين سنة، ثم قدم إلى القاهرة حتى مات بها، عن
نحو تسعين سنة.

ومات ناصر الدين محمد بن علي الطوسي، موقع الدست، في ثاني عشرين شوال،
بجلب.

ومات الشيخ شمس الدين محمد بن يوسف بن محمد الزيلعي الحنفي، الرجل الصالح،
في ثاني عشرين المحرم.

ومات أمين الدين محمد بن الحسن الأنفي المالكي، المحدث الفاضل. ومولده في
شوال سنة ثلاث عشرة وسبعمائة، وسمع من البنديجي^(٣) وغيره.

(١) فتح الدين أبو بكر محمد بن عماد الدين أبي إسحاق إبراهيم [٧٢٨-٧٩٣=١٣٢٨-
١٣٩١] الملقب بابن الشهيد كاتب السر بالشام له علم بالتفسير والأدب ونظم ونشر، أصله من
نابلس (بفلسطين) ومولده بالرملة. اشتهر في دمشق وكتب بها في ديوان الإنشاء. انظر الدرر الكامنة
٢٩٦/٣ ومطالع البدور ١/١٠ وشذرات الذهب ٦/٣٢٩ والأعلام ٥/٢٩٩.

(٢) سيس أعظم مدن الثغور الشامية بين أنطاكية وطرسوس على عين زربة. انظر معجم البلدان
٥/٣٩.

(٣) البنديجي ناحية بالعراق قرب بغداد خرج منها جماعة من العلماء المحدثين والشعراء الفقهاء
والكتاب. انظر: معجم البلدان ٢.

ومات قاضى القضاة شمس الدين محمد بن يوسف الركاكى المالكى، بجمص، فى رابع عشر شوال.

ومات الشيخ تقى الدين محمد بن أحمد بن محمد بن حاتم، شيخ الحديث، فى أول ذى القعدة.

ومات الشيخ المقرئ شمس الدين محمد بن محمد بن أحمد العسقلانى؛ إمام جامع أحمد بن طولون، فى حادى عشر المحرم، أخذ عن التقى الصايغ.

ومات المهتار ناصر الدين محمد بن على الشيخى، فى ليلة الثلاثاء أول ربيع الأول.

* * *

سنة أربع وتسعين وسبعمائة

أهل الحرم يوم الأربعاء:

فيه قدم البريد بأن السلطان يدخل إلى غزة في ثلثه.

وفي حادى عشره: قدم البريد بنزول السلطان قطيا.

وفيه قدم الحریم السلطانی مع الطواشی بهادر المقدم، فدقت البشائر، ونودی بالزينة، فشرع الناس فيها، وفي تبيض ظاهر البيوت بشارع القاهرة، وفي نصب القلاع (١).

وفي ثالث عشره: قدم البريد بالخروج إلى لقاء السلطان على بلبس، فخرج الأمير كمشبغا، والأمير سودن النائب، وبقية الأمراء.

وفي يوم الأربعاء خامس عشره: نزل السلطان بالعكرشا، وأقام بها إلى ليلة الجمعة، ثم رحل، فخرج سائر الطوائف في يوم الجمعة إلى لقائه، وأقبل في موكب جليل حتى صعد قلعة الجبل، فكان يوما مشهودًا، خلع فيه على جميع الأمراء، وأرباب الوظائف بأسرهم.

وفي عشرينه: استقر أوناظ في كشف الوجه البحرى على عادته، وعزل شاهين الكلبكى.

وفي ثانى عشرينه: استقر دمرداش السيفى نائب الوجه البحرى على عادته، وعزل أبو زلطة، واستقر طرُقجى فى ولاية منوف على عادته، وعزل على بن محمد بن طاجار الشامى.

وفي خامس عشرينه: قدم البريد بموت الأمير بطا الطولومتري، نائب دمشق.

وفي سابع عشرينه: استقر الأمير سودن الطرنطاي فى نيابة دمشق، واستقر شهاب الدين أحمد بن عبد الله النحريرى - قاضى طرابلس - فى قضاء القضاة المالكية بالقاهرة ومصر، عوضا عن الركراكى.

وفيه مات الأمير وزير الوزراء ناصر الدين محمد بن الحسام لاجين الصقرى، بعد مرض طويل.

(١) القلاع مفردا قلعة يقصد بها أقواس النصر أو الزينة التي تقام بعرض الطريق على ألواح من خشب ليمر من تحتها موكب السلطان. انظر [سعيد عاشور: العصر المملوكى فى مصر والشام ص ٤٤٠].

٣٢٠ سنة أربع وتسعين وسبعمائة

وفيه طلب السلطان الولاة المعزولين وهم: الأمير أيدمرُ الذي يقال له أبو زلطة، وشاهين الكلفتى، وناصر الدين محمد بن حسن بن ليلى، وعلى بن محمد بن طاز، وأسنبغا، وضرب أيدمر بالمقارع، وسلمهم كلهم إلى والى القاهرة، ليدفعهم على حمل المال.

وفى يوم الإثنين ثانى عشر صفر: قبض على الأمير قرا دمرداش نائب حلب، وعلى الأمير الطنبغا المعلم نائب الإسكندرية، وسجنا بالبرج.

وخرج البريد بطلب تاج الدين عبد الرحيم بن الصاحب فخر الدين عبد الله بن الصاحب تاج الدين موسى بن أبى شاکر من الوجه القبلى، وقد توجه ليحضره، حتى يولى الوزارة، فلم يتم ذلك.

واستقر الأمير ركن الدين عمر بن الأمير ناصر الدين محمد بن قايماز، أستاذار الأمير بيبرس - ابن أخت السلطان - فى الوزارة، وخلع عليه فى يوم الأربعاء رابع عشره.

واستقر تاج الدين بن شمحل فى نظر الدولة، رفيقا لشمس الدين المقسى.

وفى خامس عشره: قبض على الأمير قردم الحسنى.

وفيه خلع على الشريف صدر الدين مرتضى بن غياث الدين إبراهيم بن صدر الدين حمزة الحسينى، بنظر القدس والخليل.

وفى تاسع عشره: أخرج الأمير قردم إلى غزة، بإمرة عشرة بها.

وفيه استقر الأمير العثمانى أمير جاندار، بعد موت قطلوبغا الطَقْتُمُشَى، وأفرج عن الأمير قطلوبغا الطشتمرى الحاجب.

وفى ثانى عشرينه: استقر ناصر الدين محمد بن الأمير جمال الدين محمود الأستاذار فى نيابة الإسكندرية، عوضا عن الطنبغا المعلم. وقدم البريد بأن خمسة عشر من المماليك أتوا إلى باب قلعة دمشق مشاة، وشهروا سيوفهم وهجموا على القلعة، وأغلقوا بابها، وأخرجوا المنطاشية والناصرية من الحبس، وهم مائة رجل، وقتلوا نائب القلعة وجماعة معه، وأن الحاجب ركب بالعسكر وقتلهم ثلاثة أيام حتى اقتحم عليهم القلعة، وأخذهم كلهم، إلا خمسة أنفس منهم، فإنهم فروا، ووسط الجميع.

وفى يومه: استقر صديق الكركى فى ولاية الفيوم، وعزل أسنبغا السيفى.

وفى يوم الإثنين ثالث ربيع الأول: برز الأمير سودن الطرنطاي نائب دمشق إلى الريدانية، بعدما لبس قباء السفر. ولبس أيضا الأمير ناصر الدين محمد بن محمود الأستاذار قباء السفر، وتوجه إلى الإسكندرية.

وفيه سار الأمير حسن الكجكئى إلى بلاد الروم بهدية، لخوند كار أبى يزيد بن عثمان.

وفى سادسه: استقر القاضى جمال الدين محمود العجمى فى مشيخة الخانكاه الشيخونية ونظرها بعد وفاة الشيخ عز الدين يوسف الرازى.

وفى ثامنه: قبض على الأمير ناصر الدين محمد بن عبد الله بن بَكْمُر الحاجب - صهر الأمير بطا - على مال يحمله.

وفيه رحل الأمير سونن نائب دمشق، ومعه الأمير بكنمر شاد الشراب خاناه، ليقلده بدمشق.

وفى رابع عشره: تزوج السلطان بنت المعلم شهاب الدين أحمد الطولونى المهندس. وفى خامس عشره: عزل قاضى القضاة عماد الدين أحمد الكركى نوابه، واقتصر منهم على خمسة فقط. وكان قد استكثر من النواب حتى زادوا على العشرين، فأنكر عليه السلطان ذلك، فصرفهم.

وفيه نقل علاء الدين على البيرى مواقع الأمير يلبغا الناصرى، ومحب الدين محمد بن محمد بن الشحنة قاضى الحنفية بجلب، من بيت الأمير جمال الدين محمود الأستاذار إلى دار الأمير علاء الدين على بن الطيللاوى والى القاهرة، وكان قد قبض عليهما بالشام، وحضرا مع السلطان فى الترسيم، وأنزلا بدار الأمير محمود، فأكرمهما، وقام لهما بما يليق بهما.

وفى سادس عشره: عزل قاضى القضاة شهاب الدين أحمد التحريرى المالكى نوابه، وترك منهم خمسة على حالهم.

وفى سابع عشره: استقر زين الدين أمير فرج الحلبي فى شد الدواوين، وكان والى القاهرة يتحدث فى شد الدواوين منذ قبض على ناصر الدين محمد بن أقبغا أص.

وفى يوم السبت ثانى عشرينه: سافر إلى بلاده أبو الحجاج يوسف بن على بن غانم، أمير العرب ببلاد المغرب،^(١) بعد ما حج، وأقام بالقاهرة أشهراً. واجتمع بالسلطان وألبسه كاملية حرير بطرز ذهب.

وفى رابع عشرينه: استقر الفخر عبد الرحمن بن مكانس وزيراً بدمشق.

وفيه قتل علاء الدين على البيرى، ودفن خارج باب النصر.

(١) بلاد المغرب بلاد واسعة كثيرة. قال بعضهم: مدينة مليانة وهما آخر حدود إفريقية. انظر

وفي خامس عشرينه: أفرج عن المحب بن الشحنة.

وفي سادس عشرينه: أفرج عن ناصر الدين محمد بن بكتمر الحاجب، على أن يحمل مائتي درهم فضة.

وفي يوم السبت سابع ربيع الآخر: استقر تاج الدين عبد الرحيم بن الصاحب فخر الدين عبد الله بن أبي شاعر في نظر الديوان المفرد. واستقر منجك السيفي والى أشموم الرمان، وعزل ناصر الدين محمد بن الطويل. واستقر يلبغا مملوك مبارك شاه والى الأشمونين، عوضا عن محمد بن الأعسر. واستقر شرف الدين أبو البركات موسى بن محمد بن جمعة الأنصارى في قضاء القضاة الشافعية بحلب، عوضا عن ناصر الدين محمد ابن الخطيب شمس الدين محمد بن خطيب نقيرين. وأنعم على الأمير قديد بتقدمة ألف، عوضا عن قُطلوبغا الصفوى بعد موته. وأنعم على بلاط المنجكي بإمرة عشرة، واستقر يلبغا الظاهري نائب الوجه القبلى على عاداته.

وفي سادس عشره: أعيد نظر الجامع الطولونى إلى قاضى القضاة عماد الدين أحمد الكركى، وكان قد استقر فيه الأمير قطلوبغا الصفوى مدة.

وفي ثانى عشرينه: استقر الأمير قطلوبغا الأسنقجاوى أبو درقة فى ولاية أسوان، عوضا عن الصارم إبراهيم الباشقردى.

وفي ثالث عشرينه: قتل الأمير أيدكار العمري، وقراكسك، وأرسلان اللفاف، وصنحق، وأرعون شاه.

وفي خامس عشرينه: أعيد النجم محمد الطنبدى إلى حسبة القاهرة، وصرف بهاء الدين محمد بن البرجى.

وفيه رسم السلطان للأمير أبى يزيد الدوادار، والقاضى بدر الدين محمد بن فضل الله كاتب السر، بالتحدث فى أوقاف الحرمين، وأن يسترفع حسابها شمس الدين نصر الله ابن شظية - مستوفى ديوان المرتجع - فَوَكَّلَ بمباشرة أوقاف الحرمين، وألزموا برفع حساب عشر سنين، وألزم مباشرى موادع الحكم بعمل حساب الأيتام، وذكر التزك المهمله، ورسم على أمناء الحكم وجباة الأوقاف.

وفيه أضيف إلى الأمير مبارك شاه كشف الفيوم والبهنسا والأطفيحية (١)، مع كشف الجيزة.

(١) الأطفيحية بلد بالصعيد الأدنى من أرض مصر على شاطئ النيل فى شرقه. انظر معجم البلدان ٢١٨/١.

وفي أول جمادى الأولى: أحضرت عدة رءوس من المسجونين بالإسكندرية من الأمراء. واستقر أبو بكر بن بدر في ولاية البهنسا، عوضا عن شرف الدين بن طيِّ الدهروطي.

وفي تاسع عشره: استقر الأمير كُثْبُغا الحموي أتابك العساكر بعد موت الأمير الكبير أينال اليوسفي، وتحدث في نظر المارستان المنصوري على العادة. واستقر الأمير أَيْتمش الجحاسي رأس نوبة النوب.

وفي ثالث رجب: قدم البريد بقتل منطاش، ولم يصح.

وفي حادى عشره: تجمع عدة من المماليك السلطانية على الأمير جمال الدين محمود الأستادار عند نزوله من القلعة، وسبّوه، ورجمه بعضهم من أعلا القلعة بالحجارة، وشهروا دبائيسهم ليقتلوه، وكان قريبا من بيت الأمير أَيْتمش. فلما بلغه ذلك ركب بنفسه ليخلصه، ففر أكثر المماليك منه، وثبت بعضهم. فمزال بهم يدافعهم عنه بالرفق حتى انصرفوا عنه. وسار به إلى بيته حتى سكنت الفتنة، وشيعه في مماليكه إلى داره.

وفي يوم الخميس رابع عشره: استقر تاج الدين عبد الرحيم بن أبى شاکر في الوزارة، عوضا عن الركن عمر بن قايماز. واستقر ابن قايماز أستاذارا، عوضا عن الأمير محمود، بعدما أنفق من ماله ستمائة ألف درهم في تكفية ديوان الوزارة، ذهبت عليه ولم يتعوض عنها، واستقر الأمير محمود على إمرته، وخلع على الثلاثة.

وفي ثامن عشره: أعيد الشهاب الفرجوطى إلى ولاية قوص، وعُزل محمد بن العادلى.

وفي ثالث عشرينه: استقر كريم الدين عبد الكريم ابن المعلم أفسح في نظر الإسطبلات، بعد أن تعطلت مدة من ناظر.

وفي خامس عشرينه: استقبل الصارم إبراهيم الباشقردى في ولاية منوف.

وفي تاسع عشرينه: بُشِّر بزيادة النيل، وأن القاع سبعة أذرع، وعشرون إصبعا.

وفيه حضر الشريفان عنان بن مغامس وعلى بن عجلان - أميرا مكة - باستدعاء، ودخلا على السلطان في يوم الإثنين ثانى شعبان. فأجلس السلطان ابن عجلان - مع صغر سنه - فوق عنان، مع شيخوخته.

وفي ثانى عشره: قبض على الصاحب كريم الدين عبد الكريم بن مكانس من داره بدلالة بعض النصارى عليه، وسلم لوالى القاهرة، فوكل به من يحفظه في داره.

٣٢٤ سنة أربع وتسعين وسبعمائة

وفى ثالث عشره: استقر الغرس خليل الشرفى والى أشموم الرمان، وصُرف منجك.

وفى ثامن عشرينه: ابتداء بالسلطان مرض لزم منه الفراش.

وفى يوم الإثنين أول شهر رمضان: استقر الأمير كُمُشْبِغَا الخصاصكى الأشرفى نائبا بدمشق، بعد موت سودن الطرنطاي.

وفى خامسه: نودى بزينة القاهرة لعافية السلطان من مرضه، فزينت.

وفى سادسه - وهو ثالث مسرى: - أوفى النيل ستة عشر ذراعاً، فنزل السلطان إلى المقياس وفتح الخليج على العادة.

وفى عاشره: ورد البريد بمحاربة عسكر حلب لمنطاش، وفراره، وأنه عدى الفرات، وقبض على عدة من أصحابه.

وفى حادى عشره: خلع على الشريف على بن عجلان، واستقر أميراً بمكة وحده من غير شريك له، وخلع على الشريف عنان والشريف على بن مبارك، خلعتى إنعام. ولبس كمشبيغا نائب دمشق قباء السفر، وسار وطلبه بتحمل عظيم، قاد فيه سبعين جنيباً^(١) من الخيل.

وفى ثالث عشره: قُلت الزينة.

وفى خامس عشره: نزل السلطان من القلعة إلى القاهرة، وصعد إلى مدرسته بخط بين القصرين، وزار أباه، وعاد.

وفيه أنعم على الأمير تغرى بردى من يشبغا بتقدمة ألف، وأنعم بطبلخاناته على الأمير قلمطاي العثماني. وأنعم على شادى خجا بإمرة عشرين.

وفيه أعيد الأمير محمود إلى الأستاذارية، عوضاً عن الركن عمر بن قايماز.

واستقر ابن قايماز من جملة أمراء الطبلخاناه.

وفى سادس عشره: استقر بدر الدين محمد بن الطوخى فى الوزارة بدمشق، عوضاً عن الفخر عبد الرحمن بن مكانس. وخرج البريد بإحضاره من دمشق فى الترسيم، هو وابنه مجد الدين فضل الله وأخوه نصر الله.

وفى ثانى عشرينه: قدم البريد بوقوع الحريق فى دمشق، يوم السبت حادى عشرين شعبان، بجوار جامع بنى أمية، تلف فيه شىء كثير جداً.

(١) الجنيبية الدابة تقاد واحدة الجنائب وكل طائع منقاد جنيب. لسان العرب.

وفي هذا الشهر: وقع وباء في البقر، حتى أُبيعت البقرة بعشرين بعد ما كانت تباع بخمسمائة درهم. ثم فحش الموت فيهن، فأبيعت البقرة بخمسة دراهم، وترك الناس أكل لحم البقر، استقذارا له. وعم الوباء في البقر أرض مصر كلها، ففنى منها ما لا يقع عليه حصر.

وفي يوم الإثنين سادس شوال: استقر ناصر الدين محمد الضاني في ولاية منفلوط، وعزل على بن غلبك.

وفي سابعه: استقر أحمد الأرغوني في ولاية دمياط، وعزل أبو بكر بن بدر.

وفي ثامن شوال: استقر القاضي بدر الدين الأقفهسي في نظر الدولة، وعزل ابن شيخ. واستقر ناصر الدين مؤمن في ولاية قليوب، وعزل قطلوبغا الصفوي. واستقر علاء الدين على الطشلاقى والى قطيا. وعزل حسام الدين حسن المؤمنى أمير آخور.

وفيه أنعم على الشريف على بن عجلان^(١) أمير مكة بأربعين فرسا، وعشرة مماليك من الأتراك، وثلاثة آلاف أردب قمحا، وألف أردب شعيرا، وألف أردب فولا، وحمل على فرش بقماش ذهب، ورسم له أن يستخدم مائة فارس من الترك، يسير بهم إلى مكة.

وفيه قبض على تاج الدين بن شملح، وسلم لشاد الدواوين على مال يحمله.

وفي خامس عشره: عزل شيخ الشيوخ المعروف بشيخ الإسلام أصلم بن نظام الدين الأصفهاني، وسلم لشاد الدواوين على حمل مائتى ألف درهم.

وذلك أن السلطان لما اختل أمره بحركة الأمير يلغا الناصرى ومسيره الى القاهرة، همَّ الملك الظاهر بالهرب، وأعطى شيخ الشيوخ هذا خمسة آلاف دينار، وواعده أن ينزل إليه ويختفى عنده، فلم يف له بذلك، وغيب عنه فاخفى السلطان عند أبى يزيد كما ذكر. فلما عاد إلى الملك طلب منه الخمسة آلاف دينار على لسان الدوادار، فقال «تصدقت بها على الفقراء». فلما ألح الدوادار فى مطالبته قال: «اعلم السلطان أنى أجمع الفقراء من الزوايا والربط والزمهم بإعادة ما تصدقت به عليهم، وأقول لهم إن السلطان قد عاد فى صدقته فإنه لم يدفع هذا المال إلى إلا لأتصدق به، لا أنه وديعة عندى».

(١) على بن عجلان [٧٩٧...-١٣٩٥م] على بن عجلان بن رميثة بن أبى نعى الحسنى أبو الحسن نور الدين: من أمراء مكة وليها بعد عزل عنان بن مغاس سنة ٧٨٩هـ. انظر ابن الفرات ٤٢٠/٩ وشذرات الذهب ٦/٣٥٠ وابن إياس ١: ٣٠٤ وخلاصة الكلام ٣٦ ج الأعلام ٤/٣١٢.

٣٢٦ سنة أربع وتسعين وسبعمائة

فلما أعاد الدوادار على السلطان هذا القول أسرها فى نفسه، وصبر كعادته حتى وقف إليه من ادعى أن تاجرا ترك عند شيخ الشيوخ عدة أحمال، فيها ثياب ليسافر بها من غير مكس^(١) فأمر بطلبه من خانكاه سرياقوس. فلما وقف مع غريمه اعتذر، فقال بعض من حضر أنه مكتوب فى يده سحر يسحر به السلطان، فعزله من المشيخة، وتسلمه شاد الدواوين.

وفى سادس عشره: استقر ناصر الدين محمد بن ليلى فى نقابة الجيش، وعزل أسندمر.

وفى تاسع عشره: استقر الشريف فخر الدين ناظر المارستان فى مشيخة الشيوخ بخانكاه سرياقوس.

وفى عشرينه: استقر جمال الدين محمود العجمى فى نظر الجيش، عوضا عن كريم الدين عبد الكريم بن عبد العزيز، مع ما بيده من قضاء القضاة الخنفية، ومشيخة الشيخونية، ولم يقع مثل ذلك بدولة الأتراك فى مصر.

واستقر قطلوبغا القشتمرى الحاجب فى كشف الوجه البحرى، وعزل قطلوبغا وعزل أوناط.

وفى خامس عشرينه: سار الشريف على بن عجلان بعسكره إلى مكة، ومنع الشريف عنان من السفر، ورتب له فى كل يوم ما يقوم به.

وفى سادس عشرينه: نودى بزيادة النيل ثلاثة أصابع من عشرين ذراعا.

وفى سابع عشرينه: استقر الأمير تانى بك اليايوى أمير أخور، عوضا عن الأمير بكلمش العلاى، واستقر بكلمش أمير سلاح.

وفى سلخه: نودى بخروج القطعان الذين قطعت أيديهم فى السرقات، والبرصان، والجذماء، من القاهرة وظواهرها، وهدد من أقام منهم بالتوسيط.

وفى يوم الجمعة أول ذى القعدة - وهو ثالث عشرين توت - : انتهت زيادة النيل إلى اثنى عشر أصبعا من عشرين ذراعا، وثبت إلى سابع بابة، ثم انحط بعد ما بلغ عشرين أصبعا من عشرين ذراعا.

وفى رابعه: أعيد مبارك شاه إلى نيابة الوجه القبلى، وعزل يلبغا الأحمدى. واستقر حسام الدين المؤمنى أمير أخور فى ولاية الجيزة.

(١) مكس: ضريبة يأخذها المكاس ممن يدخلون البلد من التجار، جمعها مكوس. انظر الوجيز.

وفى سابعه: أعيد بهاء الدين محمد البرجى إلى حسبة القاهرة، وعزل النجم محمد الطنبدى، وأذن له فى الحكم عن قاضى القضاة الشافعى.

وفى تاسعه: سار السلطان إلى سرحة سرياقوس، ونزل بالقصور على العادة.

وفى عاشره: عفى عن القطعان^(١) من النفى.

وفى ثالث عشره: قدم ناصر الدين أحمد التنسى من الإسكندرية باستدعاء، واستقر فى قضاء القضاة المالكية. وعزل الشهاب أحمد النحريرى، ودخل إلى القاهرة من سرياقوس بالتشريف.

وفى سادس عشره: قبض بسرياقوس على ستة ممالك، وحملوا فى الحديد إلى والى القاهرة، من أجل أنهم ارتكبوا الفاحشة بصبى حتى مات.

وفى ثامن عشره: عزل المقدم محمد بن عبد الرحمن وألزم بحمل مائتى ألف درهم، واستقر عوضه فى مقدمة الدولة تينتين. واستقر محمد بن عبد الرحمن فى مقدمة الخاص، وشرع فى حمل ما قرر عليه للوزير.

وفيه قتل الأمير قرا دمرداش، والأمير طغاي تمر - نائب سيس - فى عدة من الأمراء. وفيه استقر تقى الدين أبو محمد بن قاضى القضاة جمال الدين أبى المحاسن يوسف ابن قاضى القضاة شرف الدين أبى العباس أحمد بن الحسين بن سليمان بن فزارة الكفرى، فى قضاء الحنفية بدمشق، عوضا عن نجم الدين محمود بن الكشك. واستقر البرهان إبراهيم التادلى فى قضاء المالكية بدمشق، واستقر عمر بن إلياس أخى قرط فى ولاية منفلوط.

وفى خامس عشرين ذى الحجة: قدم مبشرو الحاج، وأخبروا بالسلامة والأمن، وتسلم على بن عجلان مكة، وأنه غرق بجدة نحو الثلاثين مركبا من ربح عاصف. واستقر شرف الدين مسعود فى قضاء الشافعية بطرابلس، عوضا عن ناصر الدين محمد ابن كمال الدين المعرى.

وفى سابع عشرينه: أمر قاضى القضاة عماد الدين أحمد الكركى الشافعى بلزوم بيته، وألا يحكم.

وفى هذه السنة: ضرب الأمير محمود الأستادار بالإسكندرية فلوسا ناقصة العيار عن الفلوس التى يتعامل بها الناس فى ديار مصر.

(١) القطعان المفرد قطيع: الطائفة من القيم والنعم وغيرها وجمعها قطعان. انظر الوجيز ٥٠٨.

وفيها استقر الأميران شمس الدين محمد بن الأمير زين الدين قارا بن مهنا، وزين الدين رقية بن الأمير ركن الدين عمر بن موسى بن مهنا الشهير بعمر المصم.

وفي هذه السنة: خرج جماعة من بلاد المغرب يريدون أرض مصر لأداء فريضة الحج، وساروا في بحر الملح، فألقتهم الرياح إلى جزيرة صقلية (١)، فأخذهم النصارى وما معهم، وأتوا بهم إلى ملك صقلية، فأوقفهم بين يديه وسألهم عن حالهم، فأخبروه أنهم خرجوا يريدون الحج، فألقاهم الرياح إلى هنا، فقال: «أنتم غنيمة قد ساقكم الله إلى»، وأمر بهم أن يقيدوا حتى يباعوا ويستخدموا في مهنتهم، وكان من جملةهم رجل شريف، فقال له على لسان ترجمانه: «أيها الملك إذا قدم عليك ابن ملك ماذا تصنع به؟» قال: «أكرمه» قال: «وإن كان على غير دينك». قال: «وما كرامته إلا إذا كان على غير ديني، وإلا فأهل ديني واجب كرامتهم». قال: «فإني ابن أكبر ملوك الأرض». قال: «ومن أبوك؟» قال: «على بن أبي طالب رضى الله عنه». قال: ولم لا. قلت: أبى محمد - ﷺ - قال: «خشيت أن تشتموه». قال: «لا نشتمه أبدا». قال: «بيِّن لي صدق ما ادعيت به»، فأخرج له نسبه - وكانت معه في رق - فأمر بتخليته وتخليته من معه لسبيلهم، وجهزهم. ثم بلغه أن بعض النصارى من أجناده بال على هذا الشريف، فأمر به فأحرق، وشهر في بلده. ونودي عليه: «هذا جزاء من يشتم الملوك»، فإنه كان شتم أبا الشريف أيضا.

* * *

ومات في هذه السنة ممن له ذكر من الأعيان

سوى من قتل من الأمراء:

شهاب الدين أحمد الدفري، أحد نواب القضاة المالكية بالقاهرة، في ثانی عشر ذی القعدة.

ومات شهاب الدين أحمد بن محمد بن على الدنيسرى، المعروف بابن العطار، الشاعر، في سادس عشرین ربيع الآخر.

ومات الأمير الكبير أینال اليوسفى، أحد الممالیک الیلبغاویة، فی رابع عشر جمادى الآخرة. كان أینال شرش الأخلاق، شجاعا.

(١) جزيرة صقلية من جزائر بحر المغرب مقابلة إفريقية وهي مثلثة الشكل بين كل زاوية. انظر

ومات الأمير سيف الدين بَطَا الطولونمى، أحد المماليك الظاهرية برقوق، ونائب الشام فى حادى عشرين المحرم بدمشق.

ومات الأمير سيف الدين تلكتمر. تنقل فى الخدم حتى أنعم عليه الملك الأشرف شعبان بن حسين، وبعد واقعة الأمير أسندمُر بإمرة مائة. واستقر رأس نوبة كبيرا فى تاسع عشر صفر سنة تسع وستين وسبعمائة. ثم صار أمير مجلس فى خامس عشر رمضان منها، ثم نقل من ذلك وصار أستاذارا فى حادى عشر المحرم سنة إحدى وسبعين، عوضا عن علم دار الحمدي. ثم أخرج إلى صفد فى ثالث ربيع الآخر منها، واستقر نائبها. ثم أحضر إلى القاهرة بعد قليل، وأنعم عليه بإمرة مائة. فلما كان فى صفر سنة خمس وسبعين، استقر حاجب الحجاب مدة، ثم تعطل ولزم داره، حتى مات فى حادى عشرين ربيع الآخر.

ومات الأمير سوذُن الطرنطاي نائب دمشق بها، فى شعبان.

ومات الشيخ المعتقد طلحة المغربى الجذوب، فى رابع عشر شوال بمدينة مصر. وكانت جنازته مشهورة، ودفن خارج باب النصر، وهو أحد من أوصى الملك الظاهر عند موته بدفنه تحت أرجلهم.

ومات صدر الدين عبد الخالق بن على بن الحسن بن عبد العزيز بن محمد بن الفرات المالكى، موقع الحكم، أخذ الفقه عن الشيخ خليل، وكتب على غازى، وبرع فى الفقه والكتابة. ومات فى ثالث عشرين جمادى الآخرة.

ومات الشيخ عز الدين يوسف بن محمود بن محمد الرازى العجمى الحنفى الأصم، شيخ الخانكاة الركنية ببيرس، ثم شيخ الخانكاة الشيوخونية، ومات فى ثالث عشرين المحرم، وقد أناف على السبعين.

ومات القاضى جمال الدين عبد الله بن الفيشى المالكى، أحد نواب القضاة المالكية بالقاهرة. وكان نقيبا للقضاة، ثم تولى الحكم، ورتب درسا بالجامع الأزهر، وأجرى عليه وقفا. ومات فى العشرين من ربيع الأول بعد أن ابتلى بالجذام عدة سنين، وهو يباشر الحكم.

ومات الشريف عبد الرحمن بن عبد الكافى بن على بن عبد الله بن عبد الكافى بن قريش بن عبد الله بن عياد بن طاهر بن موسى بن محمد بن قاسم بن موسى الجليس بن إبراهيم بن طباطبا بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسين بن على بن أبى طالب الطباطبى، المؤذن، فى ثامن شوال، وكان قد حظى عند السلطان وتمكن منه. حدثنى

٣٣٠ سنة أربع وتسعين وسبعمائة

شمس الدين محمد بن عبد الله العمري - موقع الدست - قال: كنت في خدمة جمال الدين محمود العجمي قاضي القضاة، وناظر الجيش، فركب يوما وأتى معه إلى دار الشريف عبد الرحمن هذا، فتلقاها وأدخله إلى داره، واستعظم بجيئه إليه، فبالغ محمود في التأدب معه، وقال له: «يا سيد، أنا أستغفر الله مما وقع مني». فقال: «وما الخير يا سيدي؟» قال: «ما دخلت البارحة إلى السلطان، وجئت أنت وجلست فوقى، أنفت من هذا في سرى، وقلت: كيف يجلس هذا فوقى؟، ومخلى من الدولة ما قد عرف، وشق على ذلك، وقمت ولم يشعر أحد من خلق الله بشيء من ذلك، بل كان مما حدثت نفسي. فلما نمت رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في النوم وهو يقول لى: «يا محمود تستقل ابني أن تجلس تحته»، فاستغفرت مما وقع مني، وقد جئتك ثانيا بما خطر لى، وأسألك الدعاء». قال: «فبكى الجميع»، وكانت ساعة عظيمة.

ومات الأديب الوزير فخر الدين عبد الرحمن بن شمس الدين عبد الرزاق بن علم الدين إبراهيم بن مكانس القبطي، ناظر الدولة بديار مصر، ووزير دمشق. مات في خامس عشر ذى الحجة.

ومات علاء الدين على بن عيسى بن موسى بن عيسى بن سليم بن حميد الأزرقى المقيرى الكركي، كاتب السر، في أول ربيع الأول، ودفن خارج باب النصر من القاهرة.

ومات علاء الدين على بن عبد الله بن يوسف البيرى الحلبي، الأديب، الشاعر، المنشئ، الكاتب، في رابع عشرين ربيع الأول، مخنوقا.

ومات الأمير عنقاء بن شطى أمير آل مرا، قتله الفداوية في رابع المحرم.

ومات الشريف على بن الشريف شجاع الدين عجلان أمير مكة.

ومات الأمير سيف الدين قطلوبغا الصفوى، حاجب الحجاب، في أول ربيع الآخر.

ومات الأمير قطلوبغا الطقتمشى، أحد أمراء العشراوات في عاشر صفر.

ومات الشيخ بدر الدين محمد بن بهاء الدين عبد الله المنهاجى الزركشى، الفقيه الشافعى، ذو الفنون والتصانيف المفيدة، في ثالث رجب. سمع الحديث وأفتى ودرس.

ومات الشيخ المعتقد أبو عبد الله محمد الرركراكى المغربى، في ثاني عشر جمادى الأولى، وقد قارب المائة سنة. وهو ممتع حتى بالنساء.

ومات شمس الدين محمد بن إسماعيل أمين الملك الحلبي الحنفى الأعور أحد نواب
القضاة الحنفية بالقاهرة، فى رابع شوال.

ومات الشيخ المحدث بدر الدين محمد بن محمد بن مجير، المعروف بابن الصايغ، وابن
المشارف، فى ثالث ربيع الآخر.

ومات الأمير الوزير ناصر الدين محمد بن الأمير حسام الدين لاجين، الصقرى
المنجكى، فى ثانى عشر صفر بمرض طويل، من غير أن ينكب.

ومات جمال الدين محمود بن حافظ الدين محمد بن تاج الدين إبراهيم بن شنبكى بن
أيوب بن قراجا بن يوسف القيصرى، المعروف بابن الحافظ الحنفى، قاضى الحنفية
بجلب^(١)، وكان فاضلاً، جليل القدر، عفى عنه.

* * *

(١) حلب بلدة عظيمة قديمة ذات قلعة مرتفعة حصينة وبها مقام إبراهيم الخليل صلوات الله عليه ولها
بساتين قلائل ويمر بها قويق وهى على مدرج العراق وهى بين جبل قنسرين . انظر تقويم البلدان
٢٩٩، والروض المعطار ١٩٦، ١٩٧، وصبح الأعشى ١١٦/٤.

سنة خمس وتسعين وسبعائة

أهل الحرم يوم الأحد: ففي ثانيه أعيد صدر الدين محمد بن إبراهيم المناوى إلى قضاء القضاة الشافعية بديار مصر، عوضا عن العماد أحمد الكركسى، ونزل بالتشريف من قلعة الجبل إلى المدرسة الصالحية على العادة، وبين يديه عالم عظيم، منهم الأمير أبو يزيد الدوادار، وبدر الدين محمد بن فضل الله كاتب السر، ورأس نوبة، وحاجب الحجاب.

وفيه استقر علاء الدين على بن غلبك بن المكلفة فى كشف الفيوم^(١) والبهنسا^(٢) والأطفيحية^(٣)، عوضا عن طيغا الزينى.

وفى تاسعه: قبض على الوزير صاحب تاج الدين عبد الرحيم بن أبى شاکر وتسلمه أمير فرج شاد الدواوين؛ ليعاقبه على المال. وأعيد موفق الدين أبو الفرج إلى الوزارة.

وفى حادى عشره: قرئ تقليد قاضى القضاة صدر الدين محمد المناوى بمدرسة السلطان.

وفى ثالث عشره: قدم البريد بموت الأمير كُمشبغا الخاصكى نائب دمشق فاستقر عوضه تانى بك الأمير، المعروف بتنم الحسنى أتابك دمشق، وأنعم بإمرته على فخر

(١) الفيوم: فى البلاد المصرية، وهو نظير كبير من قرى كثيرة، يقال إن فيه من القرى عدد ما فى قطر مصر كلها من القرى، وحجر اللهون بالفيوم من عجائب الدنيا، واللهون قرية كبيرة من قرى الفيوم، وهذا الحجر شاذروان بين طبقتين من أحكم صنعة، مدرج على ستين درجة، فيها فوارات فى أعلاها وفى وسطها وفى أسفلها، فتسقى العليا الأرض العليا، والوسطى الأرض الوسطى، والسفلى الأرض السفلى، بوزن وقدر لا ينقص لأحد دون حقه ولا يزيده فوق حقه، وهو من أحكم البنيان وأتقنه، قيل: ومن ذلك الوقت عرفت الهندسة، قيل: وإنما سميت الفيوم لأن خراجها ألف دينار فى اليوم، والفيوم فى وسط بلاد مصر، فلا يوتى إلى كورة الفيوم من ناحية من النواحي لا من صحراء ولا مفازة. انظر معجم البلدان ٢٨٦/٤، والروض المعطار ٤٤٥، والاستبصار ٩٠، والإدريسى ١٤٦، وخطط المقرئى ٢٤٥/١، وابن الوردى ٢٣.

(٢) انظر معجم البلدان ٥١٦/١.

(٣) الأطفيحية بالكسر فى أوله والفاء وباء ساكنة وحاء مهملة بالصعيد الأدنى من مصر على شاطئ النيل الشرقى. انظر معجم البلدان ٢١٨/١.

٣٣٤ سنة سبعمائة وحمس وتسعين

الدين إياس الجرجاوى نائب طرابلس^(١). ونقل دمرداش الحمدي نائب حماة^(٢) إلى نيابة طرابلس. واستقر أقبغا الصغير فى نيابة حماة.

وفيه استقر حسن المؤمنى والى الجيزة^(٣) فى ولاية قطيا، وعزل على الطشلاقى واستقر على بن قراجا فى ولاية الجيزة.

وفى يوم الخميس رابع صفر: استقر أسنبغا السيفى فى ولاية قوص^(٤).

وقدم الخبر من الحجاز بأن جتتمر التركمانى أمير ركب الشام هجم على أشرف المدينة النبوية ليأخذ منهم صقرا يصطاد به، وفهدا، فدافعوه، وقتل منهم شريفين. وكادت الحرب تقع لولا ركب الأمير ثابت بن نعيم أمير المدينة، وكف عن القتال. وأن الشريف على بن عجلان^(٥) قبض على سبعين من بنى حسن بمكة.

وفيه استقر محمد فى ولاية قطيا، وعزل حسن المؤمنى.

وفى تاسع عشرين جمادى الأول: قدم محمد بن قارا، ومملوك نائب دمشق على

البريد، بأن منطاش ونعير أمير العرب. وابن بزدغان التركمانى، وابن أينال التركمانى، حضروا فى عساكر كثيرة جدا إلى سلمية، فلقبهم محمد بن قارا على شيزر بالتراكمين، فقاتلهم، فقتل ابن بزدغان، وابن أينال وجرح منطاش وسقط عن فرسه، فلم يعرف لأنه حلق شاربه ورمى شعره، ثم أنه أدركه ابن نعيم وأردفه خلفه، وانهزم بعد أن قتل من الفريقين عالم كبير. وحملت رأس بن بزدغان وابن أينال إلى دمشق، وعلقتا على قلعتها.

وفيه استقر يلبغا الزينى فى ولاية الأشمونين^(٦)، وعزل محمد بن الأعسر.

(١) انظر معجم البلدان ٤/٢٥، ٢٦.

(٢) حماة: مدينة كبيرة عظيمة كثيرة الخيرات رخيصة الأسعار واسعة الرقعة حفلة الأسواق يحيط بها سور محكم. انظر معجم البلدان ٢/٣٠٠، وفى الروض المعطار حماة: من كور حمص بالشام، وهى مدينة طيبة فى وسطها نهر يسمى العاصى، وهذا النهر عظيم عليه جسور يعبر عليها، وبينها وبين كفر كاب أربعون ميلاً، ومن حمص إلى حماة مثلها، وهى قديمة البناء. انظر الروض المعطار ١٩٩، وصبح الأعشى ٤/١٤٠.

(٣) الجيزة بليدة فى غربى فسطاط مصر قبالتها ولها كورة كبيرة واسعة وهى من أفضل كور مصر. انظر معجم البلدان ٢/٢٠٠.

(٤) قوص مدينة كبيرة عظيمة واسعة قصبه صعيد مصر بينها وبين الفسطاط اثنا عشر يوماً. انظر معجم البلدان ٤/٤١٣.

(٥) على بن عجلان بن رميثة بن أبى نعى الحسنى، أبو الحسن نور الدين: من أمراء مكة. وليها بعد عزل عنان بن مغامس سنة ٧٨٩ هـ وأمضى أكثر أيامه فى حروب فلم يهنا له عيش إلى أن قتله جماعة من أقاربه من بنى حسن اغتالوه فى بطن مر (من نواحي مكة). انظر ابن الفرات ٩: ٤٢٠ وشذرات الذهب ٦/٣٥٠ وابن إياس ١: ٣٠٤ وخلاصة الكلام ٣٦ والأعلام ٤/٣١٢.

(٦) الأشمون مدينة قديمة أزلية عامرة وهى قصبه كورة من كور الصعيد الأدنى غربى النيل.=

وفي سلخه: استقر الحاج سلطان مهتار الركاب خاناه، وعزل المهتار خليل بن أحمد بن الشيخى.

وفي يوم الأربعاء ثالث جمادى الآخرة: قبض على الشريف عنان^(١) بن مغاس، وسجن بالبرج فى القلعة.

وقدم الخير بموت الطواشى زين الدين مقبل الرومى الشهابى، شيخ الخدام بالمسجد النبوى، فكتب باستقرار الطواشى زين الدين مسرور الحبشى البشتكى الناصرى، عوضه.

وفي ثامننه: قدم البريد بأن نعيم بن حيار ومنطاش، كبسا حماه فى عسكر كبير، فقاتلهم نائبى حماه وطرابلس، فانكسرا، ونهبت حماه، وأن جليان نائب حلب سار بعسكر إلى آبيات نعيم عندما بلغه ذلك، وأخذ ما قدر عليه من المال والخيل والجمال والنساء والأطفال، وأضرم النار فيما بقى، وأكمن كميننا، فما هو إلا أن سمع نعيم بما نزل ببيوته رجع إليها بجماعته، فخرج الكمين وقتل من العربان وأسر كثيرا، وقتل من عسكر حلب نحو المائة فارس، وعدة من الأمراء.

وفي عاشره: أفرج عن الأمير ألطنبغا المعلم، ونفى إلى دمياط، وأفرج عن الأمير قطلوبغا السيفى الحاجب فى أيام منطاش.

وفي رابع عشره: قدم البريد بموت الأمير يلبغا الأشقتمرى نائب غزة^(٢).

وفي خامس عشره: استقر الأمير علاء الدين ألطنبغا العثمانى فى نيابة غزة

وفي تاسع عشرينه: استقر الحسام حسن صهر أبى درقة فى ولاية أسوان^(٣)، وعزل

بعد عزل عنان بن مغاس سنة ٧٨٩ هـ وأمضى أكثر أيامه فى حروب فلم يهنا له عيش إلى أن قتله جماعة من أقاربه من بنى حسن اغتالوه فى بطن مر (من نواحي مكة). انظر ابن الفرات ٩: ٤٢٠ وشذرات الذهب ٦/٣٥٠ وابن إياس ١: ٣٠٤ وخلاصة الكلام ٣٦ والأعلام ٤/٣١٢.

(١) عنان بن مغاس بن رميثة بن أبى نعى: شريف حسنى، من أمراء مكة وليها للظاهر برقوق (صاحب مصر) بعد مقتل الشريف محمد بن أحمد بن عجلان ثم عزله الظاهر سنة ٧٨٩ هـ فرحل إلى مصر سنة ٩٤ هـ فأقام إلى أن توفى فيها. انظر الإكليل ١٠: ١٣٥، ١٥٨ والأعلام ٥/٩٠.

(٢) غزة: بفتح أوله وتشديد ثانيه وفتح مدينة فى أقصى الشام من ناحية مصر وبينها وبين عسقلان فرسخان. انظر معجم البلدان ٤/٢٠٢. وفى الروض المعطار غزة: موضع بديار حذام من مشارف الشام على ساحل البحر، وبها قبر هاشم بن عبد مناف. انظر الروض المعطار ٤٢٨، معجم ما استعجم ٣/٩٩٧.

(٣) أسوان: فى الصعيد آخر بلاد مصر، وفى بلادهم من الجبال والأوعار التى تحول بينهم وبين=

إبراهيم الشهابي.

وفي يوم الخميس ثالث رجب: استقر الأمير قَلْمَطَاي دوادارا، بعد وفاة أبي يزيد.
وفي رابع عشرة: توجه أَلْطَبغا العثماني إلى نيابته بغزة، وأنعم على تَمراز الناصري رأس نوبة بطبلخاناه العثماني، وأنعم على شرف الدين موسى بن قماري أمير شكار بعشرة تمراز، زيادة على عشرته.

وفي عشرينه: ابتدأ بالسلطان وعك اشتد به، وأفرط عليه الإسهال الدموي، وكثر الإرجاف إلى سادس عشرينه. وأبل من مرضه، فنودي بالزينة، فزينت القاهرة ومصر، وجلس للحكم بين الناس في يوم الأحد سابع عشرينه على عادته. وركب من الغد وشق القاهرة من باب النصر، وخرج من باب زويلة إلى بيت الأمير الكبير أَيْتَمَش، ودخل إليه يعوده من مرض به، وركب إلى القلعة.

وفيه قبض على الأمير ناصر الدين محمد بن محمد بن آقبغا آص، كاشف الجيزة، وضرب بالمقارع؛ لشكوى الفلاحين منه، وسلم لابن الطبلاوي والى القاهرة.
وفيه استقر الأمير يلبغا الأحمدي الظاهري - المعروف بالجنون - في كشف الوجه البحري، وعزل قَطْلُوبُغا الطشتمري، واستقر في كشف الجيزة، عوضا عن ابن آقبغا آص.

وفي رابع شعبان: نقل ابن آقبغا آص من بيت ابن الطبلاوي إلى الأمير جمال الدين محمود الأستادار ليأخذ منه مائة ألف درهم، فوقف عدة من الفلاحين إلى السلطان في يوم الأحد سابعه، وشكوا منه أمورا قبيحة من أخذ نسائهم، وأولادهم، وفجوره بهم، وحقاقه في وجهه على ذلك، وعلى أموال أخذها منهم، فضرب بالمقارع وسلم إلى والى القاهرة ليخلص منه أموال الفلاحين، فضربه أيضا بحضرة أخصامه.

وفي ثامنه: أخذ قاع النيل، فكان ستة أذرع، واثنى عشر أصبعا.
وفيه استقر أوناط اليوسفي نائب الوجه البحري، وكاشف البحيرة، وواليتها. وعزل دمرداش السيفي، وأعيد محمد بن حسن بن ليلي إلى ولاية قطيا، بعد موت محمد بن أشقتمر. واستقر أسندمر العمري نقيب الجيش بعد أن كان في ولاية بلبيس^(١)، وعزل على بن الطشلاقي.

وفي ثاني عشرينه: استقر برهان الدين إبراهيم بن نصر الله في قضاء القضاة الخنابلة بالقاهرة ومصر، بعد وفاة أبيه قاضي القضاة ناصر الدين.

=نزهة المشتاق ٢٧، والمروج ٣/٤٠، الإدريسي ٢١.

(١) بلبيس بكسر الباءين وسكون اللام مدينة بينها وبين فسطاط مصر عشرة فراسخ على طريق الشام. انظر معجم البلدان ٤٧٩/١.

وفي سابع عشرينه: قدم عامر بن ظالم بن حيار بن مهنا - ولد أخى الأمير نعيم - مغاضبا لعمه، فأقبل السلطان عليه وأجلسه، وخلع عليه.

وقدم البريد من دمشق بوصول أبى بكر وعمر ولدى نعيم، مفارقين لأبيهما، ومعهما عدة من أكابر عربانه.

وفي تاسع عشرينه: قدمت رسل القان طَقْتَمَش خان ملك الدشت^(١).

وفي يوم الإثنين ثالث رمضان: قدم البريد من حلب بقبض منطاش، وذلك أن الأمير جليان نائب حلب لم يزل يبذل جهده فى أمر منطاش، حتى وافقه الأمير نعيم على ذلك. وكان فى طول هذه المدة مقيما عنده ويغزو معه، فبعث جليان شاد شراب خاناته كمشبغا إلى نعيم فى خمسة عشر فارسا، بعدما التزم له بإعادة إمرة العرب إليه. فلما قرب من أبيات نعيم نزل وبعث يأمره بقبضه، فندب نعيم أحد عبيده إلى منطاش يستدعيه إليه، فأحس بالشر، وهم بالفرار، فقبض العبد عنان فرسه وأدركه عبد آخر، وأنزلاه عن فرسه وأخذ سيفه، فبدر إلى سكين معه ضرب نفسه بها أربع ضربات، وأغشى عليه، وحمل إلى كمشبغا ومعه فرسه وأربع جمال، فسار به إلى حلب فى أربعمائة فارس من عرب نعيم. فكان لدخوله يوما مشهودا، وسجن بقلعتها. فسر السلطان بذلك سرورا عظيما، وأنعم على كمشبغا الواصل بالبشرى بخمسة آلاف درهم، وقباء مطرز بذهب، وتقدم إلى سائر الأمراء بخلعهم عليه، ودقت البشائر، ونودى بالزينة فزينت القاهرة ومصر، ونودى من الغد بأن منطاش قد قبض عليه.

وفي خامسه: قرئ تقليد قاضى القضاة برهان الدين إبراهيم الحنبلى على العادة.

وفيه توجه الأمير سيف الدين طولو من على باشا - أحد العشاوات - على البريد لإحضار منطاش، فسار إلى حلب، وعصره ليقر فلم يعترف بشيء، ثم ذبح، وحملت رأسه على رمح وطيف بها حلب، وسائر مدن الشام، حتى قدمت قلعة الجبل صحبة طولو فى يوم الجمعة حادى عشرينه، علق على باب القلعة، ثم طيف بها - على رمح - القاهرة ومصر، وعلقت على باب زويلة ثلاثة أيام. ثم حطت وسلمت إلى زوجته أم ولده. فدفنت فى سادس عشرينه.

(١) الدشت: بفتح أوله، وسكون ثانيه قرية من قرى أصبهان منها القاضى أبو بكر محمد بن

الحسين بن الحسن بن جرير بن سويد الدشتى. انظر معجم البلدان ٤٥٦/٢.

وفيه قلعت الزينة، وخرج يَلْبَغًا السالمى على البريد إلى الأمير نعيم.

وفى هذا الشهر: هجم الفرنج على ناحية نَسْتَرَاوه^(١) فى أربعة غربان، وسبوا ونهبوا، وأقاموا ثلاثة أيام.

وفى تاسع عشرينه: أوفى النيل ستة عشر ذراعاً، وافقه سادس عشر مسرى فركب السلطان إلى المقياس، وفتح الخليج على العادة.

وقدم رسل متملك دهلك^(٢) بفيل وزرافة، وعدة من الجوارى والخدم، وغير ذلك.

وفى يوم الإثنين سادس عشر شوال: خرج المحمل إلى الحجاز مع الأمير سيف الدين فارس من قطلو شاه، أحد أمراء الطبلخانا.

وفيه ابتدأ الناس فى العمارة على الكبش، فبنوا الدور والأصطبل.

وفى تاسع عشره: قدم رسول الملك الظاهر مَجْد الدين عيسى - صاحب ماردين - بأن تَيَمُور لَنك أخذ تيريز، وبعث إليه يستدعيه إلى عنده بها، فاعتذر بمشاوره السلطان مصر، فلم يقبل منه وقال: «ليس لصاحب مصر عليك حكم، ولأسلافك دهر بهذا الأقليم»، وأرسل إليه خلعة، وصكة ينقش بها الذهب والدنانير.

وفيه قدم رسول صاحب بسطام^(٣) بأن تيمور قتل شاه منصور متملك شيراز^(٤)، وبعث برأسه إلى بغداد، وبعث بالخلعة والصكة إلى السلطان أحمد^(٥) بن أويس متملك

(١) نستراوه بلدة كانت واقعة غربى البرلس على الساحل الرملى الفاصل بين البحر المتوسط وبين بحيرة البرلس التى كانت تسمى قديماً بحيرة نسترو.

(٢) دهلك: جزيرة بينها وبين بلاد الحبشة نصف يوم فى البحر، وطول هذه الجزيرة مسيرة يومين، وحواليها ثلاثمائة جزيرة معمورة أهلها مسلمون، وإذا أتت الحبشة لمناجزتهم صعداً جبالاً عالياً يقابل جزيرة دهلك وأوقدوا فيه ناراً فيخرج المسلمون إليهم فى السفن، وإلى ساحل جزيرة دهلك هاجر أصحاب النبى ﷺ إلى النجاشى، وفى هذه الجزيرة مساجد جامعة وأحكام عادلة، وقد ولى القضاء فيها بعد الأربعمائة محمد بن يونس، مالكى من أهل الأندلس. انظر معجم البلدان. ٤٨٠/٢، والروض المعطار ٢٤٤، وابن خلكان ٣٠٠/٦، وتقويم البلدان ٣٧١.

(٣) بسطام بالكسر ثم السكون بلدة. كبيرة بقومس، على جاد الطريق إلى نيسابور بعد دامغان بمرحلتين. انظر معجم البلدان ٢١٨/١، والروض المعطار ١١٤، والكرخى ١٢٤.

(٤) شيراز بالكسر ثم السكون من قرى سرخس شبيهة بالمدينة بينهما مسيرة يومين للجمال. انظر معجم البلدان ٣٨٢/٣.

(٥) أحمد بن أويس بن حسن الجلايرى غياث الدين آخر سلاطين الدولة الجلايرية فى بغداد. مغولى الأصل مستعرب. كان أسلافه من رجال جنكيزخان وهولاكو، وآل أمر العراق إلى حده =

بغداد، فلبس الخلعة وضرب الصكة. ثم أن تيمور ملك بغداد فى يوم السبت حادى عشرينه، وذلك أن ابن أويس كان قد أسرف فى قتل أمراء دولته، وبالع فى ظلم رعيتيه، وانهمك فى الفجور، فكاتب أهل بغداد^(١) تيمور، بعد استيلائه على تبريز^(٢)، يحثونه على المسير إليهم، فتوجه إليها بعساكره حتى بلغ الدربند، وهو عن بغداد مسيرة يومين. فبعث إليه ابن أويس بالشيخ نور الدين الخراسانى، فأكرمه تيمور وقال: «أنا أترك بغداد لأجلك». ورحل يريد السلطانية، فبعث الشيخ نور الدين كتبه بالبشارة إلى بغداد، وقدم فى إثرها. وكان تيمور قد سار يريد بغداد من طريق آخر فلم يشعر ابن أويس - وقد اطمأن - إلا تيمور قد نزل غربى بغداد، قبل أن يصل إليها الشيخ نور الدين، فدهش عند ذلك ابن أويس وأمر بقطع الجسر، ورحل بأمواله وأولاده وقت السحر من ليلة السبت المذكور. وترك البلد، فدخل إليها تيمور، وأرسل ابنه فى إثر ابن أويس، فأدركه بالحلقة^(٣)، ونهب ماله، وسبى حريمه، وقتل وأسر كثيراً ممن معه. ونجا ابن أويس فى طائفة، وهم عراة. فقصد حلب، وتلاحق به من تبقى من أصحابه.

وفى عشية يوم الجمعة عشرينه - وهو أول توت - : أمطرت السماء بالقاهرة مطراً غزيراً، حتى خاض الناس فى المياه، وهذا من غريب ما يحكى.

=الشيخ حسن ونشأ هو فى تبريز. انظر تاريخ العراق ٣٠٥/٢ والضوء اللامع ٢٤٤١ والبدر الطالع ٢٢/١ والأعلام ١٠٢/١.

(١) بغداد أم الدنيا وسيدة البلاد. قال ابن الأنبار أصل بغداد للأعاجم. انظر معجم البلدان ٤٥٦/١، ٤٦٧، وفى الروض المعطار بغداد: دار مملكة خلفاء بنى العباس، وفيها أربع لغات: بغداد بدالين مهملتين، وبغداد معجمة الأخيرة، وبغدان بالنون، ومغدان بالميم بدلاً من الباء، وتذكر وتوث. قالوا: وبغداد بالفارسية عطية الصنم لأن بغ صنم وداذ عطية، ولذلك كره الأصمعية هذه التسمية، وكانت قرية من قرى الفرس فأخذها أبو جعفر غصباً فبنى فيها مدينة وقال الجرجانى: باغ بالفارسية هو البستان الكثير الشجر، وداذ: معطى، فمعناه معطى البستان، وسميت مدينة السلام لأن دجلة كان يقال لها وادى السلام فقبل بغداد مدينة السلام، وكان بعضهم يسميها الصيادة لأنها تصيد قلوب الرجال. انظر الروض المعطار ١٠٩، ١١٠، ١١١، ١١٢، ومعجم ما استعجم ٢٦١/١، وابن حوقل ٢١٥، والكرخى ٥٨، وتاريخ بغداد ٢٥/١ - ١٢٧.

(٢) تبريز بكسر أوله وسكون ثانيه أشهر مدن أذربيجان وهى مدينة عامرة حسناء ذات أسوار محكمة. انظر معجم البلدان ١٣/٢، والروض المعطار ١٣٠.

(٣) الحلقة: مدينة كبيرة منيفة على شط الفرات يتصل بها من جانبها الشرقى وتمتد بطوله، وبها أسواق حافلة جامعة للمرافق المدنية والصناعات الضرورية، وهى قوية التجارة كثيرة الخلق متصلة حدائق النخل داخلاً وخارجاً. انظر معجم البلدان ٣٠٤/٢، والروض المعطار ١٩٧، ابن بطوطة

وفي يوم الخميس ثالث ذى القعدة: قدم البريد بأخذ تيمور بغداد.

وفي رابعه: قدم البريد بنزول ابن أويس الرحبة، في نحو ثلاثمائة فارس. وقدم كتابه وكتاب الأمير نعير، فأجيب أحسن جواب، وكتب بإكرامه والقيام بما يليق به، وتوجه إليه الأمير نعير، فعندما عاين ابن أويس نزل وقبل الأرض، وسار به إلى بيوته، وأضافه. ثم سيره إلى حلب، فقدمها معه أحمد شكر، ونحو الألفى فارس، فأنزله الأمير جُلبان نائب حلب بالميدان، وقام له بما يليق به. وكتب مع البريد إلى السلطان بذلك، وتشفع في الأمير نعير، وفي شكر أحمد. وكتب أيضا ابن أويس يستأذن في القدوم، فجمع السلطان الأمراء للمشورة في أمر ابن أويس، فاتفقوا على إحضاره، وأن يخرج إلى مجيئه الأمير عز الدين أزدُمُر ومعه ثلاثمائة ألف درهم فضة وألف دينار، برسم النفقة على ابن أويس.

وفي رابع عشرينه: ركب السلطان إلى مطعم الطيور خارج القاهرة، وعاد من يومه.

وفي سادس عشرينه: توجه الأمير أزدمر على البريد؛ لإحضار ابن أويس.

وفيه سلم الصاحب تاج الدين عبد الرحيم بن أبي شاکر إلى والى القاهرة، فضربه بالمقارع، وبالغ في إهاتته، وأخرجه نهارا على حمار، وفي عنقه الحديد، وثيابه مضمخة بالدماء، فترامى على الناس، وطرح نفسه على الأبواب، يسأل شيئا يستعين به فى مصادرتة.

وفيه قدمت رسل أبى يزيد بيك، بن مراد بيك، بن عثمان، متملك الروم، مع الأمير حسام الدين حسن الكجكنى، بهدية سنية، منها باز أبيض، وسأل الرسل تجهيز طبيب من أطباء القاهرة إلى ابن عثمان ليداويه من مرض به، فتعين الطبيب شمس الدين محمد بن محمد الصغير، وجُهِز وأعطى من الأدوية والعقاقير ما يحتاج إليه ابن عثمان.

وأما تيمور فإنه لما مَلَكَ بغداد صادر أهلها ثلاث مرات فى كل مرة منهم ألف تومان، وخمسمائة تومان وكل تومان مبلغ ثلاثين ألف دينار عراقية، والدينار العراقى بقدر درهم مصر الفضة، حتى أفقرهم كلهم. وكان جملة ما أخذ منهم نحو مائة ألف ألف وخمسة وثلاثين ألف درهم، بعد أن تنوع فى عقوبتهم، وسقاهم الملح والماء، وشواهم على النار، ولم يبق لهم ما يستر عوراتهم. وصاروا يخرجون فيلتقطون الخرق من الطرقات حتى تستر عوراتهم وتغطى رءوسهم. ثم إنه بعث ابنه إلى الحلة، فوضع فى أهلها السيف يوما وليلة، وأضرم فيها النار حتى احترقت، وفنى معظم أهلها. ويقال

إنه قتل في العقوبة من أهل بغداد ثلاثة آلاف نفس. وبعث تيمور من بغداد العساكر إلى البصرة، فلقبهم صاحبها الأمير صالح بن جولان، وحاربهم وأسر ابن تيمور، وقتل منهم خلقاً كثيراً، فبعث إليه عسكرياً آخر في دجلة، فظفر بهم صالح أيضاً.

وفيه قدم الخير من الحجاز بأن جماز^(١) بن هبة حصر المدينة النبوية، فقاتله ابن عمه الشريف ثابت بن نعيم، وقتل بينهما جماعة.

وفي أول ذي الحجة: أفرج عن صاحب تاج الدين عبد الرحيم بن أبي شاکر وقد بقي عليه مما ألزم به شيء، وكان الذي صودر عليه مبلغ خمسين ألف درهم.

وفي خامس عشره: استقر في نظر الإصطبلات.

وفي سادس عشره: توجه السلطان إلى منزلة سرياقوس^(٢) على العادة.

وفيه قدم البريد بأن الأمير يونس نائب الكرك^(٣) ركب ليأخذ غنماً للعشير، فلما أحاط بها، وقبض على عشرة من العشير، ثاروا به وقتلوه. وكان قد خرج إليهم بغير عسكري، ليس معه إلا عشرة مماليك.

وفي ثامن عشره: أخرج شكر باي العثماني، أميراً بحلب.

وفي خامس عشرينه: قدم مبشرو الحاج، وأخبروا بالأمن والرخاء، وأنه لم يحضر أحد من حاج العراق^(٤).

وفي تاسع عشرينه: أمر في القاهرة ومصر بتجهيز الناس للسفر لقتال تيمور لنك، فإنه قصد أخذ البلاد، وقتل العباد، وهتك الحريم، وقتل الأطفال، وأحرق الديار، فاشتد بكاء الناس، وعظم خوفهم، وكان من الأيام الشنعة.

وفيه قدم الخير بأن أربعة من رهبان النصارى خرجوا بمدينة القدس، ودعوا الفقهاء لمناظرتهم، فلما اجتمع الناس لهم جهروا بالسوء من القول، وصرحوا بدم الملة

(١) جماز بن هبة بن جماز بن منصور الحسيني: أحد من تولوا إمارة المدينة المنورة في عهد ولاية السلطان بقوق بمصر. جاءته المراسم منه وساءت سيرته فامتدت يده إلى قبة الحرم النبوي وأخذ بعض قناديلها واستولى على حاصل المدينة ورحل عنها فاغتاله بعض عربان مطير فكان عيرة للناس قتلوه وهو نائم. انظر رسائل في تاريخ المدينة والأعلام ١٢٣/٢.

(٢) سرياقوس بليدة في نواحي القاهرة. انظر معجم البلدان ٢١٨/٣.

(٣) انظر معجم البلدان ٤٥٢/٤.

(٤) العراق. انظر معجم البلدان ٩٣/٤.

الإسلامية، والأزراء على القائم بها، وأنه كذاب وساحر وما الحق إلا فى دين عيسى، فقبض عليهم وقتلوا وحرقوا بالنار، فكان من الأيام المشهورة بالقدس.

* * *

ومات فى هذه السنة من الأعيان

الصارم إبراهيم بن طشتمر الدوادار، فى خامس رمضان، بالإسكندرية.

ومات القاضى شهاب الدين أحمد بن الضياء محمد بن إبراهيم المناوى الشافعى، شيخ الجاولية، وأحد نواب القضاة بالقاهرة، فى ثامن عشرين ربيع الآخر.

ومات شهاب الدين أحمد بن محمد بن مخلوف الحنفى، نقيب القضاة الشافعية، فى عشرين رجب.

ومات الأديب الشاعر زين الدين أبو بكر عثمان بن العجمى، فى سادس عشر ذى الحجة.

ومات الأمير زين الدين أبو يزيد بن مراد الخازن، دوادار السلطان، فى سلخ جمادى الآخرة، وحضر السلطان جنازته.

ومات الحاج صبيح الغواصى، مهتار الطشتخاناه، بعدما أسنَّ وطالت عطلته، فى ثامن عشرين ربيع الآخر.

ومات الوزير صاحب شمس الدين أبو الفرج عبد الله المقسى القبطى، فى رابع شعبان، ودفن بجامع المقس الذى جدده على الخليج.

ومات علم الدين عبد الله بن الصاحب كريم الدين عبد الكريم بن شاكر بن الغنام، ناظر البيوت، فى ثامن ربيع الأول، وكان حشما.

ومات الأمير زين الدين أبو يزيد الأرنكانى الدوادار، وكان عفيفاً عاقلاً عارفاً يكتب الخط المليح، ويشارك فى عدة علوم.

ومات شهاب الدين أحمد بن صالح الزهرى، الفقيه الشافعى، بدمشق.

ومات الشيخ علاء الدين على بن محمد الأقفهسى، الفقيه الشافعى، فى ثانى عشرين شوال، قرأ على الكمال النشائى، وبرع فى الفقه، وأفتى ودرس بالجامع الخطيرى وغيره، وناب فى الحكم بالقاهرة.

ومات الشيخ علاء الدين على بن محمد بن سبع، الفقيه الشافعى، بعدما خرف وقارب المائة سنة، فى سادس عشرين رمضان، عن غير وارث.

ومات الأمير سيف الدين قُطلوبغا الأسنقجاوى، ويقال له أبو درقة، كاشف الوجه البحرى.

ومات الشيخ صلاح الدين محمد بن الأعمى الحنبلى فى ليلة الأربعاء سادس ربيع الآخر، وقد درس بالمدرسة الظاهرية المستجدة وغيرها، وأفتى وتعين لقضاء الخنابله بالقاهرة.

ومات الأمير ناصر الدين محمد بن الأمير ناصر الدين محمد بن الأمير سيف الدين آقبا آص شاد الدواوين، فى يوم الأربعاء ثامن عشرين شوال، وهو من بيت الإمارة، وأنعم عليه فى حياة أبيه - أيام الملك الأشرف^(١) شعبان بن حسين - بإمرة طبلخاناه. ثم لما سخط الملك الأشرف على أبيه وأخذت منه الإمرة، وتعطل، وعق أباه. وحكيت عنه فى عقوقه أمور شنعة، ثم سافر إلى اليمن وعاد إلى القاهرة، وولى شد الدواوين بإمرة عشرة، وصور وعوقب عقوبة شديدة، وكان من شرار الخلق والمتجاهرين بالمنكر.

ومات الأمير ناصر الدين محمد بن أشقتمر الخوارزمى - والى قطيا - هو وأبوه، مات فى [.....]^(٢).

ومات الطواشى زين الدين مُقبل الرومى الشهابى شيخ الخدام بالحرم النبوى. أصله من خدام الملك الصالح عماد الدين إسماعيل^(٣) بن محمد بن قلاوون، وجانداره. وتنقل

(١) شعبان بن حسين بن الملك الناصر محمد بن قلاوون أبو المعالى، تاج الدين من ملوك الدولة القلاوونية بمصر والشام. ولى السلطنة بعد خلع عمه محمد بن حاجى سنة ٧٦٤ هـ وقام بأمر الدولة فى أيامه أتابك العسكر الأمير يلغا (قاتل عمه الناصر)، خلع ابن عمه محمد المنصور بن حاجى فى أيامه (سنة ٧٦٧ هـ) أغار الإفرنج بقيادة صاحب قبرص على الإسكندرية فى سبعين مركباً وظلوا زهاء أسبوع يقتلون الرجال، ويأخذون الأموال ويأسرون النساء والأطفال. انظر مورد اللطافة لابن تغرى بردى ٨٧ وجاء فيه ٨٠٨ من خطأ الطبع وابن إياس ٢١٢/١ وحسن المحاضرة ١٠٤/٢٢ والدرر الكامنة ١٩٠/٢ والبداية والنهاية ٣٠٢/١٤ - ٣٢٤ والأعلام ٣/١٦٤.

(٢) ما بين المعقوفتين بياض فى الأصل.

(٣) إسماعيل بن محمد بن قلاوون أبو الفداء، علاء الدين، الملقب بالملك الصالح بن الملك الناصر من ملوك الدولة القلاوونية بمصر والشام بويج بالسلطنة بمصر بعد خلع أخيه الناصر أحمد (أول سنة ٧٤٣ هـ) وكانت أمور الدولة مختلة فأصلحها وحسنت سيرته. قال ابن إياس: كان خيار أولاد الملك الناصر محمد له بر ومعروف على جهات الخير استمر إلى أن توفى عن نحو عشرين سنة بالقاهرة. انظر بدائع الزهور ١٨١/١ وروض المناظر - خ والبداية والنهاية ٢٠٢/١٤٠ - ٢١٦ والنجوم الزاهرة ٧٨/١٠ والدرر الكامنة ٣٨٠/١ والأعلام ٣٢٤/١.

فى الخدم، واختص بالأمر شيخو العمرى، وخدم السلطان حسن بن (١) محمد. ثم حج وجاور بالمدينة النبوية، وخدم الحجرة الشريفة فى جملة الخدام، وصار ينوب عن الطواشى افتخار الدين ياقوت الرسولى الخازندار الناصرى شيخ الخدام، حتى مات، فولى بعده المشيخة إلى أن مات بالمدينة الشريفة فى [...] (٢) [...].

ومات قاضى القضاة ناصر الدين أبو الفتح نصر الله أحمد بن محمد بن أبى الفتح بن هاشم بن إسماعيل بن إبراهيم الكنانى العسقلانى الحنبلى، ولد قريبا من سنة عشرين وسبعمائة، وبرع فى الفقه والحديث والعربية والأصول والميقات، وناب فى الحكم بالقاهرة عن الموفق عبد الله الحنبلى نحو العشرين سنة. ثم ولى قضاء القضاة بعده فى محرم سنة تسع وستين، حتى مات ليلة الأربعاء حادى عشرين شعبان، وكان من خيار المسلمين.

ومات نجم الدين محمد بن جماعة خطيب القدس، فى يوم الأربعاء تاسع ذى القعدة، بالقاهرة، ودفن خارج باب النصر.

ومات سعد الدين إبراهيم بن عبد الوهاب بن النجيب أبى الفضائل الميمونى القبطى، كاتب العرب، ومباشر ديوان الجيوش.

وتوفى الشيخ المسلك عبد الرحمن بن [...] (٣) الشريشى، أحد مريدى الشيخ يوسف العجمى (٤) فى [...] (٥).

* * *

(١) حسن (الناصر بن محمد الناصر) ابن فلاوون أبو الخاسن: من ملوك الدولة القلاونية بمصر والشام. بوع بمصر، صغيراً، بعد مقتل أخيه حاجى المظفر، سنة ٧٤٨ هـ وكان اسمه قمارى الدولة الأمير فلما ولى السلطنة تسمى «حنا» وقام بأمر الدولة الأمير يلبغا أروس نائب السلطنة ووزعت العطايا باسم الناصر. انظر ١٩٠، ٢٠٢، والبداية والنهاية ٢٢٤/١٤ - ٢٧٨، ٢٧٩ والأعلام ٢/ ٢١٦.

(٢) ما بين المعقوفتين بياض فى الأصل.

(٣) ما بين المعقوفتين بياض فى الأصل.

(٤) يوسف بن عبد الله بن عمر بن على بن خضر الكردى الكورانى ويعرف بالعجمى: متصوف كانت له زاوية مشهورة فى قرافة مصر وعدة زاويا فى بلدان مختلفة وللناس فيه اعتقاد عظيم. له رسالة فى شرائط التوبة ولبس الخرقه، سماها «ريحانة القلوب فى التوصل إلى المحبوب - خ» و«بديع الانتفاث بشرح القوافى الثلاث - خ» فى جامعة الرياض. انظر الدرر الكامنة ٤/ ٤٦٣ وابن قاضى شهبه - خ ١٣١/٢، ٢٢٧/٧ وجامعة الرياض ٥: ١١٢ والأعلام ٨/ ٢٤٠.

(٥) ما بين المعقوفتين بياض فى الأصل.

سنة ست وتسعين وسبعمائة

أهل المحرم يوم الإثنين: والسلطان بقصور سرياقوس، وعساكره معه، ففي رابعه عاد إلى القلعة.

وفي سادسه: قبض على فرج شاد الدواوين، وألزم بمال.

وفي سابعه: استقر في نيابة الكرك الأمير شهاب الدين أحمد بن الشيخ على أحد أمراء دمشق.

وفي ثامنه: أفرج عن أمير فرج، وبقي في وظيفة شد الدواوين، بعد التزامه بمائتي ألف درهم فضة.

وفي تاسعه: عدى السلطان إلى بر الجيزة وتصيد، وعاد من يومه.

وفي عاشره: قدم الحاج محمد وزير ماردين على البريد بأن الأكراد قد دخلوا في طاعة تيمور لنك.

وفي حادى عشره: نفى الأمير قنقباى إلى القدس.

وفي ثانى عشره: نزل السلطان وعدى إلى بر الجيزة وتصيد، وعاد في يومه.

وفي سادس عشره: ركب إلى المطرية، وتصيد بطنان، وعاد.

وفي ثامن عشره: عدى إلى بر الجيزة، وعاد في الغد.

وفيه استقر خليل الجشارى في ولاية قطيا، وعزل أحمد الأرغونى.

وفي ثالث عشرينه: قدم المحمل بالحاج.

وفي خامس عشرينه: ركب السلطان وتصيد، وعاد من يومه، وركب من الغد،

وتصيد بالجيزة، وعاد في ثامن عشرينه، وكان البريد قد ورد بحضور رسل تيمور لنك

بهدية إلى أول حدود المملكة، فكتب بقتلهم، فلما كان سلخه، قدمت رسل النواب

بهدية تيمور لنك وهى: تسعة مماليك، وتسع جوارى وغير ذلك، فوجد من جملة

المماليك ابن وزير بغداد، وابن قاضيهما، وابن محتسبها، وليس فيهم سوى مملوك واحد،

فتركهم لحالهم، وتزى ابن القاضى يزى الفقهاء.

وفي يوم السبت أول صفر: ابتدأ الأمير سودن النائب بعرض أجناد الحلقة، ثم

أبطله.

وفى ثالثه: ركب السلطان للصيد ببركة الحاج، وعاد.

وفى خامسه: تولى الأمير قلمطاي الدوادر عرض أجناد الحلقة بدار الأمير سودن النائب، وألزم أرباب الأخباز الثقيلة العيرة، الكثيرة المتحصل، بالسفر إلى قتال تيمور، واستمر العرض أربعة أيام فى الأسبوع وهى: السبت والأحد والثلاثاء والأربعاء.

وفى سادسه: ركب السلطان وتصيد ببركة الحاج، ودخل إلى القاهرة من باب القنطرة، وخرج من باب زويلة إلى القلعة، وركب إلى الجيزة فى ثامن، وعاد فى عاشره.

وفيه استقر حسن بن قراجا فى ولاية قطيا، بعد وفاة الصارم إبراهيم الباشقردى.

وفى ثالث عشره: ركب السلطان وتصيد بالبركة، وعاد وركب فى سابع عشره إلى الجيزة. وعاد فى تاسع عشره وركب فى ثانى عشرينه إلى الصيد بالبركة وعاد.

وفى رابع عشرينه: خرج المطبخ إلى لقاء ابن أويس.

وفى خامس عشرينه: استقر شمس الدين محمد^(١) بن الدميرى فى نظر الأقباس، بعد وفاة تاج الدين محمد المليجى، واستقر زين الدين طاهر بن حبيب الحلبي - موقع الدست - فى نظر الخزانة، عوضاً عن المليجى.

وفى سابع عشرينه: ركب السلطان للصيد بالبركة، وعاد. وركب فى تاسع عشرينه إلى الصيد بالجيزة، وعاد فى يوم الثلاثاء ثالث ربيع الأول.

وفى خامسه: عمل السلطان المولد النبوى على العادة.

وفى سابعه: ركب السلطان وتصيد بالبركة وعاد.

وفى حادى عشره: انتهى عرض أجناد الحلقة.

وفى ثانى عشره: نودى بالقاهرة ومصر أن من عرض على النائب والدوادر من أجناد الحلقة وتعين للسفر، فليحضر للعرض على السلطان فى يومى الخميس والإثنين.

وفيه طرحت البضائع على التجار، وأخرج القمح من الأهراء، لعمل البشماط برسم السفر.

(١) محمد بن موسى بن عيسى بن على الدميرى، أبو البقاء باحث وأديب، من فقهاء الشافعية من أهل دميره (مصر) ولد ونشأ وتوفى بالقاهرة أقبل على العلم وأفتى ودرس وكان له (النجم الوهاج - خ). انظر الفوائد البهية ٢٠٣ وخطط مبارك ٥٩/١١ ومفتاح السعادة ١٨٦/١ وكشف الظنون ٦٩٦ والأعلام ١١٨/٧.

وفي ثالث عشره: نودى على أجناد الحلقة أيضا بالعرض على السلطان وفيه قدم البريد بأخذ تيمور لنك قلعة تكريت^(١)، وتخريبها وقتل من بها.

وفيه خرج عدة من الأمراء لملاقاة القان غياث الدين أحمد بن أويس.

وفي رابع عشره: استقر موسى بن على - شاد دواليب الخاص - فى ولاية البهنسا، وعزل قرطاي.

وفي يوم الثلاثاء سابع عشره: نزل السلطان إلى لقاء ابن أويس فى جميع العساكر، وقعد بمسطة مطعم^(٢) الطيور من الريدانية خارج القاهرة إلى أن قرب منه ابن أويس، ونزل عن فرسه عدة خطوات، فمشى إليه الأمير بدخاص حاجب الحجاب، ومن بعده الأمراء للسلام عليه، والأمير بدخاص يعرفه اسم كل أمير ووظيفته، وهم يقبلون يده حتى أقبل الأمير أحمد بن يلغا، فقال للأمير بدخاص: «هذا ابن أستاذ السلطان». فعانقه ابن أويس، ولم يدعه يقبل يده. ثم جاء بعده الأمير بكلمش أمير سلاح فعانقه أيضا، ثم بعده الأمير الكبير أيتمش رأس نوبة فعانقه، ثم الأمير سودن النائب فعانقه، ثم الأمير كمشبغا الحموى أتاك العساكر، فعانقه. وانقضى سلام الأمراء، فقام عند ذلك السلطان ونزل عن المسطة، ومشى نحو العشرين خطوة، وهرول ابن أويس حتى التقيا، فأومأ ابن أويس لتقبيل يد السلطان فلم يمكنه وعانقه، وبكى ساعة. ثم مشيا، والسلطان يطيب خاطره، وبعده يعود إلى ملكه، ويده فى يده، حتى صعدا إلى المسطة، وجلسا معا على البساط من غير كرسى وتحادثا طويلا. ثم قدم قباء من حرير بنفسجى بفرو فاقم، وطرز ذهب عريضة، فألبسه ابن أويس. وقدم له فرسا من الخيل الخاص، بسرج وكنفوش، وسلسلة من ذهب، فركبه من حيث يركب السلطان، وركب السلطان بعده. وسارا يتحادثان، والأمراء والعساكر سائرة ميمنة وميسرة، وتارة يتقدم السلطان حتى يحجب ابن أويس، إلى أن قربا من القلعة، وقد خرج معظم

(١) تكريت: بالعراق بين دجلة والفرات، وقيل هى من كور الموصل، من سرّ من رأى إلى تكريت، وهى مدينة قديمة كبيرة واسعة الأرجاء جميلة الأسواق كثيرة المساجد غاصة بالأهل، ودجلة منها فى جوفها ولها قلعة حصينة على الشط هى قصبتها المنيرة ويطيف بالبلد سور، وهى من المدن العتيقة وهى على شاطئ دجلة من الجانب الغربى ينزلها قوم يقال لهم الجرامقة وبها تجار مياسير، ومن تكريت يشق نهر دجيل - الآخذ من الدجلة - فيشق ربضها ويمر إلى سواد سرّ من رأى فيعبره إلى قرب بغداد. انظر الروض المعطار ١٣٣، ١٣٤.

(٢) يقصد مطعم طيور الصيد وكان يقع فى الشمال الشرقى لخانقاة السلطان برقوق فى صحراء

الريدانية. انظر أبو الخاسن: حوادث الدهور ٣٨٠.

٣٤٨ سنة سبعمائة وخمس وتسعين

الناس لمشاهدة ابن أويس، فكان يوماً مشهوداً. وعندما ترجل العسكر على العادة، صار ابن أويس مواكبا للسلطان، حتى بلغا حد موضع الطبلخاناه، أوماً إليه السلطان بالتوجه إلى المنزل الذى أعده له على بركة الفيل، وجدد عمارته وزخرفته وملاه بالفرش والآلات، فسار إليه وجميع الأمراء فى خدمته، وصعد السلطان إلى القلعة. فلما دخل ابن أويس إلى منزله ومعهم الأمراء، مد الأمير جمال الدين محمود الأستادار بين يديه سماطاً^(١) جليلاً فأكل وأكل معه الأمراء، وانصرفوا. فبعث إليه السلطان مائتى ألف درهم فضة، ومائتى قطعة قماش سكندرى، وثلاثة أفراس بقماش ذهب، وعشرين مملوكا حسانا، وعشرين جارياً. فلما كان الليل قدم حريم ابن أويس وثقله.

وفى ثامن عشره: استقر محمد الضانى واليا بأشوم^(٢) الرمان، عوضاً عن محمد بن غرلوا.

وفى يوم الخميس تاسع عشره: عمل السلطان الخدمة بالإيوان المعروف بدار العدل، على العادة. وصعد القان أحمد بن أويس إلى القلعة ليحضر الخدمة بالإيوان. وعبر من باب الجسر الذى يقال له باب السر، وجلس تجاه الإيوان حتى خرج إليه رأس نوبة، ومضى به إلى القصر فأخذه السلطان. وخرج به إلى الإيوان وأقعده رأس الميمنة فوق الأمير الكبير كمشبغا الأتابك. فلما قام القضاة ومد السماط قام الأمراء على عادتهم، فهمّ ابن أويس بالقيام معهم ووقف، فأشار له السلطان فجلس حتى فرغ الموكب. ولما انقضت خدمة الإيوان دخل مع السلطان إلى القصر، وحضر خدمة القصر أيضاً، ثم خرج، والأمراء بين يديه حتى ركب، وقدامه جاویشيته، ونقيب جيشه، فسار الأمراء بخدمته إلى منزله.

وفيه علق الجاليش بالطبلخاناه، إشارة للسفر، فشرع الناس فى التجهيز.

وفى حادى عشرينه: ركب السلطان ومعهم ابن أويس إلى مدينة مصر، وعديا النيل إلى بر الجزيرة، ونزلا بالخيام ليتصيدا.

وفيه قبض على صاحب سعد الدين نصر الله بن البقرى ناظر الدولة، وعلى ولده تاج الدين عبد الله، وجماعة من المباشرين وسلموا لشاد الدواوين.

وفى رابع عشرينه: قدم البريد من حلب برجل تترى، يقال له دولات خجا، مقيد بالحديد، من أصحاب تيمور لنگ، قبض عليه سالم الذكر.

(١) السماط موائد الطعام. انظر المعجم الوجيز.

(٢) انظر معجم البلدان ١/٢٠٠.

وفيه قدم السلطان من الصيد إلى القلعة.

وفي خامس عشرينه: عرض التتري على السلطان، فسأله عن أشياء فلم يعترف، فسلم لوالى القاهرة ليعاقبه، فأقر أن بالقاهرة عدة جواسيس، قبض على سبعة أنفس، ما بين تجار وغيرهم من العجم.

وفيه أفرج عن ابن البقرى وولده، على حمل خمسين ألف درهم، وعن بقية المباشرين على مائة ألف درهم.

وفي تاسع عشرينه: استقر محمد بن صدقة بن الأعرس فى ولاية منوف.

وفي سلخه: قدم البريد من حلب بتوجه الأمير الطنبغا الأشرفى، والأمير دقماق بعسكر من حلب إلى الرها، ومواقعتهم طلائع تيمور لنك، وهزيمتهم بعد أن قتل منهم خلق كثير، وأسر جماعة، وعودهم إلى حلب بمائة رأس من التمرية، وعدة من المأسورين.

وفيه استقر أسنبغا السيفى فى ولاية قلوب، وغزل محمد بن مؤمن الشمسى.

وفيه أُلزم سائر مباشرى ديوان الخاص والدولة ومباشرى الأمراء بإحضار البغال من كل منهم، أو أخذ ثمن البغلة على قدر حال كل أحد، فوقع الشروع فى ذلك.

وفيه أفرج عن الممالك المعتقلين فى البرج بالقلعة، ولم يتأخر سوى الشريف عنان ومملوك واحد من الجوبانية^(١)، يقال له أسنبغا.

وفى يوم الخميس ثالث ربيع الآخر: حمل الأمير جمال الدين محمود الأستادار السلاح على ثمانمائة حمال، فيه ثلاثمائة لبس كامل للفارس وفرسه.

وفيه ابتدئ بالنفقة فى الممالك لكل واحد من المشتراوات مبلغ ألفى درهم، ولكل واحد من المستخدمين ألف وسبعمائة درهم، وعدتهم خمسة آلاف، فبلغت النفقة فى الممالك خاصة عشرة آلاف ألف درهم فضة، سوى النفقة فى الأمراء، وسوى ما حمل فى الخزائن، وما جهز به فضة، سوى النفقة فى الأمراء، وسوى ما حمل فى الخزائن، وما جهز به الإقامات.

وفيه قدم كتاب تيمور لنك يتضمن الإرعاد والإبراق، وينكر قتل رسله، ونصه: «قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِيمَا

(١) الجوبانية من قرى مرو ويسمونها كوبان نسبة إلى جماعة. انظر معجم البلدان ١٧٦/٢.

كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ^(١). اعلموا أنا جند الله مخلوقون من سخطه، مسلطون على من حل عليه غضبه، لا نرق لشاكي، ولا نرحم باكي، قد نزع الله الرحمة من قلوبنا، فالويل ثم الويل لمن لم يكن من حزبنا، ومن جهتنا. فقد خربنا البلاد وأيتمنا الأولاد، وأظهرنا في الأرض الفساد، وذلت لنا أعزتها، وملكننا بالشوكة أزمته، فإن خيل ذلك على السامع وأشكل وقال إن فيه عليه مشكل، فقل له: ﴿إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً﴾^(٢)، وذلك لكثرة عددنا وشدة بأسنا، فخيولنا سوابق، ورماحنا خوارق، وأستتنا بوارق، وسيوفنا صواعق وقلوبنا كالجبال، وجيوشنا كعدد الرمال، ونحن أبطال، وأقيال، وملكننا لا يرام، وجارنا لا يضام، وعزنا أبدا بالسؤدد مقام، فمن سالنا سلم، ومن رام حربنا ندم، ومن تكلم فينا بما لا يعلم جهل، وأنتم فإن أطعتم أمرنا وقبلتم شرطنا فلکم ما لنا وعليکم ما علينا، وإن أنتم خالفتم وعلى بغيكم تماديتيم فلا تلوموا إلا أنفسكم، فالحصون منا، مع تشييدها لا تمنع، والمدائن بشدتها لقتالنا لا ترد ولا تنفع ودعاؤكم علينا لا يستجاب فينا، ولا يسمع وكيف يسمع الله دعاءكم وقد أكلتم الحرام، وضيعتم جميع الأنام، وأخذتم أموال الأيتام، وقبلتم الرشوة من الحكام، وأعدتكم لكم النار، وبئس المصير، ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلُونَ سَعِيرًا﴾^(٣). فلما فعلتم ذلك وأردتم أنفسكم موارد المهالك. وقد قتلتم العلماء، وعصيتم رب الأرض والسماء، وأرقتم دم الأشراف، وهذا والله هو البغي والأسراف، فأنتم بذلك في النار خالدون، وفي غد ينادى عليكم ﴿فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾^(٤) ﴿وَبِمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ﴾^(٥) فأبشروا بالذلّة والهوان، يا أهل البغي والعدوان، وقد غلب عندكم أننا كفرة، وثبت عندنا أنكم والله الكفرة الفجرة. وقد سلطنا عليكم إله له أمور مقدره، وأحكام مدبرة، فعزيزكم عندنا ذليل، وكثيركم لدينا قليل؛ لأننا ملكنا الأرض شرقا وغربا، وأخذنا منها كل سفينة غصبا. وقد أوضحنا لكم الخطاب، فأسرعوا برد الجواب قبل أن ينكشف الغطاء، وتضرم الحرب نارها، وتضع أوزارها، وتصير كل عين عليكم باكية، وينادي منادى الفراق: هل ترى لهم من باقية؟، ويسمعكم صارخ الغناء، بعد أن يهزكم هزا، ﴿هَلْ تَحْسِبُ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ

(١) سورة الزمر آية ٣٩.

(٢) سورة النمل آية ٣٤.

(٣) سورة النساء آية ١٠.

(٤) سورة الأحقاف آية ٢٠.

(٥) سورة الأنعام آية ٩٣.

تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا^(١)، وقد أنصفناكم إذ راسلناكم، فلا تقتلوا المرسلين كما فعلتم بالأولين، فتخالفوا كعادتكم سنن الماضين، وتعصوا رب العالمين، فما على الرسول إلا البلاغ المبين. وقد أوضحنا لكم الكلام، فأسرعوا برد جوابنا، والسلام.

فكتب جوابه بعد البسمة: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ * وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ * وَتُعْزِزُ مَنْ تَشَاءُ * وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ﴾^(٢)، حصل الوقوف على ألفاظكم الكفرية، ونزعاتكم الشيطانية، فكتابكم يخبرنا عن الحضرة الجنائية، وسيرة الكفرة الملائكية، وأنكم مخلوقون من سخط الله، ومسلطون على من حل عليه غضب الله، وأنكم لا ترقون لشاك، ولا ترحمون عسيرة باك، وقد نزع الله الرحمة من قلوبكم، فذاك أكبر عيوبكم، وهذه من صفات الشياطين، لا من صفات السلاطين، ويكيفكم هذه الشهادة الكافية وبما وصفتم به أنفسكم ناهية ﴿قُلِ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ * وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ * وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدْتُمْ * لَكُمْ دِينُكُمْ وَرَبِّي دِينٌ﴾^(٣)، ففى كل كتاب لعنتم، وعلى كل لسان كل مرسل نعتهم، وبكل قبيح وصفتم، وعندنا خيركم من حين خرجتم، إنكم كفرة، ألا لعنة الله على الكافرين، من تمسك بالأصول فلا يبالي بالفروع، نحن المؤمنون حقا، لا يدخل علينا عيب ولا يضرنا ريب، القرآن علينا نزل، وهو سبحانه بنا رحيم لم يزل، فتحققنا نزوله، وعلمنا ببركته تأويله. فالنار لكم خلقت، وجلودكم أضمرت، إذا السماء انفطرت. ومن أعجب العجب تهديد الرتوت^(٤) بالتوت، والسباع بالضباع، والكمأة بالكرع. نحن خيولنا برقية، وسهامنا عربية، وسيوفنا يمانية، وليوثنا مصرية، وأكفنا شديدة المضارب، وصفتنا مذكورة فى المشارق والمغارب، إن قتلناكم فنعم البضاعة، وإن قتل منا أحد فبينه وبين الجنة ساعة. ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرَزَقُونَ * فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ * وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ * أَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةِ اللَّهِ وَفَضْلِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٥). وأما قولكم قلوبنا كالجبال، وعددنا كالرمال، فالقصاب لا يبالي بكثرة الغنم، وكثير الحطب يفنيه القليل من الضرم، ﴿فَكَمْ مِنْ فِتْنَةٍ قَالِيلَةٍ غَلَبَتْ فِتْنَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ

(١) سورة مريم آية ٩٨.

(٢) سورة آل عمران آية ٢٦.

(٣) سورة الكافرون آية ٤.

(٤) الرتوت ومفردها الرت هم الرؤساء من الرجال فى الشرف والعتاء فيقال هولاء رتوت

البلد. انظر لسان العرب.

(٥) سورة آل عمران آية ١٩٦.

سنة سبعمائة وحمس وتسعين
 اللَّهُ * وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ^(١). الفرار الفرار من الرزايا وحلول البلايا. واعلموا أن هجوم المنية عندنا غاية الأمنية، وإن عشنا عشنا سعداء، وإن قتلنا قتلنا شهداء، ألا إن حزب الله هم الغالبون. أبعد أمير المؤمنين وخليفة رب العالمين تطلبون منا طاعة؟ لا سمع لكم ولا طاعة، وطلبتم أن نوضح لكم أمرنا قبل أن ينكشف الغطاء، ففى نظمه تركيك، وفى سلكه تلييك، لو كشف الغطاء لبان القصد بعد بيان، أكفر بعد إيمان؟ أم اتخذتم إلهان؟ وطلبتم من معلوم رأيكم أن تتبع ربكم، ﴿لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِذَا تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ، وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا﴾^(٢)، قل لكاتبك الذى وضع رسالته، ووصف مقالته: وصل كتابك كضرب رباب، أو كظنين ذباب. كلا سنكتب ما يقول، ونمد له من العذاب مدا، ونرثه ما يقول إن شاء الله تعالى. ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾^(٣). لقد لبكتم^(٤) فى الذى أرسلتم. والسلام.»

وفى سادسه: عرض السلطان أجناد الحلقة الذين عينوا للسفر، واختار منهم أربعمائة فارس للسفر معه، وعرض رأس نوبة الأجناد البحرية، وعين منهم مائتى فارس للسفر.

وفى سابعه: خرجت مدورة^(٥) السلطان، ونصبت بالريدانية خارج القاهرة.

وفى يوم الأربعاء تاسعه: عقد السلطان على الخاتون تندی، بنت حسين بن أويس، ابنة أحمى القان أحمد بن أويس، ومبلغ الصداق ثلاثة آلاف دينار، صرف الدينار يومئذ ستة وعشرون درهما، ونصف درهم، وبني عليها فى ليلة الخميس عاشره.

وفيه نزل السلطان من القلعة إلى الإصطبل، وخرج من باب السلسلة بالرميلة^(٦)، وقد وقف القان أحمد بن أويس وجميع الأمراء وسائر العساكر، وقد لبسوا للحرب ومعهم أطلابهم، فسار السلطان وعليه قرقل^(٧) بغير أكمام، وكلفته على رأسه، وتحتة فرس بعرقية من صوف سمك إلى باب القرافة، والعساكر قد ملأت الرميطة، فرتب بنفسه أطلاب الأمراء، ومر فى صفوفهم عودا وبداء، حتى ترتبت أحسن ترتيب،

(١) سورة البقرة آية ٢٤٩.

(٢) سورة مريم آية ٩٠.

(٣) سورة الشعراء آية ٢٢٧.

(٤) التبك: الأمر الذى اختلاط والتبس واللبك الخلط. انظر لسان العرب.

(٥) مدورة السلطان أى خيمته الكبيرة الخاصة به والتي تنصب له فى الأسفار.

(٦) الرميطة: من قرى بيت المقدس. انظر معجم البلدان ٧٣/٣.

(٧) القرقل: الثوب الذى لا أكمام له.

ومضى إلى قبر الإمام الشافعي فزاره، وتصدق على الفقراء. وسار إلى مشهد السيدة نفسية، فزاره وتصدق وعاد إلى الرملة. وأشار إلى الطلب السلطاني فسار إلى الريدانية في أعظم قوة، وأبهج زى، وأفخر هيئة، وجر فيه مائتي جنيب من عتاق الخيل، عليها من الأسلحة والذهب ما يقصر الوصف عن حكايته. وسار في موكب تهتز له الأرض، وإلى جانبه ابن أويس على فرس بقماش ذهب، وبجانب ابن أويس الأمير كمشبعًا الأتابك. وتبع العساكر من ورائها طلب الأمير كمشبعًا، ثم طلب الأمير قَلَمَطَاي الدوادار، ثم أطلاب بقية الأمراء، فكان يوماً لم ير مثله، وقد حشر الناس في كل موضع، ونزل السلطان، وابن أويس بالمخيم من الريدانية.

وفى رابع عشره: أعيد بدر الدين محمد بن أبي البقاء الشافعي إلى قضاء القضاة بديار مصر، وصرف الصدر محمد المناوى، ودخل من الريدانية إلى القاهرة، ومعه من الأمراء تغرى بردى رأس نوبة، وقَلَمَطَاي الدوادار، وأقبغا اللكاش رأس نوبة، فى آخرين وعليه التشريف.

وفيه استقر الأمير ناصر الدين محمد بن رجب بن كلفت التركمانى فى الوزارة. وعزل الموفق أبو الفرج. واستقر سعد الدين نصر الله بن البقرى ناظر الدولة، عوضاً عن بدر الدين محمد بن الأقفهسى. واستقر صاحب كريم الدين عبد الكريم بن غنام فى نظر البيوت على عادته. واستقر صاحب علم الدين عبد الوهاب سن إبرة فى استيفاء الدولة شريكاً للصاحب تاج الدين عبد الرحيم بن أبى شاكرك، ودخل الجميع القاهرة بالخلع.

وفى سابع عشره: قبض على الشريف محمود العنابى؛ وذلك أنه كان من العنابة خارج دمشق، فتوصل إلى السلطان وهو بها، وجاراه فى أمور من المغيات صادف وقوعها. وكان السلطان له تطلع إلى ذلك، فأكرمه، وقدم به معه إلى القاهرة، وأجرى عليه ألف درهم فضة فى كل شهر، وصار إذا حضر مع القضاة يجلسه فوقهم بجانبه.

فلما كان يوم الثلاثاء خامس عشره: بعث الأمير شرف الدين موسى بن الأمير شمس الدين محمد بن عيسى العائدى من خزانة شمائل ورقة إلى الأمير علاء الدين على ابن الطبلاوى والى القاهرة، وكان السلطان قد سخط على بنى عيسى وسجنهم بخزانة شمائل. فإذا فى الورقة أن الشريف العنابى بعث إليه أن يأمر عربانه بالنزول قريباً من القاهرة ليملكها بهم فى غيبة السلطان فلم يقنع ابن الطبلاوى بهذا من ابن عيسى، وقال لقاصده: «إذا قيل هذا للشريف ينكره، لكن حصل إلى خطة بذلك» فسير إليه فى

يوم الخميس سابع عشره ورقة زعم أنها من الشريف إليه، وفيها: «إنك ترسل إلى عربان البحيرة، وعربان الصعيد بالركوب على الولاة والكشاف وقتلهم، ونهب البلاد ليشغلوا عنا بأنفسهم، وابعث إلى عربك أن يكونوا بقرب القاهرة، فإذا عدى الغريم قطيا أركب أنا وأنت، ومعى خمسمائة مملوك، وتحضر عربانك وتأخذ القاهرة، والنصر لنا إن شاء الله تعالى. وتولى الأمير شهاب الدين بن قايماز الأتابكية، وأتولى أنا الخلافة، ونفعل ما ينبغي فعله». فقام ابن الطبلاوى من وقته إلى الريدانية، وأوصل الورقة للسلطان، فحكم ذلك، وبعث يلغا السالمى ليحضر العنابى، فلم يجده، وقيل هرب، فألزم السلطان ابن الطبلاوى بتحصيله، فعاد إلى القاهرة، وبحث عنه حتى علم أن خيله عند شهاب الدين أحمد بن قايماز، فأكمن عدة من ثقاته حتى قبضوا على عبد العنابى، وضرب بالمقارع، حتى دله على أستاذه، فقبض عليه، وعلى ابن قايماز، وحملهما إلى الريدانية، فأمر بعقوبتهما حتى يعترفا على من معهما على ما قصدها، فعاد بهما، وسوط^(١) العنابى فاعترف أن الورقة بخطه، ثم عصره ليقر على أحد، فلم يعترف بشيء إلا أن معه طائفة من ممالك بركة، فأخذ خطه بذلك، وأن ابن قايماز معه، فأنكر ابن قايماز، وحاققه العنابى، فتمادى فى الإنكار.

وفيه قبض على الأمير ركن الدين عمر بن قايماز بسبب أخيه أحمد.

وفيه نودى بحضور الأجناد البطالين إلى بيت الأمير قلمطاوى الدوادار؛ ليستخدموا.

وفى عشرينه: قبض ما وقع الاتفاق عليه من مال الأيتام، وذلك أن السلطان احتاج إلى المال بسبب السفر، فسأل قاضى القضاة صدر الدين محمد المناوى أن يقرضه من مال الأيتام، فامتنع كما امتنع من قرض منطاش. فلما سمع ذلك البدر محمد بن أبى البقاء وجد سبيلا إلى ولايته، ووعد على عوده إلى القضاء بمال يقوم به هو، وأن يقرض السلطان خمسمائة ألف وستين ألف درهم من مال الأيتام، فأجيب، واستقر كما ذكر. ونزل إليه الأمير الوزير ناصر الدين محمد بن رجب فى يومه هذا، وقبض المبلغ المذكور.

وفيه قرئ تقليد بدر الدين محمد بن أبى البقاء على العادة.

وفى حادى عشرينه: قدم الأمير قلمطاي الدوادار من الريدانية إلى داره لعرض الأجناد البطالين، بعدما تكرر النداء عليهم مرارا، وتهديد من تأخر منهم عن العرض. فإذا بهم قد اجتمع منهم نحو الخمسمائة، فكتب أسماءهم ثم قال لهم: «أحضروا

(١) سوط: ساطه سوطاً أسوطه أى ضربته بالسوط. انظر لسان العرب.

تراكيشكم^(١) التى فيها القسى والنشاب، وأحضروا سيوفكم، فتوجهوا لإحضار ذلك؛ طمعا منهم فى أنهم يأخذون النفقة، فما هو إلا أن حضروا بذلك، أحيط بهم. وكان قد أعد لهم الى القاهرة الحديد ليقيدوا به، فقبض على ثلاثمائة وسبعين منهم، وفر من بقى. وقتل ثلاثة أنفس، وجرح جماعة. وتسلم الوالى المقبوض عليهم فى الأغلال، ومضى بهم إلى خزانة شمائل، فسجنوا بها، وكان يوما مهولا من كثرة بكاء نسائهم وأولادهم.

وفيه قدم ولد الأمير نعيم، ومعه محضر، بأن أباه أخذ بغداد وخطب بها للسلطان، فأنعى عليه بتشريف.

وفيه أفرج عن الأمير الطنبغا المعلم، وكتب بإحضاره من دمياط.

وفيه خلع على الأمير سودن النائب، وجعل مقيما بالقاهرة مدة الغيبة، وخلع على الأمير محمود الأستاذار وولده، وعلى الأمير بجاس، وألزم بالإقامة فى القلعة، وخلع على برهان الدين إبراهيم المحلى التاجر، وشهاب الدين أحمد بن محمد^(٢) بن مسلم، ونور الدين على بن الخروبى؛ لأنه اقترض منهم السلطان مبلغ ألف ألف درهم.

وفيه أفرج عن الأمير قنقباى الأحمدي، وكتب بإحضاره من القدس إلى غزة، ورسم لمباشريه بتجهيز برقه، وتعبئة طلبه.

وفى ثانى عشرينه: عرض الأمير علاء الدين على بن الطبلاوى البطالين، الذين سجنوا بالخزانة، بدار الأمير محمود الأستاذار وأفرج عن مائتى رجل منهم، ونفى ثلاثة وسبعين - كانوا غرأبا غير معروفين - إلى عدة جهات.

وفيه أفرج عن الأمير ركن الدين عمر بن قايماز، على مال التزم بحمله.

وفى ثالث عشرينه: رحل السلطان من الريدانية، وكانت عدة الجمال التى فرقت فى المماليك أربعة عشر ألف جمل، وعدة الخيل المفرقة فى المماليك السلطانية ألفين وخمسمائة فرس، سوى ما عندهم من الخيل، وهى أضعاف ذلك، وهذه الخيول والجمال فى المماليك خاصة.

(١) تراكيشكم جمع تركاش وهى الكنانة أو الجعبة التى توضع فيها النشاب.

(٢) أحمد بن محمد بن عمر بن مسلم أبو العباس شهاب الدين العمرى المعروف بابن خضر فقيه حنفى دمشقى صالحى ولى إفتاء دار العدل وله حاشية على الفوائد. انظر سر كيس ١٥٣١ وكشف ٢٠٧ ودار الكتب ١ / ٢٣٠ والأعلام ١ / ٢٢٥.

وأما السلطان والأمراء فيكون معهم ما يزيد على مائة ألف، ما بين فرس وجمل. ومما حمل برسم خرط الشطرنج خمسة قناطير من العاج والأبنوس؛ ليلعب به السلطان. والرسم أنه إذا لعب بشطرنج أخذه أرباب التوبة، وجدد غيره.

وفى سابع عشرينه: قدم البريد من السلطان بقتل بنى عيسى، فوسطوا على باب خزانة شمائل، وعدتهم أحد وعشرون رجلا، منهم موسى بن محمد بن عيسى، وعمه مهنا بن عيسى وسلموا لغلمانهم، فأقيمت المناحة عليهم بالصحراء عدة أيام. وفيه قتل الشريف محمود العنابي أيضا.

وفى ثامن عشرية: ثارت عرب بنى عيسى بقلوب يريدون قتل الوالى ففر منهم إلى القاهرة.

وفيه قدم البريد بطلب بدر الدين محمود الكلستانى إلى السلطان، فخرج فى غاية الخوف من القتل؛ لأنه كان من أزام الطنبغا الجوبانى، فجاءه من العز ما لم يخطر له ببال، كما سيأتى ذكره إن شاء الله تعالى.

وفيه استقر عمر بن إلياس فى نيابة الوجه البحرى، وعزل أوناط.

وفى يوم الأحد ثانى عشر جمادى الأولى: توجه الأمير محمود بالخزانة إلى السلطان.

وفى عشرينه قدم البريد برحيل السلطان عن غزة فى ثانى عشره، وأنه أنعم على الطنبغا المعلم بإمرة مائة فى طرابلس، وعلى قردم الحسنى بنيابة القدس^(١) وأن قنقبای الأحمدي استعفى من الإمرة.

وفى ثالث عشرينه: قدم إلى مدينة دمشق رسل طقتمش خان، صاحب كرسى أذربك خان ببلاد القبحاق، بأنه يكون عوناً مع السلطان على تيمور لنك.

وفى ثامن عشرينه: قدم البريد بدخول السلطان إلى دمشق فى عشرينه.

وقدم الخبر بأن تيمور لنك رجع إلى بلاده، فدقت البشائر ثلاثة أيام.

وفيه قدم إلى القاهرة رسل ابن عثمان متملك الروم.

وفى أول شهر رجب: أخذ الفرنج عدة مراكب تحمل الغلال إلى الشام.

وفى سابع عشره: برزت العساكر من دمشق تريد حلب، وفيها الأمير الكبير

كمشبغا الحموى أتابك العساكر، والأمير بكلمش أمير سلاح، وأحمد بن يلبغا، وييسرس ابن أخو السلطان، ونائب صفد^(١) ونائب غزة^(٢).

وفيه سار البريد من دمشق بتشريف الأمير نعيم، واستقراره فى إمرة العرب على عادته.

وفيه قدم الأمير سالم الذكرى أمير التركمان، فخلع عليه.

وفى سلخه: قدم جلال الدين عبد الرحمن^(٣) ابن شيخ الإسلام البلقينى قاضى العسكر من دمشق إلى القاهرة. وقد نزل له والده عن تدريس الزاوية الخشابية بجامع عمرو بن العاص بمصر، وعن مشيخة التفسير والميعاد بالمدرسة الظاهرية المستجدة بين القصرين، وأقام والده مع السلطان.

وفيه كبس الأمير شرف الدين موسى بن طى متولى البهنسا على سبط ميدون، فقتله العرب بها، فاستقر عوضه إبراهيم الشهابى.

وفى يوم الإثنين أول شعبان: توجه القان غياث الدين أحمد بن أويس من دمشق إلى بغداد. وقد قام له السلطان بجميع ما يحتاج إليه، وعند وداعه خلع عليه أطلسين بشاش متمر^(٤)، وسيف بسقط ذهب. وأعطى تقليدا بنبابة السلطنة ببغداد، فأراد أن يقبل الأرض، فلم يمكنه السلطان من ذلك إجلالا له، ويقال إن الذى حمل إليه من النقد خمسمائة ألف درهم، سوى ما حمل إليه من الخيل والجمال والسلاح، وغير ذلك.

وفى ثالث عشره: سار من ظاهر دمشق.

وفيه أنعم على الأمير أقبغا طولو تُمرى - الذى يقال له اللكاش - بإمرة ألف، بعد وفاة بيلىك المحمدى.

(١) صفد مدينة فى جبال عاملة مطلة على حصص بالشام وهى جبال لبنان. انظر معجم البلدان

٤١٢/٣.

(٢) غزة: سبق ترجمتها. انظر معجم البلدان ٢٠٢/٤، والروض المعطار ٤٢٨، ومعجم ما

استعجم ٩٩٧/٣.

(٣) عبد الرحمن بن عمر بن رسلان الكنانى العسقلانى الأصل ثم البلقينى المصرى، أبو الفضل جلال الدين من علماء الحديث. مصر انتهت إليه رياسة الفتوى. مصر بعد وفاة أبيه وولى القضاء بالديار المصرية مراراً إلى أن مات وهو متولى. له كتب فى «التفسير» و«الفقه» وفى «مجالس الوعظ» وتعليق على البخارى سماه «الإفهام لما فى صحيح البخارى من الإبهام - خ» ورسالة فى «بيان الكبائر والصغائر - خ». انظر شذرات الذهب ١٦٦/٧ وكشف الظنون ٩٣٠ والضوء اللامع ١٠٦/٤ والتاج ٩/١٤٣ - ١٤٤ والأعلام ٢٢٠/٣.

(٤) متمر نوع من الأقمشة ويظن أنه مزخرف على حافيته برسوم للثمر.

وفي عشرينه: أخذ قاع النيل، فكان ستة أذرع.

وفي ثاني عشرينه قدم البريد باستقرار سيدي أبي بكر بن سنقر الجمالي، حاجبا ثالثا. وتوقف النيل عن الزيادة تسعة أيام متوالية من سلخ يؤونة - وهو رابع عشرين شعبان - إلى ثامن أبيب، فلم يناد عليه سوى أصبع واحد في كل يوم. وفيه استقر قطلوبغا الطشتمري في كشف الفيوم، والبهنساوية، والأطفيحية، مضافا لما معه من كشف الجزيرة.

وفي ليلة الثلاثاء - الثلاثين من شعبان -: تراءى الناس هلال رمضان، فلم ير أحد الهلال مع كثرة عددهم، فأصبح الناس على آخر شعبان، وأكلوا إلى الظهر، فقدم الخبر بأن الهلال رؤى ببليس^(١)، فنودي بالإمساك قبيل العصر. وفي ثلثه: زاد النيل بعد توقفه.

وفي خامسه: نقل أمير فرج بن أيذمر من ولاية الغربية إلى نيابة الوجه البحري، عوضا عن عمر بن إلياس قريب قرط، واستقر أخوه محمد بن أيذمر في ولاية الغربية. وفيه قدم البريد بالقبض على نصر الله بن شَنْطِيَّة مستوفى المرتجع، وإيداعه خزانة شمائل على مال، وإحضار محمد بن صدقة الأعسر والى المنوفية، فسار إليه البريد وأحضره إلى القاهرة، فهرب، واستقر عوضه أحمد الأرغوني. وفيه أخصب البطيخ العبدلي، حتى أبيع كل مائة رطل بدرهم.

وفي يوم الجمعة تاسع شوال - الموافق تاسع مسرى -: توقف النيل عن الزيادة، وأقام بغير زيادة إلى ثاني عشره، فزاد على العادة، واستمرت الزيادة.

وفي ثاني عشرينه: استقر بدر الدين محمود السرائي الكلستاني في كتابة السر، عوضا عن بدر الدين محمد بن فضل الله العمري بعد وفاته، وخلع عليه بدمشق.

وفي ثامن عشرينه - وهو ثامن عشر مسرى -: أو في النيل ستة عشر ذراعا، وفتح الخليج على العادة.

وقدم الخبر على السلطان من القان أحمد بن أويس، أنه لما وصل إلى ظاهر بغداد، خرج إليه نائب تيمور بها، وقاتله فانكسر، ودخل بغداد، وأطلق المياه على عسكر ابن أويس ليغرقه، فأعانه الله وتخلص منها بعد يومين، وعبر بغداد، وقد هرب التمرية منها،

(١) ببليس مدينة بينها وبين القسطنطينية فراسخ. انظر معجم البلدان ٤٧٩/١.

فاستولى عليها، واستخدم جماعة من التركمان والعربان، فلما بلغ ذلك تيمور جهز أمراءه بالأموال إلى سمرقندى.

وقدمت رسل ابن عثمان على السلطان بأنه جهز لنصرة السلطان مائتي ألف، وأنه ينتظر ما يرد عليه ليعتمده.

وقدم رسول القاضى برهان الدين أحمد صاحب سيواس بأنه فى الطاعة، يتزقب ورود المراسيم عليه بالمسير لجهة تعين له.

وفى أول ذى القعدة: سار السلطان من دمشق يريد حلب.

واتفق بالقاهرة ومصر وظواهرهما أنه أشيع بأن امرأة طال دوام رمد عينها، وأيس الأطباء من برئها، فرأت فى منامها كأنها تشكو ما بها إلى النبى - ﷺ - وأنه أمرها أن تمضى إلى سفح جبل المقطم، وتأخذ من حصى هناك وتكتحل به بعد سحقه، وأنها عملت ذلك، فزال ما فى عينها من الرمد، فلم يبق من الناس إلا من أخذ من الحصى الذى بالجبل واكتحل به، وعملوا منه فى الأئمد وغيره، حتى أفنوا من ذلك لما لا يقدر قدره، وأقاموا على هذا مدة، وزعموا أنه شفى به خلق كثير.

وفى يوم الأحد سادسه - وهو سادس عشر توت -: انتهت زيادة النيل إلى أحد عشر أصبعا من الذراع الثامن عشر، وانحط، فارتفعت الأسعار. وبلغ الأردب القمح أربعين درهما، والفلول والشعير عشرين درهما، والبطة الدقيق وزنتها خمسون رطلا إلى اثنى عشر درهما. وضح الناس على البهاء محمد بن البرجى المحتسب، فرسم الأمير سودن النائب للأمير علاء الدين الطبلاوى بالتحدث فى السعر، فنادى بفتح المخازن والبيع بسعر الله تعالى، وهدد من لا يفتح مخزنه ويبيع بالنهب. وفتح مباشرو الأمراء الشون وباعوا، فانحل السعر قليلا. ثم شحت الأنفس بالبيع، وكثر الخوف من القحط؛ لكثرة ما شرق من الأراضى ولم يزرع.

وفى يوم الخميس رابع ذى الحجة: قدم البريد بعزل قطلوبغا من كشف الفيوم، بطبيغا الزينى، واستمر على كشف الجيزة كما كان.

وفى حادى عشره: وصل الأمير شيخ الصفوى من الشام، وهو مريض.

وفى ثالث عشره: زاد ماء النيل، وغرق بعض ما زرع، ثم انحط.

وقدم البريد بأن الأمير تغرى بردى استقر فى نيابة حلب، عوضا عن جليان. وأنعم على جليان بإقطاع تغرى بردى. وأن الأمير محمد بن قارا خرج عن الطاعة، والتحق

٣٦٠ سنة سبعمائة وثمان وتسعين

بنعير، وصار بعبانته في جملة، وأن ناصر الدين محمد بن قاضي القضاة كمال الدين بن المعري استقر في قضاء طرابلس^(١)، عوضاً عن مسعود. وأن السلطان خرج من حلب يريد دمشق في خامس عشره. وأنه قلد أرغون شاه الإبراهيمي نائب صفد نيابة طرابلس، عوضاً عن دمرداش الحمدي، وأنعم على أقبغا الجمالي أحد أمراء حلب بنيابة صفد وأعطى امرته لدمرداش الحمدي. وأن عامر بن ظالم انهزم من عرب زبيد بمن معه من آل مهنا إلى الفرات، فغرق، وغرق معه سبعة عشر من أمراء آل مهنا، وقتل ممن معه خلق كثير جدا.

وفي ثاني عشرينه: استقر على بن غلبك بن المكلة في ولاية منوف، وعزل أحمد الأرعوني.

وفي تاسع عشرينه: قدم مبشرو الحاج بحسن سيرة قديد أمير الحاج، وكثرة الأمن والرخاء. واستقر علاء الدين علي بن قاضي القضاة شهاب الدين أبي البقاء في قضاء الشافعية بدمشق، عوضاً عن الشهاب أحمد الباعوني. واستقر نجم الدين أحمد بن قاضي القضاة عماد الدين إسماعيل بن محمد بن أبي العز في قضاء الحنفية بدمشق، عوضاً عن التقي عبد الله الكفري. واستقر علم الدين القفصي في قضاء المالكية، عوضاً عن البرهان إبراهيم الصنهاجي. واستقر ناصر الدين محمد بن أبي الطيب في كتابة السر بحلب، عوضاً عن ناصر الدين محمد بن صلاح الدين صالح بن أحمد بن السفاح.

* * *

ومات في هذه السنة ممن له ذكر سوى من قتل

إبراهيم ابن السلطان، في عشرين جمادى الأولى، ودفن بالمدرسة الظاهرية المستحقة.

ومات الصارم إبراهيم الباشقردى - والى قطيا - بها فجأة، في ثامن صفر.

ومات الأمير سيف الدين أبرك الحمودى، شاد الشراب خاناه، ودفن بدمشق.

ومات الشيخ شهاب الدين أحمد بن عبد الهادى بن أحمد بن أبى العباس الشاطر،

الأديب الشاعر، في خامس عشرينه جمادى الأولى.

ومات الوزير الصباحب موفق الدين أبو الفرج الأسلمى القبطى، تحت العقوبة، في

يوم الإثنين حادى عشرينه ربيع الآخر، وكان أسوأ الوزراء سيرة، وكثرت في أيامه

(١) طرابلس. انظر معجم البلدان ٢/٢٥٠، والروض المعطار ٣٨٩، ٣٩٠، نزهة المشتاق

المصادر، وتسلط السفهاء بالسعاية إليه على الناس حتى عم الخوف، وفقد الأمن، وبه اقتدى في الظلم من بعده، وعجل الله له في الدنيا من العذاب ما لا يمكن وصفه، إلى أن أهلكه الله وأدخله سعيراً، فإنه لم يؤمن بالله قط، بل أكره حتى قال كلمة الإسلام، ولبس العمامة البيضاء فتسلط على الناس بذنوبهم، ومن العجب أنه لما كان يتظاهر بالنصرانية، ويباشر الحوائج خاناه، كان مشكوراً بكثرة بره ورعايته للناس، فلما تظاهر بالإسلام جاء عذاباً واصباً على عباد الله.

ومات بدر الدين حسن بن العيذابي رئيس المؤذنين، في سلخ جمادى الأولى، وكان من العجائب في النهمة وكثرة الأكل.

ومات الشيخ المعتقد رشيد الأسود التكروري، في المارستان، في يوم السبت ثالث عشرين جمادى الآخرة، وكان يقيم بجامع راشدة خارج مصر، وهو آخر من سكنه.

ومات الأمير سلام - بتشديد اللام - بن محمد بن سليمان بن فايد، بالفاء، المعروف بابن التركية، أمير خفاجة بالصعيد، في سابع ربيع الآخر.

ومات الأمير زين الدين عبد الرحمن بن منكلى بغا الشمسى، وابن أخت الملك الأشرف شعبان بن حسين، في عاشر شعبان.

ومات الرئيس علاء الدين على بن عبد الواحد بن محمد بن صغير رئيس الأطباء، وهو بحلب، في يوم الجمعة تاسع عشر ذى الحجة، ودفن بها، ثم نقل إلى القاهرة، وكان من محاسن الدنيا.

ومات بدر الدين محمد بن على بن يحيى بن فضل الله العمرى، كاتب السر، في يوم الثلاثاء العشرين من شوال بدمشق.

ومات القاضى الدين محمد بن محمد بن محمد المليحي، المعروف بصائم الدهر، ناظر الأحباس ومحتسب القاهرة، وخطيب مدرسة حسن، في تاسع عشر صفر، عن نحو سبعين سنة، وكان خيراً ديناً، كثير النسك، ساكناً، قليل الكلام، بهج الزى، جميل الهيئة، يسرد الصوم دائماً.

ومات ناصر الدين محمد بن مقبل الجندى الظاهرى، في يوم الأربعاء ثالث عشر جمادى الآخرة. كان يتظاهر بحف شاربه، ورفع يديه في كل خفض ورفع في الصلاة، ولا يكتم الاقتداء بمذهب أهل الظاهر، وكتب بخطه كثيراً، واشتغل بالحديث.

ومات ناصر الدين محمد بن شرف الدين موسى بن سيف الدين أرقطاي، في ليلة

٣٦٢ سنة سبعمائة وثمان وتسعين

الأربعاء سادس عشرين ذى القعدة. كان جده وأبوه من أمراء الألو، وهو من أمراء العشاوات، ويحب الحديث، ويواظب سماعه على المشايخ.

ومات الأمير سيف الدين منكلى الطرخانى الشمسى، أحد الأمراء، ونائب الكرك. وتوفى ليلة العاشر من المحرم.

ومات جمال الدين عبد الله بن محمد بن العمري، المعروف بكاتب أيتمش، وبكاتب السمسرة، فى يوم الثلاثاء تاسع عشر ربيع الآخر.

ومات أمين الدين يحيى بن محمد الحنبلى العسقلانى ليلة الأربعاء ثانى ربيع الأول.

وماتت زبيدة بنت قاضى القضاة زين الدين عمر بن عبد الرحمن بن أبى بكر البسطامى الحنفى.

وماتت أم قاضى القضاة صدر الدين محمد بن إبراهيم المناوى، فى ليلة يوم السبت تاسع المحرم، ودفنت بالقرافة.

وماتت الشيشة الصالحة شيشة رباط البغدادية^(١)، فى يوم السبت ثانى عشرين جمادى الآخرة. وكانت على قدم فاضلة من العبادة، وتذكر النساء فى وعظها إياهن، وتعليمهن الخير.

ومات متملك تونس^(٢) أبو العباس أحمد بن محمد^(٣) بن أبى بكر بن يحيى بن

(١) الرابطة البغدادية يقع هذا الرباط بداخل الدرب الأصفر تجاه خاتقاه بيبرس وقد بنته خاتون ابنة الملك الظاهر بيبرس فى سنة ٦٨٤ هـ للشيشة الصالحة زينب ابنة أبى البركات المعروفة ببنت البغدادية فأنزلتها به ومعها جمع من النساء الخيرات. انظر المواعظ ٢ / ٤٢٧، ٤٢٨.

(٢) تونس: مدينة محدثة بإفريقية إسلامية سمعت من يحدث أنها أحدثت عام ثمانين، قال بعضهم: لم يقصد بها أول أمرها وضع مدينة، وإنما اجتمع الناس إليها وبنوا وسكنوا وزادوا حتى صارت مدينة وعمرت، وتونس فى سفح جبل وبها مبان عجيبة ودل عضادات أبواب دورها رخام أبيض. وتونس من أشرف مدن إفريقية وأطيبها ثمرة وأنفسها فاكهة، وسميت تونس لأن المسلمين كانوا لما فتحوا إفريقية ينزلون بلزاء صومعة ترشيش - راهب كان هناك - ويأنسون بصوت الراهب فيقولن: هذه الصومعة تونس، فلزمها هذا الاسم. انظر معجم البلدان ٦٠/٢، والروض المعطار ١٤٣، ١٤٤، الاستبصار ١٢٠، والبكرى ٣٧، وصبح الأعشى ١٠٢/٥.

(٣) أحمد بن محمد بن أبى بكر، أبو العباس الحفصى من كبراء ملوك الحفصيين بتونس يلقب بأبا السباع. كان أميراً على قسطنطينة، وثار على السلطان خالد بن إبراهيم صاحب تونس فخلفه وتولى السلطنة سنة ٧٧٢ هـ وقمع الفتن وكانت ملء السهل والجبل واستعاد البلاد من المتغلبين فدخلت فى طاعته بلاد الجريز وقابس وحرية وطرابلس والزاب وقويت أساطيله. انظر: رفع الإصر ١ / ١٠٧ =

إبراهيم بن يحيى بن عبد الواحد بن عمر بن يحيى بن عمر بن ونُودَيْن الحفصى، فى ليلة الخميس رابع شعبان، فكانت مدة ملكه أربعاً وعشرين سنة وثلاثة أشهر ونصف. وقام من بعده ابنه أبو فارس عبد العزيز.

ومات صاحب فاس^(١) السلطان أبو العباس^(٢) أحمد بن أبى سالم إبراهيم بن أبى الحسن المرينى، ملك المغرب^(٣)، فى محرم. وأقيم بعده ابنه أبو فاس عبد العزيز بن أبى العباس.

* * *

= والضوء ١٩٢/٢ والأعلام ١/٢٢٥.

(١) فاس: مدينة عظيمة، وهى قاعدة المغرب، وهما مدينتان مقترتان يشق بينهما نهر كبير يسمى وادى فاس، يأتى من عيون تسمى صنهاجة، وفى كل زقاق ساقية يجرونها متى شاءوا، وفى كل دار صغيرة كانت أو كبيرة ساقية ماء، وبين أهل المدينتين فنن ومصاولات، ومنها إلى سجلماسة ثلاث عشر مرحلة. وبالجملة فمدينة فاس قطب بلاد المغرب الأقصى ويسكن حولها قبائل من البربر لكنهم يتكلمون بالعربية، فهى حاضرة المغرب الكبرى وإليها تشد الركائب وتقصد القوافل، ويدور عليها سور عظيم، وبين المدينتين قناطر كثيرة، والنهر الذى يخرق مدينتى فاس ينبعث من عين عظيمة لها منظر عجيب، فيها نحو الستين فوارة فى دائرة يجتمع منها هذا النهر الكبير، بينها وبين المدينة نحو عشرة أميال فى بساط من الأرض لا يكاد يبين جرى الماء فيه لاستواء أرضه. انظر معجم البلدان ٢٣٠/٤، والروض المعطار ٤٣٤، ٤٣٥، والإدريسى: ٥٠/٧٥. والبكرى ١١٥ وما بعدها. وابن الوردى ١٤، وصبح الأعشى ١٥٤/٥.

(٢) أحمد بن إبراهيم بن على، أبو العباس بن أبى سالم المرينى السلطان المستنصر بالله من ملوك الدولة المرينية بالمغرب كان مبعداً إلى طنجة ولما بويع ابن عمه السعيد بالله (محمد بن عبد العزيز) بفاس، وكان صبياً قام أحمد من طنجة وساعده صاحب غرناطة الفتى بالله بن الأحمر وبعض بنى مرين، فنزل على فاس وحاصرها إلى أن خلع السعيد بالله (أول سنة ٧٧٦ هـ) فدخلها وبويع بها البيعة العامة وكان بويع بطنجة سنة ٧٧٥ هـ قبل خروجه منها وضعف. أمام ابن الأحمر فأصبح المغرب كأنه من أعمال غرناطة. انظر الاستقصاء ١٣٣/٢ - ١٤١ والأعلام ٨٧/١.

(٣) المغرب ضد المشرق وهى بلاد واسعة كثيرة ووعناء شاسعة. انظر معجم البلدان ١٦١/٥.

سنة سبع وتسعين وسبعمائة

أهل المحرم يوم الثلاثاء.

ففى ثالثه: قدم ثقل الأمير محمود الأستادار من الشام. وقدم البريد باستقرار دقماق فى نيابة ملطية^(١)، وكان مُقبل فى نيابة طرسوس^(٢)، وطَغَنجى فى نيابة قلعة الروم، ومُنكلى بُغا الأسنُغوى فى نيابة الرها^(٣). وأن السلطان قبض على عدة من أمراء حلب، منهم أَلطُنْبغا الأشرفى، وتمرباى الأشرفى، وقُطْلوشاه الماردىنى. وأن عربان آل مهنا خرجوا بأجمعهم عن الطاعة، ودخلوا إلى البرية.

وفى رابعه: خرج أتباع ابن أويس إلى بغداد بحريمه.

وفى سابعه: قدم السلطان من حلب إلى دمشق بعساكره.

وفى سابع عشره توجه السلطان من دمشق يريد مصر، وولى الأمير بدخااص السودونى - حاجب الحجاب - نيابة الكرك^(٤)، عوضا عن الشهاب أحمد بن الشيخ على. ونقل الشهاب إلى دمشق حاجب الحجاب بها، عوضا عن تمربغا المنجكى. وقدم تمربغا فى الخدمة إلى مصر، واستقر قنق باى السيفى اللالا بصفد من جملة أمرائها. واستقر الجبغا الجمالى الحاجب أميرا بدمشق، على طبلخاناه.

(١) ملطية: من الثغور الجزرية بالشام، وهى المدينة العظمى وكانت قديمة، فأخربتها الروم فبناها أبو جعفر المنصور سنة تسع وثلاثين ومائة وحصل عليها سورا محكماً، وعلى نحو ثلاثة أيام من ملطية يخرج سيحان وهو نهر أذنة من الثغر الشامى ويجرى فى بلاد الروم وليس للمسلمين عليه إلا مدينة أذنة طرسوس والمصيصة، وكان فتح ملطية عنوة حبيب بن مسلمة الفهرى. انظر معجم البلدان ١٩٢/٥، والروض المعطار ٥٤٥، واليعقوبى ٣٦٢، وآثار البلاد ٥٦٤، وابن حوقل ١٦٦، وصبح الأعشى ١٣٢/٤.

(٢) طرسوس: مدين بالشام حصينة عليها سوران بينهما فصيل وخنساق، ويجرى الماء حوالبها، وفى سنة سبعين ومائة بنى سور طرسوس على يد أبى مسلم فرج الخصى التركى، ولها خمسة أبواب: هى باب الجهاد، وباب الصفصاف، وباب الشام، وباب كذا، وباب البحر. انظر معجم البلدان ٢٨/٤، والروض المعطار ٣٨٨، صبح الأعشى ١٣٣/٤.

(٣) الرها: بضم الراء والمد، مدينة من أرض الجزيرة متصلة بجران، وإليها ينسب الورق الجيد من ورق المصاحف، وهى مدينة ذات عيون كثيرة عجبية تجرى منها الأنهار، وبينها وبين حران ستة فراسخ. انظر معجم البلدان ١٠٦/٣، والروض المعطار ٢٧٣، نزهة المشتاق ٢٠٠، وصبح الأعشى ١٣٩/٤، وابن الفقيه ١٣٤، والكرخى ٥٤، والمقدسى ١٤١، ١٤٧، ومعجم ما استعجم ٦٧٨/٢. (٤) الكرك: سبق ترجمتها. انظر معجم البلدان ٤٥٣/٤، والروض المعطار ٢٠٢، ٢٠٣، ٤٩٣.

وفي ثالث عشرينه: نودى بزينة القاهرة ومصر، فزيتها.

وفيه قدم المحمل والحاج صحبة الأمير قديد، وهم ركب واحد.

وقدم البريد بأن السلطان توجه من الرملة^(١) لزيارة القدس^(٢)، جريدة.

وفي يوم الخميس أول صفر: قدم شيخ الإسلام سراج الدين^(٣) عمر البلقيني من الشام.

وفي خامسه: قدم الحريم السلطاني مع الطواشى بهأثر المقدم، وفيهن عدة من حرائر دمشق وأبكارها، ليختار منهن من يعقد عليها.

وفي سابعه: قدم الأمير محمود الأستادار، وشق القاهرة من باب النصر إلى باب زويلة، وقد فرشت له شقاق الحرير من باب زويلة إلى داره، فمشى عليها بفرسه، ومعه من الخلائق عدد لا يقع عليه حصر، وأوقدت له البلد.

وفيه نودى بالخروج إلى لقاء السلطان.

وفي تاسعه: قدم بالبريد بأن السلطان قبض على جلبان الكمشبغاوى نائب حلب بقطيا، وبعثه من الطينة في البحر إلى دمياط.

وفي ثاني عشره: قدم السلطان وصعد إلى القلعة، فكان يوما مشهودا وكان الشيطان قد أجرى على السنة العامة كلمة سوء، وهى: «لو جاء السلطان لوقع الرخاء». وصاروا يتناجون بذلك فى كل موضع، فأخلف الله ظنهم، وتزايدت الأسعار من يوم دخوله، تصديقا لقوله عليه الصلاة والسلام: «من تعلق بشيء وكل إليه». وأبيع القمح بسبعين بعد أربعين، والبقول والشعير بأربعين كل أردب، والحمل من التبن بعشرة دراهم بعد خمسة، وكل حملة دقيق - وهى ست بطط - بمائة وعشرة دراهم، والخبز كل ثلاثة أرطال بدرهم، والأرز كل قدح بدرهمين، والسكر كل رطل بستة دراهم، بعد ثلاثة، والجبن المقلو بنحو درهمين، بعد ثلثى درهم، والرطل اللحم البقرى بدرهم، بعد نصف درهم، والرطل اللحم من الضأن بدرهم ونصف، بعد نصف وربع درهم كل رطل.

(١) الرملة: بالشام، سمتها الرملة لما غلب عليها من الرمل، وهى من كور فلسطين، وبينها وبين القدس ثمانية عشر ميلا. انظر معجم البلدان ٦٩/٣، والروض المعطار ٢٦٨، والمقدسى ١٦٤، ١٦٥، وناصر خسرو ١٩، وصبح الأعشى ٩٩/٤.

(٢) القدس. انظر معجم البلدان ٣١١/٤.

(٣) عمر بن رسلان بن نصير بن صالح الكنانى، العسقلانى الأصل، ثم البلقينى المصرى الشافعى، أبو حفص سراج الدين مجتهد حافظ للحديث، من العلماء بالدين. ولد فى بلقينة من غربية مصر وتعلم بالقاهرة.

واتفق مع تزايد الأسعار كثرة ظلم الدولة، ووقوع الرباء، ووقوف أحوال الناس من قلة المكاسب.

وفي خامس عشره: ركب السلطان وعبر إلى القاهرة من باب زويلة، وزار أباه بمدرسه بين القصرين. وخرج من باب النصر إلى القلعة.

وفي سادسه: عدى إلى بر الجيزة.

وأحدث الأمير تمرغنا المنجكي شراباً من زبيب يعمل لكل عشرة أرطال من الزبيب أربعون رطلا من الماء، ويدفن في جرار بزل الخيل أياما، ثم يشرب فيسكر، وصار يقال له التمرغناوى، وأقبل السلطان على الشرب منه مع الأمراء، ولم يكن يعرف عنه أنه يتعاطى المسكر قبل ذلك.

وفي ثامن عشره: عاد السلطان من الجيزة إلى القلعة.

وفي تاسع عشره: أنعم على الأمير فارس من قتلو خجا بتقدمة ألف، واستقر حاجب الحجاب، عوضاً عن بدخاص المنتقل لنيابة الكرك. وفيه استعفى الأمير سوذن من نيابة السلطنة والإمرة؛ لكبره وعجزه، فأعفى ولزم بيته.

وفي رابع عشرينه: أنعم على علاء الدين على بن سعد الدين عبد الله بن محمد بن الطبلاوى بإمرة طبليخاناه، واستقر أخوه ناصر الدين محمد فى ولاية القاهرة، كأنه ينوب عنه، وشرط عليه ألا يستبد بشيء، بل يراجعه فى الأمور. وأنعم على أرغون شاه البيدمرى الأقبغاوى بتقدمة ألف، وعلى نوروز الحافظى بتقدمة ألف. وعلى تمرغنا المنجكى بإمرة طبليخاناه، وعلى شيخ الحمودى بطبليخاناه، وعلى صلاح الدين محمد ابن تنكر بطبليخاناه، وعلى صرغتمش المحمدى القزوينى بطبليخاناه، وعلى سوذن الطيار الناصرى بطبليخاناه. وأنعم على كل من مقبل الرومى، وأقبای بن حسين شاه، وآق بلاط الأحمدي، ومنكلى بغا الناصرى بإمرة عشرة.

وفي تاسع عشرينه: استقر الأمير علاء الدين على بن الطبلاوى حاجباً عوضاً من الجبغا الجمالى، مع النظر فى الولاية على أخيه.

وفي يوم الأحد ثالث ربيع الأول: عدى السلطان إلى بر الجيزة^(١)، وعاد آخر يوم الأربعاء سادسه.

(١) الجيزة بليدة فى غربى فسطاط مصر. انظر معجم البلدان ٢/٢٠٠.

سنة سبعمائة وسبع وتسعين وفي سابعه: خلع على الأمراء والأكابر وناظر الجيش وناظر الخصاص، أقبية بفرور سمور.

وفيه عمل السلطان المولد النبوي على عادته.

وفي تاسعه: عقد مجلس حضر فيه شيخ الإسلام والقضاة والفقهاء عند السلطان. وأحضر رجل من العجم يتفقه على مذهب أبي حنيفة، يقال له مصطفى القرمانى^(١)، وأنه كتب شيئا فى الفقه، قال فيه: «لا يبول أحد إلى الشمس والقمر لأنهما عبدا من دون الله»، ونسب إبراهيم - صلى الله عليه وسلم - إلى ما نزهه الله من عبادتهما. فأراد قاضى المالكية ناصر الدين أحمد بن التنسى الحكم بقتله، فأعتنى به جماعة من الأمراء، وسألوا السلطان أن يفوض أمره إلى قاضى القضاة الحنفية جمال الدين محمود العجمى، فعززه بأن أقامه وبعث به إلى السجن، ثم أفرج عنه بعد ثلاثة أيام، وضربه ثم خلاه لسبيله.

وفي رابع عشره: أنعم على ناصر الدين محمد بن جليان العلاى بإمرة عشرين، عوضا عن قرابغا بعد موته.

وفي ثامن عشره: قدم البريد من حلب بأن تيمور توجه من قراباغ، وعدى السلطانية، وتوجه ابنه إلى كيلان^(٢)، فإن طَقْمُش أخذ أكثر بلاده. وقد حدث ببغداد وباء عظيم، واشتد بها الغلاء، وانتقل ابن أويس عنها إلى الحلة.

وفي ثالث عشرينه: قدم الأمير مبارك شاه نائب الوجه القبلى، ومعه أمراء العربان، وهم: أبو بكر بن الأحذب أمير عرك، وعمر بن عبد العزيز أمير هواره، وعلى بن غريب أمير هواره أيضا، وأحضروا تقادهم على العادة.

وفيه تنكر السلطان على الأمير جمال الدين محمود الأستادار، وكاد يبطش به. فلما نزل إلى داره أتاه الأمير علاء الدين على بن الطبلاوى يأمره عن السلطان بحمل خمسمائة ألف دينار، وإن امتنع يوقع الحوطة عليه، ويضربه بالمقارع، فتلطف فى السعى بينه وبين السلطان، حتى تقرر أنه يحمل مائة ألف وخمسين ألف دينار، فلما صعد فى يوم الإثنين خامس عشرينه إلى الخدمة بالقلعة، صاح به المماليك من الأطباق، وسبوه ورجموه.

(١) مصطفى بن زكريا بن أيدغمش القرمانى، مصلح الدين: من فقهاء الحنفية من أهل القاهرة. له تصانيف منها «التوضيح - خ» فى شرح مقدمة الصلاة لأبى الليث السمرقندى ورسالة فى «حكم اللعب بالنرد والشطرنج - خ». انظر الضوء اللامع ١٠ / ١٦٠ والأعلام ٧ / ٢٣٤.

(٢) كيلان اسم لبلاد كثيرة من وراء طبرستان والعجم يقولون كيلان. انظر معجم البلدان.

وفي سابع عشرينه: قبض على يلبغا الزينى والى الأشمونين، وضرب بالمقارع بين يدى السلطان؛ لكثرة ما شكى منه أهل البلاد، وتسلمه ابن الطبلاوى؛ ليخلص منه حقوق الناس.

وفيه أحضر مبارك شاه تقدمته، وهى مائة وستون فرسا، ومائة وخمسون جملا، وسبع، وعشر نعومات، وعدة أبقار، وأنواع من الحلاوات، وأحضر أبو بكر بن الأحذب مائة فرس. وأحضر كل من عمر بن عبد العزيز وعلى بن غريب خمسين فرسا.

وفيه ادعى نصرانى على شمس الدين محمد بن الشهاب أحمد الدفرى - أحد نواب القضاة المالكية بالقاهرة - بين يدى السلطان، فاقضى الحال أنه ضرب القاضى وهو مبطوح على الأرض، ورسم عليه حتى يخلص منه النصرانى.

وفي ثامنه عشرينه: استقر منجك السيفى فى ولاية أطفيح^(١).

وفي يوم الإثنين ثالث ربيع الآخر: استقر قرطا التاجى فى ولاية الأشمونين، عوضا عن يلبغا الزينى.

وفيه اشتد حنق السلطان على الأمير جمال الدين محمود الأستادار، وضربه لتأخره كسوة الممالك عن وقتها الذى تفرق فيه.

وفي رابعه: استقر على بن أبى بكر القرمانة فى ولاية الجيزة، وعزل على بن قراجا.

وفي خامسه: هرب مبارك شاه نائب الوجه القبلى لكثرة شكوى أهل النواحي من ظلمه، وطلب فلم يقدر عليه.

وفي سادسه: أنعم على أحمد بن الوزير ناصر الدين محمد بن رجب بإمرة عشرين، عوضا عن ثمان تمر الأشرفى الموسوى.

وفيه بلغ الأردب من القمح إلى ستة وستين درهما، والأردب من الفول والشعير إلى ثلاثة وثلاثين درهما.

وفي سابعه: ظهر أن مبارك شاه لبس زى الفقراء، وأخذ بيده إبريقا، ومضى نحو الجبل، فلم يعرف أين قصد.

وفي حادى عشره: استقر الشريف علاء الدين على بن [....^(٢)....] البغدادى الأصل، الصعيدى الدار، فى ولاية منفلوط^(٣)، عوضا عن آقبغا الزينى.

(١) أطفيح بلدة بالصعيد الأدنى من أراضى مصر على شاطئ النيل فى شرقية. انظر معجم البلدان ٢١٨/١.

(٢) ما بين المعقوفين بياض فى الأصل.

(٣) منفلوط بلدة بالصعيد فى غربى النيل بينها وبين شاطئ النيل بعد. انظر معجم البلدان

٣٧٠ سنة سبعمائة وسبع وتسعين

وفي ثالث عشره: استقر أمير فرج بن أيذر نائب الوجه البحرى فى نيابة الوجه القبلى، عوضا عن مبارك شاه. واستقر عوضه فى الوجه البحرى أوناط السيفى.

وفي رابع عشره: عدى السلطان النيل إلى بر الجيزة، ونزل بناحية صقيل وأقبل على اللهور.

وفي حادى عشرينه: ترامى مبارك شاه على الأمير تانى بك اليحياوى أمير أخور، فشفع فيه حتى عفا السلطان عنه.

وفي رابع عشرينه: رجع السلطان إلى القلعة.

وفيه حضر مبارك شاه بين يدى السلطان، فألبسه قباء مطرزا.

وفي خامس عشرينه: قدم السلطان ولد بن على شاه زاده بن شيخ أويس بن حسن، وكان ولد قد قدم مع عمه القان مغيث الدين أحمد بن أويس، وأقام حتى خرج صحبة حريمه، فالتحق بالقلس لتخوفه من عمه، وعاد إلى القاهرة - بعد أن استأذن - ومعه عياله، فأنزله السلطان فى دار من الأمراء، وأجرى عليه ما يقوم به، ووعد به بإمرة.

وفيه قدم مسعود بن الشيخ محمد الكججاني من تيريز، فارا من تيمور.

وفي سادس عشرينه: قدم الأمير ناصر الدين محمد بن الأمير محمود الأستادار نائب الإسكندرية بتقدمته، وهى مائة فرس، وثلاثمائة قطعة من ثياب الإسكندرية، وعشرة آلاف دينار.

وفيه أفرج عن قطلوبك السيفى، وكمشباغ اليوسفى، وقدا من دمياط.

وفيه تزوج سلطان ولد بانية عمه تندى بعد انقضاء عدتها من السلطان، وأنعم عليه بإمرة عشرة، وترك زى البغاددة، ولبس القباء والكلفتة كهيئة أمراء مصر.

وفي يوم الإثنين أول جمادى الأولى: رسم لجماعة من الأمراء الخاصكية بأن يسيروا فى الموكب تحت القلعة بالرملية مع الأمراء، وهم صرغتمش المحمدى القزوينى، وصلاح الدين محمد بن تنكر، وهما من الطبلخاناة، وقرمان المنجكى، وثمر الشهابى، وهما من أمراء العشرينات، ودمرداش السيفى، وبهادر السيفى، وجرجى الصرغتمشى، وأسنبغا التاجى، وقوصون المحمدى وألجبغا السلطاني، وتغرة بردى القردمى، وقجماس البشيرى، ويلبغا المحمدى وييدمُر المحمدى، وبى خجا الحسنى، فركبوا فى الموكب وصعدوا إلى القلعة فوقفوا مع الخاصكية، وصار هذا رسمهم.

وفيه طلب من سائر الأمراء خيول لعمارة مراكز البريد، فألزم كل من الأمراء المقدمين بعشرة أكاديش، وكل من الوزير والأستادار وبقية أرباب الوظائف وأمراء الطبلخاناة أكديشان، وكل من العشرينات والعشراوات بأكديش واحد، فجبى ذلك منهم وأرسلوا إلى المراكز.

وفي حادى عشرينه: فقبض على منكلى بُغا الزينى والى قوص، وسلم إلى ابن الطبلاوى لشكوى أهل البلاد منه، واستقر عوضه أقبغا البشتكى.

وفي رابع عشرينه: خلع على الأمير محمود خلعة الرضا.

وفي أول جمادى الآخرة: قدم البريد بمحاربة تركمان الطاعة لنعير، وقتل ألف من عربانه، وأنه انهزم وهلك له نحو ثلاثة آلاف بعير.

وقدم قاصد متملك ماردين، فجهز على يده تقليد لمرسله بنباية السلطنة وتشريف، وهو أطسان وسيف عنبرينه ومنديل زرکش.

وقدم البريد من حلب بأن سولى بن دُلغادر انكسر كسرة قبيحة، وفر بمفرده.

وفي رابع عشره: قدم عمر بن نعير بن حيار بن مهنا، فعفا السلطان عنه، وترافع رجلان من أهل الإسكندرية يقال لأحدهما زكى الدين أبو بكر بن الموازينى، والآخر أحمد الملقى، وكلاهما يدولب دار الضرب، فقبل قول كل منهما فى الآخر، وتسلمهما ابن الطبلاوى، وخلص منهما ألف درهم.

وفي ثامن عشره: استقر يلبغا السالمى الخاصكى فى نظير الخانكاه الصلاحية سعيد السعداء، فأراد أن يجرى أمورها على ما شرطه الواقف، وأخرج منها أرباب الأموال، وزاد الفقراء المحردين كل فقير رغيفا فى اليوم على الثلاثة الأرغفة المقررة له، ورتب بها وظيفتى ذكر بعد صلاتى العشاء والصبح.

وفي يوم الإثنين خامس رجب: استقر الأمير صلاح الدين محمد بن تنكز أستادار الأملاك السلطانية، والوزير صاحب سعد الدين نصر الله بن البقرى ناظر ديوان الأملاك. واستقر كل من صرغتمش المحمدى القزوينى، وقجماش البشيرى أمير جاندار. واستقر الأمير تمر الشهابى حاجبا صغيرا.

وفي ثامنه: استقر الأمير نوروز الحافظى رأس نوبة صغيرا، عوضا عن تغرى بردى من يشيغا.

وفيه عقد مجلس عند السلطان حضره القضاة وشيخ الإسلام سراج الدين عمر

البلقيني، بسبب يلبغا السالمى وشهاب الدين أحمد العبادى - أحد نواب القضاة الحنفية بالقاهرة - وذلك أن عدة الصوفية بخانكاه سعيد السعداء كانت عندما تحدث الأمير سودن النائب فى نظرها من ابتداء دولة السلطان، دون الثلاثمائة، فتزايدت حتى بلغت نحو الخمسمائة. ولم يف ريع الوقف بالمصروف، فقطع ما كان لهم من الحلوى والصابون فى كل شهر، ومن الكسوة فى السنة. فلما شرقت ناحية دهمرو - الموقوفة على الخانقاه - فى هذه السنة، من جملة ما شرق من النواحي؛ لقصور النيل، عزم مباشر الخانقاه على غلق مطبخها ومخبزها من أول شهر رجب هذا، وقطع ما للصوفية من الطعام واللحم والخبز فى كل يوم، فلم يصيروا على ذلك. وتكرر وقوفهم للسلطان، وشكواهم، حتى ولى يلبغا السالمى نظر الخانكاه، وشرط عليه إجراء الأمور فيها على ما فى كتاب وقفها من الشروط، فوجد شرط الواقف أن يكون من بها من الصوفية أهل السلوك، فإن تعذر وجودهم كانت وقفا على الفقراء والمساكين، وأفتاه شيخ الإسلام بوجوب اتباع شرط الواقف، فجمع القضاة وشيخ الإسلام بالخانقاه، وأحضر سائر صوفيتها، وقرأ عليهم كتاب الوقف، وسألهم فى الحكم بالعمل بشرط الواقف، فانتدب له من جملة الصوفية زين الدين أبو بكر القمنى من فقهاء الشافعية، وشهاب الدين أحمد العبادى من فقهاء الحنفية، وقضاتهم، وأخذوا فى مخاصمته. وطال النزاع فأضرب عن قولهما، وسأل القضاة عما يفعل. فقالوا كلهم مع شيخ الإسلام «افعل شرط الواقف» وانفضوا. فقطع من ليلته نحو الخمسين من الصوفية الذين يركبون البغلات، أو يلون القضاء والحكم بين الناس، أو لهم شهرة بغناء، وسعة مال، وفيهم القمنى والعبادى، فأطلقا ألسنتهما فيه. وزاد العبادى فى التعدى، وصرح بأن السالمى قد كفر، وصار يقول فى المجالس «الكافر يلبغا سالمى استنبطت آية من كتاب الله فيه. وهى قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً﴾^(١)، وكتبت فى ذلك كراريس، وهذا الكافر يلبغا يريد أن يكون مثل الفقراء الصالحين». فلما بلغ ذلك السالمى لم يحتمله، وشكا العبادى للسلطان. ونزل من القلعة إلى داره، فإذا بالعبادى قد مر فى شارع القاهرة، فلشدة حنقه منه نزل عن فرسه، وقبض على كم العبادى، ودعاه إلى الشرع فزاد العبادى فى التحامق، وقال: «تمسك كفى؟ كفرت». فبينما هما فى ذلك إذ مر سعد الدين نصر الله بن البقرى، فنزل عن فرسه، وما زال بهما حتى أخذهما ومشى إلى المدرسة الحجازية برحبة باب العيد، وجلسوا بها، فاتاهم الأمير علاء الدين على بن الطبلاوى. وأخذ فى الإصلاح بينهما،

فزاد تجانن العبادى، وقال: «قد كفر السالمى بمسكه كفى، وأنا مذهبي من قال للفقيه يا فقيه بصيغة التصغير فقد كفر؛ لأنه احتقره، وكذلك مسك كفى فيه احتقارى، وهو كفر». فانفض المجلس عن غير صلح، فعاد السالمى إلى السلطان. وقد بلغ السلطان ما جرى بينه وبين العبادى، فقال له: «قد كفرك الفقهاء يا يلبغا»، فقال: «يا مولانا قد كفروا أكبر منى». يعرض له بما كان من إفتاء الفقهاء فيه لمنطاش أيام كان بالكرك. ثم سأل فى عقد مجلس له ولغيره، فرسم بذلك، وحضر القضاة وشيخ الإسلام عند السلطان، فى يوم الخميس ثامن شهر رجب هذا، وجىء بالعبادى، وأقيمت عليه البينة عند قاضى القضاة ناصر الدين محمد التنسى المالكى، بعد الدعوى فحكم بتعزيره، فقال السلطان: «التعزير لى». وأراد ضربه بالمقارع، فشفع فيه الأمير قلمطاي الدوادار، حتى فوض تعزيره لقاضى القضاة جمال الدين محمود الحنفى، فأجابته، وأمر به الجمال عند ذلك، فكشف رأسه، وأنزل به بين يدى بغال القضاة من القلعة، وهو ماش، حتى سجن بجبس الديلم^(١) من القاهرة، ثم أخرج منه ونقل إلى سجن الرحبة. وطلب يوم السبت حادى عشره إلى بيت الجمال العجمى، وحضر ابن الطبلاوى، وضربه على قدميه نحو الأربعين ضربة، وأعيد إلى السجن. ثم خرج فى ثامن عشره إلى بيت السالمى، وقد حضر شيخ الإسلام عنده. وما زال به حتى أفرج عنه، وتسامع القضاة فأتوا إلى السالمى، وحضروا إصلاح شيخ الإسلام بينهما.

وفيه استقر تاج الدين محمد بن عبد الله بن الميمونى فى مشيخة خانكاه قوصون^(٢) بالقرافة، بعد وفاة نور الدين على الهورىنى. واستقر محمد بن حسن بن ليلى فى ولاية قطيا، عوضا عن صدقة الشامى.

وفى يوم الإثنين رابع شعبان: جلس السلطان بدار العدل من القلعة، وعملت الخدمة السلطانية، وكان قد عطل حضور دار العدل من نحو سنة ونصف.

وفى تاسعه: أعاد السلطان على الأيتام المال الذى اقترضه من المودع، وهو مبلغ نحو ألف ألف ومائة ألف وخمسين ألف درهم، من ذلك ما يختص بمودع القاهرة والشام خمسمائة وخمسون ألفا، ومن مودع الشام ستمائة ألف درهم.

وفى تاسعه: استقر الأمير علاء الدين على بن الطبلاوى يتحدث فى أمر دار الضرب بالقاهرة، عوضا عن محمود الأستادار.

(١) ديلم جبل سما بأرضهم فى قول بعض أصل الأثر. انظر معجم البلدان ٥٤٤/٢.

(٢) قوصون تقع فى شمال القرافة مما يلى القلعة تجاه جامع قوصون أنشأها الأمير سيف الدين

قوصون. انظر المواعظ ج ٢/ ٤٢٥.

٣٧٤ سنة سبعمائة وسبع وتسعين

وفيه أعيد صدر الدين محمود المناوى إلى قضاء القضاة بديار مصر، وعزل البدر محمد ابن أبى البقاء لفراغ الغرض منه. ونزل من القلعة بالتشريف ومعه الأمراء على العادة. فكان يوماً مشهوداً.

وفى رابع عشره: قبض على عمر بن الأمير نعيم وحجابه الثلاثة، وحملوا إلى سجن الإسكندرية.

وفى سادس عشره: نزل السلطان إلى عيادة الأمير بكلمش، وعاد.

وفى سابع عشره: ركب الصدر المناوى إلى مدينة مصر على العادة، وعاد.

وفى ثامن عشره: ركب السلطان ودخل القاهرة من باب النصر، وطلع إلى مدرسته بين القصرين لزيارة قبر أبيه، وعاد إلى القلعة.

وفى ليلة الثلاثاء سادس عشرينه: خرج من الأمراء المقدمين بكلمش أمير سلاح، ونوروز رأس نوبة، وقلمطاي الدوادار، وأرغون شاه البيدمرى، وفارس حاجب الحجاب، وقديد الحاجب، وأحمد بن يلغا، فى عدة من أمراء الطبليخاناه والعشراوات؛ لكبس العربان ببلاد الصعيد.

وفى ثامن عشرينه: أخذ قاع النيل فكان أربعة أذرع واثنى عشر إصبعا.

وفى آخره: استقر الصاحب تاج الدين عبد الرحيم بن أبى شاكى فى وزارة دمشق، وعزل بدر الدين محمد بن الطوخى.

وفى يوم الإثنين ثانى رمضان: عاد الأمراء من الصعيد، بعدما قبضن الأمراء على خمسمائة رجل، وأخذوا ثمانين فرساً، وأحضروا نحو الستين رجلاً، وأفرجوا عن البقية، فسجنوا بخزانة شمائل.

وفى سادس عشره: استقر شرف الدين محمد بن الدمامينى الإسكندراني فى حسبة القاهرة، عوضاً عن بهاء الدين محمد بن البرجى.

وفيه أضيف إلى ابن الطبلاوى الكلام فى دار الضرب بالإسكندرية، وفى متجر السلطان عوضاً عن الأمير محمود، فلم يمض غير أيام حتى تنافسا وخرج ابن الطبلاوى على محمود من جهة دار الضرب مبلغ ستة آلاف درهم فضة، صالح السلطان عليها بمائة ألف وخمسين ألف دينار ذهباً، غلقها فى تاسع عشرينه، فخلع عليه وعلى ولده محمد، وعلى ابن الطبلاوى، وعلى ناظر الخاص، وعلى سعد الدين إبراهيم بن غراب

كاتب الأمير محمود وكان قد تنكر ما بينه وبين مخدمه الأمير محمود، وظاهر عليه ابن الطيلاوى وصار يكشفه بالعداوة، فجعله ابن الطيلاوى من أكبر أعوانه على إزالة محمود، حتى تم له ذلك، فكان هذا ابتداء ظهور ابن غراب واشتهار ذكره ولم يبلغ العشرين سنة. وهذه أول غدراته، فإن محمود أخذه من الإسكندرية وهو طفل صغير، ورباه عنده، وعلمه الكتابة، ورتبه فى كتابة خاص أمواله. فلما كبر وبلغ مبالغ الرجال سمت نفسه إلى الرئاسة، ورأى أنه يبدأ بمحمود ولى نعمته فيزيله أولاً، وكان ابن الطيلاوى قد كثر اختصاصه بالسلطان، فصار إليه وساعده على محمود، ودله على عوراته، ومت إليه بمعرفة حواصل أمواله، فجمع بينه وبين السلطان، وأخلاه به، فعرفه من حال محمود ما أوجب له أن صارت له بذلك اليد عند السلطان، وكان ما يأتى ذكره إن شاء الله تعالى.

وفيه استقر محمد بن العادلى فى ولاية المنوفية^(١)، عوضاً عن أيّدُر المظفرى.

وفى يوم السبت سادس شوال: ابتداء السلطان بالجلوس فى الميدان تحت القلعة للحكم بين الناس. وكانت عادته أن يجلس فى يومى الأحد والأربعاء، فغير بذلك بيومى الثلاثاء والسبت، وجعل الأحد والأربعاء لمعاقرة الشراب مع الأمراء، فاستمر ذلك. واستدعى مباشرى الأمراء، وقال: «قد بلغت أنكم تحمون البلاد، فمن سمعت أنه حى بلداً، ضربته بالمقارع وسمرتة، بل ساووا الأجناد فى المغارم على النواحي». وكتب إلى ولاية الوجهين القبلى والبحرى بأن يكون الأمراء والأجناد سواء فى المغرم. ولا تحمى بلد أمير عن إخراج المغرم، ولا يُحمر فلاح ألبنة.

واتفق فى زيادة النيل أمر غريب، وهو أن الزيادة استمرت منذ أخذ القاع حتى كملت ثمانية أذرع ثم زاد فى ستة أيام ثمانية أذرع وأصبعين، وهى من يوم الخميس رابع شوال إلى يوم الثلاثاء تاسعه، وهو ثالث مسرى.

وفيه كان الوفاء، وركب السلطان حتى عدى النيل إلى المقياس، ثم فتح الخليج على العادة.

وفى ثامن عشره: توجه الأمير ناصر الدين محمد جُمقُ بن الأمير الكبير أيتمش إلى الحج، وهو أمير الركب، فكان يوماً مشهوداً.

وفى يوم الأربعاء أول ذى القعدة: قدم الخير من الحجاز بأن الحرب نارت بين بنى

(١) المنوفية هى من قرى مصر القديمة. انظر معجم البلدان ٢١٦/٥.

٣٧٦ سنة سبعمائة وسبع وتسعين

حسن وقواد مكة، ببطن مر، فقتل فيها الشريف على^(١) بن عجلان، وامتنع القواد بمكة، وصدوا عنها بنى حسن. فأفرج السلطان عن الشريف حسن بن عجلان^(٢)، وولاه إمرة مكة، عوضاً عن أخيه على، وخلع عليه، وسار إلى مكة ومعه يلبغا السالمى ليقبله إمارة مكة في سابعه.

وفي ثانی عشره - وهو آخر أيام النسيء - : انتهت زيادة ماء النيل ثمانية عشر ذراعاً ونصف، ونقص من يومه.

وفي ثالث عشره: ركب السلطان إلى دار الأمير محمود، يعوده من مرضه.

وفي رابع عشره: استقر منكلى بغا الزينى فى ولاية الأشمونين، وعزل قرطای التاجى.

وفي خامس عشره - وهو ثالث توت - : زاد ماء النيل، ونودى عليه من الغد، واستمرت زيادته.

وفيه استقر عمر بن إلياس - قريب قرط - فى ولاية منفلوط، عوضاً عن الشريف على البغدادى.

وفي سابع عشرينه - وهو خامس عشر توت - : انتهت زيادة ماء النيل إلى ثمانية أصابع من عشرين ذراعاً، وثبت إلى رابع بابة، فكان طوفاناً، والأسعار تتزايد حتى بلغ القمح ثمانين درهماً، والأردب من الفول والشعير أربعة وخمسين، والبطة الدقيق باثنى وعشرين درهماً، والخبز كل رطلين ونصف بدرهم، والحمل من التبن بعشرة دراهم، والقذح الأرز بدرهمين، والأردب من الحمص بخمسين، والرطل من الجبن المقلو بدرهمين، والرطل من لحم الضأن بدرهم وربيع، والرطل من لحم البقر بدرهم، والسكر بخمسة دراهم الرطل.

(١) على بن عجلان بن رميثة بن أبى نعى الحسنى أبو الحسن نور الدين: من أمراء مكة وليها بعد عزل عنان بن مغاس سنة ٧٨٩ هـ. وأمضى أكثر أيامه فى حروب، فلم يهنأ له عيش إلى أن قتله جماعة من أقاربه، من بنى حسن اغتالوه فى بطن مر من نواحي مكة. انظر ابن الفرات ٩ / ٤٢٠ وشذرات الذهب ٦ / ٣٥٠ وابن إلياس ١ / ٣٠٤ والأعلام ٤ / ٣١٢.

(٢) حسن بن عجلان بن رميثة بن أبى نعى: شريف حسنى من أمراء مكة ولد ونشأ فيها، وأقام بمصر فولاه صاحبها إمارة مكة سنة ٧٩٨ هـ وجاءه التوقيع سنة ٨١١ هـ بتسامية السلطانية فى جميع بلاد الحجاز فاستمر مدة وعزل وأعيد مرتين ثم توجه سنة ٨٢٨ هـ إلى مصر للقاء السلطان برسباى فتوفى فيها. انظر خلاصة الكلام ٣٦ ومراجع تاريخ اليمن ٢٩٩ والأعلام ٢ / ١٩٨ - ١٩٩.

وفي آخره: استقر سنقر المارديني في ولاية قوص^(١)، وعزل أقبغا البشتكى.

وفي السبت ثانی ذی الحجة: قدم الأمير طولو بن علی شاه المتوجه إلى طقتمش خان، وأنه بعد ما اتفق معه على محاربة تيمور، توجه تيمور لمحاربتة، فسار إليه وقاتله ثلاثة أيام، فانكسر من تيمور، ومر إلى بلاد الروس، فخرج طولو من سراى إلى القرم، ومضى إلى الكفا^(٢)، فعوقه ممتلكها ليتقرب به إلى تيمور، حتى أخذ منه خمسين ألف درهم، فملك تيمور القرم والكفا وخربها.

وقدم رسول الأمير يوسف بن قرا محمد بن بيرم خجا - صاحب الموصل^(٣) - بأن عسكر تيمور أتاه، فقاتلهم وهزمهم.

وفي آخره: قدم مبشرو الحاج، وأخبروه باستيلاء حسن بن عجلان على مكة، ووجود الأمن والرخاء.

وفيه ولى شمس الدين محمد الأحنای قضاء الشافعية بحلب، عوضا عن ناصر الدين محمد بن محمد بن خطيب نقيرين. وأعيد برهان أبى سالم إبراهيم بن محمد بن علی الصنهاجى إلى قضاء المالكية بدمشق، عوضا عن علم الدين محمد بن محمد القفصى. واستقر شمس الدين محمد بن أحمد بن محمود النابلسى فى قضاء الحنابلة بدمشق، عوضا عن علاء الدين علی بن محمد بن محمد بن محمد بن عمر بن المنجا. ثم ولى القفصى قضاء المالكية بحلب، عوضا عن البرهان إبراهيم الرکراکى.

* * *

ومات فى هذه السنة ممن له ذكر

برهان الدين إبراهيم بن محمد القرقشندى موقع الحكم فى ثلث عشرين شعبان.
ومات الشيخ برهان الدين إبراهيم بن الأمدى، أحد أصحاب ابن تيمية، فى رابع عشرين ذى القعدة.

(١) قوص مدينة كبيرة عظيمة واسعة فى الصعيد. انظر معجم البلدان ٤/٤١٣.
(٢) الكفا بفتح الكاف والفاء فرضة القرم تقع على الساحل الغربى لبحر ينطش (البحر الأسود) فى مقابل طرايرون. انظر تقويم البلدان ٢٣، ٢٠٠، ٢١٤.
(٣) الموصل: فى الجانب الغربى من دجلة وسميت بهذا الاسم لأنها وصلت بين الفرات ودجلة، وشرب أهلها من ماء الدجلة، وبساتينها قليلة، وضياعها ومزروعاتها ممتدة، وأبنيتها بالجص والحجارة، ولها رساتيق عظيمة وكور كثيرة. انظر معجم البلدان ٥/٢٢٣، والروض المعطار ٥٦٣، ونزهة المشتاق ١٩٩.

ومات إسماعيل بن الملك الأشرف شعبان بن حسين، فى ثالث عشر رمضان، عن خمس وعشرين سنة.

ومات الأمير الطنبغا الحلبي الأشرفى، وهو مسجون بقلعة حلب فى [..(١)..].

ومات الشيخ المعتقد أبو بكر البجائى المغربى المخذوب، فى يوم السبت خامس جمادى الآخرة، ودفن من الغد، خارج باب النصر حيث التربة الظاهرية الآن. وهو أحد الذين أوصى الملك الظاهر أن يدفن عندهم. وأنفق عليه فى مؤنة كفنه ودفنه، وقراءة ختمات عند قبره مائتى دينار، على يد يلبغا السالمى، وكانت جنازته عظيمة جدا.

ومات الأمير أبو بكر بن الأحمدي فى سابع عشر رجب.

ومات صدر الدين بديع بن نفيس التبريزى، رئيس الأطباء فى سادس عشر ربيع الأول.

ومات الأمير سيف الدين بلاط المنجكى، أحد أمراء العشرينات.

ومات عز الدين حمزة بن على بن يحيى بن فضل الله العمرى، نائب أخيه بدر الدين محمد كاتب السر، وأحد كتاب الدست. مات بدمشق يوم تاسوعاء، وهو آخر من رأس من بنى فضل الله.

ومات الخوaja الكبير رشيد الهبى، أحد تجار الكارم، فى ليلة السبت، العشرين من جمادى الأولى.

ومات الأمير سيف الدين طوغان الإبراهيمى، أحد المماليك الظاهرية، وأمير جاندار، فى سادس صفر.

ومات السيد الشريف على بن عجلان، أمير مكة، مقتولا، فى سادس عشر شوال.

ومات نور الدين على الهورينى، شيخ القوصونية، فى ثالث عشر شهر رجب.

ومات نور الدين على بن الركاب، أحد نواب قضاة الحنفية بالقاهرة، فى سابع عشر رجب.

ومات نور الدين على بن الشراب دار، أحد نبهاء الفقهاء الشافعية، فى تاسع عشر رجب.

ومات جمال الدين عبد الله بن فراج النويرى، أحد الفقهاء المالكية، ونواب قضاتهم بالقاهرة.

ومات الأمير قاسم بن السلطان فى ثانى عشر ذى الحجة، وعمره نحو خمس سنين.
ومات الأمير قرايغا والد الأمير جركمتر الخاصكى الأشرفى، وأحد أمراء العشرينات
فى ثانى ربيع الأول.

ومات الأمير ناصر الدين محمد بن السلطان، فى يوم السبت ثالث عشرين ذى
الحجة، ومولده مستهل ربيع الأول سنة اثنتين وثمانين وسبعمائة، وكان قد أعيأ الأطباء
داؤه الذى برجليه وبه مات. وكان إقطاعه الديوان المفرد، وهو أكبر أولاد السلطان،
ودفن فى التربة الظاهرية بين القصرين.

ومات ناصر الدين محمد بن عبد الدايم بن محمد المعروف بابن بنت ملىق الشاذلى،
قاضى القضاة بديار مصر، وكان أولاً يعظ الناس، ولهم فيه اعتقاد، ثم امتحن بولاية
القضاء، فلم تُشكر سيرته، وعُزل ونكب بأخذ مال كبير منه ظلماً، وغُورَّت عينه.
ومات فى ليلة الإثنين تاسع عشرين جمادى الأولى.

ومات غياث الدين محمد بن جمال الدين^(١) عبد الله بن محمد بن على بن حماد بن
ثابت، الواسطى الأصل، البغدادى، ابن العاقولى فى يوم الأربعاء سادس عشرين ربيع
الآخر ببغداد. وقدم إلى القاهرة فى الجفلة من تيمور. وكان من علماء فقهاء الشافعية.

ومات شمس الدين محمد بن على بن صلاح الحريرى، أحد نواب القضاة الحنفية
بالقاهرة، ومشايخ القراء، وفقهاء الحنفية، فى يوم الجمعة رابع عشرين رجب، ومولده
فى العشرين من شوال سنة عشرين وسبعمائة. قرأ على برهان إبراهيم الحركى
القراءات والحديث على علاء الدين التركمانى، والفقه على القوام الأتقانى.

ومات شمس الدين محمد بن عمر القليجى الحنفى مفتى دار العدل، وأحد نواب
القضاة بالقاهرة، وموقعى الحكم، فى ليلة الثلاثاء العشرين من رجب. وقد بلغ من
الرئاسة مبلغاً كبيراً.

(١) محمد بن محمد بن عبد الله الواسطى الأصل البغدادى، غياث الدين أبو المكارم ابن العاقولى:
عالم بغداد ومدرسها فى عصره ولد بها وكان هو وأبوه وحده كبراءها، انتهت إليهم الرياسة فى
العلم والتدريس ولما دخل تيمور لنك بغداد هرب ابن العاقولى منه فنهبت أمواله. ورجع بعد ذلك
فتوفى فيها. من كتبه «البيان بما يصلح لإقامة الدين من البلدان» و«شرح منهاج البيضاوى» و«شرح
مصاييح بغوى». انظر كتاب (تراجم لحمد باب الدين - ح) وكشف الظنون ١٦٩٩، ١٨٧٩
وشذرات الذهب ٦ / ٣٥١ وهدية العارفين ٢ / ١٧٥ والأعلام ٤٢/٧.

٣٨٠ سنة سبعمائة وسبع وتسعين
ومات شمس الدين محمد الأقصراى الحنفى، شيخ المدرسة الأيتمشية^(١)، فى سابع
عشر جمادى الأولى.

ومات الشيخ محمد بن أبى يعقوب القدسى الشافعى المعتقد، فى يوم الأحد أول
شهر رمضان. وكان يسكن بجامع المقس على الخليج، وله حظ من الناس.
ومات الشيخ المعتقد محمد السمالوطى المالكى فى ثانى عشر رمضان.

ومات شمس الدين محمد بن أحمد بن على بن عبد العزيز المعروف بابن المطرز
المصرى، ولد فى سنة عشر وسبعمائة تخميناً، وحدث بصحيح مسلم عن على بن عمر
الوالى، وبسنن أبى داود عن يوسف بن عمر الحتنى، وبكتاب التوكل لابن الدنيا عن
الدبوسى. ومات يوم الأحد سادس جمادى الآخرة.

ومات موسى بن أبى بكر بن سلار، أحد أمراء العشراوات وأمير طبر. ولى أمير
طبر^(٢) بعد دمرخان بن قرمان، سنة ثمان وسبعمائة. ومات فى ثالث ذى الحجة والله
تعالى أعلم.

* * *

(١) الأيتمشية هذه المدرسة خارج القاهرة داخل باب الوزير تحت القلعة، برأس النيابة أنشأها
الأمير الكبير سيف الدين أيتمش البجاسى ثم الظاهرى سنة ٧٨٥هـ. انظر المواعظ ٢ / ٤٠٠.
(٢) طبر وهى لفظ فارسى والطبر هو الذى يشقق به الأحطاب. انظر معجم البلدان ٤ / ١٣.

سنة ثمان وتسعين وسبعمائة

أهل المحرم يوم الأحد.

ففى ثانيه: تناقص سعر القمح وأبيع الأردب بستين درهما.

وفيه غير السلطان كتاب وقف مدرسته، وكان شرط النظر عليها من بعده للقضاة، فجعله لمن يكون سلطانا.

وفى خامسه: قرر الأمير قلمطاي الدوادار فى نظرها، ونزل إليها بالتشريف فى موكب جليل.

وفى تاسعه: توجه السلطان إلى سرحة سرياقوس على العادة. وارتفع السعر حتى أبيع الأردب القمح بمائة درهم، والبطة الدقيق بستة وعشرين درهما، والخبز كل رطلين ونصف بدرهم.

وفى عاشره: قدم يلغا السالى من الحجاز.

وفى ثامن عشره - وهو فى أثناء هاتور - كان النيل ثابتا على ثمانية عشر أصبعا من تسعة عشر ذراعا، وهذا من غرائب أحوال النيل.

وفى سادس عشره: عاد السلطان من سرياقوس.

وفى يوم الخميس رابع صفر: نقل الأمير يلغا الأحمدي الجنون من كشف الوجه البحرى إلى نيابة الوجه القبلى، وعزل أوناط. ورسم ليلغا أن يقيم بالقاهرة، ويخرج لعمل مصالح الإقليم. وبطل كشف الوجه البحرى، وصارت نيابة بتقدمة ألف، وهو أول من عمل هذا.

وفيه عزل شرف الدين محمد^(١) بن الدمامينى من حسبة القاهرة بنور الدين على

الفور.

(١) محمد بن أبى بكر بن عمران بن أبى بكر بن محمد، المخزومى القرشى بدر الدين المعروف بابن الدمامينى: عالم بالشعر وفنون الأدب ولد فى الإسكندرية، واستوطن القاهرة، ولازم ابن خلدون وتصدر لإقراء العربية بالأزهر، ثم تحول إلى دمشق. ومنها حج وعاد إلى مصر فولى فيها قضاء المالكية ثم ترك القضاء ورحل إلى اليمن فدرس بجامعة زبير سنة، وانتقل إلى الهند فمات بها فى مدينة كليرجا. من كتبه: «تحفة الغد». انظر الضوء اللامع ١٨٤/٧ وشذرات الذهب ٩/٨١/٧ وآداب اللغة ١٤٣/٣ وحسن المحاضرة ٢٥٨/١ والكتبخانه ٣٣٨/٤ والأعلام ٥٧/٦.

٣٨٢ سنة سبعمائة وثمان وتسعين

وفي سادسه: بعث السلطان الطواشى فارس الدين شاهين الحسنى الجمدار، فأخذ من دار الأمير محمود وهو مريض مالا كبيرا، يقال إنه مبلغ مائة ألف دينار وجد فى عقد سلم غمز عليه، وعدة أحمال من قماش. وقبض على زوجته، وكاتبه سعد الدين إبراهيم بن غراب، وصار بهم إلى القلعة، وعاد فأخذ ابنه الأمير ناصر الدين محمد.

وفي سابعه: تسلم سعد الدين إبراهيم بن غراب الأمير ألى باى الخازندار ونزل به إلى دار محمود ليدله على دخيرة اعترف بها، فكانت جملتها خمسين ألف دينار.

وفي ثامنه: استقر على بن غلبك بن المكلفة فى ولاية الشرقية، عوضا عن على بك بحكم انتقاله إلى ولاية البحيرة.

وفي تاسعه: استقر قطلوبغا الطشتمرى نائبا بالوجه القبلى، عوضا عن أمير فرج بن أيدمر بعد وفاته. واستمر الأمير بيسق الشىخى فى كشف الجيزة عوضا عن قطلوبغا.

وفي حادى عشره: استقر قطلوبك العلاى أستاذار الأمير أيتمش فى وظيفة الأستاذارية، عوضا عن الأمير محمود، وأنعم عليه بإمرة عشرين. واستقر محمود على إمرته وهو مريض. واستقر سعد الدين إبراهيم بن غراب ناظر الديوان المفرد.

وفي خامس عشره: استقر الأمير قديد القلمطاوى فى نيابة الإسكندرية^(١)، عوضا عن الأمير مبارك شاه. واستقر علاء الدين على بن الطبلاوى أستاذار خاص الخاص، وناظر كسوة الكعبة، عوضا عن نجم الدين محمد الطنبدى وكيل بيت المال ومحتسب القاهرة - كان - مضافا لما معه من الحجوبية، والتحدث فى ولاية القاهرة، ودار الضرب، والمتجر، وشق القاهرة فى محفل حفل. واستقر الأمير أزدمر فى كشف الجيزة، عوضا عن بيسق، وعاد بيسق أمير أخور كما كان، وأضيف إليه كشف الجسور بالقلبوية.

وفي ثامن عشره: قدمت رسل الأمير قرا يوسف بن قرا محمد - صاحب تبريز - برجل يقال له أظلمش من نواب تيمور لنك، قبض عليه، فسلم لابن الطبلاوى.

وفي خامس عشرينه: استقر الأمير زين الدين مبارك شاه فى الوزارة، بعد موت الوزير ناصر الدين محمد بن رجب. واستقر سعد الدين نصر الله بن البقرى ناظر الدولة، واستقر أمير فرج الحلبي شاد الدواوين.

(١) الإسكندرية: مدينة عظيمة. عصر بناها الإسكندر بن فيلبش فنسبت إليه، وهى على ساحل

البحر الملح. انظر معجم البلدان ١/١٨٣، والروض المعطار ٥٤، ٥٥، ٥٦.

وفي سابع عشرينه: أعيد شرف الدين محمد بن الدماميني إلى حسبة القاهرة، وعزل القور لعجزه عن القيام بما التزم به من المال، وأضيف إلى ابن الدماميني نظر الكسوة، ونزعت من النجم الطنبدي بعد ما تحدث فيها ابن الطبلاوى كما ذكر.

وفي سلخه: أنعم على الوزير مبارك شاه بإمرة ناصر الدين محمد بن رجب.

وفي يوم الثلاثاء سابع ربيع الأول: استقر أحمد بن محمد بن ماما فى ولاية المنوفية، عوضا عن محمد بن العادلى. ثم عزل فى اليوم الرابع، وأعيد ابن العادلى.

وفي حادى عشره: توجه السلطان إلى ناحية صقيل من الجيزة، وعاد فى سادس عشره.

وفيه تسلم ابن الطبلاوى سعد الدين أبا الفرج بن تاج الدين موسى ناظر الخاص، وابنه أمين الدين ليخلص منهما أربعمئة ألف وسبعين ألف درهم، وجد بها حجة لابن رجب الوزير، ثم أفرج عنهما بعد يومين.

وفي تاسع عشره: سلم ناصر الدين محمد بن محمود الأستاذار لابن الطبلاوى، على مائة ألف دينار يخلصها منه، فأحرق به وبالغ فى إهاتته ونزع عنه ثيابه ليضربه بحضرة الناس، فقال له: «يا أمير: قد رأيت عزنا وما كنا فيه، وقد زال، فعزك أيضا ما يدوم، وهذا أول يوم زال عنى وعن أبى فيه السعادة وأقبل الإدبار». فلم يضربه.

وفي عشرينه: أفرج عن سعد الدين ناظر الخاص وابنه، وخلع عليهما خلع الرضا.

وفيه نقل ابن محمود إلى الطواشى شاهين الحسنى، فأقام عنده يومين.

وفي ليلة الخميس ثالث عشرينه: نزل الطواشى صندل، والطواشى شاهين الحسنى، وابن الطبلاوى إلى خربة خلف مدرسة الأمير محمود، وأخرجوا من الأرض - بعد حفر كثير - عدة أزيار فيها ألف ألف درهم فضة، حملت إلى السلطان.

وفي بكرة يوم الخميس: وجد بالخربة أيضا بعد حفر كثير، ستة آلاف دينار، وأربعة عشر ألف وخمسائة درهم فضة.

وفي رابع عشرينه: أعيد ابن محمود إلى ابن الطبلاوى.

وفي خامس عشرينه: احضرت أمه إلى السلطان.

وفي ثامن عشرينه: ظفر أيضا بمبلغ ثمانية وثلاثين ألف ومائتين وثلاثين ديناراً فى مخزن حمار^(١) بثغر الإسكندرية، حملت إلى السلطان.

(١) حمار حيث أن صانع الخمر هو الذى يحتاج إلى مخزن لحزنها فيه.

وفى يوم الخميس ثامن ربيع الآخر: ابتداء السلطان بعمل الخبز الذى يفرق فى الفقراء، وهو عشرون إردبا من القمح تعمل خبزا، وتولى ابن الطبلاوى ذلك، فعمت فقراء القاهرة ومصر وأهل السجون وسكان القرافة، فكفى الله الناس بهذا الخبز هما عظيما، بحيث لم يعرف أن أحدا مات فى هذا الغلاء بالجوع، واغتنى جماعة منه، فإنهم صاروا يأخذون الخبز من عدة مواضع ويبيعونه، ثم يستجدون الناس أيضا.

وفى تاسعه: عدى السلطان إلى بر الجزيرة، ونزل بشاطئ النيل، تجاه القاهرة.

وفى رابع عشره: عاد إلى القلعة.

وفى خامس عشره: استقر تاج الدين عبد الرزاق بن أبى الفرج الملكى - ناظر قطيا - فى ولايتها مع وظيفة النظر، والتزم كل شهر بمائة ألف وخمسين ألف درهم. وكان فى ابتداء أمره صيرفيا بقطيا، وترقى حتى باشر بها، ثم ولى النظر إلى أن جمع بين النظر والولاية.

وفيه ظفر أيضا بدخيرة محمود عند لاجين أمير سلاحه، فكان مبلغها ثلاثين ألف دينار.

وفى سابع عشره: استعفى أزدمر من كشف الجزيرة، فأعفى. واستقر عوضه ببلغا مملوك الوزير مبارك شاه.

وفيه ارجع عن شهاب الدين أحمد بن الوزير ناصر الدين محمد بن رجب إمرته، وهى عشرة، وعوضه عنها إقطاعا برمح واحد.

وفى تاسع عشره: قدم محمد بن العادلى إلى المنوفية فى الحديد، فتسلمه ابن الطبلاوى، واستقر عوضه حسام الدين.

وفيه قدم الأمير نوروز الحافظى رأس نوبة، ومعه على بن غريب أمير هواره، وثلاثة وثلاثين رجلا من أهله وأولاده فى الحديد، فسجن ابن غريب بالبرج فى القلعة، وأودع أصحابه بخزانة شمائل.

وفيه تصدق السلطان بذهب كثير، فاجتمع بالإصطبل خمسمائة نفس، حصل لكل منهم مبلغ خمسين درهما.

وفى رابع عشرين: جلس السلطان لتفرقة الصدقة أيضا، فاجتمع عالم لا يقع عليه حصر، بحيث مات منهم فى الازدحام بباب الإصطبل سبعة وأربعون نفسا، تولى تكفينهم ودفنهم الأميران فارس حاجب الحجاب، والوزير مبارك شاه.

وقدم الخبز من الحجاز بأن الشريف حسن بن عجلان هزم بنى حسن إلى ينبع، وهو فى طلبهم، ثم عاد إلى خليص^(١)، ومعه أمير ينبع، فكبس عليهم وظفر بهم، وأن الأتراك الذين استخدمهم أمير ينبع ركبوا عليه وقتلوه، وقتلوا جماعة من أصحابه، فظفر بهم، وقتل منهم اثني عشر، وأخرج باقيهم من بلاده.

وفى يوم الخميس سابع جمادى الأولى: أوقعت الحوطة على دار الأمير محمود الأستادار، وأخذت مماليكه، وترك عنده ثلاثة يخدمونه فى مرضه.

وفيه فر شمس الدين محمد بن محمد بن محمد بن الذزرى الدمشقى، من ترسيم اين الطبلاوى. وكان قد تحدث للأمير أيتمش فيما يتعلق به فى دمشق وأحضره لعمل حسابه، فوقف عليه مال عجز عنه فهرب، ولم يوقف له على خير.

وفيه توجه السلطان إلى بر الجزيرة وعمل فى كل يوم طعاما للفقراء يفرق فيهم اللحم والمرق والخبز، فبلغ عدد الفقراء الذين يأخذون ذلك خمسة آلاف نفس. ومن فاته الأخذ من الطعام أخذ مع الرغيف درهما، فإن فاته الخبز وأخذ من الطعام، أخذ عوض الخبز نصف درهم، ومن فاته الطعام والخبز أخذ درهما ونصف.

وكانت الأسعار قد تزايدت لقلّة وجود الغلال، وفقد الخبز من الحوانيت بالقاهرة ومصر سبعة أيام متوالية، وازدحم الناس على الأفران، وأبيع القمح بمائة وخمسة وسبعين درهما الأردب فى غلته، فإذا غربل تعدى المائتين.

وبلغت البطة الدقيق إلى أربعة وأربعين درهما، والخبز كل رطل وربع، بدرهم.

وفى عاشره: وجدت دخيرة لمحمود، فيها مبلغ سبعين ألف دينار.

وفى يوم الجمعة خامس عشره: حضر شيخ الإسلام سراج الدين عمر البلقينى بالجامع الأزهر من القاهرة بعد العصر للدعاء برفع الغلاء، ومعه خلائق، فكان وقتا عظيما. فلما كان من الغد قدم إلى ساحل القاهرة ومصر عدة مراكب بها الغلال، فانحط سعر الأردب عشرة دراهم، وأخذ يتناقص حتى أبيع الأردب بمائة وثلاثين درهما، والخبز كل رطلين بدرهم، ثم انحط عن ذلك أيضا.

وفى عشرينه: وجدت دخيرة لمحمود أيضا، فيها ثلاثة وستون ألف دينار ووجدت أيضا أخرى فيها مبلغ أربعين ألف دينار، ووجد له عند شخص مبلغ أربعين ألف دينار، وعند آخر عشرين ألف دينار. ووجد فى بيت مبلغ مائة دينار وسبعة وثلاثين ألف دينار، وفى موضع آخر مائة ألف دينار وثلاث برانى^(٢) فى إحداها أحجار البلخش^(٣) وفى اثنتين اللؤلؤ كبار، ووجد أيضا عند شخص حلى ذهب له قدر كبير.

(١) خليص حصن بمكة والمدينة. انظر معجم البلدان.

(٢) برانى شبه فخارة خضراء وربما كانت من القوارير الشخان الواسعة الأفواه، والبرنية إناء من الخزف. انظر لسان العرب.

(٣) البلخش نوع من الأحجار الكريمة أقرب ما يكون إلى الزمرد.

وفي ليلة الثلاثاء سادس عشرينه: شدد على محمود حتى التزم بإرضاء السلطان.

وفي سابع عشرينه: وجد له في موضع مائة ألف دينار، وثمانية وثلاثون ألف دينار.

وكرت صدقات السلطان في هذا الشهر، وأكثر من تفرقة دنائير الذهب والدارهم الفضة، والخبز والطعام، حتى عم الفقراء والمساكين وغيرهم، وصار لبعضهم من ذلك غنى.

وفي يوم الثلاثاء ثالث جمادى الآخرة: خرج البريد إلى دمشق بإحضار الوزير بدر الدين محمد بن الطوحي.

وفيه سلم محمود الأستاذار إلى شاد الدواوين ليعاقبه، فعصره من ليلته.

وفي خامسه: أخرج الأمير شهاب الدين أحمد بن يلبغا الخاصكى العمري إلى طرابلس.

وفيه أنعم على تمرُّبغا المنجكى بتقدمة ألف، وعلى قُطلوبك الأستاذار بتقدمة ألف. وعلى كل من طُولُو بن على شاه، ويَلْبُغا الناصري، وسراى تمر الناصري، وشاذى خُجا العثماني، وقينار العلاى بإمرة طبلخاناه. وعلى كل من طَيِّبغا الحلبي أمير خور، وسودن طاز من على باى، ويعقوب شاه الخازندار، ويشبك الخازندار، وتَمَان تَمُر الأشقتمرى رأس نوبة الجمدارية بإمرة عشرة.

وفي عاشره: قدم البريد من الوجه القبلى بأن العرب الأحامدة قتلوا قُطلوبغا الطَشْتُمرى نائب الوجه القبلى، فاستقر عوضه عمر بن إلياس والى منفلوط، مضافا لما بيده.

وفيه استقر الشيخ زين الدين أبو بكر القمنى فى مشيخة الصلاحية بالقدس، عوضاً عن شمس الدين محمد بن الجزرى، وبعث بالنيابة عنه، وذلك بسفارة الأمير قَلْمطاي الدوادار لاختصاصه به.

وفي رابع عشره: استقر الشيخ شمس الدين محمد ابن [.... (١) ...]، ويقال له شيخ زاده الحويزاتى فى مشيخة الشيخونية، عوضا عن البدر الكُلُستانى كاتب السر. واستقر الجمالى محمود العجمى ناظر الجيش وقاضى القضاة الحنفية فى تدریس الصرغتمشية، عوضا عن البدر الكُلُستانى. واستقر شهاب الدين أحمد بن النقيب الیغمورى الدمشقى فى التحدث على مستأجرات خاص الخاص، والمتجر نيابة عن ابن الطبلاوى، واستقر حاجباً بدمشق.

(١) ما بين المعقوفين بياض فى الأصل.

وفي سادس عشرة: استقر الأمير فارس حاجب الحجاب فى نظر الصرغتمشية والشيخونية، واستقر تمرُّبغا المنجكى حاجبًا ثانيًا، عوضا عن قديد.

وفي ثامن عشرة: قدم بدر الدين محمد بن الطوخى وزير الشام على الريد.

وفي تاسع عشرة: استقر الطنبغا البريدى فى ولاية البهنسا، عوضًا عن الصارم إبراهيم الشهابى، وأحضر الصارم، وضرب بالمقارع عند ابن الطبلاوى واستقر الطنبغا المرادى فى ولاية أسوان^(١) عوضا عن حسين صهر أبى درقة، واستقر أقبغا المزوق فى ولاية قوص، بعد موت سُنُّر.

وفي العشر الثانى من هذا الشهر: انحلت الأسعار لكثرة ما جُلب، وأبيع الأردب القمح بخمسين درهما، وأبيع الأردب من الشعير والبول بثلاثين درهما، وأبيع فى ثانى عشرينه الخبز أربعة أرطال بدرهم، فسخط جلابة الغلال، وانحدروا بها إلى جهة الإسكندرية طلبا للسعر الغالى، فتكالب الناس على شراء الخبز والدقيق فى يوم الإثنين ثالث عشرينه، وتخاطفوه من رعوس الحمالين، فكان يوما مهولا، ووقف الناس من الغد إلى السلطان وضجوا من عدم ما يأكلونه، فندب الأمير علاء الدين على بن الطبلاوى للحدث فى ذلك وتمادى الأمر فى الشدة يوم الأربعاء.

وفي يوم الخميس: رُسم أن يباع الرغيف بربع درهم، والناس فى غاية الانهماك على طلبه، وخطفه من الأفران، وقاتل بعضهم لبعض بسببه، وأبيع القمح كل قدح بدرهم ونصف سدس، والشعير بربع وسدس درهم القدح. واختفى شرف الدين محمد ابن الدمامينى المحتسب فى بيته ثلاثة أيام؛ خوفا من العامة أن تبطش به، وطلب القمح كل أردب بمائة وعشرين درهما، والشعير بستين درهما، فلم يكدر يقدر عليه. وفقد الخبز من الأسواق، فلم يره أحد، فصرف السلطان ابن الدمامينى واستدعى شمس الدين محمد المخانسى الصعيدى، وولاه الحسبة - بسفارة ابن الطبلاوى - بغير مال، فى يوم الخميس سادس عشرينه، فاستمر الأمر على ما ذكر بقية الشهر، فكانت أيام شنة.

وفي آخره: استقر علاء الدين على بن محمد بن محمد بن منجا فى قضاء الحنابلة بدمشق، عوضا عن شمس الدين محمد النابلسى.

وفي يوم الخميس رابع رجب: استقر سعد الدين نصر الله بن البقرى فى الوزارة، وبدر الدين محمد بن الطوخى، عوضا عنه فى نظر الدولة، وبقي مبارك شاه على إمرته. واستقر شرف الدين محمد بن الدمامينى فى نظر الكسوة، وخلع على الجميع. واستقر محمد بن حسن بن ليلى فى ولاية الجيزة، عوضا عن الشهاب أحمد الأرغونى.

(١) أسوان: سبق ترجمتها. انظر معجم البلدان ١/١٩١، والروض المعطار ٥٧، ٥٨، ونزهة

٣٨٨ سنة سبعمائة وثمان وتسعين

وفي هذا الشهر: سارت الأحامدة من عرب الصعيد فى جمع من هوارة على ابن غريب إلى أسوان، واتفقوا مع أولاد الكنز، ففر منهم حسين صهر أبى درقة، ونهبوا داره، وكل ما فى البلد، فخرج البريد بتوجه عمر بن إلياس نائب الوجه القبلى لطلبهم، فسار بهوارة عمر بن عبد العزيز، فلم يقدر عليهم، وعاد بغير طائل.

وفيه استقر علاء الدين على بن السنجارى الدمشقى وزيرا بدمشق.

وفى أول شعبان: نقل الأمير محمود إلى ابن الطبلاوى، فعاقبه بالضرب والعصر لرجليه، وعاقب ابنه ناصر الدين محمدا، وألزمه بأربعمائة ألف درهم، فباع سائر موجوده، فلم يبلغ ثلاثمائة ألف.

وفيه استقر الحسام بن أخت الغرس فى شد الدواوين بغير إمرة. واستقر أمير فرج على إمرته بغير وظيفة الشد. واستقر ناصر الدين محمد بن الأمير علاء الدين على بن كلفت التركمانى فى نقابة الجيش. وعزل علاء الدين على بن سنقر العينتابى.

وفى ثالث عشره: أخذ قاع النيل، فكان ستة أذرع سواء.

وفى ليلة الخميس رابع رمضان: خسف جميع جرم القمر بعد صلاة العشاء، حتى أظلم الجو.

وفى يوم السبت تاسع عشرين شوال: أوفى النيل ستة عشر ذراعا، وذلك فى ثانى عشر مسرى، فنزل السلطان إلى المقياس وفتح الخليج على العادة.

وفى يوم الخميس تاسع عشر ذى القعدة: قبض على سعد الدين أبى الفرج بن تاج الدين موسى ناظر الخاص، وأحبط بداره، واستقر عوضه فى نظر الخاص سعد الدين إبراهيم بن غراب الإسكندرانى كاتب الأمير محمود بن على.

وفى أول ذى الحجة: عزل ابن السنجارى من وزارة دمشق بشهاب الدين أحمد بن الشهيد، وتوجه من القاهرة، وقد أضيف إليه نظر المهمات والأسوار بدمشق.

وانتهت زيادة النيل إلى تسعة عشر ذراعا.

وفى رابع عشرينه: استقر علاء الدين على بن الطبلاوى فى نظر المارستان المنصورى، عوضا عن الأمير الكبير كمشبغا الحموى.

وفى سابع عشرينه: قدم مبشرو الحاج، وهو الأمير سودن طاز، وأخبروا بالأمن والرخاء، وأن حسن بن عجلان واقع بنى حسن فى خامس عشرين شوال، وقتل من أعيانهم اثنى عشر شريفا، وقتل من القواد ثلاثين قائدا، وهزم من بقى منهم.

وفي يوم الأربعاء سلخه: قبض الوزير صاحب سعد اللدين بن البقرى على مقدم الدولة محمد بن عبد الرحمن، وأقام عوضه ابن صابر وعلى ابن الفقيه.

وفيهما ولى الأمير شرف الدين موسى بن عَسَاف بن مهنا بن عيسى إمرة آل فضل. عوضا عن الأمير شمس الدين محمد بن قارا بن مهنا بن عيسى فى المحرم. واستقر الأمير علم الدين أبو سليمان بن عنقاء بن مهنا بن عيسى فى إمرة آل فضل، عوضا عن موسى بن عساف، فى شوال، بعد موته.

* * *

ومات فى هذه السنة ممن له ذكر

برهان الدين إبراهيم بن الشيخ عبد الله المنوفى خطيب جامع ابن شرف الدين بالحسينية، الفقيه المالكى، فى ليلة الثلاثاء تاسع رجب، ودفن بتربة أبيه خارج باب النصر.

ومات المقرئ الجندى شهاب الدين أحمد بن محمد بن ببيرس، المعروف بابن الركن البيسرى الحنفى؛ أخذ القراءات عن الشيخ شمس الدين محمد بن نمير بن السراج المقرئ الكاتب.

ومات تقى الدين عبد الرحمن بن أحمد بن على، المعروف بابن الواسطى، وبابن البغدادى، وكان عارفا بالقراءات، وعلم الميقات، ويقرأ بالمصحف فى الجامع الأزهر، ويقوم فى رمضان بعد التراويح إلى طلوع الفجر. ومات بالقيوم^(١) فى صفر عن خمس وسبعين سنة، ومولده بالقاهرة فى سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة.

ومات ولى الدين أحمد بن تقى الدين عبد الرحمن بن محب الدين محمد ناظر الجيش، وهو يلى كتابة الدست، ونظر خزائن السلاح، فى سادس عشرين جمادى الآخرة. واستتر بموته، فإنه أسرف حتى ذهب ماله.

ومات شهاب الدين أحمد بن محمد الشاوى، فى ثانى جمادى الأولى. كان أولاً يعانى كحل الأعين، ويقيم أوده من ذلك، فتعلق بفخر الدين عبد الرحيم بن أبى شاكرك، وهو يلى نظر دار الضرب، فاستنابه فيها، وخدم ابن الطبلابوى ففخم أمره، وعين لنظر الخاص، فعاجلته المنية، دون بلوغ الأمانة.

(١) الفيوم: سبق ترجمتها. انظر معجم البلدان ٢٨٦/٤، والروض المعطار ٤٤٥، والاستبصار

٩٠، والإدريسى ١٤٦، وخطط المقرئى ٢٤٥/١، وابن الوردى ٢٣.

٣٩٠ سنة سبعمائة وثمان وتسعين

ومات شهاب الدين أحمد بن تاج الدين عبد الوهاب بن الشامية موقع الحكم، فى
سابع عشرين شعبان.

ومات أمير فرج بن عز الدين أيذر السيفى نائب الوجه القبلى. قتل فى سادس
صفر.

ومات الأمير سيف الدين بهادر الأعسر فى يوم عيد الفطر، كان مشرفاً بمطبخ الأمير
حجا أمير شكار، ثم خدم زرد كاش الأمير الكبير بلبغا العمرى، وانتقل حتى صار أحد
الأمراء، وولى مهندارا ثم شاد الدواوين.

ومات الأمير سيف الدين تمر الشهابى الحاجب، أحد أمراء الطبلخاناه. وكان ينظر
فى الفقه على مذهب الحنفية، ويتدين، وخرج عليه العرب، فقَاتلهم وجرحوه، فمات
من جراحه بعد أيام بالقاهرة.

ومات الأمير سيف الدين تغرى بردى القردُمى، أحد العشراوات، قتل فى محبسه.

ومات رضى الدين محمود بن الأقفهسى، نقيب القضاة الحنفية، فى خامس عشرين
جمادى الآخرة. وكان يعرف الفقه على مذهب أبى حنيفة، ويتقن العربية، وله سيرة
مشكورة.

ومات صلاح الدين خليل بن محمد الشطنوفى، موقع الحكم، فى خامس عشر
رمضان.

ومات الأمير سيف الدين سودن الشيخونى الفخرى، نائب السلطان، بديار مصر،
فى يوم الثلاثاء خامس جمادى الأولى بعد ما شاخ، وعلت^(١) سنه، وكان خيراً ديناً.
ومنذ مات تجاهر الملك الظاهر بمنكرات لم تكن تعرف عنه.

ومات الفقيه صَفَر شاه الحنفى، رسول متملك الروم خوند كار أبى يزيد بن مراد
بك بن عثمان، بالقاهرة فى جمادى الأولى.

ومات فتح الدين عبد الله بن فرج المكينى أحد الأقباط الكتاب، فى العشرين من
شعبان، ويحكى عنه مكارم جمّة.

ومات زين الدين عبد الرحمن بن محمد الشريشى^(٢)، الموقت الفاضل، فى تاسع عشر
رمضان.

(١) المقصود كبرت سنه.

(٢) نسبة إلى شريش، وهى من كور شذونة بالأندلس، بينها وبين قلشانة خمسة وعشرون ميلاً،
وهى على مقربة من البحر، وبين المغرب والقبلة من شريش حصن روضة على شاطئ البحر، بينهما
سنة أميال، وهو موضع رباط ومقر للصالحين يقصد من الأقطار، وشريش متوسطة حصينة حسنة
الجهات قد أطافت بها الكروم الكثيرة وشجر الزيتون والتين، والحنطة بها ممكنة. انظر معجم البلدان
٣/٣٤٠، والروض المعطار ٣٤٠.

ومات نور الدين على بن عبد الله بن عبد العزيز بن عمر بن عوض الدميرى المالكى، شيخ القراء بمخانة شيخو، وأخو القاضى تاج الدين بهرام، فى ثانى عشرين رمضان.

ومات الأمير سيف الدين قرايغا الأحمدي، أحد الطبلخاناه، وأمير جاندار فى [.....]^(١).

ومات الأمير سيف الدين قطلوبغا الطشتمرى، أحد الأمراء الألوفا، فقتله العرب.

ومات الأمير الوزير ناصر الدين محمد بن رجب بن محمد بن كلفت، فى يوم الجمعة سادس عشرين صفر، وهو ممن مات بغير نكبة من وزراء مصر.

ومات الأمير ناصر الدين محمد جُمُوق بن الأمير الكبير أيتمش البجاسى، أحد أمراء الطبلخاناه، فى يوم الجمعة خامس صفر.

ومات الأمير ناصر الدين محمد بن الأمير جركس الخليلى، أحد الطبلخاناه، فى يوم الثلاثاء تاسع صفر.

ومات ناصر الدين محمد بن الشيخ زين الدين مقبل الصرغتمشى. كان بارعا فى علوم الحساب، وكان قصير القامة، أحديبا^(٢). مات يوم السبت سادس رجب.

ومات القاضى شمس الدين محمد بن محمد بن موسى الشنشى المعروف بالرخ - أحد نواب الخنفة - خارج القاهرة، فى يوم الخميس سادس جمادى الأولى.

ومات تقى الدين محمد بن محمد بن أحمد القاياتى موقع القضاة الخنفة، فى يوم الخميس ثالث عشر جمادى الأولى.

ومات شمس الدين محمد بن عبد الله بن عبد العزيز صاحب ديوان الجيش، فى ليلة السبت ثالث عشر صفر.

ومات الشيخ شمس الدين محمد الزرزارى الحجاجى الصوفى المعتقد، أمين مطبخ المارستان، فى رابع عشر ربيع الآخر.

ومات فتح الدين صدقة - الذى يقال له أبو دقن - ناظر الموارىث، كان يتوكل فى أبواب القضاة، ثم دولب وكالة قوصون بالقاهرة، وخدم معامل الحوائج خاناه

(١) ما بين المعقوفين بياض فى الأصل.

(٢) الحدب نتوء فى الظهر. انظر المعجم الوجيز ١٣٨.

السلطانية. ثم ولى نظر المواريث، فشكرت سيرته. مات فى أوائل جمادى الآخرة.

ومات الشريف صدر الدين مرتضى بن غياث الدين إبراهيم بن حمزه الحسنى العراقى، فى ليلة السبت ثالث ربيع الآخر، ودفن على أبيه خارج القاهرة. قدم مع أبيه إلى القاهرة واتصل أبوه بأرباب الدولة، فدرت أرزاقه، وتمكن من الأمير الكبير يلبغا العمري، حتى مات فى رجب سنة أربع وستين وسبعمائة. دفنه الأمير يلبغا بترتبه خارج القاهرة، وأجرى على ابن مرتضى ما كان يجريه عليه. وكثر اتصاله بأرباب الدولة حتى أترى، وولى نظر وقف الأشراف ونظر القدس والخليل، وكان شكلا بهيا جميلا، صاحب عبارة وفصاحة بالألسن الثلاثة، العربية والفارسية والتركية.

ومات الشيخ زين الدين مقبل الصرغتمشى الحنفى، أحد الأجناد، فى أول رمضان، وكان عارفا بالفقه والنحو، وهو والد الأحذب.

وماتت خوند^(١) عائشة القردمية بنت الملك الناصر محمد بن قلاوون، فى أول جمادى الأولى، بعد ما كبر سنها، وتلف مالها، بتبذيرها وإسرافها، حتى افتقرت.

ومات ملك المغرب أبو فارس عبد العزيز بن أبى العباس أحمد بن أبى سالم إبراهيم ابن أبى الحسن المرينى^(٢)، صاحب فاس. وأقيم بعده أخوه أبو عامر عبد الله^(٣). رحمة الله تعالى عليهم أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

* * *

(١) لقب يطلق على الملكات أو الأميرات.

(٢) عبد العزيز بن أحمد بن إبراهيم، أبو فارس المرينى، الملقب بالسلطان المستنصر بالله: من ملوك الدولة المرينية فى المغرب الأقصى كان مع أبيه (أبى العباس) المستنصر الأول، فى معتقل أبناء الملوك المرينين، بجمراء غرناطة. وانتقل إلى المغرب حين تم له دخول فاس. وولاه أبوه قيادة الجيش لإخضاع تلمسان، فتوجه إليها وتوفى أبوه فى تازا، فاستدعا رجال الدولة فبايعوه بها سنة ٧٩٦هـ وانتقادت له تلمسان وسائر العرب، فاستمر ثلاث سنين وشهرا ومات بفاس. انظر الاستقصا ١٤١/٢ وحذوة الاقتباس ٢٦٨ والأعلام ١٤/٤.

(٣) عبد الله بن أحمد بن إبراهيم، أبو عامر المرينى، الملقب بالسلطان المستنصر بالله: من ملوك دولة بنى مرينى فى المغرب. بويع بعد وفاة أخيه عبد العزيز (فى أوائل سنة ٧٩٩هـ) وكان تصريح الأعمال فى أيدي الوزراء. وعاجلته الوفاة فى صباح. مدة دولته سنة وخمسة أشهر إلا أيام. انظر الاستقصا ١٤٢/٢ والأعلام ٦٨/٤.

سنة تسع وتسعين وسبعماية

أهل الحرم يوم الخميس.

ففيه ركب. السلطان، وتصيد ببركة الحاج، وعاد من يومه.

وفي ثانيه: استقر تغرى برمش السيفى فى ولاية الشرقية، عوضا عن على بن غلبك ابن المكلفة، بحكم انتقاله إلى ولاية منفلوط^(١)، عوضا عن بهاء الدين الكردى.

وفي خامسه: ركب الأمير سون طاز البريد لإحضار الأمير تنم الحسنى نائب الشام.

وفي عاشره: توجه السلطان إلى سرحة سرياقوس^(٢)، ونزل بالقصور على العادة فى كل سنة، وخرج الأمراء وأهل الدولة، فأقام إلى سادس عشرينه وعاد إلى القلعة. واستقر محمد بن قرابغا الأبقاقى فى ولاية أشموم الرمان، وعزل أسنبغا السيفى. وحضر الأمير علاء الدين ألتنبغا نائب الملك الظاهر مجد الدين عيسى صاحب ماردين^(٣)، فأنعى عليه وعلى من معه، ورتب لهم اللحوم والجرايات. وكان سبب قدومه أن الظاهر عيسى لما قبض عليه تيمور لنك وأقام فى أسره، قام ألتنبغا بأمر ماردين ومنع تيمور لنك منها. وكان الظاهر قد أقام فى مملكة ماردين الملك الصالح شهاب الدين أحمد بن إسكندر بن الملك الصالح صالح، وهو ابن أخيه وزوج ابنته، فقاتل أصحاب تيمور قتالا شديدا، وقتل منهم جماعة، فشق هذا على تيمور، ثم أفرج عن الظاهر بعد أن أقام فى أسره سنتين وسبعة أشهر، وحلفه على الطاعة له وإقامة الخطبة باسمه، وضرب السكة له، والقبض على ألتنبغا وحمله. فعندما حضر إلى ماردين، فر منه ألتنبغا إلى مصر، فرتب له السلطان ما يليق به.

وقدمت رسل تيمور إلى دمشق، فعوقوا بها، وحملت كتبهم إلى السلطان فإذا فيها

(١) بلدة بالصعيد فى غربى النيل بينها وبين شاطئ النيل بعد. انظر معجم البلدان ٥/٢١٤، ٢١٥.

(٢) بليدة فى نواحي القاهرة بمصر. انظر معجم البلدان ٣/٢١٨.

(٣) ماردين: مدينة من ديار ربيعة بعمل الموصل، بينها وبين مدينة دار نصف مرحلة، وهى فى

سفح جبل فى قنته لها كبيرة، وهى من قلاع الدنيا الشهيرة. انظر معجم البلدان ٥/٣٩، الروض

المعطار ٥١٨، الكرخى ٥٣، ونزهة المشتاق ١٩٩، ٢٠٠، وآثار البلاد ٢٥٩.

٣٩٤ سنة سبعمائة وتسع وتسعين

طلب أطلمش، فأمر أن يكتب إلى أطلمش بما هو فيه ورفيقه من إحسان السلطان، وكتب جوابه بأنه متى أرسل من عنده من أصحاب السلطان، خير إليه أطلمش.

وفي يوم السبت أول صفر: حمل محمود الأستادار إلى عند السلطان، وانتصب له سعد الدين إبراهيم بن غراب ناظر الخاص، وفجر عليه، وبالغ في محاقته^(١)، والفحش في الكلام، حتى امتلأ السلطان على محمود غضبا، وأمر بعقوبته حتى يموت، فأنزل إلى بيت الحسام شاد الدواوين.

وفي ثلثة: قدم الأمير تنم نائب الشام، فخرج السلطان إلى لقائه بالريديانية وجلس له على مطعم الطيور، وبعث الأمراء والقضاة إليه، فأتوه به، وسار معه إلى القلعة، وأنزل بالميدان الكبير على موردة الجبس، وبعث إليه السمات والنفقات، وخمس بقج قماش متصل، وأجرى له الرواتب التي تقوم به، وبمن معه، فحمل تنم تقدمته، وهى عشر كواهي^(٢)، وعشرة ممالك صغار فى غاية الحسن، وعشرة آلاف دينار، وثلثمائة ألف درهم، ومصحف قرآن، وسيف بسقط ذهب مرصع، وعصابة نساوية من ذهب مرصع بجواهر نفيسة، وطراز من ذهب مرصع أيضا، وأربعة كنايش زركش، وأربعة سروج ذهب، وبدلة فرس فيها أربعمائة دينار ذهبا، وأجرة صياغتها ثلاثة آلاف درهم فضة، ومائة وخمسون بقجة فيها أنواع الفرو، ومائة وخمسون فرسا، وخمسون جملا، وخمسة عشر حملا من النصافى ونحوه، وثلثون حملا من فاكهة وحلوى، وغير ذلك مما يؤكل، واثنتى عشرة علبة من سكر النبات.

وفي سادسه: استقر أونات السيفى فى ولاية قوص^(٣)، وعزل آقبغا الزينى.

وفي سابعه: عدى السلطان إلى بر الجزيرة ومعهم الأمير تنم، ونزل على شاطئ النيل تجاه القاهرة، وتصيد، ثم عاد فى ثالث عشره.

وفيه استقر تاج الدين عبد الغنى بن صورة فى توقيع الدست، عوضا عن ولى الدين أحمد بن تقى الدين ناظر الجيش.

وفي سابع عشره: جلس السلطان بدار العدل، وركب الأمير تنم فى الموكب تحت القلعة بمنزلة النيابة، وطلع إلى دار العدل، وخلع عليه خلعة الاستمرار. وجرت له من الإصطبل ثمانية جنائب بكنائش وسروج ذهب.

(١) أهلكه وأباده . انظر المعجم الوجيز ٥٧٤ .

(٢) الكواهي ومفردها كهى، هى الصقور برسم الصيد.

(٣) هى مدينة كبيرة عظيمة واسعة قصبه صعيد مصر، بينها وبين القسطنطين اثنا عشر يوما. انظر

وفيه استقر شرف الدين محمد بن الدماميني فى حسبة القاهرة، وصرف شمس الدين محمد المخانسي.

وفى تاسع عشره: استقر شمس الدين محمد بن أحمد بن محمود النابلسى فى قضاء الحنابلة بدمشق، وكان قد حضر مع الأمير تنم. واستقر تاج الدين عبد الرزاق الملكى ناظر ديوان الأمير تنم - وقد حضر معه أيضا إلى القاهرة - فى نظر الجيش بدمشق، عوضا عن شمس الدين بن مشكور، وخلع عليهما.

وفيه خرج البريد يطلب الأمير جُلبان من دمياط.

وفى عشرينه: لبس الأمير تنم قباء السفر، وتوجه فى حادى عشرينه إلى نيابته بدمشق.

وفى خامس عشرينه: عدى السلطان إلى بر الجزيرة، وعاد فى سابع عشرينه.

وفيه قدم الأمير جلبان الكمشبغاوى من دمياط^(١) ومثل بحضرة السلطان، وقبل الأرض، فصفح عنه وألبسه خلعة الرضا، وأنعم عليه بإقطاع الأمير فخر الدين إياس الجرجاوى، وجعله أتابك العساكر بدمشق، وبعث إليه بثمانية أفراس، منها فرس بقماش ذهب.

وفيه سلم إياس الجرجاوى أتابك دمشق إلى ابن الطبلاوى ليخلص منه المال، فالتزم بمئتمائة ألف درهم، وبعث مملوكه لإحضار ماله من دمشق فخلى عنه وهو مريض، فمات بعد يومين.

وفى يوم الخميس رابع ربيع الأول: قبض على الوزير الصاحب سعد الدين نصر الله بن البقرى، وولده تاج الدين، وسائر حواشيه، واستقر عوضه فى الوزارة بدر الدين محمد بن محمد بن محمد بن الطوخى، واستقر عوضه فى نظر الدولة سعد الدين الهيصم.

وفى ثامنه: استقر شرف الدين محمد بن الدماميني فى نظر الجيش، بعد موت جمال الدين محمود العجمى القيصرى، على أربعمائة ألف درهم فضة، قام بها بعد ما حمل فى ولاية الحسبة بالقاهرة مائتى ألف وخمسين ألف درهم فضة، سرق ذلك كله وأضعافه من مال الأمير محمود الأستادار، فإنه كان رفيقا لسعد الدين إبراهيم بن غراب فى مباشرته.

(١) مدينة قديمة بين تنيس ومصر على زاوية بين بحر الروم والملح والنيل. انظر معجم البلدان

وفي تاسعه: استقر شمس الدين محمد بن أحمد بن أبي بكر الطرايبلى، فى قضاء القضاة الحنفية، عوضا عن الجمال محمود العجمى، وهذه ولاته الثانية. وولى كليهما من غير بذل مال، ولا سعى، بل يطلب لذلك. واستقر البهاء محمد بن البرجى فى حسة القاهرة، عوضا عن ابن الدمامينى بمال قدام به. ولم يل قط إلا بمال، فتشاءم الناس بولايته من أجل أن القمح كان الأردب منه بنحو ثمانية وعشرين درهما، والبطة الدقيق بأحد عشر درهما، والخبز ستة أرطال بدرهم، فأبيع القمح بستة وثلاثين الأردب، والبطة الدقيق بأربعة عشر درهما، والخبز دون الخمسة أرطال بدرهم.

وفي سادس عشرة: استقر أنواط اليوسفى فى نيابة الوجه القبلى، وعزل عمر بن إلياس، وخرج البريد بطلبه. واستقر محمد بن العادلى فى ولاية قوص عوضا عن أنواط.

وفي تاسع عشره: قدم الأمير طولو بن على شاه من بلاد الروم، وقد توجه فى الرسالة إلى خوندكار بن عثمان، وأخبر بأنه واقع الأكروس، وظفر منهم بغنائم كثيرة، وقتل خلافت لا تحصى، وأن شمس الدين محمد بن الحزرى لحق بابن عثمان، فبالغ فى إكرامه، وجعل له فى اليوم مائة وخمسين درهما نقرة.

وكان خيره أنه لما فر من القاهرة ركب البحر من الإسكندرية إلى أنطاكية^(١) فى ثلاثة أيام يريد للحاق بابن عثمان، فإنه أقرأ بدمشق القراءات رجلا من الروم يقال له حاجى مؤمن، صار من عظماء أصحاب ابن عثمان، فأكرمه متولى أنطاكية، وبعث به إلى برصا - دار ملك ابن عثمان - من بلاد الروم، فتلقيه أهل برصا، ودخل على ابن عثمان، فأكرمه وأجزى عليه المرتب المذكور، وقاد إليه تسعة أروس من الخيل وعدة مماليك وجوارى، وصار يعد من العظماء.

وورد الخير أيضا بأن الوزير تاج الدين عبد الرحيم بن أبى شاكر فر من دمشق، وصار من بيروت إلى عند ابن عثمان، فأكرمه، وأجرى عليه فى اليوم خمسين درهما.

وفي حادى عشرينه: قدمت هدية الملك الأشرف م مهد الدين إسماعيل بن الأفضل عباس بن المجاهد على بن داود بن يوسف بن عمر بن رسول^(٢)، متملك اليمن، صحبة برهان الدين إبراهيم الحلى للتاجى، والطواشى افتخار الدين فاخر، وهى عشرة خدام

(١) انظر معجم البلدان ٢٦٦/١، ٢٧٠.

(٢) إسماعيل (الأشرف) بن العباس الأفضل بن المجاهد على بن المؤيد داود، من أبناء على بن رسول، من ذرية جبلة بن الأبهيم. من ملوك الدولة الرسولية. ولى بعد وفاة أبيه الملك الأفضل سنة ٧٧٨هـ. توفى بتعز. انظر العقود اللؤلؤية ١٦٣/٢ والضوء اللامع ٢٩٩/٢ والأعلام ٣١٦/١

طواشية، وأربعة عبيد، وست جوارى، وسيف بجلية ذهب، مرصع بعقيق، وحياسة^(١) بعواميد عقيق مكلل بلؤلؤ كبار، ووجه فرس مرآة هندية، محلاة بفضة قد رصعت بعقيق، وبراشيم^(٢) وحشية برسم الخيول عشرة، ورماح عدة مائتين، وشطرنج عقيق أبيض وأحمر، وأربع مراوح مطرقة^(٣) بذهب، ومسك ألف مثقال، وعنبر خام ألف مثقال، وزباد^(٤) سبعون أوقية، ومائة مضرب غالية، ومائتي وستة عشر رطلاً من العود، وثلاثمائة واثنين وأربعين رطلاً من اللبان الجاوى، وثلاثمائة وأربعة وستون رطلاً من الصندل، وأربع برانى من الشند^(٥) وسبعمائة رطل من الحرير الخام، ومن البهار والأنطاع^(٦) والصينى، وغير ذلك من تحف اليمن والهند.

وفى ثمانى عشرينه: عدى السلطان إلى بر الجزيرة، وعاد فى يوم الأربعاء ثانى ربيع الآخر، فصاح العوام، وشكوا من ابن البرجى المحتسب، وسألوا عزله.

وفى ثالثه: وقف أوباش العامة تحت القلعة، ورصدوا ابن البرجى حتى نزل، ورجموه بالحجارة حتى كاد يهلك، لولا امتنع بييت بعض الأمراء. وكان ذلك بإغراء المخانسى وتفرقت مبلغ مائتى درهم فى عدة من أوباش العامة؛ ليرجموا ابن البرجى، ويسألوا عزله وعود المخانسى، فتم له ذلك واشتد صراخ العامة بعد رجم البرجى، وهو يسألون عزله وولاية المخانسى فاستدعى وخلع عليه من يومه.

وفى خامسه: استقر محمد بن عمر بن عبد العزيز أميراً على هوارة، بعد موت أبيه.

وفى ثامنه: ركب شرف الدين محمد بن الدمامينى بفوقانية من صوف أخضر وعذبتة مسبلة عليها من وراء ظهره. ولم يعهد قبله أحد من القضاة الذين يلبسون الجبة، ويلبسون العذبة، يلبس جبة ملونة، بل دائماً لا يلبسون شتاء ولا صيفا إلا الجبة البيضاء، وفى الصيف من القطن، وفى الشتاء من الصوف، وكذلك كان الوزراء وأكابر الفقهاء، وأعيان الكتاب، لا يلبسون فى الخدمة السلطانية وأوقات الركوب وعند لقاء بعضهم بعضاً إلا البياض دائماً، فغير الناس ذلك، وصاروا يلبسون الملونات من الصوف بأمر السلطان لهم على لسان كاتب السر.

(١) الحياصة وجمعها حوائص، هى الحزام أو المنطقة.

(٢) البراشيم: جمع برشوم، وهو برقع يستخدم للخيل.

(٣) المقصود بها مصفحة بالذهب.

(٤) الزباد: الطيب.

(٥) نوع من الرياحين يجلب من الحجاز ويوضع فى محار.

(٦) أنطاع، مفرد نطع، وهى بساط من الجلد. انظر المعجم الوجيز ٦٢١.

٣٩٨ سنة سبعمائة وتسع وتسعين

وفي ثالث عشره: أحضر طيغا الزيني والى الفيوم^(١)، فسُلم لابن الطباوى ليعاقبه، واستقر أطنبغا عوضه والى البهنسا^(٢)، واستقر عوضه فى البهنسا خليل بن الطوخى. وفيه ولدت امرأة أربعة أولاد فى بطن، عاش منهم أحدهم.

وفيه تنكر السلطان على قاضى القضاة صدر الدين محمد المناوى، لحدّة خلقه.

وفى يوم الخميس ثانى جمادى الأولى توجه الحسام حسين شاد الدواوين إلى مساحة البلاد السلطانية بالوجه القبلى. ونقل الأمير محمود إلى خزانة شمائل فى ليلة الجمعة ثالثه وهو مريض، فسجن بها.

وفيه أنعم على أمير خضر بن عمر بن أحمد بن بكتّم الساقى بإمرة عشرة.

وفى سادسه: عدى السلطان إلى بر الجيزة، وفرق الخيول على الأمراء، كما هى العادة فى كل سنة، وعاد فى عشرينه.

وفى يوم الخميس ثانى عشرينه: استدعى تقى الدين عبد الرحمن الزبيرى، أحد الخلفاء الحكم، وفوض إليه قضاء القضاة، عوضا عن الصدر محمد المناوى، ونزل معه الأمير قلمطاي الدوادار، والأمير نوروز الحافظى رأس نوبة، والأمير فارس حاجب الحجاب فى عدة من الأمراء، وكاتب السر، والقضاة، والأعيان، وعليه التشرىف. ولم تخطر ولايته ببال أحد، بل طلبه السلطان على بغته^(٣)، فشق ذلك على المناوى، وعظم عليه أن عزل بنائبه.

وفى سادس عشر جمادى الآخرة: أنعم على ييسق الشيخى بإمرة طبلخاناه. وقدم سرى الدين محمد بن المسلاتى من دمشق بعد عزله.

وفى هذا الشهر: اشتد الغلاء بدمشق، فخرج الناس يستسقون، وثاروا برجل يعرف بابن النشو، كان يحتكر الغلال، وقتلوه شر قتلة، وأحرقوه بالنار.

وفيه استقر أطنبغا حاجب غزة^(٤) فى نيابة الكرك، وعزل ناصر الدين بن مبارك بن المهمندار.

(١) الفيوم: سبق ترجمتها. انظر معجم البلدان ٢٨٦/٤، والروض المعطار ٤٤٥، والاستبصار ٩٠، والإدريسى ١٤٦، وخطط المقرئى ٢٤٥/١، وابن الوردى ٢٣.

(٢) مدينة بمصر من الصعيد الأدنى غربى النيل، وتضاف إليها كورة كبيرة. انظر معجم البلدان ٥١٦، ٥١٧/١.

(٣) بغته - بُغْتَا، وبغته: فجأة وبهته. انظر المعجم الوجيز ٥٧.

(٤) غزة: سبق ترجمتها انظر معجم البلدان ٢٠٢/٤، والروض المعطار ٤٢٨، ومعجم ما استعجم ٩٩٧/٣.

وفي سابع عشرين رجب: استقر عماد الدين أحمد بن عيسى المقيرى الكركى فى خطابة القدس، بعد وفاة سرى الدين محمد بن المسلاتى. واستقر عوضه فى تدريس الجامع الطولونى شيخ الحديث زين الدين عبد الرحيم بن الحسين العراقى^(١) وسراج الدين عمر بن الملقن عوضه فى تدريس وقف الملك الصالح عماد الدين إسماعيل بقبة الملك المنصور من المارستان. واستقر عوضه فى نظر وقف الملك الصالح هذا شهاب الدين أحمد بن عبد الله النحريرى المالكى، واستقر علاء الدين على بن أبى البقاء فى قضاء الشافعية بدمشق مرة ثانية، عوضا عن سرى الدين أبو الخطاب محمد بن محمد.

وفى ليلة الأحد ثامن شعبان - وحادى عشر بشنس - : أبرقت وأرعدت وجاء مطر بعد المغرب، قلما عهد مثله، وهذا من عجيب ما يقع بأرض مصر، ثم أمطرت، غير مرة من الليل.

وفى سادس عشره: استقر صرغتمش القزوينى^(٢) الخاصكى فى نيابة الإسكندرية، وعزل قديد ونفى إلى القدس، ونفى أيضا صلاح الدين محمد بن تنكز إلى الإسكندرية، وخرج البريد بارتجاع إقطاع أحمد بن يلبغا، وأجبغا الجمالى وخضر الكرىمى، فأقاموا بطالين بالبلاد الشامية، وأنعم على شيخ المحمودى بإقطاع صرغتمش القزوينى، وعلى طغتنجى نائب البيرة^(٣) بإقطاع شيخ، وعلى يشبك العثمانى بإقطاع صلاح الدين محمد ابن تنكز، وعلى شيخ السليمانى بعشرة يشبك العثمانى. واستقر علاء الدين على بن الطبلاوى، عوضا عن ابن تنكز فى أستاذارية الأملاك والأوقاف السلطانية، مضافا لما بيده. واستقر سعد الدين الهيصم فى صحابة الديوان المفرد. واستقر عوضه فى الاستيفاء بالديوان المفرد الأسعد البهلاقى النصرانى.

(١) عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن، أبو الفضل، زين الدين، المعروف بالحافظ العراقى: بجائة، من كبار حفاظ الحديث. أصله من الكرد، ومولده فى رازنان (من أعمال إربل) تحول صغيرا مع أبيه إلى مصر، فتعلم ونبغ فيها. وقام برحلة إلى الججاز والشام وفلسطين، وعاد إلى مصر، فتوفى فى القاهرة. من كتبه «المغنى عن حمل الأسفار فى الأسفار» فى تخريج أحاديث الأحياء و«نكت منهاج البيضاوى» فى الأصول و«ذيل على الميزان». انظر الضوء اللامع ١٧١/٤ وذيل طبقات الحفاظ وغاية النهاية ٤٨٢/١ وحسن المحاضرة ٢٠٤/١ والأعلام ٣٤٤/٣، ٣٤٥.

(٢) نسبة إلى قزوين، ببلاد الديلم، بينها وبين الرى سبعة وعشرون فرسخا، وهى نغر الديلم. انظر معجم البلدان ٤/٣٤٢، ٣٤٤، والروض المعطار ٤٦٥.

(٣) البيرة: من كور الأندلس حليلة القدر نزلها جند دمشق من العرب وكثير من موالى الإمام عبد الرحمن بن معاوية، وهو الذى أسسها وأسكنها مواليه ثم خالطهم العرب بعد ذلك، ومدينة البيرة بين القبلية والشرق من قرطبة. وبين البيرة وقرطبة ستة أميال. انظر معجم البلدان ١/٥٢٦، والروض المعطار ٢٨، والعذرى ٨٨.

٤٠٠ سنة سبعمائة وتسع وتسعين

وفي تاسع عشره: خلع على الأمير حسام الدين حسن الكجكنى عند فراغه من عمل الجسور بالبهنساوية^(١)، وأتقنها إتقاناً جيداً، ولم يقبل لأحد شيئاً من المأكول، فضلاً عن المال.

وفي ثانی عشرینه: استقر زين الدين شعبان بن محمد بن داود الآتارى^(٢) فى حسيبة مصر، عوضاً عن نور الدين على بن عبد الوارث البكرى بمال التزم به.

وفي ثالث عشرينه: قدمت رسل ابن عثمان متملك الروم إلى ساحل بولاق فخرج إليهم الحاجب بالخيول السلطانية حتى ركبوها إلى حين أنزلوا بدار أعدت لهم.

وفي يوم الجمعة رابع رمضان: أقيمت الخطبة بالجامع الأحمر من القاهرة، وخطب فيه شهاب الدين أحمد بن موسى بن إبراهيم الحلبي الحنفى - أحد نواب القضاة الحنفية - ولم يعهد فيه قط خطبة؛ لكن لما جدد الأمير يلغا السالمى عمارته بنى على بابه مناراً يؤذن عليه، ولم يكن به منارة قبل ذلك، وجدد بوسطه بركة ماء، وبصدره - مجد الحراب - منبراً، فاستمر ذلك.

وفي سابعه: قدّم رسل ابن عثمان هدية مرسلهم. وأحضر صلاح الدين محمد بن تنكر من الإسكندرية، ورسم بإقامته بدمشق، متحدثاً على أوقاف جده تنكر بغير إمرة. فسار إليها.

وفي حادى عشره: استقر عوض التركمانى فى ولاية بلييس^(٣)، وعزل تغرى برمش، واستقر عمر بن إلياس فى ولاية منفلوط^(٤)، وعزل على بن غلبك بن المكللة، واستقر شاد دواليب الخاص بمنفلوط.

(١) مدينة مصر من الصعيد الأدنى غربى النيل، وتضاف إليها كورة كبيرة. انظر معجم البلدان ٥١٦/١، ٥١٧.

(٢) شعبان بن محمد بن داود الموصلى، المعروف بالآتارى: أديب، له شعر كثير، فيه هجو وحمون، ولد بالموصل، وتنقل فى البلدان، وتلقب بالآتارى لإقامته فى أماكن الآثار النبوية، مدة. واستقر فى القاهرة، وبها وفاته. له أكثر من ثلاثين كتاباً فى الأدب والنحو، منها «لسان العرب فى علوم الأدب» أرحوزة فى دار الكتب. انظر ديوان الإسلام والضوء اللامع ٣/٣٠١ وشذرات الذهب ١٨٤/٧ ودار الكتب ٢٥٧/٣ و١٨٨/٦ والأعلام ١٦٤/٣.

(٣) مدينة بينها وبين فسطاط مصر عشرة فراسخ على طريق الشام. انظر معجم البلدان ٤٧٩/٢.

(٤) بلدة بالصعيد فى غربى النيل بينها وبين شاطئ النيل بعد. انظر معجم البلدان ٥١٦/١، ٥١٧.

وفيه ترفع شهاب الدين أحمد بن عمر بن قطينه، وسعد الدين الهيصم، ناظر الدولة، فألزم الهيصم بمحمل مائة ألف درهم.

وفيه أخذ قاع النيل، فكان خمسة أذرع، وخمسة وعشرين أصبعًا.

وفي سادس عشرينه: استقر الأمير يلبغا الأحمدى الجنون أستاذار السلطان عوضًا عن الأمير قَطْلُوبَك العلاء، واستقر قطلوبك على إمرته بعشرين فارسا فتحدث، الجنون فى الأستادارية والكشف. وقبض على ناصر الدين محمد بن محمود الأستادار، وألزم بثلاثة آلاف دينار بعد موت أبيه، فعوقب عند ابن الطبلاوى عقوبة عظيمة.

وفيه استقر علاء الدين على البغدادى الشريف فى ولاية دمياط^(١)، بعد موت أحمد الأرغونى.

وقدم الوزير تاج الدين عبد الرحيم بن أبى شاكر من بلاد الروم، بعد ما أسره الفرنج، فلزم داره.

وقدم البريد بوصول عساكر تيمور لنك إلى أرزنكان^(٢) من بلاد الروم. وقتل كثير من التركمان، فوجه الأمير تمربغا المنجكى على البريد لتجهيز عساكر الشام إلى أرزنكان، وندب شهاب الدين أحمد بن عمر بن قطينه، لتجهيز الشعير برسم الإقامات فى منازل ضويق الشام. وكان فى أثناء هذه السنة قد قبض الأمير بكلميش العلاء أمير سلاح على زين الدين مهنا - دواداره - بمرافعة موقعه وشاهد ديوانه، صفى الدين أحمد ابن محمد بن عثمان الدميرى، وأخذ منه أربعمائة ألف وخمسين ألف درهم، ثم أفرج عنه، وقبض على الصفى الدميرى وبالغ فى عقوبته، وأخذ منه مائة ألف درهم.

وفيه استقر شمس الدين أينبا التركمانى الحنفى فى مشيخة القوصونية، وعزل تاج الدين محمد بن الميمونى.

وفى أول ذى القعدة: استقر أَلْطَنْبغا السيفى الى الفيوم فى نيابة الوجه القبلى وعزل أوناط. واستقر قرايغا مُفرق والى أظفيح^(٣) فى ولاية الفيوم وكشفها، واستقر أسندمر الظاهرى فى ولاية أظفيح.

(١) مدينة قديمة بين تيس ومصر زاوية بين بحر الروم والملح والنيل. انظر معجم البلدان ٤٧٢/٢،

(٢) بلدة طيبة مشهورة، من بلاد إرمينية بين بلاد الروم وخلاط قرية من أرزن الروم. انظر معجم

(٣) بلد بالصعيد الأدنى من أرض مصر على شاطئ النيل فى شرقيه. انظر معجم البلدان

٤٠٢ سنة سبعمائة وتسع وتسعين

وفي يوم الجمعة ثامن - وهو عاشر مسرى - : أوفى النيل ستة عشر ذراعًا
فركب السلطان إلى المقياس، وفتح الخليج على العادة.

وفي عاشره: استقر قطلوبغا التركمانى الخليلى أمير آخور فى ولاية البهنسا، عوضًا
عن خليل بن الطوخى، واستقر طيغا الزينى فى ولاية الجيزة، وعزل محمد بن حسن بن
ليلى وضرب وصور.

وفي عشرينه: قتل الأمير أبو بكر بن الأحذب، أمير عرك من سيوط^(١)، فأقيم بدله
فى الإمرة أخوه عثمان بن الأحذب، واستقر محمد بن مسافر فى ولاية قوص^(٢)، وعزل
إبراهيم بن محمد بن مقبل.

وفي أول ذى الحجة: توعدك بدن السلطان إلى تاسعه، فنودى بالزينة، فزينت
القاهرة ومصر، ودقت البشائر لعافية السلطان.

وفي يوم الثلاثاء عاشره: نزل السلطان إلى الميدان تحت القلعة، وصلى صلاة عيد
النحر على العادة.

وفي سادس عشره: جلس بدار العدل.

وفي ثالث عشرينه: ركب إلى خارج القاهرة، وعبر من باب النصر، وعاد إلى
القلعة من باب زويلة، فقلعت الزينة.

وفي سادس عشرينه: انتهت زيادة النيل إلى خمسة عشر إصبعا من عشرين ذراعا،
وثبت إلى ثانى بابة، وانحط. ومع ذلك فالسعر فى سائر الأشياء غال، والبطة الدقيق
بأكثر من اثنى عشر درهما.

وفيه توجه السلطان إلى السرحة بناحية سرياقوس^(٣)، ونزل بالقصور على العادة فى
كل سنة.

وفي ثامن عشرينه: قدم مبشرو الحاج بالأمن والرخاء.

وفىها ولى شرف الدين موسى بن محمد بن محمد بن جمعة الأنصارى، قضاء
الشافعية بجلب، عوضا عن شمس الدين محمد الأحنأى.

* * *

(١) مدينة فى غربى النيل من نواحي صعيد مصر. انظر معجم البلدان ١/١٩٣، ١٩٤.

(٢) هى مدينة كبيرة عظيمة واسعة قسبة صعيد مصر، بينها وبين القسطنطينة اثنا عشر يوما. انظر

معجم البلدان ٤/٤١٣.

(٣) بليدة فى نواحي القاهرة بمصر. انظر معجم البلدان ٣/٢١٨.

ومات في هذه السنة ممن له ذكر من الأعيان

شهاب الدين أحمد الأرغونى متولى دمياط، فى شوال.

ومات إسماعيل بن الملك الناصر حسن بن محمد بن قلاوون، بقلعة الجبل، فى خامس عشرين شوال. وكان قد تأمر فى أيام الأشرف شعبان^(١).

ومات أسنبغا التاجى، أحد أمراء العشرارات.

ومات أياس الجرجاوى نائب طرابلس، وأحد أمراء الألوفا بالقاهرة.

ومات أبو بكر بن محمد بن واصل، المعروف بابن الأحذب، أمير عرك، فى عشرين ذى القعدة قتيلا.

ومات بيبرس التمان ترمى أمير آخور، فى رابع عشر جمادى الآخرة.

ومات عمر بن عبد العزيز أمير هوارة.

ومات الشيخ المعتقد حسن القشتمرى، فى تاسع عشر جمادى الأولى.

ومات شعبان بن الملك الظاهر برقوق^(٢)، وهو طفل، فى ثامن عشرين ربيع الأول.

ومات الشيخ المسند المعمر زين الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن مبارك بن حماد الغزى^(٣)، المعروف بابن الشيخة الشافعى. ولد فى سنة خمس عشرة وسبعماية^(٤) تخميناً. وأخذ الفقه على مذهب الشافعى عن التقى السبكى. وحدث بصحيحى

(١) شعبان بن حسين بن الملك الناصر محمد بن قلاوون، أبو المعالى، ناصر الدين من ملوك الدولة القلاوونية بمصر والشام. ولى السلطنة بعد خلع ابن عمه (محمد بن حاجى) سنة ٧٦٤ هـ. انظر مورد اللطافة ٨٧ وابن إياس ٢١٢/١ وحسن المحاضرة ١٠٤/٢ والدرر الكامنة ١٩٠/٢ والبداية والنهاية ٣٠٢/١٤ والأعلام ١٦٣/٤، ١٦٤.

(٢) برقوق بن أنص - أو أنس - العثمانى، أبو سعيد، سيف الدين، الملك الظاهر: أول من ملك مصر من الشراكسة. جلبه إليها أحد تجار الرقيق (واسمه عثمان) فباعه فيها منسوباً إليه. ثم أعتق وذهب إلى الشام فخدم نائب السلطنة تولى السلطنة سنة ٧٨٤ وتلقب بالملك الظاهر. توفى بالقاهرة. انظر ديوان الإسلام وابن إياس ٢٥٨/١ و ٢٩٠ والضوء اللامع ١٠/٣ والأعلام ٤٨/٢.

(٣) عبد الرحمن بن المبارك بن حماد الغزى ثم القاهرى، أبو الفرج البزاز الفتوحى ويعرف بابن الشيخة: من المشتغلين بالحديث. كان يكتب فى حانوت «بز» بباب الفتوح فى القاهرة وتركه لما كبر. له «أحاديث عوال وفوائد متقاة» فى دار الكتب. انظر الدرر الكامنة ٣٢٤/٢ وشذرات ٣٥٩/٦ ومخطوطات الدار ١٨/١ والأعلام ٢٩٥/٣.

(٤) المقصود مائة.

البخارى ومسلم، وسنن أبي داود، وموطأ مالك، وغير ذلك مما يطول شرحه، وتصدى للأسماع عدة سنين، حتى مات فى تاسع عشرين ربيع الآخر خارج القاهرة، وكان شيخنا مباركاً.

ومات الشيخ نور الدين أبو الحسن على بن أحمد بن عبد العزيز العقيلي - بفتح العين - المكي، إمام المالكية بالمسجد الحرام، وأخو القاضى أبى الفضل المعروف بالفقيه على النوبرى، فى ثانى جمادى الأولى بمكة، وسمع وحدث.

ومات على النوسانى، شيخ ناحية صندفا^(١) من الغربية، فى ثالث عشر شوال، وكان له ثراء واسع.

ومات زين الدين قاسم بن محمد بن إبراهيم المغربى المالكى، فى حادى عشر المحرم، درس الفقه زماناً بالجامع الأزهر، وكتب على الفتوى، وكان متديناً خيراً.

ومات محب الدين محمد بن شمس الدين محمد الطرُيْنى أحد نواب القضاة الشافعية، خارج القاهرة، فى ليلة الثلاثاء ثالث عشر المحرم.

ومات الشيخ محب الدين محمد بن الشيخ جمال الدين عبد الله بن يوسف بن هشام النحوى، فى ليلة الإثنين رابع عشرين رجب، وقد تصدر لإقراء النحو سنين. وكان خيراً ديناً.

ومات شمس الدين محمد بن على بن حسب الله بن حسون الشافعى، فى عاشر شعبان.

ومات ناصر الدين محمد بن فخر الدين أياز الدوادارى، أحد أمراء الطبلخاناه.

ومات سرى الدين أبو الخطاب محمد بن محمد بن عبد الرحيم بن على بن عبد الملك، المعروف بابن المسلاتى، قاضى القضاة الشافعية بدمشق. مات بالقاهرة فى يوم الخميس سابع عشرين رجب.

ومات شمس الدين محمد بن أحمد بن أبى بكر الطرابلسى، قاضى القضاة الحنفية بالقاهرة ومصر، فى يوم السبت ثامن عشرين ذى الحجة، وكان من خيار من ولى القضاء عفة، وصرامة وشهامة.

ومات جمال الدين محمود بن محمد القيصرى العجمى قاضى القضاة الحنفية وناظر الجيوش، وشيخ الشيخونية، فى ليلة الأحد سابع ربيع الأول.

(١) صندفا أو سندفا من القرى المتاخمة لمدينة المحلة الكبرى بالغربية.

ومات الأمير جمال الدين محمود بن على بن أصفر. عينه الأستاذار، فى يوم الأحد تاسع رجب، بخزانة شمائل، بعد ما نكب نكبة شنعة^(١)، ودفن بمدرسته خارج باب زويلة. وجملة ما أخذ منه فى مصادرتة للسلطان ألف ألف دينار، وأربعمائة ألف دينار ذهباً، وألف ألف درهم فضة، وبضائع وغللال، وغير ذلك بألف ألف درهم فضة، وتلف له وأخفى هو شيئاً كثيراً.

ومات الوزير صاحب سعد الدين نصر الله بن البقرى القطبى الأسلمى، فى ليلة الإثنين رابع جمادى الآخرة، مخنوقاً بعد عقوبة شديدة.

ومات الشريف إبراهيم بن عبد الله الأخلاطى، فى يوم الأربعاء تاسع عشرين جمادى الأولى.

ومات قاضى القضاة نجم الدين أبو العباس أحمد بن إسماعيل بن محمد بن أبى العز بن صالح بن أبى العز وهيب بن عطا بن جبير بن جابر بن وهيب المعروف بابن أبى العز، قتيلاً بدمشق، فى مستهل ذى الحجة. وقد باشر قضاء مصر، كما تقدم فى سنة سبع وسبعين، واستعفى، ومضى إلى دمشق، وولى بها قضاء القضاة الحنفية غير مرة، وصراف، فلزم بيته حتى مات، رحمه الله.

* * *

(١) المقصود قبيحة. انظر المعجم الوجيز.

سنة ثمانمائة

أهل المحرم يوم الإثنين: ويوافقه من شهور القبط اليوم السابع والعشرون من توت، والنيل قد انتهت زيادته وبدأ ينحط.

وفيه ركب السلطان، وعاد الأمير بكلمش، وسار إلى شاطئ النيل وعاد إلى القلعة. وفي ثانيه: قدم ناصر متملك بلاد النوبة فاراً من ابن عمه، فأكرمه السلطان وخلع عليه، وأعاد الصارم إبراهيم الشهابي إلى ولاية أسوان^(١)، وتقدم إليه بمعاونة ناصر. وفي ثامنه: توجه السلطان إلى السرحة بناحية سرياقوس، ونزل بالقصور على العادة في كل سنة.

وفيه كُتب بعود العسكر المجرّد بسبب تيمور لذك، وقد قربوا من بلد سيواس. وفي ثاني عشرينه: خرج على البريد بكتّمر جلق لإحضار الأمير تغرى بردى^(٢) من يشبغا نائب حلب، وكتب بانتقال أرغون شاه الإبراهيمي من نيابة طرابلس إلى نيابة حلب. وسار على البريد الأمير يشبك العثماني بتقليده. ورسم بانتقال آقبغا الجمالي من نيابة صفد^(٣) إلى نيابة طرابلس، وتوجه لتقليده الأمير أزدّمر أخو أينال، ومعه أيضا الأمير تنم الحسنی باستمراره في نيابة دمشق، ورسم بانتقال شهاب الدين أحمد بن الشيخ على من نيابة غزة إلى نيابة صفد، وتوجه لتقليد الأمير يلبغا الناصري رأس نوبة.

وفي ثامن عشره: قدم سوابق الحاج وأخبروا أنه هلك بالسبع وعرات^(٤) من شدة الحر نحو ستمائة إنسان، وأنه هلك من حاج الشام زيادة على ألفى إنسان، وأن ودائع الحاج التي بعقبة أيلة نهبت.

وفي خامس عشرينه: عاد السلطان من سرياقوس. ولم يخرج إليها بعد ذلك، ولا أحد من السلاطين، وجهلت عوائدها، وخربت القصور، وكانت من أجمل عوائد ملوك مصر.

(١) أسوان: سبق ترجمتها. انظر معجم البلدان ١/١٩١، والروض المعطار ٥٧، ٥٨، ونزهة المشتاق ٢٧، والمروج ٣/٤٠، الإدريسي ٢١.

(٢) الأمير تغرى بردى هو والد المورخ المعروف أبو المحاسن يوسف.

(٣) مدينة في جبال عاملة المطلّة على حصص بالشام، وهي من جبال لبنان. انظر معجم البلدان ٤١٢/٣.

(٤) السبع وعرات موضع قرب ينبع يعرف أيضا بالمخاطب لأن أهل ينبع يجمعون منه حطبهم.

وفي تاسع عشرينه: - فى وقت الخدمة السلطانية بالقصر - قبض على الأمير الكبير كمشبغا الحموى أتابك العساكر، وعلى الأمير بكلمش العلاى أمير سلاح، وقيدا. ونزل الأمير قلمطاي الدوادار، والأمير نوروز الحافظى رأس نوبة، والأمير فارس حاجب الحجاب إلى الأمير شيخ الصفوى، ومعهم خلعة بنياية غزة، فلبسها وخرج من وقته ليسافر، ونزل بخانكاة سرياقوس.

وفي ليلة الثلاثاء سلخه: توجه الأمير سودن الطيار بكُمُشْبغا وبكلمش فى الحديد إلى الإسكندرية، فسجنا بها.

وفي الغد استعفى الأمير شيخ من نياية غزة وسأل الإقامة بالقدس، فرتب له النصف من قريتي بيت لحم، وبيت جاله من القدس يرتفق بهما، وسار إلى القدس.

وفيه عرض السلطان ممالك الأمير كمشبغا وأولاده وممالك بكلمش، فاختار منهم طائفة، وفرق البقية على الأمراء. وقبض على شاهين رأس نوبة كُمُشْبغا.

وفي يوم الخميس ثانى صفر: استقر الأمير أيتمش الجاسى أتابك العساكر، وأنعم عليه وعلى الأمير قلمطاي الدوادار، والأمير تانى بك أمير أخور ببلاد من إقطاع كمشبغا، وأنعم ببقيته على الأمير سودن المعروف بابن أخت السلطان، وصار من أمراء الألو ف. وأنعم بإقطاع سودن المذكور على الأمير عبد العزيز ولد السلطان. وأنعم بإقطاع بكلمش على نوروز الحافظى رأس نوبة، وبإقطاع نوروز على الأمير أرغون شاه الأقبناوى، وبإقطاع أرغون شاه على الأمير يلغا الأحمدي المجنون الأستادار. وأنعم بإقطاع شيخ الصفوى على الأمير تغرى بردى قبل قدومه من حلب.

وفي رابعه: استقر الأمير باى خجا طيفور الشرفى أمير أخور بنياية غزة.

وفي سادسه: ركب السلطان للصيد، وشق القاهرة من باب القنطرة، وعاد إلى القلعة من باب زويلة.

وفي تاسعه: استقر الأمير بيبرس ابن أخت السلطان أمير مجلس، عوضا عن شيخ الصفوى.

وفي حادى عشره: توجه السلطان للصيد، وعاد فى ثالث عشره.

وفي رابع عشره: سُم شاهين رأس نوبة كُمُشْبغا، وطيف به ثم وسُط.

وفي سادس عشره: لبس طيفور نائب غزة قباء السفر، وتوجه إلى غزة.

وفي ثامن عشره: سار السلطان إلى بر الجزيرة، وأقام بها.

وفي عشرينه: قدم تَمْرُبُغا المنجكي على البريد، بعد ما جهز عساكر الشام مع الأمير تَيْم نائِب دمشق إلى أَرْزَن كان^(١).

وفي ثالث عشره: عاد السلطان من بر الجيزة إلى القلعة.

وفي سابع عشرينه: أنعم على يَلْبُغا السالمى الخاصكى بإمرة عشرة، عوضا عن بهادر فطيس، وانتقل بهادر إلى إمرة طبلخاناه.

وفيه استقر شمس الدين محمد الشاذلى فى حسبة مصر، وعزل شُعبان بن محمد الأتارى.

وفي يوم الخميس أول ربيع الأول: استقر حسن بن قراجا العلاى فى ولاية الجيزة، وعزل يَلْبُغا الزينى.

وفي ليلة الجمعة ثانيه: عمل السلطان المولد النبوى على عادته فى كل سنة، وحضر شيخ الإسلام سراج الدين عمر البلقيني^(٢)، والشيخ إبراهيم بن زقاعة، وقضاة القضاة، وعدة من شيوخ العلم فى الحوش من القلعة تحت خيمة ضربت هناك. وجلس السلطان وعن يمينه البلقيني وابن زقاعة، وعن يساره الشيخ أبو عبد الله المغربى، وتحت القضاة. وحضر الأمراء فجلسوا على بعد منه. فلما فرغ القراء من قراءة القرآن، قام الوعاظ واحدا بعد واحد فذفع لكل منهم صرة فيها أربعمائة درهم فضة، ومن كل أمير شقة حرير، وعدتهم عشرون واعظا. ثم مدت الأسمطة الجليلة. فلما أكلت، مدت أسمطة الحلوى، فانتهبت كلها. فلما فرغ الوعاظ مضى القضاة، وأقيم السماع من بعد ثلث الليل إلى قريب الفجر.

وفي خامس عشره: قدم الأمير تغرى بردى من حلب، فخرج السلطان وتلقاه من الريدانية خارج القاهرة، وسار به معه إلى القلعة، وأنزله فى دار تليق به، وبعث إليه خمسة أفراس، بققج فيها ثياب.

(١) بلدة طيبة مشهورة من بلاد أرمينية بين بلاد الروم وخلاط قرية من أَرْزَن الروم. انظر معجم

البلدان ١٥٠/١.

(٢) عمر بن رسلان بن نصير بن صالح الكنانى، العسقلانى، أبو حفص، سراج الدين: مجتهد حافظ الحديث، من العلماء بالدين. ولد فى بلقينة (من غربية مصر) وتعلم بالقاهرة. وولى قضاء الشام سنة ٧٦٩ هـ، وتوفى بالقاهرة من كتبه «التدريب» فى فقه الشافعية، و«تصحيح المنهاج» فى الفقه.

انظر: لحظ الأبحاث، وذيل طبقات الحفاظ، والضوء اللامع ٨٥/٦ وشذرات الذهب ٥١/٧ وحسن المحاضرة ٨٣/١ والخزانة التيمورية ٣٨/٣ والأعلام ٤٦/٥.

سنة ثمانمائة
 وفى سادس عشره: استقر أقبغا المزوق واليا بالأشمونين^(١)، عوضا عن الشهاب أحمد المنقار.

وفى سابع عشره: حمل الأمير تغرى بردى تقدمته، فكانت عشرين مملوكا، وثلاثين ألف دينار عينا، ومائة وخمسا وعشرين فرسا، وعدة جمال، وأحمالا من الفرو والثياب. وفيه توجه السلطان إلى بر الجيزة، وعاد.

وفى تاسع عشره: استقر قُطلوبُغا الخليلي التركمانى فى ولاية الشرقية، وعزل عوض التركمانى.

وفيه خلع على الأمير يلبغا الأستادار، واستقر فى كشف الوجه البحرى. وفى هذا الشهر: وقع بالوجه البحرى وباء، وفشت الأمراض بالقاهرة ومصر. وكان قد خرج جماعة من الأمراء إلى الصعيد فمرض أكثرهم، وعاد الأمير قَلْمطاي الدوادار فى يوم الثلاثاء رابع ربيع الآخر، وهو مريض، لا يثبت على الفرس. ومات الأمير تمان شاه الشيخونى، فأنعم على ابنه عبد الله بإمرته.

ومات طوغان العمرى الشاطر أحد العشراوات، فأنعم على سودن من زاده بإمرته، واستقر علاء الدين على الحلبي فى كشف الوجه البحرى، عوضا عن أمير على السيفى.

وفى حادى عشره: ركب السلطان، وعاد الأمير قَلْمطاي، ففرش تحت حوافر فرسه شقاق الحرير، مشى عليها من باب داره حتى نزل بباب القصر فمشى على شقاق النخ المذهب حتى جلس. وقدم إليه طبقا فيه عشرة آلاف دينار، وخمسة وعشرين بقجة قماش، وتسعة وعشرين فرسا، وغلاما تركيا بديع الحسن.

وفيه قدم الخير بمسير تيمور لنك من سمرقند^(٢) إلى بلاد الهند، وأنه ملك مدينة دله^(٣).

وفى خامس عشره: شكى الشهاب أحمد بن أبى بكر بن محمد العبادى الحنفى غريمه السالى إلى السلطان فأفحش فى المخاطبة، فرسم بسجته بجزانة شمائل بعد ما رسم بضربه بالمقارع، ولولا أنه شفع فيه لضرب.

(١) قصبه كورة من كور الصعيد الأدنى غربى النيل. انظر معجم البلدان ٢٠٠/١.

(٢) سمرقند: مدينة من خراسان، ويقال: إن شمر بن افرقش غزا أرض الصغد حتى وصل إلى سمرقند فهدمها ثم ابتناها، ويقال إنها بنيت أيام الإسكندر وتولى شمر فقيل شمر قند، وعربت فقيل سمر قند. انظر معجم البلدان ٢٤٨/٣، والروض المعطار ٣٢٢، ٣٢٣.

(٣) مدينة كبيرة فى الهند.

وفي ثامن عشره: قدم على البريد جمال الدين يوسف بن صلاح الدين موسى بن شمس الدين محمد الملطى^(١) الفقيه الحنفى من حلب باستدعاء؛ ليلى قضاء الحنفية، فنزل عند بدر الدين محمود الكستاني كاتب السر، واستقر فى قضاء الحنفية بالقاهرة ومصر، عوضا عن شمس الدين محمد الطرابلسى، فى يوم الخميس عشرينه. ونزل بالخلعة ومعه عدة أمراء، بعدما شغر قضاء الحنفية مائة يوم وأحد عشر يوما. وأنعم على جاني بك اليحياوى بإمرة عشرة، عوضا عن آق بلاط الأحمدي.

وفي يوم الإثنين ثامن جمادى الأولى: أنعم على الأمير ألى باى بتقدمة تانى بك أمير آخور، بعد موته.

وفي تاسعه: استقر مقبل - أحد المماليك الظاهرية - فى ولاية قليوب، عوضا عن محمد العلاى.

وفي ثامن عشره: أنعم على الأمير يَشْبُك العثماني بتقدمة قَلْمطاي بعد وفاته وعلى الأمير أسنغا العلاى الدوادر التانى بطبلخاناة بَكْمَر الركنى، وعلى بكمربطبلخاناة ألى باى، وعلى محمد بن الأمير قَلْمطاي بإمرة عشرة، وعلى أقبائ الطرنطاي بطبلخاناه، وعلى تنكزيغا الحططى بإمرة عشرين.

وفي عشرينه: استقر صدر الدين أحمد بن جمال الدين محمود القيصرى فى توقيع الدست، عوضا عن ناصر الدين محمد بن بدر الدين حسن الفاقوسى بعد عزله.

وفيه عدى السلطان إلى بر الجزيرة، وعاد فى خامس عشرينه.

وظهر فى هذا الشهر خرطوم من جزيرة أروى^(٢)، امتد إلى تجاه جامع الخطيرى من بولاق، فيما بين الجامع وناحية منبابة من البر الغربى.

وفي تاسع عشرينه: استقر تغرى بردى من يَشْبُغا أمير سلاح، وأقبغا الطُولوتْمرى - المعروف باللكاش - أمير مجلس، والأمير نوروز الحافظى أمير آخور، والأمير بيبرس ابن أخت السلطان دوادرا، والأمير ألى باى العلاى خازندارا، وخلع السلطان على الجميع

(١) يوسف بن موسى بن محمد، أبو الخاسن جمال الدين الملطى: قاضى حنفى أصله من «خرتبرت» بديار بكر. ومولده بملطية (فى شمالى سورية) استقر فى حلب، وولى قضاء الحنفية بمصر فى أواخر أيامه. توفى بالقاهرة. له كتب، منها «المعتصر من المختصر» فى فقه الحنفية. انظر الضوء اللامع ١٠/٣٣٥ وإعلام النبلاء ٥/١٣٣ وشذرات الذهب ٧/٤٠ والأعلام ٨ / ٢٥٤، ٢٥٥.

(٢) من الواضح أن المقصود هنا لسان أو بروز من الأرض امتد من جزيرة أروى فى ماء النيل

الأطلسيين. واستقر على بن غلبك في ولاية منفلوط^(١) بعد قتل عمر بن إلياس: واستقر شمس الدين محمد الأحنادي الدمشقي في قضاء القضاة بدمشق، عوضا عن علاء الدين على بن بهاء الدين أبي البقاء.

وفي يوم الثلاثاء ثامن جمادى الآخرة: حضر الوزير علم الدين عبد الوهاب سن إبرة بطلب، من الإسكندرية وهو يلي نظرها، فضرب بين يدي السلطان بالمقارع.

وفي ثاني عشره: عدى السلطان إلى الجيزة، وعاد في رابع عشرينه. وكتب بعزل تاج الدين أبي بكر بن معين الدين محمد بن عبد الله بن أبي بكر بن محمد، المعروف بابن الدماميني من قضاء الإسكندرية، وكان قد وليها بسفارة أخيه شرف الدين، فلم تُشكر سيرته لعدم أهليته. واستقر عوضه ابن الربعي، بسفارة سعد الدين إبراهيم بن غراب.

وفي هذا الشهر: منع الأمير علاء الدين على بن الطبلاوي من الحديث في إسكندرية، وتحدث فيها سعد الدين إبراهيم بن غراب، فولى أخاه فخر الدين ماجد نظر الإسكندرية. وخرج أمير فرج بالكشف على ابن الطبلاوي.

وفي يوم الجمعة ثاني رجب: أفرج عن الشهاب العبادي من سجنه بخزانة شمائل.

وفي ثامنه: خلع على شمس الدين محمد المخانسي خلعة الاستمرار، واستقر تمراز قماري في شد الأحواش، وأمير شكار بعد موت شرف الدين موسى بن قماري.

وفي ليلة الجمعة ثامن شعبان: قبض على الأمير علاء الدين على بن سعد الدين عبد الله بن محمد بن الطبلاوي وجماعة من أزمه. وذلك أن سعد الدين إبراهيم بن غراب لما تسور على مخدومه الأمير جمال الدين محمود الأستادار - بمعاونة ابن الطبلاوي - وتمالفا عليه حتى نكب وهلك كما ذكر؛ صار ابن غراب بعده من أعيان الدولة، فالتفت إلى ابن الطبلاوي وقد صار عظيم أهل الدولة، وظاهر عليه الأمير يلبغا المجنون الأستادار، وقد نafs ابن الطبلاوي، وما زال به يحمله عليه حتى أغرى به السلطان حسدا منه وبعيًّا^(٢)، إلى أن قرر معه القبض عليه، فأشاع أنه وُلد له ولد ودعا إلى عمل وليمة، فحضر ابن الطبلاوي ومعه ابن عمه ناصر الدين محمد بن محمد بن محمد بن الطبلاوي - المعروف بابن سُنَيْتٍ - وحضر الناس، وفيهم الأمير يعقوب شاه

(١) بلدة بالصعيد في غربي النيل بينها وبين شاطئ النيل بعد. انظر معجم البلدان ٢١٤/٥،

الخازندار، وقد رسم له بمعاونة ابن غراب فى القبض على ابن الطبلاوى، فعندما استقر بالناس الجلوس بعث ابن غراب بالأمير بهاء الدين أرسلان نقيب الجيش، فقبض على ناصر الدين محمد بن سعد الدين عبد الله بن محمد بن الطبلاوى والى القاهرة، وأكثر حواشيه، وحواشى أخيه علاء الدين. فلما علم ابن غراب بالقبض عليهم مد السماط ليأكل الناس، فتقدم الأمير يعقوب شاه، وقبض على علاء الدين وابن عمه ناصر الدين، وتوجه بهما. ووقعت الحوطة فى الليل على دور الجميع، وتبععت من الغد أسبابهم وأتباعهم، فتجمعت العامة ورفعوا الأعلام، وحملوا المصاحف، ووقفوا تحت القلعة يسألون إعادة ابن الطبلاوى، فأمر بضرهم، ففروا. وأمر الأمير يلغا المجنون الأستاذار بمعاقة ابن الطبلاوى، واستخلاص الأموال منه ومن حواشيه وأهله.

وفى ثانى عشره: حمل ابن الطبلاوى على فرس، وفى عنقه طوق من حديد مع الأمير يلغا المجنون، وشق به القاهرة نهارا، حتى دخل به إلى منزله برحبة باب العيد، فأخرج منه اثنين وعشرين حمالا، ما بين سمور وغيره من أنواع الفرو، وثياب صوف ومالا، ذكر أنه مبلغ مائة وستين ألف دينار.

وفى ثالث عشره: أخذ من داره أيضا ألف ومائتا قفة فلوسا، صرفها ستمائة ألف درهم، ومن الدارهم الفضة خمسة وثمانون ألف درهم، وجملة من الذهب.

وفى رابع عشره: استقر الأمير الكبير أَيْمِشُ الأتابك فى نظر المارستان المنصورى، عوضا عن ابن الطبلاوى.

وفى سادس عشره: طلب ابن الطبلاوى الحضور إلى مجلس السلطان، فلما حضر طلب من السلطان أن يُدنيه منه، فاستدناه حتى بقى على قدر ثلاثة أذرع منه، قال له: «تكلم». قال: «أريد أسار^(١) السلطان فى أذنه»، فلم يمكنه من ذلك، فألح ابن الطبلاوى فى طلب مسارة السلطان فى أذنه، حتى استراب منه، وأمر بإبعاده واستخلاص المال منه. فمضى به الأمير يَلْبُغا المجنون، حتى خرج من مجلس السلطان إلى باب النحاس، حيث يجلس خواص الخدام الطواشية، فجلس ابن الطبلاوى هناك ليستريح، وضرب نفسه بسكين كانت معه ليقتل نفسه، فلم يكن سوى أنه جرح نفسه فى موضعين وثار به من معه ومنعه من قتل نفسه، وأخذوا السكين. ووقعت الصرخة حتى بلغ السلطان الخبر، فلم يشك فى أنه أراد اغتياله وقتله بهذه السكين، فأمر بتشديد عقوبته، فمضى به الأمير يَلْبُغا، وعاقبه فأظهر فى سابع عشره خبيثة فيها مبلغ ثلاثين ألف دينار، ثم دلَّ على

(١) ساره فى أذنه مُسارة وسرار.

أخرى فيها مبلغ تسعين ألف دينار، ثم عشرين ألف دينار، وتُبعت أحواله وأبيع موجوده وعقاره، وألزم ابن عمه ناصر الدين محمد بحمل مائتي ألف درهم، وعوقب عقوبة شديدة حتى أوردتها، وألزم أخوه ناصر الدين محمد بمائة ألف درهم، وألزم أربعة من خواصه بمائتي ألف درهم.

وفيه استقر بهاء الدين أرسلان فى ولاية القاهرة، عوضا عن ناصر الدين محمد بن الطبلاوى.

وفيه شكى على تاج الدين أبى بكر بن الدمامينى قاضى الإسكندرية، فضرب بين يدى السلطان، ورسم عليه ليرضى شكاته.

وفى ثامن عشرينه: أعيد بهاء الدين محمد بن البرجى إلى حسبة القاهرة، وعزل المخانسى.

وقدم رسول الملك الظاهر مجد الدين عيسى متملك ماردین^(١) بكتابه، يتزامى على التزام الطاعة، ويعتذر من طاعته لتيemor لنك بأنه أقام عنده فى قيد زنته خمسة وعشرون رطلا من الحديد مدة سنتين، حتى حلف له بالطلاق، وغير ذلك من الأيمان، أنه يقيم على طاعته، فأفرج عنه، وأنه وفى بما حلف له عليه، وعاد إلى طاعة السلطان، فأجيب بالشكر والثناء، وجهاز إليه تشريف ومبلغ ثلاثين ألف دينار، وكتب تقليده بناية ماردین.

وفيه استقر تغرى برمش السيفى متولى القاهرة - قبل ذلك أحد حجاب دمشق - متحدنا على مستأجرت الديوان المفرد ببلاد الشام، عوضا عن الشهاب أحمد بن النقيب اليعمورى.

وفى يوم الإثنين ثالث شهر رمضان: وصل الأمير قُطْلُوبغا الخليلى أمير أخور للتوجه إلى بلاد المغرب بسبب شراء الخيول، ومعه مائة وعشرون فرسا ورسل ملوك المغرب، فقدم رسول صاحب فاس^(٢) ثلاثين فرسا، وبغلتين منها ثمانية بقماش ذهب، وباقيهم دون ذلك، وثلاثين سيفا محلاة بذهب، وثلاثين مهمازا من ذهب، وقماشًا، وغير ذلك.

(١) ماردین: سبق ترجمتها. انظر معجم البلدان ٣٩/٥، والروض المعطار ٥١٨، والكرخى ٥٣، ونزهة المشتاق ١٩٩، ٢٠٠، وآثار البلاد ٢٥٩.

(٢) فاس: مدينة عظيمة، وهى قاعدة المغرب، وهما مدينتان مقترتان يشق بينهما نهر كبير يسمى وادى فاس، يأتى من عيون تسمى عيون صنهاجة. انظر معجم البلدان ٢٣٠/٤، والروض المعطار ٤٣٤، والإدريسى ٥٠/٧٥، والبكرى ١١٥ وما بعدها، وابن الوردى ١٤، وصبح الأعشى ١٥٤/٥.

وقدّم رسول تلمسان^(١) أربعة وعشرين فرسا مسرجة ملجمة، وبغلتين وأربعة وعشرين سيفاً مجلية من ذهب، وأربعة عشر مهمازا من ذهب، وكثيرا من القماش وغيره.

وقدّم رسول صاحب تونس ستة عشر فرسا مسرجة ملجمة بذهب، وقماشاً كثيرا. وفيه نزل تيمور لنك على بغداد بجموعه، وقد حصنها السلطان أحمد بن أويس، فسار عنها من الغد نحو همذان^(٢).

وفي ثالث عشره: أنعم على أمير فرج الحلبي بإمرة علاء الدين على بن الطبلاوى، واستقر في دار الضرب، وأنعم على ناصر الدين محمد بن سنقر البكجری بإمرة أمير فرج. واستقر شهاب الدين أحمد بن حسن بن علي بن بلبان - المعروف بابن خاص ترك، أحد البريدية - شاد الدواوين، عوضا عن الحسام ابن أخت الغرس، بإمرة عشرة.

وفي يوم الأربعاء ثالث شوال: أخذ قاع النيل، فكان خمسة أذرع، واثني عشر إصبعا.

وفي خامسه: ضرب علاء الدين على بن الطبلاوى ضربا مبرحا، فلم يعترف بشيء من المال.

وفي خامس عشره: ختن السلطان ولديه، الأمير فرج والأمير عبد العزيز وختن عدة من أولاد الأمراء المقتولين، منهم ابن الأمير منطاش، وكساهم وأنعم عليهم، وعمل مها عظيما بالقلعة للنساء.

وفي ثامن عشره: نقل علاء الدين على بن الطبلاوى من دار الأمير الأستادار إلى خزانة شمائل، فسجن بها، بعد أن نوعت عقوباته، واشتد عذابه.

(١) تلمسان: مدينة بالمغرب، وهي قاعدة المغرب الأوسط، وحد المغرب الأوسط من واد يسمى بجمع وهو في نصف الطريق من مدينة مليانة إلى أول بلاد تازا من بلاد المغرب، وبلاد المغرب في الطول والعرض من البحر الذي على ساحله مدينة وهران ومليلة وغيرهما إلى مدينة سول وهي مدينة في أول الصحراء وهي على الطريق إلى سجلماسة، ووار كلان وغيرهما من بلاد الصحراء ومدينة تلمسان أول بلاد المغرب، وهي على طريق الداخل والخارج منه ولا بدّ من الاحتياز عليها في كل حال. انظر معجم البلدان ٤٤/٢، والروض المعطار ١٣٥، ١٣٦، والاستبصار ١٧٦، والبكري ٧٦.

(٢) همذان: بالذال المعجمة، مدينة من عراق العجم من كور الجبل، كبيرة جدًا فرسخ في مثله، محدثة إسلامية، ولها أربعة أبواب، وهي كثيرة المياه والبساتين والزروع. انظر معجم البلدان ٤١٠/٥، ٤١٧، والروض المعطار ٥٩٦، وابن حوقل ٣٠٨، والكرخي ١١٧، واليعقوبي ٢٧٢، ونزهة المشتاق

وفيه استقر محيي الدين محمود بن نجم الدين أحمد بن عماد الدين إسماعيل بن محمد ابن أبي العز صالح بن أبي العز، المعروف بابن الكشك الدمشقي، فى قضاء الحنفية بدمشق، عوضا عن تقي الدين عبد الله بن يوسف بن أحمد بن الحسين بن سليمان بن فزارة الكفرى.

وفى خامس عشرينه: استعفى سعد الدين إبراهيم بن غراب من نظر الديوان المفرد ونظر الكارم، فأعفى منهما.

وفيه قدم البريد بأن الحريق وقع بدمشق فى ليلة السبت عشرينه، وأقام إلى يوم الثلاثاء ثالث عشرينه، قتل فى معظم أسواق المدينة، وتشعث جدار الجامع القبلى.

وفى يوم الإثنين سابع ذى القعدة: استقر سعد الدين بن غراب فى نظر الجيش، وعزل شرف الدين الدمامينى، وبقي بيد ابن الدمامينى نظر الكسوة.

وفى ثامنه: عزل شعبان بن محمد الأتارى من حسة مصر، بعد ما نودى عليه بها، فحضر عدة من شكاته إلى الدوادار، وادعوا عليه بقوادح، فأهين إهانة بالغة، ومن العجب أنه لما عزل ابن الدمامينى من نظر الجيش، أظهر شماعة بعزله، ونادى بعزله فى مصر، فاتفق له هذا من الغد.

وفى تاسعه: أفرج عن ناصر الدين محمد بن الطبلاوى.

وفى عاشره: أعيد شمس الدين محمد الشاذلى إلى حسة مصر، بعد عزل شعبان الأتارى، وكان قد ولى قبل ذلك بمال، ففر من مطالبة أرباب الديون بمالهم.

وفى نيئة السبت ثانى عشره: وقع حريق بدار التفاح^(١) خارج باب زويلة، فركب الأمير يشبك الخازندار، والأمير فارس حاجب الحجاب، وطفياه بمن معهما.

وفى يوم السبت هذا: عمل السلطان مهماً عظيماً بالميدان تحت القلعة، سببه أنه لعب بالكرة على العادة، فغلب الأمير أيتمش، والتزم أيتمش بعمل مهم بمائتى ألف درهم كونه غلب، فقام السلطان عنه بذلك، وألزم به الوزير بدر الدين محمد بن الطوخى، والأمير يلبغا الأستاذار. ونصبت الخيم بالميدان، وعمل المهم، فكان فيه من اللحم عشرون ألف رطل، ومائتا زوج أوز، وألف طائر من الدجاج، وعشرون فرسا ذبحت، وثلاثون قنطارا من السكر عملت حلوى ومشروبا، وثلاثون قنطارا من الزبيب، لعمل المشروب المباح والمسكر، وستون إردبا دقيقا لعمل الشراب المسكر،

(١) دار التفاح: فندق تجاه باب زويلة، يرد إليه الفواكه على اختلاف أصنافها.

وعملت المسكرات فى دنان الفخار. ونزل السلطان سحر يوم السبت، وفى عزمه أن يقيم نهاره مع الأمراء والممالك يعاقرهم^(١) الشراب، فأشير عليه بترك هذا، وخوف العاقبة، فمد السماط وعاد إلى قصره قبل طلوع الشمس، وأنعم على كل من الأمراء المقدمين بفرس عليه قماش ذهب، وأنعم على الوزير، وناظر الخاص معهم أيضا. وأذن للعامة فى انتهاب الماكل والمشارب، فكان يوما فى غاية القبح والشناعة، أبيحت فيه المسكرات، وتجاهر الناس من الفحش والمعاصى بما لم يعهد مثله، وفتن أهل المعرفة بزوال الأمر، فكان كذلك. ومن يومئذ انتهكت الحرمات بديار مصر، وقل الاحتشام^(٢).

وفى خامس عشره: أعيد الشريف شرف الدين على بن فخر الدين محمد بن شرف الدين على الأرموى إلى نقابة الأشراف، بعد موت الشريف جمال الدين عبد الله الطباطبى.

وفى يوم السبت تاسع عشره - وعاشر مسرى - : وفى النيل ستة عشر ذراعا.

وقدم البريد بقتل سولى بن دلغادر أمير التركمان.

وفيه ركب السلطان بعد صلاة الظهر يريد المقياس، وفتح الخليج على العادة، ومعه الأمراء - إلا الأمير ألى باى الخازندار - فإنه كان قد انقطع فى داره أياما لمرض نزل به - فيما أظهره - وفى باطن أمره أنه قصد الفتك بالسلطان، فإنه علم أنه إذا نزل الخليج يدخل إليه ويعوده على ما جرت به عادته مع الأمراء، فدبر على اغتيال السلطان، وأخلى إصطبله وداره من حريمه وأمواله، وأعد قوما اختارهم لذلك. وكان سبب هذا فيما يظهر أن بعض مماليكه المختصين به - وكان شاد شراب خاناته - تعرض لجرارية من جوارى الأمير أقبای الطرنطای، يريد منها ما يريد الرجل من المرأة، وصار بينهما مشاكلة، فبلغ ذلك أقبای، فقبض عليه وضربه ضربا مبرحا. فحنق ألى باى وشكاه للسلطان فلم يلتفت إلى قوله، وأعرض عن ذلك. وكان ألى باى فى زعمه أن السلطان يزيل نعمة أقبای لأجله، فغضب من ذلك وحرك ما عنده من البغى الكامن. فلما فتح السلطان الخليج وركب إلى جهة القلعة اعترضه مملوك من خشداشيته البلغاوية، يعرف بسودن الأعور، وأسر إليه أن داره التى يسكنها تشرف على إسطبل الأمير ألى باى، وأنه شاهد ممالك ألى باى وقد لبسوا آلة الحرب، ووقفوا عند بوائك الخيل، وستروا

(١) عاقر الخمر لازمها ودارم عليها . انظر المعجم الوجيز ٤٢٧ .

(٢) الاستحيا . انظر المعجم الوجيز ١٥٣ .

البوائك بالأنخاخ ليخفى أمرهم. فكتم السلطان الخبر، وأمر الأمير أرسطاي رأس نوبة أن يتوجه إلى دار الأمير ألى باى، ويعلمهم أن السلطان يدخل لعيادته. فلما أعلم بذلك اطمأنوا، ووقف أرسطاي على باب ألى باى ينتظر قدوم السلطان، وعندما بعث السلطان أرسطاي أمر الجاويشية بالسكوت، وأخذ العصاة السلطانية التى ترفع على رأس السلطان فيعلم بها مكانه، يريد بذلك تعمية خبره، وسار إلى تحت الكيش، وهو تجاه دار ألى باى، والناس من فوقه قد اجتمعوا لرؤية السلطان، فصاحت به امرأة: «لا تدخل فإنهم قد لبسو آلة القتال». فحرك فرسه وأسرع فى المشى ومعه الأمراء، ومن ورائه المماليك يريد القلعة. وأما ألى باى فإن بابه كان مردود الفردتين، وضبته مطرفة ليمنع من يدخل حتى يأتى السلطان، فلما أراد الله، مر السلطان حتى تعدى بابه، وكان فى طريقه، فلم يعلموا بمروره حتى تجاوزهم بما دبره من تأخير العصائب وسكوت الجاويشية. وخرج أحد أصحاب ألى باى يريد فتح الضبة فأغلقها، وإلى أن يحضر مفتاح الضبة ويفتح فاتهم السلطان، وصار بينهم وبينه سد عظيم من الجمدارية، قد ملأوا الشارع بعرضه. فخرج ألى باى بمن معه لابسين السلاح، وعددهم نحو الأربعين فارسا يريد السلطان، وقد ساق ومعه الأمراء حتى دخل باب السلسلة، وامتنع بالإصطبل. فوقف ألى باى تجاه الإصطبل بالرميلة^(١) تحت القلعة، ونزل إليه طائفة من المماليك السلطانية لقتاله، فثبت لهم وجرح جماعة، وقتل من السلطانية بيسق المصارع ثم انهزم ألى باى، وتفرق عنه من معه. هذا وقد ارتجت مصر والقاهرة، وجفل الناس من مدينة مصر، وكانوا بها للفرجة على العادة فى يوم الوفاء، وطلبوا مساكنهم خوفا من النهاية. وركب يلغا المجنون^(٢) ومعه مماليكه لابسين آلة القتال يريد القلعة. واختلف الناس فى السلطان، وأرجفوا بقتله وبفراره، وتباينت الأقوال^(٣) فيه، واشتد الخوف وعظم الأمر. هذا، وقد ألبس السلطان الأمراء والمماليك، وأتاه من كان غائبا منهم. فعندما طلع الأمير يلغا المجنون إليه ثار به المماليك السلطانية، واتهموا بموافقة ألى باى؛ لكونه جاء هو ومماليكه بألة القتال، وخذّه اللكم من كل جهة، ونزعوا ما عليه، وألقوه إلى الأرض ليدبحوه، فلولا ما كان من منع السلطان لهم لقتلوه، فلما كفوا عن ذبحه سجن بالزردخاناه و قيد. وقبض أيضا على شاد شراب خاناه ألى باى؛ لأنه الذى أثار هذه الفتنة، وقطع قطعاً بالسيوف. وبات السلطان بالإصطبل وقد نهبت العامة

(١) منزل فى طريق البصرة إلى مكة بعد ضرب نحو مكة ومنها إلى الأبرقين. انظر معجم البلدان

(٢) سمي بالمجنون لطيشه وحده مزاجه.

(٣) اختلفت الأقوال.

بيت ألى باى وخرابه، ونهبوا دار الأمير يلبغا المجنون وخربوها. وأما ألى باى فإنه لما تفرق عنه أصحابه اختفى فى مستوقد حمام، فقبض عليه، وحمل إلى السلطان فقيده وسجنه بقاعة الفضة من القلعة. فلما أصبح نهار الأحد نزع العسكر آلة الحرب وتفرقوا، وعصر ألى باى، فلم يقر على أحد. وأحضر يلبغا المجنون فحلف أنه لم يوافق، ولا علم بشيء من خبره، وأنه كان مع الوزير بمصر. فلما أشيع خير ركوب ألى باى لحق يلبغا المجنون بداره، وليس ليقاتل مع السلطان وبراه ألى باى أيضا، فأفرج عنه، وأخلع عليه. ونزل إلى داره، فلم يجد بها شيئا، وقد نهب جميع أمواله، وسلبت جواربه، وفرت امرأته ابنة الملك الأشرف شعبان^(١)، وأخذ رخام داره وأبوابها، وأكثر أخشابها، وتشعثت تشعثا قبيحا.

وفيه قدم الريد بأن أولاد ابن بزديغان من التركمان اقتتلوا مع القاضى برهان الدين أحمد صاحب سيواس، فقتل فى الحرب، وقام من بعده ابنه بمدينة سيواس، ومنعها من التركمان. وكان من خبره أن الأمير عثمان بن قرايلك التركمانى خالف عليه، ومنع ما كان يحمل إليه من التقادى، فلم يكثر به القاضى برهان الدين؛ لأنه من أقل أمرائه. وصار قرايلوك يتردد إلى أماسية^(٢) وأرزبخان^(٣)، فاتفق أنه قصد مصيفا بالقرب من مدينة سيواس، ومر عليها وبها القاضى برهان الدين، فشق ذلك عليه، وركب عجلا وساق فى طلبه، وتقدم عسكره حتى أقبل الليل، فمال عليه قرايلوك بجماعته، فأخذه قبضا باليد، ثم قتله وحاصر سيواس، فمنعه أهلها وقاتلوه أشد القتال، وكتبوا إلى أبى يزيد بن عثمان أن يدركهم، فسار إليهم ومضى قرايلوك إلى تيمور لنك وهو على أذربيجان^(٤)، فأقام فى جملته.

وفى حادى عشرينه: جلس السلطان بدار العدل على العادة، وعصر ألى باى فلم يعترف على أحد، وإذا بهجة عظيمة قامت فى الناس، فلبس العسكر ووقفوا تحت القلعة

(١) شعبان بن حسين بن الملك الناصر محمد بن قلاوون، أبو المعالى، ناصر الدين: من ملوك الدولة القلاوونية بمصر والشام. ولى السلطنة بعد خلع ابن عمه (محمد بن حاجى) سنة ٧٦٤ هـ. انظر مورد اللطافة ٨٧ وابن إياس ٢١٢/١ وحسن المحاضرة ١٠٤/٢ والدرر الكامنة ١٩٠/٢ والبداية والنهاية ٣٠٢/١٤ والأعلام ١٦٣/٤، ١٦٤.

(٢) بلدة من بلد الروم بينها وبين سينوب ستة أيام.

(٣) بلدة طيبة مشهورة، من بلاد إرمينية بين بلاد الروم وخطاط قرية من أرزن الروم. انظر

معجم البلدان ٢٨٢/١ / ٣٩٠.

(٤) أذربيجان: هى كورة تلى الجبل من بلاد العراق وهى مفتوحة الألف وتلى كور أرمينية من

جهة المغرب، ينسب إليها أذربى. انظر معجم البلدان ١٢٨/١: ١٣٠، والروض المعطار ٢٠، ٢١.

وقد غلقت أبوابها. وكثرت الإشاعة بأن يلبغا المجنون، وأقبحا اللكاش قد خامرا على السلطان، ولم يكن الأمر كذلك، فركب اللكاش إلى القلعة. وكان المجنون فى بيت أمير فرج الحلبي بالقاهرة، فلما بلغه هذا ركب معه أمير فرج ليعلم السلطان بأنه كان فى داره بالقاهرة حتى يبرأ مما رمى به، فصارا مع الأمراء بالقلعة عند السلطان، وأمر السلطان بقلع السلاح، ونزل كل أحد إلى داره، فانفضوا وسكن الأمر، ونودى بالأمان، ففتح الناس الأسواق واطمأنوا.

وفى ليلة الثلاثاء ثانى عشرينه: عذب ألى باى بين يدى السلطان عذابا شديدا، كسرت فيه رجلاه وركبته، وخسف صدره، فلم يقر على أحد، فأخذ إلى الخارج وخنق، فتنكرت الأمراء، وكثر خوفهم من السلطان، خشية من أن يكون ألى باى ذكر أحدا منهم. ومن حينئذ فسد أمر السلطان مع مماليكه، فلم ينصلح إلى أن مات، وخوفه منهم لم ينزل بعد ذلك من القلعة.

وفى يوم الثلاثاء: نودى بالأمان، وأمر يلبغا المجنون أن ينفق فى الممالك السلطانية، فأعطى الأعيان منهم خمسمائة درهم لكل واحد، فلم يرضهم ذلك، وكثرت الإشاعات الردية، وقوى الإرجاف، فنقل الأمراء ما فى دورهم إلى القاهرة فى يوم الأربعاء رابع عشرينه، وباتوا ليلة الخميس على تخوف، ولم تفتح الأسواق يوم الخميس، فنودى بالأمان والبيع والشراء ولا يتحدث أحد فيما لا يعنيه.

وفيه استقر مقبل الظاهرى والى قلوب فى ولاية الفيوم^(١) عوض عن قراجا مفرق، واستقر فى ولاية قلوب محمد بن قرايغا، وأنعم على الأمير أرسطاي من خواجا على بتقدمه ألى باى، واستقر رأس نوبة. وأنعم على تمان ثمر الناصرى بطبلخاناه أرسطاي.

وفى سادس عشرينه: نزل الأمير فارس حاجب الحجاب والأمير تمرغا المنجكى الحاجب، وقبضا على الأمير يلبغا المجنون الأستاذار من داره، وبعثاه فى النيل إلى دمياط. وطلب الأمير ناصر الدين محمد بن سنقر البكجى وخلع عليه للأستادارية، عوضا عن يلبغا المجنون بإمرة خمسين فارسا.

وفيه قدم محمد بن مبارك المنقار بن المهمندار بهدية.

وفيه أنعم على الأمير بكتمر رأس نوبة بتقدمة يلبغا المجنون.

وفى يوم السبت ثالث ذى الحجة: خلع على اثنين رعوس نوب صغار، وهما الأمير طولو، والأمير سودن الظريف.

(١) الفيوم: شبق ترجمتها. انظر معجم البلدان ٢٨٦/٤، والروض المعطار ٤٤٥، والاستبصار

وفي يوم الأحد رابع ذى الحجة: سمر أربعة من ممالك ألى باى، ووسطوا.

وفيه أبيع الخبز كل ثمانية أرتال بدرهم عنها اثنى عشر رغيفا، زنة الرغيف ثمانى أواق بفلسين، فسر الناس سرورا زائدا، فإن لهم نحو الست سنين لم يروا الرغيف بفلسين، لكن لم يستمر هذا.

وقدم الخبر بأن الأمير شيخ الصفوى كثر فساده بالقدس، وتعرضه لأولاد الناس، يريدهم على الفاحشة، فرسم بنقله من القدس واعتقاله بقلعة المرقب^(١) من طرابلس، فاعتقل بها.

وفي يوم النحر: صلى السلطان صلاة العيد بجامع القلعة، ولم ينزل إلى الميدان فاستمر ذلك. وتركت صلاة العيد بالميدان حتى نسيت.

وفيه توجه البريد لإحضار الأمير بكلمش من الإسكندرية، ومسيره إلى القدس، على ما كان لشيخ من المرتب بها.

وفيه استقر على بن مسافر فى ولاية منوف^(٢)، وعزل الشهاب أحمد بن أسد الكردى.

وفيه سار الأمير أرغون شاه، والأمير تمتاز، والأمير طولو فى عدة من الأمراء إلى الشرقية، وأخذوا من عرب بنى وائل مائتى فارس، وعادوا فسمر منهم نحو الثلاثين، وسجن البقية بالخزانة.

واستمر السلطان من حركة ألى باى يتزايد به المرض إلى ليلة الإثنين سادس عشرينه، أقطع عنه الألم، ونودى من الغد بالزينة، فزينت القاهرة ومصر لعافيته وتصدق فى هذه المدة على يد الطواشى صندل وغيره بمال كبير، يقال مبلغه مائتا ألف وخمسون ألف دينار ذهبيا.

وفي سابع عشرينه: سمر من بنى وائل مائة وثلاثة رجال.

وفيه قدم مبشرو الحاج بالسلامة والأمن.

وفيهما ولى الأمير شمس الدين محمد بن عنقاء بن مهنا إمرة آل فضل، عوضا عن أخيه أبى سليمان بعد وفاته، وولى ناصر الدين محمد بن محمد بن عمر بن أبى

(١) بلد ومدينة حصينة تشرف على ساحل بحر الشام وعلى مدينة بليناس. انظر معجم البلدان

الطيب كتابه السر بدمشق، عوضا عن أمين الدين محمد بن محمد بن علي الحمصي بعد موته، ونقل علم الدين محمد القفصي من قضاء المالكية بحلب إلى قضاء المالكية بدمشق، عوضا عن برهان الدين إبراهيم التادلي، وولى شهاب الدين أحمد بن عبد الدايم الموصلى قضاء المالكية بحلب.

* * *

ومات في هذه السنة من الأعيان ممن له ذكر

الشيخ برهان الدين إبراهيم بن أحمد بن عبد الواحد بن عبد المؤمن البعلبكي الدمشقى الضرير، المعروف بالبرهان الشامي، فى ثامن جمادى الأولى، عن تسعين سنة، وقد حدث منذ سنين.

ومات تاج الدين أحمد بن فتح الدين محمد بن إبراهيم بن محمد بن الشهيد.

ومات شهاب الدين أحمد بن قايماز فى ثانى عشر ربيع الأول، وكان من الأعيان، ويخدم فى أستاذارية الأمراء، وامتنح فى نوبة الشريف العنابى.

ومات شهاب الدين أحمد بن محمد البكتمرى أحد علماء الميقات، فى سابع عشرين جمادى الأولى.

ومات آق بلاط الأحمدي، أحد أمراء العشراوات.

ومات تانى بك اليحياوى أمير آخور، أحد أمراء الألوف، فى ليلة الخميس رابع عشر ربيع الآخر، ومشى السلطان فى جنازته وبكى عليه، وركب حتى دفن، وأقام القراء على قبره أسبوعا، وتمد لهم الأسمطة السلطانية.

ومات الأمير تَلَكْتَمُر دوادار الأمير قلمطاي، فى رابع عشر ربيع الآخر.

ومات الأمير طوغان العمرى أحد أمراء العشراوات، ونقيب الفقراء السطوحية فى أول ربيع الأول.

ومات مجد الدين عبد الرحمن مكى، أحد نواب القضاة المالكية خارج القاهرة، فى أول جمادى الأولى.

ومات الشريف جمال الدين عبد الله بن عبد الكافى بن على بن عبد الله الطباطبى، نقيب الأشراف فى ليلة الرابع عشر من ذى القعدة.

ومات تاج الدين عبد الله بن على بن عمر، المعروف بقاضى صور - بفتح الصاد المهملة - بليدة بين حصن كيفا وماردين - السنجارى الحنفى، عن نحو الثمانين سنة

بدمشق، وقدم القاهرة، وأقام بها زماناً، وكان فاضلاً أفتى، ودرس، وصنف كتاب البحر الحاوى فى الفتاوى، ونظم المختار فى الفقه، وناب فى الحكم بالقاهرة وبدمشق. ولى وكالة بيت المال بدمشق وكان لطيفاً ظريفاً.

ومات الأمير عمر بن إلياس قريب الأمير قرط التركمانى، والى منفلوط قتله العرب بها.

ومات الشيخ المعتقد عمر الفرنوى.

ومات الأمير قلمطاي^(١) الدوادار فى ليلة السبت ثالث عشر جمادى الأولى فصلى السلطان عليه، وشهد دفنه، وبكى عليه، وعمل للقراء الأسمطة عند قبره أسبوعاً.

ومات الأمير قجماس البشيرى أحد أمراء العشراوات، ونقيب الفقراء الدسوقية.

ومات الأمير قرابغا المحمدى أحد أمراء العشراوات.

ومات أمين الدين محمد بن محمد بن على الحمصى كاتب السر بدمشق، وقدم القاهرة مع الأمير تنم. وكان أديباً شاعراً ناثراً.

ومات نجم الدين محمد بن عمر بن محمد الطنبدى وكيل بيت المال، ومحتسب القاهرة فى رابع عشرين ربيع الأول.

ومات الشيخ المعتقد أبو عبد الله محمد بن سلامة التوزرى^(٢) المغربى، المعروف بالكركى لإقامته بالكرك^(٣)، فى خامس عشرين ربيع الأول. وكان عند السلطان بمنزلة مكينة جداً، يجلسه إلى جانبه، وتحتة قاضى القضاة الشافعى. ولم يغير لبس العباءة، ولا أخذ شيئاً من المال. والناس فيه بين مفرط فى مدحه، ومفرط فى الغضب منه. وتولى الأمير يلبغا السالمى تجهيزه إلى قبره، وبعث السلطان مائتى دينار لذلك، ولقراءة القرآن على قبره مدة أسبوع، فعمل ذلك على العادة.

ومات صفى الدين أحمد بن محمد بن عثمان الدميرى، موقع الدست، وأحد نواب

(١) هو الأمير قلمطاي بن عبد الله العثمانى الدوادار.

(٢) نسبة إلى توزر: وهى قاعدة كور قسطليلية من البلاد الجريدية، ولها سور عظيم حصين وبها نخل كثير جداً وهى مدينة كبيرة قديمة عليها سور مبنى بالحجارة والطوب وحوها أرباض واسعة ولها أربعة أبواب وعليها غابة كبيرة وهى أكثر بلاد الجريد ثمرًا. انظر معجم البلدان ٥٨، ٥٧/٢، والروض المعطار ١٤٤، ١٤٥، والإدريسى ٧٥/١٠٤.

(٣) الكرك: سبق ترجمتها. انظر معجم البلدان ٤٥٣/٤، والروض المعطار ٢٠٢، ٢٠٣، ٤٩٣.

القضاة المالكية، فى رابع المحرم، بعدما ابتلى من الأمير بَكَلْمِش ببلء عظيم. وله نظم.
ومات الأمير شرف الدين موسى بن قمارى أمير شكار، وشاد الأحواش السلطانية
الموضوعة للطيور، فى ثانى عشر رجب.

ومات ملك المغرب صاحب فاس^(١) أبو عامر عبد الله بن السلطان أبى العباس أحمد
ابن أبى سالم إبراهيم بن أبى الحسن المرىنى^(٢). وأقيم بعده أخوه أبو سعيد عثمان بن
أبى العباس. هذا، واشيخ أبو العباس أحمد بن على القبائلى هو القائم بتدبير الدولة بعد
موت السلطان أبى العباس أحمد. وكل من أبى فارس عبد العزيز وأبى عامر عبد الله،
وأبى سعيد عثمان تحت حجره، حتى قتل كما سيأتى ذكره، إن شاء الله تعالى.

وقتل الأمير سولى بن الأمير زين الدين قراجا بن دُلغادر التركمانى، فى ذى القعدة،
قتله رجل من أقاربه يقال له على بك. وذلك أنه غاضبه وأخرجه، فنزل حلب، ثم اتفق
مع غلامه - على القصير - على قتل سولى، واحتالا عليه بأن ضرب على بك غلامه
ضربا مبرحا، فمضى الغلام إلى سولى يشكو حاله، فأواه عنده، ووعد به بأخذ ثأره. فما
زال عنده حتى سكر سولى ليلة. فلما انفرد به ضربه بسكين قتله، ثم صاح. فلما جاءه
التركمان أوهمهم أن بعض أعدائه اغتاله، ثم استغفلهم وهرب إلى مخدومه بحلب. فلما
صح السلطان الخير، استدعى على بك وغلامه، وأنعم عليهما بإمرتين لعلى بك إمرة
طبلخاناه، ولعلى القصير بإمرة عشرة.

وقتل أمير آل فضل الأمير علم الدين أبو سليمان بن عنقاء بن مهنا، بعد القبض عليه
فى كائنة جرت بينه وبين عمه الأمير نعيم^(٣)، بالقرب من الرحبة^(٤).

(١) فاس: سبق ترجمتها. انظر معجم البلدان ٤/٢٣٠، والروض المعطار ٤٣٤، ٤٣٥،
والإدريسى: ٥٠/٧٥. والبكرى ١١٥ وما بعدها. وابن الوردى ١٤، وصبح الأعشى ٥/١٥٤.
(٢) عبد الله أحمد بن إبراهيم، أبو عامر المرىنى، الملقب بالسلطان المستنصر بالله: من ملوك دولة
بنى مرين فى المغرب، بويع بعد وفاة أخيه عبد العزيز (فى أوائل سنة ٧٩٩ هـ) وكان تصريف
الأعمال فى أيدي الوزراء. وعاجلته الوفاة فى صباه. مدة دولته سنة وخمسة أشهر إلا أياما. انظر
الاستقصا ٤٢/٢ والأعلام ٤/٦٨.

(٣) محمد بن حيار بن مهنا بن عيسى بن مهنا بن مانع بن حديثة، شمس الدين، المعروف بنعيم:
أمير آل فضل بالشام. ولى الإمرة بعد أبيه (سنة ٧٧٧ هـ) وكان شجاعا جوادا مهيبا إلا أنه كان كثير
الغدر والفساد. وقتل فى حلب وكان قد نيف على السبعين. انظر الضوء اللامع ١٠/٢٠٣ وإعلام
النبلأ ٥/١٤٧ وصبح الأعشى ٤/٢٠٨ والأعلام ٦/١١١.

(٤) الرحبة: سبق ترجمتها. انظر معجم البلدان ٣/٣٣، والروض المعطار ٢٦٨.

ومات الأديب المادح أبو الفتح محمد بن الشيخ العارف على البديوى، فى ثامن
عشر جمادى الآخرة، بالتحريرية. وأكثر شعره مدائح نبوية، وله صلاح مشهور.

* * *

سنة إحدى وثمانمائة

أهل هذا القرن التاسع وخليفة الوقت أمير المؤمنين المتوكل على الله أبو عبد الله محمد بن المعتضد^(١)، وليس له أمر ولا نهى ولا نفوذ كلمة، وإنما هو بمنزلة واحد من الأعيان. وسلطان الديار المصرية، والبلاد الشامية، والحرمين - مكة والمدينة - الملك الظاهر سيف الدين أبو سعيد برقوق بن أنص^(٢) أول ملوك الجركس، ونائبه بدمشق الأمير تنم الحسنى، ونائبه بحلب الأمير أرغون شاه الخازندار، ونائبه بطرابلس الأمير أقبغا الجمالى، ونائبه بحماة الأمير يونس بَلَطًا، ونائبه بصفد الأمير شهاب الدين أحمد ابن الشيخ على، ونائبه بغزة الأمير طيفور، ونائبه بالإسكندرية الأمير صرغتمش، ونائبه بمكة المشرفة الشريف حسن بن عجلان الحسنى^(٣)، ونائبه بالمدينة النبوية - على ساكنها أفضل الصلاة والتسليم - الشريف ثابت بن نعيم. والأمير الكبير أتابك العساكر بديار مصر الأمير أيتمش البجاسى. وقاضى القضاة الشافعى بها تقى الدين عبد الرحمن الزبيرى، ورفقاؤه قاضى القضاة جمال الدين يوسف الملطى الحنفى^(٤)

(١) محمد (المتوكل على الله) بن أبى بكر (المعتضد بالله) بن سليمان (المكتفى) بن محمد أحمد العباس، أبو عبد الله: من خلفاء الدولة العباسية الثانية بمصر. بويغ بعد وفاة أبيه سنة ٧٦٣ هـ بعهد منه بالقاهرة. وطالت مدته، وخلع فى صفر ٧٧٩ هـ وأعيد فى ربيع الأول من السنة نفسها. استمر إلى أن توفى بالقاهرة. ومدة خلافته نحو من ٤٥ عاما. انظر بدائع الزهور ٣٥٠/١ وتاريخ الخميس ٣٨٢/٢، ٣٨٣ والضوء اللامع ١٦٨/٧ والأعلام ٥٦/٦.

(٢) برقوق بن أنص - أو أنس - العثمانى، أبو سعيد، سيف الدين، الملك الظاهر أول من ملك مصر من الشراكسة. جلبه إليها أحد تجار الرقيق (واسمه عثمان) فباعه فيها منسوباً إليه. ثم أعتق وذهب إلى الشام فخدم نائب السلطنة. تولى السلطنة سنة ٧٨٤ هـ وتلقب بالملك الظاهر. توفى بالقاهرة. انظر ديوان الإسلام وابن إلياس ٢٥٨/١ و٢٩٠ والضوء اللامع ١٠/٣ والأعلام ٤٨/٢.

(٣) حسن بن عجلان بن رميثة بن أبى نعى: شريف حسنى، من أمراء مكة ولد ونشأ فيها، وأقام بمصر فولاه صاحبها إمارة مكة سنة ٧٩٨ هـ. وجاءه التوقيع سنة ٨١١ هـ بنبابة السلطنة فى جميع بلاد الحجاز، فاستمر مدة. وعزل وأعيد مرتين. ثم توجه سنة ٨٢٨ هـ إلى مصر فتوفى بها. انظر خلاصة الكلام ٣٦ والأعلام ١٩٨/٢، ١٩٩.

(٤) يوسف بن موسى بن محمد، أبو الحاسن جمال الدين الملطى: قاضى حنفى. أصله من خرتبرت بديار بكر. ومولده بمطية (فى شمالى سورية) استقر فى حلب، وولى قضاء الحنفية بمصر فى أواخر أعوامه. انظر الضوء اللامع ٣٣٥/١٠ وإعلام النبلاء ١٣٣/٥ وشذرات الذهب ٤٠/٧ والأعلام ٢٥٤/٨، ٢٥٥.

وقاضى القضاة ناصر الدين أحمد التنسى المالكي، وقاضى القضاة برهان الدين إبراهيم ابن نصر الله الحنبلي. وحاجب الحجاب الأمير فارس القطلوقجاوى، وناظر الخاص والجيش معا سعد الدين إبراهيم بن غراب، وكاتب السر بدر الدين محمود الكلستانى العجمى، والوزير بدر الدين محمد بن محمد الطوخى.

شهر الله المحرم أوله الجمعة.

فيه صرف المئقال الذهب المختوم المهرجة^(١) بأحد وثلاثين درهما، ويصرف فى نغز الإسكندرية باثنين وثلاثين درهما.

وفيه نودى على النيل بزيادة إصبع واحد، لتتمة اثنا عشرة إصبعاً من تسع عشرة ذراعا.

وفى ثانيه: خلع على الأمير زين الدين مقبل أحد المماليك السلطانية، واستقر فى ولاية نغز أسوان^(٢) عوضاً عن الصارم إبراهيم الشهابى، وقد قتله أولاد الكنز.

وفى تاسعه: أعيد شمس الدين محمد المخانسى إلى حسبة القاهرة، وعزل بهاء الدين محمد البرجى.

وفيه نودى بقلع الزينة فقلعت.

وفى عاشره: أحضر بعض مسألة النصارى، من الكتاب الأقباط، إلى باب القلعة من قلعة الجبل، وقد ارتد عن الإسلام، وعرف فى إسلامه ببرهان الدين إبراهيم بن بُرَيْيَّة مستوفى المارستان المنصورى، فعرض عليه الإسلام مرارا، ورغب فى العود إليه، فلم يقبل، وأصر على رده إلى النصرانية، فسئل عن سبب رده، فلم يبد شيئا، فلما أيس منه ضربت رقبة بحضرة الأمير الطواشى شاهين الحسنى، أحد خاصكية السلطان.

وفى سابع عشره: سمر سبعة من المماليك، يقال لأحدهم أقبغا الفيل من جملة ممالك السلطان، وأحد إخوة الأمير ألى باى، وباقيهم ممالك ألى باى.

وفيه رسم بالإفراج عن الأمير بكلمس من سجنه بالإسكندرية. فلما خرج من سجنه، وتوجه يريد القاهرة أدركه مرسوم السلطان بأن يسير إلى القدس، ويقم به بطالا، فمضى حيث رسم به.

(١) المهرجة، ومفردها هرج، دنانير تستعمل خاصة فى الحلجى كالأساور.

(٢) أسوان: سبق ترجمتها. انظر معجم البلدان ١/١٩١، والروض المعطار ٥٧، ٥٨، ونزهة

المشتاق ٢٧، والمروج ٤٠/٣، الإدرسى ٢١..

وفيه رسم بإعادة ناصر الدين محمد بن تقي الدين عمر بن نجم الدين محمد بن زين الدين عمر بن أبي القاسم بن عبد المنعم بن أبي الطيب الدمشقي الشافعي إلى كتابة السر بدمشق، عوضا عن أمين الدين محمد بن الحمصي بعد وفاته.

وفيه رسم بانتقال الأمير سيف الدين جنتمر التركماني من إمرة الطبلخاناه بدمشق إلى نيابة حمص، عوضا عن تَمَان بغا الظاهري، بعد وفاته.

وفيه تنكر السلطان على سنودن الحمزاوي الخاصكي، وضربه بين يديه، وسجنه بخزانة شمایل مدة أيام، ثم أخرجه منفيا إلى بلاد الشام.

وفي ثاني عشرينه: خلع على علاء الدين علي بن الحريري شاد المارستان، واستقر في كشف الوجه البحري، عوضا عن علاء الدين علي الحلبي إلى ولاية الغربية، كل ذلك بمال وعد به.

وفيه قدم ركب الحاج الأول.

وفي رابع عشرينه: قدم المحمل ببقية الحجاج، وقد تأخر قدومهم يومين عن العادة. شهر صفر أوله الأحد.

ففي ليلة الأربعاء رابعه: وقع حريق بخط باب سر المدرسة الصالحية، تلف فيه عدة دور، فنزل إليه الأمير فارس حاجب الحجاب، والأمير تَمْرِبغا المنجكي الحاجب، والأمير أرغون شاه أمير مجلس، والأمير طولو، حتى طفوه.

وفيه قبض على أبنال خازن دار الأمير تاني بك اليحياوي أمير أخور، وقد اتهم بأنه ممن كان من أعوان ألي باي.

وفيه ابتداء وعك بدن السلطان، وحدث له إسهال مفرط، لزم منه الفراش، واستمر وعكه مدة تزيد على عشرين يوما.

وفي تاسعه: قدم البريد بموت الأمير بكلمش العلاي أمير أخور، في نفيه بالقدس.

وفي عاشره: رسم السلطان للفقراء بمال كبير يفرق فيهم، فاجتمع تحت القلعة منهم عالم كبير وازدحموا لأخذ الذهب، فمات في الزحام منهم سبعة وخمسون شخصا، ما بين رجل وامرأة، وصغير وكبير.

وفي ثاني عشره: رسم يجمع أهل الإصطبل السلطاني من الأمير أخورية،

والسلاخورية^(١)، ونحوهم، فاجتمعوا، ونزل السلطان من القصر إلى مقعده بالإصطبل - وهو موعوك^(٢) - لعرضهم، حتى انقضى ذلك وصرفهم. ثم قبض على جرباش من جماعتهم، وعرض الخيول وفرق خيل السباق على الأمراء كما هي العادة، ثم عرض الجمال البختى. كل ذلك تشاغلا، والغرض غير ذلك. ثم أظهر أنه قد تعب، واتكأ على الأمير نوروز الحافظى أمير أخور، ومشى فى الإصطبل متكئا عليه حتى وصل إلى الباب الذى يصعد منه إلى القصر، أدار بيده على عنق نوروز، فتبادر المماليك إليه يلكموه حتى سقط، فبصر السلطان الباب وقد ربط نوروز وسحب حتى سجن عنده. وكان القصد فى حركة السلطان مع توقعه إنما هو أخذ نوروز، فإنه كان يتهمه بملافة ألى باى، ومعه الأمير أقبغا اللكاش. ثم بلغه أن نوروز، قصد أن يركب فمنعه أصحابه، وأشاروا عليه أن يصبر حتى ينظر، فإن مات السلطان حصل القصد بغير تعب، وإن حصل له الشفاء، جمع لحربه وركب، وكان ممن حضر هذا المشور مملوكان من الخاصكية، قرر نوروز معهما أنهما إذا كانت ليلة نوبتهما فى المبيت عند السلطان يقتلاه، ويرميا الثريا التى توقد بالمقعد المظل على الإصطبل حتى يأخذ هو حينئذ الإصطبل ويركب للحرب، فتم هذان المملوكان عليه، وأعلما صاحبا لهما من المماليك يقال له قانى باى، وواعده أن يكون معهما، فأجابهما. وحضر إلى السلطان وأعلمه الخبر، فكان ما ذكر، وعندما قبض على نوروز ارتجت المدينة، وغلقت الأسواق، وحسب الناس أنها فتنة، فلم يظهر شىء، وسكن الحال، ونودى بالأمان، ففتح باب زويلة، وكان قد أغلق بغير إذن الوالى، فضرب البواب بالمقارع، وشهّر من أجل أنه أغلقه. فلما أصبح الناس يوم السبت رابع عشره خلع على الأمير أقبغا اللكاش بنبابة الكرك، وأخرج من ساعته ومعه الأمير أرسطأى رأس نوبة، والأمير فارس حاجب الحجاب، والأمير تمرىغا المنجكى أمير حاجب، موكلين به إلى خارج القاهرة، وأذن له فى الإقامة بخانكة سرياقوس عشرة أيام، حتى يجهز أحواله. ووكل به الأمير تانى بك الكركى الخاصكى، وأن يكون متسفره.

وفى ليلة الأحد خامس عشره: أنزل الأمير نوروز من القلعة إلى الحراقة، وأخذ النيل إلى الإسكندرية ومعه الأمير أرنبغا الحافظى أحد أمراء العشرات موكلا به حتى يسجنه بالبرج.

وفى ثامن عشره: قبض على قوزى الخاصكى، وسلم إلى والى القاهرة.

(١) السلاخورية، مفردها سلاخور، وهو كبير الجماعة الذين يتولون علف الدواب.

(٢) أى: مريض.

وفي تاسع عشره: أنعم على الأمير سيف الدين تمتاز الناصري بإقطاع نوروز الحافظي، وعلى الأمير سودن المارديني بإقطاع اللكاش، وعلى الأمير سيف الدين أرغون البيدمري الأقبغاوي، واستقر أمير مجلس. واستقر الأمير سودن قريب السلطان أمير أخور، عوضاً عن نوروز.

وفي ثالث عشرينه: أملى بعض المماليك السلطانية سكان الطباقي. بالقلعة على بعض فقهاء الطباقي أسماء جماعة المماليك والأمراء أنهم قد اتفقوا على إقامة فتنة، فكتبها ودخل بها المملوك على السلطان، فلما قرئت عليه استدعى المذكورين، وأخبرهم بما قيل عنهم، فحلوا أوساطهم، ورموا سيوفهم وقالوا: «يوسطنا السلطان، وإلا يخبرنا بمن قال هذا عننا؟». فاحضر المملوك وسلمه إليهم فضربوه نحو الألف، فقال: «أنا اختلقت هذا حنقا من فلان» وسمى شخصا قد خاصمه، فأحضر الفقيه الذي كتب الورقة، وضرب بالمقارع، وسمر، ثم عفى عنه من القتل، وسجن بخزانة شمائل.

وفي آخره: وصل اللكاش إلى غزة^(١)، فقبض عليه بها، وأحيط بسائر ما معه، وحمل إلى قلعة الصبيبة، فسجن بها.

وفي هذا الشهر: ورد البريد بأن السكة ضربت في ماردين^(٢) باسم السلطان، وخطب له بها على المنبر، وحملت الدنانير والدراهم باسم السلطان إليه، ففرقها في الأمراء.

شهر ربيع الأول، أوله الإثنين.

ففي ثانيه: استقر القاضي أمين الدين عبد الوهاب بن قاضي القضاة شمس الدين محمد بن أحمد بن أبي بكر الطرابلسي الحنفي في قضاء العسكر، عوضاً عن موفق الدين العجمي، بحكم أنه نقل إلى قضاء الحنفية بالقدس، عوضاً عن خير الدين بن عيسى الحنفي بعد موته.

وفي رابعه: قدم البريد بوفاة الأمير سيف الدين أرغون شاه الإبراهيمي نائب حلب، وأحضر سيفه على العادة.

وفيه عمل السلطان المولد النبوي على عادته.

(١) غزة: سبق ترجمتها. انظر معجم البلدان ٢٠٢/٤، انظر الروض المعطار ٤٢٨، معجم ما استعجم ٩٩٧/٣.

(٢) ماردين: سبق ترجمتها. انظر معجم البلدان ٣٩/٥، والروض المعطار ٥١٨، والكرخي ٥٣، ونزهة المشتاق، ١٩٩، ٢٠٠، وآثار البلاد ٢٥٩.

وفي سادسه: توجه الأمير أرغون شاه أمير مجلس إلى السراحة ببلاد الصعيد على عادة من تقدمه.

وفي حادى عشره: رسم أن ينقل الأمير علاء الدين أقبغا الجمالى من نيابة طرابلس إلى نيابة حلب، وتوجه بتقليده الأمير أينال باى بن قجماس، وكان قد سأل فى ذلك على أن يحمل ألف ألف درهم فضة واستقر أيضا الأمير شرف الدين يونس بلطاً نائب حماة فى نيابة طرابلس، وتوجه بتقليده الأمير يلبغا الناصرى. واستقر الأمير دمرداش المحمدى أتابك العساكر بحلب فى نيابة حماة، وتوجه بتقليده الأمير سيف الدين شيخ من محمود شاه رأس نوبة. واستقر الأمير سيف الدين سودن الظريف نائب الكرك، وسار من القاهرة ومعه الأمير تانى بك الكركى متسفرا.

وفي خامس عشره: توجه الأمير تغرى بردى أمير سلاح إلى السرحة بالبحيرة^(١)، وتوجه إليها أيضا الأمير فارس حاجب الحجاب.

وفي سلخه^(٢) قبض على الأمير عز الدين أزدمر أخى أينال، وعلى ناصر الدين محمد ابن أينال اليوسفى، ونفيا إلى الشام.

شهر ربيع الآخر.

أوله الأربعاء، فرسم فيه للأمير صُراى تَمُر شَلَقِ الناصرى رأس نوبة، أحد الطبلخاناه بديار مصر، بإمرة دمرداش بحلب، وأُخرج إليها.

واستقر جمال الدين يوسف بن أحمد بن غانم قاضى نابلس فى خطابة القدس، عوضا عن العماد الكركى.

وفي تاسعه: استقر شهاب الدين أحمد بن عمر بن الزين الحلبي فى ولاية القاهرة، وعزل عنها الأمير بهاء الدين أرسلان الصفدى، وألزم بعشرين ألف أردب شعير كان قد قبضها من الأمير يلبغا الجنون الكاشف لما كان يلى ولاية العرب؛ ليفرقها فى العربان.

وفي ثالث عشره: نودى بالقاهرة ومصر أن يتجهز الحجاج الرجبية إلى مكة، فسر الناس ذلك. وكانت الرجبية قد بطلت من سنة ثلاث وثمانين وسبعمائة.

وفي رابع عشره: نودى أيضا: «من له ظلامة، من له شكوى، فعليه بالباب

(١) كورة معروفة من نواحي الإسكندرية بمصر، تشتمل على قرى كثيرة ودخل واسع. انظر

معجم البلدان ٢٠٨/٣.

(٢) المقصود آخره.

الشريف». وجلس السلطان على العادة في يومى الثلاثاء والسبت للنظر فى المظالم. واستقر الأمير ناصر الدين محمد بن طلى والى قليوب، عوضا عن الأمير ناصر الدين محمد بن قرأبغا الألتاقى.

وفى عشرينه: أنعم على إينال بن إينال بنخيز أخيه محمد، وعلى كل من سودن من زاده، وتغرى بردى الجلبانى، ومنكلى بغا الناصرى، وبكمر جلق الظاهرى، وأحمد بن عمر الحسنى بإمرة طبلخاناه. وأنعم على كل من بشباى، وتمربغا من باشاه، وشاهين من إسلام وجوبان العثمانى، وجكّم من عوض بإمرة عشرة.

وفى خامس عشرينه: طلع رجل عجمى إلى السلطان - وهو جالس للحكم بين الناس - وجلس بجانبه ومد يده إلى لحيته، فقبض عليها وسبه سبا قبيحا، فبادر إليه رعوس التوب، وأقاموه ومروا به وهو مستمر فى السب، فسلم إلى الوالى، فنزل به وضربه أياما حتى مات.

وفيه استعفى الأمير سودن باشاه من الحجوية لعجزه، فأعفى، واستعيد خبزه.

وفى يوم الخميس سلخه: خلع الأمير تاج الدين عبد الرزاق بن أبى الفرج بن نقولا الأرمنى الأسلمى، والى قطيا، واستقر فى الوزارة عوضا عن الوزير الصاحب بدر الدين محمد بن الطوخى، وكان بدء أمره. وسبب ولايته أن أباه كان نصرانيا من النصارى الأرمين الذين قدموا إلى القاهرة، فأظهر الإسلام وخدم صيرفيا بناحية منية عقبة من الجيزة مدة، ثم انتقل إلى قطيا، وخدم بها صيرفيا. ومات هناك، فاستقر ابنه عبد الرزاق هذا عوضه، وباشر الصرف بقطيا مدة، ثم سمت نفسه إلى أن استقر عاملا بها، فباشر زمانا. وانتقل من عمالة قطيا إلى وظيفة الاستيفاء فوعد بمال، واستقر فى نظر قطيا، ثم جمع إليها الولاية، ولم يسبق إلى ذلك، فباشرها مدة. وترك زى الكتاب ولبس القباء والكلفتاه، وشد السيف فى وسطه، وصار يدعى بالأمير بعدما كان يقال له العلم. ثم صار يقال له القاضى، وتشدد على الناس فى أخذ المكوس، وكثر ماله، فوشى به إلى الصاحب بدر الدين محمد بن الطوخى، فندب إليه الأمير شهاب الدين أحمد بن الزين الحلبي، فسار إليه، وصادره، وضرب ابنه عبد الغنى - وكان صغيرا - بحضرتة، وأخذ منه مالا جزيلا يقارب الألف ألف درهم، فحنق من الوزير، وكتب إلى السلطان يسأل فى الحضور، فأذن له وقدم، فأوصله المهتار زين الدين عبد الرحمن إلى السلطان فى خفية، فرافع الوزير بما وغر عليه صدر السلطان، ونزل وقد رسم له أن ينزل عند الوزير، فأقام بداره وتحدث فى الوزارة مع خواص السلطان، فنقل مقامه على الوزير، واستأذن السلطان فى سفره إلى قطيا فلم يأذن له، وبعث إلى ابنه عبد الغنى بخلعة، وجعله فى

الولاية بقطيا، وقرره فى الوزارة، فنزل بزى الأمراء وسلم إليه ابن الطوخى، فأنزله من القلعة ومعه شاد الدواوين. وقبض على برهان الدين إبراهيم بن عبد الكريم الدمياطى ناظر المواريث بالقاهرة ومصر، وناظر الأهراء، وعلى المتقدم زين الدين صابر وشريكه على البديوى، فالتزم الدمياطى للوزير بأربعمائة ألف درهم، والتزم مقدما الدولة بثلاثمائة ألف درهم، وتسلمهم الأمير شهاب الدين أحمد بن الحاج عمر قطينة أستاذار البيوت؛ ليخلص ذلك منهم.

شهر جمادى الأولى أوله الجمعة.

فى رابعة: رسم بإحضار الأمير سيف الدين يلغا الأحمدي المجنون من ثغر دمياط، فتوجه لإحضاره سيف الدين بيغان الخاصكى.

وفى يوم الإثنين حادى عشره: استدعى الرئيس فتح الدين فتح الله بن معتصم بن نفيس الداودى - رئيس الأطباء - وخلع عليه، واستقر فى كتابة السر عوضا عن بدر الدين محمود الكلستانى بحكم وفاته. وفتح الله هذا كان جده نفيس يهوديا من أولاد نبي الله داود عليه السلام، فقدم من توريث فى أيام الملك الناصر حسن بن محمد بن قلاوون^(١) إلى القاهرة، واختص بالأمير شيخو العُمري وطلبه، وصار يركب بغلة بخف ومهماز، وهو على اليهودية. ثم أنه أسلم على يد السلطان حسن. وولد فتح الله بتوريث وقدم على جده، فكفله عمه بديع بن نفيس، وقد مات أبوه وهو طفل. ونشأ وعانى الطب إلى أن ولى رئاسة الأطباء بعد موت شيخنا علاء الدين على بن صغير، واختص بالملك الظاهر، فولاه كتابة السر بعدما سئل فيها بقتظار من ذهب، فأعرض عنه، واختار فتح الله، مع علمه ببعده عن معرفة صناعة الإنشاء، وقال «أنا أعلمه» فباشر ذلك، وشكره الناس.

وفى رابع عشره: خلع على جمال الدين يوسف الملطى الحلبي^(٢) قاضى القضاة الحنفية، واستقر فى تدريس المدرسة الصرغتمشية المجاورة للجامع الطولونى عوضا عن الكلستانى.

(١) حسن (الناصر) بن محمد (الناصر) بن قلاوون، أبو المحاسن: من ملوك الدولة القلاوونية بمصر والشام. ببيع بمصر، صغيرا بعد مقتل أخيه (حاجى، المظفر) سنة ٧٤٨ هـ. وكان اسمه قمارى فلما ولى السلطنة تسمى حنا ثم خلع وأعيد إلى الحكم فكانت مدة سلطنته الثانية ست سنين وتسعة أشهر وأياما. انظر ابن إياس ١٩٠/١ والبداية والنهاية ٢٢٤/١٤ والأعلام ٢١٦/٢.

(٢) يوسف بن موسى بن محمد، أبو المحاسن جمال الدين الملطى: قاضى حنفى أصله من خرتيرت بديار بكر ومولده بمطبية (فى شمالى سورية) استقر فى حلب، وولى قضاء الحنفية بمصر فى أواخر أعوامه. انظر الضوء اللامع ٣٣٥/١٠ وإعلام النبلاء ١٣٣/٥ وشذرات الذهب ٤٠ والأعلام ٢٥٥، ٢٥٤/٨.

وفيه وجد في تركة الكلستانى من الذهب المختوم ما زنته مائة رطل وعشرة أرتال
مصرية، سوى الأثاث والثياب والكتب والخيول وغير ذلك.

وفي خامس عشره: استقر الأمير صارم الدين إبراهيم بن ناصر الدين محمد بن مقبل
في ولاية مصر، عوضا عن الأمير علم الدين سليمان الشهرزورى وأضيف إليه ولايتى
الصناعة والأهراء والقرافتين.

وورد البريد بوقوع الفتنة بين محمد بن عمر بن عبد العزيز الهوارى وبين أصحاب
على بن غريب الهوارى النازلين بالأشمونين^(١). وذلك أن ابن عمر أراد إخراجهم من
البلاد، فتحالف أصحاب ابن غريب الهوارى الذين بالبحيرة وغيرها، مع فزارة وعرك
وبنى محمد. ووافقهم عثمان بن الأحذب، وكبسوا بأجمعهم كاشف الوجه القبلى،
وقتلوا عدة مماليكه. ونجا بنفسه، فرسم بتجريد ستة من الأمراء المقدمين، وهم الأمير
تغرى بردى أمير سلاح، والأمير أرغون شاه أمير مجلس، وتمربغا المنجكى أمير حاجب،
والأمير أرسطاي رأس نوبة، والأمير بكتمر الركنى، وسودن الماردىنى، ورسم بتجريد
عدة من أمراء الطبلخاناه والعشرات. ورسم لكل من المقدمين ثلاثين ألف درهم،
وبكل من الطبلخاناه - وهم عشرة - بعشرة آلاف درهم، ولكل من العشرات بخمسة
آلاف درهم. فشرعوا فى التجهيز إلى السفر، فحضر إلى القلعة فخر الدين عثمان بن
الأحذب طائعا، وشكى من ابن عمر، وأن العربان توجهوا بعد كسرة الكاشف إلى
ناحية جرجا^(٢)، وقتلوا محمد بن عمر فكسرهم، وردوا مهزومين، فبطل سفر الأمراء.

وفيه قدم البريد بموت الأمير سيف الدين صرغتمش المحمدى القزوينى نائب
الإسكندرية.

شهر جمادى الآخرة أوله السبت.

فى عاشره: توجه على البريد شهاب الدين أحمد بن خاص ترك إلى دمشق، واستقر
جمال الدين الهذبانى فى نيابة قلعة دمشق، عوضا عن يلو.

وفى يوم الجمعة رابع عشره: أركب الوزير ابن الطوخى حمارا وسار به الرسل إلى
القلعة، فتمثل بين يدى السلطان، وطالبه مشافهة بالمال، فأنكر أن يكون له مال، وحلف
بالله على ذلك، فلم يقبل قوله. وسلمه إلى الوزير تاج الدين بن أبى الفرج، فأنزله إلى
داره، وعصره فتجلد ولم يعترف بشيء، فأخذ عبدا من عبيده وخوفه وهم بضربه، فدل

(١) قصة كورة من كور الصعيد الأدنى غربى النيل. انظر معجم البلدان ٣/٢٠٨.

(٢) قرية من أعمال الصعيد قرب إجميم. انظر معجم البلدان ٢/١١٩.

على شعير وجد فيه أربعة آلاف دينار ونيف، ثم وجد فى مكان آخر تيمة^(١) سبعة آلاف دينار، وضرب بعد ذلك فلم يعترف بشيء، فقام فى أمره القاضى سعد الدين إبراهيم بن غراب ناظر الجيوش وناظر الخاص، وتسلمه على أن يحمل سبعمائة ألف درهم، ونقله إلى داره، فشرع فى بيع أثائه وإيراد المال.

وفى رابع عشرينه: استقر الأمير زين الدين فرج الحلبي أستاذار الأملاك والذخيرة فى نيابة الإسكندرية، وخرج إليها.

وفيه استقر الأمير قلطوبغا والى الشرقية كاشف الوجه البحرى، وصرف على بن الحريرى. وخلع على الأمير علاء الدين على نائب الوجه البحرى خلعة استمرار، وتذكر الطرانة بثمانمائة ألف درهم فى السنة.

وفى خامس عشرينه: استقر الطيب كمال الدين عبد الرحمن بن ناصر بن صغير، والطيب شمس الدين عبد الحق بن فيروز فى رئاسة الأطباء، عوضا عن فتح الله كاتب السر.

شهر رجب أوله الإثنين.

وفى ثانيه: استقر جقمق الصفوى فى نيابة ملطية^(٢) عوضا عن دقماق الحمدي، وجهاز تقليده وتشريفه على يد مقبل أمير خازندار، على البريد.

وفى رابعه: كتب لنائب قلعة حلب بأن يحمل مائة قرقل^(٣) وخمسين بركستوان^(٤) من خزانة السلاح بها إلى نائب يأذنه^(٥)، أحمد بن رمضان، وحمل له أيضا مبلغ ألفى دينار.

وفى سادسه: رسم ليدر الدين المقدسى بقضاء الحنفية بدمشق عوضا عن محيي الدين محمود بن أحمد بن الكشك، وتقى الدين إبراهيم بن محمد بن مفلح^(٦) بقضاء الحنابلة

(١) تكملة.

(٢) ملطية: سبق ترجمتها. انظر معجم البلدان ١٩٢/٥.

(٣) القرقل: سلاح يشبه الدرع يتخذ من صفائح الحديد ويغشى بالديباج الأحمر والأصفر.

(٤) ما يوضع حول بدن الفرس كالدرع.

(٥) تقع بجزاء شرق جبل كاتوزع. انظر معجم البلدان ١٤٤/٥، ١٤٥.

(٦) إبراهيم بن محمد بن مفلح الأرامينى الأصل، الدمشقى، أبو إسحاق، شيخ الحنابلة فى عصره. من كتبه «طبقات أصحاب الإمام أحمد» و«كتاب الملائكة» و«شرح المقنع» وتلف أكثر كتبه فى فتنه تيمور بدمشق. انظر المنهج الأحمد والدارس ٤٧/٢ والقلائد الجوهريّة ١٦١ والمقصد الأرشد والأعلام ٦٤/١.

بدمشق، عوضا عن شمس الدين محمد النابلسي. واستقر الأمير يلبغا المجنون على إقطاع الأمير حسام الدين حسن بن علي الكجكي، بحكم وفاته.

وفي يوم الإثنين ثامن: دار المحمل، وبرز الأمير بيسق الشيخى بالريداية ليكون أمير الحاج الرجبية، ورسم له بعمارة ما تهدم من المسجد الحرام، وخرج معه المعلم شهاب الدين أحمد بن طولوني المهندس، وبرز الناس شيئا بعد شيء للحج.

وفي حادى عشره: استقر كاتبه أحمد بن علي المقريزي^(١) فى حسبة القاهرة والوجه البحرى، عوضا عن شمس الدين محمد المخانسي.

وفي خامس عشره: استقر قاضى القضاة صدر الدين محمد بن إبراهيم المناوى^(٢) الشافعى فى قضاء القضاة بديار مصر، وصرف تقى الدين عبد الرحمن بن محمد الزبيرى، ونزل معه دوادار السلطان الأمير بيبرس، والأمير فارس حاجب الحجاب، والأمير أرسطاي رأس نوبة، وفتح الدين كاتب السر إلى المدرسة الصالحية بين القصرين، فكان يوما مشهودا لم نر بعده لقاض مثله.

وفي سادس عشره: ركب البريد الأمير مشترك الخاصكى بتقليد نيابة غزة للأمير الطنبغا قراقاش.

وفي تاسع عشره: رحل ركب الحجاج من بركة الجب إلى مكة.

وفي ثانى عشرينه استقر الأمير يلبغا المجنون فى وظيفة الأستاذية، وصرف الأمير ناصر الدين محمد بن سنقر البجكاوى، ونزل فى خدمته نحو العشرين أميرا. واستقر ابن سنقر أستاذار الأملاك والأوقاف، والذخيرة السلطانية، عوضا عن أمير فرج نائب الإسكندرية.

(١) أحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العباس الحسينى العبيدى، تقى الدين المقريزى: مؤرخ الديار المصرية. أصله من بعلبك، ونسبته إلى حارة المقارزة، ولد ونشأ ومات فى القاهرة، وولى فيها الحسبة والخطابة والإمامة مرات. من تأليفه «المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار» ويعرف «بخطط الملوك» و«اعتاظ الحنفا فى أخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء» والكتاب الذى بأيدينا. انظر التبر المسبوك ٢١ وخطط مبارك ٦٩/٩ ودرر الفوائد وآداب اللغة ١٧٥/٣ والفهرس التمهيدى ٣٨٣، ٤٣٦ والبدر الطالع ٧٩/١ والأعلام ١٧٧/١، ١٧٨.

(٢) محمد بن إبراهيم بن إسحاق السلمى المناوى ثم القاهرى، الشافعى، صدر الدين، أبو المعالى: قاضى، عالم بالحديث. من أهل القاهرة. ناب فى الحكم، وولى إفتاء دار العدل، ثم قضاء الديار المصرية استقلالاً سنة ٧٩١هـ ثم صرف بعد شهرين، وأعيد. وصنف «كشف المناهج والتنقيح فى تخريج أحاديث المصاييح». مات غريقا فى القرات. انظر الرسالة المستطرفة ١٤٠ والضوء اللامع ٢٤٩/٦ والكتبخانه ٣٨٨/١ والأعلام ٢٩٩/٥، ٣٠٠.

وفي خامس عشرينه: كتب إلى الأمير تنم نائب الشام بالقبض على الأمير شهاب الدين أحمد بن الشيخ على نائب صفد^(١)، والأمير سيف الدين جُلبان الكمشبغاوي أتاكب دمشق، فورد المرسوم على النائب وهو بالغور^(٢)، فاستدعى نائب صفد وقبض عليهما، وبعث بسيفهما إلى قلعة الجبل على العادة، وسجنا بقلعة دمشق. ورسم أن يستقر الأمير علاء الدين أَلطنبغا العثماني حاجب الحجاب بدمشق في نيابة صفد، فسار إليها في خامس شعبان، ونقل الأمير سيف الدين يُيُقجاه الشرفي طيفور نائب غزة إلى دمشق، واستقر حاجب الحجاب بها، ونقل علاء الدين أَلطنبغا نائب الكرك لنيابة غزة.

شهر شعبان أوله الأربعاء.

في خامسه: قرئ تقليد قاضي القضاة صدر الدين المناوي بالظاهرية الجديدة على العادة، وحضر القضاة والفقهاء والوزير تاج الدين، والأمير تمرغا المنجكي أمير حاجب، والأمير أينال باي بن قمحاس، وقرأه القاضي ناصر الدين محمد بن الصالحى أحد نواب الحكم، فخلع عليه القاضي سعد الدين بن غراب بعد فراغه من القراءة، وكان قد جلس بالقبه، ومعه الأمير أبو بكر أمير حاجب.

وفي تاسعه: استقر كمال الدين عمر بن العديم في قضاء الحنفية بجلب، وتوجه إليها من القاهرة، وكان قد قدم إليها بطلب. وخلع على سائر الأمراء المقدمين أقبية مقترح نخ، وهي أقبية الشتاء. وكان قد بطل ذلك منذ انقطع الركوب فى الميادين نحو خمس عشرة سنة. وخلع على الأمير بلبغا السالمى أحد العشرات، واستقر فى نظره خانقاه شيخو، عوضا عن الأمير حاجب الحجاب فارس، لشكوى الصوفية من تأخر معاليهم مدة أشهر. واستقر الأمير على بن مسافر نائب السلطنة بالوجه البحرى، وخلع عليه عوضا عن أمير على السيفى.

وفي ليلة الإثنين ثالث عشره: - بالرؤية - خسف القمر جميعه.

وفي رابع عشره: خلع على الأمير علاء الدين على بن الحريرى لولاية قوص^(٣) عوضا عن قطليجا بن أوزان، وعلى كزل الحمودى لولاية منوف^(٤)، عوضا عن علاء

(١) مدينة فى أقصى الشام من ناحية مصر، بينها وبين عسقلان فرسخان . انظر معجم البلدان

٢٢٢/٤.

(٢) غور الأردن بالشام. بين بيت المقدس ودمشق، وهو منخفض عن أرض دمشق وأرض البيت

المقدس. انظر معجم البلدان ٢١٧/٤، والروض المعطار ٤٣١.

(٣) هى مدينة كبيرة عظيمة واسعة قصبه صعيد مصر، بينها وبين القسوطا اثنا عشر يوما. انظر

معجم البلدان ٤١٣/٤.

(٤) منوف: سبق ترجمتها. انظر معجم البلدان ٢١٦/٥.

الدين على بن مسافر. وحمل جهاز خديجة بنت الأمير جهار كس الخليلي على ثلاثمائة وستين جملا، وعشرين قطارا بغالا، إلى دار زوجها الأمير بيبرس الدوادار ابن أخت السلطان، وبنى عليها الجمعة سبع عشرة. وكتب لثائب حلب بأن يحمل إلى عثمان بن طور على من المال الحاصل خمسين ألف درهم فضة مع الأمان المجهز له، وكتب لثائب صغد أن يحمل موجود الأمير أحمد بن الشيخ على نائب صغد^(١)، كان.

وفي ثالث عشرينه: خلع على القاضي أصيل الدين محمد بن عثمان الأشليمي واستقر في قضاء القضاة الشافعية بدمشق، عوضا عن شمس الدين محمد بن الأحنأى، على مال، فكتب إلى دمشق بأن يخلفه في الخطابة والقضاء شهاب الدين أحمد بن حجي، فتاب فيهما عنه.

وفي رابع عشرينه: ترافع الأمير محمد بن عمر بن عبد العزيز الهواري أمير هوار، هو والأمير عثمان بن الأحذب، والأمير الطنبغا والى العرب نائب السلطنة بالوجه القبلي بين يدي السلطان بالإصطبل، فظهر الحق مع محمد بن عمر، فسلم الطنبغا إلى الوزير ليصادره، وسلم ابن الأحذب وأولاده إلى الوالي، فسجنهم بخزانة شمائل، واستقر أمير على السيفي نائب السلطنة بالوجه القبلي.

وفي أخريات شعبان: رسم للقضاة بعرض الشهود الجالسين بالخوانيت للتكسب بالشهادة، فكتب نقيب القضاة أسماءهم، وشرع القضاة في عرضهم ليختبر حال كل منهم، ويبقى من عرف بحسن السيرة، ويمنع من تحمل الشهادة من جهل حاله أو عرف بسوء، فمنع جماعة، ثم أعيدوا بالرسائل وشفاعات الأكابر، فلم يتم الغرض.

شهر رمضان أوله الخميس.

في ثالثه: خلع على الأمير سيف الدين أوناط اليوسفي، واستقر كاشف الوجه البحري، وعزل قطلوبغا الخليلي.

وفي عاشره: خرج البريد لإحضار الشيخ ولي الدين عبد الرحمن بن خلدون^(٢) من قريته بالفيوم؛ ليستقر في قضاء القضاة المالكية، وكان قد سعى في ذلك شرف الدين محمد بن الدماميني^(٣) الإسكندراني، بسبعين ألف درهم، فردها السلطان.

(١) صغد: سبق ترجمتها. انظر: معجم البلدان ٤١٢/٣.

(٢) عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن خلدون أبو زيد ولي الدين الحضرمي الإشبيلي الفيلسوف المورخ، العالم الاجتماعي البحاثة. أصله من إشبيلية ومولده ومنشأه بتونس. ورحل إلى فاس وغرناطة وتلمسان والأندلس وتولى أعمالا، واعترضته دساتس ووشايات، وعاد إلى تونس ثم توجه إلى مصر فأكرمه الظاهر برفوق. وولى فيها قضاء المالكية ولم يتزى بزى القضاة محتفظا بزى بلاده. وعزل، وأعيد. وتوفى فجأة في القاهرة. اشتهر بكتابه «العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر». انظر: الضوء اللامع ١٤٥/٤ ونيل الابتهاج ١٧ ونفح الطيب ٤١٤/٤ والعبير ٣٧٩/٧ والأعلام ٣٣٠/٣.

(٣) محمد بن أبي بكر بن عمر بن أبي بكر بن محمد، المخزومي القرشي، بدر الدين المعروف =

وفي خامس عشره: حضر ابن خلدون وخلع عليه، واستقر فى قضاء القضاة المالكية، عوضا عن ناصر الدين محمد بن التنسى بعد موته، فشرع فى عرض الشهود، وأغلق عدة حوانيت استجدت بعده. وهذه ولايته الثانية بعد ما أقام معزولا نحو خمس عشرة سنة.

وفي سادس عشره: سافر قاضى القضاة أصيل الدين إلى دمشق على خيل البريد، بعد ما وزن نحو المائة ألف درهم تداين كثيرا منها.

وفي حادى عشرينه: استقر الأمير ركن الدين عمر بن على الكورانى، فى ولاية مصر، عوضا عن الصارم إبراهيم بن مقبل بعد عزله.

وفي رابع عشرينه: كتب بالإفراج عن الأمير شهاب الدين أحمد بن الشيخ على من اعتقله بقلعة دمشق، وأن يستقر فى الأتابكية بدمشق، عوضا عن الأمير جلبان.

وفي سابع عشرينه: أخرج الأمير علاء الدين على بن الطبلاوى من خزانة شمائل، وسلم إلى الأمير يلبغا المجنون الأستادار، فاجتمع لخروجه من الناس عدد لا يحصيه إلا الله، وظنوا أنه قد أفرج عنه، فاشترى من الزعفران، وأوقدوا من الشموع ما يبلغ ثمنه ألوف الدراهم. فلما يتسوا منه انقبلوا خائبين، وكان هذا من جملة ذنوبه التى نقت عليه.

وفي ثامن عشرينه: قدم أصيل الدين محمد بن عثمان إلى دمشق على البريد. وفي هذا الشهر: ورد الخبر بأخذ تيمور لىك بلاد الهند، وأن سباياها أبيع بخراسان

بأجنس الأثمان، وأنه توجه من سمرقند^(١) إلى الهند فى ذى الحجة من السنة الماضية. شهر شوال أوله الجمعة: صلى السلطان صلاة عيد الفطر بالميدان على العادة، وصلى به قاضى القضاة صدر الدين محمد المناوى^(٢)، وخطب، وخلع على الأمراء وسائر أرباب الدولة على العادة، فكان يوما مشهودا.

=بابن الدمامينى: عالم بالشريعة وفنون الأدب. ولد فى الإسكندرية، واستوطن القاهرة ولازم ابن خلدون. وتصدر لإقراء العربية بالأزهر ثم تحول إلى دمشق. ومنها حج، وعاد إلى مصر فولى فيها قضاء المالكية ثم ترك القضاء ورحل إلى اليمن فدرس بجامعة زيد سنة، وانتقل إلى الهند فمات بها فى مدينة كلرجا. من كتبه «تحفة الغريب». انظر الضوء اللامع ١٨٤/٧ وشذرات الذهب ١٨١/٧ وآداب اللغة ١٤٣/٣ وحسن المحاضرة ٢٥٨/١ والكتبخانة ٣٣٨/٤ والأعلام ٥٧/٦.

(١) سمرقند: سبق ترجمتها. انظر معجم البلدان ٢٤٨/٣، والروض المعطار ٣٢٢، ٣٢٣.

(٢) محمد بن إبراهيم بن إسحاق السلمى المناوى ثم القاهرى، الشافعى، صدر الدين، أبو المعالى: قاض، عالم بالحديث. من أهل القاهرة. ناب فى الحكم، وولى إفتاء دار العدل، ثم قضاء الديار المصرية استقلالاً سنة ٧٩١ ثم صرف بعد شهرين، وأعيد وصنف «كشف المناهج والتناقيح فى تخريج أحاديث المصاييح» مات غريفا فى الفرات. انظر: الرسالة المستطرفة ١٤٠ والضوء اللامع ٢٤٩/٦ والكتبخانة ٣٨٨/١ والأعلام ٢٩٩/٥، ٣٠٠.

وفيه ورد البريد بموت رجب ابن الأمير كمشبيغا الحموى فى سابع عشرين رمضان، وموت أبيه الأمير الكبير كمشبيغا من الغد فى ثامن عشرينه، بسجن الإسكندرية. فابتهج السلطان لموته، ورأى أنه قد تم له أمره، فإنه آخر من كان قد بقى من الأمراء اليلبغاوية. وأقبل الناس فى يوم العيد وما بعده على أنواع من اللهو فى القرافة والترب خارج القاهرة، وبخرطوم الجزيرة الذى انحسر عنها ماء النيل ببولاق، فمر لهم فيه مسرات، وتفتنوا فى أنواع اللذات، وكأنا كانوا يودعون الأمن والراحات.

وفى خامسه: قدم الأمير دقماق نائب ملطية إلى دمشق معزولا، وتوجه منها إلى القاهرة فى حادى عشره على البريد.

وفى سادسه: أخرج ابن الطبلاوى من القاهرة منفيا إلى الكرك، ومعه نقيب واحد قد وكل به، فسار ذليلا حقيرا وحيدا فريدا، فسبحان مزيل النعم. وما زال سائرا إلى أن وصل بلد الخليل - عليه السلام - فبلغه موت السلطان، فتوجه من بلد الخليل إلى القدس، فمر به الأمير شاهين كتك - يعنى الأفرم - وقد توجه إلى الكرك بخبير موت السلطان، وسلطنة ابنه بعده، فسأله أن يشفع له فى الإقامة بالقدس. فلما ورد إلى قلعة الجبل سأل الأمير الكبير أيتمش فى ذلك فأجابته، وكتب مرسوما إلى ابن الطبلاوى أن يقيم بالقدس، فأقام، وكان من خبره ما يأتى ذكره إن شاء الله.

وفى يوم الثلاثاء خامسه: ابتدأ مرض السلطان. وذلك أنه ركب للعب الكرة بالميدان فى القلعة على العادة. فلما فرغ منه قدم إليه غسل نخل ورد من كختا^(١)، فأكل منه ومن لحم بلشون^(٢)، ودخل إلى قصوره، فعكف على شرب الخمر، فاستحال ذلك خلطا رديا لزم منه الفراش من ليلة الأربعاء، وتنوع مرضه حتى أيس منه لشدة الحمى، وضعف القوى، فأرجفت بموته فى يوم السبت تاسعه. واستمر أمره يشند إلى يوم الأربعاء ثالث عشره، فشنع الأرجاف، وغلقت الأسواق، فركب الوالى ونادى بالأمان. فلما أصبح يوم الخميس استدعى الخليفة المتوكل على الله أبا عبد الله محمد^(٣)، وقضاة القضاة وسائر الأمراء - الأكابر والأصاغر - وجميع أرباب الدولة إلى حضرة السلطان،

(١) كختا قلعة عالية البناء تقع شرقى ملطية، بينها وبين ملطية مسيرة يومين.

(٢) بلشون كلمة قبطية تعنى طائر.

(٣) محمد (المتوكل على الله) بن أبى بكر (المعتضد با الله) بن سليمان (المستكفى) بن أحمد العباسى، أبو عبد الله: من خلفاء الدولة العباسية الثانية بمصر. ببيع بعد وفاة أبيه ٧٦٣هـ بعهد منه بالقاهرة، وطالت مدته، وخلع فى صفر ٧٧٩هـ وأعيد فى ربيع الأول من السنة نفسها. استمر إلى أن توفى بالقاهرة ومدة خلافته نحو من ٤٥ عاما. انظر: بدائع الزهور ١/٣٥٠ وتاريخ الخميس ٢/٣٨٢، ٣٨٣ والضوء اللامع ٧/١٦٨ والأعلام ٦/٥٦.

فحدثهم في العهد لأولاده. فابتدأ الخليفة بالحلف للأمير فرج^(١) ابن السلطان أنه هو السلطان بعد وفاة أبيه، ثم حلف بعده القضاة والأمراء.

وتولى تحليفهم كاتب السر فتح الدين فتح الله، وكان منذ نزل بالسلطان مرضه أقام عنده ليلا ونهارا لثقتة به. فلما تم الحلف لفرج حلفوا أن يكون القائم بعد فرج أخوه عبد العزيز^(٢)، وبعد عبد العزيز أخوهما إبراهيم، ثم كتبت وصية السلطان، فأوصى لزوجاته وسراريه وخدامه بمائتي ألف دينار وعشرين ألف دينار، وأن تعمر له تربة تحت الجبل بجوار تربة الأمير يونس الدوادار خارج باب النصر بثمانين ألف دينار، ويشتري بما يفضل عن العمارة عقار ليقف عليها، وأن يدفن بها في لحد تحت أرجل الفقراء الذين يجوش الخليلي، وهم علاء الدين على السيرامي، وأمين الدين الخلوتى وعبد الله الجيرتى، وعبد الكريم الجيرتى، وطلحة وأبو بكر البجائى، وأحمد الزهورى. وقرر أن يكون الأمير الكبير أيتمش هو القائم بعده بتدبير دولة ابنه فرج. وجعله وصيا على تركته، ومعه الأمير تغرى بردى أمير سلاح، والأمير بييرس الدوادار^(٣)، والأمير يشبك الخازندار، وفتح الدين فتح الله كاتب السر، والأمير ناصر الدين محمد بن سنقر البجكاوى، وسعد الدين إبراهيم بن غراب، والأمير قطلوبغا الكركى، والأمير يلبغا السلمى. وجعل الخليفة ناظرا على الجميع. فلما تقرر ذلك انفض الجميع ونزل الأمراء بأسرهم فى خدمة الأمير أيتمش إلى منزله. فوعدهم بخير، وأنه يبطل المظالم وأخذ البراطيل على المناصب والولايات. وأكثر السلطان من الصدقات، فبلغ ما تصدق به فى هذه المرضة أربعة عشر ألف دينار وتسعمائة دينار وستة وتسعين دينارا.

(١) فرج (الملك الناصر) بن برقوق (الظاهر) بن أنص (أو أنس) العثماني، أبو السعادات زين الدين، من ملوك الجراكسة بمصر والشام. يبيع بالقاهرة سنة ٨٠١ هـ، بعد وفاة أبيه. انظر: ابن إياس ٣١٧/١ و٣٥٠ و٣٥٤-٣٥٧ ووليم موير ١٢٣ والضوء اللامع ١٦٨/٦ والأعلام ١٤٠/٥.

(٢) عبد العزيز (الملك المنصور) بن برقوق بن أنص - أو أنس - العثماني الجركس. أبو العز: من ملوك الجراكسة بمصر والشام يبيع بالسلطنة وهو طفل صغير سنة ٨٠٨ هـ بعد اختفاء أخيه الناصر فرج وقام بأمره وأمر الدولة بييرس الأتابكى. ودامت سلطنته نحو شهرين. وظهر أخوه فاستعاد السلطنة. وأرسل عبد العزيز إلى الإسكندرية فسجن بها ٤٠ يوما ومات مسموما أو مخنوقا. انظر: بدائع الزهور ٣٤٩/١، ٣٥١ والضوء اللامع ٢١٧/٤ والأعلام ١٥/٤.

(٣) بييرس المنصورى الخطائى الدوادار، ركن الدين: مؤرخ من الأمراء بمصر. ولد وتوفى بها عن نحو ٨٠ عاما. كان من ممالك المنصور قلاوون واستنابه بالكرك، ثم صار دوادار السلطان وناظر الأحباس، فتابا للسلطنة فى الديار المصرية. له تصانيف منها «زبدة الفكرة فى تاريخ الهجرة» و«التحفة الملوكية فى الدولة التركية». انظر: النجوم الزاهرة ٢٦٣/٩ والدرر الكامنة ٣٦٩/٤ ودائرة المعارف الإسلامية ٣٦٩/٤ والأعلام ٨٠/٢.

ومات بعد نصف ليلة الجمعة خامس عشر شوال، وقد تجاوز الستين سنة، منها مدة حكمه بديار مصر منذ صار أتاكب العساكر، عوضا عن الأمير طشتمر العلای الدوادار، إلى أن جلس على تخت السلطنة أربع سنين وتسعة أشهر وعشرة أيام. ومنذ تسلطن إلى أن مات ست عشرة سنة وأربعة أشهر وسبعة وعشرون يوما، منها سلطنته إلى أن خلع ست سنين وثمانية أشهر وعشرون يوما، وسلطنته منذ أعيد إلى أن مات تسع سنين وثمانية أشهر. والفترة بينهما ثمانية أشهر وتسعة أيام، ومدة حكمه أتاكبا وسلطانا إحدى وعشرون سنة وعشرة أشهر وستة عشر يوما.

وترك ثلاثة أولاد ذكور: الأمير فرج وتسلطن من بعده، وعبد العزيز وتسلطن أيضا، وإبراهيم ومات - هو وعبد العزيز - فى حياة أخيهم فرج وسلطنته الثانية، بتغر الإسكندرية، واتهم فرج بأنه سمهما. وخلف برقوق^(١) ثلاث بنات تزوجن من بعده.

وترك من الذهب العين ألف دينار وأربعمائة ألف دينار، ومن الغلال والقنود والأعسال والسكر والثياب وأنواع الفرو ما قيمته ألف ألف وأربعمائة ألف دينار. ومن الجمال نحو خمسة آلاف جمل. ومن الخيل نحو سبعة آلاف فرس.

وبلغت جوامك ممالكه فى كل شهر نحو تسعمائة ألف درهم فضة، وعليق خيولهم فى الشهر ثلاثة عشر ألف أردب شعيرا، وعليق الخيل الخاص وجمال النفر، وأبقار السواقى فى كل شهر أحد عشر ألف أردب من الشعير والفلول، وبلغت عدة ممالكه خمسة آلاف مملوك.

وكان نائبه بديار مصر الأمير سودن الفخرى الشيخونى إلى أن مات فلم يستتب بعده أحدا.

ونوابه بدمشق الأمير بيدمر الخوارزمى وعشقتمر الماردىنى، وأطنبغا الجوبانى، وطرنطاي السيفى، ويلبغا الناصرى، وبطا الطولوتمرى، وسودن الطرنطاي، وكمشبغا الأشرفى، وتانى بك المعروف بتتم الحسنى، ومات السلطان وهو على نيابة دمشق.

ونوابه بحلب يلغا الناصرى، وسودن المظفرى، وكمشبغا الحموى، وقرا دمرداش الأحمدى، وجلبان الكمشبغاوى، وتغرى بردى من يشبغا، وأرغون شاه الإبراهيمى، وأقبغا الجمالى، ومات السلطان وهو على نيابة حلب.

(١) برقوق بن أنص - أو أنس - العثمانى، أبو سعيد، سيف الدين، الملك الظاهر: أول من ملك مصر من الشركاسة. حلبه إليها أحد تجار الرقيق (واسمه عثمان) فباعه فيها منسوباً إليه. ثم أعتق وذهب إلى الشام فخدم نائب السلطنة وتولى السلطنة سنة ٧٨٤ وتلقب بالملك الظاهر. توفى بالقاهرة. انظر: ديوان الإسلام وابن إيّاس ٢٥٨/١ و٢٩٠ والضوء اللامع ١٠/٣ والأعلام ٤٨/٢.

ونوابه بطرابلس مأمور القلمطاوى، وكمُشْبُغا الحموى، وأسندمر السيفى، وقرا دمرداش الأحمدى، وأينال بن خجا على، وإياس الجرجاوى، ودمرداش المحمدى، وأرغون شاه الإبراهيم، وأقبغا الجمالى، ويونس بلطا. ومات السلطان وهو على نيابة طرابلس. ونوابه بصفد، أركماس السيفى، وبتخصاص السودونى، وأرغون شاه الإبراهيمى، وأقبغا الجمالى، وأحمد بن الشيخ على، وألطنبغا العثمانى، ومات السلطان وهو على نيابة صفد. ونوابه بحماة^(١) صُحَّحَ الحسنى، وسودن المظفرى، وسودن العلاى، وسودن العثمانى، وناصر الدين محمد بن مبارك بن المهمندار، ومأمور القلمطاوى، ودمرداش المحمدى، وأقبغا السلطانى الصُّغَيْرِ، ويونس بلطا، ثم دمرداش المحمدى، ومات السلطان وهو على نيابة حماة. ونوابه بالكرك طغاي تمر القبلاوى، ومأمور القلمطاوى، وقديد القلمطاوى، ويونس القَشْتَمُرَى، وأحمد بن الشيخ على، وبتخصاص السودونى ومحمد بن مبارك المهمندار، وألطنبغا الحاجب، وسودن الظريف الشمسى، ومات السلطان وهو على نيابة الكرك. ونوابه بغزة قُطْلُوْبغا الصفوى، وأقبغا الصُّغَيْرِ، ويلبغا القَشْتَمُرَى، وألطنبغا العثمانى، وبيقجاه الشرفى طيفور، وألطنبغا الحاجب، ومات السلطان وهو على نيابة غزة.

وأستادارته بديار مصر بهادر، ومحمود بن على، وقرقماس الطَشْتَمُرَى وعمر بن محمد بن قايماز، وقطلو بك العلاى، ويَلْبِغا الأحمدى المجنون، ومحمد بن سنقر البجكاوى، ثم يَلْبِغا المجنون ثانيا، ومات السلطان وهو أستاذار.

وقضاته الشافعية بديار مصر برهان الدين إبراهيم بن جماعة، وبدر الدين محمد بن أبى البقاء، وناصر الدين محمد بن الملىق، وعماد الدين أحمد الكركى وصدر الدين محمد المناوى، وتقى الدين عبد الرحمن الزبيرى، ثم المناوى ثالث مرة، ومات السلطان وهو قاض. وقضاته صدر الدين محمد بن منصور الدمشقى، وشمس الدين محمد الطرابلسى، ومجد الدين إسماعيل بن إبراهيم، وجمال الدين محمود القيصرى، وجمال الدين يوسف الملطى، ومات السلطان وهو قاض. وقضاته المالكية جمال الدين عبد الرحمن بن خير السكندرى، ثم ولى الدين عبد الرحمن بن خلدون، وشمس الدين محمد الرركراكى المغربى، وشهاب الدين أحمد النحريرى، وناصر الدين محمد بن التنسى، ثم ابن خلدون ثانيا، ومات السلطان وهو قاض. وقضاته الحنابلة ناصر الدين العسقلانى، ثم ابنه برهان الدين إبراهيم، ومات السلطان وهو قاض. وقضاته الشافعية بدمشق ولى الدين عبد الله

(١) حماة: من كور حمص بالشام، سبق ترجمتها. انظر معجم البلدان ٢/٣٠٠، ٣٠١، الروض

ابن أبي البقاء، وبرهان الدين إبراهيم بن جماعة، وشرف الدين مسعود، وشمس الدين محمد بن الجزرى وشهاب الدين الزهرى، وعلاء الدين على بن أبي البقاء، وشهاب الدين أحمد الباعونى، وشمس الدين محمد الأحنأى، وأصيل الدين محمد، ومات السلطان وهو قاض.

وزرأوه بديار مصر علم الدين عبد الوهاب سن إبرة، وشمس الدين إبراهيم كاتب أرلان، وعلم الدين عبد الوهاب ابن كاتب سيدى، وكريم الدين عبد الكريم بن الغنام، وموفق الدين أبو الفرج، وسعد الدين نصر الله بن البقرى، وناصر الدين محمد بن الحسام، وركن الدين عمر بن قايماز، وتاج الدين عبد الرحيم بن أبى شاكر، وناصر الدين محمد بن رجب، ومبارك شاه، وبدر الدين محمد بن الطوخى، وتاج الدين عبد الرزاق، ومات السلطان وهو وزير.

وكتاب سره بدر الدين محمد بن فضل الله، وأوحد الدين عبد الواحد بن ياسين، وعلاء الدين على الكركى، وبدر الدين محمود الكلستانى، وفتح الدين فتح الله، ومات السلطان وهو كاتب السر.

ونظار الجيش، تقى الدين عبد الرحمن بن محب الدين، وموفق الدين أبو الفرج، وجمال الدين محمود القيصرى، وكريم الدين عبد الكريم بن عبد العزيز، وشرف الدين محمد بن الدمامينى، وسعد الدين إبراهيم بن غراب، ومات السلطان وهو ناظر الجيش، وناظر الخاص أيضا.

ونظار الخاص سعد الدين نصر الله بن البقرى، وموفق الدين أبو الفرج الوزير، وسعد الدين أبى الفرج بن تاج الدين موسى كاتب السعدى، وسعد الدين إبراهيم بن غراب ناظر الجيش، ومات السلطان وهو ناظر الخاص والجيش.

وكان برقوق جركسى الجنس، قدم إلى مصر مع خواجا عثمان، فاشتره الأمير يلبغا، وسماه برقوق، بعد أن كان اسمه من بلاد القرم سودن، وأعتقه. فلما قتل يلبغا وسجن بالكرك مدة، ثم أفرج عنه، فسار إلى دمشق، وخدم عند نائبها الأمير منجك، ثم استدعى إلى مصر واستخدم عند الأمير على بن الأشرف إلى أن قتل الأشرف.

وكانت أيام الأمير أئبىك، استقر من جملة أمراء الطبلخاناه، ثم ركب فى إخوانه، وملك باب السلسة، وصار أمير أخور، وأقام بالإصطبل السلطانى. ثم صار أميرا كبيرا، وترقى حتى ملك تحت مصر، وتلقب بالملك الظاهر، ثم خلع ونفى إلى الكرك، فسجن بها، ثم أخرجه عوام الكرك، وسار إلى دمشق، وجمع الناس وعاد إلى مصر، فملك التخت ثانيا. وقد تقدم جميع ذلك فى تواريخه.

وكان ملكا حازما، شهما، صارما، شجاعا، مقدما، فطنا، له خيرة بالأموار ومهابة عظيمة، ورأى جيد، ومكر شديد، وطمع زائد. وكان يحب الاستكثار من المال، ويقدم الجراكسة على الأتراك والروم، ويشره فى جمع المال، بحيث لم يشبع منه، ويرغب فى اقتناء الخيول والجمال. وكان كثير التؤدة، لا يكاد يجعل فى شىء من أموره، بل يتروى فى الشىء المدد الطويلة، ويتصدى للأحكام بنفسه، ويباشر أحوال المملكة كلها، ويحل أهل الخير ومن ينسب إلى الصلاح. وكان يقوم للفقهاء والصلحاء إذا دخل أحد منهم عليه، ولم يكن يعهد ذلك من ملوك مصر قبله. وتكرر للفقهاء فى سلطته الثانية من أجل أنهم أفتوا بقتله، فلم يترك إكرامهم قط مع شدة حنقه عليهم.

وكان كثير الصدقات وقف ناحية بهيت^(١) من الجيزة على سحابة تسير مع الרכب إلى مكة فى كل عام، ومعها جمال تحمل المشاة من الحاج، ويصرف لهم ما يحتاجون إليه من الماء والزاد ذهابا وإيابا. ووقف أرضا على قبور إخوة يوسف - عليه السلام - بالقرافة. وكان يذبح دائما طول أيام إمارته وسلطته فى كل يوم من أيام شهر رمضان خمسة وعشرين بقرة، يتصدق بها بعد ما تطبخ، ومعها آلاف من أرغفة الخبز النقى، على أهل الجوامع والمشاهد والخوانك والربط وأهل السجون، لكل إنسان رطل لحم مطبوخ وثلاثة أرغفة من نقى البر، سوى ما كان يفرق فى الزوايا من لحم الضأن، فيعطى فى كل يوم لكل زاوية خمسون رطلا وعدة أرغفة خبز، وفيهم من يعطى أكثر من ذلك بحسب حالهم، ويفرق كل سنة على نحو عشرين زاوية لكل زاوية ألف درهم فضة، ويفرق كل سنة فى أهل العلم والصلاح مائتين ألف درهم الواحد، إلى مائة دينار ذهابا. ومنهم من له أقل من ذلك بحسب حاله، ويفرق فى فقراء القرافتين لكل فقير من دينارين إلى أكثر وأقل، ويفرق فى الخوانك وغيرها كل سنة مالا كثيرا. وكان يفرق فى كل سنة ثمانية آلاف أردب قمحا على أهل الخير وأرباب الستر. ويبعث فى كل سنة إلى الحجاز ثلاثة آلاف أردب قمحا تفرق بالحرمين. وفرق فى مدة الغلاء كل يوم أربعين أردبا، عنها ثمانية آلاف رغيف، فلم يمت فيه أحد بالجوع، فما علمنا. وكان يبعث كل قليل بجملة من الذهب تفرق فى الفقراء والفقهاء، حتى أنه تصدق مرة بخمسين ألف دينار ذهابا على يد الطواشى صندل المنجكى.

وأبطل عدة مكوس، منها ما كان يؤخذ من أهل شورى^(٢)، وبلطيم من البرلس شبه الجالية، وهو فى كل سنة مبلغ ستين ألف درهم، وأبطل ما كان يؤخذ على القمح

(١) قرية قديمة من أعمال الجيزة.

(٢) شورى وبلطيم من نواحي البرلس من أعمال نستراره.

بنغر دمياط عما يبتاعه الفقراء وغيرهم من أردبين إلى ما دون ذلك. وأبطل مكس معمل الفراريج بالتحريرية وما معها من الغربية، وأبطل مكس الملح بعين تاب من عمل حلب، ومكس الدقيق بالبيرة. وأبطل من طرابلس ما كان مقررا على قضاة البر وولاية الأعمال، عند قدوم النائب، وهو مبلغ خمسمائة درهم على كل منهم، أو بغلة بدل ذلك. وأبطل ما كان يقدم لمن يسرح إلى العباسة خارج القاهرة في كل سنة من الخيل والجمال، والغنم. وأبطل ما كان يؤخذ على الدريس والحلفاء بباب النصر خارج القاهرة. وأبطل ضمان المغاني بمدينة الكرك والشوبك^(١) ومنية بني خصيب^(٢) وأعمال الأشمونين وزفتا^(٣) ومنية غمر^(٤) من أعمال مصر. وأبطل رمى الأبقار - بعد الفراغ من عمل الجسور بأراضي مصر - على البطالين بالوجه البحرى.

وأنشأ بالقاهر مدرسة لم يعمر مثلها بالقاهرة، ورتب بها صوفية بعد العصر كل يوم، وجعل بها سبعة دروس لأهل العلم، أربعة يلقي بها الفقه على المذاهب الأربعة، ودرس تفسير القرآن، ودرس الحديث النبوى، ودرس للقراءات، وأجرى على الجميع فى كل يوم الخبز النقى ولحم الضأن المطبوع. وفى كل شهر الحلوى والزيت والصابون والدرهم، ووقف على ذلك الأوقاف الجليلة من الأراضى والدور ونحوهما. وعمر جسرا على نهر الأردن بالغور^(٥) فى طريق دمشق، طوله مائة وعشرون ذراعاً، فى عرض عشرين ذراعاً. وجدد خزائن السلاح بنغر الإسكندرية، وسور دمنهور بالبحيرة. وعمر الجبال الشرقية بالفيوم، وزريبة البرزخ بدمياط، وقناة العروب^(٦) بالقدس، وأنشأ به أيضا بركة كبيرة. وعمر بركة أخرى برأس وادى بنى سالم، فى طريق المدينة النبوية، يردها الحاج. ورم القناة التى تحمل ماء النيل إلى قلعة الجبل، حتى صلحت بعد ما أعيت من تقدمه من الملوك. وجدد عمارة الميدان تحت قلعة الجبل بعد ما خرب، وسقاه

(١) قلعة حصينة فى أطراف الشام بين عمان وأيلة والقلازم قرب الكرك. انظر معجم البلدان ٣٧٠/٣.

(٢) مدينة كبيرة حسنة كثيرة الأهل والسكن على شاطئ النيل فى الصعيد الأدنى. انظر معجم البلدان ٢١٨/٥.

(٣) بلد بقرب الفسطاط من مصر، قرب شطنوف. انظر معجم البلدان ٨٠/٥.

(٤) شمالى مصر على فوهة النهر المؤدى إلى دمياط، ومقابلها منية زفتا. انظر معجم البلدان ٢١٨/٥.

(٥) الغور: سبق ترجمتها. انظر معجم البلدان ٢١٧/٤، والروض المعطار ٤٣١.

(٦) اسم قريتين بناحية القدس فيهما عينان عظيمتان وبركتان وبساتين نزهة. انظر معجم البلدان ١١٢/٤.

وزرع به القُرط، وغرس فيه النخل، وعمر صهريجا، ومكتبا يقرأ فيه الأيتام القرآن الكريم بقلعة الجبل، وجعل عليه وقفا داراً، وعمر بها أيضا طاحونا. وعمر أيضا سبيلا تجاه باب الضيافة تحت قلعة الجبل.

وخطب على منابر توريث عندما أخذها قرا محمد، وضرب الدنانير والدرهم فيها باسمه، وبعثها إلى حضرته بقلعة الجبل. وخطب له على منابر الموصل، وعلى منابر ماردين^(١)، ومنابر سنجار^(٢). وأخذت عساكره دوركى وأرزنكان من أرض الروم. ورثاه عدة من الشعراء^(٣)، رحمه الله تعالى.

* * *

السلطان الملك الناصر زين الدين أبو السعادات فرج بن الملك الظاهر

سيف الدين أبى سعيد برقوق بن الأمير الكبير سيف الدين آنص

الجركسى ثانى ملوك الجراكسة بمصر^(٤)

جلس على تحت الملك بقلعة الجبل صبيحة موت أبيه، يوم الجمعة النصف من شوال، سنة إحدى وثمانمائة.

وذلك أنه اجتمع بالقلعة الأمير الكبير أيتمش وسائر الأمراء وأرباب الدولة، واستدعى الخليفة وقضاة القضاة، وشيخ الإسلام البلقينى^(٥)، ومن عاداته الحضور. فلما تكاملوا بالإصطبل السلطانى أحضر فرج بن الملك الظاهر برقوق، وخطب الخليفة

(١) ماردين: سبق ترجمتها. انظر معجم البلدان ٣٩/٥، والروض المعطار ٥١٨، والكرخى ٥٣، ونزهة المشتاق ٢٠٠/١٩٩، وآثار البلاد ٢٥٩.

(٢) مدينة مشهورة من نواحي الجزيرة بينها وبين الموصل ثلاثة أيام. انظر معجم البلدان ٢٦٢/٣.

(٣) انظر ديوان الإسلام وابن إياس ٢٥٨/١ و ٢٩٠ والضوء اللامع ١٠/٣ والأعلام ٤٨/٢.

(٤) فرج (الملك الناصر) بن برقوق (الظاهر) بن أنص (أو أنس) العثمانى، أبو السعادات، زين الدين: من ملوك الجراكسة بمصر والشام. بويج بالقاهرة سنة ٨٠١هـ، بعد وفاة أبيه. وكان صغير السن، فقام بتدبير ملكه الأتابكى «أيتمش» الجاسى. قتله المماليك سنة ٨١٤هـ. فى القلعة. انظر ابن إياس ٣١٧/١ و ٣٥٠ والضوء اللامع ١٦٨/٦ والأعلام ١٤٠/٥.

(٥) عمر بن رسلان بن نصير بن صالح الكنانى، العسقلانى الأصل، ثم البلقينى المصرى الشافعى، أبو حفص، سراج الدين: مجتهد حافظ للحديث، من العلماء بالدين. ولد فى بلقينة وتعلم بالقاهرة. وولى قضاء الشام سنة ٧٦٩هـ وتوفى بالقاهرة. من كتبه «التدريب» فى فقه الشافعية، و«تصحيح المنهاج» فقه. انظر الضوء اللامع ٨٥/٦ وشذرات الذهب ٥١/٧ وحسن المحاضرة ١٨٣/١ ورفع الإصر ١٦/١ والأعلام ٤٧/٥.

وبايعه بالسلطنة، وقلده أمور المسلمين، فقبل تقليده. وأحضرت خلعة سوداء، أبيضت على فرج، ونعت بالملك الناصر. ومضى حتى جلس على التخت بالقصر، وقبل الأمراء كلهم له الأرض على العادة، وألبس الخليفة التشریف.

وأخذ بعد ذلك في جهاز الملك الظاهر، فغُسل وكفُن، وصَلَّى عليه بالقلعة قاضي القضاة صدر الدين محمد المناوي^(١)، وحُمِل نعشه على الأعناق من قلعة الجبل إلى التربة قبل صلاة الجمعة، وسائر الأمراء والعساكر والأعيان والرعايا مشاة، يضحون ويصرخون، حتى ورى تحت التراب تحت أقدام الفقراء حيث أوصى. ولم يعهد قبله أحد من الملوك، دفن نهائراً بديار مصر.

فلما انقضى أمر دفنه عاد الأمراء، ونودى بالقاهرة ومصر بالترحم على الملك الظاهر، والدعاء للملك الناصر، وتطمين الناس وأمنهم. وخطب يومئذ على منابر القاهرة ومصر للناصر، وكثر الأسف على فقد الظاهر، وضربت خيمة على قبره، وقرأ القراء القرآن على قبره، وكان الناس يظنون قيام فتنة عظيمة لموته. فلم يتحرك ساكن في هذا اليوم.

وأنشد الأديب المقرئ شهاب الدين أحمد بن عبد الله بن الحسن الأوحدي^(٢) في ذلك:

مضى الظاهر السلطان أكرم مالك إلى ربه يرقى إلى الخلد في الدرج
وقالوا ستأتى شدة بعد موته فأكذبهم ربي وما جاء سوى فرج

وفي هذا اليوم: بشر بزيادة ماء النيل، وأن القاع أربعة أذرع ونصف.

وفيه أراد الأمير الكبير أيتمش أن يتحول من داره إلى الحراقة بالإصطبل السلطاني. فمنع من ذلك الأمير سودون أمير أحمور، ورد ما حضر من قماش الأمير أيتمش، فاستدعى إلى حضرة السلطان، فامتنع.

(١) محمد بن إبراهيم بن إسحاق السلمى المناوي ثم القاهري، الشافعي، صدر الدين، أبو المعالي: قاض، عالم بالحديث. من أهل القاهرة. ناب في الحكم، وولى إفتاء دار العدل، ثم قضاء الديار المصرية استقلالاً (سنة ٧٩١هـ) وجمدت سيرته. وصرف بعد شهرين، وأعيد. وصنف «كشف المنهاج والتناقيح في تخريج أحاديث المصاييح». مات غريقاً في الفرات وهو مقيم. انظر الرسالة المستطرفة ١٤٠ والضوء اللامع ٢٤٩/٦ والكتبخانة ٣٨٨/١ والأعلام ٢٩٩/٥، ٣٠٠.

(٢) أحمد بن عبد الله بن الحسن بن طوغان الأوحدي، شهاب الدين: مورخ، من أهل مصر، له كتاب كبير في «خطط مصر والقاهرة». انظر النجوم الزاهرة ٧٤/٨ وشذرات الذهب ٤٢٥/٥ وطبقات الشافعية ٨/٥ والأعلام ١٥٩/١.

وفي رابع عشره: كتب إلى مكة كتاب بالعزاء والهناء، وأن تقليد الشريف حسن بن عجلان^(١) يصل صحبة أمير الحاج، وكتب إلى الأمير بيسق بذلك، وإلى أمير المدينة النبوية أيضاً.

وفي يوم السبت سادس عشره: اجتمع أيتمش والأمراء بالقلعة لتقرير أحوال الدولة، فكتب بالعزاء والهناء إلى مملكة الشام وغيرها.

وكتب إلى الأمير نعيم بن حيار^(٢) بإمرة آل فضل على عاداته.

وعزل الأمير شمس الدين محمد بن عنقاء بن مهنا، وعرف بموت الظاهر وقيام الملك الناصر، وحُمل إليه التشريف على يد الأمير أسنبغا الدوادار.

وجهاز سودون الطيار أمير أخور بالكتب إلى دمشق ومعه تشريف وتقليد، ونسخة عيين، وستة أروس خيل. وجهاز الأمير بلبغا الناصري إلى حلب بمثل ذلك، والأمير تغرى بردى^(٣) قرا إلى طرابلس بمثل ذلك، والأمير أرتبغا الحافظي إلى حماة، ومعه خمسة أروس من الخيل، والأمير بشباي^(٤) إلى صفد^(٥)، والأمير شاهين كتك الأفرم إلى الكرك^(٦)؛ وعلى يد كل منهم كتاب يتضمن العزاء بالظاهر والهناء بالناصر. وأن يخلف نائب السلطنة والأمراء على العادة، فساروا على خيل البريد.

وقرر الأمير أيتمش مع الأمراء إبقاء الأمور على ما هي عليه، وأكد على الوزير تاج

(١) حسن بن عجلان بن رميثة بن أبي نعي: شريف حسني، من أمراء مكة. ولد ونشأ فيها، وأقام بمصر فولاه صاحبها إمارة مكة سنة ٧٩٨هـ. وجاءه التوقيع سنة ٨١١هـ بنبابة السلطنة في جميع بلاد الحجاز. فاستمر مدة. وعزل وأعيد مرتين ثم توجه سنة ٨٢٨هـ إلى مصر. فتوفى فيها. انظر خلاصة الكلام ٣٦ ومراجع تاريخ اليمن ٢٩٩ والأعلام ١٩٩/٢.

(٢) محمد بن حيار بن مهنا بن عيسى بن مهنا بن مانع بن حديثة، شمس الدين المعروف بنعيم: أمير آل فضل بالشام. ولى الإمارة بعد أبيه سنة ٧٧٧هـ قتل في حلب. انظر الضوء اللامع ٢٠٣/١٠ وإعلام النبلاء ١٤٧/٥ وصبح الأعشى ٢٠٨/٤ والأعلام ١١١/٦.

(٣) هو والد المؤرخ إياس بن تغرى بردى صاحب كتاب «النجوم الزاهرة في أحوال مصر والقاهرة».

(٤) هو الأمير بشباي بن عبد الله بن باكي الظاهري، أصله من ممالك الظاهر بقوق وخواصه توفي سنة ٨١١هـ.

(٥) مدينة في جبال عاملة المطللة على حمص بالشام، وهي من جبال لبنان. انظر معجم البلدان ٤٢١/٣.

(٦) اسم قلعة حصينة جدا في طرف الشام من نواحي اللقاء في جبالها بين أيلة وبحر القلزم وبيت المقدس. انظر معجم البلدان ٤٥٣/٤.

الدين عبد الرزاق، والأمير يلبغا الأستادار فى الكف عن ظلم الرعية، وتجهيز القسط والجامكية والعليق برسم المماليك السلطانية.

وفى ثامن عشره: خرج المحمل إلى الحج، صحبة الأمير شيخ المحمودى، وجعل أمير المحمل. وقدم أمير الركب الأول الأمير الطواشى سيف الدين بهادر مقدم المماليك.

وفيه اجتمع الأمراء بالقلعة على عادتهم للخدمة، وتأخر الأمير سودون أمير أخور عن الحضور، فبعث الأمراء إليه ليحضر، فامتنع، فكررُوا الإرسال إليه ثلاث مرات، إلى أن حضر، فكلموه فى النزول من الإصطبل، فلم يجيبهم إلى ذلك، فتخيلوا منه، واتهموه أنه يريد إثارة فتنة، فقبضوا عليه وعلى الأمير على بن أينال، وأخرجوا ما كان له بالإصطبل من خيول وقماش ونحو ذلك.

وسكن الأمير أيتمش مكانه، وأنزل بسودون وابن إينال مقيدين إلى الحراقة، وجهزا إلى الإسكندرية، فسجنا بها.

وفى العشرين منه: نودى بالقاهرة ومصر بخروج طائفة العجم من مصر، وهدد من تأخر بعد ثلاثة أيام بالقتل، فلم يخرج منهم أحد، وسكت عن ذلك بما بلغ الأمراء عن الخاصكية أنهم قد اتفقوا على القبض عليهم عند طلوعهم إلى الخدمة بالقلعة، فكثر خوفهم.

وخلع على الأمير يشبك الشعبانى الخازندار واستقر لالا السلطان، ومعه الأمير قطلوبغا الكركى، لالا أيضاً.

فلما كان يوم الخميس حادى عشرينه: جلس السلطان بدار العدل على عادة الملوك، وخلع على الأمير أيتمش، وعلى الأمير تغرى بردى أمير سلاح، والأمير بيبرس الدوادار، والأمير أرغون شاه أمير مجلس، والأمير أرسطای رأس نوبة، والأمير يلبغا إستاندار، والوزير تاج الدين، والأمير ناصر الدين محمد بن سنقر، والأمير فارس حاجب الحجاب، والأمير تمرىغا المنجكى أمير حاجب، ومد السماط على العادة.

ودخل السلطان من دار العدل إلى القصر. وجلس القضاة بجامع القلعة حتى يخلع عليهم وعلى بقية أرباب الدولة. فعندما تكامل الأمراء بالقصر أغلق الخاصكية باب القصر، وكان رأسهم يومئذ سودون طاز، وسودون بن زاده، وأقبای رأس نوبة، وجهاركس المصارع. ثم سلوا سيوفهم وهجموا على الأمراء، وقبضوا على أرسطای وتمرار الناصرى، وتمرىغا المنجكى وطغنجى وبلاط السعدى، وطولو رأس نوبة، وفارس

الحاجب. وفر مبارك شاه وطبج، فأدركا وقبض عليهما.

وبلغ ذلك يبلغا أستاذار - وكان خارج القصر - فخلع خلعتة، وسل سيفه، ونزل من القلعة إلى داره.

وأحضر الخاصكية الأمراء المقبوض عليهم إلى عند الأمير أيتمش - وقد بهت وأسكت - فقيدوا أرسطاي رأس نوبة، وتمراز، وتمربغا المنجكي، وطغنجي أحد أمراء الطبلخاناه، وطولو، وبلاط من الطبلخاناه أيضاً. وأطلقوا من عداهم. واستدعى يبلغا أستاذار، فلما حضر قبض عليه، وقيد. وأنزل بالأمراء المقبوض عليهم إلى الحراقة فأحضروا إلى الإسكندرية في ليلة السبت ثالث عشرينه، أرسطاي، وتمراز، وطولو.

وأحضروا إلى دمياط^(١) تمربغا المنجكي، وبلاط السعدي، وطغنجي الأشرفي. وعصروا الأمير يبلغا ليحضر المال، وأسلموه إلى القاضي سعد الدين إبراهيم بن غراب ليحاسبه، فنزل به إلى داره. وسألوا يبلغا السالمى^(٢) بوظيفة الأستادارية، فامتنع، فعرضوها على ابن سنقر وابن قطينة فلم يوافقا، فخلع على الأمير زين الدين مبارك شاه، واستقر أستاذاراً، عوضاً عن يبلغا المجنون^(٣)، في ثالث عشرينه.

وفيه أمر بالنفقة على الماليك، فتولى الإنفاق عليهم يبلغا السالمى، وأعطى بمحضرة السلطان كل مملوك من أرباب الخدم الجوانية ستين ديناراً، صرف كل دينار ثلاثين درهماً وكل واحد من أرباب الأشغال البرانية خمسمائة درهم.

ونودى أن يكون سعر الدينار ثلاثين درهماً، فإن الناس كانوا قد توقفوا فى الذهب بعد موت السلطان، وانحط من ثلاثين إلى ثلاثة وعشرين درهماً الدينار. فشق ذلك على الناس، وخافوا الخسارة، لما كانوا يظنون من انحطاط سعر الذهب، فجاء الأمر بخلاف

(١) مدينة قديمة بين تيبس ومصر على زاوية بين بحر الروم والملح والنيل. انظر معجم البلدان ٤٧٢/٢، ٤٧٣.

(٢) يبلغا أبو المعالى السالمى الظاهري الحنفى: من أشهر أمراء الجند فى دولة الملك الظاهر بقوق، ثم ابنه الناصر. كان يذكر أنه سمرقندى سماه أبواه يوسف وسبى فحلب إلى مصر مع تاجر اسمه سالم فنسب إليه. واشتراه بقوق. ولما خلع بقوق سنة ٧٩١هـ أخذ يبلغا مدينة صفد باسمه فعرف له ذلك بعد عودته إلى الملك. ثم كان أحد أوصيائه، فقام بتحليف الماليك لولده الناصر. اتهم واعتقل سنة ٨٠٣هـ ونفى إلى دمياط. ثم أحضر سنة ٨٠٥هـ وقرر فى الوزارة والإشارة. وقبض عليه أيضاً. وأفرج عنه سنة ٨٠٧هـ وعمل مشيراً ولم يلبث أن نفى إلى الإسكندرية وقتل فى محبسه خنقاً. انظر الضوء اللامع ٢٨٩/١٠، والأعلام ٢٠٨/٨.

(٣) سمى بالمجنون لطيشه.

ما فى ظنونهم. ولم يزل يرفع حتى بلغ ما لم يكن فى بال أحد قط.

وفى يوم الإثنين خامس عشرينه: تأخر سائر الأمراء الألوف عن حضور الخدمة بالقلعة، خوفاً من الخاصكية، فإن الأمور صارت معذوقة بهم، فبعث الخاصكية إلى الأمراء بالحضور، فأبوا من ذلك. فنزل حينئذ الخاصكية إلى الإصطبل فى خدمة الأمير أيتمش، واستدعوا الأمراء من منازلهم، فحضرُوا وكثر الكلام بينهم إلى أن اتفقوا جميعاً وتحالفوا على الائتلاف، وطاعة الأمير الكبير أيتمش، والمملك الناصر. وحلف لهم أيتمش أيضاً، ثم حلفوا سائر الممالك والخدام، وتولى ذلك يلغا السالمى، وقام أيضاً فى أمر المرجع من إقطاعات الأمراء حتى تقرر أن يكون المرجع من الأمير المقدم خمسين ألف درهم، ومن الطبلخاناه عشرين ألف درهم.

ومن أمير عشرين عشرة آلاف. ومن أمير عشرة خمسة آلاف، ومن أمير خمسة ألفين وخمسمائة، وكتب بذلك مرسوم سلطانى خلد فى الدواوين.

وفيه خلع على الأمير قطلوبغا الحسنى الكركى شاد الشراخاناه، عوضاً عن سودون الماردينى، مضافاً لما بيده. وأنعم على الأمير قراكسك بتقدمة ألف.

وفى يوم الثلاثاء سادس عشرينه: خلع على الوزير تاج الدين عبد الرزاق، واستقر أستاذاراً، عوضاً عن مبارك شاه بحكم استعفائه، فباشر الوظيفتين.

وفيه كتب مرسوم باستمرار الأمير قرا يوسف فى نيابة الرها على عادته. وباستمرار الأمير دمشق خججاً^(١) فى نيابة جعبر^(٢) على عادته.

وفى ليلة الأربعاء سابع عشرينه: هرب الأمير شهاب الدين أحمد بن الزين والى القاهرة، فخلع على شرف الدين عيسى فلان الشامى عوضه، فى يوم الأربعاء. وقبض على ابن الزين وسلم إليه. وكادت العامة أن تقتله لبغضهم فيه، فضرب بالمقارع ضرباً مبرحاً عند فلان، وألزم بحمل أربعمائة ألف درهم.

وفيه ورد الخبر بأن بايزيد بن عثمان ملك الروم تحرك للمشى على بلاد الشام، وأن تمرلنك القائم ببلاد العجم أخذ ممالك الهند.

وفى ثامن عشرينه: ورد الخبر بأن الأمير تنم نائب الشام أخذ قلعة دمشق، وذلك إنه

(١) هو الأمير دمشق خجج بن سالم التركمانى، المتوفى سنة ٨٨٠هـ.

(٢) على الفرات بين بالس والدقة قرب صفين، وكانت قديماً تسمى دوسر إلى أن ملكها رجل

يقال له جعبر بن مالك فسميت بقلعة جعبر. انظر معجم البلدان ١٤٢/٢.

كان بالمرج من غوطة دمشق، فلم يشعر الناس به فى ليلة الأربعاء - العشرين منه - حتى حضر إلى دار السعادة ثلث الليل.

فلما أصبح استدعى الأمير جمال الدين يوسف الهذبانى نائب القلعة، بحجة أن الملك الظاهر طلبه، فعندما نزل إليه قبض عليه وبعث من تسلم القلعة فكثرت كلام الناس إلى أن أذن الظهر، وصل فارس دوادار تنم من مصر، وأخبر بموت الملك الظاهر، وإقامة ابنه الناصر، وتحكم الأمير أيتمش، وأن سودون الطيار قادم بالخلعة والتقليد. فخرج الأمير تنم إلى لقاءه، ولبس الخلعة خارج المدينة. واجتمع القضاة والأعيان بدار السعادة. وقرئ عليهم كتاب السلطان الملك الناصر، فأجابوا بالسمع والطاعة ونودى فى البلد بالأمان والزينة، فزينت الأسواق، ودقت الكوسات، وسر الناس بذلك.

وأخذ الأمير تنم يصرح بأن السلطان صغير، وكل ما يصدر ليس هو عنه، وإنما هو عن الأمراء وأنا وصى السلطان، لا يعمل شىء إلا بمراجعتى، ونحو هذا. فترقب الناس بدمشق وقوع الفتنة، وبلغ هذا نائب حمص^(١)، فأخذ القلعة، وأخذ أيضاً نائب حماة^(٢) قلعتها.

شهر ذى القعدة، أوله الأحد:

فى ثانيه: ركب طغيتمر - مقدم اليريدية - البريد، ومعه ملطفات لأمرء الورسق والأمراء الأوجقية^(٣)، ومطلق لنواب المماليك والقلاع، ومثال لأحمد بن رمضان نائب أذنة^(٤)، ولأمراء التركمان، ولنائب حلب ونائب سيس^(٥)، وصحبته أقبية مطرزة بفرو وخمس عشرة قطعة، وفوقانيات حرير بأطرزة زركش أربع وعشرون قطعة، وتشاريف عدة كثيرة.

وفى ثالته: فرغ تحليف المماليك.

(١) بلد مشهور كبير مسور، وفى طرفه القبلى قلعة حصينة على تل عال كبير، وهى بين دمشق وحلب فى نصف الطريق. انظر معجم البلدان ٢/٣٠٢، ٣٠٣.

(٢) مدينة كبيرة من أعمال حمص، بينها وبين شيزر نصف يوم، وبينها وبين دمشق خمسة أيام للقوافل، وبينها وبين حلب أربعة أيام. انظر معجم البلدان ٢/٣٠٠، ٣٠١.

(٣) المورسق والأوجقية من قبائل الغز التى تسكن شرق إقليم قليقية.

(٤) بلد من الثغور قرب المصيصة. انظر معجم البلدان ١/١٣٢، ١٣٣.

(٥) بلد من أعظم مدن الثغور الشامية بين أنطاكية وطرسوس. انظر معجم البلدان ٣/٢٩٧.

وفيه أنعم على الأمير سيف الدين أينال باى بتقدمة ألف، وخبز أرسطاي. وعلى سودون من على بك - المعروف بطاز - بتقدمة تمر، وعلى يلغا الناصري بتقدمة سودون أمير أخور، وعلى أقباي بن حسين شاه بتقدمة تمر بغا المنجكي.

وأنعم على الأمير شرف الدين يعقوب شاه بطبلخاناه زيادة على طبلخاناته فصارت بتقدمة ألف بثمانين فارساً، وأنعم على كل من قرابغا الأسنبغاوى ويتمر الحمدي، وأقباي الأينالي بإمرة طبلخاناه، وعلى الأمير جرباش الشيخي بإقطاع يلغا الجنون بخمسين فارساً، وعلى أقبغا الحمدي بطبلخاناه، وعلى كل من تمر الساقى، وجركس المصارع، وأينال حطب، وكمشبنغا الجمالى، وألطنبغا الخليلي، وكزل البشمقدار، وقاني باى العلاى، وجكا من عوض، وصوماى الحسنى بإمرة عشرة.

وفي خامسه: جلس السلطان بدار العدل، وحضر الأمراء، والقضاة وسائر أرباب الدولة على العادة.

وفي سابعه: خلع على سودون المارديني، واستقر رأس نوبة كبيراً، عوضاً عن أرسطاي، وعلى يعقوب شاه واستقر حاجبا ثانياً عوضاً عن تمر بغا المنجكي، وعلى كل من سودون بن زاده، وتنكر بغا الحططي، وخاير بك من حسين شاه، وبشباى وجكم، وأقبغا الحمدي الأشقر، واستقروا رعوس نوب.

وفي ثامنه: نودي على الذهب بأن يكون صرف الدينار الإفرنتى بثمانية وعشرين درهماً، والهرجة بثلاثين درهماً، وكان قد انحط سعره، فشق ذلك على الناس وتغيب الصيارفة وتوقفت أحوال الناس.

وفي تاسعه: خلع على قرابغا الأسنبغاوى، وسمز الحمدي، ومقبل، وعملوا حجاباً، فصارت الحجاب ستة. وخلع على تمان تمر الأشقتمرى بناية قلعة دمشق ثم بطل أمره.

وحضر الأمير سيف الدين دقماق نائب ملطية^(١) بتقدام كثيرة.

وخلع على برهان الدين إبراهيم بن على التادلى، وأعيد إلى قضاء المالكية بدمشق، عوضاً عن البرهان القفصى.

وفي ثاني عشره: خلع على جرباش الشيخي، وتمان تمر واستقرا من رعوس النوب. وخلع على كزل الحمدي البشمقدار - المعروف بالعجمي الأجرود - واستقر أستاذار الصحبة، عوضاً عن قرابغا الأسنبغاوى، وعلى سعد الدين أبى الفرج بن تاج الدين

(١) بلد من بلاد الروم مشهورة مذكورة تناخم الشام. انظر معجم البلدان ١٩٢/٥، ١٩٣.

موسى بن كاتب السعدى، واستقر ناظر الإصطبلات السلطانية. وعلى كل من الطواشين شاهين السعدى الأشرفى وعبد اللطيف الشرفى، وصارا لالا السلطان. وعلى الأمير ناصر الدين محمد بن على بن كلفت، واستقر نقيب الجيش. وعلى علاء الدين على بن قرط بولاية أطفیح.

وفى رابع عشره: خلع على الشيخ جلال الدين أحمد - ويقال له إسلام - بن نظام الدين إسحاق الأصفهانى. وأعيد إلى مشيخة الشيوخ بخانقاه سرياقوس^(١)، عوضاً عن الشريف فخر الدين بعد وفاته.

ونودى أن يكون صرف الدينار المختوم بثلاثين درهما، والإفرنتى بثمانية وعشرين درهما. وكان بعد موت السلطان قد انحط المثقال من اثنين وثلاثين إلى خمسة وعشرين، والدينار الإفرنتى من ثلاثين ونصف إلى عشرين درهما.

وفى خامس عشره: أخرج الأمير يلغا المجنون إلى الإسكندرية فسجن بها.

وفى سادس عشره: خلع على الخليفة وقضاة القضاة وكاتب السر.

وفى سابع عشره: خلع على، وكتب إلى حسبة القاهرة. وعلى زين الدين عبد الرحمن بن الكويز بنظر الدولة، عوضاً عن شمس الدين عبد الله الهيصم.

واستدعى شيخ الإسلام والقضاة وأعيان الفقهاء إلى حضرة الأمير الكبير أيتمش بالخرقة من الإصطبل. وقد حضر الأمراء والخاصكية، بسبب الأموال التى خلفها الملك الظاهر: هل تقسم بين ورثته أو تكون لبيت مال المسلمين؟ فوقع كلام كثير آخره أن يفرق فى ورثته منه السدس، وما بقى فليبت المال.

وفيه استقر الأمير أرغون شاه البيدمرى أمير مجلس فى نظر الشيخونية عوضاً عن يلغا السالمى، وخلع عليه فى تاسع عشره، وخلع على جانى بك اليحياوى بنبابة قلعة دمشق، وتوجه إليها.

وفيه قدم فخر الدين ماجد بن غراب ناظر الإسكندرية.

وفى حادى عشريته: خلع على الأمير سودون الطيار، واستقر أمير أخور عوضاً عن الأمير سودون قريب السلطان.

(١) بليدة فى نواحي القاهرة. مصر. انظر معجم البلدان ٣/٢١٨.

وفي يوم الإثنين ثالث عشرينه: خلع على الأمير شهاب الدين أحمد بن الحاج عمر، المعروف بابن قطينة الحسنى، واستقر وزيراً، عوضاً عن تاج الدين عبد الرزاق وإلى قطيا، وسلم إليه ليعاقبه على إحضار المال، فاستدعى بالوزير بدر الدين محمد بن الطوخى ليحاققه.

وخلع فيه أيضاً على الأمير يلبغا السالمى، واستقر أستاذاراً، عوضاً عن الوزير تاج الدين.

وعلى شهاب الدين أحمد بن أسد الكردى الطبردار بولاية المنوفية^(١)، وعزل كزل المحمدى. وعلى علم الدين سليمان بن يوسف الشهرزورى الكردى، واستقر فى ولاية مصر على عادته عوضاً عن ركن الدين عمر بن ممدود بن الكورانى.

وفي سادس عشرينه: وصل يلبغا الناصرى من حلب، وأسبغا من عند نعيم، وأخيرا باجتماع الكلثة على الملك الناصر.

وتوجه أسندمر الخاصكى على خيل البريد لإحضار علاء الدين على بن الطيلاوى من القدس، فورد فى غده البريد بأن نائب الشام استدعاه إلى دمشق، وأنه سار إليه.

وفي ثامن عشرينه: استقر تاج الدين عبد الله بن سعد الدين نصر الله بن البقرى فى نظر الإسكندرية، عوضاً عن فخر الدين ماجد بن غراب.

وفي تاسع عشرينه: أعيد نور الدين على بن عبد الوارث البكرى إلى حسبة مصر. وعزل شمس الدين محمد الشاذلى الإسكندرانى.

شهر ذى الحجة، أوله الإثنين:

ففى أوله: استقر بدر الدين محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد العيتابى^(٢) الحنفى فى حسبة القاهرة، عوضى.

(١) هى من قرى مصر القديمة. انظر معجم البلدان ٢١٦/٥.

(٢) محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد، أبو محمد، بدر الدين العيتابى الحنفى: مؤرخ، علامة، ابن كبار المحدثين. أصله من حلب ومولده فى عيتاب وإليها نسبته. أقام مدة فى حلب ومصر ودمشق والقدس. وولى فى القاهرة الحسبة وقضاء الحنفية ونظر السجون، عكف على التدريس والتصنيف إلى أن توفى بالقاهرة. من كتبه «عمدة القارى فى شرح البخارى» و«معانى الأخبار فى رجال معانى الآثار» و«عقد الجمان فى تاريخ أصل الزمان». انظر التبر المسبوك ٣٧٥ والضوء اللامع ١٠/١٣١-١٣٥ وخطط مبارك ١٠/٦ وشذرات الذهب ٢٨٦/٧ والجواهر المضيئة ١٦٥/٢ وإعلام النبلاء ٢٥٥/٥ والأعلام ١٦٣/٧.

وفي رابعه: صرف ابن قطينة من الوزارة باستعفائه، فخلع عليه، ورد إليه التحدث في أمر الكارم، كما كان قبل الوزارة. وخلع على فخر الدين بن غراب خلعة الوزارة، فصار إليه وإلى أخيه سعد الدين إبراهيم أمر الدولة.

وفيه فرق السلطان الأضحى بالحوش من القلعة، على العادة في كل سنة. وخلع على القاضي سعد الدين إبراهيم بن غراب.

وحضر على البريد جاني بك اليحياوى نائب قلعة دمشق، ومعه نسخة يمين الأمير تتم نائب الشام بإقامته على الطاعة، وأنه يريد من الأمراء الحلف ألا يغيروا عليه ولا يؤذوه، فحلف الأمير أيتمش بحضرة القضاة، وحلف له أيضاً جميع الأمراء، وعاد جاني بك بنسخ الأيمان على البريد.

وفي سابعه: وهو سادس عشر مسرى سنة ألف وست عشرة، من تاريخ القبط أوفى النيل ستة عشر ذراعاً، فنزل الأمير فارس حاجب الحجاب وخلّق المقياس، وفتح الخليج على العادة.

وفي ثالث عشره: ورد الخبر بأن ابن عثمان ملك الروم أخذ الأبلستين^(١)، وعزم أن يمشى على البلاد الشامية، فطلب الأمراء والقضاة وأرباب الدولة إلى القصر السلطاني في يوم الإثنين خامس عشره، وقرئ عليهم كتب تتضمن أن ابن عثمان ملك الروم بعث أخاه علياً بالعساكر، وأنه أخذ ملطية والأبلستين، وفر منه صدقة بن سولى، فتسلمها في ثامن عشرين ذى القعدة، وأنه محاصر درنده^(٢)، فوقع الاتفاق على المسير إلى قتاله، وتفرقوا، فأنكر المماليك السلطانية صحة ذلك، وقالوا «هذا حيلة علينا حتى نخرج من القاهرة فقط» وعينوا سودون الطيار أمير أخور لكشف هذا الخبر.

وفيه أعيد شمس الدين محمد الأحنأى إلى قضاء دمشق وعزل أصيل الدين محمد بن عثمان الأشليمي^(٣)، فكانت ولايته نحو مائة يوم.

وفي ثامن عشره: قدم أسندمر وأخبر أن ابن الطبلاوى ترك لبس الأمراء وتزيابزى الفقراء، وجاور بجماع بنى أمية، واستجار بالمصحف العثماني، وامتنع من الحضور إلى

(١) هى مدينة مشهورة ببلاد الروم. انظر معجم البلدان ٧٥/١.

(٢) درنده أو طرنده بلد على بعد ثلاث مراحل من ملطية، داخلة فى بلاد الروم. انظر معجم

البلدان ٣٢/٤.

(٣) نسبة إلى إشليم، وهى كورة أو قرية بحوض مصر الغربى. انظر معجم البلدان

مصر، وأن نائب الشام قال: «هذا رجل فقير، وقد قنع بالفقر اتركوه فى حاله» فتركه.

وفيه سار سودون الطيار على خيل البريد لكشف الأخبار، فدخل دمشق فى العشرين منه. وأخرج مرسوم السلطان بتجهيز عساكر الشام إلى بلاد ابن عثمان، فنودى فى البلد بذلك، وتوجه إلى حلب.

وفى هذا الشهر: أبطل السالمى تعريف منية بنى خصيب^(١)، وضمن العرصة وأخصاص الغسالين، وكتب بذلك مرسوما سلطانيا بعته إلى الأشمونين^(٢) نودى بإبطال ذلك فى سواحل البلاد، وفى منية بنى خصيب، ونقش على باب جامعها فبطلت هذه المظالم.

وأبطل أيضا وفر الشون السلطانية، وكان فى كل سنة ألأفا من الأرباب وأبطل المقرر على اليرردار وهو فى كل شهر سبعة آلاف درهم، والمقرر على مقدم المستخرج^(٣)، وهو ثلاثة آلاف درهما فى كل شهر.

وأبطل ما كانت السماسرة فى الغلال تأخذه من المبتاعين، وهو عن كل أردب درهمين. وكتب عليهم ألا يأخذوا عن كل أردب سوى نصف درهم.

وفى سابع عشرينه: استقر قطلوبغا التركمانى الخليلى فى ولاية الشرقية^(٤) على عادته. وعزل أرغون، واستقر صارم الدين إبراهيم بن محمود والى أشموم طنناح^(٥). وعزل قطلوبغا الجتمرى.

وأما نائب الشام فإنه لما استولى على قلعة دمشق، وصل إليه فى سادس عشر ذى القعدة شخص ادعى أنه فداوى، بعته الأمير أيتمش ليقته وأحضر سكيننا بدار السعادة، فوصله بمال وصرفه؛ فتحادث الناس أن هذه مكيدة ومقدمة لإظهار الخلاف، وأخذ النائب يسب أيتمش فى مجلسه. ويظهر الخلاف عليه. فلما قدم الأمير جاني بك اليحياوى دمشق على نيابة القلعة لما يمكنه منها، ورده ومعه سونج بغا - أحد مماليكه - ليحلف الأمراء فحللوا الأمراء، وعادا إليه فى نصف ذى الحجة، ومعهما تشريف، فلبسه

(١) مدينة كبيرة حسنة كثيرة الأهل والسكن على شاطئ النيل فى الصعيد الأدنى. انظر معجم البلدان ٢١٨/٥.

(٢) قصبه كورة من كور الصعيد الأدنى غربى النيل. انظر معجم البلدان ٢٠٠/١.

(٣) المستخرج هو عبارة عن الأموال المتأخرة على الناس، والى تستخرج منهم عن طريق الضرب والتعذيب، ويختص بهذا ديوان المستخرج.

(٤) كورة فى جنوبى مصر. انظر معجم البلدان ٣٣٧/٣.

(٥) بلد بمصر، قرب دمياط وهى مدينة الدقهلية. انظر معجم البلدان ٢٠٠/١.

إلى دار السعادة، ونزعه عنه، وألبسه الذى قدم به عليه. ودافع جاني بك عن القلعة وأعاد مملوكه سونج بغا إلى مصر. وبعث إلى قلعة الصبيبة، فأفرج عن أقبغا اللكاش وألجى بغا الحاجب، وخضر الكرمي، واستدعاهم إلى دمشق، فقدموا عليه فى ثانى عشرين ذى الحجة، وأنزلهم بدار السعادة.

* * *

ومات فى هذه السنة من الأعيان

قاضى القضاة عماد الدين أحمد بن عيسى بن موسى بن عيسى بن سليم بن جميل الأزرقى العامرى الكركى الشافعى، بالقدس فى سادس عشرين ربيع الأول.

ومات أمير حاج بن مغلطى أحد الأمراء ونائب الإسكندرية بدمياط فى ربيع الأول.

ومات أرغون شاه الإبراهيمى نائب حلب بها، فى صفر، ليلة الخامس والعشرين منه، فكانت جنازته عظيمة جدًا؛ لأنه كان أظهر من العدل بحلب أمرًا كبيرًا.

اتفق أنهم اكتروا لديوانه جمالا لنقل الملح، فأخذت سرية من العرب الجمال؛ فأحضر أربابها، وجعل يعطى من حلف، قيمة جملة التى يحلف عليه. وهذا غريب فى زماننا وقيل إنه مات مسموما. كان أولا خازن دارًا، ثم ولى نيابة صفد ثم طرابلس ثم حلب.

ومات بكلمش العلاى أمير سلاح، وأمير مجلس بالقدس، فى صفر.

ومات تمان بغا الحسنى، نائب حمص.

ومات الأمير حسام الدين حسن بن على الكجكنى، أحد أمراء الطبلخاناه فى رابع رجب.

ومات الشيخ المقرئ المعتقد خليل بن عثمان بن عبد الرحمن بن عبد الجليل^(١)، ويعرف بابن المشبب، فى سادس عشرين ربيع الأول.

ومات شهاب الدين أحمد بن أبى بكر بن محمد العبادى الحنفى، فى ليلة الأحد تاسع عشرين ربيع الآخر. وكان من فضلاء الحنفية، درس فى عدة فنون وناب فى الحكم بالقاهرة.

(١) خليل بن عثمان بن عبد الرحمن، أبو الصفاء القرافى المصرى، المعروف بالمشبب: من كبار القراء من سكان القرافة. يظن أنه حنبلى. كف بصره وأقعد فى أواخر حياة وانقطع بسفح الجبل. له «تحفة الإخوان فيما تصح فيه تلاوة القرآن». انظر الضوء اللامع ٣/٢٠٠ ومخطوطات الرياض ٧/١٠ والأعلام ٢/٣٢٠.

ومات الأديب علاء الدين على بن أيك الدمشقى بها، فى ثانى عشرين ربيع الأول.
ومات العارف شمس الدين محمد بن أحمد بن على، عرف بابن نجم الصوفى بمكة فى
صفر، وقد جاور عدة سنين بمكة.

ومات الخليفة المستعصم بالله زكريا بن إبراهيم بن محمد بن أحمد الحاكم^(١)، وهو
مخلوع، فى رابع عشرين جمادى الأولى.

ومات الأمير شيخ الصفوى بقلعة المرقب، مسجوناً.

ومات الطواشى صندل المنجكى فى ثالث رمضان.

ومات الأمير صرغتمش المحمدى نائب الإسكندرية، فى ثالث عشر جمادى الأولى.

ومات الأمير كمشبغا الحموى بسجن الإسكندرية، فى ثامن عشرين رمضان.

ومات الملك المنصور محمد بن المظفر حاجى بن الناصر محمد بن المنصور
قلاوون^(٢). وهو مسجون بقلعة الجبل، فى تاسع المحرم.

ومات قاضى القضاة ناصر الدين أحمد بن محمد بن محمد بن التنسى^(٣) المالكى، وهو
قاضى أول شهر رمضان.

ومات بدر الدين محمود بن عبد الله الكُلسْتانى السراى كاتب السر وهو متول، فى
عاشر جمادى الأولى.

(١) زكريا بن إبراهيم بن الحاكم بأمر الله أحمد بن محمد العباسى، أبو يحيى المستعصم بالله من
خلفاء العباسيين بمصر. نصب خليفة فى القاهرة بعد خلع المتوكل على الله سنة ٧٧٩هـ فأقام عشرين
يوماً وعزل، ثم أعيد وبويع بالخلافة بعد موت أخيه الواثق بالله سنة ٧٨٨هـ فاستمر إلى أن خلع سنة
٧٩١هـ، ولزم داره إلى أن مات. انظر تاريخ الخميس ٣٨٣/٢ والأعلام ٤٥/٣.

(٢) محمد (المنصور) ابن حاجى (المظفر) بن الملك الناصر محمد بن قلاوون: من ملوك الدولة
القلاوونية بمصر والشام. بويع بالسلطنة بالقاهرة، بعد مقتل عمه الناصر الثالث حسن بن محمد سنة
٧٦٢هـ. وقام بتدبير ملكه أتابك عساكره الأمير يلبغا. دامت سلطنته سنتين وأربعة أشهر. انظر ابن
يأس ٢١١/١ و٢١٢ والبداية والنهاية ٢٧٨/١٤-٣٠٢ والأعلام ٧٥/٦.

(٣) أحمد بن محمد بن محمد بن محمد بن محمد الزبيرى الإسكندراني المالكى، ناصر الدين بن التنسى:
قاضى من أهل الإسكندرية نسبته إلى تنس من أعمال تلمسان. كان تاجراً، وولى القضاء
بالإسكندرية سنة ٧٨١هـ، صيانة لماله وعنى بالعربية، وشرح التسهيل. واستقر فى قضاء المالكية
بالقاهرة سنة ٧٩٤هـ وحمدت سيرته. ومات بها. انظر رفع الإصر ١/١٠٧، والضوء ١٩٢/٢
وشذرات ٥/٧ والأعلام ٢٢٥/١.

٤٦٢ سنة إحدى وثمانمائة

ومات الأمير قديد أحد الأمراء ونائب الإسكندرية، وهو منفي في ربيع ربيع الأول،
بالقدس.

ومات أحمد بن عبد الله الزهوري في أول صفر، وكان شيخاً عجمياً ذاهب العقل،
للسلطان فيه اعتقاد كبير.

ومات الأمير أزدمر دوادار السلطان، وهو أمير.

* * *

المحتويات

| | |
|---|-----|
| سنة ثمان وسبعين وسبعمائة..... | ٣ |
| السلطان الملك المنصور على بن السلطان الملك الأشرف شعبان بن حسين بن محمد بن قلاوون الصالحى الألفى..... | ١٤ |
| سنة تسع وسبعين وسبعمائة..... | ٢٧ |
| سنة ثمانين وسبعمائة..... | ٤٥ |
| سنة إحدى وثمانين وسبعمائة..... | ٦٣ |
| سنة اثنتين وثمانين وسبعمائة..... | ٧٩ |
| سنة ثلاث وثمانين وسبعمائة..... | ١٠١ |
| ذكر كيفية ظفر القيرسى بالإسكندرية..... | ١٠٤ |
| السلطان الملك الصالح صلاح زين الدين أبو الجود حاحى بن الملك الأشرف شعبان بن حسين بن محمد بن قلاوون الألفى..... | ١١٧ |
| سنة أربع وثمانين وسبعمائة..... | ١٣٥ |
| السلطان الملك الظاهر سيف الدين أبو سعيد برقوق بن أنص الجركسى العثمانى اليلبغاوى القائم بدولة الجراكسة..... | ١٤١ |
| سنة خمس وثمانين وسبعمائة..... | ١٤٧ |
| سنة ست وثمانين وسبعمائة..... | ١٦٣ |
| سنة سبع وثمانين وسبعمائة..... | ١٧٥ |
| سنة ثمان وثمانين وسبعمائة..... | ١٨٣ |
| سنة تسع وثمانين وسبعمائة..... | ١٩٧ |
| سنة تسعين وسبعمائة..... | ٢٠٥ |
| سنة إحدى وتسعين وسبعمائة..... | ٢١٥ |
| السلطان الملك الصالح المنصور حاحى..... | ٢٣٢ |
| سنة اثنتين وتسعين وسبعمائة..... | ٢٧٥ |
| الملك الظاهر سيف الدين أبو سعيد برقوق بن أنص الجركسى رحمه الله تعالى سلطنته الثانية..... | ٢٨٣ |

| | | |
|-----|-------|---|
| ٣٠١ | | سنة ثلاث وتسعين وسبعائة |
| ٣١٩ | | سنة أربع وتسعين وسبعائة |
| ٣٣٣ | | سنة خمس وتسعين وسبعائة |
| ٣٤٥ | | سنة ست وتسعين وسبعائة |
| ٣٦٥ | | سنة سبع وتسعين وسبعائة |
| ٣٨١ | | سنة ثمان وتسعين وسبعائة |
| ٣٩٣ | | سنة تسع وتسعين وسبعائة |
| ٤٠٧ | | سنة ثمانمائة |
| ٤٢٧ | | سنة إحدى وثمانمائة |
| ٤٤٨ | | السلطان الملك الناصر زين الدين أبو السعادات فرج بن الملك الظاهر |

السؤال والى

لمعرفة دول الملوك

تأليف
تقي الدين أبي العباس أحمد بن علي بن عبد القادر
البيدي المقرئ
المتوفى سنة ٨٤٥ هـ

تحقيق
محمد عبد القادر عطا

الجزء السادس

سنة ٨٠٢ هـ - ٨٢٢ هـ

منشورات

محمد علي بيضون

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

جميع الحقوق محفوظة

جميع حقوق الملكية الادبية والفنية محفوظة لدار الكتب العلمية بيروت - لبنان ويحظر طبع أو تصوير أو ترجمة أو إعادة تنضيد الكتاب كاملاً أو مجزأً أو تسجيله على أشرطة كاسيت أو إدخاله على الكمبيوتر. أو برمجته على اسطوانات ضوئية إلا بموافقة الناشر خطياً.

Copyright ©
All rights reserved

Exclusive rights by DAR al-KOTOB al-ILMIYAH Beirut - Lebanon. No part of this publication may be translated, reproduced, distributed in any form or by any means, or stored in a data base or retrieval system, without the prior written permission of the publisher.

الطبعة الأولى

١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

العنوان : رمل الظريف، شارع البحتري، بناية ملكارت
تلفون وفاكس : ٣٦٤٣٩٨ - ٣٦٦١٣٥ - ٦٠٢١٣٣ (١ ٩٦١) ٠٠
صندوق بريد: ٩٤٢٤ - ١١ بيروت - لبنان

DAR al-KOTOB al-ILMIYAH

Beirut - Lebanon

Address : Ramel al-Zarif, Bohtory st., Melkart bldg., 1st Floore.
Tel. & Fax : 00 (961 1) 60.21.33 - 36.61.35 - 36.43.98
P.O.Box : 11 - 9424 Beirut - Lebanon

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سنة اثنتين وثمانمائة

أهل المحرم بيوم الأربعاء، وهو خامس توت: والأردب القمح بأربعين درهماً والشعير بخمسة وعشرين درهماً، والفول بسبعة وعشرين، والدينار المصرى بثلاثين درهماً، والدينار الإفرنتى بخمسة وعشرين درهماً.

وفى ثانيه: استقر جمال الدين محمد بن عمر الطنبدى فى حسبة القاهرة، وصرف البدر محمود العين تابى. واستقر الأمير حاج بن أيدمر والى البهنسا^(١) وصرف حيوات السيفى.

وفى سادسه: استقر الشريف الأمير علاء الدين على البغدادي والى دمياط فى وظيفة شد الدواوين، عوضاً عن شهاب الدين أحمد بن حسن بن خاص بك - المعروف بابن خاص ترك اليريدى - وكان الملك الظاهر بعثه إلى بلاد الشام لتحصيل الأموال والأغنام.

فلما مات الملك الظاهر عوقه الأمير تنم نائب دمشق. وكان قد جمع كثيراً من الأغنام والأموال.

وفى سابعه: قبض على أمير حاج بن بيدمر وسجن. وذلك أنه كان يلى الفيوم^(٢) أيام الأمير منطاش، فحبس عنده الأمير تمرباى الحسنى حاجب الحجاب، والأمير قرايغا العمرى أمير مجلس، والأمير أردبغا العثمانى، والأمير يونس الأسعدى، والأمير طغاي تمر الجر كمرى، والأمير قازان المنجكى، والأمير تنكر العثمانى، والأمير عيسى التركمانى، فبعث إليه الأمير صراى - دودار الأمير منطاش - بقتلهم فى السجن، فألقى عليهم حائطاً قتلهم، واحضر قاضى الفيوم، وكتب محضراً بأنهم ماتوا تحت الردم.

فلما انقضى تحكم منطاش، وعاد الظاهر برقوق^(٣)، هرب من الخوف مدة حياة

(١) مدينة بمصر من الصعيد الأدنى غربى النيل وتضاف إليها كورة كبيرة. انظر: معجم البلدان

٥١٦/١، ٥١٧.

(٢) ولاية غربية بمصر بينها وبين القسوطا أربعة أيام بينها مفازة لا ماء بها. انظر: معجم

البلدان ٢٨٦/٤.

(٣) برقوق بن أنص أو أنس العثمانى، أبو سعيد سيف الدين الملك الظاهر: أول من ملك مصر

من الشراكسة حمله إليها أحد تجار الرقيق واسمه عثمان، فباعه فيها منسوباً إليه. ثم أعتق وذهب إلى

الشام فخدم نائب السلطنة وعاد إلى مصر، انتزع السلطنة من آخر بنى قلاوون سنة ٧٨٤هـ وتلقب

بالمملك الظاهر استمرت دولته إلى سنة ٩٢٢هـ. انظر ابن إياس ٢٥٨/١ و٢٩٠ والضوء اللامع ١٠/٣

والأعلام ٤٨/٢.

الظاهر. فلما مات الظاهر برقوق تعلق بخدمة الأمير تغرى بردى أمير سلاح، حتى استقر بشفاعته فى ولاية بهنسا، كما تقدم.

وكانت ابنة الأمير تهرباى الحسنى تحت تغرى بردى، فعرفها ممالك أبيها بأنه قاتل أبيها، فمازالت بزوجها حتى قبض عليه، وسجنه بخزانة شمائل، واستقر عوضه الأمير ناصر الدين محمد الضانى.

وفى ثامن: أحضر الأمير يلغا السالمى أوناتا الیوسفى كاشف الوجه البحرى. وضربه عريا بالمقارع والعصى معاً، من أجل أنه أخرق برسوله. واستقر عوضه علاء الدين على بن طرنطای فى تاسعه.

وفى سادس عشره: استقر جمال الدين يوسف بن قطلوبك - صهر ابن المزوق - فى ولاية الغربية. وصرف علاء الدين على الحلبي.

وفى سابع عشره: أطلق الأمير تنم نائب الشام من سجن الصبيبة الأمير ألبغا والأمير خضر. وقدم دمشق وأطلق الأمير أقبغا اللكاش أيضاً.

وفى ثامن عشره: استقر علاء الدين ألتبغا والى العرب نائب الوجه القبلى، وصرف علاء الدين على الیلبغاوى.

ورود الخير بنزول ابن عثمان على ملطية ومحاصرتها، وبها الأمير جمق من الظاهرية. وأن العشير ببلاد الشام كانت بينهم فتن وحروب، قتل فيها آلاف.

وكان من خير أبى يزيد بن عثمان أن القاضى برهان الدين صاحب سيواس لما قتل، كتب أهل سيواس إلى ابن عثمان يستدعوه، فسار إليهم من فوره على عسكر كبير وملكها، وأقام عليها ابنه سلمان ثم مضى إلى أرزنجان^(١)، ففر منه طهر ابن حاكمها إلى تيمورلنك، فأخذ ابن عثمان ماله، وأفحش فى حريمه بتمكين سواسه^(٢) منهم، وعاد إلى مملكته.

وفى تاسع عشره: استقر القاضى نور الدين على بن الشيخ سراج الدين عمر بن الملقن فى إفتاء دار العدل، مضافاً لمن بها.

وفى عشرينه: استقر المقدم محمد بن عبد الرحمن مقدم الدولة، وصرف الحاج زين الدين عمر بن صابر ورفيقه على البديوى وقبض عليهما.

(١) من بلاد أرمينية بين بلاد الروم وخراسان، قرية من أرزن الروم. انظر: معجم

البلدان ١/١٥٠.

(٢) المقصود، رعيته وأتباعه.

السلوك لمعرفة دول الملوك ٥

وفي يوم الثلاثاء حادى عشرينه : ركب الملك الناصر من قلعة الجبل ومعه الأمير الكبير أيتمش وسائر الأمراء إلى تربة أبيه، وشق القاهرة من باب النصر إلى باب زويلة، وصعد القلعة. وهذه أول ركباته بعد السلطنة.

وفيه دخل الحمل والحاج، وشكوا من المشقة بشدة الحر وموت الجمال، وأن الشريف حسن بن عجلان أمير مكة، شكأ إلى الأمير شيخ الحمودى أمير الحاج من الأمير بيسق أمير الرجبية، والمتحدث فى عمارة الحرم. وأن العبيد هموا غير مرة بقتله لثقله عليهم، فاستدعاه وأصلح بينه وبينهم، وأقام بمكة ل يتم عمارة الحرم، وأن الأمير شيخ لما وصل إلى ينبع^(١)، وهو عائد، نادى فى الحاج «من كان فقيراً فليحضر إلى خيمة الأمير يأخذ عشرة دراهم وقميصاً» فاجتمع عنده عدة من الفقراء، فقبض عليهم وسلمهم إلى أمير ينبع، وأمره أن ينزلهم فى مراكب بالبحر ليسيروا إلى الطور، ورحل بالحاج من فوره، فتأخر الفقراء بينبع.

وفى ليلة الجمعة رابع عشرينه: أفرج الأمير تتم نائب الشام عن الأمير جليان من سجنه بقلعة دمشق.

وفى خامس عشرينه: استقر علاء الدين أقبغا الزينى المزوق فى ولاية الفيوم وكشفها، وكشف البهنساوية والأطفيحية، وصرف طيغا الزينى من ولاية الفيوم.

شهر صفر، أوله الخميس:

وفيه خلع على الأمير شهاب الدين أحمد بن أسد الهذباني الكردي الطيردار لولاية المنوفية، وعزل أقبغا البشتكى.

وفيه ركب الأمير تتم نائب الشام فى موكب جليل بدمشق، وركب معه الأميران جليان وأقبغا اللكاش.

وفيه كتب الأمير تتم إلى النواب يدعوهم إلى موافقته، فلم يجبه نائب حلب، ولا نائب حماة.

وفى ثالثه: استقر شهاب الدين أحمد الطرخانى والى مصر، وصرف علم الدين سليمان الشهرزورى.

وفى سادسه: استقر بهاء الدين أرسلان - والى العرب المعزول من ولاية القاهرة - فى نيابة الوجه البحرى.

(١) بين مكة والمدينة. انظر: معجم البلدان ٥ / ٤٤٩، ٤٥٠.

وعزل علاء الدين على بن مسافر. وقبض على الوزير بدر الدين محمد بن الطوخى، وعلى ابنه سليمان، وسلموا إلى الشريف شاد الدواوين فضربهما، وعصر الوزير على مائة ألف درهم، تأخرت للأمير الكبير أتمش فى أيام مباشرته، من ثمن اللحم المرتب له على الدولة، فأوردنا ثلاثة وثمانين ألفاً، وضمنهما شرف الدين محمد بن الدمامينى^(١)، والمهتار عبد الرحمن فى مبلغ سبعة عشر ألفاً، وأفرج عنهما، فهربا، وغرما ذلك من مالهما.

وفيه استقر علاء الدين طبيغا الزينى فى ولاية الفيوم على عادته، وعزل أقبغا المزوق.

وفيه قبض الأمير تنم نائب الشام على الأمير شهاب الدين أحمد بن خاص ترك شاد الدواوين، وأخذ جميع ما جمعه من الأغنام والأموال، وفوض أمر أستاذارية الشام إلى الأمير علاء الدين الطبلأوى.

وفى خامس عشره: أعيد شمس الدين محمد الشاذلى إلى حسبة مصر، وصرف نور الدين على البكرى.

وفى خامس عشرينه: أحضرت جثة الأمير كمشبغا الحموى من الإسكندرية إلى تربته خارج باب المحروق.

وفى هذا الشهر: تحركت الأسعار بالقاهرة. وذلك أن الظاهر لما مات كان أعلى سعر: القمح كل إردب بخمسة وعشرين فما دونها، والشعير كل إردب من خمسة عشر درهما إلى ما دون ذلك، فأصبح فى يوم السبت التالى لدفن الملك الظاهر كل إردب من القمح بأربعين درهماً من غير سبب. ودام ذلك حتى بلغت زيادة النيل فى نصف المحرم من هذا العام - وهو سابع عشر توت - ثمانية أصابع من تسعة عشر ذراعاً، وهبط عقيب ذلك أصابع.

فلما انقضى شهر توت انحط الماء، وتزايد السعر من أربعين درهماً الإردب القمح حتى بلغ ستين درهماً. وبلغ الأردب من الشعير والبقول إلى خمسة وثلاثين، بعد خمسة وعشرين، والحملة من الدقيق - وهى زنة ثلاثمائة رطل بالمصرى - مائة درهم، والخبز أربعة أرطال بدرهم. وارتفع سعر غالب المأكولات.

(١) محمد بن أبى بكر بن عمر بن أبى بكر بن محمد، المخزومى القرشى بدر الدين المعروف بابن الدمامينى: عالم بالشريعة وفنون الأدب ولد فى الإسكندرية، واستوطن القاهرة ولازم ابن خلدون. وتصدر لإقراء العربية بالأزهر ثم تحول إلى دمشق ومنها حج، وعاد إلى مصر فولى فيها قضاء المالكية ثم ترك القضاء ورحل إلى اليمن فدرس بجامع زيد نحو سنة، وانتقل إلى القاهرة فمات بها فى مدينة كليرجا. من كتبه «تحفة الغريب» و«نزل الغيث». انظر الضوء اللامع ١٨٤/٧ وشذرات الذهب ١٨١/٧ وآداب اللغة ١٤٣/٣ وحسن المحاضرة ٢٥٨/١ والكتبخانة ٣٣٨/٤ والأعلام ٥٧/٦.

وفى آخره: أبيع الرغيف بثمن درهم، زنته سبع أواقى.

وفيه أيضاً: تزايد الاختلاف بين الأمراء والخاصكية، وكثر نفور الخاصكية من الأمير أيتمش، وظنوا به وبالأمراء أنهم قد مالوا إلى نائب الشام. واتفقوا معه على إفناء الممالك بالقتل والنفى، فتخيل الأمراء منهم، واشتدت الوحشة بين الطائفتين. وتعين من الخاصكية سودون طاز، وسودون بن زاده، وجركس المصارع، ووافقوا الأمير يشبك، فصاروا فى عصبة قوية وشوكة شديدة وشرع كل من الأمراء والخاصكية فى التدبير، والعمل على الآخر.

وأما أمر الأمير تنم نائب الشام فإنه لما عاد إليه مملوك سونج بغا من مصر، فى ثالث عشر المحرم، ومعه مرسوم شريف بتفويض أمور البلاد الشامية إليه، وأن يطلق من شاء من الأمراء المحبوسين. أطلق الأمير جليان من قلعة دمشق فى ليلة الجمعة رابع عشرينه، وأطلق الأمير أزدمر أخوا أينال، ومحمد بن أينال من طرابلس؛ وأحضرهما إلى دمشق. وبعث إلى نواب البلاد يدعوهم إلى القيام معه، فأجابه يونس الرماح نائب طرابلس وأطنبغا العثماني نائب صفد، وأقبغا الأطروش نائب حلب.

وامتنع من إجابته الأمير دمرداش المحمدى نائب حماة. وبعث تنم إلى نائب طرابلس أن يجيز شينيا إلى ثغر دمياط ليحمل فيه الأمير نوروز الحافظى وغيره من الأمراء المسجونين. فبادر ناصر الدين محمد بن بهادر المؤمنى، فتسلم برج الأمير الكبير أيتمش بطرابلس، وركب البحر إلى دمياط، وقدم إلى قلعة الجبل، وأخبر بذلك. فكتب على يده عدة كتب ملطفات إلى الأمير قرمش حاجب طرابلس، وغيره من القضاة والأعيان، بأن قرمش الحاجب يثب على يونس الرماح، نائب طرابلس ويقتله، ويلى مكانه، فسار بذلك. واتفق أن يونس الرماح قبض على قرمش الحاجب وقتله، قبل وصول ابن بهادر. واستدعى نائب الشام بالأمير علاء الدين على بن الطبلاوى، وأقامه متحدثاً فى أمور الدولة، كما كان بديار مصر، وسلم إليه شهاب الدين أحمد بن خاص ترك شاد الدواوين فى ثامن صفر هذا، فأخذ منه ما جمعه من الأموال السلطانية.

تم إنه حلف الأمراء فى ثانى عشره على أن يكونوا معه، وتأهب للمسير إلى حلب، وأخذ ابن الطبلاوى فى طلب أرباب الأموال بدمشق، وطرح عليهم السكر الحاصل من الأغوار، فضر الناس كلهم، بحيث أنه طرح ذلك على الفقهاء ونقباء القضاة وأهل الغوطة. فتكرت القلوب على النائب بهذا السبب، وكثر الدعاء عليه. وأظهر الأمير جنتمر نائب حمص الخلاف على تنم.

وقدم البريد من حلب إلى قلعة الجبل فى حادى عشرينه أن نائب حلب ونائب حماة، ونائب حمص، باقون على الطاعة، وأن تنم نائب دمشق خرج عن الطاعة، وأطلق من السجن الأمير جليان، والأمير آقبا للكاش، والأمير أحمد بن يلغا والأمير أزدمر أخوا إينال، والجبغا الجمالى، وخضر الكرىمى، فتحقق أهل الدولة حينئذ صحة ما كان يشاع من عصيان تنم، وصرح الخاصكية بأن الأمير أيتمش قد وافقه على ذلك فى الباطن، وتحرزوا منه.

وفى يوم الأربعاء ثامن عشرينه: كسفت الشمس، قبل العصر.

شهر ربيع الأول، أوله السبت:

فيه وجه الأمير تنم نائب الشام عسكرياً إلى غزة^(١) مع الأمير آقبا للكاش.

وفى ثالثه: أخرج عسكرياً إلى حلب مع الأمير جليان.

وفيه قبض على بتخاص، وسجن بقلعة دمشق.

وفى يوم الخميس سادسه: استدعى الملك الناصر فرج بالأمير الكبير أيتمش إلى

القصر، وقال له: «يا عم، أنا قد أدركت، وأريد أن أترشد». وكان هذا قد بيته معه الأمير يشبك، والأمير سودون طاز، فيمن معهما من الخاصكية، ليستبد السلطان، ويحصل لهم الغرض فى أيتمش والأمراء، ويمتنع أيتمش من تصرف السلطان، فيفتح لهم باب إلى القتال، ومحاربة أيتمش والأمراء. فأجاب أيتمش السلطان بالسمع والطاعة، واتفق مع الأمراء والخاصكية على ترشيد السلطان، وأن يمثل سائر ما يرسم به. واستدعى فى الحال الخليفة، وشيخ الإسلام سراج الدين البلقينى، وقضاة القضاة وقضاة العساكر، ومفتو دار العدل، وكاتب السر، وناظر الجيش، وغيره ممن عادته حضور المجالس السلطانية. وادعى القاضى سعد الدين إبراهيم بن غراب ناظر الجيش والخاص على الأمير أيتمش بأن السلطان قد بلغ راشداً. وأشهد عدة من الأمراء الخاصكية بذلك، فحكم القضاة برشد السلطان، وخلع على الخليفة وشيخ الإسلام، وقضاة القضاة، ومن حضر من بقية القضاة والفقهاء، وعلى الأمير أيتمش. ونزل أيتمش إلى داره التى كان يسكنها فى الأيام الظاهرية ونقل سائر ما كان له بالإصطبل السلطانى وللحال دقت البشائر، ونودى فى القاهرة ومصر بالزينة والدعاء للسلطان، فزيتا.

(١) مدينة فى أقصى الشام من ناحية مصر، وبينها وبين عسقلان فرسخان. انظر: معجم البلدان

وفي هذا اليوم: عمل السلطان المولد النبوي على عادة أبيه، وحضر معه الأمراء والقضاة ومن عادته الحضور.

وفيه خرج الأمير تنم نائب دمشق منها إلى نحو حلب. وعمل نائب الغيبة^(١) الأمير أزدمر أخا أينال. وافترق من يومئذ العسكر فريقان، فرقة مع أيتمش وفرقة مع يشبك. وانقطع يشبك بداره، وأظهر أنه مريض، فتخيل أيتمش ومن معه من الأمراء وظنوا أنها من يشبك حيلة، حتى إذا دخلوا لعيادته قبض عليهم، فلزم كل منهم داره، واستعد. وأخلد أيتمش إلى العجز، وأعرض عن إعمال الرأى والتدبير. وكان قد تبين منذ مات الظاهر عجزه وعدم أهليته للقيام بالأمر.

فلما كان ليلة الإثنين عاشره: أشيع من العصر ركوب العساكر للقتال، وماج الناس، وكثرت حركاتهم، فلم يدخل الليل حتى لبس أيتمش بمن معه آلة الحرب. وملك أيتمش الصورة^(٢) تجاه باب القلعة، وأصعد عدة من المقاتلة إلى عمارة الأشرف تجاه الطبلخاناه؛ ليرموا على من فيها ومن يقف على باب القلعة.

ولم يخرج يشبك من بيته. وأخذ الأمير فارس حاجب الحجاب رأس الشارع الملاصق لباب مدرسة السلطان حسن؛ ليقاتل من يخرج من باب السلسلة. وأخذ الأمير تغرى بردى أمير سلاح، والأمير أرغون أمير مجلس رأس سويقة منع من تجاه القصر. وركب الأمير يشبك الخازندار، والأمير بييرس الدوادار إلى القلعة. ودقت بها الكوسات الحربية. ولبست المماليك السلطانية. ولحق بهم من الأمراء سودون طاز وسودون المارديني، وبلغا الناصري، وبكتمر الركني، وأينال باى بن قجماس، ودقماق الحمدي نائب ملطية^(٣).

ووقعت الحروب بين الفريقين من وقت العشاء الآخرة إلى السحر. وقد نزل السلطان من القصر إلى الإصطبل، فاشتد قتال المماليك السلطانية، وثبت لهم الأمير فارس، وكاد يهزمهم لولا ما كادوه من أخذ مدرسة السلطان حسن، ورميه من أعلاها إلى أن هزموه، وأحاطوا بداره، وهزموا تغرى بردى وأرغون شاه، بعدما أبلى تغرى بردى بلاءً كثيراً، وأحاطوا بدورهما، فصار الجميع إلى أيتمش. وقد امتدت الأيدي إلى دورهم فنهبوا ما فيها، فنادى أيتمش بالقاهرة وظواهرها: «من قبض مملوكاً جركسيا من

(١) نائب الغيبة هو الذى يتولى شئون البلاد فى غياب السلطان.

(٢) اسم يطلق على المنطقة الجبلية الواقعة فى الجهة الشمالية من قلعة القاهرة.

(٣) بلد من بلاد الروم مشهورة بتناخم الشام. انظر: معجم البلدان ٥/١٩٢، ١٩٣.

المماليك السلطانية، وأحضره إلى الأمير الكبير أيتمش يأخذ عُرية^(١) فحنقوا من ذلك، وفارقه من كان معه من الجراكسة، وصاروا إلى جهة السلطان، ومالوا بأجمعهم على أيتمش، فإنهزم بمن بقي معه وقت الظهر من يوم الإثنين يريدون جهة الشام، وانهزم معه من الأمراء الألوفاً أرغون شاه أمير مجلس، وتغرى بردى أمير سلاح، وفارس حاجب الحجاب ويعقوب شاه الحاجب. ومن الطبلخاناه أظنبغا شادى، وشادى خجا العثماني، وتغرى بردى الجلباني وبكتمر. جلق الناصرى، وتنكر بغا الخططى، وأقبغا المحمودى الأشقر، وعيسى فلان والى القاهرة. ومن أمراء العشرينات أسندمر الأسعدى، ومنكلى بغا العثماني، ولبغا الظريف من خجا على. ومن أمراء العشرات خضر بن عمر ابن بكتمر الساقى، وخليلى بن قرطاي شاد العمائر، وعلى بن بلاط الفخرى، وبيرم العلاى، وأسنبغا المحمودى، ومحمد بن يونس النوروزى، وألجى بغا السلطاني، وتمان تمر الأشقتمرى، وتغرى بردى البيدمرى، وأرغون السيفى، ولبغا البلشون المحمودى، وبأى خجا الحسنى، وأحمد بن أرغون شاه الأشرفى، ومقبل أمير حاجب، وناصر الدين محمد ابن علاء الدين على بن كلفت نقيب الجيش، وخايربك بن حسن شاه، وجوبان العثماني، وكزل العلاى، ويدي شاه العثماني، وكمشبغا الجمالى، وأظنبغا الخليلى، وأظنبغا الحسنى، فى تئمة نحو الألف. فمروا بالخيول السلطانية فى ناحية سرياقوس، فأخذوا من جياها نحو المائة، وساروا إلى دمشق.

وتجمع من المفسدين خلائق، ونهبوا مدرسة أيتمش^(١)، وحفروا قبر ولده الذى بها، وأحرقوا الربع المحاور لها من خارج باب الوزير، فلم يعمر بعد ذلك. ونهبوا جامع آقسنقر^(٢)، واستهانوا بجرمة المصاحف. ونهبوا مدرسة السلطان حسن، وأتلفوا عدة من مساكن المنهزمين، وكسروا حبس الديلم وحبس الرحبة، وأخرجوا المسجونين.

وقتل فى هذه الواقعة من الأمراء قجماس المحمدى شاد السلاح خاناه من أمراء العشرات، وقرباغا الأسنبغاوى، وينتمر المحمدى من الأمراء الألوفاً. واختفى ممن كان معه مقبل الرومى الطويل أمير جاندار، وكمشبغا الخضرى فندب السلطان فى طلب المنهزمين بكتمر الركنى ولبغا الناصرى، وأقبغا الطرنطاي من أمراء الألوفاً، وأسنبغا الدوادر من الطبلخاناه، وباشا باى بن باكى، وصوماى الحسنى من العشرات، فى خمسمائة من المماليك السلطانية، فلم يدر كوههم، وعادوا.

(١) المدرسة الأيتمشية، نسبة إلى صاحبها الأمير الكبير أيتمش الجاسى ثم الظاهرى، أنشأها سنة

(٢) جامع آقسنقر يقع بسويقة السباعين على البركة الناصرية.

وفي حادى عشره: استقر قرابغا مغرق فى ولاية القاهرة، عوضاً عن عيسى فلان، فنودى بين يديه أن من أحضر أميراً من أصحاب أيتمش أخذ ألف دينار.

وفي ثانى عشره: استقر فى ولاية القاهرة بلبان من المماليك السلطانية، عوضاً عن مغرق، فإنه مات من جراحة كانت به، ونزل بالخلعة إلى القاهرة، فمر من باب زويلة يريد باب الفتوح، وعبر ركباً من باب الجامع الحاكمى، وهو ينادى قدامه، فإذا بالأمير شهاب الدين أحمد بن عمر بن الزين قد جاء إلى نحو باب النصر وهو ينادى بين يديه أيضاً. فلما التقيا وافى الطواشى شاهين الحسنى، ومعه خلعة ألبسها لابن الزين، فبطل أمر بلبان، وتصرف ابن الزين فى أمور الولاية، ونودى بالكف عن النهب، وهدد من ظفر به من النهاية، فسكن الحال.

وفي ثالث عشره: خلع على أسندمر العمرى بنقابة الجيش، وعلى ناصر الدين محمد ابن لىلى بولاية مصر، وعزل الشهاب أحمد الطرخانى.

وفي رابع عشره: قبض على الأمير مقبل الرومى أمير جاندار من منزله، ونهب ما وجد له.

وأما تنم فإنه وجه الأمير آقبغا اللكاش فى عدة من الأمراء والعساكر إلى غزة فساروا من دمشق فى أوله، وتبعتهم أطلاب أمراء دمشق. وخرجوا منها فى ثالثه، وعليهم الأمير جلبان، ومعه الأمير شهاب الدين أحمد بن الشيخ على، وطيفور حاجب الحجاب بدمشق، ويلبغا الأشقتمرى، وصُرُق الظاهرى فساروا إلى حلب. وقبض الأمير تنم على الأمير بتخاص، وموسى التركانى، وحبسهما بقلعة دمشق، من أجل أنه اتهمهما بالميل مع أهل مصر.

ثم خرج تنم من دمشق فيمن بقى معه فى سادسه، يريد حلب، وجعل الأمير أزدمر أخا إينال نائب الغيبة، فوصل إلى حمص واستولى عليها، وأقام فيها من يثق به. وتوجه إلى حماة. ووافاه يونس الرماح^(١) نائب طرابلس، ومعه عسكر طرابلس، فامتنع دمرداش الحمدي نائب حماة وقاتل تنم قتالا شديداً، وقتل من أصحابه نحو الأربعة، ولم يقدر عليه تنم فأتاه الخير على حماة بقيام أهل طرابلس.

وذلك أنه لما قرب محمد بن بهادر المؤمنى من طرابلس بعث بما معه من اللطفات لأربابها، فوصلت إليهم قبل قدومه. ثم وصل بمن معه فى البحر، فظنّه نائب الغيبة من

(١) هو الأمير سيف الدين المعروف بيونس بلطا وبالرماح، وهو من ممالك الظاهر برقوق. توفى

الفرنج، فخرج إليه في نحو ثلاثمائة فارس من أجناد طرابلس فتيين له أنه من المسلمين، فقاتلهم على ساحل البحر حتى هزمهم إلى برج أيتمش، فأصبح الذين أتتهم اللطفات، ونادوا في العامة بجهاد نائب الغيبة، نصرة لابن بهادر. وأفتاهم فقهاء البلد بذلك. ونهبت دار نائب الغيبة، وخطب خطيب البلد بذلك فتسرعت العامة إلى النهب، فانهزم نائب الغيبة إلى حماة، وأعلم الأمير تنم بذلك فبعث بالأمير صرق على عسكر إلى طرابلس، فقاتله أهلها قتالا شديداً مدة تسعة أيام، ودفعوه عنها.

وفي أثناء ذلك ورد على الأمير تنم خبر واقعة الأمير أيتمش، وأنه وصل إلى غزة ونزل بدار النيابة، فأذن بدخوله ومن معه إلى دمشق، ورجع من حماة بالعساكر، وقد عجز عنها، فدخل دمشق، في خامس عشرينه، وأرسل يونس الرماح نائب طرابلس في عسكره ومن انضم إليه من أمراء دمشق، وهم: ألقى بغا الحاجب، وخضر الكريمي، في طائفة إلى طرابلس فدخلوا، وانهزم ابن بهادر إلى البحر، فركبه، ومعه القاضي شرف الدين مسعود الشافعي قاضي طرابلس يريدون القاهرة. ونهب يونس الرماح أموال الناس كافة، وفعل ما لا تفعله الكفار. وقتل نحو العشرين رجلاً من المعروفين، منهم الشيخ المفتي جمال الدين بن النابلسي الشافعي، والخطيب شرف الدين محمود، والمحدث القاضي شهاب الدين أحمد بن الأزرعي المالكي، والقاضي شهاب الدين الحنفي، وموفق الدين الحنبلي. وقتل من العامة ما يقارب الألف وصادر الناس مصادرة كبيرة، وأخذ أموالهم. وكانت هذه الكائنة في الخامس عشر منه.

وفي سادس عشره: عرض السلطان الملك الناصر الماليك، ففقد منهم مائة وثلاثين، انهزموا مع أيتمش.

وفيه قبض على الأمير بكتمر جلق، وتنكز بغا الخططي رأس نوبة، وقرمان المنجكي، وكمشبيغا الخضري، وخضر بن عمر بن بكتمر الساقى، وعلى بن بلاط الفخرى، وأسنبغا المحمدي، ومحمد بن يونس النوروزي، وأجبغا السلطاني، وأرغون السيفي، وأحمد بن أرغون شاه الأشرفي، وناصر الدين محمد بن علي بن كلفت نقيب الجيش، وألطنبغا الخليلي، وسجنوا. ثم أفرج عن قرمان، وخضر، وابن يونس، وابن كلفت وألطنبغا وحمل إلى الإسكندرية منهم مقبل الرومي، وبكتمر جلق، والخططي، وابن بلاط، وأسنبغا وأجبغا، وأرغون، وأحمد بن أرغون شاه. وتأخر بالقلعة كمشبيغا الخضري، وإياس الخاصكي.

وفيه استدعى السلطان الأمير سودون أمير أخور، والأمير تراز من الإسكندرية، والأمير نوروز من دمياط فسارت القصاد لإحضارهم.

وفي سابع عشره: استقر موفق الدين أحمد بن قاضي القضاة ناصر الدين نصر الله

الخبلي فى قضاء القضاة الخنابلة بالقاهرة ومصر، بعد وفاة أخيه قاضى القضاة برهان الدين إبراهيم. واستقر علاء الدين أقبغا المزوق فى ولاية الفيوم وكشفها، وكشف البهنساوية، والأطفيحية^(١)، وعزل طيغبا الزينى، وطلب، فهرب. واستقر أيضًا بلبغا الزينى والى البهنسا، وعزل الضانى.

وفى عشرينه: وصل الأمير نوروز من دمياط، والأمير سودون، والأمير تمتاز من الإسكندرية إلى القلعة. وقبلوا الأرض للسلطان، ونزلوا إلى دورهم.

وكتب إلى الأمير تنم نائب الشام بدخوله فى الطاعة.

وفى آخره: قدم الأمير بيسق من مكة.

وفى هذا الشهر: ارتفعت أسعار المأكولات والمشروبات والملبوسات.

وبلغ سعر الرطل من لحم الضأن درهمين، ومن البقر درهم وثمان، والأردب القمح إلى سبعين درهماً، ثم نزل إلى خمسين.

شهر ربيع الآخر، أوله الأحد:

فى ثانيه: استقر الأمير أقبأى الطرنطأى بن حسين شاه حاجب الحجاب. والأمير دقماق المحمدى حاجب رأس الميسرة.

وفى ثالثه: استقر كل من الأمير أسنبغا العلاى الدوادر، والأمير قمارى الأسنبغاوى والى باب القلة ومنكللى بغا الصلاحى الدوادر وسودون المأمورى حاجبًا. واستقر تمربغا المحمدى نائب القلعة.

وفى خامسه: قدم الأمير أيتمش بمن معه إلى دمشق، فخرج الأمير تنم إلى لقاءه، وبالغ فى إكرامه وإكرام من معه، وقدم إليهم تقادم جليلة. وخير فى الإقامة، فاختار النزول بالميدان، وسكنى القصر الأبلق^(٢)، فأقام. وعظم شأن تنم بقدوم أيتمش عليه، وأطاعه من خالف عليه.

وفى ثامنه: قدم عليه كتاب الملك الناصر بمسك أيتمش ومن معه وقدمه إلى مصر، فأحضر الكتاب وحامله إلى عند أيتمش، وأعلمه بذلك. ثم جهز أيتمش وتغرى بردى قصادهما إلى نائب حماة، ونائب حلب، بدعواهما إلى ما هم عليه، فأجابا بالسمع والطاعة.

وكان الأمراء بمصر قد اتفقوا أن يكون الأمير بيبرس الدوادر أتابك العساكر،

(١) بلد بالصعيد الأدنى من أرض مصر على شاطئ النيل فى شرقه. انظر: معجم

البلدان ٢١٨/١.

(٢) القصر الأبلق بدمشق، بناه الظاهر بيبرس.

فأقاموه صورة بلا معنى. وأنعم على نوروز بإقطاع تغرى بردى، وعلى تمراز بإقطاع أرغون شاه، وعلى سودون أمير أخور بإقطاع فارس. وعلى دقماق بإقطاع يعقوب شاه، وعلى الأمير الكبير بيبرس بإقطاع أيتمش، إلا التحريرية^(١)، ومنية بدران^(٢)، وطوخ الجبل^(٣)، فامتنع من قبوله وغضب، وأنعم بإقطاع بيبرس على بكتمر الركنى، وبإقطاع بكتمر على دقماق، وبإقطاع دقماق - الذى كان باسم يعقوب شاه - على جركس المصارع القاسمى، واستقر أمير طبلخاناه.

وأنعم على كل من كزل بغا الناصرى، وقمارى الأسنبغاوى، وشاهين من شيخ إسلام، وشيخ السليمانى، وباشا باى من باكى، وتمر بغا، وحبك من عوض، وصوماى الحسنى، وتمر، وأينال حطب، وقانى باى العلاى بإمرة طبلخاناه. وعلى كل من بردى بك العلاى، وسودن المأمورى، وألطنبغا الخليلى، وأجترک القاسمى، وكزل الحمدى، وبيغان الأينالى بإمرة عشرين، وعلى كل من أزيك الرمضانى، والطيرس العلاى، وأسندمر العمرى، وقرقماس السيفى، ومنكلى بغا الصلاحى، وأقبغا الجوهرى، وطبيغا الطولوتمرى، وقانى باى بن باشا، ودمرداش الأحمدى، وأقبابى السلطانى، وأرغون شاه الصالحى، ويونس العلاى، وجمحق، ونكبباى الأزدمرى، وأقبغا الحمدى، وقانى بك الحسامى، وبازيد من بابا، وسودون البجاسى، وسودون الشمسى، وتمرز من باكى، وشكدان، وقطلوبغا الحسنى، وأسنبغا المسافرى، وسودون النوروزى، وقطلو أقتمر الحمدى، وقانق، وسودون الحمصى، وأرزملك، وأسنبغا باى، وسودون القاسمى بإمرة عشرة.

وفى ثامنه: تحالف الأمراء على السفر بالسلطان إلى الشام، فامتنع المماليك وهددوا الأمراء. فحالف الأمير سودون طاز، وتأخر عن الخدمة، واجتمع المماليك بالأمير يشبك وهو ضعيف، وحدثوه فى أمر السفر، فاعتذر بما هو فيه من الشغل بالمرض.

وفيه اختلف الأميران سودون أمير أخور - كان - وسودن طاز وتسابا بسبب سكنى الخراقة من الإصطبل، وكادا يقتتلان، لولا فرق بينهما الأمير نوروز. ووقع أيضًا بين جركس المصارع وسودون طاز تنافس بسبب الإقطاع وتقابضا، ولم يبق إلا أن تثور الفتنة، حتى فرق بينهما.

(١) التحريرية، أنشأها تحرير الأرعلى الإخشيدى فى القرن الرابع الهجرى.

(٢) من أعمال الدقهلية.

(٣) من أعمال أحميم.

السلوك لمعرفة دول الملوك ١٥

وفي عاشره: استقر أمير على نائب الوجه البحرى، وعزل بهاء الدين أرسلان. واستقر بلبان والى قليب، وعزل عمر بن الكورانى. ورتب الأمراء أموراً منها، إقامة نائب بمصر، وعبوا عدة تشاريف لإقامة أرباب وظائف من الأمراء. فلما كان يوم الخميس تانى عشره خلع على سودون طاز، وعمل أمير أخور، عوضاً عن سودون الطيار، لتأخره بدمشق.

وفي رابع عشره: أعيد بدر الدين محمود العين تايى إلى حسبة القاهرة وصرف الجمال الطنبدى.

واستقر محمد بن الطويل فى ولاية منوف، وعزل الشهاب أحمد بن أسد الكردى.

واستقر الأمير مبارك شاه حاجباً ثالثاً بتقدمة ألف ولم يقع مثل ذلك فيما تقدم.

وفيه قدم قاضى القضاة شرف الدين مسعود من طرابلس، ومعه الشريف بدر الدين محمد بن كمال الدين محمد البلدى نقيب الأشراف، ووكيل بيت المال بها، وأخير بواقعة طرابلس، وقتل قرمش حاجبها، وأن المقتولين فى الواقعة ألف وسبعمائة واثنان وثلاثون رجلاً، وأن النائب أراد إحراقها، فاشترها منه بثلاثمائة وخمسين ألف درهم.

وفي ثامن عشره: قدم نائب حماة إلى دمشق، فخرج الأمير تنم والأمير أيتمش بالعساكر إلى لقائه، وخلع عليه، وأنعم عليه تنم بمال جزيل وأقام خمسة أيام، وعاد إلى حماة ليتجهز.

وخلع الملك الناصر على أحد الأمراء، واستقر حاجباً ثامناً، ولم يعهد بمصر مثل ذلك فيما سلف.

وفي تاسع عشره: قبض السلطان على الوزير فخر الدين ماجد بن غراب، وأخيه سعد الدين إبراهيم ناظر الجيش والخاص، والشهاب أحمد بن عمر بن قطينة المتحدث فى الكارم، والشريف علاء الدين على شاد الدواوين. وتسلمهم أربك رأس نوبة، ووقعت الخوطة على موجودهم.

وفي العشرين منه: قبض على الأمير قطلو بك الأستاذار، وسجن عند صهره زوج ابنته سعد الدين إبراهيم بن غراب.

وفي حادى عشرينه: استدعى الوزير بدر الدين محمد بن الطوخى، وخلع عليه خلعة الوزارة، وخلع على شرف الدين محمد بن الدمامينى وكيل بيت المال لنظر الجيش ونظر الخاص.

وفى ثالث عشرينه: أفرج عن قرمان المنجكى وقلوبك بك العلامى، ونقل ابنا غرابا من عند أربك إلى بيت الأمير قلوبغا الكركى - شاد الشرايخانا - فنزلا فى داره ومعهما ابن قطينة والشريف علاء الدين على، فأتاها الناس بكل ضيافة فاخرة، وتوقف لذلك حال الوزير ابن الطوخى، وابن الدمامينى ناظر الخاص.

وفى رابع عشرينه: أفرج عن ابن قطينة على مائة ألف درهم، وعن الشريف علاء الدين على على خمسين ألف درهم.

وفى سادس عشرينه: توجه المهتر عبد الرحمن على البريد، ومعه مائة ألف درهم وخمسون ألف درهم فضة، وعدة خلج لأهل الكرك^(١)، وعلى يده ملطفات لتخذييل العساكر عن تنم نائب الشام.

وفى يوم السبت ثامن عشرينه: أفرج عن ابنى غراب، وخلع عليهما، كما كانا. وسلم إليهما ابن الطوخى، وابن الدمامينى ونقل أبناء التركمانى من مشيخة خانقاة قوصون^(٢) إلى مشيخة خانقاه سرياقوس، عوضاً عن شيخ الشيوخ بهاء الدين إسلام ابن شيخ الشيوخ نظام الدين إسحاق الأصبهانى بعد موته.

واستقر فى مشيخة القوصونية الشيخ شرف الدين أبو يوسف يعقوب بن الشيخ جلال الدين التبانى الحنفى.

شهر جمادى الأولى، أوله الثلاثاء:

فى ثالثه: قبض سعد الدين بن غراب على شرف الدين محمد بن الدمامينى، ونقله إلى داره، ثم أفرج عنه فى ثامنه، وخلع عليه بقضاء القضاة بالإسكندرية، وخطابة الجامع المغربى بها. واستقر أخوه تاج الدين أبو بكر فى حسبة الإسكندرية، ونزل ابنا غراب معه إلى داره مجملين له.

وفى ليلة الخميس عاشره: كان بمكة - شرفها الله - سيل عظيم بعد مطر غزير، امتلأ منه المسجد الحرام حتى دخل الكعبة، وعلا على بابها نحو ذراع، وهدم عمودين من عمد المسجد، وسقطت عدة دور، ومات تحت الهدم - وفى السيل - نحو الستين إنسانا.

(١) اسم لقلعة حصينة جدا فى طرف الشام من نواحي البلقاء فى جبالها أيلة وبحر القلزم وبيت المقدس. انظر: معجم البلدان ٤/٤٥٣.

(٢) أنشأها الأمير سيف الدين قوصون.

وفيه قدم الأمير أَلطِنبغا العثماني نائب صفد إلى دمشق، فأكرمه الأمير تنم وأنزله، ثم أعاده إلى صفد في تاسع عشره.

وفي يوم الخميس: هذا استقر بهاء الدين محمد بن البرجي في وكالة بيت المال، عوضاً عن شرف الدين محمد بن الدماميني.

وفي رابع عشره: خلع على الأمير الكبير بيبرس ابن أخت الملك الظاهر لأتابكية العساكر، وعلى الأمير نوروز، واستقر رأس نوبة كبير. وعلى الأمير قمرز، واستقر أمير مجلس. وعلى الأمير سودون واستقر دواذار السلطان، وخلع على شرف الدين مسعود، واستقر قاضي دمشق عوضاً عن الأخنأى.

وفي خامس عشره: ورد الخيزر بخروج تنم نائب الشام، وأيتمش بمن معهما من دمشق إلى جهة غزة، فرسم بالتجهيز للسفر، وكثر عمل الناس في القاهرة للدروب والخنوخ خوفاً من النهب، وتبع ابن الزين والى القاهرة المماليك البطالة، وقبض عليهم، وسجنهم بخزانة شمائل.

وفي سابع عشره: اجتمع الأمراء والمماليك بمجلس السلطان، فحثهم على السفر في أول جمادى الآخرة، وأن يخرج ثمانية أمراء من الألوفا بألف وخمسائة من المماليك المشترأوات وخمسائة من المستخدمين، فاختلف الرأي فمنهم من أجاب، ومنهم من قال لا بد من سفر السلطان، وانفضوا على غير شيء، ونفوسهم متغيرة من بعضهم على بعض.

وفي ثامن عشره: أعدت إلى حسبة القاهرة، وصرف العين تايي^(١).

ووقع الشروع في النفقة للسفر، فحمل إلى كل من الأمراء الأكابر مائة ألف درهم، ولمن يليهم دون ذلك، وأنفق على ثلاثة آلاف وستمائة مملوك، لكل مملوك مائة دينار، فبلغت النفقة نحو خمسمائة ألف دينار.

وفي ثامن عشره: علق الجاليش، وخرج خام السلطان، فنصب تجاه مسجد تبر.

وفي تاسع عشره: استقر محمد بن غرلو في ولاية الغربية وكشف جسورها وذلك بعد موت الجمال يوسف بن قطلو بك صهر ابن المزوق. واستقر علاء الدين على بن الحريري في ولاية قوص^(٢)، وصرف أسنبغا.

(١) يقصد بدر الدين العيتابي.

(٢) هي مدينة كبيرة عظيمة واسعة قسبة صعيد مصر، بينها وبين القسطاط اثنا عشر يوماً. انظر:

وفى رابع عشرينه: استقر الأمير شهاب الدين أحمد بن الزين والى القاهرة نائب الوجه القبلى عوضًا عن أطنبغا والى العرب. واستقر شهاب الدين أحمد بن أسد الكردي فى ولاية القاهرة مسئولًا بها. واستقر الحاج سعد المنجكى مهتار الطشتخاناه، عوضًا عن مفتاح عبد نعمان، بعد وفاته.

وفيه فر قطلوبغا الخليلى التركمانى والى الشرقية، وقد اجتمع عنده نحو الخمسين من ممالك الأمراء المنهزمين إلى الشام، ولحقوا بنائب الشام، فقدموا دمشق أول جمادى الآخرة.

وفى خامس عشرينه: استقر المهتار غرس الدين خليل بن الشينخى مهتار الركاب خاناه على عادته، وصرف المهتار عمر. واستقر تغرى برمى السيفى صراى والى الشرقية.

شهر جمادى الآخرة أوله الأربعاء:

فى ثانيه: استقر نور الدين على بن خليل بن على بن أحمد بن عبد الله بن محمد الحكرى فى قضاء القضاة الحنابلة بالقاهرة ومصر، على خمسين ألف درهم، وصرف موفق الدين أحمد بن نصر الله، واستقر الأمير بكنمر الركنى أمير سلاح، عوضًا عن تغرى بردى من يشبغا.

وفى سابعه: عرضت الجمال السلطانية، فعين الأمير سودون طاز منها برسم سفر السلطان وأتقال مماليكه سبعة آلاف وخمسمائة وخمسة وستين جملا، سوى ما فرق على الممالك السلطانية، وسوى الهجن.

وفيه ورد الخبر بالفتنة فى الكرك، وذلك أن المهتار عبد الرحمن لما قدمها، أظهر كتبًا إلى الأمير سودون الظريف نائب الكرك باستعداده لحرب الأمير أيتمش، فاختلف أهل الكرك وافتروا فرقتين: قيسية ويمانية، فرأس قيس قاضى الكرك شرف الدين موسى بن قاضى القضاة عماد الدين أحمد الكركى. ورأس يمن الحاجب شعبان بن أبى العباس. ووقعت فتنة، نهب فيها رحل المهتار عبد الرحمن والخلعة التى أحضرها إلى النائب، وامتدت إلى الغور فنهب، ورحل أهله. وفر عبد الرحمن إلى جهة مصر. وكانت بين الطائفتين مقتلة قتل فيها ستة، وجرح نحو المائة.

وانتصر ابن أبى العباس بمن معه من يمن؛ لميل النائب معهم على قيس، وقبض على القاضى شرف الدين موسى وأخيه جمال الدين عبد الله، وذبحا فى ثامنه، ومعهما ثمانية من أصحابهما، وألقوا فى بئر من غير غسل ولا كفن، وأخذت أموالهم كلها.

وقدم علاء الدين على بن غلبك بن المكللة والى منفلوط^(١)، وأخبر أن أظنبا نائبا الوجه القبلى، خرج هو ومحمد بن عمر بن عبد العزيز الهوارى عن الطاعة وكبسا عثمان بن الأحدب. ففر إلى جهة منفلوط وتبعاه إليها، وخربوها. فرسم لكل من الأمير بيبرس الأتابك، وإينال باى بن قجماس، وأقبابى حاجب الحجاب، وسودون بن زاده، وإينال حطب رأس نوبة، وبيسقى أمير أخور، وبهادر فطيس أمير أخور، أن يتجهزوا ويسيروا جميعاً إلى بلاد الصعيد. فلم يوافقوا على ذلك، ولا سار أحد.

وورد الخبر بقدم نائبا حماة بعسكرها فى ثالث عشره إلى دمشق. وأن الأمير أقبغا نائبا حلب لما برز من حلب للمسير إلى دمشق ثار عليه جماعة من الأمراء، وقتلوه فكسرهم، وقبض على جماعة منهم. وسار إلى دمشق فقدمها فى يوم الخميس سادس عشره، فأكرمه الأمير تنم، وأنزله.

وأنة قد توجه الأمير أرغون شاه ويعقوب شاه، وفارس، وصرق، وفرج بن منجك إلى غزة من دمشق فى ثانى عشره، فعلق جاليش السفر على الطبلخاناه تحت قلعة الجبل، وخرج دهليز السلطان إلى الريدانية خارج القاهرة فى يوم الإثنين عشريه.

وفى ثالث عشريه خلع على الأمير ركن الدين عمر بن الطحان حاجب غزة بنبابة غزة، وعلى سودون حاجبها الصغير، وصار حاجب الحجاب بها.

وفى ثالث عشريه: قدم يونس الرماح نائبا طرابلس بعسكرها، ومعه الأمير أحمد ابن يلبغا إلى دمشق، فخرج الأمير دمرداش المحمدى نائبا حماة من دمشق فى خامس عشريه، وتبعه الأمير تنم فى بقية العساكر، يريدون مصر.

وفى سابع عشريه: استقر شهاب الدين أحمد بن الزين عمر فى ولاية القاهرة ومصر، وأن يكون حاجباً.

وفى ليلة ثامن عشريه: توجه الأمير سودون المأمورى الحاجب إلى دمياط؛ لينقل منها الأمير يلبغا الجنون، والأمير ثمرغا المنجكى، وطغنجى، وبلاط السعدى، وقراسك إلى سجن الإسكندرية.

وكان بالقاهرة ومصر من أول ربيع الأول إلى آخر جمادى الآخرة أمراض فاشية فى الناس من الحمى والبرد. ومات فيه عدة كبيرة مع توقف الأحوال، وتعطل المعاش.

(١) بلدة بالصعيد فى غربى النيل بينها وبين شاطئ النيل بعد. انظر: معجم البلدان

وتزايد الأسعار فى كل ما يباع. وصار الخبز كل خمس أواقى بثمن درهم. وانقطع
الواصل من البلاد الشامية، فبلغ الفستق عشرة دراهم الرطل، واللوز أربعة دراهم
الرطل، والكمثرا سبعة دراهم الرطل. والسفرجلة الواحدة بعشرة دراهم. ومع ذلك
خوف الناس من وقوع الفتن؛ لشدة اختلاف أهل الدولة.

شهر رجب، أوله الجمعة:

فى رابعه: نزل السلطان من القلعة إلى الريدانية ليتوجه إلى قتال أيتمش ونائب
الشام، فأقام بمخيمه، وتلاحق به الأمراء، والعساكر، والخليفة، وقضاة القضاة.

وفى خامسه: خلع على الأمير الكبير بيبرس بنظر المارستان المنصورى ونظر
الأحباس، ونيابة الغيبة، وعلى الأمير نوروز الحافظى بنظر الخانقاة الشيخونية، عوضاً
عن الأمير أرغون شاه الأقبغاوى المنسحب إلى الشام. وعلى الأمير مبارك شاه الحاجب
بنيابة الوجه القبلى، ورسم له أن يحكم من جزيرة القط إلى أسوان^(١)، ويولى من يختار
من الولاة، ويعزل من كره.

وفى سادسه: خلع على الأمير نوروز لتقدمة العساكر، وأفرج عن على بن غريب
الحوارى، وأقيم عوضاً عن محمد بن عمر الهوارى.

وفى سابعه: أنفق فى الممالك بالريدانية مبلغ خمسة وعشرين ألف دينار. وعند تمام
النفقة خلع على الأمير يلبغا السالمى، وأركب حجرة بسرج وكنفوش وسلسلة ذهب.

وفيه رحل الجاليش من الريدانية، وفيه من الأمراء نوروز الحافظى مقدم العساكر،
وبكتمر أمير سلاح، ويلبغا الناصرى، وتمراز أمير مجلس، وسودون الدوادار، وشيخ
المحمودى، ودقماق أمير حاجب.

وفى ثامنه: رحل السلطان ببقية العسكر، وعدة من سار أولاً وثانياً نحو سبعة آلاف
فارس، وأقام بقلعة الجبل من الأمراء أينال باى بن قجماس، وأينال حطب رأس نوبة.
وأقام بالإصطبل سودون بن زادة، وبهادر فطيس، وبيسق الشينخى أمير أخور. وأقام
خارج القاهرة الأمير الكبير بيبرس، وهو نائب الغيبة، ومعه الأمير أقبای حاجب
الحجاب.

وأما تتم نائب الشام، فإنه وجه نائب حلب بعسكره إلى جهة مصر فى ثامنه.

(١) مدينة كبيرة وكورة فى آخر صعيد مصر، وأول بلاد النوبة على النيل فى شرقه. انظر:

وخرج فى تاسعه ومعهُ الأمير أَيْتمش وبقية العساكر، ومن انضم إليهم من التركمان. وخيم على قبة يلبغا خارج دمشق، حتى لحقه بقية العسكر، ومن سار معه من القضاة، وعمل الأمير جركس أبو تنم نائب الغيبة.

وفى حادى عشره: رحل الأمير تنم من ظاهر دمشق، وتبعه ابن الطبلاوى فى ثانى عشره. وسار نائب طرابلس بعسكره ساقه^(١).

وكان تنم من حين قدم عليه أَيْتمش يعمل كل يوم موكبًا أعظم من الآخر، حتى قيل إنه أعظم من موكب الملك الظاهر، وكان يركب بالدف والشبابة والجاويشية والشعراء. وفى خدمته من الأمراء مقدمى الألوف ما يزيد على خمسة وعشرين، سوى أمراء الطبلخاناه. وجمع من التركمان جمعًا عظيمًا. وآخر موكب عمله بدمشق كان فيه عسكر دمشق وطرابلس وحماة وحلب، والأمير أَيْتمش، ومن معه من المصريين ومن انضم إليهم من التركمان فى نحو أربعة آلاف. وأنفق من الأموال على العساكر ما لا يحصى، وأنعم عليهم من الخيل والجمال والعدد وآلات الحرب بما لا يعبر عنه، فصار فى جيش عظيم جدًا.

وفى غيبته أخذ الأمير جركس أبو تنم نائب الغيبة بدمشق فى طرح ما بقى من السكر على الناس، فكثرت الدعاء عليهم بسبب ذلك. وكان الفساد قد عم بوصول العساكر إلى دمشق، وظلموا الناس خارج البلد، ونزلوا فى الخانات والحوانيت والدور والبساتين بغير أجره، وعاثوا وأفسدوا كثيرًا، لاسيما عسكر طرابلس، فلذلك أخذهم الله أخذة رابية - كما يأتى ذكره إن شاء الله.

وفى يوم السبت تاسعه: قدم البريد من البحيرة^(٢) على الأمير بيبرس نائب الغيبة بديار مصر، أن الأمير سودون المأمورى سار بالأمراء من دمياط إلى الإسكندرية. فلما وصل بهم إلى ديروط لقيه الشيخ المعتقد عبد الرحمن بن نفيس الديروطى، وأضافه. فعندما قعد هو والأمراء للأكل ثار يلبغا الجنون وبقية الأمراء على سودون المأمورى، وقبضوا عليه وعلى مماليكه. وبينما هم فى ذلك، إذ قدمت حراقة من القاهرة فيها الأمير كمشبغا الخضرى، وأياس الكمشبغاوى، وجقمق البجمقدار، وأمير آخر والأربعة فى الحديد، ليسجنوا فى الإسكندرية. فدخلت الحراقة شاطئ ديروط، ليقتضوا

(١) مؤخرة الجيش.

(٢) كورة معروفة من نواحي الإسكندرية بمصر، وتشتمل على قرى كثيرة ودخل واسع. انظر:

معجم البلدان ٣٥١/٢.

حاجة لهم، فأحاط بهم يلبغا المجنون، وخلص الأربعة المقيدين، وضرب الموكلين بهم، وكتب إلى نائب الوجه البحرى بالحضور إليه. وأخذ خيول الطواحين، وسار بمن معه إلى مدينة دمنهور^(١)، وطرقها بغتة، وقبض على متوليها. وأتته العربان، فصار فى عدة كبيرة، ونادى فى إقليم البحيرة بمحط الخراج عن أهلها، وأخذ مال السلطان الذى استخرج من تروجة وغيرها. وبعث يستدعى بالمال من النواحي. فكتب بذلك إلى السلطان والأمراء فوردت كتبهم إلى نائب الإسكندرية بالاحتراز، والتيقظ، وإلى أكابر العربان بالإنكار عليهم، وإمساك يلبغا المجنون ومن معه، وكتب إلى الأمير بيبرس بتجريد الأمير أقبای الطرنطای حاجب الحجاب، والأمير أينال باى بن قجماس والأمير بيسق أمير أخور، والأمير أينال حطب رأس نوبة، وأربعمائة من المماليك السلطانية، ومثال إلى عربان البحيرة بمحط الخراج عنهم لمدة ثلاث سنين.

ثم إن يلبغا عدى من البحيرة إلى الغربية فى ليلة الجمعة خامس عشره، خوفاً من عرب البحيرة. ودخل المحلة ونهب دار الوالى، ودار إبراهيم بن بدوى كبيرها، وأخذ منه ثلاثمائة قفة فلوس، وست قفاف عن كل قفة مبلغ خمسمائة درهم. ثم عدى بعد أيام من سمونود^(٢) إلى بر أشموم طناح^(٣)، وسار إلى الشرقية، ونزل على مشتول الطواحين، وسار منها إلى العباسة، فارتجت القاهرة، وبعث الأمير بيبرس إلى مرابط الخيول على البرسيم، فأحضرها.

وورد الخبر بمخامرة كاشف الوجه القبلى مع هواره، فكثر الاضطراب، واشتد الخوف، وتعين الأمير مبارك شاه إلى سفر الصعيد وشرع فى استخدام الأجناد. وعزم الأمير بيبرس أن يخرج إلى المجنون.

وفى رابع عشره: ورد كتاب السلطان بالقبض على شرف الدين محمد بن الدماميني قاضى الإسكندرية، فقبض عليه من منزله بالقاهرة، وسجن فى برج بقلعة الجبل. وعظم الإرجاف بهجوم يلبغا القاهرة، فسدت الخوخ فى سابع عشره وغلقت أبواب القاهرة من عشاء الآخرة، وخرج الأمير أقبای والأمير يلبغا السالمى، والأمير بيسق، والأمير ناصر الدين محمد بن سنقر أستاذار الذخيرة، والأملاك، فى ثلاثمائة من المماليك

(١) بلد بينها وبين الإسكندرية يوم واحد فى طريق مصر متوسطة فى الصغر والكبر. انظر: معجم البلدان ٤٧٢/٢.

(٢) بلدة من نواحي مصر جهة دمياط مدينة أزلية على ضفة النيل، بينها وبين المحلة ميلان تضاف إليها كورة فيقال كورة السمونودية.

(٣) بلد بمصر، قرب دمياط وهى مدينة الدقهلية. انظر: معجم البلدان ٢٠٠/١.

السلطانية، إلى ملاقاته بلبغا المنجون بالعباسة، فى يوم الخميس حادى عشرينه، وساروا. وفيه قدم يشبك العثماني، وعلى يده كتاب السلطان بوصوله إلى تل العجول - زاهر مدينة غزة - فى ثامن عشره، وقد برز نائب حماة، ونائب صفد، وأقبغا اللكاش وتغرى بردى، وفارس، وأرغون شاه، ويعقوب شاه، وفارس نائب ملطية^(١)، فى عدة من أمراء الشام وحلب وغيرها، تبلغ عدتهم نحو خمسة آلاف فارس، يريدون الحرب، فلقيتهم عساكر السلطان، وقتلوهم من بكره النهار إلى وقت الظهر. فخرج اللكاش وانهمز فى جماعة، ودخل فى الطاعة الأمير دمرداش المحمدى نائب حماة، والأمير الطنبغا العثماني نائب صفد، والأمير صراى تمر الناصرى أتاك العساكر بحلب، وجقمق نائب ملطية، وفرج بن منجك، فى عدة من الأمراء والأجناد. وملك السلطان غزة من يومه، فذقت البشائر بذلك، ونودى بزينة القاهرة ومصر، فزينتا، وخلع على يشبك العثماني، ولما أراد الله أنكر شخص يقال له سراج الدين عمر الدمياطى - من صوفية خانقاة شيخو - أن يكون هذا الخير صحيحًا، فقبض عليه وضرب على كتفيه ضربًا مبرحًا، وشهر على حمار، قد أركبه مقلوبًا، وجهه إلى جهة ذنبه، وطيف به القاهرة، ثم سجن بخزانة شمائل، فى يوم الجمعة ثانى عشرينه.

وفى خامس عشرينه: كان العسكر قد وصل إلى نحو العباسة، فلم يقفوا ليلبغا على خير، وقيل لهم إنه سار إلى قطيا، فنزل الأمراء بالصالحية فلم يروا أحدًا، فعادوا إلى القاهرة. وسار ابن سنقر ويبسق نحو بلاد السباخ^(٢) فى طلبه فلم يجدها، فعادا فى يوم الجمعة ثامن عشرينه إلى غيفا^(٣)، وأقاما فلم يشعرا إلا ويلبغا المنجون قد طرقيهما، وقبض عليهما، وأخذ خطهما بجملة من المال، فارتجت القاهرة لذلك.

وأما تنم نائب الشام، فإن الريد وصل إلى دمشق من جهته فى ثالث عشرينه، أنه وصل إلى الرملة، وأن المصريين وصلوا إلى غزة، وبعثوا إليه قاضى القضاة صدر الدين محمد بن إبراهيم المناوى فى طلب الصلح فذقت الكوسات لذلك، وأصبحوا يوم الأحد رابع عشرينه بدمشق، فأغلقوا الأبواب التى للمدينة وسدوها بالحجارة، إلا باب النصر وباب الفرج، وأحد بابى الجابية، وباب توما، فعجب الناس من ذلك، وكثر الكلام.

(١) بلدة من بلاد الروم مشهورة مذكورة تتاخم الشام. انظر ياقوت، معجم البلدان

١٩٣/١٩٢/٥.

(٢) من أعمال الشرقية.

(٣) من أعمال الشرقية.

وفي يوم السبت سلخه: (١) حضر إلى القاهرة قمع الخاصكى من البحر، فإنه سار من عند السلطان على البريد إلى قطيا، فبلغه خير يلغا المجنون، فركب البحر من الطينة، وعلى يده كتاب السلطان من الرملة بالنصر على تنم نائب الشام.

وملخص ذلك أن تنم نزل على الرملة بمن معه. وكان لما قدم عليه من انكسر من عسكريه على غزة، شق عليه ذلك، وأراد أن يقبض على بتخاص والمنقار، ففارقاه ولحقا بالسلطان. وأن السلطان بعث إليه من غزة بقاضى القضاة صدر الدين المناوى فى يوم الثلاثاء تاسع عشره، ومعه ناصر الدين محمد الرماح أمير أخور، وطغاي تمر مقدم اليريدية، وكتب له أماناً، وأنه باق على كفالتة بالشام إن أراد ذلك. وكتب إليه الأمراء يقولون له: «أنت أبونا وأخونا، وأنت أستاذنا، فإن أردت الشام فهى لك، وإن أردت مصر كنا مماليكك وغلماذك، فصن الدماء». وكان الأمراء والعسكر فى غاية الخوف منه لقوته، وكثرة عدده، وتفرقهم، واختلافهم، فسار إليه القاضى وحدثه فى الصلح ووعظه، وحذره الشقاق والخروج عن طاعة السلطان. فقال: «ليس لى مع السلطان كلام، ولكن يرسل إلى الأمير يشبك وسودون طاز وجركس المصارع، وجماعه عينهم، ويعود الأمير أيتمش كما كان هو وجميع الأمراء الذين معه. فإن فعل ذلك، وإلا فما بينى وبينهم إلا السيف». وثبت على ذلك، فقام القاضى ليخرج، فخرج معه بنفسه إلى خارج الخيمة، وأركبه فرساً فى غاية الحسن، وعضده لما ركب.

فقدم القاضى يوم الخميس حادى عشرينه ومعه أحد خاصكية السلطان، ممن كان عند تنم، ووقه نحو أربعة أشهر عن الحضور، وأعاد الجواب فاتفق الجميع على محاربتة.

فلما كان يوم السبت ثالث عشرينه: ورد الخبر أنه ركب بمن معه يريد الحرب، فسار السلطان بعساكره من غزة، إلى أن أشرف على الجينين (٢) قريب الظهر، فعابن تنم قد صف عساكره، ويقال إنهم خمسة آلاف فارس وستة آلاف راجل. فتقدمت عساكر السلطان إليهم وقتلوهم، فلم يكن غير يسير حتى انهزمت عساكر تنم، ووقع فى الأسر تنم نائب الشام، وأقبغا نائب حلب، ويونس نائب طرابلس، وأحمد ابن الشيخ على، وفارس حاجب الحجاب ويغوت، وشادى خجا، وبيرم رأس نوبة أيتمش، وجلبان نائب حلب. ومن أمراء الطبلخاناه والعشرات ما ينيف على مائة أمير، وفر أيتمش، وتغرى بردى، ويعقوب شاه، وأرغون شاه، وطيفور، فى ثلاثة آلاف إلى دمشق

(١) السين واللام والخاء أصل واحد، وسلخت الشهر إذا صرت فى آخر يومه. انظر: مقاييس

اللغة مادة سلخ ٩٤/٣.

(٢) بليدة حسنة بين نابلس وبيسان من أرض الأردن. انظر: معجم البلدان ٢٠٢/٢.

ليملكوها. وعندما قبض على تنم كتب إلى دمشق بالنصرة ومسك تنم، فوصل البريد بذلك يوم الثلاثاء سادس عشرينه على نائب الغيبة بدمشق، فنودى بذلك.

ثم قدم الأمير أيتمش إلى دمشق يوم الأربعاء سابع عشرينه، فقبض عليه، وعلى تغرى بردى، وطيفور، وأقبا اللكاش، وحبسوا بدار السعادة. ثم مسك بعد يومين أرغون شاه، ويعقوب شاه. وتقدم القاضى سعد الدين إبراهيم بن غراب إلى دمشق، فقدمها فى يوم السبت سلخه.

وأما يلغا المجنون فإنه نزل البير البيضاء فى يوم الخميس ثامن عشرينه، فبعث إليه الأمير بيبرس أمناً، فقبض على من أحضره إليه وطوقه بالحديد. فاستعد الناس بالقاهرة، وباتوا ليلة السبت على أهبة اللقاء. وركب الأمراء كلهم بكرة يوم السبت سلخه إلى قبة النصر خارج القاهرة، وأقبل يلغا المجنون، فواقعهم عند بساتين المطرية^(١)، ومعه نحو ثلاثمائة فارس، وقصد القلب، وفيه سودون بن زادة، وأينال حطب، وثلاثمائة من المماليك السلطانية، فأطبق عليه الأمير بيبرس من اليمين، ومعه الأمير يلغا السالمى، وساعدهما اينال باى. بمن معه من الميسرة، فتقنطر سودون من زادة، وخرق يلغا المجنون القلب فى عشرين فارساً، وصار إلى جهة الجبل الأحمر، وانكسر سائر من معه من الأمراء وغيرهم، فتبعهم العسكر وفى ظنهم أن يلغا المجنون فيهم، فأدركوا الأمير تمرغا المنجكى بالزيات^(٢)، وأخذوه، وأخذ طلب يلغا المجنون من عند خليج الزعفران برأس الريدانية، فوجد فيه الأمير ناصر الدين محمد بن سنقر الأستادار، والأمير بيسق أمير أخور، فأطلقوهما، ونهبوه، وعاد العسكر إلى تحت القلعة. وسار المجنون فى عشرين فارساً مع ذيل الجبل إلى تجاه دار الضيافة. فلما رأى كثرة من اجتمع من العامة خاف منهم أن يرحموه، فقال لهم: «أنتم ترجمونى بالحجارة وأنا أرجمكم بالذهب»، فدعوا له وتركوه، فسار من خلف القلعة، ومضى إلى جهة الصعيد من غير أن يعرف به الأمراء. وفيه استقر علاء الدين على بن طرنطاي كاشف الوجه البحرى، وتغرى برمش والى الشرقية.

شهر شعبان، أوله الأحد:

فى أوله: قدم الأمير سيف الدين جكم رأس نوبة إلى دمشق، وقيد أيتمش ومن معه

(١) من قرى مصر عندها الموضع الذى به شجر البلسان الذى يستخرج منه الدهن، وفى جانبها الشمالى عين شمس القديمة. انظر: معجم البلدان ١٤٩/٥.

(٢) قرية قديمة أصبح اسمها بعد ذلك الفلج، بناحية المرج.

ونقلهم من دار السعادة إلى قلعة دمشق، ونادى فى الناس بالأمان، ومنع المماليك السلطانية من التعرض للناس، وألا ينزلوا داخل المدينة.

وفى ليلة الإثنين ثانيه: وصل الأمير سودون الدوادار قريب السلطان وقد والى نيابة دمشق، ومعه الأمير تنم، وعشرة من الأمراء فى القيود فحبسهم بالقلعة أيضاً.

وفى يوم الإثنين المذكور: دخل السلطان الملك الناصر بأمرائه وعساكره إلى قلعة دمشق، فكان يوماً مشهوداً وسر الناس به سروراً كبيراً. وقدم معه شرف الدين مسعود، وقد استقر فى قضاء دمشق، عوضاً عن الأخنأى. ووقعت الحوطة على حواشى تنم وأسبابه، وعلى ابن الطبلاوى. ولم يفقد فى هذه الواقعة من الأعيان سوى الأمير صلاح الدين محمد بن تنكز، فإنه قتل.

وفى خامسه: خلع على الأمير سودون الدوادار نيابة دمشق، وعلى الأمير دمرداش نائب حماة بنيابة حلب، وعلى الأمير شيخ المحمدى بنيابة طرابلس، وعلى الأمير دقماق بنيابة حماة، وعلى الأمير ألتنبغا العثمانى نيابة صغد على عادته، وعلى الأمير جتتمر التركمانى نائب حمص بنيابة بعلبك^(١)، وعلى الأمير بشباى حاجب الحجاب بدمشق، وعلى شمس الدين محمد بن الأخنأى، وأعيد إلى قضاء دمشق، وعزل مسعود، فكانت ولايته منذ كتب توقيعه نحو ثمانين يوماً، لم يياشر فيها بدمشق سوى ثلاثة أيام، وعلى تقى الدين عبد الله بن الكفرى بقضاء الحنفية بدمشق عوضاً عن البدر محمد المقدسى، فاستتاب صدر الدين على بن أمين الدين بن الآدمى، وعلى شمس الدين محمد النابلسى بقضاء الحنابلة بدمشق، عوضاً عن تقى الدين إبراهيم بن مفلح.

وفيه قبض على الأمير كمشبقا الخضرى، وبتخاص الخاصكى من أصحاب يلبغا الجنون، وسجنا بقلعة الجبل.

وورد الخبر بأن يلبغا الجنون فى نحو المائة، وأنه أخذ خيل والى الفيوم، وبغال قاضيها، واستخدم عدة، وتوجه إلى الميمون^(٢).

وفى تاسعه: استقر مسعود فى قضاء طرابلس.

وفى عاشره: استقر جمال الدين محمد بن عمر بن على بن عرب فى حسة القاهرة، عوضى^(٣)، بمال وعد به.

(١) مدينة قديمة بينها وبين دمشق ثلاثة أيام، وقيل اثنا عشر فرسخاً من جهة الساحل. انظر:

معجم البلدان ٤٥٣/٢.

(٢) من القرى القديمة بالواسطى.

(٣) على هامش ط: يشير المقرئ إلى نفسه.

وفي ثاني عشره: قدم أسنبغا العلاى بغير دخول السلطان إلى دمشق، ووقوع أيتمش وغيره من الأمراء فى القبضه، فدقت البشائر بقلعة الجبل ونودى بتقوية الزينة. وأما الأسعار فإنها تزايدت بالقاهرة، وبلغ القمح خمسة وسبعين درهماً الأردب، والحملة الدقيق مائة وعشرين درهماً، والخبز ثلاثة أرطال بدرهم.

وفي ليلة الرابع عشر: ذبح بقلعة دمشق أربعة عشر أميراً وهم: الأمير أيتمش، وأقبغا اللكاش، وجلبان الكمشبغاوى وأرغون شاه، وفارس الحاجب، ويعقوب شاه، وبيقجا طيفور حاجب دمشق، وأحمد بن يلغا الخاصكى العمرى، وبيغوت اليحياوى، ومبارك الجنون، وبهادر العثمانى نائب البيرة. وجهزت رأس أيتمش ورأس فارس إلى القاهرة.

وفي رابع عشره: توجه الأمير دمرداش المحمدى نائب حلب من دمشق إليها، وتوجه من الغد الأمير دقماق نائب حماة إليها. وتوجه فى سادس عشره الأمير شيخ نائب طرابلس إليها.

وفيه قدم الخبز من الرحبة إلى السلطان بدمشق أن السلطان أحمد بن أويس^(١) ممتلك بغداد، والأمير قرا يوسف التركمانى، فرا هارين فى نفر يسير إلى الفرات فمنعا من التعدية، حتى يرسم لهما بذلك.

وفيه خلع على الأمير يشبك الخازندار، واستقر دوادارا، عوضاً عن الأمير سودون، المنتقل لنيابة الشام.

وفي سادس عشره: نودى فى القاهرة بقلع الزينة فقلعت.

وفي تاسع عشره: وصل البريد من دمشق برأسى أيتمش وفارس، فعلقنا على باب قلعة الجبل، ونقلنا من الغد إلى باب زويلة، وعلقا عليه إلى ثالث عشرينه، سلما لأهلها، وقال فى ذلك المقرئ الأديب شهاب الدين أحمد الأوحدى:

يا دهر كم تفنى الكرام عامدا هل أنت سبع للورى ممارس

(١) أحمد بن أويس بن حسن الجلايرى، غياث الدين آخر سلاطين الدولة الجلايرية فى بغداد. مغولى الأصل، مستعرب، آل أمر العراق إلى جده الشيخ حسن. ونشأ هو فى تبريز، وعاش زمنا فى بغداد، وناب عن أخيه السلطان حسين فى البصرة، ثم قتل أخاه، وتولى السلطنة سنة ٧٨٤ هـ ونار عليه مغولى اسمه الأمير قرا يوسف، فقاتله، وانهزم السلطان أحمد وأسر وقتل خنقا ببغداد. انظر: تاريخ العراق ٣٠٥/٢ والضوء اللامع ٢٢٤/١ والبدر الطالع ٢٢/١ والأعلام ١٠١/١،

أَيْتَمَش رِب الْعَلَا صرَعْتَه وَرَحَت لِليث الهمام فارس
وقال:

أرى العز الكرام من البرايا تحكّم فيهم أهل المناحس
ولولا جور حكم الدهر فيهم لما ظفرت جراكسة بفارس
وقال أيضاً:

أيا فرسان الوغا أمراء مصر ذلتهم للجراكسة العوابس
ولولا طبع هذا الدهر غدر لأعجزهم من الفرسان فارس

وفيه أفرج عن سراج الدين عمر الدمياطي، وبعث الأمير يلبغا السالمى من مال الديوان المفرد يرسم نفقة المماليك مبلغ خمسة وثلاثين ألف دينار إلى دمشق.

وخرج من القاهرة لتعبئة الإقامات السلطانية إلى قطيا، وقبض على الأمير طولو بالقاهرة، فسجن مع تمرغبا المنجكى وكمشبيغا الخضرى.

وفى سابع عشرينه: ولى الملك الناصر بدمشق السيد الشريف علاء الدين على بن برهان الدين إبراهيم بن عدنان نقيب الأشراف بدمشق كتابة السر بها، وصرف ناصر الدين محمد بن عمر بن محمد بن محمد بن هبة الله بن عبد المنعم بن محمد بن الحسن بن على بن أبى الكتائب بن أبى الطيب.

شهر رمضان، أوله الإثنين:

فى ليلة الخميس رابعه: قتل الأمير تنم نائب الشام والأمير يونس الرماح نائب طرابلس بقلعة دمشق خنقاً بعد أن استصفيت أمواهما، ولم يبق لهما شىء، ثم سلما إلى أهلها، فدفن تنم بترتته بميدان الحصى خارج دمشق، ودفن يونس بالصالحية^(١). فكانت مدة ولاية تنم نيابة الشام سبع سنين وستة أشهر ونصفاً، وولاية يونس طرابلس نحو ست سنين.

وكان سودون الظريف نائب الكرك قد خرج منها، وقدم دمشق على السلطان بعد أن استخلف على الكرك الحاجب شعبان بن أبى العباس، فعزل سودون فى هذا اليوم، وأقام السلطان فى نيابة الكرك الأمير سيف الدين بدخاص السودونى، وخرج إليها.

(١) قرية كبيرة ذات أسواق وجامع فى لحف جبل قاسون من غوطة دمشق. انظر: معجم

وفيه خرج السلطان من قلعة دمشق بعساكره، ونزل الكسوة^(١) يريد مصر، فكانت إقامته بدمشق أحدًا وثلاثين يومًا. وأخرج ابن الطبلاوى، وابن أبى الطيب كاتب السر - فى الترسيم، بعدما أهينا وأخذت أموالهما. وسار البريد إلى القاهرة بخروج السلطان من دمشق فقدم فى ثامنه، فدقت البشائر ثلاثة أيام بقلعة الجبل.

ونودى فى القاهرة أن يبيض الناس حوائيتهم وظواهر أملاكهم وكثروا القناديل التى تعلق على الحوائيت كل ليلة.

وفى ثانى عشره: نزل السلطان غزة^(٢). وقتل ابن الطبلاوى. وقدم الحریم السلطاني إلى القاهرة، فدخل قلعة الجبل فى عشرينه، ودخل أيضًا ابن أبى الطيب محتفظًا به، فزينت القاهرة ومصر.

وفيه قدم القاضى سعد الدين إبراهيم بن غراب إلى القاهرة فخرج الناس إلى لقاء القادمين.

وفى سادس عشرينه: قدم السلطان، وقد فرشت له شقاق الحرير من تربة يونس عند قبة النصر إلى القلعة، فكان يومًا مشهودًا.

وفى ثامن عشرينه: أنعم على كل من الأمير قطلوبغا الحسنى الكركى بإقطاع الأمير سودون - نائب الشام - وإمرة مائة مقدمة ألف، وعلى الأمير أقبای الكركى الخازندار بإقطاع الأمير شيخ المحمودى نائب طرابلس، وعلى الأمير جركس القاسمى المصارع بإقطاع مبارك شاه، وعلى الأمير حكيم بإقطاع دقماق الحمدي، وعلى الطواشى مقبل الزمام بإقطاع الأمير الطواشى بهادر الشهابى مقدم المماليك، وعلى الطواشى سعد الدين صواب السعدى جنكل بإقطاع مقبل، وإقطاع صواب على الطواشى شاهين الحلبي نائب المقدم.

وفى هذا الشهر: نقص ماء النيل بحيث صار الرجل يخوض من بولاق إلى البر الغربى.

وفى آخره: كثر ازدحام الناس على شراء روايا الماء بالقاهرة وظواهرها، حتى بلغت الراوية أربعة دراهم، بعد درهم ونصف. وعجز كثير من الناس عن شرائها لعظم

(١) قرية هى أول منزل تنزله القوافل إذا خرجت من دمشق إلى مصر. انظر: معجم البلدان ٤/٤١٦.

(٢) من أعمال البهنساوية.

الازدحام، وكثرة تلقي السقائين من البحر. وصار الناس يخرجون بأنفسهم وعبيدهم وإمائهم وغلمانهم، فينقلون الماء من البحر إلى دورهم على البغال والحمير، وفي الجرار على الروس. وتزايد العطش بالناس. واتفق مع ذلك شدة الحر المفرط، وقدم العسكر، فكان من ذلك ما لم يعهد مثله.

وفي هذا الشهر: امتنع شعبان بن أبي العباس بالكرك على الأمير بتخاص، فكانت بينهما حروب شديدة طويلة، هلك فيها كثير من الناس وخربت عدة من القرى.

شهر شوال، أوله الأربعاء:

وفيه قبض على علاء الدين ألتنبغا والى العرب نائب الوجه القبلى، وسلم إلى الوالى. واستقر دمرداش السيفى نائب الوجه القبلى، وصرف مبارك شاه، وأنعم عليه بإمرة طبلخاناه. وأفرج عن ناصر الدين محمد بن أبى الطيب، كاتب سر دمشق.

وقدم مملوك يلبغا المجنون بكتابه يسأل نيابة الوجه القبلى، فرسم أن يخرج إليه تجريدة فيها الأمير تراز، ويلبغا الناصرى، وأقبای الحاجب وأينال باى وبكتمر، ونوروز الحافظى، وأسنبغا، وتتمة ثمانية عشر أميراً. وأن يكون مقدمهم الأمير نوروز، وخرجوا فى ثالث عشره ومعهم نحو الخمسمائة من المماليك السلطانية.

وفى رابع عشره: أعيد شمس الدين محمد البخانسى إلى حسبة القاهرة، وصرف الطنبدى. وورد الخير بأن محمد بن عمر بن عبد العزيز الهوارى حارب يلبغا المجنون فى شرق أبويط^(١). وقبض على أمير على دواداره، وعلى نائب الوجه البحرى، وعلى أياس الكمشباغوى الخاصكى وعلى جماعة من أصحابه، وأنه فر ونزل البحر فغرق بفرسه، وغرق معه جماعة، وأنه أخرج من النيل فوجد قد أكل السمك لحم وجهه، فتوجه البريد لرجوع الأمراء.

وفيه استقر سنقر السيفى فى ولاية أشموم الرمان، وعلى بن قرط فى ولاية أسوان.

وفى ثامن عشره: برز الحمل، وأمير الحاج بيسق، إلى الريدانية خارج القاهرة.

وفى ثانى عشرينه: استقر على بن حمزة - أحد مقدمى الحلقة - فى ولاية منوف، وصرف محمد بن الطويل، وضرب بالمقارع عند الأمير يشبك الشعبانى الدوادار.

وفى يوم الجمعة رابع عشرينه: - والناس فى انتظار الصلاة بالجوامع - ارتجت القاهرة وظواهرها، وقيل قد ركب الأمراء والمماليك فغلقت أبواب الجوامع، واختصر

(١) كورة معروفة من نواحى الإسكندرية بمصر، تشتمل على قرى كثيرة ودخل واسع. انظر:

الخطباء الخطبة، ونزلوا عن المنابر، وأوجزوا في الصلاة، وفي بعض الجوامع لم يخطب، وفي بعضها لم تصل الجمعة.

وخرج الناس مذعورين خوفاً من النهب، وفيهم من سقط منه منديله أو دراهمه ولم يع لذلك وأغلقت الأسواق، واختطف الناس الخبز، فلم يظهر للإشاعة صحة، وإنما كان سبب ذلك أن مملوكين تخاصما تحت القلعة، وكان حمار قد ربط في تحت من خشب، فنفر من ذلك وسحب التخت، فجفلت الخيول التي تنتظر أربابها بالقرب من جامع شيخو بالصليبية حتى تنقضى الصلاة. فلما رأى الناس الخيول ظنوا لما فى نفوسهم من الاختلاف بين سودون طاز أمير أخور ويشبك الدوادار وأنهم على عزم الركوب للحرب، أن الواقعة قامت بينهما، فطار هذا الخير إلى بولاق وظواهر القاهرة إلى مصر. وفي بقية النهار قبض والى القاهرة على جماعة من أراذل العامة، وضربهم وشهرهم، ونودى عليهم «هذا جزاء من يكثر فضوله ويتكلم فيما لا يعنيه». ثم نودى من الغد بالأمان وأن من تحدث فيما لا يعنيه ضرب بالمقارع وسمر، فسكن الناس.

وفيه حضر أمير على اليلبغاوى أبو دقن نائب البحيرة وقطلو بغا دوادار المجنون، وعمر دوادار ألطنبغا والى العرب، فسجنوا بخزانة شمائل.

وفي يوم الأحد سادس عشرينه : وسادس عشرين شهر بشنس:- أحد شهور القبط - بشر بزيادة ماء النيل على العادة، وأن القاع - وهو الماء القديم - ثلاثة أذرع ونصف. وكان القاع فى السنة الماضية أربعة أذرع ونصف.

وفي ليلة الثامن والعشرين منه: ظهرت نار بالمسجد الحرام من رباط، ومشت بالجانب الغربى من المسجد، فعمت النار، واحترقت جميع سقف هذا الجانب، وبعض الرواقين المقدمين من الجانب الشامى، وعم الحريق فيه إلى محاذة باب دار العجلة لخلوه بالهدم وقت السيل. وصار موضع الحريق أكواماً عظيمة، وتكسر جميع ما كان فى موضع الحريق من الأساطين، وصارت قطعاً.

وفي ثامن عشرينه: منع جميع مباشرى الدولة بديار مصر من النزول إلى بيت الأمير يشبك الدوادار.

وذلك أن كل من الأستاذار والوزير وناظر الجيش والخاص وكاتب السر كانوا منذ قدم السلطان من دمشق ينزلون من القلعة أيام المواكب الأربعة - وهى يومى الإثنين والخميس، ويومى الثلاثاء والسبت - إلى دار الأمير يشبك، ويقفون فى خدمته، ويعرضون عليه الأمور، فيما هم بما يريد، وينهاهم عما لا يجب، فيصرفون سائر أحوال الدولة عن أوامره ونواهيها. فحقق من ذلك سودون طاز أمير أخور، وتفاوض معه

بمجلس السلطان في كفه عن ذلك، حتى أذعن، فمنعوا، ثم نزلوا إليه على عاداتهم وصاروا جميعاً يجلسون عنده من غير أن يقفوا.

وفيه استقر على بن مسافر نائب الوجه البحري، وعزل أحمد بن أسد.

واستقر ناصر الدين محمد بن صلاح الدين صالح بن أحمد بن السفاح الحلبي في نظر الأعباس، وعزل بدر الدين حسن بن المرضعة، وأضيف إليه نظر الجوالى وتوقيع الدست. وكان قد حضر مع العسكر من دمشق.

وفي تاسع عشرينه: استقر الوزير تاج الدين عبد الرزاق في ولاية قطيا ونظرها، كما كان قبل الوزارة.

شهر ذى القعدة، أوله الخميس:

فيه استقر غرس الدين خليل بن الطوخى والى الجيزة^(١)، وعزل الأمير حسن بن قراجا العلاى.

وفى ثانيه: ورد البريد من حلب ودمشق بأن ألقان أحمد بن أويس صاحب بغداد، لما توجه إلى بغداد واستولى عليها، كان لقرا يوسف في مساعدته أثر كبير، فعندما تمكن قبض على كثير من أمراء دولته وقتلهم، وأكثر من مصادرات أهل بغداد وأخذ أموالهم، فنار عليه من بقى من الأمراء، وأخرجوه منها، وكاتبوا صاحب شيراز أن يحضر إليهم، فلحق ابن أويس بقرا يوسف بن قرا محمد التركمانى صاحب الموصل^(٢)، واستنجد به، فسار معه إليها، فخرج أهل بغداد وكسروهما بعد حروب، فانهزما إلى شاطىء الفرات، وبعثا يسألان نايب حلب أن يستأذن السلطان في نزولهما بالشام. وأن الأمير دمرداش استدعى الأمير دقماق نايب حماة إلى حلب، وخرجا فى عسكر جريدة يبلغ عددهم الألف، وكبسا ابن أويس وقرا يوسف، وهما فى نحو سبعة آلاف فارس، فاقتلا قتالا شديداً فى يوم الجمعة رابع عشرين شوال، قتل فيه الأمير جاني بك الياحياوى أتاكب حلب، وأسر دقماق نايب حماة، وانهزم دمرداش نايب حلب، وصار إلى حلب ولحقه بعد أن افتك نفسه بمائة ألف درهم وعد بها، وأن سودون بن زاده - القادم من مصر إلى حلب بالبشارة بقدم السلطان إلى مصر سالماً - بعث المائة ألف إليهما، فبعثا إليه:

(١) بليدة فى غربى فسطاط مصر قبالتها، ولها كورة كبيرة واسعة، وهى من أفضل كور مصر.

انظر: معجم البلدان ٢/٢٠٠.

(٢) مدينة مشهورة عظيمة، وهى محط رجال الركبان ومنها يقصد إلى جميع البلدان فهى باب

العراق ومفتاح خراسان ومنها يقصد إلى أذربيجان. انظر: معجم البلدان ٥/٢٢٣، ٢٢٤.

«إنا لم نأت محاربين وإنما جئنا مستجيرين، ومستنجدين بسلطان مصر، فحاربنا هؤلاء فدفعنا عن أنفسنا». فكتب إلى نائب الشام بمسير عساكر الشام جميعاً، وأخذ ابن أويس وقرأ يوسف وإرسالهما إلى مصر.

وفي ثامنهم: استقر أمير سعيد بن أمير فرج بن أيدير في ولاية الغربية، وصرف محمد ابن غرلو.

وفيه توقفت زيادة ماء النيل ثلاثة أيام أولها الخميس، فركب عدة من الأمراء، وكبسوا أماكن اجتماع الناس للفرجة ونهوا عن عمل الفواحش، فزاد يوم الأحد، واستمرت الزيادة.

وورد الخبر بأن محمد بن عمر الهوارى قابل الأمراء المجردين بالصعيد، وأنهم خلعوا عليه، وفر عثمان بن الأحذب فقتل حتى أخذ.

وفيه استقر عمر بن ممدود الكوراني في ولاية مصر، عوضاً عن الأمير شهاب الدين أحمد بن الزين. وبقيت ولاية القاهرة بيد ابن الزين. واستقر أبو بكر بن بدر في ولاية قليوب، وعزل بلبان.

وفيه توجه عبد الرحمن المهتار إلى الكرك^(١)، فقدمها في سادس عشرينه، وطلب من منجد بن خاطر أمير بني عقبة أربعمئة بعير وعد بها في الإمرة ووجد بتخص لم يتسلم الكرك لامتناع شعبان بن أبي العباس بها.

شهر ذى الحجة، أوله السبت:

فيه ورد الخبر من مكة بجريق الحرم الذي تقدم ذكره، وأنه تلف به ثلث الحرم. ولولا ما سقط قبل ذلك من السيل لأنت النار على ساير الحرم، وأنه تلف فيه من العمدة الرخام مائة وثلاثون عموداً، فهال الناس ذلك وتحديث أهل المعرفة بأن هذا منذر بجادث جليل يقع في الناس، فكان كذلك. ووقعت الحن العظيمة بقدم تملرنك، كما يأتي ذكره إن شاء الله.

وفي خامسه: رسم باستقرار علاء الدين على بن أبي البقاء في قضاء دمشق، وعزل الإخناى. ثم انتقض ذلك، واستقر عوضه أخوه قاضى القضاة بدر الدين محمد بن أبي البقاء ثم أعرض عنها واستقر علاء الدين في خامس عشره.

(١) اسم لقلعة حصينة جدا في طرف الشام من نواحي البلقاء في جبالها بين أيلة وبحر القلزم

وفي ثامننه وهو سابع مسرى: أوفى ماء النيل ستة عشره ذراعاً، فركب الأمير يشبك وخلق المقياس، وفتح الخليج على العادة، بعدما عزم السلطان على الركوب لذلك؛ ثم تركه خوفاً من الفتنة.

وفي يوم عرفة: أفرج عن الأمير تغرى بردى، والأمير أقبغا الأطروش نائب حلب من سجنهما بقلعة دمشق، وحملا إلى القدس ليقبما به بطالين.

وظهر الأمير صُرُق من اختفائه بدمشق، فأكرمه نائب الشام، وكتب فيه، فأنعم عليه بتقدمة ألف مجلب، وسار إليها.

وفي ثالث عشره: قدم حاجب الأمير نعيم بن حيار أمير آل فضل، وقاصد نائب حلب، ونائب بهسنا، بأن نائب بهسنا جمع من التركمان كثيراً، وواقع أحمد بن أويس صاحب بغداد، وكسره، ونهب ما معه، وبعث بسيفه. ويقال إنه سيف على بن أبي طالب رضى الله عنه.

وفي سابع عشره: نزل تيمورلنك على مدينة سيواس، ففر منها الأمير سليمان بن خوندكار أبي يزيد بن عثمان إلى أبيه، فاستمر تيمور يحاصرها.

وفي ليلة الثلاثاء خامس عشرينه: اتفق ممالك الأمير نوروز على قتله. فلما بلغه ذلك احترز منهم بداره، وأصبح قبض على جماعة منهم، وغرق منهم فى النيل أربعة.

وفي يوم الخميس سابع عشرينه: أعيد موفق الدين أحمد بن نصر الله إلى قضاء القضاة الخنابلة، وصرف نور الدين على الحكرى. واستقر شهاب الدين أحمد اليعمورى دمشقى فى نيابة الأستادار بالبلاد الشامية.

وفيه قدم مبشرو الحاج، وأخبروا بسلامة الحاج.

وفي هذه السنة: ملك الأمير تيمورلنك مدينة دله^(١) من الهند، وقد مات ملكها فيروز شاه بن نصره شاه.

وكان من عظماء ملوك الإسلام، فملك بعده مملوكه ملو وعليه قدم تيمور، ففر منه، وأوقع تيمور بالمدينة وما حولها وخربها، وسار عنها، فعاد إليها ملو وقد خربت، فمضى منها إلى السلطان.

* * *

ومات في هذه السنة

الشيخ برهان الدين إبراهيم بن حسن بن موسى بن أيوب الأبناسي الشافعي، بطريق مكة في ثامن المحرم.

ومات الأمير علاء الدين على الحلبي والى الغربية، وكاشف الوجه البحرى فى حادى عشرين ربيع الأول.

ومات قاضى القضاة برهان الدين إبراهيم بن قاضى القضاة ناصر الدين نصر الله بن أحمد بن محمد بن أبى الفتح الحنبلى، وهو قاض، فى ثامن ربيع الأول، عن نحو أربع وثلاثين سنة، وكان عفيفاً جميل السيرة.

ومات المعلم شهاب الدين أحمد بن محمد الطولونى المهندس، بطريق مكة، فى صفر.

ومات قاضى القضاة مجد الدين إسماعيل بن إبراهيم بن محمد بن على الحنفى^(١)، وهو معزول، فى عاشر جمادى الأولى.

ومات شيخ الشيوخ شيخ الإسلام جلال الدين أبو العباس أحمد، ابن شيخ الشيوخ نظام الدين إسحاق بن عاصم الأصفهاني، بمخانقاة سرياقوس، فى خامس عشرين ربيع الآخر.

ومات الأمير الطواشى بهادر الشهابى مقدم المماليك، فى سابع عشر رجب.

ومات الفقير المعتقد المجذوب سليمان السواق القرافى فى تاسع عشر ربيع الأول.

ومات الأمير قجماس المحمدى، شاد السلاح خاناه، فى ثامن ربيع الأول، قتيلا.

ومات الأمير قشتمر بن قجماس أخو الأمير أينال باى، فى ثامن ربيع الأول، قتيلا.

ومات الأمير قطلوبك الحسامى المنجكى، بالينبع من الحجاز.

ومات قرابغا الأسنباغوى، أحد أمراء الطبلخاناه.

ومات الأمير ناصر الدين محمد بن الأمير جمال الدين عبد الله ابن الأمير بكتمر

الحاجب، فى خامس عشرين ربيع الآخر.

(١) إسماعيل بن إبراهيم بن محمد الكنانى البليسى، مجد الدين: قاض حنفى من الفضلاء من أهل (بليس). بمصر. صنف كتابا فى «الفرائض» واختصر «الأنساب» للرشاطى، وسماه «قدس الأنوار». نظم كثير وولى قضاء الحنفية بالقاهرة. وكف بصره فى كبره، وساءت حاله. انظر: الضوء اللامع ٢٨٦/٢ وخطط مبارك ٧٥/٩ والمخطوطات المصورة ٢٣٤/٢ والأزهرية ٢٣٢/٣ ودار الكتب ٥٥٣/١ ورفع الإصر ١١٦/١، ١٢٠، والأعلام ٣٠٨/١.

ومات الأمير ينتم محمدى الحاجب.

وماتت خوند^(١) التنكرية، بنت الملك الناصر محمد بن قلاوون، امرأة الأمير تنكز بغا، فى ثامن صفر.

وماتت شيرين أم الملك الناصر فرج، فى ليلة السبت أول ذى الحجة. ودفنت بالمدرسة الظاهرية بين القصرين.

ومات الأمير جمال الدين يوسف الهذبانى، فى ثامن ذى الحجة بدمشق، ومولده سنة أربع وسبعمائة تخميناً وتأمراً فى أيام الناصر محمد بن قلاوون، وباشر ولاية الولاية بدمشق، وأعطى مقدمة ألف بها، وولى نيابة قلعة دمشق غير مرة. وكان شيخ الطور^(٢)، وحصل فيها مالا كثيراً، ونكب غير مرة، وقدم القاهرة مراراً. وكانت فيه دعابة مفرطة.

ومات بالقدس شهاب الدين أحمد بن الحافظ أبى سعيد صلاح الدين خليل بن كيكلى العلامى^(٣)، فى شهر ربيع الأول، ومولده سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة بدمشق، سمع الكثير، وقدم القاهرة، وأقام بالقدس، ورحل الناس إليه.

* * *

(١) هو لقب يطلق على الملكات أو الأميرات.

(٢) جبل بعينه مطل على طبرية الأردن بينهما أربعة فراسخ. انظر: معجم البلدان ٤/٤٧.

(٣) هو ابن خليل بن كيكلى بن عبد الله العلامى الدمشقى أبوسعيد، صلاح الدين، محدث، فاضل بحاث من كتبه «المجموع المذهب فى قواعد المذهب» فى فقه الشافعية وكتاب «الأربعين أعمال المتيقن». انظر فهرس الفهارس ١١٧/١ والنعمى ٥٩/١ والدرر الكامنة ٩٠/٢ والأنس الجليل ٤٥١/٢ والأعلام ٣٢١/٢، ٣٢٢.

سنة ثلاث وثمانمائة

أهل الحرم، يوم الأحد، تاسع عشرين مسرى: والأردب القمح من خمسين إلى ما دونها، والشعير والفل بثلثين فما دونها. والدينار الأفرنتى بتسعة وعشرين درهماً.

وفى ثالثه: خلع على الأمير تغرى برمش السيفى متولى الشرقية، لولاية القاهرة، عوضاً عن شهاب الدين أحمد بن الزين.

وفى سادسه: قدم اليريد من دمشق بأن تمرلنك نزل على سيواس، وانهمز سليمان ابن أبى يزيد بن عثمان، وقرا يوسف بن قرا محمد إلى جهة برصا، بلد الروم، وأنه أخذ سيواس، وقتل من أهلها جماعة كبيرة.

وفى تاسعه: وردت رسل ابن عثمان، فكتبت أجوبة كتبهم، وسفروا.

وفى يوم الخميس ثانى عشره: استقر القاضى نور الدين على بن الجلال يوسف بن مكى الديرى المالكى فى قضاء القضاة المالكية، عوضاً عن قاضى القضاة ولى الدين عبد الرحمن بن خلدون^(١) على مال وعد به.

وفى رابع عشره: استدعى إلى حضرة السلطان بالقصر من القلعة قانى باى العلاى، رأس نوبة أحد الطبلخاناه، وأمر بلبس تشريف نيابة غرة، فامتنع من ذلك، فقبض عليه وسلم إلى الأمير أقبای حاجب الحجاب، فأقام عنده إلى آخر النهار، فاجتمع طائفة من المماليك السلطانية يريدون أخذه فخاف، وصعد إلى قلعة الجبل وشاور فى أمره، فأخرج عنه، وبقيت عليه إمرته.

وفى سادس عشره: استقر الأمير جركس السودونى، - ويقال له أبو تنم - فى نيابة الكرك، عوضاً عن الأمير بتخاص من غير أن يتسلمها، فسار جركس إليها، ودخلها من غير أن ينازعه شعبان بن أبى العباس، وأقام بها، وقد عمها الخراب، وتلف أكثر القرى،

(١) عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن خلدون أبو زيد، ولى الدين الحضرمى الإشبلى الفيلسوف المؤرخ، العالم الاجتماعى الباحثة أصله من إشبيلية ومولده ومنشأه بتونس. رحل إلى فارس وخراسان وتلمسان والأندلس وتولى أعمالاً وعاد إلى تونس، ثم توجه إلى مصر. وولى فيها قضاء المالكية وعزل وأعيد. وتوفى فى القاهرة. اشتهر بكتابه «العبر وديوان المبتدأ والخير فى تاريخ العرب والعجم والبربر». انظر الضوء اللامع ١٤٥/٤ ونفح الطيب ٤١٤/٤ والعبر ٣٧٩/٧ وآداب زيدان ٣/٢١٠ والأعلام ٣/٣٢٠.

لشدة ما كان من بتخاص وابن أبي العباس من الفتن والحروب.

وفي عشرينه: استقر محمد بن العادل والى منوف، وعزل علاء الدين بن حمزة.

وفي رابع عشرينه استقر: بلبان والى أسوان، وعزل على بن قرط.

وفي خامس عشرينه: ورد البريد من حلب بأخذ تمرلنك سيواس وملطية.

وفي سادس عشرينه: قدم البريد من حلب بوصول أوائل عسكر تمرلنك إلى عين تاب^(١)، فأدركوا المسلمين.

وفيه انتهت زيادة ماء النيل إلى تسعة عشر ذراعاً واثنى عشر إصبعا، وثبت إلى سابع عيثلر توت.

وفي ثامن عشرينه: استقر الأمير شهاب الدين أحمد بن الوزير الأمير ناصر الدين محمد بن رجب بن كلفت في شد الدواوين، عوضاً عن الشريف علاء الدين على البغدادى.

وفيه استدعى الخليفة، وقضاة القضاء، والأمراء، وأعيان الدولة، وأعلموا أن تمرلنك وصل إلى سيواس وأخذها، ووصلت مقدمته إلى مرعش^(٢) وعين تاب والقصد أخذ مال من التجار إعانة على النفقة فى العساكر. فقال القضاء، «أنتم أصحاب اليد، وليس لكم معارض، وإن كان القصد الفتوى فلا يجوز أخذ مال أحد، ويخاف من الدعاء على العساكر إن أخذ مال التجار»، فقبل لهم «نأخذ نصف الأوقاف نقطعها للأجناد البطالين»، فقبل «وما قدر ذلك؟ ومتى اعتمد فى الحرب على البطالين من الأجناد؟ خيف أن يأخذوا المال؟ ويميلون عند اللقاء مع من غلب» وطال الكلام حتى استقر رأى على إرسال الأمير أسنبغا الحاجب لكشف الأخبار، وتجهيز عساكر الشام إلى جهة تمرلنك.

وفي سلخه: استقر الأمير مبارك شاه حاجباً ثانياً، عوضاً عن دقماق نائب حماة، وأضيف إلى تغرى برمش والى القاهرة الحجوية على عادة ابن الزين. واستقر ناصر الدين محمد بن الأعسر كاشف الفيوم وواليتها كاشف البهنساوية والأطفيحية وعزل أسنبغا.

(١) قلعة حصينة ورستان بين حلب وأنطاكية وكانت تعرف بدلوك ودلوك رستاقها، وهى الآن من أعمال حلب. انظر ياقوت، معجم البلدان ١٧٦/٤.

(٢) مدينة فى الثغور بين الشام وبلاد الروم. انظر ياقوت، معجم البلدان ٤٠٧/٥.

شهر صفر، أوله الثلاثاء:

في خامسه: استقر حسام الدين بن قراجا العلاى والى الجيزة، وصرف خليل بن الطوخى.

وفيه سار الأمير أسنبغا لكشف أخبار تمرلك. وأنعم على أقبغا الجمالى نائب - كان - بنيابة غزة، ثم بطل ذلك.

وفي رابع عشره: قدم البريد من حلب بكتاب النائب وكتاب أسنبغا، أن تمرلك نزل على قلعة بهسنا، بعدما ملك المدينة، وأنه يحاصرها، وقد وصلت عساكره إلى عينتاب، فوقع الشروع فى حركة السفر.

وفي حادى عشرينه: خلع على بدر الدين محمد بن محمد بن مقلد القدسى الحنفى بقضاء الحنفية بدمشق، عوضاً عن تقى الدين عبد الله بن يوسف بن أحمد بن الحسين بن سليمان بن فزارة، المعروف بابن الكفرى.

وفي رابع عشرينه: خرج الأمير يلبغا السلمى إلى شيرا الخيام - من ضواحي القاهرة - وكسر بها من جرار الخمر أربعة وأربعين ألف جرة، وأراق ما فيها، وخرّب بها كنيسة للنصارى. وعاد فى آخره ومعه عدة أحمال من جرار الخمر، فكسرها عند باب زويلة وتحت القلعة.

ومن حيثئذ تلاشى حال أهل شيرا ومنية الشيرج^(١)، فإن معظم أموالهم كان من عصير الخمر وبيعه.

وفي سادس عشرينه: استقر طبيغا الزينى كاشف الوجه البحرى، وعزل ابن طرنتاى.

شهر ربيع الأول، أوله الأربعاء:

فى ثانيه: عمل السلطان المولد النبوى على العادة.

وفى ثالثه: علق جاليش السفر، وأخذ العسكر فى أهبة السفر. وذلك أنه قدم البريد من أسنبغا أن تمرلك نزل على بزاعة ظاهر حلب، فيرز نائب طرابلس بسبعمائة فارس إلى جاليش تمرلك، وهم نحو ثلاثة آلاف. وترامى الجمعان بالنشاب، ثم اقتتلوا، وأخذ من التار أربعة، وعاد كل من الفريقين إلى موضعه فوسط الأربعة على أبواب مدينة

(١) بلدة كبيرة طويلة ذات سوق، بينهما وبين القاهرة فرسخ أو أكثر قليلا على طريق القاصد إلى الإسكندرية. انظر ياقوت، معجم البلدان ٥/٢١٨.

حلب. وأما دمشق فإن أهل محلاتها اجتمعوا في ثانية، ومعهم أهل النواحي، بالميدان وحملوا الصناديق الخليفية، وشهروا السيوف، ولعبوا بين يدي النائب، ثم انفضوا. وخرج في ثالثة القضاة في جمع كبير، ونادوا بقتال تمرلنك، وتحريض الناس عليه، وعرض النائب العشران بالميدان، وفرض على البساتين والدور مالا، وقدم الأمير أسنبغا من القاهرة في سابعه بتجهيز العساكر وغيرهم لحرب تمرلنك. فقرأ كتاب السلطان بذلك في الجامع، ونودي في تاسعه بالألا يؤخذ من أحد شيء مما فرض على الدور وغيرها.

وفيه قدم رسول تمر بكتابه للمشايع والأمراء والقضاة بأنه قدم في عام أول إلى العراق، يريد أخذ القصاص ممن قتل رسله بالرحبة^(١) ثم عاد إلى الهند لما بلغه ما ارتكبه من الفساد، فأظفره الله بهم. فبلغه موت الظاهر، فعاد وأوقع بالكرج. ثم قصد، لما بلغه قلة أدب هذا الصبي - أبى يزيد بن عثمان - أن يعرك أذنه، ففعل بسيواس وغيرها من بلاده ما بلغكم. ثم قصد بلاد مصر ليضرب بها السكة، ويذكر اسمه في الخطبة، ثم يرجع بعد أن يقرر سلطان مصر بها. وطلب أن يرسل إليه أظلمش ليدرکه، إما مملطية أو حلب أو دمشق، وإلا فتصير دماء أهل الشام وغيرهم في ذمتكم، فخرج نائب صفد في رابع عشره، وخرجت الأطلاب في نصفه.

وقدم الخير من حلب بنزول تمر على بهسنا فأخذ الناس في الرحيل من دمشق، فمنعهم النائب من ذلك، ورحل النائب من برزه في ثانی عشرینه يريد حلب، فلقبه نائب طرابلس في طريقه.

وكان من خير أخذ تمرلنك مدينة حلب، أنه لما نزل على عين تاب، بعث إلى دمرداش نائب حلب يعده باستمراره في نيابة حلب، ويأمره بمسك الأمير سودن نائب الشام. فلما قدم عليه الرسول بذلك أحضره إلى نواب ممالك الشام، وقد حضروا إلى حلب^(٢) وهم: سودن نائب دمشق، وشيخ الحمودى نائب طرابلس^(٣) ودقماق نائب

(١) قرية بجذاء القادسية على مرحلة من الكوفة على يسار الحجاج إذا أرادوا مكة. انظر ياقوت، معجم البلدان ٣٣/٣.

(٢) مدينة بالشام بينها وبين قنسرین اثنا عشر ميلاد وهى مدينة عظيمة مسورة بحجارة بيض ونهر قويق يجرى على بابها. انظر الروض المعطار فى خبر الأقطار ١٩٦ وصبح الأعشى ١١٦/٤.

(٣) من مدن إفريقية وهى مدينة كبيرة أزلية على ساحل البحر، قيل وتفسيرها ثلاث مدن، وقيل مدينة الناس. انظر الاستبصار ١١٠، وقارن بالبيكرى ٦-٩ أطرابلس، والإدريسى ٨٩/١٢١ والروض المعطار فى خبر الأقطار ٣٩٠ وطرابلس أيضا مدينة بالشام عظيمة عليها سور ضخمة منيع

حماة، وألطنبغا العثماني نائب صفد^(١)، وعمر بن الطحان نائب غزة بعساكرها، فاجتمع منهم بحلب نحو ثلاثة آلاف فارس منهم عسكر دمشق ثمانمائة فارس؛ إلا أن الأهواء مختلفة، والآراء مفلولة، والعزائم محلولة والأمر مدبر. فبلغ رسول تمرلنك الرسالة إلى دمرداش، فأنكر مسك سودن نائب دمشق. فقال له الرسول «إن الأمير - يعنى تمرلنك - لم يأت إلا بمكاتبتك إليه، وأنت تستدعيه أن ينزل على حلب، وأعلمته أن البلاد ليس بها أحد يدفع عنها». فحنق منه دمرداش، وقام إليه وضربه، ثم أمر به فضربت رقبتة. ويقال أن كلام هذا الرسول كان من تنميق تمرلنك ومكره، ليغرق بذلك بين العساكر. ونزل تمر على جبلان خارج حلب، يوم الخميس تاسع ربيع الأول. وزحف يوم الجمعة، وأحاط بسور حلب، وكانت بين الحلبيين وبينه في هذين اليومين حروب.

فلما أشرقت الشمس يوم السبت حادى عشره، خرجت نواب الشام بالعساكر وعامة أهل حلب إلى ظاهر المدينة وعبوا للقتال. ووقف سودن نائب دمشق فى الميمنة، ودمرداش فى الميسرة، وبقية النواب فى القلب، وقدموا أمامهم عامة أهل حلب. فزحف تمرلنك بجيوش قد سدت الفضاء، فثبت الأمير شيخ نائب طرابلس، وقاتل - هو وسودن نائب دمشق - قتالا عظيما، وبرز الأمير عز الدين أزدمر أخو أينال اليوسفى، وولده يشبك ابن أزدمر فى عدة من الفرسان، وأبلوا بلاء عظيما. وظهر عن أزدمر وولده. من الإقدام ما تعجب منه كل أحد، وقاتلا قتالا عظيما، فقتل أزدمر وفقد خيره، وثخنت جراحات يشبك، وصار فى رأسه فقط زيادة على ثلاثين ضربة بالسيف، سوى ما فى بدنه، فسقط بين القتلى، ثم أخذ وحمل إلى تمرلنك.

ولم يمض غير ساعة حتى ولت العساكر تريد المدينة، وركب أصحاب تمر أفقيتهم، فهلك تحت حوافر الخيل من الناس عدد لا يدخل تحت حصر، فإن أهل حلب خرجوا حتى النساء والصبيان، وازدحم الناس مع ذلك فى دخولهم من أبواب المدينة، وداس بعضهم بعضاً، حتى صارت الرمم طول قامة، والناس تمشى من فوقها.

وتعلق نواب الممالك بقلعة حلب، ودخل معهم كثير من الناس، وكانوا قبل ذلك قد نقلوا إلى القلعة سائر أموال الناس بحلب. واقتحمت عساكر تمرلنك المدينة وأشعلوا بها النيران، وجالوا بها ينهبون ويأسرون ويقتلون. واجتمع بالجامع وبقية المساجد نساء

انظر الروض المعطار فى خبر الأقطار ٣٩٠، نزهة المشتاق ١١٧.

(١) مدينة: فى جبال عاملة المطلة على حمص بالشام وهى من جبال لبنان. انظر معجم البلدان

البلد، فمال أصحاب تمر عليهن، وربطوهن بالحبال، ووضعوا السيف فى الأطفال فقتلوهم بأجمعهم، وأتت النار على عامة المدينة فأحرقتها. وصارت الأبكار تفتض من غير تستر ولا احتشام، بل يأخذ الواحد الواحدة ويعلوها فى المسجد والجامع، بحضرة الجمل الغفير من أصحابه، ومن أهل حلب، فيراها أبوها وأخوها ولا يقدر أن يدفع عنها، لشغله بنفسه.

وفحش القتل، وامتلاً الجامع والطرقات برمى القتلى، واستمر هذا الخطب من صحوة نهار السبت إلى أثناء يوم الثلاثاء، والقلعة قد نقب عليها من عدة أماكن، وردم خندقها، ولم يبق إلا أن تؤخذ. فطلب النواب الأمان، ونزل دمرداش إلى تمرلنك، فخلع عليه ودفع إليه أماناً، وخلصاً للنواب، وبعث معه عدة وافرة إلى النواب؛ فأخرجوهم بمن معهم، وجعلوا كل اثنين فى قيد وأحضروا إليه، فقرعهم ووبخهم، ودفع كل واحد منهم إلى من يحتفظ به. وسيقت إليه نساء حلب سبايا. وأحضرت إليه الأموال، ففرقتها على أمرائه. واستمر بحلب شهراً. والنهب فى القرى لا يبطل، مع قطع الأشجار، وهدم البيوت وجافت حلب وظواهرها من القتلى، بحيث صارت الأرض منهم فراشاً، لا يجد أحد مكاناً يمشى عليه إلا وتحت رجله رمة قتيل. وعمل من الروس منابر عدة، مرتفعة فى السماء نحو عشرة أذرع، فى دور عشرين ذراعاً، حرز ما فيها من رعوس بنى آدم، فكان زيادة على عشرين ألف رأس. وجعلت الوجوه بارزة يراها من يمر بها.

ثم رحل تمر عنها، وهى خاوية على عروشها، خالية من ساكنها وأنيسها، قد تعطلت من الأذان، وإقامة الصلوات. وأصبحت مظلمة بالحريق، موحشة، قراء مغيرة، لا يأويها إلا الرحم.

وأما دمشق، فإنه لما قدم عليهم الخير بأخذ حلب، نودى فى الناس بالتحول إلى المدينة والاستعداد للعدو، فاخبطت الناس، وعظم ضجيجهم وبكاؤهم، وأخذوا ينتقلون فى يوم الأربعاء نصفه من حوالى المدينة إلى داخلها. واجتمع الأعيان للنظر فى حفظ المدينة.

فقدم فى سابع عشره المنهزمون من حماه، فعظم الخوف، وهم الناس بالجللاء، فمنعوا منه، ونودى «من سافر نهب».

فورد فى ثامن عشره الخير بنزول طائفة من العدو على حماه، فحصنت مدينة دمشق، ووقف الناس على الأسوار، وقد استعدوا، ونصبت المناجنيق على القلعة، وشحنت بالزاد.

فقدم الخير فى ثانى عشرينه بأخذ قلعة حلب، وبوصول رسل تمر بتسليم دمشق، فهم نائب الغيبة بالفرار، فرده العامة ردًا قبيحًا، وماج الناس وأجمعوا على الجلاء. واستغاث الصبيان والنساء فكان وقتًا شنعًا، ونودى من الغد «لا يشهر أحد سلاحًا، وتسلم البلاد لتمر» فنادى نائب القلعة بالاستعداد للحرب، فاختلف الناس.

فقدم الخير بمجىء السلطان، ففتر عزم الناس عن السفر، ثم تبين أن السلطان لم يخرج من القاهرة.

وفى ثامن عشره: فرقت الجمال بقلعة الجبل على المماليك السلطانية.

وفى عشرينه: نودى بالقاهرة وظواهرها على أجناد الحلقة أن يكونوا يوم الأربعاء ثانى عشرينه فى بيت الأمير يشبك الدوادار للعرض عليه، فانزعج الناس، ووقع عرض الأجناد من يوم الأربعاء.

وفى خامس عشرينه: ورد الخير بهزيمة نواب الشام، وأخذ تمرلنك حلب ومحاصرته القلعة، فقبض على المخير، وحبس. ووقع الشروع فى النفقة للسفر، فأخذ كل مملوك ثلاثة آلاف وأربعمائة درهم. وخرج الأمير سودن من زاده، والأمير أينال حطب على المهجن فى ليلة الأربعاء تاسع عشرينه، لكشف هذا الخير.

وفى هذا الشهر: أيضًا أخذت مدينة حماه (١) وكان من خيرها أن مرّزه شاه ابن تمرلنك، نزل عليها بُكرة يوم الثلاثاء رابع عشره، وأحاط بسورها، ونهب المدينة، وسبى النساء والأطفال، وأسر الرجال، ووقع أصحابه على النساء يطوّوهن ويفتضّوا الأبقار جهارًا، من غير استتار، وخرّبوا جميع ما خرج عن السور. وقد ركب أهل البلد السور، وامتنعوا بالمدينة، وباتوا على ذلك. فلما أصبحوا يوم الأربعاء فتحوا بابًا واحدًا من أبواب المدينة، ودخل ابن تمر فى قليل من أصحابه ونادى بالأمان. فقدم الناس إليه أنواع المطاعم فقبلها، وعزم أن يقيم رجلا من أصحابه على حماه، فقبل له أن الأعيان قد خرجوا منها، فخرج إلى خيمه، وبات به. ودخل يوم الخميس ووعد الناس بخير، وخرج. ومع ذلك، فإن القلعة ممتنعة عليه.

فلما كان ليلة الجمعة نزل أهل القلعة إلى المدينة وقتلوا من أصحاب مرزه شاه رجلين كانا أقرهما بالمدينة، فغضب من ذلك وأشعل النار فى أرجاء البلد، واقتحمها أصحابه يقتلون ويأسرون وينهبون، حتى صارت كمدينة حلب، سوداء، مغيرة، خالية من الأنيس.

(١) مدينة كبيرة من أعمال حمص، بينها وبين شيرز نصف يوم. انظر معجم البلدان ٣٠٠/٢،

وفيه تكاثر جمع الناس بدمشق، بمن فرّ إليها من مملكة حلب وحماه وغيرها، واضطربت أحوال الناس بها، وعزموا على مفارقتها، وخرجوا منها شيئاً بعد شيء، يريدون القاهرة.

وفيه ركب شيخ الإسلام سراج الدين (١) عمر البلقيني وقضاة القضاة، والأمير أقباي حاجب الحجاب، والأمير مبارك شاه الحاجب. ونودي بين أيديهم بالقاهرة من ورقة تتضمن أمر الناس بالجهاد «فى سبيل الله لعدوكم الأكبر تمرلنك، فإنه أخذ البلاد، ووصل إلى حلب، وقتل الأطفال على صدور الأمهات، وأخرب الدور والمساجد والجوامع، وجعلها اسطبلات للدواب، وهو قاصدكم، يخرب بلادكم، ويقتل رجالكم وأطفالكم، ويسبى حرمةكم».

فاشتد جرع الناس وكثر صراخهم، وعظم عويلهم، وكان يوماً شديداً.

شهر ربيع الآخر، أوله الجمعة:

فى ثالثه: قدم الأمير أسنبغا السيفى الحاجب، وأخبر بأخذ تمرلنك مدينة حلب وقلعتها، باتفاق دمرداش معه، وأنه بعد أن قبض عليه أفرج عنه. وحكى ما نزل من البلاء بأهل حلب، وأنه قال لنائب الغيبة بدمشق أن يخلى بين الناس وبين الخروج منها، فإن الأمر صعب وأن النائب لم يمكن أحداً من المسير. فخرج السلطان فى يومه، ونزل بالريدانية ظاهر القاهرة، وتبعه الأمراء والخليفة والقضاة إلا قاضى القضاة جمال الدين يوسف الملطى الحنفى، فإنه أقام لمرضه. وألزم الأمير يشبك قاضى القضاة ولى الدين عبد الرحمن بالسفر إلى دمشق، فخرج مع العسكر وتعين الأمير تمراز أمير مجلس لنيابة الغيبة. وأقام من الأمراء الأمير حكيم من عوض فى عدة من الأمراء. وأمر تمراز بعرض أجناد الحلقة، وتحصيل ألف فرس وألف جمل، وإرسال ذلك مع من يقع عليه الاختيار من أجناد الحلقة.

وفيه استقر الأمير أرسطاي من خجا على فى نيابة الإسكندرية (٢)، عوضاً عن أمير

(١) عمر بن رسلان بن نصير بن صالح الكنانى العسقلانى الأصل، ثم البلقينى المصرى الشافعى أبو حفص، سراج الدين. مجتهد حافظ للحديث من العلماء بالدين: ولد فى بلقينه من غربية مصر، وتعلم بالقاهرة. وولى قضاء الشام سنة ٧٦٩هـ وتوفى بالقاهرة. من كتبه التدريب فى فقه الشافعية، لم يتمه، وتصحيح المنهاج) ست مجلدات، فقه. والملمات برد المهمات. انظر بغية الوعاة ٣٦١ وهدية العارفين ٧٨٢/٢ والأعلام ٤٦/٥.

(٢) مدينة عظيمة من ديار مصر بناها الإسكندر بن فيليس فنسب إليه وهى على ساحل البحر الأبيض. انظر الروض المطار فى خير الأقطار ص ٥٤، الاستبصار ٩١ وما بعدها ومعجم البلدان

فرج، بعد موته. وكان أرسطای منذ أفرج عنه مع الأمير نوروز قد أقام بثغر الإسكندرية بطالا. فوردت إليه الولاية بالتقليد والتشريف.

وفي خامسه: نودى على أجناد الحلقة بالحضور للعرض فى بيت الأمير تراز، وهُدد من تأخر عن الحضور. وخرج البريد إلى أعمال ديار مصر بالوجهين القبلى والبحرى بجمع أقوياء أجناد الحلقة من الريف، وبتجهيز العربان للخروج إلى حلب تمرلنك.

وفي بكرة يوم الجمعة ثامنه: سار الجاليش، وفيه من الأمراء والأكابر نوروز رأس نوبة، وبكتمر الركنى أمير سلاح، ويلبغا الناصرى، وأقبای حاجب الحجاب، وأينال باى بن قجماس، وببيرس الأتابك ابن أخت السلطان الظاهر.

وفي عاشره: رحل السلطان بيقية العساكر.

وفي ثانى عشره: قدم الخير إلى دمشق بوصول جماعة تمرلنك قريئاً من حمص، فانزعج الناس، وأخذوا فى الاستعداد وحمل الناس أمواهم إلى القلعة، وجفل جماعة من الناس بقدم الأمير دمرداش نائب حلب (١) إلى دمشق، فى يوم السبت رابع عشرينه، فاراً من تمرلنك. وخرج لملاقة السلطان فقدم من الغد الناس - وقد جفلوا - من بعلبك وأعمالها، بنسائهم ومواشيهم، لنزول تمر عليهم، فخرج كثير من أهل دمشق فى ليلة الأربعاء ثامن عشرينه.

وفي رابع عشره: استقر البدر محمود العيتابى فى حسبة القاهرة بسفارة الأمير حكيم، وعزل البخانسى.

وفي خامس عشره: استقر الأمير أسنبغا الحاجب فى كشف الجسور بالأشموين. وخليل الشرفى جسور المنوفية، وقجماس والى العرب فى كشف جسور الغربية.

وفي عشرينه: دخل السلطان مدينة غزة (٢) واستقر بالأمير تغرى بردى من أسنبغا فى نيابة دمشق، وبأقبغا الجمالى فى نيابة طرابلس، وبتمربغا المنجكى فى نيابة صغد، وبطولو من على شاه فى نيابة غزة، وبصدقة بن الطويل فى نيابة القدس، وبعثهم إلى ممالكهم. وسار الجاليش من غزة فى رابع عشرينه.

(١) سبق تخريجه.

(٢) موضع بديار جذام من مشارق الشام على ساحل البحر، وبها قبر هاشم بن عبد مناف وفيه يقول الشاعر يرثيه:

ميت بردمان وميت بسدمان وميت عــــــند غــــزات

انظر الروض المعطار فى خير الأقطار ٤٢٨ ومعجم البلدان ٤/٢٠٢، ٢٠٣.

وسار السلطان فى سادس عشرينه، وقد انضم إليه كثيرة ممن فر من البلاد الشامية.

وفى آخره: استقر الأمير تمرآز نائب الغيبة بمنكلى بغا - مملوك مبارك شاه - فى ولاية البهنسا، عوضًا عن يلبغا الزينى. فلما حضر إلى الأمير يلبغا السالى نزع عنه الخلعة، وضربه بالمقارع ومقترح^(١)، ووكل به. فلما أصبح خلع عليه، وأذن له فى السفر إلى ولايته، وذلك بعد ما دخل عليه فى أمره، فراعى الأمير تمرآز، وتلافى ما وقع منه، فلم يرض هذا تمرآز، وحقد عليه حقدًا زائدًا.

شهر جمادى الأولى، أوله السبت:

فى ثانيه: قدم البريد من السلطان، بأنه قد ورد خمسة من أمراء طرابلس بكتاب أسندمر نائب الغيبة، يتضمن أن أحمد بن رمضان التركمانى، وابن صاحب الباز، وأولاد شهري، ساروا وأخذوا حلب، وقتلوا من بها من أصحاب تمرلنك، وهم زيادة على ثلاثة آلاف فارس. وأن تمرلنك بالقرب من سليمة، وأنه بعث عسكريًا إلى طرابلس؛ فثار بهم أهل القرى وقتلوهم عن آخرهم بالحجارة، لدخولهم بين جبلين، وأنه قد حضر إلى الطاعة خمسة من أمراء المغل، وأخبروا بأن نصف عسكري تمرلنك على نية المصير إلى الطاعة السلطانية. وأن صاحب قبرس^(٢)، ووزيره إبراهيم كرى، وصاحب الماغوصة^(٣)، وردت كتبهم بانتظار الإذن فى تجهيز المراكب فى البحر لقتال تمرلنك.

وفيه استقر تمرآز بناصر الدين محمد بن خليل الضانى فى ولاية مصر. وعزل عمر بن الكورانى.

وفيه قبض الأمير يلبغا السالى على متآبترك النصارى اليعاقبة، وألزمه بمال ليأخذ عنه بضائع، فحلف أنه ليس عنده مال، وأن سائر ما يرد إليه من المال يصرفه فى فقراء المسلمين وفقراء النصارى، فوكل به.

وفى ثالثه: قدم الأمير تغرى بردى - نائب الشام - دمشق.

وفيه جفل أهل قرى دمشق إليها لوصول طائفة من أصحاب تمرلنك نحو الصنمين^(٤).

(١) قرحا: بدت به حروح من سلاح أو بثور، فهو قرح، وتقرح الجسد: علته القروح. انظر المعجم الوسيط (قرح).

(٢) قبرس: بضم أوله وسكون ثانيه جزيرة فى بحر الروم. انظر معجم البلدان ٣٠٥/٤.

(٣) الماغوصة: المقصود مدينة فاما جوستا على الشاطئ الشرقى بجزيرة قبرس.

(٤) الصنمين قرية من أعمال دمشق فى أوائل حوران، بينهما. انظر معجم البلدان.

وفي سادسه: قدم السلطان دمشق بعساكره، وقد وصلت أصحاب تمرلنك إلى البقاع.

وفي عاشره: اقتتل بعض العسكر مع التمرية.

وفي يوم السبت خامس عشره: نودى فى القاهرة ومصر أن الأمير يلغا السالمى أمر أن نساء النصارى يلبسن أزراً زرقاً، ونساء اليهود يلبسن أزراً صفراً.

وأن النصارى واليهود لا يدخلون الحمامات إلا وفى أعناقهم أجراس. وكتب على بترك النصارى بذلك إشهاداً، بعد أن جرت بينه وبينه عدة محاورات، حتى أشهد عليه بالتزام ذلك، وإلزامه سائر النصارى بديار مصر، وألزم سائر مدولبى الحمامات ألا يمكنوا يهودياً ولا نصرانياً من الدخول بغير جرس فى عنقه، فقام الأمير تمرراز فى معارضته.

وفي يوم السبت: هذا نزل تمرلنك إلى قطنا^(١) فملأت جيوشه الأرض، وركب طائفة منهم إلى العسكر وقتلوه، فخرج السلطان من دمشق يوم الثلاثاء ثامن عشره إلى قبة يلغا، فكانت وقعة انكسرت ميسرة العسكر، وانهزم أولاد الغزاوى وغيرهم إلى ناحية حوران، وجرح جماعة، وحمل تمر حملة منكرة، ليأخذ بها دمشق، فدفعته عساكر السلطان.

وفي عشريته: نادى الأمير تمرراز بالقاهرة «من كانت له ظلامة فعلية ببيت الأمير تمرراز. وأن اليهود والنصارى على حالهم، كما كانوا فى أيام الملك الظاهر». فبطل ما أمر به السالمى.

وفيه أمر السالمى أن يضرب دنائير الذهب محررة الوزن، على أن كل دينار مثقال، سواء عزم على إبطال المعاملة بالدنانير الأفرنتية المشخصة، فضرب الدينار السالمى، وتعامل الناس به عدداً، ونقش عليه السكة الإسلامية.

وفي ثانى عشريته: قدم البريد من السلطان أنه دخل دمشق يوم الخميس سادسه، وأقام بقلعتها إلى يوم السبت ثامنه، ثم خرج إلى مخيمه ظاهر المدينة عند قبة يلغا. فحضر جاليش تمرلنك وقت الظهر من جهة جبل الثلج^(٢)، وهو نحو ألف فارس، فسار إليهم مائة فارس من عساكر السلطان، وكسروهم وقتلوا منهم جماعة، وأنه

(١) قطنا من قرى دمشق. انظر معجم البلدان.

(٢) جبل الثلج يقع الطرف الجنوبى لهذا الجبل بالقرب من صفد.

حضر في تلك الليلة عدة من التمرية للطاعة، وأخبروا بنزول تمر على البقاع العزيزي «فلتكونوا على حذر، فإن تمر كثير الحيل والمكر» فدقت البشائر بقلعة الجبل ثلاثة أيام.

وفي خامس عشرينه: قدم البريد من السلطان، فاستدعى الأمير تمتاز شيخ الإسلام البلقيني وولده جلال الدين عبد الرحمن قاضي العسكر، ومن تأخر بالقاهرة من الأعيان، وقرئ عليهم كتاب السلطان بأنه قدم إلى دمشق في سادسه، وواقع طائفة من العسكر في ثامنه، أصحاب تمرلنك، وأن مرزّه شاه بن تمر، وصهره نور الدين قتلا. وقتل قرأيلك بن طرالى التركمانى، وأن السلطان حسين بهادر - رأس ميسرة تمرلنك وابن بنته - حضر إلى الطاعة في ثالث عشره، ومعه جماعة كبيرة، فخلع عليه، وأركب فرساً بسرج وكنفوش من ذهب، وأنزل دار الضيافة بدمشق، وأن تمر نازل تحت جبل الثلج، وقد أرسل في طلب الصلح مراراً، فلم يجبه لأنه بقى فى قبضتنا، ونحن نطاول معه الأمر حتى يرسل إلينا الأمراء المقبوض عليهم، وما أخذه من حلب وغيرها. وأن الأمير نُعير دخل فى الطاعة، وقدم إلى عذراء (١) وضمير (٢). وأن الأمير شهاب الدين أحمد بن الشيخ توجه إلى الأغوار، وجمع خلقاً كثيراً، منهم عيسى بن فضل أمير آل على، وبنى مهدى، وعرب حارثة، وابن القان، والغزوى، فصدفوا من التمرية زيادة على ألفى فارس، فقاتلهم وقتلوا أكثرهم، وأخذوا منهم ذهباً ولؤلؤاً كبيراً. وأنه قد مات من أصحاب تمر بالبرد أكثر من ثلاثة آلات نفس.

وقرئ أيضاً كتاب آخر بأن الأمير يلبغا السالمى لا يحكم إلا فيما يتعلق بالاستادارية خاصة، ولا يحكم فى شىء مما كان يحكم فيه بين الأخصام مما يتعلق بالأمر الشرعية، وما يتعلق بالأمراء والحجاب، وأن الحاكم فى هذه الأشياء الأمير تمتاز نائب الغيبة. وسبب هذا أن السالمى - لما مات قاضى القضاة جمال الدين يوسف الملقب فى تاسع عشر ربيع الآخر - كتب إلى السلطان يسأل فى الإذن له بالتحدث فى الأحكام الشرعية، فأجيب إلى ذلك، وكتب إليه به، فأقام له نقيباً كقضاء القضاة، وحكم بين الناس فى الأمور الشرعية، فشق هذا على تمتاز، وكتب السلطان فى إبطال هذا، (١) عذراء بالفتح ثم السكون والمد قرية معروفة بغوطة دمشق من إقليم حولان. انظر ١١٥/٣ معجم البلدان.

(٢) ضمير: بالشام، على خمسة عشر ميلاً من دمشق، فيه مات عبيد الله بن معمر التيمى، وفى هذا الموضع يقول أبو الطيب:

لئن تركنا ضميراً عن ميامننا ليحدثن لمن ودعتهم ندم

انظر: الروض المعطار فى خير الأقطار ٣٧٧، معجم ما استعجم ٨٨٢/٣ ومعجم البلدان

فكتب إليه بذلك. ولما قرئ على من حضر، نودى بالقاهرة ومصر أن من وقف ليُلبغا السالمى فى شكوى عوقب، ومن كانت له ظلامة أو شكوى أو أخذ منه السالمى شىء، فعليه بالأمر الكبير تمتاز. ودقت البشائر أيضاً بالقلعة.

وفى سابع عشرينه: استدعى الأمير تمتاز شمس الدين محمد البرقى الحنفى - أحد موقعى قضاة الحنفية - وتحدث معه فى أمر السالمى، فكتب محضراً بقوادح فى السالمى، وكتب فيه جماعة. وبلغ ذلك السالمى، وكان قد خرج من القاهرة، فحضر يوم الأحد سلخه إلى عند الأمير تمتاز، وتفاوضا مفاوضة كبيرة، آلت إلى أن أصلح بينهما الأمير مبارك شاه الحاجب، والأمير بيسق أمير أخور. وعاد السالمى إلى منزله، وطلب البرقى وضربه عريا ضرباً مبرحاً، وأمر به أن يُشهر كذلك، فقام الناس وشفعوا فيه حتى رده من الباب، وطلب جماعة من اليهود والنصارى وضربهم، وشهرهم، ونادى عليهم «هذا جزاء من يخالف الشرع الشريف». وطلب دوادار والى القاهرة، وضربه لكونه نادى بما تقدم ذكره فى حقه، فهرب الوالى إلى بيت تمتاز واحتمى به، خوفاً على نفسه.

شهر جمادى الآخرة، أوله الإثنين:

فى أوله خلع الأمير تمتاز على ناصر الدين محمد بن لىلى بولاية مصر. فلما حضر إلى السالمى نزع عنه الخلعة وضربه عرباناً، وشهره وهو ينادى عليه «هذا جزاء من يلى من عند غير الأستادار، ومن يلى باليراطيل»، فأدركه أحد ممالك تمتاز وسار به إليه. فلما رآه مضروباً اشتد حنقه، وعزم على الركوب للحرب، فما زال به من حضر حتى أمسك عن إقامة الحرب. واشتدت العداوة بينهما.

وفيه قدم من أخطر باختلاف الأمراء على السلطان، وعوده إلى مصر، فكثرت خوض الناس فى الحديث، وكان من خير السلطان أن تمرلنك بعث إليه وإلى الأمراء فى طلب الصلح، وإرسال أطلميش من أصحابه، وأنه يبعث من عنده من الأمراء والممالك، فلم يجب إلى ذلك. وكانت الحرب بين أصحاب تمر وطائفة من عساكر السلطان فى يوم السبت ثامن جمادى الأولى كما تقدم. ثم كانت الحرب ثانياً فى يوم الثلاثاء حادى عشره. وفى كل ذلك يبعث تمرلنك فى طلب الصلح فلا يجاب.

وفى يوم الأربعاء ثانى عشره: اختفى من الأمراء والممالك السلطانية جماعة منهم الأمير سوذن الطيار، والأمير قانى باى العلاى، وجمعت أحد الأمراء.

ومن الخاصكية يشبك العثمانى، ومُج الحافظى، وبرسبغا الدوادار، وطرباى فى آخرين، فوق الاختلاف عند ذلك بين الأمراء. وأتاهم الخير بأن الجماعة قد توجهوا إلى

القاهرة، ليسلطنوا الشيخ لاجين الجرکسى، فركب الأمراء فى آخر ليلة الجمعة حادى عشرينه، وأخذوا السلطان، وخرجوا بغتة من غير أن يعى والد على ولده. وساروا على عقبه دمر^(١)، يريدون مصر من جهة الساحل، ومروا بصفد، فاستدعوا نائبها الأمير تمربغا المنجكى وأخذوه معهم إلى غزة. وتلاحق بهم كثير من أرباب الدولة. فأدرك السلطان الأمراء الذين اختفوا بدمشق: سوذُن الطيار، وقانى باى ومن معهما بغزة. فما أمكن إلا مجاملتهم، وأقام بغزة ثلاثة أيام، وتوجه إلى القاهرة، بعدما قدم بين يديه آقبغا الفقيه أحد الدوادارية. فقدم إلى القاهرة يوم الإثنين ثانى جمادى الآخرة، وأعلم بوصول السلطان إلى غزة، فارتجت البلد، وكادت عقول الناس أن تختل. وشرع كل أحد يبيع ما عنده، ويستعد للهروب من مصر. فلما كان يوم الخميس خامسه، قدم السلطان إلى قلعة الجبل، ومعه الخليفة وأمراء الدولة ونحو الألف من المماليك السلطانية، ونائب دمشق الأمير تغرى بردى، وحاجب الحجاب بها الأمير باشا باى، وغالب أمرائها، ونائب صفد، ونائب غزة، وهم فى أسوأ حال، ليس مع الأمير سوى مملوك أو مملوكين فقط، وفيهم من هو بمفرده، ليس معه من يخدمه. وذهبت أموالهم وخيولهم وجمالهم وسلاحهم، وسائر ما كان معه، مما لو قوم لبلغت قيمته عشرات آلاف ألف دينار. وشوهد كثير من المماليك لما قدم وهو عريان. وكان الأمير يلبغا السالى قد تلقى السلطان بالكسوة له، وللخليفة، وسائر الأمراء.

وأما دمشق فإن الناس بها أصبحوا يوم الجمعة بعد هزيمة السلطان، ورأيهم محاربة تمرلنك، فركبوا أسوار المدينة ونادوا بالجهاد، وزحف عليهم أصحاب تمر، فقاتلوهم من فوق السور، وردوهم عنه، وأخذوا منهم عدة من خيولهم. وقتلوا منهم نحو الألف، وأدخلوا رءوسهم إلى المدينة، فقدم رجلان من قبل تمر، وصاحا بمن على السور: «أن الأمير يريد الصلح، فابعثوا رجلاً عاقلاً حتى نحدثه فى ذلك». فوقع اختيار الناس على إرسال قاضى القضاة تقى الدين إبراهيم بن محمد بن مُفْلِح الحنبلى^(٢)، فأرعى من السور، واجتمع بتمرلنك وعاد إلى دمشق، وقد خدعه تمرلنك، وتلطف معه فى القول،

(١) عقبه دمر، مشرفة على غوطة دمشق، وهى من جهة الشمال فى طريق بعلبك. انظر . -

معجم البلدان ٤/٢٩٨.

(٢) إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن محمد ابن مفلح، أبو إسحاق برهان الدين الأرشد: مؤرخ من قضاة الخنابلة مولد ووفاته فى دمشق وولى قضاها سنة ٨٥١هـ، من كتبه «المقصد فى ذكر أصحاب الإمام أحمد - ح» و «المبدع بشرح المنقح» فقه، عشرة مجلدات، انظر الدارس ٥٩/٢، الضوء اللامع ١٥٢/١ وهدية العارفين ٢١/١ والأعلام ٦٥/١

وقال: «هذه بلدة الأنبياء، وقد أعتقتها لرسول الله - ﷺ - صدقة عن أولادى». فقام ابن مفلح فى الثناء على تَمُر قِيامًا عظيمًا، وشرع يُخَذِّل الناس عن القتال، ويكفُّهم عنه، فمال معه طائفة من الناس، وخالفته طائفة، وقالت: «لا نرجع عن القتال». وباتوا ليلة السبت على ذلك، وأصبحوا وقد غلب رأى ابن مفلح، فعزم على إتمام الصلح، وأن من خالف ذلك قُتل.

وفى الوقت ، قدم رسول تمر إلى سور المدينة فى طلب الطُّقُزات، وهى عادة تَمُر إذا أخذ مدينة صلحًا أن يخرج إليه أهلها من كل نوع من أنواع الماكل والمشارب والدواب والملابس تسعة، يسمون ذلك طقُزات، فإن التسعة بلغتهم يقال لها طُقُز. فبادر ابن مفلح واستدعى من القضاة والفقهاء والتجار حمل ذلك، فشرعوا فيه حتى كَمُل، وساروا به إلى باب النصر ليخرجوه إلى تمرلنك، فمنعهم نائب القلعة من ذلك، وهددهم بحريق المدينة عليهم. فلم يلتفتوا إلى قوله، وتركوا باب النصر، ومضوا إلى جهة أخرى من جهات البلد. وأرخوا الطُّقُزات من السور، وتدلّى ابن مفلح ومعه كثير من الأعيان وغيرهم، وساروا إلى مخيم تمرلنك، وباتوا به ليلة الأحد. ثم عادوا بكرة الأحد، وقد استقر تَمُر منهم بجماعة فى عدة وظائف، ما بين قضاة قضاة، ووزير، ومستخرج الأموال، ونحو ذلك، ومعهم فرمان، وهو ورقة فيها تسعة أسطر، تتضمن أمان أهل دمشق على أنفسهم، وأهلهم خاصة. فُقِرئ على منير جامع بنى أمية، وفتح من أبواب المدينة باب الصغير (١) فقط، وقدم أمير من أمراء تَمُرلنك، فجلس به ليحفظ البلد ممن يعبر إليها وأكثر ابن مفلح ومن كان معه من ذكر محاسن تَمُرلنك وبث فضائله، ودعا العامة إلى طاعته، وموالاته، وحثهم بأسرهم على جمع المال الذى تقرر جمعه وهو ألف ألف دينار، ففرض ذلك على الناس كلهم، وقاموا به من غير مشقة لكثرة أموالهم. فلما كمل المال، حمّله ابن مفلح وأصحابه إلى تَمُر، ووضعوه بين يديه. فلما عاينه غضب غضبًا شديدًا، ولم يرض به، وأمر بابن مفلح ومن معه أن يخرجوا عنه، فأخرجوا، ووكل بهم. ثم ألزموا بحمل ألف تومان، والتومان عبارة عن عشرة آلاف دينار من الذهب، إلا أن سعر الدينار عندهم يختلف، فتكون جملة ذلك عشرة آلاف ألف دينار، فالتزموا بها، وعادوا إلى البلد، وفرضوه على الناس، فجبوا أجرة مساكن دمشق كلها عن ثلاثة أشهر، وألزموا كل إنسان من ذكر وأنثى، وحر وعبد، وصغير وكبير بعشرة دراهم. وألزم مباشر كل وقف من سائر الأوقاف بمال، فأخذ من أوقاف جامع بنى أمية ألف درهم، ومن بقية أوقاف الجوامع والمساجد والمدارس والمشاهد

(١) باب الصغير، هو باب مدينة دمشق الجنوبي. انظر النجوم الزاهرة ١٢: ٢٤١.

والربط والزوايا شيء معلوم، بحسب ما اتفق، فنزل بالناس فى استخراج هذا بلاء عظيم. وعوقب كثير منهم بالضرب، وشُغل كل أحد بما هو فيه، فغلت الأسعار، وعز وجود الأقوات، وبلغ المُسُدُّ من القمح - وهو أربعة أقداح - إلى أربعين درهماً فضة.

وتعطلت الجمعة والجماعة من دمشق كلها، فلم تقم بها جمعة إلا مرتين، الأولى فى يوم الجمعة تاسع عشر جمادى الآخرة، ودعا الخطيب فيها بجامع بنى أمية للسلطان محمود، ولولى عهده ابن الأمير تيمور كُرُكان، ثم شغل الناس بعدها عن الدين والدنيا بما هم فيه. وذلك أنه نزل شاه ملك - أحد أمراء تَمُر - بجامع بنى أمية، ومعه أتباعه، وادعى أنه نائب دمشق، وجمع كل ما كان فى الجامع من البُسُط والحصر، وستر بها شرفات الجامع، وضلى الناس الجمعة فى شمالى الجامع، وهم قليل. وشاهدوا أصحاب شاه ملك يلعبون فى الجامع بالكعبان، ويضربون بالطنابير. ثم بعد الجمعتين مُنِعوا من إقامة فى الجمعة بالجامع، فضلى طائفة الجمعة بعد ذلك بالخانقاه السُميساطية (١)، فتعطلت سائر الجوامع والمساجد من إعلان الأذان، وإقامة الصلاة. وبطلت الأسواق كلها، فلم يبع شيء إلا ما كان مما يورد ثمنه فى الحباية المقررة.

وزاد بالناس البلاء أن أصحاب تمر لا يأخذون إلا الدراهم والدنانير لا غير، وردوا الفلوس، فانحطت وصار ما كان بخمسة دراهم لا يحسب الناس فيه فيما بينهم غير درهم واحد.

هذا ونائب القلعة ممتنع بها، وقد حاصره تمر، فخرب ما بين القلعة والجامع بالحريق وغيره. ثم إن النائب سلم بعد تسعة وعشرين يوماً. فلما تكامل حصول المال الذى هو بحسابهم ألف تومان، حُمِلَ إلى تمر، فقال لابن مفلح وأصحابه: «هذا المال بحسابنا، إنما هو ثلاثة آلاف دينار. وقد بقى عليكم سبعة آلاف ألف دينار، وظهر أنكم قد عجزتم». وكان تمر لما خرجت إليه الطُّقُرات، وفرض للحباية الأولى التى هى ألف ألف دينار، قرر مع ابن مفلح وأصحابه أن ذلك على أهل البلد، وأن الذى تركه العسكر المصرى من المال والسلاح والدواب وغير ذلك لا يعتد به لهم، وإنما هو لتمر. فخرج الناس إليه بأموال أهل مصر. وبدا منهم فى حق بعضهم بعضاً من المرافعات أنواع قبيحة، حتى صارت كلها إليه. فلما علم أنه قد استولى على أموال المصريين ألزمهم

(١) سُميساط بلد من بلاد العجم منها السُميساطى، وهو رجل من العجم كان معروفاً بالوزع والزهدي، وبني خانقاه للصوفية بدمشق فى موضع الدار التى كانت لعمر بن عبد العزيز. انظر الروض المعطار فى خير الأقطار ٣٢٣. وسُميساط من بلاد الفرات الأعلى. وفى معجم البلدان «فى طرف بلاد الروم على غربى الفرات».

بإخراج أموال الذين فروا من التجار وغيرهم إلى دمشق خوفاً منه. وكان قد خرج من دمشق عالم عظيم، فتسارعوا إلى حمل ذلك إليه، وجروا على عاداتهم فى النميمة. بمن عنده من ذلك شىء، حتى أتوا على الجميع. فلما صار إليه ذلك كله ألزمهم أن يخرجوا إليه سائر ما فى المدينة من الخيل والبغال والحمير والجمال، فأخرج إليه جميع ما كان فى المدينة من الدواب، حتى لم يبق بها شىء من ذلك. ثم ألزمهم أن يخرجوا إليه جميع آلات السلاح، جليلها وحقيرها، فتبعوا ذلك، ودل بعضهم على بعض، حتى لم يبق بها من آلات القتال وأنواع السلاح شىء. ثم بعد حمل الفريضة ورمى ابن مفلح ومن معه بالعجز عن الاستخراج، قبض على أصحاب ابن مفلح، وألزمهم أن يكتبوا له جميع خطط دمشق وحاراتها وسككها، فكتبوا ذلك ودفعوه إليه، ففرقه على أمرائه. وقسم البلد بينهم، فساروا إليها، ونزل كل أمير فى قسمه، وطلب من فيه، وطالبهم بالأموال، فكان الرجل يُوقَف على باب داره فى أزرى هيئة، ويلزم بما لا يقدر عليه من المال، فإذا توقف فى إحضاره عُذِب بأنواع العذاب من الضرب وعصر الأعضاء، والمشى على النار، وتعليقه منكوساً، وربطه بيديه ورجليه، وغم أنفه بخرقه فيها تراب ناعم، حتى تكاد نفسه تخرج، فيخلى عنه حتى يستريح، ثم تُعاد عليه العقوبة. ومع هذا كله تؤخذ نساؤه وبناته وأولاده الذكور، وتقسم جميعهم على أصحاب ذلك الأمير، فيشاهد الرجل المَعذِب امرأته وهى توطأ، وابنته وهى تُقبض بكارتها، وولده وهو يلاط به، فيصير هو يصرخ مما به من ألم العذاب، وابنته وولده يصرخون من ألم إزالة البكارة، وإتيان الصبى، وكل هذا نهاراً وليلاً، من غير احتشام ولا تستر. ثم إذا قضاوا وطهرهم من المرأة والبنات والصبى، طالبوهم بالمال، وأفاضوا عليهم أنواع العقوبات، وأفخادهم مضرحة بالدماء. وفيهم من يُعذَّب بأن يشد رأس من يُعاقبه بجبل ويلويه حتى يغوص فى الرأس، وفيهم من يضع الجبل على كتفى المَعذَّب ويديره من تحت إبطيه، ويلويه بعضاً حتى ينخلع الكتفين. وفيهم من يربط إبهام اليدين من وراء الظهر ويلقى المَعذَّب على ظهره، ويذّر فى منخره رماداً سحيقاً، ثم يعلّقه بإبهام يديه فى سقف الدار، ويشعل النار تحته. وربما سقط فى النار فسحبوه منها، وألقوه حتى يفيق، فيعذب أو يموت، فيترك.

واستمر هذا البلاء مدة تسعة عشر يوماً، آخرها يوم الثلاثاء ثامن عشرين رجب، فهلك فيها بالعقوبة ومن الجوع خلق لا يدخل عددهم تحت حصر.

فلما علموا أنه لم يبق فى المدينة شىء له قدر، خرجوا إلى تمرلنك، فأنعّم بالبلد على أتباع الأمراء، فدخلوها يوم الأربعاء آخر رجب، ومعهم سيوف مشهورة، وهم مشاة،

فنهبوا ما بقى من الأثاث وسبوا نساء دمشق بأجمعهن، وساقوا الأولاد والرجال، وتركوا من عمره خمس سنين فما دونها، وساقوا الجميع مربطين في الحبال. ثم طرحوا النار في المنازل، وكان يوماً عاصف الريح، فعم الحريق البلد كلها، وصار لهب النار يكاد أن يرتفع إلى السحاب، وعملت النار ثلاثة أيام، آخرها يوم الجمعة.

وأصبح تمر يوم السبت ثالث رجب راحلاً بالأموال والسبايا والأسرى، بعدما أقام على دمشق ثمانين يوماً، وقد احترقت كلها، وسقطت سقوف جامع بنى أمية من الحريق، وزالت أبوابه، وتفطر^(١) رخامه، ولم يبق غير جدره قائمة. وذهبت مساجد دمشق، ومدارسها، ومشاهدها، وسائر دورها، وقياسرها، وأسواقها، وحماماتها، وصارت أطلالا بالية، ورسوماً خالية، قد أقفرت من الساكن، وامتألت أرضها بجنث القتلى، ولم يبق بها دابة تدب، إلا أطفال يتجاوز عددهم آلاف، فيهم من مات، وفيهم من يجوّد بنفسه.

وأما بقية أمراء مصر وغيرهم، فأنهم لما علموا بتوجه السلطان من دمشق خرجوا منها طوائف طوائف، يريدون اللحاق بالسلطان، فأخذهم العشير، وسلبوهم ما معهم، وقتلوا خلقاً كثيراً. وظفر أصحاب تمرلنك بقاضى القضاة صدر الدين محمد بن إبراهيم^(٢) المناوى الشافعى، فسلبوه ما عليه من الثياب، وأحضروه إلى تمرلنك، فمرت به عن شديدة، آلت إلى أن غرق بنهر الزاب، وهو فى الأسر.

وكان قاضى القضاة ولىّ الدين عبد الرحمن بن خلدون^(٣) المالكى بداخل مدينة دمشق. فلما علم بتوجه السلطان تدلى من سور المدينة، وسار إلى تمرلنك فأكرمه

(١) فطر الشيء يفطره فطراً فانفطر، وفطره: شقّه وتفطر الشيء: تشقق، والفطر: الشق انظر لسان العرب (فطر).

(٢) محمد بن إبراهيم بن إسحاق السلمى المناوى ثم الظاهرى الشافعى، صدر الدين، أبى المعالى قاض، عالم بالحديث من أهل القاهرة، ناب فى الحكم. وولى إفتاء دار العدل وله «كشف المناهج والتنقيح فى تخريج أحاديث المصاييح-خ». انظر الرسالة المستطرفة ١٤٠ والضوء اللامع ٢٤٩/٦ والكتبخانة ٣٨٨/١ والأعلام ٣٠٠/٥.

(٣) عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن خلدون أبو زيد ولىّ الدين الحضرمى الإشبيلى، من ولد واقل بن حجر الفيلسوف المورخ، العالم الاجتماعى البحاثة أصله من إشبيلية، ومولده ومنشأه بتونس وولى قضاء المالكية فى مصر وتوفى فجأة فى القاهرة كان فصيح جميل الصورة، عاقلاً صادق اللهجة، وله «شرح البردة، وكتاب فى الحساب وكتاب «العبر وديوان المبتدأ والخير» انظر الضوء اللامع ١٤٥/٤ ونيل الابتهاج وحذرة الاقتباس من الكراس ٣٣ والمعارف الإسلامية ١٥٢/١ ونفح الطيب ٤١٤/٤ والعبر ٣٧٩/٧ والأعلام ٣٣:٣.

وأجله، وأنزله عنده، ثم أذن له في المسير إلى مصر، فسار إليها وتتابع دخول المنقطعين بدمشق إلى القاهرة في أسوأ حال، من المشى والعرى والجوع، فرسم لكل من المماليك السلطانية بألف درهم، وجامكية شهرين.

وأما السلطان فإنه لما استقر بقلعة الجبل أعاد شمس الدين محمد البخانسی إلى حسبة القاهرة، وصرف العيتابی في يوم السبت سابع جمادى الآخرة.

وفيه أذن للأمير يلبغا السالمى أن يتحدث فى كل ما يتعلق بالملكة، وأن يجهز عسكرياً إلى دمشق لقتال تمرلك، فشرع فى تحصيل الأموال، وفرض على سائر أراضي مصر فرائض، فجبى من إقطاعات الأمراء، وبلاد السلطان وأخبار الأجناد، وبلاد الأوقاف عن عيرة كل ألف دينار خمسمائة درهم ثمن فرس، وجبى من سائر أملاك القاهرة ومصر وظواهرها أجرته عن شهر، حتى أنه كان يقوم على الإنسان فى داره التى هو يسكنها، ويؤخذ منه أجرتها.

وجبى من الرزق - وهى الأراضي التى يأخذ مغلها قوم من الناس على سبيل البر - عن كل فدان من زراعة القمح، أو الفول، أو الشعير عشرة دراهم، وعن الفدان من القصب، أو القلقاس، أو النيلة - ونحو ذلك من القطنى - مائة درهم. وجبى من البساتين عن كل فدان مائة درهم.

واستدعى أمناء الحكم والتجار، وطلب منهم المال على سبيل القرض.

وصار يكبس الفنادق وحواصل الأموال فى الليل، فمن وجد صاحبه حاضراً فتح مخزنه، وأخذ نصف ما يجد من نقود القاهرة، وهى الذهب والفضة والفلوس. وإذا لم يجد صاحب المال أخذ جميع ما يجده من النقود. وأخذ ما وجد من حواصل الأوقاف، ومع ذلك فإن الصيرفى يأخذ عن كل مائة درهم - تستخرج مما تقدم ذكره - ثلاثة دراهم. ويأخذ الرسول الذى يحضر المطلوب ستة دراهم، وإن كان نقيباً أخذ عشرة دراهم. فاشتد الضرر بذلك، وكثر دعاء الناس على السالمى، وانطلقت الألسنة بدمه، وشنت القالة فيه، وتمالأت القلوب على بغضه.

وفيه خلع على الأمير نوروز الحافظى، والأمير يشبك الشعبانى، واستقرا مشيرى الدولة، مدبرى أمورهما. وخلع على الأمير بهاء الدين أرسلان بن أحمد لنقابة الجيش، عوضاً عن أسندمر لانقطاعه بالشام.

وفى ثانى عشره: خلع على القاضى أمين الدين عبد الوهاب بن قاضى القضاة شمس

الدين محمد بن أحمد بن أبي بكر الطرابلسي قاضى العسكر، واستقر فى قضاء القضاة الحنفية بديار مصر، عوضاً عن الجمال يوسف اللطى بعد وفاته وعلى القاضى جمال الدين عبد الله الأقفهسى، واستقر فى قضاء القضاء المالكية بديار مصر، عوضاً عن نور الدين على بن الجلال بعد موته أيضاً، وعلى ناصر الدين محمد بن خليل الضانى، واستقر أمير طبر، عوضاً عن الصارم إبراهيم بحكم انقطاعه، فصار الى مصر والقرافتين أمير طبر.

وفيه قدم من الشام ثلاثمائة من الممالك المنقطعين بأسوأ حال، من المشى والعري والجوع، وشكوا من العشير.

وفى تاسع عشره: قبض على المهتار عبد الرحمن، وألزم بما أخذه من العشير وغيرهم، ثم أفرج عنه بعد أيام.

وفى حادى عشرينه: قدم قاضى القضاة موفق الدين أحمد بن نصر الله الحنبلى من الشام، فى أسوأ حال. وقدم أيضاً قاضى قضاة دمشق علاء الدين على بن أبى البقاء الشافعى. وحضر أيضاً كتاب تمرلنك على يد أحد ممالك السلطان، يتضمن طلب أطمش أطلندى، وأنه إذا قدم عليه أرسل من عنده من النواب والأمراء والأجناد والفقهاء، وقاضى القضاة صدر الدين المناوى ويرحل، فطلب أطمش من البرج الذى هو مسجون فيه بقلعة الجبل، وأنعم عليه بخمسة آلاف درهم، وأنزل عند الأمير سون طاز أمير آخور، وعين للسفر معه قطلوبك العلاى، والأمير ناصر الدين محمد بن سنقر الأستادار.

وفيه توجه الأمير بيسق أمير آخور رسولا إلى تمرلنك بكتاب السلطان.

وجد الأمير يلغا السالى فى تحصيل الأموال، وعرض أجناد الحلقة، وألزم من كان منهم قادراً على السفر بالخروج إلى الشام، وألزم العاجز عن السفر بإحضار نصف متحصل إقطاعه فى السنة. وألزم أرباب الغلال المحضرة للبيع فى المراكب النيلية أن يؤخذ منهم عن كل أردب درهم، وأن يؤخذ من كل مركب من المراكب التى تنزره فيها الناس مائة درهم.

شهر رجب، أوله الثلاثاء:

فيه بلغت الدنانير السالية ثلاث آلاف دينار، وأمر السالى أن يضرب دنانير أيضاً، منها ما زنته مائة مثقال ومثقال، ومنها ما وزنه تسعون مثقالاً ومثقال، وهكذا ينقص عشرة مثاقيل إلى أن يكون منها دينار زنته عشرة مثاقيل، فضرب من ذلك جملة دنانير.

السلوك لمعرفة دول الملوك ٥٧

وفي ثالثة: خلع على علم الدين يحيى بن أسعد، الذى يقال له أبو كُم، واستقر فى الوزارة، عوضاً عن الصحاب فخر الدين ماجد بن غراب، لاستغفائه من الوزارة.

وفيه ورد الخير بأن دمرداش نائب حلب تخلص من تمرلنك، وجمع وأخذ حلب وقلعتها من التمرية، وقتلهم.

وفي خامسه: استقر الطواشى فارس الدين شاهين الحلبي نائب المقدم فى مقدمة المماليك، عوضاً عن الطواشى شمس الدين صواب السعدى جنكل.

واستقر الطواشى زين الدين فيروز من جرجى، مقدم الرفرف، نائب المقدم.

وفي سابعه: حضر من عربان البحيرة إلى خارج القاهرة ستة آلاف فارس. ومن الشرقية ابن بقر، والتزم بألفين وخمسائة فارس، ومن العيساوية وبنى وائل ألف وخمسائة فارس، فأنفق فيهم الأمير يلغا السالمى الأموال، ليتجهزوا إلى حرب تمرلنك.

وفي ثامنه: قدم قاصد الأمير نعيم، لأنه قد جمع عرباناً كثيرة، ونزل على تدمر، وأن تمرلنك رحل من ظاهر دمشق إلى القطيفة^(١).

وفي رابع عشره: قبض على الأمير يلغا السالمى، وعلى شهاب الدين أحمد بن عمر ابن قطينة، وسُلما للقاضى سعد الدين إبراهيم بن غراب، ليحاسبهما على الأموال المأخوذة من الناس فى الجبايات.

وفي ثامن عشره: استقر سعد الدين إبراهيم بن غراب أستاذار السلطان عوضاً عن السالمى، مضافاً إلى ما بيده من وظيفتى نظير الجيش والخاص. ولبس جبة من حرير بوجهين، أحدهما أحمر والآخر أخضر، بطراز ذهب عريض فى عرض ذراع وثمان، وترفع عن لبس التشريف، ولم يغير زى الكتاب.

وفي سادس عشرينه: استقر جمال الدين عبد الله المنجكى فى ولاية البهنسا،^(٢) وعُزل منكلى بغا الزينى.

(١) القطيفة: قرية دون ثنية العقاب للقاصد إلى دمشق فى طرف البرية من ناحية حمص انظر: معجم البلدان. ١٨٨/٤.

(٢) مدينة بصعيد مصر فى الجهة الغربية من الخليج الخارج من معظم النيل وبهذه المدينة تعمل الستور البهنسية. انظر الروض المعطار فى خير الأقطار ١١٤، الإدريسى ٥٠، وحنى الأزهار ١٠/ معجم البلدان ٥٢٧، ٥١٦/١.

وفي سلخه: ورد الخير بأن ابن عثمان وصل إلى قيصرية، من بلاد الروم. شهر شعبان، أوله الخميس: فيه قدم قاضي القضاة ولي الدين عبد الرحمن بن خلدون من دمشق، وقد أذن له تمرنك في التوجه إلى مصر، وكتب له بذلك كتاباً عليه خطه، وصورته «تيمور كركان»، وأطلق معه جماعة بشفاعته فيهم، منهم القاضي صدر الدين أحمد بن قاضي القضاة جمال الدين محمود القيصري، ناضر الجيش؛ وكان قد خرج مع السلطان من جملة موقعي الدست.

وفي ثانيه: جاء دمشق جراد كثير جداً، ودام أياماً.

وفي ثالثه: توجه تمرنك من دمشق بعساكره، فجز القمح بدمشق، واقتات من تأخر بها من منابت الأرض.

وفي خامسه: برز الأمراء الذين كانوا بالقاهرة في غيبة السلطان بدمشق، للمسير لحرب تمرنك، وهم: الأمير تمتاز أمير مجلس، والأمير أقبای حاجب الحجاب، والأمير جرباش الشينخي، والأمير تمان تمر، والأمير صوماي الحسنی. وامتنع الأمير جكم من السفر، فبطل سفر الأمراء أيضاً.

وفي سابعه: قدم الأمير سيف الدين شيخ المحمودي نائب طرابلس هارباً من تمرنك، فتلقاه الأمراء، وقدموا إليه الخيول، بالسروج الذهب، والكنابيش الذهب، والقماش، والجمال، وغير ذلك،

وفي ثامن عشره: أفرج عن ابن قطينة، ولزم داره.

وفي تاسع عشره: قدم الأمير دُقماق المحمدي نائب حماه فاراً من تمرنك، فأنعّم عليه أيضاً بما يليق به.

وفيه برز الأمير تغرى بردى من بَشْبغا نائب الشام للمسير إلى دمشق. وخرج بعده نواب البلاد الشامية وأمرؤها وأجنادها، وسائر أعيانها.

وخلع على الأمير القاضي سعد الدين إبراهيم بن غراب جبة حرير بوجهين مطرزة، باستقراره فيما بيده عند استعفائه من الأستادارية. وعلى جمال الدين يوسف بن القطب بقضاء الحنفية بدمشق، عوضاً عن محيي الدين محمود بن الكشك.

وفي ثامن عشرينه: استقر تُمربغا المنجكي في نيابة صغد، وخرج إليها واستقر تنكز بغا الخططي في نيابة بعلبك^(١) وناصر الدين محمد بن الطويل في كشف الوجه البحري، وعُزل طيغبا الزيني.

(١) مدينة بالشام بينها وبين دمشق في جهة الشرق مرحلتان وهي حصينة في سفح جبل وعليها سور حصين بالحجارة سعته عشرون شبراً، وهي كثيرة الغلات نامية الإصابات. انظر الروض المعطار ١٠٩ ونزهة المشتاق ١١٦ وصبح الأعشى ١٠٩/٤ ومعجم البلدان ٤٥٣/١.

وفى رابع عشرينه: قبض على مملوكين، فأقرا أنهما اتفقا مع جماعة من المماليك - سموهم - على إثارة فتنة وقتل الأمراء، فعُفي عنهما، ولم يتحرك فى ذلك ساكن.

وفيه نودى ألا يقيم بديار مصر عجمي، وأجلو ثلاثة أيام، وهدد من تأخر بعدها، فلم يتم من ذلك شىء. ولهج الناس بالكتابة على الحيطان «من نصره الإسلام قتل الأعمام».

وفى سادس عشرينه: أعيد نور الدين على بن عبد الوارث البكرى إلى حسبة مصر، وصُرف شمس الدين محمد الشاذلى.

وفى يوم الخميس تاسع عشرينه: خلع على القاضى ناصر الدين محمد بن الصالحى أحد نواب الحكم، واستقر فى قضاء القضاة الشافعية بديار مصر، على مال التزم به، وذلك بعدما أيس من حضور الصدر محمد بن إبراهيم المناوى، فنزل فى خدمته أكابر الأمراء، مثل الأمير يشبك الدوادار وغيره، حتى جلس بالمدرسة بين القصرين، وحكم على العادة، ثم سار إلى داره.

شهر رمضان، أوله الجمعة:

فى ثانى عشره: استقر جتتمُ التركمانى النظامى نائب الوجه القبلى، وعُزل علاء الدين على بن غلبك بن المكلفة.

وفى رابع عشره: استقر على ابن بنت معتوق فى ولاية منفلووط^(١)، وعزل أحمد ابن على بن غلبك.

وفى ثامن عشره: خلع على الأمير شيخ المحمودى بناية طرابلس على عادته عوضاً عن آقبغا الجمالى، وعلى دُقماق المحمدى بناية صفد، عوضاً عن تمرىغا المنجكى، وأنعم على تمرىغا بإمرة مائة بدمشق.

وفيه قدم حاج المغرب، وفيهم رسل صاحب تونس^(٢) بهدية، منها ستة عشر فرساً، قدمت للسلطان، وقدم معهم نحو ثلاثمائة فرس للبيع.

(١) بلدة بالصعيد فى غربى النيل بينها وبين شاطئ النيل بعد. انظر ياقوت، معجم البلدان ٢١٥، ١٤/٥.

(٢) مدينة إفريقية محدثة إسلامية وهناك من يحدث أنها أحدثت عام ثمانين قال بعضهم: لم يقصد بها أول أمرها وإنما اجتمع الناس إليها وبنوا وسكنوا وزادوا حتى صارت مدينة وعمرت. انظر الروض المعطار فى خبر الأقطار ١٤٣ والاستبصار ١٢٠ والبكرى ٣٧ وصبح الأعشى ١٠٢/٥ ومعجم البلدان ٦٠/٢.

وفي هذا الشهر: توقفت أحوال الناس بسبب الذهب، فإنه أشيع أنه يُطرح على الصيارف، ويؤخذ في الدينار الأفرنتي المشخص مبلغ تسعة وثلاثين درهماً من الفلوس. وكان قد بلغ بين الناس إلى ثمانية وثلاثين درهماً، فتناقص حتى صار إلى خمسة وثلاثين درهماً، والدينار المختوم المصري إلى ثمانية وثلاثين.

وقدم الخبز أن الفرنج أخذوا ستة مراكب مؤسّقة قمحاً، سار بها المسلمون من دمياط إلى سواحل الشام، لبيع بها، من كثرة ما أصابها من القحط والغلاء من نوبة تمرلنك، فرسم بخروج جماعة من الأمراء إلى ثغور مصر، فخرج الأمير آقبای حاجب الحجاب والأمير بكتمر، والأمير جرباش في عدة من الأمراء وغيرهم، وتفرقوا في الثغور.

وفي ثالث عشرينه: أعيد قاضى القضاة ولى الدين عبد الرحمن بن خلدون إلى قضاء المالكية، وصُرف جمال الدين عبد الله الأقفهسى. واستقر مجد الدين سالم الحنبلى فى قضاء القضاة الحنابلة، عوضاً عن موفق الدين أحمد بن نصر الله بعد وفاته، بعد أن طُلب هو والشيخ علاء الدين على بن محمد بن على بن عباس بن قتيان البعلبكي (١) المعروف بابن اللحام الحنبلى، الوارد من دمشق إلى عند الأمير يشبك الدوادار، وعرض عليهما ولاية القضاء، فامتنعا، وصار كل منهما يقول: «لا أصلح، وإنما يصلح هذا لدينه وعلمه». فكثر العجب من ذلك. واستقر الأمر لسالم، وخُلع عليه، وركب إلى الصالحية فى موكب حفل.

شهر شوال، أوله الأحد:

فيه أفرج عن الأمير يلبغا السالمى، وهو متضعف بعدما عصر، وأهين إهانة بالغة. وفي هذا اليوم: كثر تحرز الأمراء من بعضهم بعضاً، وتحدث الناس بإثارة فتنة بينهم. وفي خامس: وصل الأمير تغرى بردى نائب الشام إلى دمشق، ومن معه من العسكر.

وفي سابعه: استقر الأمير طولو من على شاه فى نيابة الإسكندرية، عوضاً عن الأمير

(١) على بن محمد بن عباس شيبان، أبو الحسن علاء الدين ابن اللحام: فقيه حنبلى أصله من بعلبك. سكن دمشق وصنف كتباً منها «القواعد الأصولية والأخبار العلمية فى اختيارات الشيخ تقى الدين ابن تيميه - خ» فى الحمودية بالمدينة (٣٤ - أصول الفقه)، وناب فى الحكم بدمشق ثم توجه إلى مصر واستقر مدرسا فى المنصورية إلى أن توفى عن نيف وخمسين عاماً. انظر شذرات الذهب ٣١/٧، ومجلة مجمع اللغة بدمشق ٤٩/٤٠٠ والأعلام ٧/٥.

أرسطاي، واستقر الأمير باشا باي من باكي حاجباً ثانياً بديار مصر على خبز سودن الطيار بطبلخاناه. واستقر تمر البربري مهمنداراً، عوضاً عن أظنبغا العثماني. واستقر كل من سودن الطيار، وأظنبغا سيدي حاجباً بحب.

وفيه استدعى السلطان الأمراء إلى القلعة، وقال لهم: «قد كتبنا مناشير جماعة من الخاصكية بإمرات بالشام من أول رمضان، فلم لا يسافروا»، فقال الأمير نوروز: «ما هذا مصلحة، إذا أرسل السلطان هؤلاء من يبقى».

ووافقه سودن المارديني على ذلك. فقال السلطان: «من ردّ مرسومي فهو عدوي»، فسكت الأمراء، وأمر السلطان بالمناشير أن تبعث إلى أربابها.

فلما نزلت إليهم امتنعوا من السفر، ومنهم من ردّ منشوره، فغضب السلطان وأصبح الجماعة يوم الأحد وقد اتفقوا مع الأمراء، وصاروا إلى الأمير نوروز، وتحدثوا معه في ألا يسافروا، فاعتذر إليهم، وبعثهم إلى سودن المارديني رأس نوبة، فحدثوه في ذلك. وما زالوا به حتى ركب إلى الأمير يشبك الدوادر، وحدثه في ألا يسافروا، فأغلظ في الرد عليه، وهددهم بالتوسيط إن امتنعوا، وبعثه إلى السلطان ليحدثه في ذلك، فصعد القلعة وسأل السلطان في إعفائهم من السفر، وأعلمه أنه قد اتفق منهم نحو الألف تحت القلعة وهم مجتمعون. فبعث السلطان إليهم أحد الخاصكية يقول لهم: «نحن ما خليناكم بلا رزق، بل عملناكم أمراء». فما هو إلا أن بلغهم ذلك، ثاروا عليه وضربوه، حتى كاد يهلك. وبينما هم في ضربه إذا بالأمير قُطلوبغا الكركي، والأمير أقبای الخازندار، نزلا من القلعة فمال عليهم المماليك يضربونهم بالدبابيس، إلى أن سقط قُطلوبغا، فتكاثر عليه مماليكه، وحملوه إلى بيته، ونجا أقبای إلى بيت الأمير يشبك. وماجت البلد، فنودي آخر النهار أن الأمراء والمماليك السلطانية يطلعون من غد إلى القلعة، ومن لم يطلع حلّ دمه وماله للسلطان. فطلع الأمير يشبك ونوروز، وأقبای الخازندار، وقُطلوبغا الكركي إلى القلعة بعد عشاء الآخرة، وباتوا بها إلا نوروز، فإنه أقام معهم ساعة ثم نزل. وطلع أيضاً غالب المماليك. وأصبحوا يوم الإثنين تاسعه، فطلع جميع الأمراء والمماليك، إلا الأمير جكّم، وسودن الطيار، وقاني باي العلاي، وقرقماش الأينالي، وتمرغا المشطوب، وجمق، في عدة من أعيان المماليك، منهم يشبك العثماني، وقمّج، وبرسبغا، وطراباي، وبقية خمسمائة مملوك، فإنهم لبسوا السلاح، ووقفوا تحت القلعة حتى تضحى النهار، ثم مضوا إلى بركة الحبش، ونزلوا عليها. فبعث الأمير يشبك الدوادر - نقيب الجيش - إلى الشيخ لاجين قبض عليه، وحمله إلى

بيت أقبای حاجب الحجاب، فوكل به من أخرجه من القاهرة إلى بلبیس (١). وقبض على سودن الفقيه، أحد دعاة الشيخ لاجين، وأخرج إلى الإسكندرية فسجن بها. وما زال الأمير جُكَم بركة الحبش إلى ليلة الأربعاء، فاستدعى الأمير يَشْبَك الدوادار سائر الأمراء، فلما صاروا إلى القلعة وكل بهم من يحفظهم حتى مضى جانب من الليل، استدعى سودن طاز أمير أخور من الإسطبل ليحضر إلى عند الأمراء بالقلعة. وقد وقع الاتفاق على أن سودن طاز إذا طلع قتل هو والأمراء الموكل بهم، فأتى بعض الخاصكية إلى سودن طاز، وقال له: «فر بنفسك». فلم يكذب الخبر، وأخذ الخيول التي بالإسطبل السلطاني، وركب بماليكه ولحق بالأمير جُكَم على بركة الجيش. فارتج القصر السلطاني. ولحق كل أمير بداره، وركبوا بأجمعهم ودقت الكوسات، فلما أصبح نهار الأربعاء نزل السلطان من القصر إلى الإسطبل، وطلع إليه الأمراء، وبعث إلى الأمير جُكَم بأمان، وأنه يتوجه إلى صفد نائباً بها، فقال «نحن ممالك السلطان، وهو أستاذنا وابن أستاذنا، لو أراد قتلنا ما خالفناه، وإنما لنا غرماء، يخلوننا وإياهم».

فلما عاد الرسول بذلك، بكى الأمير يَشْبَك وأقبای الخازندار، وقُطلُوْبغا الكركي، ودار بينهم وبين السلطان كلام كثير، فبعث السلطان بالأمير نوروز الحافظي، وقاضى القضاة ناصر الدين محمد بن الصالحى، وناصر الدين الرماح أمير أخور، إلى الأمير جُكَم فى طلب الصلح، فامتنع من ذلك هو ومن معه، وقالوا: «لا بد لنا من غرمائنا»، وأخروا عندهم الأمير نوروز، وعاد قاضى القضاة والرماح بذلك. فقال السلطان ليشبك «دونك وغرماءك». فنزل إلى بيته، وقد احتل أمره. ثم عاد إلى القلعة، فلم يُمكن منها، وتخلّى عنه الممالك السلطانية، وتركوه وحده تحت الإسطبل السلطاني، فلم يكن غير ساعة حتى أقبل الأمير جُكَم، وسودن طاز، ونوروز، فى عددهم وعديدهم. وصاحب الموكب نوروز وجُكَم عن يساره، وطاز عن يمينه، وصاروا قريباً من يَشْبَك. فنادى يَشْبَك: «من قاتل معى من الممالك يأخذ عشرة آلاف درهم». فأتاه طائفة، فحمل عليه نوروز فى من معه، فانهزم إلى داره، وقاتل ساعة، ثم فرّ، فنهبت داره ودار قُطلُوْبغا وأقبای. وقبض على أقبای، فشفع فيه السلطان، فترك بداره إلى يوم الخميس ثانى عشره، ركب الأمير جُكَم إليه. وأخذ وصعد به إلى الإسطبل السلطاني، وقيدته.

وقبض على قُطلُوْبغا من عند الأمير يَلْبغا الناصرى، وقيدته. وقبض على جر كرس المصارع من عند سودن الجَلْب، وقيدته؛ وبعث الثلاثة إلى مدينة الإسكندرية ليلة السبت

(١) بلبیس: مدينة بينها وبين فسطاط مصر عشرة فراسخ على طريق الشام انظر ياقوت معجم

رابع عشره. وكتب بإحضار سودن الفقيه من الإسكندرية. وطلب الأمير يَشْبَك، فلم يُقدر عليه، إلى ليلة الإثنين سادس عشره، دُلَّ عليه أنه فى تربة بالقرافة. فلما أحيط به ألقى نفسه من مكان مرتفع، فشحج جبينه، وقبض عليه الأمير حكّم، وأحضره إلى بيت الأمير نوروز، ثم سُير من ليلته إلى نجر الإسكندرية، فسجن بها.

وفى يوم الاثنين: خلّع على الأمير القاضى سعد الدين إبراهيم بن غراب جُبة مطرزة، باستقراره على ما هو عليه.

وفى ثامن عشره: استقر ناصر الدين بن غرلوا نائب الوجه البحرى، وعُزل ابن مسافر. وألبس الأمير شيخ المحمودى نائب طرابلس قباءنخ، وألبس أيضاً الأمير دُقماق نائب صفد (١) قباء السفر، وأذن لهما فى السفر إلى ولايتهما.

وفى تاسع عشره: خلّع على الأمير حكّم، واستقر دوادار السلطان، مكان الأمير يَشْبَك الشعبانى. وعلى سودن من زاده، واستقر خازنداراً، موضع أقبای الكركى. وعلى أرغون من بَشْبِغَا، واستقر شاد الشربخانا، بدل قُطْلُوْبِغَا الكركى.

وفيه خرج المحمل مع الأمير قُطْلُوْبِك العلاى إلى الريدانية، خارج القاهرة. وعمل أمير الركب الأول الأمير بيسق الشيخى، ورسم له أن يقيم بعد انقضاء الحج بمكة، لعمارة ما بقى من المسجد الحرام.

وفى يوم الإثنين ثالث عشرينه: أقبل على دمشق جراد، حجب من كثرته الشمس عن الأبصار، فأتلف جميع ما تنتبه الأرض بعمامة أرض الشام كلها، حتى لم يدع بها خضراً من شجر ولا غيره، من غزة إلى الفرات (٢).

وفى سادس عشرينه: استقر يونس الحافظى فى نيابة حماة، وعزل ركن الدين عمر ابن الهدبانى، واستقر ناصر الدين محمد بن الطبلاوى فى ولاية القاهرة، وصُرف الأمير الوزير تاج الدين عبد الرزاق بن أبى الفرّج، المعروف بوالى قطيا، وعمل أحد الأمراء الحجاب بغير إقطاع، ثم قبض عليه بعد أيام وعصر وأخذ منه مال، ثم أفرج عنه.

وفيه أنعم على الأمير حكّم بإقطاع يَشْبَك، وعلى سودن الطيار بإقطاع الأمير حكّم، وإقطاع أقبای الكركى على الأمير قانى باى العلاى، وإقطاع قُطْلُوْبِغَا الكركى على الأمير تمرُبِغَا من باشاه، المعروف بالمشطوب، وإقطاع جركس المصارع على سودن من زاده بستين فارساً.

(١) انظر معجم البلدان. ٤١٢: ٣.

(٢) الفرات نهر مخرجه من أرمينة ثم من فاليقلا قرب خلاط ويدور بتلك الجبال حتى يدخل

أرض الروم. انظر معجم البلدان ٤/ ١٨٨.

شهر ذى القعدة، أوله الثلاثاء:

فيه أُلزم سعد الدين إبراهيم بن غراب بتجهيز نفقة المالك، فالتزم أن يحمل منها مائة ألف دينار، وأُلزم الوزير ناصر الدين محمد بن سُنقر، وتاج الدين عبد الرزاق بن أبى الفرج، ويَلبغا السالمى، بمائة ألف دينار، فشرعوا فى تجهيزها.

وفيه قبض الأمير شهاب الدين أحمد بن رجب شاد الدواوين على يَلبغا السالمى من داره، وحمله إلى بيته، وضربه ضرباً مبرحاً، وبالغ فى عصره وتعذيبه، حتى أشرف على الموت، فأبيع موجوده فيما أُلزم به.

وفيه جاء رَحْل جراد غير ذلك إلى دمشق، فعظم به الخطب.

وفى ثالثه: قدم الأمير تمرغيا المنجكى نائب صفد إلى دمشق، على إقطاع مقدمة ألف. وقدمت ولاية شمس الدين الأحنأى قضاء دمشق.

وفى خامسه: استقر الشهاب أحمد اليعمورى الحاجب بدمشق نائب قلعتها، والتزم بعمارتها، فأفرد لها من بلاد دمشق دارياً الكبرى (١) وأريحا (٢) من الغور، والمواريث الحشرية بدمشق وأعمالها، والرملة والقدس، وغزة ونابلس، والمسابك، ودار الضرب، ونصف متحصل كنيسة قمامة من القدس، وربع العشر، وربع الزكاة، وربع ما يتحصل من دار الوكالة. وأعيد بدر الدين حسن إلى نظر الأحباس بديار وعزل ناصر الدين محمد بن صلاح الدين صالح بن أحمد بن السفاح.

وفى سادسه: - وهو سابع عشرين بؤونة، أحد شهور القبط - أخذ قاع النيل، فجاء أربع أذرع ونصف.

وفى ثانى عشره: خُلع على يونس نائب حماة، وعلى على بن مسافر نائب الوجه البحرى، للسفر.

وفى خامس عشره: أفرج عن يلبغا السالمى، فسار من بيت شاد الدواوين إلى داره على حمار.

وفيه ورد الخبر بأن دقماق المحمدى نائب صفد لما قدمها وُجد مُتيريك بن قاسم بن متيريك - أمير حارثة - قد نزل على بلاد صفد، وقسمها.

(١) داريا: قرية كبيرة من قرى دمشق بالغوطة انظر معجم البلدان ٤١٨/٢.

(٢) أريحا: مدينة الغور من أرض الأردن بالشام. انظر معجم البلدان ٢٣٥/١.

وكان قد أخذ من أموال الفارين من دمشق إلى مصر فى نوبة تمرلنك ما يجمل وصفه. فركب عليه وحاربه، فانكسر منه دُقْمَاق، وقُتِل من مماليكه اثنا عشر فارسًا، وأسرت أمه، بعدما قتل عدة من عرب حارثة. وأنه استنجد بالأمير شيخ نائب طرابلس، وكان نازلا على مرج العيون، فرجع إليه، وركبا معًا بمن معها على مُتَيْرِك فكسراه، وقتلا جماعة من عربيه، وأسرا له ولدين وسَطَّاهما، وأخذاه ستة آلاف بعير، فكُتِب إلى مُتَيْرِك بتطبيب خاطره.

وكتب إلى شيخ ودقماق برد أباعره عليه، فلم يقبل ذلك.

وقدم الخبر أن نائب حلب أحواله تقتضى أنه قد خرج عن الطاعة.

وفى سادس عشرينه: سعد سعد الدين بن غراب إلى القلعة برسم النفقة، فأنفق فى نحو ألف من المماليك، فثاروا به، وقبضوا عليه، وضربوه وعوقوه فى مكان؛ ثم حطى عنه، فنزل إلى داره.

وفى هذا الشهر: خربت بغداد.

وفيه طمع العربان فى بلاد الشام ونهبوا ما فيها.

شهر ذى الحجة، أوله الأربعاء:

فى ليلة السبت رابعه: اختفى سعد الدين إبراهيم بن غراب، وأخوه فخر الدين ماجد وصهره - أخو زوجته - يوسف بن قُطْلُوبِك العلاى، وعدة من مماليكه، فلم يوقف لهم على خير.

وفى يوم السبت المذكور: فُرقت الأضاحى بالحوش من القلعة، على الأمراء وسائر أرباب الدولة، من القضاة والأعيان والمماليك السلطانية، وفى جهات البر من الجوامع والمدارس والخوانك والمشاهد والزوايا، وفى أرباب البيوت من أهل الستر، على العادة فى كل سنة. وفيه قدم إلى دمشق نائب حماة، وحریم تغرى بردى نائب الشام.

وفى سادسه: خلع على الأمير ناصر الدين محمد بن سُنُقُر البجكاوى، واستقر فى أستاذارية السلطان، عوضًا عن سعد الدين بن غراب، مضافًا لما معه من الذخيرة والأملاك. وأنعم عليه بإقطاع ابن غراب، وإقطاع ابن قُطَيْنة. فأرصد الدواليب، وإقطاع يلبغا السالمى للديوان المفرد. وأرصد إقطاع ابن قُطَيْنة لخزانة السلطان، يتصرف فيه الخازندارية بأمر السلطان.

وفيه استعفى الأمير سودن من زاده من وظيفة الخازندارية.

وفي سابعه: أضيف إلى الوزير علم الدين - الذى يقال له أبو كم - نظر الخاص مع الوزارة، عوضًا عن سعد الدين بن غراب، وخلع عليه بذلك. وخلع أيضًا على سعد الدين أبى الفرج بن بنت الملكى صاحب ديوان الجيش، واستقر فى نظر الجيش، عوضًا عن سعد الدين بن غراب. وفيه ورد الخبر أن نائب الوجه البحرى حضر إلى الإسكندرية، وطلب نائبها ليخرج إليه بسبب حفر الخليج فامتنع من الخروج إليه، فانصرف عنه.

فكتب إليه أنه إن حضر أحد يطلب الأمراء المسجونين، فليبادر بقتل الأمير يشبك، وإلقاء رأسه إليهم.

وفي تاسعه: ورد رسول مشايخ تروجة بقدم سعد الدين بن غراب إليهم، ومعه مثال سلطانى باستخراج الأموال ومسيرهم معه إلى الإسكندرية، وإخراج يشبك والأمراء من السجن، ليحضروا إلى القاهرة بهم. فخلع على الرسول، وكتب معه بأخذ ابن غراب ومن معه وإرسالهم إلى القاهرة. وقدم كتاب أرسطى نائب الإسكندرية بأن سعد الدين بن غراب طلب زعران الإسكندرية، فخرج إليه أبو بكر المعروف بسلام الخدام بالزعر إلى تروجه، فأعطى كل واحد منهم مبلغ خمسمائة درهم، وقرر معهم قتل النائب. فلما بلغ النائب ذلك، وقدموا إلى الإسكندرية، قبض على جماعة منهم، وقتل بعضهم، وقطع أيدي بعضهم، وضرب غلام الخدام بالمقارع، وأنه ظفر بكتاب ابن غراب إلى بعض تجار الإسكندرية وجهزه، وفيه أنه يجتمع بالنائب ويؤكد عليه أن لا يقبل ما يرد عليه من أمراء مصر فى أمر يشبك ومن معه، وأنه يجعل باله لا يجرى له ما جرى على ابن عرام فى قتله الأمير بركة. وورد كتاب مشايخ تروجة بسؤال الأمان لابن غراب، فكتب له السلطان أمانًا، وكتب له الأمراء أيضًا - ما خلا الأمير حكيم - فإنه كتب إليه كتابًا ولم يكتب أمانًا.

وخلع على على بن غريب الهوارى، وعثمان بن الأحذب، وعملا فى الإمرة على هوارة ببلاد الصعيد، عوضًا عن محمد بن عمر بن عبد العزيز الهوارى، وسارا. واستقر بهاء الدين أرسلان نقيب الجيش، حاجبًا.

وفي سادس عشره: خلع على الصاحب الوزير علم الدين، واستقر وكيل الخاص. وخلع على الأمير ناصر الدين محمد بن الطبلاوى والى القاهرة، وأضيف إليه ولاية القرافة.

وفيه رحل تمرلنك عن بغداد، بعدما هدمها.

وفيه قدم رسل أبى يزيد بن عثمان - ملك الروم - بهدية، فيها عشرة ممالك، وعشرة أرؤس من الخيل، وعشر قطع من الجوخ، وشاربان (١) من الفضة، وعشر قطع فضة، ما بين أطباق وغيرها، وعدة هدايا إلى الأمراء؛ فقرأ كتابه فى العشرين منه.

وفى حادى عشرينه: قدم سعد الدين بن غراب إلى القاهرة ليلا، ونزل عند صديقه جمال الدين يوسف أستاذار بجاس، وهو يومئذ أستاذار سودن طاز أمير أخور. فتحدث له مع سودن طاز، وأوصله إليه، فأكرمه وأنزله عنده يومى الثلاثاء والأربعاء، واسترضى له الأمراء وأحضره فى يوم الخميس ثالث عشرينه إلى مجلس السلطان، فقبل الأرض وخلع عليه جبة حرير مطرزة على عادته، واستقر فى الأستادارية، ونظر الجيش، ونظر الخاص على إقطاعه، وأضيف إليه الذخيرة ودوايب خاص الخاص.

وعُزل ناصر الدين محمد بن سنقر، ونزل إلى بيت الأمير حكيم الدوادار، فمنعه من الدخول إليه ورده، فصار إلى داره. وما زال حتى دخل مع الأمير سودن من زادة إلى عند الأمير حكيم، فقبل يده، فلم يكلمه كلمة، وأعرض عنه، فرضاه بعد ذلك.

وفى يوم الخميس سلخه: أنفق الأمير القاضى سعد الدين بن غراب تنمة النفقة على الممالك السلطانية، فأعطى كل واحد ألف درهم، وعندما نزل من القلعة أدركه عدة من الممالك السلطانية، ورجموه بالحجارة يريدون قتله، فبادر إلى بيت الأمير نوروز واستجار به، فأجاره، حتى انصرف الممالك عن بابه، وتوجه إلى داره.

وفيه نودى على النيل بزيادة ثمانية وأربعين إصبعا، وتأخر عليه من الوفاء ست عشرة إصبعا، وفاها فى الليل، وبلغ الدينار المصرى إلى أربعين درهماً ثم انحط، وبلغ الأفرنتى إلى سبعة وثلاثين ثم انحط.

وفى هذا الشهر: كانت وقعة بين الأمير نعيم وبين نائب حلب.

* * *

ومات فى هذه السنة

قاضى القضاة موفق الدين أحمد بن قاضى القضاة ناصر الدين نصر الله بن أحمد بن محمد بن أبى الفتح بن هاشم بن إسماعيل بن إبراهيم العسقلانى الحنبلى، فى ثانى عشر رمضان، وكان مشكورا.

(١) الشاربان فى السيف: أسفل القائم، أنفان طويلان، وهو يكون من حديد وفضة وادم. ينظر لسان العرب (شرب).

ومات قاضي القضاة شهاب الدين أحمد بن عبد الله النحريري المالكي، وهو معزول، في ثاني عشر رجب.

ومات ناصر الدين محمد بن تقي الدين عمر بن نجم الدين محمد بن نجم الدين أبي القسم هبة الله بن عبد المنعم بن محمد بن الحسن بن علي بن أبي الكائب بن محمد بن أبي الطيب العجلي الدمشقي الشافعي، كاتب سر دمشق، يوم الأحد سادس عشرين رجب، في العقوبة بيد التمرية. ولي كتابة سر حلب وطرابلس ودمشق مرات، وأقام بالقاهرة مدة.

ومات الأمير شهاب الدين أحمد بن الحاج عمر بن الزين والى القاهرة، في ثاني عشر ربيع الأول.

ومات شهاب الدين أحمد بن أسد بن طرخان الملكاوى الشافعي بدمشق، في نصف رمضان.

ومات الأمير سيف الدين أسنْبغا العلاى، دوادار الملك الظاهر، في سادس عشر جمادى الأولى.

ومات أمير فرج الحلبي، نائب الإسكندرية بها، في آخر ربيع الأول.

ومات الأمير سيف الدين المعروف بسيدى أبي بكر بن الأمير شمس الدين سنقر ابن أخي بهادر الجمالى، في ثالث عشر جمادى الآخرة.

ومات أبو بكر بن الملك الأشرف شعبان بن حسين بن محمد بن قلاوون في ثالث عشر ربيع الآخرة.

ومات الأمير سيف الدين بجاس النوروزى، في ثاني عشر رجب.

ومات الأمير سودن نائب الشام في آخر رجب، ودفن خارج دمشق بقيده، وهو في أسر تمرلنك.

ومات تقي الدين عبد الله بن يوسف بن أحمد بن الحسين بن سليمان بن فزارة الدمشقي الحنفي، عرف بابن الكُفري قاضي القضاة الحنفية بدمشق، في العشرين من ذى القعدة، في محنة تمرلنك.

ومات الوزير كريم الدين عبد الكريم بن عبد الرزاق بن إبراهيم بن مكاس، في خامس عشرين جمادى الآخرة، وهو مصروف عن الوزارة.

ومات العلامة علاء الدين على بن محمد بن عباس بن فتیان البعلبكيّ الدمشقيّ،
عُرف بابن اللحام الحنبليّ، يوم عيد الفطر.

ومات نور الدين على بن عبد العزيز بن أحمد بن الخروبيّ التاجر الكارميّ، في ثاني
عشر رجب.

ومات قاضي القضاة نور الدين على بن يوسف بن مكّي، المعروف بابن الجلال
الدميريّ، المالكيّ، باللجون من طريق دمشق، في جمادى الأولى.

ومات الفقيه الجندی قطلوبغا الحنفيّ، أحد أعيان الحنفية، في نصف جمادى الأولى.

ومات قاضي القضاة بدر الدين محمد بن أبي البقاء محمد بن عبد البر الخزرجي
السبكيّ الشافعيّ، وهو مصروف عن القضاء، في سابع عشر ربيع الآخر.

ومات شرف الدين محمد بن محمد الدمامينيّ، قاضي الإسكندرية بها، في آخر
الحرم.

ومات شيخ المالكية شمس الدين محمد بن محمد بن إسماعيل بن المكين مدرس
الظاهرية المستجدة بين القصرين، في ثاني عشر ربيع الآخر.

ومات بدر الدين محمد الأقفهسيّ، ناظر الدولة، في ثالث عشر ربيع الآخر.

ومات قاضي القضاة جمال الدين يوسف بن موسى بن محمد الملطبيّ الحنفيّ، وهو
قاضي، في تاسع عشر ربيع الآخر، ومولده سنة ست وعشرين وسبعمائة.

وهلك بحلب وحماة ودمشق وأعمال الشام في محنة تمرلنك، بالجوع والقتل
والحريق، وفي الأسر، عشرات آلاف آلاف.

ومات قاضي القضاة صدر الدين أبو المعالي محمد بن إبراهيم بن إسحق بن إبراهيم
ابن عبد الرحمن السلمى المناوى الشافعيّ، وهو في الأسر مع تمرلنك غريقاً بنهر الزاب،
بعد ما مرت به محن شديدة.

ومات بدر الدين محمد بن محمد بن مُقلّد القدسيّ الحنفيّ، قاضي الحنفية بدمشق.
ومات بغزة، في ربيع الأول. ومولده سنة أربع وأربعين وسبعمائة وكان قد أقام بالقاهرة
مدة، وفيها ولي قضاء دمشق، فلم تشكر مباشرته. وكان أولاً ينوب في الحكم
بدمشق، وأفتى، ودرس، وبرع في الفقه، وشارك في العقلية.

ومات الملك الأشرف إسماعيل بن الأفضل^(١) عباس بن المجاهد على بن المؤيد داود ابن المظفر يوسف بن منصور عمر بن علي بن رسول، في ليلة السبت ثامن عشر ربيع الأول، بمدينة تعز من بلاد اليمن، عن سبع وثلاثين سنة. ولى سلطنة اليمن بعد أبيه، في سنة ثمان وسبعين وسبعمائه. حتى مات. وكان حليماً، كثير السخاء، مقبلاً على العلم، محباً للغرباء، وصنف تاريخاً لليمن. قدم علينا إلى القاهرة ووقفت عليه، وقام بمملكة اليمن بعده ابنه الملك الناصر أحمد.

ومات نور الدين علي بن يحيى بن جميع الطائي الصعدي، كبير تجار اليمن بعدن أمين، في ليلة عيد الفطر، وقد جاوز الستين، وكان مكيناً عند الأشرف.

ومات برهان الدين إبراهيم بن علي التادلي قاضي القضاة المالكية بدمشق، يوم الثلاثاء ثامن عشر جمادى الأولى، في الحرب مع أصحاب تمرلنك. ومولده سلخ سنة اثنتين وثلاثين وسبعمائه، ولى قضاء دمشق بعد المازوني سنة ثمان وسبعين، ثم صُرف وأعيد، فكانت ولايته التي مات فيها هي العاشرة. وكان قوى اليقين، فاضلاً.

ومات تاج الدين أحمد بن محمد بن عبد الله ويعرف بابن الخراط الإسكندري المالكي بالثغر، في عاشر صفر، حدث بكتاب التيسير في القراءات عن العرادياشي، وبموطأ مالك عنه أيضاً.

ومات ملك دله من بلاد الهند، وهو فيروز شاه بن نصره شاه، وقام من بعده ابنه محمد شاه.

ومات قاضي الحنابلة بدمشق تقي الدين إبراهيم بن العلامة شمس الدين محمد بن مفلح^(٢) في شعبان، عن اثنتين وخمسين سنة. وكان فقيهاً واعظاً، إلا أنه قام في مصالحة الطاغية تيمور، فلم ينجح، ولم يُحمد.

* * *

(١) إسماعيل (الأشرف) بن العباس الأفضل بن المجاهد على بن المؤيد داود، من أبناء علي بن رسول من ذرية جيلة بن الأبهم، كما يقولون: ملك يمانى من ملوك الدولة الرسولية ولى بعد وفاة أبيه الملك الأفضل سنة ٧٧٨ وعاش محمود السيرة، استقام له الملك إلى أن توفي بتعز، واشتغل بفنون من الأدب والتاريخ والحساب. وألف كتباً كانت طريقته فيها أن يختار الموضوع ويجمع مادته أو بعضها ثم يأمر من يتمه ويعرض عليه فما ارتضاه أثبتته وما أباه حذفه وما وجدناه ناقصاً أكمله انظر العقود اللؤلؤية ١٦٣/٢ - ٢٣٠ وتاريخ ثغر عدن والضوء اللامع ٢/٢٩٩ والأعلام ١/٣١٦.

(٢) إبراهيم بن محمد بن مفلح الراميني الأصل، الدمشقي أبو إسحاق، برهان الدين: شيخ الحنابلة في عصره. من كتبه «طبقات أصحاب الإمام أحمد» و«كتاب الملاحة» انظر الدارس ٢/٤٧ والقلائد الجوهريّة ١٦١ والأعلام ١/٦٤١.

سنة أربع وثمانمائة

أهل المحرم بيوم الخميس:

فيه كان وفاء النيل ستة عشر ذراعاً، ففتح الخليج على العادة.
وأما الذهب فإن الدينار المختوم بستة وثلاثين درهماً، والأفرنتى بأربعة وثلاثين.
والأردب القمح من خمسين إلى ما دونها، والشعير بخمسة وعشرين، والأرز بمائة
وتسعين الأردب، والكتان كل رطل بدرهمين ونصف بعد درهم، والحملة الحطب -
وهي مائة وعشرة أرتال - بعشرة دراهم بعد درهمين.
وفي ثانيه: توجه الأمير زين الدين عبد الرحمن المهتار إلى بلاد الشام، في مهم
سلطاني.

وفي تاسعه: استقر الأمير أركُماس الظاهري نائب عين تاب في نيابة ملطية^(١)،
كان الأمير دمرداش نائب حلب قد عزله من نيابة عين تاب^(٢)، فقدم إلى القاهرة
واستقر علاء الدين صهر يَلْبَك في كشف البحيرة، وخُلع على سعد الدين بن غراب
عند تكملة النفقة على الماليك السلطانية.

وفي سادس عشره: استقر شمس الدين محمد بن البنا في نظر الأحباس، وصُرف بدر
الدين حسن بن الداية. واستقر الصارم في ولاية مصر، وعُزل الضاني.
وفي حادي عشرينه: أوّل الأمير الكبير نوروز لعرضه على سارة ابنة الملك الظاهر،
فذبح ثلاثمائة رأس من الغنم، وستة عشر فرساً.

وفي ثالث عشرينه: استقر الأمير أبو يزيد - أحد الحجاب - بإمرة عشرة.
وفي سابع عشرينه: استقر شهاب الدين أحمد بن الجواشني في قضاء الحنفية
بدمشق، عوضاً عن شمس الدين محمد بن القطب.

وفي أول صفر: قدم الخبز بأن الأمير تغرى بردى نائب دمشق اختفى.
وذلك أن السلطان كان قد كتب إلى أمراء دمشق بالقبض عليه، فلما أحس بذلك،

(١) من الثغور الجزرية بالشام وهي المدينة العظمى وكانت قديمة وضربتها الروم فبناها أبو جعفر
ويخرج منها سيحان وهو نهر أذنة. وفتح ملطية عنوة حبيب بن مسلمة الفهري. انظر الروض المعطار
في خبر الأقطار ٥٤٥ واليعقوبي ٣٦٢ وآثار البلاد ٥٦٤ والكوفي ٤٦ حوقل ١٦٦ ومعجم البلدان
٢٠٢/٤، ٢٠٣ وصبح الأعشى ١٣٢/٤.

(٢) عين تاب قلعة حصينة ورستاق بين حلب وأنطاكية وكانت تعرف بدلوك من أعمال حلب
انظر، معجم البلدان ١٧٦/٣.

فر من دمشق فى ليلة الجمعة ثانى عشرين المحرم، فى نفر يسير فتعين لنيابة دمشق عوضاً عنه الأمير آقبغا الجمالى أتابك دمشق، والأمير تمرىغا المنجكى لنيابة صفد، عوضاً عن دقماق. ونقل دقماق لنيابة حلب، وعُزل دمرداش عنها. فورد الخير بالتحاق تغرى بردى بدمرداش فى حلب.

وفى خامسه: كتب توقيع باستقرار بنجم الدين عمر بن حجى فى قضاء القضاة الشافعية بحماة^(١) وتوقيع بنقل علاء الدين على بن مغلى قاضى الحنابلة بحماة، إلى قضاء الحنابلة بحلب.

وفى عشرينه: جهز تشريف الأمير آقبغا بنيابة دمشق، على يد غنحق.

وفى رابع عشرينه: خلع على الصاحب علم الدين يحيى - المعروف بأبوكم - خلعة استمرار. وذلك أنه كان لكثرة طلب كُلف الدولة منه، وعجزه، اختفى، فلما ظهر خلع عليه. وورد الخير أن دمرداش نائب حلب قبض على الأمير خليل بن قراجا بن دلغادر - زعيم التركمان - وسجنه. فلما قدم عليه تغرى بردى - نائب دمشق - شفع فيه، فأفرج عنه وعن من معه، وهم نحو الخمسين رجلاً.

وفيه رسم للأمر سؤدن الحمزاوى بنيابة صفد وسبب ذلك أنه اختلف مع الأمراء الكبار وهم: نوروز، وجكم، وسؤدن طاز، وتمرىغا المشطوب، وقانى باى العلاى؛ فانقطعوا عن الخدمة السلطانية من أول صفر، وعزموا على إثارة الحرب. فلبس الحمزاوى للحرب فى داره، واجتمع إليه من يلوذ به. وكان الأمراء قد عينوا للخروج من ديار مصر ثمانية أنفس وهم: الحمزاوى، وسؤدن بقجة، وهما من أمراء الطبلخانة، ورعوس نوب، وأزبىك الدوادر، وسؤدن بشتا، وهما من أمراء العشراوات، وقانى باى الخازندار، وبردى باك، وهما من الخاصكية، وآخرين من الممالىك الخاصكية، ثم مشى الحال بينهم وبين الأمراء، واصطلحوا على خروج الحمزاوى لنيابة صفد، وإقامة الباقين من غير حضورهم الخدمة، وحلف الأمراء والممالك السلطانية على الطاعة والاتفاق.

وفيه سار القاصد بتشريف دقماق لنيابة حلب.

وفى خامس عشرينه: استقر حسن بن قراجا فى ولاية الجيزة^(٢) وعزل عمر بن

الكورانى.

(١) حماة مدينة كبيرة من أعمال حمص، بينها وبين شيرز نصف يوم، وبينها وبين دمشق خمسة

أيام. انظر معجم البلدان ٢/٣٠٠، ٣٠١.

(٢) بالزاي، اختطها عصر عمرو بن العاص فى زمان عمر بن الخطاب، والجيزة قرية كبيرة جميلة

البنيان على نيل مصر. انظر الروض المعطار فى خير الأقطار ١٨٣ وصبح الأعشى ٣/٣٩٢ وخطط

المقرئى ١/٢٠٥، ومعجم البلدان ٢/١١٧.

وفي سابع عشرينه: خلُع على سودن الحمزواى لنيابة صغد، عوضاً عن دقماق المنتقل لنيابة حلب.

وفيه قدم الأمير أَلطُنْبِغا العثماني نائب صغد، والأمير بهاء الدين عمر بن الطحان نائب غزة من أسر تمرلنك، وذكروا أنهما فارقاها من أطراف بغداد.

وفي هذا الشهر: كانت كائنة طرابلس^(١) وذلك أنه قدم إليها فى يوم الإثنين عاشره مركب فيه عدة من الفرنج، فخرج الناس لحربهم، وكان بالميناء مراكب لتجار الفرنج، فاجتمعوا على مراكب المسلمين التى قد شحنت بالبضائع لتسير إلى أرض، وأخذوا منها مركبين، فيهما مال كبير، وأسروا خمسة وثمانين مسلماً، بعدما قاتلوا قتالا شديداً وغرق جماعة وفر جماعة، وأصبحوا من الغد على الحرب، فوقع الاتفاق على فكك من أسروه بمال يحمل إليهم. فلما حُمل إليهم بعض المال أسروا الرجل، ومضوا فى ليلة الخميس خامس عشره، ونزلوا على قرية هناك فقَاتَلَهُمْ أميرها، وقبضهم وجاء بهم إلى طرابلس، فسجنوا، وأخذ المسلمون مركبهم.

شهر ربيع الأول، أوله الإثنين:

فى خامسه: لبس آقبغا خلعة بنيابة الشام، وقد وصلت إليه من القاهرة إلى دمشق، وقرئ تقليده.

وفى عاشره: قدم الأمير دُقماق من صغد إلى دمشق، يريد حلب، وقد استقر فى نيابتها، فخرج الأمير آقبغا إلى لقائه، وأنزله بالميدان، وصحبة متسفره كتاب السلطان يطلب الأمير دمرداش نائب حلب إلى مصر، ويتوجه الأمير تغرى بردى نائب الشام إلى القدس، بعد ما أحيط بموجوده فى دمشق.

وفى ثانى عشره: سار دقماق من دمشق يريد حلب^(٢).

وفى نصفه: طلع الأمير نوروز إلى الخدمة، بعدما انقطع عنها زيادة على شهر، فخلع عليه وعلى الأمير سودن طاز، وخلع على الأمير أَلطُنْبِغا العجمى والى دمياط، واستقر كاشف الوجه القبلى، عوضاً عن الأمير جَنَّتْمُر الطرنطاى بحكم وفاته.

وفى ثانى عشره: طلع الأمير حكيم إلى الخدمة، بعدما انقطع عنها مدة شهرين، وخلع عليه.

(١) انظر معجم البلدان. ١٨٨/٤.

(٢) حلب مدينة عظيمة واسعة كثيرة الخيرات. انظر معجم البلدان ٢٩٠/٢٨٢/٢.

وفيه استقر شمس الدين محمد الشاذلي الإسكندراني في حسبة القاهرة، وعُزل
البيحانسي.

وفيه نودي في دمشق بخروج العسكر لقتال دمرداش بحلب.

وفي يوم الخميس خامس عشرينه: استقر فخر الدين ماجد بن غراب في نظر
الخاص برغبة أخيه سعد الدين إبراهيم بن غراب له عن ذلك.

وفي سابع عشرينه: استقر تاج الدين بن الحزين مستوفى الدولة، في الوزارة
بدمشق.

شهر ربيع الآخر، أوله الثلاثاء:

في ثالته: استقر تاج الدين محمد بن أحمد بن علي - عرف بابن المكلفة - ربيب ابن
جماعة، في حسبة مصر، وعُزل نور الدين البكري.

وفي خامسه: استقر الأمير جُمُوق رأس نوبة دوادارًا ثانيًا، عوضًا عن الأمير جركس
المصارع، واستقر تنباك الخاصكي دوادارًا.

وفي سابعه: استقر في نظر الأحباس بدر الدين محمود العيتابي، عوضًا عن شمس
الدين بن البناء، بحكم وفاته. وخُلع على الأمير سلمان لنيابة الكرك، عوضًا عن الأمير
جركس والد تنم.

وفي خامس عشره: كتب توقيع شمس الدين محمد بن عباس الصلّتي نائب قاضي
غزة باستقراره في قضاء القضاة الشافعية بدمشق، عوضًا عن شمس الدين محمد بن
الأخناي.

وفي سابع عشره: استقر الأمير مبارك شاه - الحاجب وكاشف الجيزة - وزيرًا،
وصُرف علم الدين يحيى أبوكم، وقبض عليه، وسلم إلى شاد الدواوين ليعاقبه.

وفي حادي عشرينه: استقر أقتمر - أحد المماليك السلطانية - في ولاية القاهرة،
وعزل الأمير ناصر الدين محمد بن الطبلأوى.

وفي هذا الشهر: فرَّ من كان مع الأمير دقماق من التراكمين، وقد قرب دقماق من
حلب، فعاد بمن بقي معه إلى حماة، واستنجد الأمير آقغا نائب دمشق فأمدّه بطائفة.
فسار دمرداش من حلب، ولقى دقماق على حماة في يوم الخميس ثاني جمادى الأولى،
فانكسر بعد قتال طول النهار، وكثرت فيه الجراحات. فلم يمكن دمرداش العود إلى
حلب، من أجل أن الأمراء بها أخذوها للسلطان، ومر على وجهه، فعاد عسكر دمشق
إليها، وسار دقماق إلى حلب فتسلمها.

وفي ثاني عشره: قبض بدمشق على شمس الدين محمد الأحنأى قاضى دمشق، ونودى بالكشف عليه، فكثرت شاكوه باستيلائه على أملاك الناس وأوقافهم.

وقدم فى سادس عشرينه: إلى دمشق شمس الدين محمد بن عباس الصلتى - نائب قاضى غزة (١) متولياً القضاء عن الأحنأى، وأفرج عن الأحنأى، فى أول جمادى الآخرة.

وفى ليلة الجمعة تاسعه: ركب الأمير صروق نائب غزة. واقتتل هو والأمير سلامش الحاجب، والأمير جركس نائب الكرك (٢) فقتل بينهم عشرة أنفس، وجرح جماعة، وفر سلامش، وأخذ جركس أسيراً، فجمع سلامش لحرب صُروق، واستنجد بعمر بن فضل أمير حزم، فقام معه، وقدم فى جمع كبير إلى غزة فى رابع عشره، واقتتلوا مع صروق، فانهزم منهم فى يوم الخميس خامس عشره، فتبعوه، وقبضوا عليه، وقيدوه ونهبت غزة. وقتل بينهم نحو الخمسين رجلاً، وجرح نحو ثلاثمائة.

وفى يوم الجمعة سادس عشر سن شعبان: أقيمت الجمعة بالجامع الأموى بدمشق، وهو خراب منذ أحرقة التمرية، بعد ما نودى فيه الناس بذلك، فشهدتها جماعة. هذا وجميع مدينة دمشق خراب، لا ساكن بها. وقد بنى الناس خارجها، وسكنوا هناك، وصاروا ينقلون ما عساه يوجد بالمدينة من الأحجار ونحوها، ويبنى بذلك فى ظاهر المدينة، حتى أزالوا ما بقى من آثار الحريق، وصارت مدينة دمشق كيماناً.

وفى هذا الشهر: كتب باستقرار الأمير صروق فى كشف بلاد الشام، لدفع العريان عنها، فأوقع بهم، وأكثر من القتل فيهم.

وفى ثامن عشر رمضان: خرج الأمير دقماق نائب حلب لقتال الأمير دمرداش، وقدم دمرداش فى جماع التركمان، فأقبل الأمير نعيم لقتاله أيضاً، فانهزم، وأخذت أكثر أثقاله.

وفى يوم الإثنين خامس جمادى الآخرة: صُرف قاضى القضاة ناصر الدين محمد بن الصالحى عن قضاء القضاة بديار مصر. واستقر القاضى جلال الدين عبد الرحمن بن شيخ الإسلام سراج الدين عمر البلقىنى قاضى العسكر فى قضاء القضاة بديار مصر.

(١) مدينة فى أقصى الشام من ناحية مصر، وبينها وبين عسقلان فرسخان انظر معجم البلدان

(٢) هو من أعظم حصون النصارى معترض فى طريق الحجاز وهو من القلس على مسافة يوم أو أقل، وأهله يقطعون على المسلمين الطريق فى البر وهو حصن ومعقل مشهور بناحية انظر الشام الروس المعطار فى خير الأقطار ٢٠٢، ٢٠٣، ٤٩٢، ٤٩٣ ومعجم البلدان ٤/٤٥٣.

وفي ثامنهم: استقر الأمير أَلطِنبغا العثماني في نيابة غزة، عوضاً عن الأمير صروق.

وفي طول هذه الأيام: كثر تنافر الأمراء واختلافهم، وانقطع نوروز، وحكم، وقنباى عن الخدمة.

ودخل شهر رمضان: وانقضى، فلم يحضروا للهناء بالعيد، ولا صلوا صلاة العيد مع السلطان.

فلما كان يوم الجمعة ثاني شوال: ركبوا للحرب، فنزل السلطان من القصر إلى الإسطبل عند سودن طاز، وركب نوروز وحكم وقنباى، وقرقماس الرماح. ووقعت الحرب من بكرة النهار إلى العصر. ورأس الأمراء نوروز وحكم، وخصمهم سودن طاز.

فلما كان آخر النهار: بعث السلطان بالخليفة المتوكل على الله وقضاة القضاة الأربع إلى الأمير الكبير نوروز في طلب الصلح، فلم يجد بداً من ذلك، وترك القتال وخلع عنه آلة الحرب، فكف الأمير حكم الدوادار أيضاً عن الحرب. وعُد ذلك مكيدة من سودن طاز، فإنه خاف أن يُغلب ويسلمه السلطان إلى الأمراء، فأشار عليه بذلك حتى فعله، فتمت مكيدته بعدما كاد أن يؤخذ، لقوة نوروز وحكم عليه، وبات الناس في هدوء.

فلما كان يوم السبت الغد: ركب الخليفة وشيخ الإسلام البلقيني، وحلفوا الأمراء بالسمع والطاعة للسلطان، وإحماد الفتنة، فطلع الأمير نوروز إلى الخدمة في يوم الإثنين خامسه، وخلع عليه، وأركب فرساً خاصاً بسرج، وكنفوش ذهب. وطلع الأمير حكم في ثامنهم وهو خائف. ولم يطلع قنباى، ولا قرقماس، وطلبوا فلم يوجدوا، فجهز إليهما خلعتان، على أن يكون قنباى نائباً بحماة، وقرقماس حاجباً بدمشق. ونزل حكم بغير خلعة حنقاً وغضباً، فما هو إلا أن استقر في داره، ونزل إليه سرماش رأس نوبة، وبشباى الحاجب بطلب قنباى، ظنا أنه اختفى ليلبس الخلعة بناية حماة، فأنكر أن يكون عنده، وصرفهما، وركب من ليلته بمن معه من الأمراء والمماليك وأعيانهم: قُمَش الخاصكى الخازندار، ويشبك الساقى، ويشبك العثماني، وألطنبغا جاموس، وجانبباى الطيبى، وبرُسبغا الدوادار، وطُرُباى الدوادار، وصاروا كلهم على بركة الحبش خارج مصر. ولحق به الأمير قنباى، وقرقماس الرماح، وأرغز، وغنجق، ونحو الخمسمائة من مماليك السلطان. وأقاموا إلى ليلة السبت عاشره، فأتاهم الأمير نوروز، والأمير سودن من زاده رأس نوبة، والأمير تمربغا المشطوب، في نحو الألفين، فسر بهم وأقاموا جميعاً إلى ليلة الأربعاء، وأمُرهم يزيد ويقوى بمن يأتيهم من الأمراء والمماليك. فنزل السلطان من القصر في ليلة الأربعاء رابع عشره إلى الإسطبل عند سودن طاز. وركب بكرة يوم

الأربعاء فيمن معه، وسار من باب القرافة، بعد ما نادى بالعرض، واجتمع إليه العسكر كله. وواقع حكيم ونوروز، وكسرهما، وأسر ثمربغا المشطوب، وسودن من زاده، وعلى بن أنبال، وأرغر. وفر نوروز وحكّم في عدة كبيرة يريدون بلاد الصعيد. وعاد السلطان ومعه الأمير سودن طاز إلى القلعة مظفرًا منصورًا. وبعث بالأمرء المأسورين إلى الإسكندرية، في ليلة السبت سابع عشره. وانتهى نوروز وحكّم إلى منية القائد (١) وعادوا إلى طموه (٢)، ونزلوا على ناحية منبابه من بر الجيزة، تجاه القاهرة. فمنع السلطان المراكب أن تعدي بأحد منهم في النيل، وطلب الأمير يشبك الشعباني من الإسكندرية. فقدم يوم الإثنين تاسع عشره إلى قلعة الجبل، ومعه عالم كبير ممن خرج إلى لقائه، فباس الأرض ونزل إلى داره.

وفي ليلة الثلاثاء عشرينه: ركب الأمير نوروز نصف الليل، وعدى النيل، وحضر إلى بيت الأمير الكبير بيبرس الأتابك. وكان قد تحدث هو والأمير إينال باى بن قجماس له مع السلطان، حتى أمّنه ووعدته بنيابة دمشق. وكان ذلك من مكر سودن طاز، فمشى ذلك عليه، حتى حضر، فاختل عند ذلك أمر حكيم وتفرق عنه من معه، وفر عنه قنباى وصار فريداً. فكتب إلى الأمير بيبرس الأتابك يستأذنه فى الحضور، فبعث إليه الأمير أزيك الأشقر رأس نوبة والأمير بشباى الحاجب، وقدم به ليلة الأربعاء حادى عشرينه إلى باب السلسلة من الإصطبل السلطاني، فتسلمه عدوه الأمير سودن طاز وأصبح وقد حضر يشبك وسائر الأمراء للسلام عليه. فلما كانت ليلة الخميس ثانى عشرينه قيد وحمل فى الحراقة إلى الإسكندرية، فسجن بها حيث كان الأمير يشبك مسجوناً.

وفي يوم الخميس: هذا خرج الحمل وأمير الحاج نكباى الأزدمرى، أحد أمراء الطبلخاناه. وكان قد ألبس الأمير نوروز تشرىف نيابة دمشق فى بيت الأمير بيبرس يوم الأربعاء، فقُبض عليه من الغد يوم الخميس، وحُمِل إلى باب السلسلة، وقُيد، وأُخرج فى ليلة الجمعة ثالث عشرينه إلى الإسكندرية، فسجن بها أيضاً. وغضب الأميران بيبرس وإينال باى، وتركوا الخدمة السلطانية أياماً، ثم أرضيا. واختفى الأميران قانباى وقرقماس، فلم يعرف خبرهما.

وفي سابع عشرينه: كُتب تقليد الأمير شيخ المحمودى باستقراره فى كفالة السلطنة بالشام، عوضاً عن الأمير أقبغا الأطروش.

(١) منية القائد: قرية صغيرة من أعمال الجيزة، تنسب إلى منشئها القائد فضل بن صالح.

(٢) طموه بلدة من أعمال الجيزة انظر معجم البلدان.

شهر ذى القعدة، أوله السبت:

فى ثالثه: أنعم بإقطاع على الأمير اينال العلاى حطب رأس نوبة، وأخذ منه التحريرية. وإقطاع قنباى على علان الأقطع. وإقطاع تمرىغا المشطوب على الأمير بشباى الحاجب، فلم يرض به، فاستقر باسم قطلوبغا الكركى، على عادته أولاً. وبقي بشباى على طبلخانته. وأنعم بإقطاع حكيم على الأمير يشبك العثمانى على عادته أولاً، وأنعم على بيغوت بإمرة طبلخاناه، بعدما كان أمير عشرة. وعلى أسنبغا المصارع بطبلخاناه. وعلى سودن بثتا بطبلخاناه؛ نقلوا كلهم من العشراوات.

وفى سادسه: قدم الأمراء من سجن الإسكندرية، وهم: أقبای وقطلوبغا - الكركيان - وجركس المصارع، وصعدوا إلى القلعة، فباسوا الأرض على العادة، ونزلوا إلى منازلهم.

وفيه استقر بدر الدين حسن بن أمدى - أحد الأجناد - فى مشيخة خانقاه سرياقوس، وعزل الفقيه أنبياء التركمانى.

وفى ثامنه: خلع على الأمراء القادمين من الإسكندرية.

وفى تاسعه: قدم كتاب السلطان بعزل الأمير آقبغا، فانعزل. وكانت مدة نيابته تسعة أشهر تنقص خمسة أيام. وتوجه إلى القدس بطالا فى سابع عشره، فقدم متسلم الأمير شيخ لدمشق، وأمر الناس بملاقة شيخ بالسلاح وهيئة القتال.

وفى ثامن عشره: لعب الأمراء بالأكرة فى بيت الأمير الكبير بييرس، فاجتمع من المماليك السلطانية فوق الألف تحت القلعة، يريدون الفتك بسودن طاز. فعند ما خرج من بيت بييرس هموا به، فساق ولحق بباب السلسلة، وامتنع بالإصطبل.

وفيه نفى الأمير يلغا السلمى إلى دمياط.

وفى رابع عشرينه: خلع على الأمير الكبير بييرس الأتابك خلعة الاستمرار على الأتابكية، وخلع على الأمير يشبك، واستقر دودار السلطان عوضاً عن حكيم. وخلع على ناصر الدين محمد الطناحى إمام السلطان ومؤدبه، واستقر فى نظر الأحباس عوضاً عن البدر محمود العيتابى.

وفيه توجهت الأمراء إلى عرب تروجة، وتأخر الأمير بييرس والأمير بشباى، وقدموا ليلة عيد النحر من غير شىء.

وفي أول ذي الحجة: كُتب إلى الأمير قرايوسف يُخَيَّر في مكان يأوى إليه هو وجماعته، ليكتب له به. وُجهز إليه فوقاني حرير بوجهين، وطرز زرکش عرض ذراع، وألف دينار، وتعبئة قماش عدة خمسين قطعة، وإلاخوته فرعلى وترعلى، ولولده محمد شاه، ولألزاه أقبية حرير بطرز زرکش.

وفي يوم السبت رابع عشر ذي الحجة: استقر الأمير أقبای الكرکی خازنداراً على عادته.

وفيه قدم الأمير شيخ المحمودى نائب الشام إلى دمشق من غير مدافع، فنزل بها، وولى جماعة من أصحابه عدة وظائف.

وفي سادس عشره: خلع على الأمير يشبك الدوادار بنظر الأجباس، على عادته.

وفي ثالث عشرينه: استقر الأمير ناصر الدين محمد بن على بن كلفت التركمانى فى ولاية القاهرة والحجوبية، وصرف أقتمر. واستقر ناصر الدين محمد بن ليلى فى ولاية مصر، عوضاً عن ناصر الدين محمد الضانى.

وفي سادس عشرينه: استقر ولى الدين عبد الرحمن بن خلدون المغربى فى قضاء المالكية، وصرف جمال الدين يوسف بن خالد بن نعيم مقدم بن محمد بن حسن بن غانم ابن محمد بن على البساطى.

وفي يوم الإثنين سلخه: استقر الأمير جُمُك الدوادار فى نيابة الكرك، عوضاً عن سلمان. واستقر الأمير علان الأقطع أحد المقدمين فى نيابة حماة، وعزل عنها يونس الحافظى، فشق ذلك على سودن طاز، من أجل أنهما كانا عضديه، وكُتب باستقرار الأمير دمرداش المحمدى فى نيابة طرابلس، والأمير على باك بن دلغادر فى نيابة عين تاب، والأمير عمر بن الطحان فى نيابة ملطية. وكانت الأخبار وردت بتجمع التركمان مع دمرداش ونزولهم على حلب، وأن دقماق نائب حلب اجتمع هو ونائب حماة والأمير نعيم، وأن تمرلنك نزل على مدينة سيواس.

ولم يحج فى هذه السنة أحد من الشام ولا العراق.

* * *

ومات فى هذه السنة

الشيخ فخر الدين عثمان بن عبد الرحمن بن عثمان البلييسى الضرير، إمام الجامع الأزهر، وشيخ القراءات بديار مصر، فى ثانى ذى القعدة.

ومات شرف الدين عبد الوهاب بن تاج الدين محمد بن محمد بن عبد المنعم البارنبارى، موقع الدرج، فى حادى عشر ذى الحجة، وكان أبوه تاج الدين كاتب السر بطرابلس.

ومات شمس الدين محمد بن البنا ناظر الأحباس فى خامس ربيع الآخر.

ومات الأمير جنتمر التركمانى الطرنطاي، كاشف الوجه القبلى، فى منتصف صفر، قتله هوارة الصعيد، طائفة الأمير محمد بن عمر بن عبد العزيز الهوارى، فى نحو المائتين من عسكريه، ونهبوا سائر ما كان معه.

وكان أولاً من أمراء الشام وولى نيابة حمص وبعليك، وأسر مع تمرلنك، ثم قدم بعد أسره إلى القاهرة، وولى كشف الصعيد. وكان سمحاً طائشاً، عسوفاً، جباراً، ظالمًا، مفسدًا.

ومات الأمير علاء الدين على الشهير بابن الملكة والى منفلوط (١)، فى آخر ربيع الأول، قتله عرب بنى كلب.

وماتت الست خوند شقراء بنت حسين بن محمد بن قلاوون، أخت الملك الأشرف شعبان بن حسين، ليلة الإثنين ثامن عشر الحرم. ودفنت من الغد بمدرسة أم السلطان الأشرف بالتبانة خارج القاهرة.

ومات الشيخ لاجين الجركسى، فى رابع ربيع الآخر، عن ثمانين سنة. وكان عظيمًا عند الجراكسة، يزعمون أنه يملك مصر، ويشيعونه، فلا يتكتم هو ذلك. ويعد أنه إذا ولى أبطل الأوقاف التى أوقفت على المساجد والمدارس، وأخرج الإقطاعات عن الأجناد والأمراء، ويحرق كتب الفقه، ويعاقب الفقهاء. وعين جماعة لعدة وظائف، وحذر وأنذر، فأخذ الله دون ذلك.

ومات الشيخ المعتقد شهاب الدين أحمد بن محمد بن محمد بن الناصح بالنوب (٢) فى سابع عشرين رمضان. حدث بمسلم عن ابن عبد الهادى، وبأبى داود والترمذى عن الميديمى. وكان وجيهاً عند الملوك؛ وللناس فيه اعتقاد كثير.

ومات المسند شهاب الدين أحمد، بن المحدث بدر الدين حسن بن محمد بن محمد بن زكريا بن محمد بن يحيى القدسى.

* * *

(١) بلدة بالصعيد فى غربى النيل بينها وبين شاطيء النيل بعد. انظر معجم البلدان ١٣٤/٥.

(٢) النوب مكان من مصر وأشهره نوب طحا بمركز شيبين الكوم، ونوب طريق مركز

سنة خمس وثمانمائة

أهل الحرم يوم الأربعاء، والأردب القمح بستين درهماً، والأردب الشعير بأربعين درهماً، والمثقال الذهب بخمسين درهماً، والدينار الأفرنتى بسبعة وأربعين درهماً.

وفيه كانت وقعة الطاغية تيمور كركان ملك الشرق مع خوند كار أبى يزيد بن مراد بن عثمان ملك الروم. وملخص ذلك أنه سار من العراق إلى جهة بلاد الروم، فجمع ابن عثمان عساكره وعرضهم على مدينة آقشهر - يعنى المدينة البيضاء - فبلغ عدد الفرسان نحو السبعمئة ألف فارس، وثلاثمئة ألف راجل. ومات يوم العرض تحت الأقدام من الدوس فى الأزدهام خمسة وعشرون رجلاً. وسار يريد لقاءه نحو الخمسة عشر يوماً. فبعث إليه تمرلنك يحدده ويقول: «أنت رجل مجاهد غازى فى سبيل الله، وليس غرضى قتالك، ولكنى أريد منك أن تقنع بالبلاد التى كانت مع أهلك وجدك، وأخذ أنا بلاد الأمير أرطنا أمير الروم أيام السلطان أبى سعيد». فانخدع لذلك ومال إلى الصلح، فلم يشعر إلا بالخير قد ورد عليه أن تمرلنك نزل على كماخ^(١) وقتل أهلها وسباهم، وخربها. فعلم أنه ما أراد إلا مخادعته، وسار إليه حتى قرب منه، فكاده تمرلنك ورجع، فظن أبو يزيد أنه قد خافه. وإذا به سلك طريقاً من وراء أبى يزيد، وساق فى بلاد الروم مسيرة ثمانية أيام، ونزل على عمورية^(٢) - ويقال لها اليوم أنكورية - وحاصرها، وألقى فيها النيران، فبلغ ذلك ابن عثمان فساق فى عساكره إليه مدة ثمانية أيام، إلى أن أشرف عليه، وقد جهده التعب، وتقطعت عساكره، وتلفت خيولهم. فعندما وصل ركب تمرلنك إلى حربه فى أول يوم من الحرم هذا، وقد علم أنه وعساكره فى غاية التعب، فلم يجد بدا من محاربتة، فاقتتل كل منهما مع الآخر فى يوم الأحد خامسه من أول النهار إلى العصر، وتمرلنك مشرف على مكان مرتفع يرتب عساكره. وثبت كل من الفريقين حتى قُتل بينهما على ما قيل نحو الثمانين ألفاً، وتعين الغلب للروم على عساكر تمرلنك، حتى هموا بالهزيمة. فلما كان فى آخر النهار خرج كمين لتمرلنك، فيه نحو المائة ألف، وصدم الأمير سلمان بن أبى يزيد بن عثمان، فانكسر ولحق بأبيه فى ثلث العسكر، فانكشفت الميمنة، وانقلبت على القلب، وفر الأمير سلمان فى نحو مائة ألف يريد مدينة برصا تحت الملك. وأحاطت عساكر تمرلنك

(١) كماخ مدينة بالروم بينها وبين أذربيجان يوم واحد انظر معجم البلدان ٤/٤٥٢.

(٢) عمورية بلد من بلاد الروم. انظر معجم البلدان ٤/١٥٨.

عند ذلك بابن عثمان ومن ثبت معه، وأخذوه أسيراً، وجاءوا به إلى تمرلنك، وقد تفرقت جماعته، وتمزقوا كل ممزق، فلو لم يحل بينهم الليل، لما أبقى التمرية منهم أحداً، ولما جرىء بابن عثمان إلى تمرلنك أوقفه وأبنيه، ثم وكل به. وبعث من الغد فى تتبع المنهزمين، فأحضر إليه من الجرحى نحو الثلاثة آلاف. وتفرقت التمرية فى بلاد الروم، تعبت وتفسد وتنهب، وتنوع العذاب على الناس، وأحرقوا مدينة برصا. ومكثوا ستة أشهر يقتلون ويأسرون وينهبون ويفسدون. وعدى الأمير سلمان بن أبى يزيد بن عثمان إلى بر القسطنطينية (١).

وفى ثالث المحرم: أنعم بإقطاع علان نائب حماة على الأمير جركس المصارع، وإقطاع جُمُك نائب الكرك على الأمير آقبای الخازندار الكركى، وزيد عليه سمسطا (٢).

وفى سابعه: الأمير سُودن طاز أمير أخور من الإصطبل السلطانى بأهله وحاشيه إلى داره، وعزل نفسه عن الأمير أخوريه، وصار من جملة الأمراء.

وفى ثامنه: توجه الأمير عبد الرحمن المهتار إلى جهة الكرك فى مهمات.

وفى عاشره: استقر علاء الدين على بن أبى البقاء فى قضاء القضاة بدمشق، عوضاً عن ابن عباس. واستقر صدر الدين على بن الآدمى فى كتابة السر بدمشق، عوضاً عن الشريف علاء الدين على بن عدنان.

وفى خامس عشره: أوفى النيل، وذلك فى ثانى عشرين مسرى.

وفى سادس عشره: قدم الأمير تغرى بردى- نائب الشام كان - إلى دمشق، وقد فارق دمرداش ورغب فى الطاعة، فأنزله الأمير شيخ وأكرمه.

وفى سابع عشره: خرج علان وجُمُك من القاهرة وخيما بالريدانية، وسارا إلى نيابتهما فى ليلة السبت تاسع عشره. وعندما نزل الحاج إلى منزلة نخل قبض على الأمير نكبای أمير الحاج فى عدة من المماليك السلطانية، وسفروا إلى الكرك فسجنوا بها.

وفى خامس عشرينه: قدمت ولاية علاء الدين على بن أبى البقاء إلى دمشق

(١) كانت روما فى القديم دار مملكة الروم نزلها من ملوكهم تسعة وعشرون ملكا، ثم ملك بها قسطنطين الأكبر. ومدينة القسطنطينية ثلاث نواحي ناحتيان منها فى البحر الأعظم مما يلى القبلة والمشرق والمغرب والناحية الثالث مما يلى البر وفيه باب الذهب. انظر الروض المعطار فى خير الأقطار ٤٨١:٤٨٣ والتنبية والأشرف ١٣٨:١٤٢ وابن خرداذبه ١٠٩ وابن الفقيه ١٤٥ وآثار البلاد ٦٠٣ وابن الوردى ٥٠ ومعجم البلدان ١١٢/٣ ونزهة المشتاق ٢٥٦.

(٢) سمسطا بلد من أعمال البهنساوسية انظر معجم البلدان. ١١٢/٣.

باستقراره فى قضائها، عوضًا عن ابن عباس.

وفى ثامن عشرينه: ظهر الأمير قرقماس الرماح، وصعد إلى قلعة الجبل، فعفا السلطان عنه، ونزل إلى داره.

وفيه قبض بدمشق على الأمير أسن بيه أتابكها، وعلى الأمير جقمق حاجب الحجاب وغيره، فسجنوا بالصبيبة.

شهر صفر، أوله الأربعاء:

فى أوله: سار الأمير تغرى بردى من دمشق إلى القاهرة، فقدم فى آخره.

وفى ليلة الإثنين ثالث عشره: خرج الأمير سودن طاز بمماليكه وحواشيه إلى المرج والزيات خارج القاهرة، ونزل هناك ليقيم الفتنة. وذلك أنه لما ثقل عليه الأميران نوروز وجكم، ودبر فى إخراجهما من مصر - كما ذكر - ظن أنه ينفرد بأمر الدولة، فنزل عليه الأمير يشبك وجماعته، وانحصر لمجئتهم من الإسكندرية، وتحكمهم فى الدولة، وتلاشى أمره. وكان الأمير أقبای الكركى مع ذلك يعاديه قديمًا. فما زال يدبر عليه حتى نزل من الإصطبل، خوفًا على نفسه من كثرة جموع يشبك وجرأة أقبای، وميل السلطان معهم عليه. فعندما نزل، شق عليه فطامه عن التحكم، وكفه عن الأمر والنهى، فخرج ليأتى إليه المماليك السلطانية وغيرهم، ويحارب بهم يشبك وطائفته، ويخرجهم من مصر، أو يقبض عليهم، ويستبد بعدهم بالأمر، فجاء حساب الدهر غير حسابه، ولم يخرج إليه أحد، وولى السلطان عوضه فى الإصطبل الأمير إينال باى بن قجماس، وخلع عليه فى يوم الإثنين عشرينه، واستقر أمير أخور، وسكن فى الحراقة بباب السلسلة على العادة فى ذلك.

وبعث السلطان إلى سودن طاز بالأمير قطلوبغا الكركى يأمره بالعود على أمرته من غير إقامة فتنة، وإن أراد البلاد الشامية فله ما يختار من نيابات السلطنة بها، فامتنع وقال: لا بد من إخراج أقبای الكركى أولاً إلى بلاد الشام، ثم إذا خرج كان فى طاعة السلطان، فإن شاء أقره على إمرته، وإن شاء أخرجه، وإن شاء حبسه. فلم يوافق السلطان على إخراج أقبای، وبعث إليه ثانيًا الأمير بشباى الحاجب فلم يوافق، فبعث إليه مرة ثالثة، وهو مقيم على ما قال. فلما أيس منه السلطان أن يوافق ركب بالعساكر من قلعة الجبل، وقد لبسوا للحرب، ونزل فى يوم الأربعاء سادس ربيع الأول، فلم يثبت سودن طاز، ورحل بمن معه، وهم نحو الخمسمائة من المماليك السلطانية ومماليكه. وقد ظهر الأمير أقبای، ولحق به من نحو عشرة أيام، وصار من حزبه وفريقه،

فتبعه السلطان، وهو يظن أنه توجه نحو بلييس^(١). وعندما حاذى سرياقوس مضى إليها، وسلك على الخليج إلى جهة القاهرة، وعبر من باب البحر بالمقس إلى الميدان. وهجم قنباى فى عدة كبيرة على الرميلة^(٢) تحت القلعة، ليأخذ باب السلسلة، فلم يقدر على ذلك.

ومر السلطان وهو سائق على طريق بلييس، ففرقت عنه العساكر، وتاهوا فى عدة طرق، فبلغ السلطان وهو سائق أن سودن طاز قد نزل يحاصر القلعة فرجع مسرعاً، وسار يريد القلعة حتى وصل إليها بعد العصر، وقد بلغ منه التعب مبلغاً عظيماً، ونزل بالمقعد المثل على الرميلة وسوق الخيل. وندب الأمراء والمماليك لقتال سودن طاز، فقاتلوه فى الأزقة طعناً بالرماح ساعة، فلم يثبت وانهزم، وفد جرح من الفريقين كثير، فحال الليل بين عساكر السلطان وبينه. وتفرق من كان معه فى الدور، وبات السلطان ومن معه على تخوف.

فلما كان يوم الخميس سابعه: لم يظهر لسودن طاز وقنباى خير إلى الليل، فلم يشعر الأمير يشبك بعد عشاء الآخرة إلا بسودن طاز قد دخل عليه داره فى ثلاثة أنفس، وترامى عليه، فقبله، وبالغ فى إكرامه، وأنزله عنده.

وأصبح يوم الجمعة: فكتب وصيته، وأقام فى ليلة الأحد عاشره، فأنزله فى الحراقة، وحمل إلى دمياط بغير قيد، ورتب له بها ما يكفيه، وأنعم عليه الأمير يشبك بألف دينار ذهباً مكافأة له على ما كان من سعيه فى إخراجه من سجن الإسكندرية، وعوده إلى رتبته بعد نوروز وحكم. وأما قنباى فإنه اختفى، فلم يوقف له على خير.

وفى رابع عشره: خلع على الأمير يلبغا السودانى، أحد أمراء حلب، واستقر أتاكب دمشق، عوضاً عن الأمير أسن باى التركمانى بعد القبض عليه. وخلع أيضاً على الأمير سودن الظريف نائب الكرك، واستقر حاجب الحجاب بدمشق عوضاً عن الأمير جقمق الصفوى بعد القبض عليه أيضاً.

وقدم الخبر بأن الأمير دمرdash نائب حلب نزل إلى طرابلس واستقر بها عوضاً عن الأمير شيخ الحمودى. وكان قد خرج قُصَّاد السلطان بطلب كل من دمرdash نائب حلب، وتغرى بردى نائب دمشق من عند التركمان، وقد نزلوا فى جواريههم بعد

(١) مدينة بينها وبين فسطاط مصر عشرة فراسخ على طريق الشام انظر معجم البلدان ٤٧٩/٢.

(٢) الرميلة منزل فى طريق البصرة إلى مكة بعد ضربه نحو مكة ومنها إلى الأبرقين انظر معجم

عزلهما، فتوجه الأمير سودن بقجة رأس نوبة إلى دمرداش، وأظهر له ولاية طرابلس، وسار به إليها. وأما تغرى بردى فإنه قدم إلى قلعة الجبل فى آخر صفر.

وفى خامس عشر ربيع الأول: توجه الشريف جماز بن هبة بن جماز (١) الحسينى من القاهرة إلى المدينة النبوية أميراً بها، عوضاً عن ابن عمه ثابت بن نعيم. وكان جماز قد عُزل فى سنة تسع وثمانين وسبعمائة، وحُمل قلعة الجبل إلى وسجن بها، وولى عوضه ثابت. فلم يزل فى السجن إلى أن أفرج عنه وعن الشريف عنان بن مغامس الحسينى أمير مكة. وخلع على جماز بإمرة المدينة. ومرض عنان فمات فى مرضه.

وفى خامس عشرينه: قدم الأمير سودن الحمزاوى من صفد إلى قلعة الجبل باستدعاء، مع الطواشى عبد اللطيف اللالا، وسعى الأمير أقبای الكركى له لصداقة بينهما، حتى يقوى به عضده.

وفى يوم الجمعة ثالث عشر ربيع الآخر: أعيد أنبياء التركمانى إلى مشيخة خانقاه سرياقوس، عوضاً عن بدر الدين حسن بن على بن آمدى.

وفى سادس عشره: خُلع على الأمير شيخ السليمانى شاد الشراب خاناه، واستقر فى نيابة صفد عوضاً عن سودن الحمزاوى. وأنعم على سودن الحمزاوى بإمرة مائة وتقدمة ألف بديار مصر، فصار من جملة الأمراء الأكابر. وأنعم أيضاً على الأمير تغرى بردى نائب الشام بتقدمة ألف بديار مصر.

وفى سابع عشره: أخرج الأمير قرقماس الرماح إلى دمشق، على إمرة الأمير صُروق.

وفى عشرينه: خلع على سودن الحمزاوى، واستقر شاد الشراب خاناه عوضاً عن الشيخ السليمانى.

وفى يوم الخميس ثالث جمادى الآخرة: استقر كريم الدين محمد بن نعمان الهوى فى حسبة القاهرة، وصرف شمس الدين محمد الشاذلى.

(١) جماز بن هبة بن جماز بن منصور الحسينى أحد من تولوا إمارة المدينة المنورة فى عهد ولاية السلطان برقوق بمصر، جاءته المراسيم منه وساءت سيرته فامتدت يده إلى قبة الحرم النبوى وأخذ بعض قناديلها واستولى على حاصل المدينة ورحل عنها فاغتاله بعض عربان مطير، فكان عيرة للناس. فقتلوه وهو نائم. انظر الأعلام ١٣٣/٢.

وفي هذا الشهر: ارتفعت الأسعار، فبلغ الدينار الهرجة خمسة وستين درهماً، والدينار المشخص ستين درهماً، وسبب ذلك تنقيص الفلوس، فإن القفة من الفلوس كان وزنها مائة رطل وخمسة عشر رطلاً، عنها خمسمائة درهم، كل درهم أربعة وعشرين فلساً، زنة الفلوس مثقال، فصارت القفة زنتها خمسين رطلاً. وغلت الأصناف، فبيع البدن من الفرو السنجاب - وهو أربع شقاق - بما ينيف على ألف درهم، بعد مائتين وخمسين درهماً. وكان قدم في أوله خواجا نظام الدين مسعود الكحجاني بكتاب تمرلنك، يتضمن أشياء، منها أنه إن وصل إليه أطلمش سار إلى سمرقند، فأفرج عن أطلمش في آخره. وأنعم عليه بمال وقماش، وجهاز مع الرسول المذكور، وخرج من القاهرة يوم الثلاثاء أول جمادى الآخرة إلى الريدانية، ورحل منها يوم الخميس، وسار إلى تمرلنك، بعد أن أقام مسجوناً نحو عشر سنين.

وفي يوم الإثنين سابع جمادى الآخرة: خُلع على سودن الحمزاوى شاد الشراب خاناه، واستقر خازن داراً عوضاً عن أقبای الكركى بعد وفاته.

وفي عاشره: استقر الأمير قطلوبك - المعروف بأستادار أيتمش - فى كشف الجيزية، وعزل الأمير مبارك شاه. ثم عزل قطلوبك عن ذلك، فى سابع عشره بالأمر بشباى الحاجب، فاستعفى بعد أيام، وأعفى.

وفي ثمانى عشرينه: قدمت ولاية شمس الدين محمد بن عباس قضاء دمشق، فولى عوضاً عن علاء الدين على بن أبى البقاء، وسعى شخص بالأمر قبباى أنه فى دار فكبس عليه الأربعاء ثالث عشرينه، وقبض وقيد، وحمل إلى الإسكندرية فى سابع عشرينه، فسجن بها.

وفيه ورد الخبر بأن سودن طاز خرج من ثغر دمياط (١) يوم الخميس رابع عشرينه فى طائفة، فخرج إليه فى يوم الإثنين تاسع عشرينه الأمير تغرى بردى، والأمير تماراز، والأمير يلبغا الناصرى، والأمير سودن الحمزاوى فى عدة أمراء، فبلغهم أنه نزل عند الأمير علم الدين سليمان بن بقر بالشرقية، ليساعده على غرضه، فعندما آتاه أرسل يعلم به، فطرقة الأمراء وقبضوا عليه، وأحضروه إلى قلعة الجبل يوم الأربعاء سلخه.

وفي يوم الخميس أول شهر رجب: سُمِّر خمسة من المماليك السلطانية، ممن كان مع سودن طاز، أحدهم سودن الجلب، فاجتمع المماليك لإقامة الفتنة بسبب ذلك، فخلى عنهم، وقيدوا، وسجنوا بجزانة شمائل، ونفى سودن الجلب إلى بلاد الفرنج من الإسكندرية.

(١) مدينة قديمة بين تنيس ومصر على زواية بين بحر الروم والملح والنيل انظر معجم البلدان

وفي ثالثه: حُمل سودن طاز مقيداً في الحراقة إلى الإسكندرية، وسجن بها.

وفيه خلع على القضاة الأربع خلع الاستمرار.

وفي يوم الإثنين ثاني عشره: دار الحمل بالقاهرة ومصر، على العادة في ذلك.

وفيه قدم الأمير حقمق إلى دمشق، وقد أفرج عنه من سجنه بالصبيبة، بكتاب السلطان.

وفي نصفه: سكن الأمير شيخ نائب الشام بدار السعادة من دمشق، بعدما عمَّرها، وكانت قد احتزقت في نوبة تمرلنك.

وفي يوم الجمعة سادس عشره: عُقد للأمير سودن الحمزاوى على خوند زينب ابنة الملك الظاهر برقوق وأخت الملك الناصر، وعمرها نحو الثماني سنين.

وفي هذا الشهر: ارتفعت الأسعار ارتفاعاً لم يعهد مثله بمصر، فبلغ القمح إلى سبعين درهماً الأردب، وزاد سعر الشعير على القمح، وبلغ الفول تسعين درهماً، والحمل التبن إلى سبعين درهماً بعد خمسة دراهم، والفدان اليرسيم الأخضر ستمائة درهم بعد تسعين درهماً، والقنطار السمن ستمائة درهم بعد مائة وعشرين درهماً، والسكر إلى ألفى درهم القنطار المكرر بعد ثلاثمائة درهم، والقنطار الفستق بأربعة آلاف درهم بعد مائتين وخمسين، والقنطار الزيت خمسمائة بعد مائة درهم ودونها، والديس أربعمائة درهم بعد أربعين درهماً، وزيت الزيتون أربعمائة درهم بعد خمسين درهماً. والصابون خمسمائة درهم القنطار، بعد ما كان بمائة درهم. ولحم الضأن ثلاثة دراهم الرطل، بعد نصف وربع درهم، ولحم البقر درهمن، بعدما كان بنصف درهم الرطل.

وارتفع أيضاً سعر الثياب، فبلغ الثوب القطن البعلبكي أربعمائة درهم، بعدما كان بستين درهماً، والثوب القطن البطانة بمائة درهم بعد ثلاثين درهماً ودونها، والثوب الصوف المربع ألف وخمسمائة درهم بعد ثلاثمائة درهم وسرى الغلاء في كل ما يباع.

وفي يوم الإثنين سادس عشرينه: استقر كمال الدين عمر بن جمال الدين إبراهيم ابن العديم قاضى حلب الحنفى في قضاء القضاة الحنفية بديار مصر، على مال. وصرف قاضى القضاة أمين الدين عبد الوهاب بن الطرابلسى، وكان مشكور السيرة.

وفي ليلة الثلاثاء سابع عشرينه: سار إلى الإسكندرية أقبردى وتبناك من أمراء العشراوات في ثلاثين من المماليك السلطانية، فقدموا إليها في تاسع شعبان، وأخرجوا

الأمير نوروز الحافظي، والأمير جكم، والأمير قنباي، والأمير سودن طاز، وأنزلوهم في البحر الملح وساروا بهم إلى البلاد الشامية، فحبس نوروز وقنباي في قلعة الصبيبة من عمل دمشق، وحبس جكم في حصن الأكراد من عمل طرابلس. وحبس سودن طاز في قلعة المرقب من عمل طرابلس أيضاً. ولم يبق يسجن الإسكندرية من الأمراء غير تمربغا المشطوب وسوذن من زاده. ثم حول جكم إلى قلعة المرقب فاستقر بها هو وسودن طاز في الاعتقال.

وأهل شعبان بيوم الأحد:

ففي تاسعه: استقر شهاب الدين الأموي في قضاء المالكية بدمشق.

وفي يوم الثلاثاء ثاني عشر شعبان: استقر شمس الدين محمد بن شعبان الجابي في حسبة القاهرة، وعزل الهوى.

وفي حادي عشرينه: تفاوض الأمير سودن الحمزاوي مع القاضي الأمير سعد الدين إبراهيم بن غراب في مجلس السلطان، وأغلظ كل منهما على صاحبه وقاما. فعندما نزل ابن غراب من القلعة، تجمع عليه عدة من المماليك السلطانية ضربوه بالدبابيس، حتى سقطت عمامته عن رأسه، وسقط على الأرض، فحمله مماليكه إلى باب السلسلة، واحتفى منهم بالأمير إينال باي أمير أخور حتى تفرقوا، ثم صار إلى داره، فانقطع عن الخدمة السلطانية أياماً لما به.

وفي يوم الثلاثاء رابع رمضان: خلع على الأمير الشريف علاء الدين على البغدادي، واستقر في الوزارة عوضاً عن الوزير فخر الدين ماجد بن غراب.

وبقى فخر الدين بن غراب على نظر الخاص فقط. وخلع أيضاً عن الأمير قجماس كاشف الشرقية، واستقر في كشف البحيرة.

وفي عاشره: خلع على الأمير بهاء الدين رسلان، واستقر أحد الحجاب، بعد عزله من الحجوبية مدة بشهاب الدين أحمد بن المعلم ناصر الدين محمد بن سلام الإسكندراني القزاز.

وفي حادي عشره: ضرب الأمير يشبك الدوادر محمد بن شعبان محتسب القاهرة زيادة على أربعين عصا، لسوء سيرته، فتولى ضربه والى القاهرة بحضرة الناس في دار الأمير.

وفي ثاني عشره: قبض على سعد الدين إبراهيم بن غراب وأخيه فخر الدين ماجد،

واعتقلا بالزردخاناه فى القلعة. وقبض على زين الدين صدقة، ومحمد بن الوارث المغربى، ومحمد بن الشيخة صباح، وجمال الدين يوسف أستاذار بجاس، وغير هؤلاء من الزام بنى غراب.

وفى رابع عشرينه: خلع على تاج الدين أبى بكر بن محمد بن عبد الله، بن أبى بكر بن محمد بن الدمامينى الإسكندراني، واستقر فى وظيفة نظر الجيش، عوضاً عن سعد الدين إبراهيم بن غراب على مال كبير. وخلع على تاج الدين عبد الله ابن الوزير سعد الدين نصر الله بن البقرى، واستقر فى نظر الخاص عوضاً عن فخر الدين ماجد ابن غراب.

وفيه رُسم بقطع جوامك المماليك السلطانية المستجدة بالديوان المفرد، بعد موت الظاهر يرقوق، وقطع عليق خيولهم أيضاً، فقطع نحو الألف ومائتى مملوك، ثم أعيدوا بشفاعات الأمراء، ما عدا مائتين وثلاثين لم يوجد من يعتنى بهم، فاستمر منعهم.

وفى يوم الإثنين سابع عشرينه: خلع على الأمير الوزير ركن الدين عمر بن قايماز، واستقر أستاذار السلطان عوضاً عن سعد الدين بن غراب.

وفيه أفرج عن جمال الدين يوسف المعروف بأستاذار بجاس، واستقر أستاذار الأمير الكبير بيسر، عوضاً عن ركن الدين عمر بن قايماز، فصار يياشر أستاذارية سودن الحمزاوى، وهو يومئذ شرارة الدولة، وأستاذارية الأمير بيسر - وهو أكبر الأمراء - فاشتهر ذكره وبعد وصيته، وصار يعد من أعيان البلد.

وفى تاسع عشرينه: خلع على الأمير أزيك الأشقر الرمضانى رأس نوبة، واستقر أمير الحاج، عوضاً عن الأمير بيسق الشيخى، لتقلق الحاج منه.

وفى يوم الخميس رابع شوال: خلع على الأمير مبارك شاه الحاجب وكاشف الجيزة، واستقر فى الوزارة عوضاً عن الشريف علاء الدين على البغدادى، بعد القبض عليه.

وفى ثامننه: أخرج الأمير ألبئيغا أحد الحجاب فى الأيام الظاهرية إلى دمشق ليكون نائب ملطية^(١) وأخرج سرماش أحد الأمراء أخورية لنيابة سيس^(٢) وكانت ملطية وسيس قد تغلب عليهما التركمان من واقعة تمرلنك.

(١) بلدة من بلاد الروم مشهورة مذكورة تناخم الشام. انظر معجم البلدان ٥/١٩٢، ١٩٣.

(٢) بلد هو اليوم أعظم مدن الثغور الشامية بين أنطاكية وطرسوس انظر معجم البلدان ٣/٢٩٧.

وفى ليلة النصف منه: اختفى الوزير مبارك شاه، لعجزه عن كلف الوزارة.

وفى هذه الأيام: نزل الدينار المهرجة من سبعين درهماً إلى ستين، والدينار المشخص من ستين إلى خمسة وأربعين درهماً.

وفى ثامن عشره: استقر سودن الحمزاوى رأس النوبة كبيراً عوضاً عن سودن الماردىنى، واستقر الماردىنى أمير مجلس عوضاً عن تمراز. واستقر تمراز أمير سلاح عوضاً عن بكتمر الركنى. واستقر بكتمر رأس نوبة الأمراء، وهو ثانى أتابك العساكر فى المنزلة والرتبة. وخلع على الجميع، وعلى الأمير يلغا السالمى، واستقر مشير الدولة، وكان قد استدعى من دمياط فقدم.

وفيه خرج المحمل، وأمير الحاج أزيك الرضانى إلى الريدانية، للمسير إلى الحجاز على العادة.

وفى ثانى عشرينه: خلع على الأمير الوزير تاج الدين رزق الله المعروف بوالى قطيا، واستقر فى الوزارة عوضاً عن مبارك شاه، وهذه وزارته الثانية.

وفيه نودى أن يكون الذهب المختوم بستين المثقال، والأفرنتى بخمسة وأربعين درهماً الدينار، ونودى من قبل السالمى بإبطال مكس البحيرة^(١)، وهو ما يذبح من الغنم والبقر.

وفى ثالثه عشرينه: أعيد ناصر الدين محمد بن الصالحى إلى قضاء القضاة بديار مصر. وصرف قاضى القضاة جلال الدين عبد الرحمن بن شيخ الإسلام الشافعية البلقينى.

وفى خامس عشرينه: خلع على الأمير طوخ، واستقر خازن داراً كبيراً، عوضاً عن الحمزاوى.

وفى تاسع عشرينه: خلع على الحمزاوى لنظر خانقاه شيخوخو، عوضاً عن سوذن الماردىنى.

وفى يوم الثلاثاء سلخه: خلع على تاج الدين عبد الله بن سعد الدين نصر الله بن البقرى بوظيفة نظر الجيش، عوضاً عن تاج الدين أبى بكر بن محمد الدمامينى؛ لعجزه عن المباشرة، فباشر وظيفتى نظر الخاص والجيش.

وأهل ذو القعدة يوم الأربعاء:

وفي ثانيه: كتب توقيع ناصر الدين محمد بن خطيب نقيرين، بقضاء القضاة بدمشق، عوضاً عن ابن عباس.

وفي تاسعه: نقل الأمير تاج الدين عبد الرزاق بن أبي الفرج جمال الدين عبد الله من الوزارة إلى كشف الوجه البحرى، عوضاً عن الأمير قجماس. واستقر فيه الطنبغا العجمى فى كشف الشرقية.

وفي رابع عشره: ورد الخبز بحركة الفرنج على السواحل، فخرج من الأمراء الألوفا بكتمر رأس نوبة، ويلبغا الناصرى، وجر كس المصارع، وأقبای حاجب الحجاب، وسوذن الماردىنى أمير مجلس، وتمرز أمير سلاح وتغرى بردى. ومن الطبلخانة سودن بقجة، وبشباى الحاجب. وساروا إلى دمياط وإسكندرية.

وفي خامس عشرينه: أفرج عن سعد الدين إبراهيم بن غراب وأخيه فخر الدين، ونزلا إلى دورهما بعد أن تسلمهما الأمير ركن الدين عمر بن قايماز، وضرب فخر الدين فالتزم سعد الدين بألف ألف درهم، وفخر الدين بثلاثمائة ألف درهم. فنقلا إلى الأمير يلبغا السالمى ليقتلها، فاتقى الله فى أمرهما، ولم يتبع هوى نفسه، ولا انتقم منهما، وخاف سوء العاقبة، فعاملهما من الإكرام بما لم يكن ببال أحد. وما زال يسعى لهما حتى نُقلا من عنده إلى بيت شاد الدواوين ناصر الدين محمد بن جُلبان الحاجب، فرفق بهما حتى خلاصا من غير أن يمسهما سوء، بخلاف ما فعلا مع السالمى.

وفي سابع عشرينه: ارتجع السلطان الزيادات من سائر الأمراء، ما خلا ابن عمته الأمير الكبير بيبرس، فإنه أبقى الزيادة بيده.

وفيه استقر الأمير يلبغا السالمى أستاذار السلطان، وعزل ابن قايماز، وهذه ولاية السالمى الاستادارية الثانية، وتحدث أيضاً فى الوزارة.

وفيه عزل الأمير الطنبغا العثمانى عن نيابة غزة^(١) واستقر خاير بك أحد أمراء دمشق بها.

وفي يوم الأحد ثالث ذى الحجة: قدم الأمراء المجردون، ولم يلقوا أحدًا.

وفي هذا الشهر: بلغ القنطار الصابون سبعمائة درهم، والأردب القمح خمسة وتسعين درهماً، والشعير زيادة على ستين، والفول ثمانين درهماً، والأرز إلى مائتين وخمسين الأردب. وورد الخبز برحاء البلاد الشامية.

(١) مدينة فى أقصى الشام من ناحية مصر، وبينها وبين عسقلان فراسخان أو أقل، وهى من

نواحي فلسطين غرب عسقلان. انظر معجم البلدان ٤/٢٠٢، ٢٠٣.

وفي سابع عشره: أخرج إلى دمشق الأمير أسنبغا المصارع، والأمير نكبای الأزدرى، وهما من الطبلخاناة، وأينال جيا من أمراء العشرين، وإينال المظفرى من أمراء العشراوات. وعمل لهم هناك إقطاعات، فساروا من القاهرة.

وفي تاسع عشرينه: أغلق المماليك السلطانية باب القصر السلطاني من القلعة على من حضر من الأمراء، وعوقبهم بسبب تأخر نفقاتهم وجوامكهم، فأقاموا ساعة، ثم نزلوا من باب السر إلى الإصطبل، ولحقوا بدورهم، وقد اشتد خوفهم. وطلب السالمى فاخطفى، ثم ظفر به وعوقب باب السلسلة من الإصطبل عند الأمير أينال باى، ووكل به حتى يكمل نفقة المماليك. ولم يمح أحد فى هذه السنة من الشام ولا العراق (١) ولا اليمن (٢).

وفي هذه السنة: ثار على السلطان أحمد بن أويس (٣) ولده طاهر وحاربه، ففر من الحلبة (٤) إلى بغداد (٥) فأخذ ودیعة له كانت بها، فهجم عليه طاهر وأخذ منه المال،

(١) قال الخليل هو لغة شاطىء البحر بذلك لأنه على شاطىء دجلة والفرات والكوفة والبصرة تسمى العراقات. انظر الروض المعطار فى خبر الأقطار ٤٠١، معجم ما استعجم ٩٢٩/٣ ومعجم البلدان ٩٣/٤.

(٢) يمن: بفتح أوله وثانيه موضع قريب من مكة وأما اليمن البلد المعروف الذى كان لسبأ فسمى يمنا لأنه عن يمن الكعبة، كما سمي الشام شاما لأنه عن شمال الكعبة. انظر الروض المعطار فى خبر الأقطار ٦١٩، معجم ما استعجم ١٤٠١/٤ ومعجم البلدان ٤٤٨، ٤٤٧/٥.

(٣) أحمد بن أويس بن حسن الجلايرى، غياث الدين: آخر سلاطين الدولة الجلايرية فى بغداد مغولى الأصل، مستعرب، كان أسلافه من رجال جنكيزخان وهولاكو، وآل أمر العراق إلى جده الشيخ حسن ونشأ هو فى تبريز وعاش زمنا فى بغداد وناب عن أخيه السلطان حسين فى البصرة ثم قتل أخاه، وتولى السلطنة سنة ٧٨٤هـ ثم ثار عليه مغولى آخر اسمه الأمير قرايوسف، فقاتله فانهمز السلطان أحمد وأسر وقتل خنقا ببغداد. انظر تاريخ العراق ٣٠٥:٢ والضوء اللامع ٢٤٤/١ والبدر الطالع ٢٢/١ والأعلام ١٠٢/١.

(٤) مدينة كبيرة منیعة على شط الفرات يتصل بها من جانبها الشرقى وتمتد بطوله وبها أسواق حفيلة جامعة للمرافق المدنية والصناعات الضرورية بناها سيف الدولة زعيم بنى مزيد حوالى سنة ٤٩٥هـ ولهذا لا نجد لها ذكرا عند الجغرافيين المتقدمين والنص هنا عن ابن جبیر ٢١٣ وانظر ابن بطوطة ٢٢٠ والروض المعطار فى خبر الأقطار ١٩٧ ومعجم البلدان ٤٩٤/٢، ٤٩٥.

(٥) دار مملكة خلفاء بنى العباسى وفيها أربع لغات: بغداد بدالين مهلتين، وبغداد معجمة الأخيرة وبغداد بالنون ومغدان بالميم بدلا من الباء وتذكر وتؤنس. انظر الروض المعطار فى خبر الأقطار ١٠٩، معجم ما استعجم ٢٦١/١ وابن حوقل ١٥، والكرخى ٥٨ وتاريخ بغداد ٢٥/١: ١٢٧ ومعجم البلدان ٤٦٧/١: ٤٥٦.

ففر أحمد من ابنه، وأتاه قرايوسف بطلبه له وأعانه على ابنه، وحاربه معه، ففر طاهر واقتحم بفرسه دجلة^(١) فغرق بها، ولحق بربه.

* * *

ومات في هذه السنة

شيخ الإسلام سراج الدين عمر بن رسلان^(٢) بن نصير بن صالح بن شهاب الدين ابن عبد الخالق العسقلاني، المعروف بالبلقيني، يوم الجمعة عاشر ذى القعدة، عن إحدى وثمانين سنة وثلاثة أشهر إلا ثلاثة عشر يوماً. وقد انتهت إليه رئاسة العلم في أقطار الأرض، ودفن بمدرسة من حارة بهاء الدين بالقاهرة.

ومات قاضي القضاة تاج الدين بهرام^(٣) بن عبد الله بن عبد العزيز بن عمر بن عوض الدميري المالكي، في يوم الإثنين سابع جمادى الآخرة عن سبعين سنة، وكان عين المالكية بديار مصر.

ومات قاضي القضاة المالكية بدمشق، علم الدين محمد بن محمد بن محمد القفصي، في حادى عشرين المحرم، وقد قارب السبعين، وكان مشكور السيرة.

ومات قاضي قضاة الحنابلة بدمشق، شمس الدين محمد بن أحمد بن محمود النابلسي الحنبلي بدمشق، في ثاني عشر المحرم، وكان فقيهاً نحوياً.

(١) نهر يخرج من بلاد آمد ديار بكر وهي من أعين ببلاد خلاط من أرمينية من الإقليم الخامس من موضع يعرف بحسن ذى القرنين انظر الروض المعطار في خبير الأقطار ٢٣٣ والتنبية والأشراف ٥٢ ومعجم البلدان ٢/٤٤٠:٤٤٢.

(٢) عمر بن رسلان بن نصير بن صالح ابن شهاب الدين بن عبد الخالق العسقلاني الشافعي البلقيني المصري الشافعي، أبو حفص، سراج الدين: مجتهد حافظ للحديث، من العلماء بالدين. ولد في بلقينة (من غربية مصر) وتعلم بالقاهرة. وولى قضاء الشام سنة ٧٦٩هـ وتوفى بالقاهرة من كتبه «التدريب - خ» في فقه الشافعية ولم يتمه. و «تصحيح المنهاج - خ» ست مجلدات، فقه، و «محاسن الاصطلاح» في الحديث و «الفتاوى -» فى الأزهر. انظر الضوء اللامع ٦: ٨٥ وشذرات الذهب ٥١/٧ والأزهرية ٢: ٥٥٩ والأعلام ٥/٤٦.

(٣) قاضي القضاة تاج الدين بهرام بن عبد الله بن عبد العزيز بن عمر بن عوض الدميري المالكي، أبو البقاء، القاهري فقيه انتهت إليه رئاسة المالكية فى زمنه، مصرى نسبته إلى «دميرة» قرية قرب دمياط أفتى ودرس وناب فى القضاء بمصر. وله كتب منها «الشامل - خ» على نسق «مختصر خليل» فى الصادقية وغيرها، و «شرح ألفية ابن مالك» وأطلع السنخاوى على بعض هذه الكتب بخطه. انظر الشذرات ٧/٤٩ والأزهرية ٢/٣٤٨ وكشف الظنون ١٦٢٨ والأعلام ٢/٧٦.

ومات شيخ الشيوخ بدر الدين حسن بن علي بن أمدي، خارج القاهرة في أول شعبان. وكان يُعتقد فيه الخير.

ومات الأمير الشريف عنان بن مغامس^(١) بن رميثة الحسني بالقاهرة في أول ربيع الأول.

ومات الأمير أقبأى الكركي، في ليلة السبت رابع عشر جمادى الأولى بعد مرض طويل، ودفن بالحوش الظاهري خارج باب النصر.

ومات الأمير يلغا السوداني. حاجب الحجاب بدمشق في جمادى الآخرة، فاستقر عوضه جركس والد تم، نقل إليها من حجوية طرابلس. واستقر عوضه في حجوية طرابلس مراد.

ومات الأمير شهاب الدين أحمد بن الوزير ناصر الدين محمد بن رجب أحد أمراء العشراوات والحجاب، في حادى عشر رجب، بالقاهرة، وكان شاباً جميلاً شجاعاً.

ومات الأمير قُرماس الرماح الأينالى، قتل بدمشق في آخر رمضان بأمر السلطان وكان لما أخرج من القاهرة على إقطاع الأمير صُروق بدمشق ولى كشف رملة لد، ثم تحدث بالقبض عليه، ففر إلى جهة حلب، فأخذ عند بعلبك، وحمل إلى دمشق، وقتل بسجنها في عدة من المماليك.

ومات نور الدين محمود بن هلال الدولة الدمشقي بالقاهرة، في آخر رجب، ومولده سنة إحدى وثلاثين وسبعمائة. وكان من أدباء دمشق وموقعيها.

ومات عبد الجبار رئيس الفقهاء عند تمرلنك، في ذى القعدة.

ومات خوندكار أبو يزيد بن الأمير مراد بن الأمير أورخ خان ابن الأمير عثمان ملك بلاد الروم، وهو في الأسر عند تمرلنك في ذى القعدة.

ومات جمال الدين عبد الله بن الخطيب شهاب الدين أحمد القسطلاني، خطيب جامع عمرو بمصر في العشر الآخر من رمضان بعدما اختلط وقد أناف على السبعين، وخطب هو وأبوه بالجامع نحو خمسين سنة، وعنه أخذت الخطابة.

(١) عنان بن مغامس بن رميثة الحسني بن أبي نعي: شريف حسني، من أمراء مكة. وليها للظاهر برفوق بعد مقتل الشريف محمد بن أحمد بن عجلان (سنة ٧٨٨هـ) ثم عزله الظاهر سنة ٧٨٩هـ، فرحل إلى مصر سنة ٧٩٤هـ، فأقام إلى أن توفى فيها. انظر الإكليل ١٠/١٣٥ و ١٥٨ والأعلام ٩٠/٥.

ومات الفقير المعتقد شمس الدين أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن عمر،
المعروف بابن الزيات، الأنصارى الشافعى، فى الحرم، ودفن فى القرافة. وعلى يده
سلك صاحبنا الشاب النائب.

* * *

سنة ست وثمانائة

أهل شهر الله المحرم يوم السبت: والذهب الهرجة كل مثقال بستين درهماً من الفلوس الجدد، والدينار الإفرنتى - وهو المشخص ضرب الفرنج النصرى - كل شخص بخمسة وأربعين درهماً من الفلوس. والنقد الرابع الفلوس، وكل أربعة وعشرين فلساً تحسب بدرهم. والفضة الكاملة - التى كانت نقد مصر، ويصرف منها كل درهم بأربعة وعشرين فلساً - قد صارت عزيزة الوجود، ويصرف كل درهم منها بدرهم ونصف وربع من الفلوس. والسلع كلها، وأجر الأعمال إنما تنسب إلى الفلوس. والأردب القمح بمائة درهم، والشعير كل أردب من ستين درهماً إلى سبعين درهماً، والفلول سبعين درهماً الأردب، والأرز بمائتى درهم الأردب، والكان بثلاثة دراهم الرطل، وبأربعة أيضاً.

وفى يوم الإثنين ثالثه: قدم رسل الطاغية تيمور لنك، وكبيرهم مسعود الكحججاني، فتلقاهم الحجاب ونحوهم من الأمراء، وشقوا القاهرة ومعهم هدية، فيها فيل عليه رجل قائم بيده علمان أخضران. قد نشرهما وقبض عليهما بيديه، وفيها فهد وصقران وثياب، فأنزلوا فى دار، وأحضروا بين يدى السلطان بقلعة الجبل فى يوم الخميس سادسه، ثم أمر بهم إلى دار، وأجرى عليهم فى كل يوم ثلاثمائة رطل من لحم الضأن، وعدة من الأوز، والدجاج، وغير ذلك، وألف درهم، ومنعوا من الاجتماع بالناس مدة أيام، ثم أذن لهم فى الركوب والحركة.

وفيه نودى - بإشارة الأمير يلبغا السالمى (١) أن يتعامل الناس بالفلوس وزناً لا عدداً، وأن يكون كل رطل منها بستة دراهم حساباً عن كل قنطار ستمائة درهم، فاستمر ذلك ولم ينتقض.

وفى يوم الثلاثاء رابعه: خلع على الأمير ركن الدين عمر بن قايماز، واستقر فى الأستادارية عوضاً عن الأمير يلبغا السالمى. وقبض على السالمى وسُلم إليه، فسكن بدار السالمى وسجنه بمكان منها، ثم نقل من عنده، وسُلم إلى أمير أخور بالإصطبل السلطانى، فى عصر يوم الجمعة سابعه.

وفى يوم السبت ثامننه: خلع على علم الدين يحيى - المعروف بأبى كم - واستقر

(١) يلبغا أبو المعالى السالمى الظاهرى الحنفى: من أشهر أمراء الجند فى دزلة الملك «الظاهر» بقوق، ثم ابنه «الناصر» كان يذكر أنه سمرقندى سماه أبواه يوسف، وسبى فجلب إلى مصر مع تاجر اسمه «سالم» فنسب إليه واشتره بقوق وعمل مشيراً سنة ٨٠٧. ولم يلبث أن نفى إلى الأسكندرية وقتل فى محسبه بها حقناً. انظر الضوء اللامع ٢٨٩/١٠، الأعلام ٢٠٨/٨.

فى الوزارة ونظر الخاص، عوضاً عن الصاحب تاج الدين بن البقرى. واستقر ابن البقرى على ما بيده من نظر الجيش، ونظر الديوان المفرد وسبب ذلك أن جمال الدين يوسف أستاذار الأمير بجاس استدعى بجمدار إلى حضرة السلطان، وأمر يفاض عليه تشريف الوزارة، فعندما ألقى عليه ليليسه، حلف ألا يلبسه. وطالت محاورته وهو يمتنع حتى أعى أمره، وقال: «عندى من يلبس الوزارة بشرط أن يضاف إليها نظر الخاص، وهو أبو كم» فأحضر، وخلع عليه، ونزل وفى خدمته الناس على العادة.

وفى عاشره: استقر شمس الدين محمد بن شعبان فى حسبة القاهرة، وصُرف شمس الدين محمد الشاذلى.

وفى يوم الثلاثاء حادى عشره: استدعى السالمى إلى حضرة السلطان ليعاقب فالتزم بحمل مال كبير، فسلم إلى شاد الدواوين.

وفى يوم الخميس ثالث عشره: استقر قاضى القضاة بدمشق - محمد الأحنأى - فى قضاء القضاة بديار مصر عوضاً عن ناصر الدين محمد بن الصالحى، بعد موته.

وفى ليلة الجمعة رابع عشره: خسف جميع جرم القمر نحو خمس ساعات.

وفى يوم السبت نصفه: فُقد الوزير أبو كم من داره، فلم يعرف موضعه لعجزه عن سد كلف الوزارة، فأعيد التاج بن البقرى إليها يوم الثلاثاء ثامن عشره.

وفيه أضيف شد الدواوين إلى الأمير ناصر الدين محمد بن كلفت والى القاهرة وأحد الحجاب، وسلم إليه الأمير السالمى ليعاقبه، فتشدد عليه حتى باع كنبه العلمية.

وفى يوم الخميس سابع عشرينه: كثر اضطراب المماليك السلطانية بالقصر من قلعة الجبل، وهموا بأخذ الأمراء ورجوهم، وذلك لتأخر نفقاتهم وعليق خيولهم وكسوتهم، فوعدوا بخير، وأمر بإحضار التجار، وألزموا بمال فى نظير غلال بيعت عليهم، توزع الأمراء مالا يقومون به، فتاب بعضهم من ذلك خمسة آلاف، وناب آخرون فوقها، ومنهم من قام بدونها.

وفى هذا الشهر: توقف النيل عن الزيادة فى وسط مسرى، فارتفع سعر الغلال حتى أبيع القمح بمائة وعشرين درهماً الأردب، فأمر الناس بالاستسقاء فى يوم الجمعة ثامن عشرينه، بالجوامع عقيب صلاة الجمعة، فاستسقوا.

وفيه عزل الأمير جُمُوق عن نيابة الكرك وسُفر إلى دمشق، واستقر عوضه الأمير الهذبانى.

وفي هذا الشهر: كانت واقعة الفرنج بطرابلس، وذلك أنهم نزلوا على طرابلس في ثلاثين شيئاً وقرقر. وكان الأمير دمرداش غائباً عن البلد، فقاتلهم الناس قتالاً شديداً، في يوم الثلاثاء ثانی عشره إلى الغد. فبلغ دمرداش وهو بنواحي بعلبك (١) الخير، فاستنجد الأمير شيخ نائب الشام، وتوجه إلى طرابلس، فقدمها يوم الخميس عشرينه.

ونودي في دمشق بالنفير، فخرج الناس على الصعب والذلول، فمضى الفرنج إلى بيروت (٢) بعدما قاتلهم دمرداش قتالاً كبيراً، قتل فيه من المسلمين اثنان وجرح جماعة، فوصل الأمير شيخ إلى طرابلس وقد قضى الأمر، فسار إلى بيروت، فقدمها وقت الظهر من يوم الجمعة حادي عشرينه، والقتال بين المسلمين وبين الفرنج من أمسه، وقتلى الفرنج مطروحين على الأرض، فحرق تلك الرمم، وتبع الفرنج، وقد ساروا إلى صيدا (٣) بعدما حرقوا مواضع وأخذوا مركبا قدم من دمياط بيضائع لها قيمة كبيرة. وقاتلوا أهل صيدا، فطرقهم الأمير شيخ وقت العصر وقاتلهم وهم في البر، فهزمهم إلى مراكبهم. وساروا إلى بيروت فلحقهم وقاتلهم، فمضوا إلى جهة طرابلس، ومرّوا عنها إلى جهة الماغوصة. فركز الأمير شيخ طائفة ببيروت، وطائفة بصيدا، وعاد إلى دمشق في ثاني صفر.

شهر صفر، أوله الإثنين:

ويوافقه سابع عشرين مسرى: - أحد شهور القبط - تمادت زيادة النيل إلى يوم الأحد سابعه، وثالث أيام النسيء، فانتهى ماء النيل فيه إلى اثنين وعشرين إصبعاً من الذراع السادس عشر، وبقي من الوفاء إصبعاً. فتوقف يومى الإثنين والثلاثاء عن الزيادة، ونقص أربع أصابع، فاشتد جزع الناس، وتوقعوا حلول البلاء، فسار شيخ

(١) مدينة قديمة بينها وبين دمشق ثلاثة أيام، وقيل اثنا عشر فرسخاً من جهة الساحل. انظر معجم البلدان ٤٥٣/٢.

(٢) في ساحل الشام وهي مرابط دمشق وعلى بيروت سور حجارة وبمقربة منها جبل فيه معدن حديد جيد انظر الروض المعطار في خير الأقطار ١٢٢، ١٢٣، وصبح الأعشى ٤/١١١ ونزهة المشتاق ١١٧ وانظر الأعلام الخطيرة (قسم لبنان والأردن وفلسطين) ١٠١ ومعجم البلدان ١/٥٢٥، ٥٢٦.

(٣) بأرض الشام بينها وبين بيروت يومان وهي على ساحل البحر وعليها سور حجارة وتنسب إلى امرأة كانت في الجاهلية. انظر الروض المعطار في خير الأقطار ٣٧٣ ونزهة المشتاق ١١٥ وصبح الأعشى ١١ وهي المذكورة في شعر التابغة:

لكن كان للقبرين قبر يحلق وقبر بصيذاء التى عند حارب

وفي معجم البلدان: صيذاء هذه موضع بحوارن. انظر معجم البلدان ٣/٤٣٧، ٤٣٨.

الإسلام قاضى القضاة جلال الدين عبد الرحمن بن البلقينى (١) من داره ماشياً قبيل الظهر إلى الجامع الأزهر فى جمع موفور، ولم يزل يدعو ويتضرع، وقد غص الجامع بالناس، إلى بعد العصر. ثم خرج القضاة وشيوخ الخوانك إلى الجامع، ففعلوا ذلك إلى آخر النهار، فتراجع النيل من الغد أصبعين، واستمر إلى يوم الخميس حادى عشره - ويوم النوروز أول توت - فركب الأمير يشبك بعد العصر حتى فتح الخليج، وقد بقى من الوفاء أربع أصابع. وانتهى سعر الأردب القمح إلى مائة وثلثين درهماً.

وفى يوم السبت ثالث عشره: توجه شيخ الإسلام جلال الدين إلى رباط الآثار النبوية، وحمل الآثار النبوية على رأسه، واستسقى، وأكثر من التضرع والدعاء ملياً، وانصرف، فتراجع ماء النيل، ونودى فى يوم الثلاثاء بوفاء ستة عشر ذراعاً وإصبعين من سبعة عشر، وارتفع أيضاً سعر الذهب، فبلغ المثقال الهرجة إلى أربعة وستين درهماً، والدينار الأفرتنى إلى خمسين وزيادة.

وفيه قدم الخبير بنزول الفرنج إلى صيدا وبيروت، وأن الأمير شيخ الحمودى نائب الشام سار إليهم وقتلهم، وقتل منهم عدة، وهزم باقيهم، وبعث إلى القاهرة سبع رعوس منهم.

وفى سادس عشرينه: قدم الخبير بتكاثر مراكب الفرنج على الإسكندرية، فندب برهان الدين إبراهيم المحلى كبير التجار بمصر للمسير إلى الإسكندرية، وتبعه عدة من الأمراء، فأقاموا أياماً ثم عادوا، ولم يلقوا كيداً.

شهر ربيع الأول، أوله الأربعاء:

فيه نقص ماء النيل، فشرق الصعيد بكماله ورويت الشرقية، وكثير من بلاد الغربية. وارتفع السعر، فوصل القمح إلى مائة وثمانين درهماً الأردب، والشعير إلى مائة درهم الأردب، والمثقال الذهب إلى سبعين، والدينار الأفرتنى إلى ستين.

وفى يوم السبت رابعه: أعيد قاضى القضاة جلال الدين البلقينى إلى قضاء القضاة، وصرف الأحنأى.

(١) قاضى القضاة جلال الدين عبد الرحمن بن عمر بن رسلان الكنانى، العسقلانى الأصل، ثم البلقينى المصرى، أبو الفضل جلال الدين: من علماء الحديث بمصر. انتهت إليه رئاسة الفتوى بعد وفاة أبيه وولى القضاء بالديار المصرية مراراً إلى أن مات وهو متول، له كتب فى «التفسير» و«الفتوى» و«مجالس الوعظ». و«حواشى على الروضة» فى فروع الشافعية، أفردها أخوه فى مجلدين. ومات فى القاهرة. انظر شذرات الذهب ١٦٦/٧ والضوء اللامع ١٠٦/٤ والتاج ١٤٣/٩ - ١٤٤ والأعلام

وفي سادسه: أعيد البخانسي إلى حسبة القاهرة، وعزل ابن شعبان، وأعيد جمال الدين يوسف البساطي إلى قضاء القضاة المالكية بديار مصر، وصُرف قاضي القضاة ولي الدين أبو زيد عبد الرحمن^(١) بن خلدون.

وقدم الخير بقدم السلطان أحمد بن أويس متملك بغداد إلى حلب، فارا من الطاغية تيمورلنك، وأنه يعتذر عما كان منه، ومتى لم يُقبل عذره مضى إلى بلاد الروم.

وفي عشرينه: بلغ الأردب القمح إلى مائتين وخمسين درهماً، والفول والشعير إلى مائتين وثلاثين، وعز وجود الشعير، بحيث فُرِّقَ عليق خيول المماليك السلطانية فولاً، وبلغ الحمل التبن إلى خمسين درهماً.

وفي سابع عشرينه: خُلع على رسل تيمورلنك خلعة السفر، وخلع على الأمير قاني باي التمرُبغاوي - أحد أمراء الطبلخاناه - وتوجه لإحضار الأمير دقماق نائب حلب.

وفي تاسع عشره: اختفى الوزير تاج الدين بن البقري عجزاً عن تكفية اللحم والنفقات السلطانية.

وفي يوم الثلاثاء عشرينه: خلع على القاضي سعد الدين إبراهيم بن غراب ناظر الخاص، واستقر في وظيفتي الأستاذية ونظر الجيش. وصُرف الأمير ركن الدين عمر ابن قايماز عن الأستاذية، وخلع على الأمير تاج الدين رزق الله كاشف البحيرة^(٢) وأعيد إلى الوزارة وهي ثالث وزارته. واستقر محيي الدين محمود بن نجم الدين أحمد بن عماد الدين إسماعيل بن الشيخ شرف الدين محمد بن الشيخ عز الدين أبي العز، المعروف بابن الكشك، في قضاء القضاة الحنفية بدمشق، عوضاً عن زين الدين عبد الرحمن بن الكفري، وسافر من القاهرة، فلم يبلغ دمشق حتى استقر عوضه جمال الدين يوسف ابن القطب. واستقر شمس الدين محمد البيري - أخو جمال الدين يوسف الأستاذار - في قضاء القضاة الشافعية بحلب.

(١) أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن خلدون، ولي الدين الحضرمي الإشبيلي، من ولد وائل بن حجر. الفيلسوف المورخ، العالم الإجتماعي البحاثة. أصله من إشبيلية، مولده ومنشأه بتونس رحل إلى فاس وغرناطة وتلمسان والأندلس وتولى أعمالاً، واعترضته دسائس ووشايات وعاد إلى تونس. ثم توجه إلى مصر فأكرمه سلطانها الظاهر برقوق. وولى قضاء المالكية ولم يتزى بزى القضاة محتفظاً بزى بلاده، وعزل وأعيد وتوفى فجأة في القاهرة. واشتهر بكتابه «العبر وديوان المبتدأ والخير في تاريخ العرب والعجم والبربر - ط» في سبعة مجلدات. انظر الضوء اللامع ٤/٤٥٥ ونيل الابتهاج ١٧ وتعريف الحلف ٢/٢١٣ والأعلام ٣/٣٣٠.

(٢) كورة معروفة من نواحي الإسكندرية بمصر، تشتمل على قرى كثيرة ودخل واسع. انظر

وفي هذا الشهر: ألزم قاضي القضاة جلال الدين أن يكتبوا أجائر الدور والأراضي، وصدقات النساء وغير ذلك بالفلوس، ولا يكتبوا من الدراهم النقرة، فاستمر ذلك.

شهر ربيع الآخر، أوله الخميس:

في خامسه: كُتب باستقرار الأمير أقبغا الهذباني (١) في نيابة حلب، وجُهِز إليه تشريف، عوضاً عن الأمير دقماق، وطلب دقماق إلى مصر، فلما وصل إليه القاصد بطلبه هرب من حلب.

وفي يوم السبت آخره: قدم قرا يوسف بن قرا محمد إلى دمشق، فأنزله الأمير شيخ بدار السعادة، وكان من خيره أنه حارب أحمد بن أويس، وأخذ منه بغداد، فبعث إليه تمرلنك عسكرياً فكسرهم، فسير إليه جيشاً كبيراً فكسروه، وفر بأهله وخاصته إلى الرحبة، فلم يمكن منها، ونهبه العرب، فمر على وجهه إلى دمشق.

وفيه أيضاً هرب الأمير قانباي من سجن الصبيية، وكان مسجوناً هو والأمير نوروز الحافظي، فتأخر نوروز بالسجن، وفر قانباي، فلم يعرف له خبر.

شهر جمادى الأولى، أوله السبت:

فيه استقر كريم الدين محمد بن نعمان الهوى في حسيبة القاهرة، وصُرف البخانسي، فمات يوم الثلاثاء رابعه.

وفي يوم الثلاثاء خامسه: خلع على بدر الدين حسن بن نصر الله بن حسن الفؤوي، واستقر في نظر الخاص، عوضاً عن ابن البقري.

وفي أوله: قدم إلى دمشق الأمير علاء الدين أقبغا الأطروش من القدس وقد ولي نيابة حلب، فأقام بها إلى رابعه، وتوجه إلى حلب.

وفي سادسه: قدم السلطان أحمد بن أويس متملك بغداد إلى دمشق، فأراً من تمرلنك، فتلقاء الأمير شيخ وأنزله.

وفي تاسع عشره: نودي في دمشق بإبطال مكس الفاكهة والخضراوات، بأمر الأمير شيخ. وكتب في ذلك إلى السلطان، فرسم به، واستمر والله الحمد.

شهر جمادى الآخرة، أوله السبت:

في سابعه: صرف الهوى عن الحسيبة بالشاذلي.

(١) هو الأمير أقبغا علاء الهذباني الظاهري بقوق، المعروف بالأطروش، توفي سنة ٨٠٦هـ.

وفي عاشره: اختفى الوزير تاج الدين، عجزاً عن تكفية اللحم وغيره، من مصارف الدولة.

وفي يوم الإثنين ثالث عشرينه: أعيد ابن البقرى إلى الوزارة ونظر الخاص وصرف ابن نصر الله عن نظر الخاص.

وفي هذه الشهر: حدث في الناس بالقاهرة ومصر وضواحيهما سعال، بحيث لم ينج أحد منه. وتبع السعال حُمى، فكان الإنسان يوعك نحو أسبوع ثم يبرأ، ولم يمض منه أحد. وكان هذا بعقب هبوب ريح غربية، تكاد من كثرة رطوبتها تبل الثياب والأجسام.

وفيه اشتد البرد، وعظمت نكايته إلى الغاية، فشنع الموت في المساكين من شدة البرد وغلاء الأقوات وتعذر وجودها؛ فإن القمح بلغ إلى مائتين وستين درهماً الأردب، والقدح من الأرز خمسة دراهم، والرطل السمن إلى ستة دراهم، فكان يموت في كل يوم بالجوع والبرد عدد كثير. وقام بمواراتهم الأمير سودن المارديني، والقاضي الأمير سعد الدين بن غراب الأستادار، وغيره سوى من يجهز من وقف الطرحاء، فكان المارديني يوارى منهم في كل يوم ما يزيد على مائة، وابن غراب يوارى في كل يوم مائتين وما فوقها، والأمير سودن الحمزاوى، والأمير ناصر الدين محمد بن سنقر الأستادار، ووقف الطرحاء يوارون عدة كبيرة في كل يوم مدة أيام عديدة. ثم تجرد ابن غراب لذلك تجرداً مشكوراً، فبلغت عدة من وراه منهم إلى آخر شوال، اثنى عشر ألف وسبعمائة، سوى من ذكرنا.

وفي سابع عشره: أعيد علاء الدين على بن أبي البقاء إلى قضاء دمشق، عوضاً عن ابن خطيب نقيرين.

وفيه قبض على السلطان أحمد بن أويس، والأمير قرايوسف، وسجنا بدمشق، في سابع عشره، مقيدين.

شهر رجب، أوله الإثنين:

في ثامن عشره: قدم الأمير أقبغا الجمالى الأطروش نائب حلب، وقد مات.

وفي ثالث عشرينه: خلع على رسل تيمورلنك خلعة ثانية، وعُين للسفر معهم الأمير منكلى بغا أحد الحجاب.

وفي هذا الشهر: بلغ الأردب القمح إلى ثلاثمائة وعشرين، وفيه غلت (١) كثير، وبيع كل قدح منه بثلاثة دراهم وثلث، وأبيع الخبز كل ثمانى أواق بدرهم، وكل قدح من الشعير بدرهمين، وكل أردب من الفول بمائة وثمانين، فاشتد الحال بديار مصر، وبلغت غرارة القمح بدمشق - وهى ثلاثة أراذب مصرية - إلى سبعمائة درهم وخمسين درهماً فضة، عنها من نقد مصر الآن ألف وخمسمائة درهم.

وفيه عمل الأمير شيخ نائب الشام محمل الحاج وأداره بدمشق، فى ثانى عشرينه، حول المدينة وكان قد انقطع ذلك من سنة ثلاث وثمانمائة، فبلغ مصروف ثوب المحمل - وهو حرير أصفر مذهب - نحو خمسة وثلاثين ألف درهم فضة. ونودى بخروج الحاج على طريق المدينة النبوية وعين لإمرة الحاج فارس دوادار الأمير تتم.

شهر شعبان، أوله الأربعاء:

فى ثالثه: ورد الخبر بأن الأمير دقماق نزل على حلب بجماعة التركمان، فيهم الأمير على باى بن دُلْعَادِر، ففر منه أمراؤها إلى حماة، فملك حلب، فتوجه الأمير سوْدُن الحمدي بتقليد الأمير دمرداش الحمدي نائب طرابلس بنيابة حلب، عوضاً عن أُقْبَعَا الجمالى الأطروش، وتوجه الأمير أُقْبَرْدَى بتقليد الأمير شيخ السليمانى نائب صنفد بنيابة طرابلس، عوضاً عن دمرداش واستقر فى نيابة صنفد (٢) بَكْتَمُرْ جُلُقْ - أحد أمراء دمشق - وتوجه أينال المأمورى بقتل الأمراء المحبوسين.

وفى يوم الخميس سادس عشره: صُرف قاضى القضاة جلال الدين البلقينى عن وظيفة القضاء بالأخناى.

وفى ثالث عشرينه: صرف الشاذلى عن الحسبة، بابن شعبان.

وفيه بلغ الحمل التبن إلى ثمانين درهماً، والأردب الشعير والفول إلى مائتين وخمسين درهماً، والأردب القمح إلى أربعمائة درهم، والرطل من لحم الضأن إلى درهمين ونصف.

وفيه ورد الخبر بأن طرابلس الشام زلزلت بلادها زلزلة عظيمة، هدمت مباني عديدة، منها جانب من قلعة المرقب. وعمت اللاذقية وجبله وقلعة بلاطنس (٣) وثرغر بكاس (٤)، وعدة بلاد بالجبل والساحل، فهلك تحت الروم جماعة.

(١) قال أبو عمرو: الغَلَطُ فى المنطق، والغَلْتُ فى الحساب، وقيل: هما لغتان، وهو المبالغة فى الشئ والبعد عن الحقيقة.

(٢) صنفد: مدينة فى جبال عاملة مطلة على حمص بالشام وهى جبال لبنان. انظر معجم البلدان

٤١٢/٣.

(٣) بلاطنس: قلعة بلاطنس بضم الطاء والنون والسين المهملة، حصن بساحل الشام مقابل

اللاذقية من أعمال حلب. انظر معجم البلدان.

(٤) ثغر بكاس - قلعة من نواحي حلب على شاطئ العاصى. انظر معجم البلدان.

شهر رمضان أوله الخميس:

وفيه بلغ المثقال الذهب إلى تسعين درهماً، والدينار الأفرنتى إلى سبعين، والدرهم الكاملى ثلاثة دراهم من الفلوس، وكل درهم من الفضة الحجر بأربعة دراهم.

وفيه فُتح جامع الأمير سودن من زاده، بخط سويقة العزى، خارج باب زويلة. وخطب من الغد فيه قاضى القضاة أمين الدين عبد الوهاب، ابن قاضى القضاة شمس الدين محمد الطرابلسى الحنفى. ودرّس فيه بدر الدين حسن القدسى الحنفى.

وفيه أفرج الأمير دمرداش عن الأمير سودن طاز، والأمير جكّم، وكانا قد سجنا ببعض حصون طرابلس؛ وسار بهما إلى حلب.

وفى تاسعه: قدم رسول كمرلنك، ومعه الطواشى مُقبِل الأشقتمُرى ممن أسره كُمر من الخدام السلطانية إلى دمشق، وقدموا إلى قلعة الجبل فى تاسع عشرينه.

وفى هذا الشهر: تحارب الأمير نعيم بن حيار (١) والتركان، فقتل ابن سالم الدكرى، وانهزم التركمان.

شهر شوال، أوله السبت:

فى رابعه: صُرف ابن شعبان عن الحسبة بالهوى. وبلغ المثقال الذهب نحو المائة درهم، والأفرنتى خمسة وسبعين، والقنطار السكر ستة آلاف درهم، والفروج الواحد إلى سبعين درهماً، والرطل من البطيخ الصيفى إلى ثلاثة دراهم، والحمل التين بمائة وأكثر، منها.

وورد الخبر بأن الأمير نعيم بن حيار بن مهنا حارب التركمان الدكرية، قريبا من حلب، وهزمهم أقبح هزيمة.

وفى رابع عشره: استقر تاج الدين محمد بن شقير - خطيب جامع الجيزة - فى حسبة مصر، عوضاً عن نور الدين البكرى.

وفى سابع عشره: قبض على الوزير تاج الدين بن البقرى، وسلّم للأمير سعد الدين ابن غراب. وخلع فى يوم الخميس خلعة الوزارة على بدر الدين حسن بن نصر الله، مضافة إلى نظر الخاص.

(١) محمد بن حيار بن مهنا بن عيسى بن مهنا بن مانع بن حديثة، شمس الدين المعروف بنعيم: أمير آل فضل بالشام ولى الإمرة بعد أبيه سنة ٧٧٠م. قتل فى حلب. انظر الضوء اللامع ١٠/٢٠٣ وإعلام النبلاء ٥/١٤٧ وصبح الأعشى ٤/٢٠٨ والأعلام ٦/١١١.

شهر ذى القعدة، أوله الإثنين:

فيه أعيد ابن شعبان إلى الحسبة، وعزل الهوى. ثم أعيد الهوى وصرف ابن شعبان فى يوم الخميس رابعه. واستقر شمس الدين محمد (١) بن عبد الله بن أبى بكر القليوبى - أحد طلبة الشافعية - فى مشيخة خانكاة سرياقوس عوضاً عن الفقيه أنبياء التركمانى.

وفيه ارتفعت أسعار عامة المبيعات. فبلغ الرطل الجبن المقلى إلى إثنى عشر درهماً، والرطل اللحم البقرى إلى ثلاثة دراهم، والرطل اللحم الضانى إلى خمسة دراهم. وقلت الأغنام ونحوها، فأبيع عشر دجاجات سمان بألف وخمسين درهماً. وبيعت عشر دجاجات فى سوق الدجاج بحراج حراج بخمسمائة درهم. وأنا أستدعيت بفروجين لأشتريهما، وقد مرضت، فأخبرت أن شراءهما أربعة وسبعون درهماً، ويريد ربخاً على ذلك.

وتوالى فى شوال وذى القعدة هبوب الرياح المريسية، فكانت عاصفة ذات سموم وحر شديد، مع غيم مطبق، ورعود ومطر قليل، غرق منها عدة سفن ببحر الملح، وفى نيل مصر، هلك فيها خلائق. واشتدت الأمراض بديار مصر، وفشت فى الناس حتى عمت، وتتابع الموتان. ثم عقب هذا الريح الحارة هواء شمالى رطب، تارة مع غيم، ومرة بصحو، حتى صار الربيع خريفاً بارداً، فكانت الأمراض فى الأيام الباردة تقف ويقل عدد الموتى، فإذا هبت السمائم الحارة كثر عدد الموتى. وكانت الأمراض حادة، فطلبت الأدوية حتى تجاوز ثمنها المقدار، فبيع القدح من لب القرع بمائة درهم، والويبة من بذر الرحلة بسبعين درهماً بعد درهمين. والرطل من الشير خشك بمائة وثلاثين. والأوقية من السكر النبات بثمانية دراهم، ومن السكر البياض بأربعة دراهم، ثم بلغ الرطل إلى ثمانين درهماً. والرطل البطيخ بثمانية دراهم، والرطل الكمثرى الشامى بخمسة وخمسين درهماً، والعقيد بستين درهماً الرطل، وعضد الخروف الضأن المسموط بأربعة دراهم، والزهرة الواحدة من اللينوفر بدرهم، والخيار الواحدة بدرهم ونصف. وزكت الغلال بخلاف المعهود، فأخرج الفدان الواحد من أرض انحسر عنها ماء بركة الفيوم - المعروفة ببحر يوسف الصديق - أحداً وسبعين أردباً شعيراً بكيل الفيوم، وهو

(١) شمس الدين محمد بن عبد الله بن أبى بكر القليوبى بن محمد بن أحمد بن مجاهد القيسى الدمشقى الشافعى حافظ للحديث، مؤرخ. أصله من حماة. ولد فى دمشق، وولى مشيخة دار الحديث الأشرفية سنة ٨٣٧ و قتل شهيداً فى إحدى قرى دمشق. من كتبه «عقود الدرر فى علوم الأثر» و «افتتاح القارى لصحيح البخارى» و «التبيان - خ» شرحها. انظر لحظ الألاحظ ٣١٧ وشذرات الذهب ٢٤٣/٧ والضوء اللامع ١٠٢/٨ والدرر الكامنة ٣/٣٩٧ والأعلام ٢٣/٦.

أردب ونصف، فبلغ بالمصرى مائة وستة أرادب كل فدان. وهذا من أعجب ما وقع فى زمننا. وأخرج الفدان مما روى - سوى هذه الأرض - ثلاثين أردباً شعيراً، ودون ذلك من القمح. وأقل ما أبيع القمح الجديد بمائتى درهم وخمسين درهماً الأردب.

وهلك أهل الصعيد لعدم زراعة أراضيهم. وكثرت أموال من رويت أرضه من أهل الشرقية والغربية. وعز البصل حتى أبيع الرطل بدرهم ونصف، وبلغ الفدان منه إلى عشرين ألفاً. وأحصى من مات بمدينة قوص فبلغوا سبعة عشر ألف إنسان، ومن مات بمدينة سيوط^(١) فبلغوا أحد عشر ألفاً، ومن مات بمدينة هو فبلغوا خمسة عشر ألفاً، وذلك سوى الطرحاء، ومن لا يُعرف.

شهر ذى الحجة، أوله الإثنين:

فى سابعه: أعيد قاضى القضاة جلال الدين البلقيني إلى منصب القضاء، وصرف الأحنأى.

وفى يوم الخميس سابع عشره: قبض على الأمير بييرس الدوادر الصغير، وعلى الأمير جاتم، والأمير سودن الحمدي، وحملوا إلى الإسكندرية، فسجنوا بها. واستقر الأمير قرقماس - أحد أمراء الطبلخانة - دوادراً صغيراً، عوضاً عن بييرس.

وسار أمير الحج فى هذه السنة طول. وحج من الأمراء شرباش رأس نوبة، وتمان ثمر الناصرى رأس نوبة، وييسق الشيخونى أمير أخور ثانى. ونودى على النيل فى يوم السبت ثانى عشره - وسابع عشرين بؤونة - ثلاث أصابع، وجاء القاع ذراع واحد وعشر أصابع. وكان النيل قد احترق احتراقاً غير ما نعهد، حتى صار الناس يخوضون من بر القاهرة إلى بر الجزيرة، وقلت جرية الماء.

وهذه السنة: هى أول سنى الحوادث والمحن التى خرجت فيها ديار مصر، وفنى معظم أهلها، واتضعت بها الأحوال، واختلت الأمور خلا آذن بدمار إقليم مصر.

* * *

ومات فى هذه السنة ممن له ذكر

على بن خليل بن على بن أحمد بن عبد الله بن محمد الحكرى الحنبلى. مات فى يوم السبت ثامن المحرم. وكان قد ولى قضاء القضاة الحنابلة بديار مصر نحو ستة ثم عزل، وكان من فضلاء الحنابلة.

(١) مدينة فى غربى النيل من نواحي صعيد مصر. انظر، معجم البلدان ١/١٩٣، ١٩٤.

ومات محمد بن محمد بن عبد الرحمن ناصر الدين الصالحى الشافعى، توفى يوم الأربعاء ثانى عشر المحرم، وهو متولى قضاء القضاة بديار مصر، وكان غير مشكور السيرة، قليل العلم، يشدو شيئاً من الأدب، ويكتب خطأ حسناً.

ومات محمد بن مبارك بن شمس الدين، شيخ رباط الآثار النبوية توفى يوم الإثنين سابع عشر المحرم، عن ثمانين سنة.

ومات محمد بن شمس الدين البخانسى الصعيدى. توفى يوم الثلاثاء رابع جمادى الأولى، وقد ولى حاسبة القاهرة عدة مرار، وكان عسوفاً.

ومات عبد الرحيم بن الحسين^(١) بن أبى بكر، زين الدين العراقى، الشافعى شيخ الحديث، توفى يوم الأربعاء ثامن شعبان، ومولده فى سنة خمس وعشرين وسبعمائة، وولى قضاء المدينة النبوية، وانتهت إليه رياسة علم الحديث.

ومات على بن محمد بن عبد الوارث نور الدين البكرى الشافعى. توفى فى ذى القعدة، وولى حاسبة القاهرة والفسطاط غير مرة. وكان يعد من فضلاء الفقهاء.

ومات الأمير أزيك الرمضانى، أحد أمراء الطبلخانة، توفى ليلة الثلاثاء رابع عشر ربيع الأول.

ومات الأمير قطلوبك، أستاذار أيتمش. توفى يوم الأربعاء سابع ربيع الآخر، وولى أستاذارية السلطان، وكان من الأغنياء.

ومات آقبغا الفقيه، توفى ليلة الثلاثاء ثانى عشر جمادى الأولى. وكان أحد دوادارية السلطان، وله به اختصاص زائد، وسيرته ذميمة.

ومات إبراهيم بن عمر بن على برهان الدين المحلى توفى يوم الأربعاء ثانى عشرين ربيع الأول. وبلغ من الحظ فى المتجر وسعة المال الغاية، وجدد عمارة جامع عمرو بن العاص بمصر، وانتهب ماله نهبا.

(١) عبد الرحيم بن الحسين بن أبى بكر بن عبد الرحمن أبو الفضل، زين الدين، المعروف بالحافظ العراقى. من كبار حفاظ الحديث. أصله من الكرد، ومولده فى رازنان (من أعمال أربل) تحول صغيراً مع أبيه إلى مصر، فتعلم ونبغ فيها، وقام برحلة إلى الحجاز والشام وفلسطين وعاد إلى مصر فتوفى فى القاهرة، من كتبه: «نكت منهاج البيضاوى» فى الأصول، و «ذيل على الميزان»، و«التحرير - خ» فى أصول الفقه. وغير ذلك وهو كثير. انظر الضوء اللامع ١٧١/٤ وغاية النهاية والأعلام ٣/٣٤٤، ٣٤٥.

السلوك لمعرفة دول الملوك ١٠٩

ومات الأمير شهاب الدين أحمد بن الشيخ على نائب صفد^(١). توفى بدمشق - وهو أحد أمرائها الألوفا - فى ذى القعدة، وقدم مصر غير مرة.

ومات الأمير سون طاز. مات مقتولا فى شهر ذى الحجة.

ومات الشيخ محمد بن على بن عبد الله، المعروف بالحرفى، المغربى، فى يوم الخميس سادس شوال. وكان من خواص الملك الظاهر، ىم إليه بمعرفة علم الحرف.

* * *

(١) مدينة فى جبال عاملة مطلة على حمص بالشام وهى جبال لبنان. انظر معجم البلدان

سنة سبع وثمانمائة

أهلت بيوم الخميس، ثم بعد أيام أثبت القضاة أن أول المحرم الأربعاء.

وكان فيه النيل على ستة وعشرين اصبعًا من الذراع السادس، ووافقه خامس عشر أييب. وكان سعر القمح بالقاهرة قد انحط، فأبيع بمائتين وخمسين درهماً الأردب، وهو يباع في الريف بثلاثمائة درهم. وقطع الرغيف زنة رطل بدرهم. وأبيع الفول بمائتين وخمسين درهماً، لقلته من أجل انهماك الناس في أكله أخضر. وبلغ سعر المثقال الذهب تسعين درهماً، والأفرنتى سبعين.

وفي رابعه: باشر أبو العباس أحمد بن محمد بن سلطان الحمصى قضاء دمشق، عوضاً عن علاء الدين بن أبي البقاء.

وفي رابع عشرة: استقر شمس الدين محمد بن سعد بن عبد الله - المعروف بـسويدان الأسود - أحد قراء الأجاوق، في حسيبة القاهرة، وعزل الهوى.

وفي ثامن عشرينه: أوفى النيل ستة عشر ذراعاً. وركب السلطان من قلعة الجبل، وعدى النيل حتى خلق المقياس بين يديه، وفتح الخليج على العادة.

شهر صفر، أوله الخميس:

في ثانيه: توجه الأمير طولو إلى الشام في مهم سلطاني، فقدم دمشق في سادس عشره، ومعه الأمير خير بك نائب غزة فتلقاهما الأمير شيخ، ولبس التشريف السلطاني، الذي حمله طولو. وأقام عنده طولو إلى سادس عشر ربيع الأول، ثم سار إلى القاهرة.

وفي ثلثه: عزل صاحب بدر الدين حسن بن نصر الله عن نظر الخاص، واستقر عوضه صاحب فخر الدين ماجد بن غراب.

وارتفع سعر الذهب، فبلغ المثقال بالإسكندرية إلى مائتي درهم بالفلوس، وبالقاهرة إلى مائة وعشرة. وسبب ذلك فساد الفلوس، وذلك أن سنة الله في خلقه أن النقود التي تكون أماناً للمبيعات وقيماً للأعمال إنما هي الذهب والفضة فقط، وأما الفلوس فإنها لمحقرات المبيعات التي يقل أن تباع بدرهم أو بجزء منه. وكانت الفلوس أولاً تعد بمصر: في درهم الكامل منها ثمانية وأربعون فلساً، ويقسم الفلوس منها بأربع قطع،

تقام كل قطعة مقام فلس، فيشترى بها ما يشتري بالفلس؛ إلى أن كانت سنة تسع وخمسين وسبعمائة ضربت الفلوس الجدد، وجعلت أربعة وعشرين فلساً بدرهم كاملي، زنة الفلس منها مثقال. فلما استبد الأمير محمود بن علي بن أصفر عينه - المعروف بجمال الدين الأستاذار - وتحكم في أمور الدولة، منذ أعوام بضع وتسعين، أكثر من ضرب الفلوس شراً في الفائدة. فلم يمت الظاهر برقوق حتى صارت الفلوس هي النقد الرائج الذي ينسب إليه قيم الأعمال كلها وأثمان المبيعات بجملتها. وقلت الدراهم الكاملية بترك السلطان والرعية ضربها، ولسبكم إياها، واتخاذها حلياً وأواني وردف ذلك كثرة النفقات في العساكر من الذهب المخلف عن الظاهر، فكثر بالأيدى، وصار أيضاً نقداً رائجاً، إلا أنه ينسب إلى الفلوس، ولا تنسب الفلوس إليه، فيقال: «كل دينار بكذا كذا درهم من الفلوس». وصارت الفضة مع هذا كأنها من جملة العروض، تباع بحراج في النداء، كل درهم من الكاملية بكذا وكذا من الفلوس. وكل درهم من الفضة الحجر - وهي الخالصة التي لم تضرب ولم تغش - بكذا وكذا درهم من الفلوس. ثم دخل الفساد في الفلوس، فضرب بالإسكندرية منها شيء أقل من وزن فلوس القاهرة وتمادى أمرها في النقصان حتى صار وزن الفلس أقل من ربع درهم وكانت القفة زنة مائة وعشرين رطلاً - عنها خمسمائة درهم - فصارت زنة مائة وثمانية عشر رطلاً، ثم صارت مائة وسبعة عشر رطلاً ما ثم صارت مائة وخمسة عشر رطلاً، ثم صارت مائة واثنى عشر رطلاً، واستمرت كذلك عدة أعوام. فلما كان في هذه الحن والحوادث، كثرت فلوس الإسكندرية حتى بقيت زنة القفة ثمانية وعشرين رطلاً، فشنت القالة، وكثرت تعنت الناس في الفلوس، وزهدوا فيها، وكثرت رغبتهم في الذهب، فبدلوا فيه الكثير من الفلوس حتى بلغ هذا المقدار، فامتعض الأمير يشبك الدوادار لذلك، وتقدم بإبطال ضرب الفلوس بالإسكندرية، فبطلت.

وبلغ سعر لحم الضأن كل رطل بخمسة دراهم ونصف، والدراهم الكاملي، كل عشرة دراهم بثلاثة وثلاثين درهماً من الفلوس، والطائر الأوز بسبعين درهماً. وقلت اللحوم، فلم توجد إلا بعناء، وهي هزيلة وأبيع الرطل من لحم البقر بثلاثة دراهم ونصف، واللين كل رطل بدرهمين، والرطل السمن بثمانية عشر درهماً. وبيعت خمس بقرات بخمس وعشرين ألف درهم، وخروفان بألفين وأربعمائة درهم، وزوج أوز بثلاثمائة درهم. وانحل سعر الغلات، فبيع الأردب القمح بمائتين وعشرين بعد أربعمائة ونيف، والأردب الشعير بمائة وأربعين بعد مائتين ونيف، والحمل التبن بثلاثين إلى أربعين بعد مائة ونيف. وأبيع في شهر ربيع الأول الأردب الحمص بخمسمائة،

والأردب من حب البرسيم بثمانمائة. والفضة الكاملة كل مائة درهم بأربعمائة درهم من الفلوس. وبلغ الرطل اللحم من الضأن إلى اثني عشر درهماً، والرطل من اللحم المسموط عشرة دراهم، ورطل اللحم البقري إلى أربعة دراهم وربع. والبيضة الواحدة بنصف درهم، والرطل الزيت بستة دراهم، والسيرج بتسعة دراهم، وعسل النحل كل رطل بثمانية عشر درهماً، والجن من الحالوم بسبعة دراهم الرطل، والقدرح الحمص المصلوق بثلاثة دراهم، والقدرح الفول المصلوق ^(١) بدرهمين ونصف، وكل رغيف زنة سبع أواق بدرهم، والبطة الدقيق زنة خمسين رطلاً بمائة درهم وعشرة دراهم. وارتفع سعر القمح بعد انحطاطه، فبلغ الأردب إلى أربعمائة درهم، سوى كلفة وهي: سمسة عشرة دراهم، وحمولة سبعة دراهم، وغربلته بدرهمين، وأجرة طحنه ثلاثون درهماً. وأكثر ما يخرج عنه خمس وبيات ونصف، فينقص الأردب نصف سدسه وبلغ الأردب الفول إلى ثلاثمائة وعشرين درهماً غير حمولته وسمسرتة، والشعير كذلك. وبيعت الفجلة الواحدة بربع درهم، والدجاجة بنحو عشرين درهماً، والجيدة بأربعين درهماً، والمعلوفة بمائة درهم ونيّف، وأبيع الكتان كل رطل بعشرة دراهم واشترى جمل من الحجاز بخمسة وأربعين درهماً كاملياً، فبيع بسوق الجمال تحت قلعة الجبل بنحو تسعمائة درهم. واشترى جمل آخر من الحجاز بمائة وأربعين درهماً كاملياً، فأبيع بريف مصر بألف ومائتي درهم، واسترخص، وقيل قد غبن بائه، وارتفع سعر الثياب، فبلغ الذراع من الكتان المنسوج عشرة دراهم بعد ثلاثة. وبيع الثوب الصوف بألفين وخمسمائة بعد ثلاثمائة، والبدن الفرو السنجاب بألفين ونيّف بعد ثلاثمائة، وبلغ آلاف درهم البدن، وبلغ البدن الفرو السمور بخمسة عشر ألف درهم. وبيع زوج أوز بثلاثمائة وخمسين درهماً.

وفي نصف جمادى الأولى نودى بتسعير الذهب بمائة درهم المثقال، وثمانين درهماً الأفرنتي، فكسد كساداً عظيماً، وكثر في الأيدي ورده الناس، وامتنعوا من أخذه في ثمن المبيعات، خوفاً من انحطاط سعره. وتغيّب الصيارفة، فتوقفت أحوال الناس، حتى نودى بعد أيام بالسعر الذي ذكر، فسكنوا قليلاً وغلت البزور، فبلغ القدرح من بزر القرع، وبزر الجزر، وبزر البصل إلى مائة درهم ونيّف. وتعطل كثير من الأراضى لاتساع النيل بكثرة زيادته، وعجز الفلاحين عن البذر، سيما أراضى الصعيد فإن أهلها بادوا موتاً بالجوع والبرد، وباعوا أولادهم بأجنس الأثمان، فاسترق منهم بالقاهرة خلاق، ونقل الناس منهم إلى البلاد الشامية ما لا يعد، فبيعوا في أقطار الأرض كما

يباع السبي، ووطئ الجوارى بمملك اليمين. ولقد كنت أسمع قديماً أنه يتوقع لأهل مصر غلاء، وجلاء، وفناء. فأذكرنا ذلك كله فى سنة ست، وسبع، وثمان مائة. وهلك فيها ما ينيف على ثلثى أهل مصر، ودمر أكثر قراها.

وفى آخر جمادى الأولى: عزّ وجود الشعير، فبلغ إلى ثلاثمائة وستين درهماً الأردب. وبلغ الأردب الفول إلى أربعمائة درهم، لكثرة أكل الناس له، وبيع الرطل البصل بدرهمين، والرطل الثوم بخمسة دراهم هذا مع اختلاف أهل الدولة، وكثرة تحاسدهم.

وفى ثامن عشره: قدم الأمير دُقمَاق دمشق، وذلك أنه لما فر من حلب اجتمع هو والأمير جُكَم بحمّاءة وكان دمرادش قد أفرج عن سودن طاز وجكم، وسار بهما من طرابلس إلى حلب وخرج بهما لقتال التركمان فانكسر، وفر جكم إلى حمّاءة، فاجتمع بدقمّاق بعدما قتل سودن طاز، وصارا فى جماعة، فبعث السلطان مُيخَبِر دُقمّاق فى بلد ينزل بها، فأحب الإقامة بدمشق وخرج الأمير شيخ إلى لقائه وأكرمه.

شهر جمادى الأولى، أوله الجمعة:

أهل والفتنة قائمة بين أمراء الدولة، وذلك أن الأمير يشبك هو زعيم الدولة، بيده جميع أمورها من الولاية والعزل، والنقض والإبرام. فإذا ركب من داره إلى الخدمة السلطانية بالقلعة، ركب معه كثير من الأمراء والماليك، فيبرم بالقصر بين يدى السلطان سائر ما يريد إبرامه، وينقض ما يختار نقضه. ثم يقوم وأهل الدولة عن آخرهم فى خدمته إلى داره، فيجلسون بين يديه، ويصرف أمور مصر والشام والحجاز، كما يجب ويختار. وصار له عصابة كبيرة، فأحبوا عزل الأمير إينال باى ابن الأمير قجماس ابن عم الملك الظاهر بقوق (١) من وظيفة أمير أخور. وذلك أنه اختص بالسلطان لأمرور منها قرابته، ثم مصاهرته إياه، فإنه تزوج بخوند بيرم ابنة الملك الظاهر، وسكن بالإصطبل، فصار السلطان ينزل إليه ويقيم بدار أخته، فشق ذلك على عصابة يشبك، وأحبوا أن يكون جرّكس المصارع أمير أخور، وانقطعوا عن حضور الخدمة السلطانية عدة أيام من جمادى الأولى، فاستوحش السلطان منهم، وتمادى الحال إلى يوم الجمعة هذا. فتقدم السلطان إلى الأمير أينال باى أن ينزل إلى الأمراء ويصالحهم، فمنع جماعة

(١) بقوق بن أنص أو أنس - العثماني، أبو سعيد، سيف الدين، الملك الظاهر: أول من ملك مصر من الشراكسة. جلبه إليها أحد تجار الرقيق واسمه عثمان فباعه فيها منسوباً إليه ثم أعتق وذهب إلى الشام فخدم نائب السلطنة ثم عاد إلى مصر وتولى السلطنة سنة ٧٨٤ وتوفى سنة ٨٠١ انظر ديوان الإسلام والضوء للامع ١٠/٣ والأعلام ٤٨/٢.

من المماليك السلطانية إينال باى أن ينزل، وتشاجروا مع طائفة من ممالك الأمراء واشتد ما بينهم من الشر، حتى أزعج الناس بالقاهرة، وباتوا مترقبين وقوع الحرب. وكان قد تقدم السلطان إلى الأمير يشبك أن يتحول من داره، فإنها مجاورة لمدرسة السلطان الملك الناصر حسن، فإنه وشى به أنه يسور إليها، ويرمى منها على القلعة، فامتنع من ذلك، فساء الظن به. واستدعى السلطان القضاة فى يوم السبت ثانيه إلى بيت الأمير الكبير الأتابك بيبرس ابن أخت الظاهر، ليصلحوا بين الأمير إينال باى والأمراء، فامتنع أن ينزل من الإصطبل، وتسور بعض أصحاب الأمير يشبك على مدرسة حسن، فتحقق السلطان ما كان يظنه بيشبك، وأخذ كل أحد فى أهبة الحرب، وأصبحوا جميعاً يوم الأحد لابسين السلاح، وقد أعد يشبك بأعلا مدرسة حسن مدافع النبط والمكاحل، ليرمى على الإصطبل السلطاني، ومن يقف تحت القلعة بالرميلة (١).

ونزل السلطان من قلعة الجبل إلى الإصطبل، واجتمع عليه من أقام على طاعته من الأمراء والمماليك. وأقام مع يشبك من الأمراء المقدمين سبعة هم: تمراز الناصرى أمير سلاح، ويلبغا الناصرى، وإينال حطب العلاى، وقطلوبغا الكركى، وسودن الحمزاوى رأس نوبة، وطولو، وجر كس القاسمى المصارى وانضم معهم سعد الدين إبراهيم بن غراب الأستاذدار، وناصر الدين محمد بن سُقر البكجى، وناصر الدين محمد بن على ابن كلفت، فى جماعة من الأمراء والمماليك السلطانية ومماليك الأمراء وثبت مع السلطان الأمير الكبير بيبرس ابن عمته، والأمير إينال باى قجماس عم أبيه، والأمير سودن الماردىنى، والأمير بكمر، والأمير أقبای حاجب الحجاب، وأكثر المماليك الظاهرية فأقاموا على الحصار والمرامة، من بكرة الأحد إلى ليلة الخميس سابعه. وقد أخذ أصحاب السلطان على الشبكية المنافذ، وحصروهم والقتال بينهم مستمر، وأمر يشبك فى إدبار، فلما كان ليلة الخميس نصف الليل، خرج يشبك بمن معه على حمية من الرميلة، ومروا إلى جهة الشام، فلم يتبعهم أحد من السلطانية. ونودى من آخر الليل فى الناس بالقاهرة «الأمان والاطمئنان» ومنع أهل الفساد من النهب. ومر يشبك بمن معه إلى قطيا، فتلقاها مشايخ عربان العايد، ومشايخ ثعلبة، وهلبا سُويد (٢) وبنو بياضة (٣) وقفوا فى خدمته، فدخلها بكرة يوم السبت تاسعه. وبات بها ليلة الأحد، وأصبح، فنهب أصحابه بيوتها وأسواقها، ثم رحلوا بعد الظهر، وتركوا جر كس المصارى، ومحمد

(١) منزل فى طريق البصرة إلى مكة بعد ضرية نحو مكة ومنها إلى الأبرقين. انظر معجم البلدان

(٢) انظر البيان والإعراب للمقرئى. انظر نهاية الأرب فى معرفة أنساب العرب.

(٣) انظر البيان والإعراب للمقرئى. انظر نهاية الأرب فى معرفة أنساب العرب.

ابن كَلْفَت بقطيا، حتى يتلاحق بهما من انقطع منهم، فأتاهم جماعة، ثم مضوا حتى لحقوا بيشبك، فسار إلى العريش، وقد بلغ خبره إلى غزة فتلقاه أمراؤها. ثم خرج إليه الأمير خَيْر بك نائب غزة، فدخلها يوم الأربعاء ثالث عشره، ونزل بها. وبعث طولو إلى الأمير شيخ الحمودى نائب الشام يعلمه بالخبر، فقدم دمشق يوم الأحد ثامن عشره، وخرج الأمير شيخ، فتلقاه. ولما أعلمه بما وقع، شق ذلك عليه، فإنه كان من أصحاب يشبك وبعث إليه الأمير الطُّبُّبُغا حاجب دمشق، والأمير شهاب الدين أحمد بن اليعمورى بأربعة أحمال قماش، ومال وكتب إليه يرغبه فى القدوم عليه، ويعدده بالقيام معه ونصرتة، فسار من غزة بعدما أقام بها ثلاثة عشر يوماً، فى ليلة الإثنين خامس عشرينه. وأخذ ما كان بها من حواصل الأمراء، وعدة خيول، وبعدهما قدم عليه مشايخ العربان بالتقادم، وبعث إليه أهل الكرك والشوبك ^(١) بأنواع من التقادم، وبعدهما عرض من معه، فكانوا ألفاً وثلاثمائة وخمسة وعشرين فارساً. فتلقاه بعد مسيره من غزة مشايخ بلاد الساحل والجلبل، وحمل إليه الأمير بكتمر شلق نائب صنفد عدة تقادم من أغنام وشعير وقماش وغير ذلك. وقدم إليه ابن بشارة فى عدة من مشايخ العشير. وجهز إليه الأمير شيخ الناس لملاقاته طائفة بعد أخرى، ثم سار إليه.

فلما تقاربا، ترحل الأمير شيخ عن فرسه، وسلم عليه، وسار به وقد ألبسه وجميع من معه من الأمراء الأقبية بالأطرزة العريضة، وعدتهم أحد وثلاثون أميراً من أمراء الطبلخاناه والعشرات، وسوى من تقدم ذكره من أمراء الألوف، ومعهم من الخاصكية والممالك والأجناد نحو الألفى فارس، بعددهم وآلات حربهم. وقد انضم إليهم خلق كثير، فدخلوا دمشق بكرة الثلاثاء رابع شهر رجب، فسألهم الأمير شيخ عن خبرهم، فأعلموه بما كان، وذكروا له أنهم مماليك السلطان، وفى طاعته، لا يخرجون عنها أبداً غير أن الأمير إينال باى نقل عنهم ما لم يقع منهم، فتغير خاطر السلطان، حتى وقع ما وقع، وأنهم ما لم ينصفوا منه ويعودوا لما كانوا عليه وإلا فأرض الله واسعة، فوعدهم بخير، وقام لهم بما يليق بهم، حتى قيل أنه بلغت نفقته عليهم نحو مائتى ألف دينار، وكتب إلى السلطان يسأله فى أمرهم.

وفيه أحضر الأمير شيخ، الأمير أسن بيه، من سجنه بقلعة صنفد، وأكرمه. وأما السلطان، فإنه لما أصبح، وقد انهزم يشبك ومن معه، كتب بالإفراج عن سودن من زادة، وتمرغيا المشطوب، وكتب إلى الأمير نوروز بالحضور ليستقر على عادته، وكتب إلى الأمير حكيم أمانا، وتوجه به طغيتمر مقدم البريدية.

وفى رابع عشره: أعيد علاء الدين على بن أبى البقاء إلى قضاء دمشق، عوضاً عن

(١) قلعة حصينة فى أطراف الشام بين عمان وأيلة والقلازم قرب الكرك. انظر معجم البلدان

أبى العباس الحمصى، وهو شهاب الدين أحمد بن محمد بن سلطان.

وفى يوم السبت تاسعه: ولى ناصر الدين محمد - ويعرف بمحنى ذقنه - ولاية القاهرة، وعزل أقتمر.

وفى ثانى عشره: خلع السلطان على عدة من الأمراء، فخلع على الأمير سودن الماردينى، وعمله دواداراً عوضاً عن الأمير يشبك، وعلى الأمير سودن الطيار أمير أخور ثانياً وعمله أمير مجلس عوضاً عن سودن الماردينى، وعلى أقبای حاجب الحجاب، وعمله أمير سلاح عوضاً عن تمراز، وخلع على أبى كم، وعمله ناظر الجيش عوضاً عن سعد الدين إبراهيم بن غراب وكان قد استقر فى الوزارة تاج الدين بن البقرى فى خامسه وهم فى الحرب.

وفى خامس عشره: استقر ركن الدين عمر بن قايماز أستاداراً، وعزل سعد الدين ابن غراب.

وفى سابع عشره: قدم من الإسكندرية سودن من زاده، وتمربغا المشطوب، وصُروق إلى قلعة الجبل، فقبلوا الأرض بين يدى السلطان، ونزلوا إلى دورهم.

وفى حادى عشرينه: استقر الأمير يشبك بن أزدمر رأس نوبة، عوضاً عن سودن الحمزاوى.

وفى ثانى عشرينه: أعيد الأحنأى إلى وظيفة قضاء القضاة بديار مصر، وصرف شيخ الإسلام جلال الدين البلقينى. واستقر الصاحب بدر الدين حسن بن نصر الله فى نظر الجيش، وعُزل أبوكم.

وفى هذا الشهر: ألزم مباشرو الأمراء المتوجهين إلى الشام بمال، بعدما أوقفوا بين يدى السلطان فى ثامن عشره، وقرر على موجود الأمير يشبك الدوادار مائة ألف دينار، وعلى موجود تمراز مائة ألف دينار، وعلى موجود الحمزاوى ثلاثون ألف دينار، وعلى موجود قطلوبغا الكركى عشرون ألف دينار، وأن يكون الدينار بمائة درهم، ثم مضى الوزير تاج الدين بن البقرى إلى حواصل الأمراء، فختم عليها، وافتقد من توجه من المماليك السلطانية، فكانوا مائتى مملوك.

وفى يوم الثلاثاء عشرين جمادى الآخرة: وصل الأمير نوروز الحافظى من قلعة الصبيبة إلى دمشق، فتلقيه الأمير شيخ وأكرمه، وضرب البشائر لقدمه.

وتاسع عشرينه: خرج الأمير شيخ من دمشق إلى لقاء الأمير يشبك ومن قدم معه.

وفي هذا الشهر: كثر فساد فارس بن صاحب الباز، من أمراء التركمان، واستولى على كثير من معاملة حلب، فبعث إليه الأمير دمرdash نائب حلب بناصر الدين محمد ابن شهري الحاجب، وتغرى بردى ابن أخى دمرdash، إلى علاء الدين على بك بن دُلغادر بعث ابن أخيه الآخر قرقماس إلى الأمير شهاب الدين أحمد بن رمضان؛ ليحضرا بجمائعهما من التراكمين البياضية والأينالية. وخرج من حلب فى جمع موفور، فنزل العمق، وجمع بين ابن رمضان وابن دلغادر، وأصلح بينهما بعد العداوة الشديدة. وأصلح أيضاً بين طائفتيهما وهما الأجدية والبزقية، وحلفهما للسلطان، وبالع فى إكرامهم. وألبس الأميرين وخواصهما خلعة سنية. ثم مضى بهم على ابن صاحب الباز، وقد انضم مع الأمير حكيم، وسودن الجلب، وجموق، وغيره من المخامرين على السلطان، وقتلهم، فانهزم ابن صاحب الباز، وتحصن هو وحكم بأنطاكية، فنزل عليها دمرdash وحصرها. فبينما هو فى ذلك، قدم طُغَيْتْمُر - مقدم البريدية - وشاهين الأجدى، وأقبغا - من إخوة حكيم - وشرف الدين موسى الهذباني حاجب دمشق، ومملوك الأمير شيخ نائب الشام، والأمير علان الحافظى نائب حماه (١) وعلى يدهم أمان السلطان وكتابه إلى الأمير حكيم بتخييره بين الحضور إلى ديار مصر، أو إقامته بالقدس أو طرابلس فتفرق الجميع عن دمرdash، ورحل ابن رمضان وابن دلغادر عائدين إلى بلادهما. فأدرك الأمير دمرdash بن دلغادر، ولم يزل به حتى أقام معه على العمق، فى طائفة من البياضية والأينالية.

وقدم طُغَيْتْمُر على الأمير بأنطاكية (٢) فلم يعبأ به، ولا اكثرت بما على يده من الأمان والكتاب، بل قبض عليه واعتقله، وخلى سبيل البقية، ما عدا أقبغا، فإنه أخره عنده.

شهر رجب، أوله السبت:

فى رابعه استدعى جمال الدين يوسف أستاذار الأمير بجاس، ولم يزل به السلطان حتى رضى أن يلبس خلعة الأستادارية، فلبسها عوضاً عن ابن قايماز بعدما رسم عليه

(١) مدينة كبيرة من أعمال حمص، بينها وبين شيرز نصف يوم وبينها وبين دمشق خمسة أيام للقوافل. انظر معجم البلدان ٣٠١، ٣٠٠/٢.

(٢) بتخفيف الياء مدينة عظيمة بالشام على ساحل البحر، قالوا: وكل شىء عند العرب من قبل الشام فهو أنطاكية، ويقال ليس فى أرض الإسلام ولا أرض الروم مثلها. انظر الروض فى خير الأقطار ٣٨، ونزهة المشتاق ١٩٥، والمروج ٢٨٢/٢ والكبرى (مخ) ٨٥ وصبح الأعشى ١٢٩/٤ ومعجم البلدان ٢٢٦/١، ٢٢٧.

فى بيت شاد الدواوين محمد بن الطبلاوى يوماً وليلة. واستمر يتحدث فى أستاذارية الأمير بيبرس ابن أخت السلطان، كما كان يتحدث فيها قبل استقراره فى أستاذارية السلطان.

وفى عشرينه: توجه عبد الرحمن المهتار إلى البلاد الشامية فى مهمات سلطانية.

وقدم الخير على السلطان بإفراج الأمير شيخ نائب الشام عن الأمير نوروز من سجن قلعة الصيبية، وأنه جهز له فرساً بسرج ذهب، وكنفوش مطرز بذهب، وأحضر الأمير قانباى، وبعث إلى الأمير عمر بن فضل الحرمى خلعة بطراز عريض. وقدمت كتب نواب الشام إلى الأمير يَشْبِك، تعده بالأمداد، وتقويته بما يريد وقدم عليهم الأمير نوروز والأمير دقماق، فبعث الأميران شيخ ويشبك ويشبك العثمانى إلى الأمير حكيم، يستدعيه من أنطاكية إلى دمشق. وأفرج الأمير شيخ أيضاً عن قرا يوسف ابن قرا محمد التركمانى، فى يوم الإثنين سابع عشره، وخلع عليه وحلّفه على موافقته والقيام معه.

وفيه سار الأمير حكيم من أنطاكية يريد طرابلس، فلما نزل عليها واطأه الأمير تنكزيغا الحاجب، وأقجبا أمير أخور، وكزّ السيفى أسندمّر، ومكنوه من البلد، وقد أقامهم النائب على بعض جهاتها، فدخل إليها، فلم يثبت عسكر طرابلس، وفر الأمراء والأجناد. وبقي الأمير شيخ السليمانى نائب طرابلس فى طائفة من أزمته، فقاتل حكيم من بكرة يوم الأحد عاشره إلى وقت الظهر، فأحيط به، وقبض عليه وعلى مماليكه، ونهبت داره وحواصله، ثم حمل إلى قلعة صهيون (١) فسجن بها عند نائبها الأمير بيازير - من إخوة الأمير نوروز - ثم كتب الأمير حكيم بقتله، فامتنع بيازير من ذلك، واتفق معه على مخالفة حكيم. وعندما تمكن حكيم من طرابلس، قطع اسم السلطان من الخطبة، وكتب إلى نائب غزة، وإلى عمر بن فضل أمير جزم (٢) يأمرهما بتجهيز الإقامات، ويعلمهما بأنه قد عزم على التوجه إلى مصر، وأخذها صحبة الأمير نائب شيخ نائب الشام وكان الأمير نائب الشام لما بلغه استيلاء حكيم على طرابلس، بعث إليه الأمير قانباى يدعوه إلى الاجتماع معهم، والحضور إليهم بدمشق، فعوق عنده قانباى، واستماله إليه، فصار من جماعته.

وفى هذا الشهر: أبيع عجل مخصى بالقاهرة بسبعة آلاف درهم كانت قيمته

(١) حصن حصين من أعمال سواحل بحر الشام وهى قلعة حصينة فى طرف جبل. انظر معجم

البلدان ٤٣٦/٣، ٤٣٧.

(٢) بنو جرم: بطن من طيى من القحطانية، بلادهم غزة، والداروم مما يلى الساحل إلى الجبل

وبلد الخيل، انظر البيان والإعراب للمقريزى، نهاية الأرب فى معرفة أنساب العرب.

خمسمائة. ويبيع زوج أوز بألف ومائتي درهم. واشتد الغلاء بالوجه البحرى، فبلغ القدح القمح إلى أربعين درهماً، والقدح الشعير إلى ثلاثين درهماً، والخبز إلى عشرة دراهم الرطل. وأبيع بالإسكندرية كل قدح من القمح بثلاثين درهماً، وكل قدح من الشعير بخمسة وعشرين درهماً، وكل رطل لحم من الضأن بالجروى بستين درهماً، وكل طائر من الدجاج المتوسط من خمسين إلى خمسة وخمسين درهماً، ويبيع البيضة من بيض الدجاج بدرهمين، والأوقية من الزيت بأربعة دراهم. وبلغ الدينار إلى ثلاثمائة وعشرة دراهم، فخرج منها خلق كثير من الغلاء، ركب عدة منهم فى خمس مراكب، ففرقوا بأجمعهم. ويبيع عجلة بالريف بستة آلاف درهم. وتزايد الموتان فى الفقراء بالجوع، فقبض على رجل من أهل الجرائم بمدينة بليس ووسط، ثم علق خارج المدينة، فوجد رجل قد أخذ قلبه وكبده لياً كلهما من الجوع، فمسك وأحضر إلى متولى الحرب - وهما معه - فقال: «الجوع حملنى على هذا» فوصله بمال، وخلاه لسبيله.

وفيه غلت الملابس من الحرير وغيره حتى تعدت الحد وتجاوزت المقدار، فبلغ الذراع الكتان الخام إلى عشرين درهماً وأكثر بعد أربعة دراهم.

وفيه قبض الأمير شيخ على جماعة بدمشق، وألزمهم بحمل مال كبير. وفرض على البساتين بالغوطة مبلغاً كبيراً من الذهب، جُبى من الناس، وأكثر من المصادر.

شهر شعبان، أوله لأحد:

فيه سار الأمير حكيم من طرابلس على أنه متوجه إلى الأمراء بدمشق. فلما نزل حماة، أخذ الأمير إعلان نائبها ومضى إلى حلب. وقد كتب إليه عدة من أمرائها يستدعونه إليها، فقدمها فى سابعه، ومعه عسكر طرابلس وحماة، وطغروال بن سقل سيز - أحد أمراء التركمان - فى جمع موفور، فقاتله الأمير دمرداش. فلم يشعر إلا بحكم قد فتح له الأمراء أحد أبواب المدينة ودخلها، ففر دمرداش ومعه ناصر الدين محمد بن شهرى الحاجب وابن عمه نصر الدين محمد بن شهرى نائب القلعة، وأزدُمُ الحاجب، وشرباش نائب سيس^(١) ومضى إلى البياضية والأينالية من التركمان، فنزل فيهم قريباً من حلب مدة أيام. ثم توجه إلى مدينة إياس بجماعته، وولدى أخيه قرقماس، وتغرى بردى، فدخلها فى ثالث عشره، فقام له نائبها بما يليق به، وأركبه البحر يريد مصر. وأما الأمير حكيم فإنه استولى على حلب، وأنعم على الأمير إعلان نائب حماة بموجود دمرداش،

(١) سيس: بلد هو اليوم من أعظم مدن الثغور الشامية بين أنطاكية وطرسوس. انظر معجم

وبعض جواريه، وأعادته إلى حماة، بعد دخوله حلب بثلاثة أيام. وأحسن حكم السيرة في حلب، وولى في القلاع نواباً من جهته، فاجتمعت له حلب وحماة وطرابلس. وأما الأمير شيخ نائب الشام فإنه سير في أوله الأمير سُودُن الحمزاوى، والأمير سودن الظريف إلى الأمير حكّم على أنه بطرابلس. وكان في أمسه قد ضرب خامه خارج دمشق ليلقى الأمير حكّم. وسير الأمير شرف الدين موسى الهذباني الحاجب إلى الأمير دمرdash على أنه بحلب يستدعيه إلى موافقته ومن عنده من أمراء مصر. وكان قد ورد كتابه بأنه معهم، ومتى دعوه حضر إليهم. وعين الأمير شيخ الأمير جركس المصارع، ليتوجه إلى غزة بعسكر. وخلع في ثلثه على الأمير أسن بيه، وبعثه إلى الرملة.

وفى رابعه: خرج الأمير تراز والأمير جركس المصارع، والأمير سودن الظريف - وقد عاد من طرابلس - والأمير أَلطُنْبغا العثماني، والأمير تنكز بغا الحططى، على عسكر، ومعهم خليل التوريزى الجشارى، فى مائتى فارس من التركمان والجشارية، لأخذ صفد بحيلة أنهم يمضوا إلى جشار الأمير بكتمر شلق نائب صفد ليأخذوه. فإذا أقبل إليهم ليدفعهم عن الجشار، قاطعوا عليه، وأخذوا المدينة، فتيقظ بكتمر شلق، وترك لهم الجشار، فساقوه من غير أن يتحرك عن المدينة، وعادوا إلى دمشق.

فاستعد الأمير شيخ، وعمل ثلاثين مدفعا، وعدة مكاحل للنفط ومنجنيقين، وجمع الحجارين والنقاين وآلات الحرب. وخرج من دمشق يوم الثلاثاء سابع عشره، ومعهم جميع من عنده من عسكر مصر والشام، وقرا يوسف بجماعته، وجماعة السلطان أحمد بن أويس متملك بغداد، والتركمان الجشارية، وأحمد بن بشاره بعشرانه، وعيسى بن الكابولى بعشيره، بعدما نادى بدمشق «من أراد النهب والكسب فعليه بصفد» فاجتمع له خلائق، وسار معه مائة جمل تحمل المدافع والمكاحل والمناجنيق، والزحافات، والبارود، ونحو ذلك من آلات الحصار. وولى الأمير أَلطُنْبغا العثماني نيابة صفد، فكتب يستدعى عشرا صفد وعربانها وتركمانها، فقدم الأمير شيخ بمن معه إلى صفد فى عشرينه. وبعث أمامه تقى الدين يحيى بن الكرمانى، وقد ولاه قضاء العسكر، ومعهم قَطْلوبغا رأس نوبة بكتابه إلى الأمير بكتمر شلق، يدعوه إلى موافقته، ويحذره من مخالفته، ويعلمه أن الأمير حكّم قد أخذ حلب من الأمير دمرdash بالقهر، وأنه قادم إليه ومعهم الأمير علان نائب حماة. فلم يدعن له بكتمر، وأبى لإقتاله. فأحاط الأمير شيخ بقلعة صفد وحصرها من جميع جهاتها، وقد حصنها الأمير بكتمر وشحنها بالرجال والآلات.

فاستمرت الحرب بينهم أياماً، جرح فيها من الشيخية نحو ثلاثمائة رجل، وقتل ما ينيف على خمسين فارساً.

وفيه سار الأمير سودن الجلب من حلب إلى حرمة بالبيرة^(١) فحضر يغمور من الدكرية، وكبس البيرة، وسبى الحریم، وعاد إلى ناحية سروج. فلما بلغ ذلك الأمير جكم سار من حلب في ثانی عشرینه إلى البيرة، وسار بسودن الجلب إلى يغمور، وقاتله وكسره، وأخذ له ستة آلاف جمل، وعشرة آلاف رأس من الغنم. وبعث سودن الجلب في أثره، فضرب حلقة، وأسر سودن الجلب ومن معه. وعاد الأمير جكم إلى حلب ومعه حریم يغمور رهينة على سودن الجلب. فأفرج يغمور عن سودن الجلب ومن معه، ولم يبعثهم إلى جكم.

وفيه ورد الخبر من مكة بأن جميع ما احترق من المسجد الحرام - وهو ما بين الثلث والنصف - قد عمر علوا وسفلا، وعملت العمدة من حجارة صوان منحوتة، وأن الأرضة قد أكلت في سقف مقام إبراهيم عليه السلام.

وفيه باع سنقر نائب طرسوس^(٢) المدينة للأمير ناصر الدين محمد بن قرمان، وسلمها له، وقد نزل ظاهرها.

وفيه سار الأمير المهتار زين الدين عبد الرحمن إلى الكرك، ونزل عليها في سادس عشره. وقد أتهم الأمير عمر بن الهذبانى النائب بالخروج عن طاعة السلطان، فجمع عبد الرحمن العشير في تاسع عشره، وزحف على المدينة وقاتل النائب، وهزمه، وقتل منه عدداً كبيراً وحصر المدينة، ومنع الميرة عنها، وجمع جمعاً آخر وقاتل النائب مرة ثانية. وكان الغلاء قد اشتد بتلك البلاد، وكثر نهب الدور بالمدينة، وأخذ أموال أهلها، وتخربت ديارهم وتنوعت عقوبتهم. وأما السلطان فإنه قبض في ثانيه على الصاحب تاج الدين بن البقرى، وأخذ جميع ما وجد له، وأسلمه إلى شاد الدواوين.

وفي تاسعه: خلع على الصاحب بدر الدين حسن بن نصر الله، واستقر في الوزارة ونظر الخاص، مضافاً لما معه من نظر الجيش، عوضاً عن ابن البقرى.

وفي حادى عشره: أعيد ابن خلدون إلى قضاء المالكية، وصرف البساطى.

وفي رابع عشره: استقر الأمير بشباى حاجب الحجاب، عوضاً عن الأمير أقبای الطرنطای، المستقر أمير سلاح.

(١) بلد قرب سميساط بين حلب والثغور الرومية، وهى قلعة حصينة. انظر معجم البلدان

(٢) مدينة بالشام حصينة، عليها سوران بينها فصيل وخندق ويجرى الماء حوالها ولى قضاءها أبو عبيد القاسم بن سلام وفيها دفن المأمون بن الرشيد. انظر الروض المعطار فى خبر الأقطار ٣٣٩، ٣٣٨ وصبح الأعشى ١٣٣/٤ ومعجم البلدان ٢٩، ٢٨/٤.

شهر رمضان، أوله الثلاثاء:

في عاشره: قدم الأمير يلبغا السالمى من ثغر الإسكندرية، وقد أفرج عنه واستدعى فأكرم، ونزل إلى داره، ثم طلب إلى قلعة الجبل وخلق عليه، واستقر مشير الدولة. وخلق معه على الأمير جمال الدين الأستاذار خلعة استمرار. وخلق على ناصر الدين محمد بن الطبلاوى خلعة الوزارة، نقل إليها من شد الدواوين. واستقر أقتمر شاد الدواوين عوضه. وخلق على الصاحب بدر الدين حسن بن نصر الله، واستقر فى نظر الجيش ونظر الخاص على عادته.

وفيه قدم سلامش حاجب غزة يخبر بوصول الأمير نوروز إلى غزة طائعا. وذلك أنه خرج من دمشق للدورة بأرض حوران^(١) والرملة^(٢) فلما قارب غزة كتب إلى السلطان بأنه قد أناب ودخل فى طاعته، فكتب إليه بما يرضيه، ورسم للأمير خاير بك نائب غزة أن يتلقاه ويكرمه، فقدم به إلى غزة، وتوجه منها يريد القاهرة، فقدمها فى رابع عشر رمضان، فخلق عليه، وأعطى خبز الأمير يلبغا السالمى، وزيد عليه.

وأما أمر الشام، فإن الأمير حكيم خرج من حلب فى حادى عشره يريد دمشق، وقد حضر إليه شاهين دوادار الأمير شيخ يستدعيه. وكان حكيم قد سلم القلعة إلى شرف الدين موسى بن يلدق، وعمل حجائبا وأرباب وظائف، وعزم على أن يتسلطن ويتلقب بالملك العادل. ثم أخرج ذلك وقدم دمشق فى ثالث عشرينه، ومعه الأمير قانباى، والأمير تغرى بردى القحقارى وجماعة. وقد خرج الأمير شيخ والأمراء إلى لقائه، وأنزله فى الميدان، فترفع على الأمراء ترفعا زائدا أوجب تنكرهم عليه فى الباطن، إلا أن الضرورة قادتهم إلى الإغضاء فأكرموه، وأنزلوه، وحلفوه على القيام معهم على السلطان، وموافقتهم. وأخذ فى إظهار شعار السلطنة، فشق عليهم ذلك، ومازالوا به حتى تركه. وأقام معهم بدمشق إلى ليلة الأحد سابع عشرينه، فتوجه منها مخفا إلى طرابلس، وترك أثقاله بدمشق، ليجمع عساكر طرابلس وغيرها ممن انضم إليه.

وأما الأمير دمرداش نائب حلب، فإنه قدم على ظهر البحر إلى دمياط فى سابع عشره، وبعث يستأذن فى الحضور فإذا ن له، وقدم إلى قلعة الجبل.

وفيه قبض بدمشق على الأمير جرکس الحاجب فى رابع عشرينه، وأنعم بموجوده على الأمير قرا يوسف بن قرا محمد.

(١) جبل بالشام، وحوران أيضا من أعمال دمشق، ومدينتها بصرى تسير فى صحراء حوران عشرة فراسخ فى منازل ومزارع حتى تصل مدينة بصرى. انظر معجم البلدان ٣١٨، ٣١٧/٢.
والروض المعطار فى خير الأقطار ٢٠٦.

(٢) سبق ترجمتها.

وأما الأمير شيخ، فإنه فى ليلة الجمعة ثامن عشره، وقع الصلح بينه وبين الأمير بَكْتُمُر نائب صفد، ونزل إليه أمراء صفد فى يوم السبت تاسع عشره ثم نزل إليه الأمير بَكْتُمُر فى يوم الإثنين حادى عشرينه، وتحالفوا جميعاً على الاتفاق. فكانت مدة الحرب اثنين وعشرين يوماً، أولها ثانى عشرين شعبان، وآخرها نصف شهر رمضان، مستمرة ليلاً ونهاراً، نُقب فيها على القلعة ستة نقوب، وخرب كثير من المدينة، ونهب أموال أهلها، وقطعت أشجارها. وفشت الجراحات فى أكثر المقاتلة، وجرح الأمير شيخ، والأمير يَشْبَك، والأمير جركس المصارع، وقتل فى الحرب عدد كثير. وعاد الأمير شيخ إلى دمشق، فقدم عليه الأمير حكيم كما تقدم، ومنعوا فى يوم الجمعة خامس عشرينه من الدعاء للسلطان على المنبر.

وفى حادى عشرينه: نزل ابن الأمير طور على - المعروف بقرا يُلْك - على البيرة ونهبها، وسبى وأحرق.

وفى هذا الشهر: حلت الشمس برج الحمل، الذى هو أول فصل الربيع، فعزت الأدوية لكثرة الأمراض الحادة بالقاهرة ومصر، وبلغ بزر الرحلة إلى ستين، ثم إلى ثمانين درهماً كل قدح، وبيع وزن الدرهم بدرهم من الفلوس، وبلغ القنطار الشيرخشك إلى ثلاثين ألفاً بعد ألف وأربعمائة، والقنطار الترنجيين إلى خمسة عشر ألفاً بعد أربعمائة. ووصف طبيب دواء لمريض فيه سنامكى ^(١) وشيرخشك، وترنجيين، وماء ورد، وسكر نبات، فابتاعه بمائة وعشرة دراهم. وبلغ بزر القرع إلى مائة وعشرين درهماً.

وفى هذا الشهر: ظهر فى بر الجزيرة على شاطئ النيل، وفى النيل، وفى مزارع بلاد القليوبية شبه نيران كأنها مشاعل، وفتايل سرج تقد، ونار تشتعل، فكان يرى من ذلك عدد كبير جداً مدة ليال متوالية، ثم اختفى.

وفيه كثرت المصادرات بدمشق، وغلت أسعار المبيعات بها، لتحول أحوال النقود، وكثرة تغييرها، فإن الفلوس كثرت وصغر حجمها من أجل أنها كل قليل تضرب جُددًا وتُصغَر، وينادى على التى قبلها بالرخص، فتشترى لدار الضرب، وتضرب ثم بعد أيام تعاد العتق قبلها إلى الميزان. فتضرر الناس، وبلغ صرف العشرة منها بخمسة وعشرين، وتزايدت حتى بلغت العشرة ثلاثين، وبلغ الدينار المشخص سبعين، وانتهى إلى ثمانين درهماً فنودى على الفلوس بتسعة دراهم الرطل.

(١) السنّا: نبات شجيرى من الفصيلة القرنية، زهره مصفر وحبه مفلطح رقيق كلوى الشكل تقريباً، إلى الطزل، تستعمل أوراقه وثماره مسهلات يتداوى بها، وأجوده الحجازى ويعرف بالسنا المكسى انظر المعجم الوسيط.

وفيه فرض حسن نائب القدس على الناس مالا، فأبوا عليه فتركهم حتى اجتمعوا بالمسجد، وغلق الأبواب، وألزمهم بالمال، فاستغاثوا عليه، فلبس السلاح وقاتلهم، فقتل بينهم بضعة عشر رجلا، وجرح كثير، وفر النائب مهزوماً. فلما بلغ الخير الأمير شيخ نائب الشام، بعث عوضه إلى القدس، وخلع على الأمير أسن بيه وولاه حاجب الحجاب في ثامن عشرينه.

شهر شوال، أوله الخميس:

فيه عين الأمير شيخ نائب الشام ممن عنده الأمير تمراز الكبير، والأمير سودن الحمزاوى، والأمير يلبغا الناصرى، والأمير إنال حطب، والأمير جركس المصارع، والأمير سودن بقجة، للمسير إلى غرة، وحمل إلى كل منهم مائة ألف درهم فضة.

وفي سادسه: برز الحمزاوى خامه خارج دمشق، وتبعه بقية الأمراء.

ولم يتأخر بدمشق سوى الأميرين شيخ نائب الشام، ويشبك الدوادار فى انتظار الأمير حكيم حتى يحضر من طرابلس، وبعثا يستحثانه. وحمل الأمير جركس الحاجب إلى قلعة بعلبك، وبعث الأمير شيخ بعياله وأمواله إلى الصبيبة.

وفيه تنكّر حكيم على تنكّر بغا الحاجب بطرابلس، وقبضه، وأخذ موجوده، ثم قتله.

وفيه قدم سودن الجلب على الأمير حكيم، وقد أفلت من أيدي التركمان؛ فلم تطل إقامته حتى استوحش منه، ومضى إلى قلعة المرقب، وأخذها.

وفي سابع عشره: أطلق بيازير نائب قلعة صهيون الأمير شيخ السليمانى، واتفقا على طاعة السلطان، وكتبوا إلى جماعة من الناس يدعوهم إلى ذلك، وأعلنوا بالدعاء للسلطان. ودقت البشائر، وعلق السنجق السلطانى. وكتب إلى الأمير إعلان نائب حماة، وإلى الأمير طغول بن سقل سيز فأجابا، ووعدا بالحضور إلى صهيون متى دعيا. وكتب الأمير شيخ نائب الشام إلى سودن الجلب، يدعوه إليه، فأجابه بالطاعة، وأنه قد استمال جماعة من ممالك حكيم.

وفيه حضر عشير الصلت، مع صديق أبى شوشة التركمانى الكاشف بقلعة الصبيبة، وقتلوا عدة.

وفي رابع عشرينه: قدم الأمير دقماق فى طائفة إلى صنفد، داخل فى طاعة السلطان، مفارقاً للأمير شيخ ومن معه.

وفيه فرض على كل واحد من جند دمشق فرس، ومبلغ خمسمائة درهم.

وفيه أنعم الأمير شيخ على السلطان أحمد بن أويس بمبلغ مائة ألف درهم فضة، وثلاثمائة فرس، بعدما أفرج عنه. وأنعم على قرا يوسف بمائة ألف وثلاثمائة فرس، وولى أطنبغا بشلق نيابة قلعة الصبيبة، وبعث حريمه صحبتته.

وأما السلطان فإنه أفرج عن الأمير سودن المحمدي، وبييرس الصغير، وجاتم، من سجن الإسكندرية فى سبع عشرة، وجهزوا إلى قلعة الجبل.

وفى ثانى عشرينه: قدم الأمير خير بك - نائب غزة - إلى قلعة الجبل، فدقت البشائر لقدمه وخلع عليه.

وفيه أعيد كاتبه المصنف إلى حسبة القاهرة مكرهاً، بعد مراجعة السلطان ثلاث مرار، وصرف سويدان. وكان الأمير يلغا السالمى قد سعر المثقال الذهب بمائة درهم، بعدما وصل إلى مائة وثلاثين، وسعر الدينار الأفرنتى بثمانين، وجعل الرطل من الفلوس بستمائة درهم، بعدما كانت القفة بخمسائة، فكثرت اختباط الناس، وتعتهم واختلافهم، ثم اعتادوا ذلك، فاستمر سعر الفلوس على هذا، ثم أراد السالمى أن يرد سعر المبيعات إلى سعر الذهب، فيجعل ما يباع بدينار قبل تسعير الذهب، يباع بدينار بعد تسعيره، فسعر القمح بمائتى درهم الأردب، وسعر الخبز كل عشرة أواق بدرهم، فعز وجود الخبز. ثم قدم القمح الجديد فانحل السعر، وبيع الأردب بمائة وخمسين، ثم بيع بمائة درهم الأردب، فسعر الخبز كل رطل ونصف، وربع رطل بدرهم. واتفق مع هذا حركة السلطان للسفر، وعمل البشماط، ففقد الخبز، ولم يوجد ألبتة، وتعذر وجود الدقيق أيضاً مدة خمسة عشر يوماً، قاسى الناس فيها شدايد، لا تكاد توصف وفى هذه السنة حدثت ولاية قاض مالكي بمكة، فاستقر المحدث تقى الدين محمد بن أحمد بن على الفاسى الشريف الحسنى. وحدثت أيضاً ولاية قاض حنفى، فاستقر شهاب الدين أحمد ابن الضياء محمد بن محمد بن سعيد الهندى، ولم يعهد قط مثل هذا.

شهر ذى القعدة، أوله الجمعة:

فى ثانيه: علّق الجاليش على قلعة الجبل للسفر.

وفى رابعه: أنفق السلطان للمالكي خمسة آلاف لكل واحد، وصرف الذهب سعر مائة درهم كل مثقال، فصُرَّ لكل منهم تسعة وأربعين مثقالاً، واحتاج السلطان، فاقترض من مال أيتام الأمير قلمطاي الدوادار عشرة آلاف مثقال، ورهن بها جوهره، وجعل كسبها ألف دينار ومائتى دينار. وأخذ منهم أيضاً نحو ستة عشر ألف مثقال، وباعهم بها بلدًا من الجزيرة. وأخذ من تركة برهان الدين إبراهيم المحلى التاجر، وغيره،

مالا كبيراً. ووزع له قاضى القضاة شمس الدين الأحنأى خمسمائة ألف على تركات خارجة عن المودع، منها تركة بدر الدين محمد بن فضل الله كاتب السر. وكانت النفقة على نحو خمسة آلاف مملوك، بلغت النفقة عليهم - سوى ما أنفق فى الأمراء - إلى مائتى ألف دينار، وخمسين ألف دينار.

وفى ثمانى عشرينه: أعيد شيخ الإسلام جلال الدين البلقينى إلى قضاء القضاة، وصرف الأحنأى غير مشكور.

وفى سادس عشرينه: استقر جمال الدين فى قضاء القضاة المالكية بديار مصر، وصرف ابن خلدون. وأما أمر الشام، فإن الأمير سيف الدين علان - نائب حماة - فى تاسعه أظهر مخالفة الأمراء، وأعلن بانتمائه إلى طاعة السلطان، وخرج من حماة يريد صهيون. فبعث إليه الأمير حكيم عسكرًا من طرابلس، صحبة حسين بن أمير أسد الحاجب، فسبقه إلى صهيون ونزل عليها وحصرها عشرة أيام.

وكتب إلى عشير الجبل يدعوهم، فجرت بينه وبين الأمير شيخ السليمانى حروب، قتل فيها جماعة. ثم سار حكيم من طرابلس فى عشرينه، وخيم ظاهرها. فبعث شيخ السليمانى يستدعى علان، فبعث إليه نائب شيزر على عسكر، ففر ابن أمير أسد من معه، وترك أتقاله، فأخذها السليمانى، ورتب أمر قلعة صهيون، وجعل يبايزر بها. وتوجه إلى علان - وقد نزل على بارين (١) - فتلقاه وبالغ فى كرامته، وأنزله بمخيمه. فأخذ شيخ عند ذلك فى مكاتبة أمراء طرابلس وتراكمينها يدعوهم إلى طاعته، فأجابوه بالسمع والطاعة، ووعدوه بالقيام معه. فاضطرب أمر حكيم، وانسل عنه من معه، طائفة بعد أخرى، فمضى إلى الناعم، وقد كثر جمع السليمانى، فمشى ومعه علان يريدان حكيم فتركهم، ومضى إلى دمشق، فأدركه فى طريقه إليها الأمير سعد الدين إبراهيم بن غراب، ويشبك العثمانى، وأقبغا دوادار الأمير يشبك الدوادار، يحشوه على القدوم. وقد سار من من دمشق فى مستهله، فسار معهم، وأركب السليمانى تراكمين طرابلس فى أثر حكيم، فأخذوا بعض أطرافه. وقدم السليمانى طرابلس فى ثمانى عشرينه، وأعاد الخطبة للسلطان، ومهد أمورها، وكتب يُعلم السلطان بذلك. ثم خرج منها بعد يومين يستنفر الناس، فاجتمع عليه خلائق من التراكمين، والعربان، والعشيران، وعسكر طرابلس وكثير من عسكر حلب، وطائفة من المماليك السلطانية. وكان العجل بن نعيم قد استولى على معاملة الحصن والمناصف، واستولى فارس بن صاحب

(١) هى مدينة يمين حلب وحماة من جهة الغرب. انظر معجم البلدان ١/٣٢٠، ٣٢١.

الباز - وأخوه حسين - على سواحل اللاذقية وجبله^(١)، وصهيون، وبلاطنس^(٢). واستولى علم الدين على حصن الأكراد وعصى بها. واستولى رجب بن أمير أسد على قلعة المرقب، فطرد السلیمانى العجل من المعاملة. ونزل على حصن الأكراد وحصرها، حتى أخذها، وأعاد بها الدعاء للسلطان. وأخذ فى استرجاع الساحل، فقدم عليه الخبير بولاية الأمير قانباى طرابلس، ووصول متسلمه سيف الدين بورى - ومعه شهاب الدين أحمد الملطى - على ظهر البحر من ديار مصر. ففت ذلك فى عضده، وصار إلى إعلان نائب حماة، فأشار عليه أن لا يسلم طرابلس حتى يراجع السلطان بما يترتب على عزله من الفساد يتبدد شمل العساكر، فكتب بذلك، ودخل بورى والملطى إلى طرابلس، وتسلمها، وحلفا الأمراء وغيرهم للسلطان.

وفى ثامن: خرج الأمير شيخ نائب الشام ومعه الأمير يشبك وبقيّة الأمراء إلى لقاء الأمير حكيم، فعندما رأوه ترجّل له يشبك، ونزل الأرض، وسلم عليه، فلم يعبأ به، ولا التفّت إليه، وجرى على عادته فى الترفع والتكبر، فشق ذلك على الأمير شيخ، ولام يشبك على ترجمه، وعيّب حكيم على ما كان منه. ودخلوا معه إلى دمشق يوم السبت تاسعه، والطبول تضرب وهو فى موكب مهول. فنزل الميدان، وجرى على عادته فى التكبر والترف، فتنكرت القلوب، واختلفت الآراء، فكان حكيم أمة وحده، يرى أنه السلطان، ويريد إظهار ذلك، والأمراء تسوسه برفق، حتى لا يتظاهر بالسلطنة. ورأيه التوجه إلى بلاد الشمال، ورأى بقيّة الأمراء المسير إلى مصر، فكانوا ينادون يوماً بالمسير إلى مصر، وينادون يوماً من أراد النهب والكسب فعليه بالتوجه إلى صفد. ثم قوى عزمهم جميعاً على قصد مصر، وبعثوا لرمى الإقامات بالرملة وغزة، وبرزوا بالحيام إلى قبة يلبغا فى رابع عشره. وخرج الأمير شيخ والأمير يشبك وقرا يوسف من دمشق، فى عشرينه وقد عمل الأمير شيخ فى نيابة الغيبة سودن الظريف، ووقف جميع أملاكه على ذريته وعلى جهات بر، منها مائتا قميص تُحمل فى كل سنة إلى مكة والمدينة، مربوط على كل قميص عشرة دراهم فضة، تفرق فى الفقراء، ومنها مبلغ لمن يطوف عنه كل يوم أسبوعاً. ومنها عشرة أيتام فى كل من الحرمين، ومؤدب يقرئهم القرآن، ومنها قراء يجامع دمشق. وندبوا الأمير يشبك وقرا يوسف إلى صفد، فسارا من الخربة فى عسكر.

(١) قلعة مشهورة بساحل الشام من أعمال حلب قرب اللاذقية. انظر معجم البلدان ١٠٤/٢.

(٢) حصن منيع بسواحل الشام يقابل اللاذقية من أعمال حلب. انظر معجم البلدان ٤٧٨/١.

ومضى الأمير شيخ إلى قلعة الصبيبة فاستعد الأمير بكتمر شلق نائب صفد، وأخرج كشافته بين يديه. ونزل بجسر يعقوب، فالتقى أصحابه بكشافة يشبك وقرا يوسف، واقتتلوا، فكثرت الجراحات بينهما، وغنم الصفديون منهم عشرة أفراس، فرجع يشبك وقرا يوسف إلى طبرية (١)، ونزلا على البحيرة (٢) ليلة الخامس والعشرين، حتى عاد الأمير شيخ من الصبيبة، وقد حصن قلعتها. ثم ساروا جميعاً إلى غزة وقد تقدمهم الأمير حكيم، ونزل بالرملة (٣) في خامس عشرينه.

وفيه سار الطنبغا بشلاق، وصدّيق أبو شوشه - كاشف أذرعات (٤) - بخمسماية رأس من الغنم وعدة جمال، عليها غلة، يريدان قلعة الصبيبة، فاعترضهم الأمير بكتمر شلق وأخذ ما معهم، وفر بشلاق وصدّيق.

وفيه قدم الخبر على السلطان بنزول الأمراء إلى غزة، وأخذهم الإقامات المعدة لسفير السلطان، من الشعير وغيره. وكانت غزة قد غلت الأسعاد بها لقلّة الأمطار. وبلغت الويبة القمح مائة وعشرين درهماً، فجد السلطان في الحركة للسفر والاستعداد للحرب.

وفيه نزل العجل بن نعيم (٥) شرقي دمشق، وأخذ ما وجد من الغلال. وفيه فرض مال على قرى دمشق كلها، الموقوف منها وغير الموقوف، ما عدا القرى التي هي إقطاعات الأمراء. ثم تقرر على القضاة مبلغ ألفي دينار مصالحة عن الأوقاف من القرى. وهذا الذي فرض في هذا الشهر سوى ما تقدم أخذه من الأوقاف وغيرها.

(١) مدينة من بلاد الأردن بالشام بينها وبين عكة يومان، وبنى هذه المدينة طياربوس أحد ملوك الروم، وطبرية مدينة جبلية على جبل مطل. انظر الروض المعطار في خبز الأقطار ٣٦٨، ٣٨٥ ونزهة المشتاق ١١٥ وقارن بابن الوردي ومعجم البلدان ١٠/٤.

(٢) كورة معروفة من نواحي الإسكندرية بمصر، تشتمل على قرى كثيرة ودخل واسع؟ انظر معجم البلدان ٣٥١/٢.

(٣) من قرى بيت المقدس. انظر معجم البلدان ٧٣/٣.

(٤) أذرعات: بالفتح ثم السكون وكسر الراء، بلد في أطراف الشام يجاور أرض البلقاء وعمان. انظر معجم البلدان.

(٥) العجل بن نعيم بن حيار بن مهنا، من بني فضل بن ربيعة، من طيء: أمير عرب الفضل بالشام والعراق: نشأ في حجر أبيه، بسلمية. ولما حاوز العشرين خرج عن طاعته، ووالى نائب حلب، وكان هذا على عداوة مع أبيه. واستمر عجل في خدمته، فألت إليه إمارة الفضل بعد مقتل أبيه سنة ٨٠٨هـ، ثم حدثت بينه وبين نائب حلب نفرة، فخرج عجل إلى البادية نائراً، فلم يزل يقاتل إلى أن قتل، وهو في نحو الثلاثين من عمره. انظر الضوء اللامع ١٤٦/٥ وحوادث الدهور ٦٠/١ والأعلام ٢١٦/٤.

شهر ذى الحجة، أوله السبت:

فى ثانيه: سار شاليش الأمراء من غزة إلى جهة القاهرة.

وفى ثالثه: سار منها الأمير شيخ بمن بقى معه، واستتاب فى غزة الأمير الطنبغا العثمانى.

وفى سادسه: سقط الطائر من بليس بنزول الأمراء قطيا. فكثرت حركات العساكر بالقاهرة، وركب السلطان من قلعة الجبل فى يوم السبت ثامنه، ونزل بالريدانية، وبات بها. وقد عمل بباب السلسلة من القلعة الأمير بكمتر أمير سلاح. فورد الخير بنزول الأمراء الصالحية يوم التروية، وبأخذهم ما بها من الشعير وغيره، فرحل السلطان فى يوم الأحد تاسعه، ونزل العكرشة، ثم سار منها ليلا، وأصبح ببليس، فضحى بها، وأقام يومى الإثنين والثلاثاء.

وأعاد فى يوم الثلاثاء ابن شعبان إلى حسبة القاهرة، عوضًا عن ابن الجباس، ثم صُرف فى يوم الخميس ثالث عشره، وأعيد ابن الجباس.

وفى يوم الأربعاء ثانى عشره: قبض بالقاهرة على الأمير يلغا السالمى^(١) وعوق بباب السلسلة، وأخذ جميع موجوده بسعاية الأمير جمال الدين الأستاذار. وذلك أنه غَضَّ بمكانه، فأغرى به السلطان حتى رسم له أن يقبض عليه وكان قد خرج لتعبئة الإقامات، ونزل بالحوف، فسار إليه، فأعلم به، ففاته وقدم على السلطان، فأصلح بينهما. ثم لما كان يوم عيد الأضحى نادى السالمى فى الناس أن الفلوس بأربعة دراهم الرطل بعد ستة، وأن المثقال الذهب بثمانين بعد مائة وثلاثين، وأن الإفرتنى بستين قفلق الناس من ذلك قلقًا عظيمًا، وأنكر نائب الغيبة هذا، ونادى بخلافه. وكتب فيه إلى السلطان فوجد جمال الدين السبيل إلى القول فيه، واغتم غيبته بالقاهرة عن السلطان، وما زال حتى كتب إلى نائب الغيبة بقبضه وتقييده.

وفيه التقت مقدمة السلطان ومقدمة الأمراء واقتتلوا، فرحل السلطان من بليس

(١) يلغا أبو المعالى السالمى الظاهرى الحنفى: من أشهر أمراء الجند فى دولة الملك الظاهر برقوق، ثم ابنه الناصر كان يذكر أنه سمرقندى سماه أبواه يوسف، وسبى فجلب إلى مصر مع تاجر اسمه سالم فنسب إليه، واشتراه برقوق. ولما خلع برقوق سنة ٧٩١ أخذ يلغا مدينة صفد باسمه فعرف له ذلك بعد عودته إلى الملك، ثم كان أحد أوصيائه، فقام بتحالف المماليك لولده الناصر اتهم واعتقل سنة ٨٠٣ ونفى إلى دمياط. ثم أحضر سنة ٨٠٥ وقرر فى الوزارة والإشارة وقبض عليه أيضا وأفرج عنه سنة ٨٠٧ وعمل مشيرا ولم يلبث أن نفى إلى الإسكندرية. وقتل فى محبسه حنقا. انظر الضوء اللامع ٢٨٩/١٠ والأعلام ٢٠٨/٨.

بكرة نهار الأربعاء، ونزل السعيدية فأتاه كتاب الأمراء الثلاثة شيخ، وجكّم، ويشبّك، بأن سبب حركتهم ما جرى بين الأمير يشبّك والأمير إينال بيه بن قجماس من حظ الأنفس، حتى توجه يشبّك بمن معه إلى الشام، فكان بها من خراب البلاد، وهلاك الرعية ما كان. وطلبوا منه أن يُخرج إينال بيه ودمرداش نائب حلب من مصر إلى الشام، وأن يعطى لكل من يشبّك وشيخ وجكّم، ومن معهم بمصر والشام ما يليق به، لتخمد هذه الفتنة باستمرارهم على الطاعة، وتحقن الدماء، ويعمر ملك السلطان. وإن لم يكن ذلك تلفت أرواح كثيرة، وخربت بيوت عديدة وقد كان عزمهم المكاتبه بهذا من الشام، لكن خشوا أن يظنّ بهم العجز، فإنه ما منهم إلا من جعل الموت نصب عينيه.

فلما كانت ليلة الخميس ثالث عشره: بيّت الأمراء السلطان وهم فى نحو الثلاثة آلاف فارس وأربعمائة تركمانى من أصحاب قرا يوسف، فاقتتل الفريقان قتالا شديداً، من بعد عشاء الآخرة إلى بعد نصف الليل، جرح فيه جماعة، وقتل الأمير صُرُق صيراً بين يدى الأمير شيخ، لأنه ولى نيابة الشام من السلطان. وركب السلطان ومعه الأمير سودن الطيار، وسودن الأشقر هجنا، وساقوا على البر تحت غلس^(١) الصبح يريدون القلعة. وتفرقت العساكر وتركوا أثقالهم وسائر أموالهم، فغنمها الشاميون، ووقع فى قبضتهم الخليفة وقضاة مصر، ونحو من ثلاثمائة مملوك، والأمير شاهين الأفرم، والأمير خير بك نائب غزة. وقدم المنهزمون إلى القاهرة فى يوم الخميس ثالث عشره. ولم يحضر السلطان، ولا الأمراء الكبار فكثرت الإرجاف، وأقيم العزاء فى بعض الدور وماج الناس، وكثرت النهب، حتى وصل السلطان قريب العصر، ومعه الأمراء، إلى الأمير أقبابى، وقد قاسى من العطش والتعب ما لا يوصف، فاستعد وجمع إليه عساكره.

وفى يوم السبت: سلّم الأمير يلبغا السالمى إلى الأمير جمال الدين الأستادار، فرسم أن يكون سعر الذهب والفلوس على ما كان عليه قبل مناداة السالمى.

وأصبح فى يوم الأحد: فعاقب السالمى بالضرب المبرح

وفى يوم الإثنين سابع عشره: حمله مقيداً إلى الإسكندرية^(٢) فسجن بها.

وفيه زحفت عساكر الشاميين من الريدانية، وقد نزلوا بها من أمسه وكثرت اضطراب

(١) الغلس: ظلمة آخر الليل إذا اختلطت بضوء الصباح، وفى الحديث: «أن النبى ﷺ كان يصلى الصبح بغلس» انظر المعجم الوسيط (غلس).

(٢) الإسكندرية: انظر معجم البلدان ١/ ١٨٢ : ١٨٩.

الناس بالقاهرة، وغلقت أبوابها ودروبها، وتعطلت الأسواق، وعز وجود الماء. ووصلت العساكر قريباً من دار الضيافة تحت القلعة، فقاتلهم السلطانية من بكرة النهار إلى بعد الظهر فأقبل عدة من الأمراء إلى جهة السلطان طائعين له، منهم أسين بيه أمير ميسرة الشام، والأمير يلغا الناصري، والأمير سودن اليوسفي، وإينال حطب، وجمُتق، فقت ذلك في أعضاد من بقي، وعاد طائفة منهم، وحملوا خفهم (١) وأفرجوا عن الخليفة والقضاة وغيرهم. وتسلسل الأمير قُطلوبغا الكركي، والأمير يَشْبِك الدوادار، والأمير تمتاز الناصري، وجركس المصارع في جماعة، واختفوا بالقاهرة وظواهرها، فولى حينئذ الأمير شيخ الحمودي نائب الشام، والأمير جَكم، وقرا يوسف، وطولو، في طائفة سيرة، وقصدوا الشام، فلم يتبعهم أحد من عسكر السلطان. ونادى السلطان بالأمان، وأصبح، فقيد من استأمن إليه من الأمراء، وبعنهم إلى الإسكندرية، فاعتقلوا بها. وانجلت هذه الفتنة عن تلف مال العسكريين، فذهب فيها من الخيل والبغال والجمال والسلاح والثياب والآلات، ما لا يدخل تحت حصر.

وفي تاسع عشرة: قبض على صاحب تاج الدين بن البقري، وعاقبه الأمير جمال الدين، واستقر عوضه في الوزارة، فخر الدين ماجد بن غراب وكان أخوه سعد الدين قد ترامى عند فراره من عسكر الشاميين على الأمير أينال بيه، فجمع بينه وبين السلطان ليلاً، ووعده بستين ألف دينار. فأصبح يوم الأربعاء تاسع عشرة، وصعد القلعة، فخلع عليه السلطان، وجعله مشيراً، وجعل أخاه وزيراً.

وفي ثالث عشرينه: خلع على الأمير نوروز واستقر في نيابة الشام، وعلى الأمير بكتمر واستقر في نيابة صفد (٢) وعلى الأمير سلامش - حاجب غزة - واستقر في نيابتها، ونودي بعرض أجناد الشام.

وفي ثاني عشرينه: مرض السلطان بجمي حادة، قيل إنها دوسنطاريا، وكثر رميه للدم، واستمر به بقية الشهر. وأما الأمير شيخ فإنه قدم إلى غزة، ومعه جَكم، وقرا يوسف في نحو الخمسمائة فارس، معظمهم أصحاب قرا يوسف، وقد غنموا شيئاً كثيراً، وفروا به، وتمزقت عساكر الأمير شيخ، وتلفت أمواله وخيوله. ومضى إلى دمشق، فقدمها يوم الجمعة ثامن عشرينه، بعد ما نهب اللجون (٣) وخرج إليه بَكمُر نائب

(١) هو كل شيء خف عمله انظر المعجم الوسيط (خفف).

(٢) مدينة في جبال عاملة مطلة على حمص بالشام وهي في جبال لبنان انظر معجم البلدان

(٣) بفتح اللام وضم الجيم المشددة، قرية على نصف مرحلة من بيسان من جهة الغرب

صفد، وشيخ السليمانى نائب طرابلس - وقد قدم صفد فى نحو المائتين - فتبعاه إلى عقبة فيق^(١) فلم يدر كراه، وتخطفا من أعقابه بعض خييل. فوجد السلطان أحمد بن أويس صاحب بغداد قد فر من دمشق فى ليلة الأحد سادس عشره. وكان قد تأخر بدمشق، ولم يتوجه مع الأمراء إلى مصر، فأوقع الأمير شيخ الحوطة ببيوت الأمراء، الذين خامروا عليه.

وأما حلب، فإن الأمير حكّم لما سار عنها ثار بها عدة من أمرائها، ورفعوا سنّحق السلطان بباب القلعة، فاجتمع إليهم العسكر، وحلفوا للسلطان، فقدم ابنا شهرى الحاجب، ونائب القلعة من عند التركمان البيضاء إلى حلب. وقام بتدبير الأمور يونس الحافظى. وامتدت أيدي عرب العجل بن نعيم وتراكمين ابن صاحب الباز إلى معاملة حلب، فقسموها، ولم يدعوا لأحد من الأمراء والأجناد شيئاً من المغل.

وفى سادس عشرينه: أشيع بمكة أن ركب العراق قدم صحبة ابن تمرلنك بعسكر، فاستعد الشريف حسن بن عجلان^(٢) أمير مكة إلى لقائه. وكشف عن الخير، فتبين أن محمل العراق قدم ومعه حاج ضعفاء بغير عسكر. فلما قضوا مناسك الحج تأخروا بعد مضى الركب المصرى يوماً، ثم قاسوا طول الكعبة وعرضها، وعدوا عمد المسجد الحرام وأبوابه، فأسروا إلى ابن عجلان رجل ممن حضر معهم من بنى حسن بأن تمرلنك كان قد عزل على بعث جيش عدتهم عشرة آلاف فارس، صحبة المحمل، فخوف من عطش الدرب فأخروهم وبعث لكشف الطريق، حتى يبعث من قابل^(٣) عسكرياً بكسوة الكعبة، فكتب بذلك ابن عجلان إلى السلطان.

(١) فيق مدينة بالشام بين دمشق وطبرية، وعقبة فيق ينحدر منها إلى غور الأردن. انظر معجم

البلدان.

(٢) حسن بن عجلان بن رميثة بن أبى نعى: شريف حسنى، من أمراء مكة. ولد ونشأ فيها، وأقام بمصر فولاه صاحبها إمارة مكة سنة ٧٩٨هـ وجاءه التوقيع سنة ٨١١هـ بناية السلطنة فى جميع بلاد الحجاز فاستمر مدة وعزل وأعيد مرتين ثم توجه سنة ٨٢٨هـ إلى مصر. فتوفى فيها. انظر خلاصة الكلام ٣٦. ومراجع تاريخ اليمن ٢٩٩ والأعلام ١٩٩/٢.

(٣) قد يكون المقصود كابل وهى من ثغور خراسان وقيل فى بلاد الترك وقيل من مدن الهند الجارورة لبلاد طخارستان، وكابل مدينة حليلة المقدار حسنة البنية. انظر الروض العطار فى خير الأقطار ٤٨٩، ومعجم ما استعجم ١١٠٨/٤ الإدريسى (ق) ٧١، وقارن باليعقوبى ٢٩١ والكرخى ١٥٧ وابن حوقل ٣٧٥ والمقدسى ٣٠٤ والزهرى ٣٠ وتقويم البلدان ٤٦٨، ابن بطوطة ٣٩٢ وحدود العالم ١١، ٣٤٦ ومعجم البلدان ٢٤٢/٤.

وفي هذا الشهر: أخذ ناصر الدين محمد بن دلغادر قلعة درنده ^(١) صلحًا. واستهّم محاربة محمد بن كَبَك، وأخذ ملطية ^(٢) منه.

وفيه أخذ قرا يُلك قلعة الرها ^(٣) بعد حصارها مدة، وأنزل بها ولده، ومضى إلى ماردين ^(٤) فأخذ المدينة وأحرقها وخربها، وحصر قلعتها، وأخذ التركمان كركر وكختا ^(٥) وبهسنا، وعدة قلاع. ولم تنسلخ هذه السنة حتى شمل الخراب إقليم مصر، وتلاشى الصعيد، وذرث عدة مدن، وكثير من القرى وتعطلت معظم أراضيها من الزراعة، وتمزق أهله أيدي سبا وبيع من الأطفال ما لا يدخل تحت حصر، فاسترقوا بعد الحرية، وذلوا بعد العز.

وفيه كُتب تقليد الأمير علان اليحياوى فى نيابة حلب، منتقلا عن نيابة حماة ^(٦) وتوجه على يد متسفره أينال الخازندار. واستقر الأمير بكتمر شلق نائب صفد فى نيابة طرابلس، وتوجه لتقليده الأمير صرماش العمرى واستقر عوضه فى نيابة صفد الأمير بكتمر الركنى، ومتسفره أينال الخازندار.

واستقر الأمير دقماق المحمدى فى نيابة حماة، عوضًا عن علان. واستقر الأمير علم الدين سلمان فى نيابة الكرك والشوبك. واستقر الأمير سلامش نائب غزة، عوضًا عن خاير بك.

وفيه سار الأمير شيخ السليمانى نائب طرابلس - بعد عزله عنها - إلى جهة صفد.

* * *

ومات فى هذه السنة

الوزير بدر الدين محمد بن محمد بن محمد بن الطوخى.

(١) قلعة درنده: أو طرنده، بلدة على بعد ثلاث مراحل من ملطية داخلية فى بلاد الروم. انظر معجم البلدان ٣٢/٤.

(٢) بلدة من بلاد الروم مشهورة مذكورة تناخم الشام. انظر معجم البلدان ١٩٢/٥، ١٩٣.

(٣) مدينة بالجزيرة بين الموصل والشام، بينها ستة فراسخ. انظر معجم البلدان ١٠٦/٣.

(٤) قلعة مشهورة على قنة جبل الجزيرة، مشرفة على دنيسر ودار ونصبين انظر معجم البلدان ٣٩/٥.

(٥) كركر وكختا وبهسنا: حصون قرب مرعش وسميساط، فى الطرف الشمالى لشمال الشام. انظر معجم البلدان ٣١٢/٤.

(٦) مدينة كبيرة من أعمال حمص، بينها وبين شيرز نصف يوم وبينها وبين دمشق خمسة أيام للقوافل، وبينها وبين حلب أربعة أيام. انظر معجم البلدان ٣٠١، ٣٠٠/٢.

ومات ناصر الدين محمد بن صلاح الدين صالح بن أحمد، المعروف بابن السفاح الحلبي، توفى يوم الثلاثاء ثانی عشرین محرم وكان قد قدم من حلب، وباشر توقيع الأمير يَشْبِك الدوادر، وتعين لكتابة السر.

ومات الأمير قانباي رأس نوبة أحد أمراء العشرينات فى يوم الخميس أول جمادى الآخرة.

ومات على بن عمر بن الملقن نور الدين بن سراج الدين، فى يوم الإثنين سلخ شعبان، فجأة، بمدينة بلييس وحُمل ميتاً، فدفن عند أبيه بحوش الصوفية، خارج باب النصر، ومولده فى شوال سنة ثمان وستين وسبعمائة وكان قد برع فى الفقه، ودرس بعد أبيه فى عدة مواضع، وناب فى الحكم مدة أعوام، حتى فخم ذكره، وتعين لقضاء القضاة الشافعية، وكثر ماله.

ومات عبيد الله بن الأردبيلي فى شهر رمضان وكان يُعد من فضلاء الفقهاء الحنفية. وناب فى الحكم مدة، ودرس، وولى قضاء العسكر فى أيام تغلب الأمير منطاش، فتأخر فى الأيام الظاهرية.

ومات عبد المنعم بن محمد بن داود شرف الدين البغدادى الحنبلى، فى يوم السبت ثامن عشر شوال، وقد انتهت إليه رئاسة الحنابلة وكتب على الفتوى، ودرس عدة سنين. وكان قد قدم من بغداد، وأخذ الفقه عن الموفق الحنبلى قاضى القضاة. وتعين لقضاء الحنابلة، ثم ولى غيره. وانقطع بالجامع الأزهر عدة سنين، يدرس ويفتى، ولا يخرج منه إلا فى النادر.

ومات شمس الدين محمد بن عباس بن محمد بن حسين بن محمود بن عباس الصلتى، فى مستهل جمادى الأولى. ولد فى سابع عشرين شعبان، سنة خمس وأربعين وسبعمائة وولى القضاء فى عدة بلاد من معاملة دمشق ثم ولى قضاء بعلبك وحمص وغزة وحمّامة. وجمع فى أيام الفتنة بين قضاء القدس وغزة وناپلس. ثم عمل مالكيًا، واستقر فى قضاء المالكية بدمشق، ثم ترك ذلك وولى قضاء القضاة الشافعية بدمشق، وباشر مباشرة غير مشكورة.

سنة ثمان وثمانمائة

الحرم أوله الإثنين ويوافقه خامس أيّوب:

أهل والسلطان قد اشتد به المرض. وأرجف بموته ليلة الإثنين هذا، فباع فى يومه فرساً بمائتى ألف درهم، وتصدق بها.

وفى ثانيه: استقر صدر الدين أحمد بن جمال الدين محمود القيسرى فى حسبة القاهرة، وعزل ابن الجباس.

وفى ثالثه: قدم مبشرو الحاج.

وفى يوم السبت سادسه: بعث الأمير شيخ نائب الشام برسالته: شهاب الدين أحمد ابن حجى^(١) - أحد خلفاء الحكم بدمشق - والسيد ناصر الدين محمد بن الشريف علاء الدين على - نقيب الأشراف - والفقير المعتقد محمد بن قُدادار، ويلبغا المنجكى، ومعهم كتابه يتضمن الترقق والاعتذار عما وقع منه، ويسأل استقراره فى نيابة الشام، فقدموا القاهرة يوم الإثنين ثالث عشرينه، ودخل منهم على السلطان ابن حجى وابن قُديذار ويلبغا خاصة، لأنهم الرسل، ومن عداهم رفقائهم فلم يلتفت السلطان إلى قوله، ورسم أن ينزل السيد ناصر الدين عند كاتب السر، وينزل ابن حجى وابن قدادار عند القاضى الشافعى، والمنجكى عند الأمير أينال بيه. وأن لا يجتمعوا بأحد.

وفى تاسعه: استقر الأمير قانى بيه فى نيابة الإسكندرية.

وفى ثالث عشره: نودى بالزينة لعافية السلطان، فزُينت القاهرة ومصر إلى خامس عشره وتوجه الأمير يَشْبَك الموساوى الأقمم إلى الشام، يُبشّر بعافية السلطان.

وفى ثانى عشرينه: قدم المحمل ببقية الحاج، وقد تأخر عن عادته يوماً.

وفى رابع عشرينه: سار الأمير نوروز الحافظى إلى دمشق، بعدما خلع عليه وخرج لوداعه الأمراء، فأناخ بالريديانية، ثم رحل منها، ومضى لشأنه، ومعه متسفره بُردُ بك الخازندار، فى ثامن عشرينه.

وفى هذا الشهر: بلغ المئقال الذهب إلى مائة وأربعين، والدينار الأفرنتى إلى مائة

(١) أحمد بن حجى بن موسى بن أحمد السعدى الحسينى الأصل، الدمشقى شهاب الدين بن علاء الدين: حافظ مؤرخ، من أهل دمشق ولد ومات فيها ويلقب بمؤرخ الإسلام انتهت إليه مشيخة الشيوخ فى البلاد الشامية صنف كتباً جليلة منها الدارس من أخبار المدارس. انظر الضوء اللامع ٦٩/١، والنعمى ١٣٨/١ والشذرات ١١٦/٧ والأعلام ١١٠/١.

وعشرين. والفلوس كل رطل عنه ستة دراهم، واستمر الأمر عليه وأبيع القمح بمائة وسبعين درهماً فلوساً الأردب، والشعير والفلول بمائة وخمسين الأردب، واللحم الضأن السليخ بسبعة دراهم الرطل والسميط كل رطل بستة دراهم، ولحم البقر بأربعة دراهم، وهو قليل جداً. وكل بيضة بنصف درهم، وكل راوية ماء من عشرة دراهم إلى اثني عشر درهماً. وسائر ما يباع غال، حتى بلغ القدح الأرز إلى ثلاثة عشر درهماً. وبيعت ملوطتان^(١) قطن قد لبستا وغسلتا بألفين ومائتي درهم، وأربعين درهماً. وبلغ رطل الحب رمان إلى عشرة دراهم. وأما الأمير شيخ نائب الشام، فإنه قبض فى سابعه على الأمير سُودن الظريف، وحمله إلى الصبيبة، فسجن بها. وقبض على القضاة وكاتب السر والوزير. وولى ابن باشى قاضى دمشق. ومشى قضاة دمشق فى خدمته وهو راكب من باب النصر إلى العادلية وسلمهم إليه ليصادرهم، ففروا منه ليلاً وبذلوا للأمير شيخ مالا وعادوا إلى القضاء. واستتاب ابن أبى البقاء ابن باشى.

شهر صفر، أوله الأربعاء:

وفى ليلة الإثنين سادسه: قبض على الأمير يَشْبُك بن أزدمر رأس نوبة، والأمير تَمراز والأمير سُودن، من إخوة سُودن طاز، فاختنى الأمير أينال بيه أمير أخور، ومعه الأمير سُودن الجلب، وحزمان فى جماعة، فأحاط السلطان بدورهم، وأخذ ما قدر عليه.

وفى يوم الثلاثاء سابعه: سُفّر ابن أزدمر وتُرّ سُودن إلى الإسكندرية، فسجنوا بها.

وأما أينال بيه، فإنه دار على جماعة من الأمراء ليركبوا معه، فلم يوافقوه فاختنى، واجتمع طائفة من المماليك السلطانية تحت القلعة. فأغلق باب الإصطبل، وكثرت مفاوضة المماليك من القلعة إلى من وقف تحتها منهم، ثم رموهم بالنشاب، فتفرقوا وسكن الحال.

وفى تاسعه: استقر فخر الدين ماجد، ويدعى عبد الله بن سديد الدين، أبى الفضائل ابن سناء الملك، المعروف بابن المزوق، كاتب سعد الدين إبراهيم بن غراب فى نظر الجيش، وعزل الصاحب بدر الدين حسن بن نصر الله. وأعيد ابن شعبان إلى حسبة القاهرة، وعزل صدر الدين أحمد بن العجمى.

وفى يوم الجمعة عاشره: ظهر الأمير أينال بيه بن قجماس، وطلع به الأمير بيبرس بن أخت السلطان إلى القلعة، فكثرت الكلام. ثم آل الأمر إلى أن قبض عليه السلطان، وأرسله إلى دمياط فى حادى عشره، بطالا.

(١) الملوطة قباء واسع الكمين طويلهما، يلبس فوق الفرجية.

وفي رابع عشره: أعيد الأحنأى إلى قضاء القضاة، وصرف شيخ الإسلام جلال الدين.

وفي يوم السبت ثامن عشره: - وخامس عشرين مسرى - وفى النيل، فركب الأمير الكبير بيبرس لكسر الخليج، فى عدة من الأمراء.

وفي حادى عشرينه: فرق السلطان إقطاعات الأمراء المسوكين، فأنعم بإقطاع أينال باى بن قجماس على الأمير تغرى بردى، وإقطاعات تغرى بردى على الأمير دمرداش نائب حلب (١) وإقطاعات دمرداش على الأمير أزيك الإبراهيمى. وأنعم على الأمير بيبرس الصغير الدوادر بإمرة مائة وعلى قراجا بإمرة عشرين، نقل إليها من إمرة عشرة وعلى الأمير بُشباى الحاجب بإمرة مائة، نقل إليها من الطبلخانة. وعلى الأمير علان بإمرة مائة، وأنعم بطبلخانة سودن الجلب على الأمير ألتش الشعبانى، نقل إليها من إمرة عشرة.

وفي ثالث عشرينه: نقل الأمير شرباش من وظيفة رأس نوبة، واستقر أمير أخور كبير، عوضاً عن أينال بيه. واستقر الأمير أرسطاي حاجب الحجاب، عوضاً عن الأمير بشباى.

وفي سابع عشرينه: أعيد صدر الدين أحمد بن العجمى إلى الحسبة، وعزل ابن شعبان. واستقر الحجازى والى القاهرة، وعزل ناصر الدين مجد الحنى.

وأما الأمير شيخ، فإنه توجه من دمشق، ومعه الأمير جكم والأمير قرا يوسف فى نصفه، لحرب الأمير نعيم، فأدركوا أعقابه ثم اختلفوا، فمضى جكم إلى ناحية طرابلس (٢)، ومضى بقرا يوسف إلى جهة الشرق، عائداً إلى بلاده. وعاد الأمير شيخ من البقاع، فنزل سطح المزة فى ثامن عشره، ومعه خواصه فقط، فأقام يسيراً، وتوجه إلى جهة الصبية. فدخل الأمير نوروز دمشق يوم الثلاثاء ثانى عشرينه من غير قتال ولا نزاع على عادة النواب. وبلغ فى هذا الشهر بالقاهرة الأردب الأرز إلى ألف ومائتى درهم، غير كلفه. وبلغ القنطار السيرج إلى ألف وثلاثين درهماً، غير كلفه. وبيعت بطيخة خضراء بعشرين درهماً. وأبيع الرطل العنب بأربعة دراهم، والرطل الخوخ بدرهمين ونصف، والتين بدرهم ونصف الرطل، والقنطار القرع بثمانين درهماً.

وفيه نادى الأمير نوروز على الفلوس كل رطل شامى بتسعة دراهم، ومنع من ضرب

(١) بلدة عظيمة قديمة ذات قلعة مرتفعة حصينة انظر معجم البلدان ١٤٢/٢.

(٢) انظر معجم البلدان ٢٦، ٢٥/٤.

الفلوس بدمشق. ثم نادى أن يكون الرطل من الفلوس بستة، فصار الدرهم الفلوس كالدرهم الفضة. والدينار الإفرنتى بخمسة وعشرين درهماً، إما فضة وإما فلوساً. واستقام أمر الناس بدمشق فى المعاملة.

شهر ربيع الأول، أوله الخميس:

فيه استقر جمال الدين عبد الله بن قاضى القضاة ناصر الدين التنسى، فى قضاء القضاة المالكية، وصرف البساطى، ثم صرف يوم السبت ثالثه، وأعيد البساطى، فكانت ولايته يومين.

وفى خامسه: استقر الأمير بشباى رأس نوبة كبيراً، عوضاً عن يشبك بن أزدمر. وأعيد شيخ الإسلام جلال الدين بن البلقينى ^(١) إلى قضاء القضاة، وعزل الأخناى، فكانت مدة عزله وولاية الأخناى يوماً. وهذه خامسة ولايات شيخ الإسلام قاضى القضاة.

وفى يوم الثلاثاء سادسه: تحببت الأحوال بين السلطان وبين المماليك، فوقف طائفة من المماليك الجراكسة، وسألوا أن يقبض على الأمير تغرى بردى، والأمير دمرداش، والأمير أرغون، من أجل أنهم من جنس الروم.

وذلك أن السلطان اختص بهم، وتزوج ابنة تغرى بردى، وأعرض عن الجراكسة، وقبض على أينال بيه فخاف الجراكسة من تقدم الروم عليهم، وأرادوا من السلطان إبعادهم، فأبى عليهم، فتحزبوا عليه، واجتمعوا على الأمير الكبير بيبرس، وتأخروا عن الخدمة السلطانية، فتغيب فى ليلة الأربعاء الأميران تغرى بردى ودمرداش. وأصبح الناس يوم الأربعاء سابعه، وقد ظهر الأمير يشبك الدوادار، والأمير ثمراز، والأمير جركس المصارع، والأمير قانباى العلاى، وكانوا مختلفين من حين الكسرة، بعد وقعة السعيدية. وذلك أن الأمير بيبرس ركب سحرًا إلى السلطان وتلاحى ^(٢) معه طويلاً، وعرفه بمواضع الأمراء المذكورين، فاستقر الأمر على مصالحة السلطان للجراكسة، وإحضار الأمراء المذكورين، والإفراج عن أينال باى وغيره، فانفضوا على ذلك.

(١) البلقينى عبد الرحمن بن عمر بن رسلان الكنانى، العسقلانى الأصل، ثم البلقينى المصرى أبو الفضل جلال الدين: من علماء الحديث بمصر انتهت إليه رياسة الفتوى بعد وفاة أبيه وولى القضاء بالديار المصرية إلى أن مات وهو متول له كتب فى «التفسير» و«الفقه». انظر شذرات الذهب ١٦٦/٧ والتيمورية ٦٤١/٢ والضوء اللامع ٦/٤. والأعلام ٣٢٠/٣.

(٢) تلاحى: حيث فلأنا لحياً، إذا لمته لحا الرجل لحوا: شتمه وفى حديث نُهيبت عن ملاحاة الرجال أى مقاولتهم ومخاصمتهم انظر لسان العرب (لحا).

وفي ثامننه: استقرّ سودن الحمدى - المعروف بتلى، يعنى المجنون - أمير أخور، وصرّف جرّاش.

وفي يوم السبت عاشره: طلع الأمير يشبّك، وتمرّاز، والمصارع، وغيره إلى القلعة، فخلع السلطان عليهم خلع الرضا، ونزلوا إلى دورهم.

وفي ثانى عشره: أعيد الهوى إلى الحسبة، وغزل ابن العجمى.

وفي خامس عشره: قدم الأمير قُطْلُوْبُغا الكركى، والأمير أينال حطب، وسودن الحمزاوى، ويبلغا الناصرى، وتمرّ، وأسندمر الناصرى الحاجب، من الإسكندرية. وقدم الأمير أينال بيه بن قجماس، والأمير ثمان تمرّ الناصرى رأس نوبة، من دميّاط.

وفي سابع عشره: خلّع عليهم خلع الرضا.

وفي تاسع عشره: قدم الأمير يشبّك بن أزدمر من سجن الإسكندرية.

وفي يوم الثلاثاء عشريّنه: قبض على فتح الدين فتح الله، كاتب السر، وتسلمه الأمير ناصر الدين محمد بن كلفت شاد الدواوين، وأحيط بداره وحواصله، وألزم بحمل ألف ألف درهم. واستقرّ عوضه فى كتابة السر سعد الدين إبراهيم بن غراب، وخلع عليه الأمراء بطراز ذهب، ولم يعهد هذا قبله.

وفي ثانى عشريّنه: ظهر الأمير دمرداش الحمدى نائب حلب من اختفائه.

وخلّع عليه بنبابة غزة، وأنعم عليه بمال كبير وخيول، فسار فى يوم السبت رابع عشريّنه. وخلّع على يشبّك بن أزدمر بنبابة ملطية^(١) فامتنع من ذلك، فأكره حتى لبس الخلعة، ووكل به الأمير أرسلان حاجب الحجاب، والأمير ناصر الدين محمد بن جُلبان الحاجب حتى أخرجاه من فوره إلى ظاهر القاهرة. وبعث السلطان إلى الأمير أربك الإبراهيمى - المعروف بخاص خرّجى وكان قد تأخر عن الخدمة، بأن يستقرّ فى نيابة طرسوس^(٢) فأبى أن يقبل، والتجأ إلى بيت الأمير أينال بيه. فاجتمع طائفة من المماليك مضوا إلى يشبّك بن أزدمر، وردوه فى ليلة الجمعة ثالث عشريّنه، وقد وصل قريباً من سرياقوس، وضربوا الحاجب، وصار العسكر حزين وأظهر الجراكسة الخلاف، ووقفوا تحت القلعة بمنعون من يقصد السلطان، وجلس الأمير الكبير بيبرس فى جماعة من الأمراء بداره. وصار السلطان بالقلعة، وعنده عدة أمراء. وتمادى الحال يوم الخميس والجمعة والسبت، والناس فى قلق، وبينهم قالة وتشانيع وإرجافات.

(١) بلدة من بلاد الروم مشهورة مذكورة تتاخم الشام. انظر معجم البلدان ١٩٢/٥، ١٩٣.

(٢) بفتح أوله وثانيه وهى مدينة بسهول الشام بين أنطاكية وحلب وبلاد الروم. انظر معجم

وفى يوم السبت هذا: نزل السلطان إلى باب السلسلة، واجتمع معه بعض الأمراء ليصلح الأمر، فلم يقد شيئاً، وكثرت الشناعة عليه. وباتوا على ما هم عليه. وأصبحوا يوم الأحد خامس عشرينه وقد كثروا، فطلبوا من السلطان أن يبعث إليهم بالأمير تغرى بردى والأمير أرغون. فلما بعثهما قبضوا عليهما، وأخرجوا تغرى بردى منفياً إلى القدس. فلما كان عند الظهر، فقد السلطان من القلعة، فلم يعرف له خير. وسبب اختفائه أن النوروز كان في يوم السبت رابع عشرين ربيع الأول هذا، فجلس السلطان مع عدة من خاصكياته لمعاقرة الخمر، ثم ألقى نفسه فى بحرة ماء وقد مثل، فتبعه جماعة وألقوا أنفسهم معه فى الماء. وسبح بهم فى البحرة، وقد ألقى السلطان عنه جلباب الوقار، وساواهم فى الدعابة والجون، فتناوله من بينهم شخص، وغمّه فى الماء مراراً، كأنه يمازحه ويلاعبه، وإنما يريد أن يأتى على نفسه. فما هو إلا أن فطن به فبادر إليه بعض الجماعة - وكان روميا - وخلّصه من الماء، وقد أشرف على الموت، فلم يبد السلطان شيئاً، وكنم فى نفسه. ثم باح بما أسره، لأنه كان لا يستطيع كتمان سر. وأخذ يذم الجراكسة - وهم قوم أبيه، وشوكة دولته، وجل عسكره - ويمدح الروم، ويتعصب لهم، ويتنمى إليهم، فإن أمه شيرين كانت رومية. فشق ذلك على القوم، وأخذوا حذرهم، وصاروا إلى الأمير الكبير بيبرس ابن أخت الظاهر واستمالوه، فخاف السلطان وهم أن يفر، فبادره الأمير بيبرس وعنفه، وما زال به حتى أحضر الأمراء من الإسكندرية ودمياط، وأظهر الأمراء المختفين كما ذكر، فاجتمع الأضداد، واقترن العدى والأنداد. ثم عادوا إلى ما هم عليه من الخلاف بعد قليل، وأعانهم السلطان على نفسه، بإخراج يشبك بن أزدمر، وأزبك، فأبدوا عند ذلك صفحات وجوههم، وأعلنوا بخلافه، وصاروا إلى أينال باى بن قجماس، ليلة الجمعة، وسعوا فيما هم فيه. ثم دسوا إليه سعد الدين بن غراب كاتب السر، فخيله منهم، حتى امتلأ قلبه خوفاً. فلما علم ابن غراب بما هو فيه من الخوف، حسن له أن يفر، فمال إليه. وقام وقت الظهر من بين حرمة وأولاده، وخرج من ظهر القلعة من باب السر الذى يلى القرافة، ومعه الأمير بيغوت، فركبا فرسين قد أعدهما ابن غراب، وسارا مع بكتمر مملوك ابن غراب، ويوسف بن قطلوبك صهره أيضاً، إلى بركة الحبش. ونزلا وهما معهما فى مركب، وتركوا الخيل نحو طرا^(١) وغيبوا نهارهم فى النيل، حتى دخل الليل، فساروا بالمركب إلى بيت ابن غراب، وكان فيما بين الخليج وبركة الفيلى، فلم يجدوه فى داره، فمروا على أقدامهم حتى أووا فى بيت بالقاهرة لبعض معارف بكتمر

(١) طرا: أو - طره -: بلدة فى شرقى النيل قريبة من الفسطاط.

مملوك ابن غراب. ثم بعثوا إلى ابن غراب فحول السلطان إليه وأنزله عنده بداره، من غير أن يعلم بذلك أحد. وقد حدثني بكتّم المذکور بهذا فيما بعد، وقد صحبته في السفر، فبلوت منه ديناً، وصدق لهجة، وشجاعة، ومعرفة ومحبة في العلم وأهله.

* * *

السلطان الملك المنصور عز الدين أبو العز

عبد العزيز بن السلطان الظاهر

أبي سعيد برقوق بن أنص^(١)

ثالث ملوك الجراكسة أمه أم ولد تركية، اسمها قنباى. ولد بعد التسعين وسبعمائة بسنيات، وجعل أبوه إليه السلطنة بعد أخيه الناصر فرج^(٢).

فلما فقد الملك الناصر وقت الظهر من يوم الأحد خامس عشرين ربيع الأول، بادر الأمراء بالركوب إلى القلعة، وهم طائفتان: الطائفة التي خالفت على الناصر في السنة الماضية وحاربتة، ثم مضت إلى الشام، فشنت الغارات وأقبلت بالعساكر وبيتته بالسعيدية. وانتهبت ما كان معه ومع عساكره، حتى رجع إلى قلعة الجبل على جمل. فجمع وحشد، وأعد واستعد، فقاتلوه أياماً، ثم غلبوا، فكر بعضهم راجعاً إلى الشام، واختفى بعضهم إلى أن أمنهم وأعادهم إلى رتبهم.

وهم عدة، يرجع أمرهم إلى الأمير يشبك الدوادر.

والطائفة الأخرى هي التي وقت للناصر وحاربت من ذكرنا معه، وكبيرهم الأمير الكبير بيبرس ابن أخت الظاهر. فلما صار الفريقان إلى القلعة، منعهم الأمير سودون تلى المحمدى أمير أخور من صعود القلعة، وهم يضرعون إليه من بعد نصف النهار إلى بعد

(١) المنصور ابن برقوق (٧٩٨ - ٨٠٩ هـ - ١٣٩٥ - ١٤٠٧ م). عبد العزيز بن برقوق بن أنص - أو أنس - العثماني الجركسى، أبو العز: من ملوك الجراكسة بمصر والشام ببيع بالسلطنة وهو طفل سنة (٨٠٨ هـ) بعد اختفاء أخيه الناصر (فرج) وقام بأمره وأمر الدولة بيبرس الأتابكى ودامت سلطنته نحو شهرين، وظهر أخوه، فاستعاد السلطنة، وأرسل عبد العزيز إلى الإسكندرية فسجن بها أربعين يوماً ومات مسموماً أو مخنوقاً. انظر بدائع الزهور ١ / ٣٤٩، ٣٥١، الضوء اللامع ٤ / ٢١٧ الأعلام ٤، ١٥.

(٢) الناصر فرج (٧٩١ - ٨٢٥ هـ - ١٣٨٩ - ١٤١٢ م). فرج (الملك الناصر) بن برقوق (الظاهر) بن أنص (أو أنس) العثماني، أبو السعادات، زين الدين: من ملوك الجراكسة بمصر والشام. ببيع بالقاهرة سنة ٨٠١ هـ، بعد وفاة أبيه، وكان صغير السن. انظر ابن إياس ١ / ٣١٧، ٣٥٠، ٣٥٤، الضوء اللامع ٦ / ١٦٨ الأعلام ٥ / ١٤٠.

غروب الشمس. ثم مكنهم من العبور من باب السلسلة.

وقد أحضروا الخليفة والقضاة الأربعة، واستدعوا الأمير عبد العزيز بن الظاهر، وقد ألبسه بن غراب الخلعة الخليفية، وعممه . فعهد إليه الخليفة أبو عبد الله محمد المتوكل على الله بالسلطنة، ولقبوه الملك المنصور عز الدين، وكنوه بأبى العز. وذلك عند أذان عشاء الآخرة، من ليلة الإثنين سادس عشرين ربيع الأول، وقد ناهز الاحتلام.

وصعدوا به من الإسطبل إلى القصر. ولم تدق البشائر على العادة، ولا زينت القاهرة، وأصبح الناس فى سكون وهدوء، فنودى بالأمان والدعاء للملك المنصور.

فتحيرت الممالك التى من عصبة الناصر. وأشاعوا أنه مضى به دمر دأش نائب حلب وبيغوت إلى الشام.

وهم كثير منهم باللحاق به، فأشاع آخرون أنه قتل، وأعرض الأمراء عن الفحص عنه، وتواصوا بالاتفاق. وقام بن غراب بأعباء المملكة، يدبر الأمراء كيف شاء .

والمنصور تحت كفالة أمه. ليس له من السلطنة سوى مجرد الاسم فى الخطبة، وعلى أطراف المراسيم.

وفى يوم الثلاثاء سابع عشرينه: استقر الأمير بيبرس لالا السلطان، وخلع عليه.

وفى يوم الخميس تاسع عشرينه: عملت الخدمة بالإيوان المعروف بدار العدل وجلس السلطان على تحت الملك. وحضر الأمراء والقضاة وأهل الدولة على العادة، وخلع على أرباب الوظائف. فاستمر الأمير الكبير بيبرس على عادته أتائبك العساكر، والأمير أقبای أمير سلاح، وسودن الطيار أمير مجلس، وسودن تلى الحمدى أمير أخور، وبشباى رأس نوبة كبير، وأرسطای حاجب الحجاب، وسعد الدين بن غراب كاتب السر، وفخر الدين ماجد بن غراب وزيراً، وفخر الدين بن المرزوق ناظر الجيش.

وخلع على القضاة الأربعة خلع الاستمرار.

وفى هذا الشهر: بلغ المئقال الذهب إلى مائة وخمسين، والإفرنتى إلى مائة وثلاثين، فنودى فى سابع عشرينه أن المئقال بمائة وأربعين، والأفرنتى بمائة وعشرين، من أجل أنه توقف الذهب من قلة الفلوس، وذلك أنها صارت رخيصة، وكل قنطار منها بستمائة، عنها أربعة مثاقيل من الذهب. ومع ذلك يباع النحاس الأحمر الذى لم يضرب بألفى درهم، عنها ثلاثة عشر مثقالاً وثلاث.

فضن التجار بإخراج الفلوس، حتى اتضع الذهب، وكثر فى الأيدى، وزهد الباعة فى أخذه. فتوقفت الأحوال بسبب هذا، حتى نودى فمشت الأحوال.

وفيه أبيع الأردب القمح بمائتين وعشرين، والشعير والبقول بمائة وعشرين، وبلغ الأرز إلى ستة عشر درهما القدح. وأبيع الباذنجان كل واحدة بنصف درهم.

والرطل اللحم الضأن بثمانية دراهم. ولحم البقر بخمسة دراهم الرطل. وبيع رأسان من البقر - بعد النداء عليهما بحراج حراج فى السوق - باثنى عشر ألف درهم. وبلغ الأردب من زريعة الجزر إلى خمسمائة درهم، والقدح من بزر الفجل إلى مائة وخمسين درهما. والقدح من بزر اللفت إلى ثمانين درهما.

والرطل من لحم الجمل بثلاثة دراهم ونصف، بعد خمسة أرتال بدرهم.

وفى هذا الشهر: كانت وقعة بين المسلمين والفرنج بالأندلس^(١). وذلك أن مدة الصلح بين المسلمين بغرناطة^(٢) وبين الطاغية صاحب قشتالة^(٣) لما انقضت، أبى الطاغية من الصلح، فبعث السلطان أبو سعيد عثمان^(٤) صاحب فاس^(٥) عشرين غرابا أوسقها بالعدد والزاد، وجهاز ثلاثة آلاف فارس، قدم عليهم القائد مارح. وجعل الشيخ عمر بن زيان الوساطى على ألف فارس أخرى.

(١) الأندلس: جزيرة كبيرة فيها عامر وغامر، طولها نحو الشهر فى نيف وعشرين مرحلة، تغلب عليها المياة الجارية والشجر والتمر والرخص والسعة فى الأحوال. انظر معجم البلدان ١ / ٢٦٢ وما بعدها.

(٢) غرناطة: قال أبو محمد عفان الصحيح أغرناطة بالألف فى أولها أسقطها العامة. وهى أقدم مدن كورة البيرة من أعمال الأندلس وأعظمها وأحسنها وأحصنها. انظر معجم البلدان ٤ / ١٩٥.

(٣) قشتالة: إقليم عظيم بالأندلس قصبته، اليوم طليطلة وجميعه اليوم بيد الأفرنج. انظر معجم البلدان ٤ / ٣٥٤.

(٤) السلطان أبو سعيد المرينى (٧٨٤ - ٨٢٣ هـ = ١٣٨٢ - ١٤٢٠ م). عثمان بن أحمد بن إبراهيم بن على، من بنى عبد الحق، أبو سعيد المرينى، من ملوك الدولة المرينية فى المغرب. وهو ثالث الأخوة الأشقاء من أبناء أحمد بن إبراهيم الذين تولوا الملك من بعده ببيع بفاس بعد وفاة أخيه عبد الله (سنة ٨٠٠ هـ) وكان التصرف فى دولته للوزراء والحجاب وفى أيامه استولى البر تغال على مدينة سبتة سنة ٨١٨ هـ، بعد حصار طويل. وازداد ضعف الدولة المرينية واستمر أبو سعيد إلى أن قتله وزيره عبد العزيز اللباني. انظر: جذوة الاقتباس ٢٨٩، الاستقصا ٢ / ١٤٤، الضوء اللامع ٥ / ١٢٤ الأعلام ٤ / ٢٠٢

(٥) فاس: مدينة مشهورة كبيرة على بر المغرب من بلاد البربر. انظر معجم البلدان ٤ / ٢٣٠.

فنزّلوا سبتة^(١). وجهز أبو عبد الله محمد بن أبي الحجاج يوسف - صاحب غرناطة - أسطوله إلى جبل الفتح، فلقيهم أسطول الطاغية بالزقاق^(٢)، في يوم الجمعة سادس عشرة، وقتلهم. وقد اجتمع أهل فاس وأهل غرناطة، فكانت النصر للفرنج، ولم ينج من المسلمين إلا القليل. وغنم الفرنج المراكب كلها بمن فيها وما فيها. فكانت مصيبة عظيمة، تكالبت فيها الفرنج على المسلمين، وقوى طمعهم فيهم.

شهر ربيع الآخر أوله الجمعة:

فيه بلغ الأردب القمح إلى مائتي درهم وستين. ولحم الضأن إلى عشرة دراهم الرطل. ولحم البقر إلى خمسة ونصف.

وفيه انتهت زيادة ماء النيل إلى تسع عشرة ذراعا سواء، وعزت البقار، وطلبت لأجل حرث الأراضي، فأبيع ثور بثمانية آلاف درهم.

وفي آخر نهار الأربعاء ثامن عشره: أفرج عن فتح الله كاتب السر. على أن يحمل خمسمائة ألف درهم فلوسا. عنها ثلاثة آلاف وثلاثمائة وثلاثة وثلاثون مثقالا ذهباً، وثلاث مثقال.

وفيه توجه الأمير نوروز نائب الشام من دمشق إلى الصبية، لقتال الأمير شيخ.

شهر جمادى الأولى أوله الأحد.

فيه بلغ رطل اللحم الضأن إلى اثني عشر درهما، ولحم البقر إلى ستة دراهم، والأردب القمح إلى مائة وثمانين، وبلغت الفضة الكاملة إلى أربعمائة وسبعين درهما فلوسا، كل مائة درهم منها.

وبلغ القنطار الزيت إلى ستمائة وعشرين. وبيع في السوق بحراج ثمانية أطيّار من الدجاج بستمائة درهم وبيع زوج أوز بستمائة درهم. فوقف فيه اللحم - بعد سمطه - كل رطل بخمسة وعشرين درهما.

وفيه فشت الأمراض الحادة في الناس بالقاهرة ومصر، وشنع موت الأبقار. فبلغ لحم الضأن إلى خمسة عشر درهما الرطل، وبيعت ثلاث رمانات بستين درهما، والرطل

(١) سبتة: هي بلدة مشهورة من قواعد بلاد المغرب ومرساها أبو دمرس على البحر. انظر معجم البلدان ٣/ ١٨٢.

(٢) الزقاق هو في الأصل طريق نافذ وغير نافذ ضيق دون السكة، والزقاق: مجاز البحر بين طنجة والجزيرة الخضراء. انظر معجم البلدان ٣/ ١٤٤.

الكثمري بعشرين درهما، وغلّت الأسعار بغزة^(١) أيضا، فبيع القدح القمح بسبعة دراهم، والقدح الشعير بخمسة، والقدح العدس بعشرة، وبيع فى القاهرة بطيخة بثمانية وستين درهما بعد درهم، والرطل من لعب السفرجل^(٢) بمائة وثلاثين، من كثرة طلبه للمرضى.

وفى حادى عشره: توجه الطواشى الأمير شاهين الحسنى - لالا السلطان - فى عشرة سروج لإحضار الأمير شيخ الحمودى نائب الشام^(٣)، والأمير حكيم، وقد ورد كتاب للأمير شيخ قبل ذلك بعشرين يوما، وكتاب الأمير حكيم بعد كتاب الأمير شيخ بعشرة أيام، يخيرا بأنهما حاربا الأمير نوروز وهزمه، وأنه لحق بطرابلس^(٤)، ودخلا إلى دمشق، فولى الأمير شيخ قضاء دمشق شهاب الدين أحمد بن الحسين الشافعى، فى ثانيه.

وفى سابع عشرة: خرج الأمير حكيم من دمشق فى جماعته، يريد محاربة الأمير نوروز، وقد ورد الخبر بنزوله على بحرة حمص، ثم تلاه الأمير شيخ بجماعته، فبلغ ذلك نوروز، فسار فى عشية الأربعاء ثامن عشره إلى حماة^(٥)، ونزل شيخ وحكم

(١) غزة: مدينة فى أقصى الشام من ناحية مصر، بينها وبين عسقلان فرسخان أو أقل. انظر معجم البلدان ٤ / ٢٠٢.

(٢) يقصد به لب السفرجل، وهو ينفع فى ترطيب ييس القصبه. ينظر نهاية الأرب فى فنون الأدب ١١ / ١٦٨.

(٣) شيخ الحمودى الظاهرى (٧٥٩ - ٨٢٤ هـ - ١٣٥٨ - ١٢٢١ م). شيخ بن عبد الله الحمودى الظاهرى، أبو النصر: من ملوك الجراكسة بمصر والشام أصله من مماليك الظاهر برقوق، اشتراه من محمود شاه الأزدى، وأعتقه واستخدمه فى بعض أعماله، وكانى يعرف بشيخ الجنون وسافر إلى الحجاز أميرا للحجاج سنة ٨٠١ هـ، ثم جعل مقدم ألف، فى دولة الناصر فرج بن برقوق، فنابا لطرابلس، ونابا فى الشام. وأسره تيمورلنك فى حلب، ثم سجنه الناصر فى خزانة شمائل فى وأطلقه فخرج إلى لاشام، فاشتراك فى العصيان والهباج، إلى أن قتل الملك الناصر وولى السلطنة العباس بن محمد سنة ٨١٥ هـ، فجعله أتابكا للعسكر، ومديرا للمملكة، وعاد معه إلى مصر فلم يلبث أن خلع العباس، وتولى السلطنة فى السنة نفسها، وتلقب بالملك المؤيد، وعزل وولى، فأطاعه الجند، وعصان نوروز الحافظى نائب الديار الشامية، فقصده إلى دمشق، فقتله سنة ٨٨٧ هـ وعاد إلى مصر فهدم خزانة شمائل وبنى مكانها جامع الملك المؤيد. انظر ابن إياس ٢/٢، شذرات الذهب ٧ / ١٦٤ وليم مولر ١٢٨، الضوء اللامع ٣ / ٣٠٨ الأعلام ٣ / ١٨٢.

(٤) طرابلس: وهى على شاطئ البحر، ومبنى جامعها أحسن مبنى، وبها أسواق حافلة جامعة وبها مسجد يعرف بمسجد الشعاب. انظر معجم البلدان ٤ / ٢٥.

(٥) حماة: مدينة كبيرة عظيمة كثيرة الخيرات رخيصة الأسعار واسعة الرقعة حفلة الأسواق، يحيط-

حمص^(١) إلى يوم الثلاثاء رابع عشرينه. ثم سارا إلى طرابلس، وقد نزل نائبها بأعناز^(٢) ففر عنه من معه، ومضى يريد حماة. فدخل شيخ وحكم طرابلس يوم الخميس سادس عشرينه، فنزل حكم بدار النيابة.

فلما بلغ إعلان نائب حلب نزول نوروز وبكتمر نائب طرابلس على حماة، سار إلى نوروز، وأقام معه بعسكره وجماعة من التراكمين.

شهر جمادى الآخرة، أوله الثلاثاء.

فيه مرض السلطان الملك المنصور.

وفى يوم الجمعة رابعه: عادت الخيول من الربيع.

وظهر بين أهل الدولة حركة، فكثرت القالة، وبات المماليك تسعى بعضها إلى بعض، فظهر الملك الناصر فى بيت الأمير سون الحمزاوى، وتلاحق به كثير من الأمراء والمماليك، ولم يطلع الفجر حتى ركب السلطان بأله الحرب. وإلى جانبه ابن غراب. وعليه آلة الحرب. وسار بمن اجتمع إليه يريد القلعة، فقاتله سون الحمذى أمير أخور، وأينال بيه بن قجماس، وييرس الكبيرى، ويشبك بن أزدمر، وسون الماردىنى، قتالا ليس بذلك.

ثم انهزموا، وصعد السلطان إلى القلعة، فكانت مدة عبد العزيز سبعين يوما.

* * *

عود السلطان الملك الناصر زين الدين فرج

ابن الملك الظاهر برفوق إلى الملك ثانيا

وذلك أنه لما فقد من القلعة، وصار إلى بيت سعد الدين بن غراب^(٣)، ومعه بيغوت،

= بها سور محكم، وبظاهر السور حاضر كبير جدا، فيه أسواق كثيرة وجامع مفرد مشرف على نهرها المعروف بالعاصى، عليه عدة نواعر تستقى الماء من العاصى. انظر معجم البلدان ٢/ ٣٠٠.

(١) حمص: بلد مشهور قديم كبير مسور، وفى طرفه القبلى قلعة حصينة على تل عال كبيرة وهى بين دمشق وحلب فى نصق الطريق. انظر معجم البلدان ٢/ ٣٠٢.

(٢) أعناز: بالنون والزاي: بلد بين حمص والساحل. انظر معجم البلدان ١/ ٢٢٢.

(٣) إبراهيم بن عبد الكريم بن بركة، القاضى سعد الدين ناظر الخواص الشريف بن القاضى كريم الدين ناظر الخواص بن سعد الدين الشهير بابن كاتب حكم. مولده بالقاهرة قبل العشرين وثمانائة، وأمه بنت الصاحب تاج الدين عبد الرزاق بن الهيصم، ونشأ تحت كنف والده وكتب الخط-

قام له بما يليق به. وأعلم الأمير يشبك به، فخفى على أهل الدولة مكانه، ولم يعباوا به. وأخذ ابن غراب يدبر فى القبض على الأمير أينال بيه، فلم يتم له ذلك، فلما تمادت الأيام، قرر مع الطائفة التى كانت فى الشام من الأمراء، وهم: يشبك، وقطلو بغا الكركى، وسودن الحمزاوى فى آخرين، أنه يخرج إليهم السلطان، ويعيدوه إلى الملك، لينفردوا بتدبير الأمور.

وذلك أن الأمير بيبرس الأتابك قويت شوكته على يشبك، وصار يتردد إليه، ويأكل على سماطه، ففز عليه، وعلى أصحابه ذلك، فما هو إلا أن أعلمهم ابن غراب بالخبر، وافقوه على ذلك، وواعد بعضهم بعضا. فلما استحکم أمرهم، برز الناصر نصف ليلة السبت خامس جمادى الآخرة من بيت ابن غراب. ونزل بدار الأمير سودن الحمزاوى، واستدعى الناس، فأتوه من كل جهة. وركب وعليه سلاحه. وابن غراب إلى جانبه، وقصد القلعة، فناوشه من تأخر عنه من الأمراء قليلا، ثم فروا، فملك السلطان القلعة

= المنسوب، وتذهب للشافعى رضى الله عنه، واشتغل يسيرا ومهر فى الحساب وصناعة الديونة إلى أن استقل بوظيفة نظر الخاص بعد وفاة والده القاضى كريم الدين عبد الكريم فى يوم الثلاثاء سلخ شهر ربيع الأول سنة ثلاث وثلاثين ومائتة، وسنة نيف على عشرين سنة أو دونها فباشر وظيفة نظر الخاص بتحمل، ونالته السعادة وحسنت سيرته وشكرت أفعاله بالنسبة إلى غيره من أبناء حسنه، هذا وخلفه مثل الصاحب بدر الدين بن نصر الله المعزول عن الخاص بوالده قبل تاريخه، وقد كان يترقب زوال والده القاضى كريم الدين عبد الكريم، ولده وفى ظنه أن الملك الأشرف برسباى لا يعدل عنه إلى غيره، فوليها بعد موته ولده سعد الدين فى هذا وخاب ظن الصاحب بدر الدين بن نصر الله، واستمر سعد الدين فى وظيفته وسافر صحبة السلطان الملك الأشرف إلى آمد فى سنة ست وثلاثين ومائتة، بعد أن قام بالكلف السلطانية أحسن قيام، ثم من بعد عوده إلى القاهرة بمدة حصل عليه من السلطان إخراج، وضرب بسبب إمتناعه عن الاستقرار بوظيفة الوزير، وتولى أخوه الصاحب جمال الدين يوسف الوزر كرها غير إرادة أخيه سعد الدين المذكور، كل ذلك بعد فرار الصاحب أمين الدين إبراهيم بن الهيصم فلم تطل أيام جمال الدين فى الوزير، واستعفى وعزل بعد أن ألزم هو وسعد الدين صاحب الترجمة بحمل جملة مستكثرة من الأموال إلى الخزانة الشريفة فحملا ما ألزما به من المال وخلع على سعد الدين بالاستمرار فى وظيفة الخاص على عادته، ولزم أخوه جمال الدين داره إلى أن توفى سعد الدين بعد مرض طويل فى يوم الخميس سابع عشر ربيع الأول سنة إحدى وأربعين ومائتة، وحضر السلطان الصلاة عليه بمصلاة المؤمنى، ودفن بالفراقة رحمه الله، وتولى أخوه الصاحب جمال الدين الخاص من بعده. وكان شابا حسن الشكل، حوادا كريما، وعنده دربة وسياسة ومعرفة وإقدام، إلا أنه كان منهمكا فى اللذات التى تهواها النفوس، ومسرفا على نفسه، وعنده قليل تيه وشتم، عفا الله عنه. انظر ترجمة فى: الدليل الشافى ٢١/١، والنجوم الزاهرة ٢١/١٥، والضوء اللامع ٦٨/١.

بأيسر شيء. وذلك أن صوماى رأس نوبة كان قد وكل بياب القلعة^(١)، فعندما رأى السلطان فتح له، فطلع منه، وملك القصر، فلم يثبت بيبرس ومن معه، ومروا منهزمين. فبعث السلطان بالأمير سودن الطيار فى طلب الأمير بيبرس فأدركه خارج القاهرة، فقاتله وأخذه وأحضره إلى السلطان، فقيده، وبعثه إلى الإسكندرية فسجن بها. واختفى الأمير أينال بيه بن قجماس، والأمير سودن الماردىنى.

وفى يوم الإثنين سابعه: خلع على الأمير يشبك الشعبانى، واستقر أتاكب العساكر، عوضا عن الأمير بيبرس. وعلى الأمير سودن الحمزاوى، واستقر دوادارا، عوضا عن سودن الماردىنى، وعلى جركس المصارع، واستقر أمير أخور، عوضا عن سودن تلى الحمدي.

وفيه قبض على الأمير جرقطلو رأس نوبة، والأمير قنباى أمير أخور، والأمير أقبغا رأس نوبة؛ وكلهم أمراء عشرات. وقبض على الأمير بردبك رأس نوبة، أحد أمراء الطبلخاناه.

وفيه استقر سعد الدين بن غراب رأس مشورة. وأنعم عليه بإمرة مائة مقدمة ألف. ولبس الكلفته. وتقلد السيف كهيئة الأمراء، وترك زى الكتاب. ونزل إلى داره. فلم يركب بعدها إلى القلعة ومرض.

وفيه كتب تقليد الأمير شيخ الحمودى^(٢) بكفالة الشام على عادته، وجهز إليه على يد أينال المنقار شاد الشراب خاناة، وكتب تقليد الأمير حكيم بناية حلب^(٣)، وجهز على يد سودن الساقى. وكتب للأمير نوروز الحافظى أن يحضر من دمشق إلى القدس بطالا، وحذر من التأخر. وكتب للأمير دمرداش الحمدي نائب حلب - كان - بالحضور إلى مصر.

وفى عاشره: قبض على سودن تلى أمير أخور، وأخرج إلى دمشق على مقدمة سودن اليوسفى.

وفى رابع عشره: توجه سودن الساقى بخلعة الأمير حكيم وتقليده بناية حلب.

(١) ينظر النجوم الزاهرة ٤٦ / ٣ فقد وقع فيها باب المدرج، وهو يقع فى الحافظ الغربى للقسم البحرى منها.

(٢) ينظر النجوم الزاهرة ٤٦ / ١٣ فقد وقع فيها باب المدرج وهو يقع فى الحائط الغربى للقسم البحرى منها.

(٣) سبق ترجمته.

وفي خامس عشره: استقر الأمير سودن من زاده فى نيابة غزوة، عوضا عن الأمير سلامش. واستقر فخر الدين ماجد بن المزوق - ناظر الجيش - فى كتابة السر، عوضا عن سعد الدين بن غراب، بحكم انتقاله إلى الإمرة.

واستقر صاحب بدر الدين حسن بن نصر الله فى نظر الجيش. واستقر شرف الدين يعقوب بن التبانى فى وكالة بيت المال ونظر الكسوة، عوضا عن ولى الدين محمد ابن أحمد بن محمد الدمياطى، مؤدب الأمير بيبرس وموقعه.

وفى حادى عشرينه: استقر الأمير يشبك فى نظر المارسنان المنصورى بين القصرين، ونزل إليه وعليه التشريف السلطانى، على العادة.

وفيه استقر الأمير ترماز الناصرى نائب السلطنة، وقد شغرت من أثناء الأيام الظاهرية. وفيه استقر الأمير أقبای رأس نوبة الأمراء، والأمير سودن الطيار أمير مجلس فى وظيفة أمير سلاح، عوضا عن الأمير أقبای. واستقر يلبغا الناصرى أمير مجلس، عوضا عن الطيار.

وفى سادس عشرينه: استقر شرف الدين محمد بن على الجيزى - أحد باعة السكر - فى حسبة مصر، عوضا عن شمس الدين محمد بن محمد بن المنهاجى، بمال قام به، فكان هذا من أشنع القبائح وأقبح الشناعات.

وفى ثامن عشرينه: استقر شمس الدين محمد بن على بن المعلمة الإسكندرانى فى حسبة القاهرة، وعزل كريم الدين الهوى. واستقر بهاء الدين محمد بن اليرجى فى الوكالة ونظر الكسوة، عوضا عن ابن التبانى.

وفى هذا الشهر: بلغ القنطار السيرج إلى ألف ومائتى درهم. وبلغت الفضة الكاملة كل مائة درهم خمسمائة درهم من الفلوس.

وفيه انحل سعر الغلال، ولحوم البقر، لكثرة موتها.

الش[...]^(١) فإن الأمير [.....]^(١) سارا من طرابلس، يريدان نائب طرابلس [...] وهى [...] على قص، ففر منها، ونزلا بوطاقه، وقدم فى ثالثه الطرابلسى شاهين الحسنى إلى دمشق، ومعه رسول الأمير شيخ إلى السلطان يسأله النيابة فى دمشق، فأنكر على ابن الحسينى وغيره ممن ولى من قبل شيخ بغير موسوم السلطان، وأخيرا أنه قدم لأخذ شيخ وجكم إلى مصر.

(١) ما بين المعقوفين ساقط من الأصل.

وفي ثالث عشره: قدم الخبير إلى دمشق بعود السلطان الملك الناصر إلى السلطنة، واستقراره بشيخ في نيابة الشام، وحكم في نيابة حلب، فضربت البشائر، ونودي بذلك في دمشق. ودعى للسلطان الملك الناصر في يوم الجمعة ثامن عشره.

وفي ثالث عشرينه: قدم الأمير أينال المنقار إلى دمشق، بخلعة الأمير شيخ لنيابة الشام. ووصل معه الأمير سودن الحمدي. فتوجه المنقار إلى الأمير شيخ؛ فكذب بقبض سودن الحمدي، فأخذ في ليلة الأحد سابع عشرينه وقيد.

وفيه دخل الأمير شيخ حماة، وذلك أنه سار من حمص^(١) يوم الثلاثاء ثاني عشرينه، وقدم حماة^(٢) يوم السبت وحصرها، وقاتل من بها. وكان نوروز وعلان قد مضيا إلى حلب^(٣)، فإن الأمير دمرادش كان فارقهما، ومضى إليها ليأتهم بالتركان، فلما وصلها ملكها. فلما وصل نوروز حلب فر منها دمرادش، واستقر بها دقماق، فامتنع وقاتل، حتى أخذ وقتل بين يدي الأمير حكم، ونهبت حلب.

شهر رجب، أوله الخميس:

في رابعه: أعيد ابن التبانى إلى الوكالة والكسوة، وصرف ابن البرجى.

وفي ثامن عشره: قبض على الأمير أزيك الرمضانى^(٤)، وسفر إلى الإسكندرية فسجن بها.

وفي سابع عشرينه: مات الخليفة أبو عبد الله محمد المتوكل على الله.

وأما الشام فإن الأمير شيخ والأمير حكم سارا بعسكريهما من حماة يريدان حلب، وبها الأمير نوروز. فلما وصلا إلى المعرة، كتب إليهما نوروز، يعتذر بأنه لم يعلم بولاية الأمير حكم حلب. وخرج بمن معه منها إلى البيرة^(٥)، فدخل الجماعة إلى حلب بغير قتال، واستقر حكم بها، وعاد الأمير شيخ.

(١) سبق ترجمتها.

(٢) سبق ترجمتها.

(٣) حلب: مدينة عظيمة واسعة كثيرة الخيرات وهى من الديار الشامية انظر معجم البلدان

٢٨٢/٢ وما بعدها.

(٤) أزيك بن عبد الله الرمضانى الظاهرى، الأمير سيف الدين (... - ٨٠٦ هـ = -

١٤٠٣ م). أحد المماليك الظاهرية بقوق، وأحد أمراء الطبلخاناه فى الدولة الناصرية فرج إلى أن

توفى ليلة الثلاثاء رابع عشر شهر ربيع الأول سنة ست وثمانائة رحمة الله تعالى. انظر المنهل الصافى

٣٤٣، ٣٤٢/٢.

(٥) سبق ترجمتها.

وكتب باستقرار الأمير حكيم في نيابة طرابلس مضافا إلى نيابة حلب بمشال سلطاني على يد مغل بيه، من غير كتابة تقليد. وكتب إلى الأمير نوروز الحافظي بالحضور إلى القدس بطالا، وإلى الأمير بكتمر شلق بأن يكون أميرا كبيرا مقدم ألف بدمشق.

فلما كان يوم الإثنين عشرينه: دخل الأمير شيخ إلى دمشق بالخلة السلطانية ونزل بدار السعادة، وقرئ تقليده. فكتب بالإفراج عن الأمير سودن الظريف^(١)، ودمرادش حاجب دمشق، وتنكز بغا نائب بعلبك^(٢)، فقدموا من الصبية في رابع عشرينه. وكان سباط الخليل عليه السلام قد بطل، فحمل إليه من دمشق مائة غرارة ما بين قمح وشعير، لتعمل جشيشة^(٣) وتخبز خبزاً.

(١) سودن عبد الله الظاهري (٨١٤ هـ - ١٤١١ م)، الأمير سيف الدين، المعروف بسودن الظريف. هو أيضاً من ممالك الملك الظاهر برفوق، ومن ترقى في دولة أستاذه إلى أن ولي نيابة الكرك في يوم حادى عشر شهر ربيع الأول سنة إحدى ومائتة، فتوجه إليها وباشر نيابتها، إلى أن توجه الملك الناصر فرج إلى دمشق، بعد القبض على نائبها الأمير تم الحسنى، في سنة اثنين ومائتة، فقدم عليه الأمير سودن الظريف هذا بدمشق، بعد أن استخلف بالكرك حاجبها الزينى شعبان بن أبى العباس، فعزله الملك الناصر عن الكرك بالأمير تخاص السودون، في يوم الخميس رابع شهر رمضان من السنة. وتنقلت به الأحوال إلى أن ولي حجوية الحجاب بدمشق، بعد القبض على الأمير حقمق الصفوى وحبسه في رابع شهر ربيع الأول سنة خمس ومائتة، فاستمر فى الحجوية إلى سنة ثمان ومائتة. قبض عليه الأمير شيخ الحمودى نائب الشام وسجنه بالصبية إلى يوم الإثنين العشرين من شعبان من السنة المذكورة أفرج عنه شيخ المذكور، وأنعم عليه بإمرة بدمشق، فاستمر على ذلك مدة ثم قبض عليه ثانياً وحبسه بالصبية أيضاً، فاستمر محبوساً إلى أن أفرج عنه الملك الناصر فرج، وعن الأمير أرغز لما توجه إلى البلاد الشامية فى سنة اثنتى عشرة ومائتة، واستصحبه معه إلى الديار المصرية، وأنعم عليه بإمرة بها. فاستمر سودن الظريف من جملة أمراء مصر مدة، ووقع له أمور، وآخر الحال قبض الملك الناصر عليه وعلى أرغز المذكور وعلى أبنال الصصلاتى وعدة آخر فى ثانى عشرين شهر رجب سنة أربع عشرة ومائتة، فاستمر سودن الظريف محبوساً إلى اليوم الأربعاء ثامن شعبان من السنة، أخرجه من الحبس ورسم بتوسيطه، فوسط فى اليوم المذكور تحت قلعة الجبل، ووسط معه أيضاً جماعة من الأمير هم: الأمير مغلباى، والأمير حزمان نائب القدس، والأمير عاقل، والأمير أرغز والأمير محمد بن قجماس، ثم قتل الملك الناصر، فى ليلة الخميس ثانية، ومن الملك السلطانية الجراكسة زيادة على مائة مملوك من ممالك والده. انظر المنهل الصافى ٦/ ١٢٧ وما بعدها والدليل الشافى ١/ ٣٣٠، والنجوم الزاهرة ١٢/ ١٢٥، الضوء اللامع ٣/ ٢٨٢.

(٢) بعلبك: مدينة قديمة فيها أبنية عجيبة وآثار عظيمة وقصور على أساطين الرخام لا نظير لها فى الدنيا، بينها وبين دمشق ثلاثة أيام وقيل اثنا عشر فرسخاً من جهة الساحل. انظر معجم البلدان ٤٥٣/١ وما بعدها.

(٣) حش الحب يجشه حشا إذا دقه أو طحنه طحنا غليظاً والجشيشة ما حش من الحب. انظر لسان العرب (حش).

وأما الأمير حكيم فإنه لما استقر بحلب، ما زال يكتب الأمير نوروز وعلان حتى قدما بمن معهما حلب^(١)، وانضموا إليه. ثم كتب إلى الأمير شيخ بذلك، فقبض حينئذ على الطواشي شاهين وسجنه بقلعة دمشق.

شهر شعبان أوله الجمعة.

في يوم الإثنين رابعه: استدعى أبو الفضل العباس بن محمد المتوكل على الله وقرر في الخلافة، عوضا عن أبيه. ولبس التشريف بحضرة السلطان ولقب بالمستعين بالله^(٢)، ونزل إلى داره.

وكتب باستقرار الأمير طولو من على باشاه^(٣) في نيابة صفد عوضا عن الأمير

(١) حلب: سبق ترجمتها. انظر معجم البلدان ٢/٢٨٢ وما بعدها. والروض المعطار.

(٢) المستعين بالله (٨٣٣ هـ - ١٤٣٠ م). لعباس بن محمد بن أبي بكر بن سليمان، أبو الفضل، المستعين بالله: من خلفاء لدولة العباسية الثانية بمصر. وهو ابن المتوكل على الله ابن المعتضد بويج بالخلافة في القاهرة، بعد وفاة أبيه سنة ٨٠٨ هـ، بعهد منه وتوجه مع السلطان الناصر (فرج بن برقوق) سنة ٨١٤ هـ، إلى البلاد الشامية لإخضاع الأتابكي « شيخ » الحمودى فقتل الناصر، وتولى المستعين السلطنة بعد أن اتفق مع أمراء الجراكسة على أن يكون شيخ أتابكا للعساكر بمصر ومدبرا للمملكة وعاد المستعين مع شيخ إلى مصر، فلم يلبث شيخ أن خلعه من السلطنة، وتولاها هو (سنة ٨١٥ هـ) وظل المستعين في الخلافة، محجوزا ٣، بقلعة الجبل. ثم خلعه شيخ من الخلافة أيضا (سنة ٨١٦ هـ) وأرسله إلى سجن الإسكندرية فأقام إلى أن تولى الملك الأشرف بداسبای، فأخرجه من السجن وأسكنه في دار بالإسكندرية فمات فيها بالطاعون، ولم يبلغ الأربعين. انظر تاريخ الخميس ٢/ ٣٨٤، ابن إياس ١/ ٣٥٧، المقريزي ٢/ ٢٤٢، التبر المسوك ٢٥، الضوء اللامع ٤/ ١٩. الأعلام ٣/ ٢٦٥.

(٣) طولو بن علد الله باشا الظاهري (٨٠٨ هـ = ١٤٠٦ م)، الأمير سيف الدين. هو من ممالك الظاهر برقوق، ومن أعيان خاصكيته، وترقى بعد موته حتى صار من جملة أمراء الديار المصرية، ثم والى غزة عند قدوم تيمورلنك إلى البلاد الشامية في سنة ثلاث وثمانمائة، عوضا عن عمر الطحان بحكم القبض عليه عند تيمور مع جملة النواب، فلما عاد الملك الناصر إلى الديار المصرية وعاد تيمور إلى بلاده عُزل طولو عن نيابة غزة واستقر في نيابة الإسكندرية، عوضا عن الأمير ارنسطاى، فتوجه إلى الإسكندرية وباشر نيابتها مدة، ثم عُزل وعاد إلى القاهرة وأنعم عليه بإمرة مائة وتقدم ألف بديار مصر، فاستمر إلى أن خرج الأمير يشبك الدوادار من الديار المصرية مغاضبا للناصر فرج، وخرج معه جماعة من الأمراء، وهم: الأمير تمرآز النائب، وبلغا الناصرى، وأينال حطب، وقطلوبغا الكركى، وسودون الحمزاوى، وجاركس القاسمى المصارع، وسعد الدين إبراهيم بن غراب، ومحمد بن سنقر البكجرى، ومحمد بن كلبك، وطالو صاحب الترجمة، وخرجوا الجميع إلى دمشق ونائبها يومئذ الأمير شيخ الحمودى، ووقع ما حكيناه في غير موضع من اتفاق شيخ وحكم نائب حلب معهم وعودهم =

بكتمر الركنى^(١). وجهاز تقليده وتشريفه على يد الأمير آق بردى رأس نوبة.

وكتب باستقرار الأمير دمرداش المحمدى فى نيابة حماة. وكان منذ فارق نوروز على حماة، وسار إلى حلب، وأخذها. فلما أدرکه نوروز، هرب دمرداشونزل عند التركمان.

وفى ثامن عشره: خلع بدمشق على الشهاب الحسبانى بقضاء دمشق، وقد كتب فيه الأمير شيخ إلى السلطان، فبعث إليه بالخلعة والتوقيع، وكان قبل ذلك يياشر القضاء بغير ولاية.

وفى تاسع عشره: قدم دمشق الأمير علان نائب حلب - كان - يريد القاهرة، فأكرمه الأمير شيخ وأنزله.

وفى سابع عشرينه: قدم إلى دمشق الأمير أظنبغا العثمانى^(٢)، وقد ولاه السلطان

= إلى الديار المصرية لقتال الملك الناصر فرج، وكبسوا الناصر بالسعيدية، وانهزمو منهم إلى جهة القاهرة، ثم وقع الخلف بين الأمراء، واختفى بعضهم، ورجع البعض إلى البلاد الشامية، فكان طولو هذا ممن عاد صحبة «شيخ نائب الشام» وحكم نائب حلب وقرا يوسف صاحب تبريز إلى دمشق، وذلك فى أواخر سبع وثمانائة. واستمر طولو بالشام إلى شهر رمضان من سنة ثمان وثمانائة برز المرسوم الشريف من الديار المصرية باستقراره فى نيابة صغد عوضا عن الأمير بكتمر الركنى، وجهاز تقليده على يد الأمير أفردى رأس نوبة، فتوجه طولو إلى صغد وحكمها مدة إلى أن أرسل إليه الأمير شيخ محمود نائب الشام يستنجده لقتال حكم من عوض نائب حلب، فتوجه إلى الوقعة بأرض الرسنن فيما بين حماة وحمص، فقتل المذكور فى الوقعة، وقتل أيضا الأمير علان وجماعة آخر وذلك فى ذى الحجة سنة ثمان وثمانائة. وطولو هذا هو أستاذ طوغا أمير آخور المويد. انظر المنهل الصافى ٢٨/٧ وما بعدها والدليل الشافى ١/ ٣٧٤، النجوم الزاهرة ١٣/ ٥٢ الضوء اللامع ٤/ ١٢.

(١) بكتمر بن عبد الله الركنى (٨٠٧ هـ = ١٤٠٤ م)، الأمير سيف الدين. أنشأه الملك الظاهر برفوق، وأنعم عليه بإمرة عشرة، ثم طبلخاناخ، ثم صار فى الدولة الناصرية فرج أمير مائة ومقدم ألف، ثم نقل إلى إمرة مجلس، ثم إلى إمرة سلاح، ثم خلع فى شوال سنة خمس وثمانائة باستقراره رأس نوبة الأمراء - وهذه الوظيفة مفقودة الآن - واستقر عوضه فى إمرة سلاح الأمير تمرار الناصرى. واستمر على ذلك مدة، ثم ارتفعت رتبته، وتولى نيابة صغد عوضاً عن الأمير بكتمر شلق بعد انتقاله إلى نيابة طرابلس؛ وذلك فى ذى الحجة سنة سبع وثمانائة، وأظنه مات بها بعد ذلك بيسير والله أعلم. انظر المنهل الصافى. ٣/ ٤٠٢، ٤٠٣، والدليل ١/ ١٩٥، ونزهة النفوس ٢/ ٤٧، ٤٨، بدائع الزهور ١/ ٧٤٢.

(٢) أظنبغا بن عبد الله العثمانى الظاهرى (٨٢١ هـ = ١٤١٨ م)، الأمير الكبير علاء الدين. هو من ممالك الظاهر برفوق، ومن صار فى دولة أستاذه المذكور نائباً بصغد، ودام بصغد إلى أن كانت وقعة الأمير تنم الحسنى نائب الشام فى سنة اثنتين وثمانائة، ثم كانت وقعة تيمور لنك فى سنة ثلاث، وقبض عليه تيمور مع جملة من قبض عليه من (النواب بالبلاد) الشامية. وولى الناصر =

حاجب الحجاب بدمشق، فلبس تشريفة، وباشر من الغد.

شهر رمضان، أوله الأحد:

فى رابع عشره: أعيد ابن شعبان إلى الحسبة، وعزل ابن المعلمة.

وفى سادس عشره: أعيد ابن خلدون إلى قضاء القضاة المالكية، وعزل البساطى، واستقر فى الحسبة ابن المعلمة، وعزل ابن شعبان بعد يومين.

وفى تاسع عشره: مات سعد الدين إبراهيم بن غراب.

وفى ثالث عشرينه: مسك أينال الأشقر، وسفر إلى الإسكندرية.

وفى رابع عشرينه: أعيد الهوى إلى الحسبة، وعزل ابن المعلمة.

وفى خامس عشرينه: أعيد ابن التنسى إلى قضاء المالكية، بعد موت ابن خلدون.

وفيه قبض إلى الأمير سودن الماردى من بيته، فقيد وحمل إلى الإسكندرية.

وفى سادس عشرينه: كتب أمان لكل من الأمير حمق، والأمير أسن باى، والأمير

برسبان^(١)، والأمير أرغز، والأمير سودن اليوسفى، وجهاز إليهم بالشام.

=عوضهم جماعة، فولى والدى نيابة دمشق، بعد القبض على سيدى سودن قريب فإنه كان فر من تيمور وقدم على الناصر، وولى نيابة طرابلس للأمير آقبا الجمالى، عوضًا عن شيخ الحمودى - أعنى المويد - وولى تمرىغا غزة - عوضًا عن الأمير عمر بن الطحان - واستمر أظنبا العثمانى هذا فى أسر تيمور مدة، إلى أن فر مع من الأمراء من أسر تيمور، وقدم إلى الديار المصرية، وتنقلت به الأحوال، وولى عدة وظائف إلى أن آلت السلطنة للملك المويد شيخ الحمودى جعله أمير مائة ومقدم ألف بالديار المصرية، ثم جعله نائب الغيبة بالقاهرة لما خرج المويد لقتال نوروزا الحافظى نائب الشام، وسكن السلسلة من الإسطبل، ثم لما قدم خلغ عليه بعده مدة باستقراره أتاك العساكر بالديار المصرية - بعد موت الأمير الكبير بلبغا الناصرى - وذلك فى يوم الخميس مستهل شهر رمضان سنة سبع عشرة وثمانائة، فأقام أتابكًا إلى أن ولاه المويد نيابة دمشق - بعد خروج الأمير قانى باى الحمودى عن الطاعة - فى سنة ثمانى عشرة وثمانائة فتوجه إليها صحبة السلطان، واستمر على كفالاته بها إلى الحرم سنة عشرين وثمانائة ثم عزل عن نيابة دمشق، ورسم له أن يتوجه إلى القدس بطالا، وبرز المرسوم بذلك على يد الأمير آقبا التمرازى، وولى مكانه الأمير أقبابى المويدى نائب حلب، ولما قدم من حلب على النجب واستمر الأمير أظنبا بالقدس إلى أن مات فى يوم الإثنين ثانى عشرين شوال سنة إحدى وعشرين وثمانائة. وكان أميرًا ضخمًا، جليلا مشكور السيرة، ساكنًا عاقلا. انظر النهل الصافى ٣/ ٥٣، ٥٢، ٥١، الدليل ١/ ١٥٠، والنجوم ١/ ٧٣، أعيان العصر ١/ ٦٢، الدرر، ٤٣٦/١، الوافى ٩/ ٣٦١، الشجاعى: تاريخ الملك الناصر ص ٢٢.

(١) جاء فى هامش المخطوطة أمام اسمه عبارة «هو الذى تسلطن ولقب بالأشرف» هو: برسباى الدقماقى الظاهرى، أبو النصر، (٧٦٦ - ٨٤١هـ. ١٣٦٥ - ١٤٣٨م). الملك الأشرف: صاحب=

وكان من خير البلاد الشامية في هذا الشهر أن التركمان اجتمعوا على ابن صاحب الباز، وقصدوا حماة، فدافعهم أهلها أشد المدافعة عن دخولها، فأفسدوا في الضواحي فسادا كبيرا.

وقدم في يوم الإثنين ثانيه: تشریف سلطاني للأمير شيخ نائب الشام، فلبسه، وأعاد صدر الدين على ابن الآدمي إلى كتابة السر بدمشق. عوضا عن السيد الشريف علاء الدين، بتوقيع وصل إليه من السلطان.

ونودي بدمشق في العسكر بالتأهب للسفر، فقدم في ثامنه الأمير بكمتر شلق إلى دمشق، وقد عزل عن نيابة صفد بالأمير طولو، واستقر على إقطاع الأمير آسن بيه، بحكم أنه أقام بطرابلس، نيابة عن الأمير حكيم بها، فلبس بكمتر تشريفة. واستقر أتاك دمشق، وسار طولو من دمشق إلى صفد، فتسلمها.

وفي ثالث عشره: قبض الأمير شيخ على سودن الظريف، وأعيد إلى السجن لكلام نقل عنه.

وكانت الأسعار قد غلت بدمشق، ففرق الأمير شيخ الفقراء على الأغنياء وجعل لنفسه منهم نصيبا وافرا، فاجتمعوا في بعض الليالي لأخذ الطعام فمات منهم أربعة عشر إنسانا.

وقدم الأمير مردداش إلى دمشق في يوم السبت ثاني عشرينه، وقد وصل إليه تقليده بنيابة حماة، وهو مشنت عند التركمان. فتوصل حتى دخل حماة. فيوم دخلها وصل إليها ابن صاحب الباز بمجامع التركمان، فلم تكن فيه قوة يلقاهم بها، فإن عسكر حماة سار إلى الأمير حكيم بحلب، فخرج من حماة فارا إلى حمص، وكتب إلى الأمير شيخ يستأذنه في القدوم عليه، فأذن له. ولما قدم أكرمه وأنزله.

وفي هذا الشهر: فرض الأمير شيخ على أهل دمشق أجرة مساكنهم لشهر يحملونها إليه، إعانة له على قتال التركمان، فإنهم أكثروا الفساد في بلاد حماة وطرابلس.

=مصر جركسي، الأصل، كان من ممالك الأمير دقماق الحمدي وأهداه إلى الظاهر برفوق فأعنته واستخدمه في الجيش، فتقدم إلى أن ولي نيابة طرابلس الشام في أيام المويدي (شيخ بن عبد الله) ثم اعتقله بقلعة المرقب مدة طويلة، وأطلق. ثم اعتقل بقلعة دمشق، فأخرجه الظاهر ططر وجعله دوادارا كبيرا له بمصر وتوفى الظاهر ططر وبويح ابنه الصالح محمد، فتولى برسباي تدبير الملك أسابع ثم خلع ونادى بنفسه سلطان وتلقب بالملك الأشرف سنة ٨٢٤هـ فأطاعه الإمراء وهدأت البلاد في أيامه وغزا مدينة قبرس ففتحها وأسر ملكها. انظر ديوان الإسلام - خ - ابن إياس ١٥/٢، ولیم موير ١٣٣ تاريخ الكعبة ١٤١، الضوء اللامع ٨/٣، الأعلام ٤٨/٢.

وفيه كتب السلطان بطلب الأمير نوروز من حلب، وقدمه إلى القاهرة.

شهر شوال أوله الإثنين.

في يوم الثلاثاء سادس عشره: استقر البساطى فى قضاء المالكية، وعزل ابن التنسى. واستقر قاضى القضاة كمال الدين عمر بن العديم الحنفى فى مشخة خانكاه شيخو، وعزل الشيخ زادة الخرزىانى.

وفى عشرينه: أعيد ابن شعبان إلى الحسبة، وعزل الهوى.

وأما البلاد الشامية فإن الأمير حكيم نائب حلب خرج ومعه الأمير نوروز وغيره، فقاتل التركمان وكسرهم كسرة فظيعة؛ فقدم عليه كتاب السلطان بطلب نوروز وغيره من الأمراء، فأغلظ على الرسول، وامتنع من ذلك، وكان قد بعث إلى الأمير شيخ يطلبه ليحارب التركمان، فتباطأ عنه، وبلغه مع ذلك أنه قد أكرم الأمير دمرداش. فشق ذلك عليه وتكر على الأمير شيخ وكتب يأمره بإمساك دمرداش وفضن دمرداش بذلك، وفر من دمشق فى ليلة الإثنين ثالث عشرينه، فبعث الأمير شيخ فى طلبه جماعة، فقاتهم ولم يدركوه.

شهر ذى القعدة، أوله الثلاثاء.

فى ثالثه: قدم الخبر بأن الأمير حكيم لما أخذ حلب سار إلى الأمير فارس بن صاحب الباز التركمانى المتغلب على أنطاكية^(١)، وقاتله وكسره أقبح كسرة وقتله وأخذ له أموالا جزيلة فقوى حكم بذلك، فجاءه الخبر بمسير الأمير نعيم بن حيار أمير الملا إليه، فلقى عند قنسرين^(٢) فى نصف شوال، وقاتله، فوقع نعيم فى قبضته، وسجنه بقلعة حلب. وولى ابنه العجل^(٣) بن نعيم إمارة آل فضل، عوضا عنه، فسار العجل إلى

(١) أنطاكية: قسبة العواصم من الثغور الشامية، وهى من أعيان البلاد وأمهاتها، موصوفة بالنزاهة والحسن وطيب الهواء وعذوبة الماء وكثرة الفواكه وسعة الخير. انظر معجم البلدان ١/ ٢٦٦ وما بعدها.

(٢) قنسرين: مدينة فى الإقليم الرابع، وكان فتح قنسرين على يد أبى عبيدة بن الجراح رضى الله عنه فى سنة ١٧هـ وكانت حمص وقنسرين شيئا واحدا. انظر معجم البلدان ٤/ ٤٠٣.

(٣) العجل بن نعيم (٨١٦ هـ = ١٤١٣ م). العجل بن نعيم بن حيار بن مهنا، من بنى فضل بن ربيعة، من طى؛ أمير عرب الفضل بالشام والعراق نشأ فى حجر أبيه، بسلمية. ولما جاوز العشرين خرج على طاعته، ووالى نائب حلب، وكان هذا على عدا مع أبيه، واستمر عجل فى خدمته، فألت إليه إمارة الفضل بعد مقتل أبيه سنة ٨٠٨هـ، ثم حدثت بينه وبين نائب حلب نفرة، فخرج عجل إلى البادية نائرا، فلم يزل يقاتل إلى أن قتل وهو فى الثلاثين من عمره. قيل اسمه: يوسف = والعجل لقب له؛ واسم أبيه يوسف ونعير لقبه. انظر الضوء اللامع ٥/ ١٤٦، حوادث الدهور ١/ ٦٠ الأعلام ٤/ ٢١٦.

سلمية^(١) وعاد حكهم إلى حلب، ثم بدا له في العجل رأى، فاستدعاه فأخذ يعتذر بأعذار، فقبلها، وسار إلى أنطاكية، فأرسل إليه التركمان بالطاعة، وأن يمكنهم من الخروج إلى الجبال لينزلوا من أماكنهم القديمة، وهم آمنون، ويسلمو إليه ما بيدهم من القلاع فأجابهم إلى ذلك، وعاد إلى حلب. ثم سار منها يريد دمشق، فنزل شيزر^(٢) وواقع أولاد صاحب الباز وكسرهم كسرة فاحشة وأسر منهم جماعة، قتلهم صبرا، وقتل الأمير نعيم أيضا، وبعث برأسه إلى السلطان، وذلك كله في شوال، ثم واقع حكهم التركمان في ذى القعدة وبدد شملهم.

وفي خامسه: أعيد الهوى إلى الحسبة، وعزل ابن شعبان.

وفيه قدم طولو نائب صفد إلى دمشق.

وفي سابعه: قبض على الوزير فخر الدين ماجد بن غراب مشير الدولة، وأحيط بموجوده.

وفي تاسعه: قبض على كثير من التجار ووكل بهم في بيت الأمير جمال الدين الأستاذار ليؤخذ منهم مال على قمح وفول بناحية منفلوط^(٣) من صعيد مصر، حسابا عن كل أردب مائة درهم.

وفيه قدم الأمير دمرداش إلى دمشق بعدما وصل إلى الرملة^(٤) فأتته ولايته بنيابة طرابلس، فبعث الأمير شيخ يستدعيه لينظرا ما بينه وبين الأمير حكهم، فأكرمه الأمير شيخ وأنزله.

وفيه قدم الخبير بتغلب الأمير حكهم على البلاد الحلبية، وأنه حارب الأمير نعيم بن مهنا أمير آل فضل، وكسره، وقبض عليه.

(١) سلمية: قرب المؤتفكة، وهي بليدة في ناحية البرية من أعمال حماة بينهما مسيرة يومين، وكانت تعد من أعمال حمص. انظر معجم البلدان ٣ / ٢٤٠.

(٢) شيزر: من قرى أمسرخس شبيهة بالمدينة، بينهما مسيرة يومين للجمال، على طرف من طريق هراة. انظر معجم البلدان ٣ / ٣٨٢.

(٣) منفلوط: بلدة بالصعيد في غربى النيل بينها وبين شاطئ النيل بعد . انظر معجم البلدان ٥ / ٢١٤.

(٤) الرملة: مدينة عظيمة بفلسطين وكانت قصبته وقد خربت الآن، وكانت رباط للمسلمين. انظر معجم البلدان ٣ / ٦٩.

شهر ذى الحجة، أوله الأربعاء:

فى رابعه: كتب إلى الأمير نوروز بأنه تقدمت الكتابة له بأن يتوجه إلى القدس، وأنه لم يجب عن ذلك، فيتقدم بالحضور إلى مصر.

وفى سابعه: أعيد فتح الدين فتح الله بن معتصم بن نفيس الداودى^(١) إلى كتابة السر، بسفارة الأمير جمال الدين الأستاذار، وعزل فخر الدين ماجد بن المزوق.

وفى ثانى عشره: رضى السلطان على فخر الدين بن غراب، واستمر مشيراً، وزيراً، ناظر الخاص، على عادته. وخلع عليه بعدما قام بعشرين ألف دينار.

وفى هذا الشهر: انحل سعر القمح، وأبيع بمائة وثلاثين درهماً الأردب، ويبيع الرغيف زنة نصف رطل بثلاث درهم، وأبيع ثور بمائة مثقال ذهباً، عنها من الفلوس ثلاثة عشر ألف درهم، ولم نسمع بمثل ذلك.

وفيه أبيع الرطل اللوز العاقد بأربعة عشر درهماً، يحصل من قلبه أوقيتان وذلك من حساب أربعة وثمانين درهماً الرطل، وهذا أعجب ما يحكى.

وفيه فشى الطاعون بصعيد مصر، حتى خلت عدة بلاد، وأحصى من مات من سيوط^(٢) ممن له ذكر، فكانوا عشرة آلاف، سوى من لم يفتن له. وهم كثير. وأحصى من مات فى بوتيج^(٣)، فبلغوا ثلاثة آلاف وخمسمائة، وكان الزمان ربيعاً، فلما انقضى فصل الربيع ارتفع الوباء.

وأما الشام، فإن فى ثالثة كتب باستقرار الأمير زين الدين عجل بن نعيم فى إمرة آل

(١) ابن نفيس ٧٥٩ - ٨١٦هـ = ١٣٥٨ - ١٤١٣م). فتح الله بن معتصم بن نفيس الداودى العنانى التبريزى: رئيس الأطباء، وكتاب السد، بمصر. ولد بتبريز، ونشأ بالقاهرة، وتفقه بالحنفية، وتعلم عدة لغات. وتفوق فى الطب وولاه الظاهر برقوق رياسة الأطباء، ثم كتابة السر. خلع عليه سنة ٨٠١هـ، فاستمر إلى أن مات الظاهر، وولى فرج الناصر قبض عليه (سنة ٨٠٨هـ) وألزمه بمال فحمله، فأفرج عنه وأعيد إلى كتابة السر بعد تسعة أشهر. واتسعت حاله ونيط به حل الأمور إلى أن قتل الناصر، وخلفه المستعين بالله العباسى والمعتبد أحد الأمراء بالمملكة المصرية واعتقل الخليفة، فقبض على فتح الله سنة ٨١٥هـ وسجن ثم حنق وكان من خير أهل زمانه علماً وديناً وأدباً وسياسة. خطط المقرئى ٢/ ٦٢، ابن إياس، شذرات الذهب ٧/ ١٢٢. انظر الضوء اللامع ١٦٥/٦. الأعلام ٥/ ١٣٦.

(٢) أسيوط: كورة حليلة من صعيد مصر. انظر معجم البلدان ٣/ ٣٠١.

(٣) بوتيج: بليدة بالصعيد الأدنى من غربى النيل، وهى عامرة نزهة ذات نخل كثير وشجر وفير.

انظر معجم البلدان ١/ ٥٠٦.

فضل، عوضا عن والده، وكتب بعزل الأمير حكيم عن نيابة حلب وطرابلس، وولاية الأمير دمرداش المحمدى فى نيابة حلب، والأمير عمر بن الهيدبانى فى نيابة حماة، والأمير علان اليحياوى: فى نيابة طرابلس، وتوجه بتقاليدهم أَلطنبغا شقل الأينالى مملوك الأمير شيخ نائب الشام فى رابعه.

وفى خامسه: اقتتل الأمير حكيم، والأمير شيخ المحمودى نائب الشام، بأرض الرستن^(١) - فيما بين حماة وحمص - ، قتل فيها الأمير طولو نائب صفد، والأمير علان نائب حماة، وجماعة كثيرة من الفريقين، وانهزم الأمير شيخ ومعه الأمير دمرداش المحمدى إلى دمشق. ومضى منها إلى الرملة^(٢) يريد القاهرة.

وقدم الأمير نوروز إلى دمشق من قبل الأمير حكيم فى يوم الإثنين سابع عشرين ذى الحجة.

وكان من خير الأمير شيخ، والأميرين حكيم ونوروز، أن الأمير شيخ توجه من دمشق بعد عيد الأضحى، ومعه الأمير دمرداش، فنزل مرج عذراء^(٣) فى عسكره يريد حمص، وقد نزل بها عسكر حكيم عليهم الأمير، ونزل حكيم على سلمية، فلبس الأمير دمرداش خلعة نيابة حلب الواصلة إليه مع تقليده وهو بالمرج. وقدم إليهم الأمير عجل ابن نعيم بعربه طالبا أخذ ثاره من حكيم.

ووصل أيضا ابن صاحب الباز يريد أيضا أخذ ثار أخيه من حكيم، ومعه جمع من التركمان، فسار بهم الأمير شيخ من المرج فى ليلة الإثنين ثالث عشره إلى أن نزل قارا ليلة الثلاثاء، فوصل تقليد العجل بن نعيم بإمرة العرب.

وقدم الأمير علان نائب حماة وحلب - كان - من مصر، وقد استقر أتابك دمشق. ونزل الأمير شيخ حمص يوم الخميس سادس عشره، فكاتب الفريقان فى الصلح فلم يتم، واقتلا فى يوم الخميس ثالث عشرينه بالرستن، فوقف الأمير شيخ والأمراء فى الميمنة، ووقف العرب فى الميسرة، فحمل حكيم بمن معه على جهة الأمير شيخ فكسره، وتحول إلى جهة العرب - وقد صار شيخ إليها وقاتلوا قتالا كبيرا ثبتوا فيه، فلم يطيقوا جموع حكيم وانهزموا، وسار شيخ بمن معه - من دمرداش وغيره - إلى دمشق،

(١) الرستن: بليدة قديمة كانت على نهر الميماس، وهذا النهر هو اليوم المعروف بالعاصى الذى يمر قدام حماة، والرستن بين حماة وحمص فى نصف الطريق. انظر: معجم البلدان ٤٣ / ٣.

(٢) سبق ترجمتها.

(٣) مرج عذراء: بغوطة دمشق. انظر معجم البلدان ١٠١ / ٥.

فدخلوها يوم السبت خامس عشرينه، وجمعوا الخيول والبغال، وأصحابهم متلاحقين بها. ثم مضوا من دمشق بكرة الأحد.

فقدم في أثناء النهار من أصحاب الأمير حكيم الأمير نكبييه، وأزبك، دوادار الأمير نوروز. ونزل أزبك بدار السعادة، وقدم الأمير جرباش، فخرج الناس إلى لقاء نوروز، فدخل دمشق يوم الإثنين سابع عشرينه، ونزل الإسطبل. ودخل الأمير حكيم يوم الخميس سلخه، ونادى ألا يشوش أحد على أحد. وكان قد شفق رجلا في حلب رعى فرسه في زرع، وشفق آخر بسلمية، ثم شفق جنديا بدمشق على ذلك، فخافه الناس، وانكفوا عن التظاهر بالخمير. وقتل في وقعة الرستن الأمير إعلان نائب حماة وحلب، والأمير طولو نائب صفد، قدما بين يدي الأمير حكيم فضرب أعناقهما، وعنق طواشى كان في خدمة الأمير شيخ، كان يؤذى جماعة نوروز المسجونين، ومضى الأمير شيخ إلى جهة الرملة.

وفي ليلة الأربعاء خامس عشره: خسف القمر من آخر الليل.

وفي هذا الشهر: انحل سعر القمح إلى مائة وعشرين درهما الأردب، ثم ارتفع في آخره لقلّة ما يصل منه، وعز وجود الخبز في الأسواق.

ووقف الحاج بعرفة يوم الجمعة، ولم يسر المحمل من دمشق على العادة لكثرة الفتن بالشام، وقدم من الشام حاج قليل نحو خمسمائة، وقدم من العراق نحو ذلك.

* * *

ومات في هذه السنة ممن له ذكر

محمد بن موسى بن عيسى الدميرى^(١)، كمال الدين أبو البقاء الشافعى، توفى ليلة الثلاثاء ثالث جمادى الأولى، عن نحو ست وستين سنة، وكان عالما صالحا.

ومات محمد بن حسن شمس الدين السيوطى الشافعى، فى يوم الأحد عشرين، جمادى الآخرة، عن سن عالية، وكان صاحب فنون عديدة من نحو وفقه. وأصول، وغير ذلك. وكان يأخذ الأجر على التعليم، وللناس عنه إعراض، وفيه وقية.

(١) محمد بن موسى بن عيسى بن على الدميرى أبو البقاء كمال الدين باحث أديب، من فقهاء الشافعية من أهل دميرة بمصر ولد نشأ وتوفى بالقاهرة كان يتكسب بالحياطة ثم أقبل على العلم وأفتى ودرس وكانت له فى الأزهر حلقة خاصة وأقام مدة بمكة والمدينة من كتبه حياة الحيوان حادى الحسان من حياه الحيوان خ اختصره بنفسه من كتابه. انظر الأعلام ٧ / ١١٨.

ومات أبو حاتم محمد بن أبي حامد أحمد بن علي بن عبد الكافي القاضي تقي الدين،
حفيد الشيخ بهاء الدين السبكي^(١)، في يوم الخميس سادس عشرين جمادى الأولى،
ومولده في شعبان سنة أربع وستين وسبعمائة: ناب في الحكم بالقاهرة، ولم يكن بالماهر
في الفقه.

ومات أحمد بن محمد بن إسماعيل بن عبد الرحيم بن يوسف بن سمير بن حازم شهاب
الدين أبو هاشم بن البرهان^(٢) العبد الصالح الداعي إلى الله، في يوم الخميس لأربع بقين
من جمادى الأولى، وهو الذي قام على الملك الظاهر برفوق^(٣)، وكان أحد نوادر الدنيا.

(١) بهاء الدين السبكي (٧١٩ - ٧٦٣ هـ ١٣١٩ - ١٣٦٢ م). أحمد بن علي بن عبد الكافي،
أبو حامد بهاء الدين السبكي: فاضل، له عروس الأفراح، شرح تلخيص المفتاح. ولي قضاء الشام
سنة ٧٦٢ هـ. فأقام عاما، ثم ولي قضاء العسكر، وكثرت رحلاته، ومات مجاورا بمكة. انظر البدر
الطالع ١ / ٨١، الدرر الكامنة ١ / ٢١٠ الأعلام ١ / ١٧٦.

(٢) شهاب الدين بن البرهان (٧٥٤ - ٨٠٨ هـ = ١٣٥٣ - ١٤٠٥ م) أحمد بن محمد بن
إسماعيل بن عبد الرحيم بن يوسف، الشيخ الإمام العلامة الطاهري شهاب الدين أبو هاشم، عرف
بابن البرهان، مولده فيما بين القاهرة ومصر في شهر ربيع الأول سنة أربع وخمسين وسبعمائة، وهو
أحد من قام على الملك الظاهر برفوق، وكان أبوه من العدول، ونشأ أحمد بالقاهرة، وصحب سعيد
السحولي فأماله إلى مذهب الظاهرية على طريقة ابن حزم، ورحل وطاف البلاد البعيدة ودعا الناس
إلى العمل بكتاب الله وسنة نبيه ﷺ، فاستجاب له بشر كثير من خراسان إلى الشام، وآخر الأمر
قبض عليه بجمص وعلى جماعة من أصحابه، وحملوا الجميع في القيود إلى الديار المصرية، فأوقفه الملك
الظاهر برفوق بين يديه وويخه على فعلته، وضرب أصحابه بالمقارع، ثم حسبه مدة طويلة إلى أن
أطلقه في سنة إحدى وتسعين وسبعمائة، وطال حملوه، إلى أن توفى في يوم الخميس السادس
والعشرين من جمادى الأولى سنة ثمان ومائمائة. انظر المنهل الصافي ٢ / ٨٧، ٨٨، الدليل الشافي
١ / ٧٤، النجوم الزاهرة ٧ / ٣٥٣ - ٣٥٥، تذكرة النبيه ١ / ٧٤، ٧٥، درة الأسلاك ص ٧١،
شذرات الذهب ٥ / ٣٧١، فوات الوفيات ١ / ١٠٠، طبقات الشافعية ٥ / ١٤، وفيات الأعيان
ص ١: ٤ وما بعدها، تاريخ ابن الفرات مج ٧ / ٢٥٣، درة الحجال ١ / ٧، البداية والنهاية
٣٠١ / ١٣.

(٣) الظاهر برفوق (٧٣٨ - ٨٠١ هـ = ١٣٣٨ - ١٣٩٨ م). برفوق بن أنص - أو أنس -
العثماني، أبو سعيد، سيف الدين، الملك الظاهر: أول من ملك مصر في الشراكسة جلبه إليها أحد
تجار الرقيق واسمه عثمان فباعه فيها منسوباً إليه ثم أعتق وذهب إلى الشام فخدم نائب السلطنة وعاد
إلى مصر فكان أمير عشرة وتقدم في دولة المنصور القلاووني (علي بن شعبان) فولى أتابكية العساكر،
وانتزع السلطنة من آخر بني قلاوون الصالح أمير حاج سنة ٧٨٤ هـ وتلقب بالملك الظاهر وانتقادت
إليه مصر والشام، وقام بأعمال من الإصلاح، وبنى المدرسة البرقوقية بين القصرين - بمصر. انظر
ديوان الاسلام - خ - وابن إياس ١ / ٢٥٨ و ٢٩٠ ووليم لازير ١١١ والضوء اللامع ٣ / ١٠ وسوبر
نهييم في دائرة المعارف الإسلامية ٣ / ٥٥٨، الأعلام ٢ / ٤٨.

ومات على بن محمد بن عبد النصير بن علي علاء الدين عصفور، السنجاري الأصل، الدمشقي المولد والدار، المالكي، شيخ الكتاب، في يوم الإثنين رابع عشرين شهر رجب، كتب على زين الدين محمد بن الحراني، ناظر أوقاف دمشق.

ومات محمد بن محمد بن محمد بن أسعد بن عبد الكريم بن يوسف بن علي بن طحا القاضي فخر الدين أبو اليمن الثقفي القياتي، أحد نواب الحكم الشافعية، في ليلة الأربعاء حادى عشرين شهر رجب، وقد تجاوز الثمانين، بمدينة مصر. وكان عريا عن العلم. وكتب بخطه كثيرا.

ومات عبد الرحمن بن علي بن خلف زين الدين أبو المعالي الفارسكوري^(١)، أحد فضلاء الشافعية وخيريهم، في ليلة الأحد سادس عشرين شهر رجب.

ومات الخليفة أمير المؤمنين المتوكل على الله أبو عبد الله محمد بن المعتضد أبي بكر ابن المستكفي بالله أبي الربيع سليمان بن الحكم بأمر الله أبي العباس أحمد.

بويغ بالخلافة بعهد من أبيه في سابع جمادى الآخرة سنة ثلاث وستين وسبعمائة.

وجعله الأمير أيوبك البدرى بن زكريا بن إبراهيم في ثالث عشرين صفر سنة تسع وسبعين، ثم أعيد في عشرين ربيع الأول، منها. وقبض عليه الظاهر برقوق في أول رجب سنة خمس وثمانين، وقيده وسجنه إلى أول جمادى الأولى سنة إحدى وتسعين، ثم أفرج عنه. واستمر في الخلافة حتى مات ليلة الثلاثاء ثامن عشرين شهر رجب. وعرض عليه الاستقلال بالأمر مرتين فأبى، وأثرى كثيرا.

ومات عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن خلدون^(٢) أبو زيد ولي الدين، الحضرمي،

(١) الفارسكوري (٧٥٥ - ٨٠٨ هـ = ١٣٥٤ - ١٤٠٦ م). عبد الرحمن بن علي بن خلف، أبو المعالي، زين الدين الفارسكوري فقيه شافعي مصري تقدم في علوم العربية مولده بفارسكور، ووفاته بالقاهرة حاور مدة بمكة وصنف بها شيئا في مقام إبراهيم وله شرح على شرح العمدة لابن دقيق العيد. انظر الضوء اللامع ٤/ ٩٦ - ٩٧ الأعلام ٣/ ٣١٨.

(٢) ابن خلدون (٧٣٢ - ٨٠٨ هـ = ١٣٣١ - ١٤٠٥ م) عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن محمد بن الحسن بن محمد بن محمد بن جابر بن محمد بن إبراهيم بن محمد عبد الرحمن، قاضي القضاة ولي الدين أبو زيد الحضرمي الأشبيلي، المعروف بابن خلدون. مولده في يوم الأربعاء أول شهر رمضان سنة اثنتين وثلاثين وسبعمائة بمدينة تونس ببلاد المغرب، ونشأ بها، وطلب العلم، وقرأ وحفظ القرآن العزيز، وقرأه على الأستاذ أبي عبد الله محمد بن سعد بن تراك الأنصاري بالقراءات السبع أفرادا وجمعا في إحدى وعشرين ختمة، ثم جمعها في ختمة واحدة ثم قرأ ختمة برواية يعقوب جمعا بين الروايتين عنه، وعرض عليه قصيدتي الشاطبي اللامية والرائية، وكتاب النقطة لأحاديث الموطأ لابن =

الأشبيلى، المالكى، فى يوم الأربعاء خامس عشرين شهر رمضان فجأة، ولى المالكية عدة مرار.

ومات إبراهيم بن عبد الرازق بن غراب^(١)، الأمير لاقاضى سعد الدين بن علم الدين

عبد البر، ودرس كتاب التسهيل فى النحو لابن مالك، ومختصر ابن الحاجب الفقهى، وأخذ العربية عن أبيه، وأبى عبد الله محمد الشواش الزرالى، وبدأ بحفظ الشعر، فحفظ: المعلقات، وحماية الأعلام، وشعر حبيب بن أوس، وقطعه من شعر المتبنى، وكتاب سقط الزند لأبى العلاء المعرى. انظر النهل الصافى ٢٠٥/٧، وما بعدها.

(١) (٨٠٨ هـ = ١٤٠٥ م) إبراهيم بن عبد الرازق، القاضى الأمير سعد الدين بن علم الدين «بن شمس الدين» الشهير بابن غراب. أصله من أولاد الكتبة الأقباط بالإسكندرية، ثم اتصل بخدمة الأمير محمود بن على الأستاذار واختص به حتى صار عارفا بجميع أحواله، ثم بسفارته. ولى نظر الخاص عوضا عن سعد الدين أبى الفرج تاج الدين موسى وذلك فى يوم الخميس تاسع عشر ذى الحجة سنة ثمانى وتسعين وسبعمائة، وعمره إذ ذاك دون العشرين سنة، ولما استفحل أمره أخذ فى المرافعة فى أستاذه الأمير محمود الأستاذار فى الباطن، ولازال على ذلك حتى قبض عليه الملك الظاهر برفوق وصادره، وأجرى عليه أنواع العذاب وانتدب سعد الدين هذا فى محاqqته، وأظهار خباياه، وصار أشد الناس عليه، ولازال على ذلك حتى هلك محمود تحت العقوبة. حدثنى بعض خواص محمد بن خدومه قال: كان أستاذنا - يعنى محمود - لما صودر ينظر فى وجه سعد الدين ويكى قهرا منه. انتهى. ولما هلك محمود يوم الأحد تاسع شهر رجب سنة تسع وتسعين وسبعمائة، صار سعد الدين خصيصا عند الملك الظاهر برفوق إلى أن توفى سنة إحدى وثمانمائة، وتسلمن من بعده ابنه الملك الناصر فرج، خلغ عليه بنظر الجيش بديار مصر مضافا لما بيده من نظر الخاص وغيره، ثم استقر بأخيه فخر الدين ماجد فى الوزارة، وصار هو صاحب الحل والعقد فى الدولة إلى تاسع عشر ربيع الآخر سنة اثنتين وثمانمائة فقبض عليهما وأحيط بموجودهما، وخلع على القاضى بدر الدين محمد الطوخى، واستقر فى الوزارة عوضا عن فخر الدين ماجد بن غراب، وعلى شرف الدين محمد بن الدمامينى، واستقر فى نظر الجيش والخاص معا، عوضا عن سعد الدين صاحب الترجمة، وتسلمهما الأمير أزيك رأس نوبة، ثم نقلا إلى بيت الأمير قطلوبغا الكركى شاد الشراب خاناه، فأقاما عنده إلى يوم السبت ثامن عشرينه وخلع عليهما بوظائفها كما كانا أولا، وسلم إليهما الوزير الطوخى وابن الدمامينى، فصار الطالب مطلوبا، فلم يواخذ سعد الدين القاضى شرف الدين بن الدمامينى على فعله، بل أفرج عنه واستقر به قاضى قضاة الإسكندرية، ولما خلغ عليه بقضاء الإسكندرية نزل سعد الدين بن غراب وأخوه فى خدمته إلى داره، واستمر سعد الدين فى وظيفتى الجيش والخاص إلى أن أمسك الأمير يشبك الشعبانى الدوادار وسجن بئفر الإسكندرية، اختفى سعد الدين، ثم اختفى أخوه فخر الدين ماجد. وكان فخر الدين قد عزل من الوزارة قبل تاريخه بأبى كم. مدة يسيرة، فلما تسحبا أضيف لعلم الدين أبى كم الوزير نظر الخاص عوضا عن سعد الدين المذكور، وخلع على سعد الدين أبى الفرنج بن بنت الملكى صاحب ديوان الجيش، واستقر فى نظر الجيش عوضا عن سعد الدين أيضا، وسار سعد الدين متوجها إلى تروجة ومعه مثال سلطاني باستخراج الأموال، ومسيرهم معه إلى =

=الإسكندرية لإخراج يشبك الشعباني والأمراء من السجن بها، ثم توجه إلى الإسكندرية وجمع الزعران وحرضهم على قتل نائب الإسكندرية، فلم ينتج أمره، وأرسل طلب الأمان فلما وصل إليه الأمان قد إلى القاهرة ليلا ونزل عند صديقه جمال الدين يوسف البيرى أستاذار بجاس، وهو يومئذ أستاذار الأمير سودون طاز أمير آخور، فتحدث له جمال الدين مع أستاذه سودون طاز وأوصله إليه، فأكرمه وأنزله عنده يومى الثلاثاء والأربعاء، واسترضى له الأمراء، وأحضره يوم الخميس ثالث عشرين ذى الحجة سنة ثلاث إلى مجلس السلطان فقبل الأرض، وخلع عليه باستقراره فى الأستادارية، ونظر الجيش ونظر الخاص، ونزل إلى بيت الأمير حكيم فممنعه من الدخول ورده، فلا زال سعد الدين حتى دخل إليه بعد أيام فى خدمة الأمير سودون من زاده، وقبل يده وهو لا يلتفت إليه، والتزم عند استقراره بتممة، فأعطى كل مملوك ألف درهم، وعندما نزل من القلعة أدركه عدة من المماليك السلطانية ورجوه فرمى بنفسه إلى الأمير نوروز الحافظى مستنجرا به، فأصلح الأمير نوروز أمره، ومشى حاله إلى شهر ربيع الأول سنة أربع، ورغب لأخيه فخر الدين عن نظر الخاص، واستمر على حاله إلى سنة خمس، فلما كان فى حادى عشرين شعبان تفاوض مع الأمير سودون الحمزاوى بالكلام فى مجلس السلطان، وأغلظ كل منهما على الآخر ونزلا، فعندما نزل سعد الدين من القلعة تجمع عليه عدة من المماليك السلطانية وضربوه بالدبابيس حتى سقطت عن رأسه، وسقط إلى الأرض فحملوه إلى باب السلسلة، وقد احتفى بالأمير أينال باى أمير آخور، ثم توجه إلى داره وانقطع عن الخدمة أياما، ثم ركب واستمر إلى ثانى عشر شهر رمضان، قبض عليه وعلى أخيه فخر الدين واعتقلا بالزردخانه، وخلع على تاج الدين أبى بكر بن محمد بن عبد الله بن أبى بكر بن محمد الدمامينى السكندرى، واستقر فى نظر الجيش عوضا عنه، وخلع على تاج الدين عبد الله بن الوزير سعد الدين نصر الله بن البقرى واستقر فى نظر الخاص عوضا عن أخيه فخر الدين، وتسلمهما ابن قايماز، فضرب فخر الدين ضربا مبرحا، وأهان سعد الدين حتى أخذ خطه بألف ألف درهم، وأخذ خط فخر الدين بثلاثمائة ألف، ثم نقلا إلى الأمير يلبغا السالمى ليقتلهما، فلم ينتقم السالمى منهما، وخاف سوء العاقبة، وعاملهما بالإكرام، ولازال يسعى فى أمرهما حتى تخلصا، فلما انتصبا عاملا السالمى بخلاف ذلك، واستمر سعد الدين المذكور إلى شهر ربيع الأول سنة ست وثمانمائة خلع عليه باستقراره فى وظيفتى الأستادارية ونظر الجيش، وعزل ابن قايماز عن الأستادارية، واستمر سعد الدين على ذلك إلى أن وقع للأمير يشبك ما وقع، ونهزم إلى الشام، توجه سعد الدين هذا معه، ثم قدم أيضًا صحبة الأمراء فى وقعة السعيدية، ودخل القاهرة لما دخلها الأمير يشبك المذكور متخفيا وترامى على الأمير أينال باى ووعد السلطان بمبلغ ستين ألف دينار، وتعصب له الأمير جمال الدين الأستادار، فخلع عليه واستقر مشيرا، وعلى أخيه وزير، فاستمر على ذلك إلى أن فر الملك الناصر فرج واختفى عنده فى يوم الأحد خامس شهر ربيع الأول سنة ثمان وثمانمائة، واستمر الناصر عنده مخفيا إلى أن ظهر وجرى من أمره ما استقر وعاد إلى ملكه وخلع على سعد الدين واستقر به رأس مشهورة بعد أن أنعم عليه بإمرة مائة وتقدمة ألف بديار مصر، ولبس سعد الدين الكلفتاه وتقلد بالسيف وترك زى الكتاب. حدثنى بعض خواص سعد الدين قال: لما نزل من الخدمة بزى الأمراء سألتنى بأن قال: يا فلان هذه الصفة أحسن أم تلك الصفة؟ فقلت له: لا والله تلك الصفة أحسن أجمل وأليق بك، فلم يرد=

ابن شمس الدين، فى ليلة الخميس تاسع عشر شهر رمضان، ولم يبلغ الثلاثين سنة.
ومات طاهر بن الحسن^(١) بن عمر بن الحسن بن عمر بن حبيب زين الدين الحلبي،
رئيس كتاب الإنشاء، فى يوم الجمعة سابع عشرين ذى الحجة. وقد أناف على الستين،
وعين لكتابة السر.

ومات عبد الله بن سعد الله بن البقرى الوزير صاحب تاج الدين بن الوزير
الصاحب سعد الدين، مات تحت العقوبة ليلة الإثنين ثامن عشرين ذى القعدة.

ومات الأمير قانباى العلاى أحد أمراء الألف، فى ليلة الأحد، حادى عشرين
شوال، بعد مرض طويل، وكان كثير الفتن، ويعرف بالغطاس لكثرة اختفائه.

ومات الأمير قينار أحد أمراء الطبلخاناه. مات فى خامس عشرين جمادى الأولى.

ومات الأمير بلاط السعدى أحد أمراء الطبلخاناه، ماتت بطالا فى رابع عشرين
جمادى الأولى.

ومات أحمد بن عماد بن يوسف شهاب الدين المعروف بابن العماد الأقفهسى^(٢)

الجواب، انتهى. قلت: ولما نزل سعد الدين إلى لم يركب بالكلفته بعد أول مرة، ومرض ولزم الفراش
إلى أن توفى ليلة الخميس تاسع عشر شهر رمضان سنة ثمانمائة، ولم يبلغ الثلاثين سنة. وكان شابا
جميلا كريما جوادا. ممدحا، رئيسا نالته السعادة فى مباشرته، وكان يميل إلى فعل الخير والصدقة لاسيما
فى الوباء الذى فى سنة ست وثمانمائة، فإنه فعل فيه من الخيرات ما هو مشهور عنه، قيل أنه منذ ولى
الوظائف السنوية إلى أن مات ما دخل عليه مملوك من المماليك السلطانية فى حاجة - كبيرا كان أو
صغيرا - إلا وسقاه السكر المذاب، ثم مضى فى قضاء حاجته، رحمه الله تعالى.

(١) (طاهر بن الحسن) (٧٤٠ - ٨٠٨ هـ - ١٣٣٤٠ - ١٤٠٦ م). طاهر بن الحسن بن عمر بن
حسن بن عمر بن حبيب، الشيخ زين الدين أبو العز بن الشيخ بدر الدين أبى محمد الحلبي الحنفى،
الإمام البليغ الأديب المنشئ. ولد بعد الأربعين وسبعمائة بقليل، وسمع من إبراهيم بن الشهاب محمود
 وغيره. وأجاز له أبو العباس المرداوى حاتمة أصحاب ابن عبد الدايم، وجماعة. واشتغل وحصل، وبرع
فى الأدب وغيره، وصنف، وكتب فى ديوان الإنشاء بجلب، ثم رحل إلى دمشق وأقام بها مدة، ثم
توجه إلى القاهرة وكتب بها فى ديوان الإنشاء، وولى وظائف غير ذلك. وكان يكتب الخط المنسوب،
وله نظم ونثر. نظم تلخيص المفتاح فى المعانى والبيان، وشرح البردة للبوصيرى، وخمسها، وذيل على
تاريخ والده. ومن شعره:

قلت له إذ ماس فى أحضر وطرفه ألبانبا يسحر
لحظك ذا؟ أو أبيض مرهف؟ فقال هذا موتك الأحمر

انتهى. توفى بالقاهرة يوم الجمعة سابع عشر ذى الحجة سنة ثمان وثمانمائة. رحمه الله وعفا عنه.

(٢) ابن عماد (٧٥٠ - ٨٠٨ هـ - ١٣٤٩ - ١٤٠٥ م) أحمد بن عماد بن يوسف أبو العباس، =

أحد فضلاء الشافعية، وله من المصنفات، « أحكام المساجد»، و « أحكام النكاح» سماه كتاب «توقيف الحكام لى غوامض الأحكام»، وكتاب «أحوال الهجرة» نظمه ثم شرحه.

ومات محمد بن عبد الرحمن بن عبد الخالق بن سنان، شمس الدين البرشنسى، أحد فضلاء الشافعية، توفي عن نحو سبعين سنة.

ومات شاهين السعدى، أحد الخدام السلطانية الأشرفية، عظم فى الأيام الناصرية حتى صار لالا السلطان، وولى نظر خانكة سربياقوس.

ومات محبى الدين محمود بن نجم الدين أحمد بن العماد إسماعيل بن العز - عرف بابن الكشك - الحنفى، بدمشق، فى ذى القعدة. ولى قضاء الحنفية بدمشق، وقدم القاهرة.

ومات عبد الرازق بن أبى الفرج الأمير الوزير تاج الدين المعروف بابن أبى الفرج الأرمنى، مات فى رابع شهر ربيع الآخر. كان أولا كاتباً، ثم ولى نظر قطيا، ثم صار والى قطيا. وولى الوزارة ثم الأستاذية معاً، ثم ولى بعد ذلك كشف الوجه البحرى، ثم ولاية القاهرة وكان أولا يسمى بالمعلم، ثم سعى بالقاضى، ثم نعت بالصاحب، ثم بالأمر، ثم بملك الأمراء كل ذلك فى مدة يسيرة من السنين.

ومات تيمورلنك كوركان بن أنس قتلغ، وقيل بل هو تيمور بن سرتختته بن زكى بن سبنا بن طارم بن طغرل بن قليج بن سنقور، بن كنجك بن طوسبوقا بن ألتان خان، ومعنى «لنك» الأعرج، ومعنى «كوركان» صهر الملك. توفي تيمور بأهنكران من شرقى سمرقند^(١)، فى ثالث عشر شعبان، وملك عامة بلاد العراق، وخراسان^(٢). وسمرقند،

=شهاب الدين الأقفهسى، ثم القاهرى : قيه شاعى، كثير الاطلاع، فى لسانه بعض حبسة. له التعقبات على المهمات للإسنوى . شرح المنهاج والسر المستبان ما أودعه الله من الخواص فى أجزاء الحيوان - خ) والتبيان فى آداب حملة القرآن ومنظومة فى العقائد والعقوبات فى الفقه والذريعة فى إعداد الشريعة وكشف الأسرار مما خفى من الأفكار ونيل مصر. انظر الضوء اللامع ٢/ ٤٧، ١١/ ١٨٥، البدر الطالع ١/ ٩٣. العلام ١/ ١٨٤.

(١) سمرقند: قيل: أنها من أبنية ذى القرنين. بما وراء النهر، وإلى قصبه الصغد مبنية على جنوبى وادى الصغد مرتفعة عليه. انظر معجم البلدان ٣/ ٢١٧ وما بعد ها.

(٢) خراسان: بلاد واسعة، أول حدودها مما يلي العراق، وآخر حدودها مما يلي الهند طخستان وغزنة وسجستان وكرمان. انظر معجم البلدان ٢/ ٣٥٠.

السلوك لمعرفة دول الملوك ١٦٩
والهند، وديار بكر^(١)، وبلاد الروم، وحلب، ودمشق، وخرب مدن العالم، وحرقتها،
وهدم بغداد، وأزال نعم الناس، وكان قاطع طريق. أول ظهوره سنة ثلاث وسبعين
وسبعمائة.

* * *

(١) ديار بكر: هي بلاد كبيرة واسعة تنسب إلى بكر بن وائل. انظر معجم البلدان ٢ / ٤٩٤.

سنة تسع وثمانمائة

استهلت والخليفة المستعين بالله أبو الفضل العباس بن محمد المتوكل على الله والسلطان الملك الناصر فرج بن الظاهر برقوق، ودمشق بيد الأمير نوروز، من قبل الأمير جكم، وحلب وحماة وطرابلس بيد الأمير جكم، وهو خارج عن طاعة السلطان. ونائبه بديار مصر الأمير تمتاز، ودمشق الأمير شيخ، وقد توجه بعد الكسرة على حمص إلى جهة الرملة.

شهر الله المحرم، أوله الجمعة، ويوافقه رابع عشرين بؤونة: والمثقال الذهب بمائة درهم وخمسة وثلاثين درهماً بالفلوس، وكل دينار أفرنتى بمائة وخمسة عشر درهماً، والقمح بمائة وثلاثين درهماً الأردب، والشعير والبقول بنحو مائة درهم، والفلوس كل رطل بستة دراهم، والفضة لا تظهر بين الناس، وإذا ظهرت تباع كل درهم كاملي بخمسة دراهم من الفلوس - زنة عشر أواقى - وبهذا فسدت أحوال أرباب الجوامك من الفقهاء وأمثالهم، الذين رزقهم على الأوقاف، والمربيات السلطانية، فصاروا يأخذون معاليمهم عن كل درهم فضة أوقيتين فلوساً، وتسمى درهماً، وارتفعت أسعار جميع المبيعات حتى بلغت أضعاف قيمتها المعتادة بالفضة، فصار من معلومه مثلاً مائة درهم فى الشهر - وكان قبل هذه الحوادث والمحن يأخذها فضة، عنها خمسة مثاقيل ذهباً - فإنه الآن يأخذ عن المائة سبعة عشر رطلاً، وثلاثي رطل من الفلوس، يقال لها مائة درهم، ولا تبلغ ديناراً واحداً، فيشتري بهذه المائة ما كان قبل هذا يشتريه بأقل من عشرين بكثير، فإن كل سلعة كانت تباع بدينار لا تباع الآن إلا بدينار وبأكثر من دينار.

وأما الأجراء وأصحاب الصنائع فإن أجرهم تزايدت، فكل من كانت أجرته درهماً لا يأخذ الآن إلا خمسة فما فوقها. وكذلك التجار ضاعفوا ربحهم فى بضائعهم، وأما أرباب الإقطاعات فإنهم جعلوا كل فدان بستة أمثال ما كان، فلم يختل من حالهم شىء، إلا أنه صار بهذا الاعتبار لا يرجى الرخاء بمصر، فإن الغلة تقوم على صاحبها بقيمة زائدة من أجل غلاء أجرة الطين، وثمان البذر، وأجرة الحصادين ونحوهم، وكل ذلك من سوء نظر ولاية الأمور. وقد كتبت فى هذا مصنفاً اسمه «إغاثة الأمة بكشف الغمة»، وقد اعتذر لى بعضهم عن إفساد أهل الدولة الدرهم، فإنه حملهم على ذلك كثرة ما عليهم من جوامك الممالك، وذلك أن نفقة الممالك السلطانية تبلغ فى كل شهر إلى

ألف ألف ومائتي ألف درهم، سوى ما لهم من لحم وعليق خيولهم وكسوتهم. وجماعية المملوك منهم من أربعمائة إلى خمسمائة، وكانت أولا المائة درهم عنها خمسة مثاقيل ذهباً، فجعل المباشرون المثقال بهذا السعر، لعلمهم أن الأمتعة لا تنزل عن سعورها من الذهب والفضة، وأنهم لا ينفقون للممالك إلا الفلوس، وقطعوا ضرب الفضة، وأكثروا من ضرب الفلوس، فرخصت الفلوس؛ وبذل الكثير منها في الذهب لقلّة الفضة، وكثرة احتياج المسافرين إلى حمل النقود حتى بلغ الدينار إلى هذا القدر، فصار الدرهم بعد أن كان قيراطاً وبعض قيراط من الدينار، لا يساوي كل خمسة منه أو ستة قيراطاً.

واستمرت نفقة الممالك على ذلك وهم لا يشعرون بحقيقة الحال، فعم الفساد، وخص الفقهاء ونحوهم من ذلك أعظم البلوى. ومؤسس هذا الفساد بديار مصر رجلان هما: سعد الدين إبراهيم بن غراب، وجمال الدين يوسف الأستادار؛ وذلك أن ابن غراب منذ ولي نظر الخاص في آخر الأيام الظاهرية لم يزل لكثرة ما ظفر به من الذهب يزيد في سعره حتى بلغ هذا القدر، وهو أخذ في الزيادة أيضاً على هذا القدر. وأما جمال الدين فإنه منذ كان يلي أستاذية الأمير بجاس في أجرة الراضى: ثم لما مات الظاهر ولي في الأيام الناصرية أستاذية جماعة كثيرة من الأمراء الأكابر، فجرى على عادته، وزاد في أجر الأراضي حتى عمل ذلك كل أحد، وصار باعتبار غلاء سعر الذهب كل شيء يباع فإنه بأضعاف ثمنه، وباعتبار غلاء الأطيان لا يرجى الرخاء، وهذان الفسادان سبب عظيم في خراب إقليم مصر، وزوال نعم أهله سريعاً، إلا أن يشاء ربي شيئاً.

وفي أوله: كتب باستقرار الأمير خير بك في نيابة غزة.

وفي يوم الأحد ثلثه: استقر شمس الدين محمد بن عبد الخالق المناوى - المعروف بالطويل وبالبدنة - في حسبة القاهرة، وصرف الهوى.

وفي رابعه: نودى على النيل.

وفي حادى عشرينه: قدم الركب الأول من الحاج إلى القاهرة، وقدم الحمل ببقية الحاج من الغد.

وفي خامس عشرينه: نودى في الممالك السلطانية بالعرض لأخذ نفقة السفر.

وفي ثامن عشرينه ابتدأ السلطان في نفقة الممالك يفرقها عليهم، فأنفق لكل واحد أربعين مثقالاً، فبلغت النفقة على ثلاثة آلاف.

ونودى في يومه بأن سعر كل مثقال بمائة وخمسين بعد مائة وثلثين فكثرت الضرر بذلك.

وأما الشام فإن في خامسه قدم الخير بانهزام الأمير شيخ نائب الشام من حكم إلى غزة، فاهتم السلطان للسفر.

وفي حادى عشره: توجه الأمير سودن من زادة إلى الأمير شيخ باستمراره فى نيابة الشام على عادته، وصحبته سلاح كثير أنعم به عليه، وتشرف ليلبسه مع عدة ثياب. وفيه خرج المطبخ إلى ملاقة الأمير شيخ.

وفيه أنكر على الأمير كزل العجمى أمير الحاج ما فعله، فإنه أخذ من الحجاج عن كل حمل ديناراً، وباعهم الماء الذى يريدوه، فصودر، وأخذ منه قريب المائتى ألف درهم، ففر فى سلخه، فأخذ له حاصل فيه قماش وغيره، وأخرج إقطاعه.

وأما الشام فإن الأميرين حكم ونوروز وجها فى رابعه الرسل إلى السلطان بصورة ماجرى، وخرج الأمير حكم من دمشق هو والأمير نوروز فى حادى عشره، فتوجه حكم إلى جهة حلب، وتوجه نوروز فى طلب شيخ فلم يدركه وفر سودن المحمدى من عند الأمير شيخ - وكان مقيدا - ولحق بالأمير نوروز.

وفى آخره: أثبت قضاة حماة أن طائرات سمع وهو يقول: « اللهم انصر حكم ». شهر صفر، أوله السبت:

أهل والأسعار غالية، وبلغ لحم البقر إلى سبعة دراهم الرطل، ولحم الضأن إلى تسعة، والأسواق متعطلة، والناس فى خوف ووجل من كثرة الظلم. وفيه خرج الأمير يشبك وغيره من الأمراء إلى ملاقة الأمير شيخ.

وفى ثالثه: قدم الأمير شيخ ومعه الأمير دمرداش نائب حلب، والأمير خير بك نائب غزة، والأمير ألطنبغا العثمانى حاجب الحجاب بدمشق، والأمير يونس الحافظى نائب حماة - كان - والأمير سودن الظريف، والأمير تنكز بغا الحططى وغيرهم، فصعدوا القلعة وأكرموا غاية الإكرام، وذلك أن عسكر الأمير حكم سار من دمشق وأخذ صفد^(١) والصبيبة والكرك^(٢) وغزة.

وفى سادسه: خلع على الأمير شيخ واستقر فى نيابة الشام على عادته، وعلى الأمير دمرداش بنيابة حلب على عادته.

(١) صفد: مدينة فى جبال عاملة المطلة على حمص بالشام، وهى من جبال لبنان. انظر: معجم

البلدان ٤١٢ / ٣.

(٢) الكرك: قرية فى أصل جبل لبنان. انظر معجم البلدان ٤ / ٤٥٢.

وفي سابعه: استقر تاج الدين عبد الوهاب بن نصر الله^(١) في نظر الأحباس، عوضاً عن ناصر الدين محمد الطناحي.

وفي حادى عشرينه: حمل السلطان أخاه الملك المنصور عبد العزيز، وأخاه إبراهيم إلى سكندرية، مع الأمير قطلوبغا الكركي، والأمير أينال حطب العلاى ليقيموا بها، وخرج مع أخويه أمهاتهما وخدمهما، وأجرى لهما فى كل يوم خمسة آلاف درهم، ولكل من الأمير ألف درهم فى اليوم.

شهر ربيع الأول، أوله الإثنين:

فيه برز الأمير شيخ نائب الشام، والأمير دمرداش نائب حلب، ومعهما جماعة من عسكر دمشق وحلب، ونزلاً خارج القاهرة بالريدانية، ولحق بهما الأمير سودن الحمزاوى الدوادار، والأمير سودن الطيار أمير سلاح.

وفيه أعيد الهوى إلى الحسبة، وعزل شمس الدين الطويل، ورحل الأمير شيخ، والأمير دمرداش بالشاميين.

وفي رابعه: ضربت خيمة السلطان بالريدانية، فرحل الحمزاوى والطيار.

وفي ثامنه: سار السلطان من قلعة الجبل ونزل مخيمه بالريدانية.

وفي حادى عشره: أعيد الطويل إلى الحسبة، وعزل الهوى.

وفي ثانى عشره: رحل السلطان من الريدانية يريد الشام، وجعل الأمير تمراز الناصرى نائب الغيبة، فلم يحمده رحيله فى يوم الجمعة، فقد نقل عن الإمام أحمد بن حنبل - رحمه الله - أنه قال: « ما سافر أحد يوم الجمعة إلا رأى ما يكره ».

وفي رابع عشرينه: نزل السلطان غزة، ورحل منها فى سابع عشرينه.

(١) عبد الوهاب بن نصر بن الحسن (٧٦٠ - ٨٢٠ هـ = ١٣٥٩ - ١٤١٧ م)، القاضى تاج الدين، الفوى الأعلى ثم المصرى الحنفى، أخو صاحب بدر الدين حسن بن نصر الله، ووالد القاضى شرف الدين وغيره. مولده سنة وسبعمائة بقة، وقدم القاهرة واشتغل، وتفقه بجماعة من فقهاء السادة الحنفية، وناب فى الحكم سنين، وولى عدة وظائف جليلة، كنظر الأحباس، ووكالة بيت المال، ونظر الكسوة، وتوقيع الدست وخدم عند عدة من أكابر الأمراء بالديار المصرية. وكان له وجهة ووقار فى الدولة، وكان جارفاً، ونعم الجار كان إلى أن توفى ليلة السبت ثالث عشر جمادى الآخرة سنة عشرين وثمانمائة، وخلف عدة أولاد ذكر وإناث. انظر المنهل الصافى ٣٩٨ / ٧ والدليل الشافى ٤٣٥ / ١، النجوم الزاهرة ١٤ / ١٧٤، أنباء الغمر ٣ / ١٥٠، نزهة النفوس ٢ / ٤٠٦.

وأما الشام فإن الأمير نوروز جهز في أوله عسكرياً من دمشق، عليهم الأمير سودن الحمدي، وأزيك الدوادار، فساروا إلى جهة الرملة.

وفي حادى عشره: خرج الأمير بكتمر شلق من دمشق لجمع العشران، فقدم في ثالث عشره الأمير أينال بيه بن قجماس، والأمير يشبك بن أز دمر، وكانا مختفين بالقاهرة، من حين عاد الملك الناصر إلى الملك بعد أخيه المنصور عبد العزيز، ووصل معهما الأمير سودن الحمدي لضعف حصل له، فأكرمهما الأمير نوروز، وانعم عليهما. وعقب ذلك عاد العسكر المتوجه مع سودن الحمدي إلى الرملة، لوصول الأمير خير بك نائب غزة إليها - هو والأمير أظنبا العثماني - وأخبروا باستقرار الأمير شيخ في نيابة الشام، وأن السلطان قد خرج من القاهرة، فاضطرب نوروز، وخرج من دمشق في يوم الثلاثاء سابع عشره، فبلغه وصول الأمير أظنبا العثماني إلى صفد، وقد ولي نيابته، ومعه شاهين دوادار الأمير شيخ. ففر منه بكتمر شلق، وقدم على نوروز، فعاد حيثئذ من جسر يعقوب، وقد عزم على الفرار خوفاً من السلطان، ولحق به من كان بدمشق من أصحابه. وسار من دير زنون في سادس عشرينه على بعلبك إلى حمص، فدخل شاهين - دوادار شيخ - من الغد يوم الجمعة سابع عشرينه إلى دمشق، ثم قدم الأمير شيخ في يوم الإثنين آخره، ومعه دمردش نائب حلب، وأظنبا العثماني نائب صفد، والأمير زين الدين عمر بن الهذباني أتابك دمشق، فلم يجد من يمانعه.

شهر ربيع الاخر، أوله الثلاثاء:

في ليلة الإثنين سابعه: مات الملك المنصور عبد العزيز بن الظاهر برقوق بالإسكندرية. بعد مرضه مدة إحدى وعشرين ليلة.

ومات بعقب موته من ليلته أخوه إبراهيم، ودفنا من الغد، فكانت جنازتهما جمعها كبير، ولهج الناس بأنهما ماتا مسمومين.

وفي هذا اليوم: دخل السلطان إلى دمشق في تجمل عظيم، ونزل بدار السعادة إلى أن توجه يريد حلب في سابع عشره، فدخلها في سادس عشرينه، وقد رحل الأمير حكيم عنها، وعدى الفرات ومعه الأمير نوروز، والأمير تمرغا المشطوب، وجماعة؛ فنزل السلطان بالقلعة، وبعث الأمراء في طلب حكيم.

وفي ثامن عشرينه: قدمت رمة الملك المنصور عبد العزيز وأخيه إبراهيم من الإسكندرية على ظهر النيل إلى ساحل القاهرة، وحملوا إلى تحت القلعة، وأمهاتهما وجواريهن مسلبات، فصلى عليهما، ودفنا عند أبيهما تحت الجبل بترتته التي أوصى بعمارتهما.

شهر جمادى الآخرة، أوله السبت:

فيه خرج السلطان من حلب عائدا إلى دمشق، وولى بحلب الأمير جركس المصارع. وولى الأمير سودن بقجة نيابة طرابلس. وأقر الأمير شيخ على نيابة الشام، وجد فى مسيره حتى قدم دمشق فى خمسة أيام، وترك الخام وراءه.

فثارت طائفة من المماليك ومعهم عامة حلب على جركس المصارع، وقدم الأمير نوروز بعسكره ففر جركس يريد دمشق، ونوروز فى أثره، فعثر بخام السلطان فقطعه، ووقع النهب فيه. وخلص الأمير جركس إلى السلطان، ودخل معه دمشق فى ثامنه، فنزل السلطان دار السعادة، ونادى بالإقامة فى دمشق شهرين. وكان الأمير يشبك قد دخل بالأمس وهو مريض، ومعه الأمير دمرداش، والأمير باش باى رأس نوبة.

وفى خامس عشره: أعيد شمس الدين الأحنأى إلى قضاء دمشق، وعزل ابن حجي.

وقدم الخير بنزول الأمير نوروز حماة ثم حمص ووصول حكم إلى حلب، فسار السلطان من دمشق يوم الأحد سادس عشره بعدما تقدم إلى العسكر بأن من كان فرسه عاجزا فليذهب إلى القاهرة، وألا يتبعه إلا من كان قويا، فتسارع أكثر العساكر إلى العود إلى القاهرة. ولم يتبع السلطان منهم كثير أحد فانتهى فى مسيره إلى قريب منزلة قارة، ثم عاد مجددا، فدخل دمشق يوم الخميس عشرينه. وقد فرق شمله، وتأخر جماعة من الأمراء مع شيخ نائب الشام، فخرج الأمير يشبك فى ثانى عشرينه، وخرج شيخ ودمرداش وألطنبغا العثماني فى عدة أمراء يوم الأحد ثالث عشرينه إلى صفد. وسار السلطان ويشبك يريد مصر، فدخل إلى القدس، وقد تخلف الأمير سودن الحمزاوى بدمشق ومعه عدة من الأمراء مغاضبين للسلطان. ثم توجه الحمزاوى من دمشق يريد صفد، وأخذ كثيرا من الأتقال السلطانية، واستولى على صفد.

وفى يوم الأحد رابع جمادى الأولى: أعاد نائب الغيبة ابن شعبان إلى الحسبة وعزل الطويل.

وأما الشام فإن الأمير سودن الحمزاوى الدوادار دخل بالجاليش السلطاني إلى دمشق فى يوم الخميس ثالث شهر ربيع الآخر، ودخل الأمير بيغوت فى رابعه، وقدم السلطان فى يوم الإثنين سابعه والأمير شيخ نائب الشام قد حمل الجتر على رأسه، وبين يديه الخليفة والقضاة والأمير يشبك وبقيه العساكر، فنزل السلطان بدار السعادة.

وفى ليلة الثلاثاء ثامنه: بعث الوزير فى طلب علاء الدين على بن أبى البقاء قاضى دمشق، ففر من الأعوان بعدما قبضوا عليه.

وفي يوم الثلاثاء: هذا خلع على الأمير سون بقمجة بنيابة طرابلس، وسار إليها.
 وفي يوم الجمعة حادى عشره: صلى السلطان الجمعة بجامع بني أمية وخطب به،
 وصلى الشهاب أحمد بن الحسابانى. وفي هذه الأيام ركب المماليك السلطانية تحت
 قلعة دمشق، وطلبوا النفقة، وتكلموا كثيرا بما لا يليق.
 وفي ثامن عشره: توجه الأمير شيخ نائب الشام والأمير دمرداش نائب حلب من
 دمشق يريدان حلب، وضرب خام السلطان ببرزة^(١)، وخرج السلطان من الغد، فنزل
 ببرزة.

وفي خامس عشره: أعيد الشريف علاء الدين على بن عدنان إلى كتابة السر
 بدمشق، وكانت بيد ابن الآدمى، فلما قدم الأمير نوروز اختفى منه فباشرها تقي الدين
 القرشى موقع نوروز، حتى خرج من البلد.

وفي تاسع عشره: ولى نجم الدين عمر بن حجي قضاء دمشق. وعزل الشهاب
 الحسانى.

وفي حادى عشرينه: قدم قاضى القضاة شمس الدين محمد الأحنأى من القاهرة إلى
 دمشق، وكان قد ولى بعد صرفه من قضاء ديار مصر خطابة القدس.

وفي خامس عشرينه: وصل إلى دمشق الأمير جمال الدين الأستاذار، وكان قد تأخر
 بعد السلطان بالقاهرة.

وفي آخره: قبض على قضاة حماة، ووضعوا فى الحديد، وألزموا بمال، كونهم أثبتوا
 محضر الطائر بالدعاء بالحكم.

وأهل جمادى الأول: والناس فى دمشق وأعمالها فى ضرر كبير لما نزل من جباية
 الشعير للسلطان.

وفي تاسع عشره: طلب السلطان قضاة طرابلس فقدموا عليه بحلب، وأخذ منهم
 مالا. وأعادهم إلى حالهم. وأخذ من قضاة حلب مالا وأقرهم.

وفي خامس عشرينه: ولى صدر الدين على بن الآدمى قضاء الحنفية بدمشق بمال
 كبير. وقدم الأمير يشبك من حلب إلى دمشق فى سابع جمادى الآخرة، ثم قدم
 السلطان فى ثامنه، وخلع فى عاشره على شيخ خلعة الاستمرار فى نيابة الشام، وعلى

سودن الحمزاوى خلعة الاستمرار. ونودى بالإقامة فى دمشق فقدم الخير فى سادس عشره بوصول نوروز إلى حمص، فنودى بالرحيل، فتقدم الأمير شيخ. ثم سار السلطان فى آخره. وتوجه كثير من العسكر إلى جهة القاهرة، فوصل السلطان إلى قارا وعاد إلى دمشق يوم الخميس عشرينه، فخرج الأمير يشبك فى يوم السبت وهو مريض يريد القاهرة.

وخرج شيخ ودمرداش وألطنبغا العثماني فى يوم الأحد ثالث عشرينه إلى جهة صنفد، ومعهم جماعة من الأمراء ندبهم السلطان إليها. وخرج السلطان ليتبعهم، فنزل الكسوة^(١) يريد مصر، ورحل؛ فنار بدمشق فى يوم الإثنين رابع عشرينه جماعة نوروز الذين كانوا محتفين، ونادوا بالأمان، ودقوا البشائر. ثم قدم فى سابع عشرينه عدة أمراء، منهم سودون الحلب وجمق وأزبك دوادار نوروز إلى دمشق. وقدم من الغد أينال بيه بن قجماس، ويشبك بن أزدمر، ويشبك الساقى فى عدة من النوروزية.

شهر رجب، أوله الأحد:

فيه قدم الأمير نوروز دمشق، فى موكب جليل.

وفى ثانيه: وصلت طائفة من عسكر السلطان إلى القاهرة، وتتابع دخولهم.

وفى تاسعه: قدم الأمير جمال الدين الأستاذار.

وفى سادسه: أعيد الطويل إلى الحسبة، وعزل ابن شعبان.

وفيه قدم حريم السلطان من الشام، وقدم عدة من المماليك السلطانية وغيرهم.

وفى حادى عشره: قدم السلطان إلى قلعة الجبل، ولم ينل غرضاً، وقد تلف له مال كثير جداً، ونقصت عساكره، فزينت القاهرة لقدمه.

وفى ثامن عشره: قدم الأمير دمرداش نائب حلب، والأمير سودن من زاده نائب غزة، وقد نار بها الأمير خير بك.

وفى ثانى عشرينه: استقر زين الدين حاجى التركمانى فى حسبة القاهرة، وعزل الطويل، ثم أعيد فى سابع عشرينه.

وكان الأمير سودن الحمزاوى قد أخذ صنفد وقلعتها، واستمر هو والأمير شيخ، ودمرداش. ففر عنهم دمرداش، وأخذ الحمزاوى يسعى فى صلح شيخ مع نوروز حتى

(١) الكسوة: قرية هى أول منزل تنزله القوافل إذا خرجت من دمشق إلى مصر. انظر معجم

أجاب نوروز إليه . وكتب في ذلك إلى حكيم، فخرج الحمزاوى يوما من صفد ليسير في برها، فسار شيخ، وأخذ في غيبته القلعة، فنجا الحمزاوى بنفسه وبعض أصحابه، وقدم دمشق في ثانی عشره، فأخذ شيخ جميع ما كان له بصفد، وقبض على جماعته. ونزل دمرداش بغزة، فأخذ نوروز في عمارة قلعة دمشق، ووقف عليها بنفسه ومعه الأمراء والقضاة، وفرض الأموال على الأراضى، فجبى مالا كبيرا، وأخرج الأوقاف إقطاعات لإصحابه، وأقطع الأملاك أيضا.

شهر شعبان، أوله الثلاثاء:

فى رابعه: قبض على الوزير المشير فخر الدين بن غراب، وسلم إلى الأمير جمال الدين الأستاذار ليعاقبه.

وفى سابعه: استقر الأمير جمال الدين فى وظيفتى الوزارة ونظر الخصاص، مضافا لما بيده. وكان بن غراب قد قطع فى شهر رجب اللحم المرتب على الدولة للمماليك السلطانية والأمراء وأهل الدولة، وصرف لأربابه عن كل رطل لحم درهما، وسعره يومئذ ثمانية دراهم الرطل، فخفت كلفة الدولة، وصار الوزراء فى راحة. وذلك أن اللحم كان ثمنه فى كل يوم زيادة على خمسين ألف درهم، فنزل بالناس من أجلها أنواع من البلاء، ويمر بالوزير من القباض - إذا تأخرت - إهانة لا توصف، ويحتاج فى هذا إلى مصادرات الناس وأخذ الأموال بأنواع الظلم، ولذلك كان الوزراء يعجزون عن سد الوزارة، فمنهم من يحتفى، ومنهم من يستعفى، ومنهم من ينكب. وكان ثمن هذا اللحم يقال له النقدة، والذين يقضونه من الوزير يقال لهم المعاملون، ولهم سلاطة، فإذا أحيلوا على أحد استخصوا منه بأيديهم، فإن تعاسر عليهم نهبوا داره أو حانوته. وإذا لم يجد الوزير سبيلا إلى إعطائهم تلك الليلة ثمن اللحم ولا أحاطهم على أحد، أسمعوه ما يكره، ومدوا أيديهم إلى ما يجذوه تحته من فراش أو عنده من شىء، وأخذوه، فزال عن الناس عامة، وعن الوزراء خاصة بترك صرف لحم الراتب وتعويض أربابه عنه مالا، بلاء عظيم.

وصار الوزير بعدما كان يحتاج إلى النقدة فى كل ليلة، ولا يقدر أن ينام حتى يدفعها إلى المعاملين، أو يوزعها على من يحيلهم عليهم قد أمن، فإنه لا يصرف ثمن ذلك لأربابه إلا من الشهر إلى الشهر. ومع هذا فيعطى فى الدرهم سدسه أو سبعة، واستمر الأمر على هذا.

وفى خامس عشره: نودى على المثقال الذهب بمائة وعشرين درهما، وعلى الدينار الإفرتى بمائة درهم، بعد مائة وخمسة وثلاثين، فتوقفت الأحوال.

وفيه انحل سعر القمح فنزل إلى ستين درهما الأردب، ونزل الشعير إلى خمسة وثلاثين، والفلول إلى خمسة وعشرين الأردب. ونودي أن يكون الخبز ثلاثة أرغفة بدرهم، زنة الرغيف عشر أواقى، فقل وجوده فى الأسواق، ثم نودي أن كل أربعة أرغفة بدرهم زنة تسع أواقى كل رغيف، فبيع كذلك، وتعذر وجوده غالبا.

وفى ثامن عشره: قبض بغزة على الأمير خير بك. وحمل مقيدا إلى القاهرة وقدم فى ثانى عشرينه.

وأما الشام فإن المصادرات كثرت بدمشق، وصار أهلها فى شدة من كثرة ما جىبى منهم لعمارة القلعة، واخرجت أوقافهم وأملاكهم إقطاعات للنوروزية. وأخذت أموال كثير من التجار.

وفى رابع عشرينه: ولى الأمير نوروز نيابة غزة للأمير أينال بيه بن قجماس وولى أسن بيه كاشف الرملة، وأخرجهما ومعهما يشبك بن أزدمر، وسودن الحمزاوى، فساروا إلى جهة غزة. وبعث سودن الحلب إلى الكرك نائبا بها، فأطلق من كان سجنه السلطان فيها، وبعثهم إلى دمشق .

شهر رمضان، أوله الخميس:

وفى عاشره: خرج من القاهرة عسكر إلى لاشام، فيه الأمير تمتاز الناصرى، والأمير أقبای، فورد الخبر بأن عسكرا من الشام قد أخذ غزة، وأن يشبك بن أزدمر نزل قطيا وخربها، وعاد إلى غزة. فأقام تمتاز بمن معه على بلبس^(١).

وفى هذا الشهر: أخرج أهل القدس عبد الرحمن المهتار ويشبك الساقى. وابن قجماس ومن معهم إلى وادى بنى زيد، فكثر هناك جمعهم، وساروا إلى الرملة، وقاتلوا العسكر، فقتل منهم نحو الخمسين رجلا، واسر خمسة عشر، وجرح أسنباى، وانهزم من بقى.

وفيه سار عسكر من دمشق يريد الرملة، فخرج الطنبغا العثمانى من صفد إلى قاقون^(٢) وكتب إلى السلطان أن ينجده بعسكر.

(١) بلبس: مدينة بينها وبين فسطاط مصر عشرة فراسخ على طريق الشام. انظر معجم البلدان

١ / ٤٧٩.

(٢) قاقون: حصن بفلسطين قرب الرملة وقيل: هو من عمل قيسارية فى ساحل الشام. انظر

معجم البلدان ٤ / ٢٩٩.

وفي هذا الشهر: تسلطن الأمير حكيم بحلب يوم حادى عشره، وتلقب بالسلطان الملك العادل أبى الفتوح عبد الله حكيم، وخطب باسمه من حلب إلى الفرات إلى غزوة، ما عدا صفد، فإن الأمير شيخ المحمدي نائب الشام كان قد أخذها من الحمزاوى وأقام بقلعتها. ففر منه الحمزاوى، وقام الأمير شيخ على طاعة السلطان. ولم يجب حكيم إلى التوجه إليه.

شهر شوال، أوله الجمعة:

فى رابعه: خلع الأمير نوروز على الأمير بكتمر شلق بناية صفد، عن أمر الملك العادل عبد الله حكيم.

وفى سابعه: عاد الأمير تمتاز والأمير أقبای بمن معهما إلى القاهرة، من غير أن يتجاوزوا السعيدية^(١)، وقدمت عدة كتب من الشاميين إلى المماليك السلطانية بتزغيبهم فى اللحاق بهم، وتخويفهم من التأخر بديار مصر، وقدمت عدة كتب من الأمير حكيم وغيره إلى عربان مصر وفلاحيتها، بمنعهم من دفع الخراج إلى السلطان وأمرائه، وتخويفهم وتحذيرهم.

وفى ثامن عشره: قدم إلى دمشق قاصد الملك العادل حكيم، ومعه مرسومه بتقرير الأمير سون الحمزاوى دودارا، وتقرير الأمير اينال بيه بن قجماس أمير أخور، والأمير يشبك بن أزدمر رأس نوبة، والأمير سون الحمزاوى. أمير مجلس، وبوالأمير نوروز قسيم الملك، وما يختار يفعل، وأمرهم بلبس الكلفتاة، وكانوا قد تركوها مدة، إشارة منهم أنهم غير طائعين السلطان.

وفى خامس عشرينه: لبس الأمير نوروز خلعة الملك العادل حكيم، ودقت البشائر بدمشق وزينت.

وفى هذا الشهر: ابتدأ الطاعون بالقاهرة ومصر. وتزايد حتى فشا فى الناس وكثر الموت الوحى^(٢)، وبلغ عدد من يرد اسمه الديوان إلى مائتين وخمسين فى كل يوم،

(١) هو مركز من مراكز البريد فى طريق الشام يقع بين بلبس والخطارة بأرض مصر من الشرقية، وسميت بهذا الاسم؛ لأن السلطان الظاهر بيبرس عمر هذه البلدة وسمها باسم ولده السعيد محمد بركة خان. انظر صبح الأعشى ١٤ / ٣٧٧، المواعظ والاعتبار ٢ / ٣٠٠ والقاموس الجغرافى القسم الأول ص. ٧٠

(٢) الوحى: العجلة، يقولون: الوحى الوحى، والوحاء الوحاء، يعنى البدار البدار، والوحاء والوحاء الوحاء يعنى الإسراع، فيمدونهما ويقصرونهما إذا جمعوا بينهما، فإذا أفردوه مدوه ولم يقصروه؛ قال أبو النجم: يفيض عنه الربو من وحائه، التهذيب الوحله، محدود، السرعة، وفى =

وترجف العامة بأن عددهم أضعاف ذلك وشبهتهم أن الخوانيت المعدة لإطلاق الأموات أحد عشر حانوتا، فى كل حانوت نحو الخمسين تابوت، ما منها تابوت إلا ويزدد إلى التزب كل يوم ثلاث مرات وأكثر، مع كثرة ازدحام الناس عليها، وعز وجودها، فىكون على هذا عدة من يموت لا يقصر عن ألف وخمسمائة فى اليوم، سوى من لا ىرد اسمه الديوان من مرضى المارستان، ومن يطرح على الطرقات، وغالب من يموت الشباب والنساء. ومات بمدينة منوف العليا^(١) أربعة آلاف وأربعمائة إنسان، كان يموت بها فى كل يوم مائة وأربعون نفرا. واتفق فى هذا الشهر أنه كان لبعض الأمراء صاحب من فقراء العجم، وكان له أيضا ولد صغير كيس، فكان الفقير يجب ذلك الصغير ويكثر أن يقول: « لو مات هذا الصغير لمت من الأسف عليه»، فقد ر الله موت الصغير، فما فرغوا من غسله حتى مات الفقير، فساروا بالجنازتين معا، ودفنا متجاورين.

شهر ذى القعدة، أوله الأحد:

فى سادس عشرة: استقر فى حسبة القاهرة تاج الدين محمد بن أحمد بن على، عرف بابن المكلفة، ربيب ابن جماعة، وعزل الطويل.

وفى رابع عشرينه: أعيد ابن شعبان إلى الحسبة، وعزل ربيب بن جماعة.

وفى هذا الشهر: كثر الموتان فى الناس، وعز وجود البطيخ الصيفى من كثرة طلبه للمرضى. فبيعت بطيخة بمائتى درهم وسبعين درهما.

=الصحاح: ىمد ويقصر، وربما أدخلوا الكاف مع الألف واللام فقالوا الوحاك الوحاك، قال: والعرب تقول النجاء النجاء والنجى النجى والنجاك النجاك والنجاءك النجاءك، وتوح يا هذا فى شأنك أى أسرع، ووحاه توحية أى عجله، وفى الحديث: إذا أردت أمرا فتدبر عاقبته، فإن كانت شرأ فانتبه، وإن كانت خيرا فتوحه، أى أسرع إليه، والهاء للسكت، ووحى فلان ذبيحته إذا ذبحها ذبحا سريعا ووحيا؛ وقال الجعدى:

أسيران مكبولان عند ابن جعفر والوحى قد وحيتموه مشاغب

والوحى، على فعيل: السريع، يقال: موت ووحى، وفى حديث أبى بكر: الوحا الوحا، أى السرعة، ىمد ويقصر، يقال: توحيت توحيا إذا أسرعت، وهو منصوب على الإغراء بفعل مضمر، واستوحيناهم، أى استصرخناهم، واستوح لنا بنى فلان ما خيرهم، أى استخبرهم، وقد ووحى، وتوحى بالشيء: أسرع، وشىء ووحى: عجل مسرع. انظر لسان العرب ٤٧٨٨.

(١) منوف: من قرى مصر القديمة لها ذكر فى فتوح مصر، ويقال لكورتها. لأن: المنوفية. انظر

وفي آخره: توجه عدة من الأمراء إلى جهات مصر، فمضى الأمير يشبك في طائفة إلى البحيرة، ومضى الأمير بلبغا الناصري في طائفة إلى أطفيح^(١) لأخذ جمال الناس من أجل التجريدة لقتال حكم.

وفيه ظهرت بثرة^(٢) برجل، فوصف له شخص أن يؤخذ فروج ويوضع دبره على تلك البثرة، فإن مات الفروج وضع دبر فروج آخر. وفعل كما قال فمات عشرون فروجا عندما يلصق دبر الفروج بالبثرة يموت لوقته. وفيه ملك العادل حكم البيرة.

وفي رابع عشرة: بعث الأمير شيخ - وهو بصفد - عسكره إلى نابلس^(٣)، فقبض على عبد الرحمن المهتار، وحمل إليه، فعاقه ثم قتله.

وفي ثامن عشره: حلف الأمير نوروز ومن معه بدمشق للملك العادل حكم ولبسوا الكلفتاه.

ووقع الجد في عمارة قلعة دمشق، وسخر نوروز فيها الناس.

شهر ذى الحجة، أوله الإثنين:

فيه كبس الناصري بأطفيح^(٤) على العربان، وساق عدة من إبلهم، فاجتمعوا عليه، وأوقعوا بساقته وأخذوا عدة من بغاله، وقتلوا منه جماعة، وجرحوا طائفة.

وقدم الخيزر بأن عربان البحيرة، أحاطوا بمن توجه إليهم من الأمراء، وحصروهم في مدينة دمنهور^(٥) فخرجت النجدة إليهم، بحيث لم يتأخر أحد من الأمراء، فمرت العربان في البرية إلى جهة الحمامات.

(١) أطفيح: بالكسر في أوله والفاء، وياء ساكنة، وحاء مهملة: بلد بالصعيد الأدنى من أرض مصر على شاطئ النيل في شرقية. انظر معجم البلدان ١ / ٢١٨

(٢) البثرة: والبثر والبثور: خراج صغار، وخص بعضهم به الوجه، واحدته بثرة وبثرة، وقد بشر جلده ووجهه يبثر بثرًا وبثورًا وبثر، بالكسر، بثرًا وبثر، بالضم، ثلاث لغات، فهو وجه بثر، وتبثر وجهه: بثر. وتبثر جلده: تنفط، قال أبو منصور: البثور مثل الجدرى يقبح على الوجه وغيره من بدن الإنسان، وجمعها بثر. انظر لسان العرب ٢٠٨.

(٣) نابلس، هي مدينة مشهورة بأرض فلسطين بين جبلين مستطيلة لا عرضة لها، إلا أنها كثيرة المياه لأنها لصيقة في جبل أرضها حجر. انظر معجم البلدان ٥ / ٢٤٨، ٢٤٩.

(٤) سبق ترجمتها.

(٥) دمنهور: بلدة بينها وبين الإسكندرية يوم واحد في طريق مصر متوسطة في الصغر والكبر.

انظر المعجم البلدان ٢ / ٤٧٢.

وفيه وقع الاهتمام بالسفر إلى الشام.

وفيه طلب ابن التركية من الأمير يشبك الأمان فأمنه، وحلف له، فندما نزل قريبا منه، بينه وقبض عليه، وقتل عدة من أصحابه، وبعث إلى أمواله فنهبها، وساق له منها ثلاثين ألف رأس غنم، وبعثها مع الأمير تغرى بردى، والأمير أقباي والأمير بشبای، فوصلوا إلى الجزيرة^(١) في سادس عشره، بعد ما لقوا في رمل الحاجر شدة، وتلفت لهم عدة خيول. وقدم يشبك بمن معه في يوم الجمعة تاسع عشره وبين يديه بن التركية وجماعة من أهل البحيرة، فوسط السلطان ابن التركية وعلق رأسه على باب زويلة.

وفي خامس عشرينه: علق الجاليش لتجهز العسكر للسفر.

وفي تاسع عشرينه: رسم بالنفقة، وصر لكل فارس مبلغ ثلاثين مثقالا وألف درهم فلوسا، فجمع الممالك تحت القلعة وامتنعوا من أخذها.

وفيه دقت البشائر بموت حكيم. وكان من خبره أنه لما تسلطن، استعد لأخذ بلاد الشمال، وأعرض عن مصر. ثم خرج من حلب يريد الأمير عثمان بن طور على بن قرايلك، وقد نزل بتركمانه في أراضي آمد^(٢). فحضر حكيم البيرة حتى أخذها وقتل نائبها كزل ثم عدا الفرات من البيرة، فأتته رسل قرايلك ترغب إليه في رجوعه إلى حلب، وأنه يحمل إليه من الجمال والأغنام عددا كثيرا، فلم يقبل. وسار حتى قرب من مازدين^(٣)، فنزل وأقام أياما، حتى نزل إليه الملك الظاهر مجد الدين عيسى وحاجبه فياض من مازدين، فسار به إلى قرايلك وحطم عليه، فقاتله قتالا كبيرا أبلى فيه حكيم بنفسه بلاء عظيما، وقتل بيده إبراهيم بن قرايلك، فانهزم لقتله التركمان إلى مدينة آمد، وامتنعوا بها، فاقتحم حكيم في طائفة عليهم حتى توسط بين بساتين آمد، فإذا هم قد أرسلوا المياه فوحلت الأراضي بحيث يرتطم فيها الفارس بفرسه فلا يقدر على الخلاص، فأخذ حكيم ومن معه الرجم من كل جهة، وقد انحصروا في مضيق لا يمكن فيه كسر

(١) الجزيرة: بلدة في غربي فسطاط مصر قبالتها، ولها كورة كبيرة واسعة، وهي من أفضل كور مصر. انظر معجم البلدان ٢/ ٢٠٠.

(٢) آمد: بكسر الميم. وهي أعظم مدن ديار بكر وأجلها قدرا وأشهرها ذكرا. وهو بلده قديم حصين مبني بالحجارة السود على نشز دجلة محيطة بأكثره مستديرة به كالهلال، وفي وسطه عيون وآبار قريبة نحو الذراعين، يتناول ماؤها باليد، وفيها بساتين ونهر يحيط بها السور. انظر معجم البلدان ٥٦/ ١.

(٣) مازدين: قلعة مشهورة على قمة جبل الجزيرة مشرفة على دنيسر ودارا ونصيبين. انظر معجم البلدان ٥/ ٣٩.

ولا فر، وصوب بعض التراكمين على حكم ورماه بحجر فى مقلع أصاب جبهته، فتحلده قليلا، ومسح الدم عن وجهه ولحيته، ثم اختلط وسقط عن فرسه، فتكاثر التركمان على من معه وقتلوه، فانهزم بقية العسكر، والتركمان فى أعقابهم تقتل وتأسر، فلم ينج منهم إلا القليل، وطلب حكم بين القتلى، حتى عرفه بعض التراكمين، فقطع رأسه وبعثها إلى مصر، وقتل فى هذه الوقعة الأمير ناصر الدين محمد بن شهرى حاجب حلب، والأمير أقمول نائب عينتاب، والمملك الظاهر عيسى صاحب ماردين، وحاجبه فياض، وفر الأمير كمشبغا العيساوى، والأمير تمرغا المشطوب، حتى لحقا بحلب. وكانت هذه الوقعة فى سبع عشرين ذى القعدة، فدمت البشنائر بقلعة الجبل ثلاثة أيام.

وفى هذا الشهر: أيضا ركب الأمير شيخ نائب الشام من صفد يريد الأمراء بغزة، وهم سودن الحمزاوى، والأمير أينال بيه بن قجماس، والأمير يشبك بن أزدمر فطرقهم على حين غفلة، فقاتلوه على الجديدة^(١) فى يوم الخميس رابعه، فقتل أينال بيه ويونس الحافظى نائب حماة وسودن تلى الحمدي، وسودن قرناس.

وقبض على سودن الحمزاوى بعدما قلعت عينه، وفر يشبك بن أزدمر إلى دمشق، ووقع فى قبضة الأمير شيخ عدة من المماليك، فوسط تسعة من المماليك السلطانية، وغرق أحد عشر، وأفرج عن ممالك الأمراء، وقال لهم: «قد وفيتم لأستاذيكم»، وبعث بطائفة من المماليك السلطانية إلى السلطان، وعاد إلى صفد.

وفى هذا الشهر: خسف جميع جرم القمر فى ليلة الأحد رابع عشره. وفيه عاد الأمير نوروز إلى طاعة السلطان الملك الناصر، بعد قتل حكم، وافتتح كتبه بالملكى الناصرى، وأعيدت الخطبة للناصر بدمشق يوم الجمعة سادس عشرينه.

وسمع بعض أهل طريق الله صوتا فى الهواء بدمشق، حفظ منه:

يمر السحاب بأرض الشام كمر الحمام بأرض الحرم
تروم النزول فلا تسطيع لفعل الخطايا وذب الأمم

* * *

ومات فى هذه السنة ممن له ذكر

أحمد بن عمر بن محمد الطنبدى الشافعى، وقد أناف على الستين فى حادى عشرين ربيع الأول، وكان من أعيان الفقهاء العارفين بالأصول والتفسير والغريب. وأفتى ودرس

(١) الجديدة: اسم موقع قرب غزة.

ووعظ عدة سنين، وكان من الأذكياء، والأدباء الفصحاء، ولم يكن مرضى الديانة.

ومات تقي الدين محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن حيدرة بن عبد الله الدجوى الشافعى، فى ليلة الأحد ثامن عشر جمادى الأولى، عن ستة وسبعين سنة، وكان إماما فى الحديث والنحو واللغة والتاريخ وغير ذلك، حافظا، ضابطا، ثقة، حدث فى آخر عمره. بعد طول حموله.

ومات شرف الدين أبو بكر بن تاج الدين محمد بن إسحق السلمى المناوى، أحد خلفاء الحكم الشافعية، وخطيب الجامع الحاكمى، فى نصف جمادى الآخرة، عن بضع وخمسين.

ومات الشيخ محمد بن أحمد بن محمد المعروف بابن فهيز المغيرى، فى يوم الإثنين رابع عشرين جمادى الآخرة. وكان فى شبابه له تنسك. وخدم عبد الله الياضى بمكة. ثم صحب طشتمر الدوادار^(١) فى الأيام الأشرفية، فنوه به حتى صار يعد من الأعيان والأغنياء المترفين.

ومات الشريف بدر الدين حسن بن محمد بن حسن النسابة الحسنى^(٢)، شيخ خانكاه ببيرس، فى ليلة السبت سادس عشر شوال، عن سبع وثمانين سنة. حدث عن الوادياشى والميدومى، والحافظ قطب الدين عبد الكريم، وغيرهم.

ومات الشيخ شمس الدين محمد بن زاده الخرزبانى شيخ خانكاه شيخو فى يوم الأحد

(١) طشتمر عبد الله العلماى الدوادار (٧٨٦ هـ = ١٣٨٤ م)، الأمير سيف الدين. كان من أجل الأمراء وأعظمهم، وتنقل فى عدة وظائف جليلة. ولى الدوادارية الكبرى بالديار المصرية، وطالت مدته فيها. وهو أول دوادار صار أمير مائة ومقدم ألف. ثم نقل إلى نيابة دمشق فباشرها مدة، ثم عزل وطلب إلى الديار المصرية، واستقر بها أتاكب العساكر. واستمر إلى أن وثب الأمير زين الدين برك، والأمير سيف الدين بقوق على الأمراء، وصار هما صاحبا العقد والحل فى مملكة الديار المصرية، وأمسكا طشتمر هذا، ووجها إلى ثغر دمياط بطالا، فأقام بالثغر مدة، ثم نقل إلى القدس الشريف، فدام به إلى أن مات فى سنة ست وثمانين وسبعمائة. انظر المنهل الصافى ٦/ ٣٩٥، ٣٩٦، الدليل الشافى ١/ ٣٦٣، درة الأسلاك ص ٤٩٩ الدرر ٢/ ٣٢١.

(٢) النسابة (٨٠٩ هـ = ١٤٠٦ م) الحسن بن محمد بن حسن، السيد الشريف الحسنى بدر الدين، المعروف بالنسابة، شيخ خانقاه ببيرس الجاشنكير بالقاهرة. توفى ليلة السبت سادس عشر شوال سنة تسع وثمانائة، عن سبع وثمانين سنة، رحمه الله تعالى. انظر المنهل الصافى ١٣٦/٥، ١٣٧.

آخر ذى القعدة، ودفن بالخانكاه. وكان من أعيان الحنفية، وله يد في العلوم الفلسفية. واستدعاه السلطان من بغداد إلى القاهرة.

ومات سراج الدين عمر بن منصور بن سليمان القرمي في يوم الإثنين خامس جمادى الأولى. وولى حسبة مصر ثم حسبة القاهرة.

ومات الأمير ركن الدين عمر بن قايماز أستاذار السلطان؛ في يوم الإثنين أول شهر رجب.

ومات الأمير نعيم بن حيار بن مهنا ملك العرب، قتله جكم في قلعة حلب.

ومات الأمير ناصر الدين محمد بن سنقر البكجری، أستاذار السلطان، بحلب.

ومات علاء الدين على بن بهاء الدين أبي البقاء محمد بن عبد البر السبكي الشافعي، قاضي قضاة دمشق، ليلة الأحد ثاني عشر ربيع الآخر بدمشق، ومولده بها في سنة سبع وخمسين وسبعمائة. وقدم القاهرة صغيراً ونشأ بها، ثم عاد إلى دمشق، ودرس بها، ثم ولى قضاء القضاة بها غير مرة، وطلبه السلطان، فاختفى حتى مات.

ومات زين الدين عبد الرحمن بن يوسف الكفري^(١) قاضي الحنفية بدمشق، ليلة السبت سادس عشر ربيع الآخر. ومولده سنة إحدى وخمسين وسبعمائة، بدمشق. وقدم القاهرة، وولى قضاء الحنفية بدمشق غير مرة، فسأدت سيرته.

ومات شهاب الدين أحمد بن محمد بن الجواشني الحنفي^(٢) بدمشق، في ليلة الأحد

(١) (٧٥٠ - ٨١١ هـ = ١٣٤٩ - ١٤٠٨ م). عبد الرحمن بن يوسف بن أحمد بن الحسن بن سليمان بن فزارة بن بدر بن محمد بن يوسف، قاضي القضاة زين الدين أبو هريرة الكفري الحنفي. ولد سنة خمسين وسبعمائة تقريباً، وحضر على محمد بن إسماعيل بن الحباز، وسمع على بشر بن إبراهيم ابن عمود الحلبي، وتفقه بعلماء عصره حتى برع في الفقه والأصول العربية، وشارك في عدة فنون، وأفتى ودرس، وتولى قضاء القضاة بدمشق، هو وأبوه وأخوه وحده، وهو بيت علم وفضل ورياسة، ثم قدم القاهرة بعد سنة ثلاث وثمانمائة، وولى قضاةها مدة، وحمدت سيرته، وأفتى ودرس بها، ولازم الإشتغال والاشتغال إلى أن توفي بالقاهرة ثالث شهر ربيع الآخر سنة إحدى عشر وثمانمائة، رحمه الله تعالى.

(٢) ابن الجواشني (٨٠٩ هـ = ١٤٠٦ م) أحمد بن محمد بن يعقوب البالي الحنفي، ابن الجواشني: قاضي له اشتغال في التراجم. أصله من بالس (بين حلب والرقّة) ومنشأه ووفاته بدمشق. ناب في الحكم واستقل بالقضاة قليلاً، وعزل، على أنه كان حسن السيرة. انظر الضوء اللامع ٢/٢١٦، التاج ١٩٢/٩، الأعلام ١/٢٢٦.

سادس عشر جمادى الآخرة، وقدم القاهرة، وناب في الحكم بها، وولى قضاء الحنفية بدمشق، ودرس فى عدة مدارس، وكان مشكوراً.

ومات شرف الدين مسعود بن شعبان الحلبي، فى يوم الجمعة تاسع شهر رمضان بطرابلس. قدم القاهرة غير مرة، وولى قضاء القضاة الشافعية بدمشق وطرابلس مراراً.

ومات عبد الرحمن المهتار، مقتولاً بصفد، فى ذى القعدة وكان قد تأمر وغزا الكرك وأفسد فيما هنالك بكثرة الفتن.

* * *

سنة عشر وثمانمائة

أهلت ودمشق بيد نوروز الحافظي، وقد تغلب تمرغيا المشطوب على حلب بعدما حاربه أهلها، وأعانهم الأمير على بك بن دُلغادر، وقد قصد حلب يجمع كبير من التراكمين، بعد قتل حكم، ليأخذها، فكانت بينهم حروب آلت إلى استيلاء المشطوب على القلعة بموافقة من بها، فانهزم ابن دلغادر، وتمكن المشطوب، وأخذ أموال حكم، واستخدم مماليكه، فعز جانبه.

وأهل المحرم بيوم الأربعاء: وسعر الدينار المشخص بالقاهرة مائة وأربعين درهماً فلوساً. وكل درهم كاملي بخمسة دراهم من الفلوس. وكل رطل من الحم الضأن بتسعة دراهم. وكل رطل من لحم البقر بسبعة، وهو قليل الوجود. وكل أردب من القمح بمائة وثمانين فما دونها.

وفي يوم الخميس ثانيه: جلس السلطان للنفقة، فلم يتهاى .

وفي ثالثه: قدم مبشوا الحاج، ولم تجر عاداتهم بالتأخر إلى مثل هذا الوقت. وذلك أن صاحب خُلَيْص^(١) عوقهم عنده، وجرح بعضهم بعد محاربتهم، من أجل تأخر مرتبه الذي جرت عاداته أن يحمل إليه من قديم الزمان.

وفي يوم الإثنين سادسه: فرقت الجمال على الممالك والأمراء، بسبب السفر إلى الشام.

وفيه قدم كتاب الأمير شيخ الحمودى من صفد بوصول رأس حكم، فدقت البشائر.

وفي ثامنه: وصل عدة ممالك، قد قبض عليهم الأمير شيخ فى وقعة غزة.

وفي ثانى عشره: ضربت عنق والى الفيوم بين يدى الأمير جمال الدين الأستاذار فى داره، بأمر شهد به عليه، اقتضى قتله.

وفي يوم الجمعة ثامن عشره: قدم حاجب الأمير نعيم ومعه رأس الأمير حكم، ورأس ابن شهرى، فخلع عليه، ودقت البشائر لذلك. وطيف بالراسين على قناتين^(٢)،

(١) خُلَيْص: حصن بين مكة والمدينة. انظر معجم البلدان ٢ / ٣٨٧.

(٢) القناة: الرمح الأخرى، وكل عصا مستوية أو معوجة جمع قنوات. انظر المعجم الوسيط

ونودى عليهما فى القاهرة، ثم علقا على باب زويلة، ونودى بالزينة، فزينت القاهرة ومصر، وقدم كتاب الأمير شيخ، يحث على سرعة حركة السلطان إلى الشام.

وفى يوم السبت تاسع عشره: ضربت خيمة السلطان تجاه مسجد التبر خارج القاهرة، فتأهب العسكر للسفر.

وفى يوم الأحد عشرينه: درس ناصر الدين محمد بن قاضى القضاة كمال الدين عمر بن العديم الحلبي الخنفي بالمدرسة المنصورية بين القصرين، وهو شاب إما بلغ الحلم أو لم يبلغ. فحضر معه القضاة والفقهاء والأمير يشبك والأمير تمتاز، والأمير تغرى بردى، وقد زوجه بابنته، وبنى عليها فى ليلة الجمعة ففخم أمره بمصاهرة الأمير تغرى بردى. ووجد بذلك أبوه سييلا إلى تقديمه للتدريس مع صغر سنه، وخلو وجهه من الشعر جملة.

وفى يوم الأربعاء ثالث عشرينه: قدم المحمل بالحاج مع الأمير شهاب الدين أحمد ابن الأمير جمال الدين الأستادار، وقد توجه به وعمل أمير الحاج مع صغر سنه. ولعله لم يبلغ عشرة سنة، فسار بجاه أبيه. وتمشت له الأحوال مع هوجه وسخفه. وحدث فى الحاج ما لم يعهد، وهو أنهم عند رحيلهم من بركة الحاج فى شوال، وقف الأمير جمال الدين وقد خرج لو داع ولده، حتى رتبهم ليسيروا ذهابا وإيابا، قطارين متحاذين، لا غير وجعل الحاج ناسا بعد ناس، فاستمر هذا ولم يتغير. وكان الحاج يسرون كيف شاءوا، فإذا وصلوا إلى مضيق وقف أمير الحاج بنفسه وعقبهم، فساروا قطارا، أو قطارين بحسب الحال، حتى يخلصوا من المضيق بغير قتال، فيسيروا كيف شاءوا، ثم لما تغيرت الأحوال وولى الأمور غير أهلها، قلت عناية أمراء الحاج بما ذكرنا، فصار الناس فى المضايق يقضى بهم الحال إلى القتال، وإسالة الدماء، وكسر الأعضاء، وغلبة الأقوياء على الضعفاء. ثم لما ولى الأمير كزل العجمى الحاجب إمارة الحاج فيما تقدم، جيبى من الحاج مالا كثيرا، حتى عقبهم فى المضايق، فقصد الأمير جمال الدين بما فعله خيرا، فكان فيه خير من وجهه وشر من وجهه، أما خيره فراحة الناس من الازدحام فى المضايق.

وأما شره فإن الأقوياء والأعيان يسرون أولا فأولا. وضعفاء الناس لا يزالون فى الأعقاب. فإذا نزلوا لا تقدم الساقة حتى يرحل من تقدم، فيسيرون طول سيرهم فى عناء. وأحسن من ذلك ما أدركنا الناس عليه فى تعقيبهم عند المضايق، من غير غلبة ولا قتال. واستمر ما رتبته الأمير جمال الدين فى كل عام.

واتفق أن المغاربة انضم إليهم في عودهم من مكة حاج الإسكندرية وغزة والقدس، فنهبوا جميعا، ونزل بالمغاربة بلاء كبير.

وفي حادى عشرينه: برز الأمير يشبك الأتابك والأمير تغرى بردى والأمير بيغوت، والأمير سودن بقجة في عدة أمراء إلى الريدانية، فأقاموا إلى ليلة الجمعة خامس عشرينه، ورحلوا.

وفي يوم الإثنين ثامن عشرينه: سار السلطان من قلعة الجبل فى آخر الثانية بطالع الأسد، ونزل بمخيمه من خارج القاهرة تجاه مسجد تبر، وقد بلغت النفقة على المماليك إلى مائة ألف دينار وثمانين ألف دينار، وبلغت عدة الأغنام التى سبقت معه عشرة آلاف رأس من الضأن، وتقرر عليق خيوله وجماله - لخاصه ومماليكه - فى كل يوم ألفا وخمسمائة أردب، خارجا عن عليق الأمراء وغيرهم من أهل الدولة. وبلغ راتب لحمه المطبوخ بمطابخه فى كل يوم إلى ألفين ومائه رطل.

وأما الشام، فإن دمشق بيد الأمير نوروز، وقد خرج منها لقتال الأمير شيخ، فخيم على عقبة يلغا من نصف ذى الحجة، ثم نزل شقحب وأخذ فى الإرسال إلى السلطان ليسأله الأمان. ودخل بمن معه إلى دمشق فى ثالث المحرم، بعدما غاب ستة عشر يوما بشقحب، ثم بعث الأمير بكتمر شلق فى ثامنه إلى الجهة الغربية فى طلب أصحاب شيخ فلم يظفر بهم، وعاد من الغد.

ثم خرج جماعة من الأمراء فى حادى عشره، منهم جمق، وسلامش، وقرمشى وسودن اليوسفى، ثم عادوا فى نصفه بغير طائل. فخرج الأمير نوروز إلى المزة^(١)، وعاد بالأمراء المذكورين، وبعث طائفة إلى البقاع^(٢)، كل ذلك فى طلب أصحاب شيخ، فلم ينل منهم القصد، وعاد إلى طلب الصلح وترك الحرب، حتى يكتب معا إلى السلطان، فما يرسم به يمتثل، ورغب نوروز إلى شيخ فى الموافقة وترك الخلاف، وأنه يتوجه من دمشق إلى حلب، ويترك دمشق لشيخ على أنه يستقر فى نيابة حلب، وأكد على شيخ أن يكتب إلى السلطان فى ذلك، وبعث فى الرسالة جماعة من قضاة دمشق وأعيانها فى أول صفر، وقد نزل شيخ على بحيرة قدس^(٣)، وقدم الخير من الغد بأنه عازم على التوجه

(١) المزة: هى قرية كبيرة غناء فى وسط بساتين دمشق، بينها وبين دمشق نصف فرسخ. انظر معجم البلدان ٥ / ١٢٢.

(٢) البقاع: موضع يقال بقاع قلب، قريب من دمشق، وهو أرض واسعة بين بعلبك وحمص ودمشق، فيها قرى كثيرة ومياة غزيرة ثمرة. انظر معجم البلدان ١ / ٤٧٠.

(٣) بحيرة قدس: قرب حمص، طولها اثنا عشر ميلا فى عرض أربعة أميال، وهى بين حمص وجبل لبنان. انظر معجم البلدان ١ / ٣٥٢.

إلى دمشق، فنأدى نوروز بالخروج لحربه، وسار فى خامسه، وخيم بالمزة، ففر منه فى تلك الليلة جماعة، منهم حمق وقمش إلى شيخ، ففت ذلك فى عضده، وتحول فى سابعه إلى قبة يلغا، فقدم عليه جواب شيخ بأن تشريف نيابة الشام قد وصل إليه، وأن طلبه له نيابة حلب فات، فإن السلطان قد وصلت عساكره غزة، فتحول نوروز إلى برزة. ودخلت عساكر شيخ دمشق فى سابعه، ورحل نوروز من برزة إلى جهة حلب. ودخل الأمير شيخ إلى دمشق بكرة يوم الجمعة، تاسع صفر.

وفى حادى عشره: سار أظنبا العثمانى من دمشق لنيابة طرابلس.

شهر صفر، أوله الخميس:

فى ليلة الجمعة ثانيه: رحل السلطان من الريدانية خارج القاهرة. بمن معه من العسكر، وجعل الأمير تراز نائب الغيبة، وأنزله بباب السلسلة، وأنزل الأمير أقبای بالقلعة وأنزل الأمير سون الطيار فى بيت الأمير بيبرس بالرميلة^(١) تجاه باب السلسلة، فلما نزل السلطان الصالحة^(٢) أبيع بها الشعر كل أردب بدرهمين فضة، لكثرتة.

وفى يوم الإثنين ثانى عشره: دخل السلطان إلى غزة، فقدم الخبز بفرار الأمير نوروز من دمشق.

وفى سابع عشره: أعاد الأمير تراز نائب الغيبة شمس الدين الطويل إلى حسة القاهرة، وعزل ابن شعبان.

وفى يوم الخميس ثانى عشرينه: دخل السلطان إلى دمشق، بعدما خرج الأمير شيخ فى سابع عشره إلى لقائه، فأكرمه، وسار معه، وحمل الجتر على رأسه، لما عبر البلد، فنزل السلطان بدار السعادة، وصلى الجمعة بجامع بنى أمية.

وفى يوم الجمعة هذا: قبض على قضاة دمشق ووزيرها، وكاتب السر علاء الدين، وأهينوا وألزموا بمال.

وفى يوم الأحد خامس عشرينه: قبض السلطان على الأمير شيخ وعلى الأمير الكبير يشبك بدار السعادة، واعتقلهما بقلعة دمشق، وكان الأمير جركس المصارع أمير

(١) رميلة: هو منزل فى طريق البصرة إلى مكة بعد ضربة نحو مكة ومنها إلى الأبرقين. انظر

معجم البلدان ٣/ ٧٣.

(٢) الصالحة: قرية قرب الرها من أرض الجزيرة اختطها عبد الملك بن صالح الهاشمى. انظر

معجم البلدان ٣/ ٣٨٩.

السلوك لمعرفة دول الملوك ١٩٣
أخور قد تأخر بداره، فلما بلغه الخبر فر من ساعته، فلم يدرك، وفر جماعة من
الشيخية، واليشبكية.

وفي سادس عشرينه: خلع على الأمير بيغوت نيابة الشام، وعلى الأمير فارس
دوادار تم حاجب الحجاب، وعلى عمر الهيدباني نيابة حماة، وعلى صدر الدين على
بن الآدمي بقضاء الحنفية بدمشق.

شهر ربيع الأول، أوله السبت:

في ليلة الاثنين ثالثة: فر الأميران يشبك وشيخ، وذلك أن السلطان لما قبض عليهما
وكل بهما الأمير منطوق لثقتة به، وعمله نائب القلعة، فاستملاه، حتى وافقهما، ثم
تحيل على من عنده من الممالك، بأن أوهمهم بأن السلطان أمره بقتل الأميرين،
فصدقوه، فأخرجهما على أن يقتلها، وفر بهما .

فلم يبلغ السلطان الخبر حتى مضوا لسبيلهم، وأصبح السلطان يوم الإثنين، فندب
الأمير بيغوت نائب الشام لطلبهم، فسار في عسكر، وقد اختفى الأمير شيخ في الليل،
ومضى يشبك، فلم يدرك بيغوت غير منطوق، فقبض عليه بعد حرب، وقتله وقطع
رأسه، فطيف بها، ثم علقت على سور القلعة.

وقدم الخبر باجتماع يشبك وشيخ وجركس على حمص، في دون الألف فارس،
وأنهم اشتدوا على الناس في طلب المال. فكتب السلطان إلى الأمير نوروز - وقد
وصل حلب، وتلقاه الأمير تمرغا المشطوب، وأنزله، وقام له بما يليق به - يستدعيه
لمحاربة يشبك وشيخ، وولاه نيابة الشام، ويأمره أن يحمل إليه جماعة من الأمراء. وبعث
إليه التشريف والتقليد مع الأمير سلامش، وقد ولاه السلطان نيابة غزة، فلبس
التشريف، وخدم على العادة وكتب إليه يعتذر عن حضوره بما عنده من الحياء
والخوف، وأنه إذا سار السلطان من دمشق قدم وكفاه أمر أعدائه.

وفي ثامن عشره: قدم الخبر بأن الأمراء الذين فروا من دمشق قبض منهم الأمير
نوروز بحلب على الأمير علان، والأمير جاتم، والأمير أينال الجلالى المنقار، والأمير
جقمق أخو جركس، وبعث إليه بالأمير أينال المنقار، والأمير علان، والأمير جقمق نائب
الكرك، والأمير أسن باى التركمانى أحد أمراء الألوفا بدمشق، والأمير أسن باى أمير
أخور.

وفي تاسعه: قدم كتاب السلطان إلى الأمراء بمصر يتضمن دخوله دمشق، وقبضه

على يشبك وشيخ، وفرار جركس، ويأمرهم بالقبض على الأمير تمتاز نائب الغيبة، فأذعن لذلك، وقيد وسجن بالبرج فى القلعة، ونزل سون الطيار موضعه من باب السلسلة، وانفرد الأمير أقبأى بالحكم بين الناس.

وفيه نودى بالزينة، فزينت القاهرة ومصر.

وفيه قبض على مباشرى الأمير يشبك، والأمير تمتاز، والأمير جركس المصارع، ووقعت الحوافة على حواصلهم.

وفى عاشره: أعيد الشيخ شمس الدين محمد البلالى^(١)، شيخ خانكاه سعيد السعداء، وكان الأمير تمتاز قد عزله فى يوم الخميس وولى عوضه خادمه خضر السراى، فقبض على تمتاز كما ذكر فى يوم السبت، فطار أتباع البلالى كل مطار، وعدوا ذلك من جملة كراماته، فأعيد.

وفيه أعيد ابن شعبان إلى الحسبة، وعزل الطويل.

شهر ربيع الاخر، أوله الأحد:

فى رابعه: ركب السلطان، وتنزه بالربوة، وعاد.

وفى خامسه: لعب بالكرة فى الميدان.

وفيه قدم الأمير بكتمر شلق من حلب بالأمراء الذين قبض عليهم الأمير نوروز.

وفيه توجه حريم السلطان إلى جهة مصر.

وفى سادسه: قبض على الأمير أسن باى، وخرج غالب العسكر.

وفى يوم السبت سابعه: خرج السلطان من دمشق، ومعه الأمراء الذين أرسلهم إليه الأمير سون الحمزاوى، وقد أحضره من سجن صفد، والأمير أقبى دى رأس نوبة أحد أمراء الطبلخاناه، والأمير سون الشمسى أمير عشرة، والأمير سون البجاسى، أمير عشرة، وسار السلطان إلى مصر، وجعل نائب الغيبة بدمشق الأمير بكتمر شلق. فقدم فيه أزيك دوادار الأمير نوروز إلى دمشق، ونزل بدار السعادة، ونزل بكتمر شلق نائب طرابلس بالإصطبل.

(١) البلالى (٧٥٠ - ٨٢٠ هـ - ١٣٤٩ - ١٤١٧ م). محمد بن على بن جعفر، شمس الدين أبو عبد الله العجلونى ثم القاهرى المعروف بالبلالى: فقيه شافعى من أهل بلالة (من أعمال عجلون)، تميز بالتصوف ولازم النظر فى كتاب الإحياء للغزالى، وصنف مختصراً له. انظر الضوء اللامع ٨ / ١٠٧٨، هدية العارفين ٢ / ١٧٩، شذرات الذهب ٧ / ١٤٧. الأعلام ٦ / ٢٨٧.

فلما كانت ليلة الأحد ثامن: طرق الأمير شيخ - ومعه يشبك وجركس المصارع - دمشق، ففر من كان بها من الأمراء وملك شيخ دمشق، وقبض على جماعة، وولى وعزل، ونادى بالأمان. وأخذ خيول الناس، وصادر جماعة. فورد الخير في يوم الأربعاء حادى عشره، بأن بكتمر شلق نزل بعلبك^(١) فى نفر قليل، فسار يشبك وجركس فى عسكر، فمضى بكتمر إلى جهة حمص، فوافاهم الأمير نوروز بجمع كبير على كروم بعلبك، فكانت بينهما وقعة قتل فيها يشبك وجركس المصارع فى طائفة، وقبض نوروز على عدة ممن معهما. فلما بلغ ذلك الأمير شيخ سار من دمشق على طريق جرود^(٢) فى ليلة الجمعة ثالث عشره، وهى الليلة التى تلى يوم الواقعة، فدخل نوروز دمشق يوم السبت رابع عشره بغير ممانع، وبعث بالخير إلى السلطان، فوافاه ذلك بالعريش، فى يوم الخميس تاسع عشره، فسره سرورا كثيرا. وجد السلطان فى سيره حتى صعد قلعة الجبل ضحى نهار الثلاثاء رابع عشرينه وبين يديه ثمانية عشر أميرا فى الحديد، ورمة الأمير أينال بيه بن قجماس، وقد حملها من غزة، فسجن الأمراء، ودفن الرمة، فزينت القاهرة ومصر.

وفى عشرينه: توجه الأمير بكتمر جلق من دمشق إلى طرابلس، وتوجه يشبك بن أزدمر إلى نيابة حماة.

وفى سادس عشرينه: استدعى السلطان القضاة إلى بين يديه، وأثبت عندهم إراقة دم سودن الحمزاوى لقتله إنسانا ظلما، فحكموا بقتله، فقتل. وقتل بربغا دواداره، والأمير أقيردى، والأمير جمق. ولأمير أسن باى التركمانى والأمير أسن باى أمير آخور. وتأخر أينال المنقار، وعلان، وسودن الشمس وسودن البجاسى فى البرج.

وفى سابع عشرينه: أنعم على الأمير تغرى بردى بإقطاع الأمير يشبك، وعلى الأمير قردم الحسنى بإقطاع تغرى بردى، وعلى الأمير قراجا بإقطاع الأمير تمراز، واستقر شاد الشراب خاناه، وعلى الأمير أرغون بنخبز قراجا، وعلى الأمير شاهين قصقا بنخبز أرغون، وعلى الأمير طوغان الحسنى بنخبز قصقا.

وفى ثامن عشرينه: قتل الأمير أسن باى أمير آخور.

شهر جمادى الأولى، أوله الثلاثاء:

فى يوم الخميس ثالثه: خلع على الأمير تغرى بردى، واستقر أتاك العساكر عوضا

(١) سبق ترجمتها.

(٢) جرود: من أعمال غوطة دمشق. انظر معجم البلدان ٢ / ١٣٠.

عن الأمير يشبك الشعباني، ونحى الأمير كمشبغا المرزوق، واستقر أمير أخور كبيراً، عوضاً عن جركس المصارع.

وفيه قدم قاصد الأمير نوروز برأس الأمير يشبك، ورأس الأمير جركس المصارع، ورأس الأمير فارس التنمی حاجب دمشق.

وفي خامسه: شق أساس مدرسة الأمير جمال الدين يوسف الأستاذار برحبة باب العيد^(١).

وفي عاشره: حمل في النيل الأمير يلبغا الناصري، والأمير أينال الجلالی المنقار، والأمير علان إلى سجن الإسكندرية .

وفي سادس عشره: ركب السلطان متخففا بثياب جلوسه ونزل إلى بيت الأمير قراجا يعود. ثم سار إلى بيت الأمير جمال الدين الأستاذار، فأكل ضيافته، وركب إلى المدرسة الظاهرية بين القصرين فزار قبر أمه وجدته وإخوته، وأنعم بناحية منبابة من الجيزة على المدرسة الظاهرية زيادة على وقف أبيه، فتسلمها مباشرة المدرسة. ثم ركب منها إلى دار الأمير بشباي رأس نوبة، وأقام عنده ثم ركب إلى بيت الأمير كزل العجمي حاجب الحجاب، وسار من عنده إلى القلعة، ولم يعهد قط أن ملكاً من ملوك مصر ركب وشق القاهرة بثياب جلوسه، وما من أحد ممن ذكرنا إلا وقدم للسلطان من الخيل والمال وغيره ما يليق به.

وفي تاسع عشره: خلع على الأمير قردم، واستقر خازندارا، عوضاً عن الأمير طوخ، وعلى طوخ، واستقر أمير مجلس، عوضاً عن يلبغا الناصري.

وفي ثاني عشرينه: توجه سودن الحلب من دمشق إلى نيابة الكرك، فامتنع بها يشبك الموساوي ولم يسلم قلعتهما، فنزل سودن البلقاء^(٢)، واشتد ظلمه للناس.

وفي سادس عشرينه: خرج الأمير نوروز من دمشق يريد حلب، ليصالح الأمير شيخ، وقد جرت بينهما عدة مكاتبات.

شهر جمادى الآخرة، أوله الخميس:

في سادس عشره: قبض على الأمير سودن من زاده، وحمل إلى الإسكندرية، فسجن بها.

(١) انظر المواعظ والاعتبار ٢ / ٤٠١.

(٢) البلقاء: كورة من أعمال دمشق بين الشام ووادى القري، قصبتها عمان وفيها قرى كثيرة.

انظر معجم البلدان ١ / ٤٨٩.

وفي سابع عشرينه: كتب تقليد حسام الدين حسن نائب غزة - كان - باستقراره في نيابة الكرك، عوضا عن يشبك الموساوى الأقمم، ورسم بإحضار يشبك. شهر رجب، أوله الجمعة:

في ثامن عشره: استقر الحجازى في نقابة الجيش، عوضا عن حسام الدين حسين الوالى.

وفي حادى عشرينه: استقر شهاب الدين أحمد بن ناصر الدين محمد بن الطبلاوى فى ولاية القاهرة، وقبض على حسام الدين المذكور، وصادر. شهر شعبان، أوله الأحد:

فى حادى عشره: أفرج عن الأمير تمتازالناصرى نائب السلطنة، ونزل من البرج بالقلعة إلى داره.

وفي رابع عشره: خرج أزبك دوادار الأمير نوروز من دمشق على عسكر لأخذ الأمير يشبك الموساوى نائب الكرك، وقد منع سودن الجلب فى قلعتها، وجمع عرب جرم^(١) مع أميرهم عمر بن فضل، وسار إلى غزة، فاستعد نائبها سلامش وقاتله، فوقع فى قبضته، وكان سودن المحمدى قد بعثه الأمير نوروز لنيابة غزة، ونزل بالرملة، فبعث سلامش إلى الأمير نوروز بأخذه يشبك الموساوى، فندب لإحضاره أزبك، فسار إليه، وقدم بيشبك إلى دمشق، فى أول شهر رمضان، فسجن بالقلعة.

وفي ليلة الأربعاء عاشر رمضان: فر الأمير بكتمر شلق من سجنه بقلعة دمشق، إلى جهة صفا، ونزل غزة.

وفي خامس عشرينه: توجه الأمير نوروز من دمشق، وتلاحق به العسكر.

وقدم الأمير يشبك بن أزدمر نائب حماة إلى دمشق فى يوم السبت تاسع شوال بطلب نوروز له، وقدم الخبر بأن تمرىغا المشطوب - نائب حلب - توجه لقتال التركمان، فبيتهه وكسروه، فعاد إلى حلب.

وفي خامس عشرينه: خلع على نجم الدين عمر بن حجى، وصدر الدين على بن الآدمى، واستقرا فى قضاء دمشق، وقد قدما إلى القاهرة، وأنعم السلطان بالرضا عن شيخ، وعين المذكورين فى الرسالة إليه.

(١) انظر البيان والإعراب عما بأرض مصر من الأعراب ص ٧، نهاية الأرب فى معرفة أنساب

شهر ذى القعدة، أوله الجمعة:

فيه كتب تقليد الأمير شيخ الحمودى باستمراره فى كفالة الشام على عادته، وتوجه به الطنبغا بشلاق وألطنبغا شقل، وقاضى القضاة نجم الدين عمر بن حصى الشافعى، وقاضى القضاة صدر الدين على بن الآدمى الحنفى، ومعهم تشريفة ونسخة اليمين، وكتب تقليد باستقرار الأمير بكمثر شلق فى نيابة طرابلس على عادته، وجهاز إليه مع تشريفة، وكتب باستقرار الأمير يشبك بن أزدر فى نيابة حماة، وجهاز إليه تشريفة.

وفى رابعه: قدم الأمير نوروز إلى دمشق، بعد غيبته خمسا وثلاثين يوما، انتهى فيها إلى الرملة.

وفى ثامنه: وصلت رسل السلطان إلى الأمير شيخ على ظهر البحر إلى عكا^(١).

وفى سابع عشره: قدم تمرىغا المشطوب نائب حلب إلى دمشق، ثم توجه إلى حلب فى رابع عشرينه.

شهر ذى الحجة، أوله السبت:

فى رابع عشرينه: استقر الجيزى محتسب مصر فى حسبة القاهرة، عوضا عن ابن شعبان، فصار محتسب القاهرة ومصر. وسار أمير الحاج - الأمير بيسق الشىخى - بالحمل على العادة.

وفى رابعه: قدمت رسل السلطان إلى شيخ، فنزلوا صفد، ثم ساروا إلى طرابلس. وقد نازل الأمير شيخ المرقب^(٢)، فلقوه عليها، وأوصلوه التقليد والتشريف فلم يقبل ذلك. وجهاز التشريف إلى الأمير نوروز، وأعلمه أنه باق على طاعته. فزينت دمشق ودقت البشائر.

وفى هذه السنة: أقبلت سحابتان من جهة برية أيلة^(٣) والطور^(٤)، حتى حاذتا بلد العريش، ومرتا فى البحر، فإذا فى وسطهما تينان^(٥) مثل عامودين عظيمين، لا يرى

(١) عكا: اسم بلد على ساحل بحر الشام من عمل الأردن، وهى مدينة حصينة كبيرة الجامع فيه غابة زيتون يقوم بسرجه وزيادة. انظر معجم البلدان ٤ / ١٤٣.

(٢) المرقب: بلد وقلعة حصينة تشرف على ساحل بحر الشام، وعلى مدينة بنياس. انظر معجم البلدان ٥ / ١٠٨.

(٣) أيلة: مدينة على ساحل بحر القلزم مما يلي الشام؛ وقيل: هى آخر الحجاز وأول الشام. انظر معجم البلدان ١ / ٢٩٢ وما بعدها.

(٤) الطور: يقال لجميع بلاد الشام الطور،، وقد ذكر بعض العلماء أن الطور هذا الجبل المشرف على نابلس. انظر معجم البلدان ٢ / ٤٧. والطور: جبل بعينة مظل على طرية الأردن.

(٥) التينين: الحوت والحية العظيمة، وبياض خفجى فى السماء يكون جسده فى ستة بروج =

أعلاه وأسفلها مما يلي الماء، وفي كل عمود منهما خط أبيض بطوله من أعلاه إلى أسفله، فيرتفعان عن الماء قدر ساعة ثم ينحطان، فيضرب كل منهما بذنبه فى البحر، فيضطرب اضطرابا شديدا، ثم يرتفعان وذنب كل منهما بقدر جامور^(١) المنارة التى يؤذن عليها، فلم يزا على ذلك حتى غابا عن العين.

* * *

ومات فى هذه السنة من له ذكر

الشيخ سيف الدين يوسف بن محمد بن عيسى السيرامى الحنفى،^(٢) شيخ المدرسة الظاهرية برقوق، فى ليلة السبت حادى عشرين ربيع الأول، واستقر عرضه ابنه نظام الدين يحيى . وكان منشأه بتبريز^(٣) حتى طرقها تيمور لذك، فسار فى الجفل إلى حلب، وأقام بها، فاستدعاه الملك الظاهر برقوق وقرره فى مشيخة مدرسته، عوضا عن علاء الدين السيرامى بعد موته، فى سنة تسعين وسبعمائة. ثم أضاف إليه مشيخة خانكاه شيخو بعد موت عز الدين الرازى. وناب عنه ابنه محمود فى الظاهرية^(٤). ثم ترك الشيخونية، وبقي على مشيخة الظاهرية حتى مات.

ومات شمس الدين محمد بن الشاذلى الإسكندرانى محتسب القاهرة ومصر، فى يوم الجمعة ثانى صفر، وكان عاريا من العلم، كان خردفوشيا^(٥) ثم بلانا^(٦) بالإسكندرية، فترقى لما تقدم ذكره ببذل المال.

=وذنبه فى البرج السابع دقيق أسود فيه التواء وهو ينتقل تنقل الكواكب الجوارى وهو مأخوذ من تن معنى امتدج تنانين . انظر محيط المحيط ص ٧٤.

(١) الجامور: القمة أو الرأس انظر لسان العرب (جمر) وفى محيط المحيط. الجامور هو شحم النخلة.
(٢) السيرامى (٧٧٧ - ٨٣٣ هـ = ١٣٧٦ - ١٤٣٠ م). يحيى بن يوسف (أو سيف) بن محمد ابن عيسى، نظام الدين السيرامى (أو الصيرامى) المصرى الحنفى: عالم بالعقليات كالمنطق والمعانى والبيان، وبالفقه وغيره ، ولد على ما يظن السخاوى فى تبريز، وانتقل مع أبيه إلى القاهرة سنة ٧٩٠ هـ وخلفه فى مشيخة البروقية فعكف على الإقراء والتدريس. انظر الضوء اللامع ١٠ / ٢٦٦.
الأعلام ٨ / ١٧٨.

(٣) تبريز: وهى أشهر مدن أذربيجان، وهى مدينة عامرة حسناء ذات أسوار محكمة بالأجر والجص، وفى وسطها عدة أنهار جارية، والبساتين محيطة بها. انظر معجم البلدان ٢ / ١٣
(٤) الظاهرية: قريتان بمصر منسوبتان إلى الظاهر لإعزاز دين الله بن الحاكم ملك مصر، إحداهما من كورة الغربية والأخرى من كورة الجزيرة. انظر معجم البلدان ٤ / ٥٧.
(٥) الخردفوش: تاجر الخردة.

(٦) البلان: هو العامل المختص بإزالة الوسخ والشعر عن الجسد فى الحمام. ينظر معالم القرية فى أحكام الحسبة لابن الأخواص ص ١٥٨.

ومات الأمير سودن الناصري الطيار^(١) أمير سلاح، فى ليلة الثلاثاء ثامن عشرين شوال، وشهد السلطان جنازته، وكان مشكور السيرة، شجاعا محبا لأهل العلم والصلاح.

ومات الأمير ناصر الدين محمد بن الأمير جمال الدين محمود بن على الأستادار، فى ليلة الأحد ثالث ذى القعدة، قتلا فى بيت للأمير جمال الدين الأستادار، وكان قد اختفى بعد محنة أبيه فى آخر أيام الملك الظاهر بعد واقعة ألى باى، وفر إلى الشام، واقام بها مدة، ثم قدم القاهرة متنكرا، فدل عليه حتى أخذ وقتل، وكان غير مشكور السيرة.

ومات الأمير شاهين قصفا فى ليلة الجمعة ثامن ذى القعدة، وكان من الأشرار المفسدين.

(١) سودون بن عبد الله الناصري، المعروف بالطيار، الأمير سيف الدين. أحد ممالك الظاهر برقوق وأعيان خاصكته فى الدولة الناصرية فرج أمير أخورا ثانيا، ثم أمير أخورا كبيرا، بعد القبض على الأمير سودون قريب الملك الظاهر. فى حادى عشرين ذى القعدة سنة إحدى ومائتان، فأقام مدة يسيرة، وورد الخبر بأن عثمان يلدرم بايزيد ملك الروم مشى لأخذ ملطية، فعين الأمير سودون هذا إلى البلاد الشامية للكشف عن هذا الخير. فتوجه فى ذى الحجة من السنة، وطالت غيبته، وعوقه الأمير تنم الحسنى نائب الشام عنده، فاستقر الأمير سودون طاز فى الأمير أخورية عوضه، فى شهر ربيع الآخر سنة اثنتين ومائتان. واستمر الأمير سودون الطيار هذا بالبلاد الشامية إلى أن انفصل أمر تنم، وعاد الملك الناصر فرج إلى القاهرة، ثم خرج ثانيا إلى البلاد الشامية لقتال تيمور. فلما كان «الناصر بدمشق وتيمور نازل بظاهرها، ولقتال عمّال كل يوم، اختفى سودون هذا وقانى باى العلاقى وجماعة أحر، وقصدوا الوجه إلى الديار المصرية ليسلطوا الشيخ لاجين الجار كسى، وبلغ أرباب الدولة ذلك، فأخذوا الملك الناصر فرج وعادوا به إلى الديار المصرية، وغلوا دمشق تنعى من بناها. فكان هذا الأمر من أكبر الأسباب لأخذ تيمور دمشق، وإلا لو دام الملك الناصر بها، من أين كان وصوله إليها؟ وتواترت الأخبار عن تيمور أنه كان يريد الرحيل عن دمشق فى تلك الأيام، فما شاء الله كان. ولما قدم الملك الناصر إلى القاهرة أنعم بعد مدة على الأمير سودون هذا بإمرة بجلب، وأن يكون حاجبا بها، فامتنع من ذلك وركب مع الأمير حكم من عوض وانضاف إليهم جماعة كبيرة من الأمراء وغيرهم، وقتلوا يشبك الشعبانى الدوادار، فانتصروا عليه، فأنعم على سودون الطيار بإقطاع حكم بحكم انتقال حكم إلى إقطاع يشبك، ثم استقر بعد مدة طويلة أمير مجلس، عوضا عن سودون الماردىنى فى جمادى الآخرة سنة سبع ومائتان، ثم نقل إلى إمرة سلاح، عوضا عن الأمير أقبای الطرنطاي، واستمر على ذلك إلى أن توفى بالقاهرة فى ليلة الثلاثاء ثامن عشرين شوال سنة عشرة ومائتان، وحضر السلطان جنازته. وكان أميرا شجاعا مقداما، دينا، محبا لأهل العلم والصلاح، وكان مشكور السيرة، وإليه ينتسب الأمير أسنبغا، رأس نوبة النوب، بالطيارى، فإنه كان خدمه بعد موت أستاذه الأمير ناصر الدين محمد بن رجب. انظر المنهل الصافى ١٦١/٦ وما بعده والدليل الشافى ج١ ص ٣٢٩ رقم ١١٢٨، والنجوم الزاهرة ١٣/١٦٧، وأنباء الغمر ٣٩٤/٢، نزهة النفوس ٢٤٤/٢، الضوء اللامع ٣/٢٨١.

السلوك لمعرفة دول الملوك ٢٠١

ومات الأمير مقبل الطواشى زمام الدار السلطانية، فى يوم السبت أول ذى الحجة، وترك مالا كثيرا، وله بخط البندقيين (١) من القاهرة مدرسة تقام بها الجمعة (٢).

* * *

(١) كان قديما إصطبل الجميزة، أحد الاصطبلات فى الدولة الفاطمية فلما زالت الدولة اختط، وصارت فيه مساكن وسوقه عدة دكاكين بعضها لعمل قسى البندق فعرف باسمها . انظر المواعظ والاعتبار ٢ / ٣١.

(٢) وهى المدرسة الزمامية نسبة: إلى صاحبها الأمير الطواشى زين الدين مقبل الرومى زمام الآدر. انظر المواعظ والاعتبار ٢ / ٣٩٤

سنة إحدى عشرة وثمانمائة

أهلت والأمير نوروز مستول على البلاد الشامية، والقمح في ديار مصر بنحو مائة درهم الأردب، والشعير بنحو سبعين الأردب، والفول بستين.

شهر الله المحرم الحرام، أوله الأحد:

في ثانيه: برز الأمير نوروز من دمشق إلى قبة يلبغا يريد صفد. ثم رحل إلى سعسع، فأتاه الخبر بأن الأمير بكتمر شلق جمع لحربه، ونزل الجاعونة، فتقدم إليه ومعه حسين ومحمد وحسن بنو بشارة، واقتلا، فقتل بينهما جماعة وحرق الزرع، وخربت القرى، ونهبت. وسار نوروز إلى الرملة.

وفي نصفه: سار الأمير الطنبغا العثماني إلى غزة، وقد ولي نيابتها، ومعه الأمير باشا باى رأس نوبة النوب، والأمير طوغان رأس نوبة، والأمير سودن بقجة، ليأخذوا غزة من سودن الحمدي، ومضوا إلى صفد نجدة لمن بها.

وفي ثاني عشرينه: قدم الأمير بيسق أمير الحاج بالحمل، ولم يزر الحاج في هذه السنة قبر رسول الله ﷺ، وذلك أن الأمير بيسق قبض بمكة على قرقماس أمير الركب الشامي، فتخوف أن يبلغ خبره إلى الأمراء بدمشق، فيبعثون إليه من يقصده بسوء فيما بين عقبة أيلة ومصر، فعدل السير ولم يعرج على المدينة النبوية. وهلك جماعة كثيرة من الضعفاء لعنفه في السير.

شهر صفر، أوله الإثنين:

في ثامن عشره: كان وفاء النيل ستة عشر ذراعا، فركب السلطان على عادته حتى خلق المقياس بين يديه، ثم فتح الخليج، وعاد إلى القلعة.

وفي هذا الشهر: عاد الأمير بشباى بمن خرج معه من الأمراء وغيرهم إلى القاهرة. وكان من خبرهم أن الأمير بكتمر جلق، والأمير جانم خرجا من صفد إلى غزة، وملكاهما، ففر منها سودن الحمدي المعروف بتلى - يعنى الجنون - فى نفر، ولحق بالأمير نوروز. فلما انتهى عسكر مصر إلى العريش بلغهم إقامة الأمير نوروز بالرملة، وأنه جهز إليهم سودن الحمدي، وسار فى إثره، فردوا على أعقابهم إلى القاهرة. وقدم

المحمدي فلم يدر كههم فعاد إلى نوروز، فمضى عند ذلك نوروز إلى دمشق، فقدمها في حادي عشره، بعد غيبته عنها ثمانية وثلاثين يوما، بعدما قصد صفد، فقدم عليه الخير بحركة الأمير شيخ، فضاق بذلك ذرعه، واستعد له. ثم سار من دمشق في عشرينه ونزل برزة، فقدم عليه من الغد سودن المحمدي، فارا من بكتمر جلق، وقد قدم عليه غزة وأخذها، فأعادها إلى دمشق، حتى أصلح شأنه، ولحق به في ليلة الأربعاء رابع عشرينه، فسار إلى حمص، وكان الأمير شيخ قد جمع من العربان والتراكمين طوائف. وسار بهم من حلب يريد دمشق، في ثاني عشره.

شهر ربيع الأول، أوله الأربعاء:

في أوله: قدم الأمير علان والأمير أينال المنقار من الإسكندرية، صحبة الطواشي فيروز، وقد أفرج عنهما، فمثلا بين يدي السلطان، ثم نزلا إلى بيوتهما.

وفي رابعه: نزل الأمير شيخ القريتين، وقد عاد الأمير نوروز محاديا له، وتراسلا في الكف عن القتال، فامتنع الأمير شيخ وأبى إلا أن يأخذ دمشق، واحتج عليه بأن السلطان قد واه نيابتها، فاعتدا على القتال من الغد، فلما كان الليل تحمل الأمير شيخ، وسار بمن معه يريد دمشق، وأكثر من إشعال النيران في منزلته، يوهم أنه يقيم، فلم يفتن نوروز برحيله، حتى مضى أكثر الليل، فرحل في إثره، ففاته. ودخل الأمير نوروز دمشق يوم الأحد خامسه، ومعه الأمير يشبك بن أزدمر نائب حماة. وأما الأمير شيخ فإنه لما رحل علق بالكسوة ظاهر دمشق، ورحل فنزل سعسع، ثم سار.

وفي ثامنه: قدم الأمير تمرغا المشطوب نائب حلب إلى دمشق، فأكرمه الأمير نوروز، وأنزله. وشرع في تعبئة العسكر ليسير إلى الأمير شيخ.

ثم بدا له فأخذ في بيع ما كان قد أعده من الغلال بقلعة دمشق؛ فكثر القالة.

وفي حادي عشره: ولى الأمير نوروز كلا من سونج صهر الأمير تنم، وعمر بن الطحان، حاجبا بدمشق.

وفي ثاني عشره: أعاد شمس الدين محمد الأحنأى إلى قضاء القضاة الشافعية بدمشق، وولى جمال الدين يوسف بن القطب قضاء الحنفية بها.

وفي رابع عشره: خرج نوروز من دمشق بالعسكر، ونزل قبة يلبغا إلى ليلة الخميس سادس عشره، سار إلى سعسع، فلقى الأمير شيخ وقد تفرق عنه أصحابه، وبقي في جمع قليل، فلم يثبت نوروز مع كثرة من معه، وانهمز بمن معه، وقصد حلب، فركب

الأمير شيخ أقيتهم، وذلك في يوم السبت ثامن عشره، فدخل نوروز بمن معه دمشق في ليلة الأحد، فمر في عدة من الأمراء على وجهه وبات بها ليلة واحدة، ثم خرج منها على وجهه إلى حلب، وبعد خروج نوروز دخل الأمير بكممر جلق نائب طرابلس، والأمير قرقماس ابن أخي دمرداش إلى دمشق ونودي بالأمان، فلم يبق للنوروزية عين ولا أثر. وقدم الأمير شيخ في الساعة الرابعة من يوم الأحد، ونزل بدار السعادة، ونودي من الغد: « من عرف له شيئاً أخذ منه فليأخذه، فأخذ جماعة ما عرفوه.

وفي حادى عشرينه: خلع السلطان بقلعة الجبل على الأمير شرباش كباشة أمير عشره ورأس نوبة، وولاه نيابة الإسكندرية، عوضاً عن الأمير أرسطاي بعد موته، فاستعفى منها، فأعفى، وخلع في ثالث عشرينه على الأمير سنقر الرومى رأس نوبة، وأمير طبلخاناه بنيابة الإسكندرية.

وفي هذا اليوم: ركب الأمير شيخ نائب الشام من دار السعادة بدمشق، وسار إلى قبة يلبغا، ولبس التشريف السلطاني المحض إليه من مصر بنيابة الشام.

وعاد ومعه القضاة والأمراء والأعيان والعسكر إلى دار السعادة، فخدم على العادة، وكان يوماً شهوداً.

وفيه لبس أيضاً نجم الدين عمر بن حجي تشريفه المحض إليه بقضاء القضاء بدمشق، عوضاً عن الأخنأى.

وفيه قبض على الأمير أرغز بدمشق، وعلى الأمير نكبای الحاجب أيضاً، وقبض على جماعة من النوروزية.

وفي رابع عشرينه: قدم الأمير دمرداش الحمدي إلى دمشق، فأكرمه الأمير شيخ، وأنزله.

وفيه أفرج الأمير شيخ عن محمد بن أينال بيه، ويعقوب شاه من السجن، وبقي سودن بن الظريف، وسلامش وأرغز في السجن بدمشق.

وفي سابع عشرينه: خرج الأميران دمرداش، وبكممر جلق من دمشق بعسكر كبير، فنزلوا برزة قاصدين حرب نوروز، واستقلا بالمسير في يوم الجمعة.

وفي هذا الشهر: استتاب نجم الدين بن حجي قاضى دمشق عشرة نواب، ولم يبلغ عدد نواب قضاة دمشق هذا قبله.

وفيه قدم أولاد بشارة في عشيرهم إلى وادي التيم^(١) في رابع عشره، وعاثوا في معاملة صنف، وقتلوا جماعة، ونهبوا شيئا كثيرا، فخرج إليهم عدة من عسكر وقاتلوهم، فقتلوا بأجمعهم، واشتدت وطأة بنى بشارة على الناس، وكتب ناصر الدين محمد، وبدر الدين حسن ابنا بشارة إلى السلطان يسألان في تقدمه العشير على عادتتهما، والتزما بحمل ثمانية آلاف دينار.

شهر ربيع الآخر، أوله الخميس:

فيه طلب الأمير شيخ نائب الشام من أهل دمشق مالا كثيرا، وفرض على القرى شعيرا يقوم به أهلها، فأخذ من تجار دمشق خمسة آلاف دينار على يد كبيرهم شمس الدين محمد بن المزلق، وألزم القضاة بألف وخمسمائة دينار، وأمرهم أن يفرضوها على الأوقاف، ووكّل بهم بعض الحجاب حتى قاموا بها.

وفي سادسه: قبض الأمير شيخ على تاج الدين زق الله ناظر الجيش بدمشق، وألزمه بحمل خمسة آلاف دينار، وولى عوضه علم الدين داود بن الكويز في نظر الجيش، واستقر بأخيه صلاح الدين خليل بن الكويز ناظر ديوان النيابة. واستقر بشهاب الدين أحمد الصفدى الموقع في كتابة السر بدمشق، وخلع عليهم، وقبض على غرس الدين خليل الأشتقتمرى أستاذاره وضربه بالمقارع. وكان حين قدم دمشق جعله أستاذارا، ثم عزله وجعل عوضه فى الأستاذارية بدر الدين حسن بن محب الدين كاتب سر طرابلس وجعل الغرس أستاذار المستأجرات، ثم قبض عليه ونكبه فى تاسعه .

وفيه استقر أيضا شهاب الدين أحمد الباعونى فى خطابة الجامع الأموى.

وفي عاشره: خرج الأمير شيخ من دمشق بالعسكر يريد نوروز، وعمل تمرّاز الأعور نائب الغيبة، فنزل ببرزة أياما، وأخذ من بدر الدين بن الموصلى محتسب دمشق ألف دينار، ثم ألفا أخرى، وسار.

وفي ثالث عشرينه: قدم إلى دمشق الأمير يشبك الموساوى الأفقم. وكان الأمير نوروز قد قبض عليه وسجنه بدمشق؛ ثم حمّله معه لما انهزم، وسجنه بقلعة حلب، وأمر بقتله. فلما اختلف نوروز وتمربغا المشطوب نائب حلب وصعد القلعة، أفرج تمربغا عن الموساوى، وكتب معه إلى السلطان يسأل الأمان.

وكان سبب الاختلاف بين نوروز والمشطوب أن نوروز لما خرج منهزما من دمشق

(١) وادى التيم: أحد وديان الشام، عليه بعلبك والمجدال. انظر تقويم البلدان ص ٢٩٩، ٢٣٠.

سار إلى حلب، فتلقاه المشطوب، وقام له بما يليق به، ثم أشار عليه أن يطلب من السلطان الأمان، ويدخل في طاعته، فلم يوافق.

ومال المشطوب إلى طاعة السلطان وترك نوروز. وامتنع عليه بقلعة حلب، ففر نوروز من حلب وقصد ملطية^(١)، واستمر المشطوب في القلعة.

وفي ثامن عشره: سار يشبك الموساوى من دمشق يريد القاهرة، وقد ظلم الناس ظلما كثيرا.

وفي سابع عشرينه: قدم إلى دمشق صدر الدين على بن الآدمى من القاهرة، وقد ولاه السلطان كتابة السر بدمشق وقضاء الحنفية، وكان الأمير شيخ قد سيره رسولا إلى السلطان لما أخذ دمشق ولبس تشريف النيابة، وبعث معه الطنبغا شتل، وقاصد الأمير عجل بن نعيم وكتب معه إلى الأمير جمال الدين الأستاذار، فأنزله جمال الدين وأنعم عليه، وتحدث له مع السلطان حتى ولاه ذلك، وأعاد مكرما. فلم يمض الأمير شيخ له كتابة السر وأقره على وظيفة قضاء الحنفية فقط.

وفي تاسع عشرينه: قدم قاصد السلطان إلى دمشق بتشريف الأمير تمراز الأعور واستقراره أتاكب العسكر بدمشق، وكان الأمير شيخ قد كتب يسأل له فى ذلك.

شهر جمادى الأولى، أوله السبت:

فى سابع عشره: قبض السلطان بقلعة الجبل على الأمير بيغوت - أحص الأمرء عنده - وعلى الأمير سودن بقجة، وعلى الأمير أرنبغا أحد أمرء الطبلخاناة من إخوة بيغوت، وعلى الأمير أينال الأجرود أحد أمرء الطبلخاناه وعلى الأمير قرا يشبك أمير عشرة، وسجنهم بالقصر، وأحاط بأموالهم. ثم بعث بيغوت وسودن بقجة وقرا يشبك إلى الإسكندرية، فسجنوا بها. وذبح أرنبغا وأينال الأجرود، وأنعم على أينال المنقار وعلان ويشبك المرساوى، وعمل كل منهما أمير مائة مقدم ألف.

وفي خامس عشرينه: استقر ناصر الدين محمد بن قاضى القضاة كمال الدين عمر ابن العديم الحنفى فى مشيخة خانكاه شيخو، وتدرىس الحنفية بها، برغبة أبيه له عنها، كما رغب له عن تدرىس المدرسة المنصورية، فباشر ذلك مع صغر سنه، وكثرة جنه، فى نفس جدى إن دهر ك هازل.

(١) ملطية: هى من بناء الإسكندر وجامعها من بناء الصحابة: بلدة من بلاد الروم مشهورة

مذكورة تناخم الشام وهى للمسلمين. انظر معجم البلدان ١٩٢ / ٥

وفي سابع عشرينه: خلع على الأمير أرغون واستقر أمير أخور كبير، عوضا عن كمشيغا المزوق.

وفيه منع الأمير جمال الدين من فصل المحاكمات بين الناس.

وأما الشام فإن الأمير نوروز لما قدم ملطية^(١) واستقر بها، أواه ابن صدر الباز التركماني، وسلم تمرغبا المشطوب حلب لأصحاب الأمير شيخ، ونزل من قلعتها، فتسلم حلب الأمير قرقماس ابن أخي دمرادش. فلما نزل الأمير شيخ العمق فر جماعة من النوروزية إليه، منهم سودن تلي الحمدي، وسودن اليوسفي، وأخبروا بأن نوروز عزم على الفرار من أنطاكية^(٢). وقدم أيضا على الأمير شيخ الأمير شهاب الدين أحمد بن رمضان زعيم التركمان^(٣)، في عدد كبير من قومه، فرحل الأمير شيخ بجماعه من

(١) سبق ترجمتها.

(٢) سبق ترجمتها.

(٣) أحمد بن رمضان، الأمير شهاب الدين التركماني الآجمقي، أمير التركماني، ومقدمتهم بإياس، وأذنة، وسييس. كان عنده إقدام وشجاعة، مع طيش ومحبة للفتن، وكان تارة يطيع السلطنة وتارة يشاقق، ويكثر من الفساد، وتجردت العساكر الحلبية إليه مرارا عديدة، الأولى سنة ثمانين وسبعمائة، وكان أمير التركمان إذ ذاك أخوه إبراهيم والنائب بحلب تمرباي التمرداشي، وانكسر العسكر الحلبى منه في هذه المرة، والثانية في سنة خمس وثمانين والنائب بحلب الأمير يلبغا الناصري، وأمير التركماني أخوه إبراهيم أيضا، فجرى بينهم في هذه الوقعة أمور يطول شرحها، ثم انهزم ابن رمضان المذكور إلى جهته، ودام على العصيان مدة سنين، إلى أن دخل تحت طاعة الملك الناصر فرج بن برقوق، وقدم ديار مصر في سنة ثلاث عشرة وثمانمائة، وتزوج السلطان الملك الناصر بابنته، وأسكنها تحت كنف كريمة، لأنها كانت إذ ذاك هي خوند الكبرى، وصاحبه القاعة، ثم أفرد لها الناصر بيتا من الدور السلطاني، وأقام ابن رمضان بالقاهرة مدة يسيرة، وخلع عليه بالإمرة وتوجه إلى بلاده، وأقام بها إلى أن توفي سنة تسع عشرة وثمانمائة. وكان أميرا شجاعا، مقداما، مهابا ذا همة عالية وكرم مفرط، وتديبر وسياسة، وعمر دهرا، إلا أنه كان كثير الخروج عن الطاعة، وكان بينه وبين والدى صحبة ومحبة، ولما أن خرج والدى من نيابة دمشق فارا، عندما أورد الملك الناصر القبض عليه في سنة أربع وثمانمائة إلى حلب، وانضم إليه نائبها الأمير تمرداش الحمدي، ووقع لهما مع العساكر المصرية ما حكيناه في غير هذا الموضع، وآل أمره إلى أن انهزم بعد حروب طويلة، وولى مكانه بدمشق الأمير آقبا الجمالي، وتولى دقماق الحمدي نيابة حلب عوضا عن تمرداش، قصد ابن رمضان هذا، فلما قارب بلاده خرج إلى تلقيه، ونزله عنده وأكرمه غاية الإكرام، وأجرى عليه الرواتب الهائلة، وقدم له التقادم السنية، ودام عنده نحو السنة، إلى أن أرسل الملك الناصر إليه بالإمان وقدم على الديار المصرية، وأنعم عليه بتقدمتي ألف، وإمرة طلبخانا، وزيادة على التقدمتين، ودامت الصحبة بينهما إلى أن توفي والدى بدمشق في نيابة الثالثة في سنة خمس عشرة وثمانمائة، رحمه الله. انظر ترجمة في: الدليل الشامى ٤٦/١، والضوء اللامع ٣٠٣/١.

العمق يريد نوروز، فأدرك أعقابه، وقبض على عدة من أصحابه، وعاد إلى العمق^(١)، وبعث العسكر في طلبه، فقدم عليه الخير أنه أمسك، هو ويشبك بن أزدمر، وجماعة من أصحابه.

وفي ثامن عشرينه: كسفت الشمس.

وفي هذا الشهر: قدم كتاب الشريف حسن بن عجلان^(٢) إلى الشريف جهماز بن هبة^(٣) أمير المدينة في عاشره، وكانت تولية إمارة المدينة للشريف ثابت بن نعيم، فمات فولى حسن بن عجلان مكانه نيابة عنه أخاه، فثار بالمدينة جهماز بن نعيم، فكتب إليه ابن عجلان يقول: « اخرج بسلام، وإلا فأنا قاصدك»: فأظهر جهماز الطاعة. وكان السلطان قد فوض سلطنة الحجاز لحسن بن عجلان. ثم أن جهماز أرسل إلى الخدام بالمسجد النبوي يستدعيهم، فامتنعوا، فأتى إلى المسجد وأخذ ستارتي باب الحجر النبوية، وطلب من الطواشي - خدام المسجد - المصالحة عن حاصل القبة بتسعة آلاف درهم، فأبوا ذلك، فطلب مفاتيح الحاصل من زين الدين أبي بكر بن حسين^(٤) قاضي المدينة، فمانعه،

(١) العمق: علم مرتجل على حادة الطريق إلى مكة بين معدن بنى سليم وذات عرق. انظر معجم

البلدان ١٥٦/٤.

(٢) حسن بن عجلان (٧٧٥ - ٨٢٩ هـ = ١٣٧٣ - ١٤٢٦ م). حسن بن عجلان بن رميثة بن أبي نعي: شريف حسني، من أمراء مكة. ولد ونشأ فيها، وأقام بمصر فولاه صاحبها إمارة مكة سنة ٧٩٨ هـ وجاءه التوقيع سنة ٨١١ هـ بنيابة السلطنة في جميع بلاد الحجاز، فاستمر مدة. وعزل وأعيد مرتين ثم توجه سنة ٨٢٨ هـ إلى مصر للقاء السلطان برسباي، فتوفى فيها. انظر خلاصة الكلام ٣٦ ومراجع تاريخ اليمن ٢٩٩ الأعلام ٢/١٩٨، ١٩٩.

(٣) جهماز بن هبة بن جهماز بن منصور الحسيني: أحد من تولوا إمارة المدينة المنورة في عهد ولاية السلطان برقوق بمصر. جاءته المراسيم منه وساءت سيرته فامتدت يده إلى قبة الحرم النبوي وأخذ بعض قناديلها واستولى على حاصل المدينة ورحل عنها فاغتاله بعض عربان مطير، فكان عيرة بيانه للناس قتلوه وهو نائم. انظر سائل في تاريخ المدينة: الوفاء، مما يجب لحضرة المصطفى، للسهودي ١٩٠. الأعلام ١/١٣٣.

(٤) أبو بكر بن حسين (٧٢٧ - ٨١٦ هـ = ١٣٢٧ - ١٤١٤ م). أبو بكر بن الحسين بن عمر، القرشي العبشمي الأموي العثماني، زين الدين، وأبو محمد ويقال اسمه عبد الله والمشهور أبو بكر المصري الشافعي المراغي مؤرخ ولد بالقاهرة وقرأ واشتهر، وتحول إلى المدينة فاستوطنها نحو ٥٠ سنة، وولى قضاءها وخطابتها وأمامتها سنة ٨٠٩ هـ وصرف بعد سنة ونصف، وأقام بمكة سنتين، ومات بالمدينة له تحقيق النصرته بتلخيص معالم دار الهجرة في تاريخ المدينة، أنجزه سنة ٧٩٦ هـ وروائح الزهر اختصر به الزهر الباسم، في السيرة النبوية المغلطاء، والوفاء أكمل به شرح شيخه الإسنوي للمنهاج وغير ذلك. انظر شذرات الذهب ٧/١٢٠، الضوء اللامع ١١/٢٨، وكشف الظنون ٣٧٨ والنجوم الزاهرة ١٠٤/١٢٥. الأعلام ٢/٦٣.

فأهانه وأخذها منه، وأتى إلى القبة، وضرب شيخ الخدام بيده، ألقاه على الأرض، وكسر الأقفال ودخلها معه جماعة، فأخذ ما هناك؛ فمن ذلك أحد عشر حوائج خاناه، وصندوقين كبيرين، وصندوقاً صغيراً فيها ذهب من ودائع ملوك العراق وغيرهم. وأخرج خمسة آلاف شقة بطاين معدة لأكفان الموتى، فنقل ذلك كله، وهم أحد بنى عمه بأخذ قناديل الحجر الشريفة، فمنعه. وأخذ آخر بسط الروضة، فأمره جماز بردها. وصادر بعض الخدام. ثم خرج من الغد حادى عشره راحلاً، فقصده العرب المجتمعمة الرجوع، فرماهم الناس بالحجارة.

فلما كان ليلة تاسع عشره: وصل الشريف عجلان بن نعيم من مكة إلى المدينة أميراً عليها من قبل حسن بن عجلان، ومعه آل منصور، فنودى بالأمان. ومن الغد قدم العسكر من مكة مع الشريف أحمد بن حسن بن عجلان، وهم ستون ما بين فارس وراجل، واثنان وعشرون مملوكاً، وصحبتهم رضى الدين أبو حامد محمد بن عبد الرحمن بن محمد المطرى متولياً قضاء المدينة من قبل السلطان، قدم من القاهرة بولايته، فقرأ توقيعه بعد توقيع الشريف حسن بن عجلان، وتضمن استقراره فى سلطنة المدينة النبوية وينبع، وخليص والصفراء^(١) وأعمالهم. وقرئ بعده مرسوم آخر باستقرار الشريف ثابت وتسليمه المدينة، وإيقاع الخوطة على الشريف جماز وما تحت يده من ناطق وصامت.

وقرأ توقيع من جهة الشريف باستنابته عجلان بن نعيم على المدينة. ثم توجه العسكر بعد أيام من المدينة عائداً إلى مكة.

شهر جمادى الآخرة، أوله الأحد:

فى تاسعه: أخذ عسكر الأمير شيخ - نائب الشام - أنطاكية من التركمان البازانية بعد حرب، فسار أحمد بن رمضان بالأمير نوروز ومن معه، ولم يمكن العسكر منه.

وفى رابع عشره: استقر ناصر الدين محمد بن كمال الدين عمر بن العديم فى قضاء القضاة الخنفة بديار مصر، بعد موت أبيه، وهو أمرد، ليس بوجهه شعر. وكانت ولايته إحدى الدواهي والمصائب العظام.

وفى ثالث عشرينه: قدم شاهين دوادار الأمير شيخ إلى دمشق ومعه سودن المحمدى، وطوخ، وسودن اليوسفى، وقد قبض عليهم الأمير شيخ، فاعتقلوا بقلعة دمشق. وقدمت رأس حسين بن صدر الباز زعيم التركمان إلى دمشق، وذلك أنه لما

(١) الصفراء: قرية كثيرة النخل والمزارع، وهى فوق ينبع مما يلى المدينة. انظر معجم البلدان.

سار مع الأمير نوروز من أنطاكية، حصلت بينه وبين الأمير شيخ حرب، قتل فيها، فانكسرت شوكة التركمان بقتله.

وفي خامس عشرينه: أنعم بإقطاع الأمير بشباى رأس نوبة على الأمير أينال الساقى، وإقطاع أينال على الأمير أرغون أمير أخور، وإقطاع أرغون على الأمير مقبل الرومى، نقل إليه من الطبلخاناه. وأنعم بطبلخاناه مقبل على الأمير بردبك.

وفي سادس عشرينه: كتب مرسوم باستقرار ناصر الدين محمد وبدر الدين حسن ابني بشارة في مقدمة العشير بمعاملة صنف، على أن يحمل ثمانية آلاف دينار للسلطان، ففرضا على أهل النواحي مالا كبيرا جبهه لأنفسهما، ولم يصل منه شيء إلى السلطان.

وفي سابع عشرينه: خلع على الأمير أينال الساقى واستقر رأس نوبة النوب عوضا عن الأمير بشباى بحكم موته.

شهر رجب، أوله الثلاثاء:

فيه قدم الأمير شيخ نائب الشام من سفره إلى دمشق، وقد دخل حلب، فكانت غيبته ثمانين يوما. وبعث من ليلته بسودن الظريف. وسودن اليوسفى، وطوخ، وأرغز، وسلمان، وطغاي تمر - مقدم البريدية بديار مصر - إلى قلعة الصبية، فسجنوا بها.

وفي ثالثه: فتحت مدرسة الأمير جمال الدين الأستاذار التى أنشأها برحبة باب العيد من القاهرة، وحضر بها مدرسو الفقه على المذاهب الأربعة، ومدرس الحديث؛ فكان يوما مشهودا. وقرر فى تدريس الحنفية بدر الدين محمود بن محمد - ويعرف بابن الشيخ زاده الخرزبانى، وفى تدريس المالكية شمس الدين محمد البساطى، وفى تدريس الحنابلة فتح الدين محمد بن نجم الدين محمد الباهى، وفى تدريس الحديث النبوى الشريف شهاب الدين أحمد بن حجر،^(١) وفى تدريس التفسير شيخ الإسلام قاضى

(١) أحمد بن على بن محمد الكنانى العسقلانى (٧٧٣ - ٨٥٢ هـ = ١٣٧٢ - ١٤٤٩ م). أحمد ابن على بن محمد الكنانى العسقلانى، أبو الفضل، شهاب الدين، ابن حجر: من أئمة العلم والتاريخ. أصله من عسقلان (فلسطين) ومولده ووفاته بالقاهرة. ولع بالأدب والشعر ثم أقبل على الحديث، ورحل إلى اليمن والحجاز وغيرهما لسماع الشيوخ، وعلت له شهرة فقصده الناس للأخذ عنه وأصبح حافظ الإسلام فى عصره، قال السخاوى: انتشرت مصنفاته فى حياته وتهادتها الملوك وكتبها الأكابر وكان فصيح اللسان، راوية للشعر، عارفا بأيام المقدمين وأخبار المتأخرين، صبيح الوجه وولى قضاء مصر مرات ثم اعتزل أما تصانيفه فكثيرة جليلة. انظر التبر المسبوك ٢٣٠، وابن شقدة - خ - والضوء اللامع ٢ / ٣٦ والبدر الطالع ١ / ٨٧ وخطط مبارك ٦ / ٣٧، وأداب اللغة ٣ / ١٦٥، ولسان الميزان. والدرر الكامنة ٤: خاتمة للناسر وبدائع الزهور ٢ / ٣٢ والفهرس التمهيدى ٣٩٦، ٤٢٣، ٤٢٤، ٤٤٢، ٥٦٣ ودائرة المعارف الإسلامية ١ / ١٣١. الأعلام ١ / ١٧٩.

القضاة جلال الدين عبد الرحمن بن البلقيني. وقرر عند كل مدرس طائفة، عمل لهم الخبز في كل يوم والمعلوم في كل شيء وصار يجلس كل مدرس في يوم حتى كان آخرهم جلوسا مدرس التفسير.

وفي خامسه: أفرج الأمير شيخ عن رزق الله ناظر الجيش بدمشق.

وفي عاشره: استقر شيخ بالأمر برسبای حاجب الحجاب بدمشق.

وولى شمس الدين محمد بن الجلال التبانى نظر الجامع الأموى.

وفي حادى عشرينه: قدم الخير بأن التركمان أطلقوا الأمير نوروز.

وفي ثانى عشرينه: فر الأمير تمرغا المشطوب نائب حلب من الأمير شيخ بدمشق.

وفي رابع عشرينه: أعاد السلطان أمين الدين عبد الوهاب بن محمد بن الطرابلسى^(١) إلى قضاء القضاة الحنفية بديار مصر، وعزل ناصر الدين محمد بن العديم، فشكر الناس ذلك من أفعاله.

وفي ليلة الأحد سابع عشرينه: فر من دمشق جماعة من المماليك، ولحقوا بالأمير نوروز، وقد سار بعد خلاصه من يد التراكمين إلى قلعة الروم^(٢)، واستولى عليها، فركب الأمير شيخ في طلبهم، فلم يدر كههم وعاد ليلة الثلاثاء وقبض على يشبك العثمانى.

وفيه ولى شمس الدين محمد البيرى - أخو الأمير جمال الدين الأستاذار - تدريس

(١) عبد الوهاب بن محمد بن أبى بكر (٧٧٣ - ٨١٩ هـ)، قاضى القضاة «أمين الدين ابن قاضى القضاة» شمس الدين الطرابلسى الحنفى ولد بالقاهرة فى يوم الثلاثاء ثامن عشرين ربيع الآخر سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة، ونشأ بها تحت كنف والده، وبه تفقه وبغيره، وتولى قضاء العسكر مدة، ثم قضاء القضاة الحنفية بالديار المصرية بعد موت قاضى القضاة جمال الدين يوسف الملطى فى ثانى عشر جمادى الآخرة سنة ثلاث وثمانمائة، فسار على سيرة أبيه فى العفة والديانة إلى أن صرف فى سادس عشرين شهر رجب سنة «خمس وثمانمائة بقاضى القضاة كمال الدين عمر بن العديم قاضى حلب، فباشر كمال الدين إلى أن توفى سنة» إحدى عشرة وثمانمائة، وتولى من بعده ابنه ناصر الدين محمد مدة يسيرة، وصرف وأعيد عبد الوهاب المذكور فى رابع شهر رجب من السنة، فباشر مدة يسيرة هو أيضاً، وصرف بناصر الدين محمد بن العديم المذكور إلى أن توفى سنة تسع عشرة وثمانمائة، وقد تجاوز الأربعين سنة. انظر المنهل الصافى ٧ / ٣٩٤، ٣٩٥، والدليل الشافى ١ / ٤٣٤، النجوم الزاهرة ١٤ / ١٤٢، إنباء الغمر ٣ / ١١١، نزهة النفوس ٢ / ٣٧٥، الضوء اللامع ٥ / ١٠٦.

(٢) قلعة الروم: قلعة حصينة فى غربى الفرات مقابل البيرة بينها وبين سيمساط. انظر معجم

السلوك لمعرفة دول الملوك ٢١٣
الشافعي بالقرافة^(١)، ومشيخة خانكاه بيبرس القاهرة، مع ما بيده من خطابة بيت
المقدس تجاه أخيه.

وفي هذا الشهر: توجه الأمير يشبك الموساوي الأفقم إلى الأمير شيخ لإحضاره من
عنده من الأمراء النوروزية، وقتل أرغز وجان بك القرمي.

وجهز إلى الأمير أحمد بن رمضان خيول ثلاثة أروس. وتشريف. وسرج ذهب،
وسيف، وسلاح، وقماش سكلندري، وأقبية مفرية، له ولألزاه.

شهر شعبان، أوله الأربعاء:

في رابعه: قدم دمشق قاصد السلطان ومعه تشريف للأمير شيخ، فركب إلى
داريا^(٢) ولبسه، وعاد إلى دار السعادة في أبهة جليلة، وبين يديه الأمير برسباي
الحاجب، وعليه تشريف سلطاني قدم من مصر، والأمير تمتاز الأعور وعليه أيضا
تشريف سلطاني، وقاضي القضاة شمس الدين محمد الأحنأ وعليه تشريف سلطاني قد
بعثه إليه السلطان، وأعادته إلى قضاء دمشق عوضا عن نجم الدين بن حجي.

وفي خامسه: فرض الأمير شيخ خطابة الجامع الأموي لناصر الدين محمد بن
البارزي كاتب سر حماة، وصرف الباعوني، وخطب يوم الجمعة عاشره، وكان قد ترك
كتابة سر حماة، وقدم دمشق.

وفي تاسعه: قدم الأمير يشبك المرساوي الأفقم من القاهرة إلى دمشق، فخرج
الأمير شيخ إلى لقاءه، وأكرمه وأنزله، وقام له بما يليق به، ثم توجه إلى بلاد حلب
وغيرها في مهمات سلطانية.

وفي عاشره: جاءت زلزلة عظيمة في نواحي بلاد حلب وطرابلس. فخرّب من
اللاذقية^(٣) وجبله^(٤) وبلاطنس^(٥) أماكن عديدة، وسقطت قلعة بلاطنس. فمات تحت

(١) القرافة: خطة بالفسطاط من مصر كانت لبني غضن بن سيف بن وائل من المعافر. انظر
معجم البلدان ٤ / ٣١٧.

(٢) داريا: قرية كبيرة مشهورة من قرى دمشق بالغوطة. انظر معجم البلدان ٢ / ٤٣١.

(٣) اللاذقية: مدينة في ساحل بحر الشام تعد في أعمال حمص وهي غربي جبله بينهما ستة
فراسخ، وهي الآن من أعمال حلب. انظر معجم البلدان ٥ / ٥.

(٤) جبله: اسم لعدة مواضع، منها جبله الموضوع الذي كانت فيه الواقعة المشهورة بين بني عامر
وتميم وعيس وذبيان وفزارة. وهضبة بجبل بين الشريف والشرف وجبل طويل له شعب عظيم واسع لا
يرقى الجبل إلا من قبل الشعب. انظر معجم البلدان ٢ / ١٠٤.

الردم بها خمسة عشر نفسا، ومات بجبله خمسة عشر نفسا، وخربت شجر بكاس^(١) كلها والقلعين بها، ومات جميع أهلها، إلا نحو خمسين نفسا، وانشقت الأرض وانقلبت قدر بريد من بلد القصير^(٢) إلى سلفوهم، وأن بلد السلفوهم كانت فوق رأس جبل، فنزلت عنه وانقلبت قدر ميل بأهلها وأشجارها وأعينها ومواشيها، وذلك ليلا لم يشعروا إلا وقد صاروا إلى الموضع الذي انتقلت إليه البلد، ولم يتأذ أحد منهم. وكانت الزلزلة أيضا بقيرص^(٣) فخربت منها أماكن كثيرة، وكانت بالساحل والجبال، وشوهد ثلج على رأس الجبل الأقرع، وقد نزل إلى البحر، وطلع وبينه وبين البحر عشر فراسخ. وأخبر البحرية أن المراكب بالبحر الملح جلست على الأرض بما فيها، من انحسار البحر. ثم إن الماء عاد كما كان، ولم يتضرر أحد.

وفى حادى عشره: ولى الأمير شيخ نيابة بعلبك للأمير سيف الدين أبى بكر بن شهاب الدين أحمد بن النقيب اليعمورى.

وفيه وصل إلى دمشق عدة رعوس من المماليك الذين فروا، وقد قبض عليهم بحلب، وقتلوا منهم رأس طوخ الأجرود.

وفى سادس عشرة: قرئ بدمشق كتاب السلطان بإلزام الناس بعمارة ما خرب من المساكن والمدارس وغيرها داخل مدينة دمشق.

وفيه خلع على تاج الدين رزق الله ناظر الجيش بدمشق، واستقر نائب السلطنة بالقدس، وناظر أوقاف القدس والخليل. ولم نعهد مثل ذلك أن كاتباً يلى نيابة السلطنة ببلد.

وفى آخره: نودى بالقاهرة ألا يركب أحد من القضاة والفقهاء والكتاب والتجار وأجناد الحلقة فرسا، ولا بغلا إلا أن يكون فى خدمة السلطان، أو الأمراء الكبار،

(٥) بلاطنس: حصن منيع بسواحل الشام مقابل اللاذقية من أعمال حلب. انظر معجم البلدان ٤٧٨ / ١.

(١) الشجر: قلعة حصينة مقابلها أخرى يقال لها بكاس على رأس جبلين بينهما واد كالخندق هما كل واحدة تنارح الأخرى، وهما قرب أنطاكية. انظر معجم البلدان ٣، ٣٥٢.

(٢) القصير: فى عدة مواضع، منها: قصير معين الدين بالغور من أعمال الأردن والقصير: ضيعة أول نزل لمن يريد حمص من دمشق، والقصير: موضع قرب عيذاب بينه وبين قرص قصبه الصعيد. معجم البلدان ٤ / ٣٦٧.

(٣) قيرص: وهى جزيرة فى بحر الروم وبأيديهم دورها على مسيرة ستة عشر يوما. انظر معجم البلدان ٤ / ٣٠٥.

فامتنع الجميع. ثم أذن لطوائف فى الركوب بمراسيم سلطانية، وكتبت من ديوان الإنشاء. فكان الرجل يحمل مرسومه معه خشية من تعرض المماليك له. واشتد الأمر فى ذلك أياما، ثم انحل .

شهر رمضان، أوله الجمعة:

فى يوم الأربعاء سادسه: نودى بالقاهرة ألا يتعامل أحد بالذهب، وهدد من باع بالذهب واشترى، وكان قد وصل المثقال إلى مائة وسبعين فلوسا، كل درهم وزنه أوقيتان، واستدعى الأمير جمال الدين جميع أهل الأسواق ، وكتب عليهم قسايم بذلك، فنزل بالناس من ذلك ضرر عظيم، من أجل أن النقد الراجح الذهب وبه معاملة الكافة أعلاهم وأدناهم، ومنع أيضا من صنع الذهب المطرز والمصوغ، فاستمر الحال على ذلك أياما. ثم نودى فى حادى عشرينه بأن يتعامل الناس بالذهب على أن يكون كل مثقال بمائة وعشرين، وكل دينار مشخص بمائة درهم، فشح الناس باخراج الذهب، وارتفعت الأسعار ارتفاعا كثيرا.

وفى ليلة الإثنين حادى عشره: فر من دمشق الأمير برسباى حاجب الحجاب، فلم يعلم خبره، واقام الأمير شيخ عوضه الأمير أطنبغا القرمشى^(١).

(١) أطنبغا بن عبد الله القرمشى الظاهرى الأتابكى (٨٢٤ هـ = ١٤٣١ م)، الأمير علاء الدين. هو من ممالك الملك الظاهر بقوق، وتقلب مع الأمير شيخ الحمودى بالبلاد الشامية فى أيام تلك الفتن، وصار من جملة أمراء دمشق لما ولى نيابتها الأمير شيخ المذكور ثم صار حاجب الحجاب بحلب لما وليها أيضًا الأمير شيخ، واستمر مصاحبا للأمير شيخ إلى أن تسلطن ولقب بالملك المؤيد جعله أمير مائة ومقدم ألف بالديار المصرية، ثم ولاه الأمير أخورية، بعد انتقال الأمير قانى باى المحمدى منه إلى نيابة دمشق، فاستمر على ذلك مدة إلى أن استقر أتابك العساكر بالديار المصرية، بعد الأمير أطنبغا العثمانى، بحكم انتقال العثمانى إلى نيابة دمشق، بعد خروج نائبها قانباى المحمدى عن الطاعة، وذلك فى سنة عشرين وثمانمائة. وعظم أطنبغا القرمشى هذا فى الدولة، وضخم له حرمة وافرة وأبهة زائدة، وأقام على ذلك إلى سنة ثلاث وعشرين وثمانمائة، ندبه الملك المؤيد إلى التوجه إلى البلاد الشامية، مقدما على العساكر الجردين من القاهرة فى عدة من الأمراء وقدامى الألوف، وهم: الأمير طوعان أمير آخور، والأمير أطنبغا من عبد الواحد رأس نوبة النوب المعروف بالصغير، والأمير أزدمر الناصرى، والأمير حليان، الذى هو الآن نائب دمشق، والأمير سودن اللكاشى. وأسرَّ المؤيد إلى الأمير أطنبغا القرمشى بالقبض على الأمير يشبك اليوسفى نائب حلب، عند وصوله إلى حلب - على ما قيل - وتوجهت العساكر إلى حيث قصدهم، ودخلوا حلب فى سنة أربع وعشرين، وأقاموا بها، فاستوحش الأمير يشبك نائب حلب منهم فى الباطن، ولم يجسروا عليه. فبينما هم كذلك، إذ ورد عليهم الخيزر بموت الملك المؤيد، واضطربت الأمراء الجردين، فعزم الأمير الكبير أطنبغا القرموشى على العود إلى الديار المصرية، وبرز بمن معه إلى ظاهر حلب، وخرجوا من باب المقام، وبلغ ذلك يشبك =

وفيه شرع الأمير شيخ في عمارة مواضع من داخل مدينة دمشق مما خرب في فتنة تيمورلنك، وألزم الناس بالعمارة في أماكنهم، ومن عجز فليؤجر ذلك، فأخذ الناس في ذلك.

وفي ليلة حادى عشرينه: خرج الأمير شيخ من منزله بدار السعادة ماشيا إلى جامع بني أمية، بثياب بدلته، وهو حاف متواضع لربه تعالى، حتى دخل الجامع؛ وتصدق بأقراص محشوة بالسكر وغير محشوة، فعم القراء والفقراء. وطلب أرباب السجون المعسرين، فأدى غرماؤهم ما عليهم من الديون.

وفي بكرة نهاره: قدم يشبك الأقمم من حلب إلى دمشق، وقد مشى على المملكة كلها، فأكرمه الأمير شيخ، وأنعم عليه، وأعادته إلى القاهرة في ثالث عشرينه.

=نائب حلب - وكان لم يخرج لتوديعهم - فلبس آلة الحرب، وركب في إثرهم بعسكره، فأدركهم بالسعدى. فلما رآه الأمراء المصريون، رجعوا عليه، وتقاتلوا معه ساعة، فانكسر يشبك، وقطع رأسه في الوقت، وقدم الأمير أطنبغا القرمشى بمن معه من الأمراء إلى حلب، ونزل بدار السعادة. ومن غريب ما اتفق أن الأمير يشبك المذكور، كان قد أضر سمات الغذاء حتى يعود من قتاله ويأكله، فقتل ودخل القرمشى بمن معه، ومد السمات بين أيديهم، فأكلوه. واستمر القرمشى بحلب إلى أن ولي نيابة حلب للأمير أطنبغا الصغير وعاد إلى دمشق واتفق الأمير حقمق الأرغون شاوى نائب دمشق على قتال الأمراء المصريين لمخالفتهم لما أوصى به الملك المؤيد قبل موته. وكانت وصية المؤيد أن يكون ابنه المظفر أحمد سلطانا، وأن يكون الأمير أطنبغا القرمشى هذا هو المتحدث في المملكة، فخالف ذلك الأمير ططر، وصار وهو المتحدث، وأخذ وأعطى، وأخرج إقطاعات الأمراء الجردين صحبة أطنبغا القرمشى، وتجرد بالملك المظفر إلى جهة البلاد الشامية، ثم وقع بين القرمشى وبين حقمق، «نائب الشام وحشة، وهس كل منهما وتقاتلا ساعة، وانكسر حقمق»، وتوجه منهزما إلى قلعة صرخد، ودام القرمشى بدمشق، إلى أن قارب الأمير ططر والسلطان الملك المظفر دمشق، وخرج القرمشى إلى لقاء السلطان والأمير ططر، وخلع عليه وعاد في خدمة السلطان إلى دمشق، ودخلوها في شهر جمادى الأولى من سنة أربع وعشرين وثمانمائة، وطلع الأمراء صحبة السلطان إلى قلعة دمشق، فعند ذلك أمر الأمير ططر بالقبض على الأمير أطنبغا القرمشى صاحب الترجمة، فقبض عليه وعلى جماعة من الأمراء ممن كان مع القرمشى، وكان ذلك آخر العهد به، وقتل في الشهر المذكور، وصلى عليه، ودفن بقرية أطنبغا الجوباني في باب المصلى. وكان أمير جليلا محترما، وقورا ساكنا، عاقلا، مقربا عند الملك المؤيد شيخ إلى الغاية، وكان يسلك في أتابكيتيه طريق السلف من عظماء الأمراء في الحشم، وكثرة المال، والأسمطة الهائلة وغير ذلك. وكان دمث الأخلاق سخيا، حلوا المحاضرة، متواضعا مع علو منزلته في الدولة المؤيدية وكان سليم الباطن، مقاصده جميلة، كثيرة الصدقة والبر للفقراء، فجع في ولده الأمير ناصر الدين - أحد أمراء الطبلخاناه - قبل موته في سنة اثنتين وعشرين وثمانمائة. انظر المنهل الصافى ٣/ ٦٢ وما بعدها، الدليل ١/ ١٥١، النجوم، ١٤/ ٢٣٦، عقد الجمان ٢/ ٣١٩، إنباء ٣/ ٢٥٥، نزهة النفوس ٢/ ٥٢٢.

وفي هذا الشهر: ضرب الأمير شيخ بدمشق فلوسا كل ستة منها بثمان درهم. وكانوا منذ سنين يتعاملون بها وزنا، كل رطل دمشقى بثمانية دراهم، فصارت على حسابها عددا كل رطل باثنى عشر درهما، ووزن الفلوس منها درهم، فشملت المضرة فى هذا الشهر أهل مصر والشام من جهة المعاملة.

وفي هذا الشهر: كوتب الأمير قرا يوسف، جوابا عن مكاتبتة عند أخذه تبريز.

شهر شوال، أوله الأحد:

فى خامسه: قبض الأمير شيخ على الأحنأى قاضى دمشق وسجنه، من أجل أنه وشى به أنه يكاتب الأمير نوروز ثم أفرج عنه آخر النهار، على أن يقوم بثلاثمائة ثوب أبيض، نصفها وجوه ونصفها بطائن، فأخذ فى جمعها.

وفي سادسه: قدمت ولاية نجم الدين بن حجى القضاء عوضا عن الأحنأى وتاريخ توقيعه ثالث عشر شهر رمضان.

وفي تاسع عشره: وصل إلى دمشق تشرىف السلطان للأمير شيخ، فركب إلى تلقيه، ولبسه خارج دمشق، وعاد إلى دار السعادة ثم ليسى بن حجى تشرىفة بولايته قضاء دمشق ومضى إلى الجامع، فقرأ تقليده بمحضرة الحاجب والوزير والقضاة والأعيان. وأخذ مع القضاء جميع ما بيد ابن الأحنأى من الوظائف، سوى نظر وقف القلانسى، فإنه خرج باسم كاتبه أحمد بن على المقرزى.

وفي هذا الشهر: نودى بالقاهرة أن يكون المثقال الذهب بمائة درهم فامتنع الناس من إظهاره، وارتفع سعر المبيعات ارتفاعا زائدا.

وفي يوم الثلاثاء رابع عشرينه: سار المحمل بالحاج مع الأمير شهاب الدين أحمد بن الأمير جمال الدين الأستاذار، وبلغت نفقة الأمير جمال الدين على الحاج فى هذه السنة إلى أربعين ألف دينار، منها لشيخ الجبال مبلغ خمسين ألف درهم.

شهر ذى القعدة، أوله الثلاثاء:

فى رابعه: نودى بالقاهرة أن يكون المثقال الذهب بمائة، والأفرتى ثمانين، وألا يمكن أحد من السفر بشيء من الذهب، فاشتد الأمر على الناس.

وفي عاشره: قدم الخبر على الأمير شيخ بأن يشبك الموساوى وشيء به إلى السلطان أنه قد خرج عن طاعته، وأن السلطان غضب، وعزم على السفر إلى الشام،

فاستدعى القضاة والأعيان، وكتب محضرا أخذ خطوطهم فيه ببطلان ما قيل عنه، وأنه باق على الطاعة السلطانية. وبعث به مع نجم الدين بن حجي قاضى دمشق، فسار فى ثالث عشره.

وفى رابع عشره: خرج الأمير شيخ من دمشق إلى جهة القبلىة، وأفرج - وهو نازل على قبة يلبغا - عن يشبك العثمانى.

وفيه قدم الأمير قرقماس بن أخى دمرداش نائب صفد منها، مارا بدمشق إلى حلب يريد عمه الأمير دمرداش المحمدى نائب حلب، وقد استدعاه.

فاستماله الأمير شيخ واشتمل عليه، ومضى به إلى الخربة^(١) للصيد والنزهة.

وفى خامس عشره: نقل الوزير فخر الدين بن غراب من سجنه بدار الأمير جمال الدين الأستاذار، وسلم للأمير شهاب الدين أحمد بن الطبلاوى والى القاهرة، فعاقبه عدة عقوبات.

وفى حادى عشرينه: نودى بالقاهرة أن يكون المثقال الذهب المهرجة بمائة وعشرين، والدينار المشخص، والدينار الناصرى بمائة درهم.

وفى ثالث عشرينه: قدم القاضى نجم الدين بن حجي القاهرة بالمحضر وكتاب الأمير شيخ، يستعطف خاطر السلطان، ويعتذر عن تأخيره إرسال من طلبه من الأمراء، فلم يقبل السلطان عذره، واشتد غضبه، وأظهر الاهتمام بالخروج إلى الشام، ثم كتب الجواب بتجهيز أمراء عينهم إلى مدة ستة وعشرين يوما، ومتى مضت هذه المدة ول يجهزهم سار لقتاله وحره. وبعث بذلك على يد ابن حجي.

وفى ليلة الأربعاء رابع عشرينه: قتل الأمير عمر بن فضل الجرمى. وذلك أن السلطان كان قد بعث بنبابة الكرك رجلا يقال له محمد التركمانى، من عرض الجند وآحاد الناس، عزل به سودن الجلب، وأسر إليه قتل عمر بن فضل، وكان قد اشتدت شوكة وثقلت وطأته وكثر عصيانه وخروجه عن طاعة السلطان. فلما نزل محمد التركمانى على الكرك - وقد امتنع الجلب، وأسر إليه قتل عمر بن فضل، وكان قد اشتدت شوكة وثقلت وطأته وكثر عصيانه وخروجه عن طاعة السلطان. فلما نزل محمد التركمانى على الكرك - وقد امتنع الجلب بها - أتاه ابن فضل وقد نازعه عمه وكثر الخلف بينهما، فأخذ ليصلح بينهما، ويسكن ما ثار من الشر، وفى ظن ابن فضل

(١) الخربة: أرض مما يلى به معدن يقال له معدن خربة. انظر معجم البلدان ٢ / ٣٥٥.

وغيره أنه أقل من أن يتعرض لأحد من خدمه، فضلا عنه، فلم يعبأ به، ولا أتاه في عدة من سلاحه ولا عدد من قومه، فوجد عند ذلك التركمانى السبيل إليه، فانتهاز الفرصة، وبادر إليه وقتله، وبعث برأسه إلى السلطان. فكتب فضل بن عيسى الجرمى يسأل السلطان فى الإمرة عوض عمر، على أن يقوم بمائة و خمسين ألف درهم فضة، وكتب: «شاورت عمر بن فضل»؛ يسأل فيها، ويعد بمائتى ألف درهم.

وفى هذا الشهر: بعث الأمير شيخ إلى سودن الجلب بالكرك يستميله إليه، وبعث بالأمير جاتم ليصلح بينه وبين الأمير نوروز، وجهاز له ستة آلاف دينار، فمال إليه.

وفيه اهتم الأمير دمرdash نائب حلب بحرب الأمير نوروز، وجمع طوائف العربان والتركمان، وسار إليه الأمير بكتمر جلق نائب طرابلس فى ثانيه، فنزل بالعمق، وحضر إليه نائب أنطاكية وقصاد الأمير شهاب الدين أحمد بن رمضان زعيم التركمان، يحث بمسيره إليه.

وقدم كردى باك بن كندر وعربان بنى كلاب، ومشوا بببوتهم إلى إعزاز، وقد نزل تغرى بردى بن أخى دمرdash وهو أتابك العسكر بحلب على برج دابق، ومعه أيدغمش بن كبك، وطوائف التركمان الأوشرية.

وبرز الأمير دمرdash نائب حلب منها ومعه التراكمين البياضية، فرحل الأمير بكتمر جلق والأمير تغرى بردى من مرج دابق. وقد نزل الأمير نوروز بجماعته على عين تاب، فتقدم إليه تغرى بردى بالكبكية^(١) جاليش. فرحل نوروز إلى جهة مرعش^(٢)، وتحاربت كشافته مع كشافة العسكر محاربة قوية، أسر فيها عدة من النوروزية، فانهمز نوروز، واستولى العسكر السلطانى على عين تاب. وكانت كسرة نوروز يوم الأحد ثانى عشره، وعاد الأمير دمرdash إلى حلب، وكتب بذلك إلى السلطان.

شهر ذى الحجة، أوله الأربعاء:

فيه قدم رأس عمر بن فضل إلى السلطان، فطيف به القاهرة، وعلق على باب زويلة. وفيه هبت رياح عاصفة شديدة.

(١) الكبكية هى من بطون التراكمان الجراكسة. انظر السيف المهند فى سيرة الملك المويد لبدر الدين العينى ص ٢٦.

(٢) مرعش: مدينة فى الثغور بين الشام وبلاد الروم لها سوران وخذق وفى وسطها حصن عليه يسور يعرف بالمروانى. انظر معجم البلدان ٥ / ١٠٧.

وفيه أخرج الوزير صاحب فخر الدين ماجد بن غراب من سجنه بدار الأمير شهاب الدين أحمد بن محمد بن الطبلاوى وإلى القاهرة^(١)، ميتاً.

وفى حادى عشره: قدم ابن حجى قاضى دمشق بجواب السلطان على الأمير شيخ، فأعادته إلى دمشق، فقدمها فى رابع عشره، ومضى الأمير شيخ إلى صرخد^(٢) وعاد فنزل الحرجلة فى^(٣) رابع عشرينه. ونودى بدمشق من الغد بخروج العسكر إليه، فخرجوا فى سابع عشرينه، فدخل وهم بين يديه ومعهم القصة إلى دمشق، فنزل بدار السعادة وقد غاب فى سفره بأراضى الخربة مدة اثنتين وأربعين يوماً، فأقام يومه، وأصبح وعزمه قوى على تجهيز الأمراء المسجونين إلى السلطان، وأخذ فى ذلك فبلغه أن تغرى برمش كاشف الرملة فرمها لقدم كاشف ونائب القدس من قبل السلطان، وأن السلطان عزم على المسير إلى الشام، وأخرج الروايا والقرب على الجمال، ومعها الطبول، وعدتها نحو مائتى جمل، على كل جمل راويتان وثلاث، لتطيب فى الردك بشاطئ النيل بسبب التجريدة. فرجع عن إرسال الأمراء، وعول على أمر آخر.

* * *

ومات فى هذه السنة ممن له ذكر

عمر بن إبراهيم بن محمد بن العديم، قاضى القضاة كمال الدين، فى ليلة السبت ثانى عشر جمادى الآخرة، ومولده بجلب سنة إحدى وستين وسبعمائة، وكان قاضى سوء. قال فيه عثمان بن محمد الشغرى الحنفى.

ابن العديم الذى فى عينه عور وليس محمود فى الناس سيرته
أليس أن عليه ستر عورته لكن نزول القضاء أعمى بصيرته

(١) أحمد بن محمد، الأمير شهاب الدين الشهير بابن الطبلاوى، وإلى القاهرة، وكاشف الوجه الشرقى من أعمال القاهرة. قتله الملك الناصر فرج بن الملك الظاهر بقوق على ما اتهم به من جهة خوند بنت صروق مطلقة الملك الناصر المذكور فى ليلة السابع والعشرين من ذى القعدة سنة أربع عشرة وثمانمائة، بعد أن قتل الناصر بنت صروق المذكورة فى ذلك اليوم، قبل أن يقتل صاحب الترجمة، وكان غير مشكور السيرة، كما هو عادة ظلمة الولاة، عفا الله عنه. انظر ترجمة فى الدليل الشافى ٨٢/١، والنجوم الزاهرة ١٣/١٣٠، انباء الغمر ٤٨٨/٢، والضوء اللامع ٢١٤/٢.

(٢) صرخد: بلد ملاصق لبلاد حوران من أعمال دمشق، وهى قلعة حصينة وولاية حسنة واسعة. انظر معجم البلدان ٣/٤٠١.

(٣) الحرجلة: من قرى دمشق. انظر معجم البلدان ٢/٢٣٩.

ومات الأمير بشباى^(١) رأس نوبة النوب فى ليلة الأربعاء رابع عشرينه، ودفن بالقرافة. وكان ظلما غشوما.

ومات الأمير يلبغا السالمى^(٢)، خنق بعد عصر يوم الجمعة سابع عشره بالإسكندرية. وكان مخبطا، خلط عملا صالحا بعمل سيئ .

ومات محمد بن محمد بن أبى البقاء جلال الدين بن قاضى القضاة بدر الدين بن قاضى القضاة بهاء الدين، فى يوم الإثنين سابع رجب . وكان ينوب فى القضاء، ودرس الشافعى وغيره، وهو عار من الفضل والفضيلة.

ومات الأمير أرسطاي^(٣) نائب الإسكندرية، بها، فى نصف ربيع الآخر، وكان مهابا.

(١) (١١١ هـ = ١٤٠٨ م). بشباى بن عبد الله من باكى الظاهرى. الأمير سيف الدين. أصله من ممالك الملك الظاهر برقوق وخصواه، وترقى من بعده فى الدولة الناصرية فرج إلى أن صار أمير مائة ومقدم ألف بديار مصر، ثم ولى للحجوية الحجاب بها، ثم نقل وظيفة رأس نوبة النوب. وكان معلماً لسوق المحمل. وكان له ثروة وميل زائد إلى النسوة. وكان حريصاً على جمع المال. وعمر عدة أملاك تعرف به، ولا نعلم أحداً سمي بهذا الاسم من الأكابر غيره. ولم يزل على وظيفته وإمرته إلى أن توفى ليلة الأربعاء رابع عشرين جمادى الآخرة سنة إحدى عشرة ومائتة، ودفن بالقرافة، وهو فى أوئل الكهولة. وبشباى - بياث ثانية الحروف مفتوحة مفخمة، وبعدها ألف - ومنهم من يسقط الألف - ثم شين معجمة ساكنة، وبياث أيضاً ثانية الحروف مفتوحة، وألف وبياث آخر الحروف. ومعناه باللغة التركية: رأس سعيد. انتهى. الدليل، ج١، ص ١٩١، النجوم، ج١٣، ص ١٧٢، سنة ١١١ هـ، عقد الجمان، حوادث سنة ١١١ هـ، والضوء، ج٣، ص ١٦، أنباء الغمر، ج٢، ص ٤٠٥، سنة ١١١ هـ، نزهة النفوس، ج٢، ص ٢٥٠، سنة ١١١ هـ، بدائع الزهور، ج١، ق ٢، ص ٧٩٢، سنة ١١١ هـ.

(٢) يلبغا السالمى (١١١ هـ = ١٤٠٩ م). يلبغا أبو المعالى. السالمى الظاهرى الحنفى: من أشهر أمراء الجند فى دولة الملك «الظاهر» برقوق، ثم ابنه «الناصر» كان يذكر أنه سمرقندى سماه أبواه يوسف، وسبى فحلب إلى مصر مع تاجر اسمه «سالم» فنسب إليه، واشتره برقوق. ولما خلع برقوق (سنة ٧٩١ هـ) أخذ يلبغا مدينة صفد باسمه، فعرف له ذلك بعد عودته إلى الملك. ثم كان أحد أوصيائه، فقام بتحليف المماليك لولده الناصر، وسار فى الأستادارية سيرة عفيفة، مع عسف وشدة. انظر الضوء اللامع ٢٨٩/١٠، الأعلام ٢٠٨/٨.

(٣) (١١١ هـ = ١٤٠٨ م) أرسطاي بن عبد الله الظاهرى، الأمير سيف الدين، نائب الإسكندرية. هو من ممالك الظاهرى برقوق، ومن صار فى أيام أستاذه «من جملة أمراء الطبلخاناه ورأس نوبة، وهو الذى أرسله» الملك الظاهر برقوق يوم وقعة على باى، لما فطن بركوب على لاي، ليعلمه أن السلطان قادم لزيارة على باى وخذعه بأن قال: السلطان ذا الحين يدخل لزيارتك، فكف على باى عن الخروج من داره، واطمأن بأن السلطان داخل إليه ويفعل فيه ما شاء، ثم وقف أرسطاي على باب على باى فى انتظار السلطان، وقد أحر السلطان العصائب السلطانية إلى خلف، واجتاز =

ومات الأمير الكبير بيبرس ابن أخت الظاهر برقوق^(١) بسجنه من الإسكندرية، مقتولا.

ومات الأمير سودن المارديني.

ومات الأمير بيغوت.

عن باب على باى، فلما علم أرسطاي بأن السلطان قد فاز، ركب ولحق به، انتهى. ثم أن أرسطاي ولى نيابة الإسكندرية فى الدولة الناصرية فرج بعد تنقلات، ودام فى نيابة الإسكندرية إلى أن توفى بها سنة إحدى عشرة وثمانمائة. له أيضاً ترجمة فى: الدليل الشافى ١٠٤/١ رقم ٣٥٩، والنجوم الزاهرة، جـ ١٣ ص ١٧٢، الضوء اللامع جـ ٢ ص ٢٦٦ ترجمة ٨٢٤.

(١) (٨١١ هـ = ١٤٠٨ م) بيبرس بن عبد الله الظاهري الأتابكى، أحد مماليك الملك الظاهر برقوق وابن أخته. استقدمه الملك الظاهر برقوق صغيراً مع ولده وأقاربه فى حدود سنتين نيف وثمانين وسبعمائة؛ فربى فى الحرم السلطاني إلى أن كبر أنعم عليه بإمرة عشرة. ولازال الملك الظاهر يرقبه إلى أن جعله أمير مجلس بعد نفى الأمير شيخ الصفوى إلى القدس فى تاسع صفر سنة ثمانمائة؛ فدام على ذلك إلى تاسع عشرين جمادى الأولى من السنة نقل إلى الدوادارية الكبرى بعد موت الأمير قلمطاي الدودار، وأنعم بإمرة مجلس على الأمير أقبغا اللكاش؛ فاستمر بيبرس دواداراً إلى أن نقله الملك الناصر فرج بن برقوق إلى الأتابكية، بعد عصيان الأتابك أتمش البجاسى، وخروجه إلى الشام فى اثنتين وثمانمائة. واستقر عوضه فى الدوادارية الأمير يشبك الشعباني الظاهري الخازندار؛ فاستمر بيبرس المذكور أتابكاً مدة إلى أن احتفى الناصر فرج، وخلع، وتسلمن أخوه الملك المنصور عبد العزيز ابن الملك برقوق فى سنة ثمانمائة؛ فلم تطل أيام الملك المنصور عبد العزيز، وظهر الملك الناصر فرج طالباً ملكه من بيت الأمير سودون الحمزاوى الدودار فى يوم الجمعة رابع جمادى الآخرة من السنة، تلاحق به كثيراً من أمرائه، ولم يطلع الفجر حتى ركب الملك الناصر بألة الحرب وسار بمن اجتمع عليه يريد قلعة الجبل؛ فقاتله الأتابك بيبرس هذا ومعه الأمير أيناى باى أمير آخور، وسودون المارديني، ويشبك بن أزدمر من القلعة، قتالاً ليس بذاك، ثم انهزموا، وملك الملك الناصر فرج القلعة، وتوجه بيبرس «منهزماً إلى خارج القاهرة؛ فأدركه الأمير سودون الطيار؛ فقاتله، فلم يثبت بيبرس»، وأخذته سودون، وقبض عليه، وأحضره بين يدى الملك الناصر فرج يقيده، وبعث به إلى الإسكندرية. وعاد الملك الناصر إلى ملكه، وخلع المنصور عبد العزيز، فكانت مدة ملك المنصور سبعين يوماً، وخلع السلطان على الأمير يشبك الشعباني الدودار باستقراره أتابك العساكر، عوضاً عن بيبرس المذكور، واستقر سودون الحمزاوى دواداراً، عوضاً عن يشبك. ولازال بيبرس فى حبس الإسكندرية إلى أن قتل بالثر فى سنة إحدى عشرة وثمانمائة، وقتل معه الأمير سودون المارديني، والأمير بيغوت. وكان بيبرس أميراً حليلاً، كريماً، لين الجانب، قليل الشر، منهمكاً فى اللذات، واللهو، والطرب، منقاداً إلى نفسه، بمعزل عن الشجاعة والفروسية، رحمه الله تعالى. الدليل، جـ ١، ص ٢٠٥، النجوم، جـ ١٣، ص ١٧٢، سنة ٩١١ هـ، الضوء جـ ٣، ص ٢١، أنباء الغمر، جـ ٢، ص ٤٠٥، سنة ٨١١ هـ، نزهة النفوس، جـ ٢، ص ١٣٣.

السلوك لمعرفة دول الملوك ٢٢٣

ومات الشريف ثابت بن نعيم^(١) بن منصور بن جهماز بن شيحة الحسيني، أمير
المدينة النبوية، في صفر، فولى بعده أخوه عجلان بن نعيم.

ومات الوزير فخر الدين ماجد، ويسمى محمد بن عبد الرازق بن غراب، في غرة
ذي الحجة.

* * *

(١) هو ثابت بن نعيم بن منصور بن جهماز بن شيحة بن سالم بن قاسم بن جهماز بن قاسم (٨١١ هـ = ١٤٠٨ م) قاسم بن مهنا بن الحسين بن مهنا بن داود بن القاسم بن أبي علي عبد الله بن أبي القاسم طاهر بن الفقيه المحدث النسابة ألى يحيى بن الحسن بن جعفر بن عبيد الله بن الحسن الأصغر ابن زين العابدين أبي الحسن بن علي بن الحسين السبط بن علي بن أبي طالب رضى الله عنهم، الأمير عز الدين أبو قيس الشريف الهاشمي الحسيني، أمير المدينة النبوية، على ساكنها أفضل الصلاة والسلام انظر المنهل الصافي ٤/١٨٥: ١٩٨، الدليل الشافي ١/٢١٣ النجوم الزاهرة ١٣/١٧٣ التحفة اللطفية ١/٣٩٦، الضوء اللامع ٣/٥٠.

سنة اثنتى عشرة وثمانمائة

أهلت وخليفة الوقت المستعين بالله أبو الفضل العباس بن محمد المتوكل على الله
أبى عبد الله محمد. والسلطان الملك الناصر أبو السعادات فرج بن الظاهر أبى سعيد
برقوق بن أنص العثماني اليلبغاوى. وهو مستقل بتدبير الأمور، ومعتمد على وزيره
الأمير الوزير المشير ناظر الخواص، وكاشف الكشاف جمال الدين يوسف بن أحمد
الأستادار البجاسى البيرى، وكتاب سره فتح الدين فتح الله بن معتصم بن نفيس
الإسرائيلى الداودى التبريزى. وناظر جيشه الصاحب بدر الدين حسن بن نصر الله
النستراوى، ونائب الشام الأمير شيخ المحمودى. ونائب حلب الأمير دمرداش المحدثى
ونائب حماة الأمير جاتم، ونائب طرابلس الأمير بكتمر جلق، ونائب صفا الأمير
قرقماس ابن أخى دمرداش. ونائب غزة الأمير أظنبغا العثماني. ونائب الكرك الأمير
ناصر الدين محمد التركمانى، ولم يمكن منها لتغلب سودن الحلب عليها.

وقضاة مصر شيخ الإسلام قاضى القضاة جلال الدين أبى الفضل بن شيخ الإسلام
قاضى القضاة سراج الدين عمر بن رسلان بن نصير البلقينى الشافعى^(١). وقاضى
القضاة أمين الدين عبد الوهاب بن قاضى القضاة شمس الدين محمد بن أبى بكر
الطرابلسى الحنفى، وقاضى القضاة شمس الدين محمد بن على بن معبد القدسى المدنى
المالكى، وقاضى القضاة مجد الدين سالم بن سالم المقدسى الحنبلى.

وقضاة دمشق نجم الدين عمر بن حجى الشافعى، وصدر الدين على بن الأدمى
الحنفى. وشرف الدين عيسى المغربى المالكى، وشمس الدين محمد بن عبادة الحنبلى.

شهر الله المحرم الحرام، أوله الجمعة ثم ثبت أنه الخميس:

أهل والدينار الهرجة فى القاهرة بمائة وستين درهما فلوسا، والقمح بمائة وخمسين
درهما الأردب.

(١) عمر بن رسلان بن نصير بن صالح الكنانى، العسقلانى الأصل، ثم البلقينى المصرى الشافعى،
أبو حفص، سراج الدين: مجتهد حافظ للحديث، من العلماء بالدين. ولد فى بلقينة (من غربية مصر)
وتعلم بالقاهرة. وولى قضاء الشام سنة ٧٦٩هـ، وتوفى بالقاهرة. من كتبه «التدريب - خ» فى فقه
الشافعية، لم يتمه، و«تصحيح المنهاج - خ» ست مجلدات، فقه، و«الملامات برد المهمات - خ» فقه،
و«محاسن الاصطلاح» فى الحديث، و«حواشى الروضة» فى جلدان. انظر الأعلام ٤٦/٥.

وفى ثانيه: أخرج الأمير شيخ نائب الشام المنجنيق من قلعة دمشق إلى الإسطبل، وأقطع جماعة من أصحابه عدة من الأوقاف.

وفى ثالثه: سار شيخ من دمشق إلى المرج، فخيم به.

وفى رابعه: نصبت خيمة السلطان تجاه مسجد تبر من الريدانية، خارج القاهرة.

وفى سابعه: خرج مقدم العساكر الأمير الكبير تغرى بردى الأتابك، ومعه من الأمراء الأكلوف، الأمير أقبای الطرنطای رأس نوبة الأمراء، والأمير طوخ أمير مجلس، والأمير طوغان الحسنى رأس نوبة، والأمير علان، والأمير أینال المنقار الجلالى، والأمير كمشبغا المزوق، والأمير يشبك الموساوى الأفقم، وعدة من الأمراء الطبلخاناة، والعشرات والمماليك، ونزلوا بالريدانية.

وفيه أعيد ناصر الدين محمد بن العديم الحنفى إلى قضاء الحنفية بديار مصر وعزل قاضى القضاة أمين الدين عبد الوهاب بن الطرابلسى، وكان قد قبض نفقة السفر أسوة رفقاؤه خمسة عشر ألف درهم فلوسا، فأنعم بها عليه.

وولى مشيخة خانكاه شيخو، عوضا عن ابن العديم، فغبطه الناس على هذه النعم الثلاثة: العافية من السفر، وتعوض الشيخولية عن القضاء، والسعة بهذا القدر من المال. وكانت ولاية ابن العديم بمال جزيل.

وفيه أعيد ابن شعبان إلى الحسبة بمال، وعزل الحبرى.

وفى يوم الإثنين حادى عشره: ركب السلطان من قلعة الجبل فى بقية عساكره، ونزل بمخيمه تجاه مسجد تبر.

وفيه رحل الأمير الكبير تغرى بردى من الريدانية، بمن معه من الأمراء والأجناد، قاصدا دمشق.

وفيه طلب الأمير شيخ نائب الشام قضاة دمشق، فخرجوا إليه بالمرج فأرادهم أن يسلموه الأوقاف ليقطعها أصحابه، فأل الأمر إلى مصالحته عنها بثلث متحصلها، وعادوا.

وفى ثالث عشره: أعيد الحبرى إلى حسبة القاهرة، وخلع عليه بحضرة السلطان، وهو بتربة أبيه خارج باب النصر، وقد عاد إليها من مخيمه، وعزل بن شعبان.

وفى رابع عشره: خلع السلطان على الأمير أرغون الرومى، واستقر نائب الغيبة مقيما بالإسطبل على حاله بالأمر مقبل الرومى. ورسم أن يقيم بقلعة الجبل لحفظها، والأمير يلبغا الناصرى، واستقر نائب الغيبة، لفصل القضايا والأحكام بين الناس.

والأمير كزل العجمي الحاجب، ليحكم بين الناس أيضا، والأمير شهاب الدين أحمد ابن أخت الأمير جمال الدين الأستاذار، ليتحدث عوضا عن خاله مدة غيبته، ومرجع الجميع إلى الأمير يلبغا الناصري.

وفيه رحل السلطان من تجاه مسجد تبر، يريد الشام، ومعه الخليفة والقضاة وأرباب الدولة.

وفيه أفرج الأمير شيخ نائب الشام عن الأمير سودن تلى الحمدي، والأمير طوخ، والأمير سودن اليوسفي، وهم الذين طلبهم السلطان، فامتنع من إرسالهم إليه حتى غضب، وسار من مصر إلى دمشق ليأخذ الأمير شيخ.

وفيه قبض الأمير شيخ على الأمير كمشبغا الجمالي الواصل من جهة السلطان لأخذ الأمراء المذكورين.

وفيه أظهر شيخ ما فى نفسه، وصرح بالخروج عن طاعة السلطان، وأخذ فى الاستعداد، وطلب الأمراء الذين أفرج عنهم إليه بالمرج، فى ليلة الثامن عشرينه. واستدعى قضاة دمشق وفقهاءها، وتحدث معهم بحضرة الأمراء بجواز محاربة السلطان، فأفتاه شهاب الدين أحمد بن الحسباني بما وافق غرضه، وقام فى ذلك شمس الدين محمد ابن الجلال التبانى الحنفى قياما بالغا، نقل عنه إلى السلطان.

وفى حادى عشرينه: سار الأمير سودن الحمدي^(١) من دمشق إلى غزة، ومعه طائفة من عسكر الأمير شيخ، واستخدم جماعة.

(١) سودون بن عبد الله الحمدي (٨٥٠ هـ = ١٤٤٦ م) نائب قلعة دمشق، الأمير سيف الدين. هو مملوك سودون الحمدي، واعتقه، وإليه ينسب بالمحمدي. واستمر بخدمته إلى أن أمسكه الملك المؤيد شيخ وحبسه بغير الإسكندرية ثم قتله فعند ذلك اتصل سودون الحمدي هذا بخدمة السلطان الملك المؤيد شيخ، واستمر من جملة المماليك السلطانية، إلى أن صار فى الدولة الأشرفية برسباى خاصكيا ورأس نوبة الجمدارية مدة طويلة. ثم أُرِدا الأشرف أن يُؤمِّره فامتنع وترك وظيفة أيضا، وصار من جملة المماليك السلطانية على إقطاعه، ودام على ذلك إلى أن وثب الأتابك حقمق «على الملك العزيز، ولم يوافق الأتابك حقمق»، فعدها سودون الحمدي المذكور على الملك العزيز، ولم يوافق بعد أشهر، وكتب بعوده إلى القاهرة، وأنعم عليه بإمرة عشرة بسفارة خوند مغل بنت القاضي ناصر الدين البارزى زوجة الملك الظاهر حقمق، فإن سودون المذكور هو زوج أختها لأبيها القاضي ناصر الدين البارزى. فاستمر سودون المذكور مدة ثم توجه إلى مكة المشرفة ناظرا بها وشاد العمائر، كما كان توجه فى الدولة الأشرفية برسباى، وأستمر بمكة نحو الستين أو أكثر، وعاد إلى القاهرة وأقام بها مدة يسيرة، واستقر فى نيابة قلعة دمشق فى سنة ثمان وأربعين ومائمائة، فتوجه إليها ودام بها إلى أن مات فى صفر سنة خمسين ومائمائة. وكان ديننا خيرا، عفيفا عن المنكرات والفروج. انظر المنهل الصافى ٦ / ١٢١، وما بعدها والدليل الشافى ١ / ٢٢٩، والنجوم الزاهرة ١٥ / ٥١٦، والضوء اللامع ٣ / ٢٨٥.

وفى ثالث عشرينه: دخل السلطان إلى غزة، ونزل ظاهرها. وولى الأمير أينال الصصلاتى أمير أخور نيابة غزة، وعزل عنها الأمير أطنبغا العثمانى، وولاه نيابة صفد. وقدم الخبر بأن الأمير تغرى بردى كبس الرمله، يريد القبض على شاهين، دوادار الأمير شيخ، فى حادى عشرينه ففر منه ولم يظفر به، وأقام حتى تقدم السلطان إلى الرمله، فرحل السلطان.

وفى بكره رابع عشرينه: عاد سون المحمدى ومعه شاهين الدوادار إلى وطاق الأمير شيخ، وأخبراه بقدم السلطان، فتحول فى سادس عشرينه من المرج إلى داريا، ونزل إلى قبه بلبغا. فقدم عليه قرقماس ابن أخى دمرداش، فار من صفد.

وفيه قبض الأمير شيخ على ابن عباده قاضى الخنابله بدمشق، وعلى الرشاوى أحد نواب قضاة الشافعية، وعلى الأمير شرف الدين يحيى بن لاقى وألزمهم بمال كثير.

وفى ثامن عشرينه: قدم الأمير جانم نائب حماة على الأمير شيخ فى عشرة

وفى تاسع عشرينه: رحل الأمير شيخ بمن معه يريد ناحية صرخد، وجعل نائب الغيبة بدمشق الأمير تنكر بغا الحططى.

وفيه قبض شيخ على عدة من تجار دمشق وقرر عليهم عشرة آلاف دينار وحملهم معه، هم وبدر الدين محمد بن الموصلى محتسب دمشق وكمشبقا الجمالى، وغيره فى الحديد، وأفرج عن ابن عباده الخنبلى، وفر الرشاوى.

وفى سلخه: قدمت كتب السلطان إلى دمشق - بعد رحيل الأمير شيخ - باسم قضائتها وأعيانها، تتضمن إنكار أفعال الأمير شيخ، وأنه ما لم يجهز الأمراء الذين طلبوا منه، وإلا فهو معزول، ولتقاتله العامة.

شهر صفر، أوله السبت:

فى ليلة السبت المذكور: نزل السلطان باللجون^(١)، فشاع بين العسكر تنكر قلوب المماليك الظاهرية على السلطان، وتحدثوا بإثارة فتنة لتقدمه مماليكه الحلب عليهم، واختصاصه بهم، وكثرة عطائه لهم، فلما أصبح السلطان، رحل ونزل بيسان^(٢) من آخره، فما هو إلا أن غربت الشمس، ملج العسكر، وهدت الخيم، واشتد اضطراب

(١) اللجون: وهو بلد بالأردن، بينه وبين طبرية عشرون ميلا، وإلى الرمله مدينة فلسطين أربعون ميلا. انظر معجم البلدان ١٣/٥.

(٢) بيسان: مدينة بالأردن بالغور الشامى، ويقال: هى لسان الأرض وهى بين حوران وفلسطين. انظر معجم البلدان ١/٥٢٧.

الناس. وكثر قلق السلطان وخوفه طول الليل إلى أن طلع الفجر رحل إلى جهة دمشق. وسب ذلك أن الأمير أقبغا دوادار يشبك - وهو يؤمئذ من جملة دوادارية السلطان - قال لكاتب السر فتح الدين فتح الله - وقد خرج معه من خدمة السلطان بالمخيم - أن الأمير علان، والأمير أيناال المنقار، والأمير سودن بقجة، قد عزموا على الركوب في هذه الليلة على السلطان، ومعهم عدة من المماليك السلطانية. فأخذ فتح الله بيد أقبغا، وعاد به إلى السلطان، وأمره أن يعلمه بما حدثه به، فأعلم السلطان الخبر سرا فيما بينه وبينه. فاستدعى الأمير جمال الدين الأستادار، وأمر أقبغا فحدثه الحديث وذلك أنه لم يكن حينئذ السلطان يثق بأحد، ولا يعتمد عليه. كثقته بكاتب السر فتح الله، وأستاداره جمال الدين، فاستشارهما فيما يعمل، فدار الرأي بين السلطان وبينهما، وبين أقبغا، من غير أن يعلم ذلك أحد، حتى استقر رأيهم على أن السلطان يستدعى وفي وقت المغرب بعلان وأيناال المنقار إلى عنده، ويقبض عليهما، ويكون جمال الدين قد ركب في جماعته إلى ظاهر المعسكر من جهة الشام لأخذ من عساه يفر من المماليك إلى جهة الأمير شيخ، وقاموا من عند السلطان على هذا، فغدر جمال الدين، وبعث إلى علان، وأيناال المنقار، وسودن بقجة، والأمير تمتاز الناصري نائب السلطنة - وكان قد خرج من مصر وهو أرمد - يسير في الخفة، فأعلمهم بالخبر وبعث إليهم بمال كبير لهم، وللأمير شيخ نائب الشام، فما هو إلا أن غربت الشمس ركب تمتاز، وسودن بقجة، وأيناال المنقار، وقرا يشبك، وسودن الحمصي وعدة مماليك سلطانية يتجاوز عددهم المائة، وسروا إلى جهة الشام يريدون الأمير شيخ، حتى لحقوا به، فاخبطت العسكر، واشتد قلق السلطان، وطلب السلطان جمال الدين وفتح الله لثقتهم بهما - ولا علم له بشيء مما فعله جمال الدين - فأشار عليه فتح الله بالثبات، وأشار جمال الدين بركوبه ليلا، وعوده إلى مصر، يريد بذلك إفساد حال السلطان، فنازعه فتح الله وخاصة السلطان، وما زالوا بالسلطان يثبتونه حتى طلع النهار، فسار يريد دمشق.

وفي ثانيه: نودي بدمشق في الناس بقدوم السلطان، فخرجوا إلى لقائه.

وفيه ورد الخبر على السلطان برحيل الأمير شيخ عن دمشق إلى جهة بصرى^(١).

وفي ليلة الخميس سادسه: نزل السلطان الكسوة، ففر الأمير علان وجماعة من المماليك إلى جهة الأمير شيخ. فركب السلطان بكرة يوم الخميس، ودخل دمشق، ونزل بدار السعادة. ونزل الأمراء في أماكنهم.

(١) بصرى: في موضعين: إحداهما بالشام من أعمال دمشق، والأخرى من قرى بغداد قرب

٢٣٠ سنة اثنتى عشرة وثمانائة

وفى سابعه: قبض بدمشق على الشهاب أحمد بن الحسينى، وسلم إلى الطنبغا شقل من أجل أنه أقتى بقتال السلطان. وطلب ابن التبانى فإذا هو قد سار مع الأمير شيخ.

وفيه كتب السلطان بالإفراج عن سودن الظريف، وأرغز، وسلمان، من سجنهم بقلعة الصبيبة.

وفى ثامن: توجه الأمير الطنبغا العثمانى نائب صفد من دمشق إلى محل كفالته.

وفيه ألزم الأحنأى وابن عبادة الحنبلى بحمل شعير، قرر عليهما.

وفيه قدم الخير بنزول الأمير شيخ الصنمين، فنودى فى العسكر بدمشق أن يلبسوا السلاح، ويقفوا بالليل عند باب الميدان، فبات الناس على خوف ووجل.

وفى تاسعه: استقر الأمير زين الدين عمر الهيدبانى حاجب الحجاب بدمشق والأمير الطنبغا شقل حاجبا ثانيا، والأمير بردى باك نائب حماة، عوضا عن جانم، وخلع عليهم بدارالسعادة.

وفيه كتب تقليد الأمي رنوروز بنياية حلب، وجهز إليه، ومعه التشريف والسيف على العادة.

وفى رابع عشره: قدم الأمير أقي بلاط من القاهرة بطائفة من المماليك السلطانية.

وفيه قبض على رجلين معهما كتب الأمير شيخ إلى الأمراء، فشنقا.

وفى خامس عشره: قدم الأمير بكتمر جلق نائب طرابلس إلى دمشق، وكان قد اجتمع مع الأمير دمردش نائب حلب عند باب الحديد، يريدان حرب الأمير نوروز، وهو على ملطية، فوافهما كتاب السلطان من غزة بطلبهما، فسارا حتى قدما على السلطان.

وفيه قدم الخير بأن الطاعون قد فشى بجمص، ومات بها - وبجماة - ألوف من الناس، وأنه حدث بطرابلس طاعون.

وفى سادس عشره: قدم من مصر عدة من المماليك السلطانية، وفيه فرض على قرى المريج والغوطة^(١) - ظاهر دمشق - وعلى بلاد حوران^(٢) وغيرها، شعير يقوم به أهل كل ناحية بقدر معلوم، فاشتد الأمر فى جبايته على الناس.

(١) غوطة دمشق: هى الكورة التى منها دمشق. انظر معجم البلدان ٤ / ٢١٩.

(٢) حوران: كورة واسعة من أعمال دمشق من جهة القبلة، ذات قرى كثيرة ومزارع وحرار وما

زالت منازل العرب، وذكرها فى أشعارهم كثير وقصبتها بصرى. انظر معجم البلدان ٢ / ٣١٧.

وفي عشرينه: قدم الأمير دمردش نائب حلب، فأكرمه السلطان، وأنعم عليه.

وفيه خلع على الأمير بكمتر جلق، واستقر نائب الشام، عوضاً عن الأمير شيخ، وخلع على الأمير دمردش، واستقر في نيابة طرابلس مضافة إلى نيابة حلب.

وفيه قبض الأمير جمال الدين الأستاذار على ناصر الدين محمد بن البارزى الحموى، وضربه ضرباً مبرحاً، واستعاد منه ما تناوله من معلوم خطابة الجامع الأموى، وسبب ذلك أنه كان ولى أخاه شمس الدين محمد بن أحمد البيرى - قاضى حلب - خطابة القدس، عوضاً عن شهاب الدين أحمد الباعونى، وعوض الباعونى خطابة القدس بخطابة الجامع الأموى، فولى الأمير شيخ بن البارزى الخطابة بالجامع الأموى، وعزل الباعونى - كما تقدم ذكره - فترامى الباعونى على الأمير جمال الدين وتلقاه قبل دخوله دمشق بعدة أيام، فتعصب له، وفعل بابن البارزى هذا وسجنه.

وفي ليلة ثانی عشرينه: قتل شرف الدين محمد بن موسى بن محمد بن الشهاب محمود الحلبي، قتله الأمير جمال الدين الأستاذار، لحقد كان فى نفسه منذ أيام حمولة بحلب.

وفي رابع عشرينه: ولى السلطان قضاء الحنفية بدمشق شهاب الدين أحمد بن محيي الدين محمود بن نجم الدين أحمد بن إسماعيل بن محمد بن أبى العز - المعروف بابن الكشك - وعزل الصدر على بن الآدمى، وولى نجم الدين عمر بن حجي قضاء طرابلس بسؤاله. ورسم أن يعين غيره بقضاء دمشق، فوقع الاختيار على الباعونى، فولاه قضاء دمشق فى سابع عشرينه، وهذه ولايته الثانية.

وفي تاسع عشرينه: ركب الخليفة المستعين بالله، وقضاة مصر الأربع، وقضاة دمشق، ونودى فى الناس بدمشق أن يقاتلوا الأمير شيخ الكذا، فإنه كذا، إلى غير ذلك فى كلام طويل، يقرأ من ورقه.

شهر ربيع الأول، أوله الأحد:

فيه ركب السلطان من دار السعادة إلى الربوة، وعاد.

وفي ثانيه: سارت أطلاب السلطان والأمراء من دمشق إلى الكسوة، وتبعهم السلطان بعساكره، وعليهم آلة الحرب، فبات بالكسوة، وأصبح راحلاً إلى جهة الأمير شيخ. وأقر تنكر بغا الحططى فى نيابة الغيبة بدمشق، وسار بكرة يوم الثلاثاء، فمر بالصنمين، ونزل من آخره برأس الماء على بريد من الصنمين، وبات. فقدم الخير بالتقاء

كشافة السلطان بكشافة الأمير شيخ، وأسره رجلا من الشيخية. وسار السلطان بكرة يوم الأربعاء إلى قرية الحراك، فنزل نصف النهار - قدر ما أكل السمط ثم رحل رحىلا مزعجا، ظن الناس أن العدو قد طرقتهم، فجد فى مسيره ونزل عند الغروب بكرى البشنية^(١) من حوران . وبات على خوف من جمال الدين أن يقبض عليه، فإنه بلغه أنه وافق الأمير قردم وغيره على ذلك، فأعد عنده بداخل مخيمه هجنا، وأسر إلى كاتب سره فتح الله أنه قد عزم فى هذه الليلة على ركوب هذه الهجن والعود إلى مصر « فإن جمال الدين وقردم قد عولا على أن يكبسا على، فرحلت من الحراك خوفا منهما. ثم ها أنا متيقظ لحدوث أمر، فتأهب أنت أيضا لتسير إلى مصر». فعاد فتح الله من عند السلطان ليلا، وتأهب للرحيل، وأطلعنى على ما عزم عليه - وكنت فى صحبته - فترقبنا حدوث أمر لتركب، فلم يحدث شىء، حتى أصبحنا.

وفى هذه الليلة: وصلت طائفة من المماليك الجلبان إلى دمشق، فنهبوا عدة مواضع فقاتلهم العامة، وقبضوا على جماعة منهم، فاجتمعوا فى يوم الخميس عند قبة سيار، فخرج إليهم عامة دمشق، وقاتلوهم.

وفى يوم الخميس: سار السلطان إلى أن نزل ظاهر مدينة بصرى، فتحقق هناك خير الأمير شيخ، وأنه فى عصر يوم الأربعاء الماضى بلغه أن السلطان قد سار فى إثره، فرحل فرعا يريد صرخد، فأقام السلطان على بصرى إلى بكرة السبت. وقدم عليه ببصرى من الشيخية الأمير برسباى والأمير سودن اليوسفى، فكتب بذلك إلى دمشق . ثم سار ونزل بقرية عيون - تجاه صرخد - فكانت حرب بين أصحابه وبين الشيخية، قتل فيها فارسان من الشيخية، وجرح من السلطانية جماعة، ففر منهم جماعة إلى الأمير شيخ، فلحقوا به.

وكثر تخوف السلطان من أمرائه ومماليكه. وبلغه أنهم عولوا على أنه إذا وقع مصاف الحرب، تركوه ومضوا إلى الأمير شيخ، فبات ليلته مستعدا لأن يؤخذ، ودبر أمرا كان فيه نجاته. وهو أنه لما أصبح عند طلوع الفجر، نادى ألا تهد خيمة، ولا يحمل جمل، وأن يركب العسكر خيولهم، ويجر كل فارس جنبيه مع غلامه، من غير أن يأخذوا أبقالهم ولا جماهم. وسار بهم كذلك، وقد أخرج الأمراء ومن يخشاه من المماليك وراءه، وتقدم أمامهم فى ثقاته. فلم يفجأ القوم إلا وقد طلع عليهم من ثنية هناك، وقد عبأ الأمير شيخ أصحابه، فأوقف المصريين ناحية، وقدم عليهم الأمير تراز

الناصرى نائب السلطنة، ووقف فى ثقاته - وهم نحو الخمسمائة فارس - وحطم^(١) عليهم السلطان بنفسه ومن معه، فانهزم تمراز بمن معه من أول وهلة، وثبت الأمير شيخ فيمن معه، فكانت بينهم معارك صدرا من النهار، وأصحاب الأمير شيخ تنسل منه، وهو يتأخر إلى جهة القلعة. وكانت الحرب بين جدران مدينة صرخد، فولى السلطان وطاق الشيخية، وانتهب أصحابه جميع ما كان فيه من خيل، وجمال، وثياب، وأثاث، وخيام، وآلات، وغيرها، فحازوا شيئا كثيرا. واستولى السلطان على جامع صرخد، وأصعده أصحابه، فرموا من أعلى المنارة بمكاحل النفط والأسهم الخطائية على الأمير شيخ، وحمل السلطان عليه حملة واحدة منكرة، فانهزم أصحاب شيخ، والتجأ فى نحو العشرين إلى قلعة صرخد، وكانت خلف ظهره، وقد أعدها لذلك، فتسارع إليه عدة من أصحابه، وتمزق باقيهم، فأحاط السلطان بالمدينة، ونزل على القلعة، فأتاه الأمراء فهنوه بالظفر، وامتدت الأيدى إلى صرخد، فما تركوا بها لأهلها جليلا ولا حقيرا، حتى أخذوه نهبا وغصبا.

فامتألت الأيدى مما لا يدخل تحت حصر. وسار الأمير تمراز، وسودن بقجة، وسودن الحلب، وسودن الحمدي، وتمربغا المشطوب - نائب حلب - وعلان، فى عدد كبير إلى دمشق، فقدموها يوم الإثنين تاسعه، فقاتهلم العامة فى عاشره، ودفعوهم عن البلد، فولوا يريدون جهة الكرك، بعدما قتل منهم وجرح جماعة. وتأخر كثير منهم بدمشق، ومضى طائفة إلى جهة حماة وحلب، فأخذ منهم بدمشق وغيرها عدد كثير.

وفى عاشره: قدم كتاب السلطان إلى دمشق بخير الواقعة.

وفيه قدم من صرخد إلى دمشق الأمير برد بك نائب حماة، وسار إليها فى رابع عشره.

وفى رابع عشره: قدم دمشق الأمير تغرى بردى ابن أخى دمرداش من صرخد، متوجها إلى حلب، نائب الغيبة بها، عن عمه الأمير دمرداش.

وقدم أيضا الأمير أقبای حاجب الحجاب، وقد مرض بصرخد، ليقيم بدمشق حتى يبرأ.

وقدم الأمير قردم، وقضاة مصر، وتاج الدين رزق الله ناظر جيش دمشق، فى جماعة، فأقاموا بدمشق.

(١) حطمه يحطمه حطما كسره أو خاص باليابس وحطمت الدابة تحطم حطما أسنت، وحطم اندفع نحوهم فى عنف ليحطمهم. ينظر لسان العرب (حطم) محيط المحيط (حطم).

وقدم أيضا كتاب السلطان فقري بالجامع الأموى. وفيه خبر وقعة صرخد، وأنه قد حصر الأمير شيخ بالقلعة، وعزم ألا يبرح حتى يأخذه، وأنه رد أمور دمشق إلى الأمير قردم، وأن من ظفر بأحد من الأمراء المنهزمين وأحضره فله من المال كذا.

وفيه قبض بدمشق على الكليباتى والى دمشق فى أيام الأمير شيخ، فضرب ضربا مبرحا.

وفى ثامن عشره: قدم الخبر على السلطان بأن التراكمين كسروا الأمير نوروز كسرة قبيحة، فدقت البشائر بصرخد.

وفيه قبض بدمشق على علم الدين داود الكويز وأخيه صلاح الدين خليل من بيت نصرانى.

وفيه قدم من صرخد إلى دمشق الأمير دمرداش نائب حلب وطرابلس، فأقام بها إلى حادى عشرينه، وسار إلى محل كفالتة.

وفى حادى عشرينه: اشتد الطلب بدمشق على من اختفى من الشيخية.

وفيه أخرج من دمشق بالمنجنيق إلى صرخد.

وفيه قدم من صرخد إلى دمشق الطواشى فيروز الخازندار، فتسلم ابنى الكوبز والشهاب أحمد الصفدى، موقع الأمير شيخ. ولم يزل السلطان على قلعة صرخد يرميها بالمدافع والسهام، ويقاثل من بها ثلاثة أيام بلياليها، حتى أحرق جسر القلعة، فامتنع الأمير شيخ ومن معه بداخلها، وركبوا أسوارها، فأنزل السلطان الأمراء حول القلعة، وألزم كل أمير بقتال جهة من جهاتها، واستدعى المدافع ومكاحل النفط من الصبيبة وصفد ودمشق، ونصبها حول القلعة؛ فكان فيها ما يرمى بحجر زنته ستون رطلا دمشقىا. وتمادى الحصار ليلا ونهارا، حتى قدم المنجنيق من دمشق على مائتى جمل. فلما تكامل نصبه ولم يبق إلا أن يرمى بحجره - وزنته تسعون رطلا شاميا - ترامى الأمير شيخ ومن معه من الأمراء على الأمير الكبير تغرى بردى الأتابك، وألقوا إليه ورقة فى سهم من القلعة، يسألونه فيها الوساطة بينهم وبين السلطان، فما زال حتى بعثه السلطان إليهم، فصعد إلى القلعة، ومعه الخليفة، وكاتب السرفتح الله، وجماعة من ثقات السلطان، فى يوم السبت ثامن عشرينه، فجلسوا على شفير^(١) الخندق،

(١) الشفير: ناحية كل شىء وحده، وشفير الوادى ناحية من أعلاه، وشفير الكتيب رأسه الذى فيها شيئا فشيئا: انظر محيط المحيط (شفر).

وخرج الأمير شيخ، وجلس بداخل باب القلعة، ووقف أصحابه على رأسه، وفوق سور القلعة، وتولى كاتب السر محادثة الأمير شيخ، فطال الخطب بينهما، واتسع مجال الكلام، فتارة يعظه وأخرى يؤنبه ويوبخه، وآونة يعدد بالله على السلطان من جميل الأيادي وعوائد النصر على أعدائه، ويخوفه عاقبة البغي، وفي كل ذلك يعتذر الأمير شيخ، ثم انصرفوا على أن الأمير شيخ لا يقابل السلطان أبدا خوفا من سوء ما اجترمه، وقبيح ما فعله، فأبى السلطان إلا أن ينزل إليه، وأعاد الأمير تغرى بردى وفتح الله فقط، بعدما ألح تغرى بردى على السلطان في سؤاله العفو، فأحلف الأمير شيخ، وأخذ منه الأمير كمشيفا الجمالي وأسنبغا، بعدما خلخع عليهما، وأدلاهما بحبال من سور القلعة، ثم أرخى أيضا ابنه ليعث به إلى السلطان، فصاح الصغير وبكى من شدة خوفه، فرحمه من حضر، وما زالوا به حتى نشله. وتصايح الفريقان من أعلى القلعة، وفي جميع خيم العسكر. فرحا وسرورا بوقوع الصلح. وذلك أن أهل القلعة كانوا قد أشفوا على الأخذ لقلّة زادهم ومائتهم، وخوفا من حجارة المنجنيق، فإنها كانت تدمرهم تدميرا، لو رمى بها عليهم.

وأما العسكر فإنهم كانوا طول إقامتهم يسرحون كل يوم، فينهبون القرى نهبا قبيحا، ويأخذون ما يجذونه من الغلال، والأغنام، وآلات النساء، ويعاقبون من ظفروا به حتى يطلعهم على ما عنده من علف الدواب وغيره، وفيهم من يتعرض للحريم فيأتون من القبائح بما يشنع ذكره، وهذا وهم في خصاصة من العيش، وقل من المأكل. وكادت بركة صرخد أن ينزح ماؤها. ومع ذلك فإن أصحاب السلطان معظمهم غير مناصح له، لا يريدون أن يظفر بالأمير شيخ خشية أن يتفرغ منه لهم. فلهذا حسن موقع الصلح من الطائفتين، وبات العسكر على رحيل، وأصبحوا يوم الأحد، فركب الأمير تغرى بردى، وكاتب السر فتح الله، والأمير جمال الدين، ومعظم الأمراء، فصعدوا إلى قلعة صرخد، وجلسوا على سفير خندقها - وكنت معهم - فخرج الأمير شيخ وجلس بداخل باب القلعة، ووقف من معه على رأسه، ومن فوق السور. وأحلف فتح الله من بقى مع الأمير شيخ من الأمراء للسلطان، وهم جاثم نائب حماة، وقرقماس ابن أخي دمرداش نائب صفد، وتمراز الأعور وأفرج الأمير شيخ عن يحيى بن لاقى وتجار دمشق، وغيرهم ممن كان مسجوناً معه، وبعث للسلطان تقدمة، فيها عدة مماليك، وتقرر الحال على مسير الأمير شيخ نائبا بطرابلس، وأن يلبس التشريف السلطاني إذا رحل السلطان. فلما عادوا إلى السلطان رحل من صرخد، وقد رحل أكثر المماليك من الليل، فسار في قليل من ثقاته، وترك عدة من الأمراء على صرخد،

وأفق فيهم خمسة وعشرين ألف دينار وستين ألف درهم فضة، خارجا عن الغنم والشعير ونزل زرع، فبات بها.

شهر ربيع الآخر، أوله الثلاثاء:

فيه قدم السلطان دمشق قبيل الغروب، وقد جد فى المسير، فنزل بدار السعادة، وأما الأمير شيخ فإنه نزل من قلعة صرخد بعد رحيل السلطان، وليس تشريف نيابة طرابلس، وقبل الأرض على العادة، وعاد إلى القلعة، وجهز ابنه إلى الأمير تغرى بردى، فرحل به من صرخد، ورحل معه سائر من تأخر من الأمراء السلطانية، وقدم الأمير جمال الدين الأستاذار دمشق فى يوم الخميس ثالثه.

وفيه أفرج السلطان عن المسجونين، إلا ابنى الكويز والصفدى.

وفى سادسه: قدم الأمير تغرى بردى والأمير بكتمر جلق وبقية الأمراء.

وفى سابعه: قدم ابن الأمير شيخ - وعمره سبع سنين - فأكرمه السلطان، وخلع عليه، وأعاده إلى أبيه، ومعه خيول وجمال وثياب ومال كبير.

وفيه ولى السلطان بدمشق الشريف جماز بن هبة الله إمرة المدينة النبوية، وشرط عليه عادة ما أخذ من الحاصل وولى أيضا جمال الدين محمد بن عبد الله الكازرونى قضاء المدينة، وبعث لهما توقيعهما وتشريفهما. وأفردت خطابة المسجد النبوى لابن صالح.

وفى ثامنه: أعفى نجم الدين عمر بن حجى من قضاء طرابلس، وكتب بإحضاره.

وفى رابع عشره: توجه قضاة مصر من دمشق، وكثير من الأقال، يريدون القاهرة، فنزلوا بداريا. ثم عاد القضاة من يومهم لعقد ابنة السلطان على الأمير بكتمر جلق نائب الشام.

وفى يوم الخميس سابع عشره: حمل بكتمر المهر وزفته المغانى حتى دخل دار السعادة. ثم عقد العقد بحضرة السلطان والأمراء والقضاة، فتولى السلطان العقد بنفسه، وقبله عن الأمير بكتمر الأمير الكبير تغرى بردى.

وفى يوم الجمعة ثامن عشره: توجه القضاة سائرين إلى مصر.

وفيه أعيد الصدر على بن الآدمى إلى قضاء الحنفية بدمشق. وعزل ابن الكشك.

وصلى السلطان الجمعة بالجامع الأموى، وسار بعساكره، يريد مصر، فنزل الكسوة.

وفيه استقر الأمير نكبای حاجب الحجاب بدمشق، عوضاً عن الهيدبانى.

وفى تاسع عشره: استقر سون الحلب فى نيابة الكرك.

وفى ليلة الأحد: سار السلطان من الكسوة، وقد ولى غرس الدين خليل الأشقتمرى حاجبا بدمشق، ومتحدثاً فى أستادارية السلطان بها، واستولى الأمير بكمتر جلق على دمشق، ونزل بدار السعادة على العادة.

وفى رابع عشرينه: نزل السلطان على الرمله، وسار منها يريد القدس، فقدمها . وبعث الأتقال إلى غزة، فزار، وتصدق بخمسة آلاف دينار وعشرين ألف فضة. وبات ليلة بالقدس. وسار من غده إلى الخليل، فبات به، وتوجه إلى غزة، فدخلها فى سابع عشرينه، وأقام بها.

شهر جمادى الأولى، أوله الأربعاء:

فى ثانيه: شنى السلطان بغزة ثلاثة من مفسدى بلد الخليل، ورحل .

وفى ثالثه: قرئ بدمشق كتاب السلطان بأنه قد ولى الأمير شيخ نيابة طرابلس فإن قصد دمشق فدافعوه عنها وقاتلوه. وكان الأمير شيخ قد قصد دمشق، وكتب إلى الأمير بكمتر جلق بأنه يريد دخول دمشق، ليقضى بها أشغاله ويرحل إلى طرابلس، فكثرت تخيل السلطان من دخوله إليها.

وفيه قدم من حلب إلى دمشق جمال الدين الحسفاوى، ومحب الدين محمد بن الشحقة الحنفى وأخوه، وقد طلبهم السلطان لينكل بهم، من أجل أنهم وافقوا الأمير حكيم على السلطنة، وافتوه بذلك.

وفى سادسه: جمعت قضاة دمشق وقرر عليهم ما فرض على القرى الموقوفة من المغارم، كما فرض على بقية القرى.

وفى يوم الخميس تاسعه: نزل السلطان على غيفا^(١) خارج بلبس، وقبض على الأمير جمال الدين الأستادار، وعلى ابنه الأمير شهاب الدين أحمد وعلى ابنى أخته الأمير شهاب الدين أحمد وحمزة، وعمامة حواشيه وأسبابه، وقيدوا. ومضى بهم الأمير الكبير تغرى بردى إلى القاهرة.

(١) غيفا: قرية قديمة من قرى مصر عرفت بعد فى العصر العثمانى باسم غيته وهى من قرى مركز بلبس بمحافظة الشرقية. انظر الخطط التوفيقية ١٤ / ٦٤ للقاموس الجغرافى ع ٢ / ١٠٢.

وسار السلطان فدخل قلعة الجبل فى يوم السبت حادى عشره، وقد ختم على حواصل جمال الدين ودوره، وأحيط بها. وتقدم فتح الله كاتب السر لحفظ موجوده.

وفى ليلة الجمعة عاشره: نزل الأمير شيخ على شقحب، وكان الأمير بكمتر قد خرج إلى لقاءه بعسكر دمشق. ونزل قبة يلبغا. ثم ركب ليلا يريد كبس الأمير شيخ، فلحق كشفاته عند خان ابن ذى النون، فواقعه. فبلغ ذلك الخبير شيخا، فركب وأتاه. فلم يثبت بكمتر، وانهمز وأتى الأمير شيخ فنزل بمن معه قبة يلبغا. ودخل بكرة يوم الجمعة إلى دمشق، ونزل بدار السعادة من غير ممانع، وقد تلقاه الناس، فاعتذر لهم بأنه لم يقصد سوى النزول فى الميدان خارج دمشق، ليقضى أشغاله، وأنه كتب يستأذن الأمير بكمتر فى ذلك، فأبى ثم خرج وقتله، فانهمز بكمتر وأما بكمتر فإنه توجه نحو صفد، ومعه قريب مائة فارس، وتخلف العسكر عنه بدمشق.

وفى ثالث عشره: ولى الأمير شيخ شهاب الدين أحمد بن الشهيد نظر الجيش بدمشق. وولى شمس الدين محمد التبانى نظر الجامع الأموى، وتغرى برمش - أستاذار - نيابة بعلبك، وأياس الكركى نيابة القدس، ومنكلى بغا كاشف القبلىة والشريف محمد ابن دغا محتسب دمشق.

وفى يوم الثلاثاء رابع عشره: خلع على تاج الدين عبد الرازق بن الهيصم ناظر الإسطبل، وكاتب المماليك. واستقر أستاذار السلطان، عوضا عن الأمير جمال الدين، ولبس زى الأمراء - وهو القباء - وشد بوسطه السيف، وعمل على رأسه كلفتهاه، وخلع على أخيه مجد الدين عبد الغنى بن الهيصم، مستوفى الديوان المفرد، واستقر فى نظر الخاص، وخلع على سعد الدين إبراهيم البشيرى ناظر الدولة، واستقر فى الوزارة. وخلع على تقى الدين عبد الوهاب بن أبى شاكر، واستقر ناظر الديوان المفرد على عادته، وأضيف إليه أستاذارية الأملاك والأوقاف السلطانية، عوضا عن الأمير شهاب الدين أحمد ابن أخت جمال الدين، وخلع على تاج الدين فضل الله بن الرملى، واستقر فى نظر الدولة بمفرده، وخلع على حسام الدين حسين الأحول، واستقر أمير جاندار.

وفيه ركب الأمير شيخ، ومعه عسكر دمشق بأجمعهم، يريدون صفد.

ولم يتأخر بدمشق سوى الأمير تمران نائب السلطنة، والأمير علان.

وفيه كتب الأمير شيخ محضرا بأنه كان متوجها إلى طرابلس، فلما وصل شقحب قصده بكمتر، وأراد أن يركب عليه، ويبدد شمله، فدفع عن نفسه. وشهد له فيه جماعة، وقصد تجهيزه إلى السلطان، فلم يجسر أحد على المضى به، فسار - وهو معه - حتى بلغ إلى المنية قريبا من صفد وجد إمام الصخرة بالقدس، فبعثه به إلى القاهرة.

وفي ثامن عشره: سار سون المحمدى من دمشق ليلحق الأمير شيخ.

وكان الأمير شيخ لما قارب صغد جهز الأمير جانم والأمير قرقماش ابن أخى مرداش، وسودن الجلب، وشاهين الدوادار إلى صغد، فطر قوها على غفلة فنار إليهم أهل القلعة ودفعوهم، فولوا راجعين.

وفي سابع عشرينه: قدم الأمير بكتمر جلق نائب الشام، ومعه الأمير برد بك نائب حماة، والأمير نكبای حاجب دمشق، والأمير الطنبغا العثماني نائب صغد، والأمير يشبك الموساوى الأقمم نائب غزة، فخرج السلطان إلى لقائهم، ودخل من باب النصر، فشق القاهرة، وخرج من باب زويلة، ونزل بدار الأمير طوخ أمير مجلس يعوده فى مرضه. وصعد إلى القلعة.

وفيه خلع على شهاب الدين أحمد بن أوحد، واستقر فى مشيخة خانكاه سرياقوس، عوضا عن شمس الدين محمد القليوبى.

وفيه أحضر الأمير جمال الدين الأستاذار محمولا إلى بين يدى السلطان، لعجزه عن المشى من العقوبة. وكان قد عوقب بالعصر فى رجليه، فأخرج عدة دخائر منها دخيرة فى حادى عشره من حارة زويلة، وجدت مدفونة فى التراب، ذهباً صبيبا من غير وعاء، زنته خمسة وخمسون ألف مثقال، غربلت من التراب، ووزنت بحضرة قضاة القضاة الأربع، ودخيرة أخرى فى غده، وجد فيها تسع قفاف مملوءة ذهباً، وحق فيه نفائس من الجوهر، ودخيرة نائلة أخرجها ابنه أحمد بحضرة القضاة وكتاب السر من منزله، بلغت مائى ألف دينار، واثنين ألف دينار، عنها اثنان وعشرون قنطاراً وخمس قنطار، حضروا بها القضاة وكتاب السر، ثم خيبة أخرى من داره، بلغت ستين ألف دينار. ومن السلاح والقماش وسائر الأصناف شيئاً كثيراً، فكان يحمل منه فى كل يوم عدد كثير من الأحمال ثم عصر فى ثانى عشرينه عصراً شديداً، وعصر ابنه بحضرتة، فاعترف الابن بدخيرة وجد فيها أحد عشر ألف دينار، وثلاثمائة دينار، ولم يعترف جمال الدين بشيء، فأنزل بابنى أخته شهاب الدين أحمد الحاجب وأخيه حمزة إلى بيت الأمير تاج الدين بن الهيصم الأستاذار، فسلما إليه، فعاقب جماعة من أقارب جمال الدين والزامه. فلما مثل جمال الدين بحضرة السلطان عنفه على ما كان منه فاعترف بالخطأ، وسأل العفو، وقبل الأرض، ثم أعاده إلى موضع حبسه من القلعة، وأمر بمعالجته حتى يبرأ.

وفي سابع عشره: أيضا قدم الأمير نوروز من عند التركمان إلى حلب، ومعه

الأمير يشبك بن أزدمر وجماعة. فخرج الأمير دمرداش إلى لقاءه، وبالغ في إكرامه، وأنزله. وقام له ولجن معه بما يليق بهم، وحلفهم للسلطان، وكتب يعلم السلطان بذلك، ويسأله أن يعيد الأمير نوروز إلى نيابة الشام، وأن يولى يشبك بن أزدمر طرابلس، ويولى ابن أخيه تغرى بردى حماة.

شهر جمادى الآخرة، أوله الجمعة:

فيه توجه الأمير مقبل الرومي - أحد أمراء الألوفا إلى دمياط، ليتركب البحر إلى الأمير نوروز، ومعه تشرىف وتقليده نيابة الشام، ومبلغ خمسة عشر ألف دينار. وإنما ركب البحر لتعذر السلوك فى البر إلى الشام.

وفيه وجد لجمال الدين بمدرسته بيت فيه سبعمائة قفة فلوس، فكان مبلغ ما وجد له تسعمائة ألف دينار وأربعة وستين ألف دينار.

وفى ثانيه: قدم إمام الصخرة، ومعه جندى بكتاب الأمير شىخ والمخضر، فغضب السلطان ووسط الجندى، وضرب الإمام ضربا مبرحا، وسجنه بمخزاة شمائل.

وفى رابعه: أنزل بجمال الدين وابنه أحمد من قلعة الجبل على قفصى حمال، إلى بيت ابن الهيصم.

وفيه قدم الأمير شىخ من سفره إلى دمشق، وقد وصل إلى غزة فى طلب الأمير بكتمر، فلم يدركه، فولى فى غزة سودن المحمدى، وفى الرملة جانبك، فقدم الخىر إلى دمشق بأن يشبك ابن أزدمر، وتغرى بردى بن أخى دمرداش، بعنهما نوروز إلى حماة، ففر منها جاتم، وكان قد بعثه الأمير شىخ إليها.

وفى سابعه: قبض السلطان على الأمير بلاط أحد أمراء الألوفا، وعلى الأمير كزل الحاجب، وبعثا مقيد بن إلى الإسكندرية.

وفى ثامنه: بعث الأمير شىخ الأمير قرقماس ابن أخى دمرداش من دمشق على عسكر إلى طرابلس.

وفى تاسعه: أعيد شمس الدين محمد الطزويل إلى حسبة القاهرة، وعزل ابن شعبان، واستقر زين الدين حاجى فى قضاء العسكر وعزل شمس الدين محمد البرقى الحنفى.

وفى حادى عشره: نقل جمال الدين الأستاذار ليلا من بيت ابن الهيصم فى قفص حمال إلى بيت الأمير حسام الدين حسين الأحول، فعاقبه أشد العقوبة لإحن كانت فى

نفسه منه، ثم خنقه من الغد، وقطع رأسه، وحمله إلى السلطان حتى رآه، ثم أعاد الرأس، فدفن مع جثته.

وفيه استقر علاء الدين علي الحلبي قاضي غزة في مشيخة خانكاه بيبرس بالقاهرة، عوضا عن شمس الدين محمد البيرى قاضي حلب و أخى جمال الدين، واستقر نور الدين علي التلوانى فى تدريس الشافعى، عوضا عن أخى جمال الدين.

وفيه أحضر السلطان رجلا يعرف بالشهاب أحمد بن الزعيفرىنى، وقطع يسيرا من لسانه، وبعض عقد أصابع يده، من أجل أنه كتب ملحمة قيل أنها من نظمه، زعم أن الملك يصل إلى جمال الدين وإلى ابنه أحمد.

وفى رابع عشره: خلع على الأمير يلبغا الناصرى، واستقر حاجب الحجاب عوضا عن كزل العجمى.

وفى سابع عشره: قبض سنان نائب قلعة صفد على الأمير الطنبغا العثمانى، لمالاته الأمير شيخ. وقام الأمير علان بناية صفد من قبل الأمير شيخ.

وفيه ولى الأمير شيخ صدر الدين على بن الآدمى نظر الجيش بدمشق، وولى محب الدين محمد بن الشحنة الحلبي قضاء الحنفية بدمشق.

وفى حادى عشرينه: ولى الأمير شيخ الشهاب أحمد بن الحسينى خطابة الجامع الأموى، وعزل الباعونى، ثم أعاده من الغد، وخطب، ثم قسم الخطابة بعد صلاة الجمعة بينه وبين الحسينى. ثم فى عصر يومه ولى الحسينى قضاء الشافعية بدمشق، وعزل الباعونى.

وفى رابع عشرينه: خرج الأمير شيخ من دمشق، يريد حماة.

وفى ثامن عشرينه: وصل الأمير يشبك الموساوى من مصر إلى رفح^(١)، فلقبت كشافته كشافه سودن المحمدى فكسروهم، ففر المحمدى من غزة، ودخلها الموساوى من يومه نائبا بها، بعدما نهب المحمدى شيئا كثيرا من غزة فتبعه يشبك، ومن قدم معه من مصر، وهم الأمير قانبك رأس نوبة، والأمير فخر الدين عبد الغنى بن أبى الفرج^(٢)

(١) رفح: منزل فى طريق مصر بعد الداروم بينه وبين عسقلان يومان للقاصد مصر. انظر معجم

البلدان ٣ / ٥٤.

(٢) عبد الغنى بن عبد الرزق بن أبى الفرج بن نقولا الأرمنى الأصل القبطى الأمير فخر الدين بن

الوزير تاج الدين (٧٨٤ - ٨٢١ هـ = ١٣٨٢ - ١٤١٨ م)، الشهير بابن الفرج. قال المصنف: =

كاشف الشرقية، والأمير حسين بن قطايا وعدة من المماليك السلطانية، فلحق بجهة الكرك، وقدم خير ذلك إلى دمشق، فانزعج الشيخية انزعاجا شديدا.

وفي هذا الشهر: كانت فتنة بين الأمير علان وأهل صفد، هزموه فيها، لما بلغهم من قدوم عسكر السلطان مع الموساوى إلى غزة، فقدم دمشق فى سابعه.

وفيه تقرر الصلح بين الأمير نوروز والأمير شيخ، فدقت البشائر بدمشق عدة أيام.

وفيه قدم شرف الدين يعقوب بن الجلال التبانى الحنفى إلى دمشق، فارا من السلطان فى أوائله.

وفيه سار أبو شوشة صديق التركمان من صفد بطائفة، وكبس حولة^(١) بانياس، ففر من كان بها من جهة الأمير شيخ، ولحقوا بدمشق.

شهر رجب، أوله السبت:

فى سابعه: أعيد ابن شعبان إلى الحسبة، وعزل الطويل، ثم عزل ابن شعبان بشمس الدين محمد بن يعقوب الدمشقى فى ثامن عشره.

= كان جده من جملة نصارى الأرمن وأسلم، وكان أبوه ممن ولى الوزارة والأستادارية، ومولد فخر الدين هذا فى شوال سنة أربع وثمانين وسبعمائة، وعرف الحساب، وكتب الخط الجيد، ولما نقل أبوه من ولاية قطيا إلى الوزارة فى الأيام الظاهرية بقوق ولاه موضعه بقطيا، وحملت إليه الخلعة فى أول يوم جمادى الأولى سنة إحدى وثمانمئة فباشر ولاية قطيا ونظرها مدة وزارة أبيه، ثم صرف عنها وأعيد إليها عدة مرار فى الأيام الناصرية فرج، ثم ولى كشف الشرقية فى سنة ثلاث عشرة وثمانمئة، فوضع السيف فى العرب، وأسرف فى سفك الدماء وأخذ الأموال، وتجاوز عن الحد والمقدار فى الظلم، ثم طلب الزيادة فى الظلم والفساد وبذل للناصر أربعين ألف دينار، فولاه وظيفة الأستادارية، عوضًا عن تاج الدين عبد الرزق بن الهيصم فى يوم الثلاثاء ثالث عشر شهر ربيع الآخرة سنة أربع عشرة وثمانمئة، فوضع يده فى الناس بأخذ أموالهم بغير شبهة من شبهة الظلمة حتى داخل الرعب كل برىء، وكثر الشناعة عليه وساءت القالة فيه، فصرف فى ذى الحجة من السنة، وسر الناس بعزله سرور كثيرًا، وعوقب عقوبة لم تعهد مثلها فى الكثرة حتى أيس منه كل أحد ورق له أعداؤه، وهو فى ذلك يظهر من قوة النفس وشدة الجلد ما لا يوصف، ثم خلى عنه وعاد إلى ولاية قطيا، ثم صرف عنه، وخرج مع الناصر إلى دمشق من غير وظيفة، وشهد واقعه بها فلما قتل الناصر تعلق بجواشى الأمير شيخ وقدم معهم إلى القاهرة وأعيد إلى كشف الوجه البحرى. انظر المنهل الصافى ٧ / ٣١٤ وما بعدها والدليل الشافى ١ / ٤٢٠، النجوم الزاهرة ١٤ / ١٥٢، نزهة النفوس ٢ / ٤٣٢، أنباء الغمر ٣ / ١٨٢ العقد الثمين ٥ / ٤٦٩ الضوء اللامع ٤ / ٢٤٨.

(١) اسم لناحيتين بالشام، والمقصود بالمتن حول التى بين بانياس وصور من أعمال دمشق . انظر

ومن النوادر أن النيل وفي ست عشرة ذراعا، وفتح الخليج في أول يوم من مسرى، وبلغ في الزيادة ما يقارب اثنتين وعشرين ذراعا، وثبت إلى نصف هاتور.

شهر شعبان، أوله الإثنين:

فيه بلغ القمح إلى قريب ثلاثمائة درهم الأردب، والشعير والبول إلى مائتي الأردب، والحمل التبن إلى مائة وعشرين، والرطل اللحم الضأن إلى عشرة دراهم. وفي ثامننه: أعيد كريم الدين الهوى إلى الحسبة، وعزل ابن يعقوب.

وفي هذا الشهر: كانت وقعة بغزة بين يشبك الموساوى، وسودن الحمدي، وعلان نائب صفد، قتل فيها جماعة، وفر الموساوى، ودخل القاهرة فسي أوائله، وجرح علان في وجهه، فحمل إلى الرملة، ومات بها، فبعث الحمدي يسأل الأمير شيخ في نيابة صفد، فولاه في خامس عشره.

وفي سابع عشرينه: قبض على الأحنأى قاضى دمشق، وسجن بدار السعادة وطلب منه عشرة آلاف دينار، وسبب ذلك أنه اتهم بمكاتبة نوروز .

وفي ليلة الأحد حادى عشرينه: قدم الأمير دمرداش إلى حماة نجدة للأمير نوروز، ومعه عسكر حلب وطوائف التراكمين الأوشرية والبياضية، وكردى بن كندر، وعرب الفرات، وبلاد حلب. وكان قد وصل الأمير مقبل الرومى من مصر على ظهر البحر، وسار الأمير نوروز، فوصل إلى حماة في رابعه، ومعه تقليده بنيابة الشام، والتشريف السلطانى. وكتاب السلطان، فلبس التشريف، وقبل الأرض على العادة، وجدد اليمين بالطاعة للسلطان، فقدم عليه في غد قدوم مقبل جماعة ممن فى صحبة الأمير شيخ، منهم تمرغا المشطوب، وتمرز نائب حماة، وسودن الحلب، وجانبك القرمى، ويردبك حاجب حلب فلما بلغ الأمير شيخ قدوم دمرداش نائب حلب ركب وترك وطاقه وأثقاله، وتوجه إلى ناحية العربان، فركب دمرداش بكرة يوم الأحد المذكور، وأخذ الرطاق، فعاد الأمير شيخ وقاتله قتالا شديدا، قتل فيه جماعة، منهم بيازير من إخوة نوروز، وأسر عدة كثيرة، منهم الأمير محمد بن قطبكى أمير الأوشرية، وفارس أمير أخور دمرداش، وأحد طبلجاناه دمرداش، وكسر أعلامهم. ونزل الأمير شيخ على نقرين، ورحل ليلة الإثنين يريد حمص، فقدم الخبر إلى دمشق فى ليلة الخميس بكسرة الأمير شيخ، فعزم من بها من أصحابه على الهرب، واشتغلوا بأنفسهم، ففر الأحنأى من سجنه بدار السعادة، واختفى حتى سار إلى صفد، فقدمها فى ثالث شوال، وكتب يعرف السلطان خبره، ويغريه بالأمير شيخ.

وفى سادس عشرينه: قدم إلى دمشق من وطاق الأمير شيخ شمس الدين محمد بن التبانى، وقد ولاه خطابة الجامع الأموى، فأكبر الناس ذلك، لأنهم لم يعهدوا خطيبه قط إلا شافعيًا. وكتبوا فى هذا إلى الأمير شيخ فأعاد الباعونى إلى الخطابة.

شهر رمضان، أوله الثلاثاء:

فيه أرحف فى دمشق بهجوم سودن المحمدى، فجعلت الستائر على قلعة دمشق، وسبب ذلك أن نوروز كاتبه يستميله إليه، فاستحال على الأمير شيخ، وتوجه إلى دمشق يريد أخذها، وعات فى بلاد صغد، وصادر أهل القرى. ونزل سعسع، فكتب بذلك إلى الأمير شيخ فبعث دوااره حقمق، فقدم فى سادسه باستخراج الأموال من الناس، ففرض على البساتين والقرى مالا جبى منهم. فبينما هو فى ذلك، إذ قدم المحمدى من غده يوم الإثنين سابعه إلى داريا، وزحف حتى وصل إلى المصلى، وضرب خامه، ونادى بالأمان.

وقال: «أنا من جهة السلطان والأمير نوروز نائب الشام»، وحطم يريد القلعة، وقد وقف الأمير أَلطنبغا القرمشى نائب الغيبة بمن معه على باب النصر، فدخل طائفة من أصحاب المحمدى المدينة من باب الصغير، فدخل القرمشى وجماعته من باب النصر، وأغلقوا عليهم. ورمى من بالقلعة على رجالة المحمدى فانهزموا. وبينما الناس فى القتال، إذ قدم من وطاق الأمير شيخ الأمير سودن بقجة، والأمير أبنال المنقار على عسكري، فقاتلوا المحمدى قتالا كثيرا، تقنطر فيه عن فرسه إلى الأرض، فأدركه من معه وأركبوه، وقد تفرق جمعه.

فمر على وجهه ولحق بالأمير نوروز وحلف له وللسلطان وغنم أهل دمشق ما كان معه، وقبضوا على خمسين من أصحابه. فلما انجلت الواقعة، قدم فى الليل شاهين الدوادار من وطاق الأمير شيخ، وجد فى استخراج ما فرض على الناس من الأموال، فنزل بأهل دمشق شدائد.

وفى سادس عشرينه: نودى فى دمشق بالتأهب للخروج مع الأمير سودن بقجة، ليسير إلى صغد، فانه استقر فى نيابتها من جهة الأمير شيخ، وكان قد وصل الأمير شاهين الزردكاش^(١) إلى صغد من قبل السلطان نائبا بها، وولى أيضا جانبك دوادار

(١) شاهين بن عبد الله الزردكاش (٨٤٠ هـ = ١٤٣٠م)، الأمير سيف الدين، نائب طرابلس، كان أحد أمراء الألوفا بالديار المصرية، ثم صار حاجب حجاب دمشق. ثم نقل إلى نيابة حماة، بعد عزل الأمير نكباى واستقره عوضه فى حجوبية دمشق فى جمادى الآخرة سنة إحدى وعشرين =

الحمازوى نيابة غزة، وشاهين الحلبي كاشف الرملة، ووعدهم أن يسيرهم جميعا إلى محل ولاياتهم فى عيد لافطر.

وفى هذا الشهر: كتب الأمير شيخ كتابا إلى السلطان يخادعه فيه، من مضمونه أنه لما عفى السلطان عنه بصرخد امتنع من الحلف الأمير بكنمر جلق، والصلح معه. ثم توجه بعد رحيل السلطان، وصحبته الأمير سودن الأسندمرى متسفره، حتى بلغ عجلون أعاده السلطان ليعود إليه بما يرسم به، فلما تأخر حضوره توجه إلى محل كفالته، فبلغه أن الأمير بكنمر جمع عليه ثم أنه كبسه على شقحب، فكان من أمره ما كان. ثم توجه إلى غزة وجهاز قصاده بمطالعتة، تتضمن صورة ما اتفق، فلم يصل إليه الجواب، وأن ذلك بوساطة من قصده إبعاده عن خاطر السلطان، ثم بلغه أن الأمير نوروز حضر إلى حماه وتطرق إلى حمص وأعمالها، وشن الغارات بها، وأظهر الفساد ونهب، فما وسعه سوى المبادرة إليه ليردعه، وتعب البلاد والعباد مما حل بهم، فلما قربته تحصن بمدينة حماة، فنازله وضايقه، وحاصره مدة، إلى أن حضر إليه الأمير دمرداش نائب حلب بعسكرها، وطوائف التركمان والعرب، وخرج إليه فقاتله وكسره، وقتل منه جماعة. فلما أن أدركه شهر رمضان رفع القتال تعظيما لحرمة، ونزل بمحمص ليصوم بها، فبلغه أن سودان الحمدي كاتب نوروز ووعد أنه يأخذ له دمشق فبادر وجهاز فرقة ليسير بها إليه خوفا على المسلمين، فوافوه وقد قدم بالعشير والتركمان، فكسروه، وأخذوا غالب جماعته، وجميع ما كان معه، ثم أخذ بعد هذه الأخبار يذكر أنه تاب وأتاب، ورجع إلى طاعة السلطان. ثم أخذ يغرى نوروز، وأنه يريد الملك لنفسه، ولا يطيع أبدا، وأنه هو لا يريد إلا الانتماء إلى السلطان فقط، ورغبته فى عمل مصالح العباد والبلاد، وسأل العفو والصفح عنه، فلم يمش هذا على السلطان.

شهر شوال، أوله الخميس:

فى ثالثه: قدم قاضى القضاة شمس الدين محمد الأخنادى إلى صنفد، فارا من الشيخية

=وثمانائة. نقل إلى نيابة طرابلس، بعد موت سودن القاضى. واستقر فى نيابة حماة الأمير أينال النوروزى نائب غزة، واستقر فى نيابة الأمير أركماس الجلباني أحد مقدمى الألوف بالديار المصرية. فاستمر شاهين المذكور فى نيابة طرابلس، إلى أن توفى الملك المويد شيخ، وعزل الأمير ططر عن نيابة طرابلس، بالأمير أركماس الجلباني نائب غزة. واستمر شاهين بطالا، إلى أن مات فى حدود الأربعين وثمانائة وورثه الشهابي أحمد بن على بن أينال، فما أدرى هل شاهين المذكور عتيق والده على، أم عتيق حده أينال الأتابك. انظر المنهل الصافى ٦/ ٢١٢، ٢١٣ والدليل الشافى ١/ ٣٤٢، الضوء اللامع ٣/ ٢٩٥.

بدمشق، فأكرمه الأمير شاهين الزردكاش، وأنزله ثم بعث الأحنأى كتباً يخبر فيه السلطان بما جرى له، ويغريه بالأمير شيخ، وأنه خارج عن طاعته، ويحثه فيه على سرعة الحركة إلى الشام.

فى ثامننه: خرج من دمشق عسكر، عليه شاهين الدوادار، وخرج من غده عسكر آخر عليه الأمير سودن بقجة، والأمير الطنبغا القرمشى الحاجب، فساروا إلى سعسع وأقاموا بها، وقد جمع الأمير شاهين نائب صفد العشير، واستعد لهم، وكان تغرى برمى نائب بعلبك قد جمع منها أموالاً جزيلة، بأنواع الظلم على عادته، ثم فر بها، وقدم صفد مفارقاً للأمير شيخ، ثم سار إلى السلطان.

وفى يوم السبت عاشره: ركب السلطان من قلعة الجبل وعدى النيل إلى بر الجزيرة، ونزل بناحية أوسيم^(١) عند مرابط خيوله على البرسيم الخضري ليتصيد ويتنزه.

وفى ثالث عشره: أعاد السلطان ابن شعبان إلى الحسبة وعزل الهوى؛ ثم عدى النيل فى يوم الخميس ثالث عشرينه، وركب يريد القلعة، حتى وصل قريباً من قناطر السباع عند الميدان، أمر بالقبض على الأمير قردم الخازندار، والأمير أينال المحمدى الساقى^(٢)، فقبض فى الطريق على قردم.

(١) أوسيم: من أعمال مركز إمبابة، فى الضفة الغربية من النيل دون الجزيرة. انظر القاموس الجغرافى ج ٣ ق ٢ / ٥٧.

(٢) أينال بن عبد الله المحمدى الظاهرى الساقى (٨٣١ هـ = ١٤٢٧ م)، الأمير سيف الدين، المعروف بأينال ضُضَغ - يعنى شفت - أصله من المالك الظاهرية برقوق الخواص، وصار ساقياً فى أيام أستاذه الظاهر برقوق، ثم صار فى الدولة الناصرية فرج أمير مائة ومقدم ألف بالديار المصرية، ثم رأس نوبة النوب بعد موت الأمير بشباى فى سنة إحدى عشرة وثمانمائة فى جمادى الآخرة، فدام على ذلك مدة «ثم نقل» إلى إمرة سلاح، فاستمر على ذلك إلى يوم الخميس ثالث عشرين شوال اثنتى عشرة وثمانمائة عدى السلطان الملك الناصر فرج النيل عائداً إلى القلعة حتى وصل إلى قريب قناطر السباع عند الميدان. وكان أينال هذا أمام السلطان، «فرسم السلطان» فى الموضع المذكور وهو شائر بالقبض على الأمير قردم الخازندار، فقبض عليه «ثم بالقبض على» أينال هذا. فلما سمع أينال ضُضَغ المذكور ذلك شهر سيفه وساق فرسه ومضى، فلم يلحقه غير الأمير قجق، وضربه على يده بالسيف ضربة جرحت أينال جرحاً بالغاً، وفاته، فلم يقدر عليه، واختفى من الناصر أياماً، إلى أن غمز عليه، فأمسك فى بعض حارات القاهرة، فى عاشر شهر ذى القعدة من السنة، فحمل من وقته وحبس عند الأمير قردم بنصر الإسكندرية مدة، ثم أفرج عنه وصار بطالا بالقاهرة إلى أن تجرد الناصر فى سنة أربعة عشر وثمانمائة، أراد القبض عليه ثانياً، فأحس بذلك واختفى، وخرج إلى البلاد الشامية ولحق بالأمير شيخ ونوروز، ثم صار من حزب نوروز بعد قتل الملك الناصر. ودام عنده بدمشق إلى أن خرج =

وأما أبنال فإنه شهر سيفه، وساق فرسه، ومضى فلم يلحقه غير الأمير فحقق أدركه وضربه على يده ضربة جرحه جرحا بالغاً، وفاته، فلم يقدر عليه، وصعد السلطان إلى القلعة سالماً. وسبب ذلك أنه بلغه عنهما أنهما يريدان إثارة فتنة. وقام بعض المماليك فحاققهما أنهما يكتبان الأمير شيخ، فنودى على الأمير أبنال بالقاهرة، عدة أيام، فلم يعرف خيراً. وحمل قردم إلى الإسكندرية، فسجن بها، ورتب له فى كل يوم مبلغ خمسمائة درهم من الفلوس. ولم يؤخذ له خيل ولا قماش، ولا غير ذلك .

وفى ثالث عشره: نزل على صفد عسكر دمشق، وفيه شاهين الداوار، وقرقماش ابن أخى دمرداش وسودن بقجة، وألطنبغا القرمشى، وخلييل الجشارى، وحسن بن قاسم بن متيرك مقدم عرب حارثة، وأبو بكر بن مشاق شيخ جبل نابلس، فى جمع كثير من العشير والتركمان، فخرج إليهم الأمير شاهين وقتلهم يومه، وبتوا متحاربين، وعدوا على حربهم، فاقتتلوا يومهم بطوله قتالا شديداً، جرح فيهم شاهين بوجهه ويده، وكاد يؤخذ لولا أنه فر، فتبعه قرقماش وبقية العسكر، وقد جرح أكثرهم، ونهب لهم شىء كثير، وقتل بين الفريقين جماعة، وأسر من أهل صفد أسندمر كاشف الرملة، فنزل الشيخية قريباً من صفد، ومنعوا الميرة أن تصل إليها، وبعثوا بأسندمر إلى الأمير شيخ، وسألوه فى نجدة، فعين لهم أقيردى المنقار بمائة وخمسين فارساً، وأردفه ببشيك الأيتمشى، وبنائب بعلبك.

وفى خامس عشره: قدم إلى صفد الأمير يشبك الموساوى نائب غزة من قبل السلطان. وقدم أيضاً سودن اليوسفى، وبرد بك من أصحاب نوروز.

ثم سار قرقماش ابن أخى دمرداش عن صفد، وقدم على الأمير شيخ بمحمص، فسيره إلى دمشق، فقدمها فى ثانى عشرينه، ومعه مائة فارس لتجهيز الآلات لقتال صفد، وقد حصنت قلعة دمشق، ونصب عليها المنجنيق خوفاً من قدوم الأمير نوروز إليها.

وفيه قدم أيضاً إلى دمشق ناصر الدين محمد بن خطيب نقيرين، وقد ولاه الأمير شيخ قضاءها. وعزل الشهاب الحسينانى.

=نوروز عن طاعة الملك المويد. وكان أبنال هذا من جملة الأمراء الذين مع نوروز إلى أن ظفر شيخ بنوروز ومن معه. حبس أبنال هذا أيضاً بقلعة حلب مدة، ثم أطلقه، فتوجه إلى بلاد الجاركس، ثم قدم إلى القاهرة بعده ممالك على قاعدة تجار المماليك، فاشترهم المويد منه، ثم عاد ثانياً، وحلب أخرى كالأول، واستمر بالقاهرة بطالا إلى أن مات فى تاسع عشرين شهر رمضان سنة إحدى وثلاثين وثمانمائة. وكان أميراً شجاعاً، مقداماً، مهياً، عارفاً بفنون الفروسية، باشر تعليم الحمل فى الدولة الناصرية فرج لما كان رأس نوبة النوب سنين. انظر المنهل الصافى ٣/ ٢٠٣ وما بعدها.

وقدم شرف الدين يعقوب بن التبانى وقد ولاه أيضا مشيخة السميساطية^(١)، وعزل الباعونى عنها

وفى خامس عشرينه: ركب الشيخية بأجمعهم على صفد، وقد أتاهم من العشران وغيرهم طوائف، فافترقوا عن المدينة ثلاث فرق، وزحفوا عدة زحوف، فكان قتالا شديدا من بكرة النهار إلى الظهر؛ فانكسر قرقماس، وجرح، وقتل عدة من أصحابه، فانهزم البقية، وتبعهم الصفديون، ونهبوا وطاقهم، وعدة دواب لهم وخرج من الغد الأمير برد بك السيفى نوروز من صفد بعسكر إلى حولة بانياس^(٢)، ومعه الأمير مهنا ابن الغزاوى بقومه، وقد أبلى فى أمه على صفد بلاء كثيرا، وقتل ولده الأكبر، وعورت عين ابنه الآخر، واصيبت رجل ابنه الثالث. وتوجه معه أيضا فضل بن غنام بن زامل من آل مهنا. وكانت له أيضا فى الوقعة آثار مشهورة.

وتوجه أيضا محمد بن هيازع، فعاثوا فى تلك النواحي.

وفيه سار يشبك الموساوى من صفد عائدا إلى غزة، وعاد أولاد ابن بشارة أيضا بعشيرهم إلى بلدانهم، فكانت وقعة صفد هذه من الحروب المذكورة، قل من سلم فيها من عسكر صفد، فكانوا بين قتيل وجريح، وتلفت خيول كثيرة، وأقام الشيخية بأراضى الحول هوم بأسوأ حال، فاشتد الأمر بدمشق، وطلب سودن بقجة نائب شيخ من تجارها وأعيانها الأموال والخيول، وجبى من الجناد ومن الطواحين عدة خيول، واستجد بها عسكرا. هذا والأمير شيخ بجمص، حاصر الأمير نوروز بحماة.

وفيه قدم على الأمير شيخ كتاب قرا يوسف، بأنه قد ملك عراق العجم وديار بكر وماردين، وأنه سلطان ابنه محمد شاه، ونزل فى الموصل^(٣)، وقصده الحضور إلى الشام بجدة له لاستمراره على ما بينه وبينه من العهود والمودة.

فجمع الأمير شيخ الأمراء واستشارهم، فما منهم إلا من أشار بحضور قرا يوسف إلا الأمير تمرزى الناصرى نائب السلطنة، فإنه أنكر ذلك وخوفهم عاقبة قدومه، وأشار

(١) سميساط: وهى مدينة على شاطئ الفرات فى طرف بلاد الروم على غربى الفرات ولها قلعة فى شق منها يسكنها الأرمن. انظر معجم البلدان ٣/ ٢٥٨.

(٢) سبق ترجمتها.

(٣) الموصل: المدينة المشهورة العظيمة إحدى قواعد بلاد الإسلام قليلة النظير كبرا وعظما وكثرة خلق وسعة رقعة فهى محط حال الركبان ومنها يقصد إلى جميع البلدان فى باب العراق ومفتاح خراسان ومنها يقصد إلى أذربيجان. انظر معجم البلدان ٥/ ٢٢٣

بتأخير جوابه حتى يعلم السلطان بذلك، ويراجع فى أمر الأمير شيخ ومن معه، ثم يعمل بمقتضى جوابه عن ذلك، فوافقوه على هذا، وكتبوا إلى السلطان يخوفوه من قدوم قرا يوسف إلى بلاد الشام أن يتطرق منها إلى مصر، وسألوه حسن النظر للأمرء، بما فيه مصلحة العباد والبلاد.

وفى سابع عشرينه: استقر شمس الدين محمد بن على بن معبد المدنى فى قضاء القضاة المالكية بديار مصر، وعزل جمال الدين يوسف البساطى.

وفيه أنعم على سودن الأشقر^(١) رأس نوبة بتقدمة ألف بديار مصر.

شهر ذى القعدة، أوله السبت:

فيه سارت نجدة من دمشق إلى من فى الحولة من الشيخية، فمضوا إلى بيسان وكبسوا محمد بن هياز أمير عرب بنى مهدى فى خامه، وأخذوا ما كان معه، وتوجهوا إلى صفد، فكانت بينهم وبين الأمير شاهين وقعة جرح فيها جماعة.

وفى عاشره: قبض على الأمير أينال المحمدى الساقى أمير سلاح فى بعض حارات القاهرة، فأخرج إلى الإسكندرية فى يومه.

وفيه استقر أقم أحد المماليك الظاهرية فى ولاية القاهرة، وعزل ابن الطبلاوى. واستقر حسام الدين حسين الأحول أمير جاندار فى شد الدواوين، وعزل آدم اليريدى، وكان ظالما فاجرا، وقبض عليه، وعوقب.

(١) سودن الأشقر بن عبد الظاهرى (٨٢٧ هـ = ١٤٢٤ م)، الأمير سيف الدين المعروف بسودون الأشقر. هو أيضا من المماليك الظاهرية برفوق، ومن ترقى فى الدولة الناصرية فرج حتى صار أمير مائة وتقدم ألف بالديار المصرية، وشاد الشراب خاناه، ثم عزل عن وظيفته بالأمير أسنبغا الزردكاش، واستمر على إقطاعه إلى أن خلع عليه الأتابك شيخ المحمودى نظام مملكة المستعين با الله العباس فى سنة خمس عشرة وثمانمائة باستقراره رأس نوبة النوب، عوضا عن سنقر الرومى بعد قتله، واستمر على ذلك إلى يوم الخميس ثانى عشر جمادى الأولى سنة ست عشرة وثمانمائة خلع عليه الملك المويد شيخ باستقراره أمير مجالس، واستقر عوضه رأس نوبة النوب الأمير جانبك الصوفى، ثم قبض عليه المويد فى يوم السبت حادى عشرينه، وعلى الأمير كمشغبا العيساوى أمير شكار، وتوجه بهما إلى سجن الإسكندرية الأمير برسباى الدقماقى أحد أمراء العشرات واستقر عوضه أمير أينال الصصلاتى. ثم إن الملك الأشرف أنعم على سودون هذا بإمرة مائة وتقدمة ألف بدمشق، وأنعم بإقطاع سودون الطبلخانات، فإنها كانت أولا إمرة طبلخاناه وقسمت بين كزل وسودون المذكور، وهى قرية الميمون بالوجه القبلى، واستمر سودون الأشقر بدمشق إلى أن توفى بها فى سنة سبع وعشرين وثمانمائة. انظر المنهل الصافى ٦/ ١٤٧ ومل بعدها وإنباء الغمر ٣/ ٣٣٥ الضوء اللامع ٢٨٢/٢.

وفى آخره: أضيفت ولاية القاهرة إلى الحسام حسين الأحول.

شهر ذى الحجة، أوله الأحد:

فى ثانيه: قدم كتاب الأمير شيخ من الوطاق إلى دمشق، بأن الشيخ أبا بكر بن تبع وصل إليه رسولا من رسول الله - ﷺ - عن منام رآه شخص، فيه أن النبى - ﷺ - يقول له: « قل لشيخ إن لم يرجع عما هو فيه وإلا هلك ومن معه ». فقال: « يا رسول الله أخاف ألا يصدقنى ».

فقال: « قل لابن تبع يذهب إليه ». فقال « ما يصدقه ». فذكر له علامة من تحويط نفسه عند النوم بذكر ذكره. فتوجه هو وابن تبع إليه فقص عليه المنام، فصدق العلامة، وكتب إلى دمشق برفع المظالم، وأنه قد رجع وأتاب إلى الله تعالى، وسأل الدعاء له بالتوفيق والسداد. فقرأ الكتاب فى الجامع الأموى بحضرة القضاة والأعيان والعامه. ونادى الأمير سودن بقجة نائب الغيبة برفع المظالم، فلم يرفع شىء منها، بل قدم تاج الدين محمد بن الشهاب أحمد الحسبانى من الوطاق بمحص إلى دمشق، وقد ولاه الأمير شيخ حسبة دمشق ووكالة بيت المال وقضاء العسكر، وإفتاء دار العدل، على أن يقوم له بألف دينار، كتب بها خطه، حتى ييها من وجوه المظالم. وقدم أيضا الطواشى مرجان الهندى الخازندار بالكشف عن أوقاف الصدقات ومحاسبة المباشرين عليها.

وفى سادسه: سار من دمشق شاهين الدوادار على عسكر، وسار جقمق الدوادار من الغد إلى البقاع.

وفى ليلة الإثنين تاسعة: قتل سنان نائب قلعة صفد، بحيلة دبرت عليه.

وأما الأميران شيخ ونوروز، فانه لما كان فى أول هذا الشهر اجتمع على الأمير شيخ جمع كبير من عسكره، ومن طائفة التركمان البازية والأشورية، والكبيكية، والذكورية، والأسقية، والبزقية. وقدم عليه الأمير شهاب الدين أحمد بن رمضان، ونزل العمق، فسار الأمير شيخ من حمص إلى وادى الخزاندار، واجتمع بأمر الملا العجل بن نعيم وأخذه معه، وقد قدم بيوته وبوشه^(١)، ونزل بظاهر حماة فى يوم الخميس ثانى عشره، وخيم بظاهرها. هذا وقد اجتمع عند الأمير نوروز ودمرداش بحماة طائفة التركمان الأوشرية والبياضية، وقدم على ابن دلغادر، ونزل قريبا من العمق بيوته، فاقتتل أصحاب شيخ ونوروز قتالا يسيرا، وأصبح الأمير شيخ فى يوم الجمعة على ألا يقاتل،

(١) البوش والبوش الجماعة المختلطة أو لا يكون إلا من قبائل شتى أو الكثرة من الناس ومنه بوش بائس. محيط المحيط (بوش).

فما أحس وقت صلاة الجمعة، إلا ونوروز قد خرج من مدينة حماة - هو ودمرداش بعساكرهما، فركب حينئذ وابتلوا إلى قريب العصر فخامر على نوروز طائفة التركمان الأوشرية، فانهزم وعبر المدينة - هو ودمرداش - وقد أخذ الأمير شيخ سودن الجلب وجان بك القرمي وشاهين الأياسى وسودن أمير أخور، ونوروز، وبيازير، وجماعة. وغرق بوزجا أمير التركمان البياضية في نهر العاصي، وغرق أسطاي أخو يونس، وجماعة كثيرة، وتسحب منهم جماعة، وغنم الأمير شيخ نحو ألف فرس. وتفرق أكثر التركمان والعربان عن نوروز، ولحق بالأمير شيخ منهم جماعات. ونزل بالميدان خارج حماة ومعه العجل، وأقاما يومى السبت والأحد بغير قتال، فلما كان ليلة الإثنين صلح تمريغا المشطوب وسودن المحمدى وتمراز نائب حماة، وكبسوا العجل ليلا، فاقتلوا إلى قريب الفجر واخذوا مواشى كثيرة، فركب الأمير شيخ بجدة للعجل، فخرج نوروز ونهب وطاقه وعاد إلى حماة، فنزل الأمير شيخ بكرة يوم الإثنين قريبا من شيزر، ونزل العجل بطرف البر، وقد كملت مدة الحرب سبعة أشهر. وكتب الأمير شيخ إلى دمشق بكسرة نوروز، فدقت البشائر بها وزينت. وكتب دمرdash إلى السلطان يطلب منه بجدة، ويحثه على سرعة المسير إلى الشام، ويخوفه عاقبة تأخره لخروج البلاد من يده.

وفي تاسع عشره: وصلت كشافة برد بك السيفى إلى عقبة شحورا^(١) ظاهر دمشق، ونزل هو بشقحب، وتأهب أهل قلعة دمشق لحربه.

وفي عشرينه: وصل إلى دمشق الأمراء المأخوذون من أصحاب نوروز، وهم سودن الجلب، وكشكنا، وجان بك القرمي، ونحو خمسين مملوكا، ما بين ماش وراكب حمار، فسجنوا بقلعة دمشق.

وفيه خرج عسكر من دمشق مع سودن بقجة وألطنبغا القرمشى، فاقتلوا مع برد بك، فانكسر جاليش بقجة، فركب ومال على تركمان برد بك وكسرهم، وحمل بمن معه على برد بك هزمه على خان ابن ذى النون، فمر إلى صفد، ونهب ما كان معه، ومضى سودن بقجة وألطنبغا القرمشى، والأجروود نائب بعلبك وأينال المنقار يجمع كبير من العشير والتركمان والعرب يريدون غزة، فاشتد الأمر على نوروز من طول الحصار، ومنع الميرة، وفرار أكثر التركمان عنه، بحيث لم يبق عنده غير كردى باك، وابن دلغادر، وانضم ابن رمضان وابن صاحب الباز إلى الأمير شيخ. وأخذت له أنطاكية، فكثر جمعه، وجهز شاهين الدوادار، وأيدغمش من كبك، إلى حلب، ولم يبق بيد السلطان

(١) عقبة الشحورة: هي عقبة لطيفة تقع بين الكسوة ودمشق. انظر تقويم البلدان ص ٢٥٣.

من البلاد الشامية غير غزة وصفد، ومعه بردبك السيفى، ونوروز بحماسة وهو محصور، فلما تزايد الضيق على نوروز ودمرداش، استدعيا أعيان مدينة حماة.

وما زالا بهم حتى كتبوا إلى العجل بن نعيم بأن نوروز فر من حماة، ولم يبق بها إلا دمرداش، وسألوه أن يأخذ لهم الأمان من الأمير شيخ، فمشى ذلك على العجل، وركب إلى الأمير شيخ، وأعلمه بذلك، فبعث فرقة من مماليكه ومن عرب العجل بسلا لم تسوروا منها على السور، وتركوا خيولهم بباب الجسر، ونزلوا المدينة، فأخرج النوروزية خيولهم وركبوا عليهم وقتلوهم جميعا، إلا رجلين من أمراء العجل، وعلقوا الرؤوس على السور، وألزم أمير العجل حتى كتب إليه بأن الصلح قد انعقد بين نوروز وشيخ على أن يمسك نوروز دمرداش يسلمه لشيخ، ويمسك شيخ يسلمه لنوروز، فلم يكذب العجل ذلك، وركب لوقته وسار يريد البر، فركب الأمير شيخ فى إثره ليرده، فخرج نوروز ودمرداش بمن معهما، ونهبوا وطاقه وخيله، فبلغه ذلك، فعاد إلى حمص، ثم سار عنها إلى القريتين وكتب إلى سودن بقحة أن يبعث الأمراء النوروزية والمماليك إلى قلعة المرقب، وكتب يطلب الصلح من نوروز فأبى عليه، وخرجت السنة وهم على ذلك، والسلطان متحرك للسفر إليهما.

* * *

ومات فى هذه السنة ممن له ذكر جماعة منهم

نصر الله بن أحمد بن محمد بن عمر التستري^(١) البغدادى مدرس المدرسة الظاهرية برقوق للحنابلة، فى حادى عشرين صفر. ومولده ببغداد فى حدود الثلاثين وسبعمائة، وله مصنفات ونظم ونثر.

ومات الأمير جمال الدين يوسف بن أحمد بن محمد بن أحمد بن جعفر بن قاسم البيرى الحلبي. قتل فى ليلة الثلاثاء حادى عشر جمادى الآخرة، بعدما حكم إقليمى مصر والشام، ولم يفته من السلطنة إلا الاسم، وقد بسطت ترجمته فى التاريخ الكبير المقفى، وفى كتاب درر العقود الفريدة فى تراجم الأعيان المفيدة - هو وكل من له وفاة فى هذا الجزء، ويستحق بها أن يذكر، إما بشهرته أو بفضيلته.

ومات الأمير آقبای الكبير الطرنطای^(٢) رأس نوبة الأمراء، فى ليلة الأربعاء سابع

(١) نسبة إلى. تستر، وهى أعظم مدينة بخوزستان اليوم، وهو تعريب مشوشتر. انظر معجم

البلدان ٢/ ٢٩.

(٢) (٨١٢ هـ = ١٤٠٩ م). آقبای بن عبد الله من حسين شاه الطرنطای الظاهرى، الأمير =

عشرين جمادى الآخرة، ونزل السلطان إلى داره، ثم تقدم راكباً إلى المصلى فصلى عليه، وشهد دفنه. وترك من العين أربعين ألف دينار مصرية واثنى عشر ألف دينار مشخصة، ومن الغلال والخيول والجمال وغير ذلك شيئاً كثيراً، فأخذ السلطان الجميع، ولم يترك لأولاده شيئاً، وكان عسوفاً، شرها في جمع المال، بخيلاً.

ومات الأمير طوخ الخازن دار^(١)، في آخر جمادى الآخرة.

ومات الأمير بلاط، أحد المقدمين، مقتولاً بين الأسكندرية ودمياط.

ومات شمس الدين محمد بن عبد الله، أبى بكر القليوبى، شيخ خانكاه سرياقوس،

=سيف الدين المعروف بالحاجب. هو من ممالك الملك الظاهر بقوق ومن خواصه، وأعيان دولته و خاصكيتته، ثم أنعم عليه بإمرة عشرة، ثم نقله بعد مسك الأمير على باى إلى إمرة طبلخاناه، و مات الملك الظاهر بقوق فى سنة إحدى وثمانمائة، وتسطن من بعده ولده الملك الناصر فرج، صار أقبأى هذا أمير مائة ومقدم ألف بالديار المصرية بعد الأمير ثربغا المنحكى، واستمر على ذلك إى أن كانت واقعة الأمير الكبير أيتمش الجاسى، وخروجه عن الطاعة، وتوجهه إلى البلاد الشامية. من معه من الأمراء، وكان من جملةهم الأمير فارس الحاجب، فخلع على أقبأى هذا بحجوية الحاجب من بعده فى شهر ربيع الآخر سنة اثنتين وثمانمائة، فدام فى الحجوية مدة سنتين إلى أن نقله الملك الناصر فرج إلى إمرة سلاح، ثم صار بعد مدة رأس نوبة الأمراء، وهذه الوظيفة مفقودة الآن، واستقر من بعده أمير سلاح الأمير سودون الطيار، واستقر أمير مجلس بعد سودون الطيار الأمير يلبغا الناصرى، فلم تطل أيام الأمير أقبأى و مات فى ليلة الأربعاء سابع عشرين جمادى الآخرة اثنتى عشرة وثمانمائة. قال المقرئى: ونزل الملك الناصر إلى داره، ثم تقدم راكباً إلى المصلى فصلى عليه، وشهد دفنه، وترك من العين أربعين ألف دينار مصرية واثنى عشر ألف دينار مشخصة، وغير ذلك شيئاً كثيراً، فأخذ السلطان الجميع، وكان شرها فى جمع المال بخيلاً. انتهى. كلام المقرئى. قلت: كان مشهوراً بالدين والخير إلا أنه كان قال المقرئى فى البخل وجمع المال، وخلف عدة أملاك من جملة ما حصل والرابع بالبندقين وغيرهما، عفا الله عنه. وله أيضاً ترجمة فى: الدليل الشافى جـ ١ ص ١٣٦ رقم ٤٧٧، النجوم الزاهرة جـ ١٣ ص ١٣٦ رقم ٤٧٧ ص ١٧٦، نزهة النفوس جـ ٢ ص ٢٦٠ ترجمة ٤٧٣، الضوء اللامع جـ ٢ ص ٣١٣ ترجمة ٩٩٣.

(١) (٨١٢ هـ = ١٤٠٩ م) طوخ هو من ممالك الملك الظاهرى بقوق، ومن ترقى فى الدولة الناصرية فرج بن بقوق حتى صار أمير مائة ومقدم ألف بالديار المصرية، ثم ولاه الملك الناصر فوج خازن دار كبيراً، وصار له أمر فى الدولة، واستمر على ذلك إلى أن توفى بالقاهرة فى آخر جمادى الآخرة سنة ثنتى عشرة وثمانمائة. وكان أميراً ضخمًا، رحمه الله، وطوخ بطاء مهملة مضمومة وبعدها واو وخاء معجمة ساكنة، وكانت العامة تسميه: طوق بالقاف، وهذا أيضاً من تحريف أولاد العرب وتلاعبهم بالأسماء العجمية. انتهى. وله أيضاً ترجمة فى: الدليل الشافى جـ ١ ص ٣٧٠ رقم ١٢٧١، النجوم الزاهرة جـ ١٣ ص ١٧٦، نزهة النفوس جـ ٢ ص ٢٦١ رقم ٤٧٤، الضوء اللامع جـ ٤ ص ١٠ رقم ٣٤.

بها فى يوم الخميس ثانى عشرين جمادى الأولى، وكان من فضلاء الشافعية، متواضعا، ديناً.

وقتل الأمير الشريف جماز بن هبة الله بن جماز بن منصور الحسينى^(١)، أمير المدينة النبوية، فى جمادى الآخرة، بالفلاة، وهو فى عشر الستين.

وولى إمارة المدينة ثلاث مرات، آخرها فى سنة خمس وثمانائة، واستمر إلى صفر سنة إحدى عشرة، وما خرج حتى نهب ما فى القبة من حاصل الحرم النبوى.

ومات الشريف أحمد بن ثقبه بن رميثة بن أبى نعى الحسينى^(٢) بمكة، فى المحرم، وقد أناف على الستين، وكان الشريف عنان بن مغامس فى ولايته الأولى على مكة أشركه معه فى ولايتها وهو مكحول، وكان ابن أخته الشريف محمد بن أحمد بن عجلان، وكبيش بن عجلان قد خافا منه، فكحلاه، وقتل ابن أخته بعد ثلاثة أشهر، وكبيش بعد ستة أشهر من كحله.

ومات محمد بن أميرزه، الشيخ عمر بن الطاغية تيمور لىك، فى المحرم، مقتولا، على

(١) جماز بن هبة (٨١٢ = ١٤٠٩ م). جماز بن هبة بن جماز بن منصور الحسينى: أحد من تولوا إمارة المدينة المنورة فى عهد ولاية السلطان برقوق بمصر. جاءته المراسيم منه وساءت سيرته فامتدت يده إلى قبة الحرام النبوى وأخذ بعض قناديلها واستولى على حاصل المدينة ورحل عنها. فاغتاله بعض عربان مطير، فكان عبرة للناس. قتلوه وهو نائم. انظر رسائل تاريخ المدينة، الأعلام ١٣٣/٢.

(٢) (٨١٢ هـ = ١٤٠٩ م). أحمد بن ثقبه بن رميثة، واسم رميثة منجد، بن أبى نعى «محمد» بن أبى سعد حسن بن على بن قتادة، الشريف شهاب الدين الحسينى المكى، أمير مكة. وليها شريكا لعنان بن مغامس فى ولايته «الأولى» بتفويض من عنان المذكور إليه ليستظهر به على آل عجلان المنازعين له فى ذلك. وكان الخطيب بمكة يذكره فى الخطبة مع ابن مغامس، ومع هذا كله كان ضريراً؛ لأن عمه أحمد بن عجلان اعتقله مع ابنه على وأخيه حسن بن ثقبه وابن عمهم عنان ومحمد بن عجلان فى أول سبع وثمانين وسعمائة، ولما كحل المذكور أصاب المرود ظاهر إحدى عينيه فلم تذهب، وأصاب المرود خوف الأخرى فأذهبها، فلما كحل ابنه على بعده صاح، فنهل أبوه هذا لصياحه، وفتح عينيه لينظر إليه، وقال: وولداه، ففطن له بعض من حضر، وأشار بكحله ثانياً، فكحل، ولم يكن ذنب يوجب اعتقال أحمد بن عجلان له؛ لأنه كان مظهراً لطاعته غير موافق لأخيه حسن وعنان فى مشاققتهم لأحمد بن عجلان، لكن كان ذلك مقدار عليه. وكان أحمد بن ثقبه من أجل بنى حسن وأسعدهم وأكثرهم خيلاً وسلاحاً. توفى فى آخر الحرم سنة إثنى عشرة وثمانائة بمكة، ودفن بالمعلاة، وقد قارب السبعين، وخلف أربعة ذكور وبعض بنات، رحمه الله. وثقبه بفتح التاء المثلثة وبعدها قاف مفتوحة كذلك وباء موحدة من تحت وهاء، والله أعلم. وله أيضاً ترجمة فى: الدليل الشافى جـ ١ ص ٤٢ رقم ١٣٤، النجوم الزاهرة جـ ١٣ ص ١٧٧، أنباء الفجر جـ ٢ ص ٤٣٦، العقد الثمين جـ ٣ ص ٢٢ رقم ٥٢٧، الضوء اللامع جـ ١ ص ٢٦٦.

السلوك لمعرفة دول الملوك ٢٥٥
يد بعض خواصه، وكان مشكور السيرة، وقام من بعده بمملكة جفطاي أخوه اسكندر
شاه بن أمير زه شيخ عمر بن تيمورلنك.

* * *

سنة ثلاث عشرة وثمانمائة

أهلت والخليفة المستعين بالله أبو الفضل العباسي بن محمد، والسلطان الملك الناصر فرج بن برقوق، ونائب الشام الأمير نوروز، ولم يتمكن من المباشرة بل هو محصور بحماة، والأمير شيخ وجماعته يحيطون به، ونائب حلب الأمير دمرداش، وهو بحماة مع نوروز، وعنده أيضا نائبي حماة وطرابلس، ونائب صفد الأمير شاهين الزردكاش، ونائب غزة الأمير يشبك الموساوي الأقم.

والذهب في القاهرة بمائة وثمانين المثقال، ومائة وستين الدينار المشخص، والأردب القمح بمائتي درهم، وقد هافت الزروع، إلا قليلا، بسبب ريح هبت، سيما الشعير فإنه كاد يهيف كله، والفلوس كل رطل منها بستة دراهم، تسمية لا معنى لها، والفضة إن وجدت فكل درهم نقرة خالص باثني عشر درهما ثمن الفلوس التي زنتها رطلان. وكللى درهم كاملي بستة وسبعة دراهم من الفلوس.

شهر المحرم، أوله الثلاثاء:

في ثالثه: قدم الأمير شاهين، دوادار الأمير شيخ، إلى حلب، على عسكر، فقاتله أهلها من أعلى السور، فلم يزل حتى أصعد جماعة من عسكره فوق السور بسلاط قد أحضرها معه، فأخذوا له المدينة في خامسه، وامتنع من كان يقاتله بالقلعة.

وفي عاشره: خلع السلطان على الأمير قراجا شاد الشراب خاناه، وجعله دوادارا كبيرا، عوضا عن الأمير قجاجق بعد موته، وخلع على سودن الأشقر، واستقر شاد الشراب خاناه.

وفيه كانت وليمة الأمير بكمتر جلق، وزفت عليه ابنة السلطان ليلا، فبنى عليها ليلة الجمعة حادي عشره.

وفي ليلة السبت ثاني عشره: أخرج من قلعة دمشق سودن الجلب، ومن معه من المسجونين، وتوجه بهم الأمير أطنبغا القرمشى إلى قلعة المرقب، فسجنهم بها، وعاد إلى دمشق.

وفي ليلة الإثنين حادي عشرينه: اجتمع رجالان بصالحية دمشق،^(١) أحدهما

(١) صالحية دمشق: قرية كبيرة ذات أسواق وجامع في لحف جبل قاسيون من غوطة دمشق =

تراس^(١) والآخر قيم حمام، وشربا الخمر، فأصبحا محرقين، ولم يكن عندهما نار، ولا وجد أثر الحريق في غير يديهما، وبعض ثيابهما. وقد مات أحدهما، وفي الآخر رمق، فأقبل الناس أفواجا أفواجا لرؤيتهما، والاعتبار بمجالهما.

وفي هذا الشهر: فشا الطاعون ببلاد الشام، فعم طرابلس وحوران وبالس^(٢) ودمشق، ووقع جراد بالرملة والساحل.

وفيه توجه السلطان أحمد بن أويس^(٣) من بغداد إلى توريز، ليأخذها من قرا يوسف، وقد سار عنها إلى أرزنكان^(٤).

شهر صفر، أوله الأربعاء.

في ثانيه: قدم الأمير أظنبيغا القرمشى من قلعة المرقب إلى دمشق، بعدما مر على الأمير شيخ وعمله نائب الغيبة بدمشق، وأذن لسودن بقجة أن يخرج ويسير من دمشق للدورة لأخذ مال يرتفق به.

وفي يوم الخميس ثالث عشرينه: خرج الأمير بكتمر الناصرى جلق الأتابك وخيم بالريدانية ظاهر القاهرة، ليسير جاليش العسكر إلى الشام، ومعه الأمير طوغان الحسنى رأس نوبة النوب، والأمير سنقر الرومى، والأمير يلبغا الناصرى حاجب الحجاب، والأمير خاير بك، والأمير أظنبيغا العثمانى، والأمير شاهين الفرم رأس نوبة، وعدة من أمراء الطبلخاناه، وغيرهم.

وفيه نودى بالقاهرة أن تكون الفلوس باثنى عشر درهما الرطل، وكانت بستة دراهم الرطل، وقد بلغ المثقال الذهب إلى مائتين، والدينار المشخص إلى مائة وثمانين، فغلقت

وأكثر أهلها ناقلة البيت المقدس على مذهب أحمد بن حنبل. انظر معجم البلدان ٣ / ٣٩٠.

(١) هو صانع التروس. انظر القاموس المحيط (ترس).

(٢) بالس: بلدة بالشام بين حلب والرقه. انظر معجم البلدان ١ / ٣٢٨.

(٣) اسلطان أحمد بهادر (٨١٣ هـ - ١٤١٠ م). أحمد بن أويس بن حسن الجلايرى، غياث الدين: آخر سلاطين الدولة الجلايرية. فى بغداد مغولى الأصل، مستعرب كان أسلافه من رجال جنكيز خان وهو لاکو، وآل أمر العراق إلى جده الشيخ حسن ونشأ هو فى تبريز وعاش زمانا فى بغداد، وناب عن أخيه السلطان حسين، فى البصرة، ثم قتل أخاه، وتولى السلطنة سنة ٧٨٤ هـ. وقتل جماعة من أمراء الجيش كان يخشى انقلابهم عليه. انظر تاريخ العراق ٢ / ٣٠٥، الضوء اللامع ١ / ٢٤٤، البدر الطالع ١ / ٢٢. والأعلام ١ / ١٠٢.

(٤) أرزنجان: بالفتح ثم السكون، وفتح الزاى، وسكون النون، وجيم وألف ونون، وأهلها يقولون: أرزنكان، بالكاف: وهى بلدة طيبة مشهورة كثيرة الخيرات والأهل، من بلاد أرمينية بين بلاد الروم وخلاط، قرية من أرزن الروم، وغالب أهلها أرمن، وفيها مسلمون وهم أعيان أهلها. انظر معجم البلدان ١ / ١٥٠.

الأسواق، وتعطلت أسباب الناس، فنودى بذلك فى يوم الجمعة، وهدد من خالف، فاشتد الأمر، وفقد الخبز وغيره من المأكّل، فلم يقدر على شىء منها، فغضب السلطان، وهم أن يركب بنفسه بعد صلاة الجمعة، ويضع السيف فى العامة، فما زال الأمراء به حتى كف عن الركوب. وبات الناس فى كربة. وأصبحوا يوم السبت خامس عشرينه، فسأل الأمراء السلطان فى أمر سعر الفلوس، وما زالوا به حتى رسم - بعد جهد - أن يكون الرطل بتسعة، فنودى بذلك فى القاهرة، فسكن الحال قليلا، وظهرت المأكّل، ثم نودى فى يوم الإثنين سابع عشرينه أن تكون الفلوس بستة دراهم الرطل، كما كانت، ففتحت الأسواق، وعاد الأمر كما كان أولا. وكان لهذا الحادث سبب، وهو أن السلطان اشترى نعالا للخيل، وسك حديدا لأجل السفر، فحسب ثمنها كل رطل باثنى عشر، فقال: « هذا غبن أن يكون الحديد الأسود باثنى عشر درهما الرطل، والنحاس المصفى المسكوك - وهو الفلوس - كل رطل بستة دراهم»، ووجد عنده عشرة آلاف قفة من الفلوس، زنة كل قفة مائة رطل، عنها ستمائة درهم، قد حملت إلى القلعة لتنفق فى الممالك عند السفر إلى الشام، فأراد أن يجعل الرطل الفلوس بخمسة عشر ليعطى القفة الفلوس التى حسبت عليه بستمائة فى النفقة بألف وخمسمائة، وتخيل فى ذلك رجحا عظيما إلى الغاية، وخشى ألا يتمشى له هذا، فرسم أن تكون الرطل باثنى عشر درهما، ثم رجع عنه إلى تسعة، ثم إلى ستة. وسبب رجوعه تنمر الممالك عليه، اليفظنهم بما أراده من الفائدة عليهم، وحدثوه غير مرة فلم يجد بدا من عود الأمر إلى حاله، خشية نفورهم عنه وقت حاجته إليهم.

وفى سابع عشرينه: رحل الأمر بكنم من الريدانية بمن معه يريد الشام.

وفى يوم الخميس سلخه: عمل السلطان المولد النبوى ليلا، بعمارته التى أنشأها فى الحوش من قلعة الجبل، على عادته، وحضر القضاة، فجلسوا صفا عن يساره، وجلس عن يمينه الشيخ إبراهيم بن زقاعة^(١)، والشيخ نصر الله الجلالى، ومشايخ العلم، ومدت الأسمطة، وفرقت الخلع.

(١) ابن زقاعة (٧٢٤ - ٨١٦ هـ = ١٣٢٣ - ١٤١٤ م). إبراهيم بن محمد بن بهادر بن أحمد، أبو إسحاق، برهان الدين القرشى النوفلى الغزى المعروف بابن زقاعة ويقال ابن سقاعة: إنسان عجيب من أهل غزة. بدأ حياطا، وقرأ على شيوخ بلده ونظم كثيرا مما يسميه بعض الناس شعرا وتفرّد فى معرفة الأعشاب ومنافع النبات فكان يصف أشياء منها للأرواح كالأطباء، ويسترزق العقاقير وتزهد وساح فى طلب الأعشاب وكان يستحضر كثيرا من الحكايات والماجريات كما يقول السخاوى. وخذع به بعض العلماء فنتعه بشيخ الطريقة والحقيقة، وشاعت عنه مخاريق شعبة. وكان له حظ وافر عند ملوك مصر، يجلسونه فوق قضاة القضاة وتوفى بالقاهرة. انظر الضوء ١/ ١٣٠، النجوم الزاهرة ١٤/ ١٢٥، شذرات الذهب ٧/ ١١٥. الأعلام ١/ ٦٥.

شهر ربيع الأول، أوله الجمعة:

وفى يوم الإثنين رابعه: ركب السلطان من قلعة الجبل إلى الريدانية بعساكره، فنزل بمخيمه، وبات به، ثم عاد من الغد إلى التربة التى أنشأها على قبر أبيه، خارج باب النصر، فى سفح الجبل، وقرر فى مشيختها صدر الدين أحمد بن جمال الدين محمود العجمى، ورتب عنده أربعين صوفيا، وأجرى عليهم الخبز واللحم الضأن المطبوخ أنواعا فى كل يوم، مع المعاليم فى كل شهر.

وفى سادسه: أخذ ما فى الطواحين والمعاصر من الخيل والبغال، وسيرت إلى العسكر، فتضرر الناس بالقاهرة من ذلك.

وفيه تقرر الصلح بين الأمير شيخ والأمير نوروز، بعدما اشتد الأمر بحماة، وقلت العلوفات منها، حتى أخذت حصر الجامع، وقدمت للخيل، فأكلتها من الجوع. وحلف كل منهما لصاحبه بموافقته، وما ذاك عن حب ولا رغبة سوى الخوف من السلطان أن يظفر بأحدهما فيتطرق إلى أخذ الآخر. فلما تم صلحهما عزم على أخذ دمرداش نائب حلب، وابن أخيه قرقماش. فلما أحسا بذلك، فر دمرداش من حماة، ولحق بالعجل بن نعيم، ثم سار إلى السلطان، فقدم عليه. وسار ابن أخيه إلى أنطاكية. وتوجه نوروز إلى حلب، فدخلها فى عاشره، وتسلم قلعتها من بيتجار مملوك دمرداش، وفر الأمير مقبل الرومى، ولحق بالسلطان وهو على غزة، وعاد الأمير شيخ إلى دمشق، فقدمها فى ثامن عشره، ومعه الأمير يشبك بن أزدمر، وسودن الجلب، وقد أفرج عنه وعن أصحابه من سجنهم بقلعة المرقب، وترك خامه على قبة يلبغا - خارج دمشق - وأشاع أنه يسير إلى غزة، ونزل بدار السعادة.

وأظهر بدمشق، ونوروز بحلب، الخروج عن طاعة السلطان، وأعلنا بذلك. وصارا يكتبان فى كتبهما ومراسيمهما بدل الملكى الناصرى ما مثاله «الملك لله» فظهر ما كان خافيا، وانكشف ما كان خافيا، وانكشف ما كان من سنين مستورا.

وفى يوم السبت تاسعه: استقل السلطان بالمسير من الريدانية يريد الشام، ومعه من الأمراء الألوفا تغرى بردى الأتابك، وقنباى، وقجق العيساوى، وسودن الأسندمرى، وسودن من عبد الرحمن، وسودن الأشقر، وكمشبيغا المزوق، وبرد بك لخازندار، وعدة من أمراء الطبليخاناه، والعشرات، والمماليك، والخليفة، والقضاة، وأرباب الوظائف. وجعل نائب الغيبة الأمير أرغون، وأنزله بباب السلسلة، وجعل بقلعة الجبل الأمير كمشبيغا الجمالى نائب القلعة، وجعل بظاهر القاهرة الأمير أينال الصصلاتى الحاجب

الثاني، وأنفق في هذه الحركة مالا عظيما، فأعطى كل مملوك عشرين ألف درهم من الفلوس، وأعطى الأمير تغرى بردى والأمير بكتمر جلق ثلاثة آلاف دينار لكل منهما، ولكل من المقدمين ألفين ألفين، ولكل من أمراء الطبلخاناه خمسمائة دينار، ولمن دونهم ثلاثمائة دينار، ولمن دونهم مائتي دينار. وأعطى لقاضى القضاة مجد الدين سالم الحنبلى مائة دينار. ولم يعط غيره من القضاة.

وفى ليلة الإثنين خامس عشرينه: توجه الأمير شيخ من دمشق، وأوقع بالعربان، وأخذهم جمالا وأغناما كثيرة، فرقها فى أصحابه، وعاد، فكثر عنده الإرجاف بمسير السلطان، فلم يثبت للقاءه، وخرج من دمشق يوم الثلاثاء سادس عشرينه، ومعه العسكر، وتبعه جانم نائب حماة، فلم يشعر الناس بدمشق فى يوم الأربعاء سابع عشرينه إلا والأمير بكتمر جلق قد قدم بعد الظهر على حين غفلة، فأدرك أعقاب الأمير شيخ، وأخذ منه جماعة.

وقدم السلطان بعد العشاء من ليلة الخميس ثامن عشرينه، وقد ركب من بحيرة طبرية^(١) عصر يوم الأربعاء على جرائد الخيل، ليكبس الأمير شيخ فقاته، لأن النذير عندما أتاه يوم الأربعاء ركب من وقته ونجا بنفسه، فما بلغ سطح المزة إلا وبكتمر جلق بدمشق، فمر على وجهه، وتبعه أصحابه، وفى يوم الخميس قدمت أنقال السلطان.

وفيه نودى بدمشق الأمان والاطمئنان، ولا ينزل أحد من العسكر فى منزل أحد، ولا يشوش أحد منهم على أحد فى بيع ولا شراء. ونودى أن الأمير نوروز هو نائب الشام.

وقدم الأحنأى مع العسكر، وقد لقى السلطان بالطريق، فأعادته إلى قضاء دمشق.

وفى يوم الجمعة: صلى السلطان الجمعة بالجامع الأموى، وخطب به، وصلى شهاب الدين أحمد الباعونى. ثم عوض الباعونى عن خطابة الجامع الأموى بخطابة القدس، وأضيفت خطابة الجامع الأموى للأحنأى.

وفى هذا الشهر: كان قرا يوسف بالقرب من أرزنكان، فبلغه مسير أحمد بن أويس إلى توريز، وأنه اتفق مع شاه رخ بن تملنك وأخويه إسكندر وخليل، فأعرض قرا يوسف عن محاربة قرا يلك، واستعد لحرب بن أويس وعزم على لقاءه.

(١) بحيره طبرية: هى نحو من عشرة أميال فى ستة أميال، وغور مائها علامة لخروج الدجال.

٢٦٢ سنة ثلاث عشرة وثمانمائة

وفيه بلغ الأردب القمح بالقاهرة مائتين وخمسين درهما، والشعير إلى مائة وخمسين، وال فول إلى مائة وستين. فلما سافر السلطان نزل القمح إلى مائة وعشرين، والشعير إلى ستين درهما، والفول إلى تسعين درهما.

شهر ربيع الآخر أوله السبت:

فى ثانيه: قدم الأمير شاهين الزردكاش نائب صفد إلى دمشق.

وفيه استقر الأمير نكبای حاجب الحجاب بدمشق، واستقر تغرى برمى - الذى كان أستاذار الأمير شيخ، وفر من بعلبك وسار إلى القاهرة - فولى شاد الدواوين. ثم توجه إلى غزة ليجهز الإقامة للسلطان، وقدم دمشق فشرع فى أمسه يقرر الشعير على ضياع الغوطة والمرج، فزاد على ظلم من قبله، وبالغ. فلما أصبح، عزله السلطان وولاه نيابة غزة، ثم فى آخر النهار طلب وأخذت منه الخلعة التى لبسها بكرة النهار، وقبض عليه، وصودا.

وفى ثالثه: استقر الأمير يشبك الموساوى فى نيابة طرابلس على مال مبلغه مائة ألف دينار، ومضى إليها. واستقر زين الدين أو بكر بن اليعمورى فى نيابة بعلبك، وأخوه شعبان فى نيابة القدس.

وفى خامسه: قدم إلى القاهرة عاقل الخازندار من قبل السلطان، وعلى يده كتبه بقدمه دمشق.

وفى يوم الجمعة سادسه: سارت أطلاب السلطان والأمرء وغيرهم من دمشق إلى برزة. وصلى السلطان الجمعة بجامع بنى أمية، وتوجه بعساكره، فنزل فى مخيمه على برزة، وعمل شاهين الزردكاش نائب صفد على دمشق نائب الغيبة، فتحول إلى دار السعادة، ونزل بها، وتأخر بدمشق الأمير قنباى المحمدى لضعف به، وتخلف بها أيضا القضاة الأربع، والوزير سعد الدين إبراهيم بن البشيرى لجمع مال السلطان، وعمل أشياء اقترح عملها، وتأخر مجد الدين بن الهيصم ناظر الخاص أيضا.

وسار السلطان فى طلب الأمير شيخ والأمير نوروز ومن معهما، وقد قصدوا حلب.

وفى سابع عشره: قدم ابن أبى الرداد إلى دمشق ليشير السلطان بوفاء النيل فى خامس مسرى.

وفيه قبض بدمشق على موسى الملكاوى، وضرب ليحضر صدر الدين على بن الأدمى كاتب سر دمشق، وقاضى الخنفيه بها، فدل عليه، فلما أتاه الطلب فر.

وفي خامس عشره: سار السلطان من حلب، بعدما قدم عليه الأمير دمرداش نائب حلب يريد أعداءه، وقد ساروا إلى عيتاب، فلما أحسوا بمسيره، مضوا إلى مرعش، ثم إلى ككسوا حتى أتوا إلى قيسارية^(١) الروم.

فنزل السلطان بأبلستين^(٢) وأقام عليها، وكتب إلى الأميرين شيخ ونوروز ومن معهما يخبرهم بين الخروج من مملكته وبين الوقوف لمحاربتة، أو الرجوع إلى طاعته، وأنه قد عزم على الإقامة بأبلستين السنتين والثلاث، حتى ينال غرضه منهم. فأجابه الأمير شيخ يعتذر عن حضوره بما خامر قلبه من شدة الخوف عند القبض عليه فى سنة عشر وثمانمائة، وأنه لا يحارب السلطان ما عاش، بعدما حلف له فى نوبة صرخد. وكرر الاعتذار عن محاربتة الأمير بكتمر جلق، وذكر أن الذين معه إنما هم مماليكه، أشترهم بماله من نحو عشر سنين، ولا يمكنهم مفارقتة، وأنه ما أخذ من أوقاف دمشق إلا ما خرب، وصار لا يتتفع به، ولا يقام فيه شعائر الإسلام، فكان يأكلها من لا ستحقها.

وأنه لم يفعل ذلك إلا من فقره وعدم قدرته، وأنه إن لم يسمح السلطان له بنبابة الشام كما كان، فلينعم عليه بنبابة أبلستين، وعلى الأمير نوروز بمطية، وعلى يشبك ابن أزدمر بعيتاب، وعلى غيرهم من الأمراء ببقية القلاع، فإنهم أحق من التركمان والأكراد المفسدين. فلم يرض السلطان منهم بذلك، وصمم على الإقامة، وكتب يستدعى التراكمين وغيرهم.

وفي هذا الشهر: مات نيق، القائم بمدينة الكرك، فقام بعده أخوه يشبك، واستولى على قلعتها.

وفيه وقعت فتنة بجبل نابلس، بين ابن عبد الساتر وابن عبد القادر، شيخى العشير، ففر ابن عبد القادر، وكثرت الفتن بتلك البلاد، حتى انقطعت الدروب فلم تسلك.

وفيه بعث تنبك نائب قلعة الروم إلى الأمير نوروز عشرين فرسا مقدمة، فعين لأخذ قلعة الروم وقلعة البيرة سودن تلى الحمدي على رابعمائة فارس، فنزل تنبك إلى البيرة، فقاتله مبارك شاه نائبها، وظفر به، واعتقله بالقلعة، فكتب السلطان بمسير مبارك شاه مع نكباى، وقد ولاه قلعة الروم حتى يتسلمها فمضى به وأخذها.

(١) قيسارية: بلد على ساحل بحر الشام تعد فى أعمال فلسطين بينها وبين طبرية ثلاثة أيام. انظر معجم البلدان ٤ / ٤٢١.

(٢) أبلستين: بالفتح ثم الضم ولام مضمومة والسين المهملة ساكنة وتاء فوقها نقطتان مفتوحة وياء ساكنة ونون: هى مدينة مشهورة ببلاد الروم، انظر معجم البلدان ١ / ٧٥.

وفيه وصل قرا يوسف إلى توريز وقد جمع أحمد بن أويس قدر ستين ألف فارس، فيهم ابن الشيخ إبراهيم بن الدربندی، وأمراء البلاد، فاقتلا قتالا عظيما في يوم الجمعة ثامن عشرينه، فانكسرت عساكر ابن أويس، وقتل هو وولده سلطان على، في ليلة الأحد آخره، وقتل أيضا كثير من الأمراء، وأسر ابن الشيخ إبراهيم، وعدة من الأمراء، ونهبت أموالهم، وملك قرا يوسف بلاد توريز وغيرها، وقدم كتابه بهذا إلى السلطان، ويقال أن ابن أويس لما وقعت الكسرة اختفى في عين ماء، ودخل عليه بعض فرسان قرا يوسف ليقتله، فعرفه بنفسه، فأخذه، وأعلم قرا يوسف به، فأحضره إليه وبالغ في إكرامه، ووكل به أحد أمرائه، فلم يرض كثير ممن مع قرا يوسف بذلك، وما زالوا به حتى قتله خنقا.

شهر جمادى الأولى، أوله الإثنين:

في سابعه: قض على صدر الدين على بن الآدمي، وسجن بقلعة دمشق.

وفي خامس عشرينه: قدم كتاب السلطان من أبلستين إلى دمشق، فلم يؤخذ من البساتين نصف ما كان يأخذه شيخ ونوروز. هذا وأهل القرى بأجمعهم يجيى منهم الشعير الذى وظف عليهم. ثم قرر عليهم شعير آخر ليزرع القصيل^(١) برسم رعى الخيول السلطانية.

وفي سلخه: قدم محمد التركمانى من أبلستين إلى دمشق، وقد ولى نيابة الكرك. وولى علاء الدين على الحلبي قاضى غزة خطابة القدس مع قضاء غزة، فنزل غزة قبل رحيل الناصر من القاهرة، واستقر عوضه شهاب الدين بن حجر فكان فى مدة تسعة أشهر قد ولى خطابة القدس خمسة، أحدهم وليها مرتين .

وفي هذا الشهر: سار الأمير عثمان بن أمير طرعلى - المعروف بقرايلك - إلى وطأة أرزنجان، وحرق قراها، وجلا رعيتها معه إلى بلاده.

وفيه اقتتل أمير سليمان بن خوندكار أبى يزيد بن مراد بن أورخان بن عثمان مع أخيه موسى جليبي وهزمه، ففر موسى إلى أفلاق، فحصره سليمان، وكان أخوهما كرشجى مقيما بصرعا.

(١) القصيل: الجماعة والشعير يزر أخضر لعلف الدواب سمي به لأنه تفضل وهو رطب أو لسرعة انفصاله وهو رخص، والفهاء تسمى الزرع قبل إدراكه قصيلا هو مجاز. انظر محيط المحيط (قصل).

وفيه خامر على الأمير ناصر الدين محمد باك بن قرمان صهره ابن كريمان ولحق بكرشجي في عسكره.

وفيه قدم على السلطان بأبلستين كثير من طوائف التركمان والعربان، ونواب القلاع، وأتته رسل مارددين، ورسل قرا يوسف، وقرا يلك، بتقادمهم. فلما ملت عساكره من طول الإقامة خشى تفرقهم عنه، ورحل من أبلستين وقد التزم له ابنا دلغادر - محمد وعلى - بأخذ أعدائه أو طردهم من البلاد. ومضى على الفرات إلى قلعة الروم، وقبض على نائبها تنبك، وقرر عوضه طوغان الطويل، وسار على البيرة إلى سودن الجلب، فقدمها.

شهر جمادى الآخرة، أوله الأربعاء:

في رابعه: قدم الخبر من دمشق بأن سودن الجلب فارق الأميرين شيخا ونوروز، ومر على القريتين في نحو عشرة فرسان، يريد الكرك، فانزعج العسكر، وخرج الأمير نكباي في طلبه، فلم يدركه، ودخل الجلب إلى الكرك وملكها، وقدم الخبر بأن قرقماس ابن اخي دمرداش، وجانم، فارقا الجماعة أيضا وقصدا حلب، فلما وصلا ملطية مضى جانم في طائفته من طريق، ومضى قرقماس من أخرى، فقدم قرقماس على السلطان بجلب، فأكرمه وأنعم عليه.

وفي هذا الشهر: سار حيدر - نائب قلعة المرقب - من طرابلس على عسكر ونزل عليها، وبها بدر الدين حسن بن محب الدين أستاذار الأمير شيخ، وأولاد الكويز.

وفيه سار تنكز نائب حصن الأكراد ومعه ابن أيمان بتركمانه لأخذها.

وقد نزل على بن صوحى ببيوته وحواشيه وتركمانه على برج السلطان - قريبا من صهيون^(١) - لحصارها، وكان السلطان قد ولى نيابتها بلبان ليأخذها من كزل، أحد أصحاب الأمير شيخ.

وفيه وصل إلى ميناء يافا^(٢)، أربع قطع، فيها نحو سبعمائة من الفرنج، فأسروا جماعة من المسلمين، وأخذوا مركبا فيه خام للسلطان قدم من مصر، وفيه قدم أيضا إلى يافا،

(١) صهيون: هي الروم، وقيل: البيت المقدس، وهو موضع معروف بالبيت المقدس محلة فيها كنيسة صهيون، وصهيون: حصن حصين من أعمال سواحل بحر الشام من أعمال حمص لكنه ليس بمشرف على البحر. انظر معجم البلدان ٣ / ٤٣٦.

(٢) يافا: مدينة على ساحل بحر الشام من أعمال فلسطين بين قيسارية وعكا. انظر معجم البلدان

مركب فيه فرنج، معهم أخشاب، وعجل، وصناع، برسم عمارة بيت لحم^(١)، بالقدس، حيث مولد عيسى عليه السلام، ويدهم مرسوم السلطان بتمكينهم من العمل، فدعوا الناس للعمل بالأجرة، فأتاهم عدة من القلعة والصناع، وشرعوا فى إزاحة ما بطريقهم من الأوعار.

وكان سبب هذا أن موسى - صبي بطرك النصارى الملكانية - سأل السلطان لما قدم إلى القدس، بعد نوبة صرخد، فى سنة اثنتى عشرة وثمانمائة، أن يمكن النصارى من إعادة عمارة مولد عيسى - بيت لحم - على ما كان عليه، فكتب له بذلك مرسوما، فطا ربه كل مطار، وبعثه إلى بلاد الفرنج فاغتموا الفرصة، وبعثوا هؤلاء، فبدأوا بتوسعة الدرب، الآخذ من ميناء روبيل إلى القدس، وقصدوا أن يصير سعته بحيث يمر فيه عشرة فرسان متوا كيين، فإنه لم يكن يسع غير فارس واحد بمشقة، وأحضروا معهم دهنًا إذا وضعوه على تلك الصخرة، سهل قطعها.

وفيه خلع السلطان على الأمير قرقماس ابن أخى دمرداش - ويقال له سيدى الصغير - وولاه نيابة صفد، واستقر بالأمر جانم فى نيابة طرابلس، واستقر بجركس الذى يقال له أبو تنم، حاجب الحجاب بدمشق، وعزل نكبية عنها، وأنعم عليه بإمرة فى ديار مصر، وولى الأمير بكتمر جلق نيابة الشام، وأنعم بتقدمته على الأمير دمرداش نائب حلب.

شهر رجب، أوله الخميس:

فى خامسه: برز الأمير أَلطنبغا العثماني، والأمير قنباى الحمدى من دمشق يريدان حلب، وقد أتاهما الطلب من السلطان.

وفيه نودى بدمشق، ألا يتأخر بها أحد ممن قدم من مماليك السلطان من حلب.

وفى سادسه: وصل إلى دمشق، متسلم الأمير بكتمر جلق.

وقدم أيضا فيروز الخازندار، لإخراج من بدمشق من المماليك، ولأخذ مال، وسلاح، فأقام يومه وبات، ثم أصبح فركب العسكر، ووقفوا تحت القلعة، وعليهم آلة الحرب، فدقت كوسات القلعة حربيا، ورفع علم السلطان على باب الناصر، ونودى: «من أطاع السلطان فليقف تحت الصنجق السلطاني»، فسارع العسكر إليه، إلا قليلا

(١) بيت لحم: بليد قرب بيت المقدس عامر حافل، فيه سوق وبازارات، ومكان مهد عيسى بن

مريم عليه السلام. انظر معجم البلدان ١ / ٥٢١.

منهم، تميزوا إلى الميدان، ودقوا طبلا، وقبضوا على الأمير قنباى الحمدي، وعلى نكبای الحاجب، وساروا والطلب في أثرهم، فلم يقدر عليهم، وساروا إلى الكرك، وكبيرهم بردبك الخازندار، وكان قد بعثه السلطان، من حلب، فأنخل عنه كثير ممن خرج معه، وبقي في نفر قليل، فأدخله سودن الجلب إلى الكرك، وسكن الشر بدمشق في يومه.

وفي تاسع عشره: قدم دمشق، الأمير تغرى بردى بن أخى دمرداش، ويقال له سيدى الكبير، يريد صفد، وقد ولاه السلطان نيابتها، عوضا عن شاهين الزردكاش، نائب الغيبة بدمشق، فلما قدم أخوه قرقماس إلى حلب طائعا وولاه صفد، عوضه عنها بجلب، وأقر هذا على صفد.

وفي هذه الأيام: فرض على قرى دمشق وعلى بسايتها ذبا يجبي من أهلها، سوى ما عليهم من الشعير، وفرض أيضا على طواحين دمشق وحماماتها وحوانيتها مال جبي منهم.

وفي رابع عشرينه: وصلت خلعة سودن الجلب إلى دمشق، باستقراره في نيابة الكرك، وسارت إليه.

وفي ثامن عشرينه: توجه الأمير تغرى بردى نائب صفد من دمشق إلى صفد.

وفيه أدير محمل الحاج بدمشق، فبينما الناس في التفرج عليه، إذ أتاهم خير وصول السلطان من حلب، فماج الناس، وقدم السلطان بعد العصر في طائفة من خواصه، ونزل بدار السعادة. وسبب ذلك أن الخير ورد عليه بأن شيخ ونوروز وصلا عيتاب، وسارا على البريد، فبعث عسكريا في طلبهما وركب من حلب على حين غفلة في ثالث عشرينه، وسار إلى دمشق في أربعة أيام، ثم قدم الأمير الكبير تغرى بردى، ثم قدم الأمير بكتمر نائب الشام في تاسع عشرينه، ومعه الأمير دمرداش، والأمير جانم نائب طرابلس، فنزلوا منازلهم بدمشق.

وفي هذا الشهر: قدم محمد شاه بن قرا يوسف بغداد، وقد امتنع من بها من تسليمه، فحاصرها مدة عشرة أشهر، فكانت فيها أمور عجيبة، حاصلها أن قرا يوسف لما هزم ابن أويس وقتله، بلغ ذلك أهل بغداد، وكان عليها من قبل أحمد بن أويس مملوكه بخشايش، فلم يصدق ذلك، واستمر على الخطبة له. فبعث قرا يوسف ابنه، فلما قارب بغداد بعث إلى الأعيان يعدهم ويرغب إليهم في تمكينهم من البلد، فأبوا عليه وقالوا لرسوله، إن ابن أويس لم يقتل وإنما هو حي، وأقاموا صبيا لم يبلغ الحلم، يقال له أويس، من أخى أحمد أويس وسلطنوه. فنزل بن قرا يوسف على بغداد، فقَاتلوه من

فوزق الأسوار مدة أربعة أشهر، ثم قامت ببغداد ضجة عظيمة فى الليل، قتل فيها بخشايش، وأصبح ملقى فى بعض الشوارع. وأشيع أن الذى أمر بقتله أحمد بن أويس، وأنه فى بعض الدور ببغداد، فصار يخرج من الدار - التى قيل أنه بها - أوامر على لسان رجلين، أحدهما يقال له المحب، والآخر يقال له ناصر الدين، وقام بعد بخشايش عبد الرحيم بن الملاح، وأعيدت الخطبة باسم أحمد بن أويس، وضربت السكة باسمه، وانقطع ذكر أويس الصبى، فسار محمد شاه بن قرا يوسف عن بغداد، وكتب إلى أبيه يخبره بما وقع ببغداد، فخرج من بغداد عسكر نحو خمسمائة وكبسوا بعض أمراء ابن قرا يوسف، فقتل وأسر عدة من أصحابه، وكان فى جهة غير جهة ابن قرا يوسف، وزعموا أن هذا بأمر أحمد بن أويس، ثم قتل المحب وناصر الدين، وعبد الرحيم الملاح ببغداد، ونسبوا قتلهم أيضا إلى أحمد بن أويس، فلما كان بعد إشاعة حياته بأربعين يوما، أشيعت وفاته، وكان الذى أشاع وفاته، أم الصبى أويس، وذلك أنها استدعت الأعيان، وأعلمتهم أنها هى التى أمرت بما وقع من القتل، وإشاعة حياة أحمد بن أويس، وأنه ليس بجي، وما زالت بهم حتى أعادوا ابنها أويس إلى السلطنة، وعملوا عزاء أحمد بن أويس ببغداد. فلما بلغ ذلك ابن قرا يوسف عاد إلى بغداد وحاصرها، فأشيع أيضا أن أحمد بن أويس حى لم يمّت، فعوقب جماعة ممن ذكر هذا، ثم بعد أربعة أشهر من إظهار موت أحمد بن أويس وقعت ضجة عظيمة ببغداد على حين غفلة، وقيل ظهر أحمد بن أويس، فاجتمع الناس إلى دار، فخرج إليهم منها رجل فى زى أحمد بن أويس على فرس، فقبلوا له الأرض، وتناقل الناس حياته. ثم سألوا ذلك الشخص أن يروه رؤية بتبين لهم فيها أكثر من المرة الأولى، فوعدوا بذلك فى دار عينت لهم، فلما صاروا إليها خرج إليهم عند غروب الشمس شخص راكب على فرس فى زى أحمد بن أويس، فصاح غوغاء العامة هذا السلطان أحمد، وتناقلوا ذلك، ثم أشاعوا أنه غير موجود، فكانت مدة إشاعة وجوده ثانيا خمسة عشر يوما، وفى أثناءها خرج من بغداد نحو خمسمائة فارس إلى جهة البصرة^(١) بأمر أحمد بن أويس^(٢) على زعمهم، ثم خرجت أم الصبى أويس به ومعها خواصها، وسارت من بغداد إلى ششتر.

فبعث أهل بغداد إلى ابن قرا يوسف يستدعونه، وقد رحل عندما أشيع ظهور أحمد ابن أويس مرة ثانية، فقدم ودخلها فى أثناء سنة أربع عشرة وثمان مائة فكان خير بغداد هذا من أغرب ما يحكى.

(١) البصرة: هما بصرتان: العظمى بالعراق وأخرى بالمغرب. انظر معجم البلدان ١/ ٤٣٠ وما

بعدها.

(٢) سبق ترجمته.

شهر شعبان، أوله الجمعة:

فيه قدم الأمير قرقماس نائب حلب إلى دمشق، فأكرمه السلطان وأنعم عليه.

وفى ثلثه: قدم الأمير تمتاز الناصري نائب السلطنة في خمسين فارسا، وقد فارق الأمير شيخ، فركب السلطان وتلقاه، وبالع في إكرامه، وأنعم عليه بما يليق به.

وفى ثامنه: توجه قاضي القضاة جلال الدين عبد الرحمن بن البلقيني من دمشق إلى القاهرة، لتجهيز صرر المال المحمولة مع الحاج إلى مكة والمدينة على العادة، وتوجه مجد الدين بن الهيصم ناظر الخاص أيضا.

وفى خامسه: قدم الخير على السلطان بدخول الأمير شيخ قلعة صرخد.

وفيه أفرج عن الصدر على بن الآدمي، ثم قبض عليه من الغد، وأعيد إلى السجن.

وفى سابعه: سمر بدمشق ستة من أصحاب الأمير شيخ ووسطوا.

وفى ثاني عشره: استقر نائب الغيبة بديار مصر، في حسبة القاهرة، بزين الدين محمد بن شمس الدين محمد الدميري، عوضا عن شمس الدين محمد المناوي الملقب بيدنة والمعروف بالطويل بعد وفاته.

وفى خامس عشره: ورد الخير على السلطان بوصول الأميرين شيخ ونوروز في نحو مائتين وخمسين فارسا إلى أرض البلقاء، وأنهم في قل وجهد، وليس معهم غلمان تخدمهم، وكان من خيرهم أن السلطان لما سار عن أبلستين قدم الجماعة من قيسارية^(١) إلى أبلستين^(٢)، فمنعهم ابن دلغادر وقتلهم، فانكسروا منه وفروا إلى عينتاب، وعندما قاربوا تل باشر^(٣) تمزقوا، وأخذت كل طائفة تسلك جهة من الجهات، فلحق بحلب ودمشق منهم عدة وافرة، واختفى منهم جماعة، ومر شيخ ونوروز في خواصهما على البر إلى تدمر^(٤)، فامتاروا منها، ومضوا مسرعين إلى صرخد، فلم يقر لهم قرار بها، فمضوا إلى البلقاء، ودخلوا بيت المقدس، وتوجهوا إلى غزة - فأقاموا بها.

(١) سبق ترجمتها.

(٢) سبق ترجمتها.

(٣) تل باشر: قلعة حصينة وكورة واسعة في شمال حلب، بينها وبينها يومان، وأهلها نصاري

أرمن، ولها ربض وأسواق. انظر معجم البلدان ٢ / ٤٠.

(٤) تدمر: مدينة قديمة مشهورة في بيرة الشام، ينها وبين حلب خمسة أيام. انظر معجم البلدان

فأخرج السلطان إليهم الأمير بكتمر نائب الشام على عسكر، فسار إلى زرع، وكتب يطلب نجدة، فخرج إليه من دمشق الأمير طوغان الدوادار على عسكر فى خامس عشرينه.

وفى سادس عشره: وصل مجد الدين بن الهيصم ناظر الخاص إلى القاهرة، واشتد فى طلب الأموال من المصادرات فلم يجهل، ومات فى ليلة العشرين منه، فسر الناس بموته سرورا عظيما.

وفى خامس عشرينه: كتب السلطان إلى أرغون كاشف الرملة بمنع الفرنج من عمارة بيت لحم، والقبض عليهم، وعلى من معهم من الصناع، وأخذ ما عندهم من السلاح والآلات والمال، والجمال التى استأجروها لنقل آلات، وحمل ما معهم من العجل والدهن الذى إذا وضع على الحجارة هان قطعها، فختم أرغون على مخازن ثلاثة من الفرنج، وقبض عليهم، وحملهم، ومعهم ما رسم به.

وفى يوم الأربعاء سادس عشرينه: دخل الأميران شيخ ونوروز بمن معهما إلى غزة، وقد مات من أصحابهما الأمير تمرغا المشطوب نائب حلب، والأمير أينال المنقار، بطاعون فى مدينة حسيبان. وقدم عليهما بغزة الأمير سودن الجلب من الكرك، فتبعوا ما بغزة من الخيول وأخذوها.

شهر رمضان، أوله الأحد:

فى ثانيه: وصل الأمير طوغان الدوادار والأمير قنك رأس نوبة، والأمير الطنبغا العثماني، والأمير أسنغا الزردكاش، والأمير يشبك الموساوى الأقمم، والأمير سودن الظريف، والأمير تراز الناصرى نائب السلطنة - كان - فى عدة من المماليك السلطانية إلى قاقون، وهناك الأمير بكتمر شلق نائب الشام وكثير من المماليك، فساروا جميعا مجددين فى السير إلى غزة، فقدموها عصر يوم الثلاثاء ثالثه، وقد رحل الأميران شيخ ونوروز ومن معهما بكرة النهار عندما قدم الأمير سودن بقجة وشاهين الدوادار من الرملة، وأخيرا بقدم عسكر السلطان، فهبوا غزة وأخذوا منها خيولا كثيرة وغلالا، فبعهم الأمير خير بك^(١) نائب غزة إلى الزعقة، وكشافته فى أثرهم إلى

(١) خيربك بن عبد الله النوروزى، الأمير سيف الدين، نائب غزة. أصله من أصاغر مماليك الأمير نوروز الحافظى، ومن طال حموله بالبلاد الشامية إلى أن تأمر ببلاد صغد فى الدولة الظاهرية حقمق. ثم حدثه نفسه بما فوق ذلك، فسعى فى نيابة غزة بعد موت الأمير طوغان العثماني بمال، واستقر فى نيابته زيادة على سنة، وعزل بالأمير جانبك التاجى المويدى نائب بيروت فى سنة خمس وخمسين وثمانمائة، ورسم له بالتوجه إلى دمشق بطالا. انظر المنهل الصافى ٥/ ٢٨٧، الضوء ٣/ ٢١، بدائع الزهور ٢/ ٣٨٨.

العريش، وعندما قدم العسكر إلى غزة بعث الأمير بكتمر بالأميرين شجاع الدين شاهين الزردكاش وسيف الدين أسنبغا الزردكاش إلى قلعة الجبل من على البرية ليخبر من بها بقدم العسكر، فسارا وقدم الخبر من القاهرة وقلعة الجبل على الأمير بكتمر فى كتاب الأمير سيف الدين أرغون نائب الغيبة بأنه قد حصن قلعة الجبل، والإصطبل السلطاني والحوش، ومدرسة السلطان حسن، ومدرسة الأشرف، وأنه ومن معه قد استعدوا للقاء شيخ ونوروز. فسار شاهين الزردكاش بمن معه من غزة عصر يوم الخميس خامسه يريد القاهرة.

وفيه ورد الخبر بموت جماعة من أصحاب الأميرين شيخ ونوروز، منهم تمربغا المشطوب نائب حلب وأينال المنقار، وألطنبغا بابا، وشاهين دوادار الأمير شيخ، وأن شاهين هذا مات بالعريش.

وفيه سقط الطائر من قطيا إلى قلعة الجبل، وقد سرحه الأمير فخر الدين عبد الغنى ابن أبى الفرج - متولى قطيا وكاشف الوجه البحرى - بخبر وصول الأميرين شيخ ونوروز إلى قطيا، وأن من معهما نهبها، وأنه تنحى إلى جهة الطينة، وأنهم ساروا من قطيا يريدون القاهرة. فأخذ الأمير أرغون ومن معه أهبتهم، وعزم الأمير كافور - زمام الأدر السلطانية - أن يسير بالأميرين فرج ومحمد ولدى السلطان مع الحريم السلطاني إلى ثغر الإسكندرية، حسب ما رسمه به، فلم يتمكن من ذلك لضيق الوقت، وقلّة الأمن، وكثرة الفتن فى البر والبحر، فلما كان يوم الأحد ثامن، وصل الأمير شيخ، والأمير نوروز، والأمير يشبك بن أزدمر، والأمير بردبك، والأمير قنباى، والأمير سودن بقجة، والأمير سودن الحمدي، ويشبك العثماني، وقمش، وقوزى، وأتباعهم، ومعهم جمع كثير من الزهور، وبنى وائل من عرب الشرقية، وأمير سعيد كاشف الشرقية وهو معزول عنها، فبلغهم تحصين القلعة والمدرستين^(١)، وأن الأمير أرغون ومن معه من الأمراء قبضوا على أربعين مملوكا من النوروزية الذين يمشون فى الخدمة السلطانية، وسجنوهم بالبرج من قلعة الجبل، خوفا من غدرهم، فسار الأمير شيخ بمن معه من ناحية المطرية إلى جهة بولاق، ومضوا على الميدان الكبير إلى الصليبية^(٢)، وخرجوا إلى الرملة تحت القلعة من سويقة منعم، فرماهم الممالك السلطانية بالمدافع والنشاب. وبرز لهم الأمير أينال الصصلاتنى الحاجب بمن معه، وقد وقف عند باب السلسلة، فتقنطر من

(١) يقصد مدرسة السلطان حسن الملك الأشرف شعبان بن حسين. انظر النجوم الزاهرة

القوم فارسان، وانهزموا، ثم عادوا ونزلوا فى بيت الأمير نوروز، حيث كان سكنه بالرميلة، وفى بيت الأمير أينال حطب بجواره، وقد اجتمع معهم من الغوغاء خلائق، وأقام الأمير شيخ رجلا فى ولاية القاهرة فنادى بالأمان والاطمئنان، ووعدوا الناس بترخيص سعر الذهب، وسعر القمح، ورغوبهم بإزالة المظالم، فمال إليهم جمع من العامة، فأقاموا على ذلك يوم الحد، وملكوا مدرسة الأشرف تجاه الطبلخاناه. ثم أخذوا مدرسة السلطان حسن تجاه الإسطبل، وهزموا من كان فيهما من المقاتلة، وأقاموا بهما رماة من أصحابهم، ورموا على الإسطبل يومهم وليلتهم، ففر الأمير أرغون من بشبغا نائب الغيبة، والتجأ إلى باب السر، وسأل أن يكون مع الأمير جرباش والأمير كمشبغا الجمالى بداخل القلعة، فأدخلاه بمفرده، من غير أن يدخل معه أحد من مماليكه.

فلما كان ليلة الإثنين: كسرت خوخة أيدغمش - بجوار باب زويلة - وعبر طائفة من الشاميين إلى القاهرة، ومعهم طوائف من العامة، ففتحوا باب زويلة. وكان الأمير حسام الدين حسين الأحوال والى القاهرة قد أغلقه، وجميع أبواب القاهرة، على ما جرت به العادة من ذلك فى أوقات الفتنة.

ثم أنهم كسروا خزانة شمائل التى هى سجن أصحاب الجرائم، وأخرجوا من بها من المسجونين، وكسروا سجن حارة الديلم، وسجن رجة باب العيد، وأفرجوا عمن بهما، وانتشروا فى حارات القاهرة وظواهرها. ونهبوا بيت الأمير كمشبغا الجمالى، وتبعوا الخيول البغال، فأخذوا منها شيئا كثيرا. وفتحوا حاصل الديوان المفرد بين القصرين، وأخذوا منه مالا، فداخل الناس خوف عظيم.

هذا وقد ملك الأمير شيخ باب السلسلة، واستولى على الإسطبل، وجلس فى الحراقة، ومشى الأمير نوروز ومعه يشبك بن أزدمر، وبردبك، وقبای الحمدي الخازندار، ويشبك العثماني، وقمش فى بكرة يوم الثلاثاء إلى باب القلعة - وهو مغلق - وطلبوا فتحه، فاعتل الأمراء عليهم بأن مفاتيحه عند الزمام، فاستدعوه، فأتاهم وكلمهم من وراء الباب، فسلموا عليه من عند الأمير شيخ، ومن عند أنفسهم، وسألوه الفتح لهم، فقال: « ما يمكن، فإن حريم السلطان فى القلعة»، فقالوا « ما لنا غرض فى النهب، وإنما نريد أن نأخذ ابن أستاذنا»، يعنون فرج بن السلطان الناصر فرج، فقال « وإيش أصاب السلطان؟ » قالوا: « لو كان السلطان حيا ما كنا هنا»، فلم يفتح لهم. فهددوه بإحراق الباب، فقال: « إن كنتم إنما تريدون ابن أستاذكم فليحضر

إلى باب السر منكم اثنان أو ثلاثة، وتحضر القضاة، واحلفوا أنكم لا تغدرون به، ولا تمسوه بسوء»، وكان بلغهم - بالقلعة - قرب العسكر، فسرحوا الطائر باستعجالهم، وأنهم فى الحصار، ومتى ما لم يدركوا أخذوا، فأخذ الزمام فى مدافعة الجماعة، والتمويه عليهم، وتسويفهم رجاء أن يحضر العسكر، فبينما هو فى ذلك، إذ لا حت يبارق العسكر لمن وقف يرقبهم من الممالك بأعلى موادن القلعة، وقد ارتفع العجاج، وأقبلوا سائقين خيولهم سوقا عظيما، جهد طاقتهم، فضجوا بالتكبير والتهليل، وأن السلطان وصل، فخارت قوى الجماعة، ولم يثبتوا للقائه، وركبوا من ساعتهم، ووقفوا قريبا من باب السلسلة وفيهم الأمير شيخ، فدهمهم العسكر، فولوا هارين نحو باب القرافة، والعسكر فى إثرهم، فكبى بالأمر شيخ جواده فى باب القرافة، فبادر إليه أصحابه وأركبوه غيره، ومروا به على وجوههم، وقد نزل الأمير طوغان الدوادار بباب السلسلة من القلعة، فقبض العسكر من الشاميين جماعة، منهم قرا يشبك قريب الأمير نوروز، وبردبك رأس نوبة نوروز، وبرسباى الطقطاى أمير جاندار - كان - وثمانية وعشرون فارسا. وحضر سودن الحمصى فاعتقل الجميع بالبرج، وجرح يشبك بن أزدمر. وتبعهم العسكر إلى طموه (١). فقدم الخبر ليلة الأربعاء حادى عشره بنزول الأمير شيخ فى طائفة بأطفيح، وأن شعبان بن محمد بن عيسى العائدى توجه بهم إلى نحو الطور، فنودى فى يوم الأربعاء بالقاهرة ومصر بتحصيل من تسحب أو اختفى من الشاميين. ثم قدم الخبر بوصولهم إلى السويس، فإنهم أخذوا ما هنالك للتجار علفا، وزادا، وجمالا، وسار بهم شعبان بن عيسى فى درب الحاج إلى نخل (٢)، فأخذوا عدة من جمال العربان، وأن شعبان أمدهم بالشعير والزاد، وأنهم افترقوا فرقتين، فرقة رأسها الأمير نوروز ومعها يشبك ابن أزدمر، وسودن بقجة، وفرقة رأسها الأمير شيخ، ومعها سودن تلى الحمدى، وسودن صقل، وجماعة. وأنهم لما وصلوا إلى الشوبك (٣) دفعهم أهله وصدوهم، فساروا إلى الكرك، فنزل إليهم الأمير سودن الجلب، وتلقاهم، وأدخلهم المدينة، وأنزلهم، فاستقروا بها، وتبع الأمير حسام الدين والى القاهرة من كان انتمى إلى الشاميين، وأخذ منهم مالا، حتى منعه الأمير طوغان من ذلك.

وفى يوم الخميس ثانى عشره: خلع الأمير أرغون نائب الغيبة على القاضى تاج

(١) طموه: قرية من الأعمال الجيزية. انظر الانتصار لابن دقماق ٤ / ١٣٢.

(٢) نخل: وهو موضع فى طريق الشام من ناحية مصر. انظر معجم البلدان ٥ / ٢٧٦

(٣) الشوبك: قلعة حصينة فى أطراف الشام بين عمان وأيلة والقلازم قرب الكرك. انظر معجم

الدين عبد الوهاب بن نصر الله، واستقر في نظر الكسوة ووكالة بيت المال، بعد موت شمس الدين الطويل، مضافا لما بيده من نظر الأحباس وتوقيع الدست، وتوقيع نائب الغيبة، ونيابة القضاء، عن قاضي القضاة ناصر الدين محمد بن العديم الحنفي.

وفي خامس عشره: اشتدت مضرة الأمير بكتمر جلق بالناس، وألزم زين الدين محمد بن الدميري محتسب القاهرة بألفى دينار، ثمن قمح يبيعه له على الناس، وطلب من جماعة من تجار الشام مالا، وأخذ من الأمير منكلي الأستاذار ألف دينار.

وفي سادس عشره: سار الأمير بكتمر من القاهرة بالعسكر يريد دمشق، وتأخر الأمير طوغان الدوادار ويشبك الموساوي، وأسبغا الزردكاش، وشاهين الزردكاش.

وفي ثاني عشرينه: وصل الأمير بكتمر إلى غزة بمن معه، فبث قصاده في كشف أخبار الأميرين شيخ ونوروز.

وأما دمشق فإن شهر رمضان افتتح بمصادرة الناس، فأخذ من الخانات والحمامات والطواحين والحوانيت والبساتين أجرتها من ثلاثة أشهر، سوى ما أخذ قبل ذلك، وطلب جماعة من الناس اتهموا بأن عندهم ودائع للشيخية، وعوقبوا وكبست عدة دور.

وقدم في عاشره ولد الجلال التبانى شمس الدين محمد، وشرف الدين يعقوب، ومحب الدين محمد بن الشحنة الحلبي، وشهاب الدين بن سفري إمام نوروز في الحديد إلى دمشق، وقد قبض عليهم من حلب، فسجنوا بقلعة دمشق، وأرجف بقتلهم.

وفي حادى عشره: أعيد شهاب الدين أحمد بن الكشك إلى قضاء الحنفية بدمشق، وكان منصب قضاء الحنفية شاغرا من حين قدم السلطان.

وفيه قدم الأمير تغرى بردى نائب صفد إلى دمشق، فأكرمه السلطان، وأنعم عليه.

وفي ثاني عشرينه: قدم الأمير جاتم نائب طرابلس إلى دمشق، فأكرمه السلطان، وأنعم عليه، وكان قد بعث يستدعيهما.

وفيه ألزم مباشرة مدارس دمشق بألف دينار، وكلف القضاة يجمعها.

وفيه استقر نجم الدين عمر بن حجى قاضي دمشق في قضاء طرابلس، وقدم نائب حماة أيضا.

وقد كان في يوم الثلاثاء سابع عشره: خرجت أطلاب الأمراء تريد أخذ الأميرين شيخ ونوروز، وهم الأمير الكبير تغرى بردى، والأمير دمرداش نائب حلب، وتغرى

بردى نائب صفد، وجاتم نائب طرابلس، والأمير يلبغا الناصرى، فى طائفة من المماليك السلطانية، فقدم الخير بدخول الجماعة إلى القاهرة، وخروجهم منها، فتوجه فى تاسع عشره آقبغا دوادار الأمير يشبك - وهو من جملة أمراء العشرات - إلى القاهرة، ومعه التشاريف إلى أمراء مصر، وأمراء العسكر، لشكرهم، والثناء عليهم. هذا وقد وشى إلى السلطان بأن الأمير طوغان الدوادار، والأمير بكتمر جلق قصرا فى أمر أعداء السلطان، وأنه لم يكن بينهم وبين الأعداء فى مدة السفر إلا نحو بريد واحد، ولو أرادا لأخذ الأعداء، فأسر السلطان ذلك فى نفسه، وحقده عليهما، ولم يسعه إلا مجاملتهما، والإغضاء عن هذا.

وفى تاسع عشرينه: قدم الأمير قرقماس نائب حلب إلى دمشق باستدعاء، فأكرمه السلطان، وأنعم عليه.

وأما حلب فإن قرقماس هذا كان قد سار منها لمحاربة أولاد ابن بيشان فى حادى عشره، وكتب إلى أولاد ابن كبك وإلى كردى بن كندر بملاقاته، فمضى عن حلب يوما وليلة، وأوقع ببيوت أولاد ابن بيشان فيما بين مرعش وكينوك، فقاتلوه قتالا شديدا، قتل فيه منهم نحو مائتى رجل، وانكسر من بقى، فأتاه أولاد بن كبك فى آخر القتال بنحو مائتى فارس، فرمى أيدغمش بن كبك بسهم فى صدره خرج من قفاه فمات، وجرح أخوه حسين بن كبك فى وجهه. ثم سار نائب حلب إلى عينتاب، وقبض على حسين ابن كبك وأعيان أصحابه، وقيدهم، وبعثهم إلى حلب، ومشى على بيوتهم وساق أعيانهم، ورجع، فلما وصل حسين بن كبك قريبا من أعزاز، أدركه تركمانه، واستنقذوه - ومن أسر معه - ومضوا بهم، فلم يقدر عليهم، وقدم قرقماس إلى حلب، وجهاز مما أخذه من الأغنام أربعة آلاف رأس إلى مطابخ السلطان وسار من حلب، فى تاسع عشره يريد دمشق، فقدمها ومعه صغير، له من العمر نحو خمس سنين، اسمه حسن ابن السلطان أحمد بن أويس فرت به مرضعته من بغداد.

وقدم أيضا اسفنديار قاصد قرا يلك.

وورد الخير بأن الأمير سلمان بن عثمان حصر أخاه جلبى ببلاد أفلاق، وأن أخاه محمد كرشجى ولى ابنه مراد البلاد الرومية، وأن ابن قرمان حاصر بلاد ابن كريمان وأحرقها، وأن دلغادر منع من الزرع بأبلستين.

شهر شوال، أوله الإثنين:

فيه دقت البشائر بقلعة دمشق لأخذ قلعة صرخد.

وفي حادى عشره: قبض على الأمير جانبك القرمى، فضربه السلطان ضربا مبرحا، وسجنه بقلعة دمشق.

وفي خامس عشره: خرج محمل الحاج من دمشق صحبة الأمير تنكر بلغا الحططى.
 وفي سابع عشره: توجه الأمير قرقماس ابن أخى دمرداش من دمشق عائدا إلى نيابة حلب على عادته، وتوجه قاضى القضاة شمس الدين محمد الأحنأى، وتاج الدين رزق الله ناظر الجيش، وغرس الدين خليل الأشقتمرى الأستاذار من دمشق، لتجهيز الإقامات من بلاد عجلون^(١)، برسم سفر السلطان إلى الكرك، وفى عشرينه أخرج بالمماليك المقبوض عليهم من سجنهم بقلعة دمشق، وسيقوا فى الحديد إلى مصر وهم بأسوأ حال.
 وفى رابع عشرينه: قدم شمس الدين محمد بن شعبان من دمشق إلى القاهرة، وعلى يده توقيع باستقراره فى حسبة القاهرة على عادته، عوضا عن زين الدين محمد بن الدميرى، وكان قد توجه إلى دمشق، وسعى حتى خلع عليه بها، وكتب توقيعه ومال إلى الأمير أرغون نائب الغيبة بتمكينه من مباشرة الحسبة، فأمضى الأمير أرغون ذلك، وخلع عليه فى غده، وعزل ابن الدميرى، وكل ذلك بمال وعد به.

شهر ذى القعدة، أوله الأربعاء:

فى ثانيه: قدم الأمير الكبير دمرداش بمن معه من العسكر إلى بلد الخليل عليه السلام، فأقام به، وبث القضا^(٢)، ذلك من أخبار أهل الكرك.

وفى سابعه: وصل إلى القاهرة من دمشق الأمير تاج الدين عبد الرزاق بن الهيصم الأستاذار، والوزير صاحب سعد الدين إبراهيم بن البشيرى، لتحصيل الأموال، فأسعر ابن الهيصم البلد نارا، وطلب جماعة قد ورثوا من مات لهم فى مدة غيبة السلطان، ما بين أولاد ذكور وإناث وزوجات، وإخوة وأخوات ونحو ذلك، وألزمهم برد ما أخذوا من الإرث الشرعى، فمنهم من أخذ ما ورثه، ومنهم من صالحه ببعض شىء من إرثه، فشنت القالة بأنهم قد أبطلوا أحكام الله - سبحانه - فى المواريث.

وفى عاشره: دخل الأمير جانم إلى طرابلس.

وفى رابع عشره: نودى بدمشق بالعسكر أن يلبسوا سلاحهم، ويقفوا بأجمعهم عند باب النصر فى يوم الجمعة.

(١) حصن وربضة، فى جبل الغور الشرقى، قبالة بيسان بالشام. انظر تقويم البلدان ص ٢٤٥.

(٢) بث القضا: أى حاط العدو من بعيد، وهو يتصرهم ويتحرز منهم ينظر (لسان العرب).

وفيه تتبعت الحمير بدمشق، وأخذت من البساتين وسائر المواضع، لتحمل عليها الأمتعة للسفر، فنزل بالناس من هذا ضرر كبير.

وفي ليلة الأربعاء خامس عشره: خسف جرم القمر كله.

وفي يوم الأربعاء هذا: ركب السلطان من دار السعادة إلى الغوطة، فكبس عقرباء^(١) ونهبها، على أن الأمير شيخ قد اختفى بها، فلم يوجد، وتبين كذب ما قيل، وحل بأهل الناحية بلاء عظيم.

وفي يوم الجمعة سابع عشره: خرج السلطان من دمشق ونزل بقبة يلغا، وتبعه من بقى معه من العسكر، فبات بمخيمه، واستقل بالمسير من الغد يريد الكرك، وعاد الأمير بكتمر جلق نائب الشام وعليه تشریف جليل، فنزل بدار السعادة على العادة.

وفي سادس عشرينه: ورد الخبر بأن الأمير شيخ نزل من قلعة الكرك، وعبر الحمام بالمدينة ومعه الأمير قنباى الحمدى، والأمير سون بقة، وطائفة يسيرة، فبادر شهاب الدين أحمد بن أبى العباس حاجب الكرك إليه، ومعه جمع كبير من أهل البلد، واقتحموا الحمام ليقتلوه، فسبهم بعض المماليك وأعله بهم، فنهض ولبس ثيابه، ووقف فى مسلخ الحمام عند الباب، ومعه أصحابه، فدفع عن نفسه، وقاتل القوم حتى أدركه الأمير نوروز ومعه بقية عسكره، وهزمهم، فأصاب الأمير شيخ بهم غار فى بدنه، وخرج منه دم كثير كاد يأتى على نفسه، وحمل إلى قلعة الكرك فأقام ثلاثة أيام لا يعقل وهو فى غيبة عن حسه. وقتل فى وقعة الحمام الأمير سون بقة، وحمل الأنير نوروز على حاجب الكرك. وقتل ممن معه جماعة.

وفي سلخه: ألزم بكتمر نائب الشام قضاة دمشق بحمل عشرة قراقل^(٢) وألزم تجارها بعشرة أخرى.

وفي هذا الشهر: كثرت الفتن بين التركمان، وخربوا قرى كثيرة ببلاد حلب.

وفيه قدم رسل ابن عثمان متملك الروم إلى حلب.

وفيه خالف أقبغا شيطان - أحد أصحاب الأمير شيخ - عليه، وسار من قلعة المرقب فى عشرين رجلا، وقدم حلب، متميا إلى طاعة السلطان، وفيه تنكر سون

(١) عقرباء: اسم مدينة الجولان، وهى كورة من كور دمشق. انظر معجم البلدان ١٨٨/٢.

(٢) القرقل: سلاح يشبه الدرع، يصنع من صفائح الحديد، ويغشى بالديساج الأصفر والأحمر.

٢٧٨ سنة ثلاث عشرة وثمانمائة

الجلب عن الأمراء النازلين عنده بالكرك، وسار عنهم حتى عدى الفرات، فبعث معه يغمور من يوصله إلى ماردین، فلما نزل بها أقام ثلاثا، وعزم على المضى إلى قرا يوسف، فأتاه الخیر بأن أیدکی بك ملك الترك، والشیخ إبراهيم الدربندی، وشاه رخ ابن تیمورلنك ملك جقظای، قد اجتمعوا على محاربة قرا يوسف، فتحير في أمره.

وفي يوم الجمعة رابع عشرينه: نزل السلطان على مدينة الكرك، وحصرها.

شهر ذى الحجة، أوله الخميس:

وفي خامسه: ورد مرسوم السلطان إلى دمشق بطلب نواب الشام.

وفي سابعه: وصل حريم السلطان من دمشق إلى قلعة الجبل، صحبة الأمير كزل العجمي، ووصل معه قضاة القضاة الثلاث بديار مصر، وجماعة كثيرة ممن كان بدمشق مع العسكر، وقدم مرسوم السلطان بإعادة زين الدين محمد بن الدميري إلى حسبة القاهرة، فخلع عليه في حادي عشره، وعزل ابن شعبان.

وفي ثالث عشره: قدم رسول محمد شاه بن قرا يوسف صاحب بغداد.

وفي تاسع عشره: خرج الأمير بكتمر جلق نائب الشام من دمشق، ونزل قبة يلبغا، فقدم عليه الخیر بأن الأميرين تغرى بردى وتمراز الناصري دخلا بين السلطان وبين الأميرين شيخ ونوروز في الصلح، وصعدا إليهما بقلعة الكرك ونزلا ومعهما الأمير سودن تلى المحمدي، ويشبك العثماني، وقرروا مع السلطان نزول الأمير شيخ والأمير نوروز إلى خدمته غدا، وأنهما نزلا إليه من الكرك، فخلع عليهما وعلى جماعة ممن معهما بضع عشرة خلعة، فسار الأمير بكتمر من قبة يلبغا ليلة الخميس ثاني عشرينه يريد الكرك، فقدم الخیر بانتقاض الصلح بين السلطان وبين الأميرين شيخ ونوروز، ثم ترددت الرسل بينهما وبين السلطان، حتى انعقد الصلح على أن يستقر الأمير الكبير تغرى بردى في نيابة الشام، عوضا عن الأمير بكتمر، ويستقر الأمير شيخ في نيابة حلب، عوضا عن الأمير قرقماس ابن أخي دمرداش، وتستمر قلعة المرقب بيده، ويستقر الأمير نوروز في نيابة طرابلس، عوضا عن الأمير جاتم، ويستقر جاتم أمير مائة مقدم ألف بديار مصر، ويكون أمير مجلس، ويستقر الأمير تغرى بردى ابن أخي دمرداش في نيابة حماة على عادته، وينقل سودن من عبد الرحمن من صفد إلى إمرة مائة مقدمة ألف بديار مصر، وأن يكون الأمير يشبك بن أزدمر أتاك على العسكر بدمشق، ويكون الأمير قنباى المحمدي أميرا بحلب، وشرط السلطان على الأميرين شيخ ونوروز ألا يخرجوا إمرة ولا إقطاعا ولا غير ذلك إلا بمرسوم سلطاني، وألا ينفرد أحد منهما بأمر

يتعلق بالسلطنة، وأن يسلم قلعة الكرك ومديتها للسلطان، ويسلم الأمير شيخ قلعة صرخد وقلعة صهبون للسلطان، وحلف الجميع للسلطان على الوفاء له بما ذكر، والإقامة على طاعته.

وحلف لهم السلطان أيضا، وخلع عليهم خلعا جليلا، ومد لهم سماطا، أكلوا معه عليه.

ثم رحل السلطان عن الكرك يريد القدس بمن معه، وتوجه الأمير تغرى بردى نائب الشام إلى جهة دمشق، فأقام السلطان بالقدس خمسة أيام، وسار يريد القاهرة، فقدم دوادار الأمير تغرى بردى إلى دمشق متسلما لها في ثامن عشرينه، ونزل بدار السعادة، فكانت مدة الأمير بكنمر جلق بدمشق بعد رحيل السلطان منها إلى الكرك سبعة وثلاثين يوما، وكانت مدته في النيابة الأولى عشرين يوما.

وفي هذا الشهر ذى الحجة: فشا الطاعون بدمشق وضواحيها. وكان فى أول هذا العام وباء ببلاد فلسطين وحووران وعجلون ونابلس وطرابلس، فمات خلق كثير جدا، وانحلت الأسعار بديار مصر فى آخر هذه السنة، فأبيع الأردب القمح بمائة وثلاثين فما دونها، والأردب الشعير بثمانين درهما فما دونها، والأردب الفول بمائة فما دونها.

هذا والدينار الأفرنتى بمائتى درهم من الفلوس، والمثقال الهرجة بمائتى درهم وعشرين درهما، والدينار الناصرى - وهو على وزن الأفرنتى - بمائتى درهم الدينار، وبطل الدينار السالى الذى ضربه الأمير يلغا السالى فى أيام ولايته، وكان يتعامل به عددا به، فمنه ما زنته مثقال، ومنه ما زنته نصف مثقال وربع مثقال، وعليه سكة أهل الإسلام، فاستحسنه الناس، وراج بينهم، فأراد السلطان أن يكون له اسم فى ذلك، فجدد ضرب الدينار الناصرى على وزن الأفرنتى، وأكثر من ضربه، فراج كرواج الأفرنتى، وقل السالى فى أيدي الناس، لكن دخل الغش فى الناصرى والأفرنتى، فصار ما ذكرنا بأيدي الناس من الذهب؛ شىء يقال له خارج الدار، وهو يعمل بغير دار الضرب افتتاتا على السلطان، وينقص سعره قليلا؛ وشىء يقال له التركى، وهو دينار من بلاد الفرنج، وسعره أقل من سعر الأفرنتى؛ ودينار آخر يقال له المغربى، يجلب من بلاد المغرب، عليه سكة أهل الإسلام؛ ودينار من ضرب الإسكندرية، وأما الفلوس، فإنها النقد الراجح بديار مصر كلها، حاضرتها وريفها، إليها حسب أثمان المبيعات كلها، وقيم الأعمال بأجمعها، ويتعامل بها كما قرره السالى وزنا، على أن كل رطل مصرى منها بستة دراهم، وبلغت الفضة النقرة التى لم تغش بثلاثة عشر درهما من الفلوس، زنة كل درهم منها، وقلت الفضة الكاملية، فلم تكد توجد.

وحج بالناس من مصر في هذه السنة الأمير الطواشي فارس الدين شاهين الحسنى.

وأخذت في هذه السنة مدينة أنتقيرة^(١) من بلاد الأندلس، وذلك أن الطاغية صاحب قشتالة لما أوقع بالمسلمين فى الزقاق، كثرت غاراته فى بلاد المسلمين بالأندلس، وكثرت غاراتهم أيضا على بلاد قشتالة، وكان ألفنت قد قام بأمر أخيه دون [.....] (٢)، وكان عارفا بالحروب والمكايد، شجاعا، دريا، شديد البأس، فجمع حرب المسلمين، ونزل على أنتقيرة - تجاه مالقة - أول ذى الحجة، فلم يستنجد أبو الحجاج يوسف بن يوسف بن محمد بن إسماعيل بن نصر بن الأحمر - صاحب غرناطة - عساكر فاس كما هى العادة، بل رأى أن فى عسكره كفاية، وجهاز أخويه محمد^(٣) وعليها على عسكر الأندلس، وقد جمع أهل القرى بأسرها، وخرجوا من غرناطة فى ثامن عشر ذى الحجة سنة اثنتى عشرة وثمانمائة، ونزلوا على حصن أرشذونة^(٤) - وهو على ستة أميال من أنتقيرة - حتى تكاملت الجموع فى ثامن عشرينه، ثم ساروا فى ليلة التاسع والعشرين وعسكروا تجاه العدو، بسفح جبل المدرج، فما استقرت، وقد أعجبتهم أنفسهم بهم الدار حتى زحف العدو لحربهم، فناروا لقتاله، وقد أعجبتهم انفسهم، واغزوا بكثرتهم، وتباهوا بزيتهم، ولم يراقبوا الله فى أمرهم، فما أحد إلا ومعه نوع من المعاصى كالخمر والأحداث، حتى لقد أخبرنى من شهد الواقعة أنه سمع عالم الأندلس - أبا يحيى بن عاصم - يقول: « ما أظن إلا أنا مخذولون ». فلما اشتد القتال فى الليل، انهزم العدو بعد ما قتل من المسلمين عشرة فرسان، ولما كان أول يوم من محرم سنة ثلاث عشرة، نادى أخو السلطان فى العسكر بالنفقة، وكانت نفقة السفر قد أخرجت عن وقتها، لئلا يأخذها العسكر ولا يشهدوا الحرب، وجعلت عند حضور الجهاد، فهم فى أخذ النفقة، وإذا بالعدو وقد أقبل عند طلوع الشمس، فخرجت المطوعة وقاتلتهم، وأقام العسكر بأجمعهم لأخذ النفقة، وعلم العدو بذلك فرجعوا كأنهم منهزمين، والمطوعة تتبعهم. وتنادى فى العسكر: « يا أكالين الحرام! العامة هزمت النصرى، وأنتم فى خيامكم جلوس ».

فلما وصل العدو إلى معسكرهم، وقفوا للحرب، وقد اجتمع جميع رجاله المسلمين

(١) أنتقيرة: حصن بين مالقة وغرناطة. انظر معجم البلدان ١ / ٢٥٩.

(٢) ما بين المعقوفتين سقط فى الأصل.

(٣) محمد بن يوسف بن محمد بن أحمد أبو عبد الله من ملوك الأندلس المغمورين لا تزال سيرته

مجهولة وهو فيما يبدو حفيد محمد الغنى بالله. انظر الأعلام ٧ / ١٥٤.

(٤) أرشذونة: مدينة بالأندلس معدودة فى أعمال رية قبلى قرطبة بينها وبين قرطبة عشرون

فرسخا. انظر معجم البلدان ١ / ١٥٢.

طمعا في الغنيمة، فإذا العدو وقد خندق على معسكره ورتب عليه الرماة، فسقط في أيديهم، ووقفوا إلى الظهر في حيرة، فخرج أمراء الطاغية عند ذلك من جوانب الخندق، وحملوا على المسلمين، فقتلوا من قاتلهم، وأسروا من ألقى منهم سلاحه، حتى وصلوا مخيم المسلمين، فركب طائفة من بنى مرين وبنى عبد الواد، وقاتلوا على أطراف خيمهم قليلا، وانهزموا هم وجميع أهل الأندلس، بحيث خرج أخوا السلطان بمن معهما مشاة إلى الجبل على أقدامهم، فأحاط العدو بجميع ما كان معهم، وأكثروا من القتل فيهم.

وكانت عدة من قتل من المعروفين من أهل غرناطة خاصة مائة ألف إنسان، سوى من لم يعرف، وسوى أهل أقطار الأندلس، بحرّها وخرها، سهلها وجبلها، فأنهم عالم لا يحصيه إلا الله تعالى. واستشهد أبو يحيى بن عاصم في عدة من الفقهاء. وأقام النصراني ثلاثة أيام يتبعون المسلمين، فيقتلون ويأسرون.

وبعث الطاغية إلى أعماله يخبرهم بنصرته. فلما بلغ ذلك أهل أبده^(١) وسبته^(٢)، وأهل حيان، خرجوا إلى وادي أش - وهو بيد المسلمين - ونزلوا قريبا من حصن أرتنة، فاستغاث أهل الحصن بأهل غرناطة، فأمدوهم بعسكر، فصار النصراني إلى حصن مشافر، وقاتلوا أهله حتى أخذوا الربيض^(٣)، وشرعوا في تعليق الحصن. وإذا بعسكر غرناطة قد جاءهم في سابع الحرم، فأوقعوا بهم وقية شنعاء، أفنؤهم فيها، وأسروا منهم زيادة على ألف وخمسمائة، وعادوا إلى غرناطة بهم، فدخلوا في تاسعه، وبلغ ذلك الطاغية - وهو على حصار أنتقيرة - فكف أصحابه عن الدخول بعدها إلى بلاد المسلمين، وأقام على الحصار ستة أشهر حتى ضعفت أحوال المسلمين بأنتقيرة، ورفعوا كرائم أموالهم إلى حصنها، وتعلقوا به، فملك الطاغية المدينة بما فيها من الأزواد والأمتعة. ووقع مع هذا في المسلمين الوخم، فمات منهم جماعة كثيرة، فاضطروهم الحال إلى طلب الأمان ليلحقوا ببلاد المسلمين بأموالهم فأنهم ألفت على أن يخرجوا بما يطيقون حمله، فخرجوا بأجمعهم إلى معسكره، فوفى لهم، حتى أن بعض البطارقة من أكابر أمراءه أخذ بنتا جميلة، وخلّا بها يومه كله، ثم خلى سبيلها. فوَقفت بها أمها،

(١) أبدة: بالضم ثم الفتح والتشديد: اسم مدينة بالأندلس من كورة حيان، تعرف بأبدة العرب. اختطها عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك، وتحمها ابنه محمد بن عبد الرحمن. انظر معجم البلدان ١ / ٦٤.

(٢) سبته: بلدة بشمال أفريقية تقابل الأندلس على مضيق جبل طارق.

(٣) الربيض هو أساس المدينة والبناء، والربيض ما حوله من خارج. انظر معجم البلدان ٣ / ٢٥.

وشكت ما نزل بها، فقال لها: « أتعرفيه؟ » قالت: « إذا رأيته عرفته » فنأدى بحضور جميع من معه، فأتوا بأسرهم، ووقفوا صفوفاً، فقال للمرأة: « سيرى فيهم حتى تعرفى غريمك ». فما زالت تتصفح وجوههم إلى أن رأت خصمها، فقادتة إليه، فشنقه لوقتته. وجهاز جميع المسلمين، وبعث من أوصلهم إلى غرناطة، فلم يفقد أحد منهم، ولا شراك نعل وأقام بأنتقىرة من يثق به، وعاد عنها قافلاً إلى بلاده فى أوائل جمادى الآخرة، فكانت هذه الحادثة من أشنع ما أصاب المسلمين بالأندلس، ولا قوة إلا بالله.

* * *

ومات فى هذه السنة ممن له ذكر

قحاجق دوادار السلطان، فى سادس المحرم، وكان أشبه بالنساء منه بالرجال، فشهد السلطان دفنه، بعدما صلى عليه.

وتوفى كريم الدين محمد بن محمد بن نعمان بن هبة الله الهوى، محتسب القاهرة، فى حادى عشر شعبان، وكان من فضائح الزمان.

وتوفى مجد الدين عبد الغنى بن الهيصم^(١) ناظر الخاص، فى ليلة الأربعاء عشرين شعبان. وكان من ظلمة الأقباط.

وتوفى قاضى القضاة تقى الدين عبد الرحمن بن تاج الرياضة محمد بن عبد الناصر^(٢)

(١) عبد الغنى بن الهيصم، وقيل إن اسم الهيصم إبراهيم (٨١٣ هـ = ١٤١٠ م)، الرئيس مجد الدين، ناظر الخواص، الشهير بابن الهيصم، وهو أخو الصاحب تاج الدين عبد الرازق المتقدم ذكره، يقال إن الهيصم من ذرية المقوقس. نشأ مجد الدين هذا بالقاهرة، ومهر فى قلم الديونة والحساب، وكتب فى عدة جهات إلى أن ولى استيفاء الديوان المفرد، ثم استقر به الملك الناصر فرج بن برفوق فى وظيفة ناظر الخاص، بعد القبض على جمال الدين يوسف البيرى الأستاذ فى يوم الثلاثاء رابع جمادى الآخرة سنة اثنتى عشرة وثمانائة، فاستمر المذكور فى وظيفة الخاص إلى أن توفى ليلة الأربعاء عشرين شعبان سنة ثلاث عشرة وثمانائة. قال المقرئى رحمه الله: وكان من ظلمة الأقباط. انتهى.

قل: وهذا والد الصاحب أمين الدين إبراهيم بن عبد الغنى بن الهيصم - وزير زماننا هذا - ذكرناه فى حرف الهمزة فى مكانه. وله أيضاً ترجمة فى: الدليل الشافى جـ ١ ص ٤٢٠ رقم ١٤٤٧ النجوم الزاهرة جـ ٣ ص ١٧٨، أبناء الغمر جـ ٢ ص ٤٧٨، نزهة النفوس جـ ٢ ص ٢٧٩، رقم ٤٨٣، الضوء اللامع جـ ٤ ص ٢٤٥ رقم ٦٣٨.

(٢) (٧٣٤ - ٨١٣ هـ = ١٣٣٣ - ١٤١٠ م)، عبد الرحمن بن محمد بن عبد الناصر بن هبة الله ابن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الناصر بن محمد بن عبد المنعم بن طاهر بن أحمد بن مسعود بن داود ابن يوسف، قاضى القضاة تقى الدين أبو محمد الزبيرى الحلى، يعرف بابن تاج الرئاسة، والزبيرى نسبة إلى محلة الزبير من قرى الغربية من أعمال وبتلك النواحي نشأ وطلب العلم، وسمع على أبى الفتح الميدوى وغيره، وقرأ على أبىه القراءات وغيره، وتفقه بجماعة، ثم قدم القاهرة وتزوج بابنة =

الحلى الزبيرى الشافعى، فى يوم الأحد أول شهر رمضان. ومولده سنة أربع وثلاثين وسبعمائة وولى قضاء القضاة - كما تقدم - نحو ثلاثين شهرا، حسنت فيها سيرته. ثم عزل، فلزم بيته نحو ثلاث عشرة سنة، حج فيها مرتين، وجاور بمكة سنة. وأول من حكم عنه قاضى القضاة عز الدين عبد العزيز بن جماعة.

وتوفى شمس الدين محمد بن أحمد بن عبد الملك الدميرى المالكى، يوم الإثنين تاسع شهر رمضان، وولى حسبة القاهرة فى الأيام الأشرفية شعبان^(١)، وبعده غير مرة. وولى نظر الأحباس، ونظر المارستان، وقضاء العسكر على مذهب مالك. وكان عاريا من العلم.

وتوفى الشيخ شمس الدين محمد بن على القطان الشافعى^(٢)، فى أول شهر شوال وكان من أعيان الفقهاء النحاة القراء.

= قاضى القضاة موفق الدين عبد الله الحنبلى، وباشر توقيع الحكم مدة طويلة، ثم ناب فى الحكم عن القضاة بالقاهرة دهرا، وعملا سنة، وعرف بين الناس، واستمر على ذلك إلى أن طلبه الملك الطاهر برقوق فى يوم الخميس ثالث عشرين جمادى الأولى سنة تسع وتسعين وسبعمائة على حين غفلة وفوض إليه قضاء القضاة الشافعية، عوضا عن قاضى القضاة صدر الدين المناوى بحكم عزله وحنق السلطان عليه، فباشر المذكور القضاة، وحسنت سيرته لتواضعه ومعرفته بالشروط والأحكام، ولعفته أيضاً عن كل قبيح، ودام إلى أن صُرف بصدر الدين المناوى فى خامس عشر شهر رجب سنة إحدى وثمانمائة، فلزم المذكور داره، وترك ركوب الغلة، وصار يمشى فى الطرقات، وترك الاحتشام إلى أن توفى يوم الأحد أو شهر رمضان سنة ثلاث عشرة وثمانمائة عن ثمانين سنة وقد هرم، رحمه الله، ودفن بتربة الصوفية خارج باب النصر. وله أيضاً ترجمة فى: الدليل الشافى جـ ١ ص ٤٠٦ رقم ١٣٩٨، النجوم الزاهرة جـ ١٣ ص ١٧٩، أنباء الغمر جـ ٢ ص ٤٧٠ رقم ١١ ورفع الإصر ص ٣٣٦، نزهة النفوس جـ ٢ ص ٢٧٨ رقم ٤٧٩، الضوء اللامع جـ ٤ ص ١٣٨ رقم ٣٦٢.

(١) شعبان بن حسين (٧٥٤ - ٧٧٨ م ١٣٥٣ = ١٣٧٧ م). شعبان بن حسين بن الملك الناصر محمد بن قلاون، أبو المعالى، ناصر الدين: من ملوك الدولة القلاونية بمصر والشام ولى السلطنة بعد خلع ابن عمه (محمد بن حاجى) سنة ٧٦٦هـ. انظر مورد اللطافة ٨٧، ابن إياس ١ / ٢١٢، حسن المحاضرة ١٠٤ / ٢، الدر الكامنة ١٩٠ / ٢، البداية والنهاية ١٤ / ٣٠٢ - ٣٢٤. الأعلام ٣ / ١٦٣، ١٦٤.

(٢) ابن القطان (٧٣٧ - ٨١٣ هـ = ١٢٣٧ - ١٤١١ م). محمد بن على بن محمد السمنودى الأصل، المصرى، شمس الدين، بن القطان: باحث، من فقهاء الشافعية. من أهل القاهرة. له كتب، منها «السهل» فى القراءات السبع، و«بسط السهل» شرحه فى مجلدين، وذيل على طبقات الإسئوى: و«شرح ألفية ابن مالك» يزيد على أربعة مجلدات، و«جمع الشمل» فى الفرائض والحساب، و«المشرب المنى» فى شرح مختصر المزنى. قال السخاوى يعرب بابن القطان، حرفة أبيه وأخيه. انظر البدر الطالع ٢ / ٢٢٦، الضوء اللامع ٩ / ٩، الأعلام ٦ / ٥٨٧.

وتوفى شمس الدين محمد بن عبد الخالق المناوى المعروف ببدينه، ويعرف بالطويل أيضا، فى رجب ، وولى حسبة القاهرة، ووكالة بيت المال، ونظر الكسوة، ونظر الأوقاف. وكان غاية فى الجهل .

وتوفى الأمير قراجا دوادار السلطان، فى منزلة الصالحية، وهو صحبة السلطان يريد الشام، يوم الأربعاء ثالث عشر ربيع الآخر، ودفن بها.

وتوفى الأمير قرا تنبك الحاجب، أحد أمراء الطبلخاناه بالقاهرة، فى أول شوال.

وتوفى القان أحمد بن شيخ حسن بن شيخ حسين بن أقبغا بن أيلكان، صاحب بغداد، مقتولا فى ليلة الأحد آخر شهر ربيع الآخر، وكان جلوسه سلطانا فى صفر سنة أربع وثمانين وسبعمائة وقتل الأمير سلمان بن بايزيد بن عثمان، وملك أخوه موسى الجزيرة الرومية وأعمالها. وملك محمد بن عثمان القرية الخضراء وأعمالها، وهى يقال لها برصا بالرومية.

* * *

سنة أربع عشرة وثمانمائة

أهلت، وسلطان الديار المصرية، والبلاد الشامية وأرض الحجاز الملك الناصر أبو السعادات فرج بن السلطان الملك الظاهر أبي سعيد برقوق بن أنص، وخليفة الوقت الإمام المستعين بالله أبو الفضل العباس بن المتوكل على الله أبي عبد الله محمد. وأتابك العساكر الأمير تمرتاش الحمدي. والدوادار الكبير الأمير طوغان الحسنى ورأس نوبة قباى، وحاجب الحجاب يلغا الناصرى. وقاضى القضاة بديار مصر شيخ الإسلام جلال الدين أبو الفضل عبد الرحمن بن شيخ الإسلام سراج الدين أبي حفص عمر بن رسلان البلقينى الشافعى، وقاضى القضاة الحنفية ناصر الدين محمد بن قاضى القضاة كمال الدين عمر بن العديم، وقاضى القضاة المالكية شمس الدين محمد بن على بن معبد المدنى، وقاضى القضاة الحنابلة مجد الدين سالم بن سالم المقدسى. وكاتب السر فتح الدين فتح الله بن معتصم بن نفيس، وناظر الجيش صاحب بدر الدين حسن بن نصر الله والوزير صاحب سعد الدين إبراهيم البشبرى. والأستادار الأمير تاج الدين عبد الغنى بن الهيصم ونائب الشام الأمير تغرى بردى، ونائب حلب الأمير شيخ الحمودى، ونائب طرابلس الأمير نوروز الحافظى، ونائب حماة الأمير تغرى بردى ابن أخى دمرداش، ويعرف بسيدى الصغير، ونائب صفد الأمير قرقماس بن أحمى دمرداش، المعروف بسيدى الكبير، ونائب غزة الأمير أينال الرجبى، وقد عزل واستقر عوضه الأمير سودن من عبد الرحمن. ومتملك بغداد وتبريز^(١) قرا يوسف ابن قرا محمد التركمانى، وينوب عنه ببغداد ولده محمد شاه. وأمير مكة المشرفة الشريف حسن بن عجلان، وصاحب اليمن الملك الناصر أحمد بن الملك الأشرف إسماعيل^(٢)، وصاحب بلاد قرمان الأمير ناصر الدين محمد باك بن الأمير علاء الدين بن قرمان، وصاحب

(١) سبق ترجمتها.

(٢) الملك الناصر (٨٢٧ هـ = ١٤٢٤ م). أحمد بن إسماعيل بن العباس الرسولى، الملك الناصر بن الأشرف ابن الأفضل: من ملوك الدولة الرسولية فى اليمن تولاهما بعد وفاة أبيه سنة ٨٠٣ هـ ولم تحمد سيرته، قال السخاوى: كان من شرار بنى رسول خرج عليه أخوه حسين، وتقلب بالملك الظافر، فاستولى على زبيد سنة ٨٢٢ هـ وبايعه خلق كثير، فجهز عليه الناصر وحاصره وقتله ثم قبض عليه وسمر عينيه واستمر الناصر إلى أن توفى متأثراً من روعة إصابته بسقوط صاعقة على حصنه خارج مدينة زبيد، وحمل إلى تعز، فدفن فيها. انظر الضوء اللامع ١ / ٢٤٠. الأعلام ١ / ٩٧.

أجات^(١) الأمير موسى جليبي بن الأمير أبي يزيد بن مراد خان بن أزمان بن عثمان جق. وصاحب قرم وصرای^(٢) وبلاد الدشت الأمير أيدكى، وصاحب سمرقند^(٣) وبخارى^(٤) وبلاد فارس^(٥) فرخشاہ بن تیمورلنك.

والأسعار بديار مصر: أما الذهب الهرجة فكل مثقال بمائتي درهم، وخمسة عشر درهما بالفلوس المتعامل بها كل رطل بستة دراهم. والدينار الأفرنتى والدينار الناصرى، كل شخص منها بمائة وتسعين درهما، إذا عوض الذهب فى ثمن مبيع حسب بزيادة خمسة دراهم. وأما القمح فإن الأردب بمائة وأربعين درهما إلى ما دونها، فيكون على حساب الذهب فى غاية الرخص فإنه بثلثي مثقال. والأردب من الشعير والفلول بمائة درهم فما دونها.

شهر الله المحرم الحرام، أوله السبت:

فيه تسلم الأمير أسنبغا الزردكاش قلعة الكرك من الأميرين شيخ ونوروز فوجد مدينة الكرك خراباً، ليس فيها من أهلها سوى خمسين إنساناً، وقد تشتت أهلها فى البلاد من كثرة الظلم وشدة الجور.

وفى سادسه: قدم الأمير تغرى بردى نائب الشام إلى دمشق، ونزل بدار السعادة على العادة، فنودى بالزينة، فزين الناس حوائيتهم.

وفى ثامنه: وصل الأميران شيخ نائب حلب، ونوروز نائب طرابلس إلى دمشق، ونزلا بسطح المزة، فخرج الأمير تغرى بردى نائب الشام إليهما، وسلم عليهما وترحب بهما وعاد. وكان لما بلغه قدمهما خرج ليلقاها على قبة يلبغا، فبلغه أنهما مضيا إلى المزة، فعاد إلى دار السعادة، وتحفف من ثيابه، وركب إليهما بثياب بذلته، فوجد الأمير شيخ فى أثناء الطريق، وقد ركب إليه ليسلم عليه، فرجع معه وتوجه إلى الأمير نوروز،

(١) إحدى إمارات آسيا الصغرى، تقع قرب برسا. انظر عقد الجمان ج ٢٥ القسم الثانى ص

(٢) صراى: مدينة عظيمة غربى بحر الخزر. انظر تقويم البلدان ص ٢١٧.

(٣) سبق ترجمتها.

(٤) بخارى: من أعظم مدن ما وراء النهر وأجلها، يعبر إليها من آمل الشط، وبينها وبين جيحون يومان من هذا الوجه، وكانت قاعدة ملك السامانية. انظر معجم البلدان ١/٣٥٣ وما بعدها.

(٥) فارس: ولاية واسعة وإقليم فسيح، أول حدودها من جهة العراق أرجان ومن جهة كرمان السيرجان ومن جهة ساحل بحر الهند سيراف ومن جهة السند مكران. انظر معجم البلدان ٤/٢٢٦ وما بعدها.

فقضى حقه من السلام. ثم جاء إلى دار السعادة، فركب الأمير شيخ وأتى إلى البلد، ونزل بدار القرماني، ونزل الأمير نوروز بدار فرج بن منجك، بعدما ركب إلى النائب، وسلم عليه.

وفى تاسعه: نزل السلطان بقطيا، وسرح الطائر إلى قلعة الجبل بأنه يقدم يوم الأربعاء ثانی عشره، فتأهب الناس إلى لقائه، وخرجوا إليه، فنزل بكرة يوم الأربعاء بتربة والده السلطان الملك الظاهر خارج باب النصر، وخلع على الخليفة والقضاة والأمراء وسائر أرباب الوظائف، وخلع على شمس الدين محمد بن يعقوب وولاه حسبة القاهرة، وعزل ابن الدميرى، وخلع على محمد بن النجار. وعزل ابن الهوى من حسبة مصر، وقبض عليه ليحضر ما خلفه أبوه من المال. وصعد إلى قلعة الجبل، فكان يوماً مشهوداً.

وفى سابع عشره: سار الأمير شيخ من دمشق إلى حلب، بعدما قضى أشغاله، فخرج الأمير تغرى بردى معه ليودعه، حتى نزل بسطح المزة، ثم خرج الأمير نوروز فنزل بالمزة أيضاً، واستقلا بالمسير فى غده، وكان الأمير شيخ قد بعث متسلمه إلى حلب، وهو مملوكه قباى، فقدمها فى ثالث عشره، فخرج الأمير قرقماش ابن أختى دمرداش من حلب، وخيم بظاھرھا، ثم سار من غده يريد صفد.

وفى حادى عشرينه: خلع السلطان على زين الدين حاجى التركمانى الحنفى قاضى العسكر وأحد أئمة السلطان، وولاه مشيخة التربة الظاهرية برقوق خارج باب النصر، وعزل عنها صدر الدين أحمد بن جمال الدين محمود القيصرى - المعروف بابن العجمى - من أجل أنه ودع عنده قبل سفره عشرة آلاف دينار، فأنفقها كلها فى مآكل وملابس، وحج منها، فقبض عليه السلطان وطلب منه المال، فباع ما اشتراه منه، وأورد بعضه، وعجز عن البعض، فتركه له.

وفى رابع عشرينه: وصل الأمير بكتمر جلق من الشام، فركب السلطان وتلقاه، وألبسه تشريفاً سنياً، وخلع على الأمير الكبير تمرتاش تشريفاً بنظر المارستان المنصورى على العادة، وعبر السلطان إلى القاهرة من باب النصر، وهما بتشريفهما بين يديه، حتى مر بالمدرسة التى أنشأها الأمير جمال الدين يوسف الأستاذار برحبة باب العيد، نزل إليها وصلى بها، ثم ركب منها.

وذلك أن جمال الدين لما قتل فى سنة اثنتى عشرة، وقبض السلطان على أمواله، حسن أعداؤه للسلطان أن يهدم هذه المدرسة، ويأخذ رخامها، فإنه فى غاية الحسن،

ويسترجع الأملاك والأراضي الموقوفة عليها، فإنها تغل جملة كبيرة، فعزم على ذلك، ولم يبق إلا أن تهدم، فقام فتح الله كاتب السر في صرف السلطان عن ذلك، وما زال به حتى رجع إليه، على أنه ينقض ما وقفه جمال الدين، ويجدد السلطان وقفها، فتصير مدرسته، وذلك أن مكان هذه المدرسة كان وقفا على تربة، فاستبدله جمال الدين بقطعة أرض من أراضي مصر الخراجية، فأخذ السلطان المستبدل بها، وقال: «إني لم أذن له في أخذ هذه الأرض، وهي من جملة أراضي الخراج، وإنما أخذها افتتاتا. فصارت أرض هذه المدرسة وقفا على ما كانت عليه قبل بنائها». فحكم قاضي القضاة المالكى أن البناء الموقوف على هذه الأرض ملك لم يصح وقفه، فاشترى السلطان عند ذلك بناء المدرسة، بعدما قوم بمبلغ عشرة آلاف دينار، من ورثة جمال الدين. ثم أشهد عليه أنه وقفه بعدما عوض مستحقى أرضها بدلها. وحكم القضاة الحنفية بصحة الاستبدال. وكتب لها كتاب وقف على ما كان جمال الدين قرره فيها من الفقهاء والقراء وغيرهم. وأبطل ما كان لأولاد جمال الدين من الفوائض بعد المصروف. ومزق كتاب وقف جمال الدين، وأفرد لهذه المدرسة بعض ما كان جمال الدين جعله وقفا عليها، وزادها قطعة أرض بأراضي الجيزية. وفرق باقى وقف جمال الدين على التربة التى أنشأها على قبر أبيه خارج باب النصر، وعلى أولاده، وحكم القضاة الأربعة بصحة ذلك كله، وإبطال ما عمله جمال الدين. فلما تم ذلك أمر أن يمحي اسم جمال الدين ورنكه من المدرسة، فمحي، وكتب بدله اسم السلطان، فصارت تدعى بالمدرسة الناصرية، بعدما كان يقال لها الجمالية.

ولما سار السلطان من هذه المدرسة مر بمدرسة أبيه فى بين القصرين، فنزل إليها أيضا، وزار جده. ثم ركب وخرج من باب زويلة إلى القلعة، وعبر الأمير تمرتاش إلى المارستان، ومعه فتح الله كاتب السر، وقد ولاه السلطان أيضا نظر المارستان وهو بدمشق، عوضا عن شمس الدين محمد الدميرى بعد وفاته، فنظرا فى أمره وانصرفا، وقد استناب الأمير تمرتاش عنه فى المارستان الأمير صلاح الدين محمد بن صاحب بدر الدين حسن بن نصر الله.

شهر صفر، أوله الإثنين:

فى سادسه: وصل الأمير قرقماس نائب صفد إلى دمشق، فأراح بها، وسار إلى صفد بعدما قدم له الأمير تغرى بردى نائب الشام ما يليق به، وأكرمه غاية الإكرام.

وفى ثانى عشره: عين السلطان اثنين وعشرين أميرا من الأمراء البطالين، ليتوجهوا

إلى الشام على إقطاعات عينها لهم، منهم الأمير حزمان الحسنى، والأمير ثمان تمر الناصرى، والأمير سونجبغا، والأمير شادى خجا، والأمير أرطوبغا، والأمير قنباى الأشقر، ومعهم مائتا مملوك ليكر[.....] (١) النائب

وفى ثالث عشره: قتل بسجن الإسكندرية الأمير جانبك القرمى، والأمير أسندمر الحاجب، والأمير سونج البجاسى، والأمير قنباى أخو بلاط.

وفى حادى عشرينه: خلع على تقى الدين عبد الوهاب بن الوزير صاحب فخر الدين ماجد بن أبى شاكر، واستقر فى نظر الخاص، ولم يول السلطان فيها بعد محمد الدين بن الهيصم أحدا.

وفى رابع عشرينه: قبض السلطان على ثلاثة أمراء من المقدمين، وهم الأمير قنباى رأس نوبة، والأمير يشبك الموساوى الأفقم، والأمير كمشبغا المزوق، وقبض على الأمير منجك أمير عشرين، والأمير قنباى الصغير ابن بنت أخت الملك الظاهر برقوق أمير عشرة، وشاهين، وخير بك، وأمور، وخشكلىدى، وحملوا فى الحديد إلى الإسكندرية فسجنوا بها، ورسم للأمير تمراز الناصرى أن يكون طرخانا، لا يحضر الخدمة السلطانية، ويقوم بداره، ويتوجه إلى دمياط، وعين له شىء يقوم بحاله.

وفى سابع عشرينه: ورد كتاب الملك مانويل صاحب إصطنبول (٢)، وهى القسطنطينية (٣)، وهدية خمس كواهى، فتضمن كتابه ما عنده من المحبة، ويسأل الوصية بالنصارى، ومراعاة كنائسهم، ونحو ذلك.

وفى ثامن عشرينه: خلع على الأمير سنقر الرومى، واستقر رأس نوبة كبير، عوضا عن قنباى.

وفى سلخه: انقطع الأمير طوغان الدوادار عن الطلوع إلى الخدمة السلطانية بقلعة الجبل على العادة، خوفا على نفسه، فإنه وشى به مملوكان من مماليكه، ومملوك من مماليك السلطان، أنه يريد الركوب على السلطان ومحاربتة، فأرسل السلطان إليه الأمير الكبير تمرتاش، والأمير يلبغا الناصرى حاجب الحجاب ليحضراه، فمازالا به حتى صعد معهما إلى القلعة، فال الأمر بعد كلام كثير إلى أن خلع عليه، وسلم له غرماؤه فى الحديد.

(١) ما بين المعقوفين مطموس فى الأصل.

(٢) إصطنبول: هو اسم لمدينة القسطنطينية. انظر معجم البلدان ١ / ٢١٢.

(٣) قسطنطينية: ويقال قسطنطينية، بإسقاط ياء النسبة، كانت رومية دار ملك الروم وكان بها

منهم تسعة عشر ملكا، واسمها إصطنبول حلايا). انظر معجم البلدان ٤ / ٣٤٧، ٣٤٨.

وفي هذا الشهر: انتهى الطاعون الذى ابتدأ فى البلاد الشامية من شوال، فأحصى من مات من أهل دمشق وسكان غوطتها، فكانوا نحو خمسين ألفا، سوى من لم يعرف، فخلت عدة من القرى، وبقيت الزروع قائمة لا تجد من يحصدها.

شهر ربيع الأول، أوله الثلاثاء:

فيه قدم الأمير أينال الساقى من سجن الإسكندرية.

وفى ثالثه: قطع السلطان خبز الأمير شرباش كباشة، ورسم بتوجهه بطالا إلى دمياط.

وفى رابعه: أخرج الأمير تمرار الناصرى والأمير شرباش كباشة إلى دمياط، منفين.

وفيه قبض على جماعة من المماليك الخاصكية، منهم جان بك العثماني، وفيه قدم الخير بأن الأميرين شيخ ونوروز لم يمضيا حكم الناشير السلطانية وأنهما أخرجا إقطاعات حلب، وطرابلس لجماعتهم، وأن الأمير شيخ سير يشبك العثماني محاصرة قلعة البيرة، وقلعة الروم، وأنه خرج من حلب وخرج نوروز من طرابلس، وأن عزمهما العود على ما كانا عليه من الخروج عن الطاعة.

وقدم الخير بأن جليى بن أبى يزيد بن عثمان - صاحب برصا - قتل أخاه سلمان، وأخذ جميع بلاده، وهو عازم على المسير إلى أخيه كرشجى.

وفى خامسه: قبض السلطان على جماعه من كبار مماليك أييه الخاصكية، وسجنهم بالبرج، ثم قتلهم بعد شهر.

وفى سابعه: قبض على الأمير خير بك نائب غزة، وهو يومئذ أحد أمراء الألف بديار مصر، وقبض على عدة من المماليك، وحملهم إلى الإسكندرية، وفيه قدم الخير بقتل الأمير قرا يشبك والأمير أقبغا جركس، والأمير أسندمر الناصرى^(١) والأمير سودن

(١) أسندمر بن عبد الله الناصرى (٧٦٩ هـ = ١٣٦٨ م)، الأمير سيف الدين، أتاكب العساكر بالديار المصرية. أصله من مماليك الملك الناصر حسن بن محمد بن قلاوون، ومن وافق يلبغا العمري الخاصكى على قتل أستاذه السلطان حسن، استمر المذكور من حزب يلبغا، «وصار أمير مائة ألف بديار مصر إلى أن وقع من أمر يلبغا» مع ممالكيه وانضمامهم على الملك الأشرف شعبان على ما سنحكيه فى غير موضع إن شاء الله تعالى، كان أسندمر هذا أيضا ممن انضم مع يلبغا وواقفه، ووقعت خطوب وحروب آلت إلى قتل يلبغا، وإلى أن صار أسندمر المذكور أتاكبا بعده، وسكن بدار يلبغا وصار هو ثلاثة أمراء آخر، هم أصحاب الحل والعقد فى المملكة، وهم أسندور هذا، وطغيتم النظامى، وأقبغا جلب الأحمدي، وقجماس الطازى، فأقاموا على ذلك مدة ثم وقع:

الحمصى، بسجن الإسكندرية.

وفي عشرينه: قدم سودن الجلب من بلاد الشرق إلى حلب، فسيره الأمير شيخ إلى الأمير نوروز.

وفيه ورد الخبر بأن الأمير نوروز بعث عسكريا لحصار قلعة الأكراد.

= بينهم الخلف، فصار أسندمر وحده، وانضم هولاء الثلاثة إلى الملك الأشرف شعبان، وانضم على أسندمر جماعة من الأمراء ومن مماليك يلبغا، إلى أن كانت ليلة الأحد سابع شهر شوال سنة ثمان وستين وسبعمئة، ركب الأمراء جميعهم نصف الليل، ونزل السلطان معهم، ودقت الكوسات، وكان قصد الأمراء مسك أسندمر الناصرى هذا، ومسك بعض مماليك يلبغا الأشرار، فلم يركب أسندمر إلى طلوع الشمس، ثم ركب من الكيش بمن معه وراح إلى قبة الصفراء ونزل القرافة، وطلع من خلف القلعة، ولم يعلم به الأمراء إلا وهو تحت الطبلخاناه السلطانية، فهرب أكثر الأمراء إلا ألباى اليوسفى وأرغون تتر فهما ثبنا، وقاتلا بمن معهما إلى قريب الظهر فلم يردفهما أحد من الأمراء، فانكسرا وجرح آقبغا حلب، وقتل الأمير دروط ابن أخى الحاج آل ملك وقبض أسندمر هذا على عدة من الأمراء مقدمى الألف وهم: طفيتمر النظامى، «وآقبغا حلب، أيدمر الشامى، وألباى اليوسفى، وقجماس الطازى» وأقطاى، وأرغون، وقطلوبغا حر كس، ومن الطبلخانات، ولبغا شقى، وقرباغا شاد الأحواش، وطاجار من عوض، وقطلوبغا الشعبانى، وأيدمر الخطاى وتمراز الطازى، وأسن الناصرى، وقراتمر المحمدى، وقرباغا الأحمدي، أخو جلب وأرسلوا الجميع إلى سجن الإسكندرية، ثم فى حادى عشر شوال خلع على جماعة من الأمراء المقدمين، يطول الشرح فى تسميتهم. وصار أسندمر هذا هو مدبر الممالك يقدم من شاء ويؤخر من شاء، ودام على ذلك إلى يوم الجمعة سادس صفر من سنة تسع وستين وسبعمئة، وركبت مماليك يلبغا الأجلاب ودخلوا على أسندمر فمسك منهم جماعة، وأراد سكون الفتنة بذلك، فأصبحوا يوم السبت أيضا لابسين آلة الحرب، ودخلوا على أسندمر وطلبوا منه خلع الملك الأشرف، وكان قد تغير الأشرف لأمر صدرت منه فى حقه، فوافقهم على ذلك، فبلغ الأشراف فركب وركب معه نحو مائتين مملوك، وكانت مماليك يلبغا فوق ألف وخمسمائة مملوك، وانضاف إلى السلطان جماعة من أكابر الأمراء وجاءوا مماليك يلبغا، فتلاقوا مع الأمراء والسلطان، وكان أسندمر أخذ جماعة وطلع من خلف القلعة كما فعل فى تلك المرة الأولى فانكسرت مماليك يلبغا قبل وصوله، فانهزم أسندمر أيضا، ثم أمسك وجرى به إلى الملك الأشراف فلما حضر بين يدى السلطان شفعت فيه الأمراء فأطلقه وخلع عليه على عادته ونزل إلى بيته بالكيش، ورسم أيضا لابن قوصون أن يكون رفيقا لأسندمر، ونزل خليل ابن قوصون معه صفة الترسيم إلى بيته، فلما نزل نخالفا وخامرا على السلطان، وركبا بسوق الخيل من الغد، وقاتلا السلطان ساعة، ثم انهزما، وأمسك أسندمر وخليل بن قوصون وجماعة من الأمراء وأرسلوا إلى الإسكندرية، وأطلق من كان من الأمراء المسجونين قبل تاريخه، ووقع السيف فى مماليك يلبغا وتشتت شملهم، واستمر أسندمر هذا محبوسا إلى أن مات فى شهر رمضان سنة تسع وستين وسبعمئة بثغر الإسكندرية. انظر المنهل الصافى ٤٤٠/٢، وما بعدها.

شهر ربيع الآخر، أوله الخميس:

في ثانيه: خلع على الأمير أسنبغا الزركاش أحد أمراء الأولوف، وزوج أخت السلطان، واستقر شاد الشراب خاناه، عوضا عن الأمير سودن الأشقر.

وفي ثالث عشره: خلع على الأمير فخر الدين عبد الغنى ابن الأمير الوزير تاج الدين عبد الرزاق ابن أبي الفرج كاشف الوجه البحرى، واستقر أستاذار السلطان، عوضا عن الأمير تاج الدين بن الهيصم بعد عزله والقبض عليه، وتسليمه وحواشيه وأسبابه له، مع إيقاع الحوطة على بيوته وحواصله.

وفي ثامن عشره: أوفى النيل ستة عشر ذراعاً، فركب السلطان وعدى النيل إلى المقياس، حتى خلق بين يديه، ثم فتح الخليج على عادته.

وفي هذا الشهر: قدم الخير بأن قرا يوسف سار ونزل على بلاد قرا يلك، وحصر آمد^(١)، ففر قرا يلك إلى جهة الأطاغ، وأن عساكر قرا يوسف تفرقت على قلاع قرا يلك، وسار ابنه على عسكر كبير إلى ماردين^(٢)، وأن الحرب امتدت بين قرا يوسف، وقرا يلك مدة اثنين يوما، قتل بينهما خلائق كثيرة، فبينما هم فى ذلك، إذ قدم الخير على قرا يوسف بأن ابن تيمورلنك نزل على توريز، فرحل من وقته وترك أثقاله، فركب قرا يلك فى إثره، وأخذ منه جماعة، ومضى إلى أرزنكان^(٣)، ليخرب بلادها، كما خرب قرا يوسف بلاده، وأن نائب عينتاب كبس أكراد قلعة الروم^(٤)، وقاتلهم فقبض عليه طوغان نائب قلعة الروم، راعقله بها، وأن كردى بن كندر ركب على نائب أنطاكية^(٥) وأخذه، ومضى به، وأن الأمير نوروز نائب طرابلس، نزل على قلعة صهيون^(٦) وحاصرها أياما، حتى صالحه أهلها على مال، ثم رحل وعاد إلى طرابلس، وأن الأمير شيخ نائب حلب قبض على المماليك الذين فروا من الكرك، وأنه مشى هو والأمير نوروز على الأمير العجل بن نعيم، فتركهم وتوجه إلى الرحبة^(٧) من غير لقاء،

(١) سبق ترجمتها.

(٢) سبق ترجمتها.

(٣) سبق ترجمتها.

(٤) سبق ترجمتها.

(٥) سبق ترجمتها.

(٦) سبق ترجمتها.

(٧) سبق ترجمتها.

فعاد الأمير شيخ ونزل على سرمين^(١) وعاد الأمير نوروز ونزل على جبلة^(٢)، وأن الأمير شيخ ما زال حتى أفرج عن نائب عنتاب، وأن نائب صهيون قبض على نائب اللاذقية، وقتله. وأن ابن أوزر التركمانى حصر أنطاكية وأخذ الأمير جانبك نائبها، واعتقله. وأن الأمير العجل بن نعيم استولى على بلد عانة^(٣)، فبعث إليه قرا يوسف عسكرياً، فكسره، ومضى إلى الأنبار^(٤)، فرحل من بغداد من التركمان، خوفاً منه، فبعث إليهم وطيب قلوبهم، وكانوا في اختلاف شديد.

وفي هذا الشهر: ضربت الحوطة على قرايب الأمير جمال الدين يوسف الأستادار، فأمسك ابنه الأمير شهاب الدين أحمد، وأخواه القاضي شمس الدين محمد، وناصر الدين، وابنا أخته الأمير شهاب الدين أحمد الحاجب، وحمزة، وزوج ابنة أخيه شرف الدين أبو بكر بن العجمي، وعوقبوا عقوبات شديدة، وألزموا بأموال كثيرة. فمات ناصر الدين أخو جمال الدين في العقوبة بعد ما أخذ منه نحو مائة ألف درهم، وأخذ من الأمير أحمد ابن أخته ستة آلاف دينار مصرية.

وفيه وردت من طائفة الفرنج الكيتلانية والجنوية جماعة إلى ميناء الإسكندرية، واقتتلوا، فخاف أهل الإسكندرية، وظنوا أنها مكيدة، فلما تهادى الشر بينهم، وبلغت عدة قتلاهم نحو الألفين، اطمأنوا قليلاً، وكان من الجنويين رجل من العتاة المفسدين - يعرف بالبسقاونى - قد أسرته الكيتلانية، فأسلموه للسلطان، وحمل في الحديد إلى قلعة الجبل، فألزم بمائة وخمسين ألف دينار، فذكر أن ماله بيد الجنويين، فطلب منهم ذلك، فأبوا أن يعطوه شيئاً، فقبض على تجارهم بالإسكندرية، فغضبوا، وساروا بمراكبهم إلى الطينة^(٥)، فسبوا نساء أهلها وبنينهم بعد وقعة كانت لهم مع المسلمين، فخرجت طائفة من دمياط لنجدتهم، فاستشهد منهم فقير معتقد، يعرف بمحيى الدين، فى نفرين من فقرائه، وأخذ الفرنج ما كان بالطينة من مال أهلها، وأموال التجار، وساروا. وصالح السلطان البساقى بستين ألف دينار.

شهر جمادى الأولى، أوله السبت:

(١) سرمين: بلدة مشهورة من أعمال حلب. انظر معجم البلدان ٣ / ٢١٥.

(٢) سبق ترجمتها.

(٣) عانة: بلد مشهور بين الرقة وهيت يعد فى أعمال الجزيرة. انظر معجم البلدان ٤ / ٧٢.

(٤) الأنبار: مدينة قرب بلخ وهى قصبه ناحية جوزجان وبها كان مقام السلطان، وهى على

الجبل. انظر معجم البلدان ١ / ٢٥٧.

(٥) الطينة: بليدة بين الفرما وتيس من أرض مصر. انظر معجم البلدان ٤ / ٥٦ .

فيه أمر السلطان بهدم مدرسة السلطان الملك الأشرف شعبان بن حسين بن محمد ابن قلاوون، التي تجاه الطبلخاناه، فوق الهدم فيها، وكانت من أعظم بناء رأيناه، وعمر بأحجارها فى مواضع بالقلعة، وأمر أيضا بهدم الدور التي كانت ملاصقة لسور القلعة، ما بين الصورة وتحت الطبلخاناه إلى قريب باب القرافة، فهدمت، وصارت خرابا موحشة، وتشتت سكانها وتمزقوا، وألستهم تضج بالدعاء.

وفى ثانيه: ختم على جميع حواصل القاهرة التي يتوهم أن فيها فلوسا لتؤخذ فلما كان فى رابع عشرينه رسم لقاضى القضاة مجد الدين سالم الحنبلى أن يتوجه مع الأمير شهاب الدين أحمد بن محمد بن الطبلاوى متولى القاهرة، وبعض مماليك السلطان، وعبد الرحمن بن فيروز الصيرفى إلى الحواصل المختوم عليها، وأخذ ما فيها من الفلوس، وتعويض أربابها عن ذلك ذهباً ناصريا، من حساب كل دينار بمائتى درهم، وكان صرفه يومئذ بمائة وتسعين. فمضوا لذلك، وفتحوا الحواصل فى غيبة أربابها، وأخذوا نحو خمسمائة قفة فلوسا كل قفة ستمائة درهم، بثلاثة دنانير ناصرية.

وفى هذا الشهر: اشتدت العقوبة على أقارب الأمير جمال الدين الأستادار، ثم خنق أحمد ابن أخته، وأحمد ابنه، وحمزة بن أخته، فى ليلة الأحد سادس عشره.

وفى هذا الشهر: أخذت عساكر قرا يوسف بن قرا محمد بغداد بعد حصارها نحو عشرة أشهر، وهم ببغداد يشيعون أن السلطان أحمد بن أويس قد وصل إليهم محتفيا، وتبرز المراسيم عن أمره، ويخرجونه أحيانا فيكبسون عسكر قرا يوسف، ويأخذون ما قدروا عليه، ثم أشاعوا خروجه غدا، وزينوا المدينة. فلما كان الليل، اجتمع عسكرهم، وساروا نحو تستر بأجمعهم، فدخلها أصحاب قرا يوسف مع ولده شاه محمد، ونهبوها، وقتلوا بها جماعة. واستمرت بغداد بيد قرا يوسف.

وفيه كتب السلطان إلى الأمير شيخ يعته على ما وقع منه، ويحذره، ويخوفه، ويأمره أن يجهز إليه يشبك العثماني، ويرد بك، وقنباى الخازندار، محتفظا بهم، ويرسل سودن الجلب إلى دمشق أو صفد ليكون من جملة الأمراء بها.

شهر جمادى الآخرة، أوله الأحد:

فى أوله: قدم كتاب السلطان إلى دمشق بعمارة القلعة والمدينة، فنودى بذلك.

وفى رابعه: وصل إلى دمشق حريم الأمير تغرى بردى وأولاده من القاهرة، وفى هذا الشهر فارق الأمير برد بك - نائب حماة - الأمير نوروز، وسار عنه من طرابلس، فقدم دمشق، فأكرمه الأمير تغرى بردى، وكتب يعلم السلطان به.

وفيه تواترت الأخبار بأن الأميرين شيخ ونوروز قد اتفقا على الخروج عن طاعة السلطان، وعزما على أخذ حماة، فوقع الشروع فى عمارة قلعة دمشق، وكتب تقدير المصروف على ذلك، مبلغ ثلاثين ألف دينار.

وفيه وقع الاهتمام فى بلاد الشام بتجهيز الإقامات للسلطان، فإنه عزم على السفر. وفيه شنعت المصادرات بالقاهرة، وفحش أخذ الأموال من الناس، حتى خاف البرىء، وتوقع كل أحد أن يحل به البلاء من الأمير فخر الدين الأستادار.

وفيه أفرج عن الأمير تاج الدين بن الهيصم، وخلع عليه خلعة الرضا، فاستماله الأمير فخر الدين إليه، وعزما على أن يتحدثا مع السلطان فى تسليمهما الوزير سعد الدين إبراهيم بن البشيرى، والرئيس تقى الدين عبد الوهاب بن أبى شاکر ناظر الخصاص، بمال يقومان به فى نظير ما عساه يؤخذ منهما بأنواع العقوبات. فلما بلغهما ذلك، بادرا واتفقا مع السلطان وأرضياه بمال جزيل، فقبض على الأمير فخر الدين وعلى الأمير تاج الدين فى عصر يوم الإثنين سلخه على حين غفلة، وسلمهما للوزير سعد الدين ففوجئ الناس من السرور ما لا يعبر عنه، وأظهروا من الفرح شيئا زائدا. ونزل الوزير بابن أبى الفرج معه إلى داره، وأذن له فى عقوبته، فلم يدع نوعا من أنواع العذاب حتى عاقبه به، فلم يعترف بشيء، ووجد له نحو ستة آلاف دينار، وجرار كثيرة قد ملئت حمرا، فطرحت كل جرة بمائة درهم على باعة الخمر، فكان هذا من أقبح ما سمع به.

شهر رجب، أوله الإثنين:

فيه شرع الأمير غرس الدين خليل الأشقتمرى الأستادار بدمشق فى تقرير الشعر على بساتين دمشق وضياعها، كما فعل فيما مضى.

وفيه رجم رجل تركمانى تحت قلعة دمشق، أقر بالزنا، وكان رجمه بعدما كتف وأقعد فى حفرة. وما زال يرحم حتى مات. ثم غسل وصلى عليه ودفن.

وفى هذا الشهر خرج السلطان للصيد، فبات ليلة، وعزم على مييت ليلة أخرى بناحية سرياقوس^(١)، فبلغه أن طائفة من الأمراء والمماليك اتفقوا عليه، فعاد إلى قلعة الجبل سريعا، وتتبع ما قيل له، حتى ظفر بمملوكين عندهما الخير، فعوقبا فى ثامن عشره، فأظهرا ورقة فيها خطوط جماعة، وكبيرهم الأمير جاتم. وكان جاتم قد سافر

(١) سرياقوس: بليدة فى نواحي القاهرة بمصر. انظر معجم البلدان ٣ / ٢١٨.

إلى منية ابن سلسيل من الغربية^(١)، وهى من جملة إقطاعه، فكثرت القالة بالقاهرة، وخرج الأمير طوغان الدوادر والأمير بكنمر جلق لإحضار الأمير جاتم، فى يوم السبت عشرينه. على أن الأمير طوغان يلقاه والأمير بكنمر بمسك عليه الطريق، وقبض السلطان على جماعة من الأمراء، والمماليك، منهم الأمير عاقل، والأمير سودن الأبايزيدى، وقدم طوغان على جاتم فاقتلا فى البر، ثم فى المراكب على ظهر النيل قتالا شديدا، تعين فيه طوغان، فألقى جاتم نفسه فى الماء لينجو، فرماه أصحاب طوغان بالسهم حتى هلك، فقطع رأسه فى ثانى عشرينه، وقدم به فى رابع عشرينه.

وكان السلطان قد قبض فى ثانى عشرينه على الأمير أينال الصصلاتى الحاجب، والأمير أرغز، والأمير سودن الظريف، وعلى جماعة من المماليك. وقبض فى ثالث عشرينه على الأمير سودن الأسندمرى، أحد أمراء الألوفا وأمير أخور ثانى، وعلى الأمير شرباش العمرى رأس نوبة وأحد أمراء الألوفا.

وفى خامس عشرينه: قبض على جماعة من أكابر ممالك آبيه، ووسط خمسة.

وفيه خلع على الأمير منكلى أستاذار الأمير جركس الخليلى، واستقر أستاذار السلطان، عوضا عن فخر الدين عبد الغنى بن أبى الفرج.

وفى هذا الشهر: قدم الخير بأن الأمير نوروز نائب طرابلس توجه منها إلى حصن الأكراد، وحاصرها. وأن الأمير شيخ كتب إليه أنه اتفق مع جماعة من قلعة حلب على أن يسلموها له، وأشار عليه أن يرجع إلى طرابلس يحصل قلعة حلب بيده، وأن الاتفاق وقع بينهما على أن يجهزا سودن الجلب على ثلاثمائة فارس ليأخذ حماة، وأن الأمير شيخ أرسل إلى ناصر الدين محمد بن دلغادر يعرض عليه نيابة عيتاب فلم يقبل ذلك، وأنه خرج من حلب يريد العمق، فنزله سلخ جمادى الآخرة، وجمع عليه طائفة التركمان البيضاء وابن سقل سيز، وابن صاحب الباز، وغيرهم من التركمان والعرب، وأنه أوقع بعمر بن كندر فى ثالث رجب، ثم قاتل التركمان فى سابعه، فكسرهم، وأسر منهم جماعة. وأنه بعث أحمد الجنكى أحد ندمائه بهدية إلى قرا يوسف، وأن نوروز بعث إليه بهدية أخرى، صحبة بهلوان، من أصحابه.

وفيه كتب إلى الأمير تغرى بردى نائب الشام، بالقبض على الأمير يشبك بن أزدمر، والأمير أينال الخازندار، والأمير برد بك الخازندار، والأمير برد بك أخى طولو، والأمير سودن من إخوة يشبك، والأمير تنبك من إخوة يشبك، والفحص عن الأمير نكبای

الحاجب، فإن وجده من جملة المخالفين فليقبض عليه، ويعتقلهم، وينعم على الأمير تمتاز بالإمرة الكبرى بدمشق.

شهر شعبان، أوله الأربعاء:

في ليلة الأربعاء مستهله: ذبح السلطان عشرين رجلا، ممن قبض عليهم من المماليك. ووسط في يوم الأربعاء ثلاثة عشر رجلا تحت القلعة، منهم الأمير حزمان نائب القدس وأحد أمراء العشرات، والأمير عاقل، والأمير أرغز، أحد أمراء الألف بدمشق، والأمير سودن الظريف، والأمير مغلباي، ومحمد بن الأمير قجماس ابن عم الملك الظاهر.

وفي ليلة الخميس ثانيه: قتل السلطان بالقلعة زيادة على مائة من أكابر الجراكسة وعتاتهم، وركب السلطان سحر يوم الخميس للصيد بناحية بهتيت من الضواحي. وتقدم إلى والى القاهرة أن يقتل عشرة من المماليك، لتخلفهم عن الركوب معه، فقتلوا. وعاد السلطان من الصيد، فمر بشارع القاهرة في دون المائة فارس، وعليه ثياب جلوسه، وهو ثمل، لا يكاد يثبت على فرسه حتى صعد القلعة نصف النهار، ولم يعرف قط بمصر ملك شق القاهرة بثياب جلوسه قبل هذا.

وفي خامس عشره: أعيد ابن شعبان إلى حسبة القاهرة، وعزل ابن يعقوب الدمشقي.

وفي يوم السبت ثامن عشره: عزم السلطان على شرب دواء مسهل، وبعث رئيس الأطباء علم الدين سليمان بن جنيبة إلى الأمراء يعلمهم بذلك، فتهيئوا بأجمعهم لتجهيز التقدام في غده، وأصبحوا يوم الأحد في حملها على مقاديرهم، فحمل الوزير مبلغ ألفي دينار وأربعمائة طائر من الدجاج، ومائة طائر أوز، وقنطارين سكرًا مكررا، وفواكه وحلوى، وغير ذلك. وحمل ناظر الخاص وغيره، حتى محتسب القاهرة، واستمر هذا عادة في كل سنة.

وفي هذا الشهر: اشتد مرض الأمير تغرى بردى نائب الشام، فكتب إلى الأمير قرقماس نائب صفد بالحضور، فتوجه إلى دمشق، وكان خير قتل جانم قد اشتبه بدمشق، فتخيل الأمير يشبك بن أزدمر وخاف على نفسه، وعزم أن يشور بجماعة، ثم ركب وخرج من البلد في سابعه، فقدم نائب صفد إلى دمشق في تاسعه، فقبض فيه على جماعة منهم تمتاز الأعور، وأينال الخازندار، وخشكلكدى، وسودن، وأزدمر، فماج الناس. ثم حمل تمتاز الأعور، وبرد بك الخازندار، وجركس التنى، وأزدمر إلى

قلعة الصبيبة، فسجنوا بها فى عاشره، وقبض على تغرى برمىش دوادار بن أزدمر، وسجن. وأما ابن أزدمر فإنه لحق بنوروز، وقد اجتمع مع الأمير شيخ فى ناحية التركمان، فعاد كل منهما إلى بلده وأخذوا فى إظهار الخلاف.

وفى عشرينه: قبض بدمشق على الأمير نكباى الحاجب، وحمل إلى الصبيبة، فسجن بقلعتها. وكثر الإرجاف بدمشق أن الأمير شيخ قد عزم على أخذها، فاستعد العسكر، وحصنت القلعة، وكتب بذلك إلى السلطان، وأن يعجل بتجهيز ألف فارس بنجدة، لئلا يطرُق الأمير شيخ دمشق، ويشير عليه الأمير تغرى بردى نائب الشام بأن يحضر بنفسه إلى دمشق: فأجيب بتجهيز الإقامات، وأنه عزم على السفر، فاشتد الطلب بدمشق على الناس، وألزموا بالشعير وغيره.

وفيه كانت فتنة بين كرشجى بن أبى يزيد بن مراد بن أورخان بن عثمان جق، وبين أخيه موسى جلبى، فانكسر فيها محمد كرشجى من أخيه موسى جلبى على قسطنطينية.

وفيه نزل قرا يوسف بن قرا محمد متملك توزير وبغداد على قرا باغ^(١)، ليشتى بها، فوقع فى عسكره فناء عظيم.

وفيه نهب الأمير عثمان قرا يلك بن طور على بلاد قرا يوسف، ونهب بلد سنجار^(٢)، وأخذ قفل الموصل، وأوقع بالأكراد، وأسر عدة من أمرائهم حتى اقتدوا منه بمائة ألف درهم، وألف من الغنم، وعشرة أفراس، فبعث قرا يوسف إليه فى الصلح، فامتنع من ذلك.

وفيه اجتمع أصحاب تيمورلنك على حرب قرا يوسف، وقصدوا مدينة توزير.

شهر رمضان، أوله الخميس:

فيه نودى بالقاهرة لجميع الممالك بالأمان، وأنهم عتقاء شهر رمضان، فظهر منهم جماعة، فأمنوا. وتتابع بقيتهم حتى ظهر قريب من ثلاثين مملوكا فى عدة أيام، فوعدوا بخير، وأن يعطوا الخيل. ورسم لهم بيوم يجتمعون فيه لأخذ خيولهم فاغترزوا وحضروا، فقبض عليهم كلهم وحبسوا، وتتبع الممالك السلطانية، وجلس السلطان لتفريق

(١) تقع فى شرق إقليم الدان من كيلان. انظر بلدان الخلافة الشرقية لسرتنج ص ٢١٣.

(٢) سنجار: مدينة مشهورة من نواحي الجزيرة، بينها وبين الموصل ثلاثة أيام. انظر معجم البلدان

القرقلاط يرسم الرسم عليهم، فقبض على جماعة كثيرة منهم، وسجنهم، فما انقضى شهر رمضان حتى زادت عدة المسجونين من المماليك السلطانية على أربعمائة رجل.

وفي رابعه: أبل الأمير تغرى بردى نائب الشام من مرضه.

وفي هذا الشهر: تأكد عند السلطان خروج الأميرين شيخ ونوروز عن طاعته، وأنهما عزما على أخذ دمشق، وأن سودن الجلب ويشبك بن أزدمر سعيا في ذلك، وأن الأمير نوروز قتل أقسنقر الحاجب، وأن الأمير شيخ بعث في رابعه إلى ناصر الدين محمد بن دلغادر خلعة وبدلة قماش كاملة - حتى السراويل - برسم لباسه، وبدلة نسائية كاملة برسم امرأته، وذلك بعدما بعث الأمير شيخ يشبك الساقى، وجقمق الدوادار إليه، وإلى أخيه على باك بن دلغادر، يستدعيهما ليحضرا إلى عينتاب، فامتنعا من ذلك وأعادا قاصديه، ثم إنهما اختلفا فمضى على باك إلى جهة بلاد الروم، فلما بلغ ذلك الأمير شيخ أعاد يشبك الساقى ومعه تتر إلى محمد بن دلغادر، لقياه بأبلستين، وما زال به حتى سار معهما إلى عينتاب، فقدموها في حادى عشره، ونزل بها محمد ابن دلغادر حتى أتته الخلعة والبدلتان.

وفي هذا الشهر: توجه الأمير شيخ بمن معه إلى قلعة نجمة، وعدى الفرات، ليوقع بالعربان، ففرق جماعة من أصحابه، فعاد وجمع النجارين، وأنشأ بناحية الباب^(١) - قريبا من حلب - مركبا، وحمله إلى قلعة نجمة، فكان طوله اثنتين وعشرين خطوة، وهو محمل خمسين رجلا. فجهز إليه الأمير مبارك شاه نائب قلعة الروم ثلاثين فارسا لإحراقه.

شهر شوال، أوله السبت:

في ليلة الإثنين ثالثه: ذبح السلطان من ممالك أبيه الذين فى الاعتقال مائة رجل وسحبوا، ثم ألقوا من سور القلعة إلى الأرض، ورموا فى جب مما يلي القرافة. واستمر الذبح فيهم.

وفي يوم الإثنين عاشره: عدى السلطان النيل إلى ناحية وسيم^(٢)، وبات بها ورحل سحرا يريد الإسكندرية، بعدما نودى بالقاهرة ألا يتأخر أحد من المماليك السلطانية فى القاهرة، وأن يعدوا إلى بر الجزيرة، فعدوا بأجمعهم، فمنهم من أمره بالسفر فى خدمته، ومنهم من أمره بالسفر فى خدمته، ومنهم من أمره بالإقامة. وبعث الأمير طوغان

(١) بليدة صغيرة، ذات سوق وحمام ومسجد جامع، تقع فى طرف وادى بطنان من أعمال حلب. انظر تقويم البلدان، معجم البلدان (باب).

(٢) سبق ترجمتها.

الدوادر، والأمير جانبك الصوفى^(١)، والأمير سودن الأشقر، والأمير يلبغا الناصرى فى

(١) جانبك بن عبد الله الصوفى الظاهرى (٨٤٢ هـ = ١٤٣٨ م)، الأمير سيف الدين أتابك العساكر بالديار المصرية. هو من ممالك الظاهر برفوق، ومن صار أمير مائة ومقدم ألف فى دولة الملك الظاهر فرج بن برفوق، ثم استقر رأس نوبة النوب فى دولة الملك المؤيد شيخ، ثم نقله إلى إمرة مجلس، ثم إلى إمرة سلاح إلى أن قبض عليه وحبسه بثغر الإسكندرية فى رابع عشر شهر رجب سنة ثمانى عشرة وثمانمائة. واستمر محبوساً إلى سنة اثنتين وعشرين وثمانمائة أفرج عنه الملك المؤيد، وأنعم عليه بإقطاع ولده المقام الصارمى إبراهيم بعد موته فلم تطل أيامه، ومات المؤيد شيخ فى أول سنة أربع وعشرين وثمانمائة، وتسلطن من بعده ولده الرضيع أحمد المظفر، وصار الأمير ططر مدبر المملكة فخلع على جانبك المذكور باستقراره أمير سلاح، عوضاً عن قجقار القردمى بعد القبض عليه، ثم صار أتابك العساكر بالديار المصرية بعد سلطنة ططر «فى شهر رمضان سنة أربع وعشرين وثمانمائة. ولما مات الملك الظاهر ططر» أوصى أن يكون جانبك الصافى هذا مدبر مملكة ولده الملك الصالح محمد، فسكن جانبك المذكور بباب السلسلة من الإصطبل السلطانى بعد موت الظاهر ططر، فلم تطل مدته غير أيان وتغلب عليه الأميران برسباى الدقماقى الدوادر وطرباى حاجب الحجاب، وكثر الكلام بينهم حتى ركب الأتابك جانبك الصوفى فى يوم عيد الأضحى بآلة الحرب، وليس الأمراء الذين بقلعة الجبل، ولم تقع حرب بين الفريقين، بل تراموا بالسهم ساعة، ثم حمدت الفتنة، ومشى جماعة من الأمراء بينهم فى الصلح، فنزل الأتابك من باب السلسلة إلى بيت الأمير ببيغا المظفرى أمير سلاح لعمل المصالحة، ومعه الأمير يشبك الجمكى أمير آخور، فلما صاروا فى وسط حوش بيت ببيغا قبض عليهما، وقيدا، وحملا إلى ثغر الإسكندرية، فحبسها بها فى شهر ذى الحجة سنة أربع وعشرين وثمانمائة. فاستمر الأمير جانبك فى حبس الإسكندرية إلى أن فر من حبسه فى سنة ست وعشرين وثمانمائة، وورد الخبر بتسجبه على الملك الأشرف فى يوم الجمعة سابع شهر شعبان من السنة - ولما سمع الملك الأشرف برسباى بفراره من حبس الإسكندرية قلق لذلك، وقبض على جماعة من الأمراء، وعاقب جماعة من خاصكيتيه. واستمر هذا البلاء بالناس سنين عديدة، والسلطان حيث الطلب عليه والناس فى شدة وبلاء من الكيس عليهم فى بيوتهم على غفلة، والقبض على من اتهم أنه يعلم به، واستمر ما بين هلاك الشخص وبينه إلا أن يقال جانبك الصوفى عند فلان، فيؤخذ ويعاقب، وطال هذا الأمر، وعم هذا البلاء سائر الممالك، واستمر من سنة ست وعشرين وثمانمائة - منذ هرب جانبك الصوفى من حبس الإسكندرية - إلى أن ظهر خبره أنه توجه إلى بلاد الشرق سنة تسع وثلاثين وثمانمائة، ونزل عند الأمير ناصر الدين بك محمد بن دلغادر، فلما يتحقق الملك الأشرف هذا الخبر أرسل الأمير شاد بك الجكمى رأس نوبة ثانى إلى الأمير ناصر الدين بك بطلب جانبك الصوفى منه، وتمكينه من القبض عليه، وعوده على الديار المصرية وصحبته الهدايا والتحف حتى وصل إليه، وسأله فيما ندب بسببه، فصار يسوف به من وقت إلى وقت بعد أن أخذ جميع ما جاء به من الهدايا والتحف، وطال الأمر على شاد بك المذكور، فعاد إلى الديار المصرية من غير طائل، بع ما قاسى من شدة البرد والثلوج ما لا مزيد عليه، فتأكدت الوحشة بين الملك الأشرف وبين دلغادر بسبب جانبك الصوفى فجهز إليها عسكرياً من الديار المصرية، ومقدم العسكر الأتابك حقمق العلائى - الملك الظاهر - وصحبته جماعة آخر من الأمراء، وساروا من الديار المصرية حتى وصلوا إلى =

عدة من الممالك إلى عدة جهات من أرض مصر لأخذ الأغنام والخيول والجمال، حيث وجدت، فشنوا الغارات على النواحي، وما عفوا ولا كفوا.

وسار السلطان إلى الإسكندرية فدخلها يوم الثلاثاء ثامن عشره، وقد قدم عليه مشايخ البحيرة بناحية تروجة^(١)، ومعهم تقادمهم، فخلع عليهم، ثم أمسكهم وساقهم في الحديد، واحتط على أموالهم، ففر باقيهم إلى جهة برقة^(٢)، وقدم الأمراء، وقد ساقوا عشرات آلاف من الغنم التي انتهبوها من النواحي، وقد تلف كثير منها، فسيقت

= حلب خرج معهم، نائبها الأمير تغرى برمش بعساكر حلب وجموع التركمان، ونزلوا بظاهر حلب، فجاءهم الخير حتى الأمير جانبك الصوفى إلى عينات، وكان قد هرب إليه جماعة من إمراء حلب وغيرها قبل وصول العسكر المصرى إليها. وكان الأمير خجا سودون أحد مقدمى الألوف بديار مصر خرج من حلب قبل تاريخه ونزل من عينتاب، فوقع بينه وبين أعوان جانبك الصوفى وقعة هائلة انهزم فيها عسكر جانبك، وقبض على الأمير قرمش الأعور، الذى كان أولا أتاك حلب، ثم صار من جملة مقدمى الألوف بالقاهرة، ثم قبض عليه الأشرف وحبسه، ثم أطلقه وجعله من جملة المقدمين بدمشق، فلما عصى الأمير تنبك الجحاسى نائب الشام على الملك الأشرف وافقه قرمش هذا على العصيان، لما انهزم تنبك الجحاسى وقبض عليه فر قرمش واختفى إلى أن انضم على الأمير جانبك الصوفى لما صار جانبك عند ناصر الدين بك بن دلغادر، وقبض أيضا على الأمير كشيغا المعروف بأمر عشرة، أحد أمراء حلب، وأمسك معهم جماعة من الممالك والتركمان، وحىء بالجميع إلى حلب وحبسوا بقلعتها، وكاتب الأمراء السلطان بذلك، فعاد المرسوم بقتلهم أجمعين، فقتلوا وعلقوا بباب قلعة حلب فى أوائل سنة أربعين وثمانمائة. ثم توجهت العساكر المصرية والحلبية من حلب إلى جهة إبليستين لقتال ناصر الدين بك بن دلغادر والأمير جانبك الصوفى، فساروا إلى أن وصلوا إلى مدينة سيواس، بعد أن أخرجوا ابن دلغادر وجانبك الصوفى من إبليستين وشتت شملهما، ولما وقع لابن دلغادر ما وقع من تغربه عن وطنه، وخراب غالب بلاده ندم كثيرا، صار لا يمكنه استدراك فرطه، فإنه كان زوج الأمير جانبك الصوفى بإحدى بناته وولدت منه بنتا، فضم إليه ولده سليمان بن ناصر الدين بك، ثم انزل هو عنهما، فأخذهما الأمير تغرى نائب حلب من أده، حتى ضيق عليهما واسع الفضاء، وطال الأمر على جانبك الصوفى فتوجه إلى ديار بكر عند بعض أولاد قرايلك والتجأ إليه فلم تطل مدته عنده. ومات فى يوم الجمعة خامس عشرين شهر ربيع الآخر سنة إحدى وأربعين وثمانمائة، وسنه نيف على خمسين تخميناً، أو مناهز الستين. ولما مات قطع رأسه وحىء به إلى الديار المصرية، فحمل على رمح ونودى عليه، وعلق على بعض أبواب القاهرة. انظر المنهل الصافى ٤/ ٢٢٤ وما بعدها والدليل الصافى ١/ ٢٢٦، النجوم الزاهرة ١٥/ ٢١٤، نزهة النفوس ٣/ ٤٣٠، الضوء اللامع ٣/ ٥٧ بدائع الزهور ٢/ ١٧٨.

(١) تروجة: قرية بمصر من كورة البحيرة من أعمال الإسكندرية، أكثر ما يزرع بها الكمون. انظر

معجم البلدان ٢/ ٢٧، ٢٨.

(٢) برقة: اسم صقع كبير يشتمل على مدن وقرى بين الإسكندرية وإفريقية. انظر معجم البلدان

إلى القاهرة مع الأموال والجمال والجاموس، والخيول. ورسم السلطان أن يؤخذ من تجار المغاربة العشر، وكان يؤخذ منهم الثلث، فشكر له هذا.

ثم خرج السلطان من الإسكندرية عائداً إلى القاهرة، فترك ناحية وسيم فى يوم السبت تاسع عشرينه، وأقام على مرابط خيوله. وكان الوقت شتاءً، وهى مرتبطة على اليرسيم الأخضر.

وفيه أضيف إلى الأمير قتلوبغا الخليلي نائب الإسكندرية كشف الوجه البحرى، وليس التشريف الذى جهز إليه من السلطان.

وفيه مات الأمير خير بك - نائب غزة - بسجن الإسكندرية.

وفى هذا الشهر: غلا الزيت الحار، حتى بيع بتسعة دراهم الرطل، بسعر الزيت الزيتون، ولم يعهد ذلك قط.

وفيه بلغ المئقال الذهب إلى مائتى درهم وثلاثين درهماً والدينار الأفرنتى إلى مائتى درهم وعشرة دراهم، والدينار الناصرى إلى مائتى درهم.

وفيه قبض بدمشق على شهاب الدين أحمد بن الحسباني الشافعى، وعلى ناصر الدين محمد بن البارزى الحموى، وسجن بقلعة دمشق فى سابع عشره. بمرسوم السلطان.

وفيه قدم كتاب الأمير نوروز على يد فقيه يقال له سعد الدين، ومملوك اسمه قنغر، ومحضر شهد فيه من أهل طرابلس ثلاثة وثلاثون رجلاً، ما بين قاضى وفقيه وتاجر، بأنه لم يظهر منه منذ قدم طرابلس إلا الإحسان للرعية، والتمسك بطاعة السلطان، وامتنال مراسمه، وأن أهل طرابلس كانوا قد نزحو منها فى أيام جاتم، لما نزل بهم من الضرر، فعادوا إليها. وأنه كلما ورد عليه مثال سلطاني يتكرر منه تقييل الأرض أمامه، وأنه حلف بحضرة من يضع خطه فيه بالإيمان المغلظة الجامعة لمعانى الخلف، أنه مقيم على الطاعة، متمسك بالعهد واليمين التى حلقها للسلطان بالكرك، لم يحل ذلك، ولا يخرج عنه، ونحو ذلك. فلم يغير السلطان به.

وفى هذا الشهر: نزل على دمياط فى ثانى عشرينه أربعة أغربة وبيونيين^(١)، تحمل عدة من الفرنج، فقاتلهم المسلمون على بر الطينة قتالاً كبيراً، جرح فيه جماعة من المسلمين، وقتلت خيولهم. فمضى الفرنج فى آخر النهار إلى بر الطينة القديمة، ونهبوا ما

(١) البيونى: نوع من أنواع السفن يتصف بارتفاع جدرانته.

السلوك لمعرفة دول الملوك ٣٠٣
كان هناك، وأتوا من الغد إلى حيث كانوا، فقاتلوا المسلمين مرة ثانية قتالا كثيرا، وعادوا إلى مراكزهم. فقدم في الحال غراب من أغربة المسلمين، فأحاط به الفرنج، فلم يثبت من كان في الغراب وألقوا أنفسهم في الماء، وخلصوا إلى البر - وكانوا قريبا منه - ثم مضوا إلى دمياط. فتكاثرت المسلمون على الفرنج، وأخذوا منهم غراب المسلمين بعد قتال شديد، وقتلوا منهم إفرينجيين وأخذوا سلاحا، فانهزم بقيتهم، وحمل الرأسان والسلاح إلى السلطان.

وفيه وصلت سرية مبارك شاه نائب قلعة الروم إلى قلعة نجمة، تريد إحراق المركب الذى أنشأه الأمير شيخ، فدفعهم أصحابه عنه، وعادوا خائبين. فبعث عسكريا عدته مائة فارس فى سادس عشره، فقاتلوا أصحاب الأمير شيخ قتالا شديدا، حتى أئخذوا جراحهم، وأحرقوا المركب حتى لم يبق منه شىء، وغرقوا مركبا صغيرا، يحمل فارسين. وفيه عاد إلى الأمير شيخ رسوله المجهز إلى قرا يوسف، وصحبته فاخبط الناس، وغلقت حوانيت الباعة كتابه على يد قاصده.

شهر ذى القعدة، أوله الأحد:

فى ثانيه: عدى السلطان النيل، وصعد قلعة الجبل.

وفى سادس عشره: نودى بالقاهرة أن تكون الفلوس باثنى عشر درهما الرطل، فلم يقدر على الخبز ولا غيره، فغضب السلطان غضبا شديدا وهم أن يركب مماليكه الجلبان، فتضع السيف فى الناس، وتحرق جميع الأسواق، فما زال به الأمراء حتى كف عن ذلك، وأمر فقبض على جماعة، وضربوا بالمقارع.

وفى سابع عشره: شقق رجل، وأشيع أنه قتل بسبب الفلوس.

وفيه قتل بسجن الإسكندرية الأمير شرباش العمرى، والأمير خشكلدى، ودفنا بالثغر.

وفيه قبض على الأمير شهاب الدين أحمد بن ناصر الدين محمد بن الطبلاوى كاشف الشرقية، وعلى الأمير تاج الدين بن الهيصم، وعلى الحجازى نقيب الجيش، وسلموا للوزير سعد بن البشيرى.

وفى تاسع عشره: استقر زين الدين محمد بن محمد بن الهوى فى حسبة القاهرة، وعزل بن شعبان.

وفى رابع عشرينه: أنفق السلطان على الممالك نفقة للسفر، لكل نفر سبعين دينارا

ناصريا، ومبلغ ستة آلاف درهم، حسابا عن كل قنطار بألف ومائتي درهم، وبعث إلى الأمير الكبير تمر تاش المحمدي ثلاثة آلاف دينار، ولكل من أمراء الألواف ألفي دينار، ولأمراء الطبلخاناه ما بين سبعمائة دينار وستمائة دينار، وخمسمائة دينار، بحسب رتبهم.

وفي ليلة الخميس سابع عشرينه: ضرب السلطان عنق الأمير شهاب الدين أحمد ابن محمد بن الطبلاوى بيده. وقتل السلطان امرأته - ابنة الأمير صروق - فإنه وشى بها أنها تأتي ابن الطبلاوى هذا فى منزله، وأمر بهما، فلغا فى لحاف، ودفنا معا فى قبر واحد.

وفي يوم الخميس: هذا خرج الأمير بكتمر جلق رأس نوبة النوب، والأمير طوغان الحسنى الدوادار، والأمير شاهين الأفرم^(١) أمير سلاح، والأمير شاهين الزردكاش

(١) شاهين بن عبد الله من إسلام الظاهرى (٨١٧ هـ = ١٤١٤ م)، الأمير سيف الدين المعروف بشاهين كَمْتِكْ، أعنى أفرم أمير سلاح. هو من المماليك الظاهرية برقوق، ومن أنعم عليهم الظاهر برقوق عليه بإمرة عشرة فى سنة إحدى وثمانمائة، بعد ركوب على باى، وسبب ذلك، أن الأمير على باى لما تضاعف، وانقطع بداره، إلى أن نزل الملك الظاهر عند وفاء النيل، لخلق المقياس وفتح الخليج على العادة، وأراد العود إلى قلعة الجبل، وجاءه الخير بأن على باى المذكور ظهر من أمر الغدر والفتك بالسلطان، لما يدخل إليه ليعود عند عود السلطان إلى القلعة، فاحتز الملك الظاهر لنفسه، واحتاز بيت على باى المذكور بعد أن جعل الصنجق السلطاني خلفا وتقدم هو، ولم يشعر به المتصد له، ويظنه تحت العصائب السلطانية، وساق السلطان حتى وصل إلى باب السلسلة، فلما علم على باى بأن السلطان فاته، وخرج من داره بألة الحرب فى إثر السلطان، ولم يكن عسكر السلطان مُعْتَدِينَ للقتال، فلم يجد من يرد غير جماعة من الأمراء، ممن كان داره بالقرب من دار على باى، فوقع بعض قتال. وكان شاهين باى الأفرم هذا خاصكيا وقد توجه على بركة الحبش من باكر النهار، للعب الرمح، ولم يركب مع السلطان فى ذلك اليوم، ثم عاد إلى جهة القاهرة وعليه ثياب اللعب، ومعه رماح اللعب لا غير فلما قرب من القاهرة، بلغه واقعة على باى فحرك فرسه، ثم تناول من رماح اللعب رمحا ولقى به عسكر على باى، وقتلهم أشد قتال حتى أظهر من الفروسية والشجاعة فى ذلك اليوم ما هو أعجب من أن يحكى، ثم توجه إلى داره ولم يطلع فى يومه إلى القلعة، ولم يفخر بما وقع منه من الفروسية والشجاعة، وبلغ الظاهر ذلك فأعجبه منه، وأنعم عليه بإمرة عشرة. ولما مات الملك الظاهر برقوق، وتسلم ولد الملك الناصر فرج من بعده ترقى شاهين كَمْتِكْ هذا، حتى صار أمير مائة ومقدم ألف بالديار المصرية، ثم تنقل فى عدة وظائف حتى ولى إمرة سلاح. وتوجه الملك الناصر فرج إلى البلاد الشامية لقتال الأميرين شيخ ونوروز فى سنة أربع عشرة وثمانمائة، وعين الأمير شاهين الأفرم هذا، مع جماعة من الأمراء فى الجاليش وأمرهم بتقدمهم على عادة الجاليش. فساروا حتى وصلوا إلى دمشق، وودخلوا سلموا على تغرى باى الأتابكى بدار سعادة دمشق، وكان تغرى بردى ضعيفا فى مرض موته، وكان شاهين المذكور من إخوة تغرى بردى المذكور، فأسر بأنه يريد العصيان على الملك الناصر والإحاق بشيخ ونوروز، ثم قبل يده وقام، وخرج من وقته. بمن معه عن طاعة =

بمضافيهم، وعليهم آلة الحرب بأجمعهم وهم فى تحمل كبير، فعرضوا على السلطان وهم مارون من تحت القلعة، ثم مضوا فنزلوا بالريديانية خارج القاهرة، فى مخيماتهم.

شهر ذى الحجة، أوله الثلاثاء:

فى خامسه: نودى بالقاهرة على الفلوس، أن تكون على عادتها، كل رطل بستة دراهم، فسر الناس بذلك.

وفيه رحل الأمراء من الريديانية، وساروا يريدون دمشق.

وفى يوم الإثنين ثامنه: ركب السلطان من قلعة الجبل، فىمن بقى عنده من العسكر، وقد لبسوا كلهم السلاح، وتباهوا بزى لم نر مثله حسنا وإتقانا، وجر السلطان ثلاثمائة جنيب من عتاق الخيل بالسروج الذهب الثقيلة، التى بعضها مرصع بالجواهر، ومياترها^(١) من حرير مطرز بالذهب الموشى بأبداع إتقان، وعلى أكفائها عبي الحرير البديعة الصنعة، وفيها ما هو مطرز بالذهب الثقيل، وبعضها على أكفائها الكنافيش الذهب، وكلها باللحم المسقطة بالذهب الثقيل، ومن وراء الجنائب المذكورة ثلاثة آلاف فرس، ساقها حشار^(٢)، ثم عدد كثير من العجل التى تجرها الأبقار، وعليها آلات الحصار، من مكاحل النقط الكبار، ومدافع النفط المهولة، ونحو ذلك . وخرجت خزانة السلاح على ما ينيف على ألف جمل، تحمل القرقلات والخوذ ونحوها فى الحوائج خاناه الخشب، التى غشيت باللباد الأحمر، وبجلود البقر، وتحمل الرماح، وتحمل الصناديق المملوءة بالنشاب، وغير ذلك من السيوف ونحوها. وخرجت خزانة المال فى الصناديق المغشاة بالحرير الملون، وفيها ما ينيف على أربعمائة ألف دينار، وخرج المطبخ، وقد ساق الرعيان برسمه ثمانية وعشرين ألف رأس من الغنم وكثيرا من

=الناصر. ولحق بالأميرين شيخ ونوروز، وستر عندهما حتى انكسر الملك الناصر، وحوصر بقلعة دمشق، ثم قتل. وتسلطن الخليفة المستعين بالله العباسى، وصار الأمير شيخ الحمودى مدبر المملكة بالديار المصرية، أخلع على الأمير شاهين هذا خلعة الاستمرار بإمرة سلاح على عادته أولا. واستمر على ذلك إلى أن تسلطن الملك المويد شيخ، واستمر على عادته أيضا إلى أن توجه الملك المويد شيخ فى سنة سبع عشرة ومائمائة لقتال الأمير نوروز بالبلاد الشامية، وانتصر عليه وظفر به وقتله، ثم عاد إلى نحو القاهرة، عاد صحبته الأمير شاهين الأفهم المذكور، ومات برملة لد بطريق الشام فى السنة المذكورة. انظر المنهل الصافى ٦/ ٢٠٧ وما بعدها والدليل الشافى ١/ ٣٤١، والنجوم الزاهرة ١٤/ ١٣١، آتباء الغمر ٣/ ٤٣ نزهة النفوس ٢/ ٣٤٦، الضوء اللامع ٣/ ٢٩٢.

(١) الميثرة: ميثرة الفرس لبدته انظر لسان العرب.

(٢) سيقت حشارا أى سيقت مباشرة. انظر لسان العرب وحشر الخيل نزاها فرعاها أسام بيته

انظر محيط المحيط (بشر).

الأبقار والجواميس، تحلب ألبانها. وتقدم الحريم فى سبع محفات قد غشيت بالحريز، وبعضها مطرز بالذهب، ومن ورائها نحو الثلاثين حملا من المحابر المغشاة بالحريز والجوخ، فبلغت عدة الجمال إلى ثلاثة وعشرين ألف جمل، فكان شيئا مستكثرا إلى الغاية.

ونزل السلطان فى تخيمه تجاه مسجد تبر خارج القاهرة، وخرج الخليفة المستعين بالله، وقضاة القضاة الأربع وأرباب الدولة، وكلهم قد بالغ فى تحسين جماله وخيوله وخيمه وآلات سفره، وزاد فيها على عادته، فنزلوا منازلهم. وتردد السلطان من الريدانية إلى تربته التى أنشأها على قبر أبيه خارج باب النصر وبات بها ليل، ونحر بها ضحاياه على عادته، وجعل الأمير يلبغا الناصرى نائب الغيبة. وأنزل بباب السلسلة الأمير أطنبغا العثمانى. وأنزل بقلعة الجبل الأمير أسنبغا الزردكاش شاد الشراب خاناه، وزوج أخته خوند بيزم. وولى نائب القلعة شاهين الرومى، عوضا عن الأمير كمشبغا الجمالى. وبعث الجمالى صحبة الحريم، وقدمهم بين يديه بمرحلة.

وفى حادى عشره: خلع على زين محمد بن الدميرى، وأعيد إلى حسبة القاهرة، وعزل بن الهوى.

ورحل السلطان من التربة قبل غروب الشمس من يوم الجمعة ثانى عشرة، بطالع اختاره له الشيخ برهان الدين إبراهيم بن زقاعة. وبات بمخيمه من الريدانية، تجاه مسجد تبر، واستقل بالمسير سحر يوم السبت.

وفى ثانى عشره: فر من دمشق الأمير سودن اليوسفى.

وفيه انتكس الأمير تغرى بردى نائب الشام، ولم يزل بما به، حتى مات.

وفيه قدم الأمير شيخ من حلب إلى حمص. ثم جاءه الأمير نوروز، فكثرت الإرجاف بدمشق، وفر إليه جماعة منها.

وأما السلطان فإنه حذر من معه من الرحيل قبل النفير، فبلغه وهو بالريدانية أن طائفة رحلت، فركب بنفسه، وقبض على واحد ووسطه.

ونصبت مشنقة يرهب بها، فما وصل إلى غزة حتى قتل عدة من الغلمان، من أجل الرحيل قبل النفير. فنشأ الناس بهذه السفرة. ثم لما نزل بغزة وسط تسعة عشرة من المماليك الظاهرية، وهو لا يعقل من شدة السكر، فقدم عليه - عقب ذلك - الخبر بأن

السلوك لمعرفة دول الملوك ٣٠٧

الأمراء الذين تقدموه قد خرجوا عن الطاعة، فلم يثبت، وسار من غزاة مجدا في طلبهم، وقد نفرت منه القلوب، وتمالت على بغضه، لقبح سيرته، وسوء سريرته.

وفي ثاني عشرينه: أفرج بدمشق عن شهاب الدين أحمد بن الحسيناني، بعد سجنه ثلاثة وستين يوما.

وفي سادس عشرينه: نزل الأمراء الذين تقدموا بقبة يلغا خارج دمشق، وركبوا إلى الأمير تغرى بردى نائب الشام، فعادوه، وقد اشتد به مرضه، وأعلنوا بما هم عليه من الخلاف للسلطان، والخروج عن طاعته. ثم رحلوا عن قبة يلغا فى تاسع عشرينه، ونزلوا على برزة يریدون اللحاق بالأميرين شيخ ونوروز على حمص، فلم يوافقهم على ذلك الأمير شاهين الزردكاش، فقبضوا عليه ومضوا

ونزل السلطان الكسوة فى بكرة يوم الثلاثاء سلخه، وقد فت فى عضده مخالفة الأمراء عليه، ولاحت أمارات الخذلان عليه، وظهرت كآبة الزوال والإدبار. فألبس من معه من العسكر السلاح، ورتبهم بنفسه. ثم ساق بهم، وقصد دمشق، فدخلها وقت الزوال من يومه.

وفي هذه السنة: قوى الأمير محمد بن قرمان، وفتح مملكة كرميان جميعها.

وفىها حاصر الأمير موسى بن عثمان القسطنطينية، وفتح منها عدة بلاد، وغنم غنائم كثيرة، ومزق شمل النصارى.

وفىها الخسف قبر بمقبرة باب الصغير خارج دمشق، فخرج من الخسف ذباب أزرق كبار، حتى صارت كالظلة. ووجد ذلك قد خرج من قبر طوله اثنان وعشرون ذراعاً، وبطوله ميت قد صار عل هيئة الرماد من البلاء.

* * *

ومات فى هذه السنة من له ذكر:

السلطان الملك الصالح المنصور حاجى بن الملك الأشرف شعبان^(١) بن الأمير حسين

(١) (٨١٤ هـ = ١٤١١ م). حاجى بن شعبان بن حسين بن قلاوون السلطان الملك الصالح أولاً، ثم الملك المنصور ثانياً - حسبما سذكه إن شاء الله تعالى - ابن الأشرف شعبان بن الأمير حسين بن الملك الناصر محمد بن الملك المنصور قلاوون. ولى السلطنة بعد موت أخيه الملك المنصور على بن الأشرف شعبان، فى يوم الإثنين رابع عشرين صفر سنة ثلاث وثمانين وسبعمائة، وعمره نيف على عشر سنين. وكان مديبر المملكة إذ ذاك الأتابك برقوق العثماني اليلبغارى؛ فأقام المذكور فى =

ابن الملك الناصر محمد بن الملك المنصور قلاوون الألفى الصالحى، فى ليلة الأربعاء تاسع عشر شوال. ودفن بتربة جدته خوند بركة أم الأشرف.

وولى سلطنة مصر والشام والحرمين مرتين كما تقدم ذكره. ثم أقام بدوره من قلعة الجبل، وتعطلت حركة رجله ويديه مدة سنين قبل موته. وتوفى عن بضع وأربعين سنة. وقتل من المماليك الظاهرية ستمائة وثلاثون رجلا، وطأ الملك الناصر بقتلهم لمن بعده سلطانه.

وقتل عدة من الأمراء، منهم:

الأمير تمتاز الناصرى^(١) فى آخر أيام التشريق بالإسكندرية، وقد نقل إليها من

=الملك إلى أن خلع بالملك الظاهر برقوق العثمانى فى يوم الأربعاء تاسع عشر شهر رمضان سنة أربع وثمانين وسبعمائة، وكان الموافق ليوم الأربعاء المذكور آخر شهر هاتور من شهور القبط، فكانت مدة ملكه سنة واحدة ونصف سنة وخمسة عشر يوما. ولما خلع من السلطنة رسم له الملك الظاهر برقوق بلزوم داره بقلعة الجبل على ما كانت العادة أولاً. فاستمر مقيماً بداره إلى أن خلع الملك الظاهر برقوق من الملك، الأمير يلبغا الناصرى والأمير تمرغا الأفضلى - المدعو منطاش - وحسباه بقلعة الكرك فى سنة إحدى وتسعين وسبعمائة، واجتمعا على سلطنة الملك الصالح حاجى ثانياً، لما امتنع يلبغا الناصرى من السلطنة. فجلس المذكور على تخت الملك ثانياً فى يوم الثلاثاء سادس جمادى الآخرة سنة إحدى وتسعين وسبعمائة، وغير لقبه بالملك المنصور. وصار الأتابك يلبغا الناصرى مديراً لمملكته. بل صار هو السلطان فى الحقيقة، إلى أن وقع بينه وبين منطاش وحشة، وتقاتلا وانكسر الناصرى، وقبض عليه منطاش، وحسبه بئغز الإسكندرية. ثم أراد منطاش قتل برقوق، وأرسل بذلك على يد البريدى، وقتل الشهاب المذكور بالكرك، وتخلص برقوق - حسبما ذكرناه فى ترجمته مفصلاً - وعاد إلى ملكه. خلع الملك المنصور هذا ثانياً بالملك الظاهر برقوق أيضاً، ودخل برقوق إلى الديار المصرية ومعه الملك المنصور صاحب الترجمة - فى يوم الثلاثاء رابع عشر صفر سنة اثنتين وتسعين وسبعمائة، واستمر المنصور ملازماً لداره بقلعة الجبل إلى أن توفى بعد أن أقعد فى ليلة الأربعاء تاسع عشر شوال سنة أربع عشرة وثمانمائة - رحمه الله - عن بضع وأربعين سنة، ودفن بتربة جدته خوند بركة أم الملك الأشرف شعبان. رحمه الله تعالى. الدليل: ج ١ ص ٢٥٧ النجوم: ج ١١ ص ٢٠٦ - ٢١٦ الضوء: ج ٣ ص ٨٧، الجوهر الثمين: ص ٤٥٥، ٤٧٠، أنباء الغمر: ج ٢ ص ٤٨٩، وفيه: «مات فى عشر شوال». بدائع الزهور: ج ٢ ص ٨١٥ سنة ٨١٤ هـ نزهة النفوس: ج ٢ ص ٢٩٥ سنة ٨١٤ هـ البدر الطالع: ج ١ ص ١٨٦ مورد اللطافة: عقد الجمان حوادث سنة ٨١٤. وفيه: «ت ليلة الخميس العشرين من شوال، ودفن صبيحة نهاره فى تربة جدته أم شعبان بالمدرسة التى فى النبانة خارج بابى من ناحية القلعة».

(١) تمتاز بن عبد الله الناصرى الظاهرى (٨١٤ هـ - ١٤١٢ م)، الأمير سيف الدين، نائب السلطنة بديار مصر. هو من جملة مماليك الظاهر برقوق وأمرائه، ونسبته بالناصرى لجلاله خواجا ناصر الدين، كان خصيصاً عند الملك الظاهر برقوق، رقاها إلى أن جعله أمير طبلخاناه ومعلماً للرمح، -

وكان ينادمه ويلعب معه الشطرنج، ويعجبه كلامه ويداعبه، ثم نقله إلى إمرة مائة وتقدمة ألف في شهر صفر سنة إحدى ومائمائة بعد مسك الأمير نوروز الحافظي الأمير آخور، وحبسه بسجن الإسكندرية لأمر أوجب ذلك، واستقر سيدي سودون عوضه أمير آخورا، فدام تمراز المذكور على ذلك إلى أن قبض عليه الملك الناصر فرج في أوائل دولته وحبسه بثغر الإسكندرية مدة يسيرة، ثم أطلقت بعد واقعة الأمير الكبير أتمش وأنعم عليه بإمرة مائة وتقدمة ألف بالديار المصرية، عوضا عن الأمير أرغون شاه أمير مجلس، بحكم عصيان أرغون شاه مع الأتابك أتمش في سنة اثنتين ومائمائة، فاستمر تمراز من السنة المذكورة إلى سنة ثلاث استقر نائب الغيبة بالديار المصرية عند خروج الملك الناصر فرج لقتال تيمور لنك - لعنه الله - فباشر نيابة الغيبة بالديار المصرية إلى أن عاد الملك الناصر فرج من البلاد الشامية - بعد استيلاء تيمور عليها - إلى القاهرة. واستمر تمراز على إقطاعه إلى شهر شوال سنة خمس ومائمائة أخلع عليه بإمرة سلاح، عوضا عن الأمير بكتمر رأس نوبة الأمراء. قلت وهذه الوظيفة مفقودة الآن، واستقر عوضه في إمرة مجلس الأمير سودون المارديني، واستقر بعد سودون المارديني رأس نوبة النوب سودون الحمزاوي، وأقام الأمير تمراز في هذه الوظيفة إلى سنة سبع ومائمائة وقع للأمير يشبك وقعته المشهورة، ثم انكسر وخرج إلى البلاد الشامية، فكان تمراز هذا ممن خرج معه، واستقر عوضه في إمرة سلاح الأمير أقبای الطرنطای حاجب الحجاب، ثم عاد تمراز المذكور إلى القاهرة، ووقع له أمور يطول شرحها إلى أن صار نائب السلطنة بالديار المصرية، ثم فر بعد ذلك بمدة من الملك الناصر إلى الأميرين شيخ الحمودي، ونوروز الحافظي، فأكرماه وعظماه وأجلا محله، فلم تطل مدة إقامته عندهم، وفر من عندهم وعاد إلى الملك الناصر ثانيا، فأنعى عليه الملك الناصر بإمرة مائة وتقدمة ألف، وفي النفس ما فيها بسبب هروبه من عنده بغير موجب وعوده إليه. فتمهل عليه إلى شهر صفر من سنة أربع عشرة ومائمائة، وأخرج إقطاعه ورسم له بالإقامة في داره أو يتوجه إلى نغر دمياط، فتوجه إلى الثغر، وأقام به بطالا إلى العشر الأوسط من شهر ذي الحجة من السنة رسم بالقبض عليه وتجهيزه إلى حبس الإسكندرية، فقبض عليه وأودع في سجن الإسكندرية، ثم قتل التاريخ المذكور. حكى لي بعض أعيان الأمراء قال: قال الملك المويد شيخ بعد سلطنته إن كان الملك الناصر فرج يدخل الجنة يدخلها بقتلة لتمرز: قال: فقيل له وكيف ذلك يا مولانا السلطان؟ قال: لأن الملك الناصر كان يعظمه وجعله نائب السلطنة بالديار المصرية بعد شغورها عدة سنين من أيام سودون الشيخونى النائب، وجعله أعظم أمراء الديار المصرية، فلم يقنعه ذلك وفر من عنده، وقد على فقلت في نفسي: وما أفعل أنا هذا حتى يعجبه مني؟ فخرجت إلى تلقيه، ومشيت في خدمته حتى أرضيه وأطيب خاطره، فمعتني من ذلك بعد أن رأى مني من الحرمة والتعظيم له ما لا مزيد عليه، وأقام عندي مدة وأنا لا أخرج عما يأمرني به، فلم يكن بعد قليل إلا وقد هرب من عندي وعاد إلى الناصر، فاختر الملك الناصر يرضيه بماذا، فإنه أولا كان أنعم عليه بنبابة السلطنة وأشياء يطول شرحها فلم يعجبه ذلك، وفر من عنده إلى عندي، ثم عاد إليه، فلم يجد بدا من القبض عليه وقتله، فكان ذلك من أعظم مجازاته. اتى. قلت: وكان الأمير تمراز المذكور تركيا، رأسا في فنون الفروسية، حشما وقورا، وعنده خفة روح ودعابة، وهو أستاذ أقبغا التمرازي، وغيره من التمرازية، رحمه الله تعالى، وعفا عنه. وله أيضا ترجمة في: الدليل الشنافية ج ١ ص ٢٢٥، رقم ٧٨٧، النجوم الزاهرة ج ١٣ ص ١٨٤، الضوء اللامع ج ٣ ص ٣٨ رقم ١٥٦، أنباء الغمر ج ٢ ص ٩٤٩٧، نزهة النفوس ج ٢ ص ٢٩٦ رقم ٤٩٤، باع الزهور ج ١ ق ٢ ص ٨١٧.

دمياط، وقد بلغ نحو ستين سنة. وكان تركيا، غيره شر منه.

والأمير خير بك في تاسع عشرين شوال، لم يعرف عنه خير.

والأمير جاتم^(١)، قتل في ثانی عشرين شهر رجب، وكان من شرار الخلق المفسدين في الأرض.

والأمير يشبك الموساوى الأقمم، وكان كثير الشر والظلم، محبا للفتن، مفسدا، لا خير فيه.

والأمير قردم الحسنی، قتل بالإسكندرية، وكان من أمراء الألف، خازن دارا كبيرا، وله تربة بباب الفافة.

والأمير قنباک، رأس نوبة كبير، قتل أيضا، وكان من سيئات الزمان، جهلا، وظلما، وفسقا.

(١) جاتم (٨١٤ هـ = ١٤١١م): هو جاتم بن عبد الله من حسن شاه الظاهري، الأمير سيف الدين نائب طرابلس. وكان من أصاغر ممالك الملك الظاهر برقوق وخصايته، وترقى في الدولة الناصرية فرج حتى صار أمير مائة ومقدم ألف بالديار المصرية، ثم ولي نيابة حماه، ثم طرابلس، ووقع له أمور وحوادث، وتكرر عصيانه على الملك الناصر فرج غير مرة، ومشى مع الأميرين شيخ ونوروز بتلك البلاد مدة، ثم عاد إلى الملك الناصر فرج، وصار من جملة المقدمين بالديار المصرية، ثم ولي إمرة مجلس، واستمر على ذلك مدة يسيرة، وتوجه إلى إقطاعه بالوجه البحري، فبدا للملك الناصر القبض عليه، لما بلغه عنه أنه يريد إثارة فتنة، وهو أن الملك الناصر فرج خرج للصيد في شهر رجب من سنة أربع عشرة ومائاتة، وبات ليلته وعزم على مبيته ليلة أخرى بسرياقوس، فبلغه أن طائفة من الأمراء والمماليك اتفقوا عليه، فعاد إلى القلعة سريعا، وتتبع ما قبل له حتى ظفر بمملوكين عندهما الخبر، فعوقبا في ثامن عشره، فإظهاره رقة فيها خطوط جماعة وكبيرهم جاتم المذكور، كل ذلك وجاتم مسافر في جهة إقطاعه منية ابن سلسيل من الغربية، فلما تحقق الملك الناصر مقاتلتهما، أرسل طوغان الحسنی الدوادار، والأمير بكتمر حلق لإحضار جاتم المذكور إلى القاهرة، والقبض عليه إن امتنع، فخرج في يوم السبت، على أن طوغان يلفاه في البحر، وبكتمر حلق يمسك عليه الطريق في البر، ثم قبض الملك الناصر على جماعة من الأمراء والمماليك، وسار طوغان إلى أن وافى جاتم بشاطئ النيل فأحسن جاتم بالأمر فامتنع، فاقتتلا في البر ثم في المراكب بمهجته، فرماه أصحاب طوغان بالنشاب حتى هلك، وقطع رأسه في ثانی عشره شهر رجب من سنة أربع ومائاتة، وقدم به في رابع عشرينه، رحمه الله ومات قبل الكهولة. وكان شابا جميلا، وأشقر، طوالا، مشهورا بالشجاعة، إلا أنه كان مسرفا على نفسه، كثير الشرور والفتن، وعفا الله عنه. وله أيضا ترجمة في: الدليل الشافي ج١ ص ٢٢٤ رقم ٨١١، النجوم الزاهرة ج١٣ ص ١٨٤، الضوء اللامع ج٣ ص ٦٥ رقم ٢٦٤، أبناء الغمر ج٢ ص ٤٩٧ رقم ١٠.

ومات الأمير آقبغا القديدي، دوا دار يشبك أحد أمراء العشرات، ومن جملة دوا دارية السلطان، توفي ليلة الثالث عشر من شوال.

وقتل الأمير شهاب الدين أحمد بن ناصر الدين محمد بن الطبلاوي^(١) والى القاهرة، وكاشف الشرقية. قتل ليلة السابع والعشرين من ذى القعدة، فأراح به الناس من ظلمه، وفسقه، وعتوه.

ومات الأمير الشريف علاء الدين عل البغدادي، ثم الأحميمي، والى دمياط، ثم وزير الديار المصرية.

ومات الطواشى فيروز^(٢). توفي فى ليلة الأربعاء تاسع شهر رجب، وكان قد شرع فى بناء مدرسة خط الغرابيين^(٣) داخل باب زويلة من القاهرة، ووقف عليها عدة أوقاف، فمات قبل فراغها، فدفن بحوش السلطان خلف قبر الملك الظاهر برقوق. فأقر السلطان ما قرره فى كتاب وقفه من المصارف على الفقهاء والأيتام وغيرهم، وأضاف الوقف إلى تربته التى أنشأها على قبر أبيه، فاستمر ذلك، وأخذ السلطان آلات عمارة فيروز، وأنعم بمكانها على الأمير الكبير تمرتاش المحمدي، فشرع فى بنائها قيسارية، وكمل بظاهرها عدة حوانيت. فما شعر حتى خرج فى خدمة السلطان إلى الشام وتركها، وكان من أمرها ما يأتى ذكره - إن شاء الله - فى سنة ثلاث وعشرين وثمانمائة.

وتوفى الأديب أبو الفضل عبد الرحمن بن أحمد بن أبى الوفاء الشاذلى^(٤)، غريفا

(١) (٨١٤ هـ = ١٤١١ م). أحمد بن محمد، الأمير شهاب الدين الشهير بابن الطبلاوي، والى القاهرة، وكاشف الوجه الشرقى من أعمال القاهرة. قتله الملك الناصر بن الملك الظاهر برقوق على ما اتهم به من جهة خوند بنت صروق مطلقة الملك الناصر المذكور - فى ليلة السابع والعشرين من ذى القعدة سنة أربع عشرة وثمانمائة، بعد أن قتل الناصر بنت صروق المذكورة فى ذلك اليوم، قبل أن يقتل صاحب الترجمة، وكان غير مشكور السيرة، كما هو عادة ظلمة الولاة، عفا الله عنه. وله أيضًا ترجمة فى: الدليل الشافى ج١ ص ٨٢ رقم ٢٨٧، النجوم الزاهرة ج١ ص ١٣٠، أبناء الغمر ج٢ ص ٤٨٨، الضوء اللامع ج٢ ص ٢١٤ ترجمة ٥٨٢.

(٢) هو زين الدين فيروز بن عبد الله الرومى.

(٣) يقع قرب باب زويلة. انظر الخطط التوفيقية ٣٢ / ٢.

(٤) ابن أبى الوفاء (٧٨١ - ٨١٤ هـ = ١٣٧٩ - ١٤١١ م). عبد الرحمن بن أحمد بن محمد، أبو الفضل بن أبى الوفاء: شاعر مصرى، شاذلى مالكى قال ابن تغرى بردى: هو أشعر بنى الوفاء بلا مدافعة. مات فى عنفوان شبابه، غريفا فى النيل بين الروضة ومصر القديمة له ديوان شعر. انظر النجوم الزاهرة ١٣ / ١٨٧، شتر بيتى ٤٤٣١، الضوء اللامع رقم ١٧٩. الأعلام ٣ / ١٩٦.

بيبحر النيل، فى يوم تاسوعاء. وغرق معه أيضا جمال الدين عبد الله بن ناصر الدين أحمد التنسى، قاضى القضاة المالكية.

وتوفى الشيخ تاج الدين أبو عبد الله محمد بن الشيخ الملك يوسف بن عبد الله بن عمر بن خضر العجمى الكورانى، فى يوم الحادى والعشرين من شعبان، ودفن بزاوية الشيخ يوسف العجمى بالقرافة، وكان حشما، يركب الخيول، ويتزدد إلى الأمراء، وله غنى وسعة.

* * *

سنة خمس عشرة وثمانائة

أهلت وخليفة الوقت أمير المؤمنين المستعين بالله أبو الفضل العباس، ابن المتوكل على الله أبي عبد الله محمد، والسلطان الملك الناصر أبو السعادات زين الدين فرج ابن السلطان الملك الظاهر أبي سعيد سيف الدين برقوق، ابن الأمير أنص؛ وهما بدمشق. وأتابك العساكر الأمير دمرداش الحمدي^(١)، وأمير آخور الأمير أرغون البشباغوى الرومى، والدوادار الكبير الأمير طوغان الحسنى، وقد خرج عن طاعة السلطان، ومضى إلى الأمير شيخ بجمص، هو والأمير بكنمر جلق الناصرى رأس نوبة، والأمير شاهين الأفرم أمير سلاح ورأس نوبة الأمير الكبير سنقر الرومى. وبديار مصر الأمير يلبغا الناصرى نائب الغيبة، والأمير أسنبغا الزردكاش شاد الشربخانا، والأستادار الأمير منكلى الخليلى، والقضاة الأربع، وكتاب السر، والوزير وناظر الخاص، وناظر الجيش، الذين تقدم ذكرهم فى السنة الماضية، وهم بدمشق صحبة السلطان. ونائب حلب الأمير شيخ الحمودى، وقد أعلن هو والأمير نوروز الحافظى نائب طرابلس بمخالفة السلطان، ونزلا على حمص، ونائب دمشق الأمير تغرى بردى، وهو شديد المرض، ونائب غزة الأمير

(١) دمرداش بن عبد الله الحمدي الأتابكى الظاهرى (٨١٨ هـ = ١٤١٥ م)، الأمير سيف الدين هو أيضا من ممالك الملك الظاهر برقوق، ومن صار خاصكيا «سلاح دارا فى سلطنة برقوق الأولى» فلما خلع برقوق وحبس بالكرك، وتغيبت ممالিকে أخرج دمرداش هذا إلى الشام، وصار بخدمة نائبها الأمير بزلاز العمرى واستمر بدمشق إلى أن خرج أستاذه الملك الظاهر برقوق من حبس الكرك وتسلطن نائباً أنعم على دمرداش هذا بإمرة بالبلاد الشامية، ثم ولاه نيابة حماة. «فاستمر فى نيابة حماة» إلى سنة خمس وتسعين، ونقل إلى نيابة طرابلس بعد عزل الأمير إياس الجرجاوى عنها وتوجهه إلى دمشق أتابكا بها بعد انتقال الحسنى منها إلى نيابة دمشق. وتولى نيابة حماة بعد الأمير أقبغا الصغير، فدام دمرداش فى نيابة طرابلس إلى أن تجرد الظاهر برقوق إلى البلاد الشامية فى سنة ست وتسعين، قبض عليه وولى عوضه فى نيابة طرابلس الأمير أرغون شاه الإبراهيمى نائب صفد.... وكان (دمرداش) أميراً كبيراً، شجاعاً، مقداماً، عارفاً، جواداً كريماً باشر الحروب وحضر الوقائع، وتنقل فى عدة ولايات وأعمال جليلة، إلا أنه كان قليل السعادة فى حركاته، مع معرفة تامة، وخديعة، ومكر، ودهاء. وكان يعظم العلماء، ويحب أهل الصلاح وبنى بحلب جامعاً كان قد أسسه الأمير أقبغا الهذبانى الأطروش، فكملة، ووقف عليه وقفاً جيداً، وبنى بطرابلس أيضاً زاوية عظيمة على بركة زاوية معروفة به. انظر المنهل الصافى ٥ / ٣١٦ وما بعدها والدليل ١ / ٢٩٨، النجوم ١٤ / ١٣٨، الضوء ٣ / ٢١٩، أنباء الغمر ٣ / ١٨، عقد الجمان حوادث سنة ٨١٨.

سودن من عبد الرحمن، ونائب صفد الأمير قرقماس ابن أخى دمرداش، وهو بدمشق، وقد ولاه السلطان نيابة حلب، عوضا عن الأمير شيخ، فلم يتمكن من المسير إليها. ونائب حماة الأمير تمتاز. ومتملك بلاد قرمان الأمير محمد باك ابن الأمير علاء الدين بن قرمان. ومتملك بقية الروم الأمير موسى جلى بن أبى يزيد خونديكار بن مراد خان بن أرخان بن عثمان جق. متملك بغداد وتوريز الأمير قرا يوسف بن قرا محمد التركمانى وهو مقيم بتوريز، وعلى بغداد لابنه محمد شاه. ومتملك اليمن الملك الناصر أحمد بن الأشرف إسماعيل بن رسول. وأمير مكة الشريف حسن بن عجلان الحسنى، وأمير المدينة النبوية الأمير ثابت بن نعيم الحسينى.

وسعر المثقال الذهب المهرجة بديار مصر مائتين وأربعين درهما من الفلوس إذا اشترى به شىء من أنواع المبيعات، وإذا أخذ عنه الفلوس فينقص خمسة دراهم والدينار الأفرنتى بمائتين وعشرين فى المعاملة، وينقص إذا صرف بالفلوس خمسة دراهم، والدينار الناصرى بمائتين وعشر دراهم، ويدفع فيه من الفلوس بناقص خمسة دراهم. والأردب القمح بمائة وخمسين درهما. والنقد الرابع الفلوس، وإليه ينسب ثمن كل ما يباع، وقيمة جميع الأعمال. وحصل فى الزروع عند حصادها ودراسها ثمان، بحيث يحصل من الفدان قدر اثني عشر أردبا من القمح.

شهر الله المحرم، أوله يوم الأربعاء:

فيه خلع السلطان على شهاب الدين أحمد بن الكشك، وأعادته إلى قضاء الحنفية بدمشق، وكان قد قدم ابن القضاى الحموى مع العسكر متوليا قضاء الحنفية بدمشق. ولى وهو بغزة وكان أولا على قضاء الحنفية بحماة، فجرت له كائنة قبيحة مع نائبها يشبك بن أزدمر، افتضح بها. وقدم دمشق فولاه الأمير نوروز قضاء الحنفية بها فى أيام عصيانه، بمال التزم به. ثم خرج من دمشق وصار إلى مصر، فاتصل بالأمير طوغان الدوادار، وسعى به حتى ولاه فى غزة قضاء دمشق، فصرف قبل أن يياشر. وكان قد قدم قبل ذلك بأسبوع الشريف ابن بنت عطاء، وبيده توقيع شريف باستقراره فى قضاء الحنفية بدمشق، مؤرخا يام من شهر رجب، فوصل قبل وصوله توقيع ابن الكشك بإعادة وظائفه إليه. ثم كتب توقيعته بالقضاء بعدما لبس ابن بنت عطاء تشريفه بيومين، فلبس ابن الكشك تشريفه، واستمر، فكان فى مدة عشرة أيام ثلاث قضاة، ولوا وعزلوا، منهم ابن الكشك ولى ثلاث ولايات، وعزل مرتين.

وفيه أفرج عن ناصر الدين محمد بن البارزى الحموى من سجنه بقلعة دمشق وأفرج أيضا عن الأمير نكبای الحاجب.

وفي يوم الإثنين سادسه: سار السلطان من دمشق، ونزل برزة، ثم رحل بعسكره يريد محاربة الأميرين شيخ ونوروز، ومن انضم إليهما من الأمراء المصريين، ومن معهم. فنزل حسيا بالقرب من حمص، فبلغه رحيل القوم من قارا إلى جهة بعلبك، فترك أثقاله بحسبا. وسار في أثرهم إلى بعلبك، وقد توجهوا إلى البقاع، فقصدهم، فمضوا نحو الصبية وهو يتبعهم، حتى نزلوا باللجون، فأشار عليه كاتب سره فتح الله أن يعود إلى دمشق، ولا يتوجه إلى اللجون فإذا استقر بدمشق، تخير لنفسه إما أن يبعث إليهم عسكرا، أو يصفح عنهم ويوليهم أماكن، أو يريح عساكره ويخرج إليهم، فمال إلى قوله، وكاد أن يعود، فخلا به شياطينه - أقبغا النظامي، أحد الدوادارية، وألطنبغا شقل، وأضرابهما من الفجار المفسدين - وقبحوا هذا الرأي، وشجعوه على المسير إلى أعدائه، وأنه عندما يلقاهم يأخذهم عن آخرهم أخذا باليد، فإنهم كلهم في قبضته، ورموا عنده فتح الله بأنه ما قال هذا ولا أشار به إلا وهواه مع القوم. وكان الناصر يميل مع من يستميله، ويؤثر فيه قول كل قائل، فانفعل لهذا، واستدعى فتح الله، وأوسعه سبا، وملأ أذانه توبيخا وتهديدا بحضرة الملأ، ورماه بأنه مع أعدائه عليه. فخرج وقد اشتد غيظه وغضبه، وملى حنقا وحقدا.

وركب السلطان من ساعته وساقه وهو ثمل، فما وصل إلى اللجون حتى تقطعت عساكره من شدة السوق، ولم يبق معه غير من ثبت وهم أقل ممن تأخر، وكان قد دخل وقت العصر من يوم الإثنين ثالث عشره، والقوم قد نزلوا قبله، وأراحوا، وفي ظنهم أنه يتمهل ليلته ويلقاهم من الغد، فإذا جنهم الليل، ساروا بأجمعهم من وادي عارة إلى جهة الرملة، وسلكوا البر عائدين إلى حلب، وليس في عزمهم أن يقاتلوه أبدا، خوفا منه وعجزا عنه. فلما أراد الله سبحانه لم يتمهل، وحمل بنفسه من فوره - حال وصوله - واقتحم عليهم، فارتطمت طائفة ممن معه في وحل كان هناك من سيل عظيم حصل عن قريب. وخامر مع ذلك عليه طائفة أخرى، ومضوا إلى القوم، فقتلوا. وثبت السلطان في حماه وثقاته، فقتل الأمير مقبل الرومي أحد أمراء الألفوف، وزوج ابنة الملك الظاهر التي كانت تحت الأمير نوروز، وتركها عند خروجه من مصر، فأنكحها السلطان قبل هذا بعقد ملفق، لا يعبأ الله به، وقتل أيضا أحد رعوس الفتنة - ألطنبغا شقل. وانهزم السلطان وقد جرح في عدة مواضع، ونجا بنفسه، وهو يريد دمشق، ليكون بها مصرعه. وفاته الرأي أخيرا كما فاته أولا، فلم يتوجه إلى مصر، وعدل عنها ليقضى الله أمرا كان مفعولا.

وأحاط القوم بالخليفة المستعين بالله، وكاتب السر فتح الله، وناظر الخاص تقي

الدين عبد الوهاب بن أبي شاكرك، وناظر الجيش بدر الدين حسن بن نصر الله. وكان الناصر أمرهم أن يقفوا على حدة. فذكر لهم كاتب السر أن الرأي أن يتوجه إلى صفد، فإذا انتصر السلطان أتينا، فأبى. وكان هذا من سوء تدبيره أيضا، فإن القوم ازدادوا بالخليفة ومن ذكرنا قوة إلى قوتهم، وبهم تم لهم الأمر، وأحاطوا أيضا بجميع ما كان مع الناصر من مال وخيول وجمال وغير ذلك، ما عدا الأتقال التي تركها بحسبها، فإنها عادت إلى دمشق، في ثاني عشره، قبل الوقعة بيوم، فما غربت الشمس حتى صار القوم من الخوف إلى الأمن، ومن الذل إلى العز، فتقدم شهاب الدين أحمد بن حسن بن الأذرعى - إمام الأمير شيخ - وصلى بهم المغرب، فقرأ في الركعة الأولى بعد الفاتحة بصوته الشجى ﴿واذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون في الأرض، تخافون أن يتخطفكم الناس، فأواكم وأيدكم بنصره وورزقكم من الطيبات لعلكم تشكرون﴾^(١) فوقعت قراءة هذه الآية أحسن موقع بمناسبة الحال.

وباتوا بمخيماتهم ليلة الثلاثاء، وأصبحوا ليس فيهم واحد ينقاد لآخر، فينادى الأمير شيخ بأنه الأمير الكبير، ويرسم بما شاء وينادى الأمير نور بأنه الأمير الكبير، ويرسم بما شاء، وينادى بكنتمر جلق بأنه الأمير الكبير، ويرسم بما شاء وأخذ الأمير سودن تلى الحمدي بيده الإصطبل السلطاني، وحواه لنفسه، فبعث الأميران شيخ ونوروز إلى كاتب السر فأحضراه إليهما في خلوة، وبالغا في إكرامه، وأراداه أن يكتب بما جرى إلى الديار المصرية، ويعلم الأمراء به، فقال لهما « من السلطان الذى يكتب عنه»، فأطرق كل منهما رأسه ساعة، ثم قال « ابن أستاذنا ما هو هنا حتى نسلطنه»، يريدان الأمير فرج بن السلطان الملك الناصر فرج. فلما رأى انقطاعهما قال: « الرأى أن يتقدم كل منكما إلى موقعه بأن يكتب عنه إلى أمراء مصر كتابا بصورة الحال، ويأمر بحفظ القلعة والمدينة حتى يقدم عليهم، ويعدهم بالخير ثم يكتب الخليفة أمير المؤمنين عنه كتابا إلى الأمراء بصورة الحال، ويأمرهم بامتثال ما تضمنه كتابيكما». فوقع هذا الرأى منهما الموقع الجيد، وكتب كل منهما كتابا، وكتب الخليفة كذلك. وندب قحقار القردمى بحمل الكتب وجهاز إلى القاهرة، فمضى إليها من يومه.

ونودى بالرحيل، فرحل العسكر يريدون دمشق فى يوم الأربعاء خامس عشره، وليس عندهم من السلطان علم، وكان السلطان قد قدم دمشق آخر ليلة الأربعاء فى ثلاثة نفر، ونزل بالقلعة، وأصبح الناس فى اضطراب. فاستدعى القضاة والأعيان ووعدهم بكل خير، وحثهم على نصرته، والقيام معه، ورغبهم فيما لديه، فانقادوا له،

وقورا قلبه، وشجعوه فأخذ في تدبير أموره، وتلاحقت به عساكره شيئا بعد شىء. وقدم عليه الأمير دمرداش المحمدى عصر يوم الخميس، فولاه سادس عشره نيابة الشام، عوضا عن الأمير تغرى بردى، وقد مات فى هذا اليوم. ثم قدم الأمير أرغون أمير آخور، والأمير سنقر، وبقية من تأخر من عسكر السلطان.

وأخذ السلطان فى الاستعداد، فأخرج الأموال وصبها بين يديه ظاهرة. ودعا الناس إلى القيام بنصرته، فأتاه جمع كبير من التركمان وغيرهم، فكتب أسماءهم، وأنفق فيهم، وقواهم بالسلاح، وأنزل كل طائفة فى موضع لحفظه. فكانت عدة من استنجده من المشاة زيادة على ألف رجل قد أجلسوا فوق سقائف الحوانيت وأعلى الحيطان. وجمع العساكر المصرية والشامية، وقواها، وأنفق فيها. وحصن القلعة بالمجانيق، ومدافع النفط الكبار، وبالمكاحل، وجعل بين كل شرفتين من شرفات سور المدينة، جنوية^(١)؛ ومن ورائها الرماة بالسهم والجروح، والمدافع والأسهم الخطائية. ونصب على كل برج من أبراج السور شيطانيا^(٢) يرمى به الحجارة. ورفع الجسور عن الخنادق، وأتقن تحصين القلعة، بحيث لم يبق سبيل إلى التوصل لها بالقوة.

وفيه ولى السلطان الأمير نكباى الحاجب نيابة حماة.

وفيه ركب قاضى القضاة شيخ الإسلام جلال الدين أبو الفضل عبد الرحمن بن البلقينى، ومعه بقية قضاة مصر ودمشق، وجماعة من أرباب الدولة، ونودى بين أيديهم بأسواق دمشق عن لسان السلطان، أنه قد أبطل المكوس وأزال المظالم، فادعوا له. فقوى ميل الشاميين إليه، وتعصبوا له، وصار أكثرهم من حزبه وفريقه.

وفى يوم الجمعة سابع عشره: ورد الخير بنزول الأمراء سعسع، فقوى الاستعداد.

وفى بكرة يوم السبت ثامن عشره: نزل الأمراء على قبة يلبغا خارج دمشق، فندب السلطان إليهم عسكرا توجهوا إلى القبيبات^(٣)، فبرز لهم الأمير سودن تلى المحمدى، والأمير سودن الجلب، فاقتتلوا حتى تفهقر السلطانية منهم مرتين، ثم انصرف الفريقان.

(١) الجنوية: الأوتاد أو الأسياخ المديبة التى تمنع دون عبور السور.

(٢) الشيطانية: نوع من آلات حرب، يستخدم فى قذف الحجارة.

(٣) القبيبات: بئر دون المغينة فى طريق مكة بخمسة أميال بعد وادى السباع. وهى أيضا: محلة

بيغداد وماء فى منازل بنى تميم وموضع بالحجاز. وهى: محلة جديدة بظاهر مسجد دمشق. انظر

وفى يوم الأحد تاسع عشره: ارتحل الأمراء عن قبة يلغا، ونزلوا غربى البلد من جهة الميدان، ووقفوا من جهة القلعة إلى خارج البلد، فتراموا عامة نهارهم بالنشاب والنفط، فاحترق ما عند باب الفراديس من السواق، ومضوا.

فلما كان الغد يوم الإثنين عشرينه: اجتمعوا للحصار، فوقفوا شرقى البلد وقبليه، ثم كروا راجعين، فنزلوا ناحية القنوت^(١) إلى يوم الأربعاء ثانى عشرينه. فوقع القتال فى ناحية شرقى البلد، ونزل الأمير نوروز بدار الطعام، وامتدت أصحابه إلى العقبية، وأخذ طائفة، الصالحية والمزة، ونزل الأمير شيخ بدار الأمير غرس الدين خليل الأستاذار - تجاه جامع كريم الدين بطرف القبيبات - ومعه الخليفة وكاتب السر وجماعته ورفقته. ونزل الأمير بكنمر شلق، والأمير قرقماس ابن أخى دمرداش فى جماعة من جهة بستان معين الدين ومنعوا الميرة عن الناصر، وقطعوا نهري دمشق^(٢)، ففقد الماء من البلد، وتعطلت الحمامات، وغلقت الأسواق. واشتد الأمر على أهل دمشق، وترامى الأمراء بالنشاب، واقتتلوا قتالا شديدا، احترق فيه عدة حوانيت وغيرها. وكثرت الجراحات فى أصحابه الأمراء، وذلك أن رميهم يقع فى أحجار السور، ورمى السلطان دائما يقع فيهم فينكيهم.

وفى آخر هذا اليوم: بعث الأمير شيخ إلى شهاب الدين أحمد بن الحسينى، وشهاب الدين أحمد الباعون، وقاضى القضاة ناصر الدين محمد بن العديم - وكان قد انقطع بالشبلية^(٣) لمرض به - فلم يدخل إلى جامع بنى أمية مع رفاقه قضاة مصر، فأحضر الثلاثة وأنزلهم عنده.

وفيه أيضا لحق بالأمير شيخ، ناصر الدين محمد بن البارزى الحموى، وصدر الدين على بن الآدمى، فتأنس بهما، وأخذوا فى تعريفه بأمر البلد، ومواضع العورات منها، ونحو ذلك مما يتقرب به إليه. فلما بلغ السلطان ذلك استدعى محب الدين محمد بن الشحنة الحلبي، وخلع عليه، وولاه قضاء القضاة الحنفية بديار مصر، عوضا عن ناصر الدين محمد بن العديم، فى يوم الخميس ثالث عشرينه.

وفى يوم الجمعة رابع عشرينه: أحضر الأمير شيخ إلى بين يديه الأمير بلاط آقشوق

(١) أحد روافد نهر بردى، الذى يجرى فى دمشق وينقسم داخلها، ويجرى فى قناة مدفونة فى الأرض إلى أن يصل إلى مستحقاتها بالدور والأماكن. انظر صبح الأعشى ٤ / ٩٥.
(٢) يقصد بهما نهرا باناس والقنوت.

(٣) الشبلية: مدرسة للحنفية بسفح جبل قاسيون، وهى تنسب إلى الطواشى شبل الدولة الحسامى. انظر المدارس فى تاريخ المدارس ١ / ٥٣٠.

السلوك لمعرفة دول الملوك ٣١٩
شاد الشربخانة، وكان ممن قبض عليه فى وقعة اللحون، ووسطه من أجل أنه كان يتولى ذبح المماليك الظاهرية، ليلى قتلهم السلطان بقلعة الجبل. ووسط أيضا الأمير بلاط أمير علم، وكان ممن قبض عليه أيضا.

وفى يوم السبت خامس عشرينه: خلع الخليفة المستعين بالله الملك الناصر من الملك، فكانت مدته فى السلطنة منذ مات أبوه الملك الظاهر وجلس بعده على سرير الملك إلى أن خلع بأخيه السلطان الملك المنصور عبد العزيز ست سنين وخمسة أشهر وأحد عشر يوما. ومدة سلطنته الثانية من حين وثب على أخيه عبد العزيز إلى أن خلعه الخليفة أمير المؤمنين ست سنين وعشرة أشهر سواء. فجميع مدة سلطنته ثلاث عشرة سنة وثلاثة أشهر وأحد عشر يوما.

* * *

الخليفة أمير المؤمنين المستعين بالله أبو الفضل

العباس بن محمد المتوكل على الله أبى عبد الله العباسى

اجتمع عليه الأمراء وبايعوه خارج دمشق، فى آخر الساعة الخامسة من نهار السبت الخامس والعشرين من شهر الله المحرم الحرام سنة خمس عشرة وثمانمائة، والطلع برج الأسد. وسبب ذلك أنه خرج صحبة الملك الناصر فرج من القاهرة إلى الشام عند سفره إليها، كما جرت العادة به. فلما وافى اللحون ليقاتل الأمراء، أوقف الخليفة ناحية، وأوقف معه كاتب السر ورفقاءه، من المباشرين. فما هو إلا أن نزلوا وصلوا صلاة العصر، إذ انهزم الناصر، فأشار كاتب السر حينئذ على الخليفة أن ينشر علمه الأسود، يريد بذلك أن يصيروا فى حمايته خشية من معرة العساكر. فعندما نشر العلم، وعائنه الأمراء تباشروا بالفتح. وفى ذلك الوقت جاء صلاح الدين خليل بن الكوينز صاحب ديوان الأمير شيخ، وشهاب الدين أحمد الصفدى، فى طائفة من العسكر، فأخذوا الخليفة، ومن معه وأتوا بهم إلى الأمراء، فأجلوا مقدم الخليفة، وأنزلوه ومن معه عند الأمير طوغان الدوادار. فلم يزل عنده حتى نزلوا ظاهر دمشق، فاستدعى الأميران شيخ ونور وكاتب السر فتح الله - وقد بلغهم أن الناصر قد صار فى قلعة دمشق وحصنها، وأعد لهم - واستشاراه فيما يعملاه فقال لهما: « ما هكذا يقاتل السلطان ». وذكر لهما ما هم فيه من الافتراق، وعدم الانقياد إلى واحد منهم، وأن كلا من الأمراء يرى أنه الأمير الكبير، وهذا أمر لا بد فيه من إقامة واحد ترجع الأمور كلها إليه وتصدر عنه. فأطرق كل منهما ساعة، ثم رفع رأسه وقال: « ابن أستاذنا ما هو حاضر هنا حتى نسلطنه »،

فلما رأى عجزهم وانقطاعهم قال: « أقيموا الخليفة يتحدث، وقوموا معه، فإن أحدا لا يتجاسر عليه». فقالا له: « أو يرضى بذلك». قال: « أنا أرضيه». وقام عنهما إلى الخليفة، فذكر له شيئا من هذا، فأبى أن يقبل، وفرق من الناصر فرقا شديدا، وخاف ألا يتم له هذا الأمر فيهلك، وصمم على الامتناع، وفتح الله يلع عليه، لما داخل قلبه من خوف الناصر والحقد عليه، فلما رأى أن الخليفة لا يوافق على القيام بالأمر، دبر عليه حيلة يقوده بها لما يريد منه، وهو أنه حسن للأمير شيخ حتى أمر ناصر الدين محمد بن مبارك شاه الطازى أخا الخليفة لأمه، فركب معه ورقة تتضمن أسطرا عديدة، فيها مثالب الناصر ومعاييه، وأن الخليفة قد خلعه من الملك وعزله من السلطنة، ولا يحل لأحد معاونته، ولا مساعدته، فإنه الكذا الكذا. فلما بلغ الخليفة هذا، سقط في يده، وأيس من انصلاح الناصر له وأراد أن يبقى له حيلة مع الأمراء، يعيش بها حيناً من الدهر فى رحيله معهم، وفى ظنه وظن غيره عجز الأمراء عن الناصر، فأذعن حيثشذ لهم أن يقوم بالأمر، فبايعوه بأجمعهم، وأطبقوا كلهم على يده، يعطوه صفقة إيمانهم، وحلفوا له على الوفاء بتبعيته، ونصبوا له كرسيًا خارج باب الدار، تجاه جامع كريم الدين. وجلس فوقه وعليه سواده الذى أخذوه من الجامع، وهو بثياب الخطيب عند خطبته للجمعة. ووقفوا بين يديه على قدر منازلهم، ما عدا الأمير نوروز فإنه لم يحضر لاشتغاله بحفظ الجهة التى هو بها. ثم قبلوا الأرض بين يديه على العادة، وتقدم الأمير بكنمى جلق فخلع عليه، واستقر به فى نيابة الشام، وخلع على الأمير قرقماس ابن أخى دمرداش، واستقر به فى نيابة حلب. وخلع على الأمير سودن الجلب واستقر به فى نيابة طرابلس.

ثم ركب أمير المؤمنين والأمراء، ونادى مناد « ألا إن الناصر فرج بن برقوق قد خلع من السلطنة، فلا يحل لأحد مساعدته، ومن حضر إلى أمير المؤمنين من جماعته فهو آمن، وأمدكم إلى يوم الخميس»، فى كلام كبير من هذا المعنى قد رتب. وسار أمير المؤمنين بعساكره من تجاه جامع كريم الدين إلى قرب المصلى، ثم عاد وأمر فنودى بذلك أيضا فى الناحية الشرقية من دمشق. فتفخذ الناس^(١) عن الناصر، وصاروا حزبين، حزب يرى أن مخالفة أمير المؤمنين كفر، وأن الناصر قد انعزل من الملك، فمن قاتل معه فقد عصى الله ورسوله، ومنهم من يرى أن القتال معه واجب، ومن قاتله فإنما هو باغ عليه. وكثر الناس فى ذلك. وكتب أمير المؤمنين إلى أمراء مصر، باجتماع الكلمة على إقامته، وأنه خلع الناصر، وقد أبطل المكوس والمظالم. وبعث بذلك على يد الأمير كزل العجمى.

(١) يقال: فخذت بين القوم أى: فرقت وخذلت. انظر لسان العرب (فخذ).

وفى يوم الأحد سادس عشرينه: قدم حاج دمشق مع الأمير مؤمن، فأوقفهم الأمير شيخ عند جامع كريم الدين، وبعث كل طائفة إلى جهة قصدها من البلد، ومنعهم أن يمروا تحت القلعة، وأنزل الحمل بجامع كريم الدين حيث كان الشهابان أحمد الباعوني وأحمد بن الحسيني نازلين بمن معهما من فقهاء دمشق وأتباعهما.

وفيه مات الأمير سكب الدوادار، وكان ممن خامر على الناصر، وصار فى جملة أصحاب الأمير شيخ من حين وقعة اللحون، فأتاه سهم فى ركبته أتى عليه.

وفى سابع عشرينه: خلع أمير المؤمنين على شهاب الدين أحمد الباعوني، واستقر به فى القضاء بديار مصر، عوضا عن قاضى القضاة جلال الدين بن البلقيني. وخلع أيضا على شهاب الدين أحمد بن الحسيني، واستقر به فى قضاء القضاة بدمشق، عوضا عن الأحنأى.

وفى يوم الخميس سلخه: اشتد القتال من جهة الأمير شيخ قريبا من باب الجابية. ومن جهة الأمير نوروز قريبا من باب الفراديس، فكثرت الجراحات ومات جماعة.

وأما القاهرة فإن مبشرى الحاج تأخر وصولهم إلى ثامنه. وقدم فى تاسع عشره الخير بمخامرة الأمراء وقدم السلطان دمشق، ثم مسيره منها يريد أعداءه، وتأخر قدوم الحاج عن العادة، فلم يصل إلى سادس عشرينه، وخرج هذا الشهر والإرجاف بالقاهرة كثير، وقد استعد الأمير أسنبغا الزردكاش، فحصن قلعة الجبل وشحنها بالقلال والزاد، ووسط الأمير قنباى، قريب الأمير الكبير بيبرس، ابن أخت السلطان، فى ليلة الحادى والعشرين منه.

شهر صفر، أوله الجمعة:

فيه مات يشبك العثماني خارج دمشق، من سهم أصابه فى أمسه، فصلى عليه الأمير شيخ.

وفيه خلع السلطان الملك الناصر بدمشق على فخر الدين ماجد - المعروف بابن المزوق - ناظر الإسطنبول، واستقر به فى كتابة السر، عوضا عن فتح الدين فتح الله. وقبض على ما كان لفتح الله بدمشق من خيل وجمال، فكان هذا أيضا مما أعان به على نفسه، فإنه تأكد بذلك بعد ما بينه وبين فتح الله، وكشف له عن قناعه، وحسر عن ساعد الجذ، ودبر عليه بمكايدته وحيله، حتى هدم ما رسخ من ملكه، ونقض ما ثبت من أكيد سلطانه.

وفيه خلع أيضا على الوزير صاحب سعد الدين إبراهيم بن البشيري، وولاه نظير الخاص، عوضا عن تقي الدين عبد الوهاب بن أبي شاکر، وخلع على ابن وزير بيته صاحب ديوان الجيش، واستقر به في نظر الجيش، عوضا عن بدر الدين حسن بن نصر الله.

وفيه قدم إلى القاهرة قجقار القردمي في عشرين فرسا، فأراد الأمير أسنبغا أن يقبض عليه، فبادر الأمير بلبغا الناصري وأرسل طائفة من أجناده إلى لقاءه، وشقوا به القاهرة، وأنزله ببيت الأمير تراز، ورتب له ما يليق به، وقرأ ما على يده من الكتب، فاشتهر الخير في البلد، وكثرت القالة بين الناس.

وفي ثلثه: وصل عشير البقاع مع ابن حنيش إلى دمشق، فقاتلوا المشاة قتالا كبيرا، ورجعوا من الغد إلى الصالحية، فأفسدوا، ونهبوا ما قدروا عليه.

وفي خامسه: وصل بدر الدين حسن بن محب الدين عبد الله الطرابلسي - أستاذار الأمير شيخ - من قلعة المرقب بالزردخانة، فتقوى بها الأمير شيخ، وكان قد عمل مدافع، وكثيرا من النشاب، ونحوه من آلة الحرب.

وفي سادسه: دقت البشائر بقلعة دمشق، ونودي أنه قد وصلت أمراء التركمان - قرا يلك وغيره - ونواب القلاع لنجدة السلطان، فنودي بمعسكر الأمير شيخ - عن أمير المؤمنين - باستعداد العوام لقتال المذكورين، فإنهم مقدمة تمرلك وجاليشه. ثم اجتمع الأمراء والماليك السلطانية كلهم، وحلفوا بأجمعه يمينا ثانية لأمر المؤمنين، بأنهم يلتزمون طاعته، ويأتمرون بأمره، وأنهم راضو بأنه الحاكم عليهم، وأنه يستبد بجميع الأمور من غير أن يعارضه أحد في شيء، وأنهم لا يسلطنوا أحدا غيره، وقبلوا كلهم له الأرض، ومضى كاتب السر فتح الله إلى الأمير نوروز بدار الطعم - حيث هو نازل - فحلفه على ذلك، وقبل الأرض لأمر المؤمنين، وقد استقبل جهته وأظهر من الفرح والسرور، باستعداد أمير المؤمنين بالأمر ما لا يوصف كثرة، وحمد الله تعالى على ذلك، وقال: « حينئذ استقام لنا الأمر ». وسأل كاتب السر أن ينوب عنه في تقبيل الأرض بين يديه، وسؤاله في أن ينفرد بالتدبير ولا يشارك في أمره الأمير شيخ، ولا هو، ولا غيره

وفي ليلة الجمعة ثامنه: اشتد القتال إلى الغاية، واستمر من بعد العصر إلى ثلث الليل.

وفي يوم الجمعة هذا: وصل الأمير كزل العجمي الحاجب من دمشق إلى القاهرة يبشر بقيام أمير المؤمنين، فشق القاهرة، وخرج من باب زويلة، ونزل عند الأمير بلبغا

الناصرى، وحضر إليه الأعيان. فقرأ عليهم كتاب أمير المؤمنين إليه، بأن العساكر المصرية والشامية قد اتفقت على إقامته، وبايعوه، وحلفوا له. وأنه قد خلع الناصر فرج من الملك، لما ظهر منه، وثبت عليه، بمقتضى محضر شهد فيه خمسمائة نفس بقوادح فى الدين، توجب إراقة الدم. ويأمر فى كتابه أن ينادى فى القاهرة ومصر: «لا سلطان إلا الخليفة»، وأنه قد أبطل المكوس والمظالم، وأخذ البراطيل، ورمى البضائع على التجار، وأن يأمر الخطباء بقطع اسم الناصر من الخطب، وإقامة اسم أمير المؤمنين بمفرده. فلم يتمكن الأمير بلبغا الناصرى من ذلك، خوفاً من أسنبغا الزردكاش، فإنه كان قد امتعض الناصر، وعزم على أخذ كزل هذا، فسبقه الأمير بلبغا، وأنزله. هذا، والكتب من الناصر تأتى مع السعاة إلى أسنبغا بأنه محصور بقلعة دمشق، فيهمُّ بأمور من الشر، فيوسوسه الأمير بلبغا الناصرى، ويتلطف به، حتى يكف عن ذلك.

وفى هذا اليوم: بلغ الأمير شيخ أن الناصر قد عزم على إحراق ناحية قصر حجاج^(١) حتى تصير فضاء، ثم يركب بنفسه ويواقع القوم هناك. فبادر وركب بعد صلاة الجمعة، بأمر المؤمنين وجميع من معه، وسار من طرف القبيبات، حيث كان منزله. ونزل بأرض الثابتية وقاتل من بالقلعة، فاشتد القتال إلى أن مضى من الليل جانب، وكثر الرمي بالنفط وغيره، فاحترق سوق خان السلطان وما حوله. وحمل السلطانية على الشيخية حملة منكورة، هزموهم ففرقوا شذر^(٢) مدر. وثبت الأمير شيخ فى حماته بعدما وصل إلى قريب الشويكة ثم حمل بنفسه - هو ومن معه - حملة واحدة، ملك فيها القنوات، ففر من كان هناك من التراكمين الرماة.

وكان الأمير دمرداش منزله عند باب الميدان تجاه القلعة، فلما بلغه ذلك أتى إلى السلطان وهو جالس تحت قبة فوق باب النصر، فسأله أن يندب معه طائفة كبيرة من المماليك ليتوجه بهم إلى الأمير شيخ، فإنه قد وصل إلى طرف القنوات، وسهل أخذه فنادى السلطان من هناك من العساكر وأمرهم بذلك، فلم يجبه منهم أحد، فلما كرر الأمر به. أجابه بعضهم جواباً فيه جفاء.

وبينما هم فى ذلك، إذ اختببط العسكر، ووقع الصوت فيهم: «قد كبسكم الأمير نوروز». فتسارعوا بأجمعهم، وعبروا من باب النصر إلى المدينة، وتفرقوا فى خرائبها، بحيث لم يبق منهم أحد بين يدى السلطان، فولى الأمير دمرداش عائداً إلى موضعه. وقد

(١) محلة كبيرة فى ظاهر باب الجابية من مدينة دمشق منسوب إلى حجاج بن عبد الملك بن

مروان.

(٢) أى ذهبوا فى كل وجه.

ملك الأمير شيخ الميدان، والإسطنبول، فبعث دمرداش إلى السلطان بأن «الأمير قد فات، والرأى أن تلحق بحلب». فقام عند ذلك من مجلسه وترك الشمعة تتقد حتى لا يقع الطمع بأنه قد ولي، ويوهم الناس أنه ثابت. ثم دخل إلى حرمه، وجهاز ماله فلم يخرج حتى مضى أكثر الليل. وتوجه دمرداش نحو حلب، وخامر الأمير سنقر. وجاء إلى الأمير شيخ، فإذا الطبول قد بطل دقها، والرماة قد فروا. وكان قد تقرر من النهار بأن يدس بعض من استماله فتح الله من أصحاب الناصر ناسا، يقومون في الليل، يقولون من فوق الأسوار: «نصر الله أمير المؤمنين». فما هو إلا أن قالوا ذلك تفرق الرماة من فوق الأسوار، وعندما خرج الناصر من داره، أمر بخيوله، فحملت المال ليسير إلى حلب، عارضه الأمير أرغون أمير أخور وغيره، ورغبه في الإقامة: «وأن الجماعة ممالكك أيبك لا يوصلون إليك سوءا»، ونحو ذلك، حتى طلع الفجر، فركب فرسه، ودار على السور، فلم يجد أحدا ممن أعده للرمى، فعاد، والتجأ إلى القلعة.

وأقبل الأمير شيخ نحو باب النصر، وركب نوروز إلى جهة باب أتوما، ونصبت السلام حتى فتح باب النصر، وأحرق باب الجبية، فعبر الأمير شيخ من باب النصر، وأخذ المدينة، ونزل بدار السعادة، وامتدت أيدي النهاية من الغوغاء، فما عفوا ولا كفوا. وأخذوا من المال ما يجيل عن الوصف. فلم يكد أحد يسلم من معرة النهب.

ونزل أمير المؤمنين بدار في طرف من ظواهر دمشق، وتحول الأمير شيخ إلى الإصطبل. وأنزل الأمير بكتمر جلق بدار السعادة.

وأخذ الناصر يرمى من أعلى القلعة يومه، وبات ليلة الأحد على ذلك، فلما كان يوم الأحد عاشره بعث بالأمير أسندمر أمير أخور ليحلف له الأمراء فكتب نسخة اليمين، فحلفوا له، ووضعوا خطوطهم. وكتب أمير المؤمنين خطه أيضا. وصعد به إليه ناصر الدين محمد بن مبارك أخو الخليفة، فطال الكلام بينهما، وكثر الترداد بغير طائل. وعاد الناصر إلى الرمي من القلعة بمدافع النفط، والنشاب. فركب القوم وأحاطوا به يريدون قتاله. فأرسل يسأل في الكف عنه، فضايقوا القلعة خشية أن يفر منها، فاضطره الحال إلى أن نزل ليلة الإثنين حادى عشره، ومعه أولاده يحملهم ويحملون معه، وهو ماش من باب القلعة إلى الإصطبل، حيث منزل الأمير شيخ، فقام إلى لقاءه وقبل له الأرض، وأجلسه بصدر المجلس، وسكن روعه، وتركه وانصرف عنه، فأقام بمكانه إلى يوم الثلاثاء ثانی عشره، فجمع فقهاء مصر والشام بدار السعادة بين يدي أمير المؤمنين، وقد تحول إليها وسكنها، فأقتوا بإراقة دم الناصر شرعا. فأخذ في ليلة الأربعاء من

الإصطبل، وأنزل بموضع من قلعة دمشق وحده، وقد ضيق عليه، وأفرد من خدمه إلى ليلة السبت سادس عشره دخل عليه ثلاثة، أحدهم ابن مبارك أخو الخليفة، وآخر من ثقات الأمير شيخ، وآخر من ثقات الأمير نوروز، ومعهم رجلان من المشاعلية، فعندما رأهم ثار إليهم، ودافع عن نفسه فساوره الرجلان حتى صرعا، بعدما أثنخا جراحه. وتقدم إليه بعض صبيان الفداوية بخنجر فخنقه، وقد أصابته الجراحة فى خمسة مواضع. فلما ظن أنه قد أتى على نفسه وقام عنه، تحرك فعاد وخنقه مرة ثانية، حتى قوى عنده أنه هلك تركه، فإذا به يتحرك، فعاوده مرة ثالثة، وفرى أوداجه بخنجر، وسحب بعدما سلب جميع ما عليه من الثياب. وألقى على مزبلة مرتفعة عن الأرض تحت السماء، وهو عارى البدن، يستر عورته وبعض فخذه سراويله، وعيناه مفتوحتان، والناس تمر به، ما بين أمير ومملوك، قد صرف الله قلوبهم عنه. وغوغاء العامة وأراذل الغلمان تعبت بلحيته ويديه ورجليه طول نهار السبت، نكالا من الله له، فإنه كان مستخفا بعظمة الله سبحانه، فأراه الله قدرته فيه:

لا تياسن على شىء فكل فتى إلى منيته يستن فى عنق
بأىما بلدة تقدر منيته ألا يسارع إليها طائعا يسق

وقد أخرج الإمام أحمد من حديث ابن هبيرة: حدثنا يزيد بن أبى حبيب أن قيس بن سعد بن عبادة - رضى الله عنه - قال: إن رسول الله - ﷺ - قال: «من شدد سلطانه بمعصية الله عز وجل، أوهن الله كيده إلى يوم القيامة».

فلما كانت ليلة الأحد: حمل وكفن بعدما غسل، وصلى عليه، ودفن بمقبرة باب الفرديس، بموضع يعرف بمرج الدحداح، ولم يكن له جنازة مشهودة، ولا عرف من تولى غسله وكفنه، ويقال أنه تصدق عليه بالكفن، فسبحان المعز المذل.

وقد كان الأمير شيخ لا يريد قتله، وعزم على أن يحمله مع الأمير طوغان الدوادار إلى الإسكندرية ويسجنه بها، فقام الأمير نوروز والأمير بكتمر جلق فى قتله قياما بذلا فيه جهدها، فإن الأمير يشبك بن أزدمر ممن امتنع من الموافقة على قتله، وشنع فى ذلك، واحتج بالأيمان التى حلفت له، فتقوى نوروز وبكتمر بالخليفة، فإنه اجتهد هو وكاتب السر فتح الله فى ذلك، وحمى الفقهاء والقضاة على الكتابة بإراقة دمه. وتجرد قاضى القضاة ناصر الدين محمد بن العديم الحنفى لذلك، وكافح من خالف فى قتله، وأشهد على نفسه أنه حكم بقتله شرعا، فأمضى قتله، وقتل كما تقدم ذكره.

وكان الناصر هذا أشأم ملوك الإسلام، فإنه خرب بسوء تدبيره جميع أراضي مصر

وبلاد الشام، من حيث يصب النيل إلى مجرى الفرات، فطرق الطاغية تيمورلنك بلاد الشام فى سنة ثلاث وثمانمائة، وخرب حلب وحماة وبعلبك ودمشق، وحرقتها، حتى صارت دمشق كوما ليس بها دار، وقتل من أهل الشام ما لا يحصى عدده إلا الله تعالى، وقطع أشجارها حتى لم يبق بدمشق حيوان، ونقل إليها من مصر، حتى الكلاب، وخربت أراضي فلسطين بحيث أقامت القدس مدة إذا أقيمت صلاة الظهر بالمسجد الأقصى لا يصلى خلف الإمام سوى رجلين.

وطرق ديار مصر الغلاء من سنة ست وثمانمائة، فبذل أمراء دولته ومدبروها جهدهم فى ارتفاع الأسعار، بخزنهم الغلال وبيعها بالسعر الكبير، ثم زيادة أجرة أطيان أراضي مصر، حتى عظمت كلفة ما تخرجه الأراضي، وأفسدوا مع ذلك النقود بإبطال السكة الإسلامية من الذهب، والمعاملة بالدنانير المشخصة، التى هى ضرب النصارى. ورفعوا سعر الذهب حتى بلغ إلى مائتين وأربعين كل مثقال، بعدما كان بعشرين درهما. وعكسوا الحقائق، فصيروا الفلوس - التى لم تكن قط فى قديم الدهر ولا حديثه نقدا رابحا - هى التى ينسب إليها ثمن المبيعات، وقيم الأعمال. وأخذت على نواحي مصر مغارم تجبى من الفلاحين فى كل سنة، وأهمل عمل جسور أراضي مصر، وألزم الناس أن يقوموا عنها بأموال تجبى منهم، وتحمل إليه.

وأكثر وزرائه من رمى البضائع على التجار ونحوهم من الباعة بأغلى الأثمان، واضطروهم إلى حمل ثمنها، فعظمت مغارمهم للرسل التى تستحثهم، ولمستخرجى المال منهم مع الخسارة فى أثمان ما طرح عليهم من البضائع، لا جرم أن خرب إقليم مصر، وزالت نعم أهله، وقلت أموالهم، وصار الغلاء بينهم كأنه طبعى، لا يرجى زواله.

هذا مع تواتر الفتن واستمرارها بالشام ومصر، وتكرار سفره إلى البلاد الشامية، فما من سفرة إليها إلا وينفق فيها خارجا عما عنده من الخيول والسلاح وغير ذلك، زيادة على ألف ألف دينار، يجيئها من دماء أهل مصر، ومهجهم. ثم يقدم إلى الشام، فيخرب الديار ويستأصل الأموال، ويدمر القرى. ثم يعود وقد تأكدت أسباب الفتنة، وعادت أعظم ما كانت.

فخربت الإسكندرية، وبلاد البحيرة، وأكثر الشرقية، ومعظم الغربية، والجيزية، وتدمرت بلاد الفيوم، وعم الخراب بلاد الصعيد، بحيث بطل منها زيادة على أربعين خطبة كانت تقام فى يوم الجمعة، ودثر ثغر أسوان، وكان من أعظم ثغور المسلمين، فلم يبق به أمير ولا كبير لا سوق ولا بيت، وتلاشت مدائن الصعيد كلها، وخرب من

القاهرة وظواهرها زيادة على نصف أملاكها. ومات من أهل إقليم مصر بالجوع والوباء نحو ثلثي الناس. وقتل في الفتن بمصر مدة أيامه خلائق لا تدخل تحت حصر، مع تجاهره بالفسوق من شرب الخمر، وإتيان الفواحش، والتجرؤ العظيم على الله - جلّت قدرته -، والتلفظ من الاستخفاف بالله تعالى ورسله ما لا تكاد الألسنة تنطق بحكايته لقبيح شناعته.

ومن العجيب أنه لما ولد كان قد أقبل الأمير بلبغا الناصري بعساكر الشام لينزع أباه الملك الظاهر من الملك، وهو في غاية الاضطراب من ذلك، فعندما بشر به، قيل له: «ما نسّميه؟» فقال: «بلغاق» يعني «فتنة»، وهي كلمة تركية، فقبض على أبيه وسجن بالكرك - كما تقدم ذكره - وهو لم يسم. فلما عاد برقوق إلى الملك عرض عليه، فسماه «فرج»، فما كان في الحقيقة إلا فتنة. أقامه الله سبحانه نعمة على الناس لذيقتهم بعض الذي عملوا. ومن عجيب الاتفاق أن حرف اسمه «ف رج» وعددها ثلاثة وثمانون ومائتان، وهي عدد جركس، فكان فناء طائفة الجركس على يديه، فإن حروفها يعني إذا أسقطت بحروف اسمه.

وكانت وفاته عن أربع وعشرين سنة، وثمانية أشهر، وأيام.

وفي يوم الأحد عاشر صفر هذا: قبض على الأحنأى قاضى دمشق، وعلى رزق الله ناظر جيشها، وعلى الأمير غرس الدين خليل الأستادار، وعلى فخر الدين بن المزوق كاتب سر الناصر، وعلى يحيى بن لاقى، وسلموا للأمير نوروز. ثم شفع فيهم فأطلقوا بعد أيام، ما عدا غرس الدين، فإنه استمر في قبضة الأمير نوروز، وصادره.

وفي ثامن عشره: خلع على صدر الدين على بن الآدمى، واستقر فى كتابة السر بدمشق، عوضا عن يحيى الدين يحيى بن زكريا البهنسى، وخلع على شهاب الدين أحمد ابن محمد بن الأموى، واستقر فى قضاء المالكية بدمشق.

وفي خامس عشرينه: استقر الأمير نوروز فى نيابة الشام، وخلع عليه بحضرة أمير المؤمنين بدار السعادة، وقد جلس بها. وجلس الأمير شيخ عن يمينه فى وقت الخدمة، وكان منذ قتل الناصر قد اتفق الحال على الأميرين شيخ ونوروز يقومان بالأمر مع أمير المؤمنين، ويسيران إلى مصر، فينزل الأمير شيخ بباب السلسلة من قلعة الجبل، وينزل الأمير نوروز فى بيت الأمير قوصون بالرميلة تجاه باب السلسلة، وكتب إلى القاهرة بتجديد عمارته، وأن يضرب عليه رنك الأمير نوروز. وصار الأمير نوروز يركب من داره إلى تحت قلعة دمشق، فيخرج الأمير شيخ من الإصطبل - حيث هو نازل -

ويسيران تحت القلعة بموكبهما ساعة، ثم يدخلان إلى دار السعادة، فيجلس الأمير طوغان الدوادار على عادته، والأمراء على مراتبهم، ويقرأ كاتب السر فتح الله القصص على أمير المؤمنين، فيمضى ما يختار إمضاءه، ثم يقدم إليه المراسيم والأمثلة، فيعلم عليها. ويمد السماط بين يديه، فيأكل الأمراء كما جرت به عادتهم، فإذا انقضت الخدمة، قاموا وصاروا إلى دورهم. فكان الناس يتوقعون عود الفتنة بين الأميرين شيخ ونوروز، إلى أن اختار نوروز من تلقاء نفسه أن يكون بالشام، وخلع عليه. وعندئذ انفرد الأمير شيخ بتدبير المملكة، وأخذ جانب الخليفة في الاتضاع، وفوض إلى الأمير نوروز كفالة الشام كله - دمشق وحلب وحماة - وجعل له تعيين الإمرات والإقطاعات لمن يريده ويختاره، وأن يولى النواب بالقلاع وغيرها، ويولى الكشاف والولاية بالأعمال، ويولى المباشرين أيضا، ويطلع الخليفة بمن يستقر به في شيء من ذلك، ليجهز إليه التشريف، فكانت مدة نيابة الأمير بكمتر نحو الشهرين.

وفي سادس عشرينه: استدعى أمير المؤمنين شيخ الإسلام قاضى القضاة جلال الدين أبا الفضل عبد الرحمن بن البلقينى، وخلع عليه وأعادته إلى قضاء القضاة بالديار المصرية، فكانت ولاية الباعونى نحو شهر، ثم خلع على بقية قضاة مصر، وخلع على ناصر الدين محمد بن محمد البصروى موقع الأمير نوروز، واستقر به فى كتابة السر بدمشق، عوضا عن ابن الآدمى، وأضاف إليه قضاء طرابلس، وأذن له أن يستنيب فيه.

وفي ثامن عشرينه: قدم كتاب الخليفة، وكتابى الأميرين شيخ ونوروز إلى الأمراء بديار مصر، تتضمن أخذ الناصر فرج، فقرئت الكتب عند الأمير بلبغا الناصرى، وعند الأمير ألطنبغا العثمانى. ثم نودى بالقاهرة: «الأمان، فإن فرج بن برقوق قد مسك، ودخل فى قبضة الأمير شيخ ونوروز»، وأرسلت الكتب إلى الجوامع، فقرئت بالجامع الأزهر، وجامع الحاكم من القاهرة، وجامع أحمد بن طولون، وجامع عمرو من مدينة مصر، على المنابر، فكان يوما مشهودا. وامتنع الأمير أسنبغا الزردكاش بقلعة الجبل، وكذب ذلك، وأراد أن يركب للحرب. فساس الأمير بلبغا الناصرى الحال، حتى كف أسنبغا عن الفتنة.

وفي هذا الشهر: بث أمير المؤمنين كتبه فى البلاد الشامية وغيرها إلى التركمان والعربان والعشير، وجعل افتتاحها بعد البسملة: «من عبد الله ووليه الإمام المستعين بالله أمير المؤمنين، وخليفة رب العالمين، وابن عم سيد المرسلين، المفترض طاعته على الخلق أجمعين. أعز الله ببقائه الدين، إلى فلان..».

شهر ربيع الأول، أوله السبت:

فى رابعه: ورد كتاب أمير المؤمنين إلى الأمراء بديار مصر، يتضمن قتل فرج بن برقوق، وأن الأمير أسنبغا الزرد كاش يسلم قلعة الجبل إلى الأمير يلبغا الناصرى. فنزل أسنبغا إلى الأمير يلبغا بمفاتيح القلعة، وتوجه إلى داره، وشيعة الأمير يلبغا، وشكر له فعله.

وقدم أيضا من الإسكندرية الأمراء المسجونون بها، وهم سودن الأسندمرى أمير آخور ثانى، وأينال الصصلائى الحاجب الثانى، والأمير كمشيبغا المزوق، والأمير جانبك الصرفى، وتاج الدين بن الهيصم الأستادار. وقد كتب من دمشق بالإفراج عنهم، فتوجهوا إلى منازلهم.

وفى ثامنه: توجه أمير المؤمنين والأمير شيخ وعساكر مصر من دمشق، ونزلوا بقبة يلبغا.

وفى تاسعه: أعيد شمس الدين محمد الأحنأى إلى قضاء القضاة بدمشق، فكانت مدة ولاية ابن الحصبانى أحد وأربعين يوما، منها مباشرة أقل من شهر. واستقل الخليفة والأمير شيخ بالمسير إلى ديار مصر.

وفى سادس عشره: توجه الأمير نوروز نائب الشام من دمشق يريد حلب، فنزل على برزة.

وفيه تقدم الأمير نوروز بأن يضرب دراهم نصفها فضة ونصفها نحاس، فضربت، واستمرت أيضا الدراهم التى يتعامل بها فى دمشق وليس فيها من الفضة إلا العشر، والتسعة أعشار من نحاس. وكانوا فى سنة ثلاث عشرة قد جعلوا بدمشق الربع فضة والثلاثة أرباع نحاسا، وضربوا الدراهم على هذا، ثم ما زالوا يقلوا من الفضة حتى لم يبق فيها من الفضة سوى العشر، فعلا عندهم أيضا سعر الذهب، وارتفع من خمسة وعشرين درهما الدينار، حتى بلغ إلى خمسة وخمسين درهما. ثم أمر الأمير نوروز بأن تضرب الدراهم من فضة خالصة، ليس فيها غش، فضربت دراهم، زنة كل درهم منها نصف درهم فضة. وجعل كل دينار من الذهب بثلاثين درهما منها، فاستمر الصرف عندهم على هذا.

وفى سابع عشره: قدم الأمير الطنبغا القرمشى إلى صغد، على نيابتها.

وفى ثالث عشرينه: خلع الأمير يلبغا الناصرى نائب الغيبة بديار مصر، على محب

الدين محمد بن شرف الدين عثمان بن سليمان بن رسول بن أمير يوسف بن خليل بن نوح الكرادى، المعروف بابن الأشقر. واستقر به فى مشيخة خانقاة سرياقوس، عوضا عن شيخها شهاب الدين أحمد بن أوحد برغبته عنها.

شهر ربيع الآخر، أوله الإثنين:

فى يوم الثلاثاء ثانیه: قدم أمير المؤمنين والأمير شيخ والعسكر إلى القاهرة، فشقوا القصبه من باب النصر إلى باب زويلة، ومضوا إلى القلعة وقد زينت الشوارع، فنزل الخليفة بالقصر من قلعة الجبل، ونزل الأمير شيخ باب السلسلة. وظهر اتضاع جانب الخليفة. وظن الأمير شيخ أنه لما دخل إلى القاهرة، أن الخليفة كان يمضى إلى داره، ولا يصعد إلى القلعة. ولم يخلع على أحد ممن جرت العادة بأنه يخلع عليه عند القدوم من السفر. وأقبل الناس إلى باب الأمير شيخ للسعى فى الوظائف، وترك الخليفة وحده، ليس له سوى من يخدمه من حاشيته قبل مصير ما صار إليه.

وفى رابعه: قبض الأمير شيخ على الأمير أسنبغا الزردكاش، واستفتى فى قتله، لقتله الأمير قنباى، فأقتوا بقتله، وحكموا به، وقبض فيه أيضا على الأمير حطط البكلمشى^(١) - من أمراء العشرات - وعلى آخر، وكانا من خواص الناصر.

وفى سادسه: قبض الأمير شيخ على الأمير أرغون الرومى، أمير أخور، ورأس نوبة فى الأيام الناصرية، وعلى الأمير سون الأندمرى، والأمير كمشبغا المزوق، الذى قدم من سجن الإسكندرية، وسفروا إلى دمياط.

وفيه خلع على خليل الجشارى - من أصحاب الأمير شيخ - واستقر به فى نيابة الإسكندرية، عوضا عن الأمير قطلوبغا الخليلى، بعد موته.

وفى ثامنه: حضر الأمير شيخ بالقصر بين يدى أمير المؤمنين، ومعه الأمراء وأهل الدولة وخلع على الأمير شيخ تشریف جليل، بطراز لم يعهد مثله فى عظم القدر، واستقر به أميرا كبيرا، وفوض إليه الحكم بالديار المصرية فى جميع الأمور، وأن يولى ويعزل من غير مراجعة ولا مشورة، وأشهد عليه بذلك، فتلقب « بنظام الملك»، وكتب

(١) حطط بن عبد الله، الأمير سيف الدين نائب حماة. كان أولا من جملة الأمراء بالديار المصرية، ثم نقل إلى نيابة أبلستين بعد مقتل مبارك شاه، فباشرها مدة، ثم نقل إلى نيابة حماة، واستمر بها إلى أن توفى سنة إحدى وثمانين وسبعمائة، وتولى نيابة حماة من بعده الأمير طشتمر خازن دار الأتابك يلبغا الخاصكى. انظر المنهل الصافى ٥/ ١٧٧، ١٧٨ والدليل ١/ ٢٧٨، النجوم ١١/ ٢٠١، عقد الجمان حوادث سنة ٧٨١.

بذلك فى مكاتباته، وكتب به. وخلع أيضا على الأمير طوغان الحسنى، واستقر دوادارا على عادته.

وخلع على الأمير شاهين الأفرم، واستقر على عادته أمير سلاح، وخلع على الأمير يلبغا الناصرى، واستقر أمير مجلس، وخلع على الأمير أيتال الصصلاى، واستقر حاجبا، عوضا عن يلبغا الناصر. وخلع على الأمير سون الأشقر، واستقر رأس نوبة النوب، عوضا عن الأمير سنقر الرومى. وخلع على الأمير ألتنبغا العثمانى، واستقر فى نيابة غزة، عوضا عن سون من عبد الرحمن. ونزلوا فى خدمة الأمير شيخ، ثم حضروا إلى دورهم، فكان يوما عظيما.

وفى تاسعه: عرض الأمير شيخ الممالىك السلطانية، وفرق عليهم الإقطاعات بحسب ما اقتضاه رأيه. وأنعم على جماعة من ممالىكه بعدة إمرىات، ما بين بطلخانة وعشرة.

وفى خلع الأمير شيخ على دواداره الأمير جقمق، واستقر به دوادار الخليفة، وأسكنه بقلعة الجبل، حتى لا يتمكن الخليفة من العلامة على شىء ما لم يكن على يد جقمق، ولا يقدر أحد على الاجتماع به إلا وهو معه. فاستوحش الخليفة من ذلك لانفراده بعياله فى تلك القصور الواسعة، وضاق صدره، وكثر فكره.

وفى حادى عشره: خلع على الأمير سون بن الأشقر، واستقر فى نظر خانكاه شيخو، ومدرسة صرغتمش بالصلىبة خارج القاهرة، وخلع على الأمير قنباى المحمدى، وعلى الأمير سون من عبد الرحمن، لإطابة قلبيهما، من غير ولاية وظيفه. وخلع على صدر الدين أحمد بن محب الدين محمود العجمى، واستقر فى حسبة القاهرة، وعزل زين الدين محمد بن الدميرى. وكان ابن العجمى هذا قد أوصله شرف الدين يعقوب بن الجلال التبانى بالأمير شيخ، وصار من ندمائه، هو وقاسم البشتكى، زوج ابنة الأشرف شعبان بن حسين. وخلع فيه أيضا على الوزير الصاحب سعد الدين إبراهيم بن البشيرى، واستقر فى الوزارة على عادته. وكان عندما قتل الناصر بدمشق ترمى على أمير المؤمنين، فأمنه، ونزل عنده. ثم توصل إلى الأمير شيخ يعلم الدين داود، وأخيه صلاح الدين خليل - ابنى الكويز - فجمع بينه وبين بدر الدين حسن بن محب الدين أستاذار الأمير شيخ، حتى قام معه، وأصلح أمره عند الأمير شيخ، فأقر على وزارته إلى أن قدموا مصر، فبادر على عادته. وخلع أيضا على الصاحب بدر الدين حسن بن نصر الله، واستقر على عادته فى نظر الجيش وقد تقدم أنه صار مع كاتب السر فتح الله،

وتقى الدين عبد الوهاب بن أبي شاكر عند وقعة اللجون إلى عند الأمير شيخ ونوروز، فتسلمهم الأمير طوغان. وما زالوا عند الأمير شيخ حتى ظفر بالسلطان الملك الناصر، فأقره الخليفة على نظر الجيش، وتوصل بالتاج الشويكى^(١) - أحد أصحاب الأمير شيخ - إلى الأمير شيخ وخدمه، حتى اعتنى به، وصار عنده بمكانة.

وخلع فيه أيضا على تقى الدين عبد الوهاب بن أبي شاكر، واستقر به فى نظر

(١) تاج بن سيفة الشويكى الدمشقى، الفازانى الأصل، والى القاهرة. كان أولا بلانا بحمامات دمشق، واستمر على ذلك إلى أن ولى الأمير شيخ المحمودى نيابة دمشق، فى سنة خمس وثمانائة، اتصل تاج هذا بخدمته بالتمسخر والدعابة، وصار يغسله ويحلق رأسه، ولا زال يتقرب إليه بأنواع الهزال إلى أن صار من ندمائه، فلما تسلطن المذكور وتلقب بالملك المويد قرب التاج هذا وولاه ولاية بالقاهرة، وأنعم عليه بإمرة، ثم ولاه أستاذارية الصحة لأنه كان يحسن طبخ الطعام، ثم ولاه حسبة القاهرة، وكل ذلك للدعابة كانت فيه لا لحسن سيرته ومعرفته، ثم ولى إمرة حاج الحمل المصرى فى سنة إحدى وعشرين وثمانائة، ولا زال يتنقل من وظيفة إلى أخرى حتى صار له كلمة فى الدولة وحرمة، وأثرى فعند ذلك طغى وتجبر، وظلم وعسف، وأخذ يتجاهر بالعاصى والفسوق، وصار لا يكف عن قبيح، وهو مع ذلك قبيح المنظر والشكل، فإنه كان شيخا طوالا غليظا، كث اللحية، ليس عليه نورانية ولا أهبة وكان لا يتجمل فى ملبسه بل يسير على طبعه أولا، وهو من مساوى الملك المويد شيخ، بل من الأوباش الذين قريهم، ومن الأندال الذين رقاهم. ولم يزل على ذلك حتى مات الملك المويد شيخ أخذ أمره فى الانحطاط بموته إلى أن تسلطن الملك الأشرف برسباى بعده وأخرج غالب وظائفه وإقطاعاته، وتبهدل فى الدولة الأشرفية. ولما طالت دولة الملك الأشرف أخذ التاج هذا يتقرب إليه بأنواع التحف والتمسخر، ولا زال يفعل ذلك إلى أن نادمه الملك الأشرف، وعاد إلى بعض رتبته أولا، وولى ولاية القاهرة، وصار يتمسخر بالحضرة الشريفة، ويضرب بحضرة السلطان حتى ينحرف عامدا ليضحك السلطان من ذلك، يقع منه فى هزله ما يوجب ضرب عنقه من الألفاظ الكفرية، ويعمن فى ذلك. واستمر على طغيانه واستخفافه بالدين وفسقه إلى أن مرض ولزم الفراش، وطال مرضه، وصار يعتربه الأرق إلى أن كان قبل موته بمدة يسيرة جدا أتانى من عنده بعض حقدته يطلب منى فرشا محشيا من ريش نعام لينام عليه لعله يغمض، فقلت لقاصده: ما حاله اليوم؟ فقال: بشر، فإنه فى الليلة الماضية حصل له سهر عظيم وقلق، فقالت له زوجته القديمة أم محمد: استغفر ربك وأسأله العافية، فسبها ثم سب أهل السموات والأرضين بلفظ يوجب ضرب عنقه على فراشه، ثم مات بعد ذلك بقليل، فى ليلة الجمعة حادى عشرين شهر ربيع الأول سنة تسع وثلاثين وثمانائة. وكان شيخا جاهلا، مسرفا على نفسه، مستخفا بالحارم، متجاهرا بذلك، وداره كبعض الخانات لما بها من أنواع القبايح، وكان لا يحجب زوجته زهور الجنكية من أحد، ويعجبه محبة بعض أعيان الدولة لها، وكانت داره بسويقة الصاحب بالقرب من دار سكنها منذ قدم من دمشق إلى أن مات. انظر المنهل الصافى ٤ / ٥ : ٨، الدليل الشافى ١ / ٢١٣ النجوم الزاهرة ١٥ / ١٩٨ نزهة النفوس ٣ / ٣٥٧ الضوء اللامع ٣ / ٢٤، بدائع الزهور ٢ / ١٦٥.

الخاص وكان قد تعرف في دمشق بزين الدين عبد الباسط^(١) بن خليل - أحد خواص الأمير شيخ - فأوصله بالأمر شيخ مع ما رباه به عنده كاتب السر فتح الله، فصار من المقربين عنده، المعتمد على قوله، الموثوق به.

وخلع أيضا في هذا اليوم على فتح الدين فتح الله، واستقر في كتابة السر على عادته. وقد تقدم أنه صار مع الخليفة بعد واقعة يوم اللجون إلى الأميرين شيخ ونوروز، فكانا يجلانته، بحيث إن أصحاب الأمير شيخ أنكروا عليه قيامه له إذا دخل عليه، فقال لهم: «يا ويلكم لما كنت أرى ثياب هذا على مقعد أستاذي الملك الظاهر، وهو يجادته سرا. أين كنت أنا أقف؟ إنما كنت أقف في أخريات المماليك». ثم إنه اختص به، وقام في مكيدة الناصر حتى أقام الخليفة وخلع الناصر. ثم مازال به حتى قتله، فتمكنت رياسته عند أهل الدولة، وصار منه منزلة شيخهم ومشيرهم، فصار يجلس فوق الوزير سعد الدين إبراهيم بن البشيرى، [ولم تكن عادة كاتب السر ذلك]^(٢)، بل صار الوزير وناظر الخاص وناظر الجيش مدة إقامته بعد قتل الناصر في دمشق لا يتمشى أحوالهم إلا به، لتقدمه في الدولة، وامتنانه بأنه هو الذى أقام الخليفة، ووطأ للقوم سلطانهم.

وفي ثالث عشره: قبض على الأمير بهاء الدين أرسلان والى القاهرة، وخلع على تاج الدين تاج بن سيف القازانى - المعروف بالتاج الشويكى - أحد خواص الأمير شيخ وندمائه، واستقر في ولاية القاهرة.

وفي ثامن عشره: أخرج الأمير شيخ عدة بلاد من أوقاف الناصر، منها ناحية منبابة على الخانكة الظاهرية بقوق^(٣)، وناحية دنديل^(٤) عليها أيضا. وأخرج أيضا عدة أراضى من الرزق التى وقفها الناصر على المدارس ونحوها.

(١) عبد الباسط بن خليل (٧٨٤ - ٨٥٤ هـ = ١٣٨٢ - ١٤٥٠ م). عبد الباسط بن خليل بن إبراهيم، زين الدين الدمشقى ثم القاهرى: أول من سمي عبد الباسط. ولد وتعلم في دمشق، وانتقل إلى القاهرة، وكان ناظر الخاصة والكتابة، في أيام السلطان المريد شيخ ومن بعده إلى أيام حقمق ونكبه هذا وأبعده إلى حجاز، ثم عاد إلى دمشق، وإلى القاهرة، وتوفى بها. أثنى عليه السخاوى، وقال: له من المآثر بأقطار الأرض ما يفوق الوصف، من ذلك مدارس فى كل من المساجد الثلاثة بمكة والمدينة والقدس وفى دمشق وغزة والقاهرة وللشراء فيه مداخل. انظر البدر الطالع ٢/ ٣١٥، الضوء اللامع ٤/ ٢٤. الأعلام ٣/ ٢٧٠.

(٢) ما بين المعقوفتين جاء ذكره فى الأصل ولم عادة كاتب السر بذلك.

(٣) تقع بخط بين القصرين فيما بين المدرسة الناصرية ودار الحديث الكاملية، أنشأها الملك الظاهر بقوق سنة ٧٨٦ هـ. انظر المواعظ والاعتبار ٢/ ٤١٨.

(٤) دنديل: من قرى مصر فى كورة البوصيرية. انظر معجم البلدان ٢/ ٤٧٨.

وفي تاسع عشره: خلع على قضاة القضاة الأربع خلع الاستمرار. وخلع أيضا على بدر الدين حسن بن محب الدين عبد الله الطرابلسي^(١). أستاذار الأمير شيخ، واستقر أستاذار السلطان، فنزل إلى دار الأمير جمال الدين، وجميع أهل الدولة فى خدمته، وأصبح عزيز مصر.

(١) الحسن بن عبد الله (٨٢٤ هـ ١٤٢١ م)، المعروف بابن محب الدين الطرابلسي، الأمير بدر الدين المشير، الوزير الأستاذار. كان أبوه من مسالة طرابلس، وتعانى الخدام الديوانية، ونشأ ولده الأمير بدر الدين هذا على ذلك إلى أن اتصل بخدمة الأمير شيخ المحمودى نائب طرابلس، ولزم خدمته حتى صار شيخ المذكور كافل مملكة الخليفة المستعين بالله العباسى أخلع عليه بأستدارية السلطان بالديار المصرية، فباشر المذكور بجرمة وعظمة، وناثه السعادة إلى أن تسلطن أستاذه الأمير شيخ المذكور، ولقب بالملك المؤيد فحيثذ عظم فى الدولة أكثر مما كان. واستمر على ذلك إلى أن عزل بفخر الدين عبد الغنى «بن أبى الفرج» فى يوم الإثنين ثامن ذى القعدة سنة ست عشرة وثمانائة، وتولى الإسكندرية عوضاً عن الأمير خليل النوريزى، المعروف بالشحارى، فتوجه إلى الإسكندرية، وباشر نيابتها إلى أن عزل بالأمر صومأى الحسنى فى ثالث عشر رمضان سنة سبع عشرة وثمانائة، وقدم القاهرة، فأعيد إلى الأستدارية بعد عزل ابن أبى الفرج فى يوم الإثنين سادس عشر شهر رمضان، فسار على سيرته أولاً، وطالت يده لغياب ابن أبى الفرج، وزاد ظلمه وعسفه إلى ثانى عشر شهر ربيع الآخر سنة تسع عشرة قبض عليه الملك المؤيد شيخ بعدما أوسع سباً وهم بقتله حتى شفيع فيه الأمير حقمق الأرغون شاوى الدوادر، فأسلم له على أن يحمل إلى الخزانة الشريفة ثلاثمائة ألف دينار، ونزل معه آخر النهار. وسبب قبض السلطان عليه تأخر جوامك المعاليك السلطانية وعليق خيولهم. وكان فخر الدين بن أبى الفرج قد ولى كشف الوجه البحرى، وهو يواصل حمل المال إلى السلطان حتى كان ما حمله فى هذه المدة اليسيرة زيادة على مائة ألف دينار، سوى الخيول وغيرها، فطلبه السلطان، وولاه الأستدارية عوضه، وتقرر على ابن محب الدين هذا حمل مائة ألف دينار وخمسين ألف دينار بعدما عُصِرَ فى بيت الأمير حقمق الدوادر وعوقب، ونقل إلى بيت الأمير فخر الدين ابن أبى الفرج، أهينت حاشيته وأتباعه، وعوقبوا عقوبات متعددة. وكان المشير هذا قد تزوج خوند حاج ملك زوجة الملك الظاهر برفوق، فقبض على زوجته القديمة الشريفة، وعوقبت حتى أظهرت مالا كثيراً، ولم يتعرض أحد لزوجته خوند حاج ملك المذكورة ولا لجواربها. ثم طلبه السلطان وضربه ضرباً مبرحاً. ودام فى المصادرة مدة طويلة، ثم أفرج عنه. ولزم داره مدة إلى أن طلب وأخلع عليه باستقراره فى كشف الوجه القبلى فى يوم الثلاثاء سلخ شهر رجب سنة تسع عشرة وثمانائة، فتوجه إلى الصعيد وظلم وأبدع إلى أن عزل وصورد نائباً، وأهين ونكب. بعد مدة أنعم عليه بإمرة مائة وتقدمة ألف بطرابلس، فتوجه إليها وأقام بها إلى أن مات الملك المؤيد شيخ «وتوجه الأتابك ططر إلى دمشق صحبة الملك المظفر أحمد بن المؤيد شيخ» قبض على الأمير بدر الدين هذا بدمشق فى يوم الأحد خامس عشر جمادى الأولى سنة أربع وعشرين وثمانائة، ولا زال تحت العقوبة إلى أن هلك فى سابع عشر جمادى الآخرة من السنة المذكورة. وكان رجلاً طويلاً، ظالمًا، مسرفاً على نفسه، منهمكا فى اللذات قليل الخير، كثير الشر. انظر المنهل الصافى ٥ / ٨٥ وما بعدها والدليل ١ / ٢٦٣، النجوم ١٤ / ١٣٧، الضوء ٣ / ١٠٢، نزهة النفوس ٢ / ٥٢٢، عقد الجمان حوادث سنة ٨٢٤.

وفي ثانی عشرینہ: خلع علی شہاب الدین أحمد الصفدی، موقع الأمير شیخ، واستقر فی نظر المارستان المنصوری - برغبة كاتب السرفح الله له عنه - وفي نظر الأحباس، عوضا عن تاج الدين عبد الوهاب بن نصر الله. وخلع علی ناصر الدين محمد بن البارزی الحموی، واستقر فی توقيع الأمير شیخ، عوضا عن الشهاب الصفدی. وكان قد قدم إلى الأمير شیخ كما تقدم ذكره، وهو فی محاصرة الناصر، واختص به، فأخذه معه إلى مصر، وجعله من ندمائه الأخصاء.

وفي خامس عشرینہ: خلع علی الشیخ شرف الدين يعقوب بن الجلال التبانى، واستقر فی وكالة بيت المال ونظر الكسوة، وعزل عنها تاج الدين عبد الوهاب بن نصر الله.

وفي هذا الشهر: نزل الأمير نوروز نائب الشام علی حمص، وقد امتنع علیه الأمير اینال الرجبی، فلم یزل به حتى نزل إليه بأمان، فعصر كعبیه وأخذ أخته منه، وقتل ممن كان معه خمسة عشر رجلا، وبعثه مقيدا إلى قلعة دمشق، فسجن بها.

وسار نوروز إلى حماة، وكان الأمير دمرداش قد عاد إلى حلب، فخرج منها إلى جهة قلعة الروم، فدخل نوروز حلب، وعليه تشريفة، وأمر فقري تقليده الخليفة بحضرة أهل الدولة. ثم مضى يريد عینتاب، وجعل نائب الغيبة بحلب الأمير سون الجلب نائب طرابلس، ففر الأمير دمرداش وقطع الفرات. فعاد نوروز إلى حلب، وقدمها فی ثانی عشره، وقد مات سون الجلب، فعین بنیابة طرابلس الأمير طوخ، ولنیابة حلب الأمير يشبك بن أزدمر.

شهر جمادى الأولى، أوله الأربعاء، يوافقہ سابع عشر مسرى:

فيه أوفى ماء النيل ستة عشر ذراعا، فركب الأمير يلبغا الناصرى أمير مجلس، والأمير شاهين الأفرم أمير سلاح، والأمير طوغان الحسنی الدوادار، حتى خلق المقياس بحضرتهم، وفتح الخليج علی العادة.

وفي رابعه: قدم الأمير نوروز من حلب إلى دمشق.

وفي يوم الخميس سادس عشره: قرئ تقليد أمير المؤمنين للأمير الكبير نظام الملك شیخ، بأنه فوض إليه ما وراء سرير خلافته.

وفي ثالث عشرینہ: جلس الأمير الكبير نظام الملك شیخ بالحراقة من الإصطبل، وبين يديه قضاة القضاة، والأمراء، والوزیر، وكاتب السر، وناظر الجيش، وناظر

الخاص، وسائر أرباب الدولة، وقرأ كاتب السر عليه القصص كما جرت عادته بالقراءة بين يدي السلطان، فكان موكبا سلطانيا لم يعره إلا أنه عمل فى الإصطبل، ولم يعمل فى دار العدل، وأن الأمير جالس وليس تحته تحت الملك.

وفى رابع عشرينه: خلع الأمير نظام الملك شيخ على صدر الدين على بن الأدمى الحنفى، واستقر به فى قضاء القضاة الحنفية بديار مصر، وعزل ناصر الدين محمد بن العديم.

وفيه بعث الأمير نظام الملك بالأمير جقمق الدوادار إلى البلاد الشامية، ومعه تقاليد النواب الخليفية باستقرارهم على عادتهم، وخلع عليه عندما سار.

شهر جمادى الآخرة، أوله الخميس:

فى ثامنه: مات الأمير بكمتر جلق من مرض تمادى به نحو شهرين. أصله أن عقربا لسعته وهو عائد مع العسكر من دمشق، فاشتد ألمه منها، وأخذته الحمى. فنزل الأمير الكبير نظام الملك راكبا، وجميع الأمراء وغيرهم مشاة، حتى صلى عليه تحت القلعة، وعاد من غير أن يشهد دفنه. وخلا له الجو بموت بكمتر هذا، وصرح بما كان يكتمه من الاستبداد بالأمر، وعزم على ذلك، ثم أخره.

وفى ثانى عشره: خرج الأمير نوروز من دمشق لملاقة أهله، خوند سارة ابنة الملك الظاهر، وقد سارت إليه من القاهرة، فلقبها بالرملة^(١)، وهى مريضة، فتوجه بها إلى القدس، فماتت هناك، فدفنها. وولى فى إقامته بالقدس الشيخ شمس الدين محمد بن عطاء الله بن محمد بن محمود بن أحمد الهروى^(٢) - ثم الرازى - تدریس الصلاحية، وكانت بيد الشيخ زين الدين أبى بكر بن عمر بن عرفات القمنى وهو مقيم بالقاهرة، وينوب عنه بها الشيخ شهاب الدين أحمد بن محمد بن الهاميم، وقد مات.

(١) سبق ترجمتها.

(٢) الهروى (٧٦٧ - ٨٢٩ هـ - ١٣٦٥ - ١٤٢٦ م). محمد بن عطاء الله بن محمد الرازى الأصل، الهروى، أبو عبد الله، شمس الدين قاض، من فقهاء الشافعية، من ذرية الفخر الرازى أصله من الرى، ومولده بهراة. انتقل إلى فلسطين، وولى تدریس الصلاحية (بالقدس) سنة ٨١٥ هـ ثم ولى القضاء بمصر مدة وتقلب فى مناصب كثيرة منها أمانة السر للملك الأشرف برسباى بمصر، واستقر أخيرا فى القدس إلى أن توفى. له كتب منها فضل المنعم، فى شرح صحيح مسلم وغيره. انظر الأناضول جليل ٢ / ٤٥٦ الضوء اللامع ٨ / ١٥١ - ١٥٥، البدر الطالع ٢ / ٢٠٦ شذرات الذهب ٧ / ١٨٩. الأعلام ٧ / ٢٦١.

وفيه استقر ناصر الدين محمد بن البارزى الحموى، موقع الأمير الكبير نظام الملك، يقرأ القصص على الأمير الكبير بالإصطبل السلطاني، وقد انتصب فيه للحكم بين الناس، وجلس فى المقعد الذى كان يقعد فيه الملك الظاهر برقوق، وابنه الملك الناصر فرج، وكان كاتب السرفتح الله قد قرأ بين يديه، كما كان يقرأ بين يدى من تقدم ذكره، فاختار أن يقرأ عليه موقعة، فانحط بذلك جانب فتح الله، وقل ترداد الناس إليه، وكثر الناس على باب ابن البارزى لطلبهم الخوائج.

وفى يوم الجمعة ثالث عشرينه: دعى لأمير المؤمنين المستعين بالله على منبر المسجد الحرام، بعدما دعى له فى ليلة الخميس على ظهر بئر زمزم^(١)، واستمر ذلك فى كل ليلة على زمزم، وفى كل جمعة على منبرى مكة والمدينة، ولم يدع بها لأحد من الخلفاء الذين قاموا بديار مصر من بنى العباس، سوى المستعين هذا. وآخر من دعى له على منابر الحجاز من بنى العباس الخليفة المستعصم بالله. فلما قتله هولاء فى سنة ست وخمسين وستمائة، انقطع الدعاء من الحرمين لبني العباس، واستقر الحال بمكة على أن يدعى على منبرها وفوق زمزم لصاحب مصر، وصاحب اليمن، ولأمير مكة، من بنى حسن خاصة.

شهر رجب، أوله السبت:

فى ثالث عشره: قدم الأمير نوروز من سفره إلى دمشق.

وفى تاسع عشرينه: خلع الأمير الكبير نظام الملك على قاضى القضاة ناصر الدين محمد بن العديم، واستقر به فى مشيخة خانكاة شيخو، وعزل عنها قاضى القضاة أمين الدين عبد الوهاب بن الطرابلسى.

وفيه خلع أيضا على شيخ شمس الدين محمد البيرى أخى الأمير جمال الدين يوسف الأستادار، فاستقر به فى مشيخة خانكاة بيبرس، وعزل عنها الشيخ شهاب الدين أحمد ابن حجر، وكان قد استنزل عنها علاء الدين على الحلبي قاضى غزة، وباشرها مدة. فما زال يتوصل بقاضى القضاة صدر الدين على بن الآدمى، والقاضى ناصر الدين محمد بن البارزى، إلى أن اشترك هو وأخو جمال الدين فى المشيخة.

وفى هذا اليوم: عقد مجلس عند الأمير الكبير نظام الملك بسبب أوقاف جمال الدين، وقد تقوى جانب أخيه شمس الدين، وزوج ابنة شرف الدين أبو بكر بن

(١) زمزم: هى البئر المباركة المشهورة. انظر معجم البلدان ٣/ ١٤٧، ١٤٨.

العجمي الحلبي الموقع، ومن بقى من ذرية جمال الدين يوسف الأستادار بانتمائهم إلى حاشية الأمير الكبير نظام الملك شيخ محكيهم بما نزل بهم فى أيام الناصر فرج، فقام معهم قاضى القضاة صدر الدين بن الآدمى وناصر الدين بن البارزى، حتى أعادوا إلى أخى جمال الدين مشيخة البيروسية.

وقررا مع الأمير الكبير أن الناصر غضب هؤلاء حقهم وأخذ أوقافهم، وقتل رجالهم، وغرضهم فى الباطن تأخير كاتب السر فتح الله وإضاع قدره. فصادف مع ذلك عناية الأمير الكبير بجمال الدين فإنه كان عندما انتقل إليه - بعد موت الملك الظاهر - إقطاع الأمير بجاس وإمرته استقر عنده جمال الدين أستادار، وخدمه. ولم يترك خدمته فى مدة غيبته طرابلس ولا بدمشق، وهو يتولى نيابتها حتى أنه فى الحقيقة لم يقبض عليه إلا للمالآتة الأمير شيخ كما تقدم ذكره، فأحضر فى هذا اليوم قضاة القضاة وأخو جمال الدين وابنته، وطلبوا كاتب السر فتح الله ليوقعوا عليه الدعوى، فإنه كان يتولى نظر المدرسة، فوكل فى سماع الدعوى ورد الأجوبه بدر الدين حسن البردينى - أحد خلفاء الحكم الشافعية - فلم يرض الأمير الكبير بذلك وأقام البدر البردينى، وأمر فتح الله بمحاكمتهم، فادعوا عليه وحكم صدر الآدمى برد أوقاف جمال الدين إلى ورثته حكما كله تهور ومجازفة فعصوا على ذلك، فانكسر فتح الله، وتبين فيه اتضاع القدر، واستطال عليه حاشية جمال الدين وغيرهم.

شهر شعبان المكرم، فيه تولى:

السلطان الملك المؤيد أبو النصر شيخ المحمودى الظاهرى

سرق من بلاده وهو صغير، فصار إلى تاجر يقال له محمود شاه اليزيدى، اشتراه بثلاثة آلاف درهم فضة، وقدم به إلى القاهرة على ظهر بحر الملح، فى سنة اثنتين وثمانين وسبع مائة، وعمره قريبا من اثنتى عشرة سنة، فأخذه السلطان الملك الظاهر بعد موت محمود هذا من تركته، ودفع إلى ورثته ثلاثة آلاف درهم، ورقاه فى خدمته، فعرف بشيخ المحمودى، ثم أنعم عليه بإمرة عشرة ثم بإمرة طبلخاناه، وجعله رأس نوبة، ثم سار من جملة أمراء الألوفا. وولى نيابة طرابلس، ثم نيابة الشام، وحرابه السلطان الملك الناصر فرج بن برقوق إلى أن انهزم وقتل، كما تقدم ذكره، وقدم بعد قتله إلى الديار المصرية من دمشق بالخليفة المستعين بالله. وفوض الخليفة إليه جميع الأمور، ولقبه بنظام الدولة، فتصرف فى الولايات والعزل والأخذ والعطاء وغير ذلك، بحيث لم يكن للخليفة معه أمر ولا نهى ولا نفوذ كلمة، وإنما هو مقيم فى دار وحشة بقصور قلعة

الجيل، وتحضر إليه المراسيم، فيكتب عليها بحسب ما يختاره الأمير شيخ، إلى أن كان يوم الإثنين مستهل شعبان هذا، واجتمع قضاة القضاة الأربع، وجميع الأمراء وكافة أرباب الدولة، بمجلس الخدمة مع الحراقة، وعمل الموكب على العادة، قام فتح الدين فتح الله كاتب السر على قدميه، وقال لمن حضر أن الأحوال ضائعة، ولم يعهد أهل نواحي مصر عندهم اسم الخليفة، ولا تستقيم الأمور إلا بأن يقوم سلطان على العادة. ودعاهم إلى الأمير شيخ، فقال الأمير شيخ: « هذا أمر لا يتم إلا برضى أهل الحل والعقد»، فقال من حضر من الأمراء بلسان واحد: « نحن راضون بالأمر الكبير». فمد قاضى القضاة شيخ الإسلام جلال الدين أبو الفضل عبد الرحمن بن البلقيني يده، وبايعه، فلم يختلف عليه أحد، وقام من فوره إلى مخدع بجانبه، ولبس الخلع السود الخليفية، وتقلد بالسيف على العادة، وخرج شيخ فركب فرس النوبة، والأمراء وغيرهم مشاة، إلى أن عبر القصر الكبير من قلعة الجبل، فجلس على تخت الملك وسرير السلطنة، وقبل الأمراء الأرض بين يديه، وقبلوا يده.

فلما استقر له الأمر بعث وهو بالقصر القضاة إلى الخليفة ليسلموا عليه، ويشهدوا عليه بأنه فوض إليه السلطنة، كما جرت به عادة ملوك الترك بمصر، فدخلوا إليه وراودوه على ذلك، فتوقف في الإشهاد عليه بتفويض السلطنة توقفا كبيرا. ثم اشترط أن يؤذن له فى النزول من القلعة إلى داره، وأن يحلف له السلطان بأنه ينصحه سرا وجهرا، ويكون سلما لمن ساله، حربا لمن حاربه، فعاد القضاة إلى السلطان، وردوا الخير عليه، وحسنوا عبارة الرد، فأجاب: « ليمهل علينا أياما، فإن الآن لا يمكن نزوله إلى بيته». فنزلوا إلى دورهم، وكانت مدة إقامة الخليفة حاكما - منذ جلسته خارج دمشق إلى هذا اليوم - سبعة أشهر وخمسة أيام.

وفى يوم الثلاثاء ثانيه: قدم الأمير جقمق الدوادار إلى دمشق، فتلقاه الناس، وأنزله الأمير نوروز بدار السعادة، وخلع عليه خلعة سنية، وفى ظنه أن الأمر بيد الخليفة. ثم سار بعد أيام إلى طرابلس.

وفى رابعه: نادى الأمير نوروز بدمشق ألا يتعامل أحد بالدراهم المغشوشة، وأن تكون المعاملة بالدراهم الخالصة التى استجد ضربها، وكانوا بدمشق يتعاملون بها جميعا إلى أن ضربت فلوس جدد، زنة الفليس منها مثقال، وكانت الدراهم المغشوشة قد فسدت بحيث لم يكذب يوجد فيها - إذا سبكت - شىء من الفضة، وتعاملوا بينهم على صرف خمسة منها بدرهم خالص، مما وزنه نصف درهم فضة، ثم نودى بتسعير المأكول، فسعرت.

وفي سادسه: خلع السلطان الملك المؤيد على الأمير درباى أحد الطبلخاناة، وسيره إلى الأمير نوروز بخلعة استقراره فى نيابة الشام، ويعلمه بأنه تسلطن.

وفي ثامنه: جلس السلطان بدار العدل من قلعة الجبل، وعملت خدمة الإيوان على عادة من تقدم من السلاطين، وخلع بدار العدل على الأمير يلبغا الناصرى، واستقر به أتاكبك العساكر، وعلى الأمير طوغان، واستقر كعادته دوادار السلطان، وعلى الأمير شاهين الأفرم، واستقر على عادته أمير سلاح، وعلى الأمير قنباى المحمدى، واستقر أمير أخور، وعلى الأمير سودن الأشقر، واستقر على عادته رأس نوبة النوب، وخلع على كاتب السر، وناظر الجيش، وناظر الخاص، وعلى الوزير، والقضاة خلع الاستمرار، وفى هذا اليوم أعاد الأمير نوروز شرف الدين عيسى المغربى إلى قضاء المالكية بدمشق، وعزل شهاب الدين أحمد بن محمد الأموى، فتوجه إلى القاهرة.

وفي حادى عشره: خلع على شمس الدين محمد بن الجلال التبانى - أحد خواص السلطان - واستقر فى قضاء العسكر.

وفي سابع عشره: ورد الخبر إلى دمشق بسلطنة الملك المؤيد، بقدوم الأمير درباى، فتحجم نوروز لذلك.

وفي ثامن عشره: قدم الأمير جقمق من طرابلس إلى دمشق فقبض عليه نوروز وسجنه، وأعاد الأمير درباى بجواب خشن، لم يخاطب فيه السلطان إلا كما كان يخاطبه من غير أن يعترف له بالسلطنة.

وفي هذا الشهر: نزلت لبيد^(١) على تروجة^(٢) وأفسدت فسار إليهم الأمير طوغان وقتلهم، وقتل منهم جماعة، وعاد. فنزلوا بعد عوده على الإسكندرية وحصروها، فسار إليهم الأمير قرقماس ابن أخى دمرداش.

شهر رمضان، أوله الثلاثاء:

فيه قدم الأمير درباى، واخبر بامتناع الأمير نوروز من لبس التشريف، وأنه قبض على الأمير جقمق واعتقله.

وفيه جمع اليهود والنصارى بزيادة جامع الحاكم من القاهرة. وحضر الشيخ زين الدين أبو هريرة بن النقاش - خطيب الجامع الطولونى - وشمس الدين محمد بن التبانى،

(١) هم بطن من سليم، مساكنهم ببلاد برقة. نهاية الأرب فى معرفة أنساب العرب ص ٣٧٤.

(٢) سبق ترجمتها.

السلوك لمعرفة دول الملوك ٣٤١

قاضى العسكر، وصدر الدين أحمد بن العجمي محتسب القاهرة، وكتبت أسماؤهم لتؤخذ منهم الجزية بحسب قدرتهم، وعلى قدر أحوالها، فإنهم لا يزنون الجزية إلا مصالحة عن الجميع، بمبلغ بضعة وثلاثين ألف دهم فى السنة، فقام الجماعة المذكورون مع السلطان فى أن يؤخذ من كل واحد من أهل الذمة بمفرده، إن كان غنيا أخذ منه أربعة دنانير، وإن كان متوسط الحال فيؤخذ منه ديناران، وإن كان فقيرا أخذ منه دينارا واحدا.

وفى ليلة السبت ثانى عشره: هرب الأمير أينال الرجبى من قلعة دمشق ومعه جماعة ممن كان مسجوننا بها، وسار إلى صفد يريد القاهرة.

وفى سابع عشره: أرسل السلطان الشيخ شرف الدين يعقوب بن التبانى رسولا إلى الأمير نوروز.

وفى تاسع عشرينه: خرج الأمير نوروز لملاقاة الأمير تغرى بردى ابن أخى دمرداش، وقد قدم ومعه على بن دلغادر، بعث به الأمير دمرداش، وقد كتب إليه الأمير نوروز يستدعيه إليه، فأكرمه الأمير نوروز وخلع عليه، وأنزله، ورتب، ولن معه ما يليق بهم.

شهر شوال، أوله الأربعاء:

فى ثالثه: توجه أقبغا الأسندمرى إلى الأمير دمرداش الحمدي، بتقليد نيابة حلب.

وفى سابعه: قدم ابن التبانى دمشق على الأمير نوروز، فمنعه من الإجماع بالناس وكتب يستدعى نواب البلاد الشامية إليها.

وفى يوم الخميس تاسعه: قبض على الأمير سون المحمدى، وحمل من وقته إلى الإسكندرية، وقبض أيضا على فتح الدين فتح الله كاتب السر، وعوق بقلعة الجبل، وأحيط بداره. وقبض على حواشيه وأسبابه، فكانت مدة ولايته أربع عشرة سنة وثمانية وعشرين يوما، تعطل فيها. وعصر فى ليلة الجمعة، وألزم بمائتى ألف دينار، فتقرر معه الوزن على خمسين ألف دينار، بعدما ضرب ضربا مبرحا، ثم حمل فى ليلة الأحد ثانى عشره إلى بيت الأمير بدر الدين حسن بن محب الدين الأستاذار، وأخرجت حواصله فبيعت.

وفى يوم الإثنين ثالث عشره: خلع على ناصر الدين محمد بن عثمان بن محمد البارزى، واستقر فى كتابة السر، عوضا عن فتح الله.

وفي هذا اليوم: قبض الأمير نوروز على نجم الدين عمر بن حجي وسجنه بقلعة دمشق، خشية أن يتوجه إلى القاهرة، فأقام خمسة عشر يوماً، وأفرج عنه. وفيه خرج محمل الحاج بدمشق.

وفي عشرينه: دار المحمل بالقاهرة، ولم يعهد تأخره إلى مثل هذا الوقت فيما مضى من السنين، وخرج أمير الحاج ببيغا المظفرى^(١).

(١) ببيغا بن عبد الله المظفرى الظاهري (٨٣٣ هـ = ١٤٢٩ م)، الأمير سيف الدين، أتاكب العساكر بالديار المصرية. أصله من ممالك الملك الظاهر بقوق ومن خاصكيته، ثم تنقل فى الدولة الناصرية فرج إلى أن صار أمير مائة ومقدم ألف بالديار المصرية، واستمر على ذلك إلى أن تجرد الملك الناصر فرج إلى البلاد الشامية فى سنة أربع عشرة وثمانمائة، لقتال الأمير ابن شيخ المحمودى ونوروز الحافظى، وقدم الملك الناصر عدة أمراء أمامه جاليشا. وكان الأمير ببيغا هذا أيضاً فى الجاليش، وتوجهوا إلى أن قدموا دمشق، ودخل الجميع على والدى بدار السعادة، وهو ملازم للفراش، فباسوا يده، ثم شكوا من فعل الناصر بهم وبغيرهم من الأمراء والجنود، وعرفوه توجههم إلى الأميرين وعصيانهم على الناصر، فنهاهم والدى نهياً هيناً، ثم خرجوا من عنده وذهبوا بأجمعهم إلى الأمراء، وعصوا على الناصر، وكانوا عدة أمراء، فكان من أمراء الألوفا: الأمير بكتمر حلق، والأمير طوغان الحسنى الدوادار، والأمير ببيغا هذا وعدة أحر. واستمر ببيغا من حزب الأمير شيخ المحمودى ودخل معه إلى الديار المصرية بعد قتل الملك الناصر فرج فى السنة المذكورة بدمشق، وأنعم عليه بإمرة مائة وتقدمة ألف بالقاهرة، كما كان أولاً، ثم إخراجة بعد مدة أتاكبا بدمشق، فتوجه إلى دمشق، ودام بها إلى أن خرج نائبها قانى باى المحمدى عن طاعة الملك المويد شيخ، وعصى فى سنة ثمانى عشرة وثمانمائة، ثم قاتل أمراء دمشق، فكان ببيغا هذا من حزب الملك المويد، وقاتل قانى باى المذكور مع من انضم إليه من أمراء دمشق وغيرهم. ثم انكسر ببيغا وهرب إلى بعض البلاد الشامية إلى أن خرج الملك المويد من الديار المصرية، لقتال قانى باى، وانتصر عليه، وظفر به، وبالأمير أينال الصصلاتى نائب حلب وغيرهما، فعند ذلك أنعم الملك المويد على ببيغا المذكور ثانياً بتقدمة ألف بديار مصر، وأخذ معه، وعاد إلى القاهرة، فاستمر ببيغا على ذلك مدة يسيرة، وقبض عليه الملك المويد ثانياً، وحبسه بغير الإسكندرية إلى أن أطلقه الأمير ططر بعد موت الملك المويد شيخ، وأنعم عليه بإمرة مائة وتقدمة ألف على عادته، ثم صار أمير مجلس، ثم أمير سلاح. واستمر على ذلك إلى أن تسلطن الملك الأشرف برسباى أحلح عليه باستقراره أتاكب العساكر بالديار المصرية عوضاً عن الأمير طرباى بعد القبض عليه بمدة، وذلك فى سنة أربع وعشرين وثمانمائة، وصار الأمير قححق أمير سلاح، وأستمر ببيغا على ذلك إلى أن قبض عليه الملك الأشرف برسباى فى يوم السبت تاسع عشرين شوال سنة سبع وعشرين وثمانمائة، وحمله إلى الإسكندرية، فسجن بها مدة إلى أن أطلقه الملك الأشرف، وزسم له بالإقامة بغير دمياط بطالا، فتوجه إليها، ودام بها إلى أن نقل إلى القدس بطالا أيضاً بشفاعة زوجته خوند قنباى، أم الملك المنصور عبد العزيز الملك المظفر بقوق، فلم تطل أيامه بالقدس، وطلب إلى القاهرة، وأنعم عليه بإمرة مائة وتقدمة ألف وصار أمير مجلس، لكنه كان يجلس فى الخدمة السلطانية =

وفي ثانی عشرینہ: قدم الأمير طوخ من طرابلس إلى دمشق، وقدم أيضا الأمير قمش من حماة^(١)، فخرج الأمير نوروز لملاقاتهما، وبالغ في إكرامهما، والإنعام عليهما.

وفي ليلة السبت خامس عشرینہ: حمل فتح الله إلى قلعة الجبل، وسجن بها.

وفي سادس عشرینہ: قدم الأمير يشبك بن أزدمر من حلب، فخرج الأمير نوروز إلى لقائه وأكرمه إكراما كبيرا.

وفي سلخه: قدم كاشف الرملة إلى دمشق فارا؛ وذلك أن الأمير أينال الرجبي لما هرب من قلعة دمشق إلى صفد^(٢) سار منها إلى القاهرة، فأقبل عليه السلطان، وجهزه إلى غزة، فخرج ومعه الأمير جاني بك الصوفى على عسكر، فنزلوا على غزة، وأخذوها للسلطان، فلما قدم كاشف الرملة إلى دمشق، وأخبر بقدم عسكر مصر، كان الاتفاق قد وقع على عود النواب من دمشق إلى بلادهم، ليستعدوا ويعودوا، فيتوجهوا إلى غزة، فتغير رأيهم، وعينوا جماعة لتسير إلى غزة. وولى الأمير نوروز الأمير كستا نيابة غزة.

شهر ذى القعدة، أوله الجمعة:

في رابعة: جمع الأمير نوروز قضاة دمشق وفقهائها بدار السعادة، ليسألهم ما حكم الله في سلطنة الملك المؤيد شيخ، وسجنه للخليفة، وكان السلطان قد نقل الخليفة من القصر، وأنزله في بعض دور القلعة، ومعه أهله وأولاده، ووكل به من يحفظه، ويمنع من يجتمع به، فأقام الفقهاء ساعة، ثم مضوا من غير شيء سئلوا عنه.

وفيه سار النواب من دمشق إلى بلادهم، وخرج الأمير نوروز مودعا الأمير يشبك ابن أزدمر.

وفي سابعة: سار على باك بن دلغادر من دمشق، بعدما خلع عليه الأمير نوروز،

= رأس الميسرة، بخلاف قاعدة أمراء مجلس، وذلك مراعاة لمنزلته السالفة، فأقام على ذلك مدة يسيرة، وتوفى بالطاعون في ليلة الأربعاء سادس جمادى الآخرة سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة، وله نحو خمسين سنة. وكان أميرا جليلا، مهابا، شجاعا، معظما في الدولة، وعنده تعصب لمن يلوذ به ومروءة، لكنه سعى الخلق، قوى النفس، له بادرة وحسة إلى الغاية مع سلامة باطن. وكان تركى الجنس مستحقا بالجراكسة. انظر المنهل الصافي ٣/ ٤٨٩: ٤٩٢، الدليل ١/ ٢٠٧، النجوم ١٥/ ١٥٩، الضوء ٢٢/٣.

(١) سبق ترجمتها.

(٢) سبق ترجمتها.

٣٤٤ سنة خمس عشرة وثمانمائة

وأنعم عليه إنعاما بالغاً. وكثر إنعام الأمير نوروز في هذه المدة على الأمراء والمماليك، بحيث إنه أنعم على يشبك بن أزدمر بخمسة آلاف دينار، وعلى تغرى بردى ابن أخى دمرداش مرة بثلاثة آلاف دينار ومرة بخمسة آلاف دينار، وبلغت نفقته فى يوم واحد إلى أربعين ألف دينار، وعمر قلعة دمشق أحسن عمارة، وأخذ من الأمير غرس الدين خليل الأستاذار فى مصادرتة ما يزيد على مائتى ألف دينار.

وفى هذا الشهر: سار الأمير أينال الرجيبى من غزة إلى جهة القدس، فهجم عليه كاشف الرمله، وقاتله فكسره. ثم قبض عليه وبعثه إلى دمشق، فقدم صحبة أينال الدوادار، وقد توجه إليه ليحضره فى سادس عشره وهو مقيد، فلما مثل بين يدى الأمير نوروز بصق فى وجهه، وأفرج عنه، وخلع عليه من غير أن يؤاخذة، فإنه زوج أخته، وكان بين فراره من قلعة دمشق وعوده أربعة وستين يوماً.

وفيه أخذ عسكر الأمير نوروز غزة، ولحق الأمير جانبك الصوفى ومن معه بصفد.

وفى تاسع عشره: سار الأمير سودن بن كستا من دمشق على عسكر يريد غزة، فنزل على قبة يلبغا، واستقل بالمسير فى حادى عشرينه.

وفيه مات الأمير طوغان نائب قلعة الروم، فأخذها الأمير دمرداش.

وفيه قطع الدعاء للخليفة بالحرمين، ودعى للسلطان الملك المؤيد، واستمر يدعى له بالصلاح قبل أن يدعى للسلطان نحو سنة، ثم قطع من أجل أن الدعاء للخليفة بمكة لم يكن يعهد من بعد قتل المستعصم، فكان مدة الدعاء للخليفة بتلك الأماكن نحو خمسة أشهر.

وفيه قدم ابن التبانى من دمشق.

شهر ذى الحجة الحرام، أوله الجمعة:

فى ثالثه: خلع على الأمير قرقماس ابن أخى دمرداش بقلعة الجبل، واستقر به السلطان فى نيابة الشام، عوضاً عن الأمير نوروز، وخلع أيضاً على الشيخ شرف الدين يعقوب بن التبانى، واستقر به فى مشيخة خانكاة شيخو، وعزل ناصر الدين محمد بن العديم، وكان قد توجه للحج.

وفى خامسه: تنكر أهل حلب على الأمير يشبك بن أزدمر، فركب عليهم وقاتلهم فغلبوه وهزموه، ففر منهم، وكان الأمير طوخ قد توجه من طرابلس إلى حماة، وأقام بها، فسار أهل طرابلس على مباشره، وقتلوا أستاذاره وولده، وأخرجوا الحاجب بعدما جرح جراحات بالغة.

وفي سادسه: عوقب كاتب السر فتح الله بالضرب على ظهره عقوبة شديدة بالغلة، وعصر حتى أشفى على الموت، وأهين مع هذا إهانة من يطلب منه ثأر.

وفي ثامنه: حمل من القلعة إلى بيت تقى الدين عبد الوهاب بن أبى شاکر ناظر الخاص، فسجنه فى داره، ووكل به، وأخذ فى حمل المال المقرر عليه.

وفي تاسعه: قدم أقبغا الأسندمرى إلى حلب من جهة السلطان، وعلى يده تقليد الأمير دمرداش الحمدى نيابة حلب، وتشريفه، وكان دمرداش قد وصل إليها فى يوم الجمعة سابعه، فخرج من مدينة حلب، ولبس تشريف السلطان، وسار به فى مركب جليل إلى باب القلعة، فنزل، وصلى هناك ركعتين، وقبل الأرض خدمة للسلطان على العادة، ودعى باسم السلطان بحلب ومعاملتها وضربت السكة باسمه، وحلف الأمراء وأرباب الدولة على الطاعة للسلطان.

وفي ثامن عشرينه: عزل صدر الدين أحمد بن العجمى عن الحسبة بآبن شعبان وقد وعد ابن شعبان بخمسائة دينار يقوم بها، والتزم أن يحمل فى كل شهر مائة دينار. وعوق ابن العجمى فى بيت الأمير جانبك الدوادر، وألزم بحمله.

وفي هذا الشهر: اشتد الغلاء بمكة أيام الموسم، فأبيع الشعير كل وية بدينارين، وكل وية فضى - وهو نوى التمر - بدينار ونصف، وكل رطل بشماط بعشرة دراهم فضة. ولم يحج أحد من العراق ولا من اليمن. وعز الفلفل بمكة، لطلب التجار له، فإنه قل بديار مصر، حتى بلغ الحمل إلى مائتين وعشرين مثقالا من الذهب، بعدما كان بستين مثقالا، فاشترى منه بمكة للسلطان من حساب خمسة وعشرين مثقالا الحمل، بمبلغ خمسة آلاف دينار. وحمل إلى القاهرة فبلغ الحمل بمكة خمسة وثلاثين ديناراً هرجة، بعدما كان بعشرة مثاقيل.

وفي هذه السنة: توغل الأمير موسى بن عثمان فى بلاد النصارى، بأسر وينهب ويحرق، ثم عاد فوجد صاحب اصطنبول قد عدى بأخيه محمد بن عثمان إليه، وقد خامر الأمراء معه، فحرت بينهم حروب عظيمة.

* * *

ومات فى هذه السنة ممن له ذكر سوى من تقدم ذكره

جمال الدين عبد الله بن محمد بن طميان^(١)، المعروف بالطيماني الشافعى، قتل

(١) عبد الله بن محمد (٨١٥ هـ - ٤١٢ م). عبد الله بن محمد بن طميان، جمال الدين الطيماني: من فضلاء الشافعية. مصرى اشتهر فى دمشق، كان يلبس زى العجم، قريبا من زى الترك. قال ابن =

سنة خمس عشرة وثمانمائة
بدمشق فى الفتنة ليلة الجمعة ثانى صفر، وكان من الفضلاء، وانتقل من القاهرة إلى دمشق وسكنها.

ومات قاضى القضاة شهاب الدين أبو العباس أحمد بن عماد الدين إسماعيل بن خليفة ابن عبد العال الدمشقى، المعروف بابن الحسبانى^(١)، فى يوم الأربعاء عاشر شهر ربيع الآخر، بدمشق، عن خمس وستين سنة وسبعة أشهر وأيام. أفتى، ودرس، وبرع فى العربية والفقه والحديث، وولى قضاء دمشق وخطابتها غير مرة، وقدم إلى القاهرة مرارا.

ومات قاضى القضاة محب الدين محمد بن محمد بن الشحنة الحلبي الحنفى^(٢) فى يوم الجمعة ثانى عشر شهر ربيع الآخر، بحلب، عن ست وستين سنة. أفتى ودرس بحلب ودمشق والقاهرة وولى القضاء بحلب ودمشق، وبرع فى العربية والأدب وغيره.

ومات الشيخ شهاب الدين أحمد بن محمد بن عماد بن على بن الهائم المصرى الشافعى^(٣)، بالقدس، فى جمادى الآخرة، عن سبع وخمسين سنة، درس بالقدس، وكان قد تحول إليه من القاهرة، وبرع فى الحساب والفرائض.

* * *

=حجى: أفتى وصنف، واختصر شرح الغزى على المنهاج، وضم إليه أشياء من شرح الأذرعى. مات مقتولا فى فتنة الناصر فرج بدمشق، بغير قصد من قاتله، وهو فى نحو ٤٧ سنة من عمره. انظر الضوء اللامع ٥/ ٥٠، شذرات الذهب ٧/ ١١١، الأعلام ٤/ ١٢٧

(١) ابن الحسبانى (٧٤٩ - ٨١٥ هـ = ١٣٤٩ - ١٤١٢ م) أحمد بن إسماعيل بن خليفة بن عبد العال، المعروف بابن الحسبانى: حافظ، مؤرخ، من أهل دمشق، مولدا ووفاة. ولى قضاء القضاة فيها غير مرة. من كتبه «جامع التفسير» و«طبقات الشافعية» ويقال إن كتبه تلفت كلها فى فتنة تيمور لما استولى على الشام. انظر لحظ الألاحظ ٢٤٤، الضوء اللامع ١/ ٢٣٧، الأعلام ١/ ٩٧.

(٢) ابن الشحنة (٧٤٩ - ٨١٥ هـ = ١٣٤٨ - ١٤١٢ م) محمد بن محمد، أبو الوليد، محب الدين، ابن الشحنة الحلبي: فقيه حنفى، له اشتغال بالأدب والتاريخ، من علماء حلب. ولى قضاءها مرات، واستقضى بدمشق والقاهرة. له كتب، منها «روض المناظر، فى علم الأوائل والأواخر» و«الرحلة القسوية بالديار المصرية»، وكتاب فى «السيرة النبوية» و«المواقف العمرية للقرآن الشريف»، وغيرها. انظر إعلام النبلاء ٥/ ١٦١، الضوء اللامع ١٠/ ٣، الأعلام ٧/ ٤٤.

(٣) ابن الهاشم (٧٠٣ - ٨١٥ هـ = ١٣٥٢ - ١٤١٢ م). أحمد بن محمد بن عماد الدين بن على، أبو العباس، شهاب الدين، بن الهاشم: من كبار العلماء بالرياضيات مصرى المولد والنشأة. انتقل إلى القدس، واشتهر ومات فيها. من تصانيفه «اللمع - ط» فى الحساب، و«غاية السؤل فى الإقرار بالمجهول - خ» فى الجبر والمقابلة، و«مرشد الطالب - خ» حساب، و«المقنع - خ» مع شرح له، فى الجبر، وغيرها. انظر الأنس الجليل ٢/ ٤٥٦، وشذرات الذهب ٧/ ١٠٩، البدر الطالع ١/ ١١٧، الأعلام ١/ ٢٢٦.

سنة ست عشرة وثمانائة

أهلت هذه السنة، وسلطان مصر والحرمين الملك المؤيد أبو النصر شيخ الحمودى، والخليفة المستعين بالله، ممنوع من التصرف، موكل به، وأتابك العسكر الأمير بلبغا الناصرى. والدوادار الكبير الأمير طوغان الحسنى. وأمير أخور الأمير قنباى المحمدى. وكاتب السر ناصر الدين محمد بن البارزى الحموى، وقضاة القضاة على ما كانوا عليه فى السنة التى قبلها، ما عدا الحنفى، فإنه قاضى القضاة صدر الدين على بن الآدمى الدمشقى.

والمباشرون على ما كانوا عليه، ما عدا الأستاذار، فإنه الأمير بدر الدين حسن بن محب الدين الطرابلسى، وحاجب الحجاب الأمير أينال الصصلاى، ووالى القاهرة الأمير تاج الدين تاج بن سيف الشويكى، ونائب الإسكندرية الأمير غرس الدين خليل الجشارى، ونائب غزة الأمير ألطنبغا العثمانى، والشام كله بيد الأمير نوروز الحافظى، وهو يدعو على المنابر بها لأمر المؤمنين المستعين بالله، ويضرب السكة باسمه، ويفتح كتبه التى يبعثها إلى البلاد ومراسيمه التى تصدر عنه، بالإمامى المستعينى. ما خلا حلب، فإنها بيد السلطان، ونائبه بها الأمير دمرداش المحمدى.

شهر الله المحرم أوله الأحد:

يوافقه اليوم الثالث من نيسان، واليوم الخامس من برمودة: وسعر الذهب بالقاهرة، ما كان من المهرجة فبماتين وخمسين درهما كل مثقال، وما كان من الإفرتى فكل دينار بماتين وثلاثين درهما، وما كان من الناصرى فبماتين وعشرة دراهم الدينار، والقمح من مائة وثمانين الأردب إلى ما دونها، وبلغ الكتان كل رطل إلى ثلاثين درهما. وهذا شىء لم نعهده قط بمصر، فغلا لغلامه جميع أصناف الثياب، حتى أبيع الثوب القطن البعلبكى بعشرين مثقالا.

وفى رابع عشره: نقل فتح الله محمولا من بيت ابن أبى شاكر، ولعجزه عن الحركة، وسلم إلى الأمير تاج الدين والى القاهرة، فأنزله بدار أقام بها وحيدا فريدا، يقاسى ألم العقوبة، ويتزقب الموت، وخرج من القاهرة جماعة لضبط ما يصل من أصناف المتجر، صحبة الحاج، فساروا إلى عقبة أيلة، ففر كثير من التجار، وتوجهوا نحو الشام، ففات أهل الدولة منهم مال كبير.

وفي عشرينه: سافر الأمير قرقماس ابن أخى دمرداش من القاهرة يريد أخذ دمشق.

وفي رابع عشرينه: قدم الأمير ببيغا المظفرى بالمحمل وبقيه الحاج.

وقدم الخبز بمفارقة الأمير تغرى بردى ابن أخى دمرداش لدمشق، وقدمه إلى صفد منتميا إلى السلطان، فسر بذلك، ودقت البشائر بقلعة الجبل، واشتد الأمر على صدر الدين أحمد بن العجمى فى حمل ما ألزم به، وهو خمسمائة دينار، وقد تأخرت عليه من ألف دينار، فباع موجوده، وأورد نحو ثلاثمائة دينار.

وفي هذا الشهر: تزايد الطاعون فى الناس بالقاهرة ومصر، وكان ابتداءه من أخريات ذى الحجة الحرم، وهب يوم النحر ريح فى غاية الشدة من ناحية الجنوب، واستمرت أياما، ففشا الطاعون والحميات الحادة المحرقة فى الناس، لاسيما الأطفال والشباب.

وأهلت السنة، ويموت فى كل يوم ممن يرد الديوان ما بين العشرين إلى الثلاثين، والوقت ربيع. وقد صار حارا يابسا، ورياحه كلها جنوبية، وحره خارج عن المعتاد، فكثرت الوباء، وناف عدة من يرد الديوان على المائة.

وفي سلخه: أفرج عن صدر الدين بن العجمى، وخلع عليه، وقرر فى نظر المواريث، وأفردت عن الوزير، وألزم أن يحمل ما يتحصل من ذلك إلى خزانة السلطان.

وفي هذا الشهر: نار بالسلطان وجع المفاصل.

شهر صفر، أوله الإثنين:

أهل والوباء يتزايد، ثم تناقص من نصفه. وذلك أن الشمس لما نقلت إلى برج الثور رطب الحر المحرق، واستمر الوقت رطبا مدة عشرين يوما، ثم انقلب الزمان فى آخر برج الثور إلى حر مفرط، وسموم محرقة، فتزايدت الأمراض، حتى تجاوز عدد من يرد الديوان من الأموات مائة وعشرين، فعز وجود البطيخ الصيفى من كثرة ما يطلب للمرضى، حتى بيعت نصف بطيخة بخمسمائة درهم، عنها مثقالان من الذهب، وعز أيضا وجود الماء وأقبل الناس فى أخذ جمال السقائين، فبلغت الراوية خمسة عشر درهما، وأبيعت خمس بطيخات بألفى درهم، عنها ثمانية مثاقيل ذهبا.

وفي تاسعه: سار الأمير قرقماس ابن أخى دمرداش من غزة، وقد وصل إليها يريد صفد، ومعه أخوه تغرى بردى نائب حماة، وقد بعث إليه السلطان بولايتها، وخرج الأمير الطنبغا العثمانى فى أثرهما من الغد، لمساعدتهما، فبلغهم عود الأمير نوروز من حلب إلى دمشق، فأقاموا على الرملة.

السلوك لمعرفة دول الملوك ٣٤٩

وفي ثامن عشرينه: قدم أقبغا الأسندمرى بجواب الأمير دمرداش ونواب القلاع بطاعتهم، وصحبته قاصد عثمان بن طر على وغيره من أمراء التركمان، ودمرداش، والفضة المضروبة بالصكة المؤيدية.

شهر ربيع الأول ، أوله الثلاثاء، ثم استقر الأربعاء:

وفي ثانيه: منع خدم فتح الله من الدخول إليه، فأقام إلى ليلة الأحد سادسه، فخنق وأخرج به من الغد، فدفن بترتبه خارج باب المحروق. ولم يشيع جنازته أحد من الناس.

وفيه وقع حريق فى الدور بقلعة الجبل عظم أمره، واستمر إلى يوم الأربعاء تاسعه، وهم فى إطفائه فاحترق فيه رجل ومات.

وفى سابعه: سمر الأمير فارس الممودى، ثم وسط تحت القلعة، وهو أحد أمراء الطبلخاناه من الأيام الناصرية، وسبب ذلك أنه وشى للأمير طوغان الدوادار، وللأمير شاهين الأفرم بأن السلطان الملك المؤيد عزم على قبضهما، فاجتمعا بالسلطان وأعلماه بذلك، فقبض عليه وقتله.

شهر ربيع الآخر، أوله الجمعة:

فى أوله حمل الأمير قصره^(١) إلى نغر الإسكندرية، فسجن بها .

وفى ثامن عشره: خلع على شهاب الدين أحمد بن محمد بن محمد المغربى المالكى الأموى قاضى دمشق، واستقر فى قضاء القضاة بديار مصر، وعزل شمس الدين محمد ابن المدنى.

وأما أخبار الشام، فإن الأمير نوروز كتب فى خامس عشرين المحرم كتابا إلى السلطان الملك المؤيد أبو النصر شيخ جرى فيه على عادته من مخاطبته بمولانا، وافتحه بالإمامى المستعينى. ولم يخاطبه فيه كما يخاطب السلطان، فكان يتضمن العتب على ولايته الأمير دمرداش حلب، وابن أخيه الأمير تغرى بردى حماة، وابن أخيه الآخر الأمير قرقماش طرابلس وتقديمهم عليه، وقد تقدمت بينهما عهود، فإن كان القصد أن يستمر على الأخوة، ويقيم على العهد فلا يتعرض إلى ما هو بيده، وينقل دمرداش من نيابة حلب إلى نيابة طرابلس، ويستقر قرقماش أميرا بمصر. ثم خرج من دمشق يريد محاربة دمرداش، حتى نزل حماة فى تاسع صفر.

(١) هو قصره بن عبد الله الظاهرى، المتوفى ٨٣٩ هـ انظر الضوء اللامع ٦ / ٢٢٢، المنهل الصافى ٣ / ورقة ٢٧ ب، ٢٨ ب.

فلما بلغ ذلك الأمير دمرداش، خرج من حلب فى حادى عشره، ومعه الأمير بردبك أتابك حلب، والأمير شاهين الأيدكارى^(١) الحاجب، والأمير أردبغا الرشيدى، والأمير جربغا، وبقية العسكر. ونزل العمق، فحضر إليه الأمير كردى بن كندر، وأخوه الأمير عمر، وأولاد أوزر، ودخل الأمير نوروز إلى حلب فى ثالث عشره، بعدما تلقاه الأمير أقبغا جركس نائب القلعة بالفتاح، فولى الأمير طوخ نيابة حلب، والأمير يشبك الساقى نيابة قلعتها، وعمر بن الهيدبانى حاجب الحجاب، والأمير قمش نيابة طرابلس. ثم خرج منها فى تاسع عشره، ومعه الأمير يشبك بن أزدرم يريد دمشق، فقدمها فى سادس عشرينه . وسار الأمير دمرداش بمن معه إلى حلب فنزل على بانقوسا فى هذا اليوم، فقاتله النوروزية قتالا شديدا إلى ليلة ثامن عشرينه، قدم عليه الخبز بأن العجل بن نعير^(٢) قد أقبل محاربتة نصره للأمير نوروز، فلم يثبت لعجزه عنه، ورحل من ليلته إلى العمق، ثم سار إلى أعزاز، فأقام بها.

فلما كان عاشر ربيع الأول: بعث طوخ نائب حلب عسكرا إلى سرمين، وبها آق بلاط - دودار الأمير دمرداش - فكبسوه، فثار عليهم، هو وشاهين الأيدكارى، ومن معهما من التراكمين، وقتلوهم، وأسروا منهم كثيرا، بعثوا بهم إلى دمرداش، فسجن أعيانهم فى قلعة بغراس^(٣)، وجدع أنافى أكثرهم، وأطلقهم عراة، وقتل بعضهم.

فعندما بلغ طوخ الخبز ركب من حلب، ومعه قمش إلى تل السلطان^(٤)، وقد نزل عليه العجل بن نعير، وسألاه أن يسير معهما لحرب دمرداش، فأنعم بذلك، وتأخر قليلا. فبلغهما أنه قد اتفق مع دمرداش على مسكهما فاستعدا له، وترقباه حتى ركب إليهما فى نفر قليل، ونزل عندهما ودعاهما إلى ضيافته، وألح عليهما فى ذلك. فثار به، ومعهما جماعة من أصحابهما، فقتلوه بسيوفهم، فى رابع عشرين ربيع الأول ورحلا من

(١) شاهين عبد الله الأيدكارى، الأمير سيف الدين، حاجب حجاب حلب. ولاة الملك المؤيد شيخ حجوية حلب، لما ولى الأمير دمرداش الحمدي نيابة حلب، فى أوائل دولته عند خروج الأمير نوروز من الطاعة، واستمر على ذلك إلى أن توجه الملك المؤيد إلى البلاد الشامية، فى سنة عشرين وثمانائة، عزله عن حجوية حلب بالأمير تمتاز الأعور. انظر المنهل الصافى ٦/ ٢١١، ٢١٢ والدليل الشافى ١/ ٣٤١.

(٢) سبق ترجمته.

(٣) بغراس: مدينة فى لحف جبل اللكام، بينها وبين أنطاكية أربعة فراسخ، على يمين القاصد إلى أنطاكية من حلب، فى البلاد المطلة على نواحي طرسوس. انظر معجم البلدان ١/ ٤٦٧.

(٤) تل السلطان: موضع بينه وبين حلب مرحلة نحو دمشق، وفيه خان ومنزل للقوافل وهو المعروف بالفنيديق. انظر معجم البلدان ٢/ ٤٢.

فورهما عائدتين إلى حلب، وكتبا بالخير إلى نوروز، وطلبا منه النجدة، فإن حسين ابن نعيم جمع العرب، ونزل على دمرداش، وسار به إلى حلب، وحصرها، فصعد طوخ وقمش إلى القلعة، واشتد القتال بينهم، فانهزم دمرداش.

واتفق في ربيع الأول أيضا أن شخصا يسمى عثمان بن أحمد بن عثمان بن محمود ابن محمد بن علي بن فضل بن ربيعة، يعرف بابن ثقالة، من فقهاء دمشق، قدم إلى أرض عجلون، وادعى في أوله أنه السفيناني، وظهر بقرية الجيدور^(١) وحلف أهل البلاد وأقطع الإقطاعات، وأمر عدة من الناس، وقال: «أنا السلطان الملك الأعظم السفيناني»، فاجتمع عليه خلق كثير، من عرب وترك وعشير، بألوية خضر إلى وادي الباييس من جبل عوف بمعاملة عجلون، وبث قصاده بكتبه، ووقع عليها تحت البسملة السفيناني، ونصها: «إلى حضرة فلان أن يجمع فرسان هذه الدولة السلطانية، الملكية، الإمامية، الأعظمية، الربانية، الحمديّة، السفينانية، أعلاها الله تعالى وشرفها، وأنفذها في الآفاق، وصرفها ويحضروا بخيلهم ورجالهم وعددهم، مهاجرين إلى الله ورسوله، وبجاهدين في سبيل الله تعالى، ومقاتلين، لتكون كلمة الله هي العليا، والاعتماد على العلامة الشريفة أعلاها أعلاها الله تعالى».

ثم دخل عجلون في تاسعه، بعسكر كبير، فيه سلاح دارية، وطير دارية، فأقطع الإقطاعات، وكتب على القصص، يكتب كما يكتب السلطان، فقبل الناس الأرض بين يديه في ساعة واحدة، وهم زيادة على خمسمائة رجل، في وقت واحد معا، وخطب له على منبر عجلون، فقيل السلطان الملك الأعظم السفيناني، ونادى ببلاد عجلون أن مغل هذه السنة يسامح به الناس فلا يؤخذ منهم منه، وفيما بعدها يؤخذ منهم العشر فقط، ويترك أخذ الخراج وأخذ المكس، فإن حكم الترك قد بطل، ولم يبق إلا حكم أولاد الناس.

فثار عند ذلك غانم الغزاوي به، وجهاز إليه طائفة طرقوه وهو بالجامع وقتلوه، وقبضوا عليه، وعلى ثلاثة من أصحابه، بعدما ركب وقتلهم، فاعتقل الأربعة بقلعة عجلون. وكتب بالخير إلى السلطان، فنقله إلى قلعة صغد، واعتقله بها.

ثم إن الأمير نوروز سار من دمشق يريد غزة، ففر منها قرقماس ابن أخي دمرداش بمن معه، ونزل على الصالحية بطرف الرمل، وعاد نوروز من غزة إلى دمشق، فقدمها في ثامن عشر شهر ربيع الآخر هذا.

(١) الجيدور: كورة من نواحي دمشق فيها قرى، وهي في شمال حوران. انظر معجم البلدان

شهر جمادى الأولى، أوله الأحد:

فى يوم الأربعاء رابعه: أوفى النيل ستة عشر ذراعاً، فركب السلطان، وعدى النيل حتى خلق المقياس بين يديه، وفتح الخليج على عادة من تقدمه من الملوك فكان ذلك تاسع مسرى، فقال الأديب تقى الدين أبو بكر بن حجة الحموى - أحد ندماء السلطان - يخاطبه:

أيا ملكا بالله أضحى مؤيدا ومنتصبا فى ملكه نصب تميز
كسرت بمسرى نيل مصر وتنقضى وحقك بعد الكسر أيام نوروز

وفى يوم الخميس خامسه: قبض السلطان على تقى الدين عبد الوهاب بن أبى شاكر ناظر الخاص، واعتقله بقلعة الجبل، وأحاط بعامة أسبابه وحاشيته، وقبض أيضا على الوزير صاحب سعد الدين إبراهيم بن بركة البشيرى، وخلع على تاج الدين عبد الرزاق بن الهيصم، واستقر به فى الوزارة، فعاد إلى زى الكتاب، كما كان قبل أن يلى الأستادارية. وتسلم ابن البشيرى، ونزل به إلى داره.

وفى يوم السبت ثامنه: خلع على صاحب بدر الدين حسن بن نصر الله ناظر الجيش، واستقر فى نظر الخاص، عوضا عن ابن أبى شاكر، وخلع على علم الدين داود ابن الكويز، واستقر فى نظر الجيش، عوضا عن ابن نصر الله.

وفى حادى عشره: ضرب شمس الدين محمد ابن الحاج عمر بن شعبان، محتسب القاهرة بين يدى السلطان بالإسطبل أكثر من ثلاثمائة ضربة بالعصى، وكتب عليه إسهاد، وحلف أنه لا يسعى فى وظيفة الحسبة.

وفى يوم الخميس المبارك ثانى عشره: خلع على قاضى القضاة صدر الدين على بن الآدمى الحنفى، وأضيف إليه حسبة القاهرة، عوضا عن ابن شعبان، ولم نعهد قبله الحسبة أضيفت إلى قاضى القضاة.

وفيه خلع الأمير جانبك الصوفى، واستقر رأس نوبة النوب، عوضا عن الأمير سودن الأشقر، وكان جانبك قد قدم من غزة هو وأطنبغا العثمانى وتغرى بردى، قرقماس ابنا أخى دمرداش، فأقام الخوان على قطيا، ودخل جانبك والعثمانى إلى القاهرة قبل يومه.

وفيه خلع على الأمير سودن الأشقر، واستقر أمير مجلس.

وفي سادس عشره: أشيع بالقاهرة أن الأمير طوغان الدوادار استعد للركوب على السلطان، وقد اتفق معه جماعة من الأمراء والماليك، فلما كان الليل انتظر أن يأتيه أحد من أصحابه، فلم يأت، حتى قرب الفجر، فرأى مملوكين، وأصبح الناس يوم الثلاثاء سابع عشره يتوقعون الحرب، والأسواق مغلقة، فنادى السلطان بالأمان، وأن من أحضر طوغان فله ما عليه، مع خبز فى الحلقة. ولم يحرك ساكن إلى ليلة الجمعة عشرينه، ووجد طوغان قد اختفى بمدينة مصر، فأخذ وحمل إلى القلعة، وأرسل إلى الإسكندرية مع الأمير طوغان المؤيدى أمير أخور، فسجن بها.

وفي يوم السبت حادى عشرينه: قبض على الأمير سون الأشقر أمير مجلس والأمير كمشبغا العيساوى أمير شكار، وتوجه بهما الأمير برسباى، فسجنتهما بالإسكندرية.

وفي ثانى عشرينه: وسط أربعة أحدهم مغلباى نائب القدس من جهة نوروز وكان الأمير قرقماس ابن أخی دمرداش قد قبض عليه، وبعثه إلى السلطان واثنان من مماليك السلطان، وآخر من أصحاب طوغان الدوادار.

وفي يوم الإثنين ثالث عشرينه: أنعم بإقطاع طوغان الدوادار على الأمير أينلك الصصلاتى، وإقطاع الأمير سون الأشقر على الأمير تنباك البجاسى نائب الكرك، وخلع على الصصلاتى، واستقر أمير مجلس، عوضا عن سون الأشقر، وخلع على الأمير قحق، واستقر حاجب، عوضا على الصصلاتى، وخلع على الأمير شاهين الأفرم خلعة الرضى، لأنه اتهم بممالة طوغان.

وفي ثامن عشرينه: خلع على الأمير جانبك، أحد المماليك المؤيدية، والدوادار الثانى من أمراء الطبلخاناة، واستقر دوادارا كبيرا، عوضا عن طوغان. وخلع على الأمير شرباش كباشة، واستقر أمير جاندار.

وفي يوم الإثنين سلخه: خلع على الأمير فخر الدين عبد الغنى بن أبى الفرج كاشف الشرقية والغربية، واستقر أستاذارا، وعزل الأمير بدر الدين حسن بن محب الدين، وخلع على الأمير بدر الدين، واستقر مشير الدولة.

ولم يكن فى جمادى الآخرة كثير شىء تجدد.

شهر رجب، أوله الجمعة:

فى سادسه: قدم من دمشق الأمير جار قطلو أتابكها، فارا من نوروز، فخلع عليه.

وفي ثامننه: أعرس الأمير صارم الدين إبراهيم ابن السلطان بابنة الملك الناصر خونند، التي كانت تحت الأمير بكتمر جلق، وعمل مهم حسن.

وفي ثاني عشره: قدم الأمير الطنبغا القرمشى نائب صفد باستدعاء، وقد استقر عوضه فى نيابة صفد الأمير قرقماس ابن أخى دمرداش، وعزل عن نيابة الشام من أجل أنه لم يتمكن منها. وصار يتردد من حين خرج من القاهرة فيما بين غزة والرملة. واستقر أخوه تغرى بردى فى نيابة غزة، عوضا عن الأمير الطنبغا العثمانى.

وفي خامس عشره: خرج الأمير نوروز من دمشق يريد صفد، فنزل من الغد على القنيطرة، قريبا من طبرية (١) وكان قرقماس ابن أخى دمرداش قد قدم إلى صفد، فلما بلغه ذلك قصد أن يسكن قلعتها بماليكه، وينزل فيها معه أخاه تغرى بردى، فلم يتمكن من ذلك فجرد، وركب من يوم الجمعة خامس عشره، وعاد إلى الرملة. وبعث الأمير نورز أينال دواداره إلى بيسان لجمع العشير.

وفي تاسع عشره: قدم الأمير بيسق الشىخى من بلاد الروم، وكان الملك الناصر قد أخرجه إليها.

وفيه أيضا خلع على تقى الدين عبد الوهاب بن أبى شاكرا، واستقر أستاذار الذخيرة والأملاك، كما كان بعد جمال الدين الأستاذار قبل أن يلى نظر الخاص. وذلك بعدما عصر وضرب، وأخذ منه نحو خمسين ألف دينار.

وفي عشرينه: خلع على الأمير منكلى بغا العجمى، أحد دوادارية الملك الظاهر برفوق الصغار، واستقر حاجبا ومحتسب القاهرة، عوضا عن قاضى القضاة صدر الدين على بن الآدمى. ولم يعهد قبل ذلك تركيا تولى الحسبة.

وفي هذا الشهر: انتهت زيادة النيل إلى خمسة عشره أصبعا وعشرين ذراعا. وفيه فشت الأمراض فى الناس من حميات، ونزلات، وسعال. فعز السكر النبات والرمان، حتى بلغا أربعة أمثال سعرهما، وكانت أمراض سبليمة، لم يكن معها موتان. وقدم الخير أنه كان ببلاد الروم فناء عظيم، وأنه امتد إلى حلب وحماة، وفشت الأمراض بدمشق، كما فشت بأرض مصر.

شهر شعبان، أوله الأحد:

فى سابع عشره: عزل صدر الدين أحمد بن العجمى من نظر المواريث، وتحدث فيها الطواشى زين الدين مرجان الهندى خازندار السلطان.

(١) طبرية: هى بليدة مطلة على البحيرة المعروفة ببحيرة طبرية، وهى فى طرف جبل وجبل، الطور مطل عليها، وهى من أعمال الأردن فى طرف الغور. انظر معجم البلدان ١٧/٤ وما بعدها.

وفي ثامن عشرينه: قدم الأمير قرقماس ابن أخى دمرداش، فأكرمه السلطان وخلع عليه، وأنزله. وذلك أن الأمير نوروز لما توجه من دمشق يريد صفد، وبعث يجمع الرجال، لم يثبت الأخوان تغرى بردى وقرقماس، فسارا إلى مصر، وقدم قرقماس إلى مصرى، وأقام أخوه تغرى بردى على قطيا، وهذه كانت عادتتهما فى الأيام الناصرية، أنهما لا يجتمعان عنده قط حذرا من القبض عليهما، وإنما إذا اضطر أحدهما وحضر إليه، كان الآخر نائبا عنه.

شهر رمضان، أوله السبت:

فيه قدم الأمير دمرداش المحمدى، فأجل السلطان مقدمه، وخلع عليه خلعة جليلة إلى الغاية، ونزل إلى داره، وكان من خيره أنه لما انهزم على حلب - كما تقدم ذكره - اجتمع إلى أصحابه وقد تحير فى أمره، بين أن ينتمى إلى الأمير نوروز ويصير معه على رأيه - وكان نوروز قد بعث إليه بألف دينار، ودعاه إليه - وبين أن يقدم على السلطان، فأشار عليه جل أصحابه بالانتماء إلى نوروز، فلم يوافقهم، وركب البحر حتى نزل دمياط، واستأذن فى القدوم، فأذن له السلطان.

وفي سادسه: خلع على صدر الدين أحمد بن العجمى، واستقر فى مشيخة التربة التى أنشأها الملك الناصر فرج على قبر أبيه الملك الظاهر برقوق، خارج باب النصر، وعزل عنها زين الدين حاجى.

وفيه كتب بنقل الأميرين سودن الأشقر، وكمشبيغا العيساوى من سجن الإسكندرية إلى دمياط.

وفي سابعه: بعث السلطان الأمير سودن القاضى والأمير قجقار القردمى، والأمير أقبردى رأس نوبة، والأمير يشبك شاد الشرايخاناة إلى الشرقية، وأظهر أنهم خرجوا لكبس المفسدين من العربان. وأسر إليهم أن يقبضوا على الأمير تغرى بردى ابن أخى دمرداش - المعروف بسيدى صغير - وكان نازلا على الصالحية، فساروا.

وفي ليلة السبت ثامنه: استدعى السلطان الأمراء للفرط عنده، ومد لهم سماطا يليق بهم، فأكلوا معه، وتباسطوا فلما رفع السماط، قبض على الأمير دمرداش المحمدى وعلى ابن أخيه الأمير قرقماس، وقيدهما، وبعثهما من ليلته إلى الإسكندرية، فاعتقلا بها.

وفي يوم الإثنين عاشره: قدم الأمراء ومعهم الأمير تغرى بردى ابن أخى دمرداش،

مقيدا فسجن بقلعة الجبل، ثم قتل فى آخر شوال، وأراح الله بالقبض على هؤلاء الثلاثة فتنا كثيرة، وأراح منهم العباد والبلاد، فإنهم كانوا قد أكثروا فى الأرض الفساد، من إقامة الفتن وإثارة الشرور.

وفى هذا اليوم أيضا: خلع على قاضى القضاة ناصر الدين محمد ابن قاضى القضاة كمال الدين عمر بن العديم الحنفى، وأعيد إلى قضاء القضاة الحنفية بديار مصر، عوضا عن صدر الدين على بن الآدمى، بعد موته.

وفى ثالث عشرة: خلع على الأمير قنباى المحمدى أمير أخور كبير، واستقر فى نيابة الشام، ونزل من باب السلسلة فى يومه، فسكن بداره، وخلع أيضا على الأمير أينال الصلطانى أمير مجلس، واستقر فى نيابة حلب، وخلع أيضا على الأمير سودن قراصل، واستقر فى نيابة غزة.

وخلع على الأمير الطنبغا القرمشى، واستقر أمير أخور كبير، عوضا عن الأمير قنباى.

شهر شوال، أوله الإثنين:

فى ثامنه: خلع على الأمير بدر الدين حسن بن محب الدين المشير، واستقر فى نيابة الإسكندرية، وعزل خليل الجشاوى.

وفى حادى عشرينه: خلع على صدر الدين أحمد بن العجمى، وأعيد إلى نظر المواريث. وتسلم ذلك من الطواشى مرجان.

شهر ذى القعدة، أوله الثلاثاء:

فى يوم الخميس ثالثه: عدى السلطان النيل، ونزل على أوسيم؛ فألزم الأمير التاج والى القاهرة النصارى واليهود بحمل ثلاثمائة مروقة حمر، فوزعت على الأسارى المعروفين ببيع الخمر، وعلى بقية النصارى، وعلى طوائف اليهود الثلاث، وجيبت منهم بعنف وعسف وضرب، وأخذ الخمر من النصارى بالمقارع، واحتاج الجميع إلى كلف كثيرة لأعوان الوالى، ولن حمل الجرار إلى بر الجزيرة، حيث أمروا، وطلب أيضا باعة الفواكه وأصحاب البساتين أن يحملوا النرجس ونحوه من المشموم، فجبى ذلك منهم، حتى عز وجود البنفسج بعد ذلك، وأبيع بخمسة وعشرين درهما الباقية بعد درهم. وأقام السلطان إلى يوم الإثنين حادى عشرينه، وعدى النيل، وصعد إلى قلعة الجبل، فنصب جاليش السفر من يومه، وأخذ فى التأهب هو والأمراء.

وفي خامس عشرينه: جلس السلطان لعرض الأجناد المماليك.

وفيه توجه الأمير أينال الصصلاتي نائب حلب، والأمير سونن قرا صقل نائب غزة، إلى جهة الشام، ونزلا بالريداية خارج القاهرة.

شهر ذى الحجة أوله الخميس، ثم استقر الأربعاء:

في سادس عشره: توجه الأمير قنباى المحمدى نائب الشام إليها، ونزل بالريداية.

وفيه استدعى السلطان داود بن المتوكل على الله (١) من داره، فحضر بين يديه بقلعة الجبل، وقد حضر قضاة القضاة الأربع، فعندما رآه قام له، وقد ألبسة خلعة سوداء، وأجلسه بجانبه، بينه وبين قاضى القضاة شيخ الإسلام جلال الدين بن البلقينى، فدعا القضاة، وانصرفوا على أن داود بن المتوكل على الله استقر فى الخلافة، ولم يقع خلع الخليفة المستعين بالله تعالى، ولا أقيمت بينه بما يوجب شغور الخلافة عنه، ولا بويع داود هذا، بل خلع عليه فقط، ولقب بأبى الفتح المعتضد بالله أمير المؤمنين. وكانت العادة بديار مصر أن يدعى على منابرها أيام الجمع، وفى الأعياد للخليفة، ويذكر كنيته ولقبه، من حين المستعين بالله فى أيام المعتضد غير أن من الخطباء من يقول: «اللهم أصلح الخليفة» من غير أن يعينه؛ ومنهم من يقول: «اللهم أيد الخلافة العباسية ببقاء مولانا السلطان» ومنهم من يقتصر على الدعاء للسلطان.

وفيه أنفق السلطان على المماليك مائة دينار ناصرى لكل واحد، برسم السفر.

وفي عشرينه: خرج الأمير سونن من عبد الرحمن ونزل بالريداية، وخرج الأمير سونن القاضى أيضا.

وفيه رحل الأمير قنباى نائب الشام من الريداية.

وفيه خلع على شمس الدين محمد بن التبانى قاضى العسكر، واستقر فى قضاء القضاة الحنفية بدمشق.

وفي سابع عشرينه: نصب حام السلطان تجاه مسجد تبر، من أجل سفره إلى الشام.

وفيه قدم مبشرو الحاج، وأخبروا بأن الوقفة كانت يوم الجمعة.

(١) المعتضد بالله (٧٥٠ - ٨٤٥ هـ = ١٣٥٤ - ١٤٤١ م). داود بن المتوكل على الله محمد بن المعتضد الأول أبى بكر بن سليمان، أبو الفتح، المعتضد بالله الثانى: من خلفاء الدولة العباسية بمصر، بويع له بالقاهرة بعد القبض على أخيه المستعين بالله العباس (سنة ٨١٦ هـ) واستمر إلى أن توفى عقب مرض طويل. انظر التبر المسبوك ٢٥، ابن إياس ٢ / ٢٨، تاريخ الخميس ٢ / ٣٨٤. الأعلام ٢ / ٢٣٤.

وفى ثامن عشرينه: تنكر السلطان على الوزير تاج الدين بن الهيصم، وضربه وبالغ فى إهاتته، ثم خلع عليه خلعة الرضا.

ذى الحجة: وفى هذا الشهر قدم الأمير فخر الدين بن أبى الفرج من بلاد الصعيد، فى ثالث عشرينه، بخيل وجمال وأبقار وأغنام كثيرة جدا، وقد جمع المال من الذهب وحلى النساء مع السلاح والغلال وغير ذلك من العبيد والإماء والحرائر اللاتى، استرقهن. ثم وهب منهن وباع باقيهن. وذلك أنه عمل فى بلاد الصعيد كما تعمل رعوس المناسر إذا هم هجموا ليلا على القرية وتمكنوا بها، فإنه كان ينزل على البلد فينهب جميع ما فيها من غلال وحيوان، وسلب النساء حليهن وكسوتهن، بحيث لا يسير عنها إلى غيرها حتى يتركها أوحش من بطن حمار، فخرّب بهذا الفعل بلاد الصعيد تحريبا يخشى من سوء عاقبته، فلما قدم إلى القاهرة شرع فى رمى الأصناف المذكورة على الناس من أهل المدينة وسكان الريف بأغلى الأثمان، ويحتاج من ابتلى بشيء من ذلك أن يتكلف لأعوانه من الرسل ونحوهم شيئا كثيرا، سوى ما عليه من ثمن ما رمى عليه.

وفىها ملك برصا الأمير محمد بن عثمان بعد قتل أخيه موسى.

وفىها نزل الأمير محمد بن قرمان على مدينة برصا وحرّقها وحصر قلعتها، حتى كاد أن يملكها، فلما بلغه قتل الأمير موسى رحل إلى بلاده.

* * *

ومات فى هذه السنة ممن له ذكر سوى من تقدم ذكره:

الأمير عمر بن السلطان الملك المؤيد شيخ، فى خامس عشرين صفر، وقد تجاوز عشر سنين، فدفن بالقبة التى أنشأها الملك الناصر فرج بن برقوق تجاه قبة أبيه الظاهر برقوق التى على قبره.

ومات شمس الدين محمد بن أحمد بن خليل الغراقى - بفتح الغين المعجمة وتشديد الراء المهملة وكسر القاف - الشافعى، رحمه الله، الأربعاء، خامس شهر شعبان، بعدما تصدى بالجامع الأزهر من القاهرة عدة سنين للتدريس فى الفقه والفرائض والحساب طول نهاره، وكان بارعا فى ذلك، وكان على طريقة مشكورة.

ومات فخر الدين عثمان بن إبراهيم^(١) بن أحمد البرماوى الشافعى شيخ الإقراء

(١) عثمان بن إبراهيم بن أحمد (٨٢٦ هـ = ١٤١٣ م) الشيخ الإمام فخر الدين البرماوى الشافعى شيخ القراء بالمدرسة الظاهرية برقوق. كان إماما بارعا فى معرفة القراءات. توفى فجأة بعد =

بالمدرسة الظاهرية برفوق، فى يوم الإثنين تاسع عشر شعبان فجأة وقد خرج من الحمام. وكان إماما بارعا فى معرفة القراءات وتوجيهها، عارفا بالفقه والحديث والعربية، جميل الشام.

ومات قاضى القضاة صدر الدين على بن أمين الدين محمد بن محمد بن آدمى الدمشقى الحنفى^(١)، فى يوم السبت ثامن شهر رمضان، وقد تجاوز الأربعين. وكان أديبا بارعا فى النظر فى الفقه، ذكيا. ولى قضاء القضاة الحنفية بدمشق والقاهرة، وولى كتابة السر، ونظر الجيش بدمشق، ولم يكن مرضى الديانة.

ومات الشيخ شهاب الدين أحمد بن علاء الدين حجى بن موسى السعدى الحسينى^(٢) الأصل، الدمشقى المولد والوفاء، فى ليله الجمعة سادس المحرم، عن خمس وستين سنة، ولى خطابة جامع بنى أمية، ودرس وأفتى، وقدم القاهرة فى الرسالة عن الأمير شيخ قبل أن يلى السلطنة، وكان عارفا بالفقه والحديث والعربية.

ومات قاضى القضاة شهاب الدين أحمد بن ناصر بن خليفة الباعونى الشافعى، فى رابع المحرم، ومولده بقرية باعونة من قرى عجلون، فى سنة إحدى وخمسين وسبعمائة، تخميناً. ولى قضاء القضاة بدمشق، وخطابة بيت المقدس. ودرس وقال الشعر، وقدم القاهرة.

ومات قاضى القضاة شمس الدين محمد بن محمد بن عثمان الدمشقى، الشافعى،

=خروجه من الحمام فى يوم الإثنين تاسع عشر شعبان سنة ست عشرة وثمانائة. والبرماوى نسبة إلى برمة، بلدة بالقرية من أعمال القاهرة بالوجه البحرى، وإليها يتنسب جماعة كثيرة من الفقهاء وغيرهم. انظر المنهل الصافى ٧/ ٤١١ والدليل الشافى ١/ ٤٣٨، النجوم الزاهرة ١٤/ ١٢٢، أنباء الغمر ٣/ ٢٦، نزهة النفوس ٢/ ٣٣٦، الضوء اللامع ٥/ ١٢٣.

(١) ابن آدمى (٧٦٨ - ٨١٦ هـ = ١٣٦٦ - ١٤١٣ م) على بن محمد بن محمد، أبو الحسن، صدر الدين بن آدمى: قاض، من الشعراء الكتاب المترسلين مولده ووفاته فى دمشق. باشر كتابة السر فى دمشق ثم قضاها. وجمع له فى دولة المؤيديين الفقهاء والحسبة. وأصيب مراراً وامتنح من أجل اختصاصه بالمؤيد. وأكثر من مدح ابنة ناصر الدين محمد، له «ديوان - خ». انظر الضوء اللامع ٨/ ٦، مطالع البدور ٤/ ١، ٨٤٢، الأعلام ٧/ ٥.

(٢) ابن حجى (٧٥١ - ٨١٦ هـ = ١٣٥٠ - ١٤١٣ م) أحمد بن حجى بن موسى بن أحمد السعدى الحسينى الأصل، الدمشقى، شهاب الدين بن علاء الدين: حافظ مؤرخ، من أهل دمشق، ومات فيها. ويلقب بمؤرخ الإسلام، انتهت إليه مشيخة الشيوخ فى البلاد الشامية. وصنف كتب جليلة منها «الدارس من أخبار المدارس» و«جمع المفترق» فوائده فى علوم متعددة، و«معجم» فى أسماء شيوخه. انظر الضوء اللامع ١/ ٢٦٩، القلائد الجوهريّة ١١٢، النعيمى ١/ ١٣٨، التبيان - خ - شذرات الذهب ٧/ ١١٦، الأعلام ١/ ١١٠.

المعروف بابن الأحنأى، فى نصف شهر رجب، عن نحو ستين سنة. ولى قضاء القاهرة بغزة ودمشق وحلب وديار مصر عدة سنين، وكان قليل العلم.

ومات الأمير مبارك شاه الظاهرى فى شهر رمضان، ولى كشف الوجه القبلى، ووزارة الديار المصرية، والأستادارية، والحجوية. وكان تبعا يخدم الملك الظاهر برقوق وهو جندى، فرقاه لما تأمر ثم لما تسلطن.

ومات قاضى المدينة النبوية زين الدين أبو بكر بن حسين بن عمر بن عبد الرحمن بن أبى الفخر بن نجم العثماني المراغى، المعروف بابن حسن الشافعى، فى سادس عشر ذى الحجة، وقد قارب التسعين. كان من الفقهاء الفضلاء، شرح منهاج النووى^(١)، وكتب تاريخاً للمدينة النبوية. وولى قضاءها وخطابتها وإمامتها. وهو من مصر، وسكن المدينة حتى مات.

ومات الشيخ برهان الدين إبراهيم بن محمد بن بهادر بن أحمد القرشى النوفلى الغزى الشافعى^(٢)، المعروف بابن زقاعة - بضم الزاى المعجمة وتشديد القاف وفتح العين المهملة - فى ثانى عشرين ذى الحجة، عن اثنتين وسبعين سنة، أخبرنى مرارا أن مولده سنة خمس وأربعين وسبعمائة، كان عارفا بعدة فنون من الأعشاب وغيرها، وله نظم كثير وتقدم فى الأيام الظاهرية برقوق، واشتمل على عقيدته.

ومات شهاب الدين أحمد المعروف بابن الشنبلى - بضم الشين المعجمة، ثم نون ساكنة بعدها باء موحدة مضمومة - الحمصى الشافعى، قدم القاهرة وولى منها قضاء القضاة بدمشق فى آخر سنة ست وثمانائة، ثم عزل بعلاء الدين على بن أبى البقاء بعد أشهر، وكان عارفا بالفقه، خفيفا، طائشا.

* * *

(١) يقصد كتاب النووى المشهور منهاج الطالبين فى مختصر المحرر فى فروع الشافعية . انظر كشف الظنون ٢/ ١٨٧٣ - ١٨٧٦ وهو كتاب مطبوع.

(٢) ابن زقاعة (٧٢٤ - ٨١٦ هـ = ١٣٢٣ - ١٤١٤ م) إبراهيم بن محمد بن بهادر بن أحمد، أبو إسحاق برهان الدين القرشى النوفلى الغزى المعروف بابن زقاعة ويقال ابن سقاعة: إنسان عجيب. من أهل غزة، بدأ خياطا، وقرأ على شيوخ بلده ونظم كثيرا مما يسميه بعض الناس شعرا. وتفرد فى معرفة الأعشاب ومنافع النبات فكان يصف أشياء منها للأوجاع كالأطباء، ويسترزق بالعقاقير. وتزهده وساح فى طلب الأعشاب. انظر الضوء اللامع ١/ ١٣٠، النجوم ١٤، ١٢٥، شذرات ٧/ ١١٥، الأعلام ١/ ٦٤، ٦٥.

سنة سبع عشرة وثمانمائة

أهلت هذه السنة، وخليفة الوقت المعتضد بالله أبو الفتح داود بن المتوكل على الله
أبى عبد الله محمد، والسلطان الملك المؤيد أبو النصر شيخ محمودى الظاهرى، وأتابك
العساكر الأمير الكبير يلغا الناصرى، وقاضى القضاة شيخ الإسلام جلال الدين أبو
الفضل عبد الرحمن ابن قاضى القضاة شيخ الإسلام سراج الدين أبى حفص عمر بن
رسلان بن نصير بن صالح البلقينى الشافعى، وقاضى القضاة الحنفية ناصر الدين محمد
ابن كمال الدين عمر بن العديم الحلبى، وقاضى القضاة المالكية شهاب الدين أحمد بن
محمد بن محمد الأموى المغربى، وقاضى القضاة الحنابلة مجد الدين سالم بن سالم بن أحمد
ابن سالم بن عبد الملك المقدسى، وكاتب السر ناصر الدين محمد بن عثمان بن البارزى
الحموى، والوزير صاحب تاج الدين عبد الرزاق بن الهيصم، وناظر الخاص صاحب
بدر الدين حسن بن نصر الله بن حسون الفوى، وناظر الجيش علم الدين داود بن زين
الدين عبد الرحمن بن الكوزى الكركى. والأستادار الأمير فخر الدين عبد الغنى ابن الأمير
الوزير تاج الدين عبد الرزاق بن أبى الفرج، ونائب الإسكندرية الأمير المشير بدر الدين
حسن بن محب الدين عبد الله الطرابلسى، ونائب غزة الأمير سودن قرا صقل. والشام
كله بيد الأمير نوروز الحافظى ويقوم الخطبة ويضرب السكة باسم أمير المؤمنين المستعين
بالله، وهو مقيم فى داره بقلعة الجبل، وقد منع من التصرف.

شهر الله المحرم، أوله يوم الجمعة:

أهل وسعر الدينار الهرجة بمائتى درهم وخمسين درهما، والدينار الأفرنتى بمائتى
درهم وثلاثين درهما، والدينار الناصرى بمائتى درهم وعشرة دراهم، وهو أكثرها
وجودا، والفلوس هى النقود الرائج الذى ينسب إليه قيم المبيعات، وأجر الأعمال،
وصرف الذهب، وسعر الأردب من القمح من مائة وأربعين إلى ما دونها، ويباع فى
الريف كل ثلاثة أراذب مصرية بناصرى، وثياب القطن والكتان فى غاية من الغلو.

وفى ثالثه: هبت ريح شديدة تلاها رعد مرعب، ومطر غزير، وسقط مع ذلك بمدينة
مصر خاصة برد بقدر البندق كثير جدا، بحيث ألقى على أسطحة الدور منه قناطير،
وأخرب عدة دور، فحزن الناس منه شيئا كثيرا ويبيع فى الأسواق بعد ذلك كل رطل
بسته دراهم، ولم يسقط منه بالقاهرة شىء ألبتة.

وفى يوم الإثنين رابعه: ركب السلطان من قلعة الجبل بعد طلوع الفجر، وسار إلى

تخيمه بالريدانية تجاه مسجد تبر من غير تطليب فى قليل من العسكر، ثم خرجت الأطلاب فى أثناء النهار، وعمل نائب الغيبة الأمير الطنبغا العثمانى، وأنزله بيباب السلسلة، وعمل بالقلعة الأمير بردى قصفاً . وكان قد قدم إلى القاهرة مع الأمير دمرداش المحمدى من حلب فى البحر، فأنعم عليه السلطان بإمرة مائة، ووكل بيباب الستارة الأمير صماى الحسنى، وجعل للحكم بين العامة الأمير فحق حاجب الحجاب .
وفى يوم الجمعة ثامنه: رحل الأمير يلبغا الناصرى من الريدانية خارج القاهرة جاليش بمن معه من الأمراء .

وفيه خلع على زين الدين حاجى، وأعيد إلى مشيخة التربة الظاهرية برقوق خارج باب النصر، عوضاً عن صدر الدين أحمد بن العجمى، وخلع على صدر الدين، واستقر فى نظر الجيش بدمشق، وأعيدت الموارث إلى ديوان الوزارة كما كانت .

وفى يوم السبت تاسعه: استقل السلطان بالمسير من طرف الريدانية يريد محاربة الأمير نوروز، ومعه الخليفة المعتضد بالله داود، وقضاة القضاة الأربع، وأرباب الدولة، ما عدا الأمير فخر الدين الأستاذار، فإنه تأخر بالقاهرة إلى يوم الجمعة خامس عشره، وخرج يريد المشى فى بلاد الوجه البحرى ليحجى أموالها، فنزل مدينة قلوب، ثم رحل منها وقد ذعر منه أهل النواحي خوفاً بما نزل منه بأهل الوجه القبلى، فبعث رسله واستدعى أكابر البلاد، وقرر عليهم أموالاً جبيت منهم، ثم عاد بعد أيام بأحمال موقرة ذهباً، وتوجه إلى السلطان .

وفى يوم الثلاثاء عشرينه: نزل السلطان بغزة، ورحل منها فى تاسع عشرينه .

شهر صفر أوله الأحد:

فى ثامنه: نزل السلطان على قبة يلبغا - خارج دمشق - وقد استعاد نوروز وحصن القلعة والمدينة، فأقام السلطان أياماً، ثم رحل ونزل بطرف البقيبات . وكان السلطان - من الخبرة - قد بعث قاضى القضاة مجد الدين سالم الحنبلى إلى الأمير نوروز ومعه قرا أول المؤيدى فى طلب الصلح، فامتنع من ذلك، ووقعت الحرب، فانهزم نوروز، وامتنع بالقلعة فى سادس عشرينه ونزل السلطان بالميدان، وحاصر القلعة، ورمى عليها بالمكاحل، والمدافع والمنجنيق، حتى بعث نوروز بالأمير قمش الأمان، فأجيب، ونزل من القلعة، ومعه الأمراء طوخ، ويشبك بن أزدمر، وسدن كستا، وقمش، وبرسبغا^(١)،

(١) برسبغا بن عبد الله الظاهرى الدوادار (٨٢٠ هـ تخميناً = ١٤١٧ م)، الأمير سيف الدين .

كان من أعيان ممالك الملك الظاهر برقوق، ومن صار دواداراً صغيراً فى الدولة الناصرية فرج، ثم صار من جملة أمراء الألوفا بدمشق، ثم وافق الأميرين شيخ ونوروز إلى أن قتل الناصر، صار من =

وأينال، فقبض عليهم جميعا فى حادى عشرين شهر ربيع الآخر وقتل من ليلته، وحملت رأسه على يد الأمير جرياش إلى القاهرة، وعلى يده كتب البشارة.

وذلك أن الأمير كزل نائب طرابلس قدم فى العشر الأخير من صفر، وقاتل عسكر نوروز، فركب السلطان بمن معه، فانهمز النوروزية إلى القلعة، وملك السلطان المدينة، ونزل بالإسطنبول ودار السعادة، وحصر القلعة.

وفى يوم الخميس مستهل جمادى الأولى: قدم رأس نوروز، فعلق على باب القلعة، وارجت البلد، ونودى بتقوية الزينة.

وفيه خرج السلطان من دمشق، ونزل برزة، ورحل منها فى ثانيه يريد حلب، فلما قدمها أقام بها إلى آخره، ثم سار منها أول جمادى الآخرة، ومضى إلى أبلستين، وأقام بها أياما، ودخل إلى ملطية، واستناب بها الأمير كزل المذكور، ثم عاد إلى حلب، وأقر بها الأمير أينال الصصلانى. وولى بحماة الأمير تنباك البجاسى، وبطرابلس الأمير سودن من عبد الرحمن، وبقلعة الروم جانبك الحمزاوى، بعد ما قتل نائبها طوغان، ثم قدم دمشق فى ثالث شهر رجب، فقرر بنيابتها الأمير قنباى المحمدى، وسار منها.

أول شعبان: قد وصل السلطان إلى القدس، ومضى إلى غزة، فولى نيابتها الأمير طرباى فى ثانى عشرينه، وسار فنزل على سرياقوس يوم الخميس رابع عشرين شعبان، فأقام هناك بقية الشهر، وعمل أوقاتا بالخانكاه، أنعم فيها على أهلها وغيرهم بمال جزيل. وركب يوم الأربعاء سلخه، ونزل تجاه مسجد تبر، وبات هناك.

=جملة أعوان نوروز الحافظى، ولما خامر نوروز على الملك المويد شيخ واقفه أيضا، واستمر معه إلى أن ظفر المويد شيخ بنوروز المذكور، وبمن معه من الأمراء وغيرهم. حبس برسبغا هذا بحبس المرقب مدة، وكان معه فى الحبس أيضا الأمير برسباى الحاجب حتى برز مرسوم المويد بقتله، وقدم البريد عليه بذلك. وقبل أن يعلموا بالخبر، قرأ نائب المرقب المرسوم، فغلط القارئ، وقال برسباى - يعنى برسباى الحاجب -، فدخل النائب له، وأعلمه، فقام من وقته برسباى المذكور وتوضأ، وصلى ركعتين على صفة عجيبة، بعد أن حل به من البلاء والجزع ما لا مزيد عليه، وأوصى، ثم قعد للقتل. والعادة أن يعطى المرسوم فى يد المقتول حتى يقرأه، ويُقرأ عليه. فلما أخذ برسباى المرسوم، ليقرأه، وقد آيس عن روجه بعد أن قال: ما يحتاج قرأه، فقال له النائب: هذه العادة، ولا بد من ذلك، فتأمل المرسوم، فإذا فيه بقتل برسبغا الدوادار، صاحب الترجمة، فأخذ وقتل، ونجا برسباى، فكان برسباى كثيرا ما يحكى هذه الحكاية. وكان قتل برسبغا المذكور بقلعة الرقب، قبيل سنة عشرين ومئاة تخمينًا. وكان يميل إلى دين وخير، ويتفقه يسيرًا، ويكتب هيئة، وكان عفيفًا عن المنكرات، إلا أنه كان كثير الشرور والفتن. انظر المنهل الصافى ٣/ ٢٨٣، ٢٨٤.

وفي هذا الشهر: خرج فى سادس عشرينه الأمير أينال الصصلانى من حلب ومعه العسكر وجماعة من التركمان والعرب، يريد قتال حسين بن نعيم.

شهر رمضان، أوله يوم الخميس:

فيه سار السلطان من الريدانية، وصعد قلعة الجبل، فانتفض عليه ألم رجله من ضربات المفاصل، وانقطع بداخل الدور.

وفيه قدم الأمير يشبك نائب الكرك إليها، فوجدها خرابا، وقد تهدم أكثر قلعتها، ونفذ ما كان بها حاصلًا من السلاح وغيره.

وفي ثامنه: أخرج الأمير حرباش كباشة^(١) منفيا إلى القدس، ورسوم بإخراج الأمير أرغون الرومى - أمير أخور فى الأيام الناصرية - بطالا إلى القدس أيضا، فسأل أن يتأخر إلى بعد العيد، فأجيب، ثم سار بعد عيد الفطر.

وفيه خلع على الأمير أطنبغا العثمانى، واستقر أتاكب العساكر عوضا عن الأمير يلغا الناصرى بعد موته.

وفي يوم السبت عاشره: ركب السلطان من القلعة إلى خارج باب النصر، وشق القاهرة، وصعد القلعة، فهدمت الزينة.

وفي ثانى عشره: قبض على الأمير قجق حاجب الحجاب، والأمير بييغا المظفرى، والأمير ثمان تمر أرق، وحملوا فى الحديد إلى الإسكندرية، صحبة الأمير صماى.

وفيه خلع على الأمير أطنبغا العثمانى، واستقر فى نظر المارستان المنصورى، وخلع

(١) حرباش بن عبد الله الظاهرى (٨١٨ هـ = ١٤١٥)، الأمير سيف الدين، المعروف بكباشة حاجب الحجاب بحلب. هو أيضا من ممالك الملك الظاهر بقوق، ومن صار أمير مائة مقدم ألف بالديار المصرية فى دولة ابن أستاذه الناصر فرج، ثم له أمور فى دولة الملك المويد شيخ، وآل أمره إلى أن ولى حجویبة حلب الكبرى بعد شاهين الأيدكارى، فتوجه إليها وأقام بها إلى أن عصى نائبها الأمير أينال الصصلانى على الملك المويد شيخ موافقة للأمير قانى باى الحمدي نائب الشام، فوافقهما أيضا الأمير بييرس المذكور مع من انضم عليهما من النواب بالبلاد الشامية وغيرهم ثم وقع ما حكيناه فى غير موضع من قتالهم مع المويد وانهزامهم والقبض عليهم، ولما قبض المويد على أينال نائب حلب، قبض أيضا على حرباش هذا معه، وعلى غيرهن وقتل الجميع فى العشر الأوسط من شعبان سنة ثمان عشرة وثمانمائة، وجاءت رعوهم إلى الديار المصرية، وعلقت على باب النصر أياما. وكباشة: اسم فروة من جلود الأغنام، كان يلبسه حرباش هذا. انظر المنهل الصافى ٤/ ٢٥٤، ٢٥٥، الدليل الشافى ١/ ٢٤٢، النجوم الزاهرة ١٤/ ١٢٦.

على قاضى القضاة جمال الدين عبد الله بن مقداد بن إسماعيل الأقفهسى المالكي^(١) وأعيد إلى القضاة المالكية بديار مصر، وعزل شهاب الدين أحمد بن محمد بن محمد الأموى المغربى^(٢).

وفى ثالث عشره: كتب للأمير صوماى الحسنى^(٣) المسفر بالأمرء أن يستقر فى نيابة الإسكندرية، وأن يحضر الأمير بدر الدين حسن بن محب الدين إلى القاهرة.

وفى خامس عشره: خلع على الأمير سودن القاضى، واستقر حاجب الحجاب، عوضا عن الأمير فحق، وعلى الأمير قجقار القردمى، واستقر أمير مجلس، وعلى الأمير جانبك الصوفى رأس نوبة، واستقر أمير سلاح عوضا عن الأمير شاهين الأفرم، وقد مات. وخلع على الأمير كزل العجمى الأجرود - حاجب الحجاب فى الأيام الناصرية - واستقر أمير جاندار، عوضا عن الأمير جرياش كباشة.

وفيه قبض على ثلاثة من أمراء العشرات، وهم طقز ونفاه إلى الشام، ومنطاش نفاه إلى صغد، وتنبك القاضى نفاه إلى طرابلس، وأخرج خاصكيا يعرف بسودن الأعراج إلى قوص منفيا.

وفى سابع عشره: قدم الأمير بدر الدين حسن بن محب الدين من الإسكندرية.

وفى تاسع عشره: خلع على الأمير تنبك ميق، واستقر رأس نوبة النوب، عوضا عن الأمير جانبك الصوفى، وخلع على الأمير أقبای الخازندار واستقر دوادارا كبيرا، عوضا عن الأمير جانبك بعد موته.

(١) عبد الله بن مقداد (٧٤٥ - ٨٢٣ هـ - ١٣٤٤ - ١٤٢٠ م). عبد الله بن مقداد بن إسماعيل، جمال الدين الأقفهسى، ثم القاهرى، ويقال له الأقفاسى: فاض فقيه مالكي، انتهت إليه رئاسة المذهب والفتوى بمصر. ولى القضاء وحدث سيرته إلى آخر حياته، وهو من تلاميذ الشيخ خليل. شرح المختصر لشيخه وله المقالة فى شرح الرسالة. انظر نيل الابتهاج ١٥٥، شجرة النور ١ / ٢٤٠، الضوء اللامع ٥ / ٧١. الأعلام ٤ / ١٤٠.

(٢) أحمد بن محمد بن محمد، قاضى القضاة شهاب الدين الأموى المالكي، قاضى قضاة دمشق. كان أولا ولى قضاء القضاة بالشام إلى أن ولى بديار مصر فى الدولة المويديية شيخ، ثم عزل وولى بعد مدة قضاء دمشق إلى أن مات فى يوم الثلاثاء، حادى عشر صفر سنة ست وثلاثين وثمانمائة. انظر الترجمة فى: الدليل الشافى ١ / ٨٢، والنجوم الزاهرة ١٥ / ١٧٨، أنباء الغمر ٣ / ٥٠٣، الضوء اللامع ١ / ٣٦٩.

(٣) صوماى بن عبد الله الحسنى الظاهرى (٨٢٠ هـ - ١٤١٧ م)، الأمير سيف الدين أحد أمراء الديار المصرية، رأس النوبة فى الدولة الناصرية ثم المويديية. وكان تركيا سليم الباطن، عديم الشر. انظر المنهل الصافى ٦ / ٣٥٦، الدليل الشافى ١ / ٣٥٦، الضوء اللامع ٣ / ٣٢٣.

وفيه أفرج عن الأمير كمشبغا العيساوى من سجنه بدمياط^(١) وقدم القاهرة، ونقل الأمير سودن الأسندمرى، والأمير قصروره، وشاهين الزردكاش، وكمشبغا الفيسى أمير أخور إلى دمياط.

وفي خامس عشرينه: قدم الأمير بدر الدين حسن بن محب الدين للسلطان مائة فرس وثيابا وسلاحا، فكانت قيمة ذلك خمسة عشر ألف ديناراً.

وفي يوم الإثنين سادس عشرينه: خلع على الأمير بدر الدين حسن بن محب الدين، وأعيد إلى الأستادارية، وكان ابن أبى الفرج - لما سار من القاهرة إلى الشام كما تقدم - داخله خوف من السلطان، ففر فى أوائل شهر رجب - وهو بمدينة حماة - إلى جهة بغداد، وسد تقى الدين عبد الوهاب بن أبى شاکر - وهو يلى نظر الديوان المفرد - أمور الأستادارية فى هذه المدة.

وفي هذا الشهر: انحل سعر الغلال، حتى بيع كل ثلاثة أرادب من القمح بدبنار، وكل أربعة أرادب شعير بدبنار.

وفيه كثرت الدراهم الفضة بأيدي الناس، وكان قد بعد عهد أهل مصر بها. وفقدوها، وتركوا المعاملة بها من نحو ثلاثين سنة وأزيد. وكانت هذه الدراهم مما جلبه العسكر وأتباعهم من البلاد الشامية، وهى صنفان: أحدهما يقال له الدراهم النوروزية، وهى التى ضربها الأمير نوروز كما تقدم ذكره، ونقش عليها اسم أمير المؤمنين المستعين بالله العباس بن محمد، وزنة الدرهم منها نصف درهم فضة خالصة من النحاس، والصنف الآخر الدراهم البندقية، وهى التى تضرب ببلاد الفرنج، وعليها سكتهم، وهى فضة خالصة.

شهر شوال:

فى أوله: حمل إلى الإسكندرية الأمير سودن الأسندمرى وقصروره وكمشبغا الفيسى أمير أخور وشاهين الزردكاش، فسجنوا بها، وكتب بإحضار الأمير كمشبغا العيساوى من دمياط.

وفيه أمر السلطان بضرب الدراهم المؤيدية فضربت.

(١) دمياط: مدينة قديمة بين تنيس ومصر على زاوية بين بحر الروم الملح والنيل مخصوصة بالهواء الطيب وعمل ثياب الشرب الفائق، وهى نغر من نغور الإسلام. انظر معجم البلدان ٢ / ٤٧٢ وما بعدها.

السلوك لمعرفة دول الملوك ٣٦٧

وفيه ولي السلطان عدة ولاية فى نواحي أرض مصر، وضرب جماعة، وقتل عدة من مشايخ النواحي.

وفيه جلس السلطان شيخ بالإصطبل من القلعة للحكم بين الناس، كما جلس الملك الظاهر برقوق، ثم ابنه الملك الناصر فرج، وجعل ذلك فى كل يوم ثلاثاء وجمعة وسبت، ورد كثيرا من المحاكمات إلى القضاة.

وفيه خسف جميع جرم القمر فى ليلة الخميس رابع عشره، ومكث منخسفا نحو أربع ساعات.

وفيه كثرت الدراهم النوروزية والبندقية بأيدي الناس فى ديار مصر، وحسن موقعها من كل أحد.

وفيه تراخى سعر الغلة، بحيث أبيع فى بلاد البحيرة كل خمسة أراذب مصرية بمئثال ذهب، وهذا شىء لم نعهد مثله.

وفيه اشتدت وطأة الأمير بدر الدين حسن الأستادار على الرسل والبرددارية المرصدين بباب الأستادار لقضاء الأشغال، والتصرف فى الأمور وكانوا منذ أيام الأمير جمال الدين يوسف الأستادار قد كثر عددهم، وتزايدت أموالهم، حتى تبلغ نفقة الواحد من آحادهم الألف درهم فى اليوم، فمال عليهم، وصادر جماعة منهم.

وفيه اشتد السلطان فى أيام جلوسه للحكم بين الناس على المباشرين من الكتاب الأقباط، وضرب جماعة منهم بالمقارع، ووضع منهم، ولهج بدمهم، فذعروا ذعرا زائدا.

وفيه ألزم اليهود بمبلغ ألفى مئثال من الذهب، وألزم النصارى بثمانية عشر ألف مئثال، لتتمة عشرين ألف مئثال، وذلك فى نظير تفاوت ما كانوا يقومون به فيما مضى من الجزية، وتولى استخراج ذلك منهم زين الدين قاسم البشتكى المعروف بسيدى قاسم.

وفى يوم السبت آخره: خلع على الأمير تاج الدين التاج الشويكى والى القاهرة، واستقر فى حسبة القاهرة، مضافا لما بيده من الحجوية والولاية، وقبض على الأمير منكلى بغا العجمى، وسلم إليه ليحمل مالا قرر عليه، فأقام عنده أياما، ثم أفرج عنه.

شهر ذى القعدة، أوله الأحد:

فى يوم الإثنين ثانيه: ركب السلطان من قلعة الجبل، وعدى النيل إلى بر الجزيرة،

ونزل على ناحية أوسيم، وتبعه الأمراء والمماليك، وخرجت الزردخانة فأقام أياما، ثم توجه إلى ناحية البحيرة لقبض مشايخها، فأقام على تروجة، وولى الأمير كمشبغا العيساوى كشف الوجه البحرى، واستمر هناك إلى آخر السنة.

وفى هذا الشهر: وقع وباء بكورة البهنسى، واستمر بقية السنة.

وفى هذه المدة: كثر حمل شجر النارج، حتى أبيع كل مائة وعشر حبات نارنج بدرهم بندقى، زنته نصف درهم فضة، عنه من الفلوس رطلان، فيكون بائنى عشر درهما، ولم نعهد مثل هذا، وقال لى شيخنا - الأستاذ قاضى القضاة ولى الدين أبو زيد عبد الرحمن بن خلدون - «ما كثر النارج بمدينة إلا أسرع إليها الخراب».

ووقع فى الخامس من ذى الحجة بمكة، أن الأمير جقمق أمير الحاج المصرى، ضرب أحد عبيد مكة، وقيده لكونه يحمل السلاح فى الحرم، وكان قد منع من ذلك، ثارت فتنة انتهكت فيها حرمة المسجد الحرام، ودخلت الخيل إليه، عليها المقاتلة من قواد مكة العمرة لحرب الأمير جقمق، وأدخل هو أيضا خيله المسجد، فباتت به تروث، وأوقدت فيه مشاعله، وأمر بتسمير أبواب المسجد، فسمرت كلها إلا ثلاثة أبواب، ليمتنع من يأتيه. ثم أنه أطلق الذى ضربه، فسكنت الفتنة من الغد، بعدما قتل جماعة. ولم يحج أكثر أهل مكة من كثرة الخوف. ونهب بمأزى^(١) عرفة جماعة وجرحوا، وقدم الخير بأن الأمير يغمور بن بهادر الذكرى - من أمراء التركمان - مات هو وولده فى يوم واحد بطاعون فى أول ذى القعدة، وأن قرا يوسف انعقد بينه وبين شاه رخ بن تيمورلنك^(٢) صلح، وتصاهرا.

وفىها نزل ملك البرتقال من الفرنج على مدينة سبته فى ثلاثمائة مركب، وأقام بجزيرة فيما بينها وبين جبل الفتاح - يقال لها طرف القنديل - مدة، حتى مل المسلمون الذين

(١) تثنية المأزى، موضع بمكة بين المشعر الحرام وعرفة. انظر معجم البلدان.

(٢) شاه رخ بن تيمورلنك (٨٥١ هـ = ١٤٤٧ م) هو القان معين الدين، سلطان هراة، وسمرقند، وشيراز، وما والايم من بلاد العجم وغيرها، ملك البلاد بعد ابن أخيه خليل بن أميران شاه ابن تيمور، فإنه كان لما مات والده تيمور بأهنكران من شرقى سمرقند وثب خليل المذكور على الأمر وتسلطن، وبلغ شاه رخ هذا الخير فى هراة فجمع ومشى عليه، ووقع بينهما حروب وخطوب إلى أن ملك شاه رخ المذكور واستقل بممالك العجم وعرافه، وعظم أمره وهابته الملوك، وحمدت سيرته وشكرت أفعاله، وقدمت رسله إلى البلاد المصرية مرارا عديدة. انظر المنهل الصافى ١٩٩ / ٦ وما بعدها والدليل الشافى ٣٤٠ / ١ نظم العقيان ص ١١٨ الضوء اللامع ٢٩٢ / ٣، البدر الطالع ١ /

حشروا بسببة من الجبال، ونفدت أزوادهم، وعادوا إلى جبالهم، فطرقها عند ذلك الفرنج، وقاتلوا المسلمين، وهزموهم، وركبوا أقيمتهم، وعبروا باب الميناء فتحمل المسلمون بما قدروا عليه، ومروا على وجوههم، فتملك البرتقال سببة فى سابع شعبان منها. وكان لذلك أسباب، منها إن بنى مريين - ملوك فاس - لما ملكوها ساءت سيرتهم فى أخذ أموال أهلها، ثم أن موسى بن أبى عنان، لما ملك، أعطى سببة لأبى عبد الله محمد بن الأحمر، فنقل منها العدد الحربية بأجمعها إلى غرناطة؛ فلما استرد بنو مريين سببة ساءت سيرة عمالمهم بها، وكثر ظلمهم، فوقع الوباء العظيم بها، حتى باد أعيانها، وكان من فساد ملك بنى مريين وخراب فاس وأعمالها ما كان، فاغتنم الرند ذلك، ونزلوا على سببة، فلم يجدوا فيها من يدفعهم، والله عاقبة الأمور.

وفىها كانت وقعة بين الأمير محمد بن عثمان وبين الأمير محمد بن قرمان، انهزم فيها ابن قرمان، ونجا بنفسه.

وفىها أحرق قبر الشيخ عدى بجبل هطار من بلاد الأكراد، وهذا الشيخ عدى هو عدى بن مسافر الهكارى^(١) - بتشديد الكاف - صحب عدة من مشايخ الصوفية، وسكن جبل الطائفة الهكارية من مشايخ الصوفية، وسكن جبل الطائفة الهكارية من الأكراد، وهو من أعمال الموصل، وبنى له به زاوية، فمال إليه بتلك النواحي من بها، واعتقدوا صلاحه، وخرجوا فى اعتقاده عن الحد فى المبالغة، حتى مات عن تسعين سنة، فى سنة سبع - وقيل خمس - وخمسين وخمسمائة، فدفن بزايوته، وعكفت طائفته المعروفة بالعدوية على قبره، وهم عدد كثير، وجعلوه قبلتهم التى يصلون إليها، وذخيرتهم فى الآخرة التى يعولون عليها، وصار قبره أحد المزارات المعدودة، والمشاهد المقصودة، لكثرة أتباعه، وشهرته هو فى الأقطار، وصار أتباعه يقيمون بزايوته عند قبره شعاره، ويقتفون آثاره، والناس معهم على ما كانوا عليه زمن الشيخ من جميل الاعتقاد، وتعظيم الحرمة، فلما تطاولت المدة، تزايد غلو أتباعه فيه حتى زعموا أن الشيخ عدى بن مسافر هذا هو الذى يرزقهم، وصرحوا بأن كل رزق لا يأتى من الشيخ عدى لا نرضاه، وأن الشيخ عدى جلس مع الله تعالى - عن قولهم - وأكل معه

(١) عدى بن مسافر (٤٦٧ - ٥٥٧ هـ - ١٠٧٤ - ١١٦٢ م)، عدى بن مسافر إسماعيل الهكارى، شرف الدين أبو الفضائل، من ذرية مروان بن الحكم الأموى: من شيوخ المتصوفين. انظر وفيات الأعيان ١/ ٣١٦، غربال الزمان - خ - جامع كرامات الأولياء ٢/ ١٤٧ ابن الوردى ٢/ ٦٤، شذرات الذهب ٤/ ١٧٩، تاريخ العراق ٣/ ٣٦ - ٣٨ لغة العرب ٩/ ٤٣٣ - ٤٤١، تاريخ الزيدية ١٢٢، ١٦٨، ١٦٤. الأعلام ٤/ ٢٢١.

خبزوا وبصلا، وتركوا الصلوات المفروضة في اليوم والليلة، وقالوا الشيخ عدى صلى
عنا، واستباحوا الفروج المحرمة، وكان للشيخ عدى خادماً، يقال له حسن البواب،
فزعوا أن الشيخ لما حضرته الوفاة، أمر حسن هذا أن يلصق ظهره، فلما فعل ذلك قال
له الشيخ: «انتقل نسلي إلى صلبك»، فلما مات الشيخ عدى ولم يعقب ولداً، صارت
ذرية الشيخ حسن البواب تعتقد العدوية فيها أنها ذرية الشيخ عدى، وتبالغ في
إكرامهم، حتى أنهم ليقدمون بناتهم إلى من قدم عليهم من ذرية الشيخ حسن، فيخلو
بهن، ويقضى منهن الوطر، ويرى أبوها وأمها أن ذلك قرابة من القرب التي يتقرب بها
إلى الله تعالى، فلما شنع ذلك من فعلهم انتدب لهم رجل من فقهاء العجم يتمذهب
بمذهب الشافعي - رحمه الله - ويعرف بجلال الدين محمد بن عز الدين يوسف
الخلواني، ودعا لحربهم، فاستجاب له الأمير عز الدين البختي صاحب جزيرة ابن
عمر^(١) والأمير توكل الكردي - صاحب شرانس - وجمعوا عليهم كثيراً من الأكراد
السندية - وأمدهم صاحب حصن كيفا^(٢) بعسكر، وأتاهم الأمير شمس الدين محمد
الجرديلي، وساروا في جمع كبير جداً إلى جبل هكار، فقتلوا جماعات كثيرة من أتباع
الشيخ عدى - وصاروا في هذا الوقت يعرفون بين الأكراد بالصحبية، وأسروا منهم
خلائق حتى أتوا الشراق - وهي القرية التي فيها ضريح الشيخ عدى - فهدموا القبة
المبنية عليه، ونبشوا ضريحه وأخرجوا عظامه، فأحرقوها بحضرة من أسروه من
الصحبية، وقالوا لهم: «انظروا كيف أحرقنا عظام من ادعيتم فيه ما ادعيتم، ولم يقدر
أن يدفنا عنه». ثم عادوا بنهب كثير، فاجتمعت الصحبية بعد ذلك وأعادوا بناء القبة،
وأقاموا بها على عادتهم، وصاروا عدوا لكل من قيل له فقيه، يقتلونه حيث قد قدروا
عليه، ولو شاء ربك ما فعلوه.

* * *

ومات في هذه السنة من له ذكر

الأمير نوروز الحافظي.

ومات الأمير طوخ^(٣) نائب حلب.

(١) جزيرة ابن عمر: بلدة فوق الموصل. انظر معجم البلدان ٢ / ١٣٨.

(٢) حصن كيفا: ويقال كيبا، وهي بلدة وقلعة عظيمة مشرفة على دجلة بين آمد وجزيرة ابن

عمر من ديار بكر. انظر معجم البلدان ٢ / ٢٦٥.

(٣) (٨١٧ هـ = ١٤١٤ م). طوخ بن عبد الله الظاهري، الأمير سيف الدين المعروف بطوخ. =

ومات الأمير يشبك بن أزدمر.

ومات الأمير قمش.

ومات الأمير برصبغا. قتلوا جميعا بدمشق، فى شهر ربيع الآخر.

ومات الأمير شاهين الأفرم برملة^(١)، وهو عائد من دمشق، وكان ظالما فاسقا، من شرار خلق الله.

ومات الأمير يلبغا الناصرى، فى ليلة الجمعة ثانى عشر رمضان بمنزله، بعد عوده من الشام، وكان خير أمراء الوقت بعفته عن الأموال التى أحدثوا أخذها من الحمايات والمستأجرات ونحوها، وصيانتته عن القاذورات المحرمة من شرب الخمر وشبهه. ومع ذلك فاستجد مباشره شونة خارج القاهرة، لبيع الملح، وألزموا الباعة ألا يشتروا الملح إلا منها، وباعوه بأعلى الأثمان. وتتبعوا بائعيه، فمن ظفروا به، وقد اشترى الملح من غيرهم ضربوه وغرموه مالا، فلهذا بلغ الملح أضعاف ثمنه.

ومات الأمير جانبك الدوادر^(٢)، أحد المماليك المؤيدية بمدينة حمص، وهو متوجه

=هو أيضًا من ممالك الملك الظاهر برقوق، ووقع له بعد موت أستاذه الظاهر برقوق أمور وحوادث إلى أن قتل الملك الناصر فرج وصار الأمير نوروز الحافظى نائب دمشق وحاكم البلاد الشامية انضم طوخ المذكور إلى نوروز وولى نيابة حلب، فلما عصى نوروز على الملك المؤيد وافقه ودام معه إلى أن ظفر المؤيد بنوروز وقبض عليه وقبض على طوخ هذا أيضًا وقتله ذبحا فى العشر الأخير من شهر ربيع الآخر سنة سبع عشرة ومائمائة، بعد أن حوصر بقلعة دمشق مدة طويلة مع الأمير نوروز. وله أيضًا ترجمة فى: الدليل الشافى ج١ ص ٣٧٠ رقم ١٢٧٢، النجوم الزاهرة ج٤ ص ١٣٠، نزهة النفوس ج٢ ص ٣٤٥، إعلام النبلاء ج٥ ص ١٦٨، الضوء اللامع ج٤ ص ٩ رقم ٣٠.

(١) رملة لد: رملة بفلسطين بينها وبين بيت المقدس ثمانية عشر يوما، وهى كورة من فلسطين، وكانت دار ملك داود وسليمان، ولما ولى الوليد بن عبد الملك وولى أخاه سليمان جند فلسطين نزل لد ثم نزل الرملة ومصرها. انظر معجم البلدان ٦٩ / ٣.

(٢) (٨١٧ هـ = ١٤١٤ م) جان بك بن عبد الله المؤيدى الدوادر، الأمير سيف الدين. هو من ممالك الملك المؤيد شيخ فى حال إمرته، فلما تسلطن المؤيد جعله طبلخاناة ودوادرًا ثانيا دفعه واحدة، ثم نقله بعد مدة يسيرة إلى الدوادارية الكبرى بعد القبض على الأمير طوغان الحسنى الدوادر، وأنعم عليه بتقدمة ألف، وذلك فى ثامن عشر جمادى الأولى سنة ست عشرة ومائمائة. وصار جانبك المذكور عظيم الدولة المؤيدة، وصاحب أمرها ونهيبها، حتى أنه أمعن فى التجير والتكثير، وحدثه نفسه بأشياء بعيدة عنه، إلى أن توجه الملك المؤيد إلى البلاد الشامية لقتال الأمير نوروز الحافظى، ووصل الملك المؤيد إلى دمشق، ووقع القتال بين الفريقين، أصاب جانبك هذا سهم =

مع العسكر إلى حلب من جرح أصابه في محاربة نوروز على دمشق، لزم منه الفراش إلى أن مات.

ومات بمكة قاضيها ومفتيها، جمال الدين أبو حامد محمد بن القدوة، عفيف الدين عبد الله بن ظهيرة بن أحمد القرشي الشافعي، في ليلة سبع عشر شهر رمضان، عن نحو سبع وستين سنة، ولى قضاء مكة وخطابتها وحسبتها مرات، وتصدى بها للتدريس والإفتاء نحو أربعين سنة، وصنف، فبرع في الفقه والحديث، واشتغل بالقاهرة معنا قديما. ولم يخلف بالحجاز بعده مثله.

ومات بالمدينة النبوية قاضي القضاة الحنفية زين الدين عبد الرحمن بن نور الدين على ابن يوسف بن الحسن بن محمود الزرندي الحنفي^(١)، في ربيع الأول، ومولده سنة ست وأربعين وسبعمائة، وقد أناف على السبعين. وولى قضاء الحنفية بالمدينة نحو ثلاث وثلاثين سنة، مع حسبتها، وكان غزير المروءة.

وتوفى بزبيد^(٢) من بلاد اليمن قاضي القضاة بها، شيخنا مجد الدين محمد أبو الطاهر بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم بن عمر الفيروزبادي الشيرازي الشافعي^(٣)

=لزم منه الفراش، بعد أن كان ولاه أستاذه الملك المؤيد نيابة الشام، عوضا عن نوروز الحافظي بحكم عصيانه. واستمر مريضا إلى أن مات بمدينة حمص، وهو متوجه صحبة العساكر المصرية إلى حلب، بعد قتل نوروز. وكانت وفاته في شهر جمادى الأولى سنة سبع عشرة وثمانائة. وكان أميرا شجاعا، مقداما، كريما جوادا، جبارا متكبرا لم تطل أيامه في السعادة، ومات، رحمه الله. وجانبك: لفظ تركي معناه أمير روح، وصوابه في الكتابة كما هو مكتوب بغير ياء آخر الحروف، يعرف ذلك من عنده فضيلة وعلم باللغات.

(١) عبد الرحمن بن علي بن يوسف بن الحسن بن محمد (٧٤٦ - ٨١٧ هـ = ١٣٤٥ - ١٤١٤ م)، قاضي القضاة زين الدين نور الدين، أبو الفرج المدني الزرندي الحنفي. مولده في ذي القعدة سنة ست وأربعين وسبعمائة بالمدينة النبوية، وسمع على قاضي القضاة عز الدين عبد العزيز بن جماعة، والصلاح العلالى، وأجاز له الزبير الأسواني، وهو آخر من حدث عنه، وتفقه، وبرع في الفقه وغيره، ولى قضاء الحنفية بالمدينة النبوية - على ساكنها أفضل الصلاة والسلام - نحو من ثلاث وثلاثين سنة مع حسبتها، وحدث سيرته لعفته ولدينه، وكان عنده فضيلة ومشاركة في عدة علوم، ولم يزل بالمدينة إلى أن توفى بها في شهر ربيع الأول سنة سبع عشرة وثمانائة. انظر المنهل الصافي ٧/ ١٩٦ والدليل الشافعي ١/ ٤٠٢، النجوم الزاهرة ١٤/ ١٣٢، أنباء الغمر ٣/ ٤٤ الضوء اللامع ٤/ ١٠٥.

(٢) زبيد: اسم واد به مدينة يقال لها الحُصيب ثم غلب عليها اسم الوادي فلا تعرف إلا به وهي مدينة مشهورة باليمن. انظر معجم البلدان ٣/ ١٣١.

(٣) محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم بن عمر أبو طاهر مجد الدين الشيرازي الفيروزبادي =

اللغوى، فى ليلة العشرين من شوال، عن ثمانى وثمانين سنة وأشهر. وهو ممتع بجواسه. وله مصنفات كثيرة، منها كتاب القاموس فى اللغة^(١)، لا نظير له .

وقد اشتهر فى أقطار الأرض كتابه الذى صنفه للناصر وسماه « تسهيل الأصول إلى الأحاديث الزائدة على جامع الأصول^(٢)»، وله نظم حسن . ولى قضاء الأقضية ببلاد اليمن نحو عشرين سنة حتى مات بعدما طاف البلاد مشارقا ومغاربا، وأقام بالقاهرة زمانا.

ومات بالقاهرة الشريف سليمان بن هبة بن جهماز بن منصور الحسينى^(٣) أمير المدينة

=من أئمة اللغة العربية والأدب ولد بكارزين بكسر الراء من أعمال شيراز وانتقل إلى العراق وجمال فى مصر والشام ودخل بلاد الروم والهند ورحل إلى زيد وانتشر اسمه فى الآفاق حتى كان مرجع عصره فى اللغة والحديث والتفسير وتوفى فى زيد. أشهر كتبه القاموس المحيط. ط. أربعة أجزاء و«المغانم الطالبه فى معالم طابه» القسم الجغرافى منه حققه ونشره أحمد الجاسر وبقية الكتاب مخطوطة عنده وينسب للفيروزابادى تنوير المقياس فى تغير ابن عباس. ط. وله بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز - ط، و«نزهة الأذهان فى تاريخ أصبهان» والدرر الغوالى فى الأحاديث الحوالى والجليل الأنيس فى أسماء الخندريس - خ - سفر السعادة - ط فى الحديث والسيرة النبوية والرقاة الوفية فى طبقات الحنفية وكان شافعيًا و«البلغة فى تاريخ أئمة اللغة - خ -» والإشارات إلى ما فى كتب الفقه من الأسماء... واللغات - خ - ونخبة الرشاف من خطبة الكشاف - خ رسالة وكان قوى الحافظة يحفظ ١٠٠ سطر كل يوم قبل أن ينام وللشيخ رمضان بن موسى العطيفى رى الصادى فى ترجمة الفيروزابادى - خ - انظر البدر الطالع ٢: ٢٨٠ والضوء اللامع ١٠: ٧٩ وبقية الوعاة ١١٧ والعقود اللولوية ٢: ٢٦٤ و ٢٧٨: ٢٩٧ والعقيق اليماني - خ وفيه وفاته فى شوال ٨١٩ وأزهار الرياض ٣: ٣٨ - ٥٣ وفيه وفاته ١٨١٦ و ٨١٧ والتاج ١: ١٣ وأداب اللغة ٣: ١٤٥ ومفتاح السعادة ١: ١٠٣ والشقائق النعمانية ١: ٣٢ ومجلة الجنان ١٨٧٣ ٧٠١ وروضات الجنات الطبعة الثانية ٧١٦ وكشف الظنون ١٦٥٧ وعاشر ٤٣ والتيمورية ١: ١٦٣ الأعلام ٧/ ٤٦.

(١) يقصد القاموس المحيط، وهو مطبوع عدة طبقات أحدها فى أربعة أجزاء والأخرى فى جزء واحد. ينظر كشف الظنون ٢/ ١٣٠٦ - ١٣١٠.

(٢) يقصد جامع الأصول لأحاديث الرسول لأبى السعادات بن الأثير الجزارى المتوفى فى سنة ٦٠٦ هـ وقد عمل الفيروزابادى زوائد عليه سماه: تسهيل طريق الصول إلى الأحاديث الزائدة على جامع الأصول. انظر كشف الظنون ١/ ٥٣٥ . ٥٣٧.

(٣) سليمان بن هبة الله بن جهماز بن منصور (٨١٧ هـ = ١٤١٤ م)، الشريف الحسينى. أمير المدينة النبوية، على ساكنها أفضل الصلاة والسلام. ولى إمرة المدينة ثم عزل عنها، وقبض عليه الملك المويد شيخ، وسجنه إلى أن توفى بسجنه بالقاهرة سنة سبع عشرة وثمانمائة، وهو فى عشر الأربعين، عفا الله عنه. وله أيضًا ترجمة فى: الدليل الشافى ١/ ٣٢١، النجوم الزاهرة ١٤/ ١٣٢، التحفة اللطيفة ٢/ ١٨٥، الضوء اللامع ٣/ ٧٠.

النبوية، مسجوناً، وهو فى عشر الأربعين. ولى إمرة المدينة النبوية فى أخريات ذى الحجة سنة اثنتى عشرة ثم قبض عليه فى أخريات ذى الحجة سنة خمس عشرة، وعلى أخيه محمد، وحملوا إلى القاهرة، فاعتقل بها حتى مات، وولى بعده المدينة عزيز بن هياز بن هبة.

ومات بالبحرية الأديب الشاعر أبو عبد الله محمد بن محمد بن على البديوى، فى رابع عشر ربيع الآخر. وأكثر شعره فى المدائح النبوية.

* * *

سنة ثمان عشرة وثمانمائة

أهلت، وخليفة الوقت المعتضد بالله أبو الفتح داود، والسلطان بديار مصر والشام والحرمين الملك المؤيد أبو النصر شيخ المحمودى الظاهرى، وأتابك العساكر الأمير ألطنبغا العثمانى، وأمير آخور الأمير ألطنبغا القرمشى والدوادار الأمير أقبای المؤيدى، ورأس نوبة النوب تنباك ميوق، وأمير مجلس جانبك الصوفى، وأستادار الأمير بدر الدين حسن بن محب الدين عبد الله الطرابلسى، وقاضى القضاة الشافعية شيخ الإسلام جلال الدين عبد الرحمن بن البلقينى وقاضى القضاة الحنفية ناصر الدين محمد بن عمر ابن العديم، وقاضى القضاة المالكية جمال الدين عبد الله بن مقداد بن إسماعيل الأقفهسى. وقاضى القضاة الحنابلة مجد الدين سالم بن سالم بن عبد الملك المقدسى، وكاتب السر قاضى القضاة ناصر الدين محمد بن محمد بن عثمان بن البارزى الحموى الشافعى، والوزير تاج الدين عبد الرزاق بن الهيصم، وناظر الخاص الصاحب بدر الدين حسن بن نصر الله، وناظر الجيش علم الدين داود بن عبد الرحمن بن الكويز، ونائب الإسكندرية الأمير صوماى الحسنى، ونائب غزة الأمير طرباى، ونائب الشام الأمير قنباى المحمدى، ونائب طرابلس الأمير سoudن من عبد الرحمن، ونائب حماة تنباك البجاسى، ونائب حلب الأمير أينال الصصلاتى، وأمير مكة الشريف حسن بن عجلان الحسنى، وأمير المدينة النبوية الشريف عزيز بن هياز بن هبة الحسينى، ومتملك اليمن الملك الناصر أحمد بن الشرف إسماعيل بن رسول، ومتملك الروم محمد كرشجى بن خونديكار أبى يزيد بن مراد خان بن أورخان بن عثمان جق، وكان قد عدى من بر قسطنطينية يريد الأمير محمد باك بن قرمان، ففر إليه أعيان دولة بن قرمان، فملك أكثر بلاده وفر منه إلى بلاد الورسق، وامتنع بها، وأهلت هذه السنة وهم على هذا.

شهر الله المحرم الحرام، أوله الأربعاء:

فى يوم الخميس ثانيه: قدم السلطان من البحيرة، بعدما قرر على من قابله من أهلها أربعين ألف دينار، فكانت مدة غيبته ستين يوماً.

وفى عاشره: أفرج عن الأمير ببيغا المظفرى، والأمير تمان تمر اليوسفى من سجن الإسكندرية.

وقدم الخبير بأن شاه رخ بن تيمور لنك عمل عيد النحر بمدينة قزوین^(١) وتسلم مدينة السلطانية، وأرسل إلى قرا يوسف يطلب منه فرسين عينهما، ويطلب منه امرأة أخيه وابنة أخيه، وكانتا عنده في الأسر، ويلزمه بدماء إخوتهم، والقيام بأموالهم التي وصلت إليه، وأن يضرب السكة ويقيم الخطبة باسمه، فاستعد قرا يوسف لمحاربته، وبعث يستدعى ابنه شاه محمد من بغداد، وبقية عسكره، خوفا على تيريز أن يملكها منه شاه رخ.

وقدم كتاب الأمير فخر الدين عبد الغنى بن أبى الفرج من بغداد، يتضمن أنه مقيم بها فى المدرسة المستنصرية، وسأل العفو عنه، فأجيب بما طيب خاطره .

وقدم كتاب أقبغا النظامى - أحد خواص الناصر فرج - من جزيرة قبرص^(٢)، وقد توجه إليها لفك الأسرى، بأنه وجد بالجزيرة من أسارى المسلمين خمسمائة وخمسة وثلاثين أسيرا، فكاكهم بثلاثة عشر ألف دينار وثلاثمائة دينار، وأنه قد أوصل إلى متملك قبرص العشرة آلاف دينار المجهزة معه، فانفك بها أربعمائة أسير، كل أسير بخمسمائة درهم، عنها خمسة وعشرون دينارا، وقد افتك متملك قبرص من ماله مائة وخمسة وثلاثين أسيرا، بثلاثة آلاف وثلاثمائة وخمسة وسبعين دينارا، وقد حمل منهم إلى جهة مصر فى البحر مائتى أسير، وفرق فى جهات السواحل الشامية باقيهم.

وقدم الخبير بأن الأمير أيتال الصصلاتى نائب حلب سار منها فى نصف ذى القعدة من السنة الخالية، ومعه العساكر إلى العمق لمحاربة كردى بن كندر، ففر منه، وأنه أخذ له عدة كثيرة من الأغنام، فصار كردى إلى على بن دلغادر وسأله فى الصلح، فدخل بينهما ابن دلغادر، حتى اصطلحا، وعاد إلى حلب.

وفى هذا الشهر: قتل بسجن الإسكندرية الأمير طوغان الحسنى الدوادار، والأمير دمرداش الحمدي، والأمير سودن تلى الحمدي، والأمير أسنبغا الزردكاش، فى يوم السبت ثامن عشره، وأقيم عزاءهم بالقاهرة فى خامس عشرينه.

وفى هذا الشهر: ابتدأ الطاعون فى الناس بالقاهرة، فمات منه جماعة.

شهر صفر، أوله الخميس:

فيه أمر قاضى القضاة مجد الدين سالم بن سالم بن أحمد بن عبد الملك المقدسى

(١) قزوین: مدينة مشهورة بينها وبين الرى سبعة وعشرون فرسخا. انظر معجم البلدان

العسقلاني الحنبلي أن يلزم داره، ومنع من الحكم بين الناس.

وفي ثامن: ركب السلطان من القلعة، وسار إلى نحو منية مطر، التي تعرف اليوم بالمطرية^(١) وعاد فدخل القاهرة من باب النصر، ونزل بمدرسة جمال الدين الأستاذار من رحبة باب العيد، ثم عبر إلى بيت الأمير بدر الدين حسن بن محب الدين الأستاذار، فأكل عنده ومضى إلى القلعة.

وفي ثاني عشره: خلع على قاضي القضاة علاء الدين علي بن محمود بن أبى بكر، ابن مغلى الحنبلي الحموى واستقر في قضاء القضاة الخنابلة بديار مصر، عوضا عن مجد الدين سالم، وكان قد قدم من حماة إلى القاهرة من نحو شهرين، وخلع أيضا على تقى الدين أبى بكر بن عثمان بن محمد الحسينى الحموى الحنفى، واستقر في قضاء العسكر.

وفي هذا الشهر: وقع الشروع في حفر الرمال التي حدثت ما بين الجامع الجديد الناصرى خارج مدينة مصر وبين جامع الخطيرى في بولاق، وسبب ذلك أن النيل - في وقتنا هذا - سار مجراه فيما يلي بر مصر والقاهرة على غير ما كان عليه فى الدهر الأول، وهيته الآن أنه إذا صار فى الجهة القبلىة من مصر - قريبا من طرا - ^(٢) فإنه يمر من الجهة الغربية من أجل أنه حدث فيما بين طرا وطرف الروضة تجاه المقياس جزيرة رمل فى غاية الكبر، ينحسر عنها الماء فى أيام نقصه، فيصير ما تجاه بركة الحبش ^(٣) إلى رباط الآثار النبوية وجسر الأفرم^(٤) إلى المدرسة المعزية التي تجاه المقياس رملا لا يعلوه الماء، إلا فى أيام الزيادة، وصار عظم النيل من وراء جزيرة الصابونى^(٥) فيمر بينها وبين الجزيرة إلى أن يصل قريبا من المقياس، فيصير فرقتين: واحدة تمر فيها بين الروضة والجزيرة وهى معظم النيل، وأخرى تمر فيها بين الروضة ومصر إلى أن تصل قريبا من موردة الحلفاء، تقف فى أيام نقص الماء هناك.

(١) المطرية: من قرى مصر عندها الموضع الذى به شجر البلسان الذى يستخرج منه الدهن. انظر معجم البلدان ١٤٩ / ٥.

(٢) طرا: قرية فى شرقى النيل قرية من الفسطاط من ناحية الصعيد. انظر معجم البلدان ٢٤ / ٤.

(٣) بركة الحبش: هى أرض فى وهدة من الأرض واسعة، طولها نحو ميل، مشرفة على نيل مصر خلف القرافة، وقف على الأشرف. انظر معجم البلدان ١ / ٤٠١، ٤٠٢.

(٤) يقع بظاهر مدينة فيما بين المدرسة المعزية برحبة الحفاء وبين رباط الآثار النبوية. انظر المواعظ والاعتبار ١٦٥ / ٢.

(٥) تقع تجاه رباط الآثار النبوية، وقفها أبو الملوك نجم الدين أيوب بن شادى وقطعه من بركة الحبش، فجعل نصفها على الشيخ الصابونى وأولاده، وأما النصف الآخر فهو للصوفية. انظر المواعظ والاعتبار ١٨٥ / ٢.

ويصير ما بين موردة الحلفاء وجامع الخطيرى ببولاق رمالا لا يعلوها الماء إلا فى أيام زيادته فقط، ولذلك خربت منشأة المهراى (١) ومنشأة الكتبة (٢) وخط موردة البلاط، وخط زريبة قوصون، وخط فم الخور، وحكر ابن الأثير (٣) لانقطاع ماء النيل عن هذه المواضع، وجميعها فى البر الشرقى، وتجاهها من غربها جسر الخليلى (٤) والجزيرة الوسطى، وبحرى النيل من غربى الجزيرة الوسطى إلى أن يصل قريبا من جامع الخطيرى، فيصير بين الماء وبين الجامع جزيرة ظهرت من حدود سنة ثمانين وسبعمائة من بحرى الجزيرة، واتسعت شيئا فشيئا فى الطول والعرض حتى لم يبق بناحية بولاق إلى أوائل جزيرة الفيل شىء من ماء النيل ألبتة، وإنما هى أرض، فإذا كان أوان الزيادة علاها الماء، ثم ينحسر عنها إذا هبط فحرب - كما ذكرنا - بسبب انطراد الماء عن البر الشرقى مما بين منشأة المهراى وجزيرة الفيل، أكثر ما كان هناك من المبانى، فقصد السلطان حفر ما بين موردة الحلفاء وبولاق، ليعود الماء هناك صيفا وشتاء على الأبد، وأمر فى يوم السبت عاشر صفر هذا أن يشرع فى حفره، وندب له الأمير كزل العجمى الأجرود - أمير جانداز - فنزل وعلق مائة وخمسين رأسا من البقر لتجرف الرمال، وعملت أياما، ثم ندب الأمير سون القاضى حاجب الحجاب لهذا العمل، فاستمر العمل بقية.

صفر وشهر ربيع الأول:

وفى هذا الشهر: أيضا تعامل الناس فى القاهرة بالدرهم المؤيدية، وسبب ذلك أن نقود مصر الآن - كما تقدم - هى الذهب والفلوس، والذهب صار ثلاثة أصناف، وهى: الذهب المهرجة: وقد قل فى أيدي الناس، وبلغ كل مثقال منه إلى مائتى درهم وخمسين درهما من الفلوس. وهذا الصنف هو الذهب الإسلامى الخالص من الغش، وهو مستدير الشكل على أحد وجهيه شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، وعلى الوجه الآخر اسم السلطان وتاريخ ضربه، واسم المدينة التى ضرب بها، وهى إما القاهرة أو دمشق أو الإسكندرية، وكل سبعة مثاقيل زنتها عشرة دراهم.

(١) تقع منشأة المهراى بأول بر الخليج الغربى. انظر المواعظ والاعتبار ١١٧ / ٢ وينظر الانتصار ١١٦ / ٤ والخطط التوفيقية ٦١ / ٣.

(٢) منشأة الكتبة تقع بين بولاق ومنشأة المهراى. انظر المواعظ والاعتبار ١٣١ / ٢ - ١٣٢.

(٣) حكر ابن الأثير: قال المقرئى: أما الجانب الغربى من خليج فم الخور، المعروف اليوم بحكر ابن الأثير، فإنه محدث، عمر بعد سنة سبعمائة. انظر المواعظ والاعتبار ١١٧ / ٢.

(٤) جسر الخليلى: يقع بين الروضة من طرفها البحرى، وبين جزيرة أروى المعروفة بالجزيرة الوسطى. انظر المواعظ والاعتبار ١٦٩ / ٢.

والصنف الثانى: ذهب يقال له الأفرنتى والأفلورى والبندقى، والدوكات وهو يجلب من بلاد الإفرنج، وعلى أحد وجهيه صورة إنسان فى دائرة مكتوبة بقلمهم وفى الوجه الآخر صورتان فى دائرة مكتوبة ولم يكن يعرف هذا الصنف قديما مما يتعامل به الناس، وإنما حدث فى القاهرة من حدود سنة تسعين وسبعمائة، وكثر حتى صار نقدا رائجا، وبلغ إلى مائتى درهم وثلاثين درهما من الفلوس، كل دينار منه. ووزن كل مائة دينار من هذا الذهب أحد وثمانون مثقالا وربع مثقال. غير أن الناس قصّوه حتى خف وزنه، واستقر ثمانية وسبعين وثلاثا، وضرب كثير من الناس على شكله، وتسامح الناس فى أخذه، فراج بينهم كرواج الإفرنجى، ويقع فيه اختلاف كبير؛ فيقال هذا تركى وهذا خارج الدار، وهذا ناقص الوزن، وهذا ليس بجيد العيار، ويجعل بإزاء كل عيب حصة من المال تنقص من صرفه.

والنوع الثالث: الذهب الناصرى، وهو الذى ضربه الملك الناصر فرج، كما تقدم ذكره، وزنة كل دينار منه تسعة عشر قيراطا من أربعة وعشرين قيراطا، وذهبه دون الحايض، وبلغ كل دينار منه إلى مائتى درهم وعشرة دراهم. وفيه الخارج الدار أيضا.

وأما الفلوس فإنها كانت معدودة غير موزونة. ويعد فى الدرهم الكاملى منها أربعة وعشرون فلسا زنة كل فلس مثقال، ثم تناقص وزنها وكثر ضربها، حتى صارت فى آخر الأيام الظاهرية بقوق هى النقد الرائج، كما تقدم ذكره.

ثم نقص أهل الدولة وزنها، وكثر تعينت الناس فيها، فرسم الأمير يلبغا السالمى الأستاذار فى سنة سبع وثمانمائة أن يتعامل الناس بها وزنا، وجعل كل رطل منها بستة دراهم، كما تقدم ذكره فاستمر الحال على ذلك، وتزايد سعر الذهب لكثرة الفلوس، وشناعة حملها فى الأسفار، وقلة الدراهم الكاملة، حتى بلغ ما بلغ، وصارت الفلوس هى التى ينسب إليها ثمن جميع المبيعات، جليلها وحقيرها، وقيم الأعمال بأسرها، ويعطى الذهب والفضة عوضا عنها.

فلما قدم السلطان من دمشق، وكثرت الدراهم النوروزية والبندقية بأيدي الناس فى القاهرة - كما تقدم ذكره - تقدم السلطان بضرب دراهم مؤيدية.

فأهل صفر هذا: والإشاعة قوية بأن السلطان سبك دنانير كثيرة من الناصرية، وعمل دنانير مؤيدية، فتوقف الناس فى أخذ الدينار الناصرى، إلى يوم الجمعة ثالث عشرينه، استدعى السلطان قضاة القضاة، وكبار الصيارفة، إلى بين يديه بالإسطبل من القلعة، وتحدث فى إبطال الدنانير الناصرية، فذكر له قاضى القضاة جلال الدين بن

البليقيني أن في هذا إتلاف كثير من الأموال، فلم يعجب السلطان ذلك، ورد النظر في النقود إليه.

فلما كان الغد يوم السبت رابع عشرينه: حضر الصيارفة، وكثير من التجار إلى مجلس قاضى القضاة من المدرسة الصالحية بين القصرين، فأل الأمر إلى أن تقرر سعر المثقال الذهب المختوم الهرجة المؤيدى ونحوه من الذهب المصرى الهرجة بمائتين وخمسين درهما فلوسا، وسعر الدينار الأفرنتى الجيد بمائتين وثلاثين درهما فلوسا، وسعر الدينار الناصرى الجيد من نسبة المثقال، وأن يتعامل بالناصرية وزنا، وما كان منها ناقص الوزن أو ردىء الذهب يقطع، ويؤخذ فيه بحسب قيمته، وأن يكون الدرهم المؤيدى - وزنته نصف وربع وثمان درهم فضة خالصة - بثمانية عشر درهما من الفلوس، وعملت أنصاف وأرباع، واستكثروا من ضرب الأنصاف، فتكون بتسعة دراهم النصف، وتقرر أن يكون الفضة - المصوغة والحجر - لا تباع كلها إلا للسلطان، ليضربها دراهم مؤيدية، وسعر كل درهم منها بخمسة عشر درهما فلوسا، وتقررت الدراهم البنديقية والنوروزية بالوزن لا بالعدد، فما كان منها جيدا حسب فيه خمسة عشر درهما كل درهم وما كان منها رديا قطع وبيع بسعره.

ثم لما كان يوم الإثنين سادس عشرينه: حملت الدراهم المؤيدية والذهب المؤيدى، من دار الضرب بالقاهرة إلى القلعة، وزفت بالمغانى، ثم نودى أن تكون المعاملة على ما تقرر، كما تقدم ذكره، فشملت الخسارة خلقا كثيرا، واعتبر الباعة الدنانير الناصرية، وقصوا منها كثيرا من الجيد فيها، وحملوه إلى دار الضرب فسبك، ودفع لصاحبه فيه مائة وثمانين درهما، وقصوا أيضا كثيرا من الناصرية الناقصة والرديئة، وحملوها إلى دار الضرب، وحسبوا فيها من نسبة مائة وثمانين فى الجيد، وأخذت الدراهم النوروزية والبنديقية أيضا وحملت إلى دار الضرب، وأعطى فى وزن كل درهم منها خمسة عشر درهما، وحجر على صنف الفضة، وابتيع كله للسلطان.

فلما كان بعدد ثلاثة أيام - فى سلخ الشهر - نودى ألا يقص من الناصرية ما كان جيدا وازنا، وأن يستمر بمائة وثمانين كل دينار منه، فكف الناس عن قصه، وتعاملوا به ما رسم لهم.

وفى هذا الشهر: قبض بحلب على الأمير شاهين الأيدكارى، وسجن بالقلعة.

وفيه مات الأمير سنقر الرومى بسجن الإسكندرية، فى سابع عشره.

وفيه استقر الأمير طوغان أمير أخور فى نيابة صفد، واستقر حسن بن بشارة فى

تقدمة العشير على ثلاثين ألف دينار، يقوم بها للسلطان وجهز إلى كل منهما تشريفة من قلعة الجبل، على يد يشبك الخصاصكى، فلبسه وقبل الأرض على العادة، ووكل يشبك بابن بشارة حتى حمل ثلاثة عشر ألف دينار، وأحيل عليه الأمير أرغون شاه الأستادار بالشام^(١)، بعشرة آلاف دينار، فغضب محمد بن بشارة، وجمع على حسن

(١) أرغون بن عبد الله النوروزى، الوزير الأستادار الأعور. أصله من مماليك الأمير نوروز الحافظى، اشتراه وأعتقه، وجعله أستاذاه، ودام بخدمة أستاذه إلى أن ولى نيابة جمشق، بعد وفاة والدى وقتل الملك الناصر فرج، فى سنة خمس عشرة ومائمائة من قبل السلطان المستعين بالله أمير المؤمنين ابن العباس، فباشر أرغون شاه هذا أستاذارية أستاذه الأمير نوروز واستطال به وطال، لاسيما لما تسلطن الملك المؤيد شيخ الحمودى بعد خلع المستعين بالله وخرج أستاذه الأمير نوروز عن طاعة المؤيد فعند ذلك أظهر أرغون شاه من الظلم والعسف بدمشق وأعمالها، واستولى على الأوقاف والأملاك، وأخذ ما لا يستحقه، واستمر على ذلك إلى أن أخذ أستاذه الأمير نوروز وقتل، على ما سنذكره فى ترجمته، قبض عليه الملك المؤيد وصادره وعاد به إلى القاهرة، ثم أطلقه وولاه بعد مدة الوزارة عوضا عن فخر الدين عبد الغنى بن أبى الفرج، وخلع على فخر الدين بالأستاذارية على عادته، وأن يكون مشيرا وذلك فى يوم الإثنين سادس شوال سنة عشرين ومائمائة، فباشر الوزارة إلى شهر ربيع الآخر سنة إحدى وعشرين، وفرض عليه وعلى الأمير أقبغا شيطان، وسلما إلى فخر الدين بن أبى الفرج فتتبع حواشيها وصادرها واستقر الأمير بدر الدين حسن بن محب الدين الوزارة عوضه. واستمر أرغون شاه فى المصادرة إلى عاشر الشهر المذكور وأفرج عنه من غير عقوبة، ثم نفى إلى دمشق بعد مدة فدام بدمشق إلى أن استقدمه الملك الظاهر ططر صحبتته إلى الديار المصرية، فدام بها إلى أن ولى الأستادارية من قبل الأمير برسباى الدقماقى مدير مملكة الملك الصالح محمد بن الملك الظاهر ططر، عوضا عن الأمير صلاح الدين محمد بن نصر الله، فى يوم السبت حادى عشر ذى الحجة سنة أربع وعشرين ومائمائة، فباشر الأستادارية إلى أن صرفه عنها الملك الأشرف برسباى بالأمير أيتمش الخضرى فى حادى عشرين شهر رمضان سنة خمس وعشرين ومائمائة، فلم تطل أيام أيتمش وعزل، وأعيد أرغون شاه ثانيا إلى الأستادارية فى خامس ذى القعدة من السنة المذكورة، فاستمر أرغون شاه إلى رابع ذى الحجة، من المنة المذكورة خلع عليه باستقراره وزيرا مضافا إلى الأستادارية وذلك بعد أن فر الوزير تاج الدين عبد الرزاق ابن كاتب المناجات، فباشر الوظيفتين إلى ثامن عشرين شوال سنة ست وعشرين ومائمائة، ثم عزل عن الأستادارية بالأمير ناصر الدين محمد بن محمد بن موسى الرمدواى المعروف بابن بوالى، وقبض على أرغون شاه، واستقر عوضه فى الوزارة الصاحب كريم الدين عبد الكريم بن الصاحب تاج الدين عبد الرزاق المنسحب قبل تاريخه لعجزه عن الوزارة. فاستمر أرغون شاه مقبوضا عليه إلى تاسع عشرين شوال تسلمه ابن بوالى ليستخلص منه ستين ألف دينار، فنزل أرغون شاه مع أعوان والى القاهرة حتى دخل إلى داره التى كان يسكنها فى أيام عمله، وقد سكن بها ابن بوالى، فعندما دخل الدار بكى وكان فى بلاهه هذا أعظم عيرة، وذلك أن ابن بوالى هذا كان فى ابتداء أمره من جملة الأجناد بخدمة الأمير أرغون شاه المذكور لما كان أستاذار بخدمة الأستاذه الأمير نوروز بدمشق، ثم أنه كان فى أمسه يأتى إلى باب داره التى سكنها =

واقبتلا، فانكسر محمد وفر إلى البقاع، ونزل بالزبداني، خارج دمشق، ومر على وجهه يريد العراق.

وفيه قدم كتاب نائب حلب بأن الشهابي أحمد بن رمضان أخذ مدينة طرسوس^(١) عنوة في ثالث عشر المحرم، بعد أن حاصرها سبعة أشهر، وأنه سلمها إلى ابنه إبراهيم، بعدما نهبها وسبى أهلها، وقد كانت طرسوس من نحو اثنتي عشرة سنة يخضب بها تارة لتمرنك وتارة لمحمد باك بن قرمان، فيقال السلطان الأعظم سلطان السلاطين، فأعاد ابن رمضان الخطبة فيها باسم السلطان الملك المؤيد.

وقدم الخبر بأن حسين بن نعيم نزل على الرقة^(٢) بعدما رعى زروع بلاد الرحبة. وأنه قد تحالف مع فسليس مقدم الكلبيين، وتزوج ابنته.

وفيه بعث حسين بن نعيم إلى الأمير عثمان بن طر على قرا يلك يسأله أن يشفع إلى السلطان فيه، فكتب قرا يلوك يسأل تأمينه، وبعث حسين مع ذلك قوده وكتابه يسأل العفو عنه، فأجيب بما يطيب خاطره.

وقدم الخبر بأن محمد باك كرشجي بن عثمان حارب الأمير محمد بن قرمان صاحب قونية^(٣) وكسره، وأخذ له بلادا كثيرة، بحيث لم يبق بيده سوى قونية.

=الآن ويقعد على الباب حتى يستأذن = له، فيأذن له أرغون شاه فيدخل ابن بوالى ويقف على قدميه بخدمة الأمير أرغون شاه، وها هو اليوم يحكم فيه ويتولى عقوبته، بل وعاقبه بحضرة الملاء من العامة، فنعود بالله من زوال النعم. ثم أن الحال انتهى على أن يقوم أرغون شاه بمبلغ عشرة آلاف دينار، ويمهل بمبلغ عشرين ألف دينار مدة، وأفرج عنه واستمر بالقاهرة بطالا إلى يوم الخميس رابع شهر رمضان سنة سبع وعشرين وثمانمائة، أخرج هو وابن بوالى إلى دمشق، وكان ابن بوالى قد عزل عن الأستادارية بالأمر صلاح الدين محمد بن نصر الله، فدام أرغون شاه مخمولا بدمشق دهرا، ثم استقر في أستادارية السلطان بها إلى أن مات في حادى عشرين شهر رجب سنة أربعين وثمانمائة. وكان شيخا أعورا، طوالا سمينا بطينا، شكلا مهولا، ظالما عسوقا، قليل الخير، كثير الشر، يخترع الظلم، سيئة من سيئات الدهر، فله الحمد والمنة على موته وموت أمثاله من الظلمة. انظر الترجمة فى: الدليل الشافى ١ / ١٠٨، والنجوم الزاهرة ١٥ / ٢٠٧، والضوء اللامع ٢ / ٢٦٧.

(١) طرسوس: هى مدينة بشفور الشام بين أنطاكية وحلب وبلاد الروم. انظر معجم البلدان ٤ /

٢٨.

(٢) الرقة: مدينة مشهورة على الفرات، بينها وبين حران ثلاثة أيام، معدودة فى بلاد الجزيرة؛

لأنها من جانب الفرات الشرقى. انظر معجم البلدان ٣ : ٥٩ .

(٣) قونية: من أعظم مدن الإسلام بالروم وبها قصور أكثر سكنى ملوكها. انظر معجم البلدان

وفيه كثر الموتان فى الناس بالقاهرة ومصر، وزادت عدة من يرد اسمه الديوان على ثمانين فى كل يوم.

وفيه حدث رعد وبرق، قل ما عهد مثله بمصر، وعقبه مطر كثير جدا سالت منه الأودية، وتغير ماء النيل لكثرة ما انحدر إليه من السيل، وكان ذلك فى تاسع بشنس.

وفى سابع عشرينه: أنكر السلطان على القضاة الأربع كثرة نوابهم فى الحكم بالقاهرة ومصر، وكانوا قد تجاوزوا مائتى قاض، فعزلوا نوابهم، ثم أذن قاضى القضاة ناصر الدين محمد ابن العديم فى الحكم لسته من نوابه.

شهر ربيع الأول، أوله الجمعة:

فيه أذن قاضى القضاة جلال الدين أبو الفضل عبد الرحمن بن البلقيني لأربعة عشر من نوابه فى الحكم، وشرط عليهم شروطا منها أن من أخذ مالا رشوة فهو معزول.

وفى ثلثه: نودى بأن الدراهم البندقية يصرف ما كان وزنه نصف وثمان، باثنى عشر درهما، وما كان أقل من ذلك فإنه من حساب خمسة عشر كل وزن درهم.

وفى رابعه: رسم بنقلة السكان من قيسارية سنقر الأشقر^(١) المقابلة لقيسارية الفاضل^(٢) فإن السلطان عزم على هدمها لتبنى جامعا.

وفى خامسه: نزل الأمير التاج والى القاهرة، وجماعة من أرباب الدولة، وابتدأ بالهدم فى القيسارية المذكورة وما بجوارها، فكثرت بكاء النساء والأطفال من السكان، ونقلوا أمتعتهم.

(١) قيسارية سنقر تقع على يسرة من يدخل من باب زويلة، فيما بين خزانة شمائل ودرج الصغيرة. وسنقر الأشقر هو سنقر بن عبد الله الصالحى النجم، الأمير شمس الدين. كان من عتقاء الملك الصالح نجم الدين بن أيوب، ومن أعيان مماليكه ثم صار بعد موته من جملة الأمراء، ثم توجه إلى دمشق فأمسكه الملك الناصر يوسف صاحب حلب وحيسه، فاستمر محبوسا إلى أن ورد هولاكو إلى حلب وحده محبوسا فأطلقه، وأخذته صحبته إلى بلاده وأنعم عليه وأكرمه واستمر عنده مدة وتأهل هناك، ورزق الأولاد فلما عاد الأشرف من فتح قلعة الروم إلى دمشق فى سنة إحدى وتسعين وستمائة، أمسك سنقر الأشقر وجهزه إلى الديار المصرية، وتوجه الأشرف بعده إلى القاهرة، وقتله فى سنة اثنتين وتسعين وستمائة. انظر المنهل الصافى ٨٧/٦ وما بعدها والدليل الشافى ١/ ٣٢٧، درة الأسلاك ١/ ٣٢٧، كنز الدرر ٨/ ٣٤٠، الوافى ١٥/ ٤٩٠ تاريخ الفرات ٨/ ١٥١، تالى وفيات الأعيان ص ٨٥، تذكرة النبيه ١/ ١٥٤.

(٢) قيسارية الفاضل تقع على يمىة من يدخل من باب زويلة. انظر المواعظ والاعتبار ٢/ ٨٩.

وفي ثانی عشره: عمل مهم عرس الأمير ناصر الدين محمد بن الأمير أظنبغا القرمشى، على ابنة الملك الناصر فرج بن برقوق، واعتنى به عناية كبيرة، إلى أن بنى عليها ليلة الجمعة رابع عشره، فتظاهر فيه المماليك والعامه بما كان يجب فيه الاحتشام، وكان شيئا نكرا.

وفي سادس عشره: نودى فى القاهرة بمنع المعاملة بالدنانير الناصرية، وأن تقص كلها، ويدفع فيها من حساب مائة وثمانين، فقصها الصيارفة.

وفي حادى عشرينه: قدم إلى القاهرة الشيخ شمس الدين محمد بن عطاء الله بن محمد بن محمود الرازى الهروى، مدرس الصلاحية^(١) بالقدس، بعدما خرج الأمير أظنبغا العثمانى، فتلقاه وصعد إلى السلطان بقلعة الجبل، فأقبل عليه السلطان وأكرمه، وأجلسه عن يمينه، وحضر مجتمعا كان عند السلطان، هو وقاضى القضاة جلال الدين البلقينى. ثم انصرف إلى دار قد أعدت له، ورتب له فى كل يوم مبلغ مائتى درهم فلوسا، ومن اللحم قدر ثلاثين رطلا، وأنعم عليه بفرس قد أسرج برج ذهب، وبكثير من الثياب الفاخرة، وأهدى إليه كثير من أهل الدولة الهدايا الجليلة.

وفي هذا الشهر: ارتفع الوباء من القاهرة.

وفيه قبض بحلب على الأمير آق بلاط نائب عينتاب، وسجن، وقبض على الأمير شاهين الزردكاش، وسجن بقلعة حلب فى ثامنه.

وفيه استقر محبى الدين أحمد بن حسين بن إبراهيم المدنى الدمشق فى كتابة السر بدمشق.

شهر ربيع الآخر، أوله الأحد:

فى يوم الإثنين ثانيه: ركب السلطان من قلعة الجبل بأمرائه ومماليكه ووجوه دولته، وسار إلى حيث العمل فى حفر البحر تجاه منشأة المهرانى، ونزل فى خيم قد نصبت له هناك، ونودى بخروج الناس للعمل فى الحفير، وكتبت حوانيت الأسواق كلها، فخرج الناس طوائف، ومع كل طائفة الطبول والزمور، وهم فى لهو ولعب، وغلقت الأسواق. وأقبلوا إلى العمل ونقلوا التراب والرمل من غير أن يكلف أحد منهم فوق طاقته. وعمل جميع العسكر أيضا من الأمراء والمماليك، وجميع أرباب الدولة وأتباعهم،

(١) تقع بالقرب من السور من جهة الشمال بباب الأسباط. انظر المدارس فى تاريخ المدارس

ثم ركب السلطان بعد العصر وقد مدت أسمطة جليلة، فكان يوما بالهزل واللهو أشبه منه بالجد ووقف السلطان حتى فرض على كل من الأمراء حفر قطعة عينها له، وعاد إلى القلعة، واستمر العمل والنداء في كل يوم بالقاهرة، أن يخرج أهل الأسواق وغيرهم للعمل في الحفير.

وفي تاسعه: ركب الأمير الطنبغا القرمشي أمير أخور ومعه جميع مماليكه وأتباعه وعمامة غلمان الإصطبل السلطاني، والركابة من عرب آل يسار، والأوجاقية، والبيطرة، وصوفية المدرسة الظاهرية برقوق بخط بين القصرين وأرباب وظائفها، من أجل أنهم تحت نظره، فمضوا بأجمعهم إلى باب السلسلة، وتوجهوا معه للعمل، وخرج معهم الفيل والزرافة، بعدة طبول وزمور، فحفروا فيه ونقلوا، وقد اجتمع هناك معظم الناس من الرجال والنساء للفرجة، فكثرت سخريتهم، وتضاحك بعضهم على بعض، فأعفى القرمشي فقهاء الظاهرية من العمل، وردهم، وتولى القيام بحفر ما وظف عليه، ومعه عالم كبير، طول نهاره .

وفي عاشره: جمع الأمير الكبير الطنبغا العثماني أتاكب العساكر جميع من يلوذ به، وألزم كل من هو ساكن في شيء من البيوت والحوانيت الجارية في وقف المارستان المنصوري أن يخرج معه من أجل أنه يلي نظر المارستان، وأخرج أيضا جميع أرباب وظائفه من الأطباء والجراحية، والكحالين والفراشين والقراء والمباشرين والمؤذنين، وأخرج سكان جزيرة الفيل لأنها من وقف المارستان. وتتابع الأمراء في العمل، وخرج علم الدين داود بن الكويز ناظر الجيش، والصاحب بدر الدين حسن بن نصر الله ناظر الخاص، والأمير بدر الدين حسن بن محب الدين الأستاذار، في حادى عشره، ومع كل منهم طائفة من أهل القاهرة، وجمع غلمانه وأتباعه ومن يلوذ به وينسب إليه، وأخرج إلى القاهرة جميع اليهود والنصارى، وكثر النداء في كل يوم بالقاهرة على أصناف الناس بخروجهم للعمل، وخرج كل أمير، وأخذ معه جيرانه ومن يقرب سكنه من داره، فلم يبق عنبرى ولا فراء ولا تاجر ولا بزاز ولا قزاز ولا طباخ ولا جبان ولا سقاء ولا مناد، إلا وخرج للعمل، وأخرج كاتب السر القاضى ناصر الدين محمد بن البازرى معه جميع البريدية والموقعين، بأتباعهم، فعملوا.

وفي رابع عشره: خلت أسواق القاهرة وظواهرها من الباعة، وغلقت القياسر، وخرج الناس للعمل وجدوا في الحفر نهارهم مع ليلهم، بحيث لم يعف أحد من العمل، وكثرت حركات الناس وخروجهم إلى العمل طوائف طوائف، وتكرر النداء في الناس بالخروج للحفير، وتهديد من تأخر عنه.

وفي خامس عشره: نودي أن لا يفتح في غد حانوت، ومن فتح دكانا شنق، وأن يخرجوا كلهم بالسلاح، فأصبحت الأسواق كلها مغلقة، واستمر العمل طول هذا الشهر في الحفير، فتوقفت أحوال الناس بغلق الأسواق.

وفي هذا الشهر: اشتد الطلب على اليهود والنصارى، وأهينوا في استخراج العشرين ألف دينار إهانة بالغة، ونالهم للأعوان كلف كبيرة.

وفيه ألزم السلطان الأمير بدر الدين حسن الأستادار بحمل عشرين ألف دينار من مباشرى الديوان المفرد، وألزم الوزير صاحب تاج الدين عبد الرازق بن الهيصم بحمل عشرين ألف دينار من مباشرى الدولة، وألزم صاحب بدر الدين حسن بن نصر الله ناظر الخاص بحمل عشرة آلاف دينار من مباشرى الخاص، فوقع الشروع في توزيع ذلك وجبايته من يوم الخميس سابع عشره.

وفيه كثر عبث العربان بالوجه القبلى والوجه البحرى، واشتد بأسهم، وعجز أرباب الدولة عنهم.

وفيه ثارت الأحامدة من عرب الصعيد بوالى قوص^(١) وقتلوا كثيرا ممن معه .

وفيه قتل الأمير يشبك من عبد العزيز بدمشق، وصلب على باب القلعة فى تاسعه.

وفيه أفرج عن أقبردى الحاجب بدمشق، وقدم منها إلى القاهرة.

وفيه سار الأمير بيبغا المظفرى من القاهرة إلى دمشق، فقدمها فى ثامن عشره، واستقر بها أميرا كبيرا.

وفيه سار الأمير أينال الصصلانى نائب حلب فى خامسه، ومعه الأمير سون من عبد الرحمن نائب طرابلس، ومضى على جرائد الخليل فى طلب كردى بن كندر، فأخذ أعقابيه، وقد فر من العمق وتعلق بالجبال، فاستولى على كثير من أغنامه وأبقاره، ثم نزل على قلعة دربساك^(٢) وحاصرها ثلاثة أيام حتى أخذها فى سادس عشره بأمان، ففر عن كردى أكثر جماعه، وعزموا على قبضه، فتسحب إلى مرعش، وانضم أصحابه على فارس بن دمرخان بن كندر.

وفيه استقر الأمير جرباش حاجبا بحلب، عوضا عن شاهين الأيدكارى.

(١) قوص: وهى قبطية، وهى مدينة كبيرة عظيمة واسعة قسبة صعيد مصر. انظر معجم البلدان

(٢) قلعة دربساك قلعة مرتفعة قرب أنطاكية. انظر تقويم البلدان ص ٢٦١.

وفيه خرج شاه محمد بن قرا يوسف من بغداد لمحاصرة شستر.

وفيه ركب الأمير كزل - نائب ملطية - فى رابع عشرينه، وقاتل سولو بن كبك وأخاه حسيناً على كركر، وقد أحرقا بلد جوباص من أعمال ملطية فقتل من جماعتها كثيراً، وهزم بقيتهم، وعاد إلى ملطية، فجمعا عليه الأكراد والتركمان ونائب كركر، وزحفوا عليه، فاقتلوا قتالا كثيراً.

وفيه نقل الأمير طوغان أمير آخور نائب صفد منها إلى دمشق، واستقر بها حاجب الحجاب عوضاً عن خليل الجشارى، واستقر خليل فى نيابة صفد، وكان المتوجه لنقلهما الأمير أينال الأزعرى^(١) الأعور، أحد رعوس النوب.

شهر جمادى الأولى، أوله الإثنين:

أهل والناس يعملون فى الحفير، والأخبار متواترة بكثرة فساد أهل الوجه القبلى والوجه البحرى.

وفى خامسه: سار الأمير بدر الدين حسن الأستادار فى عدة من الأمراء معه إلى الوجه البحرى.

وفى سابعه: ركب الأمير صارم الدين إبراهيم ولد السلطان، وجمع له من الناس خلائق ما بين مسلمين وأهل الذمة، ومضى بهم إلى العمل فى الحفير، يعملوا يومين، وتمادى العمل عدة أيام من هذا الشهر، حتى أدركته زيادة ماء النيل، فلم يظهر لما كان من العمل أثر.

وفى سابعه: خلع على الأمير ألطنبغا العثمانى أتايك العساكر، واستقر فى نيابة الشام. وعزل الأمير قنباى المحمدى وخلع على الأمير أقيردى المنقار، واستقر فى نيابة الإسكندرية، عوضاً عن صوماى الحسنى.

وفيه نودى بالمنع من المعاملة بالدنانير الناصرية، وهدد من تعامل بها أو وجدت

(١) أينال بن عبد الله الأزعرى الشبخى (٨٣٠ هـ تقريباً = ١٤٢٦ م)، الأمير سيف الدين. أصله من مماليك الأمير شيخ الصفوى أمير مجلس، واتصل بعد موت أستاذه المذكور بخدمة الملك المؤيد شيخ قبل سلطنته. فلما تسلطن الملك المؤيد أمره ورقاه إلى أن جعله أمير مائة ومقدم ألف بديار مصر، ثم ولى الحجوبية الكبرى بها بعد موت المؤيد، ثم قبض عليه الأمير ططر بدمشق مع من قبض عليه من الأمراء المؤيدية وحبسه، فدام فى الحبس سنين إلى أن أطلقه الملك الأشرف برسباى، ورسم له بالإقامة بدمشق بطالا، ودام على ذلك إلى أن مات فى حدود الثلاثين ومائتاً تقريباً. وكان عرفاً بفنون الفروسية، وأنواع الملاعب كالرمح وغيره، مشكور السيرة. انظر المنهل الصافى ٢٠٣/٣.

٣٨٨ سنة ثمان عشرة وثمانمائة

عنده وكان الناس قد تظاهروا بها، وصرفوها بمائة وثمانين درهما الدينار، فلم ينتهوا عن ذلك ، فنودى فى خامس عشرينه بتهديد من اشترى بها شيئا بأن تسبك فى يده .

وفى هذا الشهر: تحسن سعر الغلة، وسببه أن فى يوم الأربعاء عاشره وثالث عشرين أيب، بلغ ماء النيل إلى أربعة عشر إصبعا من أحد عشر ذراعا، ونقص أربعة أصابع، ثم لم يناد عليه فى يومى الخميس والجمعة، فاشتد قلق الناس، وأمسك خزان القمح أيديهم عن بيعه، ليبلغوا فيه أملهم من الغلو، فلطف الله بعباده، ونودى عليه فى يوم السبت، واستمر النداء.

وفى يوم الأربعاء: المذكور انتقض على السلطان الألم الذى يعتاده برجله، ولزم الفراش إلى يوم الخميس خامس عشرينه.

وفى يوم الأحد سابع عشرينه: - وهو حادى عشر مسرى - أوفى ماء النيل ستة عشر ذراعا، فركب السلطان حتى خلق المقياس بين يديه، ثم فتح الخليج .

شهر جمادى الآخرة، أوله الأربعاء:

أهل والناس من كثرة فساد العربان بنواحي أرض مصر، فى جهد .

وفى رابعه: حفر أساس الجامع المؤيدى بجوار باب زويلة.

وفى سادسه: برز الأمير ألطنبغا العثمانى نائب الشام، ونزل بالريدانية خارج القاهرة.

وفى ليلة الحادى عشر منه: طرقت الأمير سون القاضى حاجب الحجاب الجامع الأزهر بعد الفراغ من صلاة عشاء الآخرة، ومعه كثير من مماليكه وأعوانه، فنهبوا شيئا كثيرا من ثياب وفرشهم، ومنع الناس من المبيت به، وكان قد وشى إليه بأن كثيرا ممن ينام به تصدر منه منكرات قبيحة، فكان فى إزالته ما ظنه منكرا أضعاف ما ظنه من المنكر.

وفى هذا الشهر المبارك: ارتفع سعر الغلال، فبلغ الأردب القمح إلى مائة وستين درهما، والأردب الشعير إلى مائة وثلثين درهما، مع توالى زيادة ماء النيل وكثرة الغلال.

وفيه قدم الخير بخروج الأمير قنباى الحمدى عن الطاعة، وأنه ثارت الفتنة بدمشق، ثم قدم الخير بخروج الأمير طرباى نائب غزة أيضا عن الطاعة، وأنه سار إلى الأمير

قنباى فاستعد السلطان، وناب الأمير يشبك شاد الشرايجاناه، ومعه مائة مملوك، وبعثه بجدة إلى الأمير الطنبغا العثماني، وذلك أنه لما حضر الأمير جلبان^(١) أمير آخور إلى دمشق بطلب الأمير قنباى الحمدي إلى القاهرة أظهر امتثال ذلك، وأخذ ينقل حريمه إلى بيت غرس الدين، وطلع بنفسه في ثاني جمادى الآخرة إلى البيت المذكور بطرف القبيبات على أنه متوجه إلى مصر. فلما كان في سادسه، وبييغا المظفري، وابن منحك، وجلبان، وأرغون شاه، ويشبك الأيتمشي، في جماعة يسيروين بسوق الخيل، بلغهم أن يلغا كماج كاشف القبيلة، حضر في عسكر إلى قريب داريا، وأن خلفه من جماعته طائفة، وأن قنباى طلع إليه، وتحالفا، ثم عاد إلى بيت غرس الدين، وقد تأهب للحركة، فاستعد المذكورون، ولبسوا آلة الحرب، وزحفوا إليه، وقتلوه من بكرة النهار إلى العصر، فهزمهم ومروا على وجوههم إلى صغد، ودخل قنباى إلى دمشق، ونزل دار العدل من باب الجابية، ورمى على أهل القلعة بالمدفع، وأحرق جملون دار السعادة،

(١) جُلْبَان بن عبد الله، المعروف بأمر آخور، الأمير سيف الدين نائب الشام. اتصل بخدمة الملك المويد شيخ لما كان أميراً ودام عنده، حتى طرق الملك المويد الديار المصرية في غيبة الملك الناصر فرج بالبلاد الشامية، وحاصر قلعة الجبل. من معه من الأمراء، ثم انكسر المويد وأصحابه وانهمزوا إلى جهة باب القرافة، وتقتنر المويد عن فرسه، فلحقه جلبان هذا بالجنيب، فعرفها له المويد لما تسلطن، ورقاه حتى جعله أمير طبلخاناة وأمير آخور ثاني، ثم مقدم ألف بالديار المصرية، وحرد صحبة من تجرد من الأمراء المصريين إلى البلاد الشامية ومات المويد في غيبته، ثم قبض عليه الأمير ططر بدمشق مع من قبض عليه من المويدية وغيرهم، وحبس بتلك البلاد، إلى أن أطلقه الملك الأشرف برسباى، وأنعم عليه بإمرة مائة وتقدمة ألف بدمشق، ثم نقله إلى نيابة حماة في يوم الخميس عشرين شعبان سنة ست وعشرين ومائمائة، عوضاً عن الأمير جارقطلو بحكم انتقاله إلى نيابة حلب بعد الأمير تنبك البجاسى المنتقل إلى نايبة دمشق بعد موت الأمير تنبك العلاي ميقي، واستمر في نيابة حماة سنتين إلى أن نقل إلى نيابة طرابلس «في سنة سبع وثلاثين ومائمائة بعد موت الأمير طرباى، فباشر نيابة طرابلس» إلى أن نقله الملك الظاهر حقمق إلى نيابة حلب في شوال سنة اثنتين وأربعين ومائمائة بعد عصيان تغرى برمش نائب حلب، فدام في نيابة حلب إلى أن نقل إلى نيابة الشام بعد موت الأمير آقبا التمرزاي في شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وأربعين ومائمائة، وحمل إليه التقليد والتشريف على يد الأمير دولات باي المحمودي المويد الدوادار الثاني، واستمر في نيابة دمشق سنتين ولا يعلم أحدا أقام في نيابة دمشق بعد تنكز أكثر من جلبان هذا وأيضا له منذ ولي نيابة حماة إلى يومنا هذا - من سنة ست وعشرين - ينتقل من نيابة إلى أخرى. ولم يعزل فيها عن عمل إلا عندما ينتقل إلى عمل أعلا منه، وهذا أيضاً لم يقع على أحد من أهل الدولة الكثير، مع أنه لا فارس الخيل، ولا وجه العرب، وإن كان يعرف فنون الملاعب، وركوب الخيل، لكنه لم يشهر بشجاعة، ولا إقدام، غير أنه عارف بالسياسة، وجمع المال وإنفاقه إلى ذخائر الملوك، ولذلك طالت أيامه. انظر المنهل الصافي ١٠ / ٥ وما بعدها، الدليل ١ / ١٣٨، النجوم ١٦ / ١٧٤، الضوء ٣ / ٧٧.

فرماه من بالقلعة بالمجانيق. فانتقل إلى خان السلطان، وبات في خيمة وهو يحاصر القلعة. ونزل على باب الفرنج تنبك البجاسى نائب حماة، وعلى الباب الذى من جهة باب البريد الأمير طرباى نائب غزة، وعلى باب الحديد الأمير تنبك دوادار قانباى، إلى أن بلغهم وصول العساكر، ساروا من دمشق. وكان الأمير أَلطنبغا العثماني قد توجه على بلاد المرج إلى جرود، فجد العسكر السير وراء قانباى، إلى أن نزلوا برزة، وتقدم منهم طائفة، فأخذوا من ساقته أغناما وغيرها، وجرح أحمد بن تنم فى يده بنشاب، وجرح معه جماعة فلما بلغ الخير الأمير أينال الصصلانى نائب حلب رحل فى ثالث عشره من حلب، فنزل قانباى سلمية فى سلخه، ثم رحل من حماة ليلة ثانى عشر شهر شعبان يريد حلب، فاجتمع بأينال نائب حلب فى نهار الأربعاء حادى عشره، واتفقوا جميعا على التوجه إلى جهة العمق، وسيروا أثقالهم فى ليلة الخميس وأصبحوا وقد أجهر نائب قلعة حلب النداء بالنفير العام، فأتاه جل أهل حلب، ونزل بمن عنده من العسكر، فلم يثبتوا، وفر قانباى وأينال الصصلانى على خان طومان، وتخطف العامة بعض أثقالهم. وكان السلطان قد بلغه - وهو برأس وادى عارا يريد دمشق - فرار قانباى، فعدى السير حتى دخل دمشق.

وفيه صار الجامع الأزهر تحت نظر الأمير سودن القاضى حاجب الحجاب فاستتاب عنه فى النظر رجلا ممن قدم إلى القاهرة مع الملك المؤيد شيخ من دمشق، واشتهر بمجالسته وعرف بكثرة التردد إليه، يقال له شمس الدين طغد الخواجا الشمس الماحوزى - يعانى المتجر - فجرت فى مباشرة هذا المذكور حوادث بالجامع الأزهر لم يعهد لها نظير فى شناعتها؛ منها أنه لم يزل هذا الجامع منذ بنى يجاور به طوائف من الناس، ما بين عجم ومغاربة وزيالغ، ومن يرد من أرض الريف إلى القاهرة من طلبة العلم، ولكل طائفة رواق يختص بهم، فلا يرح عامرا بتلاوة القرآن ودراسته وتعليمه والاشتغال بأنواع العلوم من الفقه والنحو وسماع الحديث، وعقد مجالس الوعظ، فيجد الإنسان إذا دخل إليه من الأتس بالله، والارتياح، وترويح النفس، ما لا يجده قبل أن يصير فيه، وصار أرباب الأموال يقصدون هذا الجامع بأنواع البر، من الذهب والفضة والفلوس، مساعدة للمقيمين به على التفرغ للعبادة، وفى كل قليل تحمل إليهم أنواع الأطعمة والخبز والحلاوات، لاسيما فى المواسم، وبلغ عدد مجاوريه إلى سبعمائة وخمسين رجلا فأمر الماحوزى - فى جمادى الأولى من هذه السنة - بإخراج المجاورين من الجامع ومنعهم من الإقامة به، وأخرج ما كان لهم فيه من صناديق ونحوها، ظنا منه أن هذا الفعل مما يثاب عليه من الله، وما كان إلا من أعظم الذنوب وأشدّها نكرا،

وأكثرها ضرراً، لما نزل بأهل الجامع من البلاد الكبير، وتشتت شمل الفقراء، وعز عليهم وجود ما كان يأويهم، فساروا في القرى، وتبدلوا بعد الصيانة، وفقد من الجامع ما كان يوجد فيه من كثرة تلاوة القرآن، ودراسة العلم، وذكر الله تعالى، ثم لم ينعج بما صنع، حتى زاد في التعدي، وأغرى الأمير سودن القاضي بأن أناسا يبيتون بالجامع ويفعلون ما لا ينبغي ذكره، وكانت العادة أيضا قد جرت بمبيت كثير من الناس في هذا الجامع، ما بين تاجر وفقه وجمدى وغيرهم، منهم من يقصد بمبئته البركة، ومن الناس من لا يجد مكانا يأويه، وفيه من يستروح بالمبيت فيه، خصوصا في زمن الصيف، وأيام المواسم، فإنه يمتلئ صحنه، وأكثر رواقاته.

فلما كان في ليلة الأحد حادى عشر جمادى الآخرة: طرق الأمير سودن الجامع بعد عشاء الآخرة، والوقت صيف، وقبض جماعة وضربهم، وكان قد حضر معه من الأعوان والغلمان، ومن يقصد النهب أمة كبيرة، فحل بمن كان بالجامع أنواع من البلاء، ووقع النهب فيهم، فأخذت عمائمهم وفرشهم، وفتشوا فأخذ من عدة من الناس مال كان على أوساطهم ما بين ذهب وفضة، وفيهم من سلب ثيابه، فكان أمرا من الشناعة لم يسمع بأقبح منه، سيما والناس يومئذ يتظاهرون بأنواع المحرمات القبيحة، تظاهر من يتبجح بما يعمل، ويفتخر بما يبدى، ورأى الماحوزى أنه قد أزال المنكر من الجامع، ولم يبق من المعروف إلا عمل ثوب أسود غشى به المنبر، وجدد له علمين، بلغت النفقة على ذلك نحو خمسة عشر ألف درهم، فسبحان من يضل من يشاء، ويهدى من يشاء، لا إله إلا هو.

وفي هذا الشهر: قدم الأمراء من سفرهم بالبحيرة، وذلك أن أهل البحيرة فروا منهم إلى جهة الفيوم، فسار الأمير تنبك ميق، وسودن القاضي حاجب الحجاب، إلى حربهم بالفيوم، فلم يظفرا بهم.

وفي ثانى عشرينه: استقر الأمير مشترك في نيابة غزة، عوضا عن طرباى.
وفي سابع عشرينه: خلع على الأمير الطنبغا القرمشى أمير أخور، واستقر أميرا كبيرا، عوضا عن الأمير الطنبغا العثمانى.

وفيه قدم رسول دوج البنادقة من الفرنج بكتابه وهدية فيها هباب^(١) بلور على بفضة مجراة بالمينا، وأربعة طشوت بأربعة أباريق، وخمسة أطباق وهناب، وشربتان، كل ذلك فضة مجراة بالمينا وملعقة فضة بساعد مرجان، وجوخ، وحرير مخمل، وحلوى سكرية، وزجاج، فعرب كتابه، وقبلت هديته.

وفي سلخه: خلع على الأمير الكبير الطنبغا القرمشى واستقر فى نظر المارستان المنصورى على العادة، وخلع على الأمير تنبك ميق رأس نوبة، واستقر أمير آخور، عوضا عن القرمشى.

شهر رجب أوله الجمعة:

فى ثالثه: قدم الأمير بدر الدين حسن بن محب الدين الأستاذار من البحيرة بغير طائل، وقد بلغ إلى قبيصة^(١) قريبا من العقبة الصغرى^(٢) وقد التقى أهل البحيرة مع عرب ليبد أهل برقة، واقتتلوا، فانكسر أهل البحيرة، وأخذ منهم ليبد نحو ثلاثة آلاف بعير، وعشرات آلاف من الأغنام ومضى أهل البحيرة نحو الفيوم، فاستولى العسكر على أغنام كثيرة جدا، وهلك لهم أكثر مما أخذ منهم، فكان عدة ما ذهب لأهل البحيرة فى هذه الحركة من الأغنام زيادة على مائة ألف رأس، يخاف بسببها أن تعز الأغنام بأرض مصر.

وفى رابعه: خلع على الأمير سودن القاضى حاجب الحجاب، واستقر رأس نوبة عوضا عن تنبك ميق، وخلع الأمير سودن القاضى قرا صقل، واستقر حاجب الحجاب. وفى حادى عشره: سار الأمير أقبأى الدوادار^(٣) على مائتى مملوك، بجدة لنائب الشام.

وفيه دار محمل الحاج على العادة.

(١) قبيصة: قرية من أعمال شرقى مدينة الموصل. انظر معجم البلدان ٤ / ٣٠٨.

(٢) العقبة الصغرى: من أعمال برقة.

(٣) أقبأى بن عبد الله الدوادار، نائب الإسكندرية، الأمير سيف الدين. أصله من ممالك الأتابك يشبك الشعبانى الظاهرى، وتنقلت به الأيام إلى أن صار من جملة الدوادارية الصغار فى الدولة الأشرفية برسباى، باستقراره فى نيابة الإسكندرية بعد عزل الأمير الصاحب غرس الدين خليل بن شاهين الشيخى عنها فى يوم الخميس ثالث عشرين شهر جمادى الآخرة سنة تسع وثلاثين وثمانائة، وخلع على شرف الدين بن الفضل، واستقر فى نظر الإسكندرية عوضا عن الأمير خليل وجهاز خلعة إلى جمال الدين عبد الله بن الدمامينى باستقراره فى قضاء الإسكندرية على عادته، فتوجه أقبأى المذكور إلى الإسكندرية وباشر نيابتها إلى أن توفى بها فى آخر شوال سنة أربعين وثمانائة، واستقر عوضه فى نيابة الإسكندرية الزينى عبد الرحمن بن علم الدين داود بن الكويز أحد الدوادارية فى ثانى ذى القعدة من السنة. وكان أقبأى المذكور مشهور بالطمع الزائد والشرة فى جمع المال، وخلف مالا جزيلا، لكنه كان فيه تعصب لمن يقصده بجعالة، وإلا فلم يتعصب له، رحمه الله تعالى. انظر ترجمته فى الدليل الشافى ١ / ١٣٧ والضوء اللامع ٢ / ٣١٤.

السلوك لمعرفة دول الملوك ٣٩٣

وفي ثالث عشره: قدم الأمير ناصر الدين محمد بن إبراهيم بن منجك من دمشق، فارا من الأمير قنباى، فارتجت القاهرة لسفر السلطان، وكثر الاهتمام بذلك.

وفي رابع عشره: قبض على الأمير جانبك الصوفى أمير سلاح وسجن فى برج بقلعة الجبل.

وفيه رسم للأمرء بالتأهب للسفر إلى الشام، وأخذ السلطان فى عرض الماليك، وتعيين من يختاره للسفر.

وفي ثامن عشره: أنفق السلطان نفقات السفر، فأعطى كل مملوك ثلاثين دينارا أفرنتية، وتسعين نصفاً مؤيدية، وفرق الجمال .

وفي تاسع عشره: قبض على الوزير تاج الدين عبد الرزاق بن الهيصم، وضرب بالمقارع، وأحيط بحاشيته وأتباعه، وألزم بمال كبير.

وفي حادى عشرينه: خلع على علم الدين - المعروف بأبوكم - واستقر فى نظر الدولة، ليسد مهمات الدولة مدة غيبة السلطان.

وفي يوم الجمعة ثانى عشرينه: ركب السلطان بعد صلاة الجمعة من قلعة الجبل ، ونزل بمخيمه خارج القاهرة. وخلع على الأمير ططر^(١) وعمله نائب الغيبة بديار مصر، وأنزله بباب السلسلة. وخلع على الأمير سودن قراصقل حاجب الحجاب، وجعله مقيماً للحكم بين الناس، وخلع على الأمير قطلوبغا التمنى، وأنزله بقلعة الجبل.

وبات السلطان تلك الليلة، واستقل من الغد بالمسير إلى الشام، ومعه الخليفة، وقاضى القضاة ناصر الدين محمد بن العديم الحنفى - وحده من دون القضاة حسب سؤاله لما له من التعلقات ببلاد الشام - فدخل السلطان إلى غزة فى تاسع عشرينه، وسار منها فى نهاره، وكان قد خرج الأمير قنباى من دمشق فى سابع عشرينه، ومعه طرباى نائب غزة، وسودن من عبد الرحمن نائب طرابلس، يريد حلب.

(١) ططر (٧٦٩ - ٨٢٤هـ = ١٣٦٧ - ١٤٢١م) ططر الظاهرى الجركسى المكنى بسيف الدين أبى سعيد، الملك الظاهر. من ملوك دولة الجراكسة بمصر والشام، أصله من ممالك الظاهر بقوق، اشتراه بمصر، وأعتقه واستخدمه ولما آلت السلطنة إلى الناصر فرج توجه ططر إلى حلب ولحق بأهل الشغب والعصيان، ثم جعله المؤيد شيخ بن عبد الله مقدم ألف، فأمر مجلس. وتولى ططر إدارة المملكة عندما تسلطن ابن المؤيد المملكة وتزوج أم المظفر ثم خلع المظفر، وطلق أمه، بدمشق؛ ونادى بنفسه سلطاناً، وتلقب بالظاهر سنة ٨٢٤هـ وعاد إلى مصر مريضاً، فلم يلبث أن مات بالقاهرة، ويقال: أن أم المظفر دست له سما بطيخاً بعد خلعه ابنها، فمات من أثره.

وفي تاسع عشرينه نزل حسين بن نعيم على سلمية، لأخذ الأمير حديثه بن سيف، فركب إليه وقاتله، فظفر به حديثه وقطع رأسه، وحملها إلى السلطان.

شهر شعبان، أوله الأحد:

في ثانيه: دخل الأمير الطنبغا العثماني نائب الشام إلى دمشق، وقرئ تقليده فكان يوماً مشهوراً.

وفي يوم الجمعة سادسه: قدم السلطان دمشق، وسار منها بعد يومين في أثر قنباى ورفيقه.

وقدم الأمير أقبای الدوادار على عسكر، فانتهى إلى قريب من تل السلطان، ونزل السلطان على سرمين، فخرج أينال الصصلاتى نائب حلب، وقنباى، بمن معهما، ولقوا أقبای وقاتلوه، فكسوره، وقبضوا عليه، وعلى جماعة كبيرة، فأتى الصارخ بذلك للسلطان، فركب من سرمين وأدركهم، فلم يثبتوا، وفروا فقبض على أينال نائب حلب، وشرباش كباشة حاجب حلب، وثمان أرق، وجماعة، في يوم الخميس رابع عشره، ومضى إلى حلب فأخذ قنباى أسيراً، وأحضر إليه في ثالث يوم الواقعة، فقتل معه جماعة وسيرت أربعة رعوس من رعوسهم إلى القاهرة، فقدم بها الأمير شاد الشربخاناة في يوم الأحد خامس عشر رمضان، وهى رأس الأمير قنباى المحمدى نائب الشام، ورأس الأمير أينال الصصلاتى نائب حلب، ورأس شرباش كباشة - وكان قد نقل من القدس واستقر في حجوية الحجاب بحلب - ورأس الأمير تمان تمر أرق، الأمير الكبير بحلب، فرفعت على رماح، ونودى عليها بالقاهرة «هذا جزء من خامر على السلطان، وأطاع الشيطان، وعصى الرحمن»، ثم علقت على باب زويلة أياما وحملت إلى الإسكندرية، فطيف بها هناك، ثم أعيدت إلى القاهرة وسلمت إلى أهاليها.

وخلع السلطان بحلب على الأمير أقبای الدوادار، واستقر به في نيابة حلب، وعلى الأمير جرقطلو، واستقر به في نيابة حماة، عوضاً عن الأمير تنبك البجاسى، وخلع على الأمير يشبك شاد الشربخاناة، واستقر به في نيابة طرابلس، فقدم أبو يزيد بن قرا يلوك على السلطان بحلب، يهنئه بالنصر، ومعه هدية سنية، فخلع عليه وأكرمه، ثم بعثه إلى أبيه في رابع عشرين رمضان، ومعه هدية جليلة.

وفيه توجه الأمير يشبك نائب طرابلس من حلب إلى محل كفالته، ثم قدمت رسل قرا يوسف وغيره.

وورد الخبر بخروج كزل نائب ملطية عن الطاعة، ومسيره منها إلى جهة التركمان.

وتوجه السلطان من حلب عائدا إلى دمشق، فنزل حماة، وعزم على الإقامة بها مدة الشتاء، ليحسم مواد الفتن، ويأخذ من فر في وقعة قنباى، وهم تنباك البجاسى نائب حماة، وسودن من عبد الرحمن نائب طرابلس، وطرباى نائب غزة، وكزل نائب ملطية وغيرهم، فأقام أياما، وبلغه عن القاهرة ما اقتضى حركته إليها، وقدم الأمير طوغان أمير أخور نائب صفد، وقد أنعم عليه بإمرة مائة بديار مصر، فى آخر شهر رمضان، وتوجه إلى الشرقية لأخذ تقادم الولاة والعربان، عونا له على تجديد ما نهب له فى الواقعة.

وفى هذه السنة: حدث غلاء عظيم بديار مصر، وذلك أن هذه السنة لما أهلت كانت الأسعار رخيصة، فلا يتجاوز الأردب القمح نصف دينار، إلا أن الغيث كان فى أوانه قليلا بأرض مصر، فلم ينجب الزرع بنواحي الوجه البحرى كله من الشرقية والغربية والبحيرة، ولا حصل منها وقت الحصاد طائل.

وحدث مع هذا فى كثير من نواحي أرض مصر فأر أتلّف كثيرا من الغلال، واتفق مع ذلك وقوع الفتنة بأراضى البحيرة وخروج العسكر إليها، فتلف من غلالها شىء كثير، فإنها تمزقت تمزيقا فاحشا، ثم إن العسكر توجه إلى بلاد الصعيد فى وقت قبض المغل، فعاثوا وأفسدوا ولم ينالوا من المفسدين الغرض، وعادوا عودا رديا، فعظم النهب وشن الغارات ببلاد الصعيد، وشملت مضرة العربان عامة الناس.

ووقع الغلاء بأرض الحجاز وبوادي العرب، وبلاد الشام، فدفع^(١) إلى أرض مصر من هذه البلاد خلائق كثيرة لشراء القمح، فحملوا منه ما لا يقدر قدره، وكان مع ذلك كله توجه السلطان من القاهرة إلى الشام، بسبب الفتنة التى أثارها قنباى الحمدي، فخلا الجو لمن يحكم بالقاهرة، وتصرف أقبح تصرف وذلك أنه أخذ عند ابتداء زيادة النيل يستكثر من شراء القمح، فأشيع عنه أنه يخزنه لينال فيه ربحا كثيرا، فإن النيل يكون فى هذه السنة قليلا، وكثرت الإشاعة بهذا، فتنبه خزان القمح وأمسكوا أيديهم عن بيعه، فحدث مع هذا توقف النيل عن الزيادة فى جمادى الآخرة، كما تقدم ذكره، فجزع الناس، وأخذ الأغنياء فى شراء القمح وخزنه، فارتفع سعره، وعز وجوده بعد كساده. فلما منّ الله بزيادة ماء النيل، حتى بلغ القدر المحتاج إليه بزيادة، اطمأنت قلوب العامة، فأرجف خزان القمح بأن الفتن ببلاد الصعيد عظيمة، وأن الغلاء واقع من عدم الواصل، فلطف الله عز وجل، وثبت ماء النيل حتى قرب برد

(١) دف الرجل دفا ودفيما مشى خفيفا. انظر محيط المحيط (دف).

الخريف، ثم نزل نزولا حسنا، وزرع الناس الأراضى، وقد أمنوا حدوث الدودة، حتى كمل الزرع، ودخل شهر رمضان، ومع ذلك القمح أخذ فى الزيادة فى الثمن إلى أن بلغ الأردب إلى مائة وستين درهما، وعز وجوده، وتعذر وجود التبن أيضا، بحيث علفت الدواب بالنخال، ومن الناس من علفها عوضا عن التبن قشور القصب، وبلغ كل حمل من التبن إلى ثلاثمائة درهم، بعد ما كان بدون الأربعين درهما، فلم يهل شوال حتى زاد الأردب القمح على مائتى درهم، وقل الواصل منه من أجل أن المتولى حجر على من يجلب القمح، وجدد على كل أردب مبلغا يؤخذ من بائعه، فعز وجود الخبز بالأسواق، وتزاحم الناس فى الأفران على شرائه منها، وشنعت القالة فى متولى القاهرة. وفحش الإرجاف به، فخاف على نفسه، واستعفى نائب الغيبة، فأعفاه من التحدث فى الحسبة، واستدعى رجلا من الشاميين يعرف بشمس الدين محمد الحلوى، وولاه الحسبة فى العشرين منه بسفارة الأمير بدر الدين حسن بن محب الدين الأستاذار، فباشر بعفة عن تناول ما لا يستحقه، إلا أنه منع من الزيادة فى السعر، وتشدد فيه، فقل الواصل حتى فقد القمح وبلغ الناس الجهد.

وكان خير القاهرة المحروسة قد انتشر فى عامة أرض مصر، قبلها وبحريها، فارتفعت عندهم الأسعار أيضا، وأقبل أهل الوجه البحرى إلى ساحله بالقاهرة فى شراء القمح لقلته عندهم، وأمسك أهل الصعيد أيديهم عن بيع القمح، لما بلغهم من منع الحلوى الزيادة فى سعره، فاشتد الأمر، وكثر صراخ الناس من الرجال والنساء، وشنع ضحيجهم لفقدهم الخبز بالقاهرة ومصر وجميع أرض مصر، من دمياط والإسكندرية إلى قوص، وضجت عامة المدن والقرى والأرياف.

فلما أهل ذو القعدة: تزايدت الأسعار بالقاهرة ومصر لقلة الواصل، واشتد الزحام بالأفران فى أخذ الخبز، فخشى الحلوى على نفسه، واعتزل.

وأعيد التاج فى يوم الإثنين ثانى عشره، وقد امتدت الأيدى لخطف الخبز، واجتمع عشرات آلاف من الناس بساحل بولاق لطلب القمح، فاستشعر الناس بنهب البلد كله، وخشوا من تعطيل الأسواق وترك البيع والشراء، لكثرة الاشتغال بطلب الخبز والقمح، فإن العامة صارت تخرج لطلبه من نصف الليل، وتزدحم بالأفران، وتمضى طوائف من الرجال والنساء فى طلب القمح إلى الساحل، ويبيتون هناك، فغلت أصناف المأكل كلها وشرعت النفس، وطلب كل أحد شراء أكثر ما يحتاج إليه بحسب قدرته، وعمقتضى حاله من السعة والضيق، فتفاقت الشناعة، وعظم الخطب، بحيث عجز كل

أحد عن شراء القمح ما لم يعط أحدا من أعوان الوالى مالا، ويبيت معه بالساحل ، وكان الوقت شتاء، فإذا اشترى أردبا فما دونه يحتاج إلى عون آخر يجرسه، ويحميه من النهاية.

واستقر على كل أردب مبلغ خمسين درهما لمن يحميه، ولا يأخذ السمسار إلا عشرة دراهم، بعدما كانت سمسرتة خمسة دراهم، ويأخذ التراس أجرة حمل الأردب خمسة عشر درهما، بعدما كانت أجرته خمسة دراهم، وإذا وردت مركب تحمل القمح إلى قريب الساحل لا يجسر أربابها على عبور الساحل خوفا من النهب، وإنما يوقف بها فى وسط النيل، فيحتاج المشتري أن يركب إليها فى مركب يسير به، ثم يعود به وبما اشتراه بأجرة يتكلف لها، وغرقت مركب فيها جماعة كثيرة ممن عدى من الساحل ليشتري من قمح وصل فى مركب قد وقفت فى وسط النيل، فغرق منهم نحو العشرين ما بين رجل وامرأة، فلم يقدر عليهم. ومات عدة من النسوان فى الزحمة بالأفران، وتجاوز القمح الثلاثمائة درهم كل أردب، سوى كلفه، وتقرب من مائة درهم، ويحتاج فى غربلته وطحنه إلى مائة أخرى، فيقوم بنحو خمسمائة درهم.

فلما اشتد الأمر، خرج قاضى القضاة شيخ الإسلام جلال الدين أبو الفضل عبد الرحمن بن البلقينى ليس تسقى بالناس، فى يوم الإثنين ثامن عشره ومعه عالم لا يحصيهم إلا خالقهم، سبحانه وتعالى فسار من منزله ماشيا، ومعه الأمير التاج، حتى خرج من باب النصر إلى التزب، فانطلقت الألسنة بكل سوء فى حق التاج، ولم يبق إلا أن يرجم، فاختفى ومضى شيخ الإسلام بالناس إلى سفح الجبل ، قريبا من قبة النصر، فضجوا ودعوا الله سبحانه وتعالى وهم قيام نحو ساعة، ثم انصرفوا، فكان من المشاهد العظيمة، وتيسر وجود الخبز إلى يوم السبت رابع عشرينه، ثم فقد. وسبب فقده أن التاج منع كل من قدم بقمح أن يبيعه إلا للطحانين، وسعر الأردب بثلاثمائة وخمسين درهما، فكان إذا طحن وبيع دقيقا وقف من حساب ستمائة درهم وأزيد، فإذا عجن خبزا كان من حساب مئائتا درهم وأزيد ، فامتنع من سوى الطاحنين من سائر الناس من شراء القمح ، وكثر طلبهم للدقيق والخبز، وازدحموا على الأفران من عدم الخبز بالأسواق.

وانقطع الواصل من القمح، فركب التاج إلى البلاد القريبة، وتبع مخازن القمح بها، وباعها على الطمانين فشنع الأمر فى الأفران، واقتتل الناس على أخذ الخبز منها، وانتهبوا عدة أفران وأخذوا ما بها من العجين، فعطلها أربابها، وتغيبوا، وأبيعت البطة

من الدقيق بمائة درهم، والقدرح من الأرز بثلاثة عشر درهما، والأردب القمح فى البحر للطحان بثلاثمائة وخمسين، سوى كلفه، ولمن عدا الطحان من الناس بحسب تشدد بائعه، فاشترى بثمانمائة وألف درهم الأردب، وشح كل أحد به، وامتنع من عنده منه شىء أن يبيعه، وإن باع فلا يسمح منه إلا بقليل، وبلغ الأردب الشعير - إن وجد - إلى مائتين وخمسين، والأردب الفول إلى ثلاثمائة درهم، وبلغ الحمل من التبن إلى مائتين، وبيعت أربعة أحمال بألف درهم، حسبها أن تكون قدر حملين فيما كنا نعهده.

وتزايد سعر الذهب، فبلغ المثقال إلى مائتين وسبعين درهما، والدينار الأفرنتى إلى مائتين وخمسين درهما، والدينار الناصرى إلى مائتين، ثم اشتد الأمر، فندب نائب الغيبة إلى كل فرن جماعة من الأجناد يقفون به لمنع العامة من الخطف والنهب، وقعد حاجب الحجاب بنفسه على فرن بخط التبانة، ومعه عدة من مماليكه، حتى وجد الخبز على الحوانيت والأسواق، بعدما عجز الكثير من الناس عن الخبز، واعتاضوا عن أكله بالفول الأخضر والقلقاس، ولولا لطف الله تعالى بعباده وكون البهائم مرتبطة على البرسيم الأخضر، لهلكوا من عند آخرهم جوعا، فإن القدرح الفول بلغ أربعة دراهم، وتعذر وجود الشعير، وخرج الناس أفواجا إلى الأرياف فاشتروا القمح بخمسمائة درهم الأردب غير كلفه، وأنا استقام على أردب قمح فى آخر ذى القعدة، اشترى لى من الريف مع - العناية - بستمائة درهم.

وأهل ذو الحجة: والناس فى جهد جهيد، من تعذر وجود الخبز والدقيق والقمح، إلا بعناء ومشقات كثيرة، مع تواصل مجىء مراكب الغلال، ونزول الغيث المحتاج إليه فى وقت الحاجة، وخصب الزروع وكثرتها، وقرب أوان مجىء الغلة الجديدة، ولكن الله يفعل ما يريد.

وفى يوم الخميس رابع عشرين شوال: قدم الأمير فخر الدين عبد الغنى بن أبى الفرج إلى القاهرة، وقد عاد من بغداد إلى السلطان وهو بحلب، فولاه كشف الشرقية والغربية والبحيرة، ورد إليه أمر قطيا.

وفى يوم السبت رابع عشرين ذى القعدة: قدم كتاب السلطان بأنه قدم دمشق، وعزم على عوده إلى القاهرة، وأنه قبض على الأمير سون القاضى، وخلع على بردى باك قصقا، واستقر به عوضه رأس نوبة كبيرا، وسجن سون القاضى.

ورسم السلطان بتجهيز ولده الأمير صارم الدين إبراهيم لملاقاته، فسار إليه فى يوم الثلاثاء سابع عشرينه وفى خدمته الأمير سون حاجب الحجاب، والأمير كزل العجمى

فى عدة من الممالىك، فلقى السلطان، وعاد معه، فنزل السلطان على السماسم شمالى خانكاه سرياقوس - فى يوم الخمىس نصف ذى الحجة.

وركب السلطان فى لىلة الجمعة إلى الخانكاه، وعمل مجتمعا حضره عشر جوق من قراء القرآن، وعدة من المنشدين، ومدت لهم أسمطة جلىلة، ثم أقیم السماع بعد فراغ القراء والمنشدين طول اللیل، فكانت لىلة غراء، مدت فىها أنواع الأطفمة وأنواع الحلوات، وطیف على الحاضرىن بالمشروب من السكر المذاب، وأنعم السلطان على القراء والمنشدين، وصوفىة الخانكاه بمائة ألف درهم.

وركب السلطان بكرة يوم السبت سادس عشره من الخانكاه، ونزل بطرف الریدانىة، فتغدى هناك، وعبر من یومه إلى القاهرة، وصعد قلعة الجبل، فكان یوما مشهودا.

ونودى من الغد بالأمان، وأن الأسعار بید الله سبحانه تعالى، فلا یتزاحم أحد على الأفران، وتصدى السلطان للنظر فى الأسعار بنفسه، وعمل معدل القمح، وقد تزايدت الأسعار، وبلغ الأردب القمح - إن وجد - إلى ما یزید على ستمائة درهم، والأردب الشعیر إلى أربعمائة درهم.

وفى يوم الإثنين خامس عشرینه: خلع على الأمير جقمق الدوادار الثانى، واستقر دوادار كبرى، عوضا عن الأمير أقبای المتولى نیابة حلب، وخلع على الأمير یشبک واستقر دوادارا ثانيا، عوضا عن الأمير جقمق.

وفیه نودى بمنع الناس من المعاملة بالدنانیر الناصریة، وتهدد من تعامل بها أن تسبک فى یده هذا وقد بلغ سعر المثقال الذهب إلى مائتین وثمانین درهما، والدينار الأفرنتى إلى مائتین وستین درهما، والدينار الناصرى إلى مائتین وعشرة دراهم، فرسم أن یكون سعر المثقال بمائتین وخمسين، والأفرنتى بمائتین وثلاثین، وأن یقصد الناصرى، ویدفع فىه من حساب مائة وثمانین، ولا یتعامل به.

وفى يوم السبت سلخه: خلع على الأمير سیف الدین إبراهیم^(١)، المعروف بأبجروص - ویقال خرز - نقیب الجیش، واستقر فى ولاية القاهرة عوضا عن تاج الدین تاج بن سیفا القازانى، المعروف بالتاج الشویكى الدمشقى، وخلع على الأمير التاج، واستقر أستاذار الصحبة.

وفیه انتصب السلطان فى مجلسه بالإصطبل للحکم بین الناس على عادته، وضرب جماعة من الكتاب والفلاحین و غیرهم.

(١) هو إبراهیم بن عبد الله سیف الدین الشامى المهندار، المتوفى سنة ٨٣١ هـ. انظر الضوء

٤٠٠ سنة ثمان عشرة وثمانمائة

وفيه قدم مبشرو الحاج، وأخبروا بسلامة الحاج، وأن القمح أبيع بمكة كل وية ونصف بدينار.

وفيه قل وجود الخبز فى الأفران، لعدم القمح بالساحل، وبشون الأمراء، ومخازن التجار.

وحج بالناس من مصر الأمير يشبك الدوادر الصغير.

وفىها عدى مصطفى بن عثمان من اسطنبول إلى أفلاق، فاضطرب الأمير محمد كرشجى.

وفىها اشتد الوباء بمدينة فاس من بلاد المغرب وأعمالها، حتى فنى أكثر الناس سوى من مات من الجوع فى سنى الغلاء.

* * *

ومات فى هذه السنة ممن له ذكر سوى من تقدم

الوزير سعد الدين إبراهيم بن بركة البشيرى^(١)، يوم الأربعاء رابع عشر صفر. ومولده ليلة السبت سادس ذى القعدة، سنة ست وستين وسبعمائة، وبالقاهرة.

ومات قاضى القضاة الحنفية بدمشق، شمس الدين محمد بن الشيخ جلال الدين رسولا بن أحمد بن يوسف التركمانى، المعروف بابن التبانى، يوم الأحد ثامن عشرين رمضان.

ومات سعد الدين بن بنت الملكى، فى ثالث رمضان. ولى نظر الجيش .

ومات زين الدين حاجى الرومى، شيخ التربة التى أنشأها الملك الناصر فرج، على قبر أبيه الملك الظاهر برقوق، خارج باب النصر من القاهرة، ليلة الخميس رابع عشرين شوال، واستقر عوضه فى مشيختها الشيخ شمس الدين محمد البساطى المالكى، بعناية الأمير ططر نائب الغيبة.

ومات الملك سكندر بن ميرز شيخ عمر بن تيمورلنك، وكان قد ملك بلاد فارس يعد قتل أخيه بير محمد عدة سنين، ثم خالف على عمه شاه رخ، فسار إليه وقتله،

(١) (٧٦٦ - ٨١٨ هـ = ١٣٦٤ - ١٤١٥ م) إبراهيم بن بركة، صاحب سعد الدين المعروف

بالبشيرى القبطى المصرى. مولده فى ليلة السبت سابع ذى القعدة سنة ست وستين وسبعمائة، وتوفى

ليلة الأربعاء رابع عشر صفر سنة ثمانى عشرة وثمانمائة. وله أيضًا ترجمة فى: الدليل الشافى ج١

ص ١١ رقم ٢٣، النجوم الزاهرة ج١٤ ص ١٣٧، الضوء اللامع ج١ ص ٣٣.

السلوك لمعرفة دول الملوك ٤٠١
وأسره، وسمل عينيه، وأقام عوضه أخاه رستم، وخلاه لسبيله، وعاد فجمع سكندر
جمعا قليلا، وقدم عليهم ابنه، فقاتلهم رستم وهزمهم، وأخذ سكندر، وقتله بأمر عمه
شاه رخ.

ومات الفقير المعتقد الشيخ محمد الديلمي، فى رابع ذى القعدة، ودفن بالقرافة.

* * *

سنة تسع عشرة وثمانمائة

أهلت، وسلطان الديار المصرية والبلاد الشامية والحجاز، الملك المويد أبو النصر شيخ محمودى الظاهرى، وخليفة الوقت المعتضد بالله أبو الفتح داود، وأتابك العساكر الأمير الطنبغا القرمشى، وأمير أخور كبير تنبك ميقي ورأس نوبة النوب الأمير بردباك. والدوادار الكبير الأمير جقمق، وحاجب الحجاب الأمير سودن قرا صقل، وقضاة القضاة على ما تقدم فى السنة الماضية، ما عدا الخنبلى، فإنه قاضى القضاة علاء الدين على بن محمود بن أبى بكر بن مغلى الحموى، ومباشرى الدولة على ما مر فى السنة الماضية، ما خلا الوزارة، فإنها شاغرة، ونائب الإسكندرية الأمير أقيردى المنقار^(١)، ونائب غزة الأمير مشترك، ونائب صفد الأمير خليل الجشارى، ونائب الشام الأمير الطنبغا العثمانى، ونائب طرابلس الأمير ونائب حماة الأمير جرقطلو، ونائب حلب الأمير أقبای.

وأما مكة فإن الشريف حسن بن عجلان عزل عن نيابة السلطنة ببلاد الحجاز، وعزل ابنه الشريف بركات^(٢) والشريف أحمد عن إمرة مكة، فى صفر من السنة الماضية، واستقر الشريف رميثة بن محمد بن عجلان^(٣) فى إمرة مكة.

(١) أقيردى بن عبد الله المويدى، المعروف بالمنقار، الأمير سيف الدين. أحد المماليك المويدية، وأحد مقدمى الألوف بالديار المصرية فى دولة أستاذه، اشتراه المويد فى حال إمرته وخدمه فى أيام تلك الفتن إلى أن تسلطن المويد قربه ورقاه وولاه نيابة الإسكندرية، وجعله أمير مائة مقدم ألف، ثم عزله عن نيابة الإسكندرية عند توجهه إلى البلاد الشامية، وأخذته صحبته وهو مريض فى محفة إلى أن وصل إلى دمشق. مات بها فى يوم الخميس سابع عشرين صفر سنة عشرين وثمانمائة. وكان غير مشكور السيرة، مشهور بالظلم والعسف وقبح الشكل. انظر ترجمته فى الدليل ١٣٩/١، النجوم الزاهرة ١٤٦/١٤، الضوء اللامع ٣١٦/٢.

(٢) بركات بن حسن (٨٠٢ - ٨٥٩ هـ = ١٤٠٠ - ١٤٥٥ م) بركات بن حسن بن عجلان ابن رميثة: من أمراء مكة فى عهد الأشراف. وليها مشاركا لأبيه سنة ٨١٠ هـ، وانفرد بعد وفات أبيه سنة ٨٢٩ فاستمر إلى سنة ٨٤٥ عزل بأخيه على ثم أعيد ثم عزل بأخيه أبى القاسم سنة ٨٤٦ هـ ثم أعيد سنة ٨٥١ هـ فاستدعاه السلطان جقمق إلى مصر، فقدمها ولقى منه عناية وإكراما، وعاد إلى مكة فاستمر أميرا إلى أن توفى وكان فاضلا له نظم. انظر نظم العقيان ١٠٠، صفحات لم تنشر ٣٢، بدائع الزهور ٥٢/٢ حوادث الزهور ٣٦٤/٢، خلاصة الكلام ٤٠ - ٤٣، التبر المسبوك ١٤، ١٤٣، ١٨٤.

(٣) رميثة بن محمد بن عجلان (٨٣٧ هـ = ١٤٣٣ م)، الشريف الحسنى المكى، أمير مكة =

ودخل إليها بعد ما فارقتها المذكورون في مستهل ذى الحجة منها، وأقام بها.
فأهلت هذه السنة والأمر على هذا.

شهر الله المحرم الحرام، أوله الأحد:

في ثانيه: ركب السلطان من قلعة الجبل، وعبر النيل في الحراقة إلى البر الغربي
للصيد، وأقام هناك، فتلاحقت به أهل الدولة.

وقدم كتاب الأمير فخر الدين عبد الغنى بن أبى الفرج من الوجه البحرى أن القمح
بلغ عنده إلى تسعمائة درهم الأردب.

وفيه نزل الطواشى زين الدين فارس بمبلغ كبير من الفضة المؤيدية، وطاف فى
الجوامع والمدارس، والخانكاهات، وفرق فى أرباب وظائفها، الفقهاء والقراء والأئمة
والمؤذنين والخطباء والقومة والمترددین، مبلغا كبيرا فحصل فى الأكثر لكل واحد أربعة
عشر مؤيديا، وفيهم من تكرر اسمه فى خمسة مواضع وأكثر، فأخذ فى كل مكان
نصيبا، فتوسع الناس بذلك، وحسن موقعه، وفرق أيضا مبلغا فى السؤال، فأقل ما كان
نصيب الواحد من المساكين خمسة مؤيدية، عنها مبلغ خمسة وأربعين فلوس، فعم النفع،
وشمل البر عدة طوائف، وكان جملة ما فرق أربعة آلاف دينار.

وفيه بيعت ويبة قمح بمائة وثلاثين درهما من الفلوس، من حساب كل أردب
بثلاثة مثاقيل ذهباً، وبيعت ويبة شعير بثمانين درهما فلوساً، من حساب الأردب
بدينارين.

وفى خامسه: خلع السلطان - وهو بناحية أوسيم من الجيزية - على بدر الدين
محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين بن يوسف بن محمود العيتابى الحنفى،
واستقر به فى حسبة القاهرة، وكانت شاغرة منذ قدم السلطان، وإنما كان قد تقدم
للطواشى مرجان الهندى الخازندار أن يتحدث فيها من غير أن يخلع عليه، ولا كتب له
توقيع، فتحدث أياما، ثم بعته السلطان إلى الوجه القبلى بمال ليشتري القمح، ويسيره
إلى القاهرة توسعة على الناس، وتقدم بعد سفر مرجان إلى الأمير أينال الأزعرى أن
يتحدث فيها، فنظم العيتابى فى الحسبة، والخبز لا يكاد يوجد.

=ولى إمرة مكة مدة ولم تحمد سيرته، وعزل وقتل خارج مكة فى خامس شهر رجب سنة سبعة
ثلاثين وثمانمائة. انظر المنهل الصافى ٥/ ٣٥٧. والدليل ١/ ٣٩٦، النجوم ١٥/ ١٨٩، الضوء ٣/
٢٣٠ أنباء الغمر ٣/ ٤٢٤، بدائع الزهور ٢/ ١٥٤.

وفي يوم الجمعة سادسه: وردت عدة مراكب من الوجه القبلى تحمل نحو الألفى أردب قمحا، فتباشر الناس بها.

وفي يوم السبت سابعه: ركب المحتسب، والأمير أينال الأزعرى إلى ساحل بولاق، لتفرقة القمح وتوزيعه على الطحانين، فاجتمع عالم لا يحصيهم إلا الله لشراء القمح، فركب الأمير أينال الأزعرى فى أجناده، طرد الناس عن القمح، خوفا من النهب، فلم ينتهوا، وتكاثروا عليه، فغضب منهم، وحمل عليهم. بمن معه يضربهم، فشنع الحال، وغرقت امرأة، فلم يوقف لها على خير، وصلب الأمير أينال الأزعرى أربعة رجال طول نهارهم، وضرب رجلين على ظهورهما عريا ضربا وجال فى القوم جولة هو ومماليكه، ذهب فيها من العمائم ونحوها ماشاء الله، وعطب عدة أناس، وضرب بدبوسه رجلا كسر لوح كتفه، وسالت دماء جماعة متعددة، فكان من الأيام الشنيعة، بات الناس بالقاهرة ومصر ليلة الأحد والخبز عندهم أعز ما يذكر، وأشهى شىء به ينظر، وأفخر ما يتحف به من الطرف، وأجل ما يتهادى به من التحف، فلا قوة إلا بالله.

وفي ليلة الخميس: نقلت الشمس إلى برج الحمل، ودخل فصل الربيع، وقد فشا فى الناس الموت بالطاعون.

وفي يوم الثلاثاء سادس عشرة: عبر السلطان النيل بمن معه، وصعد قلعة الجبل، بنجر.

وفي ثامن عشرة: وردت عدة مراكب فيها غلال، بعث بها الأمير فخر الدين بن أبى الفرج مما اشتراه، الأردب بمبلغ ثمانمائة درهم بكيلى الريف، وهو أردب ونصف بكيلى القاهرة، فرسم السلطان أن يباع كل أردب منه على الطحانين بستمائة درهم، فاشترؤا منه على هذا السعر، وقبض منهم فى ثمنه الذهب خاصة، دون غيره من النقود، ولم يعتد لهم فى الدينار الأفرنتى إلا بمائتين وثلاثين درهما، ولا فى الناصرى إلا بمائة وستين، فتضربوا بذلك من أجل أن الذهب يخرج بالأكثر، فالأفرنتى بمائتين وخمسين، والناصرى بمائتين وقد كانوا فى سادسه اشترؤوا القمح الذى ورد بأربعمائة وعشرين الأردب، فشملتهم الخسارة من الوجهين، واقتضى هذا أن عز وجود الخبز، وأبيع الرغيف الذى زنته نصف رطل بدرهمين بعد ما كان بدرهم.

وفي تاسع عشرة: جلس السلطان بدار العدل من القلعة، وأحضر زين الدين مفلح رسول الملك الناصر أحمد بن الشرف إسماعيل متملك اليمن، ومعه هدية جليلة من شاشات، وأزر، وتقاصيل من حرير، وصينى، وعود، ولبان، وصندل، وغير ذلك على

ماتى جمال، وفيها عدة سروج من عقيق بأطراف ذهب، وقطاط يخرج منها الزباد، فقبلت هديته، وقرئ كتابه، وأنزل رسوله، وأجرى عليه ما يليق به.

وفيه رسم أن يزداد في قطعة الفدان بأراضى مصر مبلغ مائتى درهم، فيصير بستمائة درهم الفدان، بعدما كان بأربعمائة درهم، وهذا يقتضى استمرار غلاء الأسعار، لأن الغلال لا تتحصل إلا وقد استقامت على أربابها بسعر عال والخسارة لا يأتيها أحد طوعا، خصوصا ومعظم غلال أرض مصر للسلطان والأمراء.

وفيه استدعى تقى الدين عبد الوهاب بن أبى شاكر، وخلع عليه خلع الوزارة كرها، وكانت شاغرة منذ عزل بن الهيصم.

وفى هذا الشهر: خصب البرسيم الأخضر، وكثر، وانحط سعره، بحيث أنه كان يباع الفدان منه بألف ومائتى درهم، فنزل إلى مائتى درهم، ولهذا سميت البهائم فى هذا الغلاء لكثرة اعتلافها من البرسيم الأخضر.

وفيه تزايدت أسعار الغلال، فبلغت البطة الدقيق إلى مائتين وخمسين درهما، ولم يعهد فيما تقدم من الغلوات مثل ذلك.

وفى حادى عشرينه: قدم الركب الأول من الحاج.

وفى ثالث عشرينه: قدم المحمل ببقية الحاج.

وفى سادس عشرينه: ركب السلطان ونزل إلى دار الضيافة بجوار القلعة، وقد جمع بها الصناع من الحجارين والبنائين والفعلة، وأقام بها صدرا من النهار، وقد شرعوا فى مرمتها، وكانت تشعث خلولها فى الأيام الظاهرية والناصرية، فذبح فيه للصناع بقرة طبخت واستمر العمل فى دار الضيافة مدة أيام.

وفى ثامن عشرينه: نودى بتأهب أجناد الحلقة للعرض على السلطان فى أول ربيع الأول، وندب جماعة من البريدية، توجهوا إلى جميع أعمال مصر، لإحضار من فى النواحي من الأجناد.

وفى هذا الشهر: قدم الأمير كزل نائب ملطية فى جماعة، وهجموا على حلب، فكانت بينهم وقعة انهزموا فيها، بعدما قتل منهم وأسر طائفة.

وفيه استقر الأمير ركن الدين عمر بن الطحان نائب قلعة صغد.

وفيه ارتفع السعر بالرملة حتى بلغت العليقة الشعير إلى اثنى عشر درهما فضة، ثم انحط.

وفيه كثرت الفتن بين عرب جرم وعرب العايد، بأرض القدس وغزة والرملة.
وفيه رغب الأمير أحمد بن أبي بكر بن نعيم في الطاعة، ثم نفر لما قبض على أخيه.
وفيه قبض على أبنال الجركسى - أحد أمراء دمشق - وسجن بقلعتها.
شهر صفر، أوله الثلاثاء:

فيه عزل السلطان جميع نواب القضاة الأربع، وكانت عدتهم مائة وستة وثمانين
قاضى بالقاهرة ومصر، سوى من بالوجه القبلى والوجه البحرى، وشنت القالة عنهم.
وفيه تيسر وجود الخبز بجوانيت الباعة من أسواق القاهرة، فتباشر الناس بذلك،
وابتهجوا برؤيته لبعدهم برؤيته فى الجوانيت، وأخذ من غير ازدحام مدة ثلاثة
أشهر، أولها مستهل ذى القعدة من السنة الماضية.
واستقرت زنة الأخباز التى يفرقها السلطان فى كل يوم على الفقراء ستة آلاف
رطل، عنها نحو اثنى عشر ألف رغيف.
وفيه خرج عسكر نجدة للأمير فخر الدين بن أبى الفرج بالبحيرة، وتزايد موت الناس
بالطاعون.

وفى خامسه: وقع الاهتمام فى عمارة الجامع المؤيدى بجوار باب زويلة، وأقيم بها
مائة فاعل، وبضع وثلاثون بناء، ووفيت لهم أجرهم من غير أن يكلفوا فيه أكثر من
طائفتهم، ولا سُخر أحد من الناس بالقهر.
وفى عاشره: أحصى من ورد اسمه الديوان ممن مات بالقاهرة فى مدة شهر أوله
عاشر المحرم، فكان ثلاثة آلاف إنسان.

وفى ثانى عشره: استدعى السلطان قضاة القضاة الثلاث، سوى الحنبلى، فإنه سافر
إلى بلدة حماة، فحضر الثلاثة بنوابهم، واستقر الحال بين يديه على أن يكون نواب
القاضى الشافعى عشرة، ونواب الحنفى خمسة، ونواب المالكى أربعة، وانفضوا على
هذا، فتصدى النواب المذكورون للحكم بين يدي، بعدما امتنع نواب الحكم من أول
الشهر.

وفى رابع عشره: زيد فى عدة نواب القضاة، ثم رد من منع شيئا بعد شىء، حتى
زادت عدتهم عما كانت عليه قبل المنع.
وفى خامس عشره: نودى أن لا يزوج أحد من الشهود مملوكا من ممالك
السلطان، وهدد من عقد نكاح أحد منهم.

وفيه بطلت تفرقة الأخباز السلطانية على الفقراء، لسعة الوقت، وذهاب الغلاء.

وفي سادس عشره: تجاوز عدد من يرد اسمه الديوان من الأموات مائة نفس فى اليوم. وهذا سوى من يموت بالمارستان، وفى عدة مواضع خارج المدينة، ويكون ذلك نحو الخمسين نفسا.

وفى ثانى عشرينه: كانت عدة من صلى عليه من الأموات - بمصلى باب النصر خاصة - من أول النهار إلى آذان الظهر اثنين وتسعين ميتا، وشنع ما يحكى من تواتر نزول الموت فى الأماكن، بحيث مات فى أسبوع واحد من درب واحد ثلاثون إنسانا، وكثير من الدور يموت منها العشرة فصاعدا، وقدم الخير بكثرة الوباء أيضا ببلاد الصعيد، وفى طرابلس الشام، وأحصى من مات بها فى مدة أيام، فكانت عدتهم عشرة آلاف إنسان، وكثر الوباء أيضا بالوجه البحرى من أراضي مصر.

وفى سادس عشرينه: تجاوزت عدة أموات القاهرة المائتين.

وفيه قدم الطواشى مرجان الهندى الخازندار من الصعيد بغلال كثيرة وقد انحل السعر، فبيع الأردب القمح بمائتين وسبعين درهما، وعنهما يومئذ مثقال ذهب، فإن الناس لم يمتثلوا ما رسم به فى سعر الذهب، وبلغ المثقال إلى مائتين وسبعين، والأفرنتى إلى مائتين فقط.

وقدم الخير بأن معظم أهل مدينة هُو^(١) - من صعيد مصر - قد ماتوا بالطاعون.

وفى ثامن عشرينه: أنفق من الديوان المفرد على أرباب الجوامك من الأمراء والماليك وغيرهم، ذهب وفضة مؤيدية، فحسب عليهم المثقال الذهب بمائتين وسبعين، والأفرنتى بمائتين وخمسين. ولم يصرف لأحد منهم فلوس، ورسم بأنها تخزن، وأن لا يقبض من أحد أبيع عليه شىء من الغلال المحضرة من الصعيد إلا الفلوس لا غير، وذلك ليغير ضربها وتعمل فلوس مؤيدية.

وفيه خلع على الأمير قطلوبغا، واستقر فى نيابة الإسكندرية، وعزل أقيردى المنقار، وكان قطلوبغا هذا ممن أنعم عليه الأمير منطاش بإمرة مائة، فطال حموله فى الأيام الظاهرية والناصرية، حتى تنبه فى هذا الوقت، وولى بغير سؤال ولا قدرة على ما يتجهز به.

(١) هُو: بليدة أزيلية على تل بالصعيد بالجانب الغربى دون قوص يضاف إليها كورة. انظر معجم

وفيه قتل بدمشق يعقوب شاه، وشاهين الأجرود، وطوغان الجنون.

وفيه خرجت عدة من الأمراء لقتال أهل البحيرة، فقبعوهم واحتووا لهم على كثير من الجمال والغنم والبقر والخيل، حملت إلى السلطان، وقتلوا عدة من الناس.

وفيه اشتد الغلاء بنابلس، وكثر فساد محمد بن بشارة بأرض صفد.

وفيه قدم الأمير فخر الدين بن أبي الفرج كاشف الكشاف، بطائفة من أهل البحيرة، واستاق لهم من الأغنام الشعاري أربعة آلاف وستمائة رأس، وأغنام ضأن ثلاثمائة رأس، وأبقار مائتي رأس، وحمير مائتي رأس، بعثها إلى السلطان، سوى ما حصل بيده ويد أعوانه، ثم جهز أيضا غنما شعاري ثلاثة آلاف رأس، وغنم ضأن ألف رأس، وخيلا عشرين فرسا، ومائتي رأس من البقر، ومائة حمار.

وفيه كتب إلى عرب لييد - أهل برقة - بنزولهم على البحيرة، واستيطانها وقتال أهلها، وأخذهم.

شهر ربيع الأول، أوله يوم الأربعاء:

فيه كثر الموتان بالقاهرة ومصر، وتجاوزت عدة من ورد اسمه الديوان من الموتى الثلاثمائة، وتوهم كل أحد أن الموت آتية عن قريب، لسرعة موت من يطعن، وكثرة من يموت في الدار الواحد، وتواتر انتشار الوباء في جميع أراضي مصر، وبلاد الشام، والمشرق، بحيث ذكر أنه بأصبهان (١) غالب أهلها، حتى صار من يمشى بشوارعها لا يرى أحدا يمر إلا في النادر، وأن مدينة فاس بالمرغب أحصى من مات بها في مدة ثلاثين يوما ممن ورد الديوان - سوى الغرباء من المساكين - فكانوا ستة وثلاثين ألف، وأن المساكن عندهم صارت خالية، ينزل بها من قدم إليها من الغرباء، وأن هذا عندهم في سنتي سبع عشرة، وثمان عشرة وثمانمائة.

وفي هذا الشهر: تصدى الأمير بدر الدين الأستادار لمواراة من يموت من المساكين، بعد تغسيلهم وتكفينهم، فحسن الثناء عليه.

وفيه وعك السلطان من عاشره، وشنع حال البلد من كثرة ما بها من الأحزان، فلا

(١) أصبهان: منهم من يفتح الهمزة، وهم الأكثر، وكسرهما آخرون، منهم: السمعاني وأبو عبيد البكري الأندلسي: وهي مدينة عظيمة مشهورة من أعلام المدن وأعيانها، وهي اسم للإقليم بأسره، وهي من نواحي الجبل في آخر الإقليم الرابع، وهي مدينة فارسية. انظر معجم البلدان ١ / ٢٠٦ وما بعدها.

تجد إلا باكيا على ميت، أو مشغولا بمريض، وبلغت عدة من يرد اسمه الديوان من الأموات فى ثالث عشرينه ما ينيف على خمسمائة، مما فيهم من موتى المارستان والطرحاء، ومع ذلك والأخبار متواترة بأنه صلى فى هذا اليوم بمصليات الجنائز على ما ينيف على ألف ميت، وأن الكتاب يخفون كثيرا ممن يرد اسمه إليهم.

وفى يوم الثلاثاء رابع عشره: خلع على شمس الدين محمد بن الحاج عمر بن شعبان الجابى، واستقر فى وظيفة الحسبة، وعزل بدر الدين محمود العيتابى.

وفى سابع عشره: أشهد عليه السلطان بوقف الجامع الذى أنشأه بجوار باب زويلة، ووقف عليه عدة أماكن بالشام ومصر.

وفيه تزايد بالسلطان ألم رجله، وتمادى به أياما.

وفى عشرينه: خرج عدة من الأمراء إلى الصعيد، لقتال المفسدين، والوقت حيثئذ أيام قبض الغلال، فيخشى منه تمزقها.

وفيه نقص عدد الموتى من خامس عشره.

وفى سابع عشرينه: خلع على بدر الدين محمود العيتابى، واستقر ناظر الأحباس بعد موت شهاب الدين أحمد الصفدى.

وفيه قدم الأمير فخر الدين بن أبى الفرنج من الوجه البحرى إلى القاهرة وأقام بها.

وفى تاسع عشرينه: قدم الخبر بنزول الفرنج على ثغر نستزاه، ونهبهم وتحريقهم الثغر.

فيه استقر الشيخ ولى الدين أبو زرعة أحمد بن الشيخ زين الدين عبد الرحيم بن الحسين العراقى الشافعى^(١) فى مشيخة المدرسة الجمالية برحبة باب العيد، بعد موت الشيخ همام الدين محمد بن أحمد الخوارزمى.

(١) ابن العراقى (٧٦٢ - ٨٢٦ هـ = ١٣٦١ - ١٤٢٣ م) أحمد بن عبد الرحيم بن الحسين الكردى الرازيانى ثم المصرى، أبو زرعة ولى الدين، ابن العراقى: قاضى الديار المصرية مولده ووفاته بالقاهرة. رحل به أبوه المحافظ العراقى إلى دمشق فقراً فيها وعاد إلى مصر فارتفعت مكانته إلى أن ولى القضاء سنة ٨٢٤ هـ، بعد الجلال البلقيني، وحمدت سيرته. ولم يرضى أهل الدولة فعزل قبل تمام العام على ولايته. من كتبه «البيان والتوضيح لمن أخرج له فى الصحيح وقد مس بضرب من التحريح» و«فضل الخيل» و«الإطراف بأوهام الأطراف» للمزى، ورواة المراسيل وحاشية على الكشاف وأخبار المدلسين وتذكرة، وذيل فى الوفيات ومبهمات الأسانية وتحريم الفتاوى وغير ذلك وله نظم ونثر كثير. انظر لحظ الألاحظ ٢٨٤ والبدر الطالع ١/ ٧٢ والضوء اللامع ١/ ٣٣٦ - ٢٤٤ المكتبة الأزهرية ٢/ ٤٦٠ والتبيان - خ - الرسالة المستطرفة وفهرس المخطوطات. المصورة: القسم الثانى من الجزء الثانى ١٢٧/ ٦٩، الأعلام ١/ ١٤٨.

وانقضى هذا الشهر، وقل دار بالقاهرة ومصر وظواهرهما لم يكن بها حزن على ميت وأقل ما قيل أنه مات من عاشر المحرم إلى آخر هذا الشهر عشرون ألفا والمكثري يبلغ في العدد.

وفيه كانت وقعة في عاشره، بين نائب حلب وبين كزل، قريبا من دربساك، انهزم فيها كزل، وقتل وجرح منه جماعة، وأخذ كردى باك وقتل، وحمل رأسه إلى مصر.

وفيه أخذ حسين بن كبك ملطية، وأساء السيرة في أهلها.

وفيه حارب نائب حلب حميد بن نعير وهزمه، وغنم له كثيرا من الجمال.

شهر ربيع الآخر، أوله الجمعة:

بلغت عدة من ورد اسمه الديوان من الأموات - سوى المارستان والطرحاء - إلى مائة وعشرين .

وفي خامسه: سفر الأمير جانبك الصوفى من سجنه بقلعة الجبل إلى الإسكندرية، فسجن بها.

وفيه كانت عدة من ورد اسمه الديوان من الأموات نيفا وستين، وفي تاسعه كانت عدتهم ثلاثة وعشرين.

وفي ثانی عشره: قبض على الأمير بدر الدين حسن بن محب الدين الأستادار، بعد ما أوسعه السلطان سبا، وهم بقتله، ثم عوق نهاره بالقلعة، فشفع فيه الأمير جقمق الدوادار، فأسلم له على أن يحمل ثلاثمائة ألف دينار، ونزل معه آخر النهار، وسبب قبضه تأخر جوامك المماليك وعليق خيولهم من عجزه، مع كثرة دالته على السلطان، وبسط لسانه المانه عليه.

هذا والأمير فخر الدين بن أبى الفرج يواصل حمل المال من الوجه البحرى، حتى أناف ما حملة على مائة ألف دينار، سوى الخيول وغيرها.

وفيه قبض على كثير من التجار والصيافة، وجمعوا فى بيت الأمير جقمق الدوادار، واشتد الإنكار عليهم، بسبب غلاء سعر الذهب، ومخالفتهم ما رسم لهم به فيه غير مرة، حتى بلغ المثقال إلى مائتين وثمانين، والدينار الأفرنتى إلى مائتين وستين، والناصرى إلى مائتين وعشرة دراهم، وباتوا فى داره، محتفظا بهم، وموكلا عليهم، حتى تراجع السلطان فى أمرهم.

فكثر خوض الناس فى حديث الذهب، وتوقفوا فى أخذه، ثم أفرج عنهم من الغد، ولم يتقرر شىء يعتمد عليه فى أمر الذهب.

وفيه كانت عدة من ورد اسمه الديوان من الأموات تسعة وعشرين، وقدم الخير من دمشق بتزايد الموتان عندهم، وأنه يموت فى اليوم ستون إنساناً وأنه ابتداء الوباء عندهم من أثناء ربيع الأول، عندما تناقص من ديار مصر.

وفى ثامن عشره: كتب السلطان بطلب الشيخ شمس الدين محمد بن عبد الله بن أسعد العيسى القدسى الديرى الحنفى من القدس، ليستقر به فى قضاء القضاة الحنفية بديار مصر، عوضاً عن ابن العديم بعد موته.

وفى عشرينه: بعث السلطان تشريفاً إلى الأمير فخر الدين عبد الغنى بن أبى الفرج كاشف الوجه البحرى، ليستقر أستاذاراً، عوضاً عن الأمير بدر الدين حسن بن محب الدين، وكتب إليه بحضوره.

وفيه تقرر على الأمير بدر الدين بحمل مائة ألف دينار وخمسين ألف دينار، بعد ما عصر فى بيت الأمير جقمق عصراً شديداً وضربت الحوطة على موجوده، وتبعته حواشيه وأسبابه وألزامه، فقبض عليهم.

وفيه قدم الخير بأن عدد الموتى بدمشق بلغ إلى مائة إنسان فى اليوم، ممن يرد اسمه للديوان.

وفى حادى عشرينه: قبض على كثير من الصيارفة والتجار، ورسم عليهم وأخذوا من الغد، وأحضروا بالقلعة، فلم يتهياً لهم حضور بين يدى السلطان، وتقرر معهم ألا يخالفوا ما يرسم به فى الذهب، وأفرج عنهم بعدما أرجف بأنهم يشنقوا، ونودى أن يكون المثقال الذهب بمائتين وخمسين، والدينار الأفرنتى بمائتين وثلاثين، وأن لا يتعامل بالناصرى، بل يقص ويصرف بحساب الذهب الهرجة المصرى، فشق ذلك على الناس وتلف لهم مال كثير.

وفى ثالث عشرينه: قدم الأمير فخر الدين عبد الغنى بن أبى الفرج إلى القاهرة.

وفى رابع عشرينه: نودى على النيل أنه زاد ثلاثة أصابع، وأن القاع بلغ سبعة أذرع ونصف ذراع.

وفى خامس عشرينه: خلع على الأمير فخر الدين بن أبى الفرج، واستقر أستاذاراً، مع ما بيده من كشف الوجه البحرى.

وفي ليلة الأربعاء سابع عشرينه: نقل الأمير بدر الدين حسن بن محب الدين من بيت الأمير جقمق الدوادار إلى بيت الأمير فخر الدين الأستادار، وقد أهينت حاشيته وأتباعه، وعوقبوا عقوبات كثيرة متعددة، وقبض على امرأته وعوقبت حتى أظهرت مالا كثيرا، فأصبحوا مرحومين بعدما كانوا محسودين، نكالا من الله بما قدمت أيديهم، فإنهم كانوا قوم سوء فاسقين، لم يعفوا عن قبيح، ولا كفوا يدا عن ظلم.

وفي هذا الشهر: قدم الفرنج في أربعة أغربة إلى منية يافا، وأسروا نحو الخمسين امرأة وطفلا، وحاربهم المسلمون، وقتلوا منهم واحدا، ثم افتكوا الأسرى بخمسة عشر دينارا كل أسير. ونزل في ثاني عشرينه على الإسكندرية فرنج في مركب بضاعة، فثار بينهم وبين بعض العتالين شر، إلى أن آل القتال، وأخذ الفرنج مركبا فيها عدة من المسلمين، ولم يكفوا عن الحرب حتى بعث إليهم النائب غرماءهم من العتالين، وهم ثلاثة، فردوا ما أخذوه عند ذلك، ثم قدمت مركب للمغاربية، فأخذها الفرنج بما فيها، ولم ينج منهم سوى خمسة عشر نفرا، سبحو في الماء إلى البر، وأسر بقيتهم.

شهر جمادى الأولى، أوله السبت:

فيه سار الأمير جقمق الدوادار في عدة من الأمراء إلى الوجه القبلي، وكتب بإحضار من هناك من الأمراء.

وفي سادسه: ندب السلطان طائفة من القراء إلى الاجتماع على تلاوة كتاب الله العزيز بالمقياس وأجرى عليهم من الأطعمة ما يليق بهم، وفرق فيهم مالا، فأقاموا على ذلك بالمقياس وسببه توقف النيل عن الزيادة مدة أيام، ونقصه أربعة عشر إصبعا.

وفي يوم الجمعة سابعه: ركب الأمير سون قرا صقل حاجب الحجاب إلى شاطئ النيل، وأحرق ما كان هناك من الأخصاص، وطرده الناس، ومنعهم من الاجتماع، فإنهم كانوا قد أظهروا المنكرات من الخمر ونحوها من المسكرات، واختلاط النساء بالرجال، من غير استتار، فعندما طرقتهم الحاجب اضطربوا، ونهب بعضهم بعضا، فذهبت أموال عديدة.

وفي ثالث عشره: قدم الشيخ شمس الدين محمد الديرى من القدس، ونزل بقاعة الحنفية من المدرسة الصالحية بين القصرين.

وفي يوم الإثنين سابع عشره: استدعى إلى قلعة الجبل، وخلع عليه بحضرة السلطان، واستقر في قضاء القضاة الحنفية بديار مصر، ونزل معه أعيان الدولة إلى المدرسة الصالحية، فحكم على العادة.

وفى ثالث عشرينه: قبض على الأمير كزل العجمى الأجرود أمير جاندار، ونفى إلى صفد.

وفيه كثر الطاعون بدمشق، حتى بلغ عدد من يموت نحو المائتين فى كل يوم.

وفيه قبض على محمد بن سيف بن عمر بن محمد بن بشارة، الذى كان يقطع الطريق، وعلى عبده، وحمل من وادى التيم^(١) إلى دمشق.

وفى خامس عشرينه: نزل عرب لبيد فى خمسمائة خيال - سوى المشاة - على ريف البحيرة.

شهر جمادى الآخرة، أوله الإثنين:

فيه اشتد الطلب على الأمير بدر الدين بن محب الدين، وعوقب أشد عقوبة، ونوعت عقوبات ألزاهه أيضا.

وفيه قدم الأمراء من الوجه القبلى.

وفيه أشار السلطان لمن حضر مجلسه من الفقهاء بأن من الأدب أنه إذا دعا الخطباء فى يوم الجمعة للسلطان، أن ينزلوا عن موقفهم الذى كانوا فيه درجة، ثم يدعوا للسلطان، حتى لا يكون ذكر السلطان فى الموضوع الذى فيه يذكر الله تعالى ورسوله ﷺ، وأمر الخطباء بذلك، وكان ممن حضر يومئذ بين يديه الشيخ زين الدين أبو هريرة بن النقاش خطيب الجامع الطولونى، والشيخ شهاب الدين أبو الفضل أحمد ابن حجر خطيب الجامع الأزهر، فامثلا ذلك.

وفى يوم الخميس رابعه: خلع على الأمير فخر الدين عبد الغنى بن أبى الفرج، واستقر مشير الدولة، مضافا لما بيده من الأستادارية وكشف الوجه البحرى.

وفيه قدم الأمير حقمق من الوجه القبلى.

وفى يوم الجمعة خامسه: اعتمد خطباء مصر والقاهرة ما أشار به السلطان، فنزلوا عندما أرادوا الدعاء له درجة، ثم دعوا، وامتنع من ذلك قاضى القضاة البلقينى فى جامع القلعة، لكونه لم يؤمر بذلك ابتداء، فستل عن ذلك، فقال: « ليس هو السنة»، فغير عزم السلطان عن ذلك، فترك الناس ذلك بعده ولقد كان عزم السلطان فى هذا جميلا، والله الأمر.

(١) وادى التيم: يقع غربى دمشق، من أعمال بانياس. انظر النجوم الزاهرة ٤ / ١٨٤.

وفي سادسه: فرق السلطان على يد الطواشى فيروز جملة فضة مؤيدية على الفقهاء والفقراء والأيتام، فتوسع الناس بذلك.

وفي يوم الإثنين ثامنه - وعاشر مسرى - : أوفى النيل ستة عشر ذراعاً، فنزل السلطان وعدى النيل إلى المقياس، حتى خلق بين يديه، ثم سار، وفتح سد الخليج على العادة، وعاد إلى القلعة.

وفي سادس عشره: نودى أن يكون صرف الدينار المختوم الهرجة بثلاثين مؤيدياً فضة، وصرف الدينار الأفرنتى بمثانية وعشرين مؤيدياً، فيكون الدينار الهرجة بمائتين وسبعين درهماً من الفلوس، والدينار الأفرنتى بمائتين واثنين وخمسين درهماً، ومنع الناس أن يتعاملوا بالناصرى، وأن يقص جميع ما يظهر منه، ويحسب فى المثقال منه مبلغ مائتين وأربعين درهماً فلوساً، فلم يستقر الحال على ذلك، وخرج الدينار الأفرنتى بمائتين وستين درهماً، والناصرى بمائتين وعشرة.

وفي سادس عشره: قدم الأمير صلاح الدين محمد الحاجب بن الصاحب بدر الدين حسن بن نصر الله ناظر الخاص إلى الإسكندرية فى تحصيل المال، فجلس بالخمسة، وبين يديه أعيان أهلها، فجاءه الخبر بأن الفرنج الذين وصلوا ببضائع المتجر - وهم فى ثمان عشاريات ^(١) من مراكب بحر الملح - قد عزموا على أن يهجموا عليه، وأن يأخذوه هو ومن معه، فقام عجلًا من غير تأن يريد الفرار، وتسارع الناس أيضا يفرون، فهجم الفرنج من باب البحر، فدافعهم من هناك من العتالين، حتى أغلقوا باب البحر، وقتلوا رجلاً من الفرنج، فقتل الفرنج نحو عشرين من المسلمين، وانتشروا على الساحل، وأسروا نحو سبعين مسلماً، وأخذوا ما ظفروا به، ولحقوا بمراكبهم، وأتوا فى الليل يريدون السور، فتراموا ليلتهم كلها مع المسلمين إلى الفجر، فأخذ كثير من المسلمين فى الرحيل من الإسكندرية، وأخرجوا عيالهم، وقام الصياح على فقد من قتل وأسرى، وباتوا ليلة الجمعة مع الفرنج فى التزامى من أعلى السور، فقدمت طائفة من المغاربة فى مركب ومعهم زيت وغيره من تجارتهم، فمال الفرنج عليهم وقتلهم قتالاً شديداً حتى أخذوهم عنوة، وأخرجوهم إلى البر، وقطعوهم قطعاً، وأهل الإسكندرية يرونهم فلا يغيبونهم. فقدم الخبر بذلك فى ليلة السبت عشرينه، فاضطرب الناس بالقاهرة، وخرج ناظر الخاص نجدة لولده، ومضى معه عدة من الأمراء، وخرج الشيخ أبو هريرة بن النقاش فى عدة من المطوعة، يوم الأحد حادى عشرينه، وقدموا

(١) مفرداً عشاري وهو نوع من السفن.

الإسكندرية، فوجدوا الفرنج قد ألقعوا، وساروا بالأسرى، وما أخذوه من البر ومن مركب المغاربة، في يوم الثلاثاء ثانى عشرينه، فعادوا في آخر الشهر إلى القاهرة.

وفيه كثر الطاعون بدمشق.

وفيه قتل حميد بن نعيم غدرا.

وفيه نزل على مدينة الرحبة حسين بن نعيم وحصرها عشرين يوما، كانت فيها حروب عظيمة، حتى أخذها ونهبها، ثم أحرقها حتى جعلها فحمة سوداء.

وفي سابع عشرينه: اعتقل الأمير كزل العجمي، الذي كان حاجب الحجاب بديار مصر، ونفى إلى قلعة صفد.

شهر رجب، أوله الثلاثاء:

في سابع عشره: دار المحمل على العادة، بعدما جبي الأمير سيف الدين خرز والى القاهرة ما حدث من أخذ الخمر للمماليك الراحة من أهل الذمة، فجبي من اليهود خمسة وستين مروقة خمر، ثمها عندهم مائة وعشرون درهما كل مروقة، وغرموا مع ذلك جملة لأعوانه، بلغت خمسة آلاف درهم.

وطلب من النصارى مثل ذلك، فتعززوا عليه لقوة جاههم، فحقد عليهم ذلك، وكبس سويقة صفية خارج القاهرة، وكبس الكوم خارج مصر، وأراق للنصارى - باعة الخمر - عدة آلاف من جزارها وكتب على أكابره إشارات بكثير من جزار الخمر، يقومون له بها، فمنهم من ألزمه بثلاثمائة جرة، وتلف لهم مع هذا مال كبير مما غرموه للأعوان، ومما نهب، فكان هذا من شنيع المنكرات.

وفي ثامن عشره: نودى أن يكون النصف المؤيدى بثمانية دراهم فلوسا، وكل رطل من الفلوس بخمسة دراهم ونصف، وكل دينار أفرنتى بمائتين وثلاثين فلوسا، وكل دينار هرجة بمائتين وخمسين درهما فشملت المضرة عامة الناس لخسارة أموالهم.

وفي ثانى عشرينه: خلع على الأمير منكلى بغا العجمي، وأعيد إلى حسبة القاهرة. وعزل ابن شعبان مزوموا لقبح سيرته، ونودى بتهديد من خالف ما رسم به فى الفلوس والفضة المؤيدية، أو تكلم فيما لا يعينه.

وفي يوم الثلاثاء سلخه: خلع على الأمير بدر الدين حسن بن محب الدين، واستقر كاشف الوجه القبلى، بعدما ضرب بحضرة السلطان.

وفي هذا الشهر: رسم بدمشق على قاضى نجم الدين عمر بن حجي الشافعى، ونودى بعزله والكشف عليه، وأن من له عليه حق يحضر إلى بيت الحاجب الدعوى عليه، واستمر النداء مدة أيام، فلم يظهر عليه شىء ثم نقل إلى المدرسة اليونسية، بالشرف الأعلى، ورسم عليه، ونصب للحكم بين الناس نائبان من نوابه، وكتبت أوراق بوظائفه، وأشهد عليه أنه إن كان له غير ذلك يكون عنده عشرة آلاف دينار لعمارة الأسوار، وحملت الأوراق إلى السلطان.

وفيه نزل قرا يلوك على أرزنجان، وأفسد بلادها، فكتب نائبها بئر عمر إلى قرا يوسف، فأمده بابنه إسكندر، ففر منه قرا يلوك، وأخذ ما كان معه. وفيه مات الأمير ناصر الدين محمد إلياس حاجب غزة وقد كان قدم إلى القاهرة غير مرة، وكان من الظلمة الكبار.

شهر شعبان المكرم، أوله الأربعاء:

فيه انتهت زيادة النيل إلى عشرين ذراعا سواء، وثبت إلى وقت انحطاطه، فنزل نزولا حسنا.

وفيه تردد السلطان إلى العمارة بجوار باب زويلة، غير مرة.

وفيه كثر طلب مباشرى الدولة للرخام - من العمد والألواح - برسم الجامع المؤيدى، فأخذ ذلك من عدة بيوت فى القاهرة ومصر.

وفيه كثر غبن الناس لانحطاط النقود بديار مصر، مع ثبات أسعار المبيعات وأجر الأعمال.

وفي يوم الأربعاء ثانى عشرينه: وسط بمدينة المحلة^(١) شمس الدين محمد بن مريجينة - قاضى ناحية جوجر^(٢) من الغربية ومدركها - وأحيط بموجوده، وهو نحو خمسة وأربعين ألف دينار، فدخل ديوان السلطان، ولم يترك منه لأولاده شىء.

وفي سلخه: خلع على الأمير بدر الدين حسن بن محب الدين خلعة السفر، فتوجه إلى الوجه القبلى من غده.

(١) المحلة: هى مدينة مشهورة بالديار المصرية وهى عدة مواضع، منها محلة دقلا: وهى أكبرها وأشهرها وهى بين القاهرة ودمياط؛ ومحلة أبى الهيثم: أظنها بالحوف من ديار مصر وغيرها. انظر

معجم البلدان ٥ / ٦٣

(٢) جوجر: بليدة بمصر من جهة دمياط فى كورة السمنودية. انظر معجم البلدان ٢ / ١٧٨.

وفيه خلع على زين الدين قاسم قاضى العاليا^(١) من بلاد الروم، واستقر فى قضاء العسكر وإفتاء العدل، على مذهب الحنفية، وكانتا قد شغرتا من مدة، وقاسم هذا قدم إلى القاهرة من نحو سنة، وحضر فى مجلس السلطان مع من يحضر من الفقهاء فى كل أسبوع.

وقدم الخبز بكثرة الوباء بالقدس وصفد، وأنه ابتداء عندهم من مدة أشهر.
وفيه وعك السلطان.

وفيه مات أيدغمش بن أوزر من أمراء التركمان، فى الاعتقال بدمشق.

وفيه قبض على محمد عبد القادر وأخيه عمر بغزة، وحملوا إلى القاهرة.

وفيه قدمت هدية سلمان بن أبى يزيد بن عثمان، متملك برصا، فأنزل قاصده بدار الضيافة، وقبلت هديته، ورسم أن تجهز له هدية.

شهر رمضان المعظم، أوله الجمعة:

لم يشهد فيه السلطان الجمعة، لملازمته الفراش .

وفيه فرق الطواشى فيروز فى الناس مبلغا من المؤيدية، على العادة.

وفيه رتب السلطان عدة أبقار تذبح فى مواضع متعددة، ويفرق لحمها كما كانت عادة الملك الظاهر برقوق فى شهر رمضان.

وفى يوم الخميس سابعه: خلع على الأمير أقبغا شيطان، شاد الدواوين، واستقر فى ولاية القاهرة، وعزل الأمير خرز، فصار بيده ولاية القاهرة وشد الدواوين والحجوبية، وخلع على خرز واستقر فى نقابة الجيش.

وفى تاسعه: نودى بأن يكون سعر المؤيدى ثمانية دراهم، وأن تكون الفلوس بخمسة دراهم ونصف كل رطل، ويكون الدينار الأفرنتى بمائتين وثلاثين، وهدد من زاد فى ذلك أو غيره. وكان الأفرنتى قد بلغ إلى أحد وثلاثين مؤيديا.

وفيه قدم الشريف بركات بن الأمير حسن بن الأمير عجلان من مكة المشرفة بخيل وغيرها، تقدمت للسلطان، فقبلت منه، وأنزل وأجرى عليه راتب.

وفى حادى عشره: خلع على الأمير خرز، واستقر شاد الدواوين، عوضا عن أقبغا شيطان، وجعل من جملة الحجاب، فصار شاد الدواوين، نقيب الجيش، حاجبا.

(١) العاليا: بلدة محدثة فى آسيا الصغرى، أنشأها علاء الدين أحد ملوك سلاجقة الروم، وتقع

جنوب أنطاليا. انظر تقويم البلدان ص ٣٨١.

السلوك لمعرفة دول الملوك ٤١٩

وفي خامس عشره: كتب تقليد الشريف حسن بن عجلان بإعادته إلى إمرة مكة، وعزل الشريف رميثة.

وفي عشرينه: أحضر إلى السلطان برجل عجمي، ادعى أنه صعد إلى السماء السابعة، ورأى الله سبحانه، وأنه تعالى صرفه في الملك، فسجن بالمارستان عند المرودين.

وفيه أعيد رسول ملك اليمن، ورسول الفرنج البندقية، ورسول قرا يوسف، ومع كل منهم هدية.

وفي آخره: قدم قاضي القضاة نجم الدين عمر بن حجي من دمشق، وقد عزل عن قضاء دمشق بجمال الدين عبد الله بن نور الدين محمد بن صدر الدين محمد بن محمد ابن زيد، قاضي بعلبك.

وفي هذا الشهر: قرئ كتاب صحيح البخاري بالقصر من قلعة الجبل، على ما جرت به العادة، وحضر قراءته القضاة الأربع، ولم تجر العادة بذلك، وإنما كان يحضر قاضي القضاة الشافعي، وشيخ الإسلام في طائفة يسيرة من الفقهاء، فزاد عدد الفقهاء الحاضرين في هذه السنة على ستين فقيها، صرف لكل منهم ألف درهم فلوسا.

وفيه كان السلطان منقطعا لألم رجله.

وفيه كانت فتنة بالبحيرة.

وفيه كثر الغبن من انحطاط النقود وتغيرها، مع ثبات السعر في المبيعات.

شهر شوال، أوله السبت:

في ثلثه: قتل الأمير دمرداش الفخري كاشف الوجه البحري، موسى بن رحاب، وخلاف بن عتيق من شيوخ البحيرة، وقتل أهل البحيرة حسين بن شرف، وعدة من شيوخهم.

وفي سادسه: قدمت رسل قرا يوسف.

وفي رابع عشره: توجه الأمير فخر الدين بن أبي الفرج بالعسكر لقتال أهل البحيرة.

وفيه قدم ركب التكرور للحج، ومعهم ألف وسبعمائة رأس من العبيد والإماء،

وشيء كثير من التبر.

وفي عشرينه: خرج محمل الحاج إلى بركة الحجاج، وحج من الأعيان قاضى القضاة جمال الدين عبد الله بن مقداد الأقفهسى المالكى، والأمير صلاح الدين محمد الحاحب بن الصاحب بدر الدين حسن بن نصر الله ناظر الخاص، وخوند خديجة زوجة السلطان.

وفي سابع عشرينه: قلع باب مدرسة السلطان حسن، ونقل إلى الجامع المؤيدى بجوار باب زويلة، ونقل معه التنور الذى كان معلقا هناك، وقد اشترهما السلطان بخمسمائة دينار.

وفي هذا الشهر: توجه محمد كرشجى بن أبى يزيد بن عثمان صاحب برصا لقتال اسفنديار بن أبى مملك قسطنونية^(١) وحصره فى جزيرة سينوب^(٢) إلى أن وقع بينهما الاتفاق على أن يخطب له ويضرب السكة باسمه، فأفرج عنه وعاد اسفنديار إلى قسطنونية، وخطب باسم محمد كرشجى، فلم يوافقه وزيره خواند سلاز على إقامة الخطبة بالجامع الذى أنشأه لمحمد، وصار يخطب فيه باسم ملكه اسفنديار، وخطب اسفنديار فى بقية جوامع قسطنونية باسم محمد كرشجى، وهذا من غريب ما وقع أن يخطب فى مدينة واحد باسم ملكين فى وقت واحد.

وفيه عز وجود لحم الضأن ولحم البقر بالقاهرة.

وفيه كانت فتنة بمكة وذلك أن الشريف حسن بن عجلان لما عزل بالشريف رميثة فى صفر من السنة الخالية، ودخل رميثة إلى مكة فى أول ذى الحجة منها - كما تقدم - لم يتعرض إليه الشريف حسن، حتى بعث ابنه بركات، وقائده شكر، إلى السلطان، فقدا - كما تقدم - فكذب السلطان بإعادة الشريف حسن إلى الإمرة فى ثامن عشر شهر رمضان، وجهز إليه تشريفه وتقليده، فقدا عليه وهو بجدة فى ثانى شوال، فبعث إلى القواد العمرية - وكانوا باينوه من شعبان ولحقوا برميثة فى مكة - يرغبهم فى طاعته، فأبوا عليه، وجمعوا لخربه، فسار إلى مكة، وعسكر بالزاهر - ظاهر مكة - فى يوم السبت ثانى عشرين شوال هذا، ومعه الأشراف، آل أبى نمى، وآل عبد الكريم، والأدارسة، ومعه الأمير الشريف مقبل بن مختار الحسنى أمير ينبع بعسكره، ومعه مائة وعشرون من الأتراك، فبعث إلى العمرية يدعوهم إلى طاعته، فندبوا إليه ثلاثة منهم،

(١) قسطنونية: مدينة فى آسيا الصغرى، تقع شرقى هرقله، وتقع جنوبى سينوب بينهما خمس

مراحل. انظر تقويم البلدان ص ٣٩٣.

(٢) سينوب: تقع شمالى قسطنونية وغربى سامسون. انظر تقويم البلدان ص ٣٩٣.

فلما أتوه خوفهم عاقبة الحرب، وحذرهم، ومضوا إلى مكة، فلم يعودوا إليه لتماديهم وقومهم على مخالفتهم، فركب يوم الإثنين رابع عشرينه من الزاهر، وخيم بقرب العسيلة^(١) أعلا الأبطح^(٢) وأصبح يوم الثلاثاء زاحفاً فى ثلاثمائة فارس وألف راجل، فخرج إليه رميثة فى قدر الثلث من هؤلاء فلما بلغ الشريف حسن إلى المعابد، بعث يدعوهم، فلم يجيبوه؛ سار إلى المعلا^(٣) ووقف على الباب ورمى من فوقه فانكشفوا عنه، وألقيت فيه النار فاحترق، وانبث أصحاب حسن ينقبون السور ويرمون من الجبل بالنشاب والأحجار أصحاب رميثة، ثم اقتحموا السور عليهم وقاتلوهم حتى كثرت الجراحات فى الفريقين، فتقدم بعض بنى حسن وأجار من القتال، فانكف عند ذلك حسن، ومنع أصحابه من الحرب، فخرج القضاة، والفقهاء، والفقراء، بالمصاحف والربعات إلى حسن، وسألوه أن يكف عن القتال، فأجابهم بشرط أن يخرج رميثة ومن معه من مكة، فمضوا إلى رميثة وما زالوا به حتى تأخر عن موضعه إلى جوف مكة، ودخل الشريف حسن بجميع عسكره، وخيم حول بركتى المعلا، وبات بها، وسار يوم الأربعاء سادس عشرينه وعليه التشريف السلطاني، ومعه عسكره، إلى المسجد، فنزل وطاف بالبيت سبعا، والمؤذن قائم على بئر زمزم، يدعو له حتى فرغ من ركعتى الطواف ثم مضى إلى باب الصفا فجلس عنده، وقرئ تقييده إمرة مكة هناك، ثم قرئ كتاب السلطان إليه بتسلم مكة من رميثة، وقد حضره عامة الناس، ثم ركب وطاف البلد، ونودى بالأمان، وأجل رميثة ومن معه خمسة أيام، فلما مضت سار بهم إلى جهة اليمن، واستقر أمر الشريف حسن بمكة على عادته، وثبت من غير منازع.

وفيه قدمت الخاتون زوجة الأمير أيدكى صاحب الدست إلى دمشق، تريد الحج، وفى خدمتها ثلاثمائة فارس.

شهر ذى القعدة، أوله الإثنين:

فيه سار الشريف بركات بن حسن بن عجلان إلى مكة.

وفى رابعه: ركب السلطان، وعدى النيل البر الغربى، وأقام هناك يتصيد.

(١) العسيلة: ماء فى جبل القنان شرقى سميرا. انظر معجم البلدان ٤/ ١٢٥.

(٢) الأبطح: بالفتح ثم السكون وفتح الطاء والحاء مهملة: مكان يضاف إلى مكة وإلى منى؛ لأن المسافة بينه وبينهما واحدة، وربما كان إلى منى أقرب، وهو المحصب، وهو خيف بنى كنانة. انظر معجم البلدان ٧٤/١.

(٣) معلا: موضع بالحجاز. انظر معجم البلدان ٥/ ١٥٨.

وفى ثامننه: قدم الأمير فخر الدين بن أبى الفرج من البحيرة، ومعه شيء كثير من الأغنام وغيرها، وعدة رعوس ممن قتله من الناس، بعدما وصل فى طلب أهل البحيرة إلى العقبة، فلم يظفر بهم، فمضى من العقبة نحو برقة أياما، ثم رجع بغير طائل، سوى تخريب البلاد ونهبها.

وفيه قدم أيضا الأمير سودن الأشقر من سجن الإسكندرية، فنزل خارج القاهرة، ومضى منها إلى القدس، ليقيم به بطالا.

وفى ثامن عشره: عاد السلطان إلى القلعة، وقد انتهى إلى الطرانة.

وفى يوم السبت عشرينه: خلع على الأمير فخر الدين بن أبى الفرج واستقر فى الوزارة بعد موت تقى الدين عبد الوهاب بن أبى شاکر، مضافا لما بيده من الأستادارية، والكشف. وخلع على سيدى سليمان بن الكويز، واستقر أستاذار الأمير صارم الدين ابن السلطان، عوضا عن تقى الدين بن أبى شاکر، ولبس هيئة الأجناد، وحملة السلاح، من القباء والكلفتاه، وترك زى أبيه وأخويه، وخلع على الأمير يحيى بن لاقى، واستقر شاد الخاص مضافا لما بيده من المهمندارية.

وفى هذا الشهر: كان اللحم بالقاهرة عزيز الوجود.

وفيه بيعت الباقية البنفسج - وهو حين أوانه - بمائة وخمسين درهما فلوسا، عنها نحو عشرين مويديا فضة، وذلك لقلته وجوده، فإنه لم يزرع سوى فى موضع واحد ولقد عهدنا الباقية منه تباع بنصف درهم فضة، فسبحان محيل الأحوال.

وفيه هدمت قلعة الخوايى إحدى قلاع الإسماعيلية من عمل طرابلس، حتى سوى بها الأرض بعد حصار طويل، فصارت أثرا بعد عين.

وفى سابع عشرينه: خلع على مانع بن سنيد بإمرة بنى مهدى^(١) عوضا عن محمد ابن هيازع، بحكم وفاته.

شهر ذى الحجة، أوله الثلاثاء:

فى رابعه: استدعى نجم الدين عمر بن حجي، وخلع عليه بإعادته إلى قضاء القضاة الشافعية بدمشق.

(١) بنو مهدى: بطن من بنى طريف من جذام من القحطانية وتقع منازلهم بالبلقاء من بلاد الشام. انظر نهاية الأرب فى أنساب العرب.

وفي رابع عشره: وصل إلى القاهرة دوغان بن حديثة، أمير آل فضل، بكتاب أبيه، يتضمن تسحب أولاد نعيم من الرحبة.

وفي سلخه: قدم رسول الأمير ناصر الدين محمد بن قرمان، ومعه دراهم قد ضربت بالسكة المؤيدية.

وفي هذا الشهر: ابتداء الأمير جقمق الدوادار بعرض أجناد الحلقة.

وفي يوم النحر عاشره: أنزل بالخليفة المستعين بالله العباس بن محمد من محبسه بقلعة الجبل نهارا إلى ساحل مصر، وهو على فرس، وجرى أيضا بالأمير فرج بن الملك الناصر فرج، وبأخويه محمد و خليل، في محفة، فساروا في النيل إلى الإسكندرية، ووكل بهم الأمير كزل الأرعون شاوي أحد أمراء حماة، فسجنوا بها، وكان الخليفة لما جلس الملك المؤيد على التخت، حوله من القصر، واسكنه بدار من دور الحرم السلطانية ومعه أهله وولده، ثم نقله إلى برج قريب من باب القلعة، فأقام به وعنده أهله مدة، حتى حمل إلى الإسكندرية، فأنزل ببرج من أبراجها بأهله وولده، من غير أن يجري عليه شيء.

وفي ثاني عشره: ركب السلطان، وعدى إلى ناحية أوسيم. فأقام هناك إلى سادس عشرينه، ثم سار إلى شاطئ النيل، ونزل على منبابة إلى ثامن عشرينه وعدى إلى القلعة.

وفيه قدمت خديجة خاتون - زوجة الأمير ناصر الدين محمد بن دلغادر - من أبلستين في طلب ولدها. وكان قد عوقه السلطان عنده من مدة طويلة، فأكرمها السلطان، وأنزلها، وجمع بينها وبين ابنها، وكان قد قبض عليه بعد فتنة الأمير قانباي، وحمله إلى قلعة الجبل، وأجرى عليها ما يليق بها.

وفي تاسع عشرينه: قدم مبشرو الحاج، وأخبروا بسلامة الحاج، وأخبروا أنهم وقفوا بعرفة يوم الخميس، وكانت الوقفة بمصر يوم الأربعاء.

وكانت النفقة على الجامع المؤيدى إلى سلخ هذه السنة مبلغ أربعين ألف دينار.

وفيهما كانت بين ابن عثمان وبين النصارى حروب عظيمة، أخذ له فيها النصارى اثني عشر مركبا، وقتلوا من المسلمين أربعة آلاف.

* * *

ومات في هذه السنة ممن له ذكر

الأمير الوزير شهاب الدين أحمد بن الحاج عمر المعروف بابن قطينة - تصغير قطنة

بالتون - يوم الأحد ثانی عشرين المحرم، باشر الوزارة فى سنة اثنتين وثمانمائة دون الأسبوع، وعزل، وتصرف فى عدة أعمال. وكان ذا يسار وترف.

ومات الأمير تنبک شاد الشراب خاناة، فى سادس عشرين صفر، فشهد السلطان جنازته، وشكر لما سافر بالحاج فى سنة ثمان عشرة.

ومات قاضى القضاة شمس الدين محمد بن على بن معبد القدسى، المعروف بالمدنى المالکى، يوم الجمعة عاشر شهر ربيع الأول، وقد بلغ سبعين سنة وكان مشكور السيرة فى ولايته، بالعفة مع قلة العلم.

ومات شهاب الدين أحمد الصفدى ناظر المارستان وناظر الأحباس، ثانى عشر ربيع الأول، ولم يكن مشكور السيرة.

وماتت خوند ستیة بنت الملك الناصر فرج بن الملك الظاهر برقوق، ليلة السبت تاسع عشر ربيع الأول، فاشتد حزن زوجها الأمير صارم الدين إبراهيم ابن السلطان عليها.

ومات الشيخ فتح الدين أبو الفتح ابن الشيخ محمد بن محمد بن عبد الدايم الباهى الحنبلى، فى ليلة الجمعة خامس عشرينه، وكان من نبهاء الفضلاء فى عدة فنون.

ومات الشيخ همام الدين محمد بن أحمد الخوارزمى الشافعى، شيخ المدرسة الجمالية، برحبة باب العيد من القاهرة وكان يدرس فى عدة علوم، من فقه ونحو وغيره.

ومات قاضى القضاة أمين الدين عبد الوهاب بن قاضى القضاة شمس الدين محمد بن أبى بكر الطرابلسى الحنفى، ليلة السبت سادس عشرينه، وقد تجاوز أربعين سنة، وكان مشكور الطريقة.

ومات تقى الدين أبو بكر بن عثمان بن محمد الجيتى الحموى الحنفى، قاضى العسكر، فى تاسع عشرينه، وكان من فضلاء الحنفية ونحاتهم.

ومات الطواشى زين الدين مقبل الأشقتمرى، رأس نوبة الجمدارية، ليلة الإثنين رابع ربيع الآخر، ودفن بمدرسته بخط التبانة، خارج باب زويلة. وكان رومياً، يحفظ القرآن الكريم، وكتاب الحاوى فى الفقه على مذهب الشافعى ويحله، مع ديانة.

ومات قاضى القضاة ناصر الدين محمد ابن قاضى القضاة كمال الدين عمر بن إبراهيم بن محمد بن العديم، الحلبى، الحنفى، فى ليلة السبت تاسعه، بعد مرض طويل،

عن سبع وعشرين سنة، وكان سيء السيرة، ردىء الطريقة، كثير الهوج، أحمقا، مائقا، جر هو وأبوه على أهل الإسلام عارا كبيرا.

ومات الشيخ عز الدين محمد بن شرف الدين أبي بكر ابن قاضى القضاة عز الدين عبد العزيز ابن قاضى القضاة بدر الدين محمد بن إبراهيم بن جماعة^(١) يوم الأربعاء عشرين ربيع الآخر، ومولده بمدينة ينبع فى سنة تسع وخمسين وسبعمائة، وكان قد برع فى عدة علوم مع الانقطاع عن الناس وإطراح التكلف والقنع باليسير.

ومات الوزير صاحب تقى الدين عبد الوهاب بن صاحب فخر الدين عبد الله بن الوزير تاج الدين موسى بن علم الدين بن أبى شاعر بن تاج الدين أحمد بن صاحب شرف الدين إبراهيم بن الشيخ سعد الدولة فى يوم الخميس حادى عشر ذى القعدة.

ومات خوند عائشة ابنة الأمير أنص، أخت الملك الظاهر برقوق، وأم الأمير الكبير بيبرس، ليلة الأحد رابع عشرين ذى القعدة، وقد بلغت الكبر.

ومات الشيخ زين الدين أبو هريرة عبد الرحمن ابن الشيخ شمس الدين أبى أمامة محمد بن على بن عبد الواحد بن يوسف بن عبد الرحيم الدكالى، المعروف بابن النقاش الشافعى، خطيب جامع أحمد بن طولون، فى يوم عيد النحر، وكان أمرا بالمعروف، ناهيا عن المنكر، قويا فى ذات الله تعالى.

ومات الأمير قمارى شاد السلاح خاناه، وأمير الركب الأول، من الحاج، فى تاسع عشرين شوال، بوادى القباب، وهو متوجه إلى الحج.

وقتل محمد بن سيف بن عمر بن محمد بن بشارة، أحد شيوخ صفد، بسجنه من القاهرة، فى سادس ذى الحجة، وجعل بوا^(٢) محشوا، وحمل إلى صفد، وكان قد قبض عليه، وحمل إلى القاهرة.

(١) ابن جماعة (٧٤٩ - ٨١٩ هـ = ١٣٤٨ - ١٤١٦ م) محمد بن أبى بكر بن عبد العزيز بن محمد، أبو عبد الله عز الدين الكنانى الحموى ثم المصرى، الشافعى المعروف بابن جماعة: عالم بالأصول والجدل واللغة والبيان أصله من حماة، ومولده فى ينبع انتقل إلى القاهرة، وسكنها، وتلمذ لابن خلدون، وتوفى فيها بالطاعون وكان مكثرا من التصنيف. انظر حسن المحاضرة ١/ ٢٣٦، الضوء اللامع ٧/ ١٧١ - ١٧٤، شذرات الذهب ٧/ ١٣٩. الأعلام ٦/ ٥٧.

(٢) البوّ: ولد الناقة وجلد الحمار يُحش ثماما أو تبنا فيقرب من أم الفصيل إذا فقدت ولدها بذبح أو غيره، فتعطف عليه فتدر. انظر القاموس المحيط ٦٢.

ومات الأمير أرغون^(١)، أمير أخور في أيام الناصر فرج، وهو بالقدس، في يوم الجمعة ثالث ذى القعدة، بعدما ابتلى بالجذام، وكان دينا خيرا.

ومات حسين بن شرف، من شيوخ البحيرة، في نصف شهر رمضان.

* * *

(١) (٨١٩ هـ = ١٤١٦ م) أرغون بن عبد الله البشباغوى الظاهرى، أمير أخور، الأمير سيف الدين. هو من ممالك الملك الظاهر برقوق، وهو من خواصه ومن ترقى فى دولة ابن أستاذه الملك الناصر فرج بن برقوق إلى أن صار أمير مائة ومقدم ألف بالديار المصرية، ولى أمير أخورا كبيرا بعد الأمير كمشيغا الفيسى الظاهرى، واستمر فى وظيفته إلى أن اقتضت السلطنة إلى الملك المؤيد شيخ محمودى عزله عن الأمير أخورية بالأمير قانى باى الخمدى المتولى بعد ذلك نيابة دمشق، وأخرجه إلى القدس بطالا، فأقام بالقدس إلى أن مات فى يوم الجمعة ثالث ذى القعدة سنة تسع عشرة وثمانمائة، رحمه الله. وكان أميرا دينا خيرا، متواضعا، مشكور السيرة، عفيفا عن المنكرات والفروج، يميل إلى خير ودين، كثير العبادة والتلاوة، قليل الكلام فيما لا يعنيه، لم يدخل مع الملك الناصر فرج فيما كان عليه، وهو من جملة الأمراء الذين أوصاهم والدى على أولاده وتركه، وهو خشداشه كلاهما من خواجا بشيغا، أخذهما الملك الظاهر برقوق من بشيغا المذكور قبل سلطنته بمدة يسيرة، عفا الله عنهما. وله أيضا ترجمة فى: الدليل الشافى ج١ ص ١٠٦ رقم ١٦٦، النجوم الزاهرة ج١ ص ١٤٣، ١٤٣، أبناء الغمر ج٣ ص ١٠٧ ترجمة ١٣ وسماه «أرغون الرومى»، الضوء اللامع ج٢ ص ٢٦٨ ترجمة ٨٣٠ وسماه «أرغون السبعاوى».

سنة عشرين وثمانمائة

أهلت، ومتملك مصر والشام والحجاز السلطان الملك المؤيد أبو النصر سيف الدين شيخ المحمودى الظاهرى، والأمير الكبير سيف الدين الطنبغا القرمشى، وأمير سلاح سيف الدين قجقار القردمى، وأمير مجلس الأمير ببيغا المظفرى، وأمير أخور تنبك ميق والدوادار الكبير الأمير جقمق، ورأس نوبه الأمير برد بك. وأمير جندار نكبای . ونائب الشام الأمير الطنبغا العثمانى ، ونائب حلب الأمير أقبای، ونائب طرابلس الأمير يشبك اليوسفى، ونائب حماة الأمير جار قطفى، ونائب غزة الأمير اجترک، ونائب الكرك الأمير شاهين، وقضاة القضاة بمصر، وكاتب السر، وبقية المباشرين على حالهم كما تقدم.

شهر الله الحرم، أوله الخميس:

فيه ورد الخبر بأن حديثة بن سيف أمير آل فضل لما توجه إلى مدينة الرحبة، صحبه نائبها الأمير زين الدين عمر بن شهرى وطائفة من عسكر الشام، افترق عُذراً وموسى ولدا على بن نعيم وتسحبا، فعادت العساكر، وأقام الأمير حديثة على الرحبة، ثم نزل قريبا من تدمر، فأتاه عذرا فى نحو ثلاثة آلاف فارس، فحاربهم وكسرهم.

وفى ثانيه: جلس السلطان لعرض الأجناد البطالين، فعن منهم طائفة ليسافروا صحبته إلى الشام.

وفى خامسه: علق الشاليش على الطبلخاناه بقلعة الجبل، ليتأهب العسكر للسفر.

وفيه نودى أن يكون سعر الفضة المؤيدية على ما هو عليه، كل مؤيدى بثمانية دراهم فلوسا، وأن كل دينار أفرنتى بمائتين وثلاثين درهما فلوسا، وكل مثقال ذهب مصرى بمائتين وخمسين، وكل رطل فلوس بستة دراهم، وكان بخمسة ونصف، فازداد نصف درهم فلوسا، وعاد كما كان، فسر الناس بذلك، وتمشت أحوالهم، إلا أنه حصل لكثير من الناس غبن، ولآخرين فوائد، لتفاوت السعيرين.

وفى سادسه: وضعت جاموسة بناحية بلقس^(١) من ضواحي القاهرة مولودا أنثى،

(١) بلقس: ناحية من ضواحي القاهرة وأنها من أعمال القليوبية. انظر التحفة السنية ص ٦. وقد ذكر ابن دقماق: أن الملك طلائع بن رزبك أوقفها على السادة الأشراف. الانتصار ٥ / ٤٥. والملك =

برأسين، وعنقين، وأربع أيدي، ورجلين اثنتين، وسلسلتى ظهر، وذنب مفروق من آخره اثنتين، ودبر واحد، وفرج واحد.

وفي سابعه: خلع على الأمير طغرل بن صقل سيز ورسم بسفره لجمع تراكمينه. وفيه جلس السلطان لتفرقة النفقات، فبعث إلى كل من أمراء الألوף ألفى دينار، وأعطى كل مملوك ثمانية وأربعين دينار، صرفها عشرة آلاف درهم فلوسا، فرقت فيهم فضة مؤيدية وفلوسا وذهبا منه ما زنة الدينار الواحد منه عشرة مثاقيل.

وفي عشرينه: عرضت كسوة الكعبة على السلطان، وكان قد صرف عن نظر الكسوة شرف الدين يعقوب بن الجلال التبانى، وكيل بيت المال، فى سنة سبع عشرة، وفوض ذلك إلى علم الدين داود ناظر الجيش، المعروف بابن الكوز، ثم فوض ذلك إلى زين الدين عبد الباسط بن خليل ناظر الخزانة السلطانية، فى سنة ثمان عشرة، فاستمر فيه، وزاد فى تحسين الكسوة وبهجتها.

وقدم الخير بموت الأمير شهاب الدين أحمد بن رمضان، صاحب درند وسيس، واختلاف أولاده.

وفي ثالث عشرينه: قدم الخير بنزول الأمير أقبای نائب حلب إلى قطيا، فى ثمان هجن، فكثرت الأقوال، وساءت الظنون به، ورسم بتلقيه، فسار الأمراء والخاصكية إلى سرياقوس، وجهاز له فرس بسرج ذهب، وكنبوش ذهب، وكاملية بفرو سمور، فقدم من الغد يوم السبت رابع عشرينه، فلامه السلطان وعنفه على حضوره على هذا الوجه، فاعتذر، واستغفر الله، ثم أمر السلطان باستقراره فى نيابة الشام، واستقر عوضه فى نيابة حلب الأمير قجقار القرمدى أمير سلاح، وأنعم بإقطاع قجقار القرمدى على الأمير بييغا المظفرى أمير مجلس، وجهاز أقبغا المؤيدى أمير أخور إلى دمشق، للقبض على الأمير الطنبغا العثمانى نائب الشام، وإيداعه القلعة، والحوطة على موجوده.

=طلائع بن رزيك الملقب بالملك الصالح، أبى الغارات: وزير عصامى، يعد من الملوك. أصله من الشيعة الإمامية فى العراق قدم مصر فقيرا، فترقى فى الخدم، حتى ولى منية ابن خصيب من أعمال الصعيد المصرى وسنحت له فرصة فدخل القاهرة بقوة، فولى وزارة الخليفة الفاتز الفاطمى سنة ٥٤٩هـ، واستقل بأمر الدولة، ونعت بالملك الصالح فارس المسلمين نصر الدين. ومات الفاتز سنة ٥٥٥هـ، وولى العاضد، فتزوج بنت طلائع واستمر هذا فى الوزارة فكرهت عمه العاضد استيلاءه على أمور الدولة وأمواها، فأكمنت له جماعة من السودان فى دهليز القصر، فقتلوه وهو خارج من مجلس العاضد، وكان شجاعا حازما مدبرا، جوادا، صادق العزيمة عارفا بالأدب، شاعرا. وفيات الأعيان ١/ ٢٣٨، دول الإسلام ٢/ ٥١ القريزى ٢/ ٢٩٣، مرآة الزمان ٨/ ٢٣٧ خريدة القصر، قسم شعراء مصر ١: ١٧٣. الأعلام ٣/ ٢٢٨.

وفيه نودى للبطالين أن كلا منهم يخدم عند الأمراء أو عند السلطان، ومن امتنع لا يلومن إلا نفسه.

وفيه قدم الركب الأول من الحاج، مع أميرهم صلاح الدين محمد الحاجب بن الصاحب بدر الدين حسن بن نصر الله، ناظر الخاص.

وفيه نصبت المدورة السلطانية، برسم السفر خارج القاهرة.

وفيه قبض على جماعة من البطالين الذين تركوا الخدمة، وتسببوا فى البيع والشراء فى الأسواق، واعتقلوا.

وفى خامس عشرينه: قدم الحاج ببقيتهم مع الأمير أزدمر شايا، وقد قاسوا شدة من موت الجمال، وغلاء الأسعار معهم.

وفى سادس عشرينه: توجه السلطان من قلعة الجبل، ونزل بمخيمه ظاهر القاهرة، تجاه مسجد تبر.

وفيه خلع على شمس الدين محمد بن يعقوب الشامى بحسبة القاهرة، وعزل عنها الأمير منكلى بغا الحاجب، وقدم من دمشق بخيمات مبيتين ومدورتين ومطبخين، وبيوتات، بلغت النفقة عليهم عشرة آلاف دينار.

وفى سابع عشرينه: خلع على الأمير أقبای نائب الشام خلعة السفر، وسار جريدة على الخيل، وخلع على الأمير طوغان أمير أخور، واستقر نائب الغيبة وعلى الأمير أزدمر شايا بنيابة القلعة، وعلى الأمير قحقار القردمى نائب حلب خلعة السفر وسار وتقدم الشاليش صحبة الأمير صارم الدين إبراهيم ابن السلطان ومعه عدة من الأمراء.

شهر صفر، أوله السبت:

فى رابعه: استقر بالسير من ظاهر القاهرة ببقية العساكر يريد الشام، ومعه الخليفة وقضاة القضاة ومعه من القصاد الواردين فى السنة الخالية قاصد قرا يوسف، وقاصد سليمان بن عثمان، وقاصد بير عمر صاحب أرزنكان، وقاصد ابن رمضان، وتأخر بالقاهرة الأمير فخر الدين بن أبى الفرغ الأستادار، والصاحب بدر الدين حسن بن نصر الله ناظر الخاص، وخلع عليهما بمنزلة العكرشة^(١) فيه، فعين الأمير طوغان نائب العيبة من أجناد الحلقة - بعد عرضهم - مائتين يكونون مع الأمير فخر الدين.

(١) العكرشة: باليمامة من مياه بنى عدى بن عبد مناة. انظر معجم البلدان ٤ / ١٤٢.

وفى سابع عشره: سار الأمير فخر الدين بأتباعه وأجناد الحلقة المذكورين إلى الوجه البحرى، لتحصيل المال، وقد كثر بالقاهرة طرح البضائع على التجار والباعة، فغرم الناس فيها أموالا جمّة، وداخل الخوف كثيرا من الناس أن يوقع بهم الأمير فخر الدين، فإنه ألزم طائفة من الكتاب بالدواوين بمال، ومضى فى مسيره هذا إلى المحلة ودمياط، وجبى جميع تلك الأعمال البحرية بفريضة ذهب، يقرره على كل قرية من قرى ديوان السلطان، وقرى الأمراء والأجناد لم يترك بلدا من بلدان الوجه البحرى حتى أخذ منه ما قرره على أهله، فكان لا يأخذ إلا الذهب فقط، فتحسن سعر الذهب لكثرة طلبه، وبلغ الدينار المصرى ما تئین وستین، بعد مائتين وثلاثين، وتتبع مع ذلك كل من يشار إليه بغنى أو مال، فأخذ مالا كثيرا من مصادرات الناس، سوى ما ساق من الخيل والجمال وغيرها، فأنزل بالإقليم من الخلل ما يخاف عواقبه.

وفى هذا الشهر: كثر فساد العربان ببلاد الجيزة وكورة البهنسى.

وفيه هدم الأمير فخر الدين عبد الغنى بن أبى الفرج الدور التى بالأحكار فيما بين طهر المقس^(١) إلى قنطرة الموسيقى^(٢) ليعمل مكانها بستانا، فأتى الهدم على ما لا يدخل تحت حصر من الدور والرباع والمساجد والأسواق، وغير ذلك مما يكون قدر مدينة من مدن الشام.

شهر ربيع الأول، أوله الإثنين:

فى هذا الشهر: كثر ضرر المفسدين بالوجه القبلى والوجه البحرى، وثقلت وطاة الأمير فخر الدين بن أبى الفرج على أهل النواحي البحرية، وعظم البلاء بالوجه القبلى، من جور الأمير بدر الدين حسن بن محب الدين.

وفيه هدمت الدور التى فوق البرج المجاور لباب الفتوح من القاهرة، رسم أن يعمل سحنا لأرباب الجرائم، عوضا عن خزانة شمائل.

وفيه كثرت حركة الإرجاف بحركة الفرنج، فحفر خندق الإسكندرية، واستعد أهلها.

(١) المقس: كان فى القديم يقعد عندها العامل على المكس فقلب اسم المقس: وهو بين يدى القاهرة على النيل، وكان قبل الإسلام يسمى أم دنين. انظر معجم البلدان ٥ / ١٧٥.

(٢) قنطرة الموسيقى تقع على الخليج الكبير، وقد أنشأها الأمير عز الدين موسك. انظر المواضع والاعتبار ٢ / ١٤٧.

وفي حادى عشره: قدم الأمير فخر الدين عبد الغنى من الوجه البحرى، ونزل بداره التى شرع فى عمارتها، وتعرف ببيت بهادر الأعسر، وكانت تعرف قديما بدار الذهب.

وفي خامس عشره: قدم الخير بدخول السلطان إلى دمشق فى أول الشهر، وأن الأمير أقر بردى المنقار مات، وأنعم بإقطاعه على الأمير سودن القاضى، بعد ما عفى عنه، وأخرج من سجنه بدمشق.

وفي سادس عشره: سار الأمير الوزير المشير فخر الدين بن أبى الفرج الأستاذار بجمع موفور إلى جهة الصعيد، ومعه القرب والروايا، ليتبع العربان فى البرية، حيث ساروا، فإنه كثر عبثهم وفسادهم.

وفي عشريته: دخل السلطان مدينة حلب.

وفي سادس عشريته: مات الأمير فرج بن السلطان الملك الناصر فرج بن السلطان الملك الظاهر برقوق، بثمر الإسكندرية، وقد ناهز الاحتلام فكان فى هذا عيرة لمن يعتبر، فإن أباه الناصر فرج أخرج أخويه - عبد العزيز وإبراهيم - إلى الإسكندرية لما توجه إلى الشام، فماتا بها، واتهم أنه سمهما، ففعل الله كذلك بأولاده، وأخرجهم المؤيد شيخ عند مسيره إلى الشام، وسجنهم بالإسكندرية، فمات فرج - أكبرهم - فى هذا اليوم، وعموته [.....] ^(١) يثورون، ويقيمونه فى السلطنة، ولا يزالون يتربصون الدوائر لأجل ذلك، فبطل ما كانوا يعملون.

وفي هذا الشهر: كثر الموت بدمياط والإسكندرية وما حولهما، وكان منه بالقاهرة شىء بلغ فى اليوم عدة من يموت نحو الأربعين، وكل ذلك بالطاعون.

وفيه واقع الأمير فخر الدين العرب بناحية القلندون ^(٢) من الأشمونين، وهزمهم شهر ربيع الآخر، أوله الأحد:

فيه قدم قاصد السلطان يبشر بقدمه حلب.

وأهل هذا الشهر، وفى جميع أرض مصر - أعلاها الذى يقال له بلاد الصعيد، وأسفلها الذى يعرف بالوجه البحرى، وحاضرتها، وفى القاهرة ومصر - من أنواع الظلم ما لا يمكن وصفه بقلم، ولا حكايته بقول، من كثرته وشناعته، فجملته أن

(١) ما بين المعقوفتين سقط من الأصل.

(٢) من القرى القديمة من أعمال الأشمونين، وتسمى قلنديمون. انظر القاموس الجغرافى «ع ق»

الحكام بالقاهرة وأعمالها ما بين محتسب، ووال، وحجاب، وقضاة، ونائب الغيبة، والأمير فخر الدين الأستاذار، فالمحتسب بالقاهرة والمحتسب بمصر كل ما يكسبه الباعة مما تغش به البضائع وما تغبن فيه الناس في البيع يجبى منهم بضرائب مقررة لمحتسبى القاهرة ومصر وأعوانهما، فيصرفون ما يصير إليهم من هذا السحت في ملاذهم المنهى عنها، ويؤديان منه من استداناه من المال الذى دفع رشوة عند ولاياتهما، ويؤخران منه بقيه لمهاداة أتباع السلطان، ليكونوا عوناً لهما فى بقائهما.

وأما القضاة فإن نوابهم يبلغ عددهم نحو المائتين، ما منهم إلا من لا يحتشم من أخذ الرشوة على الحكم، مع ما يأتون - هم وكتابهم وأعوانهم - من المنكرات بما لم يسمع بمثله فيما سلف، وينفقون ما يجمعونه من ذلك فيما تهوى أنفسهم، ولا يغرم أحد منهم شيئاً للسلطنة، بل يتوفر عليهم فلا يتحولون^(١) فى مال الله تعالى بغير حق، ويحسبون أنهم على شىء، بل يصرحون بأنهم أهل الله وخاصته، افتراء على الله سبحانه.

وأما والى القاهرة، ووالى مصر، وغيرهما من سائر ولاية النواحي، فإن جميع ما يسرق من الناس يأخذونه من السراق، إذا ظفروا به، فلا يأتون بسارق معه سرقة إلا أخذوها منه، فإن لم تكن السرقة معه أزموه مالا، ويتركوه لسبيله، وقد تيقن أنه متى عثر عليه صانع عن نفسه، وتخلص.

وصار كل من يقطع من السراق يده، إنما يقطع لأحد أمرين، إما لقوة جاه المسروق منه، أو عجز السارق عن القيام للولاية بالمال، ويزيد ولاية البر على والى مصر والقاهرة بأخذ من وجدوا معه غنما أو إبلا أو رقيقا، من الفلاحين أو العريان وغيرهم، فإذا صار أحد من ذكرنا فى أيديهم، قتلوه واستهلكوا ماله، ومع هذا فلأعوان الولاية فى أخذ الأموال من الناس أخبار لم يسمع قط بمثل قبحها وشناعها، حتى أنه إذا أخذ شارب حمر غرم المال الكثير، وكذلك من ساقه سوء القضاء إليهم من المتخاصمين، فيغرم الشاكى والمشكو المال الكثير، بقدر جرمه، بحيث تبلغ الغرامة آلافا كثيرة. وجميع ما يجمعه الولاية كلهم من هذه الوجوه لا يصرف إلا فى أحد وجهين، إما للسلطنة مصنعة عن إقامتهم فى ولاياتهم، أو فيما تهواه أنفسهم من الكبائر الموبقات، وينعم أعوانهم بما يجمعونه من ذلك، ويتلفونه إسرافا وبدار فى سبيل الفساد، ويتعرض الولاية لمقدميهم، ويأخذون منهم المال حيناً بعد حين.

وأما الحجاب فإنهم وأعوانهم قد انتصبوا لأخذ الأموال بغير حق من كل شاك

(١) خول مال حسن: القيام على نعمة يديره ويقوم عليه (لسان العرب) (خول) فالتحول هو

إليهم، ومشكو عليه، فما من أحد من الحجاب إلا وفي بابه رجل يقال له رأس نوبة، يضمن له في كل يوم قدرا معلوما من المال، يقوم له به، ومن هذا المال المضمون يقيم أوده، فيقسط رأس نوبة على النقباء الذين تحت يده ما ضمنه للحاجب، وما لا بد له من صرفه على عياله، ومؤنة فرسه، وأجرة سايسها، وما اعتاده من المحرمات التي لا يتركونها ما وجدوا إليها سبيلا وما يرصده ويدخره عنده عدة له في وقت مكروه ينزل به من عزله، أو مصادرة الحاجب له، أو غير ذلك من العوارض، فيتناول من كل واحد من النقباء شيئا مقررًا عليه عند مضيه في طلب غريم، يقال له الإطلاق، فإذا حضر الغريم فتح عليه رأس نوبة أبوابا من أنواع مكرهم الذي تفقهوا فيه، فيحتاج إلى بذل المال له، ولدوادار الحاجب، وللحاجب، بحسب ما يقتضيه رأيهم. فربما بلغ الغرم في الشكوى الآلاف من الدراهم، فإنهم يسلسلون قضايا ظلمهم حتى يستمر المشكو في الترسيم الأيام والأشهر، وجميع ما يتحصل للحجاب من هذه الوجهة، فإنهم يصرفونه فيما لا تجيزه أمة من الأمم من أنواع قبائح المحرمات، ولا يكلفون حمل شيء منه إلى السلطان. وأما نائب الغيبة فسبيل بابه سبيل أبواب الحجاب فيما تقدم ذكره.

وأما الأستادار فإنه أمدهم باعا، وأقواهم في الظلم ذراعا، وأنفذهم في ضرر الناس أمرا، وأشنعهم في الفساد ذكرا، وذلك أنه خرج إلى الوجه البحري، ففرض على جميع القرى فرائض ذهب، قررها بحيث أن الجباية شملت أهل النواحي عن آخرهم، ولم يعف عن أحد منهم ألبتة، فما وصلت إليه مائة دينار إلا وأخذ أعوانه مائة دينار أخرى، ثم تتبع أرباب الأموال فصادرهم، وأخذ لنفسه ولأعوانه مالا كثيرا ثم طرح على جميع النواحي بعد ذلك الجواميس التي نهىها، فقامت كل واحدة من الجواميس على الناس بائني عشر ألف درهم، وأكثر ما تبلغ الجيدة منهن إلى ألفي درهم، فجبى من الوجه البحري على اسم الجاموس مالا جما، ثم إنه ألزم الصيارفة ألا تأخذ الدرهم المؤيدى إلا من حساب سبعة دراهم ونصف، وهو محسوب على الناس بثمانية دراهم، وألزمهم أيضا ألا يأخذوا الفلوس إلا من حساب خمسمائة وخمسين درهما القنطار، وهو إلى الناس بستمائة درهم.

فإذا أمر بصرف الفلوس على أحد حسب عليه بستمائة درهم القنطار، وربما كان هذا الذي حسبت عليه بستمائة قد أخذت منه أمس بخمسمائة وخمسين، وألزمهم أيضا أن لا يقبضوا الذهب الأفرنتى إلا من حساب مائتين وثلاثين الدينار، وهو معدود على الناس بمائتين وستين، وإذا صرف لأحد ذهباً يحسبه عليه بمائتين وستين، فلا يورد أحد لديوان السلطان ألف درهم إلا ويحتاج إلى غرامة مثلها، أو قريب منها، ثم إنه كل قليل

يلزم صيارفته، ومقدميه، وشادى أعماله، ومباشرها، وولاتها، بما يقرره عليهم ، فى نظير ما يعلم أنهم أخذوه من الناس، ثم تقرر فى أعمالهم حتى يعلم أنهم قد جمعوا شيئا آخر، أعاد عليهم المصادرة، فما من مرة إلا وهم يبالغون فى ظلم الناس، حتى يفضل لهم بعد المصادرة شىء هذا وهم يبالغون فى الترف، ويتلفون المال الكثير فى أنواع السرف فى المحرمات، ثم أنه لما عاد من الوجه البحرى وسار إلى بلاد الصعيد أوقع بلهانه على الأشونين، وكسرهم ، وساق من الأغنام والأبقار والجمال والخيل شيئا كثيرا فرقه على أهل الوجه البحرى بأغلى الأثمان، وهو الآن يفرض على جميع بلاد الصعيد الذهب كما فرضه على نواحى الوجه البحرى ومع ذلك فقد شمل باعة مصر والقاهرة رماية البضائع عليهم، من السكر والعسل والصابون والقمح وغير ذلك، فإنه اشترى من الإسكندرية وغيرها بضائع كثيرة، ثم طرحها على الباعة بأغلى الأثمان فلا يصير إليه درهم حتى يغرم لأعوانه نظيره، وله نوع آخر من الظلم وهو أنه أخذ دار بهادر الأعسر^(١) بخط بين السورين - فيما بين باب الخوخة وباب سعادة - وشرع فى عمارتها، وعمارة ما حولها، وما تجاهها من بر الخليج الغربى ، فأخذ من الناس آلات العمارة بغير ثمن، أو بأقل شىء، وتفنن أعوانه فى ظلم من يستدعيه بهم إلى هذه العمارة حمل صنف من الأصناف، أو عمل شىء من أنواع العمارة حتى يغرموه لأنفسهم مالا آخر، هذا وجميع ما يتحصل من وجوه الأموال التى تقدم ذكرها فإنه يحمل إلى السلطان وأعوانه، وينفق فى سبيل الشهوات المحرمة. وقد اختل إقليم مصر فى هذه السنى خلا شنيعا، يظهر أثره فى القابلة.

ومع ذلك ففى أرض مصر من عبث العربان ونهبهم وتخريبهم وقطعهم الطرقات على المسافرين من التجار وغيرهم شىء، عظيم قبجه، شنيع وصفه. والسلطان بعسكره فى البلاد الشامية يجول وقد قال الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعْزَةَ أَهْلِهَا أَذْلةً، وكذلك يفعلون﴾.

ويضاف إلى ما تقدم ذكره أن الطاعون فاش بدمياط والغريية والإسكندرية، والإرجاف بالإفرنج متزايد، وأهل الإسكندرية على نخوف من هجومهم، وقد استعدوا لذلك، والله عاقبة الأمور.

وفى سابع عشره: سقط من العمال بالعمارة السلطانية بجوار باب زويلة عشرة، مات منهم أربعة، وتكسر ستة.

(١) تقع بخط بين السورين فيما بين سويقة المسعودى من القاهرة وبين الخليج الكبير. المواظ

وفي عشرينه: قدم الخبير برحيل السلطان فى ثانى عشرين شهر ربيع الأول من حلب، ونزوله على العمق.

وفي خامس عشرينه: سار مفلح - رسول الناصر أحمد متملك اليمن - عائدا إلى بلاده، وصحبته الأمير بكمر السعدى، بكتاب السلطان وهديته. وقد كثر بر مفلح هذا، وصلاته وصدقاته، وحسن الثناء عليه واحتاج من كثرة مصروفه إلى قرض مال.

شهر جمادى الأولى، أوله الخميس:

فى ثانيه: أقيمت الجمعة بالجامع المؤيدى، ولم يكمل منه سوى الإيوان القبلى، وخطب به عز الدين عبد السلام القدسى - أحد نواب الحكم الشافعية بالقاهرة - نيابة عن ناصر الدين محمد بن البارزى الحموى كاتب السر.

وفي خامسه: نودى على النيل ثلاثة أصابع، وكانت القاعدة ستة أذرع.

وفي عاشره: سافر الصاحب بدر الدين حسن بن نصر الله - ناظر الخاص - إلى جهة الشام، بالخزانة السلطانية.

وفي رابع عشره: قدم الأمير فخر الدين بن أبى الفرج من الوجه القبلى ومعه ستة آلاف رأس من البقر، وثمانية آلاف رأس من الغنم، وألفا جمل، وألفا قنطار من القند، وعدد كثير من الإماء والعبيد، ومبلغ وافر من الذهب؛ وذلك أنه فرض على أهل البلاد مالا قاموا به فمن النواحي من فرض عليها الألفى دينار. وفرض على هواره خمسة وعشرين ألف دينار، عوضوه عن أكثرها أصنافا فما هو إلا أن قدم أخذ يطرح الأبقار وغيرها على نواحي بلاد الجزيرة وسائر الوجه البحرى، وعلى دواليب الناس بالقاهرة من البساتين والمعاصر، بأعلى الأثمان، وبث أعوانه فى طرح ذلك وجباية ثمنه، فأذاقوا الناس أنواع المكاره، ونظر فى الرقيق الذى أحضره - وفيه من بنات أهل الصعيد عدة قد استرقهن بعد الحرية - ففرق من خيارهن طائفة على الأعيان، وطوهم - على زعمهم - بملك اليمين، واختار لنفسه طائفة، وباع باقيهن مع ما جلبه من العبيد، فشملت مضرتة عامة أهل مصر، من أعلى الصعيد إلى أسفل مصر، وصادر مع هذا عدة من أعيان الصعيد، فاختل الإقليم بهذا من فعله خللا فاضحا.

وفي تاسعه: نودى أن يكون سعر الدينار الأفرنتى بمائتين وثلاثين فنقص ثلاثين، وأن يكون الدينار الهرجة بمائتين وخمسين فنقص ثلاثين أيضا، وأن لا يتعامل بالدينار الناصرى وإنما يقص، وكان قد بلغ إلى مائتين وعشرين، فوقفت أحوال الناس،

وكسدت الأسواق وذلك أن القصد جباية ثمن ما طرح من البضائع بنوع آخر من التجسر.

هذا والنيل ينادى عليه كل يوم إصبع، من سادس عشره إلى ثالث عشرينه، فارتفع سعر القمح من مائة وثمانين الأردب إلى مائتى درهم، فلما كان يوم السبت رابع عشرينه لم يناد عليه، فقلق الناس، وطلبوا القمح، وساءت ظنونهم، وأصبح الناس يوم الأحد وقد نقص ستة أصابع، ثم زاد سبعة أصابع، فرد النقص، وزاد إصبعاً نودى به فى يوم الإثنين سادس عشرينه واستمرت الزيادة فى كل يوم، فانحل سعر القمح.

شهر جمادى الآخرة، أوله الجمعة:

فى ثامن عشره: وقع الشروع فى بناء برجين بجانبى باب السلسلة، أحد أبواب قلعة الجبل.

وفى حادى عشرينه: عزل ابن يعقوب عن حسبة القاهرة، واستقر فيها عماد الدين ابن بدر الدين بن الرشيد، وكان ينوب فى الحسبة عن التاج وغيره، وناب أبوه فى حسبة مصر أكثر من أربعين سنة متوالية، وخلع الأمير طوغان تائب الغيبة.

وفى رابع عشرينه: - الموافق له سادس عشرين مسرى - وفى النيل ستة عشر ذراعاً، وفتح الخليج على العادة، واستمرت زيادة النيل فى كل يوم بقية الشهر.

وأما السلطان فإنه رحل من العكرشة فى رابع صفر، فلما نزل سبخة بردويل - فى ثانى عشره - قدم ناصر الدين بن خطاب الحاجب بدمشق، وعلى يده سيف الأمير ألطنبغا العثماني نائب الشام، وقد قبض عليه وسجن بقلعة دمشق، وكان من خيره أن كتب قبل ذلك إلى الأمير شاهين الحاجب الكبير بدمشق بالقبض على المذكور وسجنه، فوافاه الكتاب والنائب قد توجه من دمشق، وهو بنابلس، فلما بلغه الخبر بادر بالتوجه إلى دمشق، فلقه شاهين بعسكر دمشق، قريباً من الخربة، وقرأ عليه كتاب السلطان، فأذعن وحل سيفه بيده، وتوجه صحبة العسكر إلى دمشق حتى تسلمه نائب القلعة، فسار السلطان، ونزل غزة فى يوم السبت خامس عشره على مصطبة، استجدها بظاهر المدينة، ضرب مخيمه عليها، ونودى بالأمان والاطمئنان، فقدم الأمير غرس الدين خليل الجشارى نائب صفد، والأمير بدر الدين حسن بن بشارة مقدم البلاد الصفدية بغزة، ثم ما زال يسير، وأمراء العربان ومشايخ البلاد والمقدمين يردون عليه إلى أن وصل إلى برج الكتيبة فى يوم الخميس سابع عشرينه، فقدم عليه قصاد الأمير على باك بن دلغادر،

وكردى باك بن كندر، والأمير طغريل بن صقلسيز بمكاتباتهم يسألون الصفح والعفو عنهم، ويعدون بحضورهم إلى الطاعة، فأجيبوا بأنهم إن صدقوا وداسوا البساط، وإلا فليتخذ كل منهم نفقا في الأرض أو سلما في السماء، ثم قدم من الغد الأمير أقبای نائب الشام بعسكر دمشق، لملاقاة السلطان، و قدم سيف الأمير آق بردى أحد الأمراء المقدمين الألف بالديار المصرية، وقد مات في ليلة الخميس المذكور بدمشق.

وفي يوم الإثنين مستهل شهر ربيع الأول: حل السلطان بمنزلة برزة بالموكب السلطاني، وولده الأمير صارم الدين إبراهيم حامل القبة على رأسه، من قرب ميدان الحصى^(١) خارج دمشق من جهة مصر إل المصطبة المستجدة بمنزلة برزة خارج دمشق من جهة حلب، فكان يوم مشهودا، مر السلطان من تحت القلعة، ولم ينزلها، بل مضى حتى أناخ ببرزة.

وفي ثلثه: أفرج عن الأمير سودن القاضي من سجنه بقلعة دمشق، وأركب فرسا بسرج ذهب وكنبوش ذهب.

وفي ليلة الجمعة رابعة: عمل السلطان المولد النبوى بالمصطبة ظاهر برزة، وحضره القضاة والأمراء والخاصكية والقراء، فكانت من الليالى المشهودة المذكورة، وأنعم على السادة القراء بالخلع والمال.

وفي ثامنه: توجه الخوجا زين الدين ولى تاجر الخناس إلى الأمير محمد بن قرمان، رسولا بكتاب السلطان.

وفي تاسعه: تقدم الأمير يشبك نائب طرابلس، وقد نزل السلطان قريبا من حسيا.

وفي عاشره: نزل السلطان حمص، فقدم نائب طرابلس المذكور تقدمته، وفيه قدم الأمير جار قطلو نائب حماة، فأعيد من ساعته إليها لعمل المهم، وسار السلطان إلى حماة، فقدم عليه بها الأمير حديثة بن سيف، أمير آل فضل و قدم غنام بن زامل، كبير عرب آل موسى، فكانت بينهما مشاجرة بسبب قتل سالم بن طويب من آل أحمد، فسكن السلطان ما بينهما، وعرضت عليه تقادم نائب طرابلس، وأمير آل موسى، ونائب حمص، و قدم قصاد الأمير إبراهيم بن رمضان، وقصاد أولاد بن أوزر، وهم يسألون العفو فكان يوما مشهودا، ثم سار السلطان وخيم في ليلة الثلاثاء سابع عشرة بمنزلة تل السلطان، وبها من تقدم من العساكر فى الجاليش.

(١) يقع قبلى دمشق. انظر معجم البلدان (دمشق).

وقد رسم لهم أن لا يبرحوا منها حتى يقدم السلطان، فبات السلطان، وأصبح يوم الثلاثاء وقد ضرب له صيوان على التل المذكور، وجلس في أبهة ملكه.

ونودى في العساكر أن تتقدم للعرض بعددها وأسلحتها، فعرضت بين يديه.

وفيه ورد الخبر بوصول جميع التراكمين من الأوجقية وغيرهم.

وفي يوم الخميس تاسع عشره: رحل السلطان إلى منزلة قنسرين^(١) فقدم بها الأمير قُجقار القردمي نائب حلب^(٢) بعسكرها، وقدم أيضًا الأمير طغريل بن صقلسيز في ألف وخمسمائة فارس.

وفي يوم الجمعة: انتقل السلطان إلى منزلة الوضيحي.

وفي يوم السبت حادى عشرينه: ركب السلطان عند انشقاق الفجر، وشرع في صف الأطلاب وتعبئة العساكر بنفسه، فانتشرت يمينًا وشمالًا إلى أن طبقت الأرض، ثم سار إلى حلب، ومر من ظاهرها، ودخل منها نائب الشام، ونائب طرابلس، ونائب حماة، ونائب صغد، وعدة من العربان والتركمان، وخرجوا من الباب الآخر، ونزل السلطان بالمصطبة الظاهرية في مخيماته، وترقب عود الرسل المتوجهة إلى الأطراف، فقدم في ثانی عشرينه خليل بن بلال نائب مدينة آياس، وكان قد ولى نياتها في عاشر شوال سنة ست عشرة وثمانمائة ومعه مفاتيح قلعتها، فنخلع عليه.

وفي يوم الإثنين ثالث عشرينه: جلس السلطان بالميدان، وحضر نواب الشام وأمراء مصر، ومن قدم من التركمان والعربان والأكراد، وعين السلطان الأمير أقبای نائب الشام والأمير جار قطلو نائب حماة وعسكر دمشق وحماة ومعهم خمسمائة ماش من التركمان الأوشرية والأينالية، وفرقة من البوصجاوية وفرقة من عرب آل موسى،

(١) قنسرين: بالشام، وهي الجابية، وبينها وبين حلب اثنا عشر ميلًا، وفيها كان قبر هشام بن عبد الملك بن مروان، وكان على قنسرين سور حصين فهدم في أيام قتل الحسين بن علي رضي الله عنهما بأمر معاوية، وفيها الآن آثار من سورها، ولها حصن منيع وبها أسواق وهي على نهر قويق، وهو نهر حلب يصل في حرته إلى قنسرين ثم يغوص في الأجمة، وقيل بين قنسرين وحلب عشرين ميلًا. انظر الروض المعطار ٤٧٣، ٤٧٤،

(٢) حلب: سبق ترجمتها. انظر الروض المعطار ١٩٦، ١٩٧، وصبح الأعشى ٤/ ١١٦، ومعجم البلدان. وقال بعضهم في وصف حلب: حلب قدرها خطير، وذكرها في كل زمن يطير، لها قلعة شهيرة الامتناع، معدومة الشبيه والنظير في القلاع، ويقال إن هذه القلعة كانت في قديم الزمان ربوة يأوى إليها إبراهيم الخليل عليه السلام، بغنيمات فيحلبها هنالك ويتصدق بلبنها، فلذلك سميت حلب. انظر الروض المعطار.

المتوجة إلى ملطية^(١) وإخراج حسين بن كبيك منها وإلى كختا وكركر^(٢). وخلع على داود بن أوزر، وجماعته، وسوغهم مالا جزيلا وأسلحة، وأعادهم إلى بيوتهم بالعمق، وولى الأمير سيف الدين صاروجا مهمندار حلب نيابة آياس، عوضاً عن خليل بن بلال، وقدم الجاليش بين يديه، وفيه الأمير الكبير الطنبغا القرمشى أتاك العساكر، والأمير يشبك اليوسفى نائب طرابلس، والأمير غرس الدين خليل الجشارى التوريزى نائب صفد، فى عدة من أمراء مصر، فساروا إلى العمق، وركب السلطان إلى قلعة حلب، وأقام بها، ثم رحل السلطان بكرة يوم الإثنين ثانى شهر ربيع الآخر إلى جهة العمق على درب الأثارب، فقدم بالمنزلة المذكورة قصاد الأمير ناصر الدين محمد بن قرمان، وفيهم القاضى مصلح الدين مرتيل - قاضى عسكره - بهدية، وكتاب يتضمن أنه ضرب السكة المؤيدية، ودعا للسلطان فى الخطبة، وبعث من جملة الهدية طبقاً فيه دراهم بالصكة المؤيدية، فعنف السلطان رسوله ووجنه، وعدد له خطأ مرسله فى تقصيره فى الخدمة، لما وصل السلطان والعسكر إلى قيسارية^(٣)، ومنها إهماله القبض على كزل ومن معه من المستحبين، ومنها عدم تجهيزه مفاتيح طرسوس، لما استولى عليها، فاعتذر مصلح الدين، وسأل الصفح، فقال السلطان له: «إنما سرت وتكلفت هذه الكلفة العظيمة لأجل طرسوس^(٤) لا غيره»، ثم فرق الدراهم وغيرها على الحاضرين، وأمر مصلح الدين، فجلس وآتسه وقدم كتاب الأمير سلمان بن أبى يزيد ابن عثمان، صاحب برصا، ثم قدم الأمير صارم الدين إبراهيم بن رمضان، وابن عمه حمزة بن أحمد بن رمضان، وسأثر أمراء التركمان الأوجقية، فى جمع كبير، ومعهم أم

(١) ملطية: من الثغور الجزرية بالشام، وهى المدينة العظمى وكانت قديمة، فأخربتها الروم فبناها أبو جعفر المنصور سنة تسع وثلاثين ومائة وحصل عليها سوراً محكماً، وعلى نحو ثلاثة أيام من ملطية يخرج سيحان وهو نهر أذنة من الثغر الشامى ويجرى فى بلاد الروم وليس للمسلمين عليه إلا مدينة أذنة بين طرسوس والمصيصة، وكان فتح ملطية عنوة على يد حبيب بن مسلمة الفهرى وجهه إليها عياض بن غنم من سميساط. انظر الروض المعطار ٥٤٥، واليعقوبى ٣٦٢، وأثار البلاد ٥٦٤، والكرخى ٤٦، وابن حوقل ١٦٦، وصبح الأعشى ١٣٢/٤.

(٢) على هامش ط: كختا وكركر: قلعتان متقاربتان على جانب الفرات الغربى، فى طرف الحد الشمالى. انظر تقويم البلدان ٢٦٣، ٢٦٥.

(٣) قيسارية: سبق ترجمتها. انظر الروض المعطار ٤٨٦، ونزهة المشتاق ١١٥، ومعجم البلدان (قيسارية)، والمقدسى ١٧٤، واليعقوبى ٣٢٩، وفتوح البلدان ١٦٧.

(٤) طرسوس: مدينة بالشام حصينة، عليها سوران بينهما فصيل وخندق، ويجرى الماء حواليتها. وطرسوس مدينة كبيرة كثيرة المتاجر، والعمارة والخصب الزائد، وبينها وبين البحر اثنا عشر ميلاً. انظر الروض المعطار ٣٨٨، ٣٨٩، صبح الأعشى ١٣٣/٤.

إبراهيم المذكور، وأولاده الصغار في خمسمائة من أمرائه وأقاربه وألزامه، فقام السلطان لها، وخلع على إبراهيم وعلى أخيه، وأركبهما بالسروج الذهب والكنائش الذهب.

وفي يوم السبت سابعه: عمل السلطان الموكب بالعمق، وحلف التركمان على الطاعة، وأنفق فيهم، وخلع عليهم نحوًا من مائتي خلعة، وألبس إبراهيم بن رمضان الكلوتة، وأنعم عليه، وعلى جماعته، فقبلوا الأرض بأجمعهم، وضجوا بالدعاء، فكان وقتًا عظيمًا، ثم تقرر الحال على أن الأمير قجقار نائب حلب يتوجه بمن معه إلى مدينة طرسوس، ويسير السلطان على جهة مرعش إلى الأبلستين، ويتوجه مصلح الدين إلى ابن قرمان بجوابه، ويعود في مستهل جمادى الأولى بتسليم طرسوس، فإن لم يحضر مشى السلطان إلى بلاد ابن قرمان، فسار مصلح الدين صحبة نائب حلب إلى طرسوس، وسار السلطان يريد الأبلستين، فنزل النهر الأبيض في حادى عشره، وقدم كتاب نائب حلب أنه لما نزل بغراض قدم إليه خليفة الأرمن بسيس - المسمى كريكون - وأكابر الأرمن، وعلى يدهم مفاتيح قلعتي سيس وناورزا^(١)، وأنه جهزهم، فحضرُوا بالمفاتيح، فولى السلطان نيابة القلعة الشيخ أحمد أحد أمراء العشرات بحلب، وخلع عليه وعلى الأرمن، وأعادهم إلى القلعة المذكورة.

وفي ثاني عشره: نزل السلطان بمنزلة كونيك، فقدم كتاب نائب الشام بأن حسين ابن كبك أحرق ملطية في خامس شهر ربيع الآخر، فشهد أسواقها ودار السعادة بها قد عمهم الحريق، وأنه لم يتأخر بها إلا الضعيف والعاجز، وأن فلاحى بلادها نزحوا بأجمعهم، وأن ابن كبك قد نزل عند كوركى، فإنه سار من ملطية في إثره، فندب عند ذلك السلطان - وهو بكونيك - ولده الأمير صارم الدين إبراهيم للمسير، ووجهه في يوم الأحد ثالث عشره، ومعه الأمير جقمق الدوادار، وجماعة من الأمراء، لكبس الأمير ناصر الدين محمد بن دلغادر، فساروا مجدين، وأصبحوا بالأبلستين، وقد فر ابن دلغادر منها، وأخلى البلاد من سكانها، فجدوا في السير ليلاً ونهارًا، إلى أن نزلوا بمكان يقال له كل دلى في يوم الثلاثاء خامس عشره، فأوقعوا بمن هناك من التركمان، وأخذوا بيوتهم، وأحرقوها. ومضوا إلى خان السلطان فأوقعوا بمن هناك أيضًا، وأحرقوا بيوتهم، وأخذوا من الدواب شيئًا كثيرًا، وصاروا إلى موضع يقال له صاروش، فحرقوا بيوت من فيه من التركمان، وأخذوا ما عندهم، وباتوا هناك، وتوجهوا بكرة يوم الأربعاء سادس عشره، فأدركوا محمد بن دلغادر وهو سائر بأثقاله وحرمه، فقبعوه، وأخذوا

(١) على هامش ط: ناورزا: أكد أبو الفدا أنه الاسم المحرف لقلعة عين زربة، وهى تقع إلى الجنوب الغربى من سيس، بينهما أربعة وعشرون ميلاً. انظر تقويم البلدان ٢٥٠، ٢٥١.

أثقاله، وأثائه، وجميع ما كان معه، وخلص على جرائد الخيل ووقع فى قبضتهم عدة من أصحابه، ثم عادوا إلى السلطان بالغنائم، ومن جملة ما مائة بسرك^(١) - يعنى بختى - كالأفيلة، وحمسمائة حمل من اللوكات - جمال الأثقال - وماتى فرس، وأما ما أخذ من الأقمشه الحرير والفرو والأوانى ما بين فضيات وغيرها، فشىء لا يكاد ينحصر.

وما زال السلطان يتنقل فى مراعى الأبلستين، فقدم الأمير أقبای نائب الشام، بعد أن سار فى إثر حسين بن كبك إلى أن بلغه أنه دخل بلاد الروم، وبعد أن قرر أمر مطية بعود أهلها إليها، وبعد أن جهز الأمير جار قطلو نائب حماة، ومعه عدة من الأمراء، ونائب البيرة، ونائب قلعة الروم، ونائب عين تاب، ونائب كختا وكركر إلى جهة كختا وكركر فنزلوا القلعتين وقد أحرق نائب كختا أسواقها وتحصن بقلعتها، فبعث السلطان إليهم نجدة فيها ألف وماتى ماش وعدة من آلات الحصار، وقدم كتاب محمد بن دلغادر وهو يسأل العفو، وأنه يسلم قلعة درنده، فأجيب إلى ذلك، وكان الأمير قحقار نائب حلب لما توجه إلى طرسوس، قدم بين يديه إليها الأمير شاهين الأيدكارى متولى نيابة السلطنة بها، وقد بعث ابن قرمان نجدة إلى نائبه بطرسوس الأمير مقبل، فلما بلغ مقبل مسير عساكر السلطان إليه، رحل من طرسوس وبعث إلى شاهين الأيدكارى يخبره برحيله، فدخل شاهين طرسوس وقد امتنع مقبل بقلعتها، فنزل الأمير قحقار والأمير شاهين عليها، وكتب إلى السلطان بذلك، فورد كتابه فى سادس عشرينه إلى الأبلستين، فدفقت البشائر لذلك، وبعث السلطان الأمير سيف الدين أينال الأزعرى^(٢) - أحد مقدمى الألوفا بديار مصر - إلى درنده ليحمل من معاملتها الميرة، فأحضر شيئاً كثيراً من العلوفا ونحوها، بحيث أبيع العليقة الشعير بنصف درهم بمعاملة درنده. واستمر الأمير قحقار والأمير شاهين على حصار قلعة طرسوس، إلى أن أخذت بالأمان فى يوم

(١) أوضح فى ط أن البسرك: هو البختى الصغير السننى من الجمال، وربما اشتق اللفظ من البسر، وهو الغض من كل شىء. انظر (لسان العرب).

(٢) أينال بن عبد الله الأزعرى الشىخى (٨٣٠ تقريباً هـ = ١٤٢٦ م)، هو سيف الدين. أصله من مماليك الأمير شىخ الصفوى أمير مجلس، واتصل بعد موت أستاذه المذكور بخدمة الملك المويد شىخ قبل سلطنته. فلما تسلطن الملك المويد أمره ورقاه إلى أن جعله أمير مائة ومقدم ألف بديار مصر، ثم ولى الحجوية الكبرى بها بعد موت المويد، ثم قبض عليه الأمير ططر بدمشق مع من قبض عليه من الأمراء المويده وحبس، فدام فى الحبس سنين إلى أن أطلقه الملك الأشرف برسباى، ورسم له بالإقامة بدمشق بطالا، ودام على ذلك إلى أن مات فى حدود الثلاثين ومئتمائة تقريباً. وكان عارفاً بفنون الفروسية، وأنواع الملاعب كالرمح وغيره، مشكور السيرة. انظر المنهل الصافى ٢٠٣/٣ والدليل ١٧٤/١، النجوم ١٤/٢٩، ١٩٥.

الجمعة ثامن عشره، وأخذ مقبل ومن معه وسجنوا، وكتب بذلك إلى السلطان، فقدم الكتاب فى عشية يوم الأحد سابع عشرينه فانتقل السلطان إلى منزلة سلطان قرشى، فقدم قاصد الأمير على باك بن دلغادر بهديته وكتابه، وقدم كتاب الأمير ناصر الدين محمد بن دلغادر مع ولده، وصحبته كواهى، ومفاتيح قلعة درنده، فأضاف السلطان نيابة الأبلستين إلى على باك بن دلغادر مع ما بيده من نيابة مرعش^(١)، وجهاز له التشريف. ثم ركب السلطان فى ثامن عشرينه ليرى درنده، وسار جرائد الخيل ونازلها، وبات عليها، وأصبح فرتب الأمير أقبای نائب الشام فى إقامته عليها، واستدعى من المخيمات بالزردخاناه والعتالين والنقابين والصناع، وألزمهم بأخذها، وعادوا إلى المخيم، فوصل فى تلك الليلة مفاتيح قلعة خندروس، من مضافات درنده، وقدم الخبير باستقرار على باك بن دلغادر فى الأبلستين على يد ولده حمزة، ومعه هدية، وقدم الخبير بأن الأمير أسنبك بن أينال واقع عسكر الأمير ناصر الدين محمد بن دلغادر، وأخذ منهم جميع ما معهم، وأنه قطعت يد ولده الكبير فى الواقعة، فسر السلطان بذلك، وركب إلى درنده وبات على سطح العقبة المطلة عليها، فلما أصبح، ركب بعساكره، وعليهم السلاح، ونزل بمخيماته على القلعة وهى فى شدة من قوة الحصار، فلما رأى من فيها السلطان قد نزل عليهم طلبوا الأمان فأمّنهم ونزلوا بكرة الجمعة سلخه، وفيهم داود بن الأمير ناصر الدين محمد بن قرمان، فألبسه السلطان تشريقاً، وأركبه فرساً بقماش ذهب، وخلع على جماعته، واستولى السلطان على القلعة، وكتب بالبشارة إلى البلاد، وخلع على الأمير أظنبغا الحكمى أحد رعوس النوب، واستقر فى نيابة درنده، وأنعم عليه بأربعة آلاف دينار سوى السلاح، وخلع على الأمير منكللى بغا الأرغون شاوى - أحد الأمراء الطبلخاناه بالديار المصرية - واستقر به فى نيابة ملطية ودوركى، وأنعم عليه بخمسة آلاف دينار، وصعد السلطان من الغد إلى قلعة درنده، وأحاط بها علمًا، ثم رحل، فورد كتاب ناصر الدين محمد بن شهرى يتضمن أنه جهز فى يوم الأربعاء سابع جمادى الأولى عشرة أنفس، ليسرقوا قلعة كرت برت من أصحاب محمد بن دلغادر، وأردفهم بعسكر، فقاتلوا من بالقلعة فى يوم الخميس غده، حتى غلبوهم، وأخذوا القلعة، وجهاز من أهلها أحد عشر رجلاً، فصلبوا على قلعة درنده.

(١) مرعش: من ثغور أرمينية، وبينها وبين زبطرة تسعة فراسخ، وهى مدينة حصينة عليها سور حجارة. فتحها خالد بن الوليد رضى الله عنه، وجهه إليها أبو عبيدة بن الجراح رضى الله عنه، وقالوا: وحيحان مخرجة من عيون تعرف بعيون جيحان على ثلاثة أيام من مرعش. انظر الروض المعطار ٥٤١، ٥٤٢.

ولما قضى السلطان الغرض من أمر درندة وطرسوس وأياس، وجعل أمر الأبلستين إلى على بك بن دلغادر، وأمر مرعش إلى ولده حمزة، ارتحل بالعسكر ونزل على النهر من غربي الأبلستين بنحو مرحلة، ليتوطد له أمر ملطية ونائب درندة، وتكمل رجوع أهل البلدين إليهما، فأقام أربعة أيام، ثم عاد ونزل الأبلستين، يريد بهسنى وكختا وكركر، وأعاد من هناك حمزة بن على بك دلغادر إلى أبيه، وجهاز دنكز رسول قرايوسف وصحبته رسول على يده جوابه وهدية، وكان قد سار الأمير أقبای نائب الشام إلى بهسنى^(١) فرحل السلطان في إثره، فقدم الخبر من الأمير أقبای نائب الشام بأنه كتب إلى الأمير طغرُق بن داود بن إبراهيم بن دلغادر، المقيم بقلعة بهسنى يرغبه في الطاعة، ويدعوه إلى الحضور، فاعتذر عن حضوره بخوفه على نفسه، فما زال به حتى سلم القلعة، وحضر إليه.

فلما كان في سادس عشرين جمادى الآخرة: قدم الأمير أقبای، ومعه الأمير طغرُق - وقد قارب السلطان في مسيره حصن منصور - فخلع على طغرُق ومن معه، وأنعم عليهم بمال والكساوى، وأنزل بخام ضرب له، ونزل السلطان بحصن منصور، فقدم الخبر بنزول الأمير قحقار نائب حلب على كركر وكختا وقدام أيضا قاصد قرايوك بهدية، فخلع عليه، وقدام رسول الملك العادل سليمان صاحب حصن كيفا^(٢) بهدية، فلما كان الغد رحل السلطان ونزل شمالى حصن منصور، قريبا من كركر وكختا، وأردف نائب حلب بالأمير جار قطلو نائب حماة، وجماعة من أمراء مصر والشام، وبعث يشبك اليوسفى نائب طرابلس لمنازلة كختا.

وفيه خلع على الأمير منكلى خججا السيفى أرغون شاه بناية قلعة الروم، عوضًا عن الأمير أبى بكر بن بهادر البابيرى الجعيرى، وخلع على الأمير كمشبغا الركنى رأس نوبة جمال الدين الأستاذار - كان - بناية بهسنى، عوضًا عن الأمير طغرُق بن دلغادر. وقدام جواب قرايوسف صحبة القاضى حميد الدين قاضى عسكره، وكتاب محمد شاه بن قرايوسف وكتاب بير عمر حاكم أرزنكان^(٣) وهدية جليلة من قرايوسف، فأنزل حميد الدين وأجرى عليه ما يليق به.

(١) بهنسى: مدينة بصعيد مصر فى الجهة الغربية من الخليج الخارج من معظم النيل، وهى عامرة بالناس جامعة لأمم شتى، ومن هذه المدينة إلى مصر سبعة أيام. انظر الروض المعطار ١١٤، والإدريسى ٥٠، وجنى الأزهار ١٠.

(٢) حصن كيفا: سبق ترجمته. انظر معجم البلدان (حصن كيفا)، وفى الروض المعطار جاء ذكره فى وسط الكلام عن مدينة سروج، وهو أنه بينه وبين سروج ستة فراسخ. انظر الروض المعطار ٣١٦ (سروج).

(٣) سبق ترجمتها.

ثم رحل السلطان ونازل كختا وحصر قلعتها، وقد نزع أهل كختا ومعاملها عنها، فنصب للرمي على القلعة مدفعا زنة حجره ستمائة رطل بالمصرى، وعدة مدافع دون ذلك، فبينما هو فى حصارها، إذ ورد الخبر بقرب قرايوسف وأنه يقصد قرايلك. فبادر قرايلك وجهاز ابنه الأمير حمزة العشارى صحبة نائبه الأمير شمس الدين أمير زه بهدية، من خيل وشعير، ويسأل الاعتناء به، فأكرم السلطان ولده ونائبه وأنزلهما.

وقدم أيضا قاصد طور على نائب الرها^(١) وقاصد الأمير ناصر الدين محمد بن شهرى نائب دوركى، وقاصد بير عمر حاكم أرزنكان، بكتابه أنه مشى يريد قرايلك، معه عشرون ألف فارس لأخذه. وقدم أيضا قاصد الأمير محمد بن دولاب شاه الحاكم بأكل^(٢) من ديار بكر، ومعه مفاتيح قلعتها، فأعيدت إليه المفاتيح، ومعها تشريف أطلسين. فلما اشتد الحصار على قلعة كختا، وفرغ النقبابون من النقب، ولم يبق إلا إلقاء النار فيها، طلب قرقماس شمس الدين أمير زاه فبعثه السلطان إليه، فجرت أمور آلت إلى أنه بعث ولده رهنا، وأنه بعد رحيل السلطان عنه ينزل، فرحل السلطان إلى جهة كركر، وأقام الأمير جقمق على كختا وسارت الأتقال إلى عين تاب، فنازل السلطان قلعة كركر، ونصب عليها منجنيقا يرمى بحجر زنته ما بين الستين والسبعين رطلا بالدمشقى، وذلك فى يوم الجمعة تاسع عشر ربه.

شهر رجب، أوله السبت:

فيه قدم الخبر من الأمير جقمق بنزول الأمير قرقماس من قلعة كختا، ومعه حريمه، فتسلمها نواب السلطان، وأنه توجه ومعه قرقماس إلى حلب، وقدم الخبر من الأمير منكلى بغا نائب ملطية بأن طائفة من عسكر قرايوسف نزلوا تحت قلعة منشار^(٣) ونهبوا بيوت الأكراد، وعدى الفرات منها نحو ثلاثمائة فارس، وأنه ركب عليهم وكسرهم، وقتل منهم نحو العشرين، وغرق بالفرات نحو ذلك، وأسر اثنى عشر نفرا، وأنهم ساروا إلى خرت برت^(٤).

(١) الرها: بضم الراء والمد، مدينة من أرض الجزيرة متصلة بحران، وإليها ينسب الورق الجيد من ورق المصاحف، وهى مدينة ذات عيون كثيرة عجبية تجرى منها الأنهار، وبينها وبين حران ستة فراسخ، والرها مدينة رومية عليها سور حجارة، تدخل بها أنهار وتخرج عنها، وهى سهلية جبلية كثيرة البساتين والخيرات. انظر الروض المعطار ٢٧٣، ٢٧٤، ونزهة المشتاق ٢٠٠، وصبح الأعشى ١٣٩/٤، وابن الفقيه ١٣٤، والكرخى ٥٤، والمقدسى ١٤١، ١٤٧، ومعجم ما استعجم ٦٧٨/٢.

(٢) أكيل: من قرى ماردين. انظر: معجم البلدان ١ / ٢٤٠.

(٣) ذكر فى ط: أن منشار حصن قريب من الفرات. انظر معجم البلدان.

(٤) خَرْتَبَرْت: وهو الحصن المعروف بحصن زياد الذى يجيىء فى أخبار بنى حمدان فى أقصى

ديار بكر من بلاد الروم. انظر: معجم البلدان ٢ / ٣٥٥.

وفيه خلع السلطان على الأمير شاهين الحاجب بصفد، واستقر به فى نيابة كركر، وعلى الأمير كزل بغا - أحد أمراء حماة - بنيابة كختا، فمضى كزل بغا وتسلم كختا وقلعتها ورحل السلطان بكرة يوم الثلاثاء رابعه، وقد عاوده ألم رجله الذى يعتريه فى كل سنة، فركب المحفة عجزاً عن ركوب الفرس، وقصد حلب، ثم ركب الفرات فى الزوارق من تجاه بلدة يقال لها كيلك^(١) وصحبتة خاصته، ونزل قلعة الروم عشية الخميس سادسه وبات بها ونزل من الغد بالميدان، بعدما رتب أحوال القلعة، وأنعم على نائبها بخمسمائة دينار، وعلى بجزيتها بنفقة، فقدم الخير فى يوم الجمعة سابعه من الأمير قحقار نائب حلب بهزيمة قرايلك من قرايوسف، وأن من معه من العسكر المقيم على كركر خافوا، وعزموا على الرحيل، وبينما كتابه يُقرأ، إذ قدم كتاب الأمير أقبای نائب الشام، بأن الأمير قحقار رحل عن كركر بمن معه، من غير أن يعلمه، وأنه عزم على محاصرتها، فكتب إليه بأن يستمر على حصارها.

وفى بكرة يوم السبت ثامنه: انحدر السلطان على الفرات إلى البيرة، فدخلها من آخره، وصعد قلعتها، وقرر أمورها، فقدم الخير من الغد بقرب قرايوسف، وأن الأمير أقبای نائب الشام صالح خليل نائب كركر، ورحل بمن معه، فحقق السلطان من ذلك، واشتد غضبه على الأمير قحقار نائب حلب، ثم رحل السلطان من البيرة يريد حلب فدخلها بكرة يوم الخميس ثالث عشره، بأبهة الملك، وقد تلقاه أهل حلب، وفرحوا بمقدمه لكثرة الإرجاف بقدم قرايوسف، فاطمأنوا، وصعد القلعة، ونادى بالأمان، وفرق فى الفقهاء والفقراء مالا جزيلا، وأمر ببناء القصر الذى كان الأمير حكيم شرع فى عمارته.

وفى سابع عشره: قدم أقبای نائب الشام، وقحقار نائب حلب، وجار قطلو نائب حماة، فأغلظ السلطان على الأمير قحقا ووبخه، فأجابته بدله، ولم يراع الأدب، فقبض عليه وحبسه بالقلعة، ثم أفرج عنه من يومه بشفاعة الأمراء، وبعثه إلى دمشق بطالا. واستقر بالأمير يشبك اليوسفى - نائب طرابلس - فى نيابة حلب، وخلع عليه. واستقر بالأمير بردبك رأس نوبة فى نيابة طرابلس.

وفى يوم الخميس عشرينه: ركب السلطان إلى خارج حلب وعاد إلى دار العدل فى موكب عظيم، وحضر الأمير حديثة أمير العرب، وحميد الدين رسول قاصد قرايوسف،

(١) ذكر فى ط: أنه يفهم من المتن أن كيلك بلدة على الفرات قرب قلعة الروم. انظر النجوم الزاهرة ٣٧١/٦، ولعله فى ط: استند على أن السلطان ركب الفرات حتى وصل إلى قلعة الروم فيجب أن تكون هذه المدينة واقعة على جانب الفرات؛ لأنه لم يذكر أى انحراف للسلطان أثناء سفره.

وخلع عليه، وأنعم له بمال وأعادته. وخلع على الأمير ططر، واستقر به رأس نوبة كبيراً، عوضاً عن برد بك نائب طرابلس، واستقر بالأمير نكبای في نيابة حماة، عوضاً عن جار قطلو، واستقر بجار قطلو في نيابة صنفد، عوضاً عن الأمير غرس الدين خليل التوريزي الجشاري، واستقر خليل في الحجووية الكبرى بطرابلس وخلع على الجميع، فاستعفى خليل من حجووية طرابلس، فأعفى، وخلع على الأمير سودن قرا صقل حاجب الحجاب بديار مصر، واستقر في الحجووية بطرابلس، واستقر بالأمير شاهين الأرعون شاوى في نيابة قلعة حلب عوضاً عن الأمير أطنبغا المرقبى، بحكم انتقاله في جملة مقدمى الألوفا على إقطاع الأمير أقردى المنقار.

وفي رابع عشرينه: رسم للنواب بالتوجه إلى محل كفالاتهم، وخلع عليهم خلع السفر.

وفي خامس عشرينه: قبض على الأمير طغرول بن صقل سيز وابن عمه طر على وسجنا بقلعة حلب واستقر الأمير ناصر الدين محمد بن التركمانى في نيابة شيزر، عوضاً عن طغرول المذكور، واستقر الأمير مبارك شاه في نيابة الرحبة^(١)، عوضاً عن عمر بن شهرى.

وفي سادس عشرينه: كملت عمارة القصر بقلعة حلب، وجلس فيه السلطان واستدعى مقبل القرمانى ورفاقه، وضربه ضرباً مبرحاً ثم صلب هو ومن معه.

وفيه قدم الخير من القاهرة بوفاء النيل وقدم رسول سليمان صاحب حصن كيفا^(٢) وكتابه، يسأل انتسابه إلى السلطان، وأن ينعم عليه بتقليد باستقراره واستمراره واحداً من نواب السلطنة، وطلب تشريعاً على عادة النواب، فأجيب إلى ذلك وخلع على قاصديه وعين له حجرة بقماش ذهب، وتعبية ثياب.

شهر شعبان، أوله الإثنين:

فيه عمل السلطان الخدمة بالقصر الجديد من قلعة حلب، وأصلح بين الأمير حديثة

(١) رحبة مالك بن طوق: هي مدينة في شرقي الفرات حصينة عامرة عليها سور تراب ولها أسواق وعمارات وكثير من التمر، ومنها مع الفرات إلى الخابور مرحلتان. انظر الروض المعطار ٢٦٨، ومعجم البلدان. (رحبة مالك بن طوق).

(٢) هو: الملك العادل (٨٢٧هـ = ١٤٢٤م) سليمان (العادل) بن غازى بن محمد بن شادى الأيوبى، صاحب «حصن كيفا» وكان من أطول الملوك مدة، استمر في الحكم نحو ٥٠ سنة. انظر: الضوء اللامع ٣/ ٢٦٨، مجلة الجمع العلمى ١٦/ ٢١٢. الأعلام ٣/ ١٣١.

أمير آل فضل وبين غنام بن زامل، وحلفهما على الطاعة، وأن لا يتضارا، واستقر بالأمر ناصر الدين محمد بن دلفادر في نيابة الأبلستين على عادته، وجهاز له نفقة وسيفاً وسلاحاً وجمالاً وخيولاً.

وفيه قدم قاصد كردى باك، ومعه الأمير سودن اليوسفى، أحد المنسحجين من وقعة قانباى، وقد قبض عليه، فسمر تحت قلعة حلب من الغد، ثم وسط. وانتهت زيادة النيل في يومه - وهو سادس عشر توت - إلى عشر أصابع من عشرين ذراعاً.

وفي يوم الجمعة خامسه: خطب القاضى ناصر الدين محمد بن البارزى الحموى - كاتب السر - خطبة الجمعة، وصلى بالسلطان في القصر المستجد بقلعة حلب.

وفي يوم السبت سادسه: أمسك بالقاهرة نصرانى وقد خلا بامرأة مسلمة، فاعترفوا بالزنا، فرجما خارج باب الشعرية^(١) ظاهر القاهرة عند قنطرة الحاجب، وأحرق العامة النصرانى ودفنت المرأة، فكان يوماً عظيماً.

وفي ثامنه: قدم على السلطان بحلب كتاب الأمير سليمان بن عثمان، بأنه قبض على محمد بن قرمان وعلى ولده مصطفى بعد محاصرته بقونيا، وأنه استولى عليها، وعلى غالب بلاد ابن قرمان؛ قيسارية وغيرها.

وفيه خلع على تمراز بحجوية حلب، عوضاً عن أقبلاط الدمرداشى.

وفيه اجتمع عدة من فقهاء القاهرة عند الأمير فخر الدين عبد الغنى بن أبى الفرج الأستاذار، فى أمر نصرانى ادعى عليه بما يوجب إراقة دمه، فتشطرت البينة عليه، ولم يكمل النصاب، فحكّم قاضى القضاة جمال الدين عبد الله بن مقداد الأقفهسى المالكى بتعزيره، فعندما جرد ليضرب أسلم، فأنعم عليه، وترك لحاله، وتجاوزا^(٢) ما فيه النصارى من كبر عمائمهم، ولبسهم الفرجيات والجبب بالأكمام الطويلة الواسعة، كهيئة قضاة الإسلام، فنودى بمنعهم من ذلك، ومن ركوبهم الحمر الفرة، ومن استخدامهم المسلمين، وأن يلتزموا الصغار، ولا يلبسوا إلا عمامة من خمسة أذرع فما دونها.

وفي يوم الخميس حادى عشره: قدم الأمير يشبك - أحد دواديرية السلطان - إلى القاهرة، وقد استقر أمير ركب الحاج.

(١) أحد أبواب الخروسة، القاهرة، وهو ينسب إلى طائفة من البربر يقال لهم بنو الشعرية. انظر: المواعظ والاعتبار ١ / ٣٨٣.

(٢) جراه مجارة وجرأ، جرى معه، وجراه فى الحديث وتجاروا فيه. انظر: لسان العرب (جرى).

وفيه عزل السلطان تمتاز عن حجوية حلب، واستقر عوضه بالأمير عمر سبط بن شهري، وخلع عليه وعلى عمر شاه بن بهادر الباييرى بناية جعير^(١) عوضاً عن خليل ابن شهري.

وفي يوم الإثنين خامس عشره: جمع الناس بالجامع الأزهر من القاهرة وبالجامع المؤيدى بجوار باب زويلة، وقرأ عليهم القاضى الحافظ شهاب الدين أحمد بن حجر^(٢) بالجامع الأزهر كتاب السلطان بأنه وصل إلى الأبلستين^(٣) وملك كختا^(٤) وسيس^(٥) والمصيصة^(٦) وأذنة^(٧) وغير ذلك، وأن قرايوسف حاكم توريز وبغداد بعث إليه بهدية، وقد قرب ما بينهما، وأن السلطان عاد إلى حلب، وسطرها فى تاسع عشر رجب وقرئ ذلك بالجامع المؤيدى، فكثر كلام الناس واختلف على قدر أغراضهم.

وفي سابع عشره: قدم الخبير على السلطان بحلب من الأمير فخر الدين عثمان بن طور على قرايلك، ومن الأمير الطنبغا نائب البيرة، ومن نائب قلعة الروم، ومن نائب كختا، ونائب ملطية، بأن الصلح وقع بين قرايوسف على أن قرايوسف تسلم قلعة صور، وعوض قرايلك عنها ألف درهم بمعاملتهم، ومائة فرس ومائة جمل بسارك، ثم رحل فى رابع شهر شعبان عنه إلى جهة توريز، فلما تحقق أهل حلب رحيل قرايوسف، وعوده إلى بلاده اطمأنوا، بعدما كانوا قد تهيئوا للرحيل عن حلب. وأصبح السلطان بكرة يوم الخميس ثامن عشره، راجلا عن حلب إلى جهة مصر، فنزل عين مباركة^(٨).

(١) جعير: قلعة جعير على الفرات بين بالس والدرقة قرب صفين. انظر: معجم البلدان ٢/

(٢) سبق ترجمته.

(٣) سبق ترجمتها.

(٤) سبق ترجمتها.

(٥) سبق ترجمتها.

(٦) المصيصة: من ثغور الشام بالقرب من أنطاكية، والمصيصة مدينتان بينهما نهر عظيم يقال له جيحان، وهما على ضفتيه وبينهما قطرة من حجارة، واسم الواحدة المصيصة والأخرى كفرييا، وبين المصيصة والبحر اثنا عشر ميلاً. انظر الروض المعطار ٥٥٤، ومعجم ما استعجم ١٢٣٥/٤.

(٧) أذنة: بفتح أوله وثانيه، ونون بوزن حسنة. وأذنة بكسر اللال، بوزن خشنة؛ قال السكوني: بجذاء توز جبل يقال له الغمر شرقى توز، ثم يمضى الماضى فيقع فى جبل شرقيه أيضاً، يقال له أذنة، ثم يقطع إلى جبل يقال له حبشى. انظر: معجم البلدان ١/ ١٣٢، ١٣٣.

(٨) موضع به عين ماء قرب حلب، يجرى منه الماء فى قناة إلى قنسرين. انظر: زبدة الحلب فى

وفيه أسلم الأسعد النصراني خازناً، وكان كاتب الأمير فخر الدين عبد الغنى بن أبى الفرج الأستاذار، وذلك بعدما حفظ جزءاً من القرآن الكريم، وشدا طرفاً من النحو، فتسمى بعد إسلامه بمحب الدين محمد.

وفى عشرينه: استقل السلطان بالمسير من عين مباركة، ونزل قنسرين، وأعاد منها الأمير يشبك نائب حلب إليها، بعدما خلع عليه، ثم سار ونزل حماة بكرة الأربعاء رابع عشرينه. ورحل عنها من الغد، ونزل حمص، ورحل عنها عشية الجمعة سادس عشرينه.

شهر رمضان المعظم، أوله الثلاثاء:

فى بكرة يوم الخميس ثالثه: دخل السلطان دمشق، ونزل بقلعتها وكان يوماً مشهوداً، ونودى فى الناس بالأمان والاطمئنان.

وفى سابعه: قبض على الأمير أقبای نائب الشام، وقيد وسجن بقلعة دمشق، وسبب ذلك أن السلطان اشتراه صغيراً بألفى درهم، ورباه، ثم عمله خازن داراً، ثم نقله فى أيام سلطنته إلى أن صار من الأمراء، وولى داوداراً كبيراً، ثم ولاه نيابة حلب، وهو مجبول على طبيعة الكبر، يحدث نفسه - كلما انتهى إلى غاية - بأعلى منها، فأوى جماعة من مماليك قانباى بعد قتله، وعدة من العصاة، فأشيع عنه الخروج عن الطاعة فلما بلغه ذلك، بادر إلى التوجه إلى القاهرة، وقدم على السلطان بغتة، كما سبق فيما سبق، فتنكر السلطان له وأسرهما فى نفسه، وولاه نيابة الشام، وكان الجاليش قد نصب، وفرقت نفقات السفر، فظن أن يصل قبل ذلك، فيثنى عزم السلطان عن السفر بعده، كما شرح فوشى به دواداره، الأمير شاهين الأرغون شاوى إلى السلطان، فى جماعة من أمراء دمشق، وقد ذكروا للسلطان إنه يسير إذا مرض السلطان، أو عاوده ألم رجله، وأنه استخدم جماعة من أعداء الدولة وأن حركاته كلها تدل على أنه يطلب فوق ما هو فيه، وأنه يعانى غير ما تعانىه النواب، وأنه يكثر سماطه وجنايبه وهجنه إذا ركب فى الموكب، ونحو ذلك، إلى أن كان يوم تاريخه، التفت السلطان إليه بحضرة الأمراء، وسأله عن المماليك المستخدمين عنده، وعدد له من استجده من العصاة الذين كانوا مع قانباى وغيره، وأنكر عليه تركه إمساك جماعة رسم له بمسكهم، وكونه قدم إلى مصر بغتة، وأشياء من هذا الجنس، وقبض عليه، ثم أشار إلى الأمير تنبك ميق أمير أخور كبير باستقراره فى نيابة الشام، فامتنع من ذلك ساعة طويلة، ثم أذعن، ولبس التشريف، وقبل الأرض على العادة.

وفيه استدعى السلطان الأمير قجقار القردمى نائب حلب - كان - وأنعم عليه بإمرة الأمير تنبك ميق.

وفيه أفرج عن الأمير أظنبيغا العثماني نائب الشام - كان - ورسم بتوجهه إلى القدس بطالا.

وفيه قبض على جماعة من المماليك.

وفيه خلع على عز الدين عبد العزيز المقدسي، واستقر في قضاء الحنابلة بدمشق، عوضاً عن شمس الدين محمد بن عبادة بحكم وفاته.

وفي يوم الإثنين رابع عشره: سار السلطان من دمشق يريد مصر، ونزل على قبة بلبغا، ثم استقل بالمسير، وأعاد الأمير تنبك ميق إلى دمشق بعدما خلع عليه.

وفي ثامن عشره: سار الشريف بركات بن حسن بن عجلان من القاهرة عائداً إلى مكة في تجمل زائد، وقد التزم عنه وعن أبيه الأمير فخر الدين بمال للسلطان.

وفيه بلغ الأمير فخر الدين أن السجن الذي استجد عند باب الفتوح بالقاهرة - عوضاً عن خزانة شمائل - تقاسى فيه أرباب الجرائم شدة من ضيقه، ويقاسون غما وكرهاً شديداً، فعين قصر الحجازية، بخط رحبة باب العيد، ليكون سجناً وأنعم على من هو بيده بعشرة آلاف درهم فلوساً عن أجرة سنتين، وشرع في عمله سجناً، ثم أهمل.

وفي ليلة الخميس رابع عشرينه: توجه الأمير فخر الدين بن أبي الفرج لملاقاة السلطان.

وفي بكرة يوم الجمعة خامس عشرينه: قدم السلطان بيت المقدس فزار وفرق في أهله مالا جزيلاً، وصلى الجمعة، وجلس بالمسجد الأقصى بعد الصلاة، وقرئ صحيح البخاري من ربه فرقت على من بين يديه من الفقهاء القادمين إلى لقاءه من القاهرة، ومن القدس، ثم قام المداح بعد فراغهم، فكان وقتاً مشهوداً.

ثم سار السلطان من الغد إلى الخليل عليه السلام، فزار وتصدق، وسار فلقية الأمير فخر الدين بين قرية السكرية والخليل فأقبل عليه، وسر السلطان بالقائمة التي أوقفه الأمير فخر الدين عليها، مما أعده له من الأموال، ونزل غزة يوم الإثنين ثامن عشرينه، فأراح بها.

شهر شوال، أوله الخميس:

فيه صلى السلطان صلاة العيد على المسطبة المستجدة ظاهر غزة، وصلى به وخطب شيخ الإسلام قاضي القضاة جلال الدين البلقيني، ورحل من آخره، فقدم قاضي القضاة

جلال الدين إلى القاهرة فى ثامنه، ونزل السلطان على خانكاه سرياقوس فى يوم الجمعة تاسعه، فأقام إلى يوم الأربعاء رابع عشره، ثم رحل ونزل خارج القاهرة، فبات، وركب يوم الخميس من الريدانية فى أمرائه وعساكره، وعبر من باب النصر، وولده الأمير صارم الدين إبراهيم يحمل القبة على رأسه، فترجل المماليك، ومشوا من داخل باب النصر وبقي الأمراء ركابًا، يبعد من السلطان، وعليهم - وعلى قضاة القضاة وسائر أرباب الدولة - التشاريف، وفى جملةهم الخليفة المعتضد بالله فمر كذلك إلى الجامع المؤيدى، ونزل به وقد زينت القاهرة وأشعلت بجوانيتها القناديل والشموع، فأكل السلطان سمطًا، عبأه له الأمير فخر الدين، ثم ركب إلى قلعة الجبل، ودخلها من باب السر، راكبًا بشعار الملك حتى دخل من باب الستارة، وهو على فرسه، إلى قاعة العواميد، فنزل عن فرسه على فراشه بحافة الإيوان، وقد تلقاه حرمه، فكان يومًا مشهودًا.

وفى يوم الإثنين تاسع عشره: خلع على الأمير طوغان، واستقر أمير أخور كبير. مكان الأمير تنبك العلاء - ويقال له ميق - المنتقل إلى نيابة الشام، وخلع على الأمير علاء الدين الطنبغا المرقبى نائب قلعة حلب، واستقر حاجب الحجاب، وعلى الأمير قحقار القردمى، واستقر أمير سلاح، على عادته قبل نيابة حلب، وعلى الأمير فخر الدين بن أبى الفرج خلعة الاستمرار، وأضيف إليه أستاذارية الأمير صارم الدين إبراهيم ابن السلطان، عوضًا عن سليمان بن الكويز.

وفى يوم الثلاثاء عشرينه: خرج محمل الحاج إلى الريدانية خارج القاهرة، مع الأمير بشبك الدوادار الثانى، أحد الطبلخاناه وحصل فى الجمال شىء يستغرب، وهو أن العادة غلو سعر الجمال عند سفر الحاج لطلبها، فمنذ قدم السلطان من الشام انحط سعرها، لكثرة ما جاء به العسكر منها، حتى أبيع الجمل الذى كان ثمنه أربعين دينارًا بخمسة عشر دينارًا.

وفى يوم الخميس ثانى عشرينه: سرح السلطان إلى بر الجزيرة^(١) لصيد الكركى^(٢)

(١) قال ابن إياس فى ذكر الجزيرة: اعلم أن الجزيرة اسم لقربة كبيرة جميلة البنيان على شاطئ النيل من جانبه الغربى تجاه مدينة فسطاط مصر ولها فى كل يوم أحد سوق عظيم تجلب إليه من النواحي أصناف كثيرة جدًا من البضائع وغيرها، ويقال أن بالجزيرة قبر كعب الأبحار، وكان بها أحجار من الرخام قد جعل فيها طلسم للتماسيح فكانت فيما يلى البلدة من النيل على مقدار ثلاثة أميال علوا أو سفلا، وكان بها سجن يوسف عليه السلام. انظر نزهة الأمم لابن إياس ٢٠٠، ٢٠١.

(٢) طائر أغبر طويل الساقين، فى قدر الأوزة. انظر: صبح الأعشى ٦٣/٢ وينظر المعجم الوسيط (كرك).

وعاد فى آخره من باب القنطرة، ومر بين السورين ونزل فى بيت الأمير فخر الدين، فقدم له فخر الدين المذكور عشرة آلاف دينار، وركب حتى شاهد الميضاة التى بنيت للجامع المؤيد وصعد قلعة الجبل، ثم ركب من الغد وسرح أيضا ثم عاد فى يوم الأحد خامس عشره إلى القلعة.

وفى يوم الإثنين سادس عشره: خلع على الأمير أرغون شاه الأعور - أستاذار نوروز - واستقر فى الوزارة عوضًا عن الأمير فخر الدين، وخلع على الأمير فخر الدين خلة باستمراره فى الأستادارية وأن يكون مشير الدولة، وبلغت تقدمه فخر الدين التى قدمها للسلطان عند قدومه من الشام أربعمائة ألف دينار عينا، وثمانية عشر ألف أردب غلة، من ذلك ما وفره من ديوان الوزارة مبلغ أربعين ألف دينار وثمانية عشر ألف أردب غلة، وما وفره من الديوان المفرد ثمانين ألف دينار، وما جباه من النواحي مائتى ألف دينار وخمسين ألف دينار، ومن إقطاعه ثلاثين ألف دينار، وذلك سوى مائة ألف دينار حملها إلى السلطان وهو بالشام.

شهر ذى القعدة الحرام، أوله الجمعة:

فى سادسه: قدم الخير من الأمير تنبك ميق نائب الشام بأن فى ليلة السبت رابع عشرين شوال خرج الأمير أقبای ومن بالقلعة من المسجونين، ففر نائب القلعة، وخرج فى إثره أقبای إلى باب الحديد، بمن معه، وقد أدركه الأمير تنبك ميق بالعسكر، فأغلق الباب، وامتنع بالقلعة، وأنه على حصاره، فتشوش السلطان من ذلك، وكتب بالجد فى أخذه، فقدم من الغد كتاب الأمير تنبك ميق، بأن أقبای استمر بالقلعة إلى ليلة الإثنين سادس عشرين شوال، ثم نزل فيها من قرب باب الحديد، ومشى فى نهر بردا إلى طاحون باب الفرج، فقبض عليه هناك وعلى طائفة، فأجيب بمعاقبته حتى يقر على الأموال ثم يقتل، وحمل جماعة من أهل القلعة إلى مصر، وأنعم عليه بفرس قماش ذهب، وكاملية حرير مخمل بفرو سمور، وطراز عريض ورسم أن يستقر الأمير شاهين - مقدم التركمان - الحاجب الثانى بدمشق نائب القلعة، ويستقر عوضه حاجبًا كمشيفا السيفى طولو. وفى مقدمة التركمان الأمير شعبان بن اليعمورى، أستاذار المفرد بدمشق.

وفى يوم الجمعة ثامنه: سار الأمير صارم الدين إبراهيم ابن السلطان فى عدة من الأمراء إلى الوجه القبلى، لأخذ تقادم العربان، وولاية الأعمال.

وفى تاسعه: قدم رسول قرا يلك.

وفيه خلع على الأمير ططر رأس نوبة، واستقر فى نظر الشيخونية على عادة رعوس النوب، وخلع على الأمير طوغان أمير آخور، واستقر فى نظر المدرسة الظاهرية برقوق.

وسرح السلطان إلى الطرانة في يوم الإثنين حادى عشر ذى القعدة.

وفيه قدم محمد و خليل - ولدا الملك الناصر فرج بن برقوق - من الإسكندرية، إلى قلعة الجبل.

وفي تاسع عشره: وصلت رمة الأمير فرج بن الناصر فرج من الإسكندرية، فصلى عليها بمصلى المؤمنى^(١) تحت قلعة الجبل، ودفن بتربة جده الملك الظاهر برقوق، خارج باب النصر.

وفي يوم الإثنين حادى عشرينه: عاد السلطان من السرحة، وهو وصل إلى العظامى ويعرف برأس القصر، فنزل بقصر أنشأه القاضى ناصر الدين محمد بن البارزى كاتب السر على شاطئ النيل من البر الغربى، تجاه داره المطلة على النيل، وكان قد شرع فى أساسه قبل سرحة السلطان، ففرغ منه بعد أربعة أيام، واستمر به السلطان ثلاثة أيام ثم ركب النيل، وتصيد بناحية سرياقوس، وصعد القلعة.

واتفق هذا الشهر ببلاد الصعيد^(٢) أن غنما عدتها نحو الأربعة وعشرين ألف رأس من الضأن رعت ببعض المراعى، فماتت عن آخرها.

وفيه جهزت الأضاحى السلطانية، فقام الأمير فخر الدين منها بعشرة آلاف رأس من الضأن، وقام صاحب بدر الدين حسن بن نصر الله - ناظر الخاص - بألفى رأس.

وفي سلخه: نودى بأن يكون سعر المؤيدى الفضة تسعة دراهم من الفلوس وزنتها رطل ونصف. وأن يكون الذهب بسعره الذى يتعامل به، وكان قد بلغ المثقال الذهب الهرجة المختوم إلى مائتين وثمانين درهماً، والدينار الإفرنتى إلى مائتين وستين درهماً فلوساً، فأل الأمر على هذا.

وفي هذا الشهر: انحل سعر عامة المبيعات من أغلال وسائر الأقوات وغيرها من الملايس والدواب والأثاث. وكان فى الظن أن تغلو بقدوم العسكر من الشام، فجاء الأمر بخلاف ذلك.

شهر ذى الحجة، أوله الأحد:

فيه حمل إلى الأمير فخر الدين مائة ألف دينار، وإلى الأمير الوزير أرغون شاه خمسون ألف دينار، وإلى صاحب بدر الدين ناظر الخاص خمسون ألف دينار، وأمر

(١) نسبة إلى الأمير سيف الدين بكتمر بن عبد الله المؤمنى. انظر: النجوم الزاهرة ٥٠/١١.

(٢) الصعيد: هو أعالى بلاد مصر وكأنه الصاعد منها. انظر الروض المعطار ٣٦١.

الثلاثة أن يأخذوا من القاهرة بهذه المائتي ألف دينار فلوسًا لتضرب بصكة مؤيدية. ففرق الذهب في الناس، وأزموا بالفلوس، على أن كل دينار بمائتين وستين.

وفي ثانيه: قدم رأس الأمير أقبای من دمشق، فعلق على باب النصر، بعدما علقته جثته - بعد قتله - على قلعة دمشق، وصلب عليها جماعة.

وفي ثالثه: نودى بالقاهرة من كان عنده فلوس فليحملها إلى الديوان السلطاني. وهدد بالنكال من امتنع من حملها، أو سافر بها من القاهرة.

وفيه فرقت الأضاحى السلطانية.

وفيه ساق الأمير فخر الدين إلى السلطان ألف رأس من الكباش المعلوفة، ومائة وخمسين بقرة فى غاية السمن.

وفي سادس عشره: ركب السلطان بثبات جلوسه فى قليل من خاصكيته ونزل بالجامع المؤيدى، ثم توجه منه إلى بيت ناصر الدين محمد بن البارزى الحميرى كاتب السر، بسويقة المسعودى^(١) فقدم له مقدمة، ثم ركب إلى القلعة.

وفي رابع عشرينه: استقر الأمير علاء الدين أقبغا شيطان. شاد الدواوين، ووالى القاهرة، فى الحسبة، عوضًا عن عماد الدين، بعد عزله لسوء سيرته.

واستقر الأمير سودن القاضى - الحاجب كان - فى نيابة الوجه القبلى، وعزل الأمير بدر الدين حسن بن محب الدين، ورسم بإحضاره.

وفى يوم السبت تاسع عشرينه: قدم الأمير صارم الدين إبراهيم ابن السلطان من سفره، بعد أن وصل إلى جرجا وأخذ التقادم، ومن حملتها مقدمة الأمير بدر الدين حسن بن محب الدين، وتبلغ نحو اثنى عشر ألف دينار، سوى الكلف من العلوفات والمآكل فى مدة النزول عليه.

وفى هذا الشهر: وقعت فتنة بدمياط قتل فيها الوالى، وهى أن أعمال مصر منذ ابتداء الأيام الظاهرية بقوق، لا يولى بها وال إلا بما يقوم به، أو يلتزم به، وكان من أتباع المماليك رجل سولت له نفسه ولاية دمياط، يعرف بناصر الدين محمد السلاخورى، التزم بمال ووليها، واستدان مالا حتى عمل له ما يتجمل به وباشرها غير مرة فى هذه الأيام المؤيدية، فلما وليها فى هذه السنة، جرى على عادته فى ظلم الناس، وأخذ أموالهم ونسائهم وشباب أولادهم. ومن جملة أهل دمياط طائفة يقال لهم

(١) نسبة إلى الأمير صارم الدين قايماز المسعودى، المتوفى سنة ٦٦٤هـ.

السمنائية^(١)، يتعيشون بصيد السمك من بحيرة تينيس^(٢) ويسكن كثير منهم بجزائر يسمونها العزب - واحدها عزبة - فأنفوا من قبائح أفعال السلاخورى فى يوم الأحد ثانى عشرين ذى الحجة: وأوقعوا بنائب الوالى وضربوه وأهانوه، بحيث كاد يهلك، وجروه إلى ظاهر البلد، وتجمعوا على باب الوالى، وقد امتنع بها، ورماهم بالنشاب من أعلاها، فأصاب واحداً منهم قتله، وجرح ثلاثة حردهم^(٣) وألحوا فى أخذه، وهو يرمىهم، حتى نفذت سهامه، فألقى نفسه فى البحر، وركب فى سفينته إلى الجزيرة، فقبعوه فى السفن، وأخذوه وتناوبوا ضربه، وأتوا به إلى البلد، وسجنوه موثقاً فى رجليه بالخشب، وباتوا يجرسونه إلى بكرة غدهم، ثم أخرجوه وحلقوا نصف لحية نائبه، وشهروه على جمل والمغانى تزفه، حتى طافوا به البلد ثم قتلوه شر قتلة، وأخرجوا الوالى من الحبس، وأتوا ببعض قضاتهم وشهودهم، ليثبتوا عليه محضراً، وأوقفوه على رجليه مكشوف الرأس عارى البدن، فبدره أحد السمنائية، وصرعه. وتوائب عليه باقيهم حتى هلك، وسحبوه وأحرقوه بالنار ونهبوا داره وسلبوا حريمه وأولاده ما عليهم، وقتلوا ابنا له فى المهدي، مات من الرجفة، وأسروا له ابناً. فكانت فتنة لم يدرك مثلها فى معناها.

وفى ليلة الأحد تاسع عشرينه: طرق القاهرة منسر، عددهم ثلاثة وعشرون رجلاً منهم فارسان، ومروا على الجامع الأزهر أول الليل، وقتلوا رجلين برحبة الأيدمرى^(٤) ونهبوا عدة حوانيت، وعادوا على حارة الباطلية^(٥). فكان هذا مما لم يدرك مثله فى الشناعة ببلدنا.

(١) نسبة إلى سمناء وهى بلدة من نواحي تينيس. انظر: الانتصار ٧٨ / ٥، القاموس الجغرافى القسم الأول من ٢٨١.

(٢) قال ابن إياس فى ذكر مدينة تينيس: وهى تينيس بكسر التاء وكسر النون المشددة وباء وسين مهملة، قال المسعودى: فى كتاب «مروج الذهب» بحيرة تينيس كانت أرضاً لم يكن بمصر مثلها وكان بها النخيل والكرم وسائر أصناف الشجر، ولم يرى الناس بلداً أحسن منها، وكان الماء من النيل لا ينقطع عنها صيفاً ولا شتاء، وكان فيما بين العريش وجزيرة قبرس طريق مسلوكة يابسة تمشى فيها الدواب حتى غلب عليها الماء، وغرق تلك الأرض وهى اليوم تسمى بحيرة تينيس وكان استحكام عرق الأرض بأجمعها قبل أن تفتح مصر بمائة سنة. وقيل إن الذى بنى هذه المدينة كانت امرأة تسمى بنت صا الأصغر ابن تادرس أحد ملوك القبط بمصر، وكان قد ابتدأ الفرق لأرضها ومزارعها قبل الإسلام بمائة سنة. انظر نزهة الأمم ١٨٣، ١٨٤.

(٣) يقصد غيظهم وغضبهم. انظر: لسان العرب (حرد).

(٤) من جملة رحبة باب قصر الشوك، وهى منسوبة إلى الأمير عز الدين أيدمر الخلى نائب السلطنة فى أيام الظاهر بيبرس. انظر: المواعظ والاعتبار ٤٧ / ٢، ٤٨.

(٥) سمى بهذا الاسم نسبة إلى طائفة يقال لها الباطلية. ينظر المواعظ والاعتبار ٨ / ٢.

وفي هذا الشهر: قلت الغلال، وبلغ سعر الأردب القمح مائتين وأربعين بعد مائة وثلاثين، ومائة وخمسين، وبلغ الأردب من الشعير والفول قريباً من المائتين، بعدما كان الشعير قريباً من تسعين فما دونها، وسبب ذلك قلة المطر فى فصلى الخريف والشتاء، وعدمه، فخفت زروع الوجه البحرى، وأمسك الناس ما عندهم من الغلال، فلما طلبت تعذر وجودها، فارتفع سعرها، فتدارك الله بلطفه، وأنزل الغيث - بعدما قنطوا - فى يوم الثلاثاء، ويوم الأربعاء رابع عشره، وسقى الزروع عند حاجتها، فإن الزمن شهر أمشير، حتى جادت وزكت ونمت، ﴿إن الله بالناس لرءوف رحيم﴾^(١).

وفىها نزل ابن عثمان صاحب برصا على قونيا، وحاصر محمد بن قرمان، فدهمه سيل عظيم، كاد أن يهلكه وعساكره، فرحل عنها.

* * *

ومات فى هذه السنة ممن له ذكر

الأمير أقبردى المنقار^(٢)، أحد الأمراء المقدمين بمصر، فى ليلة الخميس سابع عشرين صفر بدمشق، وقد توجه إليها صحبة العساكر. وهو أحد المماليك المؤيدية، ولم يكن بالمشكور^(٣).

ومات الأمير فرج ابن السلطان الملك الناصر فرج ابن السلطان الملك الظاهر بقوق فى ليلة الجمعة سادس عشرين ربيع الأول بثغر الإسكندرية وقد نفى إليها ثم حملت رتمه، ودفنت بترية جده خارج باب النصر، ولم يبلغ الحلم وتحدث غير مرة بإقامته فى الملك، فلم يقدر ذلك^(٤).

ومات القاضى الرئيس تاج الدين عبد الوهاب بن نصر الله بن حسن الفوى، أخو صاحب بدر الدين حسن بن نصر الله، فى ليلة السبت ثالث عشر جمادى الآخرة بالقاهرة، ومولده سنة ستين وسبعمائة. ولى نظراً لأحباس، ووكالة بيت المال، ونظر الكسوة، وتوقيع الدست، وناب عن قضاة الحنفية ووقع عند عدة أمراء، وورثه أبوه^(٥).

(١) سورة البقرة الآية ١٤٣.

(٢) هو الأمير سيف الدين أقبردى بن عبد الله المؤيدى المنقار، أحد أمراء الألوفا بالديار المصرية. انظر: النجوم الزاهرة ١٣ / ٢٨٥.

(٣) انظر: النجوم الزاهرة ١٣ / ٢٨٥.

(٤) جاء فى النجوم أنه «أكبر أولاد الملك الناصر فرج من المذكور، وموته حمدت نفوس الظاهرية» انظر: النجوم الزاهرة ١٣ / ٢٨٥.

(٥) انظر: النجوم الزاهرة ١٣ / ٢٨٥.

ومات الشيخ موسى بن محمد بن علي المناوي بمكة، في ثاني شهر رمضان، ولم تدرك مثله فيما رأينا وعاشرنا، فإنه نشأ بالقاهرة يعانى طلب العلم، وتفقه على مذهب مالك، وحفظ الموطأ حفظاً جيداً، وبرع في الفقه والعربية، ثم زهد في الدنيا الفانية، وترك ما كان بيده من الوظائف من غير عوض تعوضه، وانفرد بالصحراء مدة. ثم خرج إلى مكة في سنة تسع وتسعين وسبعمائة، وأقبل على العبادة متخلياً عن كل شيء من أمور الدنيا، معرضاً عن جميع الناس، يسكن القفر والجبال، ويقنت ما تنبته الأرض، ولا يدخل مكة إلا يوم الجمعة فقط، ليشهد بها الجمعة، ثم مضى لشأنه في الجبال، وأقام بالمدينة النبوية على هذا القدم زماناً، وهو يتردد إلى الحرمين، ولا يأوى داراً، ولا يسكن إلى أحد، ثم سافر إلى اليمن، وعاد إلى مكة، وطالما عرض عليه المال الكثير من المذهب، يحمل إليه من مصر وغيرها، ويراه فلا يمسه بيده، بل يأمر بتفرقة على من يعينه لهم، فيدفع إليهم، ولم يزل على ذلك حتى خلصه الله تعالى إلى دار القدس والسعادة^(١).

ومات الشيخ شمس الدين محمد بن علي بن جعفر البلالي، شيخ خانكاه سعيد السعداء بها، في يوم الأربعاء رابع عشر شهر رمضان^(٢) وكان فقيهاً معتقداً، له شهرة طارت في الآفاق، وللناس فيه اعتقاد، وعليه انتقاد.

ومات الأمير أقبای نائب الشام^(٣) مقتولاً بها، في ذى القعدة، كما شرح أمره.

وقتل الأمير ناصر الدين محمد السلاخوري والى ثغر دمياط مقتولاً، في رابع عشرين ذى الحجة، كما ذكر^(٤).

ومات عز الدين محمد بن علاء الدين بن بهاء الدين عبد الرحمن ابن قاضى القضاة عز الدين محمد ابن قاضى القضاة تقى الدين سليمان بن حمزة المقدسى الحنبلى، قاضى الحنابلة بدمشق، في ليلة السبت رابع عشرين ذى القعدة، وكان عالماً ديناً حسن السيرة.

* * *

(١) انظر: النجوم الزاهرة ١٣ / ٢٨٦.

(٢) فى النجوم «فى يوم الجمعة رابع عشر شهر رمضان» انظر: النجوم الزاهرة ١٣ / ٢٨٧.

(٣) هو الأمير سيف الدين أقبای بن عبد الله المويدى. انظر: النجوم الزاهرة ١٣ / ٢٨٦.

(٤) جاء فى النجوم «فى رابع عشر ذى الحجة، بعدما ولى عدة وظائف». انظر: النجوم الزاهرة

سنة إحدى وعشرين وثمانى مائة

أهل شهر الله المحرم بيوم الثلاثاء.

فيه قدم مبشرو الحاج، وأخبروا بسلامتهم.

وفى ثالته: أعرس الأمير فخر الدين ببعض جوارى السلطان، وعمل مهمًا جليلا ذبح فيه ثمانية وعشرين فرسًا وأغنمًا، بلغ زنة لحمها عشرة آلاف رطل، ومن الدجاج ألفين ومائة طائر، ومن الأوز ثلاثة آلاف طائر، ومن الدقيق ستة وخمسين قنطارًا، ومن الزبيب خمسين قنطارًا عملت مشروبًا.

وفى رابعه: ركب السلطان إلى جامع أحمد بن طولون^(١) وصلى فيه الجمعة، ثم عدى النيل، وسرح إلى ناحية أوسيم.

وفى حادى عشره: كتب من المخيم على يد الأمير حكم الخاصكى بخروج عسكر من دمشق ومن حمص وحماة، والأمير حديثة بن سيف أمير آل فضل، إلى قتال التركمان. وكذلك أن الأمير أطنبغا الحكمى - نائب درنده - ركب على حسين كُكب، فتقنطر به فرسه، فقبض عليه وقتل، ونزل حسين على ملطية وحصرها.

وفى خامس عشره: قدم الأمير بدر الدين حسن بن محب الدين الأستاذار من الوجه القبلى.

وفى سادس عشره: قدم الخير بأن الأمير يشبك الدوادار أمير الحاج لما قدم المدينة النبوية، بعد انقضاء الحج، أظهر أنه يسير إلى الركب العراقى، يتتاع منه جمالا، ومضى فى نفر يسير، وتسحب صحبة الركب العراقى خوفًا أن يصيبه من السلطان ما أصاب الأمير أقبای نائب الشام^(٢).

(١) هو أحمد بن طولون (٢٢٠ - ٢٧٠ هـ = ٨٣٥ - ٨٨٤ م) أحمد بن طولون، أبو العباس: الأمير صاحب الديار المصرية والشامية والثغور تركى مستعرب. كان شجاعا حوادًا حسن السيرة، يباشر الأمور بنفسه، موصوفا بالشدة على خصوصه وكثرة الإثخان والفتك فيمن عصاه. بنى الجامع المنسوب إليه فى القاهرة. ومن آثاره قلعة يافا بفلسطين. انظر: الولاية والقضاة ٢١٢ - ٢٣٢، والنجوم الزاهرة ١/٣ وبدائع الزهور ١/٣٧، ابن خلدون ٤/٢٩٧، وابن الأثير ٧/١٣٦ وكتابه ابن خلكان ١/٥٥. الأعلام ١/١٤٠.

(٢) انظر: النجوم الزاهرة ١٣/٢١٣.

وفي ثالث عشرينه: نودى بالقاهرة أن جميع الباعة من الجبائين والطباخين والخبازين واللحامين، ونحوهم، يحمل كل واحد منهم عشرة مسارج إلى بولاق، لتعرض على الأمير التاج، فشرعوا فى تحصيل المسارج، وحملوها إلى الأمير تاج الدين الشويكى. وفيه قدم محمل الحاج الأربعاء.

وفي ليلة الخميس رابع عشرينه: كان الوعيد^(١) بئر منبابة، بين يدى السلطان، وذلك أنه سار من وسيم، ونزل بالقصر الذى أنشأه ابن البارزى بحرى منبابة على النيل، وألزم الأمراء بحمل الزيت والنفط، فجمع من ذلك شىء كثير، وأخذ من البيض، وقشر النارج، ومن المسارج الفخار التى أحضرها الباعة عدد كثير جداً، وعمل فيها فتايل القطن المغموسة بالزيت، وأشعلت بالنار، ثم أرسلت فى النيل بعد غروب الشمس بنحو ساعة، وأطلقت النقوط وقد امتلأ البران بطوائف الناس، ومر لهم جميعاً من السخف ما لم نعهد مثله لملك قط^(٢).

وفي خامس عشرينه: قدم محمل الحاج ببقيتهم.

وفيه عدى السلطان النيل، وصعد قلعة الجبل.

وفي يوم السبت سادس عشرينه: قبض على الأمير سيف الدين ببيغا المظفرى: أحد مقدمى الألوف، وأمير سلاح، وحمل مقيداً إلى الإسكندرية^(٣)، ليعتقل بها.

وفيه وجد السجن المستجد بجوار باب الفتوح قد نقب، وفر منه جماعة من المعتقلين.

وفي ثامن عشرينه: نودى بالقاهرة أن كل غريب ينزح إلى وطنه، فإنه كان قد كثرت بالقاهرة أصناف الطوائف من القلندرية وغيرهم من العجم، فاضطربت الأعاجم، ثم تركوا على حالهم.

شهر صفر، أوله الأربعاء:

أهلاً والناس بالقاهرة ومصر فى ضيق من قلة الفلوس، فإن السلطان - كما تقدم -

(١) يتضح أن الوعيد كان يجرى كل سنة احتفالاً برجوع السلطان من مرابط خيله فى وسيم التى كان يزورها عند تمام الربيع. انظر: الخطط التوفيقية ١ / ١٤٤ وينظر: النجوم الزاهرة ١٣ / ٢١٣، نزهة النفوس ٢ / ٤٢٩.

(٢) انظر: النجوم الزاهرة ١٣ / ٢١٣.

(٣) سبب ذلك أنه «لما جاء ببيغا مع السلطان من الشام فى آخر سفرته صدر منه كلام فى الطريق بلغ السلطان، فتوهم سنة ومسكه». انظر: نزهة النفوس ٢ / ٤٠٩.

طرح على التجار والباعة الذهب، يريد بدله فلوساً، فقلت فى الأيدى، من الشح بإخراجها، حتى عزت بعد هوانها.

وفى رابعة: وسط قرقماس متولى كختا وخمسة عشر رجلا معه، خارج باب النصر. وكانوا فيمن أحضره السلطان معه فى الحديد، وسجنوا بالقلعة^(١).

وفى سادسه: ركب السلطان بثياب جلوسه، ومعه ابنه الأمير إبراهيم فى نفر يسير، إلى جامعه بجوار باب زويلة، ثم توجه منه إلى دار الأمير فخر الدين^(٢) فأكل عنده، وقدم له فخر الدين خمسة آلاف دينار، ثم توجه إلى بيت الصاحب بدر الدين حسن بن نصر الله، ونزل عنده، فقدم له ثلاثة آلاف دينار، وعرض عليه خزانة الخاص، فأنعم منها على ولده، وعلى من معه من الأمراء، بعدة ثياب حرير، وفرو سمور، ثم عاد إلى القلعة^(٣).

وفى عاشره: نودى أن يكون سعر الدينار المختوم بمائتين وخمسين وكان بمائتين وثمانين، وأن يكون الدينار الأفرنتى بمائتين وثلاثين، وكان بمائتين وستين وأن تكون الفلوس على حالها، كل رطل بستة دراهم، والمؤيدى بحاله، كل نصف بتسعة دراهم.

وفى سادس عشره: نودى أن يكون سعر الدينار المختوم بمائتين وثلاثين، والدينار الأفرنتى بمائتين وعشرة، وأن يكون المؤيدى بسبعة دراهم، حتى يصرف بالدينار الأفرنتى من المؤيدية بمبلغ ثلاثين، فماج الناس، وكثر قلقهم وكلامهم، لما نزل بهم من الخسارة، فلم يعتد بهم، واستمر الحال على ذلك.

وفى سابع عشره: طلب الأمير علاء الدين أقبغا شيطان - والى القاهرة ومحتسبها وشاد الدواوين - جميع أرباب المعایش، وقرر أسعار المبيعات على حطيظتها بقدر ما انحط من سعر الذهب والفضة، وتشدد عليهم، فلم يجدوا بدءاً من امتثال ما أمر به، على مضض وكره، فغرم كثير من الناس غرامات متعددة.

وفى ثانى عشرينه: ركب السلطان لعيادة الأمير الكبير ألطنبغا القرمشى، من وعك به، ثم مضى إلى بيت الأمير جقمق الدوادار، وأقام عنده يومه كله، وعاد من آخره إلى القلعة على حالة غير مرضية فى الديانة من شدة السكر^(٤).

(١) انظر: النجوم الزاهرة ١٣ / ٢١٤.

(٢) يقصد به الأمير فخر الدين بن أبى الفرج الأستاذار.

(٣) انظر: النجوم الزاهرة ١٣ / ٢١٤.

(٤) انظر: النجوم الزاهرة ١٣ / ٢١٤.

شهر ربيع الأول، أوله الجمعة:

فى ثالثه: قدم علاء الدين محمد الكيلانى الشافعى، أحد فضلاء العجم، من بلاد الشرق، فبدأ أولاً بزيارة قبر الإمام الشافعى، ثم نزل بالقاهرة، فأكرمه الناس، وأتاه قضاة القضاة والفقهاء للسلام عليه، ثم اجتمع بالسلطان، وتردد إلى مجلسه مع الفقهاء.

وفى يوم الإثنين حادى عشره: جمع الأمير أقبغا شيطان أهل الأسواق من تجار البز وغيرهم، وأنكر عليهم مخالفة ما رسم به فى سعر الذهب والفضة، وبالف فى تهديدهم ووعيدهم، من أجل أنهم لم يحطوا من سعر البضائع بقدر ما انحط من سعر الدينار والدرهم، وضمن بعض أكابر الأسواق لبعض، وواعدهم الحضور بين يدى السلطان فى يوم الجمعة، وصرههم، فكثرت الإرجاف بهم، وتوقف أحوال الناس، وقل جلب البائع، وكثرت خسارات الناس.

وفى رابع عشره: انقطع السلطان عن حضور الموكب بالقصر على العادة، لانتقاض ألم رجله عليه.

وفيه قدم الخير بأن الأمير برديك الخليلى - نائب طرابلس - خرج للدورة، فلما عاد بلغه اتفاق قضاة طرابلس وأمرائها ورعيتهما على منعه من الدخول إلى البلد، كراهة فيه، لكثرة ظلمه وطمعه، فأقام بعد مراسلتهم فى جهة من الجهات، حتى يرد مرسوم السلطان، ثم سار إلى جهة مصر، فكتب أهل طرابلس إلى السلطان بقبیح سيرته وأخذة الأموال بغير حق، ومخالفته المراسم السلطانية، فرسم السلطان بإحضاره.

وقدم الخير بقيام أهل المحلة - من النواحي الغربية - على الوالى بها ورجمه، بسبب طلب الفلوس، وذلك أنه حُمل إلى الغربية مبلغ كبير من الذهب لتؤخذ به الفلوس، بسعر مائتين وعشرة الأفرنتى، فنزل بالناس بلاء عظيم، وعملوا فى الحديد، ونزح كثير منهم إلى القاهرة فى طلب الفلوس، فانحط سعر الدينار إلى مائة وسبعين، لعزلة الفلوس، وهوان الذهب.

وفى يوم الجمعة خامس عشره: جمع الأمير أقبغا شيطان التجار وكبار المتعشين، ومضى بهم إلى قلعة الجبل، وقد اشتد خوفهم من السلطان، وشنعت القالة بالإرجاف، فإذا بالسلطان فى شغل عنهم بألم رجله، فلم يروه بل أوقفهم الأمير جقمق الدوادار، وقرر معهم أن يكون المؤيدى هو النقد المتعامل به، دون غيره من الذهب والفلوس، فلا يباع ويشترى إلا بالدرهم المؤيدية، ويدفع الذهب أو الفلوس عوضاً عنها، ليكون النقد الربح المنسوب إليه ثمن المبيعات، وقيم الأعمال هى المؤيدية، وأن لا يأخذ التاجر فى

كل مائة درهم اشترى بها الفائدة سوى درهمين، وحذّره من مخالفة ذلك، ثم أفرج عنهم، فانصرفوا، وكأنا ردت إليهم الحياة بعد الموت.

ونودى من الغد على الخيل فى سوقها تحت القلعة بالدرهم المؤيدية، وعمل كذلك فى بقية أسواق القاهرة، فبطل النداء على البضائع بالفلوس من يومئذ.

وفيه نودى أن يكون الدينار على حاله بمائتين وعشرة، والمؤيدى بسبعة دراهم فلوساً، إلا فى الديون القديمة، وأجر الأملاك، وجوامك الغلمان، فإن المؤيدى يحسب بتسعة كما كان، فظهر ارتفاع الأسعار فيما نودى عليه بالمؤيدية.

وفى هذا الشهر: تنكر السلطان على قاضى القضاة جلال الدين بن البلقىنى لاستكثاره من النواب، فكثرت القالة وتجراً عليه رفاقه، فعزل طائفة من نوابه، واقتصر منهم على أربعة عشر.

وفى ثامن عشره: خلع على الشريف حسن بن الشريف على بن محمد بن على الأرموى، بنقابة الأشراف، عوضاً عن والده بعد وفاته، واستقر الأمير فخر الدين فى نظر وقف الأشراف، لصغر سن الشريف.

وفى ثامن عشرينه: قدم الأمير بُرْدْبِك الخليلى نائب طرابلس، وقدم الخير بكثرة الأمطار بالغربية، وأنه سقط برد، منه ما زنة الحبة الواحدة مائة درهم، تلف منه زروع كثيرة قد استحق حصادها، حتى أن مارساً^(١) فيه ثمانمائة فدان تلف عن آخره، وهلكت عدة أغنام بوقوعه عليها.

وفى سلخه: قدم الأمير سودن الأسندمرى من الإسكندرية، وقد أفرج عنه، وكان مسجوناً بها منذ زالت الدولة الناصرية فرج.

وفيه قدم الشيخ شمس الدين محمد بن عطاء الله الهروى ناظر القدس والخليل، ومدرس الصلاحية بالقدس، فأكرمه السلطان، وأنزله، وبعث إليه الأمراء عدة تقادم. وأجرى له راتب.

شهر ربيع الآخر، أوله الأحد:

أهل هذا الشهر وألم السلطان متزايد من رجله، وهو منقطع ملازم للفراش، والناس فى ضيق من تعذر وجود الفلوس، وقلة وجود المآكل بالأسواق، منذ نودى على المؤيدية بسبعة دراهم.

(١) هو الحقل.

وفي ثانيه: قبض على الأمير أرغون شاه الوزير، وعلى الأمير أقبغا شيطان وسلما إلى الأمير فخر الدين، فقتب حواشيهما وأسبابهما، ودورهما.

وفيه استقر الأمير بردبك نائب طرابلس في نيابة صنفد، وكتب بنفى عمر بن الهذبانى إلى طرسوس، ثم كتب باستقراره في نيابة بهسنى، عوضًا عن كمشبغا رأس نوبة جمال الدين، واستقر شاهين بن عبد العزيز - الحاجب بصنفد - في نيابة قلعتها، عوضًا عن عمر بن الطحان.

وفيه قدم كتاب طغروول بن صقيل سيز على يد أخيه طرعلى، يسأل الأمان، وكان قد قدم إلى القاهرة، وسار في ركاب السلطان، ثم فرّ من دمشق فأمن، وقدمت مكاتبة الأمير شاهين الأيدكارى - نائب طرسوس - بأنه محصور مدة أربعة أشهر من إبراهيم ابن رمضان، وقد عزم محمد بن قرمان على المشى إلى طرسوس.

وفي ثلثه: نقل الأمير علاء الدين على ابن الأمير ناصر الدين محمد بن الطبلاوى، من ولاية مصر إلى ولاية القاهرة، عوضًا عن أقبغا شيطان.

وفي خامسه: أعيد شمس الدين محمد بن يعقوب الدمشقى إلى حسبة القاهرة، عوضًا عن أقبغا شيطان.

وفي يوم السبت: سابعه خلع على الأمير بدر الدين حسن بن محب الدين، واستقر في الوزارة، عوضًا عن أرغون شاه.

وفي عاشره: أفرج عن أرغون شاه، من غير عقوبة.

وفي ثاني عشره: خلع على قاضى القضاة شهاب الدين أحمد بن محمد بن محمد الأموى، وأعيد إلى قضاء القضاة المالكية بدمشق، عوضًا عن شرف الدين عيسى.

وفي سادس عشره: ضرب عنق بعض أعوان الظلمة المتصرفين بأبواب الوزراء، لتعرضه إلى ما يريق دمه شرعًا.

وفيه نقل سوق الرقيق من موضعه بخط المطاح^(١) فيما بين الوزيرية وخط الملحيين^(٢) إلى فندق تجاه المشهد الحسينى، ثم أعيد إلى موضعه بعد قليل.

وفي سابع عشره: خلع على الأمير أرغون شاه وأركب فرسًا، واستقر في إمرة

(١) كان يقع هذا الخط فيما بين خط الملحيين وخط سويقة الصاحب، وكان به سوق الرقيق والمدرسة الحسامية. انظر: المواعظ والاعتبار ٢/ ٣٣.

(٢) كان يقع هذا الخط فيما بين الوزيرية والبندقانيين. انظر: المواعظ والاعتبار ٢/ ٣٢.

الترکمان بثلاثين ألف دينار، وكتب أن ينقل الأمير سنقر نائب المرقب إلى نيابة قلعة دمشق، عوضاً عن شاهين، ويستقر أظنبتغا الجاموس في نيابة المرقب، ويستقر سودن الأسندمرى - الذى أفرج عنه - حاجباً بطرابلس، عوضاً عن يزدار، واستقر فى وزارة دمشق يعقوب الإسرائيلى، بعدما أسلم، وكان صيرفيًا فى يهوديته، واستقر فى وزارة حلب علم الدين سليمان بن الجابى.

وفيه أوقع الأمير سودن القاضى - نائب الوجه القبلى - بعرب فزارة، ونهب أموالهم، وساق إلى السلطان منها ألف جمل وخمسين فرسًا، وفرَّ من نجح منهم إلى البحيرة، فأوقع بهم الأمير دمرداش نائب الوجه البحرى، وقتل كثيرا منهم، ونهب ما معهم، وحمل إلى السلطان منه أربعمئة جمل وعشرين فرسًا، ورعوس رجال كثيرة قد قطعها، فانحسم أمرهم وقدم الخبز بقتل منكلى بغا الأجرود وسودن الركنى، من جماعة الأمير أقبابى، وقتل على بن نعير، وناصر الدين وزير حلب، وصلبهم على شرفات قلعة دمشق.

وقدم الخبز من حلب بوقعة عظيمة بين على باك بن دلغادر وأخيه محمد باك، انتصر فيها محمد، وكسر أخاه، وغنم جميع موجوده، فأدرکه الأمير يشبک نائب حلب بعد الواقعة وقد انتصر، فتلقاه وأضافه، وقدم له وحلف على الطاعة.

وفيه جُهِز الأمير جار قطلو نائب حماة وصدف إلى الإسكندرية، فسجن بها عند حضوره من صدف إلى قطيا، فحمل منها.

وفى تاسع عشره: سار الأمير فخر الدين بن أبى الفرج إلى الوجه القبلى، وخيم بالجيزة، واستقل بالمسير من غده فى طوائف كثيرة من العربان، وعدة من المماليك. وقد استعد للحرب، وأخذ معه الروايا والقرب والزاد ليتبع العرب حيث ساروا.

وفيه ظهر بالمأذنة المؤيدية اعوجاج.

وفى ثالث عشرينه: استقر الأمير برسباى الدقماقى - أحد مقدمى الألوف - فى نيابة طرابلس، عوضاً عن الأمير بردبک الخليلى، المنتقل إلى نيابة صدف، وأنعم بإقطاعه على الأمير فخر الدين على الوزير الأمير بدر الدين، وكان برسباى يلى كشف التراب وعمل الجسور بالغربية، فطلب منها، وخلع عليه فيه، واستقر أيضاً الأمير سودن الأسندمرى أميراً كبيراً بطرابلس.

وفيه كتب محضر بهدم المأذنة المؤيدية، فهدمت من الغد، وغلق باب زويلة مدة ثلاثين يوماً.

شهر جمادى الأولى، أوله الإثنين:

فيه سافر الأمير أرغون شاه إلى دمشق على مقدمة التركمان بها.

وفيه تحرك عزم السلطان إلى الحجاز، فكتب إلى أمراء الحجاز بذلك.

وفى رابعه: قدم من الشام ألف وثلاثمائة حمل، جهزها الأمير تنبك ميقاتي نائب الشام. وذلك أنه أوقع بعرب آل علي، قريباً من حمص، وكسرهم، وأخذ لهم ألفاً وخمسمائة حمل، باع منها رديتها، وجهز باقيها.

وفى يوم الخميس حادى عشره: ولد للسلطان ولد ذكر، سماه موسى، من أمة يقال لها طولو باي، فدفقت البشائر، وكتب إلى الأقطار بذلك، فتوجه الطواشي مرجان الهندى إلى الشام للبشارة بولادته، وزينت القاهرة ومصر.

وفى سادس عشره: ابتدئ بالنداء على النيل ثلاثة أصابع، وجاءت القاعدة أربعة أذرع وثمانية أصابع.

وفى سابع عشره: كانت عقيقة^(١) الأمير موسى ابن السلطان، عمل فيها مدة جليلة، وخلع على الأمراء، وأركبوا خيولاً بقماش ذهب، بلغ المصروف عليها خمسة عشر ألف دينار.

وفى ثالث عشرينه: قدم الخبر بأن الأمير فخر الدين ركب فى طلب هواره، فتبعهم من سيوط مدة خمسة أيام، حتى أركبهم قريب أسوان^(٢)، فقاتلوه عامة يومهم، فجرح كثير منهم، وقتل جماعة نحو المائتين وعشرين، وانهزم باقيتهم إلى الواحات^(٣) فأحاط بأموالهم، وبعث خمسة رعوس من أعيانهم.

وفى يوم الجمعة خامس عشرينه: عرض السلطان ممالك الطباق بالقلعة، وعين منهم عدة للسفر معه إلى الحجاز، وأخرج الهجن، وجهز الغلال فى البحر إلى مكة وينبع.

(١) العقيقة: هى الذبيحة التى تذبح بعد أسبوع من مولد الطفل سنة عن النبى ﷺ. انظر: ثلاث شعائر للشيخ عمر سليمان الأشقر، فقه السنة للسيد سابق.

(٢) أسوان: سبق ترجمتها. انظر نزهة الأمم (ذكر مدينة أسوان)، والروض المعطار ٥٧، ٥٨، والإدريسى ٢١، ونزهة المشتاق ٢٧، والمروج ٤٠/٣.

(٣) الواحات: وهى ثلاث كور فى غربى مصر ثم غربى الصعيد. انظر: معجم البلدان ٥/

وفيه كتب أن يستقر الأمير شاهين الزردكاش - حاجب الحجاب بدمشق - فى نيابة حماة، عوضاً عن الأمير نكبای، ويستقر نكبای فى الحجوبية.

وفى سابع عشرينه: ركب السلطان - ومعه ولده - الأمير إبراهيم، والأمراء، ونزل إلى المارستان المنصورى بخط بين القصرين، وهر بثياب جلوسه، فزار المرضى، وعاد إلى القلعة.

وفيه فتح باب زويلة، ولم يعهد قط أنه أقام هذه المدة مغلقاً.

وفيه كتب بإعادة إقطاع على بن أبى بكر الجرمى إليه واستقراره فى الإمرة على عادته، وجهاز له تشریف، وكتب إلى الأمير شاهين نائب الكرك أنه جهاز إليه نائب غزة ونائب القدس، وكاشف الرملة، بمن معهم من العساكر، لضرب عربان بنى عقبة وأخذهم، وجهاز إليه فوقانى بوجهى حرير كمخا بطراز عريض، وكتب إلى المذكورين أن يتوجهوا إلى الكرك، لضرب بنى عقبة وأخذهم صحبة نائب الكرك، وأسر إلى نائب غزة بأن يقبض عليه، ويوقع الحوطة على موجوده.

وفيه جهاز إلى ملطية مبلغ أربعين ألف دينار، لعمارة طاحونين وخان وقيسارية تشتمل على أربعين دكاناً وزاوية، وكتب إلى نائب طرابلس أن يتوجه إلى ملطية بعسكره، ويقيم مع نائبها لمعاضدته.

وفى ثامن عشرينه: منع قاضى القضاة جلال الدين بن البلقينى من الحكم^(١).

وفى يوم الثلاثاء تاسع عشرينه: خلع على الشيخ شمس الدين محمد بن عطاء الله الهروى، واستقر قاضى القضاة، عوضاً عن شيخ الإسلام جلال الدين بن البلقينى، ونزل من قلعة الجبل، ومعه الأمير جقمق الدوادار والأمير قطلوبغا التنمى رأس نوبة، وعدة من الأمراء والقضاة وغيرهم، إلى المدرسة الصالحية بين القصرين، وحكم على العادة، ومضى إلى داره، ثم بعث إلى قاضى القضاة جلال الدين بأن يحمل ما عنده من مال الحرمين والأوقاف، فأبى أن يسلمه ذلك إلا بإذن السلطان، وكان قاضى القضاة جلال الدين لما أعيد إلى وظيفة القضاء فى شهر ربيع الأول سنة ثمان وثمانمائة تصدى لمحاسبة مباشرة أوقاف الحرمين وغيرهما بنفسه، فضبط عليهم ضبطاً زائداً، وخشى من تفريطهم، فجعل ما يتحصل من المال تحت يده، وصار ينفق ما يحتاج إليه من مصارف الحرمين وغيرهما، ففاض تحت يده نحو سبعة آلاف دينار، منها لجهة حرمى

مكة والمدينة ستة آلاف دينار، ولجهة الجامع الطولوني والمدرسة الأشرفية ألف دينار. وهذا شيء لم يقع لقاض قبله في الدولة التركية.

وفي يوم الأربعاء غده: استدعى قاضى القضاة شمس الدين محمد الهروى شهود القاهرة ومصر، الجالسين بالخوانيت للتكسب بتحمل الشهادة وأدائها ليعرضوا عليه، فأوقفهم بين يديه، طائفة بعد أخرى، وأقرهم على ما هم عليه، ولم يستتب سوى عشرة، وكان قاضى القضاة جلال الدين قد انصرف ونوابه أربعة عشر، ثم زاد الهروى بعد ذلك فى عدة النواب فى الحكم حتى بلغوا نحو العشرين، وأقام أياماً يركب ويمر فى الشوارع بهيئة العجم، وهو لابس فرجية مفتوحة عن صدره، ولعمامته عذبة مرخاة على يساره، وسلك فى تحجبه مسلماً غير مسلك القضاة، مع قلة الدراية بمصطلح البلد، وعادة الناس بمصر.

وفي يوم الجمعة: ترقب الناس ركوبه للقلعة ليخطب ويصلى بالسلطان فى جامع القلعة، فبعث نائباً عنه، فإن لسانه فيه عجمة، وعنده حبسة، بحيث أنه إذا أراد أن يتكلم عسر عليه ابتداء الكلام قليلاً، وهو يعالجه علاجاً، ثم يتكلم بعجمة، وهذا لا يتأتى معه إقامة الخطبة، واتفق له أيضاً أنه حضر مع رفقائه قضاة القضاة الثلاث عند السلطان، فلما حان انصرافهم لم يستطع قراءة الفاتحة والدعاء كما هى العادة، فقرأ قاضى القضاة شمس الدين محمد الديرى الحنفى فاتحة الكتاب، ودعا، ومن العادة أن لا يتقدم أحد فى القراءة على قاضى القضاة الشافعى.

شهر جمادى الآخرة، أوله الأربعاء:

فى ثالثه: وقفت طائفة من بلد الخليل عليه السلام للسلطان، وشكوا الهروى على مال أخذه منهم فى أيام نظره على بلد الخليل، وأنه طرح على بعضهم بيضاء وألزمه أن يحمل بعدده دجاجاً، فبعث السلطان إليه يأمره أن يخرج لهم مما يلزمه من الحق.

وفيه وشى للسلطان بالأمير جقمق الدوادار أنه موافق لقرابوسف، وذلك أنه اتصل بالسلطان رجل ادعى أنه من أولاد على الدربندى، فأحسن إليه وأمر بتجهيزه للحج، فحج وعاد، فوشى بالأمير جقمق أنه لما كان السلطان بكختا حسن لرسول قرابوسف جذبته إلى البلاد الشامية، وأنه مشى بينه وبين قرابوسف بذلك، فبعث إليه قطعة بلخش^(١) ثمينة، فأعلم السلطان الأمير جقمق بما قيل عنه، ولم يسم القائل، وأظهر له أنه لم يصدق الناقل، فقلق جقمق قلقاً كبيراً، إلى أن كان فى شهر تاريخه، أعاد ابن الدربندى الكلام، وأنه قدم إلى جقمق كتاب فى المعنى المذكور، فأسلمه السلطان فى

(١) هو الياقوت البدخشى المنسوب إلى إقليم بدخشان.

هذا اليوم إلى جقمق، وأعلمه بخبره، وما نقل عنه، فعاقبه فلم يثبت، وأحضر وتدًا مجوفًا مسدودًا بالحديد من رأسه، وطيه كتاب رق لطيف مكتوب بالفارسية بماء الذهب معناه أنه للأمير جقمق من قرايوسف، أن القاضي حين وصل إليه أوصله رسالته وهديته، وأن هذا الكلام لم يرد إلينا منك وحدك، ولكن اعتمدنا عليك، وعد من الذين فروا جماعة، واللقاء بيننا وبينك حلب، ولك نياتها، فطلب الأمير جقمق الخراطين وأراهم الورد المذكور، فعرفه بعضهم وقال: «أنا صنعت هذا لشخص شاب، ولم يعطني أجره» فأحضر الشاب، وتبع الكتاب من العجم، فوجد رجل أعجمي قد مرض، ونزل بالمارستان فأوقف على الكتاب فاعترف أنه خطه، فنفى الشاب إلى قوص^(١)، وطلب ابن الدربندي وعنف على ما عمل، فقال: «الأمير أظنبتنا الصغير أجباني إلى الكذب على الأمير جقمق»، فلم يعبأ به ولا بقوله، وغرق في النيل. ومات العجمي المريض بالمارستان من ليلته.

وفي رابعه: قدم الخبر بأن الشيخ إبراهيم الدربندي مات، وأن قرايوسف بعث ابنه الخان على ستة آلاف فارس إلى شماخي^(٢) فأتته عساكر بلاد الدشت، وكسرتة، وقتل منه أناس كثير. فلما بلغ ذلك شاه ميرزه بن تيمورلنك، عزم على أن يصيف في تبريز^(٣) لأجل قرايوسف، وأن بغير عمر حاكم أرزن كان انكسر من عساكر الروم كسرة عظيمة، قتل فيها كثير من أصحابه وأن قرايلك ركب على بلاد قرايوسف، وحارب من ماردين^(٤) منهم وكسرهم، وقتل وأسر منهم نحو السبعين، وأخذ له ثمان قلاع ومدينتين، ورحل مائتين وعشرين قرية بأموالها وعيالها، ليسكنهم ببلادها، وأنه على حصار ماردين^(٥).

(١) قال ابن إياس في ذكر مدينة قوص: أعلم أن قوص من أعظم مدائن الصعيد وهي على شاطئ النيل بنيت في أيام شدات بن عديم، قال ابن وصيف شاه: وهو الذي بنى الأهرام الدهشورية وغيرها من البرابي. انظر نزهة الأسم ٢٢٥، والروض المعطار ٤٨٤، ٤٨٥، والإدريسى ٤٩.

(٢) مدينة عامرة، هي قصبه بلاد شروان في طرف أران، تعد من أعمال باب الأبواب. انظر: معجم البلدان.

(٣) تبريز: في خراسان من عمل أذربيجان. انظر الروض المعطار ١٣٠، وجاءت في الروض المعطار أيضا أنها تكتب توريز وذكرت كالتالي في توريز: وهي المعروفة في كتب الأدب بتبريز، نزل عليها الططر سنة ثمان عشرة وستمائة فلما قاربوها فارقها سلطان أذربيجان أزيك بن البهلول. انظر الروض المعطار ١٤٣. وقد سبق ذكرها من معجم البلدان.

(٤) سبق ترجمتها.

(٥) ماردين: سبق ترجمتها. انظر الروض المعطار ٥١٨، والكرخي ٥٣، وآثار البلاد ٢٥٩، ومعجم البلدان (ماردين).

وفى ثامننه: قدم الأمير فخر الدين بن أبي الفرج من الوجه القبلى، ومعه من الأغنام عشرون ألف رأس، سوى ما تلف منها، فإنه أخذ أربعة وخمسين ألف رأس لم يحضر للسلطان إلا ما ذكر، ومن الرقيق العبيد والإماء ألف وثلاثمائة شخصاً، ومن البقر ثلاثة آلاف رأس، ومن الجاموس تسعة آلاف رأس، ومن الجمال ألفان، ومن القند والعسل والغلال شىء كثير جداً، قوم عليه بمائة ألف دينار، يقوم بها.

وفيه رسم أن يستقر الأمير بردبك العجمى فى نيابة سيس، وجهزت إليه الخلعة، عوضاً عن أقبغا.

وفى تاسعه: رسم بإخراج من لا وظيفة له من العجم، بين الفقهاء من الخوانك وغيرها ثم أهمل أمرهم.

وفى تاسع عشره: قدم الخير بأن هواره اجتمعوا - ما بين راكب وماشى - نحو الألفين، وأقبلوا يريدون الأمير سودن القاضى، وكان معه من الإمراء أبنال الأزعرى أحد مقدمى الألوف، فاقتتلوا قتالاً كبيراً قتل فيه من أصحاب الأميرين جماعة. ثم كانت الكسرة على هواره، وقتل منهم جماعة، حمل منهم عشرون رأساً إلى السلطان. فتوجه الأمير الكبير الطنبغا القرمشى والأمير جقمق الدوادار، والأمير ططر رأس نوبة النوب، والأمير الطنبغا المرقبى حاجب الحجاب، والأمير قطلو بغا فى عدة من المماليك فى حادى عشرينه نجدة لسودن القاضى.

وفى عشرينه: أعيد شمس الدين محمد بن الحاج عمر بن شعبان الجابى إلى حسيبة القاهرة، وعزل ابن يعقوب.

وفى رابع عشرينه: قدم الخير بأن نائب غزة، وكاشف الرملة ونائب القدس، ساروا نجدة للأمير شاهين نائب الكرك على العرب، فتلقاهم ليسير بهم، ويقاتل العرب، فأمسكوه - كما أسر إليهم السلطان - وحمل مع نائب القدس إلى دمشق، وسجن بقلعتها، وقبض معه على حاجب الكرك، واعتقل بقلعتها، وسبب إمساك شاهين هذا لم يحضر لملاقاة السلطان عند عوده من بلاد الروم.

وقدم الخير بأن نائب حلب سار بالعسكر الحلبى ونواب القلاع، وأمراء تركمان الطاعة، ونزل على قلعة كركر، فى ثانى جمادى الآخرة هذا، وحصر خليل نائبها، وقد جلا أهل كركر عنها، واستعد خليل بقلعتها وحصنها.

وفى هذا الشهر: شرع السلطان فى بناء مارستان للمرضى، موضع مدرسة الملك الأشرف شعبان بن حسن تجاه الطلبخاناه من القلعة.

وفي آخره: نقل سوق الرقيق من مكانه إلى مكان بطرف البندقانيين.

شهر رجب، أوله الخميس:

فيه وفي النيل ستة عشر ذراعاً، وزاد إصبعين، فركب السلطان النيل إلى المقياس حتى خلق بين يديه، ثم فتح الخليج على العادة، فكان يوماً مشهوداً، وغرق فيه جماعة انقلبت بهم المركب، فهلكوا.

وفي يوم الجمعة سادس عشره: ولد للسلطان ولد ذكر، من خوند ابنة الأمير تنم الحسنى، نائب الشام سماه محمداً، وكناه بأبى المعالى، ونودى بزينة القاهرة ومصر، فزينتا.

وفي عشرينه: ورد الخبر بأن الأمراء أوقعوا بهوارة على ناحية جرجا^(١) فقتلوا منهم وأسروا نحو الخمسين، وفر باقيهم على طريق الواحات، وتركوا حريمهم وأموالهم.

وفي يوم الخميس ثانى عشرينه: كانت عقيقة الأمير المعالى محمد ابن السلطان، وخلع على الأمراء، وأركبوا الخيل بالقماش الذهب، فتجاوز المصروف عليها خمسة عشر ألف دينار.

وفي ثالث عشرينه: قدم سيف بردبك الخليلى، نائب صفد، بعد موته.

شهر شعبان، أوله الجمعة:

فيه وجد السلطان ورقة بمجلسه. فيها: -

| | |
|---|---------------------------|
| يا أيها الملك المؤيد دعوة | من مخلص فى حبيه لك ينصح |
| انظر لحال الشافعية نظرة | فالقاضيان كلاهما لا يصلح |
| هذا ^(٢) أقاربه عقارب وابنه | وأخ وصهر فعلهم مستقبح |
| غطوا محاسنه بقبح صنيعهم | ومتى دعاهم للهدى لا يفلح |
| وأخو هراة ^(٣) بسيرة اللنك ^(٤) اقتدى | فله سهام فى الجوانح تجرح |
| لا درسه يقرأ ولا أحكامه | تدرى ولا حين الخطابة يفصح |
| واكشف هموم المسلمين بثالث | ففسى فساد منهم يستصلح |

(١) جَرَجَا: قرية من أعمال الصعيد قرب إخميم. انظر: معجم البلدان ٢ / ١١٩.

(٢) جاء فى هامش نسختى أب، أمام هذا البيت، يعنى قاضى القضاة جلال الدين البلقينى.

(٣) جاء فى هامش نسختى أب، أمام هذا البيت، يعنى قاضى القضاة شمس الدين محمد الهرورى.

(٤) جاء فى هامش نسخة أن اللنك هو تيمور لنك.

فعرضها السلطان على الفقهاء الذين يحضرون مجلسه فى يوم الأحد، فلم يعرفوا كاتبها، واستحسن السلطان الأبيات، وكانت ابتداء سقوط الهروى من عينه.

وفيه غرق ولد بعض الباعة فى الخليج، فأخرجه أبوه ميتاً، فلم يمكن من دفنه إلا بعد استئذان الأمير علاء الدين على بن الطبلاوى، والى القاهرة، - كما هى العادة - فأمر به عندما استأذنه إلى السجن، فسجن، وبعث إليه أنه لا سبيل إلى الإفراج عنك، حتى تحمل خمسة دنانير، فمزالوا به حتى وعدهم بذلك، وخرج وهو موكل به، فباع بضاعته التى يقيم منها أوده وأود عياله فأحرزت ثلاثة دنانير، ثم أخذ جميع ما عند امرأته - أم الغريق - وباعه، فبلغ ديناراً واحداً واقترض ديناراً، حتى كملت الخمسة دنانير التى للوالى، ثم اقترض شيئاً أخذه الموكلون عليه من أعوان الوالى، وشيئاً كفن به ولده ودفعه لمن دفنه، ثم ترك امرأته، وفر. وهذا من بعض ما تفعله الولاة، فى هذا الزمن العجيب.

وفى يوم السبت ثامن شعبان: نودى على النيل بزيادة إصبعين، تمة ثلاثة أصابع، من تسعة عشر ذراعاً. وكان له من يوم النوروز - وهو يوم الإثنين سادس عشرين شهر رجب لم يزد، فإنه انتهى فى يوم النوروز إلى إصبع من تسعة عشر ذراعاً. ثم نقص نصف ذراع، ثم تراجع قليلاً قليلاً، حتى رد النقص وزاد إصبعين، وكان منذ نقص النيل، ارتفع سعر الغلال.

وفيه قدم الأمراء من الوجه القبلى، بألفى جمل، واثنى عشر ألف رأس من الغنم الضأن، سوى ما تفرقه الأمراء من الجمال، وعدتها نحو الألفين، وسوى ما نهب من الأغنام، وهو شئ كثير جداً.

وفيه نودى أن لا يتعامل الناس بالدنانير الأفرنتية الناقصة عن درهم وثمان فى الوزن، وأن من وجد معه دينار ناقص يقص، ويحضر به إلى دار الضرب، وأن يكون الدينار الأفرنتى التام على حاله بثلاثين مؤيدياً وكل مؤيدى بسبعة دراهم فلوساً؛ ليكون الأفرنتى بمائتين وعشرة دراهم فلوساً، والأصل فى هذه الدنانير المشخصة، التى يؤتى بها من بلاد الفرنج، وتعرف بالأفرنتية، أن تكون زنة كل مائة دينار منها أحد وثمانين مثقالاً وربع مثقال، والمعاملة بها عدداً لا وزناً، فلم يتركها أهل الفساد على حالها، بل يردئوا منها، حتى فحش نقصها، نودى عليها، وقع كثير من الناس فى الخسارة من أجل ما فى الأيدى منها، ووجدت الصيرافة والباعة السبيل إلى أخذ أموال الناس، بحجة أن الدينار نقص بكذا وكذا، ويتحكم الصيرفى بما يريد فذهب كثير من أموال الناس فى تغيير أحوال النقود، ولا قوة إلا بالله.

وفي تاسعه: قبض على الصاحب بدر الدين حسن بن نصر الله، ناظر الخاص، بقلعة الجبل، وأنزل به مع بعض الأمراء المقدمين إلى بيت الأمير فخر الدين بن أبي الفرج، وسلم له، وكان قد تقدم من ابن نصر الله قبل ذلك بأيام يسيرة مفاحشة، خرج فيها عن الحد في حق ابن أبي الفرج، وشافهه في حضرة السلطان بعظائم تقتضى غضب السلطان عليه، فما شك أحد في هلاكه، فكان الأمر بخلاف ذلك، وأكرمه ابن أبي الفرج، وأنزله وقام له بما يليق به، وأرسل إلى داره يعد أهله بكل خير، ويأمر غلمانه وأتباعه أن يلازموا ما هم فيه من خدمته على عاداتهم، وركب فخر الدين من الغد إلى السلطان، وقد نزل إلى بركة الحبش لعرض الهجن التي بها إلى الحجاز، فأقام عنده يومه كله، وهو يلج في السؤال أن يفرج عن ابن نصر الله، ويقره على ما بيده، إلى أن قبل شفاعته فيه، فلما عاد أركبه إلى داره، فبات بها وركب في بكرة يوم الثلاثاء ثاني عشره إلى القلعة، فخلع عليه خلعة الرضا والاستمرار، ونزل إلى داره، وقد سر الناس به سروراً كبيراً، وعدت هذه الفعلة من ابن أبي الفرج نجداً لا يشابهه شيء من أخلاق أهل زماننا.

وقدم الخير بأن الأمير يشبك نائب حلب أقام على كركر أربعين يوماً، مجدداً في حصارها، حتى نفذ العليق من العسكر، فأخلى بلاد كركر من أهلها، وسيرهم إلى بلاد حلب، ورعى الكروم وحرقتها، وحرقت القرى حتى تركها بلاقع^(١) وعاد إلى حلب بمن معه، من غير أخذ قلعة كركر.

وقدم الخير بأن الأمير ناصر الدين محمد بيك بن علي بيك بن قرمان نزل على طرابلس، في خامس عشر رجب، وحاصرها، وسأل نائبها الأمير شاهين الأيدكارى النجدة، فكتب بخروج عساكر الشام إليها. واستقر الأمير عز الدين حمزة ابن الأمير شهاب الدين أحمد بن رمضان في نيابة أذنة، وإمرة التركمان، على عادة أبيه عوضاً عن إبراهيم بن رمضان، لانتمائه إلى ابن قرمان. وأنعم على عساكر حلب بعشرة آلاف دينار، نفقة كونهم توجهوا إلى كركر. واستقر في نيابة كختا الأمير بردبك الحمزاوى، عوضاً عن الأمير منكلي بغا، وأعيد منكلي بغا إلى إمرته بحماة.

وفي يوم الجمعة نصفه: نقص النيل عشر أصابع، بعد ما انتهى في الزيادة إلى عشر أصابع، من تسعة عشر ذراعاً.

وفي سادس عشره: ابتدئ بهدم دار التفاح، خارج باب زويلة، وهي جارية في

(١) تركها بلاقع أى قفر لا شيء بها. انظر: تاج العروس (بلقع).

٤٧٤ سنة إحدى وعشرين وثمانمائة

وقف الأمير طقز دمر، على خانكاته بالقرافة، بعد ما دفع فيها ألف دينار أفرتية، ليعتاض أهل الوقف بها مكانا غيره.

وفي ثامن عشره: استقر الأمير مراد خجا أحد أمراء الألوفا - فى نيابة صفد وخلع عليه، وأنعم بتقدمته وإقطاعه على الأمير جلبان المؤيدى رأس نوبة السلطان، ورأس نوبة الأمير إبراهيم ابن السلطان.

وفي ثالث عشرينه: توجه الأمير أزدمر الظاهرى^(١) - أحد مقدمى الألوفا - فى عدة الأمراء والمماليك السلطانية إلى بلاد الصعيد، للإقامة بها، وعاد الأمير حقمق الداودار بمن بقى معه.

وفيه قدم الخير باستمرار ابن قرمان على حصار طرسوس ونزول قرايوسف على آمد^(٢)، وفرار قرايلىك منه، ونزوله على جانب الفرات تجاه قلعة نجمة، واستئذانه نائب حلب فى التعديّة، وأن أهل البلاد الحلبية عظم خوفهم، وعزموا على الفرار منها، مخافة أن يصيبهم مثل ما أصابهم فى نوبة تمرلنك.

(١) أزدمر بن عبد الله الظاهرى (٨٠٣ هـ = ١٤٠١ م)، الأمير عز الدين. أحد مقدمى الألوفا بديار مصر، المعروف بأخى أيتال اليوسفى. قدم أزدمر هذا من بلاد الجركس هو وولده الأمير يشبىك ابن أزدمر بطلب من الملك الظاهر برقوق، فلم يقم بالقاهرة إلا أيام قليلة، أنعم عليه الملك بإمرة عشرة، ثم رماه إلى أن جلعه أمير مائة ومقدم ألف بالديار المصرية، وجعله ابنه يشبىك خاصكيا، واستمر على ذلك إلى أن ركب الأمير على باى على الملك الظاهر برقوق اتهم أزدمر هذا بالميل إلى على باى فأفرج إلى دمشق منفيا، ثم بعد وقعة تنم نائب الشام أنعم عليه الملك الناصر فرج بتقدمة ألف بدمشق، فدام بها إلى أن ورد تيمور لنك إلى أطرف البلاد الحلبية، فخرج أزدمر هذا وولده يشبىك صحبة نائب دمشق الأمير سودون قريب الملك الظاهر برقوق وجماعة النواب الشامية، والسلطان إذ ذاك مقيم بالقاهرة، ووصل الجميع إلى حلب، وخرج لقتال تيمور فكان الأمير سودون على الميمنة والأمير دمرdash الحمدى، نائب حلب، على الميسرة والأمير شيخ الحمودى نائب حلب، وعلى الميسرة والأمير شيخ الحمودى نائب طرابلس والأمير دقماق نائب حماه الأمير أزدمر هذا وولده فى القلب، فلما التقى الفريقان برز الأمير عز الدين هذا وولده فى عدة من الفرسان وابتلوا بلاء عظيما، وظهر من أزدمر هذا وولده من الأقدام والفروسية ما تعجب منه كل أحد، وقاتلا قتالا شديدا حتى قتل أزدمر، وفقد خبره. انظر المنهل الصافى ٢ / ٣٤٩ وما بعدها والدليل الشافى ١ / ١١٤، نزهة النفوس ٢ / ١٣١، الضوء اللامع ٢ / ٢٧٤.

(٢) آمد: مدينة من كور الجزيرة من أعمال الموصل والجزيرة ما بين دجلة والموصل، وأمد بمقربة من ميفارقين فتحها عياض بن غنم بعد قتال على مثل صلح الرها، وهى مدينة كبيرة حصينة على جبل غربى دجلة وهى كثيرة الشجر والجبل مطل نحو مائة قامة وعليها سور بحجارة الأرحى السود، ومن آمد إلى ميفارقين خمسة فراسخ. انظر الروض المعطار ٣، ٤، ٥.

وفى يوم الإثنين خامس عشرينه شعبان: ركب السلطان من قلعة الجبل إلى ظاهر القاهرة، وعبر من باب النصر ومر فى شارع المدينة^(١) إلى القلعة، وبين يديه الهجن التى عينها للسفر معه إلى الحجاز، وعليها حلى الذهب والفضة، فكان يوماً عظيماً، فما هو إلا أن استقر بالقلعة قدم الأمير بردبك الحمزاوى - أحد أمراء الألف بحلب - ومعه نائب كختا - الأمير منكلى بغا - بكتاب نائب حلب والأمير عثمان بن طرعلى، المعروف بقرايلك، بأن قرايلك عدى الفرات من مكان يقال له زغموا^(٢) ونزل على نهر المرزبان^(٣) وذلك أنه بلغه أن قرايوسف قصد كبسه فما أحسن قرايلك إلا وقد هجمت فرقة من عسكر قرايوسف عليه من شميمصات^(٤) دخل بهم خليل نائب كركر، فأدركوا قرايلك عند رحيله من نهر المرزبان إلى مرج دابق، فقاتلهم فى يوم الثلاثاء ثانى عشر شعبان هذا، وأخذوا بعض أثقاله، فنزل مرج دابق، ثم قدم حلب فى نحو ألف فارس، باستدعاء الأمير يشيك له، فحصل من كان خارج سور مدينة حلب، ورحلوا ليلاً عن آخرهم. واضطرب من بداخل السور، وألقوا بأنفسهم من السور ورحل أجناد الحلقة ومماليك النائب المستخدمين، بجرهم وأولادهم، فانتفى عزم السلطان عن السفر إلى الحجاز، وكتب إلى العساكر الشامية فى المسير إلى حلب، والأخذ فى تهيئة الإقامات. وأصبح يوم الثلاثاء سادس عشرينه وقد جمع الأمراء والخليفة وقضاة القضاة، وطلب شيخ الإسلام جلال الدين البلقينى، وقص عليهم خبر قرايوسف، وما حصل لأهل حلب من الخوف والفرع، وجفلتهم - هم وأهل حماة - وأن الحمار بلغ ثمنه خمسمائة درهم فضة، والأكديش إلى خمسين ديناراً، وأن قرايوسف فى عصمته أربعون امرأة، وأنه لأبيدين بدين الإسلام، وكتب صورة فتوى فى المجلس فيها كثير من قبائح، وأنه قد هجم على ثغور المسلمين، ونحو هذا من الكلام. فكتب شيخ الإسلام جلال الدين البلقينى وقضاة القضاة بجوار قتاله. وكتب الخليفة خطه بها أيضاً. وانصرفوا ومعهم الأمير مقبل الداودار فنادوا فى الناس بالقاهرة بين يدي الخليفة وشيخ الإسلام وقضاة القضاة الأربع، بأن قرايوسف يستحل الدماء،

(١) يقصد به الشارع الأعظم الذى هو قبة القاهرة، ويمتد من باب زويلة إلى بين القصرين حيث باب الخرنفش. انظر: المواعظ والاعتبار ١/ ٢٧٢.

(٢) زغموا: بلد قديم على غربى الفرات فيه آثار قلعة وعمارة عظيمة دثرت كلها. انظر: معجم البلدان ٣/ ١٤٣.

(٣) نهر صغير يمر تحت قلعة الروم، ويصب فى نهر الفرات. انظر: تقويم البلدان ٢٦٩.

(٤) هى نفسها سميمصات التى تقع على الفرات فى الغرب عن قلعة الروم. انظر: تقويم البلدان

ويسبى الحرير، ويخرب الديار، فعليكم بجهاده كلكم، بأموالكم وأنفسكم. فدهى الناس عند سماعهم هذا، واشتد قلقهم. وكتب إلى ممالك الشام أن ينادى بمثل ذلك فى كل مدينة، وأن السلطان واصل إليهم بنفسه وعساكره. وكتب إلى الوجه القبلى باحضار الأمراء.

وفيه بلغ ماء النيل فى زيادته عشر أصابع، من تسعة عشر ذراعاً، ونقص فى يومه أصبعين، بعدما نقص خمسا، وذلك قبل أو ان نقصه فارتفع سعر الغلال، وتخوف الناس الغلاء.

وفى يوم الأربعاء سابع عشرينه: نودى بين يدى الأمير خرز نقيب الجيش فى أجناد الحلقة بتجهيز أمرهم للسفر إلى الشام، ومن تأخر حل به كذا وكذا من العقوبة^(١).
شهر رمضان، أوله الأحد:

فيه قدم الخبر بأن قرايلك رحل من حلب، وأقام بها الأمير يشبك نازلاً بالميدان، وعنده نحو مائة وأربعين فارساً، وقد خلت حلب من أهلها، إلا من التحأ إلى قلعته. فأتاه النذير ليلاً أن عسكر قرايوسف قد أدركه، فركب قبيل الصبح فإذا مقدمته معلى وطأة بابلاً^(٢) فواقعهم وهزمهم، وقتل وأسر جماعة، فأخبروه أنهم جاءوا لكشف خير قرايلك، وأن قرايوسف بعين تاب. فعاد وتوجه إلى سمرين، فلما بلغ قرايوسف هزيمة عسكره، كتب إلى نائب حلب يعتذر عن نزوله بعين تاب، وأنه ما قصد إلا قرايلك، فإنه أفسد فى ماردين، فبعث إليه صاروخان - مهمندار حلب - فلقبه على جانب الفرات، وقد جازت مجموعته الفرات وهو على نية الجواز، فأكرمه واعتذر عن وصوله إلى عين تاب، وحلف أنه لم يقصد دخول الشام، وأعادته بهدية للنائب، فسر السلطان بذلك.

وكان سبب حركة قرايوسف، أن الأمير فخر الدين عثمان بن طر على بن محمد - ويقال له قرايلك - صاحب آمد، نزل فى أوائل شعبان على مدينة ماردين من بلاد قرايوسف، فأوقع بأهلها، وأسرف فى قتلهم، وسبى نساءهم، وباع الأولاد والنساء، حتى أبيع صغير بدرهمين، وحرقت المدينة، ورجع إلى آمد، فلما بلغ قرايوسف ذلك، اشتد حنقه وسار، ومعه الطائفة المخالفة للسلطان، يريد أخذ قرايلك، ونزل على آمد،

(١) انظر: النجوم الزاهرة ١٣ / ٢١٧.

(٢) بابلاً: بكسر الباء، وتشديد اللام، مقصور: قرية كبيرة بظاهر حلب، بينهما نحو ميل، قال

سياقون: وهى عامرة أهلة فى أيامنا هذه. انظر: معجم البلدان ١ / ٣٠٩.

ثم رحل عنها فى ثامن شعبان جريدة خلف قرايلك، وقطع الفرات من شميمات فى عاشره ولحق قرايلك، وضربه على نهر المرزبان ففر منه إلى حلب، وهو فى إثره، فتوجه قرايلك من حلب، وكان من موقعة نائب حلب لعسكر قرايوسف ما ذكر.

وفى ثانيه: كتب ببيع الغلال المجهزة فى البحر إلى الحجاز لرجوع السلطان عن السفر إلى الحج.

وفى خامسه: نودى فى أجناد الحلقة، بالعرض على السلطان، فعرضوا عليه فى يوم الجمعة سادسه، وأبتدأ يعرض من يركب منهم فى خدمة الأمراء، فخيرهم بين الاستمرار فى جملة رجال الحلقة، وترك خدمة الأمراء وبين الإقامة فى خدمة الأمراء وترك أخبار الحلقة فاختار بعضهم هذا وبعضهم هذا، فأخرج إقطاعات من أراد خدمة الأمراء، وصرف من خدمة الأمراء من أراد الإقامة على إقطاعه، وشكا إليه بعضهم قلة متحصل إقطاعه، فزاده، وكان هذا من جيد التدبير، فإن العادة كانت أن عسكر مصر فى هذه الدولة التركية على ثلاثة أقسام: قسم يقال لهم أجناد الحلقة، وموضوعهم أن يكونوا فى خدمة^(١) السلطان، ولكل منهم إقطاع يقال له حبز، ونظيرهم فى أيام الخلفاء أهل العطاء وأهل الديوان، وقسم يقال لهم ممالك السلطان، ولهم جوامك مقررة فى كل شهر، وجرايات ولحوم فى كل يوم، وكسوة فى كل سنة، وقسم ثالث يقال لهم ممالك الأمراء وهم الذين يخدمون الأمراء، ويعتد بطائفة من إقطاع الأمير للعدة المقررة له منهم، فلذلك كانت عدة عساكر مصر كثيرة، ثم تغير هذا فى الأيام الظاهرية برقوق ومن بعده، وصار الأمراء يأخذون إقطاعات الحلقة بأسماء ممالكهم، وطواشيتهم، وتخدم أجناد الحلقة عندهم وتأخذ الممالك السلطانية أيضا الإقطاعات مع الجوامك، فقلت عدة الرجال، وكثر متحصل قوم، وقل لآخرين ما يحصل من الإقطاعات، وخربت عدة بلاد من كثرة المغارم، وعجز مقطعيها^(٢).

وفى سابعه: أفرج عن الأمير كمشبغا الفيسى أمير أخور، وعن قصره من تمرز و كانا بالإسكندرية^(٣)، وعن الأمير كزل العجمى حاجب الحجاب وكان، بصفد وعن الأمير شاهين نائب الكرك وكان بقلعة دمشق^(٤).

(١) المراد أنهم كانوا يأمرون بإمرة السلطان دون أن يكونوا ملكا له.

(٢) انظر: النجوم الزاهرة ١٣ / ١١٩، ٢٢١.

(٣) يقصد بسجن الإسكندرية.

(٤) انظر: النجوم الزاهرة ١٣ / ٢٢١.

وفى تاسعه: قدم الخير^(١) بأن قرايوسف أحرق أسواق عين تاب ونهبها، فصالحه أهلها على مائة ألف درهم، وأربعين فرسًا، فرحل عنها بعد أربعة أيام، إلى جهة البيرة، وعدى معظم جيشه إلى البر الشرقى فى يوم الإثنين سابع عشر شعبان، وعدى من الغد، ونزل ببساتين البيرة وحصرها، فقاتله أهلها يومين وقتلوا منه جماعة، فدخل البلد، ونهب، وأحرق الأسواق، حتى بقيت رمادًا، امتنع الناس منه ومعهم حريمهم بالقلعة، ثم رحل فى تاسع عشره إلى جهة بلاده، بعد ما حرق ونهب جميع معامل البيرة، فسر السلطان برجوع قرايوسف، وفتز عزمه عن السفر إلى الشام^(٢).

وقدم الخير بأن ابن قرمان حارب أهل طرسوس، فقتل بين الفريقين خلق كثير، إلى أن رحل عنها فى سابع شعبان من ألم اشتد بباطنه.

وفى ثالث عشره: جلس السلطان لعرض أجناد الحلقة، فعرض عليه منهم زيادة على أربعمائة، ما بين غنى وفقير، وكبير وصغير. فمن كان إقطاعه قليل المتحصل أشرك معه غيره، ومثال ذلك أن جنديًا يتحصل من إقطاعه فى السنة سبعة آلاف درهم فلوسًا، وآخر يتحصل له ثلاثة آلاف، فألزم من إقطاعه ثلاثة آلاف أن يعطى الذى إقطاعه سبعة آلاف مبلغ ثلاثة آلاف ليسافر صاحب السبعة آلاف ويقيم الذى أعطى الثلاثة آلاف، وأفرد جماعة وجد إقطاعاتهم قليلة المتحصل ثم ضم أربعة منهم، وأمرهم أن يختاروا منهم واحدًا يسافر، ويقوم الثلاثة بكلفته، ورسم أن المال المجتمع من أجناد الحلقة يكون تحت يد قاضى القضاة شمس الدين الهروى^(٣).

وفى رابع عشره: قدم كمشبغا الفيسى وقصروه من تراز من الإسكندرية، فمثلا بين يدى السلطان ونزلا إلى دورهما.

وفى سابع عشره: ركب السلطان إلى خارج القاهرة، وعبر من باب الفتوح إلى القلعة.

وفى ثامن عشره: قدم الخير من طرابلس بنزول التركمان - الأينالية والبياضية والأوشرية - على صافيتا من عمل طرابلس، جافلين من قرايوسف، وأنهم نهبوا بلادًا، وأحرقوا منها جانبًا، وأن الأمير برسباى الدقماقى النائب نهاهم عن ذلك، فلم يرجعوا، وأنه أمرهم بالعود إلى بلادهم بعد رجوع قرايوسف، فأجابوا بالسمع والطاعة، فركب

(١) من حلب. انظر: النجوم الزاهرة ١٣ / ٢٢١.

(٢) انظر: النجوم الزاهرة ١٣ / ٢٢١.

(٣) انظر: النجوم الزاهرة ١٣ / ٢٢١، ٢٢٢.

عليهم برسباى ليأخذ مواشيهم وقتلهم فى يوم الثلاثاء سادس عشرين شعبان، فقتل منهم خلق كثير، منهم الأمير سون الأسندمرى، وثلاثة عشر من عسكر طرابلس، وانهزم باقيهم عراة، فغضب السلطان، ورسم بعزل برسباى عن نيابة طرابلس، واعتقاله بقلعة المرقب، وكتب بإحضار سون القاضى نائب الوجه القبلى - ليستقر فى نيابة طرابلس.

وفى عشرينه: عرض السلطان أجناد الحلقة.

وفى ثالث عشره: ركب السلطان إلى المطعم خارج القاهرة، وعاد فلم يكذب يستقر حتى فى الساعة الرابعة، وشق القاهرة من باب زويلة، وخرج من باب القنطرة إلى السرحة، وعاد فى يوم الأربعاء خامس عشرينه.

وفيه ختمت قراءة صحيح البخارى بالقصر من قلعة الجبل، وحضر السلطان ختمه على العادة، وفرق على الجماعة الحاضرين من الفقهاء - وعدتهم سبعون - مبلغ مائة وأربعين مؤيديا كل واحد، وخلع على قاضى القضاة شمس الدين محمد الهروى جبة صوف بفرو سمور على العادة.

وفى سابع عشرينه: عرض السلطان الأجناد على عادته، وتشدد فى طلب المال منهم، فنزل بهم من ذلك شدائد، لفقر أكثرهم، وعجزهم عن القيام بما لزمهم، فلما انقضى مجلس العرض، ركب السلطان، وعدى النيل إلى بر الجيزة، وبات هناك، ثم عاد من الغد.

وفى هذا الشهر: أتلفت الدودة كثيراً من البرسيم المزروع بأراضى الجيزة.

وفيه قدم مصطفى ابن الأمير ناصر الدين محمد بن قرمان، إلى مدينة طرسوس، باستدعاء أهلها، من قبيح سيرة نائبها شاهين الأيدكارى، واستحلاله أموالهم ودماءهم، وأخذ المدينة وحصر القلعة، وقد امتنع بها شاهين الأيدكارى حتى أخذه، وبعث به ابنه، وأن قرايوسف لما مضى إلى بلاده مات ابنه بير بدق على ماردين، وعندما وصل إلى بلاده قبض على ولده إسكندر^(١) واعتقله، وأنه وقع بينه وبين ولده شاه محمد، صاحب بغداد.

(١) إسكندر بن قرايوسف بن قرا محمد بن بيرم خجا التركمانى (٨٤١ هـ = ١٤٣٨ م)، متملك تبريز وما والاها. ملك البلاد بعد موت قرايوسف فى سنة ثلاث وعشرين ومئاة، ودام فيها مدة طويلة، وخرجت البلاد فى أيامه من كثرة حروبه وشروبه مع شاه رخ بن تيمور لنك وأولاده، ومع قرايلىك التركمانى صاحب آمد، ودام على ذلك سنين عديدة، ووقع له مع هولاء وغيرهم وقائع وحروب يطول الشرح فى ذكرها إلى أن انكسر فى آخر حروبه مع أحمد جوكى بن شاه رخ، وتشتت عن بلاده وذهب إلى الروم، ثم عاد إلى نحو بلاده، ثم انهزم أيضاً، والتجأ إلى قلعة النجا =

شهر شوال، أوله الإثنين:

فى ثانیه: عرض السلطان الأجناد.

وفى خامسه: جلس للحكم بين الناس، وكان قد ترك ذلك، فعاد إليه، وضرب ابن الطبلاوى الى القاهرة بالمقارع بين يديه، ولم يعزله، واستقر الملقى فى نيابة الوجه القبلى، عوضاً عن سودن القاضى.

وفى ليلة السبت سادسه: ركب السلطان، وسرح إلى جهة سرياقوس.

وفى ثامنه: قدم الأمير سودن القاضى من الوجهة القبلى، وتمثل بمخيم السلطان من السرحه.

وفى عاشره: عاد السلطان من السرحه إلى القلعه.

وفى ثانى عشره: ركب إلى الصيد، وعاد فى ثالث عشره، وقد وعك بدنه، وعاوده ألم رجله، فلزم الفراش.

وفى خامس عشره: خلع على الأمير سودن القاضى، واستقر فى نيابة طرابلس عوضاً عن الأمير برسباى الدقماقى، وخلع على الأمير كمشبغا الفيسى، واستقر أميراً كبيراً بطرابلس.

وفى سادس عشره: خلع على الأمير سيف الدين أبى بكر ابن الأمير قطلوبك، المعروف بابن المزوق، واستقر أستاذار السلطان، بعد وفاة الأمير فخر الدين عبد الغنى ابن أبى الفرج وخلع على ناصر الدين محمد بن البارزى كاتب السر، واستقر فى نظر وقف الأشراف عوضاً عن ابن أبى الفرج، واشتملت تركه ابن أبى الفرج على نحو ثلاثمائة ألف دينار، منها صندوق فيه مبلغ اثنين وسبعين ألف دينار، وثلاثة مساطير^(١) بمبلغ سبعين ألف دينار وغللال وفرو وقماش وعدة بضائع بنحو مائة ألف دينار، أحاط السلطان بها كلها.

=فحصره بها أعوان أخيه جهان شاه بن قرا يوسف مع عسكره شاه رخ، فلما طال ذلك بينهم نهض ابنه قوماط بن إسكندر وذبحه، وأراح الناس منه فى ذى القعدة سنة إحدى وأربعين وثمانمائة، وسلم قلعه النجا إلى عمه جهان شاه. وكان إسكندر شجاعاً مقداماً، وأهوجاً حريثاً، فاسقاً، سفاكاً للدماء، غير محب لرعيته لا يتدين بدين، وخربت عامة بلاد بغداد والعراق فى أيامه، ثم فى أيام أخويه أصبهان وشاه أحمد أولاد قرا يوسف. انظر المنهل الصافى ٢/ ٣٧٣، ٣٧٤ والدليل الشافى ١/ ١١٩، والنجوم الزاهرة ١٥/ ٢٢٠، الضوء اللامع ٢/ ٢٨٠.

(١) هو الإيصال الذى يكتبه المدين على نفسه للدائن.

وفي حادى عشرينه: خرج محمل الحاج إلى البركة مع الأمير جلبان أمير أخور، ورحل فى رابع عشرينه، بعد أن تقدمه الركب فى أمسه.

وفي هذا الشهر: عز وجود التبن، حتى أبيع الحمل بدينار، بعد خمسة أحمال بدينار. وفيه كثرت الفتن بالوجه البحرى. وانقضى الشهر والسلطان مريض.

شهر ذى القعدة. أوله الثلاثاء:

فى ثالثه: قبض على الوزير بدر الدين حسن بن محب الدين عبد الله الطرابلسى. وسلم إلى الأمير أبى بكر الأستادار، بعد إخراق السلطان به، ومبالغته فى إهاتته لسوء تدبيره، وقبح سيرته، وخبث سريرته. وتبعت حواشيه أتباعه فقبض عليهم ثم أفرج عنهم، وفيه خلع على الصاحب بدر الدين حسن بن نصر الله خلع الوزارة، مضافا لنظر الخاص. وأنعم عليه مرة ماله وتقدمة ألف، فنزل الأمراء وأهل الدولة معه، وسر الناس به، وفيه دقت الطبلخاناه على بابيه بعد غروب الشمس على عادة الأمراء الأكابر ولم يقع فى الدولة التركية مثل هذا لوزير صاحب قلم^(١).

وفيه خلع على الأمير جريغا دوادار الأمير يشبك نائب حلب، واستمر على عادته، وكان قد قدم فى سادس عشرين شوال، وصحبته شهاب بن أحمد بن صلاح الدين صالح بن محمد، كاتب سر حلب بطلب، لشكوى نائب حلب منها، فسار جريغا وتأخر ابن السفاح بالقاهرة وكتب بقبض على قرمش الأمير الكبير بحلب وسجنه بقلعتها.

وفي خامسه: ركب السلطان المحفة - وهو مريض - وسرح، ثم عاد من آخره^(٢).

وفي سابعه: استقر شمس الدين محمد بن يعقوب فى وزارة دمشق.

وفي تاسعه: خلع على الشيخ الأجد رفائيل - كاتب الجيزة - واستقر بطرك اليعاقبة، عوضاً عن متى بعد موته.

وفي عاشره: ركب السلطان ونزل إلى بيت كاتب سره، ناصر الدين محمد بن البارزى، المظل على النيل، وعدى الأمراء إلى بر الجيزة ثم سار السلطان من بيت كاتب السر فى يوم الجمعة حادى عشره إلى السرحة ببركة الحجاج، وركب من الغد النيل

(١) انظر: النجوم الزاهرة ١٣ / ٢٢٣.

(٢) انظر: النجوم الزاهرة ١٣ / ٢٢٤.

يريد سرحة البحيرة، ونزل بالبر الغربي على الطرانة، وانتهى إلى مريوط^(١) فأقام بها أربعة أيام. وورسم بعمارة بستان السلطان بها، وقد تهدم، واستأجر مريوط من مباشرى وقف الملك المظفر بيبرس الجاشنكير على الجامع الحاكمى، وتقدم بعمارة سواقيه، ومعاهد الملك الظاهر بيبرس البندقدارى، وعاد.

وفي هذا الشهر: عز وجود لحم الضأن بأسواق القاهرة، ولم يرتفع سعره.

وفيه أفرج عن الشريف عجلان بن نعيم الحسينى أمير المدينة، وللإفراج عنه خير فيه معتبر: وهو أن عز الدين عبد العزيز بن على البغدادي الحنبلى^(٢) - أحد جلساء السلطان - رأى فى منامه كأنه فى مسجد رسول الله - ﷺ - وقد انفتح قبر رسول الله ﷺ وخرج منه ﷺ، وجلس وعليه أكفانه، وأشار بيده المقدسة إلى عز الدين فقام إليه حتى دنا منه، فقال له: «قل للمؤيد يفرج عن عجلان» فانتبه وصعد على عادته إلى مجلس السلطان، وحلف له بالأيمان الحرجة أنه ما رأى عجلان قط ولا بينه وبينه معرفة، وقص عليه رؤياه، فسكت حتى انفض المجلس، وخرج إلى مرمى نشاب استجدها بالقلعة، فأحضر الشريف عجلان، وخلقى عنه، وقد حدثنى عز الدين بالرؤيا، وأقسم لى بالله أنه ما كان قبل رؤياه يعرف عجلان، ولا رآه قط، وهو غير متهم فيما تحدث به.

شهر ذى الحجة، أوله الخميس:

فيه قلَّ وجود الخبز والأسواق، وازدحم الناس فى طلبه ثلاثة أيام، ثم كسد وارتفعت الأسعار، حتى تجاوز الأردب من الشعير والبقول مائتين وخمسين درهماً. ووافى عيد الأضحى والسلطان بناحية وردان^(٣) وهو عائد، فصلى به صلاة العيد وخطب ناصر الدين محمد بن البارزى كاتب السر.

(١) مريوط: قرية من قرى مصر قرب الإسكندرية ساحلية. انظر: معجم البلدان ٥ / ١١٩.

(٢) عبد العزيز بن على (٧٦٨ - ٨٤٦ هـ = ١٣٦٦ - ١٤٤٣ م) عبد العزيز بن على بن أبى العز البكرى، التيمى القرشى البغدادي ثم المقدسى: قاضى فقيه. ولد ببغداد وقدم دمشق سنة ٧٩٥ هـ، وسكنها ثم سكن بيت المقدس زمنا، وولى قضاء الخنابلة. وعاد إلى بغداد سنة ٨١٢ هـ، فولى قضاها ثلاث سنين وصرف، فعاد إلى دمشق، ثم إلى بيت المقدس، فالقاهرة. ثم ولى قضاء الشام مدة. ورجع إلى القاهرة فاستقر فى قضاها إلى سنة ٨٣١ هـ وصرف، فانقلب إلى دمشق، وأقام فيها إلى أن توفى. ويقال له: قاضى الأقاليم. من كتبه عمدة الناسك فى معرفة المناسك، سلك البررة فى معرفة القراءات العشرة. وغيرها. انظر: السحب الوابلة - خ - التبر المسبوك ٥٤، المقصد الأرشد - خ - المدارس ٢ / ٥٣. الشذرات ٧ / ٢٥٩، الضوء اللامع ٤ / ٢٢٢. الأعلام ٤ / ٢٣.

(٣) وُرْدان: موضعان، سوق وردان: بمصر، ووادى وردان. انظر: معجم البلدان ٣ / ٣٦١.

وكان الحال بالقاهرة فى الأضاحى بخلاف ما نعهد، لقلعة ما ذبح، فإن السلطان والأمراء لم يفرقوا الأضاحى، كما جرت به العادة.

وفى ثانى عشره: قدم السلطان من سرحة البحيرة، وعدى النيل إلى بيت كاتب السر، وأقام به إلى بكرة يوم الثلاثاء ثالث عشره، وركب إلى القلعة وألم رجله لم يبرح. وتقدم إلى الأمراء بتجهيزهم للسفر إلى الشام.

وفى خامس عشره: عرض السلطان أجناد الحلقة على عادته، وعين منهم من يسافر، وألزم من يقيم بالمال، كما تقدم.

وفيه قدمت أم إبراهيم بن رمضان التركمانى من بلاد الشرقى، وتمثلت بين يدى السلطان، فرسم بتعويقها، فعوقت.

وفى تاسع عشره: عرض السلطان أجناد الحلقة، ثم ركب فى خاصته بشياب جلوسه إلى جامعہ بجوار باب زويلة، واجتمع عنده القضاة فتنافس كل من القاضيين شمس الدين الهروى، وشمس الدين محمد الديرى، وخرجا عن الحد حتى تسابا سبابا قبيحا بحضرة السلطان، وقد اجتمع من طوائف الناس خلق كثير، وانفضوا وعناية السلطان بالهروى. فكان هذا مما لا يليق بالقضاة.

وفيه بلغ الأردب القمح مائتين وستين درهماً، والأردب الفول ثلاثمائة درهم، لقلته. وكثر كساد الأسواق، وتوقف حال الناس، وقلة فوائدهم.

وفى ثانى عشرينه: ركب السلطان للصيد، وشق القاهرة من باب النصر.

وفى رابع عشرينه: أفرج عن الأمير بدر الدين حسن بن محب الدين، وأقام بالمدرسة الفخرية موكلًا به، ومرسماً عليه.

وفيه ركب السلطان للصيد، وعاد من يومه.

وفى يوم الثلاثاء خامس عشرينه: جلس السلطان بالإسطبل لعرض أجناد الحلقة، على عادته، وتشدد فى طلب المال ممن عين للإقامة، وضرب عدة منهم.

* * *

ومات فى هذه السنة ممن له ذكر

الشريف النقيب شرف الدين أبو الحسن على بن الشريف النقيب فخر الدين أبى على أحمد بن الشريف النقيب شرف الدين أبو محمد على بن شهاب الدين حسن بن

محمد بن الحسين بن محمد بن الحسين بن محمد بن زيد بن الحسين بن مظفر بن علي بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين ابن علي بن أبي طالب الأرموي، نقيب الأشراف، في يوم الإثنين تاسع عشر ربيع الأول، وكان يعد من رؤساء البلد، كرماً وأفضالاً من غير شهرة بعلم ولا نسك^(١).

ومات فيه عبد الله بن علاء الدين علي بن محي الدين يحيى بن فضل الله العمري، وقد حمل واشتدت فاقته، وهو آخر من بقي من أولاد علاء الدين بن فضل الله.

ومات الأمير أجتَرَك القاسمي، وقد تنقل في عدة ولايات، منها نيابة غزة.

وقتل الأمير حسين بن كبك^(٢)، أحد أمراء التركمان، في ثالث جمادى الأولى، وكان من خير قتله أن الأمير تغرى بردى الحكمي - أحد العصاة على السلطان - فر والسلطان على مدينة كختا فيمن تسحب، ثم لحق بالأمير منكلي بغا نائب ملطية مع رفقته، فسأل السلطان في الصبح عنه، فصبح، وأقام عند منكلي بغا إلى أن قدم حسين ابن كبك على ملطية، وحصرها، فقرر الأمير منكلي بغا تغرى بردى هذا، أنه يظهر الهرب، ويتسحب إلى حسين بن كبك، ويقيم عنده إلى أن يجد فرصة يقتله فيها، فخرج من ملطية فاراً إليه، فأكرمه، واستمر به عنده إلى أن توجه إلى بير عمر حاكم أرزنكان، في أول جمادى، فأنزله بير عمر في مخيم، وأجرى له ما يليق به، فلم يبت عنده سوى ليلة واحدة، وجلسوا لشرب الخمر في الليلة التي بعدها، حتى تفرق عن حسين أصحابه ودخل إلى مبيته، واستدعى بتغرى بردى إليه ليكبسه، فعندما نام - وهو سكران - أخذ تغرى بردى سيفه وحشاه في بطنه، فلم يتنفس، وركب فرسه ليلا إلى جهة شماخي^(٣) وتوصل منها إلى ملطية، وقدم حلب، وجاء إلى مصر، فأكرمه السلطان، وخلع عليه، وأعطاه عشرة آلاف درهم فضه، وثلاثة أرؤس من الخيل كاملة العدة، وثيابا نفيسة، وإقطاعا بديار مصر كثير المتحصل، وتقدم إلى الأمراء أن يخلع كل منهم عليه، فناله مال كبير، واستراح الناس من حسين بن كبك.

(١) انظر النجوم الزاهرة ١٣ / ٢٨٨، الضوء اللامع ٥ / ١٧٢.

(٢) الحسين بن كُبيك التركماني (٨٢١ هـ = ١٤١٨ م) الأمير حسام الدين أمير التركمان الكيكية كان بطلاً، شجاعاً، قتل في يوم ثالث جمادى الأولى سنة إحدى وعشرين وثمانمائة. انظر المنهل الصافي ٥ / ١٦٧، ١٦٨، والدليل ١ / ٢٧٥، النجوم ١٤ / ١٤٩، الضوء ٣ / ١٥٤.

(٣) شَمَاخِي: مدينة عامرة وهي قسبة بلاد شروان في طرف أران تعد من أعمال باب الأبواب.

انظر: معجم البلدان ٣ / ٣٦١.

ومات بالقاهرة شهاب الدين أحمد بن عبد الله بن أحمد القرقشندى الشافعى^(١) فى ليلة السبت عاشر جمادى الآخرة، عن خمس وستين سنة، وقد كتب فى الإنشاء، وبرع فى العربية، وشارك فى الفقه، وناب فى الحكم، وعرف الفرائض ونظم ونثر. وصنف كتاب صبح الأعشى فى صناعة الإنشاء، جمع فيه جمعا كبيرا مفيدا، وكتب فى الفقه وغيره^(٢).

ومات الأمير بيسق الشيخى، أحد المماليك الظاهرية، فى جمادى الآخرة بالقدس، وترقى حتى صار من أمراء الطلبخاناه، وأمير أخور، وولى إمرة الحج فى الأيام الظاهرية والناصرية، وولى عمارة المسجد الحرام، لما احترق فى سنة ثلاث وثمانمائة، ثم تنكر عليه الناصر فرج، وأخرجه من القاهرة إلى بلاد الروم منفيًا، فأقام بها حتى تسلطن المؤيد شيخ قدم عليه، فلم يُقبل عليه وأقام فى داره مدة، ثم أخرجته إلى القدس بطالا، فمات بها، وكان عارفا بالأمر، متعصبا للفقهاء الحنفية على الشافعية، شرس الخلق، عسوفًا، كثير المال، وفيه بر وصدقات^(٣).

ومات الأمير علاء الدين أقبغا شيطان^(٤)، مقتولا فى ليلة الخميس سادس شعبان، وقد جمع له بين ولاية القاهرة وحسبتها، وشد الدواوين، وكان يحسن المباشرة، ولم يشهر عنه تعاطى شىء من القاذورات المحرمة، كالخمر ونحوه.

ومات الأمير بُردُوك الخليلي^(٥) بصفد، فى ليلة الخميس نصف شهر رجب بها،

(١) القلقشندى (٧٥٦ - ٨٢١ هـ = ١٣٥٥ - ١٤١٨ م) أحمد بن على بن أحمد الفزارى القلقشندى ثم القاهرى: المورخ الأديب البحاث. ولد فى قلقشندة (من قرى القليوبية، بقرب القاهرة) سماها ياقوت قرقشندة، ونشأ وناب فى الحكم وتوفى فى القاهرة. وهو من دار علم، وفى آبائه وأبنائه وأجداده علماء أجلاء. أفضل تصانيفه «صبح الأعشى فى قوانين الإنشاء» وله حلية الفضل وزينة الكرم فى المفاخر بين السيف والقلم و«قلائد الجمال فى التعريف بقبائل عرب الزمان». وضوء الصبح المسفر. ونهاية الأرب فى معرفة أنساب العرب. انظر: الضوء اللامع ٨/٢ وآداب اللغة ٣/ ١٣٣ وعشائر العراق ١/ ١٢. الأعلام ١/ ١٧٧.

(٢) انظر: النجوم الزاهرة ١٣/ ٢٨٨.

(٣) انظر: النجوم الزاهرة ١٣/ ٢٨٨، ٢٨٩.

(٤) فى النجوم «علم الدين أقبغا بن عبد الله المعروف بالشیطان» ١٣/ ٢٨٩.

(٥) بردوك بن عبد الله الخليلي (٨٢١ هـ = ١٤١٨ م)، الأمير سيف الدين، المعروف بقصقا. كان أحد أمراء المقدمين بديار مصر فى الدولة المؤيدية شيخ، ثم صار رأس نوبة النوب، ثم ولى نيابة طرابلس فى سابع عشر شهر رجب سنة عشرين وثمانمائة عوضًا عن الأمير يشبك المؤيدى، بحكم انتقاله إلى نيابة حلب عوضًا عن الأمير قحقار الفردمى. واستقر من بعده رأس نوبة النوب الأمير-

وهو على نيابتها.

ومات الأمير سودن الأسندمرى^(١)، مقتولا في وقعة التركمان خارج طرابلس، في يوم الأربعاء سابع عشرين شعبان، وهو أحد مماليك الظاهرية، ومن جملة أمراء مصر، فلما قتل الناصر فرج، قبض عليه وسجن، ثم أفرج عنه، وعمل أميراً بطرابلس، فقتل بها عن قليل.

ومات الأمير أبو الفتوح موسى ابن السلطان، في يوم الأحد تاسع عشرين شهر رمضان، وهو في الشهر الخامس، فدفن بالجامع المؤيدى.

ومات الأمير فخر الدين عبد الغنى ابن الأمير تاج الدين عبد الرزاق بن أبى الفرج، في يوم الإثنين نصف شوال، ودفن بجامعه^(٢).

ومات الأمير علاء الدين ألتنبغا العثمانى الظاهرى، نائب الشام، بطالا بالقدس، في يوم الإثنين ثانى عشرين شوال.

ومات الأمير الطواشى بدر الدين لؤلؤ العزى كاشف الوجه القبلى، في يوم الأربعاء رابع عشرين شوال. ولى كشف الوجه القبلى في سنة ثلاث عشرة، ثم في رجب سنة ثمان عشرة، وعزل وصور وأخذ منه مال جزيل، بعد عقوبة شديدة، ثم ولى شد الدوايب السلطانية بالوجه القبلى، حتى مات، وكان من الحمقاء المتمعقلين، والظلمة الفاتكين، في هيئة متدين ناسك واعظ.

وتوفى شرف الدين محمد بن عز الدين أبى اليمن محمد بن عبد اللطيف بن أحمد بن محمود بن أبى الفتوح، الشهير بابن الكويك الربعى، الإسكندرى، الشافعى، في يوم

=ططر، فباشر المذكور نيابة طرابلس إلى شهر ربيع الأول سنة إحدى وعشرين وثمانمائة، ووقع بينه وبين أهل طرابلس، وعزل، وطلب إلى القاهرة، فحضرها بعد أن كتب عليه أهل طرابلس محاضر بقبايح، فعند حضوره استقر به السلطان في نيابة صغد في ثانى شهر ربيع الآخر من السنة. واستقر بعده في نيابة طرابلس الأمير برسباى الدقماقى، أحد أمراء الألوف بديار مصر وتوجه بردك المذكور إلى صغد، وباشر نيابتها مدة يسيرة، إلى أن مات بها في نصف شهر رجب سنة إحدى وعشرين وثمانمائة. انظر المنهل الصافى ٢٤٩/٣، ٢٥٠. والدليل ١/ ١٨٤، النجوم ١٤/ ١٥١ عقد الجمان حوادث سنة ٨٢١، الضوء ٣/ ٦، أنباء الغمر ٣/ ١٧٩، نزهة النفوس ٢/ ٤٣٤ بدائع الزهور ٢/ ٣٩.

(١) هو الأمير سيف الدين سودن بن عبد الله الأسندمرى الظاهرى، أتاك طرابلس. انظر: النجوم الزاهرة ١٣/ ٢٩٠.

(٢) انظر: النجوم الزاهرة ١٣/ ٢٩٠، ٢٩١.

السبت سادس عشرين ذى القعدة. ومولده فى ذى القعدة سنة سبع وثلاثين وسبعمائة، بالقاهرة، وقد انفرد بأشياء لم يروها غيره. وتصدى للإسماع عدة سنين، فسمع عليه كثير من أهل القاهرة والقادمين إليها، وأضر قبل موته. وكان خيراً ساكناً كافاً عن الشر، من بيت رياسة. وأول سماعه حضوراً سنة إحدى وأربعين وسبعمائة. ولم يشتهر بعلم.

ومات الأمير قُطلوبغا الخليلي نائب الإسكندرية، فى يوم الخميس خامس عشرين ذى الحجة، وكان قد ولى حاجباً بالقاهرة، ثم تعطل ستاً وعشرين سنة، فساءت حاله، إلى أن ولاه الملك المؤيد نيابة الإسكندرية، فباشرها مباشرة مشكورة، ومات وهو على نيابتها.

ومات الأستاذ إبراهيم بن باباى العوّاد، فى ليلة الجمعة مستهل شهر ربيع الأول. وقد انتهت إليه الرياسة فى الضرب بالعود. وكان أبى النفس، من ندماء السلطان، مقرباً عنده، وجدد عمارة بستان الحلبي المطل على النيل، وبه مات.

* * *

سنة اثنتين وعشرين وثمانمائة

أهلت وخليفة الوقت المعتضد بالله أبو الفتح داود بن المتوكل على الله أبي عبد الله محمد، وسلطان مصر والشام والحجاز الملك المؤيد أبو النصر شيخ محمودى الظاهرى، والأمير الكبير الطنبغا القرمشى، وأتابك العساكر المقام الصارمى إبراهيم ابن السلطان، والدوادار الأمير جقمق، ورأس نوبة الأمير الطنبغا الصغير، وأمير سلاح الأمير قحقار القردمى، وأمير مجلس الأمير ططر، وكاتب السر ناصر الدين محمد بن البارزى، والوزير وناظر الخاص صاحب بدر الدين حسن بن نصر الله، أحد الأمراء مقدمى الألوف، والأستادار الأمير أبو بكر، وناظر الجيش علم الدين داود بن الكويز، وقضاة القضاة على حالهم، ونائب الشام الأمير تنبك ميق العلالى، ونائب حلب الأمير يشبك اليوسفى، ونائب طرابلس الأمير سودن القاضى، ونائب حماة الأمير شاهين الزردكاش، ونائب صفد الأمير قرا مراد خجا، ونائب الإسكندرية ناصر الدين محمد بن العطار.

شهر الله المحرم الحرام، أوله الجمعة:

فى ثانيه: جلس السلطان لعرض أجناد الحلقة على ما تقدم، وأنفق على الأمراء نفقة السفر، فبعث إلى كل من الأميرين الطنبغا القرمشى وططر ثلاثة آلاف دينار، ولمن عداهما ألفى دينار.

وفى خامسه: قدم مبشرو الحاج، وأخبروا أنه لم يرد أحد من حاج العراق.

وفى رابع عشره: قرئ تقليد الوزير صاحب بدر الدين حسن بن نصر الله، بالجامع المؤيدى، وكانت العادة أن يقرأ تقليد الوزارة بخانكاه سعيد السعداء.

وفى نصفه: ضرب خام المقام الصارمى إبراهيم ابن السلطان تجاه مسجد تير خارج القاهرة.

وفى يوم الإثنين ثامن عشره: ركب إبراهيم ابن السلطان بكرة النهار فى أمراء الدولة والعساكر، وتبعه طلبه وطلب الأمير جقمق الدوادار، حتى نزل بمخيمه، وخرج بعده الأمراء بأطلابهم، وهم ططر أمير مجلس، وقحقار القردمى أمير سلاح، وأينال الأزعرى رأس نوبة، وجلبان، وأركماس الجلبانى من مقدمى الألوف، وثلاثة من أمراء الطبلخاناه، وخمسة عشر من أمراء العشرات، ومائتين من المماليك السلطانية.

٤٩٠ سنة اثنتين وعشرين وثمانمائة

وفي عشرينه: نزل السلطان إلى مخيمه على خليج الزعفران، ثم سار إلى مخيم ولده ويات عنده، ثم ودعه وركب من الغد إلى القلعة.

وفي يوم الجمعة ثاني عشرينه: رحل المقام الصارمى إلى جهة البلاد الشامية، بمن معه.

وفي ثالث عشرينه: قدم الركب الأول من الحاج، وقدم المحمل ببقية الحاج من غده، ومعهم الشريف عجلان بن نعير، أمير المدينة النبوية فى الحديد.

وقدم الأمير بكتمر السعدى عائدا من اليمن، بكتاب الناصر أحمد بن الأشرف.

وفيه شرع السلطان فى عمارة قبة عظيمة بالحوش من قلعة الجبل، أنفق عليها مالا كبيرا.

وفيه كتب تقليد الأمير ناصر الدين محمد بن باك بن دلغادر، باستقراره فى نيابة السلطنة بقيسارية الروم، وجهز إليه.

وفيه خلع على الأمير مقبل الدوادار، واستقر شاد العمارة بالجامع المؤيدى، عوضاً عن الأمير ططر.

وفى يوم الخميس ثامن عشرينه: نزل السلطان إلى جامعہ بجوار باب زويلة، واستدعى القضاة ومشايخ العلم، ليسألهم عن إصلاح ما تهدم من أروقة المسجد الحرام، وتشقق الكعبة، وعمارة الحجرة النبوية، ومن أين تكون النفقة على ذلك. فأجالوا القول فى هذا. وسأل قاضى القضاة علاء الدين على بن مغلى الحنبلى قاضى القضاة شمس الدين الهروى عن أربع مسائل، وهو يجيبه، فيقول له: «أخطأت». وأخذ قاضى القضاة شمس الدين محمد الديرى الحنفى فى الكلام مع الهروى حتى خرجا إلى المسابة. وعدد الديرى قبائح الهروى، من أنه من أتباع تيمورلنك، وأنه كان ضامن يزد، ونحو ذلك. ثم قال: «يا مولانا السلطان، أشهدك على أنى حجرت عليه أن لا يفتى، وحكمت بذلك». فنفذ الحنبلى والمالكى حكمه. فكان مجلساً فى غاية القبح، من إهانة الهروى وبهدلته، ثم انفضوا على ذلك، وقد تبين انحطاط قدره، وبعده عن العلم بالفقه والحديث.

شهر صفر، أوله الأحد:

فى خامسه: اجتمع الماليك السلطانية بالقلعة، وهموا أن يوقعوا بالوزير والأستادار لتأخر عليق خيولهم، فما زال الأمراء بهم حتى فرقوهم على أن يصرف لهم ما استحق.

وفيه خلخ على صدر الدين أحمد بن جمال الدين محمود العجمي، واستقر في حسبة القاهرة، عوضاً عن ابن شعبان.

وفي يوم السبت سابعه: عدى السلطان النيل، ونزل بناحية أوسيم وأقام بها. فقدمت له التقادم، من الخيول والجمال، على العادة.

وفي سادس عشره: توجه الأمير بدر الدين حسن بن محب الدين عبد اللطيف الطرابلسي إلى طرابلس، ليكون مقيماً بها، من جملة أمرائها.

وفي ثامن عشره: عاد السلطان من أوسيم، ونزل على النيل بناحية منبابة، وعمل الوقيد في ليلة الخميس تاسع عشره، فمر تلك الليلة من السخف، وإتلاف النفوط ما ينكر مثله، ثم أصبح فركب الحراقة، وقطع النيل بكرة، وصعد القلعة، فتعصب المماليك سكان الطباق بقلعة الجبل، وبقوا يداً واحدة وامتنعوا من أخذ الجامكية، وطالبوا بأن يصرف لهم في هذه الدولة المؤيدية من ابتدائها نظير ما كان يصرف في الأيام الظاهرية، من الكسوة واللحم، والسكر وغيره، فتوقع الناس حدوث شر وقتنة، فرُدُّوا وسكن الشر.

وفي هذا الشهر: استقر رقم أمير هوارة البحرية، وتوجه معه الأمير ألطنبغا المرقبي إلى الوجه القبلي، وكتب للكشاف والولاية بالركوب معه، وطرد هوارة، فلما نزل الأمير ألطنبغا بسفط ميدوم^(١) وقد نزلت هوارة قمن^(٢) في نحو أربعة آلاف، فركبوا يوم الجمعة ثامن عشرينه، وطرقوا الأمير ألطنبغا والأمير رقم، وقتلهم عامة النهار، ثم مضوا إلى الميمون^(٣) وقد قتل من الفريقين نحو ثلاثة آلاف، فأخذ العسكر السلطاني ما تركوه من الأغنام، والأبقار، والجمال، والرقيق، وغيرها، وهو شيء كثير جداً.

وفي يوم الإثنين سادس عشره: وصل المقام الصارمي إبراهيم ابن السلطان بمن معه إلى دمشق، وقد تلقته النواب والعساكر.

وفي هذا الشهر: فشا الموت بالطاعون في إقليمى الشرقية والغربية وجميع الوجه البحرى، وابتدأ بالقاهرة ومصر منذ حلت الشمس في برج الحمل، في يوم الأحد خامس عشره، فبلغت عدة من يرد الديوان من الأموات ما بين العشرين والثلاثين في كل يوم.

(١) من أعمال البهنساوية. انظر: الانتصار.

(٢) من القرى القديمة في مركز الواسطى من أعمال البهنساوية. انظر: القاموس الجغرافى.

(٣) الميمون: قرية جليلة بالصعيد الأدنى قرب الفسطاط على غربى النيل. انظر: المواعظ

وفيه رسم بمرمة قناطر شبين بالجيزة^(١) وكتب تقدير مصروفها خمسة آلاف دينار، فرضت على بلاد الجيزة. وقرر على كل فدان مبلغ عشرين درهم يسهم الفلاح منها بستة دراهم، والمقطع بأربعة عشر. ولا يعفى من ذلك من انقطع رزقه. فجبى المال من البلاد على هذا.

وفي ثامن عشرينه: عرض السلطان أجناد الحلقة، وكان قد ترك عرضهم مدة أيام.

وفي تاسع عشرينه: كسفت الشمس قبيل الزوال، فاجتمع الناس، وصلى بالناس في الجامع الأزهر الشيخ الحافظ شهاب الدين أبو الفتح بن حجر العسقلاني الشافعي - خطيب الجامع - صلاة الكسوف. عقيب صلاة الظهر ركعتين، ركع في كل ركعة ركوعين، أطال فيهما القراءة، فقرأت في قيام الركعتين نحواً من ستة أحزاب. وكان الركوع نحواً من القيام والسجود نحو الركوع، فقارب في أركان الصلاة ما بينها، وأذكرني بصلاته أهل السلف، ثم صعد بعد صلاته المنبر فخطب خطبتين، وعظ فيهما وأنذر، وذكر. وعم اجتماع الناس جوامع مصر والقاهرة، وظواهرها وعد هذا من حميد أفعال محتسب القاهرة صدر الدين أحمد بن جمال الدين محمود العجمي، فإنه بث أعوانه قبل آذان الظهر، فنادوا في الأسواق تهيئوا رحمكم الله لصلاة الكسوف. فبادر الناس للتطهر، وأقبلوا يسعون إلى الجوامع طوائف طوائف، ما بين رجال ونساء. وهم في خشوع وذكر واستغفار، فدفع الله بذلك عن الناس بلاءً كثيراً.

وفي هذا الشهر: اتفق وقت العصر من يوم الثلاثاء سابع عشره حدوث زلزلة استمرت ثلاثة أيام بلياليها. لا تهدأ، فسقط سور المدينة، وخرجت عامة دورها، بحيث لم يبق بها دار إلا سقطت أو هدم بها شيء، وانقطع من جبل قطعة في قدر نصف هرم مصر، وسقطت إلى الأرض، وتفجرت عدة أعين من وادي الأزرق، وانظمت عدة أنهر، وكانت الزلزلة تأتي من جهة المغرب إلى جهة المشرق، ولها دوى كركض الخيل، ثم امتدت الزلزلة بعد ثلاثة أيام مدة أربعين يوماً، تعود كل يوم مرة أو مرتين وثلاث وأربع، حتى خرج الناس إلى الصحراء، ثم تمادت سنة.

شهر ربيع الأول، أوله الثلاثاء:

فيه نزل المقام الصارمى تل السلطان ظاهر حلب، وقد خرج إليه نائب حلب بعسكرها، وأتته العربان والتركماني، ودخل حلب في ثلثه^(٢).

(١) هي قناطر حسر شبين، أنشأها الملك الناصر محمد بن قلاوون سنة ٧٣٧هـ. انظر: المواظ

والاعتبار ٢ / ٢٧٠.

(٢) انظر: النجوم الزاهرة ١٣ / ٢٢٦.

وفيه جلس السلطان لعرض أجناد الحلقة، على عادته^(١).

وفيه بلغت عدة من ورد من الأموات بالقاهرة إلى الديوان نحو الخمسين، أكثرهم أطفال، وذلك سوى المارستان، وموتهم بأمراض حادة. وحبّة الموت قل من يمرض منهم ثلاثة أيام، بل كثير منهم يموت ساعة يمرض، أو من يومه.

وفي رابعه: سار الأمير أبو بكر الأستاذار إلى الوجه القبلي لأخذ أموال هوارة.

وفي ثامننه: استدعى قاضي القضاة شمس الدين محمد الهروي إلى قلعة الجبل، وقد قدم طائفة من بلد القدس والخليل مع الأمير حسن نائب القدس، للشكوى عليه بأنه أخذ في أيام نظره من مال وقف الخليل قدرا كبيرا، فندب السلطان للقضاء بينهم الشيخ شهاب الدين أحمد بن حجر مفتي دار العدل، وخطيب الجامع الأزهر، فثبت في جهة الهروي مال كثير بمحضرة السلطان، فرسم بإمضاء حكم الشرع فيه، فلما نزل من القلعة وحاذى المدرسة الصالحية بين القصرين، أمره نقيب قاضي القضاة شمس الدين محمد الديري بالنزول ليعتقل بها، فنزل بعد تمنع، وجلس قليلا وركب يريد منزله، فتسارع إليه الرسل أعوان القضاة وجذبوا بغلته ليردوه إلى المدرسة، فتصايحت العامة وعططوا^(٢) به وسبوه ورجموه، فعاد عودًا قبيحًا، وقد رحمه من رآه، وأدخل في دار وأغلق عليه، فلم يمض غير قليل حتى نزل إليه الطواشي مرجان الهندي الخازندار وأخرجه من معتقله، ومضى به إلى داره.

وفيه واقع الأمير ألطنبغا المرقبي هوارة بناحية بني عدى، وكان قد توجه في طلبهم إلى ناحية الأشمونين^(٣) وترك أتقاله بها، وتبعهم بالعساكر جريدة حتى أدركهم ليلا، فكانت بينهما معركة قتل فيها جماعة وانهزمت هوارة وتشتتوا.

وفي ثاني عشره: جلس الأمير مقبل الدوادار، والقاضي علم الدين داود بن الكوبز ناظر الجيش، بقلعة الجبل، لعرض بقية أجناد الحلقة، من غير أن يحضر السلطان.

وفيه رسم السلطان للشيخ شهاب الدين أحمد بن حجر أن يرسم على قاضي القضاة شمس الدين محمد الهروي ليخرج عما ثبت عليه، فندب له أربعة من أعوان القضاة

(١) انظر: النجوم الزاهرة ١٣ / ٢٢٦.

(٢) على هامش ط: هو تتابع الأصوات مع اختلافها. انظر: القاموس المحيط (عط).

(٣) قال ياقوت: أشمون: بالنون وأهل مصر يقولون: الأشمونين: وهي مدينة قديمة أزلية عامرة

أهلة إلى هذه الغاية، وهي قصبه كورة من كور الصعيد الأدنى غربى النيل ذات بساتين ونخل كثير، سميت باسم عامرها وهو أشمن بن مصر. انظر: معجم البلدان ١ / ٢٠٠.

لازمه منهم اثنان فى داره، أقاما معه فى موضع منها، وتوكل اثنان ببابى داره، ومنع من البروز من داره حتى يخرج مما فى قبله.

وفى رابع عشره: نزل مرسوم السلطان إلى الهروى أن يخرج مما ثبت عليه، ويدفع إلى مستحقى وقف الخليل مصالحة عما ثبت فى جهته، لو عمل حسابه، لمدة مباشرة مبلغ ثلاثة آلاف دينار، فشرع فى بيع موجوده إلى يوم الثلاثاء نصفه، بعث السلطان من ثقاته أميراً إلى بيت الهروى، فأخذ منه ما تحت يده من المال المأخوذ من أجناد الحلقة، وهو ألف ألف وستمائة ألف درهم فلوساً، فلم يوجد سوى ألف ألف درهم، وقد تصرف فى ستمائة ألف درهم عنها نحو ثلاثة آلاف دينار، فشنت القالة عليه، واشتد غضب السلطان منه، وبعث قاضى القضاة شمس الدين محمد الديرى الحنفى إلى نواب الهروى، فمنعهم من الحكم بين الناس، بمقتضى أنه ثبت فسقه، وحكم الفاسق لا ينفذ وولايته لا تصح عند الإمام الشافعى، وهددهم متى حكموا بين الناس، فانكفوا عن الحكم.

وفى يوم الأربعاء غده: صعد بعض الرسل المرسمين على الهروى إلى السلطان، وبلغه - على لسان بعض خواصه - أنه تبين له ولرفقائه أن الهروى تهيأ ليهرب، فبعث عدة من الأجناد وكلهم به فى داره.

وفى يوم الخميس سابع عشره: نزل السلطان إلى جامعه بجوار باب زويلة، واستدعى شيخ الإسلام قاضى القضاة جلال الدين البلقينى، فارتحت القاهرة، وخرج الناس من الرجال والنساء على اختلاف طبقاتهم لرؤيته، فرحاً به، حتى غصت الشوارع، فعندما رآه السلطان، قام له وأجله، وبالغ فى إكرامه وأفاض عليه التشريف، وشافه بولاية القضاة، وتوجه جلال الدين البلقينى من الجامع إلى المدرسة الصالحية، فمر من تحت الربيع^(١)، وعبر من باب زويلة، وسلك تحت شبابيك الجامع، وقد قام السلطان فى الشباك ليراه، فأبصر من كثرة الخلق، وشدة فرحهم، وعظيم ما بذلوه، وسمحوا به من الزعفران للخلوق، والشموع للوقود، مع مجامر العود والعنبر، ورش ماء الورد، وضجيجهم بالدعاء للسلطان، ما أذهله، وقوى رغبته فيه، وسار كذلك حتى أن بغلته لا تكاد أن تجد موضعاً لحوافرها، حتى نزل بالمدرسة الصالحية، ومعه أهل الدولة عن آخرهم، ثم توجه إلى داره، فكان يوماً مشهوداً، واجتماعاً لم يعهد لقاضٍ مثله^(٢).

(١) شارع تحت الربيع: يتدئ من آخر شارع باب زويلة بجوار تكية الجلشنى، وينتهى لأول شارع باب الخلق من عند درب المذبح. انظر: خطط على مبارك ٣ / ٢٠٤. وحالياً يسمى: شارع أحمد ماهر.

وفي سادس عشرينه: انتهى عرض أجناد الحلقة.

وفي هذا الشهر: تتبع صدر الدين محتسب القاهرة أماكن الفساد بنفسه، ومعه والى القاهرة، فأراق آلافاً من جرار الخمر وكسرها، ومنع النساء من النياحة على الأموات، ومنع من التظاهر بالحشيش، وكف البغايا عن الوقوف لطلب الفاحشة فى الأسواق، ومواضع الريب، وألزم اليهود والنصارى بتضييق الأكمام الواسعة وتصغير العمائم، حتى لا تتجاوز عمامة أحدهم سبعة أذرع، وأن يدخلوا الحمامات بجلاجل فى أعناقهم، وأن تلبس نساؤهم أزراً مصبوغة، ما بين إزار أصفر لليهودية، وإزار أزرق للنصرانية، فاشتد قلقهم من ذلك، وتعصب لهم قوم، فعمل بعض ما ذكر دون باقيه.

وبلغت عدة من ورد الديوان من الأموات فى هذا الشهر بمدينة بلبس^(١) ألف إنسان، وبناحية بردين^(٢) من الشرقية خمسمائة نفس، وبناحية ديروط من الغربية ثلاثة آلاف إنسان، سوى بقية القرى، وهى كثيرة جداً.

شهر ربيع الآخر، أوله الخميس:

فى الثالثة: بلغت عدة من يرد الديوان من الأموات بالقاهرة إلى مائة وستة وتسعين، سوى المارستان، ومصر، وبقية المواضع التى لا ترد الديوان، وما تقصر عن مائة أخرى. هذا مع شناعة الموتان بالأرياف، وخلو عدة قرى من أهلها.

وفى خامسه: خدع قاضى القضاة الهروى الموكلين به من الأجناد، حتى مكنوه أن يخرج من داره، فالتجأ إلى بيت الأمير قطلوبغا التمنى، فطار الخبر فى الوقت إلى الأمير مقبل الدوادار وغيره، بأن الهروى قد هرب، وبلغ السلطان ذلك، فبعث الأمير تاج الدين الشويكى أستاذار الصحبة إليه، فأخذه من بيت التمنى، وحمله إلى القلعة، فسجنه بها فى أحد أبراجها، وضرب الدوادار الأجناد الموكلين به ضرباً مبرحاً.

وفى يوم الخميس ثامنه: نودى فى الناس من قبل المحتسب أن يصوموا ثلاثة أيام آخرها يوم الخميس خامس عشره، ليخرجوا مع السلطان، فيدعوا الله بالصحرى فى رفع الوباء، ثم أعيد النداء فى ثانى عشره أن يصوموا من الغد فتناقص عدد الأموات

(١) قال ابن إياس فى ذكر مدينة بلبس: سميت فى التوراة أرض حاشان وفيها نزل يعقوب عليه السلام، وذكر ابن خرداذبة أن بين بلبس ومدينة فسطاط مصر أربعة وعشرون ميلاً، وكانت مدينة كبيرة من أجل مدائن مصر إلى أن خربت فى سنة ست وثمانمائة. انظر نزهة الأمام ١٨٦.

(٢) بردين، قرية قديمة من أعمال الشرقية بمركز الزقازيق. انظر: (التحفة السنية، لابن الجيعان، والقاموس الجغرافى لمحمد رمزى).

فيه، وأصبح كثير من الناس صياماً، فصاموا يوم الثلاثاء، ويوم الخميس، وبطل كثير من الباعة بيع الأقوات فى أول النهار، كما هى العادة فى أول شهر رمضان.

وفى يوم الخميس خامس عشره: نودى فى الناس بالمضى إلى الصحراء من الغد، وأن يخرج العلماء والفقهاء، ومشايخ الخوانك، وصوفيتها وعامة الناس، ونزل الوزير صاحب بدر الدين بن نصر الله، والأمير التاج الأستادار بالصحبة إلى تربة الملك الظاهر برقوق، ونصبوا المطابخ بالحوش القبلى منها، وأحضروا الأغنام والأبقار، وباتوا هناك فى تهيئة الأطعمة والأخباز، ثم ركب السلطان بعدما صلى صلاة الصبح، ونزل من قلعة الجبل، وهو لابس الصوف، وعلى كتفيه مئزر صوف مسدل كهيئة الصوفية، وعليه عمامة صغيرة جداً، لها عذبة مرخاة من بين لحيته وكتفه الأيسر، وهو بتخشع وانكسار وفرسه بقماش ساذج، ليس فيه ذهب ولا حرير، وقد أقبل الناس أفواجا.

وسار شيخ الإسلام قاضى القضاة جلال الدين البلقينى من منزله، ماشياً فى عالم كبير، وسار معظم الأعيان من منازلهم، ما بين ماش وراكب، حتى وافوا السلطان بالصحراء قريباً من قبة النصر، ومعهم الأعلام والمصاحف، وهم بذكر الله تعالى أصوات مرتفعة، فنزل السلطان عن فرسه، وقام على قدميه، وعن يمينه وشماله القضاة والخليفة، وأهل العلم، ومن بين يديه وخلفه طوائف لا يحصيها إلا خالقها سبحانه، فبسط يديه، ودعا الله وهو يبكى، ويتنحب، والجسم الغفير يراه ويشهده زماناً طويلاً، ثم ركب يريد الحوش من التربة الظاهرية، والناس فى قدمه وبين يديه، حتى نزل وأكل ما تهيأ، وذبح بيده قرباناً، قربة إلى الله، مائة وخمسين كبشاً سميناً، من أثمان خمسة دنانير الواحد، ثم ذبح عشر بقرات سمان، وجاموستين، وجميلين، وهو يبكى، ودموعه تنحدر - بحضرة الملاء - على لحيته، ثم ترك القرايين على مضاجعها كما هى، وركب إلى القلعة، فتولى الوزير والتاج تفرقتها، صحاحاً، على الجوامع المشهورة، والخوانك، وقبة الإمام الشافعى، وتربة الليث بن سعد^(١) ومشهد السيدة نفيسة، وعدة من الزوايا، حملت إليها صحاحا، وقطع منها عدة بالحوش، فرقت لحماً على الفقراء، وفرق من الخبز النقى يومئذ عدة ثمانية وعشرين ألف رغيف، تناولها الفقراء من يد الوزير، وبعث

(١) هو الليث بن سعد (٩٤ - ١٧٥ هـ = ٧١٣ - ٧٩١ م) الليث بن سعد بن عبد الرحمن الفهمى: بالولاء، أبو الحارث: إمام أهل مصر فى عصره، حديثاً وفقهاً. انظر: وفيات الأعيان / ١ / ٤٣٨، تهذيب التهذيب / ٨ / ٤٥٩، تذكرة الحفاظ / ١ / ٢٠٧، صبح الأعشى / ٣ / ٣٩٩، ٤٠٠، النجوم الزاهرة / ٢ / ٨٢، الجواهر المضية / ١ / ٤١٦، ميزان الاعتدال / ٢ / ٣٦١، حلية الأولياء / ٧ / ٣٠٨، تاريخ بغداد / ١٣ / ٣. الأعلام / ٥ / ٢٤٨.

منها إلى كل سجن خمسمائة رغيف، وعدة قدور كبار مملوءة بالطعام الكثير اللحم، هذا، وشيخ الإسلام في طائفة عظيمة من الناس يقرأون القرآن، ويدعون الله حيث وقف السلطان، وشيخ الحديث النبوي - شهاب الدين أحمد بن حجر - في صرفية خانكاة بيبرس، وغيرهم كذلك، وأهل كل جامع ومشهد وخانكاه كذلك، حتى اشتد حر النهار، انصرفوا، وركب الوزير بعدهم قبيل نصف النهار إلى منزله، فكان يوماً مشهوداً، لم ندرك مثله، إلا أنه بخلاف ما كان عليه السلف الصالح، فقد خرج الإمام أحمد - عن شهر بن حوشب - في حديث طاعون عمواس^(١) أن أبا عبيدة بن الجراح قام خطيباً، فقال: «أيها الناس، إن هذا الوجود رحمة من ربكم، ودعوة نبيكم، وموت الصالحين قبلكم، وأن أبا عبيدة يسأل الله أن يقسم لنا حظاً منه» فطعن، فمات. واستخلف معاذ بن جبل، فقام خطيباً بعده، فقال: «أيها الناس، إن هذا الوجود رحمة من ربكم، ودعوة نبيكم، وموت الصالحين قبلكم، وأن معاذاً يسأل الله أن يقسم لآل معاذ حظه منه» فطعن ابنه عبد الرحمن، فمات. ثم قام فدعا ربه لنفسه، فطعن في راحته. ولقد رأيت ينظر إلى السماء، ثم يقبل كفه ويقول: «ما أحب أن لي بما فيك شيئاً من الدنيا» ومات. فاستخلف عمرو بن العاص، فذكر الحديث. فهذه أعزك الله أفعال الصحابة. وقد عكس أهل زماننا الأمر، فصاروا يسألوا الله رفعه عنهم.

ومن غريب ما وقع في هذا الطاعون أن رجلاً له أربعة أولاد أراد ختانهم وعمل لهم مجتمعاً، بالغ في عمل الأطعمة ونحوها لمن دعاه، يريد بذلك تفريح أولاده وأهله قبل أن يأتيهم الموت، وقدمهم واحداً واحداً ليختنوا، وهم يسقون الأولاد الشراب المذاب بالماء على العادة، فمات الأربعة في الحال عقيب اختنائهم، والناس حضور. فاتهم أباهم الختان أنه سمهم، فجرح نفسه بالموسى الذي ختنهم به ليبرئ نفسه فانقلب الفرح مأمناً، وبينما هم في ذلك، إذ ظهر أن الزير الذي عندهم فيه الماء الذي أخذوا منه ومزجوا به الشراب الأطفال، فيه حية ميتة. تنوعت الأسباب والداء واحد.

وقدم الخبز بحدوث زلزلة عظيمة ببلاد الروم، حدثت يوم كسف الشمس. خسف منها قدر نصف مدينة أرزنكان، هلك فيها عالم كثير، وانهدم من مباني القسطنطينية شيء كثير، وكان ابن عثمان قد بنى في برصا قيسارية^(٢) وعدة حوانيت، خسف بها

(١) انظر: تاريخ الطبرى ٥/ ٢٥١٦ وما بعدها، الكامل ٢/ ٥٥٨ وغيرها.

(٢) قيسارية: مدينة كبيرة عظيمة في بلاد الروم وهي كرسى ملك بنى سلجوق ملوك الروم

أولاد قليج أرسلان. انظر: معجم البلدان ٤/ ٤٢١.

وبما حولها، فهلك خلق كثير، لم يسلم منهم أحد. وأن الرباء عم أهل إقريطش^(١) والبندقية من بلاد الفرنج، حتى خلتا، وأن الفرنج قد اجتمعوا لحرب ابن عثمان متملك برصا.

وفي ثاني عشرينه: أنزل بالهروى مع معتقله بالبرج، مع الأمير التاج إلى المدرسة الصالحية بين القصرين، وقد اجتمع قضاة القضاة الثلاث عند شيخ الإسلام قاضى القضاة جلال الدين البلقينى بقاعته منها، فأوقف الهروى تحت حافة الإيوان، وادعى الأمير التاج عليه عند الشيخ شهاب الدين أحمد بن حجر - بحضرة القضاة - بما ثبت عليه عنده فى مجلس السلطان، فأجاب بأن ما ثبت عليه قد أدى بعضه، وأنه يحمل باقيه قليلا قليلا، فطلب التاج حكم الله فيه، فأمر بسجنه، حتى يؤدى ما عليه، فأخرج به إلى قبة الصالح^(٢) فسجن بها، ووكل به جماعة يحفظونه. فأقام إلى ثامن عشرينه، ونقل من القبة إلى قلعة الجبل من كثرة شكواه، بأنه يمر به من سب الناس ولعنهم له، ما لا يحتمل مثله، وأنه لا يأمن أن يفتك الناس به لكرهتهم فيه، فعندما صار بجامع القلعة، نقل للتاج أن الهروى ما أراد بتحوله من القبة إلى القلعة إلا القرب من خواص السلطان، ليتمكن منهم، حتى يشفعوا له عند السلطان فى خلاصه، فبادر ونقله من جامع القلعة إلى موضع يشرف على المطبخ السلطانى.

وقدم الخبير برحيل ابن السلطان من حلب، ودخل إلى مدينة قيسارية الروم، فى يوم الخميس تاسعه، فحضر إليه أكابرها من القضاة والمشايخ، والصوفية، وتلقوه، فألبسهم الخلع، وطلع قلعتها فى يوم الجمعة، وخطب فى جوامعها للسلطان، وضربت السكة باسمه. وأن شيخ جلبي نائب قيسارية تسحب قبل وصوله إليها، وأنه خلع على الأمير محمد بك قرمان، وأقره فى نيابة السلطنة بقيسارية الروم فدقت البشائر بقلعة الجبل، وفرح السلطان بأخذ قيسارية، فإن هذا شىء لم يتفق للملك من ملوك الترك بمصر، سوى للظاهر بيبرس، ثم انتقض الصلح بينه وبين أهلها.

(١) إقريطش: جزيرة فى البحر الشامى، وهى جزيرة عامرة كثيرة الخصب وبها مدن عامرة ودورها خمسة عشر يوماً وبينها وبين ساحل البحر يوم وليلة، وقال هرشيوش: طولها مائة واثنان وسبعون ميلاً فى عرض خمسين ميلاً، وقال آخرون: طولها من الشرق إلى الغرب ثلاثمائة ميل، ويقال هى بجرمان ونصف وبينها وبين الأرض الكبيرة ستون ميلاً من ناحية الغرب ومن شرقيها إلى الأرض الكبيرة يومان، والأرض الكبيرة هى أرض الروم التى تتصل ببلاد الشام. انظر الروض المعطار ٥١، نزهة المشتاق ١٩٣، وصبح الأعشى ٣٧١/٥.

(٢) تقع بجوار المدرسة الصالحية. انظر: المواعظ والاعتبار ٢ / ٣٧٤.

شهر جمادى الأولى، أوله السبت:

فيه بلغت عدة من يرد الديوان من الأموات سبعة وسبعين، وكان عدة من مات بالقاهرة وورد اسمه إلى الديوان من العشرين من صفر إلى سلخ شهر ربيع الآخر - أمسه - سبعة آلاف وستمئة واثنين وخمسين: الرجال ألف وخمسة وستون رجلاً، والنساء ستمائة وتسعة وستون امرأة، والصغار ثلاثة آلاف وتسعمائة وتسعة وستون صغيراً، والعييد خمسمائة وأربعة وأربعون، والإماء ألف وثلاثمائة وتسع وستون، والنصارى تسعة وستون، واليهود اثنان وثلاثون، وذلك سوى المارستان، وسوى ديوان مصر، وسوى من لا يرد اسمه إلى الديوانين، ولا يقصر ذلك عن تمة العشرة آلاف.

ومات بقرى الشرقية والغربية مثل ذلك وأزيد^(١).

وفي يوم الأحد ثانيه: ولد الأمير أحمد ابن السلطان من زوجته سعادات^(٢).

وفيه رسم بإخلاء حوش العرب تحت القلعة، مما يلي باب القرافة، فأخرج منه عرب آل يسار بجرهم وأولادهم، ووقع الشروع فى عمارته.

وفي ثالثه: خلع على الشيخ شهاب الدين أحمد بن حجر، واستقر مدرس الشافعية بالجامع المؤيدى، واستقر الشيخ يحيى بن محمد بن أحمد العجيسى البجائى المغربى النحوى فى تدريس المالكية، واستقر الشيخ عز الدين عبد العزيز بن على بن العز البغدادى فى تدريس الحنابلة، وخلع عليهم بمحضرة السلطان، ونزلوا ثلاثهم.

وفي سادسه: استدعى السلطان الأطباء، وأوقفهم بين يديه، ليختار منهم من يوليه رئاسة الأطباء، فتكلم سراج الدين عمر بن منصور بن عبد الله البهادرى الحنفى، ونظام الدين أبو بكر محمد بن عمر بن أبى بكر، الهمدانى الأصل، البغدادى المولد، ومولده بها فى شعبان سنة سبع وخمسين وسبعمائة، وقد استدعاه السلطان من دمشق، فقدم إلى القاهرة فى شهر ربيع الآخر، وادعى دعوى عريضة فى علم الطب، والنجامة، فظهر البهادرى عليه بكثرة حفظه واستحضاره، وكاد يروج، لولا ما رمى به عند السلطان من أنه لا يحسن العلاج، وأنه مع علمه، يده غير مباركة، ما عالج مريضاً إلا مات من مرضه، فانحل السلاح عنه، وصرههم من غير أن يختار منهم أحداً.

وفي سابعه: استدعى بطرك النصارى، وقد اجتمع القضاة ومشايخ العلم عند السلطان، فأوقف على قدميه، ووبخ وقرع، وأنكر عليه ما بالمسلمين من الذل فى بلاد

(١) انظر: النجوم الزاهرة ١٣ / ٢٩، ٢٣٠.

(٢) هى حَوْنَد سعادات بنت الأمير صرغتمس. انظر: النجوم الزاهرة ١٣ / ٢٣٠.

الحبشة، تحت حكم الحطى^(١) متملكها، وهدد بالقتل، فانتدب له محتسب القاهرة صدر الدين أحمد بن العجمي وأسمعه المكروه له من أجل تهاون النصارى فيما أمروا به من التزام الذلة والصغار فى ملبسهم وهياتهم، وطال الخطاب فى معنى ذلك إلى أن استقر الحال على أن لا يباشر أحد من النصارى فى ديوان السلطان، ولا عند أحد من الأمراء، ولا يخرج أحد منهم عما يلزموا به من الصغار، ثم طلب السلطان بالإكرام فضائل النصرانى كاتب الوزير، وكان قد سجن منذ أيام، فضره بالمقارع وشهره بالقاهرة، عرياناً بين يدي المحتسب، وهو ينادى عليه «هذا جزاء من يباشر من النصارى فى ديوان السلطان». ثم سجن بعد إشهاره، فانكف النصارى عن مباشرة الديوان ولزموا بيوتهم، وصغروا عمائمهم، وضيقوا أكمامهم، والتزم اليهود مثل ذلك، وامتنعوا جميعهم من ركوب الحمير فى القاهرة، فإذا خرجوا من القاهرة ركبوا الحمير عرضاً، وأنف جماعة من النصارى الكتاب أن يفعلوا ذلك، وبذلوا جهودهم فى السعى، فلما لم يجابوا إلى عودهم إلى ما كانوا عليه، تتابع عدة منهم فى إظهار الإسلام، وصاروا من ركوب الحمير إلى ركوب الخيول المسومة، والتعاضم على أعيان أهل الإسلام، والانتقام منهم بإذلالهم، وتعويق معاليمهم ورواتبهم، حتى يخضعوا لهم، ويترددوا إلى دورهم، ويلحوا فى السؤال لهم، ولا قوة إلا بالله^(٢).

وفيه قدم الخبير بتوجه ابن السلطان من مدينة قيسارية إلى جهة قونية^(٣) فى خامس عشر شهر ربيع الآخر، بعدما مهد أمور قيسارية، ورتب أحوالها، ونقش اسم السلطان على بابها وأن الأمير تنبك ميق نائب الشام، لما وصل إلى العمق، حضر إليه الأمير حمزة ابن رمضان بجمائعه من التركمان، وتوجه معه هو - وابن أرزر - إلى قريب المصيصة^(٤)، وأخذ أذنة وطرسوس^(٥).

وفى ثامنه: عملت عقيقة الأمير أحمد ابن السلطان، وخلع على الأمراء، وأركبوا الخيول بالقماش الذهب على العادة.

وفيه قدم الأمير أظنبا المرقبى حاجب الحجاب، والأمير أبو بكر الأستادار، من الوجه القبلى، وخلع عليهما.

(١) هو لقب ملك الحبشة الأكبر. انظر: صبح الأعشى ٥ / ٣٢٢.

(٢) انظر: النجوم الزاهرة ١٣ / ٢٣٠، ٢٣١.

(٣) سبق ترجمتها.

(٤) هى مدينة على شاطئ نهر جيحان من ثغور الشام بالقرب من طرسوس.

(٥) انظر: النجوم الزاهرة ١٣ / ٢٣٢.

وفيه نادى المحتسب فى شوارع القاهرة ومصر بأن النصارى واليهود لا يمرون فى القاهرة إلا مشاة، غير ركاب، وإذا ركبوا خارج القاهرة، فليركبوا الحمير عرضاً، ولا يلبسوا إلا عمام صغيرة الحجم، وثياباً ضيقة الأكمام، ومن دخل منهم الحمام فليكن فى عنقه جرس، وأن تلبس نساء النصارى الأزرق، ونساء اليهود الأزرق الصفر، فضاقتوا بذلك، واشتد الأمر عليهم، فسعوا فى إبطاله سعياً كبيراً، فلم ينالوا غرضاً، وكبست عليهم الحمامات، وضرب جماعة منهم لمخالفته، فامتنع كثير منهم عن دخول الحمام، وعن إظهار النساء فى الأسواق.

وفيه أحضر إلى السلطان ما قدم به الأمير أبو بكر الأستادار من أموال هوارة، وهو مائتا فرس، وألف جمل، وستمائة رأس جاموس، وألف وخمسمائة رأس بقر، وخمسة عشر ألف رأس من الغنم الضأن، وذلك سوى ما تفرق فى الأيدى، وسوى ما هلك واستهلك، وهو كثير جداً، وقد اختل بهذه النهبات إقليم مصر خللاً فاحشاً، فإن الصعيد بكماله قد أقفر من المواشى، وإذا أخذت منه رميت على أهل الوجه البحرى بأعلى الأثمان، فتجحف بهم.

وفى هذه الأيام: كثر تسخير الناس فى العمل بحوش العرب تحت القلعة وتبعهم أعوان الوالى فى الطرقات، حتى قل سعى الناس فى الطرقات ليلاً.

وفيه شرع السلطان فى حفر صهريج بجوار خانكاه بيبرس.

وفى ثالث عشره: درس الشيخ شهاب الدين أحمد بن حجر بالجامع المؤيدى.

وفيه تشاجر الصاحب بدر الدين بن نصر الله، والأمير أبو بكر الأستادار بين يدى السلطان، وتفاحشاً، فكثر الإرجاف بهما.

وفى نصفه: رسم أن لا يسخر أحد من العامة فى العمل بحوش العرب، فأعفوا وخلص كثير من العمامة.

وفى تاسع عشره: خلع على الوزير والأستادار، بعدما التزما أن يحملوا ألف دينار، فلما نزلا، وزعا ذلك على من تحت أيديهما، فعمت هذه البلية جماعة كثيرة بالقاهرة والأرياف.

وفى ثالث عشرينه: لم يشهد السلطان الجمعة، لانتقاض ألم رجله، ولزم الفراش.

وفى رابع عشرينه: وصل محمد بن بشارة - شيخ بلاد صفد فى الحديد وكان قد خرج عن طاعة السلطان، فتطلبه زماناً، وأزعجه من بلاد صفد إلى أن ترامى بدمشق

على الأمير ناصر الدين محمد بن منجك أحد خواص السلطان وقدم عليه فى سابع صفر، وقد بعث إليه بأمان السلطان، وخلع عليه، وأنزله فلما ظن أنه آمن، تصرف فى أشغاله، وركب فى أرجاء دمشق. فبينما هو فى ذات يوم قد وقف بسوق الخيل - هو وابن منجك - إذ دعاه إلى الدخول على الأمير نكباى نائب الغيبة بدمشق، فدخل معه إليه، ووقف أصحابه - وهم نحو العشرين - على خيولهم، خارج باب السعادة، فما هو إلا أن استقر بابن بشارة المجلس، أشار ابن منجك إلى نكباى بطرفه أن اقبضه، فأحيط به، فأخذ ليدفع عن نفسه، وسل سيفه، فقبض عليه، فسل خنجره، وجرح به من تقدم إليه، فتكاثرت السيوف على رأسه، وأخذ، وقيد، وقبض على العشرين من أصحابه، ووسط منهم أربعة عشر، واعتقل أربعة مع ابن بشارة، ثم حمل محتفظاً به، فاعتقل.

وفى سابع عشره: أخذ قاع النيل فجاء أربعة أذرع، تنقص إصبعين. ونودى بزيادة ثلاثة أصابع.

وقدم الخير بأن ابن السلطان وصل إلى نكدة^(١) فى ثامن عشر شهر ربيع الآخر، فتلقاه أهلها، وقد عصت عليه قلعتها، فنزل عليها وحصرها، وركب عليها المنجنيق، وعمل النقبابون فيها، وأن محمد بن قرمان تسحب من مدينة نكدة فى مائة وعشرين فارساً، هو وولده مصطفى^(٢).

وفى سلخه: رسم للأمير التاج الشويكى أن يتوجه إلى البلاد الشامية، مبشراً بولادة الأمير أحمد ابن السلطان، فسار من غده.

شهر جمادى الآخرة، أوله الأحد:

أهل والسلطان ملازم الفراش، وقد تزايد ألمه، والأسعار مرتفعة، والخبز يعز وجوده بالأسواق أحياناً، لكثرة اختزان الغلال، طلباً للزيادة فى أسعارها.

وفى خامسه: أفرج عن شمس الدين محمد الهروى، ونزل إلى داره فى هيئة جميلة.

وفى ثانى عشره: قدم الخير بأن ابن السلطان حاصر قلعة نكدة سبعة وعشرين يوماً، إلى أن أخذها عنوة، فى رابع عشر جمادى الأولى، وقبض على من فيها وقيدهم، وهم مائة وثلاثة عشر رجلاً، ثم توجه فى سادس عشره إلى مدينة لارنده.

(١) على هامش ط: نكدة أو نكداء مدينة قديمة صغيرة، بينها وبين قيسارية ثلاثة أيام. انظر معجم البلدان.

(٢) انظر: النجوم الزاهرة ١٣ / ٢٣٣.

وفي سادس عشره: استدعى قاضى القضاة شمس الدين محمد الديرى الحنفى - محتسب القاهرة - صدر الدين أحمد بن العجمى طلباً مزعجاً، لما بلغه أنه انتقص عبد الله بن عباس رضى الله عنهما، فأوقفه بين يديه، وادعى عليه مدع أنه قال: «وإيش هو عبد الله بن عباس بالنسبة إلى الإمام أبى حنيفة رحمه الله، فأمر به فسجن بالمدرسة الصالحية حتى تقام عليه البينة بذلك، وكان سبب هذا أن السلطان لما اشتد به المرض، أفتاه بعض الفقهاء أن يجمع بين كل صلاتين ما دام مريضاً، فلما فعل ذلك أنكره صدر الدين على مقتضى مذهبه، وهو المنع من الجمع بين الصلاتين فى المرض والسفر، وقال للسلطان: «مذهبك حنفى، ولا يجوز تقليدك غير مذهب أبى حنيفة»، فناظره بعض من هناك على جواز الجمع، وأنه ثبت فى صحيح مسلم وغيره، وقد ذهب عبد الله بن عباس إلى الجمع بين الصلاتين فى الحضر من غير عذر، واختار طائفة من أهل العلم الجمع فى حال المرض، فلم يحسن الرد، وقال فى مسلم عدة أحاديث غير صحيحة، وأخذ فى تفصيل أبى حنيفة بما نسبوه فيه إلى غرضه من ابن عباس وترجيح أبى حنيفة عليه، فشنعوا عليه ذلك، وقد حرك منهم أحقاداً فى أنفسهم أنتجها جرأته وإقدامه، حتى رسم السلطان بإمضاء حكم الشرع فيه، فكان ما ذكر.

وفي سابع عشرينه: ركب السلطان من القلعة، يريد النزول بدار ابن البارزى على النيل^(١) فلم يطق حركة الفرس لما به من الألم، فركب المحفة إلى البحر وحمل منها على الأعناق حتى وضع على فراشه، ونقل حرمه معه، ونزل الأمراء فى عدة من دور الناس التى حوله، وصارت الطبلخاناه تدق هناك، وتمد الأسمطة، وتعمل الخدمة على ما جرت به العادة فى القلعة، ولم نعهد بمصر نظير هذا^(٢).

وفي تاسع عشره: طلب صدر الدين المحتسب من الصالحية إلى بيت ابن الديرى، ليعززه، فسار ماشياً ومعه من العامة خلائق لا يحصى عددها إلا الذى خلقها، وقد تعصبوا له، وجهروا بسب من يعاديه ويعانده، حتى دخل إلى بيت الديرى، فأدبه بما اقتضاه رأيه من غير إقامة بينه عليه. ثم أفرج عنه، فترك الحكم، والنظر فى أمر الحسبة إلى أن خلع عليه فى ثالث عشرينه ببيت كاتب السر بين يدى السلطان، فسر الناس به سروراً كبيراً.

شهر رجب، أوله الثلاثاء:

أهل والسلطان فى بيت ابن البارزى كاتب السر، وينتقل منه وهو محمول على

(١) تقع على النيل ببولاق. انظر: النجوم الزاهرة ١٣ / ٢٣٣.

(٢) انظر: النجوم الزاهرة ١٣ / ٢٣٣.

الأعناق، تارة إلى الحمام التي بالحكر، وتارة حتى يوضع بالحراقة، ويسير فيها على النيل إلى رباط الآثار النبوية، ثم يحمل من الحراقة إلى الرباط، وتارة يسير فيها إلى القصر من بحر منبابة. وتارة يقيم بالحراقة وهي بوسط النيل نهاره.

ووافى أول مسرى، والنيل على عشر أذرع وستة عشر إصبعًا، والقمح من مائتين وخمسين درهماً الأردب إلى دونها، والشعير بمائة وثمانين الأردب فما دونها. والشعير والفول بمائة وسبعين وما دونها كل أردب.

وفي ثاني عشره: قدم الخير بأن ابن السلطان لما تسلم نكدة، استتاب بها على باك ابن قرمان، ثم توجه بالعساكر إلى مدينة أركلى ومدينة لارنדה^(١) في سادس عشر جمادى الأولى، فوصل إلى أركلى^(٢) في ثامن عشره، ثم سار منها إلى لارنדה فقدمها في ثامن عشرينه. وبعث الأمير يشبك اليوسفى نائب حلب، فأوقع بطائفة من التراكمين، وأخذ أغنامهم وجمالهم وحيولهم وموجودهم. وعاد فبعث الأمير ططر والأمير سودن القاضى نائب طرابلس، والأمير شاهين الزردكاش نائب حماة، والأمير مراد خجا نائب صنفد، والأمير أينال الأزعرى، والأمير جليان رأس نوبة، وجماعة من التركمان، فكبسوا على محمد بن قرمان بجبال لارنדה فى ليلة الجمعة سادس جمادى الآخرة، ففر منهم وأخذ جميع ما فى وطاقه من خيل وجمال وأغنام وأثقال، وعادوا. فتوجه يريد حلب فى تاسعه، فجهز السلطان إليه ستة آلاف دينار ليفرقها على الأمراء، ويقيم بحلب لعمارة سورها

وفى رابع عشره: تحول السلطان من بيت ابن البارزى إلى بيت نور الدين الخروبى التاجر بساحل الجيزة تجاه المقياس. وكان فى مدة إقامته ببيت ابن البارزى قد أحضر الحرايق من ساحل مصر إلى ساحل بولاق، وزينت بأفخر زينة وأحسنها. وصار السلطان يركب فى الحراقة الذهبية، وبقية الحرايق سائرة معه، مقلعة ومنحدرة، وتلعب بين يديه أحياناً. والناس على اختلاف طبقاتهم مجتمعون للتفرج، فلا ينكر على أحد منهم، ثم تقدم إلى المماليك السلطانية بلعب بكر الأيام على شاطئ النيل، وهو يشاهدها، ومع ذلك فإنه لا ينهض أن يقوم، بل يحمل على الأعناق، فمرت للناس ببولاق فى تلك الأيام والليالى أوقات لم نسمع بمثلهما. ولم يكن فيها - بحمد الله -

(١) تقع فى آسيا الصغرى من بلاد الروم، وهى مركز قضاء قونية. انظر: صبح الأعشى

(٢) هى مدينة مرقلة ببلاد الروم، وهى فى شرقى نهر ينزل من جبل العلانيا إلى نحو سنوب، وهرقلة عليه فى قرب البحر. انظر: معجم البلدان، صبح الأعشى ٣٣٣/٥، بلدان الخلافة الشرقية.

شئ مما ينكر، كالخمر ونحوها، لإعراض السلطان عنها. فلما نزل بالخرسانية أرست الحرايق بساحل مصر - كما هي عاداتها - إلى أن كان يوم الوفاء، في سادس عشره، ركب السلطان من الخروبية في الحراقة على النيل إلى المقياس، ثم إلى الخليج، حتى فتح على العادة. وتوجه على فرسه في الموكب إلى القلعة، فكانت غيبته عنها في تنزهه ثلاثين يوماً. وبلغ مقدار ما حملة الأمير أبو بكر الأستادار إلى السلطان منذ باشر إلى آخر هذا الشهر مائة ألف دينار، وستة وعشرين ألف دينار، كلها من مظالم العباد، ما منها دينار إلا وتلف بأخذه عشرة، وتخرّب بجبايته من أرض مصر ما يعجز القوم عن عمارته. ولو شاء ربك ما فعلوه^(١).

وقدم الخبر بوصول ابن السلطان إلى حلب في ثالث رجب، وأن الأمير تنبك ميق العلائي نائب الشام واقع مصطفى بن محمد بن قرمان^(٢)، وإبراهيم بن رمضان، على أذنه، فانهزما منه، وأن يشبك الدوادار - الفار من المدينة النبوية - أقام ببغداد، عند شاه محمد بن قرا يوسف، منذ قدم عليه، ثم فر منه ولحق بقرا يوسف، لما بينه وبين ابنه شاه محمد من التنكر.

وقدم الخبر من الإسكندرية بتجمع العامة في سادس عشرينه، وأنهم أخذوا السلاح والأحجار وكسروا للفرنج ثلثمائة بنية^(٣) خمر، ثمها عندهم أربعة آلاف دينار. ثم مالوا على جميع بيوتهم ومخازنهم، فأراقوا ما فيها من الخمر ونهبوها. وتعرضوا لنهب بيوت القزازين، وأراقوا ما وجدوا فيها من الخمر، فكان يوماً مشهوداً. ولم يعلم لهذه الفتنة سبب.

شهر شعبان. أوله الأربعاء.

في ثامنه: كان نوروز القبط. والنيل على ثمانية عشر ذراعاً تنقص أصبعاً، فلما فتح بحر أبي المنجا، فقص النيل عشر أصابع. وارتفعت الأسعار فبلغ القمح ثلاثمائة درهم الأردب، وزاد سعر اللحم وغيره. وسببه قلة الغلال بالوجة القبلى من خسة وقوعها بعد حصادها، ثم كثرة قطاع الطريق فى النيل وأخذهم المراكب الموسقة بالغلال ونحوها، مع كثرة ما حمل من الغلال إلى الحجاز، لشدة الغلاء به، وشرة أهل الدولة وأتباعهم فى الفوائد، واختزانهم الغلال طلباً للزيادة فى أسعارها.

(١) انظر: النجوم الزاهرة ١٣ / ٢٣٣، ٢٣٤.

(٢) فى النجوم «واقع مصطفى أبان محمد بن محمد بن قرمان، وإبراهيم بن رمضان على أذنة فانهزموا منه

أقبح هزيمة» ١٣ / ٢٣٦.

(٣) هو إناء يشبه البرميل.

فلما كان يوم الخميس سادس عشره: نودى على النيل بزيادة أصبعين بعد رد النقص، فسكن بعض قلق الناس، وتيسر وجود الأخباز بالسواق.

وفي عشرينه: قدم الأمير التاج الشويكى من الشام.

وفيه تزايد ألم السلطان، ولم يحمل إلى القصر، واستمر به المرض واشتد^(١).

وفي ثالث عشرينه: خلع على الأمير التاج، واستقر أمير الحاج.

وفي خامس عشرينه: برز مرسوم السلطان ألا يصرف لأحد من غلمان البيوتات السلطانية، ولا غلمان الأمراء جراية من الخبز. ورسم لجميع مباشرى الأمراء بذلك، فالتزموه. وكان يصرف قديماً مستمرا عادة لكل غلام رغيفان فى اليوم. ورسم أيضاً أن تكون جامكية الساييس على الفرسين ثلاثمائة درهم فى الشهر، وجامكية على الفرسين والبغل ثلاثمائة وخمسين، من غير جراية خبز.

وفيه ابتدأ نقص النيل، وهو ثامن عشر توت، وقد انتهت زيادته إلى ثمانية عشر ذراعاً ونصف.

وفي سابع عشرينه: ركب السلطان سحراً ومعه الأمراء والماليك، ووقف بهم تحت قبة النصر^(٢). وقد بعث أربعين فرساً إلى بركة الحجاج فأجريت منها، وأتته ضحى النهار، فعاد من موقفه بقبة النصر إلى تربة الظاهر برقوق، ووقف قريبا منها دون ساعة. ثم بعث الماليك والجنائب والشطفة^(٣) إلى القلعة، وتوجه إلى خليج الزعفران^(٤)، فنزل بخاصته، ثم عاد من آخر النهار إلى القلعة.

وفي سلخه: ركب أيضا إلى بركة الحبش، وسابق بالهجن. ونظر فى عليق الجمال، واستكثره، فرسم أن يصرف نصف عليقة لكل جمل.

وفي هذا الشهر: سرق الفرنج البنادقة من الإسكندرية رأس مرقص الإنجيلي - أحد من كتب الإنجيل - فغضب اليعاقبة من النصارى وأكبروا ذلك، وعدوه وهنأ فى دينهم. وذلك أنهم لا يولون بطركاً إلا ويمضى إلى الإسكندرية، وتوضع هذه الرأس فى

(١) انظر النجوم الزاهرة ١٣ / ٢٣٦.

(٢) زاوية كان يسكنها الفقراء من العمم فى الصحراء تحت الجبل الأحمر.

(٣) من الشعائر السلطانية فى عصر سلاطين الماليك؛ وهى أشبه بالراية أو العلم ترفع على رأس

السلطان.

(٤) كان يقع بأطراف الريدانية، وهى العباسية حالياً.

حجره، زعمًا منهم أن البطركية لا تتم بدون ذلك، وقد اقتضت في تاريخ مصر الكبير المقفى أخبار المرقص هذا، فانظره في حرف الميم، تجده.

شهر رمضان، أوله الخميس.

أهل هذا الشهر والناس في قلق، لنقص النيل قبل أوائه. وأسعار الغلال مرتفعة. والسلطان بحاله من المرض، إلا أنه تناقص. وقدم الخير بأن ابن السلطان رحل من حلب في رابع عشرين شهر شعبان. وأن محمد بن قرمان، وولده مصطفى، وإبراهيم بن رمضان، وصلوا إلى قيسارية، في سادس عشر شعبان، وحصروا الأمير ناصر الدين محمد بن دلغادر نائبها، فقاتلهم، وكسرههم، ونهب ما معهم. وقتل مصطفى، وحملت رأسه، وقبض على أبيه محمد بن قرمان، فسجن. وقدم رأس مصطفى بن محمد بك بن قرمان إلى القاهرة في يوم الجمعة، سادس عشر شهر رمضان، وطيف به ثم علق على باب النصر. وكانت العادة أن تعلق الرعوس على باب زويلة. فلما أنشأ السلطان الملك المؤيد الجامع بجوار باب زويلة، منع من تعليق الرعوس هناك، فعلقت على باب النصر. ودقت البشائر عند قدوم الرأس. وكان من خبره أن الأمير ناصر الدين محمد بك بن على بك بن قرمان، اقتتل مع الأمير ناصر الدين محمد بن دلغادر نائب مدينة أبلستين^(١)، فكاده ابن دلغادر بأن تأخر عن بيوته، فنهبها ابن قرمان. فرد عليه ابن دلغادر، وقتل ابنه الأمير مصطفى، بعدما عورت عينه، ففر ناصر الدين إلى مغارة، ومعه بعض من يثق به، فدل عليه رجل نصراني. فأخذه ابن دلغادر وبعث به، وبرأس ابنه مصطفى. وفر إبراهيم بن ناصر الدين محمد بن قرمان، إلى بلاده^(٢).

وفيه قدم الخير بمسير ابن السلطان من حلب، و قدومه دمشق في خامسه.

وفي سابع عشرينه: ركب السلطان إلى لقاء ولده، وقد وصل قطيا^(٣). فاصطاد بركة الحاج، ومضى إلى بلييس. فقدم الخير بنزول الابن الصالحية. فتقدم الأمراء وأهل الدولة، فوافوه بالخطارة^(٤). فلما عاين ابن البارزى كاتب السر، نزل له، وتعانقا. ولم ينزل لأحد من الأمراء غيره، لما يعلم من تمكنه عند أبيه. ثم عادوا معه إلى العكرشة، والسلطان على فرسه. فنزل الأمراء وقبلوا الأرض. ثم نزل المقام الصارمى، وقبل

(١) سبق ترجمتها.

(٢) انظر النجوم الزاهرة ١٣ / ٢٣٦.

(٣) سبق ترجمتها.

(٤) قرية من أعمال الشرقية بين السعودية والصالحية. انظر: القاموس الجغراف ١ / ١١٢، القسم

الأرض. ثم قام ومشى حتى قبل الركاب، فبكى السلطان من فرحه به، وبكى الناس لبكائه، فكانت ساعة عظيمة. ثم ساروا بموكبيهما إلى المنزلة من سرياقوس^(١) وباتا بها ليلة الخميس تاسع عشرينه. وتقدمت الأطلاب، والأنتقال، وزين الدين عبد الباسط بن خليل بن إبراهيم الدمشقى، ناظر الخزانة. ودخلوا القاهرة. وركب السلطان آخر الليل، ورمى الطير بالبركة. فقدم الخير بكرة يوم الخميس بوصول الأمير تنبك ميق نائب الشام. وكان قد طلب، فوافى ضحى، فركب فى الموكب. ودخل السلطان من باب النصر، وشق القاهرة، وقد زينت، والأمراء قد لبسوا التشاريف الجليلة. وأركبوا الخيول المسومة بقماش الذهب والمقام الصارمى بتشريف عظيم، وخلفه الأسرى الذين أخذوا من قلعة نكدة وغيرها فى الأغلال والقيود، وهم نحو المائتين، كلهم مشاة، إلا أربعة، فإنهم على خيول، منهم نائب نكدة، وثلاثة من أمراء ابن قرمان، وكلهم فى الحديد. ومضى حتى صعد القلعة، فكان يوماً مشهوداً، أذن بانقضاء الأمر فإنها غاية لم ينلها أحد من ملوك مصر، وعند التناهى يقصر المتطول^(٢).

شهر شوال، أوله السبت.

فيه صلى السلطان العيد بالقصر، لعجزه عن المضى إلى الجامع من شدة ألم رجله، وامتناعه من النهوض على قدميه^(٣). وصلى به وخطب قاضى القضاة جلال الدين البلقيني على عادته، ثم أنشد تقى الدين أبو بكر بن حجة الحموى - على عادته - قصيداً، أبدع فيها ما شاء.

وفى ثالثه: خلع على الأمير جقمق الدوادار، واستقر فى نيابة الشام، عوضاً عن الأمير تنبك ميق. وخلع الأمير مقبل الدوادار الثانى، واستقر دواداراً كبيراً، عوضاً عن جقمق. وأنعم بإقطاع جقمق وإمرته على الأمير تنبك ميق العلامى^(٤).

وفى رابع عشره: خلع على الأمير قطلوبغا التنى، أحد أمراء الألوفا، واستقر فى نيابة صفد، عوضاً عن الأمير مراد خججا. ورسم بنفى مراد خججا إلى القدس. وأنعم بإقطاع التنى على الأمير جلبان أمير أخور ثانى.

وفى سابع عشره: رحل الأمير جقمق سائراً إلى دمشق، بعدما خلفه كاتب السر

(١) سبق ترجمتها.

(٢) انظر: النجوم الزاهرة ١٣ / ٢٣٦، ٢٣٧.

(٣) انظر: النجوم الزاهرة ١٣ / ٢٣٨.

(٤) انظر: النجوم الزاهرة ١٣ / ٢٣٨.

ناصر الدين محمد بن البارزى على العادة، فأركبه فرساً بسرج ذهب وكنبوش ذهب، كما جرت به العادة.

وفي عشرينه: برز الأمير التاج بالمحمل إلى الريدانية ظاهر القاهرة، بعدما خلع عليه خلعة سنية. وتتابع خروج الحاج.

وفي يوم الجمعة حادى عشرينه: نزل السلطان إلى جامع، وقد هيئت المطاعم والمشارب، فمد سماط عظيم، وملئت البركة التى بصحنه سكرًا قد أذيب بالماء، وأحضرت الحلوات، لإجلال قاضى القضاة شمس الدين محمد الديرى الحنفى على سجادة مشيخة الصوفية، وتدريس الحنفية، وخطابة القاضى ناصر الدين محمد بن البارزى كاتب السر. فعرض السلطان الفقهاء، وقرر منهم عند المدرسين السبعة من اختار، ثم أكل على السماط، وتناهبه الناس، وشربوا السكر المذاب، وأكلوا الحلوى. ثم استدعى الديرى وألبس خلعة، واستقر فى المشيخة وتدريس الحنفية. وجلس بالحراب، والسلطان وولده عن يساره، والقضاة عن يمينه، ويليهم مشايخ العلم وأمرء الدولة، فألقى درسًا تجاذب فيه أهل العلم أذيال المناظرة، حتى قرب وقت الصلاة، ثم انفضوا. فلما حان وقت الصلاة صعد ابن البارزى المنبر، وخطب خطبة من إنشائه، بلغ فيها الغاية من البلاغة، ثم نزل فصلى. فلما انقضت الصلاة، خلع عليه، واستقر فى الخطابة، وخزانة الكتب. ثم ركب السلطان، وعدى النيل إلى الجيزة، فأقام إلى يوم الأحد ثالث عشرينه، وعاد إلى القلعة^(١).

وفيه رحل ركب الحاج الأول من بركة الحاج، ورحل التاج بالمحمل من الغد. وفيه سرح السلطان إلى ناحية شيبين القصر^(٢)، وعاد إلى القلعة من الغد. وقدم الخبز أن الغلاء اشتد بمكة، فعدمت بها الأقوات، وأكلت القطط والكلاب، حتى نفدت، فأكل بعض الناس الآدميين، وكثر الخوف منهم، حتى امتنع الكثير من البروز إلى ظاهر مكة خشية أن يؤكلوا.

شهر ذى القعدة، أوله الأحد:

فيه ركب السلطان للصيد.

(١) انظر: النجوم الزاهرة ١٣ / ٢٣٨، ٢٣٩.

(٢) من أعمال القليوبية، وقد كانت مقطعة لجماعة من أكابر المماليك السلطانية وقد اشتهرت بالقناطر التى أنشأها الملك الناصر محمد بن قلاوون سنة ٧٢٥ على بحر أبى المنجا. انظر الانتصار ٤٩/٥.

وفي ثالته: سار الأمير الكبير الطنبغا القرمشى، والأمير طوغان أمير اخور للحج، على الرواحل^(١).

وفي يوم الجمعة سادسه: خلع على زين الدين عبد الرحمن بن علي بن عبد الرحمن التفهني^(٢)، واستقر في وظيفة قضاء القضاة الحنفية، عوضاً عن شمس الدين محمد بن الديري، المستقر في مشيخة الجامع المؤيدي. وكان له من حادى عشرين شوال قد انجم عن الحكم بين الناس ونوابه تقضى^(٣).

وفيه عدى السلطان النيل، يريد سرحة البحيرة. وجعل نائب الغيبة الأمير أينال الأزعري^(٤).

وفي هذا الشهر: تزايد سعر الغلال، فبلغ القمح إلى ثلاثمائة وخمسين درهماً

(١) انظر: النجوم الزاهرة ١٣ / ٢٣٩.

(٢) عبد الرحمن بن علي عبد الرحمن (٧٦٤ - ٩٣٥ هـ = ١٣٦٢ - ١٤٣١ م)، قاضى القضاة «زين الدين أبو هريرة التفهني المصري الحنفى قاضى القضاة» بالديار المصرية قال المصنف: ولد سنة بضع وستين وسبعمائة تخميناً، وقد قام بأمره أخوه الذى عرف بعد ذلك بشمس الدين، وصار من قضاة دمياط، أوقف عبد الرحمن هذا عنده فى طاحون بناحية تفهنا، ثم قدم شمس الدين القاهرة وأقرأ بعض أولاد الأحناد، فقدم عليه أخيه عبد الرحمن هذا عَرِّيف الكتاب، ثم أقرأ هو أيضاً بعض أولاد الأحناد بتلك الجهة، وحفظ كتاب القدورى مذهبه. ا.هـ. كلام المصنف. ثم طلب العلم ولازم خدمة العلامة بدر الدين محمود الكُلسْتَانِي قبل أن يلي كتابة السر وأخذ عنه وعن غيره من علماء عصره حتى برع فى الفقه والأصولين والعربية والتفسير، وتصدر للإفتاء والتدريس سنين، وناب فى الحكم مدة طويلة، ثم ترك ذلك دهرًا، ودرس بالصرغتمشية بالصليبة، ثم ولى القضاء استقلالاً بالديار المصرية فى يوم الجمعة سادس ذى القعدة سنة اثنتين وعشرين وثمانمائة، عوضاً عن قاضى القضاة شمس الدين محمد الديري الحنفى برغبته، فباشر التفهني القضاء مدة إلى أن صرف بقاضى القضاة بدر الدين محمود العينى فى يوم الخميس سابع عشر شهر ربيع الآخر سنة تسع وعشرين وثمانمائة وخلع عليه باستقراره شيخ شيوخ خانقاة شيخو، بعد موت العلامة سراج الدين عمر قارئ الهداية، فدام المذكور معزولاً إلى أن أعيد إلى القضاء بعد عزل العينى فى يوم الخميس سادس عشرين صفر سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة، واستقر صدر الدين أحمد بن العجمى فى مشيخة خانقاة شيخو عوضه، واستمر فى النصب إلى أن مرض، وطال مرضه وعزل بالعينى ثم مات بعد ذلك بأيام يسيرة فى ليلة الأحد ثامن شوال سنة خمس وثلاثين بالقاهرة. وكان فقيها عالماً، متبحراً فى المذهب، بصيراً فى الأحكام إلا أنه كان سعي الخلق. انظر المنهل الصافى ٧ / ١٩١ وما بعدها والدليل الشافى ١ / ٤٠١ العقد الثمين ٥ / ٣٨٨.

(٣) انظر: النجوم الزاهرة ١٣ / ٣٤٠.

(٤) انظر: النجوم الزاهرة ١٣ / ٣٤٠.

الأردب، والشعير إلى مائتين وخمسين، والفول إلى مائتين وعشرة. وذلك أن فصل الخريف مضى ولم يقع مطر بالوجه البحرى، فلم ينجب الزرع، وأتلفت الدودة كثيرا من البرسيم المزروع، حتى أنه تلف بها من ناحية طهرمس^(١) وقرية بجانبها ألف وستمائة فدان. وتلف بعض القمح أيضا. هذا وقد شمل الخراب قرى أرض مصر. ومع ذلك فالأحوال متوقفة، والأسواق كاسدة، والمكاسب قليلة، والشكاية عامة، لا تكاد تجد أحدا إلا ويشكو سوء زمانه. وقد فشت الأمراض من الحميات، وبلغ عدد من يرد الديوان من الأموات نحو الثلاثين فى اليوم. والظلم كثير، لا يتركه إلا من عجز عنه. والعمل بمعاصى الله مستمر. والله عاقبة الأمور.

وفى هذا الشهر: قدم مهنا بن عيسى، وولى إمرة جرم، عوضًا عن على بن أبى بكر بعد قتله. وعاد إلى أرضه. وكان لبسه من المخيم السلطانى.

شهر ذى الحجة، أوله الثلاثاء:

أهل والسلطان بعسكره نازل على تروجة.

وفيه منع صدر الدين بن العجمى محتسب القاهرة النساء من عبور الجامع الحاكى والمرور فيه. وألزم الناس كافة ألا يمرروا فيه بنعالهم، فامتثل ذلك، واستمر. وتطهر المسجد - والله الحمد - من قبائح كانت به بين النساء والرجال، ومن لعب الصبيان فيه، بحيث كان لا يشبه المساجد، فصانه الله بهذا ورفعاه.

وفى خامسه: وردت هدية الأمير على باك بن قرمان - نائب السلطنة بنكدة ولارندة ولؤلؤة^(٢). وقدم الخير بقبض الأمير جقمق نائب الشام على نكبای الحاجب بدمشق، واعتقاله. وانتهى السلطان فى مسيره إلى مريوط. وعاد فأدرکه الأضحى بمنزلة الطرانة. وصلى به العيد وخطب ناصر الدين محمد بن البارزى كاتب السر. وارتمل من الغد، فنزل منبابة بكرة الأحد ثالث عشره. وعدى النيل من الغد إلى بيت كاتب السر المطل على النيل، وبات به. ودخل الحمام التى أنشأها كاتب السر إلى جانب داره، وهى بديعة الزى. ثم عاد فى يوم الإثنين رابع عشره إلى القلعة، وخلع على الأمراء والمباشرين خلعهم على العادة.

(١) طهرمس: قرية بمصر. انظر معجم البلدان ٤ / ٥٢، وهى من أعمال الجيزية. انظر قوانين الدواوين ص ١٦٢.

(٢) لؤلؤة: قلعة قرب طرسوس غزاها الملك المأمون وفتحها. ولؤلؤة الكبير: مسلة كبيرة كانت بدمشق خارج باب الجابية. انظر معجم البلدان ٥ / ٢٦.

وفي ثامن عشره: قرئ تقليد قاضى القضاة زين الدين عبد الرحمن التفهنى الحنفى بالجامع المؤيدى، على ما استقر عليه الحال. وحضر عنده القضاة والأعيان على العادة.

وفي يوم الجمعة ثامن عشره: صلى السلطان الجمعة بالجامع المؤيدى، وخطب به كاتب السر ناصر الدين محمد بن البارزى، وصلى. ثم أكل طعاماً أعد له شيخ الشيوخ شمس الدين محمد الديرى وركب إلى الصيد.

وفي سابع عشرينه: وصل الأمير بكتمر السعدى^(١)، وقد قدم بالأمر شمس الدين محمد باك بن الأمير علاء الدين على باك بن قرمان، صاحب قيسارية وقونية ونكدة ولارنדה، وغيرها من البلاد القرمانية، وهو مقيد، محتفظ به، فأنزل فى دار الأمير مقبل الدوادار، ووكل به.

وفي هذا الشهر: زُلزلت مدينة اصطنبول، وعدة مواضع هناك، حتى كثر اضطراب البحر، وتزايد تزايداً غير المعهود.

* * *

ومات فى هذه السنة من له ذكر

الأمير سيف الدين كزل الأرعون شاوى، نائب الكرك، بعدما عزل، وأنعم عليه بإمرة طبلخاناة بدمشق. فمات فى خامس عشرين المحرم قبل توجهه من مرض طال به مدة^(٢).

(١) بكتمر بن عبد الله السعدى (٨٣١ هـ = ١٤٢٧ م)، الأمير سيف الدين. أحد أمراء الطبلخاناة بالديار المصرية. أصله من ممالك القاضى الأمير سعد الدين إبراهيم بن غراب ودواداره. وإليه ينتسب بالسعدى اشتراه سعد الدين فى صغره، ورباه فى حجر نسائه، وعلمه القرآن، فنشأ على أجمل طريقة وأحسن سيرة من البداية، وطلب العلم والمعرفة بأنواع الفروسية. وترقى بعد موت أستاذه إلى أن صار أمير عشرة، ثم طبلخاناة. وأرسله الملك المؤيد شيخ إلى بلاد اليمن رسولا، فتوجه إلى اليمن، ثم عاد إلى الديار المصرية بعدما أظهر بتلك البلاد من جميل صفاته وغزير عقله وقوة جنانه ما أذهل ملوك اليمن. واستمر على إقطاعه وإمرته إلى أن مات فى يوم الخميس لثلاث عشر مضين من شهر ربيع الأول سنة إحدى وثلاثين وثمانمائة، وسنه زيادة على خمسين سنة تقريباً. ولم يخلف بعده فى أبناء جنسه مثله، ديناً، وعقلاً، وشجاعة، وسوددا وكان رومى الجنس، طوالاً، جميلاً، بجسمًا، ذا قوة مفرطة يضرب بها المثل، ذا شكالة حسنة ولفظ فصيح، بادره الشيب فى مقدم لحيته قديماً. انظر المنهل الصافى ٣/ ٤٠٨، ٤٠٩، الدليل ١/ ١٩٥، والنجوم ١٤/ ٣١٣، عقد الجمان ١٥/ ١٤٧، الضوء ٣/ ١٧، أنباء الغمر ٣/ ٤٠٧، نزهة النفوس ٣/ ١٣٨ بدائع الزهور ٢/ ١٨٨.

(٢) هو الأمير سيف الدين كُزُل بن عبد الله الأرعون شاوى، أحد أمراء الطبلخانات بديار مصر، ثم نائب الكرك، بعد عزله عن نيابة الكرك، وتوجهه إلى الشام على إمرة طبلخانان، بحكم طول مرجه، وكان أصله من ممالك الأمير أرغون شاه، أمير مجلس أيام الملك الظاهر برفوق، وكان عاقلاً ساكتاً. انظر: النجوم الزاهرة ١٣/ ٢٩٥.

ومات الأمير شرف الدين يحيى بن بركة بن محمد بن لاقى الدمشقى، فى يوم الأربعاء حادى عشر صفر، قريباً من غزة، فحمل ودفن بغزة، يوم الجمعة ثالث عشره. وكان أبوه من أمراء دمشق، ونشأ بها فى نعمة، وصار من أمرائها. وقدم القاهرة مراراً، آخرها فى خدمة السلطان الملك المؤيد، وصار من أعيان الدولة بالقاهرة. واستقر مهنداراً، وأستادار النواحي التى أفردها السلطان لعمل غذائه وعشائه. فعرف بأستادار الحلال إلى أن تنكر عليه الأمير جقمق الدوادار، بسبب كلام نقله عنه للسلطان تبين الأمر بخلافه، فرسم السلطان بنفيه من القاهرة، وولى الأمير خُرْزُ مهمندار عوضه، وأخرج من القاهرة على حمار، فمات - كما ذكر - غريباً طريداً^(١).

ومات إبراهيم بن خليل بن علوة، برهان الدين بن غرس الدين الإسكندرى، رئيس الأطباء، ابن رئيسها، فى يوم الإثنين آخر صفر، وكان عارفاً بالطب.

ومات الشيخ محمد بن محمود الصوفى، أحد طلبة الحنفية وفضلاهم، فى ثامن عشرين شهر ربيع الأول. وكان لا يكثر بلبس ولا زى، بل يطرح التكلف، ومتهم بحشيشة الفقراء.

ومات أخى، ناصر الدين محمد بن علاء الدين على بن يحيى الدين عبد القادر بن محمد بن إبراهيم المقرئى، يوم السبت ثالث شهر ربيع الآخر. ومولده يوم الأحد ثالث جمادى الآخرة، سنة اثنتين وسبعين وسبعمائة.

ومات الأمير شهاب الدين أحمد ابن كاتب السر ناصر الدين محمد بن محمد بن عثمان بن البارزى الحموى. يوم الإثنين تاسع عشر ربيع الآخر، وصلى عليه السلطان^(٢).

ومات مجد الدين فضل الله بن الوزير فخر الدين عبد الرحمن بن عبد الرزاق بن إبراهيم بن مكانس، فى يوم الأحد خامس عشرين ربيع الآخر. ومولده فى رابع عشر شهر شعبان سنة سبع - أو تسع - وستين وسبعمائة، على الشك منه. وكان يقول الشعر ويترسل، كتب فى الإنشاء مدة^(٣).

ومات الخواجه نظام الدين مسعود بن محمود الكججاني العجمى، ناظر الأوقاف، فى يوم الأربعاء ثانى عشر جمادى الأولى، وكان قدم إلى دمشق فى زى فقراء العجم

(١) انظر: النجوم الزاهرة ١٣ / ٢٩٥.

(٢) انظر: النجوم الزاهرة ١٣ / ٢٩٧.

(٣) انظر: النجوم الزاهرة ١٣ / ٢٩٥.

المتصوفة، وأقام بها، وصار يلى المدرسة الكججانية التى بالشرف الأعلى، خارج دمشق. فلما قدمها الطاغية تيمورلنك اتصل به، فبعثه فى الرسالة إلى القاهرة، وعاد إليه، وقد أثرى وحسنت حاله، فلم يجد منه إقبالا، وتكر له، فعاد إلى دمشق، وتوجه إلى بلاد الروم، واتصل بالأمير محمد باك بن قرمان، وأقام عنده. ثم قدم القاهرة فى الأيام المؤيدية. واتصل بالسلطان، فولاه نظر الأوقاف فى سنة إحدى وعشرين، وقد تزيا بزى الأجناد، وصار يخاطب بالأمير، فساءت سيرته، وقبحت الأحداث عنه، بأخذ الأموال، حتى ولى الهروى القضاء أخذ منه مالا، وكف يده عن الأوقاف، فشق عليه ذلك، وأطلق لسانه فى الهروى، ورماه بعظائم. ووضع منه بعد ما كان مبالغ فى إطرائه، ويتجاوز الحد فى تعظيمه. ومات على ذلك، بعد مرض طويل.

ومات عز الدين عبد العزيز بن أبى بكر بن مظفر بن نصير البلقينى، أحد خلفاء الحكم بالقاهرة، فى يوم الجمعة ثالث عشرين جمادى الأولى. كان فقيها شافعيًا. عارفاً بالفقه والأصول والعربية، رضى الخلق، ناب فى الحكم من سنة إحدى وتسعين وسبع مائة^(١).

ومات على بن أمير جرم، ببلاد المقدس، فى وقعة بينه وبين محمد بن عبد القادر شيخ جبل نابلس، فى رابع عشر شوال. وكان كثير الفساد.

وقتل أيضًا صدقة بن رمضان، أحد أمراء التركمان، قريباً من سيس، فى شوال.

وقتل بالقاهرة محمد بن بشارة، شيخ جبال صنفد، فى يوم السبت آخر شوال.

ومات الأمير سودن القاضى^(٢)، نائب طرابلس، فى رابع عشر ذى القعدة، ومات الأمير أبو المعالى محمد ابن السلطان، فى عاشر ذى الحجة. ودفن بالجامع المؤيدى.

ومات خضر بن موسى، شيخ عربان البحيرة، فى يوم عيد الفطر. وسَّطه الأمير طوغان التاجى نائب البحيرة.

ومات أحمد بن بدر شيخ عربان البحيرة، فى تاسع شعبان.

(١) انظر: النجوم الزاهرة ١٣ / ٢٩٧.

(٢) هو الأمير سيف الدين سودن بن عبد الله القاضى الظاهرى، نائب طرابلس، وكان أصله من ممالك الملك الظاهر برقوق، وترقى بعد موته الى أن ولى فى الدولة المؤيدية حجووية الحجاب ثم رأس نوبة النوب، ثم قبض عليه، وحبس مدة، ثم أطلقه الملك المؤيد، وولاه كشف الوجه القبلى ثم نقله إلى نيابة طرابلس بعد مسك الأمير برسباى الدقماقى، أعنى الأشراف، فدام على نيابة طرابلس الى أن مات. انظر: النجوم الزاهرة ١٣ / ٢٩٦.

السلوك لمعرفة دول الملوك.....٥١٥

ومات بالتحريرية الشيخ المعتقد أبو الحسن على بن محمد ابن الشيخ كمال الدين
عبد الوهاب، فى المحرم.

* * *

المحتويات

| | |
|-----|---|
| ٣ | سنة اثنتين ومائة |
| ٣٧ | سنة ثلاث ومائة |
| ٧١ | سنة أربع ومائة |
| ٨١ | سنة خمس ومائة |
| ٩٧ | سنة ست ومائة |
| ١١١ | سنة سبع ومائة |
| ١٣٧ | سنة ثمان ومائة |
| ١٤٣ | السلطان الملك المنصور عز الدين أبو العز |
| ١٤٨ | عود السلطان الملك الناصر زين الدين فرج |
| ١٧١ | سنة تسع ومائة |
| ١٨٩ | سنة عشر ومائة |
| ٢٠٣ | سنة إحدى عشره ومائة |
| ٢٢٥ | سنة اثنتين عشره ومائة |
| ٢٥٧ | سنة ثلاث عشره ومائة |
| ٢٨٥ | سنة أربع عشره ومائة |
| ٣١٣ | سنة خمسة عشره ومائة |
| ٣١٩ | الخليفة أمير المؤمنين المستعين بالله أبو الفضل |
| ٣٣٨ | السلطان الملك المؤيد أبو الناصر شيخ الحمودى الظاهرى |
| ٣٤٧ | سنة ست عشره ومائة |
| ٣٦١ | سنة سبع عشره ومائة |
| ٣٧٥ | سنة ثمان عشره ومائة |
| ٤٠٣ | سنة تسع عشره ومائة |
| ٤٢٧ | سنة عشرين ومائة |
| ٤٥٩ | سنة إحدى وعشرين ومائة |
| ٤٨٩ | سنة اثنتين وعشرين ومائة |

السؤال والعلامة

لمعرفة دول الملوك

تأليف
تقي الدين أبي العباس أحمد بن علي بن عبد القادر
العبيدي المقرئ
المتوفى سنة ٨٤٥ هـ

تحقيق
محمد عبد القادر عطا

الجزء الرابع

سنة ٨٢٣ هـ - ٨٤٤ هـ

منشورات

محمد علي بيضون

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

جميع الحقوق محفوظة

جميع حقوق الملكية الادبية والفنية محفوظة لدار الكتب العلمية بيروت - لبنان ويحظر طبع أو تصوير أو ترجمة أو إعادة تنضيد الكتاب كاملاً أو مجزأً أو تسجيله على أشرطة كاسيت أو إدخاله على الكمبيوتر. أو برمجته على اسطوانات ضوئية إلا بموافقة الناشر خطياً.

Copyright ©
All rights reserved

Exclusive rights by DAR al-KOTOB al-ILMIYAH Beirut - Lebanon. No part of this publication may be translated, reproduced, distributed in any form or by any means, or stored in a data base or retrieval system, without the prior written permission of the publisher.

الطبعة الأولى

١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

العنوان : رمل الظريف، شارع البحتري، بناية ملكارت
تلفون وفاكس : ٣٦٤٣٩٨ - ٣٦٦١٣٥ - ٦٠٢١٣٣ (١ ٩٦١) ٠٠
صندوق بريد: ٩٤٢٤ - ١١ بيروت - لبنان

DAR al-KOTOB al-ILMIYAH

Beirut - Lebanon

Address : Ramel al-Zarif, Bohtory st., Melkart bldg., 1st Floore.
Tel. & Fax : 00 (961 1) 60.21.33 - 36.61.35 - 36.43.98
P.O.Box : 11 - 9424 Beirut - Lebanon

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سنة ثلاث وعشرين وثمانمائة

أهلت وخليفة الوقت المعتضد بالله أبو الفتح داود بن المتوكل على الله أبي عبد الله محمد. وسلطان الديار المصرية والبلاد الشامية والحجاز والروم، السلطان الملك المؤيد أبو النصر شيخ محمودى الظاهرى، والأمير الكبير أظنبيغا القرمشى. وأتابك العساكر المقام الصارمى إبراهيم ابن السلطان. وأمير أخور الأمير طوغان. والدوادار الأمير مقبل، من أمراء الطبلخاناه. وأمير سلاح الأمير قجقار القردمى. وأمير مجلس الأمير ططر. ورأس نوبة الأمير أظنبيغا من عبد الواحد، المعروف بالصغير، وحاجب الحجاب الأمير أظنبيغا المرقبى^(١). ونائب الشام الأمير جقمق. ونائب حلب الأمير يشبك اليوسفى. ونائب حماة الأمير شاهين الزردكاش. ونائب صفد الأمير قطلوبغا التمنى. ونائب غزة الأمير أينال السيفى نوروز. ونائب الأبلستين وقيسارية الروم ونكدة ولارندة ولؤلؤة الأمير على باك بن قرمان. ونائب سيسى الأمير بردبك العجمى^(٢).

(١) أظنبيغا بن عبد الله المرقبى المؤيد (٨٤٤ هـ = ١٤٤٠ م)، الأمير علاء الدين. أصله من قدماء مماليك المؤيد شيخ، اشتراه لما كان من جملة أمراء العشرينات وأعتقه، ودام بمخدمته فى أيام تلك الخن والفتن إلى أن تسلطن جعله نائب قلعة حلب، ثم نقله إلى إمرة مائة ألف بعد موت الأمير أقردى المنقار المؤيد فى سنة عشرين وثمانمائة، ثم استقر حاجب الحجاب بالديار المصرية، فدام على ذلك إلى أن تجرد صحبة الأمير الكبير أظنبيغا القرمشى من جملة الأمراء المجردين إلى البلاد الشامية فى سنة ثلاث وعشرين وثمانمائة. ومات الملك المؤيد وهم بتلك البلاد، ووقع ما حكيناه فى غير موضع من القبض على القرمشى وغيره من الأمراء. كان المرقبى هذا من جملة من قبض عليه، ثم أطلق، واستمر بطالا بالقاهرة مدة سنين إلى سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة، وأنعم عليه الملك الأشرف برسباى بإمرة عشرة بعد موت الأميلا تمرز الأعور الحاجب، فاستمر على ذلك إلى أن تجرد صحبة الملك الأشرف إلى آمد، وعاد أيضاً فى ركابة فى سنة سبع وثلاثين. ومات الملك الأشرف برسباى فى ذى الحجة سنة إحدى وأربعين وثمانمائة، والمرقبى هذا على حاله إلى أنعم عليه الملك الظاهر حقمق بإمرة وتقديم ألف بالديار المصرية فى أوائل دولته وعاد فيه الرمق، فإنه كان من جملة الأموات وهو فى قيد الحياة، وكان يمس لطول البطالة من السعادة. ولكن أخذ أمره يتراجع حتى أدركته المنية، فكان حاله كقول القائل: إلى أن يسعد المعتز فرغ عمره. ومات فى يوم الإثنين عاشر شهر رجب سنة أربع وأربعين وثمانمائة بالقاهرة، وأنعم على الأمير طوخ من تمرز ثانى رأس نوبة، المعروف ببني بازق. وكان المرقبى جاركسى الجنس، مدور اللحية، للقصر أقرب، مهملاً جداً، ومات وهو فى السبعين تقريباً. انظر المنهل الصافى ٧٨/٣ وما بعدها.

(٢) بُردبَك بن عبد الله الحكمى، المعروف بالعجمى الأعور (٨٥٥ هـ = ١٤١٥ م)، الأمير =

ونائب طرسوس^(١) الأمير بيكى باك التركمانى، ونائب أبياس الأمير ذرمش. ونائب دوركى ناصر الدين محمد بن شهرى. ونائب ملطية الأمير منكلى بغا الأرغون شاوى. ونائب كختا الأمير كزل بغا. ونائب قلعة الروم^(٢) الأمير آق قجا. ونائب البيرة الأمير أظنبغا الصفوى. ونائب الرها الأمير طور على ابن الأمير عثمان بن طور على، المعروف بقرايلك. ونائب جعير الأمير عمر الجعبرى. ونائب الرحبة الأمير أرغون شاه الشرفى. وأمير مكة المشرفة الشريف حسن بن عجلان. وأمير المدينة النبوية الشريف عزيز بن هيازع. وأمير ينبع الشريف مقبل بن نخباز الحسنى. ونائب الإسكندرية الأمير ناصر الدين محمد بن العطار.

شهر الله المحرم، أوله الأربعاء:

أهل والسلطان فى الصيد، فقدم إلى القلعة. وجلس من الغد - يوم الخميس - بالإيوان المعروف بدار العدل. وحضر الأمراء والقضاة وسائر أرباب الدولة. وأوقفت العساكر من المماليك السلطانية. وأجناد الحلقة، والنقباء، والأوجاقية، صفوفًا من تحت القلعة إلى باب الإيوان. وأحضر بالأمير محمد بن قرمان - وهو مقيد - ومعه داود بن دلغادر، فمرا فى العساكر، ثم فى الطيردارية، والسلاح دارية، وبأيديهم السلاح، حتى دخلا، فمثلا قائمين بين يدي السلطان، وقد جلس على تحت الملك. فأمر بإيقاف

=سيف الدين. أصله من ممالك الأمير حكم من عوض، المتغلب على حلب، وخدم بعد أستاذه عند الأمير تغرى بردى ابن أخى دمرداش - المدعو بسيد الصغير - ولما أن كان بردبك المذكور راكبًا بخدمة الأمير تغرى بردى، وقعت تخفيفة الأمير تغرى بردى المذكور عن رأسه، فأشار لبردبك هذا أن يناوله التخفيفة من الأرض، فأخذ بردبك قوسه من تركاشه، ومال عن فرسه، وأخذ التخفيفة برأس قوسه. فلما رأى الأمير تغرى بردى منه ذلك، وجه التفاته له أخذ الطير وضربه به على وجهه بضربة ذهبت منه عين بردبك المذكور. وتغيرت محاصنه من يومئذ، ثم تنقلت به الأيام. ولى عدة ولايات، ثم صار فى أواخر الدولة الأشرفية حاجب حجاب حلب. ثم نقله الملك الظاهر حقمق إلى نيابة حماة فى سنة إثنين وأربعين وثمانمائة، فدام بها إلى سنة سبع وأربعين وثمانمائة تقريبًا، وقع بينه وبين أهل حماة فتنه آلت إلى قتاله معهم، وقتل من الفريقين جماعة كبيرة، ثم عصى بردبك، وخرج من حماة أشهرًا. ثم طلب الحضور، فلما حضر إلى الديار المصرية قبض عليه، وحبس بالإسكندرية إلى سنة ثلاث وخمسين أطلق وتوجه إلى ثغر دمياط بطالا، ثم طلب بعد ذلك بمدة يسيرة إلى القاهرة، وأنعم عليه بتقدمة ألف بدمشق، عوضًا عن الأمير يشبك النوروزى، حاجب حجاب دمشق، بحكم انتقال يشبك إلى نيابة طرابلس بعد مسك الأمير يشبك الصوفى المؤيدى، ثم استقر بردبك المذكور فى إمرة حاج دمشق، وتوجه إلى الحج وعاد إلى دمشق. انظر المنهل الصافى ٣/٢٥٣، ٢٥٤

(١) سبق ترجمتها.

(٢) سبق ترجمتها.

الأمير دواوين بن دلغادر مع الأمراء، وتأخير ابن قرمان. ثم نهض السلطان قائماً إلى القصر، وأحضر ابن قرمان وأنعم على داود، وأركب هو ومملوك أبيه قانباى بالقماش الذهب. ورتب له ما يليق به. ثم أمر بابن قرمان فجلس، ولامه السلطان على تعرضه لطرسوس، وشرهه لما أوجب وقوعه فى الأسر. ووجهه على قبيح سيرته، وتعرضه لأخذ أموال رعيته، وعلى خيانتة لكرشجى بن عثمان متملك برصا، وإحراقه بعض بلاده، بعدما من عليه وأطلقه. فسأل العفو. ثم قال: «لمن يعطى مولانا السلطان البلاد؟» فضحك منه، وقال له: «وما أنت والبلاد؟». ثم أمر به فأخرج إلى الاعتقال، فسجن بالقلعة. وأمر السلطان بأن يكتب ابن قرمان إلى نوابه بالبلاد القرمانية أن يسلموا ما بقى بأيديهم منها إلى نواب السلطان، وأعلم أنهم متى لم يسلموا ما قد بقى بأيديهم منها إلى نواب السلطان وإلا قتل، فكان هذا اليوم من الأيام المشهودة.

وفيه قدم مبشرو الحاج، وأخبروا بأن الوقفة بعرفة كانت يوم الأربعاء بخلاف ما كانت بمصر. وأخبروا بأن حاج العراق لم يأتوا. وأن الغلاء شديد بمكة، وأن الفرارة القمح أبيعت بخمسة وعشرين ديناراً، وهى سبع وبيات مصرية. ثم انحطت لما قدم الحاج إلى عشر ديناراً. وأن السمن والعسل واللحم فى غاية القلّة؛ لعدم المطر. وأن مسجدى مكة والمدينة قد تشعنا، ويخاف خرابهما. وأن الجانب الشامى من الكعبة قد آل إلى السقوط.

وفى ثالثه: قدم الأميران أظنبغا القرمشى وطوغان أمير أخور كبير من الحجاز، فكانت مدة غيبتهما تسعة وخمسين يوماً^(١).

وفى رابعه: ركب السلطان للصيد، وعاد من يومه.

وقدم على بار - أحد الأمراء الأينالية من التركمان - فأكرمه السلطان، وأنعم عليه.

وجهز الأمير فحقار القردمى رسولا إلى ابن عثمان متملك برصا، وعلى يده كتاب يتضمن القبض على ابن قرمان واعتقاله.

وفيه استقر الأمير شاهين الزردكاش نائب حماة فى نيابة طرابلس. واستقر فى نيابة حماة عوضه الأمير أينال السيفى نائب غزة. واستقر عوضه فى نيابة غزة الأمير أركماس الجلبانى أحد الأمراء مقدمى الألوف بديار مصر. وأفرج عن الأمير نكبای من سجنه بقلعة دمشق، واستقر فى نيابة طرسوس، وإحضار نائبها الأمير تانى بك إلى حلب.

٦ سنة ثلاث وعشرين وثمانمائة
 واستقر الأمير خليل الجشارى أحد أمراء الألوفا بدمشق فى الحجووية بدمشق، عوضاً
 عن نكباى المذكور. واستقر الأمير سنقر المؤيدى نائب قلعة دمشق فى الحجووية
 بطرابلس، عوضاً عن الأمير سون بن على شاه بعد وفاته. واستقر الأمير كمشبغا
 التنى فى نيابة قلعة دمشق. واستقر الأمير أقبغا الأسندمرى - الذى كان نائب سوس
 وحمص - حاجباً بحماة، وكان بطالا بالقدس، عوضاً عن الأمير سون السيفى علان،
 بحكم عزله واعتقاله^(١).

وفى سادس عشره: نقل عز الدين عبد العزيز البغدادى من تدريس الحنابلة بالجامع
 المؤيدى إلى قضاء الحنابلة بدمشق، واستقر عوضه فى التدريس محب الدين أحمد بن
 نصر الله البغدادى، وخلع عليهما^(٢).

وفى عشريته: قدم الركب الأول من الحاج. وقدم الأمير التاج بالمحمل من الغد.
 وكتب بالإفراج عن الأمير برسباى الدقماقى الظاهرى من قلعة المرقب، واستقراره فى
 جملة الأمراء الألوفا بدمشق.

وفى هذا الشهر: أعاث الله الزروع فى الوجه البحرى، وأسقاها، فأخصبت بعدما
 كانت جافة، فانحل السعر قليلا.

وفيه عز وجود القمح بالوجه القبلى، وبلغ الأردب المصرى إلى دينارين، واقتاتوا
 بالذرة، وأكثروا من زراعتها، لسوء حالهم، وبوار أرضهم، وخراب قراهم، وقلّة
 المواشى عندهم، حتى لقد صار اللبن عندهم طرفة من الطرف، فسبحان مزيل النعم.

وفيه قدم الخير بفتنة كانت فى شهر رمضان ببلاد اليمن، نار فيها حسين بن
 الأشرف على أخيه الناصر أحمد، وأنه عم بلاد اليمن جراد عظيم، أهلك زروعهم،
 فاشتد الغلاء عندهم.

وفيه انتقض على السلطان ألم رجله، وتزايد، فلزم فراشه.

شهر صفر، أوله الخميس:

فيه عدى السلطان النيل، ونزل بناحية أوسيم على العادة فى كل سنة، فقدم عليه
 بها فى ثامنه رسول الأمير على باك بن قرمان، نائب لارندة، ونكدة، وقوينا، ومعه
 هدية وكتاب، يتضمن أنه أخذ مدينة قونيا، وأقام فيها الخطبة باسم السلطان، وضرب

(١) انظر: النجوم الزاهرة ١٣ / ٢٤٠، ٢٤١.

(٢) انظر: النجوم الزاهرة ١٣ / ٢٤٠.

الصكة المؤيدية، وأنه محاصر قلعتها.

وفي عشرينه: عدى السلطان النيل عائدا من سرحة أوسيم، فنزل فى بيت كاتب السر على النيل، وبات به، وعمل الوقيد فى ليلة الخميس ثانى عشرينه على ما تقدم. وأكثر فيه من النفط وإشعال النيران، فكانت ليلة مشهودة. وركب بكرة الخميس إلى القلعة. فقدم بالخبر بأن عذرا بن على بن نعيم بن حيار احتال حتى قبض الأمير أرغون شاه نائب الرحبة، وحمل إلى عانة. وأن قرايوسف نادى فى عسكره بالتأهب إلى المسير للشام.

وفي سادس عشرينه: نزل السلطان إلى بيت الأمير أبو بكر الأستادار، يعوده وقد مرض، فقدم له مقدمة سنية.

وفي ثامن عشرينه: عملت خدمة الإيوان بدار العدل، وأحضر يرسل الأمير محمد كرجى بن عثمان صاحب برصا وهديته.

وفيه سخط السلطان على صدر الدين بن العجمى المحتسب، لكلام نقل له عنه، فأخرجه من القاهرة إلى صفد، وكتب توقيعه بكتابة السر بها، فخرج بعد الظهر، ونزل بترية خارج باب النصر، ثم سار فى يوم الجمعة آخره، وقد أزعج إزعاجا غير لائق.

شهر ربيع الأول، أوله السبت:

فيه أمر السلطان برد صدر الدين بن العجمى فأعيد إلى القاهرة، وأنزل عند الأمير مقبل الدوادار إلى يوم الإثنين ثالثه، أصعد إلى القلعة، فرسم له بخلعة، فلبسها، واستقر فى كتابة سر صفد. ونزل إلى بيت الأمير مقبل الدوادار، فشفع فيه ألطنبغا الصغير رأس نوبة، فقبل السلطان شفاعته. واستمر فى حسبة القاهرة على عادته، وفرح الناس به فرحا كبيرا لمحبتهم إياه، وبالغوا فى إظهار السرور به، وكان السلطان قد تنكر على كاتب السر من أجل إخراج ابن العجمى من القاهرة بغير خلعة، ولم يمهله حتى يأخذ عياله معه. وبالغ فى الإنكار عليه بسبب ذلك، وأسمعه مكروها كبيرا، فنزل فى يوم السبت إلى داره. وكانت عادته دائما أن يبيت ليلة الأحد وليلة الأربعاء عند السلطان، فأشيع عزله، وركب الأعيان إليه يترغمون^(١) له. فلما كان يوم الإثنين المذكور، ركب إلى القلعة، وباشر وظيفة كتابة السر، ونزل وفى ظنه أن ابن العجمى إنما لبس خلعة بكتابة سر صفد. فعندما رأى حوانيت الباعة بالقاهرة وقد أشعلوا الحوانيت بالقناديل

(١) راغهم: نابهم وحجرهم وعاداهم؛ ويقال: رغم فلانا: حجره وعاداه. انظر القاموس المحيط

(رغم)، المعجم الوسيط (رغم).

٨ سنة ثلاث وعشرين وثمانمائة

والشموع فيمر ابن العجمي بخلعته عليهم، فرحا بأنه قد عاد إلى الحسبة، غضب ابن البارزي من ذلك، وأسمعهم مكروهاً. ومالت مماليكه على القناديل، فكسروا بعضها، وسبوا ولعنوا. فما كاد ابن البارزي يصل إلى بيته حتى شفع الأمير الطنبغا الصغير في ابن العجمي، واستقر في الحسبة، وشق القاهرة وعليه الخلعة، فتزايد كلام الغوغاء في ابن البارزي، وجهروا بما يقبح ذكره.

وفي يوم الثلاثاء رابعه: قدم شمس الدين محمد بن حمزة بن محمد بن الفنري^(١) الحنفي قاضي مملكة الأمير محمد كُرشجي بن عثمان ببلاد الروم. وكان قد قدم دمشق في السنة الماضية، يريد الحج. فلما حج وعاد استدعاه السلطان ليستفهم منه أحوال البلاد الرومية، فتمثل بين يدي السلطان، فأكرمه وأنزله عند القاضي زين الدين عبد الباسط ناظر الخزانة، وأجريت عليه الإنعامات. وأمر أهل الدولة بإكرامه، فبعثوا إليه ما يليق به من الهدايا.

وفي خامسة: ركب الأمير أبو بكر الأستاذار إلى السلطان، وهو في شدة المرض بحيث لا يستطيع القيام، ومعه خيول وسلاح وغير ذلك، مما تبلغ قيمته نحو ثلاثين ألف دينار، فخلع عليه، ونزل وقد اشتد به مرضه، فمات بعد أربعة أيام.

وفي سادسة: خلع على ابن البارزي كاملية صوف بفرو سمور خلعة الرضا.

وفي ليلة الجمعة سابعة: عمل المولد النبوي عند السلطان على عادته. وحضر الأمراء والقضاة ومشايخ العلم وأهل الدولة، ورسل ابن عثمان، وابن الفنري، وكان وقتا جليلا.

وفي يوم الجمعة: أعيد داود ابن الأمير ناصر الدين محمد بك بن دلغادر بهدية إلى أبيه، وقصاد على باك بن قرمان، ومعهم فرس بقماش ذهب، وعدة تعابى في ثياب سكيندرى، وغيرها. وتوجه معه محمود العينتاي ناظر الأحباس، لتحليف نواب قلاع البلاد القرمانية وبلادها. وكتب إلى نواب الممالك، وإلى العربان والتراكمين، بالتهيؤ إلى ملاقاتة السلطان، فإنه عزم على المسير لحرب قرايوسف. وسبب ذلك قدوم كتاب قرا

(١) الفنري (٧٥١ - ٨٣٤هـ = ١٣٥٠ - ١٤٣١م) محمد بن حمزة بن محمد، شمس الدين الفنري (أو الفنري) الرومي: عالم بالمنطق والأصول. ولى قضاء بردسة. وارتفع قدره عند السلطان «بايزيد خان» وحج مرتين، زار فنى الأولى مصر (سنة ٨٢٢هـ) واجتمع بعلمائها، والثانية (سنة ٨٣٣هـ) شكرا لله على إعادة بصره إليه، وكان قد أشرف على العمى، أو عمى، وشفى، ومات بعد عودته من الحج. انظر: الفوائد البهية ١٦٦، مفتاح السعادة ١/ ٤٥٢. الأعلام ٦/ ١١٠.

يوسف يتضمن أن السلطان يجهز إليه الجواهر- التي أخذها منه وهو مسجون بدمشق - كما هي، وإلا سار إليه وخرّب البلاد وأخذها.

وفي عاشره: توجه شمس الدين محمد الهروي إلى القدس، على ما كان عليه من تدريس الصلاحية فقط، دون نظر القدس والخليل.

وفي يوم الخميس ثالث عشره: خلع على الأمير يشبك أبنالى المؤيدى، واستقر فى الأستادارية، عوضاً عن الأمير أبى بكر بعد وفاته، وكان قد استقر قبلها فى كشف الجسور بالغربية، وعزل عنها، وخلع على الصاحب بدر الدين حسن بن نصر الله خلعة الاستمرار فى الوزارة ونظر الخاص.

وفي سابع عشره: أضيف إلى صاحب بدر الدين بن نصر الله أستاذارية المقام العالى الصارمى إبراهيم ابن السلطان، وخلع عليه عوضاً عن الأمير أبى بكر المتوفى. وأنعم على ولده الأمير صلاح الدين محمد الحاجب بإمرة طبلخاناه.

وفي ثانى عشرينه: سافر ابن الفنى قاضى الروم بلاده، بعدما ألقى عدة دروس فى الفقه والأصول بالجامع الباسطى^(١) من القاهرة، وجهزه السلطان وأهل الدولة جهازاً جليلاً، فسار بتحمل كبير.

وفي رابع عشرينه: قدم قاصد الأمير شاه رخ أمير زه بن تيمورلنك.

وفي سابع عشرينه: نزل السلطان إلى جامعة بجوار باب زويلة، وحضر دروس المشايخ كلهم، فكان يجلس فى كل حلقة قليلاً، والمدرس يلقى درسه. ثم يقوم إلى الحلقة الأخرى، حتى طاف الحلقة السبع، وعاد إلى القلعة.

وفي هذا الشهر: عزم السلطان على السفر لقتال قرايوسف. وأخذ فى الأهبة لذلك، وأمر الأمراء به فشرعوا فى ذلك.

شهر ربيع الآخر، أوله الإثنين:

فيه وقع الشروع فى بناء منظره على الخمس وجوه^(٢) بجوار التاج^(٣) خارج

(١) يقع فى بولاق، وهو مطل على النيل، وقد أنشئ سنة ٨١٧هـ. انظر المواعظ والاعتبار ٢/

٣٢٧.

(٢) منظره الخمس وجوه، قد أنشأها الأفضل ابن أمير الجيوش، وكان بها خمسة أوجه من المحال الخشب التى تنقل الماء لسقى البستان العظيم الوصف. انظر المواعظ والاعتبار ١/ ٤٨١.

(٣) منظره التاج كانت من جملة المناظر التى ينزلها الخلفاء الفاطميون للنزهة. وقد بناها أيضاً الأفضل أمير الجيوش. انظر المواعظ والاعتبار ١/ ٤٨١.

١٥ سنة ثلاث وعشرين وثمانمائة

القاهرة^(١)، لينشئ السلطان حولها بستاناً جليلاً، ويجعل ذلك عوضاً عن قصور سرياقوس، ويسرح إليها كما كانت سرحة سرياقوس.

وفي خامسه: سافر قاضى القضاة علاء الدين على بن مغلى الحنبلى إلى مدينته^(٢) لينظر فى أحواله، واستخلف على قضاء القضاة بعض ثقاته.

وفي ثالث عشره: ابتدأ بالسلطان ألم تجدد له من حبس الإراقة^(٣)، مع ما يعتريه من ألم رجله^(٤).

وفي سابع عشره: صرف الصاحب بدر الدين بن نصر الله من أستاذارية ابن السلطان. وأقيم بدله جمال الدين يوسف بن خضر بن صاروجا المعروف بالحجازى، وأصله من الأكراد، وقدم القاهرة، وترقى حتى عمل أستاذارية الأمراء فى الأيام الناصرية فرج. وتمكن عند الأمير طوغان الحسنى الدوادار تمكناً زائداً، فعظم قدره. ثم لما قبض على طوغان فر إلى مكة، وأقام بها مدة. ثم حضر إلى القاهرة وباشى الدواليب السلطانية بالوجه القبلى زماناً، فنكبه الأمير فخر الدين عبد الغنى بن أبى الفرج، وعاقبه وصادره، ثم أفرج عنه فلزم داره حتى الأمير أبو بكر الأستاذار، سعى جمال الدين يوسف فى الأستاذارية، فأحرق به الصاحب بدر الدين بن نصر الله، وأراد القبض عليه، فلم يمكنه السلطان منه، وعنى به، ثم ولاه بعد ذلك أستاذارية ولده.

وفي ثانى عشرينه: اشتد بالسلطان الألم وتزايد به إلى يوم الأربعاء رابع عشرينه، نودى فى القاهرة بإبطال مكس الفاكهة البلدية والمجلوبة، وهو فى كل سنة نحو ستة آلاف دينار سوى ما يأخذ القبط الكنية والأعوان - ويقارب ذلك - فبطل، ونقش ذلك على باب الجامع المؤيدى.

وفي هذا الشهر: كثر الوباء بالإسكندرية والبحيرة، وكثر الإرجاف بحركة قرايوسف إلى جهة البلاد الشامية.

شهر جمادى الأولى، أوله الأربعاء:

وفي ثانيه: ركب السلطان - وقد أبل من مرضه - إلى خارج القاهرة وعبر من

(١) فى النجوم «خارج القاهرة بالقرب من كوم الريش» وهى بلدة فيما بين أرض البعل ومنية الشيرج. انظر: النجوم الزاهرة ١٣ / ٢٤٢، الخطط التوفيقية ١٥ / ١٣.

(٢) يقصد بها مدينة حماة.

(٣) الإرق هو امتناع النوم ليلاً. انظر المعجم الوسيط.

(٤) انظر: النجوم الزاهرة ١٢ / ٢٤٢.

باب النصر، وقد زينت المدينة فرحًا بعافيته، وأشعلت الشموع والقناديل، فمر إلى القلعة.

وفي هذه الأيام: مرض المقام الصارمى إبراهيم ابن السلطان، فركب فى يوم الثلاثاء رابع عشره من القلعة فى محفة، لعجزه عن ركوب الفرس، ونزل إلى بيت زين الدين عبد الباسط المطل على البحر، وأقام به. ثم ركب النيل فى غده إلى الخروبية بالجيزة، وأقام بها: وقد تزايد مرضه^(١).

وفي ثانى عشرينه: ركب السلطان إلى الخمس وجوه، فشهد ما عمل هناك، ورتب ما اقتضاه نظره من كيفية البناء، وعاد إلى بيت صلاح الدين خليل بن الكويز ناظر الديوان المفرد، المطل على بركة الرطلى خارج باب الشعرية، فأقام عنده نهاره، وعاد من آخره إلى القلعة، وقدم له ابن الكويز مقدمة تليق به سوى ما أعده له من الماكل والمشارب.

وفي يوم السبت خامس عشرينه: خلع على الشيخ شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان البساطى شيخ الخانكاة الناصرية فرج، بترية أبيه الظاهر برقوق خارج باب النصر، واستقر قاضى القضاة المالكية بالقاهرة ومصر، بعد وفاة جمال الدين عبد الله بن مقداد الأقفهسى، فاقصر من نواب الحكم على أربعة، ثم زادهم بعد ذلك^(٢).

وفي يوم الأربعاء آخره: نزل السلطان إلى الميدان الكبير الناصرى بموردة الجبس. وكان قد خرب وأهمل أمره، منذ أبطل السلطان الملك الظاهر برقوق الركوب إليه ولعب الكرة فيه، وتشعثت قصوره وجدرانها، وصار منزلا لركب المغاربة الحجاج، فرسم السلطان لصاحب بدر الدين بن نصر الله بعمارته فى هذا الشهر، فعمره أحسن عمارة. فعندما شاهده السلطان أعجب به، ومضى منه إلى بيت ابن البارزى كاتب السر المطل على النيل، ونزل به، وقد تحول المقام الصارمى من الخروبية بالجيزة إلى المنظرة الحجازية^(٣)، وهو بجاله من المرض، فزاره السلطان غير مرة، وأنزل بالحریم إلى بيت كاتب السر، فأقاموا به عنده.

شهر جمادى الآخرة، أوله الجمعة:

فيه صلى السلطان الجمعة بجامع ابن البارزى، الذى جدد عمارته، تجاه بيته. وكان

(١) انظر: النجوم الزاهرة ١٣ / ٢٤٢.

(٢) انظر: النجوم الزاهرة ١٣ / ٢٤٣.

(٣) فى النجوم «قاعة الحجازية» ١٣ / ٢٤٣.

يعرف قبل ذلك بجامع الأسيوطى^(١). وخطب به وصلى شيخ الإسلام قاضى القضاة جلال الدين البلقيني، وركب من الغد إلى الميدان، فعمل به الخدمة، وتوجه إلى القلعة. وفيه نودى أن لا يتحدث فى الأمور الشرعية إلا القضاة، ولا يشكو أحد غيره على دين لأحد من الحجاب. وسبب ذلك أن القاضى زين الدين عبد الرحمن التفهنى الحنفى رفع على رجل فى مجلسه من أجل دين لزمه، فاحتفى ببيت الأمير الطنبغا المرقبى - حاجب الحجاب - وامتنع عن الحضور إلى بيت القاضى. وضرب الحاجب رسوله ضرباً مبرحاً. فلما أعلم القاضى بهذا السلطان، أنكر على المرقبى. ووجه على ما فعل ونادى بما تقدم ذكره؛ فسعى الأمراء فى نقض ذلك حتى نودى فى يوم الإثنين رابعه - بعد يومين - بعود الحكم إلى الحجاب، وضرب من جهر بالنداء.

وفى سادسه: نزل السلطان إلى بيت كاتب السر على النيل، وأقام به^(٢).

وفى سابعه: أخذ قاع النيل، فكان ثلاثة أذرع سواء، ونودى عليه من الغد.

وفى يوم السبت تاسعه: ركب السلطان إلى الميدان وعمل به الخدمة، وصعد إلى القلعة.

وفى حادى عشره: ضرب الأمير علاء الدين على بن الطبلاوى والى القاهرة بالمقارع، بين يدى السلطان. ونزل وهو عارى البدن على حمار إلى بيت شاد الدواوين، ليستخلص منه مالا. وخلع على ناصر الدين محمد بن أمير أخور واستقر والى القاهرة ومصر وقلوب.

وفى يوم الأربعاء ثالث عشره: حمل المقام الصارمى إبراهيم ابن السلطان على الأكتاف من الحجازية إلى القلعة، لعجزه عن ركوب المحفة، فمات ليلة الجمعة خامس عشره. ودفن من الغد بالجامع المؤيدى. وشهد السلطان دفنه، مع عدم نهضته للقيام، وإنما يحمل على الأكتاف حتى يركب، ثم يحمل حتى ينزل، وأقام السلطان بالجامع إلى أن صلى الجمعة، فصلى به ابن البارزى، وخطب خطبة بليغة. ثم عاد إلى القلعة. وأقام القراء يقرأون القرآن على قبره سبع ليال^(٣).

(١) يقع بطرف جزيرة الفيل مما يلى ناحية بولاق. كان موقعه فى القديم غامرا. بماء النيل، فلما انحسر عن جزيرة الفيل وعمرت ناحية بولاق، أنشأ هذا الجامع القاضى شمس الدين محمد بن إبراهيم ابن عمر السيوطى ناظر بيت المال، ومات فى سنة ٧٤٩هـ ثم جدد عمارته بعدما تهدم وزاد فيه ناصر الدين محمد بن عثمان بن محمد المعروف بابن البارزى الحموى كاتب السر، وأجرى فيه الماء. انظر المواعظ والاعتبار ٢ / ٣١٥، ٣١٦.

(٢) انظر: النجوم الزاهرة ١٣ / ٢٤٣، ٢٤٤.

(٣) انظر: النجوم الزاهرة ١٣ / ٢٤٤، أنباء الغمر ٧ / ٣٨٠، نزهة النفوس ٢ / ٤٧٤.

وفي ثامن عشره: توقف النيل عن الزيادة، وتمادى على ذلك أيامًا. فارتفع سعر الغلال، وأمسك أربابها أيديهم عن بيعها، وكثر قلق الناس، ثم نودى فيهم أن يتركوا العمل بمعاصي الله، وأن يلتزموا الخير. ثم نودى في ثانی عشرينه أن يصوموا ثلاثة أيام، ويخرجوا إلى الصحراء، فأصبح كثير من الناس صائما، وصام السلطان أيضًا. فنودى بزيادة أصبع مما نقصه، ثم نودى من يوم الأحد غده أن يخرجوا غداً إلى الجبل وهم صائمون، فبكر في يوم الإثنين خامس عشرينه شيخ الإسلام قاضي القضاة جلال الدين البلقيني، وسار من منزله راكباً بثياب جلوسه في طائفة، حتى جلس عند فم الوادي، قريباً من قبة النصر، وقد نصب هناك منبر، فقرأ سورة الأنعام، وأقبل الناس أفواجاً من كل جهة، حتى كثر الجمع، ومضى من شروق الشمس نحو ساعتين أقبل السلطان بمفرده على فرس، وقد تزيا بزى أهل التصوف، فاعتم بمئزر صوف لطيف، ولبس ثوب صوف أبيض، وعلى عنقه شملة^(١) صوف مرخاة، وليس في سرجه - ولا شيء من قماش فرسه - ذهب ولا حرير، فأنزل عن الفرس، وجلس على الأرض من غير بساط ولا سجادة، مما يلي يسار المنبر، فصلى قاضي القضاة جلال الدين ركعتين كهيئة صلاة العيد، والناس من ورائه يصلون بصلاته. ثم رقى المنبر، فخطب خطبتين، حث الناس فيهما على التوبة والاستغفار، وأعمال البر، وفعل الخير، وحذرهم، ونهاهم. وتحول فوق المنبر فاستقبل القبلة، ودعا فأطال الدعاء، والسلطان في ذلك يبكي ويتحجب، وقد باشر في سجوده التراب بجهته. فلما انقضت الخطبة انفض الناس، وركب السلطان فرسه، وسار والعامه محيطة به من أربع جهاته، يدعون له، حتى صعد القلعة، فكان يوماً مشهوداً، وجمعاً موفقاً.

وفي مشاهدة جبار الأرض على ما وصفت، ما تخشع منه القلوب، ويرجى رحمة جبار السماء، سبحانه. ومن أحسن ما نقل عنه في هذا اليوم. أن بعض العامة دعا له، حالة الاستسقاء أن ينصره الله، فقال: «اسألوا فإنما أنا واحد منكم». فله دره، لو كان قد أيد بوزر أصدق وبطانة خير، لما قصر عن الأفعال الجميلة، بل إنما اقترن به فاجر جرىء، أو خب^(٢) شقى.

(١) الشَّمْلَةُ: شقة من الثياب ذات حمل يتوشح بها ويُتلفع وهو أيضا كساء من صوف أو شعر يتغطى به ويتلفف به، جمع شمال وفي حديث علي «إن أبا هذا كان ينسج الشمال يمينه». انظر المعجم الوسيط (شمل).

(٢) أحب الدابة: خيبة: خدعه وأفسده، يقال: خيب عبداً أو أمة لغيره، وخيب على فلان زوجة: أفسدها عليه، وفي الحديث «من خيب امرأة أو مملوكاً على مسلم فليس منا» انظر المعجم الوسيط.

وفي غده، يوم الثلاثاء: نودى على النيل بزيادته اثني عشر أصبعًا، بعدما رد النقص، وهو قريب من سبع وعشرين أصبعًا، فبأشرف الناس باستجابة دعائهم، ورجوا رحمة الله^(١).

وقدم الخير بنزول قرايوسف على بغداد، وقد عصاه ولده شاه محمد فحاصره ثلاثة أيام، حتى خرج إليه، فأمسكه واستصفى أمواله، وولى عوضه ابنه أصبهان أمير زاة. ثم عاد إلى تبريز لحركة شاه رخ بن تمولنك عليه.

وفي تاسع عشرينه: خلع على الأمير مقبل الدوادار، والقاضي ناصر الدين محمد بن البارزى كاتب السر، بنظر الجامع المؤيدى، فنزلا إليه، وتفقدوا أحواله.
شهر رجب، أوله السبت:

فى ثالث عشره: أدير محمل الحاج على عادته.

وفى نصفه: استدعى السلطان بخلعة لكاتب سر صفد، وبعثها إلى الأمير مقبل الدوادار، وأمر أن يطلب صدر الدين أحمد بن العجمى محتسب القاهرة إلى داره، ويلبسه الخلعة، ويخرجه إلى صفد، فأحضره فى الحال، وألبسه الخلعة، وأمره بالتوجه من القاهرة إلى صفد، فتوجه إلى داره، وانجمع عن التحدث فى الحسبة، وأخذ يسعى فى الإقامة فى القاهرة بطالا. فرسم السلطان أن يخرج إلى القدس بطالا، فسار فى يوم الثلاثاء ثامن عشره.

وفى يوم الإثنين سابع عشره: نزل السلطان إلى بيت كاتب السر المطل على النيل، ليقيم به على عادته، ونزل الأمراء بالدور من حوله. وصارت الخدمة تعمل هناك.

وفى يوم الأربعاء تاسع عشره: سبح السلطان فى النيل مع خاصته، من بيت كاتب السر إلى منية السيرج^(٢)، ثم عاد فى الحراقة، وكثر التعجب من قوة سبحة مع زمانة رجله، وعجزه عن القيام، لكنه يحمل على الأكتاف، ويمشى به، أو يوضع على ظهر الفرس، ثم يحمل، وينزل عنها. ولما أراد السباحة أقعد فى تحت من خشب، وأرخصى من أعلا الدار بجبال إلى الماء، فلما عاد رفع به فى التخت كذلك، حتى جلس على مرتبته. فنودى من الغد يوم الخميس، بزيادة ثلاثين أصبعًا، ولم يزد فى هذه السنة مثلها جملة،

(١) انظر: النجوم الزاهرة ١٣ / ٢٤٥.

(٢) منية السيرج: بلدة كبيرة طويلة ذات سوق، بينها وبين القاهرة فرسخ أو أكثر. انظر معجم

البلدان ٥ / ٢١٨؛ وهى الآن تقع فى حى شبرا بالقاهرة.

فتيامن الناس بعوم السلطان، وعدوا ذلك من حملة سعادته. ومن صحة عقيدته أنه لما بلغه قول العوام أن النيل زاد هذه الزيادة البالغة لكونه سبج فيه، فقال: «لو علمت أن ذلك يقع لما سبحت فيه، لثلا يضل العوام بذلك».

وفي عشرينه: خلع على صارم الدين إبراهيم ابن الوزير ناصر الدين محمد بن الحسام الصقري بوظيفة حسبة القاهرة، عوضاً عن صدر الدين بن العجمي فباشرها وهو يتزيا بزى الجند، وقد التزم بحمل ألف دينار، يجيئها من الباعة ونحوهم، فلم تحمد مباشرته.

وفي يوم الجمعة حادى عشرينه: ركب السلطان النيل للنزهة به، فزار الآثار النبوية، وبر من هناك من الفقراء بحال، ثم توجه إلى المقياس بالروضة، فصلى الجمعة بجامع المقياس^(١)، ورسم بهدمه وبنائه، وتوسعته، وترميم بناء رباط الآثار النبوية أيضاً. ثم ركب من الجزيرة الوسطى^(٢) إلى الميدان الناصري، وبات به. وركب من الغد يوم السبت إلى القلعة.

وفيه قدم البدر محمود العيتابي ناظر الأحباس من بلاد ابن قرمان، فخلع عليه.

وفي ثالث عشرينه: وجد بكرة النهار خارج القاهرة فرسان، فقيدا إلى بيت الأمير يشبك الأستاذار، فعرفا أنهما من خيل ابن العجمي المحتسب، وذلك أنه نزل بلبيس يوم السبت أمس، وفقد منها عشاء. فارتجت القاهرة بأنه قتل وخرج نساءه مسيات يصحن صعدين القلعة إلى السلطان، ووجهوا التهمة بقتله إلى ابن البارزى كاتب السر، فأنكر السلطان أن يكون قتل، وقال: «هذه حيلة عملها، وقد اختفى بالمدينة». ثم بعث للكشف عن قتله من أرباب الأدراك فلم يوقف به على خير. ونودى فى سابع عشرينه بتهديد من أخفاه عنده، وترغيب من أحضره. فظهر فى آخر النهار أنه بعث إلى أهله كتاباً يتضمن أنه من خوفه على نفسه مضى على وجهه. فطلب زوج ابنته، وعوقب على إحضاره، ثم سجن.

وفيه قدم الخير بأن الأمير علمان بن طرعلى قرابلك كبس على بير عمر، حاكم أرزنكان من قبل قرابوسف، وأمسكه وقيده، هو وأربعة وعشرين من أهله وأولاده، وقتل ستين رجلاً، وغنم شيئاً كثيراً.

(١) يقع بجوار مقياس النيل بالجزيرة. انظر المواعظ والاعتبار ٢ / ٢٩٠.

(٢) جزيرة مصر: وهى حلة من محال الفسطاط، وإنما سميت جزيرة لأن النيل إذا فاض أحاط بها الماء وحال بينها وبين عظم الفسطاط واستقلت بنفسها. انظر معجم البلدان ٢ / ١٣٩ وهى الآن جزيرة مستقلة بنفسها.

شهر شعبان المكرم، أوله الإثنين:

فيه وصل رأس أمير حاكم أرزنكان، وكان السلطان قد كتب محاضر وفتاوى بكفر قرايوسف وولده حاكم بغداد، فأفتى مشايخ العلم بوجوب قتاله. ورسم للأمراء بالتهيؤ للسفر، وحملت إليهم النفقات، فوقع الشروع في تجهيز أمور السفر. ونودي في رابعه، وقد ركب الخليفة والقضاة الأربع بنوآبهم، وبين يديهم بدر الدين حسن اليرديني أحد نواب الحكم الشافعية، وهو راكب يقرأ من ورقة استنفار الناس لقتال قرايوسف، وتعداد قبائحه ومساوئه، فاضطرب الناس، وكثر جزعهم.

وفيه ادعى على الأمير ناصر الدين محمد بن أمير أخور والى القاهرة بأنه قتل رجلاً وسطه بالسيف نصفين بغير موجب شرعى. وأقيمت البيعة بذلك بحضرة القضاة، وهم بين يدي السلطان، فحكم بقتله، فأخذ ووسط فى الموضوع الذى وسط فيه المذكور.

وخلع فيه على الأمير ناصر الدين محمد، ويعرف بيكلمش بن فرى نائب الوجه البحرى وابن والى العرب، واستقر والى القاهرة، عوضاً عن ابن أمير أخور، على مال كبير التزم بحمله مما يجيبه من مظالم العباد، فباشر مباشرة سيئة، وركبته الديون، وهان أمره على العامة، لعدم حرمة، حتى كان أحد المقدمين أحشم منه. وصار الناس يلقبونه «قندورى»؛ لأنه أراد أن يقول «قباى» فغلط وقال «قندورى» فنقبت عليه، وهو بزى النساء أشبه منه بالرجال.

وفى يوم الإثنين ثامن - وخامس عشرين مسرى - كان وفاء النيل، فركب السلطان إلى المقياس، وفتح الخليج على العادة، ثم عاد إلى قلعة^(١).

وفى يوم الجمعة ثانى عشره: عقد للأمير الكبير الطنبغا القرمشى على خوند ستيتة - ابنة السلطان - بصداق مبلغه خمسة عشر ألف دينار هرجة^(٢)، بالجامع المؤيدى، بحضرة القضاة والأمراء والأعيان.

وفى يوم السبت ثالث عشره: برز الأمير الكبير الطنبغا القرمشى إلى الريدانية خارج القاهرة، ومعه من الأمراء الطنبغا الصغير رأس نوبة، وطوغان أمير أخو، وجلبان المؤيدى أحد مقدمى الألوف، والطنبغا المرقى حاجب الحجاب، وجرباش الكرىمى رأس نوبة، وأقبلاط السيفى دمرداش، وأزدمر الناصرى من مقدمى الألوف، ليتوجهوا إلى حلب، خشية حركة قرايوسف.

(١) انظر النجوم الزاهرة ١٣ / ٢٤٧.

(٢) أى: الدينار المصنوع من الذهب الخالص.

وفيه نزل السلطان إلى بيت كاتب السر على النيل، فأقام به يوم الثلاثاء سادس عشره، توجه إلى الميدان لعرض المماليك السلطانية الرماحة. وعاد من آخره على ظهر النيل. ثم ركب إلى الميدان نهار السبت، وبات به. وتوجه نهار الأحد، فزار الآثار النبوية، وكشف عمارة جامع المقياس بالروضة. وعاد إلى الميدان، فبات به. وعرض الرماحة في يوم الإثنين. ثم راجع زيارة الآثار النبوية في يوم الثلاثاء. وعاد إلى مخيمه بالجزيرة الوسطى، فأقام يومه ومعه الأمراء ومباشروه، فأكلوا وشربوا القمزمز. وعاد إلى الميدان، فبات به ليلتين. ثم رجع إلى بيت كاتب السر في يوم الخميس، فبات به وصلى الجمعة بجامع كاتب السر. ثم توجه إلى الميدان، فبات به، وركب إلى القلعة بكرة السبت سابع عشرينه. وكان صائماً في رجب وشعبان، لم يفطر فيهما إلا نحو عشرة أيام^(١).

شهر رمضان المعظم، أوله الثلاثاء:

أهل، وقد انتفض على السلطان ألم رجله.

وفي رابع عشره: خلع السلطان على الصاحب تاج الدين عبد الرازق الهيضم واستقر في نظر الديوان المفرد، بعد موت صلاح الدين خليل بن الكويز^(٢).

وقدم الخبز من غزة أن في ليلة الأربعاء ثالثه ذبح جمل بسوق الجزائر، وعلق لحمه في داخل بيت الجزائر، فأضأ اللحم كما يضيء الشمع إذا أشعل فيه النار، فأخذ منه قطعة فأضأت بمفردها، فقطعوه قطعاً فأضأت كل قطعة منه، فأخذوه بجملته ودفنوه من غير أن يأكل أحد منه شيئاً، إلا أن رجلاً قطع منه قطعة لحم وهى تضيء، وتركها عنده إلى أن أصبح وألقاها للكلب. فلم يأكلها وتركها. وكان لحم هذا الجمل بحيث لو أخذ منه زنة درهم لأضأت كأنها النجم. وشاهد هذا جماعة لا يحصى عددهم. وانتهت زيادة النيل في ثالث بابة إلى ثمانية عشر ذراعاً وثلاثة أصابع، وابتدأ النقص من خامس بابة.

وفي هذا الشهر: ابتداء مرض القاضي ناصر الدين محمد بن البارزى، كاتب السر.

شهر شوال، أوله الأربعاء:

فيه صلى السلطان صلاة العيد بالقصر الكبير من القلعة، عجزاً عن المضى إلى الجامع.

وفي رابعه: ركب السلطان في المحفة إلى منظره الخمس وجوه التى استجدها، وقد

كملت، ثم عاد من يومه.

(١) انظر: النجوم الزاهرة ١٣ / ٢٤٧، ٢٤٨.

(٢) انظر: النجوم الزاهرة ١٣ / ٢٢٩.

وفي يوم الأربعاء خامس عشره: تنكر السلطان على الوزير صاحب بدر الدين حسن بن نصر الله، وضربه يمين يديه ضرباً مبرحاً. ثم أمر به فنزل إلى داره على وظائفه. هذا والسلطان مريض.

وفي يوم الإثنين عشرينه: أرحف بموت السلطان، فاضطرب الناس، ونقلوا ثيابهم خوفاً من الفتنة أن تثور. ثم أفاق فسكنوا^(١).

وفيه خرج محمل الحاج إلى الريدانية، والحجاج على تخوف من النهب.

وفيه طلب القضاة والأمراء، وجلس السلطان، فعهد إلى ولده الأمير أحمد بالسلطنة من بعد. ومولده في ثاني جمادى الأولى من السنة الماضية، وله من العمر سبعة عشر شهراً وخمسة أيام، وجعل الأمير الكبير الطنبا القرمشى القائم بأمره، وأن يقوم بتدبير الدولة حتى يحضر القرمشى من حلب الأمراء الثلاثة وهم: قجقار القردمى، وتنبك ميق، وططر. وحلف الأمراء على ذلك، ثم حلف المماليك من الغد.

وفي يوم السبت خامس عشرينه: خلع على كمال الدين محمد بن ناصر الدين محمد بن البارزى، واستقر فى كتابة السر، بعد وفاة أبيه، على مبلغ أربعين ألف دينار، يحملها، وكان صدر الدين أحمد بن العجمى لم يزل محتفياً حتى مات ناصر الدين محمد بن البارزى، فظهر، وعند جمهور الناس أن ابن البارزى ناصر الدين محمد كاتب السر هو الذى قتله، فشفع فيه بعض الأمراء، وكان السلطان فى شغل بمرضه عنه، فقبل شفاعته، ورسم أن يقيم بداره من القاهرة، فلزم داره، وظهرت براءة ابن البارزى.

وفي سابع عشرينه: خلع على بدر الدين محمد بن محمد بن أحمد بن مزهر الدمشقى، ناظر الإصطبل، واستقر فى نيابة كتابة السر، عوضاً عن كمال الدين بن البارزى المنتقل لكتابة السر.

وفي تاسع عشرينه: دخل السلطان الحمام، وقد تناقص ما به من الأمراض فنودى بالزينة، فزينت القاهرة ومصر، وفرق مال فى الناس من الفقهاء والفقراء.

وفي هذا الشهر: أعاد قاضى القضاة شمس الدين محمد البساطى المالكى نواب الحكم الذين كانوا يلون عمن قبله، واستتاب زيادة عليهم عدة من أزماءه.

شهر ذى القعدة أوله الجمعة:

فيه ظهرت دخيرة لناصر الدين محمد بن البارزى، فيها نحو من سبعين ألف دينار،

أخذها السلطان.

وفي رابعه: ركب السلطان وشق القاهرة من باب زويلة، وخرج من باب القنطرة^(١) فنزل بمنظرة الخمس الوجوه إلى يوم الأربعاء سابعه عاد من باب القنطرة، وشق القاهرة بثياب جلوسه، حتى صعد القلعة^(٢).

وفي تاسعه: ركب السلطان إلى المنظرة أيضاً، وبات بها، وتصيد من الغد ببر الجيزة، وأقام هناك.

وفيه نزل زين الدين عبد الباسط، ومرجان الهندي الخازندار إلى بيت الصاحب بدر الدين حسن بن نصر الله، وقد لزم الفراش من يوم ضرب، وأخذنا منه خزانة الخاص وسلمت للطواشي مرجان المذكور، فتحدث في نظر الخاص عن السلطان من غير أن يخلع عليه، ولا كتب له توقيع، وأنفق من غده عن كسوة المماليك السلطانية نحو ثمانية آلاف دينار.

وفي يوم الثلاثاء ثاني عشره: عاد السلطان في الحفة إلى القلعة.

وفي رابع عشره: خلع على الصاحب بدر الدين بن نصر الله خلعة الرضا، واستمراره في الوزارة والإميرية.

وفيه قرئ توقيع كمال الدين محمد بن البارزى بكتابه السر في الجامع المؤيدي، بحضرة الأمراء والقضاة وأرباب الدولة والأعيان. ولم يقرأ قبله توقيع كاتب السر.

وفي خامس عشره: ركب السلطان إلى منظرة الخمس الوجوه، وأقام بها إلى سابع عشره، ثم عاد إلى القلعة، وركب في يوم الأربعاء عشرينه بثياب جلوسه، وعبر من باب زويلة، وشق القاهرة حتى خرج من باب القنطرة إلى المنظرة، فأقام بها إلى يوم الجمعة، وعدى النيل إلى الجيزة، يريد صرحة البحيرة. وخرج الناس على عادتهم بعدما نزل في يوم الجمعة هذا بدار على شاطئ نيل مصر، وعبر الحمام بجوار الجامع الجديد. ثم خرج إلى الجامع المذكور وصلى به الجمعة. ثم ركب النيل، وهو في هذا كله يحمل على الأكتاف^(٣).

وفي هذا الشهر: فقد لحم الضأن من أسواق القاهرة عدة أيام، وعز وجود لحم

(١) هو باب مصر من الجهة القبلية، وسمى باسم القنطرة، التي تقع على الخليج الكبير التي يتوصل إليها من القاهرة. انظر المواظ والاعتبار ٢ / ١٤٧.

(٢) انظر: النجوم الزاهرة ١٣ / ٢٥١، ٢٥٢.

(٣) انظر: النجوم الزاهرة ١٣ / ٢٥٢.

البقر، ثم أبيع لحم الضأن بعشرة دراهم الرطل، بعد سبعة، ثم أبيع بتسعة.
وفيه قتل العربان كاشف البهنسي، لكثرة ظلمه وفسقه، وشدة تعديه وعتوه، فلم
يؤخذ له بثأر.

شهر ذى الحجة، أوله السبت:

فى ثامننه: عاد السلطان من السرحة، بعدما انتهى إلى الطرانة. وقد اشتد به المرض،
وأفرط الإسهال، فأرجف بموته، وكادت تكون فتنة. ثم ركب النيل منها عجزاً عن
الركوب فى المحفة، حتى نزل منبابة، فأقام بها حتى نحر قليلاً من ضحاياه، ثم ركب
النيل آخر يوم النحر إلى بيت كاتب السر المطل على النيل، وبات به. ثم صعد القلعة
فى المحفة يوم الثلاثاء حادى عشره، وهو شديد المرض من الإسهال، والزحير^(١)
والحصاة، والحمى، والصداع، والمفاصل.

وفى ثامن عشره: قدم كتاب سليمان صاحب حصن كيفا، يتضمن موت
قرايوسف فى رابع عشر ذى القعدة، مسموماً، فيما بين السلطانية وتوريز، وهو متوجه
إلى قتال شاه رخ بن تيمورلنك^(٢).

وفى ثامن عشرينه: قدم مبشرو الحاج^(٣).

وفى يوم السبت تاسع عشرينه: أرجف بموت السلطان.

وفيه أثبت عهد الأمير أحمد ابن السلطان، على قاضى القضاة زين الدين عبد الرحمن
التفهنى الحنفى، بالسلطنة. ثم نفذ على بقية القضاة، فكثرت الاضطراب فى الناس،
وتوقعوا الفتنة، واشتد خوف خواص السلطان، ونقلوا ما فى دورهم^(٤).

* * *

ومات فى هذه السنة ممن له ذكر

شرف الدين محمد بن على الحيرى، فى ثانى عشرين ربيع الأول. وقد ولى حسبة
القاهرة ومصر غير مرة، بعدما كان من شرار العامة، يتمعش بنبابة الحكم عند المالكية

(١) الذُّحَارُ وَالدَّحِيرُ: وهو مرض يتميز بتبرز متقطع معظمه دم ومخاط ويصعبه ألم وتعنُّ. انظر:

المعجم الوسيط (زحل).

(٢) انظر: النجوم الزاهرة ١٣/٢٥٣.

(٣) انظر: النجوم الزاهرة ١٣/٢٥٣.

(٤) انظر: النجوم الزاهرة ١٣/٢٥٣، ٢٥٤.

بمصر. ثم وقع فى كفر فى سنة ست وتسعين، فأريد قتله، ثم حقن دمه وعزر بالضرب والحبس. ثم صار يتمعش ببيع السكر فى حانوت بالقاهرة. ويشهر بقبائح من السخف، والجون، وسوء السيرة.

ومات صاحبنا ناصر الدين محمد بن مبارك الطازى، أخو الخليفة المستعين بالله لأمه. ونعم الرجل كان.

ومات محب الدين محمد بن الحضرى الأسلمى، أحد كتاب القبط، فى عاشر ربيع الآخرة. وكان نصرانياً، وأسلم عن قريب، على يد الأمير فخر الدين الأستادار، فسماه محمداً كما تقدم، ولقبه محب الدين.

ومات قاضى القضاة جمال الدين عبد الله بن مقداد بن إسماعيل الأقفهسى المالكى، فى رابع عشر جمادى الأولى عن نحو ثمانين سنة - وقد ولى قضاء القضاة المالكية مرتين، الأولى فى الأيام الناصرية فرج، بعد موت نور الدين على بن يوسف بن جلال، فى ثالث عشر جمادى الآخرة، سنة ثلاث وثمانمائة، فأقام أربعة أشهر وعشرة أيام، وصرف فى ثالث عشرين شهر رمضان بابن خلدون. ثم ولى ثانيًا، فأقام خمس سنين وثمانية أشهر ويومين، ومات وهو قاض، وكان فقيهاً، بارعاً فى الفقه. أخذ عن الشيخ خليل. وناب فى الحكم عن العلم سليمان البساطى^(١) من سنة ثمان وسبعين وسبعمائة إلى أن استبد بالقضاء. ودرس بالقمحية وغيرها. وعرف بالستر والصيانة وصار المعول على فتاويه مدة سنين^(٢).

ومات شمس اللدين محمد بن محمد بن حسين البرقى الحنفى، أحد نواب الحكم

(١) سليمان بن خالد بن نعيم بن مقدم بن محمد بن حسن بن غانم بن محمد (٧٨٦هـ = ١٣٨٤ م) قاضى القضاة علم الدين أبو الربيع البساطى المالكى. قاضى قضاة الديار المصرية. أصله من شبرايبسون من قرى الغربية بالقرب من النحريرية من أعمال القاهرة، ونزل عمه عثمان بن نعيم بقرية بساط، وكان أخوه خالد والد علم الدين هذا فى حجره، فنشأ ببساط، وولد سليمان هذا بها فعرف بالبساطى، وقدم علم الدين إلى القاهرة واشتغل بها حتى برع فى الفقه وغيره، وناب فى الحكم عن قاضى القضاة برهان الدين الإخنائى، ثم عن بدر الدين عبد الوهاب الإخنائى، ثم وقع بينه وبين البدر الإخنائى المذكور، فسعى عليه الأمير قرطاي القائم بعد قتل الملك الأشرف شعبان بأمر الدولة، وتولى القضاء فى سابع عشرين ذى القعدة سنة ثمان وسبعين وسبعمائة، عوضاً عن بدر الدين الإخنائى. وباشر القضاء بعفة وتقشف، واطراح التكلف فى ملبسه ومجلسه وجميع أحواله. انظر المنهل الصافى ٦/ ٢٦ وما بعدها. الدليل الشافى ١/ ٣١٢ النجوم الزاهرة ١١/ ٣٠٠ أنباء الغمر ١/ ٢٩٣ الدرر ٢/ ٢٤٣ نزهة النفوس ١/ ١٠٨ حسن المحاضرة ٢/ ١٨٨ - ١٨٩.

(٢) انظر: النجوم الزاهرة ١٣/ ٢٩٧، ٢٩٨.

الحنفية، فى سابع جمادى الآخرة. وكانت سيرته ذميمة^(١).

ومات الشيخ على كهنفوش^(٢): صاحب الزاوية تحت الجبل الأحمر. وكان مشكور السيرة، محمود الطريقة، له حظ من الأثر^(٣).

ومات صلاح الدين خليل بن زين الدين عبد الرحمن بن الكويز، ناظر الديوان المفرد، فى عاشر رمضان^(٤).

ومات ناصر الدين محمد بن كمال الدين محمد بن عثمان بن محمد بن عبد الرحيم ابن إبراهيم بن المسلم بن هبة الله بن حسان بن محمد بن منظور بن أحمد بن البارزى، الجهنى، الحموى، الشافعى، الفقيه، الأديب، النحوى، كاتب السر، فى يوم الأربعاء ثامن شوال، ودفن على ولده الشهابى أحمد تجاه قبر الإمام الشافعى بالقرافة^(٥).

ومات الصاحب كريم الدين عبد الله بن شاكر بن عبد الله بن غنام، فى سابع عشرين شوال، وقد أناف على المائة، وحواسه سليمة، وُزِّر مرتين، وأنشأ مدرسة^(٦) بجوار الجامع الأزهر من القاهرة.

ومات قرايوسف بن قرا محمد بن بيرم خجا، صاحب بغداد وتبريز، فى رابع عشر ذى القعدة.

وقتل ملك المغرب صاحب فاس، السلطان أبو سعيد عثمان ابن السلطان أبى العباس أحمد ابن السلطان أبى سالم إبراهيم ابن السلطان أبى الحسن على بن عثمان بن يعقوب ابن عبد الحق المرينى^(٧)، فى ليلة الثالث عشر من شوال، قتله وزيره عبد العزيز اللبائى^(٨)، وأقام عوضه ابنه أبا عبد الله محمد. وكانت مدته ثلاثاً وعشرين سنة، وثلاثة أشهر، وأياماً، خربت فيها فاس^(٩) وأعمالها، وذلت بنو مرين، واتضع ملكها، وتلاشى، وفى ذى الحجة سار أبو زيان محمد بن أبى طريق محمد ابن السلطان أبى

(١) انظر: النجوم الزاهرة ١٣ / ٢٩٨.

(٢) فى أنباء الغمر «على القلندرى».

(٣) انظر: النجوم الزاهرة ١٣ / ٢٩٨.

(٤) انظر: النجوم الزاهرة ١٣ / ٢٩٨.

(٥) انظر: النجوم الزاهرة ١٣ / ٢٩٨.

(٦) هى مدرسة ابن غنام بحارة كتامة، وتعرف بزاوية الغنامية. انظر الخطط التوفيقية ٢ / ٢٦٢.

(٧) سبق ترجمته.

(٨) وقع فى الضوء اللامع اللبائى.

(٩) سبق ترجمتها.

السلوك لمعرفة دول الملوك ٢٣
عنان من تازى. وكان ابن الأحمر قد بعث به من الأندلس لأخذ فاس، فنزل عليها،
وبايعه الشيخ يعقوب الحلفاوى الثائر بمدينة فاس، بمن اجتمع معه من أهل البلد، وقاتلوا
اللبانى أربعة أشهر^(١).

* * *

(١) انظر: النجوم الزاهرة ١٣ / ٣٠٠.

سنة أربع وعشرين وثمانمائة

أهلت وخليفة الوقت المعتضد بالله أبو الفتح داود بن المتوكل على الله أبي عبد الله محمد. والسلطان بديار مصر والشام والحجاز الملك المؤيد أبو النصر شيخ الحمودى الظاهرى، وهو مريض، ومعظم عسكر مصر بمدينة حلب صحبة الأمير الكبير الطنبغا القرمشى أتاك العساكر، ومعه من الأمراء طوغان أمير أخور، والطنبغا من عبد الواحد - المعروف بالصغير - رأس نوبة النوب، والطنبغا المرقبى حاجب الحجاب، وجرياش الكرىمى رأس نوبة، وغيرهم. وعند السلطان من الأمراء قجقار القردمى أمير سلاح، وططر أمير مجلس، وتبىك ميق العلاى، ومقبل الدوادار. والوزير يومئذ الصاحب بدر الدين حسن بن نصر الله. ووظيفة نظر الخاص ليست بيد أحد، وإنما يتحدث فيها عن السلطان الطواشى مرجان الهندى الخازندار. وأستادار الأمير يشبىك أينالى. وكاتب السر كمال الدين محمد بن محمد بن البارزى، وقاضى القضاة شيخ الإسلام جلال الدين عبد الرحمن بن البلقينى الشافعى. وقاضى القضاة الحنفية زين الدين عبد الرحمن التفهنى. وقاضى القضاة المالكية بديار مصر شمس الدين محمد البساطى. وقاضى القضاة الحنابلة علاء الدين على بن مغلى. ونائب الإسكندرية ناصر الدين محمد بن أحمد بن عمر بن العطار. ونائب غزة أركماس الجلبانى. ونائب الشام جقمق الدوادار. ونائب حلب يشبىك اليوسفى، ونائب قيصرية الروم محمد بك بن دلغادر التركمانى. ونائب صفد قطلوبغا التنمى. ونائب طرابلس أسنبغا الزردكاش. ونائب حماة آق بلاط. وأمير مكة الشريف حسن بن عجلان. وأمير المدينة النبوية الشريف عَزَّيْر بن هيازع، ومتملك اليمن الملك الناصر أحمد بن الأشرف إسماعيل. ومتملك بلاد الشرق شاه رخ بن تيمور كُرْكان، ومتملك بلاد الروم سلطان محمد كرشجى بن خونديكار بايزيد بن مراد بن عثمان. ومحتسب القاهرة إبراهيم ابن الوزير ناصر الدين محمد بن الحسام. ووالى القاهرة بكلمش ابن فرى. وكاشف الوجه القبلى دمرداش. وكاشف الوجه البحرى حسين الكردى ابن الشيخ عمر، وكان مشكور السيرة على تقوى، كما ذكر.

شهر الله المحرم الحرام، أوله الأحد:

أهل والقمح بمائتى درهم وثمانين درهماً الأردب فما دونها، والشعير كل أردب

بمائة وسبعين. والفول كل أردب بمائة وستين، وذلك سوى كلفه، ولحم الضأن بتسعة دراهم الرطل، ولحم البقر بستة دراهم ونصف كل رطل. والدينار المشخص بمائتين وعشرة دراهم فلوساً. والمثقال الهرجة بمائتين وثلاثين درهماً، وهو قليل الوجود بأيدي الناس. والدرهم المؤيدية كل مؤيدى بسبعة دراهم فلوساً، وهى كثيرة بأيدي الناس، وقد أتلف أهل الفساد وزنها ونقصوها بهرشها، حتى خفت، وضربوا على مثالها نحاساً يخالطه يسير من الفضة، فعن قليل تنكشف ويظهر زيفها. والفلوس كل رطل بستة دراهم، وقد فسدت، فإنه صار يخلط مع الفلوس من المسامير الحديد المكسورة، ومن نعال الخيل الحديد، ونحوها من قطع النحاس وقطع الرصاص شىء كثير، بحيث لا يكاد يوجد فى القنطار من الفلوس إلا دون ربهه فلوساً وباقيه حديد ونحاس ورصاص.

هذا والناس فى القاهرة على تخوف وقوع الفتنة بموت السلطان. وقد كثر عبث المفسدين وقطاع الطريق ببلاد الصعيد. وفحش قتل الأنفس، وأخذ الأموال هناك. ومع ذلك فالأسواق كاسدة، والبضائع بأيدي التجار بايرة، والأحوال واقفة، والشكاية قد عمت، فلا تجد إلا شاكياً وقوف حاله، وقلة مكسبه. وجور الولاة والحكام وأتباعهم متزايد، فتسأل الله حسن العاقبة.

وفى يوم الخميس خامسه: صعد الأمراء قلعة الجبل، وجلسوا على باب الدار، فخرج إليهم الطواشى واعتذر لهم عن دخولهم، فانصرفوا، وكانوا على هذا منذ أيام. والإرجاف يقوى، فإن السلطان أفرط به الإسهال مع تنوع الأسقام، وتزايد الآلام، بحيث قال لى طبيبه: «لم يبق مرض من الأمراض حتى حصل له». وقد افترق الأمراء فرقا، فطلب الأمراء الذين فى القلعة - وكبيرهم ططر - الأمير التاج الشويكى، وخلعوا عليه فى بعض دور القلعة، وجعلوه الى القاهرة، وشقها فى تحمل زائد، أرهب به من كان يخاف منه أن يمد يده إلى النهب من مفسدى العامة. وما برح الإرجاف بالسلطان فى كل يوم، حتى مات قبيل الظهر من يوم الإثنين تاسعه، فارتج الناس ساعة، ثم سكنوا. فطلب القضاة والخليفة لإقامة ابن السلطان، فأقيم فى السلطنة. وأخذ فى جهاز المؤيد، وصلى عليه خارج باب القلعة، وحمل إلى الجامع المؤيدى، فدفن بالقبة قبيل العصر، ولم يشهد دفنه كثير أحد من الأمراء والمماليك، لتأخرهم بالقلعة، فيما يأتى ذكره إن شاء الله تعالى (١).

واتفق فى أمر المؤيد موعظة فيها أعظم عبرة، وهو أنه لما غُسل لم يوجد له منشفة

ينشف بها، فنشف بمنديل بعض من حضر غسله. ولا وجد له مئزر تُسَرَّب به عورته، حتى أخذ له مئزر صوف صعيدي من فوق رأس بعض جواريه فستر به، ولا وجد له طاسة يصب عليه بها الماء وهو يغسل مع كثرة ما خلفه من أنواع الأموال.

ومات وقد أناف على الخمسين، وكانت مدة ملكه ثمانى سنين، وخمسة أشهر، وثمانية أيام. وكان شجاعاً، مقداماً، يحب أهل العلم، ويجالسهم، ويجل الشرع النبوي، ويدعن له، ولا ينكر على من طلبه منه إذا تحاكم إليه أن يمضى من بين يديه إلى قضاة الشرع، بل يعجبه ذلك. وينكر على أمرائه معارضة القضاة فى أحكامهم. وكان غير مائل إلى شىء من البدع. وله قيام فى الليل إلى التهجد أحياناً. إلا أنه كان بخيلاً، مسيئاً يشح حتى بالأكل، لجوجاً، غضوباً، نكداً، حسوداً، معياناً^(١)، يتظاهر بأنواع المنكرات، فحاشاً، سباباً بذياً شديد المهابة، حافظاً لأصحابه، غير مفرط فيهم، ولا مضيعاً لهم، وهو أكثر أسباب خراب مصر والشام، لكثرة ما كان يثيره من الشرور والفتن أيام نيابته بطرابلس ودمشق. ثم ما أفسده فى أيام ملكه من كثرة المظالم ونهب البلاد، وتسليط أتباعه على الناس، يسومونهم الذلة، ويأخذون ما قدروا عليه، بغير وازع من عقل، ولا ناه من دين^(٢).

* * *

السلطان الملك المظفر أبو السعادات

أحمد بن المؤيد شيخ^(٣)

أقيم فى السلطنة يوم مات أبوه، على مضى خمس درج من نصف نهار الإثنين، تاسع الحرم سنة أربع وعشرين وثمانى مائة، وعمره سنة واحدة، وثمانية أشهر، وسبعة أيام. وأركب على فرس من باب الستارة، فبكى. وساروا به وهو يركب إلى القصر، حيث الأمراء والقضاة والخليفة، فقبلوا له الأرض، ولقبوه بالملك المظفر أبى السعادات. وأمر فى الحال، فنودى فى القلعة والقاهرة أن يترحم الناس على الملك المؤيد، ويدعوا للملك المظفر ولده. وأخذ فى جهاز المؤيد ودفنه.

(١) رجل معيان أى شديد الإصابة بالعين. انظر القاموس المحيط ومحيط المحيط ومعجم الوسيط (عين).

(٢) انظر: النجوم الزاهرة ١٣ / ٢٥٥، ٢٥٦ نقلا عن المقرئى.

(٣) انظر: ترجمته فى النجوم الزاهرة ١٤ / ٣ وما بعدها، نزهة النفوس والأبدان ٢ / ٤٩٤، أنباء الغمر ٧ / ٤٠٦ وما بعدها، الضوء اللامع ١ / ٣١٣، الأعلام ١ / ١٣٧.

وقبض على الأمير قجقار القردمى أمير سلاح قبل دفن المؤيد، وأحيط بمباشريه وحواصله، بإشارة الأمير ططر، وبات بالقلعة والناس على تحوف.

وفى يوم الثلاثاء عاشره: عملت الخدمة بالقصر، وعرض على الأمير تنبك ميق أن يتحدث فى أمور الدولة، رفيقاً للأمير ططر، فامتنع من ذلك أشد امتناع، فقام الأمير ططر بأعباء الدولة، وخلع عليه لالا للسلطان وكافله. وخلع على الأمير تنبك ميق هذا، والمظفر قد أجلس وهم حوله. فلما انقضت الخدمة أعيد إلى أمه. واستقر سكنى الأمير ططر بالأشرافية من القلعة، ووقف الأمراء ومباشرو الدولة بين يديه^(١).

وفى يوم الأربعاء حادى عشره: قبض على الأمير جُلبان والأمير شاهين الفارسى، وهما من أمراء الألو ف. وطلب قضاة القضاة الأربع إلى القلعة، وختتم بحضورهم على حواصل المؤيد بعدما أخرج منها أربعمائة ألف دينار، يرسم النفقة على العسكر. فلما كان عشاء، اضطرب الناس ولبس الأمراء والماليك للحرب، فخرج الأمير مقبل الدوادار فى عدة من أمراء الطبلخاناه والعشرات ومن الماليك والأتباع، وسروا إلى جهة الشام، فاجتمع الأمراء بكرة الخميس بالقلعة. ونودى بأبطال المغارم التى حدثت على الجرايف^(٢) وعمل الجسور بأعمال مصر. ونودى باجتماع الماليك السلطانية للنفقة فيهم، فأخذ كل واحد منهم مائة دينار. ونودى ثالث مرة بحضور أجناد الحلقة، ليرد عليهم ما أخذ منهم المؤيد من المال فى سنة اثنين وعشرين، فسروا بذلك سروراً زائداً.

وفيه أخذ الأمير الكبير ططر بيد المظفر، وفيها القلم حتى علم على المناشير ونحوها، بحضرة الأمراء وأرباب الدولة، واستمر ذلك أحياناً^(٣).

وفى يوم الجمعة ثالث عشره: حُمل قجقار القردمى وجلبان وشاهين الفارسى فى القيود إلى سجن الإسكندرية^(٤).

وفيه أنفق فى بقية الماليك السلطانية أيضاً كما تقدم.

وفى يوم السبت رابع عشره: خلع على الوزير الصاحب بدر الدين حسن بن نصر الله، وأعيد إليه نظر الخاص. وخلع على صدر الدين أحمد بن العجمى وأعيد إلى حسبة

(١) انظر: النجوم الزاهرة ١٤ / ٤.

(٢) آله تستخدم فى تطهير الترع، وفى جرف الطمى منها. انظر: المعجم الوسيط ١ / ١٢٣.

(٣) انظر النجوم الزاهرة ١٤ / ٧.

(٤) انظر: النجوم الزاهرة ١٤ / ٨.

القاهرة، عوضًا عن الصارم إبراهيم بن الحسام، وأنعم عليه بصره فيها ثمانون دينارًا. وأضيف إليه حسبة مصر، ورتب له على ديوان الجوالى^(١) فى كل يوم دينار^(٢).

وفيه أنفق فى بقية الممالك أيضا، وأفرج عن جماعة سجنهم المؤيد.

وفى يوم الإثنين سادس عشره: خلع على الأمير الكبير ططر، واستقر نظام الملك، كافل الممالك. وخلع على الأمير تنبك ميق العلاى، واستقر أمير مجلس، عوضًا عن الأمير ططر. وخلع على الأمير تغرى بردى من قصره، أحد رعوس النوب الطبلخاناه، واستقر أمير أخور، وأنعم عليه بتقدمة، عوضًا عن طوغان أحد المجردين بحلب. وخلع على الأمير آق قجا الأحمدي أحد الطبلخاناه، واستقر أمير مائة. وخلع على الأمير قشتمر أحد العشرات، واستقر فى نيابة الإسكندرية عوضًا عن ابن العطار. وخلع على الأمير جانبك الصوفى، واستقر أمير سلاح عوضًا عن الأمير قجقار القردمى. وأنعم عليه بمجنز آق بلاط الدمرداشى. وخلع على الأمير أينال أحد الطبلخاناه، واستقر رأس نوبة النوب، عوضًا عن الأمير ألطنبغا الصغير أحد المجردين بحلب. وخلع على الأمير يشبك أستاذار، خلعة الاستمرار، وخلع على التاج باستمراره فى ولاية القاهرة، وأن يكون حاجبًا.

وفى يوم الثلاثاء سابع عشره: توجهت القصاد بتشاريف نواب الشام وتقاليدهم المظفرية باستقرارهم على عاداتهم فى كفالاتهم. وكتب الأمير نظام الملك ططر العلامة على الأمثلة ونحوها، كما يكتب السلطان^(٣).

وفى يوم الأربعاء ثامن عشره: ابتدئ بالنفقة فى أجناد الحلقة، ورد على كل أحد منهم ما أخذ منه. وتولى ذلك الأمير نظام الملك بنفسه^(٤).

وفيه نودى بكف الناس عن المنكرات كلها، فكثرت الدعاء لناظم الملك، وتمشت أحوال الناس، وكثرت البيع والشراء، فراجت البضائع وربحت التجار لتوسع أهل الدولة، مما صار إليهم من الأموال.

وفى يوم الخميس تاسع عشره: خلع على قضاة القضاة الأربع، وبقية أرباب الدولة باستمرارهم على عوائدهم فى وظائفهم. وخلع على شرف الدين محمد بن تاج الدين

(١) الجوالى: هو ما يؤخذ من أجل الذمة من الجزية المقررة عليهم فى كل سنة.

(٢) انظر: النجوم الزاهرة ١٤ / ٨.

(٣) انظر: النجوم الزاهرة ١٤ / ٩.

(٤) انظر: النجوم الزاهرة ١٤ / ٩.

٣٠ سنة أربع وعشرين وثمانمائة

عبد الوهاب بن نصر الله موقع الأمير نظام الملك. واستقر في نظر أوقاف الأشراف. وكان يليه الأمير ططر منذ مات ناصر الدين محمد بن البارزى^(١).

وفيه استعفى علم الدين داود بن الكويز من مباشرة نظر الجيش، فأعفى. وخلع عليه جبة بفرو سمور، ونزل إلى داره.

وفيه قدم الخير بوصول الأمير مقبل الدوادار إلى قطيا، ومضيه إلى الطينة وركوبه البحر في غراب قد أعدّه.

وفي يوم الجمعة عشرينه: نودى بأن الأمير الكبير نظام الملك ططر يجلس للحكم بين الناس، فجلس بعد الصلاة بالمقعد من الإسطبل، كما كان المؤيد يجلس، إلا أنه قعد عن يسار الكرسي، ولم يرقه. وحضر الأمراء على العادة، وقعد كاتب السر على الدكة، فقرأ عليه القصص، كما كان يقرأ في الأيام المؤيدية. ووقف نقيب الجيش ووالى القاهرة بين يديه، كما كانا يقفان بين يدي المؤيد، فنظر في ظلمات الناس^(٢).

وفي يوم السبت حادى عشرينه: تنكر الأمير الكبير على الصاحب تاج الدين بن الهيصم، وعزله عن نظر الديوان المفرد^(٣).

وفي يوم الأحد المبارك ثانى عشرينه: فرق الأمير الكبير نظام الملك ططر في بقية أجناد الحلقة ما أخذ منهم.

وفيه قدم ركب الحاج الأول.

وفي يوم الإثنين ثالث عشرينه: قدم محمل الحاج ببقية الحاج.

وفيه طلب تاج الدين عبد الرزاق بن شمس الدين عبد الله، المعروف بابن كاتب المناخات، مستوفى^(٤) الديوان المفرد، وخلع عليه بوظيفة نظر الديوان المفرد، عوضاً عن ابن الهيصم. وخرج من بين يدي الأمير الكبير، حتى توسط الدهليز طلب ونزعت عنه الخلعة، وأفيض عليه تشريف الوزارة وهو يمتنع، فلم يلتفت إليه ومضى إلى داره. وكان ذلك برغبة ابن نصر الله عن الوزارة، وتعيينه لها عوضه. وطلب ابن الهيصم، وخلع

(١) انظر: النجوم الزاهرة ١٤ / ١٠.

(٢) انظر: النجوم الزاهرة ١٤ / ١٠، ١١.

(٣) انظر: النجوم الزاهرة ١٤ / ١١.

(٤) المستوفى من كتاب الأموال بالدواوين، وعمله هو ضبط الديوان التابع له والتنبيه على ما فيه مصلحته من استخراج أموال ونحو ذلك. انظر: صبح الأعشى ٥ / ٤٦٦، قوانين الدواوين ٢٩٨، ٣٠١ نهاية الإرب ٣ / ٢٩٩.

عليه وأعيد إلى نظر الديوان المفرد. وخلع على الصاحب بدر الدين حسن بن نصر الله باستقراره فى نظر الخاص. وخلع على الأمير يشبك باستقراره ملك الأمراء كاشف الكشاف^(١) بالوجهين القبلى والبحرى، مضافاً للأستادارية.

وفى يوم الخميس سادس عشرينه: خلع على كمال الدين محمد بن البارزى كاتب السر، واستقر فى نظر الجيش، عوضاً عن علم الدين داود بن الكويز^(٢).

وفى يوم الجمعة سابع عشرينه: جلس الأمير الكبير ططر بالمقعد السلطانى من الإسطنبول بعد صلاة العصر، للحكم بين الناس. وأخرج المسجونين وعرضهم، فعزل من عليه دين منهم ليصالح غرماءهم عن ديونهم.

وفى يوم السبت ثامن عشرينه: توجه الأمير يشبك أستاذار، وكاشف الكشاف، إلى الوجه القبلى، فى عدة من الأجناد.

وفى يوم الإثنين سلخه: خلع على القاضى علم الدين داود بن الكويز، واستقر فى نظر ديوان الإنشاء كاتب السر عوضاً عن كمال الدين محمد بن البارزى، فتسلم القوس غير رامياها، ووسدت الأمور إلى غير أهليها.

وفيه خلع أيضاً على عدة من موقعى الدست، خلع الاستمرار.

شهر صفر:

أهل بيوم الثلاثاء: والإرجاف متزايد بأن أهل الشام قد امتنعوا من طاعة الأمير ططر.

وفى يوم الجمعة رابعه: جلس الأمير ططر للحكم على العادة.

وفى سابعه: قدم الخير بأن الأمير جقمق نائب الشام أخذ قلعة دمشق واستولى على ما فيها من الأموال وغيرها، وكان بها نحو المائة ألف دينار، فاضطرب أهل الدولة.

وفى عاشره: جمع الأمير الكبير ططر عنده بالأشرفية من القلعة قضاة القضاة وأمراء الدولة ومباشريها، وكثيراً من المماليك السلطانية، وأعلمهم بأن نواب الشام والأمير أطنبغا القرمشى ومن معه من الأمراء المجردين لم يرضوا بما عمل بعد موت المؤيد، ولا بد للناس من حاكم يتولى تدبير أمورهم، ولا بد أن يعينوا رجلاً ترضونه ليقوم بأعباء

(١) كاشف الكشاف: هو رئيس الكشاف، وكانت رتبته أمير مائة مقدم ألف، وهو الذى

يشرف على أحوال الأراضى والجسور. انظر: صبح الأعشى ٢٥/٤.

(٢) انظر: النجوم الزاهرة ١٢/١٤.

المملكة ويستبد بالسلطنة. فقال الجميع «قد رضينا بك». وكان الخليفة حاضراً فيهم، فأشهد عليه أنه فوض جميع أمور الرعية إلى الأمير الكبير ططر، وجعل إليه ولاية من يرى ولايته، وعزل من يريد عزله من سائر الناس، وأن يعطى من شاء ما شاء ويمنع من يختار من العطاء، ما عدا اللقب السلطاني، والدعاء له على المنابر، وضرب اسمه على الدنانير والدرهم، فإن هذه الثلاثة أشياء باقية على ما هي عليه للملك المظفر. وأثبت قاضي القضاة زين الدين عبد الرحمن التفهني هذا الإشهاد، وحكم بصحته. ونفذ حكمه قضاة القضاة الثلاثة. ثم حلف الأمراء للأمير الكبير يمينهم المعهودة. وكان سبب هذا أن بعض فقهاء الحنفية تقرب إلى الأمير الكبير بنقل أخرجته إليه من فروع مذهبه أن السلطان إذا كان صغيراً وأجمع أهل الشوكة على إقامة رجل ليتحدث عنه حتى يبلغ رشده نفذت أحكامه، وأقام أياماً يحسن له ذلك، فاتفق ورود الخير باستيلاء جقمق على قلعة دمشق. ثم ردفه خير آخر، بأنه جهز عدة أمراء إلى غزة، فعمل ما تقدم ذكره ليكون فيه تقوية لقلوب العسكر، وأنهم على حق، ومن يخالفهم على باطل^(١).

وفي يوم الإثنين رابع عشره: خلع على عبد القادر ابن الأمير فخر الدين عبد الغنى ابن أبي الفرج، واستقر في كشف الشرقية وولاية قطيا، وله من العمر خمسة عشر سنة أو أكثر منها، فتحكم في دماء الخليفة وأبشارها من لم يجعل الله له تحكما فيما يرثه من أبيه، لعدم رشده.

وفي ليلة الثلاثاء سادس عشره: خسف جميع جرم القمر.

وفي يوم الثلاثاء هذا: قدم سيف نائب حلب الأمير يشبك اليوسفي المؤيدي، وقد قتل. وكان من خبره أنه لما ورد خير موت المؤيد على الأمير الطنبغا القرمشي وهو بحلب، جمع الأمراء وفيهم الأمير يشبك نائب حلب، وحلفهم للسلطان الملك المظفر، وأخذ في رحيله بمن معه، فلم يتكامل رحيلهم حتى ركب يشبك في جمع من التركمان، وهجم عليهم وهم في جدران المدينة، فقاتلوه وقد مالت معهم العامة، فتقنطر عن فرسه، فأخذ وقتل، وذلك في يوم الثلاثاء ثالث عشرين المحرم. وكان من شرار خلق الله، لما هو عليه من الفجور والجرأة على الفسوق، والتهور في سفك الدماء، وأخذ الأموال. وكان المؤيد قد استوحش منه لما يبلغه من أخذه في أسباب الخروج عليه، وأسرَّ للأمير الطنبغا القرمشي أعمال الحيلة في القبض عليه، فاتاه الله من حيث لم يحتسب، وأخذه أخذاً وبيلاً، والله الحمد.

وفي يوم الخميس سابع عشره: قدم الأمير قُجق العيسوى حاجب الحجاب، والأمير بييغا المظفرى وقد أفرج عنهما من سجن الإسكندرية. وقدم يشبك الساقى الأعرج وكان قد نفاه المؤيد من دمشق إلى مكة. وقد حضر إليه من حلب فى حصاره الأمير نوروز بجيلة دبرها عليه، حتى استنزله من قلعة حلب. فلما ظفر بنوروز أراد قتله فيمن قتل من أصحابه، فشفع فيه الأمير ططر فأخرجه إلى مكة فأقام بها سنين. ثم نقله إلى القلس، فلم تطل إقامته بها حتى مات المؤيد وتحكم الأمير ططر، فاستدعاه. وكان له منذ خرج من القاهرة نحو العشرين سنة، فإنه خرج فى نوبة بركة الحبش من سنة أربع وثمانى مائة.

وفيه أيضا قدم سودن الأعرج من قوص، وقد نفى إليها من سنين عديدة.

وفيه أفرج عن الأمير ناصر الدين محمد باك بن على باك بن قرمان، وخلع عليه، ورسم بتجهيزه ليعود إلى مملكته. وأنعم عليه بمال وثياب وخيول وغير ذلك، فسار فى النيل يوم السبت سادس عشرينه إلى جهة رشيد^(١)، ليتوجه منها.

شهر ربيع الأول، أوله الأربعاء:

فيه ورد كتاب الأمير الكبير أَلطنبغا القرمشى من حلب، يتضمن أنه لما قتل الأمير يشبك نائب حلب، ولى عوضه نيابة حلب الأمير أَلطنبغا الصغير، وأنه عندما ورد عليه خبر موت السلطان بعدما عهد بالسلطنة من بعده لابنه، وأن يكون القائم بأمر الدولة أَلطنبغا القرمشى، وأنه قد أقيم فى السلطنة الملك المظفر كما عهد، أخذ فى الرحيل إلى مصر كما رسم له به. فكان من أمر يشبك ما كان، فاشتغل عن المسير. ثم ورد عليه الخبر باستقرار نواب المماليك الشامية على عوائلهم فيما بأيديهم، وتحليفهم للسلطان الملك المظفر، وللأمير الكبير ططر، فحمل الأمر فى ذلك على أنه غلط من الكاتب، وسأل أن يفصح له عن ذلك، فأجيب بأنه بعد ما عهد المؤيد لابنه، وأقيم من بعده فى السلطنة طلب الأمراء والخاصكية والمماليك السلطانية أن يكون المتحدث فى أمور الدولة كلها الأمير ططر، ورغبوا إليه فى ذلك، ففوض إليه الخليفة جميع أمور المملكة، ما عدا اللقب السلطانى والخطبة والسكة، فليحضر الأمير ومن معه ليكونوا على إمرياتهم. وأنكر عليه استقرار أَلطنبغا الصغير^(٢) فى نيابة حلب من غير استئذان^(٣).

(١) رشيد: بليدة على ساحل البحر والنيل قرب الإسكندرية. انظر معجم البلدان ٣/ ٤٥.

(٢) أَلطنبغا بن عبد الله بن عبد الواحد الظاهرى (٨٢٤ هـ = ١٤٢١ م)، الأمير علاء الدين، المعروف بالصغير هو من صغار المماليك الظاهرية برقوق، ومن ترقى فى الدولة المؤيدية شيخ إلى أن =

وفيه أيضا قدم الخير بأن على بن بشارة قاتل الأمير قطلوبغا التتمى نائب صفد، فامتنع بالمدينة، فحصره حتى فر إلى دمشق. وأن الأمير جقمق استعد بدمشق، واستخدم جماعة، وسكن قلعة دمشق.

وفي تاسعه: خلع على الأمير تنبك ميق العلاى، واستقر أتاكب العساكر، عوضا عن الأمير أطنبغا القرمشى. وأنعم عليه بإقطاعه. وأنعم بإقطاع تنبك ميق على الأمير أينال الأزعري. وأنعم بإقطاع أينال الأزعري على الأمير قُحُق العيسوى. وأنعم بإقطاع الأمير طوغان أمير أخور - أحد المجردين - على الأمير تغرى بردى الأقبغاوى، المعروف بأخى قصره. وأنعم بإقطاع الأمير أطنبغا من عبد الواحد المعروف بالصغير رأس نوبة المستقر فى نيابة حلب، على سودن العلاى. وأنعم بإقطاع سودن العلاى على قَطُج من تمرار. وأنعم بإقطاع الأمير أزدمر الناصرى^(١) - أحد المجردين - على الأمير ببيغا المظفرى. وأنعم بإقطاع الأمير جرباش من عبد الكريم على تمريه من قرمش. وبإقطاع على أركماس اليوسفى. وبإقطاع أركماس على سودن الحموى. وبإقطاع سودن الحموى على شاهين الحسينى وتغرى بردى المحمدى قَسَمَ بينهما. وأنعم

= صار أميرا ومقدم ألف، ثم ولاه رأس نوبة النوب بعد الأمير ططر، بحكم انتقال ططر إلى إمرة مجلس. واستمر الأمير أطنبغا على ذلك، إلى أن تجرد صحبة الأمير أطنبغا القرمشى إلى البلاد الشامية، ووقع ما حكيناه قريبا فى ترجمة القرمشى، ومن تولية المذكور لنيابة حلب بعد قتل الأمير بشتك اليوسفى المؤيدى. واستمر أطنبغا الصغير هذا فى نيابة حلب إلى أن بلغه أن الأمير ططر قبض على القرمشى وقتله تخوفا منه، وخرج من حلب فارا، فلقبه بعض تركمان الطاعة، فركبوا وقاتلوه، فقاتلهم قتالا شديدا، ثم إنكسر وأمسك وقُتل. بمعاملة البلاد الحلبية، فى تاسع شعبان سنة أربع وعشرين وثمانمائة. وكان شابا ظريفا تركيا، مليح الشكل، شجاعا، سخيا، وله مشاركة هينة، ويستحضر بعض تاريخ وكثيرا من السيرة النبوية، وكان منهكما فى اللذات. انظر المنهل الصافى ٦٧، ٦٦/٣.

(٣) انظر: النجوم الزاهرة ١٨ / ١٤.

(١) أزدمر عبد الله الناصرى، الأمير سيف الدين (٨٢٤ هـ = ١٤٢١ م). أحد أمراء الألوفا بالديار المصرية، أصله من ممالك الظاهر برقوق ونسبته بالناصرى إلى جالبه خواجا ناصر الدين، مات أستاذه الملك الظاهر وهو من جملة المماليك السلطانية، وتنقل فى الدولة حتى صار فى الدولة المؤيدة شيخ أمير مائة ومقدم ألف بديار مصر، واستمر على ذلك إلى أن تجرد صحبة الأمير إلى البلاد الشامية، ومات الملك المؤيد وهم بتلك البلاد ثم سافر الأتابك ططر إلى بلاد الشام، ووقع له أمور وحوادث، وقبض على الأمير الكبير أطنبغا القرمشى وعلى جماعة آخر ممن كانوا صحبة، قبض على أزدمر هذا أيضا معهم، وكان ذلك آخر العهد به، وذلك سنة أربع وعشرين وثمانمائة. وكان أمير حليلا ذا لحية بيضاء نيرة، رأسا فى العب الرمح وغيره من أنواع الفروسية، وعنده سلامة باطن، وله وجاهة فى الدول. انظر المنهل الصافى ٢ / ٣٥١، ٣٥٢.

بإقطاع الأمير جلبان المؤيدى أمير أخور على ألى بيه من علم شيخ الدوادار. وأنعم بإقطاع ألى بيه على الديوان المفرد، زيادة فيه. وأنعم بإقطاع الأمير مقبل الدوادار على جقمق الخازندار. وأنعم بإقطاع الأمير ألطنبغا المرقبى حاجب الحجاب على قصره التمرزى. وأنعم بإقطاع جانبك من حمزة على قانيه الحمزاوى. وأنعم بإقطاع قصره على مغلباى البوبكرى^(١).

وفى يوم الأحد حادى عشره: عوق القاضى كمال الدين محمد بن البارزى ناظر الجيش، وجموه الأمير ناصر الدين محمد بن العطار نائب الإسكندرية بالقلعة، على مال يقومان به. ثم أفرج عنهما من الغد يوم الإثنين، وخلع على كمال الدين خلعة الاستمرار، ليقوم بمال، ورسم على ابن العطار.

وفيه قدم الأمير يشبك أستاذار من الوجه القبلى، فخلع عليه فى يوم الثلاثاء حادى عشرينه، واستقر كاشف الكشاف، وفوض إليه عزل الولاة بالأعمال وولايتهم، عوناً له على كلف الديوان المفرد. بما يأخذه منهم من البراطيل.

وفى يوم الأربعاء ثانى عشرينه: فرق الأمير الكبير ططر على الأمراء والمماليك أربع مائة فرس برسم السفر إلى الشام ورُسم بالتجهيز للسفر.

وفيه قدم قصاد عديدة، من الأمراء المجردين بالشام، فى طلب جماهم وأموالهم، فمنعوا منها. وكتب إلى الأمير ألطنبغا القرمشى بأن الجمال فرقتها السلطان، وقد عزم على السفر «وأنك مخير بين أن تحضر على ما كنت عليه، وبين أن تستقر فى نيابة الشام، عوضاً عن جقمق». وكثر الاهتمام بأمر السفر^(٢).

وفى يوم الإثنين سابع عشرينه: خلع الأمير صلاح الدين محمد ابن الوزير صاحب ناظر الخاص بدر الدين حسن بن نصر الله أحد الحجاب، واستقر أستاذاراً عوضاً عن الأمير يشبك بعد عزله من يوم الجمعة. وأنعم على الأمير صلاح الدين بإمرة مائة مقدمة ألف^(٣).

وفى هذا الشهر والذى قبله: نودى أن لا يسافر أحد من الناس كافة إلى البلاد الشامية، وهدد من وجد مسافراً إليها بأشد العقوبة. وكان القصد بذلك تعمية الأخبار عن المخالفين^(٤).

(١) انظر: النجوم الزاهرة ٩/١٤.

(٢) انظر: النجوم الزاهرة ٢٠/١٤.

(٣) انظر: النجوم الزاهرة ٢١/١٤.

(٤) انظر: النجوم الزاهرة ٢١/١٤.

شهر ربيع الآخر:

أهل بيوم الجمعة: والعسكر فى أهبة السفر.

وفى يوم الإثنين رابعه: ركب الأمير الكبير نظام الملك ططر من القلعة، ومعه الأمراء والمماليك السلطانية. ودخل إلى القاهرة من باب النصر، وخرج من باب زويلة إلى القلعة، فكان فى موكب سلطانى لم يفقد فيه إلا الجاوشية والعصابة. وهذا أول موكب ركبه، فإنه منذ مات المؤيد شيخ لم يركب سوى يومه هذا.

وفى سادسه: نودى من قبل الأمير الكبير نظام الملك ططر فى سائر المماليك السلطانية باجتماعهم لتنفق عليهم النفقة.

وفى يوم الخميس سابعه: جلس الأمير الكبير نظام الملك ططر بالقلعة، وأنفق فى المماليك نفقة السفر، لكل واحد منهم مائة دينار أفرنتية.

وفيه خلع على شمس الدين محمد ابن قاضى القضاة زين الدين عبد الرحمن التفهنى واستقر قاضى العسكر. وكان قضاء العسكر قد شغل منذ أعوام.

وفى تاسعه: أنفق فى الأمراء والمماليك أيضا، فحمل إلى الأمير تنبك العلای ميق خمسة آلاف دينار.

وفى عاشره: أخرج بولدى الملك الناصر فرج بن الظاهر برقوق من القلعة، ونفيا إلى الإسكندرية^(١).

وفى رابع عشره: نصب المخيم السلطانى خارج القاهرة.

وفيه وسط الأمير راشد بن أحمد بن بقر، خارج باب النصر، ظلما.

وفى ثامن عشره: قدم الخبر بأن عساكر دمشق برزت منها، وأنها نزلت بالنجون، فركب الأمير ططر فى يوم الثلاثاء تاسع عشره من قلعة الجبل، ومعه السلطان الملك المظفر والأمراء، يريد السفر إلى الشام. ونزل بهم فى المخيم ظاهر القاهرة، وخرج الناس أفواجا، فى إثره. وأصبح يوم الأربعاء الأمير تنبك ميق راحلا، ومعه عدة من الأمراء وغيرهم ثم استقل الأمير ططر بالمسير ومعه السلطان والخليفة وبقية العسكر فى يوم الجمعة ثانى عشرينه. وقد جعل نائب الغيبة الأمير قانيه الحمزاوى - وهو يومئذ غائب ببلاد الصعيد - وأن ينوب عنه حتى يحضر الأمير جقمق أخو جركس المصارع، وتأخر عن السفر الوزير وأستادار.

(١) انظر: النجوم الزاهرة ٢٣/١٤.

شهر جمادى الأولى أوله الأحد:

فى ثانيه: دخل الأمير ططر^(١) بالسلطان إلى غزة، فقدم إليه طائعا كثير ممن خرج من عسكر دمشق، منهم الأمير جلبان أمير أخور أحد المجردين إلى حلب فى أيام المؤيد، والأمير أينال نائب حماة، فسر بهم، وأنعم عليهم، وفر ممن كان معهم الأمير مقبل الدوادار فى طائفة يريد دمشق. وقدام الخير بذلك إلى القاهرة فى تاسعه، فدقت البشائر بالقلعة، وخلع على القادم.

وفى سادس عشره: قدم الخير بنزول الأمير ططر ومن معه على بيسان فى يوم الثلاثاء عاشره، وأنه ورد عليه الخير من دمشق أن الأمير مقبل لما دخل دمشق وأخير بدخول الأميرين جلبان أمير أخور وأينال نائب حماة فى الطاعة، شق ذلك على الأمير جقمق نائب الشام، وعلى الأمير الطنبغا القرمشى، واختلفا، فاقضى رأى القرمشى أن يدخل فى الطاعة، وامتنع جقمق من ذلك، وصاروا حزبين.

فلما كان فى يوم الإثنين ثالثه: بلغ القرمشى عن جقمق بأنه يريد أن يقبض عليه، فبادرا إلى محاربتة، وركب فى جماعته بألة الحرب، ووقف بهم تجاه القلعة، وقد رفع الصنحق السلطانى، فأتاه جماعة عديدة راغبين فى الطاعة. وكانت بينه وبين جقمق وقعة طول النهار. فانكسر جقمق ومضى هو والأمير طوغان أمير أخور والأمير مقبل الدوادار فى نحو الخمسين فارساً إلى جهة صرخد. وأن القرمشى استولى على مدينة دمشق وتقدم إلى القضاة والأعيان أن يتوجهوا إلى ملاقاتة السلطان. فقدموا إلى العسكر، فدقت البشائر بقلعة الجبل، وخلع على الذى قدم بذلك.

وفى يوم السبت حادى عشرينه: قدم الأمير قانبيه الحمزاوى من بلاد الصعيد، وحكم فى نيابة الغيبة، فانكفت يد جقمق عن الحكم، وكانت سيرته فى الناس جيدة.

وفيه نودى على النيل ثلاثة أصابع، وجاء القاع أربعة أذرع وأربعة وعشرين أصبعاً.

وفى تاسع عشرينه: قدم الخير بأن الأمير ططر لما نزل بمن معه اللجون، أتاه الأمير أزدمر الناصرى، وعلى يده كتاب الأمير الطنبغا القر ومضمونه أن جقمق نائب الشام ركب عليه فى يوم الثلاثاء ثالثه بعسكر دمشق، ووقف عند باب النصر. وأنه ركب بمن معه، ووقف عند جامع يلبغا^(٢). وكانت بينهما حرب من قبل الظهر إلى بعد

(١) سبق ترجمته.

(٢) يقع بسوق الخيل على نهر بردى، والذى أنشأه الأمير يلبغا بن عبد الله اليحياوى الناصرى

العصر، فانكسر من جقمق إلى سويقة صاروجا^(١) ثم قوى وعاد، وقد نصب الصنحق السلطاني ونادى «من كان فى طاعة السلطان فليقف تحت الصنحق» فأناه كثير ممن مع جقمق، فلم يجد بدا من الفرار، فتوجه نحو صرخد ومعه الأميران مقبل وطوغان. فسر الأمير ططر سرورا زائداً. وأنه قدم أيضا الأمير قطلوبغا التمنى نائب صفد، فخلع عليه. وسار الأمير ططر بمن معه إلى دمشق، فدخلها بكرة يوم الأحد، خامس عشره، وقد تلقاه الأمير أظنبغا القرمشى والأمير أظنبغا المرقبى والأمير جرباش قاشق، فخلع على القرمشى ونزل الأمير ططر بالقلعة مع السلطان. وأول ما بدأ به أن قبض على القرمشى والمرقبى وجرباش، وعلى الأمير أُرْدُبغا من أمراء الألوفا بدمشق، وعلى الأمير بدر الدين حسن بن محب الدين أستاذار المؤيد.

وأصبح يوم الإثنين سادس عشره: وقد جلس للخدمة بالقلعة. وخلع على الأمير تنبك العلاى ميق، واستقر به نائب الشام عوضا عن جقمق. وخلع على الأمير أينال الحكمى رأس نوبة النوب، واستقر به نائب حلب. وخلع على الأمير يونس الأتابك بدمشق، واستقر نائب غزة، عوضا عن أركماس الجلبانى. وخلع على الأمير جانبك الصوفى أمير سلاح واستقر أتابك العساكر، عوضا عن الأمير تنبك ميق. وبعث فى طلب الأمير جقمق الأمير بيبغا المظفرى والأمير أينال الأزعرى، والأمير يشبك أينالى، والأمير سودن اللكاشى ومعهم مائتا مملوك. فدقت البشائر بقلعة الجبل مدة ثلاثة أيام. وزينت القاهرة عشرة أيام.

شهر جمادى الآخرة أوله الثلاثاء:

فى ثامن عشره: قدم إلى دمشق جماعة من الممالىك الظاهرية برقوق الذين فروا من الملك المؤيد منذ سنين، منهم الأمير طرباى نائب غزة، والأمير سودن من عبد الرحمن نائب طرابلس، والأمير يشبك الدوادار، والأمير جانبك الحمزاوى نائب طرسوس فخلع عليهم الأمير ططر. وأنعم عليهم بالمال والخيل والسلاح والقماش. وحمل إليهم الأمراء عدة تقادم على قدر رتبهم.

وفى تاسع عشرينه: توقفت زيادة ماء النيل، ونقص خمسة أصابع. وقد بلغ خمسة أذرع واثنين وعشرين أصبعا.

وفيه قدم الخبر بتوجه الأمير ططر بمن معه من السلطان والعساكر إلى جهة حلب، فى خامس عشرينه.

(١) تقع سويقة صاروجا بدمشق. انظر خطط الشام ٦ / ٦٢.

شهر رجب، أوله الأربعاء:

أهل والناس في قلق لتوقف ماء النيل عن الزيادة، وقد نقص بضع عشرة أصبعاً، ثم أن الله أغاث عباده، ونودي عليه في رابعه بزيادة أصبع، واستمرت زيادته.

وفي سادسه: دخل الأمير ططر بمن معه إلى حلب، فقدم عليه بها الأمير مقبل الحسامي الدوادار طائعا، وقد فارق جقمق بصرخد، فخلع عليه، وعفى عنه. وخلع على الأمير تغرى بردى من قصره أمير أخور، واستقر في نيابة حلب، عوضا عن أينال الحكمي. وخلع على أينال، واستقر أمير سلاح.

شهر شعبان، أوله الجمعة:

في يوم الإثنين حادى عشره - الموافق لثامن عشر مسرى - : كان وفاء النيل ستة عشر ذراعا، وفتح الخليج على العادة. وقدم الخبير بأن الأمير برسباى الدقماقي نائب طرابلس - كان - بعثه الأمير ططر من حلب، ومعه القاضي بدر الدين محمد بن مزهر ناظر الإصطبل إلى صرخد، وأنه ما زال بالأمير جقمق حتى أذعن، وسار معه إلى دمشق، وصحبته الأمير طوغان أمير أخور. فلما قدموا دمشق قبض الأمير تنبك ميقي النائب على جقمق وطوغان وسجنهما. وأن الأمير ططر برز من حلب بمن معه في حادى عشره، وأنه قدم بهم إلى دمشق في ثالث عشرينه، فقتل جقمق نائب الشام. ونفى طوغان إلى القدس بطالا. وأنه قبض في ثامن عشرينه على كثير من الأمراء، منهم سبعة من أمراء الألوفا بمصر، وهم أينال الأزعري حاجب الحجاب وأينال الحكمي نائب حلب، وأمير سلاح، وسودن اللكاشى، وجلبان أمير أخور، وألى بيه الدوادار، ويشبك أينالى أستاذار، وأزدمر الناصرى. وقبض على الطواشى مرجان الخازندار، ثم أفرج عنه. وعزم على خلع المظفر من السلطنة، وخلعه في تاسع عشرينه، فكانت مدته سبعة أشهر وعشرين يوما.

* * *

السلطان الملك الظاهر سيف الدين أبو الفتح ططر^(١)

جلس على تخت الملك بقلعة دمشق في يوم الجمعة تاسع عشرين شعبان سنة أربع

(١) السلطان الملك الظاهر سيف الدين أبو الفتح ططر، تسلطن بعد خلع السلطان الملك المظفر أحمد ابن الملك المؤيد شيخ. انظر: ترجمته في النجوم الزاهرة ١٤ / ٣٠ وما بعدها، نزهة النفوس ٢ / ٥٠٨، أنباء الغمر ٧ / ٤٣٨، بدائع الدهور ٣٢٢، الضوء اللامع ٤ / ٧، الأعلام ٣ / ٢٢٦.

٤٠ سنة أربع وعشرين وثمانمائة

وعشرين وثمانمائة، الموافق له يوم نوروز القبط بمصر، وتلقب بالملك الظاهر. وخطب له من يومه على منابر دمشق. وكتب إلى مصر وحلب وحماة وحمص وطرابلس وصفد وغزة بذلك.

شهر رمضان، أوله السبت:

نودى على النيل ثلاثة أصابع، لتمه ثمانية عشر ذراعا وأصبعين. فلما فتح بحر أبى المنجا نقص النيل اثني عشر أصبعا، ثم إنه تراجعها قليلا قليلا فى عدة أيام.

وفى يوم الإثنين ثالثه: خلع السلطان الملك الظاهر ططر بقلعة دمشق على الأمير طرباى الذى كان نائب غزة، وفر من الملك المؤيد، واستقر حاجب الحجاب عوضا عن أينال الأزعرى. وخلع على الأمير برسباى الدقماقى، واستقر به دواداراً كبيراً، عوضا عن الأمير ألى بيه. وبرسباى هذا بعث به الأمير دقماق نائب ملطية إلى الظاهر برقوق، فنزل بالطباق من القلعة إلى أن أخرج له خيلا، وصار يركب وينزل، فلما مات الظاهر انتمى إلى الأمير جركس المصارع، وتقلبت به الأحوال فى تلك الأيام إلى أن خرج من القاهرة فارا إلى الشام. وصار من جماعة الأمير نوروز الحافظى. ثم انتقل عنه هو وأخوه ططر إلى الأمير شيخ المحمودى ومازالا معه حتى قتل الملك الناصر فرج بن برقوق، وقدم الأمير شيخ إلى مصر، وتسلمن، أنعم على برسباى بإمرة، وعمله كاشف الجسور. ثم ولاه نيابة طرابلس، فواقع التركمان فكسروه. فتنكر عليه الملك المؤيد شيخ وسجنة بالمرقب مدة، ثم أفرج عنه وأنعم عليه بإمرة فى دمشق، فمات المؤيد، وهو من جملة أمراء دمشق. فقبض عليه الأمير جقمق نائب الشام، وسجنه من أجل أنه معروف بينهما قرابة قريبة. فلم يزل مسجوناً بقلعة دمشق، حتى ثار الأمير أطنبغا على جقمق نائب الشام، وهزمه. فأفرج عن برسباى. ودخل عقيب ذلك الأمير ططر إلى دمشق، فتوجه معه إلى حلب وبعثه منها حتى أحضر جقمق من صرخد. فلما تسلطن ططر عمله دواداراً كبيراً. وسيظهر لك فائدة التعريف بحال برسباى هذا عن قريب، إن شاء الله تعالى.

وخلع فى هذا اليوم أيضا على الأمير يشبك الدوادار الذى فر من الحجاز إلى قرايوسف فى الأيام المؤيدية، واستقر أمير أخور، عوضا عن الأمير تغرى بردى من قصره.

وفى يوم الأربعاء خامسه: خلع على قاضى القضاة جمال الدين يوسف البساطى، بين يدى الأمير قانبيه الحمزاوى، واستقر فى حسبة القاهرة، عوضا عن صدر الدين

أحمد بن العجمي، ونزل في موكب جليل إلى داره. وكان سبب ولايته أنه طالت عطلته سنين، فلما استبد الظاهر ططر بالسلطنة، تذكره لصحبة بينهما، فكذب إلى الأمير قانيه بطلبه، وعرض الحسبة عليه فإن قبلها ولاه، فلم يمتنع من قبولها لرغبته في الحكم^(١).

وفي ثامن: قدم الخبر بسلطنة الأمير ططر، فنودي بذلك في القاهرة، ودقت البشائر بقلعة الجبل.

وفي يوم الإثنين سابع عشره: برز السلطان من دمشق عائداً إلى مصر، بعدما أثر بدمشق آثاراً جميلة، منها أن نائب الشام كان له محتسب دمشق في كل سنة نحو الألف وخمسمائة دينار يحملها إليه، ويتعوضها بزيادة من مظالم العباد، فعوض السلطان نائب الشام عن هذا المبلغ بلد أربل، ويتحصل له منها في السنة نحو الألفين وخمسمائة دينار، وولى حسبة دمشق لرجل بغير مال، ونادى «إن طلب منكم المحتسب يا أهل دمشق شيئاً فارجموه». ونقش بإبطال هذه الحادثة - وما كان منه فيها - على حجر بجامع بنى أمية.

ثم مر السلطان في طريقة بمدينة القدس، فرفع إليه أن من عادة نائبيها أن يجيى كل سنة من فلاحى الضياع نحو أربعة آلاف دينار، وبسبب ذلك خربت معاملة القدس، فعوض النائب عن ذلك. ونادى بإبطال هذه المغارم، ونقشه على حجر بالمسجد، فتباشر الناس بأيامه، ورجوا أن يزيل الله عنهم به ما هم فيه من الجور.

شهر شوال، أوله الإثنين، الموافق له ثانى باية:

وفيه بلغت زيادة النيل تسعة عشر ذراعاً، وأصبع واحد.

وفيه نزل السلطان بالصاحية، فخرج الناس إلى لقائه، وقد تزايد السرور به، فصعد قلعة الجبل في يوم الخميس رابعه، وأنزل المظفر مع أمه في بعض دور القلعة.

وفي يوم الجمعة خامسه: خلع على الطواشى مرجان الهندى، واستقر زمام الدار، عوضاً عن الطواشى كافور الشبلى.

وفي يوم الإثنين: ابتدأ السلطان بعرض ممالك الطباقي، وأنزل منهم عدة، فسكنوا في الصليبية وغيرها.

وفي يوم الإثنين خامس عشره: استدعى السلطان الشيخ ولى الدين أبو زرعة أحمد

٤٢ سنة أربع وعشرين وثمانمائة

ابن الشيخ زين الدين عبد الرحيم بن الحسين العراقي الشافعي، وخلع عليه، وفوض إليه قضاء القضاة بديار مصر، بعد وفاة جلال الدين عبد الرحمن بن البلقيني. فنزل في موكب عظيم من الأمراء والقضاة والأعيان، بعدما اشترط أن لا يقبل شفاعة أمير في يوم الحكم. فسر الناس بولايته لكفاءته، وتمنكه من علوم الحديث والفقه وغير ذلك، مع جميل طريقته وحسن سيرته، وتصديه للإفتاء والتدريس عدة سنين، وتنزهه عن التردد لأبواب الأمراء ونحوهم، وسعة ذات يده، وغير هذا من الصفات المحمودة^(١).

وفي يوم الإثنين ثانی عشرينه: أصبح السلطان مريضا فلزم الفراش إلى آخر الشهر.

وفي هذا الشهر أنعم على كل من الأمير سودن الأشقر والأمير كزل العجمي بإمرة. وكانا منفيين، فأعادهما السلطان إلى القاهرة^(٢).

وفيه انحل سعر الغلال عما كان.

شهر ذى القعدة، أوله الثلاثاء:

فيه أبل السلطان من مرضه، ودخل الحمام، وخلع على الأطباء وأنعم عليهم.

وفي ثالثه: خلع على فارس دوادار السلطان وهو أمير، واستقر في نيابة الإسكندرية، عوضا عن قشتمر، وقد أحضر من الثغر.

وفيه قبض على قشتمر المذكور، وعلى الأمير قانييه الحمزاوى نائب الغيبة، وحملوا مقيدين إلى الإسكندرية، فسجنا بها.

وفي يوم الإثنين سابعه: خلع على زين الدين عبد الباسط بن خليل بن إبراهيم الدمشقي، واستقر ناظر الجيوش، عوضا عن كمال الدين محمد بن محمد بن البارزي الحموي. وخلع على شرف الدين محمد بن تاج الدين عبد الوهاب بن نصر الله، واستقر في نظر وقف الأشراف، وفي نظر الخزانة، ونظر كسوة الكعبة عوضا عن عبد الباسط^(٣).

وفي عاشره: انتكس السلطان، ولزم الفراش.

وفي خامس عشرينه: عزل قاضي القضاة ولي الدين أبو زرعة نفسه لمعارضة بعض الأمراء له في ولاية القضاء ببعض الأعمال^(٤).

(١) انظر: النجوم الزاهرة ١٤ / ٤١، ٤٢.

(٢) انظر: النجوم الزاهرة ١٤ / ٤٢.

(٣) انظر: النجوم الزاهرة ١٤ / ٤٢، ٤٣.

(٤) انظر: النجوم الزاهرة ١٤ / ٤٣.

وفي سادس عشرينه: رسم بالإفراج عن أمير المؤمنين أبي الفضل العباس بن محمد من سجنه بالبرج فى الإسكندرية، وأن يسكن بقاعة فى المدينة، ويخرج لصلاة الجمعة بالجامع، ويركب حيث شاء. وجهد إليه بفرس عليه سرج ذهب وكنفوش زركش وبقجة قماش تليق بمقامه، ورتب له على الثغر فى كل يوم مائة درهم من نقد القاهرة^(١).

وفى يوم الأحد سابع عشرينه: درس علم الدين صالح ابن شيخ الإسلام سراج الدين عمر البلقينى بالزاوية المعروفة بالخشائية التى بجامع عمرو بن العاص بمدينة مصر، عوضاً عن أخيه قاضى القضاة جلال الدين عبد الرحمن بن البلقينى.

شهر ذى الحجة، أوله يوم الخميس:

أهل والسلطان مرضه متزايد، والإرجاف به كبير.

وفى يوم الجمعة - ثانيه -: استدعى الخليفة والقضاة إلى القلعة، وقد اجتمع الأمراء والمباشرون والماليك، وعهد السلطان لابنه الأمير محمد، وأن يكون القائم بدولته الأمير جانبك الصوفى، والأمير برسباى الدقماقى لالا، فحلف الأمراء على ذلك، كما حلفوا لابن الملك المؤيد.

وفيه أذن لقاضى القضاة ولى الدين بن العراقى أن يحكم، وأعيد إلى القضاء. وكان من حين عزل نفسه قد انكف هو ونوابه عن الحكم، فصلى بالناس الجمعة، بعدما خطب فى جامع القلعة، ونزل من غير أن يخلع عليه، شغلاً بمرض السلطان.

وفيه أخذ الناس فى توزيع أمتعتهم من الدور والحوانيت خوفاً من الفتنة، فلما كانت ضحوة نهار الأحد رابعه، توفى السلطان، فاضطرب الناس ساعة، ثم غسل وأخرج من باب السلسة، وليس معه إلا نحو العشرين رجلاً، حتى دفن بجوار الليث بن سعد من القرافة. فكانت مدة تحكمه منذ مات المؤيد أحد عشر شهراً تنقص خمسة أيام، منها مدة سلطنته أربعة وتسعين يوماً. وكان جركسى الجنس، رباه بعض التجار، وعلمه شيئاً من القرآن وفقه الحنفية. وقدم به القاهرة فى سنة إحدى وثمانمائة، وهو صبى، فدل عليه الأمير قانبيه العلامى لقربته به، فسأل السلطان الملك الظاهر فيه حتى أخذه من تاجره. ومات السلطان قبل أن يصرف ثمنه. فوزن الأمير الكبير أتمش ثمنه اثنى عشر ألف درهم. ونزله فى جملة ماليك الطبايق، فنشأ بينهم، وكان الملك الناصر فرج

أعتقه، فلم يزل فى ممالك الطباقي، حتى عاد الناصر إلى السلطنة بعد أخيه المنصور عبد العزيز، فأخرج له الخيل، وأعطاه إقطاعاً فى الحلقة، فانضم إلى الأمير نوروز الحافظى، وتقلب معه فى بحار تلك الفتن، وفر إليه بالشام، ثم صار منه إلى جماعة الأمير شيخ. ومازال معه حتى قتل الناصر، وقدم إلى مصر، وتسلمن، فأمره، وتنقل حتى صار سلطاناً، فلم يتهن. وكان أولاً كالمحجور عليه مع ألى بيه الدوادار، وتغرى بردى من قصره أمير أخور. ثم تعلق منذ خرج من حلب، فلم يقم بقلعة الجبل سوى ثمانية عشر يوماً. وأجأه تعلقه إلى لزوم الفراش، حتى مات. وكان يميل إلى تدين، وفيه لين، وإغضاء، وكرم، مع طيش، وخفة. وكان شديد التعصب لمذهب الحنفية. يريد أن لا يدع أحداً من الفقهاء غير الحنفية. وأتلف فى مدته - مع قتلها - أموالاً عظيمة، وحمل الدولة كلفاً كثيرة، أتعب بها من بعده. ولم تطل أيامه حتى تشكر أفعاله أو تدم.

* * *

السلطان الملك الصالح ناصر الدين محمد بن الظاهر ططر^(١)

أقيم فى السلطنة بعهد أبيه إليه، وعمره نحو العشر سنين، عقيب موت أبيه. فى يوم الأحد رابع ذى الحجة، سنة أربع وعشرين وثمانمائة. قد اجتمع الأمراء بالقلعة، إلا الأمير جانبك الصوفى فإنه لم يحضر، فمأزوا به حتى حضر، وأجلسوا السلطان، ولقبوه بالملك الصالح. ونودى فى القاهرة أن يترحموا على الملك الظاهر، ويدعوا للملك الصالح وسكن الأمير جانبك الصوفى بالحرقاة من باب السلسلة، وانضم إليه معظم الأمراء والمماليك. وأقام الأمير برسباى الدقماقى بالقلعة، فى عدة من الأمراء والمماليك، منهم الأمير طرباى حاجب الحجاب، والأمير قَصْرُوه رأس نوبة، والأمير حقمق، وباتوا بأجمعهم مستعدين. وأصبحوا يوم الإثنين خامسه وقد تجمع المماليك يطلبون النفقة عليهم، والأضحية، وأغلظوا فى القول، حتى كادت الحرب أن تكون. فترضاهم الأمراء حتى تفرق جمعهم. وبات العسكر على أهبة القتال. وأصبحوا يوم الثلاثاء سادسه فى تفرقة الأضحى، فأخذ كل مملوك رأسان من الضأن. وتجمعوا تحت القلعة لطلب النفقة، فطال النزاع بينهم وبين الأمير جانبك الصوفى، حتى تراضوا أن ينفق فيهم بعد عشرة أيام من غير أن يعين لهم مقدار ما ينفقه فيهم، فانفضوا وبعث الأمير جانبك إلى الأمير برسباى أن ينزل من القلعة هو والأمير طرباى والأمير قصره، وأن يسكنوا فى دورهم. ويقوم الأمير حقمق عند السلطان. فنزل الأمير طرباى مُظْهِراً

(١) انظر ترجمته: النجوم الزاهرة ١٤ / ٤٩ وما بعدها، نزهة النفوس ٢ / ٥١٦، أنباء الغمر ٧ /

أنه في طاعة الأمير جانبك وهو في الباطن بخلاف ذلك، فإنه أخذ في تدبير أمره وإحكام الأمر للأمير برسباى. واستمال كثير من المماليك، وأصبح فى يوم الأربعاء ثامنه الأمير جانبك الصوفى متوعكا، وقد أشيع أنه قصد بذلك مكيدة فتمادى الحال إلى يوم الخميس تاسعه. وأصبح يوم الجمعة عاشره، وهو يوم النحر، وقد أخرج الأمير برسباى بالسلطان من قصره إلى الجامع بالقلعة، ومعه الأمير قصره، فصلى بهم قاضى القضاة ولى الدين العراقى صلاة العيد، وخطب على العادة. ثم مضى الأميران بالسلطان إلى باب الستارة، فذبح السلطان هناك طائفة من غنم الأضحية، وذبح الأمير برسباى ما هنالك من البقر وبقية الغنم. وبينما هم فى ذلك إذ رمى المماليك بالنشاب من أعلا القلعة على الأمير جانبك، وهو بالحراقة من باب السلسلة، فاضطرب الناس. وللحال أغلق باب القلعة، ودقت الكوسات حربيا، فخرج الأمير طرباى من داره فى عسكر كبير، وقد لبسوا جميعهم لامة الحرب. وطلع ومعه الأمير قجق إلى الأمير جانبك الصوفى بالحراقة، وأخذ يلومه على تأخره عن الطلوع لصلاة العيد، ومازال يندعه حتى اتخذ له، وركب معه ليشتوروا فى بيت الأمير ببيغا المظفرى على ما يعمل. وكان ببيغا قد تأخر عن الركوب، وأقام فى داره. ومضوا وقد ركب مع جانبك الأمير يشبك أمير أخور. فما هو إلا أن صاروا فى داخل بيت ببيغا المظفرى إذا بباب الدار قد أغلق، وأحيط بجانبك الصوفى، ويشبك أمير أخور وقيدا، وأخذوا أسيرين إلى القلعة، ونودى بالنفقة فى المماليك مائة دينار لكل واحد، فكأنها جمرة طُفيت. وللحال سكنت الفتنة، كأن لم تكن، فلم تنتطح فيها عنزان. ونودى فى القاهرة بالأمان، فقد قبض على أعداء السلطان، ففتحت أبواب القاهرة، بعدما أغلقت. واطمأن الناس بعدما كان فى ظنهم أن الفتنة تطول. وكل ذلك فى ضحى النهار، فسبحان من بيده الأمر كله.

وفى يوم السبت حادى عشره: استدعى الأمير أرغون شاه أستاذار الأمير نوروز الحافظى. وكان قد قدم من دمشق فى خدمة الظاهر ططر، فصعد القلعة، وخلع عليه الأمير برسباى، واستقر أستاذاراً، عوضاً عن الأمير صلاح الدين محمد بن نصر الله. وفيه حمل الأمير جانبك الصوفى والأمير يشبك مقيدين من القلعة إلى الإسكندرية، فسجنا بها.

وفى يوم الأحد ثانى عشره: أعيد الصاحب تاج الدين بن الهيصم إلى نظر الديوان المفرد. وكان قد عزل عنه بدمشق فى شهر رمضان. وعاد إلى القاهرة بطالا.

وفي يوم الإثنين ثالث عشره: خلع على الأمير آق قجاء، واستقر في كشف الوجه القبلى. وكان قد وليه في الأيام الظاهرية طَطَّر. وساءت سيرته حتى أشيع أنه افتض مائة بكر غضباً، إلى غير ذلك.

وفي يوم الخميس سادس عشره: اجتمع الأمراء بالخدمة في القصر. وقد أخرج السلطان من عند أمه وأجلس ثم خلع على الأمير برسباى الدقماقى الدوادار، واستقر نظام الملك، كما كان الظاهر ططر قبل أن يتسلطن. وكان الأمير برسباى منذ اشتد مرض الظاهر مقيماً بالقلعة، لم ينزل منها طول هذه المدة.

وفيه فوض الخليفة إلى الأمير الكبير نظام الملك برسباى أمور المملكة بأسرها، ليقوم بها إلى أن يبلغ السلطان رشده. وحكم بصحة ذلك قاضى القضاة الحنفى.

وفيه خلع على الأمير سودن من عبد الرحمن، واستقر دواداراً كبيراً، عوضاً عن الأمير الكبير نظام الملك برسباى. وخلع على الأمير طرباى حاجب الحجاب. واستقر أميراً كبيراً عن جانبك الصوفى. وتقرر الحال على أن يكون تدبير الدولة وسائر أمور المملكة بين الأمير برسباى والأمير طرباى شركة. وأن يسكن طرباى بداره تحت القلعة تجاه باب السلسلة، ويحضر الخدمة عند الأمير برسباى بالأشرفية. وخلع على الأمير حقمق^(١) نائب القلعة، واستقر حاجب الحجاب، عوضاً عن الأمير طرباى. وخلع على الأمير قَصْرُوه رأس نوبة، واستقر أمير أخور، عوضاً عن يشبك. وخلع على الأمير أذربك، واستقر رأس نوبة كبيراً، عوضاً عن قصرُوه. وخرج جميع الأمراء وسائر أهل الدولة من الخدمة السلطانية بالقصر مشاة فى خدمة الأمير نظام الملك برسباى، حتى دخل الأشرفية التى هى سكنه، وعملت بها الخدمة بين يديه. وصرف أمور الدولة على حسب اختياره، ومقتضى رأيه، واستمر الأمر على هذا.

وفي السبت ثامن عشره: ورد الخبر بأن الأمير تغرى بردى من قصرُوه نائب حلب استدعى جماع التركمان إلى حلب، وقبض على الأمراء الحلييين، وخرج عن الطاعة. وسبب ذلك أن الظاهر ططر كان قد كتب بولاية الأمير تنبك البجاسى نائب طرابلس فى نيابة حلب، وعزل تغرى بردى. فلما بلغه ذلك كان منه ما ذكر.

(١) حقمق العلامى (٨٥٧هـ - ١٤٥٣م) حقمق العلامى الظاهرى، سيف الدين، أبو سعيد: من ملوك دولة الشراكسة بمصر والشام والحجاز. شركسى الأصل اشتراه العلامى وقدمه إلى الملك الظاهر بقوق، فأعتقه واستخدمه. وحبس فى أيام الملك الناصر فرج، ثم أطلق وولى أعمالاً فى دولتى الملك المؤيد شيخ، والظاهر ططر، إلى أن كان أتاك العساكر فى دولة الأشرفى برسباى. انظر: ابن إياس ٣٤٠، ٢٤٢/٢، حوادث الدهور ٣٤٩، ووليم موير ١٤٢، شذرات الذهب ٧/٢٩١، الضوء اللامع ٧١/٣. الأعلام ١٣٢/٢.

وفي ثالث عشرينه: خلع على صدر الدين أحمد بن محمود العجمي، وأعيد إلى حسبة القاهرة، عوضا عن جمال الدين يوسف البساطي.

وفيه نودي بمنع النساء من الخروج إلى التّرب، وتشدد الأمير جقمق الحاجب في ذلك. وكان قد كثر في هذا الشهر مرض الناس. ومات عدة منهم، فصارت النساء يترددن إلى التّرب في أيام الجمع، ويقمن بها المآتم والعزاء.

وقدم الخبر بعظم الفناء ببلاد الفرنج - سيما رودس - وبشدة الغلاء ببلد العلايا^(١)، ونحوها من بر التركية.

وفي يوم الثلاثاء ثامن عشرينه: ابتدأ الأمير نظام الملك برسباي في نفقة الممالك، وهو والأمراء على تخوف منهم أن يمتنعوا من أخذها. وذلك أنهم وعُدوا في نوبة جانبك الصوفي بمائة دينار لكل واحد، فلم يصرف لكل واحد منهم سوى حسين ديناراً من أجل قلة المال، فإن الظاهر طَطَّرَ أتلَف المال الذي كان خلفه المؤيد شيخ حتى لم يبق منه غير ستين ألف دينار. ومع ذلك فإنه زاد في نفقة الممالك المقررة بالديوان المفرد كل شهر ما ينيف على عشرة آلاف دينار. فأحسن الأمير صلاح الدين محمد الأستادار بالعجز واستعفى؛ على أنه قام هو وأبوه الصاحب بدر الدين حسن بن نصر الله ناظر الخاص بعشرة آلاف دينار عن ثمن الأضحية، وبعشرين ألف دينار في نفقة الممالك. وتسلم منهما الأمير أرغون شاه عشرين ألف أردب شعيراً. وعندما استقر أرغون شاه أستاداراً، رهب الناس واشتد عليهم، وخشن جانبه، حتى غُلقت أسواق القاهرة ومصر عدة أيام خوفاً من بطشه. وكتب يطلب متدركي النواحي ليصادرهم. وقرر على مباشرة الدولة بأسرهم أموالاً يحملونها إليه، فقرر على الوزير الصاحب تاج الدين بن كاتب المناخ ستة آلاف دينار، وعلى الصاحب بدر الدين حسن بن نصر الله ناظر الخاص عشرة آلاف دينار، وعلى من دونهما بحسب ما سولت له نفسه، حتى اجتمع من ذلك نفقة الممالك، فأنفق في ثلاثة آلاف ومائتي مملوك مبلغ مائة وستين ألف دينار، فأخذوا النفقة، وانفضوا بغير شر، والله الحمد.

وفي يوم الخميس تاسع عشرينه: قدم مبشرو الحاج وأخبروا بسلامتهم، وأنهم وقفوا بعرفة يوم الجمعة، وأنه لم يرد حاج من العراق ولا من اليمن.

وفي هذه السنة: كانت حروب مثيرة بين طوائف الفرنج، اقتتل فيها طائفة الكتيلان مع الفنش، فهزموه، وقُتل بينهم عشرة آلاف فأقل ما قيل أن عدة قتلاهم ثمانون ألفاً.

(١) العلايا: بلدة محدثة، أنشأها الملك علاء الدين السلجوقي، وهي تطل على خليج في بحر الروم

وفيهما كانت حرب بمدينة فاس من بلاد المغرب بين أبي زيان محمد بن أبي طريق بن أبي عنان - وقد قام بأمره الشيخ يعقوب الخلفاوى الثائر على الوزير الحاجب عبد العزيز اللباني لقتله السلطان أبي سعيد عثمان بن أبي العباس أحمد وثلاثة عشر أميراً من إخوته وأولاده وبني إخوته - وبين اللباني، وكان قد استنصر بالشاوية، وبعث إليهم بمال كبير، فأتوه، فلم يطق الخلفاوى مقاومتهم، فأدخله مدينة فاس بمجموعه، وألويته منشورة على رأسه، وأنزله دار الحرة آمنة بنت السلطان أبي العباس أحمد، فرحل الشاوية عن المدينة . وقبض على اللباني . وأسلم إلى الخلفاوى . فدخل السلطان أبو زيان فاس الجديد فى ربيع الآخر، وبعث بالسلطان أبي عبد الله محمد بن أبي سعيد إلى الأندلس . فما كان سوى شهر حتى ثار بنو مرين على أبي زيان، وحصلوه، وطلبوا الوزير أبا البقاء صالح بن صالح أن يحمل أبا عبد الله محمد المتوكل ابن السلطان أبي سعيد، فقدم الوزير به، واستمرت الحرب أربعة أشهر إلى أن فر أبو زيان ووزيره فارح . وأخذ بنو مرين البلد الجديد، وطلبوا من ابن الأحمر أن يبعث بالسلطان الكبير أبي عبد الله محمد المستنصر بن أبي سالم إبراهيم بن أبي الحسن، فبعثه إليهم، فملكوه وأطاعوه .

وفيهما - كما تقدم - كان تغير دول مصر، فبلغت عدة من قتل وسجن من أمراء مصر والشام زيادة على أربعين أميراً.

* * *

ومات فى هذه السنة ممن له ذكر

السلطان الملك المؤيد شيخ الحموى - أحد ممالك الملك الظاهر برقوق فى يوم الإثنين ثامن المحرم، وقد أناف على الخميس سنة.

ومات عبد الحمن بن السمسار، فى ثالث صفر، وله شهرة فى طائفته، ومال جم.

ومات الأمير فرج بن سكرية، أحد الأمراء العشرات، فى رابع صفر. وكان من خواص المؤيد، لجمال صورته.

ومات بهاء الدين محمد بن بدر الدين حسن بن عبد الله، المعروف بابن البرجى، عن ثلاث وسبعين سنة، فى يوم الخميس عاشر صفر. وقد ولى حسة القاهرة غير مرة. وولى وكالة بيت المال ونظر كسوة الكعبة وباشر نظر عمارة الجامع المؤيدى. وكان أبوه يلى قضاء المحلة^(١).

وقتل الأمير سيف الدين يشبك اليوسفى نائب حلب، أحد المماليك المؤيدية، فى يوم الثلاثاء ثالث عشرين المحرم. وكان من شرار الخلق^(١).

ومات علم الدين سليمان بن جنيبة رئيس الأطباء، وقد أناف على ثمانين سنة، فى سادس عشر صفر. كان أبوه يهوديا، ونشأ سليمان هذا مسلما، يتكسب بصناعة الطب، ويعاشر الأعيان، فصار من مشهورى الأطباء عدة سنين، وعرف بحسن العلاج. ثم ولى رياسة الأطباء فى سنة ثلاث عشرة. وكان فاضلا فى علم الطب، هشاشا، جميل المعاشرة، يكتب الخط الجيد. تردد إلى سنين، وما علمت عليه إلا خيرا.

ومات تاج الدين عبد الوهاب بن الجباس، الذى ولى حسبة القاهرة فى سنة سبع وثمانمئة. وكان عاميا فى هئية فقيه. توفى يوم السبت سادس عشر ربيع الآخر.

وقتل الأمير ألطنبغا القرمشى فى خامس عشرين جمادى الأولى بقلعة دمشق. وهو أحد المماليك الظاهرية برقوق الذين فروا إلى الشام، وصار من جملة الأمير شيخ. وما برح يرقبه على ما تقدم ذكره^(٢).

ومات الأمير الوزير المشير الأستاذار بدر الدين محمد بن محب الدين عبد الله الطرابلسى. كان أبوه من مسالمة نصارى طرابلس. وبها نشأ البدر هذا، وولى بها كتابة سرها، وولى شد الدواوين بها. وتعلق بخدمة الأمير شيخ أيام تلك الفتن. وعمل أستاذاراً عنده. فلما قدم مصر باشر به أستاذار، ثم عزله وولاه الوزارة. ثم عزله كما تقدم. وكان يكتب الخط المنسوب، ويتظاهر بقبائح المعاصى، وينوع الظلم فى أخذ الأموال، فعاقبه الله بيد ناصر المؤيد شيخ أشد عقوبة، ثم قبض عليه الظاهر ططر وعاقبه حتى هلك تحت الضرب. وضرب ميتاً. فأراح الله منه عباده. وذلك فى سابع عشر جمادى الآخرة بدمشق^(٣).

ومات بحلب الأمير كردى بن كندر. أحد أمراء التركمان، مقتولا فى شهر رجب.

ومات متملك بلاد الروم بمدينة برصا، غياث الدين أبو الفتح محمد كرشحى بن بايزيد بن مراد بن أرخان بن عثمان، وملك برصا بعده ابنه خوند كار مراد شلى محمد كرشحى بن بايزيد خوند كار، وذلك فى شهر رجب.

(١) انظر: النجوم الزاهرة ١٤ / ٧٢.

(٢) انظر: النجوم الزاهرة ١٤ / ٧٢.

(٣) انظر: النجوم الزاهرة ١٤ / ٧٣.

٥٠ سنة أربع وعشرين وثمانمائة

وقتل الأمير الطنبغا من عبد الواحد المعروف بالصغير، فى واقعة مع التركمان بمعاملة حلب، فى تاسع شعبان. وهو أحد المماليك الظاهرية برقوق الذين أنشأهم المؤيد شيخ، وجعله أمير مائة مقدم ألف^(١).

وقتل الأمير قحقار القردمى بسجن الإسكندرية، فى سادس عشرين شعبان. وهو أحد من أنشأه المؤيد شيخ، حتى صار أمير مائة مقدم ألف، أمير سلاح.

وقتل الأمير جقمق نائب الشام بعد عقوبة شديدة، فى ليلة الأربعاء سابع عشرين شهر شعبان. وكان ممن أنشأه المؤيد شيخ، وعمله أمير مائة مقدم ألف، وأعطاه نيابة الشام. وكان فاجرا ظلما غشوما، لا يكف عن قبيح^(٢).

وتوفى قاضى القضاة جلال الدين أبو الفضل عبد الرحمن ابن شيخ الإسلام سراج الدين أبى حفص عمر البلقينى الشافعى، فى ليلة الخميس حادى عشره، عن ثلاث وستين سنة. وصلى عليه بالجامع الحاكمى. ودفن على قبر أبيه وأخيه، بمدرستهم من حارة بهاء الدين، فكان جمعا موفورا، ومشهدا جليلا حافلا مذكورا. وانتاب الناس قبره مدة. ولم يخلف بعد مثله فى كثرة علمه بالفقه وأصوله، وبالحدِيث والتفسير والعربية، مع العفة والنزاهة عما يرمى به قضاة السوء، وجمال الصورة، وفصاحة العبارة. وبالجملة فلقد كان ممن يتجمل به الوقت^(٣).

ومات السلطان الملك الظاهر ططر، فى يوم الأحد رابع ذى الحجة. وقد تقدم التعريف به.

* * *

(١) انظر: النجوم الزاهرة ١٤ / ٧٥.

(٢) انظر: النجوم الزاهرة ١٤ / ٧٦.

(٣) انظر: النجوم الزاهرة ١٤ / ٧٤، ٧٥.

سنة خمس وعشرين وثمانمائة

أهلت وسلطان مصر والشام الملك الصالح ناصر الدين محمد بن الظاهر ططر. والقائم بأمر الدولة الأمير الكبير نظام الملك برسباى الدقماقى. والأمير الكبير الأتابك طرباى. والدوادار الأمير سون من عبد الرحمن. وأمير سلاح ببيغا المظفرى. وأمير مجلس الأمير قُجق. وأمير أخور الأمير قصره. ورأس نوبة الأمير أزبك. والوزير تاج الدين عبد الرزاق ابن كاتب المناخ. وكاتب السر علم الدين داود بن الكويز. وناظر الخاص بدر الدين حسن بن نصر الله. وأستادار الأمير أرغون شاه. وقاضى القضاة الشافعى ولى الدين أبو زرعة أحمد بن العراقى. وباقيهم كما تقدم فى السنة الخالية. وكاشف الوجه القبلى الأمير أقجا ونائب الإسكندرية الأمير فارس. ونائب الشام الأمير تنبك العلای ميق. ونائب حلب الأمير تغرى بردى من قصره، وقد أظهر الخلاف. ونائب طرابلس الأمير تنبك البجاسى. ونائب حماة الأمير شارقُطلوا. ونائب صفد الأمير أينال. وبلاد الصعيد قد عاث بها العربان، وكثر فسادهم.

شهر الله المحرم، أوله الجمعة:

فى ثالث عشره: قدم الخبر بفرار الأمير تغرى بردى نائب حلب منها، بعد وقعة كانت بينه وبين الأمير تنبك البجاسى نائب طرابلس. وقد كتب له باستقراره فى نيابة حلب ومحاربة المذكور، فسار إليه وحاربه، فانهزم منه وتسلم تنبك حلب، فدقت البشائر بقلعة الجبل أياما.

وفى تاسع عشره: خلع على بلبان الجمالى، واستقر كاشف الوجه القبلى، بعد موت أقجا.

وفى ثالث عشرينه: قد الركب الأول من الحجاج، وقدم المحمل ببقية الحاج فى عده صحبة الأمير تمُر بيه اليوسفى، أحد الأمراء الألوفا. وقد كثر ثناء الحجاج عليه لحسن سيرته فيهم، فقبض عليه فى ثامن عشرينه.

وفى هذا الشهر: دخل شخص يعرف بالشيخ سعد، لم يزل يعرف بالفقر، ويقبل من الناس صدقتهم، ويقرى الأطفال بالأجرة، إلى الجامع الأزهر، وتصدق بمائتين وسبعين ديناراً إفرنتية، وبسطة وعشرين ديناراً هرجة، وبأربعة آلاف وخمسمائة درهم مؤيدية. فعد هذا من نوادر الزمان.

وفيه قبض على الأمير قَرْمَش أحد الأمراء الألوْف، وأُخرج هو وتمريبه إلى دمياط. وأنعم على يشبِك الساقى الأعرج بإقطاع قرمش وإمرته.

وفيه وقع بَرَد بناحية قصر عفرا من بلاد حوران بالشام، فكان فيه شبه خنافس وعقارب وضافادع.

شهر صفر، أوله الأحد:

فى ثانيه: قبض على الأمير أَيْمَش الخضرى^(١)، ونفى بطالا إلى القدس^(٢).

(١) أَيْمَش بن عبد الله الخضرى الظاهر (٨٤٦ هـ = ١٤٤٢ م)، الأمير سيف الدين. أحد الممالِك الظاهرية بقوق، ومن صار فى الدولة الناصرية فرج من جملة الدوادارية الصغار، ثم تأمر عشرة فى الدولة المؤيدية شيخ، ودام على ذلك مدة طويلة لا يُؤبَهُ إليه، إلى أن افتضت السلطنة للملك الظاهر ططر تحرك سعده قليلا فى الدولة الظاهرية ططر، ثم ركضت ريحة بموته، وتسلطن ولده الملك الصالح محمد بن ططر، وآل التحدث فى المملكة للأمير برسباى الدقماقي الدوادار نفى المذكور إلى القدس بطالا فى ثانى شهر صفر سنة خمس وعشرين وثمانمائة، فدام بالقدس إلى شهر ربيع الأول من السنة، ورسم بعوده إلى القاهرة، فقدم إلى القاهرة، وأقام بها يسيرا، وولى الإستادارية فى يوم حادى عشرين شهر رمضان من السنة، عوضًا عن أرغون شاه النوروزى الأعور، فلم تطل مدته ولم تحمد سيرته، وعزل فى خامس ذى القعدة بالأمير أرغون شاه المذكور، واستمر أَيْمَش على إقطاعه إمرة عشرة على ما كان عليه أولاً، ودام على ذلك إلى سنة نيف وثلاثين وثمانمائة، ابتلى حسده بالبياض وأشيع عنه ذلك. فلما تحقّق الملك الأشرف برسباى الإشاعة أخرج عنه إقطاعه، ورسم له بلزوم داره، فصار يتردد إلى الجامع الأزهر، فإن سكنه كان بالقرب من الجامع، بدار بشير الجمدار بالأبارين، ويحضر الدروس ويشوش على الطلبة، ويسأل الأسئلة التى لا محل لها من الدرّس. وكان قليل الفهم، وتصوره غير صحيح، مع جهل، مفرط، وعدم اشتغال قديمًا وحديثًا، فإن أحابه أحد من الطلبة يجواب لا يفهمه، لبعده عن الفهم، سفه عليه، وإن سكت القوم ازدراهم ووجههم بذكر العلماء الأقدمين ثم سفه على الجميع. وكان قبل تاريخ ناب فى نظر الجامع المذكور عن الأمير جرباش الكرىمى حاجب الحجاب، المعروف بقاشق، ووقع له مع أهل الجامع أمور فى أيام توليته على الجامع. فلما زاد منه ذلك، بلغ الأشرف رسم بنقلته من داره المذكور وبسكنائه بقرافة مصر، فسعى فى عدم نقلته، وشفع فيه جماعة فاستمر بداره على أنه لا يكثر من دخول الجامع إلا فى أوقات الصلوات، إلى أن سافر الملك الأشرف «برسباى إلى آمد فى سنة ست وثلاثين، ونفى المذكور إلى القدس، إلى أن قدم الأشرف» إلى الديار المصرية فى سنة سبع وثلاثين، وقدم المذكور إلى القاهرة، ودام بها، إلى أن تسلطن الملك الظاهر حَقَمَق فى سنة اثنتين وأربعين لزمه أَيْمَش المذكور وداحله فى الأمور من غير أن يأخذ إمرة ولا وظيفة، وزاد وأمعن، وصار يتكلم فيما لا يعنيه، لم يكن بعد مدة إلا وغضب عليه الملك الظاهر حَقَمَق، ونفاه إلى القدس ثم شُفّع فيه، وعاد إلى داره ولزمها، إلى أن توفى بالقاهرة فى شهر رجب سنة ست وأربعين وثمانمائة، ولم تطل مدة مرضه. وسببه أنه سقط من علو درج قليلة، فوعك أياما ومات. وكان من مساوئ الدهر حسًا ومعنى، كثير الكلام فيما لا يعنيه، ويخاطب =

وفي يوم الأربعاء ثامن عشره: جُمعت الصيارف بالإصطبل للنظر فى الدراهم المؤيدية، فإنه كثر هرش الجيد منها. ومعنى الهرش أن يبرد من الدرهم حتى يخف وزنه، ويصير نحو ربع درهم. فاستقرت المعاملة بها وزنا لا عددًا. ورسم أن يكون كل درهم وزناً بعشرين درهماً فلوساً. وأن يكون الدينار الإفرنتى بمائتين وعشرين فلوساً، وبأحد عشر درهماً فضة، وازنة عنها من المؤيدية اثنان وعشرون عددًا، زنة كل مؤيدى نصف درهم، فنزل بالناس من ذلك شدة لخسارتهم. وذلك أن المؤيدى الذى كان بسبعة دراهم فلوساً صار بخمسة دراهم، وفيها ما لا يبلغ الخمسة. وكثر مع ذلك الاختلاف فى أسعار المبيعات، وقيم الأعمال، أجر المستأجرات، فذهب معظم مال الناس^(١).

وفي هذا الشهر: عز وجود لحم الضأن فى الأسواق، لقلة الأغنام.

وفيه كثر فساد لهانة وهوارة ببلاد الصعيد، وقطعهم الطرقات على المسافرين، وشنهم الغارات على البلاد، وإحراقهم عدة نواحي بما فيها. هذا مع ما ببلاد الصعيد من قلة وجود القمح عندهم، بحيث صار يحمل إليهم من القاهرة، وذلك لخراب بلاد الصعيد ودثور^(٢) أكثر بلادها، بحيث العشرة أيام ببلاد الصعيد لا يوجد فيها أحد، ولا تزرع أراضيها، فقلت الأغنام عندهم. وصار أهلها إلى فقر وبؤس، حتى أن غالب قوت أهلها إنما هو الذرة. ومع ذلك كله، فجور الولاة فيهم لا يمكن وصفه. ولعل هذا إن تمدى أن تهلك بلاد الصعيد كلها.

وفيه تنكر الحال بين الأمير طرباى والأمير نظام الملك برسباى. وخرج طرباى إلى بر الجيزة فى هيئة متتزه، والإرجاف يقوى حتى انسلخ الشهر.

شهر ربيع الأول، أوله الإثنين:

فى ثانيه: قدم الأمير طرباى من بر الجيزة.

وفى ثالثه: قبض الأمير برسباى على الأمير سودن الحموى، أحد أمراء الألوفا، وعلى الأمير قانصوه أحد أمراء الطبليخانة، وكانا من أصحاب الأمير طرباى، فكثرت

=الشخص بما يكره، ويوبخ الرجل بما فيه من المعاتب من غير أن يكون بينه وبين الرجل عدواة ولا صعبة، مع طيش وخفة وبادرة وجرأة وأفحاش فى اللفظ. وكان حار كسى مسرفاً على نفسه. انظر المنهل الصافى ٣ / ١٣٩ وما بعدها.

(٢) انظر: النجوم الزاهرة ١٤ / ٦٤.

(١) انظر: النجوم الزاهرة ١٤ / ٦٤.

(٢) دَثَرَ الشيء - دَثُوراً: قَدَّمَ وَدَرَسَ. ويقال: دَثَرَ المنزل بلى وتهلَّم. انظر المعجم الوسيط (دثر).

القالا، وبات طرباي ليلة الخميس وجماعته يحدرونه الطلوع إلى القلعة، وهو لا يصغى لقولهم، وفي ظنه أن الأمير برسباي لا يفاجئه بسوء، لأنه في ابتداء الأمر كان طرباي متميزا عليه منذ مات الظاهر برقوق، وفي آخر الأمر كان هو استمال المماليك للأمير برسباي، وفخذهم عن جانبك الصوفى، ثم خدع جانبك حتى نزل من الإصطبل ثم قبض عليه، فكان يرى أنه هو الذى أقام الأمير برسباي فيما هو فيه. وأصبح يوم الخميس فركب طرباي إلى الخدمة بالقلعة، فما هو إلا أن استقر جلوسه، أشار الأمير برسباي بالقبض عليه، فجذب سيفه ليدفع عن نفسه، وقام، فبدره الجماعة وعاقوه عن النهوض وغافسه الأمير برسباي بالسيف، وضربه ضربة جاءت فى يده كادت أن تبينها. وأخذ إلى السجن، وقد تضحخ بدمه فوقعت هجة بالقصر، ثم سكنت من ساعتها. ولم يتحرك أحد لنصرة طرباي. ونودى بالأمان والبيع والشراء، وأن لا يتحدث أحد فيما لا يعنيه. وأخرج من الغد بطرباي مقيداً إلى الإسكندرية ليسجن بها. فكان فى هذا عيرة لأولى الأبصار، وهو أن طرباي مكر بجانبك الصوفى، وخدعه حتى أنزله من الحراقة بباب السلسلة، وقبض عليه بجيلة دبرها، وحمله مقيداً إلى الإسكندرية، حتى سجن بها وظن أنه قدم صفا له الوقت، فأتاه الله من حيث لم يحتسب، وخدعه الأمير برسباي حتى صعد إليه، بعدما امتنع ببر الجيزة أياما، والإرجاف قوى بوقوع الحرب، إلى أن مشى لحتفه بقدميه، حتى قبض عليه، وسجن بالإسكندرية لتجزى كل نفس ما كسبت^(١).

وفيه أخرج الأمير سودن الحموى منفا إلى دمياط، وتوجه الأمير ناصر الدين محمد ابن منجك إلى دمشق ليحضر بالأمير تنبك ميقيق من الشام وقد تحدث بأمر سيظهر بمجىء نائب الشام. ورسم بإحضار أيتمش الخضرى من القدس.

وفى خامس عشره: قبض على الطواشى مرجان الهندى زمام الدار، وسلم للأمير أرغون شاه، أستاذار، ليستخلص منه مالا.

وفى ثانى عشرينه: خلع على الطواشى كافور الشلبى، واستقر زمام الدار على عادته.

وفى ثالث عشرينه: قدم الأمير أيتمش الخضرى من القدس، فلزم داره.

شهر ربيع الآخر، أوله الأربعاء:

فى ثانىة: أفرج عن الطواشى مرجان الهندى بعد ما أخذ منه عشرون ألف دينار، وضمنه جماعة فى عشرة آلاف دينار أخرى.

وفى سادسه: قدم الأمير تنبك العلاى ميق نائب الشام، بعدما تلقاه عامة أهل الدولة، فخلع عليه واستقر على عادته فى نيابة الشام. وتحدث معه فى سلطنة الأمير برسباى، فوافق على ذلك.

وخلع الملك الصالح فى يوم الأربعاء ثامننه، فكانت مدته أربعة أشهر وثلاثة أيام.

* * *

السلطان الملك الأشرف سيف الدين أبو النصر

برسباى الدقمقاى الظاهرى الجركسى^(١)

تقدم التعريف به. وما زال قائماً بتدبير أمر الدولة. ثم أحب أن يطلق عليه اسم السلطان، لما خلا له الجو، فأخذ طرباى وسجنه، ثم بموافقة نائب الشام على ذلك، فاستدعى الخليفة والقضاة، وقد جمع الأمراء وأرباب الدولة، فبايعه الخليفة فى يوم الأربعاء ثامن شهر ربيع الآخر سنة خمس وعشرين وثمانمائة. ولقب بالملك الأشرف أبى العز، ونودى بذلك فى القاهرة ومصر. وكان فى هذا موعظة وذكرى لأولى الألباب، فإن الملك المؤيد أنشأ ططر وآواه، بعدما كان من أقل الممالىك الناصرية الهاربين من الملك الناصر فرج. وما زال يرقية حتى صار من أكبر أمراء مصر، واتمنه على ملكه. فقام بعد موت المؤيد بكفالة ولده أحمد المظفر. وما زال يحكم الأمر لنفسه إلى أن خلع ابن المؤيد، وتسلمن، وأودع ابن المؤيد وأمه ببعض دور القلعة فى صورة معتقل. فلما أشفى ططر على الموت، عهد إلى ابنه محمد، واستأمن برسباى - لقرابة بينهما - على ولده، بعدما كان برسباى مقيماً بدمشق من جملة أمرائها وجل مناه أن يبقى المؤيد عليه مهجته، فأواه ططر، وجعله من أكبر أمراء مصر، فقام بأمر ابنه الملك الصالح قليلا، واقتدى بأخيه ططر فى أخذ الملك لنفسه. فلما أخذ طرباى، كما قبض ططر على الأمراء بدمشق، ولم يبق من يخشاه إلا نائب الشام، بعث يخيره بين أن يكون الأمير الكبير بديار مصر مكان طرباى وبين أن يستمر على نيابة الشام، فرغب فى السلامة، وأتى إلى بين يديه، فأمن برسباى عند ذلك، وتسلمن، وأودع الصالح محمد بن ططر وأمه فى دار بالقلعة. من يعمل سوءاً يجز به.

(١) انظر: النجوم الزاهرة ١٤ / ٧٨ وما بعدها، نزهة النفوس ٣ / ٥، بدائع الزهور ٣٢٤، أنباء الغمر ٧ / ٤٥٣ وما بعدها، الضوء اللامع ٣ / ٨، شذرات الذهب ٧ / ٢٣٨.

وفي يوم الخميس تاسعه: خلع على الأمير ببيغا المظفرى أمير سلاح، واستقر الأمير الكبير الأتابك، عوضاً عن طرباي. وخلع على الأمير قجق أمير مجلس واستقر أمير سلاح عوضاً عن ببيغا المظفرى. وخلع على الأمير أقبغا التمرأزي من مقدمى الألو، واستقر أمير مجلس، عوضاً عن قجق. وخلع على حسن الكردي، واستقر نائب الوجه البحرى على عادته. وأفرج عن جماعة كانوا مسجونين بالقلعة من أمراء العشرات قبض عليهم فيما تقدم. وكان أول ما بدأ به السلطان أن منع الناس كافة من تقبيل الأرض له، فامتنعوا. وجرت العادة عند ملوك مصر، منذ قدم أمير المؤمنين الإمام المعز لدين الله أبو تميم معد الفاطمى إلى مصر، أن كل من تمثل بين يدى الخليفة ثم بين يدى السلطان أن يخر وهو قائم حتى يقبل الأرض. فلم يعف من ذلك أمير، ولو بلغ الغاية، ولا مملوك، ولا وزير ولا صاحب قلم، ولا رسول ملك من ملوك الأقطار، إذا قدم برسالة، ولا أحد من سائر الناس على اختلافهم، إلا قضاة الشرع، وجميع أهل العلم وأهل الصلاح وأشرف الحجاز من بنى حسن وبنى حسين، فإن هؤلاء أدركناهم ولا يُقبل أحد منهم الأرض، إجلالاً لهم عن ذلك. وكذلك إذا ورد مرسوم السلطان على نائب مملكة أو والى عمل، فإنه يقوم عند وروده عليه، ويقبل الأرض. فأبطل السلطان برسياب ذلك كله، وجعل بدله إما تقبيل يده لمن عظم قدره، أو يقف فقط. فكان هذا حسناً لو دام، لكنه بطل عن قليل، وعاد الأمر كما تقدم ذكره.

وفي يوم الثلاثاء رابع عشره: خلع على الأمير تنبك ميقي نائب الشام قباء السفر، وتوجه إلى دمشق، فخرج عظماء الدولة لوداعه، بعدما قدموا له عدة تقادم، ما بين خيول وقماش وغير ذلك.

وفي يوم السبت خامس عشرينه: توجه الأمير سودن الحاجب، ومعه مال برسم حفر خليج سكندرية فما أجدى شيئاً.

وفي هذا الشهر: أجدبت أراضي بلاد حوران والكرك والقدس والرملة وغزة، لعدم نزول المطر فى أوانه، ونزح كثير من سكان هذه البلاد عن أوطانهم، وقلت المياه عندهم. ومع هذا ففى بلاد حلب وحماة ودمشق وبلاد الساحل كلها رخاء من كثرة الأمطار التى عندهم، فسبحان الفعال لما يريد.

وفيه عظم الخطب، واشتد البلاء ببلاد الصعيد، من كثرة الفتن، ونهب البلاد.

وفيه قتل والى قوص، وتعذر أخذ الخراج.

وفيه عُمل المارستان المؤيدى^(١) الذى بالصوة تحت القلعة جامعاً، تقام به الجمعة والجماعة، ورتب له إمام وخطيب ومؤذنون وبواب وقومة. وجعل جهة مصرف ذلك من وقف الجامع المؤيدى. وكان المؤيد قد جعل هذا الموضع مارستان، ونزل به المرضى. فلما مات لم يوجد فى كتاب الوقف المؤيدى له جهة تصرف، فأخرجت المرضى منه، وأغلق، وصار منزلاً للرسل الواردين من ملوك الشرق، فبقى حانة خمار يرسم شرب المسكرات، وضرب الطنابير، وعمل الفواحش. ومع ذلك تُربط به الخيول. فكان هذا منذ مات المؤيد إلى هذا الوقت، فظهره الله من تلك الأرجاس، وجعله محل عبادة.

وفيه وقع الشروع فى هدم المنطرة التى استجدها المؤيد فوق الخمس الوجوه. ثم انتفض ذلك، فبقى بناؤها مشعثاً، وسكنها بعض فقراء العجم.

شهر جمادى الأول، أوله الأربعاء:

فى سابعه: سارات تجريدة إلى بلاد الصعيد.

وفى ثامنه: نودى أن لا يخدم أحد من اليهود والنصارى فى ديوان من دواوين السلطان والأمراء، فلم يتم ذلك.

وفى يوم الجمعة تاسعه: جُددت خطبة مدرسة شمس الدين شاکر بن البقرى بالجوانية، جددها علم الدين داود بن الكويز كاتب السر، لقربها من داره التى يسكنها.

وفيه قدم الخير بكثرة الوباء ببلاد حلب وحماة وحمص، فهلكت خلائق.

وفيه أقيمت الجمعة بالمارستان المؤيدى، يوم الجمعة سلخه.

وفيه رسم أن لا تباع الثياب التى تجلب من بغداد أو الموصل وبلاد الشام والإسكندرية إلا بالنقد. وكانت العادة إذا ورد التاجر بشيء من القماش، تسلمته السماسرة وباعته على التجار إلى أجل، ثم جبت الثمن فى مدة أشهر، فمن أجل بيعها نسيئة يزداد ثمنها عما تباع فى النداء الحراج زيادة كبيرة، فإذا باعها التاجر أخذ ربها آخر، فتغبن الناس دائماً فيما يشتروه من التجار، سيما إذا باعوا ذلك فى النداء فإنه ربما خسر ثلث الثمن. فامتنع التجار مدة من الشراء نسيئة، ثم عادوا لما نهوا عنه.

وقدم الخير بقحط العراق وشدة الغلاء. وسبب ذلك أن شاه محمد بن قرايوسف متملك بغداد خاف من قدوم شاه رخ بن تیمورلنك، فمنع الناس من الزرع، وطرده

ضعفاء الناس، فنزحوا عن العراق، وقدم منهم كثير إلى بلاد الشام. وجمع أهل القوة عنده ببغداد، فكان القحط والغلاء عقوبة من الله لهم بما هم عليه من القبيح.

شهر جمادى الآخرة، أوله السبت:

في تاسعه: توجه السيد الشريف شهاب الدين أحمد بن علاء الدين على بن البرهان إبراهيم بن عدنان الحسيني كاتب السر بدمشق ونقيب الأشراف إلى بلده. وكان قد طلب من دمشق، فقدم القاهرة في ثالث عشر جمادى الأولى، وسجن في بعض المدارس، وألزم بحمل عشرين ألف دينار. وكتب باستقرار بعض مسألة السمرة^(١) - ويقال له حسين عوضه - في كتابة السر بدمشق. وكان حسين هذا قد قدم إلى القاهرة في الأيام الناصرية فرج، وخدم من جملة كتاب الأمير بكنتمشلق، ثم عاد إلى دمشق. واتفق أنه تزوج مملوك يقال له أربك بابنة امرأة حسين. وكان أربك هذا ممن أنشأه ططر، وصار أمير مائة مقدم ألف، فتحدث لحسين هذا في استقراره ناظر الجيش بدمشق، فأجيب إلى ذلك. واستقر حسين في نظر الجيش، عوضا عن قاضى القضاة الحنفية شهاب الدين أحمد من الكشك. ثم أضيف إليه كتابة السر، مع نظر الجيش. ولم يتفق مثل ذلك في هذه الدول. وما زال السيد محبوبا حتى تقرر عليه عشرة آلاف دينار، فخلع عليه في رابع جمادى الآخرة، هذا وتوجه إلى بلده لحمل ما ألزم به. وسبب ذلك تنكر السلطان عليه لأمر بدت منه في حقه، وهو أمير بدمشق والسيد كاتب السر.

وفي يوم الإثنين حادى عشره: قدم قاضى القضاة شمس الدين محمد الهروى من القدس.

وفي رابع عشره: نودى بسفر الناس في رجب إلى مكة، فكثرت المسرات بذلك، لبعده العهد بسفر الرجبية. ثم انتقض ذلك.

ونودى في سابع عشرينه «لا يسافر أحد الرجبية».

وفي هذا الشهر: قدم الخير بغلاء مدينة توريز، وأن المطر تأخر نزوله ببلاد إفريقية.

وفيه عزم تغرى بردى الحكى - الذى قتل ابن كبك - على الفتك بالأمير تنبك ميق نائب الشام، ففطن به وقتله.

(١) هي فرقة أثبتوا نبوة سيدنا موسى وهارون ويوشع عليهم السلام، ورفضوا نبوة سيدنا داود وسليمان عليهما السلام وغيرهما من أنبياء بنى إسرائيل. ينظر الملل والنحل ١ / ٥١٤.

وفيه جلس السلطان للحكم بين الناس، كما كان المؤيد ومن قبله، وصار يحكم يومى الثلاثاء والسبت بالمقعد من الإسطبل السلطانى.

شهر رجب، أوله الأحد:

فيه نودى على النيل ثلاثة أصابع. وقد جاء القاع خمسة أذرع وسبعة أصابع. واستمر يزيد فى كل يوم عدة أصابع، بحيث نودى عليه فى يوم خمسة عشر أصبعا. وقل ما عهد مثل هذا شهر أيب.

وفى خامس عشره: توجه الهروى عائدا إلى القدس، بعدما أهدى للسلطان هدية بنحو خمسمائة دينار، سوى ما أهداه للأمراء. وكاد أن يلى القضاء على أنه يقوم فى كل سنة بثمانين ألف دينار. ويثبت فى جهة جلال الدين بن البلقينى زيادة على ثمانين ألف دينار. ويحمل معجلا خمسة آلاف دينار، فألزم أن يكتب خطة بذلك كله، فأنكر أن يكون قال شيئا من ذلك، فانخل أمره، وردة الله خائبا، والله الحمد.

وفيه زينت القاهرة ومصر لإدارة محمل الحاج على العادة، فمنع صدر الدين أحمد بن العجمى المحتسب النساء من الجلوس على حوانيت الباعة، وتشدد فى ذلك، فامتنعن. وكانت العادة أن تجلس النساء صدرا من النهار، ويبتن بالحوانيت حتى ينظرن المحمل من الغد، فيختلطن بالرجال فى مدة يومين وليلة، وتقع أمور غير مرضية، فعد منعهن من جميل ما صنع، لكنه لم يتم، وعدن فيما بعد كما كن لإهمال أمرهن.

وفى يوم الإثنين سادس عشره: أدير محمل الحاج بالقاهرة ومصر على ما جرت به العادة. وقد كثر الاعتناء بأمره، وعملت كسوة الكعبة فى غاية الحسن، بحيث لم يعمل مثلها فيما أدركتاه. وولى عملها شرف الدين أبو الطيب محمد بن تاج الدين عبد الوهاب بن نصر الله ناظر الكسوة، لحسن مباشرته وعفته.

وفى هذا الشهر: نزل الأمير تنبك البجاسى نائب حلب بعساكرها على مدينة بهسنى. وحضر الأمير تغرى بردى بن قصره.

وفيه خرج الأمير أينال الظاهرى^(١) نائب صفد عن الطاعة. وذلك أنه كان من جملة

(١) أينال باى بن قجماس الظاهر (٨٠٩ هـ = ١٤٠٦ م)، الأمير سيف الدين. قدم مع أبيه من بلاد الجار كسة بطلب من الظاهر برقوق، لقربة بينهما وترقى والده قجماس فى الدولة الظاهرية، إلى أن صار أمير مائة ومقدم ألف وصار والده أينال باى هذا من جملة خاصكية السلطان الخواص، ثم أمره عشرة، ثم صار فى الدولة الناصرية فرج أمير مائة ومقدم ألف، ثم أمير آخور كبير - بعد الأمير سودون طاز - وتزوج بأخت السلطان خوند يوم، بنت الملك الظاهر برقوق. وكانت توليته فى =

ممالك الظاهر ططر، رباة صغيرا، ثم ولاه نيابة قلعة صفد، لما خرج بالمظفر إلى دمشق لحفظ ذخيرة حملها إلى القلعة صفد. فلما قام السلطان برسباى بالأمر بعد ططر، ولى أينال نيابة صفد، فشق عليه خلع ابن أستاذه من السلطنة، وأخذ فى تدبير أمره، حتى أظهر ذلك، وأخرج من كان مسجوناً بقلعة صفد، وهم الأمير يشبك أينالى أستاذار،

=يوم الإثنين العشرين من شهر صفر سنة خمس وثمانمائة، وعظم قدره وضخم، وصار له كلمة نافذة فى الدولة، لزواجه بأخت السلطان. وسار على قاعدة الملوك من استكتار الممالك والسماط الهائل، ولازال على ذلك إلى يوم الإثنين سادس شهر صفر سنة ثمان وثمانمائة، قبض الملك الناصر فيه على الأمير يشبك بن أزدر، رأس نوبة، وعلى الأمير تمر، وعلى سودون - من إخوة سودون طاز - . فلما بلغ أينال باى هذا الخبر تخوف، ونزل من باب السلسلة واختفى هو والأمير سودون الجلب، فاحتاط السلطان على موجودهما، ثم فى الغد - يوم الثلاثاء - سفروا الأمراء المقبوض عليهم إلى الإسكندرية. وإما أينال باى فإنه دار على جماعة من الأمراء، ليركبوا معه، فلم يوافق أحد على ذلك. وسكن الحال إلى يوم الجمعة عاشر صفر، ظهر أينال باى، ووطع به الأمير بيبرس الأتابك إلى القلعة، فكثر الكلام فى أمر أينال باى، فقبض السلطان عليه، وأوصله إلى دمياط، فاستمر بالثغر، إلى أن كانت وقعة السعيدية، أفرج عنه وعن يشبك بن أزدر، وخلع على أينال باى خلعة الرضى. واستمر الحال إلى يوم السبت رابع عشرين ربيع الأول من سنة ثمان استقر السلطان بالأمير يشبك بن أزدر فى نيابة المليطية، فامتنع من ذلك فأكره حتى لبس الخلعة، ووكل به أرسطاي الحاجب، والأمير محمد ابن جليان الحاجب، حتى أخرجاه من فوره إلى ظاهر القاهرة، ثم بعث السلطان إلى الأمير أزيك الإبراهيمي، أحد أمراء الألوف، المعروف بخاص خرجى، بأن يستقر فى نيابة طرسوس، فأبى أن يقبل، والتجأ إلى بيت أينال باى هذا، ثم اجتمع جماعة من المالك، ومضوا إلى يشبك بن أزدر وردوه فى ليلة الجمعة ثالث عشرينه، وصار العسكر حزين، وطائفة مع السلطان، وهم الذين كانوا عليه فى وقعة السعيدية، ورأسهم الأمير يشبك الشعبانى، وطائفة عليه، ورأسهم بيبرس وأينال باى ويشبك بن أزدر وغيرهم. وعظمت الفتنة، وجرت أمور يطول شرحها آلت إلى اختفاء الملك الناصر فرج وخلعه أخيه الملك المنصور عبد العزيز، وذلك فى يوم الأحد خامس عشرين ربيع الآخر سنة ثمان، فاختفى الملك الناصر إلى يوم الجمعة رابع جمادى الآخرة من السنة المذكورة، ظهر من بيت الأمير سودون الحمزاوى، وحصل بينه وبين من بالقلعة وقعة انتصر فيها الملك الناصر، وعاد إلى ملكه، وقبض على الأمير بيبرس، وسودون الماردينى. واختفى أينال باى صاحب الترجمة مدة، ووقعت له حوادث آلت إلى خروجه إلى البلاد الشامية وأخذ مدينة غزة. واجتمع عليه بها جماعة من الأمراء إلى شهر ذى الحجة من سنة تسع وثمانمائة، ركب الأمير شيخ الحمودى من صفد يريد أينال باى هذا ومن معه، فطرقهم على حين غفلة، فقاتلوه على الجديدة فى يوم الخميس رابع الشهر المذكور، فقتل الأمير أينال باى، والأمير يونس الحافظى نائب حماة، والأمير سودون قرناص، وقبض على الأمير سودون الحمزاوى، وفر يشبك بن أزدر إلى دمشق. ودفن أينال باى بغزة، ثم نقلت رمتة فى شهر ربيع الآخرة سنة عشرة وثمانمائة إلى تربة أبيه قجماس، التى هى شرق تربة الظاهر برقوق، فدفن بها. انظر المنهل الصافى ٣ / ٢١٧ وما بعدها.

والأمير أينال الحكمي نائب حلب، والأمير جلبان أمير أخور. وقبض على من خالفه من أمراء صفد وأعيانها. فكتب السلطان إلى الأمير مقبل الحسامي المؤيدي حاجب دمشق باستقراره في نيابة صفد، وأن يستمر إقطاع الحجوية بيده، حتى يتسلم صفد، وكتب إلى الأمير تنبك ميق نائب الشام أن يخرج بالعسكر إلى قتال أينال بصفد.

وفيه كانت وقعة بين الأمير يونس نائب غزة وبين عرب جرم، هزموه فيها، وقتلوا عدة من عسكره.

وفيه كثرت الحروب والفتن والغارات والنهب والتخريب ببلاد الصعيد من عربانها. وفي خامس عشرينه: قدم كتاب نائب الشام بمجيء أينال الحكمي ويشبك أينالي وجلبان من صفد إلى دمشق طائعين، فدقت البشائر بقلعة الجبل.

وفي سابع عشرينه: قدم الأمير فارس نائب الإسكندرية باستدعاء، فخلع عليه، وأنعم عليه بإمرة مائة وتقدمة ألف. وخلع على الأمير أسندمر النوري^(١) أحد مقدمي

(١) أسندمر بن عبد الله النوري الظاهري (٨٤٨ هـ = ١٤٤٤ م)، الأمير سيف الدين. أصله من مماليك الملك الظاهر برقوق، ومن آنيات الأمير جركس القاسمي المصارع بطبقة الزمام، وترقى بعد موت أستاذه الملك الظاهر برقوق إلى أن تأمر في آخر الدولة الناصرية فرج عشرة، ثم صار من جملة أمراء الطبلخانة في الدلة المؤيدية شيخ، ثم صار بعد موت المؤيد شيخ من جملة أمراء الألوف بالديار المصرية، وولى الإسكندرية في أوئل الدولة الأشرفية برسباي بعد الأمير فارس، فاستمر في نيابة الإسكندرية إلى أن فر من سجنها الآتابك جانبك الصوفى في العشر الأول من شهر شعبان سنة ست وعشرين وثمانمائة، وبلغ السلطان ذلك وشق عليه إلى الغاية، واستمر إلى أن أهل شهر شوال أرسل بطلب أسندمر المذكور من الإسكندرية، فحضر في رابع عشره، وقبل الأرض ونزل، فلم يكن بعد ساعة إلا وقد نزل إليه السيفي يلخجا الساقى الناصرى بسفره إلى دمياط بطالا، فأخذه يلخجا المذكور وتوجه به إلى الثغر وعاد، وولى نيابة الإسكندرية من بعد الأمير أقبغا التمرازى أمير مجلس، فدام أسندمر بالثغر مدة ثم أنعم عليه بإمرة مائة وتقدمة ألف بدمشق فتوجه إلى دمشق ودام بها إلى أن تسلطن الملك العزيز يوسف بعد موت أبيه الملك الأشرف، ثم آل الأمر إلى أن تسلطن الملك الظاهر حقمق وأرسل بطلبه إلى القاهرة وأنعم عليه بإقطاعه ألف بدمشق على الأمير مغلباى الجقمقى أستاذار الصحة، وقدم الأمير أسندمر إلى القاهرة، وهو يظن كل خير فإنه كان آتيا لأخى السلطان الأمير جار كس كما تقدم ذكره، وقد تقدم جماعة من مماليك جركس عند السلطان في دولته، فكيف وأسندمر من رفقة جركس وأخصائه، وقد حكى لى أسندمر من لفظه قال: لما بلغنى أن الملك الظاهر حقمق تسلطن قلت فى نفسى الآن صرت من أعيان المملكة وأحد أكابرها، فلما طلبت تحققت ما قد فى نفسى، وها أنا قد حضرت وتعلم ما وقع لى معه. انتهى. قلت: ولما أحضر أسندمر إلى القاهرة وقبل الأرض بين يدى السلطان وعد بكل خير وما مواعيدها إلا الأباطيل، ونزل إلى دار سكنها وأخذ يترقب الوعد الشريف، وطالت الأيام به وكلما كلم السلطان فى أمره يسوف به من =

الألوف، واستقر في نيابة الإسكندرية^(١).

وفي سلخه: نودى «من كانت له ظلامة فعليه بالإسطبل». وكان السلطان قد ترك جلوسه للحكم منذ قدم خير صغد، فعاد للجلوس للنظر في محاکمات المتخاصمين، على عادته.

شهر شعبان، أوله الإثنين:

فيه تكرر النداء بجلوس السلطان للحكم.

وفي ثانيه: جلس للحكم، واستدعى مدرسى المدرسة القمحية بمصر، وأوقفهم بين يديه، وألزمهم بعمل حساب أوقافها وعمارتها، مما تناولوه من ريعها فيما سلف، وأخرج وقفها - وهو ضيعتان بالفيوم يقال لهما الأعلام والخبوشية - لمملوكين من مماليكه، ليأكلوها إقطاعا بينهما. وندب الأمير أزيك رأس نوبة للكشف عن المدرسة، فوجد الخراب قد أحاط بها من جوانبها، وصار ما هنالك كيمان تراب، وهى قائمة بمفردها ليس بجانبها عامر ولا بها ساكن، سوى رجل يحرسها، فطلب السلطان مدرسيها الخمسة، وأوقفهم بين يديه بالإسطبل، وألزمهم بعمل حسابها، والقيام بما استأدوه من العلوم، فخرجوا فى الترسيم.

وفيه نظر السلطان فى أمر جامع عمرو بن العاص، وأخذ الناس فى تتبع عورات القضاة والفقهاء لميل ولاة الشوكة إلى معرفة ذلك، فإن الأحداث عنتهم قبحت، والقالة فيهم شنت:

وكنا نستطب إذا مرضنا فجاء الداء من قبل الطبيب

وفي يوم الخميس رابعه - الموافق له تاسع عشرين أبيب - كان وفاء النيل ستة عشر ذراعا. وهذا من النوادر، مع أن زيادته فى هذا العام كانت مما يتعجب له، وذلك أن العادة التى عهدت أن زيادة النيل فى شهر أبيب تكون قليلة، حتى أنه ليقال قديما

=وقت إلى وقت، وأسفرت القضية على أن كتب له جامكية فى كل شهر خمسة آلاف درهم على ديوان المفرد، وصار كآحاد الأجناد إلى أن توفى سنة ثمان وأربعين وثمانمائة بالقاهرة وهو فى حدود السبعين. وكان ساحه الله مهملا جدا، مسرفا على نفسه، صار لا يطيق الحركة لكبر سنه وضعف بدنه إلا يجهد، وهو على ما هو عليه، وكان سليم الباطن، متواضعا قليل المعرفة، كثير التغفل، وكان تركى الجنس، خفيف اللحية أبيضها، أحمر اللون، معتدل القد نحيفا. انظر المنهل الصافى ٢ / ٤٧ ٤ وما بعدها.

«فى أبيب، يدب الماء ديبب». وأما مسرى فأيام الزيادة الكثرة، ويقال لها عرس النيل وهى مظنة الوفاء حتى يقال «إذا لم يوف النيل فى مسرى فانتظره فى السنة الأخرى». هذه عادة الله التى أجزاها بين خلقه فى أمر نيل مصر، وربما وقع الأمر فى النيل بخلاف ذلك، فيعد نادرا. واتفق فى هذه السنة أنه منذ ابتدأت الزيادة لم تنزل زيادته كبيرة، بحيث نودى عليه فى يوم بزيادة خمسين إصبعا، فكثرت تعجب الناس لذلك، ثم ازدادوا تعجبا لوفائه قبل مسرى، والله الحمد. وتولى تخليق المقياس وفتح الخليج الأمير الكبير ببيغا المظفرى.

وفى يوم الثلاثاء سادس عشره: أخرج بالمظفر أحمد بن المؤيد شيخ وأخيه من قلعة الجبل نهارا، وحُملا فى النيل إلى الإسكندرية، فكانت هذه موعظة، فإن المؤيد أخرج بأولاد ابن أستاذه الملك الناصر فرج إلى الإسكندرية، فعومل بمثل ذلك، وأخرج الله ابنه إلى الإسكندرية، كما يدين الفتى يُدان^(١).

وفى ثانى عشرينه: خلع على بدر الدين محمود العيتابى ناظر الأحباس، وأعيد إلى حسبة القاهرة، عوضا عن صدر الدين أحمد بن العجمى.

وفى هذا الشهر: كثر عبث الفرنج بالسواحل، وهجم فى الليل غرابان، فيهما طائفة من الفرنج، على ميناء الإسكندرية فوجدوا فيها مركبا للتجار فيه بضائع بنحو مائة ألف دينار، فاقتلوا معهم عامة الليل، فخرج الناس من المدينة، فلم يقدروا على الوصول إليهم، لعدم المراكب الحربية عندهم، ولا وصلت سهامهم إلى الفرنج، بل كانت تسقط فى البحر، فلما طال الحرب بين الفرنج والتجار المسلمين، واحترقت مركب التجار، نجوا فى القوارب إلى البر، فأتت نار الفرنج على سائر ما فى المركب من البضائع، حتى تلف بأجمعها، ومضى الفرنج نحو برقة، فأخذوا ما قدروا عليه، ثم عادوا إلى الإسكندرية، ومضوا إلى نحو الشام.

وفيه قدم رسول إسكندر بن قرا يوسف، ومعه رأسان، زعم أنهما رأس مملك السلطانية نيابة عن شاه رخ بن تيمور لذك، ورأس نائبه بشيراز.

شهر رمضان، أوله الأربعاء:

فى تاسعه: أعيد الآذان بمأذنتى مدرسة السلطان حسن بسوق الخيل.

وفى حادى عشره: كان نوروز القبط بمصر، والنيل قد بلغ تسعة عشر ذراعا وستة

(١) انظر: النجوم الزاهرة ١٤ / ٨٥، ٨٦.

أصابع، فعم به النفع عامة أراضى مصر إلا أن الجسور لم يعتن بها لسوء سيرة متوليها، فقطع ماء النيل منها عدة مقاطع، أفسدت أكثر الزراعات الصيفية كالسمسم والبطيخ ونحوه، فكان بلوغ النيل هذا القدر فى النوروز عجب آخر^(١).

وفيه اتضع سعر الغلال، حتى أبيع الأردب القمح بمائة وخمسين درهما من الفلوس، وعنهما يومئذ سبعة دراهم ونصف فضة أشرفية، وأبيع الشعير بخمسة وثمانين درهما الأردب عنها أربعة دراهم وربع فضة، وأبيع الفول بثمانين درهما الأردب، عنها أربعة دراهم فضة.

وفيه فتح باب مدرسة السلطان حسن، الذى سدّه الظاهر برقوق، وهدم درجه.

وفى يوم الإثنين عشرينه: جلس السلطان بدار العدل وعمل به الخدمة، وأحضرت رسل الفرنج الفرنسييس بهدية. وهذا أول جلوس جلسه السلطان بدار العدل.

وفى حادى عشرينه: خلع على الأمير أيتمش الخضرى، واستقر أستاذار عوضا عن الأمير أرغون شاه.

وفى ثالث عشرينه: خلع على صدر الدين أحمد بن العجمى، واستقر فى نظر الجوالى.

وفى سابع عشرينه: نودى أن السلطان رسم أن لا ينزل أحد من الفقهاء عن وظيفته فى وقف من الأوقاف، وهدد من نزل منهم عن وظيفته، فامتنعوا عن النزول، ثم عادوا كما كانوا، ينزل هذا عن وظيفته من الطلب فى الدروس، أو التصوف فى الخوانك، أو القراءة أو المباشرة بالمال، فىلى الوظائف غير أهلها، ويحرمها مستحقوها، فإن الوظائف المذكورة صارت بأيدى من هى بيده، ينزلها منزلة الأموال المملوكة، فىبيعها إذا شاء ويسمى بيعها نزولا عنها، ويرثها من بعده صغار ولده. وسرى ذلك حتى فى التداريس الجلييلة، والأنظار المعتبرة، وفى ولاية القضاء بالأعمال يليه الصغير من بعد موت أبيه ويستتاب عنه كما يستتاب فى تدريس الفقه والحديث النبوى، وفى نظر الجوامع ومشيخة التصوف، فىا نفس جدى إن دهرك هازل!!

وفيه خلع على الأمير أرغون شاه أحد أمراء دمشق، واستقر كاشف الوجه القبلى، عوضا عن بلبان الجمالى.

وفيه أغلقت كنيسة قمامة بالقدس عن أمر السلطان.

وفى سلخه: نودى بمنع النساء من الخروج إلى التراب فى أيام العيد، وهددن بالعقوبة إن خرجن، فامتنع كثير منهن عن الخروج إليها.

وفيه ارتفع سعر الشيرج، حتى أبيع الرطل بثمانية عشر درهما من الفلوس ولم يعهد مثل ذلك، وسببه غرق السمسم، فقل وجوده.

شهر شوال، أوله الجمعة:

فيه صلى السلطان صلاة العيد بجامع القلعة.

وفى رابعه: رفعت يد قاضى القضاة زين الدين عبد الرحمن التفهنى الحنفى عن وقف الطرحاء، ثم أعيد إليه بعد أيام، وكان لما رفعت يده عنه نودى «من مات له ميت وعجز عن كفنه فعليه بمصلى المؤمنى تحت القلعة».

وفيه رفعت يد قاضى القضاة ولى الدين أبو زرعة أحمد بن العراقى الشافعى عن وقف قراقوش، وفوض السلطان أمره إلى التاج الشويكى والى القاهرة، واستمر كذلك، فلم يعد إلى القضاة، فكان هذا مما يستشنع، وكثرت الشناعات بمقت السلطان للقضاة والفقهاء، وأنه يريد الكشف عما بأيديهم من الأوقاف.

وفيه انتهت زيادة ماء النيل إلى عشرين ذراعاً ونصف ذراع، وابتدأ نقصه من الغد، وهو رابع عشرين توت.

وفى هذه الأيام: ابتدئ بعمل الخربة - التى بخط الركن المخلوق من القاهرة - وكالة، وهذه الخربة موضعها الآن داخل الدرب الأصفر، حيث كان يعرف قديماً بالمنحر، وبابها من وسط سوق الركن المخلوق، عملته خوند بركة^(١) أم السلطان الملك الأشرف شعبان بن حسين بن محمد بن قلاوون أعوام بضع وسبعين وسبعمئة ليكون داخله قاعة، بجوار القيسارية التى أنشأتها، وعملت برسم الجلود، فماتت قبل

(١) بركة خاتون خوند (٧٧٤ هـ = ١٣٧٢ م) والدة السلطان الملك الأشرف شعبان بن حسين، وزوجة الأتابك ألباى اليوسفى كانت من أعظم نساء عصرها خيراً، ودينياً، وبراً، وجمالاً، وكرماً. ولما حجت فى سنة سبعين وسبعمئة، توجهت فى أبهة عظيمة إلى الغاية وفى خدمة الأمراء والحاصكية والخدام، وقرت بالخرمين الشريفين أموالاً عظيمة، وعادت إلى القاهرة، ولم يعظم ألباى إلا بزواجها، وصار له ميزة على أكابر الأمراء بذلك. وتوفيت فى حياة ولدها الملك الأشرف فى يوم الثلاثاء آخر ذى الحجة سنة أربع وسبعين وسبعمئة، ودفنت بمدريستها التى أنشأتها بخط النيابة - خارج القاهرة تعرف بمدريسة أم السلطان ووجد ابنها الأشرف عليها وحداً عظيماً. وبسبب ميراثها خرج ألباى عن الطاعة. انظر المنهل الصافى ٣/ ٣٥٥، ٣٥٦، ٣٥٧.

عمارتها، وقد فرغت واجهة الباب فقط، فتعطلت دهرًا إلى أن أخذ الأمير جمال الدين يوسف - أستاذار القيسارية المذكورة - من وقف أم السلطان على مدرستها بخط التبانة قريبًا من قلعة الجبل، وصيرها من جملة أوقافه على مدرسته التي أنشأها بخط رحبة باب العيد، وضع يده أيضا على هذه الخربة، ومات قبل أن يعمل فيها شيئا، فلم تزل معطلة حتى وقع اختيار السلطان في هذا الوقت على عملها وكالة فابتدئ بعملها.

وفي يوم السبت تاسع هذا الشهر: رسم بإعادة مكس دار التفاح الذى أبطله الملك المؤيد شيخ، فأعيد بسفارة الوزير تاج الدين عبد الرزاق ابن كاتب المناخ وطول سعيه فيه، عامله الله بعدله، فإنه جدد مظلمة يتلف فيها من أموال الناس بنهب الظلمة الفساق ما شاء الله. ﴿وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون﴾^(١).

وفي يوم الإثنين رابع عشره: برز محمل الحاج بكسوة الكعبة صحبة الطواشى افتخار الدين ياقوت - مقدم المماليك السلطانية - ونزل خارج القاهرة، ثم توجه إلى بركة الحاج على العادة.

وفي سابع عشرينه: قدم من صفد ثلاثون رجلا، ممن أسر من أصحاب الأمير أينال، فقطعت أيدي الجميع إلا واحداً، فإنه وسط بالسيف نصفين، وأخرج الذين قطعت أيديهم من يومهم إلى بلاد الشام، فمات عدة منهم بالرمل. وكان من خير صفد، أن الأمير مقبل لم يزل على حصارها إلى يوم الإثنين رابع شوال هذا، فنزل إليه أينال. بمن معه، فتسلم أعوان السلطان القلعة، وعندما نزل أينال أمر أن تفاض عليه خلعة السلطان ليتوجه أميرًا بطرابلس، وكان قد وعد بذلك، وترددت الرسل بينه وبينهم مرارًا، حتى استقر الأمر على أن يكون من جملة أمراء طرابلس، وكتب له السلطان أمانا ونسخة يمين، فانخدع البائس ونزل من القلعة، فما هو إلا أن قام ليلبس الخلعة، وإذا هم أحاطوا به

وقيدوه وعاقبوه أشد عقوبة. ثم قتلوه، وقتلوا معه مائة رجل ممن كان معه بالقلعة، وعلقوهم بأعلاها^(٢).

وفي هذا الشهر: تسلم الأمير تغرى بردى بن قصروه قلعة بهسنى، ونزل بأمان، فقيد وسجن بقلعة حلب، فأمن السلطان بعد تخوفه من جهة صفد وتغرى بردى.

شهر ذى القعدة، أوله الأحد:

(١) سورة الشعراء الآية ٢٢٧.

(٢) انظر: النجوم الزاهرة ١٤ / ٨٦.

فى ثانيه: ركب السلطان من القلعة إلى مطعم الطير تجاه الريدانية خارج القاهرة، وألبس الأمراء الأقبية الصوف للملابس الشتاء كما كان المؤيد يفعل، ثم عبر القاهرة من باب النصر، ودخل عمارتها بخط الركن المخلوق، وخرج من باب زويلة إلى القلعة، ونثر عليه الدنانير والدرهم وهذه أول ركبة ركبها فى سلطنته^(١).

وفى خامسه: عزل الأمير أيتمش الخضرى، وأعيد الأمير أرغون شاه أستاذاراً، ولم تشكر سيرة أيتمش لعتوه وشدة ظلمه، مع عجزه عن القيام بما ولىه^(٢).

وفى سابعه: ركب السلطان إلى جهة بركة الحجاج، وعاد.

شهر ذى الحجة، أوله الإثنين:

فى رابعه: اختفى الوزير تاج الدين عبد الرزاق ابن كاتب المناخ، فخلع على الأمير أرغون شاه، وأضيفت إليه الوزارة، فصار وزيراً أستاذاراً، وذلك فى يوم الإثنين ثامنه، فظهر ابن كاتب المناخ فى عاشره، وصعد إلى القلعة فعفى عنه، ولزم بيته بطالاً على حمل مال قام ببعضه.

وفى يوم السبت سادسه: خلع على علم الدين صالح ابن شيخ الإسلام سراج الدين عمر البلقيني، وفوض إليه قضاء القضاة، عوضاً عن ولى الدين أبو زرعة أحمد بن العراقى، بمال كبير.

وفى سابع عشرينه: نزل الحاج بينع، وقد استعد من فيهم من المماليك السلطانية مع الأمير جانبك الخازندار^(٣) أحد أمراء العشرات لحرب الشريف مقبل متولى ينبع،

(١) انظر: النجوم الزاهرة ١٤ / ٨٧.

(٢) انظر: النجوم الزاهرة ١٤ / ٨٧.

(٣) جانبك بن عبد الله من أمير، الأشرف الخازندار (٨٧٠ هـ = ١٤٦٥ م) المعروف بالظريف. أصله من ممالك الأشرف برسباى الصفار، ولم يعترض إليه الملك الظاهر حقمق لما نفى أعيان المماليك الأشرفية وحبسهم، لكونه إذ ذاك لا يؤبه إليه واستمر على عادته، ثم جعله فى أواخر دولته من جملة الدوادارية الصفار إلى أن استقر بدقاق البشكى زردكاش، بعد موت تغرى برمش الردكاش، وأمره عشرة من إقطاع تغرى برمش، أنعم بإقطاعه على جانبك هذا، فلم يياشر دقاق الزردكاشية إلا دون الجمعة، وغضب عليه السلطان وعزله من الزردكاشية بالأمير لاجين وأخذ الإمرة منه، واحتاج بالقاهرة أن يرد إقطاع دقاق الجنديية إليه، وردّه إليه، فصار جانبك هذا بغير إقطاع، فأعطاه الإمرة التى كانت بيد دقاق واحدة، فكان هذا سبب أخذه الإمرة. ثم صار رأس نوبة فى دولة المنصور عثمان إلى أن تسلطن الملك الأشرف أيتال صار أمير بطنخانة وخازنداراً كبيراً، عوضاً عن أزيك الساقى الظاهرى، بحكم القبض على، ولما أراد الملك الأشرف أيتال أن يجدد دوران الحمل فى شهر =

وقد قدم عقيل بن وبير الحسنى من القاهرة صحبتهم، بعدما خلع عليه بها، فى شوال، واستقر أمير ينبع، شريكا لعمه مقبل، بمال التزم به للدولة، فلما علم مقبل بذلك، نزع عن ينبع إلى واد بالقرب منها. ودخل الحاج إلى ينبع فى ذى القعدة، فبعث أمراء الحاج الثلاثة، وهم افتخار الدين ياقوت أمير المحمل، وأسندمر الأسعدى من أمراء العشرات أمير الركب الأول، وجانبك أمير الركب الثانى، إلى الشريف مقبل حتى يحضر إليهم، فجرت أمور آخرها، أن يستقر عقيل شريكا له كما كان أبوه وبير، وأن يكاتب السلطان بذلك. ومهما ورد المرسوم به اعتمده. ورحل الحاج من ينبع إلى مكة، وقد وجهوا نجابا إلى السلطان بكتبهم، وتركوا عقيلًا بينبع، فاقتتل هو وعمه، فظفر به عمه، وقيده، وأقام بينبع حتى عاد الحاج إليها، فاستعد الأمير جانبك - كما قلنا - وركب فى جمع من المماليك وغيرهم، ليلة الأحد ثامن عشرين ذى الحجة هذا، وطرق مقبل على حين غفلة، فكانت بينه وبين مقبل وقعة قتل فيها جماعة من الأشراف بنى حسن، وجرح كثير من العربان والعبيد، وانهزم مقبل، فمدت المماليك أيديها، وانتهت ما قدرت عليه، وسلبت النساء الشريقات ما عليهن، وساقوا خمسمائة وخمسين جملا، وثلاثين فرسا، وأمتعة كثيرة، ومالا جزيلا، وعادوا من يومهم إلى ينبع، ومعهم عقيل قد خلصوه من الأسر ورحلوا، وقد أقام عقيل بينبع أميراً، فلم يكن إلا ليال حتى عاد مقبل، واحترب مع عقيل، فانهزم مقبل، وقتل بينهما جماعة، كل ذلك بسوء الطبع والطمع فى القليل.

وفى سابع عشرينه: قدم مبشرو الحاج وأخبروا بسلامة الحجاج.

وفى هذا الشهر: اتفقت نادرة فيها عبرة لذوى النهى والأبصار، وهو أن رجلا من فقراء الناس الذين لا يكادون يجدون القوت، له امرأة وبنات منها، يسكنون بخرايات الحسينية، ظاهر القاهرة، فلما كان يوم عيد النحر، ذبح أرباب اليسار ضحاياهم واشتروا لحومها، فهاجت شهوات بنات هذا الرجل لأكل اللحم، وطلبن منه فلم يجد سيلا إلى قضاء شهواتهن، وأخذ يعللهن، وهن يتصايجن ويتحبن بالبكاء، وقلبه يتقطع عليهن حسرات طول نهار العيد حتى جنه الليل، ورددن. فكان يسمع فى الليل حركة تتوالى طول ليلته، وهو وأم أولاده لشدة الحزن قد ذهب نومهما، حتى أصبحا فإذا

= رجب على قديم العوائد، طلب معلما للراحة سأل جانبك هذا أن يكون معلما، وارتجى معرفة ذلك، فأجابه السلطان، وسوق المحمل سنة سبع وسنة ثمان بالفقيرى وفيهما أيضا ولى إمرة حاج المحمل، وحج بالناس سنتى سبع وثمان، ولقى الحاج فى السنة الثانية شدائد من قطع الطريق، وغيره. انظر المنهل الصافى ٤/ ٢٣٩، ٢٤٠، النجوم الزاهرة ١٦/ ٣٤٤ وما بعدها، الضوء اللامع ٣/ ٥٣.

كوم كبير من اللحم فى دارهم قد باتت العرس تنقله طول ليلها، لا يدرون من أين أتت به، فسرا بذلك سروراً كبيراً، وأيقظ بناته فاشتروا من ذلك اللحم، فأكلوا حتى شبعا، وطبخوا منه وقد درا باقيه، فكافهم عدة أيام. ﴿إن الله يرزق من يشاء بغير حساب﴾^(١).

وفى هذه السنة: كثرت الأمطار بأرض الحجاز وبلاد الشام، وسقط بقرية تسمى حدائنا من جبال صغد برد لم يعهدوا مثله، بلغ وزن بردة واحدة سبعة أرتال ونصف بالدمشقى، عنها ثلاثون رطلاً مصرية، ووجدت بردة على باب دار قدر الثور. وكان سقوط هذا البرد ليلة السبت سادس ذى الحجة هذا.

وفىها كانت حروب ببلاد الروم بين أهل حصنين بالقرب من مدينة برصا، فى أحديهما طائفة من الروم المسلمين، وفى الأخرى طائفة من النصارى، فامتدت الحرب أياماً، حتى كان بعض الليالى، إذا هم بصيحة من حصن النصارى، كادت تنخلع منها قلوب المسلمين، فلما أصبحوا إذا بجميع من فى الحصن من النصارى قد هلكوا هم ودوابهم، فتسلموا ما فى الحصن بلا مانع.

وفىها فشت الأمراض بالقاهرة والوجه البحرى، عند انحطاط ماء النيل فى فصل الخريف.

وفىها انحل سعر الغلال، ورخت رخاءاً زائداً.

وفىها سار مراد بن محمد كرشجى بن عثمان فى شهر رجب من برصا إلى اصطنبول^(٢) وهى قسطنطينية - ونزل عليها أول شعبان، وقطع عامة أشجارها، ومنع عنها الميرة، حتى فرغ شهر رمضان من غير حرب، سوى مرة واحدة فى يوم الجمعة ثالث رمضان، فإنه زحف على المدينة فكان بينه وبين أهلها حرب شديدة، فتخلى عنه عسكريه، وبينما هو فى ذلك إذ جاءه أخوه مصطفى، وكان فى مملكة محمد باك بن قرمان، فتفرق عن مراد عسكريه، وكانوا نحو مائة وخمسين ألفاً، حتى بقى فى زهاء عشرين ألفاً، والتجأ مصطفى إلى اصطنبول، وواقف مراد نحو شهر، وقد عجز عنه مراد لمخالفة عسكريه عليه.

* * *

(١) سورة آل عمران ٣٧.

(٢) سبق ترجمتها.

ومات في هذه السنة ممن له ذكر

علاء الدين على ابن قاضى القضاة تقي الدين عبد الرحمن الزبيرى، ليلة الأحد ثالث المحرم، وقد أناف على الستين. وكان يعرف الفرائض والحساب، ويشارك فى الفقه، وناب فى الحكم بالقاهرة، ودرس فى عدة مدارس^(١).

ومات بدر الدين محمود بن شمس الدين محمد الأقصرى الحنفى، ليلة الثلاثاء خامس المحرم، ولم يبلغ ثلاثين سنة، وكان يعرف طرفاً من الفقه، ويشارك فى غيره، وتحرك له حظ فى دولة المؤيد، وصار يحضر مجلسه فيمن يحضر من الفقهاء، فلما قام ططر بعد المؤيد اختص به، فعظم قدره، وتردد الناس لبابه، وتحدثوا بقره إلى العليا، فلم يمهل ووجل^(٢).

ومات الأمير آق قجا، كاشف الوجه القبلى، فى العشرين من المحرم، فأراح الله منه^(٣).

ومات شمس الدين محمد بن أحمد بن معالى الحبلى الدمشقى الحنبلى يوم الخميس ثامن عشرين المحرم وكان من فقهاء الحنابلة، وأحد المحدثين، ناب فى الحكم عن القضاة سنين، واتصل بالمؤيد، وكان يحضر عنده فى جملة الفقهاء، ويقراً عنده صحيح البخارى كل سنة، وولاه مشيخة الخروبية التى استجدها بالجيزة^(٤).

ومات الأمير حسن بن سودن الفقيه الجركسى^(٥)، خال الصالح بن ططر، يوم

(١) انظر: النجوم الزاهرة ١٤ / ٢٩٠.

(٢) انظر: النجوم الزاهرة ١٤ / ٢٩٠.

(٣) انظر: النجوم الزاهرة ١٤ / ٢٩٠.

(٤) انظر: النجوم الزاهرة ١٤ / ٢٩٠.

(٥) الحسن بن سودون (٨٢٥ = ١٤٢١ م)، الفقيه الأمير بدر الدين، صهر الملك الظاهر ططر، وخال ولده الملك الصالح محمد بن ططر. كان والده سودون الفقيه حندياً من جملة المماليك الظاهرية برفوق، وتزوج الأمير ططر بابنته شقيقة حسن المذكور، فصار حسن بخدمة صهره ططر، وترك والده سودون، واستمر عنده إلى أن تسلطن بدمشق فى سنة أربع وعشرين وثمانمائة، ولقره بالملك الظاهر، قرّب حسن هذا، وأنعم عليه بامرة طبلخانة بالديار المصرية دفعة واحدة، بعد القبض على الأمير مغلباى، ثم صار بعد مدة يسيرة أمير مائة ومقدم ألف بالديار المصرية. ومات الملك الظاهر ططر، وتسلطن ولده الملك الصالح فلم تطل مدته، ومرض، وطال مرضه إلى أن مات فى يوم الجمعة ثالث عشر صفر سنة خمس وعشرين وثمانمائة. وورثه والده سودون المذكور «وهو على حاله حندي، غير أنه كان معظماً فى الدولة» لكونه هو الملك الظاهر ططر، وحيد ولده الملك الصالح محمد. وعاش سودون المذكور إلى بعد سنة ثلاثين وثمانمائة. وكان شكله حسناً فى شببته، ثم حصل فى إحدى =

الجمعة ثالث عشر صفر، وكان قد صار أمير مائة مقدم ألف في أيام ابن أخته الصالح محمد بن ططر، بعدما عمله زوج أخته الظاهر ططر أمير طبلخاناه، فلم يتهن بالنعمة، وطال مرضه حتى مات^(١).

ومات الشريف عزيز بن هياز بن هبة بن جماز بن شيحة أمير المدينة النبوية، في ربيع الأول، وهو مسجون بالقلعة، وقد أخذ من المدينة مقيداً في موسم السنة الخالية، وولى عوضه عجلان بن نعيم.

ومات شمس الدين محمد بن علي بن أحمد المعروف بالزرايتي، المقرئ الحنفى، إمام الخمس بالمدرسة الظاهرية برقوق، في يوم الخميس سادس جمادى الآخرة، وقد تجاوز السبعين، وكف بصره وصار شيخ الإقراء بالقاهرة.

ومات برهان الدين إبراهيم بن أحمد بن علي البيجورى، الفقيه الشافعى^(٢)، يوم

=عينه خلل. عارياً، مهملاً، أجنبياً عن كل علم وفن. انظر المنهل الصافى ٧٩ / ٥ وما بعدها، الدليل ٢٦٢ / ١، النجوم ١٤ / ١٥ : ١١٤، الضوء ٣ / ١٠٠ بدائع الزهور ٢ / ٧٨، نزهة النفوس ٣ / ١٦. (١) انظر: النجوم الزاهرة ١٤ / ٢٩١.

(٢) إبراهيم بن أحمد بن علي، الشيخ الإمام العلامة فقيه عصره برهان الدين البيجورى الشافعى. مولده قبل الخمسين وسبعمائة. قال ابن تغرى بردى في تاريخ القاضى علاء الدين خطيب الناصرية، قال شيخنا برهان الدين أبو إسحاق: قدم حلب سنة سبع وسبعين وسبعمائة، ونزل بالمدرسة العسرونية، وكتب بخطه شرح الأذرعى على المنهاج المسمى بالقوت، وكان ينظر عليه في أماكن من دماغه على الكتابة، أبحرني أنه نظر إلى كتاب الطلاق ثم تركه حياء من الشيخ شهاب الدين الأذرعى فإنه كان نازلاً عنده في المدرسة، وكان تفقه على الشيخ جمال الدين الأسنوى، وبرع في الفقه وأفتى وأشغل الطلبة، حضرت عنده بالقاهرة بالمدرستين الناصرية والسابقية، وقرأت عليه، ورأيت يستحضر كثيراً من الفقه خصوصاً من كلام المتأخرين في ذلك، ولم أر في القاهرة في ذلك الوقت وهو في سنة ثمان أو تسع ومائمائة من يستحضر الفقه كاستحضاره، وهو فقير جداً، ووظائفه قليلة، ثم قال: ولقد رأيت يجارى شيخنا شيخ الإسلام سراج الدين البلقينى حتى يجرد منه، ويلج هو فلا يرجع، ولا يزال الصواب يظهر معه في النقل، انتهى كلام ابن خطيب الناصرية. قال ابن تغرى بردى: ودام بعد ذلك دهراً إلى أن بنى الأمير فخر الدين عبد الغنى بن أبى الفرج الأستاذار مدرسته التى بين الصورتين من القاهرة، وأعطى مشيخة المدرسة المذكورة للشيخ شمس الدين محمد البرماوى، فباشرها مدة إلى أن تحول إلى دمشق صحبة قاضى القضاة نجم الدين عمر بن حصى فى سنة ثلاث وعشرين ومائمائة دفع القاضى نجم الدين المذكور إلى البرماوى مالا وأمره أن ينزل عن المشيخة للشيخ برهان الدين البيجورى هذا، فلما وصل النزول إلى البيجورى امتنع من قبوله حتى ألح الطلبة عليه فقبل، على العادة، ورأيت فى بعض الطبقات أن قاضى القضاة ولى الدين أحمد بن العراقى كان لا يزال يصلح فى تصانيفه مما ينقله له الطلبة عن البيجورى. انتهى. قال ابن تغرى بردى: رأيت مراراً =

٧٢ سنة خمس وعشرين وثمانمائة

السبت رابع عشر رجب، وقد أناف على السبعين، وتصدى للإشغال عدة سنين، ولم يخلف بعده أحفظ منه لفروع الفقه، مع إطراح التكلف، وقلة الاكتراث بالملبس، والإعراض عن الرياسة التي عرضت عليه فأباها^(١).

ومات مقدم العشير بجبال صغد، بدر الدين حسن بن أحمد بن بشاره، في سابع ذى الحجة^(٢).

* * *

=عديدة، كان إماما بارعا، فقيه عصره بلا مدافعة مع علمي. من عاصره من العلماء، تصدر للتدريس والإفتاء عدة سنين، وانتفع به غالب الطلبة، وقرأ عليه غالب علماء عصرنا، ولم يزل على ذلك إلى أن توفي يوم السبت رابع عشر شهر رجب الفرد سنة خمس وعشرين وثمانمائة، وقد أناف على السبعين. ونسبته إلى بيجورى قرية بالمنوفية من أعمال القاهرة، بياث ثمانية الحروف مفتوحة وبعدها ياء آخرة الحروف ساكنة، وحيم مضمومة وواو ساكنة وراء مهملة. انتهى. انظر ترجمته فى الدليل الشافى ٨/١، والنجوم الزاهرة ١١٤/١٥، والضوء اللامع ١٧/١، وشذرات الذهب ١٦٩/٧.

(١) انظر: النجوم الزاهرة ١٤ / ٢٩١.

(٢) انظر: النجوم الزاهرة ١٤ / ٢٩١، ٢٩٢.

سنة ست وعشرين وثمانمائة

أهلت وسلطان مصر والشام والحجاز الملك الأشرف برسباي الدقماقي، والأمير الكبير الأتابك ببيغا المظفري، والدوادار الكبير الأمير سودن بن عبد الرحمن، وأمير سلاح الأمير قحق، وأمير مجلس الأمير أقبغا التمرآزي، وأمير أخور الأمير قصره، ورأس نوبة النوب الأمير أزبك، والوزير أستاذار الأمير أرغون شاه، وكاتب السر علم الدين داود بن عبد الرحمن بن الكويز، وناظر الخاص الصاحب بدر الدين حسن بن نصر الله وقاضي القضاة الشافعي علم الدين صالح بن البلقيني، ونائب الشام الأمير تنبك العلای ميق، ونائب حلب الأمير تنبك البجاسي، ونائب طرابلس الأمير أينال النوروزي^(١) ونائب صفد الأمير مقبل الدوادار ونائب، حماة شار قطلوا.

وأسعار الغلال رخيصة. والأمراض في الناس فاشية.

شهر الله المحرم، أوله الأربعاء:

في ثالث عشرينه: قدم الركب الأول من الحجاج وقدم الحمل ببقية الحاج من الغد. وكانت سنة مشقة إلى الغاية، توالى فيها الأمطار الخارجة عن الحد، زيادة على أربعين يوماً، وأتت سيول مهولة مع غلاء الأسعار بمكة، فأبيع الحمل الدقيق بخمسة وثلاثين ديناراً، وأبيعت وبية شعير في الأزلم بخمسين مؤيدياً، فيكون الأردب الشعير

(١) أينال بن عبد الله النوروزي (٨٢٩ هـ = ١٤٢٥ م)، أمير سلاح، الأمير سيف الدين. وأصله من ممالك نورو الحافظي، المتغلب على دمشق ودواداره، ثم اتصل بعد قتل أستاذه بخدمة الملك المؤيد شيخ، وترقى إلى أن ولي نيابة غزة، ثم نقل إلى نيابة حماة، ثم أمس، وصار من جملة أمراء دمشق، ثم ولي في أوائل الدولة الأشرفية برسباي نيابة طرابلس، بعد أركاس الجلباني، واستمر في نيابة طرابلس إلى أن عزل عنها بالأمير قصره من تمارز، وقدم إلى القاهرة، وأنعم بإمرة مائة وتقدمة ألف بها، ثم استقر أمير مجلس بعد الأمير أقبغا التمرآزي، بحكم انتقاله إلى نيابة الإسكندرية، ثم نقل إلى إمرة سلاح، واستمر على ذلك إلى أن توفي أول شهر ربيع الآخر سنة تسع وعشرين وثمانمائة. وكان أمير جليلاً، مهأباً، عظيماً في الدولة، ذا حرمة وافر، وحيروت، وله سطوة على خدمه وحواشيه، وكان ظالماً سفيها شرس الخلق، وعنده حدة وبادرة، إلا أنه كان كريم النفس، متحملاً في ملبسه إلى الغاية وفي مركبه ومأكله، وماليكه. وكان يصرف لبعض ممالিকে حامكية خمسة آلاف في كل شهر، وأقل ما في ممالিকে له حامكية عشرة دنانير في كل شهر. وهو زوج كريمته خوند فاطمة، تزوجها بعد موت زوجها الملك الناصر فرج، ومات عنها. انظر المنهل الصافي ٣/ ٢٠٠، ٢٠١.

على ذلك بألفين ومائة درهم من نقد القاهرة، وكثر موت الجمال، ومشت النساء والصغار عدة مراحل، ومات كثير من الناس، واشتد الحر، ثم اشتد البرد، ومع هذا كله كثرة الخوف.

وفي ثامن عشرينه: أعيد زين قاسم بن البلقيني إلى نظر الجوالى، عوضا عن صدر الدين أحمد بن العجمى على مال التزم به.

وفيه أنعم على الأمير جانبك الخازندار بإمرة طبلخاناه من جملة إقطاع الأمير فارس نائب الإسكندرية، كان.

شهر صفر، أوله الخميس:

فى ثامن عشره: جمع السلطان الأمراء والقضاة ومباشره، وأحضر جماعة من التجار، وأنكر حال الفلوس، وذلك أنها كما تقدم غير مرة أنها هى النقد الرائج بأرض مصر، فينسب إليها أثمان المبيعات وقيم الأعمال، ثم لما ضرب الملك المؤيد شيخ الدراهم المؤيدية رسم أن تنسب قيم الأعمال وأثمان المبيعات إليها، فعمل بذلك مدة من أيامه حتى مات، فعادت قيم الأعمال وأثمان المبيعات تنسب إلى الفلوس، كما كانت قبل المؤيدية، وحدث فى الفلوس مع ذلك ما لم يكن يعهد منذ ضربت، وهو أنه خلط فيها قطع الحديد وقطع النحاس وقطع الرصاص، من أجل أنها تؤخذ وزنا لا عددا، وتغافل الحكام عن إنكار ذلك فتماذى الحال على هذا من بعد موت المؤيد، حتى صارت القفة من الفلوس التى وزنها مائة رطل لا يكاد يوجد فيها قدر عشرين رطلا من الفلوس، وإنها هى - كما قدم - ذكره ما بين نحاس وحديد ورصاص وانفتح للسيارفة ونحوهم من ذلك باب ربح، وهو أنهم صاروا ينقون الفلوس ويبيعونها لمن يحملها إلى الحجاز واليمن وبلاد المغرب، كل قنطار بسبعمائة درهم، فلما بلغ السلطان ذلك أراد أن يضرب فلوسا، فاختلفوا عليه فى مقدار وزنها، فأشار بعضهم أن يكون كل ستين فلسا بدرهم أشرفى، وأشار آخرون أن تكون أوزانها مختلفة، فيها ما زنته مثقال، وفيها ما زنته غير ذلك، فجمع الناس كما تقدم ليقوى عزمه على ما يعضيه، فمزالوا به حتى رجع عن تغيير المعاملة بالفلوس التى بأيدي الناس، خوفا من وقوف أحوال الأسواق، لعنت العامة، فاستقر رأى على أن نودى بأن يكون سعر الفلوس المنقاة من الحديد والرصاص والنحاس، بسبعة دراهم كل رطل، ويكون سعر هذه القطع بخمسة دراهم الرطل، فامتثل الناس ذلك، وصارت الفلوس صنفين بسعريين مختلفين، ومشى الحال على هذا.

وفيه أبيع الرغيف بنصف درهم فلوسا، بعدما كان بدرهم لرخاء الأسعار.
وفي سادس عشرينه: قدم الأمير أينال النوروزى نائب طرابلس باستدعاء، فأكرمه السلطان، وأنزله بدار، ثم طلب الأمير قصره أمير أخور، وخلع عليه بنيابة طرابلس، عوضا عن الأمير أينال المذكور، وأنعم على أينال هذا بإقطاع قصره.

وفي هذا الشهر: اتضع سعر الغلال، حتى أبيع القمح كل خمسة أراذب بدينار، ولهذا أسباب: أحدها النيل فى وقت زيادته، حتى شمل الرى عامة أراضى مصر. ثانيها غزارة الأمطار فى فصل الشتاء وتواليها أياما فأخصبت الزروع والمراعى. ثالثها رخاء الأسعار ببلاد الشام وأرض الحجاز فاستغنت العربان عن شراء الغلال، وترك التجار حملها إلى الحجاز، فتوفرت بديار مصر. رابعها أن الأمير الوزير شمس الدين أرغون شاه أستاذار خرج إلى نواحي الغربية والبحيرة وعسف المزارعين والمتدركين، حتى ألبأتهم الضرورة إلى أن يبيعوا غلالهم ويقوموا له بما ألزموا به من المال، فلذلك كثرت الغلال، فاتضعت، والله الحمد. ومع هذا فقد ساس كثير من الغلال بالوجه البحرى، فتسارع خزائنها إلى بيعها خوفا عليها من التلف، والله عاقبة الأمور.

شهر ربيع الأول، أوله السبت:

فى ثانيه: قدم الأمير الوزير أرغون شاه من الوجه البحرى، بما جمعه من الأموال التى جباها.

وفى ليلة الجمعة سابعه: عمل المولد السلطانى على العادة، فى كل سنة وحضر الأمراء وقضاة القضاة الأربع ومشايخ العلم وجمع كبير من القراء والمنشدين، فاستدعى قاضى القضاة ولى الدين أحمد بن العراقى ليحضر، فامتنع من الحضور، فتكرر استدعاؤه حتى جاء فأجلس عن يسار السلطان حيث كان قاضى القضاة زين الدين التفهنى جالسا، وقام التفهنى فجلس عن يمين السلطان، فيما يلى قاضى القضاة علم الدين صالح ابن البلقينى.

وفى ثاني عشره: توجه الأمير قصره نائب طرابلس إلى محل كفالته.

وفى هذه الأيام: وجدت ورقة بالقصر، فيها شناعات على علم الدين بن الكويز كاتب السر، منها أنه يريد إقامة ابن الملك المؤيد شيخ فى السلطنة، فعرف من ألقاها، فدل على الذى كتبها، وهو رجل من الفقراء يقال له حسن العليمى، يخدم قبر الشيخ على بن عليم بالساحل، فاعترف أنه كتبها نصيحة للسلطان، فبعث به السلطان إلى ابن الكويز، فثبت على قوله وفاجأه بما لا يجب، فنفاه إلى بلاد الصعيد.

وفي خامس عشرة: سار الأمير أرغون شاه إلى بلاد الصعيد ليجبى أهلها، كما جبى الوجه البحرى.

وفي يوم الثلاثاء خامس عشرينه: ثارت ريح مريسية طول النهار، فلما كان قبل الغروب بنحو ساعة، ظهر فى السماء صفرة من قبل مغرب الشمس، كست الجدران والأرض بالصفرة، ثم أظلم الجو حتى صار النهار مثل وقت العتمة، فكنت أمد يدي فلا أراها لشدة الظلام، فما بقى أحد بمصر إلا واشتد فزعه، فلما كان بعد ساعة وقت الغروب أخذ الظلام ينجلي قليلا قليلا، وعقبه ريح عاصف كادت المباني تتساقط وتمادى طول ليلة الأربعاء، فرأى الناس أمراً مهولاً من شدة هبوب رياح عاصفة، وظلمة فى النهار والليل لم يعهد مثلها، بحيث كان جماعة فى هذه الليلة مسافرين وسائرين خارج القاهرة فتأهوا من شدة الظلام طول ليلتهم حتى طلع الفجر، وعمت هذه الظلمة أرض مصر حتى وصلت دمياط والإسكندرية وجميع الوجه البحرى وبعض بلاد الصعيد، ورأى بعض من يظن به الخير فى منامه كأن قائلاً يقول ما معناه: لولا شفاعة رسول الله ﷺ لأهل مصر لأهلكت هذه الريح الناس، لكنه شفّع فيهم، فحصل اللطف.

وفي هذا الشهر: كثر الوباء بدمشق.

وفيه أضيفت ولاية مصر وحسبتها إلى الأمير تاج الدين الشويكى والى القاهرة.

وفيه رسم بمصادرة نجم الدين عمر بن حجى قاضى القضاة الشافعى بدمشق، وشهاب الدين أحمد بن محمود بن الكشك قاضى القضاة الحنفى بها، وعدة من تجارها، فصدروا.

وفيه رسم بإيقاع الحوطة على خيول أهل الوجه البحرى من الغربية والبحيرة ونحوها فأخذت.

وفيه قدم إلى المدينة النبوية جراد عظيم أتلّف عامة زروعها وأشجارها، حتى أكل الأساييط من فوق النخل فأحملت^(١) ونزح كثير من أهلها، فمات معظم الفقراء النازحين جوعاً وعطشاً، ولا قوة إلا بالله.

شهر ربيع الآخر، أوله الأحد:

(١) هو أى اشتدت وجدبت، يقال أمحلّ المكان: أجذب. فهو ما حل. انظر القاموس المحيط

«محل» المعجم الوسيط «محل».

فى ثانيه: عدى السلطان إلى بر الجيزة، وأقام بناحية وسيم فى أمرائه ومماليكه يتنزّه، ثم عاد.

وفى سادس عشرينه: قدم الأمير تنبك البجاسى نائب حلب، فخلع عليه، ورتب له ما يليق به، وقدم له الأمراء على مقدارهم.

وفى هذا الشهر: كثر الوباء بدمشق.

وفيه قدم الخير أن مدينة الكرك^(١) تلاشى أمرها، وخربت قراها وتشئت أهلها، وأنها آيلة إلى الدثور.

وفيه عدى مصطفى بن عثمان من اصطنبول إلى أزنك^(٢) وملكها بعدما حاصرها مدة، فسار إليه أخوه مراد بعساكره وقاتله، فظفر به وقتله، وعاد إلى برصا، وقد صفا له الجو.

شهر جمادى الأولى، أوله الثلاثاء:

فى ثالثه: توجه الأمير تنبك البجاسى إلى حلب على نيابته.

وفيه أبيع الخبز كل ثلاثة أرغفة بدرهم من الفلوس، وأبيع الأردب القمح بثمانين درهماً، فيكون كل ثلاثة أراذب بمثقال ذهب، وكل أردب بأربعة دراهم فضة، وكل ستين رغيفاً بدرهم فضة، ولم يعهد مثل هذا الرخاء فى هذه الأزمنة، ومع ذلك فالرخاء عام بالشام والحجاز، فالله يحسن العاقبة.

وفى رابع عشره: خلع على الأمير جقمق، واستقر أمير أخور، عوضاً عن قصره نائب طرابلس، وكانت فى هذه المدة شاغرة^(٣).

وفى يوم السبت تاسع عشر: أمطرت السماء مطراً كبيراً من أول يوم الجمعة أمسه، حتى مضى السبت، وكانت عامة فى معظم أرض مصر قبلها وبحريها، فسالت الأودية، وظهرت فى النيل زيادة نحو ذراع، ودثرت مقابر كثيرة وسقط ببلاد البحيرة برد كبار جداً، يتعجب من كبرها وكان الزمان ربيعاً.

وفى شهر بشنس، وفى نصف نهار السبت هذا: هبت رياح قوية ألقت مبانى

(١) سبق ترجمتها.

(٢) أزنك: مدينة على ساحل بحر القسطنطينية. انظر معجم البلدان ١ / ١٦٩.

(٣) انظر: النجوم الزاهرة ١٤ / ٨٩.

عديدة وعم هبوبها فى أكثر أرض مصر، فسقط فى ناحية أيار^(١) ألف ومائتا نخلة، وسقط كثير من شجر السنط والسدر والجميز وكانت الشجرة تقتلع من أصلها وسقط كثير من طير السماء واحتملت الريح أشياء ثقيلة من أماكنها وألفتها يبعد وشملت مضرة هذا المطر وهذه الريح أشياء عديدة.

وفى هذا الشهر: انتشر ببلاد الصعيد من الطير التى يقال لها الزراير أمة لا يحصى عددها إلا الله خالقها سبحانه، فأهلكها هذا الريح، حتى صار منها عدة كيما يمر الفارس فيها بفرسه مدة ثلاثة أيام، ولولا هلكت لرعت الزروع.

وفيه جاء من ناحية الحجاز جراد يخرج عن الحد فى الكثرة، فلما وافى الطور يريد دخول أرض مصر كان هذا المطر، فهلك عن آخره، كفاية من الله.

وفيه تلفت زروع عدة بلاد من نواحي أرض مصر لكثرة المطر والبرد بحيث وجد فى البرد ما وزن الواحدة منه عدة أواقى، وتلفت أشجار كثيرة ونخيل كثير بالقرى من الريح، وسقط من طير السماء فيما بين الإسكندرية وبرقة شىء كثير جداً من قوة الريح.

شهر جمادى الآخرة، أوله الأربعاء:

فى هذا الشهر: عظم الوباء بدمشق، وفشا فى البلاد إلى غزة.

وفيه تحرك سعر الغلال بأرض مصر، فارتفع الأردب القمح من مائة إلى مائة وأربعين، والشعير من سبعين درهماً الأردب إلى مائة درهم.

وفى سابع عشره: قدم الأمير أرغون شاه من بلاد الصعيد، وقد وصل إلى مدينة هو، فجيبى الأموال، وما عفا ولا كف، وأحضر معه من الأغنام والأبقار والخيول ومن القند والسكر والعسل شىء كثير، فحرب فى حركته المذكورتين إقليم مصر، أعلاه وأسفله، ثم شرع فى رمى ما أحضره على الناس بأغلى الأثمان والعسف فى الطلب.

شهر رجب، أوله الخميس:

فيه كملت الوكالة وعلوها بخط الركن المخلوق على يد عظيم الدولة القاضى زين الدين عبد الباسط ناظر الجيوش، ولم يعسف العمال فيها، ولا يخسوا شيئاً من أجرهم، فجاءت من أحسن المواضع وكثر النفع بها.

(١) أيار: بفتح أوله وسكون ثانيه بلفظ جمع البئر مخفف الهمزة: اسم قرية بجزيرة بنى نصر بين مصر والإسكندرية. انظر معجم البلدان ١ / ٨٥.

وفيه ابتدئ بهدم الحوانيت والفنادق، التي فيما بين المدرسة السيوفية^(١) وسوق العنبريين لعمل^(٢) موضعها مدرسة للسلطان، وكانت موقوفة على المدرسة القطبية وغيرها، فاستبدل بها أملاك آخر من غير إجبار المستحقين. وجعل الاختبار لهم فيما يستبدل به حتى تراضوا، ولم يشق عليهم. وتولى ذلك زين الدين عبد الباسط.

وفيه انحل سعر الغلال وقد أبيع الغلال الجديدة.

وفيه قدم عدة من الفرنج الكيتلان، لزيارة القدس مستخفين، فعسر على نحو المائة منهم، وسجنوا.

وفي ثاني عشره: ابتدأت المنادة بزيادة النيل، وقد جاءت القاعدة ثمانية أذرع وعشر أصابع. وهذا مما يندر مثله.

وفيه أدير حمل الحاج على العادة^(٣).

وفيه كتب بعزل قاضي القضاة الشافعي بدمشق، نجم الدين عمر بن حجى وسجنه، والكشف عنه، واستقرار شمس الدين محمد بن زيد قاضي بعلبك عوضه في قضاء دمشق. وسبب ذلك تنكر الأمير تنبك ميقي نائب الشام عليه، وتغير كاتب السر علم الدين داود بن الكويز وزين الدين عبد الباسط ناظر الجيش ويدر الدين محمد بن مظهر ناظر الإصطبل ونائب كاتب السر، فإنه أطرح جانبهم، وصار يبلغهم عنه ما يوغر صدورهم، من استخفافه بهم لمعرفته إياهم قبل ارتفاعهم في الأيام المؤيدية. واغتر بكثرة من يساعده من الأمراء لما له عليهم من الأفضال المستمر، فأخذ الجماعة في مكابذته، حتى أوقعوا بينه وبين السلطان، فلم يفده مساعدة الأمراء له.

وفي يوم السبت سابع عشره: اتفقت حادثة فيها موعظة، وهى أن الأمير أرغون شاه جمع الجزارين لأخذ شيء من الأبقار التي أحضرها، ورسم على كل منهم رسولا من الأعوان الظلمة، حتى يمضى إلى بر منبابة حيث الأبقار، ويأخذ منهم ما ألزم به منها، فوافوا ساحل بولاق بكره، ونزلوا في مركب، ونزل معهم أناس آخرون.

(١) تعد هذه المدرسة من جملة دار الوزير المأمون البطاحي، وقفها السلطان صلاح الدين على الخنقية، وسميت بهذا الاسم؛ لأن سوق السيوفيين كان حيثئذ على بابها. انظر المواعظ والاعتبار ٢/ ٣٦٥.

(٢) كان مكان هذا السوق - سحنا في عهد الدولة الفاطمية، فلما تسلطن السلطان المنصور قلاوون هدمه وبناه سوقا لبائعي العنبر. انظر: المواعظ والاعتبار ٢/ ١٠٢.

(٣) انظر: النجوم الزاهرة: ١٤ / ٩٠.

وأخذوا يدعون الله على أنفسهم أن يغرقهم ولا يجيهم، حتى يأخذوا هذه الأبقار ليستريحوا مما هم فيه من الغرامات والخسارات وتحكم الظلمة فيهم بالضرب والسب والإهانة. وقرأ واحد منهم فاتحة الكتاب، ودعا بذلك، وهم يؤمنون على دعائه، فما هو إلا أن توسطوا النيل وتجاوزوه حتى كادوا أن يصلوا إلى بر منبابة. وإذا بمركبهم انقلبت، فغرقوا بأجمعهم، إلا قليلا منهم، فإنهم نجوا. وكانت عدة الغرقى عشرين رجلا وأربع نسوة، فارتجت القاهرة بعويل أهاليهن عليهن، وكثرت الشناعة على الأمير أرغون شاه، وذهب الغرقى بلا قاتل ولا قود. (١)

وفي ثالث عشرينه: رسم السلطان أن لا يكون لقاضى القضاة الشافعى إلا عشرة نواب، وأن يكون للحنفى ثمانية نواب وللمالكي ستة وللحنبلى أربعة. فعمل ذلك مُدبِدة، ثم أعيد من عزل منهم بزيادة. وقد ساءت حالة العامة فيهم، وأكثروا من التشنيع بما يغرمه المتداعيان فى أبوابهم، حتى اتضعت نواب القضاة فى أعين الكافة، وانحطت أقدارهم عند أهل الدولة، وجهروا بالسوء من القول فيهم.

واتفق فى هذه السنة ما لم نعهده وهو انتشار الحمرة عند طلوع الفجر إلى شروق الشمس فى جميع الجهة الشمالية، التى يسميها المصريون وجه بحرى؛ وانتشار الحمرة فى الجهة الشمالية أيضاً بعد غروب الشمس حتى يمضى من الليل ساعة، وتصير الأرض والجدران وغير ذلك فى هذين الوقتين كأنها صبغت بالحمرة. وتمادى هذا الحال أربعة أشهر، وانقضى شهر رجب هذا والأمر على ذلك.

وفيه تناقص الوباء ببلاد الشام، بعدما عم كورة دمشق وفلسطين والساحل. وبلغت عدة من مات بصالحية دمشق زيادة على خمسة عشر ألف إنسان. وأحصى من ورد ديوان دمشق من الموتى فكانوا نحو الثمانين ألفاً، وكان يموت من غزة فى كل يوم مائة إنسان وأزيد، وكان معظم من مات الصغار والخدم والنساء، فخلت الدور منهم إلا قليلا.

وفيه وقع الوباء ببلاد الخليل عليه السلام.

شهر شعبان، أوله السبت:

فى يوم الجمعة سابعه: ورد الخبر بأن الأمير جانبك الصوفى فر من السجن بالإسكندرية، فلم يقدر عليه، فقبض بسببه على جماعة وعوقبوا عقوبات كثيرة.

وقدم الخبر بوقوع الوباء بدمياط.

وفى يوم الخميس عشرينه: خلع على الأمير جرباش قاشق، واستقر حاجب الحجاب. وكانت شاغرة منذ انتقل جقمق عنها، وصار أمير أخور.

وفيه كتب باستقرار الأمير تنبك البجاسى نائب حلب، فى نيابة الشام، بعد موت تنبك ميق. واستقر شارقطلو نائب حماة فى نيابة حلب، عوضاً عن تنبك البجاسى، واستقر جلبان - أمير أخور الملك المؤيد شيخ - فى نيابة حماة. وقد كان من جملة أمراء دمشق. وتوجه الأمير جانبك الخازندار فى ثامن عشرينه بتقاليد المذكورين وتشاريفهم.

وفيه رسم بإعادة نجم الدين عمر بن حجي إلى قضاء القضاة بدمشق، وحمل تقليده وتشريفه.

وفيه جرى الماء فى خليج الإسكندرية، وعبرت فيه السفن، وذلك أنه غلب الرمل على أشتوم^(١) بحيرة الإسكندرية^(٢) حتى جف ماؤها، وصارت الريح تسقى الرمال على الخليج، إلى أن علت أرضه، وجف ماؤه من بعد سنة سبعين وسبعمئة، وصار الماء لا يدخل إليه إلا أيام الزيادة، فإذا نقص ماء النيل جف الخليج. ولذلك خرجت أكثر بساتين الإسكندرية وضياعها التى على الخليج. وصار شرب أهلها من الماء المخزون بالصهاريج. وحاول السلاطين حفر هذا الخليج مراراً، فلم ينجح عملهم، لقلّة المعرفة بأمره، ثم إن السلطان ندب الأمير جرباش قاشق - أحد مقدمى الأولوف - لعمل هذا الخليج، فجمع من النواحي ثمانمائة، وخمسة وسبعين رجلاً، وابتدأ فى حفره من حادى عشر جمادى الأولى من حتى فم النيل. وصار كلما حفر منه شيئاً أرسل الماء عليه من الفم، حتى انتهى حفره فى حادى عشر شعبان هذا لتمام تسعين يوماً، وعبر الماء فى اليوم المذكور إلى الإسكندرية، وقد خرج الناس لرؤيته، وسروا به سروراً كبيراً. وكانت كلفة الحفر مما جبي من النواحي التى تسقى من الخليج، ومن بساتين الإسكندرية.

شهر رمضان، أوله الأحد:

فى ثانيه - الموافق له سادس مسرى - : كان وفاء النيل ستة عشر ذراعاً، فنزل الأمير ناصر الدين محمد ابن السلطان، حتى خلّق عمود المقياس، وفتح الخليج على العادة.

(١) أشتوم: بالضم ثم السكون: موضع قرب تيس. انظر: معجم البلدان ١ / ١٩٦.

(٢) بحيرة الإسكندرية: هذه ليست بحيرة ماء، إنما هى كورة معروفة من نواحي الإسكندرية

معصر، تشتمل على قرى كثيرة ودخل واسع. انظر: معجم البلدان ١ / ٣٥١.

وفيه قبض على الأمير سودن الأشقر أحد مقدمى الألو، ونفى بطالا إلى القدس. ثم أنعم عليه بإمرة فى دمشق، فتوجه إليها.

وفيه خرج عدة من الأمراء إلى الإسكندرية ودمياط ورشيد، وقد ورد الخير بحركة الفرنج، فتكامل توجههم فى سابعه.

وفى ثامن عشرينه: جمع السلطان التجار والصيارف بسبب الفلوس، فإنها من حين نودى عليها فى صفر أن تكون المضروبة بسبعة دراهم الرطل، والقطع بخمسة الرطل، قلت حتى لم تكد توجد. وسبب ذلك أن التجار كثرت تجارتهم فيها، وشدوا أحمالا كثيرة من الفلوس المنقاة، وقد بلغ القنطار منها ثمانمائة درهم، وبعثوا منها إلى الحجاز واليمن والهند وبلاد المغرب بشىء لا يدخل تحت حصر، لما لهم فيها من الفوائد. وضرب آخرون منها الأوانى النحاس كالقدور ونحوها، وباعوها بثلاثين درهماً الرطل. وتصدى جماعة لقطع الحديد والنحاس والرصاص والقصدير، فأفرزوا كل صنف على حدة، واستعملوه فيما يصلح له، فربحوا فيها كثيراً. ومع ذلك فمن عنده شىء منها شح بإخراجه فى المعاملة. وتصدت جماعة لجمعها، فعزت حتى لم يقدر عليها. وتوقفت أحوال الناس فى معاشهم، لفقدائها. فلما اجتمع الناس عند السلطان، استقر رأى على أن تكون الفلوس المنقاة بتسعة دراهم الرطل، وأن لا يتعامل أحد بشىء من القطع النحاس والحديد والرصاص والقصدير، ونودى بذلك، وهدد من خالف وسافر بشىء منها إلى البلاد.

شهر شوال، أوله الثلاثاء:

فى سادسه: ابتداء الهدم فى الحوانيت والرباع التى علوها فيما بين الصناديقين^(١) ورأس الخراطين^(٢)، لتبنى وكالة وربعا، تجاه العمارة الأشرفية.

وفى سابعه: قدم قاضى القضاة الحنفية بدمشق، شهاب الدين أحمد بن محمود بن الكشك، باستدعاء.

وفى يوم الخميس عاشره: خلع على جمال الدين يوسف بن الصفى الكركى، واستقر كاتب السر بعد موت علم الدين داود بن الكويز، فأذكرتنى ولايته بعد ابن

(١) انظر المواعظ والاعتبار ٢ / ١٠٢.

(٢) سوق الخراطين سوق كبير، وبه حوانيت الخراطين وحوانيت صناع السكاكين وصناع

الدوى. نظر المواعظ والاعتبار ٢ / ١٠٣.

الكويز قول أبى القاسم خلف بن فرج الألبيري^(١) - المعروف بالسميسر - وقد هلك وزير يهودى لبديس بن حبوس الحميدى^(٢) أمير غرناطة من بلاد الأندلس، فاستوزر بعد اليهودى وزيرا نصرانيا:

كل يوم إلى ورا ببدل البول بالخرا
 فزماننا تهودا وزماننا تنصرا
 وسيصبو إلى الجسو س إذا الشيخ عمرا

وقد كان أبو الجمال هذا من نصارى الكرك، وتظاهر بالإسلام فى واقعة كانت للنصارى، هو وأبو العلم داود بن الكويز، وخدم كاتباً عند قاضى الكرك عماد الدين أحمد المقيرى. فلما قدم إلى القاهرة. وصل فى خدمته وأقام ببابه، حتى مات وهو بئس فقير، لم يزل دنس الثياب، مقتم الشكل، وابنه هذا معه فى مثل حاله. ثم خدم عند التاجر برهان الدين إبراهيم المحلى كاتباً لدخله وخرجه، فحسنت حاله، وركب الحمار. ثم سار بعد المحلى إلى بلاد الشام، وخدم بالكتابة هناك، حتى كانت أيام الملك المؤيد شيخ، ولأه ابن الكويز نظر الجيش بطرابلس، فكثر ماله بها. ثم قدم فى آخر أيام ابن الكويز إلى القاهرة، فلما مات وخدمت المال كثير حتى ولى كتابة السر، فكانت ولايته أقيح حادثة رأيناها.

وفى رابع عشره: قدم الأمير أسندمر نائب الإسكندرية باستدعاء، فقبض عليه، ونفى إلى دمياط بطالا. واستقر الأمير أقبغا التمرازى أمير مجلس عوضه فى نيابة الإسكندرية.

(١) خلف بن فرج (نحو ٤٨٠هـ = ١٠٨٧م) خلف بن فرج الإلبيرى، أبو القاسم، المعروف بالسميسر: شاعر هجاء، أصله من البيرة وبيته فى غرناطة. أدرك الدولة العامرية وانقراضها. انظر: ابن بسام فى الذخيرة المجلد الثانى من القسم الأول ٣٧٢، الأعلام ٢ / ٣١١.

(٢) المظفر الصنهاجى (٤٦٥هـ = ١٠٧٣م) أديس بن حبوس بن ماكس الصنهاجى، أبو مناد، الملقب بالمظفر صاحب غرناطة وأعمالها. من ملوك الطوائف بالأندلس. بوع بها بعد وفاة أبيه سنة ٤٢٨هـ. وطمع به زمير العامرى (صاحب المدينة) فهاجم غرناطة بجيش كثيف حتى وصل إلى بابها (سنة ٤٢٩هـ) فقاتله باديس، فظفر، وقتل زهير فى آخر المعركة. وأراد احتلال إشبيلية، فأرسل إليه ابن عياد ابنا له اسمه إسماعيل بن محمد، فقاتله رجال باديس، وقتل إسماعيل وانهمز من معه إلى إشبيلية (سنة ٤٣٤هـ) فارتفع شأن باديس وهابه نظراؤه. وكانت خطبته للأدارة من بنى همد أصحاب مالقة فنشأت بينه وبين المهدي الحمودى عداوة، فأرسل إليه باديس كأسا مسمومة قتلته (سنة ٤٤٤هـ) وخضعت له مالقة. انظر: الإحاطة ١ / ٢١٩، سيد النبلاء - خ - المجلد ١٠، العبر ٦ / ١٨٠ البيان المغرب ٣ / ١٦٧ - ٢٦٦. الأعلام ٢ / ٤٠.

وفي سادس عشره - الموافق له رابع عشرين توت - : انتهت زيادة النيل إلى تسعة عشر ذراعاً، تنقص إصبعاً واحداً، وابتدأ نقصه من الغد.

وفي تاسع عشره: خرج محمل الحاج صحبة الطواشى افتخار الدين منقال مقدم المماليك، ورحل من بركة الحاج فى ثالث عشرينه، وقد تقدمه الركب الأول صحبة الأمير أينال الششمانى^(١) أحد أمراء العشرات.

وفي رابع عشرينه: خلع على نقيب الأشراف، السيد الشريف بدر الدين حسن بن الشريف النقيب على، وأضيف إليه نظر وقف الأشراف، عوضاً عن شرف الدين محمد ابن عبد الوهاب بن نصر الله. وكان قد باشر وقف الأشراف بعفة ونهضة، وأنفق للأشراف فى كل سنة أزيد مما كانت عاداتهم.

وفي سادس عشرينه: نزل السلطان إلى عمارته.

وفيه خلع على صدر الدين أحمد بن العجمى، واستقر فى نظر الكسوة، عوضاً عن شرف الدين المذكور، وفى نظر الجوالى عوضاً عن قاسم بن البلقينى وخلع على الأمير زين الدين عبد القادر ابن الأمير فخر الدين بن أبى الفرج، واستقر كاشف الشرقية. وكان الكشف بيد الأمير أرغون شاه أستاذار.

وفي سابع عشرينه: قبض على أرغون شاه المذكور لعجزه - مع ظلمه وعسفه - عن جامكية المماليك، فإن مصروف الديوان المفرد عظم، وصارت البلاد المفردة له - مع مظالم العباد - لا تقى به.

وفي ثامن عشرينه: خلع على ناصر الدين محمد بن شمس الدين محمد بن موسى المرداوى، المعروف بابن أبى والى، واستقر أستاذاراً، عوضاً عن أرغون شاه. وعوقب

(١) أينال بن عبد الله الششمانى الناصرى (٨٥ هـ = ١٤٤٧ م)، الأمير سيف الدين. أصله من ممالك الملك الناصر فرج، ومن صار فى أيام أستاذه أمير عشرة. ولما آلت السلطنة إلى الملك المؤيد شيخ، قبض عليه، وحبس سنين إلى قريب موته أفرج عنه، فأقام من جملة الأجناد إلى أن أنعم عليه الملك الظاهر ططر بإمرة عشرة، فدام على ذلك سنين فى دولة الأشراف برسباى إلى أن ولاه حسبة القاهرة، ثم جعله أمير طبلخاناة، وثانى رأس نوبة، ثم استقر فى نيابة صفد بعد وفاة الأمير مقبل الدودار، فباشرها سنين، وعزل واتجه إلى دمشق أمير مائة ومقدم ألف بها، فدام على ذلك إلى أن نقله الملك الظاهر حقمق إلى أتابكية دمشق، بعد الأمير قانى باى البهلوان، بحكم انتقاله إلى نيابة صفد بعد الأمير أينال العلماى الأجرود، فدام على ذلك إلى أن توفى بدمشق فى شهر ربيع الآخرة سنة إحدى وخمسين وثمانمائة. وكان ضخماً، معتدل القامة، مليح الشكل، عفيفاً عن المنكرات والفروج، إلا أنه كان بخيلاً، جباناً. انظر المنهل الصافى ٣/ ٢٠٧، ٢٠٨.

أرغون شاه بين يدي السلطان. ومن خير ابن أبي والى هذا أن أباه من تجار القدس، وتزيا هو بزي الأجناد، وخدم أستاذار الأمير جقمق الدوادار فى أيام المؤيد بديار مصر مدة، ثم صادره وصرفه، فخدم أستاذار نائب الشام مدة. وكثر ماله، فأحضر من دمشق إلى القاهرة فى هذا الشهر، وألزم بحمل عشرين ألف دينار، فوعد أن يحمل فى هذا اليوم ثلاثة آلاف دينار. فلما قبض على أرغون شاه، سولت له نفسه وزين له شيطانه أن يكون أستاذارًا، ويسد المبلغ الذى ألزم به منها، فاستقر^(١).

وفيه خلع أيضًا على كريم الدين عبد الكريم ابن الوزير صاحب تاج الدين عبد الرزاق ابن كاتب المناخ، واستقر فى الوزارة، عوضًا عن أرغون شاه.

وفى تاسع عشرينه: سلم أرغون شاه إلى الأمير ناصر الدين محمد بن أبى والى أستاذار ليستخلص منه ستين ألف دينار، فنزل من القلعة مع أعوان الوالى حتى دخل داره التى كان يسكنها أرغون شاه وقد سكنها ابن أبى والى، فعندما دخلها بكى، وكان فى بلاطه هذا أعظم عيرة. وذلك أن ابن والى فى ابتداء حاله كان من جملة أجناد أرغون شاه الذين يخدمونه أيام عمله وهو أستاذار نوروز الحافظى، فدارت الدوائر حتى صار ابن أبى والى أستاذار عوضًا عن أرغون شاه، وسكن فى داره بالقاهرة التى كان بالأمس يتردد إليه فيها. ويجلس حتى يستأذن له عليه. ثم أخذ ليعلقه فى هذه الدار، يحضره من كان يخدمه بها. أعاذنا الله تعالى من سوء العاقبة وزوال نعمه، ورزقنا العافية بمنه وكرمه.

وفيه خلع على الأمير إينال النوروزى الذى كان نائبًا بطرابلس، واستقر أمير مجلس، عوضًا عن أقبغا التمرازى نائب الإسكندرية.

شهر ذى القعدة، أوله يوم الخميس:

فيه قدم للسلطان إخوان من بلاد الجركس فى ستين من الجراكسة، فخرج الأمراء إلى لقاءهم.

وفيه توجه الأمير قجق أمير سلاح، والأمير أركماس الظاهرى أحد مقدمى الألوف، والقاضى زين الدين عبد الباسط ناظر الجيوش إلى مكة، على الرواحل حاجين.

وفى رابعه: تقرر على أرغون شاه عشرة آلاف دينار حالة يقوم بها، ويمهل فى مبلغ عشرين ألف دينار مدة، فأفرج عنه.

وفي سادسه: وصلت هدية الأمير قصره نائب طرابلس، وهى مائة وخمسون فرساً، وكثير من القماش والفرو.

وفي هذه الأيام: هبط ماء النيل سريعاً مع فساد جسور النواحي، من سوء سيرة ولاية عملها، فانقطعت منها مقاطع كثيرة، شرق بسببها عدة أراضى بالوجه القبلى وبالوجه البحرى وبالجزيرة، فنسأل الله اللطف. هذا، والغلال رخيصة، فالقمح بمائة وأربعين درهماً من الفلوس كل أردب، والشعير والفرول بسبعين درهماً الأردب.

وفي يوم الأربعاء خامس عشره - الموافق له ثانى عشرين بابه - : والشمس فى الدرجة الخامسة من برج العقرب، حدث فى السماء راعد شديد وبرق، ثم مطر كثير جدا، لم نعهد مثله فى مثل هذا الزمان. ومع ذلك فالحر موجود، فسبحان الفعال لما يريد.

وفي سادس عشره: قدم الأمير جانبك الخازندار من الشام، وقد قلد النواب، فخلع عليه، واستقر دوا داراً ثانياً، عوضاً عن الأمير قرقماس المتوجه إلى الحجاز، بحكم انتقاله إلى مقدمة ألف. وجانبك هذا رباه السلطان صغيراً، فحفظ حق التربية، بحيث أن جقمق نائب الشام لما ثار بعد موت المؤيد وقبض على السلطان، وهو يومئذ من أمراء دمشق، وسجنه، بذل الرغائب لجانبك هذا، فلم تستمله الدنيا، وثبت على خدمة أستاذه حتى خلاصه الله، فوفى السلطان له بذلك، وأنعم عليه بإمرة عشرة، ثم إمرة طبلخانة، وبعثه لتقليد نواب الشام فأثرى. ولما قدم، صار دوا داراً. وفى الحقيقة هو صاحب التدبير فى الدولة نقضاً وإبراماً، لكثرة اختصاصه بالسلطان، ومزيد قربه منه^(١).

وفي سادس عشرينه: ثارت الممالك بأستادار لعجزه عن تكملة النفقة، وضربوه، ففر حتى التجأ إلى بيت بعض الأمراء.

وفي ثامن عشرينه: ختم على مطابخ السكر، وألزم من يدولب طبخ السكر ألا يتعرض أحد منهم لعمله، ومنعت باعة السكر وباعة الحلوى من شراء السكر إلا من سكر السلطان. وعمل لذلك ديوان، وأقيم له جماعة ليدولبوا السكر، فامتنع كل أحد من بيع السكر، إلا السلطان، ومن شرهه إلا من سكر السلطان، فضاقت الناس ذرعاً بذلك، وتضرر به جماعة عديدة^(٢).

شهر ذى الحجة، أوله الجمعة:

(١) انظر: النجوم الزاهرة ١٤ / ٩٥.

(٢) انظر: النجوم الزاهرة ١٤ / ٩٥.

فى ثالثه: ركب الأمير ناصر الدين محمد ابن السلطان للسرحة فى عدة من الأمراء حتى اصطاد، ودخل القاهرة من باب النصر، وصعد القلعة من باب زويلة. ومولده فى سنة تسع عشرة. وركب أيضا فى سادسه.

وفى هذه الأيام: اشتد الفحص عن الأمير جانبك الصوفى، وعوقب بعض الممالىك حتى هلك بسببه. وقبض على أصهاره وعوقب بعضهم، وأخذت له أشياء وجدت له. وفيها تحرك سعر الغلال، وفشت الأمراض فى الناس من الحميات.

وفى ليلة السبت سادس عشرة: زلزلت القاهرة زلزلة كلمح البصر، ثم زلزلت كذلك فى ليلة الأحد.

وفى حادى عشرينه: ألزم الناس أن لا يتعاملوا بالذهب الإفرنتى المشخص، إلا من حساب كل دينار بمائتين وعشرين فلوسًا، وكان آخر ما استقر عليه الحال أن الدينار بمائتين وخمسة وعشرين، فلم يتغير صرفه عن ذلك مدة إلى أثناء هذه السنة، زادت العامة فى صرفه حتى بلغ مائتين وثلاثين، فأنكر السلطان ذلك عندما بلغه، ورسم أن ينقص كل دينار عشرة دراهم، حتى يبقى بمائتين وعشرين درهمًا، فحسر الناس مالا كثيرًا.

وفى ثامن عشرينه: قدم مبشرو الحاج، وأخبروا برخاء الأسعار، وكثرة الأمطار، وأن الشريف حسن بن عجلان لم يقابل أمير الحاج ونزح عن مكة، لما بلغه من الإرجاف بمسكه، فنودى من يومه بعرض الأجناد البطالين، ليجهزوا إلى التجريدة بعد النفقة عليهم لغزو مكة، فاستشنع ذلك.

وفيه كبست عدة أماكن بسبب جانبك الصوفى فلم يوجد.

وفى هذه السنة: اشتد غضب متملك الحبشة وهو أبرم - ويقال له إسحاق بن داود بن سيف أرعد - بسبب غلق كنيسة قمامة بالقدس، وقتل عامة من فى بلاده من الرجال المسلمين، واسترق نساءهم وأولادهم، وعذبهم عذابا شديداً، وهدم ما فى مملكته من المساجد، وركب إلى بلاد حيرت^(١) فقاتلهم وقتل عامة من فيها، وسبى نساءهم وذريتهم، وهدم مساجدهم، فكانت فى المسلمين ملحمة عظيمة جداً لا يحصى عدد من قتل فيها.

وفى هذه السنة: حدث أمر الناس فى غفلة عنه معرضون، وهو أنه أخبرنى من لا

(١) حيرت: مدينة من أكبر مدن الحبشة، تقع غربى زيلع، وأهلها مسلمون. نظر تقويم البلدان.

أتهم فى سنة إحدى وتسعين وسبعمائة أن الأرضة التى من طبعها إفساد الكتب والثيراب الصوف، أكلت له بناحية مرج الزيات - ظاهر القاهرة - ألفا وخمسمائة قطة^(١) دريس وهذا الدريس يحمله خمسة عشر جملا وأكثر. فكثير تعجبنى من ذلك، ومازلت أفحص عنه على عادتى فى الفحص عن أحوال العالم حتى وقفت على أن ضرر الأرضة تعدى بناحية مرج الزيات، فأتلقت الأخشاب والثيراب عندهم، وقوى ضررها حتى شاهدت تلك الأعوام حوائط البساتين التى بناحية المطرية وقد جددت الأرضية فيها أحاديث طوالا. ثم لما كان بعد سنة عشرين وثمانمائة كثر عبث الأرضة بالحسينية خارج القاهرة، حتى صارت أخشاب سقوف الدور ترى مجوفة من داخلها، فشرع أربابها فى الهدم حتى أتوا على معظم تلك الديار، والأرضة ضررها يفحش، إلى أن وصلت الدور التى بباب النصر. وقد كثر ضررها أيضا بالمدينة النبوية. وحدثت فى هذه الأعوام بمكة أيضا، وفى سقف الكعبة. ولقد مر بى قديما فى كتب الحدثنان مما أنذر بوقوعه فى هذا الزمان، أن يسلط على الناس الحيوان الردىء، فكنت أفكر فى ذلك زمانا وأقول كيف يسلط الحيوان على الناس وأحسب ذلك من جملة ما رمزوه، حتى كان من أمر الأرضة ما كان، فعلمت أنها هى الحيوان المعنى، ولعمري هذا أمر له ما بعده.

* * *

ومات فى هذه السنة ممن له ذكر

تاج الدين فضل الله بن الرملى ناظر الدولة، فى حادى عشرين صفر وياشر نظير الدولة عدة سنين، وأناف على الثمانين، وسئل بالوزارة غير مرة فامتنع. وكان من ظلمة الكتاب الأقباط وفساقهم^(٢).

وقتل ناصر الدين عبد الرحمن بن محمد بن صالح^(٣) قاضى المدينة النبوية، ليلة السبت رابع عشرين صفر.

(١) القت: علف للدواب، وهو نباتات عشبية كلئية، فيه أنواع تزرع وأخرى تنبت برية فى المروج والحقول. انظر لسان العرب (قت)، المعجم الوسيط (قت).

(٢) انظر: النجوم الزاهرة ١٤ / ٢٩٣.

(٣) عبد الرحمن بن محمد بن صالح (٨٢٦ هـ = ١٤٢٢ م) قاضى القضاة ناصر الدين المدنى ولى قضاء المدينة مدة سنين إلى أن توفى ليلة السبت رابع عشر صفر سنة ست وعشرين وثمانمائة. وكان فاضلا، مشكور السيرة، عفيفا. انظر المنهل الصافى ٧ / ٢١١ والنجوم الزاهرة ١٥ / ١١٦، أبناء الغمر ٣ / ٣١٧، نزهة النفوس ٣ / ٣٦، التحفة اللطيفة ٢ / ٥٣٢، الضوء اللامع ٤ / ١٣١.

وقتل ناصر الدين محمد باك بن على باك بن قرمان، متملك بلاد قرمان فى صفر بحجر مدفع أصابه فى حرب مع عساكر مراد بن كرشجى متملك برصا. وقد ذكرنا قدومه أسيرا فى الأيام المؤيدية شيخ ثم أفرج عنه بعد موته^(١).

ومات الأمير قطلوبغا التنمى أحد أمراء الألو فى الأيام المؤيدية شيخ، وهو بطال بدمشق. فى ليلة السبت سابع عشرين ربيع الأول^(٢).

وماتت خوند زينب ابنة الظاهر برقوق فى ليلة السبت ثامن عشرين ربيع الآخر وهى آخر من بقى من أولاد الظاهر، لصلبه.

وماتت ابنتى فاطمة يوم الأربعاء ثالث عشرين ربيع الأول، وهى آخر من بقى من أولادى، عن سبع وعشرين سنة وستة أشهر.

ومات الأمير غرس الدين خليل الجشارى، نائب الإسكندرية - كان - وهو من جملة أمراء دمشق فى شهر رجب.

ومات الأمير تنبك ميق العلاى نائب الشام، فى يوم الإثنين ثامن عشر شعبان. وكان مع ظلمه سخيفاً ماجنا متجاهراً. وهو من جملة المماليك الذين أثاروا الفتن. وفر من الناصر فرج، ولحق بشيخ الحمودى وهو ببلاد الشام، فلزمه حتى تسلطن، فرقاه كما تقدم.

ومات قاضى القضاة ولى الدين أبو زرعة أحمد بن الشيخ زين الدين عبد الرحيم بن الحسين العراقى الشافعى فى يوم الخميس سابع عشرينه، عن خمس وستين سنة. وقد نشأ على أجمل طريقة، وبرع فى الحديث الشريف والفقه، وشارك فى فنون، وناب فى الحكم بالقاهرة عن العماد أحمد بن عيسى الكركى، ومن بعده. ثم ترفع عن ذلك، وتصدى للإفتاء والتدريس، حتى ولى القضاء ثم صرف عنه كما تقدم^(٣).

ومات علم الدين داود بن زين عبد الرحمن بن الكويز الكركى، كاتب السر، فى يوم الإثنين سلخه، ولم يبلغ الخمسين سنة. ودفن خارج القاهرة. وكان الجمع فى جنازته موفوراً. وقد كان أبوه من كتاب الكرك النصارى، يقال له جرجس، فأظهر الإسلام، وتسمى عبد الرحمن، وباشر عدة جهات بالكرك ودمشق والقاهرة، آخرها

(١) انظر: النجوم الزاهرة ١٤ / ٢٩٣، ٢٩٤.

(٢) انظر: النجوم الزاهرة ١٤ / ٢٩٤.

(٣) انظر: النجوم الزاهرة ١٤ / ٢٩٥.

نظر الدولة. وخدم ابنه داود هذا فى الجيزة، ثم لحق بالشام، وباشر نظر جيش طرابلس. واتصل بالمؤيد شيخ المحمودة - هو وأخوه صلاح الدين خليل فولاه نظر الجيش بدمشق. وعمل أخاه صلاح الدين فى ديوانه فقبض عليهما فى سنة اثنتى عشرة، وحملوا إلى القاهرة على حمارين فى أسوأ حال. ثم أفرج عنهما فقرا إلى دمشق. ومازالا فى خدمة شيخ حتى قدم بهما إلى مصر وتسلطن، فولى داود هذا نظر الجيش، ثم ولاه ططر كتابة السر. وكانت تؤثر عنه فضائل، منها أنه يلازم الصلاة، وصيام أيام البيض من كل شهر، ويتنزه عن القاذورات المحرمة كالخمر واللواط والزنا، ويتصدق كل يوم على الفقراء، إلا أنه كان متعاطفا، صاحب حجاب وإعجاب، مع بعد عن جميع العلوم. ولكنه فى الألفاظ ذو شح زائد، وحفظت عليه ألفاظ تكلم بها سخر الناس منها زمانا، وهم يتناقلونها، وكان مهابا إلى الغاية متمكنا فى الدولة، موثوقا به فيها، بحيث مات ولا أحد أعلا رتبة منه^(١).

ومات قاضى القضاة مجد الدين سالم بن سالم بن أحمد المقدسى الحنبلى، يوم الخميس تاسع عشرين ذى القعدة، وقد بلغ الثمانين، وابتلى بالزمانة^(٢) والعطلة عدة سنين وكان يعد من نبيهاء الحنابلة وخيارهم. وباشر القضاء^(٣).

* * *

(١) انظر: النجوم الزاهرة ١٤ / ٢٩٥.

(٢) الزمانة: مرض يدوم أى: العاهة. انظر: المعجم الوسيط (زمن).

(٣) انظر: النجوم الزاهرة ١٤ / ٢٩٤.

سنة سبع وعشرين وثمانمائة

أهلت هذه السنة وسلطان مصر والشام والحجاز الملك الأشرف أبو العز برسباى. والأمير الكبير الأتابك بيغا المظفرى. والدوادار الكبير سودن بن عبد الرحمن. وأمير سلاح قحجق. وأمير مجلس أينال النوروزى. وأمير أخور جقمق. ورأس نوبة أزيك. وحاجب الحجاب جرباش قاشق. والوزير كريم الدين عبد الكريم بن عبد الرزاق^(١) بن محمد ابن كاتب المناخ. وناظر الخاص بدر الدين حسن بن نصر الله. وكاتب السر جمال الدين يوسف بن الصفى الكركى. وأستادار ناصر الدين محمد بن محمد بن أبى والى القدسى. ونائب الشام تنبك البجاسى. ونائب حلب شارقطلوا. ونائب حماة جليان ونائب طرابلس قصروه. ونائب صمد مقبل. ونائب الإسكندرية أقبغا التمرازى. والسلطان فى قلق من جانبك الصوفى، وهو حثيث الطلب له، والفحص عنه. والناس فى تخوف من ذلك، فما بين الواحد وبين هلاكه، إلا أن يقول عدو له: «جانبك الصوفى عند فلان» فيؤخذ ويعاقب حتى يهلك.

ومع ذلك فالناس فى ضيق من الحجر على السكر، والامتناع من بيعه إلا للسلطان بأربعة آلاف درهم القنطار، ولا يشتريه أحد إلا من الحوانيت التى يباع منها سكر السلطان.

شهر الله المحرم، أوله الأحد:

فى ثانيه: قدم الأمير مقبل نائب صمد باستدعاء، فأكرمه السلطان، وخلع عليه

(١) عبد الكريم بن عبد الرزاق بن عبد الله بن عبد الوهاب (٨٥٢ هـ = ١٤٤٨ م)، الصحاح كريم الدين ابن الصحاح تاج الدين بن شمس بن علم الدين، الشهير بابن كاتب المناخ، القبطى الأصل المصرى. ولد بالقاهرة، وأمه أم ولد رومية، ونشأ بها تحت كنف والده، وعرف قلم الديونة بحسب الحال، وخدم فى عدة جهات، وباشر عند جماعة من أعيان الأمراء، ثم ولى نظر الديوان المفرد، ثم ولى الوزر بعد عزل الأمير أرغون شاه النوروزى الأعور - فى حياة والده - بعد استغناء والده من الوزر بأشهر، فإن والده كان عزل عن الوزر بأرغون شاه فى يوم الإثنين ثامن ذى الحجة سنة خمس وعشرين وثمانمائة. «وكان لبس الصحاح كريم الدين هذا للوزر فى ثامن عشرين شوال سنة ست وعشرين وثمانمائة». انظر المنهل الصافى ٧ / ٣٤٠ وما بعدها والدليل الشافى ١ / ٤٢٥، النجوم الزاهرة ١٥ / ٥٢٧ حوادث الدهور ص ٣٠، الضوء اللامع ٤ / ٢١٣.

خلعة الاستمرار^(١).

وفي رابعه: ركب السلطان في طائفة يسيرة، وعبر من باب زويلة، حتى شاهد عمارته. ومضى عائداً إلى القلعة من باب النصر، وهو بثياب جلوسه، كأحد الأجناد، من غير شعار المملكة.

وفي ثامنه: قدم الأمير قجق، والأمير أركماس، والقاضي زين الدين عبد الباسط من الحجاز على الرواحل، فخلع عليهم. وقدم معهم الشريف مقبل أمير ينبع، راغباً في الطاعة، فخلع عليه^(٢).

وفي رابع عشره: توجه الأمير مقبل عائداً إلى صفد، على عادته.

وفي حادى عشرينه: قدم الركب الأولى من الحجاج. وقدم من الغد المحمل ببقية الحجاج. وتأخر الأمير قرقماس الدوادار فى ينبع، وطلب عسكرياً ليقاتل به الشريف حسن بن عجلان، ويستقر عوضه فى إمارة مكة، فأجيب إلى ذلك. ونودى فى الأجناد البطالين بالعرض، كما تقدم. وعين منهم ومن المماليك السلطانية جماعة ليسافروا صحبة حسين الكردي الكاشف.

وفي ثالث عشرينه: خلع على الأمير سودن بن عبد الرحمن الدوادار، واستقر نائب الشام، عوضاً عن تنبك البجاسى، ونزل من القلعة سائراً إلى دمشق، من غير أن يدخل داره، فى عدة من مماليكه على خيولهم بغير أنقال. وكان قد تحدث منذ أيام بمخامرة تنبك.

وفي سادس عشرينه: قدمت رسل مراد بن عثمان صاحب برصا بهدية.

وفيه خلع على الشريف على بن عنان بن مغامس، واستقر فى إمارة مكة شريكة للأمير قرقماس.

وفي ثامن عشرينه: خلع على الشيخ شهاب الدين أبى الفضل أحمد بن على بن حجر، مفتى دار العدل، واستقر فى قضاء القضاة بديار مصر، عوضاً عن قاضى القضاة علم الدين صالح بن البلقينى.

وفي هذا الشهر: كثرت الأمطار بالقاهرة والوجه البحرى كثرة زائدة. واشتد البرد إلى غاية لم نعهد مثلها، حتى جمد الماء فى بعض الأوانى، وتجلد الطل فى الأسحار على

(١) انظر: النجوم الزاهرة ١٤ / ٩٦.

(٢) انظر: النجوم الزاهرة ١٤ / ٩٦.

الأرض وعلى الزروع. وهلكت دواب كثيرة بالأرياف من البرد، وسقطت دور كثيرة بها من الأمطار، ورؤى الثلج على جبل المقطم.

شهر صفر، أوله الثلاثاء:

فى عاشره: قدم شمس الدين محمد الهروى من القدس، متعرضا بعوده إلى القضاء وغير ذلك من المناصب.

وفى رابع عشره: قدم الخير بخروج تنبك البجاسى عن الطاعة ومحاربه أمراء دمشق. وسبب ذلك أنه لما ولى سودن بن عبد الرحمن نيابة الشام، تقدمت المملطفات السلطانية إلى أمراء دمشق، بالقبض على تنبك البجاسى، فأتوا دار السعادة فى ليلة الجمعة رابعه، واستدعوه ليقراً عليه كتاب السلطان، فارتاب من ذلك، وخرج من باب السر، وقد لبس السلاح فى جمع من مماليكه. فثار إليه الأمراء واقتلوا معه حتى مضى صدر نهار الجمعة، فانهزموا منه، وتحصن طائفة منهم بالقلعة، ومضى آخرون إلى سودن بن عبد الرحمن، وقد نزل على صفد.

وفى تاسع عشره: خلع على نور الدين السفطى - أحد مباشرى دواوين الأمراء - واستقر فى وكالة بيت المال، بعد موت شرف الدين يعقوب بن الجلال التبانى.

وفى ثانى عشرينه: نودى بأن يُمكن الناس من طبخ السكر وبيعه وشراؤه، وارتفع تحكيره، وتضمن بيعه، فسر الناس بذلك.

وقدم الخير بأن الأمير سودن بن عبد الرحمن لما نزل على صفد تلقاه الأمير مقبل نائبها، ونزل معه على جسر يعقوب. خرج تنبك البجاسى من دمشق بعدما تقدم ذكره من محاربة الأمراء حتى نزل على الجسر فى يوم الجمعة حادى عشره، وقد قطع سودن بن عبد الرحمن الجسر فباتوا يتحارسون، وأصبحوا يوم السبت ثانى عشره يتزامون نهارهم كله حتى حجز الليل بينهم، فباتوا ليلة الأحد على تعبيتهم. وأصبح تنبك يوم الأحد ثالث عشره راحلا إلى جهة الصبية، فى انتظار ابن بشاره أن يأتيه تقوية له، فكتب سودن بذلك إلى السلطان، وركب بمن معه على جرائد الخيل، وترك الأتقال فى مواضعها مع نائب القدس. وساق حتى دخل دمشق فى يوم الأربعاء سادس عشره، فتمكن من القلعة. فللحال أدر كههم تنبك، وقد بلغه مسيرهم، فلقوه عند باب الجابية، وقاتلوه، فثبت لهم مع كثرتهم، وقاتلهم أشد قتال، والرمى ينزل عليه من القلعة، فتقنطر عن فرسه لضربة أصابت كتفه، حتى خلت فتكاثروا عليه، وجروه إلى القلعة، ومعه نحو عشرين من أصحابه. وكتب بذلك للسلطان، فقدم الكتاب الأول من

جسر يعقوب فى يوم الأحد عشرينه، فاضطرب الناس، ووقع الشروع فى السفر، وأحضرت خيول كثيرة من مرابطها بالربيع، فقدم الخير الثانى بأخذ تنبك البجاسى بدمشق، فدقت البشائر، وكتب بقتل تنبك، وحمل رأسه إلى مصر، وتبع من كان معه. وبطلت حركة السفر.

وفيه ابتدئ بهدم المأذنة التى أنشأها الملك المؤيد شيخ على باب الجامع الأزهر، من أجل أنها مالت حتى قرب سقوطها.

وفى رابع عشرينه: خلع على الشيخ سراج الدين عمر بن على بن فارس الخلاطى^(١) المعروف بقارئ الهداية. واستقر فى مشيخة خانقاه شيخو، عوضاً عن شرف الدين يعقوب بن التبانى.

وفى سابع عشرينه: نودى على جانبك الصوفى، ووعد من أحضره بألف دينار، وإن كان جندياً بأمرة عشرة وهدد من أخفاه وظهر عنده، بإحراق الحارة التى هو ساكن بها، وحلف المنادى على كل واحدة مما ذكر يمينا عن السلطان.

شهر ربيع الأول، أوله الخميس:

فيه خلع على ولى الدين محمد السفطى الشافعى، واستقر فى إفتاء دار العدل، لا عن أحد.

وفى ثانيه: نودى بالخروج إلى حرب مكة، فاستشنع ذلك. وكان قد بطل أمر التجريدة إلى مكة، شغلا ببحر تنبك البجاسى. فلما تفرغ قلب السلطان اشتغل بأمر مكة.

وفى رابعه: أنفق فى المجردين مبلغ أربعين ديناراً، لكل واحد.

وفى حادى عشره: قدم رأس تنبك البجاسى وعلق على باب النصر.

وفى يوم الخميس خامس عشره: رسم بفتح كنيسة قمامة بالقدس، ففتحت.

وفى سابع عشره: ركب السلطان حتى عبر من باب زويلة وشاهد عمارته ومضى من باب النصر إلى القلعة، وهو بثياب جلوسه، من غير شارة الملك.

(١) قارئ الهداية (٨٢٩هـ = ١٤٢٦م) عمر بن على بن فارس الكنانى القاهرى الحسينى، أبو حفص، سراج الدين المعروف بقارئ الهداية، فقيه حنفى، من أهل «الحسينية» بالقاهرة، ونسبته إليها. انتهت إليه رئاسة الحنفية فى زمنه. وتصدى للإفتاء والتدريس، ولم يُقبل على التصنيف لتوقف فى ذهنه. انظر: الضوء اللامع ١٠٩/٦، شذرات الذهب ٧/١٩١، كشف الظنون ٢٠٣٤ الأعلام ٥/٥٧.

وفي ثامن عشره: خرجت التجريدة إلى مكة، صحبة الشريف على بن عنان.
وفي يوم الثلاثاء عشرينه: خلع على شمس الدين محمد بن عبد الدايم البرماوى،
واستقر فى تدريس الفقه للشافعية بالجامع المؤيدى، وكان بيد قاضى القضاة شهاب
الدين أحمد بن حجر.

وفي سابع عشرينه: خلع على الأمير أزبك رأس نوبة، واستقر دواداراً كبيراً، عوضاً
عن الأمير سودن من عبد الرحمن نائب الشام، وكانت شاغرة هذه المدة. وخلع على
الأمير تغرى بردى المحمودى^(١) واستقر رأس نوبة، عوضاً عن الأمير أزبك^(٢).

(١) تغرى بردى بن عبد الله المحمودى الناصرى (٨٣٦ هـ = ١٤٣٣ م)، الأمير سيف الدين،
رأس نوبة النوب، ثم أتاك دمشق. نسبته إلى الملك الناصر فرج بن برقوق، اشتراه وأعتقه ورقاه إلى
أن أنعم عليه بإمرة عشرة بالديار المصرية، ودام على ذلك إلى أن قتل الملك الناصر، وتسلمن الخليفة
المستعين بالله من بعده، وصار الأمير نوروز الحافظى نائب دمشق بعد والدى وأضيف إليه من الفرات
إلى المدينة غزة يولى فيها من يشاء ويعزل من يشاء انضم إليه تغرى المحمودى هذا، وصار من جملة
أمراته وحزبه، إلى أن تسلمن المؤيد شيخ وخرج نوروز عن طاعته وافقه تغرى بردى هذا على
العصيان، واستمر عنده إلى أن ظفر المؤيد بالأمير نوروز وجماعته حبس تغرى بردى هذا مدة طويلة
بحبس المرقب، ثم أطلقه قبل موته بمدة يسيرة، فلما مات المؤيد وصار ططر مدير ملك ولده الملك
المظفر أحمد أنعم على تغرى بردى المذكور بإمرة طبلخاناة، ثم لما تسلمن جعله أمير مائة ومقدم ألف
المصرية، واستمر على ذلك إلى أن أحلح عليه الملك الأشرف برسباى باستقراره رأس نوبة النوب بعد
انتقال الأمير أزبك منه إلى الدوادارية الكبرى عوضاً عن الأمير تلبك الجاسى فى سنة سبع وعشرين
وثمانمائة، فباشر الوظيفة بحرمة وافرة وعظمة زائدة، ونالته السعادة، وعظم فى الدولة. وتوجه إلى غزو
قبرس مقدما على العساكر إذا حلوا بجزيرة قبرس، وكان الأمير أيتال الجكمى مقدما على العساكر فى
المركب، وعاد من غزو قبرس بعد النصر والظفر بصاحب قبرس، وحج أمير حاج المحمل فى بعض
السنين بتحمل زائد وعظمة وافرة. ولازال فيما هو فيه إلى أن قبض عليه الملك الأشرف فى يوم
الثلاثاء عاشر جمادى الآخرة ثلاثين وثمانمائة، وقيد وأخرج إلى الإسكندرية ليحبس بها، فاتفق بمسكه
أمر عجيب، وهو أن رجلا يعرف بابن الشامية من مباشره لما بلغه القبض عليه، خرج إلى جهة القلعة
فوفاه نزول أستاذه مقيدا، فصار يصرخ ويكى وهو ماشيا معه تجاه فرسه حتى وصل إلى ساحل
البحر، فأنزلوا أستاذه فى الحراقة ليمضوا به، فاشتد صراخه حتى سقط ميتا، واستمر الأمير تغرى
بردى المذكور بحبس الإسكندرية مدة إلى أن أفرج عنه، ورسم له بالإقامة بغير دمياط بطالا، فرام
بالثغر المذكور إلى أن نقل إلى دمشق أتاك العساكر بها، عوضاً عن الأمير قانى باى الحمزاوى بحكم
انتقاله إلى إمرة مائة وتقدمة ألف بالديار المصرية، فاستمر بدمشق إلى أن تجرد الملك الأشرف فى سنة
ست وثلاثين وثمانمائة إلى آمد بديار بكر وحاصرها، فكان الأمير تغرى بردى هذا ممن توجه إليها مع
العسكر الشامية صحبة السلطان، فأصابه سهم فى رجله لزم منه الفراش إلى أن مات فى شهر شوال
من السنة المذكورة، ودفن بآمد ثم نقل صحبة العساكر فى عودهم إلى جهة الديار المصرية إلى مدينة
الرها، فدفن بها. انظر المنهل الصافى ٤ / ٥١ : ٥٣، الدليل الشافى ١ / ٢١٧، النجوم الزاهرة ١٥ /
١٧٩، أتباء الغمر ٣ / ٥٠٤، نزهة النفوس ٣ / ٢٦٨، الضوء اللامع ٣ / ٢٩.

شهر ربيع الآخر، أوله الجمعة:

فى ثانيه: خلع على قاضى القضاة شهاب الدين أحمد بن حجر، وأعيد إلى تدريس الجامع المؤيدى. وخلع على اليرماوى واستقر نائباً عن حفيد قاضى القضاة ولى الدين أبى زرعة بن العراقى فيما باسمه من وظائف جده، حتى يتأهل لمباشرتها.

وفى تاسعه: خلع على قاضى القضاة شمس الدين محمد الهروى، واستقر فى كتابة السر، عوضاً عن الجمال يوسف بن الصفى. ونزل فى موكب جليل ومعه عدة من الأمراء والأعيان.

وفى هذا الشهر: تحرك سعر الغلال، وأبيع القمح بمائتى درهم الأردب، بعد مائة وأربعين. وقل وجوده.

وفى سابع عشره: ختن السلطان ولده الأمير ناصر الدين محمد، وعمل لختانه مهما حضره الأمراء، ثم خلع عليهم، وأركبهم خيولاً بقماش ذهب، وما منهم إلا من نقط عند الختان بمبلغ ذهب، فجمع النقوط وصرف للمزين منه مائة دينار، وحمل البقية إلى الخزانة.

وفى هذه الأيام: عثر بعض الناس بجماعة قد خزنوا من رمم بنى آدم شيئاً كثيراً، فحملوا إلى الوالى، فما زال بهم حتى أقروا أنهم ينبشون الأموات من قبورهم، ثم يغلون الميت فى الماء بنار شديدة، حتى ينهرى لحمه، ويجمعون ما يعلو الماء من الدهن، ثم يبيعونه للفرنج بخمسة وعشرين دينار القنطار، فحبسوا، ونسى خيرهم بعدما شاهد الناس رمم الموتى عندهم والأوانى التى بها الدهن، وحملت إلى السلطان حتى رآها وشق بها القاهرة.

وفى خامس عشرينه: حضر السلطان نفقة جامكية الممالك، وقطع عدة ممن له إقطاع بالحلقة.

شهر جمادى الأول، أوله السبت:

فى ثالثه: خلع على زين الدين عبد الرحيم الحموى الواعظ، واستقر خطيباً بالجامع الأشرفى.

وفى رابعه: نودى «من نزل عن وظيفة تصوف بخانكاه أو غير تصوف ضرب بالمقارع». وسبب ذلك أن جماعة ممن له تصوف بخانكاه سعيد السعداء، وخانكاه

بيبرس، والظاهرية المستجدة بين القصرين، وبخانكاة شيخو، وبالجامع المؤيدى، أخذوا فى النزول عما باسمهم من التصوف بمال حتى يتشفعوا بمن له جاه، ويستقروا فى عمارة السلطان من جملة صوفيتها، كما فعل جماعة عندما أنشأ الملك المؤيد شيخ الجامع بجوار باب زويلة، وجعل فيه صوفية، فوشى بذلك للسلطان، فمنع من ذلك ليستقر فى جامع من ليس له وظيفة من فقراء أهل العلم.

وفى يوم الجمعة سابعه: أقيمت الخطبة بالجامع الأشرفى، ولم يكمل منه سوى الإيوان القبلى.

وفى خامس عشره: قدم قاضى القضاة نجم الدين عمر بن حجى من دمشق، وعقد طلب الحضور.

وفى ثامن عشره: خلع على الأمير ناصر الدين محمد بن العطار الحموى الذى كلك نائب الإسكندرية، واستقر ناظر القدس والخليل عليه السلام، عوضاً عن الأمير حسام الدين حسن نائب القدس.

وفى هذا الشهر: صدور أعيان دمشق، وهى ثالث مصادرة.

وفى تاسع عشرينه: قبض على الأمير ناصر الدين محمد بن أبى والى أستاذار، وعلسى ناظر الديوان المفرد كريم الدين عبد الكريم بن سعد الدين بركة المعروف بابن كاتب حكيم، وعُوِّقاً بالقلعة.

شهر جمادى الآخرة، أوله الأحد:

فى ثانيه: خلع على الأمير صلاح الدين محمد بن الصاحب بدر الدين حسن بن نصر الله، وأعيد أستاذاراً عوضاً عن ابن أبى والى، وأضيف إليه كشف الوجه البحرى، فنزل فى موكب جليل، ومعه أكثر الأمراء الأكابر، وعمامة الأعيان.

وفيه قدم الخير بوصول الشريف على بن عنان إلى ينبع بمن معه من المماليك المجردين. وتوجه الأمير قرقماس معه إلى مكة، فدخلوها يوم الخميس سادس جمادى الأولى، بغير حرب. وأن الشريف حسن بن عجلان سار إلى حلى بنى يعقوب^(١) من بلاد اليمن. وأن الوباء بمكة ابتداء من نصف ذى الحجة، واستمر إلى آخر شهر ربيع الآخر، فمات بها نحو ثلاثة آلاف نفس. وأنه كان يموت فى اليوم خمسون إنساناً عدة أيام، وأن الوباء تناقص من أوائل جمادى الأولى. وأنه جاء فى ثالث جمادى الأولى سيل عظيم، حتى صار المسجد الحرام بجزاً، ووصل الماء إلى قريب من الحجر الأسود، وصار

(١) حلى من أطراف اليمن من جهة الحجر. انظر: تقويم البلدان.

فى المسجد أوساخ، وخرق كثيرة، جاء بها السيل، وأن الخطبة أعيدت بمكة لصاحب اليمن فى سابع جمادى الأولى، بعدما ترك اسمه والدعاء له من أيام الموسم.

وفى يوم الأربعاء رابعه: جمع القضاة وأهل العلم، وقد رُسم بأخذ زكوات أموال الناس للسلطان، فاتفقوا على أنه ليس له أخذها فى هذا الزمان، فإن النقود من الذهب والفضة، والناس مأمونون فيها على إخراج زكاتها. وأما العروض من القماش ونحوه مما هو بأيدى التجار، فإن المكوس أخذت منهم فى الأصل على أنها زكاة، ثم تضاعفت المكوس المأخوذة منهم، حتى جرى فيها ما جرى. وأما البهائم من الإبل والغنم، فإن أرض مصر لا ترعى فيها سائما، وإنما هى تعلق بالمال، فلا زكاة فيها. وأما الخضروات والزرور، فإن الفلاحين فى حال من المغارم معروفة. وانفضوا على ذلك، فبطل ما كانوا يعملون.

وفى ثانى عشره: خلع على الوزير صاحب كريم الدين عبد الكريم ابن كاتب المناخ، وأضيف إليه نظر الديوان المفرد، رفيقا للأمير صلاح الدين أستاذار، عوضا عن كريم الدين عبد الكريم ابن كاتب حكيم واستقر ابن كاتب حكيم على ما بيده من أستاذار ابن السلطان.

وفى تاسع عشره: توجه قاضى القضاة شهاب الدين أحمد بن الكشك عائداً إلى دمشق على قضاء الحنفية بها، بعدما أخذ منه نحو عشرة آلاف دينار.

وفيه قدم الشريف شهاب الدين أحمد بن علاء الدين على بن برهان الدين إبراهيم، نقيب الأشراف بدمشق، وقد طلب الحضور.

وفيه اتفقت نادرة، وهى أن زوجة السلطان لما ماتت، عمل لها ختم عند قبرها فى الجامع الأشرفى، ونزل ابنها الأمير ناصر الدين محمد من القلعة لحضور الختم، وقد ركب فى خدمته الملك الصالح محمد بن ططّر، فشق القاهرة من باب زويلة وهو فى خدمة ابن السلطان، بعدما كان فى الأمس سلطانا. وصار جالسا بجانبه فى ذلك الجامع، وقائماً فى خدمته إذا قام، فكان فى ذلك موعظة لمن اتعظ.

وفى يوم السبت المبارك حادى عشرينه: خلع على قاضى القضاة نجم الدين عمر ابن حجي، واستقر كاتب السر، عوضا عن شمس الدين محمد الهروى. ونزل على فرس بسرج ذهب وكتبوش زركش، فى موكب جليل إلى الغاية، فكان يوماً مشهوداً. وقد ظهر نقص الهروى وعجزه، فإنه باشر بتعاظم زائد، مع طمع شديد وجهل بما وسد إليه، بحيث كان لا يحسن قراءة القصص ولا الكتب الواردة، فتولى قراءة ذلك بدر الدين

محمد بن مزهر نائب كاتب السر، وصار يحضر الخدمة، ويقف على قدميه، وابن مزهر هو الذى يتولى القراءة على السلطان^(١).

وفى رابع عشرينه: ابتدئ بهدم ربع الخلزون تجاه قبو الخرنفش. وكان وقفا على فكاك الأسرى ببلاد الفرنج، وعلى الحرمين. وقد خلق^(٢) من قدم السنين، فعوض بدله مسمط تجاه مصبغة الأزرق، وصار من جملة الأملاك السلطانية.

وفى سلخه: خلع على الشريف شهاب الدين أحمد نقيب الأشراف بدمشق، واستقر قاضى القضاة بدمشق، عوضا عن القاضى نجم الدين عمر بن حجي كاتب السر، على مال كبير.

شهر رجب، أوله الإثنين:

فى رابعه: خلع على شخص قدم من بلاد الروم عن قرب، يقال له علاء الدين على، واستقر فى مشيخة التصوف، وتدرىس الفقه، على مذهب الحنفية بالجامع الأشرفى.

وقدم الخبز بأخذ الفرنج مركبين قريبا من دمياط، فيها بضائع كثيرة، وعدة أناس، يزيدون على مائة رجل، فكتب بإيقاع الخوطة على أموال التجار التى ببلاد الشام والإسكندرية ودمياط، والختم عليها، وتعويقهم عن السفر إلى بلادهم.

وفى عشرينه: توجه قاضى القضاة شمس الدين محمد الديرى - شيخ المؤيدية - لزيارة القدس.

وفى يوم الأحد حادى عشرينه: نزل السلطان إلى الجامع الذى أنشأه، وجلس به قليلا. ثم ركب عائداً إلى القلعة.

وفيه قدم الشيخ شمس الدين محمد بن محمد بن الجزرى الدمشقى^(٣)، وقد غاب عن

(١) انظر: النجوم الزاهرة ١٤ / ١٠١.

(٢) خلق الثوب والجلد وغيرهما خلوقا بلى. انظر المعجم الوسيط (خلق).

(٣) ابن الجزرى (٧٥١ - ٨٣٣ هـ = ١٣٥٠ - ١٤٢٩ م) محمد بن محمد بن محمد بن على بن يوسف، أبو الخير، شمس الدين، العمرى الدمشقى ثم الشيرازى الشافعى، الشهير بابن الجزرى: شيخ الإقراء فى زمانه. من حفاظ الحديث. ولد ونشأ فى دمشق، وابتنى فيها مدرسة سماها «دار القرآن» ورحل إلى مصر مراراً، ودخل بلاد الروم، وسافر مع تيمور لى ما وراء النهر. ثم رحل إلى شيراز فولى قضاءها. ومات فيها. نسبته إلى جزيرة ابن عمر من كتبه «النشر فى القراءات العشر»، «غاية النهاية فى طبقات القراء» «التمهيد فى علم التجويد»، «ملخص تاريخ الإسلام»، «ذات الشفاء فى سيرة النبى والخلفاء» وغيرها. انظر طبقات الحفاظ للسيوطى ٣ / ٨٥، مفتاح السعادة ١ / ٣٩٢ الأندلس الجليل ٢ / ٢٥١، غاية النهاية ٢ / ٢٤٧، الضوء اللامع ٩ / ٢٥٥ - ٢٦٠، الأعلام ٧ / ٤٥،

مصر والشام نحوًا من ثلاثين سنة، فإنه فر من ضائقة نزلت به إلى مدينة برصا، فأكرمه أبو يزيد بن عثمان ونوّه به، حتى حاربه تيمورلنك وأسره، فتحول ابن الجزرى من بلاد الروم إلى سمرقند فى خدمة تيمور، وأقام ببلادهم حتى قدم فى هذه الأيام.

وفى رابع عشرينه: نودى على النيل، وقد جاءت القاعدة ستة أذرع وعشرين أصبعا.

شهر شعبان، أوله الأربعاء:

فيه تتبعت البغايا وألّزمن بالزواج، وأن لا يزداد فى مهورهن على أربعمائة درهم من الفلوس، تعجل منها مائتان وتؤجل مائتان. ونودى بذلك، فلم يتم منه شىء.

وفيه ابتدئ بقراءة صحيح البخارى بين يدى السلطان، وحضرة القضاة، ومشايخ العلم، والهروى، وابن الجزرى، وكاتب السر نجم الدين بن حجى، ونائبه بدر الدين محمد بن ماهر، وزين الدين عبد الباسط ناظر الجيش، والفقهاء الذين رتبهم المؤيد. فاستجد فى هذه السنة حضور كاتب السر ونائبه وحضور ناظر الجيش. وكانت العادة من أيام الأشرف شعبان بن حسين أن يبدأ بقراءة البخارى أول يوم من شهر رمضان، ويحضر قاضى القضاة الشافعى، والشيخ سراج الدين عمر البلقينى، وطائفة قليلة العدد لسماع الحديث فقط. ويختتم فى سابع عشرينه، ويخلع على قاضى القضاة، ويركب بغلة رائعة بزنارى تخرج له من الإصطبل السلطانى، ولم يزل الأمر على هذا حتى تسلطن المؤيد شيخ، فابتدأ القراءة من أول شهر شعبان إلى سابع عشرين شهر رمضان. وطلب قضاة القضاة الأربع ومشايخ العلم، وقرر عدة من الطلبة يحضرون أيضا، فكانت تقع بينهم بحوث يسىء بعضهم على بعض فيها إساءات منكرة، فجرى السلطان الأشرف برسباى على هذا، واستجد كما ذكرنا حضور المباشرين، وكثر الجمع. وصار المجلس جميعه صباحا ومخاضمات، يسخر منها الأمراء وأتباعهم.

وفى هذا الشهر: كثر الوباء بدمياط، فمات عدد كثير.

شهر رمضان، أوله الخميس:

فى رابعه: أخرج الأمير أرغون شاه أستاذار والأمير ناصر الدين محمد بن أبى والى، من القاهرة إلى دمشق، بطالين.

وفى تاسعه: سار غائبان من ساحل بولاق خارج القاهرة، وقد قدما منذ أيام، أحدهما من الإسكندرية، والآخر من دمياط، وأشحنا بالمقاتلة والأسلحة. وأنزل فيهما ثمانون مملوكا، وأمروا أن يسيروا فى بحر الملح من جهة طرابلس، ويأخذوا من سواحل الشام عدة أغربة، عسى أن يجدوا من يتجرم فى البحر من الفرنج^(١).

وفي يوم الجمعة سادس عشرة: نودى على النيل بزيادة إصبعين لتتمة خمسة عشر ذراعا وأربعة عشر أصبعا، ثم نقص من آخر النهار نحو أربعة أصابع، فأصبح الناس فى قلق، وطلبوا القمح ليشتروه، فأمسك من عنده شىء منه يده عن البيع، وضمن به، فاشتد طلبه، إلا أن الله فرّج، وزاد فى آخر يوم الأحد. ونودى عليه يوم الإثنين تاسع عشرة برد ما نقص، وزيادة أصبع. واستمرت الزيادة حتى كان الوفاء فى يوم الأربعاء المبارك حادى عشرينه، وهو ثالث عشر من مسرى، ففتح الخليج على العادة.

وفي هذا الشهر: سار مقاتل فى بحر القلزم^(١) إلى مكة المشرفة.

شهر شوال، أوله السبت:

فى رابعه: ابتدئ بحفر صهريج بوسط الجامع الأزهر، فوجدت فيه آثار فسقية قديمة، فلما أزيلت، وجد - بعدما حفر - عدة أموات.

وفيه قدم الخير بأن أبا فارس عبد العزيز بن أبى العباس أحمد - صاحب تونس وبلاد أفريقية - جهز ابنه المعتمد أبا عبد الله محمداً، من بجاية فى عسكر إلى مدينة تلمسان، فحارب ملكها أبا عبد الله عبد الواحد بن أبى محمد عبد الله بن أبى حمو موسى حروباً كثيرة، حتى ملكها فى جمادى الآخرة، وخطب لنفسه ولأبيه، فزالت دولة بنى عبد الواد من تلمسان^(٢) بعد ما ملكت مائة وثمانين سنة.

وانتهت زيادة النيل إلى سبعة عشر ذراعاً واثنى عشر أصبعا. ووقفت الزيادة من خامسه، ونقص إلى يوم الأحد تاسعه، زاد إلى يوم الأربعاء ثانى عشره، فبلغ سبعة عشر إصبعا من ثمانية عشر إصبعا من ثمانية عشر ذراعاً. ونقص فى يوم الخميس ثالث عشره، وكان قد تأخر فتح سد بحر أبى المنجا عن عادته، هو وغيره مما يفتح فى يوم النوروز، لتأخر وفاء النيل. فلما فتحت نقص الماء، وقلق الناس من ذلك، وطلبوا القمح ليشتروه، فزاد سعر الأردب عشرة دراهم.

وفي خامس عشرة: ابتدئ بهدم الربع المعروف بوقف الشهبانى، تجاه الجامع الأشرفى، برأس الخراطين. وقد استبدل به لتشعث بنائه، وخوف سقوطه.

وفي عشرينه: خرج محمل الحاج إلى جهة بركة الحاج، صحبة الأمير قراسنقر

(١) بحر القلزم: شعبة من بحر الهند، أوله من بلاد البربر والسودان وعدن ثم يمتد مغرباً وفى أقصاه

مدينة القلزم قرب مصر. انظر معجم البلدان ١ / ٣٤٤.

(٢) تَلْمَسَان: بالمغرب وهما مدينتان متجاورتان مسورتان، بينهما رمية حجر، إحداهما قديمة

والأخرى حديثة. انظر معجم البلدان ٢ / ٤٤.

كاشف الجيزة. ورحل الركب الأول فى ثانى عشرينه، وتبعه المحمل ببقية الحجاج فى ثالث عشرينه.

وفى يوم السبت تاسع عشرينه: حضر الأمراء الخدمة السلطانية على العادة، ونزلوا إلى دورهم، فاستدعى السلطان جماعة منهم لطعام عمله، منهم الأمير الكبير ببيغا المظفرى فلما صار بالقلعة قبض عليه وقيد، وأنزل فى النيل، حتى سجن بالإسكندرية. وقد كانت الإشاعة منذ أيام، بتكر ما بينه وبين السلطان وأنه صار له حزب.

وفى هذا الشهر: كان أوان جذاذ النخل، فلم يثمر كبير شىء وأحمل النخل أيضا ببلاد الصعيد، حتى عز وجود التمر هناك. وتلف الموز فى هذه السنة بدمياط، وقل وجوده بأسواق القاهرة، أو فقد.

شهر ذى القعدة، أوله الإثنين:

فى رابعه: خلع الأمير قحجق أمير سلاح. واستقر أميراً كبيراً، عوضاً عن ببيغا المظفرى. وخلع على الأمير إينال النوروزى أمير مجلس، واستقر أمير سلاح عوضاً عن قحجق. وأنعم بإقطاع ببيغا المظفرى - ومتحصله فى السنة مبلغ ستين ألف دينار - على تغرى برمش نائب القلعة وعلى إينال الحكمى وهو بطال بالقدس، وكتب بإحضاره. وتغرى برمش هذا من جملة تركمان بهسنى، اسمه حسين، خدم بجلب فى الأيام الظاهرية برفوق، بباب نائبها الأمير تغرى برمش. وتنقل فى الخدم حتى صار فى الأيام المؤيدية شيخ دوا دار الأمير حقمق الدوا دار. فلما تسلطن الملك الأشرف برسباى اختص به، وجعله من جملة الأمراء^(١).

وفى يوم الإثنين ثامنه: خلع على شمس الدين محمد الهروى، واستقر قاضى القضاة، عوضاً عن الشيخ الحافظ شهاب الدين أحمد بن حجر، فغير زيه. وهذه المرة الرابعة فى تغيير زيه، فإنه كان أولاً يتزيا بزى العجم، فلبس عمامة عوجاء بعذبة عن يساره. فلما ولى قضاء القضاة لبس الجبة، وجعل العمامة كبيرة، وأرخى العذبة من بين كتفيه. فلما ولى كتابة السر يتزيا بزى الكتاب، وترك زى القضاة، فضيق كمه، وجعل عمامته صغيرة مدورة، ذات أضلاع، وترك العذبة، وصار على عنقه طوق، ولبس الذهب الحرير، ولم يخش الله، ولا استخفى من الناس. فلما أعيد إلى القضاء ثانياً خلع زى الكتاب، وتزيا بزى القضاة وكان ضخماً، بطينا، ألحى، فأشبهه فى حالاته هذه الصفاة من المخالين، الذين يضحكون أهل المجانة والهزوة، وماذا بمصر من المضحكات!!

وفى يوم الإثنين: قدم الأمير إينال الحكيمى من القدس، فخلع عليه واستقر أمير مجلس، عوضاً عن إينال النوروزى. وهذا الحكيمى من جملة مماليك الأمير حكيم، وانتقل إلى الأمير سودن بقجة. ثم صار إلى الأمير شيخ المحمودى. فلما تسلطن، عمله من جملة المماليك الخاصكية. ثم غضب عليه ونفاه، ثم أعاده من النفى لبراءته مما رمى به، فراقه ططر حتى صار من الأمراء المقدمين. ثم قبض عليه، ونفى حتى أعاده السلطان فى يوم تاريخه إلى الإمرة.

وفى يوم السبت عشرينه: وصل الغرابان بالأسرى والغنيمة. وذلك أنهما لما مرا بدمياط، تبعهما قوم من المطوعة فى سلورة^(١)، حتى مروا بطرابلس سار معهم غربان إلى الماغوصة^(٢)، فأضافهم مملكها، فلم يتعرضوا لبلاده، ومضوا عنه إلى بلاد يقال لها اللمسون^(٣) من جزيرة قبرص، وقد استعد أهلها وأبعدوا عيالمهم، وخرجوا فى سبعين فارساً وثلاثمائة راجل، فقاتلهم المسلمون، وهزموهم وقتلوا منهم فارساً واحداً وعدة رجال، وحرقوا ثلاثة أغرية، وغرقوا ثلاثة أغرية، وعاثوا فيما وجدوه من ظروف العسل والسمن وغير ذلك. وأسروا ثلاثة وعشرين رجلاً، وغنموا جوخاً كثيراً، رفع للسلطان منه مائة وثلاث قطع، طرحت على التجار ولم يعط المجاهدون منها شيئاً^(٤).

وفى تاسع عشرينه: نودى بخروج أهل الريف من القاهرة ومصر إلى بلادهم فلم يعمل بذلك.

وفى هذا الشهر: هبط ماء النيل، وشرق أكثر النواحي بالصعيد والوجه البحرى. ومع ذلك فالأسعار رخيصة، القمح بمائة وثمانين درهماً الأردب، والشعير بخمسة وثمانين الأردب، والفول بثمانين درهماً الأردب.

وفيه كثرت الفتن، وتعددت بالوجه القبلى والبحرى.

وفيه فتحت كنيسة قمامة بالقدس، وكان قد تأخر فتحها بعدما رُسم به.

شهر ذى الحجة، أوله الثلاثاء:

فى يوم النحر رمى بعض المماليك من أعلا الطباق بالحجارة، والسلطان يذبح الأضاحى، والمماليك تنهب لحومها، بخلاف العادة، فأصيب بعض الأمراء بحجر. ودخل السلطان داخل الدور، وكثر الكلام. وسبب ذلك أنه لم يفرق الأضاحى فى

(١) نوع من المراكب متوسطة الحجم يستعمل فى الحرب والسلم على السواء، له ثلاثة أشرعة،

ويحتوى على أربعين مجدافاً، وهو سريع الحركة. انظر: الحربية فى مصر الإسلامية ص ٣٤٧.

(٢) مدينة تقع بجزيرة قبرص.

(٣) هى مرفأ فى قبرص، وهى ليماسول.

(٤) انظر: النجوم الزاهرة ١٤ / ١٠٦.

الماليك، وأعطى كل واحد منهم ديناراً، فلم يرضهم هذا، ولم يكن منهم سوى ما ذكر. وسكن أمرهم.

وفي ثالث عشره: قبض على الأمير كمشبغا الفيسى، أحد أمراء الناصر فرج.

وفي ثامن عشره: خلع على سعد الدين سعد ابن قاضى القضاة شمس الدين محمد الديرى، واستقر فى مشيخة الجامع المؤيدى، بعد موت أبيه بالقدس.

* * *

ومات فى هذه السنة من له ذكر

شرف الدين يعقوب بن الجلال رسولا بن أحمد بن يوسف التبانى الحنفى فى يوم الأربعاء سادس عشر صفر. وكان يعرف الفقه والعربية، وله همة ومكارم ووصلة كبيرة بالأمراء واختص بالمؤيد شيخ اختصاصا كبيراً. وأفتى ودرس وولى نظير الكسوة، ووكالة بيت المال، ومشيخة خانكاه شيخو^(١).

وقتل بدمشق الأمير تنبك البجاسى فى أول ربيع الأول، وهو أحد المالك الذين فروا من الناصر فرج، ولحق بشيخ الحمودى، فرقاه فى سلطنته، وولى نيابة حماة وحلب ودمشق، وشكرت سيرته، لتنزّهه عن قاذورات المعاصى، كالخمر والزنا، مع إظهار العدل وفعل الخير^(٢).

ومات الوزير الصحاب تاج الدين عبد الرازق بن شمس الدين عبد الله ابن كاتب المناخ، فى يوم الجمعة حادى عشرين جمادى الأول، وهو متعطل، وابنه كريم الدين عبد الكريم يلى الوزارة. وباشر جده أو جد أبيه النصرانية، وترقى فى الخدم بالكتابة، وأثرى منها، حتى ولى الوزارة. وكان سيوساً، لينا، ضابطاً، همه بطنه وفرجه. واستجد مكس الفاكهة بعد إبطاله، فما تهنى به، وصرف عن الوزارة، فكان كما يقال «حتى وصلها غيرى، وحملت عارها»^(٣).

ومات الأمير سون الأشقر بدمشق فى جمادى الأولى، وهو أحد المالك الذين أنشأهم الناصر فرج. وكان عيباً كله. لشدة بخله، وكثرة فسقه وظلمه^(٤).

وتوفى بمكة قاضيها محب الدين أحمد ابن قاضيها جمال الدين محمد بن عبد الله بن

(١) انظر: النجوم الزاهرة ١٤ / ٢٩٧.

(٢) انظر: النجوم الزاهرة ١٤ / ٢٩٦.

(٣) انظر: النجوم الزاهرة ١٤ / ٢٩٧.

(٤) انظر: النجوم الزاهرة ١٤ / ٢٩٨.

ظهيرة^(١) الشافعي، في ثامن عشر ربيع الآخر. وكان مشكوراً في عمله وسيرته، له معرفة جيدة بالفقه والفرائض والحساب، ومشاركة في غير ذلك.

وتوفي خطيب مكة جمال الدين أبو الفضل ابن قاضي مكة محب الدين أحمد بن قاضي مكة أبي الفضل محمد النوبري الشافعي، في ربيع الأول.

وتوفي إمام مقام المالكية بمكة شهاب الدين أحمد بن علي النوبري. في ربيع الآخر.

وماتت خوند زوجة السلطان، وأم ابنه الأمير ناصر الدين محمد، في خامس عشر جمادى الآخرة. ودفنت بالقبة من الجامع الأشرفي. وكان لها تحكم وتصرف في الأمور.

ومات الملك الناصر أحمد بن الأشرف إسماعيل بن الأفضل عباس بن المجاهد علي بن المؤيد داود بن المظفر يحيى بن المنصور عمر بن علي بن محمد بن رسول متملك زبيد^(٢) وعدن^(٣) وتعز^(٤) وجبلية^(٥) وحرص^(٦)، والمهجم^(٧)، والمحالب^(٨)، والمنصورة، والدملوة^(٩)، والجوه^(١٠)، والشحر^(١١)، وقوارير^(١٢)، من بلاد اليمن، في سادس عشر

(١) ابن ظهيرة (٨٢٥ - ٨٨٥ هـ - ١٤٢٢ - ١٤٨٠ م) أحمد بن محمد بن محمد بن محمد بن حسين بن علي، أبو الطيب، محب الدين المعروف كسلفه بابن ظهيرة القرشي المخزومي: قاضي مكة الشافعي، وابن قاضيها. مولده ووفاته بها. تفقه وناب في القضاء عن أبيه سنة ٨٤٧ هـ واستقل به بعد وفاة أبيه. وفصل وأعيد وأضيف إليه نظر الحرم وقضاء حدة، ثم انفصل إلى أن مات. ورجح بعض الفضلاء أنه مصنف كتاب «الفضائل الباهرة في محاسن القاهرة». انظر: الضوء اللامع ٢ / ١٩٠ والفضائل الباهرة: مقدمة محققة. الأعلام ١ / ٢٣١.

(٢) سبق ترجمتها.

(٣) عَدَنُ: وهى مدينة مشهورة على ساحل بحر الهند من ناحية اليمن ردة لا ماء بها ولا مرعى وشربهم من عين بينها وبين عدن مسيرة نحو اليوم. انظر معجم البلدان ٤ / ٨٩.

(٤) تعز: قلعة عظيمة من قلاع اليمن المشهورات. انظر معجم البلدان ٢ / ٣٤.

(٥) سبق ترجمتها.

(٦) حَرَصُ: هو بلد في أوائل اليمن من جهة مكة. انظر معجم البلدان ٢ / ٢٤٣.

(٧) المهجم: بلد وولاية من أعمال زبيد باليمن. انظر معجم البلدان ٥ / ٢٢٩.

(٨) المحالب: بلدية وناحية دون زبيدة من أرض اليمن. انظر معجم البلدان ٥ / ٥٩.

(٩) الدملوة: حصن عظيم باليمن كان يسكنه آل زُرَيْع المتغلبون على تلك النواحي. انظر معجم

البلدان ٢ / ٤٧١.

(١٠) الجوة: قرية باليمن معروفة. انظر معجم البلدان ٢ / ١٩١.

(١١) الشحر: وهو صقع على ساحل بحر الهند من ناحية اليمن، قال الأصمعي، هو بين عَدَن

وَعَمَّان. انظر معجم البلدان ٣ / ٣٢٧.

(١٢) قوارير: من حصون زبيد باليمن. انظر معجم البلدان ٤ / ٤١١.

جمادى الآخرة، بصاعقة سقطت على حصنة قوارير خارج مدينة زيد، فارتاع، وأقام أيام لما به. وأقيم من بعده فى مملكة اليمن ابنه المنصور عبد الله^(١)، وكان من شرار ملوك الأرض، فسقاً وظلماً وطمعاً^(٢).

ومات ملك المغرب صاحب فاس السلطان المنتصر أبو عبد الله محمد بن أبى سالم إبراهيم بن أبى إسحق المرينى، فى شهر رجب. وأقيم بعده ابن أخيه أبو زيد عبد الرحمن.

وتوفى الشيخ الملك أبو عبد الله المعروف بالعطار، فى ثامن عشرين المحرم، بمدينة النحريرية^(٣)، وهو آخر من بقى من أصحاب الشيخ يوسف العجمى.

وتوفى قاضى القضاة شمس الدين محمد بن عبد الله بن سعد العيسى، القدسى، الديرى، الحنفى، بالقدس. وقد توجه إليه زائراً فى يوم عرفه. ومولده سنة أربع وأربعين وسبعمائة تخميناً. وله معرفة بالفقه والأصول والتفسير والعربية، وفيه شهامة وقوة. نشأ بالقدس، وولى قضاء الحنفية بديار مصر، فاشتد فيه، وأجرى أموره على السداد بحسب الوقت. ثم نقل من القضاء إلى مشيخة الجامع المؤيدى، رحمه الله^(٤).

وتوفى زاهد الوقت أبى بكر بن عمر بن محمد الطرينى الفقيه المالكى، فى يوم النحر، بمدينة الحلة. وكان قد ترك أكل اللحم مدة أعوام؛ تورعاً لما حدث من نهب البلاد وغارتها، ووقع بما يقيم به أوده من أرض يزرعها، فكان يقتصر فى قوته وملبسه على ما لا يطيقه سواه. ولو قبل من الناس ما يحبوه به لكنز قناطير مقنطرة من الذهب والفضة، لكنه أعرض عن زينة الحياة الدنيا ولذاتها، حتى لعله مات من قلة الغذاء، مع ما اشتمل عليه مع ذلك من آثار جميلة، وأيادى مشكورة، وعلم وعمل مرضى، رفع الله درجاته فى عليين^(٥).

(١) عبد الله بن أحمد (٨٣٠هـ - ٤٢٧م) عبد الله بن أحمد بن إسماعيل بن العباس بن على الرسولى: من ملوك الدولة الرسولية فى اليمن. ولى بعد وفاة أبيه (سنة ٨٢٧هـ) واستمر إلى أن توفى بزويد، وحمل إلى تعز فدفن فيها. وكان صالح السيرة عادلاً أظهر أبهة الملك، ولكنه لم تطل مدته. انظر الضوء اللامع ٥/٥، الأعلام ٤/٦٨.

(٢) انظر: النجوم الزاهرة ١٤/٢٩٩.

(٣) النحريرية: مدينة من أعمال الغربية ذات أسواق وقياسر وفنادق وجامع، بها تجار مياسير.

انظر الانتصار ٥/٨٦.

(٤) انظر: النجوم الزاهرة: ١٤/٢٩٩.

(٥) انظر: النجوم الزاهرة ١٤/٣٠٠.

السلوك لمعرفة دول الملوك ١٠٧

ومات صاحب حصن كيفا الملك العادل فخر الدين أبو المفاخر سليمان بن الكامل شهاب الدين غازي بن العادل مجير الدين محمد بن الكامل سيف الدين أبي بكر بن شادي.

وقتل محمد بن الموحد تقى الدين عبد الله بن المعظم غياث الدين تورانشاه بن السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب بن محمد الكامل بن أبي بكر العادل بن نجم الدين أيوب بن شادي، وأقيم بعده ابنه الأشرف أحمد.

* * *

سنة ثمان وعشرين وثمانمائة

أهلت وخليفة الوقت المعتضد بالله أبو الفتح داود بن المتوكل على الله أبي عبد الله محمد، وليس له من الخلافة إلا مجرد الاسم بلا زيادة. وسلطان مصر والشام والحجاز الملك الأشرف برسبای النعماني. والأمير الكبير الأتابك قجق. والدوادار الكبير أزيك - وهو اسم - معناه الأمير جانبك، فهو صاحب الأمر والنهي في الدوادارية، بل في سائر أمور الدولة. وأمير سلاح إينال النوروزي. وأمير مجلس إينال الحكمي. وأمير أخور جقمق. ورأس نوبة النوب تغري بردی الممودي. وحاجب الحجاب جرياش قاشق. وأستادار صلاح الدين محمد بن الصاحب بدر الدين حسن بن نصر الله. وناظر الخاص الصاحب بدر الدين حسن بن نصر الله. والوزير الصاحب كريم الدين عبد الكريم ابن الوزير تاج الدين عبد الرزاق ابن كاتب المناخ. وكاتب السر نجم الدين عمر بن حجي الدمشقي. وناظر الجيوش زين الدين عبد الباسط بن خليل. وليس لأحد في الدولة تصرف غير، والأمير جانبك الدوادار. وقاضي القضاة الشافعي شمس الدين محمد الهروي. وقاضي القضاة الحنفي زين الدين عبد الرحمن التفهني. وقاضي القضاة المالكي شمس الدين محمد البساطي. وقاضي الحنبلي علاء الدين علي بن مغلي. ونائب الشام سودن من عبد الرحمن. ونائب حلب شار قطلسوا. ونائب حماة جليان أمير أخور. ونائب طرابلس قصره. ونائب صند مقبل الدوادار. ونائب الإسكندرية أقبا التمرزي. وبمكة الشريف علي بن عنان والأمير قرقماس. وأسواق القاهرة ومصر ودمشق في كساد. وظلم ولاة الأمر من الكشاف والولاية فاش. ونواب القضاة قد شنعت قالة العامة فيهم من تهافتهم. وأرض مصر أكثرها بغير زراعة، لقصور مد النيل في أوانه، وقلة العناية يعمل الجسور، فإن كشافها، إنما دأبهم إذا خرجوا لعملمها أن يجمعوا مال النواحي لأنفسهم وأعوانهم. والطرقات بمصر والشام مخوفة من كثرة عبث العربان والعشير. والناس على اختلاف طبقاتهم قد غلب عليهم الفقر. واستولى عليهم الشح والطمع، فلا تكاد تجد إلا شاكيا مهتما لندياه. وأصبح الدين غريبا لا ناصر له. وسعر القمح بمائتي درهم الأردب. والشعير بمائة وعشرة. والفول بنحو ذلك. ولحم الضأن السليخ كل رطل بسبعة دراهم ونصف. ولحم البقر كل رطل بخمسة دراهم. والفلوس كل رطل بتسعة دراهم، وهي النقد الذي يُنسب إليه ثمن ما يباع، وقيمة ما يعمل. والفضة كل درهم وزنا بعشرين درهما من الفلوس. والذهب الأفرنتي المشخص بمائتين وخمسة وعشرين درهما.

شهر المحرم، أوله الخميس:

فى ثانية: قدم مبشرو الحاج وأخبروا بسلامتهم، ورخاء الأسعار بمكة، وأنه لم يقدم من العراق حاج.

وفى رابع عشرينه: قدم الركب الأول. ثم قدم من الغد المحمل ببقية الحاج، ومعهم الشريف رميثة بن محمد بن عجلان فى الحديد، وقد قبض عليه الأمير قرقماس بمكة.

وفى هذه الأيام: رُسم بتجهيز عسكر يتوجه إلى مكة، ونودى بذلك فى القاهرة.

وفى تاسع عشرينه: نزل السلطان إلى جامع، وكشف عمائره، ودخل الجامع الأزهر لرؤية الصهرنج وزار به الشيخ خليفة والشيخ سعيد، وهما من المغاربة، لهما بالجامع الأزهر عدة سنين، وشهرا بالخير. ثم خرج من الجامع إلى دار رجل يعرف بالشيخ محمد بن سلطان، فزاره، وعاد إلى القلعة^(١).

وفى هذا الشهر: وقع الشروع فى عمل مراكب حربية لغزو بلاد الفرنج.

وفيه صرف صدر الدين أحمد بن العجمى عن نظر الجوالى، وأضيف نظرها إلى القاضى زين الدين عبد الباسط ناظر الجيوش. وكانت الجوالى قد كثر المرتب عليها للناس من أهل العلم وغيرهم، حتى لم تف بمالهم.

شهر صفر، أوله السبت:

فى حادى عشرينه: ركب السلطان فى طائفة يسيرة بثياب جلوسه، كما قد صارت عادته. وكشف الطريدة الحربية التى تعمل بساحل بولاق وسار وقد تلاحق به بعض أهل الدولة حتى مر على جزيرة الفيل إلى التاج. ونزل بالمنظرة التى أنشأها المؤيد شيخ فوق الخمس وجوه. ثم سار فى أرض الخندق^(٢) إلى خليج الزعفران، وتوجه إلى القلعة.

وفى يوم الإثنين رابع عشرينه: خلع على الشيخ محب الدين أحمد بن الشيخ جلال الدين نصر الله بن أحمد بن محمد بن عمر التستزى البغدادى الحنبلى. واستقر قاضى القضاة الحنابلة بعد موت علاء الدين على بن مغلى. ومحب الدين هذا قدم من بغداد بعد سنة ثمانين وسبعمائة، فسمع الحديث، وقرأ بنفسه على مشايخ الوقت، ولازم الاشتغال حتى برع فى الفقه وغيره. وقدم أبوه من بغداد باستدعائه، فنزله الظاهر

(١) انظر: النجوم الزاهرة ١٤ / ١٠٧.

(٢) كان يقع هذا الموضع خارج باب الفتوح. انظر المواعظ والاعتبار ٢ / ١٣٦ - ١٣٨.

برقوق في تدريس الحنابلة بمدرسه بين القصرين. ثم نزل ابنه محب الدين هذا يدرس الحديث فيها. ثم انتقل إلى تدريس الفقه بعد أبيه، وكتب على الفتوى، وناب في الحكم عن ابن مغلى. وصار ممن يحضر من الفقهاء مجلس المؤيد في كل أسبوع.

وفي ليلة الأربعاء سادس عشرينه: غرقت امرأة لها ولزوجها شهرة، لقالة سيئة عنها.

وفيه صرف صدر الدين أحمد بن العجمى عن نظر الكسوة، وأضيفت أيضا إلى القاضى زين الدين عبد الباسط، فعنى بها، حتى لم ندرك كسوة عملت للكعبة مثلها.

شهر ربيع الأول، أوله الإثنين:

في ليلة الجمعة خامسه: عمل المولد السلطاني، كما هي العادة في عمله كل سنة.

وفي سابعه: سار الأمير أرم بغا - أحد أمراء العشرات - تجريدة إلى مكة، ومعه مائة مملوك. وتوجه سعد الدين إبراهيم بن المرة - أحد الكتاب - لأخذ مكوس المراكب الواصلة من الهند إلى جدة. وجرت العادة من القديم أن مراكب تجار الهند ترد إلى عدن ولم يعرف قط أنها تعدت بندر عدن. فلما كان سنة خمس وعشرين، خرج من مدينة كاليكوت ناخذاه^(١) اسمه إبراهيم. فلما مر على باب المنذب جور إلى جدة بطراده، حنقا من صاحب اليمن؛ لسوء معاملته للتجار، فاستولى الشريف حسن بن عجلان على ما معه من البضائع، وطرحها على التجار بمكة. فقدم إبراهيم المذكور في سنة ست وعشرين على المنذب، ولم يعبر عدن، وتعدى جدة^(٢) وأرسى بمدينة سواكن^(٣). ثم بجزيرة دهلك^(٤) فعامله صاحبها أسوأ معاملة. فعاد في سنة سبع وعشرين، وجور عن عدن، ومرَّ بجدة يريد ينبع. وكان بمكة الأمير قرقمان، فما زال يتلطف بإبراهيم حتى أرسى على جده بمركبين، فجامله أحسن مجاملة، حتى قويت رغبته، ومضى شاكراً ثانياً. وعاد في سنة ثمان وعشرين، ومعه أربعة عشر مركبا موسوقة بضائع. وقد بلغ السلطان خبره، فأحب أخذ مكوسها لنفسه، وبعث ابن المرة

(١) لفظ فارسي يعنى ربان السفينة.

(٢) جُدَّة: بلد على ساحل بحر اليمن، وهي فرضة مكة، بينها وبين مكة ثلاث ليال. انظر معجم البلدان ١١٤/٢ وهي ميناء في السعودية حاليا.

(٣) سَوَاكِنُ: بلد مشهور على ساحل بحر الجار قرب عيذاب ترفأ إليها سفن الذين يقدمون من

جُدَّة. انظر: معجم البلدان: ٣ / ٢٧٦.

(٤) جزيرة في بحر اليمن، وهو مرسى بين بلاد اليمن والحبشة.

لذلك، فصارت جدة من حيثئذ بندراً عظيماً إلى الغاية وبطل بندر عدن إلا قليلاً. ولم تكن جدة مرسى إلا من سنة ست وعشرين من الهجرة، فإن عثمان رضى الله عنه اعتمَرَ فيها، فكلمه مواله أن يحول الساحل إلى جدة، وكان فى الشعبية^(١) فى الجاهلية فحوّله إلى جدة، ومن كان وراء قديد^(٢) يحملون من الجار^(٣) والأبواء^(٤)، وكان ما يحمل إلى هذه المواضع قوت أهل الحرمين وعيشتهم.

وفى تاسعه: عدى السلطان النيل فى الحراقه، ونزل بناحية وسيم، وعاد إلى القلعة فى سادس عشره.

وفى هذا الشهر: كمل الصهرج الذى عمله السلطان بصحن الجامع الأزهر، وبنيت بأعلاه مصطبة، فوقها قبة برسم تسيل الماء، وغرس بصحن الجامع أربع شجرات نارنج فلم تفلح، وهلكت من الذباب.

وفيه أيضاً كملت الزيادة التى تولى عمارتها الأمير تاج الدين الشويكى بميضاة الجامع الأزهر، فعظم النفع بها.

شهر ربيع الآخر، أوله الثلاثاء:

فى سابع عشره: قدم الأمير سودن من عبد الرحمن نائب الشام فخلع عليه وجاءته تقادم الأمراء، وتوجه إلى نيابته فى سادس عشرينه.

وفى هذا الشهر: الشهر ابتدئ بعمل طريدين حريتين، لتتمة أربع طرائد، وأنشئت بساحل بولاق فيما انحسر ماء النيل عنه تجاه جامع الخطيرى، وأخذت لها أخشاب كثيرة من قصور سرياقوس التى كان ينزل بها السلاطين أيام السرحة بسرياقوس.

وفيه أيضاً كمل بناء الحوانيت والربع فوقها، والتريعة التى زيدت فى الوراقين. وفتح لها باب كبير من آخر سوق المهامزين^(٥). وقام بعمارة ذلك الأمير جانبك، فحاء

(١) اسم مرفأ السفن من ساحل الحجاز.

(٢) قُدَيْدٌ: اسم موضع قرب مكة. انظر معجم البلدان ٤ / ٣١٣.

(٣) الجار: مدينة على ساحل بحر القلزم، بينها وبين المدينة يوم ليلة. انظر معجم البلدان ٢ / ٩٢.

(٤) الأبواء: بالفتح ثم السكون وروا ألف ممدودة؛ قال قوم: يسمى بذلك لما فيه من الرباء، ولو كان كذلك لقل الأوباء، إلا أن يكون مقلوبا وقيل غير ذلك: قال السكرى: الأبواء جبل شامخ مرتفع ليس عليه شئ من النبات غير الخزم والبشام، وهو لخزاعة وضمرة. انظر معجم البلدان ١ / ٧٩.

(٥) هو سوق كان معد لبيع المهاميز بالدولة الفاطمية. انظر المواعظ والاعتبار ٢ / ٩٧.

من أحسن العمائر. وكمل أيضا بناء الحوانيت وعلوها تجاه باب المدرسة الصالحية بجوار الصاغة، وهى من العمائر السلطانية.

وفيه وقع الهدم فى قصر الأمير صرغتمش المجاور لبيير الوطاويط^(١) بالصليبية، خارج القاهرة.

وفيه كملت عمارة برج حربى بالقرب من الطينة على بحر الملح، فجاء مربع الشكل، مساحة كل ربع منه ثلاثون ذراعاً، وشحن بالأسلحة، وأقيم فيه خمسة وعشرون مقاتلاً، فيهم عشرة فرسان. وأنزل حوله جماعة من عرب الطينة، فانتفع الناس به. وذلك أن الفرنج كانت تقبل فى مراكبها إلى بر الطينة، وتتخطف الناس من هناك فى مرورهم من قطيا إلى جهة العريش. وتولى عمارة هذا البرج الأمير زين الدين عبد القادر ابن الأمير فخر الدين عبد الغنى بن أبى الفرج. وأخذ الأجر الذى بناه به من خراب مدينة الفرما^(٢) وأحرق حجارة الجير مما أخذه من الفرما، فسبحان محيل الأحوال.

شهر جمادى الأولى، أوله الخميس:

فى عاشره: خلع على الصاحب بدر الدين حسن بن نصر الله، واستقر أستاذاراً، عوضاً عن ولده الأمير صلاح الدين محمد وخلع فى ثانى عشره على كريم الدين عبد الكريم بن سعد الدين بركة المعروف بابن كاتب حكم، واستقر فى نظر الخاص، عوضاً عن الصاحب بدر الدين حسن بن نصر الله. وخلع على أمين الدين إبراهيم بن مجد الدين عبد الغنى بن الهيصم^(٣) واستقر فى نظر الدولة، عوضاً عن ابن كاتب حكم.

وفى هذه الأيام: كثرت الإشاعات بحركة الفرنج، فخرج عدة من الأمراء والمماليك لحراسة الثغور.

(١) بئر الوطاويط: أنشأه الوزير أبو الفضل جعفر بن الفرات، لينقل منها الماء إلى السبع سقايات التى أنشأها وحبسها لجميع المسلمين سنة ٣٥٥هـ. فلما خربت بنى فوق البئر، وتولد فيها كثير من الوطاويط. انظر: المواعظ والاعتبار ٢/ ١٣٥، ١٣٦.

(٢) الفرّما: مدينة على الساحل من ناحية مصر. انظر معجم البلدان ٤/ ٢٥٥.

(٣) ابن الهيصم (٨٠٠ - ٨٥٩هـ = ١٣٩٧ - ١٤٥٥م) إبراهيم بن عبد الغنى بن إبراهيم القبطى، المعروف بالصاحب أمين الدين ابن الهيصم: وزير مصرى، تقدم فى أيام الجراكسة بمصر، واستوزر عدة مرات. كان يميل إلى أهل العلم وله اشتغال بالفقه الحنفى. قال ابن إياس: كان نادرة فى أبناء حسنة - القبط - مسدداً فى أمر الوزارة. انظر بدائع الزهور ٢/ ٤٨. الأعلام ١/ ٤٧.

وفيه كان بدمياط حريق شنيع، ابتداء يوم الجمعة تاسعه، ذهب فيه بيوت عديدة، وهلك جماعة من الناس.

وفيه قدمت طائفة من الفرنج إلى صور من معاملة صنف، فحاربهم المسلمون، وقتلوا كثيرا منهم، واستشهد من المسلمين نحو الخمسين رجلا.

وفي ثالث عشره: خلع على زين الدين عبد القادر بن أبي الفرج^(١)، واستقر شاد الخاص، وأستادار الأمير ناصر الدين محمد ابن السلطان.

وفي هذا الشهر: أصيبت عامة فواكه بلاد الشام بأسرها - من دمشق إلى حلب - في ليلة واحدة. من شدة البرد، وكانت الشمس حينئذ في برج الحمل، فتلفت الأعناب ونحوها.

شهر جمادى الآخرة، أوله الخميس:

في عاشره: قبض على نجم الدين عمر بن حجي، كاتب السر، وسلم إلى الأمير جانبك الدوادار، فسجنه في برج بالقلعة، وأحيط بداره، وسبب ذلك أنه التزم عن ولايته كتابة السر، حتى وليها بعشرة آلاف دينار، ثم تسلم ما كان جاريا في إقطاع

(١) عبد القادر بن عبد الغنى بن عبد الرزاق بن أبي الفرج بن نقولا الأرمنى الأصل القبطى (٨٣٣ هـ = ١٤٢٩ م)، الأمير زين الدين بن الأمير فخر الدين ابن صاحب تاج الدين، الشهير بابن أبي الفرج. مولده بالقاهرة في أوائل القرن تخميناً، ونشأ بها، وباشر بعد موت والده عدة جهات إلى أن شد الخاص وأستادارية المقام الناصرى محمد بن السلطان الملك الأشرف برسباى في ثالث عشر جمادى الأولى سنة ثمان وعشرين وثمانمائة، واستمر على ذلك إلى يوم الخميس عاشر شعبان من السنة طلب وأخلع عليه باستقراره أستاذاراً، عوضاً عن صاحب بدرالدين حسن بن نصر الله القوى بحكم عجزه عن القيام بالكلف السلطاني، فباشر عبد القادر هذا وظيفة الأستادارية مدة سنين، وقاسى فيها من الذل والهون والعجز ما لا يوصف، واقتقر، واستغنى منها غير مرة، والملك الأشرف لا يرق لحاله، وأخرب في أيام مباشرته بلاداً كثيرة حتى يقوم بما عليه من الجوامك والكلف، ثم إن الملك الأشرف رحمه الله عزله بالأمير آقباغا الجمالى الكاشف في يوم السبت خامس عشرين شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وثمانمائة، ورسم عليه وطلب بالحساب غير مرة، وبينما هو في ذلك إذ خلصه الله بالموت بالطاعون في يوم الأربعاء سابع عشرين جمادى الآخرة من سنة ثلاث وثمانمائة. وكان شاباً جميلاً، خفيف اللحية، وجسيماً، متواضعاً، قضى عمره بالكد والقهر والخوف، وهو أصلح حالا من أبيه وحده، بل بالنسبة إليهما. كان صالحاً، على أنه كان متأصلاً في الظلم والعسف ويعرف طرق ذلك جيداً لكن لم تنله السعادة في مباشرته. انظر المنهل الصافي ٧/ ٣٢٠، وما بعدها والدليل الشافى ١/ ٤٢١، النجوم الزاهرة ١٥/ ١٦٣ - ١٦٤، أنباء الغمر ٣/ ٤٤٧، نزهة النفوس ٣/ ١٤٩، الضوء اللامع ٤/ ٢٧٢.

ابن السلطان من حمايات علم الدين داود بن الكويز ومستأجراته، على أن يقوم لديوان ابن السلطان في كل سنة بألف وخمسمائة دينار، فحمل في مدة ولايته كتابة السر إلى الخزانة خمسة آلاف دينار، في دفعات. فلما كانت هذه الأيام، طُلب منه حمل ما تأخر عليه، وهو ستة آلاف دينار وخمسمائة دينار، فسأل السلطان مشافهة أن ينعم عليه بالألف وخمسمائة دينار المقررة على حمايات^(١) والمستأجرات، وتشكى من قبله متحصلها معه، فلم يجب سؤاله. ونزل إلى داره فكتب ورقة إلى السلطان تتضمن أنه غرم من حين ولى كتابة السر إثني عشر ألف دينار، منها الحمل إلى الخزانة خمسة آلاف دينار ولمن لا يسمى مبلغ ألفي دينار، وللأمراء أربعة آلاف دينار، وذكر بقية تفصيلها. فلما قرئت على السلطان فهم أنه أراد بمن لا يسمى الأمير جانبك. وأخذ يسأل من جانبك - عندما حضر هو والأمراء - عما وصل إليه وإليهم من ابن حجى، فأجابوه بما لا يليق في حق ابن حجى، وحنق منه جانبك، فما هو إلا أن اجتمعا بالقلعة، جرت بينهما مفاحشات آخرها أنه قبض عليه وسجن.

وفي هذه الأيام: كملت عمارة المأذنة التي فوق الباب المجاور للمنبر بجامع الحاكم، وأنشأها بعض الباعة.

وقدم الخير بوقعة كانت بين المسلمين وبين الفرنج، فيما بين جبلة وطرابلس قتل فيها جماعة من الفرنج، وانهزم باقيهم. وحمل غرابان مما أنشئ بساحل بولاق خارج القاهرة، وهما قطعاً - على الجمال إلى السويس، ليركبا ويطحرا في بحر السويس، لأجل حمل الغلال ونحوها إلى مكة، مدداً للمجردين. وعملاً بمجاديف لتمر سريعة، وأن تمسك عنها الريح.

وفي ليلة الثلاثاء ثالث عشره: أخرج نجم الدين عمر بن حجى من البرج في الحديد، وحمل إلى دمشق حتى يكشف عن سيرته بها، ويؤخذ ماله هناك، وكتب في حقه إلى النائب والقضاة بعضايم مستشنة.

وفي يوم الإثنين ثامن عشره: خلع على بدر الدين محمد بن محمد بن أحمد بن مزهر الدمشقي، واستقر في كتابة السر، عوضاً عن نجم الدين عمر بن حجى. وابن مزهر هذا كان أبوه كاتب السر بدمشق، ولهم أصالة قديمة، رأس عدة من آباءه، تضمن ذكرهم التاريخ. وولد هو بدمشق ونشأ بها، وكتب بديوان الإنشاء، وتعلق بخدمة الأمير شيخ الحمودي، وقدم معه مصر، فولاه نظر الإصطبل، حتى مات. فلما ولى علم

(١) هي مكوس يفرضها السلطان أو الأمير على بعض الأراضى والمتاجر والمراكب والأرزاق.

الدين داود بن الكويز باشر معه نيابة كتابة السر، وقام بأمر ديوان الإنشاء، لبعده ابن الكويز عن ذلك. فتمشت به الأحوال. ولم يزل قائما بأمر كتابة السر، لعجز من وليها في هذه المدد، من الجمال يوسف بن الصفي ومن الهروي وغيره، حتى ولي كتابة السر، فكان أنسب الموجودين^(١).

وفيه خلع على تاج الدين عبد الوهاب المعروف بالخطير، واستقر في نظر الإصطبل. وهذا الخطير - من سنين قريية - أسلم، وكان يياشر بديوان السلطان وهو أمير، فرقاه في سلطنته إلى هنا^(٢).

وفيه كتب بالإفراج عن نجم الدين عمر بن حجي وإطلاقه من الحديد، وإقامته بدمشق، على أن يحمل مبلغا ذكر له.

وفي ثامن عشرينه: قبض على السيد الشريف مقبل أمير ينبع، وسجن.

وفي هذا الشهر: عرض السلطان الماليك الذين عينهم لغزو الفرنج في البحر. وتقدم إلى كل من الأمراء الألو ف بتجهيز عشرة ممالك من ممالكه.

وفيه خرج الأمير قرقماس من مكة بمن معه في طلب الشريف حسن بن عجلان حتى بلغ حلي من أطراف اليمن، فلم يقابله ابن عجلان مع قوته وكثرة من معه، بل تركه وتوجه نحو نجد تنزها عن الشر، وكراهة الفتنة، فعاد قرقماس وقدم مكة في العشرين منه.

شهر رجب، أوله السبت:

في ثالثة: خلع على قاضي القضاة شهاب الدين أحمد بن حجر وأعيد إلى قضاء القضاة عوضا عن محمد الهروي، لسوء سيرته، وقبح سيرته، وفساد طويته، وبعده عن كل خير، واشتماله على جملة الشر^(٣).

وفي رابعة: حمل الشريف مقبل أمير ينبع والشريف رميثة بن محمد بن عجلان في الحديد إلى الإسكندرية، وسجنا بها^(٤).

وفي هذه الأيام: ارتفع سعر الفول من تسعين درهما الأردب إلى مائة وخمسين. وارتفعت أسعار الغلال بدمشق.

(١) انظر: النجوم الزاهرة ١٤ / ١١٠.

(٢) انظر: النجوم الزاهرة ١٤ / ١١١.

(٣) انظر: النجوم الزاهرة ١٤ / ١١٢.

(٤) انظر: النجوم الزاهرة ١٤ / ١١٢.

وفيها وقع الاجتهاد في عمل الأغربة. ولم تحسن سيرة من ولي عملها، فإنه أخذ الأخشاب ظلما، وقطع أشجار الجميز والخور بغير رضا أربابها، وسخر الناس في حملها وعملها، فأشبه هذا الغزو، مَنْ صلى لغير القبلة بغير وضوء عمداً.

وفيها توقفت أحوال الديوان المفرد، وتأخرت نفقة الممالك.

وفي عاشره: أدير محمل الحاج على العادة، وعرضت كسوة الكعبة على السلطان. وقد اجتهد القاضي زين الدين عبد الباسط في تأنيقها، حتى جاءت في غاية من الحسن، بحيث لم يعمل فيما أدركناه مثلها.

وفي هذا الشهر: كان قطاف عسل النحل، فلم يوجد منه كبير شيء، فارتفع سعره، وبلغ سعر الفول مائتي درهم الأردب.

وفيه اعتبر متحصل الديوان المفرد ومصروفه، فعجز في كل سنة مائة ألف وعشرين ألف دينار، يجيبها أستاذار من النواحي بعد ما عليها من المستقر والحادث، ويتنوع في مظالم العباد، ويبالغ في العسف، حتى يسدها. ويأخذ المباشرون وأعوانه نحواً منها. فلذلك حرب إقليم مصر وآلت أحوال الناس إلى التلاشي.

وفي ثالث عشره: أنفق في الغزاة، وهم ستمائة رجل، مبلغ عشرين ديناراً لكل واحد، وجهاز الأمراء ثلاثمائة رجل. ونودي من أراد الجهاد فليحضر لأخذ النفقة.

وفي عشرينه: سارت الخيول في البر إلى طرابلس. وعدتها ثلاثمائة فرس، لتحمل صحبة الغزاة من طرابلس في البحر.

وفي هذا الشهر: خرج مركب من اللاذقية، قد أشحن بمجاديف، حتى يحضرها إلى مصر برسم الأغربة التي أنشئت صحبة الرئيس فاضل. فلما حاذت جزيرة أرواد خرج طائفة من الفرنج يريدون أخذها، فقاتلهم المسلمون حتى قتلوا عن آخرهم، وعدتهم خمسون رجلاً. وأفلت منهم رجل واحد. وأخذ الفرنج المجاديف وغيرها، وحرقوا المركب. وفاضل هذا من أهل مدينة آياس، فقدم إلى السلطان في السنة الخالية، وحسن له غزو الفرنج، ووعد به غنيمة أموال عظيمة، حتى كان من غزوة اللمسون ما كان، فأخذ في التعبئة لغزورهم ثانياً، أيده الله تعالى بنصره عليهم.

وفيه شنع الوباء بدمياط وفارسكور، وكان ابتداءه عندهم من جمادى الأولى.

وفي حادى عشره: توجه الهروى عائداً إلى القدس على وظيفة التدريس بالصلاحية.

وفى يوم الجمعة ثمانى عشره: ركب السلطان بعد صلاة الجمعة بثبات جلوسه، كما هى عادته، حتى شاهد الأغرابة بساحل بولاق، وعاد.

وفى ثالث عشرينه: ركب الأمير ناصر الدين محمد ابن السلطان والأمير جانبك، حتى شاهد توجه الأغرابة. وقد أقام فى دار القاضى زين الدين عبد الباسط المطللة على النيل، فأنحدر فى النيل أربعة أغرابة بكل غراب أمير، ومقدم الجميع الأمير جرباش حاجب الحجاب، فكان يوماً مشهوداً، حُشر فيه الناس من كل جهة لمشاهدة ذلك. ثم انحدر فى يوم الإثنين غراب واحد، وانحدر فى يوم الثلاثاء غرابان، وفى يوم الخميس سادس عشرينه غراب.

وفى هذا الشهر: قطع السلطان جريات المباشرين من القمح، وهى خمسة آلاف أردب، فتوفرت للسلطان.

شهر شعبان، أوله الإثنين:

فى ثالثه: انحدر غراب ثامن.

وفيه جاء قاع النيل خمسة أذرع وعشر أصابع، ونودى عليه من الغد خمسة أصابع. وهى ابتداء النداء على النيل.

وفى يوم السبت سادسه: حدث عند شروق الشمس زلزلة قدر ما يقرأ الإنسان سورة الإخلاص، ثم زلزلت ثانياً مثل ذلك، ثم زلزلت مرة ثالثة، فلولا أن الله لطف بسكونها، لسقطت الدور، فإن الأرض ماتت، وتحركت المباني وغيرها حركة مرعبة، بحيث شاهدت حائطا خرج عن مكانه ثم عاد. وأخبرنى من لا أتهم أنه كان وقت الزلزلة راكبا فرسه فخرج عن السرج حتى كاد يسقط.

وفى غده: نودى - عن أمر السلطان - بصوم الناس ثلاثة أيام من أجل الزلزلة، فما أنابوا ولا سمعوا.

وفى ثامنه: نودى بأن لا يباع السكر إلا للسلطان ولا يشتري إلا منه، فعاد الأمر كما كان.

وفى ليلة الخميس ثامن عشره: وقع الحريق بثلاثة أماكن فما طفى إلا بعد جهد.

وفى هذا الشهر: بلغ الفول ديناراً لكل أردب، بعدما كان كل ثلاثة أرداب ونصف دينار. وتجاوز القمح المائتين بعد مائة وخمسين. وقل وجود الغلال، وطلبها الناس، فشحت أنفس أربابها وخزنتها، هذا مع توالى زيادة النيل.

وفي هذا الشهر: اتفقت حادثتان غريبتان إحداهما أن رجلا مر فى سفره ببلاد الغربية على أنان^(١) له، وتحتة خرج فيه قماش، فخرج عليه بعض قطاع الطريق وألقاه إلى الأرض ليذبحه، فقال له: «يا لله اسقنى شربة ماء قبل أن تذبحنى، فألقى الله تعالى فى قلبه عليه رحمة، لما يريد به. وفتح خرج الرجل وتناول منه إناء وعبر فى الماء حتى يغترف فى الإناء منه، فاخطفه تمساح، وذهب فى الماء فكسره، وأكله، والرجل يراه وهو مكتوف، وأتانه واقف مع فرس قاطع الطريق، قائمان قريبا منه. فأقام كذلك حتى مر به أناس عن بعد، فصاح بهم إلى أن أتوه، فأعلمهم بما جرى له، وما كان من هلاك عدوه، فحلوا أكثافه وأتوا به وبالفرس والأتان، والخرج، إلى الوالى، فقص عليه قصته فأخذ الفرس وخلاه لسبيله. فمضى بأتانه وخرجه، فكان فى هذا موعظة لمن اتعظ. وكفى بالله نصيراً.

والثانية: أن متولى الحرب بتلك النواحي وسط سبعة رجاله من قطاع الطريق وعلقهم على ممر المسافرين، كما هى عادتهم فى ذلك. وأكد على الخفراء أرباب الدرك فى حراستهم طول الليل، خوفا من مجيء أهاليهم وأخذهم إياهم، وحلف بأيمانه لئن فقد أحد منهم ليوسطن الجميع فباتوا يجرسونهم حتى كاد الليل يذهب، أخذهم النوم ثم انتبهوا فى السحر، فإذا بعدة الموسطين قد نقصت واحد. فممن شده خوفهم أن يطلع النهار ويبلغ الوالى أن الموسطين قد أخذ منهم واحد فيوسطهم بدله، مروا فى الدرب السلوك ليأخذوا من انفراد من المسافرين، يوسطوه ويعلقوه بدل الذى نقص من العدة، فإذا هم برجل على حمار وتحتة قفتين، فأخذوه، ووسطوه، وعلقوه مع الموسطين. فلما طلع النهار جاءهم مقدم الوالى لكشف حال الموسطين، فإذا عدتهم قد زادت واحداً، فأنكر على الخفراء وأحضرهم إلى الوالى، وأعلمه الخبر، فلم يجدوا بدا من الصدق. وأخبروه أنهم ناموا من آخر الليل، وانتبهوا سحرًا فرأوا العدة قد نقصوا واحداً فما شكوا فى أنه أخذ أهله، فأخذوا رجلا على حمار من المارة ووسطوه وعلقوه مكان الذى نقص. وحلفوا أيماناً عديدة أنهم ما رأوه إلا ناقصين واحداً. فأمر بفتح القفتين اللتين كانتا على حمار المقتول، فإذا فى كل قفة نصف امرأة قد نقشت، فعلم الوالى ومن حضره أنه كان قد قتل هذه المرأة وسرى بها سحرًا حتى يواربها، فقتله الله بها. وكان فى هذه تذكرة لمن وعى أن الجزاء واقع.

وفى آخر هذا الشهر: أفرج عن الأمير طرباى من سجن الإسكندرية، ونقل إلى القدس ليقيم به غير مضيق عليه، وأنعم عليه بألف دينار.

(١) هى زوج الحمار، والجمع أنن. انظر لسان العرب (أنن) والمذكر والمؤنث للفراء، وللتستري لأبى بكر الأنبارى، ولابن حنى، وللمفضل، لأبى حاتم.

شهر رمضان، أوله الثلاثاء:

أهل هذا الشهر وقد انحل سعر الغلال، وكثرت فى العراض^(١) والساحل من غير سبب يظهر فى ارتفاعها أولاً، ثم فى انحطاطها، إن الله على كل شىء قدير، وبالناس لرءوف رحيم.

وفى يوم الثلاثاء ثامنه: قبض على الصاحب بدر الدين حسن بن نصر الله أستاذار، وعلى ولده الأمير صلاح الدين محمد، وعوقا بالقلعة.

وفى يوم الخميس عاشره: خلع على الأمير زين الدين عبد القادر ابن الأمير فخر الدين عبد الغنى بن أبى الفرج. واستقر أستاذاراً عوضاً عن الصاحب بدر الدين حسن ابن نصر الله.

وفى ثانى عشره: أفرج عن الصاحب بدر الدين، ونزل إلى داره، وقد ألزم بحمل نفقة الشهر وعليقه، وذلك نحو ثلاثين ألف دينار. وترك ابنه الأمير صلاح الدين بالقلعة رهينة على المال، فأخذ فى بيع أملاكه وخيوله وثيابه وأثاثه.

وفى رابع عشره: خلع على جمال الدين يوسف بن الصفى الكركى، واستقر فى كتابة السر بدمشق، عوضاً عن بدر الدين حسن.

وفى يوم الثلاثاء ثانى عشرينه - الموافق له رابع عشر مسرى - أوفى النيل ستة عشر ذراعاً. ونزل الأمير ناصر الدين محمد ابن السلطان ففتح الخليج على العادة بعد تخليق المقياس، وركب فى خدمته الصالح بن ططر.

وفى يوم الأربعاء - صبيحة الوفاء - نودى على النيل بزيادة عشر أصباع. ونودى فى يوم الخميس بزيادة عشر أصابع. وهذا من نوادر زيادات النيل.

وفى هذا الشهر: عز وجود اللحم بالأسواق.

شهر شوال، أوله الأربعاء:

فى تاسعه: ورد الخير من طرابلس بنصرة المسلمين على الفرنج، فدقت البشائر بالقلعة، وجمع القضاة والأعيان بالجامع الأشرفى، وقرئ عليهم الكتاب ونودى بزينة القاهرة ومصر فزيتا. ثم قرئ الكتاب من الغد بجامع عمرو بن العاص. وكتبت البشائر

(١) العرصة: هى كل موضع واسع بين الدور لا يوجد بناء فيه. انظر لسان العرب، المعجم الوسيط (عرص).

إلى الإسكندرية والبحيرة والوجه القبلى. وبينما الناس مستبشرين بنصر الله على أعدائه إذ قدم الخير فى يوم الإثنين ثالث عشره بوصول الغزاة إلى الطينة، فكثرت القلق. وكان من خيرهم أنهم لما توجهوا من ساحل بولاق، مروا على دمياط إلى طرابلس، وتوجهوا منها فى بضع وأربعين مركبا إلى جزيرة الماغوصة، فخيّموا فى برها الغربى، وقد خافهم متملكها، وبعث بطاعته للسلطان، فبلغهم تهيب صاحب قبرس للقائهم، واستعداده لمحاربتهم، فباتوا مخيمهم على الماغوصة ليلة الأحد العشرين من شهر رمضان. وشنوا من الغد - يوم الأحد - الغارات على ما فى غربى قبرس من الضياع، وعادوا بغنائم كثيرة، بعدما قتلوا وأسروا وحرقوا. ثم أقلعوا ليلة الأربعاء يريدون الملاحه، وتركوا فى البر أربعمائة من الرجال، يسيرون بمخداتهم، فقتلوا وأسروا وحرقوا. ثم ركبوا البحر وقد وافاهم صباحا الفرنج فى عشرة أغربة وقرقورة، فلم يثبتوا وانهمزوا من غير حرب، فأرسل المسلمون بساحل الملاحه. وللحال كرت أغربة الفرنج راجعة إليهم، فقاتلهم المسلمون قتالا شديداً، وهزمهم. وباتوا ليلة الجمعة خامس عشرينه، فأقبل بكرة يوم الجمعة خامس عشرينه عسكر قبرس، وعليهم أخو الملك، فقاتله نصف العسكر الإسلامى أشد قتال وهزموه بعدما كادوا أن يؤخذوا، وقتلوا من الفرنج مقتلة كبيرة. وأخرجوا الخيول من المركب إلى البر فى ليلة السبت وساروا بكرة يوم السبت يقتلون ويأسرون ويحرقون القرى، حتى ضاقت مراكبهم عن حمل الأسرى، وامتلات أيديهم بالغنائم، فكتب الأمير جرباش الكرىمى - حاجب الحجاب ومقدم العساكر المجاهدة - إلى الأمير قصره نائب طرابلس بذلك، صحبة قاصد، بعثة من الغزاة ليأتيه بخيرهم، فكتب الأمير قصره كتاباً إلى السلطان وفى طيه كتاب جرباش إليه، فقرئ كما تقدم ذكره. ثم إن العسكر خاف من متملك قبرس، فإنه قد جمع واستعد، فرأى جرباش أن يعود بهم، فسار حتى أرسى على الطينة قريبا من قطيا، ومن دمياط.

وفى ثالث عشره: أفرج عن الأمير ببيغا المظفرى، ونقل من سجن الإسكندرية إلى دمياط، وجهز إليه فرس ليركبه هناك.

وفى رابع عشره: نودى بالقاهرة من أراد الجهاد فعليه بالنفقة، فكثرت قلق الناس.

وفى يوم الأربعاء خامس عشره: كان نوروز القبط بمصر، وماء النيل على ثمانية عشر ذراعا وثمانية إصبعا. وهذا مما يستعظم قدره فى هذا الوقت.

وفى خامس عشرينه: قدم الغزاة بألف وستين أسيراً، فباتوا بساحل بولاق. وصعدوا بكرة يوم الأحد سادس عشرينه إلى القلعة، وبين أيديهم الأسرى والغنائم وهى على مائة وسبعين حمالا، وأربعين بغلا، وعشرة جمال ما بين خرج، وصناديق،

وحديد، وآلات حريرية، وأواني، فعرض الجميع على السلطان، فكان يوماً مشهوداً لم يعهد مثله في الدولة التركية والجركسية، فرسم ببيع الأسرى وتقويم الأصناف، فابتدئ في البيع من يوم الإثنين سابع عشرينه بحضرة الأمير حقمق العلاى أمير أخور. وتولى البيع عن السلطان الأمير إنسال الششمانى، فاشتراهم الناس على اختلاف طبقاتهم. ورسم أن لا يفرق بين الأولاد وآبائهم، ولا بين قريب وقريبه، فكانوا يشترونهم جميعاً. وأنفق السلطان فى طائفة من الغزاة ثلاثة دنانير ونصف لكل واحد، وفى طائفة سبعة دنانير لكل واحد.

وفى هذا الشهر: تعذر وجود اللحم والأسواق أياماً، وإن وجد فإنه قليل جداً، وغلت أسعار أكثر الأقوات إلا القمح.

وفيه أنشأ زين الدين عبد الباسط، بناحية بركة الحاج بستانا وساقية ماء، وعمّر فسقية كبيرة تملأ بالماء ليردها الحاج، فعظم الانتفاع بها.

شهر ذى القعدة، أوله الجمعة:

ويوافق عيد الصليب. كان ماء النيل على عشرين ذراعاً، تنقص أصبعا واحداً، وقل ما عهد مثل هذا.

وفى يوم الإثنين رابعه: اتفق بالقاهرة حادثة شنعاء لم ندرك مثلها، وهى أن رجلاً من العشير ببيروت^(١) من سواحل الشام - يقال له شعث بن أبى بكر بن الحمراء - قدم ليسعى فى بعض تعلقاته، فخرج سحر هذا اليوم من داره على فرسه، ومعه غلامه، وقد سايره رجل من أهل بلاده، وأخذ يحادثه حتى وصلا بين القصرين عند شروق الشمس، فأخرج الرجل خنجراً وضرب به ابن الحمراء ضربة وأتبعها بأخرى فسقط عن فرسه. وساق الرجل فرسه فلم يتبعه أحد. وبقي ابن الحمراء طريحاً عدة ساعات، ثم دفن. وبلغ الخبر السلطان، فطلب القاتل فلم يقدر عليه. وكان سبب هذا أن ابن الحمراء قتل والد هذا الرجل من سنين عديدة، وابنه هذا صبى، فتحول إلى القاهرة، وربى بها، وصار من جملة الأجناد بخدمة الأمراء. فلما قدم ابن الحمراء فى هذه الأيام القاهرة، تردد إليه هذا الرجل من أجل أنه من أهل بلاده، فأنس به وغفل عما كان منه، إلى أن جاءه الرجل فى هذا اليوم على عادته، وركب معه، فوجد الفرصة قد أمكنته من عدوه، ففعل ما فعل، وأخذ بثأره.

(١) بيروت: مدينة مشهورة على ساحل بحر الشام تُعد من أعمال دمشق، بينهما وبين صيدا ثلاثة فراسخ. انظر معجم البلدان ١/ ٥٢٥ وهى عاصمة لبنان حالياً.

وفي هذا الشهر: انتهت زيادة النيل إلى عشرين ذراعاً سواء.
وفيه ارتفع سعر القمح حتى تجاوز الأردب مائتي درهم من الفلوس.
وفيه هدم السلطان خرائب الططر بقلعة الجبل، وكانت خطأ كبيراً يشتمل على
مساكن عديدة، فسوى بها جميعها الأرض.

وفي يوم الأربعاء سادس عشرينه: نودي على الفلوس أن يتعامل الناس بها من
حساب اثني عشر درهما الرطل. وكانت قد قلت وعز وجودها لشح الناس بإخراجها،
فربح من كان عنده منها شيء، وخسر من له مطالبات، فإنه صار درهمه نصفاً.
شهر ذى الحجة، أوله السبت:

في سابعه: اتفقت حادثة شنعاء، وهي أن الخبز قل وجوده في الأسواق، فعندما
خرج بدر الدين محمود العينتابي^(١) - محتسب القاهرة - من داره سائراً إلى القلعة،
صاحت عليه العامة، واستغاثوا بالأمرء، وشكوا إليهم المحتسب، فخرج عن الشارع،
وطلع إلى القلعة وهو خائف من رجم العامة له، وشكاهم إلى السلطان. وكان يختص
به، ويقرأ له في الليل تواريخ الملوك، ويتزجها له بالتركية. فحنق السلطان وبعث طائفة
من الأمرء إلى باب زويلة، فأخذوا على المارة أفواه السكك ليقبضوا على الناس. فرجم
بعض العبيد أحد الأمرء بحجر أصابه، فقبض عليه، وضرب. وقبض على جماعة كبيرة
من الناس، وأحضروا بين يدي السلطان، فرسم بتوسيطهم ثم أسلمهم إلى الوالى
فضربهم وقطع آذانهم وأذنانهم، وسجنهم ليلة السبت. ثم عرضوا من الغد على
السلطان فأفرج عنهم - وعدتهم اثنان وعشرون رجلاً من المستورين - ما بين شريف
وتاجر، فتنكرت القلوب من أجل ذلك، وانطلقت الألسنة بالدعاء وغيره.

وفي هذه الأيام: ارتفع سعر اللحم، وعدم أياما من الأسواق. وارتفع سعر القمح
أيضاً، وعز وجوده، مع كثرته بالشون والمخازن، وعلو النيل ونباته^(٢).

وفي حادى عشرينه: خلع على شهاب الدين أحمد بن صلاح الدين بن محمد
المعروف بابن الحمرة، واستقر في مشيخة الخانكاة الصلاحية سعيد السعداء، بعد وفاة
شمس الدين محمد بن أحمد البيرى، المعروف بأخى جمال الدين الأستاذار. وابن الحمرة
هذا كان أبوه سمساراً فى الغلال بساحل بولاق، وعمه طحاناً، وولد هو بظاهر
القاهرة، وقرأ القرآن وقرأ عدة كتب ما بين فقه ونحو وغيره، واشتغل على شيوخ
العصر حتى برع فى الفقه على مذهب الشافعى. وشارك فى فنون، وجلس فى

(١) انظر: النجوم الزاهرة «العينية» ١٤ / ١١٧.

(٢) انظر: النجوم الزاهرة ١٤ / ١١٧، ١١٨.

حوانيت الشهود زمانا، واستنابه فى الحسبة بالقاهرة بوساطة الأمير يلبغا السالمى، وكان من أصحابه. ثم ناب فى الحكم بالقاهرة عن قاضى القضاة جلال الدين عبد الرحمن بن البلقينى مدة سنين. وأثرى فى قضائه، وكثر ماله. ثم صرف عن الحكم، ودرس الفقه بخانكاة شيخو بمال وزنه فى التدريس، ثم ولى الخانكاة.

وفيه قدم كتاب الأمير تغرى بردى المحمودى من مكة وقد توجه حاجبا يتضمن أنه بعث، لما نزل من عقبة أيلة، قاصداً إلى الشريف حسن بن عجلان، يرغبه فى الطاعة ويحذره عاقبة المخالفة، فقدم ابنه الشريف بركات بن حسن، وقد نزل بطن مر، فى ثامن عشرين ذى القعدة، فسر بقدمه ودخل به معه مكة أول ذى الحجة، وحلف له بين الحجر الأسود والملتزم، أن أباه لا يناله مكروه من قبله ولا من قبل السلطان، فعاد إلى أبيه، وقدم به مكة يوم الإثنين ثالث ذى الحجة، وأنه حلف له ثانياً، وألبسه التشريف السلطانى، وقرره فى إمارة مكة على عادته، وأنه عزم على حضوره إلى السلطان صحبة الركب، واستخلاف ولده بركات على مكة.

وفى خامس عشرينه: ورد إلى ساحل بولاق اثنا عشر غراب من أغربة الغزاة.

وفى ثامن عشرينه: قدم مبشرو الحاج وأخبروا بسلامة الحجاج، وأن الوقفة بعرفة كانت يوم الإثنين، وكانت بالقاهرة يوم الأحد.

* * *

ومات فى هذه السنة ممن له ذكر

قاضى القضاة علاء الدين أبو الحسن على بن بدر الدين أبو الثناء محمود بن أبى الجود أبى بكر بن مغلى الحموى الحنبلى، فى يوم الخميس العشرين من المحرم، وقد قارب السبعين سنة، وكانت أباه من سلمية، يعاننون التجارة وولد هو بحماة، ونشأ بها، وعانى طلب العلم، وقدم القاهرة شابا سنة إحدى وتسعين فى زى التجار، واشتهر بكثرة الحفظ لجودة حافظته، ومازال يدأب حتى صار من أئمة الفقه والحديث والنحو، ويشارك فى فنون كثيرة، وكان يحفظ فى كل مذهب من المذاهب الثلاثة كتابا، ويحفظ من مذهبه كثيرا إلى الغاية، وولى قضاء الخابلة بحماة بعد سنة ثمانمائة، ثم ولاه المؤيد شيخ قضاء القضاة الخابلة بالديار المصرية، فباشره حتى مات. وكان له ثراء وسعة، ولم يخلف بعده مثله.

وقتل الأمير تغرى بردى خنقا بقلعة حلب فى ربيع الأول، فمستراح منه، لا دين ولا عقل ولا مروءة، ما هو إلا الظلم والفسق.

ومات زين الدين شعبان بن محمد بن داود الآتارى^(١) فى سابع عشر جمادى الآخرة، وقد ولى حسبة مصر فى أيام الظاهر بقوق بمال عجز عنه، ففر إلى اليمن بعد عزله، وصار له بها حظ، لأنه كان يكتب خطا جيدا وينظم الشعر، ثم قدم مكة بعد سنين، وقدم القاهرة، وتوجه إلى الشام، ثم عاد وهو مريض، فمات يوم قدومه، وورثه أخوه.

وتوفى بدر الدين محمد بن عمر بن أبى بكر الدمامينى المالكى، الأديب، الشاعر بمدينة كبركا من بلاد الهند، فى شعبان، عن نحو سبعين سنة، وكان قد نشأ بالإسكندرية، وفاق فى الأدب، وقال الشعر الجيد، وبرع فى العربية، وعانى دولة عمل الثياب الحرير، فاحتج، وأجأته الضرورة إلى فراره من أرض مصر، فصار له فى بلاد الهند ثراء، فلم يتهن به، ومات.

وتوفى الأمير ناصر الدين محمد بن أحمد بن عمر بن يوسف بن عبد الله بن عبد الرحمن بن إبراهيم بن محمد بن أبى بكر التنوخى الشهير بابن العطار الحموى ناظر القدس، فى ثالث عشر شوال، ببلىد الخليل عليه السلام، ومولده فى سنة أربع وسبعين وسبعمائة. وكان أبوه من أعيان أهل حماة، يياشر أستاذار الأمراء، واختص بالظاهر بقوق أيام سجنه بالكرك، وقد كان بها، وخرج معه منها، فمات قبل عود الملك إليه، فاستدنى الظاهر بقوق ابنه ناصر الدين هذا، وأنعم عليه بإمرة فى حماة، ثم ولى حجوية حماة. ونوه به ناصر الدين محمد بن البارزى، لما ولى كتابة السر، لقرابته به، وولاه نيابة الإسكندرية^(٢)، فلما مات - وهو المؤيد - صرف عنها ثم ولاه السلطان نظر القدس

(١) شعبان بن محمد (٧٦٥ - ٨٢٨ هـ = ١٣٦٤ - ١٤٢٥ م). شعبان بن محمد بن داود الموصلى المعروف بالآتارى: أديب، له شعر كثير، فيه هجو ومجون، ولد بالموصل، وتنقل فى البلدان، وتلقب بالآتارى لإقامته فى أماكن الآثار النبوية، مدة واستقر فى القاهرة، وبها وفاته وله أكثر من ثلاثين كتابا فى الأدب والنحو، منها «الحسان العرب» فى علوم الأدب، وألفية فى النحو: «كفاية الغلام». انظر ديوان الإسلام - خ - الضوء اللامع ٣/٣٠١، شذرات الذهب ٧/٨٤، الأعلام ٣/١٦٤.

(٢) الإسكندرية: قال ابن إياس فى ذكر مدينة الإسكندرية وما فيها من العجائب: هذه المدينة من أعظم مدائن الدنيا وأقدمها وضعًا، وقد بنيت غير مرة فأر ما بنيت بعد كون الطوفان فى زمان مصرايم بن بصر بن حام بن نوح عليه السلام، وكان يقال لها مدينة رقودة ثم بنيت بعد ذلك مرتين، فلما كان فى أيام اليونانيين حدها الإسكندر بن فيليس المجدونى بعد تخريب يختنصر مدينة منف مائة وعشر سنين شمسية عرفت به، وانتقل يختنصر الملك من مدينة منف إلى الإسكندرية، فصارت دار المملكة بديار مصر، ولم تزل على ذلك حتى ظهر دين الإسلام، وقدم عمرو بن العاص بجيوش المسلمين وفتح الإسكندرية وصارت ديار مصر مع المسلمين فانتقل تحت الملك حينئذ من الإسكندرية دار مملكة ديار مصر. انظر نزهة الأعم ١٧١.

والخليل، وكان من خير من صحبت ديانة وملازمة لتلاوة القرآن، ومعرفة وخيرة ومشاركة، فى فنون من العلم.

ومات الفقيه نور الدين على بن أحمد بن سلامة السليمى المكى، بها، فى أخريات شوال، وقد أناف على الثمانين، وكان فقيها شافعيًا فاضلًا فى فنون، قدم القاهرة وسمع معنا الحديث وتردد إلى سنين بالقاهرة ومكة.

وتوفى شمس الدين محمد بن أحمد بن أحمد بن جعفر بن قاسم البيرى الحلبي، أخو الأمير جمال الدين يوسف الأستادار، فى يوم الجمعة المبارك رابع عشر ذى الحجة، عن نحو الثمانين سنة، وكان يلى قضاء البيرة، ثم قدم القاهرة وولى قضاء القضاة بحلب مدة ثم عزل وعاد إلى القاهرة، ودرس بالمدرسة الناصرية المجاورة لقبه الإمام الشافعى بعد الجلال محمد أبى البقاء، وولى مشيخة الخانكاه الركنية ببيرس بعد الشريف بدر الدين حسن النسابة، كل ذلك بجاه أخيه. فلما قتل أخوه نكب وصرف، ثم أفرج عنه وولى فى أيام المؤيد شيخ الخانكاه الصلاحية سعيد السعداء حتى مات وكان فيه سكون، ويذكر عنه تدين.

وقتل الأمير طوغان - أمير أخور فى أيام المؤيد شيخ - ذبحًا بقلعة المرقب، فى ذى الحجة، وكان من جملة التراكمين، يخدم سايس خيل بعض أجنادها، فترقى حتى صار أمير أخور كبير للملك المؤيد، وله به اختصاص، ثم نكب بعده حتى قتل، وهو كما قيل: لم أبك منه على دنيا ولا دين.

ومات الأمير سيف الدين أبو بكر حاجب طرابلس بها، وقد تكرر ذكره فى أيام الأمير حكيم، وكان مشكورًا.

* * *

سنة تسع وعشرين وثمانمائة

أهلت وخليفة الزمان المعتضد بالله أبو الفتح داود بن المتوكل على الله أبو عبد الله محمد، وسلطان الإسلام الملك الأشرف أبو العز برسبای الدقماقي، وأتابك العساكر الأمير الكبير قحق، وأمير مجلس الأمير أينال الحكمي، وأمير سلاح الأمير أينال النوروزي، وأمير أخور الأمير حقمق، والداودار الأمير أزيك، ورأس نوبة تغرى بردى المحمودي، وحاجب الحجاب الأمير جرباش قاشق، وأستادار الأمير زين الدين عبد القادر ابن الأمير الوزير فخر الدين عبد الغنى ابن الوزير تاج الدين عبد الرزاق بن أبي الفرج، والوزير كريم الدين عبد الكريم ابن الوزير الصاحب تاج الدين عبد الرزاق بن شمس الدين عبد الله بن كاتب المناخ، وناظر الخاص كريم الدين عبد الكريم بن سعد الدين بركة بن كاتب حكيم، وكاتب السر بدر الدين محمد بن محمد بن أحمد بن مزهر، وناظر الجيش زين الدين عبد الباسط بن خليل، وقاضى القضاة الشافعي الحافظ شهاب الدين أحمد بن حجر، وقاضى القضاة الحنفي زين الدين عبد الرحمن التفهني، وقاضى القضاة المالكي شمس الدين محمد بن عبد البساطي، وقاضى القضاة الحنبلي محب الدين أحمد بن نصر الله البغدادي، ونائب الشام الأمير سودن من عبد الرحمن، ونائب شارقطلوا، ونائب حماة الأمير جلبان أمير أخور، ونائب طرابلس الأمير قصره، ونائب صفد الأمير مقبل الداودار، ونائب الإسكندرية الأمير أقبغا التمرازي، وأمير مكة الشريف حسن بن عجلان، وأمير المدينة النبوية عجلان بن نعيم.

وأسعار المبيعات بالقاهرة مع عامة الأقوات قليلة، سيما اللحم واللبن والجبن، لم نعهد مثل قلتهم فى هذا الوقت، وقد انحل سعر الغلال، وأبيع الأرز بألف درهم الأردب. والدينار الأفرنتى بمائتين وخمسة وعشرين درهما من الفلوس، والفلوس باثنى عشر درهما الرطل، وأحوال الناس بديار مصر وبلاد الشام واقفة، لقلة مكاسبهم، وقد شمل إقليم مصر - مدينتها وأريافها - الخراب، لاسيما الوجه القبلى، فمن شدة فقر أهله وفاقتهم وسوء أحوالهم لا يتبايعون إلا بالغلل، لعدم الذهب والفضة، بعدما كان ما كانوا فيه من الغنى والسعة فى غاية.

شهر الله المحرم، أوله الإثنين:

فى ليلة الخامس عشر: خسف جرم القمر بأجمعه، ومكث جميع جرمه منخسفا نحو ثمانى عشر درجة.

وفى يوم الإثنين: هذا خلع على الأمير أبنال الششمانى، واستقر فى حسيبة القاهرة، عوضا عن بدر الدين محمود العيتابى.

وفى تاسع عشرة: قدم الشريف رميثة بن محمد بن عجلان، وقد أفرج عنه من سجنه بالإسكندرية.

وفى عشرينه: منع قضاة القضاة الأربع من الإكثار من نواب الحكم بالقاهرة ومصر، وأن لا يزيد الشافعى على عشرة نواب، ولا يزيد الحنفى على ثمانية، ولا المالكى على ستة ولا الحنبلى على أربعة، فعمل بذلك مدة أيام، وعادوا لما نهوا من الاستكثار منهم، ولو كان ذلك من الخير لنقص.

وفى ثالث عشرينه: قدم الركب الأول من الحجاج، وتتابع قدومهم حتى قدم الأمير تغرى بردى الممودى رأس نوبة بالمحمل، وتبعه ساقه الحاج وهم فى ضر وبؤس شديد، من غلاء الأسعار، وقدم معه أيضا الأمير قرقماس المقيم هذه المدة بمكة، وقدم الشريف حسن بن عجلان، فأكرم، ثم خلع عليه سابع عشرينه، واستقر فى إمارة مكة على عادته، وألزم بثلاثين ألف دينار، فبعث قاصده إلى مكة حتى يحضرها، وأقام هو بالقاهرة رهينة، ولم يقع فى الدولة الإسلامية مثل هذا.

وفى هذا الشهر: كثر موت الجاموس، ولذلك قلت الألبان والأجبان.

وفيه تجددت على الحجاج مظلمة لم تُعهد من قبل، وذلك أنه منع التجار أيام الموسم أن يتوجهوا من مكة إلى بلاد الشام بما ابتاعوه من أصناف تجارات الهند، وألزموا أن يسيروا مع الركب إلى مصر حتى يؤخذ منهم مكوس ما معهم، فلما نزل الحجاج بركة الحاج وخرج مباشرة الحاج وأعاونهم، واشتدوا على جميع القادمين من التجار والحجاج، واستقصوا تفتيش محاييرهم وأحماهم، وأخرجوا سائر ما معهم من الهدية وأخذوا مكسها، حتى أخذوا من المرأة الفقيرة مكس النطع^(١) الصغير عشرة دراهم فلوسا، وأما التجار فإنه كان أخرج إليهم فى السنة الخالية بعض مسالة الأقباط من القاهرة - كما تقدم ذكره - فوصل إلى مكة، ومضى إلى جدة بأعوانه، فضبط ما وصل فى المراكب من بلاد الهند وهرمز من أصناف المتجر، وأخذ منها العشور، فقدم فى المراكب الهندية إلى جدة فى هذه السنة زيادة على أربعين مركبا تحمل أصناف البضائع، وذلك أن التجار وجدوا راحة بمجدة، بخلاف ما كانوا يجدون بعدن، فتركوا بندر عدن واستجدوا بندر جدة عوضه، فاستمر بندر جدة عظيما، وتلاشى أمر عدن من أجل

(١) هو البساط من الأديم.

هذا، وضعف حال ممتلك اليمن، وصار نظر جدة ووظيفة سلطانية يخلع على متوليها، ويتوجه فى كل سنة إلى مكة فى أوان ورود مراكب الهند إلى جدة، ويأخذ ما على التجار ويحضر إلى القاهرة به، وبلغ ما حمل إلى الخزانة من ذلك زيادة على سبعين ألف دينار، سوى ما لم يحمل، فجاء للناس ما لا عهد لهم بمثله، فإن العادة لم تنزل من قديم الدهر فى الجاهلية والإسلام أن الملوك تحمل الأموال الجزيلة إلى مكة لتفرق فى أشرفها ومجاوريتها، فانعكست الحقائق، وصار المال يحمل من مكة، ويلزم أشرفها بحمله، ومع ذلك فمنع التجار أن يسيروا فى الأرض يبتغون من فضل الله، وكلفوا أن يأتوا إلى القاهرة حتى تؤخذ منهم المكوس على أموالهم، وأنى لأذكر أن الملك المؤيد شيخا نظره مرة فى أيام قدوم الحاج فرأى من أعلى قلعة الجبل خياما مضروبة بالريدانية خلج القاهرة، فسأل عنها، فقيل عنها، فقيل له إن العادة أن ينصب ناظر الخاص عند قدوم الحاج خياما هناك ليجلس فيها مباشرة الخاص وأعوانه، حتى يأخذوا مكس ما معهم من البضائع، فقال: «والله إنه لقبيح أن يعامل الحاج عند قدومه بهذا»، واستدعى بعض أعيان الخاصكية، وأمره أن يركب ويسوق حتى يأتى تلك الخيام ويهدمها على رءوس من فيها، ويضربهم حتى يحملوها وينصرفوا، ففعل ذلك، ولم يتعرض أحد فى تلك السنة للحجاج، وكان ناظر الخاص إذ ذاك الصاحب بدر الدين حسن نصر الله، ولعمري لقد سمعت عجائز أهلنا وأنا صغير يقلن إنه لياتى على الناس زمان يترحمون فيه على فرعون فيرغمى إن مضمين وخلفت حتى أدركت وقوع ما أنذرنا به قبل، والله عاقبة الأمور.

شهر صفر، أوله الأربعاء:

فى نصفه: جمع السلطان الأمراء والقضاة وكثيراً من التجار، وتحدث فى إبطال المعاملة بالذهب المشخص الذى يقال له الأفرنتى، وهو من ضروب الفرنج، وعليه شعار كفرهم الذى لا تجيزه الشريعة المحمدية. وهذا الأفرنتى كما تقدم ذكره قد غلب فى زمننا من حدود سنة ثمانمائة على أكثر مدائن الدنيا، من القاهرة ومصر وجميع أرض الشام، وعمامة بلاد الروم والحجاز واليمن، حتى صدر النقد الرابع، فصوب من حضر رأى السلطان فى إبطاله، وأن يعاد سبكه بدار الضرب، ثم يضرب على السكة الإسلامية، فطلب من الغد صياغ دار الضرب، وشرع فى سبك ما عنده من الدنانير الإفريقية.

وفى هذا الشهر: عز وجود الخبز فى الأسواق أحياناً، مع كثرة الغلال وقلة طالبيها. وفقد اللحم أيضاً عدة أيام من قلة جلب الأغنام، وسبب ذلك أن الوزير يحتاج فى كل

يوم إلى اثني عشر ألف رطل من اللحم يرسم المماليك السلطانية، ومطبخ السلطان وحرابه، فحجر على باعة اللحم أن يزيدوا في سعره حتى لا يزداد عليه ما يقوم به في ثمن اللحم، واقتنى أغناما كثيرة، وصار يشتريها بما يريد، فلا تصل أثمانها إلى بائعها إلا وقد نجسوا فيها، كما هي عادتهم في نجس الناس أشياءهم، فنفر تجار الغنم وجلابتها من الحضور بها إلى أسواقها، خوفا من الخسارة، وكانت أراضي مصر في السنة الخالية محلا من قلة ماء النيل في أوانه، وسرعة هبوطه، حتى شرقت الأراضي إلا قليلا، فقلت المراعى، ثم ارتفع سعر الفول والشعير، فشحت الأنفس بعلف البهائم والأنعام، خصوصا الفلاحون، فإن أحوالهم ساءت فهزلت من أجل هذا بهيمة الأنعام من الغنم والبقر والجاموس، وتعذر من نصف شهر رمضان الماضى وجود لحم الضأن، وارتفع سعره من سبعة دراهم للرطل إلى عشرة دراهم ونصف، وقلت الألبان والأجبان والسمن، وبلغت أثمانا لم نعهد مثله في زمن الربيع، واتفق مع هذا كله الموت الذريع في الجاموس، حتى فنى معظمه، ووقع الفناء أيضا في الأبقار وماتت أيضا الأغنام وحمير وخيل غير كثيرة العدد.

وفي سادس عشرينه: نودى بإبطال المعاملة بالدنانير الأفرنتية، وأن يتعامل الناس بالدنانير الأشرفية، وزنة الدينار منه زنة الدينار الأفرنتى، وألزم الناس بحمل ما عندهم من الأفرنتية إلى دار الضرب، حتى تسبك وتعمل دنانير أشرفية وخلع على شرف الدين أبى الطيب محمد بن تاج الدين عبد الوهاب بن نصر الله، واستقر في نظر دار الضرب، وقد كان باشر نظر وقف الأشراف، ونظر كسوة الكعبة أحسن مباشرة، بعفة وأمانة ونهضة.

وفي نصف هذا الشهر: ارتفع سعر القمح وتجاوز الأردب ثلاثمائة درهم وقل وجود الدقيق في الطواحين، ووجود الخبز بالأسواق، وشنع الأمر في تاسع عشرينه، وازدحم الناس بالأفران في طلب الخبز، وتكالبوا على ابتياع القمح، فشحت نفوس الخزان به وأبيع القمح الفول بأربعة دراهم ولهذا أسباب: أحدها أن البدر محمود العنتابى كان أيام حسبه يلين للباعة، حتى كأنه لا حجر عليهم فيما يفعلوه، ولا ما يبيعوا بضائعهم به من الأثمان، فلما ولي الششمانى أربب الباعة وردعهم بالضرب المبرح، فكادوه، وترك عدة منهم ما كان يعانيه من البيع، واتفق في هذه الأيام هلك كثير من الجاموس والبقر، بحيث أن رجلا كان عنده مائة وحمسون جاموسة فهلكت بأجمعها، ولم يبق منها سوى أربع جاموسات، وما ندرى ما يتفق لها، فقلت الألبان والأجبان والسمن. ثم هبت في نصف هذا الشهر رياح مريسية، وتوالت أياما تزيد على عشرة، لم تستطع المراكب

السفر فى النيل، فأنكشف الساحل من الغلة، وجاء الخبز بغلاء الأسعار فى بلاد غزة والرملة ونابلس والساحل ودمشق وهوران وحماة، حتى تجاوز سعر الأردب المصرى عندهم ألف درهم فلوسا، إذا عمل حسابه. وقدم الخبز بغلاء بلاد الصعيد وأنها بأسرها لا يكاد يوجد بها قمح ولا خبز برّ، ومع هذه الرزايا كلها شح الأعيان وطمعهم، فإن بعض أمراء الألوفا لما بلغ القمح مائتين وخمسين درهما الأردب قال: «لا أبيع قمحى إلا بثلاثمائة درهم الأردب». ومنع السلطان أن يباع من حواصله قمح لقلّة ما عنده، فظن الناس الظنون، وجماعت أنفسهم، وقوى الحرص، وتزايد الشح، فأمسك خزان القمح ما عندهم منه ضمناً به وأملوا أن يبيعوا البر بالدر. هذا، ومتولى الحسبة بعيد عن معرفتها، فأل الأمر إلى ما قيل: «تجمعت البلوى على وتحد فرد».

وفيه انخط سعر اللحم من عشرة دراهم ونصف الرطل إلى ثمانية ونصف، وهو هزيل لقلّة علف البهائم.

شهر ربيع الأول، أوله الجمعة:

أهل هذا الشهر والأردب القمح بثلاثمائة، سوى كلفه، وهى مبلغ عشرين درهما، والدقيق كل بطة زنة خمسين رطلا بمائة وعشرين درهما، وهما قليل، وقد خسّر الناس فى تفاوت سعر الدينار الأفرنتى والدينار الأشرفى جملة مال، فإن الأفرنتى كان يصرف بمائتين وخمسة وعشرين درهما، وفى علم السلطان أنه إنما يصرف بمائتين وعشرين، ومشى الناس أيضا فيما بينهم نقصه زنة قمحة، فلما نودى أن لا يتعامل أحد بالأفرنتى وضرب السلطان الدنانير الأشرفية وأنفقها فى جوامك الممالك بالديوان المفرد، كثرت فى أيدي الناس، فصار من عنده شىء من الأفرنتية يحتاج أن يتعوض بدله من الصيارفة دنانير أشرفية فيخسر فى كل دينار أفرنتى سبعة دراهم ونصف، إن كان نقصه قمحة، وما زاد على القمحة فبحسابه، فتلفت أموال الناس بسبب ذلك، وربحت الصيارفة أرباحا كثيرة، بحيث أخبرنى من لا أتهم أنه خسّر فى دنانير أفرنتية خمسة آلاف درهم.

وفى يوم السبت ثانيه: تيسر وجود الخبز فى الأسواق.

وفيه ابتداء السلطان بعمل خبز يفرق فى الفقراء كل يوم.

وفى رابع عشره: نودى أن يقطع كل أحد ما تحت حانوته من الأرض، ويرمى بالكيمان، وأن تصلح الطرقات فى سائر أزقة القاهرة ومصر وظواهرهما، وفى جميع الحارات والخطط، وهند من لم يفعل ذلك، فشرع كل أحد - من جليل وحقير - فى طلب الفعلة وقطع الأراضى، وطلب الحمارة لنقل الأتربة ورميها، فجاءتهم كلف

ومغارم مع ما هم فيه من غلاء الأسعار والخسارة فى الذهب، فلفظ الله وبطل ذلك بعد يومين، وقد خسر فيه من خسر جملة.

وفيه قدم الأمير قصره نائب طرابلس.

وفى هذا الشهر: ظهر رجلا ن أديا صنائع بديعة أحدهما من مسلمة الفرنج الذين يتزويوا بزى الأجناد فإنه نصب جبلا أعلى مأذنة المدرسة الناصرية حسن بسوق الخليل تحت قلعة الجبل، ومدته حتى ربطه بأعلى الأشرفية من قلعة الجبل، ومسافة ذلك رمية سهم أو أزيد، فى ارتفاع ما ينيف على مائة ذراع فى السماء، ثم إنه برز من رأس المأذنة، ومشى على هذا الجبل، حتى وصل إلى الأشرفية، وهو ييدى فى مشيه أنواعا من اللعب، وقد جلس السلطان لرؤيته، وحشر الناس من أقطار المدينة، فعد فعله من النوادر التى لو لم تشاهد لما صدقت، ثم خلع عليه السلطان، وبعثه إلى الأمراء، فما منهم إلا أنعم عليه فانتدب بعد ذلك بقليل شاب من أهل البلد لمحاكاة المذكور فى فعله، ونصب جبلا عنده فى داره، ومشى عليه فلما علم من نفسه القدرة على ذلك صعد إلى رأس نخلة، ومد منها جبلا إلى نخلة أخرى ومشى عليه، فأقدم عند ذلك وأظهر نفسه، ونصب جبلا من رأس مأذنة المدرسة الظاهرية برقوق إلى رأس مأذنة المدرسة المنصورية بين القصرين بالقاهرة، وأرخى من وسط هذا الجبل الممتد جبلا، وواعد الناس حتى ينظروا ما يفعله، مما لم يقدر ذلك الرجل على فعله، فجاءوا من كل جهة، وخرج من رأس المأذنة المدرسة الظاهرية، ومشى قائما على قدميه، وقامته منتصبه، حتى وصل رأس مأذنة المدرسة المنصورية، ومسافة ما بينهما نحو المائة ذراع فى ارتفاع أكثر من ذلك، ثم إنه نام على الجبل، وتمدد، ثم قام ومشى حتى وقف على الجبل الذى أرخاه فى وسط الجبل الذى هو قائم عليه، ونزل فيه إلى آخره، ثم صعد فيه، وهو ييدى فى أثناء ذلك فنونا تذهل رؤيتها، لولا ضرورة الحس لما صدقت، وتلاشى بما فعله فعل ذلك الرجل، ثم إنه نصب جبلا من مأذنة حسن إلى الأشرفية بالقلعة، كما نصب الرجل الأول، وجلس السلطان لمشاهدته، وأقبل الناس فى يوم الجمعة تاسع عشرينه، وقد هبت رياح كادت تقتلع الأشجار، وتلقى الدور، فخرج هذا الشاب وتلك الرياح فى شدة هبوبها، فمشى على قدميه حتى وصل إلى جبل قد أرخاه فى الوسط، وأدلى رأسه، ونزل فيه منكوسا، رأسه أسفل ورجلاه أعلاه، إلى آخره، ثم صعد على الجبل الممتد، ومشى قائما عليه حتى وصل إلى قبة المدرسة، فنزل من الجبل وصعد القبة وهو يجرى فى صعوده جريا قويا فوق شكل كرسى من رصاص أملس، حتى وقف بأعلاها، والرياح عمالة فى طول ذلك، بحيث لا يثبت لها طير السماء، ولا يقدر على المرور لشدة هبوبها، وهذا

الشاب يروح ويحيى شاقا لها، ومارا فيها، كأنما خلق من الريح، فكان شيئا عجبا، لاسيما ولم يتقدم له إدمان في ذلك، ولا دربه فيه معلم، وإنما تافت إليه نفسه، فامتحنها فإذا هي متأتية له فيما أراد، فبرز وأبدى ما يعجز عنه سواه.

ومن نصف هذا الشهر: انحل سعر الشعير، حتى أبيع الأردب بدينار أشرفى، وانحل سعر الفول، حتى أبيع الأردب بثلاثمائة درهم بعدما بلغ أربعمائة، ووجد القمح وكثر، والله الحمد.

وفيه قدم الأمير أرنبغا المتوجه في البحر إلى مكة، وكان معه هدية لصاحب اليمن، فمضى بها في البحر من جدة ومعه شخص يقال له الطنبغا فرنجى - ولى دمياط مرارا - ومعهما من المماليك السلطانية خمسون نفرا، وقد حسن للسلطان شخص أخذ اليمن بهذه العدة، فتأخر فرنجى في مركب على ساحل حلى بنى يعقوب^(١) بالممالك، وتوجه أرنبغا ومعه منهم خمسة نفر بالهدية والكتاب، وهو يتضمن طلب مال للإعانة على جهاد الفرنج، فأخذ متملك اليمن في تجهيز الهدية، فأتاه الخبر بأن فرنجى نهب بعض الضياع، وقتل أربعة رجال فأنكر صاحب اليمن أمرهم، وتنبه لهم وقال لأرنبغا: «ما هذا خير خير، فإن العادة أن يقدم في الرسالة واحد فقدمتم في خمسين رجلا، ولم يحضر إلى منكم إلا أنت في خمسة نفر، وتأخر باقيكم، وقتلوا من رجالى أربعة» وطرده عنه من غير أن يجهز هدية ولا وصله بشيء، ففجا ومن معه بأنفسهم وعادوا جميعا إلى مكة، وقدم أرنبغا مخفا.

شهر ربيع الآخر، أول السبت:

فيه توجه الأمير قصروره عائدا إلى طرابلس على نيابته بها.

وفى ثامن: خلع على الأمير يشبك الساقى الأعرج، واستقر أمير سلاح بعد موت أبنال النوروزى.

وفى يوم الثلاثاء حادى عشره: نصب تاجر عجمى جبلا فيما بين ماذنتى مدرسة حسن ليفعل كما فعل من تقدم ذكرهما، وخرج من أعلى أحديهما ومشى على الجبل عدة خطوات ثم عاد من حيث ابتداء، ومشى ثانيا على قدميه إلى آخره، وأبدى عجائب، منها أنه جلس على الجبل وأرخصى رجليه، وتناول وهو كذلك قوسا كانت على كتفه، وأخرج من كنانته سهمين رمى بهما واحد بعد آخر، ثم قام ودخل وهو قائم على الجبل فى طارة كانت معه، وخرج منها، وكرر دخوله فيها وخروجه منها

(١) سبق ترجمتها.

مراراً، فتارة يدخل رجله قبل إدخاله يديه، وتارة يدخل يديه قبل رجله، ثم ينزل من الجبل الممدود في جبل قد أرخاه، وهو حال نزوله يتقلب بطناً لظهر وظهرًا لبطن، حتى نزل إلى أسفله ورأسه منكوسة نحو الأرض، وقامته ممتدة، بحيث صارت قدماه توازي السماء، ورمى وهو منكوس بالقوس ثلاثة سهام واحداً بعد واحد، ثم صعد من أسفل الجبل المرخاة حتى قام على قدميه فوق الجبل الممدود، ثم ألقى نفسه وهو قائم إلى جهة الأرض، فإذا هو قد تعلق بإبهامى قدميه، وصار رأسه منكوساً، ثم انقلب وهو منكوس، فصار رأسه على الجبل الممدود ورجلاه إلى السماء، ثم انقلب فصارت قدماه على الجبل وهو قائم فوقه، ثم رفع إحدى رجله ووقف فوق الجبل على رجل واحدة، وهو يرفع تلك الرجل، حتى ألصقها بفمه، ثم أرخاها ووقف عليها، ورفع الرجل الأخرى التي كان قائماً عليها حتى ألصقها بفمه، ثم أرخاها ووقف على قدميه منتصب القامة، وخر ساجداً على الجبل حتى صار فمه عليه يشير أنه يقبل الأرض بين يدي السلطان، وهو مستقبله، فأنست أفعاله من تقدمه.

وفي خامس عشرينه: استقر كمال الدين محمد بن همام الدين محمد السيواسي الحنفي في مشيخة التصوف وتدريس الجامع الأشرفي، عوضاً عن علاء الدين علي الرومي، وقد عزم على عودته إلى بلاده. ولم يكن بالمشكور في علمه ولا عقله.

وفي يوم الخميس سابع عشرينه: خلع علي بدر الدين محمود العيتابي، واستقر قاضي القضاة الحنفي، عوضاً عن زين الدين عبد الرحمن التفهني. وخلع علي التفهني، واستقر في مشيخة خانكاه شيخو بعد وفاة سراج الدين عمر قارئ الهداية.

وفي يوم الجمعة: أركب السلطان كثيراً من مماليكه، ونزلوا في عدة من الأمراء إلى القاهرة متقلدي سيوفهم، حتى طرقتوا الجودرية^(١) - إحدى الحارات - وأحاطوا بها من جميع جهاتها، وفتشوا دورها، وقد وشى للسلطان بأن جانبك الصوفي في دار بها، فلم يعثروا عليه، وقبض على فخر الدين بن المزوق وضرب بالمقارع ونفى، لتعلق بينه وبين جانبك الصوفي من جهة المصاهرة، ونودي من الغد بأن لا يسكن أحد بالجودرية، فأخليت عدة دور بها، واستمرت زماناً خالية، فكانت حادثة شنة.

وفي سلخه: قدم المماليك الذين كانوا مجردين بمكة.

وفي هذا الشهر: ارتفع سعر الغلال بعد انحطاطها، وبلغ الأردب القمح ببلاد الصعيد أربعة دنانير.

(١) عرفت باسم طائفة من العسكر أيام الحاكم بأمر الله الفاطمي. انظر المواعظ والاعتبار ٥/٢.

وفيه تحارب الفرنج القطارانيون والبنادقة فى ميناء الإسكندرية، فغلب القطارانيون، وأخذوا مركب البنادقة بما فيه، بعدما قتل بينهم جماعة، ثم أسروا طائفة من المسلمين كانوا بالميناء، ومضوا فى البحر.

شهر جمادى الأولى، أوله الإثنين:

فى سابع عشرينه: قدم رسول صاحب اصطنبول - وهى القسطنطينية - بهدية وشفع فى أهل قبرس أن لا يغزوا.

وفى هذا الشهر: ارتفع سعر القمح حتى بلغ دينارين الأردب، ثم انحط فى آخره إلى دينار، وانحطت البطة الدقيق من مائة وحمسين درهما إلى ثمانين درهما، لكثرة وجود القمح.

وفيه تبرع قاضى القضاة شهاب الدين أحمد بن حجر بما له من المعلوم المقرر على القضاء، فى أنظار الأوقاف ونحوها، لمدة سنة، فجيبت للسلطان، وباشر بغير معلوم.

شهر جمادى الآخرة أوله الأربعاء:

فى ثالث عشره: قدم من عسكر الشام عدة، ومن طوائف العشير جماعة ليسيروا للجهاد، فأنزلوا بالميدان الكبير.

وفيه خلع على عز الدين عبد العزيز بن على بن العز البغدادي الحنبلى، الذى ولى قضاء الحنابلة بدمشق فى الأيام المؤيدية، واستقر قاضى قضاة الحنابلة عوضا عن محب الدين أحمد بن نصر الله البغدادي بعد عزله، وقد شنعت فيه القالة لسوء سيرة أخيه وابنه.

وفى ثالث عشرينه: جلس السلطان لعرض المجاهدين بالحوش من القلعة وأنفق فيهم فكان يوما جميلا.

شهر رجب أوله الخميس:

فيه أدير محمل بالقاهرة ومصر على العادة فى كل سنة، وعجل عن وقته لتوجه المجاهدين للغزو.

وفيه خلع على عبد العظيم بن صدقة^(١) كاتب إبراهيم اليرددار، واستقر فى نظر

(١) عبد العظيم بن صدقة (٨٦٠ هـ = ٤٥٦) الملقب تاج الدين القبلى الأسمى، ناظر ديوان المفرد. ولى المذكور عدة وظائف بالطالع والنازل، وقاسى خطوب الدهر ألوانا، وهو معدود من الكتاب عند أبناء جنسه، وكان هو وزين الدين يحيى أستاذاء - قريب أبى الفرج أستاذار هذا الزمان - هو لهما كفرسى رهان، وكان يقع بينهما فى تلك الأيام مقالات ومفاوضات وكل منهما =

١٣٦ سنة تسع وعشرين وثمانمائة

الديوان المفرد، وكان قد شغر عن الوزير كريم الدين ابن كاتب المناخ من حين ولى الأمير زين الدين عبد القادر أستاذار، وعبد العظيم من مسلمة النصارى الذين يفسدون فى الأرض ولا يصلحون.

وفى يوم الجمعة ثانيه: سار أربعة أمراء إلى الجهاد، وهم تغرى بردى المحمودى رأس نوبة، وقد جعل مقدم عسكر البر، والأمير أينال الحكمى أمير مجلس وجعل مقدم عسكر البحر، والأمير تغرى برمش، والأمير مراد خجا وتبعهم الجاهدين، وتوجهوا فى الليل أرسالا، حتى كان آخرهم سفراً فى يوم السبت حادى عشره.

وفى يوم الخميس عشره: نودى بمنع الناس من المعاملة بالدنانير الأفرنتية، وأن تقص ويحضر بها مقصوفة إلى دار الضرب حتى تسبك، وهدد من خالف ذلك، وكان العامة بعد النداء الأول قد تعاملوا بها كما هى عادتهم فى المخالفة، لقلة ثبات الولاة على ما يرسم به.

وفى ثامن عشرينه: قدم الخبر بأن الغزاة مروا فى سيرهم إلى رشيد، وأقلعوا من هناك يوم السبت رابع عشرينه وساروا إلى أن كان يوم الإثنين سادس عشرينه، انكسر منهم أربعة مراكب غرق فيها نحو العشرة أنفس فانزعج السلطان لذلك، وهم بإبطال الغزاة، ثم بعث فى يوم الجمعة آخره الأمير جرباش قاشق حاجب الحجاب، لكشف خبرهم، والعمل فى مسيرهم أو عودهم، بما يقتضيه رأيه، فقوى عنده إمضاء العزم على المسير، فساروا على بركة الله.

شهر شعبان، أوله الجمعة:

فى خامسه: قدم الخبر بأن طائفة من الغزاة لما ساروا من رشيد إلى الإسكندرية وجدوا فى البحر أربع قطع بها الفرنج، وهى قاصدة نحو الثغر، فكتبوا لمن فى رشيد من بقيتهم بسرعة لحاقهم، وتراموا هم والفرنج يومهم، وباتوا يتحارسون، واقتتلوا من الغد،

= كان يسعى على الآخر ويرافع فيه ويعزله، وكان الغالب فى الغالب عبد العظيم هذا إلى أن تعلق زين الدين يحيى بأذيال الأمير قيزطوغان العلامى لما ولى الأستاذارية وصار زين الدين المذكور ناظر ديوان المفرد، فمن يومئذ تأخر عبد العظيم هذا وتقدم زين الدين إلى أن صار كل منهما إلى ما آل أمره إليه، وتقهقر عبد العظيم فى الدولة إلى أن بقى من مخاميل الأقباط الذين عليهم الغلاسة بالقناطر، فإنه كان فى أيام سعادته وولايته وثروته دنسا مظلما ليس عليها نورانية الإسلام: لما عزل وافتقر زادت دناسته أضعاف ما كانت عليه أولا. انظر المنهل الصافى ٧ / ٣٠٦، الدليل الشافى ١ / ٤١٩، الضوء اللامع ٤ / ٢٤٠.

فما هو إلا أن قدمت بقية الغزاة من رشيد^(١)، ولّى الفرنج الأدبار بعد ما استشهد من المسلمين عشرة.

وفي رابع عشره: جاء قاع النيل أربعة أذرع وسبعة أصابع، وابتدئ بالنداء بزيادة النيل في يوم الجمعة خامس عشره خمسة أصابع.

وفي يوم الأربعاء عشرينه: ألق الغزاة من ميناء الإسكندرية طالين قبرس، أيدهم الله على أعدائه بنصره.

شهر رمضان، أوله الأحد:

في سابعه: قدم الخبر بوصول الغزاة في أخريات شعبان إلى قلعة اللمسون، وأن صاحب جزيرة قبرس قد استعد، وأقام بمدينة الأفقسية، وعزم على اللقاء.

وفي يوم الخميس ثاني عشره: أنعم بإقطاع الأمير الكبير قجق على الأمير يشبك الساقى الأعرج أمير سلاح وأنعم بتقديمه قرماس وإقطاعه على الأمير بردبك أمير أخور، وأنعم بطبلخاناه بردبك على الأمير يشبك أخى السلطان، ولم يتأمر قبلها، فصار من أمراء الطبلخاناه.

وفي رابع عشره: خلع على الأمير يشبك الساقى واستقر أميراً كبيراً أتاك العساكر، عوضاً عن الأمير قجق بعد موته.

وفي يوم الخميس تاسع عشره - الموافق له أول يوم من مسرى - كان النيل على ثلاث عشر ذراعاً وأربعة أصابع، وهذا المقدار مما يندر وقوعه في أول مسرى لكثرتة.

وفي يوم الإثنين ثالث عشرينه: قدم الخبر في النيل بأخذ جزيرة قبرس وأسر ملكها. وكان من خبر ذلك أن الغزاة نزلوا قلعة اللمسون، حتى أخذوها عنوة في يوم الأربعاء سابع عشرين شعبان، وهدموها وقتلوا كثيراً من الفرنج، وغنموا. ثم ساروا بعد إقامتهم عليها ستة أيام، في يوم الأحد أول شهر رمضان وقد صاروا فرقتين، فرقة في البر وفرقة

(١) رشيد: من مدن البلاد المصرية كبيرة على كتيب رمل عظيم، إذا هبت الريح الغربية ملأت عليهم سكرهم وبيوتهم رملاً، فلا يقدر على التصرف في أسواقهم، وهى على ضفة النيل، وضة النيل من مصر إلى مدينة رشيد هذه من أعجب منتزهات الدنيا، وليس لغلات هذه الناحية نظير في الدنيا، ورثى في تلك الجهات ضبعة لأحد المصريين يغل رمانها وموزها خاصة عشر ألف مثقال فى العام، وهناك ضبعة الليث بن سعد وكان يقول: يدخل على كل سنة خمسون ألف دينار ما وجبت على زكاتها قط. انظر الروض المعطار ٢٧٢، ٢٧٣، والاستبصار ٨٩، وصبح الأعشى ٤٠٠/٣، والإدريسى ١٦٢، وابن دقماق ١١٣/٥، ١١٤.

فى البحر، حتى كانوا فيما بين اللمسون والملاحة، إذا هم بجينوس بن حاك متملك قبرس^(١) قد أقبل فى جموعه، فكانت بينه وبين المسلمين حرب شديدة، انجلى عن وقوعه فى الأسر بأمر من عند الله يتعجب منه لكثرة من معه وقوتهم، وقلة من لقيه، ووقع فى الأسر عدة من فرسانه، فأكثر المسلمون من القتل والأسر، وانهزم بقية الفرنج، ووجد معهم طائفة من التركمان، قد أمدهم بهم على بك بن قرمان فقتل كثير منهم، واجتمع عساكر البر والبحر من المسلمين فى الملاحة، فى يوم الإثنين ثانیه، وقد تسلّم ملك قبرس الأمير تغرى بردى الحمودى، وكثرت الغنائم بأيدى الغزاة، ثم ساروا من الملاحة يوم الخميس خامسه يريدون الأفقسية، مدينة الجزيرة، ودار مملكتها فاتاهم الخير فى مسيرهم أن أربعة عشر مركبا للفرنج قد أتت لقتالهم، منها سبعة أغربة، وسبعة مربعة القلاع، فأقبلوا نحوها وغنموا منها مركبا مربعا، وقتلوا عدة كثيرة من الفرنج، حتى لقد أخبرنى من لا أتهم من الغزاة أنه عد فى الموضع الذى كان فيه ألفا وخمسمائة قتيل، وانهزم بقيتهم، وتوجه الغزاة إلى الأفقسية وهم يقتلون، ويأسرون، ويغنمون، حتى دخلوها، فأخذوا قصر الملك، ونهبوا جانبها من المدينة، وعادوا إلى الملاحة بعد إقامتهم بالأفقسية يومين وليلة. فأراحوا بالملاحة سبعة أيام، وهم يقيمون شعائر الإسلام، ثم ركبوا البحر عائدين بالأسرى والغنيمة، فى يوم الخميس ثانى عشره وقد بعث أهل الماغوصة يطلبون الأمان.

ولما قدم هذا الخير دقت البشائر بقلعة الجبل، ونودى بزينة القاهرة ومصر فزينا، وقرئ الكتاب الوارد على الناس بالجامع الأشرفى، وندب جماعة من المماليك، فساروا فى النيل لحفظ مراكب الغزاة، والمسير بها من دمياط، وقد قدمت بالغزاة وما معهم، حتى يوقفوها بميناء الإسكندرية.

وفى يوم الثلاثاء رابع عشرينه: قدم الشريف بركات بن حسن بن عجلان من مكة، وقد استدعى بعد موت أبيه فخلع عليه، واستقر فى إمرة مكة، على أن يقوم بما تأخر على أبيه وهو مبلغ خمسة وعشرين ألف دينار، فإنه كان قد حمل قبل موته من

(١) جينوس بن حاك بين بيدو بن أنظون بن جينوس الفرنجى (٨٣٥ هـ = ١٤٢٦ م)، متملك جزيرة قبرس ملكها بعد موت أبيه حاك فى حدود سنة ثمانمائة، واستمر بها إلى أن قبض عليه العساكر الإسلامية من قبل الملك الأشرف، وقدموا به إلى القاهرة من جملة الأسرى. وأقام جينوس هذا بالقاهرة مدة، ثم أعاده الملك الأشرف إلى مملكته، بعد أن ضرب عليه الجزية فى كل سنة، إلى أن توفى سنة خمس وثلاثين وثمانمائة. انظر المنهل الصافى ٥/ ٤٦، ٤٧، الدليل ١/ ٢٥٥، النجوم ١٥/ ١٧٦، الضوء ٣/ ٨٥، بدائع الزهور، ٢/ ١٤٢، نزهة النفوس ٣/ ٢٤٥.

الثلاثين الألف التي التزم بها مبلغ خمسة آلاف دينار، وألزم بركات أيضا بمحمل عشرة آلاف دينار في كل سنة، وأن لا يتعرض لما يؤخذ بمجدة من عشور بضائع التجار الواصلة من الهند وغيره.

شهر شوال، أوله الإثنين:

فيه ابتداء عبور الغزاة، فقدم عدة منهم في البر وفي النيل.

وفي يوم الخميس رابعه - الموافق له اليوم الخامس عشر من مسرى - كان وفاء النيل ستة عشر ذراعا، ففتح الخليج على العادة.

وفي يوم الأحد سابعه: قدم الأمير تغرى بردى المحمودى والأمير أينال الحكمى - مقدما الغزاة المجاهدين - بمن معهما من العسكر، وصحبتهم جينوس بن جاك متملك قبرس، وعاد ومن أسروه وسبوه من الفرنج، وما غنموه. وجميعهم فى مراكبهم التى غزوا قبرس فيها، فمروا على ساحل بولاق حتى نزلوا بالميدان الكبير، فكان يوما مشهودا لم ندرك مثله. وأصبحوا يوم الإثنين ثامن سائرين بملك قبرس والأسرى والغنائم، وقد اجتمع لرؤيتهم من الرجال والنساء خلائق لا يحصى عددها إلا الله الذى خلقها، فمروا من الميدان على ظهر أرض اللوق، حتى خرجوا من المقس، وعبروا من باب القنطرة إلى بين القصرين، وشقوا قصبه القاهرة إلى باب زويلة، ومضوا إلى صليبة جامع ابن طولون، وأقبلوا من سويقة منعم^(١) إلى الرميلى، تحت القلعة، وطلعوا إليها من باب المدرج^(٢) وكانوا فى مسيرهم هذا الذى لا يبعد أن يقارب البريد قد قدموا الفرسان من الغزاة المجاهدين فى سبيل الله أمام الجميع، ومن وراء الفرسان طوائف الرجالة - من عشرين البلاد الشامية وزعر القاهرة ومطوعة البلاد - ومن وراء الرجالة الغنائم محمولة على رعوس الرجال، وظهور الجمال والبغال والحمير، وفيها تاج الملك وأعلامه ورايته منكسة، وخيله تقاد ومن وراء الغنائم الأسرى من الرجال والسبى من النساء والصبيان، وهم زيادة على ألف إنسان، ومن وراء الأسرى جينوس بن جاك الملك، وقد أركب بغلا، وقيد بقيد من حديد، وأركب معه ثنان من خاصته، وركب الأميران تغرى بردى وأينال الحكمى عن يمين جينوس بن جاك وشماله، حتى وصلا به باب القلعة، أنزلاه عن البغل، فكشف رأسه، وخر على وجهه إلى الأرض، فقبلها ثم

(١) تقع فى خط الصليبية بالقاهرة قرب جامع أحمد بن طولون. انظر النجوم الزاهرة ١٢/١٨٦.

(٢) يسمى أيضا باب الدر، وهو أحد أبواب قلعة الجبل، وينتهى منه إلى القرافة، وهو يقع بين

سور القلعة والجبل. انظر المواعظ والاعتبار ٢/٢٠٥.

انتصب قائما ودخل يرسف في قيوده، حتى مثل بين يدي السلطان قائما، وقد جلس السلطان بالمقعد، وفي خدمته أهل الدولة من الأمراء والماليك والمباشرين، وحضر الشريف بركات بن عجلان أمير مكة، ورسول ابن عثمان ملك الروم، ورسول صاحب تونس، ورسول أمراء التركمان، ورسول عذراء أمير العرب، وماليك نواب البلاد الشامية، فعرضت الغنائم ثم الأسرى، ثم جرى بيجينوس في قيوده مكشوف الرأس، فخر على وجهه يعفره في التراب، ويقبل الأرض، ثم قام وقد خارت قواه، فلم يتمالك نفسه لهول ما عاينه، وسقط مغشيا عليه، ثم أفاق من غشوته، فأمر به إلى منزل قد أعد له بالحوش من القلعة، فكان يوماً عظيماً لم ندرك مثله، أعز الله تعالى فيه دينه.

وفيه نودي بهدم الزينة، فهدمت، وخلع على الأمراء الأربعة القادمين من الغزاة، وأركبوا خيولاً بقماش ذهب.

وفي تاسعه: جمع التجار لشراء ما حضر من الغنيمة، وهي ثياب وقماش وأثاث وأواني.

وأما جينوس فإنه لما استقر في منزله أته قصاد السلطان لطلب المال، فأظهر جلدًا، وقال: «مالي إلا روحي، وهي بيدكم»، فغضب السلطان من جوابه وبعث إليه من الغد يهدده إن لم يفد نفسه منه بالمال، فثبت على التجلد، وقال: «ألا لعنة الله على واحد من النصاري». فأمر السلطان بإحضاره، فأخرج إلى الحوش، وقد جعلت الأسرى فيه، فما هو إلا أن شاهدوا جينوس ملكهم قد أخرج أسيراً ذليلاً، صرخوا بأجمعهم صرخة مهولة، وحثوا بكفهم التراب على رؤوسهم، والسلطان قد جلس بالمقعد، وأوقف جينوس حيث أوقف أمس من تحت المقعد، وقد وقف معه جماعة من قناصلة الفرنج، فالتزموا عنه بفدائه بالمال من غير تعيين شيء، وأعيد إلى منزله، ودخل إليه قصاد الملك لتقرير المال.

فلما كان يوم الأربعاء، عاشره: رسم له ببديلتين من قماشه، ورتب له عشرون رطل لحم وستة أطيار دجاج في كل يوم، وفسح له في الاجتماع بمن يختاره، وطال الكلام فيما يفدى به نفسه، وطلب منه خمسمائة ألف دينار، فتقرر الصلح على مائتي ألف دينار، يقوم منها مائة ألف دينار، فإذا عاد إلى ملكه بعث بمائة ألف دينار ويقوم في كل سنة بعشرين ألف دينار، واشترط على السلطان أن يكف عنه الطائفة البندقية وطائفة الكيتلان.

وفي حادي عشره: سار الشريف بركات بن حسن بن عجلان عائداً إلى مكة أميراً بها.

وفي خامس عشره: خلع على الأمير أينال الحكمي أمير مجلس، واستقر أمير سلاح عوضا عن الأمير يشبك، وكانت شاغرة في هذه الأيام، وخلع على الأمير جرباش قاشق حاجب الحجاب، واستقر أمير مجلس، وخلع على الأمير قرقماس - الذي كان بمكة - واستقر حاجب الحجاب.

وفي يوم الثلاثاء سادس عشره: قدم أمير الملأ عذراء بن علي بن نعيم بن حيار بن مهنا، فأنزل بالميدان الكبير على عادة جده نعيم، وأجريت له الرواتب، وعذراء هذا أقامه الظاهر ططر بعد موت الملك المؤيد شيخ، عوضا عن حديثه بن مانع من آل فضل. وحديثه استقر بعد حسين بن نعيم بن حيار بن مهنا، وحسين استقر بعد قتل أخيه العجل ابن نعيم. والأمير الملأ عدة سنين لم يقدم إلى مصر.

وفي ثامن عشره: خلع على الشريف خشرم بن دوغان بن جعفر الحسيني واستقر في إمرة المدينة النبوية عوضا عن الشريف عجلان بن نعيم بن منصور بن جماز بن شيحة، على أن يقوم بخمسة آلاف دينار.

وفي عشرينه: خرج محمل الحاج على العادة إلى ظاهر القاهرة.

وفي خامس عشرينه: توجه الأمير عذراء عائداً إلى بلاده على إمرة العرب، بعدما خلع عليه.

وفيه كان نوروز القبط بمصر، وماء النيل قد بلغ ثمانية عشر ذراعا وإصبعاً واحداً. وفي هذه الأيام: تعطلت أسواق القماش من البيع عدة أيام لاشتغال التجار بشراء الغنائم.

وفيه قل وجود اللحم بالأسواق لقلة الأغنام.

شهر ذي القعدة، أوله الأربعاء:

في نصفه: قدم نجم الدين عمر بن حجي من دمشق بسعيه في ذلك، وكان منذ أخرج بعد عزله من كتابة السر مقيماً بدمشق.

وفي ثامن عشرينه - وهو رابع بابه - : انتهت زيادة النيل إلى عشرين ذراعا وخمسة أصابع، وثبت.

وفي هذا الشهر: انحط سعر الغلال.

وفيه كثر تتبع القضاة والفقهاء فيما تحت أيديهم من الأوقاف، وانطلقت الألسن بقالة السوء فيهم.

وفيه وقع بالمدينة النبوية حادث شنيع، وهو أن خشرم بن درغان قدم المدينة وقد رحل عنها عجلان لما بلغه أنه عزل، فلم يلبث غير ليلة حتى صبحه عجلان في جمع من العربان، وحصره ثلاثة أيام، ثم دخل عربه المدينة ونهبوا دورها، وشعثوها وخربوا مواضع من سورها، وأخذوا ما كان للحجاج الشاميين من ودائع، وقبضوا على خشرم، ثم خلوه لسبيله، واستهانوا بحرمة المسجد، وارتكبوا عظام.

شهر ذى الحجة، أوله الخميس:

وفي ثاني عشرينه: قدم الأمير شارقتلوا نائب حلب، خلع عليه وأنته تقادم الأمراء. وفي هذه المدة انحط ماء النيل قليلا بحيث دخل شهر هاتور في سادس عشرينه والماء في تسعة عشر ذراعا. وهذا ثبات جيد نفعه، إن شاء الله. وفيه قدم قاضى دمشق الشريف شهاب الدين أحمد بن على بن إبراهيم الحسينى، وقدم مبشروا الحاج وأخبروا بسلامتهم.

وفي هذه الأيام: رسم السلطان بمنع الأمراء والأعيان من الحمایات، ومحيت رنوكهم عن الطواحين والحوانيت والمعاصر، حتى يتمكن مباشرو السلطان من رمى البضائع، فرميت، وهى ما بين سكر وأرز وغير ذلك، فشمل الضرر كثيرا من الناس، لما فى ذلك من الخسارة فى أثمانها، والمغرم للأعوان.

* * *

ومات فى هذه السنة ممن له ذكر

الشيخ المعتقد خليفة بن المغربى^(١)، فى حادى عشرين المحرم، من غير تقدم مرض، بل عبر إلى الحمام فأتاه أجله هناك، وكان قد انقطع بالجامع الأزهر نيفا وأربعين سنة، وصار للناس فيه اعتقاد، وترك مالا وأثانا له قدر.

ومات الأمير سيف الدين أينال النوروزى أمير سلاح، فى أول شهر ربيع الآخر، وقد

(١) خليفة، الشيخ المعتقد الصالح المغربى، نزيل جامع الأزهر. قدم من بلاده، وسكن الجامع مدة تزيد على أربعين سنة، على قدم هائل من العبادة والصلاح، وصار الناس فيه اعتقاد حسن، وترددت الناس إليه كثيرا للزيارة. وكان عليه حرمة، مهابة، خفر زائد، بحيث أن الناس كانوا لا يتحدثون معه فى الغالب إلا جوابا، واستمر على ذلك إلى أن دخل يوما إلى الحمام - حمام القاضى التى بالقرب من الجامع - فأتاه فيها أحله. انظر المنهل الصافى ٥/ ٢٣١، الدليل ١/ ٢٨٩، النجوم ١٥/ ١٣٤، الضوء ٣/ ١٨٧ أبناء الغمر ٣/ ٣٧٣.

أناف على الثلاثين سنة، فوجد له من الذهب خمسون ألف دينار، وكان ظالماً فاسقاً، لا يوصف بشيء من الخير.

ومات تاج الدين محمد بن أحمد بن علي - المعروف بابن المكلمه وبابن جماعة - في ثامن شهر ربيع الآخر، وقد ولي حسة القاهرة فلم ينجب وخمّل حتى مات.

وتوفى الشيخ سراج الدين عمر بن علي بن فارس المعروف بقارئ الهداية. وقد انتهت إليه رئاسة الحنفية، لمعرفته بالأصول والعربية، ومشاركته في فنون عديدة، بعد ما تصدى للإفتاء والتدريس عدة سنين، وصار له ثراء وسعة، من كثرة وظائفه. وآخر ما ولي مشيخة خانكاه شيخوخو، وكان مقتصدًا في ملبسه، يتعاطى شراء حوائجه من الأسواق بنفسه، مع جميل سيرته. ولم يخلّف بعده مثله في إتقان فقه الحنفية واستحضاره.

وتوفى الشريف حسن بن عجلان بن رميثة بن أبي نمي محمد بن أبي سعد حسن بن علي بن قتادة بن إدريس بن مطاعن بن عبد الكريم بن عيسى بن حسين بن سليمان بن علي بن عبد الله بن محمد بن موسى بن عبد الله بن الحسن المثنى بن محمد الحسن السبط ابن أمير المؤمنين أبي الحسن علي بن أبي طالب رضی الله عنه، في يوم الخميس سادس عشر جمادى الآخرة بالقاهرة، ودفن خارجها، وقد أناف على الستين. ومولده ومرباته، وولى إمارتها في أوائل سنة ثمان وتسعين وسبعمائة، فحسنت سيرته، ثم كلفه السلاطين حمل المال إليهم فجار. وولى سلطنة الحجاز كله في شهر ربيع الأول سنة إحدى عشرة وثمانمائة، واستتاب عنه بالمدينة الشريفة وخطب له على منبرها، وعارك خطوط الدهر حتى مضى لسبيله. والله يعفو عنه.

وتوفى قاضى القضاة جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن خالد بن نعيم بن مقدم بن محمد بن حسن بن غانم بن محمد بن علي الطائي البساطى المالكي، في يوم الإثنين عشرين جمادى الآخرة، عن ثمان وثمانين سنة، وهو مصروف، وكان فقيهاً مشاركاً في فنون، وفيه سياسة ودرية بالقضاء.

وتوفى شمس الدين محمد بن جمال الدين عبد الله بن محمد - المعروف بابن كاتب السمسة، وبالعمري -، عن نحو سبعين سنة، في يوم الأربعاء العشرين من شعبان. وقد كتب في الإنشاء عدة سنين، ووقع في الدست، وناب عن كاتب السر، وكان فاضلاً ماهراً في صناعته.

ومات الأمير الكبير الأتابك سيف الدين قحقق الشعباني أحد المماليك الظاهرية برقوق، في تاسع شهر رمضان، وكان لا معنى له في دين ولا دنيا.

١٤٤ سنة تسع وعشرين وثمانمائة

ومات شهاب الدين أحمد بن محمد بن مكنون الشافعي، قاضي دمياط، ليلة الأحد
ثاني عشرين شهر رمضان، عن ستين سنة. وقد قدم إلى القاهرة. وكان فاضلاً يعرف
الفقه، ويشارك في غيره.

ومات شمس الدين محمد بن عطاء الله بن محمد بن محمود بن أحمد بن فضل الله بن
محمد الرازي الهروي الشافعي بالقدس، في ثامن عشر ذي الحجة. ومولده بهراة سبع
وستين وسبعمائة. وقد ولي قضاء القضاة، وكتابة السر، فلم ينجب. وكان يقرئ
مذهب الشافعي، ومذهب أبي حنيفة، ويعرف العربية، وعلم المعاني والبيان، ويذاكر
بالأدب والتاريخ، ويستحضر كثيراً من الأحاديث، والناس فيه بين عال ومقصر، وأرجو
أن يكون الصواب ما ذكرته.

* * *

سنة ثلاثين وثمانمائة

أهلت وسلطان الإسلام ببلاد مصر والشام والحجاز الملك الأشرف برسباي الدقماقي، والأمير الكبير أتاك العساكر سيف الدين يشبك الساقى الأعرج، ورأس نوبة النوب الأمير تغرى بردى المحمودى، وأمير سلاح الأمير أينال الحكمى، وأمير مجلس الأمير جرباش الكرىمى، وأمير أخور الأمير جقمق، والدوادار الكبير الأمير أزيك، وحاجب الحجاب الأمير قرقماس، وأستادار الأمير زين الدين عبد القادر بن الأمير فخر الدين عبد الغنى بن الأمير الوزير تاج الدين عبد الرزاق بن أبى الفرج، والوزير الصحاب كريم الدين عبد الكريم ابن الصحاب تاج الدين عبد الرزاق بن عبد الله، المعروف بابن كاتب المناخ، وناظر الخاص كريم الدين عبد الكريم بن سعد الدين بركة المعروف بابن كاتب حكيم، وكاتب السر بدر الدين محمد بن بدر الدين محمد بن أحمد بن مزهر، وناظر الجيش زين الدين عبد الباسط بن خليل، وقاضى القضاة الشافعى الحافظ شهاب الدين أحمد بن حجر، وقاضى القضاة الحنفى بدر الدين محمود العنتابى، وقاضى القضاة المالكى شمس الدين محمد البساطى، وقاضى القضاة الحنبلى عز الدين عبد العزيز البغدادى، ونائب الشام الأمير سودن من عبد الرحمن، ونائب حلب شارقلطوا، ونائب حماة الأمير جلبان أمير أخور، ونائب طرابلس الأمير قصروه، ونائب صند الأمير مقبل الدوادار، وأمير مكة الشريف بركات بن حسن بن عجلان، وأمير المدينة النبوية الشريف خشرم بن دوغان بن جعفر، ونائب الإسكندرية الأمير أقبغا التمرزى.

والأسعار مختلفة فالقمح من مائة وخمسين درهما الأردب إلى ما دونها، والشعير بمائة درهم الأردب وما دونها، والفول بمائة وخمسين درهما الأردب، وقد كثر وجوده بعدما كان قليلا، والحمص بمئتمائة درهم الأردب، واللحم متعذر الوجود فى الأحيان، فإن الوزير يمنع من الزيادة فى سعره من أجل ما يحتاج إليه من راتب السلطان وماليكه، وإذا حضر معاملو اللحم أسواق الغنم، أخذوا الأغنام كيفما شاءوا، وأحالوا أربابها بالثمن على جهات، فيغبون فيما يصل إليهم من أثمان أغنامهم، فقل جلب الأغنام لأجل ذلك، والأسواق كاسدة، والجور فاش، وقد شمل الناس الفاقة، وعمت الشكاية، ولا يزداد الناس إلا إعراضا عن الله، فلا جرم أن حل بهم ما حل، ولا قوة إلا بالله.

شهر المحرم، أوله السبت:

فيه سار الأمير شارقلطوا إلى محل كفالته بحلب.

وفي سادسه: أخرج الأمير أزدمر شاية أحد الأمراء الألوفا إلى حلب، على إمرة، وكان من أقبح الناس سيرة، يرمى بعظائم.

وفي يوم السبت ثامننه: خلع على نجم الدين عمر بن حجي، وأعيد إلى قضاء دمشق عوضاً عن الشريف شهاب الدين أحمد، بعدما حمل عينا وأهدى أصنافاً بنحو عشرة آلاف دينار، فلم يفد وعزل.

وفي هذا الشهر: منع الأمراء ونحوهم من حماية أحد على مباشرى السلطان، ورميت البضائع على جماعات، فكثرت خسارتهم فيها مع الغرامة.

وفيه أبيع بالإسكندرية فلفل للديوان على تجار الفرنج، ثم رسم بزيادة ثمنه عليهم، وقد سافروا به، فكلف قناصلتهم القيام عنهم بذلك.

وفيه قدم التجار الذين تبضعوا بمكة لیسافروا ببضائعهم إلى الشام، فمنعوا من ذلك، وألزموا بمحبتهم إلى مصر، حتى يؤخذ منهم مكسها للخاص، وحتى يباع بالشام متحجر الديوان، فأصابتهم بذلك بلايا عديدة.

وفيه اشتدت مطالبة أهل الخراج بما عليهم من الخراج والمغارم. وفيه حصل العنت على الذمة فى إلزامهم بأشياء حرجة، فلم يتم ذلك لاختلاف الآراء.

وفي سابع عشره: سافر قاضى القضاة نجم الدين عمر بن حجي، بعدما خلع عليه خلعة السفر.

وفي ثانى عشرينه: قدم بوادى الحاج.

وفيه سار أزدمر شاية إلى حيث نفى. وقدم الركب الأول من الغد، ثم قدم المحمل فى رابع عشرينه ببقية الحاج.

وفي يوم الجمعة ثامن عشرينه: توجه الشريف شهاب الدين أحمد عائداً إلى دمشق بغير وظيفة، على أن يقوم بخمسة آلاف دينار، سوى ما حمل أولاً وأخراً، وهو مبلغ سبعة وعشرين ألف دينار، وجملة ما حملة غريمه نجم الدين عمر بن حجي فى تلك المدد ستون ألف دينار، وهذا الشىء لم نعهد مثله، وإن هذا لمحض الفساد، ولا قوة إلا بالله.

وفي هذا الشهر: حدثت زلزلة بجزيرة درحت المجاورة لهرمز من البحرين^(١) فحسفت ببعض إصطبل السلطان، وبادر القاضى، وانفرج جبل بالقرب منهم، فرؤى فيما انفرج منه فيران فى قدر الكلاب، وورد الخبر بذلك إلى دمشق فى كتاب من يوثق به.

(١) البحرين: فى الإقليم الثانى، وهو اسم جامع لبلاد على ساحل بحر الهند بين البصرة وعمان

قيل: هى قصبه هَجَرَ، وقيل: هَجَرَ قصبه البحرين. انظر معجم البلدان ٣٤٦/١ وما بعدها.

شهر صفر، أوله الأحد:

في سادسه: خلع على شمس الدين محمد بن عبد الدايم بن موسى البرماوى الشافعى، واستقر فى تدريس الصلاحية بالقدس، عوضاً عن شمس الدين محمد الهروى، وكان شاغراً منذ وفاته. وهذا البرماوى كان أبوه يتعيش بتعليم الصبيان القراءة، ونشأ ابنه هذا فى طلب العلم، فبرع فى الفقه والأصول والنحو وغير ذلك، وتعلق بصحبة الجلال محمد ابن قاضى القضاة بدر الدين محمد بن أبى البقاء، وحاول أن يكون من نواب القضاة فى أيام الجلال عبد الرحمن البلقيني، فأذن له فى الحكم، ثم عزله، وطالت مدته فى الخمول صغيراً وشاباً وكهلاً، فتحول إلى دمشق، فنوه به نجم الدين عمر بن ححى واستنابه واختص به، فحسنت حاله وتحول فى النعم إلى أن قدم مع ابن ححى، وولى كتابة السر، رفع من مقداره، ورتب له ما يقوم به فارتفع بين الناس قدره، حتى استقر فى الصلاحية.

وفى سابعه: نودى بمنع الناس من المعاملة بالدرهم البندقية، وهى فضة عليها شخوص من ضروب الفرنج، تعامل الناس بها من سنة ثمان عشرة وثمانمائة وبالعدد وبالوزن، ورسم بحمل ما فى أيدي الناس منها إلى دار الضرب لتسبك دراهم أشرفية عليها صكة الإسلام، فجرى الناس على عادتهم فى الإصرار والاستهانة بمراسيم الحكام، وتعاملوا بها، إلا قليلاً منهم.

وفى ثامنه: قدم الأمير سودن من عبد الرحمن نائب الشام، فخلع عليه، وقدم للسلطان مبلغ خمسة عشر ألف دينار أفرنتية، وقماشاً وفرواً بثلاثة آلاف دينار، وتوجه عائداً إلى محل كفالته على عادته، فى ثالث عشرينه.

وفيه قدم الطواشى افتخار الدين ياقوت - مقدم الممالك - من مكة بمبلغ ثلاثة عشر ألف دينار، مما ألزم به الشريف بركات بن حسن بن عجلان، وكان قد تأخر بعد الحج بمكة حتى استخرج ذلك منه.

وفى هذه الأيام: عز وجود اللحم بالأسواق، وفقد أياما، وقل وجود اللبن والجبن، وغلا سعر الحطب حتى أبيع بمثل ثمنه منذ شهر. هذا والوقت شتاء والبهائم مرتبطة على الربيع، وعادة مصر فى زمن ربيعها أن يكثر وجود اللبن والجبن، ويرخص ثمنها. غير أن سيرة ولاية الأمور، وقلة معرفتهم بما ولوه، وفساد الرعية اقتضى ذلك.

وفى يوم الإثنين سلخه: جاء جراد سد الأفق لكثرتة، وانتشر إلى ناحية طرا، وقد أضر ببعض الزروع، فأرسل الله عليه ريحا مريسية ألقته فى النيل ومزقته حتى هلك عن آخره، والله الحمد.

شهر ربيع الأول، أوله الثلاثاء:

أهل والأمراض من النزلات والسعال والجدري فاشية فى الناس، بحيث لا يخلو بيت من عدة مرضى، إلا أنها سليمة العاقبة فى الغالب، يزول بعد أسبوع. هذا والوقت شتاء. وقدم الخير بكثرة الوباء ببلاد صنفد.

وفى ليلة الجمعة رابعه: كان المولد النبوى بالقصر عند السلطان، وحضر الأمراء والقضاة ومشايخ العلم ومباشرو العلم والدولة على العادة، فكان الذى عمل فى السماط عشرة كباش، ذبحت ثم طبخ لحمها، ومد بعد سماط الطعام سماط الحلوى.

وفى يوم السبت سادس عشرينه: أفرج عن جينوس بن جاك متملك قبرس من سجنه بقلعة الجبل، وخلع عليه، وأركب فرسا بقماش ذهب، ونزل إلى القاهرة فى موكب، فأقام فى دار أعدت له، وصار يمر فى الشوارع ويزور كنائس النصرى ومعابدهم، ويمضى فى أحواله بغير حجر عليه، وقد أجرى له راتب يقوم به ويمن معه.

وفى هذا الشهر: كثرت الرياح العاصفة، فقدم الخير بغرق ثلاثة عشر مركبا فى بحر الملح، قد ملئت ببضائع، من ناحية صيدا^(١) وبيروت، وأقبلت نحو دمياط.

وفيه ألقى البحر دابة بشاطئ دمياط، أخبرنى من لا أتهم، أنها ذرعت بحضوره فكان طولها خمسة وخمسين ذراعا، وعرضها سبعة أذرع.

شهر ربيع الآخر، أوله الخميس:

فيه قدم الخير بتشتت أهل المدينة النبوية، وانتزاحهم عنها، لشدة الخوف وضياح أحوال المسجد النبوى، وقلة الاهتمام بإقامة شعائر الله فيه، منذ كانت كائنة المدينة، فرسم الأمير بكتمر السعدى أحد أمراء العشرات إلى المدينة فأخذ فى تجهيز حاله.

وقدم الخير بتجمع الزكمان وإفسادهم فى المملكة الحلبية، فرسم فى يوم الإثنين عشرينه بتجريد ثمانية أمراء مقدمى ألوف، وعدة من أمراء الطبلخاناه والعشرات، فأخذوا فى أهبة السفر، ثم بطل ذلك.

(١) صيدا: بأرض الشام، بينها وبين بيروت يومان، وهى على ساحل البحر، وعليها سور حجارة، وتنسب إلى امرأة كانت فى الجاهلية، وهى مدينة كبيرة عامرة الأسواق رخيصة الأسعار محدة بالبساتين والأشجار، غزيرة المياه، ولها أربعة أقاليم، وهى متصلة بجبل لبنان. انظر الروض المعطار ٣٧٣، ونزهة المشتاق ١١٥، وصبح الأعشى ١١.

وقدم الخبير بأن صاحب أغرناطة^(١) ومالقة^(٢) والمرية^(٣) ورندة^(٤) ووادي آش^(٥) وجبل الفتح من الأندلس، وهو أبو عبد الله محمد الملقب بالأيسر ابن السلطان أبي الحجاج يوسف ابن السلطان أبي عبد الله محمد بن يوسف بن محمد بن يوسف ابن لشيخ السلطان أبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن نصر الأنصاري الخزرجي الأرجوني الشهير بابن الأحمر، خرج من غرناطة - دار ملكه - يريد النزهة في فحص غرناطة - يعنى مرج غرناطة - في نحو مائتي فارس في مستهل ربيع الآخر هذا. وكان ابن عمه محمد بن السلطان أبي الحجاج يوسف محبوسا في الحمراء، وهي قلعة أغرناطة، فخرج الجوارى السود إلى الحراس المؤكلين به، وقالوا لهم: «تخلو عن الدار حتى تأتي أم مولاي تزوره وتتفقد أحواله». فظنوا أن الأمر كذلك، فخلوا عن الدار، فخرج في الحال شابان من أولاد صنایع أبي المحبوس، وأطلقوه من قيده، وأظهروه من الحبس، وأغلقوا أبواب الحمراء، وذلك كله ليلا، وضربوا الطبول والأبواق على عاداتهم، فبادر الناس إليهم ليلا، وسألوا عن الخبر، فقيل لهم من الحمراء: «قد ملكنا السلطان أبا عبد الله محمد ابن السلطان» فأقبل أهل المدينة وأهل الأرباض فبايعوه محبة فيه وفي أبيه، وكرها في الأيسر، فما طلع النهار حتى استوسق له الأمر، وبلغ الخبر إلى الأيسر فلم يثبت وتوجه نحو رندة وقد فر عنه من كان معه من جنده، حتى لم يبق معه منهم إلا نحو الأربعين. وخرجت الخيل من غرناطة في طلبه، فمنعه أهل رندة، وأبوا أن يسلموه، وكتبوا إلى المنتصب بغرناطة في ذلك فأل الأمر إلى أن ركب سفينه وسار في البحر، وليس معه سوى أربعة نفر. وقدم تونس متراميا على مملكها أبي فارس عبد العزيز الحفصي، وبلغ ألفنش مملك قشتلة ما تقدم ذكره، فجمع جنوده من الفرنج، وسار يريد أغرناطة في جمع موفور، فبرز إليه القائم المذكور بغرناطة،

(١) سبق ترجمتها.

(٢) سبق ترجمتها.

(٣) المرئية: هي مدينة كبيرة من كورة إلييرة من أعمال الأندلس. انظر معجم البلدان ١١٩/٥.

(٤) رندة معقل حصين بالأندلس من أعمال كُرْنَا، وهي مدينة قديمة على نهر حار وبها زرع

واسع وضرع سايف. انظر معجم البلدان ٧٣/٣.

(٥) ووادي آش: مدينة بالأندلس قرية من غرناطة كبيرة خطيرة تطرد حولها المياه والأنهار، ينحط نهرها من جبل شلير، وهو عليه أرجاء لاصقة بسورها، وهي كثيرة التوت والأعتاب وأصناف الثمار والزيتون، والقطن بها كثير، ولها بابان: شرقي على النهر وغربي على خندق، وقصبتها مشرفة عليها، وعليها سور حجارة، وهو في ركنها الذي بين المغرب والقبلة. ويقرب وادي آش قرية بها عين تجرى سبعة أعوام وتغور سبعة أعوام، قالوا: وهذه معروفة على قديم الزمان تسكن بجريان عينها وتخلو بغورها. انظر الروض المعطار ٦٠٤، ٦٠٥.

وحاربه، فنصره الله على الفرنج، وقتل منهم خلقا كثيرا، وغنم ما يجلب وصفه.

شهر جمادى الأولى، أوله الجمعة:

فى سابعه: خلع على الأمير جرباش قاشق أمير مجلس، واستقر نائب طرابلس، عوضا عن الأمير قصروره، ونقل قصروره إلى نيابة حلب، عوضا عن الأمير شارقطلوا. وكتب بحضور شارقطلوا. وقدم رسول صاحب رودس^(١) يسأل الأمان، وأن يعفى من تجهيز العسكر إليه، وأنه يقوم بما يطلب منه، فأركب فرسا، وفى صدره صليب من ذهب وطلع القلعة، وقبل الأرض بين يدي السلطان، وأدى رسالة، ثم نزل إلى القاهرة.

وفى يوم الإثنين ثامن عشره: عملت الخدمة بدار العدل من قلعة الجبل، وجيء برسل رودس، فقدموا هدية قومت بستمائة دينار، وقرئ كتابهم.

وفى يوم الثلاثاء تاسع عشره: قدم ميخائيل بطركا لليعاقبة، عوضا عن غيريال. وكان ميخائيل هذا أحد الرهبان بدير شعران^(٢) من طرا.

شهر جمادى الآخرة، أوله الأحد:

فى خامسه: خلع على ملك قبرس خلعة السفر.

وفى تاسعه: قدم جمال الدين يوسف بن الصفى الكركى كاتب السر بدمشق معزولا.

وفى عاشره: قبض على الأمير تغرى بردى المحمودى رأس نوبة، وأخرج مقيدا إلى الإسكندرية ليسجن بها، فاتفق أمر غريب، وهو أن رجلا من مباشريه لما بلغه القبض عليه خرج إلى القلعة، فوافى نزول أستاذه مقيدا، فجعل يصيح ويكسى وهو ماش معه حتى وصل إلى ساحل النيل، وأحدر أستاذه فى الحراقه، اشتد صراخه حتى سقط ميتا.

(١) رودس: بضم أوله، جزيرة فى البحر من الثغور الشامية، افتتحها جنادة بن أبى أمية عنوة فى خلافة معاوية. وعن مجاهد قال: قال لى شيخ فى غزوة رودس وقد كان أدرك الجاهلية، قال: كنت أسوق لأبى لنا، يعنى بقرة، فسمعت من خوفها: يال ذريح، قول نصيح، رجل نصيح، يقول لا إله إلا الله، قال: فقدنا فوجدنا النبى ﷺ قد خرج بمكة. ورودس هو حصن أغريقياء، وهو فى الأرض الكبيرة مقدار عشرين ميلا، وبين ساحل الإسكندرية أربعة أيام، وذكر أبو نصر الفارابى أن هذه الجزيرة كانت مقرا لتعليم الفلسفة قبل انتقال التعليم إلى الإسكندرية، ورودس بلغة الأغرقيين: الورد. انظر الروض المعطار ٢٧٨، ومعجم ما استعجم ٦٨٣/٢.

(٢) هذا الدير يقال له دير شهران بالهاء، وشهران هذا أحد حكماء النصارى. انظر المواعظ

وفي خامس عشره: خلع على الأمير أركماس الظاهري، واستقر رأس نوبة، عوضاً عن تغرى بردى المحمودى، وأنعم عليه بإقطاعه، وأنعم بإقطاع أركماس وتقدمته على قانى باى البهلوان. وأنعم بطلبخاناه البهلوان على سودن ميق، وهذا المحمودى من جملة المماليك الناصرية فرج بن برقوق، ربي عنده صغيراً، ثم خدم بعد قتل الناصر عند الأمير نوروز الحافظى بدمشق، فلما قتل نوروز سجنه المؤيد شيخ بقلعة المرقب، فمازال مسجوناً بها حتى تنكر المؤيد على الأمير برسباى الدقماقى نائب طرابلس وسجنه بالمرقب مع المحمودى وأينال الششماني، فرأى تغرى بردى المحمودى فى ليلة من الليالى مناماً يدل على أن برسباى يتسلطن، فأعلمه به، فعاهده على أن يقدمه إذا تسلطن، ولا يعترضه بمكروه، فلما كان من سلطنة الأشرف برسباى ما كان، وتقدمته للمحمودى ما ذكر فيما مضى، وتمادى الحال إلى أن بات على عادته بالقصر، فقال لبعض من يثق به من المماليك ما تقدم من منامه وهو بالمرقب، وأنه وقع كما رأى وأنه أيضاً رأى مناماً يدل على أنه يتسلطن ولا بد. فوشى ذلك المملوك به إلى السلطان، فحرك منه كوامن، منها أن المحمودى غره منامه وتحدث بما كان يجب كتمانته حتى أشيع عنه وصار يقول: «أنا لما حجبت أحضرت ابن عجلان، ولما مضيت إلى قبرس أسرت ملكها، أين كان الأشرف حتى يقال هذا لسعده؟ والله ما كان هذا إلا بسعدى». وينقل كل ذلك إلى السلطان، ومع هذا يبدو منه فى حال لعبه بالكرة مع السلطان دالة، وقد بما قيل «الملك ملول».

وفي سادس عشره: سار ملك قبرس ورسل رودس فى النيل إلى الإسكندرية ليمضوا منها إلى بلادهم، فكان هذا من الفرج بعد الشدة.

شهر رجب، أوله الإثنين:

فيه قدم الخبر بموت المنصور عبد الله بن أحمد الناصر صاحب اليمن، وتملك أخيه الأشرف إسماعيل بن أحمد الناصر^(١).

وفيه استقر القسيس أبو الفرج بطركا للنصارى اليعاقبة، عوضاً عن ميخائيل بعد صرفه لظعن النصارى فيه، وكان يعلم أولاد النصارى بالمقيس، فرغبوا فى ولايته. وتسمى لما ولى يوحنا.

(١) الأشرف الرسولى (٨٣٠ هـ = ١٤٢٧ م). إسماعيل بن أحمد بن إسماعيل بن العباس بن على الرسولى، الملقب بالملك الأشرف: من ملوك الدولة الرسولية فى اليمن، بويغ وهو صغير قبل الاختتان، بعد وفاة أخيه المنصور (عبد الله بن أحمد) سنة ٨٣٠ هـ، ولم يلبث أن قبض عليه العسكر بمدينة تعز وخلعوه بعنه يحيى بن إسماعيل ومات على الأثر فى السنة نفسها بالدملوة. وفى المؤرخين من لا يذكره لصغر سنه، وقصر مدته. انظر الضوء اللامع ٢/٢٩٠. الأعلام ١/٣٠٩.

وفى ثامننه: قدم الأمير شارقطلوا من حلب فخلع عليه واستقر أمير مجلس عوضا عن جرياش قاشق المنتقل لنيابة طرابلس، وقد كانت شاغرة هذه المدة.

وفى حادى عشره: أدير محمل الحاج، وحملت كسوة الكعبة على العادة، حتى شاهدها السلطان.

وفى تاسع عشره: توجه زين الدين عبد الباسط ناظر الجيش وزعيم الدولة على الهجن إلى بلاد الشام لعمارة سور حلب، وغير ذلك من المهمات السلطانية، بعدما قدم خيوله وأتقاله بين يديه، قبل ذلك بأيام.

وفى هذه الأيام: انحط سعر الغلال عند دخول الغلال الجديدة حتى أبيع الأردب القمح من مائة وعشرة دراهم فلوسا إلى ثمانين درهما، والشعير كل ثلاثة أراذب ونصف بدينار، وأبيع الرطل من لحم الضأن السليخ بستة دراهم فلوسا، ولحم البقر بأربعة دراهم، والرغيف الخبز بنصف درهم فلوسا، فيشترى بالدرهم الفضة أربعون رغيفا، ولم نعهد مثل ذلك فله الحمد.

وفى هذا الشهر: هدمت إحدى المآذن الثلاثة اللاتى أنشأهن المؤيد شيخ بجامعه، وهى الصغرى التى تشرف على صحن الجامع، لميلها وخوف سقوطها، ثم جددت.

وفيه كثر عبث الفرنج فى البحر، وأخذوا مراكب مشحونة بضائع للمسلمين، يقال عدتها ثمانى مراكب، آخرها مراكبان قدمتا من بلاد العلايا حتى قاربتا ميناء الإسكندرية أخذتا، ولا قوة إلا بالله.

شهر شعبان، أوله الأربعاء:

فيه ابتدئ بقراءة الحديث النبوى بالقصر السلطانى من القلعة، على العادة التى استحدثت، ورسم أن لا يحضر أحد من القضاة المعزولين، وأن لا يكون من الحاضرين بحث فى حال القراء، وقد كان يقع بينهم فى بحثهم ما لا يليق.

وفيه رسم بعزل نواب قضاة القضاة، وأن يقتصر الشافعى من نوابه على عشرة، والحنفى والمالكى كل منهما على ثمانية، والحنبلية على ثلاثة، فهموا بذلك أو كادوا. ثم عادوا لما نهوا عنه، كما هى عادتهم.

وفى رابع عشره: أخذ قاع النيل بالمقياس، فكان خمسة أذرع، وخمسة عشر إصبعا.

وفى يوم السبت خامس عشرينه - وسابع عشرين بؤونة - : ابتدئ بالنداء فى الناس بزيادة النيل ثلاثة أصابع.

وفيه أيضا اتفق حادث فظيع، وهو أن بعض المماليك السلطانية الجراكسة انكشف رأسه بين يدي السلطان، فإذا هو أقرع، فسخر منه من هنالك من الجراكسة، فسأل السلطان أن يجعله كبير القرعان، ويوليه عليهم، فأجابه إلى ذلك، ورسم أن يكتب له به مرسوم سلطاني، وخلع عليه، فنزل وشق القاهرة بالخلعة في يوم الإثنين سابع عشرينه، وصار يأمر كل أحد بكشف رأسه حتى ينظر إن كان أقرع الرأس أو لا، وجعل على ذلك فرائض من المال؛ فعلى اليهودى مبلغ عينه، وعلى النصراني مبلغ، وعلى المسلم مبلغ، بحسب حاله ورتبته، ولم يتحاش من فعل ذلك مع أحد، حتى لقد فرض على الأمير الأقرع عشرة دنانير، وتجاوز حتى جعل الأصلع والأجلح^(١) في حكم الأقرع ليحبيه مالا فكان هذا من شنائع القبائح، وقبائح الشنائع، فلما فحش أمره نودى بالقاهرة «يا معشر القرعان لكم الأمان» فكانت هذه مما ينذر من الحوادث.

وفي هذا الشهر: كثر رخاء الأسعار حتى أبيع كل أربعة أردب شعير بدينار، وفي الريف كل خمسة أردب بديار، وأبيع الفول كل ثلاثة أردب بأقل من دينار، وأبيع القمح كل أردبين بأقل من دينار، وأقبلت الفواكه إقبالا زائداً على المعهود في هذه الأزمنة، وكثرت الخضروات، والله الحمد. ونسأل الله حسن العاقبة. فإنك مع هذه النعم الكثيرة لا تكاد تجد إلا شاكيا لقلّة المكاسب، وتوقف الأحوال، وفشو الظلم، والإعراض عن العمل بطاعة الله، سبحانه وتعالى سيما من يقيم الحدود.

شهر رمضان، أوله الخميس:

فيه فتح الجامع الذي أنشأه الأمير جانبك الدوادار^(٢) قريبا من صليبة جامع ابن طولون، وأقيمت به الجمعة ثانية، وجاء من أبهج العمارات وأحسنها.

وفي سابع عشره: قدم زين الدين عبد الباسط ناظر الجيش، بعدما انتهى في سفره إلى مدينة حلب، ورتب عمارة سورها، فعمل به بين يديه في يوم واحد ألف ومائتا حجر، وبعد صيته، وانتشر ذكره، وعظم قدره، وفخم أمره، في هذه السفارة، بحيث لم ندرك في هذه الدولة المتأخرة صاحب قلم بلغ مبلغه. فلما نزل ظاهر القاهرة خرج الأمير جانبك الدوادار^(٣) وطائفة من الأمراء وسائر مباشرى الدولة، وعمامة الأعيان إلى

(١) الجللح: هو انخسار الشعر عن جانبي الرأس. انظر القاموس المحيط.

(٢) هو جامع الجنابكية، الذي أنشأه الأمير جانبك الدوادار سنة ٨٢٨ هـ. انظر الخطط التوفيقية

(٣) جانبك بن عبد الله الأشرفي الدوادار الثاني (٨٣١ هـ = ١٤٢٧ م)، الأمير سيف الدين. أحد مماليك الملك الأشرف برسباي، عظيم دولته، اشتراه في أيام إمرته وتبناه، ورباه بين حرمه، =

لقائه، فصعد القلعة، وخلع عليه، ونزل إلى داره فى موكب جليل، وقد زينت له الأسواق، وأشعلت له الشموع وجلس الناس لمشاهدته، فسبحان المعطى ما شاء من شاء.

وفى حادى عشرينه: قبض على عبد العظيم ناظر الديوان المفرد، وأسلم إلى الأمير زين الدين عبد القادر أستاذار على مال يحمله، ثم أفرج عنه بعد أيام.

وفى ثالث عشرينه: طلع عظيم الدولة زين الدين عبد الباسط بهدية إلى السلطان،

=وجعله خازن داره إلى أن قبض على الملك الأشرف وهو إذ ذاك بطرابلس، وحبس بقلعة المرقب، وتخلى عنه جميع أعوانه إلا جانبك هذا، فإنه لازمه فى محبسه إلى أن أفرج عنه وآل أمره إلى سلطنة الديار المصرية، فلما جلس على تخت الملك أنعم على جانبك المذكور بإمرة عشرة وجعله خازن داره. ثم أرسله إلى حلب وعلى يده تشريف لثائبها البجاسى باستقراره فى نياحة دمشق بعد موت الأمير تنبك ميق العلامى، فتوجه إلى ما ندب إليه، وعاد إلى الديار المصرية بالأموال والتحف والهدايا، فحال قدومه. أنعم عليه السلطان بإمرة طبلخاناه والديوانية الثانية فى يوم سادس عشر ذى القعدة سنة ست وعشرين وثمانمائة، عوضا عن الأمير فرقماس الشعبانى بحكم انتقاله إلى مقدمة ألف بالديار المصرية، وتوجه إلى مكة المشرفة على إمرتها. فباشر جانبك المذكور الديوانية بجرمة وافرة وعظمة زائدة، وصار هو صاحب العقد والحل فى الممالك، وإليه مرجع أمور الدولة الأشرفية من الولاية والعزال، وشاع اسمه، وبعد صيته، تسامع الناس به فى الآفاق، وقصده أرباب الخواجج من الأقطار، وصار كل كبير فى الدولة يتصاغر عنده، ويمشى فى خدمة، حتى أن صاحب كريم الدين عبد الكريم بن كاتب المناخ الوزير، والقاضى كريم الدين عبد الكريم كاتب حكم ناظر الخواص، لما ينزلان من الخدمة السلطانية يأتیان إلى بيت الأمير جانبك ويجلس كل منهما على دكة ويتعاطى أشغال الأمير جانبك المذكور، كأحد كتابه، وقع ذلك منهما غير مرة، وكان الدوادار الكبير يومئذ الأمير أزيك فكان بالنسبة إلى الأمير دانبك الدوادار الثانى هذا كآحاد الديوانية الصغار. ثم جعله الملك الأشرف لالا لولده المقام الناصرى محمد، فزادت حرمة بذلك وعظم وضخم، ونالته السعادة، وأخذ يقتنى من كل شىء أحسنه حتى جمع من الأموال والخيول والتحف ما يستحى من ذلك كثرة، وكثر ترداد أعيان الدولة إليه، وخضع إليه كل متكبر، ولين له كل متحجر، حتى حدثه نفسه بما كان فيه حتفه، فمرض ولزم الفراش، وطال مرضه، ونزل الملك الأشرف لعيادته غير مرة، وكان بالدار التى بابها من قبو السلطان حسن، وكان قد فتح له بابا آخر من حدود البقر، وصار هو الباب، الباب الكبير، ولما طال مرضه نقله السلطان إلى عنده بقلعة الجبل، وصار يتردد إليه فى كل يوم حتى نصل وتعافى، ونزل إلى داره راجعا. ثم انتكس بعد أيام، إلى أن أشرف على الموت نزل إليه الملك الأشرف ليلا ودام عنده إلى أن مات فى آخر الليلة المذكورة، وهى ليلة الخميس سابع عشرين شهر صفر سنة إحدى وثلاثين وثمانمائة، وسنه دون الثلاثين. انظر المنهل الصافى ٤/ ٢٣٣ وما بعدها، الدليل الشافى ١/ ٢٣٧، والنجوم الزاهرة ١٠/ ١٤٨، أنباء الغمر ٣/ ٤٠٨، النفوس ٣/ ١٣٨، الضوء اللامع ٣/

وفيهما مائتا فرس وحلى ما بين زرکش ولؤلؤ برسم النساء، وثياب صوف، وفرو سمور، وغيره مما قيمته نحو العشرين ألف دينار، وعم المباشرين والأمراء بأنواع الهدايا.

وفي يوم الإثنين سادس عشرينه - وسابع عشرين أيب - نودى على النيل بزيادة أصبع واحد لتتمة عشر أذرع وتسعة عشر إصبعاً، فنقص من الغد أربعة أصابع إلا أن الله تدارك العباد بلطفه، ورد النقص، وزاد، فنودى يوم الخميس تاسع عشرينه بزيادة سبعة أصابع والله الحمد.

شهر شوال، أوله السبت:

فى أثناء هذا الشهر قدم الخبر بأن مراد بن محمد كرشحى بن بايزيد بن عثمان، صاحب برصا من بلاد الروم، جمع لمحاربة الأكرس - من طوائف الروم المنتصرة - وواقعهم، عدة من عسكره، وهزموا وأن مدينة بلنسية التى تغلب عليها الفرنج - مما غلبوا عليه من بلاد الأندلس - خسف بها وبما حولها نحو ثلاثمائة ميل، فهلك بها من النصارى خلائق كثيرة، وأن مدينة برشلونة زلزلت زلزالاً شديداً، ونزلت بها صاعقة، فهلك بها أمم كثيرة، وخرج ملكها فيمن بقى فارين إلى ظاهرها، فوقع بهم وباء كبير.

وفي يوم الخميس عشرينه: خرج محمل الحاج إلى الريدانية، ظاهر القاهرة، ورفع منها ليلاً إلى بركة الحاج على العادة، فتتابع خروج الحاج.

وفي يوم الجمعة حادى عشرينه - الموافق له ثانى مسرى - كان وفاء النيل ستة عشر ذراعاً، فركب الأمير ناصر الدين محمد ابن السلطان حتى خلق عمود بين يديه، ثم فتح الخليج على العادة، ولم تزين الحراريق فى هذه السنة، ولا كان للناس من الاجتماعات بمدينة مصر والروضة على شاطئ النيل ما جرت به عادتهم فى ليالى الوفاء، وذلك أن النيل توقفت زيادته من أوائل مسرى، وأقام أياماً عديدة لا ينادى عليه فى كل يوم سوى إصبع أو إصبعين، وأجرى الله العادة فى الغالب من السنين أن تكون زيادة النيل المبارك منذ يدخل شهر مسرى فى كل يوم عدة أصابع، فيقال: «فى أيب يدب الماء ديب، وفى مسرى تكون الدفوع الكبرى». فجاء الأمر فى نيل هذه السنة بخلاف ذلك، حتى ظن الناس الظنون، وتوقف خزان الغلال عن بيعها، وأخذ غالب الناس فى شراء الغلال خوفاً من ألا يطلع النيل، فمنع السلطان من تزين الحراريق، ومن اجتماع الناس بشاطئ النيل لانتظار الوفاء، فانكف عن منكرات قبيحة، كانت تكون هناك والله الحمد، فإنه تعالى أعان عباده وأجرى النيل بعدما كادوا يقنطوا.

وفي هذا الشهر - والذي قبله - كثر عبث المماليك الجلب الذين استجدهم السلطان، وتعدى فسادهم إلى الحرم. وهذا أمر له ما بعده.

وفي سادس عشرينه: نودى على النيل بزيادة إصبع واحد، لستمه ستة عشر ذراعاً وخمسة عشر إصبعاً، فما أصبح يوم الخميس إلا وقد نقص.

شهر ذى القعدة، أوله الأحد:

وكان النيل قد توقف عن الزيادة من يوم الخميس، والناس على ترقب مكروه، وإن لم يتدارك الله بلطفه فإنه نقص ثلاثة أصابع، وجمع السلطان القضاة والمشايخ عنده، وقرئت سورة الأنعام أربعين مرة فى ليلة الأحد.

هذا ودعوا الله أن يجرى النيل، ثم ركب السلطان من يوم الثلاثاء ثالثه إلى الجرف^(١) الذى يقال له الرصد^(٢) ووقف بفرسه ساعة، وهو يدعو، ثم عاد إلى القلعة. فلما كان يوم الخميس خامسه، نودى بزيادة إصبع بعد رد الثلاثة الأصابع اللاتى نقصت، فسر الناس ذلك، لأن الغلال ارتفع سعرها، وشره كل أحد فى طلبها، وشحت أنفس خزائنها ببيعها.

وفي عاشره: قدم الخير بأن قاضى دمشق - نجم الدين عمر بن حجي - ووجد مذبحاً فى بستانه بالنيرب^(٣) خارج دمشق، ولم يعرف قاتله.

وفي رابع عشره: خلع على الأمير قانى باى البهلوان - أحد مقدمى الألف - واستقر فى نيابة ملطية، عوضاً عن الأمير أزدر شاية وعين معه عدة من المماليك، وأن يتوفر له إقطاعه بديار مصر، عوناً له على قتال التركمان، وأن يستقر أزدر شاية أميراً بجلب. وقانبأى هذا أحد المماليك الناصرية فرج، وخدم بعد قتل الناصر عند أمراء دمشق، ثم اتصل بخدمة الأمير ططر فلما تسلطن بدمشق أنعم على قانى باى هذا بإمرة طبلخاناه بمصر، وقدم معه، ثم نقل إلى إمرة مائة حتى ولى نيابة ملطية.

وفي هذا اليوم: أخذ النيل فى النقصان، بعدما انتهت زيادته إلى سبعة عشر ذراعاً، وستة أصابع، ويوافق هذا اليوم ثامن توت، وهذا هبوط فى غير أوانه، فما لم يقع اللطف الإلهى بعباد الله، وإلا عظم الخطب.

وفي العشر الأخير: من هذا الشهر تكالب الناس على شراء القمح ونحوه من الغلال، وارتفع الأردب إلى مائتى درهم، والشعير والفول إلى مائة وخمسين، وتعذر

(١) الجرف: موضع على ثلاثة أميال من المدينة نحو الشام. انظر معجم البلدان ١٢٨/٢.

(٢) هذا المكان يطل من غربيه على جامع راشدة، ومن قبله على بركة الحيش وسمى بهذا الاسم؛

لأن الأفضل بن أمير الجيوش أقام فوقه كرة لرصد الكواكب. انظر المواعظ والاعتبار ١٢٥/١.

(٣) قرية مشهورة بدمشق. انظر معجم البلدان.

وجود ذلك لشح الأنفس ببيع الغلال، مع كثرتها بالقاهرة والأرياف، فرسم السلطان للأمير أينال الششمانى المحتسب أن لا يمكن أحدًا من الناس بيع القمح بأزيد من مائة وخمسين درهما الأردب، وأن لا يشتري أحد أكثر من عشرة أراذب، وسبب ذلك أن الناس ترقبوا الغلاء، فأخذ أرباب الأموال فى الاستكثار من شراء الغلال ظنًا منهم أن يبيعوها إذا طلبها المحتاجون بأعلى الأثمان، حتى أن بعض من لم يكن شيئًا مذكورًا اشترى فى هذه الأيام ألف أردب من القمح، وكم أمثال هذا، فالله يحسن العاقبة.

وفى سابع عشرينه: كمل نقص النيل مما زاده ستة عشر إصبعًا، ثم أغاث الله عباده بعدما كادوا أن يقنطوا. ونودى فى يوم السبت ثامن عشرينه بزيادة إصبعين من النقص، واستمرت الزيادة فى يوم الأحد والإثنين، فسكن قلق الناس قليلًا.

وفى يوم الجمعة: هذا قدم الأمير صارم الدين إبراهيم بن رمضان أحد أمراء التركمان، ونائب طرسوس وأذنة، ونائب الملك، وقد عزل وفر إلى ابن قرمان ليحميه، فأسلمه إلى قصاد السلطان خوفًا من معرفة العسكر، فقيده وحمل من بلاد قرمان حتى قدم به كذلك، فسجن.

وفى يوم الإثنين سلخه: خلع على بهاء الدين محمد بن نجم الدين عمر بن حجي، واستقر فى قضاء القضاة بدمشق، عوضًا عن أبيه، وهو شاب صغير لم يستتر عذاريه بالشعر، لكن قام بمال كبير، فلم يلتفت مع ذلك لحداثة سنه، ولا لكونه ما قرأ ولا درى، وقديما قيل:

تعد ذنوبه والذنب جم ولكن الغنى رب غفور
شهر ذى الحجة:

أهل بيوم الثلاثاء، ووافق من شهور القبط خامس عشرين توت.

وفيه انتهت زيادة ماء النيل إلى سبعة عَشْر ذراعًا وإصبعين، بعد تراجع نقصه. وهبط شيئًا بعد شيء، فكثر شراقي الأراضى بالوجه القبلى والوجه البحرى لقصور زيادة النيل وسرعة هبوطه.

وفى سابع عشره: خلع أياس أحد المماليك، واستقر نائب السلطنة بالعلايا، ورسم أن يجهز معه طائفة من العسكر ليسيروا فى البحر، وسبب ذلك أن صاحب العلايا الأمير قرمان بن صوجى بن شمس الدين أجاته الضرورة إلى أن قدم منذ شهر بأهله متراميا على السلطان فى أخذه بلاد العلايا منه، وأن يقيم بخدمة السلطان حتى تدخل فى الحوزة السلطانية.

وفيه جهز تشریف إلى الأمير صارم الدين إبراهيم بن قرمان وقد ورد كتابه يرغب فيه أن يدخل في الطاعة السلطانية وينتمى إلى أبوابها، والتزم بإقامة الخطبة للسلطان ببلاد الروم وضرب الصكة باسمه، ويستمر في نيابة السلطنة ببلاد قرمان، فأجيب إلى ذلك، وكتب له التقليد، وجهز معه التشریف.

وفيه جهز أماج - أحد الدوادارية - إلى الأمير ناصر الدين محمد بن خليل بن دلغار نائب أبلستين، ليجهز عدد أغنام التركمان، على ما جرت به العوايد القديمة، وإلا داست العساكر بلاده.

وفي هذا الشهر: اتضع سعر الغلال، وقل طالبها، وكثر كسادها، مع كثرة الشراقي في أراضي مصر لقصور زيادة النيل، وسرعة هبوطه، وعدم العناية بعمل الجسور فكان هذا من جميل صنع الله تعالى وخفى لطفه، إن الله بالناس لرعوف رحيم.

وفي تاسع عشره: رسم بعرض الممالك على السلطان بألة الحرب، فأخذوا في الاستعداد لذلك، وطلب الأسلحة بعد كسادها مدة وبوار أربابها وصناعها، فنفقت سوقها وربحت تجارتهم، واشتغل بعملها صناعهم.

وفيه ركب السلطان بثياب جلوسه، وشق القاهرة من باب زويلة، وخرج من باب النصر عائداً إلى القلعة، ونظر في ممره وقف الشهابي بخط باب الزهومة ليؤخذ له، وهو من جملة الأوقاف التي ينصرف فيها القاضي الشافعي ويصرفها على ما يراه من وجوه البر، إلا أنه تشعت واحتاج إلى العمارة، فإنه قدم عهده مع كثرة مساكنه، وضاق الحال عن إصلاحه، فوجدوا ارتفاعه في الشهر عن الفندق الذي يعرف بخنان الحجر وعلوه وما جاوره من الخوانيت وعلوها في الشهر ثلاثة آلاف درهم فلو ساء، عنها نحو أربعة عشر ديناراً أشرفية، فقومت أنقاضه كلها بألفي دينار، وصارت للسلطان بالطريقة التي صار يعمل بها، ولم يقبض المبلغ المذكور للمتولى، بل وعد أنه إذا عمر هذا الوقف للسلطان جعل منه في كل شهر ثلاثة آلاف درهم لجهة الأوقاف الحكمية فمشى الحال على ذلك.

وفي سابع عشرينه: قدم مبشرو الحاج وأخبروا بسلامة الحجاج ورخاء الأسعار بمكة، وأنه قرئ مرسوم السلطان بمكة بمنع الباعة من بسط البضائع أيام المواسم في المسجد الحرام، ومن ضرب الناس الخيام بالمسجد على مصاطبه وأمامها، ومن تحويل المنبر من مكانه إلى جانب الكعبة، لأنه عند جره على عجلاته يزعج الكعبة إذا أسند إليها، فأمر أن يترك مكانه مسامتا لمقام إبراهيم عليه السلام، ويخطب الخطيب عليه

هناك، وأن تسد أبواب المسجد بعد انقضاء الموسم إلا أربعة أبواب، من كل جهة باب واحد، وأن تسد الأبواب الشارعة من البيوت إلى سطح المسجد، فامثل ذلك، وأشبه هذا قول عبد الله بن عمر رضى الله عنه وقد سأله رجل عن دم اليراعيث فقال: «عجبا لكم يا أهل العراق، تقتلون الحسين بن على وتسالون عن دم اليراعيث؟». وذلك أن مكة استقرت دار مكس حتى أنه يوم عرفة قام المشاعلى والناس بذلك الموقف العظيم يسألون الله مغفرة ذنوبهم، فنادى معاشر الناس كافة من اشترى بضاعة وسافر بها إلى غير القاهرة حل دمه وماله للسلطان، فأخر التجار القادمون من الأقطار حتى ساروا مع الركب المصرى على ما جرت به هذه العادة المستجدة منذ سنين، لتؤخذ منهم مكوس بضائعهم، ثم إذا ساروا من القاهرة إلى بلادهم من البصرة^(١) والكوفة^(٢) والعراق أخذ منهم المكس ببلاد الشام وغيرها. وهذا لينكر وتلك الأمور يعتنى بإنكارها ويسعى أهل البلاد فى إزالتها، فيا نفس جدى إن دهرك هازل. ولقد كان السبب فى كتابة هذا المرسوم أن رجلا من العجم يظهر للناس النسك، ولأمراء الدولة فيه اعتقاد، أمرهم بذلك، فأتمروا. وقد أذكرنى هذا ما كتب به أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله عنه، لما ولى الخلافة: «أما بعد فإنكم بلغتم، بالافتداء والاتباع، فلا تلفتكم الدنيا عن أمركم، فإن أمر هذه الأمة صائر إلى الابتداع بعد اجتماع ثلاث فيكم، تكامل النعم، وبلوغ أولادكم من السبايا، وقراءة الأعاجم والأعراب القرآن. فإن النبى ﷺ قال: «الكفر فى العجم، فإذا استعجم عليهم أمر تكلفوا وابتدعوا». ولم يعرف قط أن أبواب المسجد الحرام أغلقت إلا فى هذه الحادثة، فإنها أقامت مدة أشهر مغلقة ضج الناس وفتحوا جميع أبواب المسجد على عاداتها، واستمر المنع فى بقية ما رسم بمنعه إلا جر المنبر، فإنه أيضا جر على عادته إلى جانب الكعبة فى يوم الجمعة.

وقدم من الهند إلى مكة رسولان أحدهما من صاحب كليرجه^(٣) واسمه محمود، واسم رسوله شمس الدين الغالى بغا، وصحبته هدية لأمير مكة، وهدية السلطان، ومبلغ ستة آلاف دينار ليشتري به داراً عن الصفا، وتعمر مدرسة، والرسول الآخر من صاحب بنكالة بهدية للسلطان وهدية للخليفة.

(١) المصر المشهور بأرض العراق. انظر معجم البلدان.

(٢) الكوفة: المصر المشهور بأرض بابل من سواد العراق. انظر معجم البلدان ٤/٤٩٠ وما

بعدها.

(٣) كليرجه: من بلاد الهند.

ووصل من العراق أحمد وعلي^(١) ولدا الشريف حسن بن عجلان. وكان لهما مدة بها، وصحبتهما مال جزيل، فنهب جميعه في الركب العقيلي قريب مكة، ونهبت أموال كثيرة، منها لتاجر واحد مائة جمل محملة بضائع ما بين شاشات وأرز وبهار، وغير ذلك.

وفي رابع عشرينه: قبض بالمدينة النبوية على أميرها الشريف خشرم بن دوغان بن جعفر بن هبة الله بن حمّاز بن منصور بن حمّاز بن شيعة، فإنه لم يقم بالمبلغ الذي وعد به، وقرر عوضه الشريف مانع بن علي بن عطية بن منصور بن حمّاز بن شيعة بن هاشم بن قاسم بن مهنا بن حسين بن مهنا بن داود بن قاسم بن عبد الله بن طاهر بن يحيى بن الحسين بن جعفر بن الحسين بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب.

* * *

ومات في هذه السنة ممن له ذكر

الأمير قشتمر الذي تولى نيابة الإسكندرية، ثم أخرج إلى حلب، فقتل في وقعة التركمان في المحرم، ومستراح منه.

وتوفى بدر الدين محمد بن محمد بن محمد القرقشندى الشافعي، أمين الحكم، في يوم الإثنين رابع عشرين المحرم. ومولده أول المحرم سنة إحدى وأربعين وسبعمائة، وكان فقيها فاضلا ناب في الحكم بالقاهرة سنين، وبرع في الحساب والفرائض، وعمى قبل موته.

وتوفى زاهد الوقت الشيخ أحمد بن إبراهيم بن محمد اليمنى، المعروف بابن عرب^(٢)،

(١) علي بن حسن (٨٠٧ - ٨٥٣ هـ = ١٤٠٤ - ١٤٤٩ م). علي بن حسن بن عجلان بن رميثة الحسنى، أبو القاسم: من أشرف الحجاز. ولى إمرة مكة سنة ٨٤٥ هـ، عن أخيه بركات. ونشبت بينهما فتنة، وخلعه الأتراك سنة ٨٤٦ هـ، وحملوه معتقلا مقيدا إلى القاهرة، فسجن في البرج، ثم نقل إلى الإسكندرية، ومنها إلى دمياط، وتوفى سجيناً بها. انظر التبر المسبوك ٤٠، ٤١، ٤٥، ٢٨٢، ٣٥٥، حوادث الدهور ٤٢/١، والضوء اللامع ٥/٢١١. الأعلام ٤/٢٧٤.

(٢) أحمد بن إبراهيم بن محمد، الشيخ الإمام العالم الزاهد المعتقد الكبير صاحب الكرامات اليمنى الأصل، البرصاوى المولد والمنشأ، المصرى الدار والوفاة الحنفى، الشهير بابن عرب. أحد أفراد الدنيا فى الزهد والعبادة والورع، نزيل الخانقاة الشيخونية وأحد الصوفية بها، كان والده من اليمن، ثم رحل تغلى برصا من بلاد الروم واستوطنها وتزوج بها، فولد له أحمد هذا، ونشأ برصا على قدم هائل، ثم قدم إلى القاهرة شابا ونزل بخانقاة شيخو، وطلب العلم فقراً على إمام الخمس بها خير الدين سليمان ابن عبد الله، وعلى غيره. وكان فقيراً جداً، ينسخ للناس بالأجرة ويتقوت وهو =

=مكب على طلب العلم، ودام على ذلك مدة طويلة إلى أن استقر من جملة الصوفية بها بمبلغ ثلاثين درهماً في كل شهر، فتعفف بذلك عن النسخ وغيره، وانقطع عن مجالسة الناس والاختلاط بهم، وسكن بيت بالخانقاة المذكورة، وأعرض عن كل أحد، واجتهد في العبادة والعمل، واقتصر على ملابس خشن حقير إلى الغاية، وصار يقنع بيسير القوت، ولا ينزل من بيته إلا ليلاً لشراء قوته، ثم يعود إلى منزله بالشيخونية، وكان لا ينزل من بيته إلا في كل ثلاثة أيام مرة بعد العشاء الآخرة، وكان إذا حابه أحد من السوق فيما يشتريه من قوته تركه وما حابه به، فلما عرف بذلك ترك الباعة المحاباة له، ووقفوا عند ما يشير لهم به، وكان لا يقبل من أحد شيئاً بحيث أن رجلاً دس عليه شيئاً في قفته وهو قليل من الموز، والشيخ لا يشعر بذلك، فلما رآه عند طلوعه إلى منزله عاد، ولم يزل بالرجل إلى أن عرفه ورد له الموز المذكور. وكان يغتسل بالماء البارد شتاءً وصيفاً في بكرة نهار كل جمعة، ويمضي إلى صلاة الجمعة من أول نهار الجمعة، ويأخذ في الصلاة والقراءة وأنواع العبادة حتى تقام الصلاة ويصلي، ثم يعود إلى منزله من غير أن يكلم أحداً، ولا يتجرأ أحد على الكلام معه لهيبته ووقاره وعظم حرمة، ورأته مراراً عديدة لكنني لا أعرف ما في وجهه حياءً منه ومهابة، وكان يطيل قيامه في الصلاة مقدار أن يقرأ في كل ركعة حزين تقديراً، فيكون تعبه في كل يوم جمعة يعني من حين دخوله إلى الجامع إلى وقت الصلاة مقدار نصف ختمة من غير أن يسمع له قراءة ولا تسبيح، وكان يرى نهاراً إلا عند ذهابه يوم الجمعة إلى الجامع لا غير، ولا يرى ليلاً إلا في كل ثلاث ليال مرة واحدة عند شراء قوته حسبما ذكرناه. وكان له كرامات كثيرة، من ذلك ما أخبرني من أتق به عن بعض أهل الخانقاة أنه اشترى في بعض الأحيان كنانة وصب فوقها خلا، فرآه ذلك الرجل والشيخ لا يشعر به، والشيخ يقول لنفسه: ما تأكل إلا كنانة؟ كلي، فهجم ذلك الرجل على الشيخ، وكان يعرفه قديماً، وقال: أنا أكل معه من هذه الكنانة التي بالخلل تبركا، فقال له الشيخ: بسم الله كل يا فلان، فصار الرجل يأكل الكنانة بعسل غاية في الخلاوة، والشيخ يأكل معه إلى أن فرغاً معاً. ورئى مرة بسطح الخانقاة وقد مد يده وفيها فتات الخبز والطيور تأكل مما في يده، وله أشياء من هذه المقولة وكرامات هائلة. ودام على ذلك نحو الثلاثين سنة. وكان إذا احتاج إلى خياطة خيشة يلبسها، أو أعانة أحد عند عجزه في أواخر عمره عن حمل الجرة بالماء التي يتوضأ منها أعطاه من الفلوس شيئاً، ويقول: هذا أحرتك، وكان تمر به الأعوام الكثيرة لا يتلفظ بكلمة مع أحد سوى قراءة القرآن وذكر الله، وكان خادم الخانقاة يحمل إليه في كل شهر الثلاثين درهماً فلا يأخذها إلا عدداً، فإن المعاملة بالفلوس وزنا حدثت بعد انقطاعه عن الناس، فكان لا يعرف إلا المعادة. ولم يزل على ذلك إلى أن توفي بخانقاة شيخو في ليلة الأربعاء ثاني شهر ربيع الأول سنة ثلاثين وثمانمائة، وحمل من الغد حتى صلى عليه بمصلى المومني من تحت القلعة، وحضر السلطان الملك الأشرف برسبای الصلاة عليه، وتقدم قاضي القضاة بدر الدين محمود العيتابي الحنفي فصلى عليه بمن حضر، ثم أعيد إلى الخانقاة الشيخونية بالصليية ودفن بها، وهناك كان سكنه، وحمل نعشه على الأصابع لكثرة ازدحام الخلق على حمله. وبالجملة فإنه فريد عصره في العبادة والزهد، لم نر في عصرنا من دانه ولا قاربه في طريقته، رحمه الله تعالى. انظر الدليل الشافي ٣٦١/١، والنجوم الزاهرة ١٥/٣٩١، أنباء الغمر ٣/٣٨٤، نزهة النفوس ٣/١٢٤، والضوء اللامع ١/٢٠٠.

فى ليلة الأربعاء ثانى ربيع الأول، وحمل من الغد حتى صلى عليه تحت القلعة بمصلى المرمى. ونزل السلطان للصلاة عليه، فتقدم قاضى القضاة بدر الدين محمود العنتابى الحنفى فصلى عليه بمن حضر، وكان الجمع موفوراً، ثم أعيد إلى خانكاه شيخو بالصليبية خارج القاهرة، فدفن بها. وهناك كان سكنه، ووجد له مبلغ ألفين وسبعمائة درهم فلوسا. ومن خبره أن أباه كان من أهل اليمن، وسكن مدينة برصا من بلاد الروم، وتزوج بها، فولد أحمد هذا، ونشأ ببرصا، ثم قدم القاهرة شاباً، ونزل خانكاه شيخو، وقرأ على إمام الخمس بها، خير الدين سليمان بن عبد الله فقيراً مملقاً، يتصدق عليه بما عساه يقيم رفقته، ويسد من خلته، وينسخ بالأجرة، ثم نزل بعد مدة فى جملة صوفيتها بمبلغ ثلاثين درهما الشهر فقط، فتعفف عند ذلك عن أخذ ما كان يتصدق به عليه، وانقطع عن مجالسة الناس فى بيت بالخانكاه، وترك مخالطتهم وأعرض عن كل أحد، واقتصر على ملبس خشن حقير إلى الغاية، وتقع بيسير القوت، وصار لا ينزل من بيته إلا ليلا ليشتري قوته، ثم يطلع إليه، فإذا حابه أحد من الباعة فيما يشتريه من قوته تركه، وما حابه به. فلما عرف بذلك ترك الباعة به، ووقفوا عندما يشير لهم به، ثم صار لا ينزل من بيته إلا كل ثلاث ليال مرة، بعد عشاء الآخرة، فيشتري قوته، ويعود إلى منزله، ولا يقبل من أحد شيئاً، بحيث أن رجلا دس فى قفته قليل موز وهو لا يشعر فلما رآه عند طلوعه إلى منزله لم يزل يفحص عنه حتى عرفه، فألقى إليه موزه ولم يزرأ منه شىء، وكان يغتسل بالماء البارد شتاء وصيفا فى كل يوم جمعة، ويمضى إلى صلاة الجمعة من أول النهار، ويظل يصلى حتى تقام الصلاة، فيكون قيامه فى تركعه هذا بنحو ربع القرآن، من غير أن تسمع له قراءة، إلا أنه يطيل قيامه، حتى يجوز أنه يقرأ فى كل ركعة بحزين. ومع محبة الناس له وكثرة تعظيمهم له، صانه الله من إقبالهم إليه، فكان يمر إلى الجمعة، ولا يرى نهاراً إلا إذا راح إلى الجمعة، ولا يرى ليلاً إلا كل ثلاث ليالى إذا نزل لشراء ما يتقوت به، ولا يجسر أحد أن يدنو منه، فإن دنا منه أحد وكلمه لا يجيبه، أقام على ذلك نحو الثلاثين سنة، وفى أثناء ذلك ترك النسخ بالأجرة، واقتصر على الثلاثين درهما فلوسا فى كل شهر، وأفضل منها ما وجد بعد موته، وكان يرى فى الليل، وقد قام على قدميه، وقرأ ربع القرآن، وكان يعرف القراءات، ورؤى مرة بسطح الخانكاه، وقد مد يده وفيها فتات الخبز، والطيور تأكل مما فى يده، وكان إذا احتاج إلى خياطة خيشة ليلبسها، أو إعانة أحد عند عجزه فى آخر عمره عن حمل الجرة الماء التى يتوضأ منها، أعطاه من الفلوس شيئاً ويقول: «هذا أجرتك». وكانت تمر به الأعوام الكثيرة لا يتلفظ بكلمة، سوى قراءة القرآن، وذكر الله. وفى كل شهر خادم

الخانكاه يحمل إليه الثلاثين درهم، فلا يأخذها إلا عددًا لا وزنًا، فإن المعاملة بالفلوس وزنا حدثت بعد انقطاعه، وبالجملة فلا نعلم أحدًا على قدمه في هذا الزمان.

وتوفى شهاب الدين أحمد بن موسى بن نصير المتبولى المالكي (١)، موقع الحكم فى يوم الأربعاء ثانى شهر ربيع الأول عن خمس وثمانين سنة. وقد حدثت عن محمد بن أزيك، وعمر بن أميلة، وزغلس، وست العرب (٢) وجماعة، وناب فى الحكم بالقاهرة.

وتوفى شهاب الدين أحمد بن يوسف بن محمد الزعيفرىنى الدمشقى (٣)، الشاعر فى يوم الأربعاء ثانى شهر ربيع الأول. وكان يقول الشعر ويكتب خطأ حسنًا، ويزعم علم الحرف، ويستخرج من القرآن الكريم ما يريد معرفته من الأخبار بالمغيبات، وخذع بذلك طائفة من المماليك فى أيام الفتن لأوائل دولة الناصر فرج، فتحرك له حظ راج به مديدة؛ ثم ركدت ريجه، وامتنح فى سنة اثنتى عشرة وثمانمائة، فإنه عشر على أبيات

(١) أحمد بن موسى بن نصير، القاضى شهاب الدين المتبولى الشافعى، أحد نواب الحكم. ولد فى حدود سنة خمس وأربعين وسبعمائة، كان فقيها محدثا، سمع الكثير، وحدث عن محمد بن أزيك، وعمر بن أميلة، وست العرب، وجماعة آخر، وتوفى يوم الأربعاء ثانى شهر ربيع الأول سنة ثلاثين وثمانمائة. انظر الدليل الشافى ٩١/١، والنجوم الزاهرة ١٤١/١٥، والضوء اللامع ٢٣٠/٢، شذرات الذهب ١٩٢/٧.

(٢) هى ست العرب ابنة الجمال إبراهيم. انظر الضوء اللامع ٥٥/١٢.

(٣) أحمد بن يوسف بن محمد، الشيخ الأديب شهاب الدين أبو العباس الدمشقى الشاعر المشهور، عرف بابن الزعيفرىنى. كانت له فضيلة، ويكتب الخط المنسوب، وينظم الشعر، ويشغل بعلم الحرف، ويزعم أن له فيه اليد الطولى، وحصل له حظ لهذا المعنى عند جماعة من أعيان الأمراء وغيرهم إلى أن امتحن فى سنة اثنتى عشرة وثمانمائة، وسبب المحنة أن بعض أعيان الدولة ظفر بأبيات من نظمه بخطه قد نظمها للأمير جمال الدين للأستادار يوهمه أنها ملحمة وأنه سيملك مصر، ثم يملك بعده ابنه، فقطع الملك الناصر فرج بن برفوق لسانه وعقدتين من أصابعه، ورفق به عند القطع فلم يمنعه ذلك من النطق، ولزم داره وأظهر الخرس مدة أيام الناصر، ثم تكلم بعد ذلك، وأخذ فى الظهور والكتابة بيده اليسرى، فلم يرج فى شىء أيام المؤيدية شيخ، وانقطع حتى مات فى يوم الأربعاء ثانى شهر ربيع الأول سنة ثلاثين وثمانمائة. ومن شعره ما كتبه بيده اليسرى إلى قاضى القضاة صدر الدين على بن الآدمى الحنفى يقول:

قد عشت دهرًا فى الكتابة مفردًا صور منها أحرفًا تشبه الدرا
قد عاد خطى اليوم أضعف ما ترى هذا الذى قد يسر الله لليسرى

فأجابه قاضى القضاة صدر الدين المذكور يقول:

من فقدت يملك حسن كتابة فلا تحتمل هما ولا تعتقد عسرًا

انظر الترجمة فى: الدليل الشافى ٩٨/١، والنجوم الزاهرة ١٤١/١٥، أنباء الغمر ٣٨٧/٣، والضوء اللامع ٢٥٠/٢، شذرات الذهب ١٥٤/٧.

بخطه قد نظمها للأمير جمال الدين يوسف الأستاذار يوهمه أنها ملحمة فيها أنه سيملك مصر ويملك بعده ابنه، فقطع الناصر لسانه، وعقدتين من أصابعه ورفع به عند القطع، فلم يمنعه ذلك من النطق، ولزم داره، وأظهر الخرس مدة أيام الناصر، ثم تكلم بعد ذلك، وأخذ في الظهور أيام المؤيد شيخ، فلم يبرح بهرجه، فانقطع حتى مات كمدًا.

وهلك بطرك النصارى اليعاقبة غبريال، في يوم الأربعاء ثاني شهر ربيع الأول. وكان أولاً من جملة الكتاب، ثم ترقى حتى ولى البطركية. وكانت أيامه شر أيام مرت بالنصارى. ولقى هو شدائد، وأهين مراراً، وصار يمشى فى الطرقات على قدميه، وإذا دخل إلى مجلس السلطان أو الأمراء يقف، وقلت ذات يده، وخرج إلى القرى مراراً يستجدى النصارى، فلم يظفر منهم بطائل، لما نزل بهم من القلة والفاقة، وكانت للبطاركة عوائد على الحطى ملك الحبشة، يحمل إليهم منه الأموال العظيمة، فانقطعت فى أيام غبريال هذا، لاحتقارهم له وقلة اكتراثهم به، وطعنهم فيه، بأنه كان كاتباً، وذمته مشغولة بمظالم العباد. وبالجملة فما أدركنا بطركاً أحمل منه حركة، ولا أقل منه بركة.

ومات الأمير الطواشى كافور الصرغتمشى، شبل الدولة، زمام الدار، وقد قارب الثمانين سنة، فى يوم الأحد خامس عشرين شهر ربيع الآخر، وكان من عتقاء الأمير منكلى بغا الشمسى، وخدم دهرًا عند زوجته خوند الأشرفية، أخت الأشرف شعبان ابن حسين مدة، ثم خدم فى بيت السلطان، فولاه الناصر فرج زمام الدار، وعزل منها بعد موت المؤيد شيخ، ثم أعيد، وكان قليل الشر. أنشأ بحارة الديلم جامعًا، وأنشأ بالصحراء خانكاه، وله عدة مواضع أنشأها بالقاهرة، ما بين رباغ غيرها. وخلف ما لا مثيرًا. وضرب عنق نصرانى فى يوم الإثنين سادس عشرين شهر ربيع الآخر، على أنه ساحر، وقد حكم بعض نواب الحكم المالكية بقتله، واتهم أنه قتله لغرض، والله العلم.

وتوفى الشيخ بدر الدين محمد بن إبراهيم بن محمد البشتكى^(١) فى يوم الإثنين ثالث عشرين جمادى الآخرة. وجد فى حوض الحمام ميتًا، ومولده فى أحد الربيعين، من سنة ثمان وأربعين وسبعمائة. وكان أحد أفراد الزمان فى كثرة الكتابة، ينسخ فى اليوم خمس كراريس، فإذا تعب اضطجع على جنبه، وكتب كما يكتب وهو جالس. فكتب ما لا

(١) محمد بن إبراهيم بن محمد (٧٤٨ - ٨٣٠ هـ = ١٣٤٧ - ١٤٢٧ م). محمد بن إبراهيم بن محمد، أبو البقاء، بدر الدين الأنصارى البشتكى: أديب، من الشعراء. دمشق الأصل. مولده ووفاته بالقاهرة. انظر ديوان الإسلام - خ، المطالع البدور ٨٠/١، الضوء اللامع ٢٧٧/٦ التاج ١١٠/٧. الأعلام ٣٠٠/٥.

يدخل تحت حصر، ومن النسخ كانت معيشته، مع نزاهة النفس، وحدة المزاج، والافتداء بالسنة، والتذهب لابن حزم الظاهري، وكان يقول الشعر، ويذاكر بما شئت من أنواع العلوم، فالله يرحمه. ولقد أوحشنا فقدته، ولم يخلف مثله بعده.

ومات نجم الدين عمر بن حجي بن موسى بن أحمد بن سعد السعدي الحسيني الدمشقي الشافعي، قاضي القضاة بدمشق، وكاتب السر بديار مصر، في ليلة الأحد مستهل ذي القعدة، عن ثلاث وستين سنة، وقد نقب عليه بستانه بالنيرب^(١) خارج دمشق، ودخل عليه وهو نائم عدة رجال فقتلوه، وخرجوا من غير أن يأخذوا له شيئاً فلم يرع زوجته إلا به وهو يضطرب. وكان أبوه من فقهاء دمشق، ونشأ بها، وولى قضاءها بعد الخراب في واقعة تمرلك. وعزل وأعيد مراراً، ثم ولى كتابة السر فلم ينجح، وخرج منها بأسوأ حال، ثم أعيد إلى قضاء دمشق، فمات وهو قاض. وكان يسير غير سيرة القضاة، ويرمى بعظائم، ولم يوصف بدين قط.

ومات بعدن من بلاد اليمن التاجر شهاب الدين بركوت بن عبد الله المكي، مولى الحاج سعيد مولى المكين، في سادس ذي الحجة. وقد سكن القاهرة سنين.

وتوفى تقي الدين محمد بن الزكي عبد الواحد بن العماد محمد ابن قاضي القضاة علم الدين أحمد الأحنأ المالكي، أحد نواب الحكم بالقاهرة عن المالكية، وهو بمكة في ثالث ذي الحجة، عن ثلاث وستين سنة. وكان بالنسبة إلى سواه مشكوراً.

ومات متملك اليمن الملك المنصور عبد الله بن الناصر أحمد بن الأشرف إسماعيل بن الأفضل عباس بن المجاهد علي بن المؤيد داود بن المظفر يحيى بن المنصور عمر بن علي بن رسول^(٢) في جمادى الأولى، وأقيم من بعده أخوه الأشرف إسماعيل، ثم خلع بعده، وأقيم بدله الملك الظاهر هزبر الدين يحيى بن الأشرف إسماعيل في ثالث شهر رجب.

* * *

(١) النيرب: قرية مشهورة بدمشق. انظر معجم البلدان ٥/٣٣٠.

(٢) الظاهر الرسولي (٨٤٢ هـ = ١٤٣٨ م). يحيى بن إسماعيل بن العباس بن علي، الملك الظاهر ابن الأشرف الأول الرسولي: من ملوك الدولة الرسولية في اليمن، يُكنى هزبر الدين. ملك سنة ٨٣٠ هـ بعد خلع ابن أخيه (إسماعيل بن أحمد بن إسماعيل) وانتظم له أمرها، فاستمر إلى أن توفى بزييد. ودفن بتعز. انظر الضوء اللامع ١٠/٢٢. الأعلام ٨/١٣٨.

سنة إحدى وثلاثين وثمانمائة

أهلت وخليفة الزمان المعتضد بالله أبو الفتح داود بن المتوكل على الله أبي عبد الله محمد العباسي، وسلطان الإسلام بمصر والشام والحجاز الملك الأشرف أبو العز برسباي الدقماقي الظاهري الجركسي، ثامن الملوك الجركسة، والأمير الكبير الأتابك يشبك الأعرج الساقى، وأمير أخور الأمير حقمق العلاى وأمير سلاح أيناى الجكمى. وأمير مجلس الأمير شارقطلوا، ورأس نوبة الأمير أركماس الظاهري، والدوادار الأمير أزيك، وحاجب الحجاب الأمير قرقماس وأستادار الأمير زين الدين عبد القادر ابن الأمير فخر الدين عبد الغنى ابن الأمير الوزير تاج الدين عبد الرزاق بن أبى الفرج، والوزير صاحب كريم الدين عبد الكريم ابن الوزير تاج الدين عبد الرزاق بن محمد، المعروف بكتاب المناخ، وناظر الخاص كريم الدين عبد الكريم بن بركة^(١)، المعروف بابن كاتب حكيم، وكتاب السر بدر الدين محمد بن محمد بن أحمد بن مزهر الدمشقى. وناظر الجيش القاضى زين الدين عبد الباسط، وقاضى القضاة الشافعى الحافظ شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن على بن حجر، وقاضى القضاة الحنفى بدر الدين محمود العنتابى، وقاضى القضاة المالكى شمس الدين محمد البساطى، وقاضى القضاة الحنبلى عز الدين عبد العزيز البغدادى، ومحتسب القاهرة ومصر الأمير أيناى الششماني، ووالى القاهرة التاج

(١) عبد الكريم بن بركة (٨٣٣ هـ = ١٤٢٩ م) القاضى كريم الدين بن سعد الدين، ناظر الخواص القبطى المصرى، المعروف بابن كاتب حكيم. مولده بالقاهرة، وبها نشأ، وتنقل فى عدة خدم، وباشر فى دواوين الأمراء، واتصل بخدمة الملك الأشرف برسباي - لما كان دوادارا - فلما تسلطن أخلع عليه باستقراره فى نظر الدولة، فباشر وظيفة النظر مدة، وأخلع عليه باستقرار فى نظر الخاص، عوضا عن صاحب بدر الدين حسن بن نصر الله الفوى - بحكم انتقال بدر الدين إلى الأستادارية عوضا عن ولده صلاح الدين بحكم عزله - وذلك فى يوم الإثنين ثانى عشر جمادى الأولى سنة ثمان وعشرين وثمانمائة، واستقر فى نظر الدولة من بعده القاضى أمين الدين إبراهيم بن عبد الغنى بن الهيصم، فباشر كريم الدين المذكور الخاص مدة سنتين، ونالته السعادة، وعظم أو ثرى، ومشى حال الخاص فى أيامه حتى قيل إنه منذ ولى الخاص إلى أن توفى لم يطل الواصل عنه يوما واحدا مبالغة. وكان مشكور السيرة، متواضعا كريما، وعنده معرفة وعقل وصارت له منزلة عند الملك الأشرف إلى أن توفى بالقاهرة فى ليلة الجمعة سادس عشرين ربيع الأول ثلاث وثلاثين وثمانمائة، بغير طاعون، بل بمرض تمادى به أشهر، انظر المنهل الصافى ٧/ ٣٣٤، ٣٣٥ والدليل الشافى ١/ ٤٢٤، النجوم الزاهرة ١٥/ ١٥٨، أنباء الغمر ٣/ ٤٤٧، نزهة النفوس ٣/ ٢٠٥، الضوء اللامع ٤/ ٣٠٨.

الشويكى، ونائب الشام سودون من عبد الرحمن، ونائب حلب الأمير قصره، ونائب طرابلس الأمير جرباش قاشق، ونائب حماة الأمير جلبان، ونائب صفد الأمير مقبل الزينى، ومتولى مكة - شرفها الله تعالى - الشريف بركات بن حسن بن عجلان الحسنى، ومتولى المدينة النبوية الشريف مانع بن على بن عطية بن منصور بن حماز الحسنى، ومتولى ينبع الشريف عقيل بن وبير بن مختار بن مقبل بن راجح بن إدريس الحسنى، ونائب الإسكندرية الأمير أقبغا التمرزى.

وأسعار الغلال رخيصة، أما القمح فمن مائة وسبعين درهما فلوسا الأردب إلى ما دونها، وأما الشعير فمن مائة وثلاثين درهما الأردب إلى ما دونها، وأما الفول فبنحو ذلك.

والناس بالنواحي فى شغل بزراعة الأراضى، وقد كثر الشراقى فى أعمال القاهرة ومصر، لقصور مد النيل، وسرعة هبوطه، على ما تقدم ذكره فى السنة الحالية. والعسكر فى الاهتمام للعرض على السلطان، والناس قد غلب عليهم فى عامة أرض مصر القلة والفاقة، وعدم المبالاة بأمر الدين، والشغل بطلب المعيشة، لقلة المكاسب.

شهر الله المحرم، أوله الأربعاء:

فى يوم الجمعة ثلثه: قدم الحمل من قبرس، ومبلغه خمسون ألف دينار، فرسم بضربها دنانير أشرفية، فضربت بقلعة الجبل، حيث يشاهد السلطان الحال فى ضربها.

وفى يوم السبت حادى عشره: ركب السلطان من القلعة إلى دار الأمير جانبك الدوادار. يعوده وقد مرض.

وفى يوم الأربعاء ثانى عشرينه: قدم الركب الأول من الحج، وقدم من الغد يوم الخميس ثالث عشرينه الحمل بيقية الحاج، ومعهم الشريف خشرم أمير المدينة الشريفة فى الحديد، وقدم الأمير بكتمر السعدى من المدينة النبوية، وقدم الحمل من عشور التجار الواردين من الهند إلى جدة وهو أصناف، ما بين بهار، وشاشات، يكون قيمة ذلك نحو الخمسين ألف دينار.

وفى يوم الأحد سادس عشرينه: ابتدئ فى هدم خان الحجر وقف الشهابى الششمانى وقد أخذه السلطان وألزم سكانه بالنقله منه. وكانوا أمة كبيرة، قد مرت بهم وبآبائهم فيه عدة سنين، فنزل بهم مكاره كبير، لتعذر وجود مساكن يسكنون بها.

وفى هذا الشهر: كانت فتنة بين آل مهنا عرب الشام، قتل فيها الأمير عذراء بن على بن نعيم، واستقر أخوه مدلج عوضه فى إمرة آل فضل.

شهر صفر، أوله الجمعة:

فيه رسم أن لا يزرع أحد من الناس قصب السكر، وأن يبقى صنفا مفردًا للسلطان يزرعه في مزارعه بجميع الإقليم، ويعصره عسلا وقندًا وسكرًا، ويبيعه من غير أن يشاركه في ذلك أحد، ثم بطل هذا المرسوم ولم يعمل به، وكثر في هذا الشهر - والذي قبله - أكل الدود للزراعات؛ من البرسيم الأخضر والقمح ونحو ذلك، وسببه شدة الحر في فصل الخريف، وعدم المطر، ومع هذا فأسعار الغلال منحطة، فالقمح بمائة وأربعين درهما الأردب، والشعير والفول بتسعين درهما الأردب.

وفي يوم الثلاثاء ثانی عشره: خلع على محب الدين أحمد بن نصر الله، وأعيد إلى قضاء القضاة الحنابلة، عوضا عن عز الدين عبد العزيز البغدادي، وقد عزل لتنكر كاتب السر عليه وسعايته به.

وفي يوم الإثنين ثامن عشره: خلع على سعد الدين إبراهيم بن المرة، واستقر في نظر الديوان المفرد، عوضا عن عبد العظيم. واستقر عبد العظيم كاشف الجسور بالبهنساوية.

وفي يوم الثلاثاء المبارك تاسع عشره: ركب السلطان من قلعة الجبل بثياب جلوسه، وشق من باب زويلة شارع القاهرة، حتى خرج من باب النصر إلى خليج الزعفران، فرأى البستان الذي أنشأه هناك، وعاد على تربته التي أنشأها بجوار تربة الظاهر برقوق وصعد إلى القلعة.

شهر ربيع الأول، أوله يوم السبت:

ففي ليلة الجمعة: كان المولد النبوي الذي يعمله السلطان، ويحضره بقلعة الجبل، على عادته في كل سنة.

وفي ثالث عشره: أنعم بطبلخاناه الأمير بكنمر السعدي، على الأمير قحقار جقطاي، أحد أمراء العشرات.

وفي تاسع عشره: قدم قاضي القضاة الحنفي بدمشق، شهاب الدين أحمد بن محمود ابن الكشك، وقد ألزم بحمل عشرة آلاف دينار.

وفي عشرينه: قدم قاضي القضاة الشافعي، ونقيب الأشراف بدمشق، شهاب الدين أحمد بن علي بن إبراهيم بن عدنان الحسيني. وقد ألزم أيضا بحمل مال كبير.

وفيه ركب السلطان وشق القاهرة بثياب جلوسه، على عادته.

١٧٠ سنة إحدى وثلاثين وثمانمائة

وفي أخريات هذا الشهر: تحركت أسعار الغلال، وسببه خسة الزرع بالجزيرة والوجه البحرى لعدم المطر، وتوالى هبوب الراح المريسية زيادة على ثلاثين يوماً، فلم تسر فيها المراكب.

شهر ربيع الآخر، أوله الإثنين:

أهل والناس على تخوف من سوء حال الزرع، وانكشاف ساحل النيل من الغلال، وقلة وجود القمح مع هذا عدة أيام، وقدمت الأخبار بكثرة أمراض أهل الشام، وكثرة موت الخيول بدمشق وحماة.

وفي ثالث عشرينه: خلع على القاضى شهاب الدين أحمد بن الكشك خلعة الاستمرار فى قضاء الحنفية بدمشق وقد حمل مبلغ ألفى دينار بعناية بعض الأمراء به، وكان قد ألزم بمال كثير.

وفي هذه الأيام: تبعت أماكن الفساد، وأريققت منها الخمور الكثيرة، وشدد فى المنع من عصير الزبيب، ومنع الفرنج من بيع الخمر المجلوب من بلادهم.

وفي سادس عشرينه: توجه الشهاب بن الكشك إلى محل ولايته.

وفي هذه الأيام: تشكى التجار الشاميون من حملهم البضائع التى يشترونها من جدة إلى القاهرة، فوقع الاتفاق على أن يؤخذ منهم بمكة عن كل حمل قل ثمنه أو كثر ثلاثة دنانير ونصف، ويعفوا من حمل ما يتبضعونه من جدة إلى مصر، فإذا حملوا ذلك إلى دمشق أخذ منهم مكسها هناك، على ما جرت به العادة.

شهر جمادى الأولى، أوله الثلاثاء:

فى خامسه: غضب السلطان على الطواشى فيروز الساقى، وضربه وأخرجه إلى المدينة النبوية.

وفي سادسه: هدمت الحوانيت المعروفة بالصيارف وبالسيوفيين، فيما بين الصاغة ودرب السلسلة. وكانت فى أوقاف المدارس الصالحية، فأخذت باسم ولد الأمير جانبك الدوادار، لتعمر له مما ورثه من أبيه.

وفي ثانى عشرينه: برز من القاهرة طائفة من العمار، ونزلوا بركة الحجاج، وساروا منها يريدون مكة فى رابع عشرينه.

وفي سادس عشرينه: توجه السيد الشريف شهاب الدين أحمد بن عدنان إلى

دمشق، بعد ما حمل ثلاثة آلاف دينار، وألزم بحمل خمسة آلاف دينار من دمشق، سوى ما أهدى إلى أرباب الدولة، وهو بمال جم.

وفي هذا الشهر: انحلت أسعار الغلال وكسدت.

وفيه كانت الفتنة الكبيرة بمدينة تعز من بلاد اليمن. وذلك أن الملك الأشرف إسماعيل ابن الملك الأفضل عباس بن المجاهد علي بن المؤيد داود بن المظفر يوسف بن المنصور عمر بن علي بن رسول^(١) لما مات قام من بعده ابنه الملك الناصر أحمد بن الأشرف إسماعيل، وقام بعد الملك الناصر أحمد ابنه الملك المنصور عبد الله بن أحمد، في جمادى الآخرة سنة سبع وعشرين وثمانمائة، ومات في جمادى الأولى سنة ثلاثين، فأقيم بعده أخوه الملك الأشرف إسماعيل بن أحمد الناصر بن الملك الأشرف إسماعيل بن عباس، فتغيرت عليه نيات الجند كافة من أجل وزيره شرف الدين إسماعيل بن عبد الله بن عبد الرحمن بن عمر العلوي، نسبة إلى علي بن بولان العكي، فإنه أخر صرف جوامكهم ومرتباتهم، واشتد عليهم، وعنف بهم، فنفرت منه القلوب، وكثرت حساده، لاستبداده على السلطان، وانفراده بالتصرف دونه. وكان يليه في الرتبة الأمير شمس الدين علي بن الحسام، ثم القاضي نور الدين علي المحالي مشد الاستيفاء، فلما اشتد الأمر على العسكر وكثرت إهانة الوزير لهم، وإطراحه جانبهم، ضاقت عليهم الأحوال، حتى كادوا أن يموتوا جوعاً، فاتفق تجهيز خزانة من عدن، وبرز الأمر بتوجه طائفة من العبيد والأتراك لنقلها، فسألوا أن ينفق فيهم أربعة دراهم لكل منهم، يرتفق بها، فامتنع الوزير ابن العلوي من ذلك، وقال: «ليمضوا غصبا إن كان لهم غرض في الخدمة، وحين وصول الخزانة يكون خير، وإلا ففسح الله لهم، فما للدهر بهم حاجة، والسلطان غني عنهم». فهبج هذا القول حفائظهم، وتحالف العبيد والترك على الفتك بالوزير، وإثارة فتنة، فبلغ الخبر السلطان، فأعلم الوزير، فقال: «ما يسوءوا شيئا، بل نشق كل عشرة في موضع، وهم أعجز من ذلك».

فلما كان يوم الخميس تاسع جمادى الآخرة هذا: قبيل المغرب، هجم جماعة من العبيد والترك دار العدل بتعز، وافترقوا أربع فرق، فرقة دخلت

(١) الأشرفي الرسولي (٧٦١ - ٨٠٣ هـ = ١٣٦٠ - ١٤٠٠ م). إسماعيل (الأشرف) بن العباس الأفضل ابن المجاهد علي ابن المؤيد داود، من أبناء علي بن رسول، من ذرية جيلة بن الأيهم، كما يقولون: ملك يماني، من ملوك الدولة الرسولية. ولى بعد وفاة أبيه (الملك الأفضل) سنة ٧٧٨ هـ وعاش محمود السيرة، استقام له الملك إلى أن توفي بتعز. أثنى عليه مورخوه ووصفوه بالحلم والعطف وحسن السياسة. انظر العقود اللؤلؤية ١٦٣/٢ - ٣٢٠، تاريخ ثغر عدن - خ - العقيق اليماني - خ -، الضوء اللامع ٢/٢٩٩. الأعلام ١/٣١٧.

من باب الدار وفرقة دخلت من باب السر، وفرقة وقفت تحت الدار، وفرقة أخذت بجانب آخر فخرج إليهم الأمير سنقر أمير جندار، فهروه بالسيوف حتى هلك، وقتلوا معه على المحالبي مشد المشدين، وعدة رجال، ثم طلعوا إلى الأشرف - وقد اختفى بين نسائه وتزيا بزيهن - فأخذوه ومضوا إلى الوزير ابن العلوى فقال لهم: «ما لكم فى قتلنى فائدة؟ أنا أنفق على العسكر نفقة شهرين». فمضوا إلى الأمير شمس الدين على بن الحسام بن لاجين، فقبضوا عليه، وقد اختفى، وسجنوا الأشرف وأمه وحظيته فى طبقة المالىك، ووكلوا به وسجنوا ابن العلوى الوزير وابن الحسام قريبا من الأشرف، ووكلوا بهما، وقد قيدوا الجميع، وصار كبير هذه الفتنة برقوق من جماعة الترك، فصعد هو فى جماعة ليخرج الظاهر يحيى بن الأشرف إسماعيل بن عباس من ثعبات^(١) فامتنع أمير البلد من الفتح ليلا، وبعث الظاهر إلى برقوق بأن يتمهل إلى الصبح، فنزل برقوق ونادى فى البلد بالأمان والاطمئنان والبيع والشراء، والأخذ والعطاء، وأن السلطان هو الملك الظاهر يحيى بن الأشرف. هذا وقد نهب العسكر عند دخولهم دار العدل جميع ما فى دار السلطان، وأفحشوا فى نهبهم، فسلبوا الحريم ما عليهن، وانتهكوا ما حرم الله، ولم يدعوا فى الدار ما قيمته الدرهم الواحد، وأخذوا حتى الحصر، وامتألت الدار وقت الهجمة بالعبيد والترك والعامه.

فلما أصبح يوم الجمعة عاشره: اجتمع بدار العدل الترك والعبيد، وطلبوا بنى زياد وبنى السنبلى والخدم، وسائر أمراء الدولة والأعيان، فلما تكامل جمعهم، ووقع بينهم الكلام فيمن يقيموه، قال بنو زياد: «ما تم غير يحيى، فاطلعوا له هذه الساعة». فقام الأمير زين الدين جياش الكاملى والأمير برقوق، وطلعا إلى ثعبات فى جماعة من الخدام والأجناد، فإذا الأبواب مغلقة، وصاحوا بصاحب البلد حتى فتح لهم، ودخلوا إلى القصر، فسلموا على الظاهر يحيى بالسلطنة وسألوه، أن ينزل معهم إلى دار العدل، فقال: «حتى يصل العسكر أجمع». ففكوا القيد من رجليه، وطلبوا العسكر بأسرهم، فطلعوا بأجمعهم، وأطلعوا معهم بعشرة جنائب من الإصطبل السلطانى فى عدة بغال فتقدم الترك والعبيد وقالوا للظاهر: «لا نبايعك حتى تحلف لنا أنه لا يحدث علينا منك سوء بسبب هذه الفعلة، ولا ما سبق قبلها». فحلف لهم ولجميع العسكر، وهم يعددون عليه الأيمان، ويتوثقون منه، وذلك بحضرة قاضى القضاة موفق الدين على بن الناشرى، ثم حلفوا له على ما يجب ويختار، فلما انقضى الحلف، وتكامل العسكر، ركب ونزل إلى دار العدل فى أهبة السلطنة، فدخلها بعد صلاة الجمعة، فكان يوما مشهودا. وعندما

استقر بالدار أمر بإرسال ابن أخيه الأشرف إسماعيل إلى ثعبات، فطلعوا به، وقيدوه بالقيد الذى كان الظاهر يحيى مقيدا به، وسجنوه بالدار التى كان مسجوناً بها، ثم حمل بعد أيام إلى الدملوه، ومعه أمه وجاريتته، وأنعم السلطان الملك الظاهر يحيى على أخيه الملك الأفضل عباس بما كان له، وخلع عليه، وجعله نائب السلطنة كما كان فى أول دولة الناصر، وحمدت الفتنة.

وكان الذى حرك هذا الأمر بنو زياد، فقام أحمد بن محمد بن زياد الكاملى بأعباء هذه الفتنة، لحقته على الوزير ابن العلوى، فإنه كان قد مالا على قتل أخيه جياش، وخذل عن الأخذ بثأره وصار يمتهن بنى زياد، ثم ألزم الوزير ابن العلوى وابن الحسام بحمل المال، وعصرا على كعابهما وأصداغهما، وربطاً من تحت إبطهما، وعُلِّقا منكسين، وضربا بالشيب والعصا، وهما يوردان المال، فأخذ من ابن العلوى - ما بين نقد وعروض - ثمانون ألف دينار، ومن ابن الحسام مبلغ ثلاثين ألف دينار، واستقر الأمير برقوق أمير جندار، واستقر الأمير بدر الدين محمد الشمسى أتاكب العسكر، واستقر ابنه العفيف أمير أخور، ثم استقر الأمير بدر الدين المذكور أستاذاراً، وشرع فى النفقة على العسكر، وظهر من السلطان نبل وكرم وشهامة ومهابة، بحيث خافه العسكر بأجمعهم، فإن له قوة وشجاعة، حتى أن قوسه يعجز من عندهم من الترك عن جره، ومدحه الفقيه يحيى بن رويك بقصيدة، أولها:

بدولة ملكنا يحيى اليمانى بلغنا ما نريد من الأمانى
سيحى بابن إسماعيل يحيى أناس أدركتهم موتتان
فكتب بخطه على الحاشية «الموتان هى دولة المنصور والأشرف». وكانت عدة هذه القصيدة أحد وأربعين بيتاً، فقال: «ثمونها». وأجاز عليها بألف دينار أحضرت له فى المجلس، وبهذه الكائنة اختل ملك بنى رسول.

شهر جمادى الآخرة، أوله الخميس:

فى خامسه: أنعم على الأمير جارقطلوا، وخلع عليه، فاستقر أميراً كبيراً أتاكب العساكر، عوضاً عن يشبك الساقى، بحكم وفاته.

وفى سادسه: أحضرت هدية ملك كلبرجة من الهند، وهى أربعة سيوف، وستة عشر جمالا، عليها شاشات وأزر، وقد أهدى إلى غير واحد من أعيان الدولة، وسأل أن تمكن رسله من بناء رباط بالقلس، وكان من خير الهند أن بلاد الهند قسمان، قسم بيد أهل الكفر وهم الأكثر، وقسم بأيدي المسلمين. وكان ملك الهند صاحب مدينة دله،

وهي قاعدة الملك. وكان ملكها فيروز شاه بن نصره شاه من عظماء ملوك الإسلام، فلما مات، ملك دله بعده مملوكه ملو وعليه قدم الأمير تيمور لنك بعد سنة ثمانمائة، وأوقع بالهند وقية شنعاء، وخرّب مدينة دله، وعاد إلى بلاده، فأتى بلاد الشام بعد ذلك. وكان ملو قد فرّ منه، فعاد مسير تيمور لنك إلى دله، ومضى منها إلى ملطان^(١) فخرج عليه خضر خان بن سليمان، وحاربه فقتل في الحرب. وكان قد ملك دله دولة يار، فنازله خضر خان وحصره مدة، ففر منه، وملك خضر خان دله حتى مات، فقام من بعده ابنه مبارك شاه بن خضر خان هذا، وقد انقسمت بعد أخذ تيمور مدينة دله مملكة الهند، وصار بها عدة ملوك، أجملهم ملك بنجاله، وملك كليرجة، وملك بزرات.

فأما بنجاله فقام بها رجل من أهل سجستان يقال له شمس الدين، فلما مات قام من بعده ابنه إسكندر شاه ثم ابنه غياث الدين أعظم شاه بن إسكندر شاه بن شمس الدين، ومات سنة خمس عشرة وثمانمائة فملك بعده ابنه سيف الدين حمزة، فنار عليه مملوكه شهاب الدين وقتله، فلم يتهن بعد أستاذه، وأخذ الكافر فندو، وملك بنجاله وما معها، فنار عليه ولده - وقد أسلم - وقتله، وملك بنجاله، وتسمى بمحمد، وتكنى بأبي المظفر، وتلقب بجلال الدين، ثم جدد ما دثر أيام أبيه فندو من المساجد، وأقام معالم الإسلام.

وأما كليرجة فإن محمد شاه صاحب مدينة دله، بعث إليها حسن بهمن، فأخذها له، وأقام نائبها عن محمد شاه حتى مات، فقام ابنه أحمد بن حسن بهمن، ثم قام بعد أحمد ابنه فيروز شاه بن أحمد بن حسن بهمن ثم قام بعده أخوه شهاب الدين أحمد أبو المغازي بن أحمد بن حسن بهمن، وهو الذي بعث الهدية المذكورة.

وأما بزرات وكنباية^(٢) فإن ظفر خان كان ساقياً عند الملك فيروز شاه بن نصره شاه صاحب دله، فولاه كنباية على ألف تنكة^(٣) حمراء عنها من الذهب ثلاثة آلاف ألف مثقال وخمسمائة ألف مثقال. وكان ظفر هذا كافراً، وله أخ اسمه لأكه. وفي ولايته حرب تيمور دله، فقام عليه ابنه تتر خان وسجنه، وصانع تيمور فأقره، فلما سار تيمور عن الهند، خرج لأكه على ابن أخيه تتر خان وقتله، وأعاد أخاه ظفر خان إلى ملكه، فوثب أحمد خان بن تتر خان بن ظفر خان على جده، وقتله، وأحرق عم أبيه

(١) ملطان: - أو ملتان أو مولتان -، مدينة من نواحي الهند أهلها مسلمون. انظر معجم

البلدان، وتقويم البلدان لأبي الفدا.

(٢) كنباية: مدينة من سواحل الهند. انظر معجم البلدان.

(٣) عملة فارسية.

لاكه، وذلك بعد سنة عشر وثمانمائة. وقد أسلم وتلقب بالسلطان. وما عدا هذه الممالك الثلاثة، فإنها دونها كديوه^(١) ومهايم وتانه^(٢) ونحو ذلك مما هو بأيدي المسلمين.

وفي ثامن جمادى: المذكور خلع على الأمير الكبير جارقطلوا، واستقر فى نظر المارستان المنصورى بالقاهرة، ونزل إليه على العادة.

وفي عاشره: كتب بحضور الأمير صرماش قاشق نائب طرابلس، ليستقر أمير مجلس، وكتب إلى الأمير طرباى المقيم بالقدس بطالا أن يستقر فى نيابة طرابلس، وجهاز إليه خيل ليركبها، ورسم لمن فى خدمة الأمراء من مماليكه أن يتوجهوا إليه.

وفي تاسع عشرينه: قدمت رسل ملك الروم بمدينة برصا، مراد بك بن كرشجى محمد بن بايزيد، بكتاب وهدية فاحتفل السلطان لقدمهم، وأركب العسكر إلى لقائهم. ومن خير ملوك الروم أن خونديكار بايزيد بن مراد بن عثمان ترك أربعة أولاد: سلمان وهو أكبرهم، ومحمدا، وعيسى، وموسى، فقام بالأمر سلمان، وأقام ببر قسطنطينية فى مدينة أدرنة وكالى بولى، وقام أخوه عيسى بمدينة برصا، وتجاربا، فقتل عيسى، واستبد سلمان بمملكة أبيه، فثار عليه أخوه موسى وحاربه، فقتل سلمان، وملك بعده موسى ببر أدرنة، وقام ببرصا أخوه محمد كرشجى وقاتله، فقتل موسى، واستبد بالمملكة حتى مات فأقيم من بعده ابنه مراد بك بن محمد كرشجى.

وفي هذا الشهر: اتضع سعر الغلال بديار مصر وكسدت، فأبيع الأردب القمح بمائة وأربعين فلوسا إلى ما دون ذلك، والشعير بتسعين درهما الأردب.

وفيه أخذ السلطان خان مسرور والرباع التى تعلقوه، وذلك أنه قومت أنقاضه بياثنى عشر ألف ديناراً، رصد منها تحت يد مباشرى السلطان تسعة آلاف دينار لعمارة الربع، فصار النصف والربع للسلطان، وأقبض قاضى القضاة عن ثمن أنقاض الربع ثلاثة آلاف دينار، على أنه إذا كملت يكون ريعه جاريا تحت نظر الحكم العزيز الشافعى، يصرف ريعه فيما كان يصرف فيه ريع الأصل.

شهر رجب، أوله السبت:

فيه عملت الخدمة بالإيوان من دار العدل من القلعة، وأحضرت رسل مراد بن عثمان

(١) ديوه: جزيرة فى البحر تقابل بلاد الهند. انظر تقويم البلدان ص ٣٥٤.

(٢) تانه: بلدة بالهند. انظر صبح الأعشى ٧١/٥.

ملك الروم بصرى. وكان موكبا جليلا أركب فيه الأمراء ومماليك السلطان، وأجناد الحلقة.

وفيه ابتدئ بهدم خان مسرور.

وفي سابعه: خلع على القاضي كمال الدين محمد ابن القاضي ناصر الدين محمد بن البارزى، واستقر فى كتابة السر بدمشق عوضا عن بدر الدين حسين بحكم وفاته. وكان القاضي كمال الدين منذ من عزل نظر الجيش بعد كتابة السر ملازما لداره على أجمل حالة وأمثل طريقة، من الصيانة والديانة والوقار والسكينة، وتردد الأكابر والأعيان إلى بابه، وكثرت مداراته، وبسط يده بالإحسان.

وفي عاشره: خلع على عز الدين عبد السلام بن داود بن عثمان العجلونى القدسى أحد خلفاء الحكم الشافعية، واستقر فى تدريس الصلاحية بالقلس، عوضا عن شمس الدين محمد بن عبد الدايم البرماوى. وعز الدين هذا قدم القاهرة بعد كائنة تيمور، فبلونا منه فضيلة ومعرفة بالحديث وغيره، وصحب كاتب السر فتح الله، وناب فى الحكم فاشتهر، ثم نوه به ناصر الدين محمد بن البارزى كاتب السر، وصار يزاحم الأكابر فى المحافل، ويناطح الفحول بقوة بحثه وشهامته وغزارة علمه، ونعم الرجل هو.

وفي حادى عشره: أدير محمل الحاج على العادة فى كل سنة.

وفي تاسع عشره: كتب باستقرار السيد الشريف شهاب الدين أحمد بن عدنان فى نظر الجيش بدمشق، عوضا عن بدر الدين حسين، وحملت إليه الخلعة والتوقيع على يد نجاب.

وفي ثانى عشرينه: سار القاضي كمال الدين محمد بن البارزى إلى محل ولايته. ولقد استوحشنا لغيبته، فالله يمن علينا بجميل عودته.

وفي ثالث عشرينه: قدم الأمير جرباش قاشق من طرابلس، واستقر أمير مجلس.

وفي سابع عشرينه: استدعى السلطان من فى سجن القضاة، وأفرج عن عدة من المديونين.

وفي هذا الشهر: تحرك سعر الغلال فأبيع الشعير كل أردب بمائة وخمسة وعشرين بعد تسعين وأبيع الفول بمائة وستين، وأبيع القمح بمائة وستين، وأبيع القمح بمائة وستين بعد مائة وأربعين. هذا مع دخول الغلات الجديدة، إلا أن الفأر كثر عبثه فى الغلال، ووقعت صقعة فى عاشر طوبية من أشهر القبط ببلاد الصعيد، تلف بها أكثر الفول وهو

أخضر، وكانت الشراقي كثيرة، فلم يزرع ما شرق من الأراضى وأكلت الدودة مواضع مزروعة ولم يزل الغلاء يترقب فى هذه السنة منذ هبط النيل سريعاً، إلا أن الله تعالى أرخى الأسعار لطفاً منه بعباده ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رَحِيمٌ﴾^(١). وقدمت الأخبار بأن أراضى حوران بالشام لم تزرع لعدم المطر، وأن الغلاء قد اشتد بالحجاز لعدم الغيث به. وفيه فشت أمراض حادة فى الناس ببلاد الصعيد، وكثر الموتان، لاسيما بمدينة هو، وبوتيج، ومنشية أحميم^(٢) وما حولها.

شهر شعبان، أوله الأحد:

أهل وأسعار الغلال آخذة فى الارتفاع، ولم يكذ يوجد عند قطاف عسل النحل منه شىء. وهلك النحل من قلة المراعى، وعز وجود الفول لقلة ما تحصل منه عند الدراس، وقل الحمص أيضاً، وخس الكتان.

وفى سادس عشره: توجهت تجريدة عدتها خمسون مملوكاً إلى ينبع.

وكثر الوباء فى هذا الشهر بصعيد مصر، فمات بشر كثير.

شهر رمضان، أوله الإثنين:

فى ثانيه - الموافق لسابع عشرين بؤونة - نودى على النيل ثلاثة أصابع بعدما أخذ القاع فكان ثلاثة أذرع وعشر أصابع.

وفيه عزل سعد الدين إبراهيم بن المرة من نظر الديوان المفرد، وولى عوضه زين الدين يحيى، قريب الأمير فخر الدين بن أبى الفرج.

وفى عشرينه: أخرج قانصوه - أحد أمراء الطبلخاناه - لنيابة طرسوس، وأضيف إقطاعه إلى الديوان المفرد. وقانصوه هذا أحد ممالك الأمير نوروز الحافظى، وصار إلى المؤيد شيخ بعد قتل نوروز، فرقاه حتى صار أمير طبلخاناه، وهو أحد الفرسان المشهورين، وكبير الطائفة النوروزية.

وفى هذا الشهر: بلغ القمح إلى مائتين وستين درهما الأردب، وأناف الأردب من الشعير والفول على المائتين، وبلغت البطة الدقيق - وهى خمسون رطلا - ثمانين درهما.

(١) سورة الحج الآية ٦٥.

(٢) المنشية: اسم لأربع قرى بمصر والمقصودة التى من أعمال أحميم يقال لها منشية الصلعاء والصلعاء: قرية إلى جانبها. انظر معجم البلدان ٥/٢١٠.

وفيه قدم إلى الإسكندرية مركبان من مراكب طائفة الفرنج القطلان لأخذ المدينة، فإذا الناس على يقظة وأهبة لهم، فإن متملك قبرس كان قد بعث يجر منهم، فردهم الله خائبين.

وفيه قدم الحمل من قبرس.

شهر شوال، أوله الأربعاء:

في حادى عشره: ركب السلطان من قلعة الجبل، فشق القاهرة، ونظر إلى عمارته، ونزل إلى المارستان المنصوري، فعاد المرضى، وعاد إلى القلعة.

وفي ثانی عشره - الموافق لأول مسرى - : نودى على النيل بزيادة أربعة وعشرين إصبعا، لتتمة اثني عشر ذراعا وعشر أصابع، وهذا مما يستكثر من زيادة النيل.

وفي هذه الأيام: هدمت الخوانيت التي تجاه شبايك المدرسة الصالحية التي بجوار قبة الملك الصالح. وكانت في وقف الجوكندار، وكان هدمها في رابعه.

وفي سادسه: توجه سعد الدين إبراهيم بن المرة إلى جدة لأخذ مكوس التجار الواردين من الهند، وقد أعيد إلى ولايته.

وفي حادى عشره: سارت تجريدة خمسون مملوكا، عليها الأمير أرنبا - أحد أمراء العشرات - وسبها أن الخير ورد من مكة بأن بنى عجلان إخوة الشريف بركات بن عجلان متولى مكة طلبوا من شاهين المتوجه إلى جدة أن يأخذوا مما يتحصل ما كانت عادتهم أخذه في أيام أبيهم الشريف حسن بن عجلان، فمنعهم من ذلك، فهددوه بالقتل، وأن كثيرا من القواد قد قام معهم، فأخرج التجريدة تقوية لابن المرة على حفظ المال.

وفي عشرينه: خرج محمل الحاج على العادة، إلا أنه أناخ بركة الحاج، ولم ينزل بالريديانية خارج القاهرة، وخرج معه أمير الحاج الأمير قراسنقر الذى كان كاشف الجيزة، وقد خرج أمير الركب الأول الأمير أينال الششماني المحتسب - أحد رعوس النوب - واستتاب عنه في الحسبة دواداره.

وفي خامس عشرينه - الموافق له رابع عشر مسرى - : كان وفاء النيل ستة عشر ذراعا، وركب المقام الناصرى محمد بن السلطان، ومعه الأتابك جارقطلوا وغيره من الأمراء، حتى خلق المقياس، وفتح الخليج على العادة.

وفي ثامن عشرينه: أمسك الأمير قطش أحد أمراء الألو، والأمير جرباش قاشق أمير مجلس، وحمل قطش في الحديد إلى الإسكندرية، فسجن بها وأخرج الأمير جرباش قاشق الكرعى بغير قيد إلى دمياط.

وفيه خلع على الأمير أينال الجلالى الأجرود، واستقر فى نيابة غزة، عوضا عن الأمير تمراز الدقماقى، وأنعم بطبلخاناته على الأمير تمراز الدوادار، وكتب بإحضار الأمير ببيغا المظفرى من القدس، وقد نقل إليها من دمياط من نحو شهر.

وفى هذا الشهر: انحل سعر الغلال، وقل طالبها، وعز وجود اللحم بالأسواق، أحيانا.

شهر ذى القعدة الحرام، أوله الجمعة:

أهل وأسعار الغلال رخيصة، فأخذت فى الارتفاع، وعز وجود التبن، فبلغ الحمل مائتى درهم، وعز وجود اللحم أيضا، وفقد من الأسواق، وصارت الممالك تخرج إلى الضواحي فى طلب التبن لحيوها، فتأخذ بالعسف على عاداتها، فامتنع الناس من جلبه من الأرياف، ولم يقدر عليه أحد بعد ذلك، فندب السلطان طائفة من غلمانة للخروج إلى الأرياف بالجمال السلطانية، وشراء التبن من النواحي، وأن يكون بمائة درهم الحمل، وتوقف الجمال المحملة التبن تحت القلعة، ويبيع الحمل منه بمائة وأربعين درهما، ومنع الممالك من الخروج إلى الضواحي فى طلب التبن، وأن لا يشتري أحد التبن إلا من تحت القلعة، فتمشى الحال فى وجوده.

وفى هذه الأيام: تعدى سعر القمح ثلاثمائة درهم الأردب، والفسول مائتين وستين، والشعير مائتين وثلاثين، وفقدت الغلال من العراض مع كثرتها، وتوفر زيادة النيل، فإنه بلغ إلى يوم النوروز - وهو يوم الأحد سابع عشره - ثمانية عشر ذراعا وأربعة عشر إصبعًا. وهذا مما يستكثر من زيادة النيل، إلا أن الأمراء والأعيان شربها فى الفوائد، وشاركوا من دونهم فى إدخار الغلال وغيرها من البضائع، رجاء الفائدة، فعز وجود الغلال، وارتفع سعرها وفقد الخبز من الأسواق أحيانا، وصارت ولاية الأمور مع ذلك بعيدة عن معرفة طرق المصالح، فإن غاية مقاصدهم إنما هى أخذ المال على كل وجه أمكن أخذه، فلهذا اختلت الأحوال، وضاعت المصالح.

وفى حادى عشرينه: قدم الأمير ببيغا المظفرى من القدس، وأنعم عليه بإمرة جرباش قاشق وإقطاعه.

شهر ذى الحجة الحرام أوله السبت:

أهل والغلال عزيزة الوجود، مع كثرتها فى الشون والمخازن، وإمساك أربابها أيديهم عن بيعها لأملهم فيها غاية الربح، فبلغ القمح أربعمائة درهم الأردب، والبطة الدقيق مائة وثلاثين درهما، والشعير ثلاثمائة درهم الأردب، والفول بنحو ذلك، وأبيع القدان البرسيم بألف درهم، ففرج الله عن عباده، وانحل السعر، حتى أبيع القمح بثلاثمائة وخمسين درهما الأردب وما دونها، وكسدت الغلال حتى لا يجد من يطلبها.

وفى ليلة الخميس سادسه: قبض على الأمير أربك الدوادار، وأخرج من ليلته إلى القدس بطالا، وقبض على عدة من الخاصكية، وسبب ذلك أنه فى أخريات ذى القعدة الحرام بلغ السلطان أن جماعة من خاصكيتة ومماليكه يريدون الفتك به وقتله ليلا، فقبض على عدة منهم فى أيام متفرقة، ونفى جماعة منهم إلى الشام وقوص، وعاقب طائفة منهم، فكثرت القالة، واشتد الإرجاف، وأخذ السلطان فى الاستعداد والحذر، وسقط عليه مراراً سهام من طباق الممالك، سلمه الله تعالى منها. وبلغه أن الممالك كانت تجتمع بأربك.

وفى ثامنه: خلع على الأمير أركماس الظاهرى رأس نوبة. واستقر دواداراً كبيراً عوضاً عن أربك، وخلع على الأمير تراز القادم من غزة، واستقر رأس نوبة عوضاً عن أركماس، وأنعم على الأمير يشبك المشد، وأنعم بطبلخاناه يشبك على أقبغا الخازندار، واستقر الطواشى صفى الدين جوهر السيفى قنباى اللالا خازنداراً عوضاً عن أقبغا، فبلغ الاختصاص بالسلطان مبلغاً كبيراً.

وفى ثانى عاشره - الموفق ثالث عشر توت - نودى على النيل بزيادة أصبع لتتمة زيادته عشرين ذراعاً سواً، وابتدأ نقصه من الغد.

وفى سابع عشره: خلع على الأمير تاج الدين الشويكى والى القاهرة، واستقر مهمنداراً عوضاً عن حرز - مضافاً بما بيده من الولاية وشد الدواوين والحجوية - وهو من مجالسى السلطان فى مجالسه الخاصة.

وفى سابع عشرينه: قدم مبشرو الحاج وأخبروا بسلامة الأمن والرخاء، وأنه قدم حمل من العراق معه أربعمائة جمل تحمل الحاج، جهزه حسين بن على ابن السلطان أحمد بن أويس من الحلة، وكان قد استولى على ششت وضاهر العرب، فقوى بهم، وناهض شاه محمد بن قرا يوسف صاحب بغداد.

ومات في هذه السنة ممن له ذكر

شمس الدين محمد بن يعقوب النحاس الدمشقي، في يوم الجمعة ثالث المحرم، وهو من عامة دمشق، تشفع بي لما قدمت دمشق في سنة عشر وثمانمائة، أن يلي حسبة الصالحية، ثم قدم القاهرة في سنة اثني عشرة، وولى حسبة القاهرة ثم وزارة دمشق، فلم تحمد يرته، ولا شكرت طريقته.

ومات أمير الملاء عذراء بن علي بن نعيم بن حيار بن مهنا، مقتولا، في المحرم.

ومات الأمير بكمتر السعدي، في يوم الخميس ثالث عشر شهر ربيع الأول، وكان قد رباها الأمير سعد الدين إبراهيم بن غراب صغيرا في حجور نسائه، فنشأ على أجمل طريقة من الديانة وطلب العلم، وترقى بعد أستاذه حتى صار من أمراء الطبلخاناه، ولم يخلف في أبناء جنسه مثله، دينا وعلما وشجاعة ومعرفة.

ومات الشيخ سعيد المغربي في يوم الأربعاء تاسع عشر شهر ربيع الأول. وكان مجاورا بالجامع الأزهر عدة سنين، وللناس فيه اعتقاد، ويؤثرون عنه كرامات، وترك مالا يبلغ الألفي دينار ذهباً، ما بين ذهب وفضة وفلوس، وقد علت سنه وطال مرضه.

ومات الأمير سيف الدين جانبك الدوادار، في يوم الخميس سابع عشرين شهر ربيع الأول وكان قد رباها السلطان صغيراً، وتقلب معه في تقلباته. فلما تسلطن رقاها حتى صار أجل الأمراء وعذقت به أمور الدولة كلها فاعُتبط^(١) قبل بلوغ الثلاثين - وكان فظناً ذكياً شهماً - وتولى السلطان تمريضه، ونزل إليه وحضر وفاته، ودفنه وله جامع بهج الذي في الشارع خارج باب زويلة بالقرب من اليانسية^(٢).

ومات الأمير أزدمر شايه في سادس شهر ربيع الآخر بحلب، وهو أحد المماليك الظاهرية الذين خرجوا من القاهرة في أيام الفتن، والتحق بالأمير شيخ، وتقلبت به الأحوال معه، فرقاها لما تسلطن حتى صار من أمراء الألوف، ثم خرج في الأيام الأشرفية من القاهرة، ولم يشكر في دينه، ولا في أمر دنياه، بل كان من الظلم والشح والإعراض عن الله بمكان.

ومات الأمير كمشبيغا الجمالي في يوم الجمعة رابع جمادى الأولى. وهو أحد المماليك الظاهرية، ومن جملة أمراء الطبلخاناه، وشهرته جميلة.

(١) أى شابا صحيحا.

(٢) انظر المواعظ والاعتبار ١٦/٢.

ومات الأمير الكبير الأتابك سيف الدين يشبك الساقى الأعرج، فى يوم السبت ثالث جمادى الآخرة. وهو أحد المماليك الظاهرية الذين خرجوا فى أيام الفتن ومن له فى تلك الفتن ذكر، وكان أولاً من أتباع نوروز الحافظى فى قيامه بالشام، ثم صار مع الأمير شيخ، فلم يقبل عليه، ونفاه إلى مكة، ثم حملة منها إلى القدس، فأحضره الأمير ططر بعد موت المؤيد شيخ، وأنعم عليه بإمرة، فرقاه السلطان إلى أن صار الأتابك، وهو الذى أثار الفتنة بمكة حنقاً على الشريف حسن بن عجلان، حتى وقع بها ما وقع. وكان يقرأ القرآن ويشدو شيئاً من الفقه، ويؤثر عنه ديانه وعفة، إلا عن المال فإن له فى الشح والطمع أخبار سيئة.

ومات نجم الدين حسين بن عبد الله السامرى الأصل كاتب السر وناظر الجيش، بدمشق يوم الأربعاء رابع عشر جمادى الآخرة وكان من سمرة دمشق، يعانى كتابة الديونة، وخدم عند الأمير بكتمر شلق، وقدم إلينا القاهرة معه فى الأيام الناصرية، وهو بيزى المسلمين، فلما كانت الأيام الأشرفية جمع له بين كتابة السر ونظر الجيش بدمشق، ولم يجتمعا لأحد قبله، وطالت أيامه وكثر ماله حتى أتاه حمامه، ولم يشهر بفضل ولا دين.

ومات شمس الدين محمد بن عبد الدايم بن موسى اليرماوى، مدرس الصلاحية بالقدس، فى يوم الخميس ثانى عشرين جمادى الآخرة، وقد أناف على الستين بل قارب السبعين. كان أبوه يؤدب الأطفال، فنشأ ابنه هذا وطلب العلم حتى برع فى الفقه على مذهب الشافعى، وفى الأصول والحديث والنحو، وناب فى الحكم بالقاهرة قليلاً، ثم خرج إلى دمشق لضيق حاله، فأكرمه قاضى القضاة نجم الدين عمر بن حجى، ورفع من مقداره، ثم نوه به لما ولى كتابة السر بديار مصر. وولى الصلاحية بالقدس، حتى مات بها، وله مصنفات مفيدة.

ومات بدر الدين حسن بن أحمد بن محمد البردينى أحد خلفاء الحكم الشافعى فى يوم الإثنين خامس عشرين شهر رجب، وقد أناف على الثمانين. وكانت فيه عصبية ومحبة لقضاء حوائج الناس. ولم يوصف بعلم ولا دين، صحبناه سنين، ومستراح منه.

ومات الأمير قجقار جقطاى، فى يوم الإثنين هذا. وهو أحد أمراء الطبلخاناه الذين أنشأهم المؤيد شيخ، وسار فى إقطاعه سيرة جميلة، حتى أنه عمر الخراب، ورفق بالفلاحين، فزرع فى أيامه ما كان بوراً.

ومات الأمير جانبك ابن الأمير حسين ابن السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون،

فى يوم الخميس سادس عشرين شعبان، عن نحو ثمانين سنة، وكان من جملة أمراء الطبليخاناه فى أيام أخيه الأشرف شعبان بن حسين، وأقام بقلعة الجبل سنين بطالا، حتى أنزل السلطان الأسياد بنى قلاوون إلى القاهرة، فنزل فيمن نزل، ومات وهو قُعدد بنى قلاوون.

ومات شمس الدين محمد بن أحمد بن على العسقلانى الشامى الحنبلى، فى يوم السبت ثامن عشرين شعبان. ومولده سنة أربع وأربعين وسبعمائة. حدث عن العُرضى وغيره بالسماع، وناب فى الحكم بالقاهرة سنين. وكان مفيداً.

ومات الأمير سيف الدين إبراهيم - ويقال له حرز - فى يوم الخميس ثامن عشرين ذى القعدة، وقد قدم مع الأمير شيخ من الشام، فولاه ولاية القاهرة، ثم عمله مهمندار، فمات وهو يياشر المهمندارية.

* * *

سنة اثنتين وثلاثين وثمانمائة

شهر الله المحرم، أوله الإثنين:

ففى ليلة الإثنين خامس عشره: حدث مع غروب الشمس برق متوال، تبعه رعد شديد، ثم مطر غزير، واستمر معظم الليل، فلم يدرك بمصر مثله برقا ورعدا، ولا عهدنا مثل غزارة هذا المطر فى أثناء فصل الخريف. وقدم الخبر بأنها أمطرت وقت العشاء من ليلة الإثنين تامنه بناحية بنى عدى من البهنساوية بردًا فى قدر بيضة الدجاجة وما دونها كبيضه الحمامة، فهلك به من الدجاج والغنم والبقر شىء كثير، فهلك لرجل ستون رأسا من الضأن، وهلك لآخر خمسون رأسا من المعز، ولم يتجاوز هذا البرد بنى عدى، وكان مع البرد والمطر راعد مرعب من شدته، وبرق متوال ورياح عاصفة.

وفى هذا الشهر: تتبع الأمير قرقماس حاجب الحجاب مواضع الفساد، فأراق من الخمر وحرق من الحشيشة المغيرة للعقل شيئا كثيرا، وهدم مواضع، ومنع من الاجتماع فى مواضع الفساد.

وفى ثانى عشرينه: قدم ركب الحاج الأول صحبة الأمير أينال الششمانى، وقدم من الغد محمل الحاج بيقيتهم.

وحدث فى هذا الشهر: ثلاث مظالم، إحداها: أنه كان قد تقرر فى العام الماضى مع القاضى كريم الدين عبد الكريم بن بركة ناظر الخاص أن تعفى تجار الشام ومشهد على والكوفة والبصرة، الذين يتبضعون من متاجر الهند، من القدوم من مكة إلى القاهرة ببضاعتهم، وأن يقوموا عن كل جمل بثلاثة دنانير ونصف، فانتقض ذلك فى الموسم بمكة، وألزم سائر التجار أن يحضروا من مكة ببضائعهم صحبة الركب، وتتبعوا، بحيث لم يقدر أحد منهم أن يتأخر بمكة ولا يتوجه إلى الشام، بل حضروا بأجمعهم، وأقيمت عليهم الأعوان فى طول الطريق بتفقدهم وبعد أجمالهم، حتى قدموا صحبة الحاج فحل بهم من البلاء ما لا يوصف.

ثانيها: أنه منع بالإسكندرية أن ينصب قبان لوزن بضاعة أحد من التجار، فامتنع الكافة من بيع النهار على الفرنج، وألزم الفرنج بشراء فلفل السلطان المحض من جدة بمائة وعشرين دينارا الحمل، وكانت قيمته مع التجار ثمانين دينارا، فأخذ الفرنج منه ما وصلت قدرة مباشرى السلطان أن يبيعه عليهم، وامتنعوا من أخذ بقيته، ورجعوا بكثير مما حملوه من بضائعهم إلى بلادهم، فشمل التجار وغيرهم من ذلك ضرر كبير.

ثالثها: أنه بلغ السلطان أن التجار الواردة إلى القاهرة من الموصل وحماة ودمشق تبيع فيما تجلبه من الثياب المنسوجة من القطن مالا كثيرا فألزم السماسرة أن لا تبيع لأحد من هذا الصنف شيئا، بل يكون بأجمعه متجرا للسلطان، فأخذ تاجر ومعه ثمانون ثوبا، وأخذ آخر ومعه عشرة ثياب، وقومت، بأقل من ثمنها في بلادها، وكتب إلى بلاد الشام بأن لا تمكن التجار من حمل شيء من ذلك إلى القاهرة، فصادف قدوم قفل من الموصل إلى مدينة حماة بثياب موصلية، فرسم عليهم حتى رحلوا من حماة بما معهم وعبروا إلى البرية عائدين إلى بلادهم. واحتج عليهم بأنهم ردوهم لأن طول الثياب نقص عن ثلاثين ذراعا كل ثوب، وأنه لا يمكن أحد منهم أن يبيع ثوبا حتى يكون ثلاثين ذراعا في عرض ذراع ونصف، وأن لا يكون فيها ثوب يغلو ثمنه، فحل بالناس بلاء لا يمكن حكايته، وخربت الموصل بعد ذلك، وبطل عمل الثياب بها، كما سيأتي ذكره إن شاء الله تعالى. وقدم مع ذلك الحمل من جزيرة قبرس وفيه ثياب صوف، فحملت إلى دمشق، وهي ثمانمائة ثوب، فطرح الثوب بثمانية عشر دينارا، ويحتاج إلى دينار آخر كلفه، فأبيع أحسنها باثنى عشر دينارا، فخرس كل ثوب سبعة دنانير، وطرح بها أيضا السكر المعمول بالأغوار على الناس، فلم يكذ يسلم أحد من الأخذ منه، والله عاقبة الأمور.

شهر صفر، أوله الثلاثاء:

فيه جبيت أثمان البضائع بالعسف.

وفى حادى عشرينه: كتب على يد نجاب بحضور الطواشى فيروز الساقى من المدينة النبوية.

وفى رابع عشرينه: خرجت تجريدة لأخذ خيول أهل الغربية والبحيرة.

شهر ربيع الأول، أوله الخميس:

فيه ترك طائفة كبيرة من ممالك السلطان الجلب الذين يسكنون الطباق بقلعة الجبل إلى بيت الأمير زين الدين عبد القادر بن أبى الفرج أستادار، وتسوروا الجدران حتى دخلوه فنهبوا ما فيه، وكان غائبا عنه، وعبثوا فى طريقهم بالناس، فأخذوا ما قدروا على أخذه، ثم مضوا إلى بيت ناظر الديوان المفرد، ثم إلى بيت الوزير، فأدركهم مقدم المماليك والزمهم، وتلطفا بهم، حتى انصرفوا عن بيت الوزير وسبب ذلك تأخر جوامكهم بالديوان المفرد لشهرين، فلما شكوا ذلك إلى السلطان قال لهم امضوا إلى المباشرين. فنزلوا وكان يوما شنعاء.

وفي خامسه: نودى بمنع الناس من المعاملة بالدرهم البندقية والدرهم اللنكية، فامتنعوا وتصدى جماعة لأخذها بأقل من قيمتها، لعلمهم بأن الدولة لا يمضى لها أمر ولا تثبت على حال، فخرس طوائف من الناس جملة، وريح آخرون.

وفي حادى عشره: قبض على الأمير زين الدين عبد القادر أستاذار، وضرب، ثم خلع عليه من الغد، واستقر على عادته.

شهر ربيع الآخر، أوله الجمعة:

أهل وقد ارتفع سعر القمح من أربعمئة درهم الأردب إلى أربعمئة وخمسين والشعير من مائة وثمانين درهما الأردب إلى ثلاثمئة. والفول بنحو ذلك، وأبيعت البطة من الدقيق بمائة وأربعين درهما، هذا والبهايم مرتبطة على البرسيم الأخضر. ومن العادة انحطاط أسعار الغلال فى مثل هذا الوقت، غير أن الاحتكار على الغلال متزايد، والطمع فى غلاء أثمانها كثير.

وفي ثامنه: نودى أن تكون الفلوس بثمانية عشر درهما الرطل، وقد كان الناس تضرروا من قلة وجود الفلوس، فإن التجار أكثرت من حملها إلى بلاد الهند وغيرها لرخصتها بالنسبة إلى سعر النحاس الأحمر الذى لم يضرب.

وفي يوم السبت سادس عشره: ركب السلطان بتياب جلوسه ونزل من قلعة الجبل إلى بيت القاضى زين الدين عبد الباسط ناظر الجيش، فأقام عنده قليلا، وعاد إلى القلعة، فحمل إليه عبد الباسط من الغد ألفى دينار، وخيلا وبغالا.

وفي هذا الشهر: تكرر ركوب السلطان مراراً.

وفيه ارتفع القمح إلى خمسمئة درهم الأردب، وأبيع الأرز بألف درهم الأردب، بعد خمسمئة.

وفي سادس عشريته: تقدم أمر قاضى القضاة شهاب الدين أبى الفضل أحمد بن على ابن حجر إلى الشهود الجالسين بالخوانيت لتكسب بتحمل الشهادات بين الناس أن لا يكتبوا صداق امرأة إلا بأحد النقدين، الدراهم الفضة أو الدنانير الذهب. وأدركناهم يكتبون الصداقات من الذهب والفضة التى هى الدراهم النقرة. فلما راجت الفلوس رسم قاضى القضاة جلال الدين عبد الرحمن البلقىنى - رحمه الله تعالى - فى سنة ست وثمانمئة أن لا تكذب صداقات النساء، وأجابر الدور، وسجلات الأراضى، وعهد الرقيق من العبيد والإماء، ومساطر الديون، إلا من الفلوس الجدد معاملة القاهرة، فاستمر ذلك إلى الآن.

وفي هذا الشهر: أعيد الحجر على السكر، ورسم أن لا يشتريه أحد ولا يبيعه إلا السلطان، ثم بطل ذلك.

وفيه عثر على بعض تجار العجم المنتمين إلى الإسلام وقد توجه من عند الخطى ملك الحبشة إلى الفرنج يحثهم على القيام معه لإزالة دين الإسلام وأهله، وإقامة الملة العيسوية، فإنه قد عزم على أن يسير من بلاد الحبشة في البر بعساكره، «فتلاقوه بمجموعكم في البحر إلى سواحل بلاد المسلمين»، فسلك هذا التاجر الفاجر في مسيره من الحبشة البرية حتى صار من وراء الواحات إلى وراء المغرب، وركب منها البحر إلى بلاد الفرنج، ودعاهم للثورة مع الخطى على إزالة ملة الإسلام وأهلها، واستعمل بتلك البلاد عدة ثياب مذهبة باسم الخطى، ورقمها بالصلبان، فإنه شعارهم، وقدم من بلاد الفرنج في البحر إلى الإسكندرية ومعه الثياب المذكورة وراهبان من رهبان الحبشة، فتم عليه بعض عبيده، فأحيط بمركبه، وحمل هو والراهبان وجميع ما معه إلى السلطان.

وفي هذا الشهر: كشف عن أمر الديوان المفرد واعتبر متحصله في السنة ومصروفه، فإذا هو يعجز مبلغ ستين ألف دينار عن جميع ما يرد إليه من خراج النواحي، والحمامات، والمستأجرات، ورماية البضائع، وغرامات البلاد، فعين له مبلغ ثلاثين ألف دينار برسم المتجر السلطاني وأول ما بدأ به من ذلك تحكير صنف السكر، فلا يدولب زراعة القصب واعتصاره وعمل القند سكر ثم بيع السكر إلا السلطان، وأن توزع الثلاثين ألف الأخرى على الكشاف والولاية، ثم أهمل ولم يتم، والله الحمد.

وفي هذا الشهر: ألزم دلالو الخيل أن لا يبيعوا فرسا لتعمم ولا لجندي من أولاد الناس، ثم بطل ذلك.

وفي سادس عشرينه: قدم الطواشي فيروز الساقى من المدينة النبوية باستدعاء، فأعيد على ما كان عليه من الخدمة.

وفي هذه الأيام: انحل سعر الغلال وانحط القمح عن خمسمائة درهم الأردب، وفرقت الحمال على الأمراء برسم التجريدة إلى بلاد الشام وحلب.

وفي يوم السبت سلخه: كثر الإرجاف بأخذ خيول الناس من مرابطها على البرسيم بالنواحي، فسارع كل أحد إلى أخذ خيله، وقودها من الربيع إلى الإصطبلات فمنهم من نجا بها ومنهم من عوجل، فأخذت خيله وسلمت إلى أمير أخور، وسبب ذلك أن الخيول شنع هلاكها، فنفق للسلطان وماليكه نحو الألفى فرس، ثم وقف جماعة للسلطان فأفرج لهم عن خيولهم فأخذوها.

وفي هذا الشهر: هدم علو بيت الأمير منجك بخط رأس سويقة منعم، قريبا من مدرسة السلطان حسن، وأبيعت أنقاضه لرجل بألفى دينار، فباعها هو في الناس، وكان من جملة أوقاف صهريج منجك، وسبب هدمه أن الأمراء كانت تسكنه، ولا تعطى له أجره، فإذا تهدم فيه موضع ألزموا مباشرة الوقف بعمارتها، ورأى الناس أن هذا فآل ردىء فإنه قيل وقع الخراب في بيوت الأمراء.

شهر جمادى الأولى، أوله الأحد:

في ثامننه: برز ركب يريد المسير إلى مكة المشرفة، صحبة سعد الدين إبراهيم بن المرة ناظر جدة، فيه جماعة كبيرة.

وفي رابع عشرينه: استدعى قضاة القضاة للنظر في أمر نور الدين على بن الخواجاء، التاجر التوريزى المتوجه برسالة الخطى ملك الحبشة إلى الفرنج، فاجتمعوا بين يدي السلطان، وندب قاضى القضاة شمس الدين محمد البساطى المالكى للكشف عن أمره، وإمضاء حكم الله فيه فنقله من سجن السلطان إلى سجنه، فقامت عليه بينة بما أوجب عنده إراقة دمه، فشهري في يوم الأربعاء خامس عشرينه على جهل بمصر وبولاق، ونودى عليه «هذا جزاء من يجلب السلاح إلى بلاد العدو ويلعب بالدينين». ثم أقعد تحت شبك المدرسة الصالحية بين القصرين، وضربت عنقه. وكان يوما مشهودا، نعوذ بالله من سوء العاقبة.

وفي هذا الشهر: سار الأمير زين الدين عبد القادر بن أبى الفرج أستاذار، إلى النواحي، ففرض على كل بلد بالأسماء الضيافة، ليستعين بذلك على عجز الديوان المفرد لنفقة المماليك السلطانية فجبى مالا كثيرا، فإنه كان يأخذ من البلد مائة دينار، ويأخذ من أخرى دون ذلك، على حسب ما يراه، فاختلف حال الفلاحين خللا يظهر أثره فيما بعد، والله المستعان.

شهر جمادى الآخرة، أوله الإثنين:

فيه استدعى شيخ الشيوخ شهاب الدين أحمد بن الصلاح - المعروف بابن المحمرة - شيخ الخانكاه الصلاحية سعيد السعداء إلى مجلس السلطان، وعرض عليه قضاء القضاة بدمشق قبله، فخلع عليه عوضا عن بهاء الدين محمد بن نجم الدين عمر بن حجي. وكان السلطان قد استدعى قاضى القضاة علم الدين صالح ابن شيخ الإسلام سراج الدين عمر البلقينى وسأله بذلك فلم يقبل، وكان منذ صرف عن القضاء ملازما لداره، وهو مقبل على عمل الميعاد فى كل يوم جمعة بمدرسة أبيه، وعلى التدريس والإفتاء.

وفى يوم الثلاثاء ثانيه: خلع على جمال الدين يوسف بن الصفى الكركى، واستقر فى نظر الجيش بدمشق، عوضا عن السيد الشريف شهاب الدين أحمد بن عدنان. وكان الجمال منذ عزل عن كتابة السر مقيما بالقاهرة.

وفيه كتب بانتقال شهاب الدين أحمد بن الكشك من قضاء الحنفية بدمشق إلى قضاء طرابلس، عوضا عن شمس الدين محمد الصفدى، ثم بطل ذلك، واستقر الصفدى عوضا عن ابن الكشك فى قضاء الحنفية بدمشق.

وفى ثامن عشره: توجه قاضى القضاة شهاب الدين أحمد بن الحمرة، والقاضى جمال الدين يوسف بن الصفى إلى محل ولايتهما بدمشق، وعين أحد الخاصكية مسفرا معهما، وأن يحضر الصفدى من طرابلس إلى قضاء دمشق، على أن يأخذ من الثلاثة ألف وثلاثمائة دينار ذهبًا، يخص ابن الحمرة منها ثلاثمائة دينار، وتبقى الألف نصفين على ابن الصفى والصفدى، ولم تجر العادة بأن يخرج مسفر مع متعمم.

وفى هذا الشهر: نزل القمح إلى مائتين وثمانين درهما الأردب، بعد خمسمائة. وأبيع بمائة وثلاثين درهما الأردب بعد أن كان بثلاثمائة، وأبيعت البطة من الدقيق بتسعين درهما بعدما بلغت مائة وخمسين درهما.

وفيه تتبع والى القاهرة العبيد السود، وقبض على عدة منهم، لكثرة فسادهم، ونفاهم من القاهرة.

وفيه رسم بأخذ الشعير من النواحي لعجز الديوان عن عليق خيول المماليك السلطانية، فأخذ من شعير الناس ما قدر عليه.

شهر رجب، أوله الأربعاء:

أهل والقمح من مائتين وأربعين درهما الأردب إلى ما دونها، والشعير بمائة وثلاثين درهما الأردب إلى ما دونها، والذهب عزيز الوجود، وقد بلغ الدينار الأشرفى إلى مائتين وخمسين درهما، ورخص اللحم حتى أبيع لحم الضأن بستة الرطل ولحم البقر بأربعة دراهم الرطل.

وفى ثامنه: خلع على جلال الدين أحمد بن بدر الدين محمد بن مزهر بكتابة السر، عوضا عن أبيه. وله من العمر نحو خمس عشرة سنة، وخلع على شرف الدين أبى بكر ابن سليمان الأشقر الحلبي، واستقر نائب كاتب السر، وألزم ابن مزهر بحمل تسعين ألف دينار من تركة أبيه، فشرع فى بيع موجوده وهو أصناف كثيرة ما بين بضائع للمتجر، وكتب علمية، وثياب بدنه وخيول وجمال ورقيق، وحمل ما ألزم به.

وفي تاسعه: أدير حمل الحج، فكان فيه من نهب الممالك السلطانية لما كل الباعة، والتعرض للنساء والشباب فى ليالى الزينة شناعات، اقتضت تجمع السودان وقتالهم الممالك عدة مرار، فقتل بينهم رجلان.

وفي هذه الأيام: قدم عدة تجار من الموصل، فأخذ منهم ما معهم من الثياب الموصلية، وقومت بما لم يرضيهم، ورسم أن يكون صنف البعلبكي والعاتكى والموصلى للسلطان، لا يشتريه ممن يجلبه إلى القاهرة ويبيعه فى الناس إلا هو.

وفيه حكر بيع الحطب من بلاد الصعيد، وجعل من أصناف المتجر السلطاني، وحكر بيع غلات النواحي بأسرها، وجعلت أيضا من جملة المتجر السلطاني ثم بطل ذلك كله، والله الحمد.

وفيه طرحت بضائع من المتجر السلطاني على الناس، ولم يعف أحد من التجار عن أخذها فارتفعت الغلة من مائتين وعشرين درهما الأردب، إلى ثلاثمائة.

وفي ثامنه: أيضا خلع على شمس الدين محمد بن يوسف بن صالح الحلوى الدمشقى، واستقر فى وكالة بيت المال، عوضا عن نور الدين على الصفطى وكان قد وليها فى الأيام الناصرية فرج، مع نظر الكسوة.

وفي ثالث عشرينه: قدم الأمير سودن من عبد الرحمن نائب الشام، وصحبته القاضى كمال الدين محمد بن البارزى كاتب السر بدمشق، فحمل النائب تقدمته فى ثالث عشرينه، وفيها مبلغ خمسة عشر ألف دينار، وخيل وثياب حرير، وفرو سمور، وغيره، فأخذ السلطان الذهب، وأعاد ما عداه إعانة له على تقادمه للأمرء. وقدم الكمال ثياب حرير وفرو سمور بنحو خمسمائة دينار.

شهر شعبان المكرم، أوله الخميس:

فى يوم الجمعة ثانيه: نزل من ممالك السلطان سكان الطباق بالقلعة جماعة إلى بيت الوزير كريم الدين ابن كاتب المناخ، ونهبوه لتأخر لحمهم المرتب لهم كل يوم.

وفيه توجه نائب الشام ومن معه إلى دمشق على حالهم، بعدما ألزم النائب بحمل خمسين ألف دينار، حمل منها خمسة وعشرين، ووعد أن يرسل من دمشق خمسة وعشرين.

وفي ثالثه: خلع على نظام الدين عمر بن إبراهيم بن محمد بن مفلح^(١) واستقر فى

(١) ابن مفلح (٧٨٢ - ٨٧٢ هـ = ١٣٨٠ - ١٤٦٧ م). عمر بن إبراهيم بن محمد بن مفلح، أبو حفص، نظام الدين، الرامنى المقدسى الصالحى: قاضى حنبلى، من أهل الصالحية (بدمشق) مولدا وروفاة. ناب فى القضاء بدمشق ثم بالقاهرة، واستقل بقضاء غزة سنة ٨٠٥ هـ وكان أول حنبلى =

قضاء الحنابلة بدمشق. وكان قد قدم القاهرة، وعمل بالجامع الأزهر عدة مواعيد، دلت على حفظه وتفنته.

وفي سادسه: ثارت فتنة بين طائفة من مماليك السلطان الجلب وبين طائفة من مماليك الأمير الكبير شارقطلوا، فباتوا على تخوف وأصبح الجلب تحت القلعة فى جمع كبير، وقد امتنع الأمير الكبير منهم بداره - وهى تجاه باب السلسلة - فماج الناس، وخشوا من النهب، فكانت حركة مزعجة بالقاهرة، من تكالب الناس على شراء الخبز والدقيق، وانتشار أهل الفساد فى الشوارع للنهب، ثم سكن الحال، وأقام الجلب يومهم لا يقدرون على الأمير الكبير، لعجزهم وقلة دريتهم بالحرب، وعدم السلاح، فطلب السلطان ثلاثة من مماليك الأمير الكبير وضربهم وسجنهم من أجل أنهم أصل هذه الفتنة، فحمد الشر، والله الحمد.

وفي خامسه: ورد إلى ميناء الإسكندرية خمسة أغربة للفرنج، وباتوا وقد استعد لهم المسلمون ثم واقعوهم من الغد، وقد أدركهم الأمير زين الدين ابن أبى الفرج أستاذار فى سابعه. وكان بتروجة ومعه جمع كبير من العرب، فلما اشتد الأمر على الفرنج، انهزموا وردوا من حيث أتوا، فى يوم الأحد حادى عشره، ولم يقتل سوى فارس واحد من جماعة ابن أبى الفرج.

وفي ثالى عشره: أنفق السلطان فى ثلاثمائة وتسعين من المماليك، كل واحد خمسين ديناراً، وفى أربعة من أمراء الألو ف - وهم أركماس الدوادار، وقرقماس حاجب الحجاب، وتغرى بردى، ويشبك المشد - كل واحد ألفى دينار، وأنفق فى عدة من أمراء الطبلخاناه والعشرات، فبلغت النفقة نحو الثلاثين ألف ديناراً، ورسم بسفرهم إلى الشام، فتوجهوا فى سادس عشرينه.

وفيه سقط موضع مبنى على كتاب أطفال، فمات منهم اثنى عشر طفلاً، وأصيب تسعة يخاف عليهم.

وفي هذا الشهر: كثر الوباء بغزة والرملة، من أرض فلسطين.

شهر رمضان، أوله الجمعة:

=ولى قضاها. واستقل بالقضاء أيضا فى الشام سنة ٨٣٣ هـ عزل ثم أعيد ثم انقطع إلى التدريس. وحدث بمصر والشام وبيت المقدس وغيره. وأنشأ مدرسة دار الحديث النظامية فى شرقى الصالحية له مشيخة. انظر تاريخ الصلاحية ٨٧، الضوء اللامع ٦٦/٦، الأعلام ٣٩/٥.

فيه ابتدئ بهدم حوانيت الصيارف، وسوق الكتب، وحوانيت النقلين والأمشاطيين، فيما بين الصاغة والمدرسة الصالحية، وهي جارية في وقف المارستان المنصوري، لتجدد عمارتها.

وفي رابع عشره: خلع على صاحب تاج الدين عبد الرزاق بن الهيصم، وأعيد إلى نظر الديوان المفرد، وكان شاعراً.

وفيه حملت نفقة الممالك السلطانية إلى القلعة لتنفق فيهم على العادة، فامتنعوا من قبضها، وطلبوا زيادة ستمائة درهم لكل واحد.

وفي يوم الإثنين ثامن عشره - الموافق لسادس وعشرين بؤونة - أخذ قاع النيل وكان خمسة عشر ذراعاً وسبعة أصابع، ونودي عليه من الغد بزيادة خمسة أصابع.

وفيه زيد في جوامك عدة من شرار الممالك، فسكن شرمهم، وأخذوا جميعاً النفقة.

وفي حادى عشرينه: استعفى ابن الهيصم من نظر الديوان المفرد، فأعفى، ولزم داره على عادته.

وفي هذه الأيام: اشتد فساد الممالك الجلب، وكثر عيْثهم وعبْثهم بالناس، وأخذهم ما قدروا عليه من مال وحريم، فتجمع السودان وقتلواهم، فقتل بينهم عدة، وصاروا جميعين، لكل جمع عصابة.

شهر شوال، أوله الأحد:

أهل والأسعار قد ارتفعت، فالقمح من مائتين وخمسين درهما الأردب إلى ما دونها والشعير من مائة وثلاثين إلى ما دونها وسببه هيف الزرع في كثير من النواحي عند توالى رياح حارة فقل وقوع الغلة عند الدراس.

وفي هذه الأيام: اشتد بلاء من الممالك، وعظم الضرر بهم، حتى أن السلطان منع الناس من عمل الأعراس والولائم، وتهدد من عمل ذلك، خوفاً من الممالك أن تهجم على النساء وهن مجتمعات، وتبين قصور اليد عن ردعهم، ولا قوة إلا بالله.

وفي عاشره: نودي بمنع الناس من أخذ الدراهم البندقية والقرمانية واللكنية، فعاد الضرر في خسارة قوم وربح آخرين، ونودي أيضاً أن تكون الدنانير بمائتين وثلاثين، وكانت العامة قد رفعت سعره إلى مائتين وستين، بحجة أن الذهب قليل الوجود بأيدي الناس، وأن الدراهم الأشرفية كثر فيها البندقية واللكنية والقرمانية، وكل ذلك من

إعراض ولاة الأمور عن عمل المصالح، لبعدهم عن معرفتها، مع طلبهم المال بكل وجه يذم ويستقبح.

وفي تاسع عشره: برز محمل الحاج على العادة، فرحل الراكب الأول من بركة الحاج في ثانی عشرینه، ورحل المحمل ببقية الحاج في ثالث عشرینه، صحبة الأمير قراسنقر. وانتهت زيادة النيل في هذا اليوم - ويوافق أول مسرى - إلى عشرة أذرع وخمسة عشر إصبعا. وهذا مقدار كبير، والله الحمد.

وفي هذا الشهر: خربت مدينة الرها، كما سيأتى ذكره إن شاء الله تعالى.

شهر ذى القعدة، أوله الثلاثاء:

في رابعه - الموافق لثاني عشر مسرى - : نودى بزيادة سبعة أصابع لثمة خمسة عشر ذراعا وتسعة عشر إصبعا، ولم يناد عليه من الغد، وتوقفت الزيادة إلى تاسعه. وذلك أنه نقص أربعة أصابع، لتقطع عدة جسور من فساد عملها، ففرق عدة جرون، تلف فيها ماشاء الله من الغلال، فتكالب الناس على شراء الغلة، خوفا من الشراقي، فنزل السلطان في يوم الثلاثاء ثامنه إلى رباط الآثار النبوية، ودعا الله تعالى، فأغاث الله عباده، ووفى النيل ستة عشر ذراعا، ونودى عليه بالوفاء يوم الأربعاء تاسعه - الموافق له سابع عشر مسرى - فنزل المقام الناصرى محمد بن السلطان لتخليق المقياس وفتح الخليج على العادة.

وفيه قدم الخير بأخذ مدينة الرها. وذلك أن العسكر سار من القاهرة لأخذ قلعة خرت برت، وقد مات متوليها، ونازلها عسكر قرايلك صاحب آمد، فلما وصلوا إلى مدينة حلب، ورد إليهم الخير بأخذ قرايلك قلعة خرت برت وتحصينها، وتسليمها لولده، فتوجه العسكر وقد انضم إليه الأمير سون من عبد الرحمن نائب الشام، وجميع نواب الممالك الشامية، ومضوا بأجمعهم إلى الرها، فأتاهم بالبيرة كتاب أهل الرها يطلب الأمان، وقد رغبوا في الطاعة، فأمنوهم، وكتبوا لهم به كتابا، وساروا من البيرة، وبين أيديهم مائتا فارس من عرب الطاعة كشافة، فوصلت الكشافة إلى الرها في تاسع عشر شوال، فإذا الأمير هايبيل قد وصل إليها من قبل أبيه الأمير عثمان بن طور على، المعروف بقرايلك صاحب آمد، وحصنها، وجمع فيها عامة أهل الضياع بمواشيهم وعبائهم وأموالهم، فناولوها وهم يرمونهم بالنشاب من فوق الأسوار ثم برز إليهم الأمير هايبيل في عسكر نحو ثلاثمائة فارس، وقاتلهم، وقتل منهم جماعة، وعلق رءوسهم على قلعة الرها، فأدر كههم العسكر، ونزلوا على ظاهر الرها في يوم الجمعة عشرينه، وقد

ركب الرجال السور. ورموا بالحجارة، فترجع العسكر المصرى والشامى عنهم، ثم ركبوا بأجمعهم بعد نصف النهار وأرسلوا إلى أهل قلعة الرها بتأمينهم، «وإن لم تكفوا عن القتال وإلا أخرجنا المدينة». فجعلوا الجواب رميهم بالنشاب، فزحف العسكر وأخذوا المدينة فى لحظة، وامتنع الأكابر وأهل القوة بالقلعة. فانتشر العسكر وأتباعهم فى المدينة يذهبون ما وجدوا، ويأسرون من ظفروا به، فما تركوا قبيحا حتى أتوه ولا أمرا مستشعنا إلا فعلوه. وكان فعلهم هذا كفعل أصحاب تيمور لما أخذوا بلاد الشام. وأصبحوا يوم السبت محاصرين القلعة، وبعثوا إلى ما فيها بالأمان فلم يقبلوا، ورموا بالنشاب والحجارة، حتى لم يقدر أحد على أن يدنو منها. وباتوا ليلة الأحد فى أعمال النقوب على القلعة، وقاتلوا من الغد يوم الأحد حتى اشتد الضحى، فلم يثبت من بالقلعة، وصاحوا «الأمان». فكفوا عن قتالهم حتى أتت رسلهم الأمير نائب الشام، وقدم مقدم العساكر، فحلف لهم - هو والأمير قصره نائب حلب - على أنهم لا يؤذوهم ولا يقتلون أحد منهم فركنوا إلى أيمانهم. ونزل الأمير هايبيل بن قرايلك ومعه تسعة من أعيان دولته عند دخول وقت الظهر من يوم الأحد المذكور، فتسلمه الأمير أركماس الدوادار، وتقدم نواب المماليك إلى القلعة ليتسلموها فوجدوا المماليك السلطانية قد وقفوا على باب القلعة ليدخلوا إليها، فمنعهم فأفحشوا فى الرد على النواب، وهموا بمقاتلتهم، وهجموا القلعة، فلم تطق النواب منعهم، ورجعوا إلى مخيماتهم فمد المماليك أيديهم ومن تبعهم من التركمان والعربان والغلمان، ونهبوا جميع ما كان بها، وأسروا النساء والصبيان، وألقوا فيها النار، فأحرقوها بعدما أدخلوها من كل صامت وناطق، وبعدها أسرفوا فى قتل من كان بها وبالمدينة حتى تجاوزوا الحد، وخربوا المدينة وألقوا النار فيها فاحترقت. ولقد أخبرنى من لا أتهمه أنه شاهد المماليك، وقد أخذوا النساء وفجروا بهن فكانت الواحدة منهن إذا قامت من تحت واحد منهم، مضت - إن كان لها ولد - هى وولدها، إلى موضع كان به تبن لتختفى فيه. قال فاجتمع بذلك الموضع نحو الثمانين امرأة، ومعهن أو مع غالبهن أولادهن، وقد زنوا بهن جميعا، ثم أضرمو النار عليهن، فاشتعل التبن فاحترقن جميعا. وأخبرنى الثقة أنه كان يدوس فى المدينة القتلى لكثرتهم بها، وأنه كاد الماء الذى لهم أن يمتلئ بجيف القتلى. ثم رحلوا من الغد يوم الإثنين ثالث عشرينه، وأيديهم قد امتلأت بالنهوب والسبى، فتقطعت منهم عدة نساء من التعب، فمتن عطشا، وبيعت منهن بحلب وغيرها عدة. وكانت هذه الكائنة من مصائب الدهر.

فأما بالعهد من قدم، لقد عهدنا ملك مصر إذا بلغه أحد من ملوك الأقطار أنه قد فعل ما لا يجوز أو فعل ذلك رعيته، بعث منكر عليه ويهدده، فصرنا نحن نأتى من الحرام بأشنع، ومن القبيح بأفظعه وإلى الله المشتكى.

وفي يوم الثلاثاء ثاني عشر ذى القعدة: نودى على النيل بزيادة إصبع، لثمة سبعة عشر ذراعا وأربعة عشر إصبعاً، ولم يناد عليه من الغد.

وفيه كتب باستدعاء السيد الشريف قاضى القضاة بدمشق، وكتب السربها، وناظر الجيش، ونقيب الأشراف شهاب الدين أحمد بن على بن إبراهيم بن عدنان الحسينى، ليستقر فى كتابة السر، وتوجه لإحضاره من دمشق أحد الخاصكية.

وفي يوم الجمعة خامس عشره: نودى على النيل بزيادة إصبعين، بعد رد ما نقصه، لثمة ستة عشر إصبعاً من الذراع الثامنة عشر، وكان قد انقطع بعض جسور النواحي لفساد عملها، فقل وجود الغلال، وارتفع الأردب من مائتين وسبعين إلى ثلاثمائة، واستمرت زيادة النيل إلى يوم الثلاثاء تاسع عشرين، وقد بلغ ثمانية عشر ذراعا إلا إصبعين، ونقص من يومه خمسة أصابع، لتقطع الجسور، فتكالب الناس على شراء الغلة، وشحت الأنفس ببيعها، حتى قل وجودها وارتفع ثمنها.

شهر ذى الحجة، أوله الخميس:

أهل هذا الشهر والنيل متوقف عن الزيادة، وقد نقص، فمن الله تعالى، ونودى فى يوم السبت ثالثه برد النقص وزيادة ثمة ثمانية عشر ذراعا.

وفي ليلة الخميس ثامنه: قدم السيد الشريف شهاب الدين أحمد من دمشق وقد خرج الأعيان إلى لقائه، وهو موعوك فلزم الفراش.

وفي ثاني عشره - الموافق لخامس عشر توت - : نودى بزيادة إصبعين لثمة ثمانية عشر ذراعا وعشرين إصبعاً ثم نقص من الغد لقطع الصليبيات.

وفي يوم الخميس نصفه: خلع على الشريف شهاب الدين أحمد بن عدنان، واستقر فى كتابة السر عوضاً عن الجلال محمد بن مزهر، وعملت للطرحه الخضراء برقمات ذهب، فكان موكبا جليلا إلى الغاية، ركب بين يديه الأمراء والوزراء وقضاة القضاة الأربع، والأعيان، فابتهج الناس به، وسروا بقدمه.

وفي يوم الجمعة سادس عشره: نودى على النيل برد النقص وزيادة إصبع.

وفيه خلع على الجلال محمد بن مزهر، واستقر فى توقيع المقام الناصرى محمد ابن السلطان، كما كان فى أيام أبيه.

وفي رابع عشرينه: قدم الأمير هابيل بن الأمير قرايلك ومن معه في الحديد فشهبوا بالقاهرة إلى القلعة، وسجنوا بها.

وفيه قدم مبشرو الحاج.

وفيه نودى على النيل بزيادة إصبع لتتمة تسعة عشر ذراعا وستة عشر إصبعاً ووافق ذلك ثامن عشرين توت، ثم لم يناد عليه، فكانت هذه زيادة ماء النيل في هذه السنة.

وفي هذا الشهر: كانت حرب بنواحي المدينة النبوية بين بنى حسين، قتل فيها غير واحد من أعيانهم.

وفيه كان خراب مدينة توريز. وسبب ذلك أن متملكها إسكندر بن قرا يوسف قرا محمد بين بيرم خجا، زحف على مدينة السلطانية، وقتل متوليها من جهة ملك المشرق شاه رخ بن تيمور كركان في عدة من أعيانها، ونهب وأفسد، فسار إليه جموع كبيرة، فخرج إسكندر من توريز، وجمع لخربه، ولقيه وقد نزل خارج توريز، فانتدب لمحاربه الأمير قرايلك صاحب آمد، وقد لحق بشاه رخ، وأمده بعسكر كبير، وقاتله خارج توريز في يوم الجمعة سابع عشره، قتالا شديداً، قتل فيه كثير من الفتتين، وانهمزم إسكندر وهم في إثره يطلبونه ثلاثة أيام، فقاتهم هذا. وقد نهيت جقطاي عامة تلك البلاد، وقتلوا وسبوا وأسروا وفعلوا ما يشنع ذكره. ثم إن شاه رخ ألزم أهل توريز بحال كبير احتاجهم فيه أموالهم، حتى لم يدع بها ما تمتد إليه العين، ثم جلاهم بأجمعهم إلى سمرقند، فما ترك إلا ضعيفا عاجزا لا خير فيه، ورحل بعد مدة يريد بلاده، وقد اشتد الغلاء معه، فأعقب رحيله عن توريز جراد عظيم، لم يترك بها ولا بجميع أعماله خضرا وانتشرت الأكراد بتلك النواحي تعبت وتفسد، ففقدت الأقوات، حتى أبيع اللحم الرطل بعدة دنانير. وصار فيما بين توريز وبغداد مسافة عشرين يوما وأزيد خرابا يبابا. وأما إسكندر فإنه جال في بلاد الأكراد، وقد وقعت بها الثلوج مدة، ثم صار إلى قلعة سلماس^(١) فحصره بها الأكراد فنجا وتشتت في البلاد.

* * *

ومات في هذه السنة من الأعيان

العبد الصالح شمس الدين محمد بن إبراهيم بن أحمد الصوفى، بعد ما عمى سنين، ففى ليلة الثلاثاء ثالث عشر الحرم. ومولده فى سنة تسع وأربعين وسبعمائة. وهو أحد من

(١) مدينة مشهورة بأذربيجان. انظر معجم البلدان ١/٢٢٨.

صحبتة من أهل العبادة والنسك. ورأس مدة. واتصل بالظاهر برقوق. وولى نظر
المارستان المنصوري. وجال في الأقطار، فدخل بغداد والحجاز واليمن والهند، رحمه
الله.

ومات شمس الدين محمد بن سعيد المعروف بسويدان أحد أئمة السلطان، فى يوم
الإثنين سابع صفر. كان أبوه عبدا أسودا يسكن القرافة. وحفظ هو القرآن مع
الأجواق، فأعجب الظاهر برقوق صوته، فجعله أحد أئمة، واستمر، فولاه الناصر فرج
حسبة القاهرة. ثم عزل فعاد كما كان يقرأ فى الأجواق عند الناس، ويأخذ الأجرة على
ذلك، وصار رئيس جوقة حتى مات على ذلك. وكان أسود اللون.

ومات ناصر الدين محمد بن عبد الوهاب بن محمد البارباى الشافعى، فى ليلة الأحد
حادى عشر شهر ربيع الأول، وقد أناف على الستين. وقد برع فى الفقه وأصوله وفى
العربية، والحساب، ودرس وخطب عدة سنين بدمياط، والقاهرة.

ومات الشيخ محمد بن عبد الله بن حسن بن المواز، فى يوم الأحد حادى عشر ربيع
الأول. وقد قدم إلى زيارتى على عادته. وطلع إلى سلمًا كنت فى بيت بأعلاه، فما هو
إلا أن خلع إحدى نعليه، خر على وجهه، ثم رفع رأسه، ونزل إلى الأرض، وأنا أستدنيه
إلى، وأعتبه على انقطاعه أياما عنى، فزحف قدر ذراعين وسقط إلى الأرض، فإذا هو قد
مات، رحمه الله. فلقد كان لى به أنس وله فى اعتقاد كبير، وبلوت منه تألها وديانة
وعبادة مرضية، فرأيتة سحر يوم الجمعة العشرين من صفر سنة ثلاث وثلاثين، وقد
اضطجعت بعد الوتر، وكأنه قدم على على عادته لزيارتى فقمتم فرحا به وأنا أذكر أنه
ميت. وقلت كالمباسط له: «كيف دار البلاء» فهش. فقلت له: «أسلمت من عذاب
القبر» قال: «نعم». قلت «وأنت الآن لا تعذب ولا يشوش عليك؟» قال: «نعم». قلت
«فلقيت الله». فأيقظنى صوت رجل قريب منى قبل أن يخبرنى، رحمه الله تعالى.

ومات الشيخ شمس الدين محمد بن إبراهيم بن عبد الله الشطنوفى الشافعى، فى ليلة
الإثنين سادس عشرين شهر ربيع الأول، وقد قارب الثمانين، وبرع فى الفقه والفرائض
والعربية وغير ذلك. ودرس سنين عديدة، فانتفع به جماعة.

ومات بدر الدين محمد بن محمد بن أحمد بن مزهر الدمشقى، فى ليلة الأحد سابع
عشرينه جمادى الآخرة، عن نحو خمسين سنة. ولد سنة ست وثمانين وسبعمائة. وهو من
بيت رياسة. ولى أبوه كتابة الإنشاء بدمشق. واشتهرت رياسته ومكارمه، وباشر هو
كتابة الإنشاء بدمشق، واتصل بنائبها الأمير شيخ الحمودى، فلما قدم بعد قتل الناصر

فرج إلى القاهرة، كان ممن قدم معه، وولاه نظر الإصطبل. ثم ناب عن القاضي كمال الدين محمد بن البارزى فى كتابة السر، وقام بأعباء الديوان فى أيام العلم داود بن الكوايز ومن بعده، واستقل بكتابة السر، فاستبد بتدبير المملكة وكثر ماله، رحمه الله.

ومات نور الدين على السفطى، وكيل بيت المال المعمور فى ليلة الثلاثاء سلخ شهر جمادى الآخرة، وكان مشكور السيرة.

ومات السيد الشريف عجلان بن نعيم بن منصور بن ججاز بن منصور بن ججاز بن شيحة بن هاشم بن قاسم بن مهنا بن حسين بن مهنا بن داود بن قاسم بن عبيد الله بن طاهر بن يحيى بن الحسين بن جعفر بن الحسين بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب، رضى الله عنه، مقتولا فى ذى الحجة. وقد ولى إمرة المدينة النبوية مرارا، وقبض عليه فى موسم سنة إحدى وعشرين وثمانمائة، وحمل فى الحديد إلى القاهرة، فسجن ببرج فى قلعة الجبل، ثم أفرج عنه وكان فى الإفراج عنه ذكرى من كان له قلب. وهو أن عز الدين عبد العزيز بن على بن العز البغدادى الحنبلى قاضى القضاة ببغداد ثم بدمشق رأى فى منامه كأنه بمسجد الرسول - ﷺ - وإذا بالقبر قد فتح، وخرج منه رسول الله - ﷺ - وجلس على شفيره، وعليه أكفانه، وأشار بيده الكريمة إلى عبد العزيز هذا فقام إليه حتى دنا منه، فقال له: «قل للمؤيد يفرج عن عجلان» فانتبه وصعد إلى قلعة الجبل. وكان من جملة جلساء السلطان الملك المؤيد شيخ الحمودى، وجلس على عادته بمجلسه وحلف له بالأيمان الحرجة أنه ما رأى عجلان قط ولا بينه معرفة. ثم قص عليه رؤياه فسكت ثم خرج بنفسه بعد انقضاء المجلس إلى مرماة الشباب التى قد استجدها بطرف الدرگاه، واستدعى بعجلان من سجنه بالبرج، وأفرج عنه، وأحسن إليه. وقد حدثنى قاضى القضاة عز الدين بهذه الرؤيا غير مرة، وعنه كتبها وعندى مثل هذا الخبر فى حق بنى حسين عدة أخبار صحيحة، فإياك والوقعة فى أحد منهم، فليست بدعة المبتدع منهم، أو تفريط المفرط منهم فى شىء من العبادات، أو ارتكابه محرما من الحرمات، بمخرجه من بنوة الرسول ﷺ، فالولد ولد على حال، عى أو فجر.

ومات الشريف خشرم بن دوغان بن جعفر بن هبة بن ججاز بن منصور بن ججاز بن شيحة، الحسين مقتولا فى ذى الحجة أيضا، فى الحرب.

ومات الواعظ المذكور بالله شهاب الدين أبو العباس أحمد بن عمر بن عبد الله المعروف بالشاب النائب بدمشق، فى يوم الجمعة ثامن عشر رجب عن نحو سبعين سنة، ومولده ومنشأه بالقاهرة. وكان من جملة طلبة العلم الشافعية، ثم صحب فى أثناء عمره

رجلا من الفقهاء يعرف بأبى عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن عمر ابن الزيات، أحد أصحاب الشيخ يحيى الصنابيرى، فمال إلى طريقة التصوف، ورحل إلى اليمن. ثم قدم وعمل الميعاد، ونظم الشعر على طريق القوم، وبني زاوية خارج القاهرة، فحصل له قبول من العامة. وسمعت ميعاده بالجامع الأزهر، وقد تكلم فى تفسير آية من كتاب تعالى فأكثر من النقل الجيد بعبارة حسنة، وطريقة مليحة. وحج مراراً، ثم رحل إلى دمشق وبني بها زاوية وعمل الميعاد، فأقبل عليه الناس، وزاد اعتقادهم فيه بمصر والشام، حتى توفى. ونعم الرجل كان.

ومات بالتحريرية الأديب المعتقد نور الدين على بن عبد الله الشهير بابن عامرية، فى يوم الخميس سادس عشر شهر ربيع الآخر، وأكثر شعره - رحمه الله - فى المدائح النبوية.

* * *

سنة ثلاث وثلثين وثمانمائة

أهلت هذه السنة بيوم الجمعة، الموافق له ثانى بابة: والشمس فى نصف برج الميزان، والوقت فصل الخريف.

شهر المحرم:

فى يوم السبت ثانیه: خلع على الأمير زين الدين عبد القادر أستاذار خلعة الإستمرار، ثم خلع عليه ثانيا فى يوم الإثنين رابعه، وخلع على الأمير أقبغا الجمالى كاشف الوجه القبلى خلعة الاستمرار؛ وقد أرحف باستقراره أستاذاراً وألزم بحمل عشرين ألف دينار.

وفى تاسعه: خلع على صاحب كريم الدين الوزير، واستقر فى نظر الديوان المفرد، مضافا إلى الوزارة، ليتقوى به الأمير زين الدين أستاذار.

وفى ليلة الجمعة تاسعه أو عاشره: أمطرت مدينة حمص مطراً وابلا، ونزل معه ضفادع خضر حتى امتلأت بها أزقة المدينة وأسطحة الدور.

وفى العشر الثانى من هذا الشهر: حملت نفقة الممالك السلطانية من حاصل الأستادار إلى قلعة الجبل، لتنفق فى الممالك على العادة فى كل شهر، فامتنعوا من قبضها وطلبوا أن يزداد كل واحد على ماله مبلغ ثلاثمائة درهم فى كل شهر وكانوا قد فعلوا ذلك فى نفقة ذى الحجة، حتى زيد كل منهم أربعمائة درهم فى كل شهر فبلغت الزيادتان فى الشهر نحو الخمسة آلاف دينار. وكان قبل رضائهم بذلك قد استطار شرهم، وتعدوا فى العتو طورهم حتى خافهم أعيان أهل الدولة، ووزعوا ما فى دورهم خوف وقوع الفتنة.

وفى حادى عشرينه: قدم ركب من الحاج تقدم أولاً، ثم قدم الركب الأول من الغد، وقدم المحمل ببقية الحاج فى ثالث عشرينه.

وفى رابع عشرينه: قدم رسول ملك المشرق - شاه رخ بن تيمور - بكتابه يطلب فيه شرح البخارى للحافظ قاضى القضاة شهاب الدين أحمد بن حجر، وتاريخى السلوك لدول الملوك، ويعرض فيه بأنه يريد أن يكسو الكعبة ويجرى العين بمكة.

وفي ثامن عشره: بعث صاحب تونس وإفريقية وتلمسان^(١) - أبو فارس عبد العزيز - أصطولا فيه مائتا فرس، وخمسة عشر ألف مقاتل من العسكرية والمطوعة، لأخذ جزيرة صقلية^(٢)، فنازلوا مدينة مارز^(٣) حتى أخذوها عنوة، ومضوا إلى مدينة مالطة^(٤). وحصروها حتى لم يبق إلا أخذها فانهمز من جملتهم أحد الأمراء من العلوج، فانهمز المسلمون لهزيمته، فركب الفرنج أقيمتهم، فاستشهد منهم في الهزيمة خمسون رجلا من الأعيان، ثم إنهم ثبتوا وقبضوا على العليج الذي كادهم بهزيمته، وبعثوا به إلى أبي فارس، فأمدهم بجيوش كثيرة.

شهر صفر، أوله الأحد:

في رابع عشره: خلع على السيد الشريف شهاب الدين كاتب السر ونزل إلى الجامع المؤيدي، وقد استقر ناظره على العادة، فقرأ به تقليده بكتابة السر، تولى قراءته منشأه القاضي شرف الدين أبو بكر الأشقر نائب كاتب السر. وقد حضر قضاة القضاة الثلاث، ولم يحضر الحنفى، وحضر الأمير أركماس الدوادار، وكثير من الأعيان، فكان من الجامع الحفلة الحشمة.

وفي هذه الأيام: ارتفع سعر الذهب حتى بلغ الدينار الأفرنتى مائتين وستين درهما، وارتفع أيضا سعر الغلال.

وقدم الخبز بغلاء الأسعار بمدينة حلب ودمشق، وأن بدمشق وحمص طاعون فاش في الناس.

وفي يوم الخميس سادس عشرينه: خلع على قاضى القضاة علم الدين صالح ابن شيخ الإسلام سراج الدين عمر البلقينى، وأعيد إلى قضاء القضاة عوضا عن الحافظ شهاب الدين أحمد بن حجر، وخلع على قاضى القضاة زين الدين عبد الرحمن التفهنى، وأعيد إلى قضاء القضاة الحنفية، عوضا عن بدر الدين محمود العينى، ورسم باستقراره صدر الدين أحمد بن محمود العجمى فى ميشخة خانكاه الأمير شيخو، عوضا عن قاضى القضاة زين الدين التفهنى، ورسم أن لا يزيد الشافعى على عشرة نواب، والحنفى على ثمانية، والمالكي على ستة، والحنبلى على أربعة فكان حسنا إن تم.

(١) سبق ترجمتها.

(٢) صَقْلِيَّةٌ: من جزائر بحر المغرب مقابلة إفريقية، وهى مثلثة الشكل بين كل زاوية والأخرى مسيرة سبعة أيام. انظر معجم البلدان ٤١٦/٣ وما بعدها.

(٣) مدينة بصقلية. انظر معجم البلدان.

(٤) مَالِطَةٌ: بلدة بالأندلس. انظر معجم البلدان ٤٣/٥.

شهر ربيع الأول، أوله الإثنين:

فيه خلع على صدر الدين أحمد بن العجمي، واستقر في ميشخة الشيخونية.

وفي يوم الثلاثاء سلخه: خلع على سعد الدين إبراهيم بن كريم الدين عبد الكريم ابن سعد الدين بركة كاتب حكيم، واستقر في نظر الخاص، عوضا عن أبيه بعد وفاته، وألزم بحمل ستين ألف دينار، فشرع في حملها.

وفي هذا الشهر: انحل سعر الغلال، وسبب ذلك أن المحتسب أينال الششمانى منع كل من ورد بغلة إلى ساحلى مصر وبولاق من بيعها، وتشدد فى ذلك، فامتنعوا وأخذوا فى بيع الغلال السلطانية، على أن كل أردب من القمح بثلاثمائة وستين درهما، فتوفرت الغلال فى مدة بيعه، ثم أذن لهم فى بيعها، وقد تكفى الطحانون بغلال السلطان، فانحل السعر والله الحمد، وربما صحت الأجسام بعد العلل.

شهر ربيع الآخر، أوله الأربعاء:

فى رابعه: خلع على قاضى القضاة بدر الدين محمود العينى الحنفى، واستقر فى الحسبة بالقاهرة ومصر، عوضا عن الأمير أينال الششمانى، مضافا لما معه من نظر الأحباس.

وفى تاسعه: خلع على الأمير شهاب الدين أحمد الدوادار، واستقر فى نيابة الإسكندرية، عوضا عن الأمير أقبغا التمرازى، ورسم بإحضاره.

وفى ثالث عشره: خلع على الصاحب تاج الدين عبد الرزاق بن الهيصم، واعيد إلى نظر الديوان المفرد، عوضا عن الوزير الصاحب كريم الدين عبد الكريم ابن كاتب المناخ.

وفى خامس عشرينه: خلع على الأمير علاء الدين أقبغا الجمالى الكاشف، واستقر أستاذاراً، عوضا عن الأمير زين الدين عبد القادر بن أبى الفرج، على أن يحمل مائة ألف دينار بعد تكفية الديوان، فلم ينهض بها.

وفى هذا الشهر: انحل سعر الغلال، فأبيع القمح بمائتين وخمسين درهما الأردب، والشعير بمائة وعشرة دراهم الأردب.

وفيه فشى الطاعون فى الوجه البحرى، سيما فى النحريرية ودمنهور، فمات خلق كثير جدا، بحيث أحصى من مات من أهل المحلة زيادة على خمسة آلاف إنسان. ومن

ناحية صا^(١) زيادة على ستمائة إنسان وكان قد وقع بغزة والقدس وصفد ودمشق فى شعبان فى السنة الماضية طاعون، واستمر إلى هذا الشهر. وعد هذا من النوادر، فإن الوقت شتاء، وما عهد فيما أدر كناه وقوع الطاعون إلا فى فصل الربيع. ويعلل الأطباء ذلك بسيلان الأخلط فى الربيع، وجمودها فى الشتاء ولكن الله يفعل ما يريد. وقدم الخبر بشناعة الطاعون بمدينة برصا من بلاد الروم، وأنه زاد عدد من يموت بها فى كل يوم على ألف وخمسمائة إنسان. وأما القاهرة فإنه جرى على السنة غالب الناس منذ أول العام أنه يقع فى الناس عظيم، حتى لقد سمعت الأطفال تتحدث بهذا فى الطرقات.

فلما أهل شهر ربيع الآخر هذا: كانت عدة من ورد الديوان فيه من الأموات اثنى عشر إنسانا، وأخذ يتزايد فى كل يوم حتى بلغت عدة من ورد الديوان بالقاهرة فى يوم الأربعاء سلخه ثمانية وأربعين إنسانا. وجملة من أحصاه ديوان القاهرة فى الشهر كله أربعمائة وسبعة وسبعون إنسانا. وبلغ ديوان المواريث بمدينة مصر دون ذلك. هذا سوى من مات بالمارستان، ومن جهز من ديوان الطرحاء على الطرقات من الفقراء، وهم كثير.

شهر جمادى الأولى، أوله الخميس:

فيه برز سعد الدين إبراهيم بن المرة ناظر جدة إلى خارج القاهرة، وقد توجه معه كثير من الناس يريدون العمرة والحج. وفيه بلغت عدة من ورد الديوان بالقاهرة مائة، على أنهم لا يرفعون فى أوراقهم إلى الوزير وغيره إلا بعض من يرد، لا كلهم. وفيه نودى فى الناس بصيام ثلاثة أيام، وأن يتوبوا إلى الله تعالى من معاصيهم. ويخرجوا من المظالم، ثم يخرجوا فى يوم الأحد رابعة إلى الصحراء. هذا والحكام والولاء على ما هم عليه.

لا تنه عن خلق وتأتى مثله عار عليك إذا فعلت عظيم

وفى يوم الأحد رابعة: خرج قاضى القضاة علم الدين صالح فى جمع موفور إلى الصحراء خارج باب النصر، وجلس بجانب تربة الظاهر برفوق فوعظ الناس على عادته فى عمل الميعاد، فكثرت ضجيج الرجال والنساء وكثر بكاءهم فى دعائهم وتضرعهم ثم انفضوا قبيل الظهر، فتزايدت عدة الأموات عما كانت.

وفى ثامن: ورد كتاب إسكندر بن قرا يوسف، بأن شاه رخ عاد إلى بلاده وأنه هو رجع إلى توريز، وقصده أن يمشى بعد انقضاء الشتاء لمحاربة قرابلك صاحب آمد.

(١) صا: بالقصر: كورة بمصر يقال لها صا، وصا مسماة بصا بن مصر بن بصر بن حام بن نوح عليه السلام. انظر معجم البلدان ٣/٣٨٧.

وقدم كتاب مراد بن عثمان صاحب برصا بأنه هادن الفرنج ثلاث سنين.

وقدم كتاب قرابك يسأل العفو عن ولده هاييل وإطلاقه.

وفي حادى عشرينه: قبض على الأمير زين الدين عبد القادر بن أبى الفرج وكثير من أزمه، وسلموا إلى الأمير أقبغا أستاذار، ثم أفرج عنه فى رابع عشرينه على مال يحمله.

وفي سادس عشرينه: حضر تجار الإسكندرية وقد طلبوا منها، فأوقفوا بين يدى السلطان، وألزموا جميعهم أن لا يبيع أحد منهم شيئاً من أصناف البضائع التى تجلب من الهند، كالفلفل ونحوه، لأحد من التجار الفرنج، وهددوا على ذلك. وسبب هذا أن السلطان أقام طائفة تشتري له البضائع وتبيعها، فإذا أخذت بجدة المكوس من التجار التى ترد من الهند، حملت فلقلا وغيره فى بحر القلزم من جدة إلى الطور، ثم حملت من الطور إلى مصر، ثم نقلت فى النيل إلى الإسكندرية، وألزم الفرنج بشراء الحمل من الفلفل بمائة وثلاثين ديناراً. هذا وسعره بالقاهرة خمسون ديناراً. فبلغ السلطان أن بعض التجار سأل الفرنج بالإسكندرية أن يتاعوا منه الحمل بأربعة وستين ديناراً، فأبوا أن يأخذوه إلا بتسعة وخمسين، فأحب السلطان عند ذلك الزيادة فى الفوائد، وأن يأخذ ما عند التجار من الفلفل بسعر ما دفع لهم فيه الفرنج، ليبيعه هو على الفرنج بما تقدم ذكره، فمنعهم من بيعهم على الفرنج ليبور عندهم، فبأخذه حيثئذ منهم بما يريد.

وفيه أيضاً طلب الأمير أقبغا الأستاذار الباعة بالقاهرة ومصر ليطرح عليهم السكر، فأغلقوا الحوانيت، وفروا منه، فأعيا الناس شراء الأدوية للمرضى، ولم يكادوا أن يجيدوا ما يعللوه به.

وفي هذا الشهر: شنع الموتان الوحى السريع بالطاعون، والنزلات التى تنحدر من الدماغ إلى الصدر، فيموت الإنسان فى أقل من ساعة، بغير تقدم مرض. وكان أكثر هذا فى الأطفال والشباب، ثم فى العبيد والإماء، وأقله فى النساء والرجال. وتجاوز فى مدينة مصر الفسطاظ المائتين فى كل يوم، سوى من لم يرد الديوان. وتجاوز فى القاهرة الثلاثمائة سوى من لم يرد الديوان. وضبط من صلى عليه فى مصليات الجنائز فبلغت عدتهم تزيد على ما أوردوه فى ديوان المواريث زيادة كثيرة. وبلغت عدة من مات بالبحرية - خاصة - إلى هذا الوقت تسعة آلاف، سوى من لم يعرف، وهم كثير جدا. وبلغت عدة الأموات بالإسكندرية فى كل يوم نحو المائة. وشمل الوباء عامة البحيرة والغربية والقليوبية.

وفي العشر الآخر من هذا الشهر: وجد بالنيل والبرك التي بين القاهرة ومصر كثير من السمك والتماسيح، قد طفت على وجه الماء ميتة، واصطيدت بُنية كبيرة، فإذا هي كأنما صبغت بدم من شدة حرمتها. ووجد في البرية ما بين السويس والقاهرة عدة كثيرة من الطباء والدياب موتى. وقدم الخبز بوقوع الوباء ببلاد الفرنج.

وفي يوم الخميس سلخه: ضبطت عدة الأموات التي صلى عليها، فبلغت ألفين ومائة، ولم يورد في أوراق الديوان سوى أربعمائة ونيف.

وفيه مات ببولاق سبعون لم يورد منهم سوى اثني عشر. وشنع الموتان حتى أن ثمانية عشر من صيادى السمك كانوا في موضع فمات منهم فى يوم واحد أربعة عشر، ومضى الأربعة ليجهزهم إلى القبور، فمات منهم وهم مشاة ثلاثة فقام الواحد بشأن السبعة عشر، حتى وصل بهم إلى المقبرة مات أيضا. وركب أربعون رجلا فى مركب، وساروا من مدينة مصر نحو بلاد الصعيد، فماتوا بأجمعهم قبل وصولهم الميمون. ومرت امرأة من مصر تريد القاهرة وهى راكبة على حمار مكارى، فماتت وهى راكبة، وصارت ملقاة بالطريق يومها كله، حتى بدأ تغير ريحها، فدفنت، ولم يعرف لها أهل. وكان الإنسان إذا مات تغير ريحه سريعا، مع شدة برد الزمان. وشنع الموت بخانكاه سرياقوس، حتى بلغت العدة فى كل يوم نحو المائتين، وكثر أيضا بالمنوفية والقليوبية، حتى كاد يموت فى الكفر الواحد فى كل يوم ستمائة إنسان.

شهر جمادى الآخرة، أوله الجمعة:

فيه تزايدت عدة الأموات عما كانت فأحصى فى يوم الإثنين رابعه من أخرج من أبواب القاهرة، فبلغت عدتهم ألفا ومائتى ميت، سوى من خرج عن القاهرة من أهل الحكورة والحسينية وبولاق والصليبية ومدينة مصر والقرافتين والصحراء، وهم أكثر من ذلك. ولم يورد بديوان الموارث بالقاهرة سوى ثلاثمائة وتسعين وذلك أن أناسا عملوا توابيت للسبيل فصار أكثر الناس يحملون موتاهم عليها، ولا يردون الديوان أسماءهم.

وفي هذه الأيام: ارتفعت أسعار الثياب التي تكفن بها الأموات، وارتفع سعر ما تحتاج إليه المرضى كالسكر وبذر الرحلة والكمثرى، على أن القليل من المرضى هو الذى يعالج بالأدوية، بل معظمهم يموت موتا وحيا سريعا فى ساعة وأقل منها وعظم الوباء فى الممالك السلطانية - سكان الطباق بالقلعة - الذين كثر فسادهم وشرهم، وعظم عتوهم وضرهم، بحيث كان يصبح منهم أربعمائة وخمسون مرضى فيموت فى اليوم زيادة على الخمسين مملوكا، وشنع الموت بمدينة فوه ومدينة بليس، ووقع ببلاد الصعيد الأذنى^(١). وانقطع الوباء من البحيرة والنحريرية، وكثر بمدينة المحلة.

(١) الصعيد الأذنى: من البهنسا إلى قرب الفسطاط. انظر معجم البلدان ٤٠٨/٣.

وفي يوم الخميس سابعه: أحصى من صلى عليه من الأموات في المصليات المشهورة خاصة، فكانوا نحو الألف ومائتي ميت، وصلى بغير هذه المصليات على ما شاء الله. ولم يورد في ديوان القاهرة سوى ثلاثمائة وخمسين، وفي ديوان مصر دون الثلاثين. وصلى بها على مائة. وضبط في يوم السبت تاسعه من صلى عليه بالقاهرة، فكانوا ألفا ومائتين وثلاثا وستين، لم يرد الديوان سوى ما دون الأربعمائة، فكان عدد من صلى عليه بمصلى باب النصر في هذا اليوم أربعمائة وخمسين ومات بعض الأمراء الألوفا، فلم يقدر له على تابوت، حتى أخذ له تابوت من السبيل. ومات ولد لبعض الوزراء فلم يقدر الأعوان - مع كثرتهم وشدتهم - على تابوت له، حتى أخذ له تابوت من المارستان. وبلغ عدد من صلى عليه بمصلى باب النصر في يوم الأحد عاشره خمسمائة وخمسة، وهى من جملة أربع عشرة مصلى. وبلغت عدة من صلى عليه فى يوم الإثنين حادى عشره فى المصليات المشهورة بالقاهرة وظواهرها ألفين ومائتين وستة أربعين. وانطوى عن الذى ضبط الكثير، ممن لم يصل عليه فيها، وبلغت عدة من صلى عليه بمصلى باب النصر خاصة فى يوم واحد زيادة على ثمانمائة ميت، ومثل ذلك فى مصلى المؤمنى تحت القلعة، وكان يصلى على أربعين ميتا معا، فما تنقضى الصلاة على الأربعين جميعا، حتى يؤتى بعدة أموات وبلغت عدة من خرج من أبواب القاهرة من الأموات اثنا عشر ألفا وثلاثمائة ميت. واتفق فى هذا الوباء غرائب منها أنه كان بالقرافة الكبرى والقرافة الصغرى من السودان نحو ثلاثة آلاف، ما بين رجل وامرأة، صغير وكبير، ففنوا بالطاعون، حتى لم يبق منهم إلا قليل. ففروا إلى أعلى الجبل، وباتوا ليلتهم سهارى لا يأخذهم نوم لشدة ما نزل بهم من فقد أهليهم وظلوا يومهم من الغد بالجبل، فلما كانت الليلة الثانية مات منهم ثلاثون إنسانا، وأصبحوا، فإلى أن يأخذوا فى دفنهم مات منهم ثمانية عشر. واتفق أن إقطاعا بالحلقة انتقل فى أيام قليلة إلى تسعة نفر، وكل منهم يموت، ومن كثرة الشغل بالمرضى والأموات، تعطلت أسواق البز ونحوه من البيع والشراء، وتزايد ازدحام الناس فى طلب الأكفان والنعوش، فحملت الأموات على الألواح والأقفاص وعلى الأيدي وعجز الناس عن دفن أمواتهم، فصاروا يبيتون بها فى المقابر، والحفارون طول ليلتهم يحفرون، وعملوا حفائر كثيرة، تلقى فى الحفرة منها العدة الكثيرة من الأموات وأكلت الكلاب كثيرا من أطراف الأموات، وصار الناس ليلهم كله يسعون فى طلب الغسال والحمالين والأكفان، وترى نعوش الأموات فى الشوارع كأنها قطارات الجمال، لكثرتها والمرور بها متواصلة بعضها فى إثر بعض، فكان هذا من الأهوال التى أدرناها.

وفى يوم الجمعة خامس عشرة: جمع السيد الشريف شهاب الدين أحمد بن عدنان كاتب السر بأمر السلطان أربعين شريفاً، اسم كل شريف منهم محمد، وفرق فيهم من ماله هو خمسة آلاف درهم، وأجلسهم بالجامع الأزهر، فقرءوا ما تيسر من القرآن الكريم بعد صلاة الجمعة ثم قاموا - هم والناس - على أرجلهم، فدعوا الله تعالى، وقد غص الناس بالجامع الأزهر فلم يزالوا يدعون الله حتى دخل وقت العصر، فصعد الأربعون شريفاً إلى أعلى الجامع وأذنوا جميعاً، ثم نزلوا فصلوا مع الناس صلاة العصر، وانفضوا، وكان هذا مما أشار به بعض العجم، وأنه عمل هذا ببلاد المشرق فى وباء حدث عندهم فارتفع عقيب ذلك، فلما أصبح الناس يوم السبت أخذ الوباء يتناقص فى كل يوم حتى انقطع وفشا ببلاد الصعيد، وبيوادرى العرب، ومدينة حماة، ومدينة حمص. ووجد فى بعض بساتين القاهرة سبعة دياب قد ماتوا بالطاعون. ومات عند رجل أربع دجاجات، وجد فى كل واحدة منهن كبة فى ناحية من بدنها. وكان عند رجل نسناسة فأصابها الطاعون برأسها وأقامت ثلاثة أيام إذا وضع لها الماء والأكل لا تتناول الغداء وتشرب مرة واحدة فى اليوم، ثم هلكت بعد ثلاث.

وفى ليلة الجمعة التاسع والعشرين: منه خرج بعد غروب الشمس بقليل كوكب فى هيئة الكرة، بقدر جرم القمر فى ليلة البدر، فمر بين المشرق والقبلة إلى جهة المغرب، وتفرق منه شرر كثير من ورائه.

شهر رجب، أوله الأحد:

أهل هذا الشهر والوباء قد تناقص بالقاهرة، إلا أنه منذ نقلت الشمس إلى برج الحمل فى ثامن عشر جمادى الآخرة، ودخل فصل الربيع، فشا الموت فى أعيان الناس وكبرائهم ومن له شهرة، بعدما كان فى الأطفال والخدم، وقد بلغت أثمان الأدوية وما تحتاج إليه المرضى أضعاف ثمنها. وذلك أن الأمراض طالت مددها، بعدما كان الموت وحيافاً فلا تخلو دار من ميت أو مريض. وشنع فى هذا الوباء ما لم يعهد مثله إلا فى النادر، وهو خلو دور كثيرة جداً من جميع من كان بها، حتى أن الأموال المخلفة عن عدة من الأموات أخذها من لا يستحقها. وشنع أيضاً الموت والأمراض فى الممالك السلطانية، بحيث ورد كتاب من طرابلس فلم يجد الشريف عماد الدين أبو بكر بن على بن إبراهيم ابن عدنان من يتناوله حتى يفتحه السلطان. وكان السيد أبو بكر إذ ذاك يباشر بعد موت أخيه السيد شهاب الدين، وقد عين كتابة السر، فأخبرنى - رحمه الله - أنه خرج من بين يدي السلطان حتى وجد واحداً من الممالك خارج القصر، فدخل به حتى أخذ الكتاب من القادم به وفتحه ثم قرأه هو على السلطان.

وفي يوم الإثنين تاسعه: خلع على الطواشى زين الدين خشقدم^(١)، واستقر مقدم الممالك بعد موت الأمير فخر الدين ياقوت. وخشقدم هذا رومى الجنس، رباه الأمير يشبك وأعتقه، واشتهر فى الأيام المؤيدية شيخ، وترقى حتى عمل نائب المقدم، وعرف بالمهابة والحرمة الوافرة.

وفي سادس عشره: قدم الأمير تغرى بردى المحمودى من سجنه بدمياط، فرسم أن يتوجه من قلوب إلى دمشق، ليكون أتابك العساكر بها، فتوجه إليها.

وفي ثالث عشرينه: خلع على بدر الدين حسن بن القدسى، واستقر فى مشيخة الشيخونية بعد موت صدر الدين أحمد بن محمود العجمى.

وفي هذه الأيام: انحل سعر الغلال، وقد دخلت الغلة الجديدة، فأبيع الشعير بتسعين درهما الأردب، والقمح بمائتين وما دونها، وكثر الإرجاف بحركة قرايلك على البلاد الفراتية وأن شاه رخ بن تيمور شتا على قراباغ، فأخذ السلطان فى تجهيز العسكر للسفر.

(١) حَشَقْدَم بن عبد الله البَشْبَكِي (٨٥٦ هـ = ١٤٥٢ م)، الطواشى الرومى، الأمير زين الدين، مُقَدِّم الممالك السلطانية فى الدولة الأشرفية برسباى. أصله من خدام تغرى بردى الأتابكى اشتراه فى نيابته بحلب، ثم قدمه فى جملة خدام وممالك إلى أستاذه الملك الظاهر بقوق فى سنة تسع وتسعين وسبعمائة، فأنعم به الملك الظاهر على مملوكه الأمير فارس حاجب بالديار المصرية، ثم انتقل من ملك فارس المذكور إلى ملك الأمير يشبك الشعبانى فأعتقه يشبك المذكور، وبه عرف باليشبكي، واستمر خشقدم هذا فى خدمة أستاذه يشبك إلى أن قتل هو والأمير جاركس القاسمى المصارع بيد نوروز الحافظى بالقرب من بعلبك. فى سنة عشرة ومائمائة عاد إلى خدمة تغرى بردى الأتابكى وصار عنده مقدم الممالك، واستمر على ذلك إلى أن توفى تغرى بردى المذكور فى نيابته الأخيرة بدمشق فى سنة خمس عشرة ومائمائة، اتصل بخدمة السلطان الملك المؤيد، وصار من جملة الجمدارية الخاص، إلى أن جعله الملك الظاهر ططر نائب مقدم الممالك السلطانية «فاستمر فيها سنين إلى أن نقله الملك الأشرف برسباى إلى مقدمة الممالك السلطانية» بعد موت الأمير الطواشى اقتخار الدين ياقوت الأرغون شاوى فى سنة ثلاث وثلاثين ومائمائة، وولى النيابة من بعده الطواشى الرومى فيروز الركنى، فاستمر خشقدم فى وظيفته إلى أن توفى الملك الأشرف برسباى فى سنة إحدى وأربعين ومائمائة. وتسلطن ولده الملك العزيز يوسف من بعده. ثم وقع بين الملك العزيز وبين الأتابك حقمق عند خلع الملك العزيز وسلطنة حقمق وقعة، فكان خشقدم هذا من حزب الملك العزيز هو ونائبه فيروز. فلما تسلطن الملك الظاهر حقمق قبض عليهما مع من قبض عليه من الأمراء، وحبسهما بئغر الإسكندرية، فدام خشقدم هذا فى الحبس مدة، ثم نقل إلى القدس، ثم المدينة الشرفية، ثم عاد إلى القاهرة. ودام بها بطالا إلى أن توفى فى شوال سنة ست وخمسين ومائمائة. انظر المنهل الصافى ٥/ ٢٠٥ وما بعدها، الدليل ١/ ٢٨٥، النجوم ٧/ ٤٧، الهافى ١٣/ ٣١٧.

شهر شعبان، أوله الأربعاء:

فى ثالثه: منع نواب القضاة من الحكم، ورسم أن يقتصر الشافعى على أربعة نواب، والحنفى على ثلاثة، والمالكى والحنبلى كل منهما على نائبين، فما أحسن هذا إن تم.

وفى يوم الإثنين ثامنه: أدير محمل الحاج على العادة، ولم نعهده أدير قط فى شعبان، وإنما يدار دائما فى نحو نصف من شهر رجب، غير أن الضرورة بموت الممالك الرماحة اقتضت تأخير ذلك، حتى أن معلمى اللعب بالرماح أخذوا فى تعليم من بقى من الممالك ما عرفوا منه كيف يمسك الرمح، فكان الجمع فيه دون العادة.

وفى ثالث عشرينه: خلع على جمال الدين يوسف بن أحمد التزمتى - المعروف بابن الجير - أحد فضلاء الشافعية، واستقر فى مشيخة الخانكاه الصلاحية سعيد السعداء. وكان قاضى القضاة شهاب الدين أحمد بن الحمرة قد استنابه فيها. واستقر أيضا بدر الدين محمد بن عبد العزيز - المعروف بابن الأمانة - أحد خلفاء الحكم الشافعى فى تدريس الشافعية بالشيخونية، وكان ابن الحمرة قد استنابه عنه، فاستقل كل منهما بالوظيفة عوضا عن مستتبيه بحكم إقامته على قضاء دمشق. وخلع أيضا على أمين الدين يحيى بن محمد الأقصرى، واستقر فى مشيخة الأشرفية المستجدة، وتدریس الحنفية بها، عوضا عن كمال الدين محمد بن الهمام لرغبته عنها، تعففا وزهادة.

وفى هذا الشهر: انحطت الأسعار فأبيع القمح بمائة وخمسين درهما الأردب فما دونها، والشعير بتسعين فما دونها، والفول بسبعين درهما فما دونها. وبلغ الدينار الأشرفى إلى مائتين وثمانين درهما، والأفرنتى إلى مائتين وستين.

وفيه كثر الاستعداد لسفر السلطان.

شهر رمضان، أوله الأربعاء:

فى تاسعه: قرر السلطان فى جامعہ المستجد بجوار قيسارية العنبر من القاهرة دروسا ثلاثة، فجعل مدرس الشافعية شمس الدين محمد بن على بن محمد بن يعقوب القاياتى. وقرر عنده عشرين طالبا، وجعل مدرس المالكية عبادة بن على بن صالح الزرزارى، مولده سنة ثمان وسبعين وسبعمائة وعنده عشرة من الطلبة وجعل مدرس الحنابلة زين الدين عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله المعروف بابن الزركشى، ومعه عشرة من الطلبة. ومولد عبد الرحمن الزركشى فى تاسع عشر شهر رجب سنة ثمان وخمسين وسبعمائة. وسمع على محمد بن إبراهيم البنانى صحيح مسلم.

وفي يوم السبت ثامن عشره: قدم كاتب السر بجلب، شهاب الدين أحمد بن صالح ابن السفاح، باستدعاء ليستقر في كتابة السر بديار مصر، ويستقر عوضه في كتابة السر بجلب ابنه زين الدين عمر، على أن يحمل عشرة آلاف دينار. وكانت كتابة السر قد شغرت بعد موت السيد الشريف شهاب الدين، فباشر أخوه عماد الدين أبو بكر أيما قلائل، ومات فباشر شرف الدين أبو بكر الأشقر نيابة حتى يلى أحد، وسعى فيها جماعة، فاختر السلطان ابن السفاح، وبعث في طلبه وخلع عليه في عشرينه.

وفي ثالث عشرينه: قدم رجل ادعى أنه شريف - اسمه هاشم - بكتاب شاه رخ ابن تيمور، ومعه هدية هي عدة قطع فيروزج، ولم يختم الكتاب، ولا كتب فيه بسملة، بل ابتدأ بقوله تعالى: ﴿ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل﴾^(١) إلى آخر السورة، وخاطب السلطان فيه بالأمير برسباي، وأبرق وأرعد.

وفي تاسع عشرينه: ابتدئ بالنداء على النيل، وقد بلغت القاعدة ستة أذرع وثلاثة أصابع.

شهر شوال، أوله الخميس:

أهل هذا الشهر وعامة المبيعات من الغلال واللحوم والفواكه رخيصة جدا.

وفي يوم الثلاثاء عشرينه: برز محمل الحاج وكسوة الكعبة إلى الريدانية خارج القاهرة. فرحل الركب الأول في ثاني عشرينه، ورحل المحمل من بركة الحاج في ثالث عشرينه.

وفي يوم الخميس ثاني عشرينه: نودي على النيل بزيادة إصبع واحد لثمة خمسة وعشرين إصبعا من الذراع التاسعة، ولم يناد عليه من الغد، فتوقفت الزيادة، ثم نودي عليه من يوم الأحد.

وفي يوم السبت رابع عشرينه: قدم المماليك السلطانية من التجريدة إلى الرها. وخلع على سليمان بن عذراء بن علي بن نعير بن حيار بن مهنا، واستقر أمير المملأ عوضا عن مدلج بن نعير، وعمره نحو خمس عشرة سنة.

شهر ذي القعدة، أوله السبت:

في ثانيه: قدم رسول شاه رخ أيضا بكتابه.

(١) سورة الفيل آية (١).

٢١٢ سنة ثلاث وثلاثين وثمانائة

وفى ثالثه: خلع على الوزير صاحب كريم الدين ابن كاتب المناخ، واستقر أستاذاراً عوضاً عن الأمير علاء الدين آقبغا الجمالى مضافاً إلى الوزارة.

وفى سادس عشره: قبض على آقبغا الجمالى، وعوقب على المال.

وفى يوم الثلاثاء ثامن عشره - وخامس عشر مسرى - : كان وفاء النيل ستة عشر ذراعاً، فركب السلطان حتى خلق المقياس، وفتح الخليج. ولم يركب لذلك منذ تسلطن إلا هذه السنة.

وفى رابع عشرينه: خلع على آقبغا الجمالى وأخرج لكشف الجسور.

وفى سادس عشرينه: نودى على النيل بزيادة ثلاثة أصابع لتتمة سبعة عشر ذراعاً، وتسعة أصابع.

وفيه نقص النيل لتقطع الجسور، من فساد عمالها، فتوقفت الزيادة.

وفى ليلة السبت خامس عشره: ظهر للحجاج - وهم سائرون من جهة البحر الملح. - كوكب يرتفع ويعظم، ثم يفرع منه شرر كبار، ثم اجتمع. فلما أصبحوا اشتد عليهم الحر فهلك من المشاة ثم من الركبان عالم كثير، وتلف من حاملهم وحميرهم عدد عظيم، وهلك أيضاً فى بعض أودية ينبع جميع ما كان فيه من الإبل والغنم، كل ذلك من شدة الحر والعطش.

شهر ذى الحجة، أوله الإثنين:

فيه نودى على النيل برد النقص وزيادة ثلاثة أصابع، لتتمة سبعة عشر ذراعاً ونصف.

وفى يوم الثلاثاء ثامنه: نزل السلطان من قلعة الجبل إلى بيت ابن البارزى المطل على النيل، وقدم بين يديه فى النيل غرابان حربية، فلعبا كما لو حاربا الفرنج، ثم ركب سريعا، وعاد إلى القلعة.

وفى عاشره: توجه عظيم الدولة القاضى زين الدين عبد الباسط ناظر الجيوش ومدبر الدولة فى جماعته لزيارة القلس.

وفى عشرينه - الموافق لثانى عشر توت - : نودى على النيل بزيادة إصبع واحد، لتتمة تسعة عشر ذراعاً وعشر أصابع ولم يناد عليه من الغد، ونقص عشر أصابع لتقطع الجسور.

وفى سابع عشرينه: قدم مبشرو الحاج، وأخبروا بهلاك من هلك من العطش.

وفى تاسع عشرينه: قدم القاضى زين الدين عبد الباسط من القدس.

وفى سلخه: نودى على النيل برد النقص وزيادة إصبعين.

وفى هذا الشهر: توجه الأمير قصره نائب حلب والأمراء المحردون من مصر بمن معهم لمحاربة قرقماس بن حسين بن نعيم، فلقوا جماعه تجاه قلعة جعير^(١) وقد أخلى الجليل، فأخذ العسكر فى نهب البيوت، فخر عليهم العرب فقتلوا كثيرا منهم، وفيهم أتاك حلب، وسلبوهم، فعادوا إلى حلب بأسوأ حال.

فكانت هذه السنة ذات مكاره عديدة من أوبئة شنة، وحروب وفتن، فكان بأرض مصر - بحريها وقبليها - وبالقاهرة ومصر وظواهرهما، وباء مات فيه - على أقل ما قيل - مائة ألف إنسان والمجازف يقول المائة ألف من القاهرة فقط، سوى من مات بالوجه القبلى والوجه البحرى، وهم مثلى ذلك، وغرق ببحر القلزم فى شهر ذى القعدة مركب فيه حجاج وتجار يزيد عددهم على ثمانمائة إنسان، لم ينج منهم سوى ثلاثة رجال، وهلك باقيهم، وهلك فى ذى القعدة أيضا بطريق مكة - فيما بين الأزلم وينبع - بالحر والعطش ثلاثة آلاف ويقول المكثر خمسة آلاف، وغرق بالنيل فى مدة يسيرة اثنتا عشرة سفينة، تلف من البضائع والغلال ما قيمته مال عظيم. وكان بغزة والرملة والقدس وصفد ودمشق وحمص وحماة وحلب وأعمالها وباء، هلك فيه خلائق لا يحصى عددها إلا الله تعالى. وكان ببلاد المشرق بلاء عظيم، وهو أن شاه رخ بن تيمور ملك المشرق، قدم إلى توريز فى عسكر يقول المجازف عدتهم سبعمائة ألف. فأقام على حوى^(٢) نحو شهرين، وقد فر منه إسكندر بن قرا يوسف، فقدم عليه الأمير عثمان بن طر على - المعروف بقرايلىك التركمانى - صاحب آمد فى ألف فارس، فبعثه على عسكر لمحاربة إسكندر، وسار فى إثره، وقد جمع إسكندر جمعا يقول المجازف إنهم سبعون ألفا، فاقتتل الفريقان خارج توريز، فقتل بينهما آلاف من الناس، وانهمز إسكندر وهم فى أثره يقتلون ويأسرون وينهبون فأقام إسكندر ببلاد الكرج، ثم نزل بقلعة سلماس، وحصرته العساكر مدة، فنج منهم، وجمع نحو الأربعة آلاف، فبعث إليه شاه رخ عسكرا أوقعوا به وقتلوا من معه، فنج بنفسه جريجا.

(١) قلعة جعير: على الفرات مقابل صفين التى كانت فيها الوقعة بين معاوية وأمير المؤمنين على ابن أبى طالب رضى الله عنهما. انظر معجم البلدان ٣٩٠/٤.

(٢) حوى: إحدى مدن أذربيجان. انظر تقويم البلدان.

وفى مدة هذه الحروب ثار أصبهان بن قرا يوسف، ونزل على الموصل ونهب تلك الأعمال، وقتل وأفسد فسادا كبيرا، وكانت بعراقى العرب والعجم نهوب وغارات ومقاتل، بحيث أن شاه محمد بن قرا يوسف - متملك بغداد - من عجزه لا يتحاسر على أن يتجاوز سور بغداد، وخلا أحد جانبي بغداد من السكان، وزال عن بغداد اسم التمدن، ورحل عنها حتى الحياك، وجف أكثر النخل من أعمالها، ومع هذا كله، فوضع شاه رخ على أهل توريز مال الأمان، حتى ذهبت فى جبايته نعمهم، ثم جلاهم بأجمعهم إلى بلاده، وكثر الإرجاف بقدمه إلى الشام، فأوقع الله فى عسكره الغلاء والوباء حتى عاد إلى جهة بلاده، وعاد قرابيك إلى ماردين فنهبها، ونهب ملطية وما حولها إلى عيتاب وحرقتها.

وكان ببلاد السراى والدشت وصحارى فى هذه السنة والتى قبلها قحط شديد، ووباء عظيم جدا، هلك فيه عالم كبير، بحيث لم يبق منهم ولا من أنعامهم إلا أقل من القليل. وكان ببلاد الحبشة بلاء لا يمكن وصفه، وذلك أنا أدركنا ملكها داود بن سيف أرعد بن قسطنطين - ويقال له الخطى - ملك أحمرة، وهو وهم نصارى يعقوبية. فلما مات فى سنة اثنتى عشرة وثمانمائة، قام من بعده ابنه تدرس بن داود، فلم تطل مدته، ومات. فملك بعده أخوه أبرم، ويقال له إسحاق بن دواد بن سيف أرعد، وفخم أمره، وذلك أن بعض مماليك الأمير بزوار نائب الشام ترقى فى الخدم، وعرف بألطنبغا مغرق، حتى باشر ولاية قوص من بلاد الصعيد، ثم فر إلى الحبشة واتصل بالخطى هذا، وعلم اتباعه لعب الرمح، ورمى الشباب وغير ذلك من أدوات الحروب، ثم لحق بالخطى أيضا بعض المماليك الجراكسة - وكان زرد كاشا - فعل له زرد خاناه ملوكية، وتوجه إليه مع ذلك رجل من كتاب مصر الأقباط النصارى - يقال له فخر الدولة - فرتب له مملكته، وجبى الأموال وجند له الجنود، حتى كثر ترفه، بحيث أخبرنى من شاهده وقد ركب فى موكب جليل وفى يده صليب من ياقوت أحمر، وقد قبض عليه ووضع يده على فخذه، فصار يبين ويظهر لهذا الصليب الياقوت طرفان كبيران من قبضته، فشرهت نفسه إلى أخذ ممالك الإسلام لكثرة ما وصف له هؤلاء من محاسنها، فبعث بالتوريزى التاجر ليدعو الفرنج للقيام معه، وأوقع فى بمن مملكته من المسلمين، فقتل منهم وأسر وسبى عالما عظيما. وكان ممن أسر منصوراً ومحمداً، ولدى سعد الدين محمد بن أحمد على بن ولصمع الجيرتى - ملك المسلمين بالحبشة، فعاجله الله بنقمته، وهلك فى شهر ذى القعدة، فأقيم بعده ابنه اندراس بن إسحاق، فهلك لأربعة أشهر، فأقيم بعده عمه حزبنای بن داود بن سيف أرعد، فهلك فى شهر رمضان سنة أربع وثلاثين، فأقيم بعده

ابن أخيه سلمون بن إسحاق بن داود بن سيف أرعد، فكانت على أحرمة أربعة ملوك في أقل من سنة.

وفي هذه المدة: ثار جمال الدين ابن الملك سعد الدين محمد بن أحمد بن علي بن ولصمع الجيرتي. وذلك أن سعد الدين محمد لما قام بأمر المسلمين أكثر من محاربة النصارى، واتسعت مملكته، وحارب الخطى غير مرة حتى استشهد بعد سنة عشر وثمانمائة، فتمزق أصحابه، وذهب ملكه، ولحق أولاده بزبيد، فأكرمهم ملك اليمن، ثم عادوا إلى الحبشة بعد سنين، فقام بالأمر صبر الدين علي بن سعد الدين مدة ثمانى سنين، ومات، فقام من بعده أخوه منصور بن سعد الدين بأمر المسلمين فى بلاد الحبشة، وحارب الخطى مرارًا آخرها فى سنة ثمان وعشرين وثمانمائة، وقد سار إليه فى عدد جم، وأوقع بالنصارى واقعة شنعاء، قتل فيها وأسرى وسبى عالما كبيرا، بحيث كان عدة من أسر عشرة آلاف، ورجع مظفرا منصورًا، فسار عليه الخطى فى آلاف كثيرة وواقعه، فقتل من أحرمة أتباع الخطى خلق كبير، ولم يقتل من المسلمين سوى دون العشرين رجلا، إلا أنه وقع فى قبضة الخطى إسحاق بن داود بن سيف أرعد منصور بن سعد الدين^(١)، وأخوه محمد، وانهزم المسلمون، فقيدهما ورجع إلى مقر ملكه، وقد كاد يظير

(١) إسحاق بن داود بن يوسف أرعد، ملك الحبشة، وصاحب أحر الملقب بالخطى (٨٣٣ هـ، ٤٣٠ م). قال المقرزى فى «الإمام» ص: ٤ وما بعدها. أدركنا أبا داود، وقدمت رسله بكتابه وهديته إلى الملك الظاهر برفوق، وهلك سنة اثنتى عشرة وثمانمائة، وقد طالبت مدته فأقيم بعده ابنه تندرؤس وهلك سريعًا، فأقيم من بعده أخوه إسحاق، وفخم أمره، وذلك أن بعض المماليك الأتراك أو الجراكسة كان يسمى ألطنبغا مغرق فر إليه وحظى عنده لما يتقنه من الآلات الحربية وأدوات القتال كاللعب بالرمح ورمى السهام ونحو ذلك، ولحق به أيضا زردكاش من المماليك الجراكسة فعمل له زردخاناة عظيمة، وتعلم عسكريه أنواعا من صنائع الحرب، ثم قدم عليه رجل من كتاب مصر النصارى يعرف بفخر الدولة، فرتب له مملكته وحجى له الأموال، فصار ملكا بعدما كانت مملكته ومملكة أبائه همجا، ولا ديوان لها ولا قانون، فانضبطت عنده الأمور، وتميز زيه عن رعيته، بحيث أحررنى من شاهده وهو راكب وفى يده صليب من ياقوت أحرر قد قبض عليه بيده اليمنى، ووضعها على فخذه، وطرفا الصليب بارزان عن يده، وذلك بعدما أحررنى برهان الدين إبراهيم الدمياطى، وكان الظاهر برفوق بعثه رسولا إلى الخطى داود بن يوسف أرعد، أنه لا يزال عريانا، حاسر الرأس، وأنه يعصب رأسه بعصابة حمراء، وانه شاهده وقد حجى إليه بكرش بقوة قد نفى منها ما فيها من الفرث ولم تغسل على نار فصار يأكلها نيئة وما بقى بها من الفرث يسيل من جانبى فمه. فلما كبرت مملكة إسحاق وسوس إليه شياطينه بأخذ ممالك الإسلام فأوقع بمن فى ممالك الحبشة من المشلمين وقائع شنيعة طويلة، قتل منهم فيها وسبى وأسرى مما لا يحصيه إلا الله خالفهم، فأزال دولة سعد الدين وأسرى ابنه منصور أبو محمد، وكتب إلى بلاد الفرنج من بها من الفرنج على «المسير إلى»

فرحا، فلما قرب من مدينة الملك، أركب الملك المنصور كهيته فى مملكته، وسار فى العساكر به حتى دخل المدينة، فأنزله وأخاه محمدا بدار وأجرى لهم ما يليق بهما، ووكل بهما الحرس، فقام بأمر المسلمين بعد منصور أخوه جمال الدين بن سعد الدين، فلما مات الخطى إسحاق بن داود جمع جمال الدين المسلمين وأغار على بلاد أحرمة، فدوخ تلك البلاد، وقتل وأسر وسبى عالما عظيما، واستسلم منهم أمما كثيرة، فأقر كل من أسلم ببلاده، وولى عليهم من قبله، فاتسع نطاق مملكته، وقويت عساكره، وكثرت أموالهم، وبعث بالسبى إلى الآفاق، فكثرت الرقيق من العبيد والإماء ببلاد اليمن والهند وهرمز والحجاز ومصر والشام والروم، وظهر من ثبات جمال الدين وشجاعته وصرامته ومهابته وعدله ما يتعجب منه، بحيث أن بعض أولاده الصغار لعب مع صبيان من الحبشة، فضرب منهم صبيا كسر يده، فكتموا ذلك عنه مدة ثم بلغه الخبر، فجمع أعيان الدولة ولا مهم على كتمان خير ولده عنه، ثم أمر بولده فجىء به محمولا على الكتف لصغره حتى يقتص به، فقام إليه الأعيان بأجمعهم يشفعون فيه ويلتزمون بإحضار أولياء الغريم، فلم يقبل شفاعتهم فيه، فأحضروا أبا الصبى وأهله، فأسقطوا حقهم، وتضرعوا إليه جهدهم فى العفو عن ولده، فلم يجيبهم، وأخذ ابنه بيده، ومد يده على حجر، وضرب عضده بحديدة، فكسره، والأعيان قيام يبكون لبكاء الصغير، وهو يقول له: «تألم كما آلمت هذا الصغير». ثم سار به الخدم وهو يصيح من الألم إلى أمه، حتى تمرضه فكان يوما مهولا، ولم يجسر بعد ذلك أحد فى مملكته أن يظلم أحدا. وله من هذا النمط عدة أخبار، مع العفة والنسك والاستبداد بجميع أموره، وأمور مملكته، ووفور الحرمة، وقمع أهل الفساد، وإزالة المنكرات، فالله يؤيده بعونه.

وأما بلاد المغرب، فإن متملك فاس أبا زيد عبد الرحمن حفيد السلطان أبى سالم إبراهيم، ثار عليه السعيد أبو عبد الله محمد المعروف بالجبلى ابن أبى عامر عبد الله بن أبى سعيد عثمان بن أبى العباس أحمد بن أبى سالم إبراهيم بن أبى الحسن، فى أوائل سنة ثمان وعشرين، وملك فاس، وقتله، وخرج إلى الشاوية فقتلوه، وأقيم ولده أبو عبد الله محمد، فقام الوزير صالح وبيع الناصر أبى على بن أبى سعيد عثمان، فقدم أبو عمرو بن السعيد محمد بن عبد العزيز بن أبى الحسن من إفريقية، وملك فاس، ثم فر، فأعيد الناصر

=بلاد» المسلمين ليوافوه بالبحر إذا قدم هو فى البر، وواعدهم على ذلك فعاجله الله بنفسه وأهلكه عقيب ذلك فى ذى القعدة سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة، وأيد عليه وعلى قومه - أحرمة النصارى - جمال الدين بن سعد الدين محمد فجمع من المسمين طائفة وقام يعيث فى بلاد الخطى ويسبى ويغنم. انظر المنهل الصافى ٢ / ٣٥٨ وما بعدها.

أبو علي، فعالجه أخوه أبو محمد عبد الحق بن أبي سعيد^(١) وملك فاس بعد قتال في آخر شهر رجب، سنة ثلاث وثلاثين.

* * *

ومات في هذه السنة من الأعيان

ولى الدين محمد بن الدمياطى فى ليلة الثلاثاء ثانى شهر ربيع الأول، وقد تجاوز الثمانين، ولى وكالة بيت المال ونظر الكسوة فى الأيام الناصرية، ثم تعطل حتى مات، وكان قليل الشر.

ومات شرف الدين أبو الطيب بن تاج الدين عبد الوهاب بن نصر الله فى ليلة الأربعاء سابع عشر شهر ربيع الأول، ومولده فى ليلة السبت خامس عشرين شهر ذى القعدة، سنة سبع وتسعين وسبعمائة. وكتب فى الأنشاء، وولى نظر وقف الأشراف ونظر الكسوة، ودار الضرب، فشكرت سيرته.

ومات كريم الدين عبد الكريم بن سعد الدين بركة، المعروف بابن كاتب حكم، ناظر الخاص، فى ليلة الجمعة العشرين من شهر ربيع الأول. خدم أبوه بكتابة الديونة حتى باشر ديوان الأمير حكم، وترقى ابنه كريم الدين فى الخدم الديوانية، وباشر استيفاء الدولة ثم نظر الدولة ثم نظر الخاص. وكان مشكوراً، فيه خير وبر، وله صدقات كثيرة.

ومات الأمير أزيك الدوادار بالقدس، فى يوم الثلاثاء سادس عشر شهر ربيع الأول، وهو أحد ممالك الظاهر برفوق. وكان غير مشهور بارتكاب الفواحش.

ومات الأمير كمشبحا الفيسى بدمشق فى رابع عشر شهر ربيع الآخر، وهو أحد الأمراء الناصرية فرج. وكان بها أمير أخور، ثم انحطت رتبته فى الأيام المؤيدية، وأخرج إلى الشام ولم يشهر بشئ من الخير.

ومات الملك المظفر أحمد بن المؤيد شيخ المحمودى بنغر الإسكندرية، فى ليلة الخميس آخر شهر جمادى الأولى، هو وأخوه إبراهيم، وحملوا إلى القاهرة، بعدما دفنا بالثغر، فقدموا فى يوم الإثنين نصف شعبان، ودفنا بجوار أبيهما فى القبة من الجامع المؤيدى، ولم يبق للمؤيد بعدهما ولد ذكر.

(١) الرينى (٨٦٩ هـ - ١٤٦٥ م). عبد الحق بن عثمان بن أحمد، أبو محمد الرينى: آخر ملوك بنى مرين، من بنى عبد الحق بالمغرب. قال السلاوى. وهو أطولهم مدة. وأعظمهم حنة وشدة ولى بفاس بعد وفاة أبيه سنة ٨٢٣ هـ. انظر الاستقصا ١/٤٩٩، جذوة الاقتباس ٢٧٤، ٣٣٦، لقط الفرائد - خ - الضوء اللامع ٤/٣٧ ابن إياس ١٥٣، سلوة الأنفاس ٣/١٦٨. الأعلام ٣/٢٨١.

ومات الشريف على بن عنان بن مغامس بن رميثة بن أبي ندى محمد بن حسن بن على بن قتادة بن إدريس بن مطاعن بن عبد الكريم بن عيسى بن حسن بن سليمان ابن على بن عبد الله بن محمد بن موسى بن عبد الله بن موسى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن على بن أبي طالب، رضى الله عنه، أمير مكة، وهو بالقاهرة، مطعوناً، فى يوم الأحد ثالث جمادى الآخرة. وكان قد توجه بعد عزله إلى بلاد المغرب، فأكرمه أبو فارس عبد العزيز صاحب تونس، ثم عاد فطالت عطلته وإقامته بالقاهرة. وكان جميل المحاضرة، له معرفة بالأدب.

ومات الأمير ببيغا المظفرى، فى ليلة الأربعاء سادس جمادى الآخرة. وهو أحد المماليك الظاهرية، وترقى فى الخدم حتى صار من أمراء الألوفا فى الأيام الناصرية فرج، ونكب وسجن مرارا، وعمل أتابك العساكر، وكان تركى الجنس، قوى النفس، لم ييك منه على دين ولا دنيا.

ومات الأمير برد بك أحد الألوفا، فى يوم الأحد، عاشر جمادى الآخرة.

ومات الأمير صارم الدين إبراهيم ابن الأمير الوزير ناصر الدين محمد بن الحسام الصقرى، فى ليلة الثلاثاء ثامن عشر جمادى الآخرة. وكان يتزيا بزى الأجناد، ويكتب الخط المنسوب، ويحب الأدب وأهل الفضائل، وباشر الحسبة فى الأيام المؤيدية شيخ.

ومات الأمير ناصر الدين محمد بن السلطان الملك الناصر فرج بن الظاهر برقوق بالإسكندرية فى يوم الإثنين حادى عشره؛ وله من العمر إحدى وعشرون سنة، وأمه أم ولد، اسمها عاقولة.

ومات الأمير زين الدين قاسم ابن الأمير الكبير كمشبغا احموى، أحد الحجاب، فى ليلة الثلاثاء تاسع عشره.

ومات الشيخ يحيى سيف الدين يوسف بن محمد بن عيسى السيرامى، الحنفى، شيخ الظاهرية المستجدة، بين القصرين. وكان من أعيان الفقهاء الحنفية، وفضلائهم، أفتى ودرس عدة سنين.

ومات الخليفة أمير المؤمنين المستعين بالله أبو الفضل العباس بن المتوكل على الله أبى عبد الله محمد بن المعتضد بالله أبى الفتح أبى بكر بن المستكفى بالله أبى الربيع سليمان ابن الحاكم أبى العباس أحمد بن أبى على الحسن بن أبى بكر العباسى بالإسكندرية، فى يوم الأربعاء العشرين من جمادى الآخرة، ولم يبلغ الأربعين وترك ولداً ذكره اسمه يحيى. وكان خيراً ديناً هيناً لينا، حشماً وقوراً، إلا أن الأيام لم تسعده، والأقدار لم تساعده.

ومات الأمير ناصر الدين محمد بن السلطان الملك الأشرف برسباى، فى يوم الثلاثاء سادس عشرينه. وقد ترشح للسلطنة بعد أبيه، فدفن على أمه بالأشرفية المستجدة بالقاهرة.

ومات الأمير الطواشى مرجان الهندى الخازندار، فى سادس عشرين جمادى الآخرة، وبلغ فى أيام السلطان الملك المؤيد شيخ مبلغا كبيرا من التمكن فى الدولة، ثم انحط بعد موته.

ومات الأمير زين الدين عبد القادر أستاذار ابن الأمير الوزير أستاذار فخر الدين عبد الغنى بن الأمير الوزير أستاذار عبد الرزاق بن أبى الفرج، فى يوم الأربعاء سابع عشرينه، ودفن على أبيه بمدرسه، وكان ساكنا لنا محبا لأهل الخير.

ومات السلطان الملك الصالح محمد بن الظاهر ططر، فى ليلة الخميس ثامن عشرينه، وانقرض بموته عقب ططر.

ومات السيد الشريف شهاب الدين أحمد بن علاء الدين على بن برهان الدين إبراهيم بن عدنان بن جعفر بن محمد بن عدنان الحسينى كاتب السر، فى ليلة الخميس ثامن عشرين جمادى الآخرة. ومولده فى سابع شوال سنة أربع وسبعين وسبعمائة بدمشق. ونشأ بها، وولى كتابة السر، وقضاء القضاة الشافعية، ونظر الجيش بها، ثم طُلب وولى كتابة السر بديار مصر، فسار فيها أجمل سيرة، رحمه الله.

ومات تقى الدين يحيى بن العلامة شمس الدين محمد الكرمانى الشافعى، فى يوم الخميس ثامن عشرين جمادى الآخرة، وكان فاضلا فى عدة فنون، قدم من بغداد قبل سنة ثمانمائة، وأشهر شرح أبيه على البخارى، وصحب الأمير شيخ الحمودى، وسافر معه إلى طرابلس لما ولى نيابتها، وتقلب معه فى أطوار تلك الفتن، وقدم معه القاهرة، فلما تسلطن، عمله ناظر المارستان المنصورى. وكان ثقیل السمع.

ومات الشريف سرداح بن مقبل بن نخباز بن مقبل بن محمد بن راجح بن إدريس بن حسن بن أبى عزيزة قتادة بن إدريس بن مطاعن بن عبد الكريم بن عيسى بن حسن بن سليمان بن على بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن موسى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب رضى الله عنه فى آخر جمادى الآخرة، وولى أبوه مقبل ابن نخباز إمرة ينبع مدة، ثم وثب عليه ابن أخيه عقيل بن وبير بن نخباز وحاربه بأهل الدولة فى سنة خمس وعشرين وثمانمائة، ثم قبض عليه وحمل إلى سجن الإسكندرية، فمات به، وكحل ابنه سرداح هذا حتى تفقأت حدقتاه وسالتا، وورم دماغه، ونتين.

فتوجه بعد مدة من عماءه إلى المدينة النبوية، ووقف عند قبر المصطفى ﷺ وشكا ما به، وبات تلك الليلة، وأصبح وعيناه أحسن ما كانتا. وذلك أنه رأى رسول الله ﷺ، فمسح عينيه بيده المقدسة، فانتبه وهو يبصر، واشتهر ذلك عند أهل المدينة، ثم قدم القاهرة، فشق ذلك على السلطان وأغضبه، واستدعى الذين تولوا كحله، وسمل عينيه، وضربهما. فأقاما عنده من آخره بمشاهدة الميل وقد أحمى فى النار ثم كحل به فسألت حدقتهما بحضورهم، وكذلك أخبر أهل المدينة أنهم رأوه ذاهب الحدقتين، وأنه أصبح عندهم وهو يبصر، وقص عليهم رؤياه، فترك حاله حتى مات بالطاعون، فضم - أعزك الله - هذه إلى قضية عجلان بن نعيم وأخواتها، وتنبه بها لإكرام الله تعالى لآل بيت نبيه ﷺ عساك تقوم لهم ببعض ما يجب من حقوقهم، إن وفقك الله لذلك.

ومات الطبيب الفاضل جمال الدين يوسف بن البرهان إبراهيم بن عبد الله بن داود ابن أبى الفضل بن أبى المنى بن أبى البيان الدوادارى الإسرائيلى فى أول شهر رجب، وقد أناف على التسعين.

ومات الأمير الطواشى فخر الدين ياقوت مقدم المماليك، فى يوم الإثنين ثانى شهر رجب. وكان حبشى الجنس، وشهرته جميلة.

ومات الأمير سيف الدين يشبك أخو السلطان، فى رابع رجب، وهو أحد الأمراء الألوفا.

وماتت خوند هاجر ابنة الأمير منكلى بغا الشمسى، فى رابع رجب، وأمها خوند فاطمة بنت الملك الأشرف شعبان بن حسين بن محمد بن قلاوون وتزوجها الظاهر برقوق بكرا، وحظيت عنده حتى مات. وهى آخر نسائه موتا، ولم تعقب.

ومات الشيخ نصر الله بن عبد الله بن محمد بن إسماعيل العجمى، فى ليلة الجمعة سادس رجب. وكان قدم القاهرة بعد الثمانمائة على قدم التجريد، فصحب الأمراء حتى كثر ماله، وعين لكتابة السر، وكان يكتب الخط المنسوب، ويتكلم فى علم التصوف على طريقة ابن العربى، وله مشاركة فى فنون وعدة مصنفات.

ومات فخر الدين ماجد، ويدعى عبد الله بن السيد، أبى الفضائل بن سناء الملك المعروف بابن المزوق فى ليلة الخميس ثانى عشر رجب. وولى كتابة السر. ونظر الجيش فى الأيام الناصرية، ثم ولى نظر الإصطبل، وتعطل بعد ذلك مدة.

ومات الشريف عماد الدين أبو بكر بن على بن إبراهيم بن عدنان الحسينى فى ليلة

الجمعة ثالث عشر رجب، ولم يبلغ الأربعين. وكان قد قدم على أخيه السيد شهاب الدين أحمد، فوقع الوباء ومات أخوه، فباشر بعده، وتعين لكتابة السر، ففأصتته المنايا، وعاجله ريب المنون، ومات رحمه الله.

ومات الشيخ زين الدين أبو بكر بن عمر بن عرفات بن عوض القمنى، فى ليلة الجمعة ثالث رجب، عن نحو الثمانين، وقد صار من أعيان الفقهاء الشافعية وفضلائهم، مع الديانة والنسك، رحمه الله.

ومات أبو مسلم هاييل بن الأمير عثمان بن طر على - المعروف بقرايك التركمانى - فى يوم الجمعة ثالث عشر رجب، وهو مسجون.

ومات صدر الدين أحمد بن جمال الدين محمود بن محمد بن عبد الله القيصرى - المعروف بابن العجمى ^(١) - فى يوم السبت رابع عشر رجب. وقد ولى الحسبة بالقاهرة مراراً، وولى نظر الجيش بدمشق، وكان من فضلاء الحنفية، وله معرفة جيدة بالنحو.

(١) أحمد بن محمود بن محمد بن عبد الله، العلامة صدر الدين ابن قاضى القضاة جمال الدين القيصرى العجمى الحنفى، الشهير بابن العجمى محتسب القاهرة، وشيخ الشيخوخة. مولده بالقاهرة وبها نشأ وطلب العلم، ولازم علماء عصره إلى أن برع فى الفقه والأصول والعربية والمعانى والبيان وغير ذلك، وأتقن ودرس، وكان معدوداً من فقهاء الحنفية الأذكياء الفضلاء، وتولى عدة وظائف: نظر جيش دمشق، وحسبة القاهرة غير مرة، ونظر الجوالى ومشيخة الشيخونية دينية. وكان عنده حذق وذوق ومحاضرة حسنة، وكرم وتواضع، مع بلاغة وفصاحة عبارة، وإقدام وطلاقة لسان، بحاثاً مستحضراً ذكياً، وكان يجالس الملك المؤيد شيخ ويناديه، مما وقع له من حسن الاستدراك معه أن الملك المؤيد أرسل مرة تجريدة من الأمراء والمماليك السلطانية إلى الصعيد وعليهم الأمير فخر الدين بن أبى الفرج الأستادار، فلما كان فى بعض الأيام، وجد الملك المؤيد شيخ مقبوض الخاطر مع جلسائه مهموماً، فقيل له فى ذلك، فقال رأيت الليلة فى منامى أن فخر الدين الأستادار مكشوف الرأس فأهمنى ذلك، فلما سمع جلساء المؤيد منه منه ذلك سكت الجميع إلا صدر الدين هذا، فإنه بادر وقال أبشر له بالنصر يا مولانا السلطان، فالتفت إليه المؤيد وقال: وكيف ذلك؟ ومن أين لك هذا؟ قال من قول الشاعر:

نا ابن حلا وطـلاع الثنايا تى أضع العمامة تعرفونى

فكان يا مولانا السلطان عندهم كشف الرأس علامة النصر، وكذا يجرى إن شاء الله، فاستحسن الملك المؤيد منه ذلك، ووقع بعد أيام كما قال صدر الدين، وانتصر فخر الدين بن أبى الفرج وعاد منصوراً، وله من هذا أشياء. توفى بالطاعون فى يوم السبت رابع عشر شهر رجب سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة، رحمه الله تعالى. وانظر الترجمة فى: الدليل الشافى ١/٨٩، والنجوم الزاهرة ١٥/١٦٧، وأنباء الغمر ٣/٤٤٢، والضوء اللامع ٢/٢٢٣، وشذرات الذهب ٧/٢٠٢، ونزهة النفوس ٣/٢١٣.

٢٢٢ سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة

ومات جلال الدين محمد بن بدر الدين محمد بن محمد بن مزهر، فى ليلة الإثنين سادس عشرين رجب، عن نحو عشرين سنة. وولى كتابة السر بعد أبيه، فكان حظه منها الاسم.

ومات زين الدين محمد بن شمس الدين محمد بن محمد بن أحمد بن عبد الملك الدميرى، فى يوم الأربعاء ثالث شعبان. وولى حسبة القاهرة ونظر البيمارستان المنصورى. وكان من الفقهاء المالكية، وله معرفة بالعربية.

ومات الأمير مدلج بن على بن نعيم بن حيار بن مهنا، أمير آل فضل، مقتولا، فى ثانى عشر شوال، بظاهر حلب.

ومات شيخ الرفاعية الشيخ نور الدين على فى العشرين من جمادى الآخرة عن خمس وستين سنة.

ومات شمس الدين محمد بن المعلمة السكندرى، فى سابع شعبان. وولى حسبة القاهرة.

* * *

سنة أربع وثلاثين وثمانمائة

أهل شهر الله المحرم بيوم الأربعاء: والأسعار رخيصة؛ القمح كل أردبين - وشيء - بدينار، والشعير والفول كل أربعة أراذب بدينار هرجة.

وفي يوم الخميس عاشره - وثاني بابة - : انتهت زيادة النيل إلى تسعة عشر ذراعا وعشرين إصبعا؛ ونقص من الغد.

وفي ثامن عشره: قدم الأمراء المجردون، وهم قرقماش حاجب الحجاب، وأركماس الدوادار، وبقية الأمراء.

وفي ثالث عشرينه: قدم ركب الحاج الأول، وقدم المحمل ببقية الحاج فى رابع عشرينه، وقد هلك كثير منهم - ومن جمالمهم وحميرهم - عطشا فيما بين أكره وينبع، وهم متوجهون إلى مكة.

وفي سابع عشرينه: برز الأمراء المجردون إلى ظاهر القاهرة، وهم الأمير الكبير شارقتلوا، والأمير أينال الحكمى، والأمير تمتاز الدقماقى، والأمير أقبغا التمرازى، والأمير مراد خجا، فى عدة من أمراء الطبلخاناه والعشرات، ومن الممالك السلطانية خمسمائة مملوك، وسبب تجردهم أن قرايلك نزل فى أول هذا الشهر على معاملة ملطية فنهبا وحرقتها، وحصر ملطية، فخرج إليه الأمير سون من عبد الرحمن نائب الشام بالعساكر الشامية، وأردف بالعسكر المذكور.

شهر صفر، أوله الجمعة:

فيه رسم بعود الأمراء والممالك المجردين فرجعوا من خانكاه سرياقوس، واستعيدت منهم النفقات التى أنفقت فيهم، فاحتاجوا إلى رد الأمتعة والأزواد على من ابتاعوها منهم، واحتاجوا إلى استعادة ما أنفقوه على غلمانهم، وقد تصرف الغلمان فيما أخذوه، فاشتروا منه احتياجهم، ودفعوا منه إلى أهاليهم، فنزل من أجل هذا بالناس ضرر كبير.

وفي هذا الشهر: نزل الفول إلى خمسين درهما الأردب، والشعير إلى ستين درهما الأردب، والقمح إلى مائة وثلاثين درهما الأردب. هذا والذهب بمائتين وثمانين درهما الدينار.

وفي يوم الإثنين حادى عشره: ركب السلطان من قلعة الجبل فى موكب جليل

ملوكى، احتفل له، ولبس قماش الركوب كما كان يلبس الظاهر برقوق، وهو قباء أخضر بمقلب أحمر، وعلى رأسه كلفته، وجر الجناثب، وصاحت الجاويشية وهو سائر، وحوله الطيردارية، حتى عبر من باب زويلة، فشق القاهرة وخرج من باب الشعرية يريد الصيد، فبات ليلة الثلاثاء وعاد يوم الثلاثاء آخر النهار. ولم يركب منذ تسلطن للصيد سوى هذه الركبة.

وكانت الدراهم الأشرافية التى يتعامل الناس بها فى القاهرة ومصر، ويصرف كل درهم منها بعشرين من الفلوس - زنتها رطل وأوقية وثلاث أوقية - قد كثر فيها أنواع من الدراهم، وهى البندقية ضرب الفرنج، والقرمانية ضرب بنى قرمان أصحاب الروم، واللنكية ضرب بلاد العجم، والقيرسية ضرب قبرس، والمؤيدية التى ضربت فى الأيام المؤيدية شيخ، والدراهم الزغل وهى عمل الزغلية^(١) فتزد عند النقذ لكثرة ما فيها من الغش، فنودى فى يوم الأحد رابع عشرينه أن لا يتعامل بشىء من الدراهم سوى الأشرافية. وكان قد نودى بمثل ذلك فيما تقدم، وعمل به الناس مدة، ثم ترخصت الباعة فى التعامل بها كلها، لما جمعوه منها فى أيام النهى عنها، حتى مشت فى أيدي الناس، وتعاملوا بها، فلما نودى بالمنع منها عاد الأمر كما كان، فخسر أناس عدة خسارات، وأخذت الباعة وغيرها فى جمعها لتتربص بها مدة، ثم تخرجها شيئا فشيئا، لعلمهم أن الدولة لا تثبت على حال، وأن أوامرها لا تمشى.

وفى خامس عشرينه: ركب السلطان للصيد، ورمى الجوارح، وعاد من الغد. وتكرر ركوبه لذلك مرارا.

وفى هذا الشهر: توقف التجار فى أخذ الذهب، من كثرة الإشاعة بأنه ينادى عليه، فنودى فى يوم السبت سلخه أن يكون سعر الدينار الأشرفى بمائتين وخمسة وثلاثين، والمشخص بمائتين وثلاثين، وهدد من زاد على ذلك بأن يسبك فى يده، فعاد الضرر فى الخسارة على كثير من الناس، لانحطاط سعر الدينار خمسين درهما.

شهر ربيع الأول، أوله السبت:

فى رابعه: جمع الصيارفة والتجار، وأشهد عليهم أن لا يتعاملوا بالدراهم القرمانية، ولا الدراهم اللنكية، ولا القيرسية، وأن هذه الثلاثة أنواع تباع بالصاغة على حساب وزن كل درهم منه بستة عشر درهما من الفلوس، حتى يدخل بها إلى دار الضرب، وتعمل دراهم أشرافية خالصة من الغش، ونودى بذلك وأن تكون المعاملة بالدراهم

(١) على هامش ط: الزغلية هم المزيفون.

الأشرفية والدراهم المؤيدية، والدراهم البندقية، فإن هذه الثلاثة فضة خالصة ليس فيها نحاس، بخلاف الدراهم التي منع من المعاملة بها، فإن عشرتها إذا سبكت تجيء ستة، لما فيها من النحاس. واستقر الذهب الأشرفي بمائتين وثمانين، والأفرنتى بمائتين وسبعين، وأخذت الدنانير الأفرنتية في القلة، لكثرة ما يسبك منها في دار الضرب، وتعمل دنانير أشرفية، فإنها بوزن الأفرنتية، وسعرها عشرة دراهم على الأفرنتى.

وفي تاسعه: ركب السلطان للصيد، وعاد من الغد.

شهر ربيع الآخر، أوله الأحد:

أهل هذا الشهر والسلطان والأمراء فى الاهتمام بحركة السفر لمحاربة قرابلك، والأسعار رخيصة جدا.

وفي سادسه: برز الأمير شاهين الطويل - أحد الأمراء العشرات - ليسير إلى طريق الحجاز، ومعه كثير من البناء والحجارين والآلات والأزواد والأمتعة، لإصلاح المياه التى فيما بين القاهرة ومكة، وحفر آبار فى المواضع المعطشة، فساروا فى نحو المائة بعير.

وفي سابعه: نودى بأن الفضة على ما رسم به، وأن لا يتعامل بالقرمانية ولا اللنكية، وأن الدينار الأشرفى بمائتين وثلاثين، والأفرنتى بمائتين وخمسة وعشرين. وحذر من خالف ذلك، فتزايدت المضرة لكثرة التناقض، وعدم الثبات على الأمر، واستخفاف العامة براعيها، وقلة الاهتمام بما يرسم به.

شهر جمادى الأولى، أوله الثلاثاء:

فى سابعه: برز سعد الدين إبراهيم بن المرة ناظر جدة يريد التوجه إلى مكة فسار معه ركب فيه جماعة ممن يريد الحج والعمرة، تبلغ عدة جمالمهم نحو الألف وخمسمائة جمل، ثم رفعوا من بركة الحاج فى ثانى عشره، فلما وصلوا إلى الوجه - وكنت فيهم بأهلى - وجدنا فيما بين الوجه وأكره عدة موتى، ما بين رجال ونساء، ممن هلك فى عطشة الحاج، فدفن منهم نحو الألف، وترك ما شاء الله.

وفي رابع عشرينه: خلع على قاضى القضاة شهاب الدين أبى الفضل أحمد بن حجر، وأعيد إلى قضاء القضاة بديار مصر، عوضا عن قاضى القضاة علم الدين صالح ابن البلقينى.

شهر جمادى الآخرة، أوله الأربعاء:

في تاسع عشره: عارض ركب المعتمرين رفقة ابن المرة عرب زبيد، فأخنا في غير وقت النزول، وكادت الفتنة أن تثور، حتى صولحوا على مائة دينار، قام بها ابن المرة من ماله، ولم يكلف أحد وزن شيء، فلما نزلنا رابع^(١) أهلينا بالعمرة، ونحن على تخوف. وسرنا، فبينما نحن فيما بين الجرينات وقديد^(٢) أغار علينا، ونحن سائرون ضحى، الشريف زهير بن سليمان بن زيان بن منصور بن جهماز بن شيحة الحسينى، فى نحو مائة فارس وعدة كثيرة من المشاة، وقتلنا فقاتله القوم صدرا من النهار، والجمال مناخة بأحماها، فقتل منا رجلان، ومن العرب نحو العشرة، وجرح كثير، ثم وقع الصلح معه على ألف ومائة دينار أفرنتية، وعلى ثياب جوخ وصوف وعبى بنحو أربعمائة دينار، فكف الناس عن القتال بعدما تعين الظفر لزهير، وبتنا بأنكد ليلة من شدة الخوف، والمال يجيبى من كل أحد بحسب حاله، فمنهم من جيبى منه مائة دينار، ومنهم من أخذ منه دينار واحد، وحمل ذلك من الغد، وسرنا فقدمنا مكة والله الحمد فى يوم الثلاثاء ثامن عشرينه، فكانت مدة سيرنا من القاهرة إلى مكة - شرفها الله تعالى - ستة وأربعين يوما.

وفى هذا الشهر: استقر جانبك الناصرى الإسكندرية، بعد موت الأمير شهاب الدين أحمد الدوادار، واصله من ممالك الأمير يلبغا الناصرى، ثم عمل فى الأيام المؤيدية رأس نوبة المقام الناصرى إبراهيم ابن السلطان، وصار من جملة الأمراء وولى كشف الجسور بالغربية.

وفيه أذرت المنجمون بكسوف الشمس، فنودى بالقاهرة أن يصوم الناس ويفعلوا الخير، فلم يظهر الكسوف، ووقع الإنكار على من أذرت به، ثم قدم الخير بحدوث كسوف الشمس بجزيرة الأندلس، حتى استولى على جرم الشمس كله، إلا مقدار الثمن منه، وذلك بعد نصف النهار من ثامن عشرينه.

شهر رجب، أوله السبت:

فى سابع عشره: أدير محمل الحاج على العادة.

شهر شعبان، أوله الإثنين:

فى حادى عشره: كانت زلزلة عظيمة شديدة، بعد صلاة الظهر، بجزيرة الأندلس، وبمرج أغرناطة، سقطت بها أبنية كثيرة على سكانها فهلكوا، وخسف بثلاث بلاد

(١) رابع: واد يقطعه الحاج بين البرواء والجحفة دون عزور. انظر معجم البلدان ١١/٣.

(٢) قديد: موضع قرب مكة. انظر معجم البلدان.

كبيرة فى مرج أقرنطرة - وهى بلد همدان^(١) وبلد أوطورة وبلد دارما - فابتلعت الأرض هذه البلاد بأناسها وبقرها وغنمها وسائر ما فيها، حتى صار من يمر من حولها يقول كان هنا بلد كذا وبلد كذا، وانخسف فى كثير من البلاد عدة مواضع، وسقط نصف قلعة أقرنطرة، وتهدم كثير من الجامع الأعظم، وسقط أعلى منارته، ورؤى حائط الجامع يرتفع ثم يرجع، ومقدار ارتفاعه نحو عشرة أذرع، ارتفع كذلك مرتين، وخاف رجل عند حدوث الزلزلة، فأخذ ابنه وأراد أن يخرج من باب داره، فالتصق جانبا الباب، وانفجر الحائط فخرج من ذلك الفرج هو وابنه وامرأته، فعاد الحائط كما كان، وتراجع جانبا الباب إلى حالهما قبل الزلزلة، وأقامت الأرض بعد ذلك نحو خمسة وأربعين يوما تهتز، حتى خرج الناس إلى الصحراء ونزلوا فى الخيم خوفا من المدينة أن تسقط مبانيها عليهم، وكان هذا كله بعد وصول السلطان المخلوع أبى عبد الله محمد الأيسر من تونس إلى الأندلس، وحصره قلعة أقرنطرة سبعة أشهر، وقتله الأجناد والرجال حتى فويت العدد والأموال، فبلغ ذلك ملك قشتالة الفنشى فجمع عساكره من الفرنج، وركب البحر إلى قرطبة يريد أخذ أقرنطرة من المسلمين، فاشتد البلاء عليهم لقللة المال بأقرنطرة، وفناء عسكرها فى الفتنة، وموت من هلك فى الزلزلة، وهم زيادة على ستة آلاف إنسان، ونزل الفرنج عليهم، فلقوهم فى يوم الجمعة عاشر رمضان من هذه السنة، وقتلوهم يومهم ومن الغد، قتل من المسلمين نحو الخمسة عشر ألف، وأجأهم العدو إلى دخول المدينة، وعسكر بإزائها على بريد منها، وهم نحو خمسمائة وثمانين ألف، وقد اشتد الطمع فى أخذها، فبات المسلمون ليلة الأحد فى بكاء وتضرع إلى الله، ففتح عليهم الله تعالى، وألمهم رشدهم، وذلك أن الشيخ أبا زكريا يحيى بن عمر ابن يحيى بن عمر بن عثمان بن عبد الحق - شيخ الغزاة - خرج من مدينة أقرنطرة فى جمع ألفين من الأجناد، وعشرين ألفا من المطوعة، وسار نصف الليل على جبل الفخار حتى أبعد عن معسكر الفرنج إلى جهة بلادهم، ورفع أمارة فى الجبال يعلم بها السلطان بأقرنطرة، فلما رأى تلك العلامات من الغد خرج يوم الأحد، بجميع من بقى عنده إلى الفرنج، فثاروا لحربهم، فولى السلطان بمن معه من المسلمين، كأنهم قد انهزموا، والفرنج تتبعهم، حتى قاربوا المدينة، ثم رفعوا الأعلام الإسلامية، فلما رآها الشيخ أبو زكريا نزل بمن معه إلى معسكر الفرنج، وألقى فيه النار، ووضع السيف فىمن هنالك، فقتل وأسر وسبى، فلم يدع الفرنج إلا والصريح قد جاءهم، والنار ترتفع من معسكرهم، فتركوا

(١) همدان: بالتحريك والذال معجمة، وآخره نون كانت همدان أكبر مدينة بالجبال وكانت أربعة فراسخ فى مثلها، وكان فتحها فى جمادى الأولى على رأس ستة أشهر من مقتل عمر بن الخطاب رضى الله عنه. انظر معجم البلدان ٤١٠ / ٥ وما بعدها.

أهل أغرناطة ورجعوا إلى معسكرهم، فركب السلطان بمن معه أفقيتهم، يقتلون ويأسرون، فبلغت عدة من قتل من الفرنج ستة وثلاثون ألفاً، ولحق باقيهم ببلادهم، بعد ما كادوا أن يملكوا أغرناطة.

وبلغت عدة من أسر المسلمون من الفرنج نحو اثني عشر ألفاً، ويقول المكثر إنه قتل ومات وأسر من الفرنج في هذه الكائنة زيادة على ستين ألفاً. وكان سبب هذه الحادثة أنه وقع بين ملك القطلان صاحب برجلونة، وبين ملك قشتالة^(١) صاحب أشبيلية^(٢) وقرطبة، فجمع القشتيلي، وسار لحرب القطلاني، حتى تلاقى الجمعان، فمشى الأكابر بين الملكين في الصلح، فاعتذر القشتيلي بأنه أنفق في حركته مالا كثيراً، فأشير عليه بأخذ ما أنفقه من المسلمين، بأن يغزوهم فإنهم قد ضعفوا، وما زالوا حتى تقرر الصلح، ونزل على أغرناطة، وكان ما تقدم ذكره.

وفي شهر رمضان: هذا ابتدأت في إسماع كتاب إمتاع الأسماع بما للرسول من الأبناء والأحوال والحفدة والمتاع ﷺ من أول يوم فيه بقراءة - المحدث الفاضل تقي الدين محمد بن محمد بن محمد بن فهد الهاشمي، بالمسجد الحرام تجاه الميزاب، وكان جمعا موفورا.

شهر شوال، أوله الثلاثاء:

في يوم الأربعاء تاسعه - الموافق لسادس عشرين بؤونة - أخذ قاع النيل، فحاء ستة أذرع وثلاثة أصابع، ونودي عليه من الغد بزيادة ثلاثة أصابع، واستمرت الزيادة.

وفي حادى عشرينه: خرج محمل الحاج إلى الريدانية خارج القاهرة، صحبة الأمير قراسنقر، ورفع منها إلى بركة الحجاج، وحج القاضي زين الدين عبد الباسط ناظر الجيش، عظيم الدولة ومدبرها، وحجت خوند جلبان زوجة السلطان أم ولده، في تحمل كبير بحسب الوقت.

وفي هذا الشهر: اتفقت حادثة غريبة، وهو أنه اجتمع بأجران كوم النجار^(٣) بالغربية، من الفيران، عدد لا يحصيه إلا الله تعالى، واقتتلوا من العصر إلى قريب عشاء الآخرة، فوجد من الغد نحو خمسة آلاف فأر ميت، فجمعوا، وأحرقوا، وأفسد الفأر مقاتي البطيخ ونحوه، وأكلوا الغلال وهي في سنبلها، وأكلوا أكثر ما في جرون نواحي

(١) سبق ترجمتها.

(٢) إشبيلية: مدينة كبيرة عظيمة وليس بالأندلس أعظم منها تسمى حنص أيضا. وبها قاعدة ملك الأندلس وسريه، وبها كان بنو عباد. انظر معجم البلدان ١/١٩٥.

(٣) من القرى الغربية القديمة.

الغربية، بحيث أن بعض النواحي لم ترد بذارها. وكان يجتمع فى المواضيع الواحد أكثر من ثلاثمائة فأر.

شهر ذى القعدة، أوله الخميس:

فى يوم الإثنين ثانى عشره - الموافق له تاسع عشرين أيب - : كان وفاء النيل ستة عشر ذراعاً. وركب الأمير قرقماس حاجب الحجاب حتى خلق المقياس وفتح الخليج على العادة.

وفيه زاد النيل اثنى عشر إصبعا من الذراع السابعة عشر، وفى هذا نادرتان من نوادر النيل، إحداهما الوفاء قبل مسرى، وقد أدركنا ذلك وقع مرتين. والثانية زيادة هذا القدر فى يوم الوفاء ولم يدرك مثل ذلك، واستمرت زيادة النيل والنداء عليه فى كل يوم.

وفى هذا الشهر: استجد بعيون القصب من طريق الحجاز بئر، حفرت بإشارة القاضى زين الدين عبد الباسط، فعظم النفع بها. وذلك أننى أدركت عيون القصب، وتخرج من بين الجبلين ماء يسيح على الأرض، فنبت فيه القصب الفارسى وغيره شىء كثير، ويرتفع فى الماء حتى يتجاوز قامة الرجل فى عرض كبير، فإذا نزل الحاج عيون القصب أقاموا يومهم على هذا الماء يغتسلون منه ويردون ثم انقطع هذا الماء، وجفت تلك الأعشاب فصار الحاج إذا نزل هناك، احتفروا حفائر يخرج منها ماء ردىء إذا بات ليلة واحدة فى القرب تنن فأغات الله العباد بهذه البئر، وخرج ماءؤها عذبا. وكان قبل ذلك بنحو شهرين قد حفر الأمير شاهين الطويل بئرين بموضع يقال له زعم وقبقاب وذلك أن الحاج كان إذا ورد الوجه، تارة يجد فيه الماء، وتارة لا يجده. فلما هلك الناس من العطش فى السنة الماضية، بعث السلطان بشاهين هذا كما تقدم ذكره، فحفر البئرين بناحية زعم، حتى لا يحتاج الحاج إلى ورود الوجه، فيروى الحاج منهما، وعم الانتفاع بهما، وبطل سلوك الحاج على طريق الوجه من هذه السنة.

شهر ذى الحجة، أوله السبت:

فى ثانى عشرينه: خلع على تاج الدين عبد الوهاب بن الخطير، واستقر فى نظر الديوان المفرد، عوضا عن صاحب تاج الدين عبد الرزاق بن الهيصم بعد موته. وابن الخطير هذا من نصارى القبط، وله بيتوته مشهورة. كان اسمه جرجس، وتلقب بالشيخ التاج، وترقى فى الخدم الديوانية، وباشر ديوان الأمير برسباى فى الأيام المؤيدية شيخ، فألزمه بالإسلام، فأسلم وتسمى تاج الدين عبد الوهاب، وخدم بديوان الخاص

٢٣٠ سنة أربع وثلاثين وثمانمائة

وبالديوان المفرد، فلما تسلطن الأشرف برسباى، رقا، وولاه نظر الإصطبل، عوضا عن بدر الدين محمد بن مزهر لما ولاه كتابة السر، وأضاف إليه عدة رتب، منها أستاذار المقام الناصرى ابن السلطان، فشكرت سيرته من عفته وأمانته ورفقه بالفلاحين، ولين جانبه، وحسن سياسته، مع كثرة بره وإحسانه، بحيث لا يوجد فى أبناء جنسه من يدانيه فكيف يساويه. وإن أراد الله عمارة البلاد جعل إليه تدبير أمرها.

وفى يوم السبت سلخه: قدم مبشرو الحاج، وقد مات كبيرهم الأمير فارس بينبع، وكان مجردًا بمكة على طائفة من المماليك، وهو أحد أمراء العشرات.

* * *

ومات فى هذه السنة من الأعيان

مجد الدين إسماعيل بن أبى الحسن بن على بن عبد الله البرماوى الشافعى، فى يوم الأحد خامس عشر ربيع الآخر. ومولده فى حدود الخمسين وسبعمائة. مهر فى الفقه والعربية، وعدة فنون، وتصدى للاشغال سنين كثيرة، وخطب بجامع عمرو بن العاص بمصر.

ومات الأمير شهاب الدين أحمد الدوادار بن الأقطع نائب الإسكندرية، فى يوم الأحد تاسع عشر جمادى الآخرة. كان أبوه من الأوشاقية فى الإصطبل السلطانى. وترقى أحمد هذا فى الخدم حتى اتصل بالأمير برسباى، وعمل دواداره، فرقاه فى سلطنته، وعمله من جملة الأمراء، ثم ولاه نيابة الإسكندرية.

ومات برهان الدين إبراهيم بن على بن إسماعيل بن الظريف أمين الحكم، فى يوم السبت خامس عشر شوال، عن نحو ستين سنة.

ومات سراج الدين عمر بن منصور البهادرى فى يوم السبت ثانى عشر شوال. وقد برع فى الفقه والنحو، وناب فى الحكم عن القضاة الحنفية، وانفرد بالتقدم فى علم الطب، فلم يخلف بعده مثله.

ومات الصاحب تاج الدين عبد الرزاق بن الهيصم، فى يوم الخميس العشرين من ذى الحجة. وقد ولى أستاذار وولى الوزارة، ونكب غير مرة.

* * *

سنة خمس وثلاثين وثمانمائة

شهر الله المحرم، أوله الأحد:

فى عاشره - الموافق لعشرين مسرى - انتهت زيادة النيل إلى عشرين ذراعاً واثني عشر إصبعا، ثم نقص خمسة عشر إصبعا، وزاد ونقص إلى حادى عشرينه، وهو أول بابه. ثم لم يناد عليه لاستمرار النقص.

وفى ثانى عشرة: قدم الأمير طرباى نائب طرابلس، فأكرمه السلطان وأعادته إلى محل كفالتة، فسار بعد خمسة أيام.

وفى ثالث عشرينه: قدم القاضى زين الدين عبد الباسط، وصحبته خوند جلبان، وبقية الركب الأول، وقدم بعدهم من الغد محمل الحاج صحبة الأمير قراسنقر، وقدمت معهم، وقد عسف الأمير الناس فى المسير، مع ما أصابهم من العطش فى توجههم.

شهر صفر، أوله الثلاثاء:

فى خامسه: انتشر بأفاق السماء جراد كثير، كفى الله شره.

وفى نصفه: خلع عى الأمير أقبغا الجمالى، وأعيد إلى كشف الوجه القبلى، عوضاً عن مراد خجاء، وقد ساءت سيرته، ومبالغته فى ظلم الناس.

وقدم الخير بأن الخراب شمل البلاد من توريذ إلى بغداد، مسيرة خمسة وعشرين يوماً بالأنقال، وأن الجراد وقع بتلك البلاد حتى لم يدع بها خضراً، مع شدة الوباء وانتهاب الأكراد ما بقى، وأن الغلاء شنع عندهم حتى أبيع المن من لحم الضأن - وهو رطلان بالمصرى - بدينار ذهب، وأبيع لحم الكلب كل من بستة دراهم، وقد كثر الوباء ببغداد والجزيرة وديار بكر، ومع ذلك فقد عظم البلاء بأصبهان بن قرا يوسف بناحية الحلة والمشهد.

شهر ربيع الآخر، أوله الجمعة:

فى سابع عشره: نزل عدة من المماليك السلطانية - سكان الطباق - من قلعة الجبل، إلى دار الوزير كريم الدين بن كاتب المناخ أستاذار، يريدون الفتك به، وكان علم من الليل، فتغيب واستعد، فلم يظفروا به ولا بداره، وعادوا، وقد أفسدوا فيما حوله، فسأل الإغفاء من الأستادارية، فأعفى، واستدعى الوزير الصاحب بدر الدين

حسن بن نصر الله فى يوم السبت ثالث عشرينه، وخلع عليه، وأعيد إلى الأستادارية. فكان فى ذلك موعظة، وهى أن الممالك كانت جرياتهم ولحومهم وجوامكهم وعليقهم مصروفة، ولا يخطر ببال أحد عزل ابن كاتب المناخ لثباته وسداد أمور الديوان فى مباشرته، وانقطاع ابن نصر الله فى بيته منذ نكب عدة سنين، فألقى الله فى نفس ابن كاتب المناخ الخوف من الممالك، حتى طالب الإعفاء، وأهم الله السلطان ذكر ابن نصر الله، فبعث إليه بالقاضى زين الدين عبد الباسط، والوزير كريم الدين، وسعد الدين ناظر الخاص فى يوم الأربعاء يسلمون عليه من قبل السلطان، ويعلموه بأنه عينه أستاذاراً، فاعتذر بقله ماله، وتغير أحواله، وهم يرددون سؤاله فى القبول، ويشيرون عليه بذلك، ويحذرونه من المخالفة، فاستمهلهم حتى يستخير الله، فتركوه وانصرفوا، فأشار عليه من يثق به أن يقبل فأجاب، وأرسلوا إليه، فوافقهم على رأيهم.

وفى سابع عشرينه: نودى بأن لا يسافر أحد صحبة ابن المرة إلى مكة، فشق ذلك على الناس لتجهز كثير منهم للسفر.

شهر جمادى الأولى، أوله السبت:

فى ثامنه: خلع على سعد الدين إبراهيم بن المرة خلعة السفر إلى جدة وحذر من أخذ أحد معه، خوفاً عليهم من العرب.

وفى ليلة الجمعة رابع عشره: خسف جرم القمر جميعه مدة ثلاث ساعات من أول الليل.

وفى سادس عشره: ابتدئ بهدم قصر بيسرى بين القصرين، وكان قد أخذ رخامه وعمل فى دابر الأشرفية المستجدة.

وفى خامس عشرينه: ركب السلطان من القلعة، وغير القاهرة من باب زويلة، ونزل فى بيت عظيم الدولة القاضى زين الدين عبد الباسط، ثم ركب منه بعد ساعة إلى بيت سعد الدين إبراهيم ناظر الخاص، فجلس عنده قليلا، وعاد إلى القلعة، وأكثر فى هذا الشهر - بل فى هذه السنة - من الركوب وعبور القاهرة، وإلى الصيد والنزهة، بخلاف ما كان عليه أولا.

وفى سادس عشرينه: حمل القاضى زين الدين عبد الباسط، والقاضى سعد الدين ناظر الخاص إلى السلطان تقادم جليلة.

وفى هذه الأيام: قدم بريم التركمانى الصوفى صاحب هيت فاراً من أصبهان بن قرا

يوسف، وقد قتل السلطان حسين، وملك الحلة، فخرج بيرم من هيت فى ستمائة من أصحابه، فيهم ثلاثمائة فارس، فلقيته غزية عرب تلك البلاد، فأخذوا من كان معه، وكان جمعا غفيرا ما بين تجار وغيرهم ونجا فى طائفة معه، فأكرمه السلطان، وأنزله وأجرى له راتبا يليق به، ثم أقطعه بناحية الفيوم إقطاعا معتبرا.

شهر جمادى الآخرة، أوله الإثنين:

فى ثانيه: عزل الصاحب بدر الدين حسن بن نصر الله، ورسم لأقبغا الجمالى كاشف الوجه القبلى أن يتحدث فى وظيفة الأستادارية، ثم خلع عليه من الغد، ولزم ابن نصر الله داره. وسبب ذلك لما بلغ أقبغا عزل ابن كاتب المناخ من الأستادارية سأل فى الحضور، فأجيب، وقدم، فسعى فى الأستادارية على أن يحمل عشرة آلاف دينار، وإن سافر السلطان إلى الشام حمل معه نفقة شهرين، وهى مبلغ أربعين ألف دينار، فأجيب، وأبقى الكشف أيضا معه، وأضيف إليه كشف الوجه البحرى.

وفى عاشره: برز سعد الدين بن المرة يريد السفر إلى جدة، ثم رحل فى ثانى عشره، ولم يمكن أحداً من السفر معه، فلم يتمكن إلا ألزامه وحاشيته.

وفى سابع عشرينه: خلع على بدر الدين محمود العيتابى، وأعيد إلى قضاء القضاة الحنفية، عوضا عن زين الدين عبد الرحمن التفهنى، وقد طالت مدة مرضه، فباشر القضاء والحسبة ونظر الأحباس جميعا.

شهر رجب، أوله الثلاثاء:

فيه خلع على الأمير صلاح الدين أستادار ابن الأمير الوزير الصاحب بدر الدين حسن ابن نصر الله، واستقر محتسب القاهرة، عوضا عن قاضى القضاة بدر الدين محمود العيتابى. وكان الأمير صلاح الدين - منذ نكب هو ووالده - ملازما لداره، وعمل مع الحسبة حاجبا.

وفى ثالثه: أدير حمل الحاج على العادة، إلا أنه عجل به فى أول الشهر لأجل حركة السلطان إلى سفر الشام، فإنه تجهز لذلك هو وأمرأوه.

وفى عشرينه: قدم الأمير سودن من عبد الرحمن نائب الشام باستدعاء، وقدم معه القاضى كمال الدين محمد بن البارزى كاتب السر بدمشق، فباتا فى تربة الظاهر برقوق خارج القاهرة، وصعدا من الغد إلى قلعة الجبل، وقبلا الأرض، فلما انقضت الخدمة نزل النائب إلى بيته ولم يخلع عليه، فعلم أنه معزول، وخلع عليه من الغد واستقر أميرا كبيرا

عوضاً عن الأمير شارقطلوا، وخلع على شارقطلوا واستقر عوضه فى نيابة الشام، ورسم بإبطال الحركة إلى السفر، فبطلت.

شهر شعبان، أوله الأربعاء:

فيه خلع على الأمير شارقطلوا نائب الشام خلعة السفر، وتوجه إلى خيمه خارج القاهرة، وخلع على القاضى كمال الدين بن البارزى خلعة السفر، ثم خلع عليه من الغد يوم الجمعة ثالثه، واستقر قاضى القضاة الشافعية بدمشق، عوضاً عن شهاب الدين أحمد بن المحمرة، مضافاً لما بيده من كتابة السر، ولم يعهد مثل ذلك فى الجمع بين القضاء وكتابة السر، إلا أنه أخبرنى - أدام الله رفعتة - أن والده المرحوم ناصر الدين محمد بن البارزى جمع بين قضاء حماة وكتابة السر بها.

شهر رمضان، أوله الخميس:

فى يوم الثلاثاء ثالث عشره: خلع على الأمير أقبغا الجمالى أستاذار، وسبب ذلك أنه سافر إلى بلاد الصعيد، فعاث فى البلاد عيث الذئب فى زريبة غنم، فصادر أهلها وعاقبهم أشنع عقوبة، حتى أخذ أموالهم، وتعتق ما بقى من الإقليم، فشنت القالة فيه، فوعد لما قدم أن يحمل عشرين ألف دينار، فحاققه القاضى تاج الدين عبد الوهاب بن الخطير ناظر الديوان المفرد على ما أخذ من أموال النواحي، حتى تسابا بين يدى السلطان، فرسم بمحاسبته، فحقق فى جهته خمسة عشر ألف دينار، فخلع عليه تقوية له، ونزل على أنه يحمل ما وجب عليه.

وفى هذه الأيام: أوقعت الخوطة على فلفل التجار بالقاهرة ومصر والإسكندرية، ليشتري للسلطان من حساب خمسين ديناراً الحمل، وكان قد أبيع عليهم فلفل السلطان فى أول هذه السنة بسبعين ديناراً الحمل، ورسم بأن يكون الفلفل مختصاً بتاجر السلطان، لا يشتريه من تجار الهند الواردين إلى جدة وغيره، ولا يبيعه لتجار الفرنج القادمين إلى ثغر الإسكندرية سواه، فنزل بالتجار من ذلك بلاء كبير.

وفى سادس عشرينه: خلع على دولات خججا^(١)، واستقر فى ولاية القاهرة، عوضاً

(١) دولات خججا بن عبد الله الظاهرى (٨٤١ هـ - ١٤٣٧ م)، سيف الدين والى القاهرة ومحتسبها هو من أصاغر ممالك الملك الظاهر برقوق الذين كانوا لا يؤبه به إليهم. كان المذكور من جملة المماليك السلطانية، ودام على ذلك دهرًا طويلاً إلى أن جعله الملك الأشرف برسباى كاشفاً ببعض أقاليم الوجه البحرى، فأظهر فى ولايته للكشف من الظلم والعسف ما صيره بعد ذلك والياً بالقاهرة لما كثر فساد الزعر. فلما ولى القاهرة عدة من المحابيس أرباب الجرائم، وهدد من أمسكه -

عن التاج الشويكى وأخيه عمر. ودولات هذا أحد المماليك الظاهرية، وولى كشف الوجه القبلى فتعدى الحدود فى العقوبات، وصار ينفخ بالكبير فى دبر الرجل حتى تنذر عينيه وتنفلق دماغه إلى غير ذلك من سىء العذاب، ثم ولى كشف الوجه البحرى، وكان التاج قد ترفع عن مباشرة الولاية، وأقام فيها أخاه عمر، فشره فى المال، حتى كان كلما أتاه أحد بسارق أخذ منه مالا وخلقى عنه، فأمن السراق فى أيامه على أنفسهم، وصاروا له رعية يجيبى منهم ما أحب، فلما ولى دولات خججا بدأ بالإفراج عن أرباب الجرائم من سجنهم، وحلف لهم أنه متى ظفر بأحد منهم وقد سرق ليوسطنه، وأرهب إرهابا زائداً، وركب فى الليل، وطاف، وأمضى وعيده فى السراق، فما وقع له سارق إلا وسطه، فذعر الناس منه.

وفيه خلع على عمر أخى التاج، واستقر من جملة الحجاب، ليرتفق بمطالع العباد على بلوغ أغراضه ونيل شهواته.

وأكثر دولات خججا من الركوب ليلا ونهارا بفرسانه ورجاله، وألزم الباعة بكنس الشوارع، ثم رشها بالماء، وعاقب على ذلك، ومنع النساء من الخروج إلى التراب فى أيام الجمع.

وفى هذا الشهر: أجريت العين حتى دخلت إلى مكة، بعدما ملأت البرك داخل باب المعلاه، ومرت على سوق الليل إلى الصفا، وانتهت إلى باب إبراهيم، وساحت من هناك فعم النفع بها، وكثر الخير، لشدة احتياج الناس بمكة إلى الماء، وقتله أحياناً، وغلاء سعره، وتولى ذلك سراج الدين عمر بن شمس الدين محمد بن المزلق الدمشقى، أحد التجار وأنفق فيه من ماله جملة وافرة.

شهر شوال، أوله السبت:

=منهم ثانياً بالتوسيط، فوسط جماعة منهم عندما ظفر بهم. ولما كثر ظلمه، عزله السلطان عن الولاية، وولاه الكشوفية ففعل فى الكشوفية أيضاً ما لا يليق ذكره. ثم عزل عن الكشوفية، وطلبه السلطان، وولاه حسبة القاهرة، عوضاً عن القاضى صلاح الدين محمد بن نصر الله، فأظهر فى حسبة القاهرة أيضاً من الظلم والعقوبة للباعة، ما هو مشهور عنه، فلم تطل أيامه، وأخذته الله بالموت بالطاعون فى يوم السبت أول ذى القعدة سنة إحدى وأربعين ومائتين، وقد قارب السبعين تحمينا. وكان شيخاً تركياً، للقصر أقرب، ذا لحية بيضاء، وضيقاً فى الدول، وعنده ظلم وعسف وجور، إلا أنه كان قليل الطمع فتأكاً. انظر المنهل الصافى ٥ / ٣٣٠، ٣٣١ والدليل ١ / ٢٩٩، والنجوم ١٥ / ٢١٧، الضوء ٣ / ٢٢١ بدائع الزهور ٢ / ١٨٦، نزهة النفوس ٣ / ٤١٦ عقد الجمال حوادث سنة

فى ثالثه: قدم النجاء من دمشق بجواب الأمير شارقتلوا نائب الشام، يعتذر عن حضور قاضى القضاة شهاب الدين أحمد بن الكشك. وكان قد كتب بحضوره ليستقر فى كتابة السر، عوضا عن شهاب الدين أحمد بن السفاح بعد موته، ويحمل عشرة آلاف دينار، فامتنع من ذلك واحتج بضعف بصره وآلام تعزيبه، فاستدعى السلطان عند ذلك الوزير الصاحب كريم الدين عبد الكريم ابن كاتب المناخ، ورسم له بكتابة السر.

فلما أصبح يوم الثلاثاء رابعه: خلع عليه خلعة الوزارة، واستقر فى كتابة السر مضافا إلى الوزارة، ولم يقع مثل ذلك فى الدولة التركية أنهما اجتماعا لواحد، فنزل فى موكب جليل إلى الغاية، وياشر مع بعده عن صناعة الإنشاء وقلة دربته بقراءة القصص والمطالعات الواردة من الأعمال، غير أن الكفاءة غير معتبرة فى زماننا، بحيث أن بعض السوقة ممن نعرفه ولى كتابة السر بحماة على مال قام به، وهو لا يحسن القراءة ولا الكتابة، فكان إذا ورد عليه كتاب وهو بين يدي النائب لا يقرأه مع شدة الحاجة إلى قراءته، ليعلم ما تضمنه، ثم يمضى إلى داره حتى يقرأه له رجل أعده عنده لذلك، ثم يعود إلى النائب فيعلموه بمضمون الكتاب، وتداعى بالقاهرة خصمان عند كبير من قضاتها، فقاضى على المدعى عليه، فقال له ما معناه أنه حكم بغير الحق، فأمر بإخراجهما حتى ينظر فى مسألتهما، ثم طلع بعض كتب مذهبه، فوجد الأمر على ما ادعاه الرجل من خطأ القاضى، فردهما، وقال: وجدنا فى الكتاب الفلانى الأمر كما قلت، ولم يبال بما تبين من جهله، ولهذا نظائر لو عددنا ما بلغنا منها، لقام من ذلك سفر كبير مع الحجاب وإعجاب، وفرط الرقاعة، وإلى الله المشتكى.

وفى الخميس ثالث عشره: ابتدأ السلطان بالجلوس فى الإيوان بدار العدل من القلعة. وكان قد ترك من بعد الظاهر برقوق الجلوس به فى يوم الإثنين والخميس، إلا فى النادر القليل، سيما فى الأيام المؤيدية شيخ، فتشعث ونسيت عوائده ورسومه، إلى أن اقتضى رأى السلطان أن يجدد عهده، فأزيل شعته وتبعت رسومه. ثم جلس فيه، وعزم على ملازمته فى يومى الخدمة، ثم ترك ذلك.

وفيه قدم ركب الحجاج المغاربة، وقدم ركب الحاج التكرور أيضا، وفيهم بعض ملوكهم، فعملوا جميعا بأسوأ معاملة من التشدد فى أخذ المكوس مما جلبوه من الخيل والرقيق والثياب، وكلفوا مع ذلك حمل مال، فشنت القالة.

وفى عشرينه: خرج حمل الحاج إلى بركة الحجاج.

وفى حادى عشرينه: أخذ قاع النيل، فكان ستة أذرع وعشرين إصبعا.

وفي هذه الأيام: رسم بشراء الغلال للسلطان، فإنها رخيصة، وربما توقفت زيادة النيل، فغلت الغلال، فيكون السلطان أحق بفوائدها، فخرجت المراسيم إلى أعمال مصر بشراء غلال الناس، وألزم سمسرة الغلة بساحل مصر وساحل بولاق أن لا يبيعوا لأحد شيئاً من الغلال، حتى يتكفى السلطان، فكثير من أجل هذا تطلع الناس إلى شراء الغلة، بعد ما كان عدة أشهر وهي كاسدة، وسعر القمح من مائة وثلاثين درهماً الأردب إلى ما دونها، والفول والشعير من ثمانين درهماً الأردب إلى ما دونها، وسائر أسعار المبيعات رخيصة جداً، فالله يحسن العاقبة.

وفي ثاني عشرينه: ابتدئ بالنداء على النيل، فنودي بزيادة أربعة أصابع، وقدم الخير من مكة المشرفة بأن عدة زنوك قدمت من الصين إلى سواحل الهند، وأرسي منها اثنان بساحل عدن، فلم تنفق بها بضائعهم من الصيني والحرير والمسك وغير ذلك لاختلال حال اليمن، فكتب كبير هذين الزنكين إلى الشريف بركات بن حسن بن عجلان أمير مكة وإلى سعد الدين إبراهيم بن المرة ناظر جدة، يستأذن في قدومهم إلى جدة، فاستأذنا السلطان في ذلك، ورغباه في كثرة ما يتحصل في قدومهم من المال، فكتب بقدومهم إلى جدة وإكرامهم.

شهر ذي القعدة، أوله الإثنين:

فيه استدعى قضاة القضاة الأربع، بجميع نوابهم في الحكم بالقاهرة ومصر إلى القلعة، لتعرض نوابهم على السلطان، وقد ساءت القالة فيهم، فدخل القضاة الأربع إلى مجلس السلطان، وعوق نوابهم عن العبور معهم، فانفض المجلس على أن يقتصر الشافعي على خمسة عشر نائباً، والحنفي على عشرة نواب، والمالكي على سبعة، والحنبلي على خمسة، وقد تقدم مثل هذا كثير ولا يتم.

وفي سابعه: خلع على الأمير تاج الدين الشويكي، وأعيد إلى ولاية القاهرة عوضاً عن دولات خجا.

وفي ثامن عشرينه: ورد الخير بموت جينوس بن جاك صاحب قبرس.

وفيه خلع على عز الدين عبد العزيز بن علي بن العز البغدادي، واستقر في قضاء القضاة الحنابلة بدمشق، عوضاً عن نظام الدين عمر بن مفلح، وخلع عليه من بيت الوزير كاتب السر كريم الدين، ولم يعهد قضاة القضاة يخلع عليهم إلا من عند السلطان، غير أن الوزير أعاد لكتابة السر بعض ما كان من رسومها لوفور حرمة واستبداده، وكان مع ذلك القضاة والفقهاء قد انحط جانبهم، واتضع قدرهم.

شهر ذى الحجة، أوله الثلاثاء:

فيه نودى بوفاء النيل ستة عشر ذراعا وثلاثة أصابع، ووافق ذلك خامس مسرى. وهذا مما يندر وقوعه، فركب الأمير جقمق أمير أخور لفتح الخليج على العادة.

وفى خامس عشرينه: سارت سرية عدتها ستون مملوكا مع بعض أمراء العشرات إلى قبرس، ومعهم خلعة لجوان بن جينوس باستقراره فى مملكة قبرس، عوضا عن أبيه، نيابة عن السلطان، ومطالبته بما تأخر على أبيه، وهو أربعة وعشرون ألف دينار، وما التزم به فى كل سنة، وهو خمسة آلاف دينار.

وفى سادس عشرينه: قدم مبشرو الحاج.

وفى هذا الشهر: كثر تقطع الجسور بالنواحي، ففرقت بلاد عديدة، ودخل الماء إلى كثير من البلاد قبل أوانه، ففرقت الجرون وهى ملائنة بالغللال، وتلف من المقاتى والسمسم والنيلة ما يبلغ قيمته آلاف دنانير، وشرقت عدة بلاد، وكل ذلك من فساد عمل الجسور وأخذ الأموال من النواحي عوضا عن رجال العمل وأبقارها.

وفيه فرقت عدة بلاد من بلاد الديوان المفرد على جماعة ليعمروها، فإنها خربت من سوء ولاية الأستادارية وعسفهم، وكثرة المغارم، فسلم إلى القاضى زين الدين عبد الباسط وإلى الوزير كريم الدين، وإلى سعد الدين ناظر الخاص، وإلى التاج بن الخطير، كل منهم بلد من البلاد، وسلم إلى آخرين دون هؤلاء عدة بلاد.

وفيه رسم أن يعلق على كل حانوت من حوانيت الباعة بالأسواق قنديل يضىء الليل، فعمل ذلك.

وفيه كثرت زيادة ماء النيل، فانسلخ ذو الحجة بيوم الأربعاء رابع أيام النسيء، والماء على ثمانية عشر ذراعا وعشرين إصبعا.

وهذه السنة: تحول الخراج فيها من أجل أنه لم يقع فيها نوروز، فحولت سنة ست إلى سنة سبع وثلاثين.

وفى نزل الطاغية النشو بن دون فرنادو بن أندريك بن جوان قتيل الفرس بن فدرىك بن أندريك ملك الفرنج القطلان، وصاحب برشلونة، على جزيرة صقلية، فى شهر رمضان، وسار معه صاحب صقلية فى نحو مائتى قطعة بحرية حتى أرسى على جربة فى سابع عشر ذى الحجة وملكها. وكان ملك المغرب أبو فارس عبد العزيز غائبا عن تونس فى جهات تلمسان، فلما بلغه ذلك ترك معظم عسكره وسار على الصحراء

حتى دنا من جربة، وكانت بينه وبين الفرنج وقعة كاد يؤخذ فيها، وقتل من الفريقين جماعات كثيرة. وهذا الطاغية النشوءات جده أندريك، ومملك بعده ابنه جويان بن أندريك بن جويان. خرج فرناندو بن أرندريك من بلد أشبيلية يريد محاربة القطلان أهل برشلونة - وقد مات ملكهم مرتين، فغلبهم، ومملك برشلونة وأعمالها، حتى مات، فمملك بعده ابنه النشوءات هذا.

وفيه قدم أحد ملوك التكرور للحج، فسار إلى الطور ليركب البحر إلى مكة، فمات بالطور ودفن بجماعه. وكان خيراً كثيراً للتلاوة للقرآن، فيه بر وإحسان.

* * *

ومات في هذه السنة من الأعيان

السلطان حسين بن علاء الدولة بن القان غياث الدين أحمد بن أويس. وكان قد أقيم بعد أحمد بن أويس في السلطنة ببغداد شاه ولد بن شاه زاده بن أويس، ثم قتل بعد ستة أشهر بتدبير زوجته تندو ابنة السلطان حسين بن أويس، وقامت بالتدبير، ثم خرجت من بغداد بعد سنة فراراً من شاه محمد بن قرا يوسف، ونزلت ششتر في عدة من العسكر، ومملك شاه محمد بغداد، فأقيم مع تندو في السلطنة السلطان محمود بن شاه ولد؛ فدبرت عليه وقتلته بعد خمس سنين، وانفردت بمملكة ششتر، ومملكة البصرة، بعد حرب شديدة، ثم ماتت بعد انفرادها بثلاث سنين، فأقيم ابنها أويس بن شاه ولد، وقتله أصبهان بن قرا يوسف في الحرب بعد سبع سنين، وأقيم بعده بششتر أخوه شاه محمد بن شاه ولد، فمات بعد ست سنين وقام من بعده حسين بن علاء الدولة ومملك البصرة، وواسط، وعمامة العراق ما عدا بغداد، فإنها بيد شاه محمد بن قرا يوسف. ولم يزل محاربا لأصبهان بن قرا يوسف حتى نزل عليه أصبهان وحصره بالخلعة مدة سبعة أشهر، حتى أخذه وقتله في ثالث صفر من هذه السنة، فانقرضت بمملكه دولة الأتراك بني أويس من العراق، وصار عراقا العرب والعجم بيد إسكندر وشاه محمد وأصبهان - أولاد قرا يوسف - وقد خرب على بأيديهم.

ومات شرف الدين عيسى بن محمد بن عيسى الأقفهسي الشافعي، أحد نواب الحكم، في ليلة الجمعة سادس عشرين جمادى الآخرة، ومولده في سنة خمس سنين وسبع مائة. وبرع في الفقه، وناب في الحكم عن العماد أحمد الكركي، ومن بعده من سنة اثنين وتسعين، وكان كثير الاستحضار للفروع.

ومات شهاب الدين أحمد بن صلاح الدين صالح بن أحمد بن عمر المعروف بابن السفاح الحلبي^(١)، فى ليلة الأربعاء رابع عشر شهر رمضان، عن ثلاث وستين سنة، وباشر هو وأخوه وأبوه كتابة السر بحلب، ولهم بها رياسة وتمكن وأموال، ثم باشر كتابة السر بديار مصر، فلم يسعد ولم ينجب، وكان فيه هوج وطيش.

ومات الصاحب علم الدين يحيى أبو كم الأسلمى، فى ليلة الخميس ثانى عشرين رمضان، وقد أناف على السبعين، فباشر نظر الأسواق، وتنقل حتى ولى الوزارة فى الأيام الناصرية فرج، وكان يريد الانتفاء من النصرانية، فحج وجاور بمكة، وأكثر من زيارة الصالحين، والله أعلم بما كانوا عاملين.

ومات قاضى القضاة زين الدين عبد الرحمن بن على بن عبد الرحمن التفهنى الحنفى، بعد مرض طويل، فى ليلة الأحد ثامن شوال، وقد أناف على السبعين. ومولده سنه أربع

(١) أحمد بن صالح بن أحمد بن أحمد بن عمر، القاضى شهاب الدين ابن القاضى صلاح الدين، المعروف بابن السفاح؛ الحلبي الأصل والمولد والمنشأ والدار، المصرى الوفاء، كاتب السر بالملكة الحلبية، ثم بديار مصر. هو من بيت رئاسة ووجاهة وعراقة بحلب، ولى كتابة سر حلب هو وأبوه وأخوه، وطالت مدته فى كتابة سر حلب، وبنى بها جامعا، وعدة أملاك ثم أشخص إلى القاهرة، وولى كتابة السر بها، بعد موت السيد الشريف شهاب الدين أحمد بن على بن إبراهيم بن عدنان الدمشقى، وبعد موت أخيه عماد الدين أبى بكر، وذلك فى سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة، وتولى كتابة سر حلب من بعده ولده سراج الدين عمر فباشر شهاب الدين المذكور كتابة سر مصر بغير دربة، وعدم سياسة لأهل مصر، فلم ينتج أمره، وصار لا يلتفت إليه فى الدولة، لما كان احتوى عليه من الجهل، وعدم معرفة صناعة الإنشاء، كلما كثيرا يظهر منه ذلك فى الملأ من الناس، وكان يتكلم فى بعض الأحيان مع نفسه كلما كثيرا يظهر عليه الغضب، وكان يتكرر منه ذلك إلى أن يجتد منه نفسه، ويظهر عليه الغضب، وكان يعتز به ذلك حتى فى الصلاة. وكان باشر التوقيع عند والدى فى نيابته لحلب، فأخذ مرة يحدثنى عن ما وقع له بحلب، وشرع يتكلم، وقبل أن يتم الحكاية تركها والتفت يحدث نفسه، وانفض المجلس على ذلك، وكان لا يعتز به ذلك غالبا إلا فى حالة الغضب، أو إذا شرع فى أمر مهم. وكان إذا تكلم يظهر من كلامه أنه غير فاضل، ووقع له مرة أنه أرسل من حلب وهو كاتب سرها كتابا إلى الملك الأشرف برسباى بواقعة حال، وكان القاضى بدر الدين محمد بن مزهر إذ ذاك كاتب سر مصر، وكانت كتابة ابن السفاح هذا ضعيفه قلقة، وتركيب ألفاظه فى الكتب ركيكة، فلم يفهم ابن مزهر ما تضمنه الكتاب، فحتمه ثانيا وأرسله فى طى كتاب يقول فيه: قد عجزنا عن فهم ما فى كتابك، فالمخدوم ينقل خطواته إلى الديار المصرية ليقرأه على مولانا السلطان، فغرم بسبب هذا الكتاب جملة مستكثرة. ولم يزل فى وظيفة كتابة السر إلى أن توفى ليلة الأربعاء رابع عشر شهر رمضان سنة خمس وثلاثين وثمانمائة عن ثلاث وستين سنة، وتولى عوضه كاتب السر الصاحب كريم الدين عبد الكريم ابن كاتب المناخ، رحمهما الله تعالى. الضوء اللامع

وستين وسبعمائة تخميناً. وقد برع فى الفقه والأصول والعربية وولى قضاء القضاة فحسنت سيرته، ولم يترك فى الحنفية مثله، ويقال إن بعض جواريه سمعته وقد أوصى بخمسة آلاف درهم لمائة فقير يذكرون [الله] قدام جنازته، وسبعة آلاف درهم لكفنه وجهازه ودفنه وقراءة ختمات.

ومات جينوس بن جاك بيروس بن أنطون بن جينوس ملك قبرس، وملك بعده ابنه فى حدود سنة ثمانمائة، وقدم إلى القاهرة مأسورا، ثم أعيد إلى مملكته، وصار نائبا عن السلطان يحمل إليه المال كل سنة.

وقتل نصرانى فى سابع شوال، ضربت رقبته تحت شبك المدرسة الصالحية؛ بسبب وقوعه فى حق نبي الله داود بعد ما سجن مدة، وعرض عليه الإسلام، فامتنع.

* * *

سنة ست وثلاثين وثمانمائة

أهلت هذه السنة والخليفة المعتضد بالله أبو الفتح داود بن المتوكل، وسلطان مصر والشام والحجاز وقبرس الملك الأشرف أبو الفرج برسباي، والأمير الكبير الأتابك سودن من عبد الرحمن، وأمير سلاح أبنال الحكمي، وأمير مجلس أقبغا التمرزي، ورأس نوبة الأمير تراز القرمشي، وأمير أخور جقمق، والدوادار الأمير أركماس الظاهري، والوزير كاتب السر كريم الدين عبد الكريم ابن كاتب المناخ، وناظر الجيش عظيم الدولة ومدبرها القاضي زين الدين عبد الباسط وناظر الخاص سعد الدين إبراهيم ابن كاتب الحكمي، وقاضي القضاة الشافعي الحافظ شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن حجر، وقاضي القضاة الحنفي ناظر الأحباس بدر الدين محمود العيتابي، وقاضي القضاة المالكي شمس الدين محمد البساطي، وقاضي القضاة الحنبلي محب الدين أحمد بن نصر الله البغدادي، والمحتسب الأمير الحاجب صلاح الدين محمد بن نصر الله، والوالي التاج الشويكي، ونائب الشام الأمير شار قطلوا، ونائب حلب الأمير قصروه، ونائب طرابلس الأمير طرباي، ونائب حماة الأمير جلبان، ونائب صفد الأمير مقبل الزيني، ونائب غزة الأمير أبنال الأجرود، ومتولى مكة - شرفها الله تعالى - الشريف بركات بن حسن بن عجلان، ومتولى مدينة الرسول - ﷺ - الشريف مانع بن علي بن عطية، ومتولى ينبع الشريف عقيل بن وبير بن نخبار، وملك المغرب أبو فارس عبد العزيز بن أبي العباس الحفصي، وملك المشرق شاه رخ بن تيمورلنك، ومملك بغداد شاه محمد بن قرا يوسف، وملك الروم مراد بن محمد كرشجي بن عثمان، وملك اليمن الظاهر يحيى بن الأشرف إسماعيل بن العباس بن رسول .

ونيل مصر متزايد، والأسعار رخيصة، القمح من مائة وثلاثين درهما الأردب إلى ما دون ذلك والشعير والفلول من ثمانين درهما الأردب إلى ما دونها. والدينار الأشرفي بمائتين وستين درهما من الفلوس التي كل رطل منها بثمانية عشر درهما، ومصر الدرهم الأشرفي بعشرين درهما من الفلوس، والدينار الأفرنتي بمائتين وخمسين درهما من الفلوس، والأسواق كاسدة.

شهر الله المحرم، أوله الخميس:

في يوم الجمعة ثانيه: كان نوروز القبط بأرض مصر، وهو أول توت.

وقد صار ماء النيل على ثمانية عشر ذراعا، وثلاثة وعشرين إصبعا . واتفق من الغرائب أن يوم الخميس أول السنة وافقه أول يوم من تشرين وهو رأس سنة اليهود، فاتفق أول سنة اليهود مع أول سنة المسلمين، ويوم الجمعة وافقه أول توت - وهو أول سنة النصارى القبط - فتوالت أوائل سنَى الملل الثلاث فى يومين متوالين واتفق ذلك أن طائفة اليهود الريانيين يعملون رعوس سنينهم وشهورهم بالحساب، وطائفة القرائين يعملون رعوس سنينهم وشهورهم برؤية الأهلة.

كما هو عند أهل الإسلام، فيقع بين طائفتى اليهود فى رعوس السنين والشهور اختلاف كبير، فاتفق فى هذه السنة مطابقة حساب الريانيين والقرائين للرؤيا، فعمل الطائفتان جميعا رأس سنتهم يوم الخميس. وهذا من النوادر التى لا تقع إلا فى الأعوام المتطاولة.

يوم الأحد ثامن عشره: وافقه سابع عشر توت، وهو يوم عيد الصليب عند أقباط مصر. ونودى فيه على النيل بزيادة إصبع لثمة عشرين ذراعًا، تنقص إصبعا واحدا. وهذا أيضا مما يندر من كثرة ماء النيل.

وفى ثالث عشرينه: قدم الركب الأول من الحجاج، وقدم الحمل من الغد ببقية الحاج.

وفى سادس عشرينه: ضرب السلطان الأمير أقبغا الجمالى أستاذار، وأنزله على حمار إلى بيت الأمير التاج وإلى القاهرة ليعاقبه على استخراج المال. وخلع من الغد يوم الثلاثاء سابع عشرينه على الوزير كريم الدين ابن كاتب المناخ، وأعادته إلى الأستادارية. ورفعت يده من مباشرة كتابة السر، فاستقل بالوزارة والأستادارية، ورسم لشرف الدين الأشقر نائب كاتب السر بمباشرة كتابة السر، حتى يستقر أحد، وعين جماعة لكتابة السر، فوقع الاختيار منهم على قاضى القضاة كاتب السر بدمشق كمال الدين محمد بن البارزى.

وفى ثامن عشرينه - الموافق لسابع عشرين توت - : نودى على النيل بزيادة إصبع لثمة عشرين ذراعا وخمسة أصابع.

وفى هذا الشهر: طرق الفرنج ميناء طرابلس الشام، فى يوم السبت عاشره، وأخذوا مركبا فيه عدد كثير من المسلمين، وبضائع لها قيمة جليلة. وبيناهم فى ذلك إذ قدمت مركب من دمياط فأخذوها أيضا بما فيها وساروا، فلما ورد الخبر بذلك كتب بإيقاع الحوطة على أموال الفرنج الجنوبية والقطلان دون البنادقة، فأحيط بأموالهم التى بالشام والإسكندرية.

وفيه أفلح الطاغية صاحب برشلونة عن جزيرة جربة في عاشره، ومضى إلى جزيرة صقلية. بمن معه من جماع القطلان، وأهل صقلية.

شهر صفر، أوله السبت:

في ثانيه: توجه القاصد لاستدعاء القاضي كمال الدين محمد بن البارزى ليستقر فى كتابة السر، وأن يستقر عوضه فى قضاء القضاة بدمشق بهاء الدين محمد بن حجي. وأن يستقر عوضه فى كتابة السر بدمشق قاضى القضاة شهاب الدين أحمد بن الكشك الحنفى، ويستقر ولده شمس الدين محمد بن الكشك فى قضاء القضاة الحنفية، ويستقر جمال الدين يوسف بن الصفى فى نظر الجيش بدمشق عوضا عن بهاء الدين محمد بن حجي؛ كل ذلك بمال.

وفى سابعه: قدمت الرسل المتوجهة إلى قبرس. وكان من خبرهم أنهم ركبوا البحر من دمياط فى شينين، فوصلوا إلى الملاحة يوم السبت عاشر المحرم، وسار أعيانهم فى البر يريدون مدينة الأفقسية دار مملكة قبرس، فتلقاهم وزير الملك جوان بن جينوس بن جاك فى وجوه أهل دولته، وأنزلهم خارج المدينة، وعبروا المدينة من الغد يوم الإثنين ثانى عشره، ودخلوا على الملك جوان فى قصره، فإذا هو قائم على قدميه، فسلموا عليه وأوصلوه كتاب السلطان وهو قائم، وبلغوه الرسالة، فأذعن وأجاب بالسمع والطاعة وقال: «أنا مملوك السلطان، ونائب عنه، وقد كنت على عزم أن أرسل التقدمة». فطلبوا منه أن يحلف، فأجابهم إلى ذلك، واستدعى القسيس، وحلف على الوفاء والاستمرار على الطاعة، والقيام بما يجب عليه من ذلك، فأفيض عليه التشريف السلطانى المجهز له.

وخرجت الرسل من عنده، فداروا بالمدينة وهو ينادى بين أيديهم باستمرار الملك جوان فى نيابة السلطنة، وأن للناس الأمان والاطمئنان، وأمروا بطاعته وطاعة السلطان، ثم أنزلت الرسل فى بيت قد أعد لهم، وأجرى لهم ما يليق بهم من المأكّل، وحمل إليهم سبعمائة ثوب صوف قيمتها عشرة آلاف دينار مما تأخر على أبيه أظهر خصم أربعة آلاف دينار ووعد بحمل العشرة آلاف دينار بعد سنة، وبعث إليهم أيضا بأربعين ثوبا صوفا برسم الهدية للسلطان الملك، المالك الأشرف أبو النصر برسباى الدقماقى، وأرسل لكل من الرسل شيئا يليق به على قدره.

وساروا بعد عشرة أيام من قدومهم إلى اللمسون، وركبوا البحر ستة أيام حتى أرسوا على دمياط، وعبروا فى النيل إلى القاهرة فقبل السلطان ما حملوه إليه وقرئ كتابه، فإذا هو يتضمن السمع والطاعة، وأنه نائب السلطنة فيما تحت يده، ونحو هذا.

وفي ثامننه: خلع على حسن باك بن سالم الدكري أحد أمراء التركمان، وابن أخت قرايلك، واستقر في نيابة البحيرة، ورسم أن يكون ملك الأمراء، عوضا عن أمير على، وأنعم عليه بمائة قرقل، ومائة قوس، ومائة تركاش، وثلاثين فرسا.

وفي سادس عشرينه: ضربت رقبة رجل ارتد عن الإسلام. وكان من خيره أنه كان نصرانيا، فوجده بعض الناس عند زوجته، فاتقى من القتل بأن أظهر الإسلام، ومضى لسبيله، فلم يقم سوى أشهر وجاء يوم جمعة إلى بعض القضاة وذكر له أنه كان نصرانيا وأسلم، ثم أنه رغب أنه يعود إلى النصرانية.

وقصد أن يُطَهَّرَ بالسيف، وتكلم بما لا يليق من القدح في دين الإسلام وتعظيم دين النصرانية وصرح بما يعتقد من إلهية المسيح وأمه، فتلطف به القاضي ومن عنده، وهو يلح ويعاند ويفحش في القول، فأمر به فسجن، وعرض عليه الإسلام مرارا في عدة أيام وهو متماد في غيه، فلما أعياهم أمره، وملت الأسماع من فحش كلامه، وجهره بالسوء، ضربت رقبته ثم أحرقت جثته.

وفي سابع عشرينه: كتب باستقرار تاج الدين عبد الوهاب بن أفتكين - أحد موقعى الدست بدمشق - في كتابة السر بها، لامتناع قاضى القضاة شهاب الدين أحمد ابن الكشك من ولايتها. وكتب أيضا باستقرار محيي الدين يحيى بن حسن بن عبد الواسع الحياتى المغربى فى قضاء المالكية بدمشق، عوضا عن شهاب الدين أحمد بن محمد بن محمد الأموى بعد موته.

شهر ربيع الأول، أوله يوم الإثنين:

فيه قدم رسول ملك القطلان من الفرنج بكتابه، وقد نزل على جزيرة صقلية، فى ثانى رمضان، بما ينيف على مائتى قطعة بحرية، فتضمن كتابه الإنكارعلى الدولة ما تعتمده من التجارة فى البضائع، وأن رعية الفرنج لا يشترزون من السلطان ولا من أهل دولته بضاعة، فرد رسوله ردًا غير جميل.

وفي رابعه: فتحت القيسارية المستجدة بخط باب الزهومة من القاهرة، وسكنها الكتيبون؛ وكان سوق الكتب المقابل للصاغة قد هدم وما حوله فى سنة ثلاث وثلاثين، وبنى قيسارية يعلوها ربع، وبدائرها حوانيت، حيث كانت الصيارف تجاه الصاغة، وحيث كانت النقليون وسوق الكتب والأمشاطيين تجاه شبايك المدرسة الصالحية، وسكن الكتيبون بقيسارية خارج باب زويلة، وسكن عدة منهم فى حوانيت متفرقة

بالقاهرة والصلبية، وسكن في القيسارية التي عملت بمجوار الكتبيين أرباب الأقباص^(١) الذين كانوا بالقفيصات تحت شبايك القبة المنصورية وشبايك المدرسة المنصورية، وصارت هذه القيسارية سوقا يضاهاى الصاغة، وأسكن في مقاعد القفيصات ودككها قوم من الخريزاتية - بياعى الخرز - وطائفة من أرباب المعاش. فلما كملت القيسارية المستجدة بباب الزهومة، تجاه درب السلسلة، تحول إليها الكتبيون، وجاءت من أحسن ما بنى بالقاهرة.

وفي ثامن عشره: سرح السلطان إلى جهة أطفيح، برسم الصيد، وقدم من الغد آخر النهار، وسرح قبل هذا إلى جهة شيبين، وإلى بركة الحجاج أربع سرحات.

وفي تاسع عشره: قدم القاضى كمال الدين محمد بن البارزى من دمشق، ومثل يدى السلطان، وقد خرج الناس إلى لقائه، ثم نزل فى داره وخلع عليه من الغد يوم السبت عشريته، واستقر فى كتابه السر ونزل فى موكب جليل، فسر الناس به سرورا كثيرا لحسن سيرته وكفايته وجميل طويته وكرمه، وكثرة حياته، يؤيده.

شهر جمادى الأولى، أوله الخميس:

فيه قدم الأمير مقبل الزينى نائب صفد، وكان السلطان قد ركب إلى خارج القاهرة، فركب فى الخدمة إلى القلعة، ثم نزل فى دار أعدت له.

وفي خامسه: خلع على ابن [....^(٢)....] واستقر فى كشف الوجه القبلى، عوضا عن طوغان العثمانى، على مبلغ اثنى عشر ألف دينار يحملها من البلاد.

وفي ثامنه: خلع على الأمير أسنبغا الطيارى^(٣)، أحد أمراء العشرات، واستقر فى

(١) أقباص: كذا يلفظ به العوام وينسبون إليه الأقباصى، وصوابه أقبهص: اسم بلد بمصر بالصعيد من كورة البهنسا فيما حسب. انظر معجم البلدان ١ / ٢٣٧.

(٢) ما بين المعقوفتين بياض فى الأصل.

(٣) أسنبغا بن عبد الله الناصرى الطيارى (٨٥٧ هـ = ١٤٥٣ م)، الأمير سيف الدين رأس نوبة النوب قدم من بلاده وهو فى سن التمييز صحبة الملك الظاهر حقمق، لكن جالهما غير واحد، فإن تاجر الملك الظاهر حقمق كان الخواجا كركل، وكان تاجر أسنبغا هذا الخواجا عبد الرحمن، فقدم به تاجر المذكور إلى الديار البصرية فابتاعه منه الأمير الوزير ناصر الدين محمد بن رجب وأعتقه واستمر بمخدمته إلى أن توفى، خدم عند الأمير سودون الطيار، وبه عرف، وغلب عليه شهرته بالطيارى، واختص به، وصار دواداره والمتحدث عنه فى جميع أموره إلى أن توفى يوم الثلاثاء ثامن عشرين شوال سنة عشرة وثمانائة، وبعد موت أستاذه سودون الطيارى اتصل بمخدمة الملك الناصر فرج وحظى عنده، وصار من جملة الدوادارية الصغار، إلى أن توفى الناصر تنقلت بأسنبغا المذكور-

نظر جدة، عوضاً عن سعد الدين إبراهيم بن المرة، وأذن لابن المرة أن يتوجه معه.

وفي حادى عشره: نودى للناس بالإذن فى السفر صحبة الطيارى إلى مكة، فسروا بذلك سروراً زائداً، وتجهزوا للسفر.

وفيه توجه الأمير مقبل نائب صفد إلى محل كفائه على عادته، بعدما قدم مالا وغيره بنحو اثنى عشر ألف دينار.

وفي ليلة الثلاثاء ثالث عشره: بالرؤية ورابع عشره بالحساب، خسف جميع جرم القمر فى الساعة الحادية عشر، وأقام فى الخسوف ثلاث ساعات ونصف ساعة.

وفي سابع عشرينه: توجه الوزير الأمير أستاذار كريم الدين ابن كاتب المناخ إلى الوجه البحرى، لتحصيل ما يقدر عليه من الجمال والخيل والغنم والمال، لأجل سفر السلطان إلى الشام.

وفي تاسع عشرينه: ورد كتاب شاه رخ بن تيمور ملك المشرق على يد بعض التجار، يتضمن أنه يريد كسوة الكعبة. ولم يخاطب السلطان إلا بالأمير برسباى وقد تكررت مكاتبته بسبب كسوة الكعبة مرارا عديدة، ولم يظهر لذلك أثر.

شهر جمادى الآخرة، أوله يوم الجمعة:

=الأحوال إلى أن صار فى الدولة الأشرفية برسباى أمير عشرة، ثم خلع عليه بعد مدة باستقراره مقدم البريدية بعد موت بييغا، ثم رسم له بالتوجه إلى شد بندر جدة بالبلاد الحجازية لحصد أموال السلطنة بها فى سنة ست وثلاثين وثمانمائة على عادة من تقدمه فتوجه المذكور إليها وباشر البندر أحسن مباشرة، وحسنت سيرته، ولم يسلم من الحساد وأوغروا خاطر الملك الأشرف عليه، فرسم بمسكه ومصادرته ثم بنفيه إلى مدينة طرابلس، فتوجه المذكور إلى طرابلس فلم يلبث بها إلا يسيراً، وأنعم عليه بإمرة طبلخاناه بها، ثم نقل إلى دمشق، فما أظن، ثم طلب إلى ديار مصر، وأنعم عليه بإمرة عشرة بها، ثم نقل إلى الحجوية الثانية وإمرة طبلخاناه، ودام على ذلك إلى أن توفى الملك الأشرف برسباى فى ذى الحجة سنة إحدى وأربعين وثمانمائة، وتسلمن من بعده ولده العزيز يوسف نقل أسنبغا من الحجوية الثانية إلى الدوادارية الثانية بعد الأمير أيتال الأيبى بكرى بحكم الظاهر حقمق إلى إمرة مائة وتقدمة ألف، «فباشر الدوادارية إلى أن نقله الملك الظاهر حقمق إلى إمرة مائة وتقدمة ألف»، وتولى الدوادارية عوضه الأمير دولات باى المحمودى الأمير آخور الثانى، واستقر فى الأمير آخورية الثانية عوضه الأمير حرياش الحممدى الناصرى المعروف بكرت، كل ذلك فى سنة اثنتين وأربعين وثمانمائة، فاستمر أسنبغا من جملة الأمراء مقدمى الألف من يوم تاريخه إلى شهر ربيع الأول سنة ثلاث وخمسين وثمانمائة، واستقر رأس نوبة النوب بعد موت الأمير قمرباى التمرىغاوى. انظر المنهل الصافى ٢ / ٤٣٨، وما بعدها.

فى خامسه: أنفق السلطان فى الممالك المجردين إلى مكة صحبة الأمير أسنبغا الطيارى، وهم خمسون مملوكا، كل واحد مبلغ ثلاثين دينارا.

وفى ثامن عشره: برز الطيارى بمن معه.

وفيه خلع على سعد الدين بن المرة ليكون رفيقا للطيارى.

وفيه ابتدئ بصر نفقة السفر إلى الشام.

وفى حادى عشره: أنفق فى الأمراء نفقة السفر، فحمل إلى الأمير الكبير الأتابك سودة من عبد الرحمن فضة عن ثلاثة آلاف دينار، وإلى كل من الأمراء الألوفا - وهم عشرة - ألفا دينار، وإلى كل من أمراء الطبليخاناه خمسمائة دينار، كل ذلك فضة.

وفى ثالث عشرينه: استقل الطيارى بالمسير من بركة الحجاج فى ركب يزيد على ألف ومائة جمل.

وفى سلخه: ابتدئ بنفقة الممالك السلطانية، وهم ألفا وسبعمائة، لكل منهم صرة فيها ألف درهم أشرفى، وخمسون درهما أشرفية، عنها من الفلوس اثنان وعشرون ألف درهم؛ وهى مصارفة مائة دينار، من حساب كل دينار بمائتين وعشرين درهما فلوسا، والدينار يومئذ يصرف بمائتين وثمانين. وكذلك نفقات الأمراء التى تقدم ذكرها، إنما حملت إليهم دراهم على هذا الحساب.

وفى هذا الشهر: نزل بأهل الوجه البحرى من نزول الأستادار على بلاء عظيم.

شهر رجب أوله، الأحد:

فى ثالثه: قدم الوزير أستاذار من الوجه البحرى، وقد احتاج أهله بأخذ خيولهم وأغنمهم وأموالهم، هو وأتباعه، فما عفوا ولا كفوا.

وفى يوم الخميس ثانى عشره: أدير حمل الحاج، ولم يعمل ما جرت العادة به من التجمل، بل أوقف تحت القلعة، وأعيد، ولم يتوجه إلى مصر، وهذا شىء لم يعهد مثله.

وفى رابع عشره: نصبت خيام السفر خارج القاهرة، بطرق الريدانية، تجاه مسجد

تبر.

وفى سادس عشره: خرج أمراء الجاليش - وهم الأمير الكبير سودة من عبد الرحمن، وأمير سلاح أبنال الحكمى، وحاجب الحجاب قرقماس، وقانباى الحمزاوى، وسودة ميق - ونزلوا بالمخيمات، ورسم بإخراج البطالين من الأمراء والممالك، فتوجه

الأمير أظنبا المرقبي - صاحب الحجاب في الأيام المؤيدية - والأمير أيتمش الخضرى أستاذار إلى القدس. وكان كل منهما عدة سنين ملازما لداره، ومنع من بقى من الأسياد أولاد الملوك من ذرية الناصر محمد بن قلاوون من سكنى القلعة وطوعها، وأخرجوا من دورهم بها، وكانوا لما منعوا من سنين، سكن أكثرهم بالقاهرة وظواهرها، فذلوا بعد عزهم، وتبدلوا بعد تحجبهم، وبقي من أعيانهم طائفة مقيمة بالقلعة، وتنزل بالقاهرة لحاجاتها، ثم تعود إلى دورها، فأخرجوا بأجمعهم فى هذه الأيام، ومنعوا من القلعة، ففترقوا شذر مذر، كما فعل أبوهم الناصر محمد بن قلاوون بأولاد الملوك بنى أيوب، وكذلك فعل الله ببنى أيوب كما فعل أبوهم الكامل محمد بن العادل أبو بكر بن أيوب بأولاد الخلفاء الفاطميين، ﴿ولا يظلم ربك أحدا﴾^(١).

وفى سابع عشره: أعيد دولات خجا إلى ولاية القاهرة، عوضا عن التاج، لسفره فى الخدمة السلطانية مهمندار وأستاذار الصحبة، وجليسا. وخلع على شهاب الدين أحمد ابن محمد بن على^(٢) - ويعرف بابن النسخة شاهد القيمة - واستقر فى حسة مصر، عوضا عن شمس الدين أحمد بن العطار.

وقدم كتاب متملك تونس - وعامة بلاد المغرب - أبى فارس عبد العزيز، يتضمن واقعة مع ملك الفرنج القطلان، على جزيرة جربة.

وفى يوم الخميس تاسع عشره - الموافق له أول فصل الربيع -: وانتقال الشمس إلى برج الحمل - ركب السلطان، وعبى أطلابه، وتوجه فى أثناء الساعة الثالثة من النهار، فسار فى ركب جليل إلى الغاية، وقد تجمع الناس لرؤيته، حتى نزل بمخيمه، وصحبته الأمير جقمق العلاى أمير أخور، والأمير أركماس الظاهرى الدوادار، والأمير تراز القرمشى رأس نوبة، والأمير جاتم ابن أخى السلطان، والأمير يشبك المشد، والأمير جانبك الحمزاوى، هؤلاء أمراء الألو، ومن الطبلخاناه الأمير ترمباى الدوادار الثانى، والأمير قراخجا الشعبانى، والأمير قراسنقر من عبد الرحمن، واستقر فى نيابة الغيبة بباب

(١) سورة الكهف ٤٩.

(٢) الشهاب الحجازى (٧٩٠ - ٨٧٥ هـ = ١٣٨٨ - ١٤٧١). أحمد بن على الأنصارى الخزرجى، شهاب الدين المعروف بالحجازى: من شيوخ الأدب فى مصر. مولده ومنشأه ووفاته فى القاهرة. نظم الشعر، وعنى بالموسيقى، وقرأ الحديث والفقه واللغة، وتصدر للتدريس. انظر نظم العقيان ٦٣، بدائع الزهور ٢ / ١٢٥، آداب اللغة ٣ / ١٢٦، الضوء اللامع ٢ / ١٤٧. الأعلام ٢٣٠/١.

السلسلة من القلعة الأمير تغرى يرمش التركمانى^(١) أحد الألو، واستقر بالقلعة المقام الجمالى ولد السلطان أحد الألو، والأمير خشقدم الزمام أحد الطبلخاناه، والأمير تانى بك والى القلعة، فى عدة من المماليك. واستقر خارج القلعة الأمير أقبغا التمرازى أمير مجلس، وقد رسم بحضوره من عمل الجسور بعد فراغها. ورسم للأمير أنال الششمانى أحد الطبلخاناه أن يكون أمير الحاج فى الموسم، ورسم بإقامة الأمير الإسماعيلى أحد الطبلخاناه وحاجب الميسرة، وإقامة الأمير الوزير كريم الدين أستاذار.

وفى يوم الجمعة عشرينه: سار السلطان من الريدانية ومعه من ذكرنا من الأمراء والمماليك، ومعه الخليفة وقضاة القضاة الأربع، وسافر فى الصحبة ناظر الدولة أمين الدين إبراهيم بن مجد الدين عبد الغنى بن الهيصم، وتديم السلطان ولى الدين محمد بن قاسم الشيشينى.

شهر شعبان، أوله الإثنين:

فيه وصل السلطان إلى غزة، ورحل منها فى رابعه، وقدم النجاب بذلك فى ثامنة، فنودى بالقاهرة فى الناس بالأمان، ورفع الظلم، ومنع الرمايات على الباعة.

وفى يوم الإثنين خامس عشره: وصل السلطان إلى دمشق، وسار عنها يريد حلب فى يوم السبت عشرينه، وقدم النجاب بذلك فى سادس عشرينه، فدقت البشائر بقلعة الجبل، ونودى فى القاهرة وظواهرها بذلك.

(١) هو تغرى يرمش بن يوسف (٨٢٠ هـ = ١٤١٤ م)، الشيخ زين الدين التركمانى الجندى الحنفى أبو المحاسن، أصله من بلاد الروم، واعتنى بطلب العلم ببلده، ثم قدم إلى القاهرة فى دولة الملك الظاهر برفوق وهو شاب، واشتغل بالعلم، وأخذ عن المشايخ وتفقه بجماعة من أعيان العلماء كالشيخ الدين التبانى وغيره، وكان كثير الإستحضر لفروع منهبه، يحفظ بعض مختصرات إلا أن ذكاه لم يكن بذاك وكان يميل إلى الصوفية، مع أنه كان يبالغ فى ذم ابن عربى، وأحرق كتبه. وكان لجماعة من الأمراء فيه محبة ونال بصحبهم جاهها وتعظيمها عنده الأعيان وقتا بعد وقت فى دولة الظاهر برفوق، ثم فى دولة ابنه الملك الناصر فرج، ثم فى الدولة المؤيدة شيخ، وأرسله الملك المؤيد إلى الحجاز وعلى يده مراسيم تتضمن النظر فى أحوال مكة المشرفة، وجاور بمكة، وأخذ فى الأمر فيها بالمعروف والنهى عن المنكر، ومنع المؤذنين من المدائح النبوية فوق المنبر ليلا، ومنع المداحين من الإنشاد فى المسجد الحرام، ومنع الصغار من الخطابة فى الليالى رمضان، والوقيد فى الليالى المعروفة بالحرم، وجرى له مع أهل مكة أمور بسبب ذلك بطول الشرح فى ذكرها، ثم عاد إلى القاهرة، وكان يميل إلى دين وخير. وتوفى سنة عشرين وثمانمائة. انظر المنهل الصافى ٤/٥٦، ٥٧، الدليل الشافى ١/ ٢١٨ العقد الثمين ٣/ ٣٨٨، شذرات الذهب ٧/ ١٥٧.

شهر رمضان، أوله الثلاثاء:

وفي خامسه: وصل السلطان إلى حلب، فنزل بظاهرها فى المخيمات، ورحل يريد مدينة آمد فى حادى عشرينه.

وفيه قدم الخبر بذلك إلى قلعة الجبل، فدقت البشائر، ونودى بإعلام الناس، فنزل السلطان إلى البيرة فى سادس عشرينه، وكتب منها إلى القاهرة على يد نجاب.

شهر شوال، أوله الخميس:

فى تاسعه: قدم النجاب برحيل السلطان من البيرة، بعد تعدية الفرات فى سادس عشرين رمضان.

وفى يوم الإثنين تاسع عشره: خرج محمل الحاج صحبة الأمير أينال الششمانى إلى الريدانية خارج القاهرة، ورفع منها إلى بركة الحجاج، ثم استقل بالمسير من البركة فى ثالث عشرينه، والحاج ركب واحد لقلتهم، ولم نعهد الحاج فيما سلف بهذه القلة.

وفى هذا الشهر: تعدد وقوع الحريق فى أماكن، فظهرت نار فى الجرون بناحية شيبين القصر، وأحرقت غلات كثيرة، وكان وقت الدراس، واجترت فأرة فتيلة سراج فى خن مركب قد أوسق بثياب وسيرج وغير ذلك، ووقف بساحل مدينة مصر ليسير إلى الصعيد، فأحرقت النار جميع ما كان فى المركب، وسرت إليها فاحترقت بأجمعها، وهى فى الماء حتى صارت فحما، ووقعت النار فى دور متعددة بالقاهرة ومصر.

وفى يوم الأربعاء ثامن عشرينه: كسف من جرم الشمس نحو الثلاثين فى برج السرطان، بعد العصر بزيادة على ساعة، فما غربت حتى بدأ الكسوف ينجلي، وفى مدة الكسوف اعتمت الآفاق، وظهر بعض الكواكب.

شهر ذى القعدة، أوله السبت:

فيه أخذ قاع النيل، فجاء ستة أذرع وثلاثة أصابع، ونودى من الغد بزيادة خمسة أصابع، واستمر النداء بزيادة ماء النيل.

وفى ليلة الجمعة رابع عشره: خسف أكثر جرم القمر، فطلع من الأفق الشرقى منخفضا، وانجلى الخسوف وقت العشاء. وهذا من النوادر، وقوع الخسوف القمرى بعد كسوف الشمس بخمسة عشر يوما.

وفى خامس عشره: قدم ساع على قدميه من حلب بكتاب السلطان من آمد بأنه

نزل عليها وقد خرج عنها عثمان بن ططر على المعروف بقرا يلك، وأشحنها بالمقاتلة، فحصرها العسكر.

وفي حادى عشرينه: قدم نجاب بكتاب السلطان من آمد مؤرخ بعشرين شوال، بأن قرا يلك عزم تعدية الفرات يريد حلب، فأدركه العساكر السلطانية، وقد نزل بعض أصحابه الفرات، فقاتلوههم، وقتلوا منهم، وغرق منهم جماعة، وأسر جماعة، ضربت أعناقهم.

وفي رابع عشرينه: دقت البشائر بقلعة الجبل، ونودى بأن إسكندر بن قرا يوسف قدم بعساكره نجدة للسلطان، ثم تبين كذب هذا الخبر.

وفي هذا الشهر: تحركت أسعار الغلال فأبيع القمح بمائة وثلاثين درهما الأردب بعد مائة، وأبيع الأردب الشعير والبقول من ثمانين إلى بضع وتسعين بعدما كان بستين. وسبب ذلك أن طائفة من الناس قد اعتادت منذ سنين أن ترجف في أيام زيادة النيل بأنه لا يبلغ الوفاء، يريدون بذلك غلاء الأسعار، فتكف أرباب الغلال أيديها عن البيع، ويأخذ آخرون في شراء الغلال وخزنها، ليربص بها دوائر الغلاء، فيتحرق السعر من أجل ذلك، فإذا بلغ النيل القدر المحتاج إليه في رى الأراضى، وزرع الناس، أيس طلاب الغلاء فباعوا ما قد اختزنوه منها، فينحل السعر، ويتضع.

وفي ثامن عشرينه: عزل نائب الغيبة دولات خجا عن ولاية القاهرة، وأقام عوضه دواداره - أعنى دولات خجا - وهو مجهول لا يعرف ونكرة لا يتعرف، ومع ذلك فأحوال الناس بالقاهرة جميلة لحسن سيرة نائب الغيبة، وتثبتته وإظهار العدل، مع كثرة الأمن ورخاء أسعار عامة المبيعات كلها.

شهر ذى الحجة، أوله الأحد:

فى سادسه: قدم الأمير كمشبيغا الأحمدي أحد الطبلخاناه بكتاب السلطان من الرها، مؤرخ بثامن عشر ذى القعدة، يتضمن أنه رحل عن آمد بعدما أقام على حصارها خمسة وثلاثين يوما، حتى طلب قرابلك الصلح، فصولح، ورحل العسكر فى ثالث عشر ذى القعدة، فدقت البشائر، ونودى بذلك فى الناس، وقدم الخير بقدم السلطان إلى حلب فى خامس عشرين ذى القعدة، ورحيله منها فى خامس ذى الحجة، وقدمه دمشق فى تاسع عشره.

وفي ثامن عشرينه: نودى على النيل بزيادة إصبع واحد، لتتمة خمسة عشر ذراعا،

وثمانية عشر إصبعًا. وأصبح الناس يوم الأحد عشرينه - وهو ثالث عشرين مسرى - وقد نقص ستة أصابع، فزادحم الناس على شراء القمح، وقد بلغ إلى مائة وأربعين درهما الأردب، فتعدى مائة وخمسين.

وفيه خرج الأمير الوزير كريم الدين أستاذار إلى لقاء السلطان.

وفي ثامن عشرينه: برز السلطان من دمشق يريد القاهرة. وكان من خيره أنه سار من حلب في حادى عشرين رمضان، ونزل البيرة في خامس عشرينه، وقد ترك الأنتقال والقضاة ونحوهم بحلب، فعدى الفرات بالمقاتلة فى يومين، ودخل الرها فى سلخه، وسار من الغد، فنزل على آمد فى ثامن شوال، ومعه من المماليك السلطانية والأمراء ومماليكهم ونواب البلاد الشامية بأتباعهم، ومن انضم إليهم من التركمان، ومن عرب كلاب، ما يقارب عددهم عشرة آلاف، والجحازف يقول ما لا يعلم، فأناخ عليها، وقد خرج قرا يلك منها إلى أرقنين^(١) وترك بآمد ولده، فترامى الفريقان بالنشاب، ثم زحف السلطان بمن معه فى يوم السبت عاشره من بكرة النهار إلى ضحاه وعاد فلم يقع زحف بعد ذلك، وقتل فى هذا الزحف مراد بك بن قرا يلك بسهم، وقتل حمزة الخازندار نائب آمد وجماعة، وجرح من أهل آمد ومن العسكر كثير، وقبض على جماعة من أهل آمد، فقتل بعضهم وترك بعضهم فى الحديد، ونزل محمود بن قرا يلك فى عسكر على جبل مشرف على العسكر، وصار يقتل من خرج من الغلمان ونحوهم لأخذ القمح ونحوه، ومنع الميرة عن العسكر. فقدم فى يوم الإثنين ثانى عشره صاحب أكيل^(٢) - واسمه دولات شاه - فخلع عليه، وأنزل فى العسكر، ثم قدم الملك الأشرف أحمد بن سليمان ابن غازى بن محمد بن أبى بكر بن عبد الله، صاحب حصن كيفا، باستدعاء، حتى قارب العسكر، فخرج عليه عدة من العسكر قرا يلك، فقتلوه وقتلوا معه قاصد السلطان المتوجه إليه، فاشتد ذلك على السلطان وبعث فى إحصار قاتليه جماعة من العربان والتركمان، فأحضروا من جماعة قرا يلك عشرين رجلا، ثم توجهوا ثانية فأحضروا ثلاثين رجلا وسطوا تجاه قلعة بآمد^(٣) ثم توجهوا ثالثا فأحضروا واحدًا وعشرين رجلا،

(١) أرقنين: بلد بالروم غزاه سيف الدولة حمدان، وذكره أبو فراس فقال: إلى أن وردنا أرقنين نوقها وقد نكلت أعقابنا والمخاصر. ورواه بعضهم بالفاء، والأول أكثر. انظر معجم البلدان ١ /

(٢) سبق ترجمتها، وهى قرية من قرى ماردين.

(٣) سبق ترجمتها.

منهم قرا محمد أحد أمراء قرا يلك، ومنهم صاحب ماردين^(١) فوسط قرا محمد ومعه عشرون رجلا. فاتفق أن واحداً منهم انفلت من وثاقه، فمر يعدو والعسكر تنظره، فما أحد رماه بسهم، ولا قام فى طلبه حتى نجا، وطلع القلعة. وفى أثناء ذلك سار الأمير شار قطلوا نائب الشام، ومعه عدة من التركمان والعرب وغيرهم لقتال قرا يلك، فكانت بينهم وقعة، قتل وجرح فيها من التركمان والعرب وأصحاب قرا يلك جماعة، وتأخر شار قطلوا عن لقائه، فبعث قرا يلك بقرا أحمد بن عمه، وبكاتب سره بكتبه يتزامى على نواب الشام فى الصلح، فمازالوا بالسلطان حتى أجاب إلى ذلك، وبعث إليه شرف الدين أبا بكر الأشقر نائب كاتب السر، حتى عقد الصلح معه، وحلفه على الطاعة، وجهاز إليه كاملية حرير مخمل بفرور سمور، وقباء حرير بوجهين وعليه طراز عرض ذراع ونصف وربع، وثلاثون قطعة قماش سكندرى، وسيف بسقط ذهب، وفرس بقماش ذهب، وخلع على قصاده. فقدم قاصدا إسكندر بن قرا يوسف صاحب توريذ وعراق العجم بأنه قادم إلى الخدمة السلطانية، فأجيب بالشكر، وأنه قد وقع الصلح مع قرا يلك.

وكان الذى وقع الصلح عليه أن قرا يلك لا يتعرض إلى شىء من أطراف المملكة من الرحبة، وإلى دوركى، وأن يسهل طرق الحجاج والتجار ونحوهم من المسافرين، ولا يتعرض لحصن كيفا ولا لرعيتهما وحكامها، ولا لدولات شاه حاكم أكل وقلاعه، وأن يضرب السكة، ويقيم الخطبة للسلطان بديار بكر، وأن يمثل ما يرد عليه من مراسيم السلطان.

ثم قدم الملك شرف الدين يحيى بن الأشرف صاحب كيفا - وقد استقر فى سلطنة الحصن أخوه الملك الصالح صلاح الدين خليل بن الملك الأشرف - بتقدمة أخيه، فخلع عليه، وجهاز للصالح خلعة وسيف.

ثم رحل السلطان ومن معه عن آمد، بعد الإقامة عليها خمسة وثلاثين يوما، فى ثالث عشر ذى القعدة، وقد غلت عندهم الأسعار، فبلغ الأردب الشعير نحو دينارين ونصف، وأنه كان يعطى فيه إثنان وسبعون درهما مؤيدية، عن كل مؤيدى سبعة دراهم ونصف من الفلوس، نقد القاهرة، ويصرف دينار بثلاثين مؤيديا فضة، وبلغ القمح كل أربعة أقداح بدرهمين فضة، وبلغ القدح الواحد من الملح خمسة عشر درهما فضة، وبلغ الرطل من الزيت ومن السرج بثلاثين درهما فضة، ونهب من ضواحي آمد غلال لا

(١) سبق ترجمتها.

تحصى، منها زيادة على مائتي ألف أردب بمقتضى المحاسبة، سوى ما انتهبه العسكر، وخرّب ما هنالك من الضياع، وأخذت أخشابها، وقطعت أشجارها، ونهب ما فيها، وفعل بأهلها ما لا يمكن وصفه، فلما وصل السلطان من آمد إلى الرها أقر الأمير أينال الأجرود نائب غزة بالرها، وقواه بنحو خمسة آلاف دينار وشعير وبشماط وأرز وزيت وصابون وسلاح كثير، وولى عوضه نيابة غزة الأمير جانبك الحمزاوى، وقدمه إليها، ثم رحل، فقدم حلب فى خامس عشرينه، وسار منها فى خامس ذى الحجة، ودخل دمشق فى تاسع عشره. وكانت سفرة مشقة زائدة الضرر، عديمة النفع، أنفق السلطان فيها من المال الناض^(١) خمسمائة ألف دينار، وتلف له من سلاح والخيل والجمال وغير ذلك. وأنفق الأمراء والعساكر بمصر والشام، وتلف لهم من الآلات والدواب والقماش ما تبلغ قيمته مئات قناطير من ذهب، وتلف لأهل آمد وذهب مال عظيم جدا. وقتل خلق كثير، ونفق من دواب العسكر زيادة على عشرة آلاف، ما بين جمل وفرس، ولم يبلغ أحد غرضا من الأغراض، ولا سكنت فتنة. وإنى لأخشى أن يكون الأمر فى هذه الكائنة كما قيل:

لا تحقرن سبيبا كم جر شرا سبيبا
و لله عاقبة الأمور.

وفىها تحيل أصبهان بن قرا يوسف على أخذ بغداد من أخيه محمد شاه، بأن بعث أربعين رجلا قد حلقوا لحاهم، كأنهم قلندرية، ثم دخلوا بغداد شيئا بعد شىء، وقد اعددهم على وقت، فلما وافاهم ليلا إذا هم قد ركبوا السور، ورفعوا من أصحاب أصبهان جماعة، ثم قتلوا الموكلين بالباب، ودخل بمن معه، ففر شاه محمد بحاشيته فى الماء، واستولى أصبهان على بغداد، وسلب من بها جميع ما بأيديهم، بحيث لم يبق بها من الأسواق سوى حانوتين فقط، ولحق شاه محمد بالموصل.

* * *

ومات فى هذه السنة ممن له ذكر

نور الدين على جلال الدين محمد الطنبدى التاجر، فى ليلة الجمعة رابع عشر صفر، عن سبعين سنة، وترك مالا جما.

ومات الشهاب أحمد بن غلام الله بن أحمد بن محمد الكومريشى^(٢) فى سادس

(١) النض: يقصد الدرهم الصامت.

(٢) الكوم الريشى (٧٧٨٣ - ٨٣٦ هـ = ١٣٨١ - ١٤٢٢ م). أحمد بن غلام الله بن أحمد =

عشرين صفر، وقد أناف على الخمسين. وكان يجيد حل التقويم من الزيج ويشدو شيئاً من أحكام النجوم، ولم يخلف بعده مثله.

ومات قاضى القضاة شهاب الدين أحمد بن محمد بن الأموى المالكى بدمشق، فى يوم الثلاثاء حادى عشر صفر. وقد ولى قضاء القضاة المالكية بديار مصر فى الأيام المؤيدية شيخ، ولم يشهر بعلم ولا دين.

ومات الأمير علاء الدين منكلى بغا الصلاحى، أحد الحجاب، فى ليلة الخميس عشر ربيع الأول، بعد مرض امتد سنين. وهو من جملة المماليك الظاهرية برقوق، وأحد دواداريته. وولى حسبة القاهرة فى الأيام المؤيدية، وعزل عنها وصار من جملة الحجاب. وكان يدرى طرفاً من الفقه، ويكتب الخط الجيد وأرسل إلى تيمور لنك رسولا فى الأيام الناصرية فرج.

وماتت قنقباى خوند أم المنصور عبد العزيز بن برقوق، فى سلخ جمادى الآخرة، عن مال كثير، وكانت تركية الجنس. وهى آخر من بقى من أمهات أولاد الظاهر برقوق. وكانت شهرتها جميلة.

ومات الأمير تغرى بردى المحمودى أتابك العساكر بدمشق، مقتولا على آمد فى شوال.

ومات الأمير سودن ميق أحد الألوف، مقتولا على آمد أيضا.

ومات الأمير جانبك الحمزاوى. وقد ولى نيابة غزة، وتوجه إليها فأتته المنية فى طريقه. ومستراح منه ومن أمثاله.

ومات الأمير تنبك المصارع أحد أمراء العشرات مقتولا على آمد.

ومات تاج الدين عبد الوهاب بن أفتكين كاتب سر دمشق فى ذى القعدة، وولى عوضه نجم الدين يحيى بن المدنى، ناظر الجيش بحلب.

ومات الملك الأشرف أحمد بن العادل سليمان بن الجاهد غازى بن الكامل محمد بن العادل أبى بكر بن الأوحى عبد الله بن المعظم توران شاه بن السلطان الملك الصالح نجم

= ابن محمد، شهاب الدين الكوم الريشى القاصدى: فلكى مصرى، من أهل «كوم الريشى» اشتغل فى فن النجوم وصار يحل الزيج ويكتب التقادم. وعين مؤقتا بجامع الملك المؤيد بالقاهرة. له «اللمع فى حل الكواكب السبعة». انظر الضوء اللامع ٢ / ٦٢ والأعلام ١ / ١٩٢.

الدين أيوب^(١) بن الكامل محمد بن العادل أبي بكر بن نجم الدين أيوب بن شادي، صاحب حصن كيفا. وقد سار من بلده يريد لقاء السلطان على آمد، فاغتيل في ذي القعدة. وكان قد أقيم في سلطنة الحصن بعد أبيه في سنة سبع وعشرين. وكان فاضلا بارعا أدبيا، له ديوان شعر. وكان جوادا محبا في العلما. وولي بعده ابنه الكامل أبو المكارم خليل.

* * *

(١) الملك الصالح (٦٠٣-٦٤٧هـ = ١٢٠٦-١٢٤٩م) أيوب (الملك الصالح) بن محمد (ملك الكامل) بن أبي بكر (العادل) بن أيوب، أبو الفتوح نجم الدين: من كبار الملوك الأيوبيين. بمصر ولد ونشأ بالقاهرة وولي بعد خلعه: أخيه (العادل) سنة ٦٣٧هـ. وظبط الدولة بحزم. وكان شجاعا مهيبا عفيفا صموتا، عمر بمصر ما لم يعمر، أحد من ملوك بن أيوب. وفي أواخر أيامه أغار الإفرنج على دمياط (سنة ٦٤٧٩هـ) وأصاب البلاد ضيق شديد، وكان الصالح غائب في دمشق، فقدم ونزل أمام الفرنج وهو مريض بالسد فمات بناحية المنصورة ونقل إلى القاهرة. من آثاره قلعة الروضة بالقاهرة. انظر خطط المقرئ ابن إياس ٨٣/١ السلوك ٢٩٦/١-٣٤٢ وتاريخ الإسحاقى ١٨٩، ومرآة الزمان ٧٧٥/٨ والأعلام ٣٨/٢.

سنة سبع وثلاثين وثمانمائة

أهلت هذه السنة وخليفة الوقت المعتضد بالله داود. وسلطان الإسلام بمصر والشام والحجاز وقبرس الملك الأشرف برسباى. والأمير الكبير سودن من عبد الرحمن. وأمير سلاح أينال الحكيمى. وأمير مجلس أقبغا التمرازى. ورأس نوبة الأمير تمتاز القرمشى، وأمير أخور جقمق. و الدوادار أركماس الظاهرى. وحاجب الحجاب قرقماس. والوزير وأستادار كريم الدين عبد الكريم ابن كاتب المناخ. وكاتب السر كمال الدين محمد بن ناصر الدين محمد بن البارزى. وناظر الجيش القاضى زين الدين عبد الباسط، وهو عظيم الدولة وصاحب تدبيرها. وناظر الخاص سعد الدين إبراهيم ابن كاتب حكم. وقضاة القضاة على حالهم. ونواب السلطنة وملوك الأطراف كما تقدم فى السنة الخالية.

والنيل قد تأخر وفاءه، والناس لذلك فى قلق وتخوف، وقد كثر تكاليفهم على شراء الغلة، وبلغ القمح إلى مائة وأربعين درهما الأردب. على أن الذهب بمائتين وخمسة وثمانين درهما الدينار.

شهر الله المحرم، أوله الثلاثاء:

فيه نودى على النيل برد ما نقص، وزيادة ثلاثة أصابع، فعظم سرور الناس بذلك، وباتوا على ترجى الوفاء، فنودى من الغد - يوم الأربعاء ثانيه، وسادس عشرين مسرى - بوفاء النيل ستة عشر ذراعا، وزيادة أصبعين من سبعة عشر ذراعا، فكاد معظم الناس يطير فرحا. وغيظ من عنده غلال يتربص بها الغلاء، ففتح الخليج على العادة.

وفى ثالثه: قدم مبشرو الحاج.

وفى ثانى عشره: ورد الخير بمسير السلطان من دمشق، بمن معه فى أوله فنودى بالزينة، فزين الناس الحوانيت. ووافق هذا اليوم أول توت، وهو نوروز أهل القبط بمصر. وماء النيل على سبعة عشر ذراعا وثمانية أصابع.

وفيه قدمت أثقال كثير من العسكر.

وفى رابع عشره: قدم الأمير أيتمش الخضرى من القدس، وتتابع مجىء الأتقال من أمتعة العسكر وجمالهم، واستعد الناس للملاقاة.

وفيه خرج المقام الجمالى يوسف^(١) ابن السلطان؛ لملاقاة أبيه.

وفيه أمطرت السماء، ولم نعهد قبله مطرا فى فصل الصيف، فأشفق أهل المعرفة على النيل أن ينقص، فإن العادة جرت بأن المطر إذا نزل فى أيام الزيادة هبط ماء النيل، فكان كذلك، ونقص فى يوم الجمعة ثامن عشره، وقد بلغت زيادته سبعة عشر ذراعا، وثمانية عشر إصبعا. وكان نقصه فى هذا اليوم ستة وعشرين أصبعا، فشرق من أجل هذا كثير من أراضى مصر؛ لفساد الجسور، وإهمال حفر الترغ.

وفى يوم الأحد عشرينه: قدم السلطان بمن معه من سفره، ومر من باب النصر فى القاهرة، وقد زينت لقدمه، فنزل بمدرسته، وصلى بها ركعتين، ثم ركب وخرج من باب زويلة إلى القلعة. وخلع على أرباب الدولة، فكان يوما مشهودا.

وفيه خلع على الأمير تاج الدين الشويكى، وأعيد إلى ولاية القاهرة على عادته، مع ما بيده من شد الدواوين وغيره.

وفى ثانى عشرينه: قدم سوابق الحاج. ونزل الحمل بركة الحاج فى غده، وقد مات من الحاج بطريق المدينة من شدة الحر عدة كثيرة.

شهر صفر:

أهل يوم الخميس، وقلق الناس متزايد، فإن النيل تراجع نقصه، حتى صار على سبعة عشر ذراعا. ثم نقص تسعة أصابع، فشره الناس فى ابتياع الغلال، وشرح أربابها بها. فبلغ الأردب القمح مائة وثمانين درهما، والشعير مائة وأربعين. وفقد الخبز من الأسواق عدة ليالى.

(١) يوسف بن برسباى (الملك العزيز- جمال الدين) [٨٢٧-٨٦٨هـ = ١٤٢٤-١٤٦٣م] (الأشرف) الدقماقى الظاهرى، أبو المحاسن، جمال الدين: من ملوك دولة الجراكسة بمصر والشام. ولد بالقاهرة، ونودى به سلطانا بعد وفاة أبيه سنة (٨٤١هـ) بعهد منه فولى الأتابكى «حتمق العلامى» تدبير مملكته، فاستولى هذا على أمور الدولة صغيرها وكبيرها. ولم يلبث ممالك حتمق أن خلعوا العزيز (سنة ٨٤٢) ونادوا بحتمق ملكا، فأدخله دور الحرم، فكانت مدة سلطنته ثلاثة أشهر وخمسة أيام وخرج من دور الحرم متخفيا، يريد استنفار مماليكه وممالك أبيه فقبض عليه، وأرسل إلى برج الإسكندرية معتقلا، فأقام إلى أن كانت دولة الظاهر «حشقدم» سنة ٨٦٥ هـ فأفرج عنه وسمح له بالسكنى فى الإسكندرية حيث شاء على ألا يخرج منها فسكنها إلى أن مات.

مورد اللطافة لابن تغرى بردى ١٢٢ والضوء اللامع ٣٠٣:١٠ وحوادث النهور: انظر فهرسته. وصفحات لم تنشر من بدائع الزهور ١٠١ ووليم موير ١٤٢ وشذرات ٣٠٨، ٢٤٢، ٢٣٩:٧ وإياس ٢: ٢٣، ٢٥-٢٦. وفيه أن الذى أفرج عنه وألزمه الإقامة بالإسكندرية، هو «الأشرف أينال» سنة ٨٥٧ هـ. ونظم العقيان ١٧٩ هـ وفيه: ولد سنة ٨٠٧ هـ.

وفيه ألزم السلطان الوزير صاحب كريم الدين أستاذار بحمل ما توفر من العليق بالديوان المفرد في مدة السفر، وهو خمسون ألف أردب^(١)، وما توفر من العليق بديوان الوزارة، وهو عشرون ألف أردب، وبعث إلى النواحي من يتسلمها منه.

وفي ثلثي عشرينته: عزل داود التركمانى من كشف الوجه القبلى، وسلم إلى الأمير أقبغا الجمالى أستاذار - كان - وقد أنعم عليه بإمرة طبلخاناه، عوضا عن تنبك المصارع.

وفي هذا الشهر: ظهر فى جهة المغرب بالعشايا كوكب الذؤابة^(٢) وطوله نحو الريحين، ورأسه فى قدر نجم مضىء، ثم برق، حتى تبقى ذنبه كشعب برقة الشعر، وذنبه مما يلي المشرق.

وفيه أيضا توالى بروق ورعود وأمطار غزيرة متوالية بالوجه البحرى، وفى بلاد غزة والقدس.

وفيه أيضا أخذ الفرنج قريبا من طرابلس الغرب تسع مراكب، تحمل رجالا وبضائع بآلاف دنائير، وتصرفوا فى ذلك بما أحبوا.

شهر ربيع الأول، أوله الجمعة:

فى ليلة الجمعة ثامنته: عمل السلطان المولد النبوى على العادة. وفى هذه الأيام انحل سعر الغلال لقلّة طالبها. وكان ظن الناس خلاف ذلك.

وفىها طلب السلطان بعض الكُتاب، فهرب منه فرسم بهدم داره، فهدمت حتى سوى بها الأرض.

وفىها أمر بإحراق معصرة بعض المماليك، فأحرقت بالنار حتى ذهبت كلها.

وفى ثلثي عشره: ركب السلطان فى موكب ملوكى، وسار من قلعة الجبل، فعبر من باب زويلة، وخرج من باب القنطرة يريد الرماية بالجوارح لصيد الكراكى^(٣) ثم عاد فى آخر رابع عشره.

(١) ينظر أنباء الغمر (حوادث سنة ٨٣٧هـ).

(٢) الذئبان: كوكبان أبيضان بين العوائذ والفرقدين؛ وأظفار الذئب كواكب صغار قدامهما، والذؤبان مصغرا ما آن لهم. انظر تاج العروس (ذئب).

(٣) نوع من الطيور. المعجم الوسيط (كرك).

وفي خامس عشره: نصب المدفع الذى أعد لحصار آمد، وهو مكحلة من نحاس زنتها مائة وعشرون قنطارا مصريًا. وكان نصبها فيما بين باب القرافة وباب الدريفيل، فرمت إلى جهة الجبل بعدة أحجار، منها ما زنته خمسمائة وسبعون رطلا. وقد جلس السلطان بأعلا سور القلعة لمشاهدة ذلك، واجتمع الناس. واستمر الرمي بها عدة أيام.

وفي تاسع عشره: رسم أن يخرج الأمير الكبير سُودن بن عبد الرحمن إلى القدس بطالا، فاستغنى من سفره وسأل أن يقيم بداره بطالاً، فأجيب إلى ذلك، ولزم داره، وأنعم بإقطاعه زيادة فى الديوان المفرد. ولم يقرر أحد عوضه فى الإمرة^(١).

وفي هذا الشهر: ثارت رياح عاصفة بمدينة دمياط، فتقصفت نخيل كثيرة، وتلف كثير من قصب السكر المزروع، وهدمت عدة دور، وخرج الناس إلى ظاهر البلد لهول ما هم فيه. وسقطت صاعقة فأحرقت شيئا كثيرا ونزل مطر مغرق. ولم يكن بالقاهرة شىء من هذا.

وفي سادس عشرينه: خلع على شمس الدين محمد بن شهاب الدين أحمد بن محمود ابن الكشك، واستقر فى قضاء الحنفية بدمشق، عوضا عن أبيه بعد وفاته، بمال وعد به. وفيه خلع على عبد العظيم بن صدقة الأسلمى، وأعيد إلى نظر ديوان المفرد، عوضا عن تاج الدين الخطير^(٢). وكان قد ترك ذلك تنزها عنه من قبل سفر السلطان إلى الشام، ولم يباشر أحد عوضه.

شهر ربيع الآخر، أوله السبت:

فيه خلع على دُولات شاه المعزول من ولاية القاهرة، واستقر فى ولاية المنوفية والقلوبية^(٣) وفى ثالثه سرح السلطان للصيد وعاد فى خامسه.

وفي عاشره: خلع السلطان على الأمير أينال الششمانى، واستقر فى نيابة مدينة صفد عوضا عن الأمير مقبل بعد وفاته. واستقر خليل بن شاهين^(٤) فى نظرس

(١) انظر النجوم الزاهرة ٢٢٧/١٤.

(٢) انظر الضوء اللامع ١١٤/٥، ١١٥.

(٣) انظر النجوم الزاهرة ٢٢٧/١٤.

(٤) خليل بن شاهين الظاهرى، غرس الدين، يعرف بابن شاهين: أمير، من المماليك، اشتهر بمصر كان من المولعين بالبحث، وله تصانيف ونظم. ولد ببيت المقدس، وتعلم بالقاهرة. وولى نظرس الإسكندرية ثم نيابتها سنة ٨٣٧هـ وحمدت سيرته فنقل إلى الوزارة بالقاهرة، فاستغنى بعد مدة يسيرة. وسافر سنة ٨٤٠هـ أمير للحاج المصرى وولى نيابة الكرك، فأتابكية صفد، فنيابة ملطية، فأتابكية حلب وشكا نائبها سنة، فاعتقل وسجن بقلعتها مقيداً، ثم أطلق. وولى إمرة الحاج الدمشقى مرتين، وتوفى فى طرابلس. نسبته إلى الظاهر برفوق، وكان أبوه شاهين من مماليكه. من كتبه وهى نحو ٣٠ مصنفا منه «زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك» =

الإسكندرية، عوضا عن فخر الدين بن الصغير. وخليل هذا أبوه من ممالك الأمير شيخ الصفوى، وسكن القدس، وبه ولد له خليل هذا ونشأ. ثم قدم القاهرة من قريب، واستقر حاجب الإسكندرية. ثم عزل، فسعى فى النظر بمال، حتى وليه مع الحجوية.

وفى حادى عشره: خلع على الأمير أقبغا الجمالى، واستقر كاشف الوجه البحرى، عوضا عن حسن باك بن سقل سيز التركمانى، وأضيف له كشف الجسور أيضا.

وفى ثالث عشره: ركب السلطان بعد الخدمة، ومعه ناظر الجيش، وكاتب السر، والتاج الشويكى. ونزل إلى المارستان المنصورى للنظر فى أحواله ليلى التحدث فيه بنفسه، فإنه لم يول نظره أحدًا بعد الأمير سودن بن عبد الرحمن.

وأقام الطواشى صفى الدين جوهر الخازندار لما عساه يحدث من الأمور، فاستمر على ذلك.

شهر جمادى الأولى: أوله الإثنين.

فى سادسه: خلع على نظام الدين بن مفلح وأعيد إلى قضاء الحنابلة بدمشق. عوضا عن عز الدين عبد العزيز البغدادى.

وفى ثامن عشرينه: استقر حسين الكردى فى كشف الوجه البحرى عوضا عن أقبغا الجمالى، بعد قتله فى خامس عشرينه، فى حرب كانت بينه وبين عرب البحيرة. وقتل معه جماعة من مماليكه ومن العربان وخلع على الوزير أستاذار كريم الدين جبه بفرور سمور؛ ليتوجه إلى البحيرة - ومعه حسين الكردى - لعمل مصالحها، واسترجاع ما نهبه أهلها من متاع أقبغا الجمالى. وكتب إليهم بالعفو عنهم، وأن أقبغا تعدى عليهم فى تحريق بيوتهم، وأخذ أولادهم، ونحو ذلك مما يطمئنهم، عسى أن يؤخذوا بغير فتنة ولا حرب (١).

وفى ليلة الجمعة سادس عشرينه: وقع بمكة المشرفة مطر غزير، سالت منه الأودية، وحصل منه أمر مهول على مكة، بحيث صار الماء فى المسجد الحرام مرتفعا أربعة أذرع. فلما أصبح الناس يوم الجمعة ورأوا المسجد الحرام بجر ماء، أزالوا عتبة باب إبراهيم، حتى خرج الماء من المسفلة، وبقي بالمسجد طين فى سائر أرضه قدر نصف ذراع فى ارتفاعه فاتدب عدة من التجار لإزالته.

= انظر الضوء اللامع ١٩٥/٣، خطط مبارك ٦٨/٨، هدية العارفين ٣٥٣/١ الأعلام ٣١٨/٢.

(١) انظر النجوم الزاهرة ٢٢٨/١٤.

وتهدم في الليلة المذكورة دور كثيرة، يقول المكثر زيادة على ألف دار. ومات تحت الردم اثنا عشر إنسانا، وغرق ثمانية أنفس. ودلف سقف الكعبة، فابتلت الكسوة التي بداخلها، وامتلات القناديل التي بها ماء. وحدث عقيب ذلك السيل بمكة وأوديتها، وبأطرق من اليمن.

شهر جمادى الآخرة: أوله الثلاثاء.

فيه أحصى ما بالإسكندرية من القزازين، وهم الحياك، فبلغت ثمانمائة نول، بعدما بلغت عدتها في أيام محمود أستاذار - أعوام بضع وتسعين وسبعمائة - أربعة عشر ألف نول ونيف، شتت أهلها ظلم ولاة الأمور وسوء سيرتهم (١).

وفي ثالثه: سار الوزير إلى البحيرة.

وفي ثاني عشره: رسم بإعادة أبي السعادات جلال الدين محمد بن أبي البركات ابن أبي السعود بن زهيرة (٢) إلى قضاء الشافعية بمكة، عوضا عن جمال الدين محمد بن علي بن الشيبى بعد موته.

وفي سابع عشره: رجم ممالك الطباقي بالقلعة المباشرين عند خروجهم من الخدمة السلطانية؛ لتأخر جوامكهم بالديوان المفرد عن وقت إنفاقها.

وفي يوم السبت سادس عشرينه: أصبح السلطان ملازما للفراش من آلام حدثت في باطنه من ليلة الخميس، وهو يتجلد لها إلى عصر يوم الجمعة، فاشتد به الألم، وطلب رئيس الأطباء، فحقنه في الليل مرارا. وأصبح لما به، فلم يدخل إليه أحد من المباشرين. وبعث بمال فرقه في الفقراء. وما زال محجوبا عن كل أحد، وعنده نديماه ولى الدين محمد بن قاسم، والتاج الشويكى فقط.

ثم دخل في يوم الثلاثاء تاسع عشرينه الأمراء لعيادته وقد تزايد ألمه. ثم خرجوا سريعا، فأبل تلك الليلة من مرضه.

شهر رجب الفرد، أوله الخميس:

(١) انظر النجوم الزاهرة ٢٢٨/١٤.

(٢) ابن ظهيرة (٧٩٥-٨٦١م=١٣٩٣-١٤٥٧م) محمد بن محمد بن محمد بن الحسين بن ظهيرة المخزومي المكي، أبو السعادات، جلال الدين: قاضي مكة. مولده ووفاته فيها. كان شافعي المذهب من كتبه ذيل على طبقات السبكي، وتعليق على جمع بجوار للسبكي. انظر نظم العقيان ١٦٧، الضوء اللامع ٢١٤/٩ الأعلام ٤٧/٧.

فيه عملت الخدمة السلطانية باليسرية، وقد زال عن السلطان ما كان به من الألم. وشهد الجمعة من الغد بالجامع على العادة. وخلع على الأطباء في يوم السبت ثالثه. ثم ركب في يوم الخميس ثامنه، وشق القاهرة من باب زويلة، ومضى إلى خليج الزعفران بالريدانية، وعاد إلى القلعة.

وفي ثاني عشره: أدير حمل الحاج على العادة.^(١)

وفي خامس عشره: نودى في القاهرة بسفر الناس إلى مكة صحبة الأمير أرنبغا^(٢) وقد عين أن يسافر بطائفة من المماليك، فأخذ طائفة من الناس في التأهب للسفر.

وفي سابع عشرينه: قدم الأمير بريغا التتمى الحاجب بسيف الأمير جار قطلوا نائب الشام، وقد مات بعدما مرض خمسة وأربعين يوماً، في تاسع عشره^(٣).

وفيه قدم الوزير من البحيرة، وقد مهد أمورها على ما يجب.

وفي تاسع عشرينه: كتب بانتقال الأمير قصره من نيابة حلب إلى نيابة دمشق، عوضاً عن جار قطلوا، وأن يتوجه له بالتشريف وتقليد النيابة الأمير خجا سودن رأس نوبة من أمراء الطبلخاناه. وخلع على الأمير قرقماس الشعباني حاجب الحجاب، واستقر في نيابة حلب، عوضاً عن الأمير قصره، وأن يتوجه متسفره الأمير شادى بك رأس نوبة من الطبلخاناه. وخلع على الأمير يشبك المشد الظاهري ططر، واستقر حاجب الحجاب عوضاً عن قرقماس. وأنعم بإقطاع قرقماس على الأمير أقبغا التمرازى أمير مجلس، وإقطاع أقبغا على الأمير يشبك المذكور. وخلع على الأمير أينال الجمكى أمير سلاح، واستقر أميراً كبيراً أتابك العساكر، وكانت شاغرة منذ لزم سودن بن عبد الرحمن داره.

وخلع على الأمير جقمق أمير أخور، واستقر أمير سلاح، عوضاً عن الأمير أينال الجمكى. وخلع على الأمير تغرى برمش، واستقر أمير أخور عوضاً عن جقمق. وأخرج سودن بن عبد الرحمن إلى دمياط. وسار الأمير بريغا التتمى؛ ليشير الأمير قصره بنيابة الشام^(٤).

(١) انظر النجوم الزاهرة ١٤/٢٢٨.

(٢) هو أرنبغا بن عبد الله اليونسي الظاهري الناصري. انظر المنهل الصافي، الضوء اللامع

٢/٢٦٩.

(٣) انظر النجوم الزاهرة ١٤/٢٢٨.

(٤) انظر النجوم الزاهرة ١٤/٢٢٩.

شهر شعبان، أوله الجمعة:

فيه نودى ألا يتعامل الناس بالدرهم القرمانية ونحوها بما يجلب من البلاد، وأن تكون المعاملة بالدرهم الأشرفية فقط، وأن يكون الذهب والفلوس على ما هما عليه. وذلك أنه كان قد عزم السلطان على تجديد ذهب ودرهم وفلوس، وإبطال المعاملة بما بأيدي الناس من ذلك، فكثر اختلاف أهل الدولة عليه بحسب أغراضهم. ولم يعزم على أمر، فأقر النقود على حالها، وجمع الصيارفة، وضرب عدة منهم وشهرهم من أجل الدرهم القرمانية وإخراجها فى المعاملة، وقد نهوا عن ذلك مرارا فلم ينتهوا.

وفى سابعه: خلع على الأمير الكبير أينال الحكمى، واستقر فى نظر المارستان المنصورى على عادة من تقدمه.

وفى تاسعه: رزت الممالك المتوجهة إلى مكة صحبة الأمير أرنبغا، ورافقهم عدة كبيرة من الرجال والنساء يريدون الحج والعمرة.

وفى هذا الشهر: - والذى قبله - فرض السلطان على جميع بلاد الشرقية والغربية والمنوفية والبحيرة وسائر الوجه البحرى خيولا تؤخذ من أهل النواحي (١).

وكان يؤخذ من كل قرية خمسة آلاف درهم فلوسا عن ثمن فرس، ويؤخذ من بعض النواحي عشرة آلاف عن ثمن فرسين. ويحتاج أهل الناحية مع ذلك إلى مغرم لمن يتولى أخذ ذلك منهم. وأحصى كتاب ديوان الجيش قرى أرض مصر كلها - قبليها وبحريها - فكانت ألفين ومائة وسبعين قرية. وقد ذكر المسبى (٢) أنها عشرة آلاف قرية (٣) فانظر تفاوت ما بين الزمين.

وفى رابع عشره: برز الأمير قرقماس نائب حلب، فى تجمل حسن بالنسبة إلى الوقت؛ ليسير إلى محل كفالتة. وخلع عليه خلعة السفر ططرى بفرو سمور ومن فوقه قباء نخ بفرو قاقم.

وفى تاسع عشره: ختن السلطان ولده، المقام الجمالى يوسف، وأمه أم ولد اسمها

(١) انظر النجوم الزاهرة ٢٣١/١٤.

(٢) يقصد به محمد بن عبيد الله بن أحمد المسبى (٣٦٦-٤٢٠هـ) أحد العلماء المؤرخين

المشهورين، له كتاب فى أخبار مصر لم يصل إلينا إلا جزءا واحداً منه. انظر الأعلام ١٤٠/٧.

(٣) فى النجوم الزاهرة وقد ذكر المسبى فى تاريخه أنها كانت فى القرن الرابع ألف قرية عامرة

٢٣١/١٤. وينظر خطط المقرئى ٧٣/١-٧٤ فتوح مصر ١٥٦.

جليان، جركسية. وختن معه نحو الأربعين صبيا، بعدما كساهم. وقدم له المباشرون ذهباً وحلاوات، فعمل مهماً للرجال وللنساء، أكلوا فيه وشربوا.

وكتبْتُ عند ذلك كتاباً سمّيته «الأخبار عن الأعداء»، وما جاء فيه من الأخبار والآثار، وما لأئمة الإسلام فيه من الأحكام، وما فعله الخلفاء والملوك. وفيه من المآثر الجسام، والأمور العظام، لم أسبق بمثله فيما علمت.

وفي يوم السبت ثالث عشرينه: فقد الوزير كريم الدين ابن كاتب المناخ، فخلع على أمين الدين إبراهيم بن مجد الدين عبد الغنى بن الهيصم ناظر الدولة، واستقر فى الوزارة.

وفي يوم الأربعاء سابع عشرينه: ظهر الوزير كريم الدين، وصعد إلى القلعة، فخلع عليه قباء من أقبية السلطان. ونزل على أنه أستاذار. ثم خلع عليه من الغد، فكان موكبه جليلاً إلى الغاية. هذا وقد ألزم السلطان فى غيبة الوزير عظيم الدولة، القاضى زين الدين عبد الباسط ناظر الجيش بإقامة دواداره جانبك أستاذار، فلم يرض بذلك خوف العقاب، وأخذ يسعى فى دفع ذلك عنه حتى أعفى، فعين سعد الدين إبراهيم بن كاتب حكم ناظر الخاص أستاذار، فمازال يسعى فى الإعفاء، حتى ظهر الوزير كريم الدين، فتنفس خناق الجميع.

وفيه قدم الحمل من قبرس على العادة فى البحر فى كل سنة.

وفي هذا الشهر: اشتد الوباء بمكة وأوديتها، حتى بلغ بمكة فى اليوم عدة من يموت خمسين، ما بين رجل وامرأة (١)

شهر رمضان، أوله السبت:

فى ثامنه: ورد الخبر من دمياط بأخذ الكيتلان من الفرنج خمس مراكب من ساحل بيروت، فيها بضائع كثيرة ورجال عديدة. وبعث ملكهم إلى والى دمياط كتاباً ليوصله إلى السلطان، يتضمن جفاء ومخاشنة فى المخاطبة؛ بسبب إلزام الفرنج أن يشتروا الفلفل المعد للمتجر السلطانى، فغضب السلطان لما قرئ عليه، ومزقه.

وفي هذه الأيام: قطع عدة مراتب للناس على الديوان المفرد، وعلى الإسطبل السلطانى، وعلى ديوان الوزارة. وذلك ما بين نقد فى كل شهر، ولحم فى كل يوم، وقمح فى كل سنة. واعتنم لذلك كثير من الناس وكانت العادة أن تكثر الصدقات والهبات فى شهر رمضان، فاقترضى الحال قطع الأرزاق لضيق حال الدولة.

وفيهما عينت تجريدة فى النيل لتركب بحر الملح من دمياط، وتجول فيما هنالك، عسى تنكف عادية الفرنج ويقل عبثهم وفسادهم.

وفى ثمانى عشرينه: دخل الأمير قرقماس إلى حلب. فما كاد أن يستقر بها حتى ورد الخبر بوقعة كانت بين الأمير أينال الأجرود نائب الرها وبين أصحاب قرا يلك، انهزم فيها. فأخذ فى أهبة السفر إلى الرها.

وفى هذا الشهر: تناقص الرباء بمكة.

شهر شوال، أوله الإثنين:

واتفق فى الهلال ما لم يذكر مثله، وهو أن أرباب تقويم الكواكب، اقتضى حسابهم أن هلال شهر رمضان فى ليلة السبت يكون مع جرم الشمس، فلا تمكن رؤيته. فلما غربت الشمس تراءى السلطان بمماليكه من فوق القلعة الهلال، وتراءاه الناس من أعلى المودان والأسطحة بالقاهرة ومصر وما بينهما وما خرج عنهما، وهم ميون ألوف، فلم ير أحد منهم الهلال، فانفضوا وقد أظلم الليل.

وإذا برجل ممن يتكسب فى حوانيت الشهود بتحمل الشهادة جاء إلى قاضى القضاة الشافعى، وشهد بأنه رأى الهلال، فأمر أن يرفع للسلطان. فلما مثل بين يديه ثبت وصمم على رؤيته الهلال. وكان حنبلياً، وهو من أقارب نديم السلطان ولى الدين بن قاسم، فبالغ فى الثناء عليه عند السلطان، فأمر بإثبات الهلال، فأثبت بعض نواب قاضى القضاة الحنبلى بشهادة هذا الشاهد أول رمضان، ونودى فى الليل بصوم الناس من الغد بأنه من رمضان. فأصبح الناس صائمين، وألستهم تلهج بالوقعة فى القضاة والشهود، وتمادوا على ذلك، فتوالت الكعب من جميع أرض مصر، قبلها وبحريها، ومن البلاد الشامية وغيرها. بأنهم تراءوا الهلال ليلة السبت، فلم يروه، وأنهم صاموا يوم الأحد. فلما كان ليلة الإثنين التى يزعم الناس أنها أول ليلة من شوال، تراءى الناس الهلال من القلعة، وبالقاهرة ومصر وما بينهما وحولهما، فلم يروه، فجاء بعض نواب القضاة، وزعم أنه رآه، وأنه شهد عنده برؤيته من أثبت بشهادته أن هلال شوال غدا يوم الإثنين، فكانت حادثة لم ندرك قبلها مثلها، وهى أن الهلال بعد الكمال عدة ثلاثين يوماً لا يراه الجرم الغفير الذى لا يحصى عددهم إلا خالقهم، مع توفر دواعيهم على أن يروه، وقد خلت السماء من الغيم. وجرت العادة بأن يتساوى الناس فى رؤيته، وأوجب ذلك تزايد الوقعة فى القضاة بل وفى سائر الفقهاء، حتى لقد أنشدنى بعضهم لمحمود الوراق:

كنا نفر من الولاة الجائرين إلى القضاة
فالأآن نحن نفر من جور القضاة إلى الولاة

وفى ثامن: سارت التجريدة فى النيل، وهى مائتا مملوك من الممالك السلطانية، ومائة من ممالك الأمراء. وعليهم ثلاثة أمراء من أمراء العشرات، بعدما أنفق فى كل مملوك ألف وخمسمائة درهم فلوسا، عنها خمسة دنانير وكسر.

وفيه برز الأمير قرقماس نائب حلب إلى الرها.

وفى يوم الأربعاء ثالثه: وسط الأمير علم الدين حذيفة بن الأمير نور الدين على بن نصير الدين، شيخ لواته، خارج القاهرة.

وفى ثامن عشره: قدم الخير بوقعة أينال الأجرود المذكورة، وهى أن بعض من معه من أمراء حلب صادف بين بساتين الرها طائفة من التركمان، وهو يسير خيله، فقاتلهم وهزمهم. فلما بلغ ذلك أينال خرج من مدينة الرها نجدة له، فخرجت عليه ثلاث كمائن، فكانت بينه وبينهم وقعة، قتل فيها من الفريقين عدة. ولحق أينال بالمدينة، فوقع العزم على سفر السلطان. وكتب إلى بلاد الشام بتعبئة الإقامات من الشعير ونحوه.

وفى عشرينه: خرج حمل الحاج صحبة الأمير قراسنقر إلى بركة الحاج، وصحبته كسوة الكعبة على العادة. وقد قدم من بلاد المغرب، ومن التكرور، ومن الإسكندرية وأعمال مصر حاج كثير، فتلاحقوا بالمحمل شيئا بعد شىء.

ثم استقل الركب الأول بالمسير من البركة فى ثانى عشرينه. ورحل الأمير قرا سنقر بالمحمل وبقيه الحاج فى ثالث عشرينه.

وكتب إلى البلاد الشامية بخروج نواب الممالك للحاق بالأمير قرقماس نائب حلب. ثم أبطل ذلك: وكتب بمنعهم من المسير، حتى يصح لهم نزول قرابلك على الرها بجمائعه وبيوته. فإذا صح لهم ذلك ساروا لقتاله.

وفيه أيضا كتب باستقرار خليل بن شاهين ناظر الإسكندرية وحاجبها فى نيابة الثغر، مع النظر والحجوية. وكان قد بعث بثلاثة آلاف دينار، ووعد بحمل مثلها، وسأل فى ذلك فأجيب إليه. ولم ندرك مثل ذلك، وهو أن يكون النائب حاجبا، فإن موضوع الحاجب الوقوف بين يدى النائب والتصرف بأمره، هى الأيام كلها قد صرن عجائب حتى ليس فيها عجائب وقدم قاصد من بغداد كان قد توجه لكشف الأخبار، فأخبر أن أصبهان بن قرا يوسف لما أخذ بغداد من أخيه شاه محمد بن قرا يوسف أساء

السيرة، بحيث أنه أخرج جميع من ببغداد من الناس بعيالاتهم وأخذ كل ما لهم من جليل وحقير، فتشتتوا بنسائهم وأولادهم فى نواحي الدنيا، وصارت بغداد وليس بها سوى ألف رجل من جند أصبهان^(١)، لا غير. وليس بها إلا ثلاثة أفران تخبز الخبز فقط، ولم يبق بها سكان ولا أسواق. وأنه أخرب الموصل حتى صارت يبابا، فإنه سلب نعم أهلها وأمر بهم فأخرجوا وتمزقوا فى البلاد. واستولت عليها العربان، فصارت الموصل منازل العرب بعد التمدن الذى بلغ الغاية فى الترف. وأنه أخذ أموال أهل المشهد، وأزال نعمهم، فتشتتوا بعيالهم. وصار من أهل هذه البلاد إلى الشام ومصر خلائق لا تعد ولا تحصى.^(٢)

وفيه قدم جنيد - أحد أمراء أخورية - وقد توجه إلى أبى فارس عبد العزيز ملك المغرب، وعلى يده كتاب السلطان بمنع التجار من حمل الثياب المغربية المحشاة بالحرير من ملابس النساء، وأن يلزمهم بقود الخيول بدل ذلك. فوجهه متوجها من بجاية^(٣) إلى فاس، فأكرمه ونادى بذلك فى عمله، وأجاب عن الكتاب. وبعث بهدية، هى ثلاثون فرسا، منها خمسة مسرحة ملجمة، ونحو مائتين وخمسين بعيرا وقدم صحبة جنيد ركب فى نحو ألف بعير يريدون الحج.

وفى يوم الإثنين تاسع عشرينه: كسفت الشمس فى آخر الساعة الرابعة، فتغير لونها تغيرا يسيرا، ولم يشعر بها أكثر الناس ولا اجتمعوا للصلاة بالجوامع على العادة؛ لقلّة الشعور بذلك. ثم انجلى الكسوف سريعا. وكان بعض من يزعم علم النجوم لقلّة درايته وكثرة جرأته قد أرجف قبل ذلك بأيام، وشنع بأمر الكسوف، وما يدل عليه، حتى اشتهر إرجافه وتشنيعه، وداخل بعض الناس الوهم. فلما لم يكن من أمر الكسوف كبير شىء، طلب السلطان طائفة ممن يتحلل هذا الفن من أهل التقويم، وأنكر عليهم وهددهم.

وفى هذه الأيام: قطعت أيضا عدة مرتبات للناس من ديوان السلطان، ما بين عليك لخيولهم، ومبلغ دراهم فى كل شهر.

وفىها ارتفع سعر الغلال قليلا، فكان القمح من مائة وخمسين درهما الأردب إلى ما دونها، فبلغ مائة وسبعين مع كثرته لزكاة الغلال وقت الدراس، ورخاء بلاد الشام والحجاز.

(١) سبق ترجمتها.

(٢) انظر النجوم الزاهرة ١٤/٢٣٤.

(٣) بجاية: مدينة على ساحل البحر بين إفريقيا والمغرب. انظر معجم البلدان ١/٣٣٩.

وفيها ظفر المجردون في البحر على بيروت بغراب للبنادقة، فيه صناديق مرجان ونقد وغير ذلك. وظفروا بمركب آخر للجنويين على طرابلس فيه بضائع، فأحرقوه بما فيه، وأسروا سوى من غرق بضعا وعشرين رجلا.

وقتل من المماليك المجردين سبعة، فلم يحمد هذا من فعلهم، وذلك أن البنادقة والجنوية مسالمون المسلمين.

شهر ذى القعدة، أوله الأربعاء:

فيه توجه الأمير جقمق أمير سلاح إلى مكة حاجا، وسار معه كثير ممن قدم من المغاربة وغيرهم.

وفي ثالث عشره: ابتدئ بالنداء على النيل بزيادته، وقد أخذت القاعدة فكانت خمسة أذرع واثنين وعشرين أصبعا، والنداء بزيادة ثلاثة أصابع.

شهر ذى الحجة:

أهل بيوم الخميس، وسعر القمح قد ارتفع إلى مائتي درهم، والبول إلى مائتي درهم أيضا. والشعير إلى مائة وسبعين لتكالب الناس على شرائه، مع استمرار زيادة النيل من غير توقف. لكنها عوائد سوء قد ألفوها منذ هذه الحوادث والمحن، أن يكثروا إرجاف المرجفين بتوقف النيل، رغبة في بيع الغلال بأعلى الأثمان، فيأخذ كل أحد في شرائها، ويمسك أربابها ما بأيديهم منها، لاسيما أهل الدولة، فيرتفع لذلك سعرها.

وفي يوم الأحد ثامن عشره: نودي بزيادة ماء النيل اثني عشر إصبعا، لتتمة ثلاثة عشر ذراعا، واثنين وعشرين أصبعا. ووافق هذا اليوم أول مسرى. وهذا القدر مما يستكثر من الزيادة في هذا الوقت، ويؤذن بعلو النيل وكثرة زيادته إن شاء الله تعالى.

وفي يوم السبت رابع عشرينه - وسابع مسرى - : نودي بزيادة عشر أصابع لتتمة ستة عشرة ذراعا، وهي التي يقال لها أذرع الوفاء، وزيادة أربعة أصابع من سبعة عشر ذراعا ويعد هذا من الأنبال الكبار، وفيه نادرتان، إحداهما زيادة عشر أصابع في يوم الوفاء، وقل ما يقع ذلك والنادرة الثانية وفاء النيل في هذا العام مرتين، إحداهما في ثاني المحرم كما تقدم، والأخرى هذا.

اليوم من ذى الحجة: ولا أذكر أني أدركت مثل ذلك. ونادرة ثالثة أدركنا مثلها مرارا، وهي الوفاء في سابع مسرى، بل أدركنا وفاه ذلك من أيام مسرى، إلا أن ذلك قل ما وجد في الأنبال القديمة.

وفيه ركب المقام الجمالى يوسف ابن السلطان حتى خلق عمود المقياس بين يديه، ثم فتح الخليج على العادة، فكان يوما مشهودا.

وفى غده نودى على النيل بزيادة ثمانية أصابع لتتمة ستة عشر ذراعا ونصف ذراع. ثم نودى من الغد بزيادة خمسة عشر أصبعا لتتمة سبعة عشر ذراعا وثلاثة أصابع، وهذه الزيادة بعد الوفاء من النوادر أيضا. فالله يحسن العاقبة.

وفى سادس عشرينه: قدم مبشرو الحاج، وأخبروا بسلامتهم. وهذا أيضا مما يندر وقوعه.

وفى هذه السنة: أخذ الفرنج ثمانى عشرة مركبا من سواحل الشام، فيها من البضائع ما يجلب وصفه، وقتلوا عدة ممن كان بها من المسلمين، وأسروا باقيهم.

وفيهما طلق رجل من بنى مهدى بأرض البلقاء امرأته وهى حامل، فنكحها رجل غيره، ثم فارقها، فنكحها رجل ثالث، فولدت عنده ضفدعا فى قدر الطفل، فأخذوه ودفنوه خوف العار.

* * *

ومات فى هذه السنة ممن له ذكر

أحمد بن محمود بن أحمد بن إسماعيل بن محمد بن أبى العز قاضى القضاة، شهاب الدين أحمد بن قاضى القضاة محبى الدين المعروف بابن الكشك الحنفى، بدمشق فى ليلة الخميس، سابع شهر ربيع الأول، وقد ولى قضاء القضاة الحنفية بدمشق مرارا. وجمع بينها وبين نظر الجيش. وكثر ماله، وصار عين دمشق، وعين لكتابة السر بديار مصر، فامتنع.

ومات الأمير مقبل نائب صفد بها، فى يوم الجمعة تاسع عشرين ربيع الأول، وكان مشهورا بالشجاعة. وهو أحد المماليك المؤيدية شيخ.

ومات قاضى مكة جمال الدين محمد بن على أبى بكر الشيبى الشافعى^(١) بها، فى ليلة الجمعة ثامن عشرين ربيع الأول، عن نحو سبعين سنة. وكان خيرا، ساكنا، سمحا، مشكورا السيرة، متواضعا، لينا؛ رحمه الله.

ومات الأمير أقيغا الجمالى الأستاذار مقتولا بالبحيرة، فى حادى عشرين شهر ربيع الآخر، ومستراح منه.

(١) النجوم الزاهرة ٦/٨٣٠، أنباء الغمر (وفيات سنة ٨٣٧هـ)، عقد الجمان.

ومات الشيخ أبو الحسن علي بن حسين بن عروة بن زكنون الحنبلي (١)، الزاهد، الورع، في ثاني عشر جمادى الآخرة، خارج دمشق، وقد أناف على الستين. وشرح مسند الإمام أحمد وكان في غاية الزهد والورع، منقطع القرين.

ومات الأمير جار قتلوا نائب الشام بها، في ليلة الإثنين تاسع عشر شهر رجب. وهو أحد المماليك الظاهرية. ومستراح منه.

ومات الشريف رميثة بن محمد بن عجلان مقتولا خارج مكة، في خامس شهر رجب. وقد ولي إمارة مكة قبل ذلك ثم عزل. ولم يكن مشكورا.

ومات تقي أبو بكر بن علي بن حجة - بكسر الحاء - الحموي، الأديب، الشاعر، في خامس عشرين شعبان، بحماة. ومولده سنة سبع وستين وسبعمائة. وقدم إلى القاهرة في الأيام المؤيدية، وصار من أعيانها.

ثم عاد بعد ذلك إلى حماة. وكان فيه زهو وإعجاب، وعلمه الأدب، فنظم كثيرا، وصنف شرحا على بديعية نظمها بديع في بابه.

ومات ملك المغرب أبو فارس عبد العزيز بن أبي العباس أحمد بن محمد بن أبي بكر ابن يحيى بن إبراهيم بن يحيى بن عبد الواحد بن عمر بن ونودين الهنتاتي الحفصي، عن ست وسبعين سنة، منها مدة ملكه إحدى وأربعين سنة وأربعة أشهر وأيام. في رابع عشر ذى الحجة، بعدما خطب له بتلمسان وفاس وكان خير ملوك زمانه صيانة، وديانة، وجودا، وأفضالا، وعزما، وحزما، وحسن سياسة، وجميل طريقة. وقام من بعده حفيده المنتصر أبو عبد الله محمد ابن الأمير أبي عبد الله محمد ابن السلطان أبي فارس (٢).

ومات ملك بغداد شاه محمد بن قرا يوسف بن قرا محمد، في ذى الحجة، مقتولا

(١) علي بن حسين (٧٥٨-٨٣٧هـ = ١٣٥٧-١٤٣٤م) هو علي بن حسين بن عروة، أبو الحسن المشرقي، ويقال له ابن زكنون فقيه حنبلي عالم بالحديث وأسانيده. وفاته في دمشق. أشهر تصانيفه «الكواكب الدراري في ترتيب مسند الإمام أحمد على أبواب البخاري» كبير جدا و«السيرة النبوية»، منتزعة من الكواكب. انظر الضوء اللامع ٢١٤/٥، كتاب مشيخة - خ - السحب الوابلة - خ - الأعلام ٤/٢٨٠، ٢٨١.

(٢) المنتصر الحفصي (٨٣٩هـ = ١٤٣٥م) محمد (المنتصر) بن محمد (المنصور) ابن أبي فارس عزوز بن أحمد الحفصي: من ملوك الدولة الحفصية بتونس ببيع بعد وفاة حدة عزوز (سنة ٨٣٧هـ) وكان في طرابلس الغرب، فانتقل إلى تونس ولازمه مرض عضال إلى أن توفي بسانية بادو ومدته سنة و٧١ يوما. كان محمود السيرة، من أثاره ابتادوه بناء المدرسة المنتصيرية بسوق الفلقة بتونس، وقد أكملها بعده أخوه عثمان أبو عمرو. انظر الخلاصة النقية ٨١/٨ شذرات الذهب ٧/٢٣٢، خلاصة تاريخ تونس ١٢٣ الأعلام ٤٦/٧.

على حصن من بلاد شاه رخ بن تيمور، ويقال شنكان، فأقيم بدله أمير زاه على ابن أخى قرا يوسف وكان شر ملوك زمانه لفسقه وجوره وعتوه، وإبطاله شرائع الإسلام، فإنه ربي بمدينة إربد^(١)، وصحب نصاراها، فلحق منهم عقائد سوء. فلما أقامه أبوه فى بغداد بعد قتل أحمد بن أويس أظهر فيها سيرة جميلة، وعفة عن القاذورات المحرمة مدة سنين. وكان الغالب على دولته نصراني يعرف بعبد المسيح، فأظهر بعد ذلك تعظيم المسيح وفضله على من عداه، وصرح باعتقاده النصرانية: وأخرج عساكره من بغداد. وبقي فى طائفة، فكثرت فى الأعمال قطاع الطريق حتى فسدت السابلة، وجلت الناس عن بغداد، وانقطع ركب الحاج منها، إلى أن غلبه أخوه أصبهان، وأخرجه من بغداد، فقتل، وأراح الله الناس منه. والله يلحق به من بقى من إخوته، فإنهم شر عصابة، سلطت على الناس بذنوبهم.

ومات سلطان بنجالة من بلاد الهند، جلال الدين أبو المظفر محمد بن فندو ويعرف بكاس. كان كاس كافرا، فثار على شهاب الدين مملوك سيف الدين حمزة ابن غياث الدين أعظم شاه بن إسكندر شاه بن شمس الدين، وملك منه بنجالة وأعمالها، وأسره. فثار عليه ابنه وقد أسلم، وتسمى محمدا، وتكنى بأبى المظفر، وتلقب جلال الدين، وجدد مآثر جليلة، منها عمارة ما أخربه أبوه من المساجد، وإقامة شعائر الإسلام. وبعث بمال إلى مكة وهدية للسلطان بمصر فى سنة اثنتين وثلاثين، على يد شمىل ومرغوب^(٢) وعلى يدهما كتابه بأن يفوض إليه الخليفة سلطنة الهند، فجهز له التقليد عن الخليفة مع تشريف، فبعث عند وصول ذلك إليه هدية ثانية، فى سنة أربع وثلاثين، فجهزت إليه هدية أخرى، فوصلت إليه. ومات فى شهر ربيع الآخر من هذه السنة وأقيم بعده ابنه المظفر أحمد شاه، وعمره أربع عشرة سنة.

* * *

(١) أربد: بالفتح، ثم السكون والباء الموحدة: قرية بالأردن، قرب طبرية، عن عيين طريق المغرب.

انظر معجم البلدان ١/١٣٦.

(٢) انظر النجوم الزاهرة، عقد الجمال.

سنة ثمان وثلاثين وثمانمائة

شهر الله الحرام، أوله السبت:

فى ثالثه: قدمت التجريدة المجهزة فى البحر، بغير طائل.

وفى رابعه: قدم قاصد الأمير عثمان قرا يُلك بكتابه، وتسعة أكاديش تقدمه للسلطان، وبعث بدراهم، عليها سكة السلطان.

وفى حادى عشره: قبض على الأمير بردبك الإسماعيلى، أحد أمراء الطبلخاناه وحاجب ثانى، وأُخرج إلى دمياط. وأنعم بإقطاعه على الأمير تغرى بردى البكلمشى^(١)، المعروف بالمؤذى، أحد رعوس النوب. واستقر الأمير جانبك الذى عزل

(١) تغرى بردى بن عبد الله البكلمشى الدوادار (٨٤٦ هـ - ١٤٤٢ م)، المعروف بالمؤذى، الأمير سيف الدين أحد ممالك الأمير بكلمش العلائى، أمير فى دولة الظاهر برقوق، لما قبض الظاهر على أستاذه بكلمش المذكور صار تغرى هذا من جملة الممالك السلطانية إلى أن تأمر عشرة فى الدولة الناصرية فرج، وأقام على ذلك زيادة على عشرين سنة إلى أن نقله الملك الأشرف برسباى إلى إمرة طبلخاناه فى سنة أربع وثلاثين وثمانمائة، ثم جعله أمير مائة ومقدم ألف بالديار المصرية فى سنة تسع وثلاثين تخمينًا، فدام على ذلك إلى أن ولاه الملك الظاهر حقمق حجووية الحجاب بالديار المصرية عوضا عن الأمير يشبك السودانى المشد، بحكم انتقال يشبك إلى إمرة مجلس عوضا عن الأمير آقبا التمرازى المنتقل إلى إمرة سلاح بعد استقرار الأمير فرقاس الشعبانى أتابك العساكر بالديار المصرية عوضا عن السلطان الملك المظفر حقمق. فلم تطل مدة تغرى بردى هذا فى الحجووية، ونقل إلى الدوادارية الكبرى بعد نفى الأمير أركماس الظاهرى إلى نجر دمياط، كل ذلك فى سنة اثنتين وأربعين وثمانمائة، وباشر الدوادارية بحزمة وافرة، وعظمة زائدة بحيث أنه لم يدع لأرباب الدولة شيئا من الأمر والنهى، وسار على قاعدة السلف من الأمراء المتقدمين، ونالته السعادة. وكان مشكور السيرة فى أحكامه لا يسمع رسالة مرسل بل يجتهد فى عمل الحق حسب ما يظهر له، إلا أنه كان غليظا بذئى السان، شرس الخلق، يخاطب الرجل بما يكره، غير بشوش، متكبر وعنده حبروت، ولما عظم أظهر ما كان مخفيا من لقبه، فانطبق الاسم على المسمى. وكان له مشاركة هينة، ويذكر بالتاريخ فيمن عاصره، ويحفظ مسائل يمارى الفقهاء، وكان عنده نباهة وفطنة، ومعرفة بأنواع الفروسية يجب الجد ويكره الهزل، وعمر جامعا ليفل بخط صليبة جامع أحمد ابن طولون، ووقف عليه عدة أوقاف، وكان يروم المرتبة العليا، ويقول فى نفسه أنه هو حرف الناء، فأدر كته المنية بعد أن لزم الفراش مدة طويلة، ومات فى يوم حادى عشرين جمادى الآخرة سنة ست وأربعين وثمانمائة، وهو فى عشر الثمانين تقريبا. انظر المنهل الصافى ٤ / ٥٤ : ٥٦، الدليل الشافى ١ / ٢١٧ النجوم الزاهرة ١٢ / ١٥٤.

من نيابة الإسكندرية حاجبا، عوض الإسماعيلي. (١)

وفي خامس عشرة: قدم الأمير جقمق من الحج، بمن معه، على الرواحل.

وفيه شرع سودون المحمدي - المجهز لعمارة الحرمين - في هدم سقف الكعبة.

وفي ثاني عشرينه: - الموافق لآخر أيام النسيء نودى على النيل بزيادة أصبعين،

لتتمة تسعة عشر ذراعا ونصف ذراع.

وفيه خلع على الأمير دولات خجا وأعيد إلى ولاية القاهرة، عوضًا عن التاج

الشويكي (٢) وكان أخوه عمر يتحدث عنه في الولاية، وقد ترفع عنها بمنادمته السلطان.

وفي ثالث عشرينه: قدم الركب الأول من الحاج. ووافق هذا اليوم نوروز القبط.

ونودى فيه بزيادة أصبعين لتتمة تسعة عشر ذراعا وأربعة عشر إصبعا. وهذه زيادة كبيرة يندر أن يكون يوم النوروز والنيل على ذلك.

وفي رابع عشرينه: قدم الحمل ببقية الحاج، وقد هلك جماعة من المشاة، وتلفت

جمال كثيرة.

وفي يوم الخميس سابع عشرينه: عملت الخدمة السلطانية وأقيم الموكب بالإيوان

المسمى دار العدل من قلعة الجبل، بعدما هُجر مدة. وأحضر رسول شاه رخ بن تيمور ملك المشرق، وهو من أشرف شيراز - يقال له السيد تاج الدين على، فدفع ما على

يده من الكتاب، وقدم الهدية، تتضمن كتابه وصول هدية السلطان المجهزة إليه. وأنه

نذر أن يكسو الكعبة البيت الحرام، وطلب أن يبعث إليه من يتسلمها، ويعلقها من

داخل البيت. واشتملت الهدية على ثمانين ثوب حرير أطلس، وألف قطعة فيروزج

ليست بذلك، تبلغ قيمة الجميع ثلاثة آلاف دينار. ولم يكلف الرسول أن يقبل الأرض

رعاية لشرفه. ووجد تاريخ الكتاب في ذي الحجة سنة ست وثلاثين. وكان قدومه من

هراه (٣) إلى هرمز، ومن هرمز إلى مكة. ثم قدم صحبة ركب الحاج، فأنزل وأجرى له

ما يليق به (٤).

(١) انظر النجوم الزاهرة ١٤/٢٣٦.

(٢) انظر النجوم الزاهرة ١٤/٢٣٦.

(٣) هراة: مدينة عظيمة مشهورة من أمهات مدن خراسان. انظر معجم البلدان ٥/٣٩٦.

(٤) انظر النجوم الزاهرة ١٤/٢٣٦.

وفي ثامن عشرينه: وصل من القدس مائة وعشرة رجال من الفرنج الجرجان، وقد قدموا لزيارة قمامة على عاداتهم، فاتهموا أن فيهم عدة من أولاد ملوك الكيتلان الذين كثر عيبتهم وفسادهم في البحر، فأحضروا ليكشف عن حالهم، وهم بأسوأ حال فسجنوا مهانين. ثم أفرج عنهم بعد أيام، وقد مات منهم عدة.

شهر صفر، أوله الإثنين:

في سادسه: رُسم باستقرار سراج الدين عمر بن موسى بن حسن الحمصي - قاضى طرابلس - في قضاء القضاة الشافعية بدمشق، عوضا عن بهاء الدين محمد بن نجم الدين بن عمر بن حجي. وقد وعد بأربعة آلاف دينار يقوم بها. واستقر عوضه في قضاء طرابلس صدر الدين محمد بن شهاب الدين أحمد بن محمد النويرى، بمبلغ ألف وثلاثمائة دينار. وأعيد القاضى شمس الدين محمد بن على بن محمد الصفدى إلى قضاء القضاة الحنفية بدمشق، على أن يقوم بألفى دينار. وعزل شمس الدين محمد بن شهاب الدين أحمد بن نجم الدين محمود بن الكشك.

وفي سادسه: عُقد بين يدى السلطان مجلس جمع فيه قضاة القضاة الأربع بسبب نذر شاه رخ أن يكسو الكعبة، فأجاب قاضى القضاة بدر الدين العيني بأن نذره لا ينعقد، فانفضوا على ذلك^(١).

وفيه خلع على نكار الخاصكى، واستقر شاد جدة. وخلع معه على علم الدين عبد الرزاق الملكى، واستقر عوضا عن سعد الدين بن المرة. وساروا بعد أيام إلى مكة - شرفها الله تعالى - في البحر.

وفي تاسعه - الموافق لسابع عشر توت: وهو يوم عيد الصليب عند قبط مصر - نودى بزيادة إصبع لتتمة عشرين ذراعا وعشر أصابع.

وفي ثالث عشره: كتب إلى مكة - شرفها الله تعالى - بأن يتحدث الأمير سودن الحممدى المجرى هناك فى نظر الحرم. وكتب أيضا بالألا يؤخذ من التجار الواردين إلى جدة من الهند سوى العُشر فقط، وأن يؤخذ من التجار الشاميين والمصريين إذا وردوا جدة ببضائع اليمن عشرين. وأن من قدم إلى جدة من التجار اليمانيين ببضاعة تؤخذ ببضاعته بأجمعها للسلطان من غير ثمن يدفع له عنها.

وسبب ذلك أن تجار الهند فى هذه السنين صاروا عندما يعبرون من باب المنذب

(١) انظر النجوم الزاهرة ٢٣٦/١٤ وما بعدها.

يجوزون عن بندر عدن حتى يرسوا بساحل جدة كما تقدم، فأقفرت عدن من التجار، واتضع حال مَلِك اليمن لقلّة متحصّله. وصارت جدة هى بندر التجار، ويحصل لسلطان مصر من عشور التجار مال كبير. وصار نظر جدة وظيفه سلطانية، فإنه يؤخذ من التجار الواردين من الهند عشور بضائعهم. ويؤخذ مع العشور رسوم تقررت للنظر والشاد، وشهود القبان، والصيرفى، ونحو ذلك من الأعوان وغيرهم. وصار يُحمل من قبل سلطان مصر مرجان ونحاس وغير ذلك مما يحمل من الأصناف إلى بلاد الهند، فيطرح على التجار. وتشبه به فى ذلك غير واحد من أهل الدولة. فضايق التجار بذلك ذرعا، ونزل جماعة منهم فى السنة الماضية إلى عدن، فتنكر السلطان بمصر عليهم؛ لما فاته من أخذ عشورهم، وجعل عقوبتهم أن من اشترى بضاعة من عدن وجاء بها إلى جدة، إن كان من الشاميين أو المصريين، أن يضاعف عليه العشر بعشرين، وإن كان من أهل اليمن أن تؤخذ بضاعته بأسرها. فمن لطف الله تعالى بعباده أنه لم يعمل بشيء من هذا الحادث، لكن قرئت هذه المراسيم تجاه الحجر الأسود، فراجع الشريف بركات ابن عجلان أمير مكة فى أمرها للسلطان، حتى عفا عن التجار وأبطل ما رسم به.

وكانت العادة التى أدركناها أن الحرم يلى نظره قاضى مكة الشافعى، فبذل بعض التجار العجم المجاورين بمكة - وهو داود الكيلانى - مالا للسلطان حتى ولاه نظر الحرم، وعزل عنه أبا السعادات جلال الدين محمد بن زهيرة قاضى مكة فى السنة الماضية. فلما قدم مكة وقرئ توقيعه تجاه الحجر الأسود على العادة، أنكره الشريف بركات، وراجع السلطان فى كتابه إليه بأن الفقراء وغيرهم من أهل الحرم لم يرضوا بولاية داود، وأنه منعه من التحدث، وأقام سودن المحمدى الجهمز لعمارة الحرم يتحدث فى النظر حتى يرد ما يعتمد عليه، فكتب لسودن المحمدى فى التحدث فى نظر الحرم، فباشر ذلك.

وفى يوم الخميس ثالث عشره: ثارت ممالك السلطان سكان الطباقي بقلعة الجبل، وطلبوا القبض على المباشرين بسبب تأخر جوامكهم فى الديوان المفرد، ففر المباشرون منهم، ونزلوا من القلعة إلى بيوتهم بالقاهرة، فنزل جمع كبير من الممالك إلى القاهرة، ومضوا إلى بيت القاضى زين الدين عبد الباسط ناظر الجيش، وهو يومئذ عظيم الدولة، وصاحب حلّها وعقدها، فنهبوا ما قدروا عليه. وقصدوا بعده بيت الوزير أمين الدين إبراهيم بن الهيصم، وبيت الأمير كريم الدين عبد الكريم ابن كاتب المناخ أستاذار، فنهبوهما. ولم يقدروا على أحد من الثلاثة؛ لفرارهم منهم، فكان يوما شنيعا.

وفي يوم الثلاثاء غده: غلقت أسواق القاهرة، وماج الناس فى الشوارع والأزقة، وفرّ الأعيان من دورهم لإشاعة كاذبة بأن المماليك قد نزلوا من القلعة للنهب. وكان ذلك من أشنع ما جرى، إلا أن الحال سكن بعد ساعة؛ لظهور كذب الإشاعة، وأن المماليك لم تتحرك (١).

وفي سابع عشره: ركب القاضى زين الدين عبد الباسط إلى القلعة بعدما نزل له الأمراء فى أمسه بأن يتوجه إلى الإسكندرية، فمازال حتى انصلح حاله. وركب بقية المباشرين إلى القلعة للخدمة السلطانية على العادة، فتقرر الأمر على أن يقوم عبد الباسط للوزير من ماله بمخمسمائة ألف درهم مصرية، عنها نحو ألفى دينار أشرفية، تقوية له، وأن السلطان يساعد أستاذار بعليق المماليك لشهر، ونزلوا وقد أمنوا واطمأنوا.

وفي يوم الأربعاء: هذا نودى على النيل بزيادة إصبع لتتمة عشرين ذراعا وأحد عشر أصبعا. وكان قد نقص بعد عيد الصليب عندما فتحت جسور عديدة لرى النواحي، فرد النقص فى هذه المدة، وزاد إصبعا، وقد طبق الماء جميع أراضي مصر، قبليها وبحريها، وشمل الرى حتى الروابي؛ والله الحمد.

وفي يوم الخميس - ثامن عشره: - نودى بزيادة إصبع لتتمة عشرين ذراعا ونصف.

وفي يوم الجمعة - تاسع عشره: - عين شمس الدين بن سعد الدين بن قطارة لنظر الدولة، وألزم بتكفية يومه. ورُسم بطلب الأمير أرغون شاه الوزير - كان - من دمشق، وهو أستاذار بها؛ ليستقر فى الوزارة، عوضا عن أمين الدين إبراهيم بن الهيصم، بعدما تنكر السلطان على أستاذار كريم الدين عبد الكريم ابن كاتب المناخ من أجل أنه عرض عليه الوزارة فلم يقبلها، فرسم بعقوبته، وضمنه ناظر الخصاص سعد الدين إبراهيم ابن كاتب حكم.

وفيه بدأ النقص فى ماء النيل، وهو سابع عشرين توت.

وفي يوم السبت عشرينه: خلع على أستاذار كريم الدين على عادته. وخلع على الوزير أمين الدين واستقر بعد الوزارة فى نظر الدولة، كما كان قبل الوزارة (٢).

وألزم بتكفية الدولة إلى حين قدوم الأمير أرغون شاه، فاختلف فى ليلة الإثنين.

(١) انظر النجوم الزاهرة ١٤/٢٣٧، ٢٣٨.

(٢) انظر النجوم الزاهرة ١٤/٢٣٨.

وفى يوم الإثنين ثانى عشرينه: قبض على الأمير كريم الدين أستاذار، وألزم سعد الدين ناظر الخاص بولاية الوزارة، فلم يوافق على ذلك.

وفيه سار الشريف تاج الدين على - رسول شاه رخ - وصحبته الأمير أقطوة المؤيدى المهمندار. وأجيب شاه رخ عن طلبه كسوة الكعبة بأن العادة قد جرت ألا يكسوها إلا ملوك مصر، والعادة قد اعتبرت فى الشرع فى مواضع وجّهزت إليه هدية.

وفى خامس عشرينه: تغير السلطان على سعد الدين ناظر الخاص لامتناعه من ولاية الوزارة، وأمر به فضرب - وقد بطح على الأرض - ضرباً مبرحاً. ثم نزل إلى داره (١).

وفى هذا الشهر: ارتفع سعر اللحم، وقلّ وجوده فى الأسواق. وارتفع سعر الأجبان وعدة أصناف من المأكولات، مع رخاء سعر الغلال.

وفيه طرح من شون السلطان عشرة آلاف أردب من الفول على أصحاب البساتين والمعاصر وغيرها من الدواليب، بسعر مائة وخمسة وسبعين درهماً من الفلوس كل أردب. ورسم ألا يحمى أحد ممن له جاه، فلم يعمل بذلك. ونجا من الطرح من له جاه، وابتلى به من عداهم. فنزل بالناس منه خسارات متعددة، لا من زيادة السعر، بل من كثرة الكلف.

وفى يوم الخميس خامس عشرينه: ضُرب الوزير صاحب أستاذار كريم الدين ابن كاتب المناخ بالمقارع، وقد عرى من ثيابه زيادة على مائة شيب. ثم ضُرب على أكتافه بالعصى ضرباً مبرحاً، وعصرت رجلاه بالمعاصير. وكان له - منذ قبض عليه وهو مسجون ومقيد - عدة مرسومون عليه فى موضع بالقلعة ثم أنزل فى يوم الجمعة غد من القلعة، وأركب بغلاً، ومضى به إلى الأعوان الموكلون به، إلى بيت الأمير التاج والى القاهرة؛ ليورد ما ألزم به وقد حوسب، فوقف عليه خمسة وخمسون ألف دينار ذهباً، صولح عنها بعشرين ألف دينار، فشرع فى بيع موجوده وإيراد المال.

شهر ربيع الأول، أوله الثلاثاء:

فيه خلّع على سعد الدين إبراهيم ناظر الخاص جبة. واستقر على عادته (٢).

وخلّع على أخيه جمال الدين يوسف، واستقر فى الوزارة. وكانت منذ تغيب أمين الدين إبراهيم بن الهيصم، وسعد الدين ناظر الخاص يياشرها، ويسدد أمورها من غير

(١) انظر النجوم الزاهرة ١٤/٢٣٩.

(٢) انظر النجوم الزاهرة ١٤/٢٤٠.

لبس تشريف، فغرم فيها جملة مال لعجز جهاتها عن مصارفها: وخلع أيضا على ابن قطارة، واستقر في نظر الدولة (١).

وفي ليلة الجمعة رابعه: عمل المولد النبوي بين يدي السلطان بقلعة الجبل على العادة. وضبط الوزير أمور الدولة ونفذ أحوالها بقوة. وقطع عدة مرتبات من لحم ودراهم. ولم يفرج لأحد من أرباب الجهات عن شيء له عليه مقرر فقهايه الناس وطلبت الغلال للبذر، فارتفع السعر قليلا. وطرح من الغلال على الناس ما بلغت جملته بما تقدم ذكره ثمانية عشر ألف أردب فوياً وثمانية آلاف أردب قمحاً، فنزل بالناس في هذا الشهر شدائد.

وفي يوم الثلاثاء ثامن عشرينه: أفرج عن الصاحب كريم الدين من ترسيم التاج، فسار إلى داره، بعدما حمل نحو عشرين ألف دينار، وضمنه فيما بقى جماعة من الأعيان. وفي هذا الشهر: انتهت عمارة سقف الكعبة - شرفها الله تعالى - على يد سودن المحمدي، وشرع في هدم المنارة التي على باب اليمنى من المسجد الحرام، فهدمت وبنيت بناء عاليا.

شهر ربيع الآخر، أوله الخميس:

في ثلثه - قبيل الظهر بقليل - : حدثت زلزلة بالقاهرة اهتزت لها الدور هزة، فلو قد طالت قليلا لأخربت ما زلزلت.

وفي رابعه: قدم الأمير أرغون شاه المطلوب للوزارة من دمشق فأخذت تقدمته (٢).

وفي خامسه: ركب السلطان من قلعة الجبل باكرا، وشق القاهرة، فمضى للصيد، ورجع من آخر نهار يوم الأربعاء. وتكرر ركوبه لذلك مرتين أخريين، يبيت في كل مرة ثم يعود.

وفي هذا الشهر: كثرت الأمطار ببلاد غزة وعامة بلاد الشام، فانتفعوا بها.

وفيه ارتفع بالقاهرة سعر اللحم والخبز والجن واللبن والعسل وعدة من الأقوات، حتى بلغ بعضها مثلي ثمنه، مع رخاء سعر القمح والشعير، وغلاء الأرز أيضا.

(١) انظر النجوم الزاهرة ١٤/٢٤٠.

(٢) انظر النجوم الزاهرة ١٤/٢٤٠.

وفيه احترقت مركب بساحل الطور، تلف فيها بضائع كثيرة.

وفيه منع التجار بالإسكندرية من بيع البهار على الفرنج، فأضرهم ذلك.

شهر جمادى الأولى، أوله الجمعة:

فى ثانيه: ركب السلطان إلى الصيد، وشق القاهرة وعاد آخر يوم الثلاثاء خامسه، وهذه رابع ركبة له للصيد.

وفى سابعه: سافر الأمير غرس الدين خليل بن شاهين نائب الإسكندرية وناظرها بعدما حمل خمسة آلاف دينار ذهباً، سوى قماش وغيره بألف دينار. وكان قد قدم من الثغر فى الشهر الماضى.

وفى هذه الأيام وقع الشروع فى حركة سفر السلطان إلى الشام^(١).

وفى خامس عشره: خلع على دولات خجاء والى القاهرة، واستقر فى ولاية منفلوط وكاشف القبض. وشغرت ولاية القاهرة إلى يوم الأحد سابع عشره، فخلع على علاء الدين على بن ناصر الدين محمد بن الطبلأوى، وأعيد إلى ولاية القاهرة^(٢) على أن يحمل ألفاً ومائتى دينار وكان له منذ عزل من الولاية بضع عشرة سنة يتسخط فى أذيال الخمول.

وفى هذه الأيام: حُمل إلى مكة - شرفها الله تعالى - من الرخام ما ذرعه ستون ذراعاً لمرمة الحجر وشاذروان البيت. وحمل من الجبس خمسون حملاً؛ لبياض أروقة المسجد الحرام، ومن الحديد عشرة قناطير لعمل مسامير، وأربعون قطعة خشب لشد أروقة المسجد الحرام.

وفى سلخه: برز الأمير تمتاز رأس نوبة النوب، وصحبته عدة مائتى مملوك، وخجاء سودن رأس نوبة من أمراء الطبلخاناه، وأمير آخر من أمراء العشرات؛ ليتوجهوا إلى الوجه القبلى، وذلك أن الأمير تغرى برمش - أمير أخور - خرج إلى سرحة الوجه القبلى لأخذ تقادم العربان وغيرهم، فلقبه على بن غريب على ناحية دهروط^(٣)، وهو يومئذ يلى أمر هواراة البحرية؛ ليحضر تقدمته على العادة.

(١) وقع الشروع فى حركة سفر السلطان إلى الشام؛ لقتال قرابلك والفحص أيضاً عن جانبك الصوفى. انظر النجوم الزاهرة ١٤/٢٤٠.

(٢) انظر النجوم الزاهرة ١٤/٢٤٠.

(٣) دَهْرُوط: بُلَيْدَة على شاطئ غربى النيل من ناحية الصعيد قرب البهنسا. انظر معجم البلدان

وحضر ملك الأمراء بالوجه القبلى - وهو محمد الصغير - وجاءت طائفة من محارب وطائفة من فزارة ليقدموا تقادهم، فاقترضى الحال إرسال ملك الأمراء وعلى ابن غريب معهم لأخذ التقادم منهم، فغدروا بهم، وثاروا عليهم، فقاتلهم ملك الأمراء، وعاد مهزوما، وقد جرح، وقتل عدة من جماعته. ثم إن السلطان عين لكشف الوجه القبلى صاحب كريم الدين ابن كاتب المناخ.

وفى هذا الشهر: قبض الأمير قرقماس نائب حلب على الأمير فياض ابن الأمير ناصر الدين محمد بن دلغادر بمرعش. وأقام بدله عليها حمزة باك بن على باك بن دلغادر. هذا وأبوه ناصر الدين محمد بن دلغادر على أبلستين وقيصرية الروم وهما بيده. وسبب ذلك أنه كان فى نيابة مرعش الأمير حمزة بك بن الأمير على بك بن دلغادر، فوثب عليه فياض المذكور، وولى مرعش بغير مرسوم.

شهر جمادى الآخرة، أوله السبت:

فيه خلع على الأمير الوزير صاحب كريم الدين عبد الكريم ابن كاتب المناخ، واستقر كاشف الوجه القبلى. ورسم أن يستقر محمد الصغير المعزول عن الكشف دوداره، وأمير على الذى كان كاشفا بالوجه القبلى والوجه البحرى رأس نوبته. ونزل من القلعة إلى داره فى موكب جليل.

وفى سادسه: خلع على صاحب أمين الدين إبراهيم بن الهيصم، واستقر شريكا لعبد العظيم بن صدقة فى نظر الديوان المفرد.

وقدم الخير بأن الأمير عثمان قرابلك صاحب آمد وماردين نزل على ظاهر الرها، وأخذ فى جمع جماعته، وأن ابنه نهب معاملة دوركى ومعاملة ملطية.

وفى يوم الأحد سادس عشره: قبض السلطان على سعد الدين (١) ناظر الخاص، وأخيه الوزير جمال الدين يوسف، وأوقع الحوطة على دارهما، ثم أفرج عنهما من الغد. وخلع على ناظر الخاص باستمراره على عادته. وعزل أخوه عن الوزارة، وألزم بحمل ثلاثين ألف دينار فنزلا وشرعا فى بيع موجودهما وإيراد المال المذكور (٢) وفيه ألزم تاج الدين عبد الوهاب بن الشمس نصر الله الخطير بن الوجيه توما ناظر الإصطبل بولاية الوزارة، وخلع عليه من الغد يوم الثلاثاء ثامن عشره.

(١) هو سعد الدين إبراهيم. انظر النجوم الزاهرة ٢٤١/١٤.

(٢) انظر النجوم الزاهرة ٢٤١/١٤.

وفيه قدم سيف الأمير أركماس الجلباني^(١) أحد مقدمى الألوفا بدمشق، وقد مات.

وفيه خلع على الأمير التاج الشويكى، واستقر مهمندارا عوضا عن الأمير أقطوة المتوجه رسولا إلى شاه رخ.

وفى يوم الأربعاء تاسع عشره: رسم بإقطاع أركماس الجلباني لتمرز المؤيدى^(٢). وأنعم بطبلخاناه تمرز على الأمير سنقر العزى نائب حمص، واستقر عوضه طغرى أحد أمراء دمشق.

وفى العشرين منه: خلع على شمس الدين أبى الحسن ابن الوزير تاج الدين الخطير، واستقر فى نظر الإسطبل عوضا عن أبيه.

وفى يوم الأحد ثالث عشرينه: توجه الأمير الكبير أينال الحكمى والأمير جقمق أمير سلاح، والأمير يشبك حاجب الحجاب والأمير قانباى الحمزاوى، فى عدة من الأمراء إلى العرب بالوجه البحرى، وذلك أن لبيد عرب برقة قدم منهم طائفة بهدية، وسألوا أن ينزلوا البحيرة، فلم يجابوا إلى ذلك وخلع عليهم، فعارضهم أهل البحيرة فى طريقهم، وأخذوا منهم خلعهم. وكان السلطان يلهج كثيرا بإخراج تجريدة إلى البحيرة، فبلغهم ذلك فأخذوا حذرهم.

واتفق مع ذلك أن شتاء هذه السنة لم يقع فيه مطر البتة، لا بأرض مصر ولا بأرض الشام، فدفت دافة^(٣) من لبيد إلى البحيرة لمحل بلادهم، وصالحوا أهل البحيرة، وساروا إلى محارب وغيرها من العرب بالوجه القبلى لرعى الكتيح من الأراضى البور. وكان قد كتب إلى الكاشف بالألا يمكنهم من المراعى حتى يأخذ منهم مالا، فأنفوا من ذلك؛ لأنه حادث لم يعهد قبل ذلك، وأظهروا الخلاف، فخرجت إليهم هذه التجريدة.

وفى هذا الشهر: رسم أن يكشف عن شروط واقفى المدارس والخوانك، ويعمل بها. وندب لذلك قاضى القضاة شهاب الدين أحمد بن حجر الشافعى، فبدأ أولا بمدرسة الأمير صرغتمش بخط الصليبية وقرأ كتاب وقفها. وقد حضر معه رفقاه

(١) مات فى الرملة، ودفن بالقدس. انظر الضوء اللامع ٢/٢٦٨، المنهل الصافى (ترجمته).

(٢) فى النجوم: أنعم السلطان على تمرز المؤيدى الخازندار بإمرة مائة وتقدمة ألف بدمشق، بعد

موت الأمير أركماس الجلبانى. انظر النجوم الزاهرة ١٤/٢٤٢.

(٣) دفت دافة، أى أتى قوم من أهل البادية، ويقال دفت علينا من بنى فلان دافة. انظر لسان

الثلاث قضاة القضاة، فأجمل في الأمر، فلم يعجب السلطان ذلك، وأراد عزل جماعة من أرباب وظائفها، فراجع في ذلك حتى أقرهم على ما هم عليه. وأبطل الكشف عما رسم به، فسر الناس بهذا لأنهم كانوا يتوقعون تغييرات كثيرة.

وفيه اشتد قلق الناس لقلّة البرد في فصل الشتاء، وعدم المطر، وهبوب رياح حارة في أوقات عديدة، خوفاً على الزرع. والله الأمر.

شهر رجب، أوله الإثنين:

في ثامن: أدير محمل الحاج بمصر والقاهرة، وكانت العادة ألا يدار إلا بعد النصف من رجب، فأدير في هذه الدولة قبله غير مرة (١).

وفي ثامن عشره: خلع على الأمير ترمباي الدوادار الثاني، واستقر أمير الحاج، وخلع على الأمير صلاح الدين محمد بن صاحب بدر الدين حسن بن نصر الله محتسب القاهرة؛ ليكون أمير الركب الأول.

وفي حادى عشرينه: ورد الخبر بأن العرب - من محارب - لما علموا نزول الأمير أينال الحكمي على الفيوم، ساروا إلى جهة الواحات. ثم بدا لهم فنزلوا بالأشمونين، فركب الأمير كريم الدين الكاشف، والأمير تغرى برمش أمير أخور، والأمير تمتاز رأس نوبة النوب، وقتلوهم وهزمهم، وظفروا منهم بستمائة جمل، غير ما نهب لهم وأن ذلك كان في يوم الثلاثاء سادس عشره.

وفي حادى عشرينه: قدم الأمير فياض ابن الأمير ناصر الدين محمد بن دلغادر تحت الحوطة، فسجن بقلعة الجبل.

وفي هذا الشهر: بعث الملك شهاب الدين أحمد بدلاى بن سعد الدين (٢) سلطان المسلمين بالحبشة، أخاه خير الدين لقتال أميرة الكفرة، ففتح عدة بلاد من بلاد الخطى ملك الحبشة، وقتل أميرين من أمرائه، وحرق البلاد، وغنم مالا عظيما، وأكثر من القتل في أميرة النصرارى، وخرّب لهم ست كنائس.

هذا وقد شنع بعامّة بلاد الحبشة الوباء العظيم، فمات فيه من المسلمين ومن النصرارى عالم لا يحصى، حتى لقد بالغ القائل بأنه لم يبق ببلاد الحبشة أحد.

(١) انظر النجوم الزاهرة ٢٤٤/١٤ وفيه أدير المحمل على العادة في كل سنة.

(٢) هو بدلاى؛ شهاب الدين أحمد بن سعد الدين أبى البركات بن أحمد بن على الجيرتى.

سلطان المسلمين ببلاد الحبشة تولى الملك سنة ٨٣٥هـ وقتل سنة ٨٤٧هـ. انظر الضوء اللامع ٤، ٣، عقد الجمال (حوادث سنة ٨٣٨هـ).

وهلك فى هذا الوباء الحطى ملك الحبشة الكافر، وأقيم بدله صبى صغير.

شهر شعبان، أوله الأربعاء:

وفى سادسه: قدم بقية الممالك والأمراء المجردين إلى العرب بالوجه القبلى.

وفى سادس عشره: خلع على الأمير قانباى الحمزاوى أحد الأمراء الألوفا. واستقر فى نيابة حماه عوضا عن الأمير جلبان. ونقل جلبان إلى نيابة طرابلس عوضا عن الأمير طراباى بعد موته. وأنعم بإقطاع قانباى وإمرته على الأمير خجا سودن أحد أمراء الطبلخاناه. ووفرت إمرة خجا سودن وأضيف إقطاعه إلى الدولة؛ تقوية للوزير تاج الدين.

وفى يوم الجمعة سابع عشره: نودى بمنع الناس من المعاملة بالفلوس، وألا يتعامل الناس إلا بالفلوس التى ضربها السلطان. وكان من خير ذلك أن الفلوس الجدد لما ضربت فى سنة تسع وخمسين وسبعمئة عمل زنة كل فلس منها مثقال، على أن الدرهم الفضة المعاملة يعد فيه منها أربعة وعشرون فلسا، فكانت زنة القفة الفلوس مائة وثمانية عشر رطلا، عنها خمسمائة درهم من الفضة الظاهرية، معاملة مصر والشام. والمثقال الذهب الهرجة المضروب بسكة الإسلام يصرف بعشرين درهما من هذه الدراهم، ويزيد تارة ثمن درهم على العشرين درهما، وتارة ربع درهم عليها. ثم تزايد صرف الدينار فى آخر الأيام الظاهرية برقوق، حتى بلغ نحو خمسة وعشرين درهما. وكان النقد الرائج بديار مصر وأرض الشام الفضة المذكورة، ويعمل ثلثها نحاس، وثلثاها فضة. ثم يلى الفضة المذكورة فى المعاملة الذهب المختوم الإسلامى، ولا يعرف دينار غيره. وكانت الفلوس أولا إنما هى برسم شراء المحقرات، التى لا تبلغ قيمتها درهم. فلما كانت الأيام الظاهرية برقوق، وقام بتدبير الأموال الأمير جمال الدين محمود بن على بن أصفر عينه أستاذار، أكثر من ضرب الفلوس الجدد المذكورة، حتى صارت هى النقد الرائج بديار مصر، وقلت الدراهم. فلما كانت الأيام الناصرية فرج بن برقوق، تفاحش فى دولته أمر نقود مصر، وكادت الدراهم الفضة المعاملة التى تقدم ذكرها أن تعدم، وصارت تباع كما تباع البضائع، فبلغت كل مائة درهم منها إلى ثلاثمائة وستين درهما من الفلوس، التى يعد عن كل درهم منها أربعة وعشرون فلسا. وزاد سعر الذهب، وراج منه الدينار الأفرتى، وهو ضرب الفرنج، حتى عدت الدنانير الذهب الهرجة المختومة بسكة الإسلام، وبلغ الدينار الأفرتى المذكور مائتين وستين درهما من الفلوس المذكورة وفسدت مع ذلك هذه الفلوس، فعملت كل قنطار مصرى - وهو مائة رطل مصرية - بستمائة درهم، وصارت معاملة الناس بها فى ديار مصر كلها بالوزن لا

بالعدد، فيحسب في كل رطل منها ستة دراهم، وصارت قيم الأعمال وثمان المبيعات كلها - جليلها وحقيرها - وأجرة البيوت والبساتين، وسجلات الأراضي كلها، ومهور النساء، وسائر إنعامات السلطان، إنما هي بالفلوس، وصار النقدان - اللذان هما الذهب والفضة - ينسبان إلى هذه الفلوس، فيقال كل دينار بكذا أو كذا من الفلوس، وكل درهم من الفضة إن وجد - ولا يكاد يوجد - بكذا من الفلوس، فلم يبق للناس بديار مصر نقد سوى الفلوس. ثم بعد الفلوس، الذهب الأفرنتي أو الذهب السالمى أو الذهب الناصرى، وهو بأنواعه إنما ينسب إلى الفلوس. وصار الذهب مع ذلك أصنافاً، الهرجة وهو قليل جداً، والأفرنتي وهو من الذهب النقد الرائج، والسالمى وهى دنانير ضربها الأمير يلغا السالمى أستاذار زنتها مثقال كل دينار، والناصرى وهى دنانير ضربها الملك الناصر فرج بن برقوق.

فلما كانت الأيام المؤيدية شيخ ضرب دراهم عرفت بالمؤيدية، تعامل الناس بها عددًا مدة أيامه، وحسن موقعها من الناس، فصارت النقود بمصر الفلوس، والذهب بأنواعه، والفضة المؤيدية. والنقد الرائج منها إنما هو الفلوس، وإليها تنسب قيم الأعمال وثمان المبيعات، كما تقدم.

فلما كانت الأيام الأشرفية برسباى رد الدراهم إلى الوزن، وأبطل المعاملة بها بالعدد، فإنه كثر قص المفسدين منها فتعنت الناس فى أخذها. واستمرت المعاملة بالدراهم وزناً. وضرب أيضاً دراهم أشرفية، يصرف كل درهم وزناً بعشرين درهماً من الفلوس. ثم تزايد سعر الفلوس حتى بلغ كل قنطار منها ألفاً ومائتاً، فتعمل الناس بها من حساب كل رطل بثمانية عشر درهماً فلوساً. وما زالت تقل لكثرة ما يحمل التجار منها إلى بلاد الهند وغيرها، وما يضرب منها بالقاهرة أوانى كالقدور التى يطبخ فيها ونحوها من آلات النحاس. وصار على من يتولى ضرب الفلوس أوانى ضماناً مقررًا لديوان الخاص، فى كل شهر خمسة عشر ألف درهم. ثم زاد مبلغ الضمان عن ذلك، فاقتضى رأى السلطان بعد اختلاف واضطراب كثير فى مدة أيام أن يضرب فلوساً، يعد فى كل درهم من دراهم الدينار ثمانية فلوس، على أن الدينار الأشرفى بمائتين وخمسة وثمانين درهماً، والدينار الأفرنتى بمائتين وثمانين. فتكون هذه الفلوس الأشرفية كل رطل منها بسبعة وعشرين درهماً. ويؤخذ فى كل دينار أشرفى ألفان ومائتا فلس وثمانون فلساً. فلما ضربت الفلوس على هذا الحكم، نودى أن يتعامل الناس بها، وألا يتعاملوا بما فى أيديهم من الفلوس القديمة، بل يحملوها إلى دار الضرب على حساب كل رطل بثمانية عشر. وما أحسن هذا لو استمر.

شهر رمضان، أوله الخميس:

في خامسه: خلع على محمد الصغير، وأعيد إلى كشف الوجه القبلى، عوضا عن
الصاحب كريم الدين.

وفيه توجه الأمير قانباى إلى محل كفالته من نيابة حماة، بعدما اقترض نحو خمسة
آلاف دينار بفوائد حتى تجهز بها لقلعة ذات يده. وهذا من نوادر ما يحكى عن أمراء
مصر.

وفي خامس عشره: قدم الصاحب كريم الدين من الوجه القبلى، فنزل داره.

وفي هذه الأيام - وموافقها من شهور القبط برمودة: - وقع بالقاهرة ومصر
مطر كثير غزير، دلفت منه سقوف البيوت، وسال جبل المقطم سيلا عظيما، أقام منه
الماء بالصحراء عدة أيام. وهذا أيضا فى هذا الوقت مما يندر وقوعه بأرض مصر.

وفي هذا الشهر: الأمير قرقماس نائب حلب منها بالعسكر، ونزل العمق، وجمع
تركمان الطاعة؛ وسبب ذلك أن الأمير صارم الدين إبراهيم بن قرمان قصد أخذ مدينة
قيصرية من الأمير ناصر الدين محمد بن دلغادر نائب أبلستين فى الأيام المؤيدية شيخ.
وكان ابن دلغادر قد تغلب عليها، وانتزعها من بنى قرمان، وولى عليها ابنه سليمان،
فتزامى ابن قرمان على السلطان فى هذه الأيام أن يملكه - بإعانتة بعسكر حلب -
بمدينة قيصرية، ووعد بمال، وهو عشرة آلاف دينار فى كل سنة، وثلاثون بختيا،
وثلاثون فرسا، سوى خدمة أركان الدولة. فكتب السلطان إلى نائب حلب أن يخرج
إلى العمق ويجمع العساكر لأخذ قيصرية. وبعث بذلك الأمير خش كلدى مقدم
البريدية، فخرج فى ثانى عشر رمضان هذا، ونزل العمق، وجمع تركمان الطاعة،
وكتب إلى ابن قرمان بأن يسير بعسكره إلى قيصرية.

وفي هذا الشهر: أيضا ورد الخبر بأن أصبهان بن قرايوسف حاكم بغداد توجه
لأخذ الموصل، فبعث زينال الحاكم بها إلى الأمير عثمان قرايلوك صاحب آمد بمفاتيح
الموصل، وحثه على المسير إليها، فبعث نائبه محمود بن قرايلوك، ومعه بشلمش أحد
أمرائه فى مائتى فارس، فلما قدموا على زينال، جعلهم فى الموصل كالمسجونين مدة،
فجهز محمود إلى أبيه قرايلوك يعلمه بحاله، فأمده بأخيه محمد بيك بن قرايلوك على ألف
فارس، فنزل على الموصل مدة. ولم يتمكن من رؤية أخيه محمود، فسار قرايلوك بنفسه

من مشتاه برأس عين^(١)، ونزل على نصيبين^(٢)، فبلغه توجه إسكندر بن قرا يوسف إليه، وقد فر من شاه رخ ملك المشرق، وكان الأمير ناصر الدين محمد بن دلغادر لما بلغه خروج العساكر من حلب لأخذ قيصرية منه بعث بامراته الحاجة خديجة خاتون بتقدمة للسلطان، ومعها مفاتيح قيصرية، وأن يكون زوجها المذكور نائب السلطنة بهاء، وأن يفرج عن ولدها فياض المسجون بقلعة الجبل. وكتب على يدها بذلك كتاباً، ووعد بمال، فقدمت حلب في سابع عشرينه.

شهر شوال، أوله يوم السبت:

في رابعه: قدم كتاب الخان شاه رخ ملك المشرق، يتضمن أنه عازم على زيارة القدس الشريف وأرعد فيه وأبرق، وأنكر أخذ المكوس من التجار بجدة^(٣).

في رابع عشره: خلع على علاء الدين علي بن التلواني أحد أجناد الحلقة، واستقر في نيابة دمياط، عوضاً عن سودن المغربي أحد المماليك الظاهرية برقوق.

وفي خامس عشره: خلع على الأمير تاج الدين الشويكي أحد ندماء السلطان وجلسائه، وأعيد إلى ولاية القاهرة عوضاً عن ابن الطبلاوى، بحكم عزله. فأقام أخله الأمير عمر يتحدث في الولاية عنه.

وفي ثامن عشره: خرج محمل الحاج صحبة الأمير تمرباي الدوادار، فنزل بركة الحاج. ورحل في ثاني عشرينه الركب الأول صحبة الأمير صلاح الدين محمد بن الصاحب بدر الدين حسن بن نصر الله^(٤) وفيهم خوند فاطمة بنت الملك الظاهر ططر زوجة السلطان. وقد أذن لوالده الصاحب بدر الدين أن يتحدث في الحسبة، حتى يقدم من الحج. ورجل الأمير تمرباي بالمحمل وبقية الحاج في يوم الأحد ثالث عشرينه.

وفي هذا الشهر: زاد ماء النيل نحو أربعة أذرع قبيل أوان الزيادة، فأغرق كثيراً من مقاتي البطيخ. واستمرت الزيادة إلى ثالث بؤونة، وهذا مما يستغرب وقوعه، فتلف للناس مال عظيم بسبب ذلك.

وفي هذا الشهر: قدمت خديجة خاتون امرأة الأمير ناصر الدين محمد بن دلغادر إلى

(١) رَأْسُ عَيْنٍ: بين تمم وبكرين وائل. انظر معجم البلدان ١٣/٣.

(٢) نصيبين: هي مدينة عامرة من بلاد الجزيرة على جادة القوافل من الموصل إلى الشام. انظر

معجم البلدان ٥/٢٢٨ و٢٨٩.

(٣) انظر النجوم الزاهرة ١٤/٢٤٥.

(٤) انظر النجوم الزاهرة ١٤/٢٤٥، أنباء الغمر (حوادث نفس السنة).

القاهرة، فأنزلت، وأقيم لها بما يليق بها. وقبلت هديتها لما صعدت قلعة الجبل. وأفرج لها عن ولدها فياض، وخلع عليه وولى نيابة مرعش وكان الأمير إبراهيم بن قرمان قد بلغه توجه خديجة خاتون إلى القاهرة، فبعث يسأل أن تكون قيصرية له. فقدم قاصده إلى حلب فى ثامن عشرين شهر شوال هذا، ووعد بالمال المذكور وقد رحل الأمير قرقماس نائب حلب فى رابع عشرينه من مرج دابق يريد عيتتاب، بعدما أقام بالعمق خمساً وثلاثين ليلة.

وفى هذا الشهر: ظهر الأمير جانبك الصوفى، بعدما أقام منذ خرج من سجن الإسكندرية فى شهر شعبان سنة ست وعشرين لا يوقف له على خير، حتى قدم فى يوم الثلاثاء حادى عشر شوال هذا إلى مدينة حلب تركمانى يقال له محمد، قد قبض عليه الأمير قرقماس نائب حلب بالعمق، ومعه كتاب جانبك الصوفى فى سابعه، فسجن بقلعة حلب، وجهاز الكتاب إلى السلطان (١).

شهر ذى القعدة، أوله يوم الإثنين:

فيه نزل الأمير قرقماس نائب حلب. عن معه عيتتاب، وقد جمع التركمان على كينوك، فأتاه الخبر بأن حمزة بن دلغادر خرج عن الطاعة، وتوجه إلى ابن عمه سليمان ابن ناصر الدين محمد بن دلغادر، بعدما بعث إليه، وحلفه له. وأن دوادار الأمير جانبك الصوفى ومحمد بن كندغدى بن رمضان التركمانى وصلا إلى الأمير ناصر الدين محمد بن دلغادر بأبلستين، وحلفاه أنه إذا قدم عليه جانبك الصوفى لا يسلمه، ولا يخذله، وأن جانبك كان عند أسفنديار، فسار من عنده يريد سليمان بن دلغادر، فخرج إليه، وتلقاه هو وأمراؤه التركمان، وكان السلطان قد جهاز خديجة خاتون - كما تقدم ذكره - فسارت بابنها فياض فى أوائل هذا الشهر. وقد جمع الأمير صارم الدين إبراهيم بن قرمان، ونزل على قيصرية، فوافق أهله، وسلموها له. ففر سليمان بن ناصر الدين محمد بن دلغادر، فبلغه ظهور جانبك الصوفى، وأنه اجتمع عليه الأمير أسلماس بن كبك، ومحمد بن قطبكي، وهما من أمراء التركمان، ونزلوا على ملطية. فقدم على أبيه بأبلستين، ولم يبلغهما خبر الإفراج عن ولده فياض، وخروجه مع أمه خديجة من القاهرة، فأراد أن يتخذ يدًا عند السلطان؛ ليفرج عن ابنه فياض، وينعم له بقيصرية، فجهز فى ذلك ابنه سليمان، بعد عوده منهزما من قيصرية، بكتابه.

وقدم الخبر بأن إسكندر بن قرايوسف مشى على قرايلوك وغزا على مدينة أرزن

الروم^(١) وأخذها. فعاد قرايلوك إلى آمد، وخرج منها بعد ليلة إلى أرقنين^(٢) خوفاً من إسكندر. وأن كتاب الأمير جانبك الصوفى ورد على الأمير بلبان نائب درنده، فقبض على قاصده، وسجنه، وحمل كتابه إلى السلطان.

وفي سابع عشرينه: عاد الأمير قرقماس نائب حلب إليها، بعد غيبته عنها بالعمق ومرج دابق وعينتاب خمسة وسبعين يوماً، وقد فات أخذ قيصرية؛ لاستيلاء إبراهيم بن قرمان عليها. وكان القصد أخذها واستنابة أحد أمراء السلطان بها، ولظهور جانبك الصوفى، وانتمائه إلى ابن دلغادر، ووصلت خديجة خاتون وابنها فياض إلى زوجها ناصر الدين محمد بن دلغادر فبلغ مراده، وترك مداة السلطان، وأشغل فكر الدولة؛ لأنه قد جاء من خروج جانبك ما هو أدهى وأمر.

وفي يوم الثلاثاء ثالث عشرينه - وهو سابع عشرين بؤونة: - ابتدأ بالنداء على النيل، فزاد إصبعين، وجاءت القاعدة أحد عشر ذراعاً وعشر أصابع، وهذا مما يندر وقوعه، ولم ندرك مثله.

وفي سادس عشرينه: لم يناد على النيل إلى سلخه، ونقص ستة عشر أصبعاً.

شهر ذى الحجة، أوله الأربعاء:

في سادسه: نودى بزيادة أصبع من النقص، واستمرت الزيادة فى كل يوم.

وفي تاسعه: أضيف إلى زين الدين عمر بن شهاب الدين أحمد بن صلاح الدين محمد بن السفاح كاتب السر بحلب نظر الجيش بها، عوضاً عن جمال الدين يوسف بن أبى أصبيعة، بحال وعد به.

وفي سابع عشره: خرج على مبشرى الحاج طائفة من عنزة،^(٣) فأخذت جميع ما معهم، وقتلوا منهم مملوكاً، وتركوهم حفاة عراة، بادية عوراتهم، فمشوا إلى أن لقوا أرباب الأدراك من جهينة بأرض السماوة فأووهم، وذبحوا لهم الأغنام، وأضافوهم، وكسوهم من ملابسهم، وحملوهم إلى القاهرة، وقد قلق الناس بهذا لتأخرهم عن عادة قدومهم عدة أيام.

(١) أرزن: بالفتح ثم السكون، وفتح الزاى، ونون، وهى مدينة مشهورة قرب خلاط، ولها قلعة حصينة، وكانت من أعمار نواحى: إرمينية. انظر معجم البلدان ١/١٥٠.

(٢) أرقنين: بلد بالروم. انظر معجم البلدان.

(٣) بطن من أسد بن ربيعة. انظر نهاية الأرب ص ٣٤٨.

وحج في هذه السنة الملك الناصر حسن بن أبي بكر بن حسن بن بدر الدين متملك ديوه - التي تسميها العامة دينة، وهي جزائر في البحر تجاور سيلان (١).

وفيهما وقع وباء عظيم ببلاد كرمان. (٢) وابتدأ في مدينة هراة من بلاد خراسان، في شهر ربيع الأول، وشنع، فمات فيه عالم عظيم، يقول المكثر ثمانمائة ألف.

وخرج شاه رخ منها في ثاني عشر شهر ربيع الأول هذا، وقد جمع عسكرا عظيما يريد قتال إسكندر بن قرايوسف. وتأهب ومن معه لمدة أربع سنين؛ وسبب ذلك أن إسكندر نزل على شماخي من مملكة شروان (٣)، وقاتل ملكها خليل بن إبراهيم شيخ الدربندية (٤) مدة. فلما كان في بعض الأيام توجه إسكندر من معسكره للصيد، فهجم خليل في غيبته على المعسكر، وقتل وأسر ابن إسكندر وابنته وزوجته، وبعث بالابن إلى شاه رخ، فأكرمه وتركه يركب معه أياما. ثم حمله إلى سمرقند (٥) وأوقف خليل بنت إسكندر وزوجته في الخرابات للزنا بهما. فلما رجع إسكندر من متصيده ألح في القتال، حتى أخذ شماخي وخربها، حتى جعلها دكا، ونهب أموال أهلها، وأفحش في قتلهم، وسبيهم، وقد فر خليل وبعث يستنجد بشاه رخ، ويتزأى على الخاتون امرأته، فمازالت به حتى خرج لقتاله. وكان إسكندر في شماخي بابنة خليل وامرأته، فأوقفهما للزنا بهما، وألزمهما أن يزنى بكل واحدة، خمسون جلا في كل يوم؛ نكاية في خليل.

وفيهما كانت بين الفرنج حروب سببها أن ألفنش الذي يقال له ألفنت صاحب مملكة أرغون، وهو الذي غزا مدينة أغرناطة (٦) من الأندلس وأخذ من المسلمين النقيرة (٧) وغيرها، وكان وصيا على ولد أخيه بقشتالة (٨)، فلما هلك قام من بعده ابنه بتزو بن

(١) سِيلَانُ: جزيرة عظيمة دورها ثمانمائة فرسخ، بها سرنديب وعدة ملوك لا يدين بعضهم لبعض. انظر معجم البلدان ٣/٢٩٨.

(٢) كَرْمَانُ: بالفتح ثم السكون، وآخره نون، وربما كسرت والفتح أشهر بالصحة، وهي ولاية مشهورة وناحية كبيرة معمورة ذات بلاد وقرى ومدن واسعة بين فارس ومكران وسجستان وخراسان. انظر معجم البلدان ٤/٤٥٤ وما بعدها.

(٣) شَرُورُنُ: مدينة من نواحي باب الأبواب. انظر معجم البلدان ٣/٣٣٩.

(٤) دَرَبِنْدُ: وهو باب الأبواب. انظر معجم البلدان ٢:٤٤٩.

(٥) سبق ترجمتها.

(٦) سبق ترجمتها.

(٧) النقيرة: ركية معروفة ماؤها رواء بين تاج وكاظمة. انظر معجم البلدان ٥/٣٠١.

(٨) سبق ترجمتها.

ألفت صاحب برشلونة وبلنسية^(١)، وغير ذلك من مملكة أرغون، حتى هلكت ملكة نابل^(٢) فاستضاف الجنويون مملكة نابل إلى مملكتهم، فشق ذلك على بترو بن ألفت، وسار إليهم في أربعين قطعة في البحر، ونزل على قلعة كايات، وحصرها إلى أن أخذها عنوة وخربها بعد أن صلب ثلاثة من رؤسائها على السور وأسر جميع من فيها، وتوجه إلى جزيرة غيظلة، وهي من أجل مملكة نابل، وأقام عليها مدة، فبعث الجنويون إلى المنتصر أبي عبد الله محمد صاحب تونس ومملكة إفريقية رجلا من أخواله، فإن أمه جنوية، يستنجدونه على بترو، فأمدهم بمال، وجهاز لهم اثني عشر مركبا حربية. فلما قدمت عليهم مع رسولهم بنجدة صاحب تونس، ساروا في خمسة وأربعين مركبا - منها ثمانية عشر كبارا وخمسة عشر غرابا - وقد اشتد الأمر على أهل غيظلة وكثرت محاربتهم لبترو، فلقوه وحاربوه، فانتخب ألفا من عسكره، ونزل في مركب عظيم ليخالفهم إلى بلادهم. ففطنوا به، فأدركوه، وحاربوه حتى غلبوه وأسروه وأخويه، ومن معه في آخر يوم من ذى الحجة. وعادوا بهم إلى بلادهم، وسجنوه وأخويه وردوا إلى المنتصر مراكبه الخمسة عشر.

وفيها قوى عرب إفريقية وحصروا مدينة تونس. وذلك أن المنتصر أبا عبد الله محمد ابن الأمير أبي عبد الله محمد ابن السلطان أبي فارس عبد العزيز، لما قام في سلطنة إفريقية بعد موت جده عبد العزيز بن أبي العباس أحمد في سفره بنواحي تلمسان، قدم إلى مدينة تونس دار ملكه في يوم عاشوراء، وأقام بها أياما، ثم خرج إلى عمرة، ونزل بالدار التي بناها جده أبو فارس، وضيق على العرب ومنعهم من الدخول إلى بلاد إفريقية. وكان مريضا، فاشتد به المرض، وفر من عنده الأمير زكريا ابن محمد ابن السلطان أبي العباس وأمه ابنة السلطان أبي فارس عبد العزيز بن أبي العباس، ونزل عند العرب المخالفين على المنتصر.

فسار عند ذلك المنتصر من عمرة عائدا إلى تونس، وقد تزايد مرضه، فتبعه زكريا ومعه العرب حتى نزلوا على مدينة تونس، وحصروها عدة أيام، فخرج عثمان أخو المنتصر من قسنطينة، وقدم تونس فسر به المنتصر هذا، والفقير أبو القاسم البرزلي مفتي البلد وخطيبها يجول في الناس بالمدينة، ويحرضهم على قتال العرب، ويخرجهم فيقاتلون العرب، ويرجعون مدة أيام، إلى أن حمل العرب عليهم حملة منكورة، هزمهم، وقتل من

(١) بَلَنْسِيَّةُ: مدينة مشهورة بالأندلس متصلة بجوزة كورة تدمير، وهي شرقي تدمير شرقي قرطبة،

وهي برية بحرية ذات أشجار وأنهار. انظر معجم البلدان ٤٩٠/١.

(٢) أى نابلي بإيطاليا.

الفريقين عدد كبير. كل ذلك والمنتصر ملقى على فراشه لا يقدر أن ينهض للحرب، من شدة المرض.

* * *

ومات في هذه السنة ممن له ذكر

الخطى ملك الحبشة.

ومات ملك كبرجة - من بلاد الهند - وهو السلطان شهاب الدين أبو المغازى أحمد شاه بن أحمد بن حسن شاه بن بهمن، فى شهر رجب، بعدما أقام فى المملكة أربع عشرة سنة. وقام من بعده ابنه ظفر شاه، واسمه أحمد. وكان من خير ملوك زمانه. وقد ذكرت ترجمته فى كتاب «درر العقود الفريدة فى تراجم الأعيان المفيدة».

ومات الأمير سيف الدين طراباى نائب طرابلس، بكرة نهار السبت، رابع شهر رجب، من غير وعك ولا تقدم مرض، بل صلى الجمعة، وصلى الصبح، فمات فى مصلاه فجأة. وهو أحد المماليك الظاهرية برفوق وممن نبغ بعد موته، واشتهر ذكره. ثم خرج عن طاعة الناصر فرج فيمن خرج، وتنقل فى أطوار من الحن، إلى أن صار من أعظم الأمراء بديار مصر. ثم سجن عدة سنين بالإسكندرية فى الأيام الأشرفية، ثم أفرج عنه وعمل فى نيابة طرابلس، وكان عفيفا عن القاذورات، متدينا.

وقتل الشريف زهير بن سليمان بن زيان بن منصور بن جماز بن شيحة الحسينى فى محاربة أمير المدينة النبوية مانع بن على بن عطية بن منصور بن جماز بن شيحة فى شهر رجب. وقتل معه عدة من بنى حسين، منهم ولد عزيز بن هياز بن هبة بن جماز بن منصور بن جماز بن شيحة، وكان زهير هذا فاتكا، يسير فى بلاد نجد، وبلاد العراق، وأرض الحجاز، فى جمع كبير فيه نحو ثلاثمائة فرس، وعدة رماة بالسهام، فىأخذ القفول، وخرج فى سنة أربع وثلاثين وثمانمائة على ركب عُمّار، توجهوا إلى مكة من القاهرة، وكنت فيهم، ونحن مخرمون بعد رحيلنا من رابغ، فحاربنا، وقتل منا عدة رجال، ثم صالحناه بمال تجايبناه له، حتى رحل عنا.

ومات أمير زاه إبراهيم بن القان معين الدين شاه رخ سلطان ابن الأمير تيمور^(١)

(١) إبراهيم بن شاه رخ بن تيمورلنك، بقية نسبة تأتي فى ترجمة حده تيمور، السلطان أمير زاه إبراهيم بن القان معين الدين شاه رخ ابن الطاغية تيمور كوركان. ملك إبراهيم المذكور شيراز من قبل والده شاه رخ، فأظهر فيها النجابة والعدل، فأضاف إليه ما والى شيراز وأعمالها، وحسنت =

كوركان، متولى شيراز، فى شهر رمضان. وكان قد جهز جيشا إلى البصرة فى شعبان، فملكوها له. ثم وقع بينهم وبين أهل البصرة خلاف، واقتتلوا ليلة عيد الفطر، فهزم أهل البصرة أصحاب إبراهيم، وقتلوا منهم عدة. فورد عليهم خير موته، فسروا به. وكان من أجل الملوك، وله فضيلة، ويكتب الخط الذى لا أحسن منه فى خطوط أهل زماننا.

ومات صاحب مملكة كرمان، باى سنقر بن شاه رخ بن تيمور لنك^(١)، فى العشر الأول من ذى الحجة، وكان ولى عهد، وعنده جرأة وشجاعة وإقدام، فعظم مصابه على أبيه.

* * *

=سيرته فى رعيته، واستمر بها مدة إلى أن أرسل عسكريا إلى البصرة فى شعبان من سنة ثمان وثلاثين ومائتا فملكوها له، ثم وقع بينهم وبين أهل البصرة خلاف، فاقتتلوا ليلة عيد الفطر، فهزم أهل البصرة أصحاب أمير زاه إبراهيم هذا، وقتلوا منهم عدة، وصاروا بعد ذلك فى أمر عظيم من الخوف والرعب من أمير زاه إبراهيم، فورد عليهم فى أثناء ذلك خير موته فى شهر رمضان من السنة المذكورة، فسر أهل البصرة بموته سروا زائدا. وكان أمير زاه إبراهيم شابا جميلا من عظماء الملوك، وأحل أولاد شاه رخ، وكان له فضيلة تامة، وهو صاحب الخط المنسوب الذى يضرب بحسنه المثل، رحمه الله. أنظر الدليل الشافى ١/١٦، وأنباء الغمر ٣/٥٥٤، نزهة النفوس ٣/٣٢٥، والضوء اللامع ١/٥٢، شذرات الذهب ٧/٢٩٩.

(١) باى سنقر بن القان معين الدين شاه رخ بن تيمور كور كان (٨٣٨ هـ = ١٤٣٤ م)، صاحب مملكة كرمان ولاها من قبل والده شاه رخ.. وباى سنقر هذا هو ولى عهد أبيه من بعده، وأمه كهرشاه خاتون زوجة شاه رخ، وهى صاحبة العقد والحل فى ممالك شاه رخ، وهى والدة غالب أولاده، ولكن كان ميلها لبابى سنقر هذا أكثر من جميع أولادها حتى من ألوغ بك أكبر أولادها صاحب سمرقند. واستمر باى سنقر فى مملكة كرمان إلى أن توفى فى العشر الأول من ذى الحجة سنة ثمان وثلاثين ومائتا، وعظم مصابه على والديه - لاسيما والده - . ومستراح منه، فإنه كان ذا قوة، وجبروت، وبطش، وجرأة، مع شجاعة، وإقدام، وظلم. وهؤلاء أولاد باى سنقر المذكور الذين ملكوا بعد موت جدتهم شاه رخ غالب ممالك العجم وهم، علاء الدولة - الذى سلطنته جدته كهرشاه بعد موت زوجها شاه رخ، وهو أسن أولاد باى سنقر - ودام فى مملكة هراة إلى أن أخرجه عمه ألوغ منها مع جدته، وتشتت شملها - ومحمد - وهو الذى استفحل أمره الآن، وملك غالب بلاد العجم - وبابور - وهو أصغرهم - . انظر المنهل الصافى ٣/٢٣٣ وما بعدها.

سنة تسع وثلاثين وثمانمائة

شهر الله الحرم، أوله يوم الخميس:

فى خامسه - الموافق ثامن مسرة: - كان وفاء النيل ستة عشر ذراعاً، وأربعة أصابع، فركب المقام الجمالى يوسف ابن السلطان حتى خلق المقياس، وفتح الخليج على العادة.

وقدم الخير بأن شاه رخ، لما خرج من مدينة هراة - كرسى مُلكه - فى ثانى عشر شهر ربيع الأول من السنة الماضية نزل على مدينة قزوين فى شهر رجب منها. ورسم لأمير الأمراء فيروز شاه أن يتوجه إلى بغداد. ونادى فى معاملة قزوين إلى السلطانية وتبريز وسائر ممالك العراقيين، بعمارة ما خُرب، وزراعة ما تعطل من الأراضى، وغراسة البساتين. وأن من زرع أرضاً لا يؤخذ منه خراجها مدة خمس سنين، ومن عجز عن العمارة دفع إليه ما يقوى به على ذلك. وأن أصبهان بن قرايوسف حاكم بغداد كتب بدخوله فى طاعة شاه رخ، فكفَّ عن تجهيز العسكر إليه، وسار حتى نزل على تبريز فى عساكر كثيرة جداً؛ لقتال إسكندر بن قرايوسف، وأن جانبك الصوفى بكماخ عند ابن قرايلوك، وقد أمده قرايلوك بخيل ومال. وجهاز شاه رخ ابنه أحمد جوكى إلى نحو ديار بكر على عسكر فى ذى الحجة من السنة الحالية، ونزل هو على قراياغ، وبعث إلى بلاده بحمل الميرة إليه، فأنته من كل جهة. وأخذ فى عمارة مدينة تبريز فى محرم هذا. ونادى فى مملكة أذربيجان بالعدل. وتقدم إلى جميع عساكره بألا يؤخذ لأحد قمح فما فوقها إلا بثمانه، ومن خالف ذلك قتل.

شهر صفر، أوله السبت:

فيه كانت وقعة بين إسكندر بن قرايوسف وعثمان قرايلوك، لقتال إسكندر، وقد فر منه. فجمع عثمان فلقى إسكندر فاقتلا، فخرج كمين لإسكندر على عثمان، فانهمزم، وقصد أرزن الروم، والخيل فى طلبه. فلما خاف أن يؤخذ باليد رمى نفسه فى خندق المدينة فغرق ثم أخرجه أولاده، ودفن فى مسجد هناك. فقدم إسكندر وهو يسأل عن عثمان، فدلّه بعضهم على قبره، فأخرجه بعد ثلاثة أيام من دفنه وقطع رأسه، وحمله إلى السلطان بمصر، ومعه خمسة رعوس، منها رعوس بعض أولاده. وكان شاه رخ قد بعث

بولده أحمد جوكى والأمير بابا حاجى على عسكر فى أثر إسكندر؛ بجدة لقرايلوك، فقدموا بعد هزيمته وقتله، فلقى إسكندر مقدمة هذا العسكر على ميافارقين (١) وقتلهم، وقتل منهم. ثم انهزم إلى جهة بلاد الروم، وكتب بخبره إلى السلطان. فملك أحمد جوكى بن شاه رخ أرزن، ونزلها، وفرض على أهلها مالا عظيما، وتزوج بإبنة عثمان قرايلوك، وأخذ منها نحو ألف حمل دقيق وشعير ونحو ذلك، وعاد إلى أبيه شاه رخ، وقد نزل على قراباغ ليشتى هناك، كما كان أبوه يشتى بها.

وأما إسكندر بن قرا يوسف فإنه نزل على آقشهر، فقام متوليها بخدمته، وبعث فى السر يُعرف أحمد جوكى به، فلم يشعر إلا وقد طرقه العسكر بغتة، ففر فى جماعة، وغنم جوكى ما كان معه، وعاد فمضى إسكندر يريد القدوم على ملك الروم مراد بن محمد كرشجى بن عثمان، حتى نزل توقات، فكتب حاكمها أركج إلى مراد، يعلمه بقدوم إسكندر. فجهز له عشرة آلاف دينار، وعدة من الخيل والممالك والجوارى والثياب. هذا وقد عاث إسكندر - هو ومن معه - فى معاملة توقات، ونهبوا وخرّبوا، فجرت بينه وبين أركج بسبب ذلك مقاولات، آلت إلى أن كتب إلى مراد يعرفه بما حلّ ببلاده من النهب والتخريب، فشق عليه ذلك، وجهز من رد الهدية، وبعث بعسكر، وكتب إلى ابن قرمان وغيره بإخراج إسكندر وقتاله، ففر منهم إلى جهة البلاد الفراتية.

وفى هذا الشهر: بعث القان شاه رخ إلى مراد بن عثمان ملك الروم، وإلى صارم الدين إبراهيم بن قرمان، وإلى قرايلوك وأولاده، وإلى الأمير ناصر الدين محمد بن دلغادر بخلع (٢).

شهر ربيع الأول أوله يوم الأحد: الموافق لسابع عشر توت، ابتداء نقص ماء النيل، وذلك قبل انقضاء أيام الزيادة، ثم رد فى ثالثه، واستمرت الزيادة إلى يوم الخميس خامسه، وهو أول بابيه، وقد بلغت الزيادة إلى عشرين ذراعا وعشرين أصبعا، فثبت أياما ثم انحط بخير. والله الحمد.

وفى يوم الإثنين ثانيه: خلع على شرف الدين أبى بكر الأشقر نائب كاتب السر، واستقر كاتب السر بجلب، عوضا عن عمر بن أحمد بن السفاح، بعدما امتنع من ذلك أشد الامتناع، وهُدّد بالقتل. وسبب ذلك أن ابن السفاح كتب مرارا بالخط على الأمير

(١) ميافارقين: أشهر مدينة بديار بكر. انظر معجم البلدان ٢٣٥/٥.

(٢) انظر النجوم الزاهرة ٢٤٨/١٤.

قرقماس نائب حلب، وأنه يريد الخروج عن الطاعة، ويخامر على السلطان، وآخر ما ورد كتابه في ذلك في نصف صفر، فطلب الأمير قرقماس ليحضر، وتوجه النجاشي بذلك، وقد حصل القلق خوفاً من عدم حضوره؛ لامتناعه، فلم يكن بأسرع من مجيء نجاشي نائب حلب في خامس عشرينه، يستأذن في القدوم، وقد بلغه شيء مما رمى به من المخامرة. فغضب السلطان على ابن السفاح، ورسم بعزله، واستقرار شرف الدين المذكور عوضه؛ لأنه علم أنه لو كان قرقماس مخامراً لما استأذن في الحضور، وسرّ بذلك، وكتب بحضوره. وكان هو عندما ورد عليه المثال الأول خرج على الفور من حلب، فقدم خارج القاهرة في سادس ربيع الأول هذا.

وفيه ورد الخبر بقتل قرايلوك، كما تقدم.

وفي ثامننه: خلع على الأمير جقمق أمير سلاح، واستقر أميراً كبيراً أتابك العساكر، عوضاً عن الأمير أينال الحكمي. واستقر الأمير أينال المذكور في نيابة حلب، عوضاً عن الأمير قرقماس. واستقر قرقماس أمير سلاح، عوضاً عن جقمق هذا.

وفيه قدم الأمير طوغان حاجب غزة، وقد عين أن يستقر في نظر القدس الخليل، فقام الأمير تغرى برمش أمير أخور في الاعتناء بمتوليها، فأعيد طوغان إلى غزة على حجويته.

وفي عاشره: خلع على معين الدين عبد اللطيف ابن القاضي شرف الدين أبي بكر ابن العجمي المعروف بالأشقر كاتب السر بحلب، واستقر في وظائف أبيه.

وفي ثالث عشره - الموافق لثامن باية - ابتدأ نقص ماء النيل، وقد انتهت زيادته كما تقدم إلى عشرين ذراعاً وعشرين أصبعا. وقد بلغ الله به المنافع على عوائد لطفه بخلقه.

وفيه برز الأمير أينال الجمكي نائب حلب ليتوجه إلى محل كفالته، وصحبته القاضي شرف الدين كاتب السر بحلب.

وفي سابع عشره: خلع على الأمير الكبير جقمق بنظر المارستان المنصوري، على العادة في ذلك (١).

وفي رابع عشرينه: خلع على الأمير عمر، واستقر في ولاية القاهرة بعد موت أخيه التاج.

وفي هذا الشهر: كثر الوباء بمدينة بروسا (١) - التي يقال لها برصا - من مملكة الروم، واستمر بها وبأعمالها نحو أربعة أشهر (٢).

وفي هذا الشهر: قبض على جانبك الصوفى، وكان من خيره أنه ظهر بمدينة توقات فى أوائل شوال من السنة الماضية، فقام متولياً أركُج باشا بمعاونته، حتى كتب إلى الأمير ناصر الدين محمد بن دلغادر نائب أبلستين، وإلى أسلماس بن كُبك، ومحمد ابن قُطبكي، وعثمان قرايلوك، ونحوهم من أمراء التركمان، فانضم إليه جماعة. وخرج من توقات، فأتاه الأمير قَرْمِش الأعور وابن أسلماس وابن قُطبكي، ومضوا إلى الأمير محمد بن عثمان قرايلك صاحب قلعة جُمُر كَسَك (٣) فقواهم. وشنوا منها الغارات على قلعة دوركى، وضايقوا أهلها ونهبوا ضواحيها.

فاتفق ورود كتاب القان شاه رخ ملك المشرق على قرايلك، يأمره بالمسير بأولاده وعسكره لقتال إسكندر بن قرايوسف سريعاً عاجلاً، فكتب إلى ولده محمد بالقدوم عليه لذلك، فترك محمد جانبك ومن معه على دوركى، وعاد إلى أبيه. فسار جانبك باين أسلماس وابن قُطبكي حتى نزلوا على ملطية وحصروها، فكادهم سليمان بن ناصر الدين محمد بن دلغادر وكتب إلى جانبك بأنه معه فكتب إليه أن يقدم عليه، وبعث بكتابه قمرش الأعور، فأكرمه وسار معه فى مائة وخمسين فارساً. فتلقاه جانبك وعانقه، ثم عادا، وحصرا ملطية، فأظهر سليمان من المناصحة ما أوجب ركون جانبك إليه، فأخذ فى الحيلة على جانبك، وخرج هو وإياه فى عدة من أصحابه ليسيرا إلى مكان يتنزهوا به. ورتبا قَرْمِش وبقية العسكر على الحصار، فلما نزل سليمان وجانبك للنزهة، وثب به أصحاب سليمان، وقيدوه، وسرى به سليمان على أكديش ليلته ومن الغد، حتى وافى به بيوته على أبلستين، وكتب يعلم السلطان بذلك. وكان القبض على جانبك فى سابع عشر شهر ربيع الأول هذا.

شهر ربيع الآخر، أوله يوم الإثنين:

فيه قدم جمال الدين يوسف بن الصفى الكركى ناظر الجيش بدمشق مطلوباً، وهو مريض بضربان المفاصل، ومعه مقدمة جليلة، فقبلت تقدمته، وأمر بالإقامة فى منزله حتى يبرأ.

(١) بروسا أو بروسة أو بورسة - بروما - هى مدينة تركية. انظر دائرة المعارف الإسلامية

١٧٧-١٧/٧.

(٢) انظر النجوم الزاهرة ٢٤٩/١٤.

(٣) وردت فى النجوم الزاهرة: «جهر كشك» انظر النجوم الزاهرة ٦/٧٣٧.

وفيه ورد إلى السلطان كتاب شاه رخ إلى جانبك الصوفى وقد قبض على حامله وحبس بحلب، فتضمن الكتاب تحريضه على أخذ البلاد الشامية، وأنه سيقدم عليه أحمد جوكى، وبابا حاجى، نجدة له. فكتب إلى نواب الشام بالتأهب والاستعداد، لنجدة نائب حلب، إذا استدعاهم.

وفى ثالثة: ورد الخبر بالقبض على جانبك الصوفى، كما تقدم.

وفى يوم السبت سادسه: خلع على ولى الدين أبى اليمن محمد بن تقى الدين قاسم ابن عبد الرحمن بن عبد الله بن محمد بن عبد القادر الشيشينى ثم المحلى، مضحك السلطان وندبمه وجليسه، واستقر فى نظر الحرم الشريف بمكة، عوضا عن سودن المحمدى، وفى مشيخة الخدام الطواشية بالمسجد النبوى، عوضا عن الطواشى بشير التمنى. ولم نعهد مشيخة المسجد النبوى يليها دائما - منذ عهد السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب - إلا الخدام الطواشية. فكانت ولاية ابن قاسم هذا حدثا من الأحداث، وبلية تساق إلى أهل الحرمين.

وفى حادى عشره: قدم سيف الأمير قصره نائب الشام بعد موته، على يد أمير على بن أينال باى، أحد الحجاب بدمشق.

وفى ثانى عشره: قدم الأمير ناصر الدين محمد بن قصره، وقراجا دواداره، فقرر عليهما مالا يحملاه من تركة قصره، وهو من النقد مائة ألف دينار، وغلل، وبضائع، وخيل، وغير ذلك ما قيمته نحو مائة ألف دينار، وعاد إلى دمشق.

وفى ثالث عشره: نودى بعرض أجناد الحلقة؛ ليستعدوا للسفر إلى الشام، ولا يُعفى أحد منهم (١).

وفيه جمع قضاة القضاة بين يدى السلطان وسئلوا فى أخذ أموال الناس للنفقة على العساكر المتوجهة لقتال شاه رخ، فكثرت الكلام، وانفضوا. هذا، وقد تزايد اضطراب الناس وقلقهم (٢).

(١) انظر النجوم الزاهرة ٢٥٢/١٤.

(٢) جاء فى النجوم الزاهرة وجمع السلطان قضاة القضاة بين يديه وسألهم فى أخذ أموال الناس للنفقة المتحوجة (أى اللازمة) لقتال شاه رخ بن تيمور، فكثرت الكلام وانفضوا من غير أن يفتون بذلك. فقبل إن بعض الفقهاء قال: كيف نفديه بأخذ أموال المسلمين، وكان لبس زوجته يوم طهور ولدها - يعنى الملك العزيز يوسف - ما قيمته ثلاثون ألف دينار، وهى بدلة واحدة. انظر النجوم الزاهرة ٢٥٢/١٤.

وفي يوم الإثنين خامس عشره: ابتدئ بعرض أجناد الحلقة، فجمع المشايخ والأطفال وعدة عميان في الحوش من قلعة الجبل، وعرضوا على السلطان، فقال لهم: «أنا ما أعمل كما عمل الملك المؤيد من أخذ المال منكم، ولكن اخرجوا جميعكم، فمن قدر منكم على فرس، ركب فرسا، ومن قدر على حمار ركب حمارا». فنزلوا على ذلك إلى بيت الأمير أركماس الدوادار، فكان يوما شنعاً^(١).

وفي هذا اليوم ورد كتاب أصبهان بن قرايوسف حاكم بغداد، على يد قاصده حسن بيك، يشتمل على التودد، وأنه هو وأخوه إسكندر يقاتلون شاه رخ^(٢) وتاريخه قبل قدوم أحمد جوكي وبابا حاجي بعساكر شاه رخ، وقبل موت.

وفي سادس عشره: أصيب القاضي زين الدين عبد الباسط ناظر الجيش بضربة فرس على ركبته اليمنى، وهو سائر مع السلطان إلى الرماية عند جامع المارديني خارج باب زويلة، فتجلد حتى وصل ناحية كوم أشفين من البلاد القليوبية. ثم عجز فألقى نفسه عن الفرس، فأركب في محفة إلى داره، ولزم الفراش ثلاثة عشر يوما.

وفي سابع عشره: قدم قصاد إسكندر بن قرايوسف صحبة الأمير شاهين الأيدكاري، برأس الأمير عثمان قرايلوك، ورأسى ولديه، وثلاثة رعوس آخر. وكان السلطان قد توجه للرماية بالجوارح على الكراكي، فقدم من الغد يوم الخميس ثامن عشره، فطيف بالرعوس الستة على رماح، وقد زينت القاهرة لذلك فرحا بقتل قرايلوك. ثم علقت على باب زويلة ثلاثة أيام، ودفنت. ولقد أخبرني من له معرفة بأحوال قرايلوك أنه كان في ظنه أنه يملك مصر. وذلك أن شخصا منجما قال له إنك تدخل القاهرة، فدخل ولكن برأسه وهي على رمح يطاف بها، وينادي عليها^(٣)، «نكالا من الله والله عزيز حكيم»^(٤).

وفي يوم السبت عشريته: خلع على الأمير تغرى برمش^(٥) أمير أخور، واستقر في نيابة حلب، عوضا عن الأمير أيتال الحكمي. وكتب بانتقال الحكمي إلى نيابة الشام، عوضا عن قصره بحكم وفاته، وجهازه له التشريف والتقليد^(٦).

(١) انظر النجوم الزاهرة ٢٥٢/١٤.

(٢) انظر النجوم الزاهرة ٢٥٣/١٤.

(٣) انظر النجوم الزاهرة ٢٥٣/١٤.

(٤) سورة المائدة الآية ٣٨.

(٥) هو الأمير حسين بن أحمد البيهسي المدعو تغرى برمش. انظر النجوم الزاهرة ٢٥٤/١٤.

(٦) انظر النجوم الزاهرة ٢٥٤/١٤.

وفيه حضر قصاد إسكندر بن قرايوسف بين يدي السلطان بكتابه، فقري، وأجيب بالشكر والثناء. وحمل إليه مال وغيره بنحو عشرة آلاف دينار. ووعد بمسير السلطان إلى تلك البلاد^(١).

وفيه عرض السلطان الإصطبل بنفسه^(٢).

وفي حادي عشرينه: سار الأمير تغرى برمش إلى محل كفالته بحلب.

هذا وقد ارتفعت الأسعار بالقاهرة، فبلغ الأردب القمح ثلاثمائة وستين، والبطة الدقيق مائة وعشرة، والخبز نصف رطل بدرهم، والأردب من الشعير أو الفول مائتي درهم وعشرة دراهم، ولحم الضأن ثمانية دراهم، ولحم البقر خمسة دراهم ونصف، وكل ذلك من الفلوس، وبلغ الزيت الطيب - وهو زيت الزيتون - أربعة عشر درهما الرطل. وبلغ الشيرج اثني عشر درهما الرطل. وقد حكر الفلفل، فلا يباع إلا للسلطان فقط، ولا يشتري إلا منه خاصة.

وفي رابع عشرينه: ركب السلطان للرماية، فضج العامة واستغاثوا من قلة وجود الخبز في الأسواق، مع كثرة وجود القمح بالشون، فلم يلتفت إليهم.

وفي ثامن عشرينه: ركب القاضي زين الدين عبد الباسط إلى القلعة، وقد عوفى مما كان به.

وفي تاسع عشرينه: توجه شادي^(٣) بك، أحد رعوس النوب، بمال وخيل وغير ذلك إلى الأمير ناصر الدين محمد بن دلغادر نائب أبلستين، وإلى والده الأمير سليمان، وكتب لهما بأن يسلما شادي بك جانبك الصوفى، ليحمله إلى قلعة حلب^(٤).

وفي هذا الشهر: قدمت طائفة من أعيان التجار بدمشق إلى القاهرة، وقد طلبوا، فإنه بلغ السلطان أنهم حملوا مما اشتروه من جدة من البهار عدة أجمال إلى دمشق.

وقد تقدم مرسوم السلطان من سنين بأن من اشترى بهاراً من جدة لا بد أن يحمله إلى القاهرة، سواء كان المشتري شامياً أو عراقياً أو عجمياً أو رومياً. وأنكر على

(١) انظر النجوم الزاهرة ٢٥٥/١٤.

(٢) وأرسل إلى صاحب كزيم الدين ابن كاتب المناخ وإلى الأمير يلخجا بجمال كثيرة، وكان بهما للسفر إلى بندر جدة. انظر النجوم الزاهرة ٢٥٥/١٤.

(٣) في النجوم الزاهرة «شادبك» وفي نزهة النفوس «شادي بك».

(٤) انظر النجوم الزاهرة ٢٥٥/١٤.

المذكورين حملهم بضائعهم من الحجاز إلى دمشق. وختم على حواصلهم بالقاهرة وغيرها. ثم أفرج لهم عنها بعدما صالحوا ناظر الخاص بمال قاموا به.

شهر جمادى الأولى، أوله يوم الثلاثاء:

فيه قدم الحمل من جزيرة قبرس على العادة.

وفي ثالثه: خلع على الصاحب كريم الدين عبد الكريم ابن كاتب المناخ، واستقر في نظر جدة. وخلع على الأمير يَلْخُجَا أحد رعوس النوب من أمراء الطبلخاناه، واستقر شاد جدّة. ونودي بسفر الناس إلى مكة صحبتهما، فسروا بذلك، وتأهبوا له.

وفي خامسه: خلع على الجمال يوسف بن الصفي واستقر في كتابة السر بدمشق، عوضا عن يحيى بن المدنى، ورسم لقاضى القضاة بهاء الدين محمد بن حجي بنظر الجيش بدمشق، عوضا عن الجمال المذكور، وجهاز له التشريف والتوقيع في يوم الإثنين سابعه.

وفيه رسم باستقرار السيد الشريف بدر الدين محمد بن علي بن أحمد الجعفرى فى قضاء القضاة الحنفية بدمشق، عوضا عن الشريف ركن الدين عبد الرحمن بن علي بن حمد المعروف بالدخان، وكان قد شغل قضاء الحنفية بدمشق من حين توفى الدخان فى سابع عشر المحرم مدة ثلاثة أشهر وخمسة وعشرين يوما، وكانت ولايته بغير مال.

وفي خامس عشره: خلع على الطواشى جوهر اللالا (١) واستقر زمام الدار (٢) عوضا عن الأمير زين الدين خَشَقْدَم بعد موته، وكانت شاغرة منذ مات (٣).

وفي تاسع عشرينه: استعفى الوزير الصاحب تاج الدين الخطير على عادته، وقوى بمال إعانة له.

وفي هذه الأيام: رسم بإخراج الفرنج المقيمين بالإسكندرية ودمياط وسواحل الشام، فأخرجوا بأجمعهم.

شهر جمادى الآخرة، أوله يوم الأربعاء:

(١) هو جوهر الصفوى الجلبانى اللالآ، ولالا: لفظ فارس بمعنى مربى الأطفال. انظر النجوم الزاهرة ٢٥٥/١٤.

(٢) الزمام دار هو المتحدث على باب ستارة السلطان من الخدام الخصيان، وهو الموكل بحفظ الحرم وأصل التسمية «زنان - دار» انظر النجوم الزاهرة ٢٥٥/١٤ «الهامشى».

(٣) انظر النجوم الزاهرة ٢٥٥/١٤.

في ثالثة: عرض أرباب السجون ليفرج عنهم، من كثرة شكواهم بالجوع.

ثم أعيدها إلى سجونهم لما يترتب على إطلاقهم من المفاسد، ورسم لأرباب الديون أن يقوموا بمؤونة مسجونهم، حتى تنقضى أيام الغلاء، هذا إن كان الدين مبلغا كبيرا، فإن كان الدين يسيرا ألزم رب الدين بتقسيمه عن المدين أو الإفراج عن الديون، فاتفق أن رجلا ادعى عند بعض نواب القاضى الحنفى على رجل بدين، واقتضى الحال أن يسجن، فكتب القاضى المدعى عنده، على ورقة اعتقال المدين، «يُعتقل بشرط أن يفرض له رب الدين ما يكفيه من المؤونة».

ثم في ثالث عشره: عرض السلطان جميع من فى السجون، وأفرج عنهم بأسرهم، حتى أرباب الجرائم من السراق وقطاع الطريق ورسم ألا يسجن القضاة والولاة أحدا، وأن من قبض عليه من السراق يقتل ولا تقطع يده، فغلقت السجون، ولم يبق بها مسجون. ثم نقض ذلك بعد قليل، وسجن من استحق السجن.

وفى هذه الأيام: اشتد البرد بالقاهرة وضواحيها، حتى جمدت برك الماء ومقطعات النيل ونحوها، وأبيع الجليد فى الأسواق مدة أيام، ولم نعهد هذا، ولا سمعنا به.

وفى ثامننه: كان آخر عرض أجناد الحلقة.

وفى حادى عشره: قدم الأمير غرس الدين خليل بن شاهين نائب الإسكندرية يهدية، فخلع عليه من الغد يوم الإثنين ثانى عشره. ونزل من القلعة، فأدركه من خلع عنه الخلعة، وأعادها إلى ناظر الخاص، وذلك أنه بلغ السلطان عنه أنه أفرج للتجار عن عدة أحمال فلفل، حتى باعوها للفرنجة بمال أخذه منهم، وكان قد تقدم مرسوم السلطان بمنع التجار من بيع الفلفل، وأن الفرنج لا تشتريه إلا من الديوان السلطانى.

وفى تاسع عشره: خلع على رجل أسود من المغاربة - يقال له سرور - لم يزل يدخل فيما لا يعنيه، ويناله سبب ذلك المكروه، فاستقر فى قضاء الإسكندرية ونظرها، على أن يكفى أجناد الثغر معالمهم، ويقوم للمرتين بمرتباتهم، ويقوم بالكسوة السلطانية، ويقوم بعد ذلك كله بمائة وثلاثين دينارا فى كل يوم. وكتب عليه بذلك تقرير قرره على نفسه. ونزل بالقلعة، فلم يقم سوى أياما، وطلع فى يوم الثلاثاء حادى عشرينه، واستغنى من وظيفة النظر، فضرب. ورسم بنفيه، فأخرج فى الترسيم من القاهرة فى ثالث عشرينه.

وفي يوم السبت ثامن عشره: برز الصاحب كريم الدين والأمير يلخجا^(١) بمن معهم من المعتمرين^(٢) إلى ظاهر القاهرة، ثم ساروا في تاسع عشره إلى مكة^(٣). وفيه فتحت السجون، وسجن بها.

وفي عشرينه: ^(٤) خلع على أقبای البشنكى^(٥) أحد الدوادارية، واستقر في نيابة الإسكندرية، عوضا عن خليل^(٦) وجهزت خلعة إلى جمال الدين عبد الله بن الدماميني، باستقراره على عادته في قضاء الإسكندرية. وخلع على شرف الدين بن مفضل، واستقر في نظر الإسكندرية، عوضا عن خليل المذكور.

وفي ثامن عشرينه: ^(٧) وصل الأمير أقطوه المتوجه في الرسالة إلى شاه رخ. وقدم من الغد شيخ صفا رسول شاه رخ بكتابه فأنزل، وأجرى له ما يليق به^(٨).

وفيه ورد الخير بأن جانبك الصوفي قد أفرج عنه ناصر الدين محمد بن دُلغادر نائب أبلستين، وصار في جمع، بعدما أخذ من شاد بك ما على يده من المال وغيره، فكثر القلق بسبب ذلك.

وفي هذا الشهر: قدمت رسل أصبهان بن قرايوسف حاكم بغداد إلى القان معين الدين شاه رخ، وهو على قراباغ، بدخوله في الطاعة، وأنه من جملة الخدم. فأقامت رسله ثلاثين يوما لا تصل إلى القان. ثم أجابه ينكر عليه خراب بلاده، ويأمره بعمارتها، وأنه إن لم يعمرها وإلا وإلا، وأمهله سنة. وكان أصبهان قد بعث بهدية، فلم يعوضه عنها شيئا، وإنما جهز له خلعة وتقليدا، وخلع على رسله^(٩).

شهر رجب، أوله الجمعة:

في ثانيه: أحضر صفا رسول شاه رخ ومن معه، وقرئ كتابه، فإذا هو يتضمن أن

(١) هو الأمير يلخجا الساقى أحد أمراء العشرات ورأس نوبة.

(٢) في النجوم «من الحاج».

(٣) انظر النجوم الزاهرة ٢٥٥/١٤.

(٤) في النجوم «في يوم الخميس ثالث عشرين جمادى الآخرة».

(٥) هو أقبای الشيكى الجاموسى أحد دوادارية السلطان الأحناد.

(٦) يقصد خليل بن شاهين الشيكى. انظر النجوم ٢٥٥/١٤.

(٧) في النجوم «في ثاني عشرينه».

(٨) انظر النجوم ٢٥٦/١٤.

(٩) انظر النجوم الزاهرة ٢٥٦/١٤.

يخطب وتضرب السكة باسمه، وأخرج صفا خلعة بنيابة مصر ومعها تاج ليلبس السلطان ذلك. وخاطب السلطان بكلام لم يسع معه صبر، فضرب صفا ضرباً مبرحاً، وألقى في بركة ماء. وكان يوماً شديداً البرد ثم أنزلوا، ورسم بنفيهم، فساروا في البحر إلى مكة، فوصلوها، وأقاموا بها بقية السنة، وحجوا^(١).

وفي رابعه: كتب إلى مراد بن عثمان - متملك بلاد الروم - بأن يكون مع السلطان على حرب شاه رخ. وكتب إلى بلاد الشام بتجهيزهم الإقامة للسفر.

وفي سابعه: خلع على شيخ الشيوخ محب الدين ابن قاضي العسكر شرف الدين عثمان الأشقر بن سليمان بن رسول بن الأمير يوسف بن خليل بن نوح الكراني التركماني الحنفي، واستقر في كتابة السر، عوضاً عن القاضي كمال الدين محمد بن ناصر الدين محمد بن البارزي. وخلع على ولده شهاب الدين أحمد، واستقر شيخ الشيوخ، وخلع على الأمير غرس الدين خليل بن شاهين، الذي ولى نيابة الإسكندرية، واستقر في نظر دار الضرب، وكان بيد ابن قاسم المتوجه إلى الحجاز، وقد أقام فيه أخاه، واستقر أيضاً أمير الحاج.

وفي حادي عشره: قدم الأمير شاد بك^(٢) المتوجه لأخذ جانبك الصوفي من عند الأمير ناصر الدين محمد بن دلغادر، وقد أخذ ما على يده من المال وغيره، ولم يمكن من جانبك الصوفي، فشق على السلطان ذلك، وعزم على السفر، وجمع الأمراء، وحلفهم على طاعته. وعين سبعة أمراء للسفر، وألفاً من المماليك السلطانية، وألفاً من أجناد الحلقة، فأخذوا في أهبة السفر.

وفي ثاني عشره: رسم بأن القضاة لا تحبس من عليه من دين إلا بالمقشرة حيث تحبس أرباب الجرائم. وألا يجبس إلا من عليه من الدين مبلغ ثلاثمائة درهم فصاعداً، لا أقل من ذلك. ثم انتقض هذا بعد قليل، كما هي عادة الدولة في تناقض ما ترسم به.

وفي ليلة الأربعاء ثالث عشره: بعث الشريف زين الدين أبو زهير بركات بن حسن بن عجلان أمير مكة، بعثاً لمحاربة بشر، من بطون حرب، إحدى قبائل مدحج، ومنازلهم حول عسفان^(٣) نزلوها من نحو ستة عشر وثمانمائة، وقد أخرجهم بنو لام من أعمال المدينة النبوية، فكثرت عبثهم وأخذهم السابلة من المارة إلى مكة بالميرة. وجعل

(١) انظر النجوم الزاهرة ٢٥٦/١٤.

(٢) قدم من بلاد أبلستين انظر. النجوم ٢٥٨/١٤.

(٣) عُسْفَانُ: منهلة من مناهل الطريق بين الجحفة ومكة. انظر معجم البلدان ١٢١/٤.

على هذا البعث أخاه الشريف على بن حسن بن عجلان، ومعه من بني حسن الشريف ميلب بن على بن مبارك بن رميثة، وغيره. والوزير شكر فى عدة من الناس. وسار معهم الأمير أرنبغا أمير الخمسين المركزيين بمكة من المماليك السلطانية، وصحبته منهم عشرون مملوكا، فنزلوا عسفان يوم الخميس رابع عشره، وقطعوا الثنية التى تعرف اليوم بمدرج على، حتى أتوا القوم، وقد أئذروا بهم، فتنحوا عن الأرض، وتركوا بها إبلا مع خمسة رجال. فأول ما بدأوا به أن قتلوا الرجال الخمسة، وامرأة حاملا كانت معهم، وما فى بطنها أيضا، واستاقوا الإبل حتى كانوا فى نحو النصف من الثنية المذكورة، وركب القوم عليهم الجبلان يرمونهم بالحراب والحجارة، فانهزم الأمير أرنبغا فى عدة من المماليك، وقد قتل منهم ثمانية، ومن أهل مكة وغيرهم زيادة على أربعين رجلا، وجرح كثير ممن بقى. وغنم القوم منهم اثنين وثلاثين فرسا، وعشرين درعا، ومن السيوف والرماح والتجافيف^(١) ونحو ذلك من الأسلحة. ومن الأسلاب والأمتعة ما قيل أنه بلغ قيمته خمسة آلاف دينار، وأكثر. فلما طلعت شمس يوم الجمعة النصف منه دخل أرنبغا - بمن بقى معه من المماليك - مكة، وهم يقولون «قتل جميع من خرج من العسكر». فقامت عند ذلك صرخة بمكة من جميع نواحيها، لم نر مثلها شناعة. وأقبل المنهزمون إلى مكة شيئا بعد شيء فى عدة أيام. وحُمل الشريف ميلب فى يوم السبت ميتا. ومات بعده بأيام شريف آخر من جراحة شوهت وجهه، بحيث ألقته كله من أعلا جبهته إلى أسفل ذقنه.

وفى هذا الشهر: طرح على التجار بالقاهرة ودمشق ألف حمل فلفل بمائة ألف دينار، حسابا عن كل حمل مائة دينار، نزل بهم منها بلاء لا يوصف.

وفى يوم الإثنين خامس عشرينه: أدير محمل الحاج. ورسم أنه إذا وصل إلى الجامع الجديد خارج مدينة مصر، يرجع به والقضاة أمامه، إلى الخانكاه الشيخونية بالصليبة خارج القاهرة فقط، ويمضى الفقراء معه إلى تحت قلعة الجبل، ثم منها إلى الجامع الحاكمى، وأبطلت الرماحة من الركوب مع المحمل فى هذه السنة.

وفى هذا الشهر: كملت عمارة القان شاه رخ لمدينة تبريز. وقد تقدم لأهل البلاد بزراعة أراضيها، فتراجع الناس إليها. وولى شاه رخ على تبريز شاه جهان بن قرايوسف، عوضا عن إسكندر.

(١) التَّجْفَافُ: ما يلبسه المحارب كالدرع وما يُجَلُّ به الفرس من سلاح وآله تقياه الجراح فى الحرب جمع تجافيف. انظر المعجم الوسيط (حفف).

شهر شعبان، أوله يوم الأحد:

فى أوله: قدم ركب العمار إلى مكة - شرفها الله تعالى - وفيهم ولى الدين محمد ابن قاسم، مضحك السلطان، والصاحب كريم الدين عبد الكريم ابن كاتب المناخ، والأمير يَلْخُجا ومعه عدة مماليك، بدل من بمكة من المماليك الذين صحبة أرْبُغَا وبلغ ركبهم نحو ستمائة جمل.

وفى ثالثة: أنفق السلطان فى الأمراء المجردين من القاهرة إلى الشام ومن معهم، سبعة عشر ألف دينار.

وفى يوم الخميس خامسه: قدم الشريف بركات إلى مكة، فقريء بحضوره تجاه الحجر الأسود توقيع ابن قاسم باستقراره فى نظر الحرم الشريف وعمارته، وتوقيع باستقرار الصاحب كريم الدين فى نظر جدة، وأن إليه أمر قضائها وحسبتها. وتوقيع باستقرار الأمير يَلْخُجا فى شد جدة.

وفى سابعه: رسم بفتح سجن الرحبة بالقاهرة، فصار يسجن فيه وفى المقشرة فقط.

وفى ليلة الأربعاء حادى عشره: توجه الصاحب كريم الدين من مكة إلى جدة، ومعه الأمير يَلْخُجا. ومضى الشريف بركات لمحاربة حرب. ثم خرج الأمير أرْبُغَا بمن بقى من المماليك المركزين معه من مكة يريد القاهرة، وقد تأخر منهم - سوى من قتل - أربعة؛ لعجزهم من شدة جراحاتهم عن الحركة. فنزل جدة، ثم مضى منها على الساحل، خوفا من العرب.

وفى سابع عشرينه: سار الأمراء المجردون إلى الشام، بمن معهم. وقد كانوا برزوا خارج القاهرة فى خامس عشرينه. وهم الأمير جقمق الأتابك، والأمير أركماس الدوادر الكبير، والأمير يَشْبُك حاجب الحجاب، والأمير تنبك نائب القلعة، والأمير قراجا، والأمير تغرى بردى المؤذى، والأمير خُجا سودن.

وكان قد وقع بعدن - من بلاد اليمن وباء استمر أربعة أشهر، آخرها شعبان. هذا بعدما طبق بلاد الحبشة بأسرها، وامتد إلى بربرة^(١).

وقد شنع ببلاد الزنج. ثم كان بعدن فمات بها - أعنى عدن - عالم عظيم قدم علينا منها بمكة كتاب موثوق به يخبر أنه مات بعدن فى هذه الأربعة أشهر - خاصة

(١) بَرْبَرَة: هذه بلاد الحبش والزنج واليمن على ساحل بحر اليمن وبحر الزنج، وأهلها سودان حذًا ولهم لغة برأسها لا يفهمها غيرهم. انظر معجم البلدان ٣٦٩/١.

٣١٠ سنة تسع وثلاثين وثمانمائة

من عرف اسمه - سبعة آلاف وثمانمائة. وفي كتاب آخر أنه مات بها ثلاثة أرباع الناس، ولم يبق إلا نحو من الناس. وفي كتاب آخر أنه خلا بعدن نحو ثلاثمائة دار مات من كان بها، وأن الوباء ارتفع منها آخر شهر شعبان، وأنه انتقل من عدن إلى نحو صعدة (١).

وفي سابع عشرينه: ورد كتاب إسكندر بن قرايوسف يستأذن في القدوم، فوعد بخير.

شهر رمضان، أوله يوم الثلاثاء:

فيه تسلم الشريف أميان بن مانع بن علي بن عطية بن منصور بن جماز بن شيحة الحسيني (٢) إمرة المدينة النبوية عوضا عن أبيه بعد قتله. وقد قدم تشریف ولايته، وتوقيع استقراره.

وفي رابعه: خلع على رسول إسكندر بن قرايوسف، وأعيد إليه بجوابه.

وفي سابعه: خلع على الأمير غرس الدين خليل بن شاهين، واستقر في الوزارة، عوضا عن تاج الدين بن الخطير؛ وسبب ذلك أن ممالك الطباقة بالقلعة رجحوا في رابعه الوزير تاج الدين حتى كاد أن يهلك، فسأل أن يعفى من المباشرة، فرسم بطلب كريم الدين ابن كاتب المناخ من جدة ليلي الوزارة، فتهيات لغرس الدين هذا.

وفيه جهز لطوغان حاجب غزة خلعة بنيابة القدس، ونظر الخليل، وكشف الرملية ونابلس، عوضا عن حسن التركمانى، وعمل حسن حاجبا بحلب عوضا عن الأمير قنصوه (٣) وأنعم على قنصوه بتقدمة ألف بدمشق عوضا عن جانبك المؤيدى، بحكم وفاته.

وفي رابع عشرينه: قدم الأمير أسلماس بن كبك التركمانى مفارقا لجانبك الصوفى، فأكرم وأنعم عليه.

وفي هذا الشهر: وقع الوباء بمدينة تعز من بلاد اليمن، وعم أعمالها.

شهر شوال، أوله يوم الخميس:

(١) صَعْدَةُ: مخلاف باليمن بينه وبين صنعاء ستون فرسخا. انظر معجم البلدان ٣/٦٠٦.

(٢) انظر ترجمته المنهل الصافى، الضوء اللامع.

(٣) هو قنصوة النوروزى نوروز الحافظى. انظر ترجمته فى الضوء اللامع ٦/١٩٩.

فيه خلع على الأمير أسلماس فيمن خلع عليه، ورسم بتجهيزه.

وفي ثامننه: عزل الوزير غرس الدين خليل عن الوزارة، وألزم الصاحب أمين الدين إبراهيم بن الهيصم ناظر الدولة لسد أمور الدولة، ومراجعة القاضى زين الدين عبد الباسط فى جميع أحوال الدولة، فتمشتت الأحوال، وتوجه النجاء فى تاسعه بطلب الصاحب كريم الدين ابن كاتب المناخ لىلى الوزارة بعد فراغه من أمر جده.

وفي سابع عشرينه: رسم بطلب الأمير أینال الأجرود نائب الرها. واستقر الأمير شاد بك الذى توجه لأخذ الأمير جانبك الصوفى من ابن دلغادر عوضه.

وعزل الأمير أینال الششماني من نيابة صفد، وإقامته بطالاً بالقدس. وأن يستقر عوضه فى نيابة صفد الأمير تمرز المؤيدى.

وفي هذا الشهر: شنع الوباء بمدينة تعز من بلاد اليمن، فورد علينا منها كتاب إلى مكة بأنه صلى فى يوم واحد بجامع تعز على مائة وخمسين جنازة. وفى كتاب آخر أنه مات بها فى ثلاثة أيام ألفان، وخلت عدة قرى من سكانها. فشمّل الوباء جميع بلاد الحبشة، كافرها ومسلمها، وسائر بلاد الزنج، ومقدشوه إلى بربرا وعدن وتعز وصعدة والجبال.

وفي هذا الشهر: رحل القان شاه رخ عن مملكة أذربيجان، بعدما زوج نساء إسكندر بن قرايوسف لشاه جهان الذى استنابه على تبريز فى شهر رمضان شهر ذى القعدة، أوله يوم الجمعة.

فى ثانى عشره: رسم باستقرار شمس الدين محمد بن على بن عمر الصفدى فى قضاء الحنفية بدمشق، عوضاً عن بدر الدين الجعفرى، بمال وعد به.

وفي رابع عشره: منع الناس بالقاهرة من ضرب أوانى الفضة وآلاتها، وأن يحمل ذلك إلى دار الضرب ليضرب دراهم.

وفي تاسع عشرينه: قبض بمكة على رسل ملك بنجاله من بلاد الهند، وسبب ذلك أن السلطان جهز فى سنة خمس وثلاثين هدية من القاهرة إلى السلطان جلال الدين أبى المظفر محمد بن فندوا صحبة بعض الطواشية، فوصل بها إلى بنجاله، وقدمها إلى السلطان جلال الدين فقبلها، وعوض عنها بهدية قيمتها عندهم اثنا عشر ألف تنكة حمراء، ومات فى أثناء ذلك، وقام من بعده ابنه المظفر أحمد، فأمضى هدية أبیه، وزادها من عنده هدية أخرى، فيها ألفا شاش، وعدة ثياب بيرم، وخدام طواشيه، وطُرف.

وجهاز الجميع، وبعث معهم عدة من خدامه الطواشية، وعلى أيديهم خمسة آلاف شاش لبيعوها ويشتروا له بها أمتعة. فركبوا فى البحر، فحيرهم الريح وألقاهم إلى بعض جزائر ذبية، فمات بها الطواشى المجهز من مصر. وبلغ صاحب ذبية أنه عتيق غير السلطان، فأخذ ما تركه، ولم يتعرض لشيء من الهدية فاتفق مع ذلك قتل ملك بنجاله أحمد الذى جهز الهدية الثانية، وقام آخر بعده. فلما اعتدل الريح، ساروا عن ذبية إلى أن قاربوا جدة، غرق مركبهم بما فيه عن آخره. فهض الصاحب كريم الدين من مكة، وقد بلغه الخبر، حتى نزل جدة، وندب الناس، فأخرج من تحت الماء الشاشات والثياب البيرم، بعد مكثها فى الماء ستة أيام. وتلفت المراطيبينات التى بها الزنجبيل المرى والكابلى المرى، ونحو ذلك. فسلم الشاشات والبيارم إلى القصارين حتى أعادوا جدتها. وكتب إلى السلطان بذلك. فكتب بالقبض على طواشية ملك بنجاله، وأخذ الخمسة آلاف شاش منهم، ومنعهم من الجىء إلى القاهرة. وأن من ورد ببضاعة إلى جدة من ذبية أخذت للديوان بأسرها، فندب أبو السعادات ابن ظهيرة^(١) قاضى مكة الشافعى، معه أبو البقاء بن الضياء^(٢) قاضى الحنفية لإيقاع الحوطة على الشاشات. ورسم على الطواشية، حتى أخذت منهم بأسرها، بعضها صنفا، وثمان ما باعوه منها، وضمت إلى مال الديوان.

وفى هذا الشهر: نزل القان شاه رخ على سلطانية، وعزم على أنه لا يرحل عنها إلى هراة دار ملكه، حتى يبلغ غرضه من إسكندر بن قرايوسف.

شهر ذى الحجة، أوله يوم السبت:

فى يوم الخميس سادسه وسابع عشرين بوؤنة: نودى على النيل بزيادة خمسة أصابع. وقد جاءت القاعدة ستة أذرع وثمانية عشر أصبعا، واستمرت الزيادة. والله الحمد.

(١) سبق ترجمته.

(٢) ابن الضياء (٧٨٩-٨٥٤هـ = ١٣٨٧-١٤٥٠م) محمد بن أحمد بن الضياء محمد القرشى العمرى المكى، بهاء الدين أبو البقاء، المعروف بابن الضياء فقيه حنفى صاغانى الأصل ولد وتوفى بمكة وولى قضاءها. من كتبه «شرح مجمع البحرين» فى الفقه «والبحر العميق فى مناسك الحج»، وتنزيه المسجد الحرام عن بدع جهلة العوام، و«النكت على الصحيح»، فى الحديث، وتاريخ مكة المشرفة والمسجد الحرام والمدينة الشريفة والقرى الشريف. انظر نظم العقبان ١٣٧، البدر الطالع ٢/١٢٠ و٢٢٢ والتبر المسبوك ٣٣٤، فهرست الكتيخانة ٦٧/٣، الدهلوى، فى مجلة المنهل ٧/٢٩٧، والضوء اللامع ٧/٨٤ ودار الكتب ٥/١١٥. الأعلام ٥/٣٣٢.

وفى سابع عشرينه: وصل الأمير حمزه بك بن على بك بن دلغادر، فأنزل. ثم وقف بين يدي السلطان فى تاسع عشرينه، فقبض عليه، وسجن فى البرج بالقلعة.

وفى هذه السنة: غزت العساكر السلطانية الأمير ناصر الدين محمد بن دلغادر غير مرة، فسار الأمير تغرى برمش نائب حلب، ومعه الأمير قانباى الحمزاوى نائب حماة بعساكر حلب وحماة، فى أول شهر رمضان إلى عيتتاب، وقد نزل جانبك الصوفى على مرعش فتوجهوا إليه من الدربند، ونزلوا بزرجق، وأقاموا يومين، وقد عدوا نهر جيحان، وقطعوا الجسر من ورائهم، وقصدوا الأمير ناصر الدين محمد بن خليل بن قراجا بن دلغادر من جهة دربند كينوك، فلم يقدرُوا أن يسلكوه من كثرة الثلوج التى ردمته، فمضوا إلى دربند أترنيت من عمل بهنسى، وقد ردمته الثلوج أيضا، فقدم نائب حلب بين يديه عدة رجال ممن معه، ومن أهل البلاد المجاورة للدربند لفتح الطريق، ودرّوس الثلج بأرجلهم، حتى يحمل مسير العسكر ثم ركب فى يوم الإثنين ثامن شهر رمضان، وعبر الدربند المذكور بمن معه، وسار يومه. ثم نزل تحت جبل بزقاق وقدّم أربعين فارسا كشافة، فظفروا فى خان زلى بدمرداش مملوك ناصر الدين محمد بن دلغادر، وقد بعثه فى ثلاثة لكشف خبر العساكر، ففر الثلاثة، وقبض على دمرداش وأتوا به، فأخبر أن القوم على أبلستين. فركب نائب حلب بمن معه فى الحال، وجد فى سيره حتى طرق أبلستين يوم الثلاثاء تاسعه، وقد رحل ابن دلغادر بمن معه عند عود رفقة دمرداش إليه ببحر قبض كشافة العساكر عليه، فسار فى أثره يومه، وقد عبر بمن معه نهر جيحان فلم يدر كههم. ثم عاد نائب حلب وجماعته ونزل ظاهر أبلستين، وأمر بأهلها، فرحلوا إلى جهة درنده، وأضرم النار فى البلد حتى احترقت بأجمعها، بعدما أباحها للعسكر فتهبوا وسائر معاملاتها، فحازوا من الخيول والبغال والأبقار والجواميس والأغنام والحمير والأقمشة والأمتعة ما لا نهاية له، بحيث أنه لم يبق أحد من العسكر إلا وأخذ من ذلك ما قدر عليه. وعاد نائب حلب بمن معه، والغنائم تساق بين يديه على طريق بهسنى، ثم عبر عيتتاب، فلم يبق بأبلستين ولا معاملتها قدح واحد من الغلال. وحرقت ونهبت - هى وبلادها - فبقيت قاعا صفصفا. وعبر بالعسكر إلى حلب بعد غيبتهم عنها خمسين يوما.

ثم إن ابن دلغادر جمع جماعته ورحل ببيوته إلى أولخان، بالقرب من كينوك وكانت الأمراء المجردة من مصر نازلة بحلب، فجهز الأمير تغرى برمش نائب حلب الأمير حسام الدين حسن خجا حاجب الحجاب بحلب، ومعه مائة وخمسون فارسا، إلى عيتتاب تقوية للأمير خجا سودن، وقد نزل بها.

فلما كان يوم الإثنين رابع عشرين ذى الحجة: وصلا الصوفى، ومعه الأمير

قرمش الأعور وكمشبيغا أمير عشرة - من أمراء حلب - وقد خامر منها، وصار من جملة جانبك الصوفى، وأولاد ناصر الدين محمد بن دلغادر - سوى سليمان - يريدون لقاء الأمير خججا سودن، فنزلوا على مرج دلوک، ثم ساروا منه إلى عينتاب، فقابلهم الأمير خججا سودن فى آخر النهار وباتوا ليلتهم، وأصبحوا يوم الثلاثاء خامس عشرينه. فقدم الأمير حسن خججا حاجب حلب فى جمع كبير من تركمان الطاعة، فتقدم إليهم جانبك الصوفى بمن معه، وهم نحو الألفى فارس، فقاتلهم عسكر السلطان المذكور، وقد انقسموا فرقة عليها الأمير خججا سودن حاجب حلب، وفرقة عليها الأمير تمرباي الدوادار بحلب، وتركمان الطاعة، كل فرقة فى جهة فكانت بينهم وقعة انجلت عن أخذ الأمير قرمش الأعور، وكمشبيغا أمير عشرة، وثمانية عشر فارساً، فانهمز جانبك الصوفى ومن معه، وتبعهم العسكر إلى أنجاصوا. ثم عادوا، وحمل المأخوذون إلى حلب، فسجنوا بقلعتها فى الحديد، وكتب بذلك إلى السلطان.

* * *

ومات فى هذه السنة من له ذكر

عبد الرحمن بن على بن محمد، الشريف ركن الدين، عرف بالدخان قاضى القضاة الحنفية بدمشق، ليلة الأحد سابع عشر المحرم، وقد أناف على ستين سنة، وكان فقيهاً حنفياً، ماهراً فى معرفة فروع مذهبه، وله مشاركة فى غير ذلك، ولد بدمشق، ونشأ بها، ثم مات فى الحكم عن قضااتها، ودرس. وهو ممن ولى القضاء بغير رشوة، فشكرت فيه سيرته. ومات قاضياً. وهو من بنى أبى الحسن الحسينيين.

ومات ملك تونس وبلاد إفريقية من الغرب، السلطان المنتصر أبو عبد الله محمد بن أبى عبد الله محمد بن أبى فارس، فى يوم الخميس حادى عشرين صفر بتونس. ولم يتهن فى ملكه لطول مرضه وكثرة الفتن، وسفكت فى أيامه - مع قصرها - دماء خلق كثير. وقام بمملكة تونس من بعده أخوه شقيقه عثمان، فقتل عدة من أقاربه وغيرهم. وكان من خير المنتصر أنه ثقل فى مرضه، حتى أقعد، وصار إذا سار يركب فى عمّارته (١) على بغل. وتردد كثيراً إلى قصر بخارج تونس للتنزه به، إلى أن خرج يوماً ومعه أخوه أبو عمرو عثمان (٢) صاحب قسنطينه. وقد قدم عليه وولاه الحكم بين

(١) هو ما يشبه الهودج.

(٢) أبو عمرو الحفصى (٨٢١-٨٩٣هـ = ١٤١٨-١٤٨٨م) عثمان بن محمد بن عزوز (عبد=

الناس. ومعه أيضا القائد محمد الهلالي، وقد رفع منه حتى صار هو وأبو عمرو عثمان المذكور - مرجع أمور الدولة إليهما، وحجابه عن كل أحد. فلما صارا معه إلى القصر المذكور تركاه به، وقد أغلقا عليه، يوهما أنه نائم. ودخلا المدينة، وعبرا إلى القسبة واستولى أبو عمرو على تخت الملك، ودعا الناس إلى بيعته، والهلالي قائم بين يديه. فلما ثبتت دولته، قبض على الهلالي، وسجنه، وغيبه عن كل أحد. ثم التفت إلى أقاربه، فقتل عم أبيه الأمير الفقيه الحسين بن السلطان أبي العباس. وقتل معه ابنيه وقد فر بهما إلى العرب، فنزل عندهم، فاشتراه منهم بمال جم. وقتل ابني عم أبيه الأمير زكريا بلد العناب (١) ابن أبي العباس.

وقتل ابني الأمير أبي العباس أحمد صاحب بجاية، فنفرت عنه قلوب الناس. وخرج عليه الأمير أبو الحسن بن السلطان بن أبي فارس عبد العزيز، متولى بجاية.

ومات الأمير تاج الدين التاج بن سيف القازاني، ثم الشويكي الدمشقي (٢) في ليلة الجمعة حادى عشرين شهر ربيع الأول، بالقاهرة. وكان أبوه قد قدم دمشق من بلاد حلب، وصار من جملة أجنادها، ومن قام مع الأمير منطاش، فأخرج عنه الملك الظاهر برقوق إقطاعه، وولد له التاج بناحية الشريكة التي تسميها العامة الشويكة، خارج دمشق، ونشأ بدمشق في حال حمول، وطريقة غير مرضية، إلى أن اتصل بالأمير شيخ وهو يلي نيابة الشام، فعاشه على ما كان مشهوراً به من اتباع الشهوات، وتقلب معه في أطوار تلك الفتن. وولاه وزارة حلب، لما ولي نيابتها، فلما قدم القاهرة بعد قتل الناصر فرج بن برقوق، قدم معه من جملة أخصائه وندمائه، فولاه في سلطنته ولاية القاهرة مدة أيامه، فسار فيها سيرة ما عفت فيها عن حرام، ولا كفّ عن إثم، وأحدث من أخذ الأموال ما لم يعهد قبله، ثم تمكن في الأيام الأشرفية وارتفعت درجته، وصار جليسا نديما للسلطان، وأضيفت له عدة وظائف، حتى مات من غير نكبة. ولقد كان عاراً على جميع بني آدم، لما اشتمل عليه من المخازي التي جمعت سائر القبائح، وأرست بشاعتها على جميع الفضائح.

=العزير) بن أحمد الهنتائي الحفصي، أبو عمرو: من ملوك الدولة الحفصية بتونس ببيع بعد وفاة أخيه المنتصر سنة ٨٣٩هـ وتلقب بالثوكل على الله. انظر الخلاصة النقية ٨١، الدولة الحفصية ١٥٧، التبر المسبوك ٧ في حوادث سنة ٨٤٥، البدر الطالع، ١/٤١٤ الضوء اللامع ١٣٨/٥، لقط الفرائد - خ معجم دوزي ١٥٩/٢، الأعلام ٢١٣/٤.

(١) العناب: جبل في طريق مكة، ويقال: أنه طريق المدينة من قيد. انظر معجم البلدان ١٥٩/٤.

(٢) الشويكي نسبة إلى الشويكة، أحد الأماكن بدمشق، انظر ترجمته في الضوء اللامع ٢٤٣/٣.

ومات الأمير قَصْرُوهُ نائب الشام بدمشق، ليلة الأربعاء ثالث شهر ربيع الآخر، وهو على نيابتها، وترك من النقد والخيول والسلاح والثياب والوبر وأنواع البضائع والمغلات ما يبلغ نحو ستمائة ألف دينار، وكان من أقبح الناس سيرة وأجمعهم لمال من حرام.

ومات الأمير عثمان قرأيلوك بن الحاج قُطْلُوبَك بن طُرُ على التركمانى، صاحب مدينة آمد ومدينة ماردين، فى خامس صفر، وقد انهزم من إسكندر ابن قرايوسف، وألقى نفسه فى خندق أرزن الروم فغرق، وقد بلغ نحو المائة سنة، وكان من المفسدين فى الأرض. وهو وأبوه من جملة أمراء التركمان، أتباع الدولة الأرتقىة أصحاب ماردين. وله أخبار كثيرة، وسير قبيحة. وقد ذكرته فى كتاب درر العقود الفريده فى تراجم الأعيان المفيدة.

ومات الأمير الطواشى خَشَقَدَم زمام الدار، فى يوم الخميس عاشر جمادى الأولى بالقاهرة، وترك مالا جمًا، منه نقدا ستون ألف دينار ذهبًا، إلى غير ذلك من الفضة والقماش والغلال والعقار، ما يتجاوز المائتى ألف دينار. وكان شحيحا بذىء اللسان، فاحشًا.

ومات الشريف مانع بن على بن عطية بن منصور بن جهاز بن شيحة الحسينى، أمير المدينة النبوية. وقد خرج يتصيد خارج المدينة، فوثب عليه حيدر بن دوغان بن جعفر ابن هبة بن جهاز بن منصور بن شيحة، قتله بدم أخيه خَشْرَم بن دوغان أمير المدينة، فى عاشر جمادى الآخرة. وكان مشكور السيرة.

ومات بدر الدين محمد بن أحمد بن عبد العزيز، عرف بابن الأمانة، أحد نواب القضاة بالقاهرة، فى ليلة الثلاثاء ثالث عشر شعبان، ومولده فى سنة اثنتين وستين وسبعمائة تحمينًا. وكان فقيها شافعيًا بارعا فى الفقه والأصول والعربية، وغير ذلك، ذكيا متقنا لما يعرف، عارفا بالقضاء، كثير الاستحضار. ناب فى الحكم وأفتى عدة سنين. رحمه الله.

ومات الشريف كبش بن جهاز من بنى حسين. وكان قد مالا حيدر بن دوغان على قتل أمير المدينة مانع بن على، ومضى يريد القاهرة ليلى إمرة بالمدينة حتى لم يبق بينه وبين القاهرة إلا نحو يوم واحد، صدفه جماعة من بنى حسين، لهم عليه دم، فقتلوه فى أخريات جمادى الآخرة.

وماتت خوند جُلْبَان الجركسية^(١)، زوجة السلطان، وأم ولده المقام الجمالى يوسف، فى يوم الجمعة ثانى شوال. ودفنت بترية السلطان التى أنشأها بالصحراء خارج باب الحروق. وكانت قد تصدت لقضاء الحوائج، فقصدتها أرباب الدولة لذلك وكثر مالها، فأبيعت تركتها بمال كبير.

ومات السلطان أبو العباس أحمد بن أبى حمو موسى بن يوسف بن عبد الرحمن بن يحيى بن يغمر أسن بن زيان بن ثابت بن محمد بن زكداز بن بيدوكس بن طاع الله بن على بن القاسم. ^(٢) وهو عبد الواد متملك مدينة تلمسان والمغرب الأوسط، فى يوم [٣٠٠(٣)٠٠٠] شوال. وكان السلطان أبو فارس عبد العزيز بن أبى العباس أحمد الحفضى صاحب تونس وبلاد أفريقية - رحمه الله - قد سار إلى تلمسان مرة ثالثة، وبها محمد بن أبى تاشفين عبد الرحمن بن أبى حمو المعروف بابن الزكاغية ففر منه، فمازال حتى

(١) جلبان بنت عبد الله الجار كسية الأشرفية (٨٣٩ هـ = ١٤٣٥ م)، زوجة الملك الأشرف برسباى، والخوند الكبرى صاحبة القاعة فى أيامه إلى أن ماتت، وأم ولده الملك العزيز يوسف. اشتراها الملك الأشرف فى أوائل سلطنته، واستولدها الملك العزيز يوسف ثم تزوجها بعد وفاة زوجته خوند الكبرى وأم ولده الماقم الناصرى محمد فى خامس عشر جمادى الآخرة سنة سبع وعشرين ومائتة، فأقامت بعد وفاة خوند المذكورة أياما، وعقد عليها، ورسم لها بالسكنى فى قاعة العواميد على عادة من تقدمها من الخوندات، وحظيت عنده ونالها السعادة وعظمت حرمتها فى الدولة، وقصدتها الناس لقضاء حوائجهم، وبعث السلطان يطلب إخوتها وأقاربها من بلاد الجار كس، فقدموا بعد مدة شيئا بعد شىء، وكانوا عدة كثيرة يزيدون على عشرة أنفس، وهم: والدتها، ثم زوجة ولدها اضرة أمها، وإخوتها الرجال وهم: بيبرس، وأخته، وهما غير أشقتها من زوجة والدها المذكورة، ثم حكم وقانى باى، وهما شقيقاها، وأختها أصيل، وأختها أرز، ومعها أولادها عدة بنات، وزوجها خوتى تبعها، وحضر إلى القاهرة، هؤلاء أيضا أشقتها. ومن أشقتها أيضا: أخوها أبى يزيد كان قد قدم القاهرة فى الدولة المؤيدية شيخ، ففر بهم الملك الأشرف وأبناهم، وأنعم عليهم بالرواتب والإقطاعات والوظائف. ثم حجت جلبان ومعها أهلها وأقاربها فى سنة أربع وثلاثين ومائتة بتجمل زائد وأبهة عظيمة، وفى خدمتها الزينى حشقدم الزمام أمير الركب الأول، والزينى عبد الباسط بن خليل ناظر الجيش، إلى أن قضت المناسك وعادت. واستمرت فى عزها إلى أن مرضت وطال مرضها. واختلفت الأقارب فى ضعفها، واتهم جماعة بسمها إلى أن توفيت يوم الجمعة ثانى شوال سنة تسع وثلاثين ومائتة، ونقلت خوند فاطمة بنت الملك الظاهر زوجة الملك الأشرف إلى قاعة العواميد بعدها. وكانت خوند جلبان من عظماء النساء، ولو عاشت حتى تسلطن ولدها العزيز لكانت دبرت ملكه أحسن تدبير. انظر المنهال الصافى. الدليل ١ / ٢٤٩، النجوم ١٥ / ٢٠٣

بدائع الزهور ٢ / ١٦٩، نزهة النفوس ٢ / ٣٦١.

(٢) انظر ترجمته فى الضوء اللامع ١ / ٢٩٢.

(٣) بياض فى نسخ المخطوطة (هامش الأصل).

ظفر به، وقتله، وأقام على تلمسان عوضه أحمد هذا فى أول شهر رجب سنة أربع وثلاثين وثمانمائة، وهو أصغر أولاد أبى حمو، فلم يزل على تلمسان حتى مات بها، وولى بعده أخوه أبو يحيى بن أبى حمو.

ومات أحمد جوكى بن القان معين الدين شاه رخ سلطان بن الأمير تيمور كوركان، بعد قتل قرايلوك وعوده من أرزن الروم، فى شعبان، بمرض عدة أيام، فاشتد حزن أبيه عليه، وعظم مصابه، فإنه فقد ثلاثة أولاد فى أقل من سنة.

ومات ملك بنجاله من بلاد الهند، السلطان الملك المظفر شهاب الدين أحمد شاه بن السلطان جلال الدين أبى المظفر أحمد شاه بن فندو كاس، فى شهر ربيع الآخر، ثار عليه مملوك أبيه كالوا الملقب مصباح خان، ثم وزير خان. وقتله واستولى على بنجاله.

ومات الشيخ الملك زين الدين أبو بكر بن محمد بن على الخافى ثم الهروى، فى يوم الخميس ثالث شهر رمضان، بهراه فى الوباء الحادث بها.

نادرة قلّ ما وقع مثلها، وهى أن ثمانى عشر دولة من دول العالم بأقطار الأرض زالت فى مدة بضعة عشر شهرا، وأكثر أرباب هذه الدول الزائلة مات، وهم: الحطى ملك أحمرة، وسلطان الحبشة.

ومات ملك كليرجه من بلاد الهند السلطان شهاب الدين أبو المغازى أحمد شاه بن أحمد بن حسين شاه بن بهمن. كلاهما مات فى شهر رجب سنة ثمان وثلاثين وثمانمائة.

ومات الأمير سيف الدين طرباى نائب طرابلس، فى رجب هذا.

ومات الشريف زهير بن سليمان بن زيان بن منصور بن جهاز بن شيحة الحسينى، فى رجب أيضا.

ومات أمير زاده إبراهيم سلطان بن القان الأعظم معين الدين شاه رخ ابن الأمير الكبير تيمور لنك. صاحب شيراز، فى شهر رمضان.

ومات ملك دله مدينة الهند، وهو الملك بن مبارك خان بن خضر خان.

ومات صاحب مملكة كرمان^(١)، باى سنقر سلطان بن القان شاه رخ.

ومات ملك تونس وبلاد إفريقية، المنتصر أبو عبد الله محمد بن الأمير أبى عبد الله محمد بن السلطان أبى فارس عبد العزيز، فى حادى عشرين صفر سنة تسع وثلاثين.

ومات الأمير قصروه نائب الشام، فى ليلة الثالث من شهر ربيع الآخر، وهو أعظم مملكة من كثير من ملوك الأطراف.

ومات الأمير عثمان قرايلوك بن الحاج قطلوبك بن طر على صاحب مدينة آمد (١) ومدينة ماردين (٢) وأرزن الروم (٣) وغير ذلك، فى صفر.

وقتل أمير المدينة النبوية الشريف مانع بن على بن عطية بن منصور بن حمّاز بن شيحة الحسينى، فى جمادى الآخرة، ولم تطل مدته بعد قتل ابن عمه زهير بن سليمان، وكان ينازعه فى الإمرة.

ومات متملك مدينة تلمسان (٤) وصاحب المغرب الأوسط أحمد بن أبى حمو العبد وادى، فى شوال.

ومات أحمد جوكى سلطان بن القان شاه رخ.

ومات قطب الدين فيروز شاه بن محمد شاه بن تَهَمَ تَمَ بن جُرْدُن شاه بن طُغلق بن طَبِق شاه، ملك هرمز والبحرين (٥) والحسا (٦) والقطيف (٧).

وفر إسكندر بن قرايوسف عن مملكته بتبريز (٨) وتشتت فى الآفاق.

وأسر بترؤ بن ألفنت صاحب برشلونة وبلنسية (٩) وغير ذلك من مملكة أرغون (١٠)، وزالت دولته.

* * *

(١) سبق ترجمتها.

(٢) سبق ترجمتها.

(٣) سبق ترجمتها.

(٤) سبق ترجمتها.

(٥) سبق ترجمتها.

(٦) الحسا: بالفتح، والقصر: موضع. الحسا: بالضم، والقصر: واد بأرض الشربة من ديار عبس غطفان. انظر معجم البلدان ٢/٢٥٨.

(٧) القَطِيف: وهى مدينة بالبحرين هى اليوم قصبها وأعظم مدنها وكان قديما اسما لكورة غلب عليها الآن اسم هذه المدينة. انظر معجم البلدان ٤/٣٧٨.

(٨) سبق ترجمتها.

(٩) سبق ترجمتها.

(١٠) سبق ترجمتها.

سنة أربعين وثمانمائة

أهلت وخليفة الوقت والزمان أمير المؤمنين المعتضد بالله أبو الفتح داود بن المتوكل على الله أبي عبد الله محمد، وسلطان الإسلام بديار مصر وبلاد الشام وأراضى الحجاز - مكة والمدينة وينبع - وجزيرة قبرس، السلطان الملك الأشرف سيف الدين أبو النصر برسباى الدقماقي. والأمير الكبير أتابك العساكر جقمق السيفي رأس الميمنة. والمقام الجمالى يوسف ولد السلطان رأس الميسرة. وأمير سلاح الأمير قرقماس الشعباني. وأمير مجلس أقبغا التمرازي. والدوادار الأمير أركمّاس الظاهري. ورأس نوبة النوب الأمير تمرّاز القرّميشي (١).

وحاجب الحجاب الأمير يشبّك. وأمير آخور جاثم أخو السلطان. وبقية المقدمين الأمير تغرى بردى البكلمشنى المؤذى، وخُجا سودن، وقرأقجا الحسنى، وأينال الأجرود نائب الرها، والأمير تنبك، فهم ثلاثة عشر، بعدما كانوا أربعة وعشرين مقدا.

ونواب السلطنة بالممالك الأمير أينال الجمكى نائب الشام. والأمير تغرى برمّش الجقمقى (٢) نائب حلب. والأمير قانباى الحمزاوى نائب حماة. والأمير جُلْبَان المؤيدى

(١) انظر المنهل الصافى، الضوء اللامع، النجوم الزاهرة ٦/٧٥٧.

(٢) تغرى برمّش (٨٤٢ هـ = ١٤٣٩ م)، اسمه الأصلى حسين بن أحمد. كان أبوه يدعى بابن المصرى، من أهل بهسنا، وكان أحد الأجناد بها، وكان له ثروة فى أول أمره، فلما قدم تيمور إلى بهسنا وأخذها افتقر، وقدم إلى حلب، ومعه أولاده حسن هذا، ثم أنه مات فانتقل تغرى برمّش هذا مع أخيه حسن ووالدتهما إلى القاهرة، واتصلا بخدمة الأمير قراستقر الظاهري أمير الحاج فأقام مدة إلى أن أخذ تغرى برمّش المذكور الأمير أينال حطب أحد مقدمى الألوف بالديار المصرية، واستمر أخوه حسن بخدمة الأمير قراستقر، وسمى أيضا حسن شاه. قال ابن تغرى بردى: لما مات أينال حطب اتصل تغرى برمّش هذا بخدمة والدى بسفارة دوادار الأمير أينال حطب، وكان تغرى برمّش المذكور إذ ذاك صغيرا، فأخرج له والدى خيلا وقماشًا، وجعله من جملة الجمدارية، وسمى تغرى برمّشى، واستمر عندنا سنين إلى أن استقر والدى فى نيابة الشام سنة ثلاث عشرة وثمانمائة، فلما وصل والدى إلى دمشق، وأقام بها مدة، فر تغرى برمّش هذا من عنده وأخذ معه جماعة من طبقته، وكان تغرى برمّش ومن هرب معه من المماليك آليات شاهين أمير آخور والدى الكبير، وكان شاهين المذكور له ميل زائد إلى تغرى برمّش هذا، فأخفى شاهين خبر تغرى برمّش، ورفقته عن والدى مدة لكثرة مماليكه ثم علم ذلك فشق عليه، ثم بلغه أنه هو ورفقته بمدينة طرابلس، فرسم بأن يكتب إلى نائب طرابلس الأمير جاثم من حسن شاه بالقبض على تغرى برمّش المذكور ورفقته، فلما سمع شاهين أمير =

نائب طرابلس، والأمير تمتاز المؤيدى نائب صفد، والأمير يونس نائب غزة والأمير عمر شاه نائب الكرك، والأمير أقبای البشبيكى نائب الإسكندرية. والأمير أسندمتر الأسعدى نائب الوجه القبلى، والأمير حسن بيك الدكرى التركمانى نائب الوجه البحرى، ولم يعد فى الدول الماضية أن يستقر أحد من النواب تركمانيا، إلا فيما بعد عن بلاد حلب، فاستجد فى هذه الدولة الأشرفية ولاية عدة من التركمان ولايات ونيابات وإمريات بمصر والشام.

وأمر مكة المشرفة الشريف زين الدين أبو زهير بركات بن حسن بن عجلان

=آخور ذلك صعب عليه، ولم يمكنه مراجعة ملك الأمراء فى الكلام، فسأل أن يتوجه هو إلى طرابلس ويقض عليهم، ويعود بهم إلى دمشق، قصد شاهين بذلك الشفقة عليهم، وتوجه إلى طرابلس، فبلغه خبرهم أنهم يتعاطون الشراب فى قاعة بطرابلس، فترك شاهين ممالكيه وخدمه، وركب وتوجه إليهم، ودخل عليهم هجما فى القاعة المذكورة، فلما وقع نظره عليهم سبههم قبل السلام، فقام إليه تغرى برمش المذكور. وسل سيفه وضربه به ضربة أتلفه فيها، ومات من وقته وفر هو وأصحابه، وبلغ الخبر الأمير حاتم نائب طرابلس، فركب من وقته إلى القاعة المذكورة، فوجد شاهين قد مات، بعد أن أشهد عليه جماعة من الناس قبل موته أن الذى قتله هو تغرى برمش، فكتب الأمير حاتم بذلك محضرا وأثبتته على قاضى طرابلس، وأرسل به غلى والدى واعتذر أنه لم يعلم بمجىء شاهين إلى طرابلس، ولا بما وقع له إلا بعد فوات الأمر، وأنه شدد الطلب على تغرى برمش المذكور، ومتى حصل فى يده أرسله مقيدا إلى الخدم العالية فلما سمع والدى بموت شاهين أمير آخور شق عليه ذلك، وكتب إلى نواب البلاد الشامية يعلمهم بواقعة تغرى برمش المذكور، وبأمرهم بشنقه متى ظفروا به. وكان والدى ملازما للفراش من مرضه الذى مات فيه، فلم تطل أيامه، ومات، وتقلبت الدولة، واتصل تغرى برمش بخدمة الأمير طوخ نائب حلب ودام المحضر عندنا، ثم صاروا بخدمة حقمق الأرغون شاوى الدوادار فحظى عنده، وصار رأس نوبته، ثم دواداره إلى أن قتل حقمق بدمشق فى سنة أربع وعشرين وثمانمائة ومات اتصل تغرى برمش هذا بعد قتله بالأمير ططر، فلما تسلطن ططر أمره ببلخانانة وجعله نائب قلعة الجبل، فدام بقلعة الجبل إلى سنة سبع وعشرين وثمانمائة نقله الملك الأشرف برسباى إلى مقدمة ألف بالديار المصرية، وتولى القلعة عوضه الأمير تيك البردبكي..... وكان تغرى برمش أميرا حليلا، عاقلا عارفا سيوسا ذا رأى وتدبير، ودهاء ومكر مع ذكاء مفرط وفطنة، وكان رجلا طوالا، أسود اللحية، مليح الوجه فصيح اللسان باللغة التركية، عارفا بأمر الدنيا وجمع المال، وله قدرة على مداخلة الملوك، وكان جاهلا بسائر العوم حتى لعله لم يحفظ مسألة فى دينه، بل كانت جميع حواسه على أمر دنياه، وكان جبانا، بخيلا بالر والصدقة، كريما على ممالكيه، متجملا فى مركبه وملبسه ومأكله، وكان حريصا، جبار يميل إلى الظلم والعسف، ولقد أخرب فى حروبه هذه عدة قرى من أعمال حلب وما حولها، وقتل من أهلها جماعة، لا جرم أن الله عامله وجازاه من جنس أعماله ﴿وما ربك بظلام للعبيد﴾. انظر المنهل الصافى ٤ / ٥٨ : ٦٥، الدليل الشافى ١ / ٢١٨ النجوم الزاهرة ١٥ / ٤٧١ الضوء اللامع ٣ / ٣٥، بدائع الزهور ٢ / ٢١٦ - ٢١٧.

الحسنى. وبالمدينة النبوية الشريفة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام الشريف، وميان ابن مانع بن على بن عطية بن منصور بن جهماز بن شيحة الحسينى، وبالينبع الشريف عقيل بن وبير بن نخبار بن مقبل بن محمد بن راجح بن إدريس بن حسن بن أبى عزيز قتاده الحسنى. وهؤلاء الأشراف الثلاثة نواب عن السلطان.

وفى بقية ممالك الدنيا القان معين الدين شاه رخ سلطان ابن الأمير تيمور كوركان صاحب ممالك ما وراء النهر، وخراسان (١) وخوارزم (٢) وجرجان (٣) وعراق العجم، ومازندران، (٤) وقندهار، (٥) ودله من بلاد الهند، وكرمان (٦)، وجميع بلاد العجم إلى حدود أذربيجان، التى منها مدينة تبريز، ومتملك تبريز إسكندر بن قرايوسف بن قرا محمد، وهو مشرد عنها خوفا من القان شاه رخ.

وحاكم بغداد أخو أصبهان بن قرايوسف، وقد خرجت بغداد ولم يبق بها جمعة ولا جماعة، ولا أذان، ولا أسواق. وجف معظم نخلها، وانقطع أكثر أنهارها، بحيث لا يطبلق عليها اسم مدينة بعدما كانت سوق العلم. وعلى حصن كيفا الملك الكامل خليل بن الأشرف أحمد بن العادل سليمان بن المجاهد غازى بن الكامل محمد بن العادل أبى بكر بن الموحد عبد الله ابن السلطان الملك المعظم توران شاه ابن السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الكامل محمد بن العادل أبى بكر بن أيوب بن شادى (٧) وعلى بلاد قرمان - من بلاد الروم - إبراهيم بن قرمان. وملك الإسلام ببلاد الروم خونديكار مراد بن محمد بن كرشجى بن بايزيد يلدرىم بن مراد بن أرخان بن أردن على

(١) سبق ترجمتها.

(٢) خوارزم: أوله بين الضمة والفتحة، والألف مسترقة مختلصة ليست بألف صحيحة هكذا يتلفظون به، وهى فى الإقليم السادس، وهو ليس اسما للمدينة وإنما هو اسم للناحية بجملتها. انظر معجم البلدان ٣٩٥/٢ وما بعدها.

(٣) سبق ترجمتها.

(٤) مازندران: اسم لولاية طبرستان. انظر معجم البلدان ٤١/٥.

(٥) قندهار: مدينة فى الإقليم الثالث، وهى من بلاد الهند مشهورة فى الفتوح. انظر معجم البلدان ٤٠٢/٤، ٤٠٣.

(٦) سبق ترجمتها.

(٧) الكامل الأيوبي (٨٥٦هـ = ١٤٥٢م) خايل بن أحمد بن سليمان، من بنى أيوب: أمير، من الشعراء، كان صاحب حصن كيفا (فى ديار بكر) ويلقب بالملك الكامل. استقر فى حصن كيفا بعد قتل والده سنة ٨٣٦هـ واستمر إلى أن وثب عليه ابن له فقتله على فراشه. له كتاب الدر المنضود القصد الجليل فى نظم السلطان خليل. انظر التبر المسبوك ٣٩٩ص، مجلة الجمع العلمى العرب ١٩٠/٥، حوادث الدهر ١٢٨/١ معجم المطبوعات ١٥٤٤. الأعلام ٣١٤/٢.

ابن عثمان بن سليمان بن عثمان، صاحب برصا وكالى بولى. ويجانب من بلاد الروم أسفنديار بن أبى يزيد، وعلى ممالك إفريقية من بلاد المغرب أبو عمرو عثمان بن أبى عبد الله محمد بن أبى فارس عبد العزيز الحفصى (١) صاحب تونس وبجاية وسائر إفريقية. وعلى مدينة تلمسان والمغرب الأوسط أبو يحيى بن أبى حمو، وبمملكة فاس ثلاثة ملوك أجملهم صاحب مدينة فاس، وهو أبو محمد عبد الحق بن عثمان بن أحمد بن إبراهيم ابن السلطان أبى الحسن المرىنى، وليس له أمر ولا نهى ولا تصرف فى درهم، فما فوقه. والقائم بالأمر دونه أبو زكريا يحيى بن أبى جميل زيان الوطاسى (٢) وبعد صاحب فاس صاحب مكناسة الزيتون (٣) على نحو نصف يوم من فاس. والآخر بأصيلا (٤) على نحو خمسة أيام من فاس، وهما أيضا تحت الحجر، ممن تغلب عليهما. وقد ضعفت مملكة بنى مرين هذه، ويزعم أهل الحدنان أن الشاوية تملكها، وقد ظهرت إمارات صدق ذلك. وبالأندلس أبو عبد الله محمد بن الأيسر ابن الأمير نصر ابن السلطان أبى عبد الله بن نصر المعروف بابن الأحمر، صاحب أغرناطة. وبيلاذ اليمن الملك الظاهر يحيى بن الأشرف إسماعيل صاحب تعز (٥) وزبيد (٦) وعدن. وعلى صنعاء (٧) وصعدة (٨) الإمام على بن صلاح الدين محمد بن على الزينى. وبممالك الهند الإسلامية عدة ملوك. وممالك الفرنج بها أيضا نحو سبعة عشر ملكا، يطول علينا إيرادهم. وبيلاذ الحبشة الحطى الكافر، ويجاربه ملك المسلمين شهاب الدين أحمد بدلاى ابن سعد الدين أبى البركات محمد بن أحمد بن على بن صبر الدين محمد بن ولخوى بن منصور بن عمر بن ولسمع الجيرتى.

(١) سبق ترجمتها.

(٢) ابن زيان (٨٥٣هـ = ١٤٤٩م) يحيى بن زيان بن عمر بن زيان، أبو زكريا، الوطاسى المرىنى للمتونى: وزير المغرب الأقصى (بفاس) فى أيام عبد الحق بن عثمان. قال السخاوى: كان عادل بحيث أن ترجمته أفردت بالتأليف، وقتل ظلما. انظر الضوء اللامع ٢٢٥/١٠، التبر المسبوك ٢٥٣، جذوة الاقتباس ٣٣٦. الأعلام ١٤٦/٨.

(٣) مكناسة: مدينة بالمغرب فى بلاد البربر على الأعظم، بينها وبين مراكش أربع عشرة مرحلة نحو المشرق، وهى مدينتان صغيرتان على ثنية بيضاء بينهما حصن حواد. انظر معجم البلدان ١٨١/٥.

(٤) أصيلا: بلد بالأندلس، ربما كان من أعمال طليطلة. انظر معجم البلدان ٢١٢/١.

(٥) سبق ترجمتها.

(٦) سبق ترجمتها.

(٧) صنعاء: موضعان: أحدهما باليمن، وهى العظمى وهى المقصودة، وأخرى قرية بالغوطة من دمشق. انظر معجم البلدان ٤٢٦/٣.

(٨) سبق ترجمتها.

وأرباب المناصب بالقاهرة الأمير جانبك أستاذار. والقاضى محب الدين محمد بن الأشقر كاتب السر. وناظر الجيش عظيم الدولة زين الدين عبد الباسط، ولا يبرم أمر ولا يحل ولا يولى أحد ولا يعزل إلا بمشورته. وناظر الخصاص سعد الدين إبراهيم بن كاتب حكم. وقاضى القضاة الشافعى الحافظ شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن على ابن حجر، وإليه المرجع فى عامة الأمور الشرعية لسعة علمه وكثرة اطلاعه، لاسيما علم الحديث ومعرفة السنن والآثار فإنه أعرف الناس بها فيما نعلم. وقاضى القضاة الحنفى بدر الدين محمود العينى. وقاضى القضاة المالكى شمس الدين محمد البساطى. وقاضى القضاة الحنبلى محب الدين أحمد بن نصر الله البغدادى. والمحتسب الأمير صلاح الدين محمد ابن الصاحب بدر الدين حسن بن نصر الله. ووالى القاهرة عمر الشويكى.

شهر الله المحرم ، أوله يوم الإثنين:

فى عاشره: وصل العسكر المجرى إلى مدينة حلب ونزلها.

وفى رابع عشرينه: قدم الحمل الحاج مع الأمير طوخ مازى أحد أمراء الطبلخاناه، وأحد رعوس النوب، وكنتُ صحبة الحاج، فسألت سيرته فى الحاج، وفى ذات نفسه.

وفى ثامن عشرينه: جمعت أجناد الحلقة المأخوذ منهم المال - كما تقدم ذكره - فى بيت الأمير تمرىباى الدوادار، وأعيد لهم ما كان أخذ منهم من المال، من أجل أن التجريدة بطلت. والله الحمد.

وفيه قبض على الصاحب تاج الدين عبد الوهاب بن الخطير أستاذار المقام الجمالى يوسف ولد السلطان، ثم أفرج عنه. وخُلع من الغد على الصاحب جمال الدين يوسف ابن كريم الدين بن عبد الكريم بن سعد الدين بركة، المعروف والده بابن كاتب حكم. واستقر عوضه فى الأستادارية.

وفى يوم الأحد تاسع عشرينه - الموافق لتاسع عشر مسرى - نودى على النيل بزيادة عشر أصابع فوفى ستة عشر ذراعاً وأربعة أصابع، وركب المقام الجمالى يوسف - ولد السلطان - حتى خلق المقياس وفتح الخليج بين يديه على العادة.

وقدم الخبر بمسير العسكر المجرى من حلب فى عشرينه إلى جهة الأبلستين.

وأنه فى حادى عشرينه: طرقت ميناء بوقير - خارج مدينة الإسكندرية - ثلاثة أغربة من الفرنج الكيتلان وأخذوا مركبين للمسلمين، فخرج إليهم أقبابى الشيبكى (١)

(١) هو أقبابى بن عبد الله الدوادار. انظر المنهل الصافى، عقد الجمان. (حوادث سنة ٨٤٠هـ).

الدوادار نائب الثغر، ورماهم حتى أخذ منهم أحد المركبين، وأحرق الفرنج المركب الآخر، وساروا.

وأن في ثلثي عشرينه: غد هذه الوقعة طرق ميناء الإسكندرية مركب آخر للكتيلان، وكان بها مركب للجنوية، فتحاربا، وأعان المسلمون الجنوية حتى انهزم الكيتلان.

وفي هذا الشهر: خرج من مدينة بجاية (١) بإفريقية أبو الحسن علي ابن السلطان أبي فارس عبد العزيز، حتى نزل على قسنطينة، وحصرها.

شهر صفر، أوله يوم الثلاثاء:

في رابعه: قدم قاصد نائب حلب برأس الأمير قرْمَش الأعور. وكان من خيره أنه من جملة المماليك الظاهرية برقوق، وترقى في الخدم حتى صار من الأمراء وأُخرج إلى الشام. فلما خامر الأمير تَنَبَّك البجاسي على السلطان كان معه، ثم هرب بعد قتله فلم يعرف خيره، إلى أن ظهر الأمير جانبك الصوفي، انضم عليه. فلما قدم العسكر المجرّد إلى حلب، ومن جملة الأمير خجا سودن نزل بمن معه على عنتاب، فطرقه قرْمَش المذكور، وهو في مقدمة جانبك الصوفي. فكانت بينهما وقعة أخذ فيها قرْمَش وكُمُشْبِغَا من أمراء حلب المخامر إلى جانبك الصوفي في جماعة، فقطعت رأس قرْمَش وكُمُشْبِغَا وجهزتا إلى السلطان، ووسط الجماعة، فشهرت الرأسان بالقاهرة، ثم ألقينا في سراب مملوء بالأقدار والغدرة (٢).

وفي خامسه: استقر خُشْكَلْدِي أحد الخاصكية في نيابة صهيون، عوضا عن الأمير غرس الدين خليل الهذباني بحكم وفاته. ثم عزل بعد يومين بأخي المنوفى.

وفي ثامن عشرينه: قدم الصاحب كريم الدين بن كاتب المناخ من جدة وصحبته الأمير يلخجا والمماليك المركزة بمكة.

وفي هذا الشهر: سار أبو عمرو عثمان بن أبي عبد الله محمد ابن السلطان أبي فارس عبد العزيز من مدينة تونس يريد قسنطينة؛ لقتال عمه أبي الحسن علي.

شهر ربيع الأول، أوله يوم الخميس:

فيه عاد العسكر المجرّد إلى أبلستين بعدما وصلوا إلى مدينة سيواس، في طلب

(١) سبق ترجمتها.

(٢) الغدرة: ما بقى من شيء، والغدرة: بقية الشيء. انظر المعجم الوسيط (غدر).

جانبك الصوفى وابن دلغادر، حتى بلغهم لحاقهما بمن معهما ببلاد الروم، والاتمءاء إلى ابن عثمان صاحب برصا، فنهبوا ما قدروا عليه، وعادوا.

وفيه رسم بعزل الأمير تمرز المؤيدى عن نيابة صفد، واستقراره فى نيابة غزة، عوضا عن الأمير يونس الأعرور، واستقرار يونس فى نيابة صفد، وتوجه بذلك دولت بيه أحد رعوس النوب (١).

وفيه قدم الصاحب كريم الدين ابن كاتب المناخ مقدمة قدومه من جدة، فخلع عليه فى يوم السبت ثالثه، ونزل إلى داره، فسأل فى يوم الأحد رابعه القاضى زين الدين عبد الباسط ناظر الجيش والسلطان فى استقرار الصاحب كريم الدين المذكور فى الوزارة على عادته. وكان السؤال على لسان الأمير صفى الدين جوهر الخازندار، فأجيب بأن «هذا الأمر متعلق بك، فإن شئت استمررت على مباشرتك للوزارة، وإن شئت تعين من تريد». فتكلم من الغد يوم الإثنين مع السلطان مشافهة فى ذلك، فتوقف السلطان خشية ألا يسد لقصور يده. فمزال بالسلطان حتى أجاب إلى ولايته، ونزل إلى داره، فاستدعى الصاحب كريم الدين وقرر معه ما يعمل. وأسعفه بأن عين له جهات يسد منها كلفة شهرين. وأنعم له بألفى رأس من الغنم، وأذن له أن يوزع على مباشرى الدولة كلفة شهرين آخرين.

فلما كان الغد يوم الثلاثاء سادسه: خلع على الصاحب كريم الدين، واستقر فى الوزارة على عادته، ونزل إلى داره فى موكب جليل. وسر الناس به، فصرف الأمور، ونفذ الأحوال. وخلع معه على الصاحب أمين الدين إبراهيم بن الهيصم ناظر الدولة خلعة استمرار، فنزل فى خدمته، وجلس بين يديه كما كان أولا، وكانت الوزارة منذ عزل الأمير غرس الدين خليل عنها فى شوال سنة تسع وثلاثين لم يستقر فيها أحد، وإنما كان القاضى زين الدين عبد الباسط ينفذ أمور الوزارة، وقررها على ترتيب عمله، وهو أنه أحال مصروف كل جهة من جهات المصروف على متحصل جهة من جهات المتحصل، فإن لم تف تلك الجهة بما أحيل به عليها قام بالعوز من ماله.

ونذب للمباشرة عنه الصاحب أمين الدين بن الهيصم، وهو يلى نظر الدولة، فتمشت أحوال الدولة فى هذه المدة على هذا.

وفى ليلة الإثنين خامسه: فقد سليمان بن أرْحُنْ بك بن محمد كُرشجى بن عثمان، وأخته شاه زاده، وجماعته، وكانوا يسكنون بقلعة الجبل، وتمشى سليمان هذا فى خدمة

المقام الجمالى ولد السلطان. ومن خبره أن مراد بن كُرشجى صاحب برصا وغيرها من بلاد الروم، قبض على أخيه أرخُن بك، وكحلّه، وسجنه مدة، فكان يقوم بخدمته وهو فى السجن مملوك من مماليكه يقال له طوغان. فأدخل إليه جارية إلى السجن، وهى متكررة، فاشتملت من أرخُن على هذا الولد وغيره. ومملوكه هذا يخفى أمرهم حتى مات أرخُن فى سجنه. ففر المملوك بهذين الولدين، وهما سليمان وأخته شاه زاده وأمهما إلى مدينة حلب، وأقاموا بها حتى قدم السلطان حلب فى سنة ست وثلاثين، وقف بهما إليه، فأكرمهم وأنزلهم بقلعة حلب، ثم سيرهم إلى القاهرة وأسكنهم فى الدار التى كانت قاعة الصاحب من قلعة الجبل، وكساهم، ورتب لهم فى كل شهر اثنين وعشرين ألف درهم من معاملة القاهرة، ولم يحجر عليهم فى النزول إلى القاهرة. وأضاف هذا الصبى سليمان بن أرخُن إلى خدمة ولده المقام الجمالى، فكان يركب معه إذا ركب، ويظل بين يديه، ويبيت - إذا شاء عنده - إلى أن فقدوا.

وفى ليلة الإثنين: المذكور قُتل جاسوس معه كتب من جانبك الصوفى (١).

وفى ليلة الجمعة عاشره: عُمل المولد النبوى بين يدى السلطان، على العادة فى كل سنة.

وفى يوم الجمعة: المذكور عدا رجل من الهنود على رجلين، فقتلها بعد صلاة الجمعة تجاه شبايك المدرسة الصالحية بين القصرين، بمشهد من ذلك الجمع الكثير. فأخذ وقطعت يده، ثم قُتل، فكانت حادثة شنعاء.

وفى يوم السبت حادى عشره: توجه الأمير قرقماس أمير سلاح، والأمير جانم أمير أخور، فى جماعة إلى الوجه البحرى، من أجل أن أولاد بكّار بن رحاب وعمهم عيسى من أهل البحيرة انضم إليهم الطائفة التى يقال لها محارب، وأفسدوا.

وفى ثالث عشره: وصل الأروام المهاربون، وعدتهم خمسة وستون شخصا، منهم ثمانية من ممالك السلطان، فوسطوا الثمانية تحت المقعد السلطانى بالإصطبل من القلعة بين يدى السلطان. ووسط طوغان لالا سليمان بن أرخُن، ورجل آخر لتتمة عشرة. وقطعت أيدى سبعة وأربعين رجلا وضرب رجل بالمقارع. فكانت حادثة شنعاء. وكان من خبرهم أن طوغان المذكور قصد أن يفر بموسى إلى بلاد الروم. ونزل فى غراب قدم فى البحر، ومعه جماعة، منهم الممالك الثمانية، وعدة من الأروام. ورافقهم فى المركب

(١) ذكر ابن تغرى فى النجوم أحداث تتعلق بيوم الثلاثاء سادس شهر ربيع الأول فلترجع هناك.

جماعة من الناس ليسوا مما هم فيه فى شىء، إنما هم ما بين تاجر وصاحب معيشة ومسافر لغرض من الأغراض. وانحدروا فى النيل ليلا يريدون عبور البحر، فأدركهم الطلب من السلطان، وقد قابوا رشيد. وكانت بينهم محاربة فى المراكب على ظهر النيل، قتل فيها عدة. وتخلصوا حتى عبروا بغرابهم من النيل إلى بحر الملح، فخرجت عليهم ريح ردتهم حتى نزلوا على وحلة، فلم يقدرُوا أن يحركوا غرابهم من شدة الوحل، فأدركهم الطلب، وهم كذلك، فقاتلوا ليدافعوا عن أنفسهم، وقد جاءهم نائب الإسكندرية فى جمع موفور. فمازالوا يقاتلون حتى غلبوا وأخذوا، فسيقوا فى الحديد إلى أن نزل من البلاء ما نزل. وسجن سليمان بن أرخن مدة ثم أفرج عنه، ونودى فى الشوارع بخروج الهنود من القاهرة، فلم يخرج أحد.

وفى يوم الجمعة سادس عشره: رحل العسكر من أبلستين، بعد أن أقاموا بها عشرة أيام، وهم ينهبون أعمالها، ويحربون ويحرقون، فمازالوا سائرين حتى نزلوا تجاه مدينة سيواس، وقد رحل العدو المطلوب إلى جبل آق طاغ، ومعناه الجبل الأبيض، ثم مضوا منه إلى أنكورية.

وفى يوم الإثنين تاسع عشره: نودى ألا يلبس أحد زمت أحمر^(١)، ثم نودى من الغد لا يحمل أحد سلاحا.

وفى رابع عشرينه: خلع على سعد الدين إبراهيم بن المرة، واستقر فى نظر جدة على عادته من قبل.

وفى سابع عشرينه: خلع على الأمير جانبك الناصرى^(٢) رأس نوبة الأمير إبراهيم ابن المؤيد، وحاجب ميسرة. واستقر أمير المجردين إلى مكة ويتحدث مع ابن المرة فى أمر جدة، وتعين معه مائة وعشرة مماليك، السبئوى ثلاثين مملوكاً فى خدمته. وأنعم عليه بألف دينار أشرفية وقطارى جمال، وخمس عشرة ألف فرده نشاب، وأربعة أفراس.

وفى يوم الثلاثاء ثامن عشرينه: أعيد يونس خازن دار نائب حلب الوارد بعود

(١) وهو رداء يكون للرأس.

(٢) جانبك بن عبد الله الناصرى (٨٧١ هـ = ١٤٦٦ م)، المعروف بالمرتد، الأمير سيف الدين نسبتبه إلى معتقه الملك الناصر فرج، وترقى من بعده حتى صار خاصكيا فى دولة الأشرف برسباى، ثم صار ساقيا فى أوائل دولة الملك الظاهر حقمق، ثم تأمر عشرة وصار من جملة رؤس النوب. ودام على ذلك ستين لا يوبه إليه فى الدولة إلى أن أنعم عليه الملك الأشرف أيتال بأمرة طبلخاناة، واستمر على ذلك. انظر المنهل الصافى ٤/ ٢٤٢، ٢٤٣. والدليل الشافى ١/ ٢٣٩، الضوء اللامع ٣/ ٥٦.

العسكر المجرد إلى أبلستين. وجهاز على يده لنائب حلب فرس بقماش ذهب، وقباء فوقاني، وخمسة آلاف دينار أشرفية. وأنعم على الأمير الكبير جقمق الأتابك بألف دينار. وعلى كل من أمراء الألوف المجردين - وعدتهم ستة أمراء - بخمسمائة دينار. وعلى أمراء حلب المقدمين الذين خرجوا في التجريدة بألف وخمسمائة دينار، وعدتهم ثلاثة أمراء، وعلى أمير من طبلخاناه حلب بمائتي دينار. وعلى سبعة من أمراء العشرين بحلب لكل أمير منهم بمائة وخمسة وعشرين ديناراً، جعلتها ثمانمائة وخمسة وسبعين ديناراً وأنعم على ستة عشر من أمراء العربان بحلب بألف وستمائة دينار. وأنعم على خمسة عشر من أمراء الجهات لكل أمير خمسين ديناراً. وأنعم على أمراء التركمان ونواب القلاع من كان في التجريدة بخمسة آلاف دينار. وبلغت جملة هذه الإنعامات تسعة عشر ألف دينار ومائة دينار وخمسة وسبعين ديناراً، سوى ثلاثين قرطية^(١)، وثلاثين ثوب صوف، وعشرة أقبية سنجاب، كل قباء خمس شقات.

وفيه نودي في الناس بالإذن في السفر إلى مكة، صحبة المجردين.

شهر ربيع الآخر، أوله الجمعة:

في سادس عشره: ركب السلطان من قلعة الجبل، وشق القاهرة، وخرج من باب القنطرة للصيد. وهذه أول ركة ركبها في هذه السنة للصيد.

وفيه جمع الأمير جوهر الخازندار الجزارين، وأشهد عليهم ألا يشتروا اللحم إلا من أغنام السلطان التي تذبح. وصار يذبح لهم من الأغنام ما يبيعوا لحمه للناس، ولم يسمع بمثل ذلك.

وفي غده: عاد السلطان من الصيد، وخرج ثانياً في حادي عشرينه.

شهر جمادى الأولى، أوله السبت:

فيه قدمت رسل مراد بن محمد كرشجي بن بايزيد بن عثمان ملك الروم، بهدية.

وفي سادسه: برز الأمير جانبك وابن المرة إلى ظاهر القاهرة، وتلاحق بهما جماعة، إلى أن استقلوا بالمسير إلى مكة في عاشره.

وفي ثالث عشره: خلع على دمرداش، وأعيد إلى نيابة الوجه البحري، عوضاً عن حسن بيك التركماني.

(١) القرطية: ضرب من الإبل. لسان العرب (قرط).

وفي سابع عشره: قدم الأمراء المجردون لقتال جانبك الصوفى، وناصر الدين محمد ابن دلغادر. وهم الأمير الكبير حقمق العلاى، والأمير أركماس الظاهرى الدوادار، وأمير يشبك الظاهرى ططر حاجب الحجاب، والأمير قراخجا الحسنى، والأمير تنبك السيفى، والأمير تغرى بردى البكلمشى المعروف بالموذى، ومثلوا بين يدى السلطان، وقبلوا الأرض، فخلع على الأمير الكبير متمر^(١)، ومن فوقه قباء فوقانى. وخلع على كل من بقية الأمراء المذكورين فوقانى بطرز ذهب. وأركبوا جميعهم خيولا سلطانية بقماش ذهب. وتأخر من الأمراء الأمير خجا سودن لبطته فى المسير.

وفيه أيضا قدم الأمير قرقماس الشعبانى أمير سلاح، والأمير جانم أمير أخور، والأمير قراجا شاد الشرايخاناه، والأمير تمرباى الدوادار الثانى من تجريدة البحيرة، وصحبتهم الأمير حسن بك بن سالم الدكرى التركمانى، وقد عزل ومحمد بن بكار ابن رحاب، وقد دخل فى الطاعة.

وفي هذا الشهر: كثر ركوب السلطان للصيد.

وفيه رفعت يد قاضى القضاة بدر الدين محمود العينى الخفى عن وقت الطرحاء من الأموات، وفوض إلى الأمير صفى الدين جوهر الخازندار، ورسم له أن يسترفع حساب الوقف فيما مضى. ثم نقض ذلك، واستمر بيد قاضى القضاة على العادة.

وفي سابع عشرينه: نودى بأن من كانت له ظلامة فعليه بالوقوف إلى السلطان. ورسم أن تجتمع قضاة القضاة الأربع بمجلس السلطان للحكم فى يومى الثلاثاء والسبت. ثم انتقض ذلك، ولم يعمل به. وجلس السلطان للحكم فى يوم السبت تاسع عشرينه. وحضروا عنده. ثم بطل واستمر على عادته من غير حضور القضاة.

شهر جمادى الآخرة، أوله يوم الإثنين:

فى ثالثه: ركب الأمير تمرباى الدوادار النيل إلى الإسكندرية، حتى يبيع الفلفل المحمول من جدة على الفرنج الواردين الثغر بيضائهم، بعدما عين لذلك القاضى زين الدين عبد الباسط، ثم أعفى منه.

وفى ثامنه: قدم الأمير خجا سودن أحد المجردين، فخلع عليه.

وفى ثانى عشره: ورد كتاب الأمير إبراهيم بن قرمان، يتضمن أن ناصر الدين محمد ابن دلغادر وجانبك الصوفى نزلا بعد توجه العسكر قريبا من أنكوريه.

وجهاز الأمير سليمان بن ناصر الدين محمد بن دلغادر إلى مراد بن عثمان، فلقبه على مدينة كالي بولي، وترامى عليه. وكان ابن قرمان المذكور قد قاتل حاكم مدينة أماية فقتله، فغضب ابن عثمان وتحركت كوا من العداوة التي بين القرمانية والعثمانية، وعزم على المسير إلى أخذ ابن قرمان. وبرز من كالي بولي يريد مدينة برصا فلما قدم عليه سليمان بن دلغادر جهز معه عسكريا، وأنعم عليه بالمال والسلاح، وندب معه حاكم مدينة توقاتة (١) لمحاصرة مدينة قيصرية، وأخذها من ابن قرمان. وجهاز أيضا الأمير عيسى أخا إبراهيم بن قرمان على عسكري آخر، وبعثه إلى بلاد قرمان؛ ليسير هو من وراء العسكريين، فأهم السلطان هذا الخير، وجهاز إلى كل من عنتاب وملطية وكختا وكركر المال والسلاح، وكتب إلى تركمان الطاعة بمعاونة إبراهيم بن قرمان على عدوه.

وفي هذا الشهر: رسم أن يشتري من الغلال ثلاثون ألف أردب ليخزن، فأخذ الناس في شراء الغلة من القمح والشعير والفول، خوفا من غلاء السعر.

وفي ثامن عشره: قدم الأمير ترمباي الدوادر من الإسكندرية، بعدما باع بها ألف حمل من الفلفل، بحساب مائة دينار الحمل، وقيمته دون ذلك بكثير، بلغ ثمن ذلك مائة ألف دينار.

وفي تاسع عشره: قدم القاضي شرف الدين أبو بكر الأشقر المعروف بابن العجمي، كاتب سر حلب، وقدم من الغد السلطان تقدة جليلة، ما بين ثياب حرير ووبر وخيل وبغال.

وفي عشرينه: رسم للأمير يشبك حاجب الحجاب والأمير أينال الأجرود - الوارد من الرها - بالتوجه لحفر خليج الإسكندرية. وتوجه القاضي زين الدين عبد الباسط ليرتب الأحوال في ذلك، ثم يعود. فتوجه في رابع عشرينه وسار الوزير صاحب كريم الدين ابن كاتب المناخ أيضا للنظر في أمر الحفير.

وفي هذا الشهر: اتفقت نادرة لم نر ولا سمعنا بمثلها، وهي استقرار الأمير صفى الدين جوهر الخازندار في قضاء دمياط، وكانت العادة أن يفوض قاضي القضاة الشافعي قضاء دمياط لمن يقع اختياره عليه من الفقهاء، فلما اتصل ولي الدين محمد بن قاسم المحلاوي بالسلطان، شره في المال، وأخذ قضاء عدة بلاد، منها دمياط. وقرر

(١) توقات: بلدة في أرض الروم بين قونيا وسيواس ذات قلعة حصينة وأبنية مكيئة، بينها وبين

على من أقامه في قضاء البلاد التي وليها مالا يحمله على سبيل الفريضة في كل شهر أو كل سنة، كما هي ضرائب المكوس، سوى ما يتبع ذلك من هدايا الريف. وكان الجاه عريضا، فما عفت نوابه ولا كفت، فلما ذهب إلى الحجاز، نزل عن قضاء دمياط للقاضي جلال الدين عمر والقاضي كمال الدين محمد بن البارزي كاتب السر بمبلغ خمسين ألف درهم مصرية. فجرى على عادة ابن قاسم في ذلك إلى أن عين السلطان القاضي كمال الدين لقضاء دمشق، سأله الأمير صفى الدين جوهر الخازندار أن ينزل له عن قضاء دمياط، فلم يجد بداً من إجابته، ونزل له عن ذلك. فأمضى قاضي القضاة النزول رغما، وصار أحد نواب الحكم العزيز بدمياط، فاستتاب عنه على العادة في هذا، واستمر. وصار يكتب في مكاتبه إلى نائبه بدمياط «الداعي جوهر الخنفي»، كما كان قاضي القضاة يكتب. وحمد أهل البلد سيرته بالنسبة لمن كان قد ابتدأ ذلك.

ولم يعهد في مثل ذلك نزول، ولا ما يشبهه؛ فله الأمر.

شهر رجب، أهل بيوم الثلاثاء:

وفيه خلع على القاضي كمال الدين محمد ابن القاضي ناصر الدين محمد بن البارزي. وأعيد إلى قضاء القضاة بدمشق، عوضا عن سراج الدين عمر الحمصي بغير مال يحمله، ولا سعى منه. وإنما كثرت القالة السيئة في الحمصي، فعين السلطان عوضه القاضي كمال الدين ثم ولاه.

وفي ثلثه: أدير محمل الحاج بالقاهرة ومصر، ولم نعهد فيما تقدم أنه أدير قبل النصف من شهر رجب إلا في هذه الدولة الأشرفية، فإنه أدير غير مرة قبل النصف منه. ونزل بالناس في ليلة إدارته من المماليك السلطانية بلاء كثير من صفع أقفية المارة في الشارع، ومن حرق لحاهم بالنار، وخطف عمائمهم، إلى غير ذلك مما لا نستجيز ذكره.

وفيه خلع على الأمير الوزير غرس الدين خليل، واستقر أمير الركب.

وفي يوم السبت خامسه: توجه القاضي زين الدين عبد الباسط لكشف قناطر اللاهون من عمل الفيوم، وقد خربت.

وفي سادسه: قدم الأمير يشبك الحاجب، والصاحب كريم الدين، والأمير أينال الأجرود، وقد قاسوا خليج الإسكندرية، فإذا عرضه عشرة قصبات في طول ثلاث وعشرين ألف قصبه، منها ستة آلاف وأربعمائة قصبه تحتاج إلى أن تحفر، وبقيتها تحتاج إلى الإصلاح.

وفي سابعه: توجه حكيم خازن دار المقام الجمالى، وخاله إلى طرابلس، بانتقال الأمير الكبير بها. وهو تمربغا المحمودى إلى الحجوية الكبرى بها. وانتقال الأمير آق قجا العلاى من الحجوية إلى الإمرة الكبرى. وأن يقوم تمربغا بأربعة آلاف دينار وللمسفر المذكور بألف دينار. ورسم لحكم المذكور أن يكون مسفر قاضى القضاة كمال الدين ابن البارزى، فبعد جهد حتى أخذ منه فى يومه ثلاثمائة دينار. ولم تجر العادة بمثل ذلك.

وفي عاشره: (١) خلع على الأمير أينال العلاى الأجرود، واستقر فى نيابة صفد، عوضا عن الأمير يونس، ورسم ليونس أن يقيم بالقدس بطالا (٢) وخلع على الأمير طوخ بن بازق الحكيمى (٣) رأس نوبة ليخرج مسفر الأمير أينال إلى صفد (٤).

وفي رابع عشره: أنعم بإقطاع الأمير أينال الأجرود وإمرته على الأمير قراجا شاد الشرايخاناه. واستقر أينال الخازن دار أحد الأمراء الطبلخاناه شادا، عوضا عن قراجا، واستقر على باى الأشرفى الساقى الخاصكى خازن دارا، عوضا عن أينال. وخلع على الأمير أقبغت التمرازى ليلى حفر خليج الإسكندرية (٥).

وفي تاسع عشره: خلع على حسن بيك بن سالم الدكرى التركمانى، وأعيد إلى كشف البحيرة، عوضا عن دمرداش.

وفي سابع عشرينه: ركب الأمير جانبك أستاذار إلى ناحية شيرا الخيام من ضواحي القاهرة، وهدم كنيسة النصرى بها، ونهبت حواصلها، وأحرق عظام رمم كانت بها، يزعمون أنها رمم شهداء منهم.

وفي هذا الشهر: جيبى ما فرض على نواحي الغربية والمنوفية والبحيرة، يرسم حفر خليج الإسكندرية، وهو عن عبرة كل ألف دينار نصف راجل، يؤخذ عنه مبلغ ألفين وخمسمائة درهم من معاملة القاهرة. وندب للحفر ثلاثمائة رجل، تصرف أجورهم من هذا المتحصل، وعمل بالميدان تحت القلعة بين يدى السلطان من الجرارييف والمقلقات مائتى قطعة، وعشر قطع. وعين من البقر ستمائة وعشرين رأسا. وجهر ذلك لحفر الخليج المذكور.

(١) أى فى يوم الخميس.

(٢) انظر النجوم الزاهرة ٢٦٤/١٤.

(٣) فى النجوم « الأمير طوخ بن تَمراز المعروف بابن بازق، وهو لفظ تركى معناه غليظ الرقبة

انظر الضوء اللامع ٩/٤.

(٤) انظر النجوم الزاهرة ٢٦٤/١٤.

(٥) انظر النجوم الزاهرة ٢٦٤/١٤.

شهر شعبان، أهل بيوم الخميس:

فى ثانيه: توجه قاضى القضاة كمال الدين محمد بن البارزى إلى محل ولايته بدمشق.
 وفى ثالثة: خلع على القاضى معين الدين عبد اللطيف، أحد موقعى الدست، وشيخ
 خانكاة قوصون. واستقر فى كتابة السر بحلب، عوضا عن والده القاضى شرف الدين
 أبى بكر الأشقر المعروف بابن العجمى الحلبي، وخلع على القاضى شرف الدين المذكور
 ليكون نائب كاتب السر على ما كان عليه قبل انتقاله إلى كتابة السر بحلب. وأنعم على
 الأمير ناصر الدين محمد بن إبراهيم بن منجك بتقدمة أرغون شاه وإقطاعه بدمشق.
 وأضيف إلى الأمير طوغان العثمانى نائب القدس أستادارية الشام، والتحدث فى
 الأغوار، عوضا عن أرغون شاه.

وفى يوم الأربعاء رابع عشره: نودى باجتماع الجماعة التى قطعت أيديهم عندما
 أخذوا من الغراب، ليفرق فيهم السلطان مالا. فلما اجتمعوا جرى بهم ليأخذوا صدقات
 السلطان حتى صاروا بقلعة الجبل، قبض عليهم، وساقهم أعوان الظلمة بأسوأ حال.
 وأنزلوا فى مركب ليسيروا إلى بلاد الروم، وقد جعل كل اثنين منهم فى قرمة خشب،
 فكان هذا من شنيع الحوادث، ولو شاء ربك ما فعلوه.

شهر رمضان، أهل بيوم الجمعة:

فى عاشره: عقد السلطان المشور. وقد ورد الخير بأن ناصر الدين محمد بن دلغادر -
 ونزيلة جانبك الصوفى - زحفا بمن معها على بلاد قرمان، فقوى العزم على السفر إلى
 بلاد الشام، وأخذ الأمراء فى أهبة السفر، ثم انتقض ذلك فى ثامن عشره. وكتب بمسير
 نواب الشام إلى نحو بلاد قرمان نجدة لإبراهيم بن قرمان، فإن القوم أخذوا مدينة أقمشهر،
 ونازلوا قلاعا آخر (١).

وفى هذا الشهر: كثر عبث المماليك السلطانية بالناس فى الليل.

شهر شوال، أوله الأحد:

فى خامسه: خلع على قاضى القضاة علم الدين صالح ابن شيخ الإسلام سراج الدين
 عمر البلقينى، وأعيد إلى قضاة القضاة، عوضا عن الحافظ شهاب أحمد بن حجر (٢).

(١) جاء فى النجوم « عمل السلطان مشورة بالأمراء، لما ورد عليه الخير بأن ناصر الدين بك بن
 دلغادر ونزيلة جانبك الصوفى زحفا بمن معها على بلاد ابن قرمان. انظر النجوم الزاهرة
 ٢٦٤/١٤.

(٢) انظر النجوم الزاهرة ٢٦٤/١٤.

وفي سادسه: خلع على القاضي نور الدين عمر بن مفلح ناظر المارستان، واستقر وكيل بيت المال، عوضا عن شمس الدين محمد بن يوسف بن صالح الحلوى بعد موته.

وفي تاسع عشره: خرج محمل الحاج صحبة الأمير غرس الدين خليل. ورحل من بركة الحاج فى ثالث عشرينه، بعدما رحل الركب الأول فى أمسه صحبة الأمير ناصر الدين محمد ولد الأمير أركماس.

وفي هذا الشهر: نزلت صاعقة بجدة - بندر مكة - فأتلقت شيئا كثيرا، وهلك نحو المائة نفس.

وفيه كانت بجدة أيضا وقعة بين القواد والأمير جانبك، قتل فيها وجرح عدة. ثم قدم الشريف بركات بن حسن بن عجلان، فساس الأمر حتى سكنت الفتنة.

شهر ذى القعدة، أوله الثلاثاء:

فيه قدم سيف الأمير تهرباى الدوادار بحلب، وسيف الأمير أقبأى نائب الإسكندرية، وقد ماتا. فتقررت ولاية زين الدين عبد الرحمن ابن كاتب السر علم الدين داود بن الكويز أحد دوادارية السلطان نيابة الإسكندرية، وخلع عليه فى ثانيه (١).

وفي عشريه: قدم نائب حلب إليها، وكان قد سار عندما ورد الخبر بمشى مراد بن عثمان ملك الروم على بلاد ابن قرمان، فلما تقرر الصلح بينه وبين إبراهيم بن قرمان عاد نائب حلب من مرعش.

وقدم الخير بأن أصبهان بن قرايوسف متملك بغداد جمع لحرب حمزة بن قرايلك حاكم ماردين، فجمع له حمزة وحاربه، فهزم أصفهان، بعدما قتل عدة من أمرائه وجنده، وأن من بقى معه أرادوا قتله، فامتنع منهم بقلعة فولاد.

شهر ذى الحجة، أوله الخميس:

فى حادى عشره - الموافق له سابع عشريين بوؤنة - : نودى على النيل بزيادة ثلاثة أصابع واستقر الماء القديم على خمسة أذرع واثنين وعشرين أصبعا وتسميها الناس اليوم القاعدة. واستمرت زيادة النيل؛ والله الحمد.

وفي يوم الخميس ثانى عشريه: خلع على الأمير صلاح الدين محمد ابن الصاحب بدر الدين حسن بن نصر الله، واستقر كاتب السر عوضا عن شيخ الشيوخ محب الدين محمد بن شرف الدين الأشقر، مضافا لما بيده من حسبة القاهرة ونظر دار الضرب ونظر

الأوقاف ومنادمة السلطان، فنزل في موكب جليل، وقد لبس العمامة المدورة، والفرجية، هيئة أرباب الأقلام، فسر الناس به، وكان من خيره أنه نشأ من صغره بزي الأجناد، وبرع في الحساب، وكتب الخط المنسوب، وصار أحد الحجاب في الأيام الناصرية فرج بن برقوق. وتقلب مع والده في مباشرة نظر الجيش، ونظر الخاص، والوزارة^(١). وشكرت مباشرته لذلك، بما طبع عليه من لين الجانب، وطيب الكلام، وبشاشة الوجه، وحسن السياسة، فصار في الأيام المؤيدية شيخ من جملة الأمراء، وولى أستاذارية السلطان في الأيام الظاهرية ططر، وملك الأمراء. ثم عزل عن ذلك، وأعيد إليه في الأيام الأشرفية برسباي، وكان ما كان من مصادرتة ومصادرة والده صاحب بدر الدين، على مال كبير، أخذ منهما حتى ذهب مالهما، إلا أنه لم يمسهما - بحمد الله - سوء، ولا أهينا، فلزما دارهما عدة سنين. ثم تنبه لهما الإقبال، فولى الحسبة، وما زال يترقى حتى عينه السلطان لمنادمتة بعد ابن قاسم بن المحلاوى، وصار يبيت عنده، وشكرت خصاله، ولم يسلك من الطمع وأخذ الأموال من الناس ما سلكه غيره، بل عف وكف، وأفضل وزاد في الأفضال، إلى أن سعى بعض الناس في كتابة السر بمال كبير جداً، وأرجف بولايته، فاقتضى رأى السلطان ولاية الأمير صلاح الدين، وعرض عليه ذلك ليلاً، وهو مقيم عنده على عادته، فاستعفى من ذلك، فلم يعفه، وصمم عليه، ورسم بتجهيز التشريف له، ثم أصبح فخلع عليه، وأقره على ما بيده. واستمر به في منادمتة، والمبيت عنده، فضبط أمره، وصار يكتب المهمات السلطانية بخطه بين يدي السلطان، لما هو عليه من قوة الكتابة وجودتها، ومعرفة المصطلح، والدربة بمعاشرة الملوك، وتدبير الدول، ومقابلة الأحوال. فتميز بذلك عن تقدمه من كتاب السر، بعد ابن فضل الله، فإنهم منذ عهد فتح الله صارت المهمات السلطانية إنما يتولى كتابتها الموقعون بإملاء كاتب السر، حتى باشر هو، فاستبد بالكتابة، وحجب كل أحد عن الاطلاع على أحوال المملكة بحسن سياسته، وتمام معرفته.

وفي ثامن عشرينه: قدم مبشرو الحاج.

وفي هذه السنة: شنع المواث بصعدة وصنعاء من بلاد اليمن، بحيث ورد إلى مكة كتاب موثوق به أنه مات بصعدة وصنعاء وأعمالهما زيادة على ثمانين ألف إنسان. وفيها أيضاً وقع الوباء بنواحي ديار بكر وآمد، وملك الديار، فمات منها بشر كثير. وفيها كانت حروب ببلاد الروم وديار بكر وما يليها؛ والله عاقبة الأمور.

* * *

ومات فيها من له ذكر

زين الدين عبد الرحمن بن محمد بن سليمان بن عبد الله (١) - المعروف بابن الخراط - المروزي الأصل، ثم الحموي، الأديب، الشاعر، أحد موقعي السلطان، في ليلة الإثنين أول المحرم، عن نحو ستين سنة، بالقاهرة، ودفن من الغد.

ومات الشيخ شهاب الدين أحمد بن أبي بكر بن إسماعيل بن سليم بن قايماز بن عثمان بن عمر الكنانى. شهاب الدين البوصيرى الشافعى، أحد مشايخ الحديث، في ليلة الأحد ثامن عشرين المحرم.

ومات الأمير قرمش الأعور أحد المماليك الظاهرية برقوق، ترقى فى الخدم حتى صار أحد الأمراء، وأخرج بعد قتل الناصر فرج بن برقوق إلى الشام. فلما خرج الأمير تنبك البجاسى على السلطان ثار معه، حتى قتل تنبك ففر وتشتت مدة، حتى ظهر الأمير جانبك الصوفى انضم إليه، فقوى به وسار فى جماعة يريد عنتاب، وبها من أمراء السلطان الأمير خجاسودن، فقاتله بمن معه وأخذه، وأخذ معه من أمراء حلب المخامرين كمشبغا فى طائفة ممن معهم. وحمل هو وكمشبغا إلى حلب، فقتلا بها. وحملت رعوسهما إلى قلعة الجبل، فألقنا فى قناة، بعد إشهارهما. وكان قتلها فى المحرم.

ومات بدمشق قاضى القضاة شمس الدين محمد ابن قاضى القضاة شهاب الدين أحمد ابن محمود، المعروف بابن الكشك، الحنفى، بدمشق، فى يوم الثلاثاء ثالث عشر شهر ربيع الأول، عن نحو ثلاثين سنة، وهو معزول.

ومات قاضى القضاة شهاب الدين أحمد بن محمد بن صلاح، المعروف بابن الحمرة (٢)، الشافعى، بالقدس، فى ليلة السبت سادس عشر شهر ربيع الآخر. ومولده فى صفر سنة تسع وستين وسبعمائة، خارج القاهرة. وقد ناب فى الحكم بالقاهرة، وولى مشيخة خانكاة سعيد السعداء، وقضاء القضاة بدمشق، ثم مشيخة الصلاحية بالقدس حتى مات بها.

(١) عبد الرحمن بن محمد (٨٤٠هـ = ١٤٣٥م) عبد الرحمن بن محمد بن سليمان، أبو الفضل، زين الدين المعروف بابن الخراط: أديب شاعر، من القضاة مروزي الأصل، حموي المولد، حلبى المنشأ، نزيل القاهرة نادم نائب حلب وعمل فى يوسف بن مالك ألف مقطوعة سماها ألفية ابن مالك وولى القضاء بالباب، من أعمال حلب، ثم ولى كتابة السر بطرابلس وانتقل إلى القاهرة، فولى رئاسة الإنشاء بعد تقى الدين بن حجة وصنف كتباً منها المعانى التيمية والثانى الرخيصة. انظر الضوء اللامع ١٣٠/٤، جذرات الذهب ٢٣٥/٧. الأعلام ٣٢١/٣.

(٢) انظر أنباء الغمر (وفيات سنة ٨٤٠هـ) عقد الجمان.

ومات الأمير بردى بك الإسماعيلي (١) أحد العشرات، فى سابع عشر جمادى الأولى، بقلعة الجبل، وهو مسجون.

ومات مقتولا الأمير حمزة بك بن على بك بن دلغادر، فى ليلة الخميس سابع عشرين جمادى الأولى، بقلعة الجبل، وهو مسجون.

ومات الأمير أرغون شاه بدمشق، فى حادى عشرين رجب. وكان قد ولى الوزارة والأستادارية بديار مصر، ثم أخرج إلى الشام على إمرة، وبأشر بها للسلطان. وكان ظلوما غشوما. وهو من مماليك الأمير نوروز الحافظى.

ومات شمس الدين محمد بن يوسف بن صالح الحلوى الدمشقى، وكيل بيت المال، فى ليلة الجمعة سادس شوال. ومولده فى سنة خمس وستين وسبعمئة بدمشق.

ومات أمير الملائق قرقماس بن عذرا بن نعير بن حيار بن مهنا.

وماتت المرأة الفاضلة أم عبد الله عائشة، بنت قاضى القضاة بدمشق علاء الدين أبى الحسن على بن محمد بن على بن عبد الله بن أبى الفتح العسقلانى الحنبلى، فى يوم الأربعاء سادس عشرين ذى القعدة. ومولدها سنة إحدى وستين وسبعمئة، حدثت عن غير واحد، فسمع عليها جماعة. وهى من بيت علم ورياسة. وذكرت منهم فى هذا الكتاب وغيره أباه وأخاه جمال الدين عبد الله، وزوجها قاضى القضاة برهان الدين إبراهيم بن نصر الله الحنبلى (٢)، وولدها عز الدين أحمد ابن قاضى القضاة برهان الدين.

ومات صاحب صنعاء اليمن الإمام المنصور نجاح الدين أبو الحسن على ابن الإمام صلاح الدين أبى عبد الله محمد بن على بن محمد بن على بن منصور بن حجاج بن

(١) انظر عقد الجمان (٨٦٢/٢٥) المنهل الصافى (ترجمته).

(٢) إبراهيم بن نصر الله بن أحمد بن محمد بن أبى الفتح بن هاشم بن إسماعيل بن إبراهيم بن نصر الله بن أحمد قاضى القضاة برهان الدين أبو إسحاق ابن قاضى القضاة ناصر الدين الحنبلى العسقلانى قاضى قضاة الديار المصرية. كان مشكور السيرة، محمود الطريقة، ولد آخر شهر رجب سنة ثمان وستين وسبعمئة بالقاهرة، وبها نشأ وتفقّه بجماعة وناب فى الحكم عن أبيه، ثم استقل بوظيفة القضاة بعد موت والده فى يوم الخميس ثانى عشرين شعبان سنة خمس وتسعين وسبعمئة، وعمره سبع وعشرون سنة، وحمدت سيرته لعفته ولصباته ولدينه مع الشهامة والمهابة والتواضع وبشاشة الوجه، واستمر قاضيا إلى أن توفى فى يوم السبت ثامن شهر ربيع الأول سنة اثنتين وثمانمئة، رحمه الله. ولى بعده أخوه موفق الدين أحمد بن نصر الله انظر الدليل الشافى ٣٠/١، والنجوم الزاهرة ١٧/١٣، أنباء الغمر ١٣٣/٢، نزهة النفوس ٦٩/٢، والضوء اللامع ١٧٩/١، شذرات الذهب ١٤/٧.

يوسف، من ولد يحيى بن الناصر أحمد بن الهادي يحيى بن القاسم الرسى بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضى الله عنهم، فى سابع صفر، بعدما أقام فى الإمامة بعد أبيه ستا وأربعين سنة وثلاثة أشهر، وأضاف إلى صنعاء وصعدة عدة من حصون الإسماعيلية أخذها منهم، بعد حروب وحصار، فقام من بعده ابنه الإمام الناصر صلاح الدين محمد بعهدة إليه وبيعة الجماعة له. فمات بعد ثمانية وعشرين يوماً فى خامس عشرين شهر ربيع الأول، فأجمع الزيدية بعده على رجل منهم يقال له صلاح بن علي بن محمد بن أبي القاسم^(١) وبإيعوه، ولقبوه بالمهدى. وهو من بنى عم الإمام المنصور. وقام بأمره ابن سنقر على أن يكون الحكم له، فعارضه الإمام، وصار يحكم بما يؤدى إليه اجتهاده، ولا يلتفت إلى ابن سنقر، فثار عليه بعد ستة أشهر رجل يقال له محمد بن إبراهيم الساوى. وأعانه قاسم ابن سنقر، وقبضا عليه وسجناه فى قصر صنعاء. ووكل به محمد بن أسد الأسدى. وقام قاسم بالأمر. فدبرت زوجة الإمام المهدى فى خلاصه، ودفعت إلى الأسدى الموكل به ثلاثة آلاف أوقية، فأفرج عنه، وخرج به من القصر. وسار إلى معقل يسمى ظفار، وفيه زوجة المهدى. ومضى الأسدى إلى معقل يسمى دمر، وهو من أعظم معاقل الإسماعيلية التى انتزعها الإمام المنصور على بن صلاح. وأقام المهدى مع زوجته بظفار. ثم جمع الناس، ويسار إلى صنعاء، فوقع بينه وبين ابن سنقر وقعة، انكسر فيها الإمام، وتحصن بقلعة يقال لها تلى. فلما بلغ ذلك زوجته، ملكت صعدة^(٢)، وأطاعها من بها من الناس، فاضطرب أمر قاسم. وكان الناس مخالفين عليه، فأقام ولدًا صغيراً وهو ابن بنت الإمام المنصور على، وأبوه من الأشراف الرسية، فازداد الناس نفورا عنه وإنكارا عليه. واستدعوا الإمام المهدى إلى صعدة، فقدمها وبايعه الأشراف بيعة ثانية، حتى تم أمره. وبعث إلى أهل الحصون يدعوهم إلى طاعته، فأجابوه، وانفرد قاسم بصنعاء وحدها على كره من أهلها، وبغض له.

* * *

(١) انظر النجوم الزاهرة ٦/٨٤٦، عقد الجمان (ج ٢٥ق ٤ ورقة ٦٨٣).

(٢) سبق ترجمتها.

سنة إحدى وأربعين وثمانمائة

شهر المحرم، أوله يوم السبت:

فى ليلة الأحد تاسعه: بلغ القاضى زين عبد الباسط، والوزير كريم الدين، وسعد الدين ناظر الخاص، أن الممالك السلطانية على عزم نهب دورهم، فوزعوا ما عندهم، واختفوا. ثم سعدوا إلى الخدمة السلطانية على تخوف، وعادوا إلى دورهم، والإرجاف مستمر إلى يوم الأحد سادس عشره، فنزل عدة من الممالك، فافتحموا دار عبد الباسط ودار الأمير جانبك أستاذار ودار الوزير، ونهبوا ما وجدوا فيها^(١).

وفى ثانى عشرينه: قدم الركب الأول من الحجاج. وقدم من الغد المحمل ببقية الحاج.

وقدم الخبر بأن نائب دوركى توجه فى خامس عشره فى عدة من نواب تلك الجهات وغيرهم، وعدتهم نحو الألفى فارس، حتى طرقت بيوت الأمير ناصر الدين محمد ابن دلغادر. وقد نزل هو والأمير جانبك الصوفى على نحو يومين من مرعش، فنهبوا ما هنالك، وحرقوا. ففر ابن دلغادر وجانبك الصوفى فى نفر قليل. وذلك أن جموعهما كانت مع الأمير سليمان بن ناصر الدين بن دلغادر على حصار قيصرية الروم^(٢).

شهر صفر، أوله يوم الأحد:

فيه توجه الأمير أينال الحكمى نائب الشام من دمشق يريد حلب. وقد سارت نواب الشام حتى يوافوا قيصرية، مدداً لابن قرمان على سليمان بن دلغادر.

وفى رابعه - الموافق له رابع عشرى مسرى - : كان وفاء النيل ستة عشر ذراعاً، فركب المقام الجمالى يوسف ابن السلطان حتى خلق عمود المقياس بين يديه، ثم فتح خليج القاهرة على العادة، وعاد إلى القلعة.

وفى سابعه: قدمت تقدمة الأمير أينال الحكمى نائب الشام، وهى ذهب عشرة آلاف دينار، وخيول مائتا فرس، منها ثلاثة أرؤس بسروج ذهب وكنائيش ذهب،

(١) انظر النجوم الزاهرة ١٤/٢٦٥، ٢٦٦.

(٢) انظر النجوم الزاهرة ١٤/٢٦٦.

وسمور عشرة أبدان، ووشق (١) عشرة أبدان، وقام عشرة أبدان، وسنجاب مائة بدن، وثياب بعلبكي خمسمائة ثوب، وأقواس حلقة مائة قوس، وجمال بخاتي ثلاث قطر، وجمال عراب ثلاثمائة جمل، وصوف مربع مائة ثوب، ذات ألوان.

وفي يوم الإثنين سادس عشره: خلع على جلال الدين أبي السعادات محمد بن ظهيرة قاضي مكة خلعة الاستمرار. وكان قد قدم من مكة صحبة الحاج بطلب. وأرجف بعزله، فقام بأمره القاضي صلاح الدين محمد بن نصر الله كاتب السر، حتى رضى عنه السلطان، وأقره على قضاء مكة، على مال قام به للسلطان، وهو نحو خمسمائة دينار، فكان ذلك من المنكرات التي لم ندرك مثلها قبل هذه الدولة.

وفي يوم الخميس سادس عشرينه: كان نوروز القبط بمصر، وهو أول توت رأس سنتهم، فنودي على النيل بزيادة أصبعين لتتمة تسعة عشر ذراعا وأصبع من عشرين ذراعا. وهذا في زيادة النيل مما يندر وقوعه؛ والله الحمد.

وفي هذا الشهر: - والذي قبله - كثر الوباء بحلب وأعمالها، حتى تجاوزت عدة الأموات بمدينة حلب في اليوم مائة.

شهر ربيع الأول، أوله يوم الثلاثاء:

فيه استقر القاضي بدر الدين محمد ابن قاضي القضاة شيخ الإسلام شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن حجر في نظر الجامع الطولوني ونظر المدرسة بين القصرين، نيابة عن قاضي القضاة علم الدين صالح بن البلقيني، بسؤال القاضي زين الدين عبد الباسط له في ذلك، فأذن له حتى استنابه عنه.

وفي خامسه: خلع الأمير غرس الدين خليل الذي ولي الوزارة بعد نيابة الإسكندرية، واستقر في نيابة الكرك. وسار بطلبه وأثقاله من ساعته (٢).

وفيه توجه قاضي مكة الجلال أبو السعادات يريد مكة.

وفي يوم السبت ثاني عشره: - وهو يوم عيد الصليب عند قبط مصر - نودي على النيل بزيادة أصبعين لتتمة عشرين ذراعا وثمانية أصابع. هذا وقد فتحت السدود الصليبية في يوم الجمعة أمسه. وكان هذا أيضا من نوادر زيادات النيل. وما زال يزيد حتى انتهت زيادته في سادس عشره، الموافق له حادى عشرين بابه، إلى عشرين ذراعا وثلاثة عشر أصبعا.

(١) هو جلد الفهد.

(٢) انظر النجوم الزاهرة ١٤ / ٢٧٦.

وفى يوم السبت تاسع عشره: خلع على الصاحب جمال الدين يوسف بن كريم الدين عبد الكريم بن بركة - المعروف بابن كاتب حكيم - واستقر فى نظير الخاص، بعد موت أخيه سعد الدين إبراهيم (١).

وفى سادس عشرينه - وهو أول بابة: - بلغ ماء النيل عشرين ذراعا وخمسة عشر أصبعا.

شهر ربيع الآخر، أوله يوم الأربعاء:

فى هذا الشهر: ثبت ماء النيل إلى نحو النصف من شهر بابة فكمّل رى الأراضى والحمد لله. ثم انخط، فشرع الناس فى الزرع.

وفيه كملت عمارة الجامع الذى أنشأه السلطان بناحية خانكاه سرياقوس على الدرب السلوك، وذرعه خمسون ذراعا فى خمسين ذراعا. ورتب فيه إماما للصلوات الخمس، وخطيباً وقراء يتناوبون القراءة فى مصاحف (٢).

وفى هذا الشهر: - والذى قبله - فشا الموت فى الناس بمدينة حماة وأعمالها، حتى تجاوز عدة من يموت فى كل يوم مائة وخمسين إنسانا.

وقدم الخبر بأن عدن من بلاد اليمن احتزقت بأجمعها، واحتزقت دار الملك بزبيد مع جانب من المدينة، وأن الملك الظاهر يحيى - ملك اليمن - كانت بينه وبين المعازبة من عرب اليمن وقعة، وقتل فيها عدة من عسكره، ونجا بنفسه إلى تعز. وأن العرب اليمانية انتقضت عليه من باب عدن إلى الشحر، وأنه قبض على كبير دولته الأمير سيف الدين برقوق وسلبه ماله وسجنه، ثم أفرج عنه.

وفيه أيضا كانت بين المسلمين وبين ملك البرتقال وقعة على مدينة طنجة (٣) من أعمال المغرب.

شهر جمادى الأولى، أوله يوم الخميس:

فى ثالثه: ركب السلطان من قلعة الجبل، وشق القاهرة من باب زويلة، وخرج من

(١) انظر النجوم الزاهرة ٢٦٧/١٤.

(٢) انظر النجوم الزاهرة ٢٦٧/١٤.

(٣) طنجة: بلد على ساحل بحر المغرب مقابل الجزيرة الخضراء وهو من البر الأعظم وبلاد البريد.

انظر معجم البلدان ٤٣/٤.

باب القنطرة، فمضى إلى القليوبية لصيد الكراكي^(١) وهذه أول ركبة ركبها فى هذه السنة للصيد^(٢).

وفيه قدم الأمير تمراز المؤيدى نائب غزة.

وفى خامسه: قدم السلطان من الصيد، وعبر من باب القنطرة، وشق القاهرة حتى خرج من باب زويلة إلى القلعة، ولم يقع له صيد ألبتة.

وفى سادسه: قبض على الأمير تمراز نائب غزة، وحمل مقيداً إلى الإسكندرية فسجن بها. واستدعى الأمير جرباش قاشق من دمياط، وهو مسجون بها ليلى نيابة غزة، فلم يتم له ذلك. ورجع إلى دمياط.

وفى ثامنه: ركب السلطان ليصطاد من بركة الحجاج. ومضى إلى جامعہ بخانكاه سرياقوس، وعاد من يومه. ثم ركب فى ليلة السبت عاشره يريد أطفیح. فاصطاد، وعاد فى يوم الإثنين ثانى عشره.

وفى سابع عشره: خلع على الأمير آقردى القجماسى^(٣)، واستقر فى نيابة غزة.

وفيه قدم مملوك نائب حلب برأس الأمير جانبك الصوفى ويده، فطيف بالرأس على رمح شارع القاهرة، ثم ألقيت فى قناة، وكان من خبره أنه لما كبسه نائب دوركى فى شهر الله المحرم - كما تقدم ذكره - فر هو وابن دلغادر، فمضى ابن دلغادر على وجهه يريد بلاد الروم، وقصد الأمير جانبك الصوفى أولاد قرايلك ونزل على محمد ومحمود ابنى قرايلك، وأقام عندهم، فأخذ الأمير تغرى برمى نائب حلب فى استمالة محمد ومحمود حتى مالا إليه، وواعده أن يقبضا على جانبك على أن يحمل إليهما

(١) الكراكى جمع كركى طائر كبير، أغبر اللون، طويل العنق والرجلين، أبت الذنب، قليل اللحم، يأوى إلى الماء أحيانا. انظر المعجم الوسيط (كرك).

(٢) انظر النجوم الزاهرة ٢٦٧/١٤.

(٣) آقردى بن عبد الله القجماسى، الأمير سيف الدين نائب غزة. نسبته إلى معتقه الأمير قجماسى ابن عم الملك الظاهر بروق، والد أنيال باى، وتنقل فى الخدم إلى أن صار فى أواخر الدولة المؤيدية شيخ أمير عشرة، واستمر على ذلك سنين لا يلتفت إليه فى الدول إلى أن سعى فى أواخر الدولة الأشرفية بمال فى نيابة غزة، فوليها بعد القبض على نائبها الأمير تمراز المؤيدى فى سابع عشر جمادى الأولى سنة إحدى وأربعين وثمانمائة، وتوجه إليها وباشرها مدة يسيرة، إلى أن توفى بها فى شهر ذى القعدة سنة إحدى وأربعين وثمانمائة، وهو فى عشر الثمانين. وكان ضخما طويلا تركيا أشقر، لم يشهر بدين ولا فروسية، عفا الله عنه. انظر الدليل الشافى ١٤٠/١، والنجوم الزاهرة ٢١٧/١٥، الضوء اللامع ٣١٥/٢.

خمسة آلاف دينار، فنقل ذلك لجانبك، فبادر، وخرج ومعه بضعة وعشرون فارسا لينجو بنفسه، فأدركوه، وقتلوه، فأصابه سهم، سقط منه عن فرسه، فأخذوه وسجنوه عندهم. وذلك في يوم الجمعة خامس عشرين شهر ربيع الآخر. فمات من الغد، فقطع رأسه، وحمل إلى السلطان، فكاد يطير فرحا، وظن أنه قد أمن، فأجرى الله على الألسنة أنه قد انقضت أيامه، وزالت دولته. فكان كذلك كما سيأتي هذا. وقد قابل نعمة الله تعالى عليه في كفاية عدوه بأن تزايد عتوه وكثر ظلمه، وساءت سيرته، فأخذ الله أخذًا وبيلًا، وعاجله بنقمته ولم يهنيه.

وفي تاسع عشره: ركب السلطان إلى الصيد بالقلوبية، وعاد من الغد. وفيه ورد كتاب الخطي ملك الحبشة، وهو الناصر يعقوب بن داود ابن سيف أُرعد، ومعه هدية، ما بين ذهب وزباد (١) وغير ذلك، فتضمن كتابه السلام والتودد، والوصية بالنصارى وكنائسهم.

وفي هذا الشهر: شنع الوباء بحمأة، حتى تجاوزت عدة الأموات عندهم في كل يوم ثلاثمائة إنسان، ولم يعهدوا مثل ذلك في هذه الأزمنة.

شهر جمادى الآخرة، أوله الجمعة:

فيه رسم بنقل جمال الدين يوسف بن الصفي الكركي كاتب السر بدمشق إلى نظر الجيش بها، عوضا عن بهاء الدين محمد بن نجم الدين عمر بن حجي، على أن يحمل أربعة آلاف دينار. وأن يستقر بن حجي في كتابة السر، عوضا عن ابن الصفي، على أن يحمل ألف دينار.

وفي ثانيه: توجه السلطان إلى الصيد في بركة الحجاج.

وقدم الخير بوقوع الوباء في مدينة طرابلس الشام.

وفي هذا الشهر: كثر ركوب السلطان إلى الصيد.

وفيه وقع الوباء بدمشق، وفشا الموت بالطاعون الوحى.

وقدم الخير بأن إسكندر بن قرايوسف نزل قريبا من مدينة تبريز (٢) فبرز إليه أخوه جهان شاه، المقيم بها من قبل القان معين الدين شاه رخ بن تيمور لنك ملك المشرق،

(١) نوع من الطيب يتخذ من دابة كالتنور. انظر لسان العرب (زبد).

(٢) سبق ترجمتها.

فكانت بينهما وقعة انهزم فيها إسكندر (١) إلى قلعة يلنجا (٢) من عمل تيريز، فنازله جهان شاه، وحصره بها. وأن الأمير حمزة بن قرايلك - متملك ماردین (٣) وأرزنكان (٤) - أخرج أخاه ناصر الدين على باك من مدينة آمد، وملكها منه. فقلق السلطان من ذلك. وعزم على أن يسافر بنفسه إلى بلاد الشام، وكتب بتجهيز الإقامات بالشام ثم أبطل ذلك.

شهر رجب، أوله الأحد:

في خامسه: أدير محمل الحاج. وقد تقدم أنه إنما كان يدار بعد النصف من شهر رجب، وأنه أدير في هذه الدولة قبل النصف، فجرت في ليلة الإثنين ويوم الإثنين خامسه شنائع. وذلك أن ممالك السلطان - سكان الطباقي بالقلعة - نشأوا على مقت السلطان لرعيته، مع ما عندهم من بغض الناس، فنزل كثير منهم في أول الليل، وأخذوا في نهب الناس، وخطف النساء والصبيان للفساد. واجتمع عدد كثير من العبيد السود، وقاتلوا الممالك فقتل من العبيد خمسة نفر، وجرح عدة من الممالك، وخطف من العمائم وأخذ من الأمتعة شيء كثير، فكان ذلك من أقبح ما سمعنا به.

وفيه قدم ولد محمود بن قرايلك بسيف الأمير جانبك الصوفى، الذى قتل.

وفى يوم السبت سابعه: رسم بخروج تجريدة إلى بلاد الشام، وعين من الأمراء المقدمين ثمانية، وهم الأمير قرقماس الشعبانى أمير سلاح، والأمير أقبغا التمرازى أمير مجلس، والأمير أركماس الظاهرى الدوادار، والأمير تمراز الدقماقى رأس نوبة النوب، والأمير يشبك حاجب الحجاب، والأمير جانم أمير أخور، والأمير خجا سودن، والأمير قراجا الأشرفى.

وفى تاسعه: نودى بالألا يحمل أحد من العبيد السلاح، ولا سيفاً ولا عصى، ولا يمشى بعد المغرب. وأن الممالك لا تتعرض لأحد من العبيد. وذلك أنه لما وقع بين الممالك والعبيد في ليلة المحمل ما وقع، أخذ الممالك في تتبع العبيد، فقتلوا منهم جماعة، ففر كثير منهم من القاهرة، واختفى كثير منهم. فلما نودى بذلك سكن ذلك الشر، وأمن الناس على عبيدهم، بعد خوف شديد.

(١) انظر المنهل فى ترجمة « إسكندر بن قرايوسف ».

(٢) انظر النجوم الزاهرة ٦/٧٥٧.

(٣) سبق ترجمتها.

(٤) سبق ترجمتها.

وفيه رسم بمنع المماليك من النزول من طباقهم بالقلعة إلى القاهرة، وذلك أنهم صاروا ينزلون طوائف طوائف إلى المواضع التي يجتمع بها العامة للنزهة، ويتفتنوا في العيب والفساد، من أخذ عمائمهم الرجال واغتصاب النساء والصبيان، وتناول معايش الباعة، وغير ذلك، فلم يتم منعهم، ونزلوا على عاداتهم السيئة.

وفي عاشره: حمل إلى الأمراء الثمانية نفقة السفر، وهي لكل أمير ألفا دينار أشرفية^(١).

وفي يوم الأربعاء ثامن عشره: ركب السلطان إلى خليج الزعفران^(٢) من الريدانية خارج القاهرة وعاد من يومه. فأصبح موعك البدن، ساقط الشهوة للغذاء، ولزم الفراش^(٣).

وفي هذا الشهر: وقع الوباء ببلاد الصعيد من أرض مصر^(٤) وكثر بدمشق، وشنع بحلب وأعمالها، فأظهر أهلها التوبة، وأغلقت حانات الخمارين، ومنعوا البغايا الواقفات للبغاء، والشباب المرصدين لعمل الفاحشة، بضرائب تحمل لنائب حلب وغيره من أرباب الدولة فتناقص الموت وخف الوباء، حتى كاد يرتفع. ففرح أهل حلب بذلك، وجعلوا شكر هذه النعمة أن فتحوا الخمارات، وأوقفوا البغايا والأحداث للفساد بالضرائب المقررة عليهم، فأصبحوا وقد مات من الناس ثمانمائة إنسان. واستمر الوباء الشنيع، والموت الذريع فيهم، رجب، وشعبان، وما بعده.

شهر شعبان أوله، يوم الإثنين:

أهل هذا الشهر والسلطان مريض، وقد أخرج مالا فرق في جماعة من الناس على سبيل البر والصدقة، فمزال إلى يوم الثلاثاء تاسعه، فخلع فيه على الأطباء لعافية السلطان. وركب من الغد، فزار القرافة، وفرق مالا في الفقراء، وعاد والمرض بين في وجهه^(٥).

وفي هذا اليوم: - أعنى يوم الأربعاء عاشره - حدثت ريح شديدة في معاملة طرابلس واللاذقية وحماة وحلب وحمص وأعمالها، واستمرت عدة أيام، فألقت من الأشجار ما لا يدخل تحت حصر.

(١) انظر النجوم الزاهرة ٢٧١/١٤.

(٢) في النجوم « ونزل إلى خليج الزعفران فنزل به وأكل السماء ٢٧١/١٤.

(٣) انظر النجوم الزاهرة ٢٧١/١٤.

(٤) انظر النجوم الزاهرة ٢٧١/١٤.

(٥) انظر النجوم الزاهرة ٢٧٢/١٤.

وفي يوم السبت ثالث عشره: برز سعد الدين إبراهيم بن المرة إلى ظاهر القاهرة ليسير إلى الطور ويركب البحر إلى جدة، وكان قدم من مكة، وصادره السلطان على مال حملة، ثم خلع عليه، واستقر في نظر الخاص بجدة على عادته. وخلع معه على التاجر بدر الدين حسين بن شمس الدين محمد بن المزلق الدمشقي، ليكون عوضا عن الأمير المجرى إلى جدة.

وفيه ركب السلطان إلى خارج القاهرة، وعبر من باب النصر، ثم نزل بالجامع الحاكمي، وقد ذكر له أن بهذا الجامع دعامة قد ملئت ذهباً، فشره لذلك، وطمع في أخذه. فقيل له: «إنك تحتاج إلى هدم جميع هذه الدعائم حتى تظفر بها، ثم لا بد لك من إعادة عمارتها». فعلم عجزه عن ذلك، وخرج، فركب عائداً إلى القلعة^(١).

وفيه قدم الخبر بأن الوباء شنع بدمشق، وأنه مات من الغرباء الذين قدموا من بغداد وتبريز والحلة والمشهد وتلك الديار - فرارا من الجور والظلم الذي هنالك - وسكنوا حلب وحماة ودمشق عالم عظيم، لا يحصرهم العاد لكثرتهم.

وفي سابع عشره: خلع على الأمير أركماس الجاموس أمير شكار^(٢)، وأعيد إلى كشف الوجه القبلي، واستقر ملك الأمراء ليحكم من الجزيرة إلى أسوان.

وفيه أيضا حدثت بالقاهرة زلزلة عند أذان العصر، اهتز بي البيت مرتين، إلا أنها كانت خفيفة جدا؛ والله الحمد.

وفي يوم الجمعة تاسع عشره: هبت بدمشق ريح شديدة في غاية من القوة. واستمرت يوم الجمعة ويوم السبت، فاقتلعت من شجر الجوز الكبار ما لا يمكن حصره لكثرتهم. وألقت أعالي دور عديدة، وألقت بعض المنارة الشرقية بالجامع الأموي، فكان أمرا مهولا، وعمت هذه الريح بلاد صفد والغور، وأتلقت شيئا كثيرا.

وفي عشريته: استقل ابن المزلق وابن المرة بالمسير إلى الطور ليركبوا البحر من هناك إلى جدة. وبعث السلطان على يد ابن المزلق خمسة آلاف دينار، بسبب عمارة عين عرفة.

وفي يوم الخميس: خرج الأمير قرقماس - أمير سلاح - مقدم العسكر المجرى إلى

(١) انظر النجوم الزاهرة ١٤/٢٧٢.

(٢) أركماس بن عبد الله الشبكي. نسبة إلى معتقة الأتابك يشبك الشعباني، ترقى في الدول إلى أن صار في الدولة الظاهرية حقمق أمير عشرة، ونعم الرجل هو. انظر الترجمة في: الضوء اللامع ٢/٢٦٨، والمنهل الصافي ٢/٣٣٥.

الشام، وصحبته الأمراء، من غير أن يرافقهم فى سفرهم أحد من المماليك السلطانية، لسوء سيرتهم. فنزلوا بالريدانية خارج القاهرة، إلى أن استقلوا بالمسير فى يوم السبت سابع عشرينه. وكتب لنائب الشام - الأمير أينال الحكمى، أن يتوجه بمن معه صحبة الأمراء إلى حلب، ويستدعوا حمزة باك ابن قرابلك صاحب ماردين وأرزن كان، فإن قدم إليهم خلع عليه بنبابة السلطنة فيما يليه، وإلا مشوا بأجمعهم عليه وقاتلوه وأخذوه^(١).

وقدم الخبر بأن محمد بن قرابلك توجه إلى أخيه حمزة بالك باستدعائه، وقد حقد عليه قتله جانبك الصوفى، فإنه لما بلغه نزول جانبك على أخويه محمد ومحمود، كتب إلى أخيه محمد بأن يبعث به إليه؛ ليهرب به السلطان، فمال محمد إلى ما وعده به نائب حلب من المال، وقتل جانبك، فما زال حمزة يعد أخاه ويمنيه، حتى سار إليه، وفى ظنه أنه يوليه بعض بلاده، فما هو إلا أن صار فى قبضته، قتله وظهر عاجل عقوبة الله له على بغيه.

وفى هذا الشهر: وقع فى كثير من الأبقار داء طرحت منه الحوامل عجولا وفيها الطاعون، وهلك كثير من العجاجيل بالطاعون أيضا.

شهر رمضان، أوله يوم الثلاثاء:

وفيه كانت عدة الأموات التى رفعت بها أوراق مباشرى ديوان المواريث بالقاهرة ثمانية عشر إنسانا، وتزايدت عدتهم فى كل يوم حتى فشا فى الناس الموت بالطاعون فى القاهرة ومصر، لاسيما فى الأطفال والإماء والعبيد، فإنهم أكثر من يموت موتا وحيًا سريعًا. هذا وقد عم الوباء بالطاعون بلاد حلب^(٢) وحماة^(٣)، وطرابلس^(٤) وحمص^(٥)، ودمشق، وصفد^(٦)، والغور^(٧)، والرملة^(٨) وغزة^(٩)، وما بين ذلك،

(١) انظر النجوم الزاهرة ٢٧٢/١٤.

(٢) سبق ترجمتها.

(٣) سبق ترجمتها.

(٤) سبق ترجمتها.

(٥) سبق ترجمتها.

(٦) سبق ترجمتها.

(٧) غور: ما بين ذات عرق إلى بحر غور تهامة. انظر معجم البلدان ٢١٧/٤.

(٨) سبق ترجمتها.

(٩) سبق ترجمتها.

حتى شنت الأخبار بكثرة من يموت، وسرعة موتهم. وشناعة الموتان أيضا ببلاد الواحات من أرض مصر، ووقوعه قليلا بصعيد مصر (١).

وفي يوم الأربعاء ثالث عشرينه: ختمت قراءة صحيح البخارى بين يدى السلطان بقلعة الجبل (٢)، وقد حضر قضاة القضاة الأربع، وعدة من مشايخ العلم وجماعة من الطلبة، كما جرت العادة من الأيام المؤيدية شيخ. وهو منكر فى صورة معروف، ومعصية فى زى طاعة. وذلك أنه يتصدى للقراءة من لا عهد له بممارسة العلم، لكنه يصحح ما يقرأه، فيكثر مع ذلك لحنه وتصحيحه وخطاه وتحريفه. هذا، ومن حضر لا ينصتون لماعه، بل دائما دأبهم أن يأخذوا فى البحث عن مسأله يطول صياحهم فيها، حتى يفضى بهم الحال إلى الإساءات التى تؤول أشد العداوات. وربما كفر بعضهم بعضا، وصاروا ضحكة لمن عساه يحضرهم من الأمراء والمماليك. واتفق فى يوم هذا الختم أن السلطان لما كثر الوباء قلق من مداخلة الوهم له، فسأل من حضر من القضاة والفقهاء عن الذنوب التى إذا ارتكبتها الناس عاقبهم الله بالطاعون، فقال له بعض الجماعة: إن الزنا إذا فشا فى الناس ظهر فيهم الطاعون، وأن النساء يتزين ويمشين فى الطرقات ليلا ونهارا فى الأسواق. فأشار آخر أن المصلحة منع النساء من المشى فى الأسواق. ونازعه آخر فقال لا يمنع إلا المتبرجات، وأما العجائز ومن ليس لها من يقوم بأمرها لا تمنع من تعاطى حاجتها. وجروا فى ذلك على عادتهم فى معارضة بعضهم بعضا، فمال السلطان إلى ممنعهن من الخروج إلى الطرقات مطلقا، ظنا منه أن ممنعهن يرتفع الوباء. وأمر باجتماعهم عنده من الغد، فاجتمعوا فى يوم الخميس، واتفقوا على ما مال إليه السلطان. فنودى بالقاهرة ومصر وظواهرهما بمنع جميع النساء بأسرهن من الخروج من بيوتهن، وألا تمر امرأة فى شارع ولا سوق ألبتة، وتهدد من خرجت من بيتها بالقتل، فامتنع عامة النساء، فتياتهن وعجائزهن وإمائهن من الخروج إلى الطرقات. وأخذوا إلى القاهرة وبعض الحجاب فى تتبع الطرقات، وضرب من وجدوا من النساء، وأكدوا من الغد - يوم الجمعة - فى ممنعهن، وتشددوا فى الردع والتهديد، فلم تر امرأة فى شىء من الطرقات. فنزل بعدة من الأرامل وربات الصنائع، ومن لا قيم لها يقوم بشأنها، ومن تطوف على الأبواب تسأل الناس، ضيق وضرر شديد. ومع ذلك فتعطل بيع كثير من البضائع والثياب والعطر، فازداد الناس وقوف حال، وكساد معاش، وتعطل أسواق، وقلة مكاسب.

(١) انظر النجوم الزاهرة ١٤/٢٧٣.

(٢) انظر النجوم الزاهرة ١٤/٢٧٣.

وفي يوم السبت سادس عشرينه: أمر السلطان بإخراج أهل السجون من أرباب الجرائم، ومن عليه دين، فأخرجوا بأجمعهم، وأطلقوا بأسرهم.

ورسم بعلق السجون كلها، وألا يسجن أحد، فأغلقت السجون بالقاهرة ومصر. وانتشرت السراق والمفسدون في البلد. وامتنع من له مال على آخر أن يطالبه به (١).

وفي سابع عشرينه: عزم السلطان على ولاية الحسبة لرجل ناهض، فذكر له جماعة، فلم يرضهم. ثم قال: «عندى واحد ليس بمسلم، ولا يخاف الله». وأمر فأحضر إليه الأمير دولت خجا، فخلع عليه واستقر به محتسب القاهرة، عوضا عن المقر الصلاحي محمد ابن الصاحب بدر الدين حسن بن نصر الله، رغبة من السلطان في جيروته، وقسوته، وشدة عقوبته وقلة رحمته (٢).

وفيه نودى بخروج الإماء لشراء حوائج مواليهن من الأسواق، وألا تنتقب واحدة منهن، بل يكن سافرات عن وجوههن، وأن تخرج العجائز لقضاء أشغالهن، وأن تخرج النساء إلى الحمامات، ولا يقمن بها إلى الليل، فكان في ذلك نوع من أنواع الفرج.

وفيه قدم الأمراء الجردون إلى البحيرة بغير طائل، وقد أتلفوا كثيرا من زروع النواحي.

وفيه ابتدا انتشار الجراد الكثير بالقاهرة وضواحيها، واستمر عدة أيام.

وفيه أقيم بعض سفلة العامة الأشرار في التحدث على موارد اليهود والنصارى، وخلع عليه، وكانت العادة أن بطرك النصارى ورئيس اليهود يتولى كل منهما أمر موارد طائفته، فتوصل هذا السفلة إلى السلطان، والتزم له أن يحصل من هذه الطائفتين مالا كبيرا، فجرى السلطان على عادته في الشره في جمع المال، وولاه.

وفيه كشف عن بيوت اليهود والنصارى، وأحضروا ما فيها من جرار الخمر لتراق.

وفي هذا الشهر: هدم للنصارى دير المغطس عند الملاحات، قريب من بحيرة البرلس (٣) وكانت نصارى الإقليم - قبلها وبحريا - تحج إلى هذا الدير كما يحجون إلى كنيسة القيامة بالقدس، وذلك في عيده من شهر بشنس، ويسمونه عيد الظهور، وقد

(١) انظر النجوم الزاهرة ١٤/٢٧٤.

(٢) انظر النجوم الزاهرة ١٤/٢٧٤.

(٣) بَرْلَسُ: بَلِيْدَةٌ عَلَى شَاطِئِ نَيْلِ مِصْرَ قَرِبَ الْبَحْرِ مِنْ جِهَةِ الْإِسْكََنْدِرِيَّةِ. انظر معجم البلدان

بسطت الكلام على هذا عند ذكر الكنائس والديارات من كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار (١).

وفي هذا الشهر: شنع الموت بالطاعون في بلد عانة من بلاد العراق، بحيث لم يبق بها أحد. واستولى أمير الملا عاذر بن نعيم على موجودهم جميعه. وشنع الموت أيضا في أهل الرحبة، حتى عجزوا عن مواراة الأموات، وألقوا منهم عددا كثيرا في الفرات. وشنع الموت أيضا في أزواق التركمان، وبيوت العربان بنواحي بلاد الفرات، حتى صار الفريق من العرب، أو الزوق من التركمان، ليس به إنسان. ودوابهم مهملة، لا راعى لها. وأحصى من مات بمدينة غزة في هذا الشهر، فبلغوا اثني عشر ألفا ونيف، ووردت الأخبار بخلو عدة مدن ببلاد المشرق لموت أهلها، وبكثرة الوباء ببلاد الفرنج.

شهر شوال، أهل بيوم الخميس:

وقد شمل الناس بالقاهرة ومصر من القبض والأنكاد ما لا يوصف، وذلك من تزايد عدة الأموات في كل يوم، فكانت عدة من رفع ذكره من ديوان المواريث في هذا اليوم - وهو يوم العيد - من القاهرة مائة إنسان، ومن مصر اثنان وعشرون. هذا، وقد تعطل بيع كثير من البضائع وأمتعة النساء لامتناعهن من المشى في الطرقات واستوحش نساء الأمراء المجردين وأولادهم لغيبتهم عنهم، وقلق الناس من عسف متولى الحسبة، وشدة بطشه، ومن كثرة ما داخل الناس من الوهم؛ خوفا على أولادهم وخدمهم من الموت الوحي السريع بالطاعون، ومن نزول أنواع المكاره بالذمة من اليهود والنصارى، بحيث أنى لم أدرك في طول عمرى عيداً كان أنكد على الناس من هذا العيد (٢).

وفي ليلة هذا العيد: اشتد برد الشتاء في بلاد الشام، فأصبح الناس من صفد إلى دمشق وحماة وحلب وديار بكر، إلى أرزن كان، وقد صقعت أشجارهم، بحيث لم يبق عليها ورقة خضراء إلا اسودت، ما عدا شجر الصفصاف، والجوز قتلت الباقلاء المزروعة، والشعير والبيقياء واهليون (٣) وعمامة الخضروات، فزادهم ذلك بلاء على بلائهم بكثرة الموتان الفاشى في الناس وهبت مع ذلك بصفد ريح باردة، هلك بعدها من الناس والدواب ما شاء الله. وتلفت بها الزروع والأشجار.

(١) ينظر المواعظ والاعتبار ٥٠٨/٢.

(٢) انظر النجوم الزاهرة ٢٧٩/١٤.

(٣) نبات تخرج منه عدة عيدان كثيرة القضبان، بيض في غاية البياض، تؤكل. نهاية الأرب

واتفق أيضا في ليلة عيد الفطر أن هجم على مدينة فاس من بلاد المغرب الأقصى، سيل عظيم جدا، فأخذ خلائق وهدم عدة مساكن، فكان أمرا مهولا وحادثا شنيعا.

وفي رابعه: قدم الأمراء المجردون إلى حلب.

وفيه خلع السلطان على الأمير أسنبغا الطيارى، واستقر حاجب ميسرة، عوضا عن جانبك الناصرى المتوفى بمكة، فأراق الخمر من دور النصارى وغيرهم.

وفي يوم الثلاثاء سادسه: خلع على الإمام الحافظ شهاب الدين أبى الفضل أحمد ابن على بن حجر، وأعيد إلى قضاء الشافعية بديار مصر، عوضا عن قاضى القضاة علم الدين صالح البلقيني. وألزم أن يقوم لعلم الدين صالح بما حمله إلى الخزانة. هذا، وعند أظهر السلطان أنه لا يولى أحدا من القضاة بمال، فإنه داخله وهم عظيم من كثرة تزايد الموت الوحى السريع فى الناس، وموت كثير من المماليك السلطانية سكان الطباق من القلعة، وموت الكثير من خدام السلطان الطواشية، ومن جواريه وحظاياه وأولاده، فحمل إلى البلقيني من مال شهاب الدين بن حجر، لا من مال السلطان.

وفيه ركب السلطان من القلعة، وأقام يومه بخليج الزعفران خارج القاهرة. وعاد من آخره بعد أن فرق مالا فى الفقراء، فتكاثروا على متولى تفرقة ذلك، حتى سقط عن فرسه، فغضب السلطان من ذلك، وطلب سلطان الحرافيش، وشيخ الطوائف، وألزمهما بمنع الجعيدية (١) أجمعين من السؤال فى الطرقات، وإلزامهم بالتكسب، وأن من شحذ منهم يقبض الوالى عليه، وأخرج ليعمل فى الحفير. فامتنعوا من الشحاذة، وخلت الطرقات منهم، ولم يبق من السؤال إلا العميان والزمناء (٢) وأرباب العاهات، ولم نسمع بمثل ذلك. فعم الضيق كل أحد، وانطلقت الألسنة بالدعاء على السلطان، وتمنى زواله، فأصبح فى يوم الأربعاء سابعه مريضا قد انتكس، ولزم الفراش.

وفي هذه الأيام: اشتد البلاء بأهل الذمة من اليهود والنصارى، وألزمهم الذى ولى أمر مواريتهم أن يعملوا له حساب من مات منهم من أول هذه الدولة الأشرفية، وإلى يوم ولايته. وأحرق بهم وأهانهم. وألزمهم أيضا أن يوقفوه على مستنداتهم فى الأملاك التى بأيديهم، فكثرت الشناعة عليه، وساءت القالة فى الدولة.

واتفق مع ذلك كله حوادث مؤلمة منها أن امرأة مات ولدها بالطاعون، ولم يكن لها سواه فلما غسل وكفن وأخرج به ليوضع فى التابوت ليدفن فى الصحراء أرادت أمه

(١) على هامش ط: أشبه بالزعر والحرافيش والدماء.

(٢) على هامش ط: أصحاب العلل والأمراض والعاهات المزمنة.

أن تخرج وراء جنازته، فمنعت من ذلك؛ لأن السلطان رسم ألا تخرج امرأة من منزلها. فشق عليها منعها من تشييع جنازة ولدها، وألقت نفسها من أعلى الدار إلى الأرض، فماتت. وخرجت امرأة أخرى من دارها لأمر مهم طرأ لها، فصدفها دولت خجا متولى الحسبة، فصاح بأعوانه بأن يأتوه بها ليضربها، فما هو إلا أن قبضوا عليها، إذ ذهب عقلها وسقطت مغشيا عليها من شدة الخوف، فشفع فيها بعض من حضر ألا يعاقبها، فتركها، وانصرف عنها. فحملت إلى دارها وقد اختلت وفسد عقلها فمرضت مع ذلك مدة.

وفي يوم الجمعة تاسعه: اتفقت حادثه لم ندرك مثلها، وهو أن الخطيب بالجامع الأزهر رقى المنبر فخطب، وأسمع الناس الخطبة - وأنا فيهم - حتى أتمها على العادة. وجلس للاستراحة بين الخطبتين، فلم يبق حتى طال جلوسه. ثم قام وجلس سريعا، واستند إلى جانب المنبر ساعة قدر ما يقرأ القارئ ربع حزب من القرآن، والناس في انتظار قيامه، وإذا برجل من الحاضرين يقول: مات الخطيب. فارتج الجامع وضج الناس، وضربوا أيديهم بعضها على بعض؛ أسفا وحزنا، وأخذنى البكاء وقد اختلت الصفوف، وقام كثير من الناس يريدون المنبر، فقام الخطيب على قدميه، ونزل عن المنبر، فدخل المحراب وصلى من غير أن يجهر بالقراءة، وأوجز في صلاته حتى أتم الركعتين، وقدمت عدة جنازات فلم أدر من صلى بنا عليها. وإذا بالناس في حركة واضطراب، وعدة منهم يجهرون بأن الجمعة ما صحت. وتقدم رجل فأقام وصلى الظهر أربعاً، وجماعة يأمون به. فما هو إلا أن قضى هؤلاء صلاتهم إذا بجماعة آخر قد وثبوا وأمروا فأذن المؤذنون على سدة المؤذنين بين يدي المنبر، ورقى رجل المنبر، فخطب خطبتين، ونزل ليصلى فمنعوه من التقدم إلى المحراب، وأتوا بإمام الخمس، فقدموه حتى صلى بالناس جمعة ثانية. فلما انقضت صلاته بالناس ثار آخرون وصاحوا بأن هذه الجمعة الثانية لم تصح، وأقاموا الصلاة، وصلى بهم رجل صلاة الظهر أربع ركعات، وكان في هذا اليوم بالجامع الأزهر إقامة خطبتين وصلاة الجمعة مرتين، وصلاة الظهر مرتين، وانصرف الناس، وكل طائفة تخطى الأخرى، وتطير كثير منهم على السلطان بزواله من أجل إقامة خطبتين في موضع واحد هذا، وقد كان الناس عندما قيل: «مات الخطيب» قد ملكهم الوهم، فأرعد بعضهم، وبكى جماعة منهم، ودهش آخرون. وهبت عند ذلك ريح باردة، فظنوا أنهم جميعاً ميتون حتى أنه لو قدر الله موت الخطيب على المنبر لهلك جماعة من الوهم. والله عاقبة الأمور.

وفي هذه الأيام: تزايد بالسلطان مرضه. ومنذ ابتداء به المرض، وهو أخذ في

التزايد، إلا أنه يتجلد، ويظهر أنه عوفى. ويخلع على الأطباء، ويركب وسحنته متغيرة، ولونه مصفرًا، إلى أن عجز عن القيام من ليلة الأربعاء سابعه. هذا، وقد شنع الموت بالدور السلطانية فى أولاد السلطان الذكور والإناث، وفى حظاياها وجواريه، وجوارى نساءه، وفى الخدام الطواشية، وفى المماليك السلطانية سكان الطباق بالقلعة. وشنع الموت أيضا فى الناس بالقاهرة ومصر وما بينهما، وفى سكان قلعة الجبل، سوى من ذكرنا، وفى بلاد الواحات والفيوم، وبعض بلاد الصعيد، وبعض الحوف بالشرقية^(١).

وفى يوم الإثنين تاسع عشره: خرج محمل الحاج مع الأمير أقبغا الناصرى - أحد الطبلخاناه - ونزل بركة الحجاج على العادة، فمات عدة ممن خرج بالطاعون، منهم ابن أمير الحاج وأبيه، فى هذا اليوم ومن الغد بعده.

وفى هذا الشهر: ثار عشير بلاد الشام - قيسها ونمياها - وتحاربوا فى سادسه، فقتل من الفريقين جماعات يقول المكثر زيادة على ألف، ويقول المقل دون ذلك، فنزل بأهل الشام الخوف الشديد، مع ما بهم من البلاء العظيم بكثرة الموتان عندهم، حتى لا يكاد يوجد بها إلا حزين على ميت. ومع ما أصابهم من تلاف فواكههم عن آخرها.

وفى يوم الأربعاء حادى عشرينه: رفعت أوراق ديوان المواريث بعدة من مات فى هذا اليوم بالقاهرة، فكانوا ثلاثمائة وأربعا وأربعين ميتا. وضبطت عدة من صلى من الأموات فى المصليات، فبلغوا ما يتيف على ألف ميت.

وفى يوم الخميس ثانى عشرينه: خلع على الأطباء لعافية السلطان.

وفى ثالث عشرينه: استقل الحاج من البركة بالمسير.

وفى يوم السبت رابع عشرينه: وسط السلطان طبيبه اللذين خلع عليهما بالأمس، وهما العفيف وزين خضر، وذلك أنه حرص على الحياة، وصار يستعجل فى طلب العافية، فلما لم تحصل له العافية ساءت أخلاقه، وتوهم أن الأطباء مقصرون فى مداواته، وأنهم أخطأوا التدبير فى علاجه، فطلب عمر بن سيفا والى القاهرة، فلما مثل بين يديه، وهو جالس - وبين يديه جماعة من خواصه، منهم صلاح الدين محمد بن نصر الله كاتب السر، والأمير صفى الدين جوهر الخازندار - فى حرف، وفيهم العفيف وخضر أمره أن يأخذ العفيف ويوسطه بالقلعة. فأقامه ليمضى فيه ما أمر به، وإذا الخضر فأمره أن يوسط خضر أيضا، فأخذ الآخر وهو يصيح. فقام أهل المجلس

يقبلون الأرض، ومنهم من يقبل رجل السلطان، ويضرعون إليه فى العفو، فلم يقبل، وبعث واحداً بعد آخر يستعجل الوالى فى توسيطهما وهو يتباطأ، رجاء أن يقع العفو عنهما. فلما طال الأمر بعث السلطان من أشد أعوانه من يحضر توسيطهما فخرج وأغلظ للوالى فى القول. فقدم لعفيف فاستسلم، وثبت حتى وسط قطعتين بالسيف. وقدم خضر، فجزع جزعا شديداً، ودافع عن نفسه، وصاح، فتكاثروا عليه فوسطوه توسيطا شنيعا، لتلويه واضطرابه. ثم حملا إلى أهليهما بالقاهرة. فساء الناس ذلك، ونفرت قلوبهم من السلطان، وكثرت قائلتهم، فكانت حادثة لم ندرك مثلها. ومن حينئذ تزايد البلاء بالسلطان إلى يوم الخميس تاسع عشرينه، فاستدعى السلطان الأمير الكبير جقمق العلالى الأتابك ومن تأخر من الأمراء المقدمين، وقال لهم: «انظروا فى أمركم»، وخوفهم مما جرى بعد المؤيد شيخ من الاختلاف وإتلاف أمرائه، فطال الكلام، وانفضوا عنه، على غير شىء عقوده، ولا أمراً أبرموه.

شهر ذى القعدة، أهل بيوم السبت:

والناس فى أنواع من البلاء الذى لم نعهد مثله مجتمعاً، وهو أن السلطان تزايدت أمراضه، وأرجف بموته غير مرة، وشنع الموت فى مماليكه سكان الطباق، حتى لقد مات منهم فى هذا الوباء نحو آلاف. ومات من الخدام الخصيان مائة وستون طواشى، ومات من الجوارى بدار السلطان زيادة على مائة وستين جارية، سوى سبع عشرة حظية وسبعة عشر ولداً، ذكورا وإناثا.

وشمل عامة دور القاهرة ومصر وما بينهما الموت أو المرض، وكذلك جميع بلاد الشام من الفرات إلى غزوة، حتى أن قفلا توجه من القاهرة يريد دمشق، فما نزل بالعريش حتى مات ممن كان سائراً فيه زيادة على سبعين إنساناً، منهم عدة من معارفنا. ومع هذا كساد المبيعات وتعطل الأسواق، إلا من يبيع الأكفان وما لا يبد للموتى منه، كالقطن ونحوه، إلا أنه منذ أهل هذا الشهر أخذت عدة الأموات تتناقص فى كل يوم.

وفى أوله: وصل العسكر المجرى إلى مدينة أبلستين.

وفى يوم الثلاثاء رابعه: عهد السلطان إلى ولده المقام الجمالى يوسف، وذلك أنه لما تزايد به المرض، حدث عظيم الدولة القاضى زين الدين عبد الباسط الأمير صفى الدين جوهر الخازندار فى أمر المقام الجمالى، وأشار له أن يفاوض السلطان فى وقت خلوته به، أن يعهد إليه بالسلطنة من بعد وفاته، ويحسن له ذلك، فاتفق أن السلطان أمر الأمير

جوهر أن يجرر له جملة ما يتحصل من أوقافه على أولاده، فلما أوقفه على ذلك، وجد السبيل إلى الكلام، فأعلمه بما أشار به القاضى زين الدين عبد الباسط من العهد إلى المقام الجمالى، فأعجبه ذلك، وأمر باستدعائه. فلما مثل بين يديه، سأله عما ذكر له جوهر عنه، فأخذ يحسن ذلك، ويقول: «فى هذا اجتماع الكلمة، وسد باب الفتن، وعمارَة بيت السلطان، ومصلحة العباد، وعمارَة البلاد» ونحو ذلك من القول. فأجاب السلطان إلى ذلك، ورسم له باستدعاء الخليفة والقضاة والأمراء والمماليك وأهل الدولة، وحضورهم فى غد، فمضى عنه القاضى زين الدين ونزل إلى داره بالقاهرة، وبعث إلى المذكورين أن يحضروا غدًا بين يدي السلطان بكرَة النهار، وتقدم إلى القاضى شرف الدين أبى بكر الأشقر - نائب كاتب السر - بكتابة عهد المقام الجمالى، وذلك أن القاضى صلاح الدين محمد بن نصر الله كاتب السر - من حين وسط العفيف وخضر - تغير مزاجه، واشتد جزعه إلى أن حم فى ليلة الجمعة، ونزل من القلعة، ولزم الفراش ومرضه يتزايد، وقد ظهر به الطاعون فى مواضع من بدنه، فبادر القاضى شرف الدين، وكتب العهد ليلا. وأصبح الجماعة فى يوم الثلاثاء رابعه وهم بالقلعة، فأخرج السلطان إلى موضع يشرف على الحوش، وقد وقف به الأمير خشقدم الطواشى مقدم المماليك، ومعه جميع من بقى من المماليك السلطانية سكان الطباق بالقلعة، وجميع من هو أسفل القلعة، من المشتروات والمستخدمين. وجلس الخليفة أمير المؤمنين المعتضد بالله أبو الفتح داود، وقضاة القضاة الأربع على مراتبهم، والأمير الكبير جقمق العلاى أتابك العساكر، ومن تأخر من أمراء الألوْف والمباشرون، ماعدا كاتب السر فإنه شديد المرض. ثم قام القاضى زين الدين عبد الباسط وفتح باب الكلام فى عهد السلطان من بعد وفاته لابنه المقام الجمالى بالسلطنة وقد حضر أيضا مع أبيه، فاستحسن الخليفة ذلك وأشار به. فتقدم القاضى شرف الدين الأشقر بالعهد إلى بين يدي السلطان، فأشهد السلطان على نفسه بأنه عهد إلى ولده الملك العزيز جمال الدين أبى المحاسن يوسف - من بعد وفاته - بالسلطنة فأمضى الخليفة العهد، وشهد بذلك القضاة. ثم إن السلطان التفت إلى مقدم المماليك وكلمه بالتركية - والمماليك تسمعه - كلاما طويلا؛ ليلغيه عنه إلى المماليك، حاصله أنه اشتراهم ورباهم، وأنهم أفسدوا فسادا كبيرا، عدد فيه ذنوبهم، وأنه تغير من ذلك عليهم وما زال يدعو الله عليهم حتى هلك منهم من هلك فى طاعون سنة ثلاث وثلاثين، ثم إنه اشترى بعدهم طوائف ورباهم، فشرعوا أيضا فى الفساد، كما فعل أولئك الهالكون بدعائه: «وأنه قد وقع فيكم الطاعون فمات منكم من مات، وقد عفوت عنكم، وأنا ذاهب إلى الله وتارك ولدى هذا وهو وديعتى

عندكم، وقد استخلفته عليكم، فاسمعوا له وأطيعوه، ولا تختلفوا، فیدخل بینكم غیركم فتهلكوا». وأوصاهم ألا یغیروا علی أحد من الأمراء وأن یبقوا الأمراء المجردین علی أمریاتهم، ولا یغیروا نواب الممالك. فاشتد عند ذلك بكاؤهم، وبكى الحاضرون أيضا ثم أقسم السلطان وأعيد إلى فراشه، وقد كتب الخليفة بإمضاء عهد السلطان، وشهد علیه فی القضاة بذلك، ثم كتب القاضي شرف الدین الأشقر إسهادا علی السلطان بأنه جعل الأمير الكبير جقمق العلاءي قائما بتدبير أمور الملك العزيز، وأخذ فی خط الخليفة بالإمضاء، وشهادة القضاة علیه بذلك، فألصقه بالعهد، وانفضوا جميعهم.

وفي هذا اليوم: أنفق فی الممالك السلطانية كل واحد مبلغ ثلاثين ديناراً، فكانت جملتها مائة وعشرون ألف دينار.

وفیه خلع علی تغرى بردى - أحد أتباع التاج الشويكى - واستقر فی ولاية القاهرة، عوضا عن عمر بن سيفا أخى التاج، فإنه مرض بالطاعون من آخر نهار الجمعة.

وفي يوم الجمعة سادسه: (١) استدعى الصاحب بدر الدین حسن بن نصر الله إلى القلعة. فلما مثل بین یدی مولانا السلطان أمر به، فخلع علیه، واستقر به فی كتابة السر، عوضا عن ولده صلاح الدین محمد، وقد توفى. فنزل فی موكب جليل علی فرس رائع بقماش ذهب، أخرج له من الإسطبل السلطاني (٢). وخلع معه أيضا علی نور الدین علی بن السوفى، واستقر فی حسة القاهرة، عوضا عن دولت خجا، وقد مات فی أول الشهر.

وفي هذا الشهر: أتلّف الجرّاد بضواحي القاهرة كثيرا من المقاتي، كالخيار والبطيخ والقثاء والقرع. ووقع الطاعون فی الغنم والدواب. ووجد فی النيل سمك كثير طاف قد مات من الطاعون.

وأما الطاعون - فإنه كما تقدم - ابتداءً بالقاهرة من أول شهر رمضان، وكثر فی شوال حتى تجاوز عدة من یصلی علیه فی مصلى باب النصر كل يوم أربعمائة ميت، سوى بقية المصلیات وعدتها بضع عشرة مصلى. ومع ذلك فلم تبلغ عدة من یرفع فی أوراق دیوان المواريث قط أربعمائة. وسببه أن الناس أعدوا توابيت للسبيل، ومعظم من يموت إنما هم الأطفال والإماء والعبيد، فلا یحتاج أهلهم إلى إطلاقهم من الديوان (٣).

(١) فی النجوم الزاهرة « سابع ».

(٢) انظر النجوم الزاهرة ٢٨٣/١٤.

(٣) انظر النجوم الزاهرة ٢٨٣/١٤.

ومن أعجب ما وقع فى هذه الأيام أن رجلا نادى على قباء فى عدة أسواق، فلم يجد من يشتريه لكساد الأسواق. وكان سوق الرقيق قد أغلق وتعطل بيع الرقيق فيه لكثرة يموت منهم، فاحتاج رجل إلى بيع عبد له، فأخذ به و صار ينادى عليه فى شارع القاهرة: «من يشتري هذا العبد» فلم يجبه أحد، مع كثرة الناس بالشارع، وإنما تركوا شراءه خوفا من سرعة موته بالطاعون.

وفى حادى عشره: رحل الأمراء المجردون من أبلستين، ومعهم نواب الشام وعساكرها من غزة إلى الفرات، وجميع تركمان الطاعة، وتوجهوا فى جميع كبير يريدون مدينة آقشهر، حتى نزلوا عليها وحصروها.

ومن يوم السبت خامس عشره: (١) اشتد مرض السلطان، ثم حجب عن الناس، فلم يدخل إليه أحد من الأمراء والمباشرين عدة أيام، سوى الأمير أينال شاد الشربخانا، والأمير على بيه، والأمير صفى الدين جوهر الخازندار، والأمير جوهر الزمام. فإذا صعد القاضى زين الدين عبد الباسط والمباشرون إلى القلعة، أعلمهم هؤلاء بحال السلطان. هذا، والإرجاف يقوى، والأمراء والمماليك السلطانية فى حركة، وقد صاروا فرقا مختلفة الآراء. والناس على تخوف من وقوع الحرب، وقد زرعوا فى دورهم، وأخفى أهل الدولة أولادهم ونساءهم خوفا من النهب، وأهل النواحي بالصعيد والوجه البحرى قد نجم النفاق فيهم، وخيفت السبل، شاما ومصرًا. وقد تناقصت عدة الأموات بالقاهرة ومصر منذ أهل هذا الشهر، كما تقدم.

وفى أخريات هذا الشهر: هجم على المسجد على الحرام بمكة سيل عظيم، ملأ الحرم من غير تقدم مطر بمكة.

شهر ذى الحجة، أهل بيوم الإثنين: والناس بديار مصر من قلة الخدم فى عناء وجهد، فإنه مات بالقاهرة ومصر وما بينهما فى مدة شهر رمضان وشوال وذى القعدة زيادة على مائة ألف إنسان، معظمهم الأطفال، وأكثر الأطفال البنات، ويلي الأطفال فى كثرة من مات الرقيق، وأكثر من مات من الرقيق الإماء، بحيث كادت الدور أن تخلو من الأطفال والإماء والعبيد. وكذلك جميع بلاد الشام بأسرها.

وأما السلطان فحدث له مع سقوط شهوة الغذاء مدة أشهر، ومع انخراط قواه، ما ليحوليا (٢) فكثر هذيانه وتخليطه، ولولا أن الله تعالى أضعف قوته لما كان يؤمن مع ذلك من إفساد شيء كثير بيده، إلا أنه فى أكثر الأوقات غائب، فإذا أفاق هذى وخلط.

(١) جاء فى النجوم « فى يوم الثلاثاء خامس عشرين ذى القعدة ٢٨٤/١٤.

(٢) هو الانقباض واضطراب العقل.

وصار العسكر فى الجملة قسمين: قسم يقال عنهم أنهم قرانصة، وهم الظاهرية والناصرية والمؤيدية، وكلمتهم متفقة على طاعة الملك العزيز، وأن يكون الأمير الكبير جقمق العلاى نظام الملك، كما قرره السلطان، وأنهم لا يصعدون إلى القلعة خوفاً على أنفسهم من المماليك الأشرفية. والقسم الآخر المماليك الأشرفية - سكان الطباق بالقلعة - ورأيهم أن يكون الملك العزيز مستبدًا بالأمر وحده، وأعيانهم الأمير أينال شاد الشراجاناه، والأمير يخشى باى أمير أخور ثانى، والأمير على بيه الخازندار، والأمير مغلباى الجقمقى أستاذار الصحبة، والأمير قرقماس قريب السلطان. وهذه الطائفة الأشرفية مختلفة بعضها على بعض. فلما اشتهر أمر هذين الطائفتين وشنعت القالة عنهما، قام عظيم الدولة القاضى زين الدين عبد الباسط فى لم هذا الشعب، وإحماد نار الفتنة؛ ليصلح بين الفريقين. ووافق على ذلك الأمير أينال الشاد، فاستدعى سكان الطباق من المماليك إلى جامع القلعة، وأرسل إلى القضاة (١).

فلما تكامل الجمع مازال بهم حتى أذعنوا إلى الحلف، فتولى تحليفهم القاضى شرف الدين الأشقر نائب كاتب السر، على الإقامة على طاعة الملك العزيز، والاتفاق مع الأمير الكبير جقمق، وألا يتعرض أحد منهم لشر ولا فتنة، ولا يتعرضوا لأحد من الأمراء المقيمين بديار مصر، ولا إلى الأمراء المجردين ولا إلى كفلاء ممالك الشام فى نفس ولا مال ولا رزق. فلما حلف الأمير أينال والأمير على بيه، والأمير تمرباى الدوادار، وعمامة المماليك، حلف القاضى زين الدين عبد الباسط أن يكون مع الفريقين، ولا يباطن طائفة على الأخرى، ثم قام الجميع، وقصد القاضى زين الدين دار الأمير الكبير جقمق، ومعه عدة من أعيان الأشرفية، حتى حلفه، وحلف بعده من بقى بديار مصر من الأمراء. ثم نزل بعد ذلك الأمير أينال ثم الأمير على بيه إلى الأمير الكبير جقمق، وقبل كل منهما يده، فابتهج بهما، وبالغ فى إكراههما. وسكنت تلك الثائرة. والله الحمد.

وفى يوم الأربعاء عاشره: - وهو يوم عيد النحر - خرج الملك العزيز، فصلى صلاة العيد بجامع القلعة، وقد صعد إلى خدمته بالجامع الأمير الكبير جقمق، ومن عداه من الأمراء. ثم مشوا فى الخدمة بعد الصلاة، حتى جلس على باب الستارة. وخلع على الأمير الكبير، وعلى من جرت عادته بالخلع فى يوم عيد النحر. ونزلوا إلى دورهم. فقام الملك العزيز، ودخل، وذبح، ونحر الضحايا بالحوش (٢) هذا، وقد توالى على السلطان نوب الصرع مرارا، وتخلت قواه، حتى صار كما قيل.

(١) انظر النجوم الزاهرة ١٤/٢٨٤، ٢٨٥.

(٢) فى النجوم « بالحوش السلطاني ».

ولم يبق إلا نفس خافت ومقلة إنسانها باهت

يرثى له الشامت مما به يايح من يرثى له الشامت

حتى مات عصر يوم السبت ثالث عشره. تغمده الله برحمته وأسكنه فسيح جنته^(١).

* * *

السلطان الملك العزيز جمال الدين

أبو المحاسن يوسف ابن الأشرف برسباى^(٢)

أقيم فى الملك بعد أبيه، وذلك أن السلطان برسباى لما مات بادر القاضى زين الدين عبد الباسط، والأمير أينال الشداد، والأمير على بيه، والأمير تمرباى الدوادار، وقد اجتمعوا بالقلعة، وبعثوا فى الحال القاضى شرف الدين الأشقر فى استدعاء الخليفة، وبعث القاضى زين الدين بعض غلمانة فى طلب القضاة، فأتوا جميعاً. ودخل الأمير جوهر الزمام، فأخرج بالملك العزيز إلى باب الستارة، وأجلس هناك، وطلب الأمير الكبير جقمق وبقية الأمراء، ونزل المماليك من الطبايق. فلما تكامل جمعهم، وحضر الوزير وكاتب السر، وناظر الخاص، فوض الخليفة السلطنة للملك العزيز، وأفاض عليه التشريف الخليفى، وقلده السيف وقد بقى لغروب الشمس نحو ساعة. وعمر السلطان يومئذ أربع عشرة سنة وسبعة أشهر، فقام من باب الستارة، وركب فرسه، ورفعت القبة والطير على رأسه، وقد حملها الأمير الكبير. وسار، والكل مشاة فى ركابه، حتى عبر إلى القصر، فجلس على تخت الملك وسرير السلطنة، وقبل الأمراء وغيرهم الأرض له. وقرأ العهد بالسلطنة الصاحب بدر الدين حسن بن نصر الله كاتب السر، فخلع على الخليفة، وعلى الأمير الكبير، وعلى كاتب السر. وخرجوا من القصر، وقد غسل السلطان الملك الأشرف برسباى وكفن، وأخرج بالجنائزة من الدور إلى باب القلعة فوضعت هنالك. وتقدم قاضى القضاة شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن حجر الشافعى فصلى بالناس عليها قبيل الغروب، وشيع الأمراء والمماليك وغيرهم الجنائزة حتى دفنت بالتربة التى أنشأها رحمه الله خارج باب المحروق بالصحرَاء، تحت القبة. وقد اجتمع من الناس ما لا يحصيهـم إلا خالقهم، سبحانه. والناس بالقاهرة فى بيعهم وشرائهم بالأسواق فى أمن ودعة وسكون. ونودى فى القاهرة بالأمان والاطمئنان والبيع والشراء، وأن يترحموا على الملك الأشرف، والدعاء للسلطان الملك العزيز جمال الدين

(١) انظر النجوم الزاهرة ٢٨٥/١٤.

(٢) انظر النجوم الزاهرة ٢٨٦/١٤ وما بعدها.

٣٦٢ سنة إحدى وأربعين وثمانمائة

أبى المحاسن. وأن النفقة فى يوم الإثنين مائة دينار، لكل واحد من الممالىك، فإزداد الناس طمأنينة. ولم يكن شىء مما كان يتوقع من الشر، والحمد لله.

وفى يوم الأحد رابع عشره: اجتمع أهل الدولة للصبحه عند قبر السلطان. وقد بات القراء يتناوبون القراءه، عند قبره ليلتهم، فحتموا القرآن الكرىم، ودعوا، ثم انفض الجمع. وأقام القراء للقراءه عند القبر سبعة أيام.

وفيه عملت الخدمة السلطانية بالقصر، وحضر الأمير الكبرى وسائر أهل الدولة على العاده، فزاد السلطان الخليفة جزيرة الصابونى ^(١) زيادة على ما بيده.

وفيه كتبت البشائر إلى البلاد الشامىة وأعمال مصر، بسلطنة الملك العزيز.

وفى يوم الإثنين خامس عشره: جلس السلطان بالحوش من القلعه، وعنده الأمراء والمباشرون، وابتدئ فى النفقه على الممالىك، فأنفق فىهم مائة دينار لكل واحد.

وفيه توجه الأمير أىنال الأحمدى - المعروف بالفقيه - بالبشارة إلى البلاد الشامىة، وعلى يده مع الكتب للنواب، الكتب للأمراء المجردين.

وفى سادس عشره: أنفق فىمن بقى من الممالىك.

وفيه قدم مراد بك رسول الأمير حمزه بن قرابلىك صاحب ماردين وأرزن كان، وصحبته شمس الدين القطماوى، ومعهما هدىة، وكتاب يتضمن دخوله فى طاعة السلطان، وأنه أقام الخطبة وضرب السكه باسم السلطان الملك الأشرف، وجهز الدينانير والدرهم بالسكه السلطانىة. وعلى يد شمس الدين القطماوى كتب الأمراء المجردين. وكان سبب ذلك أن الأمراء لما قدمت حلب، كاتبوا حمزة المذكور يدعوه إلى طاعة السلطان وقدمه إىلهم، فأجاب بالسمع والطاعة، وأقام الخطبة، وضرب السكه باسم السلطان، وجهز هدىته وما ضربه من المال، فلم يتفق قدوم ذلك إلا بعد موت السلطان، فأكرم الرسولان وأنزلا ثم أعيدها بالجواب، ومعهما هدىة وتشريف للأمير حمزة.

وفيه خلع على الأمير طوخ مازى، واستقر فى نىابة غزة، وكانت شاغرة منذ مات نائباها.

وفى يوم السبت عشرىنه: وقع بين حكيم الخاصكى - خال السلطان - وبين الأمير

(١) تقع تجاه رباط الآثار، وقد وقفها نجم الدين أىوب بن شادى وقطعة من بركة الحبش، فجعل

نصف ذلك على الشىخ الصابونى وأولاده، والآخر على الصوفىة. انظر المواعظ والاعتبار ١٨٥/٢.

أينال مفاوضة، آلت إلى شر؛ وسبب ذلك أن الكلام والتحدث في أمور المملكة صار بين ثلاثة: الأمير الكبير نظام الملك جقمق، والقاضي زين الدين عبد الباسط، والأمير أينال. ولزم السلطان السكوت، فلا يتكلم فأنكر حكم على أينال أمره ونهيه فيما يتعلق بأمر الدولة، وكونه أقام بالقلعة وصار يبئ بها، فغضب منه أينال، ونزل من القلعة إلى داره، فكان هذا ابتداء وقوع الخلف الذى آل إلى ما سيأتى ذكره، إن شاء الله تعالى.

وفيه تجمع كثير من الممالك تحت القلعة، وأرادوا أن يفتكوا بالقاضي زين الدين عبد الباسط. فلما نزل من القلعة أحاطوا به، وجرت بينهم وبينه مقاولات، أغلظوا فيها عليه، ولم يقدروا على غير ذلك، وخلص منهم إلى بيته.

وفي هذا الشهر: - والذى قبله - فشا الموت بالطاعون فى الإسكندرية، ودمياط، وفوه، ودمهور، وما حول تلك الأعمال، فمات بها عالم كبير. وتجاوزت عدة من يموت بالإسكندرية فى كل يوم مائة إنسان.

وفي يوم السبت سابع عشرينه: ابتدئ بالنداء على النيل، فزاد خمسة أصابع.

وجاءت القاعدة خمسة أذرع وثلاثة وعشرين أصبعا، واستمرت الزيادة فى كل يوم. والله الحمد.

وفيه أنعم بإقطاع السلطان على الأمير نظام الملك جقمق، بعدما سئل السلطان فى ذلك فأبى، ثم غلب عليه حتى أخرجه له. وأنعم بإقطاع الأمير جقمق على الأمير تمرار القرمشى أس نوبه أحد المجردين. وأنعم بإقطاع الأمير تمرار على الأمير تهرباى الدوادار، وأنعم بإقطاع الأمير تهرباى على الأمير على بيه. وأنعم بإقطاع الأمير طوخ مازى نائب غزة على الأمير يخشى بيه أمير أخور ثانى، وأنعم بإقطاع يخشى بيه على يل خججا الساقى رأس نوبة، وأنعم بإقطاع يل خججا وإمرته - وهى إمرة عشرة - على قانيه الجرکسى، وخلع على الأمير أينال، واستقر دواداراً عوضاً عن الأمير تهرباى.

وفي يوم الأحد ثامن عشرينه: خلع على على بيه، واستقر شاد الشرايخانا، عوضاً عن الأمير أينال الدوادار.

وفي يوم الإثنين تاسع عشرينه: خلع على سيف الدين دمرداش - أحد الممالك الأشرية - واستقر فى ولاية القاهرة، عوضاً عن تغرى بردى التاجى.

وفيه تجمع كثير من الممالك تحت القلعة، وأحاطوا بالأمير الكبير نظام الملك عند

نزوله من الخدمة السلطانية بالقلعة إلى جهة بيته؛ ليوقعوا به، فتخلص منهم من غير سوء، هذا والقاضي زين الدين عبد الباسط من المماليك فى عناء شديد.

وقدم الخبر بأن العسكر المجرى لما قصد مدينة آقشهر^(١) تلقاهم سلطان أحمد بن قليج أرسلان صاحب تلى صار - وقد رغب فى الطاعة السلطانية - وسار معهم حتى نازلوا مدينة آقشهر فى أول ذى الحجة، فهرب متملكها حسن الأيتاقى فى ليلة الثلاثاء تانيه إلى قلعة برداش، فملك العسكر المدينة وقلعتها، وقبضوا على عدة من أعيانها، وبعثوا بسلطان أحمد بن قليج أرسلان على عسكر، فملك قلعتى فارس وشملى، فأقروه على نيابة السلطنة بهما. وساروا لمحاصرة حسن بقلعة برداش ففر منها إلى قلعة بزلطش، فنزل من العسكر عليها حتى أخذها فى ثامن عشره الأمير قرقماس أمير سلاح، بعد أن قاتل أهلها بضعة عشر يوماً. ثم هدمها حتى سوى بها الأرض، وقد فر منها حسن أيتافى. ثم سار الأمير قرقماس بمن معه مع بقية العساكر يريدون أرزنكان، فقدم عليهم الأمير مرزا ابن الأمير يعقوب ابن الأمير قرايلك رسولا من أبيه يعقوب صاحب أرزنكان وكماخ^(٢) وقد خرج عن أرزنكان ونزل كماخ، وقدم مع مرزا زوجة أبيه وعدة من القضاة والأعيان بأرزنكان، يسألون العفو عن الأمير يعقوب وإعفائه من قدومه إليهم وأن يجهز لنيابة السلطنة بأرزنكان الأمير جهان كير ابن الأمير ناصر الدين على باك بن قرايلوك، فأجيبوا إلى ذلك كله، وخلع على الأمير مرزا، ودفع إليه خلعة لأبيه الأمير يعقوب، وفرس بقماش ذهب. وأعيد وصحبته الأمير جهان كير، وقد خلع عليه بنيابة أرزنكان. وساروا وقد جهز إلى أرزنكان بالأمير سودون النوروزى دوادار نائب حلب، ومعه نائب دوركى ونائب بهنسنى، فتسلموا أرزنكان بلا مانع، وأقاموا بها. ثم توجه القاضي معين الدين عبد اللطيف ابن القاضي شرف الدين الأشقر كاتب السر بحلب، حتى حلف أهل أرزنكان بالإقامة على طاعة السلطان، ثم سارت العساكر من آقشهر فى ثانى عشرينه حتى نزلت على أرزنكان، وعسكروا هناك، فخرج إليهم أهلها، وباعوا عليهم ما أرادوا منهم، وفتحت أبواب المدينة، والعساكر يدخل منها المدينة من أراد ذلك، من غير ضرر ولا نهب، واستمروا على ذلك إلى آخر الشهر.

(١) آقشهر: تقع إلى الشمال الغربى من قونية على مسيرة ثلاثة أيام منها. انظر تقويم البلدان.

(٢) كماخ: كَمَخُ: مدينة بالروم، وسأل ياقوت واحداً من تلك النواحي فقال هى: كماخ

بالألف لا شك فيها، وبين كماخ وأرزنجان يوم واحد. انظر معجم البلدان ٤/٤٧٩.

وقدم الخبر بأن ملك البرتقال صاحب مدينة شلب^(١) من الأندلس سار يريد مدينة طنجة، فنزل على سبتة في المحرم، ومضى منهما وهي بيده في البر والبحر، ومعه فيما يقال ثمانية عشر ألف رام، وستة آلاف فارس، حتى نزل على طنجة فحصرها مدة شهر إلى أن أتته جموع المسلمين من فاس ومكناسة^(٢) وأصيلا^(٣) في شهر ربيع الآخر، فكانت بينهم وبين البرتقال من النصارى حروب عظيمة، نصر الله فيها المسلمين، وقتل نحو الثلاثين من النصارى. والتجأ باقيهم إلى محلتهم فضايقتهم المسلمون حتى طلبوا الأمان على أن يسلموا المسلمين مدينة سبتة، ويفرجوا عن سبعمائة أسير من المسلمين، ويدفعوا ما بأيديهم من آلات الحرب للمسلمين فأمنوهم، وبعثوا برهائهم على ذلك، فصار المسلمون يأخذون النصارى ويوصلونهم إلى أسطوهم بالبحر. فحسد أحمد اللحياني - القائم بتدبير مكناسة - الأزرق وهو أبو زكريا حى بن زيان بن عمر الوطاسى - القائم بتدبير مدينة فاس - وقتل عدة من النصارى، ورحل، فحنق النصارى؛ من ذلك، وحطموا على المسلمين حطمة قتل فيها جماعة، وخلصوا إلى أسطوهم وبقي ابن ملكهم فى يد المسلمين، فلما وصلوا إلى بلادهم، لم يرض أكابرهم بتسليم سبتة للمسلمين، وبعثوا فى فداء ابن الملك بمال، فلم يقع بينهم وبين الرسول اتفاق، وسجنوه مع ابن الملك المرتهن عند صالح بن حمو، بطنجة فيقول المكثر أن الذى قتل من النصارى فى هذه الواقعة خمسة وعشرون ألفا، وغنم المسلمون منهم أموالا كثيرة. والله الحمد.

* * *

ومات فى هذه السنة

بالطاعون وفى الحرب عالم عظيم جدا من أهل الأرض، فممن له ذكر وشهرة: سعد الدين إبراهيم بن كريم الدين عبد الكريم بن سعد الدين بركة^(٤)، المعروف بابن كاتب حكيم ناظر الخاص ابن ناظر الخاص، فى يوم الخميس سابع عشر شهر ربيع الأول، عن نحو ثلاثين سنة. وكان من المترفين، المنهمكين فى اللذات المنغمسين فى الشهوات، ونزل السلطان فصلى عليه تحت القلعة، ودفن عند أبيه بالقرافة.

(١) شِلْبُ: وهى مدينة بغربى الأندلس بينها وبين باجة ثلاثة أيام، وهى غربى قرطبة. انظر معجم البلدان ٣/٣٥٥.

(٢) سبق ترجمتها.

(٣) تقع غربى طنجة، وبينهما مرحلة انظر معجم البلدان.

(٤) انظر النجوم الزاهرة ١٤/٣٦٤.

ومات الأمير تمتاز المؤيدى (١) خنقا بالإسكندرية، فى ثالث عشرين جمادى الآخرة، وهو أحد المماليك المؤيدية شيخ، رباه صغيراً إلى أن تغير عليه، وضربه، ونفاه إلى طرابلس، فتنقل بعد موت المؤيد إلى أن ركب مع الأمير قانباى، فقبض عليه، وسجن بقلعة الروم مدة. ثم أفرج عنه، وأنعم عليه بأمرة عشرة بحلب، ثم نقل بعد مدة على إمرة بدمشق. ثم ولى نيابة صنفد، ونقل منها لنيابة غزة، ثم قبض عليه لما قدم على السلطان وسجن بالإسكندرية وبها قتل، ولم يكن مشكوراً.

ومات الأمير جانبك الصوفى (٢) فى يوم الجمعة خامس عشر شهر ربيع الآخر، وهو أحد المماليك الظاهرية برفوق. ترقى فى الخدم، وصار من أمراء الألو، وتنقلت به الأحوال حتى قبض عليه الأشرف برسباى، وسجنه، ففر من سجنه بالإسكندرية، وأعيى السلطان تطلبه، وامتحن جماعة بسببه، إلى أن ظهر عند ابن دلقادر، وحاول ما لم يقدر عليه، فهلك دون بلوغ مراده. وحمل رأسه إلى السلطان، كما مر ذكره مشروحا. وكان ظالما، عاتيا، جبارا، لم يعرف بدين ولا كرم.

ومات شمس الدين محمد بن الخضر بن داود بن يعقوب، المصرى شهرة، الحلبي الشافعى (٣) فى يوم الأحد النصف من شهر رجب، وكان خيرا ديناً كثير التلاوة للقرآن، فاضلا، حسن المحاضرة وتصرف فى الكتابة بديوان الإنشاء مدة. ثم توجه إلى القدس بعدما أقام بالقاهرة سنين، فمات هناك. رحمه الله.

ومات بمكة - شرفها الله - الأمير جانبك الحاجب، المجرد على المماليك إلى مكة، فى حادى عشر شعبان. ومستراح منه.

ومات بدمشق الشيخ علاء الدين محمد بن محمد بن محمد البخارى الحنفى (٤) فى خامس شهر رمضان. وكان ورعا بارعا فى علوم، من عربية ومعان وبيان وغير ذلك، وله فى الدولة مكانة. سكن بلاد الهند، وعظم عند ملكها، ثم قدم القاهرة، وتصدر لإفادة العلم فقراً عليه جماعة، وعظم قدره. ثم سكن دمشق حتى مات بها.

(١) انظر النجوم الزاهرة ٣٦٦/١٤.

(٢) هو الأمير الكبير سيف الدين جانبك بن عبد الله الصوفى الظاهرى، صاحب الوقائع والأهوال والحروب. انظر النجوم الزاهرة ٣٦٤/١٤.

(٣) انظر النجوم الزاهرة ٣٦٦/١٤ وقد كان ديناً خيراً وله رواية عالية بسنن ابن ماجه وحدث وأسمع سنين.

(٤) انظر النجوم الزاهرة ٣٦٧/١٤.

ومات بالقاهرة الشيخ علاء الدين على بن موسى بن إبراهيم الرومى الحنفى (١) فى يوم الأحد عشرين شهر رمضان، وكان قدم من بلاد الروم، وولى تدريس المدرسة الأشرفية برسباى، ومشيخة التصوف بها مدة، ثم عزل عنها، وكان فاضلا فى عدة علوم، مع طيش وخفة، وجرأة بلسانه على ما لا يليق، وفحش فى مخاطبته عند البحث معه. عفا الله عنه.

ومات الأمير آق بردى نائب غزة، فأراح الله بموته من جوره وطمعه.

ومات ناصر الدين محمد بن بدر الدين حسن بن سعد الدين محمد الفاقوسى (٢) موقع الدست، فى ليلة الإثنين تاسع عشر شوال، عن بضع وسبعين سنة. وكان حشما، رئيسا، له مروءة وفيه أفضال وبر وصدقات. رحمه الله.

ومات الأمير دولات خجاء، أحد المماليك الظاهرية. ولى ولاية القاهرة ثم حسبتها. وكان عسوقا جباراً كثير الشر، يصفه من يعرفه بأنه ليس بمسلم، وأنه لا يخاف الله، وكان موته يوم السبت أول ذى القعدة، وقد شاخ (٣).

ومات الأمير القاضى صلاح الدين محمد ابن الصاحب الأمير الوزير بدر الدين حسن بن نصر الله (٤) فى ليلة الأربعاء خامس ذى القعدة، وقد أناف على الخمسين، وكان جميل الصورة عاقلا، رزينا، يكتب الخط المنسوب، ويعرف الحساب معرفة جيدة. ولى الحجوبية من صغره مدة، ثم باشر أستاذارية السلطان مرتين، وولى حسبة القاهرة ثم صار جليس السلطان وسميره. وولاه مع مجالسته كتابة السر مستولا بها فباشرها مع الحسبة، ونظر دار الضرب، ونظر الأوقاف، وغير ذلك حتى مات. رحمه الله. فلقد أحزننا فقده. ومولده فى رمضان سنة إحدى وتسعين وسبعمائة.

ومات شهاب الدين أحمد ابن الأمير علاء الدين على ابن الأمير سيف الدين قرطاي، المعروف بابن بنت الأمير بكتمر الساقى (٥) سبى جده قرطاي من بلاد الروم، وجيء به إلى الديار المصرية - فترقى فى الخدم، حتى صار من جملة الأمراء. وولى ابنه

(١) انظر النجوم الزاهرة ٣٦٨/١٤.

(٢) كان حشما وقورا، وله فضل وأفضال، وحدث سنين، وسمع منه خلاص وكان معدودا من

الرؤساء بالديار المصرية. انظر النجوم الزاهرة ٣٦٩/١٤.

(٣) انظر النجوم الزاهرة ٣٦٩/١٤.

(٤) انظر النجوم الزاهرة ٣٧٠/١٤.

(٥) انظر النجوم الزاهرة ٣٧١/١٤.

على بن قرطاي نقابة الجيش، وتزوج بابنة الأمير ناصر الدين محمد ابن الأمير بكتمر الساقى، فولد له منها أحمد فى يوم الأحد ثالث عشرين شعبان سنة ست وثمانين وسبعمائة. ونشأ فى عز وترف وحشمة ورياسة وسعة دنيا. فمال إلى الفضائل، وكتب على شيخنا علاء الدين عصفور، فبرع فى الكتابة وفنونها، حتى فاق فى كتابة المنسوب أبناء عصره. ونظم الشعر المليح، وأتقن صنائع عديدة. ونظر فى عدة علوم حتى مات، فى ليلة الإثنين عاشر ذى القعدة. وكان مجموعاً حسناً، ذا فضائل جمّة، ووجه جميل، وشكل مليح، وخلق رضى، ونفس سمحة، وذكاء، وحسن تصور، وثناء واسع، وحشمة وافرة. رحمه الله، فلقد كان لى به أنس، ومنه نفع. كتب إلى وقد قدمت من الحجاز من شعره:

أيا مولاي دم أبداً بخير وعزما جرت شمس النهار
لرؤيتك السنية مت شوقاً وقد دنت الديار، من الديار

ومات الأمير سليمان بن أورخان بك بن محمد كرشجى بن عثمان. ملك جدة محمد كرشجى بلاد الروم، وقبض عمه مراد بن محمد كرشجى ملك الروم على أبيه أورخان بك، وسجنه حتى مات. وقد ولد سليمان ففر به مملوك أبيه، حتى قدم على السلطان الأشرف برسباى فأكرمه ورباه. ثم فر به مملوك أبيه، يريد بلاد الروم، فقبض عليه برسباى وسجنه، ثم أفرج عنه، وتزوج السلطان بأخته شاه زاده.

ومات إسكندر بن قرايوسف ملك تبريز، بعدما تشئت مدة، ثم انهزم إلى قلعة يلنجا، فذبحه ابنه شاه قوماط، فى شهر ذى القعدة. وكان شجاعاً مقداماً جريئاً، أهوج، لا يرجع إلى دين ولا عقل، بل خرب البلاد، وأكثر فى الأرض الفساد.

ومات نور الدين على بن مفلح، وكيل بيت المال وناظر المارستان، فى يوم الجمعة ثانى عشر ذى الحجة. كان أبوه عبداً أسود للطواشى كافور الهنذى، فأعتقه، وقرأ ابنه على القرآن، وخدم عدة من أهل الدولة، حتى تقرر يقرئ المملك فى الطباق السلطانية بالقلعة. وأكثر من مداخلتهم، إلى أن تردد إلى القاضى زين الدين عبد الباسط، فارتفع به قدره، وولى الوكالة ونظر المارستان. وعد من رؤساء الناس، وكانت له مروءة، وفيه عصبية، وتقدير (١) فى كلامه من غير إعراب ولا علم، إنما هو الحظ لا غيره.

(١) وقعر فى كلامه وتقعر تشدق وتكلم بأقصى قعر فمه، وقيل: تكلم بأقصى حلقه. ورجل قيعر وقيعار: متقعر فى كلامه. والتقعر: التعميق. والتقعر فى كلام: التشدق فيه. والتقعر فى الكلام: التشدق فيه. والتقعر: التعمق. وقعر الرجل إذا روى فنظر فيما يغمض من رأى حتى يستخرجه. ابن الأعرابى: القعر العقل التام. يقال: هو يتقعر فى كلامه إذا كان يتنحى وهو لحانة، ويتعاقل وهو هلباحة. انظر لسان العرب ٣٦٩١. انظر القاموس المحيط (قعر).

ومات السلطان الملك الأشرف برسباى الدقماقى الظاهرى (١) فى يوم السبت ثالث عشر ذى الحجة، وقد أناف على الستين. كان أبوه من أوضع أهل بلاده قدرًا، وأشدهم فقرًا، فأسلم ابنه هذا لحداد، فكان ينفخ عنده بالكير. ثم مات، فتزوجت امرأته برجل، فباع برسباى هذا - وهو صغير - من رجل يهودى اسمه صادق. فخدمه مدة، وتلقن أخلاقه، وتطبع بطباعه، حتى جلبه إلى ديار مصر، فابتاعه الأمير دقماق. ثم بعث به فى جملة تقدمه لما استقر فى نيابة ملطية. فأنزله السلطان الملك الظاهر برقوق فى جملة ممالك الطباق. ثم أخرج له قبل موته خيلا، وأنزله من الطباق، وقد أعتقه. فلما كانت الأيام الناصرية فرج، خرج فيمن خرج إلى الشام، وانتمى إلى الأمير نوروز، ثم إلى الأمير شيخ، فلما قدم الأمير شيخ بعد قتل الناصر إلى مصر، كان فيمن قدم معه، فرقاه، وصار من جملة أمراء الألوف، وعمل كشف التراب. ثم ولاه نيابة طرابلس، وعزله، وسجنه بقلعة المرقب. ثم أنعم عليه بإمرة فى دمشق. فلما مات المؤيد شيخ، قبض عليه الأمير جقمق نائب الشام، وسجنه. ثم أفرج عنه الأمير ططر لما توجه بابن المؤيد إلى الشام. ثم أنعم عليه بإمرة ألف، وعمله دوا دار السلطان، لما تسلطن، وقدم به إلى القاهرة، فلما مات الظاهر ططر قام بأمر ولده، ثم خلعه وتسلطن، فدانت له البلاد وأهلها، وخدمته السعود حتى مات. وكانت أيامه هدوء وسكون، إلا أنه كان له فى الشح والبخل والطمع، مع الجبن والجور وسوء الظن ومقت الرعية وكثرة التلون وسرعة التقلب فى الأمور وقلة الثبات، أخبار لم نسمع بمثلها، وشمل بلاد مصر والشام فى أيامه الخراب، وقلة الأموال بها. وافتقر الناس وساءت سير الحكام والولاية، مع بلوغه آماله ونيله أغراضه، وقه أعدائه وقتلهم بيد غيره؛ لتعلموا أن الله على كل شىء قدير.

ومات الأمير سودون بن عبد الرحمن (٢) وهو مسجون بثغر دمياط، فى يوم السبت العشرين من ذى الحجة. وهو من جملة المماليك الظاهرية برقوق. ترقى فى الخدم حتى صار نائب الشام، ثم عزل، وسجن حتى مات، وكان مصرًا على ما لا تبيحه الشريعة من شهواته الخسيسة، وأحدث فى دمشق - أيام نيابته بها - عدة أماكن لبيع الخمر ووقوف البغايا والأحداث، وضمنها بمال فى كل شهر، فاستمرت من بعده. واقتدى به فى ذلك غير واحد، فعملوا فى دمشق ممارات مضمنة بأموال، من غير أن ينكر عليه أحد ذلك، ليقضى الله أمرًا كان مفعولا.

* * *

(١) انظر النجوم الزاهرة ١٤/٣٦٣.

(٢) انظر النجوم الزاهرة ١٤/٣٧٢.

سنة اثنتين وأربعين وثمانمائة

أهلت هذه السنة ومعظم عساكر مصر والشام فى التجريدة، وبقيتهم بالقاهرة وظواهرها فى اختلاف.

شهر الله الحرم، أوله الثلاثاء:

فيه رحل العسكر المجرى عن مدينة أرزنكان، عائداً إلى حلب.

وفى رابعه: توجه الأمير تغرى بردى المؤذى على عدة من المماليك السلطانية إلى البحيرة، بسبب قرب لبيد - عرب برقة - من البلاد.

وفيه خلع على حكم الخاصكى خال السلطان، واستقر خازنداراً، عوضاً عن على بيه.

وفى يوم الإثنين سابعه: قدم مبشرو الحاج.

وفى ثامنه: خلع على شهاب الدين أحمد بن شمس الدين محمد المعروف بابن النسخة شاهد القيمة. واستقر فى وكالة بيت المال، وكانت شاغرة منذ وفاة نور الدين على بن مفلح. وخلع على نظام الدين بن مفلح الدمشقى الواعظ، وأعيد إلى قضاء الحنابلة بدمشق، عوضاً عن عز الدين عبد العزيز البغدادى.

وفى يوم الإثنين ثالث عشره: استدعى الشيخ سعد الدين سعد ابن قاضى القضاة شمس الدين محمد الديرى المقدسى شيخ الجامع المؤيدى، وخلع عليه. وقد فوض إليه قضاء الحنفية بديار مصر، عوضاً عن بدر الدين محمود العيى، بعدما سئل بذلك مراراً وهو يمتنع، ثم أجاب، وشرط على الأمراء أنه لا يقبل رسالة أحد منهم، وأن لا يتجوه^(١) عليه فى شىء.

وفيه أنعم على سبعة من المماليك بأمرىات عشرة، وهم قانبك الساقى، وقانم التاجر، وقانم الدودار، وقانم الساقى، وقانم المجنون، وقانم خال السلطان، وقانم رأس نوبة الجمدارية.

وفى خامس عشره: أعيد مراد بك قاصد الأمير حمزة بن قرابلك صاحب ماردين

(١) يقال: نظر بجوة سوء بوجه سوء. انظر تاج العروس فى شرح القاموس (جوه).

وآمد، والقاضى شمس الدين القطماوى موقع الدست بجلب. وجهاز صحبتهما مبارك شاه البريدى، وعلى يده جواب كتاب الأمير حمزه، بشكره والثناء عليه، وتشريف له بنبابة السلطنة، وفرس بقماش ذهب، وهدية ما بين ثياب سكندرى وغيره، وسلاح، ونسخة يمين ليحلف بها على طاعة السلطان ومناصحته. وأجيب الأمراء المجردون أيضاً عن كتبهم، وأن يسارعوا بالحضور.

وفى يوم السبت تاسع عشرة: خلع على أزيك خجا المؤيدى رأس نوبة، وعين لتقليد الأمير الحكمى نائب الشام، واستقراره على عادته. وخلع على قانصوه الخاصكى، وعين لتقليد الأمير تغرى برمش نائب حلب، واستقراره على عادته. وعين لتقليد الأمير جليان نائب طرابلس الأمير أينال الخاصكى، وعين دولات باى الخاصكى لتقليد الأمير قانياى الحمزاوى نائب حماة، ولتقليد على بن طفرق بن دلغادر التركمانى نائب حمص. وعين يشبك الخاصكى لتقليد الأمير أينال الأجرود نائب صفد. وخلع عليهم. هذا، والنواب المذكورين فى التحريده. وكتب إليهم جميعاً بسرعة قدمهم.

وفيه حل بالقاضى زين الدين عبد الباسط حالة غير مرضية من بعض المماليك فى وقت الخدمة السلطانية، بعدما نزل به من المماليك فى هذه الأيام أنواع من المكاره، ما بين تهديد وإساءة، احتاج من أجل ذلك إلى بذل لأموال لهم ليكفوا من شرهم عنه.

وفى يوم الإثنين عشرينه: قدم المماليك المجردون فى السنة الماضية إلى مكة، وقد مات أميرهم بها. وكثر شرهم بمكة، وإفسادهم، واستخفافهم بحرمة الكعبة.

وفى ثانى عشرينه: قدم الركب الأول من الحجاج، وقدم المحمل فى يوم الخميس ثالث عشرينه ببقية الحجاج، بعدما نزل بالحاج بلاء عظيم، وهو أن ركب الغزاويين، ومن انضم إليهم من أهل الرملة، ومن أهل القدس، وبلاد الساحل، وأهل ينبع، لما نزلوا فى عودهم من مكة بوادى عنتر قريب من أزم خرج عليهم من عرب بلى (١) نحو أربعين فارساً، ومائة وعشرين راجلاً، يطلبون منهم مالا، فأما الينا بعة فإنهم جبوا لهم مبلغاً من الذهب دفعوه إليهم، فكفوا عنهم، وتركوهم، فلحقوا الركب، وأما الغزاويون فاستعد مقدمهم ورمى العرب بالنشاب، وقتل منهم ثلاثة، فحملوا عليه حملة منكرة، أخذوه فيها، ومالوا على الركب يقتلون ويأسرون وينهبون، فما عفوا ولا كفوا، فيقول المكثرون إنهم أخذوا ثلاثة آلاف جمل بأحماها، وعليها من المال ما بين ذهب وفضة وبضائع وأزودة الحاج ما لا يقدر قدره كثرة. وخلص من تفلت من الركب،

(١) هم بطن من قضاة من القحطانية. انظر نهاية الأرب فى معرفة أنساب العرب ص ١٧٠.

وهم عراة حفاة، يريدون اللحاق بالمحمل، فمات منهم عدة، ولحق بالمحمل عدة، وتأخر بالبرية منهم عدة. قدم منهم إلى القاهرة من تأخرت منيته فيما بعد من البر والبحر، بأسوأ حال، وفقد الناس من الرجال والنساء والصبيان والبنات عدداً كبيراً، فكانت هذه الحادثة من شنائع ما أدركتناه. ولم يمتعض لها أحد لإهمال أهل الدولة الأمور، وإعراضهم عن عمل المصالح. ولا قوة إلا بالله.

وفي يوم السبت خامس عشرينه: خلع على الطواشي شاهين الساقى، واستقر فى مشيخة الخدام بالمسجد النبوى، عوضاً عن ولى الدين محمد بن قاسم المحلى، مضحك السلطان.

وفي يوم الثلاثاء ثامن عشرينه: (١) قدم مماليك نواب الشام، وعلى أيديهم المطالعات، تتضمن أنهم ملكوا مدينة أرزنكان على ما تقدم ذكره، ومن العجب أن مدينة آقشهر وقلاعها، ومدينة أرزنكان، أخذت للسلطان الملك الأشرف برسباى، وباسمه وهو ميت، وسطوته ومهابته فى قلوب أهل تلك البلاد، مع بعدها عنه، وأوامره نافذة فى تلك الرعايا، ولو علموا أنه قد مات لما أمكن العسكر السلطانية فعل شىء من ذلك ولكن الله يفعل ما يريد، وإذا أراد الله بقوم سوءاً فلا مرد له.

وفي هذا الشهر: - بعد رحيل العساكر السلطانية عن أرزنكان - سار الأمير حمزة ابن قرايلىك من ماردين لأخذ أرزنكان. وقد تنكر على أخيه يعقوب من أجل أنه سالم العساكر السلطانية، حتى دخلوا المدينة، فخرج إليه جهان كير (٢) ابن أخيه، وأقام

(١) فى النجوم يوم الثلاثاء تاسع عشرين المحرم ١٢/١٥.

(٢) جهان كير بن على بك بن عثمان، المدعو قرايلىك بن قطلوبك. الأمير سيف الدين، صاحب آمد ومادين وأرزنكان وغيرهم. مولده بديار بكر فى حدود العشرين ثمانمائة تقريباً. ونشأ تحت كنف والده وحده قرايلىك. وقدم مع والده إلى الديار المصرية، وأنعم عليه بإمرة بحلب، فتوجه إلى حلب. وأقام بها مدة إلى أن ولاه الملك الظاهر حقمق نيابة الرها، فباشرها مدة طويلة، وعظم وكثرت جنوده، ثم ملك آمد بعد موت عمه حمزة بعد حروب، ثم أرزنكان، ثم ملك ماردين، ولازال يملك قلعة بعد قلعة حتى صار حاكم ديار بكر وأميرها. فلما ضخم وأثرى أظهر الخلاف على الملك الظاهر، ضرب بعض بلاد السلطان، وانضم عليه الأمير بيغوت من صفر حجاجاً المرؤيدى الأعرج لما عنى من نيابة حماة سنة أربع وخمسين وثمانمائة، ووافقهما خلاق، وعظم جمعه فبينما هو فى ذلك إلا طرف جهضان شاه بن قرا يوسف صاحب تبريز بغداد وغيرهما فى السنة المذكورة، وشتت شمله «ومزق عساكره، وأباده» وأخذ منه أرزنكان ومدينة ماردين فى «سنة أربع وخمسين»، ووقع بين عساكر جهان شاه وبين جهان كير هذا حروب فى هذه المدة. فلما ضاق الأمر عليه أرسل بوالدته إلى البلاد الشامية، وتستأذن نواب البلاد الشامية - وكانوا جميعاً بالبلاد الحلبية - فى قدومها إلى =

جعفر ابن أخيه يعقوب بمدينة أرزنكان، فعندما التقى الجمعان خامر أكثر من مع حمزة، وصاروا إلى جهان كير، فانهزم بعد وقعة كانت بينهما، وقد جرح.

شهر صفر، أوله الخميس:

فيه تجمع عدة من المماليك على القاضى زين الدين عبد الباسط عند نزوله من القلعة. وهموا به، فولى يريد القلعة وهم فى طلبه، حتى امتنع منهم بدخوله القلعة، وقد حماه جماعة، فأقام يومه وبات بها، وهو يطلب الإغفاء من نظر الجيش والأستادارية^(١). فلما أصبح يوم الجمعة طلع الأمير الكبير نظام الملك جقمق، وجميع أهل الدولة، وخرج السلطان إلى الحوش، فاستدعى بالقاضى عبد الباسط. وجرت بينه وبين الأمير الكبير مخاطبات فى استمراره على عادته، وهو يطلب الإغفاء من المباشرة، إلى أن خلع عليه، وعلى مملوكه الأمير جانبك أستاذار. ونزلا من القلعة على فرسين أخرجا لهما من الإسطبل، بقماش ذهب، وقد ركب معه إلى داره عظماء الدولة.

وفى يوم الأحد رابعه: وردت مطالعة الأمير أينال الجمكى نائب الشام، بقدمه حلب، هو والعساكر المجردة، فى العشرين من المحرم، إلا الأمير تغرى برمش نائب حلب، فإنه لما بلغه وفاة السلطان الملك الأشرف عزم أن يكبس الأمراء المصريين، فبلغهم ذلك، فاستعدوا له حتى دخلوا حلب، فبلغهم أنه كتب إلى نائب الغيبة ألا يمكنهم من المدينة، هذا وقد جمع عليه عدة من طوائف التركمان وأن الأمير أينال نائب الشام أخذ فى تخذيلهم عنه، وأرسل إليه يعتبه على انفراده عنهم، فاعتذر بتخوفه من الأمراء المصريين^(٢).

وفى يوم السبت عاشره: رسم أن يقتصر فى حضور الخدمة السلطانية على أربعة

=الديار المصرية تسترضى الخواطر الشريفة على ولدها جهان كير المذكور. وكان جهان كير أيضًا أرسل بولده قبل تاريخه يسأل الدخول فى طاعة السلطان، فمنعها نواب البلاد الشامية من قدموها إلى الديار المصرية، ثم عادت إلى آمد. وبعد عودها أرسل جهان كير هذا بأخيه حسن فى شردمة من عسكره إلى عمه الشيخ حسن بن قرايلك. وكان الشيخ حسن المذكور فى عسكر كثيف من عسكر جهان كير، فطرقه حسن بنته، فظفر به وقتله وبعث رأسه إلى أخيه جهان كير، وقتل حسن أيضًا جماعة من عسكر جهان شاه الذين كانوا مع عمه الشيخ حسن. فلما بلغ جهان شاه ذلك غضب، واشتد حنقه، وقدم إلى آمد وحصرها وبها جهان كير هذا. انظر المنهل الصافى ٥ / ٢٨ : ٣٠، النجوم ٤٣٣ / ١.

(١) انظر النجوم الزاهرة ١٥ / ١٣ / ١٣.

(٢) انظر النجوم الزاهرة ١٥ / ١٣.

أيام في الأسبوع، وأن تكون الخدمة بالقصر فقط. ويتوفر حضور أهل الدولة إلى القلعة في يوم الأحد ويوم الأربعاء ويوم الجمعة، وهي الأيام التي عمل فيها الخدمة بالحوش. ثم انتقض ذلك بعد قليل (١).

وفي يوم الإثنين ثاني عشره: قدم مملوك الأمير تغرى برمش نائب حلب بكتابه، يتضمن رحيل الأمراء ونائب الشام جميعاً عن حلب إلى جهة دمشق في سادس عشرين الحرم، وأنه قدم بعدهم إلى حلب في ثامن عشرينه.

وفي ثاني عشره: تجمع المماليك الأشرفية بالقلعة يريدون قتل خشداشيهم الأمير أينال الدوادار، ففر منهم بحماية بعضهم له، ونزل إلى داره، فوقفوا خارج القصر وسألوا الأمير الكبير جقمق أن يكون هو المستبد بالحكم، وأن تكف يد أينال وغيره عن الحكم والتصرف، فوعدهم ذلك، فانفضوا، ووقف من الغد يوم الثلاثاء جماعة منهم تحت القلعة بغير سلاح، فكانت بينهم وبين جماعة الأمير أينال وقعة بالدبايس. ثم عادوا بكرة يوم الأربعاء إلى مواقعهم تحت القلعة، وقد صار العسكر قسمين: إحداهما مع الأمير الكبير نظام الملك جقمق، ويقال لهم القرانصة، وهم الأمراء، والمماليك الظاهرية برقوق والناصرية فرج بن برقوق، والمؤيدية، والنوروزية، والحكمية، ومعهم طائفة من الأشرفية قد فارقوا إخوانهم وصاروا مع هؤلاء. وكل من الأمير الكبير وممن معه يظهر أنه في طاعة السلطان، وإنما يريد أن تنزل طائفة من الأشرفية - سموهم - إلى عند الأمير الكبير جقمق، فإنهم هم الذين يثيرون الفتنة. والقسم الآخر المماليك الأشرفية وهم بالقلعة مع السلطان، وعندهم الخليفة، وبأيديهم في القلعة خزائن الأموال وحواصل السلاح الكثير، إلا أنهم أغمار جهال، لم يجربوا الأمور، ولا أدريتهم الأيام، فلا ينقاد صغيهم لكبيرهم. والقرانصة وإن كانوا أقل مالا ورجالا، إلا أنهم أقعد من الأشرفية بأعمال الحرب، وأعرف بتصاريف الأمور، وقد اجتمعوا على الأمير الكبير جقمق، وانقادوا له، وأجمعوا على الحرب معه. فلما أصبحوا يوم الخميس، لم يصعد الأمير الكبير جقمق إلى القلعة، وتحول من داره المطللة على بركة الفيل، ونزل في بيت قوصون تجاه باب السلسلة، وجمع عليه من وافقه من القرانصة، ومن الزعر وأوغاد العامة. وقد وعدهم بالنفقة فيهم. فاستعد الأشرفية في القلعة، وباتوا على ذلك. وظلوا نهار الجمعة سادس عشره على تعبتهم إلى بعد صلاة العصر. ثم زحف أتباع الأمير جقمق على القلعة، وقد لبسوا أسلحتهم، وهم - فيما يظهر - دون أهل القلعة في العَدَد والعِدَد، فرماهم الأشرفية بالنشاب حتى أبعدهم، فمالوا نحو باب القرافة،

وهدموا جانباً من سور الميدان وعبروه. فنزل طائفة من الأشرفية وقاتلوهم حتى أخرجوهم منه. فحال بينهم الليل، وباتوا على حذر، وقد طرق الأشرفية الزردخاناه بالقلعة، وأخذوا من السلاح شيئاً كثيراً، ونصبوا مكاحل النفط على سور القلعة، وغدوا على حربهم يوم السبت، فهلك بينهم من العامة بالنشاب والأسهم الخطائية جماعة. هذا، والقضاة وغيرهم تردد بينهم في إحماد الفتنة بإرسال أربعة نفر إلى الأمير الكبير - منهم حكيم خال السلطان - إلى أن أذعنوا لذلك بعد امتناع كثير، فنزل حكم ومعه الثلاثة المطلوبون بعد عصر يوم السبت، ظناً من الأشرفية أنه لا يصيب حكم وأصحابه سوء، سوى أنهم يمنعون من سكنى القلعة فقط. فما هو إلا أن عبروا إلى الأمير جقمق، أحيط بهم، وسجنوا، ثم رحل بهم وبمن معه من بيت قوصون عائداً إلى دار سكنه على بركة الفيل، فكان هذا أول وهن وقع في الأشرفية (١).

وأصبحوا يوم الأحد ثامن عشره: والرسل تتردد من الأمير جقمق إلى الأشرفية بالقلعة، في طلب جماعة أخرى حتى نزل إليه منهم الأمير على بيه الخازندار، والأمير يخبشاي أمير أخور، وهما من عظماء الأشرفية وأعيانهم. فللحال طلب الأمير جقمق الأمير خشقدم مقدم المماليك، وألزمه بإنزال جميع الأشرفية من الطباقي بالقلعة، فاستسلموا بأجمعهم، ونزلوا طبقة بعد طبقة، وقد حضر القضاة وأهل الدولة، فحلفوا للأمير الكبير جقمق، وحكم قاضى القضاة سعد الدين سعد الديرى الحنفى بسفك دم من خالف منهم هذا اليمين. وزعم أن فى مذهبه نقلاً بذلك. فكان هذا الحكم أيضاً مما لم نعهد مثله. ثم أمر جميع المماليك الأشرفية بإخلاء طباقيهم من القلعة إلا المماليك الكتابية فقط - فما منهم إلا من بادر وحول ما كان له بطبقته من القلعة من أثاث وغيره، حتى خلت منهم، فكان هذا من أعجب ما سمعنا به فى الخذلان، فإن عددهم يبلغ ألف وخمسمائة وعندهم خزائن الأموال الجملة العدد، وحواصل الأسلحة العظيمة القدر فى الكثرة والقيمة، وهم بالقلعة دار الملك وسرير السلطنة، ومعهم السلطان، ولهم من الأمتاع والأموال والنعم ما لا يقدر قدره، إلا أنهم أغمار جهال، متفرقون فى إجتماعهم ﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى﴾، ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢﴾.

ومن حيثئذ تبين إديار أمر الأشرفية، وزوال عزهم، وإقبال جد الأمير جقمق، وتحديد سعاداته.

وسبب هذه الكائنة أن حكيم خال السلطان اتفق هو وعدة من الأشرفية على أن

(١) انظر النجوم الزاهرة ١٥، ١٤، ١٥.

(٢) سورة الحشر، الآية ١٤.

يقبضوا على الأمير جقمق ومن معه من الأمراء، وعلى أخذ عبد الباسط وناظر الخاص، فلم يوافقهم الأمير أينال، ومنعهم من ذلك مراراً. فلما علم حكم بمخالفة أينال له: أخذ يدبر مع أصحابه فى قتل أينال، فعندما أرادوا الإيقاع به، أعلمه بعض أصحابه بذلك، ففر منهم، وقد حماه منهم بعضهم كما تقدم ذكره، والتجأ إلى الأمير جقمق، وقص عليه الخبر. وما زال يوضحه للأمير حتى تبين له صحة مقالته، فاختص به، وبأين من حينئذ أينال الأشرفية، وصار فى جملة الأمير جقمق، هو وجماعته، فكان هذا أول زوال دولة العزيز، وصار أينال يبكى فى خلواته ويقول: «ما كان جزاء الملك الأشرف منى أنه اشتراى وربانى وعلمنى القرآن، وخولنى فى نعمه، أن أخرج بيته يدي» ولقد بلغنى من جهة صحيحة أن الأشرف برسباى نظر إلى أينال هذا فى مرض موته ثم قال لمن حضره عنده - وأينال قائم على قدميه - «هذا مخرب بيتى». وقد قيل قديماً: «اتق شر من أحسنت إليه» (١).

وفى يوم الأحد هذا: قدم الأمير تغرى بردى المؤذى، ومن معه من التجريدة إلى البحيرة، بعدما عاثوا وأفسدوا كما هى عادتهم.

وفيه قدم الخبر بأن العسكر المجرد قدم إلى دمشق فى خامسه.

وفى يوم الثلاثاء عشرينه: أفرج عن حكم خال السلطان، ومن سجن معه، وخلع عليه بشفاعه السلطان فيهم.

وفى يوم الخميس ثانى عشرينه: صعد الأمير الكبير جقمق، وسائر الأمراء والمباشرون، إلى الخدمة السلطانية. ومنع المالك الأشرفية من العبور إلى القصر فى وقت الخدمة، وذلك أن الأمير الكبير لما ظهر عليهم، وأنزلهم من الطباى التى بالقلعة، كان مما حلفهم عليه ألا يدخل إلى القصر فى الخدمة منهم أحد إلا من له نوبة، فى يوم نوبته لا غير.

وفيه خلع على الأمير الكبير جقمق تشريف جليل، ونزل من القصر - بعد انقضاء الخدمة - إلى الحراقة بباب السلطنة، وسكنها على أنه على أمور الدولة وتبدير المملكة، وتخرج الإقطاعات على ما يريد ويختار، ويولى ويعزل، ومعنى هذا أن السلطان لا يبقى له أمر ولا نهى، ويقتصر من السلطنة على مجرد الاسم فقط. فشق ذلك على الأشرفية، وركب عدة منهم، ووقفوا تحت القلعة بالرميلة، وأكثروا من الكلام فى الإنكار، لما كان من سكنى الأمير الكبير بباب السلطنة. ثم انفضوا فأخذ الأمير الكبير يحصن

(١) مثل ما زال محفوظاً حتى الآن.

الإصطبل، ويستعد بالسلاح والرجال، ونزل الخدمة السلطانية بالقلعة. فمال الناس بأجمعهم من الأمراء والقضاة والمباشرين إلى جهته، وترددوا إلى مجلسه، وتلاشى أمر السلطان، وأخذ في الانحلال.

وفى يوم الثلاثاء سابع عشرينه - وسادس عشرى مسرى: - كان وفاء النيل ستة عشر ذراعاً وفتح فيه الخليج على العادة، وقد نزل لذلك الأمير أسنبغا الطيارى الحاجب. وكان الناس لما أبطأ عليهم الوفاء أخذوا فى شراء الغلال، فارتفع سعرها قليلاً.

شهر ربيع الأول، أوله السبت:

فى يوم الأربعاء خامسه: قدم الأمراء المجردون - ما عدا الأمير سودون خجما (١) - فصعد منهم ستة أمراء إلى الحراقة بباب السلسلة، وتأخر منهم الأمير يشبك حاجب الحجاب، فإنه قدم ليلاً فى محفة، ونزل داره، وهو موعوك البدن. وكان قد كتب إليهم الأمير الكبير نظام الملك حقمق بما قصده الأشرفية من القبض على الأمراء، وحذرهم منهم، فدخلوا مستعدين بأطلابهم، ولم تجر بذلك عادة، وكان الأمير نظام الملك قد ألزم السلطان أن يقعد للأمراء القادمين فى شباك القصر المطل على الإصطبل، فلم يجد بداً من جلوسه، لأنه سلب جميع تعلقات السلطنة، حتى لم يبق له سوى مجرد الاسم، وبطل عمل الخدمة السلطانية بالقصر، وصارت عند الأمير نظام الملك. فلما قدم الأمراء من التجريدة بأطلابهم وطبولهم تدق حريباً، صعّدوا من باب السلسلة، حتى نزلوا عن خيولهم على درج الحراقة، وأطلابهم واقفة (٢). فقام الأمير نظام الملك يسعى مهرولا إليهم، وهو فى جمع كبير جداً من الأمراء والماليك، حتى سلم عليهم، وهم وقوف على أرجلهم، وسار بهم يريد الإصطبل السلطانى. وقد جلس السلطان فى شباك القصر، فوقفوا على بعد من موضه، وأومأوا برعوسهم كأنهم يقبلون الأرض، ففى الحال أحضرت التشاريف، فألبسوها وأمأوا ثانيا برعوسهم، عوضاً عن تقبيل الأرض. وقدمت إليهم الخيول التى أخرجت من الإصطبل بالقماش الذهب، فأومأوا برعوسهم مرة ثالثة، وولوا راجعين، بلا زيادة على ذلك. وقد رجع معهم الأمير نظام الملك، حتى صعّدوا معه إلى الحراقة، فسلموا عليه خدمة له، ثم ركبوا الخيول السلطانية بتشاريفهم، ومضوا نحو دورهم. فازداد الأمير نظام الملك بهذا المحفل عزاً إلى عزه، وكثرت مهابته، وتضاعفت فى القلوب مكانته وحرمة. وتلاشى أمر السلطان، وظهر انحلال أمره.

(١) هو سودون بن عبد الله السيفى بلاط الأعرج (ت ٨٤٢هـ) يقال له: خجما سودون. انظر الضوء اللامع ٢/٢٧٧، والمنهل الصافى (ترجمته).

(٢) انظر النجوم الزاهرة ١٥/٢٢.

وفي يوم الخميس سادسه: اجتمع الأمراء والمباشرون وأرباب الوظائف بالحراقة، فى خدمة الأمير الكبير نظام الملك. وقد تعين من الجماعة الأمير قرقماس أمير سلاح بجرأته واقتحامه على الرياسة بالتهور. وشارك الأمير نظام الملك فى مجلسه، وجلس من عده على مراتبهم يمينا وشمالا (١).

ونزل الطلب بمحىء جماعة من الأشرفية، فأحضروا سريعا؛ فأشار قرقماس إلى جماعة - قد أعدهم - أن اقبضوا على هؤلاء، فقبض على الأمير جاتم أمير أخور أحد من قدم أمس من التجريدة، وعلى الأمير الطواشى خشقدم مقدم الممالك، وعلى الطواشى فيروز الزينى نائب المقدم، وعلى الأمير على يبه شاد الشرايخانا، وعلى الأمير حكيم الخازندار خال السلطان، وعلى أخيه أبى يزيد، وعلى الأمير يخنشى بك أمير أخور، وعلى الأمير دمرداش والى القاهرة، وعلى تانى بك الجقمقى نائب القلعة، وعلى جريباش أمير عشرة، وعلى خش كلدى رأس نوبة، وعلى أربك البواب، وبييرس الساقى، وتم الساقى، ويشبك الفقيه، وبييرم خجا أمير مشوى، وجانبك قلقسيرز (٢) وأرغون شاه الساقى، وتبك الفيسى، وأوثقوهم، جميعهم بالحديد، وأمر الأمير تمرباى الدوادار أن يتوجه لنياية الإسكندرية، فلم يجد بدأ من الموافقة - فخلع عليه عوضا عن الأمير زين الدين عبد الرحمن ابن القاضى علم الدين داود بن الكويز. وطلب بعض أتباعه وهو قراجا العمرى الخاصكى الناصرى وخلع عليه بولاية القاهرة، عوضا عن دمرداش. وندب من الأمراء الأمير تبك السيفى أحد أمراء الألوف، ومعه الأمير أقطوه من العشرات فى عدة من الممالك، فصعدوا إلى القلعة لحفظها، فكان يوما مهولا، أظهر فيه الأمير قرقماس من الخفة والتسرع إلى الشر، وكثرة حماقة والرعونة، ما أبان به كمائن ما كان فى نفسه من محبة الوثوب على الأمر، ومنع الله لنظام الملك، فإنه أخذ أعاديه بيد غيره، فجنى قرقماس ثمرات ذلك.

وفي يوم الجمعة سابعه: توجه الأمير تمرباى سائرا إلى الإسكندرية.

وفي يوم السبت ثامنه: أخرج بمن ذكرنا من المسوكين فى الحديد إلى الإسكندرية، وقد اجتمع لرؤيتهم من الناس عالم كبير، فمن باك رحمة لهم، ومن شامت بهم، ومن معتبر بتقلب الدهر، وتصاريف الأمور، ومن ساه لاه.

وفيه أنفق على الأمراء القادمين من التجريدة مال كبير.

(١) انظر النجوم الزاهرة ٢٣/١٥.

(٢) فى النجوم الزاهرة كتبت «قلق سيز».

وفي يوم الأحد تاسعه: أحضر الطواشى عبد اللطيف العثماني (١) وهو ممن كان مسخوطاً عليه في الأيام الأشرفية برسباى، وأمر أن يصعد به إلى بين يدي السلطان ليخلع عليه، ويستقر مقدم المماليك، عوضاً عن خشقدم فخلع عليه.

وفي يوم الإثنين عاشره: ركب السلطان من الخوش بالقلعة، وركب معه القاضى زين الدين عظيم الدولة عبد الباسط ناظر الجيش، ونزلا إلى الميدان، وجميع المباشرين والأمير أينال الدوادر مشاة وراعهما، فركب الأمير نظام الملك جقمق، وفي خدمته الأمراء، من الحراقة بباب السلسلة، خلا الأمير قرقماس أمير سلاح، والأمير أركماس الدوادر، ودخلوا إلى السلطان بالميدان. فعندما رآهم القاضى عبد الباسط ترجل عن فرسه إلى الأرض، ونزل الأمراء أيضاً عن خيولهم. وقد وقف السلطان على فرسه، فقبلوا الأرض ووقفوا، فتقدم الأمير نظام الملك، فقبل رجل السلطان فى الركاب، وحادثه. ثم خلع بين يدي السلطان على الأمير يشبك حاجب الحجاب، فإنه كان يوم قدوم الأمراء ملازماً الفراش فى داره لوعك به (٢). وانصرف الجميع عائدين فى خدمة خاطره (٣). وذلك أنه كان فى نفسه أن يتسلطن، فلما فهم هذا عنه، تقرب إليه عدة من الذين يوهمون جهلة الناس أنهم أولياء الله، ولهم اطلاع على علم الغيب وصاروا يعدوه بأنه لا بد له من السلطنة، وتخبره جماعة أخرى بمنامات تدل له على ذلك، ويزعم له آخرون بأنهم اطلعوا على ذلك من علم الرمل ومن علم النجوم، فتقرر ذلك فى ذهنه، ولم يقدر على إظهار ذلك، حتى بلغه وهو مسافر فى التجريدة موت الأشرف برسباى، فرأى أن دولته قد طلعت، فأخذ يترفع على من معه من الأمراء ترفعاً زائداً. هذا مع ما يعرفونه من تكبره وإفراط جيروته، وشدة بطشه، فزادهم ذلك نفوراً منه، وداروه، حتى قدموا ظاهر القاهرة، وهو - وهم - على تخوف من الأشرفية، لما بلغهم عنهم من أنهم على عزم الإيقاع بهم. فأخذ قرقماس يطلق القول، ويبدى شيئاً مما فى نفسه، وفعل ما لم يسبقه أمير لفعله من قلة الأدب فى دخوله مطلبيا، وعدم مثوله بين يدي السلطان بالقلعة. بل وقف فى الإصطبل على بعد، كما تقدم، كل ذلك لرعونته وفرط رقاعته، ثم كان من فحشه وجرأته فى القبض على الأمراء ما كان، وأخذ مع

(١) هو الزينى عبد اللطيف الطواشى الرومى المنجكى المعروف بالعثمانى أحد الجمدارية. انظر

النجوم الزاهرة ٢٥/١٥.

(٢) انظر النجوم الزاهرة ٢٦/١٥.

(٣) انظر النجوم الزاهرة ٢٦/١٥.

ذلك يجلس فى داره ويأتيه من الممالك ما شاء الله، حتى تمتلأ داره بهم. والأخبار تنقل إلى الأمير نظام الملك، ويقال ذلك لقرقماس. فتأخر عن الركوب فى هذا اليوم. فلما خرج الأمير نظام الملك من بين يدي السلطان، أرسل الأمير تمتاز رأس نوبة النوب والأمير قراجا، والقاضى زين الدين عبد الباسط إلى الأمير قرقماس، فأبدى لهم ما عنده من تغير خاطره، لما نقل عنه، فمزالوا به حتى ركب معهم، وطلع للأمير نظام الملك بالخرافة، فدخلوا فى جماعة من ثقاتهما خلوة وتعاتبا وتخالفا، ثم خرجا فأركبه الأمير نظام الملك فرساً بقماش ذهب. ونزل إلى داره، وفى خدمته الأمير تمتاز، وقراجا. فأركب كل منهما من داره فرساً بقماش ذهب، وأخذ من حينئذ يسلك طريقاً تضاد ما كان عليه من طلب الأمر لنفسه، وألح على الأمير نظام الملك فى جلوسه على تحت الملك؛ ليحقق قول الحكيم الجاهل «لا يقع إلا طرفاً». بينما قرقماس لزهوه وإعجابه بنفسه يريد أن يتسلطن، إذ خدعه من خدعه، فمشت عليه خدعه، حتى أفرط به الانخداع، وصار يريد أن من خدعه يتسلطن، ويصير هو من أتباعه تمضى فيه أوامره، بعد أن كانا كحليف يتصاولان، فيخشى قرنه صولته؛ ليقضى الله أمراً كان مفعولاً.

وفى هذا اليوم: كتب عن السلطان وعن الأمير نظام الملك وعن الأمير قرقماس، باستدعاء المقر الكمالى محمد بن البارزى قاضى القضاة بدمشق؛ ليستقر فى كتابة السر، وجهاز القاصد لإحضاره.

وفى يوم الخميس رابع عشرة: (١) عملت الخدمة السلطانية بالقصر بين يدي السلطان، وحضرها الأمير نظام الملك حقمق، والأمير قرقماس، وعمامة الأمراء والمباشرين وكانت الخدمة السلطانية قد تركت من مدة، وأطرح جانب السلطان، فتنبه له ذلك فى هذا اليوم المبارك.

وفى يوم الجمعة خامس عشرة: صلى الأمير قرقماس فى المقصورة مع السلطان صلاة الجمعة، ومضى ولم يكلم واحد منهما الآخر، وتأخر نظام الملك عن حضور الجمعة مع السلطان (٢).

وفى يوم السبت سادس عشرة: عملت الخدمة بالقصر على العادة.

وفى يوم الإثنين: عملت الخدمة أيضاً، ولم يحضرها الأمير نظام الملك (٣).

(١) وقعت فى النجوم «ثالث عشرة».

(٢) انظر النجوم الزاهرة ٢٩/١٥.

(٣) انظر النجوم الزاهرة ٢٩/١٥.

هذا والأمير قرقماس وسائر الأمراء وأرباب الوظائف تحضر عند الأمير نظام الملك الخدمة بالحراقة، وتأكل على سماطه، إلى أن خلع العزيز في يوم الأربعاء تاسع عشره، فكانت مدته أربعة وتسعين يوماً، ومن الإتفاق الغريب أن عدة حروف عزيز - بالجملة - أربعة وتسعين.

* * *

السلطان الملك الظاهر أبو سعيد جقمق

العلاني الجركسي الظاهري (١)

هذا الملك سبى صغيراً من بلاد الجركس، وجلب إلى القاهرة، وربى في بيت الأمير أينال اليوسفى، وانتقل إلى الملك الظاهر برقوق من على ولد الأمير أينال، فتنقل في الخدم إلى أن صار بعد الأشرف برسباى نظام الملك، كما تقدم ذكره.

فلما كان يوم الأربعاء تاسع عشر ربيع الأول: هذا، استدعى الخليفة والأمراء والقضاة وجميع أرباب الدولة إلى الحراقة بالإسطنبول، وأثبت عدم أهلية الملك العزيز يوسف لأنه لا يحسن التصرف، فخلعه الخليفة، وفوض السلطنة للأمير نظام الملك جقمق في آخر الساعة الثانية، وتلقب بالملك الظاهر أبى سعيد، وأفيضت عليه الخلع الخليفية، وقلد بالسيف. وركب من الحراقة، والجميع مشاة فى خدمته، وقد دقت البشائر حتى صعد إلى القصر. وجلس على تحت الملك فقبل الأمراء الأرض وانصرفوا. ونودى فى القاهرة وظواهرها بالدعاء للملك الظاهر، وأن النفقة مائة دينار لكل مملوك.

وسجن العزيز فى بعض دور القلعة، ونزل عنده دادته سر النديم الحبشية، وعدة من جواريه، ما بين سرارى وخدم، وطواشيه صندل الهندى. ومكنت مرضعته من الترداد إليه والمبيت عنده. وأجرى له من اللحم والدجاج والأرز فى كل يوم ما يليق به، سوى عشرة آلاف درهم فى كل شهر من وقف أبيه. ورسم على بابه جماعة من المماليك. ثم بعد أيام رفع الترسيم عن بابه.

وكان القائم فى هذا الأمر قرقماس، فإنه لما قدم ترفع ترفعاً زائداً إعجاباً بنفسه، وتكبراً على غيره، وشرع يتصرف فى أمور الدولة بعجلة. وجلس للحكم بين الناس

(١) انظر النجوم الزاهرة ٣٢٢/١٥، المنهل الصافى ٧٠٥/٢، الضوء اللامع ٧١/٣، أبناء الغمر ٣٩/٩، ما بعدها، بدائع الزهور ٣٣٢-٣٤٣ حوادث الدهور ٣٤٩/٢، شذرات الذهب ٢٩١/٧، الأعلام ١٣٢/٢.

فى داره. وقام فى القبض على أعيان الأشرفية قياماً تبين فيه حمقه وطيشه. ثم انقطع فى داره وأظهر أنه بلغه عن نظام الملك أنه يريد مسكه، إلى أن خدعوه وساروا به إلى نظام الملك، فخادعه أشد المخادعة، حتى انفعل لما عنده من الخفة والحدة، واستحال عما كان عليه من التعاضم والكبر إلى التواضع المفرط، إما مكرراً أو سرعة استحالة. وأخذ يحث نظام الملك على أن يتسلطن وهو يأبى عليه فى عدة مرار إلى أن حنق قرقماس وقام من مجلس نظام الملك مغضباً، فتلافاه حتى جلس، وهو يلح فى التأكيد عليه فى السلطنة، إلى أن أذعن، فبادر قرقماس وركب إليه سحر يوم الأربعاء، وألزمه بطلب الخليفة والقضاء والأمراء، ولم عندهم علم من ذلك. فلما اجتمعوا قام قرقماس بأعباء هذا الأمر وحده، حتى خلع العزيز وتسلطن نظام الملك، فكأنما سعى فى هلاك نفسه.

وفى هذا اليوم: قبض على الطواشى جوهر الزمام اللالا - وهو مريض - وسجن بالبرج من القلعة. واستقر زمام الدار عوضه الطواشى فيروز الساقى وكان الأشرف قد سخط عليه وأمره بلزوم داره، فأقام يترقب الموت إلى أن مات الأشرف، فاستدعى الآن، وخلع عليه، وتولى سجن العزيز وخلع أيضاً على سودون الحكمى أخى الأمير أينال نائب الشام؛ ليتوجه بالبشارة إلى نواب الشام، وخلع على دمرداش العلاى ليتوجه بالقبض على الأمير خجا سودون المؤيدى - أحد المجردين - وحمله إلى القدس بطالا.

وفى يوم الخميس عشرينه: خلع على الأمير قرقماس، واستقر أميراً كبيراً أتاكب العساكر، وأنعم عليه باقطاع السلطان وهو نظام الملك، وزيد عليه بإمرة طبلخاناه بدمشق. وخلع على الأمير أقبغا التمرازى ^(١) واستقر أمير سلاح عوضاً عن الأتابك قرقماس. وخلع على الأمير تراز، واستقر أمير أخور، عوضاً عن الأمير جاتم. وخلع على الأمير يشبك الحاجب، واستقر أمير مجلس، عوضاً عن أقبغا التمرازى. وخلع على الأمير تغرى بردى المؤذى، واستقر حاجب الحجاب، عوضاً عن الأمير يشبك، وخلع على الأمير أركماس، واستقر على عادته دوادارا. وخلع على الأمير تنبك نائب القلعة فوقانى، وخلع على الأمير قراجا أيضاً فوقانى، وخلع على الأمير قراقجا الحسنى ^(٢) واستقر رأس نوبة النوب، عوضاً عن الأمير تراز أمير أخور ^(٣).

(١) انظر النجوم الزاهرة ٣٦/١٥، المنهل الصافى « ترجمة الأمير أقبغا بن عبد الله التمرازى»، الضوء اللامع ٣١٦/٢.

(٢) المنهل الصافى (ترجمة الأمير قراقجا بن عبد الله الحسنى الظاهرى) الضوء اللامع ٢١٦/٦، أنباء الغمر (حوادث سنة ٨٤٢هـ).

(٣) انظر النجوم الزاهرة ٣٦/١٥.

وفي يوم السبت ثانى عشرينه: خلع على الأمير تتم المؤيدى الخازندار، واستقر فى حسبة القاهرة، عوضاً عن نور الدين على السويفى الإمام. وخلع على الأمير قانباى الجركسى رأس نوبة، واستقر شاد الشراىخانا، عوضاً عن على بيه. وخلع على قانبك الساقى، واستقر خازنداراً، عوضاً عن حكيم خال العزيز.

وفي هذا اليوم: نودى على النيل بزيادة إصبع واحد، لتتمة ثمانية عشر ذراعاً وعشرين أصبعاً؛ وهو سادس عشر توت، فأصبح يوم الأحد ثالث عشرينه، وسابع عشر توت - ويقال له عند أهل مصر عيد الصليب - وقد نقص ماء النيل، واستقر فى النقص، فلم يتم رى النواحي، وشرق كثير من الأراضى.

وكان قد اتفق فى يوم الأربعاء تاسع عشره عندما تسلطن الملك الظاهر جقمق هبوب ريح شديدة عاصفة حارة أثارت غباراً ملاً آفاق السماء، حتى كادت الشمس تخفى عن الأبصار، أو اختفت، وتمادت هذه الريح يوم الخميس، وسكنت يوم الجمعة، واشتد الحر طول النهار، وأقبل الليل وقد طبق السحاب الآفاق، وأمطرت يسيراً غير مرة، حتى أصبح يوم السبت. فطير الناس من ذلك، وزعم من عنده أثاره من علم أن هبوب هذه الرياح يؤذن بحدوث فتن، وأن المطر فى هذا الوقت يخاف منه نقص النيل، فكان كذلك، ونقص النيل فى يومه ويخاف عاقبة هذا النقص. إلا أن يشاء الله.

وفي يوم الإثنين رابع عشرينه: ابتدئ بالنفقة السلطانية، لكل واحد من المماليك مائة دينار.

وفي يوم الثلاثاء خامس عشرينه: قدم الأمير جرباش قاشق من دمياط، وقد أفرج السلطان عنه، وأنعم عليه بإمرة مائة مقدمة ألف، بعدما أقام عدة سنين مسجوناً^(١).

وفي يوم الخميس سابع عشرينه: عمل السلطان المولد النبوى بالقلعة على عادة من تقدمه من الملوك الجركسية، فكان وقتاً حسناً، وأسمطة جليلة بالنسبة إلى الوقت. وانفض الجمع بعد صلاة المغرب^(٢).

وفي يوم الجمعة ثامن عشرينه: كسف من الشمس قريب من ثلثى جرمها، بعد نصف النهار، فاصفرت الأرض وما عليها، حتى انجلت، ولم تجتمع الناس ولا صلوا صلاة الكسوف. وزعم أهل علم الحدثان أن ذلك يدل على خروج أهل الشام وأهل صعيد مصر عن طاعة السلطان.

(١) انظر النجوم الزاهرة ٣٧/١٥.

(٢) انظر النجوم الزاهرة ٣٨/١٥.

وفي يوم السبت تاسع عشرينه: تجمع تحت القلعة نحو الألف فارس من مماليك الأمراء يريدون إثارة الفتنة، من أجل أنه أنفق في المماليك السلطانية ولم ينفق فيهم، ولم تجر العادة بالنفقة في مماليك الأمراء، فأنفق فيهم لكل نفر [..(١)..] شهر ربيع الآخر، أوله الأحد.

في يوم الثلاثاء ثلثه: خلع على شيخ الشيوخ القاضي محب الدين محمد بن الأشقر واستقر في نظر المارستان، عوضا عن نور الدين على بن مفلح، وكانت شاغرة منذ مات.

وفيه قبض على صاحب تاج الدين الخطير ناظر الإسطنبول، وعلى ولده وأخذت خيولهما، وألزاما بحمل عشرين ألف دينار؛ لتغيير خاطر السلطان عليه من حين كان أمير أخور (٢).

وفيه ثارت عدة من المماليك القرانصة الذين قاموا مع السلطان قبل ذلك على الأشرفية كما تقدم، وطلبوا الآن من السلطان الزيادة في جوامكهم ومرتب لهمم ووقفوا تحت القلعة وأصبحوا يوم الأربعاء وقد كثر جمعهم، حتى نزل الأمراء من خدمته السلطان، فصاروا يجتمعون على واحد واحد منهم، ويذكرون له ما يريدون إلى أن نزل الأمير الكبير الأتابك قرقماس فأحاطوا به وحدثوه، فوعدهم أن يتحدث لهم مع السلطان، فأبوا أن يمكنوه من العود إلى القلعة، وأرادوه أن يوافقهم على محاربة السلطان وساروا معه بأجمعهم إلى داره، وتلاحق بهم جماعة فلم يزالوا به حتى وافقهم بعد جهد منهم وامتناع منه، ولبسوا سلاحهم ولبس هو الآخر أيضا، وأتاه كثير من الأشرفية وساروا به حتى وقف بالرميلة تجاه باب السلسلة، وهم في اجتماعهم مختلفة آراؤهم، فمنهم من يقول: «الله ينصر الملك العزيز». فإذا سمع ذلك قرقماس منهم قال: «الله ينصر الحق». وآخرون سواهم يقولون: «الله ينصر السلطان». وفي عزم الأشرفية إذا أخذوا السلطان بقرقماس قتلوا قرقماس في الحال، وأقاموا العزيز. وفي ظن قرقماس أن تكون السلطنة له. واتفق أنه لما خرج من داره، وسمعهم ينهون بالدعاء للعزيز، كشف رأسه وقال: «الله ينصر الحق». فتطير من له خيرة وتجارب بزوال أمره؛ لكشفه رأسه في الشارع خارج باب زويلة. بمراى من العامة، ثم لما وقف بالرميلة سقطت درقته عن كتفه إلى الأرض، وأظلمت الدنيا في عينيه، فتأكدت الطيرة عليه بسقوط عزه وعماه عن الرشد، فكان كذلك. وعندما وقف تجاه باب السلسلة من القلعة سار بعض أتباعه

(١) ما بين المعقوفين بياض في الأصل.

(٢) انظر النجوم الزاهرة ١٥/٣٨.

ونادى فى القاهرة على لسانه بمجىء المماليك إلى الأمير قرقماس، وأنه ينفق فيهم مائتى دينار لكل واحد، ومجىء الزعر إليه وأنه يعطى كل واحد منهم عشرين ديناراً. فعظم جمعه، بحيث توهم كثير من الناس أن الأمر له.

وكان السلطان عتد ذلك فى نفر قليل، فبادر بنزوله من القصر إلى المقعد الذى بجانب باب السلسلة، ومعه المال، وبعث بجماعة للقتال، ف وقعت الحرب بين الفريقين مراراً، والجراح فاشية فيهم، وقد قتل جماعة وتعين الغلب لقرقماس ومن معه، إلا أن عدة من الأمراء فروا عنه، وصعدوا من باب السلسلة إلى السلطان، فسر بهم، ثم أقبل أيضاً من جهة الصليبية عدة أمراء، ووقفوا تجاه قرقماس، فى هيئة أنهم جاءوا ليقاتلوا معه. ثم ساقوا خيولهم بمن معهم. ودخلوا باب السلسلة، وصاروا مع السلطان، فازداد بهم قوة، هذا وقد دقت الكوسات السلطانية حريياً بالطيلخاناه من القلعة، وقامت ثلاثة مشاعلية على سور القلعة تنادى من كان فى طاعة السلطان فليحضر وله من النفقة كذا وكذا. ونثر مع ذلك السلطان من المقعد على العامة ذهاباً كثيراً. وصار يقف على قدميه ويحرض أصحابه على القتال، فأقبلت الفرسان نحوه شيئاً بعد شىء داخله فى طاعته، وتركت قرقماس. والحرب مع هذا كله قائمة بين الفريقين ضرباً بالسيف، وطعنا بالرمح إلا أن الرمي من القلعة على قرقماس ومن معه بالنشاب كثير جداً، مع رمى العامة لهم بالحجارة فى المقاليع لبغضها فى قرقماس وفى الأشرفية، فتناقص جمعهم، وتزايد جمع السلطان إلى قبيل العصر، فتوجه بعض الأشرفية وأخذوا فى إحراق باب مدرسة السلطان حسن؛ ليتمكنوا من الرمي على القلعة من أعلاها. فلم يثبت قرقماس، وفر وقد جرح، فثبتت الأشرفية وقاتلت ساعة، حتى غلبت بالكثرة عليها، فانهزمت بعدما قتل من الفرسان والرجال، جماعة، وجرح الكثير. فمن جرح من السلطانية الأمير تغرى بردى المؤذى حاجب الحجاب من طعنة برمح فى شذقه، والأمير أسنبغا الطيارى الحاجب فى آخريين فكانت هذه الواقعة من الحروب القوية بحسب الوقت، إلا أن قرقماس جرى فيها على عادته فى العجلة والتهور، ففاته الحزم، وأخطأه التدبير من وجوه عديدة؛ ليقضى الله أمراً كان مفعولاً ﴿وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ﴾ (١).

وعندما انهزم القوم ندب السلطان لأمير أقبغا التمرازى أمير سلاح فى جماعة لطلب المنهزمين، فتوجه نحو سرياقوس خشية أن يمضوا إلى الشام، فكانوا أعجز من ذلك، ولم يجد أحداً فعاد (٢).

(١) سورة الرعد الآية ١٣.

(٢) انظر النجوم الزاهرة ٣٨/١٥ وما بعدها.

وفي يوم الخميس خامسه: جلس السلطان على تخت الملك بالقصر، وعملت الخدمة على العادة، فهناه الناس بالظفر والنصر على أعدائه. وقد وقف على باب القلعة من القلعة عدة لمنع من بقى من الأشرافية من الدخول إلى الخدمة، فكان المملوك منهم إذا جاء منع من الدخول، فإن لم يمتنع ضرب على رأسه حتى يرجع من حيث أتى. ورسوم بقطع مرتبهم من اللحم فى كل يوم، ثم أعيد بعد ذلك (١).

وفيه اجتمع القضاة بجامع القلعة، وحكم قاضى القضاة شمس الدين محمد البساطى المالكى بهدم سلالم مآذنتى مدرسة السلطان حسن، وهدم سلالم سطحها. وألزم الناظر فى مجلس الحكم بهدم ذلك فمضى وهدمه، فكان هذا الحكم أيضا من الأحكام التى لم نعهد من القضاة مثله (٢).

وفيه خلع على علاء الدين على بن ناصر الدين محمد بن الطبلاوى، وأعيد إلى ولاية القاهرة، وكان قد بلغ الغاية من الفقر والفاقة والضعفة.

وفي يوم الجمعة سادسه: قبض على الأمير قرقماس، وذلك أنه لما فر أوى إلى موضع بقية نهاره وليلة الخميس. ثم أصبح فبعث عشاء إلى القاضى زين الدين عبد الباسط يعلمه بمكانه وأنه يأخذ له الأمان، ففعل ذلك، وتوجه معه المقام الناصرى محمد ولد السلطان فلما رأهما قرقماس، قام وانخط يقبل قدمى ابن السلطان ويد عبد الباسط، فوضعا فى عنقه مندبل الأمان الذى قدما به من السلطان، وأركبوه فرسا ومروا به، وقد اجتمع الخلائق لرؤيته فمنهم من يسبه ومنهم من يدعو عليه، حتى صعدا القلعة، فعندما عاين السلطان خر على وجهه يقبل الأرض، ثم قام ومشى قليلا، وخر يقبل الأرض، وقام فمشى ثم خر ثالث مرة يقبل الأرض، وقد قرب من السلطان. فوعده بخير، وأمر به فأدخل إلى مكان وقيد بالحديد وهو يشكو من الجوع، فأتى بطعام. هذا وقد لهجت العامة فى الأسواق تقول «الفقر والإفلاس، ولا ذلتك يا قرقماس».

وفيه قبض على جماعة من المماليك الأشرافية، وأخذت خيولهم وبغالهم، وسجنوا بالبرج من القلعة.

وفي يوم السبت سابعه: أخرج بقرقماس فى الحديد، ومضوا به إلى ساحل النيل، وأركب فى الحراقة حتى سجن بالإسكندرية. وسمع فى مروره من القلعة إلى النيل من

(١) انظر النجوم الزاهرة ٤٦/١٥.

(٢) انظر النجوم الزاهرة ٤٦/١٥.

العامّة مكروها كثيراً، وحل به في هذه المحنة نكال شديد، وخزى زائد فإنه كان من الكبر والزهو والإعجاب وفرط الرقاعة على جانب كبير مع العسف والجبروت وشدة البطش، بحيث كان إذا عاقب يضرب الألف ضربة وأزيد، فعوقب من جنس فعله. وصار مع ذلك مثلاً، فلقد أقامت العامة مدة، تجهر في الأسواق بقولها لمن تدعو عليه «لك ذلة قرقماس»^(١).

وفيه خلع على الأمير أقبغا التمرازي، واستقر كبيراً أتاك العساكر، عوضاً عن قرقماس. وأنعم عليه بإقطاع إحدى التقدمتين اللتين كانتا مع قرقماس.

وخلع على الأمير يشبك، واستقر أمير سلاح، عوضاً عن الأتابك أقبغا التمرازي. وخلع على الأمير جرباش قاشق، واستقر أمير مجلس، عوضاً عن الأمير يشبك.

وفي يوم الإثنين تاسعه: اجتمع الأمراء والقضاة والمباشرون وسائر أهل الدولة للخدمة في القصر على العادة، وقد جلس السلطان على التخت والخليفة والقضاة والأمراء على مراتبهم، وتقدم الصاحب بدر الدين حسن بن نصر الله كاتب السر فقراً عهد أمير المؤمنين المعتضد بالله للسلطان، وهو من إنشاء القاضي شرف الدين أبي بكر الأشقر نائب كاتب السر.

ثم خلع على الخليفة وقضاة القضاة الأربع، وكاتب السر ونائبه، بعدما جرى بين قاضي القضاة شهاب الدين أحمد ابن شيخ الإسلام بن حجر الشافعي، وبين قاضي القضاة سعد الدين سعد الديري الحنفي كلام اقتضى عزل ابن حجر نفسه من القضاة، فأعاد السلطان إلى وظيفة القضاة، وجدد له ولاية ثانية عنه. وأضاف إليه ما خرج عنه في الأيام الأشرفية من نظر الأوقاف ونظر وقف قراقوش، ونظر وقف ببيغا التركماني، ونظر وقف المدرسة الطيرسية^(٢) بجوار الجامع الأزهر، وأكد عليه في أنه لا يقبل رسالة متجوه، ولا يؤجر وفقاً لذي جاه، فما أحسن ذلك لو تم ودام.

وفيه جهز توقيع برهان الدين إبراهيم بن الباعوني بقضاء دمشق عوضاً عن المقر

(١) انظر النجوم الزاهرة ٤٨/١٥.

(٢) كانت تقع بجوار الجامع الأزهر، أنشأها الأمير علاء الدين طيرس الخازنداري. انظر المواعظ والاعتبار ٣٨٣/٢، وهو طيرس بن عبد الله الجند علاء الدين: أديب نحوي، من الماليك. اشتراه أحد الأمراء في البيرة وعلمه القرآن والخط، وأعتقه، فقدم دمشق، ففقه ومهر في الأدب ونظم ألفية ابن مالك ومقدمة ابن الحاجب، جامعا بينهما في أرجوزة سماها الطرفة تسعمائة بيت، وشرحها ومات بالطاعون في صالحة دمشق. انظر الدرر الكامنة ٢٢٩/٢، شذرات الذهب ١٦١/٦، بغية الوعاة، الأعلام ٢٣٥/٣.

الكمالي محمد بن البارزى كاتب السر، وحمل له التشريف أيضا بسفارة القاضى عبد الباسط.

وفى يوم السبت رابع عشره: أنعم على الأمير أينال بإقطاع إحدى تقدمتى قرقماس. وأنعم بإقطاع أينال على الأمير أسنبغا الطيارى، وأنعم على الأمير الطنبغا المرقبى بإقطاع قراجا، واستقر من أمراء الألوفا وكان قد حمل بعد موت المؤيد شيخ عدة سنين. وأنعم على الأمير قراجا بإقطاع الأتابك أقبغا التمرازى (١).

وفى يوم الثلاثاء سابع عشره: خلع على المقر الكمالى محمد بن البارزى، واستقر فى كتابة السر، وقد قدم من الشام. وهذه ولايته الثالثة بديار مصر.

وعزل الصاحب بدر الدين حسن بن نصر الله، خلع عليه جبة بفرو سمور، فنزل المقر الكمالى على فرس سلطانى بقماش ذهب فى موكب جليل إلى الغاية، وركب معه الأمير أركماس الدوادر، والصاحب بدر الدين حسن بن نصر الله، وعامة أهل الدولة.

وفيه خلع على الأمير أسنبغا الطيارى، واستقر دوادارًا ثانيًا، عوضًا عن الأمير أينال. وخلع على الأمير يلبغا البهائى أمير منزل أحد أمراء العشرات، واستقر حاجبًا ثانيًا عوضًا عن أسنبغا الطيارى، وأنعم عليه بإمرته.

وفى يوم الخميس تاسع عشره: خلع على الأمير أينال، واستقر أمير الحاج. وأنعم عليه بعشرة آلاف دينار.

وفيه جهز المقر الكمالى كاتب السر مقدمة سنية للسلطان، ما بين خيل وثياب حريز وثياب صوف وفرو، وغير ذلك، مما قيمته زيادة على ألف وخمسمائة دينار (٢).

وفى هذا الشهر: شنع إفساد الدود للزروع، فإن الماء نزل سريعًا عن الأراضى قبل أوان نزوله، واشتد الحر مع ذلك فى هذه الأيام.

وفى يوم الأربعاء خامس عشرينه: نفى عدة من المماليك الأشرفية إلى الواحات، فخرجت عيالاتهم وأصحابهم يصرخون، فكان شيئًا نكرًا.

وفيه نفى أيضًا عز الدين عبد العزيز البغدادى قاضى الحنابلة بدمشق وقد قدم منها بعد عزله بابن مفلح، واجتمع بالسلطان، فما وفق فى الخطاب فغضب منه ونفاه.

(١) انظر النجوم الزاهرة ٤٩/١٥.

(٢) انظر النجوم الزاهرة ٤٩/١٥.

وفي هذا الشهر: هدم جانب من المعلقة - إحدى معابد النصرارى بمدينة مصر - وقد حضر القضاة مع أمين من قبل السلطان.

وفيه ادعى على بطرك اليعاقبة عند قضاة القضاة بين يدى السلطان بما وضع عليه يده من أموال من مات من النصرارى ولا وارث له، فأجاب بأن عنده مستنداً بأخذ ذلك، فخرج فى الترسيم على البيان، ثم انحل أمره فى ذلك.

وفيه فشت الأمراض فى الناس بالحميات إلا أنها فى الأكثر سليمة تقلع فى السابع. وفي آخر هذا الشهر: أفرج عن الخطير، على مال يحمله بعد أن عوقب، وأخذت خيوله وجواريه.

شهر جمادى الأولى، أوله الثلاثاء:

فى خامسه: رسم بنقل الأمير خشقدم الطواشى ونائبه من سجن الإسكندرية إلى دمياط على حمل خمسة عشر ألف دينار. وقدم كتاب الأمير تغرى برمىش نائب حلب بأنه مقيم على الطاعة، وأنه لبس التشريف المجهز إليه، وقبل الأرض على العادة فلم يوثق بذلك منه، وأخذ فى العمل فى إمساكه والقبض عليه بمملطات كتب إلى أمراء حلب فى الباطل خفية لكثرة الإشاعات بسلوكه طريق من هو خارج عن الطاعة، فإنه أكثر من استخدام الممالك واستعمال عدة طوائف من التركمان، إلى غير ذلك.

وفى يوم الإثنين سابعه: خلع على ولى الدين محمد السفطى مفتى دار العدل وأحد خواص السلطان واستقر فى وكالة بيت المال، عوضاً عن ابن النسخة شاهد القيمة.

وفى ثامنه: خلع على الشريف صخرة بن مقبل بن نخبار، واستقر فى إمرة ينبع، عوضاً عن الشريف عقيل بن وبير بن نخبار (١).

وفى هذا الشهر: - والذى قبله - زالت نعم جماعة كثيرة من الأشرفية ما بين أمير ومملوك وكاتب وغير ذلك، فمنهم من قتل ومنهم من سجن، ومنهم من نهب، ومنهم من صودر، وآخرون يترقبون ما يحل بهم.

وفى يوم الخميس عاشره: خلع على زين الدين يحيى قريب ابن أبى الفرج، واستقر فى نظر الإسطبل على مال وعد به، وخلع على محمد الصغير معلم الشباب، أحد معارف السلطان، واستقر فى ولاية دمياط، عوضاً عن ناصر الدين محمد ابن الأمير فخر الدين بن أبى الفرج، وكان من قريب قد وليها فعزل بعد أيام (٢).

(١) انظر النجوم الزاهرة ١٥/٥٠.

(٢) انظر النجوم الزاهرة ١٥/٥٠.

وفي يوم السبت ثاني عشرة: قبض على عمر أخى التاج والى القاهرة ورسم بنفيه إلى قوص. ثم أمر أن يلزم بيته على مال قرر عليه يقوم به.

وفي يوم الثلاثاء خامس عشرة: ضرب الشيخ حسن العجمى بالمقارع ضرباً مبرحاً، وشهر بالقاهرة، ثم سجن، وهذا الرجل قدم القاهرة، ودار فى الأسواق يستجدى ويكدى، فيتصدق الناس عليه. ثم تعرف بالأشرف برسباى، واختص به اختصاصاً زائداً، بحيث يدخل خلواته متى شاء بغير إذن، ويقف فوق الأمراء، فتمكن من السلطان وعظم قدره. وبذل له الأكابر الأموال خشية منه. ثم بنى له السلطان قبة كبيرة بالصحراء، ووقف عليها وقفاً له متحصل كثير، فنقل على أهل الدولة لكثرة أخذه المال منهم، ولسوء أثره فيهم عند السلطان إلى أن زالت الدولة الأشرفية، وبدا لهم سيئات ما كسبوا. قبض على حسن هذا، وضربه السلطان، وسجنه، ثم ادعى عليه عند قاضى القضاة المالكى بما يوجب إراقة دمه، فلم يثبت ما ادعى به عليه فضرب هذا الضرب الثانى، ثم نفى بعد سجنه إلى قوص، وأخذ ما وجد له (١) وفى هذه الأيام رسم باستقرار تقى الدين أبى بكر بن أحمد بن محمد - عرف بابن قاضى شهبه (٢) - فى قضاء دمشق، وذلك أن البرهان إبراهيم ابن الباعونى لما توجه إليه التوقيع والتشريف باستقراره فى قضاء القضاة بدمشق، عوضاً عن المقر الكمال محمد بن البارزى كاتب السر، امتنع من القبول، فأتاه الأمير أبنال الحكيمى نائب الشام إلى بيته، وسأله أن يقبل، فلم يجبه، وصمم على الامتناع، فبعث النائب بذلك.

فرسم لابن قاضى شهبه بالقضاء وجهز له التشريف والتوقيع، ورسم باستقرار أبى اليمن أمين الدين محمد بن جمال الدين أبى الخير محمد ابن الفقيه على النويرى (٣)

(١) انظر النجوم الزاهرة ٥١/١٥.

(١) ابن قاضى شهبه (٧٧٩ - ٨٥١هـ = ١٣٧٧ - ١٤٤٤م) أبو بكر بن أحمد بن محمد بن عمر الأسدى الشهبى الدمشقى، تقى الدين: فقيه الشام فى عصره مورخها وعالمها، من أهل دمشق. اشتهر بابن قاضى شهبه، لأن أبا جده (نجم الدين عمر الأسدى) أقام قاضياً بشهبه (من قرى حوران) أربعين سنة من تصانيفه «الإعلام بتاريخ الإسلام: منتقى تاريخ الإسلام للنهيبى وما أضيف إليه من تاريخى ابن كثير والكنبى وغيرهما» و«مناقب الإمام الشافعى والكواكب الدرية فى سيرة نور الدين الشهيد محمود بن زنكى وطبقات النحاة واللغويين ومدارس دمشق وحماها وطبقات الحنفية». انظر الضوء اللامع ٢١/١١، ونظم العقبان ٩٤، شذرات الذهب ٢٦٩/٧ حوادث الدهور ٢٥/١، وآداب اللغة ١٩٥/٣ الفهرس التمهيدى ٣٢٢ و٤٠٥ و٤٠٧ كشف الظنون ١٢٧، ١١٠١، إيضاح المكنون ٣٠٢/١ والأعلام ٦١/٢.

(٢) محمد بن محمد أبو القاسم محب الدين النويرى (٨٠١ - ٨٥٧هـ = ١٣٩٩ - ١٤٥٣) فقيه =

- خطيب الحرم - فى قضاء مكة وخطابتها، عوضاً عن أبى السعادات محمد بن أبى البركات محمد بن أبى السعود ابن ظهيره، وجهاز له التشريف والتوقيع.

وفى يوم الأحد سابع عشرينه: أنفق فى خمسمائة من الممالك الأشرفية، كل واحد عشرة دنانير، ليخرجوا تجريدة لقتال هواره، ببلاد الصعيد.

شهر جمادى الآخرة، أوله الخميس:

فيه برز الأمير سودون المحمدى، ومن معه: وذلك أن السلطان عزم على غزو بلوى، لما تقدم منهم من نهب الحجاب فندب سودون المحمدى لذلك، وعين معه مائة من الممالك الأشرفية، أنفق فيهم ثمانية آلاف دينار، سوى الخيل والجمال، حساباً لكل مملوك ثمانون ديناراً، وأنعم على سودون المحمدى بثلاثة آلاف دينار، وولاه نظر الحرم بمكة، عوضاً عن ولى الدين محمد بن قاسم، ورسم بمسير عرب الكرك، وعرب ينبع معه.

وخلع على تاج الدين محمد بن حتى السمسار، واستقر فى نظر جدده، عوضاً عن سعد الدين إبراهيم بن المرة.

وفى يوم الجمعة تانيه: أخرجت خطابة الجامع الطولونى ومشيخة الميعاد عن أبى الليسير محمد بن زين الدين أبى هريرة عبد الرحمن بن النقاش، وخطب عوضه برهان الدين إبراهيم بن ملىق، لشىء فى نفس السلطان من أبيه.

وفى يوم الإثنين خامسه: استقل سودون المحمدى بالمسير نحو الحجاز بمن معه، وسواربعده أمير أحمد بن على بن أينال فى عدة من الممالك وغيرهم لإصلاح مناهل طريق الحجاج، وتوجهت الممالك الأشرفية إلى الصعيد لقتال هواره، وخلع على الأمير أقبغا الأتركمانى واستقر فى نيابة الكرك، عوضاً عن الوزير الأمير غرس الدين خليل، ونقل خليل إلى صنفد، واستقر بها أميراً كبيراً.

وفى سابع عشره: ورد الخير بأن جيهان شاه بن قرا يوسف ملك قلعة النجا من

=مالكى عالم بالقراءات ولد فى الميمون من قرى صعيد مصر. وتعلم بالقاهرة، رجع مرارا وأقام بغزة والقلس ودمشق وغيرها. وتوفى بمكة وكان يتكسب بالتجارة مستغنيا عن وظائف الفقهاء. عرض عليه القضاء فامتنع وجعل له مرتب فى كل يوم دينار، فردده وقال: يريد حقمق أن يستعبدنى. له تصانيف، منها «شرح المقامات الكافية فى النحو والصرف والعروض والقافية خ» وهى أرحوزة له و«الغيات» منظومة فى القراءات الثلاثة الزائدة على السبع وشرحها و«شرح طيبة النشر فى القراءات العشر خ» وهى لشيوخه ابن الجزرى و«القول الجازل من قرأ بالشاذ» شرح الدرر الحصينة - خ «فى القراءات. انظر الأعلام ٤٧/٦.

عمل توريز، وكانت بيد ابن أخيه إسكندر، فعوضه عنها قلعة أوُنِيك^(١) وأنه طلب أيضاً أرزن الروم من صاحبها، وأن جو كى ابن القان معين الدين شاه رخ بن تيمورلنك شتى على قرا باغ، وأن القان شاه رخ أرسل ثلاث خلع وشطفه^(٢) إلى مراد بك بن عثمان ملك الروم، فخرج الوزراء إلى لقاء القادم بها، وأخروا إظهار الشطفة، ودخلوا بالرسل فى مجلس خاص، فلبس مراد الخلع، ودار بين الرسل وبينه حديث فى مصاهرة القان، بأن تكون بنات كل منهما لأولاد الآخر.

شهر رجب، أوله الخميس:

فيه أنفق المماليك نفقة الكسوة، وكانت عادتهم فى أيام الأشرف برسباى أن يدفع لكل واحد منهم خمسمائة درهم من الفلوس التى هى نقد مصر الآن، فوقفوا فى يوم الإثنين الماضى، وطلبوا أن ينفق فيهم عن ثمن الكسوة عشرة دنانير لكل واحد، فما زالوا بهم حتى أنفق فيهم ألف درهم لكل مملوك، وألف وخمسمائة لكل خاصكى.

وفيه رسم أن يكون نواب قاضى القضاة الشافعى خمسة عشر ونواب الحنفى عشرة، ونواب كل من المالكى والحنبلى أربعة، ثم ازدادت عدتهم بعد ذلك.

وفى يوم الأحد رابعه: ابتدئ بقراءة صحيح البخارى بين يدى السلطان بالقصر من القلعة، وزادت عدة من حضر ومنعوا من البحث، فإنه كان يقضى إلى خصام ومعاداة، فانكفوا عنه، والله الحمد.

وفى يوم الخميس ثامنه: جمع القضاة والأمراء والمباشرون بالقصر وقت الخدمة وأقيم بعض نواب القاضى الشافعى وكيلا، فادعى على نقيب الحكم، وقد أقيم وكيلا عن الأمير قرقماس الشعبانى دعوى حسبة بين يدى قاضى شمس الدين محمد البساطى، المالكى، بأن الأمير قرقماس خرج عن طاعة السلطان، وحارب الله ورسوله، فقتل بسببه عدة أناس، وأن فى بقاءه فى السجن مفسدة وإثارة فتن، وأن فى قتله مصلحة، فشهد بذلك جماعة من الأمراء، وحكم البساطى بموجب ذلك، فقيل له ما وجهه؟ فقال: «القتل»، فندب بعض المماليك لقتله، وجهاز إلى الإسكندرية، فقتله فى يوم الإثنين ثانى عشره قتلة شنعاء، وهو أنه أخرج فى قيده من السجن إلى مجلس الأمير تمرباى نائب الإسكندرية، وقد جمع الناس، فأوقف على حكم البساطى بقتله، وقيل له «لك دافع أو مطعن فيما شهد به عليك؟»، فأجاب بعدم الدافع والمطعن، فأقيم قيامنا

(١) قلعة حصينة فى كورة ياسين من أرض أرزن الروم. انظر معجم البلدان.

(٢) هى العصابة أو المنديل الذى يتدلى خلف الرأس.

عنيفا وأخرج إلى ظاهر المدينة، وأقعد عريانا، وتقدم المشاعلى، فضربه بالسيف، فأخطأ عنقه، ووقعت الضربة على الكف، ثم ضربه ثانيا فقدت تحت كتفه، حتى ظهر داخل صدره، ثم ضربه مرة ثالثة، فأصابت العنق، ولم تقطعه، فحزه غير مرة حتى انفصل الرأس عن البدن، ونزل فى موضعه حتى وراه بعض أتباعه، فكان فى ذلك عيرة، ولم نعهد مثل ذلك، لا من حيث هذه الدعوى وهذا الحكم الذى زعموا أنه من الأحكام الشرعية، ولا من حيث أن أميراً من عظماء الدولة ترشح للسلطنة يقتل هذه القتلة الشنيعة ثم لا يحسن قتله، ﴿وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ﴾ (١).

وفى يوم الإثنين تاسع عشره: خلع على يلبغا البهائى أحد الحجاب، واستقر فى نيابة الإسكندرية، عوضاً عن الأمير تمرباى.

وفيه ورد الخبر بأن الأمير سودون المحمدى توجه هو والشريف صخرة أمير ينبع، وأمير بنى عقبة، فى طلب بلى، حتى لقوهم بالقرب من أكره، فيما يلى الشرق عن يسار درب الحاج عند جبل الورد، فى يوم السبت ثالث شهر رجب وحوار بهم بمن معه، وقتل منهم جماعة، وجرح كثيرا، فانهزموا، وقتل ممن معه جماعة وأنه مضى بجماعة يريد ينبع.

وفى يوم السبت رابع عشرينه: قدم الأمير على باك بن قرابلك، وكان ببلاد الروم، فوصل منها إلى أرزنكان، وبها ولده جهان شاه، وأخوه يعقوب بن قرابلك، فثار به أخوه يعقوب، وأخرجه هو وابنه جهان كير، فقدا حلب. وأقام ابنه جهان شاه فى حصن منصور - قريبا من بهسنى - ومعه جماعة ألاق من قبائل التركمان، ثم تحول حتى نزل بمن معه الساجور (٢) قريبا من حلب وقدم هو زاغبا فى طاعة السلطان، فخلع عليه، وأنزل، وأجرى عليه ما يليق به.

وفى سلخه: أقيم الملك الأشرف إسماعيل بن الظاهر عبد الله بن الأشرف إسماعيل ملكا بزييد وتعز وعدن من بلاد اليمن، بعد موت أبيه، وله من العمر نحو العشرين سنة.

شهر شعبان، أوله السبت:

فى يوم الأربعاء خامسه: هدمت دار الشيخ زين الدين أبى هريرة عبد الرحمن ابن الشيخ شمس الدين أبى إمامة محمد بن النقاش، من زيادة الجامع الطولونى، وكان من خير ذلك أن أبا هريرة بن النقاش أخذ خطابة الجامع الطولونى ومشیخة الميعاد من ابن

(١) سورة الرعد الآية ١٣.

(٢) ساجور: هو اسم نهر بمنج. انظر معجم البلدان ٣/١٧٠.

السبكي - مغالبة - فأحب أن يكون سكنه بمجاء الجامع، فاستأجر قطعة أرض من زيادة الجامع وبنى بها داراً بعد سنة ثمانين وسبعمائة، ثم فتح منها باب في جدار الجامع، وصار يعبر منه إلى الجامع في أوقات الصلوات وغيرها، ثم خرق في جدار الجامع طاقات تشرف على الجامع في مجلس عمله، وحفر في هذه الدار صهريجاً، وعمل بها إصطبلًا لدوابه، فثار عليه جماعة، فإنه كان كثير الأعداء، وأنكروا عليه ذلك، فأخذ خطوط أهل العلم بجواز ما عمله، وكانت له - ولأخصامه - بسبب هذه الدار وقائع كثيرة ومنازعات طويلة، عقد له ولهم فيها مجالس عديدة في كل دولة، وهو يستظهر عليهم فيها، وكان رحمه الله جلداً، صبوراً، لا يصد ولا يرد، فمرت به من أجلها خطوط وكروب، حتى مات. وقد جعل هذه الدار وقفاً على أولاده فجرى لهم بعده بسببها شرور كثيرة ومخاصمات طويلة، والحكام لا تقدم على هدمها، لما بأيدي أولاد ابن النقاش من فتاوى شيوخ العلم، وأحكام القضاة الذين كانوا لا يدرهون^(١) في الفتوى ولا في الحكم، إلى أن أظهر السلطان الوقعة في أبي هريرة بن النقاش وولديه، وأخرج عن أبي اليسر الخطابة ومشیخة الميعاد كما تقدم ذكره.

وعزم على هدم هذه الدار، فندب القضاة غير مرة للنظر في أمرها، فلم يتجه لهم هدمها إلى أن أقدم البساطي على الحكم بذلك، فجمع هو وبقية القضاة بين يدي السلطان، وقام ولي الدين محمد السفطي وكيل بيت المال، وأدعى على أولاد أبي هريرة عند قاضي القضاة شمس الدين محمد البساطي بأن مدة إجارة الأرض الحاملة لبناء هذه الدار قد انقضت، وسأل رفع البناء عنها، فحكم البساطي على أولاد أبي هريرة برفع البناء الموقوف، ونزل حتى حضر هدمهم لها في يوم الخميس غده. فكان هذا - مع ما تقدم - مما لم نسمع بمثله، غير أن في ذلك عبرة لأولى النهي، وذلك أن شمس الدين أبا أمامة محمد بن النقاش قام على قطب الدين محمد بن الهرماس حتى هدم السلطان الملك الناصر حسن^(٢) داره من أجل أنه بناها في زيادة جامع الحاكم، فعوقب بعد نحو ثمانين

(١) أي لا يدفعون تقول: درهت عن القوم دفعتم عنهم. انظر لسان العرب (درأ).

(٢) الملك الناصر (٧٣٦-٧٦٢هـ = ١٢٣٦-١٣٦١م) حسن (الناصر) بن محمد (الناصر) بن قلاوون، أبو المحاسن: من ملوك الدولة القلاوونية. بمصر والشام. ببيع بمصر، صغيراً، بعد مقتل أخيه (حاجي المظفر) سنة ٧٤٨هـ. وكان اسمه «قماري فقلما ولي السلطنة تسمى «حسناً» وقام بأمور الدولة الأمير يلبغا أروس نائب السلطنة، ووزعت العطايا باسم الناصر. واستمر إلى سنة ٧٥٢هـ، فثار عليه بعض أمراء الجند، فخلعوه، وسجنوه بالقلعة في دور الحرم، ولولوا أخاه صالحاً (الصالح الثاني) ثم خلعوه (سنة ٧٥٥هـ) وأعادوا الناصر، فقبض على زمام الأمور بمحزم. وخافه الناس فأكمن له مملوكه الأمير «يلبغا» كميناً، وهو في بر الجيزة، فأخذ على غزوة، وقاتل بعد=

سنة، بأن هدمت دار ولده أبى هريرة من أجل أنها بنيت فى زيادة جامع ابن طولون، ولقد سمعت أُمى أسماء ابنة محمد بن عبد الرحمن ابن الصايغ الحنفى - وكان ابن الصايغ من الأفراد فى أمور الدين والدنيا - يقول عن الله تعالى أنه قال: يا داود أنا الرب الودود، أعاقب الأبناء بما تفعله الجدود، فلقد عوقب فى هذه الحادثة أبو أمامة أبو اليسر، أبناء أبى هريرة - بما فعله جدهما أبو أمامة شمس الدين ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَيْكَ أَحَدًا﴾ (١).

وفى يوم السبت ثامن: جمع الحافظ قاضى القضاة شهاب الدين شيخ الإسلام أبو الفضل أحمد بن حجر، أعيان الدولة، وفيهم المقام الناصرى محمد ولد السلطان وغيره من الأمراء، وكاتب السر، وناظر الجيش، والوزير وناظر الجيش، والقضاة وشيوخ العلم فى عامة طلبة العلم وغيرهم، فاجتمعوا بأعلا الخمس الوجوه من أرض التاج خارج القاهرة.

وكان الوقت شتاء والأرض مخضرة بأنواع الزراعات، والخيول على مرابط ربيعها، وقدم لهم من أنواع الحلوات وألوان الأطعمة الفاخرة ما يجمل وصفه ويكثر مقداره، وقد أكمل تصنيف كتاب فتح البارى بشرح صحيح البخارى فى عشرين مجلدة، ثم قرئ من آخره مجلس خفيف، وقام بعده ختمه الشعراء، فقرأ عدة منهم قصائد فى مدحه، هذا وقد اجتمع بهذه المنظره وحوها من أسفلها عالم كبير من الرجال وغيرهم، ونصبت هناك سوق، وضربت خيام عديدة، فكان من الأيام المذكورة التى لم نعهد فى معناه مثله، أنفق فيه مال جزيل على ما تقدم من المآكل، وما أجز به الشعراء فى هذا اليوم.

وفى يوم آخر بعده: اجتمعوا فيه بخانكاة ببيرس من القاهرة، قام فيه شعراء آخر بمدائحهم، فأجيزوا بجوائز سنية عديدة، وفرق أيضاً مال جسم فى جماعة كثيرة، كتبوا هذا الشرح، والحافظ المشار إليه يمليه عليهم بهذه الخانكاة، حتى أكملوا نسخه فى أعوام، فكان هذا من المآثر السنية، والفضائل الجليلة التى زادت فى رفعته.

وفى تاسع عشره: ورد الخبر بأن العسكر المجرى ببلاد الصعيد حارب هوارة عدة مرار، وأنهم محتاجون إلى نجدة.

=قليل من حاشية، فنجا. وتنكر بذى أعرابى، وأراد السفر إلى الشام، فقبض عليه فى المطرية، فكان آخر العهد به وقيل: خنق ورمى فى النيل. انظر ابن إياس: ١/١٩٠، ٢٠٢، ووليم سوير ١٠١ والبداية والنهاية ١٤/٢٢٤-٢٧٨، ٢٧٩. والأعلام ٢/٢١٦.

(١) سورة الكهف، الآية ١٨.

وفي هذا الشهر: وقع الوباء بالوجه البحرى من أرض مصر، وقدم الخير أن الوباء وقع فى فصل الصيف ببلاد إفريقية كلها.

شهر رمضان، أوله الأحد:

فى ثانيه: توجه الأمير يشبك أمير سلاح على عسكر، نجدة لقتال هواره، بعدما أنفق فيهم، وفيه.

وفى يوم الثلاثاء عاشره: خلع على من قدم من مشايخ بلى الذين أخذوا الحجاج، وقد سألوا العفو، والتزموا بحفظ الحاج.

وفيه قدم الطواشى خشقدم ونائبه فيروز الركنى الرومى من دمياط، فأمر بالتوجه إلى المدينة صحبة ركب الحاج، والإقامة بها.

وفى حادى عشره: قدم كتاب الأمير قانييه الحمزاوى نائب حماه، يتضمن ورود الأمير بردبك العجمى حاجب حلب، وصحبته من أمراء حلب أميران إلى حماه، وذلك أن الأمير تغرى برمش نائب حلب، أراد من الأمير حطط نائب القلعة أن يمكنه منها، فلم يوافق، ورمى عليه من القلعة، فركب وركب عليه الأمراء واقتتلوا، فانهزم الأمير بردبك. بمن معه فى ليلة الجمعة ثامن عشرين شعبان. ودخلوا حماه، فى آخر يوم السبت سلخه، فكتب باستقرار بردبك المذكور فى نيابة حماه، عوضاً عن الأمير قانباى الحمزاوى، وأن ينتقل قانباى إلى نيابة طرابلس، عوضاً عن الأمير جليان المؤيدى، وأن ينتقل جليان إلى نيابة حلب، عوضاً عن تغرى برمش، لخروجه عن الطاعة، وتوجه الأمير على باى رأس نوبة لنقل الأمير جليان من طرابلس إلى حلب ومعه تقليده وتشريفه، وتوجه لتقليد قانباى نيابة طرابلس الأمير جانبك الحمودى رأس نوبة، وكلاهما من أمراء العشرات.

وفى يوم الإثنين سادس عشره: ورد الخير من الأمير طوخ مازى - نائب غزة - بأن الأمير ناصر الدين محمد بن منجك لما وصل من عند السلطان بما على يده إلى جسر يعقوب، بعث ملك الأمراء الأمير أينال الحكمى نائب الشام ساعياً باستعجاله، وأردفه بأخر، حتى قدم يوم السبت سابع شهر رمضان، فخرج إلى لقائه، ولبس التشريف المجهز على يده، وركب الفرس المحضر معه، وقبل الأرض على العادة، ودخل فى الموكب جليل حتى نزل دار السعادة، فاطمأن الناس، بعدما كانت الإشاعة قوية بمخامرته^(١).

فلما كان يوم الإثنين تاسعه: ركب ملك الأمراء^(١) في الموكب على العادة، ودخل دار السعادة وجميع الأمراء وسائر المباشرين بين يديه، فما هو إلا أن استقر في مجلسه، وإذا به قد قبض على الأمير برسباي حاجب الحجاب، وأغلق الباب، وقبض على الأمراء والمباشرين بأجمعهم، وأن جلبان وجانبك المتوجهين لتقليد نائب حلب ونائب طرابلس وصلا إلى غزة، وأقاما بها، فاضطرب السلطان لهذا الخبر وكثر قلقه، وجمع الأمراء، فأشاروا بسفره^(٢).

وفي يوم الأربعاء ثامن عشره: ورد الخبر بأن الأمير قطع أتاك حلب قدم إلى حماة، فأرأ من تغرى برمش، وأن تغرى برمش أخذ عنتاب وقلعتها، وأن عدة من قبض عليه أينال الحكمي بدمشق تسعة عشر أميراً، وقبض أيضاً على جمال الدين يوسف بن الصفي الكركي ناظر الجيش، وعلى بهاء الدين محمد بن حجي كاتب السر، وأن جانبك وجلبان توجهتا من غزة إلى نحو صفد^(٣).

وفي يوم الخميس عشرينه: ورد كتاب الأمير تغرى برمش، مؤرخ بثاني شهر رمضان، يتضمن أنه في يوم الثالث والعشرين من شهر شعبان لبس الأمير حطط نائب قلعة حلب ومن معه بالقلعة السلاح، وقاموا على سور القلعة، ونصبوا المكاحل وغيرها، وأمروا من تحت القلعة من أرباب المعايش وسكان الحوانيت بالنقلة من هناك وأنه لما رأى ذلك بعث يسأل حطط عن سبب هذا، فلم يجبه. إلى أن كان ليلة التاسع والعشرين منه، ركب الأمير قطع الأتابك والأمير بردبك الحاجب في عدة من الأمراء لابسين السلاح، ووقفوا تحت القلعة، فبعث إليهم جماعة من عسكره، فكانت بين الفريقين وقعة انهزم فيها قطع، وأنه باق على طاعة السلطان^(٤).

وأنه بعث يسأل نائب القلعة عن سبب هذه الحركة، فأجاب بأن الأمير بردبك الحاجب ورد عليه مرسوم السلطان «بالركوب عليك وأخذك»، وجهز أيضاً محضراً ثابتاً على قضاة حلب. بمعنى ما ذكر وأنه باق على طاعة السلطان، ولم يتعرض إلى القلعة، فلم يعول على ذلك لما تقرر من خروجه عن الطاعة، وورد أيضاً الخبر من الأمير فارس نائب قلعة دمشق بأن الأمير أينال الحكمي أجهر النداء بدمشق وأعمالها بالأمان والاطمئنان والدعاء للسلطان الملك العزيز يوسف بن برسباي، وأن تقى الدين أبا بكر

(١) يقصد الأمير أينال الحكمي.

(٢) انظر النجوم الزاهرة ١٥/٥٧.

(٣) انظر النجوم الزاهرة ١٥/٥٨.

(٤) انظر النجوم الزاهرة ١٥/٥٨.

ابن قاضى شهبة قاضى القضاة دعا للعزيز على منبر جامع بنى أمية فى يوم الجمعة، وأن الخطبة بقلعة دمشق للسلطان الملك الظاهر حقمق.

وفى يوم السبت حادى عشرينه: خلع على القاضى بدر الدين محمد ابن شيخنا قاضى القضاة ناصر الدين أحمد التنسى أحد خلفاء الحكم، واستقر فى قضاء القضاة المالكية، عوضًا عن شمس الدين محمد البساطى، وقد مات^(١).

وفى يوم الأحد ثانى عشرينه: نودى بعرض الممالك على السلطان. وفيه عرضت الخاصكية على السلطان، فعين منهم للسفر إلى الشام ثلاثمائة وعشرين خاصكيًا.

وفى يوم الإثنين ثالث عشرينه: خلع على الأمير الكبير الأتابك أقبغا التمرازى، واستقر فى نيابة الشام، عوضًا عن أيناك الحكيمى؛ لخروجه عن الطاعة^(٢).

وفيه قدم الخبر من الإسكندرية بأن طائفة القطلان عمروا اثنى عشر غرابًا؛ لتسير فى البحر نحو سواحل الشام وسواحل الروم، وأن مراد بن عثمان ملك الروم عمر مائة غراب، وأن متملك انكرس من الفرنج مات.

وفى يوم الثلاثاء رابع عشرينه: عرض السلطان الممالك، وعين منهم للسفر إلى الشام ثلاثمائة وثلاثين مملوكًا لستمائة وخمسة وخمسين.

وفى يوم الأربعاء خامس عشرينه: عين للسفر من الأمراء الألوفا قراقجا الحسنى رأس نوبة النوب، وتمر باى الظاهرى ططر، ومن الطبلخاناه طوخ التمرازى رأس نوبة ثانى، ومن أمراء العشرات عشرة، وهم: أقطوه الموسوى^(٣)، وتنم بن عبد الرازق

(١) انظر النجوم الزاهرة ٥٩/١٥.

(٢) انظر النجوم الزاهرة ٥٩/١٥.

(٣) أقطوه بن عبد الله الموساوى الظاهرى، الأمير سيف الدين. هو من أصاغر الممالك الظاهرية برقوق، ومن أنيات الأتابك يلبغا الناصرى، ومن صار من جملة الدوادارية الصغار فى الدولة المؤيدية شيخ إلى أن أنعم عليه الملك الظاهر ططر بإمرة عشرة، ثم صار مهندارًا فى الدولة الأشرفية برسباى، ثم أرسله الملك الأشرف بعد سنة وثلاثين إلى القان معين الدين شاه رخ بن تيمورلنك، فغاب مدة تزيد على سنة، وقدم إلى الديار المصرية بعد أن قاسى خطوبًا فى طريقه. واستمر على إمرته إلى أن مات الملك الأشرف برسباى إلى الملك الظاهر حقمق، أنعم عليه بإمرة طبلخاناه عوضًا عن الأمير طوخ من تراز الناصرى المعروف بابنى بازق بحكم انتقال طوخ إلى طبلخاناه غيرها. وأستمر أقطوه على ذلك مدة، إلى أن نفاه السلطان إلى البلاد الشامية، وأنعم بإقطاعة على الأمير ألبنغا اللفاف الظاهرى زيادة على ما بيده، فأقام المذكور بالبلاد الشامية مدة، ثم شفع فيه وطلب إلى القاهرة؛ فأقام بها مدة، وأنعم عليه بإمرة عشرة بعد موت الأمير =

المحتسب بالقاهرة ورأس نوبة، ثم أعفى بعد ذلك من السفر، ويشبك بن أزوباي رأس نوبة وبايزير بن صفر خجا رأس نوبة، وأقيردى الأشرفى أمير أخور ثالث، وطوغان السيفى ألان، وسودون قرقاش الأينالى^(١) رأس نوبة، وسودون النوروزى السلاح دار رأس نوبة، وجانبك السيفى نوروز^(٢) رأس نوبة، وخشكلىدى الناصرى^(٣).

=أبى يزيد الأشرفى فاستمر على ذلك مدة إلى أن خلع عليه بكشف الجسور وتوجه إلى ما ندب إليه، فلم تشكر سيرته، وشكاه بعض خواص الملك الظاهر له؛ فرسم بنفيه أيضاً، وأنعم بإقطاعه على الأمير تغرى برمش الشيبكى الزردكاش زيادة على ما بيده، ثم شفع فى أقطوه المذكور؛ ليقيم بالقاهرة بطلاً، فأمر له بذلك. قام بالقاهرة إلى أن توفى بعد مرض يسير فى شهر صفر سنة اثنتين وخمسين ومائتا، وسنه نيف على السبعين، وخلف مالا جزيلاً وعدة أملاك. وكان تركى الجنس، متوسط القد، خفيف اللحية، مسيكا، إلا أنه كان عفيفاً عن القاذورات، ويشارك فى بعض مسائل، وبذاكر بالتاريخ مذاكرة هينة، رحمه الله تعالى. انظر الدليل ١/١٤٤، والنجوم ٥٢٥/١٥، الضوء اللامع ٢/٣١٩، التبر المسبوك ٢٣٧، بدائع الزهور ٢/٢٦٢.

(١) انظر ترجمته المنهل الصافى، الضوء اللامع ٣/٢٧٦.

(٢) جانبك بن عبد الله الشيبكى الساقى، والى القاهرة (٨٥٧ هـ = ١٤٥٣ م)، الأمير الزردكاشى، الأمير سيف الدين. أصله من ممالك الأمير يشبك الجمكى الأميرى خور، واستمر بخدمة أستاذه المذكور إلى أن مات فى حبسه بنجر الإسكندرية، اتصل بخدمة الملك «الأشرف برسبای و صار خاصكيا، ثم صار ساقيا بعد موت الملك الأشرف إلى أن أنعم عليه الملك» الظاهر حقمق بعد سنة سبع وأربعين ومائتا بإمرة عشرة، ثم ولاه رأس نوبة من جملة رعوس النوب، ثم ولاه ولاية القاهرة على كره منه، بعد عزل منصور بن الطبلوى، وأضيف إليه الحجوية وشد الدواوين، كل ذلك زيادة على ما بيده. واستمر على ذلك إلى سنة ثلاث وخمسين ومائتا، أضيف إليه أيضاً حسبة القاهرة مضافا إلى ما بيده من الوظائف المذكورة، عوضا عن زين الدين يحيى الإستاذار، فباشر الحسبة مدة إلى أن عزل عنها بيار على الطويل الخراسانى فى سنة أربع وخمسين، وبقي على ما بيده من الولاية وغيرها إلى أن تسلطن الملك المنصور عمان أخلع عليه بالزردكاشية، عوضا عن الأمير لاجين «الظاهرى» بحكم انتقال لاجين» لشد الشراب خاناة، عوضا عن الأمير يونس القبای. فباشر جانبك المذكور الزردكاشية أقل من شهر، ومرض فى أول سلطنة الملك الأشرف أينال بيوم واحد إلى أن مات فى ليلة الخميس ثامن عشر شهر ربيع الأول سنة سبع وخمسين ومائتا، ودفن من الغد، وتولى الزردكاشية من بعد نوكار الناصرى. وكان جانبك المذكور شابا ظريفا، عارفا بأنواع الملاعبة، وفيه ذكاء وفطنة، وعنده مشاركة ومذاكرة حلوة، وكان متحملا فى مركبه وملبسه وماليكه، وبالجملة كان نادرة فى أبناء جنسه. انظر المنهل الصافى ٤/٢٣٥: ٢٣٧، الدليل الشافى ١/٢٣٧، النجوم الزاهرة ١٦/١٦٣، الضوء اللامع ٣/٦١، بدائع الزهور ٢/٣١١.

(٣) خَشَكَلْدَى بن عبد الله من سيدى بك الناصرى (٨٤٥ هـ = ١٤٤١ م)، الأمير سيف الدين، أحد أمراء العشرات فى الدولة الأشرفية برسبای، ورأس نوبة، المعروف بالجمقمقى. أصله من-

وفيه كتب باستقرار الأمير موسى بن محمد بن حديثة في إمرة الملا، عوضاً عن الغادر ابن عذراء بن نعيم وجهز له تشریف.

وقدم الخبير من الأمير طوغان نائب القدس بأن أينال الحكمي أطلق الأمراء الذين قبض عليهم وحلفهم للعزیز، فعلم أهل المعرفة أن أمر أينال هذا لا يتم لتضييعه الحزم في ركونه، وطمأنينته إلى الأمراء بعد أن أوحش ما بينه وبينهم بالقبض عليهم. وقد قيل:

إذا وترت أمراً فاحذر عداوته من يزرع الشوك لا يحصد به عنباً

إن العدو وإن أبدى مسالمة إذا رأى منك يوماً فرصة وثبا

وكان كذلك.

وفيه ورد الخبير بخروج الأمير أينال الأجرود ناب صفد منها، وأنه نزل بالرملة في سابع عشره، بعدما دعاه أينال الحكمي إلى موافقته، وأعلمه أنه ما قام في هذا الأمر حتى وافقه نواب الممالك وأركان الدولة بمصر، فلم يدخل في طاعته، وخشى أن يكبس بصفد فأنزل حريمه بقلعة صفد، ونزل بالرملة مع من بها من نائب القدس وغيره.

وفي يوم الخميس سابع عشرينه: أنفق في العسكر المجرى إلى الشام، وعدتهم ما بين خاصكي ومملوك ستمائة واثنا عشر فارساً. كل واحد ثمانون ديناراً^(١).

وقدم الخبير من مكة بأن الوباء شنع بمدينة صنعاء^(٢) وصعدة^(٣) من بلاد اليمن، حتى حلت من كبير وحاكم، لانقطاع الأئمة الزيدية منها بالفناء فبعث الملك الظاهر يحيى بن الأشرف إسماعيل صاحب زبيد وتعز وعدن بعض أمرائه، فأخذ له صعدة بغير ممانع، واستولى على ما فيهما من أموال من مات.

وقدم الخبير بأن الأمير جليان المستقر في نيابة حلب وصل إلى الرملة، في يوم الإثنين

=ممالك الملك الناصر فرج ومن عتقائه، وخدم من بعده عند الأمير حقمق الأرغون شاوى الدوادار، وبه عرف، واتصل عند الملك الأشرف برسباى، وصار خاصكياً، ثم رأس نوبة الجمدارية، ثم أنعم عليه بإمرة عشرة، وجعله من جملة رعوس النوب. واستمر على ذلك إلى أن وقع بين الملك العزيز يوسف وبين الأتابك، ولازال من حربه حتى قبض عليه الملك الظاهر حقمق، وحبسه بالإسكندرية، ثم أطلقه ونفاه على حلب بطالا، فدام بحلب إلى أن مات بعد سنة خمس وأربعين وثمانمائة تخميناً. وكان سكناً عاقلاً، متواضعاً، ضحماً، إلا أنه كان مسرفاً على نفسه. انظر المنهل الصافي ٥/٢١٤، ٢١٥، الدليل ١/٢٨٧ النجوم ١٥/٢٣٨ -- ٢٤٦، الضوء ٣/١٧٧.

(١) انظر النجوم الزاهرة ١٥/٦١.

(٢) سبق ترجمتها.

(٣) سبق ترجمتها.

ثالث عشرينه، وسبب ذلك أن تغرى برممش استدعى جماعة كثيرة من التركمان إلى حلب فأتوه، وعمل مكحلة عظيمة من نحاس ليرمى بها على القلعة، واستمال من أهل القلعة جماعة بمال كبير بذله لهم؛ ليتمكنوا منها، وشرع في حصار القلعة، وأخذ ينقب مواضع من أسفلها، والقتال بينه وبين من فيها مستمر، إلى أن فطن الأمير حطط الدقماقي نائب القلعة بمن وافق تغرى برممش من القليلة فقبض عليهم، ورمى ببعضهم عليه في المنجنيق، وقتل جماعة منهم، وعلق رؤوسهم على القلعة، ففات تغرى برممش قصده، وجد في النقب والحصار، حتى كاد يشرف على أخذ القلعة - أو أشرف - فانفق أنه نادى في المدينة بالأمان، فكأنما ألقى في آذان الناس بالنهب، فثارت العامة عند ذلك بأسلحتها، وأحاطت بدار السعادة حيث سكن تغرى برممش، فلم يثبت، وخرج فاراً يريد أن يخرج من المدينة حتى وقف خارج السور في نحو الأربعين فارساً، وقد نهبت العامة جميع ما كان بدار السعادة من المال والسلاح وغير ذلك، وامتدت أيديهم إلى أتباع تغرى برممش يقتلونهم أفحش قتل، وينهبون ما تصل أيديهم إليه، وذلك في يوم الثلاثاء عاشر رمضان بعدما حوصرت القلعة ثلاثة عشر يوماً، وتلاحق عدة من أصحاب تغرى برممش به، فسار يريد طرابلس، وانضم إليه الأمير طرعلی بن صقل سيز التركمانی، فلما قارب مدينة طرابلس لم يثبت الأمير جليان، وخرج منها نحو الرملة، وقد جد في سيره حتى دخلها في سادس يوم، فدخل تغرى برممش طرابلس في عشرينه، وأخذ من أهلها مالا كثيراً، وأما جليان فإنه انضم إلى من بالرملة من الأمير أينال الأجرود نائب صفد والأمير طوغان نائب القدس، والأمير طوخ مازى نائب غزة، وكتبوا يستدعون السلطان للمسير بنفسه بعد تجهيز العساكر بين يديه سريعاً.

وكان الذي قدم بهذا الخبر صرغتمش دودار الأمير جليان، فخلع عليه في يوم الأحد تاسع عشرينه، واستقر دوداراً بحلب، عوضاً عن الأمير سودون النوروزي.

وفيه قدم الأمير جانبك المحمودي رأس نوبة المتوجه لتقليد قانباي الحمزاوي نيابة طرابلس، بعد أن وصل إلى الرملة، ولم يتمكن من الوصول إلى حماة، فأتار عند قدومه شروراً لها ما بعدها، فإنه زعم أنه ظفر بكتب جماعة من الأمراء وغيرهم إلى الشائرين ببلاد الشام، وأوقف عليها السلطان.

وفي يوم الإثنين سلخه: عملت الخدمة بالقصر على العادة، ونزل الناس إلى دورهم، فبلغ السلطان أن الملك العزيز فقد من داره بالقلعة، فاشتد قلقه وتزايد اضطرابه، واستدعى الأمراء والمباشرين، وأعلمهم بذلك، فماج الناس، وكثرت أقاويلهم وترقبوا وقوع فتنة كبيرة، وكان سبب ذلك أن العزيز لما خلع أنزل في بعض دور القلعة من

داخل باب الستارة حيث سكنى الحريم السلطاني، وأقرت عنده دادته التي رتبته من صغره، ومعها عدة جواري للعزیز، ما بين سرارى له وخدم، ومكنت مرضعته من التردد إليه، والإقامة عنده ما أحببت، وكان القائم بأمره فى قبض ما رتب له على السلطان من لحم ودجاج وأرز وحلوى فى كل يوم، وما فرض له من أوقاف أبيه فى كل شهر، طواشى من عتقاء أمه خوند جلبان هندی، لم يبلغ العشرين سنة، اسمه صندل، فيه يقظة وكيس، فاحتوى على جميع أحواله لانفراده بمخدمته، وكان يشاع غير مرة الإرجاف بكحل العزیز وينقله إلى الإسكندرية وهو يخبر العزیز بذلك، فارتاع له إلى أن اشتهر أن بعض القضاة أفتى بأن فى قتل العزیز حقن الدماء وصيانة الأموال، فلم يطق صندل صبراً على كتمان ذلك، وأكثر من إلقائه إلى العزیز وترويعة، وتحسين الفرار، إلى أن انفعل له.

وكان للعزیز طباخ أيام أبيه فداخله صندل فى إخراج العزیز فوافقته على أنه ينهض بإخراجه، وشرعت جواری العزیز فى نقب موضع من الدار بمساعدة الطباخ من خارج، حتى تهيأ هذا، وصندل يحدث جماعة من الأشرافية فى القيام معه إذا خرج، وذلك أقصى مرادهم وغاية أملهم، فاتعدوا لذلك، حتى كان وقت الإفطار فى ليلة الإثنين، والناس فى شغل بأكلهم وقف الطباخ من خارج النقب، فخرج العزیز عريانا مكشوف الرأس، فألبسه الطباخ من خلقانه ثوبا مملوءاً بالدهن، وسواد القدور وجعل على رأسه قدرًا، وحمله على يده وعاء فيه طعام، بعد أن غير محاسن وجهه وبياض يديه ورجليه بسواد القدور، وخرج وهو معه، كأنه من جملة صبيان المطبخ، فلم يفتن أحد له، حتى خرج من باب القلعة، وقد خرج الأمراء من الفطر من عند السلطان، فضرب الطباخ العزیز ضربة منكرة وصادى به، ليرد بذلك الوهم، فمشى بين الأمراء على تلك الهيئة إلى أن نزل من باب القلعة، فإذا صندل وطوغان الزردكاش، وأزدمر فى آخرين من المماليك غير كثير، فقبلوا يده، ومضوا به إلى دار بعضهم.

وكان فى ظن العزیز ودادته وجواريه أنه إذا نزل من القلعة يجد ممالিকে ومماليك أبيه مستعدين له، فإما يحارب بهم وإما يتوجه إلى الشام، فلما لم ير منهم ما كان يؤمل أراد أن يعود إلى موضعه، وليته عاد، فلم يمكنوه، وقام طوغان فى منعه من التوجه إلى الشام، والتزم أنه يمضى إلى بلاد الصعيد، ويأتى بمن هناك من المماليك الأشرافية، فى التجريدة لقتال هوارة، وهم سبعمائة فارس، ومضى من ليلته، فكان من أمره ما سيأتى ذكره إن شاء الله تعالى.

واختفى العزیز - هو وطواشيه صندل الهندی ومملوكه أزدمر وطباخه - وصار ينتقل

من موضع إلى موضع، والقوم في طلبه، فمرت به في مدة اختفائه أهوال وشدائد، حتى قبض عليه كما سنراه إن شاء الله تعالى^(١).

شهر شوال، أوله الثلاثاء:

في ليلة الثلاثاء: كانت بالقلعة حركات مزعجة، خرج فيها السلطان من الدور إلى القصر واجتمع معه من ثقاته غير واحد، ومرج أيضاً أمر من كان تحت القلعة، فصلى السلطان صلاة العيد بالقصر وهو على تخوف، وقد وقف جماعة بالسلاح مصلتا على رأسه، حتى قضى صلاته، ثم صعد قاضي القضاة شيخ الإسلام شهاب الدين أحمد بن حجر - بعدما صلى إماماً - على كرسى، فخطب وأوجز في خطبته، كما أسرع في صلاته، فما هو إلا أن فرغ من الخطبة إذ جاء الخير بأن الأمير أينال قد تسحب ليلاً، فعظم الخطب وجل الأمر، وكان سبب ذلك أن الطائفة المؤيدية لم يكن لها في أيام الأشرف برسباي كبير حظ منه، فلما مات خافت المؤيدية من الأشرفية، وانضموا إذ ذاك على الأمير نظام الملك جقمق، وقاموا بأمره، حتى كان من أمره ما تقدم ذكره، وأخرج الأشرفية إلى السجن بالإسكندرية، وإلى الحجاز، وإلى الصعيد، فأهينوا بعد عزمهم، واتضع جانبهم بعد رفعتهم، وصار المؤيدية هي المشار إليها، وإليهم الحل والعقد، فجدوا في الإغراء بالعزيز، كي يستريحوا من الأشرفية، فإنهم غير آمنين من ثورتهم وإقامة العزيز.

فلما قام الأمير أينال الحكيم بدمشق، ودعا للعزيز، وحلف أمراء دمشق على طاعته - وكان الأمير تغرى برمش أيضاً ممن يميل إلى العزيز - شق ذلك على المؤيدية، وعلموا أنهم مقتولون شر قتلة، إن كانت للعزيز دولة، فأخذوا في التحريض على قتله، حتى اشتهر أنه إذا فرغ شهر رمضان أمضى فيه ما أرادوه، ففر العزيز لما خامر قلبه من الخوف الشديد، وخاف الأمير أينال أن يتهم به، واجتمع عنده في ليلة العيد عدة من الأشرفية، فلم ينهض بشيء لخنوره وضعفه، وتركهم وخرج من جانب داره على بغل في ظلام الليل، ثم نزل عن البغل، ومضى على قدميه، فلم يعلم خيره، فلما بلغ السلطان تسجبه، أمر فنودي بالقاهرة ألا يتخلف أحد من المماليك عن الخدمة، وهدد من تخلف بالقتل، وقبض على جماعة من المماليك الأشرفية، ثم نودي أيضاً بإصلاح الناس الدروب وغلقهم أبواب دورهم، وألا يخرج أحد إلى الشوارع بعد عشاء الآخرة، وغلقت أبواب القاهرة قبل عادة إغلاقها من الليل، فكانت ليلة هذا العيد ويومه من الأوقات النكدة، حتى كأنه ليس بعيد.

(١) انظر الخير في النجوم الزاهرة ١٤/١٥ وما بعدها.

وفي يوم الخميس ثالثه: خلع على الأمير تنيك من تنيك، واستقر أمير الحاج، عوضاً عن أينال، وخلع على قراجا البواب، واستقر في ولاية القاهرة، عوضاً عن علاء الدين على بن محمد بن الطبلاوى، فباشر الولاية بعسف، وخلع على الأمير ممحق^(١) واستقر في نيابة القلعة^(٢).

وفيه قبض على عدة من الأشرفية.

وفيه دقت البشائر عند ورود كتاب الأمير حطط نائب قلعة حلب بكسرة تغرى برمش، وخروجه من حلب، كما تقدم ذكره.

وفي يوم الجمعة: رابعه سار عسكر من القاهرة تزيد عدته على سبعين فارساً، يريدون المحلة الغربية، لمسك الأمير قراجا الأشرفي.

وفي يوم السبت خامسه: أخذت خيول الأمير أركماس الظاهري الدوادار، وعزل من الدوادارية الكبرى، وأخذ إقطاعه، وأخرج من داره، وأخذت خيول الأمير قراجا، وإقطاعه، وشون غلاله.

وفيه قبض العسكر المتوجه على الأمير قراجا، وحمل في الحديد إلى الإسكندرية، فسجن بها.

وفي يوم الإثنين سابعه: نودى بأن من وجد أحدًا من غرماء السلطان وطلع به فله خمسمائة دينار وإقطاع، ومن غمز عليه أنه أخفى أحدًا منهم حل ماله ودمه، هذا والمؤيدية قد تجردت للفحص عن العزيز وعن أينال، وعن الممالك الأشرفية في جميع الأماكن، وقبض على الغلمان، حتى دلوهم على أماكن بعضهم.

وصاروا يكبسون الدور، والترب، وديارات النصارى، والبساتين، وضواحي القاهرة ومصر، ويرون بالليل في الأزقة متنكرين إلى غير ذلك من أنواع الفحص والتفتيش، فإنهم صاروا هم الدولة في هذه الأيام الظاهرية، والله در القائل:

وإذا سخر الإله أناساً لسعيد فإنهم سعداء

وفي يوم الثلاثاء ثامنه: أنعم بإقطاع الأمير قراجا على المقام الناصري محمد ابن السلطان^(٣) وبإقطاع الأمير أركماس الدوادار على الأمير أسنبغا الطيارى، وبإقطاع

(١) هو الأمير ممحق بن عبد الله النوروزى (ق ٨٤٤هـ). انظر المنهل الصافى (ترجمة ممحق بن عبد

الله)، الضوء اللامع ١٠/١٧٠.

(٢) انظر النجوم الزاهرة ١٥/٦٨.

(٣) محمد بن حقمق (٨٤٧هـ = ١٤٤٤م).

الأمير أينال على الأمير جرياش^(١) قاشق من عبد الكريم أمير مجلس، وأنعم بإقطاع جرياش هذا على الأمير شادى بك الظاهري ططر، وبإقطاع شادى بك على الأمير جرياش كرت المحمدي^(٢)، وبإقطاع أسنبغا الطيارى على الأمير دولات باى الساقى المويدي^(٣)، وهو جمرة من جمراتهم.

(١) انظر الضوء اللامع ٦٦/٣، المنهل الصافي فى (ترجمة جرياش بن عبد الله).

(٢) جرياش بن عبد الله المحمدي الناصر (٨٧٧ هـ - ١٤٧٢ م)، الأمير سيف الدين، أحد مقدمى الألوفا بالديار المصرية، المعروف بكرد. أصله من ممالك الملك الناصر فرج بن بقوق، وتنقل فى الدول حتى صار فى الدولة الأشرفية برسباى رأس نوبة الجمدارية، ثم أمير عشرة ورأس نوبة وتزوج بنت أستاذه الملك الناصر فرج خوند شقرا، واستمر على ذلك إلى أن نقله الملك الظاهر حقمق إلى إمرة طبلخاناه وجعله أمير آخورا ثانيا. عوضا عن الأمير دولات باى المحمدي بحكم انتقاله إلى الدوادرية الثانية، بعد الأمير أسنبغا الطيارى المنتقل إلى تقدم ألف بالديار المصرية. قاستمر المذكور فى هذه الوظيفة من سنة اثنتين وأربعين إلى سنة ثلاث وخمسين ومائاتان أنعم عليه بتقدم ألف بالديار المصرية، عوضا عن الأمير تنم من عبد الرزاق المويدي أمير مجلس، بحكم انتقال تنم إلى إقطاع الأمير قراقجا الحسنى بعد وفاته. انظر المنهل الصافي ٤/ ٢٦٠، ٢٦٢، الدليل الشافى ١/ ٢٤٣، الضوء اللامع ٦٦/ ٣، بدائع الزهور ٣/ ٨٣.

(٣) دولات باى بن عبد الله المحمودى (٨٥٧ هـ - ١٤٥٣ م)، الساقى المويدي الدوادار، الأمير سيف الدين قدم به خواجه محمود من بلاد الجار كس فى جملة ممالك إلى نغر الإسكندرية فاشتره نائبها الأمير آقيردى المنتقار المويدي، «وجعله فى طبقة الطواشى مرجان الخازندار. ثم أعتقه، وجعله خاصكيا، ثم صار خازنداراً، ثم ساقياً فى آخر دولته، أو بعد موته واستمر على ذلك إلى أن عزل عن الساقية فى دولة الملك الصالح محمد بن الملك الظاهر ططر. واستمر على إقطاعه دهراً طويلاً. وكان إقطاعه حصه من جينين القصر، إلى أن أنعم عليه الملك الأشرف برسباى بإمارة عشرة بسفارة صهره زوج بنته الأمير حاتم أمير آخور، وقريب الملك الأشرف برسباى، وذلك فى حدود سنين خمس وثلاثين ومائاتان. ثم جعله من حملة رعوس النوب الصغار. ولازال على ذلك إلى أن مات الملك الأشرف، وتسلطن ولده الملك العزيز يوسف من بعده، ثم وقع بين «العزيز وبين» الأتابك حقمق العلائى فانضم دولات باى هذا مع خشداشيته على الأتابك حقمق، وركبوا معه، وصاروا من حزبه إلى أن خلع الملك العزيز، وتسلطن حقمق، ولقب بالملك الظاهر، وأنعم على دولات باى المذكور بإمارة طبلخاناه، وجعله أمير آخور ثانياً، عوضا عن الأمير تخشى باى الأشرفى المقبوض عليه. ثم نقله الملك الظاهر بعد مدة يسيرة إلى الدوادرية الثانية، بعد الأمير أسنبغا الطيارى بحكم انتقاله إلى تقدم ألف بالديار المصرية. واستقر عوضه فى الأمير آخورية الثانية الأمير جرياش المحمدي، المعروف بكرد كل لك فى سنة اثنتين وأربعين ومائاتان، فباشر المذكور وظيفة الدوادرية الثانية بحمة وافرة وعظمة زائدة، ونالته السعادة وأثرى، وعمر الأملاك الجيدة، وحصل الأموال الكثيرة، وطالت أيامه. وحج أمير الحج فى سنة تسع وأربعين ومائاتان، ثم عاد إلى القاهرة. واستمر على ذلك إلى أن أنعم عليه الملك الظاهر حقمق بإمارة مائة وتقدمه =

وفي يوم الأربعاء تاسعه: دقت البشائر لورود الخير من نائب غزة بقدم الأمير برسباى الحاجب بدمشق، والأمير أينال الششمانى إلى الرملة، مفارقين لأينال الحكمى. ثم ظهر كذب هذا الخير. هذا والأشرفية يقبض عليهم وتساق خيولهم وبغالهم إلى الإصطبل السلطانى، ويكتب إلى الأعمال بأخذ الطرقات عليهم براً وبحراً.

وفي يوم الخميس عاشره: برز الأمير أقبغا التمرازى نائب الشام بمن معه إلى الريدانية خارج القاهرة.

وفيه خلع على الأمير تمتاز أمير أخور، واستقر أمير سلاح، عوضاً عن الأمير يشبك المجرد إلى بلاد الصعيد، وأنزل من الإصطبل، وسكن بالحراقة مكانه المقام الناصرى محمد ابن السلطان، وكتب للأمير يشبك باستقراره أميراً كبيراً أتاك العساكر، عوضاً عن الأمير أقبغا التمرازى نائب الشام، وخلع على الأمير قراقجا الحسنى رأس نوبة النوب، واستقر أمير أخور، عوضاً عن الأمير تمتاز، وخلع على الأمير تهرباى نائب الإسكندرية - كان - واستقر رأس نوبة النوب، عوضاً عن قراقجا الحسنى، وخلع على الأمير تغرى بردى المؤذى حاجب الحجاب، واستقر دواداراً كبيراً، عوضاً عن أركماس الظاهرى، فباشر الدوادارية بتجوير وترفع زائد، وخلع على الأمير دولات باى المؤيدى الساقى أحد أمراء الطبلخاناه، وأمير أخور ثانى، واستقر دواداراً ثانياً، عوضاً عن أسنبغا الطيارى، وخلع على الأمير جرباش كرت رأس نوبة واستقر أمير أخور ثانى، عوضاً عن دولات باى.

=ألف بالديار المصرية، بعد موت الأمير تمتاز القرمشى أمير سلاح بالطاعون فى يوم الإثنين ثالث عشر صفر سنة ثلاث وخمسين وثمانمائة، وأنعم بطبلخانته على الأمير يونس السيفى آقبأى شاد الشراب خاناة. واستقر عوضه فى الدوادارية الثانية الأمير تهربغا الظاهرى على إمرة عشرة، فلم يكن بعد أيام إلا وخلع عليه باستقراره فى الدوادارية الكبرى فى يوم الخميس ثانى عشرين صفر المذكور، عوضاً عن الأمير قانى باى الجاركسى بحكم انتقاله إلى الأمير أخورية الكبرى بعد موت الأمير قراقجا الحسنى بالطاعون أيضاً. وقيل إن توليه دولات باى المذكور للدوادارية الكبرى كانت على بدلِهِ نحواً من عشرين ألف دينار للخزانة الشريفة. ولا يبعد ذلك. واستمر دولات باى هذا فى الدوادارية مدة، ورسم له فى سنة خمس وخمسين بناية حلب ليفيض بدلا من السلطان على الأمير قانى باى الحمزاوى نائب حلب. ثم بطل ذلك من الغد، واستمر على وظيفته إلى أن قبض عليه المنصور عثمان بن حقمق فى صفر سنة سبع وخمسين، وحبسه بالإسكندرية مدة يسيرة، وبعد خلع عثمان أطلقه الأشرف أينال، فلم تطل مدته وتوفى فى السنة المذكورة وخلف مالا جماً. انظر المنهل الصافى ٥ / ٣٢٦ وما بعدها والدليل ١ / ٢٩٩، النجوم ١٦ / ١٦٥، منتخبات من حوادث الدهور ص ٣٥٥، الضوء ٣ / ٢٢٠ بدائع الزهور ٢ / ٣١٢.

وفيه قدم الأمير يونس المؤيدى من دمشق، فاراً من أينال الحكمى، فأكرم وأنعم عليه.

وفى يوم السبت ثانى عشره: استقل الأمير أقبغا التمرازى، نائب الشام بالمسير من الريدانية.

وفيه نفى نور الدين على بن أحمد السويفى إمام الأشرف برسباى إلى دمياط. وفيه دقت البشائر، لورود خير سار.

وفى يوم الأحد ثالث عشره: كان مسير العساكر المخيمة بالرملة، إلى جهة دمشق. وفى يوم الإثنين رابع عشره: استقل الأمير قراقجا الحسنى أمير أخور ومقدم العسكر بالمسير من الريدانية بمن معه من الأمراء والمماليك، وعدتهم ستمائة وخمسون فارساً^(١).

وفيه ورد الخبر بأن أينال الحكمى برز مخيمه إلى ظاهر مدينة دمشق. فلما كان يوم الخميس ثالث شوال هذا، عزم على الخروج من المدينة إلى المخيم ليسير نحو القاهرة، فركب عليه من أمراء دمشق الأمير برسباى الحاجب، والأمير قانبای البهلوان الأتابك فى عدة أمراء، وقاتلوه خارج المدينة، فقاتلهم وهزمهم، فوقفوا لخره ثانياً، فهزمهم بعد وقعة أخرى، فامتنعوا بالقلعة، وقد جرح منهم جماعة فأخذ خيولهم وأموالهم، ونزل بالميدان وأبطل الحركة للسفر، وسبب هذه الحركة أنه كتبت ملطفات سلطانية إلى أمراء دمشق، وجهزت إلى الأمير خشكلدى نائب قلعة صفد، فبعث بها على يد نصرانى إلى بهاء الدين محمد بن نجم الدين عمر بن حجى كاتب السر، ففرقها فى الأمراء واستمالهم حتى وافقوا على الركوب على أينال الحكمى وأخذه، ثم اختفى من ليلته، فركبوا هم من الغد، وكان من أمرهم ما ذكر.

ولما ورد هذا الخبر تفرس من له بصر بالأمر، وإطلاع على أحوال الوجود، بأن أمر أينال الحكمى لا يتم، فإنه أخطأ الرأى أولاً فى القبض على الأمراء لظنه بهم سوء، ثم إطلاقهم والركوب إليهم، حتى إذا أمكنتهم الفرصة وثبوا عليه ليقتلوه، فكانت له عليهم، وأنى يفلح ملك لا توافقه أعوانه. هيهات ثم هيهات، لا يكون ذلك أبداً.

وفيه ورد الخبر بأن الأمير يشبك المستقر - أتابك العساكر - انتهى بمن معه من الأمراء والمماليك فى طلب هواراة إلى مدينة إسنا^(٢) فلم يقع بهم، وأنه رجع بالعسكر إلى مدينة

(١) انظر النجوم الزاهرة ٧٣/١٥.

(٢) إسنا: مدينة بأقصى الصعيد، وليس وراءها إلا إدفو وأسوان ثم بلاد النوبة، وهى على شاطئ

النيل من الجانب الغربى فى الإقليم الثانى. انظر معجم البلدان ١٨٩/١.

هو^(١) فقدم عليه عدة من المشايخ الصلحاء ومعهم طائفة من مشايخ هوار، راغبين فى الطاعة، وحلفوا على ذلك، وأنه قدم على العسكر فى يوم الأحد سادسه طوغان الزرد كاش أحد الدوادارية، ودعا العسكر إلى طاعة الملك العزيز، والقيام بنصرته، فإنه أخرجه من حيث كان محبوساً، ونزل من القلعة، واجتمع عليه جماعة من مماليكه، فلم يوافقوا على ذلك، وحلفوا أنهم مقيمون على طاعة السلطان. فدقت البشائر لذلك، وخلع على الواصل بهذا الخير، وأجيب بحمل طوغان فى الحديد، وكان قد وصل الخير قبل ذلك بتوجه طوغان هذا إلى بلاد الصعيد، وكتب بحمله.

وفيه كتب توقيع باستقرار أبى السعادات بن ظهيرة فى خطابة الحرم، عوضاً عن أبى اليمن ابن النويرى قاضى مكة، وجهز إليه، ثم بطل ذلك، وكتب باستقرار أبى اليمن فى الخطابة مع وظيفة القضاء.

وفى يوم الثلاثاء سادس عشره: ورد الخير من الأمير يشبك بأنه نازل على مدينة أسيوط^(٢) وأن يونس الخاصكى ورد عليه بمرسوم شريف يتضمن القبض على طوغان قاصد العزيز، وأن الممالك لم يمكنه من ذلك، فكثر القلق لورود هذا الخير، وخشى الناس وقوع الفتنة، فلنا بالأشرفية أنهم رجال وإذا هم أشبه بربات الحجال^(٣).

وفيه قدم قود الشريف بركان بن حسن بن عجلان أمير مكة - شرفها الله - وهو خمسة أفراس وطواشيان، وجاريتان، ومائتا شاش، وقطعتا ياقوت أحمر زنتهما خمسة عشر قيراطاً، وقطعة ماس زنتها تسعة عشر قيراطاً ونصف.

وفيه قدم الشريف عقيل بن وبير بن نخبار أمير ينبع المعزول بصحرة^(٤) يسعى فى الإمرة، فوعد بنجر.

وفيه قبض على الأمير أركماس الظاهرى المعزول عن الدوادارية الكبرى، وأخرج منقياً إلى دمياط.

وفى هذا الشهر: وقع فى الناس بالقاهرة الموت بالطاعون، وبلغت عدة من رفع اسمه من ديوان المواريث بالقاهرة فى هذا اليوم أحد وعشرون إنساناً.

(١) سبق ترجمتها.

(٢) أسيوط: مدينة على الضفة الغربية من نيل مصر وهى كبيرة عامرة أهلة جامعة لضروب المحاسن كثيرة الجنات والبساتين واسعة الأرضين جميلة حسنة بينها وبين أحميم صاعداً من النيل نصف مجرى. انظر معجم البلدان ١/١٩٣، والروض المعطار ٥٨، والإدريسى ٤٨.

(٣) المقصود به النساء.

(٤) لقيته صحرة بحرة إذا لم يكن بينك وبينه شىء. انظر لسان العرب (صح).

وفي يوم الخميس سابع عشره: خلع على الأمير تنبك بن تنبك أحد الأمراء الألوفاً، واستقر حاجب الحجاب، عوضاً عن الأمير تغرى بردى المؤذى المنتقل إلى الدوادية الكبرى.

وفي هذه الأيام: كبست عدة أماكن في طلب العزيز، وقبض على جماعة من الأشرافية، لكثرة الإرجاف بخروج من في بلاد الصعيد من الممالك عن الطاعة، وأنهم عادوا يريدون القاهرة، فمنعت المراكب من التعدي في النيل بكثير من الناس، وكثر الفحص والتفتيش، حتى كبست البساتين والترب، وغلقت بعض أبواب القاهرة نهائياً، وأخذ أهل الدولة من الأمراء ومن بالقلعة في الاستعداد للحرب هذا مع ما في الوجه البحرى من الوباء الشنيع في سرعة الموتان الوحي السريع، وكثرة عدة الأموات لا سيما في الأطفال والعبيد والإماء، بحيث مات من قرية واحدة مائتا صغير من أولاد أهلها، وحل بالتجار في الإسكندرية ضيق شديد وبلاء عظيم، بسبب رمى الفلفل السلطاني عليهم. ونزل بأهل القاهرة ومصر خوف شديد بسبب اختفاء الأشرافية وتطلبهم، فإذا طرقت جهة من الجهات حل بأهلها من أنواع البلاء ما لا يوصف من النهب والهدم والعقوبة والغرامة، سواء وجد المطلوب أو لم يوجد، فما بقى أحد إلا وخامر قلبه الخوف خشية أن يرميه عدو له أو حاسد لنعمته أنه أخفى أحدًا من الأشرافية، فلا تتزوى المؤيدية في أمره، ولا تتمهل، بل تطرقه بغتة وتنزل به فجأة، وقد تبعها من غوغاء العامة عدد كالجراد المنتشر، وتهجم داره ودور من حوله، فيكون شيئاً مهولاً، وكثيراً ما فعلوا ذلك فلم يجدوا أحدًا، وكان من البلاء ما كان، حتى أنه هجم بعض المدارس، ونهبت، وكسر أبواب بيوتها، ونش قبر كان بها، فلم يوجد بها أحد، ومع ذلك كله فالغلال ترمى على الناس من الديوان، فلا يقدر على ذى الجاه، ويهلك الضعيف من كثرة الغرامة.

وفي يوم السبت تاسع عشره: برز المحمل إلى الريدانية خارج القاهرة صحبة الأمير تنبك المستقر حاجب الحجاب في عدة من الممالك السلطانية، ثم تبعه الحجاج شيئاً بعد شيء^(١).

وفيه ورد الخبر بالقبض على طوغان الزرد كاش وحمله في الحديد، فقدم في آخر النهار، وكان من خبره أن الأشرافية من حين كانت وقعة قرقماس لم يزالوا في إديبار، وتقدمت المؤيدية عليهم - كما تقدم ذكره - فأخذوا في التدبير لأنفسهم بغير معرفة ولا حفظ يسعدهم، فأخرجوا العزيز من موضعه، وأضاعوه، ثم قاموا مع الأمير أينال ليثوروا

ليلاً، فلما فطن بهم لعدم تحفظهم وقلة دربتهم، تسللوا من دار أينال وقد كاد يدركهم الطلب من السلطان، فلما وصل طوغان من عند العزيز لم يحسن التصرف فيما انتدب له، فإنه اشتهر في مسيره، ثم لما وصل إلى من قصدهم، أعلم المماليك بأن العزيز خرج من سجنه ونزل من القلعة، فاجتمع عليه القوم وأنه محاصر للقلعة فأدركوه، فهيج هذا القول منه حفائظهم وحرك كوامنهم، هذا وقد ضيع نفسه بشهرته في مدة توجهه من عند العزيز إلى أن وصل إلى المماليك.

وقد بلغ السلطان خبره ومروره بالبلاد التي نزل بها في سفره، فكتب بالقبض عليه، فلم يدرکه الطلب حتى وصل وروج على أصحابه بما لا حقيقة له، فبادر الأمير يشبك بمطالعة السلطان بخبر طوغان ثم تبادت كتب السلطان وأخبار المسافرين بما تبين به كذب طوغان، وأن العزيز مخفى والمواضع تكبس عليه، فاخل ما عقده طوغان في أنفس المماليك، وأثبت ما كان قد أوثقه بأيديهم، هذا وقد توجهوا من أسيوط يريدون القاهرة ليدرکوا العزيز بزعمهم، فما زال الأمير يشبك يستميلهم ويخوفهم حتى أسلموه طوغان بعد إباء وامتناع، أفضى به - وبهم - أن جمع عليه الكاشف بالوجه القلبي وعدد كثيرة من عربان الطاعة وهم بمحاربتهم، فلم تكن لهم طاقة بمحاربتهم^(١)، وتبين لهم فساد ما بنوا عليه أمرهم، فأذعنوا عند ذلك، وقادوه برمته حتى حمل في الحديد، ورجعوا مع الأمير يشبك إلى ناحية حرجا، فبطل ما كانوا يعلمون، والله لا يصلح عمل المفسدين.

وعندما وصل طوغان تولى عقوبته المؤيدية، فما عفوا ولا كفوا، بل أنزلوا به أنواع العذاب المتلف، ما بين ضرب وعصر وغير ذلك، حتى أشفى على الموت، وعوقب معه ثلاثة نفر، فاجتمع من إقرارهم أن إبراهيم الطباخ لما أخرج العزيز بعد المغرب نزل من موضع بالمصنع تحت القلعة، وقد اجتمع عليه عدة من المماليك ليسيروا به إلى الشام، ثم انصرفوا عن هذا الرأي وتوجه طوغان ليأتي بالمماليك من الصعيد.

وفي يوم الثلاثاء ثاني عشرينه: أخرج بطوغان محمولا لعجزه عن الحركة من شدة العقوبة، حتى وسط عند باب السلسلة. ومن العجب أن طوغان هذا، مات الأشرف وهو من جملة الزردكاشية، فاستحال على خشداشيته وصار من جملة الأمير أينال، وانتمى معه إلى السلطان، وهو إذا ذاك أمير، واختص به عمله من جملة الدوادارية، ثم استحال على السلطان، وأخرج العزيز، فكانت منيته على يده. هذا، والبلاء يشتد على الناس بسبب العزيز، فقبض على جماعة وسجن جماعة، وعوقب كثير من الناس.

وفي هذا اليوم: استقل الרכب الأول بالمسير من بركة الحجاج بعدما فتش

الحجاج. ثم استقل المحمل بالمسير مع أمير الحاج ببقية الحجاج فى يوم الأربعاء ثالث عشرينه.

وفيه قبض على سر النديم الحبشية دادة العزيز، بعدما كبس عليها عدة بيوت، وعوقب جماعة، ثم قبض على الطواشى صندل الهندى، فتحقق منهما أن العزيز وأينال لم يخرجوا من البلد، وأن الذى أشيع بين الناس من توجههما إلى الشام كذب، وأن العزيز لم يجتمع مع أينال، وأنه كان هو، وصندل هذا، وطباخه إبراهيم، ومملوكه أزدمر - بغير زيادة على هؤلاء - ينتقل وهم معه من موضع إلى موضع وأن صندل فارقه من أربعة أيام، وقد طرده أزدمر المذكور فدفع إليه العزيز خمسين ديناراً، فانصرف عنهم، وصار يتردد إلى بيوت معارفه فى زى امرأة، فلم يؤوه أحد حتى دخل على بعض معارفه فى الليل فأوته حتى أصبح، فدل زوجها عليه حتى أمسك وعوقب، ثم سجن.

وطلبت خوند مغل ابنة البارزى دادة العزيز، فسلمت لها من غير عقوبة، فأقامت عندها، وقبض على مرضعة العزيز، وعلى زوجها، وبعض أقارب زوجها، وعلى جماعات من الرجال، والنساء ممن كان من جوارى الأشرف أو من معارفهن، وممن اتهم بأنه معرفة لإبراهيم الطباخ، وتعدى الحال إلى امرأة مسكينة تزعم أن لها تابعا من الجن يخبرها مما يكون، فتكسب بذلك من النسوان ومن فى معانهن من ضعفة الرجال، ما تقيم به بعض أودها: وذلك أنه وشى بها إلى أحد المؤيدية أن بعض الطواشى كان يتردد إليها فتخيره أن العزيز يعود إلى ملكه، فقبض على هذه المسكينة، وعلى عدة من يلوذ بها، وعوقبت، وكان الطواشى الذى قيل عنه أنه يأتى إليها فتخيره يعود ملك العزيز إليه، قد توجه للحج مع الركب، فكتب بضربه وحمله إلى القاهرة، فضرب ثم شهر فى الركب، وكان قد كتب لإعفائه من الضرب والعود إلى القاهرة، فلم يدركه القاصد الثانى حتى ضرب وشهر، فتوجه بعد ذلك إلى الحج.

وفى يوم الخميس رابع عشرينه: وسط مملوك آخر من الأشرفية، عند باب السلسلة. وفيه عزل الأمير فيروز الجركسى زمام الدار، من أجل أنه فرط فى الحرص على العزيز حتى كان من أمره ما كان. وعين عوضه الأمير صفى الدين جوهر الخازندار.

وفى ليلة الجمعة ويوم الجمعة خامس عشرينه: كبست المؤيدية على مواضع متعددة بالقاهرة ومصر وظواهرهما، وكبست دور الصاحب أمين الدين بن الهيصم ودور حيرانه فى طلب العزيز، فلم يوجد، وهرب الصاحب ثم ظهر وخلع عليه بعد ذلك، وقد شمل الخوف كثيرا من الناس، وكادت الأسواق أن تتعطل لكثرة الإرجاف بأن بيوت الناس كافة تكبس، ويعاقبوا حتى يظهر العزيز.

وفيه قدم من الصعيد بضعة عشر رأسا، علقت على باب النصر، وذلك أن الأمير يشبك لما قبض على طوغان، وبعث به كما تقدم ذكره، رجع بمن معه من المماليك والأمراء لمحاربة هوارة فلقبيهم على ناحية بوتيج في حادى عشرينه، وقتلهم وهزمهم، بعدما قتل منهم مائه وستين رجلا، وأخذ لهم مائة فرس، فجهز من رعوس أعيانهم ستة عشر رأسا، هذا وقد خربت بلاد الصعيد، ورعيت زروعها، مع ما فى أراضيها من الشراقى، وأكل الفأر الكثير جدا - معظم الزرع - وهدم العرب الدواليب.

وفى يوم السبت سادس عشرينه: خلع على الأمير صفى الدين جوهر الخازندار، واستقر زمام الآدر السلطانية، عوضا عن الطواشى فيروز مضافا للخازندارية.

وفى ليلة الأحد سابع عشرينه: قبض على الملك العزيز، وذلك أنه ضاقت عليه الأماكن لكثرة ما يكبس عليه، وهو يتنقل من موضع إلى موضع آخر ومعه أزدمر شاد شراب خاناته، وصندل طواشيه، وإبراهيم طباحه، فطرد أزدمر صندل الطواشى، وما زال به حتى فارقه من أربع ليال، ثم طرد الطباح وانفرد هو والعزيز فيقال إن العزيز بعث إلى خاله - أخی أمه، واسمه بيبرس - ليختفى عنده، فواعده على أنه يأتيه. وخاف عاقبة أمره، فأعلم جار له من المؤيدية - يقال له يلبيه^(١) رأس نوبة، بأمر مجيء العزيز، وأنه يقبح به أن يكون مسكه على يديه، ولكن «افعل أنت ذلك».

فترصده يلبيه حتى مر به ومعه أزدمر بعد عشاء الآخرة، فى خط زقاق حلب^(٢) وهما فى هيئة مغربيين. فوثب يلبيه بأزدمر ليقبض عليه، فامتنع منه، فضربه أدمى وجهه، وأعاناه عليه أعوانه حتى أوثقوه وأخذوا العزيز وعليه جبة صوف، وقادوه وأزدمر إلى باب السلسلة وصعدوا بهما إلى السلطان، والعزيز حاف، وقد أخذ رجل بأطواقه، يسحبه وجماعة محيططة به. فأوقف بين يدى السلطان ساعة، وهو يؤنبه ثم سجن فى موضع، حتى أصبح، وطلع الأمراء وغيرهم إلى الخدمة، فأعلموا بخير العزيز ثم أدخله السلطان إلى قاعة العواميد، وأسلمه لزوجته خوند مغل بنت البارزى، وأمرها أن تجعله فى المخدع المعد لمبيت السلطان، ولا تبرح على بابه، وأن تتولى أمر أكله وشربه وحاجاته بنفسها، فأقام على ذلك حتى نقل من المخدع، كما سيأتى ذكره إن شاء الله تعالى.

وأما أزدمر فإنه سجن بالبرج من القلعة، حيث كان صندل وغيره من الأشرفية، ولم يوقف للطباج على خير، ويقال إن العزيز دفع إليه مبلغ ستمائة دينار، ودفع لصندل خمسين دينارا.

(١) هو يلبان الأينالى المؤيدى. انظر ترجمته الضوء اللامع ١٠/٢٨٧.

(٢) خارج باب زويلة، وكانت قديما من جملة مساكن الأحناد. انظر المواعظ والاعتبار ٢/٢٣.

ووجد مع العزيز ثمانمائة دينار دفع السلطان منها إلى يلبيه خمسمائة دينار، ولملوكه الذى عاونه فى القبض على أزدرم مائة دينار، وفرق باقى ذلك، ونزع عن العزيز ما كان عليه من الثياب المغربية، وألبس من ثياب السلطنة ما يليق به، ووعد يلبيه بإمرة طلبخاناها.

وعندما صعد العزيز إلى القلعة دقت البشائر ليلا ومن الغد، وركب الأعيان لتهنئة السلطان، فإنه وأتباعه من أهل الدولة كانوا فى قلق زائد وخوف شديد لما داخلهم من عود دولة العزيز بخروج نائبى دمشق وحلب عن طاعة السلطان، وقيام الأشرفية ببلاد الصعيد، وكلهم جميعا فى طاعة العزيز، والله يؤيد بنصره من يشاء.

وفى يوم الأحد: هذا، توجه جاتم المؤيدى إلى البلاد الشامية وعلى يده عدة مشالات سلطانية بالبشارة بالقبض على العزيز.

وفى يوم الثلاثاء تاسع عشرينه: أحضر بالأمير أينال البوبكرى الأشرفى^(١) وذلك

(١) أينال عبد الله الأبوبكرى الأشرفى الفقيه (٨٥٣ هـ = ١٤٤٩ م)، الأمير سيف الدين، أحد أمراء الألوفا بديار مصر. هو من ممالك الأشرف برسباى، اشتراه فى أوائل دولته، ورقاه إلى أن، جعله حازنداراً، ثم أمره عشرة، بعد الأمير سنقر العزى فى سنة ست وثلاثين وثمانمائة، ثم ولاه الخازندارية الكبرى، بعد الأمير قراجا الأشرفى، ثم جعله أمير طلبخاناة، وشاد الشراب خاناة، بعد الأمير قراجا أيضا، بحكم إنتقال قراجا إلى مقدمة ألف. وتولى الخزنندارية عوضه الأمير على باى الأشرفى الساقى، ثم نُقل فى الدولة العززية يوسف إلى الدوادارية الثانية، بعد انتقال الأمير ترمباى الدوادار إلى مقدمة ألف، فدام على ذلك إلى أن أنعم عليه الملك الظاهر حقمق بتقدمة ألف بالديار المصرية، ورسم له بغمرة حاج الحمل، فأخذ المذكور فى أمر السفر وتجهيز احتياجه. وركب مسaire الهجن فى شهر رمضان على عوائد أمراء الحج، فبينما هو ذلك، إذ تسحب الملك العزيز يوسف من محبسه بقلعة الجبل، ونزل إلى القاهرة بحيلة دبرها، واختفى بها. وكثر الكلام فى أمر الممالك الأشرفية، وخافهم الملك الظاهر حقمق، وحسن إليه جماعة من المؤيدية القبض على أينال المذكور، فقبض عليه وأودعه سجن الإسكندرية مدة، ثم نقله إلى حبس آخر بالبلاد الشامية مع من نُقل من الأمراء الأشرفية وغيرهم، فدام أينال المذكور مدة سنين فى السجن، إلى أن أفرج عنه فى سنة تسع وأربعين تخميناً، وتوجه إلى القدس بطالا، فأقام به مدة ملازما للاشتغال والأشغال والعبادة إلى أن وشى به، فقبض عليه وحبس ثانياً فى سنة اثنتين وخمسين وثمانمائة هو والأمير شاذبك الحكمى، ثم أفرج عنه فى سنة ثلاث، ورسم له بالتوجه إلى الحج وعوده إلى القدس، فسار صحبة الحاج الغزوى، وحج وعاد، فمات فى عوده بخارج مدينة الينبع، فرد أصحابه برمته ودفنوه بمدينة الينبع فى يوم الجمعة، أو آخر ذى الحجة من سنة ثلاث وخمسين وثمانمائة، وهو فى حدود الأربعين سنة تخميناً. وكان أميراً عاقلاً، ساكناً، ديناً، فقيهاً، عالماً، فاصلاً، مقنناً حافظاً للفقهِ وفروعه، كثير الاستحضار لفروع المنهَب، أعجوبة فى ذلك. وله مشاركة فى العربية وغيرها. وكان، جيد التصور. هذا مع الشكالة الحسنة، والهبة الجميلة، =

أنه مازال محتفيا حتى ظهر العزيز، فغرتة الخدع التي خودع بها، من الثناء عليه وبسط عذره في اختفائه، ودخل عشاء على الأمير جرياش قاشق أمير مجلس، واستجار به، فأجاره، وقد ظن أن السلطان يقبل شفاعته، ثم صعد به من الغد، وقد بعث يعلم السلطان به، فعندما وقع في قبضة السلطان، أمر به فقيد وسجن حتى يحمل إلى الإسكندرية، والأمير جرياش يكرر تقبيل يد السلطان ورجله في أن يشفعه فيه، فلم يفعل، وأخرج في يومه إلى الإسكندرية فسجن بها.

وفي هذا الشهر: قدم ركب التكرور برقيق كثير وتبر، فسار أكثرهم إلى الحج، بعدما باعوا الرقيق، فهلك أكثره عند من اشتراهم.

وفيه ظهر في السماء كوكب له ذنب نحو الذراعين، وكان يرى عشاء بجذاء كواكب برج السرطان، فأقام أياما.

شهر ذى القعدة، أوله الأربعاء:

في ثانيه: خلع على بهاء الدين محمد بن نجم الدين عمر بن حجي كاتب السر بدمشق، واستقر في قضاء القضاة الشافعية بدمشق، عوضا عن تقي الدين أبي بكر بن قاضي شهبة، مع ما بيده من كتابة السر، وذلك أن الأمير أينال الحكمي لما ثار بدمشق على ابن حجي، وأخذ منه مالا، فكتب إلى ابن حجي حتى فرق الملطقات السلطانية في الأمراء فكان من ركوبهم على النائب ما كان، وفر ابن حجي وقدم القاهرة، فجزى على ما كان منه بإضافة القضاء إليه بسفارة حميه المقر الكمالي محمد بن البارزي كاتب السر، وعناية عظيم الدولة زين الدين عبد الباسط به.

وفي يوم الأربعاء ثامنه: دقت البشائر عند ورود كتاب الأمير الألبغا حاجب غزة، يتضمن قتال عساكر السلطان الأمير أينال الحكمي، في يوم الأربعاء مستهله، بالقرب من الخزانة، وانهزامه.

وفي ليلة الأربعاء: المذكور نقل العزيز من حبسه بالمخدع من قاعة العواميد إلى سجن ضيق في الحوش تحت الدهيشة، بعد أن سدت طاقاته، ووكل به من يحفظه، ومنع من جميع خدمه.

وفي يوم الأربعاء: هذا أخذ ما كان للعزيز بالقاهرة من الحواصل التي تشتمل على

=المعرفة التامة بفنون الفروسية وأنواع الملاعب، كالرمح والنشاب وغيره. غير أنه عنده بعض شهم. وكان شاباً طوالا، جميل الوجه، مدور اللحية، صغيرها، وهو صاحبنا من الصغر. انظر المنهل الصافي ٣/ ٢١٣ وما بعدها.

سروج وثياب وحلى وفرش وأواني وغير ذلك، مما حمل على نيف وسبعين حمالا، ولها قيمة تزيد على خمسين ألف دينار سوى خمسة آلاف دينار وجدت له لتتمة ستين ألف دينار، وسوى جواهر لها قيمة عظيمة، وسوى حلى للنساء يجلب وصفه وقيمته، مما كان لأمه.

وفي يوم الخميس تاسعه: دقت البشائر لورود الخير بمسك الأمير أينال الحكمي، وانبتت قصاد السلطان في أهل الدولة يبشرونهم بذلك، ويأخذون ممن يأتوه مالا على هذه البشري، فمنهم من يعطى البشير أربعين دينارا، أو أقل من ذلك أو أكثر، وفعلوا مثل ذلك في الليلة التي قبض على العزيز فيها، فكسبوا مالا جزيلًا.

وفي يوم الجمعة عاشره: وردت مطالعة الأمير أقبغا التمرازي نائب الشام، ومطالعات الأمراء بذكر واقعة أينال الحكمي. وملخصها أن العساكر المتوجهة من القاهرة، والمتجمعة بالرملة، نزلوا في يوم الأربعاء مستهله بمنزلة الخربة، وقد قدموا بين أيديهم جماعة لكشف الأخبار فجاءت الكشافة وأخبرت بقرب أينال الحكمي منهم، فركبوا وقد عبوا جموعهم ستة أطلاب، وهم الأمير أقبغا التمرازي نائب الشام والأمير جلبان نائب حلب^(١)، والأمير أينال الأجرود نائب صفد، والأمير طوخ مازي نائب غزة، والأمير طوغان نائب القدس، والأمير غرس الدين خليل المستقر في نيابة ملطية، وساروا بمن معهم من العربان والعشراة جاليشا، حتى وصلوا إلى مضيق قرن الحرة، وإذا بجاليش أينال الحكمي، وهو الأمير قانصوه النوروزي، ومعه نائب بعلبك، وكاشف حوران، ومحمد الأسود بن القان، وشيخ العشير، وفرعلى الدكري أمير التركمان، وخليل بن طور على بن سقل سيز التركماني، وكثير من العربان، والجمع نحو ألف فارس، فكانت بين الفريقين وقعة كبيرة انهزمت فيها الأطلاب الستة، وإذا بالأمير أينال الحكمي قد أقبل، فركب أفقية القوم حتى أوصلهم إلى السنجق السلطاني، وتحتة الأمير قراقجا الحسنى أمير أخور، والأمير تمرباي رأس نوبة النوب، وبقية الأمراء المصريين والمماليك السلطانية فثبتوا له وقاتلوه، وهو يقاتلهم مقدار ساعة، فهزموه بعد أن قتل جماعة من الفريقين، يقول المكثر زيادة على خمسمائة رجل، منهم الأمير صرغتمش

(١) جُلبان بن عبد الله العمري الظاهري (٨٣٠ هـ = ١٤٢٦ م) الأمير سيف الدين، أحد أمراء العشرات والحجاب بالقاهرة، ثم حاجب الحجاب بغزة. أصله من ممالك الملك الظاهر بربوق. وأيضا في الدولة الأشرفية برسباى وهو من جملة الحجاب بالقاهرة. وكان سليم الباطن، تركى الجنس، يميل إلى دين وخير، ثم ولى حجووية غزة، وبها توفى بعد الثلاثين وثمانمائة تخمينًا. انظر المنهل الصافي ٧/٥، الدليل ١/٢٤٨ الضوء ٣/٧٧.

المستقر دوادار حلب وجرح خلق كثير، وقبض على محمد بن الأمير قانصوه، وعلى الأمير تنم العلاءى، والأمير خاير بك القوامى، والأمير بيرم صوفى، فى جماعة، وقد حال بينهم الليل، فلما أصبحوا يوم الخميس، ورد الخبر عليهم من دمشق بالقبض على أينال الحكمى من قرية حرستا^(١) وقد اختفى بها فى مزرعة، ومعه نفر يسير، وذلك أن رجلا فطن به، فدل عليه نائب القلعة، فبعث فى طلبه جماعة طرقوه، فدافع عن نفسه، حتى طعن فى جنبه ودمى فى وجهه، فأخذ وجيء به على فرسه، وقد وقف من العى، فلم يصل إلى القلعة إلا بعد العصر، والناس فى جموع كثيرة لرؤيته، فسجن مقيدا فى القلعة، ودخل الأمير أقبغا التمرزى نائب الشام إلى دمشق أوائل نهار الجمعة ثالثه فى العساكر، وهم بسلاحهم، فنزل دار السعادة بغير ممانع.

وفى هذا اليوم: قتل بدمشق محمد المعروف ببلبان شيخ كرك نوح، وولده محمد الخربانى، وكان من خيره أنه قدم بجموعه نصرة لعساكر السلطان، فلم يصل حتى انقضت الوقعة، فدخل فى خدمة النائب حتى عبر دار السعادة، وتفرق الأمراء وغيرهم فى منازلهم، فتوجه بلبان فيمن توجه حتى كان عند المصلى، والعامه قد ملأت الطرقات، فصاح به وبعن معه من العشير جماعة من أراذل عامه دمشق قائلين «أبا بكر، أبا بكر» يكررون ذلك مرارا، يريدون نكاية بلبان وجماعته، فإنهم يرمون بأنهم رفضة.

فلما كثر ذلك من العامة أخذ بعض العشير يضرب واحدا منهم، فوثبوا به، وألقوه عن فرسه ليقتلوه، فاجتمع أصحابه ليخلصوه من العامة، وقتلوهم، فبادروا وذبحوا ذلك البائس، وتناولوا الحجارة يرمون بها بلبان وقومه، ووضعوا أيديهم فقتلوا بلبان وابنه وجماعته، وهم خمسمائة أو يزيدون، بغير سب ولا أمر سلطان ولا حاكم، فلم ينتطح فى قتلهم عنزان، ولا تحرك لهم اثنان، فكان ذلك من الحوادث الشنعة، وما أراه إلا أمرا له ما بعده، والله عاقبة الأمور.

وفى هذه الأيام: رسم بعقوبة الأمير حكيم خال العزيز فى سجنه بالإسكندرية حتى يعترف بمتحصل العزيز فى أيام أبيه من إقطاعه ومن حماياته ومستأجراته، ومن الهدايا والتقادم التى كانت تأتية، فأجابهم عن ذلك، ورسم بعقوبة الأمير يخشى بك بالسجن أيضاً، وذلك أنه لما كان فى التجريدة ببلاد الصعيد أيام الأشرف، ضبط عليه أنه سب بعض من يدعى أنه شريف، فلما مات الأشرف، وأنزل بالأشرفية من القلعة - كما تقدم - أرادوا أن يدعوا على يخشى بك عند القاضى المالكى بأنه سب أبا الشريف ليريق دمه،

(١) حرستا: قرية كبيرة عامرة فى وسط بساتين دمشق، على طريق حمص، بينها وبين دمشق أكثر من فرسخ. انظر معجم البلدان.

فبادر حتى حكم قاضى شافعى بمحقن دمه، فاطمان لذلك فلم يتركوه بعد سجنه، وأرادوا قتله، فأوصلوا القضية بالمالكى، وسمع البينة عليه، فلم يعض قتله بناء على أن هذه الدعوى هى التى حكم فيها بمحقن دمه، ونازعه فى ذلك قوم، وزعموا أن الدعوى التى حكم فيها بمحقن دمه غير هذه، وكثر الاختلاف فى ذلك، وعقد فيه مجالس والغرض قتله، والحكم الشرعى بذلك، فلم يتجه، وتمادى الحال فى ذلك عدة أشهر، ثم تحركوا لقتله، واستمالوا بعض من تمشيخ وتمصلح من المالكية، حتى أفتى بقتله، وأريد من القاضى العمل بفتياه، فلم يتجاسر على الحكم بالقتل، وجرت أمور آخرها أن قيل يفوض الحكم لهذا المفتى حتى يحكم كما أفتى بقتله، فبكى لما قيل له ذلك، ولم يقدم عليه، فلما وقع اليأس من قتله بيد قضاة الشرع، رسم بعقوبته حتى يعترف بماله من الأموال، فعوقب أشد عقوبة، بحيث لم يبق إلا إرهاب نفسه.

وفى يوم الأحد ثانى عشره: كتب بقتل أينال الحكيمى بسجنه من قلعة دمشق بعد تقريره على أمواله وذخائره، وبقتل جماعه ممن قبض عليه فى الواقعة.

وفى ثالث عشره: خلع على الأمير سودون المغربى، وأعيد إلى ولاية دمياط عوضا عن محمد الصغير.

وفيه ورد الخبر بأن الفأر مكثر بأراضى الزراعات، وأن فى ناحية البهنسى كانت للفيران حرب شهدها الناس، وقد اجتمع من الفيران عدد عظيم، اقتتلوا قتالا كبيرا، ثم تفرقوا، فوجدوا فى معتزكهم من الفيران شىء كثير ما بين مقتول ومجروح ومقطوع بعض الأعضاء وأنه بلغهم أن ذلك كان بين الفيران فى موضع آخر. وعندى أن هذا منذر بمحادث ينتظر.

وفى يوم الأحد تاسع عشره: وصل محمد بن الأمير قنصوه، فغفى عنه بشفاعات وقعت فيه.

وقدم الخبر بأن العساكر توجهت من دمشق فى حادى عشره إلى حلب، بعد أن عاد الأمير طوغان نائب القدس إليها، وتأخر الأمير أقبغا التمرازى نائب الشام بدمشق، وأن المتوجه إلى حلب الأمير جلبان نائب حلب، والأمير أينال نائب صغد، والأمير طوخ نائب غزة، والأمير قراقجا الحسنى، والأمير تمرى، والمماليك السلطانية، وأنه قبض بدمشق على الأمير فرعلى الدكرى، وشنق بها، وأن تغرى برمش نزل على حلب وصحبته الأمير طرعلى بن سقل سيز، والأمير على بار بن أينال بجمائعهما من التركمان، والأمير غادر بن نغير بعربه من آل مهنا، والأمير فرج وأخيه إبراهيم ولدى صوجى، والأمير محمود بن الدكرى بجمائعهما من التركمان وعدة الجميع نحو ثلاثة

آلاف فارس، فى يوم الإثنين حادى عشرين شوال، وأن تغرى برمى خيم بالجوهرى وبعث عدة كبيرة إلى خارج باب المقام، فخرج إليهم الأمير برد بك نائب حماة، ومعه جماعة من أمراء حلب، ومن تركمان الطاعة، ومن العامة، فكانت بينهم وقعة قتل فيها وجرح جماعة من الفريقين، وعاد كل منهما إلى موضعه، ثم التقى الجمعان فى يوم الجمعة خامس عشرينه على باب النيرب^(١) واقتتلوا يوماً وليلة قتالا شديداً، قتل فيه عدة من الناس، وجرح نائب حماة وطائفة من أمراء حلب وجمع كبير من العامة، ورجع كل فريق إلى موضعه، فرحل تغرى برمى فى يوم الأحد سابع عشرينه من موضعه، ونزل بالميدان، والحرب مستمرة، والعامة تبذل جهدها فى قتاله إلى أن كان يوم الخميس ثانى ذى القعدة أحضر تغرى برمى آلات الحرب فى مكاحل النفط، والجنويات والسلام إلى خارج باب الفرج^(٢) ونصب صيوانه تجاه السور، وزحف زحفاً قوياً.

وأهل حلب يدًا واحدة على محاربتة طول ذلك النهار مع ليلة الجمعة بطولها، والناس يتضرعون ويدعون الله تعالى، فرحل تغرى برمى فى يوم الجمعة، وعاد إلى الميدان بعدما كانت القضاة وشيوخ العلم والصلاح وقوفًا بالمصاحف والربعات على رؤوسهم، وهم ينادون من فوق الأسوار «الغزاة معاشر الناس فى العدو، فإنه من قتل منكم كان فى الجنة، ومن قتل من العدو صار إلى النار...» فى كلام كثير يجرضون به العامة على القتال، ويقوون عزائمهم على الثبات، إلى أن رحل تغرى برمى بمن معه من الميدان إلى الجهة الشمالية، فى يوم الأحد خامسه، بعدما رعت مواشيهم زروع الناس وبساتينهم وكرومهم وقطعوا ونهبوا القرى التى حول المدينة، وخرّبوا غالب العمارات التى هى خارج السور وقطعوا القناة التى تعبر المدينة من ثلاثة أماكن وكان أشد الناس قتالا أهل بانقوسا والحوارنة، فحرق العدو أسواق بانقوسا وبيوتها، وفتحوا جباب الغلال وغيرها، ونهبوها، فداخل الناس من الخوف والرعب ما لا يوصف وطلب الأعيان بجرمهم وأموالهم إلى القلعة، وقطع تغرى برمى أيدي جماعة كثيرة من عامة حلب، وبالغ فى الإضرار بالناس، فكانت هذه النوبة من شنائع الحوادث، والله عاقبة الأمور.

وفى يوم الخميس ثالث عشرينه: خلع على علاء الدين على بن يوسف — المعروف بالناسخ — قاضى المالكية بحلب، واستقر فى قضاء المالكية بدمشق عوضاً عن محبى الدين

(١) النيرب قرية قديمة فى الجنوب الشرقى من حلب، إليها ينسب هذا الباب. انظر زيادة الحلب ٢١١/٢.

(٢) كان يسمى باب العبارة، وهو فى الشمال الغربى من مدينة حلب القديمة. انظر زيادة الحلب ١٤٩/١.

يحيى بن حسن بن محمد الحيهاني^(١) المغربي بعد موته، واستقر شرف الدين يعقوب بن يوسف على المكناسى المغربى - أحد نواب الحكم بالقاهرة - فى قضاء المالكية بحلب عوضا عن علاء الدين الناسخ.

وفى يوم الخميس المبارك خامس عشرينه: دقت البشائر لورود الخير بأن العساكر لما سارت من دمشق فى حادى عشره - كما تقدم ذكره - لقيهم تغرى برمى قريبا من حماة فى جموعه التى كانت معه على حلب، فلقوه فى يوم الجمعة سابع عشره وقتلوه، وكانت بينهم وقعة كبيرة، قتل فيها وجرح خلق كثير فانهزم بمن معه، وحازت العساكر منهم غنائم لا تحصى، منها مائتى ألف رأس من الغنم، سوى ما تمزق، وهو قريب من ذلك.

وفى يوم الإثنين سابع عشرينه: قدم النجاف برأس الأمير أينال الحكمى، فشهرت على رمح، ثم علقت على باب زويلة، وكان قتله فى ليلة الإثنين ثانى عشرينه، بعدما قرر على أمواله، ونودى عليه هذا جزاء من حارب الله ورسوله، وقتل معه بقلعة دمشق الأمير تنم العلاء.

وفى هذه الأيام: بعث السلطان إلى قاضى القضاة علم الدين صالح ابن شيخ الإسلام سراج الدين عمر البلقىنى بألف دينار ذهباً، فإنه كان قدم له كتباً وغيرها قبل ذلك. وفيها حكم بقتل الأمير يخشى بك، وقد تقدم أنه ادعى عليه أنه سب شريفاً، ولعن والديه، فالتجأ إلى قاضى القضاة الشافعى، فحكم بعض نوابه بمحقن دمه، وسكن الحال مدة أشهر، ثم تحركوا عليه بعد سجنه، ورادوا القاضى المالكى على قتله، فاحتج بحكم الشافعى بمحقن دمه، فعورض بأن المطلوب الآن من الدعوى عليه غير المحكوم فيه بمحقن الدم، فصمم على أنهما قضية واحدة، ووافقه غير واحد من المالكية على ذلك، فسكنت الثائرة مدة، ثم تحركوا لإراقة دمه، وأفتى بقتله بعض المالكية، ممن يظهر للناس نسكا على وظيفة وعد بولايتها، وأرادوا قاضى القضاة المالكى أن يحكم بمقتضى الفتوى فامتنع، فعرضت على غير واحد من نواب المالكى، فلم يقدم أحد على الحكم، وكان منهم واحد لم يوله القاضى نيابة الحكم، وأقام مدة بطالا، فأذن له السلطان فى الحكم فأقدم على ما أحجم عنه غيره، وحكم بقتل يخشى بك.

وفى يوم الخميس سلخه: خلع على ناصر الدين محمد ابن الأمير الوزير تاج الدين عبد الرزاق بن أبى الفرج، واستقر نقيب الجيش، عوضا عن ناصر الدين محمد ابن أمير طبر.

شهر ذى الحجة الحرام، أوله الجمعة:

فيه دقت البشائر بقلعة الجبل لورود خير من غزة بأن التركمان الصوجية قبضوا على تغرى برمش، وعلى طرعلى بن سقل سيز.

وفي يوم الأحد ثلثه: وردت مطالعة الأمير جليان نائب حلب، وقرينها مطالعات بقية النواب، وأمراء العساكر، تتضمن أن تغرى برمش لما انهزم على حماة مضى نحو الجبل الأقرع، وقد فارقه الغادر بن نعيم، فقبض عليه أحمد وقاسم ولدى صوجى، وقبضا معه على دواداره كمشبغا، وعلى خازنذاره يونس، وعلى الأمير طرعلى بن سقل سيز، والأمير صارم الدين إبراهيم بن الهذباني نائب قلعة صهيون^(١)، وكتبوا بذلك إلى نائب حلب، فورد الخير على العسكر - وهم على خان طومان - فى يوم الإثنين من ذى القعدة، فجهز الأمير جليان عند ذلك الأمير برد بك العجمى نائب حماة، والأمير أينال الأجرود نائب صفد، والأمير طوخ مازى نائب غزة، والأمير قطج أتابك حلب، والأمير سودون النوروزى حاجب الحجاب بحلب، بإخطار المذكورين ورحل بمن بقى معه يريد حلب، فدخلها فى يوم الثلاثاء حادى عشرينه وتسلم نائب حماة ومن معه من النواب تغرى برمش ومن قبض عليه معه، وأتوا بهم، فسمر طرعلى بن سقل سيز تسمير سلامة، وسمر الهذباني ورفيقه تسمير العطب^(٢) وساروا بهم، وتغرى برمش راكب فى الحديد، حتى دخلوا مدينة حلب، وهو ينادى عليهم فى يوم الخميس ثالث عشرينه، وقد اجتمع من الناس عدد لا ينحصر، حتى أوقفهم تحت القلعة^(٣)، ثم وسط الهذباني ورفيقه، وتسلم نائب القلعة تغرى برمش وطرعلى بن سقل سيز، وتسلم كمشبغا ويونس الأمير قراقجا الحسنى، فدقت البشائر بقلعة الجبل لورود هذا الخير، وكتب بقتل تغرى برمش وطرعلى.

وفي يوم الأربعاء: جهز رجلان من موقعى الحكم بالقاهرة، وعلى يدهما الحكم بقتل يخشى بك. ودفع لهما ثلاثون ديناراً، فمضيا إلى الإسكندرية، وأوصلا الحكم بقاضيهما، فاستدعى يخشى بك من السجن، وضربت عنقه بعد صلاة الجمعة ثامنه، فى جمع عظيم وافر لرؤيته، وحسابه وحسابهم على الله، الذى يوفى كل عامل عمله.

وفي يوم الأحد سابع عشره: ابتداء قاضى القضاة علم الدين صالح فى عمل الميعاد بين يدى السلطان.

(١) سبق ترجمتها.

(٢) التسمير: هو صلب المعاقب بواسطة المسامير على جدار أو خشب، فإن كان المراد من العقوبة هلاكه سمي «تسمير عطب» وإن كان خلاف ذلك سمي «تسمير سلامة».

(٣) انظر النجوم الزاهرة ٩٠/١٥.

وفيه قتل تغرى برمش بقلعة حلب بعدما عوقب على أمواله، فظفر منها بجمسين ألف دينار عينا، وقتل معه طرعلى بن سقل سيز.

وفي يوم الأربعاء عشرينه: قبض على سودون المغربي متولى دمياط، وحمل مقيداً حتى سجن بالإسكندرية. ورسم أن يعطى المسفر به مائة ألف درهم.

وفي يوم الإثنين رابع عشرينه: خلع على ناصر الدين محمد بن شهاب الدين أحمد ابن سلام، واستقر في ولاية دمياط، عوضاً عن سودون المغربي.

وفي يوم الخميس ثامن عشرينه: قبض على عظيم الدولة زين الدين عبد الباسط ناظر الجيش، وعلى ولده أبى بكر، وعلى زوجته شكريبه، وعلى دواذره أرغون، وعلى مباشره شرف الدين موسى بن البرهان، فى عدة من أزمته. وقبض معه على الأمير جانبك أستاذار، وأحيط بدورهما.

وأخذت خيولهما فكانت زيادة على سبعين فرسا، وأخذت بغالهما وجمالهما، وكتب بإيقاع الحوطة على ماله بالشام والإسكندرية والحجاز، من مال والبضائع، فكان بسبب ذلك انزعاج فى الناس بالقاهرة.

وفي يوم السبت سلخه: خلع على شيخ الشيوخ محب الدين محمد بن الأشقر واستقر فى نظر الجيش، عوضاً عن عبد الباسط، وخلع على الأمير ناصر الدين محمد بن أبى الفرج نقيب الجيش، واستقر أستاذاراً، عوضاً عن جانبك الزينى عبد الباسط^(١).

وفيه قدم رأس تغرى برمش، فطيف به على رمح، ثم علق بياب زويلة فتوالى على السلطان فى مدة أيام يسيرة الظفر بالملك العزيز، وبالماليك الأشرفية الذين قاموا مع

(١) جانبك بن عبد الله، الزينى عبد الباسط (٨٥٨ هـ = ١٤٥٤ م)، الأمير سيف الدين الأستاذار. هو مملوك عبد الباسط ودواذره، استمر بخدمة أستاذه دهرا إلى أن أراد الملك الأشرف أن يتولى عبد الباسط الأستدارية وإن نكبه، فظن لها عبد الباسط وكان قد قال قبل ذلك: أنه لا يلبها أبداً، استدرك فارطه، وصار لا يمكنه ولايتها فيعلم به كل أحد أنه ليس خوفاً، فعند ذلك قال: يلبسها مملوكى جانبك، فقال الملك الأشرف: المقصود سد باب السلطان، فولى جانبك المذكور الأستدارية وصار حسا لا معنى، وبقي لا يتصرف فى أمر من أمور الدولة إلا بأمر أستاذه عبد الباسط، ودام على ذلك إلى أن قبض الملك الظاهر حقمق على أستاذه عبد الباسط، فقبض على جانبك هذا أيضاً مع جملة من قبض عليه من حواشى عبد الباسط، إلى أن انتهت مصادرتة توجه أيضاً صحبة أستاذه إلى مكة، ثم إلى دمشق، ودام إلى أن حضر بعد سلطنة الملك الأشرف أيتال، وأقام بالقاهرة إلى أن توفى فى سنة ثمان وخمسين وثمانمائة. ولم يكن جانبك هذا من أعيان الأمراء حتى تشكر سيرته أو تذام. انظر المنهل الصافى ٤ / ٢٤٩، ٢٥٠، الدليل الشافى ١ / ٢١٤، والنجوم الزاهرة ١٦ / ١٧٢، والضوء ٣ / ٥٦.

العزیز بالصعيد، وبأينال الحكمی نائب الشام، وبتغری برمش نائب حلب، وهذا من النوادر الغريبة، والله عاقبة الأمور.

فكانت هذه السنة ذات حوادث عظيمة، زالت فيها نعم خلائق بمصر والشام، فذلوا بعد عزهم، وأهينوا بعد تعاضمهم، جزاء بما كسبت أيديهم ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ (١).

ووقع في هذه السنة بعدن وغيرها من بلاد اليمن وباء هلك فيه خلق كثير.

وفيها جمع الإمام صلاح بن محمد الناس بصعدة؛ ليحارب قاسم بن سنقر المتولى على صنعاء، فخافه ابن سنقر، وكتب إلى الظاهر عبد الله صاحب زيد وتعز، يستنجده ليملكه صنعاء فبعث إليه عسكريا وصل إلى ذمار (٢) على مرحلتين من صنعاء، فبلغهم أن الظاهر أشرف على الموت فعادوا، فإذا هو قد مات، وصلاح هذا يعرف بالهدوى نسبة إلى الهادي من أئمتهم (٣).

* * *

ومات في هذه السنة من الأعيان

حدث الشام شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد الله بن محمد بن أحمد بن مجاهد بن يوسف بن محمد بن أحمد بن علي، المعروف بابن ناصر الدين القيسي الدمشقي الشافعي، في ثامن عشرين شهر ربيع الآخر بدمشق، ومولده في المحرم سنة سبع وسبعين وسبعمائة (٤)، سمع على شيخنا أبو بكر بن المحب وغيره، وطلب الحديث، فصار حافظ بلاد الشام غير منازع، وصنف عدة مصنفات، ولم يخلف في الشام بعده مثله.

ومات الطواشي صفى الدين جوهر الحبشى الزمام. وأصله من خدام الأمير بهادر المشرف، قدم به من مكة صغيرا، وأعطاه لأخته زوجة الأمير جليان الحاجب، فربى عندها، وأعتقته، ثم خدم الأمير برسباى الدقماقي، في أيام المؤيد شيخ وخرج معه لما ولى نيابة طرابلس، وخدمه لما سجن بقلعة المرقب.

(١) سورة فصلت، الآية ٤٦.

(٢) ذمار: هو اسم قرية باليمن على مرحلتين من صنعاء. انظر معجم البلدان ٧/٣.

(٣) نسبة إلى الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين القاسم الرس. انظر غاية الأمانى فى أخبار القطر اليماني ص ٢٢٤.

(٤) انظر النجوم الزاهرة ٢٠٥/١٥.

وصار يكتب الطواشى جوهر، وهو إذ ذاك فى خدمة علم الدين داود بن الكويز ناظر الجيش، فيقضى له حوائجه إلى أن خلص برسباى، وعاد إلى القاهرة، صحبة الظاهر ططر، ثم تسلطن وتلقب بالملك الأشرف، فجعل جوهر هذا لالا ولده، فعرف بجوهر اللالا مدة، واشتهر ذكره لتمكنه من السلطان، ورعى حق أخيه جوهر، فتحدث له مع السلطان حتى عمله خازن داراً وتعاضداً وتعاوناً، ثم ولاه السلطان زمام الدار، فصار من جملة الأمراء الأكوف حتى مات، فعظم فى أيام ولده الملك العزيز، وصار هو المشار إليه إلى أن خلع، وقام فى السلطنة الأمير الكبير جقمق، وتلقب بالملك الظاهر، قبض عليه وسجنه، ثم صادره على مال كبير، وهو مريض، حتى مات فى يوم الأربعاء ثالث عشرين جمادى الأولى عن ستين سنة أو نحوها، وكان متديناً، يجب أهل الخير، ويحسن إليهم ويعتقدهم^(١).

ومات الأمير قرقماس الشعبانى، وأصله من مماليك الظاهر برقوق، اشتراه صغيراً وأعطاه لولده الأمير فرج، فلما تسلطن بعد أبيه، وتلقب بالملك الناصر، رماه فى خدمته، ثم خدم بعده المؤيد شيخ، وصار دوا داراً، ثم أمير مائة فى أيام الأشرف، وعظم فى أيامه، وولاه حاجب الحجاب^(٢)، ثم ولاه نيابة حلب مدة، وأقدمه منها إلى ديار مصر، وعمله أمير سلاح، وأخرجه إلى التجريدة، وعمله مقدم العسكر، فسار وأخذ أرزنكان وغيرها فمات الأشرف وهو فى التجريدة، فقدم بعد موته، وبالغ فى خلع الملك العزيز يوسف بن الأشرف برسباى، فلما خلع وتسلطن الملك الظاهر جقمق، ركب عليه وقتلته، ففلم يثبت وفر، فقبض عليه، وسجن بالإسكندرية، ثم ضربت عنقه بها فى يوم الإثنين ثانى عشر جمادى الآخرة، وقد بلغ الخمسين أو تجاوزها وكان يوصف بعفة عن القاذورات المحرمة، وبمعرفة، وخبرة، وفروسية، وشجاعة، إلا أنه أفسد أمره بزهوة وتعاضمه، وفرط رقا عته، وشدة إعجابه بنفسه، واحتقار الناس، والمبالغة فى العقوبة، وقلة الرحمة، لا جرم أن الله تعالى عامله فى محنته من جنس أعماله ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾^(٣).

ومات شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان البساطى المالكى. قدم من الريف وطلب العلم، وعرف بعلوم العجم فى المنطق ونحوه. وعاش دهراً فى بؤس وقلة، بحيث أخبرنى أنه ينام على قش القصب، ثم تحرك له الحظ فولاه الأمير جمال الدين يوسف أستاذ دار

(١) انظر النجوم الزاهرة ٢٠٥/١٥.

(٢) انظر النجوم الزاهرة ٢٠٥/١٥.

(٣) سورة الكهف، الآية ٤٩.

تدريس المالكية بمدرسته^(١)، ثم ولى مشيخة التربة الناصرية فرج بالصحراء^(٢)، واستتابه ابن عمه الجمال يوسف البساطى فى الحكم مدة ثم عزله، فلما مات الجمال عبد الله الأقفهسى قاضى المالكية، ولى المؤيد شيخ البساطى صاحب الترجمة قضاء القضاة المالكية بديار مصر، رغبة فى أنه فقير متعفف، فباشر ذلك نحو عشرين سنة، حتى مات ليلة الجمعة ثالث عشر شهر رمضان. ومولده فى محرم سنة ستين وسبعمائة، ولم يخلف بعده فى المالكية مثله، فيما نعلم.

ومات علم الدين أحمد بن تاج الدين محمد بن علم الدين محمد بن كمال الدين محمد ابن قاضى القضاة علم الدين محمد بن أبى بكر بن عيسى بن بدران الأحنأى المالكى، أحد نواب الحكم بالقاهرة فى يوم الأربعاء خامس عشرين شهر رمضان. وكان فقيها حشما من بيت علم ورياسة^(٣).

ومات الشريف أحمد بن حسن بن عجلان، وقد فارق أخاه أمير مكة - شرفها الله - بركات بن حسن، وسار إلى اليمن، فمات بزيب^(٤).

ومات محبى الدين يحيى بن حسن بن محمد الحيحانى المغربى المالكى، قاضى المالكية بدمشق، فى يوم الأربعاء حادى عشر ذى القعدة، وكان عفيفا فى أحكامه مهايا.

ومات أبو عبد الله ابن الفقيه على بن أحمد بن عبد العزيز بن القسم العقيلى النويرى المكى المالكى، قاضى المالكية بمكة - شرفها الله تعالى - فى سابع عشر ذى القعدة بمكة، ومولده سنة ثلاث وثمانين وسبعمائة بمكة، وهو من بيت علم ورياسة، وكان عفيفا فى قضاؤه، حشما، جميل الهيئة، له مروءة وباشر حسبة مكة مدة.

ومات محمد - ويعرف ببلبان شيخ كرك نوح - قتله عامة دمشق وولده فى يوم الجمعة ثالث ذى القعدة، وقتلوا معه من قومه جماعة كبيرة بغيا وعدوانا، وكان يتهم بأنه رافضى، ولذلك قتلوه، وكان صاحب همة عالية ومروءة غزيرة، وأفضال وكرم من حال واسعة ومال جم.

ومات الأمير أئبال الحكمى، وأصله من ممالك الأمير حكيم، وانتقل بعده إلى الأمير شيخ الحمدي، وهو صغير، فربى عنده ورقاه فى خدمته لما تسلطن وعمله شاد الشرايخانه، ثم صار بعد المؤيد شيخ من أمراء الألوف، وولاه الأشرف برسباى نيابة

(١) انظر النجوم الزاهرة ٢٠٦/١٥.

(٢) فى المنهل: ولاء الملك الناصر فرج مشيخة خانكاته التى أنشأها بالصحراء، على قبر أبيه الملك الظاهر برفوق. انظر: المنهل الصافى ٦٠٣/٤.

(٣) انظر النجوم الزاهرة ٢٠٨/١٥.

(٤) انظر النجوم الزاهرة ٢٠٨/١٥.

الشام، فمات وهو على نيابتها^(١)، فلما خلع العزيز بن برسباى، خرج عن طاعة السلطان الملك الظاهر جقمق ودعا بدمشق للملك العزيز، فبعث إليه السلطان العساكر فحاربته وهزمته، ثم قبض عليه وقتل بقلعة دمشق، فى ليلة الإثنين ثانى ذى القعدة، وكان مشهوراً بالشجاعة، مشكور السيرة، إلا أنه لم يسعده جده.

ومات الأمير يخشى بك، أصله من المماليك المؤيدية، وصار من الأشرفية فرقاه الأشرف برسباى حتى صار من أمراء الطبلخاناه وعمله أمير آخور ثانياً، فلما مات الأشرف قبض عليه، وسجن بالإسكندرية، ثم ضرب عنقه فى يوم الجمعة ثامن ذى الحجة، بحكم بعض نواب قاضى المالكية بقتله من أجل أنه سب والذى بعض الأشراف، وكان جبار ظالماً شريراً.

ومات الأمير تغرى برمش، وهو من أهل مدينة بهسنى، واسمه حسين لم يمسه رق قط، وإنما قدم القاهرة وهو صبي، فحافظ بالأجرة فى الخط المعروف بالمصنع تحت قلعة الجبل، عند بعض الخياطين فى حانوت، وتسمى تغرى برمش^(٢)، ثم خدم تبعاً عند قراسنقر - من المماليك الظاهرية برقوق - مدة طويلة، وخدم بعده بعض الأمراء وصار معه إلى حلب، ثم خدم جقمق، فلما صار دوادار المؤيد شيخ، عمله دواداره إلى أن خرج لنيابة الشام، خرج معه، فلما مات المؤيد وقبض جقمق على الأمير برسباى اللقماقى وسجنه يريد قتله، قام تغرى برمش هذا فى مدافعة جقمق عنه، ومنعه من قتله، حتى كان من سلطنة الأمير ططر ما كان، وقدم من دمشق وقد عمل الأمير برسباى دوادار السلطان، رعى لتغرى برمش حق مدافعة جقمق عن قتله، وقربه، فلما تسلطن رقاؤه وجعله من جملة أمراء مصر، ثم ولاه أمير آخور كبيراً، ومكنه من التصرف، واعتمد عليه، ثم ولاه نيابة حلب، فمات الأشرف برسباى وتغرى برمش عليها، وخرج مع العساكر فى التجريدة إلى أرزنكان، فاختلف مع الأمراء، وقدم حلب، فلما خلع العزيز بن برسباى خرج عن طاعة السلطان الملك الظاهر جقمق، فلم ينجح وقاتله أهل حلب وأخرجوه، ثم قاتلته عساكر السلطان وهزمته، ثم قبض عليه، وقتل بحلب فى يوم الأحد سابع عشر ذى الحجة، بعد عقوبات شديدة، وقد أخرج فى حروبه هذه حلب وما حولها، وأكثر من الفساد، وقتل العباد، وقتل معه الأمير طرعلى بن سقل سيز من أمراء التركمان.

ومات بالقاهرة الأمير حسام الدين حسن، فى يوم الأحد ثالث عشرين ذى الحجة،

(١) انظر النجوم الزاهرة ٢٠٨/١٥.

(٢) انظر النجوم الزاهرة ٢١٠/١٥، ٢١١.

وقد قدم من القدس وولى فى الأيام الناصرية فرج وما بعدها عدة نيابات بغزة والقدس وغيرهما.

ومات ملك اليمن الملك الظاهر هزبر الدين عبد الله بن الأشرف^(١) إسماعيل بن على ابن داود بن يوسف بن عمر بن على بن رسول، يوم الخميس سلخ شهر رجب وله فى الملك نحو اثنتى عشر سنة، وضعفت مملكة اليمن فى أيامه لقله بجايى أموالها، واستيلاء العربان على أعمالها، وأقيم بعده ابنه الأشرف إسماعيل، وله من العمر نحو العشرين سنة، فأكثر من سفك الدماء، وأخذ الأموال، وغير ذلك من أنواع الفساد، فقتل برقوق القائم بدولتهم فى عدة من الأتراك^(٢).

ومات باليمن الرئيس شرف الدين موسى بن نور الدين على بن جميع الصنعانى الأصل، العدنى المولد والمنشأ، وقد جاوز الخمسين، وكان قد استقر فى منصب أخيه وجيه الدين عبد الرحمن، وختم به بيت ابن جميع. وكان حاذقا عارفا بالأمر، كثير الاستحضار للنوادر، حسن المعاشرة، بعيد الغور.

ومات بعدن أيضا قاضيها الفقيه الفاضل الشافعى جمال الدين محمد بن سعيد بن كبن الطبرى الأصل، العدنى، فى سابع شهر رمضان، وقد جاوز الستين. وكان فاضلا فى الفقه وغيره حسن التأنى، لين الجانب.

ومات بزويد الفقيه الشافعى المفتى موفق الدين على بن محمد بن فخر، فى شوال، ومولده سنة ثمان وخمسين وسبعمائة، وقد انتهت إليه رياسة العلم والفتوى بزويد.

ومات بزويد الفقيه الحنفى الفاضل جمال الدين محمد بن على المعروف بالمطيب، فى عشر رمضان. وهو فى عشر السبعين. وقد انتهت إليه رياسة الحنيفة بزويد.

* * *

(١) عبد الله، وقيل يحيى بن إسماعيل بن على بن داود بن يوسف بن عمر بن على بن رسول (٨٤٢ هـ = ١٤٣٨ م)، الملك الظاهر هزبر الدين، صاحب اليمن، ابن الملك الأشرف. ملك اليمن فى شهر رجب سنة ثلاثين ومئاة، فأقام فى الملك نحو اثنتى عشرة سنة، وضعفت مملكته، وخربت ممالك اليمن فى أيامه لقله محصوله بها من استيلاء العربان على أعمالها، ولم يزل على ذلك إلى أن توفى يوم الخميس سلخ شهر رجب سنة اثنتين وأربعين ومئاة، وملك بعده ابنه الملك الأشرف إسماعيل، وله من العمر نحو العشرين سنة، فساءت سيرته فى المالك من سفك الدماء وأخذ الأموال وغير ذلك من أنواع الفساد، وقتل الأمير سيف الدين برقوق - القائم فى عدة بدولتهم فى عدة من الأتراك وغيرهم. انظر المنهل الصافى ٧ / ٨٠. والدليل الشافى ١ / ٣٨٣، النجوم الزاهرة ١٥ / ٤٧٤، الضوء اللامع ٥ / ١٤.

(٢) انظر النجوم الزاهرة ١٥ / ٣١٢.

سنة ثلاث وأربعين وثمانمائة

شهر الله المحرم الحرام، أوله يوم الأحد:

فيه أفرج عن زوجة القاضي زين الدين عبد الباسط، وعن أرغون دواداره.

وفيه حمل عبد الباسط الخزانة السلطانية ثلاثين ألف دينار ذهباً، وأحيط له بخمسين ألف أردب من الغلة، وبمائة هجين فيها ما تبلغ قيمة الواحد منها آلاف، وبهار قيمته خمسون ألف دينار، وبعده كثيرة من الجمال.

وفي ثانيه: خلع على ولي الدين محمد السفطى مفتى دار العدل، وأحد خواص السلطان، واستقر فى نظر الكسوة المحمولة إلى الكعبة المشرفة، عوضاً عن زين الدين عبد الباسط، مضافاً لما بيده من وكالة بيت المال، فإن شرط الواقف أن يكون وكيل بيت المال ناظر الكسوة.

وخلع على فتح الدين محمد بن أبى بكر بن أيوب المحرقى^(١)، واستقر فى نظر الجوالى، عوضاً عن عبد الباسط. وكانت بيده قديماً فأعيدت إليه.

وفي ثالثه: قدم مبشرو الحاج، وأخبروا بسلامة الحاج، ورخاء الأسعار.

وفي خامسه: أفرج عن أبى بكر بن عبد الباسط، وعن شرف الدين موسى بن البرهان إبراهيم الكازرونى - مباشر ديوان عبد الباسط - على مال يقوم به. هذا وعبد الباسط يورد المال شيئاً بعد شىء، والسلطان مصمم على أنه لا يقنع منه بأقل من ألف ألف دينار، ويتهدد بعقوبته، ويعدد له ذنوباً يحقدها عليه.

وفي يوم الأحد ثامننه: ابتداءً بالنداء على النيل، وقد بلغت القاعدة - وهى الماء القديم فى القياس - أربعة أذرع وعشرة أصابع، وأنه زاد ثلاثة أصابع.

وفي تاسعه: نقل الأمير جانبك الزينى أستاذار من سجنه بقلعة الجبل إلى بيت الأمير تغرى بردى المؤذى الدوادار؛ ليحاسبه عما فى جهته للديوان المفرد، وألزم بحمل عشرة آلاف دينار، فلم يتأخر فى القلعة سوى زين الدين عبد الباسط بمفرده فى مقعد بالحوش من القلعة، وقد رسم عليه عدة من المماليك السلطانية، وأتباع تباع أصناف أمواله وعقاره، وتورد أمانها ذهباً إلى الخزانة السلطانية.

(١) انظر ترجمته فى الضوء ١٥٨/٧.

٤٣٠ سنة ثلاث وأربعين وثمانمائة

وفي حادى عشره: أفرج عن الأمير جانبك الزينى، ونزل من بيت الأمير تغرى بردى الدوادار إلى بيته، وقد شطب عليه بمبلغ ألف ألف درهم وثلاثمائة ألف درهم، وجبت عليه لديوان، أكثرها تحمل عليه، فإنها بواق فى جهات متسحين وغير ذلك، مما لو أنصف لم تلزمه، وذلك سوى العشرة آلاف دينار التى ألم بها^(١).

وفي رابع عشره: قدم القاضى معين الدين عبد اللطيف ابن القاضى شرف الدين أبى بكر كاتب السر بحلب، وحمل التقديم فى خامس عشره، ما بين ثياب حرير، وفرو سمور وثياب صوف، وثياب بعلبكى وخيل، وبغال، قومت بألف وخمسمائة دينار.

وفيه رسم بنقل سودن المغربى من سجن الإسكندرية إلى القدس؛ ليقيم به بطالا، ورسم بسجن الخواجا شمس الدين محمد بن المزلق كبير تجار الشام فى قلعة دمشق، حتى يحمل ثلاثين ألف دينار للخزانة السلطانية، وعشرة آلاف دينار للديوان الخاص، فقدم ولده وصالح عن ذلك بخمسة آلاف دينار للخزانة وألف دينار للخاص، وخلع عليه.

وفي ثانى عشرينه: قدم الركب الأول من الحاج ثم قدم محمل الحاج ببقية الحجاج فى غده، وأخبروا برخاء الأسعار فى بلاد الحجاز وأمنها من الفتن. وأن ميان أمير المدينة النبوية عزل بسليمان بن عزيز، وأن جماعة من الحجاج لما قدموا المدينة الشريفة مضوا لزيارة البقيع فخرج عليهم عدة من العربان وقتلوهم، فقتل ثلاثة نفر من المماليك المجردين.

وفي هذه الأيام كثرت القالة باختلاف أمراء الدولة والمماليك السلطانية، فنودى فى يوم الخميس سادس عشرينه بالألا يخرج أحد فى الليل وأن يصلح الناس دروب الحارات ونحوها.

وفي سلخه: قدم الأمير يشبك من بلاد الصعيد بمن معه من الأمراء والمماليك المجردين، فخلع عليه، واستقر أميرا كبيرا أتاك العساكر، وخلع على من قدم معه من الأمراء.

وفي هذا الشهر وقع الصلح بين الفنش ملك أشبيلية وقرطبة وغيرهما من ممالك الفرنج، وبين محمد بن الأحمر ملك المسلمين بغرناطة من بلاد الأندلس، بعدما امتدت الفتنة بين الفريقين عدة سنين، والله الحمد.

شهر صفر، أوله يوم الإثنين:

فيه قدم الأمير قانبيه البهلوان^(١) أتاكب العساكر بدمشق، فأكرم وخلع عليه لنيابة صفد، عوضاً عن الأمير أينال الأجرود المستقر في جملة أمراء الألوفا بديار مصر، ورسم باستقرار الأمير أينال الششمانى أحد أمراء الألوفا بدمشق فى الأتابكية بها، عوضاً عن الأمير قانبيه البهلوان.

وفى يوم الخميس رابعه: طبق السحاب آفاق السماء بالقاهرة وما حولها، ثم أمطرت مطراً غزيراً كثيراً، فكان هذا مما يستغرب، فإن الزمان صيف، والشمس فى برج الأسد، والنيل ينادى عليه، وقد بلغ نحو عشرة أذرع، ونحن فى شهر أيبب أحد شهور القبط ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾^(٢).

وفى سادسه قدم الأمراء المجردين إلى الشام بمن معهم من المماليك السلطانية فخلع على الأمير قراقجا الحسنى أمير آخو، ونزل بباب السلسلة من القلعة، وعلى الأمير تمرباى رأس نوبة النوب^(٣).

وفى حادى عشره: نقل زين الدين عبد الباسط من المقعد بالحوش من القلعة إلى برج بها، وكانت حاله فى مدة سجنه بالمقعد على أجمال ما عهد من نكسب، فإنه أنزل بهذا المقعد - وهو أحد المواضع المعدة لجلوس السلطان - ورتب له فى كل يوم سماء من أول النهار، وسماط فى آخره يحمل إليه من المطبخ السلطانى، مع الحلوى والفاكهة، ولم يمنع أحد من التردد إليه، فكان أمراء الدولة ومباشروها وأعيان الناس وجميع أتباعه وألزامه لا يزالون يتناوبون مجلسه، ويكونون بين يديه، كما هى عادتهم فى أيام دولته، بحيث لم يفقد مما كان عليه سوى الحركة والركوب، وهو مطلوب بألف دينار، والسلطان مصمم على ذلك.

وقد توسط بينه وبين السلطان المقر الكمالى محمد بن البارزى كاتب السر، وراجع السلطان فى أمره مراراً وعبد الباسط يورد من أثمان ما يباع له من ثيابه وأثاثه وحلى نسائه وأمتعتهم ومن عقاراته، حتى وقف طلب السلطان - بعد اللتيا والتى - على أربعمائة ألف دينار، وأبى أن يضع عنه منها شيئاً، إلى أن كان يوم الخميس هذا، تحدث كاتب السر مع السلطان فى الخطيطة من الأربعمائة ألف دينار، وأعانه عدة من أعيان الدولة فى التلطف بالسلطان، وسؤاله فى ذلك، فغضب، وأمر أن يخرج إلى السرج على

(١) هو الأمير قانى باى الأبوبكرى المغامرى المعروف بالبهلوانى. انظر النجوم الزاهرة ٩٣/١٥.

(٢) سورة الحج، الآية ١٤.

(٣) انظر النجوم الزاهرة ٩٣/١٥.

حالة ردية، وأشار لبعض خواصه بالمضى لما رسم به، فأخرج في الحال من المقعد، لكن على حالة غير ردية، ومضوا به ماشياً حتى سجنوه بالبرج، ورسم له أن يدفع إلى المرسمين عليه بالمقعد - وهم ثمانية من خاصكية السلطان - مبلغ ألفى دينار ومائتى دينار، فدفعها إليهم، وإذا بوالى القاهرة قد دخل عليه بالبرج، وأمره أن يخلع جميع ما عليه من الثياب، فإنه نقل للسلطان أن معه الاسم الأعظم، ولذلك كلما هم بعقوبته صرفه الله عن ذلك. فخلع جميع ما كان عليه من الثياب والعمامة، ومضى بها الوالى، وبما فى أصابع يديه من الخواتيم، فوجد فى عمامته قطعة أديم، ذكر لما سئل أنها من نعل النبي ﷺ، ووجدت فيها أوراق بها أدعية ونحوها.

وفى يوم السبت ثالث عشره: وهو أول مسرى نودى على النيل بزيادة خمسين إصبعا، لتتمة أربعة عشره ذراعاً وإصبعين، وهذا المقدار مما يستكثر مثله فى أول مسرى، والله الحمد.

وفى هذا الشهر: ارتفع سعر الغلال، فارتفع سعر القمح من مائة وأربعين درهماً الأردب إلى مائة وتسعين، والشعير من ثمانين درهماً الأردب إلى مائة وخمسين، وبلغ الفول نحو مائتى درهم الأردب، وشبهه الناس فى خزن الغلال، ظناً منهم أن أسعارها تعلق من أجل أن أكثر أراضى الزرع كانت شراقى، ومع ذلك فتولد من الفأر شىء عظيم أفسد فى الزروع فساداً كبيراً، ووقعت ببلاد الصعيد فتن كبيرة، رعى فيها من الزروع ما شاء الله، فلذلك نقص متحصل غلال النواحي حتى أرجف المشنعون بوقوع الغلاء، ولهجوا بذكره، فأغاث الله العباد والبلاد، وأجرى النيل سريعاً غزيراً، فضعفت قلوب خزان الغلال، واطمأنت قلوب الكفاية، فانكفوا عن كثرة الطلب لها ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرُءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ (١).

وفى هذا اليوم: قدم الأمير أينال الأجرود من صفد، والأمير طوغان نائب القدس، والأمير طوخ أتابك العسكر بغزة، وقد صار من جملة مقدمى الألوفا بدمشق على مقدمة مغلبية الجقمقى، فخلع عليهم وأركبوا خيولاً بقماش ذهب، ونزلوا إلى دورهم.

وفى هذه الأيام: ندب السلطان من جرف جميع الأتربة التى كانت بالرميلة تحت القلعة، ونقلها إلى الكيمان، وجرف الأتربة التى كانت بالصوة تحت القلعة إلى قريب مدرسة الأمير أيتمش بطرف التبانة.

وفى رابع عشره: رسم بإحضار من فى سجن الإسكندرية، وهم جانم أمير آخور،

وأينال البوبكرى، وعلى باى الدوادار، وجكم، وبيرس - خالى العزيز - وتنم ويشبك الدواداران، وتنبك القيسى، ويشبك الخاصكيان، وبيرم خجا أمير مشوى، وأزبك خجا رأس نوبة، وأن يترك الأمير قراجا بالسجن، فسار الأمير أسنبغا الطيارى لذلك. وفيه توجه الأمير قانيه البهلوان إلى محل كفالتة بصفد^(١) بعد ما أنعم عليه بمال جزيل^(٢).

وفي يوم الخميس ثامن عشره: - الموافق له سادس مسرى: - نودى على النيل بزيادة عشر أصابع، فوفاه الله تعالى ستة عشر ذراعًا وإصبعين من سبعة عشره ذراعًا، وهذا أيضًا من النوادر فى وقت الوفاء، فركب الأمير الكبير يشبك الأتابك حتى خلق المقياس بين يديه، ثم فتح الخليج على العادة.

وفي ثانى عشرينه: قدم الأمير أسنبغا الطيارى بمن معه من المسجونين بالإسكندرية إلى بلبس، وكلهم فى الحديد، وعدتهم أربعة عشر، فأفرج منهم عن بيرم خجا أمير مشوى، ونفى إلى طرابلس، وأخرج من البرج بقلعة الجبل رجلان أضيفا مع الثلاثة عشر، فصاروا خمسة عشر، فرسم أن يتوجه منهم سبعة نفر إلى قلعة صفد ليسجنوا بها، وهم: أينال، وعلى بيه، وتنبك القيسى، وأزبك حجا، وجرباش، وحزمان، وقانيه اليوسفى، ومتسفرهم الأمير سهام^(٣)، وأن يتوجه ثلاثة منهم إلى قلعة الصبيبة ليسجنوا بها، وهم جاتم أمير أخور، وبيرس خال العزيز، ويشبك بشقىشى ومتسفرهم، هم ومن يعضى إلى المرقب، وهم خمسة نفر: أزبك البواب، وجكم خال العزيز، وتنم الساقى، ويشبك الفقيه، وجانبك قلقسىز، والأمير أينال أخو قشتمر، فساروا فى حالة سيئة ﴿ولا يظلم ربك أحدًا﴾^(٤).

وفي سابع عشرينه: قدم الأمير طوخ مازى نائب غزة فخلع عليه، وأنزل فى بيته. وفي تاسع عشرينه: نقل زين الدين عبد الباسط من البرج إلى موضع يشرف على باب القلعة، ووعد بخير بعد ما كان يوعد بالعقوبة.

وفي سلخه - وهو ثامن عشر مسرى - نودى بزيادة ثلاثة أصابع لثمة عشرة ذراعًا وإصبعين من عشرين، وهذا مقدار ينذر وقوع مثله فى ثامن عشر مسرى والله الحمد.

(١) سبق ترجمتها.

(٢) انظر النجوم الزاهرة ٩٥/١٥.

(٣) هو الأمير سهام الحسنى الظاهرى برفوق. انظر الضوء اللامع ٢٧٢/٣.

(٤) سورة الكهف، الآية ٤٩.

شهر ربيع الأول، أوله يوم الأربعاء:

فى سادسه: خلع على الأمير طوخ مازى، وتوجه عائداً إلى محل كفالاته بغزة. وقد أنعم عليه، وأكرم^(١).

وفى عاشره: نودى بتجهيز الناس للسفر إلى مكة - شرفها الله - فى شهر رجب، فسر الناس بذلك وأخذوا فى أسباب السفر.

وفيه توجه الكاشف محمد الصغير - ومعه جماعة - لأخذ سواكن بعد ما أنفق فيهم.

وفى ليلة السبت حادى عشره: أخرج بالعزیز يوسف من محبسه بالقلعة، وأركب فرسا، وقد وكل به جماعة، حتى أنزل فى الحراقة، ومضوا به إلى الإسكندرية، ومعه جانبك القرمانى^(٢) أحد أمراء العشرات ليودعه بالبرج، محتفظاً به، ورسم أن يصرف له من مال أوقاف الأشرف ألف دينار، وحمل مع العزیز ثلاث جوارى لخدمته، وجهز من أوقافه بما لا بد منه بحسب الحال، ورتب له فى كل يوم ألف درهم من أوقافه، وخرج عدة من جوارى أبيه ييكن، وعدن بعد انحداره فى النيل، فجمعن من رفاقهن وصواحبتهن كثيرا، وعملن عزاء فى تربة الأشرف برسباى، وتربة جلبان أم العزیز.

وفى حادى عشره: خلع على شمس الدين أبى المنصور نصر الله كاتب اللالا، واستقر فى نظر الإصطبل، عوضاً عن زين الدين يحيى قريب بن أبى الفرج^(٣).

وفى يوم الأحد ثانى عشره: عمل المولد النبوى بين يدى السلطان بالحوش من القلعة.

(١) انظر النجوم الزاهرة ٩٦/١٥.

(٢) جانبك بن عبد الله القرمانى الظاهرى (٨٦١ هـ = ١٤٥٦ م)، الأمير سيف الدين حاجب الحجاب بالديار المصرية. أصله من ممالك الملك الظاهر برفوق، وتأمّر عشرة بعد موت الملك المؤيد شيخ، بعد أن قاسى خطوب الدهر ألوانا حتى أنه سمر على جمل ورسم بتوسطه فى الدولة الناصرية فرج، ثم شفع فيه وحبس ثم أطلق، ولما تسلطن الأشرف برسباى جعله من جملة معلمى الرمح، واستمر على ذلك إلى أن تسلطن الملك الظاهر حقمق غير إقطاعه بعد مدة، ثم أنعم عليه بإمرة طبلخاناه، ثم ولاه رأس نوبة ثانيا بعد طوخ الحكيمى، بحكم تعطله لرمد أصابه عمى منه، فدام على ذلك إلى أن تسلطن الملك الأشرف أبنال أنعم عليه بإمرة مائة وتقدمة ألف بالديار المصرية فى يوم الخميس حادى عشر شهر ربيع الأول سنة سبع وخمسين وثمانمائة، ثم بعد أيام قليلة نقل حجوية بالديار المصرية، بعد الأمير قراجا الظاهرى، الخازندار بعد توجهه إلى القلس بطالا، وكان قراجا المذكور من خيار الناس.

(٣) انظر النجوم الزاهرة ٩٦/١٥.

وفي سابع عشره - وهو خامس أيام النسيء: - نودى بزيادة إصبع واحد تكملة عشرين ذراعاً، وهذا المقدار من زيادة النيل قبل النوروز مما يندر وقوعه، وربنا المحمود على جزيل نعمائه.

وفي هذه الأيام أخرج بجماعة من الأشرفية منفيين.

وفي ثامن عشره: أخرج عز الدين محمد بن قاضى القضاة جمال الدين يوسف البساطى المالكى أحد نواب القضاة المالكية، وناصر الدين محمد الشنشى أحد نواب القضاة الحنفية فى الترسيم إلى بلاد الصعيد منفيين. ثم أعيد البساطى بشفاعة وقعت فيه، ومضى الشنشى وابنه إلى قوص، ونفى أيضاً أربعة من المماليك الأشرفية.

وفي تاسع عشره: سارت تجريدة فى النيل، تريد ثغر رشيد، وقد ورد الخبر بأن أربع شوانى للفرنج قاربت رشيد، وأخذت أبقارا أو غيرها، فأخرج لذلك الأمير شادى بك الظاهرى ططر، والأمير أسنبغا الطيارى، وهما من أمراء الألوف، وحمل لكل منهما خمسمائة دينار، فما هو إلا أن انحدرت سفنهم احترق مركب الطيارى من مدفع نفض رموا به، فعاد عليهم، وأحرق كثيرا مما معهم، وأصاب بعضهم، فألقى الطيارى بنفسه فى النيل حتى نجأ، ثم ركب فى السفينة وساروا.

وفي عشرينه صعد الخليفة المعتضد أبو الفتح داود إلى السلطان، ومعه الأمير بيبرس ابن بقر، وقد استجار به، فقبل السلطان شفاعته، وأمنه، ونزل مع الخليفة، ولم يتعرض له بعد ذلك.

وفي العشر الثالث من هذا الشهر: اتفق حادث شنيع، وهو أن طباخاً خارج باب الفتوح من القاهرة يطبخ كروش البقر ويبيعه مدة سنين فى كل يوم، فباع على عادته فى بعض أيام هذا العشر، فما دخل الليل إلا وعدة كثيرة ممن اشترى منه وأكل قد مرضوا، وتتابع الموت فيهم، بحيث أنه مات فى يومين سبعة نفر، وبقي نحو الأربعين مرضى، لم ينضب لى ما جرى لهم، ثم بلغنى أنه مات منهم جماعة.

وفي سادس عشرينه: رسم بتوجه القاضى زين الدين عبد الباسط إلى الحجاز بأهله وأولاده، فأخذ يتجهز للسفر.

وفيه وردت مطالعة الأمير أقبغا التمرازى نائب الشام، يشكو فيها من بهاء الدين محمد بن حجى قاضى القضاة وكاتب السر بدمشق، فرسم بعزله وإخراجه من دمشق إلى القلس، ثم رسم له بتدريس الصلاحية بالقلس ونظرها، عوضاً عن عز الدين

القدسى، وتوجه الأمير يلبغا الجركسى رأس نوبة وأحد خواص السلطان لذلك، وأن يكشف عن شكوى نائب الشام من أرباب الوظائف بدمشق.

وفيه ورد الخبر بأن الأمير أقبغا التركمانى الناصرى نائب الكرك، لما قدم عليه من الأبواب السلطانية - جائراً من بنى عقبة - ابن منجد أمير بنى عقبة، وعليه الخلعة السلطانية، ونزعها عنه وقتله.

وفي سابع عشرينه: رسم بسفر خمسين من المماليك السلطانية صحبة زين الدين عبد الباسط، وأقيم عليهم منهم رأس باش.

وفي تاسع عشرينه: جهز إلى الأمير أركماس الظاهرى الدوادار^(١) - كان - فرس

(١) أركماس بن عبد الله الظاهرى الدوادار، الأمير سيف الدين. أحد المماليك الظاهرية برقوق، مات أستاذه وهو من جملة المماليك السلطانية ودام على ذلك دهرا إلى أن آلت السلطنة إلى الملك الظاهر ططر جعله نائب قلعة دمشق، فاستمر على ذلك مدة طويلة إلى أن استدعاه الملك الأشرف برسباى إلى الديار المصرية وأنعم عليه بتقدمة ألف بها، وولى مكانه فى نيابة قلعة دمشق، صرغتمش السيفى تغرى بردى المدعو يابو، أعنى مملوك والدى، فدام أركماس المذكور على ذلك مدة طويلة إلى أن خلع عليه باستقراره رأس نوبة النوب بعد مسك الأمير تغرى بردى المحمودى، وأنعم بإقطاعه عليه أيضا، وأنعم بإقطاع أركماس هذا وهى تقدمه ألف على الأمير قطج من ترمز، وذلك فى شهر جمادى الآخرة سنة تسع وعشرين وثمانمائة، فاستمر فى وظيفته إلى أن نقله الملك الأشرف إلى الدوادارية الكبرى بعد نفى الأمير ترمز القرشى الظاهرى المعزول عن نيابة عزة قبل تاريخه بمدة يسيرة. ولما ولى أركماس الدوادارية عظم فى الدولة وضخم وأثرى، ودامت أيامه، وهو فى غالب أيامه ملازم للفراس لما كان يعتره من ألم المفاصل، لا يياشر الوظيفة فى السنة إلا أياما يسيره، وكان غيره عارف، ليس له دربة بهذه الوظيفة ولا غيرها، فإنه كان لا يحسن الكلام باللغة التركية فكيف العربية، وكان فى أحكامه أعجوبة، حضرته غير مرة فكان إذا دخل قاصد، أو محاكمة نظر إلى وجه دواداره سودون وإلى وجه رأس نوبته، وموقعة، فمهما حكموا به أمضى لهم ذلك، وقال بكقولهم، أو أشار بيده، وهو مع ذلك له حرمة وكلمة نافذة فى الدولة، وسافر عدة تجاريد إلى البلاد الشامية، غالبها فى محفة، حتى لما سافر إلى آمد صحبة السلطان الملك الأشرف برسباى سنة ست وثلاثين وثمانمائة، كان أيضا فى غالب أيامه فى المحفة. وكان بخيلا مسيكا، كان يضعف المدة الطويلة وينقطع عن الخدمة السلطانية إلى شهر رمضان يتعافى ويلزم الخدمة ويبيت بالقلعة من أجل أنه يفطر على سباط السلطان، ويحبل مماليكه على عاداتهم من سباطه فى السنة، إلا أنه كان عقيفا عن المنكرات والفروج، وأيضا عن البر والصدقات، وكان متوسط السيرة لا يميل لا لخبر صحبة الأمراء المصريين إلى أرنزكان فى سنة إحدى وأربعين ومرض السلطان وهم فى تلك البلاد ومات فى ذى الحجة من السنة وتسلطن ولده الملك العزيز يوسف، ووقع ما سنحكيه فى غير موضع، إلى أن عادوا من التجريدة، وقد استفحل أمر الأتابك حقمق، وأخذ أمر العزيز فى انحطاط، فقبلوا الأرض من الإسطلب السلطانى والملك العزيز واقف بالقصر الأبلق، وخلع عليهم، ونزلوا إلى دورهم، فلم يكن إلا بعد أيام قلائل =

وبغل بقماش من الإصطبل السلطاني، وأذن له أن يركب من دمياط، ويسير حيث شاء من أقطار البلد، فقط.

شهر ربيع الآخر، أوله يوم الجمعة:

فيه خلع على شهاب الدين أحمد العجلوني^(١) موقع الأمير أركماس الدوادار - كان - واستقر في كتابة السر بدمشق، عوضاً عن بهاء الدين محمد بن حجى، ورسم باستمرار عز الدين عبد السلام القدسي^(٢) على عاداته في تدريس الصلاحية بالقدس ونظرها، وأن يحضر ابن حجى إلى القاهرة، ورسم بنقل صلاح الدين خليل بن محمد ابن محمد بن محمود بن سابق من كتابة السر بحماة إلى نظر الجيش بحلب، عوضاً عن سراج الدين عمر بن شهاب الدين أحمد بن السفاح.

وفي ثانيه: خلع على ابن السفاح المذكور، واستقر في نظر الجيش بدمشق، عوضاً عن جمال الدين يوسف بن الصفي الكركي، وكان قد قدم القاهرة.

وفيه - وهو رابع عشر مسرى - : بلغ النيل عشرين ذراعاً وعشرة أصابع.

وفيه ادعى رجل على بعض نواب القاضى الشافعى أنه سجن غريباً له على دين ثبت له عليه، فأثبت الغريم إعساره على آخر من نواب القاضى، فأخرجه من السجن، فأنكر السلطان إخراج الغريم من السجن بغير إعدار رب الدين وأمر بالقاضى الذى أخرجه من السجن أن يسجن حتى يدفع لرب الدين دينه - وهو ثمانية آلاف درهم - فسجن بالبرج من قلعة الجبل، حتى دفع ذلك إليه من ماله، وهذا من نوادر الأحكام.

وقد خلع العزيز وتسلطن الأتابك حقمق، فمن ثم أخذ أمر أركماس هذا إلى خلف، فخلع عليه الملك الظاهر حقمق باستقراره على وظيفته الدوارية، ونزل إلى داره، وكل أحد يعلم أنه سيعزل عن قريب، فدام مدة يسيرة وأشيع بالقاهرة بمسكه، ولهج الناس بذلك، فبادر أركماس المذكور وطلب الإقالة واستعفى من الإمرة والوظيفة، وأراد التوجه إلى دمياط فرسم له بلك، فتوجه إلى الثغر المذكور وأقام به سنين طويلة إلى ان طلب العود إلى القاهرة بطالا، فأجيب إلى ذلك وعاد إلى الديار المصرية، وقبل الأرض للسلطان الملك الظاهر حقمق، فحصل له إكرام زائد، وخلع عليه كاملية بسمور، وقيد له فرس من مراكب السلطان، ونزل ملازماً لداره إلى أن توفى يوم الجمعة ثامن عشرين شوال سنة أربع وخمسين وثمانمائة، وحضر السلطان الصلاة عليه بمصلاة المؤمنين، وسنه نيف على السبعين، وكان قدومه ثغر دمياط بعد سنة خمسين وثمانمائة تخميناً، رحمه الله تعالى، وخلف ولداً ذكراً. انظر الترجمة فى: الدليل الشافى ١/١٠٩، والنجوم الزاهرة ١٥/٥٤٤، والضوء اللامع ٢/٢٦٩. والمنهل الصافى ٣٢٩.

(١) هو أحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن شرف بن منصور الشهاب ابن الزين الدمشقى

الشافعى. انظر ترجمته فى الضوء اللامع ١/٣٣٥.

(٢) انظر ترجمته فى الضوء اللامع ٤/٢٠٣.

وفيه رسم بعزل نواب القضاة الأربع بأجمعهم. وألا يستنيب الشافعي سوى أربعة فقط، وكل من الثلاثة لا يستنيب إلا اثنين لا غير.

وفي سابعه: أنفق في الممالك المجردين إلى مكة صحبة زين الدين عبد الباسط - وهم خمسون فارسًا - مبلغ خمسين دينارًا لكل واحد، سوى الخيل والجمال.

وفيه خلع على شمس الدين محمد بن إسماعيل بن محمد الونائي^(١) واستقر في قضاء الشافعية بدمشق، عوضًا عن ابن حجي، وأنعم عليه السلطان بخيل وجمال، ورسم بتجهيزه. والونائي هذا مولده في شعبان سنة ثمان وثمانين وسبعمائة بقرية ونا^(٢) من عمل الفيوم، وقدم القاهرة، واشتغل بها - من سنة سبع وثمانمائة، فبرع في الفقه والعربية، وتكسب بتحمل الشهادة مدة، ثم اشتهر وتصدى للأشغال، فقرأ عليه جماعة، وصحب عدة من أعيان الدولة الأشرفية برسباي، منهم الأمير جقمق فلما تسلطن جقمق لزم التردد إلى مجلسه حتى ولاه مستولاً بالولاية، ونعم الرجل هو علمًا ودينًا.

وفي عاشره: استدعى السلطان بأولاد القاضي زين الدين عبد الباسط الثلاثة، وخلع عليهم كوامل حرير بفرو سمور وقاقم، ونزلوا إلى دورهم مكرمين.

وفي حادي عشره: ورد الخبر من دمياط بأن العامة قتلوا رجلاً نصرانيًا اسمه جرجس ابن ضو الطرابلسي - بعد ما أظهر الإسلام - ثم نهى كنائس النصارى.

وفي ثاني عشره: استدعى السلطان بزين الدين عبد الباسط من محبسه، فدخل في جماعة من أعيان الدولة إلى السلطان، فبالغ في إكرامه، وخلع عليه وعلى عتيقه الأمير جانبك، وأنزل من القلعة وفي خدمته أعيان الدولة، وقد اجتمع خلائق لرؤيته فرحًا به، حتى نزل بمخيمه قريبًا من قبة النصر ليتوجه إلى الحجاز بأولاده ونسائه وأتباعه، بعد ما حمل إلى الخزانة السلطانية مائتي ألف دينار وخمسين ألف دينار ذهبًا، سوى ما أخذ له من الخيول والجمال وغير ذلك وسوى ثمنًا جليلًا قدمها، فحماه الله في محتته فلم يسمع فيها ما يكره، بل كان في هذه المدة يتردد إليه أمراء الدولة ومباشروها، وهو من العز والكرامة على حاله في أيام دولته، ولا أعلم أحدا رأى من الإجلال والاحترام في أيام نكبته ما رآه، ورأى ذلك بما كان يجريه الله على يديه من الصدقات، سرا وجهراً.

وفي ثالث عشره: عزل أبو المنصور من نظر الإصطبل، بعد ما حمل مما التزم به نحو

(١) انظر ترجمته في الضوء اللامع ٧/١٤٠.

(٢) من القرى القديمة من أعمال البهنساوية. انظر التحفة السنوية، القاموس الجغرافي ج ٣

سبعمائه دينار، واستقر عوضه تاج الدين محمد بن نور الدين على بن القلاقي الفوى، على مال التزم به.

وفي سحر يوم الجمعة خامس عشره: رحل زين الدين عبد الباسط من منزلته بقبة النصر، حتى أتاه ببركة الحجاج، ورافقه في سفره جماعات من الرجال والنساء، فصار في ركب من الحجاج، وكان يتردد إليه في منزلته هذه عامة الأمراء، والمقام الناصري محمد ولد السلطان، وجميع مباشرى الدولة، من الوزير، وكاتب السر، وناظر الجيش، وناظر الخاص، ومعظم أعيان القاهرة من القضاة، ومشايخ العلم، والتجار، وغيرهم من سائر طبقات الناس، فأقام ببركة الحجاج وهم يترددون إليه، ويحملون له المبالغ الكثيرة من الذهب والثياب والخيول والأغنام وغير ذلك، حتى استقل بالمسير في ليلة الإثنين ثامن عشره، فما زادته هذه المحنة إلا رفعة وعزا، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم.

وفي خامس عشرينه: عزل ناصر الدين محمد بن أحمد بن سلام عن ولاية دمياط، ولعزله خير يذكر، وهو أن جماعة من المطوعة بدمياط ركبوا البحر يريدون جهاد الفرنج، فمضوا من دمياط حتى أرسوا بميناء بيروت، وهم في ثلاثة مراكب، فاجتمع عليهم عدة من الغزاة، وساروا غير بعيد، وإذا بطائفة كبيرة من الفرنج في أربعة مراكب قد أقبلوا فاحتربوا معهم حربًا شديدة، حتى استشهدوا بأجمعهم، إلا طائفة من البحارة فإنهم ألقوا أنفسهم في البحر، وأخذ الفرنج مراكب المسلمين بما فيها وأقلعوا، فما هو إلا أن وصل الخبر بذلك إلى دمياط وإذا بالغزاة والمآتم قد أقيمت على من فقد من الغزاة حيث عم ذلك أهل البلد بأسرهم، إلا رجلا من نصارى دمياط يقال له جرجس بن ضو، فإنه في وقت عزاء الناس عمل فرحًا، وجمع على طعامه عدة أناس، وأظهر الشماتة والمسرة بما أصاب المسلمين، وكان قبل يتهمه الناس بدمياط أنه يكتب الفرنج ويدلهم على عورات المسلمين، ويحضهم على محاربتهم، فلما عمل هذا المجتمع، لم تصير العامة على ذلك، وثاروا به وأخرجوه، وادعوا عليه عند القاضى بقوادح، قامت عليه بها بينات أوجبت قتله، فلما أيقن بالهلاك أظهر الإسلام، وتلفظ بالشهادتين، فقام ابن سلام على العامة، وتخلصه من بين أيديهم على مال فيما زعموا أنه وعده به، فتعصبت العامة، وقتلت النصراني الأسلمى، وأحرقوه بالنار، ونهبوا كنائس النصارى، فحنق ابن سلام، وكتب إلى السلطان وإلى ناظر الخاص، وهو يشنع الأمر، ويذكر أن حرمة السلطان قد انكسرت، وضاع مال السلطان، وتعطل استخراجها، فاشتد غضب ناظر الخاص، وأغرى السلطان بأهل دمياط، حتى غضب عليهم، وبعث ثلاثين مملوكًا صحبة بعض

الأمرء ليقبضوا على التجار بدمياط، وعلى أعيانها، فدخلوا دمياط وقد طار الخبر إليها، فرحل جمهور أهلها، وتركوا دورهم وضعفة أهاليهم.

هذا، وكتب ابن سلام تتواتر مرة بعد أخرى بإغراء السلطان بأهل دمياط، وقد طار الخبر إليها، والسلطان يشتد غضبه على العامة، ويهم أن يفتك بهم، فأخذ جماعة من أعيان الدولة في تسكين غضبه، وبالغوا في تقبيل يديه، وسألوه العفو عنهم، حتى تمهل عن قتلهم، ورسم بعزل ابن سلام، وقد اتضح أمره.

وفي خامس عشرينه: قدم أحد حجاب دمشق بسيف الأمير أقبغا التمرزى نائب الشام، وقد مات فجأة، في سادس عشره، فرسم لنائب حلب الأمير جليان باستقراره في نيابة الشام، وأن ينتقل نائب طرابلس الأمير قانباى الحمزاوى إلى نيابة حلب، وينتقل الأمير برسباى الناصرى^(١) - حاجب الحجاب بدمشق - إلى نيابة طرابلس، ويستقر عوضه في الحجوية الكبرى بدمشق الأمير سودون النوروزى حاجب حلب، وينتقل حاجب حماة الأمير سودون المؤيدى إلى الحجوية الكبرى بحلب، وأن يستقر الأمير جمال الدين يوسف بن قلندور نائب خرت برت^(٢) في نيابة ملطية، عوضاً عن الوزير الأمير غرس الدين خليل، ويستقر خليل المذكور أحد أمراء الألوف بدمشق، عوضاً عن الأمير

(١) برسباى بن عبد الله من حمزة الناصرى (٨٥١ هـ = ١٤٤٧ م)، نائب حلب، الأمير سيف الدين هو من ممالك الملك الناصر فرج ومن خاصكته، وحبس بعد موت أستاذه مدة، ثم أطلق، وأنعم عليه بإمرة بالبلاد الشامية، ثم صار حاجب حجاب دمشق في دولة الأشرف برسباى بكاملها إلى أن خرج الأمير أينال الجمكى نائب دمشق عن طاعة الملك الظاهر حقمق وقبض على أمراء دمشق الأكابر. كان برسباى هذا ممن قبض عليه، وحبس بقلعة دمشق إلى أن أطلقهم الأمير أينال المذكور بعد أن أخذ عليهم العهود والمواثيق. فلما خرجوا من الحبس فروا من عنده، وصاروا من حزب الملك الظاهر حقمق إلى أن ظفر الظاهر بأينال. استقر برسباى المذكور على عادته في حجوية دمشق إلى أن نقله إلى نيابة طرابلس وبعد انتقال الأمير قانى باى الحمزاوى إلى نيابة حلب بعد الأمير جليان، بحكم انتقاله إلى نيابة دمشق، بعد موت الأمير أقبغا التمرزى، فباشر نيابة طرابلس سنين إلى أن برز المرسوم الشريف باستقراره في نيابة حلب بعد موت الأمير قانى باى البهلوان فى سنة إحدى وخمسين وثمانمائة، فتوجه إلى حلب مريضاً، فأرسل يستعفى، فأعفى. وتوفى بعد أن خرج من حلب فى السنة المذكورة، وكان ديناً، خيراً، عفيفاً عن المنكرات، عاقلاً، سيوساً، مشكور السيرة، إلا أنه كان يجب جمع المال، ويستكثر من العمائر، وكان يقيم أشهراً لا يتناول شرب الماء - على ما قيل - وقد شهر عنه ذلك. وكان للطويل أقرب، طويل اللحية، مليح الشكل، تام الخلقة، حسن الخلق. انظر المنهل الصافى ٣/ ٢٧٧، ٢٧٨.

الطنبغا الشريفي^(١)، ويستقر الشريفي المذكور أميراً كبيراً بحلب، عوضاً عن الأمير قطج وأن يحضر الأمير قطج إلى القاهرة، وجهزت تقاليدهم ومناشيرهم فى سبع عشرينه، ورسم للأمير دولات باى المؤيدى الدوادار أن يكون متسفر الأمير جليان نائب الشام، وأن يكون الأمير أرنبغا اليونسى رأس نوبة متسفر الأمير قانباى الحمزاوى نائب حلب، وأن يكون الأمير سودون المحمدى - المعروف بأتمكجى^(٢) - رأس نوبة - متسفر الأمير برسباى نائب طرابلس^(٣)، وخلع عليهم فى تاسع عشرينه خلع السفر، فسافروا.

وثبتت زيادة النيل إلى يوم الثلاثاء سبع عشرينه - الموافق له ثامن بابة - على أصابع من عشرين ذراعاً، وقد انقضت أيام الزيادة وشمل الرى أراضي الزراعات بالنواحي، ولم نعهد منذ سنين أن زيادة النيل ثبتت إلى هذا التاريخ من شهور القبط على هذا المقدار، إلا أن أسعار الغلال ارتفعت عما كانت عليه، لا سيما الفول، فإنه تجاوز المائتى درهم الأردب، بعد ثمانين، وقل وجود اللحم الضأن من قلة مراعى بلاد الصعيد، ولما وقع بها من الفتن.

وفى يوم الخميس - ويوم الجمعة سلخه: - طبق الأفق بالقاهرة جراد منتشر، فأضرب ببعض الزروع، وهلك سريعاً.

وفيه أعيد محمد الصغير إلى ولاية دمياط، عوضاً عن ابن سلام.

شهر جمادى الأولى، أوله يوم السبت:

(١) الطنبغا بن عبد الله الشريفي (٨٤٤ هـ = ١٤٤٠ م)، الأمير علاء الدين، المعروف بالجمقدار، أحد الأمراء المقدمين بدمشق. أصله من ممالك الملك الناصر فرج، ونسبته بالشريفي إلى تاجره. كان من أعيان المماليك الناصرية، وتآمر فى أواخر دولة أستاذه، ثم حُبس بعد قتل أستاذه وتعطلت الدولة المويدية شيخ بكاملها، وإلى أن أنعم عليه الملك الأشرف برسباى بإمرة عشرة، ثم جعله من جملة رعوس النوب. واستمر على ذلك مدة طويلة إلى أن نقله إلى إمرة مائة وتقدمة ألف بدمشق - بعد موت طوغان عتيق والدى - وتوجه إلى دمشق، ودام بها إلى أن توفى الملك الأشرف برسباى وافتضت السلطنة بعد خلع الملك العزيز إلى الملك الظاهر حقمق قدم الأمير الطنبغا المذكور إلى القاهرة هو والأمير أينال الششمانى الناصرى أتاك دمشق، فأكرمهما الملك الظاهر وأنعم عليهما، وعادا إلى محل إقامتهما، فلم تطل إقامة الأمير الطنبغا الشريفي بدمشق بعد ذلك. ومات فى سنين نيف وأربعين وثمانمائة، وهو فى عشر الستين تخميناً. وكان تركى الجنس، للقصر أقرب، ذا لحية مليحة، مع سكون وعقل تام وسلامة باطن، وكان مشهوراً بالشجاعة. انظر المنهل الصافى ٨٢/٣، وما بعدها.

(٢) أتمكجى تعنى الخباز. انظر الضوء اللامع ٢٨٦/٣.

(٣) انظر النجوم الزاهرة ٩٨، ٩٧/١٥.

فيه نودى من أراد السفر فى رجب إلى الحجاز فليتهجهز على المسير فى نصفه، فسر الناس، وجدوا فى أمر سفرهم.

وفى عاشره: برز الأمير شهاب الدين أحمد . بن الأمير أبنال أحد خواص السلطان، ليتوجه - وصحبته أربعين مملوكًا - لقتال بلى من عرب الحجاز.

وفى خامس عشره: استقر الأمير مازى - أحد الأمراء الألوفا بدمشق - فى نيابة الكرك، عوضًا عن أقبغا التركمانى، وقد قبض عليه وسجن بقلعة الكرك^(١).

وفيه استقر محمد الصغير والى قوص فى كشف الوجه القبلى، عوضًا عن أركماس الجاموس، وجهاز له التشريف.

وفى عشرينه: خلع على الأمير أسنبغا الطيارى، واستقر فى نيابة الإسكندرية، عوضًا عن يلبغا البهائى بعد وفاته، وأقر إقطاعه بيده.

ومضى فى هذا الشهر عدة أيام من هتور - أحد شهور القبط - : والنيل ثابت على تسعة عشر ذراعًا، وهذا من النوادر.

وفى خامس عشرينه: رسم بالإفراج عن الأمير قراجا الأشرفى برسباى، وحضروه ليستقر أميرًا كبيرًا بحلب.

شهر جمادى الآخرة، أوله يوم الأحد:

فى خامسه: اتفقت بالقاهرة حادثة شنيعة، وهى أن بعض التجار تردد إليه قبانى لوزن بضائعه مرارا وسافر معه إلى الحجاز، فعرف بكثرة ملازمته له كثيرا من ماله، ودخله الطمع، بحيث عزم على أنه يقتله ويأخذ ماله. ثم جاء إليه فى الليل ومعه سكين ماضية قد أعدها لقتله، وأخفاها بين ثيابه، وقال: «قد وقع بينى وبين زوجتى محاصمة، وجئت لأبيت عندكم». فأقام يحادث عبيده طائفة من الليل، وكان قد ورد إلى التاجر رجل مغربى من أصحابه وبات عنده، فلما ناموا، وهو يراقبهم حتى جن الليل، دخل على التاجر وذبحه، فانتبه من نومه، وقد مضت السكين على حلقه، ولم تفرى وديجيه، ودافعه عن نفسه، ومر لينجو وهو يصيح، فخرج البائس وذبح المغربى وهو نائم فقتله، ومال على عبد صغير فذبحه أيضًا، فثار به، وهذا البائس يضربه بالسكين مرارا حتى مات، هذا وقد قام التاجر ودماؤه تشخب حتى صعد سطح الدار، وصاح بالجيران يغيثوه، فخرج إليه منهم طائفة، وإذا هم بهذا البائس قد خرج من بيت التاجر لينجو

بنفسه، فقبضوا عليه، وأخذوا منه السكين، فقال إن «عبد التاجر قام وذبح أستاذه وأراد ذبحي فدافعته عنى وقتلته»، فرايهم أمره لكثرة ما رأوه عليه من دماء، ودخلوا به إلى بيت التاجر، فرأوا المغربي والعبد مذبحين، والتاجر قد قطع خده وبعض رقبتة، وكانوا قد بعثوا في طلب والى القاهرة، فأدركهم سريعاً، ورأى ما هنالك، وأعلمه التاجر بما جرى عليه من القبانى، فتسلمه وأوثقه بالحديد، وطلع به بكرة إلى السلطان، فبعث على أنه إنما قتل العبد دفعاً عن نفسه، وأن العبد هو الذى قتل المغربى، وفعل بالتاجر ما فعل «وأنى صرخت فى العبد لما انحط على، فأخطأت يده حلقى، وقام عنى، فثرت به عند ذلك»، فأمر السلطان أن ينظر القضاة فى أمره، فحكّم بعضهم نواب الخنفية بقتله، لأنه اعترف أنه قتل عبد التاجر ومذهبهم أن الحر يقتل بالعبد.

فسمره عند ذلك الوالى، وشهره على جمل، ثم وسطه، وقد اجتمع لرؤيته عالم لا يحصيهم إلا الذى خلقهم، فأكدت هذه الحادثة قول الأول «وإذا كان الغدر فى الناس طباعاً فالثقة بكل أحد عجز»، وكان هذا القبانى شاباً عمره نحو العشرين سنة، وهو نحيف الجسم، وهو وأبوه وأمه وزوجته معروفون، فتكشف عن جرأة عظيمة، وتهور زائد، نعوذ بالله من سوء عاقبة القضاء.

وفى هذا اليوم: قدم رسول القان معين شاه رخ ملك المشرق.

وفى ثانيه: قدم الأمير قراجا فخلع عليه، واستقر أميراً كبيراً بجلب وسار إليها فى ثانى عشره.

وفيه أحضر رسول القان وقت الخدمة السلطانية بالقصر، فقدم كتابه، فإذا فيه أنه بلغه موت الأشرف وجلوس السلطان على تخت الملك، فأراد أن يتحقق علم ذلك فأكرم وأنزل، ورسم بكتابة جوابه.

وفى هذا الشهر - والذى قبله - ارتفعت أسعار كثير من المأكولات، وقل وجود الأجبان والألبان والسمن واللحم، وعاشت الدودة فى الزروع فأكلتها، وأعيد البذر مرة، وفى بعض النواحي أكلت الدودة ما زرع ثانياً، فزرع ثالث مرة، وغلا أيضاً سعر التبن والقول والشعير، ثم انحل فى هذا الشهر سعر الغلال.

وفى هذا الشهر: كان بين أصبهان بن قرا يوسف التركمانى متملك ببغداد وبين عليان أمير عرب العراق قتال انهزم فيه أصبهان أقبح هزيمة، ولحق ببغداد وقد خرجت بأجمها، ولم يبق بها من أهلها إلا من لا يؤبه له، وهم قليل جدا. وتعطلت منها الأسواق جملة، وجف معظم نخلها وانقطعت مياه أنهارها، وصارت دون أقل القرى، بعد أن

أريت فى العمارة على جميع مدائن الدنيا، حقاً على الله ما رفع شيئاً من هذه الدنيا إلا وضعه.

شهر رجب، وأوله يوم الثلاثاء:

فيه خرج ثقل الأمير قانبك المحمدى أمير الرجبية ومقدم المجردين إلى مكة، وأناخ ببركة الحجاج، وتلاحق به المسافرين طائفة بعد طائفة، ثم استقلوا بالمسير من البركة فى خامسه.

وفى يوم الإثنين رابع عشره: أدير محمل الحاج بالقاهرة ومصر على العادة فى كل سنة، وزاد السلطان فى عدة الصبيان الذين يلعبون بالرمح عما كانوا عليه فى الأيام الأشرفية، وأنفق فى الفرسان الذين ركبوا فى هذا اليوم قدام المحمل مالا، ولم تجر بذلك عادة، وكان الحال فى هذا اليوم، وفى ليلته الماضية جميلاً، ولم يقع فيه شىء من الشناعات التى كانت تقع فى الأيام الأشرفية، من فساد المماليك، والله الحمد.

وفيه استقر فى نيابة غزة الأمير طوخ المؤيدى أحد أمراء الألوفا بدمشق.

وفى عشرينه: قدم الأمير دولاباى الدوادار من دمشق، وقد كثرت أمواله مما حصل له فى هذه السفرة، فاستقر على ما هو عليه من الدوادارية.

وفى حادى عشرينه: قدم ابن أينال^(١) من التجريدة إلى عرب بلى بالحجاز، ومعه أحد عشر رجلاً، سمروا على الجمال، ثم طيف بهم القاهرة، ووسطوا، وكان من خير ابن أينال معهم أنه لما سار من القاهرة لقيه الشريف عقيل المعزول عن إمرة ينبع، وقد كتب له بمساعدة المجردين على قتال بلى، فبعث أخاه لياتى بأكابرههم إليه، وكتب يرغبهم فى طاعة السلطان، فلم يطمئنتوا إليه، فسار هو وابن أينال بمن معهم من المماليك والعرب، حتى طرقتوا بلى، وقبضوا منهم على الجماعة المذكورين، وفر باقيهم، فنهبوا من بيوت بلى ما قدروا عليه، وخرجوا من أوديتهم، ومضى من المماليك ثلاثون فارساً

(١) الملك المؤيد (٨٢٧-٨٩٣هـ=١٤٢٤-١٤٨٨م). أحمد (المؤيد) بن أينال (الأشرف) العلامى الظاهرى، أبو الفتح، شهاب الدين: من ملوك دولة الجراكسة فى مصر والشام والحجاز. كان أتاكبى أبيه وبويع بالسلطنة فى القاهرة لما أشرف أبوه على الموت، وألبس شعار الملك وهو العمامة السوداء والحية السوداء بالطراز المذهب، والسيف البدوى، وكان محبباً للناس، قليل الأذى نار عليه المماليك فخلعوه، ومدة سلطنته أربعة أشهر وثلاثة أيام وأرسله الظاهر خشقدم إلى سجن الإسكندرية، فأقام به مدة، وأطلق وأسكن بالإسكندرية، مرعى الكرامة إلى أن توفى ونقلت جثته إلى القاهرة. انظر ابن إياس ٦٥٢، ٢٨٤، وحوادث الدهور: حوادث ٨٦٥ وصفات لم تنتشر ٨٦ والأعلام ١٠٢/١.

إلى المدينة النبوية، بدلا من الممالك المجردة إليها صحبة الأمير خشقدم المقدم، وقدم من الممالك المتوجهة صحبة الأمير سودون المحمدى إلى مكة خمسون فارسًا، وعادوا إلى القاهرة.

وفى هذا الشهر - والذى قبله - : قل وجود اللحم بأسواق القاهرة، وارتفع سعر أكثر المأكولات، وتوالى هبوب الرياح المريسية أيامًا كثيرة، خيف على الزرع منها أن يجف لبيسها، وعدم وقوع المطر، هذا مع إتلاف الدودة كثيرا مما زرع.

وفيه أيضًا غرق فى البحر ما بين طرابلس الشام من دمياط بضعة عشر مركبًا موسوقة ديسًا وزبيبا وغير ذلك، فارتفع سعر الدبس من سبعة دراهم الرطل إلى عشرة، وغرق أيضًا فيما بين جدة^(١) والسويس^(٢) عدة مراكب، هلك فيها خلق من الحجاج، وتلف بها من الدقيق وغيره شئ كثير، والله الأمر من قبل ومن بعد.

شهر شعبان، أوله يوم الأربعاء:

فى يوم الجمعة عاشره: تعذر وجود الخبز بأسواق القاهرة ومصر، وتمادى على ذلك من الغد وبعده.

وفى حادى عشره: خلع على بهاء الدين محمد بن نجم الدين عمر بن حجي، وكان قدم إلى القاهرة واستقر فى نظر الجيش بدمشق، عوضًا عن سراج الدين عمر بن أحمد ابن السفاح الحلبي، ورسم لابن السفاح بنظر الجيش بحلب على ما كان عليه فى الأيام الأشرفية، عوضًا عن صلاح الدين بن سابق.

وفيه خلع أيضًا على جمال الدين يوسف بن أحمد الباعونى^(٣) واستقر فى قضاء

(١) سبق ترجمتها.

(٢) سويس: بلدة على ساحل بحر القلزم (الأحمر حاليا) من نواحي مصر، وهو ميناء أهل مصر اليوم إلى مكة والمدينة. انظر معجم البلدان ٣/٣٨٦.

(٣) يوسف بن أحمد الباعونى (٨٣٢هـ=١٤٢٩م) يوسف بن أحمد بن ناصر بن خليفة الباعونى المقدسى الشافعى، ثم الصالحى الدمشقى، أبو المحاسن، جمال الدين: فاضل. مولده بالقنس، ومنشأه ووفاته بدمشق تعلم بها وبالقاهرة. وولى كتابة السر بصفد ثم القضاء بها. وتنقل فى القضاء بين طرابلس ودمشق وحلب، وحمدت سيرته. ولما عزل قال الشهاب المنصورى: «يقول منصب حكم الشرع: كيف جرى حتى يغير جمال الدين باعونى؟» ومات منفصلا عن القضاء. كان فقيه النفس، سريع النظم مع حسنه - كما يقول السخاوى - بدأ ينظم «المنهاج» للنووى، ولم يكمله، وشرع فى عمل «كتاب» على نمط «عنوان الشرف الوافى» بزيادة علم الهندسة، فكتب منه أوراقا وتركه. انظر نظم العقيان ١٧٨ والضوء اللامع ١٠:٢٩٨ وصفحات لم تنشر من بدائع الزهور ١٥٦ وحوادث الدهور، لابن تغرى بردى: انظر فهرسته. الأعلام ٨-٢١٥.

طرابلس، وكان ولي منذ أيام رجل من أهل دمشق يعرف بابن الزهرى وتوجه من القاهرة، فعزل بابن الباعونى قبل وصوله إلى طرابلس، وكلاهما تكلف مالا، ولا قوة إلا بالله.

وقدم الخبز بأن دوكات ميلان - يعنى صاحب ميلان - وهى طائفة من الفرنج، تجاوز مملكة البندقية، ولم يزالوا يحاربونهم، ولدوكات هذا مملكة متسعة، وله سطوة، ويوصف بعقل ومعرفة، وكان قد ملك جنوه مدة، ثم انتزعت منه فى سنة أربعين وثمانمائة، فلما كان فى هذه الأيام كتب إلى البابا برومية يسأله ويرغب إليه فى أن يجتمع به فى محفل يجتمع فيه القسيسون والرهبان وأعيان الروم والفرنج؛ ليتفقوا جميعاً على أمر دينى يعقدوه، فأجابه إلى ذلك، فساروا جميعاً حتى توافوا على فرارة - وهى فى طرف مملكة دوكات ميلان بجوار مملكة فرنيتين، وكان ذلك جمعاً عظيماً بحيث ضاق بهم الفضاء، فساروا بأجمعهم ونزلوا أرض مدينة فرنيتين، وذلك فى فصل الصيف وفصل الخريف، ثم افترقوا، وعاد كل منهم إلى وطنه، فبينما الدوك سائر إذ طرقة البنادقة على حين غفلة، فكانت بينهما وقعة عظيمة، قتل فيها ما شاء الله، وانهزم دوكات أقبح هزيمة، وقد فنى معظم عسكره ونهبت أمواله، والله الحمد، فإنه يقال إن اجتماعه بالبابا كان بسبب محاربه للمسلمين، وأن يفوض إليه التصرف والحكم، فكفى الله أمره.

وفى ثالث عشره: خلع على القاضى علاء الدين على بن محمد بن سعد المعروف بابن خطيب الناصرية، وأعيد إلى قضاء حلب، وكان قدم القاهرة وعزل ابن الجزرى.

وفى يوم الجمعة: استقر وجود الخبز بجوانيت الأسواق بعد ما كان تعذر وجوده خمسة عشر يوماً بعامه أسواق القاهرة ومصر والجزيرة، وتكالب الناس على طلب الدقيق من الطواحين، وكثر ازدحامهم على أبوابها، وقل وجود الغلال، وارتفع سعرها، حتى بلغ سعر القمح ثلاثمائة درهم الأردب. وتجاوزت البطة من الدقيق مائة درهم، وقل مع ذلك وجود الشعير والفلو والتبن، فقلق أرباب الدواب، وعزت المأكولات، لاسيما الألبان، فإننا لم نعهد فيما أدركناه من الغلوات أن اللبن قل كما قل فى هذه السنة، والله عاقبة الأمور.

شهر رمضان، أهل بيوم الجمعة:

والقمح بثلاثمائة وثلثين درهماً الأردب، والبطة من الدقيق بمائة عشرة دراهم، والخيول مرتبطة على البراسيم، وقد بلغ الفدان البرسيم زيادة على ألفى درهم، وقل وجود اللحم من الضأن بالأسواق عدة أيام فى هذا الشهر، ولم يكد يوجد السمن ولا

عسل النحل، هذا مع علو النيل وطول مكته، ومع ذلك فلم تنجب عدة أنواع من الزروع، كاللفت، والفجل، والكزبرة، ونحو ذلك.

وفي حادى عشره: رسم بعزل معين الدين عبد اللطيف^(١) بن شرف الدين أبى بكر الأشقر من كتابة السر بحلب، وأضيفت لابن السفاح مع نظير الجيش، على مبلغ ستة آلاف دينار يقوم بحملها.

وفي ثامن عشره: رسم لوالى القاهرة أن يستخدم مائة ماش يسعون فى ركابه، وبين يديه إذا ركب، ونودى بالأى يخرج أحد من المماليك السلطانية بالليل، وكانت الإشاعة بين الناس قد قويت باختلاف أهل الدولة.

وقدم الخبر بأن الأمير جلبان نائب الشام ركب فى الموكب يوم السبت تاسعه على العادة، فوققت العامة له تستغيث من غلاء اللحم، فإنه بلغ الرطل سبعة دراهم بعد ثلاثة دراهم، فلم يلتفت لهم، بل أمر مماليكه بضربهم، وكان جمع العامة كثيرا فما هو إلا أن ضرب بعضهم إذا هم قد رجحوا النائب ومن معه رجما متتابعاً، فانهزم منهم من باب الجابية^(٢) وقد ركبوا قفاه، وأقفيه أصحابه، حتى عبروا من باب النصر إلى دار السعادة، وأغلق أبوابها، فتسوروا الحيطان، وعبثوا بطبلخاناته يدقوها، وجمعوا الأحطاب وألقوها

(١) عبد اللطيف بن أبى بكر بن سليمان (٨١٢ - ٨٦٣ هـ = ١٤٠٩ - ١٤٥٨ م) القاضى معين الدين بن القاضى شرف الدين الحلبي الأصل، المصرى المولد والمنشأ، الشافعى، نائب كاتب السر بالديار المصرية، وكاتب سر حلب، وابن كاتب سرها، المعروف بابن العجمى، وابن شرف الدين الأشقر. مولدها بالقاهرة فى سنة اثنتى عشرة وثمانائة تحمينا، ونشأ بها تحت كنف والده، وحفظ القرآن العزيز، وصلى بالناس فى سنة أربع وعشرين، وحفظ عدة مختصرات، وتفقه على الشيخ شرف الدين السبكي، وقرأ المعقول على شيخنا العلامة تقى الدين الشمنى، وعلى الشيخ شمس الدين الرومى، وكتب الخط المنسوب، وشارك فى الفقه والعربية، وتدرّب بوالده وغيره، وكتب فى التوقيع بديوان الإنشاء بالديار المصرية، وخدم عند الأمير تمرّاز القرمشى رأس نوبة النوب، ثم ولى كتابة سر حلب بعد عزل والده فى أواخر الدولة الأشرافية برسباى، فباشر كتابة سر حلب على أحسن وجه، وحظى عند نائبها الأمير تغرى برمش بن أحمد، واستمر إلى أن توفى الملك الأشرف، وخرج تغرى برمش المذكور عن طاعة الملك الظاهر حقمق فعرف المکور كيف سار فى تلك الأيام حتى طلب إلى الديار المصرية وعزل عن كتابة سر حلب وعاد إلى توقيع الدست بالقاهرة، واستمر على ذلك إلى أن توفى والده القاضى شرف الدين الأشقر فى شهر رمضان سنة أربع وأربعين وثمانائة وأخلع عليه واستقر عوضه فى نيابة كتابة السر بالديار المصرية. انظر المنهل الصافى ٣٥٢/٧، ٣٥٣. والدليل الشافى ٤٢٦/١، النجوم الزاهرة ٢٠٦/١٦، الضوء اللامع ٣٢٥/٤.

(٢) الجابية: هى قرية من أعمال دمشق ثم من عمل الجيدور من ناحية الجولان قرب مدرج الصفر فى شمالى حوران. انظر معجم البلدان ٩١/٢.

ليضرموا النار فيها، فأدركه الأمراء والقضاة، وكتبوا محضرا بصورة الحال، وبعثوا به إلى السلطان، وتلطفوا بالعامه حتى تفرقوا، فورد المحضر في يوم الجمعة ثانی عشرینه، فاشتد غضب السلطان على عامه دمشق، وجمع فی يوم الأحد رابع عشرینه أمراء الدولة، واستدعى بالقضاة الأربع فحضر قاضی القضاة سعد الدين سعد الديرى الحنفى، وقاضى القضاة بدر الدين محمد التنسى المالکى، وتأخر حضور قاضى القضاة شيخ الإسلام شهاب الدين أبى الفضل أحمد بن حجر الشافعى، وقاضى القضاة محب الدين أحمد الحنبلى، حتى حنق السلطان، وأمر فقري المحضر الوارد من دمشق، وأخذ يعدد لعامه دمشق ذنوبًا، منها قيامهم مع أینال الحكمی مدة عصيانه، ونهبهم بيوت الأمراء، وقتلهم جلبان شيخ كرك نوح، وصمم على وضع السيف فيهم، واستلحامهم^(١) عن آخرهم، فكثرت مراجعة الأمراء فى طلب العفو عنهم، والتأنى بهم، إلى أن تقررت الحال على أن يجهز للنائب تشريف وفرس بقماش ذهب، وتقوى يده، وأن يكذب بالإنكار على العامه وتهديدهم، وبينما هم فى ذلك إذ استؤذن على القاضيين أحمد بن حجر ومحب الدين البغدادى، فلم يؤذن لهما، وأظهر السلطان الغضب لبطئهما، وانفض الجمع.

وفيه رسم بعزل الونائى، واستقرار ابن قاضى شهبه فى قضاء دمشق عوضه، ورسم بحضور الأمير أینال الششمانى والأمير الطنبغا الشرفى، وجهزت المراسيم بذلك، وأن يقرأ كتاب العامه فى يوم الجمعة بجامع بنى أمية.

وفى هذا الشهر: ختمت قراءة صحيح البخارى بالقصر من قلعة الجبل بمحضرة السلطان، وخلع على قضاة القضاة الأربع، ومشايخ العلم الحاضرين، وفرقت صرر الدراهم فى جميع من حضر، وزادت عدتهم فى هذه السنة عن عدة الحاضرين عن السنين الماضية زيادة كبيرة.

وفى ثامن عشرینه: خلع على الأمير علاء الدين على بن محمد بن الطبلاوى والى القاهرة - كان - واستقر نقيب الجيش، بعد موت ناصر الدين محمد أمير طبر.

وفيه ورد كتاب الأمير ناصر الدين محمد بن منجك من دمشق، يخبر بورود كتاب القاضى زين الدين عبد الباسط إليه من مكة يشكو من ثقل الإقامة عليه بمكة، وأنها لم توافقه ولا أهله، وأنه يرغب فى النقلة من مكة إلى القدس، فما زال القاضى كمال الدين محمد بن البارزى يتلطف بالسلطان حتى سمح بذلك، فكتب لابن منجك بأنه إذا توجه للحج فى الموسم ينقله بأهله وولده ومملوكه الأمير جانبك إلى القدس، على أنه يكون

(١) يقال: لحم رجلا من العدو: قتله. انظر لسان العرب (لحم).

فى ضمائه، وكتب إلى الشريف بركات أمير مكة بذلك، وجهزت الكتب إلى ابن منجك.

وفى هذا الشهر - والذى قبله - وقع بالطائف^(١) ووج^(٢) ولية^(٣) وعامة بلاد الحجاز، وباء عظيم، هلك من ثقيف وغيرهم من العرب عالم لا يحصيهم إلا خالقهم، بحيث صارت أنعامهم هملاً، وأخذها من ظفر بها. وامتد الوباء إلى نخلة على يوم من مكة.

شهر شوال، أوله السبت:

فى هذا الشهر: انحل سعر الغلة، وكثر وجودها، وأبيع القمح من مائتى درهم إلى مائتين وخمسين درهماً الأردب.

فى هذا الشهر: انحلت أسعار الغلال، ودخلت الغلة الجديدة، ثم بعد أيام تحرك سعر الغلال وارتفع ثم اتضع.

وفى يوم الخميس رابعه: عقد السلطان على الخاتون بنت الأمير ناصر الدين محمد بيك بن دلغادر، بعد أن حمل لها المهر ألف دينار وشقق حرير وغير ذلك، وكانت تحت الأمير جانبك الصوفى، وأتت منه بابنة لها من العمر نحو الثلاث سنين.

وفيه خلع على الشيخ على بن العجمى - أحد خواص السلطان - كاملية بفرو سمور، واستقر فى حبة مصر، فسار فيها سيرة حسنة، بعفة ونهضة.

وفيه نودى بعرض أجناد الخلة، فابتدئ بعرضهم على السلطان فى يوم السبت سادسه، فامتنعهم فى رمى النشاب، وأكد عليهم فى تعليمه، ولم يبد لهم منه إلا الجميل، ثم فوض عرضهم إلى الأمير تغرى بردى الدودار.

واتفق فى هذا الشهر حادث شنيع، وهو أن السلطان يريد أن تكون تصرفاته على مقتضى أهل العلم، وهو يعلم أن القان معين الدين شاه رخ ملك المشرق كان يبعث بالإنكار على الأشرف برسباى لأخذه بجدة ساحل مكة من التجار الواردين إليها من

(١) الطائف: مخلاف من مخاليف مكة على مرحلتين من مكة، وقيل بينهما ستون ميلاً، وهى إحدى القريتين المذكورتين فى القرآن، وكان اسم الطائف وج، سميت بوج بن عبد الحى من العمالقة، ثم سكنتها ثقيف، فبنوا عليها حائطاً مطيفاً بها فسموه الطائف. انظر معجم البلدان ٩/٤ وما بعدها، والروض المعطار ٣٧٩، ٣٨٠، ونزهة المشتاق ٥١، وفى صبح الأعشى ٢٥٨/٤.

(٢) وج: موضع عند الطائف، وقيل هو الطائف ذاتها. انظر معجم البلدان ١٠/٤.

(٣) لية: موضع من نواحي الطائف. انظر معجم البلدان.

الهند والصين، وهو من عشور أموالهم. وأن ذلك من المكس المحرم أخذه، فنمق بعض الفقهاء سؤالاً يتضمن أن التجار المذكورين كانوا يردون إلى عدن من بلاد اليمن فيظلمون بأخذ أكثر أموالهم، وأنهم رغبوا في القدوم إلى جدة ليحتموا بالسلطان، وسألوا أن يدفعوا عشر أموالهم، فهل يجوز ذلك منهم فإن السلطان يحتاج إلى صرف مال كبير في عسكر يبعثه إلى مكة، فكتب قضاة القضاة الأربع بجواز أخذه وصرفه في المصالح، وتمحلوا لذلك ما قووا به فتواهم.

فانطلقت الألسنة بالوقية في القضاة، وأنهم اعتادوا اتباع أهواء الملوك، خوفاً على مناصبهم أن يعزلوا منها، وأن هذه الفتوى بهذه الحادثة من جنس ما تقدم من الفتاوى في قرقماس يخشى بك وإيمان الممالك وأى فرق بين ما يؤخذ بقطياً من التجار الواردين من بلاد الشام والعراق، وما يؤخذ بالإسكندرية من التجار، وما يؤخذ بالقاهرة ومصر ودمشق وسائر بلاد الشام من الناس عند بيعهم العبيد والإماء والخيل والبغال والحمير والجمال وغير ذلك، وبين ما يؤخذ من أموال التجار الواردين إلى جدة فإن كل أحد يعلم أن ذلك كله مكس لا يحل تناوله ولا الأكل منه، وأن الأكل منه فاسق، لا تقبل شهادته لسقوط عدالته، ولكن الهوى يعمى ويصم، وما كفتهم وما أغنتهم هذه الحالة حتى بعثوا بالفتاوى، فقرئت بالمسجد الحرام على رعوس الأَشهاد، ليقضى الله أمراً كان مفعولاً.

وفي يوم الخميس عاشره: كتب باستقرار برهان الدين إبراهيم بن الباعوني في خطابة الجامع الأموي بدمشق، عوضاً عن ابن قاضي شهبه.

وفي سادس عشره: قدمت رسل ملك الروم خونند كار مراد بن محمد كرشجى بن بايزيد بن عثمان.

وفي ثامن عشره: قدم الأمير أينال الششمانى، والأمير أَلطنبغا الشريفي من دمشق.

وفيه خلع على ناصر الدين محمد بيك بن دلغادر خلعة السفر، وسافر يوم الإثنين ثانى عشرينه، بعد أن بلغت النفقة عليه ثلاثين ألف دينار.

وفيه حضرت رسل مراد بن عثمان وقت الخدمة بالقصر، وقدموا هديته، وهى عشرة ممالك، وثياب حرير، وفرو سمور، وغير ذلك مما تبلغ قيمته نحو خمسة آلاف دينار، وتضمن كتبه السلام، وتهنئة السلطان بجلوسه على تخت الملك، وإن تأخر إرساله بالتهنئة لاشتغاله بمحاربة بنى الأصفر حتى ظفره الله بهم.

وفيه رسم بفك قيد الأمير أينان، ونقله من سجنه بصفد إلى موضع أوسع منه، وأن يتوجه إليه من جواربه من تخدمه.

شهر ذى الحجة الحرام، أوله يوم الثلاثاء:

فيه خلع على نور الدين على بن أقرس، أحد نواب الشافعية، واستقر فى نظر الأوقاف، عوضاً عن تقى الدين بن تاج الدين عبد الوهاب بن نصر الله، وهذا الرجل نشأ بالقاهرة فى سوق العنبرانيين^(١) وطلب العلم، وناب فى الحكم عن المحافظ قاضى القضاة شهاب الدين أبى الفضل أحمد بن حجر، وصحب السلطان منذ سنين، وصار ممن يتردد إلى مجلسه أيام سلطنته، فداخل الناس منه وهم كبير، ولم يبد منه إلا خيراً.

وفى يوم الأربعاء سادس عشره: نودى بمنع المعاملة بالدراهم الأشرفية، وأن تكون المعاملة بالدراهم الظاهرية الجدد، وهدد من خالف ذلك، فاضطرب الناس لتوقف أحوالهم فى المبيعات، فنودى آخر النهار بأن الفضة الأشرفية تدفع إلى الصيارف بسعرها، وهو كل درهم بعشرين درهماً من الفلوس، وأن تكون المعاملة بالظاهرية الجدد، وهى دراهم ضربت باسم السلطان، على أن يكون وزن كل درهم فضة بأربعة وعشرين درهماً من الفلوس، وجعلت عددًا لا وزنًا، فمنها ما هو نصف درهم عن اثنا عشر درهماً ومنها ما هو ربع درهم فيصرف بستة دراهم، على أن كل دينار من الدينار الأشرفية - التى هى الآن النقد الرائج - بمائتين وخمسة وثمانين درهماً من الفلوس وكانت الصيارف قد جمعت، ودفع إليها من الدراهم الظاهرية المذكورة جملة ليفرقوها فى الناس، فجلسوا لذلك، وصاروا يأخذون الأشرفية على عاداتها بعشرين درهماً، كل درهم وزنًا، ويعوضون عنها من الظاهرية الجدد كل درهم بأربعة وعشرين، لكنها بالعدد لا بالوزن.

ثم يدخلون بالأشرفية إلى دار الضرب ويعيدونها ظاهرية، هذا والناس مع ذلك يتعاملون فى بيعهم وشراهم وقيم أعمالهم بالأشرفية على عاداتهم وزنًا، فصار للناس بالقاهرة ستة نقود، ثلاثة من الذهب، واثنان من الفضة، وواحد من الفلوس، فأما الذهب فإنه هرجة، وهو قليل جدا، وأفرنتى من ضرب الفرنج، وقد قل عما كان عليه منذ أخذ الأشرف برسباى فى ضرب الأشرفية وسبك الأفرنتية وإعادتها أشرفية، والنقد الثالث من الذهب الدينار الأشرفية وهى النقد الرائج، وقد كثرت بأيدى الناس لاسيما منذ أنفق السلطان ذخائر الأشرف فى الممالك وغيرهم.

(١) يقع بين سوق الحرير وبين قيسارية العصف، تجاه الخراطين. انظر المواعظ والاعتبار ١٠٢/٢.

وأما الفضة فإن الدراهم الأشرافية دائرة فى أيدى الناس على ما هى عليه وزنا لعشرين درهما كل درهم، والدراهم الظاهرية الجدد يتعامل بها عددا بحسب كل درهم بأربعة وعشرين درهما، وأما الفلوس الأشرافية والظاهرية، فإنها عددا لا وزنا، يعد فى كل درهم ثمانية فلوس، فيصرف الدرهم الأشرافى بمائة وستين فلسا، ويصرف الدرهم الظاهرى الجديد بمائة واثنين وتسعين فلسا، وإذا اعتبرت بالوزن كان كل رطل منها بستة وثلاثين درهما من الفلوس، ولا أعلم أنه وقع فى تعدد النقود المتعامل بها مثل ذلك، وإنما كان الناس قديما وحديثا نقدهم الرائج الذى تنسب إليه أثمان المبيعات وقيم الأعمال الذهب المهرجة المضروب بالسكة الإسلامية، ومع هذا الذهب الدراهم والفلوس، ثم كثرت الدراهم الكاملة والظاهرية بمصر والشام والحجاز فى الدولة التركية، حتى صارت هى النقد الرائج، وإليها ينسب سعر الدينار المهرجة وأثمان المبيعات كلها وقيم الأعمال بأسرها، والفلوس مع ذلك إنما هى لشراء المحقرات من المبيعات.

فلما أكثر الأمير محمود الأستادار - فى الأيام الظاهرية برقوق - من ضرب الفلوس، صارت الفلوس هى النقد الرائج دون الذهب والفضة، ونسب إليها سعر الدينار الذهب والدرهم الفضة، وجميع أثمان المبيعات بأسرها، وعامة قيم الأعمال إلى أن ضرب المؤيد شيخ الدراهم، صار للناس ثلاثة نقود وهى الذهب والفضة والفلوس.

وكان الذهب أربعة أقسام: هرجة وهو قليل جدا، وسالمى وهو قليل لا يوجد منه إلا فى النادر، وأفرنتى وهو كثير جدا قد طبق الأرض وكثر بعمامة بلاد الله، والدينار الناصرى وهو أقل من الأفرنتى، والنقد الثانى الدراهم المؤيدية وتعامل الناس بها عددا لا وزنا، والنقد الثالث الفلوس، ويتعامل بها وزنا كل رطل بستة دراهم، وربما زاد الرطل عن الستة دراهم، وهذه الفلوس هى النقد الرائج المنسوب إليه أثمان المبيعات وقيم الأعمال، وأراد المؤيد شيخ أن يجعل قيم الأعمال وأثمان المبيعات منسوبة إلى الدراهم المؤيدية، فعمل ذلك مدة يسيرة، ثم عادت الفلوس هى المنسوب إليها قيم الأعمال وثمان المبيعات فلما كانت الأيام الأشرافية برسباى، وضرب الدراهم الأشرافية عملها وزنا كل درهم بعشرين درهما من الفلوس، فبطلت الدراهم المؤيدية.

وضرب أيضا الدنانير الأشرافية، وجد فى إبطال الدنانير الأفرنتية، حتى قلت، وجدد أيضا ضرب الفلوس الأشرافية عددا، ومات والنقود على هذا، فما زالت كذلك حتى جدد السلطان الآن هذه الدراهم الظاهرية الجدد، وقد تقدم فى هذا الكتاب تفصيل هذه الجملة فى أوقاتها.

وفي ثاني عشرينه: خلع على غرس الدين خليل بن أحمد بن علي السخاوي - أحد خواص السلطان - واستقر في نظر القدس والخليل عوضا عن الأمير طوغان نائب القدس، وهذا الرجل قدمت به وبأخيه أمهما إلى القدس صبيان، فنشأ بها، ثم قدم القاهرة واستوطنها مدة وعانى المتجر وتعرف بالأمير جقمق وصحبه سنين، وتحدث في إقطاعه وما يليه من نظر الأوقاف، فعرض بالنهضة، وشهر بالخير والديانة، فلما تسلطن الأمير جقمق لازم حضور مجلسه حتى ولاه نظر القدس والخليل.

وفي هذا اليوم: توجه الأمير علاء الدين علي بن أينال^(١) - أحد خواص السلطان - إلى ملك الروم مراد بن عثمان بهدية جليلة.

وفيه قدم مبشرو الحاج، وأخبروا بسلامة الحجاج، وأن كراء الجمال بلغ الغاية لكثرة من يمكة من المجاورين، بحيث بلغ كراء الجمل أربعين ديناراً. وأن الشريف بركات بن حسن بن عجلان أعفى من تقبيل خف جمل المحمل، فشكر هذا من فعل السلطان، وأن الفتاوى الذي تقدم ذكرها بسبب أخذ العشور من التجار بجدة قرئت بالمسجد الحرام على رعوس الأشهاد، وقرئ المرسوم السلطاني أيضا بالألا يؤخذ من التجار الواردين في البحر إلى جدة سوى العشر فقط، ويؤخذ صنفا لا مالا من كل عشرة واحد، وأن يبطل ما كان يؤخذ سوى العشر من رسوم المباشرين ونحوهم، فكان هذا من جميل ما فعل، ورسم أيضا بأن تمنع الباعة من المصريين الذين سكنوا مكة وجلسوا بالخوانيت في المسعى وحكروا المعاش، وتلقوا الجلب من ذلك، وأن يخرجوا من مكة، فشكر ذلك أيضا، فإن هؤلاء الباغين كثر ضررهم، واستقروا بحماية المماليك لهم، فغلوا الأسعار وأحدثوا يمكة ما لم يعهد بها، وعجز الحكام عن منعهم لتقوية المماليك المجردين لهم. مما يأخذونه منهم من المال.

وفي تاسع عشرينه: أفرج عن ابن أبي الفرج أستاذار، وخلع عليه.

وفي هذا العام: جرت حروب بأفريقية من بلاد المغرب، وذلك أنه لما مات أبو فارس عبد العزيز، وقام من بعده حفيده المنتصر أبو عبد الله محمد بن أبي عبد الله ولي عمه أبا الحسن علي بن أبي فارس بجاية وأعمالها، فلما مات المنتصر، وقام من بعده أخوه أبو عمرو عثمان بن أبي عبد الله، امتنع عمه أبو الحسن من مبايعته، ورأى أنه أحق منه، ووافقه فقيه بجاية منصور بن علي بن عثمان - وله عصبية وقوة - فاستبد بأمر

بجاية وأعمالها، فسار أبو عمرو من تونس في جمع كبير لقتاله، فالتقيا قريبا من تبسة^(١) وتحاربا، فانهزم أبو الحسن إلى بجاية، ورجع أبو عمرو إلى تونس، ثم خرج أبو الحسن من بجاية، وضم إليه عبد الله بن صخر من شيوخ إفريقية، ونزل بقسطنطينة وحصرها وقاتل أهلها مدة، فسار إليه أبو عمرو من تونس في جمع كبير، فلما قرب منه سار أبو الحسن عائدا إلى جهة بجاية، فتبعه أبو عمرو حتى لقيه وقاتله، فانهزم منه بعد ما قتل أبو الحسن عدة من أصحابه، وعاد كل منهما إلى بلده، فلما كان في هذه السنة أعمل أبو عمرو الحيلة في قتل عبد الله بن صخر حتى قتله، وحملت رأسه إليه بتونس، ففت ذلك في عضد أبي الحسن، ثم جهز أبو عمرو العساكر من تونس في إثر ذلك، فنازلت بجاية عدة أيام، حتى خرج الفقيه منصور بن علي إلى قائد العسكر، وعقد معه الصلح ودخل به إلى بجاية، وعبر الجامع وقد اجتمع به الأعيان.

وجاء أبو الحسن ووافق على الصلح وأن تكون الخطبة لأبي عمرو، ويكون هو ببجاية في طاعته، وترجع العساكر عن بجاية إلى تونس، فلما تم عقد الصلح أقيمت الخطبة باسم أبي عمرو، وعادت العساكر تريد تونس فبلغهم أن أبا عمرو خرج من تونس نحوهم لقتال أبي الحسن، فأقاموا حتى وافاهم، ووقف على ما كان من أمر الصلح، فرضى به، وأخذ في العود إلى جهة تونس، فورد عليه الخير بأن أبا الحسن خاف على نفسه من أهل بجاية، فخرج ليلا حتى نزل جبل عجيسة^(٢) فأقر عساكره حيث ورد عليه الخير، وسار جريدة في ثقاته، ودخل مدينة بجاية، فسر أهلها بقدمه، وزينوا البلد، فرتب أحواها واستخلف بها أصحابه، وعاد إلى معسكره، واستدعى شيوخ عجيسة فأتاه طائفة منهم فأرادهم على تسليم أبي الحسن إليه، وبذل لهم المال، فأبوا أن يسلموه، فتركهم وعاد إلى تونس فكثر جمع أبي الحسن بالجليل، وأقام به مدة، ثم خاف من عجيسة أن تغدر به، ولم يأمنهم على نفسه، فسار ونزل جبل عياض قريبا من الصحراء، والله عاقبة الأمور.

وفي هذا الشهر: قدم عسكر من مدينة طرابلس، فنزلوا قلعة الكهف ومدبنتها - وبها إسماعيل بن العجمي أمير الإسماعيلية - مدة أيام، حتى أخذوها، وهدموا القلعة حتى سورا بها الأرض، وأنعم على إسماعيل المذكور بإمرة في طرابلس، فزالت قلعة الكهف،

(١) تبسة: بلد مشهور من أرض إفريقية، بينه وبين قفصة ست مراحل في قفر سببية وهو بلد قديم به آثار الملوك، وقد خرب الآن. انظر معجم البلدان ١٣/٢.

(٢) بنى عجيسة: هم بطن من البرانس من البربر، مساكنهم ببلاد المغرب. انظر نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب ص ٣٢٥.

وكانت أحد الحصون الإسماعيلية المنيعه وذلك بسعاية ناصر الدين محمد، وحجى، وفرج، أولاد عز الدين الداعى.

* * *

ومات فى هذه السنة ممن له ذكر

الأمير أقبغا التمرازى نائب الشام^(١) وهو من ممالك الأمير تمتاز أحد ممالك الظاهر برقوق، ترقى بعد موت أستاذه حتى صار من الأمراء، وولى نيابة الإسكندرية مدة، ثم عاد إلى القاهرة، حتى ولى نيابة الشام فلم تطل مدته بها حتى مات فى يوم السبت سادس عشر شهر ربيع الآخر من غير تقدم مرض، بل ركب ولعب بالكرة فى الميدان، ثم لعب بالرمح، وإذا به مال عن سرجه، فتلقوه ووضعوه فى بيت، ثم حملوه - وهو غائب - إلى دار السعادة فمات فى آخر النهار، وكان مشهورا بالفروسية، معروفا بالديانة، وقيام الليل، والعقل، والتؤدة.

ومات الأمير يلبغا البهاى نائب الإسكندرية، فى يوم الخميس ثالث عشر جمادى الأولى.

ومات الأمير طوخ مازى نائب غزة، وأحد الممالك الناصرية فرج، فى ليلة السبت خامس شهر رجب، ومستراح منه، فقد كان من شرار خلق الله، فسقا، وظلما، وطمعا^(٢).

ومات الأمير قطج الناصرى^(٣) فى يوم الإثنين ثامن عشر شهر رمضان، وهو أحد الممالك الناصرية فرج، ترقى فى الخدم حتى صار من الأمراء مقدمى الألف ثم أخرج إلى الشام فتنقل فى إمرىات بحلب ودمشق، ثم قدم القاهرة وواعد بإمرة، فلم تطل إقامته حتى مات، وترك مالا جزيلا، وكان من الشح المفرط والطمع الزائد فى غاية يستحى من ذكرها.

ومات الأمير ناصر الدين محمد أمير طبر ونقيب الجيش، ليلة الخميس ثامن عشرين رمضان، وكان مشكورا.

ومات قاضى حلب علاء الدين على بن محمد بن سعد بن محمد بن على بن

(١) انظر النجوم الزاهرة ٢١٣/١٥ وما بعدها.

(٢) انظر النجوم الزاهرة ٢١٥/١٥.

(٣) هو سيف الدين قطج بن عبد الله بن تمتاز الظاهرى.

عثمان^(١) المعروف بابن خطيب الناصرية الحلبي الشافعي، في ليلة الثلاثاء تاسع ذي القعدة بحلب، ومولده سنة أربع وسبعين وسبعمائة، وكان بارعا في الفقه والأصول والعربية، مشاركا في الحديث والتاريخ، وغير ذلك مع الرياسة، وشهرة الذكر، وكثرة المال. قدم القاهرة غير مرة، وبلونا منه علما جما واستحضارا كثيرا، مع الإتقان وحسن المحاضرة، ولم يخلف بعده بحلب مثله، وكتب تاريخا لحلب، ذيل به على تاريخ ابن العديم.

ومات جمال الدين محمد بن أحمد بن محمد بن محمود بن إبراهيم بن أحمد بن روزبة الكازروني^(٢) الأصل، المدني المولد والمنشأ والوفاء، الشافعي، في يوم الأربعاء عاشر ذي القعدة، بالمدينة النبوية، ودفن بالبقيع، مولده في ليلة الجمعة سابع عشر ذي القعدة، سنة سبع وخمسين وسبعمائة بالمدينة. برع في الفقه وغيره، وولى قضاء المدينة مدة يسيرة، ثم عزل، ولم يعد إلى ولايتها و قدم القاهرة مرارا، وصحبنى سنين، رحمه الله.

ومات مجد الدين ماجد بن النحال كاتب الماليك، في ليلة السبت سادس ذي الحجة، وكان من نصارى مصر، وتخرج في الحساب على الأسعد البحلاق، وخدم بديوان الأمير نوروز الحافظي بدمشق، ثم بديوان الأمير جقمق الدوادار في أيام المؤيد شيخ، وأظهر الإسلام، ثم ولى كتابة الماليك، ولا دين ولا دنيا.

ومات نائب الكرك الأمير أقبغا التركماني، وهو في السجن بالكرك.

ومات سودون المغربي متولى دمياط بالقاهرة بطالا، وقد أعيد من النفي في ذي الحجة، وكان عفيفا عن الفواحش.

* * *

(١) على بن محمد بن سعد (٧٧-٨٤٣هـ = ١٣٧٢-١٤٤٤م) على بن محمد بن سعد بن محمد بن علي، أبو الحسن، علاء الدين الطائي الجبريني المعروف بابن خطيب الناصرية: مؤرخ، من القضاة. من أهل حلب مولدا ووفاء أصله من بيت حجرين الفستق بشرقي حلب. من كتبه «الدر المنتخب في تاريخ حلب» «وسيرة المؤيد» وتفسير الفاتحة وغير ذلك.

انظر الضوء اللامع ٣٠٣/٥، البدر الطالع ٤٧٦/١، أعلام النبلاء ٢٢٤/٥ كشف الظنون ٢٤٩/١ نهر الذهب ٩/١. الأعلام ٨/٥.

(٢) نسبة إلى كازرون وهي مدينة بفارس بين البحر وشيراز. انظر معجم البلدان ٤٢٩/٤

سنة أربع وأربعين وثمانمائة

أهلت هذه السنة، والخليفة المعتضد بالله أبو الفتح داود بن المتوكل، وسلطان الإسلام الملك الظاهر سيف الدين أبو سعيد جقمق، والأمير الكبير يشبك الظاهري ططر، وأمير سلاح الأمير تمتاز القرمشي، وأمير مجلس الأمير جرباش الكرمي قاشق، والمقام الناصري محمد ابن السلطان أحد مقدمي الألو، والدوادار الكبير الأمير تغري بردى البكلمشي ويعرف بالمؤذي، وأمير أخور كبير الأمير قراجا الحسن الناصري، وحاجب الحجاب الأمير تنبك بن تنبك، ورأس نوبة الأمير تمرباي الظاهري ططر، وبقية الأمراء المقدمين الأمير أيتال العلوي الأجرود، والأمير شادي بك الظاهري ططر، والأمير أظنبا المرقبي، والأمير أسنبا الطياري - وهو نائب الإسكندرية، ونائب الشام الأمير جلبان المؤيدي، ونائب حلب الأمير قانباي الحمزاوي ونائب طرابلس الأمير برسلباي الناصري، ونائب حماة الأمير برد بك العجمي، ونائب صفد الأمير قانبيه البهلواني، ونائب غزة الأمير طوخ المؤيد، ونائب القدس الأمير طوغان السيفي أظنبا العثماني، ونائب الكرك الأمير مازي، ونائب الوجه القبلي من ديار مصر الأمير محمد الصغير، ونائب البحيرة الأمير قشتمر المؤيدي، وكاتب السر القاضي كمال الدين محمد بن البارزي، وناظر الجيش شيخ الشيوخ محب الدين محمد بن الأشقر، والوزير صاحب كريم الدين ابن كاتب المناخ، وناظر الخاص صاحب جمال الدين يوسف ابن كاتب حكيم، وأستادار الأمير ناصر الدين محمد بن أبي الفرج، وقضاة القضاة على حالهم، والمحتسب الأمير تتم المؤيدي، والوالي الأمير قراجا البواب، والأسعار رعية بحمد الله.

شهر الله المحرم الحرام، أهل بيوم الخميس:

ففي يوم الخميس ثامنة: خلع على طوغان السيفي علان ويقال له رقز، أحد أمراء العشرات، ومن جملة أمراء أخورية، واستقر أستاذار السلطان عوضا عن ابن أبي الفرج، وقبض على ابن أبي الفرج، وعوق بالقلعة إلى يوم الأحد حادي عشره، تسلمه صاحب الوزير كريم الدين ابن كاتب المناخ، ونزل به إلى بيته.^(١)

وفي يوم الإثنين ثاني عشره: خلع على سراج الدين عمر الحمصي^(٢) وأعيد إلى

(١) انظر النجوم الزاهرة ١٥/١٠١.

(٢) هو عمر بن الذين الحمصي ثم الدمشقي أحد فضلاء دمشق في منبهه ممن يستحضر الكثير من الروضة مع الدين والخير وتكسبه من أنوال حرير يدولها . انظر اضواء اللامع ١٣٦/٦.

قضاء القضاة بدمشق، عوضا عن ابن قاضي شهبة. وكان قد قدم إلى القاهرة، وعنى به بعض أهل الدولة، حتى أعيد إلى وظيفة القضاء، وسار من القاهرة إلى محل ولايته بدمشق في عشرينه.

وفي يوم الثلاثاء عشرينه: نودي على النيل بزيادة ثلاثة أصابع، وجاءت القاعدة وهي الماء القديم ست أذرع وأربع أصابع.

وفي يوم الأربعاء حادي عشرينه: قدم الأمير جرباش الكرمي قاشق من الحج، ومعه ابنته زوجة السلطان في ركب من الحاج، وحكى عنه أموراً، منها أنه رسم على قاضي المدينة النبوية ليحضر لخوند ابنته خمسين صاعاً من تمر، فبعد لأي أخذ منه ثلاثين صاع تمر وأشياء من هذا، مع المال الجم والشيوخوخة. ثم قدم من الغد ركب ثان، وقدم محل الحاج بركب ثالث في يوم الجمعة ثالث عشرينه، تمة أربع ركوب، وقد مات جماعة كثيرة في الطريق من حر بسموم محرق، وهلك معظم الجمال، بحيث مشى من لم يعتد بالمشى، ورمى الناس أمتعهم لعجزهم عن حملها، مع عسف أرماء الركب، فكانت رجعتهم مشقة لما نزل بهم من أنواع البلاء.

وفي يوم السبت رابع عشرينه: خلع على زين الدين يحيى الأشقر قريب بن أبي الفرج، واستقر في نظر الديوان المفرد رفيقا للأمير طوغان قز، عوضا عن عبد العظيم بن صدقة وقد قبض عليه ونقل ابن أبي الفرج من تسليم الوزير، وسلم - هو وعبد العظيم للأمير طوغان قز الأستاذار، فعاقب ابن أبي الفرج، وأفحش في عقوبته من غير تحمل ولا احتشام.

وفي يوم الإثنين سادس عشرينه: قبض على بهاء الدين أبي البركات الهيتمي، أحد نواب قاضي القضاة الشافعي، وسجن في البرج بالقلعة، بغير موجب يقتضى ذلك. ثم أفرج عنه.

وفي يوم الجمعة سلخه: أمر شيخ الإسلام قاضي القضاة شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر الشافعي أن يلزم بيته، واستدعى برهان الدين إبراهيم بن شهاب الدين أحمد بن إبراهيم بن الشيخ شهاب الدين أحمد بن معلق أحد نواب القاضي الشافعي حتى خطب بجامع القلعة، وصلى السلطان صلاة الجمعة.

ونقل ابن أبي الفرج من بيت الأمير طوغان قز أستاذار إلى تسليم صاحب برهان الدين إبراهيم ابن كاتب حكيم ناظر الخاص، بعدما حمل عشرة آلاف دينار وتأخر عليه أربعة آلاف دينار، مما ألزم به، وأسلم عبد العظيم إلى الوزير صاحب كريم الدين ابن كاتب المناخ، ليحمل ألفي دينار.

وفي هذه الأيام: وقع الاهتمام بتجهيز تجريدة في البحر لغزو الفرنج.

وفيهما قدم القاضي زين الدين عبد الباسط بأهله وعتيقه الأمير جانبك أستاذار من مكة إلى بيت المقدس، ليقيم به حسب ما رسم له به، فنزل بمدرسته التي أنشأها على مسجد بيت المقدس، فسكن جأشه، لأنه كان كثير القلق وهو بمكة.

شهر صفر، أوله يوم السبت:

في يوم الإثنين ثالثه: خلع على الحافظ قاضي القضاة شهاب الدين أبي الفضل أحمد ابن علي بن حجر الشافعي واستمر على عادته، بعد أن عين شمس الدين محمد الونائي لولاية قضاء القضاة، فقام المقام الناصري محمد ابن السلطان في استقرار الحافظ شهاب الدين حتى استقر، والله الحمد، فوالله ما يبلغ أحدهم في العلم مده^(١) ولا نصيفه، وكان سبب هذه الحادثة أن رجلاً أسند وصيته بعد موته لامرأته، وأقام عليهما ناظرًا سماه في وصيته. ومات الموصي، فأقام القاضي رجلاً يتحدث مع الناظر، فاختلفا وترافعا إلى السلطان فأنكر السلطان إقامة الرجل المتحدث مع الناظر، وسجن أبا البركات الهيتمي من أجل أنه أثبت أهلية المذكور، وأذن له في التحدث مع الناظر في تركة الموصي. وأمر بالرجل المتحدث مع الناظر، فعمل في الحديد، وسجن أيضا فكثرت الشناعة على ابن حجر بلا موجب، إلى أن فوض السلطان أمر تركة الموصي إلى من يشق به من أمرائه، فجمع الناظر على التركة والرجل الذي أقامه القاضي يتحدث معه وحسابهما، فلم يجد في جهة المتحدث مع الناظر شيئا من التركة، وظهر أن تلك الشناعات كلها كذب. فلما تبين للسلطان حقيقة الأمر سكنت حدة غضبه، وأفرج عن الهيتمي وعن الرجل المتحدث مع الناظر، وأقر قاضي القضاة على عادته.

وفي يوم الأربعاء ثاني عشره: قدمت مقدمة القاضي زين الدين عبد الباسط من القدس، على يد دواده أرغون أحد مماليكه، وهي فرسان، وعشرون جملا، وشاشات، وأزر، وصيني، وثياب حرير، وتحت^(٢) يمانى، وغير ذلك مما تبلغ قيمة الجميع نحو الألفي دينار، فقبل السلطان ذلك، وقرئ عليه كتابه، فشكره، وخلع على أرغون.

(١) المَدَّ: مكيال قديم اختلف الفقهاء في تقديره بالكيل المصرى، فقدره الشافعية بنصف قدح، وقدره المالكية بنحو ذلك، وهو رطل وثلاث عند أهل الحجاز، وعند أهل العراق رطلان، والجمع أمداد، ومداد. وفي المنجد: ضرب من المكابيل سمي بذلك؛ لأنه يمد المكيل بالمكيل مثله. والمد يساوى ١٨ لترا إفريقيا على التقريب. انظر المنجد ص / ٧٥.

(٢) التخت: جمع تخوت: وهو لفظ فارسى، وهو وعاء تصان فيه الثياب، ومكان مرتفع للجلوس أو للنوم، والمقصود هنا المقعد، السرير. انظر المعجم الوسيط ١/ ٨٦، لسان العرب ٤٢٢ المنجد ص ٥٩.

وفيه أفرج عن ابن أبي الفرج، فلزم داره.

وفي يوم الإثنين خامس عشرينه - وهو أول مسرى - : نودى على النيل بزيادة ثلاثين إصبعا، لتتمة أربع عشرة ذراعا وإصبعين، وهذا القدر من الزيادة ومبلغ الأذرع مما يستكثر في أول مسرى والله الحمد.

وفيه خلع على الأمير عيسى بن يوسف بن عمر الهواري أمير هواراة بالصعيد، وقد رضى السلطان عن بنى عمر بن عبد العزيز - أمراء هواراة - ورسم بإحضار أخيه الأمير إسماعيل من سجنه بمدينة الكرك، ليستقر على عادته فى إمرة هواراة، على أن يحمل سبعين ألف دينار، يعجل منها أربعين ألف دينار.

وفي يوم الأربعاء سادس عشرينه: رضى السلطان على الأمير أيتمش الخضرى، وخلع عليه بشفاة بعض الأمراء.

وفي يوم الخميس سابع عشرينه - ورابع مسرى - : نودى بوفاء النيل ست عشرة ذراعا وإصبعين، من سبع عشرة، فركب المقام الناصرى محمد إلى المقياس حتى خلق العامود بين يديه على العادة، ثم فتح الخليج، وكان وفاء النيل فى رابع مسرى من النوادر التى يجب الحمد لله عليها.

شهر ربيع الأول، أوله يوم الأحد:

وفي هذا الشهر - والذى قبله - : كثرت الفواكه والبطيخ، بزيادة فى الطيب والخصب ورخص السعر، والله الحمد.

وفي يوم الإثنين تاسعه: انحدر من ساحل بولاق - ظاهر القاهرة - خمسة عشر غرابا لغزو الفرنج، بأحسن هيئة، وأكمل عدة، وأتم زاد، وفيها من الأجناد والمطوعة جماعة. فعلى الأجناد - وعدتهم مائتان - تغرى برمش الزردكاش من أمراء العشرات، ويونس الحمدي أمير آخور من العشرات أيضا، وسبب هذه التجريدة كثرة عبث المتجرمة من الفرنج، وأخذها مراكب التجار بما فيها، فأنشأ السلطان هذه الأغرابة وشحنها بما تحتاج إليه من العدد والأسلحة والمقاتلة، وسيرها، عسى الله أن يظفرهم، فانضم إليهم طوائف من أوغاد العامة، وأراذل المفسدين، ومن الزعر الجرمين، حتى بلغوا ألفا أو يزيدون. ولم ينفق فى الممالك مال.

وفي يوم الأربعاء حادى عشرينه: ضربت رقبة رجل من سقاط العجم وسفلتهم، وقد ثبت عليه - بشهادة جماعة - قوادح وعظائم أوجبت إراقة دمه شرعا، وكان من

جملة أشياع الأمير قرقماس المقتول، وتكلم في السلطان وفي الأنبياء وغيرهم تعجل به العقوبة ﴿ومن ورائه عذاب غليظ﴾^(١).

وفي يوم الخميس ثاني عشره: خلع على الأمير إسماعيل بن يوسف بن عمر بن عبد العزيز الهواري، واستقر في إمرة هواراة على عادته، وكان قد عزل بيوسف بن محمد بن إسماعيل بن مازن، وسجن وأشيع أنه يقتل، وخرجت العساكر إلى بلاد الصعيد لقتال هواراة، ثم نفى إلى الكرك^(٢)، وسجن بها، فلم تطع هواراة ابن مازن، وجرت مفاسد ببلاد الصعيد آلت إلى فرار ابن مازن وعوده خائباً إلى السلطان، فقام عدة من الأمراء في عود بنى عمر، حتى أجابهم السلطان بعد ما اختلت أحوال البلاد خللاً فاحشاً، والله عاقبة الأمور.

وفي هذه الأيام: رسم بتتبع من في القاهرة وظواهرها من العجم الذين يطوفون بالأسواق وفي الطرقات، يستجدون الناس تارة، ويظهرون الصلاح تارة، فقبض على عدة منهم، فضرب قوم نفى جماعة، وضرر هذه الطائفة كثير جداً فإن كثيراً منهم ينتحلون مذهب الإلحاد، ويصرحون بتعطيل الصانع تعالى^(٣)، وينكرون شرائع الأنبياء، ويجهرون بإباحة المحرمات، فالله يبيدهم، ويعجل بعقوبة من ينصرهم.

وفي يوم الأحد سادس عشره: عمل المولد النبوي بقلعة الجبل بين يدي السلطان على العادة في مثل ذلك.

وفي خامس عشرينه: جهزت كاملية حرير بفرو سمور للقاضي زين الدين عبد الباسط، على يد مملوكه أرغون، وكتب بشكره على تقدمته.

وفيه تأخر المقر الكمالى محمد بن البارزى عن الركوب إلى الخدمة السلطانية، تبرماً بثقل مقابلة الخدمة السلطانية، وطلباً للإعفاء من المباشرة، فأتاه عظماء الدولة يتلافوا خاطرهم، وهو مصمم على ترك المباشرة، فما زالوا به حتى ركب من الغد يوم الأربعاء سادس عشرينه إلى الخدمة، فخلع عليه، ونزل فى موكب جليل إلى داره، وأعيان الدولة وأمائلها بين يديه، فباشر الأمور، ونفذ أحوال الناس على عادته.

(١) سورة إبراهيم الآية ١٧.

(٢) سبق ترجمتها.

(٣) يقصد مذهب المعتلة التي تعطل صفات الله تعالى، فيقولون قائل بلا قول عالم بلا علم ... إلخ تعالى الله عما يصفون علواً كبيراً، فصفاته تحمل على ما زراد بلا تعطيل ولا تكيف ولا تحريف ولا تمثيل ولا تشبيه. انظر العقيدة الواسطية لابن تعجيم، العقيدة التدمرية له، كتاب التوحيد للإمام محمد بن عبد الوهاب.

وفي يوم الأحد سلخه - وهو آخر أيام النسيء (١) - : نودى على النيل بزيادة إصبع لثمة عشرين ذراعا إلا إصبعاً واحداً، وهذا القدر من الزيادة فى مثل هذا الوقت من الشهور القبطية كثير جداً، وهو مما يندر وقوعه، والله الحمد.

وفيه كتب باستقرار صلاح الدين خليل بن محمد بن محمد بن محمد بن سابق الحموى فى كتابة السر بدمشق، عوضاً عن شهاب الدين أحمد بن زين الدين عبد الرحمن العجلونى.

شهر ربيع الآخر، أوله يوم الثلاثاء:

فيه وقع الشروع فى الاهتمام بملاقاته رسل القان معين الدين شاه رخ بن تيمور كركان ملك المشرق.

وفي يوم الإثنين سابعه: خلع على قاضى القضاة بدر الدين محمود العينى الحنفى وأعيد إلى حسبة القاهرة، وكان منذ عزل عن قضاء القضاة الحنفية متوافراً على مباشرة نظر الأحباس.

وفي يوم الثلاثاء ثامنه: وردت مقدمة ثانية من زين الدين عبد الباسط من القدس، وهى ثمانية أفراس، ومائة درهم مينا فضة.

وفي يوم الخميس رابع عشرينه - وخامس عشرين توت (٢) - : انتهت زيادة النيل إلى أحد وعشرين إصبعاً من أحد وعشرين ذراعاً، فشمّل الرى الأراضى وعم به النفع، والله الحمد.

وفي يوم السبت سادس عشرينه: قدم رسل شاه رخ إلى القاهرة، وقد زينت الشوارع لقدمهم، وخرج المقام الناصرى ولد السلطان وعدة أمراء إلى لقائهم. واجتمع الناس لرؤيتهم، فكان يوماً مشهوداً، لم نعهد مثله لقدم الرسل فى الدول المتقدمة، ثم أنزلوا فى دار أعدت لهم، ثم توجهوا من دارهم بخط بين القصرين إلى القلعة فى يوم الإثنين ثامن عشرينه، والمدينة مزينة بأحسن زينة، والشموع وغيرها تشعل، وقد اجتمع عالم عظيم لرؤيتهم، وأوقفت العساكر من تحت القلعة إلى باب القصر فى وقت الخدمة، فلما مثل الرسل بين يدى السلطان بالقصر، قرئ كتاب القان، فإذا هو يتضمن السلام والتهنئة بجلوس السلطان على تحت الملك وسرير السلطنة، ثم

(١) يقصد أيام الأشهر الحرم.

(٢) أحد الشهور القبطية.

قدمت الهدية، وهى مائة فص فيروزج، وإحدى وثمانون قطعة من الحرير، وعدة ثياب، وفرو، ومسك، وثلاثون بختيا من الجمال، وغير ذلك، مما تبلى قيمته خمسة آلاف دينار، ثم قدمت هدية جوكى بن القان وكتابه وأعيد الرسل إلى منزلهم، وأجرى لهم من المأكول والخلوى والفاكهة والمال ما عمهم، ثم قلع الزينة فى يوم الثلاثاء سلخه، وكان الناس قد تفتنوا فى أمور بديعة، أبدوها من أعمالهم فى الزينة، ونصبوا قلاع وفى ظنهم أنها تتمادى أيام، فانقضى أمرها بخير^(١).

شهر جمادى الأولى، أهل بيوم الأربعاء:

وماء النيل أخذ فى النقص، والناس قد شرعوا فى زراعة الأراضى.

وفى يوم الإثنين سادسه: نودى بمنع النساء من الخروج إلى الشوارع والأسواق إلا العجائز والجوارى، فامتنعن، ثم نودى لهن بالخروج إلى الأسواق والشوارع من غير تبرج بزينة.

وفى يوم الخميس تاسعه: خلغ على شمس الدين أبى المنصور كاتب اللالا، وأعيد إلى نظر الإسطبل، عوضا عن ابن القلانسى.

وفى يوم الجمعة عاشره: ورد الخبر بنصرة الغزاة المجردين على الفرنج^(٢).

وفى يوم الأحد ثانى عشره: جمع السلطان الرسل الواردين من القان بين يديه على وليمة عملها لهم، ثم خلغ عليهم، ونزلوا فى تحمل زائد.

وفى يوم الإثنين عشرينه: خلغ على القاضى بدر الدين أبى المحاسن محمد بن ناصر الدين محمد بن الشيخ شرف الدين عبد المنعم البغدادى، أحد نواب الخنابلة، واستقر قاضى القضاة الخنابلة، عوضا عن محب الدين أحمد بن نصر الله بعد موته^(٣).

وفى يوم الثلاثاء حادى عشرينه: قدم الغزاة فى البحر، وكان من خيرهم أنهم انحدروا فى النيل من ساحل بولاق إلى دمياط، ثم ركبوا بحر الملح من دمياط وساروا إلى جزيرة قبرس فقام لهم متملكها بزوادتهم، ومروا إلى العلايا فأمدهم صاحبها بطائفة فى غرايين. ومضوا إلى رودس، وقد استعد أهلها لقتالهم، فكانت بينهم محاربة طول يومهم، لم يكن فيها نصفه. وقتل من المسلمين اثنا عشر من المماليك، وجرح كثير، وقتل

(١) انظر النجوم الزاهرة ١٠٣/١٥

(٢) انظر النجوم الزاهرة ١٠٣/١٥

(٣) انظر النجوم الزاهرة ١٠٣/١٥

وجرح من الفرنج كثير فلما خلع المسلمون بعد جهد، مروا بقرية من قرى رودس، فقتلوا وأسروا ونهبوا ما فيها، وقدموا دمياط، ثم ركبوا النيل إلى القاهرة، وأسفر وجه الأمراء أنهم لم يكن لهم طاقة بأهل رودس.

وفي ليلة الخميس ثالث عشرينه: سقطت قنطرة باب البحر خارج القاهرة، وهلك طائفة ممن كان عليها.

وفي يوم السبت خامس عشرينه: ورد جواب السيد الشريف بركات بن حسن بن عجلان أمير مكة المشرفة، الذى جهز إليه بحضوره، يتضمن أنه تجهز للقدوم، ودخل المسجد الحرام ليطوف طواف الوداع، فتعلق به التجار، وجماعة المجاورين، وأهل مكة، يسألونه ويرغون إليه فى أن يقيم ولا يسافر، فإنه حتى سافر لا يأمنون على أنفسهم، وأنه بعرض ذلك على الآراء الشريفة فإن اقتضت أن يحضر حضر، وإن اقتضت أن يقيم أقام، وورد قرين مطالعته مطالعة الأمير سودون المحمدى المقيم بمكة، يشير بأن المصلحة فى إقامة الشريف وعدم سفره، فبعد اللتيا واللتى أذن له فى الإقامة، وأعفى من الحضور، على أن يحمل عشرة آلاف دينار، وجهاز له تشریف.

وفي يوم الثلاثاء ثامن عشرينه: خلع على خواجا كلال - رسول القان شاه رخ - خلعة السفر، وقد اعتنى بها عناية لم تتقدم مثلها لرسول، وهى حرير مخمل بوجهين، وطراز زرکش فيه خمس مائة مثقال من الذهب، وأركب فرسا بسرج ذهب وكنفوش ذهب فيها ألف دينار ذهباً، وجهزت صحبته هدية، ما بين ثياب حرير سكندرى، وسرج وكنفوش ذهب وسيوف مغلقة بذهب وغير ذلك مما تبلغ قيمته سبعة آلاف دينار، سوى الهدية المذكورة^(١).

وفي هذا الشهر: ادعى على يهودى متزوج أنه زنى بيهودية، فعنى به بعض خواص السلطان حتى حكم له بعض نواب القضاة الحنفية برفع الرجم عنه. ونفذ حكمه من عداه من القضاة الذين مذهبهم رجمه، فكان هذا من شنيع ما حكم به زمننا. وهو وإن كان مذهب الحنفية أن الكتابى المتزوج لا يرجم، فإنه لم يحكم به قاض فيما أدركناه، لكن حكم بعض نواب القضاة الحنفية فى الأيام الأشرفية برسباى بشنعاء، وقد ضرب العفيف النصرانى بحضرة السلطان حتى أظهر الإسلام. وكان له أولاد بالغون، فكره إسلامهم، وخاف أن يكرهوا عليه، فرغب إلى من حكم له ببقائهم على النصرانية، وأن لا يدخلوا فى دين الإسلام، فجاء من حكمه بطامة لم يعص الله بأقبح منها، وعدت مع

ذلك أنها حكم شرعى، فيا لله، ما أخوفنى من سوء عاقبة هذه الأحكام، والله در القائل:

إذا جار الأمير وصاحباه وقاض الحكم داهن فى القضاء

فويل ثم ويل ثم ويل لقاضى الأرض من قاضى السماء

شهر جمادى الآخرة، أهل يوم الجمعة: وأهل النواحي مشغولون بزراعة الأراضى.

وفى يوم السبت ثانيه: ضرب شهاب الدين أحمد بن إسماعيل بن عثمان الكورانى^(١) الشافعى، ورسم بنفيه. وكان من خيره أنه قدم إلى القاهرة قبيل سنة أربعين ومثمانمائة وهو فى فاقة، فاستدناه المقر الكمالى محمد بن البارزى كاتب السر، ووالى إحسانه عليه، فتعرف بالناس، وتردد إلى الأمراء، واختص بالقاضى زين الدين عبد الباسط، وصارت له وظائف ومرتبات، وتردد إلى السلطان، وعرف بالفضيلة، فصار له أعداء، واتفق أن كانت بينه وبين شخص من الخنفيه تعصب بسببها على الكورانى جماعة، وكأنه طاش فى رياسته، ونقم السلطان وغيره عليه أشياء، ساعدهم فيها سوء المقدر عليه، حتى أهين فى مجلس السلطان بحضرة القضاة، وأخرجت وظائف لغيره، ونفى إلى دمشق ثم أخرج منها، وقد عزم على الحج إلى جهة حلب، فلم يشعروا به إلا وقد وصل إلى الطور، فرسم عليه، وأخرج من الطور إلى الشام، ورسم أن يعدى به من الفرات، وكثر ذامه لسوء حظه، ولا قوة إلا بالله^(٢).

وفى ثالثه: استقلت رسل شاه رخ بالمسير إلى بلادهم، بجواب كتابه، والهدية المذكورة.

وفيه نودى من كانت له مظلمة فعليه بالوقوف للسلطان فى يومى الثلاثاء والسبت.

وفى يوم الإثنين رابعه: خلع على الأمير ترمباى رأس نوبة النوب، واستقر أمير الحاج.

(١) الكورانى (٨١٣ - ٨٩٣هـ - ١٤١٠ - ١٤٨٨م).

أحمد بن إسماعيل بن عثمان الكورانى شهاب الدين الشافعى ثم الخنفي: مفسر كردى الأصل، من أهل شهرزور. تعلم. وعصر ورحل إلى بلاد الترك فعهد إليه السلطان مراد بن عثمان بتعليم ولى عهده محمد الفاتح وولى القضاء فى أيام الفاتح، وتوفى بالقسطنطينية، وصلى عليه السلطان بايزيد. له كتب منها «غاية الأمانى فى تفسير السبع المثانى - خ» و«الدرر اللوامع فى شرح جمع الجوامع للسبكي» فى الأصول والكوثر الجارى، وهو شرح البخارى فى عدة مجلدات وشرح الكافية لابن الحاجب فى النحو. انظر الشقائق النعمانية ١ / ٨٨، والضوء اللامع ١ / ٢٤١، ٢ / ٢٢٤، ونظم العقيان ٣٨، وتاريخ السلمانية ٢٣٣، وهدية العارفين ١ / ١٣٥، والأعلام ١ / ٩٨.

(٢) انظر النجوم الزاهرة ١٥ / ١٠٤.

وفى يوم الثلاثاء خامسه: ابتدأ السلطان بالجلوس للحكم بين الناس.

وفى يوم الخميس سابه: خلع على الشريف بدر الدين حسين بن أبى بكر الفراء الحسينى^(١) واستقر نقيب الأشراف، عوضا عن الشريف حسن بن على بن أحمد بن على بن حسين الحسنى المعروف بابن قاضى العسكر الأرموى.

وفى يوم الخميس رابع عشره: قدم الأمير سيف الدين جلبان المؤيدى نائب الشام، فركب السلطان من القلعة إلى لقائه، ومنذ تسلطن لم ينزل من القلعة إلا هذا اليوم، فلقية بمطعم الطيور طرف الريدانية خارج القاهرة، وعاد والنائب فى خدمته، حتى أنزل فى بيت أعد له.

وفى يوم السبت سادس عشره: أحضر نائب الشام تقدمته، وهى ثمانون فرسا بغير سروج، وثلاثون بختيا، وعدة بغال، وقماش ما بين ثياب حرير وثياب بعلبكى وثياب صوف مربع، وفرو ما بين وشق^(٢) وسمور^(٣) وقاقم وسنجاب^(٤)، وغير ذلك مما قيمة الجميع نحو عشرة آلاف دينار، وجلبان هذا من جملة ممالك الأمير تنبك أمير آخور الظاهرى برقوق، رباه صغيرا، ثم صار من بعد موته فى خدمة الأمير جركس المصارع، وانتقل من بعده إلى خدمة الأمير شيخ المحمودى، وتقلب معه فى أطوار تلك الفتن حتى تسلطن شيخ وتلقب بالملك المؤيد، فأنعم عليه بإمرة، ثم عمله أمير آخور، وولى نيابة حماة فى الأيام الأشرفية برسباى عدة سنين، كثر فيها شكاته، ثم نقل بعد موت الأشرف إلى نيابة حلب، ثم إلى نيابة الشام.

وفى ليلة الإثنين ثامن عشره: قدم قاضى القضاة الحنفية بدمشق، شمس الدين محمد ابن على بن عمر الصفدى فى الترسيم، فسلم إلى المقر الكمالى محمد بن البارزى كاتب السر، وقد رسم للذى أحضره من دمشق أن يأخذ تسفيره ألف دينار، توزعها وناظر

(١) هو حسين بن أبى بكر حسن البدر الحسينى القاهرى، نقيب الأشراف، وكان يلقب بالشاطر، وقيل: ابن الفراء. انظر الضوء اللامع ١٣٨/٢.

(٢) حيوان من فصيلة القط، ورتبة اللواحم، من الثدييات، وهو بين القط والنمر رأسه كبير، وعلى طرفى كل من أذنيه خصلة من شعر، وذيلة قصيرة، يقطن الغابات، كما يوجد فى الصحارى والمناطق الزراعية انظر المعجم الوسيط (وشق).

(٣) السمور: حيوان ثدى لى لىلى، من الفصيلة السمورية، مناكلات اللحوم، يتخذ من جلده فرو ثمين، ويقطن شمالى آسية. انظر المعجم الوسيط (سم).

(٤) السنجاب: حيوان أكبر من الجرذ، له ذئب طويل، كثيف الشعر يرفعه صعدا انظر المعجم الوسيط.

الجيش وكتب السر بدمشق، وسبب ذلك أن رجلا بغداديا من فقهاء الحنفية - يذكر أنه من ولد الإمام أبي حنيفة رحمه الله - قدم من دمشق، وتردد إلى مجلس السلطان، فكانت محنة أحمد الكوراني بسببه كما هو مذكور في ترجمته من كتاب «درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة» ثم أفرغ سمه ثانيا في شمس الدين الصفدى، ووشى به إلى السلطان أنه سئل عن الحكمة في كثرة جماع النبي ﷺ نساءه، فقال: «ليحصنهن من الزنا» وأن هذا كفر يوجب إراقه دمه، وشنع، وأبدى وأعاد ﴿وأعانه عليه قوم آخرون﴾^(١) فرسم بإحضاره، وفي الذهن أنه يقتل.

وفي هذه الأيام: مرت سحابة، فأصبح كثير من المزروعات وقد صقع وأسود، كالخيار والفول والجزر، فلم ينتفع به، وأفسدت الدودة كثيرا من اليرسيم المزرع بالوجه البحرى، فأعيد بذره.

وفيه أيضا غلا سعر اللبن والجبن واللحم، وقل وجود ذلك بالأسواق.

وفي يوم الإثنين خامس عشرينه: خلع على تقي الدين عبد الرحمن بن تاج الدين عبد الوهاب بن نصر الله، أحد موقعى الدست، وناظر دار الضرب، واستقر فى نظر جده، عوضا عن تاج الدين بن حتى السمسار، وخلع على شاهين - أحد المماليك - واستقر شاد جده، وخلع على الأمير جليان نائب الشام خلعة السفر، وتوجه من الغد - يوم الثلاثاء سادس عشرينه إلى محل كفالتة.

وفيه أنعم بإقطاع الأمير ممحق^(٢) بعد موته على تغرى برمى بن جركس. ثم خلع فى يوم الإثنين ثالثه، واستقر نائب القلعة، عوضا عن ممحق وتغرى برمى من محاسن هذه الدولة، لمعرفة الحديث ورجاله المعرفة الجيدة إلى غير ذلك من الفضائل.

شهر رجب أوله يوم السبت:

فى يوم الإثنين ثالثه: ركب السلطان بثياب جلوسه، ومضى من القلعة، فمر من صليبة جامع ابن طولون إلى الميدان الكبير بخط موردة الحبس - وقد حرب - فكشف ما يحتاج إليه من العمارة، ورسم بمرمته، وعاد سريعا وهذه ثانى ركبة ركبتها فى سلطنته^(٣).

(١) سورة الفرقان، الآية (٤).

(٢) هو الأمير ممحق بن عبد الله الموروزى (ت ٨٤٤ هـ). انظر المنهل الصافى، الضوء اللامع

(٣) انظر النجوم الزاهرة ١٥/١٠٥.

وفي يوم الإثنين عاشره: أنعم بإقطاع الأمير أظنبا المرقبي بعد موته على الأمير طوخ الجمكى^(١) رأس نوبة ثانيا، وأنعم بإقطاع الأمير طوخ على الأمير قانيه الجركسى شاد الشراب خاناه، وأنعم بإقطاع قانيه على ثلاثه نفر: الأمير تغرى برمى واستقر نائب القلة عوضا عن الأمير محقق، وعلى الأمير يوسف بن محمد بن الأمير إسماعيل بن مازن واستقر شيخ لهانة باليهنساوية، وعلى تغرى بردى دوادار قراسنقر وهو كاشف الجيزة.

وفي هذه الأيام: أيضا برزت التجريدة المتوجهة إلى المدينة النبوية، حتى أناخت بالريدانية خارج القاهرة، وعدتها خمسون مملوكا، عليهم الأمير جانبك المعروف بنائب بعلبك، أحد أمراء العشرات، واستقلت بالمسير فى يوم الجمعة رابع عشره وتوجه صحبتهم ناظر جدة وشادها، وعدة ممن يريد الحج والعمرة، وتوجه أيضا أحد خاصكيه السلطان لإحضار ولى الدين محمد بن قاسم - مضحك السلطان الملك الأشرف برسباى - وكان قد رسم بإحضاره غير مرة آخرها أن كتب للأمير سودون المحمدى بتجهيزه من مكة فى البحر إلى القاهرة، فأخرجه من مكة وأركبه البحر من جدة، فنزل ينبع، ومضى إلى المدينة النبوية. ثم عاد إلى ينبع، واعتذر عن الحضور، فلم يقبل عذره، وجهاز له الخاصكى، ورسم به أن يأخذه تسفيره من ابن قاسم ألف دينار.

وفي يوم الأحد سادس عشره: عقد مجلس بن يدى السلطان، حضرة قضاة القضاة الأربع، وجيء بشمس الدين محمد الصفدى قاضى الحنفية بدمشق من منزله بجوار كاتب السر، فأوقف، وأدعى عليه غريمه حميد الدين بن أبى حنيفة عند قاضى القضاة

(١) طوخ بن عبد الله الجمكى، الأمير سيف الدين (٨٦٨ هـ = ١٤٦٣ م)، الأمير سيف الدين، أحد أمراء الطبلخاناه وثانى رأس نوبة. أصله من مماليك الأمير حكيم من عوض المتقلب على حلب، ثم نقل فى الخدم بعد موت أنتاذه سنين إلى أن تأمر فى أوائل الدولة الأشرفية برسباى عشرة، ثم قبض عليه بعد مدة يسيرة، ثم أطلقه وأنعم عليه بإمرة عشرة على عادته أولا ودام على ذلك سنين إلى أن نقله الملك الظاهر حقيق إلى إمرة طبلخاناه بعد يلغا البهائى بالإسكندرية بحكم وفاته، ثم صار نوبة ثانيا بعد خروج الأمير يلغا الساقى إلى نيابة غزة فى سنة ثمان وأربعين وثمانمائة أخرج السلطان إقطاعه للأمير بيسق البشكى وغيره، وبحكم ضعف بصره، وطول رمده، وأخلع على الأمير جانبك القرمانى باستقرار رأس نوبة ثانيا من بعده. واستمر طوخ المذكور ملازما لداره بالذل والقهر والصغار وهو مستحق لذلك، فإنه متجاهر بالمعاصى، مدمن للخمر - بلغ من السن ما بلغه وطالت أيامه فى الإمرة هذه المدة الطويلة وهو إلى الآن لم يحج ولا قضى الفرض هذا على ما اشتمل عليه من الكبر والجبن والبخل وعدم معرفته لأنواع الفروسية ولا يعرف فيه من المحاسن غير أنه كان جركسى الجنس من جنس الفرغ لاغير. انظر المنهل الصافى ٧/ ١٦، ١٧، الدليل الشافى ١/ ٣٧٢، النجوم الزاهرة ١٦/ ٣٢٥، الضوء اللامع ٤/ ١٠.

شهاب الدين أحمد بن حجر بأنه قال: «أنا أتخبر في الحكم، فتارة أحكم بقول أبي حنيفة، وتارة بمذهب الشافعي أو مالك» فأجاب: «بأني إنما قلت أتخبر من قول أبي حنيفة وأصحابه أبي يوسف ومحمد وزفر، وأحكم بما أختاره من ذلك»، فأجاب القضاة الأربع بأنه لا شيء عليه في ذلك، ودفعوا خصمه بحجاج وجدال طويل، وهو يأبى إلا أن يعزر، حتى قال الشافعي للسلطان: «وأى تعزير حملة من دمشق إلى مصر، وغرمة للمسفر ما غرم، ثم ها هو قائم على رجليه يدعى عليه» فانفضوا على ذلك، وجلس بين يدي السلطان وقبل يده، وانصرف منصوراً بعناية القاضى الشافعي وكتاب السر به، وإلا فما كان ظن المتعصبين مع حميد الدين إلا أنه ينكل بالصفدى، ويحكم بفسقه، وتخرج وظائفه، إلى غير ذلك، وكان قد كتب إلى دمشق بالكشف عما نسب إليه من قوله في أمهات المؤمنين - رضى الله عنهن - أن رسول الله - ﷺ - يحصنهن من الزنا؛ فكتب جماعة من قضائها وأعيان فقهاؤها بأنهم فحصوا عن ذلك فلم يجدوا له أصلاً، وأبدوا مخاصمة وقعت بينهما، فلما سكن غضب السلطان عند قراءة ذلك عليه، علم حميد الدين وعصبته أنه قد نجا غريمهم من القتل برغمهم، فعدلوا إلى ما يوجب بزعمهم النكال به؛ فكان ما كان، ورد الله حاسده بغيظه، لم ينل بسعيه عرضاً.

وفي يوم الإثنين سابع عشرة: عزل سراج الدين عمر الحمصى عن قضاء القضاة بدمشق؛ وقد وشى به شخص إلى السلطان من خواصه أنه أخذ على حكمه - فى قضية ذكرها - مبلغاً من المال، وكان السلطان لما ولى الحمصى لم يكلفه مالاً، وشرط عليه أن لا يرتشى فى أحكامه. وعين السلطان شمس الدين محمد بن الونائى لقضاء دمشق.

وفيه خلع على الأمير يوسف بن محمد بن إسماعيل بن مازن، واستقر أمير هوارة البحرية، عوضاً عن على بن غريب، وذلك أنه كانت فى هذه الأيام فتن بين فزارة ومحارب، وبين هوارة البحرية بناحية البهنساوية، فقبض الكاشف على ابن غريب، فولى السلطان عوضه ابن مازن، وعين معه تجريدة.

وفي يوم الخميس عشرينه: خلع على شمس الدين محمد بن على بن عمر الصفدى، واستقر على عاداته فى قضاء الختفية بدمشق.

وفي يوم الإثنين رابع عشرينه: ورد كتاب الغالب بالله عبد الله بن محمد بن الأمير أبى الجيوش نصر بن أمير المسلمين أبى عبد الله بن أمير المسلمين أبى الحجاج بن أبى الوليد إسماعيل بن نصر، متملك أغرناطة من الأندلس، يتضمن ما فيه المسلمون بغرناطة من الشدة مع النصارى أهل قرطبة وأشبيلية، ويسأل النجدة.

شهر شعبان، وأوله يوم الإثنين:

٤٧٠ سنة أربع وأربعين وثمانمائة

فيه ركب السلطان إلى الرصد المطل على بركة الجيش، خارج مدينة مصر القسطنطينية،
ومعه الأمراء ومباشرو الدولة، وعمل لهم مدة، فأكلوا وعادوا في أثناء نهارهم.
وفيه توجه الأمير سيف الدين طوغا قز السيفي أستاذار إلى ناحيتي الشرقية والغربية،
لأخذ ضيافات أهلها التي أحدثوها على أهل النواحي، فيحل بالناس من ذلك بلاء لا
يوصف.

وفيه أضيف نظر دار الضرب إلى نظر الخاص كما هي العادة القديمة، عوضاً عن
جوهر الخازندار والزمام بعد موته.

وفي يوم الأربعاء ثالثه: سارت التجريدة مع ابن مازن إلى بلاد البهنساوية، وعدتها
ثلاثمائة مملوك وعليهم بايزيد، أحد أمراء العشرات.

وفي يوم السبت سادسه: خلع على الطواشى زين الدين هلال شاد الحوش^(١)
ونائب الزمام، وهو أحد خواص خدام السلطان الملك الظاهر برفوق، ربي في داره بين
حرمه، واستقر زمام الدار، عوضاً عن جوهر السيفي قنقاي^(٢) بعد موته^(٣).

وفي يوم الأحد سابعه: خلع على الأمير زين الدين عبد الرحمن ابن القاضي علم الدين
داود بن زين الدين عبد الرحمن بن الكويز، واستقر أستاذار الذخيرة عوضاً عن الجوهر
المذكور وخلع على الطواشى جوهر التمرأزي الحبشي^(٤)، واستقر خازنداراً عوضاً عن
جوهر السيفي المتوفى^(٥).

(١) هو هلال الدين الرومي الظاهري برفوق الطواشى (ت ٨٦٤ هـ). انظر الضوء اللامع

١٠٨/١٠.

(٢) هو جوهر بن عبد الله القنقاي. انظر المنهل الصافي، الضوء اللامع.

(٣) انظر النجوم الزاهرة ١٠٥/١٠٥.

(٤) جوهر بن عبد الله التمرأزي الخازندار (٨٥٠ هـ - ١٤٤٦ م)، الأمير صفى الدين الطواشى

الحبشي. كان أصله من خدام الأمير تَمْرَاز الناصري نائب السلطنة بالديار المصرية، واتصل من بعده
بخدمة الملك المؤيد شيخ، وصار من جملة الجمدارية الكبار ودام على ذلك دهراً إلى أن ولاه الملك
الظاهر حَقْمَق الخازندارية، بعد موت جوهر القنقاي فباشر وظيفة الخازندارية، إلى أن عزل عنها
بالأمير فيروز في سنة ست وأربعين وثمانمائة. ورَسَمَ السلطان عليها، وأخذ منه مبلغاً ليس بذلك، فلزم
المذكور داره إلى سنة ثمان وأربعين وثمانمائة أخلع عليه الملك الظاهر باستقراره في مشيخة الخُدام بالحرم
النبوي عى ساكنه أفضل الصلاة والسلام - بعد موت الأمير فيروز الركني نائب مقدم المماليك السلطانية
في الدولة الأشرفية برساي. فتوجه المذكور إلى المدينة، ودام إلى أن مات في سنة خمسين وثمانمائة، وهو
في الخمسين من العمر تقريباً. وكان صبيحاً، بشوشاً، مليح الشكل، عنده كرم، وحشمة وأدب. انظر
المنهل الصافي ٥/ ٤٢ وما بعدها، الدليل ١/ ٢٥٤ النجوم ١٥/ ٥١٨، الضوء ٣/ ٨، منتخبات من
حوادث الظاهري ص ٥٦٢، بدائع الزهور ٢/ ٢٥٦ عقد الجمان حوادث سنة ٨٥٠ هـ.

(٥) انظر النجوم الزاهرة ١٠٥/١٠٥.

وفي تاسعه: هبت ريح شرقية بطرابلس الشام وأعمالها، واشتدت، فهدمت الدور والموادن وصعقت أقصاب السكر بإجمعها.

وفي هذه الأيام: اشتد البرد بالقاهرة، حتى جمدت المياه بعدة مواضع، وأبيع الجليد بالأسواق في يوم الخميس حادى عشره، وجمدت بركة من مستنقع ماء النيل فى بعض الضواحي بحيث صارت قطعة واحده، ومشى فوقها الأوز، وأصبحت زروع كثيرة من الفول وقد اسودت وجفت، فحملت وأوقدت فى الأفران، واسود ورق كثير من شجر الجميز وغيره.

وفي يوم الأربعاء سابع عشره: ولى شمس الدين محمد الونائى قضاء القضاة بدمشق، عوضا عن الحمصى، ولم يخلع عليه، وحملت له الخلعة ليلبسها إذا قدم دمشق بسؤاله ذلك، وأمهل بالسفر إلى أثناء شوال، وأضيف إليه عدة وظائف، منها خطابة الجامع الأموى، عوضا عن البرهان إبراهيم بن الباعونى، ونظر الأسوار، ونظر الأسرى، وأخرج له من الإسطبل السلطانى بغلة بقماش كامل وزنارى، وهذا شىء قد بطل منذ سنين، فجدد له عناية من السلطان به.

وفي يوم السبت عشريته: ركب السلطان من القلعة ونزل بخليج الزعفران، كعادة المؤيد شيخ والأشرف برسباى، ومدت للأمراء أسمطة جليله بحسب الوقت، وحمل جماعة من المباشرين أنواعا من الحلوى والفواكه وغيرها، ثم ركب بعد صلاة الظهر، ودخل من باب النصر، فشق شارع القاهرة، وخرج من باب زويلة إلى القلعة، وهذه أول مرة شق فيها القاهرة بعد سلطنته، وكان هذا وهو بثياب جلوسه، ولم يكن هذا فى القديم، وأول من ترخص فيه الناصر فرج، فإنه ركب بثياب جلوسه، ثم اقتدى به فى ذلك الملك المؤيد شيخ، ومن بعده، وعد هذا مما ضيع من قوانين المملكة، وبطل من رسومها^(١).

وفي هذا الشهر: هم السلطان بإخراج الرزق الأحباسية عنم هى بيده. ثم استقر الحال على أن جيبى من الرزق الأحباسية التى بأراضى الجيزة التى ببلاد الملك من ضواحي القاهرة، عن كل فدان مائة درهم من الفلوس، فجيبت، وأنعم بما يجيبى من الجيزة على الوزير إعانة له، وما يجيبى من الضواحي يصرف فى عمل الجسور.

وفيه أيضا رسم بفك قيد الأمير جاتم أمير آخور الأشرفى، ففك وبقي فى سجنه بالمرقب بغير قيد.

وفي ثامن عشره: قبض بمكة على أمين الدين محمد بن قاسم، فالزمه المتسفر لإحضاره ألف دينار، فأورد له منها، ونزلا في البحر يريدان القاهرة.

شهر رمضان، أوله يوم الثلاثاء:

فيه ورد الخبر بأنه قبض على الأمير قانصوه بدمشق، فرسم بسجنه في القلعة.

وفي يوم الخميس عاشره: خلع على شمس الدين محمد بن عامر أحد نواب الحكم المالكية، واستقر في قضاء الإسكندرية، عوضا عن جمال الدين عبد الله الدماميني.

وفي يوم السبت ثاني عشره: خلع على القاضي معين الدين عبد اللطيف بن شرف الدين أبي بكر الأشقر، واستقر في نيابة كتابة السر وغيرها من وظائف أبيه بعد موته^(١).

وفي هذه الأيام: ألزم القاضي زين الدين عبد الباسط بمحمل خمسة آلاف دينار. وذلك أنه وجد في تركة جوهر الخازندار الزمام أنه حمل إلى عبد الباسط في أيام مصادرته خمسة آلاف دينار، فتوجه القاصد إليه بحملها فعوض عنها قماشاً، وأذن أن يباع من عقاره بالقاهرة ما يكمل تنمة ذلك، فسأحه السلطان بألف دينار، فأورد إلى الخزانة أربعة آلاف دينار.

وفيها أيضا فوض السلطان نظر الجامع الحاكمي بالقاهرة إلى الأمير دولت بيه الدوادار. وأنعم برسم عمارته بألف دينار، وحملت إليه من الخزانة السلطانية فركب وكشف أحواله، فوجد سقوفه قد سقط منها مواضع، وفيها مواضع ساقطة، وبلاطه قد تلف منه كثير، ومقاصيره الخشب قد تلف كثير منها، وميضات الجامع متهدمة، وأحوال الجامع بمرور النساء والصبيان وغيرهم ملعبة فمنع دخول النساء الجامع وألزم بوابيه أن لا يمكنوا امرأة ولا صغيراً من الجلوس فيه، ولا المرور منه، وكان هذا الجامع قد فسدت أحواله، فأصلحه الله على يد هذا الأمير، وغلقت أبوابه عدة أيام، سوى بايين، ثم فتحت أبوابه كلها، وامتنع الناس كافة من المرور في صحن الجامع بنعالهم، وشرع في عمارة السقوف والمقاصير والبلاط، وهدم الميضأة بأسرها، وأنشأها إنشاءً جديداً وتشدد في جباية ريعه، واستولى على جميع ما هو موقوف عليه، وهو ثلاث جهات: إحدها الوقف القديم، وهو ما بين مساكن وأحكار، وكان من القديم إلى آخر وقت بيد قضاة القضاة الشافعية، ومنه تصرف معالم المؤمنين، والإمام والخطيب، والقومة

ونحو ذلك، وهو وقف ضعيف متهدم، والجهة الثانية: وقف المظفر بيبرس الجاشنكير^(١) على أرباب وظائف - سماها في كتاب وقفة - ما بين دروس فقه وحديث وقراء وملء صهريج بالجامع، ونظره أيضا للقاضي الشافعي، والجهة الثالثة: رزقة وقفها الناصر حسن، على الهرماس وذريته، وأن يشتري منها حصر وزيت للجامع، ونظرها لهم، فاستوى دولت بيه على جميع ذلك.

وفي هذا الشهر: أيضا رسم بنقل الطواشى خشقدهم المقدم من المدينة النبوية إلى القدس، وإقامته هناك بظلالا.

وفي سلخه: قدم الأمير طوغان قز أستاذار من الوجه البحرى، وقد جيبى من أموال أهله الضيافات التى أحدثوها، وحمل تقدمته ما بين خيل وجمال وغير ذلك مما تبلغ قيمته زيادة على عشرة آلاف دينار.

شهر شوال، أوله يوم الخميس:

فيه صلى السلطان صلاة العيد بجامع القلعة على العادة، وعندما سلم الإمام فى آخر الصلاة، وثب كثير من المماليك بدأ واحدة يريدون المبادرة لدخول القصر حتى تلبس أرباب الخلع خلعهم، وقام بقيامهم جماعة، فاشتد زحام الناس بحيث مات والى باب القلعة، وسقط جماعة أشفوا على الموت مغمى عليهم، فأفاق أكثرهم، ومات بعضهم.

(١) بيبرس بن عبد الله (٧٠٩ هـ - ١٣٠٩ م)، الملك المظفر ركن الدين بيبرس السبكي المنصورى الجاشنكير. أصله من ممالك الملك المنصور قلاوون وعتقائه، وتنقل فى الخدم حتى صار من جملة الأمراء بالديار المصرية. وتولى الأستادارية لملك الناصر محمد بن قلاوون. وكان إقطاعه كبير، فيه عدة إقطاعات لأمرء. ولما كان أستاذار مان سلار نائبا بالديار المصرية، فحكما فى البلاد وتصرفا فى المماليك، وصار الملك الناصر ليس له من السلطنة إلا الاسم فقط. وكان نواب البلاد الشامية حشداشية الجاشنكير من الرجعية، فقوى أمره بهم، إلى أن توجه الملك الناصر إلى الحجاز ورد من الطريق إلى الكرك وأقام بها وأرسل يعلم أمرء الديار المصرية، ليقيمو سلطانا. لعب الأمير سيف الدين سلار بالجاشنكير هذا، وحسن له السلطنة حتى تسلطن، ولقب بالملك المظفر بعد أن أقتى له جماعة من القضاة والفقهاء بذلك وكتب محضرا مثبتا على القضاة، ونائب سلار له، وأستوفى له الأمر. وكانت سلطنته فى يوم السبت بعد العصر ثالث عشرين شوال سنة ثمان وسبعمائة - وقيل فى ذى الحجة فى بيت سلار -، وكتب من بيت سلار بخلعة السلطنة إلى القلعة، ومشوا الأمراء بين يديه، ودقت البشائر، وسارت البريدية بذلك إلى سائر الممالك، وكتب له الخليفة المستكفى بالله على تقليده بخطه. انظر المنهل الصافى ٣/ ٤٦٧ وما بعدها، الدليل ١/ ٢٠٣، والنجوم، ٨/ ٢٢: ٢٧٧، مورد اللطافة ق ٧٨٠، الدرر ٢/ ٣٦، الوافى ١٠/ ٣٤٨، تذكرة النبى ٢/ ١٧، البداية ١٤/ ٥٥، الخطط ٢/ ٣١٦ - ٤١٧، كثر الدرر ٩/ ١٥٦: ٢٠٥، بدائع الزهور ١/ ٤٢٣: ٤٣٥.

وفي يوم الجمعة ثانيه: كتب بعزل ابن عامر عن قضاء الإسكندرية، وطلب ابن الدماميني.

وفي ثالثه: قدم الأمير بايزيد ومن معه من المجريين بالبهنساوية، وقد قرروا على هوارة ما لا يقومون به.

وفي يوم الثلاثاء ثالث عشره: قدم قود الشريف بركات أمير مكة، وأخير قاصده بوصول ما رسم به - وهو فلفل بعشرة آلاف دينار- إلى الطور، فبطل الأرجاف بعزله وولاية أخيه، وقدم أيضا القاضي جمال الدين عبد الله بن الدماميني من الإسكندرية، فخلع عليه في يوم الخميس نصفه، واستقر في قضاء الإسكندرية على عادته، وعاد بن عامر إلى منزله، فلزمه بطالا، لا حاجتك قضيت ولا صديقك أبقيت.

وفي يوم الإثنين تاسع عشره: خرج محمل الحاج مع الأمير تمرباي رأس نوبة النوب^(١). وخرج في هذه السنة للحج ثلاثة من أمراء الألوفا: تمرباي هذا، وطوخ، وتمراز أمير سلاح، وسبعة أمراء ما بين عشرات وطلبخاناه، منهم والى القاهرة، ومنهم سودون قرقاش النوروزى أحد رعوس النوب، وأمير عشرة وهو أمير الركب الأول، فرحل من بركة الحجاج الأمير تمراز فى حادى عشرينه، وتبعه كثير من الحجاج، ورحل سودون قرقاش فى ركب كبير من الغد، ورحل الأمير تمرباي بمحمل الحاج فى ثالث عشرينه، وكتب إلى الشريف بركات، وإلى أمير المدينة النبوية، وإلى أمير ينبع بإعفائهم مما كانوا يقومون به من المال لأمير الركب فى كل سنة، وأكد السلطان على الأمراء عندما وادعوه أن لا يأخذوا من المذكورين شيئا، فما أجمل هذا وأحسنه إن عمل به^(٢).

وفي حادى عشرينه: قدم بن قاسم من مكة، فسلم إلى الأمير دولت بيه الدوادار.

وفي هذا للشهر: خربت مدينة الفيوم، وجلا أهلها عنها، لغلبة ماء بحر يوسف^(٣).

شهر ذى القعدة أوله يوم الجمعة:

فى ثالثه: ركب مولانا السلطان لهدم ميضأتين ودور فى زيادة الجامع الطولونى، كما هدم دار ابن النقاش، فصرف الله قلبه عن ذلك، ومضى من الجامع، بعدما كشف أحواله إلى الميدان الكبير، فنظر ما عمر فى سورة، وعاد سريعا.

(١) انظر النجوم الزاهرة ١٥/١٠٦.

(٢) انظر النجوم الزاهرة ١٥/١٠٦.

(٣) هو أحد فروع النيل، وهو بحر بمدينة الفيوم، وما زال يعرف ببحر يوسف حتى الآن.

وفي يوم السبت تاسعه: قدم الأمير قانباى الحمزاوى نائب حلب باستدعاء، فركب السلطان إلى مطعم الطيور ونزل به، وتقدم الأمير الكبير الأتابك فى عدة من الأمراء حتى قدموا به، فخلع عليه، وعاد السلطان وهو فى الخدمة، فصعد السلطان إلى القلعة، ومضى النائب إلى دار أعدت له، فنزلها، وقدم من الغد تقدمته، وهى ممالك، وخيول، وجمال، وقماش، وفرو، وغير ذلك مما قيمته نحو عشرة آلاف دينار.

وفي يوم الإثنين حادى عشره: توجه الأمير أينال الأجرود مجردا فى جماعة من الممالك نحو بلاد الصيد، لقتال محارب.

وفي هذه الأيام: أفرج عن ولى الدين محمد بن قاسم من عاقته بيت الأمير دولت بيه، على أن يحمل خمسة عشر ألف دينار، ضمنه فيها جماعة.

وفىها زاد النيل نحو ذراعين ونصف، حتى صار فى اثنى عشر ذراعا ونصف، والوقت زمن الربيع، والشمس فى برج الحمل، ويوافق من شهور القبط برمودة، وجرت العادة أن فى مثل هذا الزمان يأخذ النيل فى النقصان، ويسمى الاحتراق، وهذا من النوادر، إلا أنه وقع مثل ذلك فى سنة تسع وثلاثين وثمانمائة. وكثر فى هذا الزمان تخاصم الناس، وتعدى بعضهم على بعض، وتزايد وقوع الشر فيما بينهم، وشنع جهرهم بالسوء، وتناحيهم بالإثم والعدوان، فالله تعالى يكفى شر ذلك. وقدم الخير بأن صاحب قشتيلة^(١) من بلاد الفرنج عمر أربعين بيونى^(٢) وعشرة أغربة يريد رودس، ليأخذ بثأرهم من المسلمين.

وفىها منع الأمير أيتمش الخضرى من الاجتماع بالسلطان، وأمر بلزوم بيته، وهذا ثانى مرة منع فيها.

وفي حادى عشرينه: استقل نائب حلب بالمسير عائدا إلى محل كفالتة على عادته، بعد أن خلع عليه.

وفي رابع عشرينه: قدم الخير أيضا من طرابلس بأن أهل رودس قد استعدوا للحرب، وهم فى انتظار عمارة الفنش صاحب قشتيلة، وأن كثيرا من المسلمين سكان الساحل قد أحلوا ضياعهم، وصعدوا إلى الجبال.

وفي يوم الأربعاء سابع عشرينه: ورد الخير بأن عشرة أغربة من عمارة الفنش

(١) سبق ترجمتها.

(٢) على هامش ط: نوع من السفن.

وصلت إلى ساحل بيروت، فأخذت مركبا مشحونا بالبضائع، وأنهم باعوا ممن أسروا منه من المسلمين أربعين رجلا، وأقلعوا من غير أن يقاتلهم أحد، فأمر بعرض أجناد ليخرجوا إلى السواحل، فبدأ الأمير تغرى بردى الدوادار.

فى يوم السبت سلخه: بعرضهم، على أيجرج منهم مائة جندى إلى رشيد والطينة.

شهر ذى الحجة، أوله يوم الأحد:

فى يوم الأربعاء رابعة: عرض الأمير تغرى بردى الدوادار أجناد الحلقة المجردين، ولم يعين إلا من كان سجل إقطاعه بثلاثين ألف درهم فما فوقها، ثم عفوا من التجريدة لما جرت به عادتهم من تداول كلمة ألقاها الشيطان بينهم، أن من تعرض لأجناد الحلقة زالت دولته.

وفى يوم الأربعاء خامس عشرينه: قدم مبشرو الحاج وأخبرت كتبهم بكثرة المراعى ورخاء الأسعار وأمن الحجاج وسلامتهم، وأن الشريف بركات أمير مكة قابل الأمراء ولبس التشريف السلطانى على العادى، إلا أنه كانت وقعة قريب خليص^(١) بين أمير ركب الكركيين وبين حجاج ينبع، قتل فيها من الينابعة زيادة على عشرين رجلا، ونهبت أموالهم، وبلغت نفقات السلطان فى نفقات الممالك وصلات الأمراء والتراكمين وغيرهم وفى أثمان ممالك اشتراهم ونفقات تجاريد جردها وغير ذلك، فى مدة أولها موت الأشرف برسباى وآخرها سلخ هذه السنة، وذلك مدة ثلاث سنين، مبلغ ثلاثة آلاف ألف دينار ذهبا، وهى ما خلفه الأشرف برسباى من الذهب والدرهم والبهار، والجمال، والخيل، وثياب الحرير، والبلعكى، وأنواع الفرو، ومن الغلال والقنود، والأعسال، والسلاح، وغير ذلك، مع ما دخل إلى الخزانة فى أيام سلطنته وهو نحو خمسمائة ألف دينار، نفذ ذلك كله، وعلى الله العوض.

وفى هذا الشهر: زاد النيل بعد نقصه حتى تجاوز اثنى عشر ذراعان وذلك فى

بشنس.

وفيه وردت مقدمة أربعة من القاضى زين الدين عبد الباسط، بعد ما وصلت له كاملية بفرو سمور، وحجرة بقماش كامل، فكانت تقدمته هذه خيلا وفروا وثياب وحرير.

وفى هذه السنة: تجددت عمارة مواضع عديدة، منها مشهد السيدة رقية - قريبا من

(١) حصن يقع بين مكة والمدينة، على ثلاث مراحل من مكة . انظر معجم البلدان.

المشهد النفيسى - كان قد اتخذه بعض الناس سكناً، وتعطلت زيارته مدة سنين، فجدد عمارته السيد بدر الدين حسين بن الفراء نقيب الأشراف، فى أول شعبان.

وفى هذا الشهر: أيضا جددت عمارة جامع الصالح طلائع بن رزيك خارج باب زويلة، وقام بذلك رجل من الباعة وجدد أيضا جامع الفاكهيين^(١) بالقاهرة، وجامع الفخر بخط سويقة الموفق قريب من بولاق^(٢) وجدد أيضا عمارة جامع الصارم قريب من بولاق^(٣).

وفى يوم الجمعة رابع شهر رمضان: أقيمت الجمعة بالجامع الذى أنشأه فى هذه السنة الطواشى جوهر نائب مقدم المماليك بالرميلة تحت القلعة.

وفى أول شوال: أقيمت الجمعة بالجامع الذى أنشأه الأمير تغرى بردى البيكلمشى الدوادر المعروف بالمؤذى، بخط الصليبية.

وأما اليمن فقد خرج عن مملكتها ضياع تعز^(٤)، وحسبه أنه يحفظها، فإن البلاد خرجت عنه من زبيد^(٥) إلى بيت حسين، وصارت العرب المعازبة تركب فى نحو ألف فارس.

* * *

ومات فى هذه السنة مما له ذكر

موفق الدين على بن أبى بكر الناشرى، قاضى القضاة ببلاد اليمن، فى خامس عشرين صفر بمدينة تعز عن تسعين سنة.

ومات الأمير ناصر الدين محمد بن الأمير صارم الدين إبراهيم بن الأمير منجك

(١) هذا الجامع كان يعرف أولا بجامع الظافر، ثم عرف بهذا الاسم بعد، وهو يقع بالقاهرة وسط السوق الذى كان يعرف قديما بسوق السراجين. انظر المواعظ والاعتبار ٢ / ٢٩٣. وينظر المخطط التوفيقية.

(٢) انظر المواعظ والاعتبار ٣١١/٢.

(٣) انظر المواعظ والاعتبار ٣٢٥/٢.

(٤) سبق ترجمتها.

(٥) زبيد: مدينة باليمن بقرب الجند ومعائر، تسير فى صحراء ورمال حتى تنتهى إلى زبيد، وليس باليمن بعد صنعاء أكبر من زبيد ولا أغنى أهلاً ولا أكثر خيراً منها. انظر الروض المعطار ٢٨٤، ٢٨٥، والبكرى ٦٧، ونزهة المشتاق ٢٠، والمقدسى ٨٤، وابن الوردى ٤٢.

اليوسفي^(١)، في يوم الأحد خامس عشر شهر ربيع الأول، عن نحو سبعين سنة بدمشق، وكان يوصف بدين وعفة، وحظي في الدولة المؤيدية شيخ، والدولة الأشرفية برسباي، وكان يقدم في كل سنة إلى السلطان بهدية، ويشاور في الأمور، وكان له غنى وثناء، وأفضال على قوم يعتقدهم بدمشق.

ومات سعد الدين إبراهيم بن المرة في يوم الخميس عاشر شهر ربيع الآخر بالقاهرة، وقد أناف على الستين سنة بعد ما تعطلت من المباشرة، ولزمه دين كبير، حبس من أجله مدة، احتاج فيها إلى سؤال الناس، وكان له بر وأفضال، وكان حشما، يجب الفخر ويكثر من إتلاف المال، فالله يعفو عنه.

ومات مبارك شاه رسول القان شاه رخ مات بغزة في يوم الأحد ثالث عشر ربيع الآخر، وكان يوصف بمعرفة وفضيلة وعقل.

ومات الخواجي كلان بن مبارك شاه المذكور، قام بعد موت أبيه، وقدم بالهدية والكتاب إلى السلطان وهو ممرض، فمثل بين يدي السلطان حتى ثقل مرضه، وومات في يوم الثلاثاء تاسع جمادى الأولى، فدفن خارج باب النصر من القاهرة؛ ثم نقل هو وأبوه إلى القدس، فدفنا هناك.

ومات القاضي شهاب الدين أحمد بن أبي بكر بن رسلان البلقيني، المعروف بالعجمي الشافعي^(٢)، قاضي المحلة، في يوم الثلاثاء رابع عشر جمادى الأولى، وكان من فضلاء الشافعية.

ومات قاضي القضاة محب الدين أبو الفضل أحمد ابن شيخنا جلال الدين نصر الله ابن أحمد بن محمد بن عمر الششتري الأصل، البغدادي المولد والمنشأ، الحنبلي، في يوم الأربعاء خامس عشر جمادى الأولى، ومولده ببغداد في شهر رجب سنة خمس وستين وسبعمائة، وقدم القاهرة في سنة ثمان وثمانين، ولزم شيخنا صلاح الدين محمد بن الأعمى الحنبلي، وتفقه به، وواظب شيخنا شيخ الإسلام سراج الدين عمر البلقيني^(٣)

(١) انظر الضوء اللامع ٥ / ٢٠٥.

(٢) أحمد بن أبي بكر بن رسلان، القاضي شهاب الدين المعروف بالعجمي، الشافعي قاضي المحلة. كان فقيها عالمًا فاضلاً، ولي نيابة الحكم بالحكم وغيرها عدة سنين، وأكثر ما له من ذلك، وكان له ثروة ووجاهة، واستمر على ذلك إلى أن توفي يوم الثلاثاء رابع عشرين جمادى الأولى سنة أربع وأربعين وثمانمائة. انظر ترجمة في: الدليل الشافعي ١/ ٣٧، والنجوم الزاهرة ١٥/ ٤٨٥، والضوء اللامع ١/ ٢٥٣.

(٣) عمر بن رسلان (٧٢٤ - ٨٠٥ هـ = ١٣٢٤ - ١٤٠٣ م). عمر بن رسلان بن نصير بن -

وشيخنا سراج الدين عمر بن الملقن، وبرع في الفقه والأصول والحديث والعربية، وقرأ بنفسه وسمع على شيوخنا عدة كتب، وناب في الحكم عن ابن المغلسي، ثم ولى القضاء مستقلاً عدة سنين حتى مات، ودرس في عدة مواضع، ولم يخلف في الخنايلة بعده مثله، ولا أعلم فيه ما يعاب به، لكثرة نسكه ومتابعته للسنة، إلا أنه ولى القضاء، فالله تعالى يرضى عنه أخصامه.

ومات الأمير ناصر الدين محمد بن بوالى^(١) بدمشق في سابع عشره، وقد ولى أستاذاراً في الأيام المؤيدية شيخ، ثم استمر أستاذاراً بدمشق، وهو معدود من الظلمة.

ومات القاضي شهاب الدين أحمد بن عيسى الخنبلي، أحد نواب الحكم بالقاهرة، في يوم الخميس ثالث عشر جمادى الأولى، وقد رأس، وشكرت سيرته، واشتهر بالعفة.

ومات أمين الدين عبد الله بن سعد الدين أبي الفرج بن تاج الدين موسى، في يوم الأحد ثالث جمادى الآخرة وكانت له رياسة ضخمة في أيام أبيه سعد الدين ناظر الخاص، وتولى بعده نظر الإصطبل، ثم انحط قدره، وتكسح، وعرف بصحبة جماعة من أهل الدول، فإذا دخل إليهم خدمه حتى يجلس ثم يحملوه إذا ركب، وحج غير مرة، وشاهدته وهو محمول يطوف بالبيت، وبلوت منه مروءة وخفة روح، عفى الله عنه.

ومات الأمير سيف الدين الطنبغا المرقبي في يوم الإثنين عاشر شهر رجب، وهو من جملة المؤيدية، عمله المؤيد شيخ في أيام تلك الفتن بقلعة المرقب من عمل طرابلس، فأقام بها مدة فعرف بينهم بالمرقبي، فلما تسلطن، رقاها حتى صار أمير مائة مقدم ألف حاجب الحجاب، ثم حمل بعد موت المؤيد طول الأيام الأشرفية، وتلاشت أحواله. فلما كانت أيام السلطان الملك الظاهر جقمق، انتعش وصار من جملة الأمراء الأكلوف حتى مات بها.

ومات زين الدين قاسم بن البشتكى، في يوم السبت ثامن رجب، بناحية بينا من عمل فلسطين، ولم يدفن إلا في يوم الإثنين عاشره، وكان حشماً سرياً فخوراً، له ثراء

=صالح الكنانى، العسقلانى الأصل، ثم البلقينى المصرى الشافعى، أبو حفص، سراج الدين، مجتهد حافظ للحديث، من العلماء الدين. ولد فى بلقينة (من غربية مصر) وتعلم بالقاهرة، وولى قضاء الشام سنة ٧٦٩ هـ، وتوفى بالقاهرة. من كتبه «التدريب فى فقه الشافعية، لم يتمه، و«تصحيح المنهاج والملمات برد المهمات، ومحاسن الاصطلاح» فى الحديث وغيرها. انظر لخط الأخطا وذيل طبقات الحفاظ. والتبيان - خ - والضوء اللامع ٦ / ٨٥. شذرات الذهب ٧ / ٥١، حسن المحاضرة ١٨٣/١. الأعلام ٤٦/٥.

(١) هو الأمير ناصر الدين، محمد المعروف بابن بوالى. انظر النجوم الزاهرة أحداث سنة

واسع ومال جم، ورثه، وإفضال كثير، وفضيلة، ثم تردد إلى مجلس السلطان الملك المؤيد، واختص به مدة، إلى أن تنكر له وضربه وشهره، فاتضع جانبه، وصار يكتر من التردد إلى بينا، حتى مات بها، فالله يرحمه، فلقد شاهدنا منه كرماً جماً، وإفضالاً زائداً، ومروءة غزيرة، ونعمة ضخمة.

ومات الأمير مجحق نائب قلعة الجبل في أول يوم من رجب، وهو ممن انتشأ في الأيام الظاهرية جحقمق.

ومات الأمير الطواشى صفى الدين جوهر السيفى قنقبای اللالا^(١) زمام الدور خازندار السلطان في ليلة الإثنين أول شعبان عن نحو سبعين سنة، وصلى عليه السلطان، ودفن بمدرسته، بجوار الجامع الأزهر. وكان من جملة هدية الحطى داود بن سيف أرعد ملك بلاد الحبشة إلى السلطان الملك الظاهر برقوق، فأنعم به على الأمير قنقبای اللالا،

(١) جوهر بن عبد الله القنقبای الطواشى الحبشى، الأمير صفى الدين الخازندار، والزمام، وعظيم الدولة الأشرفية برسباى، والعززية يوسف، والظاهرية جحقمق. لأصله من خادم داود بن سيف أرعد متملك بلاد الحبشة، أرسله في جملة مقدمة إلى الملك الظاهر برقوق؛ فأنعم به الظاهر بعد مدة على الأمير قنقبای الألبانى اللالا؛ فأعتقه قنقبای المذكور، ودام بخدمته إلى أن مات. تنقل جوهر في مدة خدم، وقاسى من الفقر إلى أن اتصل بخدمة علم الدين داود بن الكؤيز، وكاتب السر، ودام عنده إلى أن مات علم الدين ابن الكؤيز. وكان ابن جوهر هذا وبين جوهر الجلبانى اللالا صحبة وأخوة قديمة، وحب زائد. فصار جوهر يحسن جوهر هذا حسناً زائداً، ونزله بيباب السلطان من جملة الخدام. واستمر على ذلك دهراً إلى أن مات الأمير الطواشى كافور الصرغمشى الزمام في يوم الأحد خامس عشرين شهر ربيع الآخر سنة ثلاثين ومائاً. واستقر زماماً من بعده الأمير خشقدم الظاهرى الخازندار، وشغرت وظيفة الخازندارية من بعد مدة يسيرة، وطلب الملك الأشرف من يوليه الخازندارية من بعده، فذكر له أرباب الدولة عدة من أعيان الخدام، فلم يرضى بأحد منهم، وقال: أريد أن يكون عاقلاً، عارفاً له جوهر اللالا يمولانا السلطان عندى من هو غرض السلطان، غير أن لم يكن من أعيان الخادم. فقال الأشرف: من هو قال: أخى جوهر القنقبای، ويخبره السلطان، ويحدثه فيما يختار. فطلبه السلطان في الوقت، وكلمه فأعجبه كلامه، وولاه الخازندارية، «وتسلم الخزانة» الشريفة، وضبط الأموال، وساس الأمور. وكان حاذقاً، عاقلاً، عارفاً، وعنده سكون ووزانة. فلما رأى الأشرف منه ذلك أضاف إليه التكلم في الذخيرة وغيرها. وعظم في الدولة، ونالته السعادة، وحظى عند الأشرف، وانتقاد إليه بكلية، وكثر ترداد النائب «إلى باب»، وبل صار هو صاحب العقد والحل، والمشار إليه في الممالك».... وكانت وفاته في ليلة الإثنين أول شعبان سنة أربع وأربعين ومائاً، وعمره نحو من سبعين سنة تخميناً، ودفن بمدرسته التي أنشأها بالقرب من جامع الأزهر. وحضر السلطان الصلاة عليه. وكان عاقلاً، ديناً تالياً لكتاب الله، عارفاً بالقراءات. انظر المنهل الصافى ٣٨ / ٥ وما بعدها، الدليل ٢٥٤ / ١، النجوم ٤٨٥ / ١٥، الضوء ٨٢ / ٣، بدائع الزهور ٢ / ٢٢٧، عقد الجمان حوادث سنة ٨٤٤ هـ.

لإلا المقام الناصري محمد ولد السلطان، فرباه وهو صغير، وأقرأه القرآن العظيم، ثم خدم من بعد فقبای جماعة من الأمراء، زماما لدورهم، وعارك خطوب الدهر ألوانا، حتى استدعاه الأشرف برسباى، وعمله خازن داراً، فتمكن منه تمكنا زائدا، وانبسطت يده فى تحصيل الأموال للذخيرة بقوة وشهامة وضبط، فلما مات الأشرف أضيفت إليه أزمة الدور، فباشر ذلك حتى مات، ولم يخلف فى أبناء جنسه بعده مثله، وكان عفيفا، له بر وأفضال مع رصانة عقل، وجد من غير هزل، وكان مهابا يتلو القرآن بالسبع، إلا أنه فتن بصحبة السلطان، فحرص على رضاه، واقتحم المهالك، بحيث أنه لم يكن فى الدولة الأشرفية أحد أخص منه بالسلطان ولا أقوى تمكنا، فالله يعفو عنه بمنه.

ومات القاضى شرف الدين الأشقر، واسمه أبو بكر بن سليمان، المعروف بابن العجمى الحلبي، نائب كاتب السر، فى يوم الأربعاء تاسع رمضان، وقد أناف على الستين، قدم من حلب فى أيام الأمير جمال الدين يوسف أستاذ دار، وعنده يومئذ بنت أختى جمال الدين، فتوه به، وأقره فى توقيع الدوادار الكبير، فيعد من رؤساء القاهرة، حتى زالت دولة جمال الدين، فنكب فى جملة من نكب من أزمه نكبة نجاه الله منها، بعدما أشفى على الهلاك، فلما كانت الأيام المؤيدية شيخ عاد إلى ما كان عليه من مباشرة التوقيع عند الأستادارية مدة سنين ثم رغب عن ذلك، وباشر فى ديوان الإنشاء مع ابن مزهر كاتب السر ومن بعده، وصار نائب كاتب السر، به حل الديون وعقده، ثم ولى كتاب السر بحلب مدة، وتركها لولده معين الدين، وعاد إلى نيابة كتابة السر حتى مات، وكان ماهراً بصناعة الإنشاء، جميل المحاضرة، بشوشا، متوددا، حشما، فخورا، له فضيلة، وسيرته مشكورة.

ومات العبد الصالح شهاب الدين أحمد بن حسين بن حسن بن رسلان^(١) الفقيه الشافعى المحدث المفسر بمدينة القدس، فى يوم الإثنين عشرين شهر رمضان عن إحدى وسبعين سنة، ولم يخلف بتلك الديار بعده مثله علما ونسكا.

ومات القاضى شمس الدين محمد بن شعبان فى حادى عشرين شوال عن نيف وستين سنة وولى حسبة القاهرة مرارا عديدة، ولا فضل ولا فضيلة.

(١) أحمد بن حسين بن حسن بن رسلان، الشيخ الإمام العالم الصالح شهاب الدين المقدسى الشافعى. كان إماما بارعا صالحا، عالما بالفقه والحديث والتفسير وغير ذلك، مع التدين والعبادة والصلاح. توفى بالقدس فى يوم الإثنين لثمان بقين من شهر رمضان سنة أربع وأربعين ومائتا، عن إحدى وسبعين سنة، ولم يخلف بعده بتلك الديار مثله، رحمه الله تعالى وعفا عنه. انظر أبناء الغمر، وفيات سنة ٨٤٤هـ، الأئس الجليل ٢/ ٥١٥ وديوان الإسلام - خ -، البدر الطالع ١/ ٤٩، وشذرات الذهب ٧/ ٢٤٨، الأعلام ١/ ١١٧.

ومات الشيخ نور الدين على بن عمر بن حسن بن حسين التلوانى، فى يوم الإثنين ثالث عشرين ذى القعدة، وقد أناف على الثمانين، وأصل آباءه من بلاد المغرب، وسكن أبوه ناحية جروان، وأقرأ الأطفال القرآن. ثم تحول إلى تلوانه^(١) وولد له بها على وغيره، ثم قدم على القاهرة وتفقّه على مذهب الإمام الشافعى - رحمه الله - حتى درس وأفتى، وولى مشيخة الخانقاه الركنية ببيرس ثم عزل عنها وولى تدريس المدرسة الناصرية بجوار قبة الإمام الشافعى من القرافة مدة سنين. وكان ديناً خيراً، له مروءة وفيه قوة، وله أفضال، رحمه الله.

ومات الشيخ شمس الدين محمد بن عمار محمد المالكى^(٢) فى يوم السبت رابع عشر شهر ذى الحجة عن نيف وثمانين سنة، وقد كتب على الفتوى ودرس، وصار ممن يعتقد فيه الخير.

ومات الرئيس إبراهيم بن فرج الله بن عبد الكافى الإسرائيلى اليهودى الداودى العافانى، فى يوم الجمعة عشرين ذى الحجة، وقد أناف على السبعين ولم يخلف بعده من يهود مصر مثله فى كثرة حفظ نصوص التوراة، وكتب الأنبياء، وفى تنسكه فى دينه، مع حسن علاجه لمعرفته بالطب وتكسبه به. وكان يقر بنبوة رسول الله ﷺ، ويجهر بأنه رسول إلى العرب، ويقول فى المسيح عيسى بن مريم عليه السلام إنه صدق، وهذا خلاف ما يقوله اليهود - لعنهم الله وخزاهم - فما أكثر طعنهم فى أنبياء الله ورسله، على ما وقفت عليه من أقوالهم من كتبهم.

ومات شهاب الدين أبى العباس أحمد بن صالح بن تاج الدين المحلى الشافعى^(٣)، فى يوم الأربعاء ثامن عشر ذى الحجة، وكان فاضلاً فى الفقه والفرائض^(٤) والنحو وله سلوك ونسك، وللناس فيه اعتقاد، ودرس وخطب مدة، رحمه الله تعالى.

* * *

(١) قرية قديمة من أعمال المنوفية. ينظر قوانين الدواوين.

(٢) انظر الضوء اللامع ١/١١٦، ١١٧.

(٣) أحمد بن صالح، الشيخ الإمام العلامة شهاب الدين أبو العباس المحلى الشافعى. مولده. كان إماماً بارعاً فى الفقه والصول والفرائض والنحو والتصريف، وتصدر للتدريس عدة سنين، وخطب مدة مع سلوك ونسك وعبادة وصلاح، وكان للناس فيه إعتقاد حسن، ولم يزل على ذلك إلى أن توفى يوم الأربعاء ثامن عشر ذى الحجة سنة أربع وأربعين ومائاتة. رحمه الله. والحلة المدينة كبيرة من قرى الغربية من أعمال القاهرة. انتهى. انظر الترجمة فى: الدليل الشامى ١/٥٠، الضوء اللامع ١/٣١٥، شذرات الذهب ٧/٢٥٠.

(٤) الفرائض: جمع فريضة، وهو على تعرف به قسمة الموارث الشرعية. انظر المعجم الوسيط

فهرس محتويات

الجزء السابع

من

السلوك لمعرفة دول الملوك

المحتويات

| | |
|-----|---|
| ٣ | سنة ثلاث وعشرين ومائة..... |
| ٢٥ | سنة أربع وعشرين ومائة..... |
| ٢٧ | السلطان الملك المظفر أبو السعادات..... |
| ٣٩ | السلطان الملك الظاهر سيف الدين أبو الفتح ططر..... |
| ٤٤ | السلطان الملك الصالح ناصر الدين محمد بن الظاهر ططر..... |
| ٥١ | سنة خمس وعشرين ومائة..... |
| ٥٥ | السلطان الملك الأشرف سيف الدين أبو النصر..... |
| ٧٣ | سنة ست وعشرين ومائة..... |
| ٩١ | سنة سبع وعشرين ومائة..... |
| ١٠٩ | سنة ثمان وعشرين ومائة..... |
| ١٢٧ | سنة تسع وعشرين ومائة..... |
| ١٤٥ | سنة ثلاثين ومائة..... |
| ١٦٧ | سنة إحدى وثلاثين ومائة..... |
| ١٨٥ | سنة اثنتين وثلاثين ومائة..... |
| ٢٠١ | سنة ثلاث وثلاثين ومائة..... |
| ٢٢٣ | سنة أربع وثلاثين ومائة..... |
| ٢٣١ | سنة خمس وثلاثين ومائة..... |
| ٢٤٣ | سنة ست وثلاثين ومائة..... |
| ٢٥٩ | سنة سبع وثلاثين ومائة..... |
| ٢٧٥ | سنة ثمان وثلاثين ومائة..... |
| ٢٩٧ | سنة تسع وثلاثين ومائة..... |
| ٣٢١ | سنة أربعين ومائة..... |
| ٣٤١ | سنة إحدى وأربعين ومائة..... |
| ٣٦١ | السلطان الملك العزيز جمال الدين..... |
| ٣٧١ | سنة اثنتين وأربعين ومائة..... |
| ٣٨٢ | السلطان الملك الظاهر أبو سعيد حقم..... |
| ٤٢٩ | سنة ثلاث وأربعين ومائة..... |
| ٤٥٧ | سنة أربع وأربعين ومائة..... |